سلسلة معرفة الله (١ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ الثقة بالله

معنى (لا إله إلا الله)

الدرس الأول

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٨/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

الحقيقة: إذا تأمل الإنسان في واقع الناس يجد أننا ضحية عقائد باطلة، وثقافة مغلوطة جاءتنا من خارج الثقلين: كتاب الله، وعترة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذا شيء. الشيء الآخر ـ وهو الأهم ـ أننا لم نثق بالله كما ينبغي، المسلمون يعيشون أزمة ثقة بالله.. لماذا؟ أليس في القرآن الكريم ما يمكن أن يعزز ثقتنا بالله سبحانه وتعالى؟ بلى. القرآن الكريم هو الذي قال الله عنه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَـذَا الْقُـرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:٢١) قلة معرفة بالله، انعدام ثقة بالله، هي التي جعلت المسلمين يتصرفون بعيداً عن الله سبحانه وتعالى، فلم يهتدوا بهديه، لو وثقنا بالله كما ينبغي لانطلق الناس لا يخشون أحداً إلا الله، لو صدقنا كما ينبغي وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، وعد الله لأوليائه، وعد الله لمن يكونون أنصاراً لدينه.. ما وعدهم به من الخير، والفلاح والنجاح والسعادة والعزة والكرامة والقوة في الدنيا، وما وعدهم به في الآخرة من رضوان، من جنات عدن.. لو صدقنا بذلك كما ينبغي لما رغبنا في أحد، ولما رهبنا من أحد، لكانت كل رغبتنا في الله، وفيما عنده، وفي رضاه، وكل رهبتنا من الله ومن وعيده وغضبه وعقابه.

الخطاب القرآني يتجدد دائما يقول للناس: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} (الحديد: من الآية١٦) ألم يأن، يعني: ما قدو وقت ـ بتعبيرنا نحن ـ ما قدو وقت أن الناس تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق من القرآن الكريم؟ {وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} (الحديد: من الآية١٦) تخويف من أن يصير الناس إلى ما صار إليه بنوا إسرائيل، الذين طال عليهم الأمد يسمعون مواعظ، ويقرؤون كتباً، ولكن ببرودة لا يتفاعلون معها، وتتكرر المواعظ وتتكرر النبوات، وهكذا، {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} حتى فسق أكثرهم، وحتى استبدل الله بهم غيرهم، وحتى جردهم من كل ما كان قد منحهم إياه: النبوة، وراثة الكتاب، الملك، الحكمة.

نحن المسلمون نتعرض لمثل هذه الحالة فكتاب الله يتردد على مسامعنا كثيراً، والمواعظ تتردد على مسامعنا كثيراً، والعلماء بين أظهرنا يتحدثون معنا كثيراً، ولكن نتلقى الكلام، نتلقى آيات القرآن ببرودة لا نتفاعل معها، أصبح تقريبا مجرد روتين استماع القرآن الكريم، واستماع المواعظ، وحضور المناسبات، لكن دون أن نرجع إلى أنفسنا فنجعلها تتعامل مع كل ما تسمع بجدية، وتتفاعل معه بمصداقية. نتعامل ببرودة مع كل ما نسمع، ولم ننطلق بجد وصدق لنطبق، لنلتزم، لنثق.

ستقسو قلوبنا ـ ونعوذ بالله من قسوة القلوب ـ متى ما قست القلوب يصبح هذا القرآن الكريم الذي لو أنزله الله على الجبال من الصخرات الصماء لتصدعت من خشية الله، لكن القلب متى ما قسي يصبح أقسى من الحجارة، فلا يؤثر فيه شيء. قال الله عن بني إسرائيل الذين حكى بأنهم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم قال عنهم: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (البقرة: من الآية٧٤)، من بعد ماذا؟ من بعد المواعظ، من بعد الآيات الباهرات التي لم يتفاعلوا معها، ولم يعتبروا بها، ولم يتذكروا بها فقست قلوبهم، هكذا طبع الله القلب.

القلب إذا لم تحاول أن تجعله يلين مما يسمع، يلين لذكر الله، يوجل إذا سمع ذكر الله، يزداد إيمانا إذا تليت عليه آيات الله إذا لم تتعامل معه على هذا النحو فبطبيعته هو يقسو، يقسو، يقسو.. ومتى ما قسي قلبك سيطرت عليك الغفلة والنسيان لله سبحانه وتعالى، إذا ما نسيت الله نسيت نفسك، فتأتي يوم القيامة فتكون منسياً عما كنت ترجوه من الخير، أو تأمله من الخير والنجاة، والفوز يوم القيامة {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} (التوبة: من الآية٦٧) {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (الحشر:١٩).

قلوبنا إذا لم نحاول أن نتعامل معها من منطلق الخوف أن تصل إلى هذه الحالة السيئة: القسوة، فتصبح أقسى من الحجارة، فحينئذ لا ينفع فيك شيء، لا ينفع فيك كتاب الله، ولا ينفع فيك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا ينفع فيك أي عظة تمر بك في هذه الدنيا.

والمطلوب من القلوب هو أن تخشع لذكر الله، هو أن تلين، هو أن تصدّق، أن تثق، أن تمتلئ بالخشية من الله، أن تمتلئ حباً لله، معرفة قوية بالله سبحانه وتعالى.. متى ما صلح القلب صلح الإنسان بكله، وانطلق ليصلح الحياة بكلها، وانطلق بإيمان، بثقة، بإخلاص، بصدق، بتوجه حكيم في كل ما يريد الله سبحانه وتعالى منه.

من أين جاءت أزمة الثقة بالله حتى أصبحت وعوده تلك الوعود القاطعة المؤكدة وكأنها وعود من لا يملك شيئاً؟! وكأنها وعود من لا علاقة لنا به، ولا علاقة له بنا.. كيف نعمل؟. نعود إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

نحن في الدرس السابق تحدثنا عن ما عرضه القرآن الكريم عن أولياء الله، كيف يكونون، كيف يكون أولياؤه، بعد أن تعرفه ستثق به، فمعنى أنك أصبحت من أوليائه أنك جعلته ولياً لأمرك، لكل أمورك، تهتدي به، تسترشد به، تثق به، تتوكل عليه، تصدّق بما وعدك به، تلتجئ إليه في كل المهمات.

وأهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو القرآن الكريم، القرآن الكريم الذي يعطي معرفة واسعة، معرفة متكاملة، من غير القرآن الكريم لا يمكن أن نحصل على المعرفة بالشكل الذي ينبغي أن نكون عليها، حتى تكون معرفة تدفعنا إلى الثقة بالله أكثر فأكثر.

فالإنسان إذا تأمل القرآن الكريم فعلاً يستحي، يستحي من الله أنه كيف لا نثق به، ونحن نسمع آياته، ونحن نقرؤها، ونحن نؤمن بأن هذا الكتاب الكريم هو من عنده.. فلماذا.. لماذا.. لماذا لا نثق؟ لماذا نبحث عن هذا الطرف أو هذا الطرف لنتولاه، ثم لا نتولى الله سبحانه وتعالى.

الآيات التي نحصل من خلالها على معرفة لله بالشكل المطلوب هي آيات كثيرة جداً، جداً في القرآن الكريم، تلك الآيات التي تتحدث عن ألوهية الله، وملكه، وعظمته، تلك الآيات التي تتحدث عن عظيم نعمه علينا، تلك الآيات التي تتحدث بأن له ملك السموات والأرض، التي تتحدث بأنه مالك السموات والأرض وما بينهما، وهو من يملك اليوم الآخر، وبيده مصيرنا، هو من يملك الجنة، من يملك النار، هو من يعلم الغيب والشهادة، هو العزيز، هو الحكيم، هو السميع، هو البصير، هو الرؤوف، هو الرحيم.

تلك الآيات التي تتحدث عنه سبحانه وتعالى بأنه جدير بأن يثق به عباده، وأن يخاف منه عباده، وأن يلتجئ إليه أولياؤه.

فمتى ما كان لله سبحانه وتعالى عظمة في نفوسنا، متى ما عرفنا من خلال هذه الآيات الكريمة ماذا يعني أنه ملكنا، وأننا عبيد له، ماذا يعني أنه ربنا، وأننا مربوبون له، ماذا يعني أنه رحيم، ماذا يعني أنه رحمن، ماذا يعني أنه جبار، أنه منتقم؟ ماذا يعني: أنه من يملك السموات والأرض وما بينهما؟ ماذا يعني أن له جنود السموات والأرض؟ ماذا يعني كل ما شرحه وفصله عن شئون ملكه وتدبيره لعباده ومخلوقاته؟ أن نعيها، أن نفهمها؛ لنعرف كيف ينبغي أن يكون التعامل في ما بيننا وبينه سبحانه وتعالى، بحيث لا تبقى الأشياء مجرد أسماء.

نحن نقرأ دائماً {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:١-٢) **ألسنا نقول: رب العالمين؟ لكن لا نعرف ماذا يعني أنه رب العالمين، ما يترتب على هذا من الأشياء بالنسبة لنا!.**

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:٣-٥) **هكذا نصفه بأنه رحمن رحيم، وأنه ملك يوم الدين، لكن مجرد عبارات نقرؤها، ونقفز عليها لا نحاول أن نفهم ماذا يعني، أنه إذا كان هو رحمن إذاً فهو عندما ينزل القرآن الكريم، ويهدينا بالقرآن الكريم فهو من منطلق أنه رحيم بنا.. إذاً فكل ما في القرآن الكريم من توجيهات وإرشادات وهداية هي كلها رحمة بنا.**

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} إذا كان هو من له الملك وحده في يوم القيامة فهو وحده من يجب أن نلتجئ إليه، ونرغب إليه، ونرغب فيه، ونخاف منه؛ لأنه يوم لا بد أن نحشر فيه إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا لم يكن هناك أي مُلكٍ، أي مشاركة لأي أطراف أخرى في ملك ذلك اليوم، وليس الملك إلا لله الواحد القهار، إذاً فهو وحده الذي

يجب أن نخاف منه؛ لأن أعظم نعيم هناك في الآخرة بيده، وأشد عذاب أليم هناك في الآخرة بيده، فهو من يملك الجنة، ومن يملك النار، فهو وحده الذي يمكن أن يمنحنا الجنة، وهو وحده الذي يمكن أن يوصلك إلى قعر جهنم. لمن الملك اليوم؟؟ لله الواحد القهار.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} نعبده ولا نعرف ماذا يعني أننا عبيد له! ماذا تعني عبوديتنا له! القرآن الكريم كرر هذا بشكل كبير جداً، تقرير عبوديتنا لله سبحانه وتعالى، وتقرير ملكه علينا، وألوهيته علينا بشكل كثير ورد في القرآن الكريم.

منها هذه الآية التي هي من أعظم الآيات في القرآن الكريم: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (البقرة:١٦٣) **أليس هو هنا يتحدث عن كماله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يجعلنا نلتجئ إليه باعتباره إلهنا، ونلتجئ إليه باعتباره رحمن رحيم، فهو إله ليس إله يتسلط، إله يتجبر، بل هو يرحم عباده، فكل ما شرعه لهم، كل ما هداهم إليه إنما هو من منطلق أنه مسئول عن أن يعمل هذا العمل بهم باعتباره إلههم؛ لأنه إلههم.**

ولأنه رحيم فكل ما يأتي من عنده هو من منطلق الرحمة.. فعندما يتحدث، أو عندما يرشدنا، أو يأمرنا بأشياء قد نراها شاقة، قد تبدو أمامنا وكأنها شاقة فنعدل عنها فنبدو وكأننا إنما عدلنا عنها لأننا رحمنا أنفسنا، ومن منطلق رحمتنا بأنفسنا لا نريد أن يحصل علينا ما يشق علينا، ما يتعبنا. هذا هو ما هو حاصل عند الناس، لا ينطلقون فيما وجههم الله إليه، وفيما أمرهم به فالأشياء التي يرونها وكأنها ثقيلة وشاقة؛ لأنهم رحماء بأنفسهم.. لماذا لا تثق بأن الله هو أرحم بك من نفسك، هو أرحم بك من نفسك، هو أرحم بك من أمك وأبيك، هو أرحم بك من أي قريب لك، هو من يعلم الأشياء التي فيها رحمة لك إذا ما سرت عليها، الأشياء التي إذا ما تحققت هي رحمة لك، هو وحده الذي يعلم.

{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}، ليس هناك آلهة متعددة حتى يمكن أن تقول:[والله هذا الإله شاقة تعليماته يمكن أن نرجع إلى الإله الآخر] مثل ما هنا في الدنيا، الإنسان يقطع له بطاقة من المؤتمر، وبطاقة من الإصلاح، وبطاقة من البعث أو من أي حزب آخر؛ إذا رأى أن هذا الحزب ليس له مصالح فيه عاد إلى الحزب الآخر، إذا حصل من جانب هذا الحزب ما يتعبه أو يزعجه عدل عنه إلى حزب آخر، ما هكذا يحصل؟.

لكن لا.. ليس هناك إلا إله واحد، ليس هناك مفر أبداً منه، لا مفر منه إلا إليه، ليس هناك من يمكن أن ينجيك من عذابه وسخطه إذا ما سخط عليك، وحكم عليك بعقوبته، ليس هناك من يمكن أن يسلبك ما قد منحك إياه، أبداً ليس هناك أي طرف يمكن أن يكون قادراً على أن يرد الفضل الذي قد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطيك إياه، والخير الذي أراد أن يمنحك إياه {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ} (يونس: من الآية١٠٧).

ما الذي يحصل في هذه الدنيا في تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى، عندما نسمع آياته تتلى علينا، وفيها تلك الآيات التي تأمرنا بالتوحد، بالأخوة، بالإنفاق في سبيله، بالجهاد في سبيله، بالعمل على إعلاء كلمته، بأن نكون أنصاراً لدينه؟ وهكذا.

كيف يعمل واحد.. يرجع يطأطئ رأسه، ويمشي مدري فين، يتجه كذاك، يريد يهرب مدري فين! إلى المجهول، يحاول يعرض! تحدبر برأسك وتحاول تعرض كذا ولا كذا، أين ستذهب؟.

أنت فقط تغالط نفسك، تحاول تتهرب وتحاول تتناسى هذا الشيء، وتحاول تنشغل بأشياء تدخل فيها لما تنسى، وهكذا تساهي نفسك، تساهي نفسك حتى يأتيك الموت، فتجد بأنك إنما كنت تغالط نفسك، وتخادع نفسك؛ لأن الله لا ينسى، لا يغفل، يراقبك سواء تهرب إلى هذا أو إلى هذا، أو حتى تسير تبحث عن أسئلة تدور لك لأسئلة إذا باتلقى لك مخرج من عند ذيه ولاّ من عند ذيه من أجل إذا... يوم القيامة.. ما بِش.. {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: من الآية٥٣) **هو الشاهد على كل شيء، شاهد على أعمالنا عليم بذات الصدور.**

يوم القيامة سيتبرأ منك حتى أولئك الذين كنت تؤيدهم في الدنيا وتصفق لهم وهم يسيرون في طريق الباطل {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً

{فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة:١٦٦-١٦٧)؛ **لأنه سيرد وهو مشغول بنفسه هو هالك، هو مذهول، يقول لك: رحلك، ماذا أعمل لك؟ ما أستطيع أعمل لك شيء.**
أنت تتألم، تتألم، وتصبح حسرات تقطع قلبك، عذاب نفسي، هذا الذي كنت في الدنيا أصفق له، وكنت في الدنيا بَعْدَه، وكنت في الدنيا أركزه، وأقول انه.. وانه... إلى آخره.. ها هو يتبرأ مني الآن، [ليت ان عبا يُسبُر ارجع الدنيا ثاني مره أتبرأ منّه وألعنه من فوق كل منبر].
{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا} (الزمر: من الآية٥٩) **ترى هكذا يأتي بعد كل آية تتحدث عن النسيان {أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا}** (طه: من الآية١٢٦) **كنا في الدنيا نقول لك تتبرأ من المجرمين، تتبرأ من الظالمين، تمشي على هدي الله، لا ترتبط بغير هدي الله والهداة إلى دين الله.**
أليست حسرات شديدة على الإنسان يوم القيامة، وهو هنا كان يعرض في الدنيا ويبحث عن من يتمسك به فيأتي يوم القيامة يتبرأ منه.
أليست هذه الآيات تعني أنه سيكون حسرة شديدة عندما يقولون: {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا} (البقرة: من الآية١٦٧) **عبّر الله عن أن هذه الكلمة انطلقت من نفوس تتقطع حسرات {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا} غيض شديد، وتألم شديد من أولئك الذين كنا في الدنيا نصفق لهم، وكنا في الدنيا نؤيدهم، وكنا في الدنيا نمشي على توجيهاتهم، وهم كانوا هكذا، توجيهات ليست على وفق كتاب الله سبحانه وتعالى! حسرات عندما قال الله: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** (البقرة: من الآية١٦٧).
{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (البقرة: من الآية١٦٣) **إله واحد، نبي واحد، وكتاب واحد، ومنهج واحد، وطريق واحد لغاية واحدة، هي رضا الله والجنة.**
آية الكرسي التي نقرؤها وهي من أعظم آيات القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى فيها: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (البقرة: من الآية٢٥٥) **ثقوا به؛ لأنه الله الذي لا إله غيره، أي هو من يملك شئونكم، من بيده شئونكم وأموركم، هو من يدبر أموركم، هو وحده الذي يمكن أن تألهوا إليه، وتلتجئوا إليه.. هو الحي لا يمكن أن تقول:[ربما قد مات، الله يرحمه، إيش عبَّا يسوي لنا]؟ لا، هو الحي.. هو الشاهد على كل شيء.**
قيوم، هو القيوم على كل شيء، فهو قائم على كل نفس بما كسبت. هو القيوم هو الشاهد على هذا العالم من يقوم بتدبير شئونك، هو من يقوم بتحقيق ما وعدك به، بإنجاز ما وعدك به.
هو أيضاً {لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ}أول النوم، أو نوع من الغفلة، {وَلا نَوْمٌ} فيمكن أن يهاجموك وهو راقد.. لا، يقول واحد [والله إما إذا هو بيرقد فيمكن يباغتونا وهو راقد ويرجع ينتبه وقد نجحت] لا، لا.. الله سبحانه وتعالى لا يغفل، لا ينام، لا يسهو، لا ينسى عندما تثق به فأنت تثق بمن لا يغفل عنك لحظة واحدة، بمن هو عليم بذات الصدور، صدرك أنت، وصدر عدوك، فثق بمن يستطيع أن يملأ قلبك إيمانا وقوة، ويملأ قلب عدوك رعباً وخوفاً {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} (لأنفال: من الآية١٢).
من هو الذي يمكن أن تتولاه، وله هيمنة على القلوب؟ من هو الذي يمكن؟ لا زعيم، لا رئيس، لا ملك، لا أي أحد في هذا العالم له هيمنة على القلوب.. ألم يقل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): **((نصرت بالرعب من مسيرة شهر))؟ من أين جاء هذا الرعب؟ من قبل الله، هو الذي هو مطلع على القلوب، وبيده القلوب يستطيع أن يملأها رعباً، ويملأ تلك القلوب قوة وإيماناً وثقة، وعزماً وإرادة صلبة؛ لأنه قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.**
ممكن يكون معك وأنت في الدنيا هذه صديق مسئول أو تاجر، يحصل موقف، تسير إلى عند باب بيته.. قالوا: لحظة عاده راقد.. يا جماعة احنا عجّالين بلغوه.. قالوا ما يمكن.. لأنه عادة كل من هو كبير في هذه الدنيا كلما بيكون أكثر ابتعاداً عن الناس.. راقد! شوفوه لنا.. ذا معنا ورقة نريد يعمل لنا توجيه إلى عند فلان، معنا مشكلة كذا وكذا، ونريد.. قالوا: لحظة.. راقد، ويمكن أن تخلي الورقة عند الحارس وتجي لها إنشاء الله

بكره؛ لأن وليك هذا هو يسهر على الفيديو إلى ما قبل الفجر، ويتابع الفضائيات إلى ما قبل الفجر، ثم ينام ويواصل نومه إلى الظهر، وهناك من يذهب يشتري له قات، ويذهب يتقضى له كل شيء، وهو يصحو فقط في الظهر، وأنت منتظر له عند الباب، لأن وليك هذا راقد، تأخذه ساعات من النوم، والورقة حقك عندما توصلها عنده يقلبها قليلاً، وهو متأثر بعد النوم، عاده مبَخِر بعد الغداء، وإن شاء الله عندما يصحو بالقات قبل المغرب يرجع يشوف ورقتك، ثم يحولها: [الأخ الفلاني اطلعوا على قضية الأخ فلان وانظروا فيها على حسب ما بدا لكم]. مثل هذا ليس جديراً بأن تتولاه، وأن تثق به بعيداً عن الله سبحانه وتعالى.

أما الله عندما تتولاه هو الشاهد على كل شيء، هو الحاضر على كل شيء {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} (المجادلة: من الآية٧)، **{عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** (الحديد: من الآية٦)، **{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}** (البقرة: من الآية٢٥٥). **هو إلهك، هو ليس إلهاً من تلك الآلهة التي شراها جدك من الهند ووضعها في الساحة قرب بيتك، يحتاج تنظفه وتبخر له ـ مثلما كان يفعل العرب سابقاً ـ وهو لا يملك حتى المكان الذي هو منصوب عليه.**

أما هذا الإله العظيم، هو من له ملك السماوات والأرض، وكونه مالك من في السماوات والأرض ملك نافذ لا أحد يستطيع أن يتمرد على إرادته، لا أحد يستطيع أن يغالبه، فإذا ما كان معك فسيجعل الكون بكله معك، وهو من يستطيع أن يهيئ ويدبر، يستطيع أن يسخر.

{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} (البقرة: من الآية٢٥٥)، **حتى لو ظننت من منطلق آخر بأن ذلك الشخص الكبير في الدنيا يمكن أن يكون كبيراً في الآخرة، فيشفع لك؛ لأنه كان وجيهاً في هذه الدنيا، ولديه ممتلكات كثيرة، وكان له سلطة عظيمة يمكن أن ينفع يوم القيامة.. كانت هذه نظرة عند العرب السابقين، عند الجاهليين السابقين، كانوا يعتقدون أن الشخص الوجيه في الدنيا يمكن أن يكون أيضاً وجيها في الآخرة، كان يقولون: لو فرضنا أن هناك آخرة سنكون نحن من المقربين، ونكون نحن؛ لأننا هنا في الدنيا عظماء {وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً}** (الكهف: من الآية٣٦).

في يوم القيامة لا تكون شفاعة إلا لمن ارتضى، ولا شفاعة إلا لمن يأذن، فمن يشفعون هم أولياؤه، هم أنبياؤه، هم من هم في طريقه الذي رسمه، وليسوا ممن يفرضون أنفسهم عليه، {وَلا يَشْفَعُونَ} أيضاً {إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} (الأنبياء: من الآية٢٨).

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} أي: عندما يقول لك: ليس هناك من يشفع إلا بإذنه أنه يعلم فعلاً أنه لا أحد يشفع إلا بإذنه هو {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} هو يعلم حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم، {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} (البقرة: من الآية٢٥٥)، **هو الذي أحاط علمه بكل شيء، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.**

أي لا تقل: ربما الله قال أنه لن يشفّع أحد إلا بإذنه، لكن هذا ربما يكون الباري هو قد بدا له شيء لأنه عاد باقي مسافة إلى القيامة، وعاد باقي زمان طويل، وباقي كذا.. احتمال..، هو يقول حتى لو كررت هذه الآية حتى مع الملائكة في مجال الشفاعة، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} في أكثر من آية في القرآن يقول أنه يعلم ما سيقع، ويعلم الحدود التي لا يمكن أن يتجاوزوها، والصلاحية في مجال الشفاعة التي تعطى لهم فقط، ولمن تعطى فقط، فلا يتخلف الواقع عما علمه يوم القيامة.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} (البقرة: من الآية٢٥٥) **يقال: علمه، ويقال: ملكه، معنى كلمة: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، وأظهر ما تكون أنها بمعنى علمه بعد أن قال: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}** (البقرة: من الآية٢٥٥) **لأنه هو من أحاط علمه بالسماوات والأرض {وَلا يَؤُودُهُ}** (البقرة: من الآية٢٥٥): **لا يثقله، لا يتعبه، لا يشق عليه {حِفْظُهُمَا} حفظ السماوات والأرض {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا}** (فاطر: من الآية٤١).

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة: من الآية٢٥٥) أنت إذا ما كنت متولياً له فهو العلي، هو القاهر فوق عباده، هو العزيز، وهو العظيم، العظيم في شئونه، العظيم في أفعاله، العظيم في كماله، فهو من هو جدير بأن يتولى، من هو جدير بأن يعبد.

وأنت ترى هذه الآية كثير في القرآن الكريم التي تتحدث من مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٦) يتحدث عن: هو الذي يصورنا، هو الذي ينزل المطر لنا، هو الذي ينبت الزرع لنا، هو الذي.. كثيرة في القرآن هذه، لاحظ كم تتكرر {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}أليس يكرر هذه في القرآن الكريم؟ {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (آل عمران:٦) تعبير عن ملكه لنا، ونفاذ أمره فينا؛ لأنه هو الذي يصورنا ونحن ما نزال في أرحام أمهاتنا، كيف يشاء؛ لأنه إلهنا هو إلهنا، من يملك التصرف فينا، بتدبيره وتشريعه وهدايته.

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (آل عمران:١٨). لاحظ كم تتكرر عبارة: [لا إله إلا هو] ليتقرر في نفوسنا في أعماق قلوبنا ألوهيته، تتقرر ألوهيته في أعماق قلوبنا، في نفوسنا، وتترسخ بشكل صحيح أنه وحده إلهنا، فنرفض ما سواه، نرفض كل من يقدم نفسه كإله لنا، نرفضه.. الله هو وحده إلهنا، فهو الشاهد على وحدانيته، والملائكة تشهد، وأولوا العلم بأنه القائم بالقسط في عباده، في خلقه، والقسط: هو العدل.

{لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} هو العزيز الذي لا يمكن لأحد أن يغالبه فيرد ما شاء نفاذه من أموره، وهو حكيم في أفعاله، في تدبيره، في تشريعه.

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(آل عمران:٦٢) ألم تتكرر هذه المفردات التي تدل على كمال الله سبحانه وتعالى؟ من مثل قوله: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}(البقرة: من الآية٢٥٥). {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}فأنت عندما تتولاه هو العزيز، أنت توليت من لا يقهر، وهو الحكيم أنت توليت من يكون تدبيره فيك، من يكون عملك له كله قائماً على الحكمة، كله لا حماقة فيه، لا عبث فيه، لا جهالة فيه، لا خطأ فيه، فهو حكيم، فإذا ما دبرك إنما يدبرك إلى ما هو حكمة، إذا ما أرشدك إنما يرشدك إلى ما هو حكمة، فهو عزيز حكيم.

وعادة ما يحصل بالنسبة للإنسان عندما يلمس لنفسه في هذه الدنيا عزة وهيمنة أن تنطلق منه الأعمال العشوائية، والتوجيهات العشوائية التي تعكس جبروته، أما الله سبحانه وتعالى فهو حكيم ليس هناك حماقة، ليس هناك توجيهات هكذا، أوامر بحماقة وعبث لا يهمه إلا أن تنفذها قُبَلْ. نَفِذْ! هو حكيم، كلما دبرك إليه، كلما وجهك إليه كلما أمرك به هي أوامر حكمة، توجيهات حكمة، إرشادات حكمة.. أي لنثق به.

لاحظ.. نحن تقريباً لا نثق عندما قال الله للمسلمين وهو يتحدث معهم عن الجهاد، ويرشدهم إلى الجهاد، وأنه تجارة تنجيهم من عذاب أليم، وأنه كذا وكذا، عندما قال: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(التوبة: من الآية٤١) ما هو هذا الخير الذي تذهب ليرموك بالرصاص!! كيف عبارات الناس هنا يقولوا كيف ان هذه حكمة!؟ لا، هذه حكمة، حكمة، أوامر حكيمة، فيها رحمة لك، وفيها خير لك، وفيها شرف لك.

حتى وإن كانت الجنة بيده، هو لم يأت ليرسم توجيهات معينة يقول: امشوا عليها، من مشى عليها... مثل المسابقات التي يعملونها في التلفزيون، أو المسابقات في المدارس.. من يمشي على هذه نحن سنعطيه الجنة، والذي لا يمشي عليها سندخله النار.. هكذا أوامر معينة، وتوجيهات معينة وبس.. بدها سبرت والا ما سبرت، يعني فيها خطأ والا ما فيها خطأ.. لا. الله هو الحكيم، هو الحكيم في كل شيء، فكل توجيه من توجيهاته، كل إرشاد من إرشاداته، كل أمر من أوامره، كل نهي من نواهيه هو ينطلق بحكمة، ينطلق من الحكيم سبحانه وتعالى.

والحكمة ما هي؟ وضع الشيء في موضعه، أن هذا هو وحده الذي فيه الصلاح لك، لا غيره، هو وحده الذي فيه الفلاح لك، لا غيره، هو وحده الذي فيه نجاح وفوز لك لا غيره.. وضع الشيء في موضعه، لا يصلح إلا هو.

لم تثق بكثير من أوامره لأنها تبدو وكأنها شاقة، فنقول: ما لها يبدو وكأنها ما بلى أمرنا كذا قَبْل؟! لكن حتى عندما يأمرنا لاحظوا؛ لأنه يأمرنا وهو في نفس الوقت الحكيم الرحيم أيضاً، متى ما أمر بشيء وبدا لنا شاقاً فهو يضع في تشريعاته، وفي المنهج التربوي لكتابه الكريم يضع الأشياء الكثيرة التي هي سهلة في متناولنا فتجعلنا بالشكل الذي يمكن أن نصل إلى هذا الشيء الذي يعتبر مستبعدا أمامنا، يجعل تشريعه بالشكل الذي يهيئ بعضه لبعض ويخدم بعضه بعضاً، ويسهل بعضه تطبيق بعض.

ومع أن تشريعه حتى لو لم يكن وراءه جنة، كل ما هدانا إليه في كتابه الكريم حتى لو لم يكن وراءه جنة لكان هو وحده المنهج الصحيح الذي لا تستقيم حياة البشر إلا به، ولا تستقيم الدنيا إلا بالسير عليه، حتى ولو فرضنا بأنه ليس هناك جنة. أما عندما تكون المسألة بأن ما هدانا إليه هو وحده الذي لا منهج أقوم منه، ولا شيء أفضل للحياة، وفي الحياة منه ثم يثيبنا عليه، ثم يعطينا الجزاء العظيم عليه، هذا هو من أبلغ مظاهر رحمته، من أبلغ دلائل سعة رحمته لعباده.. أنك لا تكاد تجد شيئاً مما أرشد إليه في كتابه الكريم إلا وهو يؤكد أن فيه صلاح الحياة، هنا في الدنيا؛ لأنه هو الذي خلق الدنيا، وخلق الإنسان، وهو الذي يعلم السر في السموات والأرض.. إذاً فلماذا ـ أيضاً ـ يضيف إلى هذا أجراً كبيراً وفوزاً كبيراً، ويمنحك الجنة في الآخرة، النعيم الأبدي، النعيم العظيم، والدرجات العالية في الجنة.. أليس هذا من سعة رحمته؟.

ولهذا قال الله: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران:١٠٧)، أنهم في مواقفهم هذه في الدنيا التي تبيض وجوههم هي مواقف لا بد منها في أن لا يظلموا، ولا يقهروا، ولا يذلوا، وأن يعيشوا أحراراً في الدنيا، وأن يعيشوا كرماء وأعزاء وأقوياء، وتسعد حياتهم، فتصبح الجنة زيادة خير بالنسبة لهم، فسماها رحمة {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} (النساء:٨٧) كثير تتكرر كلمة: [لا إله إلا هو] من أجلك تقتنع أنه لا يوجد لا كذا ولا كذا، لا مفر ولا ملجأ، لا من يُلْجَأ غيره، ولا من تلتجئ إليه غيره، وهو هو، {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}، ومن الذي يستطيع أن يتهرب عن الحضور يوم القيامة.. {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لا وَزَرَ} (القيامة:١٠-١١) لا يوجد مفر.. تقوم من قبرك {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} (يّس:٥٢).

{لا رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه.. وهذه حقيقة مهمة الإنسان إذا ذكر نفسها بها ليقرر نفسه بها أنني لا بد أن أموت لا بد أن أبعث لا بد أن أحشر أنا فلان بن فلان، الذي بيتي في محل كذا، بالتأكيد لا بد أن أحشر يوم القيامة. نسيان يوم القيامة حالة خطيرة على الإنسان؛ ولهذا كررت في القرآن الكريم بشكل كبير، نسيان يوم القيامة غفلة شديدة، تنسيك عن الإعداد لهذا اليوم، تؤمِّن نفسك في الدنيا فلا تعيش الخوف من القيامة؛ فتحشر يوم القيامة خائفاً.

{لا رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه، لا بد منه لكل شخص، لكل شخص لا بد أن يحشر {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً} (مريم:٩٣-٩٤) واحد.. اثنان.. ثلاثة، كل إنسان، يعرف كل واحد، وسيحشر كل واحد لا ينسى {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً} (مريم:٩٥) فرداً، فرداً كلهم، لا ينسى أحد، ولا يبقى قبور هناك لا أحد منها يطلع، نسيوهم! أبداً {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (الزمر:٦٨) كل من في السماوات ومن في الأرض، {لا رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه.

هذا اليوم يوم القيامة هل هو عبارة عن اجتماع عام، وحفل عام؟ أو يوم ماذا؟ يوم الفصل {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً} (النبأ:١٧-١٨). جماعات، تساقون إلى الحشر، سماه يوم الفصل، يفصل فيما بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، يفصل فيبين كل القضايا التي كان الناس فيها يفرطون؛ فيتجلى هناك عظم تقصيرهم، يتجلى هناك سوء آثار أعمالهم، آثارها السيئة البالغة السوء، يتجلى لك تفريطك فترى كيف

كنت غافلاً، ترى ما جره تقصيرك، ترى ما جرته جهالتك، حتى تساق إلى جهنم، وأنت ترى بأنك أصبحت مستحقاً لجهنم.. عندما يقول الملائكة عندما تساق إلى جهنم فيقال: {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ} (الأنعام: من الآية٣٠).

حتى الملائكة يبدو أنها تستغرب جداً والناس مزدحمون على أبواب جهنم {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى} (غافر: من الآية٥٠) **إلاّ كانوا يأتوننا بالبينات! {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}** (الزمر: من الآية٧١) **هذه ليست من كلمات الكافرين هي من قبل الله سبحانه وتعالى، بلى والله كان بيجينا كل شيء، ويعطونا كل شيء، وأرشدونا إلى كل شيء لكن كنا ننسى، وكنا نتناسى، وكنا نهمل، وكنا لا نبالي، وكنا نقول: يمكن ما هو صحيح.**

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} (النساء: من الآية٨٧) **هل هناك أصدق حديث من الله؟ ما هذه واحدة من العبارات التي تخاطب أعماق نفسك؟ لتؤمن فيكون إيمانك صادقا أنه ليس هناك أصدق من الله حديثا.. لتأخذ هذه العبارة، لتأخذ هذه الآية فتكتبها في جدار قلبك، فتجد في الآيات الأخرى عندما تجد وعود الله، ووعده ووعيده، تجد فعلاً أنه ليس هناك أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله حديثا؟.**

عندما يقول: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} (الأنفال: من الآية٦٠) **فكن أنت في نفسك مرسخاً: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثا}. {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** (الحج: من الآية٤٠) **ما هذا وعداً إلهي مؤكد؟ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثا}. {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران:١١١) **أليس هذا وعداً؟ فقط يطلب منك إيمان يجعلك أنت تخاطب نفسك بأنه {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً}. {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}** (محمد:٧) **ماذا أقول أمام هذه؟ فعلاً أثق؛ لأنني أعلم أنه ليس هناك أصدق من الله حديثا.**

وهكذا تأتي إلى آيات الوعد والوعيد بالنسبة للآخرة، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤) **أليس هذا قول من قول الله؟ أليس هو حديث من حديث الله سبحانه وتعالى؟ أليس هو وعيداً؟ {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثا}.**

نحن نريد أن نصل إلى هذه الدرجة، إلى درجة أن ننظر إلى كل وعد من وعود الله، إلى كل وعيد من وعوده، بأنه يأتي ممن؟ ممن ليس هناك من هو أصدق منه حديثا.. والأصدق حديثاً أنه من لا يأتي الواقع أبداً متخلفاً عما أخبر به عنه، الذي لا يتخلف إطلاقاً. المصداقية هي بالنسبة للواقع أن يكون متحققاً {لا رَيْبَ فِيهِ}، لا شك في تحققه، فعندما قال: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} (النساء: من الآية٨٧) **ما هو يخبر عن واقع سيحصل؟ يوم إسمه يوم القيامة، ويجتمع الناس فيه، أليس هذا إخباراً عن واقع سيحصل؟.**

طيب.. الخبر قد يكون صدقاً، وقد يكون كذباً باعتبار الواقع عندما يأتي الواقع متخلفا عنه فيكون غير صادق، الصدق هو: أن يكون الواقع وفقاً لما أخبر به عنه.. فمن أصدق من الله حديثا؟ لأن هذا كلام لا يتخلف وواقع لا يتخلف، لأن من يقول هذا هو من يعلم الغيب والشهادة، ومن يقول هذا هو من يفعل هذه الأشياء هو، وهو العزيز، وهو الحكيم، وهو الملك، وهو القاهر فوق عباده، ليس إخباراً بأن هناك إله آخر سيعمل يوماً يسمى يوم القيامة ثم يمكن أن هذا الإله الآخر يتكاسل فلا يعمل شيئاً.

الله يخبر عن أفعاله هو ما سيفعل، وما أخبر عنه من أفعاله فلن يتخلف، {لا رَيْبَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢) **{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً}.**

يوم القيامة لو ترسخ في نفوسنا الخوف منه، يوم شديد الأهوال يوم وراءه جهنم، إذا لم يكن الإنسان هنا في الدنيا متنبهاً متيقظاً متذكراً يحذر، يخاف وهو لا يزال هنا في الدنيا يوم القيامة لا يجد مخرجاً، لا يجد شيئاً يمكن أن يفدي نفسه به، ولا تقبل منه حتى لو ملك ما يمكن أن يفدي نفسه به، لا يقبل منه. في الدنيا هنا متى ما تأزمت على الإنسان حتى وهو في السجن يمكن يدّي خمسة آلاف أو عشرة آلاف وأخرجوه، أما هناك لا

تقبل فدية ولا تقبل رهينة بدلك، هنا في الدنيا يمكن إذا سجن واحد أن يعطي رهينة بدله ويخرج، أو يداول بينه وبين رهينة أخرى، أو يعطي فلوس ويخرج، أو يحصل على وسيط ويخرجه، أما هناك لا يمكن {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (المدثر:٣٨) {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} (طه: من الآية١٥) تجزى كل نفس بما تسعى.

ما الذي ينسينا عن يوم القيامة؟

هي أشياء تتوالى: قلة معرفتنا بالله يؤدي إلى نقص في خوفنا منه، إلى ضُعف في خشيتنا منه، فيؤدي هذا إلى غفلة ونسيان، تؤدي الغفلة والنسيان إلى غياب حالة الخوف من يوم القيامة، ومتى ما ذكّر الإنسان أحيانا تذكر، أو رأى ميتا تذكر، أو سمع مرشداً، أو استعرض سورة من سور القرآن الكريم تذكر، لكن ويحاول أن يعيد إلى ذهنيته الحالة السابقة، حالة اللاشعور بشيء من هذه الأشياء، غفلة.

فمن يعرف الله سبحانه وتعالى معرفة كافية لا بد أن يخشاه، لا بد أن تعظم خشيته منه، وتعظم أيضاً رغبته فيه، فيكون دائماً متذكراً، متذكراً يحرص على أن يعمل في هذه الدنيا ما يقربه إلى الله، ويحصل يوم القيامة ـ من خلال عمله هذا وبرحمة الله ـ على الفوز بالجنة، وعلى أن يحاسب في يوم القيامة حساباً يسيراً، فيكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأنه متذكر للقيامة، تذكر القيامة له أثره العظيم جداً، جداً في المجالين: في مجال أن تنظر من الأعمال إلى ما فيه نجاتك يوم القيامة فتنطلق فيه، وتبتعد عن الأعمال أو عن التقصير الذي فيه هلاكك يوم القيامة فتبتعد عنه.

يوم القيامة خوّف الله به عباده في القرآن الكريم تخويفاً شديداً؛ لأنه يوم شديد الأهوال في حد ذاته، وفيه حساب عسير جداً للظالمين، حساب عسير جداً للمعرضين عن ذكر الله، حساب عسير جداً لمن لم يكونوا يهتدون بهدي الله.

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ} (الحاقة٢٥) في [سورة الحاقة] يتحدث عن من أوتي كتابه بيمينه، وعمن أوتي كتابه بشماله، {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} (الحاقة:١٩-٢٢) بالنسبة لمن يؤتى كتابه وراء ظهره ماذا يقول؟ {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} (الحاقة:٢٥-٢٧) ليت أن تلك الموتة الأولى هي القاضية فلا أبعث ولا أحشر {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} (الحاقة:٢٩) السلطان الذي كنت فيه، أو السلطان الذي كنت ألتجئ إليه في الدنيا هلك عني. {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} (الحاقة:٢٧-٢٨). مالي لم يغن عني، لم يدفع عني شيئاً، الذي كنت أجمعه في الدنيا، وأحرص على جمعه من حلال ومن حرام، وكنت أبخل أن أصرف منه وأنفق منه في سبيل الله لم يغن عني شيئاً، لم يدفع عني شيئاً.

{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} (الحاقة:٣٠) يقال للملائكة: خذوه فغلوه، وكانت هذه الآية من الآيات التي يصرخ منها الإمام علي (عليه السلام) وهو يتأوه، يتصور خطورة الموقف عندما يقال للملائكة: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}. قال: (فيا له من مأخوذ...) يا له من مأخوذ!! حالة شديدة جداً، وحالة رهيبة جداً، عندما يقال للملائكة: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} (الحاقة:٣٠-٣٧). كان في الدنيا لا يؤمن بالله العظيم.

نحن نؤمن بالله، أليس كذلك؟ لكن كيف هذا الإيمان؟ إيمان لا يساوي شيئاً، الإيمان بالله الذي يجعلك تخاف غير الله أكثر مما تخاف من الله ليس إيماناً بالله، الإنسان المؤمن بالله هو من يكون خوفه من الله أعظم من خوفه من غيره، هو من يكون رجاؤه في الله أعظم من رجائه في غيره.. المؤمن بالله هو من يعيش دائماً حالة التذكر لله، الحرص على رضا الله، الخوف من بطش الله، الرغبة فيما عند الله. الإيمان بالله هو إيمان عملي يبعث ـ متى ما كان إيمانا صادقاً ـ هو يبعثك على العمل، يبعث في نفسك الخوف، يبعث في نفسك الرجاء، يبعث في نفسك الرغبة.

أما إيمان من هذا النوع مجرد تصديق، نحن نقول: كان الكافرون مؤمنين بالله على هذا النحو، ألم يكونوا مؤمنين بالله؟ {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) كان الجاهليون يؤمنون بالله بمعنى أنهم عارفون بأن هناك إله اسمه: [الله]، هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي يدبر شئون السماوات والأرض، وهو الذي ينزل المطر، وهو الذي... يؤمنون بكل هذه الأشياء.. هم كانوا مؤمنين بهذه، فقط كانوا يقولون: لا، ليس وحده، بل هناك آلهة أخرى.

إذا ما أصبح إيماننا في واقعه كإيمان الكافرين، أي: إيمان بمجرد وجود الله، وليس وراء هذا الإيمان أي شيء في نفوسنا، في واقع حياتنا، فعلاً يكون الناس ممن لا يؤمنون بالله العظيم، {وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} (الحاقة:٣٤) كان في الدنيا بخيلاً، ولا حتى يحث الآخرين على إطعام المسكين؛ لأنه لضعف إيمانه بالله، أو لانعدام إيمانه بالله لا يتذكر مسألة ثواب فيرجو من عمله هذا ما يقربه إلى الله، ويحصل على الأجر عند الله. {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ} (الحاقة:٣٥) أي مقرَّب في القيامة يمكن أن ينفعه، {وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} (الحاقة:٣٦-٣٧) ويقال: أن الغسلين هذا هو: عصارة أهل النار من القيح والصديد.. نعوذ بالله.

يوم القيامة.. يجب أن نتأمل كثيراً في كتاب الله، فنرجع إلى القرآن كم ورد في شرح تفاصيل ذلك الموقف الرهيب، كيف تناول القرآن الكريم الحديث عن جهنم، حتى صورها وقدمها بصورة كاملة، تشخيص كامل لجهنم حتى كأنك تراها، تحدث عن وقودها، تحدث عن لهبها، تحدث عن شررها، تحدث عن أهلها وهم يصطرخون فيها، تحدث عن أبوابها، تحدث عن مغالقها، تحدث عن دخانها عن طعامها، عن شرابها، تصوير كامل.

لو تأت أنت.. أي واحد منا يحاول أن يجمع ما ذكره القرآن الكريم من الآيات في جهنم، ثم ضعها في ورقة تكون أمامك ترى كيف تتصور جهنم، وتراها صورة متكاملة، تبرز لك صورة ذهنية من خلال هذا التشخيص القرآني في آيات متعددة.

إذا ما عرفت أن جهنم هي هذه المهولة الشديدة، وأيقنت بأن هذه جهنم هي التي من دخلها لا يخرج منها أبداً {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} (الانفطار:١٣-١٦) خلود.

كان أحد العلماء ـ وقد مات قبل فترة رحمة الله عليه ـ قالوا عنه: كان ينظر إلى مسألة الخلود في جهنم هذه ويقول هي وحدها الشيء الذي يخيف.. الخلود في جهنم هو الشيء الذي يخيف جداً. لو أن البقاء في جهنم حتى ألف سنة، خمسة آلاف سنة، وهناك أمل في الخروج منها لكانت المسألة ما تزال هينة، لكن الخلود ـ نعوذ بالله من الخلود في قعر جهنم ـ وهو الشيء الذي تؤكده الآيات الكريمة: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} (النساء: من الآية٥٧) {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} (المائدة١١٩) {خَالِداً فِيهَا} (النساء: من الآية١٤) الخلود معناه: أن تمر آلاف السنين {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً} (النبأ:٢٣) أحقاباً متتابعة، آلاف السنين، مليون سنة، مليونين سنة، مليار سنة، الخلود في جهنم ـ نعوذ بالله ـ هي الحالة المزعجة.

ولهذا تجد الآخرين من عبيد الدنيا كيف يحاولون أن يتهربوا عن الخلود في جهنم فينطلقون إلى الشفاعة لأهل الكبائر، أو البقاء في جهنم فقط بمقدار ما عمل، أو أشياء من هذه يدل على فهم مغلوط للقرآن الكريم ولمنهجية القرآن الكريم في حديثه عن العقوبات بما فيها النار.. قالوا: أنت لن تقعد في الآخرة، في جهنم إلا بمقدار ما عملت!.

ليست المسألة على هذا النحو، أنت عملك هو الذي أوصلك إلى جهنم حقيقة، لكن ماذا؟. هل تظن بأن الأعمال تُسطَّر ثم ينظر إلى كم يساوي، كم العقوبة اللازمة على هذا العمل الفلاني، ثم يضاف هذا إلى هذا ثم ينظر كم ستبقى؟!.

إن المسألة من أساسها هو أنك عندما تعرض عن هدي الله ـ كما قلنا في جلسة سابقة ـ عندما تعرض عن هدي الله تتحول إلى إنسان خبيث، هل تعلمون أن كل معصية ليس فقط ينظر إليها من خلال أنها مجرد اقتراف لعمل في

خارج إطار شخصيتك، كل معصية تترك أثراً على نفسك، كل معصية ترسخ نسبة من الخبث في نفسك، وهكذا واحدة بعد واحدة حتى تحيط بك خطيئاتك، فتصبح خبيثاً، تصبح خبيثاً فعلاً.
الله في يوم القيامة تحدث بأنه سيكون تمييز الناس على أساس خبيث وطيب في الأخير، أهل المحشر يتميزون إلى فريقين فقط: خبيث، وطيب، الخبيث كله يجمعه فيركمه فيجعله في جهنم جميعاً، يجعل الخبيث مقره جهنم.
ولأنه فعلاً المسألة هي مرتبطة بهذا هو بخبثك أنت، أصبحت إنساناً خبيثاً، ليست المسألة فقط أعمال اقترفتها ينظر إليها من خلال أنها أشياء في خارج إطار شخصيتك، لا؛ بل لأنها قد تركت أثرها الكبير في نفسك حتى أصبحت خبيثاً إلى درجة أن جهنم لو تبقى فيها مليار سنة ثم تخرج لعدت إلى ما نهيت عنه سابقاً، ألم يقل الله عن أهل النار {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} (الأنعام: من الآية٢٨)؟ لماذا؟؛ لأن نفوسهم قد خبثت، نفوسهم أصبحت خبيثة، فإذا ما خرجوا ما هم قد نسيوا الأعمال السابقة، وقد جلسوا حتى مليار سنة في جهنم؟ لكن النفوس كانت قد بلغ بها الخبث درجة أن جهنم لا يمكن لجهنم نفسها أن تطهرها فتحولها إلى نفوس طيبة فعلاً.
ولهذا الله يحذرنا عن قسوة القلوب، قسوة القلب {فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} (الحديد: من الآية١٦) نحضر كل يوم الخميس، نحضر كل ليلة، نحضر كل جمعة، وكل مناسبة، وكل كلمة نعود منها بعدما نسمعها مثلما ذهبنا إليها، يصبح هذا مجرد روتين تسير وتجي مثل طلاب المدرسة، يسرح ويجي، يسرح ويجي.. تجي تنظر إيش معه قد هو في صف سادس فتراه لا يستطيع أن يقرأ ولا يكتب!.
حالة الروتين هذا المتجدد، حالة أن تسمح لنفسك تسير وتجي، وتجي وتضوي مثلما جئت، وهكذا يجي غد مثل اليوم وبعد غد مثل غد، هذه نفسها حالة تساعد على ماذا؟ أن تصبح الكلمات لا أثر لها في نفسك، فيقسو قلبك؛ لأنك تترك للأشياء الأخرى المجال لأن تترسخ في نفسك، لأن تعمل على أن يقسو قلبك.
والمواعظ أنت التي تريد أن تسمعها اليوم ليست غير التي سمعتها أمس، والذي سمعته ثالث يوم هو الذي سمعته أول يوم، وهكذا.. تصبح المسألة هكذا عندك، حتى يقسو قلبك فلا يعد شيء ينفعك، لهذا قال الله عن المؤمنين: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ ـ زادتهم ـ إِيمَاناً} (الأنفال: من الآية٢). وأنت ترى نفسك بأنك لا تزيد إيماناً من كل كلمة تسمعها حتى ولو من طفل، لا تزداد إيماناً من كل كلمة تسمعها فاعرف بأنك متعرض للخطورة التي تعرض لها بنوا إسرائيل، أنه سيطول عليك الأمد، وهكذا كلمة بعد كلمة وأنت لا تزداد إيمانا فيقسو قلبك، وتخبث نفسك وحينئذ لا ينفع فيك شيء.
يجب ـ أيها الإخوة ـ أن نعمل على أن نكون من هؤلاء المؤمنين، الذين نحاول ولنقهر نفوسنا أن نفرض على أنفسنا أن نزداد إيماناً من كل آية نسمعها من آيات الله تتلى علينا، من كل تذكير نسمعه بالله لنا، أن نزداد إيماناً، إفرض على نفسك أن تزداد إيماناً، إفرض على نفسك أعمالاً تنطلق فيها، روِّض نفسك، وعوِّد نفسك على أن تعمل، وأن ترسخ في نفسك الإيمان، وتزداد إيماناً خوفاً من أن تصبح الأشياء لا تنفع فيك، ثم في الأخير يقسو قلبك {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} (البقرة: من الآية٧٤) من بعد تلك الآيات.
هذه حالة خطيرة جداً يتعرض لها الإنسان، حتى بعد الآيات القاهرة، مثلما حصل لبني إسرائيل عندما نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، وعندما رأوا آيات من هذا النوع المزعج، رجع الجبل، رجعوا لذياك المسبك الأول، النفس هي النفس، قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة.
ويمكن أن نفسر هذه الحالة التي نحن عليها أن القرآن الكريم الذي قال الله عنه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (الحشر: من الآية٢١) أن قلوبنا ربما تكون قد أصبحت أقسى من الحجارة.
إذاً فلنعمل على أن تلين {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} (الحديد: من الآية١٦).
يحاول كل واحد منا أن يعرض في قائمة واحدة ما ذكره الله عن جهنم، واعرض في قائمة أخرى ما ذكره الله عن الجنة، اعرض في قائمة ثالثة أهوال يوم القيامة وسترى الشيء الذي يزعجك، الشيء الذي يخيفك، الشيء الذي يشد رغبتك، عندما ترى الجنة وما ذكر الله عن أوصافها، وما وعد المؤمنين فيها من النعيم العظيم

والدرجات العالية. {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} (النساء: من الآية٨٧)، **فلنحاول أن نستعرض يوم القيامة ـ من خلال القرآن ـ على الشكل هذا الذي ذكرناه عسى أن يساعد هذا الأسلوب في أن تخشع قلوبنا لذكر الله، في أن نقاوم القسوة التي في القلوب، في أن نزداد إيماناً من كل ما نسمع، في أن نزداد وعيا من كل ما نسمع فيكون إيماناً صادقاً.**

وليس ممن قال الله عنه: {إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} (الحاقة:٣٣) **وهو كان يحلف بالله في كل مقوات، ويحلف بالله على كل سلعة يبيعها، ويحلف بالله بعد كل مَجْبَر يقوله من أجل أن يصدقه هذا أو هذا.**

نحن بحاجة إلى إيمان راسخ، إلى إيمان واعٍ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام:١٩) **{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} أعظم شهادة، هي شهادة الله، شهادة الله على توحيده، شهادة الله على صدق وعده ووعيده، شهادة الله على أنه سينجز ما وعد به أولياءه، شهادة الله بأنه رحيم بعباده فكل ما يرشدهم إليه، ويهديهم إليه هو من منطلق رحمته، شهادة الله بأنه القائم بالقسط، ويريد منك أن تكون من القائمين بالقسط لتكون من أوليائه؛ لأن أولياءه هم من ينطلقون في الحياة وفق هدايته.**

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) **ثم يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}** (النساء: من الآية١٣٥) **كونوا قوامين بالقسط كما أن الله هو من هو قائم بالقسط، ودبر شئون هذه الحياة على أساس القسط.**

{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} (الأنعام: من الآية١٩) **ومن بلغه هذا القرآن، فهو نذير لكل البشر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وفيه ما يكفي من المواعظ، فيه الإنذار الكافي، الإنذار عن عواقب الإهمال في الدنيا، عن عواقب التفريط في الدنيا، عن عواقب المعاصي في الدنيا، عن عواقب نسيان الله حتى هنا في الدنيا، والإنذار عن العاقبة الشديدة في القيامة من شدة الحساب، وعن العذاب الشديد في جهنم {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ}.**

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الأنعام:١٠٢) **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** (الأعراف:١٥٨) **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** (التوبة:١٢٩) **{فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (هود:١٤).

كم تتكرر هذه العبارة: {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ثم ينطلق ليتحدث عن أي شيء كما قال هنا: {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (هود: من الآية١٤). **أي: مسلّمون أنفسكم له باعتبار أنه: {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} فليس هناك إله آخر يمكن أن تسلّموا أنفسكم له، أو يدفعكم اعتصامكم بذلك الإله الآخر إلى أن لا تسلموا أنفسكم لله، لا إله إلا الله وحده فهو الذي يجب أن تسلموا له أنفسكم، وتعبدوا له أنفسكم.**

{كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} (الرعد: من الآية٣٠)، **وهو القرآن {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}** (الرعد: من الآية٣٠). **هكذا يكون أنبياء الله، وهكذا يكون أولياء الله، يتوكلون على الله من منطلق إيمانهم القوي بالله، وثقتهم القوية بالله.**

{هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ} (إبراهيم: من الآية٥٢) **القرآن الكريم بلاغ للناس {وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}** (إبراهيم: من الآية٥٢)، **لاحظ كيف التركيز على أن يجعل {وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ}** (إبراهيم: من الآية٥٢) **من أهم المقاصد القرآنية، هو رابع غاية من الغايات الأربع في هذه الآية، وهو الغاية الكبرى داخل هذه الغايات الأربع {وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} نعلم في قرارة أنفسنا ما هو مجرد خبر نسمعه يطرق آذاننا فقط، بل نعلم في قرارة أنفسنا أنما هو إله واحد، هو الله، فلنعبِّد أنفسنا له، ولنلتجئ إليه، ونتوكل عليه، ونثق به، {وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}.**

{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:٢)، موضوع هذا الدرس هو حول فهم ألوهية الله سبحانه وتعالى، تترسخ في أذهاننا مسألة ألوهية الله، ماذا تعني؟ متى ما آمنا بأنه هو وحده إلهنا - إيماناً واعياً وليس فقط مجرد كلام - سنتقيه، سنسلّم أنفسنا له، سنثق به، سنتوكل عليه، نلتجئ إليه، نرغب فيه، نخاف منه.

{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} (النحل:٢٢) {وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (النحل:٥١)، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} (الكهف:١١٠)، {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (طه:٨) {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} (طه:٩٨).

ولأهمية الإيمان بألوهية الله على هذا النحو، تصبح كلمة الإقرار، هذه الكلمة في الوحدانية هي بطاقة الدخول في الإسلام، وهي الذكر الذي يجب أن يردده الناس جميعا، وهي الذكر الذي يجب أن يتردد في الأذان، وهم يؤذنون وينادون للصلاة، كلمة: [لا إله إلا الله] وداخل الصلاة [أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] هي الشهادة التي تدخلك في الإسلام، وهي الشهادة التي تشهد بها وأنت في اللحظات الأخيرة من عمرك، فأنت تشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

الشهادة بوحدانية الله سبحانه وتعالى لأهميتها هي التي تجعلك تكفر بكل من يبرز لك إلها في هذه الدنيا غير الله، وإن كان هوى نفسك.. قد يبرز الهوى إلها لك، ويبرز الخوف إلها لك، ويبرز الطواغيت آلهة لك، وتبرز الدنيا إلها لك، وتبرز المطامع كلها آلهة لك.. فعندما تكون مقرراً في نفسك ألوهية الله وحده، فسوف تقهر كل من يبرز في هذه الدنيا إلهاً آخر غير الله لك.

ألم يقل الله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} (الجاثية: من الآية٢٣) أنت أيها الإنسان يمكن أن تتخذ هواك تجعله إلهاً لك، كذلك من تطيعه من دون الله فأنت قد عبّدت نفسك له، من تطيعه في معصية الله تصبح قد عبدت نفسك له، فكأنك اتخذته إلها. ألم يقل الله لبني آدم: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يس:٦٠) سمَّا طاعتهم للشيطان عبادة؛ لأنهم أطاعوه في معصية الله وكل من يوجب عليك أن تطيعه في معصية الله فقد جعل نفسه إلها لك، فإذا أطعته فكأنك عبدته، وكأنك جعلته إلها.

والإمام الناصر في [البساط] أكد هذه المسألة بشكل كبير، فيما يتعلق بتفصيل العبادة أنه جعل من ضمنها الطاعة، فمتى ما أطعت غير الله أصبحت مشركاً، جعله شركاً، تطيعه في معصية الله.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء:٢٥) {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (الأنبياء:١٠٨). {وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (القصص:٧٠) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (فاطر:٣) من الذي يرزقكم؟ من الذي صوركم في الأرحام كيف يشاء؟ من الذي سخر هذا العالم لكم؟.. هو الله، هو الله.. الذي لا إله إلا هو.

أليس هذا يعني: أنه متجه إلى ترسيخ الإنشداد القوي به؟ واتصالك القوي به؟ وثقتك العظيمة به؟ {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} إذاً فعندما ترجع إليه، وتتوكل عليه، وتثق به هو من يملك رزقك، هو من يملك أن يرزقك، هو من يملك السموات والأرض، التي فيها ومنها رزقك.

{هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:٦٥) لا إله إلا هو فارجعوا إليه وادعوه مخلصين له دينكم، مخلصين له في الدعاء. الدعاء كما ورد بأنه مخ العبادة، لكن الدعاء إذا ما ترافق معه عمل، الدعاء الذي لم يترافق مع تقصير، وإنما مع عمل.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (فصلت:٦-٧). {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (محمد: من

الآية١٩)، **ألم يقل الله لرسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله): **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}** (محمد: من الآية١٩)؟ **ألم يكن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عالماً بهذا؟ هو رسوله وقد اصطفاه، هو الذي يبلغ رسالة الإله الذي لا إله إلا هو، فما معنى هذه العبارة: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}** (محمد: من الآية١٩)؟.

يتقرر في نفسك دائماً بشكل واع، وهو مجال واسع جداً، ودرجات متفاوتة جداً ترسخ العلم بأنه لا إله إلا الله.

ألسنا جميعاً نقول: [لا إله إلا هو]؟ لكن هل علمنا بأنه لا إله إلا هو كعلم الإمام علي (عليه السلام)**؟.. لا. هل علمنا بأنه لا إله إلا الله كعلم رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ لو كنا نعلم أنه لا إله إلا هو لانطلقنا في هذه الدنيا صواريخ لا أحد يوقفنا أبداً، ولا أحد يخيفنا أبداً، ولا أحد يخدعنا أبداً، ولا أحد يستطيع أن يضلنا أبداً، ولا أحد يستطيع أن يقهرنا أبداً. لكنا نلاحظ بأن درجة علمنا بأنه لا إله إلا هو هابطة جداً، كلمة تصرفك عن من هو لا إله إلا هو وعن طريقه، ما هذا يدل على أنك تفقد العلم بكله، أو متدني جداً في علمك به؟.**

أليس عندما ينقدح في نفسك خوف من غير الله فتتراجع يدل على أنك ضعيف في علمك بأنه لا إله إلا هو.

إن معنى لا إله إلا هو يرتبط بها كلما تقدم، وكلما يمكن أن تستعرضه في القرآن الكريم: هو الخالق، هو الرازق، هو الذي سيجمع الناس ليوم القيامة، هو الذي بيده النار، بيده الجنة، هو الذي وعد أولياءه بوعود كثيرة، هو صادق الوعد والوعيد، هو الرحمن الرحيم، هو عالم الغيب والشهادة، هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، هو.. هو.. إلى آخره. فعندما تخاف من غير الله فعلاً يدل على ضعف، ضعف علمك بأنه لا إله إلا هو.

فنحن لو سردنا أياماً جلسات طويلة نرسخ في أنفسنا لا إله إلا هو، ولو سنة كاملة يترسخ في نفوسنا بشكل واع لا إله إلا هو، وكلمة: لا إله إلا الله لكانت السنة هذه قليل في مقابل ما نحصل عليه من ترسيخ معنى: لا إله إلا هو.

عندما يأتي شخص يعطيك مبلغ من المال، ويجندك ضد أولياء الله، أو يصرفك عن نهج الحق، أو تدخل معه في باطل، أليس هذا يدل على أنك لا تعلم أنه لا إله إلا هو؟ أنه لا إله إلا الله؟ فانصرفت عن نهج الله الذي وصف نفسه بهذه الأوصاف العظيمة، من له ملك السماوات والأرض، ورغبت في مبلغ زهيد من المال قدم لك من هنا أو من هنا مقابل ولاء معين، أو موقف باطل تدخل فيه، أو عمل باطل تقوم به، أليس هذا يدل على أنك لا تعلم بالله، ولا تؤمن بالله؟

فاعلم.. هكذا يقول الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وهو من يعلم، لكنها لها عمقها، لها عمقها البعيد، البعيد، البعيد.**

ما الذي يجعلنا ضعفاء، خائفين، متوجسين، غير صادقين مع بعضنا بعض، غير متعاونين على البر والتقوى، لا ننفق في سبيل الله، نفوس ضعيفة، نفوس مهزومة.. ما هو؟ أننا لا نعلم بما يريد الله منا أن نعلم أنه لا إله إلا هو، فهو من نرغب فيه، هو من نخافه، هو من نتوجه بتوجيهاته، هو من نقبل إرشاداته، لأنه لا إله إلا هو.

ولأن كل واحدة، كل واحدة مما أرشدك إليها يمكن أن تقول ورائها: لأنه لا إله إلا هو، أنا لن أخاف إلا هو لماذا؟ لأنه لا إله إلا هو، أنا لن أرغب إلا فيه، لماذا سترفض كل شيء وترغب في الله وحده؟ لأنه لا إله إلا هو، أي ليس هناك من هو جدير بأن أأله إليه فأرجوه، أو أخافه.. إلا من؟ إلا الله. عندما أثق به أعظم من ثقتي بغيره؛ لأنه لا إله إلا هو.

ولهذا كانت هي قاعدة عامة انطلق منها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، **وَوُجِّه إليها {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.**

هل جاء بعدها بشيء؟ {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} متى ما علمت أنه لا إله إلا هو فستجدها أمامك في كل موقف من مواقف الحياة، ستجدها هي من توجهك إلى الله، هي من تجعلك تعتصم بالله {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١).

فلنعمل دائماً على أن نرسخ في أنفسنا: لا إله إلا هو، كم كنا نقرأ آيات، نحن نقرأها جميعاً ونمر عليها مرور الكرام، نأخذ عبرة من هذه إذا كنا في هذه الجلسة يبدو وكأننا نريد أن ننطلق في حديث آخر [هذا شيء معروف لا إله إلا الله، ولا إله إلا هو]! فخذ عبرة من أن يخاطب الله نبيه محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو من هو في معرفته بالله فيقول له: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، لو علمنا ولو علم المسلمون معشار ما علمه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من أنه لا إله إلا هو لحلت المشكلة بكلها التي سببها أزمة الثقة بالله؛ لأن الله بدا لنا وكأنه ليس إلهاً، بل بدت آلهة أخرى نحن نأله إليها ونرفضه.

أصبحنا أسوأ من المشركين، أصبحنا في واقعنا في تعاملنا مع الله سبحانه وتعالى أسوأ من المشركين! كان المشركون يعبدون آلهة متعددة ويعدون الله واحداً منها، فيرجوه ويرجوا هذا، ويرجوا هذا، وقد يكونون يرجون الله أكثر أما نحن أصبحنا في واقعنا ـ وهو الذي يدل على عدم ثقتنا بالله ـ أصبح عندما يقول الله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (سبأ: من الآية٣٩) لا نثق به كما نثق بواحد منا عندما يقول: يا خبير اعطني ألف ريال وانا بَرده لك غد.. أليس كذلك؟ أليس هذا يدل على أننا لم نعد نتعامل مع الله ـ تقريباً ـ كإله إلا فقط نذكر مجرد اسمه شهادة على أنفسنا يعتبر حجة علينا يوم القيامة.

يعدنا الوعود الصادقة فلا نثق! لو يأتي علي عبد الله فيعدك يقول: تحرك وأنا وراءك ألست ستتحرك؟ لو يأتي فيقول لك: انطلق أنت وأنا وراءك ضد أمريكا وإسرائيل ألستم ستنطلقون بسرعة لتصرخوا؟ وتأخذوا بنادقكم وتتحركوا؟. لكن يقول الله.. والله خائفين من علي عبد الله، خائفين من فلان، خائفين من فلان إذا ما تحركنا ضد اليهود والنصارى، يعني هذا ماذا؟ أن ثقتنا بالله ضعيفة أي أننا لم نعد نتعامل مع الله كما نتعامل مع علي عبد الله! أصبح علي عبد الله في الواقع هو إله بالنسبة لنا نخافه ونرجوه أكثر مما نخاف ونرجو الله! أليس هذا هو الواقع؟ حتى في مقام الرغبة وما أكثر، وما أكثر ما ينحرف الناس بالترغيب والترهيب وسببه هو أنهم لم يترسخ في أنفسهم أنه لا إله إلا هو.

إذا كان الله قد قال لك أنه يمكن أن يكون هواك إله.. ما الذي سيعمل هواك أليس رغبات يشدك إلى رغبات معينة، هو نفسه ما يعمل الآخرون من خارج نفسك أنت تجعلهم آلهة عندما تخاف وترغب في مقابل ما خوفك الله منه ورغبك به، أليس الله هو الذي يملك الجنة، ونحن نؤمن بهذا؟ أليس هذا صحيحا؟ هو من يملك الجنة ونحن نؤمن بها، لكن متى ما أتت رغبات من آخرين من تجار، أو مسئولين، أو من أشخاص آخرين ننطلق وراءها ونترك الجنة ماذا يدل هذا عليه؟ يدل على أن إيماننا كله إيمان أجوف وسطحيات كلها هكذا، إيمان لا يتجاوز تراقينا لم ينزل إلى أعماق نفوسنا.

النار ألسنا نؤمن بها؟ والقرآن يعرضها دائماً يصورها لنا في تلك الصورة البشعة، يتحدث عن طعام أهلها: شجرة الزقوم، يتحدث عن ثمر هذه الشجرة: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ} (الصافات:٦٥-٦٧).

بعض الناس وجبة واحدة دسمة على أيدي أحد الناس الذي هو في طريق باطل تصده عن الحق وجبة واحدة دسمة يؤثرها ولا يخاف تلك الوجبات المرة الشديدة التي تغلي في البطون كغلي الحميم، يؤثر تلك الوجبة الدسمة على تلك الوجبات العظيمة في الجنة. على ماذا يدل هذا؟ أليس هذا يدل على ضعف إيمان، ضعف إيمان فيمن؟ في الله الذي يملك الجنة والنار، أي: أننا ننطلق مع الآخرين فنتعامل معهم كآلهة، بل وأصبحنا لا نعد الله في تعاملنا معهم كإله. أليس الناس يخافون عندما يقول أحد: يجب أن يكون لنا موقف من إسرائيل من أمريكا، يجب أن نصرخ، يجب أن نحذر من أن يترسخ الرعب منهم في أوساط الناس، يجب أن نخاف من أن تسود كلمة: [إرهاب] فتصبح هي الكلمة التي تسيطر على أذهان الناس، فتصبح مبرراً سيئاً جداً أمام كل ولي من أولياء الله أن يضرب. يقول الناس: إرهابي ما على أبوه.

عندما نقول: يجب أن نتحرك ونصرخ في وجه أمريكا وإسرائيل ونلعن اليهود، ونرفع ذلك الشعار في كل مكان. يقولون: [نحن نخاف من الدولة، الدولة ستقوم ضدنا، نحن سنكلف على الناس، الدولة ستضرب الناس] إذاً

أنت لم تعلم أنه لا إله إلا هو.. خذ هذه قاعدة وهي القاعدة التي أعطاها محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) كصمام أمان في كل موقف، متى ما برز الخوف أمامك فإنما يبرز كإله آخر، متى ما برزت المرغبات الأخرى لك لتتخلى فإنما تبرز كآلهة أخرى فاعلم أنه لا إله إلا هو، وتحرك هنا، اعلم أنه لا إله إلا هو واترك هذا، اعلم أنه لا إله إلا هو وانطلق منها وعد هذا.. هذه قاعدة مهمة.

ولنعمل جميعاً على ترسيخ هذه في نفوسنا بشكل كبير من خلال تأملنا لكتاب الله سبحانه وتعالى، ومن خلال دروس متتابعة لا قيمة لأي حديث إذا لم نحاول بكل جهد أن نتولى الله؛ لأنها هي أول خطوة {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) لا يمكن أن نتقافز على هذه وحدة، وحدة حتى نصل إلى عند {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} تتصور هذه، لا، وحدة، وحدة. تتولى الله.. كيف نتولى الله؟ حتى نرى أنفسنا عظيمي الثقة بالله، ثم انطلق إلى رسوله، ثم انطلق إلى الذين آمنوا، ثم ستصبح فعلاً أنت وإخوانك حزب الله، وستكونون أنتم غالبون.

بعض الناس، بعض الشباب متى ما تعلم وسمع من يقول: يا جماعة نحن يجب أن نتحرك، يجب أن نعمل، يقول: ماذا نعمل؟ خلونا مدروسين كذا.. لكن قل له: تعال اعرض لي وعيك، اعرض لي فهمك الإيماني، اعرض لي نظرتك إلى الدين ونظرتك إلى الحياة حتى أعرف بأنه قد ترسخ في داخل نفسك {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} فمتى ما تعرضت لمصائب لشدائد ستكون هينة عندك؛ لأنها جاءت من آلهة أخرى لا قيمة لها عندك، ولأنها أشياء بسيطة لا أثر لها عليك في مقابل ما تخافه من الله الذي لا إله إلا هو وهي جهنم، ثم المرغبات الأخرى.

أنت بعد لم تمر بمراحل فتجرب نفسك.. مرغبات تعرض عليك، ومرهبات تعرض عليك حتى نعرف مدى تمكن لا إله إلا هو في نفسك وتترسخ معنى: لا إله إلا هو في نفسك.

وهكذا القرآن الكريم عندما يحدثنا كيف نكون أنصاراً لدينه هو يؤهلنا في نفس الوقت، بدأ من توليه هو، لأنها ثلاثة أشياء نمشي فيها بشكل واع في تولينا، تولينا لله، تولينا لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تولينا للإمام علي (عليه السلام).

ولا نكن مستعجلين ونحن نحضر دروس ترسخ إيماننا بالله نحن بحاجة إلى إيماننا بالله في كل مجالات حياتنا، نحن بحاجة إلى الإيمان بالله في هذا العصر أعظم من أي عصر مضى حتى لا نكون عرضة للمضلين، وافهم، اجعل هذه عبرة أن يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} أصحاب علم الكلام يعتبرونها من الأدلة على وجوب النظر، هو أن يصل إلى اليقين! وهل كان رسول الله لم يصل إلى درجة اليقين بالله؟. رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو عظيم الثقة بالله، يقينه بالله عظيم، لكن المسألة مهمة، المسألة واسعة الأعماق، واسعة الأعماق.

حاول أن تشغلها شهراً واحداً وانظر كيف ستصبح، حاول أن تأخذ ورقة في جيبك واكتب فيها: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} وشغلها شهراً وانظر كيف ستكون أنت.

أمام كل من يرغبك اعرض عليه واعرض على نفسك: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وانظر كيف أنه لا أحد يستطيع أن يؤثر فيك أبداً. من يخوفك، من يرغبك، من ينصحك بأشياء أخرى قد تمسك بها لتعلم أنها بمثابة جيش لتشغل مشاعرك في كل مواقفك، في كل ميادين الحياة كلها: في مجال نصر دين الله، وفي مجال مقارعة أعداء الله، وفي مجال تحصين نفسك من أي ضلال.

افعل ذلك شهراً حتى تعرف أثرها، أو أسبوعاً واحداً تذكر نفسك بهذه {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، لأنه عادة حتى ربما بعد كل درس نجلس فيه لا يأتي نصف الليل إلا والإنسان قد هبط كثير من روحيته التي كان عليها وهو هنا أو هنا في هذا المكان أو في تلك القاعة، يهبط [الأمبير] أي: أنها تحدث أشياء داخلية، يتوجه ذهنك إلى أشياء خارجية تؤدي إلى تأثير في هبوط معنوياتك وتأثيراتك النفسية من خلال ما سمعت، فلتشغل {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} تتركك على حالة سليمة مستقيمة.

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (محمد: من الآية١٩).

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الحشر:٢٣). صدق الله العظيم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينور بصائرنا، وأن يرسخ إيماننا حتى نعلم أنه لا إله إلا الله، وأن تكون هي القاعدة التي ننطلق عليها في كل حياتنا، من منطلق الإيمان الصادق الراسخ بأنه لا إله إلا الله حتى نرفض كل آلهة سواه في داخلنا، وفي خارج شخصياتنا، في واقع الحياة كلها من خلق الله أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٢ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ نعم الله

الدرس الثاني

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٩/١/٢٠٠٢م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ما يزال الموضوع هو حول الآية الكريمة: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) وقلنا: من المهم جداً أن نعرف من هم أولياء الله، وأن نعرف كيف نتولى الله، والشيء المؤكد أن معرفة الله سبحانه وتعالى المعرفة الكافية معرفة واسعة لا بد منها في تحقيق أن يكون الإنسان من أولياء الله؛ لأن من أبرز صفات أولياء الله سبحانه وتعالى أنهم عظيمي الثقة بالله، ثقتهم بالله قوية.

والثقة القوية بالله إنما تحصل من خلال معرفته، ولا نقصد بمعرفته سبحانه وتعالى ما هو متصالح عليه في كتب علم الكلام، بل معرفته الواسعة من خلال القرآن الكريم معرفة كماله، معرفة ما أسبغ على عباده من نعم، معرفة مظاهر قدرته ودلائل حكمته، ومظاهر رحمته، أيضاً معرفة شدة بطشه، معرفة ما أعده لأوليائه، وما أعده لأعدائه، معرفة ما يحظى به أولياؤه من الرعاية منه سبحانه وتعالى، معرفة أنه غالب على أمره، هذه المعرفة الواسعة.

بالأمس كان الموضوع حول ألوهية الله سبحانه وتعالى، أن نعرف ألوهيته سبحانه وتعالى، ماذا تعني بالنسبة لنا، أن نعرف أنه لا إله إلا الله، وكما قال سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (محمد: من الآية١٩) ومتى ما تحقق لدينا ـ بإذن الله وبتوفيقه وبتنويره ـ معرفة كافية بمعنى (لا إله إلا الله)، معرفة كافية بمعنى ألوهيته، أنه إلهنا ونحن عبيده فإن هذه تعتبر من أهم الفوائد وأعظم المكاسب التي لو قطع الإنسان عمره الطويل في ترسيخ معانيها في نفسه لكانت من أعظم النعم التي يحصل عليها طول عمره.

الله سبحانه وتعالى هو إلهنا ونحن عبيده، ومعنى ذلك أنه وحده الذي له الحق أن يكون له الأمر فينا، والحكم فينا، هو من له الحق أن يشرّع لنا، ويهدينا ويرشدنا، هو من له الحق أن يحكم فينا، هو من له الحق أن يدبر شؤوننا؛ لأننا عبيده، هو من له الحق أن لا يتدخل غيره في شأن من شؤوننا بما يخالف ما يريده ـ سبحانه وتعالى ـ لنا ومنا، هو وحده الذي له الحق أن نطيعه، ونطيع مَنْ طاعتُه مِنْ طاعته.

هذه القاعدة المهمة، والقاعدة الواسعة هي التي تفصلك عن كل إله في الأرض سواء تمثل في هواك، أو تمثل في إنسان، أو تمثل في أي شيء من هذا العالم، فمتى ما فصلت نفسك عن كل ما سوى الله أن يكون إلهاً لك تحقق لك معنى (لا إله إلا الله)، ومنحت مِن عزة مَن وحدّته، مِن قوة مَن وحدته، مِن حكمة مَن وحدته، مِن علم مَن وحدته، كما قال الله سبحانه وتعالى في نبي الله يوسف، ونبي الله موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف:٢٢).

لو تقرأ ما قرأت طول عمرك، ورصّات الكتب بين يديك مجلد بعد مجلد وأنت لا تحظى برعاية من الله سبحانه وتعالى أن يعلمك هو، أن يرشدك هو، أن يهديك، أن يفهمك فإن غاية ما تحصل عليه قليل من العلم وكثير من الجهل.

كم سمعنا عن أشخاص في تاريخ الإسلام، كم تركوا من تراث من الكتب؟ وكيف عرفت حياتهم حتى قيل عن بعضهم: أن كراريس علمه بلغت أكثر من أيام عمره، أكثر من شخص قيل فيه هذا، ولكن لو تستعرض ما تركه تجد أنه كان بحاجة ماسة، في حاجة ماسة إلى أن يهتدي بالقرآن الكريم، وأن يستأنف حياته من جديد مع القرآن الكريم.

إن كل خلل يحصل سببه نقص في معنى (لا إله إلا الله) في نفسك، فترى الركام الذي تركه هذا، والركام الذي تركه ذاك، وتلك العبارات المنمقة عند هذا، والعبارات المنمقة عند ذاك، تراها وكأنها هي الحكمة، وكأنها هي الهدى، وكأنها هي الصواب، وترى وكأن القرآن الكريم الذي عايشته وأنت صغير، وقرأته وأنت ما تزال طفلاً، ما يزال فهمك محدوداً، ما يزال إدراكك للمعاني ضعيفاً، تتعامل معه وكأنه هو ذلك الكتاب الذي عايشته في

الصغر فتنطلق بعد هذا، وبعد ذاك، وبعد تلك العبارات المنمقة، وبعد تلك المجلدات الطويلة، وكأن هناك الهدي، وكأن هناك الحكمة، وكأن هناك العلم.

وفي الحقيقة ـ كما أسلفت ـ نحن نعرف أشخاصاً كابن تيمية مثلاً من العلماء الذين عُرفوا بغزارة العلم ـ بالمعنى المتعارف عليه ـ أي: كثرة المقروءات، والكتابة، والحديث هنا وهنا، في هذه المسألة وتلك المسألة، لكنه كان يفتقد إلى أسس، إلى أسس ينطلق منها، أسس يرشد إليها القرآن الكريم، لينطلق منها هو وغيره من أمثاله ممن يمكن أن تلمس لديهم عقائد باطلة، أقوال غريبة، وجهة نظر شاذة.

سبب ذلك كله هو أنه لم يحصل اعتماد ـ بالشكل المطلوب ـ على القرآن الكريم، وأنه لم يحصل اعتماد بالشكل المطلوب على القرآن الكريم، سببه تأثر بثقافة معينة، وضعف في تحقق معنى (لا إله إلا الله)؛ لأن مما أكد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وهو يؤكد ألوهيته أنه هو من له الحق أن يهدي عباده، وأنه هو من سيتولى هدايتهم، وعندما يتولى الله هدايتك فما أوسع هداية الله، إنه عالم الغيب والشهادة، إنه الذي يعلم السر في السموات والأرض، إنه العليم بذات الصدور.

فعندما يهديك هو يهديك للمعرفة الصحيحة الواسعة يهديك إلى أبواب من الهدى تفتح أمامك أبواباً، وأبواباً.

مهم جداً أن تترسخ لدينا معاني (لا إله إلا الله) والتي من أبرزها أن نمنح أنفسنا لله فنفتح قلوبنا لهديه، نَدَعُه هو الذي يهدينا؛ لأنه هو الذي قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢)

يقول: هذا عليَّ، وهذا هو مسئوليتي، وهذا أنا سأتكفل به لمن فتح قلبه لي {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} {قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ} (آل عمران: من الآية٧٣) {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} (النجم: من الآية٢٣).

فنحن عندما ننطلق لنتعرف على إلهنا يجب أن نعتمد على القرآن الكريم، وأن نتوجه إلى الغوص في بحور معرفته.. معرفته الواسعة.

عندما نأتي إلى كتب علم الكلام ونجدها تتحدث عن قضايا محدودة وبأسلوب محدود ومناقشات [طويلة عريضة] حول قضايا أفعال الإنسان هل هي منه أم هي من الله؟ حول قضايا من هذا النوع، سببها أن الجميع ابتعدوا عن القرآن الكريم فلم يكن لله في نفوسهم العظمة، العظمة التي تجعل كل مسلم ينزه الله تلقائياً عن أن يقضي بالباطل، أو يقدر المعاصي، أو يريد الظلم، أو يريد القبائح، أو يخلقها أو يقدرها أو يسيِّر إليها.

القرآن الكريم تكفل بهذا تلقائياً.. بينما الغوص في خضم تلك القواعد تخرج منها وفي رأسك من الإشكاليات ما يجعلك تتأوه وتتأسف على ما فاتك من فطرتك السليمة، ومعرفتك البديهية التي كان بالإمكان لو بقيت سليمة، وقدمت أمام القرآن الكريم لكان ما يحصل من خلال القرآن الكريم هو ما ينسجم معها، ويخلق الطمأنينة، ويزكي النفس، ويطهر القلب، ويوسع المعرفة، ويخلق الخشية والعظمة والخوف والتقى والإيمان وغير ذلك من المعارف.

لذلك كان من المعروف أن المتكلمين هم من عرفوا بالخشونة حتى قال الإمام القاسم بن إبراهيم (صلوات الله عليه) ـ لا أدري حكاية عن غيره أو قالها عن نفسه ـ (أنه لم يُعرَف أن متكلماً خشع) أي أحد من علماء الكلام أولئك الذين ينشغلون بتلك العبارات، والتي معظمها مصبوغة بمنطق الفلاسفة ومتأثرة بأساليب الفلاسفة من الإماميين وغيرهم، وتلحظ أن هناك تقبُّلاً للمعرفة من نافذة واحدة وبشكل محدود، معرفة الله تحت عنوان: هو تحصيل عقائد صحيحة فيما يتعلق بالأفعال بالذات والصفات ـ كما يقولون ـ فيما يتعلق بأفعال الله وأفعال العباد.

لكن القرآن الكريم يأتي للإنسان من كل الجهات وهو يعرفه بإلهه، وهو يرسخ في قلبه المعرفة، تلك المعرفة التي تخلق في نفسه خشيةً وخوفاً وثقة عظيمة بالله، وتوكلاً عليه، وحباً له، ورغبة في الحصول على رضاه.

لم يعرض المتكلمون مسألة النعم الكثيرة التي أسبغها الله على عباده كأسلوب من أساليب معرفته سبحانه وتعالى.

لم يقدموا الحديث عن شدة بطشه، وعن سعة رحمته فيما يعِدُ به أولياءه، لم تقدم كأسلوب من أساليب المعرفة، نوقشت هناك لوحدها وبمفردها عن واقع الإنسان بالنسبة لها. هل هناك شفاعة لأهل الكبائر أم ليس هناك شفاعة فيما يتعلق بقضايا اليوم الآخر، نوقشت هذه فيما يتعلق بالأبحاث حول اليوم الآخر وكأنها لا علاقة لها

بالله إلا من منظار واحد هو: ارتباطها بمجرد عدله، أنه ليس من العدل أن يقدر عليك المعصية أو يخلقها فيك أو يجبرك عليها ثم يعذبك.

لكن أثره الوجداني... أثر الحديث عن الوعد والوعيد في وجدان الإنسان وما يتركه من أثر له علاقته الكبيرة بمعرفة الله سبحانه وتعالى، لم يقدم على هذا النحو؛ لهذا رأينا كيف أنهم في الأخير رأوا أن نسبة كبيرة من آيات القرآن الكريم ليست مما يحتاج إليه في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى.

لم تقدم تلك الآيات التي يقرر الله فيها حقيقة أنه غالب على أمره، وعرضت صوراً من واقع الحياة من الأحداث التي ترافقت في مسيرة البشرية، وفي تاريخ النبوات كما حصل في قصة يوسف، وكما حصل في قصة إبراهيم، وكما حصل في قصة موسى، لم تقدم أيضاً كأسلوب من أساليب معرفة الله سبحانه وتعالى. ليست مثيرة للعقول إذاً فهي هناك فقط تتلى لمجرد التعبد بتلاوتها، وتعطى مقابل كل حرف عشر حسنات، هي هناك لإنتاج الحسنات فقط!!.

لهذا كان يأتي الواحد منهم ممن قضى معظم عمره في هذه الأبحاث من هذا القبيل داخل علم الكلام وتراه في نفس الوقت يدين بالطاعة لحاكم ظالم.. هل هذا عرف الله؟

تراه في نفس الوقت يعتقد عقائد تتنافى مع عظمة الله، مع حكمته، مع جلاله، مع عدله، مع رحمته، مع حكمته في أفعاله.. هل هذا عرف الله؟ تراه في الأخير كما قيل عنهم: لا يخشع.. قلب قاسي.. هل هذا عرف الله؟ وهو من قال سبحانه في كتابه الكريم: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر: من الآية٢٨) **هم من يخشونه.**

لكن لما أصبح لدينا مسمى العلم، أو المقاييس التي من خلالها نطلق على هذا عالم أو هذا نسميه عالما، أصبحت هي تقاس بمقدار ما يقرأ من كتب كيفما كانت سميناه عالماً وهو ليس في قلبه خشية من الله.

إذاً فإما أن تكون الآية المباركة: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} والتي قدمت كحقيقة إما أن تكون هي غير واقعية، أو يكون قلب ذلك الرجل هو غير الحقيقي فيما داخله مما سميناه علماً.. ليس علماً، هو علم باعتباره اطلاع على قواعد، العلم يطلق على العلم النفسي، ويطلق أيضاً على مجرد القواعد.. يقال: علم الفقه، علم الكلام، علم كذا.

لا بأس هو عالم بهذا المسمى، لكن من كان عالماً على هذا النحو، وليس بالشكل الذي سمته به الآية الكريمة: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فإنه ما يزال جاهلاً، ما يزال جاهلاً؛ لأنه في نفس الوقت لم يأخذ العلم من مصدره، لم يأخذ الحكمة ممن يؤتيها، الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)**: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}**(طه: من الآية١١٤) **رب زدني علماً.. لم يقل له تعلم، انظر الآخرين ما لديهم وتعلم.. لا.. ربِّ أنت، أنت زدني علماً، اهدني أنت، ارزقني من علمك، من علمك الواسع، ائتني من حكمتك الواسعة {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}**(البقرة: من الآية٢٦٩)**.**

وعالم يكون على هذا النحو، عالم أي قرأ كتبا، قرأ فنوناً، يسمى هذا الفن علم كذا، ويسمى هذا الفن علم كذا، أو يسمى هذا الفن علم كذا، هو عالم على هذا المصطلح هو عالم، لكن إذا لم يعلم ـ في نفس الوقت ـ ذلك العلم الذي يجعله يخشى الله سيصبح علمه يشكل خطراً بالغاً على الإسلام والمسلمين، يشكل خطراً بالغاً على البشرية، يرسخ جهالات متراكمة، وإن صدّر كتابه بعبارات كريمة مثل [بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه..] إلى آخره.

ثم يذكر لك ما الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، ثم عن الأبواب التي تناولها، ثم تقسيمه إلى كذا فصول إلى آخره، ثم يقول: [مبتغياً بذلك وجه الله، وأن يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية وأن يتناول ما رأى بأن الآخرين بحاجة إلى معرفته ليقدم خدمة للإسلام والمسلمين، راجياً من الله بذلك أن يتقبله وأن يكتبه ويجعله في رصيد حسناته يوم يلقاه].. هكذا تأتي الأشياء بحسن نية.

القرآن الكريم علّمنا بأن حسن النية لا تكفي.. أنه حتى الإخلاص لا يكفي إذا لم تعتمد على القرآن الكريم لتعرف من خلاله ما هو العلم، ثم تمشي من خلال ما يرشدك إليه في آفاق الحياة، وآفاق المعارف الأخرى فتزداد

معارف حقيقية.. كل شيء في الأخير يعطيك معرفة، يرسخ لديك معاني كمال الله سبحانه وتعالى، كل هذا العالم ليس فيه شيء لا يشهد بكمال الله سبحانه وتعالى.

يقال في [علم الكلام] بأنه أشرف العلوم؛ لأن موضوعه هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة الله هي أعلى شيء، فالفن الذي يتناولها هو أشرف العلوم؛ لذلك يبادرون به وبكتيّبات صغيرة إلى الأطفال من سن البلوغ يكون قد بدأ بمعرفة الله؛ لأنها أهم شيء.. لكن هكذا ننظر للأشياء وننطلق فيها بحسن نية وبإخلاص وكأن القضية متروكة إلينا نحن، أن نرسم الأشياء على ما نرى، وعلى ما نلمس بأن فيه رضا الله، وفق رؤية انطلقت من داخلنا دون اعتماد كبير على القرآن الكريم بأنه كتاب شامل يعطي مناهج للمعرفة أيضاً، ومناهج للتربية ومناهج للعمل في مختلف شئون الحياة..

{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} هذه وحدها تكفي لمن يتأمل؛ لأننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى هو العالم هو العليم {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} (الأنعام: من الآية٧٣) {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} (البقرة: من الآية٢٥٥) {يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان: من الآية٦) إذاً هو العالم.. أليس كذلك؟ هو العالم واسع العلم، هو من أحاط بكل شيء علماً، فهو من يجب أن نلتفت نحوه ليعلمنا، وليس فقط أن ندعوه أن يرزقنا العلم وننطلق من مصادر أخرى نبحث عن العلم.

{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي} زدني أنت {عِلْماً}، حتى العلوم الأخرى هذه الاختراعات، وعلوم الصناعة، يقال: إن كثيراً من المخترعين ـ وهم أثناء تجاربهم ـ يلمسون وكأن هناك شبه توفيق إلهي أو تدخل إلهي في المسألة، فيرشدهم إلى شيء معين فيبتكر شيئاً من خلال تجاربه المتعددة.

يلمس البعض منهم يداً غيبية تتدخل في القضية، يطلب الشيء فيبرز إلى الوجود من الاختراعات العظيمة غير ذلك الشيء الذي كان متجهاً نحوه وهو يجري تجارب يريد شيئا آخر.

واسع العلم، من وسع كرسيه السموات والأرض، من أحاط بكل شيء علماً.. أليس هو الذي ينبغي أن نعرفه من خلال ما يهدينا إليه هو، من خلال كتابه الكريم؛ لأنه هو من خلقنا، هو من يريد أن نعرفه تلك المعرفة التي تترك أثراً في نفوسنا، وليست معرفة بمجرد المعرفة، أو علماً بمجرد العلم، فنقول: كم قرأت في كتب الكلام؟ ـ التي سميت فيما بعد: [كتب أصول الدين]ـ كتاب كذا، وكتاب كذا، وكتاب كذا، إلى آخره.. ما شاء الله، نقول هكذا.

عالم.. عالم لمجرد العلم، وعقائد لمجرد العقائد، علم محدود عقائد أتعامل معها بشكل أحكام أصدرها، وليس هناك أثر لها في النفس.

أما القرآن الكريم فهو كتاب عملي، كتاب عملي، معرفة تترك أثراً في النفوس، تترك هذه النفوس أثراً في الحياة، معرفة تزكو بها النفوس، فينعكس أثر هذه النفوس صلاحاً في هذه الحياة، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان هو يعلم من أين يأتي له، وكم هي المداخل ليعرف إلهه، المعرفة العملية.. ألسنا نرى في القرآن الكريم كيف كان يهدد الكافرين بجهنم، هذا على طريقة المعتزلة ونحوهم غير منطقي؛ لأنه تهدد الكافرين بجهنم، وهو بعد لم يؤمن بمحمد ولا بالقرآن، لم يؤمن بعد بهما حتى تهدده بجهنم، وجهنم إنما جاء الخبر عنها من قبل القرآن الكريم ومن قبل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).. إذاً فهذا غير منطقي، سيكون كثير من القرآن غير منطقي.

لكن من يدري أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أن هذا الإنسان ـ وإن كان ما يزال جاحداً ـ أن أسلوب القرآن وأسلوب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ذلك الأسلوب الذي ينفذ إلى أعماقهم رغماً عنهم، ينفذ إلى أعماق نفوسهم رغماً عنهم.

فيسمع التهديد والإنذار بأنه إذا ما كذبوا قد يحيق بهم ما حاق بالأمم السابقة، قوم صالح.. وقوم هود وقوم نوح.

ألم يظهر في القرآن الكريم تهديد للكافرين، كيف تهددهم وهم بعد لم يؤمنوا بـالقرآن الكـريم ولم يؤمنـوا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لكـن محمـداً، شخـصية محمـد (صـلوات الله عليـه وعلـى آلـه)، كمالـه والمعجزات التي تظهر على يديه هنا وهناك هي مما يترك أثره في النفس، حتى وإن كان صاحب هذه الـنفس مـا يزال معلناً لكفره وجاحداً، عندما يسمع التهديد لا بد أن يترك أثره في النفس، ولو في لحظة من لحظات يومه أو ليلته، ولو قبيل نومه وهو فوق فراشه مسجى بلحاف، وهي اللحظة التي ـ عادة ـ يفكر الإنسان فيها كثيراً.

هذه المعرفة معرفة عملية تدفعك لتغوص إلى أعماق نفسك، ثم تـدفعك عملياً إما أن تكون ممن ينطلق على وفـق الهدى والإيمان، أو تتجلى هناك، تتجلى هناك خبيثاً منافقاً أو كافراً.. ما الذي حـصل في تاريخنـا نحـن؟ عـالم بعد عالم لم يظهر لك مؤمن بشكل صحيح أو منافق بشكل واضح أو كافر بشكل واضـح، صـفوف علمـاء مـن هـذه الطائفة، وصفوف داخل هذه الطائفة، وصفوف هنا وصفوف هنـاك، لم تتجـل الأشـياء؛ لأن مـا قـدم، لأن مـا في داخلهم ليس من النوع الذي يجلي بشكل كامل.

مع أن الجميع يصبغون ما يقدمونه بصبغة إيمانية، فهو لا يرى نفسه بالتأكيد أنه مصيب، أو أنـه مخطـئ، أنـه مؤمن أو أنه منافق، أنه محق أو أنه مبطل، أنه مهتد، أو أنه ضال؛ ولهـذا وجـدنا في الـساحة أشـياء كـثيرة مـن الضلال وأصحابها يقدمونها على أنها من دين الله، ويتعبدون الله بأنهم يقدمونها لعباده.. ضلال كثير نزل.

لكن القرآن الكريم هو وحده ـ إذا ما حاولت أن تهتدي به ـ ستعرف نفسك من خلاله، كتاب عملي، تعرف نفسك من خلاله، وتعرف الآخرين أيضاً من خلاله، وتعرف الفنون الأخرى من خلاله، وتعرف الحياة كلها مـن خلالـه، وتعرف إلهك بالشكل الذي يليق بك كعبد له أن تعرفه به، تتجلى لك الأمور، تتجلى لك المواقف.

فنحن عندما نتحدث عن معرفة الله سبحانه وتعالى نتناول أشياء كثيرة من خلال القرآن الكـريم ممـا قـد يـرى البعض بأنها تدل على جهل أن نتناولها ونحن في إطار الحديث عن معرفة الله، من أجـل أن نعـرف كيـف نتـولاه فنكون من أوليائه بتوفيقه.

الحديث عن نعم الله سبحانه وتعالى مهم جداً، في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت كـرم الله سـبحانه وتعـالى وإحسانه العظيم إلى عباده في ما أسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة.. وتأتي لأكثر من هدف أو لأكثـر مـن غاية، فدلائل على قدرتـه سبحانه وتعالى، على حكمته، على رعايته، على حسن تـدبيره، على عظم إحسانه إلى عباده ليحبوه ليعظموه ليجلّوه، ليخلق في نفوسهم ذلك الأثر الذي تجد في نفسك أمام أي نعمة تسدى إليك مـن الآخرين.

هذه المشاعر مهمة جداً، عندما نستشعر عظم إحسان الله إلينا، عظم إنعامـه علينـا بـنعم كـثيرة جـداً.. نعمـة الهداية، نعم مادية كثيرة، نعمة كبيرة فيما أعطانا من هذه الكيفية التي قال بأنها أحسن تقـويم {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}(التين:٤).

تلك المشاعر التي تتركها هذه، نظرتك إليها، نظرتك إلى من أسداها إليك، تلك المشاعر مهمـة جـداً في ربطـك بالله، في ثقتك بالله، في انطلاقك في طاعته، في ابتعادك عـن معـصيته، في خوفـك منـه، في إجلالـك لـه، في حيائك منه، في حرصك على رضاه.

فتصبح في حالة لست بحاجة إلى من يأتي يحلل لك المسألة.. أنه لماذا وجبت الطاعـات، مـن أيـن وجبـت علينـا، أليس هذا من منطق المتكلمين؟ كيف عمل الواجب حتى وجب؟ ومن أين وجب حتى وجب؟ من أين؟ وكيـف عمـل؟ ما هو الذي يعتبر منطقياً، وشيئاً منطقياً يسوّغ أن يكون هذا الواجب واجباً، من أين وجـب الواجـب حتـى أصـبح واجباً؟!.

لستم بحاجة إلى هذا التحليل بكله، الذي يجعلك هناك، والله هناك، وكأنـه لا علاقـة بينـك وبينـه، معرفتـه الواسعة التي تسيطر على كل مشاعرك، هي التي تـدفعك، هي التي تجعلك تقر بعبوديتك لله سبحانه وتعـالى، فلا تحتاج إلى من يأتي ليشعرك بأنه واجب عليك، وبأنك ملزم بكذا وكذا، أنت تـرى أن المسألة فوق مجرد واجـب وفوق مجرد إلزام.

أنت أصبحت تسير تلقائياً نحو الله سبحانه وتعالى.. قلبك مليء بحبه.. نفسك كلها سلمتها له.. في حالة كهذه متى يمكن أن يجول بخاطرك تساؤل: من أين وجب الواجب حتى وجب؟ هذا التساؤل في الأخير يجعلك تتساءل من أين لزم اللازم حتى لزم.

إذاً لا بأس هذا لزمني لكن مجاملة، هكذا مجاملة، أو ليس معي مجال منه، لا بأس لزم لكن يمكن يكون لك حيَل شرعية لأجل أن لا يلزم، ثم تنطلق في طريق التهرب من أن يلزم، من أين يجب؛ لأنه هو مقدار العلاقة فيما بينك وبين الله، فأنت مكره: [مكره أخاك لا بطل] كما يقولون. وجب، يقال واجب وغصباً عنا، وإن كنا لم نعرف بعد لماذا وجب، لزم وإن لم نكن نعرف بعد لماذا لزم؟ لكن لزم؛ لأن الصيغة جاءت بعبارة [افعل] أو نحوها، فتأتي القواعد التي تفتح الأبواب أمامك، فتجعل هذا ما يلزم، فتتعلم كيف تتهرب من أن يلزم، ما يلزم، كيف تتهرب من أن يجب الواجب بالنسبة لك.. ثم نقول: عالم، عالم، وهو يتهرب عن الله، وهو يتهرب هناك عن أي شيء يلزمه، فيقول: يمكن أن نحاول أن لا يلزمنا، وهذا الشيء لم يلزمنا، وما قد وجب علينا.. وهكذا.

هل هذا ممن يمكن أن نقول فيه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: من الآية٢٨) **لو أن قلبه مليء بخشية الله، لو أن قلبه مملوء بمعرفة الله الصحيحة، لو أن قلبه مليء بحب الله لما كان على هذا النحو، فيسير في طريق التهرب من الأعمال التي فيها رضا الله، حتى وإن كانت واجبة يتمسك بقواعد معينة تعفيه عن أن تكون قد وجبت عليه من وجهة نظر تلك القاعدة.**

إذاً لا بد أن نعود إلى القرآن الكريم؛ لنعرف من خلاله أنفسنا كعبيد لله سبحانه وتعالى، لنعرف من خلاله المعرفة الواسعة لكمال الله سبحانه وتعالى.. إلهنا.. وربنا.. وسيدنا.. ومالكنا.. والمنعم علينا.

وحينئذٍ ستبدو، وسيبدو الحديث عن النعم في القرآن الكريم له أهمية كبيرة فيما يتعلق بنفسيتك، وفي تعاملك مع الله، وفي نظرتك نحو الله سبحانه وتعالى.

ما يدلك على أهمية هذا، أنه يقرن الحديث عن نعمه بإرشاد عباده إلى عبادته والأمر لهم بعبادته فيقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢١ ـ ٢٢).

ألم يتحدث هنا عن كيف يرعانا؟ الأرض بالنسبة لنا فراش، السماء بالنسبة لنا سقف، فكأن مجموع الأرض مع السماء بالنسبة لنا بناء نقيم فيه {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وهذا الماء ينزل بسهولة لا يكلفنا شيء لا نحتاج إلى مضخات، ولا نحتاج إلى بقر [نسْنِي] عليها، ولا نحتاج إلى شيء ينزّل المطر، وفي دقائق معدودة ترى الأرض مملوءة بالماء في دقائق معدودة، هذا الماء هو الذي يرتبط به كل حاجات الإنسان، كل حاجات الإنسان مرتبطة به.

{فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون بهذا.. أنه الذي خلق الأرض وخلق السماء، وأنه هو الذي ينزل الماء من السماء، وأن هذه الثمرات هو الذي أخرجها بما أنزل من الماء.. أليس للحديث عن نعم الله هنا علاقة بتوحيده؟ {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في الدفع نحو عبادته؟ هو يقول: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في ترسيخ حالة التقوى في النفس؟ {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

يبدو الحديث وكأنه حديث عاطفي، وفعلاً تلمس في القرآن الكريم هذا الجانب، هذا الشيء، أو هذا الأسلوب يأخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم، الحديث الذي يبدو حديثا عاطفيا، استعطاف {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} أليس هنا يذكرنا بما عمل لنا؟ أم أنه يقول: اعبدوا ربكم وإلا فسوف نحرقكم.. هل قال هكذا؟ ممكن أن يقول هكذا؟ وهي حقيقة ـ إن لم تعبد ربك سيعذبك بعد أن يكون قد أرسل من يبلغك، من ينذرك، من يعرفك بعبادتك له

كيف تعبده لكن لا.. هذا وإن كان شيئاً حقيقياً، وقد يبدو في بعض الآيات، لكن يأتي في مقام التهديد بعد أن يكون الإنسان قد عرف الكثير، وطرق مسامعه الكثير من الآيات التي تأتي على هذا الأسلوب.. الاستعطاف.

وما أجمل العبارة التي قالها الإمام زيد (عليه السلام) ـ وهو يتحدث عن أقسام القرآن أو مجالات القرآن ـ قال: (وقسم منه استعطاف لعباده أو تعطف منه) ما أذكر بالتحديد هل تعطف أو استعطاف ـ ماذا يعني استعطاف؟ أي يخاطب وجدانك، يخاطبك أنت كإنسان ترعى الجميل، وتقدر الإحسان، وتشكر النعمة، وتعترف بالفضل لمن أسدى إليك النعمة ليشدك نحوه.

وهذا الشيء معروف في حياتنا معروف في تعاملنا مع بعضنا البعض، الواحد منا متى ما تحدث عن ابنه عندما تقول له: [يا خبير ابنك ما لك انت واياه كذا؟ وبينكم مزاعلة، وبينكم كذا؟] فيقول: عملت له كذا، وربيته، تعبت عليه، وخسرت، وزوجته، واشتريت له سيارة، وعملت له كل شيء، وأعطيته رأس مال، ولكن بعد كل هذا رفض طاعتي.. قد تقول هذا لابنك بعبارات من هذا القبيل، استعطاف تذكره بما أسديت إليه، قد تقول أنت لشخص آخر في مقابلة شخص آخر أصبح له موقف غير طبيعي منه وأنت تعرف أياديه العظيمة عليه.. يا رجال تذكر.. هو الذي أدى لك كذا.. وتعاون معك في كذا، ما ينبغي، ما يصح، ما يليق بك أن تعامله بهذا الأسلوب وهو الذي كذا، وهو كذا.. إلى آخره.

أليس هذا استعطاف؟ أنت تخاطب وجدانه، وخطاب الوجدان، خطاب المشاعر في أعماق النفس تترك أثرها الكبير؛ ولهذا وجه الله عباده إليه في قوله تعالى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:٣٤).

الكلمة الحسنة التي تبدر منك ترد بها إساءته، أنت هنا تخاطب وجدانه.. أليس كذلك؟ هي تنفذ إلى أعماق وجدانه رغماً عنه، وتتجاوز مظاهر الغضب وحواجز الغضب والانفعال، فتقتحم هذه الحواجز وتغوص إلى أعماق وجدانه فتنعكس لتملأ كيانه كله عاطفة نحوك فيتحول إلى ولي حميم، بكلمة إحسان، بكلمة لينة.. فكيف لا تلين قلوبنا لمن يحسن إلينا هذا الإحسان الكثير والإحسان الكبير، إحسان بالكلمة وهو يهدينا، إحسان بالنعمة وهو يسبغها علينا لدرجة أن قال لنا: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) ليس هناك نعمة أنتم فيها، تتقلبون فيها في أجسادكم، وفي معيشتكم إلا وهي من الله.. يبدو هنا الأثر المهم لخطاب الوجدان واستعطاف المشاعر الداخلية، ما تترك من أثر من أجل ما تترك من أثر في كيان الإنسان وفي تصرفاته وفي توجهه، وفي نظرته.

فنحن بحاجة إلى أن نعرف الله سبحانه وتعالى في توحيدنا له كإله، أن نتعرف على كماله، نتعرف عليه سبحانه وتعالى، المعرفة العملية بالتركيز، كما نركز على توحيده نركز على التعرف على ما أسدى إلينا من نعم، وعلى تقييمها وتقديرها، أن تنشدَّ أنفسنا نحوه، أن تمتلئ قلوبنا بحبه، أن تمتلئ قلوبنا خشية منه.

وهكذا يأتينا القرآن الكريم وهو يتحدث: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} (إبراهيم:٣٢ ـ ٣٣) دائبين، باستمرار، ما تحتاج من قِبَلِكُم إلى أي وقود، ولا إلى أي شيء، ولا تتوقف ولا تنطفئ {سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم:٣٣-٣٤).

هذا المنطق أيضاً حديث عن نعم.. أليس كذلك؟ هو أيضاً من هذا القبيل: استعطاف لعباده، واستعطافه لعباده هو تكريم في غاية التكريم للإنسان، مظهر من أعظم مظاهر رحمته بعباده، دليل من أعظم الأدلة على صحة الثقة به؛ لأن من ينعم عليك هذه النعم لا يمكن أن يورطك، لا يمكن أن يغشك، لا يمكن أن يكذب عليك، لا يمكن أن يتركك ويهملك وأنت تسير في طريقه، هي من أعظم الوسائل لتعزيز الثقة به.

ونحن نرى في الدنيا مع بعضنا بعض شخصا تراه يهتم بك، يراك في حاجة يحاول يقدم لك مساعدته، يراك في موقف يبادر معك، يعيش همك، يشاركك في كل شئون حياتك.

ألست أنت من تتجه إليه لينصحك؟ ألا يبدو لديك من أعظم الأشخاص وأعزهم؟ تبدو معه واثقاً به أعظم ثقة من أي شخص آخر؟ تكون عظيم الثقة به.. تقول: [يا أخي كيف لا أثق به، وهو الذي كذا، لا يأتي موقف إلا هو معي، لا يلمس أني بحاجة إلاّ ويبذل معروفه إليّ، هو الذي عمل لي كذا، وعندما سافرت عمل لي كذا وكذا، وأعطى ابني كذا وكذا، ودوّر لابني لعمال يسرحوا يشتغلوا] ألست هنا يمتلئ قلبك حباً له وثقة به.. والثقة بالله مهمة جداً.

تأتي المواقف الأخرى التي تعكس مدى ثقتك بالله، أو ضعف ثقتك به، المواقف الصعبة التي تبدو وكأنها صعبة عليك تطلب منك بذل مال، تطلب منك بذل جهد، تطلب منك بذل تعاون معين في مواقف قد تكون صعبة عليك نوعاً ما. فهو يرشدك إليها متى ما كنت عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى ستنطلق فيها. تقول: ما يمكن أن يورطني أبداً، ولا يمكن أن يتخلى عني أبداً.

بل إننا نثق في الدنيا بأشخاص هم كثيري الإحسان إلينا بمجرد أن ينصحني نصيحة، وهو لا يعلم السر في السموات والأرض، وهو أيضاً قد لا يكون معي فيصحبني وأنا أتحرك وفق نصيحته، بل قد لا يستطيع أن يعمل لي شيئاً في الأخير وأنا أتحرك حتى على نصيحته، ومن منطلق ثقتي به أنطلق على ما وجهني إليه.. أليس هذا ما يحصل في الدنيا؟ فكيف لا تكون عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى! وهو من نِعَمِه عظيمة عليك، وهو من يرشدك، ويقول: وأنا معك، وعندما يقول: [وأنا معك] هو من هو العزيز القهار، هو من هو صادق في وعده، هو من هو قادر على أن ينجز ما وعدك به.. أليس هذا من يجب أن تكون ثقتك به أعظم من ثقتك بأي شيء في الدنيا حتى أعظم من ثقتك بنفسك.

لخلق الثقة في النفس أشياء كثيرة.. كثيرة في القرآن الكريم، منها هذا الجانب، ولهذا قال الله: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (آل عمران: من الآية١٢٢) **هكذا.. ويقول أنبياؤه: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ}** (هود: من الآية٥٦).

أليس سيصبح الإنسان المؤمن بالله عظيم الثقة بالله؛ لأنه عرف الله على هذا النحو، عرف الله من خلال ما هداه إليه من معرفته في كتبه، وعلى ألسنة أنبيائه.

وليس من يقرؤون تلك الكتب التي تخلق جفاء فيما بينك وبين الله حتى تكون متسائلاً من أين وجب علينا أن نطيعه؟ متسائلاً لماذا أباح ذبح هذا؟ لماذا حصلت هذه الآلام.. إذاً يدفع حقها، لازم يدفع عوضاً، وهكذا يبدو الإنسان هناك، ويبدو الله هناك، كما تتعامل مع أبعد الناس عنك تقريباً.

يتحدث عن تسخير العالم بكله للإنسان، لنا نحن كأفراد.. أفراد الإنسان، ولماذا سخر، هل غصباً عنه؛ لأنه يخافنا؟ أو من منطلق الرغبة في أن يكثّر في ملكه؟ ليعتز بنا أو لينتصر بنا على إله آخر؟..لا.

يمكن أن يستغني عنا ببعوض، فعلاً، يمكن أن يستغني عنا بفيروسات مما لا ترى إلا بمكبرات ألف وأكثر منها، يمكن أن يستغني عنك بهبة ريح. رحمة منه تعالى بنا، كرمه الواسع، حكمته، سخر كل شيء.

{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢٢) **ونحن نرى كيف تكون حالتنا متى ما قلّت الأمطار، تجف النفوس، تغلظ الطباع حتى داخل الأسرة الواحدة، الجيوب نفسها والخزائن تتعطل وتجف، لدرجة أن تصبح زوجتك منتظرة للكلمة القاسية منك متى ما قالت: نحن بحاجة كذا وكذا.. تكثر الهموم، تذبل حتى الأبدان تهزل؛ لأنه لا يوجد تغذية، الكماليات، الأشياء الكثيرة من كماليات الحياة التي تبدو في مراحل معينة متى ما كان عند الناس فلوس تبدو وكأنها ضرورية [تصفّر] عليها واحدة واحدة، ما عدا ذلك الشيء الضروري ويصبح هو نفسه ما زال يشكل عبئاً كبيراً عليك، متى ما حصل مرض تعتبر مصيبة تحتاج إلى أن تبحث عمن يسلفك [فلوس] حق مشوار سيارة، وحق علاج، وحق أشياء من هذه.**

تقسو القلوب، بل أحياناً يصل الحال إلى أن يحصل جفاء فيما بين الناس مع بعضهم بعض فلا أحد يعطف على أحد وكل واحد همه أن يقبض ما تبقى لديه لحاجاته الضرورية ولا همّ له بالآخرين.

أما عندما تأتي تكلمه في ظروف كهذه عن واجبات أخرى جهاد في سبيل الله، إنفاق في سبيل الله، وتعظه قد لا يلتفت إليك، ذهنه مشغول بحاجاته الخاصة، فترى كيف يؤثر الجفاف ونقص الأمطار يؤثر عليك في كل شيء حتى فيما يتعلق بأخلاقك ودينك، قد يؤثر حتى فيما يتعلق بكرامتك، قد ينطلق كثير من الأسر يتسوّلون.

أليس كذلك؟ قد يصل بك الحال إلى أن - وأنت تبحث عن سُلْفَة من الفلوس لحاجاتك الضرورية - أن تعطي [مشهد] سند بيع على [جربة] على مكان هو من أعز الأماكن لديك ومن أحسن ممتلكاتك التي ما تزال بحوزتك.. ألم يحصل كهذا؟. حصل كهذا.

نرى كيف نحتاج أحياناً ويحتاج الناس في كثير من المناطق إلى الماء فيصل قيمة الخزان الماء إلى نحو ثلاثة آلاف ريال وخمسة آلاف ريال، خزان صغير، قد لا يكون فيه أكثر من متر بخمسة آلاف ريال. ثم تبقى ثيابنا متسخة، ونتوضأ لا نسبغ الوضوء،ثيابنا تبدو غير نظيفة، علاقاتنا داخل البيت تتوتر.

ثم انظر عندما يأتي المطر، وكم يبقى المطر؟ أحياناً عشرين دقيقة، خمسة عشر دقيقة، ثلاثين دقيقة، ساعة على الأكثر وترى خلال بضع الساعة هذه على منطقة واسعة كم يترك من الأثر، الناس يتطلعون من السطوح ومن نوافذ المنازل يفرحون بالرعود، وكما قال الله في آية أخرى قال سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (الروم:٤٨).

كيف الاستبشار عندنا.. عبارات الاستبشار في بلادنا؟ {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} كل واحد تغير.. تغير البرنامج، وتغير حركة الشريط في ذهنه من هموم هم بعد هم وهو يواجه متطلبات الحياة واحدة بعد واحدة {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أصبح يرى بأنه إنشاء الله سيحصل لنا ثمر كذا سينتج القات، أصبح يحسب حساب كم سيربح من القات، كم ستكون [جَنْوَة البن]؟. كم سيحصل من [الحَبّ؟]. كل بلد على حسب ما عندها من الثمار فسيسدد دينه، وسيشتري إنشاء الله سيارة لابنه، وسوف، وسوف.. والأسرة داخل البيت نفوسهم تتحول إلى نفوس طيبة وسليمة وتعامل حسن، والناس كذلك يتحولون في تعاملهم مع بعضهم البعض إلى تعامل بلطف، وينتهي ذلك الجفاء الذي كان سببه الجفاف وكثرة الهموم {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

ثم تعال حاول أن تنظر إلى ما توفر للناس من خلال هذا المطر الذي أنزله الله في ربع ساعة أو نصف ساعة كم سيطلع.. ملايين.. عندما يأتي مطر على منطقة مثل هذه المنطقة وفيها قات كثير، وكل واحد انطلق يقطف فيكون الناتج أن فلاناً باع بمائة ألف، وآخر بمائتين ألف، وآخر بخمسين ألف فلان كذا كذا.. تعال اجمع كم سيبيع أصحاب تلك المزارع؟ ستكون ملايين، ملايين تطلع، من ساعة واحدة أو من نصف ساعة من المطر الذي أنزله الله من السماء.. أليست هذه نعمة كبيرة؟.

لو أتى شخص ودخل السوق ومعه كيس من الورق فيه خمسمائة ألف، وفي حالة شدة الناس فيها، وبدأ يوزع الفلوس وينثرها فوق رؤوسهم، سيعتبرون هذا إنساناً كريماً، إنساناً عظيماً، فيكون نصيب هذا مائتين ريال وهذا ثلاثمائة ريال وهذا خطف له خمسمائة ريال، وهذا [مَزّق] مائة وهو والآخر متجاذبان لها، سنعتبره إنسانا كريما.

الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل المطر في ساعة واحدة حصلنا من خلال نعمة من نعمه العظيمة التي أنزلها علينا على ملايين، ثم ترى كثيراً من الناس لا يتذكر هذه النعمة ولا يقدّرها، متى ما جمع فلوس ورجع للقرآن الذي قال: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً} هو يخاطبك فافهم يقول لك ذلك عندما تكون الفلوس في [الشمطة] ارجع إلى الآية {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} لماذا الآن قدك بتقلّب وجهك؟ ألم تكن هنا تستبشر، والآن يقول لك: هات، انفق في سبيلي، هات قرضة {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً} (البقرة: من الآية٢٤٥) **أخرج الزكاة، فتراه يتثاقل ويقلب وجهه، ولم يعد يريد أن يحضر مجلس إرشاد أو يسمع [شريط] يتحدث عن هذه الأشياء.**

ألم يتغير وجهه الذي كان مستبشراً عندما نزل المطر؟. هو يرى بأنه جاءه هذا من قبل الله سبحانه وتعالى ولم يقل بأنه هو الذي أنزل المطر.. وأنا الذي نصبت سلماً إلى السماء درجاته حوالي ستة آلاف درجة فصعدت فثقبت

السحابة بـ[الماصورة] وخرج لي ماء فأين حق السّلّم؟ وأين حق كذا، هل الناس يعملون هكذا؟ حتى يقول الواحد لن أعطي شيئاً.. أعط القليل في سبيل من أعطاك هذا الكثير وهو نفسه سيرجع إليك.

لاحظ كرم الله ورحمة الله ينـزل من السماء ماء فتستبشر وترى جيوبك تمتلئ بالأموال وشمطتك وبيتك فيه مصاريف ثم يقول لك: أنفق في سبيله وما ستنفقه هو سيخلفه عليك، ولكن لم نعد نثق بالله، ومن أين هذا الذي في يدك إلا منه، ثم ما ستنفقه في سبيله هو سيعود على مصلحتك أنت، وعلى مصلحة العباد الذين مصلحتك جزء من مصلحتهم، ثم على الرغم من هذا يضاعف لك الأجر العظيم {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ} (البقرة: من الآية٢٦١) **رحمة واسعة يعطينا شيئاً بسهولة ويطلب منا أقل قليل ويعدنا بأنه سيخلف علينا أكثر مما سنعطي ويعدنا بأنه سيعطينا الأجر العظيم عليه ويعدنا بأن ما أنفقناه في سبيله هو أيضاً في مصلحتنا نحن، أليست هذه من مظاهر رحمته الواسعة؟ إنه في الواقع حتى ولو لم يعط حسنة واحدة لكان الإنسان يحكم من باب المروءة والمعروف بأنه يجب عليه أن يعطي أكثر مما سأله إلهه في مجال طلب منه أن ينفق فيه، لو لم يعط بعدها ولا حسنة واحدة وحتى ولو لم يخلف بشيء، أما هو فقد وعد بأنه سيخلف عليك أكثر مما أعطيته.**

ثم يكتب لك أجراً مضاعفاً على ما أعطيت.. أليس هذا تفضلاً؟ أليس هذا كرماً؟ عندما نتأمل فعلاً الإنسان يخجل أمام الله لو تتأمل هذه الآيات بصدق، وتعرف من خلال حياتك الأزمات التي تمر بها عندما تقلّ الأمطار ثم تعرف من خلال هذه الآيات عظم نعمة الله عليك وعلى كثير من أمثالك من الناس كيف ستندفع إلى الخشية منه والحياء منه والتعظيم له والإجلال له والحب له.. ولكن كما قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: من الآية٣٤) **ظلوم لا يقابل الإحسان بالإحسان، كفار لا يشكر نعمة ولا يقدر نعمة تأتيه من إلهه.**

{فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ} أي ولقد كانوا {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} (الروم:٤٨-٤٩) **كانوا من قبل مئيسين واجمين قلقين تصل الحال أحياناً إلى أن يعتقد الناس أنه ربما لن ينـزل مطر فقد يبست حتى [عروق الزِّيِل] والقات والبن قد تساقطت أوراقه.. فأحياناً في نفس اليوم وفي ساعة من آخر ساعات ذلك اليوم يأتي مطر غزير في لحظة واحدة {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} متحسرين ما زالوا متحسرين متضجرين ويائسين.**

{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الروم:٥٠) **وهكذا يأتي الحديث عن نعمه، هداية للإنسان في أكثر من مجال بما فيها إظهار أن من يقدر على أن يحيي الأرض بعد موتها بقطرات الماء هو نفسه من يقدر على إحياء الإنسان بعد موته فتأتي هذه من الدلائل على إمكان البعث والحياة بعد الموت.**

يقول تعالى أيضاً: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: من الآية٢٠) **ألم تعلموا؟ فما بالكم هكذا؟ ما بالكم هكذا كل واحد منكم ظلوم كفار؟ما بالكم ليس في قلوبكم ذرة من خشية الله؟ ليس في نفوسكم ولا في ضمائركم تقدير لنعم الله وشكر لهذه النعم؟ وتقدير له سبحانه وتعالى على ما وهبكم إياه؟.**

{أَلَمْ تَرَوْا} تأتي عبارة {أَلَمْ تَرَوْا} كثير في القرآن بمعنى (ألم تعلموا) **وغالباً ما تكون في الأشياء التي الكثير منها من المشاهدات {أَلَمْ تَرَوْا} يعني: ألم تعلموا وأنتم ترون {أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} أسبغ: أنعم نعماً كاملة، شاملة، وليس فقط يعطي القليل أو لا يعطي الحاجة إلا بتعب كبير ومحاولات كثيرة وتردد عليه حتى يعطيك هذا الشيء البسيط {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً} ما أنتم تلمسونها، وتعرفونها ونعم باطنة كثيرة.**

ويقول الله سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ} (الجاثية: من الآية١٢) **لاحظ كيف تأتي هذه العبارات في هذه الآيات مصدّرة بقوله تعالى: {اللَّهَ} {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}** (إبراهيم: من

الآية٣٢) {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً} {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ} {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} (الجاثية: من الآية ١٢-١٣) جميعاً، جميع ما في السموات وما في الأرض سخرها لكم {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية: من الآية١٣).

آيات لقوم يتفكرون فيعلمون من خلال تفكرهم عظم نعم الله سبحانه وتعالى عليهم فتلين قلوبهم له، تخشع قلوبهم له، يحبونه، يستحيون من أن يسيروا في معصيته، يتفكرون أيضاً في ما سخر لهم داخل هذا العالم؛ لتتوسع معرفتهم بالله سبحانه وتعالى؛ وليصلوا من خلال تفكرهم ودراستهم لكل ظواهر هذه الحياة، وكل ما أودع في هذا العالم يتوصلون إلى معارف كثيرة في مجال العلوم فيبدعوا ويخترعوا ويصنعوا ويكتشفوا الأشياء الكثيرة.. وهذا فعلاً من الآيات التي ترشد المسلمين لو ساروا عليها وفهموا ماذا تعني في قوله تعالى: {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ألم يتحدث بعد قوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ}؟.

الأوروبيون والأمريكيون واليابانيون وهؤلاء الذين هم من يبدعون ويخترعون ويصنعون من أين جاءت هذه الأشياء؟ أليست من خلال التفكر في ظواهر هذا الكون ودراستها؟ دراسة وتجارب وتفكر داخلها حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه.. لكنا نحن ضُرِبنا من قبل الآخرين الذين حولوا كل عبارات التفكر هنا إلى المجال العقائدي فقط، الذي هو فقط يتلخص في الأخير إلى إصدار أحكام حتى ولا يترك أثره في الوجدان! والذين حولوا هذه العبارات (يتفكرون) إلى أن معناها ينظرون فأخذوا منها إضفاء الشرعية على النظر وأنه هو الواجب في ميدان التشريع وتركوا ميدان الحياة.

فما الذي حصل؟ لا نفوس صلحت، ولا أمة بقيت متوحدة، كل ينظر في أصول الدين وفي فروعه فتطلع العقائد المتعددة، وتطلع الأفكار الشاذة، وتطلع العبارات القليلة الحياء مع الله سبحانه و تعالى، وفي ميدان التشريع، في مجال الأحكام الشرعية تطلع الأحكام المتعددة، والمذاهب المتعددة والأقوال المتعددة، فنرى أنفسنا أمة متفرقة ممزقة، ونرى ما بين أيدينا من ركام الأقوال لا يقدم ولا يؤخر، نرى أنفسنا في مثل هذا العصر منحطين في أسفل درك في عالم الصناعة، في عالم الاختراع، في عالم الإبداع، فنصبح نحن المسلمون جاهلين حتى باستخدام الآليات التي ينتجها الآخرون فنرى أنفسنا في الأخير كيف خضعنا لهم بل كيف انبهرنا بهم، بل كيف تنكرنا لديننا وحمّلناه مسئولية تخلفنا.

والواقع نحن الذين ظلمنا ديننا من البداية، نحن لم ننطلق على هداه فظلمناه في البداية، وظلمنا أنفسنا حتى عندما وحينما رأينا الآثار السيئة للمسيرة المغلوطة التي سرنا عليها نأتي من جديد لنحمّل ديننا المسئولية، نأتي من جديد لنتقبل ما يقول الآخرون في ديننا: [دين متخلف] [أفيون الشعوب] لازم أن تلحقوا بركاب الحضارة الغربية، ونلحق بركاب الآخرين، فنتثقف بثقافتهم، القرآن لم يعطنا شيئاً، الدين لم يعطنا شيئاً، فلننطلق وراء الآخرين.

فأصبحنا فعلاً، هيّأنا أنفسنا، وهيّأنا أولئك الذين صرفوا الآيات هذه إلى المجال الذي ليس من مسئوليتهم، إلى المجال الذي قد تكفل الله به {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢) قد تكفل به {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} (الأنعام: من الآية٥٧) تكفل هو بأن يعرفنا بنفسه أن يعرفنا بكماله من خلال كتبه وأنبيائه، تكفل هو بأن يشرّع لنا من خلال كتبه وأنبيائه وورثة كتبه.. إذاً هذا الميدان مضمون، انطلق أنت في ميادين الحياة على وفق ما يرشدك إليه هذا الدين.

عندما تنكرنا لديننا أصبحنا فعلاً بيئة صالحة لتقبل الدعايات ضد الدين، بل أصبح الواحد منا يرى نفسه متحضراً بمقدار ما يتحلل من قيم دينه، بمقدار ما يتنكر لدينه وإلهه، فالقرآن لا شيء؛ ولهذا أصبح في المجتمع الإسلامي علمانيون كثير، علمانيون يتنكرون للدين، ويسخرون حتى من المرأة عندما تلبس الحجاب الإسلامي ويرون فيه مظهراً للتخلف. نقول لهم: لا تحمّلوا الدين المسئولية، حملوا أولئك الذين نقلوا لكم الدين بشكل مغلوط، ارجعوا إلى القرآن أنتم.

والآخرون الذين أنتم منبهرون بهم هم من شهدوا لهذا القرآن، هم من تجلى على أيديهم من خلال ما أبدعوا إعجاز هذا القرآن. ارجعوا أنتم إلى أولئك الذين قدموا لكم الدين بشكل مغلوط، وشغّلوا تفكيرهم في المجال الذي قد ضمن لهم، وصرفوه عن المجال الذي أريد أن يتحركوا فيه، أريد لهم من خلال دينهم هو أن يتحركوا فيه، ارجعوا إليهم فتنكروا لما قدموه لكم، وعودوا إلى القرآن من جديد لتعرفوا كيف أن القرآن كان باستطاعتنا لو مشينا على هديه، وعلى إرشاده أن نكون نحن الأمة السباقة حتى في مجال التصنيع، والاختراع، والإبداع في مختلف الفنون.

{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يعني ينظرون! ينظر في ماذا؟ ينظر في مجال معرفة الله، هذا مُحْدَثٌ ولكل مُحْدَثٌ مُحدِث، إذاً فله مُحدِث؟!، كلمة مفروغ منها، تعرفها حتى الحيوانات، والنتيجة ما هي؟ النتيجة فقط إصدار حكم، فأصدرنا حكماً بأن الفاعل لهذا الفعل المحكم يسمى حكيماً، فقلنا: حكيم، أليس هذا إصدار حكم؟ حتى لم نحصل على أثر وجداني للمعرفة، وتحصل معرفة بسيطة جداً، ونحو هذه المعرفة المحدودة في واقعها، وعديمة الأثر فيما تتركه في النفوس، يسخّر كل آيات التفكر والنظر نحوها، بينما كان ستحصل المعرفة الواسعة من خلال القرآن وهو يرشدنا في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى أن كل شيء في هذا العالم يتحرك بالشهادة على كمال الله، وهو يرشدنا إلى كيف نتفكر فيما سخر لنا.

من خلال تفكرنا ودراستنا للأشياء وإبداعنا فيها واختراعنا وتصنيعنا.. أليس سيظهر الكثير من الأشياء التي تشهد بعظمة حكمة الله، وسعة علمه ولطفه ورحمته وتدبيره لشئون خلقه وعلمه بالغيب والشهادة وعلمه بالسر في السموات والأرض؟ سيترافق الشيئان.

وهذا هو ما يمكن أن نقول فعلاً: أن القرآن الكريم عمل على أن يدفع بالمسلمين نحو أن يسبقوا الأمم الأخرى في مجال الإبداع والاختراع والتصنيع من منطلق عقائدي، ودافع عقائدي قبل دافع الحاجة التي انطلق على أساسها الغربيون، الحاجة والفضول هذا شيء، لكن القرآن أراد أن ننطلق في ما نفهم، أن ننطلق باعتبار هذا عبادة، بدافع عبادي (تفكروا) (يتفكرون). والتفكر ما هو؟ دراسة الأشياء، فهمها، متى ما فهمنا هذه العناصر في هذه الأرض فبطابع الفضول الموجود لدى الإنسان سنحاول أن نجرب كيف سيكون إذا أضفنا هذا إلى هذا، بعد أن عرفنا طبيعة هذا العنصر وطبيعة هذا العنصر، كيف إذا أضفنا هذا إلى هذا بنسب معينة زائد نسبة من هذا ماذا سيحصل؟ قد يحصل كذا فتأتي التجارب.

بل سعة حياة الإنسان وسعة حاجاته أيضاً ستعمل الحاجة ستضيف أيضاً أثرها في الموضوع فيتجلى الكثير من الأشياء التي تفيد في المجالين: تفيد في معرفتنا بالله سبحانه وتعالى معرفة متجددة واسعة، فنحن في كل فترة في كل لحظة يتجلى على أيدينا شواهد كثيرة جداً جداً تعمق في أنفسنا المعرفة الواسعة بحكمة الله وعلمه وأولوهيته وتدبيره ووحدانيته وكماله فنزداد خشية ونزداد معرفة فيما ننتج في واقع الحياة.

فما الذي سيحصل؟ ستعمر الحياة حينئذٍ على أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان، وفي المجال الذي يخدم الإنسان حقيقة، تعمر بالصلاح النفوس وهي تزداد خشية من الله، وهي تعمق فيها معرفته من خلال ما تكتشفه حيناً بعد حين وهي تنطلق بعد قوله: {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} برجال يتفكرون، عبارة (قوم) هنا تعطي معنى لمن هم جديرون، لمن هم رجال يتفكرون، وليس للناس الذين ينصرفون ببساطة عن هذه الأشياء فيرون هذه الآيات لا قيمة لها، فتعمر النفوس بالصلاح والتقوى ثم تعمر الحياة؛ لأن نفس الإنسان هي الأساس في أن يتجه عمله في واقع الحياة بالشكل الذي يكون صلاحاً، بالشكل الذي يكون عمارة للحياة، بما يصلح الحياة هذه على أسس صلاح.

حتى في مجال البيئة ربما كان باستطاعة المسلمين أن يتوصلوا إلى أكثر مما توصل إليه الغربيون فينتجوا الأشياء الكثيرة التي هي نفسها لا تؤثر على البيئة، أو لو كان فيها ما يؤثر على البيئة لدفعهم تقواهم وصلاحهم وخشيتهم من الله إلى أن يحترموا هذا الإنسان فيحاولوا أن يعدلوا إلى المواد الأخرى التي هي أكبر حفاظاً على سلامة البيئة وإن كانت التي تلوث البيئة أقل تكلفة؛ لأنه هنا سيقال إنني في مقام مسئولية لا أريد أن أضر بعباد الله.

ولكن ما الذي حصل على أيدي الغربيين؟ أليسوا هم من لوثوا البيئة؟ أليسوا هم من يحدثنا بأن البيئة قد تلوثت بشكل رهيب على أيدي من؟ على أيديهم هم؛ لأنهم انطلقوا عندما هم اخترعوا فسبقونا سبقونا فأصبحوا هم القوم الذين يتفكرون، لكن نفوسهم لم تكن صالحة، فما الذي حصل؟ لوثوا البيئة، ولم يرعوا حرمة الإنسان، ولم يحافظوا على سلامة الإنسان، المهم هو أن ينتج بأقل تكلفة فتأتي النفايات النووية وتأتي نفايات أخرى كثيرة جداً فيتحدثون عنها وهي تهدد العالم.. لكن ماذا كان سيحصل لو أن من بأيديهم هذه الأشياء هذه الآليات ومن هم سادة الإنتاج لو كانوا مؤمنين لكانوا يراعون سلامة الإنسان والحفاظ على البيئة فيعدلون إلى الأشياء التي فيها سلامة البيئة وإن كانت أكثر تكلفة.

تجد الله سبحانه وتعالى كيف أنه فيما خلقه وفيما صنعه كيف كانت سنن هذه الحياة كلها قائمة على الحفاظ على البيئة.. ترى مثلاً مخلفات الحيوانات أليست هي مما يساعد على تخصيب التربة؟ تتلاشى تلقائياً ثم تتحول من جديد إلى فوائد للتربة، لكن حاول أن تغير زيت سيارة عند مزرعة ما الذي سيحصل؟ تسكب هناك الزيوت أليست نفايات السيارات ستترك أثرها فتحرق المزرعة وتتلفها؟ لأن المؤمنين حينها سينطلقون ليتخلقوا بأخلاق الله سبحانه وتعالى فيكونون حريصين على أن يحافظوا على البيئة فهم من كان سيعمر الحياة ويعمر النفوس ويتجلى على أيديهم المعرفة الواسعة لله تعالى، فما الذي حصل؟

عندما أصبح الإنتاج بأيدي الآخرين وكان الآخرون هم المبدعون وهم المخترعون وهم من طوروا علوم الصناعات وطوروا الصناعات وغيرها، ما الذي حصل؟ جاء اليهود ليستخدموا الثورة الصناعية فاستغلوها في الجانب الثقافي أن يقدموا للمسلمين بأن عليكم أن تتخلوا عن دينكم حتى تكونوا كمثلنا فتلحقوا بركابنا، استغلوها أيضاً في الجانب الاقتصادي فملأوا الدنيا ربا، استغلوا الاقتصاد السياسي في الهيمنة على الشعوب واستنزاف ثرواتها.

أليس اليهود هم الذين استفادوا من الثورة الصناعية؟ أليسوا هم من مسخ وجه العالم؟ لو كان المؤمنون هم من سبقوا لقُدّم العالم بشكل آخر، لكن مشكلتهم أنهم تخلّوا عن أول رجل بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يقول: ((إن هاهنا لعلماً جماً لو أجد له حملة)) من كان يقول: ((علمني رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألف باب من العلم كل باب يفتح ألف باب)) من كان يقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني)) وتولوا آخرين؛ لأن ذاك يتركع ألف سجدة، أو لأنه يقرأ القرآن في سجدة، أو أنه اشترى للنبي جملا وهو يهاجر، أو عبارات من هذه.

وهل هذا هو ما كان يهم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هو مراعاة للجَمَل الذي شراه أبو بكر أن يقلده قيادة الأمة هذه؟ وهي هذه الأمة التي أراد القرآن أن تكون على هذا النحو، ما هو العلم الذي يحمله حتى يمكن أن يكون جديراً بقيادة الأمة؟

الأمة ضاعت من أول يوم بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهكذا تعززت عوامل الضياع، تعززت على طريق ما قدمه الآخرون لنا من ثقافات مغلوطة تحول الآيات القرآنية إلى غير المجال أو تحول توجهنا نحن من خلال تأويل الآيات القرآنية إلى غير ما يراد منا في واقع الحياة.

لو كانت المسألة هي فقط أن نعرف الخلاصة التي قالوا من أجلها عرفنا من خلال المحدثات أن هناك محدثا وأن هناك صانعا، لو انطلقنا هذا المنطلق لكان يكفي الناس واحد من ألف أو اقل من هذه النسبة مما في هذا العالم من أصناف؛ لأن شجرة واحدة ممكن أن تقوم بهذه المهمة، شجرة واحدة محدثة أليس لها محدث؟ طيب هذه الشجرة نراها ورقها وسيقانها وزهورها وثمرها محكمة، أليست تدل على أن هناك قادرا وحكيما؟ تقضي على أن فاعلها عالم، وتدل على أنه حي؟ شجرة واحدة أمكن أن تقوم بالمهمة التي انشغل حولها [المعتزلة] والأصناف الهائلة هذه هل كلها من أجل تحصيل العقائد الصحيحة كما يقولون على النحو الذي قدموه لنا، الذي كان يكفي لها شجرة واحدة أو نعجة واحدة أو حيوان واحد من أي صنف كان.

والله سبحانه وتعالى يقول: {الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ} (الجاثية: من الآية١٢) **من هم سادة البحار الآن؟ اليهود والنصارى.. أليس كذلك؟ متى ما أردنا أن نشتري غواصة منهم بكم تكلف؟ ملايين، مئات الملايين، وقيمتها المادية قد لا تكون بعشر ثمنها، قيمة التكلفة.**

{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} (النحل: من الآية١٤) **أصبحنا فعلاً في هذا العالم [متعلقين] نركب معهم في البحار، نركب معهم في البر، متعلقين مثل الأطفال إذا أنت ماشي في الخط جاء واحد يتعلق في السيارة حقك أليس كذلك؟ نحن الآن المسلمون عبارة عن ركّاب فقط، نركب مع اليابانيين مع الكوريين نركب مع الأمريكيين مع البريطانيين ومع الفرنسيين والإيطاليين وهكذا.. ركاب متعلقين في البر والبحر وفي الجو أيضاً.**

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: من الآية٢٠) **ولاحظ ربما، هم قالوا فيما يتعلق بصناعة الطائرات كانت الطيور مما يوحي بالفكرة حتى فيما يتعلق بالنسر عندما يفتح أطراف ريشه الكبيرة عندما يكون متجهاً إلى الهبوط، الطائرة هكذا تعمل تفتح فتحات في الأجنحة تساعد على دخول الهواء حتى تساعد على الهبوط.**

كنا نحن العرب عندما نشاهد النسور وهي تنـزل همُّ الواحد منا أن يقول: هذا لي، وآخر يقول: ذلك له، وننظر من الذي سيغلب الآخر عندما [يتناقرون]، أم أن الطيور لم تأت إلا من بعد ما جاء الغربيون! بل الطيور من زمان.

{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} تجارة، من هم سادة التجارة الآن؟ أليسوا هم الغربيون؟ {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) **فعلاً لو كان المؤمنون هم من انطلقوا فأصبحوا سادة هذه الأشياء، هم بإيمانهم سيزدادون خشية، ثم يكونون أكثر شكراً لله، فتكون هي من بواعث الشكر، إذاً فنعرف الزهد الذي يعني ترك هذه في البر والبحر، الزهد الذي يعطل هذه الأشياء التي تعتبر مهمة في خلق مشاعر داخلية في نفس الإنسان، هي شكر لله سبحانه وتعالى، وإجلال وتعظيم لله، هل يمكن أن يكون هذا الزهد الذي يقدم هو من دين الله؟ وهو هنا يقول: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} غاية من غاياتها أنها يمكن أن تشكل عاملاً مهماً جداً في مجال خلق مشاعر شكر وإجلال وتعظيم من قبلنا نحو الله سبحانه وتعالى.**

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} (الجاثية: من الآية ١٣) **من أجل ماذا؟ أن ننظر لنعرف من خلالها كيف نصدر حكماً ونسميه عقائد! عقائد هي بمثابة مقدمات منطقية ينتج عنها إصدار أحكام فقط؟!.**

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} إذا تأمل الإنسان سيرى ما أكثر الأصناف، أصناف النباتات، أصناف الحيوانات، أصناف التربة، أصناف الصخور، أصناف متعددة من كل جنس متعدد، أصناف المعادن سخرها. {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية: من الآية١٣) **فهي تهديه إلى كيف ينتج، وكيف يصنع، وهي تهديه إلى كيف يزداد خشية من الله، ومعرفة تزيده خشية من الله فينطلق إنساناً صالحاً شاكراً يعمر الحياة على أرقى ما يمكن أن تصل إليه بالصلاح، وعلى أساس التقوى والشكر والعبادة لله سبحانه وتعالى.**

ثم لاحظ القوم الذين تفكروا ألم يكتشفوا أن في أعماق الأرض وعلى بعد مئات الأمتار ما حرك العالم كله، ما حرك ظاهر العالم كله وهو البترول؟ الله قال: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وما في الأرض، فما كان هناك حتى في أعماق الأرض هو مسخر للإنسان.

ولاحظ إذا اكتشفنا فعلاً بأن هناك في أعماق الأرض وعلى بعد مئات الأمتار ما أكد القرآن بأنه مسخر لنا، هل معنى مسخر لنا على النحو الذي يقول الآخرون؛ لنعرف من خلاله عندما نشاهده عقيدة صحيحة، نعرف الله سبحانه وتعالى؟ أليس في باطن الأرض مئات السنين آلاف السنين وهو ما يزال في باطن الأرض؟ فما معنى تسخيره للإنسان؟ وما معنى أن يسخر له؟ إلا ليتفكر؛ ليتفكر فيصل إليه وعندما يصل إليه ترى كيف سيصنع الحياة فيحرك ظاهر العالم، ما الذي حرك ظاهر العالم؟ ما الذي حرك المصانع وحرك الآليات؟ أليس هو البترول؟ البترول أليس في أعماق الأرض؟.

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} نحن نفهم قيمة التسخير أنه فعلاً بنظرة واحدة الشمس سخرها لنا من أجل أن نتدفأ فيها، من أجل أن لا يكون هناك برد، هذه واحدة مما تعطيه الشمس، الماء نشربه، ونقول: لك الحمد يا الله، ثم نفهم أن كل شيء هو على هذا النحو، نعرف من خلاله ما يفيدنا تلقائياً، فكأنه هذا كل ما يعطيه، هو ما يمكن أن نستفيده منه استفادة أولية.. لكن لماذا لا نفهم من قوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

أليست [في] تعني ما كان في ظاهرها وفي باطنها؟ أن التفكر هو يرشد إلى أن الإنسان المؤمن مطلوب منه اعتقادياً ودينياً أن ينطلق في أعماق هذا الكون، وهو يتفكر وسيصل إلى أعماق الكون وبعد مئات الأمتار وسيرى أن هناك شيئا مسخر له.

مسخر له لماذا؟ ليعرف من خلاله أنه محدَث وأن له محدِثاً؟ هذا ستعرفه من شجرة واحدة.. هذا ما قدم لنا بأن كل ما في الدنيا هذه هو عبارة فقط عن أدلة على الله سبحانه وتعالى على هذا النحو الضيق الذي قدمه أصحاب علم الكلام على هذا النحو الضيق، فعلاً كل شيء مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمة الله وعلمه ولطفه ورحمته ورعايته وتكريمه للإنسان، لكن لينطلق الإنسان.

فنحن عندما لم نتفكر جهلنا كل شيء، ثم رأينا من تفكروا كيف غاصوا إلى أعماق الكون، وكيف حركوا ظاهره، كيف حركوا المصانع، وحركوا المركبات، وأصبحنا نحن من تنزل القرآن علينا وبلغتنا متعلقين معهم فقط، ركاب في البر والبحر وفي الجو. ألسنا في جهالة؟

لنعرف من خلال هذا كيف يمكن أن يكون الأثر السيئ للأخطاء الثقافية، وقد تضرب أمة بأكملها وتجعلها تحت الأقدام وهي أمة كان يراد لها أن تكون فوق هامات العالم {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١١٠) لكن هذا الشيء الذي يؤسف الإنسان فعلاً يؤسف الإنسان فعلاً. نحن ضربنا على أيدي من حملوا اسم علم، ضربنا نحن على أيدي المعتزلة والأشعرية وأضرابهم.

والمعتزلة هم من كانوا يرون أنفسهم علماء أجلاء إلى درجة أنهم ـ كما يحكي الشرفي في شرح الأساس ـ أنهم كان البعض منهم يسخرون بأئمة أهل البيت فينظرون إليهم نظرة بأنهم بسطاء وتفكيرهم بسيط ومتخلفين ثقافياً، يرون أنفسهم هناك مثقفين ثقافة رفيعة.. هذه آثار ثقافتهم، آثار ثقافتهم المغلوطة.. المعتزلة، الأشعرية، العقائد الباطلة من هنا وهناك، وعندما ساد الناس أيضاً حكام جاهلون، همه أن يبحث عن العالم الذي يدجِّن المجتمع له دينياً، فيتوارث خليفة بعد خليفة، وملك بعد ملك، ورئيس بعد رئيس، على أكتاف هذه الأمة وهي تعيش في ظلام الجهل والتخلف.

ثم المأساة تأتي في الأخير أن نأتي نحن نتنكر لديننا فنعتقد أنه هو المسئول، ثم نكون ضحية لتضليل اليهود نقبل قولهم: أن الدين هو الذي ضربنا، ألم تكن كثير من البلدان الإسلامية دخلت إليها الاشتراكية تكفر بالله؟ وقيل لها بأن الدين هو تخلف، وأن الدين هو [أفيون الشعوب]، ألم يصبح كثير في أوساط المسلمين علمانيين؟ كثير من المسلمين علمانيين تتنكر للدين بكله ولا شأن للدين بالحياة.

نظرة صحيحة عندما ننظر إلى الدين على أساس ما قدمه إليه الآخرون من العلماء، العلماء الذين اعتبرهم علماء المسلمين قدموا الإسلام على هذا النحو فعلاً هذا التقديم يخلق هذه النظرة أن هذا الدين لا يصلح لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا ثقافياً، وأنه يحول بين الأمة وبين أن تنهض فعلاً على قدميها، وبين أن تصبح أمة قادرة على أن تبدع، وتخترع وتنتج، لكن ظلمنا الدين نفسه؛ ولهذا كان الإمام الخميني يقول: إن الثقلين ظلما، قال: الأمة ظلمت الثقلين: يعني القرآن والعترة.

ظلموهم من أول الزمان، من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وعلى طول التاريخ، وظلموهم في هذا الزمن أن تنكروا لهم وأصبح الحديث عن العودة إليهم تخلفاً.. لا.. نقول: أولئك الحكام الذين حكموا الأمة على طول تاريخهم هم المتخلفون، هم الذين أورثوها التخلف، أولئك العلماء الجهلة الكثير منهم ممن حرفوا ثقافة الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون هم من ضرب الأمة، هم من ظلم الأمة، هم من جهّل الأمة، وليس فقط الثقلين: القرآن والعترة.

بل نحن الزيدية من نتمسك بأهل البيت، أهل البيت أنفسهم هم من عانوا من هذا، كما يقول علي عبد الله: نحن عانينا من الإرهاب. نحن عانينا أيضاً من الأخطاء الثقافية التي جاءتنا من قبل السنية، من قبل المعتزلة، من قبل الطوائف الأخرى، عانينا ممن تأثروا في داخلنا بهم فعلاً، فأصبحنا نحن شركاء في ظلم الثقلين: الكتاب والعترة، فأصبحنا كلنا قوم لا نتفكر إلا حيث لا يطلب منا أن نتفكر على النحو الذي نفهم معنى التفكر والنظر، سلطنا التفكر والنظر في مجال معرفة الله على النحو القاصر ـ كما كررت ـ وفي مجال التشريع، أو في مجال

الهداية الكاملة وهي التي قد تكفل الله بها {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية: من الآية١٣) فيقول لك: هذه الآية تـدل علـى وجوب النظر. فأصبح النظر واجباً عقلاً وشرعاً على النحو الذي يقدمونه هم.

نعود إلى أصل الموضوع.. كملاحظة أو إضافة على الموضوع: ساعد على هذا أننا لم نجعل الحـديث عـن نعـم الله سبحانه وتعالى من القواعد المهمة في تحقيق معرفته داخل كتبنا التي نسميها كتب أصول الدين، هذه واحدة.

الشيء الثاني: نظرنا إلى الحياة، إلى الدنيا عن طريق أصحاب كتـب الترغيـب والترهيـب ومعظمهـم أيـضاً مـن السنية، نظرنا إلى الدنيا هذه بكلها، هذه الدنيا التي يتحدث الله عنها، ويذكر بأنها نعمة عظيمة علينـا بأنهـا لا تساوي جناح بعوضة، وأنها ليست بشيء، وعلى الإنسان أن ينـصرف عنهـا، وإذا كـان سيطلبها فليطلـب فقـط القوت الضروري منها، والكفاية فقط منها وينطلق، يتركها الناس، يرفضها الناس، هذا هو التدين.

عزز الفكرة مرشدون داخل مساجدنا يسيرون في هذا الاتجاه، وكتّاب وهم يكتبون في أشـرف علومنـا يـسيرون في هذا الاتجاه، ومفسرون أيضاً يسيرون في هذا الاتجاه، وهكذا تـراكمت الأشياء فأصبحنا نحن أبنـاء هـذا العـصر الضحية، وليس فقط هذا الجيل بل أجيال نحو ما لا يقل عن أربعمائة سنة، اعتبرهـا أربعمائـة سـنة علـى أقـل تقدير هي الحالة التي ظهرت فيها النتائج السيئة لكل الأشياء التي سبقت.

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً} (غافر: من الآية٦١) الله الذي يستعطفنا بما يحدثنا بـه مـن نعمه، والتي يذكرنا بقيمة نعمه. كيف يتمنن علينا بما لا قيمة له عنده؟! إذا كانت الدنيا لا تساوي عنـد الله جناح بعوضة إذاً فلا قيمة لما يتمنن به علينا، إذا كان يعطي ما لا قيمة له عنده، ما لا قيمة له لديه، ولا نعـني بالقيمة أنها مسألة حاجة وفعلاً هو ليس محتاجاً لكن الحكيم ينظر إلى الأشياء المهمة ذات قيمـة فيمـا تعطيـه، فإذا كانت هذه الأشياء كلها لا قيمة لها لديه فلا حاجة لشكرها، ولا حاجة للتمنن بها علينا، لـماذا يتمـنن علينـا بما لا قيمة لها عنده؟.

لها قيمة {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} (الفرقان: من الآية٢) وهذه الآية تتحدث عن أهمية ما أعطى، عن أن نتـذكر فضل وعظم ما أعطى، وما أسبغ من هذه النعم {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْـصِراً إِنَّ اللَّـهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} (غافر:٦١) {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلَّا هُـوَ فَـأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (غافر:٦٢)

لاحظ كيف يربط بين الحديث عن نعمه وبين وحدانيته، وبين توحيده وعبادته {كَـذَلِكَ يُؤْفَـكُ الَّـذِينَ كَـانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّـا هُـوَ فَـادْعُوهُ مُخْلِـصِينَ لَـهُ الـدِّينَ الْحَمْـدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر: ٦٣ ـ ٦٥). الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى أن نكون ممن يشكر نعمه، وممن يرعى نعمه، وممن يتفكر في مـا سـخره في هذا العالم لعباده، وأن يهدينا إلى معرفته التي تملأ قلوبنا حباً له، وخشية منه وإجلالاً له، وعظمة له، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الـموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٣ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ نعم الله

الدرس الثالث

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٠/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

ما يزال الكلام حول موضوع نعم الله العظيمة على الإنسان، نعم الله علينا، قال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:٦٥).

إتماماً للموضوع الذي ذكرناه بالأمس، عدة آيات من كتاب الله الكريم تتحدث عن نعم الله الواسعة، نعم الله الواسعة التي تشمل كل شيء يتقلب فيه الإنسان في هذه الدنيا، تشمل كل ما يشاهده في هذه الدنيا؛ لأن الله سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض، فتسخيره سبحانه وتعالى للإنسان ما في السموات وما في الأرض هو من نعمه العظيمة أيضاً.

عرفنا علاقة التذكير بالنعم بمعرفة الله وتأثيرها الكبير في خلق معرفة واسعة لدى الإنسان بربه، وتأثيرها العظيم في وجدانه، بحيث ينشد إلى إلهه فيحبه ويعظمه، ويشعر بعظيم إحسانه عليه فيشكره. ونلاحظ أن من العجيب أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو أكرم الأكرمين ـ هو من ذكّر الإنسان في القرآن الكريم بنعمه الواسعة عليه، وتمنن عليه بما أسبغ عليه من نعمه، وطلب منه أن يذكرها ويتذكرها كنعم منه تعالى عليه.

في الوقت الذي نجد أن هذا غير مسموح للإنسان نفسه فيما يتعلق بالإنسان الآخر أي فيما بين الناس {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} (البقرة: من الآية٢٦٤) الإنسان الذي يعطي إنساناً آخر لا يجوز له أن يمنّ عليه بما أعطى فيظل دائماً يذكره بأنني فعلت لك كذا، وأنا أعطيتك كذا، وأنا عملت لك كذا، هذا يبطل أجر الصدقة، بل يتحول الموضوع إلى معصية. فلماذا؟ ما هو الفارق؟.

الله يتمنن علينا بنعمه، ويعددها علينا، ويذكّرنا بها، ويطلب منا أن نتذكر ما أنعم علينا به، وفي ما بيننا إذا ما أعطى أحدٌ أحداً لا يجوز له أن يمنّ عليه بما أعطى، ولا أن يعدد نعمه عليه، ولا أنا فعلت لك كذا، وكذا.. إلى آخره؟ الفارق كبير جداً.

النعم التي يسديها الله سبحانه وتعالى للإنسان لها علاقة كبيرة بمجالات متعددة: فهي من جهة من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، وهي من جهة أخرى من مظاهر حكمة الله تعالى، وهي من جهة أخرى من مظاهر رحمته تعالى، وهي أيضاً من دلائل رعايته تعالى للإنسان، وهي في نفس الوقت من مفردات هذا العالم الذي يتقلب فيه الإنسان، هذا العالم الذي استخلف الله الإنسان فيه فجعله خليفة له في هذه الأرض.

نعمه تعالى هي نفسها الآليات التي بها تطيع، والتي بها ـ أيضاً ـ تعصي، فهي ذات علاقة كبيرة جداً بدور الإنسان في هذه الدنيا كخليفة لله في أرضه؛ باعتبارها مفردات هذا العالم. فهنا تبدو قضية مهمة جداً بالغة الأهمية، بالغة الأهمية: أن يتذكر الإنسان أن ما هو فيه هو نعمة من ربه عليه، أن يتذكر بأنها من نعمة الله عليه، أن يتذكر الناس بأن ما هم يتقلبون فيه هو نعمة من الله عليهم، هذه لها أثرها المهم، ومتى ما غاب هذا الشعور: تذكر أنها نعم إلهية من الله إليهم تظهر سلبيات خطيرة جداً.

فمثلاً حينما تتذكر بأن الله هو الذي أعطاك سمعك، أعطاك بصرك، أعطاك حواسك كلها، منحك صحتك، وأنك تعرف أن هذه هي الآليات التي بها تطيع الله، وقد تتصرف بها تصرفاً خاطئاً فتعصي بها الله الذي منحك إياها وكرّمك بها، وتفضل عليك بها.

تذكر أن بصرك هو نعمة من الله كبيرة؛ ولهذا من منا مستعد أن يبيع إحدى عينيه بمليون دولار؟ هل أحد يرضى؟ لا أحد يرضى حتى ولو لم يكن يملك عشاء ليلة واحدة. فهذه الأعين وسيلة الإبصار المهمة بها تشاهد مظاهر قدرة الله، مظاهر حكمة الله، مظاهر رعاية الله، تشاهد بها الأشياء الكثيرة التي تعمق إيمانك، وتوسع معرفتك، تشاهد الأشياء الكثيرة المرتبطة بشئون حياتك، بها تستطيع أن تتقلب في حياتك في مختلف الأعمال لتوفر لنفسك كل متطلبات الحياة.

البصر مهم جداً جداً، إذا فقد الإنسان بصره عاش مسجوناً في هذه الدنيا كأنه سجين. تذكّر دائماً بأن بصرك نعمة عظيمة من الله عليك، إذاً فاستحِ من الله، استحِ من الله أن تعصي ربك بالنعمة نفسها التي تفضل عليك بها، وأنت تعلم بأنك في أمس الحاجة إليها، استح منه أن تقلّبها في ما حرم الله عليك من النظر المريب إلى النساء، من النظر إلى كل ما حرم الله النظر إليه، ثم هكذا بالنسبة لسمعك، ثم هكذا بالنسبة لحواسك، ثم هكذا بالنسبة لمالك.

المال من الذي منحك إياه؟ من الذي تفضل عليك به؟ من الذي خلق التربة وجعل فيها هذه الخواص القابلة للإنبات؟ من الذي خلق هذه الأشجار التي نجني من ورائها مبالغ كبيرة من الأموال؟ نوفر بها كثيراً من متطلبات حياتنا، من الذي منحها؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟.

استحِ من الله أن تصرف ريالاً واحداً في معصية من معاصيه، هذا كفر بنعمة الله، كفر بالله، نعمته العظيمة التي أنعم بها عليك فجعلك منشرح الصدر بها، قرير العين بها، مطمئن النفس بها، أنت مرتاح، نفسك هادئة، فلوس متوفرة .. ما بتكون نفس واحد مرتاحة ومطمئنة؟ هذه النعمة العظيمة هي التي أضفت على روحيتك هذا الاطمئنان والشعور بالسكينة، فاستحِ من الله أن تصرف ريالاً واحداً في الباطل، استحِ من الله أن تصرف ريالاً واحداً في موقف تتحرك فيه من مواقف الباطل، استحِ من إلهك الذي منحك هذه المبالغ الكبيرة، وهي كلها نعمة لا تستطيع أنت أن تقول: [ما شي اما تيّه ما هي من الله هي مني] لا تستطيع أبداً {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣).

فإذا ما طَلب منك أن تعطي مبلغاً زهيداً من هذا المال العظيم الذي منحك إياه تصرفه في سبيله فاستحِ إذا كان لديك مروءة، وترعى الجميل، وتقدر الإحسان، وتشكر النعمة أن ترفض أن تعطي ألف ريال وهو الذي منحك مائة ألف ريال.

لو نتأمل ـ أيها الإخوة فعلاً ـ موقفنا من الله مع عظيم إنعامه علينا لوجدنا كيف نحن جديرين بقوله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: من الآية٣٤) **بهذه الصيغة: {كَفَّارٌ} يكفر بالنعمة، ما يرعى الجميل، ولا يقدر الإحسان، ولا يشكر النعمة، يعطيه مليون ويقول له: أخرج منها خمسة آلاف ريال في سبيل الله. يقول: الله كريم، ما معي شيء، لا أريد أن أصرف أموالي في أشرطة، وفي كتب، ومدرسين وطلاب!! .. وعبارات من هذه.**

لسانك الذي وهبك الله وأنت تستطيع أن تعبر عن ما في نفسك، تتكلم وتنطق، انظر إلى الآخرين الذين لا يستطيعون أن يتحدثوا كيف تلمس بأنك في نعمة عظيمة، أنك تتمكن من أن تنطق، هذه النعمة العظيمة استح من الله سبحانه وتعالى أن تستخدمها في القول بالباطل.

من علمك البيان بواسطة النطق أن تعرب عما في نفسك، وأن تتحدث كما تريد مع الآخرين، هذه نعمة عظيمة، أليست نعمة عظيمة؟ بلى. لا شك فيها. إذاً تذكر بأنها نعمة عظيمة عليك من الله سبحانه وتعالى فاستحِ من الله أن تكذب.

المسألة هي تفرض علينا أكثر من مجرد أن نخاف من الله، أن نمتنع لمجرد الخوف، هذا هو عند ـ تقريباً ـ من لا يعقل، المفروض أنه من البداية من باب الحياء من الله، وشكر نعمته، أستحي منه تقديراً للنعمة التي وهبني، وشعوراً بعظيم إحسانه علي بهذه النعمة، لا أستخدمها فيما يغضبه، لا أستخدمها في الباطل، فلا تكذب، لا تغتاب، لا تسخر من الآخرين، لا تكن همّازاً لمّازاً، لا تكن ممن يشهد زوراً، لا تحلف بالله أيماناً فاجرة، لا تؤيد باطلاً. لاحظوا ما أكثر ما يمكن أن يستخدم الإنسان نعم الله في مجال معصيته؛ لأنه ظلوم كفار.

أنت عندما تحلف يميناً فاجرة تلك اليمين البالغة الخطورة التي هي من أوقح ما يصدر من الإنسان مع ربه، لأنك تقسم بالله أن القضية الفلانية كذا وكذا، وأنت تعلم أنك كاذب، فبالله العظيم، بربك العظيم، تضفي على الباطل صبغة الحق. من التقول، من الافتراء على الله سبحانه وتعالى؛ لأنك عندما تقول: أقسم بالله، أو تقول: والله إنها كذا، وكذا، ماذا يعني هذا؟ أنت تمشّي المسألة وتحاول أن تقرر بأنها صحيحة بماذا؟ باستخدام

عظمة الله في الموضوع، فكأنك تجعل الله شهيداً، تجعل الله كفيلاً، تجعل الله وكيلاً على أن هذه القضية هي هكذا، وأنت تعلم أنك كاذب، والله يعلم أنك كاذب. فباسمه تأخذ حقوق الآخرين، باسمه تظلم الآخرين.
الإنسان منا متى ما حصل منه أن يستخدم اسم شخص آخر، إذا ذهب واحد إلى منطقة وقال: أنا ابن فلان، حصل لي كذا كذا، وأنا أريد [معونة] هذه قد تحصل من بعض الأشخاص، أليس هذا يعتبر إساءة إليك؟.
أن يسير يطلّب بعدما يحمل اسمك على أساس أن اسمك معروف في المنطقة تلك، أو يسير واحد إلى عند الثاني يقول: قال فلان تعطيني مبلغ كذا قرضة وهو سيعطيك فيما بعد، وأعطاك، أليس باسمه أعطاك؟. ماذا سيقول هذا؟ استخدمت مكانته، فباسمه أخذت ما أخذت، وباسمه كذبت على الآخرين، وباسمه غشيت الآخرين.
الله سبحانه وتعالى الذي يريد منا أن يكون اسمه في نفوسنا، مترسخاً في مشاعرنا هو الذي يدفعنا، هو الذي يردعنا عن أن نتجاوز على الآخرين، أن نتذكر الله كما قال في صفات المتقين: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ}(آل عمران: من الآية١٣٥) إن الله يريد منك أن يكون ذكره وأنت تتذكره وتتذكر اسمه لتنزجر عن ظلم الآخرين، عن المعاصي، فكيف تأتي وتستخدم اسمه في إنزاله على الباطل، ولتنال به باطل، أو تقرر به باطلاً، أليس هذا من السخرية بالله سبحانه وتعالى؟ أو التسخير لعظمة الله في إضفاء شرعية على الباطل.
ولهذا جاء في الحديث: ((أن اليمين الغموس ليس لها جزاء إلا جهنم)) ، ((وأن اليمين الغموس تذر الديار من أهلها بلاقع)) تتدهور أحوالهم، والموت يفتك بهم فتصبح بيوتهم خالية، لماذا؟ لأنك باسم الله أضفيت على الباطل صبغة الحق، والله يريد أن تكون باسمه ترتدع عن الباطل.
هذه واحدة من الإساءات البالغة التي قد تحصل منك باستخدام النعمة العظيمة التي وهبك الله إياها وأسبغ عليك بها، نعمة النطق، البيان، الإعراب بالكلمات، بالأحرف بواسطة لسانك وشفتيك.
أن تأتي لتشهد شهادة زور، شهادة الزور هي نفس الشيء تشبه اليمين الفاجرة؛ لأنك تقول: أشهد لله أن هذه القضية كذا وكذا، وهي ما أسوأها وما أقبحها، شهادة الزور. وهكذا كم سترى أن كثيراً من المعاصي يمكن أن تستخدم بواسطة النطق فتكون ممن سخر نعمة الله عليك في معصيته، في ظلم الآخرين، في أخذ حقوق الآخرين، في الحط من مكانتهم، في هتك أعراضهم، في تأييد الباطل. إذاً فاستحِ من الله، وتذكّر بأن هذه نعمة عظيمة أنعم بها عليك.
من هنا نعرف أهمية أن يذكّرنا الله وأن يطلب منا أن نتذكر نعمه العظيمة علينا؛ لأن لها علاقة كبيرة بنا، باعتبار أنها هي الآليات التي بها نطيع وبها نعصي، فمتى ما تذكّرنا أنها نعمة منه فإن هذا سيوجد في أنفسنا حياء من الله، أن نتوقف عما طلب منا فيها، أو أن ننطلق لاستخدامها في معاصيه.
من الأشياء التي يظهر بتذكر أن ما بين أيدينا هو من نعمة الله علينا كونها من مفردات هذا العالم الذي نحن خلفاء لله فيه. لاحظ كم سيظهر من أثر كبير لتذكر نعمة الله، أنت عندما تتقلب داخل مفردات وأجزاء هذا العالم فتصنّع وتنتج وتبدع وتعمر .. وأشياء كثيرة، إذا ما كنت متذكراً بأنها من نعمة الله، إذا ما كان الناس متذكرين بأن هذه الأشياء هي من نعمة الله عليهم فإنهم سيخشون من الله وسيستحيون من الله أن تستخدم في معاصيه، أو أن تستخدم في الإضرار بالآخرين من عباده.
عندما انطلق الغربيون في التصنيع، وباستخدام المنتجات المتعددة في مختلف المجالات، ألسنا نرى ما أكثر ما تستغل في الإفساد في الأرض، وفي إفساد عباد الله وفي ظلم الناس؟ لو كانوا هم ممن يتذكر بأن ما بين أيديهم من طاقة، ما بين أيديهم من آليات، ما بين أيديهم من إمكانيات هي نعمة من الله عليهم، نعمة، يتذكرون هذه: أنها نعمة لاستحوا من الله أن تستخدم فيما هو إفساد لعباده وإبعاد لعباده عن طاعته وعبادته، فيصبح حينئذٍ تذكر أنها نعمة من الله يشكل ضمانة في تسيير كل هذه المسخرات في المجال الذي يريد الله سبحانه وتعالى، في عمارة الأرض بالصلاح.
أن تتذكر بأن هذه نعم من الله سبحانه وتعالى عليك، لا أن تراها وكأنها هي أشياء طبيعية ثابتة هنا، وكأنها هنا من زمان وهي على ما هي عليه، لا تتذكر بأنها من الله هو الذي منحها، كم سيفوتك من أشياء كثيرة مما يمكن أن

تعطيه هي من معرفة، وترسيخ معرفة لله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بحكمته وقدرته ورعايته ولطفه ورحمته، لا تستفيد منها هذه المعاني المهمة.

متى ما تذكرت أن كل ما أرى، كل ما أستمتع به في مختلف شؤون حياتي هو نعمة من الله سبحانه وتعالى، وأرى من خلال آياته الكريمة أنه يريد مني أن أقدرها، أن تكون ذات قيمة لدي، ألم ينهنا عن التبذير؟ ألم ينهنا عن الإسراف؟ هو تنبيه على أنه ينبغي أن يكون لهذه الأشياء قيمة لديكم، هي ذات قيمة، فإذا ما نظرت إليها كذات قيمة مصاحب هذا الشعور للشعور والتذكر بأنها نعمة من الله سبحانه وتعالى عليك، نعمة على الناس جميعاً، فإن هذا هو ما يساعد على أن تتأمل في ما تعطيه هي من معارف، في كونها من مظاهر قدرة الله، في كونها من مظاهر رحمة الله، في كونها من مظاهر رعاية الله فيترسخ ويزداد إيمانك كثيراً كثيراً بالله سبحانه وتعالى، وتعظم ثقتك به.

والموضوع من أساسه هو الحديث عن كيف نثق بالله، أليس هذا هو الموضوع؟ هو كيف نثق بالله سبحانه وتعالى؟ تدلنا هذه على أن من فعلها هو عظيم الرعاية لنا، عظيم الإحسان إلينا، حكيم في تدبيره، فما وجهنا إليه، وما أرشدنا إليه، لا يمكن أن يكون فيه مجازفة، ولا خطأ، ولا ورطة لنا، ولا تصرف أحمق، هو حكيم فيساعدك تذكر أن ما بين يديك من نعمة الله يساعدك على تكرير التأمل فيها لكونها ذات قيمة لديك، قيمة في واقع الحياة باعتبارها مما تمس الحاجة إليه في مختلف شؤون الحياة بالنسبة للناس جميعاً، مما لا تستقيم الحياة إلا بها فتزداد ثقتك بالله سبحانه تعالى وتعظم ثقتك به، ومتى ما عظمت ثقتك بالله انطلقت في كل ما وجهك إليه؛ لأنك واثق بأنه رحيم، أنه يرعى، أنه حكيم، أنه قدير، فكيف لا أثق به، فكيف لا أثق به؟.

هذا فيما يتعلق بالتذكير بنعم الله فيما بيننا وبين الله، لكن لماذا مُنع الإنسان من أن يستخدم نفس الأسلوب فيما يعطي مع الآخرين؟ لماذا منع؟ أليس المنّ هو من المعاصي؟ أن تمنّ بما تعطي يعني هذا أن تحبط كل ما كان يمكن أن تحصل عليه من الأجر مما أعطيت، إبطال له: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً} (البقرة: من الآية٢٦٤) أملس، كصخرة كان عليها قليل تراب جاء وابل المطر فتركها ملساء. هذا الإبطال ينهي العمل بالمرة.

ولما كان المال، أو النعم بصورة عامة، سواء كانت نعم معنوية، أو نعم مادية، لها أثر عاطفي في نفس الإنسان يشده إلى الطرف الذي منحه هذه النعمة، إلى من أسدى إليه هذا المعروف، يشده نحوه، كانت النعم فيما يتعلق بعلاقتنا بالله سبحانه وتعالى ذات تأثير كبير فيما إذا تذكرنا أنها نعمة، هي مربوطة بالتذكر{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (الضحى:١١) بالتذكر، أما إذا كنا ناسين للنعم هذه فلا تعطينا أي معنى من المعاني، أنها تشدنا عاطفياً نحو الله سبحانه وتعالى.

لكن إذا كان للمال أثره العاطفي، إذا كان للنعم أثرها العاطفي، والقاسم المشترك ـ ما بين تعامل الله مع الإنسان على هذا النحو وفيما يتعامل الناس مع بعضهم بعض ـ هو الجانب العاطفي، فهو بالنسبة لله مضمون، وبالنسبة لله سبحانه وتعالى إيجابي متكامل، متى انشديت إليه كلما كان انشدادك إليه في صالحك وتكريم لك وتعظيم لك، هو تكامل فيك، وسمو لروحيتك، وطهارة لنفسك، وتعطي ما تحدثنا عنه سابقاً.

لكن بالنسبة للإنسان ماذا سيحدث؟ بالطبع لو بقي المجال مفتوحاً فيما بين الناس أنه على كل واحد أن يتذكر ما أعطى إليه الآخر فيقابله بنفس الشعور، ويقف منه نفس الموقف الذي يقفه ويشعر به مع الله سبحانه وتعالى فيما أعطاه عليه من نعم، لو كان المجال مفتوحاً على هذا النحو لكان في المسألة خطورة بالغة: هو أن كثيراً من أصحاب الأموال، كثيراً من أهل الباطل أليسوا يسيرون الباطل بأعمال من هذا النوع.. إحسان، وبذل مال، وتسهيلات معينة، وبذل معروف؟ نعم ـ إن صح التعبير ـ أليس هذا هو ما يستخدمونه؟.

فمن اللازم للتأثير السلبي لهذه القضية فيما إذا كانت مفتوحة أن يبعد الجانب الفكري الثقافي الديني بالنسبة للإنسان عن أن يخضع للتأثيرات المادية، فيبعد الجانب الديني والثقافي، الفكري، التوجهات، المواقف، تبعد

عن الجانب المادي وعن تأثيرات ما قد تتركه المادة من عواطف ومشاعر في النفس تشد نحو من يسديها؛ لأن المادة ـ سواء كانت أموالاً نقدية، أو كيفما كانت ـ هي سلاح ذو حدين، لها أثر كبير في الجانب الإيجابي، ولها أثر كبير في الجانب السلبي، حتى المؤمنين نهوا عن هذا، إقفالاً للموضوع من أساسه، نهوا عن المنّ.

والمنّ الذي يعني التذكير بما أسديت للآخر [أنا عملت لك كذا وعملت لك كذا، وأنا كذا] تريد من وراء ذلك إخضاع مشاعره وعواطفه ومواقفه بالشكل الذي يستجيب لما أردت من وراء إعطائك ذلك المال، أو وقوفك معه ذلك الموقف الذي تعتبره نعمة منك عليه، هذا يتنافى مع كرامة الإنسان.

أن يشدني الله سبحانه إليه من خلال تذكيري بما أنعم علي من النعم العظيمة هو شدي إلى الكامل المطلق إلى الكمال، إلى من يعتبر ارتباطي به وقربي منه تكريماً لي. لكن لاحظ كيف يكون بالعكس فيما يتعلق بالناس فيما بينهم، كيف يشعر الإنسان بالضعة، يشعر بثقل، بوطأة معروف معين أسدي إليه على نفسه، وصاحبه يكرر [أنا عملت لك كذا، أنا سويت لك كذا...]إلى آخره.

ولذا تلاحظوا أنه حتى المؤمنين نهو عن المنّ، وجعل المنّ مما يبطل أثر الصدقة، وحَكَم القضية بالنسبة للمعطي ـ إذا كان يريد أن يكون لعطائه أثر ـ هو أن يبتغي به وجه الله {لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً} (الإنسان: من الآية٩) بحيث لا يشعر الطرف الآخر بأنه يراد مني من وراء ما أعطى استغلال عواطفي نحوه، فهذا أشبه شيء بمن يعطي رياء مثلما قال: {كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية٢٦٤) {لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً} {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} (الليل:١٩-٢٠).

أو أقل شيء إذا لم يكن الإنسان متذكراً لهذه الأشياء مثلما يحصل ربما للكثير الكثير من البشر فأن يكون من منطلق إنساني بحت، أو منطلق المكافئة المتبادلة فيما بين الناس، من باب {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (الرحمن:٦٠).

أن نرسخ في المجتمع ـ من خلال المنّ بما نعطي ـ نرسخ في المجتمع إخضاع العواطف للتأثيرات المادية هذه سيظهر لها سلبيتها الكبيرة حتى وإن كنا مؤمنين، نحن قد لا نستخدم العواطف التي قد يتركها ما نعطي في هذا الشخص، قد لا نستخدمها في جانب الباطل، لكن المنّ الذي يعني التذكير واستغلال العواطف وإشعار الآخر بأن عليه أن يسير كما أريد، ترسيخه يصبح مما يعرّض المجتمع لخطورة بالغة بالنسبة لأهل الباطل، فيأتوا ليدفعوا أموالاً أكثر منك، ويستخدموا نفس الأسلوب في التذكير بما أعطوا، ويعرضوا للآخرين منجزاتهم فيما أنجزوه في مجال كذا وكذا وكذا، فتصبح ذهنيتنا ـ وبحكم أننا قد روّضناها على أن تسير خلف من يسدي إليها معروفاً ـ فتصبح معرضة لأن تدفع بالإنسان إلى أن يقف المواقف الباطلة، ويؤيد الباطل، ويدخل في الباطل.

والحقيقة أنه لا يمكن أن تستخدم المادة، أو أن يضحى بالقيم، بالدين في مقابل المادة، بل العكس هو المطلوب من الإنسان {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١) في حالة المقارنة بين الماديات والقيم والمبادئ الدينية يضحى بالماديات حتى وإن كانت أغلى الماديات لديك التي هي روحك وجسمك بكله تضحي به من أجل الدين، ولا أن تبيع الدين في مقابل المادة، لا في مقابل ما تحصل عليه من مصلحة لنفسك أنت، ولا من باب مراعاة مصالح الآخرين، إذا كان هناك مثلاً شخصيات لها مصالح من جهة معينة وعمل معين يقولون: يا جماعة أنتم ستؤثرون على مصالحنا، نحن معنا كذا وكذا وليس لكم حق أن تأثروا على مصالحنا بما يؤدي إلى قطع معاشاتنا أو مساعدات معينة. قل له: نحن شخصياً أُلزمنا بأن نضحي بأموالنا من أجل دين الله، فكيف نراعي مصالحك أنت ونؤثرها على دين الله، وأنت ممن يلزمه أن يضحي بمصالحه من أجل دين الله؟!.

لهذا نلحظ كيف أنه لا يجوز إطلاقاً أن يتحدث بعضنا مع بعض من باب المن بما أعطى؛ لأنك تربي المجتمع على أن تُسخّر عواطفه للباطل، فيظهر هذا ويقول: صاحب المنجزات العظيمة، ونحن ونحن ونحن..إلخ، وأنا قد ربيتك من قبل، وأنا أتحدث معك: [يا أخي أنت تعلم أني قد أعطيتك كذا وكذا وأنت تعلم أننا فعلنا كذا. فتقول: والله صحيح ولا يهمك إبشر].

أليست هذه واحدة، ألست أنت تقوده بعواطفه؟ سيقوده الآخرون بهذه العواطف، فنهى حتى المؤمنين؛ لأن هذا سيرسخ في المجتمع تربية لأن ينقاد وراء العواطف التي تخلقها التأثيرات المادية، وهذا من أخطر ما يضرب الأمة، تصبح المقاييس مادية كلها، بدل أن تكون كما قال الإمام الخميني رحمة الله عليه: معايير إلهية، هو قال: (يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية) أي المقاييس التي من خلالها نتعامل مع الآخرين، أو نقف مع الآخرين إلهية وليست مادية.

أن أراك ممن يجوز لي أن أقف معك في موقفك فأؤيدك باعتبار موقفك، باعتبار موقفك حق أؤيدك، لكن أن آخذ منك مبلغ من المال فأؤيدك، أو تسدي إليّ معروفاً معيناً فأؤيدك وأنت على باطل، هذا مما يعني أنني جعلت المقياس في تعاملي مع الآخرين، في أن أقف معهم، أن أؤيدهم، أن أشاركهم في أعمالهم، هو ما يكون هناك من عائدات مادية.

وهذه خطورة بالغة؛ لأن الباطل يستخدم المال، المال هو وسيلة يستخدمه الحق ويستخدمه الباطل، فأنت ملزم بأن تنفق مالك في سبيل الله؛ لأن الحق لا بد من بذل المال في سبيله، وأهل الباطل يعلمون ويتأكدون بأن الباطل لا يسير إلا بواسطة المال. إذاً فالمال هو سلاح ذو حدين؛ فلهذا يجب على الإنسان أن ينظر إلى الأشياء معتمداً على مقاييس إلهية وليس من خلال الماديات.

فرعون الذي ذكر الله سبحانه وتعالى قصته في القرآن من أول من استخدم هذا الأسلوب: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} (الزخرف:٥١-٥٤)

المقاييس لديهم مادية، أساور من ذهب رأوها في يد فرعون، وموسى رجل لا يملك هذه، وهكذا أنهار هنا ولا يعرفون أنهار الحق هناك، وأنهار العزة والشرف، أنهار القيم المثلى. استخف فرعون قومه في مقابلة موسى، نبي من أنبياء الله يملك عشر آيات بينات رأوها هم وعايشوها هم، لتعرف كم هي الخطورة شديدة جداً إذا ما انطلق الناس لينظروا نحو الأشياء وفق مقاييس مادية.

إن نبي الله موسى كان يمتلك آيات بينات وعايشوها هم الفراعنة وأهل مصر، الدم والضفادع والقمل والجراد، هذا مما كانوا يعانون منها حتى طلبوا من موسى أن يدعو الله أن يرفعها عنهم وأنهم سيؤمنون به وسيطلقون معه بني إسرائيل، ليست المسألة أنهم لم يعرفوا شيئاً، لكن نسوا مسألة أن لا ينظروا إلى الأشياء فتكون لها قيمة من خلال الماديات. استطاع فرعون أن يخدعهم؛ لأنهم كانوا قوماً فاسقين، يهمهم مصالح أنفسهم، يهمهم مادياتهم ومشاريع وخدمات فليكن فرعون في مقابل موسى لا توجد مشكلة.

هذا كإتمام للموضوع الذي ذكرناه بالأمس. ويمكن أنه بقي نقطة واحدة هي: حول ما في التذكير للإنسان بنعمة الله عليه، في أن ينظر أن كل ما بين يديه هو نعمة من الله وأنها ذات قيمة، هي نفسها مما تساعد على التفكير فيها كما قال سابقاً: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الرعد: من الآية٣) بعدما قال تعالى: {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: من الآية١٤) {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثية:١٣)

فينطلق الناس وهم يرون أن كل ما بين أيديهم له قيمته المرتبطة بمسؤوليتهم كخلفاء لله في الأرض، ومتذكرين أنها نعمة من نعم الله. فهذا هو نفسه من إحدى الدوافع بالإنسان إلى أن يغوص في أعماق مفردات هذا العالم فيبدع، وينتج، ويصنّع، ويكتشف الأسرار التي أودعها الله في هذا العالم.

من هنا نعرف كم هو الفارق بين ما تعطيه هذه الآيات وبين من ينطلقون فيتحدثون مع الناس ويعظونهم بالزهد في الدنيا، وأن النظر إلى الدنيا يجب أن يكون نظر من يرفضها ولا قيمة لها وأنها غرّارة خداعة مكارة، واتركها، ويسمح لك فقط من أطرافها، ولا تأخذ إلا الكفاية منها فقط، أن هذا نفسه من إحدى العوامل التي ضربت المسلمين فجعلتهم بعيدين عن أن يستخدموا ما سخر الله لهم في السموات وفي الأرض، وأن يتفكروا فيها؛

لأنها أصبحت ليست ذات قيمة لديهم، ليست ذات قيمة، هي كلها لا تساوي جناح بعوضة! بينما التذكير يوحي: أن الله يذكّرنا أن ننظر إليها كذات قيمة، لها قيمة.

وعرف الآخرون كيف أن لها قيمة، الرجال عرفوا كيف أن لها قيمة، بل حتى الأشياء التي نكمم أنوفنا عندما نمر من عندها يعرفون أنها أيضاً لها قيمة، كيف هم يستخدمون المجاري بمحطات تصفية فيستخرجون منها الأسمدة، ويستخرجون أيضاً الماء من جديد نقياً فيعاد لسقي الأرض من الحدائق والبساتين والمزارع، وأسمدة تباع بملايين الدولارات.

ونحن نقول عنها كلها: غرّارة، خداعة مكارة من أولها إلى آخرها، حتى أصبحنا لا نملك شيئاً ولا نعرف شيئاً، ثم أصبحنا عبيداً لأولئك الذين تفكروا، قَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ، نحن قوم نجهل، وأولئك قوم تفكروا فأبدعوا.

نعرف في نفس الوقت من خلال ما عرفنا من أن المسألة ليست سوياً فيما يسديه الله سبحانه وتعالى من نعم إلى الإنسان، وفيما يحصل فيما بين الناس مع بعضهم البعض، وقد ظهر أن المسألة ليست سوياً.

بينما نجد أن أول خطوة خطاها [المعتزلة] في مجال معرفة الله: أنهم اعتمدوا على قاعدة باطلة من أساسها، هو أنهم نظروا أولاً فيما يحصل بيننا نحن الناس، أن هذا عندما يعطي هذا يجب عليه أن يشكره، إذاً فهناك نعم ننطلق منها لنشكر الذي أسداها.

ألم يسوغوا للمسألة؟ ما الذي حصل؟ نحن قلنا: القاسم المشترك هو الجانب العاطفي، لكن أن تنظر إلى المسألة كأنها سوياً فتأتي لتقيس ـ على ما قالوا ـ الغائب على الشاهد! الشاهد هو الإنسان وهذه الصورة الكاملة للتعامل فيما بيننا التي تعطي حكماً عقلياً ـ كما يقولون ـ بأنه يجب شكر المنعم، إذاً فننطلق منها لنقيس عليها تعاملنا مع من أسدى إلينا نعماً من جانب هذه النعم التي لم ندر بعد من أين هي، فنبحث عمن أسداها، فكانت هذه هي أول خطوة التي بنوا عليها وجوب النظر في معرفة من أسدى إلينا هذه النعم لنشكره.

ما الخلل في هذه؟ هو ترسيخ حالة التسوية، مع أن القرآن بيّن أن المسالة ليست سوياً، ليس هناك مجال للمقايسة إلا في ما يتعلق بالجانب العاطفي في أن سنن الله سبحانه وتعالى في الهداية استغلت الجانب العاطفي في المسألة في خلق الشد للإنسان نحو الله، ولاعتبارات متعددة هي هذه التي ذكرناها سابقاً فيما يتعلق بنظرته إلى ما بين يديه كنعم منه تعالى، فيأتي الشكر واحدة من الغايات، واحدة {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: من الآية١٤) ألم يأت الشكر واحدة منها؟.

فهم رسخوا هذه المسألة: أن ننطلق منا نحن الناس فنعتبر القضايا العقلية من خلال التعامل فيما بيننا مع بعضنا بعضاً هي الأساس الذي نقيس عليه تعاملنا مع الله، فحصل أخطاء كثيرة؛ لأننا نجد أن الفارق كبير، أنه ليس صحيحاً أنني أرى أن الله سبحانه وتعالى يذكّر من أعطاهم بنعمه؛ فأنطلق أنا لأذكّر الآخرين الذين أعطيتهم بنعمي، فأقول أتخلق بأخلاق الله، وأسير على منهج الله، وأعمل مثله. لا. أقفل هذا الموضوع تماماً، أقفل هذا الموضوع تماماً.

بينما قد يكون أساس المسألة هو أن الناس في تعاملهم الطبيعي خاصة من لم يربوا تربية إلهية في الابتعاد عن المنّ على بعضهم بعض، ألم يكن هذا هو السلوك الطبيعي لدى الناس؟ إذاً الانطلاقة نحو الله على أساس هذا السلوك الذي هو قائم بين الناس اتضح بأنه فقط لاستخدام الجانب العاطفي، وأن ما نحن عليه هو خطأ، هو خطأ.

يجب أن يلغى المنّ بما أعطيت تماماً، ويجب عليك فيما إذا أُعْطِيتَ من جانب أن لا يسيِّرك عطاؤه إياك فيسيِّر عواطفك كيفما يريد.

بل ورد في الأدعية أنه مطلوب أن الإنسان يدعو الله سبحانه وتعالى أن لا يجعل لكافر ولا لفاسق عليه نعمة، ففي دعاء الإمام زين العابدين: ((ولا تجعل لفاسق ولا لكافر علي نعمة ترزقه من قلبي بها مودة)) لماذا؟ لأن الإحسان يعمل عمله.

الحاكم أو الذي يلي أمراً من أمور الناس نُهي أيضاً عن أن يجيب حتى دعوة ضيافة؛ لأن الإحسان يؤثر فيؤدي إلى تسخير عواطفه مع من أسدى إليه إحسانا، نهي الناس عن هذا، وأذكر فيما روي أن الإمام علياً (عليه السلام) دعا

وهو عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن الله لا يحوجه إلى أحد من خلقه، فقال ـ في معنى الحديث ـ لا تقل هكذا فليس أحد من الناس إلا وهو محتاج إلى غيره أو إلى خلقه ولكن قل: ((اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك)) أن أحتاج إلى شرار خلق الله فيعطيني هو أو أقبل عطيته فيؤثر على عواطفي فيشكل ضغطاً عليّ في مواقفي الدينية. فحاول أن تبتعد عن أن يكون لفاجر تأثير على عواطفك.

هذا فيما يتعلق بنعمة الله سبحانه وتعالى. ويمكن أن نستكمل الموضوع إن شاء الله فيما بعد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٤ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ نعم الله

الدرس الرابع

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢١/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الموضوع هو امتداد للعنوان السابق: معرفة الله سبحانه وتعالى.

وكما أسلفنا في الدروس السابقة بأن من أهم المجالات، أو من أهم الوسائل لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو تذكر نعمه، نعمه الكثيرة، نعمة الهداية بكتابه الكريم وبالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين) وهي أعظم النعم، والنعم الأخرى، النعم المادية، وهي كثيرة جداً كما قال الله سبحانه وتعالى عن نعمه بصورة عامة: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} (النحل: من الآية١٨).

نحن ذكرنا سابقاً ما يتعلق بالنعم المادية، وهي أخذت مساحة واسعة في القرآن الكريم، وهي كثيرة جداً، هي كل ما يتقلب فيه الناس في حياتهم {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) ونعمة الهداية التي هي أعظم النعم، الهداية إلى الإيمان، هذا الدين العظيم دين الإسلام، يقول الله سبحانه وتعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً} (المائدة: من الآية٣) فهذا هو الفضل العظيم من الله، هو ذكر فيه بأنه قد أتم النعمة، نعمة تامة ليس فيها نقص، لا تحتاج إلى من يكملها {أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً} هذه النعمة ما أوجب شكر الله سبحانه وتعالى علينا في مقابلها!.

ويقول سبحانه وتعالى بالنسبة لنبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله): {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (آل عمران:١٦٤) أليست هذه نعمة كبيرة؟. {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} ولقد كانوا فعلاً قبل هذه النعمة العظيمة، نعمة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يقوم بهذه المهمة في إبلاغ دين الله فيتلو على الأمة آيات الله، ويزكي أنفسهم، ويعلمهم كتابه، ويعلمهم الحكمة، {وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (المائدة: من الآية١٦) كما قال في آيات أخرى.

ويقول سبحانه وتعالى عن نعمة القرآن الكريم: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (ابراهيم:١) أليست هذه نعمة كبيرة؟. {لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}. ويقول أيضاً في كتابه الكريم عن القرآن الكريم: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الزمر:٢٣) فسمى كتابه الكريم بأنه أحسن الحديث، متشابهاً في حكمته، في فوائده، في عظمة آياته، في تفصيل آياته، فيما تشتمل عليه من فوائد كثيرة، في عظمة معانيها، في تفصيلها، في إحكامها.

مثاني: تتكرر فيه المواعظ، يتكرر فيه الحديث عن المبادئ المهمة والقيم المهمة، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لشدة وقعه على أنفسهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. هذا هو بالتحديد ما يصنعه القرآن الكريم في من يفهمون القرآن الكريم، وفي من يعرفون عظمته وأهميته، ويعرفون أنه أعظم نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده؛ ولهذا قال بعد: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ} ويقولون بأن {ذَلِكَ} تستخدم أيضاً للتعظيم، كما أن اسم الإشارة للبعيد يشار بها أيضاً إلى الرفيع الدرجة، البعد المعنوي في درجات العظمة.

{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} من ضل بعد هذا الهدى، بعد هدى الله، هذا الهدى الذي هو القرآن الكريم، والنبي العظيم (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) فما له من هاد، لن يكون هناك من يهديه إطلاقاً.

هذا فيما يتعلق بنعمة الهداية، ولكن لما كانت نعمة قد يكون كثير من الناس لا يلمس قيمتها، لا يدرك قيمتها، وإلا فهي من أعظم النعم؛ لأن الله قال: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} (الحجرات:١٧).

هو الذي له المنة علينا أن هدانا للإيمان، والنعم الأخرى وهي تشمل جميع مجالات الحياة، ونعم أخرى تبرز في مواقف الناس المتعددة في ميادين العمل، من التأييد بالنصر، من الدفاع عن المؤمنين. إذا تأمل الإنسان القرآن الكريم وهو يعدد النعم الكثيرة على الناس ليست فقط هذه المادية التي نحن نتقلب فيها مما بين أيدينا من النعم المختلفة، بل هي نعمة أيضاً يجدها المؤمنون وهم في ميادين العمل، في ميادين نصر دين الله، والعمل لإعلاء كلمة الله.

الله سبحانه وتعالى أكد في كتابه الكريم لعباده أن عليهم أن يذكروا نعمه، أن يتذكروا نعمه، أن يشكروا نعمته في آيات كثيرة، والقرآن الكريم متى ما كرر شيئاً، متى ما أكد على شيء فإنه فعلاً ليس كلام لمجرد الكلام، أو لتستقيم السجعة كما يعمل الناس، أو ليستقيم وزن البيت الشعري كما يعمل الشعراء، وإنما يكرر الشيء لأهميته، وكل شيء هام باعتبار أنه تمس الحاجة إليه بالنسبة لنا، وفي مجال علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بحياتنا، فيما يتعلق بالتعامل مع بعضنا البعض، فيما يتعلق بأعمال المؤمنين في مجال نشر دين الله وإعلاء كلمته، وفي ميادين المواجهة مع أعداء الإسلام.

من العجيب أن تجد آية تحكي، عندما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٤) يقول لنبيه موسى وهو ذلك الرجل العظيم الذي قطع على نفسه عهداً {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص: من الآية١٧) من أجمل ما قاله الأنبياء جميعاً، هذه الكلمة التي قالها موسى (صلوات الله عليه)، من أجمل وأعمق الكلمات التي قالها الأنبياء فيما تدل عليه من مشاعر الإرتباط القوي بالله سبحانه وتعالى، وإدراك عظم النعمة التي أنعم الله بها عليه، وقد كان ذلك قبل النبوة. ما هي هذه النعمة؟. قد يكون أكثر ما نلمسه في هذا الجانب هو أنه توفق إلى أن يقف موقف حق، وأن يعلن كلمة حق، وأن يقارع الظالمين.

الآية هذه جاءت بعد قصة قتل القبطي الذي من قوم فرعون {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} لن أكون مساعداً، لن أكون معيناً للمجرمين طيلة حياتي، وفعلاً صدق، يقول الله له وهو من هو في إدراكه لنعم الله، وفي وقعها العظيم على نفسه يقول الله عندما أخبره بأنه قد اصطفاه برسالته وبكلامه وأنزل إليه التوراة {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}كن من الشاكرين لهذه النعمة، كما قال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} (النساء: من الآية١١٣) وقال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد بن عبد الله وهو سيد الأنبياء والمرسلين: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الزمر:٦٦) كن من الشاكرين، وهل تظنون بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتوفر له من الطعام والشراب كما يتوفر لأحدنا يأكل كل يوم خبز البر، ويأكل اللحم، ويأكل مختلف أنواع الأطعمة.

نعمة الهداية التي هي تتلخص في كلمة: إخراج من الظلمات إلى النور، بكل ما تعنيه الظلمة في الجانب الأخلاقي، في الجانب المادي، في الجانب المعنوي، وبما تعنيه كلمة النور، النور في النفس، النور في القلب، النور في الحياة، النور في القيم، لكننا نحن البسطاء قد يكون الكثير منا لا يدرك أهمية وعظمة هذه النعمة، نعمة الهداية، لا نكاد نعترف بأن النعمة الحقيقية إلا هذه النعم التي نلمسها: أموال، ماديات الحياة هي هذه، ولكن حتى هذه التي نحن نتقلب فيها طيلة أعمارنا، كل ما نتحرك فيه خلال الأربع والعشرين ساعة من النعم العظيمة هي من الله، ولكن حتى هذا على الرغم من أننا نلمسها وندرك حاجتنا الماسة إليها لا نكاد نتذكرها بأنها نعمة من الله، ولا نكاد نتذكر أنه يجب علينا أن نشكره عليها، وأن نستشعر عظم إحسانه إلينا بها، فنحبه ونتولاه، ونشكره ونعبِّد أنفسنا له، إن الإنسان لظلوم كفار.

لهذا تجد الحديث في القرآن الكريم عن النعم المادية واسع جداً، والحديث عن النعم المعنوية، نعمة الهداية، نعمة إنزال الكتاب، نعمة الرسول، تجدها قليلاً، لكنها تتوجه إلى أصحابها كما يقول لأنبيائه هنا: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٤) يقول لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقول لموسى؛ لأننا نحن البسطاء لا نزال نحتاج إلى نقلة، أن نستشعر أن ما بين أيدينا هو من الله، ونعترف بأنه نعمة، ثم يتوفر لنا ما يعطيه هذا التذكر من المعاني العظيمة، ولو بعض منها فيكون من حصل منا على هذا الشيء يعتبر أنه قد حصل على مكسب كبير، أنه قد تذكر نعم الله عليه أو جانباً منها وعرف بعضاً من الفوائد المعنوية التي تتركها في نفسه.

فمتى يصل الإنسان؟ متى يصل الإنسان؟؟ وبأي وسيلة يمكن أن يصل إلى أن يفهم القيمة العظيمة لنعمة الهداية؟.

فعلاً أنا لا ألوم الناس، عوام الناس المساكين؛ لأن الدين لم يقدم لنا ديناً متكاملاً على أيدي الكثير من المتحدثين باسمه، يعرفوننا جوانب معينة ويتركون الكثير مما نحن بحاجة إلى معرفته؛ لأن ثقافتهم تركزت على ما يتعلق بأحكام شرعية. إذاً فالعامي هذا قد نعرِّفه ما يتعلق بكيف يتوضأ، ويغتسل، ويصلي، ويزكي، ونوع من العبادات والمعاملات هذه، وهذا هو الدين!.

لم نعرف كم أعطى الدين من اهتمام كبير بنا في كل مجالات حياتنا، لم نعرف عظم هذا الدين باعتبار ما فيه، ما يتمثل فيه من رعاية إلهية عظيمة بنا، فنراه هنا لجانب من شؤون الحياة، والتي هي أكثر ما يشغلنا وتشغل أكثر مساحة من ذهنيتنا هناك في جانب آخر.

لهذا تجد الناس عندما تذكرهم بأن الإسلام نعمة عظيمة يجب علينا أن نشكرها، سيجامل، يقول: [الحمد لله فعلاً نعمة عظيمة، نعمة عظيمة، الإسلام نعمة عظيمة]، ولكن تعال تعاون في سبيل الإسلام، يقول: [والله ما معي إلا قليل فلوس محتاج كذا وأعمل كذا.. الخ]، هو لا يتعاون في شيء وإن كان لديه أموال كثيرة، الإسلام هذا هو بحاجتك أن تتحرك في سبيله فتدافع عنه وأن تعمل على إعلاء كلمته، لا يتفاعل كثيراً، لماذا؟ لأننا لم نعرف بعد عظمة الإسلام.

أولئك البدو الذين جاءوا إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأسلموا وظنوا بأنهم قد قدموا خدمة كبيرة لمحمد ولإله محمد أنهم أسلموا!. فقال الله عنهم: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} (الحجرات: من الآية١٧)، ظنوا أنهم قد قدموا [وحدة كبيرة لمحمد]، يعني نعمة عظيمة من جانبهم قدموها لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب عليه أن يشكرهم كلما يلقاهم، {قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ} (الحجرات: من الآية١٧) افهموا، {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} (الحجرات: من الآية١٧) فكم هي نعمته العظيمة عليكم بأنه هداكم للإيمان.

هذا فيما أعتقد هو عامل من عوامل قلة تفاعلنا مع الإسلام، مع القرآن الكريم، مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، حتى أصبحت القضية بلغت درجة أنه قد لا يكون إلا في النادر، في النادر من يغضب فينا لله إذا عُصي، من يحب في الله، من يبغض في الله، من يوالي في الله، من يعادي في الله، وهكذا لاحظ كلمة بعيدة: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١) من منا الذي سيبيع نفسه وماله؟، نحن نراها بعيدة هناك، من هو هذا المجنون الذي سيبيع نفسه وماله!.

لكن لا، من يعرف الله سبحانه وتعالى، من يعرف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، من يعرف القرآن الكريم، من يعرف هذا الدين، عظمة هذا الدين، سيرى بأنه قليل أن يقدم في سبيله أن يبذل نفسه وماله، ومن لا يعرف إلا مجرد عناوين، لا يقدم حتى ولا القليل من ماله، ولا الجهد البسيط من أعماله، لا يبذل شيئاً من هذا.

وستظل القضية هكذا في ما أتصور، ونمشي جيل بعد جيل، إذا لم نحاول أن نتعرف على هذه النعمة العظيمة التي نحن فيها، نعمة الهداية، أننا مؤمنون بالله، أننا مؤمنون برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أننا مؤمنون بكتابه الكريم، أننا مؤمنون بهذا الدين العظيم، دين الإسلام، يضاف إلى ذلك بالنسبة لنا نحن شيعة أهل

البيت أننا متمسكون، أو نؤمن بالتمسك بالثقلين: كتاب الله، وعترة نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأننا نؤمن أن عقائدنا التي نؤمن بها صحيحة، هذه نعمة أعتقد نعمة عظيمة علينا نحن الشيعة أكثر من غيرنا، من يعرف ما يتخبط فيه الآخرون من الضلال سيجد أنه في نعمة عظيمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، كلما يتذكر يشكر الله عليها باستمرار {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} فإذا ما وجدنا أنفسنا فعلاً، من هدانا الله للإيمان، ما نحن مؤمنون به هو حق، ما نحن نعتقده هو حق، إذاً فنعمة الله علينا أعظم، والمسؤولية التي ستتبعها علينا أكبر، والحق علينا أوجب.

كم تحدثنا في الجلسات السابقة، في دروس متعددة حول كثير من الإشكاليات التي لدى الآخرين، والتي تعتبر من الضلال الرهيب لديهم، والتي نحن بحمد الله بمعزل عنها، نحن بمعزل عنها بحمد الله.

إذا كان الله سبحانه وتعالى يذكّر عباده بأن عليهم أن يذكروا نعمه فنحن الزيدية، نحن شيعة أهل البيت من يجب علينا أن نتذكر أكثر فأكثر هذه النعم، ندع ذلك التذكر يترك آثاره المهمة العظيمة في نفوسنا، ننطلق ـ من واقع حبنا لله وإيماننا الواعي به، واستشعار وجوب الشكر له على نعمه ـ ننطلق بكل ما نستطيع في مجال الحصول على رضاه؛ لأن من أعظم ما تتركه النعم من آثار في النفوس هو أنها تدفعك إلى تولي الله سبحانه وتعالى وإلى حبه، كيف لا أحب من أراه يرعاني؟. من أرى كل ما بين يدي مما أملك، ومما لا أملك من نعمته العظيمة الواسعة، من أرى أن هذا الدين الحق الذي أنا عليه هو الذي هداني إليه؛ فأتولاه، وأحبه وأعظمه وأجله، وأسبحه، وأقدسه، وأخشاه، وهذه المعاني عظيمة الأثر في النفوس فيما تمثله من دوافع نحو العمل في ميادين العمل.

أليس الموضوع من بدايته هو حول أن نعرف كيف نتولى الله سبحانه وتعالى؟ كيف نتولاه؟ إذا عرفت وتذكرت عظيم نعمته عليك سترى بأنه هو وحده من يجدر بك أن تتولاه، وأن لا تتولى غيره، فكل أولياء تبحث عنهم دون الله سبحانه وتعالى من أولئك البعيدين عن هدايته وصراطه، الله قد ضرب لهم مثلاً {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} (العنكبوت: من الآية٤١) **كلهم وهميون، ما يدفعك نحو توليهم؟. أنك تبحث عن العزة، أو تبحث عن القوة، أو تبحث عن الرزق، أو تبحث عن أي شيء من المطامع؟ فاعلم بأنك كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتاً، تعمل في البيت وتمد الخيط من هنا إلى هنا وتعمل النسيج الذي هو أوهى الأنسجة، بيت لا يدفع عدواً، ولا يدفع برداً، ولا يدفع حراً، ولا يعمل شيئاً، أحياناً ترجع فقط تستغله في الأخير ليكون شبكة صيد.. {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ}، لكن الله عندما تتولاه تتولى القوي العزيز، تتولى من أنت تحظى برعايته، من هو على كل شيء قدير.**

لن تترسخ في أنفسنا معرفة الله سبحانه وتعالى، ولن نصل إلى درجة أن نكون من أوليائه حقاً إلا إذا كنا ممن يتذكر نعمه علينا، نعمة الهداية، والنعم الأخرى التي نملكها والتي لا نملكها مما نحن جميعاً نتقلب فيها؛ لهذا يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (فاطر:٣) **إلى أين تتجهون؟ وإلى أين ستنصرفون؟ تبحثون عن من؟. تبحثون عن أمريكا، تبحثون عن بريطانيا، تبحثون عن هذا الرئيس، عن هذا الملك، عن هذا الزعيم، عن هذا التاجر، هل هناك أحد يملك لكم رزقاً؟. يملك لكم ضراً؟. يملك لكم نفعاً؟. {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} إلى أين أنتم رائحين؟!. تنصرفون عن إلهكم الذي أنعم عليكم الذي يرزقكم من السماء والأرض والذي هو وحده الإله {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}.**

كل هذه المعاني الهامة التي تخلق في نفسك متى ما وعيتها دافعاً قوياً نحو تولي الله سبحانه وتعالى هي تبدأ بتذكر نعمه {اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} متى ما ذكرت نعمته عليك عرفت بأنه هو وحده الخالق، هو من يرزق من السماء والأرض، هو الذي لا إله إلا هو، إذاً فلن أنصرف إلى هذا ولا إلى هذا، سأتولاه هو.

يقول أيضاً سبحانه وتعالى: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} (الزخرف:١٢) السفن والأنعام من الإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} (الزخرف:١٣-١٤).
لأهمية تذكر النعم يريد منك أن تتذكر نعمته عليك حتى عندما تستوي على ظهر حمارك لتركبه، وافهم أنك أنت الحيوان الوحيد الذي يسخر حيواناً آخر ليركبه فينقله إلى مسافات بعيدة. هل هناك حيوانات أخرى يسخر لها حيوانات أخرى تركبها؟. كل واحد يمشي على رجليه، لكن الإنسان هو وحده يسخر الله له مخلوقات هي أقوى منه، بل هي أزكى وأعظم من كثير من أفراده الذين قال عنهم: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الفرقان: من الآية٤٤). حيوان يقوده الطفل، يركب عليه طفلك وهو فيما لو توحش لأزعج سوقاً بأكمله، الجمال، الخيل، البغال، الحمير، البقر، كم سخر للإنسان من حيوانات أخرى!.
تعال إلى حيوان آخر ليس مسخراً لك تحاول تركبه، امسك [النمر] أليس أصغر من الحمار؟ حاول تركب النمر هو يحاول يأكلك ما هو حول يتركك تركبه، لكن الجمل، الثور، أليست هذه الحيوانات هي أكبر منا وأثقل وزناً وأقوى في أبدانها؟. أليست أقوى منا بكثير؟. من الذي سخرها؟ هو الله تكريماً لك، رحمة بك، رعاية لك، لكي تحمل أثقالك عليها، ولكي تحمل نفسك عليها فتنتقل من هنا، إلى هناك، إلى هناك لمسافات بعيدة فتذكّر نعمة الله عليك.
ثم عندما يقول: {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} يقصد أن تركب بارتياح، جلسة مريحة، لا يخلق لنا حيوانات يكون التنقل عليها متعباً {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ـ تذكروا نعمة ربكم ـ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} عندما تتذكر بأن الله هيأ ظهور الخيل، وظهور الإبل، وظهور الحمير، بالشكل الذي يتلاءم معك لتستوي وأنت راكب عليه، في وضعية طبيعية، لو أنه سخر حيواناً آخر لا يمكن أن ينقلك من منطقة إلى منطقة إلا وأنت متعلق في رقب الجمل، وضعية متعبة هذه. {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ}، ويحس بك أنك فوق ظهره فلا ينزعج، بل ربما قد تكون بعض الحيوانات تألف صاحبها حتى ترتاح عندما تحس بأنه فوق ظهرها، فتنطلق وتشعر بالطمأنينة، وهو مستقر فوق ظهرها. إذاً فاذكروا نعمة ربكم حتى عندما تستووا على ظهورها، وقولوا: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} (الزخرف: من الآية١٣) ما كان باستطاعتنا أن نسخره لأنفسنا، وأن نتغلب على وحشيته فنقهره ونطوعه لحاجتنا.
ويقول الله سبحانه وتعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٣١) {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران: من الآية١٠٣) {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) هذه هي من النعم، إنزال الكتاب بما فيه من حكمة، بما فيه من مواعظ، هي نعمة عظيمة.
كذلك يقول: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً} هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى آمراً لعباده: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} (آل عمران:١٠٣) كنتم قد أشرفتم على السقوط في جهنم فأنقذكم منها، بهدايته، بالرسول العظيم الذي بعثه إليكم، بالكتاب الكريم الذي أنزله إليكم، برعايته، بلطفه، برحمته، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.. فاذكروا نعمته لتهتدوا في الأخير إلى ما يريد الله سبحانه وتعالى أن تهتدوا إليه.
في هذه الآية.. لاحظوا كيف يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتذكر كيف كانت وضعيتنا السابقة، هكذا يقول لأولئك الذين نزلت الآية تحكي واقعاً كانوا عليه، ثم تحول بإذن الله وبأمره وبنعمته إلى واقع آخر، يوم كانوا أعداء يخرجون بين الحين والآخر ليقتتلوا خارج المدينة، عداوة كانت بين الأوس والخزرج شديدة، عندما

هاجر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم، وعندما استقر وضعه هناك بين أظهرهم وهيأهم ليكونوا هم أنصار دينه ليكونوا هم جند الله.. جاءت الألطاف الإلهية جاء التدخل الإلهي فألف بين تلك القلوب التي كانت ممتلئة بالعداء بالعداوة والبغضاء لبعضها بعض، كما حكى في آية أخرى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}(الأنفال: من الآية٦٣) **هذه فيها عبرة عظيمة لنا، وعبرة عظيمة لكل من ينطلق في إرشاد الناس ويتوجه نحو الأخلاقيات: [يجب علينا أن نحب بعضنا بعض، وأن نتآخى، وأن نكظم الغيظ، وأن نعفو، وأن.. وأن..] إلى آخره.**

افهم، ولنفهم جميعاً أن كل شيء سيكون مجرد كلام إذا لم نحقق المفتاح، إذا لم نحمل الهم الكبير في أن نكون من أنصار دين الله سبحانه وتعالى، فهو هو الذي سيوفقنا، ويؤلف بين قلوبنا، ويملأها حباً لبعضها بعض.

كم أرشدنا، كم وعظنا نحن وغيرنا وتكلمنا كثيرا عن المحبة، وكم قرأ الناس الحديث عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) كم دعي الناس إلى حسن التعامل فيما بينهم، وإلى الإنصاف من أنفسهم، وإلى المبادرة إلى حل مشاكلهم سريعاً قبل أن تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم، ولكن لما كان الناس غير مستشعرين للمسؤولية العظيمة عليهم فيما يتعلق بدينهم أن يكونوا أنصارًا له، أن يحملوا روحية القرآن بين جنوبهم ـ تقريباً ـ لم يوفقوا، لم نوفق، متى خرج الناس من المسجد وقلوبهم ممتلئة حباً لبعضهم بعض بعد خطبة يسمعها مني أو من هذا أو من ذاك.

البعض يقول: لماذا لا تركزون على جانب الأخلاق، وتأمرون الناس بأن يكونوا فيما بينهم متآلفين، متحابين وينصفون بعضهم من بعض، ويحلون مشاكلهم سريعاً قبل أن تتحول إلى مشاكل تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم.

من وجهة نظرنا ـ فيما نعتقد ـ لن يتحقق لنا هذا ما لم نحمل هماً كبيراً هو: أن نجند أنفسنا لله، وأن نستشعر المسؤولية الكبيرة أمام الله بأن نكون من المجاهدين في سبيله، وممن يعمل على إعلاء كلمته، متى ما حصل هذا وأصبح هماً لدينا، وأصبح كل شخص يستشعر المسؤولية في هذا فهو ـ وبتوفيق الله وألطافه ـ سينطلق بحرص على أن تكون علاقته مع أخيه، مع صاحبه، مع جاره علاقة حسنة، يعزز كل العوامل التي تخلق المحبة في أنفسهم لبعضهم بعض، يحرص على أن لا تنطلق من فمه كلمة تجرح مشاعر أخيه، ومتى ما بدرت منه زلة أسرع إلى الإعتذار، ومتى ما أحد أخطأ عليه كظم غيظه، أو عفى عنه، ومتى ما اعتذر أخوه قبل عذره، يتعامل الناس مع بعضهم بعض بأخلاق حسنة، وبنصح، وبمودة، وبإخلاص.

الله سيتدخل كما صنع لأولئك الذين كانوا يخرجون يتقاتلون خارج المدينة، فألف بين قلوبهم، عندما استجابوا للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) استجابة أولية، أنهم مستعدون أن ينطلقوا تحت رايته، فيقول أحد كبارهم: امض يا رسول الله، والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه، ولن نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}(المائدة: من الآية٢٤) **بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. ألف الله بين قلوبهم، وأنقذهم.**

نحن نلمس أنما يذكّر الناس به من الأخلاق الكريمة في خطب الجمعة وغيرها من المواعظ كلها مجرد تذكير لا يقدم ولا يؤخر ولا يخلق في أنفسنا شيئا.

يجب أن نذكّر بهذه الأخلاق الكريمة، أنها مهمة، وهي في حد ذاتها تعتبر طاعة من طاعات الله العظيمة. ولكن يجب أن نفهم أيضاً أن من أبرز غاياتها هي أنها تخدم عملية وحدة المؤمنين فيما بينهم، تلك القضية التي لا بد منها في تحقيق المسؤولية الكبيرة عليهم لدين الله سبحانه وتعالى، أن يكونوا من يعمل على نصر دينه، من يعمل على إعلاء كلمته، من يدافع عن دينه، نفهمها على هذا النحو، أما أن نتوقع أنها ستتحقق لنا، فنحن قد جربنا أنفسنا، وأعتقد كل الناس قد جربوا أنفسهم، من هو الذي لم يسمع كلاماً كثيراً من هذا النوع في خطب الجمعة وغيرها، عن الأخوة والمحبة والألفة والتعامل الحسن وكظم الغيظ.. و.. إلى آخره، نتحدث عنها كطاعات مفردات من الطاعات، لا نتحدث عن غايتها المهمة التي تكشف عن أهمية ذلك المبدأ الذي كل هذه التشريعات تتجه نحو تهيئة الأمة لتكون بمستوى أن تنهض به.

فما لم نحمل هذا الهم ـ فيما أعتقد وفيما أرى ـ لن يتحقق لنا شيء في واقع أنفسنا، ومتى ما حملنا هذا الهم الكبير، ومتى ما شعرنا بالمسؤولية الكبيرة، فإن من المتوقع فعلاً أن يتدخل الله، فهو هو الذي يقدر على أن يؤلف بين قلوبنا، على أن يملأ قلوبنا حباً لبعضنا البعض، على أن يؤتينا الحكمة في تصرفنا مع بعضنا بعض، هكذا قال عن أولئك: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً}.

نحن لسنا أعداء فيما بيننا أليس كذلك؟ لكن نفوس متباينة، وكل واحد يشعر بأنه لا رابط له بالآخر إلا مجرد الإلتقاء اليومي في السوق، أوفي المسجد، لا غير، لقد تدخل الله سبحانه تعالى فمنَّ على أولئك بنعمة كبيرة الذين كانوا أعداء {أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} هل تعرفوا ماذا تعني كلمة الألفة؟. ألفت، أصبحت متآلفة، وليس فقط انتزع منها العداء فأصبحت طبيعية كما نحن عليه، أصبحت قلوباً متآلفة، ومتى ما تآلفت القلوب عظمت الثقة فيما بين الناس لبعضهم بعض، أصبحوا كياناً واحداً، أصبحوا كتلة واحدة، أصبح كل شخص منهم ينصح للآخر، ويخلص له، ويخدم ضميره، ويتألم له، يشترك هو معه في موقف من المواقف فلا يتخلى عنه، يحبه يوده، قلبه يألف قلبه، أصبحت القلوب متآلفة، أي لا يألف قلبي أن يظل منفرداً لوحده، يريد أن يبقى مع تلك القلوب التي ألفها.

القلوب تتآلف فتحب أن تجتمع متى ما ألف الله بينها، كما تحب أن تجتمع بصديق لك يوميا، تجلس معه، تجلس [تخزن] معه يومياً، فإذا ما غاب تصبح جلسة القات [تخزينة] ما أعجبتك {فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} من خلال ما هداكم إليه، فجعل له فاعلية في أنفسكم، وبتدخله وإمداده الإلهي الغيبي.

هذه القضية إذا لم نهتم بها فلو ـ فيما أعتقد ـ نجلس في هذا المجلس يومياً يومياً سنين طويلة سننسى كل شيء.. ننسى في هذا اليوم ما سمعناه مثل اليوم وهكذا، ونبقى نحن أولئك الأشخاص الذين ننظر إلى بعضنا بعض نظرات عادية.

لا نحن متوحدون ولا متفرقون، ولا مختلفون ولا متفقون، كل واحد لوحده، تجمعنا الشمس عندما تطلع فنتحرك ونتلاقى في الطريق، السلام عليكم، وعليكم السلام، وفي السوق نشتري حاجات بعضنا بعض، وكل واحد يرح بيته، نخرج نصلي في المسجد جميعاً، أو نصلي فرادى، وكل واحد يرجع بيته، لا نلمس بأن هناك شيئاً يجمع بيننا، ويهمنا جميعاً، لاهتمامنا المشترك به أصبحت قلوبنا متآلفة في ظله فيرتاح الواحد منا عندما يلقى أخاه في المسجد، أو في السوق، أو في الطريق فيصبح حتى للحياة مذاق آخر.

أعتقد أن بعض الناس في القرى يعيشون في واقع حياتهم غرباء، عندما يكونون غير متآلفين فيما بينهم، بل يعيشون أسر يحتاجون إلى [اتفاقيات مكتوبة] لكف الأذى عن بعضهم بعض.

وفي كل أسبوع، أو في كل يوم تقريباً تظهر مشكلة من هنا ومشكلة من هنا، وكل واحد يرى بأنه فقط قدره أن يكون في هذا البيت داخل هذه القرية.

تصبح الحياة تعيسة.. ترى الآخرين في المسجد لا يمثلون لديك شيئاً، إذا لم تستاء من رؤيتهم ومن لقائهم فقد لا يمثلون لديك أي شيء، منظر طبيعي، لكن متى ما تآلفت النفوس تعيش في حياة سعيدة ترى أصدقاء، ترى إخواناً، تدخل المسجد فترتاح برؤية إخوانك، تخرج إلى ساحات القرية فترتاح برؤية إخوانك، تمشي معهم في السيارة فترتاح بالمشي معهم، في السوق تلقاهم فترتاح بلقياهم، تعيش حالة من الحياة لها طعم لها مذاق.

نحن بعد لم نعرف، لكن من خلال ما تتصوره قياساً على أمثلة في واقع حياتنا عندما يكون لك صديق معين تحبه ألست ترتاح عندما تراه؟ وقد لا تكون صداقتكم مع بعضكم بعض تبلغ درجة الأخوة الإيمانية، لكنك ترتاح عندما تلقاه.

هذا أثره فيما يتعلق بالحياة جميل، فيما يتعلق بالنفوس، يجعل الحياة سعيدة بين الناس، وهم في قراهم، في مساجدهم، في تجمعاتهم، في أسواقهم، في طرقاتهم، وضعية تغيب فيها المشاكل، وضعية تختفي فيها الكثير من الإشكاليات التي سببها ومنشؤها التباين فيما بين النفوس، والوحشة فيما بين القلوب.

فكلمة من هذا تغرق هذا، سوء ظن، أو فهم خاطئ لعبارة منه تشكل مشكلة في القرية أو مشكلة بين أسرتين.
لذا يجب علينا ـ أيها الإخوة ـ أن نعرف من أين نأتي لأنفسنا، من أين نأتي لقلوبنا حتى تتآلف وتتوحد، أما إذا كنا لا يهمنا هذا ونجتمع لمجرد الإجتماعات، وحديث لمجرد الحديث، وكلام لمجرد الكلام فقد نقضي فترات طويلة لا نستفيد شيئاً.
ويقول سبحانه وتعالى وهو يعدد نعمه: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} وهو يأمر عباده ويرشد عباده إلى تذكر نعمه عليهم {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (المائدة:٧).
ويقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} (المائدة: من الآية١١) أليس هذا تدخلاً إلهياً؟ {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ}فيضربونكم {فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} فهذه نعمة، نعمة أنتم ربما لا تشعرون بها، قد تعتبرون القضية أنه فقط مجرد قرار آخر، كانوا قرروا أن يعملوا بنا كذا لكن ترجح لهم أن يتخذوا قراراً آخر، أو ظهر لهم أن القضية لا تستلزم أن يتخذوا منا ذلك القرار السابق فغيروا رأيهم، يأتي تدخلات إلهية، فهنا يذكر عباده {اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} تلك النعمة التي هي أنه {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (المائدة: من الآية١١) هذا مجال جديد من مجالات النعم أليس كذلك؟ مجال الدفع عن المؤمنين، وكف أيدي أعدائهم عنهم، أليست هذه نعمة غير النعم الأخرى النعم المادية هذه التي نراها؟
ويقول أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} (الأحزاب:٩) أليست هذه نعمة أيضاً من هذا القبيل، نعمة الدفع عن المؤمنين؟.
ماذا يراد من خلال هذه؟ أن تعرف أنك متى ما توليته توليت من هو على كل شيء قدير، توليت من لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل عنك، توليت من سيرعاك ويدفع عنك {إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ} وهذا كان يوم الأحزاب عندما تجمع المشركون فبلغ عددهم ما يقارب عشرة آلاف شخص فحاصروا المدينة وحصل ما حصل من الرعب في نفوسهم الذي حكاه الله في كتابه الكريم: {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً} (الأحزاب:١١).
في ذلك اليوم الذي برز فيه عمرو بن عبد ود، وتحدى المسلمين وهم نحو ثلاثة آلاف، وبينهم وبين المشركين الخندق الذي كان قد عمله النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) مع المسلمين فبقي في داخل الخندق هو ونحو ثلاث آلاف من المسلمين وهم في حالة من الرعب شديدة، برز عمرو وهو يتحدى، فبرز له الإمام علي (عليه السلام)، وهو ما يزال شاباً، قد لا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين سنة فبرز إليه وقتله، فهناك تحطمت معنويات الكافرين.
وظلوا على حصارهم للمدينة، فأرسل الله عليهم فيما بعد الريح وكما قال هنا في هذه الآية: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا} كانت تأتي الريح فتطفئ النار، وأدوات الطبخ لا تستقر تنكفئ الأواني بما فيها إلى الأرض، في الأخير قرروا العودة عندما رأوا هذه الوضعية المزعجة {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}.
ويذكر الله في كتابه الكريم أنه هكذا مع كل الأمم، يأمرهم بأن يتذكروا النعم التي أنعم بها عليهم، فيقول في القرآن الكريم الذي هو أنزل إلى هذه الأمة يحكي أنه كان يخاطب بني إسرائيل في الماضي وخاطبهم أيضاً في هذا القرآن، خاطب من يسمع منهم في أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وفيما بعد: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة:٤٠) {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:٤٧) لاحظوا.. لما لم يتذكر بنو إسرائيل النعمة التي أنعم الله بها عليهم، هكذا بلغ بهم الحال إلى أن يستبدل الله بهم غيرهم، وإلى أن يلعن الكثير منهم، وإلى أن يصبح أكثرهم فاسقين.

وهكذا أيضاً أنبياؤه يذكرون أممهم أن يذكروا نعمة الله عليهم فيقول عن نبيه موسى وهو يتحدث مع قومه فيذكرهم نعمة الله عليهم: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ} (المائدة:٢٠). **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}** (إبراهيم:٦) **يذكرهم بعدما قد نجاهم الله مما كان يعمل بهم آل فرعون من التعذيب والتنكيل، وبعد أن أصبحوا أمة مستقلة لها قائدها تتحرك هي في ظل راية الرسالة التي بعث الله بها موسى، لكنه كان يقول لهم: إنما أنتم فيه لا تستشعرون أنها وضعية تحافظون عليها وتحرصون عليها إلا إذا ما تذكرتم ما كنتم فيه أيام كنتم في مصر تحت عبودية آل فرعون، فرعون وجنوده وقومه أولئك الذين كانوا يقتلون أبناءكم، يستحيون النساء ويذبحون البنين ويسومونكم سوء العذاب فيستعبدونكم في المهن المسترذلة وفي الأعمال الشاقة.**

وهذه الآية هي مهمة جداً، الناس عادة متى ما كانوا في وضع سيء ثم تبدل بهم الحال فأصبحوا في وضعية أخرى، كانوا أذلاء فأصبحوا أقوياء، كانوا مستذلين فأصبحوا أعزاء، أصبح لهم قوة، أصبحوا متمكنين.. قد ينسون ويظنون بأنه هكذا انتهت تلك الوضعية السابقة فلم يبق إلا هذه الوضعية الجيدة وهكذا ستبقى، يتصور الناس بأن تلك الوضعية ستبقى هكذا على ما هي عليه إلى الأبد.. ألم يكن الناس أيام كان سوق [الخوبة] مفتوح زمان، وكانت البضائع رخيصة، وكان الناس يتحركون، كنت تلمس من الناس أنهم يرون أن هذه الوضعية ستبقى مستمرة هكذا.

الإمام الخميني كان يقول للإيرانيين بعد الثورة الإسلامية: إن الحفاظ على الثورة أهم من الثورة نفسها، أنتم قد ثرتم ونجحتم وحققتم انتصاراً عظيماً لكن هنا بدأ العمل الحقيقي وهو: الحفاظ على الثورة.. هكذا كان يقول لهم.

كما هنا قال موسى لقومه: حافظوا على هذه الوضعية التي أنتم فيها، لا تتنكروا لله، لا تبدلوا نعمة الله، تذكروا دائماً ما كنتم فيه سابقاً، ثم اذكروا نعمة الله عليكم إذ نجاكم منه، وفعلاً هذه لهذا أثرها العظيم فيما يتعلق بالحفاظ على منجزات الأمة، إذا الأمة تقارن بين ماضيها وما بلغت فيه وترى الفارق الكبير بين ذلك الوضع السابق السيئ وهذا الوضع الجيد الحسن فستحرص فعلاً على أن ترعى، على أن تحمي، على أن تدفع عن كل ما حقق لهم ذلك المكسب العظيم. اذكروا نعمة الله عليكم أن نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم..إلى آخره، ثم انظروا كيف أصبحتم الآن، إذا لم تتذكروا تلك الأعمال السيئة السابقة فإنكم لن ترعوا هذه النعمة وهذه الوضعية الحسنة التي أصبحتم فيها.

الله سبحانه وتعالى يعلمنا أيضاً أن أولياءه يدعونه أن يوفقهم لشكر نعمه فيقول عن نبيه سليمان: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل:١٧-١٩).

لاحظوا نبي من أنبياء الله آتاه الله من الملك مالا ينبغي لأحد من بعده، حكم الجن والإنس والطير، وسخرت له الريح وسخر معه الجبال، وألان الله له القطر، {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} (سبأ: من الآية١٠)، **هذا الذي كان دائم التذكر لنعمة الله فكان يقول: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}** (النمل: من الآية٤٠) **فعندما سمع كلام النملة، وعندما رأى ذلك الحشد الهائل من الجن والإنس والطير تبسم ضاحكاً، ولكن هل كانت ضحكته كضحكة قارون أو ضحكة الكثير من الأغنياء الذين يطغيهم المال، أو ابتسامة أولئك الزعماء الذين يرون أنفسهم جبارين فوق عباد الله؟ هذا نبي عظيم ينظر إلى ما بين يديه أنه نعمة من الله فيدعو الله أن يدفعه دائماً إلى أن يتذكر نعمه؛ لأن يشكرها {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}.**

فنملة تذكره؛ ولأن يسمع كلام نملة فيعرفها ويعرف لغة هذه المخلوقات الكثيرة يرى وقع هذه النعمة، وعظم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، فيطلب من الله أن يدفعه لأن يظل دائماً يتذكر هذه النعم، لأن يشكرها،

وليس فقط النعمة التي أنعم بها عليه بل أيضاً تلك النعم التي أنعم بها على والديه، أنا سأشكرك على هذه النعمة التي أنعمت بها علي، وأيضاً على تلك النعمة التي أنعمت بها على والدي، فيدعو الله وهو المطلب المهم بالنسبة لعباد الله وأوليائه، فلا يرى ذلك الملك كله هو ما يحقق ما يريد له، إنه يريد من الله أن يدخله في عباده الصالحين، ذلك هو المقام الرفيع وذلك هو الملك العظيم.. {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

من هو من الناس، الناس الذين أكثرهم متى ما امتلك شيئاً بسيطاً من الدنيا أخلد إلى الدنيا، ونسي أن عليه أن يبحث، أن عليه أن يسعى، أن عليه أن يدعو الله باستمرار أن يدخله في عباده الصالحين، أن يكون من ضمن الصالحين، من ضمن أولياء الله.

أولئك الذين يطغيهم المال فينسوا أنهم في حاجة ماسة إلى مقام أرفع مما يرونه رفيعاً في حياتهم، هو أن يكونوا من عباد الله الصالحين في حياتهم، هو أن يكونوا من عباد الله الصالحين.

لا يصح أن ننطلق نحذر الناس من الدنيا؛ لأنها خداعة مكارة! هي نعمة عظيمة، إذاً تعال حذر من الألسن وقل اقطعوا الألسن أيها الناس، فإن الألسن تكذب، وتشهد الزور، وتحلف الأيمان الفاجرة، وتؤيد الباطل، وتنطق بالباطل، وتعيب هذا، وتسخر من أولياء الله، وهكذا... الألسن، الألسن اقطعوها، هل هذا منطق؟. لا.

هكذا حديث أولئك عن الدنيا نفس الحديث، إذا كنت تريد أن تعزل الناس عن الدنيا وأن يتركوها ويبقوا صعاليك فلا يستطيعون أن يعملوا شيئاً لدينهم، ولا يستطيعون أن يعملوا شيئاً يعزون به أنفسهم ويستغنون به عن أعدائهم؛ لكون الدنيا هي مكارة وخداعة، إذاً قل للناس أن يقطعوا ألسنتهم؛ فألسنتهم تكذب. الله الذي خلق المال هو الذي خلق الألسن، الذي خلق المال هو الذي خلق الأعين والألسن، إذاً أخرجوا أعينكم فإنها تنظر إلى المحرمات، اقطعوا ألسنتكم فإنها تكذب وتشهد الزور وتحلف الأيمان الفاجرة وهكذا.. الأنفس!!.

ولهذا جاء القرآن بهدايته الواسعة متجهاً نحو النفوس ولم يصب جامَّ غضبه على الدنيا، بل هو من يذكرنا بهذه النعم العظيمة في الدنيا، لم يأت ليقول للناس كما يقول كثير من أولئك الذين يرشدون الناس من أطرف كتاب يرونه، بل قال الله للناس: لا تغرنكم الحياة الدنيا فقط، لا تلهيكم، لا تنخدعوا بها، لا تؤثروها على الآخرة.. هذه عناوين حديث القرآن عن الدنيا.

لكن انطلقوا فيها ابتغوا من فضل الله فيها، تحركوا فيها، ولكن اهتدوا فيها وأنتم تتحركون فيها بهديي، زكوا أنفسكم بهديي، حينئذ فليملك أحدكم كما يملك سليمان لا تغره الدنيا ولا تخدعه الدنيا، سليمان الذي قال {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} وإشارة هذا إلى الملك العظيم الذي أوتيه {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.. هكذا يأمر الله سبحانه وتعالى أولياءه، أو يذكر أن أولياءه هم دائماً يدعون الله أن يرزقهم تذكر وشكر نعمه، وهم أولئك الذين إذا ما ملكوا نعمه الكثيرة كيفما بلغت لا تملكهم، لا تخدعهم، لا تغرهم، لا يؤثرونها على الآخرة، لا تلهيهم عن ذكر الله.. فهل تتذكر وأنت تملك شيئاً من الدنيا قد يكون ما تملك يساوي [قدراً] أو اثنين من قدور سليمان التي كان يعملها الشياطين له {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ}(سبأ: من الآية١٣) **أليس هكذا في الآية؟.**

وتريد أن تطغى، تريد أن تتكبر، تنسى أن تطلب من الله أن يدخلك في عباده الصالحين.. تعال، انظر إلى سليمان الذي ملك الدنيا، ملك الجبال، ملك الطير، ملك الجن، ملك الإنس، ملك البر والبحر، ملك الرياح، تعال إلى كلماته الرقيقة: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}.

بعض الناس ينسى أن يدعو لوالديه فيما إذا تركوا له مالاً [الله لا يرحمه إنه أعطى فلانة جربة فلان، كان عادها قال مهر، قال يريد يتخلص..].

سليمان يقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ} هذا الملك كله أنا أريد أن أسخره في الأعمال الصالحة، تلك الأعمال التي ترضيك.. {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} أليست هذه كلمات رقيقة؟ ما أبعد الناس، أولئك الذين لا يملكون مثل قدور سليمان عن هذا المنطق، أصبح الناس كما قال الله: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} (العلق:٦-٧).

إذاً فالمعالجة أن نأتي نحن لنعالج الإشكالية في النفوس، وهو توجه القرآن الكريم، هو توجه إلى النفوس، لنعلم الناس كيف يزكون أنفسهم. لا أن نأت لنصب جامّ غضبنا على الدنيا نفسها التي هي نعمة عظيمة من نعم الله، والتي للإنسان دور مهم فيها، في تحقيق عبادته لله سبحانه وتعالى، وشهادته بكمال إلهه، تتجه إلى النفوس ونذكر الناس كيف يتعاملون مع الدنيا، كيف يملكون الدنيا ولا تملكهم، كيف يكون همهم أن يعملوا أعمالاً صالحة من خلال ما يملكون، وعلى الرغم مما يملكون، وأن ينشدوا ذلك المقام الرفيع وهو أن يكونوا ضمن عباد الله الصالحين في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أيضاً يقول الله سبحانه وتعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (الأحقاف: من الآية١٥). **ويصف أولياءه سبحانه وتعالى بأنهم يشكرون نعمته فيقول عن نبي الله إبراهيم** (صلوات الله عليه): **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** (النحل:١٢١) **وموسى** (صلوات الله عليه) **يتمثل شكره لتلك النعمة في قطع عهد على نفسه فيقول: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}** (القصص: من الآية١٧).

من منا يقول هذا؟ من منا عندما يرى أمواله التي تدر عليه مبالغ كبيرة، من منا يقول هذا عندما يرى نفسه أنه أصبح في موقف حق وفي عمل حق؟. وأنه وفق لأن يكون ممن ينطقون بالحق، ويعملون بالحق ممن يهدون بالحق وبه يعدلون فيقطع على نفسه عهداً أمام الله {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} هل تتصورون بأن موسى دخل من طرف مزرعته وفيها ما لا يقل قيمته عن نحو مليونين دولار من ثمار وممتلكات وآليات داخلها فقال: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ}؟ بل رأى نفسه أنه أصبح إنساناً استطاع أن يقول الحق، وأن يقف موقف الحق، وأن يقف في وجه الظالمين، فكانت هذه هي النعمة الكبرى.

هذه هي من أهم الأشياء التي تخلق لديك حصانة عن أن تنخدع بالآخرين الذين ينطلقون يثبطون الناس؛ لأنه من هو ذلك الذي يمكن أن يؤثر فيك وأنت ترى ما أنت عليه نعمة عظيمة، ستسخر منه أنت؛ لأنك ترى ما أنت فيه نعمة عظيمة؛ ولأنك تحس بأنك وفقت إلى نعمة عظيمة من خلال مقارنتك أنت للآخرين الذين يبذلون أموالهم وأيديهم وألسنتهم وأنفسهم في طريق الباطل وفي خدمة الباطل، وأنت تعرف أين سيكون مصيرهم، سترى أنت أنك في نعمة عظيمة فتصبح ممن يكون من المستحيل أن يؤثر عليه الآخرون بدعاية أو تضليل أو خداع أو ترغيب أو ترهيب، يصرفونه عما هو فيه؛ لأنه يرى ما هو فيه نعمة، نعمة دفعته إلى أن يقول: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}.

ويذكر الله عن نبيه نوح أيضاً فيقول: {إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} (الإسراء: من الآية٣) **هكذا تجد شكر النعم الإلهية في مجال نعمة الهداية والنعم المادية المتعددة شكرها وتذكرها من أهم صفات أولياء الله؛ لما لها من أثر كبير في ربطهم بوليهم، بالله سبحانه وتعالى.**

نجد كذلك كيف يأمر الله عباده بشكر نعمته بصورة عامة فيقول: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (النحل:١١٤) **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}** (البقرة:١٥٢) **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}** (البقرة:١٧٢) **{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** (العنكبوت: من الآية١٧). **ومتى ستشكر الله؟. إذا كنت دائم التذكر لنعمه العظيمة عليك.**

يأتي في المقابل خطورة الإساءة التي تحول النعم فتبدل النعم، تلك الإساءة العظيمة إلى الله {سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (البقرة:٢١١).

ما هي هذه النعمة هنا؟. أليست هي نعمة هداية؟. من أبرز ما تعنيه هذه الآية ـ فيما نفهم ـ هو التركيز على

نعمة الهداية إلى الإيمان، هداية الآيات البينات، فيما تتركه من أثر في النفوس فسماها نعماً. {كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} هي نعم عظيمة عليهم {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.
فتذكر هنا أنك عندما ترى نفسك تسير على هدي الله، تهتدي بآيات الله، تلزم نفسك على أن تعمل وفق آيات الله التي تهديك إلى أن تعمل الأعمال الكثيرة التي فيها رضاه فأنت في نعمة عظيمة فإذا ما استبدلت بها غيرها خطوطاً أخرى، مواقف أخرى، أشياء أخرى هي مخالفة لهدي الله سبحانه وتعالى تسير بك على غير صراطه فاعلم بأنك قد عرضت نفسك لعقوبة عظيمة من الله، وأنك قد بدلت نعمة الله {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} (إبراهيم:٢٨-٢٩) جهنم هي مصير الذين يتنكرون للنعم.
تأمل كيف أن الله يذكرنا بأنا متى ما وفقنا إلى عمل هو اهتداء بآياته، يذكرنا أن ننظر إلى ما نحن فيه أنها نعمة عظيمة، لا تعتبرها إشكالية، وتعتبرها حملاً ثقيلاً، انظر إلى ما وعد الله به من يعمل كعملك، انظر إلى ما وعد الله به أولياءه، انظر إلى ما وعد الله به المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة كيف تراه وكيف ستقتنع فعلاً، وترى بأنك في نعمة عظيمة فترعاها، لا تبدلها ولا تتبدل عنها، ولا تحاول أن يكون موقفك موقف من يستبدل الله به غيره فتكون قد عرضت نفسك إلى أن يكون مقرك هو جهنم ونعوذ بالله من جهنم التي قال فيها: {وَبِئْسَ الْقَرَارُ} بئس المستقر.
ويقول الله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (النحل:١١٢). لماذا كفرت بأنعم الله؟ هم كانوا يتقلبون داخل مدينتهم في نعم كثيرة حاجاتهم متوفرة {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} أي واحد منهم يمكن أن يعمل له أي عمل فيدر عليه دخلاً كبيراً، يبحث عن حاجاته فيراها كلها بين يديه تتوفر، والحياة في المدينة فعلاً تكون على هذا النحو لكنها تكون خطيرة. حياة المدينة هي خطيرة جداً فمظهر كفر النعم الجماعي يأتي من داخل المدن فتكون العاقبة هكذا {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}؛ لأنهم نسوا أن يتذكروا تلك النعم العظيمة التي هم فيها من سهولة المعيشة، سهولة الحصول على الرزق، توفر الحاجات، تأتي المدينة من القرى، من الأرياف، من البلدان الأخرى.
وربما ـ والله أعلم ـ أن اليهود يعرفون هذه القضية؛ فلهذا يعملون على أن تظل الأرياف في مختلف الشعوب الإسلامية أريافاً تفتقر إلى الكثير من خدمات الحياة، قد تكون الحياة فيها صعبة؛ ليهاجر الناس نحو المدن، فيتجمعون هناك بأعداد كبيرة لا ضابط لها، ليس هناك من يوجهها ويرشدها، ليس هناك من يرعاها، بل العكس ترى هناك مظاهر الفساد، ترى هناك وسائل الإضلال فتؤدي بتلك المجاميع التي كانت تشكر الله هنا وهي في قراها، عندما كانت تحصل على رزقها مما بين أيديهم، يكون لديهم الحيوانات، أبقار وأغنام وغيرها من الحيوانات ولديهم مزارع، ويشتغلون فيها، ويحيون حياة تجعلهم يحافظون على دينهم، وعلى قيمهم، لكن يرون مظاهر الحياة الأخرى تتطور، وتهملهم الدولة فلا كهرباء، ولا مياه، ولا مراكز صحية، ولا مدارس، ولا تلفون، ولا خطوط، ولا أشياء كثيرة يفقدونها فينطلقون نحو المدن بأعداد كبيرة.
وهناك يتجمعون أعداداً تنسى الله، أعداداً تكفر بنعمه، فأعداد كهذه هي ذابت فعلاً ذابت في حياتها الإيمانية، ذاب في نفوسها الإيمان، وتضاءلت القيم، حتى تلك القيم التي كانت عربية تتمتع بها في قراها، تضاءلت وأصبحت منسية، أمة كهذه هل يمكن أن تحظى برعاية من الله؟. لا يرعاها.
مجاميع كهذه من المسلمين إنما تجمعت في شبكات للصيد تصبح فريسة في أيدي اليهود، تصبح فعلاً فريسة في أيدي اليهود؛ لأن كل فساد هو في خدمة اليهود، والمدن هي من أسرع المناطق في الشعوب إلى الفساد والإفساد، حتى الأرياف نفسها لا تفسد إلا بعد أن يصل إليها الفساد من المدن.
تذكرت عندما قال لنا ـ ونحن نذهب في رحلة في شمال إيران ـ أحد الإخوة الإيرانيين: إنهم يهتمون جداً بالأرياف؛ لأن الغربيين يريدون أن يبقى الناس في الأرياف لا تتوفر لهم الخدمات، لا تتوفر لهم وسائل الحياة

التي يتمتع بها أهل المدن، فيهاجرون إلى المدن، فيشكلون أو يصبح بواسطتهم مشاكل كثيرة تحصل: اقتصادية، وبيئية، وأخلاقية، وتصبح المدن مظاهرها فاسدة. فاهتموا فعلاً هناك أن يوفروا للقرى الكثير من الخدمات، لكننا هنا نحن في هذا البلد وفي شعوب أخرى تجد الأرياف ليس لديها إلا البسيط، البسيط من الخدمات. فبيد من يصنع هذا؟ بيد من ترسم هذه الخطط؟.

هم اليهود الذين يمتلكون ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ خبرة بالسنن الإلهية، وبالسنن الإنسانية.. {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (النحل:١١٢). **ونجد بعد هذا وعد الله الحسن للشاكرين حيث يقول الله سبحانه وتعالى: {وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}** (آل عمران: من الآية١٤٤) **{وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}** (آل عمران: من الآية١٤٥) **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}** (ابراهيم:٧) **ويقول عن قوم لوط: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ}** (القمر:٣٥).

فننجي الشاكرين، ننجي الشاكرين من كثير من المهالك، وبهذا عرفنا ـ أيها الإخوة ـ كيف أنه يجب علينا أن نكون دائمي التذكر لنعم الله علينا، لما لها من علاقة قوية، علاقة قوية بالله سبحانه وتعالى، بمعرفة الله تجعلنا نتولى الله، ونعظمه، ونحبه، فننطلق في كل عمل يؤدي بنا إلى رضاه، يؤدي بنا إلى أن نفوز برضاه وجنته.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه، من الذاكرين لنعمه والشاكرين له عليها، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٥ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ نعم الله

الدرس الخامس

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٢/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

في الدرس السابق عرفنا من جملة آيات: أن الله سبحانه وتعالى يطلب من عباده، أو يأمر عباده أن يذكروا نعمه، يرشدهم إلى أن يتذكروا نعمه، فهو قد عدد كثيراً من نعمه عليهم، وهو أيضاً قد أرشدهم إلى قيمة كثير منها، في أثرها في حياتهم، وبين حاجتهم الماسة إليها.

وفي نفس الوقت هو سبحانه وتعالى ذكّر بأسلوب آخر أولئك الذين يرون أن كل ما في أيديهم، ينظرون إليه كنظرة قارون عندما قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} (القصص: من الآية٧٨) عندما قال له بعض قومه: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} (القصص: من الآية٧٧) كان جوابه: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} أنا ذكي وشاطر، وعندي خبرة في البيع والشراء، وعندي خبرة في الزراعة، وعندي خبرة في كذا، فهذا هو نتاج شطارتي، ونتاج حنكتي وذكائي. هكذا ينظر الناس ـ أو ربما أكثر الناس ـ ينظرون إلى ما بين أيديهم.

ففي [سورة الواقعة] بأسلوب آخر يقول لأولئك الذين ينظرون هذه النظرة إلى ما بين أيديهم: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ} (الواقعة:٦٣) هذه الأموال التي تحرثونها، هذه الأموال التي تجنون منها مختلف الثمار، فتحصلون من ورائها على أموال كثيرة، هذه الأرض التي تحرثونها، وهذا الزرع الذي ينبت بعد حرثكم {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (الواقعة:٦٤) ما هذا سؤال؟ نقول لك: تذكر النعم العظيمة عليك، تذكر، إذا أنت لم تتذكر فسنذكرك نحن، فيأتي على هذا النحو من الاستفهام {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} كيف سيكون جواب كل واحد منا؟ الله هو الزارع.. إذاً هذه واحدة.

الزراعة تشمل مختلف الأصناف التي بين أيدي الناس سواء زراعة الزرع، زراعة القات، زراعة البن، زراعة الفواكه، زراعة الحبوب، تسمى كلها زراعة، بعد أن تعترف أنت بأن الله هو الزارع، الله هو الذي خلق هذه الأرض التي تحرثها، هو الذي خلق لك هذه الآلة التي تحرث عليها، أو هذا الحيوان الذي تحرث عليه، هو الذي خلق لك تلك الأيدي التي تقبض بها المحراث، أو تقبض بها عجلة القيادة في الحرّاثة.

والأعين التي تبصر بها.. أليست من الله؟.. هل يستطيع الأعمى أن يحرث؟ لا يستطيع، لو تعطيه أرضاً واسعة جداً وتقول له: هذه لك وتحرثها أنت ما يستطيع يحرثها، أرضية كبيرة تعطيه، أرضية صالحة للزراعة وتقول له: لكن نريد أنت الذي تكون تحرثها أنت بيدك، حتى لو كان صحيح الجسم لكن فاقد البصر هل يستطيع؟.

ثم هذه التربة التي تحرث فيها، هل هي سواء هي والرماد، أو الدقيق أو أي شيء آخر؟ من الذي أودع فيها هذه الخاصية، فجعلها قابلة للإنبات؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى.

لاحظ مساحة الأسئلة كثيرة داخل هذه الآية: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} داخلها أسئلة كثيرة جداً، بدءاً من الأرض وانتهاء بالثمرة التي تجنيها، داخلها أسئلة كثيرة.

فإذا كنت معترفاً بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي زرع، هو الذي أنبت {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} (الأنعام: من الآية٩٥) أنت فقط تلقي الحَبَّ في باطن التربة، من الذي يفلق الحب والنوى؟ هو الله {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} إذاً فهو الزارع، أليس كذلك؟.

فإذا كنت معترفاً بأن هذه الأرض منه والقوة التي أنا عليها أتمكن بها من الزراعة، من الحراثة هي منه، وهذا الزرع هو الذي فلق حبّه ونواه، هو الذي أنبت هذه الأشجار التي نجني منها الأموال الكثيرة.

فما هو الموقف الصحيح بالنسبة لي منه تعالى أمام ما أعطاني، ما هو الموقف الصحيح؟ هل أرضى لنفسي أن أكون ممن قال الله عنهم: {إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: من الآية٣٤)؟.

أخرج من طرف السوق بعد ما بعت من [قاتي]، أو [بنّي]، أو أي محصول زراعي بكمية كبيرة من المال، أخرج من طرف [الجِربة] وأنا محمّل بما جنيته من تلك الأشجار التي زرعها الله سبحانه وتعالى، وأنا مدبر عن الله، ظلوم

كفار، هل هذه من الناحية الإنسانية تليق بالإنسان؟ هل يليق بك أن تولي بوجهك عن الله، وتصم آذانك عن الله، وتعرض عن الله، فتكون ظلوماً كفاراً، هل ترضى؟ هل هذا هو ما يمليه عليك ضميرك؟.
أليس هذا من الجفاء؟ أليس هذا من السوء؟ أليس هذا من الحماقة؟ أليس هذا من الكفر؟ أم أن الذي ينبغي لك بعد أن تكون قد أجبت الإجابة الصحيحة على قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} فقلت: بل أنت يا الله أنت الزارع، فانطلقت أنت لتقدّر نعمته العظيمة عليك، وتعترف بإحسانه الكبير إليك، فيخشع قلبك، ويمتلأ قلبك حباً له سبحانه وتعالى، وتشعر كم أنت مدين له بإحسانه العظيم إليك، فتكون نفسك منكسرة أمامه سبحانه وتعالى، منشدة نحوه إنشداداً عاطفياً، وانشداد من يشعر بعظم وقع الإحسان عليه؟.
أيُّ الموقفين هو الأليق بالإنسان من هذين؟ أليس هو الموقف الثاني؟ لأننا إذا وقفنا الموقف الأول، موقف الظلوم الكفار، بعد أن كنا قد شهدنا على أنفسنا وأقرّينا في إجابتنا على هذا التساؤل الإلهي، فقلنا: بل أنت يا الله، أنت الزارع، أليست هذه جريمة كبيرة؟ أعترف وأشهد وأقر بأنك أنت الزارع، ثم أتعامل معك معاملة الظلوم الكفار. أليست هذه جريمة كبيرة؟ جريمة كبيرة فعلاً.
{أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ} (الواقعة: من الآية٦٥) حتى تتأكدوا بأنه نحن الزارعون، {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَاماً} ضربة تأتي له أو عاصف أو تنعدم الأمطار، فتسقط الأوراق، وتذبل الغصون، وتجف السيقان فيتحول إلى حطام.
{فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} (الواقعة: من الآية٦٥) تتعجبون من سوء حاله، كيف أصبحت مزرعتي بعد أن كانت خضراء ومنظرها جميلاً، أصبحت هكذا منظراً موحشاً، أصبحت حطاماً!.
هل كل واحد منا يعترف بأن الله يستطيع فعل هذا؟ إذاً هذا إقرار آخر، إذاً فهو الذي رعى هذه الشجرة حتى استطعت أن تحصل منها على هذا المحصول الكبير، هو الذي رعى هذه الأشجار حتى جنيت أنت ثمارها. أم تظن أنه الغاز والبودرة وهذه الكيماويات هي نفسها التي أعطته الرعاية؟. هي أيضاً مما خلقه الله سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت تذكّر أنه {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً}.
ولاحظ.. عندما يكون الوقت مجدباً لا يوجد أمطار، والماء قليل حتى وصل الناس إلى درجة أن كل واحد احتفظ بما لديه من ماء لبيته وحاجته، والقات أو البنّ أو أي أنواع الأشجار التي لها أهمية كبيرة في حياة الناس قد أصبحت ظامئة، أصبحت جافة، هل هو وقت البودرة والغاز؟ هل سينفع؟ لا تعد تنفع. إذاً {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً} تذهب تغرّ بالمكينة وتضخ بالكيماويات، فلا يطلّع شيئاً، أعواد جافة.
لكن من أين ترسخ في أنفسنا ـ ونحن نتقلب في أموالنا ـ أن هذه هي لنا ونحن من نقوم بالعمل فيها، نحن من غرسنا أشجارها، ونحن من نجني ثمارها، ونحن.. ونحن.. إلى آخره.. مع نسياننا لله سبحانه وتعالى. من أين ترسخ؟. لأننا لم نروض أنفسنا على أن نتذكر دائماً نعم الله العظيمة علينا، وأن نتذكر قوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} (النحل: من الآية١٨) ترسخت هذه الحالة أو المفاهيم المغلوطة السيئة فنتج عنه حالات سيئة لدينا في أنفسنا جعلت كل واحد منا يتحول إلى أن يصبح ظلوماً كفاراً، فما الذي يبعدك عن أن تكون من الظالمين الكافرين بنعم الله سبحانه وتعالى؟. هو أن تتذكر.
إذا كنت أنت لا تتذكر تلقائياً فأجب على هذه الأسئلة التي ذكرك الله فيها؟. {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} والذي أنت بالطبع لا تستطيع أن تقول: نحن. من الذي يستطيع أن يقول: نحن؟ لا يستطيع أحد، ما من أحد ـ ربما ـ يستطيع أن يقول نحن إلا وهو يتوقع عقوبة من الله لأشجاره، لزراعته، لو يقول: نحن. فكل واحد مقر في نفسه أن الله هو الزارع.
إذاً فتذكر سواء بالأسلوب الأول، أسلوب تعداد النعم، أو عن طريق الإجابة على هذه الأسئلة التي وجهت إليك وإلى أمثالك من بني آدم.

{لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} (الواقعة:٦٥) ثم في الأخير ماذا تملك أن تعمل؟ لا شيء. تصبح كصاحب الجنة الذي ذكر الله قصته في [سورة الكهف]: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} (الكهف: من الآية٤٢) هل تملك في الأخير شيئاً؟ بعد أن يجعلها الله حطاماً تعطش حتى تجف سيقانها وتتحطم، ماذا يمكن أن تعمل؟ ربما آخر فكرة هو أنك تقتلع القات وتجعل بناتك ونساءك يجمعونه ليكون في الأخير [كوماً من الحطب] أليس كذلك؟. {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} (الواقعة:٦٦) غرام، خسارة لا تملك شيئاً، لا تملك أن تضع بدائل لنفسك.

الناس الآن مثلاً في هذه البلدان في الأرياف، في معظم أرياف اليمن يعيشون على القات وبشكل كبير، لو نسألهم: ما هو البديل الذي أنتم تتصورون بأنه يمكن أن يكون بديلاً فيما لو أصبحت هذه الشجرة لا قيمة لإنتاجها؟.مثلا تقفل السعودية فلا يستقبل القات، فيبقى متراكما، فتضطرون إلى قلع هذه الأشجار عندما تصبح لا قيمة لمحصولها، ما هو البديل في أذهانكم؟. هل هناك بديل؟.

نحن نقول في بعض الأحيان أن الناس يحاولون أن يفكروا في بديل إذا أمكن، يجربوا في هذه المناطق إذا كان بالإمكان زراعة بعض أنواع الأشجار الأخرى التي يمكن أن تكون بديلاً عن القات، ربما مع تغير الظروف والمناخ من عام إلى عام قد يتحول المناخ في هذه المناطق إلى مناخ بارد جداً قد لا يصلح للقات. ربما السعودية يتغير وضعها الاقتصادي فتصبح هذه الشجرة لا قيمة لها؛ لأن المعلوم هو أن ما جعل للقات قيمة كبيرة هو أنه يمشي إلى السعودية، أليس كذلك؟.

التخازين في البلاد قليل، أليس معظم الناس يخزنون مجانا؟ يحاولون أن يفكروا أن يبحثوا عن أنواع أخرى. وليس من منطلق أنهم فيما إذا ضرب الله هذه الشجرة، نحن لسنا بحاجة إليها، سنفكر في نوع آخر وعندنا بديل آخر! لا.

أعتقد بأنها من جهة ـ والله أعلم ـ هذه الشجرة قد تكون نعمة كبيرة للناس في هذه الظروف فقط، في هذه الظروف الخاصة، في حالة قلة الأمطار، في حالة عدم تمكن الناس من زراعة أشياء كثيرة، حيث لا دعم من جانب الدولة للمزارعين.

هذه الشجرة التي تعيش في مختلف أنواع التربة، وتتحمل العطش بنسبة كبيرة، وتأتي في السنة بأكثر من محصول، تعتبر نعمة كبيرة على الناس، والناس يفهمون هذا أنها نعمة كبيرة، حتى كثير يقول: لو لا نعمة الله علينا بهذه الشجرة لكانت وضعية الناس سيئة.

التعداد السكاني متزايد كل سنة، أصبحت الأسر ما بين عشرين شخص إلى خمسة عشر شخصاً، ما بين ثلاثين إلى عشرة إلى اثنا عشر. فيأتي الرزق بواسطة هذه الشجرة.

إذاً أشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة، حتى وإن كان في الواقع أن وضعيتنا تفرض علينا أن نهتم بزراعة الأشياء التي هي ضرورية بالنسبة لنا كالحبوب، والبقوليات الأخرى، ولكن هذا يحتاج إلى دعم من الدولة، وأيضاً يحتاج إلى دعم إلهي.

نحن قد فسدنا، نحن فسدنا فلم تعد البركات بالشكل الذي كنا نسمع عن أجيال سابقة، الأمطار قلّت، أليس كذلك؟ الأنهار أيضاً قلت وانتهى بعضها، وتلك المناطق التي كان يعتمد الناس فيها على الآبار الارتوازية أيضاً قلت المياه فيها بشكل كبير.

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) فلم ير الناس أنفسهم متمكنين من زراعة الحبوب، ومن زراعة البقوليات الأخرى حتى يوفروا أو يؤمِّنوا غذاءهم لأنفسهم، يؤمِّنوا لأنفسهم الغذاء. السماء لم تعد تعطي بركاتها، الأرض لم تعد تعطي بركاتها، فسدنا كلنا، كبيراً وصغيراً، كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((إذا فسد السلطان فسد الزمان)).

أو لسنا نسمع من الدولة نفسها أنهم يشكون من الفساد المالي، والفساد الإداري، والفساد في القضاء، وفي الجانب الأمني وفي مختلف المجالات، في الجانب التعليمي، في الجانب الصحي، في مجالات كثيرة، ألسنا نسمع وهم

يشكون؟. ألستم تسمعون برنامج يقدم [من هو المسئول] أليسوا يعالجون فيه أو يتحدث من المسؤول عن أخطاء في هذا المجال، أو هذا المجال، أو هذا المجال، فساد على مستوى الدولة والشعب؟.

لكن ماذا؟ يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى منحنا جرعة إسعافية مؤقتة لسكان الأرياف.. القات، من شمال اليمن إلى معظم المناطق الغربية هذه، معظم المناطق الغربية في محافظة صعدة ومحافظة حجة، وإب.. وهكذا، يعتمد الناس فيها على القات، في محافظة صنعاء وعمران والمحويت والجوف يعتمدون فيها على القات.

مع أننا نصيح من زراعة القات أنه ليس هو ما يجب أن نعتمد عليه باستمرار، هذه شجرة إذا ظل الشعب معتمداً عليها باستمرار فبالتأكيد لا يستطيع أن يكون له موقف من أعداء الإسلام، هذه الشجرة لا تستطيع أن تمضغها إلا بعد أن يكون بطنك ممتلئاً وأنت شابع، أما إذا كنت جائعاً فهل تستطيع أن تمضغ القات؟. لا.

إذاً فبالنسبة للقات، بالنسبة لشجرة القات، مناسب أن تكون لنا نظرة صحيحة بالنسبة لهذه الشجرة، هي في الواقع نعمة، لكن أعتقد أنها أشبه شيء بنعمة مؤقتة من جانب الله سبحانه وتعالى في فترة التيه.. هذه الأمة خاصة نحن اليمنيين في فترة التيه كما كان بنوا إسرائيل، والله سبحانه وتعالى رحيم. فالقات بالنسبة لنا كأنه أشبه شيء بطائر السلوى الذي منحه الله بني إسرائيل أيام التيه، المن والسلوى.

لنعد إلى أنفسنا فنصلحها، نصلح أوضاعنا، ليعيد الله سبحانه وتعالى بركات السماء والأرض إلينا من جديد؛ لأنه في الواقع بالنسبة للقات، محصول القات عندما تبيع فيجتمع لديك مبلغا من المال، ماذا ستعمل بهذا المبلغ؟ ألست ستشتري حبوبا، وتشتري مواداً غذائية، تشتري فول من الصين وفاصوليا من الصين وعدس من تركيا، وتشتري بقوليات من خارج، وحب من خارج، تشتري ملابس من خارج، تشتري بهذا كله من خارج، أليس بالإمكان أن يعمل الناس ليتوفر ما يحتاجون إليه داخل بلدهم؟. لكن متى؟ متى ما حاولنا أن نصحح وضعيتنا فنخرج من حالة التيه، حتى لا نعد محتاجين إلى طائر السلوى، كما احتاج بنوا إسرائيل.

هل كان طائر السلوى ممكن أن يكون بديلاً عن الأغنام والأبقار والإبل؟ مؤقتاً، نعمة مؤقتة، فالقات هو نعمة مؤقتة، ولكن في نفس الوقت يجب أن نشكر الله عليها. في نفس الوقت يجب ألا يترسخ لدينا بأنها هي الشجرة التي يجب أن تبقى. فأزرعها أنا ويزرعها أولادي من بعدي، ثم أولادهم وهكذا.

ما دمنا مفتقدين إلى تأمين غذائنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً، ولو كانت كل الصحاري قات، ولو كانت كل الجبال قات، لا نستطيع أن نقف موقفاً واحداً ضد أعداء الله، أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح.. هل تفهمون هذا؟. حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجتنا إلى السلاح في ميدان وقفتنا ضد أعداء الله.

الغذاء، القوت الضروري لا تستطيع أن تقف على قدميك وتصرخ في وجه أعدائك وأنت لا تملك قوتك، وإنما قوتك كله من عندهم.

ولكن نحن نقول أن اتخاذ المواقف هو في نفس الوقت من مقدمات العودة إلى الله سبحانه وتعالى، أو بداية العودة إلى الله لنعد إلى أنفسنا، فنراه سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا بأن نكون أنصاراً لدينه، وأن نعتصم جميعاً بحبله، وأن نكون أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تدعو إلى الخير، تقوم بهذه المهمة في الناس جميعاً.

فأملنا كبير في الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا بركات السماء والأرض، فيستطيع الناس أن يعودوا إلى زراعة الحبوب، وزراعة مختلف الأصناف من الثمار التي هم بحاجة ماسة إليها.

إذا كنا نعتقد أو كانت أنفسنا مطمئنة هكذا إلى أن هذه الشجرة أصبحت هي الشجرة الرئيسية التي نزرعها فيزرعها أبناؤنا من بعدنا إلى آخر أيام الحياة، هذه نظرة خاطئة فعلاً، هذه نظرة خاطئة.

ولكن لا نعتبرها مصيبة، ولا نعتبرها طامة في ظروف كهذه.. لا.. هي نعمة في ظروف كهذه، هي رحمة من الله، رحمة من الله كما رحم بني إسرائيل بطائر السلوى في فترة التيه، وهم تائهون في صحراء سيناء، فكثير من الناس يلعنون هذه الشجرة، يلعنونها وينسبون إليها كل سوء!. هي رحمة، هي نعمة، ولكن في نفس الوقت ليحذر أولئك الذين يعملون على أن يبدلوا نعمة الله كفراً، وأن يحلوا قومهم دار البوار، من يبيعون القات فيدخلون في مبايعات محرمة، يدخلون في مبايعات فيها الكثير من الأيمان الفاجرة، فيها الكثير من الكذب.

لا يجوز للناس أن يبدلوا نعمة الله كفراً، ماذا لو ضرب الله هذه الشجرة، ونحن في أوضاع كهذه؟. ماذا سنعمل؟. لو حاول الناس أن يزرعوا حبوباً من جديد، فحتى لو قلنا بالإمكان أن يكون هناك مضخات فالماء في الأرض قد ضرب أيضاً. الله بيده كل شيء، هو مالك الملك، إذا كنت تعتقد بأن بإمكانك أن تستغني عن المطر.. هي مؤشرات خطيرة، نقول للناس لا بد من عودة إلى الله، وحتى لو قلنا الحكومة نفسها تعمل شيئاً ماذا يمكن أن تعمل؟.

أن تعمل مضخات، الماء في الأرض مشرف على الانتهاء، تعمل سدوداً، السدود تحتاج إلى أمطار، ثم إذا جاء سد، يكون الناس بحاجة إلى اغترافه لبيوتهم ومواشيهم، بالدرجة التي لا يكادون يوفرون إلا القليل للزراعة، ثم في هذه الجبال الشاهقة أين مواقع السدود الكبيرة التي يمكن أن تكون سدوداً كبيرة تكفي لسقي المزارع وحاجات البيوت والمواشي؟.

لا مجال إلا العودة إلى الله سبحانه وتعالى، فنشكر الله على هذه النعمة، نبتعد عن الأيمان الفاجرة، عن الكذب، عن الغش، عن الخيانة، لا يلهينا العمل في التجارة في هذه الشجرة عن ذكر الله تعالى، عن أن تؤدي بنا إلى التقصير في طاعة الله تعالى، هذه نعمة سنحولها إلى كفر.

نشكر الله سبحانه وتعالى عليها وفي نفس الوقت نحاول أن نهيئ أنفسنا بالشكل الذي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا بركات السماء وبركات الأرض.. {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية٩٦) **هذا وعد من الله سبحانه وتعالى {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}** (نوح:١٢) **أليس هذا من وعود الله سبحانه وتعالى؟. {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً}** (الجن:١٦).

والحياة مرتبطة بالماء، الأرزاق مرتبطة بالماء، بل حريتنا مرتبطة بالماء، بل نصر ديننا مرتبط بالماء، والماء بيد من؟. خزائنه بيد الله تعالى.. فالله سبحانه وتعالى متى ما رجعنا إليه فهو رحيم بنا، هو من يرحمنا حتى ونحن في حالة الإعراض عنه فيسعفنا بجرعات اقتصادية، ليست كالجرعات الاقتصادية التي تأتي من قبل الحكومة كرفع أسعار ونحوها، بل يعطينا أشياء يهيئ لنا المعيشة بأشياء في حالة مؤقتة حتى نصحح وضعيتنا، وحتى يمكننا أن نعود إلى وضعنا الطبيعي، وضعنا الطبيعي الذي يمكّننا من أن نعتمد على أنفسنا، فيما يتعلق بغذائنا، فيما يتعلق بحاجاتنا ـ ولو على الأقل ـ الضرورية.

حتى البيضة تأتي من خارج، الدجاجة تأتي من خارج، كل ما بين أيدينا كل ما في مطابخنا، كل ما في أسواقنا كله من خارج، من عند أعدائنا، أليست هذه وضعية سيئة، وضعية خطيرة جداً.

ثم إذا كنا مصرين على أن نزرع القات جيلاً بعد جيل، هذا أيضاً من الإصرار على أننا لسنا مستعدين على أن نقف موقفاً يرضي الله سبحانه وتعالى، في مجال نصر دينه، وإعلاء كلمته، وأن نقف في وجه المفسدين في الأرض: اليهود والنصارى وأوليائهم.. إذا كنت مصرًّا على زراعة القات باستمرار وأن تورثها للأجيال من بعدك فأنت مصر على قعودك عن نصر دين الله؛ لأن الله عندما يقول لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) **يأمرنا بأمر يوجب علينا أن نهيئ وضعيتنا بالشكل الذي نستطيع أن نكون فيه ممن يحقق نصر الله، ومنه الجانب الاقتصادي، تأمين غذائنا.**

فليحاول الناس ـ وقد كثرت الأسر ـ أن يحرثوا أي أماكن لا تزال غير مزروعة، يحرثونها وليس كل مكان يجهزونه للزراعة يغرسونه قات، يحاول الناس أن يزرعوا الحبوب، ولو بنسبة بسيطة، ونرجع قليلاً قليلاً إلى وضعنا الطبيعي في رجوعنا إلى الله سبحانه وتعالى من خلال رجوعنا إلى الله قليلاً قليلاً حتى نعود بالشكل الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن نكون عليه.

نعود إلى نفس الموضوع:

{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ} (الواقعة:٦٨) **أأنتم ترون هذا الماء؟. نعم نحن نراه، ونحن نعرف أننا لسنا نحن الذين نخلقه وننتجه، هل الماء تنتجه المصانع؟. {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}** (الواقعة:٦٩).

سؤال، كيف سيكون الجواب: أنت يا الله الذي تنـزله من المزن، من السحاب {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً} (الواقعة: من الآية٧٠) **مالحاً فلا يصلح للشرب ولا يصلح لسقي الأرض، هل بإمكانك أن تسقي نباتات من البحر؟. لا يصلح.**

أليس ماء البحر كثير جداً؟ لكن لا يصلح لا للشرب ولا لزراعة الأشجار، ولا لسقي المزارع بل ولا يصلح أحياناً استخدامه مع بعض أدوات التنظيف، أحياناً لا يصلح استخدامه مع بعض أنواع الصابون، لا يقبل.

ألسنا مؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يجعله أجاجاً: مالحاً شديد الملوحة؟ يستطيع حتى ولو أبقاه كثيراً في متناولنا، لكن يستطيع أن يحوله إلى مالح، أو يغوّره في أعماق الأرض {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} (الملك:٣٠).

من الذي يعطيكم بديلاً، هل أمريكا يمكن أن تعطينا ماء؟. أو اليابان أو الصين يمكن أن يعطونا ماء؟. مصانع تنتج ماء؟ لا.. هل تستطيع الدولة نفسها أن تعطينا ماء؟. هي تصيح على الناس المزارعين بأنه حاولوا أن تقللوا من استخدام المياه العشوائي، مخزون الماء معرض للانتهاء. ليس المخزون، إنما هو نحن، مخزون العودة إلى الله قد انتهى، مخزون العودة إلى الله في أنفسنا هو الذي انتهى. نحن لو عدنا إلى الله لما خشينا؛ لأنه قال: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} (الجن:١٦) **فليكن من السماء وليكن من باطن الأرض.**

الحفاظ على الماء في استهلاكه قضية مهمة، والتبذير بالماء هو من التبذير الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم، وشبه المبذرين بأنهم إخوان الشياطين {وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} (الاسراء: من الآية٢٧) **هذه الآية من الشواهد المهمة على أهمية الجانب الاقتصادي في حياة الناس، على أهمية الجانب الاقتصادي فيما يتعلق بقيامهم بواجباتهم ومسئولياتهم أمام الله سبحانه وتعالى؛ لأن حياتنا مرتبطة بالماء، فغذاؤنا مرتبط بالماء، رزقنا مرتبط بالماء، بل سماه رزقاً في آيات أخرى سمى الماء رزقاً، هكذا مباشرة.**

فمن يبذر بالماء كأنه شيطان، أي كأنه يعمل على أن يضرب الأمة من أساسها، حتى لا تستطيع أن تقف على قدميها في النهوض بواجباتها الدينية {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ} هو لا يقدر نعمة الله سبحانه وتعالى، هو لا يعترف بالأهمية الكبرى للماء في أنه هو أساس الحياة، هو عمود الحياة: حياة الأرض، وحياة الأنفس، بل حياة الإيمان، حياة الدين، بل حياة الأمة، عزتها كرامتها.

إسرائيل تحاول أن تهدد سوريا والعراق بضرب الأنهار التي تأتي من داخل تركيا في اتفاقيات مع تركيا بأن تحول الماء إلى داخل إسرائيل، لاحظوا كيف اليهود داخل إسرائيل يحاولون بأي طريقة على أن يحصلوا على كميات كبيرة تؤمن لهم حاجتهم من الماء، أذكياء، أذكياء، بأي طريقة يحاولون أن يحصلوا على ما يؤمن لهم الماء من أجل أن يستطيعوا أن يقفوا على أقدامهم أكثر مما قد حصل في مواجهتنا.

والعرب يتعرضون في شعوب كثيرة إلى أزمة مياه، بل هي قد تكون الأزمة الخانقة داخل هذه الأمة؛ لأن معظم الشعوب العربية لا تمتلك أنهاراً، أو لديها أنهار تأتي منابعها تأتي من بلدان هي لا تزال تحمل عداءً سواء للإسلام أو للعرب. بعض البلدان وإن كانت إسلامية مستعدة أن تدخل في اتفاقيات تضر بالبلاد الإسلامية العربية، لعداء للعربي لديهم، في الوقت الذي تعمل إسرائيل على أن تحصل على كميات كبيرة من الماء حكوماتنا هنا لا تحاول أن تفكر جادة في ما هو الذي يؤمن لها الماء، فقط يوجهوننا إلى ترشيد استهلاك الماء، سواء في المنازل أو في المزارع، هذا جيد لكن ماذا تملكون أنتم في سبيل توفير المياه؟.

تبنى سدود صغيرة هنا وهناك وخزانات صغيرة هنا وهناك، هذه الخزانات وهذه السدود جيدة، لكنها لا تؤمن الحاجة الضرورية للماء إلا للبيوت على أكثر تقدير، بالنسبة للمزارع كثير من المناطق لا يصلح فيها سدود تكون كافية لسقي الأراضي ولفترات طويلة فيما لو بقي الجفاف من سنتين فما فوق.

لماذا إسرائيل تفكر أن تحصل على الماء وتؤمن لنفسها، وأنتم لا تفكرون؟!.

إذاً نحن مسلمون.. أقل من تلك التكاليف التي تصرف على محطات تحلية للماء على البحر نعود إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع لنا حلاً {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} (الجن:١٦) **أليس هذا وعداً إلهياً؟. لماذا لا تعمل الحكومات على أن تستقيم على الطريقة وأن تعود بشعوبها إلى الاستقامة على**

الطريقة، والتي منها أن تستقيم وتقف على الاستقامة في مواجهتها لأعداء الله سبحانه وتعالى؟ لا تتمثل استقامة الطريقة في صلاة الاستسقاء، ولا في الدعاء إلى الله، ونحن لا نعمل لدينه شيئاً، لا نعمل في مجال إصلاح عباده ومحاربة المفسدين في أرضه أي عمل.

وفّروا على شعوبنا القروض، قروض كثيرة تثقل كاهل أي شعب، تؤدي إلى أزمات اقتصادية خانقة، وفروا علينا القروض وحاولوا أن نعود نحن وأنتم إلى الله سبحانه وتعالى، حتى نؤمن لأنفسنا غذاءنا، ونؤمن لأنفسنا مصدر حياتنا وأساس الحياة، وعمود الحياة وهو الماء.

وحتى في حالة افتراض أن هناك ماءً متوفرا لا بد أن نتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى بهذا الماء، فإذا كنت ممن لا يتذكر نعمة الله فهو هنا يقول لك: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ} (الواقعة:٦٩).

كيف ستكون الإجابة؟ أليس أنت يا الله؟ إذاً تذكر نعمة الله، فإذا كنت تجيب بأنه من الله وبالتالي ترى أن كل شؤون حياتك، مصادر غذائك، مصادر حاجاتك كلها متوقفة على الماء، إذاً فهو نعمة وأساس لنعم كثيرة، فاشكر الله على هذه النعمة الكبيرة التي هي أساس النعم، واشكر الله على كل نعمة هي متفرعة من تلك النعم الأساسية.

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} (الواقعة:٧١) **تقدحونها فتشتعل، النار هي أيضاً من الأشياء الضرورية في الحياة، كم من الصناعات تحتاج إلى النار؟ كم من أنواع الغذاء ـ بالنسبة لنا ـ يحتاج إلى النار، نحتاج إلى النار في بيوتنا، نحتاج إلى النار في كثير من مصانعنا، سواء النار بشكل كهرباء أو النار المعروفة، نحتاج إليها للإضاءة، وللوقود وإلى أغراض كثيرة.**

{أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ} (الواقعة:٧٢) **يوم كان العرب يقدحون زناداً في زناد بشجرتين فتنقدح النار فيشتعل العود، يقول لهم: {أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا} هذه الشجرة التي هي آية من آيات الله، عود ثقاب وإن كان أخضر ينقدح فيشتعل ناراً {أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ} أنت المنشئ يا الله.**

إذاً فالنار هي نعمة، النار هنا في الدنيا ـ طبعاً ـ هي نعمة كبيرة من نعم الله على الإنسان، ومصدرها هو بيد الله، هو الذي ينشؤها، هو الذي أنشأها، فهي نعمة من النعم الكثيرة.

لاحظوا هنا الآيات تتحدث عن ثلاث نعم أساسية كبرى: نعمة التربة، ونعمة الماء، ونعمة النار، وهي نعم كبرى، وهي أساس تقريباً لكل النعم الأخرى في الحياة فاشكر الله على هذه النار، واشكر الله سبحانه وتعالى على كل نعمة متفرعة من هذه النعمة الكبرى، تذكر نعمة الله عليك. {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً} (الواقعة:٧٣) **هذه النار تذكر بالنار الكبرى بالآخرة بنار جهنم {وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ}** (الواقعة:٧٣) **كما يقول المفسرون: للمسافرين.**

فهنا في هذه الآيات رأينا كيف أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ذكّرنا بنعمه بهذا الأسلوب الذي هو أسلوب الإشهاد والإقرار، يجعلنا نشهد ونقر لنكون من يحكم على أنفسنا في الأخير، إما أن نكون من الشاكرين أو من الكافرين، ولنبصر فيما بعد، بعد أن نكون قد أقررنا وشهدنا على أنفسنا بأنه أنت يا الله من تزرع أنت يا الله من تنزل الماء من المزن، أنت يا الله من خلقت مصادر هذه النار، نشهد على أنفسنا إما بأن نكون كافرين وإما بأن نكون شاكرين.. فنرى ما هو الذي يليق بنا أمام هذه النعم التي أقررنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي منحنا إياها وذكرنا بها على هذا النحو المثير.

ولنعد أيضاً إلى آيات أخرى فيها كثير مما عرضه الله سبحانه وتعالى من نعمه على الناس. وكما قلنا سابقاً: بأن الحديث عن نعم الله هو يعطي أكثر من معنى، فهي في نفس الوقت من مظاهر تدبير الله سبحانه وتعالى لشؤون خلقه، من مظاهر رحمته بعباده، من مظاهر رعايته لعباده، من مظاهر حكمته، من مظاهر قدرته العجيبة، من مظاهر علمه الواسع، من مظاهر ملكة، أنه هو من يملك السموات والأرض وما بينهما، وهو رب هذا العرش العظيم، لا يكاد ينتهي الكلام حول هذه الآيات التي سرد الله فيها كثيراً من النعم التي على الإنسان؛ لأنها مهمة في كل مجال.

فمتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر رحمة الله، فما أوسع الحديث عنها. ومتى ما جئت تتحدث عنها باعتبارها من مظاهر حكمة الله فما أوسع الحديث عنها. وباعتبارها من مظاهر قدرة الله وعلمه بكل شيء ورعايته ولطفه فما أوسع الحديث عنها، وفي كل الأحوال ما أهم تذكر الإنسان لها، وما أعظم أهمية أن يتذكرها الإنسان لما تعطيه من دروس في كل هذه المجالات التي ترشد إليها، وتنبئ عنها فيما يتعلق بكمال الله سبحانه وتعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:٢)

هذا أول شيء، وأهم النعم نعمة الهداية بالنبوة بإرسال الأنبياء بإنزال الكتب، بالنسبة لنا نحن المسلمين إنزال القرآن والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:٣) خلقها ليس لمجرد هواية أن يخلق، ممارسة هواية.. لا.. هو خلقها بالحق، هناك غاية مهمة مرتبطة بها {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} (النحل:٤) خلقه من نطفة {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} (السجدة: من الآية٨) كما قال عنها في آية أخرى، فإذا هو عندما يكبر ويشتد ساعده، ويتمتع بكامل قوته يصبح خصيماً لله، معانداً متمرداً {مُبِينٌ} بيِّن الخصومة والعناد والتمرد.

أليس الإنسان ظلوم كفار؟. وعادة ينطلق الإنسان في أن يكون خصماً لله تعالى، وهو في أوسع حالات التنعم بنعم الله تعالى، ما يتمتع به من قوة في بدنه، وما يتمتع به من نعم الله بين يديه، {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} (العلق:٦-٧)

فمتى ما توفرت له النعم، متى ما رأى نفسه يمتلك كامل قواه وبصحة جيدة ينطلق مخاصماً لله، ينطلق معانداً لله، وجاحداً لله وكافراً بالله، ورافضاً لدينه، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (ابراهيم: من الآية٣٤) {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:١٧).

أحياناً يكون أولئك الفقراء أقل طغياناً، أقل ظلماً، أقل تكبراً، لا تزال لديهم كثير من مشاعر الحاجة إلى الله، والعودة إلى الله والطلب إلى الله سبحانه وتعالى، وبعضهم متى ما استغنى ورأى نفسه وهو ذلك الذي كان كثير الدعاء لله، وكثير الالتجاء إلى الله يوم كان ضعيفاً، يوم كان مريضاً، يوم كان مفتقراً، ومتى ما استغنى، ومتى ما تمتع بكامل قوته انطلق خصماً لله.

أليست حالة أن تكون متمتعاً بكامل قوتك البدنية، متمتعاً بنعم واسعة عليك هي الحال التي يجب أن تكون فيها أكثر عودة إلى الله وخشوعاً لله، وحياء من الله، وعبادة لله، أليس هذا هو الوضع الطبيعي لك؟. لو كنت تفهم.

كما كان نبي الله سليمان صاحب الدنيا الواسعة والملك العظيم، ذلك الذي يقول: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل: من الآية١٩) هذا هو الوضع الصحيح لمن يمتلكون نعما مادية ومعنوية.

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ} (النحل: من الآية٥) الأنعام هو اسم يطلق على الإبل والبقر والغنم بأصنافها {لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} (النحل:٥ -٦) أيضاً مظهر من المظاهر التي تسر الناس في حياتهم، منظر جميل يتمتعون به، هل أحد منكم شاهد هذا المنظر، ولو زمان؟. يوم كانت القرى بعد أن تشرق الشمس على الناس فيفتحون أبواب البيوت والأبواب التي يسمونها [الأحواش] التي للغنم فتخرج قطعان الغنم، منظر جميل.

أنا شاهدت هذا المنظر شاهدته قديماً وأنا صغير.. منظر رائع وجميل وقطعان الغنم من الضأن والمعز تتقدمها البقر وهي تسرح إلى المرعى، حركة القرية وأجواء القرية تكون جميلة جداً، ربما كثير منكم لم يشاهد هذه المناظر.

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} وأنتم تذهبون بها إلى المراعي ثم عندما تعودون بها من المراعي.

{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (النحل:٧) رءوف بكم رحيم بكم، يهيئ لكم هذه الحيوانات المختلفة والمتعددة الفوائد والأغراض، وأنتم لا تملكون أن تسخروها لأنفسكم فسخرها لكم؛ لأنه رؤوف بكم، رحيم بكم.

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (النحل:٨) في الوقت الذي يجعل الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات مما يحقق لنا أغراضاً كثيرة عملية، يلحظ أيضاً بأن يكون شكلها، أن يكون مظهرها جميلاً.. أن يكون جميلاً حتى جانب الزينة أن تكون مناظر جميلة، وحركات جميلة، حركات الأغنام، قطعان الأغنام ومنظرها وهي تسرح وهي تعود، الخيول البغال الحمير.. أليست مناظر جميلة؟ حتى الجانب الفني أو جانب الجمال، جانب الجمال هو أيضاً مما هو ملحوظ داخل هذه النعم الإلهية. فتتمتع أعيننا، وأنفسنا ترتاح إلى هذه المناظر، في الوقت الذي كنا بحاجة إليها حتى ولو كانت قبيحة.

وتلاحظ هذه السنة الإلهية من الله سبحانه وتعالى في مختلف النعم التي الإنسان بحاجة إليها كيف يكون ملحوظ فيها جانب الجمال، الجانب الفني، الفواكه التي نأكلها، أليست أشكالها جميلة؟. وروائحها جميلة؟.

لكن - لاحظ - بالنسبة لأهل النار كيف قال عن تلك الشجرة التي يأكلونها، شجرة الزقوم {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا - ثمارها - كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} (الصافات:٦٤-٦٥) قبيحة جداً، فمنظرها بشع ومذاقها مر شديد المرارة، وساخن جداً {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ} (الدخان:٤٥).

لكن لاحظوا هنا في الدنيا الفواكه، الأشجار التي ثمارها من الأقوات الضرورية لنا.. أليست جميلة؟. ما أجمل عندما تتطلع إلى مزارع الذرة أو مزارع البر والشعير أليس منظرا جميلا؟. مزارع البن مزارع القات، مزارع الموز وغيرها من الأشجار أليست مناظر جميلة؟.

ثم تجد كل شيء مما هو نعمة علينا أيضا مرتبط أو مترافق معه جانب الجمال، أليست هذه رحمة من الله سبحانه وتعالى بنا؟. ولأنها نعمة أخرى أيضاً في حد ذاتها، نعمة أخرى من النعم الكبيرة. لو أنك إنسان هكذا تحتاج إلى الأكل إلى الشراب تحتاج إلى حيوانات أخرى تسخر لك ثم تجد كل شيء بشعاً أمامك أنت محتاج إلى أن تشبع بطنك فقوتك شكله بشع ومذاقه مر، لكن رغماً عنك ستأكل من أجل أن تشبع بطنك، من أجل أن تستطيع أن تواصل حركتك في الحياة، أليس من الضروري أن يأكل الإنسان حتى وإن كان مذاقه مراً؟ وإن كان غير سائغ؟. لا بد.. لكن لا. الله سبحانه وتعالى يجعل شرابنا سائغاً ويجعل مذاقه جيداً، وطعامنا كذلك سائغاً ومذاقه جيداً، وشكله جميلا وفواكه جميلة وأذواقها سائغة ومناظرها جميلة.

{وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ}(النحل: من الآية٨) مما أنتم بحاجة إليه، يخلق مالا تعلمون مما هو مسخر لكم، يخلق مالا تعلمون؛لأنه على كل شيء قدير، وكم من المخلوقات الكثيرة التي لا تعلمونها خلقها الله سبحانه وتعالى.

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل:٩) تأمل في هذه الآية عدد لنا جملة نعم، بدءاً من خلق السموات والأرض، ومن خلقنا نحن، ومن خلق الأنعام، بعد أن ذكر النعمة الكبرى، نعمة الهداية {يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:٢) وكأنه يقول لنا: أنا الذي أهدي، وأنا الذي يهمني أمركم، وأنا المتكفل برسم الخط الذي تسيرون عليه، خط الهداية فتهتدون به في حياتكم، وتهتدون به إلى ما فيه جنة ربكم كأنه يقول لنا هذا.. وهو هو من له الحق في أن يهدي، وهو هو من لا يمكن أن يفرط في هدايته لعباده إذا كان هو الذي يرعاهم هذه الرعاية في شئون حياتهم.

{إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ}(النحل: من الآية٧) عندما يخلق هذه الأنعام التي سخرها لكم أليس هذا يدل على أنه رؤوف رحيم بكم؟. فكيف يمكن أن يفرط في هدايتكم، في أن يرسم لكم خط الهداية الذي تسيرون عليه المتمثل بالكتب، والمتمثل بالرسل، المتمثل بالقرآن الكريم وبالرسول العظيم (صلوات الله عليه وعلى آله) هي أول نعمة منه، وهي النعمة التي تكفل بها، فإذا كنتم ترون في هذه النعم التي تشاهدونها من الأنعام وغيرها ما يدل على

أن الله رؤوف ورحيم بكم، فتذكروا، وتأكدوا بأنه لا يمكن أن يفرط في مجال هدايتكم، وهو الذي نزل هذا القرآن بكله من أجل هدايتكم.

هو يقول لنا: أن نقطع على أنفسنا من منطلق الثقة به أن من رعانا هذه الرعاية في حياتنا بهذه النعم الواسعة التي لم ينس أن يلحظ فيها جانب الجمال لا يمكن أن يفرط في الهداية، لا يمكن أن يتركنا حائرين في هذه الدنيا، لا يمكن أن يضيعنا، إنه رؤوف رحيم، إنه رؤوف رحيم؛ ولهذا قال هنا في متوسط الآيات التي تحدث فيها عن النعم المادية يقول: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} (النحل: من الآية٩) عليه هو ليس إليكم هذا المجال.

هذه نعم مادية تتقلبون فيها على النحو الذي يطور الحياة، على النحو الذي هي مسخرة من أجله أو عليه، لكن فيما يتعلق بجانب الهداية لا تفهموا أنني عندما خلقت لكم هذه الأنعام وأنزلتها ـ كما قال: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} (الزمر: من الآية٦) ذكر أنه أنزلها: من الأنعام ثمانية أزواج ـ أنه فيما يتعلق بجانب التشريع، بجانب الهداية أنها أيضاً يقول: خذوا تفضلوا أنتم تحركوا كما تريدون فيه. لا. لا تنظروا إلى جانب الهداية كنظرتكم إلى جانب النعم؛ لأنه خلق لكم، أنزل لكم، منحكم، فأنتم تتحركون فيها فهذا يربي غنماً، وهذا يربي بقراً، وهذا يربي إبلاً، وهذا يربي كذا وكذا.

فيرى الناس أنفسهم أنهم يتصرفون فيها بحرية وكيفما يشاءون فينظرون إلى جانب الهداية على هذا النحو، لا.. الله يقول: {وَعَلَى اللَّهِ} وحده {قَصْدُ السَّبِيلِ} أن يرسم الصراط المستقيم الذي تسيرون إليه، الصراط القاصد الذي يؤدي إلى الغاية المرجوة من وراء الهداية في هذه الدنيا، وفي الآخرة.

{وَمِنْهَا جَائِرٌ} (النحل: من الآية٩) ومن السبل في هذه الحياة ما هو جائر، فإذا كانت السبل متعددة في الحياة ويأتي المجرمون والظالمون فيرسمون سبلاً من الضلال، يدعون الناس إلى السير عليها، فهو يقول: أنا لا أنساكم، وأنا الذي سأتكفل بهدايتكم، ورسم السبيل القاصد، الصراط المستقيم الذي هو هداية حقيقية لكم في هذه الحياة.

{وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل: من الآية٩) بأن يوحي إلى كل شخص، أو كما يقول المفسرون العدلية: عن طريق القسر والإلجاء غصباً عنك، يهديك غصباً عنك.

شاء الهداية وهدى على هذا النحو من إنزال الكتب، إنزال القرآن، وبعث الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن يجعل في هذه الأمة ورثة لكتابه هم أهل بيت نبيه. الهداية تكفل بها، الهداية قد رسم طريقها، وهو يقول لنا ـ وسنتابع الحديث عن بقية الآيات لتلمسوا كيف أنه داخل الآيات التي تتحدث عن النعم ـ يقول لنا: هذه النعم المادية شيء عظيم، وأنتم في الحياة في حالة تعدد السبل الجائرة أيضاً أنا أتكفل بهدايتكم، سأرسم لكم الطريق القاصد الصراط المستقيم.

وجاء هنا بهذه العبارة لكي يفهم الناس، ويفهم من يقولون: بأن كل إنسان فلينطلق ليجتهد، لينطلق ليشرع يقول له هنا: {وَعَلَى اللَّهِ} وحده {قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل: من الآية٩) يقول لأولئك الذين يعملون مجالس تشريعية في مختلف المناطق في البلاد الإسلامية ليشرعوا، ليقننوا: إن كنتم تقننون فقط على وفق أحكام الله، وتشريع الله، وهدي الله سبحانه وتعالى عندما تنصون على المجالات المتعددة المتجددة في الحياة بربطها، فإن كان من منطلق أن الإنسان يملك حق التشريع لنفسه فهذا لا يبعد أن يكون من الشرك بالله سبحانه وتعالى، وإن كان فقط مجرد إخراج، مجرد تفصيل للهداية الواضحة التي قد رسمها الله سبحانه وتعالى فلماذا تسمون تلك المجالس مجالس تشريعية؟. لا يصح أن تسمى مجالس تشريعية بأي حال من الأحوال.

كما ونحن في حالات التقنين والتشريع ـ كما يقولون ـ يجب أن نعتمد على القرآن الكريم، وعلى أهل البيت، على ورثة الكتاب، وليس فقط أن ندرس قوانين، ثم نقول: نحن مقننون، ثم ننطلق لنضع قوانين، ونصدر قوانين، ونحاول أن نستفيد من القانون المصري الذي هو مستفيد من القانون الفرنسي والبريطاني، وهكذا، وتنتهي المسألة، وإذا بنا نوصل إلى داخل أوطاننا ما قننه أعداؤنا، الذين انطلقوا ليقننوا لأنفسهم؛ لأنهم كافرون بكتاب الله، كافرون برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكأنه ليس فيما بين أيدينا من الهدى ما

يمكن أن يتناول شئون الحياة، ومستجدات الحياة، والله هو الذي يقول لنا: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ}.

ألست ترى هذه الأنعام ما تزال موجودة وقائمة؟ أليس هناك خيل، وبغال، وحمير، وبقر، وغنم، وإبل ما تزال موجودة، هو في الوقت الذي يذكرك بأنها نعم في نفس الوقت عليه قصد السبيل إذا كنت ملتجئاً إليه، إذا كانت الأمة ملتجئة إليه، وملتجئة إلى الثقلين، للتمسك بالثقلين بكتاب الله، وعترة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) فما زالت الحياة، وما دامت الحياة مستمرة فستظل الطريق القاصدة، والصراط المستقيم قائمة الله تكفل بهذا، تكفل به كما ذكر الأنعام، فكيف نرى الأنعام ما تزال قائمة، وباقية، ثم ما يتعلق بقصد السبيل، والهداية نقول: انتهت ذاك اليوم، وكل واحد يقوم يبحث هو عن الهداية لنفسه! هل هذا صحيح؟.

قد ربما لو قلنا: نحن رأينا الأبقار، والأغنام والإبل، والخيل، والبغال والحمير هذه انتهت من الدنيا، يمكن إذاً فكل ما تناولته هذه الآيات ربما قد رفع، وانتهى. لكن العجيب هو أننا نرى في الوقت الذي نجد هذه الآية، الآية التي تدل على الهداية، وأن الله هو الذي يتكفل بالتشريع لعباده، وهداية عباده، تتوسط الحديث عن نعمه، ونحن ما نزال نرى نعمه قائمة، ثم نقول: أما قصد السبيل فيبدو بأنه قد غاب، كيف يرفع الله ما نحن في أمس الحاجة إليه: هدايته، ويترك لنا البقر والحمير، والإبل، والغنم، وهذه المواشي؟!. أليست هداية الله لنا في هذه الحياة هي أهم؟. هل تبقى الحمير، ولا تبقى هداية الله؟!. بحيث تبقى الحمير في هذه الدنيا كنعمة يحافظ الله عليها أن تبقى، ولا يحافظ على أن تبقى نعمة هدايته قائمة!.. لا يصح هذا.

أم أننا رأينا أن الإنسان هو أحوج إلى الحمار أكثر من حاجته إلى هداية الله؟! نحن نرى أنفسنا مستغنين عن بعض هذه الحيوانات أليس كذلك؟. قد نستغني عنها، وقد تتطور الحياة فيستغني الناس عن كثير من هذه الحيوانات، لكن لا يمكن أن يستغنوا عن هدايته؛ لأنه هنا قال: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} أنتم لو فكرتم بأن بإمكانكم أن تستغنوا عن الإبل، والخيل والبغال، والحمير كوسائل نقل، قد يحصل بدائل، لكن هذا، ما يتعلق برسم الطريق القاصد في الحياة هو على الله وحده، ليس بإمكانكم أن تضعوا بديلاً عنه، ولو حاولتم أن تضعوا بديلاً عنه فإنما هو الضلال بدلاً عن الحق، إنما هو الظلام بدلاً عن النور، إنما هو الشقاء بدلاً عن السعادة.

ثم بعد هذه الآية يقول سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} (النحل:١٠) **ترعون فيه مواشيكم {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** (النحل:١١-١٢) **يفهمون، يفهمون ما وراء هذه فَهْمَ من يعقل، فيحفظ، ويقف، {وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}** (النحل:١٣).

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ} ما نشر من الأشياء الكثيرة من مختلف الأصناف نباتات، وحيوانات، وتربة وأحجار مختلفة الأصناف، متعددة الأغراض {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}(النحل: من الآية١٤) **أليس هذا أيضاً عودة إلى جانب الجمال؟. {حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}، {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ}**(النحل: من الآية١٤) **السفن وهي تمخر الماء بمقدمتها، وببطنها، وهذه من الآيات العجيبة، سفن ثقيلة هل هي تمشي على سطح صلب فتستمسك؟. لا، إنه سطح هي تخرقه، وتشقه، فتمخره فمن الذي يمسكها؟.**

إنه الله سبحانه وتعالى الذي جعل في هذا الماء، وفي هذه المعادن، أو هذه الآليات، أو تلك المادة التي تجعل من الممكن أن تسير هذه السفن الثقيلة لا على أرض صلبة بل على سطح قابل للإنمخار، فتمخره بمقدماتها، فيتجه يميناً وشمالاً وهي تشقه وهو عن يمين السفينة وشمالها، ترى كيف يطلع بكميات كبيرة، كالجدار الكبير. هذه الآية عجيبة من آيات الله؛ لأن الشيء الطبيعي هو أن الأشياء الثقيلة لا تستمسك إلا على سطح صلب، فالماء ليس صلباً سطحه، بل هو ينشق فتمخره السفن، مع ذلك تستمسك فوقه، وتجري فوقه.

الحركة التجارية وكأنه مطلوب من الإنسان أن يتحرك في هذه الدنيا عندما يقول: {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} (النحل: من الآية١٤) تتحرك متجهة كذا، ومتجهة بالاتجاه الآخر {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: من الآية١٤) تطلبون من فضل الله بالتجارة، بالصيد، باستخراج الحلي من أعماق البحر. {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ومتى ستشكرون؟. عندما تتذكرون بأن هذه من النعم العظيمة.

فلاحظ كيف يأتي بالتأكيد على تذكر النعم، وأن يظل الإنسان شاكراً وهو يبني حضارة، لا بد حتى تكون هذه الحضارة إنسانية حقيقية، وتكون في مصلحة البشرية، أن يكون من يقوم عليها، وينهض بها، من هم دائمو التذكر بنعم الله سبحانه وتعالى، وينطلقون في شكره {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} متى ما ضاع هذا الشعور لدى الإنسان أصبحت تجارته بالشكل الذي يضر بالبشر، يتجر في الأشياء الضارة، يمارس في عملية البيع والشراء كثيراً من المحرمات، يدخل في الربا.. أليس العالم الآن غارقاً في الربا؟ العالم غارق في الربا، والعالم في حرب مع الله {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (البقرة: من الآية٢٧٩).

وتجد من مظاهر هذه الحرب فساداً تجارياً، غلاء أسعار بشكل رهيب، هبوطاً حتى في مواصفات التصنيع من أجل مواكبة القدرة الشرائية لدى المستهلكين، المنتجات الجيدة ألم تغب عن الأسواق؟ منتجات جيدة من الإلكترونيات وغيرها من الصناعات، والأقمشة، وكثير من الآليات.. ألم تغب عن الأسواق؟. لماذا؟. ألم تهبط الصناعات، وتهبط المواصفات؟. تهبط وكل عام ترى الصناعات تهبط قليلاً قليلاً في مواصفاتها، في جودتها، لماذا؟. نزولاً عند رغبة المشتري، أو تبعاً لقدرته الشرائية؟.

الربا هو ضرب الناس حتى ضرب الصناعات فأصبحنا بدل أن كنا نتمتع بكثير من الصناعات الجيدة، ذات المواصفات الجيدة، في مختلف المجالات، ها نحن تغلب على أسواقنا منتجات مواصفاتها رديئة، ومتى ما رأينا قطعة جيدة [أصلية] من أي منتج، ورأينا سعرها مرتفعاً ألسنا نخرج من المعارض؟. ونقول: هذا سعره مرتفع، الحقيقة أنها أصلي لكنها سعرها مرتفع، والآخر قال: جيدة لكنها غالي، والرّجال صاحب المحل في الأخير لا يستورد منها، صاحب المصنع في الأخير لا يعد ينتجها، يحاول أن ينتج إنتاجا آخر يتمشى مع حالة الناس.

فنحن في حرب مع الله، والله في حرب معنا بسبب المرابين، بسبب التجارة التي تقوم على الربا؛ لأن أولئك المرابين ليسوا ممن يتذكرون نعمة الله، وليسوا ممن ينطلقون في شكره؛ لأن من يتذكر بأن ما يتقلب فيه من أموال التجارة هو نعمة من الله عليه، سيحاول أن يبتعد عن المحرمات في التعامل، سيبتعد عن الربا.

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً} (النحل:١٥) الرواسي هي الجبال لما كانت الأرض اليابسة هي في واقعها مفروشة على الماء، والماء يشكل نسبة كبيرة قد يكون أكثر من ٧٠٪ من حجم الكرة الأرضية بكلها، كانت ـ بالطبع ـ الأرض تعتبر قطعة صغيرة فوق سطح الماء، قابلة لأن تبقى تهتز وتتحرك، فألقى الله فيها الجبال تثبتها {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} لترسوا، فترسوا الأرض على الماء، ولا تكون مهتزة، فيمكن الاستقرار عليها.

أيضاً جعل في الأرض أنهاراً، أنهار المياه، جعل فيها سبلاً {وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} تهتدون وأنتم تتجهون في هذه الأرض، وأنتم تتقلبون في السفر إلى مناطق متعددة في هذه الأرض، جعل فيها سبلاً منافذاً.. أنت عندما تكون في الطائرة فترى منظر الأرض، تراها فعلاً لا ترى فيها منطقة مقفلة، حتى فيما يتعلق بتصميم الأودية، تجد كيف الجبال الشاهقة شعاب صغيرة فيها إلى أودية صغيرة، وأودية صغيرة تتجمع إلى أودية كبيرة، وتتجه هكذا باتجاه الصحراء، أو باتجاه البحر.

كذلك الأرض على الرغم من أن فيها جبالاً، لم تكن الجبال بشكل سدود، تحول بين الناس وبين أن يسافروا إلى جهات متعددة في الدنيا، بل جعل فيها سبلاً، جعل فيها منافذاً {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} وأنتم تسيرون في هذه الدنيا لمختلف الأغراض.

كذلك {وَعَلامَاتٍ} (النحل: من الآية١٦) جعل علامات للسبل في البر، وعلامات في البحر {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} (النحل: من الآية١٦) المسافرون يهتدون في البر، والمسافرون يهتدون في البحر، فأعلام في البر بشكل الجبال المختلفة، أليست أشكال الجبال مختلفة؟ هذا من أهم الأشياء في أن تتعرف على المناطق، لو كانت الجبال كلها بشكلية واحدة،

وتصميم واحد، فهي رواسي، واحد هنا، وواحد هنا، وواحد هناك، قد لا تستطيع أن تعرف وأنت تتجه.. لكن الجبال أنفسها، وشكليتها هي نفسها مما يساعد ـ أن كانت بشكل أعلام ـ وأنت تسافر فترى تلك القمة، قمة الجبل هناك، ترى الطريق من عندها إلى المنطقة الفلانية، فتراها قمة متفردة في شكلها.. أليس كذلك؟. فيها عبر كثيرة.

الجبال نفسها لعدة أغراض، ولعدة فوائد. فهي نفسها تساعد على أن تبقى الأرض فلا تميد فوق البحر، وهي نفسها غير مقفلة، قابلة لتحرك الإنسان عليها، هي نفسها قابلة للاستقرار عليها، بل أحيانا تطلع مساحة البلدان التي فيها جبال كثيرة تطلع مساحة كبيرة عندما تحسب وجه الجبل من هنا، ووجهه من هناك، ترى كيف أنه وبتصميم الله سبحانه وتعالى الذي هو حكيم لا يضيع حتى المساحة التي سيشغلها الجبل.. أليس الجبل ضروريا بالنسبة للأرض؟. سيجعل الجبل نفسه بشكل يكون أوسع مساحة من المساحة التي يشغلها في موقعه، فعندما تمسح مساحة الجبل من هنا كم سيطلع؟ ومن جانب آخر كم سيطلع؟. ستراه أكثر من المساحة التي يشغلها الجبل.

لأن الله حكيم، هو لا يبذر، هو لا يضيع، يقول: الجبل ضروري، سنضع الجبل وإن كان كذا.. أهم شيء أن ترسو الأرض، فنرى الجبل هذا، وسلسة من الجبال تشغل مساحات واسعة من الأرض، ثم هي نراها لا تصلح للسكن عليها، ولا تصلح للتحرك فيها، عبارة عن سدود شاهقة، ليس لها أكثر من مهمة واحدة، هي أن تمسك الأرض أن تميد وهي مفترشة فوق الماء.. لا.. لعدة أغراض في الوقت الذي تقوم بهذه المهمة تصلح للمهام الأخرى، فتصلح حتى أن تكون أعلاماً.

وفي هذا إرشاد، لاحظوا في كل خلق الله سبحانه وتعالى إرشاد للناس في مجال التصميمات، في مجال الصناعات. عندما تصمم لك منزلا تحاول أن يكون تصميمك للمنزل بالشكل الذي لا يضيع المساحة، بعض الناس يأتي فيصمم له منزلاً، فيأخذ مساحة في موقع جميل، ويخسر فيه مبالغ كبيرة، لكن صممه تصميماً عشوائياً، فترى البيت هذا بشكله الكبير، وتراه من داخله لا يفي بحاجات صاحب البيت من الغرف، ومن الصالات، وغيرها، ضيع أرضية، وضيع أموالاً كثيرة، وسبب ذلك كله ضعف التصميم، والخطأ في التصميم.

الله الذي صمم هذه الأرض، لاحظ كيف يعمل، لا يضيع شبراً واحداً من الأرض بدون فائدة، فالمساحات التي تشغلها الجبال في الأرض يعوضها، فتطلع مساحة الجبل أكثر من المساحة التي يشغلها، وهكذا يجعل الجبل صالحاً للزراعة، يجعل الجبل صالحاً للاستقرار، صالحاً لأن تعيش فيه حيوانات أخرى، صالحاً لأن يكون فيه مراعي، والمهمة الرئيسية له هي أن تكون رواسي تمسك الأرض، أليس هو سبحانه وتعالى من يعلمنا هنا كيف نصنع؟. وكيف نعمل؟. وهو هو من كان يستطيع ويستطيع فعلاً، أن يعوض المساحة التي يشغلها الجبل بقطعة أرض يزيدها من طرف الأرض أليس هذا ممكن؟. لكن لا، لا يضيع شيئاً. {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل:١٧-١٨)

فتأمل في هذه النعم، تأمل فيها كنعم، تأمل فيها كمخلوقات مهمة، مدبَّرة، تدل على حكيم دبرها، على قدير صنعها، أليست هذه تدل كلها بالنسبة لنا؟ تجعلنا نقطع بأن الله هو الملك، هو الإله، هو القدير، هو الحكيم، هو الرؤوف، هو الرحيم. إذاً فهو وحده الذي له الحق أن يدبر شؤون عباده، هو وحده الذي له الحق ويملك الحق في التشريع لعباده، وأن يهدي عباده، ويرسم لهم طريق الهداية، هو له وحده الحق في أن يكون هو الملك الذي يحكم هذه الأرض، وهذا الإنسان، التي هي من خلقه، وهو من خلقه.

وارجع إلينا لترى كيف تعاملنا نحن البشر مع الله سبحانه وتعالى، أليس الله هو الملك؟. في أكثر من آية {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ} (فاطر: من الآية١٣) **هكذا يقول في آيات أخرى سنصل إليها إن شاء الله {لَهُ الْمُلْكُ} جاءوا لينتزعوا فيما يتعلق بالسلطة، فيما يتعلق بالحكم على عباده، فيما يتعلق بولاية شأن عباده.. ألم ينتزعها الآخرون من يده سبحانه وتعالى؟. لا أنهم مغالبون له، ولكن نحن من منحناهم أن يبعدونا عن حاكمية الله، وعن سلطان الله، نحن البشر الذين منحناهم أن يبعدونا عن حاكمية الله، وعن سلطان الله، وأن يتسلطوا هم على**

رقابنا.. كيف يمكن من يدبر شؤون العالم على هذا النحو، ومن يكون هو الملك، ثم لا يكون له أي وسيلة لتدبير شؤون عباده، ولنفاذ ملكه، وسلطانه على عباده؟! أبداً ليس هذا مما يمكن أن يكون غائباً، وأن يكون غير واقع.
ثم نأتي نحن البشر كل واحد يحكم الآخرين رغماً عنهم، إما بالغلبة، أو نأتي نحن لنختار فلاناً، أو فلاناً، هكذا اختياراً عشوائياً لا يقوم على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى، ولا على أساس مقاييس إلهية، ومقاييس دينية يرسمها الله سبحانه وتعالى لعباده.. ألسنا هنا من أضعنا سلطان الله، وأضعنا حاكمية الله علينا؟. هذا هو من الكفر بالنعم، هذا هو نفسه من الشرك بالله؛ لأن الله الذي خلقك، وخلق هذا العالم، وهو الذي دبر شؤون هذا العالم على هذا النحو المفصل العجيب، هو وحده الذي له الحق أن يلي شؤونك، أن يكون هو وليك {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة: من الآية٢٥٧) فهو وليهم في هذه الحياة، كما هو وليهم في الآخرة.
فعندما نعطي حاكمية الله لمن لا يكون على أساس من هدى الله، فنحن كمن يتجه بعبادته إلى غير الله، وفعلاً أذكر عند بعض العلماء من يعتقد هذه شركاً فعلاً، يعتبرها شركاً، أن تؤمن بحاكمية غير الله، أو حاكمية سلطان ليس على أساس من هدي الله، لا يمتلك شرعية تقوم على أساس من هدي الله سبحانه وتعالى، فإنك قد أشركت بإلهك، قد أشركت بالله.
فهو الذي يشرع لعباده؛ لأنه ليس باستطاعة أحد غيره، لا ملك من ملائكته المقربين، ولا نبي من أنبيائه المرسلين، ولا أحد من أوليائه، ولا أحد مهما بلغ ذكاؤه، أو فطنته يستطيع أن يشرِّع للناس، وأن يرسم الهداية للناس في هذه الحياة بعيداً عن الله، المسألة عميقة جداً.. الله هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق هذا العالم، هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، يعلم أعماق النفس البشرية، لا يستطيع غيره أبداً أن يشرع على النحو الذي يمكن أن تسير الحياة عليه نحو السعادة، ونحو الاستقامة أبداً مهما كان.
ولهذا ترى بأنه حتى أنبياء الله (صلوات الله عليهم) إنما كانوا مبلغين لهدي الله، ولم يكونوا عبارة عن مشرعين هم، على الرغم من أنه قد أكملهم، واصطفاهم، فلم يأت ليكمل نبيه، ويصطفيه، ثم يقول له: أنت قد بلغت المرحلة فيما يتعلق بحرصك على الأمة، في كمالك الإنساني، فانطلق أنت وشرِّع للناس ما تراه مناسباً، وأنت موثوق بك عليهم؛ لأنك رحيم بهم، وحريص عليهم.. ليس باستطاعته ـ حتى وإن كان حريصاً، وإن كان رحيماً، نبي من أنبيائه، أو ملك من ملائكته، أو أحد من أوليائه، أو أحد، أو أحد من الناس جميعاً يستطيع، لا يستطيع مهما كانت نيته حسنة، مهما كان حريصاً أن يشرِّع هو للناس التشريع المستقيم.
بل نحن الآن ألسنا نشكو بأننا ـ ونحن نقدم هدي الله لعباده لدقة المسألة، لخطورتها ـ ألسنا نشكو من أخطاء كثيرة وقعت على أيدي علماء من هنا وهنا؟ والكل أو أكثرهم فعلاً ينطلقون بحسن نية، ويرون بأنهم يبلغون عن الله، ويبلغون هدي الله، وحتى أولئك الذين يقولون: كل إنسان ينطلق ويبحث عن خالقه، ثم يبحث عن الأحكام التي يتعبد الله بها إنما انطلقوا من شعور بأنه يجب على الإنسان أن يعبد الله، لكن قدمت القضية على هذا النحو المغلوط الذي أدى إلى إبعاد الناس، إبعاد المسلمين عن هدي الله، أو أكثرهم أبعدوا عن هدي الله، ثم نشأت سبل متعددة جائرة على أيدي من هم يريدون أن يصلوا بالناس إلى تعبُد الله سبحانه وتعالى فيما شرع لهم.
{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (النحل:١٧) يتذكرون بأنه وحده من يخلق، هو من يملك، ويقدر، ويعلم كيف سيكون هذا التشريع مناسباً مع الحياة، ومع الإنسان، وحتى لا يقال بأنه سننطلق من الحفاظ على مصالحنا، المصالح مترابطة، الإنسان مرتبط بهذا العالم، العالم مرتبط بهذا الإنسان، القضية هي عبارة عن شبكة مترابطة، ولهذا جاء التشريع نفسه شبكة مترابطة من الأحكام، ومن الإرشادات، ومن التوجيهات، شبكة مترابطة، ليس هناك أحكام شرعية تقول هكذا جاء ليتعبد الناس به، هكذا لمجرد التعبد به، أبداً، كلها شبكة مرتبطة مع بعضها بعض والإنسان بما هو عليه شبكة مرتبطة مع العالم على ما هو عليه، والكل ليسوا بعيدين عن الله سبحانه وتعالى، الحياة بكلها تتجه لغاية رسمها الله سبحانه وتعالى للإنسان عندما استخلفه عليها.

فنحن بحاجة إلى أن نقطع ونحن نثق بالله سبحانه وتعالى أنه وحده هو من يملك حق التشريع لنا، وحق ولاية أمرنا؛ لنحقق أيضاً {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦).

اللهم وفقنا لأن نكون من أوليائك، ولأن نكون ممن يثق بك، وبصرنا اللهم هدايتك التي هديت عبادك إليها، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واهدنا الصراط المستقيم، وأبعدنا عن السبل الجائرة في هذه الحياة، وصلى الله على محمد وعلى آله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٩ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

الدرس التاسع

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٨/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ما يزال الموضوع هو حول موضوع: [معرفة الله] سبحانه وتعالى، لنعرف كيف نتولى الله، وليترسخ في نفوسنا شعور بعظمة الله، وثقة بالله، وتوكلا عليه.

الدرس سيكون حول: [الوعد والوعيد]، الوعد والوعيد فيما يعني ككلمة أصبحت تعني في استخدامنا لها: الوعد بالثواب، والوعيد الذي يعني: العقاب.

الوعد والوعيد: هو مما ملئت به صفحات القرآن الكريم وتكرر كثيراً في آيات الله في القرآن الكريم الحديث عن الجنة، الحديث عن النار بالتفصيل الكامل للجنة والنار.

الوعد للمؤمنين في الدنيا، الوعد للمتقين، الوعد لمن يسيرون على هدي الله في هذه الدنيا، وعدهم بأشياء كثيرة جداً، والوعيد لمن يخالفون هدي الله في هذه الدنيا، ومن يتمردون عليه، ومن يعصونه، توعدهم بعقوبات كثيرة جداً.

والمؤسف هو أن هذا العنوان ـ الوعد والوعيد ـ هو من المباحث التي نقرأها في كتب [علم الكلام]، والتي تقدم إلينا باعتبارها الكتب التي من خلالها نعرف الله سبحانه وتعالى، ولكن بعد هذا العنوان الكبير، تقدم المسألة في أضيق نطاق، فتجد ما يبحث عنه في تلك الفصول تحت هذا العنوان، هو ما يتعلق بموضوع: [الشفاعة]، [الخلود من عدمه] أو [الشفاعة للمجرمين من عدمها].

يتناول هذا الموضوع تناولاً موجزاً جداً، ثم نقفل صفحات أو دفة ذلك الكتاب ونرى أنفسنا وكأننا قد عرفنا الله سبحانه وتعالى، وعرفنا الوعد والوعيد!. هذا شيء.

الشيء الثاني أيضاً: أنه يقدم لنا [الوعد والوعيد] سواءً من خلال كتب [علم الكلام] أو من خلال ما يقدم لنا على منابرنا موضوع: [الجنة والنار] فقط، موضوع الجنة والنار، وعد ووعيد، وتقدم لنا الجنة وكأنها هي الغاية من خلقنا في هذه الدنيا، تقدم النار وكأنها تكاد أن تكون هي الغاية من وراء خلق المجرمين والكافرين في هذه الدنيا، فيصبح المفهوم لدينا والمترسخ في ذهنيتنا هو: كأن الناس إنما خلقوا هنا ليعيشوا فترة معينة في هذه الدنيا، فهي فقط مجرد مرور، هذا الوجود ليس له هناك غاية أكثر من أن يتميز هنا من الذي سيمشي إلى الجنة ومن الذي سيمشي إلى النار فقط.!

هذا المفهوم ناقص جداً، ومؤثر، وله سلبيات كثيرة فيما يتعلق بفهمنا للدين، وفيما يتعلق حتى باعتزازنا بالدين واستشعارنا لعظمة هذا الدين، مفهوم أدى إلى جهلنا بالغاية كلها من هذا الوجود.

نجد القرآن الكريم قدم قضية: الجنة والنار بكلها، باعتبارها آلة ترغيب وترهيب للبشر هنا في الدنيا ليستقيموا، لتستقيم الحياة، ليؤدي الإنسان المهمة التي استخلفه الله لأدائها، فجاء التحذير من نار جهنم، جاء الحديث الكثير عن جهنم، من أجل ماذا؟ أليس من أجل أن نلتزم هنا في الدنيا، من أجل أن نستقيم هنا في الدنيا؟ ثم نأتي إلى تشريعات هذا الدين، وإذا هي مرتبطة بالدنيا: نوع من التعامل فيما بيننا، لأداء مهام هي مرتبطة بحياتنا، مرتبطة بكرامتنا، بعزتنا، بقوّتنا، برفعتنا، بسعادتنا، فيأتي الحديث عن جهنم ويتكرر في القرآن الكريم ليرسخ في ذهنيتنا: أن جهنم هي للتخويف لنا هنا في الدنيا وليس فقط لمجرد الإيمان، ثم متى ما حصل منك إيمان سينفعك، ولهذا تلاحظ متى ما أقفل ملفك في الدنيا، ملف الحياة، هل سينفع الإيمان بجهنم؟. لا.

في الحشر، في اليوم الذي طوله كما قال الله سبحانه وتعالى عنه: {خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}(المعارج: من الآية٤) **سواء كان بمعنى خمسين يوما أو أن يكون بمعنى يوم واحد ينجز فيه ما ينجز في نحو خمسين ألف سنة ـ المهم أنه يوم طويل ـ أليس الناس سيكونون هناك كلهم مؤمنين، مؤمنين كلهم، مؤمنين بالجنة، ومؤمنين بالنار، هو يرى النار أمامه، أليس هذا اليقين والإيمان الواضح؟ لكن هل سينفعهم إيمانهم هناك؟ لا. لماذا؟**

إذا كانت قضية الجنة والنار هي لمجرد الإيمان بهما والإيمان بك يا الله، لماذا لا ينفعنا الإيمان بك ونحن الآن في

المحشر؟ ـ حسناً، آمنا ـ ؟ هل سينفع؟ لأن ساحة العمل هي الدنيا التي كان المطلوب أن تؤمن هناك لتستقيم تلك الحياة، لتقوم بمهمتك في الحياة على نحو صحيح.

نفس الشيء بالنسبة للجنة، قدمت الجنة وجاء الحديث عن الجنة ترغيباً للناس ليستقيموا هنا في الدنيا، لتستقيم الحياة في الدنيا، ليعملوا بالدين هنا، هنا في الدنيا فما الذي حصل؟ حصل تنصل عن هذه الحياة وفهم بأن الآخرة هي الغاية، هي الغاية من الوجود..

هي مأوى، هي مأوى، هي مرجع أما الغاية من الوجود، من وجود الناس فهي هنا في الدنيا.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: من الآية٣٠) خليفة ماذا يعمل؟ خليفة تسخر له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، له دور كبير، له دور مهم؛ فتأتي الجنة للترغيب للمؤمنين، للترغيب للبشر جميعا أن يستقيموا، أن يلتزموا بهدي الله، وأن يستقيموا عليه، وأن يقوموا بأعمالهم في هذه الحياة وفق هداية الله سبحانه وتعالى لهم؛ وهو الذي قال لبني آدم من أول ما أهبط آدم من الجنة: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً} (طه: من الآية١٢٣ـ ١٢٤) ألم يتحدث عن هذه الحياة؟.

ثم يقول: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: من الآية١٢٤) عندما يأوي، عندما يرجع. فالآخرة هي مرجع، هي مأوى، وليست هي الغاية من الوجود، ليست هي الغاية من وجود البشر هنا، لأنه كان بالإمكان أن يقال ـ سؤال أو تساؤل ـ لماذا لم تخلقنا في الجنة من أول يوم؟ ونسلم الضجة هذه، ونسلم الفساد هذا، ونسلم كل شيء، إذا كان المقصود هو: أن البشر الغاية التي وجدوا من أجلها هو أن يصيروا إلى الجنة، كان تخلقهم في الجنة من أول يوم.. كيف تجعل الآخرة هي غاية الوجود بكله وإذا بنا نرى نحو ٩٠٪ من البشر على أقل تقدير هم متجهون إلى جهنم!.

يجب أن نفهم قضية الجنة والنار وفق النظرة القرآنية التي تدل على: أن الاستقامة هنا في الدنيا هي قضية مهمة جداً، وأن الجنة والنار في واقعهما تخويف وترغيب لنا، لنستقيم هنا في الدنيا، وليس فقط حتى لمجرد الإيمان بالله لأنه هل الله سبحانه وتعالى يختلف وضعيته في الدنيا والأخرى؟ هل تختلف؟ الله هو هو.

فإذا كان المطلوب هو: الإيمان بالجنة والإيمان بالنار، والغاية من وجودهما هو: أن نحصل على إيمان بك وبهما لمجرد الإيمان بهما، فالإيمان في الآخرة بالله، أليس شيئا سيحصل؟ لماذا لا ينفع؟ هل لأن الله اختلفت وضعيته؟ لا. هو، هو، الله سبحانه وتعالى هو من له الحمد في الأولى والآخرة، هو من لا يختلف بالنسبة له سبحانه وتعالى عالم الدنيا وعالم الآخرة، فلماذا لا يدخل أهل المحشر جميعا الجنة، وهم قد أصبحوا مؤمنين، أصبحوا مؤمنين، أصبحوا موقنين، أصبحوا منقطعين إلى الله، أصبحوا خائفين، وجلين؟ هل هناك شيء أقوى من إيمان الناس يوم القيامة؟ إيمان، لكن إيمان، يرون جهنم أمامهم، من هو الذي لا يحصل في نفسه إيمان؟ ألم يحصل إيمان بالله، وحصل إيمان بالجنة والنار؟.

ما الذي تغير؟ هل الله تغير؟ نقول: [لم يعد ينفع الإيمان به، فقط كان نؤمن به يوم كان هو في الدنيا أما عندما أصبح في الآخرة لم يعد يصلح الإيمان به!] لا يصح أن يقال هكذا.

مهمة الإنسان في هذه الحياة كبيرة وواسعة جداً، ما هي المهمة؟ هي: خلافة الله، هي أن يكون خليفة لله في أرضه، وأن يسير في هذا العالم في عمارته وفي تطوير الحياة فيه على وفق هدي الله الذي رسمه لبني آدم جيلاً بعد جيل على أيدي رسله، وفيما أنزله من كتبه، ثم من خرج عن هدي الله يعتبر هنا في الدنيا، هنا في الدنيا خبيثا، هنا مفسداً {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) ولا بد للإله، للملك هو أن يكون هناك في هديه نظام ما يسمى: بنظام الثواب ونظام الجزاء ـ الثواب والعقاب ـ يكون هناك عقاب ويكون هناك ثواب، فقد جعل جهنم في الأخير لكل الخبثاء هنا في الدنيا، من خبثت نفوسهم هنا في الدنيا سيكون مأواهم جهنم.

ألم يتحدث عن الجنة والنار بأنها تسمى مأوى؟ أنها أمه التي يأوي إليها؟ يرجع إليها؟ {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} (القارعة:٩).

لم يتحدث عنها بأنها هي الغاية من وجوده. ومن سار على هدي الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، هناك وعود

كثيرة له في الدنيا، ووعد عظيم في الآخرة، كما هناك تهديد شديد وعقوبات في الدنيا هنا، وعقوبات في الآخرة.

فعندما قدمت المسألة على هذا النحو: أصبحت لدينا مفاهيم كثيرة مغلوطة، وأصبحت نظرتنا إلى الدنيا هذه بأنها دنيا لا علاقة لنا بها أبداً، لا علاقة لنا بها أبداً! وفهمنا الدين في أنفسنا وفهّمنا الآخرين بأنه دين لا علاقة له بالدنيا، والدنيا هذه هي الحياة، أي لا علاقة لهم بحياتنا الدنيا.

قدم الوعد والوعيد بأنه يعني فقط: [الجنة والنار] ولم يأت حديث عن ما وعد الله به أولياءه في الدنيا، عن ما وعد الله به من يستقيمون في الدنيا، من يهتدون بهديه في الدنيا، ألم يعد وعوداً كثيرة؟

وقدم الوعيد بأنه النار فقط!! ولم يأت حديث عن ما توعد الله به المجرمين والفاسقين والضالين والمعرضين عن هديه هنا في الدنيا.

فالذي يجب أن نفهم: وعداً ووعيداً، وعداً ووعيداً يبدأ من الدنيا هنا وينتهي بالآخرة، حتى أصبحنا ـ لخطورة سلبيات هذا المفهوم، مفهوم: الوعد والوعيد ـ أصبحنا نعيش في حالة وعيد هي مما توعد الله بها من يعرضون عن ذكره، من يقعدون عن نصرة دينه؛ فأصبحنا نعيش في حالة من الذلة، وحالة من الإهانة، وحالة من الاستضعاف، هي حالة عقوبة، ولكن لا نعتبرها عقوبة، وناسين، بل نتعبد الله بها! أليس هذا مفهوماً مغلوطاً؟.

أنت في حالة عقوبة على ما قصرت وإذا بك تنظر إلى ما أنت فيه فتتعبد الله بالصبر عليه! وتتعبد الله بالبقاء عليه إلى آخر أيامك؛ لأنه هكذا فهمنا: أن الوعيد هو ذلك الذي هو مرتبط بالنار.

ألم يذكر الله في القرآن الكريم في آيات كثيرة الوعد والوعيد هنا في الدنيا؟ {وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً} (الجن:١٦) **أليس هذا وعداً إلهياً؟ {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}** (الأعراف: من الآية٩٦) **أليس هذا وعداً إلهياً في الدنيا؟ {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}** (نوح:١٠ـ١٢) **أليس هذا الكلام وعداً من الله في الدنيا؟ {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** (الحج: من الآية٤٠). **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}** (المنافقون: من الآية٨) **أليس هذا وعداً في الدنيا؟.**

{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} (القصص: من الآية٥ ـ ٦) **أليس هذا وعداً إلهياً هنا في الدنيا؟ {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ}** (آل عمران:١١٢) **أليست هذه عقوبة في الدنيا ووعيداً في الدنيا؟ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}** (الروم: من الآية٤١) **أليس هذا وعيداً في الدنيا أن يذيقهم؟ {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}** (الأعراف:١٥٢) **أليس هذا وعيداً أن المفترين سيذلهم الله، سيعاقبهم الله؟**

وهكذا تجد القرآن الكريم مليئاً بهذا، مليئاً بالوعد والوعيد، وأن تؤمن بأن الوعد والوعيد يبدأ من هنا من الدنيا؛ أنت ستستطيع أن تفهم واقعك، تستطيع أن تعرف وضعيتك التي أنت فيها، هل أنت في وعد أو وعيد؟ هل أنت داخل مثوبة من الله أو داخل عقوبة من الله؟.

لو كنا نفهم الوعد والوعيد يبدأ من هنا من الدنيا لما اختلطت الأوراق علينا، فأصبحنا نتعبد الله بالبقاء على حالة الذلة التي نحن عليها، كيف هذا؟ أصبحت العقوبات هنا في الدنيا لا نحس بها، العقوبات الإلهية، ألم يقل عن بني إسرائيل عندما ضرب عليهم الذلة والمسكنة بأنه بما عصوا وكانوا يعتدون، أي هكذا سيعمل بالعصاة وسيعمل بالمعتدين. هذه الأشياء التي نؤكد على ضرورة اعتماد القرآن الكريم فيها بالذات: أن نفهم الوعد والوعيد الإلهي بمعناه الكامل، الذي يبدأ من هنا من الدنيا وينتهي في الآخرة.

وأن كل ذلك الوعد والوعيد الذي يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، عندما يحدثنا عنه بأنه لن يتخلف، كله ليدفعنا إلى الإستقامة على هديه، والثبات على ما أرشدنا إليه.

جهنم، أليست جهنم هي لدينا وقدمت في القرآن الكريم هي العذاب الشديد؟ فعلاً نعوذ بالله من جهنم، جهنم هي مستقر غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه، جهنم جعلها الله عذاباً شديداً فوق ما يمكن أن يتصور الناس {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر: من الآية٤٧).

الجنة هي النعيم العظيم، النعيم الذي وصفه الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) بعبارة موجزة: ((فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) كيف نؤمن بهما؟ وما هو الأثر الذي يتركه الإيمان بهما؟ وكيف نؤمن باليوم الآخر بتفصيلاته تلك المهولة، بتلك الأهوال التي تأتي في ذلك اليوم؟ ما علاقته بمعرفة الله؟ الإيمان باليوم الآخر،الإيمان بالجنة، الإيمان بالنار، يجب أن يكون إيماناً بالشكل الذي يترك أثره في نفوسنا، إيماناً يشدنا إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن الجنة بيده والنار بيده، وهو من يبعث عباده ويحشرهم ويحاسبهم وهو من يصنع كل تلك الأهوال في ذلك اليوم.

أوليس من أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى: الجبار، شديد العقاب، ألم يصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه شديد العقاب؟ أن نؤمن بأنه جبار، جبار على من يتمردون عليه، على من لا يهتدون بهديه، على من يعاندون ما أنزله على أنبيائه من الهدى، من الآيات البينات؟ شديد العقاب لا أحد غيره يمكن أن تصل عقوبته إلى معشار، معشار العقوبة من الله سبحانه وتعالى، هذا نفسه سيربطنا بالله سبحانه وتعالى، بالجبار بشديد العقاب، يربطنا به فنعرفه بهذا سبحانه وتعالى بأنه جبار وشديد العقاب، فيدفعنا ذلك إلى أن نخشاه، إلى أن نخاف على أنفسنا من مخالفة ما هدانا إليه وأرشدنا إليه.

الإيمان السائد بالله سبحانه وتعالى هو إيمان: [الله غفور رحيم] أليس كذلك؟! {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} (الحجر:٥٠) **{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ}** (غافر: من الآية٣) **أليس يريد أن نؤمن بالأمرين معاً؟: أنه غفور رحيم، وأن عذابه هو العذاب الأليم، أنه غفور رحيم، وأنه شديد العقاب، أنه {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ}.**

أعمالنا في هذه الدنيا أليست تسير على شق واحد؟ هو شق: ((الله غفور رحيم))؟ أليس هذا الذي يحصل؟! أي إيماننا ناقص بالنسبة لله سبحانه وتعالى؛ لأن الإيمان به ليس فقط إيمان بمجرد وجوده، الإيمان به مرتبط بالإيمان برسوله، بكتبه، باليوم الآخر.

أن تكون مؤمناً بالله ثم لا تكون مؤمناً باليوم الآخر، أو تكون غافلاً عن اليوم الآخر، أو ناسياً لليوم الآخر، سيبدو إيمانك بالله سبحانه وتعالى ذاته ناقصاً؛ لأنك فقط آمنت بأنه هو الغفور الرحيم، وهو في نفس الوقت ـ كما وصف نفسه، وكما سمى نفسه ـ : الملك، القدوس، السلام، المؤمن، العزيز، الجبار، المتكبر، هو غافر الذنب، هو شديد العقاب، كما قال: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} قل لهم أنا هكذا، ليؤمنوا بي هكذا إيماناً كاملاً، لأن القضية مهمة؛ الإيمان بالله سبحانه وتعالى على هذا النحو الكامل هو ما يدفعني إلى أن أرغب إليه وأرهب منه إلى أن أتقيه.

والتقوى ـ لاحظوا ـ كيف التقوى في القرآن الكريم؟ تأتي بعبارة: {وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (البقرة: من الآية١٩٧) **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}** (التوبة: من الآية١١٩) **{اتقوا الله} تتكرر كثيراً.**

أين يتجه الأمر بالتقوى؟ أين يتجه؟ إلى غفور رحيم!؟ أو الإتقاء لأنه سبحانه وتعالى شديد العقاب؟! فلا تتحقق التقوى لدي إذا لم أؤمن بالله سبحانه وتعالى على هذا النحو.

أين موضع شدة عقابه؟ أين موضع جبروته وبطشه؟ هنا في الدنيا وفي الآخرة على أعلى مستوى، وأشد ما يمكن أن يكون، جهنم.

إذاً فالإيمان بجهنم، الإيمان باليوم الآخر على هذا النحو الذي يجعلني خائفاً، هو نفسه الإيمان بأن الله شديد العقاب، الإيمان بأن عذابه هو العذاب الأليم، ومن هذا الطريق تأتي إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وليترسخ في نفسي الخوف من جهنم؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم الآيات الكثيرة التي تتحدث عن تفاصيل جهنم بشكل رهيب.

القرآن الكريم تحدث عن وقودها فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة:٢٤) **وقودها الناس والحجارة تصبح أنت مجرد وقود لجهنم من شدة العذاب ـ نعوذ بالله ـ تصبح أنت جزءاً من النار، وكتلة من النار، ووقودها الحجارة، الصخرات التي تتحول إلى جمرات متوهجة، نار ليست ذات درجة حرارة ثابتة بل هي نار متسعرة، ملتهبة، متسعرة، فيقول الله سبحانه وتعالى: {وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً}** (النساء: من الآية٥٥) **والعذاب فيها ـ نعوذ بالله منها ـ العذاب فيها ليس فترة محدودة أو لعمر محدود قد ينتهي فينتهي الألم. الله يقول عن أهل جهنم وهم يعذبون فيها: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}** (النساء: من الآية٥٦) **يقال: أن الجلد هو منطقة الإحساس فالجلد هو من يحترق، فكلما احترق يبدل ليبقى الألم مستمراً.**

الآلام في الدنيا قد تصل إلى درجة أن تفقد وعيك، فتفقد إحساسك فتصبح في واقعك مرتاحاً غير متألم، هناك في جهنم لا يفقد الإنسان وعيه، ولا يتلاشى حتى ينتهي وجوده فيدخل في غيبوبة مطلقة فلا يعد يحس بشيء، بل يبقى يتألم، وكل عضو يفقده من احتراق في آنٍ يتجدد ذلك العضو من جديد.

جهنم الشيء المؤسف، والشيء العجيب من حالة الإنسان: أن تكون جهنم التي تحدث الله عن شدة عذابها، تحدث عن حالة أهلها السيئة، البالغة السوء، أن يكون اتجاه الناس إليها، إتجاه الناس، أغلب الناس إليها، وتلك الجنة التي تحدث عنها في كل كتبه، ووصفها لعباده، القليل منهم من يدخلها!.

يقول عن جهنم، يبين لك أن من يدخلها هم أمم، أمة بعد أمة، وجيل بعد جيل: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف:٣٨) **هذه الآية تشبه الآية الأخرى، لتدل على أن الأكثرية من البشر هم متجهون إلى النار {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}** (يس: من الآية٦٠) **هذا مما يقول الله سبحانه وتعالى، مما سيقوله لبني آدم يوم القيامة، فترى كيف الخطاب خطاب عام {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}** (يس٦٠-٦٣) **أليس جزءاً من الكلام معهم؟ {اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}** (يس:٦٤).

قضية مؤسفة جداً، وهذا هو ما كان يؤلِّم أنبياء الله في كل زمان، وهو ما كان يظهر على الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **شدة تألمه، تحسره على الأمة، تلك الأمة التي يعيش في عصرها والأمة من بعده إلى آخر أيام الدنيا، متألم جداً ومهتم بأمرهم جداً، يعمل بأي طريقة أن يعمل ما يصرفهم عن جهنم.**

ولهذا كان (صلوات الله عليه وعلى آله) **وكذلك كان أنبياء الله جميعاً يعملون بكل جد واجتهاد لنصح الناس ويعانون ويتعبون ويعذبون ويشردون ثم يقتل كثير منهم وهم في جد في عملهم في إبعاد الناس عن جهنم لكن لا ينفع؛ لأن الناس كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}** (يس:٦٢) **أفلم تكونوا تعقلون: ما جاء من آيات في كتبي، ما جاءت به رسلي؟! {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}** (الأنعام: من الآية١٣٠) **أفلم تكونوا تعقلون ذلك الهدى، أفلم تكونوا تعقلون ذلك الهدى الذي فيه نجاتكم، الذي فيه إبعادكم من أن يضلكم الشيطان، من أن يدفع بكم جميعاً على هذا النحو: إلى أن تكونوا من أصحاب السعير، أفلم تكونوا تعقلون؟.**

هنا: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ} (الأعراف: من الآية٣٨) **ـ أممٍ ـ أمة بعد أمة {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا}** (الأعراف: من الآية٣٨) **يتلاعنون [أنتم الذين أضليتمونا، أنتم الذين عملتم كذا، لعنة الله عليكم..!] هكذا يصبح أهل النار حياتهم فيها حياة اللعن لبعضهم بعض، أصبحوا هناك عاقلين، أصبحوا فاهمين، أصبحوا كتلاً من الحقد على بعضهم بعض خاصة الضعاف المستضعفين، تكون حسراتهم أشد، العذاب النفسي يكون عليهم أشد.**

والقرآن الكريم عرض ما يتعلق بالمستضعفين من الناس هؤلاء العوام، عامة الناس، البسطاء، هم أكثر الناس عذاباً نفسياً، تألم وحسرات هم لهم عذاب لكن الحسرات التي تقطع القلوب تكون على المستضعفين، على

الأتباع، على المساكين، المساكين ـ بتعبيرنا ـ فيما يتعلق بالمقارنة بين الكبار والصغار.
{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} لعنت مثيلتها لعنت السابقة قبلها. {حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً} (الأعراف: من الآية٣٨). تلاحقوا وأصبحوا جميعاً فيها {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ} (الأعراف: من الآية٣٨) هنا كل أمة تعرف من أين كان منبع ضلالها، أنها تلك الأمة السابقة أولئك هم الذين أضلونا فهم في النار في جهنم كتلاً من الحقد عليهم يحاولون إذا ما زال هناك شيء يمكن أن يضاف لأولئك من العذاب: {رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ} (الأعراف: من الآية٣٨) أضف لهم، أضف لهم عذاباً هم الذين أضلونا في الدنيا، كنا نقول فيهم: كذا وكذا، وكنا نقدسهم، وكنا نعتبرهم أعلام الحق، وكنا نتمسك بهم، وكنا وكنا.... إلى آخره؛ فإذا هم في الأخير هم من أضلونا!.

لاحظ ما الذي سينفعهم في النار؟ هذا الكلام: أنهم عرفوا أن أولئك هم الذين أضلوهم فأصبحوا يلعنونهم وأصبحوا يطلبون من الله بإلحاح أن يزيدهم عذاباً فوق عذابهم، هل سينفع هؤلاء المساكين؟.

هذه الآيات توحي لنا بأنه هنا في الدنيا، في الدنيا، إلعن أولئك الذين أضلونا، إلعن أولئك الذين أضلوا الأمة من سابقين أو من لاحقين، إن لعنتهم هنا في الدنيا هي التي ستجدي، أن تفضحهم هنا في الدنيا، وأن تطلب من الله أن يخزيهم وأن يخزي من يسير على نهجهم، هنا في الدنيا سينفع، أما نأتي ندافع عنهم هنا في الدنيا ونتمسك بهم، ونرفض القرآن ونرفض الرسول من أجلهم ثم نرى أنفسنا في يوم القيامة وإذا نحن تحت أقدامهم في النار ثم نلعنهم ثم اكتشفنا بأنهم هم كانوا سبب ضلالنا {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ} (الأعراف: من الآية٣٨).

أليس هناك من يقول: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ} (البقرة: من الآية١٣٤) لا.. الأمة الواحدة الآخرون قد يكونون سبب ضلالهم ولو كانوا بعد ألفين سنة أو ثلاثة آلاف سنة، قد يكون سبب ضلالهم أولئك المتقدمين عليهم بألفين سنة، بثلاثة آلاف سنة، بأربعة آلاف سنة، أن يكتشف الناس أن أولئك هم الذين أضلوهم وهم الذين أوصلوهم إلى قعر جنهم. ماذا سينفعهم أن يكتشفوا في النار ذلك، هل سينفعهم؟ لا.

هنا في الدنيا اكتشف، هنا في الدنيا إبحث، هنا في الدنيا إعرف منابع الضلال، إلعن المضلين هنا في الدنيا، إبتعد عنهم هنا في الدنيا، إكشف حقائقهم هنا في الدنيا، لا تنطلق لتدافع عنهم، تتأول لهم، تغطي على جرائمهم، على سوء آثار ما عملوا، تجد نفسك في الأخير وأنت بديت هنا في الدنيا مقدساً لهم، وبديت في الدنيا مجلاً لهم، أنت في الآخرة ستطلب زيادة إن أمكن هناك زيادة في العذاب لهم، أصبحت تكرههم كراهة شديدة، تمقتهم مقتاً شديداً، تلعنهم لكن ذلك لن ينفعك!.

{قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ} (الأعراف: من الآية٣٨) هم لهم ضعف من العذاب؛ لأنهم أضلوا وزينوا الضلال، وروجوا للضلال، وأنتم لكم أضعاف؛ لأنكم قبلتم، لأنكم لم تكونوا مستبصرين، لم تفهموا، لم تتبينوا، لم تتحققوا، كنتم تصمون آذانكم عن دعاة الحق، كنتم تعرضون بوجوهكم عن أعلام الحق والهدى! لكم أضعاف، وهم لهم أضعاف {لِكُلٍّ ضِعْفٌ} للأولين وللآخرين.

لماذا أصبحوا متألمين عليهم؟ {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ} (الأعراف: من الآية٣٨) تألموا جداً لأنهم قالوا: {رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا} (الأعراف: من الآية٣٨) اكتشف هنا لتقول: {رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا} فنحن نبرأ إليك منهم هنا في الدنيا، لتسير في غير طريقهم، لتكون في يوم القيامة بعيداً عنهم، لست ممن يصرخ كصراخهم في قعر جهنم، تكون أنت من الفائزين، تكون أنت من الناجين.

هذه القضية بالذات بدت في القرآن الكريم في أكثر من آية تنبه الناس على أنهم في الآخرة ـ هؤلاء الضالين والمضلين الكبار والأتباع سيكونون في الدنيا ـ تتجلى الحقائق فيرون أنفسهم كيف ارتكبوا خطئاً كبيراً أودى بهم إلى تلك العاقبة السيئة سواءً كانوا بشكل أمم، أمة تلعن أمة، أو شخص يلعن شخصاً كان في الدنيا يضله، أو فئة تلعن فئة، أو مرؤوس يلعن رئيساً، أو مواطن يلعن كبيره.

القرآن كلها تعرض لها وعندما يتعرض لها هو يحكي كيف سيكون الواقع، ليقول لنا جميعاً: انتبهوا وأنتم هنا في الدنيا، الأمة التي تسيرون وراءها انتبهوا أن تكون أمة مضلة فستكونون هكذا.

قرينك الذي تجلس معه في الدنيا أنت ستلعنه في الآخرة وتتحول صداقتكم هذه الحميمة إلى عداء شديد في الآخرة، ونفسك تكاد أن تذهب حسرة وتتقطع حسرات من شدة الألم فتود أن بإمكانك أن تتبرأ منه، كلها تعرض لها القرآن الكريم لنستبصر هنا في الدنيا، وأن نقف ذلك الموقف الذي يمكن أن يصل الواحد منا إليه هناك في النار، أو هناك في ساحة المحشر، نقفه هنا في الدنيا حيث سينفع.

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} (الفرقان:٢٧) أليس هذا يحكي كلام الظالم في الآخرة، في يوم الحساب {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً} (الفرقان:٢٨) أليس هو يتلهف ويتحسر على تلك الصداقة التي أقامها مع فلان في الدنيا؟ وكان ممن يضله {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} (الفرقان: من الآية٢٩) أليست هذه حسرة شديدة؟. تصور لو أن الإنسان الواحد منا يتصور أنه هو من يقول هذا. أليست هذه ندامة شديدة وحسرة كبرى؟.

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف:٦٧) أخلاؤك المتقين هنا من ترتبط بهم، من تجالسهم، من تهتدي بهم، من تقف مواقفهم من المتقين، هم من سترى نفسك يوم القيامة أكثر حباً وأكثر وداً وأكثر علاقة بهم، وترى أنك كنت في نعمة عظيمة أن ارتبطت بأولياء من أولياء الله.

لكن كل صداقتك ستتحول إلى عداء يوم القيامة، كل ولاء، كل تقديس في هذه الدنيا، وكل تصفيق، وكل تأييد سيتحول ـ إذا لم يكن هنا في الدنيا على حق ـ سيتحول كله في الآخرة إلى عداء {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} (الزخرف:٣٦ـ ٣٨).

قل هنا في الدنيا، لا تنتظر حتى تقول هذه يوم القيامة: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} ليت أني لم أعرفك، ليت أن بيني وبينك بعد المشرقين، بعد ما بين المغرب والمشرق فلا أعرفك ولا تعرفني، فبئس القرين، بئس القرين، لكن {وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} (الزخرف:٣٩) ما ينفعك [لا أن تقول: ليت إن كانك وليت إن كنا..] كلها انتهت، أصبحتم مشتركين في العذاب جميعاً. فهذا التمني لا يخفف شيئا من آلامك، وهذا التمني لا يزيد في عذاب قرينك الذي أضلك.

{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (ق:٢٧ـ ٢٩). أن تجلس أنت وقرينك [هو الذي أضلني، هو الذي كذا، هو الذي كذا] هذا ليس وقته الآن، {قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} كان اعرف وأنت ما زلت في الدنيا، اعرف كيف تختار القرين الصالح الذي لا يضلك، الذي سيقودك إلى الهدى. ماذا سينفعك أن تقول: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} (الزخرف: من الآية٣٨) لا تنفعك في الآخرة، هنا في الدنيا ستنفعك، أن تبتعد عن قرناء السوء وجلساء السوء كالبعد ما بين المشرق والمغرب.

صوَّر القرآن الكريم هذه الحالة وهي من أسوأ الحالات بصور متعددة وشخصها تشخيصاً واضحاً نجد صورة منها فيما بين القرناء كأفراد، وفيما بين الفرقاء، فريق المستكبرين وفريق المستضعفين الذين كانوا أتباعاً {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} (غافر: من الآية٤٧) يتخاصمون ويتجادلون، وكل شخص يحاول أن يحج الآخر أو كل فئة تحاول أن تحج الأخرى فتثبت أنها هي السبب فيما وصل إليه الجميع.

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ} لكن أين يتحاجون؟ في النار، قد هم كلهم في النار. {فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} (غافر: من الآية٤٧) الضعفاء: الأتباع الذين كانوا يؤيدون ويصفقون ويباركون للمستكبرين للكبار من زعماء السوء، من المضلين {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً} (غافر: من الآية٤٧) نحن كنا أتباع لكم في الدنيا، وكنا نفديكم بأرواحنا، وكنا نعمل لكم كذا وكذا وكنا.. إلى آخره {فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ} (غافر: من الآية٤٧) تدفعون عنا نصيباً من النار، أو تحاولون بأي طريقة أن يحصل تخفيف علينا من النار {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا} (غافر: من الآية٤٨) ماذا نعمل لكم، كلنا الآن قد أصبحنا فيها {إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} (غافر: من الآية٤٨).

يقول الناس أيضاً ممن لا يحققون لأنفسهم صحة ولائهم هنا في الدنيا، فيتأثرون بالدعايات، يتأثرون بالتطبيل، يتأثرون بتنميق القول، بزخرفة الآخرين فيتولون هكذا ويتبعون هكذا إتباعاً عشوائياً: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا} (الأحزاب:٦٧) وجهاءنا، مشائخنا، زعماءنا، الذين كانوا مضلين، نحن أطعناهم في الدنيا فأضلونا السبيلا ولكنا أصبحنا لا نملك شيئاً، لا نملك إلا أن نقول لشدة ألمنا مما وقعنا فيه، وحسرتنا التي نعاني منها، إذا كان بالإمكان: يا ربنا أنْ {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً} (الأحزاب:٦٨).

لاحظوا في أكثر من آية، ليس أمامهم إلا أن يطلبوا أن يزيد الله تلك الطائفة التي أضلتهم، أو ذلك الشخص الذي أضلهم، أو ذلك القرين الذي أضله أن يزيده عذاباً، يقول له: المسألة واحدة: {لِكُلٍّ ضِعْفٌ} {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} أعطهم مثلنا مرتين أو أكثر {وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً}.

أليسوا أولئك الذين قالوا عنهم: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً} هم من كانوا يؤيدونهم، هم من كانوا يدافعون عنهم، هم من كانوا قد لا يسمحون بالسب لهم ولا يسمحون لأحد أن ينالهم بكلمة جارحة، هم من كانوا ينطلقون جواسيس لهم في الدنيا، أولئك لشدة حسرتهم هم من سيقولون: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً} هنا في الدنيا إلعنهم هنا في الدنيا تبرأ منهم، هنا في الدنيا إبتعد عنهم.

كل هذه الآيات تنبهنا على أن نصحح موقفنا هنا في الدنيا؛ لأن من المحتمل أن يكون هذا أو هذا أنت أو أنت أو ذاك، أن يكون ممن يقول هذا: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً}، لأن سادتنا وكبراءنا هي تبدأ من عند الوجيه الذي في قريتك، من عند عميد أسرتك، كبير قريتك، كبير القبيلة، كبير الشعب الذي أنت فيه، كبير الأمة التي أنت منها. هم سادتنا وكبراؤنا، هم أضلونا السبيلا.

هل تحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن أنه قبل عذراً؟ [نحن لم نكن نفهم، لم نكن ندري، لم نكن، لم نكن....] إلى آخره، الضال والمضل كلهم في جهنم. حول هذه الآية: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} (الأعراف: من الآية٣٨) ثم قوله: {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا} مع هذه الآيات الأخرى ونحن لم نستكمل نقل الآيات الأخرى، هي كلها، كلها تنبيه لكل واحد منا: أن تلك الصرامة التي ستبدو منه في الآخرة، وذلك الوعي الذي سيبدو منه في ذلك اليوم في أرض المحشر أو في قعر جهنم فليبدو منك الآن في الدنيا، وعيك، صرامتك، موقفك القوي، تلعن الضال، تبتعد عنه، لا تؤيده، تعمل على قهره هنا في الدنيا وإلا فستكون أنت من يقول هذه العبارات: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ} تلعنهم حيث لا ينفع.

إن هذا القرآن هو نور، ينير لنا الطريق، هو هدى يهدينا إلى كيف أن نقف المواقف الصحيحة، لا تظن أنها قضية سهلة، من أول خطوة تقف فيها مع قرين لك، مع صديق لك انظر ربما قد يكون هذا الصديق ممن تأتي يوم القيامة فتقول: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}. أنظر في من تصاحب، من تطع، من تتولى، من تؤيد، وإلا فستكون أنت ممن يندم يوم القيامة، نعوذ بالله أن نكون ممن يندم، نعوذ بالله أن نكون من النادمين. أسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من المهتدين في الدنيا إلى ما فيه نجاتنا في الدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (١٠ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

[الدرس العاشر]

{رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ}

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٩/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

بالأمس كان مما تحدثنا عنه هو ما تجلى في عدة آيات من كتاب الله الكريم، تلك الحالة الرهيبة التي يمر بها كثير من الناس، ومعظمهم ـ فيما يبدو ـ هم من عامة الناس، من الأتباع عادة: أن هناك سيكون في يوم الحساب سيكون أيضاً في داخل النار نفسها تخاصم، وتشاجر، ولعن متبادل، وعداء شديد، وحسرات كبيرة جداً تقطع القلوب.

وقلنا أيضاً: هذا يدل على أن هذه ستكون بين أطراف كان بينها في الدنيا علاقة قوية جداً: قرين مع قرينه، تابع مع متبوعه، مرؤوس مع رئيسه، أمة مع أمة قبلها كانت تحتذي بها وتسير على نهجها، من كانوا أخلاء في هذه الدنيا، من كانوا أصدقاء في هذه الدنيا، ولكن صداقة لا تقوم على أساس صحيح، صداقة عشوائية، صداقة قد تحكمها، أو تدفع إليها، أو تعزز روابطها مصالح دنيوية لا يلتفت معها الناس إلى خطورة النتيجة.

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ ـ يوم القيامة ـ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف: من الآية٦٦ـ ٦٧) **من كانوا في الدنيا متقين، أصدقاء مع متقين، أتباع لمتقين، قرناء لمتقين، هؤلاء هم من ستعظم فيما بينهم المودة، ويشكر بعضهم بعضاً في ذلك اليوم، ويرتاح بعضهم لبعض.**

فلماذا تتحول كل تلك الصداقات إلى حالة عداء؟ ولماذا يتبخر في ذلك اليوم الحديث عن كل المصالح السابقة في الدنيا؟ يصبح كل التعبير هو عن خطورة الموقف الذي أصبحوا فيه، الذي لم يعد بإمكان أولئك أن يذكروا الآخرين بأنهم [لكننا في الدنيا عملنا لكم كذا وكذا، وفي الدنيا فعلنا لكم كذا وكذا]؛ لأن هذه لن تقبل إطلاقاً من الطرف الآخر.

عندما ذكّر فرعون موسى ألم يذكره بنعمة؟{أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (الشعراء:١٨) **ألم يقل هكذا فرعون؟. في يوم القيامة تُنسى كل هذه تماماً فيما بين الأصدقاء، إذا كان صديقاً ممن يضلك، ممن هو على ضلال في سلوكه، في اعتقاداته، في مواقفه، في توجهاته، قد يعمل لك في الدنيا الشيء الكثير لكن سترى أنه أضلك، وأنه أهلكك وأنه بئس القرين على الرغم مما عمل لك في الدنيا، فتقول له: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}** (الزخرف: من الآية٣٨).

أن تسمع من ذلك القرين كلمة أخرى يقول: [لماذا بئس القرين وأنا كنت في الدنيا أعمل لك كذا، وعملت كذا؟] هذه لا قيمة لها تماماً، أصبحت لا قيمة لها نهائياً؛ لأنه قال لك بئس القرين على الرغم مما قد عملت له في الدنيا.

وهكذا بالنسبة مع الكبار أيضاً المتبوعين مع الأتباع، يلعن بعضهم بعض، يتبرأون من بعضهم بعض، وقلنا أيضاً: بأنه اتضح بأن معظم العذاب النفسي والحسرات هي تكون للأتباع أعظم من الكبار، في هذا الجانب، في هذا الجانب {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}، {رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت: من الآية٢٩).

عداوة شديدة، أين هم الذين أضلونا من الإنس والجن نجعلهما تحت أقدامنا في أسفل درك في جهنم، ندوسهم بأقدامنا، من العداوة، من الحقد، من الأسف، من الحسرة، من الندم؛ لأنه لا يدري ماذا يعمل إلا هذا، ذلك الذي أضله [يتركه يدوسه] بأقدامه في نار جهنم، وقد لا يحصل هذا أيضاً.

{حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ} (الأعراف: من الآية٣٨)، **أليست أمة تابعة لأمة كانت سابقة قبلها؟ {رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ}** (الأعراف: من الآية٣٨) **لكم ضعف وهم لهم أضعاف، لكم أضعاف عذابي؛ لأنكم كنتم تؤثرون إتباعهم، وكنتم تربطون أنفسكم بهم، وتنصرفون عن الحق، وتنصرفون عن الهدى، وأنتم متمسكون بهم.**

{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا} (البقرة: من الآية١٦٦) **الكبار تبرأوا من الصغار، والصغار هم من كانوا في الدنيا يصفقون لهم، ويؤيدونهم، ويدعمونهم بأموالهم وبألسنتهم وبأنفسهم، يوم القيامة يتبرأون منهم**

{وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} (البقرة: من الآية١٦٦) **كل الوسائل تتقطع فيما بينهم، تحصل حسرات عظيمة، ولكن في أي طرف حكاها الله سبحانه وتعالى؟ وعن من؟ عن الكبار أم عن الصغار؟ الصغار هم من سيكونون أكثر أسفاً وندماً {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا}** (البقرة: من الآية١٦٧) **عندما رأوا أولئك تبرأوا منهم في هذا الموقف الصعب، وعرفوا بأنهم أضلوا أنفسهم لما اتبعوهم في الدنيا، يوم كانوا متبعين لهم في الدنيا، بسبب اتباعهم لهم في الدنيا، ورأوا بأنهم لا يمكن أن ينفعوهم بشيء في ذلك الموقف الرهيب، بل يتبرأون منهم، يعلنون تخليهم عنهم في ذلك الموقف الصعب، تحصل حسرات شديدة، فيقول ماذا؟. {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ}** (البقرة: من الآية١٦٧) **ليت لنا كرة: نرجع إلى الدنيا مرة ثانية نرجع {فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا} . لا يوجد هناك رجعة نهائياً.**

{كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة: من الآية١٦٧) **ستجد هكذا الحسرات للأتباع؛ لأن الأتباع هم من يصعد على أكتافهم الظالمون، ومن بأموالهم وتأييدهم تشتد سواعد الطغاة والمجرمون، هم الجنود، هم التجار، هم الأعوان، هم من يصفقون، هم من يؤيدون. قد يكون هناك شخص واحد فقط موقفه بالنسبة للجميع كموقف الشيطان {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ}** (إبراهيم: من الآية٢٢) **وتلاحظ أن الحسرة تأتي بين هذه الأطراف التي كانت في الدنيا تسود ما بينها حالة من الود والتأييد والتعاون وغيره.**

نجد أنه حصل مثلها مع إبليس في موقف الناس من إبليس، نقول: [نستاهل؛ لأننا كنا عارفين في الدنيا بأنه عدو، وعارفين بأنه يريد أن يضلنا، وعالمين بأنه يريد أن يدعونا إلى عذاب السعير، وعالمين بهذه الأشياء كلها فنحن نستاهل أن يغوينا] أليسوا سيقولون هكذا؟.

لكن أن ترى نفسك أنك كنت تؤيد، وتنصر وتدعم، وتشجّع وتجند نفسك ومالك مع أطراف هي ضالة ستكون الحسرة هنا، أنك أضعت عمرك مع طرف أودى بك اتباعه وتأييده ودعمه إلى قعر جهنم، وهذا الطرف يأتي يتبرأ علناً مني في ذلك الموقف الحرج، فتكون الحسرة هنا على الأتباع أكثر.

لم يتحدث القرآن عن الحسرات بالنسبة للكبار، الكبار يكفيهم حسرة أنهم يحملون أوزاراً كثيرة من أوزار الذين يضلونهم، من أوزار الذين يخدعونهم، {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} (النحل:٢٥).

تأتي الخصومة هناك في يوم القيامة، أو في النار، فنرى بأن تلك الخصومة لا يحصل من ورائها شيء إيجابي بالنسبة لهؤلاء المتحسرين النادمين، أن يتحولوا إلى كتل من العداء والمباينة لأولئك الذين كانوا في الدنيا كتلاً من الولاء والمعاونة لهم، لن تقبل هذه في الآخرة عند الله سبحانه وتعالى، لن تقبل، لا قيمة لها. ألم يظهروا في حالة عداء لأعداء الله؟!، وعداء من ذلك النوع الشديد، ذلك الذي لو حصل منه جزء في الدنيا هنا لنفعهم.

فيعرضه القرآن الكريم لنا بأن تلك الخصومة ـ أيضاً ـ ليست خصومة بين أطراف عند طرف ثالث هو سيقضي بشيء لهذا الطرف الذي اكتشف بأنه مظلوم، وأنه كان مخدوعاً، وأنه كان مغروراً. لا. {لِكُلٍّ ضِعْفٌ} (الأعراف: من الآية٣٨) **{كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** (البقرة: من الآية١٦٧).

تتظلم، ما هم هنا تظلموا؟ {رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت:٢٩) **{رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ}** (الأعراف: من الآية٣٨)، **أليس هذا تظلماً؟.**

لا يجابون إطلاقاً في تظلمهم، ولا يقدر لهم ذلك الموقف أنهم أصبحوا يكرهون ويبغضون ويباينون أعداء الله هؤلاء الكبار الذين كانوا في الدنيا معهم، فقد تصححت وضعيتهم.. لا.. انتهى كل شيء، وما ذلك كله إلا نوع من العذاب النفسي لهم أيضاً، عذاب نفسي يعانون منه.

فقلنا: ما هو الموقف الصحيح من خلال ما نفهمه من مجموع هذه الآيات التي تتحدث عن مواقف خطيرة من هذا

النوع؟ هو أنك وأنت هنا في الدنيا، ذلك الموقف الذي يمكن أن تقفه، وذلك الكلام الذي يمكن أن تقوله، وتلك المباينة، وذلك العداء، وذلك اللعن مكانه هنا في الدنيا حيث سينفعك، فقرين السوء ابتعد عنه، ولا تقل: [أنا فاهم وعارف لكل شيء، وما باستطاعته أن يخدعني، وأنا عارف كيف هو وأنا واثق من نفسي] وعبارات من هذه. هذا غير صحيح.

أنت من حيث المبدأ لا يصح لك أن تجالسه وتصادقه، وتكون على علاقة مستمرة معه، وتنادمه فتسمع منه الباطل، وهو يحاول أن يخدعك ويضلك، فتحاول أن تسكت عنه!. قد تحصل هذه تسكت عنه وتجامله ثم تقول أنت في الأخير أنك لن تتأثر، قد تتأثر، وحتى لو لم تتأثر فهذا موقف غير صحيح لا يجوز لك أن تقفه. إن كان سيقول كلاماً باطلاً هل أنت سترد عليه، وتوضح بطلان ما يقول؟ وإن كان سيقف موقفاً باطلاً هل أنت سترد عليه وتقول: لا، في هذا الموقف لن أكون معك؟.

هل إذا كان سيبذل ماله في الصد عن سبيل الله هل أنت ستمنعه وتقول: لا، لن أقف معك، وسأقطع علاقتي معك؟ لا بأس إن كنت من هذا النوع، لكن ما الذي سيحصل؟ مجاملات متبادلة، وسكوت عن باطل عن موقف باطل، عن قول باطل، عن بذل للقول وللمال وللنفس في مواقف وقضايا باطلة، وأنت تسكت وتحافظ على علاقتك معه.

إذاً أصبح الدين بكله لا يساوي علاقتك معه، أصبحت علاقتك بالله سبحانه وتعالى ليست بشيء في مقابل علاقتك مع هذا الشخص، أنت أصبحت في باطل، أنت يا من تقول:[بأن ما باستطاعته، أنا فاهم لكل شيء، ولن يستطيع أن يضلني]، هكذا قد ضليت، أصبحت في ضلال، وأصبحت علاقتك به أغلى من الدين كله؛ لأنه إن كنت متديناً فالدين مواقف، فإذا لم يكن لك مواقف أمام باطل يصدر من صديقك فهذا يكشف بأنك لست ملتزماً.

لا يجوز لك أن تجلس مع من يتكلمون بكلام باطل إلا إذا كان باستطاعتك أن تبين الحق أو تخرج، أما أن ترتبط بهم، وتحسّن علاقتك معهم وأنت تعرف توجهاتهم الخاطئة، مواقفهم الباطلة، فقد جعلتهم أخلاء، ستكون معهم يوم القيامة، وفي يوم القيامة ستكون العداوة بينك وبينهم شديدة، وتتأسف وتندم على علاقتك التي كانت معهم في الدنيا، كيف أودت بك إلى هذا المصير المظلم.

تبرأ هنا في الدنيا من الكبار المجرمين قبل أن يتبرأوا منك في الآخرة، العن المضلين وإن كان بينك وبينهم آلاف السنين، الذين هم سبب لإضلالك وإضلال الأمة التي أنت تعيش فيها، تبرأ منهم والعنهم، أظهر مباينتك لهم، لكل أولئك الأطراف، لكل تلك الأطراف التي قد تتبرأ منها، أو تلعنها، أو تتندم على علاقتك بها، وتتحسر يوم القيامة، هنا في الدنيا حيث سينفعك، أما في الآخرة فلن ينفعك.

وهذه الآية العجيبة التي قالها الله سبحانه وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} (فصلت: من الآية٢٩) **يبدّوّرُوا فين هم الذين أضلونا؟.**

في الدنيا هنا هل كنت تبحث عن المضلين لتطاردهم؟ أم أنت كنت من يصمت، وتعرض نفسك لأي شخص يأتي يضلك، وتكون قابلاً للإضلال وليست مشكلة عندك، ولا قضية أن تصبح تعتقد هذا، أو ترى هذا، أو تقف هذا الموقف الباطل، الإضلال عندك لا يشكل شيئاً، الحرص على أن تبقى في طريق الحق، وعلى أن تبقى مواقفك حق، أن تبقى عقائدك حق، ما كانت عندك قضية كبيرة.

لكن في يوم القيامة تبحث أين هم؟ من هم الذين أضلونا؟ تبحث عنهم، [هاتهم، هاتهم، هاتهم، في هذا اليوم نجعلهم تحت أقدامنا ليكونوا من الأسفلين].

اجعلهم هنا في الدنيا تحت أقدامك، اجعل المضلين تحت أقدامك هنا في الدنيا حيث سينفع، كن مهتما هنا في الدنيا أن تعرف منابع الفساد والإضلال، وتعرف رموز الباطل ورموز الضلال؛ لتعمل على أن تجعلهم تحت أقدامك هنا في الدنيا.

كان هذا هو الموقف الصحيح حيث يجدي؟ تنتظر، ستَضِل داخل بيتك من حيث لا تشعر، يقدم لك الضلال إلى داخل بيتك، والناس يتحركون في هذه الدنيا وما أكثر من يضلون، من خلال جلسة مع شخص مضل، من خلال

ركوب في سيارة مع شخص مضل صادف، مصادفات كلها تأتي، مصادفات، معظمها تأتي مصادفات، صادف [خزن] معهم في مجلس، صادف ركب معهم في سيارة، صادف دخل معهم في مجلس وسمع كلمة، صادف كذا، صادف كذا.

ولأنه في الدنيا لا يهتم، ليس على حذر شديد من أن يقع في ضلال، فيكون مهتماً بأن يبحث ليعرف منابع الإضلال حتى يتجنبها؛ ليجعل كلامها تحت قدمه، ليجعل ما تزخرفه تحت قدمه، ليجعل أولئك المضلين تحت قدمه.

كثير من الناس ـ وهذا الشيء الملموس فعلاً ـ عندما تقول: هناك دعاة للضلال، وهناك مضلون يريدون أن يضلوكم، وهناك كذا وهناك كذا، ترى المنطق هذا بارد عند الناس، بارد لا يحرك فيهم شيئاً، لتعرف أنها قضية خطيرة أنظر ماذا يقول هؤلاء؟ {رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت:٢٩).

لاحظ أن يقولوا هذا الكلام على الرغم من شدة الأهوال، على الرغم من يقينهم بأنهم هم أصبحوا من أهل النار، أليست هذه قضية مخيفة جداً؟ قد تنسيك أي شيء آخر، قد تنسيك عدوك، قد تنسيك وليك، قد تنسيك كل شيء؟ لكن على الرغم من ذلك لا تزال هذه القضية هي أبرز ما يتجلى أمامهم؛ لأنهم سيقولون [كل ما وقعنا فيه هو من هذا، من أجل هذا الطرف] فكل، كل غضبهم، كل أسفهم يتحول إلى كتلة من الحقد على أولئك الذين أضلوهم، أين هم؟ أرنا؛ لنجعلهم تحت أقدامنا، ما هم تذكروا هناك أن يقولوا هكذا؟ مما يدل على شدة الحسرة والندامة.

تتحدث هنا مع الناس وتقول لهم: الوهابيون يضلون الناس، يجب أن نتعاون في أن نحافظ على عقائدنا، كلمة[عقائدنا] كلمة ليست مهمة جداً مثل أن نقول نحافظ على أموالنا، أو نحافظ على مصالحنا، وأشياء من هذه، يتحرك الناس وسيبذلون أموالاً كثيرة إذا ما تشاجروا على شيء لا يساوي نصف ما يبذلونه من مال، فيبذلون أموالا كثيرة، ويتعادون، ويعادي بعضهم بعض وإن كانوا أسرة واحدة، لكن أن يقفوا بنصف هذا الشعور أو بربع هذا الشعور مع أعداء الله المضلين، أبداً، لا.. لا يحصل هذا.

قد يكون مستعداً أن يعطي مئة ألف وخصمه يعطي مئة ألف ريال للحاكم الفلاني، أو للمقوّل الفلاني، لكن هات ألف ريال نشتري به أشرطة ننشرها في سبيل الله لنبين للناس العقائد الصحيحة، الألف هذا هو غير مستعد أن يعطيه حتى وإن كان هو في الأخير من سيكون ضحية لضلال أولئك، الذين تريد أنت من خلال طلبك إياه أن يعطيك ألف ريال تنشر أشرطة فيها كلام جيد، أجوبة على من يضلون الناس بعقائد باطلة، لا يهمه ذلك! مع أنك ستبدو في مصلحته هو، سيكون عملك مما يحافظ على سلامة دينه هو، وسلامة أولاده، وسلامة أسرته، فتكون قضية لا يهتم بها، هو مشغول [تشغلونا بعد الوهابيين ونحن مشغولين بين حقنا]!.

ما هو حقه؟ سيقول لك: حقي قطعة من محجر، لا تساوي نصف ما يبذله من خسارة. أليس هذا يبدو الناس مهتمين به جداً، لكن هناك مضلون هناك دعاة ضلال هناك كذا، كله كلام بارد، بارد، إلى آخره.

ارجع إلى الآيات هذه وسترى كيف أنه يجب أن يكون هذا الموضوع هو ما يسيطر على كل اهتمامك ومشاعرك، وإلا فقد تكون ممن يقول: [أين هم؟ أرنا الذين أضلانا؟ أين هو المطوع الفلاني فلان أو فلان؟ الزعيم الفلاني المسؤول الفلاني، نجعلهم تحت أقدامنا؟] لا ينفع.

أكرر بأن هذه الآيات يجب أن ننطلق منها لنبحث عن أي شخص نقارنه ما مواقفه؟ ما اعتقاداته؟ هل سيكون من ذلك النوع الذي سأقول: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}، أرفضه الآن، وأجعل بيني وبينه بعد المشرقين الآن.

أولئك الذين نقدسهم تحت عناوين الصحابة.. ونحوها، إذا ما اكتشفت بأن ما صدر منهم هو مما أضل الأمة؛ فتبرأ الآن.. تقدسهم، تنزههم، تدافع عنهم، بمنطق باهت لا تملك حجة، وهدي الله يحجك أيضاً، متمسك بهم، متمسك بهم، [مرفِد] للصحابة لا يسقط أبو بكر، في يوم القيامة في الآخرة قد تكون ممن يقول هذا.

فلاحظ كيف عرض القرآن الكريم: بشكل أمم، وبشكل كبار زعماء ووجهاء، وبشكل جلساء قرناء، أليست كل الفئات؟ يقول لك: ابحث قبل أن تربط نفسك بهذا الشخص، بهذا الزعيم، بهذا الكبير، بهذا الوجيه، بتلك

الأمة، بتلك الفئة، انظر قبل، لا تربط نفسك بهم قبل أن تتأكد بأنهم ليسوا من هذه الفئات التي سيندم من ارتبط بها يوم القيامة حيث لا ينفع الندم.

هذا ما يجب أن نهتم بها، وأن نبني عليها، الشباب أنفسهم من يتعرضون كثيراً لجلساء السوء، خاصة إذا كان جليس كريم يقدم [بارد] ويقدم [قات]، ويضيِّفه، يظهر الاهتمام به والاحترام له، في حالة نشوة الشباب، في تلك الفترة التي يريد الشاب أن يرى فيها نفسه أنه محط احترام لآخرين، ويلمس في نفسه أنه رجل، متى ما أحد احترمه من هناك يرتبط به وينشد إليه؛ لأنه لبى فيه رغبة هو يبحث عنها، فسرعان ما ينخدع، وسرعان ما يربط نفسه بقرين سوء.

الكبار كذلك قد يكون لي موقف، قد تحصل لي قضية فيقدم طرف من الأطراف خدمة معي، فيصبح لدي صديقاً حميماً، ويصبح لدي ـ على الرغم مما هو عليه ـ خليلاً وقريناً، لا.

إذا حصل وبغير اختيار منك، وبغير بحث منك أن قدم أحد من الناس إليك جميلاً يمكن أن تكافئه على جميله، يمكن أن ترد إليه إحسانه، لكن واجعل نفسك بعيداً عنه، لا ترتبط به فيصبح قريناً ويصبح لديك صديقاً، مواقفك مواقفه، رأيك رأيه، وجهتك وجهته، قد يكون من هذا النوع الذي تقول يوم القيامة: {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} فترى أن كل ما قدم لك في الدنيا لا يساوي شيئاً أمام هذه الورطة العظيمة التي وقعت فيها.

المهم أن لا ترى شيئاً فوق نجاتك يوم القيامة، لا ترى شيئاً في الدنيا هنا هو فوق نجاتك يوم القيامة، كل شيء سوف يؤدي إلى هلاكي يوم القيامة أرفُضه هنا في الدنيا كائنا ما كان.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نكون من أوليائه، ومن أولياء أوليائه، وممن يحبون فيه ويبغضون فيه، وممن يوالون ويعادون فيه، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تكملة للموضوع السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

مناسب أن نستكمل الحديث حول قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت:٢٩).

لأن هذه الآية تكشف اهتماماً كبيراً وندامة شديدة، وحسرة عظيمة عند أهل النار؛ لأن كل من يدخل النار لا يدخل إلا بسبب آخرين، مضلين يضلونه عن دين الله، عن هدي الله؛ ولهذا وجدنا في عدة آيات على مستوى الأمم، وعلى مستوى الأفراد كل يتحسر، ويتندم، ويتحول إلى عدو يبحث عمن أضله، ويطلب من الله المزيد من العذاب لمن أضله.

لأن الناس بطبيعتهم، بفطرتهم مجبولون على قبول دين الله، على الاهتداء بهدي الله، وإنما يأتي الضلال من قبل أطراف أخرى، أمة تضل أمة، أو فرد يضل أمة، أو شخص يضل شخصاً من شياطين الجن والإنس.

فبالتأكيد أن هذه الآية تدل على أنه تجلى للناس جميعاً وهم في جهنم، وهم في ساحة المحشر أن من أوصلهم إلى الهاوية إلى المصيبة العظمى هم أطراف أخرى أضلوهم.

وإذا كررنا الحديث حول هذا الموضوع فلأنه موضوع مهم؛ لأنه الشيء الذي نلمسه لسنوات عديدة، ونحن كنا نتحرك في مجال محاربة ضلال الوهابيين، نتحدث مع الناس حول المضلين، وحول ضلال الوهابيين وغيرهم من اليهود والنصارى، وغيرهم من المضلين.

كنا نلمس بأن هذا هو الموضوع الذي لا يحظى باهتمام كبير، ولا يستثير مشاعر الناس، ولا يستثير غضبهم، ولا يثير اهتمامهم.

وهذه الآية الكريمة تخبرنا بأن الكافرين، كل من دخلوا النار ـ النار ليست خاصة بالكافرين بالمعنى الذي نعرفه؛ لأن ما أكثر الكافرين بمعنى الرافضين لدين الله، أو الرافضين لمبادئ مهمة من دين الله، أو الرافضين لجملة من هدي الله وأحكامه، كلهم يشملهم اسم الكفر ـ هؤلاء أصبحوا يبحثون بكل جد واهتمام عن من أضلهم وليس فقط من الإنس بل يريدون من الجن والإنس{أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ}، هذا يدل على اهتمام، ما هو فقط من أضلوهم من الإنس حتى من الجن فين هم؟ هاتهم{نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ}.

وقلنا أكثر من مرة: أن الوقت المناسب للبحث عن المضلين، لمعرفة المضلين، هو هنا في الدنيا، فلماذا نجد أنفسنا لا نكترث إذا ما قلنا لفلان لا تجالس فلانا قد يضلك، هذا إنسان مضل، لا يهتم ولا يبالي ولا يكترث بالمسألة.

إذا قلنا الطائفة الفلانية قد تضلك، إذا قلنا اليهود والنصارى الله أخبرنا بأنهم يعملون على أن يردونا بعد إيماننا كافرين، على أن يحولونا إلى أولياء لهم. كذلك لا تلمس اهتمام بالشكل المطلوب، واكتراث بالقضية بالشكل المطلوب.

فكل واحد منا، كل واحد منا يجب عليه أن يرجع إلى هذه الآية لتعرف كيف وصل الأمر بهؤلاء إلى أنهم يريدون أن يتعرفوا على من أضلهم من الجن وليس فقط من الإنس، وأي طرف أضلهم حتى وإن لم يكونوا يعرفون اسمه أو يعرفون عنوان الطائفة التي ينتمي إليها، هم يريدون من الله أو يطلبون من الله بأن يريهم.

أما نحن هنا في الدنيا فنحن نقول للناس ونقول لأنفسنا: الوهابيون يريدون أن يضلونا، اليهود والنصارى يريدون أن يضلونا، بالاسم نُعرِّف، قد نقول، وقد يقول غيرنا لشخص أو لفئة معينة: فلان يريد أن يضلكم، فلان قرين سوء قد يضلكم، فلا يكترث الكل بكلام من هذا!.

نحن في هذه الأيام نتحدث حول قضية: اليهود والنصارى وما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم من أنهم يريدون أن يحولونا بعد إيماننا إلى كافرين، وأنهم يريدون أن نتخذهم أولياء، أليس هذا هو ما يدور في هذه الأيام؟ ثم إذا رجعنا إلى هؤلاء المضلين نجدهم كلهم أصحاب إمكانيات هائلة، اليهود، النصارى، الوهابيون كلهم أصحاب

إمكانيات هائلة، ولديهم وسائل متعددة: وسائل إعلام، وسائل نشر، دعاة، مروجين، كتّاب، إمكانيات هائلة، لديهم محطات فضائية توصل البث إلى كل منطقة.

فخطورتهم شديدة علينا جداً، وخطورتهم بالغة علينا، فهل ننتظر بأنفسنا إلى أن يأتي يوم القيامة فيحشر الإنسان وإذا به عند الله ممن قد تولى اليهود والنصارى، أو ممن قد تحول بعد إيمانه إلى كافر، فيقول: ربنا أرنا الذين أضلانا من اليهود والنصارى والوهابيين نجعلهما تحت أقدامنا؟.

يجب أن نعمل، أن نعمل من الآن، ونعمل ونحن في الدنيا، وبعد أن قد عرفنا، وعرفنا الله عليهم أنهم مضلون، أن نعمل لأن نجعلهم تحت أقدامنا في هذه الدنيا، ماذا ينفعك أن تجعلهم تحت أقدامك وأنت قد تحولت إلى كتلة من النار، أصبحت أنت من وقود جهنم؟ هذا لا ينفع.

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا}(غافر: من الآية٤٨)، كلنا جميعاً قد احنا فيها سواء تكون تحت قدمي أو أكون تحت قدمك لا يعد ينفع. كيف نعمل حتى نجعلهم تحت أقدامنا؟ نحن قلنا بالأمس: كلامهم، كلامهم يجب أن نجعله تحت أقدامنا لا نلتفت إليهم، لا نتأثر بهم، ولا بأوليائهم، ولا بالمروجين لهم، ولا بكل من له علاقة بهم، لو أن هؤلاء الذين قالوا هذا الكلام{ربنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا} لو أن لديهم أموال في ذلك اليوم والمال ينفع أليس من المحتمل أن يبذلوا كل ما بحوزتهم من مال في سبيل أن يبعدوا هؤلاء المضلين عنهم، وفي سبيل أن يكونوا تحت أقدامهم!.

نحن هنا يجب أن نبذل من أموالنا في مجال مواجهتهم، إنقاذ الناس منهم، إنقاذ أنفسنا أولاً منهم وإنقاذ من أمكن من عباد الله منهم؛ لأن ضلالهم انتشر إلى كل مكان، وبإمكانيات هائلة.

فنحن في سبيل إنقاذ أنفسنا منهم وفي سبيل إنقاذ الآخرين منهم يجب أن نعمل بجدية بأنفسنا بأموالنا بالكلمة، بالموقف، بالمال، ننشر الوعي في أوساط الناس. وفي هذا الزمان أصبح الشريط يقوم مقام إنسان، شريط [كاسيت] أو شريط [فيديو] أصبح يقوم مقام إنسان فبقيمته المتواضعة يمكن أن يصلح مجموعة من الناس.

فالذي ينبغي علينا هو أن نهتم بهذا الجانب، أن ننشر فكلنا في هذا [المجلس]، نحن نبحث عن الهدى أليس كذلك؟ ونحن نتعرف على المضلين، ونتعرف على من أضلانا هنا في الدنيا. أليس كذلك؟.

إذاً من واجبنا وفضيلة عظيمة لنا أن نكون سبّاقين إلى أن نعمل أيضاً في إيصال ما عرفناه من الهدى، إيصال ما فيه إنقاذ الآخرين من الضلال، أن نعمل بجد على إيصاله إليهم، نجمع كمّا أمكن من الأشخاص الذين يهتمون بالنشر نشر الأشرطة [الفيديو] أو [الكاسيت] تنشر.

وأعتقد باعتبار أنها طائفة واحدة [زيدية] يتقبلون من بعضهم بعض فيكون لكل واحد منا فضيلة أن يهدي الله على يديه ولو شخصاً واحداً من الناس، هذه فضيلة عظيمة، ويكون الناس هنا في هذه المنطقة هم السبّاقين في مجال توعية الآخرين، وهدايتهم وإنقاذهم من الضلال.

ولأننا نجد فعلاً وليس ادعاء شيء لأنفسنا لا نجد في الساحة عملاً بالشكل المطلوب لإنقاذ الناس من الضلال، هل تسمعون من التلفزيون شيئاً؟ هل تسمعون من الإذاعات شيئاً، أو حركة أخرى؟.

هناك حركات أخرى إما حركة علمية منزوية على نفسها داخل مركز، أو مسجد فقط، أو حركة علمية تعمل في جانب وتخرب في جانب آخر، ممن ينطلقون لتحذير الناس من الشباب المؤمن والكلام فيهم وفي العلماء الذين ينتمون إليهم، وهذا نفسه جزء من الإضلال.

نحن بحمد الله - ربما - قد تأهلنا إلى أن يكون لنا عمل يكون له أثره في مجال هداية الناس، وإنقاذ الناس، ولن ننطلق في حديثنا إلى التحامل على أحد من الآخرين من أبناء هذه الطائفة لا عالم ولا متعلم ولا مدرسة، ولا شيء.

همنا هو: أن نعمل في إصلاح الناس، ولا نبالي إذا كان هناك من يعارض؛ لأننا كما عودنا أنفسنا على أن لا نبالي بمن يعارضنا، فكم قد حصل في الماضي وإلى الآن معارضة طويلة ومستمرة لم نكن نكترث بها. هذا شيء طبيعي قد يحصل لأي إنسان ينطلق في عمل أن يلقى من يعارضه سواء وأنت في طريق الحق أو في طريق الباطل ستلقى من يعارضك، تلقى من يشاققك، تلقى من يتكلم عليك، تلقى من يشوه عملك، من يعمل على الحط من مقدار

عملك، بل قد تلقى من يكفرك أو يفسقك، أو.. كم من العبارات تنطلق!.
لنصل إلى اهتمام يكون أكثر من اهتمام الكافرين بالنسبة للمضلين، أليس هؤلاء الكافرين حكى الله عنهم بأنهم أصبح لديهم اهتمام بأن يجعلوا المضلين تحت أقدامهم؟.
فنحن من يجب أن نسعى إلى أن نجعل المضلين تحت أقدامنا، وإن لم يكن بمعنى الكلمة حقيقة؛ فليكونوا منبوذين هم وضلالهم، وكل ما يأتي من لديهم لا قيمة له عندنا، أي ولو مجازاً تحت أقدامنا أي: لا قيمة له ولا اعتبار له، ولا نتأثر به ولا نلتفت إليه، ولا نتركه أيضاً يؤثر في الآخرين، وأن يكون كل شخص منا إذا ما سمع من آخر تنبيها له على أن يبتعد عن فئة ضالة فيقال له: هذه الفئة ستضلك، أو شخص سيضلك أن يهتم بالمسألة.
ولاحظ هنا هم كيف حكى الله عنهم أن اهتمامهم وصل إلى درجة أنهم يريدون أن يعرفوا حتى من أضلهم من الجن وليس من الإنس{رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت: من الآية٢٩).
هذا ما أردت إكمالاً للحديث حول هذا الموضوع، وأننا لا نستطيع أن نجعلهم تحت أقدامنا ولو مجازاً إلا بعمل.
وإذا كنت ترى نفسك في نعمة أنك تسير على طريق هداية، أنك تتعرف على المضلين، وتعرف إضلالهم، وترى نفسك بأنك بحمد الله أصبحت في طريق الابتعاد عنهم، فإن من واجبك أن تهتم بالآخرين، وهذه هي روحية الأنبياء، وروحية النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**، الذي كان حريصاً على هداية الآخرين، حريصاً جداً ومهتما جداً.**
يجب أن نتأسى به، وأن نقتبس من روحيته هذه الروحية العالية، أن يكون لديك اهتمام بالآخرين، الآخرون هم مثلنا قد يكون الضلال انطلى عليهم؛ لأنهم لم يعرفوا، ولم يأت أحد يعرفهم، ولم يأت أحد يبين لهم.
فأنت من يجب أن تعطف عليهم، وأن تعمل على إنقاذهم وهدايتهم، وأن تحرص عليهم وتتأسى بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **التي كانت هذه من أبرز الصفات والتي كانت فيه أيضاً صفة مترسخة بشكل عجيب حتى قال الله عنه: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ على آثارهم}** (الشعراء: من الآية٣)**، تكاد تقتل نفسك أسفاً، تكاد تقتل نفسك ألماً {أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** (الشعراء: من الآية٣)**، ألا يكونوا مهتدين، يتألم جداً، يتأسف جداً على الآخرين وهم يعبدون أصناماً، وهم يعبدون أصناماً يهمه أمرهم، يكاد يقتل نفسه من شدة الألم أن يراهم هكذا على الضلال، ويعرف أين سيكون مصيرهم، وهو يتألم؛ لأنه يحب أن ينقذهم من الضلال حتى لا يكون مصيرهم هو ذلك المصير السيئ جهنم، الإنسان المؤمن الذي لا يحمل هذه الروحية فليس متأسياً بالنبي** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، هو كالتاجر البخيل.**
أن تتعلم أو تعرف هدى حتى وإن لم تكن أنت محسوباً ضمن المتعلمين، ثم لا يكون لديك اهتمام أن توصل الهدى إلى أقصى دائرة ممكنة، فاعلم بأنك كالتاجر البخيل يجمع الأموال ثم لا يصرف شيئاً لا في سبيل الله، ولا حتى في حاجاته الضرورية.
المؤمن يهمه قضية الآخرين إلى درجة أن يقاتل في سبيلهم كما حكى الله عن المؤمنين: {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً} (النساء:٧٥).
إن الله يريد من المؤمنين حتى أن يصلوا إلى درجة أن يقاتلوا لإنقاذ الآخرين، فكيف لا أبذل من مالي جزءاً بسيطاً قيمة شريط أو شريطين ليصل إلى الآخرين، كيف أبخل بالكلمة التي قد تنقذ شخصاً، كيف أبخل بالنصيحة كيف أبخل بالمشاركة في موقف يكون فيه إنقاذ للآخرين!.
المؤمن يهتم بكل شيء، وميدان اهتمامك كلما قويت علاقتك بالله، ميدان اهتمامك هو يتوجه إلى الناس، وإلى الحياة، أما الله سبحانه وتعالى فكلما تعززت علاقتك به لا يمكن أن يصل منك شيء إليه أو تعمل له شيئاً، هو سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى شيء منا، كلما ترسخ الإيمان في قلبك كلما تعززت علاقتك بالله فإن الميدان

الذي يعكس إيمانك القوي وعلاقتك القوية بالله هو الناس، ميدان الحياة.
الجهاد في سبيل الله أين ميدانه؟ هل أن هناك جبلاً جعله الله وسماه سبيله، يمشي الناس يطلقون الرصاص على هذا الجبل؟ أو ميدان العمل في سبيل الله؟ والجهاد في سبيل الله هو الناس أنفسهم؛ أن تعمل لإنقاذهم لهدايتهم؟ فإذا ما أحسست في نفسك بقوة علاقة بالله فلا تظن أن هذا هو كل شيء، وأن هذا هو المطلوب: أن أرى نفسي أكرر ذكر الله سبحانه وتعالى، وأرى قلبي ممتلئاً بحب الله ثم أرتاح لهذه الحالة.
افهم هذه الحالة كل المطلوب من ورائها هو أن تنطلق في ميدان العمل لإنقاذ الآخرين، وهداية الآخرين.أين كان يتوجه إيمان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ألم يتجل كل ذلك في حرصه على الآخرين؟.
{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}(التوبة:١٢٨) أليست هذه الآية تتحدث عن اهتماماته الكبير بالآخرين؟ {جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}، هذه واحدة يشق عليه أي شيء يؤلمكم، {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ}، أليست هذه أيضاً تتوجه إلى الناس؟.
{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} أليست هذه تتوجه إلى الناس؟ كل اهتمامه، كل نشاطه، كل حركته، متوجهة إلى الآخرين، هو لا يرضى لنفسه فقط أنه أصبح يرى نفسه مهتدياً، وأن قلبه ممتلئ بالإيمان بالله، والحب لله، ومعرفته بالله قوية، ثم يجلس منزوياً على نفسه ويتمتع بهذا الشعور في داخل نفسه فقط، هذا لا يحصل عند أولياء الله أبداً بدءاً من أنبيائه.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يرزقنا الرغبة في العمل لما فيه رضاه، وأن يتقبل منا، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (١١ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

[الدرس الحادي عشر]

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣٠/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

ولنبدأ في الدرس، درس حول دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده في آيات كلماتها من أرق الكلمات وألطفها، منها يستشعر الإنسان رحمة الله الواسعة التي تتجلى في عمله على أن يهدي عباده إلى ما ينقذهم من عذابه الشديد.

قال سبحانه وتعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ{٥٣} وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ{٥٤} وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ {٥٥}أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ {٥٦} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{٥٧} أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ{٥٨} بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ{٥٩} وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ {٦٠}وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الزمر٥٣-٦١).

هذه فيما يقال عنها، عن هذه الآيات هي: من أرق الآيات في القرآن الكريم وألطف العبارات، تأتي بهذا المنطق المتلطف: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} (الزمر: من الآية٥٣) **بالمعاصي، بما وقعوا فيه من ضلال، لا يصل بكم استعراض ماضيكم وما أنتم عليه، فترى أن ماضيك مظلم، وأن أعمالك كانت كلها أو معظمها قبيحة؛ فيتعزز في نفسك اليأس وتظن بأنه: جهنم، جهنم.**

{لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} (الزمر: من الآية٥٣) **لا تيأسوا. والشيطان قد يعمل على أن يصل بالإنسان إلى اليأس، فإذا ما أتى إليك وأنت تحدث نفسك بماضيك وبمواقفك وبتقصيرك، فترى أن أعمالك الحسنة قليلة جداً، وأعمالك السيئة كثيرة جداً، فقد يعمل على أن يوجد لديك حالة من اليأس.. الله يقول: {لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} من رجاء رحمته، من أن تحظوا برحمته، وتحصلوا على ما يوصلكم إلى مستقر رحمته.**

{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} (الزمر: من الآية٥٣) **ما يبعد الإنسان عن رحمة الله هي: الذنوب، ما قد يجعله يقنط من رحمة الله هي: الذنوب، فهنا يقول: كل الذنوب قد جعل لها توبة، من كل الذنوب يمكن أن تتخلص {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} أيّ ذنب أنت فيه، أيّ ذنب وقعت فيه بإمكانك أن تتخلص منه وتتوب إلى الله منه، ليس هناك ذنب لا تقبل منه توبة، ليس له توبة {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** (الزمر: من الآية٥٣) **هو سبحانه وتعالى يغفر لمن أناب إليه، يتوب على من تاب إليه؛ لأنه غفور وهو رحيم، بهذه العبارة التي تعني المبالغة ـ كما يقولون ـ أي: كثير الغفران، عظيم الرحمة.**

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} (الزمر: من الآية٥٤). **أليس هنا يرشد؟ بعد أن دعا عباده حتى أولئك أو هي دعوة في أساسها موجهة إلى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم، أن يقول لهم: أن بإمكانهم أن يتخلصوا مما هم عليه فلا ييأسوا من رحمته فإنه غفور رحيم.**

ثم وجههم إلى كيف يعملون، وهذا هو في القرآن الكريم من أظهر مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، يحذرهم، ثم يرشدهم، ثم يبين لهم ما يمكن أن يحصلوا عليه من جزاء عظيم لرجوعهم إليه، تتكرر هذه في القرآن الكريم كثيراً؛ ليبين للناس كيف يعملون ليعودوا إليه، كيف يعملون ليحصلوا على ثوابه، كيف يعملون ليحصلوا على رضوانه.

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ} (الزمر: من الآية٥٤) **الإنابة: الرجوع إلى الله، الرجوع بإخلاص. {وَأَسْلِمُوا لَهُ}** (الزمر: من الآية٥٤) **أسلموا أنفسكم له، أخلصوها له، سلموها له، عبّدوها له، سلّم نفسك لله، وأن تسلّم نفسك لله يعني: انقطاعك إلى الله سبحانه وتعالى واستعدادك لأن تسير على هديه، أنيبوا: أسلموا وأنتم ما تزالون في فترة يقبل منكم الإنابة**

ويقبل منكم الإسلام، وينفعكم الإنابة، وينفعكم الإسلام.

{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} (الزمر: من الآية٥٤) أما إذا ما جاء العذاب فإن عذاب الله لا أحد يستطيع أن يرده، عذاب الله لا أحد يستطيع أن يدفعه، عذاب الله لا تجد من ينصرك في مواجهته ليحول بينك وبينه.

أن ننيب إليك، أن نسلم لك، قد تكون هذه هي حالة نفسية.. أليس كذلك؟ أستطيع أن أقول عندما أتذكر وضعيتي وأتذكر ما عملت من ذنوب أن أقول: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه بإخلاص وانقطاع إلى الله، وما كان من الأعمال له علاقة بالآخرين أن تنوي التخلص من الآخرين.

ثم أرسخ في نفسي استعدادي الكامل للإسلام لله.. ثم ماذا بقي إذاً؟ هناك منهج تسير عليه، هذه حالة نفسية قد تحصل لدّي، قد تحصل لديك.. لكن ليس إلى هنا وانتهى الموضوع، انطلق، هذه هي بداية رجوعك إلى الصراط المستقيم، إلى الطريق الذي يوصلك إلى رضوان الله وجنته.

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} (الزمر: من الآية٥٥) لا تتوب من ذنب ثم تعود إلى الوضعية السابقة، إلى حالة فراغ، أن توطن نفسك على الاستعداد للعودة إلى الله، والإسلام لله، ثم تظل في نفس الوضعية السابقة.. لا.

هذه إنما هي بداية لتصحيح وضعيتك للتخلص من الماضي المظلم، يبدأ باستعداد نفسي يتمثل في التوبة، وتوطين النفس على الاستسلام لله سبحانه وتعالى، ثم الانطلاقة العملية.. وهي ماذا؟ الإتباع لأحسن ما أنزل إليكم من ربكم.

أنت عندما تتوب من ذنب ثم تظل هكذا بوضعيتك السابقة فارغ لا تتوجه توجهاً عملياً أنت معرض لأن تعود إلى الذنب من جديد، ثم ما تدري إلا وقد وقعت في الذنب فتقول: [أستغفر الله العظيم وأتوب إليه]. وتبقى على نفس الوضعية الأولى ثم تدخل في الذنب من جديد.. وهكذا، حتى يتغلب عليك الشيطان فيكون هو الذي يغلبك في الأخير.

التوبة هي بداية رجوع، هي الخطوة الأولى على طريق العمل الذي يتمثل في إتباع أحسن ما أنزل الله إلى عباده. ولأن هذا هو الذي يوفر لك أمناً من الوقوع في المعاصي من جديد على النحو الأول، وأنت منطلق لاتباع القرآن الكريم، إلى العمل بالقرآن الكريم بهدايته، بإرشاداته، سيبعدك هذا كثيراً جداً عن معاصي الله سواء ما كان منها ذنوب تقترف أو ما كان منها بشكل تقصير وتفريط.

ألسنا عندما نرجع إلى آيات الله نكتشف تقصيراً كبيراً لدينا؟ نكتشف تقصيراً كبيراً لدينا، حتى أولئك الذين يظنون بأنهم أصبحوا من أولياء الله كم يكتشف من تقصير كبير لديهم، في ميدان العمل في سبيل الله، في ميدان الجهاد في سبيل الله، في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله وإصلاح عباده.. ألسنا مقصرين في هذا؟ وهذا تقصير رهيب جداً، تقصير كبير جداً، لا تقبل معه ـ ربما ـ أي شيء من الطاعات الأخرى، لا تقبل معه أي طاعة من الطاعات الأخرى.

الإسلام دين مترابط، دين متكامل لا يقبل منك هذا وأنت تارك لهذا ورافض له، يجب أن تتحرك في كل المجالات، أن تتحرك بكل إمكانياتك في كل المجالات؛ لأن الله أنزل إلينا ديناً كاملاً فلماذا يكون تطبيقنا له منقوصاً؟ لو كان يمكن أن يقبل منا المنقوص لأنزل إلينا جزءاً من الدين {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً} (المائدة: من الآية٣) فلماذا هذا الدين الكامل ننطلق في مجال تطبيقه تطبيقاً منقوصاً؟ وهو ربط رضاه بهذا الدين الكامل، ووعده بالجزاء الحسن في الدنيا وفي الآخرة مرتبط بهذا الدين الكامل.

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} كأن هذا مما يوحي أيضاً بأن التوبة نفسها لا يكون لها أثر إذا لم تنطلق أنت في اتباع ما أنزل الله إليك. وهنا يقول: {مَا أُنْزِلَ} ولم يقل بعض ما أنزل.. هل قال بعض ما أنزل؟ ما الذي أنزل؟ تصفح آيات القرآن الكريم ستجد ماذا أنزل.

في الوقت الذي أنزلت فيه الصلاة والزكاة التي نحن نعملها، ألسنا نعملها؟ أنزل فيه الجهاد، أنزل فيه وحدة

الكلمة، أنزل فيه الاعتصام بحبله جميعاً، أنزل فيه النهي عن التفرق، أنزل فيه الأمر بالإنفاق في سبيل الله، أنزل فيه الأمر بالنصيحة والتواصي بالحق، أنزل فيه أشياء كثيرة أخرى هي أكثر مما نعمل.

أعتقد أن ما نضيعه من الإسلام ونتركه هو أكثر بكثير مما نطبقه ـ حقيقة ـ تعال واعمل قائمة [جدولاً] بما تحدث عنه القرآن الكريم ودعا عباد الله إليه ثم انظر كم هي التي نطبقها؟ واحدة، اثنتان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، من عشرات أو من مئات الأحكام والإرشادات والتوجيهات التي هي تمثل الدين الكامل لله سبحانه وتعالى.

وعندنا يقال في أصولنا: بأن التوبة يجب أن تكون توبة من كل الذنوب {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة: من الآية٢٧) أن تتوب من ذنب واحد وأنت مصر على ذنوب أخرى، ويجب أن نفهم كلما قلنا: [ذنوب] أن الذنوب ليست فقط تلك التي يتبادر إلى أذهاننا اقتراف معاصي معينة، التقصير من الذنوب الكبيرة، القعود عن العمل في سبيل الله، عن الإنفاق في سبيله، عن الجهاد في سبيله، عن الاعتصام بحبله، التقصير فيها من الذنوب الكبيرة. {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥).

يقال في أصولنا: أن الكبائر: ما توعد الله عليها فهي كبيرة.. ألم يتوعد بعذاب عظيم على التفرق والاختلاف؟ فكبيرة، معصية كبيرة.

فعندنا يقولون: بأن التوبة يجب أن تكون من كل المعاصي فتوبة جزئية من المعصية وأنت مصر على معاصي أخرى، أو أنت في وضعية عصيان باعتبارك مقصراً أيضاً تقصيراً لا مبرر لك فيه، فتوبتك لا تقبل حتى من الأشياء التي نحن متفقون في عرفنا على أنها معاصي.

الناس الآن أصبح لديهم عرف: أن تلك الأشياء التي وجه الله عباده إليها وألزمهم بها لم يعد التخلي عنها معاصي.. ألسنا نصف بعضنا بعضاً بأننا مؤمنون، ونقول: [فلان من أولياء الله وفلان رجال باهر وفلان كذا] ونحن نعلم جميعاً أننا مقصرون في أعمال كبيرة جداً هي أساس الإسلام بكله.

لا يصح أن ندعو بعضنا بعضاً باسم الإيمان ونحن في هذه الحالة، لا لكبير ولا لصغير لا لعالم و لا لجاهل، لا يصح.. كيف أسميك مؤمناً وأنت تسميني مؤمناً، أسميك ولياً من أولياء الله وأنت تسميني ولياً من أولياء الله ونحن جميعا نعرف أننا مقصرون في العمل في سبيل الله.. ألسنا قد تعارفنا على نبذ الكتاب، وقد اتفقنا على أن هذه لم تعد ذنباً ولا معصية؟!.

الناس هكذا وصل بهم الأمر كلنا اتفقنا على هذا وقد اتفقنا على أن الأشياء الباقية هي ما نسمي بعضنا بعضا فيما إذا كان يؤديها باسم [إيمان] فنقول: [سيدي فلان من أولياء الله.. الحاج فلان من أولياء الله] ولا تجد سيدي فلان ولا الحاج فلان يعملون في سبيل الله! فلسنا من أوليائه، ولسنا مؤمنين فعلاً. {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} ألم يقل هكذا في أكثر من آية؟ {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات:١٥).

هنا يصح وسنكون صادقين إذا قلت لك: أنت مؤمن. وتقول لي: أنا مؤمن، لكن نحن كاذبون إذا كنا لا نعمل في سبيل الله، ولا نجدّ في العمل في سبيل الله فتقول لي مؤمناً وأقول لك مؤمناً، هنا قال: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} وحدهم، هم هؤلاء الصادقون في إيمانهم، فأنا وأنت كاذبون، أليس كذلك؟.

بعد أن دعا عباده إلى العودة إليه، العودة هي هذه: أن تنيبوا أن تسلموا أن تتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، ويكرر أن الذنوب سواء ما كانت بشكل معاصي، المعاصي التي نحن معترفون بها ومتفقون عليها، أو من المعاصي التي قد تعارفنا على أنها ليست معاصي، يجب أن نتخلص منها وأن نعود إلى الله وإلا فهناك العذاب الذي كرره في الآية مرتين: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} (الزمر: من الآية٥٤) {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الزمر: من الآية٥٥).

لاحظ هنا في قول الله: {وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ}(الزمر:٥٥) **الحالة التي نحن فيها.. ألسنا متفقين مع أنفسنا ومع بعضنا بعض أننا مؤمنون؟. قد يأتينا العذاب يوم القيامة بغتة ونحن لا نشعر [هه كان احنا مؤمنين كنا نقول: مؤمنين وكل شي ساير ما بالنا !!].**

لأنه في اتباع القرآن يحصل هكذا من جانبنا، وهذا ما نحن عليه كباراً وصغاراً.. أليس كذلك؟ أن جزءاً كبيراً جزءاً كبيراً من القرآن الكريم لا نعمل به إذاً فنحن نسير سيرة ونحن مغمضون على أعيننا، فقد لا تفتح عينيك إلا وجهنم أمامك، من حيث لا تشعر.

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} ولأن في توجيهات الله داخل القرآن الأحكام الشرعية الهداية من الله سبحانه وتعالى داخل القرآن الكريم مثل الجهاد، الجهاد سماه الإمام علي: ((سنام الإسلام)). يرتبط به أشياء كثيرة فهناك حسن وأحسن داخل التشريع نفسه، فالأحسن هو الذي يقودك إلى أن تطبق كلما هو مرتبط به، فمتى ما انطلقت للاهتمام به ستهيئ نفسك والآخرين سيهيئون أنفسهم لأن يطبقوا كلما هي مرتبطة به من هداية الله سبحانه وتعالى من الأعمال والأقوال والسلوك وغيرها.

لكن متى ما أهمل الناس هذه المبادئ المهمة الكبيرة، متى ما أهمل الناس المبادئ الكبيرة أهملوا كلما وراءها، أو انطلقوا في الصغار بشكل لا يترك أثراً. من يتأمل في سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، القدامى من أئمة أهل البيت يرون هكذا: أن هناك في الإسلام أشياء الدين كله مرتبط بها متى ما غابت أصبح الدين كلا شيء، وأصبحت أعمال الناس كلا شيء.

اجتمع مجموعة من كبارهم في بيت واحد من أولياء أهل البيت [محمد بن منصور المرادي] وكانوا يصلون فرادى وهم مجتمعون، وليس من منطلق أنه لا أحد منهم يثق بالآخر كلهم يقدرون بعضهم بعضاً ويحترمون بعضهم بعضاً من كبار علماء أهل البيت لكن هم يرون أنه حتى صلاة الجماعة أصبحت لا تصح مع غياب إمام حق، فكانوا يصلون فرادى، فطلب منهم [محمد بن منصور المرادي] أن يعينوا شخصاً منهم وأن يتفقوا على شخص منهم يجعلونه إماما قال: لنتمكن من أن نصلي جماعة فتصح جمعتنا وجماعتنا.

سيرى الناس أنفسهم متباينة، قلوبهم يستنكرونها، لا ألفة فيما بينهم، لا إخاء فيما بينهم، لا صدق فيما بينهم، لا وفاء، لا اهتمام بشأن بعضهم بعض!.. أليست هذه حالة نلمسها في المجتمعات؟ هي حالة نحن نلمسها.. تحصل هذه إذا ما حصل تقصير.

ويدل هذا على أن تلك الأعمال التي تعملها هي لا تقبل منك، ما يدرينا هل صلاتنا تقبل؟ هل صيامنا يقبل؟ هل زكاتنا تقبل؟ ربما أقصى ما يمكن إذا صحت صلاتنا وزكاتنا وصيامنا أننا فقط لا نؤاخذ على أننا تركنا الصلاة وتركنا الزكاة وتركنا الصيام، لكن أن تقبل منا فنعطى ثواباً وجزاءً من الله عليها هذا شيء آخر، فقط لا نؤاخذ بأننا تاركي صلاة.

أنا أصلي لكن صلاتي لا تقبل، في الوقت الذي لا تقبل قد يكون أكثر ما أحصل عليه من خلالها هو أنني لا أعذب بأني تارك صلاة، لكن أن تحصل على الثواب الكبير من الصلاة.. ألسنا نتزاحم في المساجد جماعات، ونقول الجماعة بخمسة وعشرين صلاة؟. لا أعتقد بأنها قد تقبل حتى الصلاة الواحدة بالشكل المطلوب، وهي من أشياء كثيرة.

أليس هنا هو ربط التوبة نفسها وقبول التوبة باتباع أحسن ما أنزل إليكم من ربكم؟ التوبة من هذا الذنب أو من هذا أو من هذا مرتبطة بالإتباع لأحسن ما أنزل إلينا من الله، وأن ينبهنا على هذا {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً} وهذه هي الخطورة.

نحن في مسيرتنا نرى أنفسنا وكأننا نؤدي كل شيء كاملاً.. فلسنا نتوقع أننا قد نعذب أليس كذلك؟. فسيكون العذاب بالنسبة لناس على هذا النحو عندما يرون أنفسهم قد يقعون في العذاب هو يعتبر مفاجئاً بالنسبة لهم.. أليس يعتبر مفاجئاً بالنسبة لهم؟ لكن المجرم.. أليس المجرم هو يتوقع أنه سيؤاخذ على أعماله؟ إذاً لم

يكن العذاب بالنسبة إليه مفاجئاً، السارق أو الذي يعمل معصية سيكون السجن بالنسبة إليه مفاجئاً؟. لا. هو يعرف من بداية ما يدخل بين أموالك ليسرق أنه في حالة يمكن أن يسجن ولهم حق أن يسجنوه فلن يكون السجن بالنسبة له مفاجئاً، سيكون مفاجئاً لك أن تكون في بيتك فيأتوا ليدعوك ويقولوا جاوب فيسجنوك وأنت لا تدري لماذا.. أليس هذا مفاجئاً؟ بغتة هذا؟.

هكذا قد نكون في وضعية متفقين مع أنفسنا أننا ماشين في طريق الجنة، وأننا نعمل بالقرآن لكننا في الواقع كافرين أو تاركين أو رافضين لأشياء مهمة هي من أحسن ما أنزل الله، فلا يفتح الناس أعينهم إلا على شفير جهنم، سيكون هناك العذاب بالنسبة لهم مفاجئاً، سيكون بغتة {وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} بأنكم كنتم تتجهون إلى طريق جهنم، بأن تلك الذنوب هي قد تؤدي بكم إلى جهنم.

لا يمكن يوم القيامة أن تقول: [والله لا سرقت ولا زنيت، ولا قتلت نفس محرم، ولا أكلت حق أحد] أليست هذه هي العبارات المعروفة لدينا؟ لكن باقي، ارجع إلى القرآن تجد كم باقي أشياء كثيرة.

هل جاهدت في سبيل الله؟. لا. ألم نقل لك: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران:١٤٢) **ألم يقل هكذا؟ هل يمكن أن تضيفها رقم بين هذه: [لا قتلت نفسا، ولا أكلت مال أحد، ولا جاهدت في سبيل الله]؟. ما معه جهاد في سبيل الله فعلاً، هل يمكن تقول: [الحمد لله مصلي وصائم ومزكي وحاج بيت الله] وماذا؟. ألم ينته؟ هل هناك شيء آخر؟ هل يمكن أن تقول: ومنفق في سبيل الله، ومجاهد في سبيل الله، وآمر بالمعروف وناهي عن المنكر، ومتعاون على البر والتقوى، ومتوحد مع إخواني وأوصي الآخرين بالحق وبالصبر على الحق، وأقول كلمة الحق.. إلى آخره. أليست أشياء كثيرة وهي غائبة؟.**

معنا أربع خمس، الأربع والخمس هذه ـ لو تفهمون ـ الغاية منها هي كلها في خدمة تلك المبادئ الضائعة كلها الصلاة، الزكاة، الحج، الصيام كلها في خدمة المبادئ المهمة التي ركز عليها القرآن والتي أعلاها الجهاد في سبيله والعمل على نشر دينه، ومحاربة أعدائه.

ألم يقل في الصلاة: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (العنكبوت: من الآية٤٥) **؟ الزكاة كذلك، أليس جزءاً منها في سبيل الله، حتى أولئك الفقراء الذين يعطون من الزكاة، هو لتهيئة المجتمع في داخله، أن لا يكون هناك فئة تعيش مبتعدة نفسياً عن الفئات الأخرى، فالفقير يجد نفسه يأكل مع الغني من أمواله، فليس بينه وبينه بون في داخل أعماق نفسه فهو قريب منه إذاً قريب من أن يتوحد معه؛ ولهذا وجبت الزكاة في العين، في أعيان الأموال، لا تقبل نقداً إلا في حالات خاصة عندما يكون النقد هو الأصلح، وإلا فالواجب في الزكاة أن تكون من العين. لماذا؟.**

لأجل الفقير الذي يرى المزارع، يرى الأموال، يرى بأنه سيحصل معك من هذا المال، وسيأكل معك من هذه المزرعة، [ويخزن معك من ذلك القات]، ويشرب قهوة معك من ذلك [البن]، ويحصل على [عَلَف] معك من ذلك [العَلَف] فيكون الناس في واقعهم كأنهم أسرة واحدة، يعمل على تعزيز الروابط فيما بينهم.

الفقير إذا ما أصبح يرى كل شيء، ويرى أنه لا أحد يعطيه شيئاً، فالزكاة لا يعطى له شيء منها، سيرى نفسه في وضعية بعيدة عن الآخرين جداً، فهو بعيد عنهم بنفسيته، بل قد ينطلق ليسرق أموالهم، ينطلق لينهب، يحسد إذا ما رآك في نعمة فوجبت الزكاة في العين.

فأي فقير يرى الأموال يرى وكأنها له، سيأتي له من هذا، ويأتي له من هذا، فالزكاة من عين ما رأى، فلا يحقد، ولا يحسد، ولا يعادي، ولا يتعدى.. كيف سيسرق وهو يرى بأن بإمكانه أن يأتي له حلالاً من ذلك [القات]، كيف سيتعدى على ثمارك من الحبوب ونحوها وهو يرى بأنك ستوصل إلى بيته زكاة من هذا المال.

فالزكاة نفسها تخدم أو تعزز الروابط الاجتماعية فيما بين الناس، والعلاقات والروابط النفسية لتهيئهم ليكونوا مجتمعاً متوحداً، ولا يكون مجتمعاً قلقاً في داخله مشاكل كثيرة تصرفه عن القضايا الكبيرة، فيكون مهيئاً لأن يكون أمة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير.

هكذا كل الأعمال هذه التي نمارسها إنما هي في واقعها، من غاياتها الكبرى: أن تخدم القضايا المهمة في الإسلام {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الزمر:٥٥) إن هذا يوحي بأن هناك ذنوباً نحن لا نشعر بأنها ذنوب قد اتفقنا بأن لا أحد يكلم الثاني بأننا مقصرون! ألم نتفق على هذا؟ فأصبحنا ـ فعلاً ـ نغش بعضنا بعضا، تعظني، وأعظك ولا أسمع منك، ولا تسمع مني كلمة ترشدني أو ترشدك إلى أن هناك شيء نحن مقصرون فيه! انتهى الأمر أصبحنا لا نشعر فيأتي العذاب من حيث لا نشعر وإلا فالمذنب الذي يقترف الذنوب المعروفة هو يشعر أنها ذنوب وراءها عقوبة ويستحق عليها عقوبة. من هو ذلك الذي سينطلق ليعمل جريمة من هذه الجرائم وهو يرى أنه لا يستحق عقوبة؟. وأنه لو جاء أحد يريد أن يعاقبه سيكون مفاجئاً له؟. لا. المجرم يعرف أنه مستحق بأن يعاقب.

هذا يوحي بأن هناك ذنوباً هي من هذا النوع التي الناس ألغوها من قائمة التذكير لبعضهم بعضاً بأنهم مقصرون، وأنهم بتقصيرهم مقترفون لها.

ثم ماذا يمكن أن يحصل من وراء الذنوب هنا في الدنيا والتقصير هنا في الدنيا؟ يوم القيامة سيكون يوم ندامة وحسرة للمقصرين للذين أسرفوا على أنفسهم، ولم ينيبوا إلى الله، ولم يسلموا أنفسهم له، ولم يتبعوا أحسن ما أنزل إليهم.

يبدأ يتحدث ماذا يمكن أن يحصل بعد أن قال بالنسبة للعذاب: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ}، {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} يذكر بحالة الندم؛ ولأن الندم شيء نحن نعرفه في الدنيا. أليس الله يذكرنا بعذاب جهنم؟ ألم يجعل عذاب جهنم ناراً، ناراً نعرفها؟. ألسنا نعرف في الدنيا النار؟.لو أن عذاب جهنم كان عذاباً آخر نحن لا نعرف ما هو ربما ما كان يفيد التذكير لنا به، لكن جعل جهنم عذاباً نحن نعرف جنسه.. ناراً.

فعندما يخوفنا بالنار نحن نعرف في الدنيا هذه النار.. أليس كذلك؟. ونحن نعرف أنه لو لم تكن جهنم إلا كهذه النار لكانت كفاية وفوق الكفاية، ولرحمة الله الواسعة بعباده هكذا ينطلق: أن يكون ما يخوفهم به مما جنسه معروف لديهم في الدنيا، خوفنا بالعذاب ثم خوفنا من حالات الندم والحسرة.. أليس الإنسان في حياته تحصل له مواقف يتندم؟ يتحسر؟ هل ترى نفسك أنت في أثناء الندم وأثناء التحسر كيف تكون؟.

يذكرنا أيضاً بأنه: سيحصل هناك ندم شديد، وحسرة شديدة، والتحسر أو الحسرة والندم هي في حد ذاتها عذاب، عذاب نفسي شديد، بل أصبح العذاب النفسي ـ كما يقولون ـ من أكثر ما يستخدم في التعذيب في السجون، التعذيب النفسي غير التعذيب الجسدي، تعذيب نفسيتك بأي طريقة.

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ} (الزمر: من الآية٥٦) أي: ومن قبل أن تصل إلى {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} (الزمر: من الآية٥٦) أليس هذا تعبيراً عن التحسر عندما يرى نفسه إلى أين وصل به الحال أصبح من أهل جهنم، وجهنم أمامه يراها، هذا الشيء المخيف: أن جهنم تبرز يوم القيامة أمام الناس ويسمعون تغيظها ويسمعون زفيرها، وهو منتظر أن يساق إلى جهنم هو في حالة من العذاب، عذاب التحسر {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ} على ما قصرت {فِي جَنْبِ اللَّهِ} في طاعته، لاحظوا هنا لم يقولوا: [في أوامر الله] أنا قصرت فيما له علاقة بالله، فيما كان يمكن أن أحصل من خلاله على رضى الله، وما كان يمكن أن يقي نفسي من هذه النار التي أشاهدها.

لم يقولوا في يوم القيامة: ممن يعمل في هذه الدنيا على أن يتعامل مع الله فيما يتعلق بالواجب فقط، والواجب من منظار ضيق، الذي لا مناص من القيام به على أقل مستوى.

يود أنه تمكن وهو في الدنيا أن يعمل أي عمل فيه رضى لله، لم يعد لديهم مقاصاة قصي [ما بلاّ سأعمل فقط تلك الأوامر الخاصة إذا لم يعد هناك مجال].

رأى شدة الحسرة والندامة التي هو فيها، ورأى العذاب عذاب جهنم أمامه.. هل الإنسان هناك يظهر بمظهر من

يكون حدياً جداً، وقصي في أعمال الطاعات؟ لا. [ليت أني عملت كل ما يمكن أن أعمله في جنب الله وفي طاعته وفي رضاه لأسلم من هذه].

هذه الحالة هي التي تحصل عند كثير من الناس هنا في الدنيا عند بعض من العلماء، عند بعض من المتعلمين، عند بعض من المتدينين يبحث عن الحد الأدنى من الواجب بعد أن يقولون قد أصبح واجباً، ويذهب ليسأل هذا: هل فعلاً هذا قد وجب.

إذهب اسأل عالم من الناس عن الإنفاق في سبيل الله سيقول لك: [هذه آيات منسوخة بآيات الزكاة].. أليس كذلك؟ الآن اذهب اسأل. لكن انظر ماذا يقول الناس هنا المتحسرون والمتندمون، تَنَدّم أنه لم يعمل كل ما كان بإمكانه أن يعمل مما فيه لله رضى في هذه الدنيا، واجب مندوب مستحب كيف ما كان، لا يقاصي؛ لأن جهنم فعلاً، إن الإنسان يفكر في أن يقي نفسه منها، هي مما تفكر أن تقي نفسك بأي شيء، ليس شيئاً بسيطاً وهيناً تكون مقاصي جداً فيما يقيك منها.. [هذا قدو يلزمنا يا سيدي فلان يا سيدنا فلان، قدو يلزم، قدو واجب علينا، أو عاد معنا مخرج أو معنا كذا]؟.

أنت انظر أن أمامك جهنم.. أوليست جهنم بالشكل الذي يجعلك تنطلق أنت لتعمل كلما يمكن أن تعمله مما فيه نجاة نفسك منها؟. [ما واحد يأتي يفتح الشنطة ويخرج فلوس إذا قدو مشاجر ويريدوا يسجنوه؟] يعطي رشوة لهذا ورشوة لهذا.. هل هو يقاصي؟ لا يعد يقاصي.. هات عشرة ألف إذا بدك وهم با يخرجوك.. قال: تفضلوا. وفي البيت عندما يقولوا ـ وهو بيشتري له مثلاً بمائتين ريال لحمة ـ لماذا لا تزد بمائتين سيقول: ما هو باربع مائة كل يوم.. هذا كثير!. ما هو قد يقاصي هنا؟ لكن في حالة السجن: عشرة ألف وبا يخرجوك، قال تفضلوا.. ما هو رأى بأنها سهلة؟ لن يقول: أبداً بدك بتسعة ألف وخمس مائة والاّ، لا. هل أحد سيراجل هكذا؟ تسعة آلاف وخمس ما أنا مزيد ريال واحد.. قد يقول أمانة ما رضيوا إلا باثنعشر ألف.. ستقول: تفضل، ما أحد بيقاصي.

جهنم ليست مما تقاصي، فالإنسان لا ينطلق في وقاية نفسه من جهنم من منطلق المقاصاة. ليكن سؤالك للعلماء: هل في هذا لله رضى؟ هذا هو الصحيح. هل إذا أنفقت في مجال كذا هل فيه لله رضى؟ من الذي سيقول لك: لا؟. هذا هو السؤال الصحيح.. [هل قدو يلزمني؟ هل قدو واجب عليّ.. هل... هل... إلى آخره؟.

تختلف أنظار العلماء في هذه، والذي يقول لك: لا. قد يتحدث معك من وجهة نظره، قد لا ينفعك يوم القيامة هو. قد يكون الأمر ليس كما قال ذلك الشخص، تكون في الواقع ملزماً، إنما أنت الذي تبحث عن مخارج وحيل. انطلق في سؤالك للعلماء ـ إذا كنت ترى بأن جهنم شديدة، وأنها تستدعي منك أن تبحث عن ما فيه نجاة لنفسك ـ فقل: هل هذا العمل فيه وقاية من النار؟ هل هذا العمل فيه لله رضى؟ وستجد الجواب واحداً. وهذا هو الصحيح، سترى الإجابة واحدة.

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} (الزمر:٥٦) كنت في الدنيا من الساخرين، وما أكثر ما يسخر بعض الناس من أشياء كثيرة هي مما تقي الإنسان من عذاب الله ومن الحسرة والندامة يوم القيامة.

بل إن حالة السخرية هي مما يبعد الإنسان عن الاهتداء. قد يكون هناك من يسخر باجتماع كهذا؛ لأنه في نفسه في حالة شعور بسخرية هل هو سيأتي؟. لا.. يمشي: [اترك أبوهم] ما هكذا يقول؟ سخرية، الساخر لا يهتدي، الساخر يحول بين نفسه وبين مصادر الهداية، وبين مجالس الهداية أليس هنا يتحسر، ويتندم. {وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} كنت في الدنيا ممن يسخرون.

عرض عدة حالات من حالات الندم والتحسر {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}، {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (الزمر:٥٧) ليت أن الله هداني، {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} حالة تمني، ليت أن الله هداني. جوّب عليه هناك: {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا} (الزمر: من الآية٥٩) ليؤكد الله لعباده بأنه لا يأتي من جانبه تقصير أبداً، بل ولا يخاطبهم بالحد الأدنى، يكرر ويعمل على ترسيخ

هدايته، يوضح، يبين، يكرر، يؤكد، يقسم. وليس فقط يحدثنا بالحد الأدنى، أو بالشيء الذي يكفي فقط.

{لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.. لماذا لم يقل: [لكنت من المؤمنين]؟ رأى أهوالاً شديدة قد يكون في الدنيا كان مؤمناً بها، مؤمناً بجهنم.. أليس الناس مؤمنين بهذه؟ لكن هل هم متقون؟ قليل. ليتني اهتديت وأنا في الدنيا، وليت أن الله هداني، فانطلقت لوقاية نفسي وأنا في الدنيا من أن أصل إلى هذه الحالة السيئة. أي: هذه هي محطة تأمل لنا جميعاً أن يقول ذلك الإنسان ـ ونعوذ بالله من أن نكون ممن يقولها في يوم القيامة ـ {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} أليس في ذلك المقام وهو يتندم يفكر فيما كان يمكن أن يصنع له وقاية من جهنم ومن تلك الحالة السيئة حالة الندم، أو هو قال: [لكنت من المؤمنين]؟. قد ربما كان من المؤمنين بمعنى المصدقين باليوم الآخر، وأن هناك جنة ونار، لكن لم يصنع في الدنيا ما يقيه منها، وما أكثر هذه الحالة لدينا، ولهذا يخاطبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بمثل عبارة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}(آل عمران: من الآية١٠٢) أليس يخاطبك بأنك مؤمن. أنت مؤمن لكن اتق الله، يعني: أنت آمنت فانطلق في أن تصنع لنفسك الوقاية مما توعد الله به المقصرين، مما توعد الله به المجرمين.

نحن آمنا بالله.. أليست هذه واحدة؟. إذاً فلننطلق في أن نعمل، لأن إيماننا بالله أنه ماذا؟ غفور رحيم وأنه شديد العقاب.. أليس كذلك؟. أن لديه جنة ولديه نار. أنت آمنت فانطلق لتقي نفسك من عذاب الله. أنت آمنت بالنار فانطلق لتقي نفسك من النار.

{أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}(الزمر:٥٨) أو تقول نفس؛ لأن الكلام عن النفس {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى}، {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي}، {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً} أي: ليت لي كرة: رجعة إلى الدنيا {فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}. عرف أيضاً هناك أن ما يقي من جهنم من العذاب هو: أن يكون من المتقين، وأن يكون من المحسنين. رأى أن الوقاية من العذاب كانت تتجلى في أن يكون على هذا النحو: متقياً لله ومحسناً.

طيّب وأنت هنا في الدنيا فلنرجع جميعاً إلى ما به يكون الإنسان متقياً، أنا قد أكون مؤمناً لكن مطلوب مني أن أكون متقياً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران:١٠٢) أليست هذه من التقوى؟ وإلا فيمكن أن تكون أنت من {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فقط، فيأتي يوم القيامة وأنت كنت فقط من المصدقين، لكن ليس لديك ما تقي نفسك به من عذاب الله.

كنت وأنت تحت اسم [الإيمان] تنطلق في الأعمال ـ سواء ما كان بشكل أفعال أو ما كان بشكل تقصير عن أعمال أخرى ـ أنت تنطلق في طريق جهنم وأنت تحمل اسم إيمان، وتحمل اسم [مؤمن].

{مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ما ذكره الله في مواضع كثيرة هي مواضع عملية تتعلق بالجهاد في سبيل الله، وبالإنفاق في سبيله وبالإهتمام بأمر عباده، وبالإهتمام بصورة عامة بأمر دينه {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(العنكبوت:٦٩) ألم يسم المجاهدين محسنين؟. وهنا يقول صاحبنا هذا: {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}.

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ}(آل عمران: من الآية١٣٣ ـ ١٣٤) ماذا وراءها؟ {يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(آل عمران: من الآية١٣٤) ألم يعرض صفات المحسنين؟ إنفاق في حالات السراء والضراء، وكظم الغيظ، وعفو عن الناس وجهاد في سبيله.. أليست هذه من مواصفات الناس الذين يؤهلون أنفسهم فعلاً لأن يكونوا ممن أعدت لهم الجنة، وممن وقوا أنفسهم من عذاب الله من النار ومن هذا التحسر.

أريد أن أقول: أن ما يقوله الله سبحانه وتعالى عن أولئك الناس إنما يقوله بعدما تتجلى حقائق لديهم في المحشر، فكأننا ونحن هنا في الدنيا اطلعنا على ما سيعرض في المحشر يوم القيامة.

تلك الآيات التي قرأناها بالأمس كيف يتحسر هؤلاء، كيف يلعن هؤلاء هؤلاء، المضلين المضلين، كلهم يشكون من المضلين.. أليس كذلك؟. تجلى لهم الأمر: بأن ما يؤدي بالإنسان إلى النار هو الضلال، وأن الضلال يأتي من أطراف أخرى.. من هم؟. هذا يلعن قرينه، وهذا يلعن الأمة الأولى التي كان يدافع عنها ويقدسها، وهذا يبحث أين هم {نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا} هذا نفس الشيء.. تجلت الأمور بشكل واضح، يوم القيامة يوم تتبين فيه الحقائق.

ولم يتركنا الله ونحن في الدنيا عن أن يوضح لنا تلك الحقائق، فعندما يقول هذا الإنسان: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} ولم يقل [من المؤمنين] ولم يقل بعبارات أخرى. عرف بأن كان أكثر ما يؤدي به إلى جهنم أو ما جعله يصل به الأمر إلى أن يكون من أهل جهنم هو: حالات تفريط، تقصير، ابتعد عن أن يصنع لنفسه وقاية، لم ينقصه تصديق بجهنم وهو في الدنيا كان يؤمن بجهنم، نقصه حالة الوقاية من جهنم {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

أيضاً رأى الأعمال التي عرضت وأنها هي الأعمال التي يسمى صاحبها بالمحسن أي أعمال إحسان، هي نفسها التي كان لها أثر كبير في الوقاية من جهنم، عندما رأى أولئك نجو من جهنم وساقتهم الملائكة إلى الجنة رآهم نوعية أخرى ممن كانوا مجاهدين، ممن كانوا منفقين، ممن كانوا صابرين، ممن كانوا متقين ومحسنين.

ورأى عنده الكثير هو، الكثير ممن سيساقون إلى جهنم أنهم كانوا وهم اسمهم مؤمنون، ولكن لم ينفع اسم [إيمان] وإلا فقد كنا مؤمنين، بمعنى: مصدقين باليوم الآخر وبالنار، لكن أولئك الذين يساقون إلى الجنة متقين محسنين، ألم يقل هناك: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} في الجنة {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وهو يتحدث عن صفاتهم.

{بَلَى} (الزمر: من الآية٥٩) أليس هنا يتمنى؟ {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً} {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} (الزمر: من الآية٥٩) في الدنيا، آيات كثيرة في القرآن الكريم، ليس هناك أعظم من القرآن الكريم من كل الكتب التي نزلها الله إلى عباده، وليس هناك أعظم منه في مجال البيان للناس، وبيان صادق لا يمكن أن تقول: هذا الحديث قد يكون موضوعاً، أو هذا الحديث قد يكون معارض بأقوى منه، أو عبارات من هذه.

آيات صريحة جاءتك آياتي التي تبين لك كيف تكون من المتقين، وكيف تكون من المحسنين، وكيف تنطلق في العمل فيما يرضي الله فتكون بعيداً عن التفريط في جنب الله، وكيف تكون ممن يحرص على الهدى، وليس ممن يتحول إلى ساخر. {قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} لكن أنت الذي كذبت {فَكَذَّبْتَ بِهَا} (الزمر: من الآية٥٩).

هذا التكذيب لا يلزم فيها أن تقول: كذب. هل نحن نقول في القرآن: كذب؟. لا أحد منا يقول: كذب أبداً، لكن في واقعنا كالمكذبين، أعمال مهمة تتوقف عليها نجاتنا لا نكاد نعد أنفسنا لأن نصغي للحديث عنها أو لأن نسمعها، ومتى ما سمعناها نكون محاولين كيف نتخلص منها، تعامل من هو مكذب والأصل هو العمل، وإلا فمجرد التصديق باللسان قد لا ينفع.

هل التصديق بالله سبحانه وتعالى والإيمان بالله بمجرد كلام ينفع؟ ألم يقل عن أولئك أنهم كافرون به؟ وهو من حكى عنهم بأنهم: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) أليسوا معترفين بالله؟ ومؤمنين بالله؟ ومصدقين بوجوده، وأنه إله؟ الإيمان كله عملي في الإسلام كله، في القرآن كله، الاعتقادات عملية، الإيمان عملي، أما مجرد إيمان لا يتبعه عمل تعتبر كمن ليس بمؤمن.

فإذا كان إيماني بالله لا ينفعني؛ لأنني لم أنطلق في العمل على ما يقتضيه هذا الإيمان فكذلك الإيمان بآيات الله، أو أن الإيمان بآيات الله سيكون أكثر من الإيمان بالله هو؟! الإيمان بآياته وأنت لا تنطلق في ميدان العمل بها ستكون كالمكذب بها.

{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ} (الزمر: من الآية٥٩) الإنسان يقف أمام آيات الله موقف الرافض لاعتبارات أخرى، وموقف المستكبر الذي يأنف من أن يلتزم بها في واقعه. {وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (الزمر: من الآية٥٩) الكفر أساساً هو رفض، فالذي يرفض في واقعه كمن يرفض في منطقه. الذي يقول: لا. هذا ليس بنبي، هذا ليس

كلام الله. أليس هذا كفر؟ في الواقع العملي ما الذي يفرق بينه وبين من قال: نعم هـذا نـبي وهـذا كتـاب الله. ولكنه لا يعمل بما جاء به النبي ولا يهتدي بهذا النبي.. أليسوا في الواقع العملي مستوين؟.

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} نعوذ بالله {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّـذِينَ كَـذَبُوا عَلَـى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر:٦٠) فقد يكون مما يحمل الإنسان علـى الكـذب علـى الله حالة ترفع من التزام بما هدى إليه الله، كما هو في داخل المسلمين الآن حالات كـثيرة مـن الكـذب علـى الله سبحانه وتعالى، حالات كثيرة من الكذب علـى الله في الاعتقـادات، في الحـديث عـن الـدين، في الحـديث عـن المواقف التي يجب أن يقفها المسلمون.

ونحن أيضاً في أعمالنا في مواقفنا كمن يكذب على الله.. ألسنا نقول أحياناً: [لو كان هـذا صـحيحاً لكـان سـيدي فلان في المقدمة].. ألسنا نقول هكذا؟. أي فليس صحيحاً.. أليس هكذا؟. ما هو هذا؟ أليس هذا تكـذيباً؟ تـسير إلى العالم الفلاني فتقول: [يا خبير هذا فلان يقول لازم نعمل كذا وننطلق من أجل نعمل كذا، وأن القـرآن قـال كذا وكذا] قد يقول لك: ما يلزمك هذا بكله، أو ذا عندك شيء ربما ما له فائدة].

أنت قلت في نفسك قبل، أو ستقول للآخرين: [لو كان هذا العمل صحيح أو لازم لكان سيدي فـلان وسـيدنا فـلان والعالم الفلاني والعلامة الفلاني في المقدمة... ما معهم إلا كذب]؟.

ألست إذاً كذبت بهذا؟. أي قلت: هذا غير صحيح فكأنك قلت: هذا عمل لا قيمة له. قلت: هذا عمل ليس لله فيه رضى. هذا نفسه مظهر من مظاهر الكذب على الله، أنت قدمت الموضوع: بأن هذا لا علاقة بينه وبين الله، فأنـت كذبت في هذا.

وما أكثر ما يحصل من الناس من ضعاف الإيمان هذه التساؤلات في حـالات المواقـف العمليـة.لا أحـد يـسأل عـن الصلاة، أو يسأل عن الصيام، أو عبادات من هذه.. ألسنا كلنا ننطلق في أدائها بـسهولة، ولا أحـد يـذهب ليـسأل يبحث إذا وجد له مخرجاً منها؟ لكن متى ما جاءت أعمال هي الأعمال المهمة الـتي تتوقـف عليهـا النجـاة، هـذه الأعمال التي يتمناها هؤلاء: التقوى، الإحسان، {لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} {فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْـسِنِينَ} تبـدأ التـساؤلات وتبدأ التشكيكات هذه هي من الظلم للنفس، من جهالتي، من جهالتي إذا لم أنطلق على هذا النحو. لماذا أتهرب مما فيه نجاتي من النار؟ لماذا أحاول أن أتهرب مما فيه لله رضى؟.. هل أن الله عدو لي فأنا أريد أن لا أعمـل لـه إلا أقل ما يمكن؟ أقاصي إلى هذا الحد، هذه حالة غير طبيعية أبداً.

ممكن أن تسأل فقط لتتأكد هل هذا مشروع أو أنه محرم، حرام لا بأس أنت تريد أن تعرف هل هذا العمل حـرام باعتباره ليس مشروعاً باعتباره مخالف لشرع الله.

خرج رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو فقاتل وتعرض للآلام، خرج الإمام علـي فقاتـل ثـم قتـل هـو، فخرج الإمام الحسن فقاتل حتى خذله أعداؤه، ثم قتل هو بالسم، فخرج الإمام الحسين فقاتل حتى قتـل. هـل كان لدى أولئك نظرة إلى أنفسهم بأن الإسلام يتمثل في شخصه فتتوقف كل حركـة مـن أجـل أن لا يلحقـه ألم؛ لأنه إذا ما لحقه شيء فالإسلام ضرب بكله؟. بل كانوا يرون بأن التضحية بأنفـسهم هـي الخدمـة للإسـلام وهـي الحفاظ على الإسلام.

نحن مررنا بحالة من هذا كان يقال لنا أيام العمل في [حزب الحق] في بدايته وما زالت القـضية مـا قـد النـاس متأكدين هل الحزبية مسموحة والاّ لا. يقولون: [بطِّلوا با تكلفوا على العلماء، على أحد من العلماء]!

أصبحت النظرة: أن الحفاظ على شخص العالم ليبقى حياً هي الحفاظ على الإسلام! ليس كذلك، بل علـى العـالم أن ينطلق هو ويتقدم المجاهدين في سبيل الله هو ثم ليقتل هو. هذا هو العمل للحفـاظ علـى الإسـلام، هـذا هـو العمل في خدمة الإسلام.

عندما زرنا مدينة [قم] خارج المدينة جسر معترض على الخط فيه يمكن ما لا يقل عن سبعين صورة عالم سقطوا شهداء في سبيل الله.. ألم يحفظ الإسلام في إيران عندما سقط العلماء شهداء؟.

أن يأتي عالم فيظن أن الحفاظ على شخصه هو يمثل الحفاظ على الإسلام فهذه نظرة مغلوطة، أن يقول لك أو يقول لي: لا تتحرك لأنك ستؤدي بهذا العالم، أو بذلك العالم إلى أن يقتل، فحافظ عليه حرام حافظ عليه، يعتبر حرام ستقضي على الإسلام! لو أنهم خرجوا وصدعوا بالحق لما وصل العامة إلى ما قد وصلوا إليه من الضلال.. ألم ينتشر الوهابيون في كل منطقة؟ ألسنا الآن نعيش حالة التهويد للمجتمع؟ حالة الارتداد بعد الإيمان؟ قد يكون هناك علماء لهم عذرهم فيما بينهم وبين الله. لكن أن تكون قاعدة عامة هي القعود، هي أن لا تتحرك من أجل أن لا يحصل كذا من أجل أن لا يكون كذا، هذا هو الذي يضرب الإسلام.

ولأن الكذب على الله سبحانه وتعالى قد يكون أحياناً فيما هو صد عن مواقف حق، صد عن حالة هي تقوى تقي الإنسان من النار {وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} كتلك الآية في [سورة آل عمران]: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(آل عمران:١٠٦) يحصل كذب على الله. ومتى سيحصل لديك الرغبة في أن تدخل في قضية هي في الواقع كذب على الله إلا في مواجهة أعمال أخرى هكذا يحصل في العادة.

من الذي سينطلق تلقائياً من جهة نفسه بغير أي باعث آخر ليكذب على الله؟ فعندما تظهر دعوات حق، عندما يظهر أعمال حق، عندما يظهر مواقف حق هنا يظهر في الجانب الآخر الكذب على الله.

وقد يكون الكذب على الله بشكل فتوى، فتوى محرمة تصدر ممن يحمل اسم علم، وقد يكون الكذب على الله بعبارة تنطلق من ألسنة الناس للصد عن تلك المواقف الحق؛ فلأنهم صدوا عن مواقف حق فكان صدهم هو مما سود وجه الحياة فتكون وجوههم مسودة.

أليس التاريخ أسوداً؟. أليس الواقع أسوداً ومظلماً؟ هكذا من يعملون على أن يبقى هذا الوضع مظلماً تكون وجوههم مسودة.. {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ}.

وربما قد يكون مما يدفع الإنسان إلى أن يكذب على الله في مواجهة موقف أنه في نفسه متكبر ليس مستعداً أن يكون مع هؤلاء أو من أتباع هؤلاء، فيستكبر ويأنف؛ لأنه يعود نفسه أن يكون هو الكبير الذي يمشي الناس وراءه، أن يمشي هو وراء الآخرين من أهل الحق. لا.. إذاً هو سيكذب، وإذا كان الكذب لا ينفق إلا بالكذب باسم الدين فهذا هو الكذب على الله، وهذا هو ما يحصل.

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}(الزمر: من الآية٦١) التقوى هي التي تنجي الإنسان {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ} بما عملوه مما حقق لهم الفوز {لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}(الزمر: من الآية٦١) إذاً فاعمل لأن تكون من هؤلاء. فلنعمل إلى أن نكون من هؤلاء ممن ـ إن شاء الله ـ {لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

فانطلق في عملك من قاعدة: أن في هذا العمل لله رضى.. وسترى أنت أن هذا العمل مهم جداً، وسترى كل شيء ـ تقريباً ـ واجباً في الأخير، سترى لأهمية هذا في تحقيق هذا الواجب وفي خدمة هذا الواجب سترى الدنيا كلها تصبح تقريباً واجباً، كل شيء واجباً.

الذي ينطلق يفرق بين الأحكام فيقول: [هذا ما قد وجب، وهذا ما قد يلزم] قد يكون ممن ليس لديه اهتمام بقضايا كبيرة فهو ممن لا يعرف قيمة ما يخدم هذه القضايا، لا يعرف قيمة ما يخدم إصلاح وضعية الأمة، ما يخدم إعلاء كلمة الله فيراه لا يلزم، وهذا لا يلزم، وهذا لا يلزم. وانتهت كلها.

لكن متى ما انطلقت ستكون من أولئك المتقين الذين حكى الله عنهم في قوله: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}(آل عمران: من الآية١٣٤).

اذهب اسأل عنها كل هذه في قائمة المندوبات في قائمة المندوبات كلها. الإنفاق في سبيل الله قالوا: منسوخ بآية الزكاة. وانتهى الموضوع.! فالذين ينفقون في السراء والضراء عبارة عن تطوعات فقط يعني مندوبة يريد قليل حسنات، وكظم غيظ، وعفو عن الناس. بينما هي وردت هنا في أبرز صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وستراها أعمالاً مهمة جداً، ثم قد تراها واجبة عليك في حالات كثيرة واجبة عندما تكون أنت لديك اهتمام كبير

فتعرف أهمية هذه في خدمة هذا الذي أنت تهتم به.

كيف يقول عن الجنة التي أعدت للمتقين ثم يتحدث عن مندوبات فقط ويترك الواجبات المهمة هناك! لا يأتي بها إلا ليقول لك: المتقون هم أناس عمليون، هم ممن لا يفكر في أن هذا مندوب أو هذا واجب فهم ينطلقون على هذا النحو، والإنطلاقة لتحقيق هذه الأشياء الأربعة: الإنفاق في حالة السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس هي من الأسس المهمة في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله سواء تسميها مندوب أو تسميها واجب؛ أنه لابد ـ وأنت في حالة العمل لأن تكون من المتقين ـ لا بد وأنت معدود من المتقين أن تكون متحلياً بها؛ لأنه هكذا وصف المتقين بأنها صفة من صفاتهم اللازمة وليس فقط في النادر.. ألم يأت بها مصدرة بـ [الـ]؟ الذين ينفقون في السراء والضراء، الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس. كصفة دائمة لديهم. {لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يرزقنا الرغبة في العمل بما فيه رضاه، وأن يتقبل منا ويجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (١٢ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

الدرس الثاني عشر

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٤/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمي. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.
سيكون درس اليوم حول آيات من كتاب الله الكريم من [سورة السجدة].
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم {الم{١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ{٣} اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ{٤} يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ{٥} ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{٦} الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ{٧} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ{٨} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ{٩} وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ{١٠} قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ{١١} وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ{١٢} وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{١٣} فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{١٤} إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ{١٥} تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{١٦} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{١٧} أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ{١٨} أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{١٩} وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ{٢٠} وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{٢١} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ{٢٢} }صدق الله العظيم

سيكون كلامنا من قول الله تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}(السجدة: من الآية١٠) **تقدم من أول السورة الحديث عن أن كتاب الله القرآن الكريم نزل من عند الله العزيز الحكيم، وذكر فيه أيضاً الاستنكار من أن ينسب إلى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بأنه افترى هذا القرآن.**

ومن يتأمل هذا القرآن سيعرف سواء كان من العرب المتقدمين أم من المتأخرين، سواء كان عربيا أم غير عربي، سيعرف أن هذا القرآن لا يمكن أن يفترى إطلاقا من عند أي طرف آخر، لا ملك من ملائكة الله ولا نبي من أنبيائه ولا أي مخلوق من مخلوقاته {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}(النساء: من الآية٨٢)

القرآن كتاب حكيم بشكل يقطع المتأمل له أنه نزل من عند من يعلم السر في السموات والأرض، من عند الله، وأنه لا يمكن أبداً لا يمكن إطلاقا أن يكون هذا القرآن من عند غير الله، إنه الحق {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ}(السجدة: من الآية٣) **هو الحق {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}**(الإسراء: من الآية١٠٥) **فلم يكن إنزال القرآن من عند الله مجرد ممارسة هواية أن له رغبة كأي رغبة عند أحدنا أن يؤلف كتاباً، ليضع اسمه على الصفحة الأولى وعلى غلاف الكتاب، تأليف فلان بن فلان.. هو الحق ونزل بالحق.. مقتضى الحكمة أن يكون هناك كتاب، ولا بد أن يكون هناك كتاب يتنزل من عند الله سبحانه وتعالى.**

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ}(السجدة: من الآية٣) **وإنزال هذا الكتاب أيضاً له مهمة كبرى، إنزاله للحق الذي نزل به، هو {لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}**(السجدة: من الآية٣)**، فهو كتاب لإنذار الناس، إنذارهم**

ليهتدوا. ثم تذكر هذه الآيات: أن الله سبحانه وتعالى هو {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} (السجدة: من الآية٤).

بعد الحديث عن إنزال الكتاب الكريم، يأتي الحديث الذي يدل على ملك الله، أن له الملك له الأمر، هو الذي يدبر هو الذي خلق، خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وهو الذي يدبر شؤون السماوات والأرض، وشؤون الإنسان.. فكيف لا ينزل لهذا الإنسان كتابا يهتدي به.

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ} (السجدة: من الآية٣) **الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وخلق الإنسان أيضاً بالحق، وتدبيره للسموات والأرض، لشؤون مخلوقاته جميعاً بالحق، هل يمكن أن يترك الإنسان في هذه الدنيا دون أن ينزل له كتاباً يهتدي به؟. {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}** (السجدة: من الآية٣).

تحدثنا في درس سابق حول قول الله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (السجدة: من الآية٤)؛ **فلا حاجة لإعادة الموضوع، فالشيء الملاحظ أنه هكذا أحياناً يأتي الحديث عن خلق الله وعن تدبيره لشؤون خلقه خلق السموات والأرض وما بينهما وتدبيره لشؤونهما، ثم ينتقل إلى الحديث عن التشريع والهداية، أو يأتي الحديث مسبقاً عن التشريع والهداية، أو عن القرآن الكريم كما هنا، وهو مصدر التشريع ومصدر الهداية من الله سبحانه وتعالى، ثم يتعقبه بالحديث عن تدبيره لشؤون خلقه كلهم، السموات والأرض وما بينهما، فهو الذي خلق، وهو الذي يدبر.**

إذا كان هو الذي خلق السماوات والأرض وهو الذي يدبر شؤونهما، هو الذي خلق الإنسان {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} (السجدة: من الآية٧)

هو أيضا الذي له الحق أن يدبر شؤون الإنسان، وشؤون الإنسان تختلف نوعا ما عن شؤون السماوات والأرض والمخلوقات الأخرى الجمادات.. تدبير شأن الإنسان يحتاج إلى هداية، يكون في جانب منه بشكل هداية، بشكل إنذار عن طريق كتب تنزل من عند الله سبحانه وتعالى وعن طريق رسله الذين بعثهم.

هذه الجبال وهذه الأشجار هل هي تحتاج إلى نبي أو إلى كتاب؟ الله هو خلقها، وهو يدبر شؤونها، هو أيضا خلقنا خلق الإنسان، وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، ألم يقل الله هكذا في آية أخرى؟.

فإذا كان خلق السماوات والأرض يستتبعه تدبير ممن خلقه، كذلك أنت أيها الإنسان الذي خلقك وبدأ خلقك من طين لا بد أن يدبر شؤونك وأنت تختلف عن الجبال عن الأشجار، عن المخلوقات الأخرى، تدبير شؤونك في جانب منه هو الجانب الأكبر يتمثل في: هداية من الله: إنذار، تشريع، توجيه، إرشاد، تعليم عن طريق كتب الله، وعن طريق رسله.

هكذا تأتي آيات القرآن الكريم مترابطة وموضوعها قد يكون للسورة الواحدة موضوعا واحدا تدور حوله تتمحور آياتها كلها حول ذلك الموضوع، ليس هكذا: آية جنب آية لا علاقة لهذه بهذه.

هو يريد أن يقول لنا ـ حسب ما نفهم وهو أعلم سبحانه وتعالى ـ: أنه كيف تنتظر أيها الإنسان أن يكون الواقع هكذا: أن الذي خلقك يهملك.. هل يمكن أن يهملك؟ هو خلقك والذي خلقك هو حكيم، هو رب العالمين، وأنت كبقية مخلوقاته، ألا ترى تدبيره لمختلف مخلوقاته ماثلاً أمامك، ألا نرى حركة الشمس والقمر والكواكب، ألا نرى حركة هذه المخلوقات بكلها، ألا نرى أن كل يوم هو في شأن، كل يوم هو في شأن، ذلك التدبير الواسع جداً للمخلوقات على هذا النحو: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} (السجدة:٥) **{وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}** (الحج: من الآية٤٧).

تدبير واسع جداً، وشؤون واسعة جداً جداً، في اليوم الواحد يدبر الله فيه من الأمور ما لا يستطيع الناس أن يدبروا مثله إلا في ألف سنة.. لماذا وأنت المخلوق المستخلف في هذا العالم؟ لماذا وأنت من خلقت على أحسن تقويم؟ لماذا وأنت من أنيطت بك مهام كبيرة وواسعة ومسؤوليات عظيمة جداً؟. تريد أن تنفر وحدك من بين كل المخلوقات الأخرى التي الله الذي خلقها ويدبر شؤونها إلا أنت وحدك وأنت المخلوق الأساسي وأنت المخلوق الرئيسي؟ وأنت العنصر المهم في هذا العالم؟ أتستنكر من الله أن يدبر شأنك؟! أتستغرب أن ينزل كتباً إليك

وأن يبعث رسلاً إليك؟ لماذا؟!.

يجب أن ترى نفسك أيها الإنسان باعتبار أنك المخلوق الرئيسي في هذا الكون، في هذا العالم، الذي سُخر له هذا العالم بكله، أن تنظر إلى نفسك بأنك أحوج إلى ربك من أي مخلوق آخر في أن يتولى تدبير شؤونك ويهديك. الذي {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} (السجدة:٥) **هل يمكن أن يهملك؟ بل تريد منه أن يهملك، إنه يدبر شؤون تلك المخلوقات الصغيرة.. تلك النملة وتلك الفراشة وتلك الشجرة.. المخلوقات الصغيرة هو الذي يدبر أمرها، وهي هي من مسؤوليتها محدودة ومهمتها محدودة ووجودها محدود.**

أنت أيها الإنسان تريد أن تنفر من ربك أن لا يدبر شأنك؟! وإذا ما أردت أن يدبر شأنك فإنما تريد أن يتجه إلى الجانب الخدمي فقط.. أريد منه أن يمنحني أولاداً، أن يرزقني أولاداً أن يرزقني أموالاً، أن ينزل لي مطراً، أن ينبت لي أشجاراً، أن يجعلها تثمر، أن يبارك لي في مالي، أن يبارك لي.. هذا الذي أريده.. أليس هذا التدبير الذي يريده الناس؟.

لماذا هذا الجانب فقط؟ وهذا الجانب إنما هو ملحق للجانب المهم الواسع جداً في حياتك، وهذا التدبير الذي تريده من إلهك هو سيأتي تلقائياً إذا ما اهتديت بهديه، إذا ما سلمت نفسك له أن يدبر شأنك بالشكل الآخر الذي أنت تنفر منه وهو جانب الإنذار، وجانب الهداية، جانب الإرشاد، جانب التوجيه، جانب التعليم.. أليس هذا هو الجانب الذي يهرب منه الناس؟.

تأملوا في هذه ـ مما يدلنا على غرابة موقفنا من الله سبحانه وتعالى ـ نحن جميعاً بني البشر مسلمين بأن التدبير هو لله، لكن نريد منه فقط أن يدبر شؤون المخلوقات من حولنا، أما شأننا نحن وهو الشأن الواسع، شأن جانب الهداية، رسم المنهجية في الحياة، الخطة التي نسير عليها في حياتنا، فنحن نتهرب من الله ولا نتركه هو أن يكون هو الذي يختص بوضعها لنا.. أليس الناس هم من ينطلقون الآن ليصيغوا الدساتير والقوانين لأنفسهم ويصيغوا التشريعات لأنفسهم؟ هم يريدون أن يتولوا هذا الجانب هم، وهذا هو الجانب المهم، هذا هو الجانب الأكبر.

كيف تنظر إلى الله هذه النظرة الغريبة.. تريد منه أن يدبر شؤون المخلوقات من حولك ثم لا يتدخل في شؤونك كما يقال الآن: [الدين لا علاقة له بالحياة] أليس هذا ما يقال؟ علماء الدين لا علاقة لهم بالحياة.. لا علاقة لهم بشؤون الأمة.. لا علاقة لهم بحكم الأمة.. أليس هذا هو إبعاد للدين، إبعاد لهداية الله، إبعاد لله عن أن يتولى شؤون الإنسان؟ كيف لا يتولى شأنك وأنت أنت المخلوق في هذه الدنيا الذي إذا استقمت ستستقيم الحياة كلها، وإذا فسدت ستفسد الحياة كلها {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي} من؟ البقر، أو الحمير، أو الطيور، أو مَن؟ مَن مِن المخلوقات هذه الكثيرة جداً في هذا العالم الذي ظهر الفساد في البر والبحر على يده؟ إنهم الناس {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١).

إذاً فاعلم بأنك أنت المخلوق الذي لا بد من أن تسلم كل شؤونك لإلهك ليدبرها هو. أم أنك ترى نفسك أكبر من خلق السماوات والأرض! {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} (غافر: من الآية٥٧) **إذا كان الله هو الذي يدبر شؤون السماوات والأرض وهي أكبر من خلقك، ثم هي كلها مسخرة لك، كل ما فيها، ثم استقامتها، أو فسادها مرتبط بك، فإنك من يجب أن يتوجه التدبير الرئيسي إليه، وأن يتوجه التدبير على أوسع نطاق إليه، لتهتدي، لتستقيم، فإذا ما استقمت ستستقيم الحياة كلها، حياتك أنت وحياة المخلوقات كلها من حولك، سينطلق كل شيء من حولك يؤدي مهمته على النحو الذي رسم له.**

أليس هذا موقفاً غريباً منا جميعاً؟ من الناس جميعاً بما فيهم المسلمون، المؤمنون بهذا القرآن العظيم.. أليسوا هم الآن من يصيغون لأنفسهم دساتير وقوانين؟!. أليسوا هم من أبعد أنفسهم عن الله فيما يتعلق بالجانب المهم، جانب الهداية، جانب التشريع، جانب الإرشاد، جانب الإنذار، ثم هم من نزلوا قاعدة: [لا علاقة للدين بالحياة] [لا علاقة للدين بالدولة].

نحن سنضع شخصاً منا هو الذي يدبر شؤوننا، وهو الذي سيشرع لنا، أنتم وقرآنكم ابقوا هناك بعيداً داخل مساجدكم، داخل بيوتكم، على علماء الدين أن يبتعدوا هناك، نحن سنتولى تدبير شأن الأمة، ونحن سنضع الدساتير، ونحن سنصيغ القوانين، ونحن أعرف بمتطلبات العصر، ونحن أعرف بالمصالح لأمتنا ووطننا.

هكذا يقول الناس المؤمنون بالقرآن الكريم! وفي بقية الأمور يطلبون من الله أن يدبرها.. أنزل لنا مطراً.. أنبت لنا شجراً.. اعمل لنا كذا وكذا وكذا.. إلى آخره.. أليس هذا من الجحود بالله؟ أليس هذا من التنكر لله سبحانه وتعالى؟ أليس معنى هذا أن يتحول الله ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ إلى مجرد عامل معنا، مجرد عامل معنا؟ لا بأس دبر الأشياء تلك من أجل توفر ذلك لنا لأن ما باستطاعتنا نطلع الشجر لأنفسنا طلعها. لكن قيمتها وتصريف قيمتها أين تمشي؟. نحن الذين سنتولاها.

أليس هناك الملايين من الدولارات، الملايين تمشي في الإفساد في الأرض؟ ومن أين جاءت هذه الملايين، من أين جاءت؟ جاءت من البترول الذي خلقه الله وأودعه للناس في الأرض، جاء من مختلف المصادر التي هي أساساً من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، من المعادن، من الثمار، من مختلف وسائل الإنتاج التي هي من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

فنحن قلنا لله: حقول البترول نحن نؤمن بأنها منك، هذه المزارع الكبيرة هي منك ونريد منك أن ترعاها، لكن فيما يتعلق بتصريف منتجاتها نحن.. نحن الذين سنصرفها كما نشاء.. أولسنا نحن المسلمين فيما يتعلق بالزكاة ننظر هذه النظرة؟.

نقول لله في واقعنا.. [طلع لنا قات، طلع لنا بُن، طلع لنا حبوب، طلعها].. فمتى ما أصبحت نقوداً في أيدينا أعرضنا بوجوهنا عنه، قلنا: [هذا إلينا أنت ما تتدخل من الآن ووراء لا تتدخل في شأننا].. هل هذا صحيح؟.

متى ما قال: {آتوا الزكاة} قلنا لماذا نعطي الزكاة، نحاول أن نتهرب منها.. والزكاة كم هي ١٠٪ أو ٥٪ أو ٢,٥٪ نسبة بسيطة جداً.. يقول لنا: أنفقوا في سبيلي، نقول: لا.

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:١٧) **قتل الإنسان ما أجحده، ما أبعده عن معرفة ربه. {ظَلُومٌ كَفَّارٌ}** (إبراهيم: من الآية٣٤) **كما وصفه الله في القرآن الكريم.**

كلنا نحن بني البشر: يهود ونصارى، ووثنيين، ومسلمين نظرتنا إلى الله تقريباً واحدة.. أليس هناك حكومات متعددة داخل البلاد الإسلامية هل هي تعمل بالقرآن، وتسير على نهج القرآن؟.. لا.

هي من أبعدت نفسها وأبعدت شعوبها عن تدبير الله، وكما أسلفنا: أن تدبير الله للإنسان يختلف عن تدبيره للمخلوقات الأخرى.. تدبيره لنا يتمثل جانب كبير منه جداً في جانب الهداية، توجيهات، وإرشادات، وتشريعات، أليس هذا هو الجانب الأكثر الذي نحتاج إليه؟ ومما يشهد على أن هذا هو الجانب الأكثر: أن كل الشعوب من مختلف أجناس البشر كلهم ينطلقون لوضع تشريعات لأنفسهم.. أليس كذلك؟ لأنهم يشعرون أنهم بحاجة إلى وضع دساتير ووضع قوانين ووضع لوائح، أليس هذا هو الذي يحصل؟ أي بنو البشر مسلّمون على أنهم بحاجة ماسة إلى تشريعات تنظم شؤونهم.. تكون هي في واقعها تدبيراً لشأنهم الواسع، بل تتردد الكلمات ونسمعها كثيراً: أنه لا يستقيم وضع الشعب إلا إذا مشى على ماذا؟ وفق القانون.. أليس كذلك؟ أن نلتزم جميعاً بالدستور. ما هذا الذي يحصل من توجيهات الرئيس، وتوجيهات الملك، وتوجيهات أي زعيم في أي بلد آخر؟ يوجه بالالتزام بالقانون، الالتزام بالدستور من أجل استقرار اقتصادي، من أجل التنمية، من أجل استقرار سياسي، من أجل سعادة الأمة.. أليس هذا ما يقولون؟.

وهذا هو ما سيكون شاهداً علينا بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه ما من شيء مما وجهنا الله إليه ومما طلبه منا إلا ونحن نشهد على أنفسنا بأننا بحاجة ماسة إليه.. هذا واحد من الشواهد.

كلنا بنو البشر مجمعون على أننا بحاجة إلى تشريعات، ودساتير، ولوائح، وأنظمة على مستوى الشعب الواحد، ثم على مستوى المجموعة الواحدة الآسيوية أو العربية، ثم على مستوى الدول كلها، القانون الدولي أليس هذا حاصل؟.

هناك حتى قوانين دولية تنظم شؤون الدول كدول.. ألسنا نشهد على أنفسنا أننا بحاجة إلى هذا الجانب، وأن هذا الجانب، هو الجانب المهم الذي تستقيم به الحياة في كل مجالاتها؟.

إذاً فنحن شهدنا على أنفسنا بما يريد الله منا أن نعترف به له، فلماذا ننكره إذا كان من جانب الله ونراه ضرورياً إذا ما كان من جانبنا؟ الله الذي يدبر الشؤون لمخلوقاته الواسعة على هذا النحو الواسع: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} (السجدة: من الآية٥) **تتنكر له أن يدبر شأننا، هذا الذي نرى أنه ضروري.**

هذه من الشواهد، تشهد على الإنسان مواقفه في الحياة، تشهد على الإنسان ما هو مسلّم به في الحياة أنه لماذا تسلم بهذا فيما يتعلق بنفسك إذا ما كان من جانبك ضروري، أن يأتي من جانب الله. لا.. تشهد على الإنسان مواقفه، تشهد على الإنسان ضرورياته التي يعترف بها في الحياة، يشهد على الإنسان لسانه، يشهد عليه جلده، تشهد عليه أيديه وأرجله، وما أكثر الشواهد.

ألم يتضح لنا هذا الموضوع الآن؟ أننا وضعنا أنفسنا بديلاً عن الله في الجانب المهم، وأننا كفرنا بالله أن يدبر شأننا هو، وتدبير شأننا هو المهم في الحياة كلها؛ لأن شأن الإنسان هو الذي إذا استقام فاستقام الإنسان ستستقيم الحياة كلها.

لو أن المسألة بالنسبة لنا أن نقول: لسنا بحاجة إلى تدبير شأن إطلاقاً لكانت القضية أهون.. لكننا من نشهد على أنفسنا بأننا بحاجة إلى أنظمة ودساتير ولوائح وقوانين.. إذاً فلماذا لا نرجع إلى الله، أليس الله هو أعلم بنا وأعلم بهذا الكون كله من رجال القانون؟ من القانونيين، من الاقتصاديين، من فلاسفة القانون، من فلاسفة الاقتصاد، من فلاسفة النظم السياسية؟.

أليس الله هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض؟ وهو الذي خلقنا وبدأ خلقنا من طين كما قال هنا: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} (السجدة: من الآية٧) **الذي أحسن كل شيء خلقه أليس بإمكانه أن يدبر شؤون ما خلقه على أحسن تقويم؟ بلى، بلى هو الذي يستطيع وهو وحده، وحده الذي يستطيع أن يدبر شؤون مخلوقاته بما فيها الإنسان وهو المخلوق المهم على أحسن تقويم.. وكيف لا يعرف أن يدبر شؤونك وهو الذي خلقك وبدأ خلقك من طين؟.. آدم. {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}** (السجدة:٨).

فالذي خلقنا على هذا النحو ورأينا أنفسنا وعلمنا من خلال ما نشاهده في قضية التوالد أننا نمر بمراحل متعددة. فإذا ما استكملنا قوتنا، متى ما اتجهنا إلى الحياة.. أليس الإنسان عندما يبلغ يتجه نظره إلى الحياة كلها يريد هذا، ويريد هذا، ويبعد هذا، ويقرب هذا، ويجمع هذا، ويفرق هذا.. يلتفت إلى الحياة كلها.

أفي هذه المرحلة بعد أن كنت في جميع مراحل حياتك السابقة تخضع لتدبير الله من يوم أن كنت ماء مهينا في رحم أمك فلما اشتد ساعدك وأصبحت نفسك تنظر إلى الحياة بنظرتها الواسعة وبمجالاتها الواسعة، قلت لربك هذا لا يستطيع أن يدبر شأني، لا علاقة للدين بالحياة! الدين هو دين الله، أليس كذلك؟ دين الله هو هدايته، أي لا علاقة لله بالحياة.

ولأن الإيمان بأن التدبير لشؤون الإنسان كلها، ولشؤون الحياة كلها بما فيها جانب الهداية، الدين هذا هو للحياة كلها، هو للحياة بكل شؤونها، هو لحركة الإنسان في هذه الحياة في كل مجالاتها، وعلى أوسع نطاق في كل مجال من مجالاتها، الإيمان بهذا الجانب مهم جداً.

وقد تحدثنا في درس سابق كيف أن الله قال للمؤمنين: أنهم فيما إذا أطاعوا المشركين وهم يجادلونهم {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} (الأنعام: من الآية١٢١) **فيما يتعلق بقضية الميتة، عندما كان العرب يأكلون الميتة، فجاء الإسلام فحرمها، ولم يبح إلا ما ذكيتم كما قال: {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ}** (المائدة: من الآية٣) **قالوا: كيف ما قتل الله محرما وما نقتله نحن حلالاً؟ أليست هذه شبهة منمقة، تبدو منمقة؟ قال الله: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}** (الأنعام: من الآية١٢١) **على هذا النحو: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}** (الأنعام: من الآية١٢١).

أنت أطعتهم في حكم واحد فيما يتعلق بالموقف من الميتة، هل يحل الأكل منها أم لا وفي الفارق فيما بينها وبين

الذبيحة المذكاة. {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.

إذاً يجب أن نكفر بكل تشريع ليس من قبل الله. هذا هو ما يجب على الإنسان أن يؤمن بأن التشريع هو لله وحده، أن الهداية هي لله وحده، من الله وحده {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢) كما قال هو، وأن يكفر الإنسان بكل تشريع من عند غير الله، هذا ما لا بد منه، وأن لا نكرر دائما كلمة: [قانون قوانين].

بعض الشعوب التي اتجهت لصياغة تشريعاتها بشكل قوانين، أصبحت كلمة: [قانون] هي البديل عن كلمة: [شريعة الله]، عن كلمة: [دين الله].. [امش على القانون يا أخي.. أنت يا أخي التزم بالقانون.. يجب جميعا أن نلتزم بالقانون.. ضروري أن نسير على القانون..] مثلما يحصل في مصر وبلدان أخرى، ونحن هنا في اليمن بدأنا نتروض، نروض أنفسنا على استخدام كلمة [قانون وقوانين ودستور ودساتير] وهكذا.

يجب أن يكون حديث الناس كله بالشكل الذي يوحي بالارتباط بشرع الله وهديه ودينه، كلمة: قانون وقوانين ودستور هي توحي للإنسان بمنهجية أخرى وبمصدر آخر لتنظيم شؤون الحياة غير الشريعة، حتى وإن كانت كما يقال بشكل تقنين لأحكام الشريعة، لكن لماذا لا نستخدم كلمة: [دين الله شريعة الله] أو أن شريعة الله، ودين الله هي قاصرة عن أن تحتوي أو تشتمل على ما تشتمل عليه القوانين. هذا ما يوحي به ترديدنا الكثير لكلمة [قانون ودساتير] ونحوها. وهذا هو ما يمهد لإبعاد الناس عن القرآن، لإبعاد الناس عن الإسلام، لإبعاد الناس عن شريعة الله، لإبعاد الناس عن دين الله.

نتروض قليلاً قليلاً في أذهاننا على الارتباط بالقانون والقوانين.. [قانون السلطة المحلية، قانون كذا، قانون.. إلى آخره] فإذا ما قيل لنا في يوم من الأيام: هذا القرآن إرهابي، نرى أنفسنا لا نحتاج إلى القرآن في أي شيء.. كنا نقرأه فقط على أمواتنا.. كنا نقرأ منه آيات قصار في صلاتنا، لا بأس سنقرأها في صلاتنا، في الأخير نرى أنفسنا لا حاجة بنا إلى هذا القرآن، الدساتير فيها الكفاية، القوانين فيها الكفاية. هذا كله من عملية ترويض الأمة من جانب أعداء الله على إبعادهم عن الدين قليلا قليلا قليلا.

كما يعملون بالحج.. الحج الله قال لنبيه إبراهيم: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (الحج:٢٧). وعندما يقول: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ} هو يعلم أن تلك المشاعر، ومن يفدوا على تلك المشاعر سيكون فيها لهم سعة.. اتساع.

جاء تنظيم الحج: اليمن: أربعة عشرة ألفا إلى عشرين ألفا، مصر كذا آلاف، قالوا: المشاعر ضيقة! وزحمة شديدة، إيران كذا آلاف.. السعودية كذا، وكل بلد يحدد له عددا معينا.! أليس ذلك ما هو حاصل الآن؟ هذه أول خطوة من خطوات احتلال اليهود للحج؛ لأنهم في الأخير لن يمنعوا الناس من أول يوم عن الحج، عودونا على قبول نسبة محدودة، فإذا ما نزلت النسبة من [عشرين ألف] لليمن إلى [عشرة ألف] ستكون مقبولة.. أليس كذلك؟ ثم في عام معين تنزل من [عشرة ألف] إلى [ألفين] مقبولة، ثم إذا كان الشعب كبيرا كمصر تأتي بالقرعة. الآن الحج عند المصريين بالسهم بالقرعة.. [أين حجاج القرعة].. نسمعها هكذا في المشاعر بالسهم. يتقدم الكثير ممن يريدون الحج ولكن بالسهم، إذا طلع سهمك تحج تحج، هذه هي بدايات الترويض، الترويض لنتقبل كل شيء يريدون أن يعملوه.

في الأخير إذا ما أبعد القرآن هناك قوانين ودساتير بديلة عنه، الحج إذا ما خفض العدد يكون مقبولاً جداً؛ لأنه روضنا أنفسنا، وروضتنا حكوماتنا المباركة الجاهلة التي لا تعرف عن اليهود شيئاً، التي لا يهمها أمر الدين ولا أمر الأمة.

يكونون قد عودونا قليلا ثم أحيانا يقولون: السنة هذه اتركوها للمصريين، والشعب الفلاني والشعب الفلاني السنة هذه يؤجل، أو السنة هذه احتمال يكون هناك وباء ينتشر يؤجل.. وهكذا حتى يموت الحج في أنفسنا، حتى يضيع من ذاكرتنا.

ثم يأتي مجنون! مجنون ويعتدي على [البيت] ويفجره، كما يحصل في [القدس].. أليس يحصل شبيه بهذا؟

مختل عقلياً يعمل تفجيرات أو يحرق أو يطلق النار على مصلين داخل المسجد وسيظهر مجانين كثيرون.. مجانين كثيرون، وفجروا الكعبة فجروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، باحثون مجانين ينبشون قبر رسول الله (صلوات الله عليه وآله) ثم نحن نكون قد أبعدنا.

متى ستكون أنت من [ستة عشر مليوناً] يصبح العدد المسموح به هو ثلاثة آلاف شخص، متى ستتوقع أنك ستحج هذا حصل مثله في بلدان الإتحاد السوفيتي، حصل أيام حكم الشيوعيين في تلك البلدان.. راجع قوائم البلدان التي تحج، تجد أن تلك البلاد كانت من أقل الحجاج عدداً، بلدان الإتحاد السوفيتي وهي بلدان واسعة جداً.

هكذا يتنكر الإنسان لله الذي أحسن كل شيء خلقه والذي بدأ خلق الإنسان من طين، والذي خلقه ونقله في أطوار خلقه من حالة إلى حالة، ثم يتنكر لله ويكفر بكل تشريعاته، ويبعد نفسه عن كل هدايته.

فالذي خلق الإنسان في هذه الدنيا، وخلق هذه الدنيا، وخلق هذا العالم بكله له غاية، وله نهاية، وللناس جميعا يوم يرجعون فيه إلى الله.

لكن هذا الإنسان الجاهل الذي لم يعلم هذا التدبير الواسع من قبل الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، وتدبير شؤونهما الواسعة التي تدل على قدرته العظيمة، حكمته العظيمة، علمه الواسع.

الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين يقول هو فيما بعد: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} (السجدة: من الآية١٠) إذا متنا وأصبحنا ترابا وضعنا في الأرض وتلاشينا أإنا لفي خلق جديد؟ بعيد أن نبعث من جديد.. كيف يمكن؟ ألم يقل لك: ألم تعلم أنت أن الله بدأ خلقك من طين وأنه خلقك وخلق أولادك.. أليس الإنسان يعلم أن أولاده مخلوقون من ماء مهين؟.. هو يعلم.. {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} (السجدة:١٠).

المسألة ليست مسألة غامضة، أو أن الأدلة عليها ليست كافية، فيكون هذا التساؤل وجيها نوعا ما، إنه جحود إنه كفر إنه كلام الذي لا يريد أن يصدق بالقضية، لا يريد أن يؤمن بها، هو رافض لها، لا يريد لا أن يقبل الإيمان بها، وإلا فهي واضحة جدا، أدلتها فوق الكفاية، أدلتها تدمغ، تدمغ كل مدارك الإنسان ومشاعره ووجدانه.

الذي {بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} ألا يستطيع أن يعيد خلقه من جديد؟ بلى.. يستطيع أن يعيده من جديد. {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} أليس قولهم: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} أليس كفرا؟ لأنه استبعاد هنا، ليس استفهام، ليس سؤالاً.. هل نحن سنبعث من جديد؟ هذا سؤال يمكن أن يجيب عليه، يجيب عليه القرآن يجيب عليه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ممكن أن يجيب عليه، لكنهم تلفظوا به بشكل استغراب واستنكار واستبعاد.. {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}!!.. بعيد لا يمكن.

أي: أنهم لا يريدون أن يؤمنوا لا أن القضية هذه لا براهين عليها كافية لا أدلة عليها دامغة، هذه حالة تحصل عند الناس في ذلك الزمان بما يتعلق بالبعث، وتحصل عند كثير منا نحن المسلمون في قضايا متعددة.

مثلا.. [كيف يأمرنا الله باتباعهم وهم ناس مثلنا.. ما هو الفرق بيننا وبينهم]؟.. أليس هكذا يقال؟ استفهام على هذا النحو؟. بل أنت في واقعك لا تريد أن تؤمن بالقضية لا أن الأدلة عليها ليست كافية. بل أنت لا تريد أن تؤمن بهذه القضية، أنت رافض لها {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} أنت بالإيمان بهذه القضية لا تريد أن تقبله، لا تريد أن يتسرب إلى أعماق نفسك، وهذه هي من الحالات الخطيرة عند الإنسان، الحالات الخطيرة أن يحدد موقفا مسبقا لديه، يجعله معاندا متمردا، يدفع كل شيء مهما كانت أدلته واضحة وقوية وجلية.

هذه توجهنا نحن إلى أن يكون الإنسان في واقعه منفتحاً على هداية الله، ومسلما نفسه لله أن يتقبل منه، وسترى كل شيء أمامك، سترى أدلته كافية وفوق الكافية، في كل شأن من شؤون الدين، في كل شأن من شؤون الدين.. متى ما آمنت بهذه. لكن إذا اتخذت هذا الموقف المسبق كما اتخذه هؤلاء {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} فهم يصرحون برفضهم لكن بأسلوب آخر، بأسلوب الاستبعاد وكأن القضية لا دليل عليها، هو نفس الأسلوب الذي يقوله شخص.. [كيف يأمرنا الله باتباع أشخاص مثلنا نراهم مثلنا، ما بيننا نحن وإياهم فرق].. أليس هكذا

تحصل عبارة كيف. نفس الاستفهام. أنا رافض لا أريد أن أؤمن بهذه القضية ولا أرغب أن أتقبلها، فأقدم رفضي لها بصيغة استبعاد بالشكل الذي يوحي بأنه لا دليل عليها.

أدلة البعث أليست كثيرة جدا؟! كثيرة جداً جداً في القرآن الكريم منها هذه: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} (السجدة: من الآية٧ ـ ٩) أليست هذه أدلة على أن من خلق هذه قادر على بعث عباده يوم القيامة؟ إنها لكافية.

لكن انظر ماذا قالوا في مقابل تلك الأدلة الدامغة لما كان واقعهم أنهم كافرون من الأساس. أي رافضون لا يريدون أن يؤمنوا بها {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} هكذا يقول الإنسان الكافر في نفسه، الرافض في نفسه أمام أي قضية من القضايا مهما كانت جلية، مهما كانت واضحة. هكذا يقول لكنه لا ينفعه هذا القول، أنظر ماذا قال بعد؟ مما يؤكد لنا ما قلناه أنهم عندما قالوا: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} إنهم يستبعدون ذلك لكن ليس استبعاد من لا يعرف الأدلة أو استبعاد قضية باعتبار أنه لا أدلة عليها، إنما استبعاد من هو جاحد ورافض في نفسه.

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ} (السجدة: من الآية١١) قل لهؤلاء: هناك بعث لا بد منه، وبعث هذه تفاصيله أمامكم وهذه بدايته، أنتم حتى هذا الموت الذي ترونه يوميا لبعضكم بعض ليس شيئا تلقائياً أو شأناً يأتي مصادفة من شؤون الحياة، إنه هو قضية موكلة إلى طرف آخر من عبادنا {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ} (السجدة: من الآية١١) لتعرفوا أنكم ستبعثون رغما عنكم، أن بداية الرجوع إلى الله ستكون من متى؟ من الموت، الموت هو بداية الرجوع إلى الله، فقل لهم: إنهم سيساقون إلى الله رغماً عنهم، وأنه من أول حادثة ومن أول خطوة يساقون بها إلى الله هي خطوة نحن نتبناها، ملك موكل من عندنا يتوفاكم؛ لتعرفوا بأن جحودكم هذا لا يمكن أن يغني عنكم شيئا.

وهكذا الحق الذي تحاول أن تتهرب منه تهربك منه لا يعفيك عن المسؤولية أمامه، تهربك منه لا يعفيك عن آثاره، لا يعفيك عن آثار تهربك منه كعاصي ترتكب جريمة في تهربك منه. عندما أرفض هل أرى نفسي بأنني أبعدت هذه القضية وكل آثارها عنّي؟ لا. إن البعث حق، ولا بد منه وإذا كنتم هكذا تقولون بسخرية واستبعاد، وإذا كنتم في الواقع إنما تنطلقون من واقع الكفر في أنفسكم فإنها قضية لا بد أن تقع، لا بد أن تحدث عليكم أنتم شخصيا، وهكذا هي مقدماتها من الموت {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة:١١) الموت هو الخطوة الأولى في الرجوع إلى الله في العالم الآخر.

والموت نحن نجده هنا في القرآن الكريم وبمناسبة ذكره هنا ليس من الوسائل التي يأتي التخويف بها للناس، ليس من وسائل التخويف إطلاقا داخل القرآن الكريم؛ ولهذا لا تجد الحديث عن الموت إلا خاطفا وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر؛ لأنه اليوم الشديد الأهوال، هو ما يجب أن تخافه، هو ما يكون الحديث عنه هو الذي يصنع الخوف في النفوس، هو الذي يملأ القلوب خوفا ورعبا، أما الموت نفسه إنما هو الخطوة الأولى، وهو قضية عادية، قضية عادية، هو بداية الرجوع إلى الله.

ليس هو في حد ذاته ما يجب أن يخيف باعتباره حدثا، ليكن خوفك هو من الرجوع إلى الله إلى اليوم الآخر، في اليوم الآخر يوم القيامة. ألم يأت الكلام عن اليوم الآخر في القرآن مكرر جدا؟.. بعض السور تكون من أولها إلى آخرها عن التخويف باليوم الآخر، هل ورد تخويف بالموت داخل القرآن الكريم؟ لم يرد.

ليعرف أولئك الذين يتحدثون مع الناس ويرشدون الناس أنهم كم يغلطون، كم يرتكبون من خطأ جسيم عندما يتحدثون مع الناس عن تخويفهم بالموت نفسه، ثم يذكرون لهم أهوال القبر وعذاب القبر وكلاما في النعش وكلاما طويلا، طويلا عريضا كله يحول الموت إلى شبح مخيف. أن هذا أسلوب يترك أثرا سيئا جداً جداً يتخالف مع منهجية القرآن، ويخالف ما يريد القرآن منا.

إنه الذي يربي هذه الأمة تربية جهادية، الذي يربيك لتكون مجاهدا، هل ينطلق ليخوفك من الموت نفسه، وهو

يريد منك أن تستبسل وأن تبذل نفسك في سبيل الله!.. لا يمكن هذا حتى ولا لقائد عسكري أن يعمله.

القائد العسكري وهو يعمل على رفع معنويات الجنود في ميدان المواجهة هل يأتي ليتحدث معهم عن القبر والنعش والأهوال، وهذه الأشياء الكثيرة؟ أم أنه يحدثهم حديثا يجعلهم يستهينون بقضية الموت، يجعلهم يتقافزون، وتستخدم حتى الحركات، وتستخدم حتى نغمات موسيقية معينة، وتستخدم حتى صرخات معينة، وأناشيد لها ألفاظها المعينة كلها تدفع بالإنسان إلى الاستبسال.

لكن تعال جمع كتيبة تريد أن يجاهدوا ثم اقرأ عليهم من كتاب [تصفية القلوب] أو من أي كتاب آخر من كتب الترغيب والترهيب عن النعش والموت وسكرات الموت والقبر ثم انظر هل سيتحرك أحد منهم؟ ستبرد أعصابهم ستجمّد نفوسهم.

الإنسان إذا تربى على الخوف من الموت وقيل له: إن الموت كذا وكذا، وعلى النعش كذا وكذا، والقبر مليء كذا وكذا إلى آخره يخاف مهما كان متركعاً مهما كان متعبدا ينشد إلى الحياة ويخاف أن يواجه، أن يدخل في مواجهة لا يريد أن يموت؛ لأنه أصبح خائفا من شبح الموت.

التربية القرآنية هي التربية التي أخرجت ذلك الرجل الذي كان يقول: ((والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)) لكنه كان وهو يتذكر اليوم الآخر، كان يتخشب جسمه خوفا من الله، وخوفاً من اليوم الآخر، وهكذا حكى عنهم في قضية إنفاقهم وإطعامهم اليتيم والمسكين والأسير. {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} (الإنسان:١٠) ما قال موت ولا ما موت، الموت لا وجود له في القرآن الكريم إلا كحديث عن قضية هي أول خطوة إلى العالم الآخر، والقبر إنما هو غرفة كأي غرفة في بيتك.

يقال: جنة ونار وباب إلى الجنة وطاقة إلى النار. الجنة والنار لم تخلق بعد، الجنة والنار لم تخلق بعد كما قال الإمام الهادي نفسه أن الجنة لم تخلق بعد، منهجية مغلوطة تتحدث بها مع أمة وكمنهج.

قد يكون هذا أسلوباً فيما إذا استحسنه شخص معين أمام شخص معين أو مجموعة معينة وبشكل استثنائي مؤقت لا يصلح أن يكون منهجا، لا يصح أبداً أن يكون منهجاً، مع أن الكثير من التفاصيل التي يقولونها حول الموت، وحول النعش، وحول القبر. غير صحيحة. غير صحيحة من أساسها.

عندما آتي أنا وكمرشد وبنظريتي القاصرة، ونظرتي القاصرة أريد أن أطلع ناس أراهم يبكون وأراهم خائفين ويتجهون إلى الطاعات ونوع من الطاعات المعينة، ويبتعدون عن المعاصي فأقول هؤلاء أولياء الله. تستطيع أن تنتج ناس من هذه النوعية لكنك لو تدري كم جنيت عليهم، قد تراهم [أطياب] وتراهم فعلا يبتعدون عن المعاصي وترى مظهرهم مظهر أولياء الله لكنهم من النوعية التي لا تقدم ولا تؤخر.

ذلك الرجل الذي كان ينطلق في الميدان ميدان الجهاد بكل قوة وبكل هدوء.. ولا خوف ولا ذرة من الخوف في نفسه، هو من كان يقول: ((والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت عليّ)) ((لأنا آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)).

إذا كنت تريد أن تصنع خوفا في نفوس الناس، وخشية من الله، خوفاً وخشية إيجابية لا سلبية معها إطلاقاً.. ركز على ما ركز عليه القرآن الكريم على اليوم الآخر على الحديث عن اليوم الآخر عن تفاصيله، عن أهواله، عن شدائده، عن النار، عن الجنة.. وهذا هو ما ظهر جليا في القرآن الكريم أنه من أهم الوسائل لإيصال الخوف من الله والخشية من الله في قلوب الناس. حينها سترى أن تلك الأهوال الشديدة تلك النار الشديدة تهون عليك نفسك أن تبذلها ولو عدة مرات في الحياة وتسلم تلك الأهوال، تأمن أثناء تلك الأهوال، وتأمن من تلك النار الشديدة، وأن ذلك النعيم العظيم وذلك المقام الرفيع يجدر بك أن تستهين بنفسك فتبذلها عدة مرات في الحياة من أجل أن تصل إليه.

أوليس الناس هنا في الدنيا يستهينون بأنفسهم على [مشرب] على قطعة أرض قطعة أرض مزروعة [بن أو قات] أو [عرصة] منزل.. مستعد أن يقاتل فيقتل، ويتهدد بأنه لا يمكن أن تدخل لها من طرف ـ كما يقول البعض ـ: [إلا على رقبتي هذه] أليس هذا استبسال؟؟ استبسال؛ لأنه يرى هذه القطعة جديرة بأن يبذل من أجلها نفسه.

انظر إلى الجنة ستراها جديرة بأن تبذل من أجلها نفسك عدة مرات فتحيى من جديد ثم تقتل من جديد ولو في كل معركة.

هنا في الدنيا أليس الناس يخافون؟ وقد يكون بعض المواقف تخيف الإنسان فيواجهها ولو بأن يبذل نفسه من أجل أن يأمن ذلك الجانب.. ستجد جهنم بالشكل الذي ترى أنه يجب عليك أن تبذل نفسك ولو عدة مرات من أجل أن تنجى من جهنم. هذا هو أسلوب القرآن الحكيم؛ لأنه من الناحية التربوية من الناحية المنهجية تربوياً غير صحيح أن يقول: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ} (التوبة: من الآية١١١) ثم ينطلق رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليخوف الناس من الموت وهو أعظم مجاهد، وأعظم محرض على الجهاد بأسلوبه القوي بعباراته الجزلة بمعانيه الصحيحة، بتربيته المستقيمة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان رجلاً قرآنياً يعرف منهجية القرآن لا يخالفه، لا يتعداه ولا خطوة واحدة، ثم يأتي ليخوف الناس من القبر ومن الموت ومن.. ومن..؟! حتى يجعلهم ينكمشون ويخافون، هل هذا منسجم مع التوجيهات للتضحية في القرآن؟. لا.

إذا كنت تريد أن تعرف المسألة جلياً فانظر إلى القادة العسكريين وهم يعملون على رفع معنويات الجيش أثناء المواجهة.. اسمع البيانات العسكرية لتعرف كيف أننا نحن ونحن بشر أن هذه قضية مسلمة لدينا.

أنت قد تقول لأولادك إذا ما كنت في خصومة مع آخرين تنطلق لتشجعهم على التضحية.. أليس كذلك؟ هل ستنطلق وأنت تتحدث عن خصومة حادة مع طرف آخر قد تصل إلى درجة المواجهة ثم تجمع أولادك في غرفة في بيتك وتحدثهم عن القبر وعن منكر ونكير، وعن النعش وعن كذا؟. هل يمكن هذا؟ لا يمكن.. [أنتم رجال وليست إلا ميتة].. أليس هكذا يقولون؟ يشجعهم على الاستبسال وعلى التضحية. من هو ذلك الأحمق الذي يمكن أن يعمل هذا مرة في حياته فيجمع أولاده ومعه خصم آخر ثم يحدثهم عن منكر ونكير، والقبر وضغطاته وأشياء كثيرة طويلة عريضة.

هل سيواجهون؟ أم سيأتي الصباح وكل واحد يبحث له عن مهرب ويقول: [يا خه الله غني سيعوضنا عن هذه، لا داعي أن يلقي واحد بنفسه من أجل هذه موت طويل عريض.. ومقابر كذا ونعش كذا.. وشدائد ـ إلى آخره ـ.. لا أريدها فليأخذوها].

هل يمكن أن يحصل هكذا منا نحن الناس؟ فكيف يمكن أن يحصل ممن نزل القرآن الكريم؟ وهو الذي يعلم بخصائص النفس البشرية، وهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، هل يمكن أن يصدر من رسول الله؟ الله اصطفاه، الله أكمله، هو نفسه يتبع ما يوحى إليه، وهو يعرف هذا القرآن بأبعاده، بعمقه، بغاياته البعيدة.. فهو لا يمكن أن يصدر منه كلمة واحدة، أو موقف واحد؛ لأنه معلم الأمة ومربي الأمة.. أليس كذلك؟ وهادي للأمة. لا يمكن أن يحصل من جانبه شيء يتعارض مع منهجية القرآن ولو على بعد ألف كيلو، ولو على بعد هناك.

نحن في هذا الزمن بالذات مرشدون، معلمون، متى ما أحب إنسان أن يقال: [خطبة جميلة، أما هذه الناس بكوا منها]. يبحث للأحاديث من داخل كتب الترغيب والترهيب، فيقدم الحديث الطويل العريض عن الموت والقبر.

القبر حفرة ترقد فيها، ويهال عليك التراب فيها.. لا تشعر بشيء، لا تشعر بشيء. وبعض العلماء استنكر فعلا واستعبد وأنكر قضية [منكر ونكير]، أنه حتى ليس في أسماء الملائكة هذه الأسماء المزعجة الغير طبيعية [منكر ونكير]من أسماء الملائكة؟ لا... اسم الـمَلك خازن جهنم.. أليست جهنم أشد؟ اسمه مقبول [مالك].. أي واحد منا قد يسمي ابنه بهذا الاسم الطبيعي مالك {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} (الزخرف: من الآية٧٧) لماذا القبر يضع له ملكين واحد [منكر] وواحد [نكير]! هذا مما استبعده علماء ـ وهو فعلا مستبعد جدا ـ ومطرقة لا تستطيع أن تحملها [ربيعة ولا مضر].. وأشياء من هذه. فتش عن الميت بعد أيام ستراه ما يزال جسمه على ما هو عليه وإن كان كافرا، هم يموتون في المستشفيات ويتركون في الثلاجات فلا تسمع شيئا.

يقال للكفار.. أليس الكافر هو من هو جدير بأن يعذب في القبر {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} (المؤمنون: من الآية١١٣) والله ما يدري من يوم ما قبض ملك الموت روحه لما بعث بعد آلاف السنين، مرت كلا شيء.

{مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} (يس: من الآية٥٢) أليسوا يقولون هكذا يوم القيامة {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}؟ لو كان القبر مزعجا لفرحوا أن يبعثوا. يسلموا الإزعاج داخله، سموه [مرقداً] وهم كافرون، {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} فيقال لهم: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ} (يس: من الآية٥٢) أخرجوا الآن هذا هو اليوم الشديد، هناك سيقول الكافرون: {هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} (القمر: من الآية٨) ألم يقولوا للقبر مرقداً، وقالوا ليوم القيامة: {هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} يوم شديد يوم شديد الأهوال؟.

ونحن بالعكس نتحدث عن القبر، وعن منكر ونكير، وعن الموت بتفاصيل كثيرة نجعله هو اليوم العسر، سيتشبث أحدنا بالحياة لا يريد أن يموت في سبيل الله، ولو كان في موته إعلاء كلمة الله في الدنيا كلها.

يقال: بأنه كان هناك أحد العباد كان إذا ذكر الموت عنده تنجس لكثرة ما تكرر على مسامعه، وقد يغلط الإنسان نفسه مع نفسه.. يريد أن يوعظ نفسه، يبحث لتلك الكتب التي فيها الأخبار من هذا النوع.

إرجع إلى القرآن الكريم، أنت تبحث عن الخشية من الله؟ هاهي في القرآن الكريم على أعلى درجاتها {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (الحشر: من الآية٢١) أنت تريد الخوف من الله؟ وتريد تخاف من أعمالك، تخاف من عقوبة أعمالك إرجع إلى القرآن الكريم سترى عقوبات الأعمال ماثلة أمامك في الدنيا وفي الآخرة فتخاف.. أما أن تخوف نفسك لتبتعد عن معاصي معينة سترى نفسك بعيدا عن أن تقوم بأعمال مهمة تركها هي المعصية الكبيرة، تركها هو الذي يجعل تلك الطاعات لا قيمة لها.

أليس هذا هو من الخطأ في التربية، ومن الخطأ في المنهجية مع أنفسنا أو مع الآخرين {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} ويتحدث عن تفاصيل اليوم الآخر، وعن ما سيلاقي أولئك الناس المستبعدون، وعن ما يلاقي المجرمون، الذين كانوا ناسين لهذا اليوم، عما يلاقونه في ذلك اليوم، هل تحدث عن الموت بكلمة أخرى [ثم على النعش تحملون.. ثم منكر ونكير بمطارقهم تضربون.. ثم في اللحود تضغطون.. ثم.. ثم.. هل هناك شيء؟؟) هل هناك كلمة واحدة في القرآن؟. لا.

لأنه ليس طبيعيا أن يريد منك أن تضحي بنفسك وهو يخوفك من الموت.. أليس هناك أحاديث بل قبل الأحاديث أليس هناك آيات الشهادة هي بالشكل الذي يجعلك تستهين بالموت؟. {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} (البقرة: من الآية١٥٤) ألغى قائمة الموت تماماً لا تسموهم أمواتاً ليس هناك موت. ألم يكن إلغاء الموت بالنسبة لهم من أجل ماذا؟. من أجل أن يندفعوا إلى الشهادة، أن يستبسلوا في سبيل الله.. {بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة: من الآية١٥٤) كذلك: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:١٦٩)

لماذا حياة؟ لماذا يقول لا تسميه ميتاً؟ لماذا يقول لا تظن أنه حتى ميت؟ ألغي الموت بكله من قائمة المجاهدين.. بكله لماذا؟ لأنه حتى أن يبقى شبح الموت أو اسم الموت ماثلا أمامهم قد يكون غير منطقي وغير أسلوب بل سيلغى الموت بكله أمام المجاهدين، فلا هو من يموت، ولا هو من يصح أن يقول له الآخرون ميت.. أليس كذلك؟ لا تحسبهم أمواتاً ولا تسميهم أمواتاً.. هم أحياء وقولوا أحياء. هذا هو الأسلوب الصحيح.

هل يمكن أن يأتي من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كلام آخر يخوف الناس بالموت الذي ألغي داخل قائمة المجاهدين؟.

المجاهد لن يموت كما يموت الآخرون، تنتقل روحه من بذلة لتعود إلى جسم آخر، فيكون جسمك هذا إنما هو شبيه بالبذلة التي أنت تحملها، الكوت والجنبية والثوب ألست تخلعها أحيانا وتعلقها وأنت تراها هناك ترى نفسك قبل ساعة، ثوبك وكوتك والجنبية والعصبة تطرحها وتلبس ثوبا آخر أشبه بهذه.

فالإنسان لا يموت كما يموت الآخرون هذا إذا قتل في سبيل الله، وكان شهيدا في سبيل الله لماذا؟ لأن هذا هو الذي سيدفع بالإنسان إلى التضحية، أما أن أخوفه من الموت وأنا أريد أن يكون مجاهدا أن يخوف هذه الأمة العربية من الموت وهم من كانوا يستبسلون في ميادين القتال مع بعضهم بعض، فجاء الإسلام فحولهم جبناء! أليسوا الآن جبناء؟! من أين جبنوا؟ من أين جبنوا وقد كانوا هم سابقا كانت تحركهم قصيدة من الشعر، كان بيت من أبيات شاعرهم تحركهم للإستبسال فيقاتلون على عقال بعير، أو على فرس، أو على ناقة؟ هل الإسلام هو الذي جبنهم؟ أم الموعظون والمرشدون؟ أم المحرفون للدين؟ أم المقدمون للدين بصورة مغلوطة؟.

ألسنا الآن كعرب أجبن من أولئك البدو قبل الإسلام؟! هل أن الإسلام هو الذي جنى علينا فأصبحنا جبناء أذلاء أم من قدموا الإسلام بشكل آخر لنا؟.

إنه فعلا عندما جئنا نتلقى الإسلام من آخرين قدموه بشكل مغلوط هو الذي ترك فينا هذا الأثر السيئ في كل المجالات.

لو أخذنا الدين من القرآن الكريم ومن أهل بيت رسول الله لما عشنا أذلاء أبداً، ولا شعباً واحداً. ولو لم يكن العرب بكلهم إلا كشعب واحد من الشعوب الموجودة لكانوا هم من يقهرون العالم، ولكانوا هم من يوصلون هذا الدين إلى الأمة كلها، ومن كانوا يؤمنون بهذه الفكرة.

الإمام الهادي نفسه كان يقول: ((لو أن معي خمسمائة شخص مخلصين لدوخت بهم الأرض)). خمسمائة شخص كان يقول.. يفهمون الإسلام بشكل جيد يقدم لهم الإسلام بشكله الصحيح، يفهمون القرآن ومناهجه التربوية وخطابه للنفس، خطابه للوجدان، خطابه للمشاعر، يثقون بالله الذي نزل القرآن لكانوا نوعية أخرى تدوخ العالم بكله ولكانوا كتلا من الحديد، كتلا من الصلب.

إنما يجب أن نخافه هو هذا {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} (السجدة: من الآية١٢) **{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} {وَلَوْ تَرَى} ذلك الهول الشديد {إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} خاشعون، أذلاء، يقولون لله: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا}** (السجدة: من الآية١٢) **الآن اتضح لدينا كل شيء وأصبحنا موقنين {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}** (السجدة: من الآية١٢) **أولئك المجرمون الذين كانوا يستبعدون البعث، أولئك الناس الذين كانوا يرفضون أن يتولى الله هو هداية عباده، وأن يكون التقدير له في شأن عباده فيرفضون دينه، ويقولون لا علاقة له بالحياة.. هم مجرمون سينكسون رؤوسهم بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة فيقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} ماذا يعني أبصرنا وسمعنا؟ ألم يبصروا في الدنيا ويسمعوا؟ بلى. أليسوا هم من كانوا في الدنيا يرون أنفسهم أكثر إبصارا من الدين نفسه؟. فيتجهون لصياغة القوانين لأنفسهم والدساتير لأنفسهم.. لأننا نحن أعرف.. أليسوا يقولون هكذا؟ نحن أعرف بمتطلبات العصر وبشؤون الحياة، ونحن نريد أن نلحق بركاب الآخرين.. الدين لا يعرف هذا.!.**

ألم يدّعوا لأنفسهم بأنهم أكثر بصرا وبصيرة من الدين؟ لكنهم سيرون أنهم كانوا عمياً في هذه الدنيا، وسيحشرون عمياً بين يدي الله فيقولون ربنا أما الآن، الآن أبصرنا فعلاً. عرفنا بأن هناك يوم آخر.. عرفنا أن هناك قيامة.. عرفنا أن هناك جزاء على الأعمال.. أيقنا بهذه. وكيف لا يوقنون وهم يعايشونها، وهم هاهم ناكسوا رؤوسهم، منكسون لرؤوسهم أمام الله بخشوع وتذلل وتلطف وترحم {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً} عندما يرجع هؤلاء ليعملوا صالحا كما يقولون.. ألم يدعوا بأنهم في الدنيا قد عملوا صالحا بل أن الصلاح هو ما عملوه، ألم يكونوا يدعون في الدنيا؟. {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} (الكهف:١٠٤) **ألم يكونوا يدعون هكذا؟.**

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ} (الكهف: من الآية١٠٥) **والآخرون ألم يدعوا هم المقننون الحكومات المجالس التشريعية مجالس النواب، ألم يدعوا لأنفسهم بأنهم هم الذين يحسنون الأعمال وأنهم أحسن عمل وهم يشرعون وهم يضعون الدساتير ويصيغون القوانين. ما هو هذا العمل الذي قلتم بأنكم إذا رجعتم إلى الدنيا**

ستعملونه؟. {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً} قد عملتم في الدنيا دساتير وقوانين، وكنتم تقولون: بأنها هي العمل الصالح، وتلزمون الآخرين بها، ولا تتحدثون عن شرع الله ولا دينه ولا كتابه. ألم تدعوا لأنفسكم بأنكم كنتم وحدكم الذين تعملون أصلح الأعمال، سيتجلى هناك يوم القيامة، كما تجلى في الدنيا أيضا أن العمل الصالح هو السير على هدي الله، في كل مناحي الحياة، في كل شؤون الحياة، في جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وفي كل المجالات التي أصبحت الآن عبارات تردد معروفة، ألم نسمع عبارة [في كل المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية؟] أليست هذه العبارة تتكرر، يقولون: شؤون الحياة كلها وشؤون الإنسان كله، قد وضعنا التشريعات التي تكفل له إذا ما سار عليها أن تكون كل هذه المجالات صحيحة ومستقيمة.

اكتشفوا أنفسهم بأن كل ما كانوا يعملونه في الدنيا خطأ، وكان ضلالاً.. أليست هذه هي الخسارة؟ هي الخسارة العظيمة.

في الدنيا قدم هدي الله لعباده بالشكل الكافي وزيادة على الكفاية. ليس فقط بالشكل الكافي بل زيادة على الكفاية مرات ومرات ومرات. ما كلنا نسمع الآن بأن لدى الدولة الفلانية ما يكفي لتدمير العالم عدة مرات الكرة الأرضية عدة مرات، فإن دين الله قدم للناس وهدي الله قدم للناس بما فيه كفاية وزيادة على الكفاية عدة مرات لسكان هذا العالم كله.

{ربنا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢) أليست هذه العبارة عبارة الخاضع؟ عبارة الخاشع؟ عبارة المتأدب؟ عبارة من عرف أن الله ربه؟ هو الذي قال له هنا: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (السجدة:٢) أنت لا تريد أن تعترف به أنه رب العالمين إلا عندما تقف بين يديه ذلك الموقف الذي لا ينفعك إطلاقا {ربنا}. عندما يقولون: {ربنا} هي تخرج من أعماق أعماق أنفسهم.. قل هنا في الدنيا.. آمن هنا في الدنيا برب العالمين على هذا النحو، وأبصر واسمع فقد نزل في كتابه، وقد هداك بما يمكن أن تبصر وتسمع على أفضل شيء في كل مجالات الحياة.

{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً} (السجدة: من الآية١٢) الدنيا أصبحت مطلوبة للعمل الصالح، ألم تكرر مثل هذه في القرآن أكثر من مرة أنهم يطالبون الله ويتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا هذه الدنيا التي عاشوا فيها سنيناً طويلة.. كما قال لهم في آية أخرى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} (فاطر: من الآية٣٧) أنت الآن في الدنيا أنتم الآن جميعا في الدنيا يا بني آدم فأبصروا واسمعوا واعملوا صالحا هنا، تطالب أن ترجع إلى الدنيا لتعمل صالحا كما تقول. ها أنت الآن في الدنيا اعمل صالحا وماذا يمكن أن يقدم لك فيما لو عدت إلى الدنيا.. هل هناك ما يمكن أن يقدم لك غير هذا.. غير ما قدمه لك الآن من الهداية؟! هل سيقدم للإنسان شيء آخر فيما لو عاد إلى الدنيا؟ لا. أم أنه اكتشف في الآخرة شيئا آخر من وسائل الهداية بواسطتها أيقن وأبصر وسمع؟ لا.. إنما عندما رأى، رأى العذاب، رأى [الصميل].

وهكذا نحن العرب. وهذا خطاب للعرب هذا خطاب لنا نحن العرب. لا نبصر ولا نسمع إلا عندما نكون في مواجهة الخطر، وقد أحدق بنا الخطر. حينما يكون إبصارنا وسمعنا لا قيمة له ولا أثر له.

هؤلاء هم كفار عرب ونحن ما نزال عربا أيضا، هي النفسية القائمة لدينا الآن في الدنيا أمام الخطورات الشديدة علينا كأمة، والخطورة العظيمة على ديننا كدين نؤمن به ونعتز به.. أليس هناك خطورة محدقة؟ أليس هناك تهديدات صريحة؟ لكن هؤلاء كانوا أسلافنا على هذا النحو لا يبصرون ولا يسمعون إلا يوم القيامة، نحن هكذا.. وإذا كنا هكذا في الدنيا فسنكون هكذا في الآخرة.

فيجب أن نفهم إذا كنا في الدنيا هي طبيعة تترسخ لدينا إنها النفسية التي تقدم بها على الله، النفسية التي روضتها هنا في الدنيا أن لا تؤمن بخطورة شيء إلا إذا أحست بالضربة القاضية حينئذ سيصرخ، إنها النفسية التي تقدم بها على الله، إنها النسيان ستأتي الآية: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} (السجدة: من الآية١٤) ناسين، لا نلتفت، لا نبصر ولا نسمع، نحن نعاني من هذه الحالة في الدنيا هنا.. لاحظوا كيف أنها حالة خطيرة..

أن لا يبصر الإنسان ولا يسمع إلا متى ما أحدق به الخطر. هذه حالة خطيرة.. أوليست هي النفسية، وهي الحالة السائدة في أوساط هذه الأمة، وعلى العرب بالذات؟ على العرب بالذات.

يتهددنا اليهود ويتهددنا النصارى ونرى ضرباتهم، ونرى عجزنا أمام ضرباتهم ونرى واقعنا أمام واقعهم، ثم أيضاً على الرغم من هذا كله لا نبصر، ولا نسمع، ماذا سنقول بعد؟. نرجع إلى أين؟ {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا} سيكون رجوعنا عندما نضرب كما يرجع عرفات كما يرجع الفلسطينيون.. أليسوا يرجعون إلى أمريكا، يريدون السلام منها ويستجدون السلام منها، بل كل زعماء العرب هكذا.. يرجعون إلى أمريكا، ويسمونها راعية السلام، وهي الشيطان الأكبر، وهي المثيرة للحروب في العالم.

يجب أن نبصر ونسمع في الدنيا أمام الأخطار المحدقة بنا وبديننا في الدنيا. إذا ربينا أنفسنا على هذا الشعور المهم والجيد والبناء سنتقدم على الله ونحن مبصرون، سامعون في الدنيا، وسنبصر ونسمع هنا في الدنيا، ما هو نعيم، ما هو أمن، ما هو شرف لنا، ما هو نعيم دائم في الآخرة الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى.

أما الذي لا يبصر ولا يسمع في الدنيا فهو كما قال الله عنه: {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً} (طـه:١٢٥) كنت بصير بشؤوني الخاصة. {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا} (طـه: من الآية١٢٦) كنت تتعامى عنها لا تبصر ولا تسمع.. أليس كذلك؟ {وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} (طه: من الآية١٢٦) وكذلك يقول في آية أخرى: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} (الإسراء:٧٢) لاحظوا كيف يأتي القرآن الكريم يربط بين الشقاء في الدنيا والشقاء في الآخرة، بين العمى في الدنيا والعمى في الآخرة.

لنفهم أنه إذا لم نبصر ونحن في الدنيا لن نبصر في الآخرة، إلا وجهنم أمام أعيننا ونقول هذا القول ونعوذ بالله من أن نكون ممن يقول هذا القول: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}.

أليست هذه العبارة خطيرة جدا؟! كل واحد منا يتمنى أن لا يقولها، ويطلب من الله أن لا يكون ممن يقولها؟ شيء خطير جدا. يربط بين العمل في الدنيا وبين العمل في الآخرة بين الشقاء في الدنيا وبين الشقاء في الآخرة.

الشيء الذي يغيب عن أذهاننا كثيرا ونحن نرشد الناس، ونحن نعلم الناس ونحن نحمل اسم عالم، أو نحمل اسم عابد أو نحن نقرأ القرآن على الآخرين، أو نعلم القرآن للآخرين، لا نفهم هذا الربط المهم، الآن نحن نحاول كمسلمين أن نبصر ونسمع.. أليس كذلك؟ لنرى واقعنا نرى ما نحن عليه، نرى ما يجب أن نعمله، نرى ما ينبغي أن ننطلق فيه.. هكذا نشعر بالندم هنا في الدنيا.. أليس هؤلاء ندموا عندما قالوا: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحا} على ماذا ندموا؟ عرفوا أن الأعمال الصالحة هي التي ضاعت فضيعوا أنفسهم بضياعها، عرفوا أن تلك الأعمال الكثيرة التي كانوا يجهدون أنفسهم فيها وهي أعمال باطلة لم يعد لها قيمة.. هي سبب الندامة.. أليسوا هنا تمنوا أعمالا صالحة؟.

الأعمال الصالحة هي نجاتك في الدنيا، هي نجاتك في الآخرة، عملت صالحا لأنه يصلح حياتي ويصلح آخرتي. وسميت أعمال صالحة، صالحة في ماذا؟ صالحة في الحياة مصلحة في الحياة لنا، ومصلحة في الآخرة لنا {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (الشعراء: من الآية٢٢٧) وما أكثر كلمة: صالحات صالحات.

قد يكون إنفاقك مائة ريال يسمى عمل صالح..أليس كذلك؟ وإنفاق خمسة آلاف في مجال آخر يسمى عمل باطل.. ما الفارق؟ هل مجرد العطاء هو الذي يسمى: صالحاً؟ إذاً فلتكن الخمسة الآلاف هي الصالحة والمائة الريال هي العمل الباطل. المجالات التي تتجه في أعمالك نحوها، مجالات أعمالك وإلا فكل الناس يعملون.

أليس أهل الباطل يتحركون ويسهرون ويتعبون؟ أليس أهل الباطل ينفقون الأموال الكثيرة أكثر مما ينفق أهل الحق؟ هناك إنفاق هناك ألم {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} (النساء: من الآية١٠٤) إن تكونوا تنفقون فهم ينفقون كما تنفقون، إن تكونوا تتعبون فهم يتعبون كما تتعبون.. وهكذا.. الأعمال شكليتها واحدة لكن هناك أعمال صالحة غاياتها، منطلقاتها هي التي تجعلها صالحة فيما إذا كانت تسير على هدي الله.

{لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} (الحج: من الآية٣٧) أليس يتحدث عن الهدي في الحج، عمل صالح؛ لأنه في مصلحتك أنت، وكل ما تبذله من أجل نصر دينك والدفاع عن دينك إنه في مصلحتك أنت في مصلحة البشرية كلها؛ لأن صلاح البشرية صلاح الأمة كله مرتبط بالدين واستقامته، وأن تطبق أحكامه، وأن يسود هديه في هذه الدنيا. هذه هي الأعمال الصالحة، وهي ما يكتشفها المجرمون فيما بعد، وهي ما سيكتشفها كل من أضاعها في هذه الدنيا، سيرى أن تلك الأعمال الصالحة هي نوعية معينة من الأعمال.

أو لم يكن المجرمون هم ممن ينفقون كثيرا؟ كانوا ينفقون كثيرا، رأوا أن إنفاقهم ذلك كله لم يكن عملا صالحاً أبداً، هم من كانوا يتعبون كثيرا من أجل الوصول إلى أهداف معينة، من أجل تحقيق أشياء معينة لديهم اكتشفوها أنها لم تكن أعمالا صالحة.. أليس هذا هو ما سيحصل؟ أي أنهم لم يكونوا في الدنيا ليس لديهم أي عمل، كان هناك أعمال.. أوليست الدنيا كلها مليئة بالبشر العاملين؟ كلهم عاملون كلهم يتحركون.. أليس كذلك؟. الناس كلهم يتحركون وكلهم يعملون. من هو الذي هو نائم في هذه الدنيا؟ كل الناس شغالين فيها. لكن هناك أعمال صالحة هي ضائعة، هي.. هي التي سنكتشف أنها كانت هي المهمة في الدنيا، وأنها هي التي كانت نجاتنا متوقفة عليها، هذا ما سيكتشفه الناس.

فلماذا لا نعمل على اكتشاف الأعمال الصالحة الآن في الدنيا، كل خطاب القرآن هو ليوحي لنا إذاً هنا في الدنيا فاعملوا كذا، إذاً هنا في الدنيا ابصروا واسمعوا، إذاً هنا في الدنيا اكتشفوا الأعمال الصالحة لتنطلقوا في أدائها، ليس مجرد إخبار عما سيحصل من أولئك لمجرد قصة؛ إنه يقول لنا: أبصروا واسمعوا وابحثوا عن الأعمال الصالحة وأنتم هنا في الدنيا حتى لا تكونوا ممن يقول هذا القول في اليوم الآخر {إِنَّا مُوقِنُونَ} يقين مثل الشمس.

القرآن يصنع اليقين، أحداث الحياة والنظرة إليها من خلال القرآن تصنع اليقين.. اليقين. الإمام علي صلوات الله عليه الذي حصل على اليقين من خلال الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ومن خلال القرآن الكريم، كان يقول: ((والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)).

وعندما يقول أعمالاً صالحة وعندما يقولون: {إِنَّا مُوقِنُونَ} هل يعني ذلك أن الله قصر هنا في الدنيا فلم يبين الأعمال الصالحة ما هي؟ أو قصر في هدايته للناس هنا في الدنيا فلم يكن بين أيديهم ما يوصلهم إلى درجة اليقين؟ وإنما في القيامة هناك أبان لهم الأعمال الصالحة، وهناك أوصلهم إلى درجة اليقين.. لا.. لو كان الأمر هكذا ما جاز على الله سبحانه وتعالى أن يقصر هنا في الدنيا في هديه للناس، وفي تبيين طرق الأعمال الصالحة تقصيراً لا يمكن أن يفهموه، ثم يأتي يوم القيامة فيقول كان باقي وباقي، ونحن لم نعلم بها، ولم يكن في هديك ما يردشك إليها.. أليست هذه حجة للناس على الله؟ سنقول بالتأكيد لكن نحن لم نرشد إليها، ونحن لم نعلمها في الدنيا إطلاقا.

لماذا تأتي هنا في يوم القيامة وتوضح لنا الأشياء بشكل واضح وجلي جداً؟ وفي الدنيا كان هناك تقصير من جانبك في كتبك ومن جانب رسلك. لا يجوز على الله سبحانه وتعالى. هنا في الدنيا بين، وكلمنا في القرآن الكريم عدة مرات أنه بيان.. كتاب مبين.. مبين.. ألسنا نسمع هذه الفقرة تتكرر كثيرا في القرآن الكريم؟..
ومن أين تحصل على درجة اليقين في الأشياء؟.. أليس من التبيين، لكن أنت الذي علمت نفسك ألا توقن إلا عندما تضرب في رأسك عندما تحس بالضربة توقن.. وهكذا نحن في الدنيا وهؤلاء أسلافنا كعرب الذين حكى الله عنهم أنهم قد يقولون هكذا. هم من لم يوقنوا ولم يسمحوا لأنفسهم أن يتغلغل إلى أعماقها اليقين من خلال التبيين الواضح، لم يوقنوا إلا عندما ضربوا في رؤوسهم، فأصبحت رؤوسهم منكسة {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا}.
اليقين هنا متوفر في الدنيا في أعلى درجاته.

والإمام علي هو الشاهد في كل شيء لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وللقرآن ((والله لو كشف لي الغطاء ـ أي القيامة ورأيت جنة ونار ورأيت كل شيء ـ ما ازددت يقيناً)). اليقين توفر لدي من خلال القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

هو الشاهد لرسول الله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} (هود: من الآية١٧) **الرسول هو كان على بينة من ربه وهو يتحرك، ويبلّغ، ويربي ويعلم، ويتلوه ويتبعه شاهد منه. الإمام علي هو كان الشاهد الوحيد، الشاهد الكامل في كل مناحي التبليغ للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أنه لم يحصل من جانبه تقصير، والرسول هو كان يتحرك بحركة القرآن.**

والقرآن هو متوفر بين أيدينا.. لكنا نحن من لا نسمح لأنفسنا أن توقن، وهكذا نحن في الدنيا، وسيكون من هذه نفسيته في الدنيا سيكون هكذا في الآخرة. {إِنَّا مُوقِنُونَ} في الآخرة تجلى كل شيء.. لكنه هنا في الدنيا تجلى كل شيء.

الحديث عن الجنة والنار بالشكل التفصيلي، الحديث عن النار، عن عذابها وشدته، عن طعامها، عن شرابها، عن لباس أهلها، عن صراخهم فيها، ألم يتحدث عنه القرآن في أجلى صورة؟ وبطريقة فنية عجيبة تكاد أن ترى ذلك المشهد من خلال حديثه عنه، فتوقن. الجنة كذلك، أهوال القيامة، أهوال ذلك اليوم كذلك جاءت بالتفصيل داخل هذا القرآن.. لكن أنت من لا تصغي لهذا القرآن ابتداء من أن تفهم أنه من عند الله؛ ولهذا تكرر كثيرا في القرآن {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (السجدة:٢)، **من الله، ألم يتكرر هكذا في أكثر السور؟.**

أنظر إلى القرآن الكريم أنه من الله، وتعرف على الله سترى كلمات هذا القرآن مهمة وتراها كاملة، وترى فيها البيان، وترى فيها التوضيح الذي يوصل إلى درجة اليقين في كل شيء، ولكن لا أتعامل معه على أنه خطاب من الله هذا ما يحصل لدى الكثير منا.

تأتي ورقة خطاب من الرئيس أمر إلى أهل منطقة فيتعاملون مع تلك الورقة بكل جد واهتمام ويجتمعون ويتشاورون كيف يعملون من أجل تنفيذها، أو من أجل درء الخطر والتهديد الذي فيها عن أنفسهم، أليس هذا هو ما يحصل؟.

لكنا هنا بالنسبة للقرآن الكريم لا يحرك فينا شعرة ولا نتجمع لنعرف كيف ننفذ ما فيه حتى ندرأ عن أنفسنا الخطورة التي تحدث عنها وهو يختلف عن أوامر الآخرين.

قد يأتيك أمر من الرئيس فيه تهديد مبهم وأنت الذي ستفكر وتبحث عن كيف تدفع عن نفسك ذلك الخطر، أما القرآن فقد تولى هو لأنه من الله الرحمن الرحيم، الحديث عن الخطر ثم إرشادك إلى كيف تقي نفسك منه، ثم يعطيك جائزة عظيمة وأنت تتحرك في درء ذلك الخطر عن نفسك في الدنيا هنا وفي الآخرة.. أليس هذا هو أكمل من أي بيانات أخرى أو من أي أوامر أخرى تأتينا من عند الآخرين.

تلك البيانات وتلك الأوامر التي تهز مشاعرنا وتجعلنا نجتمع ونتشاور كيف نصنع وكيف نعمل في تنفيذها، أو في الدرء عن أنفسنا خطورتها والتهديد الذي فيها، لو يقول لك شخص: [اترك هذه الورقة.. ستقول هذا أمر من الرئيس وليس كلام فاضي].. أليس أي شخص سيقول هكذا؟ هل نحن نقول هذه العبارة مع القرآن الكريم هذا {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الواقعة:٨٠) **هل نحن نقول هذه؟ بل ندرسه دَرْوَسَه، لا نستشعر من أين نزل ولا ماذا يريد. تلاوة لا تتقدم ولا تؤخر.**

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} (السجدة: من الآية١٣) **ماذا كان ينتظر أولئك الناس؟.. ما هو الهدى الذي كانوا ينتظرونه؟ أن يساقوا سوقا رغما عنهم وقسراً إلى كل قضية فيها أجر كبير لهم، إلى كل عمل فيه مصلحة لهم، إلى كل عمل فيه درء للعذاب عن أنفسهم.. أن يساقوا سوقا بالعصا، يمسك الإنسان بمقدمة رأسه فيساق غصبا عنه إلى الصلاة، ثم يساق غصبا عنه إلى ميادين الجهاد، ثم ترفع يده غصبا عنه ويضرب غصبا عنه، يضرب بها الآخرين غصبا عنه.. هل كنت تنتظر حركة من هذا النوع؟ هذا ما لا يمكن.. هذا ما لا يمكن.**

لقد جاء الهدى على أعلى مستوياته، وجاء الهدى في أبين آياته وأحكمها وأكثرها تفصيلا ووضوحا، أي هدى

كنت تنتظره؟ كان بالإمكان أن نهديك هذا النوع من الهدى، كما يفسرون هذه الآية: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} يقولون على طريقة القسر والإلجاء، أن يمسكك بإذنك إلى المسجد ويضعك بين الماء تتوضأ غصبا عنك، ويرفعك غصبا عنك وتصلي غصبا عنك، وأربعة أو خمسة ملائكة بأيديهم سياط يضربونك ووراءك أينما ذهبت.

لكن هذا ليس هدى، أنت حينئذ لست إنسانا. إنك إنسان لك درجتك ولك كرامتك.. ماذا سيكون الإنسان حينئذ إذا كان على هذا النحو، ماذا يقال له؟ قد يقال له: حمار!! هل كنت تريد في الدنيا هذه أن تساق كما يساق الحمار؟ إن الله قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (الإسراء: من الآية٧٠) حملك في البر على هذه الدواب، وهداك هداية توفر لك الكرامة وفيها كرامتك، وتحركك فيها وأنت تطبق أي شيء منها هو كرامة لك وعز لك، في حياتك وأنت تتناول طعامك وشرابك بشكل تكون فيه مكرماً، أنت واقف منتصب القامة تصل بطعامك عن طريق يدك إلى فمك، لكن تلك الحيوانات الأخرى التي سخرت لك هي من تتناول طعامها بفمها.

أفكنت تنتظر أن تساق في هذه الدنيا كما تساق تلك الحيوانات التي كرمناك بأن جعلناك تُحمل عليها {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}. لو كنا نريد أن نساق كتلك الحيوانات التي نسوقها في البر. هل كنت تنتظر من الله أن يسوقك كما تسوق أنت الحمار الذي تركبه، وهو يقول لك: إنما سخر ذلك الحمار لك، تكريما لك، وأنه من مصاديق تكريمه لك أن سخر لك تلك الحيوانات.

إذاً فالهدى هو في متناولك على أعلى درجاته بالشكل الذي يتناسب مع تكريمك، ولكنك من أهنت نفسك، من أصبحت في واقعك كما قال الله عنك: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الفرقان: من الآية٤٤) أنت تريد أن تتهرب من التكريم حتى في وسيلة الهداية لك، وأنت من ترفض أن تتناول طعامك وشرابك على غير طريقة التكريم، أما الهدى من الله وهو أكرم من طعامك وشرابك فتريد أن يقدم لك على غير شكل التكريم، أليس هذا الذي نريد!.

الله جعلنا نتناول طعامنا وشرابنا بطريق مشرفة وكريمة، لكننا نريد أن يعطينا الأهم من الشراب والطعام بشكل مهين! أن يجعل أربعة من ملائكته مع كل شخص منا، وبأيديهم السياط والحبال فيسوقون كل واحد منا كما يساق الحمار.. كيف سيقول لك الملك وهو يسوقك بالسوط.. تفضل أو كما تقول للحمار، أنت تقول للحمار تفضل اخرج؟ أو تفضل ادخل؟ أو تقول بعبارات أخرى لا تعني أكثر من عبارات الدفع والسوق.

يجب أن نفهم تكريم الله لنا، وأن تكريمه لنا في هدايته، وأن من الحكمة أن تقدم هدايته لنا بالشكل الذي يتناسب مع تكريمنا. أما أن يكرمنا فيما يتعلق بتناول الطعام والشراب ثم لا تكون الهداية بالشكل الذي فيها تكريم لنا وعن طريقة أنفسنا، نحن نعقل، نفهم، نوقن، نثق، نصدق.. ننطلق نتلمس آثار الكرامة في كل جانب من جوانب هدايته لنا.. أليس هذا بوسعنا؟ وسترى كيف سيصل الناس وتصل أنت إلى العزة.. أليست العزة هي للمؤمنين؟ إذاً فكنت ممن يقترح على الله أن يكون أولياؤه كالحمير!!.

إذا كنت تنتظر هداية من ذلك النوع القسر والإلجاء هو يقول: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون: من الآية٨) العزة للمؤمنين.. هل ستكون العزة لأولياء الله أن يساقوا كما يساق الحمير عن طريق ملكين أو ثلاثة بعد كل شخص منهم.. ليست هذه عزة.

أو لم يحرم الإسلام التعذيب للإنسان حتى وإن كان كافراً! التعذيب في السجون محرم وفي القوانين الدولية أيضا، من ضمن بنود حقوق الإنسان القائمة التي فيها تنظيم لحقوق الإنسان ورعاية حقوقه كقانون دولي، تحريم تعذيبه في السجون؛ لأنه يتنافى مع كرامته، يتنافى مع كرامته {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} هل تريد أن ترى هدى من هذا النوع الذي كنت تقترحه على الله سبحانه وتعالى.. وهو الشيء الذي لا يمكن أن يعمله.. انظر إلى السجون إلى التعذيب هناك هدى بوسائل التعذيب.

أليس السجان يحاول فيك أن يهديك لأن تطيع السلطة.. بتلك الطريقة بتعذيبك بالقيود وبالكهرباء وبوسائل أخرى.. هل ذلك تكريم للسجين؟ أو أنه إهانة ممن يفعله؟ هو إهانة. الله لا يمكن أن تكون هدايته للآخرين

على هذا النحو؛ لأنه الكريم وهو العزيز هو من يريد أن يكون أولياؤه كرماء وأعزاء.

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} يجب أن نفهم هذه: أن الله قد هدانا وشاء هدايتنا لكن على الشكل الذي فيه كرامتنا، حتى وهو يعبّدنا لنفسه سبحانه وتعالى يقول لنا: أن تعبيد أنفسنا له هو حريتنا.. هو كرامتها.. هو عزتها وقد وضع في الحياة في الحاضر والماضي من الحياة أمام كل جيل الشواهد، الشواهد على أن العبودية لله هي الكرامة وهي العزة، وهو سبحانه وتعالى يعبدك لنفسه ليس كأي ملك آخر يحاول أن يطوعك لنفسه، هنا إذلال.. هنا إهانة.. هنا قهر. أما من جانب الله سبحانه وتعالى فهو تكريم وعزة وتكريم الله لنا وعزته لنا تمثلت في هدايته على هذا النحو الذي قدمه لنا.

ثم انظر في القرآن الكريم تجد أن خطابه معك على الشكل الذي يراعي تكريمك، يراعي كرامتك حتى وهو يوجهك إلى أن تنفق في سبيله.. ألم يقل: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} (البقرة: من الآية٢٤٥).

ويقول: {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} (الزمر: من الآية١٦) يتحدث مع الناس بمنطق لطيف، وبأسلوب رحيم، وبأسلوب يخجل الإنسان أمام الله.. لماذا؟ كم الفرق بيننا وبين الله، من نحن؟ من نحن في واقع أنفسنا بالنسبة لله؟ لا مقارنة لكنه كرمنا وهو يتحدث معنا بنحو يوحي بتكريمه لنا.

نحن من نرى أنفسنا أذلاء أمام أشخاص يذلون أنفسهم لأمريكا وإسرائيل، نبدو أعزاء أمام الله سبحانه وتعالى، ونبدو كباراً في مواجهة الله سبحانه وتعالى.. نبدو كباراً ونتحدى ونرفض وكم هو الفارق بين الله وبين أولئك الذين نذلل أنفسنا لهم، ونطوع أنفسنا لهم.. أليس الفارق كبيراً؟ أليسوا هم في واقعهم إنما هم عبيد أذلاء لله، وقد يكون الكثير منهم في قائمة {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الفرقان: من الآية٤٤).

فنذلل أنفسنا لمن هم أضل من الأنعام ولا نذلل أنفسنا لله سبحانه وتعالى، وتذليل أنفسنا له هي الكرامة، هي العزة.

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (السجدة:١٣). هناك في الوسط أشياء كثيرة جدا بين {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} وبين {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} لا تعني العبارة بأنه كان بإمكاني أن أهدي كل شخص.. ولكن سبق مني يمين أن أعذبهم وسأعذبهم.. لا.. ليست القضية على هذا النحو.

لقد هدى الهداية الكافية، وتوعد هنا في الدنيا أولئك الذين قدم إليهم هداه {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} (الأنفال: من الآية٢٤) {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول لعلكم ترحمونَ} (النساء: من الآية٥٩) ألم يكرر حديثه مع الناس وهو يهديهم؟ وفي نفس الوقت قال إذا ما سرتم في طريق الشيطان إذا ما اتبعتم الشيطان فإني قد أقسمت {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (السجدة: من الآية١٣) ممن تبع الشيطان {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأعراف: من الآية١٨) أقسم أن يملأ جهنم من أين؟ ممن تبع الشيطان، ممن أعرض عن الهدى، ممن أعرض عن ذكر الله، ممن رفض الإذعان والتسليم لله سبحانه وتعالى.

سبق القول منه ليس كما يقول الواحد منا: [لا بأس والله إنه حقيقة لكن قد زلت كلمة مني ما عاد سبر إلا كذا.. تريد أفجر] لا.. قد سبق القول في الدنيا، أنه سيملأ جهنم ممن يتبعون الشيطان وقد علمنا طريقة الشيطان وحذرنا من الشيطان.. ألم يقل إنه لكم عدو فاتخذوه عدوا {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (فاطر:٦) لقد سبق كل شيء منه، وعده هو لا يمكن أن يتخلف، وسيرى هؤلاء أيضا الذين وقفوا منكسين لرؤوسهم ويقولون هذا الكلام سيرون أنفسهم عندما يساقون إلى جهنم أنه لا عذر لهم إطلاقا، وأنهم جديرون بأن يساقوا إلى جهنم.. {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ} (الأنعام: من الآية٣٠) {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} (السجدة: من الآية١٤).

ليست كلمة زلة مني وضحت في الدنيا كل شيء، وهداي كان شاملا لكل شيء وعلى أبين ما يمكن أن يكون الخطاب معكم أنتم من كنتم تتناسون.. إذاً {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} يومكم هذا ما هو؟ يوم القيامة.. {إِنَّا نَسِينَاكُمْ كنتم في الدنيا ناسين لهذا اليوم لا تحسبون حسابه ينذركم المنذرون عن خطورة هذا اليوم، ويبيّنون لكم طريق النجاة في ذلك اليوم، فكنتم تنسون كل شيء، وتتناسون كل شيء.. إذاً فذوقوا أثر نسيانكم {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} وإن كنتم تنكسون رؤوسكم بين يدي وتقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} لا سماع لكلامكم هذا، أنتم منسيون أنتم متروكون؛ لأنكم أنتم من نسيتم أنفسكم.. هكذا يعني الكلام من الله سبحانه وتعالى فيما نفهم.

{فَذُوقُوا} يقول لمن؟ لأولئك الذين هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} يقول لهم: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (السجدة:١٤). **بأعمالكم أنتم يا من تقولون نريد أن نرجع فنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل، كنتم تعملون الأعمال السيئة، وكانت قائمة الأعمال الصالحة أمامكم واضحة، فكنتم من تنصرفون عنها، وتذوبون في تلك الأعمال الباطلة القبيحة الشريرة التي أوصلتكم إلى هذه العاقبة السيئة.. {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** (السجدة: من الآية١٤). **الله لا يظلم أحداً. لا يظلم الناس مثقال ذرة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا العذاب هو بأعمالكم أنتم، وأعمالكم التي كنتم تنطلقون فيها بكل جراءة.**

أوليس الناس في هذه الدنيا في الباطل ينطلقون في الأعمال الباطلة برغبة؟ وينفقون أموالهم في الباطل، ويتحركون في الباطل، بل يلومون من يتحرك بالحق أليس كذلك؟ هل أحد هنا في الدنيا يكره الناس على الباطل؟ هم من ينطلقون في أعمال الباطل برغبتهم وبشوقهم ويبذلون من أجله نفوسهم وأموالهم.

هذه آثار أعمالك تلك التي كنت في الدنيا لا تكره عليها من جانب أحد، وكنت في الدنيا أيضا قد حذرت من عواقبها.

إذاً هي تلك الأعمال التي أضعتها، التي لم تكن تنساق إليها إلا كرهاً ومجاملة، لم تكن تنطلق فيها إلا بتثاقل، إلا بتحيل وتملص، هي الأعمال التي ستطالب بها يوم القيامة.

أوليس الناس هنا في الدنيا كل من تحرك ليرشد الناس لينذر الناس تلمس من الناس تثاقل نحو الأعمال الصالحة؟ أوليس الناس هكذا؟ يتثاقلون ويتباطئون، بينما هو يقول أن المفترض هو أن الناس يتسابقون نحو الأعمال الصالحة، ويسارعون إليها، لكن الأعمال الباطلة كلمة واحدة، واتجهوا إليها.. أليس كذلك؟.

أليس الناس ينطلقون في الأعمال الباطلة دون توجيه ودون إرشاد؟ بل يكتفي الشيطان وأولياء الشيطان بوسوسة وأنت ستنطلق أوتوماتيكيا وبكل رغبة.

الشيطان يوسوس لكن الله هنا يصدر آياته ويملأها إنذاراً، ويملأها هداية، وتتكرر على مسامع عباده دائماً، فلا ينطلقون، لا ينطلقون في أداء الأعمال التي ترشد إليها كما ينطلقون في الأعمال التي يوسوس لها الشيطان وسوسة!.

المنافقون أليسوا يؤثرون في الناس أكثر مما يؤثر المصلحون؟ لأننا نحن لم نتهيب من الأعمال الباطلة، ولم نروض أنفسنا على الرغبة في الأعمال الصالحة، وعلى الانطلاق فيها من خلال معرفتنا لآثار هذه، وآثار تلك فننطلق في الأعمال الباطلة ونتثاقل في الأعمال الصالحة، ثم يوم القيامة ستكتشف المسألة أننا سنذوق وبال أعمالنا.

هل ستبقى لأحد منا حجة على الله سبحانه وتعالى إذا ما قيل له: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}؟؟ سترى نفسك أنت أنه [والله فعلا. فقد كنا ننطلق في هذه الأعمال التي جرتنا إلى هذه العاقبة السيئة ولا نرضى نتوقف، ولا نسمع من ينذرنا، ولا نتوقف إذا ما انطلق أحد من الناس يحذرنا عواقبها، ولا نقبل على الأعمال الصالحة التي نحن الآن نبحث عنها].

{فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} سترى أنت نفسك أنه لا حجة لك على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه قال لك: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ومن منا سيرى نفسه أنه كان في الدنيا يكره على الباطل؟ ثقلت عليك الأعمال فقيل لك: ذق بما كنت تعمل تلك الأعمال التي كنت تنطلق فيها برغبتك واختيارك، وتنساق من تلقاء نفسك.. هل سترى أن لك عذراً؟ وأنت من كنت تعمل تلك الأعمال على هذا النحو.

لا تتصور بأنها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أنني كنت في الدنيا أكره على هذه الأعمال، لو كنت تكره لما حسبت عليك، أوليس هذا ملغي في التشريع؟ أن ما أكرهت عليه، كثير من الأشياء التي تكره عليها لا تؤاخذ عليها، كثير من الأشياء تكره عليها لا تعد نافذة لو أكرهت على أن تبيع مبيعا معيناً، أو أكرهت على أن تطلق زوجتك. لا ينفذ، أليس هذا من رحمة الله؟.

إذاً فهذه الأعمال بما كنتم تعملون، هي الأعمال التي كنا لا أحد يوقفنا عن الانطلاق فيها، ولا نصغي لأحد يطلب منا أن نرفضها وأن نتركها، وأن ننطلق في الأعمال الصالحة {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا هنا في الدنيا، أن يجعلنا ممن يبصرون ويسمعون، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ينجينا من جهنم، وأن ينجي كل واحد منا من أن يكون ممن يقول هذه الكلمة: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}، وأن يزيدنا يقيناً في الدنيا، وبصيرة في الدنيا، ونحن ما نزال في هذه الدنيا نستطيع أن نعمل، ونستطيع أن ننطلق على هداه، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

**تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م**

سلسلة معرفة الله (١٣ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

الدرس الثالث عشر

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٥/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله.
وصلنا حول الآيات من [سورة السجدة] إلى قول الله تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً} (السجدة: من الآية١٥).
وكلامنا حول الآيات سواء هذه أو غيرها، ليس على نمط التفسير، إنما هو كلام أشبه شيء بالاستيحاء من الآيات، وحديث حول الآيات.
التفسير المعروف له نمط معين، وله قواعد معينة، والكثير من التفاسير تجعل الفائدة من القرآن الكريم قليلة جداً، إذا لم يربط القرآن الكريم بواقع الناس، إذا لم يكن الحديث حول آياته واسع، فإنه في الأخير يصبح كتاباً لا أثر له ولا فاعلية له في حياة الناس، ولا في أنفسهم.
القرآن هو كتاب للحياة كلها، وكل أحداث الحياة لا يخلو حدث منها عن أن يكون للقرآن نظرة إليه وموقف منه، ونحن نريد ـ إن شاء الله ـ جميعاً أن نحيي القرآن في أنفسنا، فإذا ما عدنا إلى تلاوته ـ كما هو المعتاد ـ سواء في شهر رمضان أو في غيره تكون تلاوتنا له تلاوة إيجابية، نتأمل، نتدبر، نستفيد من آياته، ولا شك أن أي حديث حول آيات القرآن الكريم ما يزال حديثاً قاصراً وناقصاً، لا أحد يستطيع مهما بلغ في العلم والمعرفة أن يحيط علماً بعمق القرآن الكريم؛ لأن كثيراً مما يمكن أن يعطيه القرآن، مما هو من مكنون أسراره، إنما يساعد على كشفه وتجليه، المواقف، والمتغيرات والأحداث.
قراءة كتاب الله بتأمل، وقراءة أحداث الحياة بتأمل، وقراءة النفوس، وسلوكيات الناس بتأمل هي ما يساعد الإنسان على أن يهتدي، على أن يسترشد، على أن يستفيد من خلال القرآن الكريم.
بعد تلك الآيات العظيمة من أول السورة من [سورة السجدة] والتي تحدثنا حولها بالأمس بمقدار ما نفهم يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} (السجدة:١٥).
آيات الله هي: أعلام على حقائق، هي حقائق ثابتة، وسميت آيات: لأنها أعلام على حقائق، حقائق في واقع النفوس، حقائق في الحياة، حقائق في مجالات الهداية كلها، حقائق تتحدث عما سيحدث يوم القيامة، أنها أشياء لا بد أن تحصل، وأن هناك من سيقول: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢).
والآيات القرآنية هداياتها واسعة جداً، تهدي في عدة اتجاهات. كما فهمنا من أن قول الله تعالى حاكياً عن أولئك الذين سيقولون وهم منكسون لرؤوسهم: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}. أنها تكشف حقيقة نحن عليها في واقعنا في الدنيا هذه.
أولئك الناس ـ وهم أكثرنا ـ الذين لا يؤمنون بالخطورة إلا متى ما دهمتهم، لا يعملون الاحتياطات اللازمة، ويعدون العدة لمواجهة الخطر، وإنما يسوفون ويتناسون حتى يدهمهم الخطر.
قلنا أيضاً: أن هذه إذا كانت طبيعة لدينا، إذا كانت حالة نفسية ثابتة لدينا فهي خطيرة جداً علينا؛ لأنها لن تكون في الدنيا، بل ستكون في الآخرة أيضاً، مَن هذه حالته، من هذا واقعه هكذا: لا يهتم بالإعداد للخطر المحتمل فإنه أيضاً لن يهتم، ولن يعد للخطر المتيقن.
نحن نقول كلمتين؛ في الدنيا نقول أمام الخطورة المحتملة: [عسى ما في خله] ألسنا نقول هكذا؟ [عسى أن الباري سيهلكهم].. ونقول أمام الخطورة المتيقنة: [الله غفور رحيم] أليست حالة واحدة؟.
يجب أن نروض أنفسنا هنا، نفسيتك في الدنيا هي النفسية التي ستحشر بها يوم القيامة، ستحشر أنت وأنت أنت، كما لو قمت من مرقدك الصباح، النفسية التي كنت عليها هي هي التي ستبعث عليها يوم القيامة [ما في خلة] [الله غفور رحيم] تأتي الخلة وأنت لم تعد لها عدة فتكون خلة كبيرة جداً، [الله غفور رحيم] سيأتي يوم القيامة وترى بأنه كان موضع الرحمة والغفران هنا في الدنيا أن تتسبب هنا في الدنيا، فيرى الناس أنفسهم

بأنه لا كلمة [ما في خلة] ولا كلمة [الله غفور رحيم] هي التي ستنفعهم.
وقلنا: هؤلاء هم كانوا عرباً، هم عرب الذين سيقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}.
تتحدث عن مجرمين، ممن يقولون: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}(السجدة: من الآية١٠) **هذه حالة كانت عند العرب القدامى وما تزال قائمة فينا، ولكن يبدو أنها تعمقت وترسخت أكثر وأكثر مما كان لدى الماضين.**
ونجد لهذه أثرها السيئ في مجال المقارنة بين واقعنا نحن وواقع أعدائنا من اليهود والنصارى، تراهم لا يفكرون هذا التفكير إطلاقاً، يضعون الخطط وينطلقون في الأعمال التي تحول دون أن يدهمهم خطر محتمل ولو بعد مائتي سنة؛ لهذا فاقونا، ولهذا ضربونا، ليس عندهم [ما في خلة].
القرآن يعتبرونه مشكلة لديهم، الإسلام يعتبرونه مشكلة لديهم، يشكل خطورة بالغة؛ لأنه فيما إذا رجعت هذه الأمة إلى الإسلام تلتزم بدينها، وإلى القرآن الكريم تعمل به، وتهتدي به فإنه فعلاً ستصبح هذه الأمة قوية جداً، لا تستطيع تلك الدول مهما كان لديها من أسلحة، مهما كان لديها من إمكانيات أن تقهر هذه الأمة.
فهم يعملون جاهدين من زمان من مئات السنين، بل بلغ بهم الحال في بعض مراحل التاريخ في أسبانيا بعد أن ضربوا المسلمين هناك، أرغموهم في الأخير على تغيير أسمائهم، وأسماء أبنائهم، تغيير الأسماء الإسلامية إلى أسماء أخرى أوربية، من نحو [جورج] ونحوها.. أسماء أخرى؛ لأنه حتى المفردات الإسلامية، المفردات العربية، المفردات القرآنية، الألفاظ، هم يرون أنها تترك شعوراً، أو أثراً أحياناً قد يكون أثر لا شعوري، وأن هذا يبذر بذرة ارتباط داخل أعماق النفس، فتهيئ الإنسان للاستجابة في أي زمن. فهذه خطورة؛ يغير الاسم، تغير المصطلحات مهما أمكن كما وجدنا من تغيير كلمة: [جهاد] ونحوها.
لماذا يعملون هم على أن تضيع كلمة:[جهاد] من أوساط المسلمين ونحن المسلمون نرى أنفسنا نقرأها كثيراً في القرآن الكريم ولا نتأثر! أليس كذلك؟.
هم يرون أنه وإن كنت الآن تقرأها ولا تتأثر بها، لكن تكرارها على مسامعك سيترك أثرا ولو كان أثراً لا شعوريا، أقل ما يمكن أن يترك هذا هو: أن يكون هذا المبدأ مقبولا لديك، متى ما جاء من يحركك، ومتى ما وجدت الإمكانيات بين يديك، أليس كذلك؟ أليس هذا ما نجده في أنفسنا أحياناً متى ما وجدنا من يتكلم معنا، أو وجدنا من يتحدث عن واقعنا، أو وجدنا من يعمل على إحياء هذا المبدأ في نفوسنا، ألسنا نتأثر؟.
هذه الخطورة: هم لم يكتفوا بأن يقولوا: هاهم الآن يقرؤون القرآن ولم يتأثروا به أو ربما أنت لا تتأثر به، تموت وأنت غير متأثر به، لكن ابنك ما زال وابن ابنك أيضاً سيقرأ القرآن وسيجد فيه الكلمات هذه: [جهاد.. جهاد.. جهاد..] الخ.
حتى الربط بالأعلام، الربط بالأعلام أيضاً عندهم قضية خطيرة؛ ولهذا رأينا نحن وأنتم جميعا أنه كيف غيب الحديث عن الإمام علي وأهل البيت في المناهج الدراسية، وغيب الحديث عنهم في وسائل الإعلام، وغيب الحديث عن آثارهم عن طريق الثقافة، ولم تبدِ وزارة الثقافة في أي بلد - خاصة في اليمن - اهتماما بالآثار آثار أعلام أهل البيت!! لأن الربط بالأعلام أيضاً مهم جداً، إذا ما رسخ في أنفسنا عظمة علم من أعلام الإسلام المتكاملين والكاملين فعلا، فلو كان مجرد اسم يتردد على ألسنتنا لكن قد يأتي من يجعل هذا الاسم فاعلاً ومؤثراً.
كان الإمام الحسين (صلوات الله عليه) **يتردد كثيرا في أيام عاشوراء، وفي غير عاشوراء في أوساط الشيعة الجعفرية كثيرا ويبكون، ويلطمون.. لكن كانت كلها مظاهر عاطفية، فجاء الإمام الخميني فاستطاع أن يجعلها ذات تأثير كبير، إحياء عاشوراء، الحديث عن الحسين لدرجة أنه قال: ((كل ما بين أيدينا من بركات الحسين)).**
أو بعبارة تشبه هذه. إذاً ذلك الاسم الذي تردد مئات السنين في أجواء عاطفية بحتة، لم يربط به جهاد، ولم يربط به اتخاذ موقف، ولم يربط به عمل لرفع معنويات الأمة، لاتخاذ موقف ما من أعداء الأمة وأعداء الدين.. ألم يصبح فاعلاً؟.عندما جاء من يجعل له حيوية في نفوس الناس؟
وهكذا الآن في جنوب لبنان في أوساط [حزب الله] يصرخون باسم الحسين، بل أصبحوا يتذوقون عاشوراء بشكل آخر يختلف عن ما كانوا عليه يوم كانوا يتحدثون عن عاشوراء من الجانب العاطفي فقط، وأصبحوا يستلهمون من كربلاء ومن عاشوراء، ومن الحسين الأشياء الكثيرة جدا جدا، التي تدفع بهم وبشبابهم إلى ميادين الجهاد.

الحسين الذي عاش مئات السنين داخل الطائفة الاثنى عشرية جامدا في نفوسهم، ألم يفعل في مرحلة من التاريخ، واستطاع أن يحرك أمة؟. وها نحن نرى إيران أليست إيران تشكل عقبة أمام الغرب فيما ننظر إليها نحن وفيما نفهم؟ أن الغرب ينظر لإيران شيئاً، ولبقية العرب المسلمين شيئاً آخر.

وهكذا رأينا كيف أنه في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى أعلاما أخرى تقدم للأمة، ويتحدثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد، في المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان. هذه الأعلام عند من يفهم واقع الأمة الآن أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكمون تقريبا في كل شيء، في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الأعلام لا تصنع شيئا؛ لأنه لو جسم في نفسك على أكبر ما يمكن لما كان باستطاعته أن يحركك، ليس فيه ما يحركك، إنما هي ـ كما يقال ـ : [نمور من ورق] فلنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدم ولا تؤخر، ولو تكرر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئا في النفوس؛ لأنه عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى ذلك العلم لتستلهم منه شيئا تجده فارغا لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك.

لكن أعلاماً كالإمام علي (عليه السلام) كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد، والهادي، والقاسم، وغيرهم ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان، أو التفتت الأمة لتستلهم منهم شيئاً سترى ما يشدها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام.

لهذا هل نجد علياً (عليه السلام) أو نجد الحديث عن أهل البيت في مدارسنا أو مراكزنا أو جامعاتنا؟ لا يوجد، وإذا ما وجد كان شيئا بسيطا، وإذا ما جاء حديث عن الإمام علي فكبر نوعا ما، يمسخ ذلك التكبير بأن يقال هو على الرغم مما هو عليه هاهو يبايع أبا بكر، وهو إنما كان جنديا من جنود أبي بكر، يكبرونه قليلا ثم يجعلونه بكله وسيلة من وسائل تكبير أبي بكر، فيشدونك أكثر إلى أبي بكر، فيما إذا تحدثوا قليلا عن علي فهو وسيلة لشدك أكثر إلى أبي بكر، أما أن يقدموا علياً علماً لوحده بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فهذا ما لا يمكن، يشكل خطورة بالغة.

متى رأينا في وسائل إعلامنا حديثا عن الإمام الهادي وعن أثره في اليمن؟ متى سمعنا برامجاً تتحدث عن أخباره وسيرته الحميدة وما عمله من أعمال عظيمة في اليمن وفي أوساط اليمنيين وفي هدايتهم؟ وهم من كان القرامطة قد عبثوا بأفكارهم، والباطنية، وبقايا كثيرة من اليهود كانت ما تزال في مختلف مناطق اليمن؟ لا حديث عنه إلا بما يسيء، لا حديث عنه إلا بتعسف بما يقدمه ناقصاً.

هكذا يفكر أولئك الناس، وهم ينظرون إلى القرآن، أو ينظرون إلى أعلام الإسلام أنه قد يكون هذا الاسم، وقد يكون هذا الكتاب وإن لم يكن له أثر الآن، وإن كنا نرى هذه الأمة قد ضربناها ضربة قاضية، لكن ما يزال هذا يشكل خطورة ولو بعد حين، فيجب أن نعمل على إقصائه بأي وسيلة. وهذا هو ما يوجب علينا أن يكون لنا موقف وأقل موقف هو: أن نصرخ بهذا الشعار:

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

ذلك لأنه لو سكتنا هل سيسكتون أولئك؟ لن يسكتوا.. إذا ما سكتنا سيقولون أيضاً: هذه المدرسة أيضا إرهابية، هذا الكتاب إرهابي، وفعلاً نشرت بعض الصحف بأن الوفد الأمريكي ظل يستفسر عن مدارس تحفيظ القرآن وأغلقت بعض المدارس!!.استفسر عن [مركز بدر]، مدرسة زيدية في صنعاء.

قد نتوقع ببساطة تفكيرنا أنه إذا سكتنا ـ أفضل نسكت ـ قد نتوقع أنهم سيسكتون؟.. لا. السكوت سيدفعهم إلى أن يعملوا للحصول على تنازلات كثيرة أخرى، ويعملوا ليصلوا إلى ضرب أشياء أخرى، لن يسكتوا، يجب أن نفهم هذا: لن يسكتوا ولن يتوقفوا إلا متى ما تحركنا نحن وصرخنا في وجوههم، سيسكتون وسيتوقفون، أما إذا سكتنا فالخطورة هنا، الخطورة البالغة هنا.

بعض الناس قد يقول: نسكت [لا نكلف على أنفسنا] إن السكوت هو الخطورة، لو كان السكوت هو من ذهب ـ كما يقولون ـ لما تحدث القرآن الكريم عن الجهاد، عن التضحية، عن الاستبسال، عن إنفاق الأموال، عن التواصي بالحق. أليس القرآن كله حركة وكلام؟ أم أنه صمت وجمود؟ كله حركة.. كله كلام.

فعلا قد يكون السكوت من ذهب ليذهب كل شيء، إذا ما سكتنا سيذهب ديننا وستذهب كرامتنا ونذهب ـ ونعوذ بالله ـ إلى الجحيم في الأخير، يذهب الناس إلى الجحيم.

عندما بدأوا يتحدثون عن مركز بدر، عن مدارس تحفيظ القرآن، أحياناً قد يثيرون عبارات، قد يثيرون عبارات.. هكذا؛ لينظروا ردة الفعل، ألم نتحدث أكثر من مرة عن هذا الأسلوب: لينظروا ردة الفعل؟.. سكتنا فهموا بأن السكوت أصبح لدينا [استراتيجية ثابتة]، وأننا أصبحنا بقراً، نفهم: أن السكوت هو الوسيلة الصحيحة لماذا؟ لكف شر الأعداء.. لنسلم شرهم.

بعد حين سينطلقون فعلاً ليتخذوا القرار الملزم بإيقاف هذا الصوت، بإغلاق هذه المدرسة، بسحب هذا الكتاب من الأسواق، بإغلاق هذا المسجد، بنفي هذا الشخص، وهكذا.. ثم لن يتوقفوا أيضاً حتى يكون في الأخير من يؤمن بالفكرة هو إرهابي؛ لأنه احتمال وأنت تؤمن بالفكرة وإن كنت في حالة استضعاف، وأنت ساكت ربما تتكلم مع أحد من الناس فتؤثر عليه، وربما هذا الشخص الذي تؤثر عليه قد يصادف زمناً يكون هناك قابلية لكلامه أن يؤثر في الآخرين.

هذا الهاجس لديهم: مواجهة كل خطر محتمل ولو بعد حين، وإن كانت نسبة خطورته عليهم بأقل من ١٪.

لاحظوا.. هناك أمثلة تشهد على من كان ينظر هذه النظرة أنه سيظل يعمل هذا العمل باستمرار وسنرى من أبناء وطننا من مسلمين منا له موقف من عقيدتك الفلانية، يظل مبايناً لك، يظل يظلمك، لا يعمل على توفير أي شيء لك.

كما نحن بالنسبة للإمامة؛ لأنهم يعرفون أن الإمامة كعقيدة ما تزال في بطون كتبنا ما تزال قضية نؤمن بها وندين الله بها، باعتبارها عقيدة دينية لدينا، على الرغم من أنهم قد نصوا في الدستور: بأن الدستور يسمح بحرية الاعتقاد. وهم يعلمون أنه لا وجود للإمامة، ليس هناك إمام، ليس هناك حتى إمكانيات عند هؤلاء الناس الذين ما يزالون يعتقدون هذه العقيدة.. لكن أليسوا هم من ينظرون إلينا نظرة خاصة، لا يهتمون بنا في مجال الخدمات: مشاريع ونحوها؟!!.

إذا ما ظلمت أنت من قبل طرف آخر لا يتفاعل معك لا محافظ، ولا حاكم، ولا قائد، ولا مدير أمن، ولا رئيس، ولا وزير ولا أحد.. لماذا؟. لأنه ما زال يرى أنك ما زلت تحمل عقيدة معينة هي كذا، هو يراها عقيدة غير مرغوب فيها، له موقف منها.. هكذا سيعمل اليهود أمام كل عقيدة إسلامية ما يزال لها بذرة في نفوسنا.

لا يتصور أحد بأنه يمكن أن تتوقف الأعمال عند فئة معينة من العلماء، ستشمل العلماء كلهم، وأضعفهم من سينفى، أضعفهم من تفرض عليه إقامة جبرية فيكون ميتا وهو ما يزال حياً، ميت الأحياء. ثم ستصل إلى فئات الناس؛ لأنهم ما زالوا يحملون هذه العقيدة، إما أن يقبلوا أن يدينوا بأشياء ويتربوا على أشياء هي من النوع الذي لا يشكل خطورة.. لا بأس، وهذه هي ليست أكثر من مرحلة، أو أن يظل هذا الموقف وهذا اللقب كلمة: [إرهاب] ونحوها تتابع كل شخص، كل شخص.. خاصة نحن الزيدية، كل شخص منا سيسمى في الأخير بأنه إرهابي.

افترض قضوا على العلماء، وقضوا على القرآن سيقال هذا الشخص ما يزال زيدياً ما يزال إذاً إرهابياً وهكذا، لماذا؟. لأنهم من هذا النوع يفكرون بضرورة العمل ضد أي خطر محتمل مهما كان بسيطاً في نظرنا نحن، مهما كان بعيد الوقوع من وجهة نظرنا نحن.

فإذا كانت هذه هي روحية الأعداء، هي نظرة الأعداء أمامنا، ونحن نظرتنا هي نظرة أسلافنا أولئك الذين سيقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} (السجدة: من الآية١٢) وهي حالة نحن نشاهدها ماثلة فينا، متجسدة في كل مواقفنا، فإن هذا يعني بالتأكيد: أن هذه الأمة ستتلاشى، ستنتهي، سيدهمها الخطر في حينه فلا تستطيع أن تحرك ساكناً.

أليس ياسر عرفات يسجن في بيته؟. هل هناك أحد من العرب يتعاطف معه من الزعماء أنفسهم ـ لأنهم عادة يتعاطفون مع بعضهم بعض ـ لا أحد يتعاطف معه، هو من داخل غرفته يحاول أن يتصل بالأمريكيين أو بواسطة أشخاص من وزراء حكومته يتصل بالأمريكيين بحثاً عن السلام، لا يبحث عن السلام من قبل زملائه العرب؛ لأنه يعرف أنهم من هذه النوعية، لا يهتمون بشيء! وأن الموقف في الأخير لمن سكت في الماضي حتى داهمه الخطر، ماذا سيكون موقفه؟ هو أن يسكت أثناء مواجهة الخطر، بل سيكون أكثر التزاما بالصمت.

ولا ننسى أيضاً أننا كمسلمين إذا ما فرطنا فإننا سنضرب من جهتين مع بعض: نضرب من جهة أعدائنا، ونضرب من جهة ربنا أيضاً، والخطورة البالغة هنا، يضرب الناس بخزي، وذلة، وشتات، وتباين للنفوس، ويضرب على قلوبهم، يضرب الله قلوب بعضهم ببعض، والأعداء من هناك يشتغلون في أوساطهم يضربونهم، هنا من جانب الله كعقوبة، ومن جانب أولئك لأغراض أخرى، من منطلق العداوة.

والله عندما يضرب الناس هو حذرهم في كتابه، وهو ما كان حديثنا قبل أمس حوله، الوعيد في الدنيا، يجب أن نفهم هذه: أن الخطورة البالغة على كل تقصير يحصل من جانبنا في الدنيا هنا.

إذاً فيجب أن نكون ممن قال الله عنهم: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} (السجدة: من الآية١٥) **مطلوب هنا أن يؤمن الناس بآيات الله، إنها حقائق ثابتة في كل ما تناولته، في كل ما تحدثت عنه، لكن نوعية من الناس هم وحدهم من يؤمنون بها هم أولئك {الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}** (السجدة: من الآية١٥) **الإنسان المؤمن قد يعتريه ـ أحياناً ـ ذهول عن أهمية بعض الأشياء، قد يكون غير مستشعر: أن هناك واجباً يجب أن يؤديه، أن هناك عملاً يجب أن يشترك فيه، أن هناك موقفاً يجب أن يتبناه ويشترك مع الآخرين فيه، هو مؤمن من هذه النوعية، موطن نفسه على أن يعمل وينطلق في كل عمل فيه لله رضى؛ لأنه ساجد لله، خاضع لله، وخاشع لله فمتى ما ذكرته بآية من آيات الله تقبلها تفاعل معها استجاب لها؛ لأنه خاشع لله خاضع لله.**

وهو أيضا يرى كل شيء من جانب الله ـ بما فيها آياته ـ يراها كلها نعمة عليه فهو يسبح الله، ينزهه، ويقدسه، ويثني عليه {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} ليسوا من أولئك ـ وهم الكثير فينا ـ الذي يرى نفسه أنه قد تورط وهو في عمل صالح، لكن هذا العمل هو من النوع الشاق الشائك، الخطير نوعا ما، فيرى نفسه أنه في مشكلة.

بل البعض قد يرى ذلك الشخص الذي يتحدث مع الناس من هذا القبيل أيضاً أنه أصبح مشكلة وأصبح حملاً، وهذه ـ أيضاً ـ روحية كانت موجودة عند العرب الأوائل، وما زالت هذه الروحية قائمة؛ ولهذا كان يأتي الله سبحانه وتعالى وسط آيات الجهاد والابتلاء والمصائب والمشاق التي تأتي أثناء الصراع. يقول لهم ليمسح ذلك التفكير الخاطئ، ذلك الشعور السيئ بأن: [هذا الشخص هو من يوم من جاء مشاكل]، قال: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (آل عمران:١٦٤).

تجدونها في [سورة آل عمران] متوسطة للحديث عن المشاكل، وعن الصراع والمصائب، بعدما تحدث عن قضية [أحد] وما حصل في أحد؛ لأن هناك كثير من الناس ضعاف الإيمان، من ينظر إلى الشخص الذي يدفعه إلى الموقف الصحيح الذي فيه نجاته في الدنيا والآخرة، يرى أنه بلوى.. مصيبة.. {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} (يس: من الآية١٨) **كما كان يقول أولئك: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} تشاءمنا [مشاكل.. نحن لا نريد مشاكل.. ولا نريد مصائب.. ولا نريد ندخل في شيء.. وكل واحد يريد أن يذهب إلى شغله وعمله!!]..**

لو كانت القضية ممكنة فإن الله أرحم الراحمين هو من كان يمكن أن يوجهنا إلى هذا الشيء الذي نردده على أنفسنا: [لستم بحاجة إلى هذا الشيء.. ويمكن أن تجلسوا ولا تتعرضوا لشيء.. واسكتوا، ومن بيتك إلى مسجدك، صدق الله العظيم!!].

أما كان بالإمكان أن يكون هكذا؟. لا. {انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (التوبة: من الآية٤١) **{انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}. ألم يقل هكذا؟.. تحركوا؛ ليمسح أي نظرة من هذا الشعور الخاطئ الذي يأتي عند ضعاف الإيمان، متى ما حصل شيء فيه مشاق، حتى وإن كان ذلك**

الشخص الذي يقوده هو رسول الله، يعتبرونه مشكلة {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ}(آل عمران: من الآية١٦٤) **يجب أن تعتبروه نعمة، إن هذه المواقف نعمة، وهذا الرجل نعمة عليكم، إنه منّة من الله عليكم {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}**(آل عمران: من الآية١٦٤).

ولأنها هي النقطة الخطيرة جداً التي يتجه الأعداء إليها، كانت إذاعات متعددة ـ كما يقال ـ أكثر من أربعة عشر إذاعة، ومحطات تلفزيونية كثيرة تتجه إلى داخل إيران أيام الإمام الخميني تحاول: توحي للناس بما يبعدهم عن ذلك القائد العظيم [مشاكل.. وإيران بدأت تدخل في أزمات اقتصادية بسبب هذا الشخص، والدماء الكثيرة سفكت من أبناء هذا الشعب؛ لأنهم انطلقوا وراء ذلك الشخص، هو شر، هو مشاكل، مصائب، بلاوي أحداث..] إلى آخره.

لكنه هو من كان قد سبق إلى توعيتهم توعية من نوعية مهمة، الإمام الخميني، من أين جاء له ذلك؟. من القرآن الكريم، أي توعية للأمة من غير القرآن الكريم ستكون فاشلة. فكانت تلك الإذاعات تهذي دائما ولا يظهر لها أي أثر، كان يقول لهم: أولئك الذين يتحدثون معكم أليسوا أعداءكم؟ قالوا: نعم، قال: إذاً لا تصدقوهم، هل يمكن لعدوك أن ينصحك، كل كلامه هو من أجل أن يثبطك؛ لأنه يخافك، إذاً لا تصدقه.

قطع المجال، وسد الأبواب في وجوه أي تأثير لإعلام الآخرين من الذين وقفوا ضد الثورة الإسلامية. المؤمن نفسه إذا ما ذكر بآيات الله، سواء تذكره موقفاً هو لديه معرفة نوعاً ما عنه، لكن آيات الله من خلال تذكيره بها سيظهر له أكثر وأكثر أهمية أن يكون له عمل، أن يكون له موقف أن ينطلق بجدية.

وعندما يقول: {خَرُّوا سُجَّداً}(السجدة: من الآية١٥) **أولئك الذين يخرون لله سجداً هم من يرفعون رأس الأمة. ليس معنى أن آيات الله هي تنكس الناس، وأن آيات الله هي التي تضع الناس فيخرون إلى الأرض. الناس الذين يخرون إلى الأرض سجداً لله خشوعاً لله وخضوعاً لله لا يستكبرون أبداً.. هم أولئك الذين يعلون كلمة الله، هم أولئك الذين يعلون رأس الأمة، هم الذين يعلون الدين ويظهرونه فوق الأديان كلها، هم هؤلاء {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}**(السجدة:١٥) **هم من سينطلقون انطلاقة فاعلة.**

لأنه ما هو الذي ينقصنا نحن ونحن نجمد، ونحن لا نتكلم سواء من كان منا باسم عالم، أو متعلم، أو عابد، أو أي لقب يحمله: أستاذ، أو نحوه، فلأنا لم نصل إلى هذه الدرجة بعد: الخشوع الكامل لله الذي لا يحصل إلا من خلال معرفته بشكل جيد، التسبيح لله بألسنتنا وقلوبنا، الثناء على الله هذا هو ما ينقصنا، أن هذه ليست حالة مترسخة في أعماق أنفسنا. فإذا ما ترسخت في نفوس الناس تراهم أمة قابلة للنهوض، تجتمع كلمتهم بسهولة، يتحركون بمسارعة.

ألم نتحدث سابقا عن بعض آيات حول صفات المتقين أنهم يسارعون {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}(البقرة: من الآية١٤٨) **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}** (آل عمران: من الآية١٣٣) **قلنا في ذلك الدرس: أن هذه الآيات في [سورة آل عمران] من عند قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} إلى آخر الصفحة فيها من الحديث عن المتقين مطبوعة كلها بطابع المسارعة حتى في صيغها.. نحن نرى أنفسنا نتثاقل الآن.. أليس كذلك؟.**

نتحدث جميعا عندما نجلس هنا، أو نجلس في المدرسة، وقد يقول البعض: أنه يود أن يكون هناك من يسمع هذا الحديث، لكن هل انطلقنا بجدية ومسارعة إلى أن نعمل العمل الكثير الذي يجعل الآخرين يسمعون هذا الحديث الذي قد تراه حديثا مناسبا أن يسمعه الآخرون.. حالة التثاقل، التباطؤ، وهي حالة سيئة عواقبها سيئة، ما تزال ماثلة.. لماذا؟ لسنا بعد ممن وصل إلى هذه الدرجة: {إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً} لعظم تأثيرها في نفوسهم {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} لا يستنكفون أمام أي شيء من آيات الله يسمعونه.

وأحيانا قد يكون موقف الإنسان موقف المستكبر، لكنه يبحث عن أي تبرير لموقفه، وهو يقعد أو وهو يعارض عملا مثل هذا يراه الآخرون أنه عمل فيه إرضاء لله، وفيه نصر لدينه، أو يعبر عن موقف ما في مواجهة أعدائه

ينطلق للتبريرات يعملها؛ لأنه في واقعه مستكبر، كلام سمعه من صغير وهو يحمل لقبا أكبر من لقب هذا، علامة مثلا، أو شيخ، أو فلان. فهو إذا ما قبل؛ لأن معنى {ذُكِّرُوا} من طرف آخر.. أليس كذلك؟.
{وَالَّذِيْنَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً} ذكروا من طرف آخر ذكرهم بها، والله سبحانه وتعالى يعتبر للتذكير أهميته من أي طرف كان ولو من صغير {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا} (المائدة: من الآية٢٣) ألم يقل هكذا في القرآن؟ {رَجُلانِ}، مؤمن آل فرعون، ذلك الرجل العظيم يصدر كلامه وكلام أولئك الرجال كما يصدر كلام الأنبياء في صفحات القرآن الكريم {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} (غافر: من الآية٢٨) وهكذا يتحدث كلام طويل في [سورة غافر] قريباً من صفحة أو أكثر.
المؤمن لا يستكبر إذا ما ذكّر من صغير أو ذكر من طرف آخر يراه وضيعا، يراه دونه في المراتب الاجتماعية، يراه دونه فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، أنا تاجر وهذا فقير، أنا من أعيان القبيلة وهذا مواطن عادي، أنا علاّمة وهذا ما يزال طالب علم، وهكذا كلمة: رجلان {قَالَ رَجُلانِ} تجعل للتذكير قيمته من رجل يحمل اسم رجل أقل شيء فيه، لم يقل قال عالمان، قال أستاذان، قال شيخان، قال الملأ من أصحاب موسى، أو بعبارة من هذه.. ألم يقل القرآن رجلان؟ يعتد بكلام الرجل مهما كان، يعتد بتذكير الرجلين مهما كان مقامهما.
ولأنه عادة يأتي التذكير بآيات الله في مقامات عملية، والأعمال ـ عادة ـ تكون شاقة على كثير من الكبار من الوجهاء وأصحاب المكانة الاجتماعية؛ لأنه ينظر إلى وضعيته وضعية محترمة لا يريد أن يخرج منها؛ ولهذا تجد في القرآن الكريم الكثير من أخبار من كانوا يعارضون الأنبياء معارضة شديدة هم الملأ الذين استكبروا من قومه، {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} (الأعراف: من الآية٦٦) {قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} (الأعراف: من الآية١٠٩) {قَالَ الْمَلأُ} يرد كثيراً في [سورة الأنبياء] وغيرها. ومن كانوا ينطلقون أنصارا لدين الله وفي أول المستجيبين لدعوة الرسل والمجاهدين بين أيدي الرسل من هم؟ كانوا هم المستضعفين، المواطنين العاديين، الناس العاديين، هم من كانوا ينطلقون ويستجيبون.
المؤمن إذا ذكر بآيات الله من أي طرف كان يتقبل، ويكون للتذكير قيمته، ويشكر من ذكره، ويعتبر أنه أسدى إليه جميلا، نصحه، وصّاه، ذكّره، عمل على إنقاذه، يعني: أنه عمل على إنقاذه، لكن لا يكون للتذكير قيمته عند كثير ممن يواجهون تذكيرك من الوجهاءإذا كان لديهم استكبار في أنفسهم، ألسنا نرى أننا بحاجة إلى أن نقول لأولئك الكبار؟ ونرى بأننا لو قلنا لهم: لو انطلق علماء، وانطلق مشايخ، وانطلق وجهاء ووقفوا هذا الموقف، أو قالوا هذا [الشعار]، أو عمموا هذا [الشعار]، لرأينا أنه سيكون أكثر فاعلية وأكثر تأثيراً.
لكن أولئك الذين تعتقد أنهم أكثر تأثيراً هم من في أوساطهم عراقيل تمنعهم عن أن يستجيبوا لك، فانطلق انطلاقة الأنبياء تحدث مع الناس جميعاً وعلى صعيد واحد ولا تحتقر أحداً، تحدث حتى مع ذلك الشخص الذي ترى بأنه فيما لو قبل مني هذا الكلام ماذا يمكن أن يعمل، الذين يعملون الأعمال الكبيرة هم صغار الناس، هم المستضعفون، الموعودون بالنصر الإلهي هم من؟ المستضعفون، الذين تتحرك رسالات الله لإنقاذهم من هم؟ المستضعفون، {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (القصص٥ـ٦).
أنت لا تجلس دائما ترى نفسك صغيراً، أو ترى الآخرين صغاراً، أو ترى تجمعاتهم تستقلها تحتقرها؛ لأنه ليس فيها شخصيات فلان وفلان وفلان. أولئك هم من لا يتحرك لك الواحد منهم إلا في الوقت الذي قد يمكنك أن تحرك مئة شخص من الآخرين. وهو إذا ما تحرك قد لا يكون له تأثير كتأثير الأشخاص الصغار، الذين آمنوا وانطلقوا بفاعلية، أولئك الكبار هم من لديهم اعتبارات معينة يحافظون عليها، ممن ينظر إليك وأنت تذكره أنك تحت، أنك دونه فلا يكاد يسمع منك، ولا يكاد يستفيد منك، حتى ولو دخل كلامك إلى أعماق نفسه سيتجاهلك، يتجاهلك، هو لا يريد أن يحسسك بأنه تأثر من قبلك، ممكن يتأثر بطرف آخر، يريد يرى واحد أكبر منك يتأثر به! نوعية متعبة.
ولهذا تجد كيف أن القرآن الكريم يحكي لنا أنه كان يعرض على عدد من الأنبياء من قبل الكبار [الملأ] أن

اطرد أولئك الناس من مجلسك، الضعاف هؤلاء الضعاف المساكين اطردهم من مجلسك ونحن سنؤمن، قالوا لنوح وقالوا لغيره من الأنبياء، وقالوا لمحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الله وقف مع أولئك، لا يمكن إطلاقا أن تطرد ولا شخصا واحدا من ضعاف الناس وإن كان مقابل أن يؤمن مائة شخص من هؤلاء الكبار، و[سورة عبس] تحكي لنا السخرية من أولئك: لا تهتم بهم، التفت إلى هذا المسكين الأعمى هو يريد أن يستفيد منك {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} (عبس٥ـ٧) اترك أبوه. إن أحب أن يؤمن كما يؤمن الناس.. فهذا دين الله للناس وليس للملأ الذين استكبروا، هذا دين للناس جميعا، ومن انطلق فيه وتحرك فيه فهو كبير، هو كبير عند الله سبحانه وتعالى.

الله لا ينظر إلى رأس ماله، ولا ينظر إلى مكانته الاجتماعية، ولا ينظر إلى الطبقة أو الفئة التي هو منها، استجاب هو كبير عند الله مكرم عند الله، في مصاف أوليائه.. لم يسمح الله أبدا لأنبيائه أن يطردوا أحدا.

وأنت تتحرك في هذا الميدان كما يتحرك الآخرون في الميدان الثقافي. لا تربط مشاعرك أبدا بالكبار، لا يكن همك أن يدخل هؤلاء الكبار، ولو بواسطة أن نقدم تنازلات لهم، أن نسلمهم زمام أمورنا، أن نمجدهم، أن نشجعهم، أن نُنَخِطَهُمْ بعباراتنا، نفرح ـ في هذا الوقت ـ ونفرح، ونفرح، هذا هو الخلل الكبير؛ لأن من دخل بإملاءات وشروط هو ذلك الذي يريد أن تكون حركة الناس على وفق ما يريد وبالشكل الذي يراعي مشاعره ومصالحه.

أما أولئك الصغار من الناس الذين هم صغار في نظر الآخرين، هم من ينطلقون وليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، يريدون أن يسخروا هذا العمل الثقافي، أو الاجتماعي، أو الجهادي، لمصالحهم.

الصغار تكون عادة نفوسهم طاهرة أكثر من الكبار، صغار الناس ـ إن صح التعبير ـ أي الناس العاديون عوام الناس، وهذه هي كانت نظرة الإمام علي (عليه السلام) كان يقول: ((وإنما قوام الدين العامة من الناس)) كان يقول لـ[مالك الأشتر] ـ وانظروها في عهد الإمام علي لمالك الأشتر في [نهج البلاغة] ـ : ((فليكن صغوك إليهم.. وليكن.. كذا)) يوجهه لأن يهتم بالعامة من الناس، لا تشغل نفسك بأولئك الكبار.

لاحظنا أخطاء حصلت في الماضي في عملنا الثقافي، وكم سمعنا من زملائنا من محاولات ـ بحسن نية ـ قد توقعنا في أخطاء أيضا، ورأينا الآخرين هم يتحركون باسم الدين يغلطون أيضا وهم يحاولون أن يسكتوا عن هذه من أجل أن نكسب فلاناً، وتتمشى مع هذا من أجل أن نكسبه، ومن أجل نكسب هذا الحزب، ونكسب هذا الشيخ، ونكسب هذا الشخص، هم ما عرفوا أنهم في الأخير إنما سخروا هذا الدين الذي يتحركون باسمه لأولئك الكبار.

تحرك في أوساط الناس الذين لا يريدون منك أن تسخر دينك لهم، ليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، لا يستجيبون إلا بقدر ما يكون عملك ـ كيفما كان ـ في مصالحهم، هؤلاء هم الذين سينصرون الإسلام.

الإسلام يريد نوعية من هذه، هؤلاء من سيستجيبون لله استجابة كاملة؛ لأنهم ليس لديهم المشاعر التي يمكن أن تجعلهم مستكبرين.

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} (السجدة: من الآية١٥). ليس لديهم ما يحملهم على الاستكبار، هؤلاء هم القريبون جدا، هؤلاء هم من كانوا أنصار الأنبياء والأئمة، وكل أولياء الله في كل زمان، وراجعوا القرآن الكريم {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} (الأعراف: من الآية٧٥).

تجد أن نوحا في الأخير الذي لبث في قومه تسعمائة وخمسين عاما شكا من أولئك الكبار {وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً} (نوح: من الآية٢١) كان أولئك الناس مرتبطين بكبارهم، والكبار عادة تكون لديهم قائمة طويلة عريضة من الأشياء في نفوسهم، لا يريدون أن يستجيبوا، وإن عرفوا الحق ولا يدعون الآخرين من أتباعهم أن ينطلقوا في الاستجابة للحق؛ لأنهم كما يقال في زماننا هذا: [سيأخذون أصحابك]، يتواصلون فيما بينهم الملأ هنا والملأ هناك: [انتبه اشتد في مواجهة هذا وإلا سيأخذ عليك أصحابك]. هي من ذلك اليوم قديمة هذه قديمة من ذلك الزمان.

عندما ربط الصغار أنفسهم بالكبار ألم يضلوا؟ وتسعمائة وخمسين سنة لم يهتد فيها إلا القليل القليل {وَمَا آمَنَ

مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (هود: من الآيـة:٤٠)، **وسعتهم [سفينة] ووسعت أيضا حيوانات أخرى من كل جنس، بعد تسعمائة وخمسين سنة، إن تلك الآيات تقول لنا: لا تربطوا أنفسكم أبداً بالمستكبرين، أو بمن يتوقع أن يكون لديهم قائمة في نفوسهم طويلة عريضة، وسيستكبرون إذا ما وجدوا أن الاستجابة ستؤثر على مضمون تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم من المصالح المادية والمعنوية.**

ضلت أمة لأنها ارتبطت بكبار من هذا النوع، لكن كبيراً ينزل معي، وندخل سويا في هذا الدين الذي هو دين للكبير والصغير، والواجب فيه على الكبير والصغير، لنكن فيه كبارا أمام الله جميعا عندما نكون من أوليائه يكرمنا، بل نرى أنفسنا صغارا أمام عظمة الله جميعا. ونرى داخل هذا الدين أيضا عزتنا والحفاظ على كرامة بعضنا بعض، والحفاظ أيضا على المقامات حتى المقامات المعنوية والاجتماعية للبعض الآخر.

متى ما دخلت معنا هنا بدون إملاءات، وسلمت نفسك لله، وانطلقت كانطلاقتنا حينئذ ستحظى باحترام كبير من جانبنا، لكن أما أن يكون كبرك هو الذي يدفعك إلى أن تحول بيننا وبين الاهتداء كما حال أولئك الملأ بين قوم نوح وبين الاهتداء على مدى تسعمائة وخمسين سنة، حتى قيل إنه كان يوصي الرجل منهم أولاده بعد عمر طويل مائتين سنة، أو أربعمائة سنة، يوصي أولاده أن لا يستجيبوا لنوح، يكبر أولاده فيوصوا أولادهم قبيل الموت أن لا يستمعوا لنوح؛ لأنه بقي زمانا طويلا معهم.

لا تربط نفسك بكبار من هؤلاء ولا تربط عملك الثقافي بكبار من هؤلاء، ولا تربط عملك الجهادي بكبار من هذا النوع، ليشترك الكبار والصغار ويدخلوا سويا من هذا الباب، ومتى ما دخلنا سويا من هذا الباب فنحن من سيقدر بعضنا بعضا أكثر تقديراً مما يتطلبه أولئك الكبار منا، وهو التقدير الذي يريدون أن نضحي بديننا في مقابله، نقول ستحظون بتقديرنا وسنحظى جميعا بتقدير بعضنا بعض وإجلال بعضنا بعض إلى درجة الأخوة الإيمانية هل هناك أرقى منها؟.

الأخوة الإيمانية هي أرقى درجات الولاء، احترام متبادل، تقدير متبادل، بذل للمعروف متبادل، نصيحة، تواصي، أخوة تصافي، تآلف للقلوب.

خطير جداً أن يعشش في ذهنك وأنت تطمع في هذا العمل أن يكبر، أو في ذلك العمل الثقافي أن يكبر، فتحرص على أن يدخل هذا الكبير، وهذا الكبير، وتدخل هذا الحزب وتظم هذا الحزب إليك، أو تنظم إلى هذا الحزب من أجل أن توسع هذا العمل.. خطير جداً.

[سورة عبس] من تأملها سيدرك الخطورة البالغة، ألم تأت آيات عتاباً للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)**؛ لأنه بحرصه على الهداية وبحرصه على أن يسلم أكبر عدد ممكن من الناس ليهتدوا ليس ليضمهم إلى مقامه أنه يريد أن يتزعم أو أن هذا هو همه، إنما لينجوا من عذاب الله، ليهتدوا بهذا الدين العظيم فيسعدون في الدنيا والآخرة، حريص على الأمة.**

عندما اجتمع مع ملأ من أولئك وتوجه إليهم بكل مشاعره حريص على أن يسلموا، جاء ذلك الأعمى، فكأنه رأى أنه جاء في غير الوقت المناسب، قطع الموضوع، فكأنه حصل لديه نوع ما من التقزز والاستياء أنه جاء في غير الوقت المناسب قطع عليه حديثه، وجعل أولئك يأنفون من مجيئه، وينفرون من أن يروا هذا الأعمى عنده، تأتي هذه الآيات: {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى} (عبس١ـ٥).

لأن المهم هو: أن تجد الرجل الذي تنفعه الذكرى، هذا هو المهم. هنا: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}.

فليكن عملك في هذا الوسط مع هذه النوعية، ولو شخصا واحدا، سيكون مكسبا كبيراً من هذه النوعية. {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا} (عبس:٥ـ١١) **كلا: إنزجر عن هذا الأسلوب، وهو من قال الله له: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** (القلم:٤) **وهو من انطلق بحرصه الشديد على هداية الناس؛ لأن الخطورة بالغة.**

هؤلاء الذين يرون أنفسهم إذا ما دخلوا دخلوا من فوق، وبشروط وإملاءات، هم من سيكونون عقبة دائمة في ميدان العمل، هم من سيجعلونك تصنف كلامك مع الناس، كما نجده لدى الكثير، فخطاب مع الكبار يقدم نسبة من الدين فقط إليهم التي لا تثير مشاعرهم، ويتخاطب مع عامة الناس خطابا شديداً ولهجة قاسية، فينطلق على المنبر يخاطب أولئك المساكين بلهجة قاسية فيحذرهم من جهنم وكلام من هذا، ويخاطب أولئك الكبار الذين قد حرص على أن يضمهم إلى جانبه ـ كما يتصور ـ خطاباً لطيفا رقيقا لا يثير مشاعرهم، فسيكون خطابك للناس منوعا ومشكلا، والدين هو واحد، وليكن منطقه واحدا أمام الناس جميعا.

وهكذا كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ينطلق في مسجده ويتحدث مع الناس سويا بعبارات واحدة وكلاما واحدا يوجه للجميع، لكن انظر إلى علماء آخرين ممن يؤمنون بشرعية هذا، حكم هذا ممن يؤمنون بضرورة أن يتمشى مع هذا، كيف تجد خطابه هنا يختلف عن خطابه مع الآخرين، كيف يقدم الدين مشكل ومنوع على حسب أمزجة هؤلاء الكبار، وعندما نسمع في هذه الآية: {وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} كأنها تقول لنا: ليكن اتجاهكم إلى أولئك الناس الذين أنتم لا تتوقعون أن في أنفسهم ما يدفعهم إلى الاستكبار، فهم من سيبنون صرح الأمة لبنات، كل شخص منهم قابل أن يكون لبنة في هذا الصرح.

لكن ذلك هو لا يقبل إلا أن يكون اللبنة العليا، قبل أن يكون هناك لبنات تريد أن تضعه لا يرضى، لا يقبل، لا يقبل، لا يقبل أن يكون ضمن اللبنات الأولى، دعه هناك لبنة بمفرده، ليبتني صرح الأمة من اللبنات التي تقبل.

والله تحدث في القرآن الكريم عن البنيان: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (الصف:٤) من أين تتجمع هذه اللبنات في البنيان المرصوص إلا من أولئك الذين لا يستكبرون. أما اللبنة التي تستكبر فهي لا تقبل، لا تقبل أبدا أن تكون هنا، بل قد لا تقبل أن تكون لبنة عند لبنة أخرى، يريد أن يكون لبنة لوحده فوق [القِرَّة] وستراه لبنة لحالها فوق [القِرَّة] هل لها أثر؟ ليس لها أثر، ليست أكثر من إضافة ثقل على بقية اللبنات الأخرى، بعض الناس لا يقبل أن يكون لبنة مع هذا ومع هذا في مَصف واحد.

يريد أن يكون لبنة هناك، فأنت تراه يريد أن يكون لبنة لحاله، يريد أن يتربع فوق ذلك البنيان أو في ذلك الموضع الذي لا يفيد ذلك البنيان، متى ما أكمل الناس بناء طابق وبقيت حجر ووضعت هناك فوق [القِرَّة] كل الناس يرون بأنها لا تأثير لها.. أليس كذلك؟ لكن الحجر التي تحتها ضمن أحجار أخرى في الصفة من الأحجار هي حجر لها قيمتها.. أليس كذلك؟.

هؤلاء يريدون أن يكونوا لبنات لحالها، فليكونوا لبنات هناك، وليبنى الصرح من أولئك الذين يقبلون، ليروا أنفسهم ـ هم في الأخير ـ لبنات لحالها بعيدة لا وزن لها، ولا قيمة لها، أليس هذا ما حصل؟ أولئك المستكبرون الذين كانوا يقولون لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله): اطرد أولئك الضعاف، تغيرت الأوضاع وإذا بهم يرون الضعاف يجثمون على صدورهم في بدر ويحتزون رؤوسهم.

هكذا الأحداث كلها تنبئنا، وآيات القرآن أيضا تنبئنا بأنه لا تطمع في الكبار بالشكل الذي تضحي بعملك من أجل أن ينضموا إلى صفك، أو يقبلوا أن يكونوا من يتحركون ضمن هذا العمل. رأينا آخرين ممن يعملون مع [مشائخ]، تجد ذلك الشيخ في واقعه لم يتغير ولم يتبدل إلى الأفضل هو هو، ولديه مركز في بيته مركز أو قريبا منه مركز يدعمه من المراكز الأخرى، أو لديه داعية من أولئك الدعاة، ما يزال هو هو الأول، لم يتغير فيه شيء، أولئك يفرحون بأنهم كسبوه وهو يرى نفسه أنه كسبهم هو، وأنه يريد من خلالهم أن يلمع وجهه أمام الآخرين، ليقولوا أصبح من أولياء الله.

تراه هو ما يزال في مكره وخداعه، وإثارة المشاكل بين الناس، وظلم هذا وظلم هذا، تراه لا يصبغ نفسه بصبغة المتقين ولا يتأثر حتى بأولئك الذين يفتح لهم مجلساً في بيته لا يتأثر بهم، لكن عندما تقول لهم: ما بالكم؟ يقولون: نريد أن نكسب هذا، ونكسب هؤلاء.

ويرون أنفسهم في الأخير أنهم أصبحوا أصحاب عمل مهم؛ لأنهم كسبوا هذا وهذا وهذا، وهم لا يدرون أنهم في الواقع إنما كسبهم أولئك الأشرار، هم الذين كسبوهم، وأن هؤلاء المساكين الذين ينطلقون ـ وقد يكون بحسن

نية - هم من ضحوا بالدين وقدموه بالشكل الذي يخدم أولئك الأشرار، يلمعون أنفسهم أمام الآخرين فيحصلون على ما يحافظ على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية.

إذاً فلنأخذ العبرة من قوله تعالى: {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} (السجدة: من الآية١٥) لأن صفة الخشوع لله هي الصفة الرئيسية لديهم {خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} (السجدة: من الآية١٥) وهم من ينطلقون في العبادة أيضا، هم أنفسهم من قد يكون التذكير لمرة واحدة يكفي أن ينطلقوا، ليسوا ممن يحتاج دائما إلى تذكير مستمر، تذكير مستمر، وإلا فيريد أن يرجع إلى طريقته التي قد ألفها، هؤلاء يقول عنهم: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (السجدة:١٦).

هؤلاء من يكون لآيات الله إذا ذكروا بها الأثر الكبير في نفوسهم، هم ليسوا مسارعين إلى النوم تبتعد جنوبهم، وعندما تبتعد جنوبهم عن النوم ليس في مجال متابعة حلقات التلفزيون المفسدة، ولا في مجال متابعة القنوات الفضائية. {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} وهم في عبادة الله يتعبدون لله {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} وهم عندما ينطلقون في هذه العبادة - التي قد يراها الكثير سهلة لأنها لا تكلفه شيئا - هم ممن ينطلقون حتى في المجالات الأخرى التي تشق على الكثير {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

مؤمنون بمعنى الكلمة ليسوا ممن يضع لنفسه خطة معينة يسير عليها يجمع منها حسنات - كما يظن - حسنات بالمجان كما قال أحد الناس: [أصلي ركعتين يحصل لي ثواب، ولا أحتاج أعطي لذلك قرش فرانصي]. قلنا: هل دعمت فلان؟ قال: [أصلي ركعتين يأتي لي ثواب ولا أحتاج أعطي له قرش فرانصي] يظنه ثواب من هنا وهنا يجمع الثواب من حيث لا يحتاج أن يدفع شيئا من ماله.

لكن هؤلاء المؤمنون مؤمنون بمعنى الكلمة، يتعبدون لله وينطلقون أيضا في مجال الإنفاق في سبيله {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، وبالعبارة التي توحي: أن هذا لديهم سلوك مستمر وعادة ثابتة ليس فقط أحيانا، هم من يبحثون عن المجالات التي تنصر دين الله لينفقوا فيها، هم من يبحثون عن مجالات البر التي يرضى الله الإنفاق فيها فينفقون فيها.

العبارة جاءت بشكل يوحي بهذا: الاستمرار {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} هم حتى ربما ليسوا من أولئك الذين يحتاجون إلى كلام خاص حول موضوع الإنفاق يتكرر دائما دائما على مسامعهم، ينطلقون هم بمجرد أن عرفوا، ولو مر واحدة أن الإنفاق في هذا المجال هو من أعظم الطاعات لله، ومن أعظم القرب إلى الله.. ومن أعظم الأعمال التي يحصل بها الإنسان على رضى الله سبحانه وتعالى فينطلقون بصورة مستمرة على حسب قدراتهم وحسب استطاعتهم {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

وتجد الإنفاق في سبيل الله تجد الإنفاق يتحدث الله عنه في كثير من الآيات مقترنا بأفضل الأعمال، ومقترنا بأفضل الحالات، إذا ما تحدث عن مشاعر المتقين فالإنفاق واحد مما يعكس أن هناك مشاعر طيبة لديهم وإيمانا متكاملا، أو تحدث عن عمل يقومون به هو خير الأعمال كالصلاة يقول: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يتحدث عن حالات نفسية لديهم هم هكذا، يتحدث عن أعمال ينطلقون فيها هي من خير الأعمال هم هكذا ينفقون أيضا في سبيل الله {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

في آيات كثيرة تجد في القرآن الكريم كيف أن الإنفاق في سبيل الله، أو الإنفاق هكذا بصورة عامة، والمؤمن هو من يعرف مواطن البر التي يكون لله رضى أن ينفق فيها، وأعظم مواطن البر للإنفاق هو: الإنفاق في سبيل الله، لنصر دينه، وإعلاء كلمته. خاصة في ظروف كهذه، بل قد يصبح من أوجب الواجبات فعلا، من أوجب الواجبات فيصبح ربما أوجب من الزكاة في ظروف كهذه.

وهناك من يعرف قيمة الإنفاق وأثره. يقال إن الإمام الخميني (رحمة الله عليه) عندما اتجه للعودة إلى إيران في أيام انتصار الثورة الإسلامية عاد في طائرة خاصة استأجرها له أحد التجار من الشيعة من فرنسا إلى طهران، فيستأجرها من ماله الخاص، وكم كان أثر إنفاق ذلك الرجل.. ألم يكن أثراً عظيما؟ أهدى للأمة قائدا عظيما

يعيش بينها في زخم انتصاراتها، يمكنه من العودة فيعود بطائرة خاصة، حتى ولو تعرضت تلك الطائرة لأي شيء، وضع تأميناً ـ كما يقال ـ تأمين على الطائرة نفسها، فيما لو تعرضت لخطورة.. هذا تاجر دين وتاجر دنيا.. تاجر واعي، تاجر يعرف كيف يضع ماله في أفضل المواضع.

هؤلاء لعظم مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، وقيمة أعمالهم الكبيرة عند الله سبحانه وتعالى يقول عن جزائهم العظيم: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (السجدة:١٧) مما تقر به أعينهم من الفضل الكبير والثواب العظيم والدرجات العالية عند الله سبحانه وتعالى.

{فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة:١٧). وهكذا تأتي المكانة العظيمة عند الله، يأتي النعيم العظيم من عند الله سبحانه وتعالى جزاء على الأعمال {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} كما قال لأولئك الذين قيل لهم: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} (السجدة: من الآية١٤) ألم يقل لهم: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (السجدة: من الآية١٤)؟.

هنا استحق هؤلاء برحمة الله سبحانه وتعالى وتكريمه لهم أن يمنحهم ذلك المقام الرفيع، وذلك الثواب العظيم الذي قال عنه ـ مما يدل على عظمه ـ : {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ..} لا نفس ملك من ملائكة الله ولا نبي من أنبياء الله عظم ما وعدوا به من الثواب العظيم، والمكان الرفيع عند الله سبحانه وتعالى {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وأنت تجد هذه الأعمال التي كان ثوابها على هذا النحو العظيم هي من الأعمال التي بإمكان الناس أن يتناولوها.. أليس كذلك؟ فقط إذا ما ذكروا بآيات الله يزدادون إيماناً، يخشعون لله، يخضعون لله، لا يستكبرون، ينطلقون في العبادة، وكلها أعمال مما بإمكان الناس أن يتناولوها، وكلها مما بإمكاننا أن نروض أنفسنا على أدائها والقيام بها.

لا يبدو أن داخل هذه الأعمال، خاصة في قوله: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}، وقبلها. أيضاً {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} أنهم ينطلقون في أعمال هي مما هي مصنفة عند الفقهاء في قائمة المندوبات والمستحبات، هم ينطلقون في هذه الأعمال سواء كانت واجبة، أو مستحبة، أو مندوبة، المهم أنها أعمال ترضي الله سبحانه وتعالى، وهم يبحثون عما يحصلون من خلاله على رضوان الله، وعلى ما وعد به أولياءه.

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} نحن نصلي صلاة المغرب قبل أن نرى أنفسنا في حالة نحن نميل إلى المضاجع ولكن جنوبنا تبتعد عنها.. نلزمها أو نرغمها على الابتعاد عنها، ونصلي العشاء كذلك في حالة كهذه، والمغرب والعشاء هي الفريضة الواجبة داخل الليل أليس كذلك؟ لكن هناك عبادة أخرى ينطلقون فيها سواء كانت بشكل صلوات أو ذكر لله سبحانه وتعالى أو تعلم، أو عمل، حركة أثناء الليل، عند هذا، وعند هذا، يدفعهم إلى أن يقوموا بالعمل الذي يجب أن يشتركوا فيه مع الآخرين، أو أن يتعاونوا في مشروع ما، فيه مصلحة للمسلمين.. هم ليسوا مستعجلين إلى النوم. لهم أعمال هي من قائمة العبادات والطاعات لله سبحانه وتعالى وهي واسعة جدا.

وهم {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} (السجدة: من الآية١٦) خوفا من الله، خوفا من أنفسنا أن تكون عاقبتنا بالشكل الذي توعد الله به العاصين له، أما الله ذاته سبحانه وتعالى فهو ليس فيه ما يخيفك، أنت لا تخشى أن يتغير مزاجه فيضربك أو يعتدي عليك، كما يحصل من ملوك الدنيا فقد يضربون أقرب المقربين إليهم. ألم يقتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني؟ ألم يحصل أحداث كهذه في بلاط كثير من الخلفاء، والرؤساء، والزعماء؟.

خف من نفسك أنت، أما الله فعلا سيضربك إذا ما اقترفت أنت ما تستوجب به أن يضربك بعقوبته في الدنيا أو في الآخرة. والمؤمنون يطمعون أيضاً في رضوان الله، وحالة الطمع هذه هي ما يفتقدها الكثير من الناس، خاصة من ربوا أنفسهم على قواعد [أصول الفقه] التي تربيه على الحد الأدنى فقط.

المؤمن بطبيعته بمعرفته لله بمعرفته للمقام الرفيع الذي وعد الله به أولياءه هو من يطمع في هذا، من يطمع في رضوان الله، من يطمع في القرب من الله، من يطمع فيما وعد الله به أولياءه. حالة الطمع هي قليلة ونادرة فينا، ولهذا نحتاج إلى كلام كثير مع بعضنا بعض لننطلق، وعندما ننطلق ننطلق ببطئ، وبتثاقل، لا يبدو أن هناك حالة من الطمع في نفوسنا في الحصول على ما يرضي الله سبحانه وتعالى.. ليس لدينا بتعبير واضح طمع

فيما عند الله كطمعنا في هذه الدنيا ومظاهرها، والأشياء المادية الكثيرة فيها.
هذا جزاء عظيم، وقبله أيضا عقاب شديد وأليم. ألم يتحدث عن أولئك؟ {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وهنا يقول: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ} وهو يتحدث عن أوليائه هؤلاء {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. لأنه هكذا الحال عند الله سبحانه وتعالى وفي حكمه، وحكمته وعدله.
{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ} (السجدة:١٨) كلها استحقت بأعمال هي لأولئك {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (السجدة: من الآية١٤) وقيل لهؤلاء العظماء: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة: من الآية١٧) إنها أعمال أعمال انطلقت من أبرار، وأعمال أخرى انطلقت من فجار، وهؤلاء ليسوا في ميزان الله سواء، ولا يمكن أن يكون هناك تسوية بينهم {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ} (السجدة:١٨) وهذه آية تصرخ في وجوه أولئك الذين يقدمون عقيدة ينسبونها إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) تقضي بالتسوية بين المجرمين أهل الكبائر، وبين المؤمنين، فيحضون جميعاً بالجنة، وبالقرب من الله، وبدخول الجنة التي جعلها الله خاصة لأوليائه وأعدت للمتقين من عباده أليست هذه تسوية؟.
إنسان هنا يعمل في الدنيا الكبائر بعد الكبائر من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وظلم الناس، والتحريف للدين، والصد عن سبيل الله، ثم يقال له: لا تخف ستلقى رسول الله هناك وهو من سيشفع لك، ولأمثالك من أهل الكبائر، فترى أنت نفسك أنت من كنت في هذه الدنيا تعاني من كبائر ذلك الشخص وأنت من ظلمت، وأنت من سفك دمك، وأنت من انتهك عرضك، وأنت من صبرت وتحملت العناء في سبيل الله، وفي الدفاع عن دينه، وكان العناء كله من قبل أولئك أصحاب الكبائر، فترى نفسك أنت وهم سواء تدخلون من باب واحد، والملائكة يدخلون عليك وعليهم من كل باب سلام عليكم بما..؟ كيف سيقولون لأولئك؟ بما صبرتم؟! غير صحيح، كيف يمكن أن يقول الملك وهو يتذكر ماذا يقول: سلام عليكم بما ارتكبتم الكبائر فنعم عقبى الدار؟.
تحية الملائكة نفسها التي ذكرها الله لأهل الجنة هي من النوع الذي يصرخ أيضا في وجه أولئك الذين يتحدثون عن تلك العقيدة السيئة إنهم يقولون: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} (الرعد: من الآية٢٤) ما هو الصبر الذي تحمله أولئك المجرمون في هذه الدنيا؟ صبر على ماذا؟ صبر على طاعة الله؟ أم استرسال وراء الشهوات وراء المطامع؟ وكل ما طلع في رأسه نفذه، ولتكن الضحية مالك أو دمك أو عرضك أو الدين بكله.. ما هو الصبر الذي صبروه؟
هذه تسوية، ستكون تسوية الملائكة أنفسهم لا يقبلون هذه التسوية هم ماذا سيقولون لأولئك إذا دخلوا على أحدهم من باب فيما لو افترض ودخلوا الجنة، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ماذا سيقولون لهم؟ التحية التي ذكرها الله لأوليائه هي هذه التحية التي يقولها الملائكة، ولو كان هناك تحية أخرى للمجرمين ربما لقالها لنا، لكن أليس الملك هو نفسه من سيستحي عندما يدخل أن يقول: سلام عليك بما.. ولا يجد ما يمكن أن يكون لائقا أن يجعله تحية لذلك، إن قال: بما أجرمت، فمن الذي يعتبر التحية له بالإجرام أنها تقدير؟ عندما تقول لشخص ـ ولو كان ظالما ـ سلام عليك يا عدو الله، أليس سيعتبر هذه سبة؟ سلام عليك يا مجرم، سلام عليك يا صاحب الكبائر، هل سيعدها سبة أم يعتبرها تحية؟ سيعتبرها سبة حتى وإن كان مجرما.
والملائكة هم يحيون لا يجدون ما يحيون به أولئك؛ لأن أولئك لن يكون لهم وجود في الجنة على النحو الذي ذكره هؤلاء، يرتكبون الكبائر لا يتخلصون منها، لا يتوبون إلى الله منها، لا ينطلقون في الأعمال الصالحة بعدها، لا يصلحون ما أفسدوا هؤلاء لن يكونوا من أهل الجنة إلا إذا تابوا على هذا النحو؛ لأنه {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ}.
إذاً أين حديث: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من هذه الآية، وأمثالها؟ يتبخر مثل هذا الكلام، ولا يمكن أن يكون من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) على النحو الذي يروونه، ويذكرونه، لأن رسول الله كان هو من يلتزم بالوحي، كان هو من يتحرك في مواقفه، كان من يحكم منطقه كتاب الله {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأنعام: من الآية٥٠) لا يمكن لرسول الله أن يأتي إلى الناس ليقول لهم الكلام الذي يجعل المؤمن والفاسق سويا يدخلون

الجنة، ويحظون بذلك المقام الرفيع، والقرآن الكريم هو يقول في جانب آخر: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ}. {لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} (الحشر:٢٠)
هكذا أكثر من ثلاث أو أربع آيات في ذهني حول هذا الموضوع مصرحة بأنه لن يكون جزاؤهم سوياً، ولن يكون التعامل معهم سوياً، بل سيكون على هذا النحو: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة:١٩).
هنا يقول: عملوا الصالحات.. هل الكبائر من الأعمال الصالحة؟ ومن الذي يحول دون الأعمال الصالحة أن يكون لها وجود في هذه الحياة إلا من؟ إلا أهل الكبائر؟ من الذي يعارض الأعمال الصالحة أن تتحرك في واقع الناس وفي أنفسهم إلا من؟ إلا أهل الكبائر؟ هم من ينطلقون إلى نفسيتك أنت يغزونها بثقافتهم حتى لا ينطلق منك عمل صالح؛ ليكون ما ينطلق منك من أعمال فيما بعد أعمال فساد وإفساد؛ لأنهم لا ينسجم معهم، مع مصالحهم مع مقامهم، مع نفسياتهم الخبيثة إلا أن يكون المجتمع خبيثاً كخبثهم، وتكون النفوس فاسدة، وتكون الأعمال فاسدة، حينئذ يكون المجتمع منسجما معهم، وحينئذ سيكون المجتمع قابلا لهم.
أما الأعمال الصالحة فهي الغريم هي الخصم وأصحابها الذين يريدون أن يتحركوا، يريدون أن ينطلقوا ليدفعوا الناس إلى أعمال صالحة هم من يعدون في قائمة أولئك، يعدون ماذا؟ مفسدين {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ} (البقرة:١١-١٢).
{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (السجدة: من الآية١٩) {عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} هذه نفسها ترد على من يقول: إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحاشاه من أن يقول: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].
وقلنا في درس سابق: بأن هذه العقيدة سيلمس أولئك الذين رفعوها ودعوا إليها سيلمسون هم بأيديهم سوء آثارها بشكل هزيمة ممن يعبئونهم ممن يحركونهم ممن يتحدثون معهم؛ لأنه ليس هناك ما يخيفك من جهنم، فهذه هي أيضاً في أثرها التربوي مما يخالف منهجية القرآن التي تقوم على تربية الأمة تربية جهادية، فكيف يعمل على تربية الأمة تربية جهادية من خلال الآيات الكثيرة في القرآن الكريم ثم يأتي هناك بعقيدة يكون أثرها في الأخير ما يضرب آثار هذه التربية! أليس هذا من الاختلاف؟ القرآن هو من عند الله ولا يمكن أن يكون فيه اختلاف، لو كان من عند غيره كان بالإمكان أن يكون فيه اختلاف {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} (النساء: من الآية٨٢).
{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة:١٩) ضيافة وإكرام أيضا بما كانوا يعملون بأعمالهم ليكرر على مسامعنا أهمية الأعمال وأي أعمال هذه؟ هي الأعمال الصالحة ومن الذي يرسم لنا، ويخط لنا بنود قائمة الأعمال الصالحة؟ إنه الله سبحانه وتعالى فيما يهدينا إليه في كتابه وعلى لسان رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذه هي الأعمال الصالحة.
فإذا ما وقف الآخرون منك وقالوا: لا، العمل الصالح هو أن تسكت؛ لتحافظ على مصالح فلان أو فلان، لتحافظ على مصالح الدولة الفلانية، أو يوهمونك أن سكوتك حفاظ على مصلحة الشعب وأنت ترى أن السكوت هو عمل سيء، وباطل وإنما يريدون منك أن تضحي بالدين من أجل مصالح الآخرين سترى أمامك قائمة من الأعمال هم يخطونها بأيديهم ثم يقولون لك: التزم بها إنها أعمال صالحة؛ من منطلق الحفاظ على مصلحة كذا على كذا.. الخ.
الأعمال الصالحة هي التي تضمنها القرآن الكريم ودعانا إليها، ودعانا إليها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله). ودعانا أهل البيت إليها هي الأعمال الصالحة.
{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} (السجدة: من الآية٢٠) يؤكد بأنه ليس هناك تسوية بين المؤمنين والفاسقين {فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} مرجعهم، {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} (السجدة: من الآية٢٠) وعندما يقول: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا} أليس هذا يوحي ويدل أيضاً على أنهم في حالة رهيبة، في شدة عظيمة يحاولون الخروج من

جهنم؟ لكنها تلك التي قال الله عنها: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} (البلد:٢٠) مغلقة أبوابها {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} (الهمزة:٩) {عَمَدٍ} من الحديد {مُمَدَّدَةٍ} توثق وصد أبوابها، وكلما حاول أولئك وهم يتحركون لمحاولة الخروج من جهنم ضربوا أيضاً بمقامع من حديد {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} (السجدة: من الآية٢٠) هم أولئك الذين كانوا هنا في الدنيا، كلما أراد أنبياء الله أن يخرجوهم من ذلك الواقع المظلم أصروا على البقاء فيه.

من كانوا إذا جاء من يعمل على إخراجهم من الظلمات إلى النور أصروا على البقاء في الظلمات، أصروا على البقاء في الشر لا يريدون أن يخرجوا إلى النور، لا يريدون أن يخرجوا إلى ميدان الأعمال الصالحة، إذاً فهم من سيحاولون أن يخرجوا من جهنم ثم لا يمكن أن يخرجوا، وكلما حاولوا وجدوا الأبواب أمامهم موصدة، ووجدوا خزنة جهنم أمامهم يضربونهم بمقامع من حديد.

أنت تريد أن تخرج من جهنم؟ أخرج هنا في الدنيا من تلك الأعمال التي قد تؤدي بك إلى جهنم فتحاول الخروج فلا يمكنك الخروج {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} (السجدة: من الآية٢٠). تكذبون بصريح قولكم، أو تكذبون برفضكم في واقعكم، وقد يكون المكذبون في واقعهم أكثر بكثير من المكذبين بمنطقهم؛ فـ{ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (السجدة:٢١).

هذه الآية تنص على أنها سنة إلهية، أن الأعمال السيئة في هذه الدنيا يحصل من ورائها الإنسان على نوع من العذاب. وكلمة عذاب شاملة في هذه الآية، أو عامة في هذه الآية. تحدث كثيراً في آيات أخرى عن أنواع كثيرة من العذاب التي يلقاها الناس على أعمالهم السيئة هنا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}؛ لأنه رحيم سبحانه وتعالى، عندما يذكرنا بما يخوفنا من جهنم؛ لأنه يريد أن لا نقع فيها، عندما يضع عقوبات هنا في الدنيا عسى أن تردعنا هذه العقوبات عما يوصلنا إلى العقوبة الخطيرة، العقوبة الدائمة، جهنم، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إنها من رحمة الله أيضاً أن يوجد عقوبات هنا للناس في الدنيا على أعمالهم؛ لأنه هكذا قال: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى} الأقرب هنا في الدنيا قبل عذاب الآخرة {دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} الذي هو جهنم، أي يذوقون العذاب هنا فيما بينهم وبين العذاب الموعود جهنم، عسى أن يرجعوا، عسى أن يحسوا بوطأة العذاب، ويستشعروا أنه عقوبة فيدفعهم ذلك إلى العودة إلى الله في المقام الذي تنفع فيه العودة إليه فيرجعون إليه.

وهذا هو الوعيد في هذه الدنيا الذي ألغي من أفكارنا، من أذهاننا الذي فهمناه فهماً مغلوطاً، أنه واقع الحياة، وأنه طبيعة الحياة، وأنه هكذا على هذا النحو جبلت الدنيا حتى أصبحنا لا نتذكر، أو لا نقيّم الحالة التي نحن فيها: أنها ربما قد تكون عقوبة، فنتذكر حينئذ أن علينا أن نرجع إلى الله {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

ولأن آيات الله سبحانه وتعالى هي بالشكل المهم لها قيمتها الكبرى التي تستطيع أن تترك آثاراً كبيرة في نفوس الناس، وتستطيع أن تبين لهم الكثير من الحقائق في واقع حياتهم، وأن تدفعهم إلى الأعمال الصالحة، ليكونوا في مصاف المؤمنين، الخاشعين لله، المسبحين بحمده، الذين لا يستكبرون، يكون واقع من يعرض عنها، واقع الخسارة العظيمة، الظلم العظيم لنفسه، {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ} (السجدة: من الآية٢٢). آيات ربه، هي آيات، وهي آيات من ربه الرحيم به الرؤوف به {ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} (السجدة: من الآية٢٢) أعرض عنها لا أنها هي غير قادرة على أن تؤثر في نفسه، إنما هو الذي يعمل على أن يعرض عنها.

ومن أظلم من هذا؟! من أظلم منه لنفسه؟! من أظلم منه في موقفه السيئ أمام ربه المنعم عليه، الرحيم به. {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} (الكهف: من الآية٥٧) نسي ما قد قدم، ونسي ما هو فيه من سوء الحال وهو يعرض! أن هذا من أسوأ ما تقدمه يداه ليلقي آثاره السيئة في الحياة، ويلقى العقوبة العظيمة عليه يوم القيامة {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} (السجدة: من الآية٢٢) هو مجرم، ولأنه ليس هناك وسيلة

أخرى أبلغ وأعظم وأكثر تأثيراً في نفسه من هذه الآيات التي أعرض عنها فواقعه إذاً مجرم هو مجرم والمجرم هو ذلك الذي لا يستحق إلا الانتقام منه {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن عباده الذين قال عنهم: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة:١٧).

وأن يرزقنا فهماً لدينه، وفهماً لكتابه الكريم، وأن يعيننا على أنفسنا، فيبصرنا في هذه الدنيا ما نستضيء به الأعمال الصالحة فننطلق فيها بإخلاص رجاءً لرضوانه، وأملاً في القرب منه، وفي أن نحظى بجنته التي وعد بها أولياءه، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (١٤ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

الدرس الرابع عشر

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٦/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته

كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، كل إنسان يصدر منه عمل {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة٧ ـ٨) آثار الأعمال، آثار عملك كإنسان كفرد، آثار عمل الأمة، آثار عمل المجتمع أي مجتمع كان، عمل الإنسان كإنسان، وعمل المجتمع كمجتمع، عمل الأمة كأمة كله مرصود، وكله له آثاره هنا في الدنيا، له عواقبه هنا في الدنيا، كما له آثاره الطيبة أو عواقبه الوخيمة في الآخرة أيضاً.

نحن نقرأ في كتاب الله الكريم: قصة أبينا آدم ـ أول إنسان ـ أكل من شجرة نهاه الله عنها، فلم يسلم من آثار مخالفته لنهي الله، أكل منها فشقي هو وزوجته، وأُخرجا من الجنة، ونُزعت عنهما ملابسهما، وقال الله لهما: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الأعراف: من الآية٢٢) أكل من شجرة نهاه الله عنها فناله في الدنيا آثار مخالفته لنهي الله، عمله ذلك الذي يبدو عملاً بسيطاً، أكل من شجرة يقال: إنها شجرة البر، أو شجرة العنب، أو شجرة التين، فشقي.

تكررت هذه القصة في القرآن الكريم كثيراً، ويقال أيضاً: إنها تكررت في كتب الله القديمة أيضاً؛ لأن فيها عبرة مهمة، فيها درس عظيم لنا ـ نحن بنو آدم ـ أن نعرف أن كل أعمالنا هنا في الدنيا نحن ننال جزاءها، أو نموذجا من جزاءها، ومن عواقبها الوخيمة هنا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا هو الشيء الطبيعي، وهو الشيء الصحيح.

الله الذي خلق الإنسان وهو يعلم أن الإنسان يخاف من العاجل أكثر مما يخاف من الآجل، ويحب العاجل أكثر مما يحب الآجل {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ} (القيامة:٢١). من الطبيعي: أن الله سبحانه وتعالى الذي عمل كل شيء من أجل أن يدفع بهذا الإنسان إلى صراطه المستقيم، أن يجعل هنا في الدنيا وعداً ووعيداً.

إذا كان الإنسان هو ممن يحب العاجلة فإن الله أيضاً يعجل جزاءً طيباً لأعماله الصالحة هنا في الدنيا، إضافة إلى ما وعده به في الآخرة من النعيم والجزاء العظيم، وهو أيضاً ينيله عقوبة أعماله هنا في الدنيا؛ ليخاف من المعصية، ليخاف من التقصير، ليخاف من التفريط، كما أنال أبانا آدم عاقبة أكله من تلك الشجرة.

أوليست معصية تبدو بسيطة؟ تاب عليه فيما يتعلق بالإثم، فيما يتعلق بالجزاء الأخروي، لكن كان لا بد أن ينال جزاءه فيما يتعلق بالأثر لمعصيته في هذه الدنيا؛ ليفهم أبناؤه: أن كل معصية تصدر منهم سواء من الفرد، أو معصية مجتمع، أو معصية أمة، المعاصي تختلف: هناك معاصي لأفراد، ومعصية مجتمع بأكمله، ومعصية أمة.

ويقال: أنه أيضاً هكذا يكون الحساب يوم القيامة يحاسب الناس كأفراد، ثم يحاسبون كمجاميع، ويحاسبون كأمم {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} (الإسراء: من الآية٧١) بقائدهم الذي كانوا يعتزون إليه في الدنيا، يا أتباع فلان، يا أصحاب فلان.

قضية مهمة جداً: أن نعرف أن هناك وعداً ووعيداً في الدنيا، إضافة إلى الوعد والوعيد في الآخرة، وكما أسلفت في أثناء درس من الدروس: أن جهلنا بهذه النقطة، جهلنا بأن هناك وعيداً على كل عمل نقترفه، على كل طاعة نقصر فيها، على كل واجب نفرط فيه، على كل أمر إلهي لا نستجيب له، أن هناك وعيداً.

تقصيرنا في فهمنا لهذه القضية هو ما جعلنا نجهل وضعيتنا التي نحن فيها؛ لنعرف أن ما نحن فيه هو عقوبة لتفريط حَدَثَ منا، لتفريط حصل منا فيما يتعلق بأوامر الله سبحانه وتعالى، جَهِلْنَا هذا حتى آل الأمر إلى أن أصبحنا نتعبد الله سبحانه وتعالى بالبقاء على وضعية هي في واقعها عقوبة! والعقوبة أساساً هي للازدجار، ليرتدع الإنسان، ليخاف.

فلماذا نظل في حالة هي عقوبة على تفريطنا؟! ثم نقول لأنفسنا: هكذا حال الدنيا! الدنيا هكذا يكون حالها، يكون فيها بلاوي مصائب، وأهل الحق يكونون هكذا مستضعفين، مستذلين، مساكين، وهكذا. فنحمِّل المسؤولية الله، أو نحمل المسؤولية الدنيا!.

الأشاعرة يقولون: هذا كله من الله هكذا؛ لأنه ملك يعمل ما يريد، حسناً هل هذه عقوبة فلنفهمها إذا كانت من الله إذاً فهي عقوبة؟ أو هي ماذا؟ أو كان هذا هو حال الدنيا، هل أن الدنيا بطبيعتها هي تنتج هذه الأوضاع؟ أو أن الدنيا هي مرتبطة بالله؟ الله هو الذي يدبر أمورها، {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}(هود: من الآية١٢٣) فهل هو الذي طبع هذه الدنيا على أن تكون على هذا النحو المزعج؟! أن يعيش فيها أولياؤه أذلاء مستضعفين أن يعيش فيها أولياؤه مقهورين مغلوبين على أمرهم، أن يعيش فيها الحقُّ الذي أراد أن يحكم هو عبادَه في هذه الدنيا أن يعيش فيها ضائعاً غائباً، وأن يكون الباطل هو الذي يسود ويعاني الناس الأمرين من سيادة الباطل وانتشار الفساد؟! هل هو الذي طبع الدنيا على هذا النحو؟!. حاشى لله.

الله هو الذي خلق كل شيء على أجمل ما يمكن أن يكون {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}(السجدة: من الآية٧) {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}(هود: من الآية٧) {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}(الإسراء: من الآية٩) {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}(الزمر: من الآية٢٣) كل عمل من جانب الله كله أحسن، أحسن... إلى آخره.

نسينا أن ننظر إلى واقعنا هل هو واقع خزي أم واقع عزة؟ ـ لو سألنا أنفسنا ـ ما هو؟ أليس واقع خزي؟ أن يتهددنا رئيس أمريكا، يتهدد العالم الإسلامي بكله حكومات وشعوبا، أن يمتد تهديده إلى أن يصل إلى حكام المسلمين فينطلقون هم يهددون المسلمين بتهديداته: [توقفوا عن أن تقولوا كلمة تجرح مشاعر اليهود والنصارى.]!.

إذا كان هذا هو واقع خزي فإن الله ذكر الكثير في القرآن الكريم: أن ذلك إنما يحصل للعاصين، إنما يحصل للمفرطين، {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(البقرة: من الآية١١٤) بل أصبحت المقاييس معكوسة، والفهم مغلوطا: الناس الذين ينظرون إلى وضعيتهم في هذه الدنيا وضعية شقاء، وخزي، وذلة، بعد أن جعلوا أن هذا هو الشيء الذي طبعت به الدنيا من قبل خالقها، أو من أي جهة كان: أن هذه مرحلة مؤقتة فلنصبر عليها، وسنحصل على الرفعة، والعزة، والنعيم، والمكانة العظيمة في الجنة، في الآخرة!!.

مع أن الله يربط في القرآن الكريم: {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} تكررت أكثر من مرة يتحدث عن العقوبات في الدنيا، ويتحدث عن الوضعية السيئة في الدنيا أنها تنذر بمثليها وأعظم منها في الآخرة، فمن أين جاء لنا نحن هذا؟.

أو عندما نرى أنفسنا تحت أقدام اليهود والنصارى: أن الصبر على ذلك هو نفسه الوسيلة لأن نحظى بالعزة والرفعة في الآخرة؟.. لا.. بل أقرب ما يمكن أن يكون الأمر هو: أن الله ربط بين الشقاء في الدنيا والشقاء في الآخرة، فإذا كنت شقيا في الدنيا فاحذر أنك قد تكون شقيا فعلا في الآخرة، إذا كانت هذه الأمة تعيش ذليلة، مقهورة مهزومة، تعيش في حالة خزي في الدنيا، فلتحذر أن ذلك ينذر بأن وراء ذلك عذابا عظيما في الآخرة {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}(طـه:١٢٣)

لاحظوا الربط: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً}(طـه: من الآية١٢٤) ثم ماذا؟ ثم ندخله يوم القيامة الجنة؟! ربط بين الشقاء في الدنيا، بين ضنك المعيشة وبين الشقاء في الآخرة {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(طـه: من الآية١٢٤).

من أين جاء هذا الفهم لكثير من المرشدين، لكثير من علمائنا أيضاً؟ أن ننتظر بعد الخزي في الدنيا، بعد الذل في الدنيا، بعد الشقاء في الدنيا، وهو شقاء ليس في إطار عمله في سبيل الله، بل لا يسمى ذلك شقاء عناء ليس في مجال عمله في سبيل الله له، وفي ميادين العمل لله، خزي وذل وشقاء، ومعيشة ضنكا، هكذا بدون مقابل في الدنيا، لا من أجل جهد بذلناه في سبيل الله، ولا من أجل مواقف عظيمة وقفناها ضد أعداء الله.

بل لا يحصل وأنت تقف المواقف ضد أعداء الله، لا يحصل ضدك ما تعتبره خزياً وإن كان ـ من وجهة نظر الآخرين ـ إذلالاً لك، وخزياً لك، وأنت تعاني من أجل الحق فهذا ليس خزياً، أنت من ينظر إليك أعداؤك حتى وأنت في زنازينهم في السجون ينظرون إليك كبيراً، وعظيماً وقوياً، وتكون كذلك عند نفسك قويا، وعظيما،

وكبيرا. ليس هذا.
الشقاء الذي نحن فيه، الخزي الذي نحن عليه كمسلمين، المعيشة الضنكى التي نحن نعاني منها مقابل ماذا هي؟ هل هناك شيء؟ إنها هي التي تأتي لمن أعرض عن ذكر الله {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}.
فلماذا يأتي الكثير فيقولون: [إن شاء الله بعد هذه الحياة نصير إلى الجنة، هذه دنيا نصبر على هذه الحالة وهي أياما وتنتهي ثم ندخل الجنة]؟ لماذا لا تتأملون الربط الخطير جداً بين الشقاء في الدنيا وبين الشقاء في الآخرة؟ {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (طه:١٢٦). **{وَكَذَلِكَ}** (طه: من الآية١٢٧) **أي: وهكذا يكون {نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ}** (طه: من الآية١٢٧). **شقاء في الدنيا، وعمى، وعذاباً، وخزياً في الآخرة.**
تكرر في آيات كثيرة في القرآن الكريم، الحديث عن الوعيد يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، يكون هنا في الدنيا بأشكال متعددة، عقوبات تأتي بأشكال متعددة منها ما هي عقوبات معنوية، ومنها ما هي عقوبات مادية، ومنها ما هي آلام نفسية، ومنها ما يتمثل بقسوة في القلوب، لها أشكالها الكثيرة.
أنواع العذاب في الدنيا له أشكاله الكثيرة تعرض له القرآن الكريم ليخوفنا بها. من الذي فهمنا هذا الفهم المغلوط: أن الدنيا طبعت على هذا النحو، والمؤمن هو من يرضى بالحالة التي هو عليها، والتي الدنيا عليها؟! فكلما ازداد الوضع سوءاً كلما رأى نفسه أقرب إلى الله، وكلما رأى نفسه أقرب إلى الجنة!. من أين جاء هذا الفهم؟ أوليس الربط واضحا في هذه الآية: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} الربط واضح.
ولأهمية هذا الموضوع، ولنفهم المسألة فهما صحيحاً ـ إن شاء الله ـ نحاول أن نستعرض الكثير من آيات القرآن الكريم التي تدل على: أن الإنسان هنا يلقى جزاء أعماله، ينال جزءاً من العقوبات على أعماله في هذه الدنيا ومن أول معصية حصلت.
لاحظوا من أول حادث وقع مخالفة لأمر الله من جانب بني آدم والذي كان على يد أبينا آدم حين أكل من الشجرة ألم يشق؟ شقي فعلاً، لكننا نقرأ هذه الآية، ونقرأ [قصة آدم] ونمر عليها، وإذا ما جاء أحد المفسرين كان همه هو أن يبحث عن كيف يخرج من هذه القصة دون أن يلحق آدم إثم، يحاول أن يحافظ على آدم أن لا يلحقه إثم فمعصيته حصلت على جهة التأويل، أو أنه كان ناسياً، أو ربما أنه نهي عن جنس الشجرة، ولم ينه عن شجرة بعينها مخصصة!.
ولكن الله قال في القرآن الكريم: {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ ـ هذه ـ الشَّجَرَةَ} (البقرة: من الآية٣٥) **نهاهما عن أكل شجرة معينة، وحذرهما من الشيطان أنه عدو لهما، وأنه سيعمل على أن يحملهما على الأكل من هذه الشجرة فليكونا متيقظين. جاء إبليس {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}** (الأعراف: من الآية٢٢) **زيّن لهما المسألة حتى أكلا منها {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ}** (الأعراف: من الآية٢٢).
لم يتعقل بعض المفسرين قضية {يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} (الأعراف: من الآية٢٧) **أنه فعلا ملابسهما نزعت منهما، يخرج من الجنة ولا يحمل حتى خيط، يخرج من ذلك النعيم، من الجنة في الدنيا هنا وليس جنة الآخرة، جنة في الدنيا كانت قد أعدت لهما ليقيما فيها وليأكلا فيها رغداً من حيث شاءا ـ كما قال الله ـ ، وفيها ما يحتاجون إليه، فيها ملابسهما، فيها كل شيء، حتى إذا أكلا من تلك الشجرة طُرِدا من الجنة، وخرجا إلى الحياة ليسيرا في الحياة هذه في الحصول على معيشتهما على النحو الذي نحن نعمله: زراعة، وحراثة، وأعمال كثيرة حتى يحصل على قوته، ونزعت عنهما ملابسهما، حتى الملابس لا تبقى لهما {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ} ليسترا عورتيهما ولو بالورق. أليست هذه أول معصية؟ تحدث نتيجتها في الدنيا على من اقترفها أن يشقى، وأن تنزع عنه حتى ملابسه فيخرج من الجنة.. فشقي فعلا، وتعب في الحياة.. هذه أول معصية.**
وتكررت في القرآن الكريم؛ لأن فيها عبرة مهمة، ودرساً مهماً، كذلك تكرر في القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا النوع التي تبين: أن الناس يحصل لهم في هذه الدنيا عقوبات أعمالهم.

نحن كطلاب علم إذا ما اتجهنا لنرشد الناس دون أن نذكرهم دون أن نرشدهم وفق منهجية القرآن؛ فسنكون نحن من يصرف الناس عن القرآن، ويصرف الناس عن ما يريد القرآن منهم أن يفهموه في مجال التذكير بالله، في مجال التخويف من الله. نحن نخوف الناس بجهنم أليس كذلك؟ لكن الإنسان بطبيعته يخاف العاجل أكثر من الآجل، يتوقف عن عمل يكون فيه نجاته من جهنم لخوفه من سجن في الدنيا، أليس كذلك؟ يقترف عملاً سيئاً سواء يتمثل بعمل يرتكبه، أو قعود عن حق ينصره، فيكون قعوده ذلك مما يؤدي به إلى جهنم. لماذا؟ خوفاً من سجن في الدنيا.. أليس هذا هو ما يحصل؟.

ما الذي يقعد بالكثير من الناس قعوداً قد يؤدي بهم إلى جهنم إلا خوفهم من ماذا؟ خوفهم من الوعيد العاجل، وأي مقارنة بين الوعيد العاجل الذي تخافه من جانب هذه الدولة، أو من جانب ذلك الشخص، سجن، أو أن تفقد مصلحة معينة تخاف على مصلحتك، تخاف من سجن، تخاف من تعذيب في سجن؛ فتتوقف ولا تحسب حساب جهنم.. أليس هذا هو ما يحصل عند الكثير من الناس؟.

الله الحكيم، الله الذي يعلم النفس البشرية لم يدع هذا الأسلوب، لم يدع الإنسان دون أن يضع له في الدنيا هنا ما يجب أن يخاف منه فيكون أمامه دائماً ما يخيفه من التفريط، وما يخيفه من ارتكاب المعصية: عقوبات في الدنيا، وعقوبات في الآخرة ينفع فيك الخوف من الآجل، وإلا فأمامك ما تخاف منه في العاجل.

وهكذا عمل أيضاً في جانب الهداية، في جانب الترغيب: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية٩٦) **أليس كذلك؟ ماذا يعني هذا؟ إيمان وتقوى سيكون مما نناله في هذه الدنيا هو أشياء مما نحب، أشياء مما نرغب إليه؛ لأننا نحب العاجلة فستكون هناك أرزاق مبسوطة، يكون هناك رغد من العيش، وهذا هو ما يهم كل إنسان: قضية العيش، المعيشة {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} أليس هذا وعدا من الله؟ {وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** (الأعراف: من الآية٩٦) **ما معنى: {أخذناهم}؟ أن يحدث نقص في البركات. عبارة: {أخذناهم} أخذ، أي أخذ كان: نقص في البركات، أو خزي في الدنيا، أو ذلة، أو.. كم أنواع العقوبات من جانب الله كثيرة جداً. {فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.**

ألسنا هنا في اليمن نسمع من قبل سنين من قبل نحو عشرين سنة، أو خمسة وعشرين سنة، كانت مياه الأودية تتدفق في كل مكان، وكان الناس لا يرون أنفسهم بحاجة إلى أن يحفروا خزانات، وكان إذا كان هناك [بركة] في منطقة تقريباً لا أحد يحتاج إليها إلا في النادر، وكانت بركة واحدة قد لا يكون عمقها أكثر من ثلاثة أمتار تكفي قرية بأكملها، الأمطار كل أسبوع، كل ثاني أسبوع، كل شهر، كل ثاني شهر، وهكذا والأودية الماء يتدفق فيها، لا أحد يحتاج إلى أن يسقي.

ما الذي حصل الآن؟ الماء كاد أن يختفي كاد أن يغور، حتى أمام أولئك الذين يحفرون مئات الأمتار في عمق الأرض يغور الماء ويختفي ما هذا؟ ما هذا؟ هل أن هناك أحواض؟ [صحنة] تحت صنعاء أو [صحنة] تحت صعدة فيها ماء، الإرتوازات تأخذ منها تكاد أن تنجح؟ الله هو الذي جعل في الأرض يوم دحاها، يوم هيأها للمعيشة {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} (النازعات:٣١) **هو هو من قال: {فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} أخذناهم بما كانوا يكسبون، أخذناهم في [صعدة]، أخذناهم في [فوط]، أخذناهم في [زبيد]، أخذناهم في مناطق أخرى، أخذناهم في محافظات أخرى، أليس هذا هو ما نشاهده؟.**

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} (الملك:٣٠) **ويأتي الآخرون ليحللوا لنا الأشياء سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة تحليلات لا تذكرنا بالعودة إلى الله، [اقتصدوا في استعمال الماء، كاد حوض صعدة أن ينتهي، [الصحنة] التي تحت صعدة لم يعد فيها إلا محط إصبعين ستنتهي، وهذا ما تجمع منذ آلاف السنين، اقتصدوا في استخدام الماء].**

فنفكر كيف نقتصد في استخدام الماء. بل الماء هو الذي اقتصد من تلقاء نفسه، اقتصد هو من تلقاء نفسه، لم نعد بحاجة إلى أن ننظم استهلاك استخدام المياه، الماء هو الذي فرض علينا وضعية معينة فخفض من مستوى الأشجار التي نزرعها، ومن مستوى المساحة التي نزرعها، بل خفض من مستوى عدد المزارعين أيضا فالكثير منهم

هجروا مزارعهم وغادروا وتركوا المضخات وتركوا الآبار، وتركوا الأشجار حطاما.
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} هل أولئك الذين يتجهون لبناء سدود لنا هم من سيأتون بماء معين؟ السدود على من تعتمد؟ أليست معتمدة على الأمطار؟ والأمطار هي ممن؟ من الذي ينزل من السماء ماء؟ هو الله. إذاً السدود نفسها ستلحق باطن الأرض، فحينها لا من باطن الأرض ولا من السماء {فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} وكم كرر في القرآن للناس أن يفهموا: أن معاناتهم في الدنيا هي بسبب إعراضهم عن ذكر الله.
لكن لا حكوماتنا تذكرنا بهذا، ولا كثير ممن ينطلقون لإرشادنا على منابرنا يذكروننا بهذا، ويرسمون لنا كيفية العودة إلى الله، أو متى ما انطلقوا ليذكرونا بالعودة إلى الله، بحثوا عن الأشياء السهلة وتركوا القضايا المهمة التي هي وراء كل مصيبة، التي تقصيرنا فيها هي وراء كل مصيبة نعاني منها، يوجهوننا للأشياء البسيطة التي لا تثير هذه السلطة ولا تثير أولئك الآخرين، ولا تكلف هذا، ولا تشق على هذا.
لنعود إلى هذه الآيات يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}(البقرة: من الآية٢٧٩) ماذا يعني هذا؟ عقوبة في الدنيا أليس كذلك؟ بل حرب الله سبحانه وتعالى سيتجه إلى طرف يحارب عباده إذا لم يدعوا الربا، إذا لم يذروا الربا.
{وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا} بعباراتنا: [الوجه ابيض، إشعار، نحيطكم علما بأننا سندخل في حرب معكم]. وحرب الله إذا ما دخل في حرب مع الناس له جنود السماوات والأرض، يحاربك من كل جهة، من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، يحاربك في نفسك، يحاربك في داخل أسرتك، يحاربك في سيارتك، يحاربك في مضختك، يحاربك في مزرعتك، يحاربك داخل مصنعك، يحاربك في كل شيء، ألسنا نرى آثار الربا حتى فيما يتعلق بالتصنيع؟ ألم يهبط مستوى الإنتاج، مستوى الجودة؟ هبطت مستوى الجودة في الإنتاج فأصبح ما في أسواقنا منتجات مما نسميها تقليد، مما كان قد لا يقبله الإنسان قبل زمان ولا بالمجان، غابت المنتجات الجيدة، وتدنت مواصفات المصنوعات في مختلف المجالات، والغلاء أصبح منتشرا في الدنيا كلها، غلاء منتشر، لم يفهموا ما هي أسبابه؟.
في [اليابان] نفسه التي هي من الدول المصنعة الكبرى، يقال إن الغلاء في [طوكيو] نفسها في العاصمة وصل ببعض البلدان الضعيفة أو الصغيرة أنها لم تستطع أن تستأجر لأنفسها سفارات داخل طوكيو وإنما خارج، غلاء شديد في كل بقعة في العالم. وعندنا أليس هناك غلاء؟ وكل سنة ترتفع الأسعار. لماذا؟ من أين جاء هذا؟ والمعيشة تتدنى، ألم نر الأشياء تصغر؟ ألم تصغر علب الحليب؟ تحول إلى قراطيس صغيرة، علب الشامبو كثير من المنتجات صغرت، صغرت أليس كذلك؟ والصابون بدأ في قراطيس صغيرة وهكذا تصغر، تصغر فنصبح كما كان زمان يوم لم يكن هناك في الأسواق مشمعات، كان يذهب الشخص يأخذ له [المعوي] من عند [الجزار] ويعبيه قاز، ويعود إلى البيت هل أحد منكم يذكر هذه؟.
كنا قد وصلنا إلى أن نشتري القاز أو نشتري المحروقات بمختلف أنواعها في [جراكل] الآن الأشياء تتدنى إلى أسفل! كان الناس زمان يأخذون شوالات البر، من يأخذ خمسة أكياس، عشرة أكياس دفعة واحدة، أليس كذلك؟ ثم كيساً واحداً رغماً عنا، ثم نصف كيس، وكانوا يستحيون من أن يأخذوا نصف كيس أليس كذلك قبل فترة؟ أصبح هو السائد نصف كيس، ثم نزل أيضاً فأصبح ربع كيس، والآن بدأ بيع الدقيق بالكيلو، يشتري كل وجبة [قُبَالَها..] ألسنا في حرب؟ لأن كل المنتجات يمول شراؤها بأموال مدنسة بالربا.
وكما يقال بأنه: في آخر الزمان لا تجد درهماً حلالاً. فالنقود التي في جيوبنا من أين تأتي؟ من البنوك، البنوك هي من تتعامل بالربا، تتعامل في الداخل وتتعامل في الخارج بالربا، كل ما نأكل مصبوغ بالربا، كل النقود التي في جيوبنا مصبوغة بالربا كيف نعمل؟ ماذا نعمل؟.
تأملوا جيداً لنرى الحرب التي يشنها الله على الناس؛ لأنهم استساغوا الربا، المسلمون أنفسهم استساغوا الربا، وهذا من آثار عمل اليهود، اليهود بخبثهم، اليهود هم المعروفون بالربا من مئات السنين، لكن بطريقتهم

الخبيثة بالإضلال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء:٤٤)

لكن هكذا بطريقتهم الخبيثة حتى يصبح الربا مستساغاً في أوساط المسلمين، ومستساغاً في التعامل بين تجار المسلمين وفي بنوك أموال المسلمين، ويصبح طبيعياً ولا حتى الاستنكار الكثير من جانب علمائنا، من جانبنا كطلاب علم أيضاً، لم يعد هناك قضية تدفعنا على الاهتمام أن نستنكرها، والربا شديد جداً، الربا من أكبر الجرائم.

أوليس شيئاً مرتبطاً بالجانب الاقتصادي؟ هذا مما يؤكد أن الإسلام يهتم جداً فيما يتعلق بالمسلمين بالجانب الاقتصادي لعباد الله، بالجانب الاقتصادي للمسلمين.

الربا أضراره كثيرة جداً، في واقع الحياة بالنسبة للمسلمين يؤدي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم.

جاء الإسلام ليقضي على الربا، ويضع بدلا عنه أجراً عظيماً على القرض، القرض المشروع الذي لست ملزما فيه بأن تدفع فوائد إضافية. رأس المال ترده، أقرضك مائة ألف تعيد إليه مائة ألف، فجعل القرض بمثابة صدقة كل يوم إلى أجله المحدد، ثم إذا أضفت أجلا لصاحبك باعتباره معسراً يعتبر بمثابة صدقتين في اليوم الواحد عن كل يوم.

القرض جعل الله عليه أجراً كبيراً لينطلق المؤمن لمساعدة أخيه، لإعطائه رأس مال ليستطيع أن يتحرك فيتجر أو يزرع، وهو يرى نفسه ليس ملزما بأكثر من رأس المال.

الفوائد تكفل الله بها هو للمقرضين، لكن الربا قد ترى الفائدة نسبة بسيطة ٥٪ أو ٢,٥٪ أو حتى ١٪ فإذا بك ترى نفسك بعد سنين قد تصبح الفوائد نفسها أكثر من المبلغ، وترى نفسك مرهقاً وأنت تعمل على أن تتخلص من الفوائد الإضافية، أما رأس المال فهو ذاك ما يزال قائما وما يزال ينتج ما يزال يحملك إضافات كل سنة، كل سنة.

من الذي سيحمل ودا أو يرى جميلا لذلك الشخص أو لذلك البنك الذي أقرضه على هذا النحو؟ من هو؟ ألست ستلعنه، وترى نفسك في حالة أنه أرهقك بهذا التعامل لكن ذلك الذي يقرضك قرضاً حسناً، قرضاً لا ربا فيه سترى له الجميل، وترعى له الجميل، وتقدر له ما عمل وترتبط به، فيكون ذلك من أهم الروابط فيما بين المسلمين وهم يعطفون على بعضهم بعض، أما الربا فإنه هو الذي يحطم العلاقات فيما بين المسلمين ناهيك عما يؤدي إليه من تكديس الأموال في فئة محدودة كما هو ظاهر، وتكديس الأموال في فئة محدودة وهي هي من تستطيع أن تتغلب على كل شيء، ثم تتحكم في الموقف والقرار السياسي للأمة.

الربا شديد حتى ورد في الحديث ((لدرهم من ربا أعظم عند الله من خمسة وثلاثين زنية، أهونها أن تزني بأمك عند الكعبة)) درهم واحد من ربا، لماذا؟ لأن الجانب الاقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة أعدائهم، في أن يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم وبمسئوليتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشر دينه في الأرض كلها.

الإنسان إذا كانت معيشته صعبة، المجتمع إذا كانت معيشته قلقة يكاد هذا هو ما يصرفه حتى أن يرجع هو نفسيا إلى الله، منشغل بكيف يوفر لأهله القوت، كيف يوفر لأسرته حاجياتهم، ولا يفكر بأن يستمع إلى مواعظ إلى أن يهتدي إلى أن يحضر إلى مجلس علم، أو يحضر إلى مدرسة يستفيد منها. بل تأتي لتعظه وذهنه مشغول، ذهنه مشغول، تأتي الأمة في زمن كزماننا هذا فترى أعداءها يهددونها وترى الضربات داخلها هنا وهناك ثم ننظر إلى أنفسنا فإذا بنا لا نستطيع أن نقف على أقدامنا، الجانب الاقتصادي لنا منهار.

لأهمية المال في بناء الأمة، وفي أن تنطلق الأمة في مواجهة أعدائها وأن تنطلق الأمة في القيام بمسئوليتها، ولأثر الربا السيء فيما يتعلق بهذا الجانب الله قال: إنه سيحارب. أليس هذا أقصى ما يمكنك أن تصل إليه مع الطرف الآخر الذي بينك وبينه خلاف حول قضية ما؟ [إما أن تترك وإلا فالوجه ابيض] أليست هذه العبارة هي آخر شيء؟ يدل على أن هذا الشيء مهم لديك. هذه القضية لا أتسامح فيها أبداً. هل يسمعها أصحاب البنوك؟ هل يسمعها التجار؟ هل يسمعها الناس جميعاً؟ هل يرون آثارها في أنفسهم وفي الحياة؟ آثار الحرب الإلهية؟ نحن نرى آثار الحرب الإلهية في كل شيء.

{فَأْذَنُوا} إيذان أي: إعلام {بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أليست المعيشة كل عام تكون أصعب؟ والبركات كل عام أقل؟ والنفوس كل عام أشد تبايناً؟ والقلوب أشد اكتظاماً وأشد ضيقاً؟ الصدور تضيق، النفوس تتباين، المعيشة تشتد، والمنتجات تتدنى، و[الحب] هذا نفسه الذي لا نحصل عليه إلا من الخارج نرى أنفسنا نرى الكثير لا يستطيع أن يشتري إلا نصف كيس، و هو كل ما يملك داخل البيت، هل هناك احتياط من الحبوب داخل البيوت؟ لا. بل ولا كيس واحد، نصف كيس دقيق، ثم ربع كيس ثم سيصل الناس إلى الكيلو، وقد بدأ البيع بالكيلو للدقيق.

ثم أين البدائل؟ هل هناك في أموالنا، هل هناك من محافظات أخرى داخل بلادنا منتجات أخرى؟ نحن أصبحنا نحارب حتى في قوتنا.. من الذي أوصلنا إلى هذا؟ هم المرابون الذين ثقفهم اليهود والذين استساغوا الربا على أيدي اليهود. ونحن قلنا أكثر من مرة أنه هكذا يعمل اليهود يضلونا من حيث لا نشعر، يضربوننا من حيث لا نشعر، يفسدوننا من حيث لا نشعر، يدوسوننا بأقدامهم ونحن لا نحس بشيء. هذا هو ما يحصل.

كيف لو بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من جديد إلى هذه الحياة ورأى أمته هذه المنتشرة في متخلف بقاع العالم تأكل ربا وتتعامل بالربا.. كيف سيكون شعوره أمام هذه الأمة؟ سينظر هل ربما أن القرآن غير موجود، ربما هم لم يطلعوا على آية كهذه، ثم يرى أن القرآن أيضاً ما يزال داخل بيوت أعضاء المجالس الإدارية للبنوك، أو مجموعة من التجار أصحاب بنك يتعاملون بالربا، المصاحف داخل بيوتهم وهم من يبنون أيضا حجرات خاصة للصلاة في بعض البنوك، وفيها مجموعة من المصاحف داخل مبنى البنك! يحصل هذا في بعض البنوك.

أين نحن من آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ} (البقرة:٢٧٩) وقد أصبح الربا عندنا مستساغاً. وأصبح شيئاً مألوفاً لدينا.. هذا هو الترويض من قبل اليهود الذين يروضوننا شيئاً، فشيئاً، فشيئاً إلى أن يصبح كل فساد من جانبهم مستساغاً، ويلطموننا لطمة بعد لطمة، صغيرة، ثم أكبر منها ثم أكبر ثم أكبر حتى تصبح الركلة بالقدم مقبولة ومستساغة، خبثهم شديد.

لاحظوا كيف يسيرون على هذه الطريقة حتى في فلسطين، الانتفاضة من يوم ما بدأت اثنين شهداء، ثلاثة، واحد، أربعة.. يومياً، يومياً وهكذا.. لا يأتي بعدد يثير الآخرين، ولا يتوقف، وهم يعرفون بأنه اثنين كل يوم ثلاثة كل يوم كم سيطلع في السنة؟ وكم وصل إلى حد الآن قتلى الانتفاضة داخل فلسطين كم؟ تقريباً أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

لو جاءوا يضربوا ضربة يقتل فيها ثلاثمائة شخص أليس هذا سيزعج العالم؟ لكن لا.. حسنا هل انزعجنا يوم ما رأينا ثلاثة آلاف، رقم ثلاثة آلاف انزعجنا؟ لا.. لكن لو قتلوا ثلاثمائة شخص دفعة واحدة، ربما كان سننزعج ويحصل استنكار شديد اللهجة ويحصل مظاهرات وتحدث أشياء كثيرة.

إذاً فواحد على اثنين على ثلاثة يومياً وهكذا، وسيرون هؤلاء الناس الذين نروضهم على أن يقبلوا هذا التعامل سيرون في الأخير سيرون في الأخير أرقاما كبيرة ثم لا تثيرهم وهذا أفضل فنسمع عن إحصائيات ثلاثة آلاف قتيل وجرحى بالآلاف هل استثارنا خبر الإحصائيات هذه؟ لا.. طبيعي هكذا يعملون في كل شيء.

ومن هنا نعرف: كيف أن اقتراف الأمة لمعصية من هذا القبيل كالربا أن الأمة ستنال عقوبة من الله على ارتكابها، هذا هو وعيد وجانب من الوعيد في الدنيا.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: من الآية٨٥) ألم يذكر هنا وعيداً في الدنيا وفي الآخرة؟ ما بال المرشدين دائماً لا يتحدثون عن الوعيد في الدنيا وهو جانب مهم في تخويف الإنسان من معصيته جانب مهم {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} (البقرة: من الآية١٢٠) أنت ذاهب ـ وأنت تريد أن تؤثر في نفسيات الناس ـ على منهاج هدي الله، تجد أن الله يخوفهم في الدنيا من عقوبات أعمالهم فخوفهم بها،

واذكر لهم ماذا ستكون هذه العقوبات، وكيف ستكون، وعلى أي نحو ستكون؛ لأن الناس هكذا يخافون العاجلة أكثر مما يخافون الآجل، فسيدفعهم خوفهم من العاجل إلى أن لا يقعوا في العقوبة الآجلة، أليس هذا من رحمة الله؟ إذا خفنا عقوبات في الدنيا سيدفعنا خوفنا من العقوبات في الدنيا إلى أن نحذر من تلك المعاصي التي تؤدي إليها وبالتالي سنسلم العقوبة الشديدة في الآخرة وهي جهنم.

{فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ} (البقرة: من الآية٨٥) **يؤمن ببعض من الكتاب ويكفر ببعض، كما نحن المسلمون في واقعنا عليه، نأخذ الصلاة من الكتاب ونترك الجهاد! نأخذ الحج ونترك وحدة الكلمة! نأخذ جزءاً بسيطاً من داخل القرآن الكريم ونترك الجزء الأكبر! بل المجتهد هو همه من داخل القرآن خمسمائة آية على أكثر تقدير ويترك الآلاف من الآيات الأخرى لمجرد التعبد بتلاوتها!.** {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (البقرة: من الآية٨٥).

حسناً كيف هو الكفر ببعض؟ هل أن أهل الكتاب يقولون: إن نصف التوراة من الله، ونصفه الآخر ليس منه؟ لا.. يقولون: هي كلها من الله. أليس كذلك؟ نحن نقول أيضاً: القرآن كله من الله، ونحن في واقعنا نؤمن ببعض ونكفر ببعض.. ماذا يعني كفرنا بالبعض الآخر؟ إنه رفضنا، رفضنا له، ابتعادنا عن تطبيقه، نسياننا حتى عن تصنيفنا له بأنه جزء من ديننا، وأن عليه تتوقف نجاتنا.. هكذا نصبح في واقعنا كافرين ببعض وإن لم نكن ننكر أن هذا البعض هو من الله.

من الذي ينكر أن هذه الآية: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} **هي من الله؟ هل أحد ينكرها؟ حتى ولا المرابون أنفسهم لا ينكرونها، لكن أليسوا عندما ينطلقون في التعامل بالربا كافرين ببعض الكتاب: رافضين، والرفض هو: كفر، هكذا يقول عن العقوبة في الدنيا:** {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

الخزي هل هو سهل؟ الخزي يجب أن يزعجنا كلمة: {خزي} **يجب أن ينزعج الإنسان إذا ما سمع كلمة خزي في الدنيا، أوليس الناس قد يقاتل بعضهم بعض؛ لأن ذلك الشخص جاء على لسانه كلمة تمس عرضه، أو يكون الكلام الذي قاله فيه أو نسبه إليه يعني أن ينسب إليه مما يجعله يخزى فينفعل ويغضب ويقاتل.**

الخزي شديد.. أوليس واقع هذه الأمة هو واقع خزي؟ من أين جاء هذا الخزي؟ هكذا؛ لأنه حصل إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض، والبعض الذي كفروا به، أو أصبحت الأمة في واقعها كافرة به هو الجزء المهم والأكثر أهمية..

أليست المساجد قد ملئت الدنيا؟ مساجد والمصلون يملئونها أفواجا، حتى المرابون يصلون أيضاً؟ نحن نصلي ونبني مساجد ونحن نطبع القرآن الكريم، ونعمل أعمالاً أخرى لكن هناك أعمالاً نتركها هي المهمة وهي المهمة التي لا تقبل الصلاة إلا بها ولا تعطي الصلاة ثمرتها إلا معها وبالتوجه إلى أدائها. فالخزي الذي الأمة فيه يعني ذلك أنه كان بسبب كفرهم ببعض الكتاب الذي تمثل بصورة رفض لأشياء مهمة جاءت في هذا الكتاب لم تتجه إليها.

إذاً فليس الخزي هو من الطبيعة التي جبلت عليها الدنيا من يوم خلقها الله، وإنما بسبب ما يحصل من جانبنا نحن من تقصير في أداء جوانب مهمة من هدي الله، ورفضنا في عملنا وفي واقعنا للعمل بأشياء كثيرة مما تضمنتها آيات الله في كتابه.

فإذا ما قيمنا وضعيتنا فوجدنا أن وضعية الأمة هي في حالة خزي.. من الذي يستطيع أن يقول أن الأمة ليست في حالة خزي؟ اسمع التلفزيون سترى كيف مواقف الخزي، كيف الكلمات المخزية تنطلق من الكبار، وكيف الوقوف المخزي يحصل ممن يجب عليهم أن يتحركوا في أوساط الأمة؛ لإنقاذها، ولتبيين كتاب الله لها انظر كيف هي المواقف المخزية للأمة بشكل عام أمام التهديدات التي تأتي من قبل أعدائها، انظر كيف السكوت المخزي أمام ما يحدث من ضربات في كل جوانبها، وداخل كل بقعة، انظر كيف الحياة المخزية أن يصبح عيشنا تحت رحمة أعدائنا، وقوتنا من تحت أيدي أعدائنا.. أليس هذا خزياً؟.

إذا فهمنا أننا في حالة خزي، وفهمنا أن الخزي إنما يأتي إذا ما انطلقنا نحن على هذا النحو: نؤمن ببعض الكتاب

ونكفر ببعض، حينها سيكون فهمنا لواقعنا وفهمنا بأن هذه نتيجة لتقصيرنا سيدفعنا ذلك إلى أن نصحح وضعيتنا ونرجع إلى الله رجوعا عمليا صحيحا، لكن إذا فهمنا أن هكذا الدنيا، وأن علينا أن نصبر وإن كنا نعرف أن هذا خزي، هذا حال الدنيا والمسلمون هكذا يكونون مستضعفين، وإذا قلنا نحن أهل الحق وجدنا أنفسنا مستضعفين أكثر قالوا هذا هو الدليل على أننا على حق، أن أهل الحق هم يكونون عادة مستضعفين أكثر، ومساكين، وأذلاء، ومقهورين!! إذاً فيصبح الخزي علامة أنك محق.. أليس كذلك؟ كلما كنت في خزي أكبر كلما كان ذلك يعني: أنك على الحق أكثر وأكثر!.

لكنا هنا القرآن الكريم يقول: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثم يأتي الربط الذي تراه كثيراً في القرآن الكريم بين الحالتين، لا تتوقع بعد الخزي في الدنيا رفعة في الآخرة، توقع بعد الخزي في الدنيا عذاباً عظيماً في الآخرة نعوذ بالله {خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: من الآية٨٥) هكذا يجب أن نفهم، وهكذا نرد على من ينطلق ليعلمنا: أن هكذا الحياة خزي وراءه رفعة في الآخرة، غير صحيح. القرآن في أكثر من آية يربط على هذا النحو.

ويقول سبحانه وتعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (البقرة:٥٩)، بدلوا كلمة.. قال: {وَقُولُوا حِطَّةٌ} (البقرة: من الآية٥٨) {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ} (البقرة: من الآية٥٨) حطة بما تعنيه: حط عنا ذنوبنا، حط عنا سيئاتنا، ما أعجبهم أن يقولوا هذه الكلمة بطيبة نفس وغيروها [حنطة] أو بعبارة أخرى، ألم يزيدوا [نوناً] على{حِطَّةٌ}؟ هذا النون ماذا أدى إليه؟ أصبح ما قالوه تبديلاً بإضافة نون كما يقول بعض المفسرون أنهم قالوا: حنطة. ولم يقولوا: حطة. أصبح النون هنا لذيذاً، النون أصبح له طعماً لذيذاً.

{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} (البقرة: من الآية٥٩) فما الذي حصل؟ {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ} (البقرة: من الآية٥٩) استحقوا رجزاً من السماء، أي سماء؟ سماء جهنم أم سماء الدنيا؟ رجزاً من السماء: عذاباً من السماء، والكلمة تعني: عذاب بأي نوع كان من أنواع العذاب {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (البقرة: من الآية٥٩) زيادة نون جعلت اللفظة التي أمروا بها أصبحوا بها مبدلين للقول الذي أمروا بأن يقولوه عندما يدخلون الباب، أصبحوا مستحقين أن ينالوا عقوبة إضافة نون إلى حطة فيأتي بعد النون هذه رجز من السماء، ويحكم عليهم بأنهم قد فسقوا {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} ويأتي بحرف [الفاء] الذي يفيد سرعة حصول هذا وترتبه بتعاقب: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا} [الفاء] تفيد التعاقب السريع أيضا {فَأَنْزَلْنَا} تختلف عن [ثم] لم يقل [ثم أنزلنا] هذا قد يوحي بأنه بعد فترة، تحصل عقوبة بسرعة كما قال: {فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} (طـه: من الآية١٢١) في آدم وحواء سريعا.

هذه قضية يجب أن نتنبه لها: أن الناس متى ما كانوا مقصرين، فليفهموا أن العقوبة المكتوبة جزاءً لذلك التقصير تأتي سريعا {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} (النساء: من الآية١٦٠) وقد تكون العقوبة أيضا بشكل تشريعات شاقة {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} (النساء: من الآية١٦١) وهكذا فقال إنه عندما شرع حرم عليهم طيبات أحلت لهم، أليس هذا فيه عذاب؟ نوع من العذاب ولم يعدهم برفع هذا التحريم عنهم إلا إذا آمنوا برسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، كما قال: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف: من الآية١٥٧) كان هناك إصر: أثقال جاءت بشكل تشريعات لأنهم كانوا يتمردون، فيستحقون عقوبات.

وقد تأتي العقوبات بشكل دائم تأتي بشكل أن يحرم عليهم شيئاً من الطيبات فيكون شاقا عليهم، ألم يحرم عليهم كل الشحوم؟ حرم عليهم الشحوم إلا شيئاً معينا من الشحوم الذي لم يحرمه، الحوايا أو ما اختلط بعظم.

وقد تأتي العقوبة بشكل شيء معنوي يتجه إلى القلوب كما قال الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل، وبنو إسرائيل في تاريخهم الطويل داخله عبر لنا ولم يحك عن أولئك! يقول ما يحصل لأولئك سيحصل لنا نحن، القرآن ليس كتابا تاريخيا يتحدث عن قصص للتسلية، ولأن تاريخ بني إسرائيل هو رصيد مهم حافل بالعبر والدروس قدمه لنا {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} (المائدة: من الآية١٣).

هكذا الإنسان قد يقترف معاصي، أو قد يعرض عن هدى، أو قد يقصر في عمل مما عليه أن يعمله فتكون النتيجة هو أن يقسو قلبه، وقسوة القلب ليست قضية هينة، قسوة القلب ماذا وراءها؟ وراءها كل الشقاء في الدنيا، وراءها جهنم، بل عندما يقسو قلبك بسبب معصية واحدة معينة ستنطلق أنت إلى المعاصي؛ لأنك قد خذلت من جانب الله ولم تعد تحظى برعايته، ستنطلق أنت في معاصي كبيرة، ومعاصي كثيرة تضل وتزداد ضلالا، وتتحول إلى إنسان يحمل نفسا خبيثة يتراكم الخبث داخلها.

قسيت قلوبهم فانطلقوا يحرفون الكلم عن مواضعه، وحصل أن نسوا حظاً كثيراً مما ذكروا به، ثم كما قال الله: {وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ} (المائدة: من الآية١٣) خيانة، خداع، مكر، إذا ما قسى القلب انطلق الإنسان شرا في هذه الحياة، انطلق إلى عمل المعاصي بكل جرأة، بلغ بهم الحال إلى أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فيفترون على الله الكذب؛ لأن قلوبهم قد قست.. لماذا؟ وبماذا قست؟{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}؛ لأنهم لم يفوا بالميثاق الذي بينهم وبين الله، لأنهم لم يفوا بالمواثيق التي بينهم وبين الآخرين، فنقض الميثاق معصية تأتي بعده هذه العقوبة: أن يقسو القلب.

ثم يقول سبحانه وتعالى في آية أخرى بعد أن طلب نبي الله موسى من قومه أن يدخلوا القرية التي كتب الله لهم أن يدخلوها ـ القصة مهمة جداً ـ: {يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا} (المائدة: من الآية٢٤) أليست هذه معصية؟ رفضوا! ما الذي حصل من عقوبة في الدنيا؟{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة: من الآية٢٤) {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} (المائدة: من الآية٢٦) بعد هذا جاء بالعقوبة عليهم في الدنيا: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة:٢٦).

أليس هذا وعيداً في الدنيا حصل لبني إسرائيل؟ تاهوا أربعين سنة في صحراء [سينا] لا يبنون مساكن ولا يزرعون.. بالآلاف تائهين مثلما نحن، نحن الآن في حالة تيه، لكن تيهنا تيه فكري، تيه ثقافي نرى المشاكل، ونرى المصائب من كل جهة ولا ندري ماذا نصنع، ويصل الحال بنا في حالة تيهنا أنه متى ما أحد قال لنا: هذا حل أو قولوا هكذا.. سخرنا منه، ماذا سيجدي هذا؟!. لا.. دعنا هكذا. دعنا نتيه. ألسنا في حالة تيه؟.

حتى تتأكد أننا في حالة تيه ـ كلنا نحن المسلمين ـ انظر إلى وسائل الإعلام في التلفزيون تتحدث عما يعمل الأمريكان وعما يعمل اليهود في كل منطقة وعما يعمل النصارى، ثم انظر هل هناك حديث عن حل، أو حديث عن موقف إسلامي أو موقف عربي؟ لا.. تائهين، فقط يهمنا أن نسمع، أن يقال حتى كلمة واحدة قولوها قد ربما تزعج أولئك قد تزعجهم أو تقلقهم قليلا، يكون موقفا لا بأس لا بأس أقل قليل [ماذا يعمل هذا؟.. لا. دعنا هكذا نتلذذ بالتيه. دعنا هكذا رضينا بهذه الحالة.. ملطام هنا وملطام هنا. وإذا أحد انطلق قلنا له: اسكت. وإذا أحد يريد أن ينبهنا على أن يكون لنا موقف أو أن يقول شيئا أن نصرخ في وجه هؤلاء الأعداء لنزعجهم لنقلقهم. قالوا: لا.. اسكت.. دعنا].

هكذا التيه، بنو إسرائيل تاهوا أربعين سنة؛ لأنهم امتنعوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم في ذلك الزمان، بل قالوا تلك العبارة القليلة الأدب: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.

ولاحظوا.. كيف أنه لم يكن هناك إلا رجلين إضافة إلى نبي الله موسى وهارون دفعوا بهم إلى أن يشجعونهم لدخول هذه الأرض التي كتب الله لهم، رجلين فقط، الأغلبية كلهم ليسوا حول هذا الموضوع، لكن ألم يكن كلام أولئك الرجلين كلاما كان مهمًّا عند الله سبحانه وتعالى فسطره في كتابه وخلد ذكره. رجلين، وحتى رجل واحد ألم يسطر كلام رجل واحد مؤمن آل فرعون؟ ويأتي بصفحة كاملة لمؤمن آل فرعون في [سورة غافر] لأنه لا عبرة بالمجاميع التي لا تقول شيئاً مهما كانت ثقافتهم مهما كانت مكانتهم، مهما كانت قدراتهم، وأن رجلاً واحداً ينطلق ليرشد الأمة له قيمته العظيمة عند الله، وهو حجة على الأمة.

لسنا بحاجة إلى أن ننتظر إجماعاً كما قد يقول البعض ينتظر العلماء كلهم أن يقولوا، والعلماء كلهم أن يقفوا والعلماء كلهم أن يتحركوا. أليس هذا هو ما يدور عند البعض؟ المهم هو: أن يكون هناك من يقول ولو رجل واحد، كمؤمن آل فرعون أن يكون هناك من يقول ولو رجلان فقط كما حصل لقوم موسى هنا: {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} يخافون الله ويخافون عقوبته، عقوبة عدم الاستجابة والتفريط في الاستجابة لنبي الله. {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا} أنعم عليهما بالإيمان، بالوعي، بالفهم، بالتقوى، بالاهتداء.

وضعوا لهم خطة: {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} لأنه كما في الأثر (ما غزي قوم في عقر دورهم إلا ذلوا) اهجموا عليهم الباب فإذا دخلتموه فهم سينهزمون نفسياً وسيضعفون ويتفرقون وستغلبونهم. أليسوا هنا وجهوا لخطة حكيمة؟

نبي الله موسى أمرهم بأن يدخلوا هذه الأرض، وهذان الرجلان تحدثا عن خطة عندما وجدوهم يتهربون من الدخول {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} توكلوا على الله وادخلوا وستغلبون.. ألم يذكر الله كلام الرجلين كما ذكر كلام موسى، ألم يسطر كلام الرجلين هنا مع كلام موسى، وكلام مؤمن آل فرعون مع كلام موسى في المقام الآخر أيضاً؟ لأن الكلمة لها أهميتها، الكلمة التي توجه، الكلمة التي ترشد، الكلمة التي تضع خططا عملية، للحفاظ على الأمة ولبناء الأمة، ولتكون الأمة ملتزمة بدينها لها أهميتها.

ألم يضرب الله مثلا للكلمة الطيبة {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} (إبراهيم: من الآية٢٥)؟ وإن لم تكن إلا من رجل واحد لا تنتظر الجميع أن يقولوا، لا تنتظر الكل أن يقولوا من العلماء، أو من المثقفين، لا تنتظر للحكام للزعماء جميعاً أن يقفوا. انظر إلى من يتحرك، انظر إلى من يقف فتحرك معه وقف معه، ألم يسطر كلام الرجلين على أساس أنه كلام مطلوب من بني إسرائيل أن يتجهوا على أساسه وأن يعملوا به؟ لو كانت خطة خاطئة لما سطرت ولما دونت، {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} هذه خطة عملية عسكرية {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

هذه خطة صحيحة سطرت؛ لأنه أصبح مطلوباً من بني إسرائيل أن يسيروا عليها؛ فكانت لها قيمتها وإن لم تصدر من أعيان ونقباء بني إسرائيل جميعاً، وإنما أتت من رجلين. وقد يكونا رجلين من أوسط الناس من أطرف الناس، لم يذكر أنهما كانا من الملأ، كما يقول عن الملأ من كبار الناس، أو من أعيان الناس أو من نقباء بني إسرائيل رجلين لكن رجلين فاهمين، أنعم الله عليهما بالإيمان أنعم عليهما بالهدى.

الله كأنه يقول لنا: لو أنهم نفذوا كلام هذين الرجلين لما تاهوا أربعين سنة. ألم يتيهوا أربعين سنة عندما امتنعوا عن تنفيذ طلب نبي الله موسى أن يدخلوا وعن الدخول بعد وضع الخطة من قبل الرجلين، فتاهوا أربعين سنة؟ وكأن هذا يقول للكثير من الناس الذين يقولون: [سننتظر للعلماء جميعاً أن يقولوا أو ننتظر زعماء العرب جميعا حتى يتحركوا، أو المشايخ جميعاً حتى يقولوا] انظر إلى أي رجل أو رجلين يقولا كلاماً صحيحاً يؤدي إلى موقف صحيح وتأكد بأنه مطلب من الله كما كان هنا كلام الرجلين مطلب لله من بني إسرائيل أن يسيروا عليه وإلا لما سطره في كتابه مع كلام نبيه موسى.

وهذه قضية مهمة؛ لأن الكثير قد يدخل في نفسه ريب وشك نحن هنا نقول: [الموت لأمريكا والموت لإسرائيل لكن هناك مدينة علمية هناك مجاميع من العلماء لا يتكلمون بها. هل كان هذان الرجلان ـ اللذان حكى الله

عنهما من بني إسرائيل ـ هل كانا قمة بني إسرائيل؟ أو أن هناك الباقي الكثير ممن هم رافضون وممن هم ساكتون ألم يكن في بني إسرائيل علماء؟ على أقل تقدير ممن يسمعون موسى وهو يتكلم وهو يرشد وهو يوجه فيعلمون ما يقول.. ألم يكن فيهم علماء ووجهاء؟ لكنهم كانوا ساكتين أو كان موقفهم كموقف الآخرين {لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا}.

هل كان مقامهم بالشكل الذي لم يلحظه الله؟ فيقول: [ما دام قد جلس أعيان بني إسرائيل وسكتوا أو كان هذا هو رأيهم فما قيمة كلام الرجلين، لا شيء]. لا.. اعتدَّ بكلام الرجلين وجعل له قيمته، وجعله كلاماً عظيماً، وجعل أولئك لا شيء، الذين قعدوا من علمائهم من وجهائهم، من عبادهم، رجلين فقط والباقي ماذا؟ إما أن يكونوا ساكتين أو يكونوا ممن يقولون: {لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}؛ لنعرف أنه في كل زمان هل سيكون الله مع أولئك الذين يسكتون من علماء وعباد ووجهاء وزعماء؟ أو أنه سيكون مع رجل أو رجلين من هنا، أو هناك ينطلقون ليضعوا خططاً عملية للأمة تسير عليها، وخططاً لتوعية الأمة ولإرشاد الأمة.

أنت عندما تقول: [لو كان هذا عملا صحيحا لكان العلماء في المقدمة] أنت في ذهنيتك تتصور وكأن الله هو مع المجاميع الأخرى الجالسة والساكتة أليس كذلك؟ تتخيل وكأنه هو مع أولئك، وهذا هو شاذ هناك.

رجلان الله كان معهما وأثنى عليهما، وجعل الخطة التي قالوها خطة حكيمة مطلوبة من بني إسرائيل ولم يعتد بالعلماء، ولا بالأعيان، ولا بالعباد، ولا بالوجهاء الآخرين من بني إسرائيل.. هل اعتد بهم؟ لا.. بل تاهوا كما تاه الآخرون، وتحملوا أوزار قعودهم وسكوتهم، سواء كانوا هم ممن قال: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} الكلمة القبيحة هذه.. أو قالها آخرون فمشت.

إذا ما جاءت كلمة سيئة من أطراف الناس وسكت أولئك الذين يجب عليهم أن يقفوا ضدها فكأنها هي كلمة تعبر عن موقف المجتمع كله؛ لأنه هاهنا قال يحكي عن بني إسرائيل {قالوا} قالوا.. وكم تحت [الواو] في كلمة {قالوا} تفهم وكأنه ما عدا الرجلين.

{قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا} فهل تتوقع بأن الذين قالوا هذه العبارة هم من علماء بني إسرائيل وعباد بني إسرائيل، قد لا يكون البعض ممن قال هذه العبارة، قد يتحاشى عالم من علمائهم، أو عابد من عبادهم أن يقول هذه العبارة، لكنها قيلت ونحن علماء وعباد ووجهاء وأعيان سكتنا، فكانت هي الموقف الذي يعبر عن الجميع.

ففي هذه النقطة عبرة لنا نحن.. لا ننتظر للعلماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للزعماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للمشايخ أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للأمة أن تتحرك كلها، تحرك بحركة رجل أو رجلين يقف مواقف صحيحة وستلمس أنت أن ذلك موقفاً صحيحاً، وأقل ما يمكن أن تلمسه: أن هذا الموقف له جدوائيته وينفع فيكفي هذا. شيء أفضل من لاشيء أليس كذلك؟.

ثم إذا ما عرفنا بأنه يقال: إن عملاً كهذا خطير، إذًا فاعرف أنه عمل خطير أيضاً يعني: عظيم له قيمته.

إذا قيل لك بأن هذا عمل خطير عليكم، ماذا يعني هذا؟ أليس ذلك يعني: أن عملك له قيمته وله أثره البالغ على أعداء الله؟ إذاً هو ما تريده. أو أننا نريد أن نبحث عن أعمال لا تضر بالآخرين!. هل هذا معقول؟ كيف بإمكانك أن تقف في مواجهة أعداء الله وبأعمال لا تكون خطيرة ولا تضر بآخرين! ما هو العمل هذا؟ ربما النوم، النوم هو لن يضر بالآخرين لكن سيضر بك.. أليس كذلك؟

إذا ما انطلقنا في عمل معين، فقيل لنا: هذا عمل خطير، فجلسنا، انطلقنا في عمل آخر، فقيل: هذا خطير، جلسنا، أي أننا نريد أن نبحث عن عمل نقف معه ضد أعداء الله لكن لا نريد أن يكون خطيرا علينا، فإذا لم يكن خطيرا علينا يعني أنه ليس شديد النكاية بأعداء الله.. أليس كذلك؟

فهذا يسمى جهاد ماذا يمكن أن نسميه؟ جهاد من نوع لين، أو جهاد انتساب كطلاب الجامعة، يدرس في الجامعة عن بعد، متى ما قيل لك: عملك هذا خطير فإنه شهادة أن عملك هذا مؤثر ضد أعداء الله.

فإذا كنت مجاهداً ويهمك أن تبحث عن الأعمال التي ترضي الله، والتي تكون مؤثرة ضد أعداء الله فإنه متى ما قيل لك: إن عملك هذا خطير، فهو شهادة أنك على النهج الصحيح في مواجهة أعداء الله، وهو شاهد أيضاً على أن عليك أن تبحث أكثر وأكثر عن ما يشكل أكثر خطورة عليهم، وإن كان أيضاً أكثر خطورة عليك؛ لأنه أحياناً ـ وهذا هو ما نجهله جميعاً ـ ننظر إلى الخطورة التي تحدث من وراء ذلك العمل من جانب الآخرين، ولكننا لا ننظر إلى خطورة القعود وما توعد الله على القعود وعلى السكوت من عقوبات أقلها الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا نخاف من ذلك أليست هذه هي الخطورة البالغة التي يجب أن نخافها؟ أليس هذا هو الخطر الحقيقي الذي يجب أن نخافه؟ فحينئذ قارن بين سكوتك وبين عملك أيهما سيكون أخطر عليك من جانب من؟ الخطورة من جانبه أشد والعقوبة من جانبه أعظم وهو الله. هل سكوتي أو انطلاقي في العمل أيهما أخطر علي؟ من جانب الله سبحانه وتعالى؟ ستجد أن السكوت هو الذي يشكل خطرا عظيما عليك.

نظرة خاطئة، نظرة لا تلتفت إلى جانب الوعيد لا في الدنيا ولا في الآخرة، متى ما انطلق الناس في عمل فقيل لهم: هذا خطير، اتجهت أذهانهم وأنظارهم إلى ذلك الخطر المحتمل من جانب جهة داخلية، أو خارجية وجعلوه كل شيء وارتعدت فرائصهم، واضطربت قلوبهم.

إذا كان الناس على هذا النحو فسيكونون هم ممن قال الله عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ} (العنكبوت: من الآية١٠) **{آمنا} لكن إذا الدنيا سلامات {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}** (العنكبوت: من الآية١٠) **وجعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها، ثم لا يعد يرفع له رأساً، ولا يعد يرفع له يداً ولا تنطلق من فمه كلمة. [ألم نقل لكم أن هذا عمل خطير، ألم نقل لكم اتركوا هذا العمل.. ما رضيتم؟] أليس هكذا يقول الناس؟.**

أنت قل للآخرين قل لهم ما قال الله في كتابه من وعيد لمن يقعدون لمن يتخاذلون، لمن يسكتون وما وعدهم به من أجر عظيم، ومن جزاء حسن في الدنيا وفي الآخرة، إذا ما انطلقوا يعملون ذلك الجزاء العظيم الذي يجعل كل خطر من جانب الآخرين لا شيء، كلم الناس بهذا، ذكر الناس بهذا، الذي يقول لك: عملك هذا خطير، قل له: لكن أنت سكوتك أيضاً هو خطير، وتعال نجلس معا أنا وأنت، نعرض سكوتك ونعرض عملي على كتاب اللهن، فننظر أيهما أشد خطراً، وحينها سنسلّم أنا وأنت، ونحن مستعدون إلى أن نقف، إلى أن نمتنع، إذا كان عملي هو أكثر خطرا عليّ من جانب الله سألتزم بكلامك، وإن كان سكوتك هو الأكثر خطرا فإنه يجب عليك أن تتحرك بحركتي، لماذا لا تقول للآخرين هكذا؟ من يقولون: (اسكتوا كلامكم خطير، عملكم هذا خطير). لماذا لا تقول لهم هذا؟ نحن ننسى.

ألم أقل قبل يومين في شرح كلام زين العابدين: ((وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) أننا بحاجة إلى أن نكون جنودا لله، نعي كيف نتحدث مع الآخرين، نعي كيف نخاطب الآخرين. من هو ذلك الذي قد يقول مثل هذا الكلام إذا ما انطلق شخص آخر ليثبطه عن عمل ـ قد يكون القليل منا ـ ونحن ما تزال أعمالنا بسيطة، فإذا ما انطلق أحد يثبطه عن عمل تاه بفكره وسكت، من سيقول لك عملك هذا خطير قل له: سكوتك أنت أيضا خطير عليك أمام الله.

الخطورة البالغة هي في سكوتك؛ خطورة عليك وخطورة على الأمة وخطورة على الدين. لكن عملي قد يكون فيه خطورة على شخصي فقط وهو بناء للأمة وهو نصر للدين. فأيهما أشد خطورة ذلك الذي هو ضرب للدين وللأمة وللإنسان نفسه، أم هذا الذي قد يكون لشخصك لكنه نصر للأمة، ونصر للدين، وفوز لك في الدنيا والآخرة؟.

يجب أن نصل نحن في وعينا إلى أن نعرف كيف نتحدث مع الآخرين عندما ينطلقون ليثبطونا عن أي عمل، وما زالت أعمال الناس بسيطة، لنكون جنداً من جنود الله لا يستطيع أحد أن يوقفنا أبداً لا بتضليله، ولا بإرجافه، ولا بأي أسلوب كان.

كلام الرجلين ـ {قَالَ رَجُلانِ} ـ يدل على أن المجاميع الأخرى كانت متخاذلة أليس كذلك؟ أنها كانت متخاذلة. لم يقل هنا حتى قال عالمان أو قال كبيران، بل {قَالَ رَجُلانِ} وأنت انظر كما قلت سابقا ستجد إذ كنت تفترض أن

هناك مجاميع من العلماء والعباد داخل بني إسرائيل.. أين هم؟ أليسوا في ذلك الجانب الآخر المتخاذل؟ خذ عبرة من هذا، خذ عبرة من هذا أنه هكذا في كل زمان، والتاريخ يشهد أنه في كل زمان ليس العلماء جميعا يتحركون، ولا الوجهاء جميعا يتحركون، ولا المؤمنون جميعا يتحركون، ولا كل من يمتلك فما ينطق ويتحدث.. هذا هو الشيء المعروف من خلال القرآن الكريم ومن خلال التاريخ، تاريخ الأمة.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضا: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة:٤١)

أليس هذا وعيدا يبدأ من الدنيا وينتهي بالآخرة على نمط واحد؟ خزي في الدنيا يكون وراءه عذاب عظيم.

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} (المائدة:٨٠) **ألم يسخط عليهم في الدنيا؟ ألم يلعنهم في الدنيا؟ اللعنة في الدنيا ماذا تعني؟ طردا من رحمة الله، ورحمة الله عندما تأتي لتتلمس الكثير الكثير من مظاهرها تجد كم هي خسارة كبيرة جدا عليك أو على أمة من الأمم أن يلعنها الله، طرد من رحمة الله، لم يعد يحظى برحمة من قبل الله، تطرد من عالم التوفيق والألطاف، من عالم العناية والرعاية الإلهية؛ فتصبح فريسة للشيطان، فريسة للمضلين، تصبح إنسانا شريراً تنطلق كما انطلق الشيطان.**

ألم يلعن الله الشيطان بعد تلك المعصية التي اقترفها عندما استكبر عن السجود لآدم؟ بعد أن لُعن ماذا حصل؟ ألم يتعزز لديه الضلال والإضلال والخبث حتى أصبح شيطاناً لعيناً، رجيماً، أصبح رمزاً للشر، أصبح رمزاً للسوء، أصبح رمزاً للضلال، أصبح رمزا للباطل؛ لأن الله لعنه، وأمة إذا لعنها الله تخذل، وتذل، وتقهر وتهان.

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} وما تزال اللعنة قائمة عليهم.. لكن لماذا نراهم هكذا أقوى منا ونرى أنفسنا نحن المسلمين تحت أقدامهم؟ لماذا؟ لأننا لو أتينا إلى دراسة واقعنا نحن، وإلى عظم الجريمة التي ارتكبناها نحن المسلمين لوجدنا أنفسنا أننا قد طردنا أكثر منهم ولعنا أكثر منهم. حقيقة هذه.

هل أن اللعنة رفعت عن بني إسرائيل؟ فلماذا رأينا أنفسنا تحت أقدامهم؟ إلا لأن هذه الأمة فيما اقترفته من جرائم في إعراضها الكبير عن دين الله، في تخليها عن مسؤوليتها وهي آخر الأمم، والمسؤولة عن إصلاح الأمم الأخرى جميعا، عن النهوض بهذا الدين، عن أن تقطع أيدي اليهود والنصارى الذين قد لعنوا. أصبحت وضعية هذه الأمة أسوأ بكثير من وضعية بني إسرائيل التي لعنوا بها فكأن الأمة في لعنة أشد من لعنة بني إسرائيل.

إذا ما غلبك ضعيف فماذا يعني ذلك؟ ألا يعني أنك أضعف منه، إذا ما أذلك ذليل ماذا يعني ذلك؟ أليس هذا يعني أنك أذل منه؟ هكذا.. أو نقول بأن هناك ربما اللعنة قد ارتفعت عن بني إسرائيل؟ هل أن بني إسرائيل اتجهوا إلى الأفضل؟ أم أنهم ازدادوا سوءاً وازدادوا ضلالاً وإضلالاً، وحركة في الدنيا بالإفساد؟ فأصبحوا مستحقين للعنة أكثر وأكثر، لكن وستلعن أمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يلعن أشخاصا لألوانهم، أو لأسمائهم، أو لمواقعهم في هذه الدنيا، إنما لأعمالهم فكما لعنت بنو إسرائيل لأعمالهم ستلعن أمة أي أمة كانت، إذا ما اقترفت تلك الأعمال أو أسوأ منها، وستكون اللعنة عليها أشد وأعظم إذا ما اقترفت أعظم مما اقترفه بنو إسرائيل.

تعالوا إلى هذه الآية: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ} أين هم اليهود الذين هم كافرون بالتوراة بأنها ليست من الله أو كافرون بالله كإله؟ هل هناك أحد؟ هم ما يزالون إلى الآن يطبعون التوراة ويهتمون بالتوراة، لكن الكفر ذلك الرفض، الرفض الذي هو موجود لدينا ولديهم، لعنوا لماذا لعنوا على لسان داوود وعيسى بن مريم؟ {ذَلِكَ} وتجد كلمة: {ذَلِكَ} أمامك في كل مقام و{ذَلِكَ} تعني تعليلاً.. لأنهم كذا. والله لا هوادة بينه وبين أحد من عباده.

إذا ما انطلق منك ما استحق به الآخر اللعنة فستُلعَن كمثله {ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} لعنوا بماذا؟{بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} هل أن الآخرين إذا ما عصوا واعتدوا لن يلعنوا؟ سيلعنون، وإن كانوا من أهل بيت رسول الله سيلعنون، بل الحديث عن بني إسرائيل هو عبرة لأهل البيت أنفسهم، أنهم لا يعتمدون على مسألة أن الله فضلهم في هذه الأمة، فيركنون على هذه وحدها، هو فضّل قبلهم بني إسرائيل، لكن التفضيل إذا ما حصل معه عصيان، إذا ما حصل معه تفريط، إذا ما حصل معه واقع هو في نفس الوقت يعتبر كفراً من حيث أنه رفض لشيء من كتاب الله، مما هو منوط بهم وهم ورثته، فسيلعن أولئك الفضلاء كما لعن أولئك الفضلاء، هذا شيء لا شك فيه ولا هوادة بين الله وبين أحد، وهو الذي يقول هنا: {ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} لأنهم عصوا؛ لأنهم اعتدوا، وإلا فليس لي موقف منهم أن اسمهم [بنو إسرائيل] أو أن اسمهم [يهود] أو أنهم من سكان المنطقة الفلانية، لا.

هو فضلهم هو اصطفاهم، جعل فيهم النبوة والكتاب، والحكمة، والملك، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين. لكن عندما حصل منهم عصيان، وعندما حصل منهم اعتداء، عندما كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا ينهون الآخرين عن منكر يفعلونه، وعندما انطلقوا يتولون الذين كفروا.

هل هنا في واقعنا من هذا النوع أم لا؟ هناك عصيان هناك اعتداء، هناك قعود عن النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، هناك تولي للكافرين، هناك تولي للظالمين، أليس هذا الذي هو موجود في الأمة هذه وبشكل ربما أكثر وأسوأ مما هو عند بني إسرائيل، ويعتبر أسوأ اعتباريا أيضا من حيث أن هذه الأمة كان المفترض منها هي أن تنطلق لتصحح وضعيتها، فتكون هي التي تنشر هذا الدين في العالم كله، فكانت المعصية والاعتداء والتولي، بما أنه أيضا قعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما أنه معصية في نفسه هو أيضا معصية من جانب أمة جعلها تتخلى عن مسئوليتها الدينية، وعن مسئوليتها في قيادة الأمم الأخرى، وهداية الأمم الأخرى فكانت الجريمة هنا أكبر، لهذا رأينا أنفسنا ـ نحن كمسلمين ـ تحت أقدام من لعنوا أي: أن واقع هذه الأمة خطير وسيء جداً.

فكيف يقال: بأنه ليس هناك حاجة إلى أن نتحدث عن كيف نعرف وضعيتنا، وكيف نعي واقعنا، وكيف ننطلق إلى أي عمل مهما كان لنعمل على إرضاء ربنا حتى يفك عنا تلك اللعنة التي هي في واقعها أعظم من اللعنة التي وقعت على بني إسرائيل؟! ألا يجدر بنا أن نبحث عن أي عمل كان ولو بشكل صرخة نعلنها وشعار نردده نعبر فيه عن موقف.

{تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ}(المائدة: من الآية٨٠) هذه عبارة مؤلمة جداً {لَبِئْسَ} مهددة جداً {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ}(المائدة: من الآية٨٠) ألم يقل الله في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}(الحشر: من الآية١٨) ما أسوأ ما قدمه هؤلاء لأنفسهم عندما كانوا على هذا النحو: عصاة، معتدين، لا يتناهون عن منكر فعلوه، يتولون الكافرين {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}(المائدة: من الآية٨٠) وهناك تتحدث بأنه لعنهم {أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} في الدنيا وكيف ستحظى أمة بتأييد الله أو نصره، كيف ستحظى برعايته وعنايته إذا كان قد سخط عليها {وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}(المائدة: من الآية٨٠).

أليس هناك في أوساطنا تولي لليهود والنصارى وللكافرين؟ أي دولة أيٌّ زعيم لا علاقة له بالكافرين وباليهود والنصارى علاقات صداقة حميمة، واتفاقيات اقتصادية، اتفاقيات دفاع مشترك، اتفاقيات ثقافية، اتفاقيات تجارية، اتفاقيات تبادل خبرات حتى في المجال التربوي، صداقة حميمة قائمة بين من يفترض منهم أن يكونوا هم من يقفون في وجه أولئك من أعداء الله الكافرين واليهود والنصارى.

ونحن نتولى أيضاً ولكن بأسلوب آخر إما على طريق التدريج نتولى من يتولى، أو تولي مباشر، وقد يصل الناس إلى التولي المباشر من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون فيكون الناس حينئذ {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ

أَوْلِيَاءَ} (المائدة: من الآية٨١).

لو كنا نحن المسلمين، مؤمنون بالله وبالنبي محمد، وبكتاب الله القرآن الكريم ما اتخذنا اليهود والنصارى أولياء، بل لوقفنا ضدهم، ولطهرنا الأرض من فسادهم {وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (المائدة: من الآية٨١).

ويقول سبحانه وتعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ} (البقرة: من الآية٥٥).

أليست هذه عقوبة؟ {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة: من الآية٥٥) **ويقول أيضا عن بني إسرائيل: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٦١)، **هكذا تجد ذلك هذا يعني: أن الحديث عن بني إسرائيل قدم لنا عبرة نحن: أنه إذا لم نكن بعيدين عما كانوا عليه فسيكون واقعنا كواقعهم وسيكون موقف الله منا كموقفه منهم، وتعامله معنا كتعامله معهم، هم أبناء نبيه إبراهيم، خليله إبراهيم، هم من فضلهم، من آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، فإذا كان قد أوصلهم إلى هذه الحالة، فهل سيرحم آخرين وصلوا إلى هذه الحالة نفسها؟ اقترفوا ما اقترف أولئك، هل سيرحمهم؟ إن كان سيرحم ويتغاضى عن أحد فإن أولئك أبناء خليله إبراهيم ومن جعلهم ورثة كتابه، ومن جعل فيهم النبوات طيلة التاريخ تاريخ النبوات، لكانوا هم الجديرين بأن لا يلعنهم، وألا يؤاخذهم، وألا يضرب عليهم الذلة والمسكنة.**

هل العرب يرون مقامهم بالنسبة لله أعظم من مقام بني إسرائيل؟ بنو إسرائيل بلغ بهم الحال عندما لمسوا مقامهم العظيم الذي وضعهم الله فيه أن قالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} (المائدة: من الآية١٨).

العرب أنفسهم هل يرون لأنفسهم ذلك المقام عند الله، أنه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وجعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكا، وفضلهم على العالمين بأشياء كثيرة جداً؟ لا.. العرب في واقعهم لم يحظوا بما حظي به بنو إسرائيل، لكنهم شرفوا، شرفوا بأن كان نبي الله عربي منهم سيد الأنبياء، وخاتم الأنبياء (صلوات الله عليه وعلى آله)، **وشرفوا بأن كان القرآن الكريم بلغتهم، وشرفوا بأن كانوا هم الأمة التي أراد الله أن تنطلق هي لتحمل هذه الرسالة العظيمة إلى العالم كله، فكان هذا الشرف هو الذي سيأخذ كل الشرف الذي أعطيه بنو إسرائيل، وسيكون العرب بكتابهم الكريم الذي جاء بلغتهم مهيمناً على كل الكتب سيكونون هم مهيمنين على كل الأمم.**

ألم يكن هذا مقاماً عظيماً جداً أعطوه في لحظة واحدة؟ يوم بعث الله محمدا (صلوات الله عليه وعلى آله) **في لحظة واحدة، في يوم واحد أعطي العرب هذا الشرف العظيم، ولكنهم رفضوه وتنكروا له، وتخلفوا عنه، وتخلوا عنه، فاستحقوا أن نرى واقعا فيهم هو أسوأ من الواقع الذي فيه من قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله من بني إسرائيل، ماذا يعني هذا؟ أن جريمتنا أعظم من جريمة بني إسرائيل، أن تخلينا عن هذه المسئولية هي نفسها الذي أتاح الفرصة لبني إسرائيل أن يسعوا في الأرض فساداً، وأن يشمل فسادهم الدنيا بكلها.**

قضية مهمة أن نتعرف على واقعنا، كما أكرر كثيراً لنجدّ جميعاً علماء ومتعلمين ومسلمين ومؤمنين نخاف الله جميعاً في دنيانا وآخرتنا، أن واقعنا سيئاً إلى أسوأ ما يمكن أن نتصور، لننطلق في تصحيح وضعيتنا.

نعود إلى بني إسرائيل، ونعود إلى واقعنا، ولا نخرج من القرآن فقط باللعنة لبني إسرائيل، تتذكر كلمة {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١)، **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا}** (البقرة: من الآية٢٧٥) **ذلك بما كذا ألم يأت كثيرا؟ {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** (البقرة: من الآية٦١)، **مرتين يذكر {ذَلِكَ} يعني للتعليل لهذا استحقوا أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة وعندما يقول: {ذلك} هو خطاب لمن؟ يخاطبنا بالكلام كله نحن العرب، نحن أبناء هذه الأمة يخاطبنا بأنه هكذا حصل عليهم بكذا وكذا ولكذا وكذا، حصل عليهم هذا، سيحصل عليكم مثله وأعظم منه إذا ما كنتم على هذا النحو الذي كان عليه بنو إسرائيل أو أعظم مما كان عليه بنو إسرائيل.**

ثم يقول أيضاً: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (البقرة:٦٥) **أليست هذه عقوبة في الدنيا؟.**

وهكذا يجب أن نفهم، يجب أن نطّلع على وعيد الله في الدنيا، على المعاصي والتفريط لنخاف منها، لنحسب لها ألف حساب، ليدفعنا ذلك إلى فهم واقعنا، وتقييم واقعنا. حتى نفهم أننا في حالة عقوبة على تفريطنا أو أننا في حالة جزاء حسن على طاعة عملناها لترضى بهذا وتشكر الله عليه، أو تخاف من ذلك فتنتقل عن الوضعية التي أنت عليها لنسلم الخزي في الدنيا ونسلم العذاب في الآخرة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينجينا من الخزي في الدنيا، ومن عقوباته في الدنيا،
ومن الخزي والعذاب في الآخرة إنه على كل شيء قدير.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (١٥ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ وعده ووعيده

الدرس الخامس عشر

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٨/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
في دعاء زين العابدين علي بن الحسين (سلام الله عليه) وهو يستعيذ بالله من نار جهنم، في دعاء يصف فيه نار جهنم، ويعلمنا كيف نستعيذ نحن بالله من نار جهنم.
قال عليه السلام: ((اللَهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَارٍ نورُهَا ظُلْمَة وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَارٍ لاَ تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إلَيْهَا، وَلاَ تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا، وَحَيّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا)).
جهنم كما وصفها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في آيات كثيرة هي أشد من أي عذاب يتوعدنا به أي أحد من الجن أو الإنس، هي نار كما قال عليه السلام: ((تغلظ الله بها على من عصاه وتوعد بها من صدف عن رضاه)).
الكل هنا في الدنيا يخضع لأمريكا، ويخضع للدول الكبرى في بلدان أوروبا، والكل هنا في المنطقة العربية خضعوا لإسرائيل خوفاً من أن تلك الدول تمتلك [قنابل ذرية]، وتمتلك [صواريخ بعيدة المدى تحمل رؤوسا نووية]، كل ما لديهم لا يساوي يوماً واحداً في جهنم.
لو صب الأمريكيون كل ما لديهم من قوة عليك وحدك أنت لما ساوى ذلك كله يوماً واحداً في نار جهنم؛ لأنك هنا بأول ضربة، بأول شظية ستموت، ثم لا تحس بأي شيء بعد ذلك، ولو صبوا عليك كل أسلحتهم، ولو افترضنا أيضا أنك ستبقى حياً وصواريخهم توجه إليك، وقنابلهم توجه إليك أيضاً حتى آخر قطعة يمتلكونها لكان ذلك أيضاً لا يساوي ساعة واحدة في قعر جهنم.
التخويف بنار جهنم في القرآن الكريم، التخويف بنار جهنم الذي تكرر كثيراً في آيات الله في القرآن الكريم، هو جدير بأن نتأمله جيدا كلنا، وأن نتدبر تلك الآيات. حينئذ سيجد كل من تأملها، ومن تدبرها بأن كل شيء في هذه الدنيا من مصائبها، من شدائدها، وكل شيء مما يتوعدك به الآخرون، وكل ما تراه عندما يستعرضون أسلحتهم في الأيام الوطنية.. ستراه كله ليس بشيء، ليس شيئا بمعنى الكلمة فعلا أمام هذه النار التي تغلظ الله بها على من عصاه، وتوعد بها من صدف عن رضاه. حينئذ تجد نفسك أنه ليس هناك ما يجب أن يخيفك، ليس في هذه الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه أبدا، فلا الموت، ولا [قنابل]، ولا [صواريخ]، مهما كانت فتاكة، مهما كانت عظيمة الدمار.
المؤمنون بحاجة ماسة إلى أن يتدبروا كتاب الله، تتدبره بشكل جيد، وبفهم صحيح، ووعي، نتدبر الآية ونلحظ ونحن نتدبرها ما لدى الآخرين كلهم ممن نخافهم في هذه الدنيا، أو يريدون أن نخافهم. حينئذ سينطلق المؤمن، ينطلق وهو يرى أن كل عمل يعمله في هذه الدنيا أمام كل التهديدات إنما هو عمل يحقق لنفسه به الأمن من هذه النار العظيمة، من نار جهنم.
نار جهنم أكد القرآن على أنها حقيقة، وتناول الحديث عنها وصفها كاملا: وصف شدة تسعرها، والتهابها، وصف وقودها، وطعامها، وشرابها، ولباس أهلها فيها. بل نقل كثيراً من الكلمات التي يقولها أولئك الذين يتقلبون بين طبقاتها: تحسرهم، صراخهم تألمهم، تأسفهم على تفريطهم في هذه الدنيا.
بل لو نعقل ونفهم، أن كل ما يتوعدنا به الآخرون في هذه الدنيا، لا يساوي الحسرات والندم الذي قد يتعرض له الإنسان يوم القيامة إذا قدم على الله وهو ممن عصاه، وصدف عن رضاه.. تلك الحسرات، وذلك الندم الشديد يقول الله ـ وهو ينقل لنا صورة من مشاهد ذلك الندم الذي سيحصل للعاصين ـ يقول تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} (الفرقان: من الآية٢٧) يعض أنامله من الألم، من الندم، من الحسرة: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} (الفرقان: من الآية٢٩) **أليست هذه كلها عبارات حسرة وندم؟ ندم يقطع القلوب، يعض المجرم، يعض الظالم على يديه يعضها من شدة الأسف، والألم، من الحسرة والندم.**

يقول الله سبحانه وتعالى: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى} (الرعد: من الآية١٨) **الجزاء الحسن وهو الجنة، والحساب اليسير، والأمن من كل خوف يوم القيامة {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ}** (الرعد: من الآية١٨) **الذين لم يستجيبوا لله. وأين موضع الاستجابة؟ هنا في الدنيا، وما هو الذي دعانا إليه؟ هو القرآن الكريم، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تلك دعوة الله التي يريد منا أن نستجيب لها، نستجيب لها هنا في الدنيا، والذين لم يستجيبوا لله، أعرضوا عن ذكره، انطلقوا في معاصيه، انطلقوا وراء هذه الدنيا لينشغلوا بها، ليؤثروها على الآخرة، ليبيعوا دينهم بالقليل القليل منها. هؤلاء عندما يقدمون على الله سبحانه وتعالى، سيتمنى كل واحد منهم لو أن له ما في الأرض جميعا ومثله معه لسلّمه راضيا، ومسارعا إلى تسليمه، لو كان يقبل منه ليفدي به نفسه من عذاب جهنم.**

هذه عبرة للكثير من عباد الله، ممن يشتد طمعه، ويقوده جشعه، إلى أن يأخذ شيئا من هذه الدنيا حراما، أو يقبل شيئا منها مقابل أن يدخل في موقف باطل، أو يؤيد باطلا، أو يقف عن نصر حق، ليفهم هنا وهو في الدنيا أنه لو كان له الأرض كلها وما فيها، وله أيضا مثلها أضعافا لكان مسارعا إلى أن يفدي نفسه به يوم القيامة. لماذا؟ لأنه سيرى من العذاب الشديد، يرى جهنم أمامه، وهو يعلم أنه سيساق إليها، وأنه سيخلد فيها حينئذ يهون أمامه كل شيء.

تلك القطعة من الأرض، ذلك المبلغ من المال الذي باع به دينه، لم يعد شيئا، يتحسر منه يوم القيامة، ويرى نفسه في موقع أنه لو كان له مثل هذه الأرض، وليس فقط تلك القطعة، أو ذلك المبلغ، أو ذلك المنصب الذي باع به دينه، بل لو كانت له الأرض كلها وما فيها ومثلها معها لافتدى به يوم القيامة من سوء العذاب.

{أولئك لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ} أولئك الذين لم يستجيبوا لله {لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (الرعد: من الآية١٨) **ما الذي يمنع الناس عن أن يستجيبوا لدعوة الله في هذه الدنيا؟ أليس رغبة فيما لدى الآخرين، أو خوفا مما لديهم؟ سواء خوفا من سجونهم، أو وسائل تعذيبهم، أو خوفا من قنابلهم وصواريخهم. أليس هذا هو ما يمنع الناس في الدنيا؟ لكن هذه الآية تعرض لنا: أن الذين يستجيبون لله، وعدهم الله بالجنة، والجنة هي كما ورد في الحديث: ((أن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها))؛ لأن أي نعيم هنا في الدنيا ستفارقه مهما عظم، ومهما كثر.**

بل قد يحدث لك هنا في الدنيا وأنت تملك الكثير، الكثير من وسائل الترف والراحة، فيعرض لك أمراض تحول بينك وبين أن تتمتع بما بين يديك، فترى الآخرين من حولك يتمتعون بكل ما لديك وأنت لا تستطيع أن تتذوق من هذا، ولا أن تقرب هذا، من شتى الأصناف التي تمتلكها، تلك الأصناف التي بعت بها دينك، تلك الأصناف التي أحبطت بها ذمتك، وأهلكت بها نفسك. إذاً فليس شيء هنا في الدنيا من النعيم، ولا من وسائل الترغيب ما يمكن أن تقارن بينه وبين موضع سوط في الجنة.

فإذا كان الإنسان يسارع هنا في الدنيا من أجل أشياء يريد أن يحصل عليها، وهو لا يبالي أحلال كانت أم حرام، ولا يبالي في ذلك الموقف الذي دخل فيه من أجل الحصول عليها حق، أم باطل، لماذا لا يسارع إلى الاستجابة إلى الله ليحصل على ذلك المقام الرفيع؟ على ذلك النعيم العظيم، النعيم الأبدي، النعيم الذي فيه كما ورد في الحديث عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)).

كذلك الذين لم يستجيبوا لله خوفا من الآخرين علينا أن نعود جميعاً إلى الحديث عن جهنم، وإلى التأمل في أوصاف جهنم لنعرف أنها هي التي يجب أن نخاف منها، وأن نحذرها. فلننطلق في الاستجابة لله مهما كانت مكلفة، ومهما كانت صعبة وشديدة علينا في الدنيا.

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} (ابراهيم:١٧)

الصديد: يقال بأنه عصارة أهل النار، القيح، الصديد: كل فضلات أجسامهم المحترقة الملتهبة، هي شراب المجرم في جهنم.

ويقول سبحانه وتعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} (الحجر:٤٤) **ألم يتحدث هنا حتى عن أبواب جهنم؟ وتحدث حتى عن مغالقها، مصافقها، وتحدث عن زبانيتها، تحدث عن كل شيء فيها.. فأين تفكيرنا؟ أين نظرنا لأنفسنا ولمصالحنا؟ أليس هذا هو الذي ينبغي أن نخاف منه.**

والأولى بأن يكون أشد قوة، وأعظم قوة في مقام الاستجابة لله هم من يحملون العلم، هم من هم متعلمون، ومن يحملون العلم؛ لأنهم هم من يعرفون جهنم أكثر من غيرهم، مع أن جهنم أوصافها في متناول الناس جميعا، كل من يقرؤون كتاب الله.

فلماذا يخاف العالم؟ ولماذا يبحث عن كيف يحصل على مبرر لقعوده عن هذا العمل؟ لقعوده عن أن يقول كلمة الحق؟! لقعوده عن أن يقف في وجه الباطل؟! ما الذي ينبغي أن تخاف منه؟ ليس هناك في الدنيا ما ينبغي أن تخاف منه في مواجهة هذا الخوف العظيم، وهذا العذاب الأليم في جهنم.

{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} وكأن هذه الأبواب هي أبواب لدركاتها أيضاً، كل طبقة أو كل مقام في جهنم له فئة من الناس، وله باب {لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} يدخل منه من هو من أهل ذلك الدرك، سبعة أبواب سواء اعتبرتها في سور واحد وكل باب ينفذ إلى درك من دركات جهنم، وكلها سيئة، وكلها ورطة عظيمة أن تدخل من باب جهنم ثم يوصد عليك، ثم إذا حاولت أن تخرج يتلقاك زبانيتها بمقامع من حديد يضربونك فتعود، سبعة أبواب لسبعة دركات.

ووجدنا القرآن الكريم ينص على أن فئة هي محسوبة ضمن المسلمين هم سيكونون في الدرك الأسفل من النار، هم المنافقون، في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أخبث عباد الله، لأنهم أسوأ البشر، لأنهم أرجس وألعن البشر جميعاً، قال الله عنهم لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} (المنافقون: من الآية٤).

المنافقون هم فئة تعمل في أوساط المسلمين تثبطهم عن نصر دين الله، تخوفهم، ترعبهم، ترجف قلوبهم، تشيع الشائعات التي تقلق نفوسهم، تشيع الشائعات التي ترعب قلوبهم. المنافقون في كتاب الله الكريم تحدث عنهم أسوأ مما تحدث عن اليهود، والنصارى، والمجوس، والكافرين، إذا كانت جهنم لها سبعة أبواب، ودركاتها متفاوتة في الشدة، فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

يقول الله سبحانه وتعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} (الحج:١٩) **ألم يتحدث أيضا عن الترويشة في جهنم؟ شراب جهنم ثم أيضا يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يكونون نظيفين من كل شيء فوق أجسامهم، لكنها ترويشة خطيرة جداً ليس معها [شامبو] ولا معها صابون [لكس] ولا أي شيء من أدوات التجميل.**

ثوب المجرم فيها كما قال الله في آية أخرى: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} (ابراهيم:٥٠) **وهنا يصب من فوق رأس المجرم الحميم {يُصْهَرُ بِهِ}** (الحج: من الآية٢٠) **يذاب {مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}** (الحج: من الآية٢٠) **إذا واحد منا متروش بماء ساخن وغلط يبقي في [المغراف] قليل ساخن وصبه فوق ظهره كيف يكون ألمه؟ يقوم من مكانه من حرارة بسيطة.. أما هذه ترويشة خطيرة: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} إذا أنت في الدنيا هنا تغتسل بالماء الساخن يتحمله جسمك من أجل أن تزيل الوسخ عن جسمك، أما تلك الترويشة في جهنم، فإنها تذيب الجلد كله، تذيب الجلد كله، {يُصْهَرُ بِه} يذاب به {مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}** (الحج:٢٢). **ثيابهم من نار [تفصيل] قطعت لهم ثياب تفصيل، هنا ثياب التفصيل بثلاثة ألف ونحوها [نجوم] هناك ليس الثوب من نوع [نجوم] بل نار.**

كأنه يقول للشباب، طبعا الشباب يكونون حريصين جدا على ثياب التفصيل من أجل أن يبدو جميلا أمام الآخرين، يعرض عن ذكر الله، وهو يعرض عن مجالس الإرشاد، عن مجالس الهداية، يعرض عن كتاب الله، يعيش في أجواء من العشق، والحب، واتباع الشهوات، فهو من يبحث عن ثياب تفصيل ليبدو شكله جميلا، فيعرف أنه قد يكون من أولئك الذين تفصل لهم ثياب في جهنم {قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} ما هذا يعني تفصيل؟. في موضع آخر قال: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} لم ينس القرآن الكريم أن يتحدث حتى ثياب أهل النار، كل شيء ذكره.

هذه التفاصيل قارن بينها وبين أن تطلّع على تقرير عن مختلف الأسلحة التي تمتلكها أمريكا مثلا، أو إسرائيل [صواريخ بعيدة المدى] [صواريخ تحمل رؤوسا نووية] قنابل [هيدروجينية] [قنابل ذرية] قنابل كذا، وأسلحة متعددة. أليست كلها من تفاصيل ما يمتلكون من وسائل التعذيب للآخرين؟.

قارن بينها وبين التفاصيل التي عرضت في القرآن الكريم عن جهنم، ستجد أن هذه هي قد ما يتمناها أهل جهنم، يتمنون في جهنم أن يكون عذابهم من نوع ما تمتلكه أمريكا من أسلحة، وسيعتبرونه حينئذ تخفيفا عظيما، وسيشكرون الله، ويشكرون زبانية جهنم، أن قدموا لهم هذا العذاب الخفيف، اللطيف، البسيط، ويسلمون ذلك العذاب الشديد في جهنم.

لا شك أن من هو في جهنم ويقال له سنعذبك بما كان لدى الأمريكيين في الدنيا لرآه هينا، لرآه هينا، وهو هذه الأشياء التي نخاف منها في الدنيا، تصنعه أمريكا، وتراه في التلفزيون عندما ينطلق الصاروخ هذا، أو ترى نماذجا من أسلحتهم، أو ترى عروضا عسكرية من عساكرهم هم أو أي دولة أخرى، فتخاف، أو يكلمونك عن فرق من الجنود تتدرب تدريبا خاصا [كمندوز] أو من يتدربون في معسكرات العمليات الخاصة.. أولئك ليسوا بشيء أمام خزنة جهنم، خزنة جهنم مدربون تدريبا عاليا على تعذيب الناس، ملائكة غلاظ شداد كما قال الله عنهم: {عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ} (التحريم: من الآية٦) **وبأيديهم مقامع من حديد تلتهب نارا، كلما حاولت أن تقترب من باب من أبواب جهنم يضربونك بها. هؤلاء هم من يجب أن تخاف منهم، لا أن تخاف من جنود العمليات الخاصة أو من جنود [الكمندوز] أو من أي جندي آخر، باستطاعتك أن تقتله، باستطاعتك أن تضربه كما يضربك، وليس بيده كتلك المقامع التي بيد زبانية جهنم.**

ألم تتعود الدول على أن تعرض أمام شعوبها فرق من الجنود، تدربوا تدريبا خاصا، ليرعبوا الناس بهم؟! ارجع إلى القرآن الكريم واستعرض الفرق الخاصة المدربة في جهنم.

فمن الذي يجب أن تخاف منه زبانية جهنم، أم جنود العمليات الخاصة و [الكمندوز] وغيرها من الفرق الأخرى؟.

يقول عن أهلها أيضا: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} (الحج: من الآية٢٢) **قد تسجن في الدنيا في سجن ولا ترى أنك في كل ساعة تسعى إلى باب السجن لتحاول أن تخرج منه، قد تكون في زنزانة، أو في غرفة فتستقر فيها لكن هنا نار ملتهبة، نار شديدة، جسمك كله يلتهب ناراً وتشرب صديداً، وتشرب حميماً، فيقطع أمعاءك، يأتي الفرق داخل جهنم من زبانيتها يصبون فوق رأسك الحميم؛ لأنه هنا يقول: {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}** (الحج: من الآية١٩) **أنت لا تحاول في جهنم أن تغرف من مائها الساخن وتصبه عليك لكن هناك من يمسكك ويصب الحميم من فوق رأسك [يُصبُّ، فعل مبني للمجهول] أي أن هناك طرفاً آخر هو يصب الحميم من فوق رأسك.**

هناك داخلها ملائكة غلاظ شداد، يمسكك ويصب من فوق رأسك الحميم، ويشرِّبك الصديد رغما عنك {يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ} (إبراهيم: من الآية١٧) **في السجون هنا في الدنيا يقدمون لك طعاما ويقدمون لك شرابا، أجواء الزنزانة، أجواء السجن كلها باردة، بل قد ترى نفسك بحاجة إلى لحاف، وأنت لا تحاول في كل لحظة أن تتجه نحو باب السجن لتخرج منه.**

يتمنى الإنسان لو كانت جهنم مثل هذه السجون لرآها أهلها نعمة كبيرة أن تكون جهنم وإن كانوا خالدين فيها أبدا وهي من نوع سجون الدنيا، وفيها وسائل التعذيب التي في السجون هنا في الدنيا لكانت هينة، لكانت

هينة.. هنا أهل جهنم يسعى كل واحد منهم يتجه نحو بابها، يريد أن يخرج، هذا نفسه عذاب، يحاول حتى يصل نحو الباب فيجد أبوابا موصدة {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} (البلد:٢٠) مغلقة محكمة الإغلاق {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} (الهمزة:٩) من ورائها عمد: أعمدة من الحديد، من الجانب هذا إلى الجانب هذا، لا يستطيع أبدا أن يحركها، لا يستطيع أهلها أبدا أن يفتحوها، وهناك بجانب الأبواب من زبانيتها الغلاظ الشداد من يضربونهم بمقامع من حديد.

أليس هذا هو تعذيب رهيب؟ حالة من الغم الشديد؟ وهل هو شهر؟ هل هو سنة؟ لنقول لأنفسنا نحن عندما نفكر في أي عمل فتظهر أمام أذهاننا قائمة من السجون، لقد ترى أطول عقوبة أن تسجن عشرين سنة في سجن عادي، أما جهنم فليست سنة ولا سنتين، ولا مائة سنة، ولا ألف سنة، ولا مليار سنة، مليارات السنين لا تنتهي وهذا هو الشيء الذي يرعب الإنسان، والذي يجب أن نخاف منه جميعا: الخلود في جهنم.

قالوا أنه لو قيل لأهل جهنم أنكم ستبقون فيها وفي الأرض ما بين السماوات والأرض مليء بحبات الخردل، وفي كل سنة يأتي طائر يأخذ حبة واحدة منها ـ حبات الخردل حبات صغيرة قد تكون كحبات الدخن أو أصغر ـ وما بين السماوات والأرض ممتلئ حبات خردل، ويقال لهم ستبقون حتى تنتهي هذه الحبات الخردل لفرحوا، لفرحوا. وتصور أنت كم سيتسع مثل هذا المجلس من حبات الخردل؟ كم مليارات! تصور أنت كم يتسع هذا الفضاء ما بين السماوات والأرض من حبات الخردل، وفي كل سنة فقط في كل سنة يأخذ طائر حبة واحدة، لفرحوا؛ لأنهم حينئذ سيعلمون أن هناك نهاية، أن هناك نهاية لهذا العذاب وليكن مليارات، مليارات السنيين.

أليس هذا الشيء مزعجا شيء مرعب جدا؟ إذا قيل للواحد منا: أنت ستسجن ثلاث سنين، قد يخرج من دين الله ويكفر بالإسلام خوفا من أن يسجن ثلاث سنين، وقد يتخلف عن أي عمل هو مما ينجِّيه من جهنم خوفا من أن يسجن سنة واحدة، أما جهنم فالخلود فيها في حد ذاته هو الشيء الذي يجب أن يزعج كل إنسان مسلم.

وتكرر الحديث عن الخلود فيها: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} (النساء: من الآية١٦٩) {خَالِدِينَ فِيهَا} تكرر كثيراً. والخلود في جهنم، الزيدية هم الطائفة ـ أعتقد ـ الوحيدة الذين يؤمنون بما نص عليه القرآن الكريم من خلود أهل النار في النار، أما الآخرون فهم من حاولوا ـ لأن القضية مزعجة جداً ـ من حاولوا أن يبحثوا عن أي مخلص، عن أي مخرج من الخلود في جهنم ليطمئنوا أنفسهم نوعا ما.

فإذا كان الزيدية هم أصحاب هذه العقيدة المنسجمة مع القرآن الكريم، مع تصريحات آيات القرآن الكريم بالخلود في جهنم، وهم من يجادلون الآخرين. ألسنا نحن من نجادل الآخرين، نقول: أبداً، لا، ليس هناك شفاعة للمجرمين، أبداً ليس هناك أحد سيخرج من جهنم. ألسنا من نجادل الآخرين؟ ولكننا لو رأينا أنفسنا وواقعنا لرأينا أنفسنا أحوج الناس إلى جزء من هذه العقيدة لو كانت صحيحة، ولوجدنا أنفسنا نحن من يجب أن نخاف، ومن نكون أكثر الطوائف الإسلامية جهادا في سبيل الله خوفا من جهنم، وعملا على إعلاء كلمة الله، ووقوفا في وجوه أعداء الله.

لأننا من نقول لأنفسنا ونعتقد ـ وهي العقيدة الصحيحة ـ أن جهنم لا أحد يخرج منها، وأن المجرم لا يمكن أن يشفع له الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله). فما بالنا نحن نرى أنفسنا أقل الطوائف اهتماما؟! أضعف الطوائف أثراً؟! أبعد الطوائف عن أي عمل فيه لله رضا؟.

الآخرون نراهم يجاهدون، الإخوة الشيعة من الإثني عشرية، يقاتلون، يجاهدون، ويفجرون أنفسهم في عمليات استشهادية، وهم من في عقائدهم هم قضية الشفاعة، هم من ضمن عقائدهم، أو عند الكثير منهم القول بالشفاعة للمجرمين، ليست عقيدتهم كعقيدتنا. إذاً فما بالهم هم يجاهدون، يقاتلون، يضحون، يستبسلون، ونحن من كأن معنا من الله عهد، كما قال لليهود عندما قالوا: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ} (البقرة: من الآية٨٠)، هل عندكم عهد؟ هل عندكم ضمانة أن النار لن تمسكم إلا أياما معدودة؟ {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٨٠). بل أنتم تقولون على الله قولاً افتراء عليه.

{بَلَى} يؤكد من جديد أن هذه العقيدة باطلة {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:٨١).

هل نحن الزيدية لدينا عهد من الله؟ فما بالنا، كلنا، علماؤنا، عبادنا، وجهاؤنا، أفرادنا، طلابنا. كلنا قاعدون وكلنا نرى أنفسنا أنه لا أثر لنا في هذه الحياة، وليس لنا عمل في مجال نصر دين الله، في مجال إعلاء كلمته، في إصلاح عباده، في محاربة المفسدين في أرضه. هل هناك عمل يذكر؟ كأننا نمتلك عقيدة أنه لا موت، ولا بعث، ولا حساب، ولا جنة ولا نار {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} (الفرقان: من الآية١١) **الساعة القيامة البعث {وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}** (الفرقان: من الآية١١) **نارا تستعر تتلهب، تتوقد، {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}** (الفرقان: من الآية١٢) **تبدو هي مشتاقة لأعداء الله، تلتهمهم.**

{إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} هل لجهنم أعين ترى بها أولئك، أم أنه تصوير؟ أنها لما كانت هي محط غضب الله فإنها هي من تتلهف شوقا إلى أن تلتهم أعداء الله فكأنها هي التي تبحث عنهم {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} (الفرقان:١٢)، **تستعر، تلتهب لشدة تغيظها وغيظها على أعداء الله. {تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} صوت هو صوت المتغيظ الذي يمتلئ غيظا على الطرف الآخر، وزفيرا، الزفير: هو صوت الإنسان عندما يخرج الهواء من فمه قويا، والشهيق هو عودة النفس بقوة إلى الداخل.**

{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ} (الفرقان: من الآية١٣) **مصفدين بالقيود، هناك العذاب، هناك الحسرات {دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}** (الفرقان: من الآية١٣) **واثبوراه، واهلاكاه، معناه دعوا بالهلاك. يرون أنفسهم في أماكن مضيقة من جهنم وهم مقيدون تتحول قيودهم إلى نار، وأجسادهم إلى نار، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ومن فوقهم، ومن تحتهم طبقات من النار، يدعون هنالك بالثبور [واثبوراه] معناها: واهلاكاه. يعني: ما أسوأ ما نحن فيه. نعوذ بالله.**

ويقول أيضا سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} (فاطر: من الآية٣٧).

يصطرخون صراخا شديدا، صراخ الألم، صراخ الحسرة {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} ماذا يقال لهم؟ {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} (فاطر: من الآية٣٧) **العمر الذي يكفي أن يتذكر فيه منكم من أراد أن يتذكر فيعمل فيه الأعمال الصالحة التي أنتم الآن تطلبونها، هناك في الدنيا عمرتم طويلا أعمارا طويلة وهي أعمار كانت كافية، تكفي من كان منكم يريد أن يتذكر فيعرف أن الأعمال الصالحة هي الوسيلة لنجاته من جهنم فينطلق فيها.**

من يتذكر فيما قدم إليه من تذكير الله من القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **{وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}** (فاطر: من الآية٣٧) **جاءكم من ينذركم في الدنيا {فَذُوقُوا}** (فاطر: من الآية٣٧) **لا خروج، ولا تخفيف، ولا رحمة، {فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}** (فاطر: من الآية٣٧) **لن تجدوا هناك من ينصركم.**

نار جهنم {لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} فيكون الموت راحة، الموت الذي يخاف الناس منه هنا في الدنيا فيقعد، لا يقول كلمة الحق خوفا من الموت، لا يقف موقف الحق خوفا من أن يموت، مع أنها احتمالات كم في التاريخ من شواهد لأبطال قاتلوا واستبسلوا، وتعرضوا للموت، وخاضوا غمار الموت، ولم ينلهم شيء.. ماتوا على فراشهم، وهم من كانوا يريدون أن يموتوا في ميادين القتال، أي أن الموت هنا محتمل، في المواقف، في ميادين الجهاد هو ما يزال احتمالا فقط.

من هو ذلك الذي يقطع بأنه سيموت حتماً إذا ما قال كلمة حق، أن هناك من سيميته لا شك، أن هناك من سيميته لا شك إذا وقف موقفا صحيحاً، من هو ذلك من الناس الذي يمكن أن يقطع بهذا؟ وعلى الرغم من ذلك من أنها مجرد احتمالات نخاف، نقعد، ونتواصى بالخنوع، ونتواصى بالذل بدلاً من التواصي بالحق والتواصي بالصبر عليه.

هناك في جهنم ـ هذا الموت الذي يخاف الناس منه في الدنيا فيصل بهم الخوف منه إلى دركات جهنم وإلى هذا العذاب الشديد ـ سيصبح نعمة كبرى يتمنونها لو كان بالإمكان أن يحصلوا عليها.

{يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً} (النبأ: من الآية٤٠) يتمنى أهل جهنم أن يموتوا، يتمنون أن يموتوا، وحينئذ سيرون الموت ولو كانت سكراته شديدة، ومزعجة، أقسى أنواع الموت لديهم لرأوها نعمة، لرأوها نعمة كبيرة؛ لأنهم سيصلون إلى حالة لا يحسون معها بألم ذلك العذاب الشديد جهنم، فهم لا يقضى عليهم فيموتوا، فيكون الموت راحة لهم، لو كان يمكن أن يموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، لا يخفف لحظة واحدة، لا يخفف يوما واحداً. {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ} (غافر: من الآية٤٩) يقول أهل النار لمالك خازن جهنم: {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً} يوما واحدا من العذاب، ولا يوم واحد، يوم واحد في مليار سنة على الأقل.. لا يقبل ولا يوم واحد.

أليس هذا هو ما يخيف الإنسان؟ أليس كل شيء في هذه الدنيا مما يخوفنا به الآخرون يبدو هينا، ويبدو نعمة عند أهل النار، لو كان بالإمكان أن يكون عذابهم كمثله؟ {كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} (فاطر: من الآية٣٦) لأن الله لا يظلم أحدا؛ لأنهم هم من كانوا في الدنيا كافرين بنعم الله، كافرين بآيات الله، صادين عن سبيله، غير مستجيبين له، هكذا يكون جزاؤنا لكل كفور.

نحن هنا نسمع في هذه الآيات {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} (فاطر: من الآية٣٦) وكأنه فقط أولئك الكافرون أما نحن من قد أسلمنا ـ ولو انطلقنا في أعمال كأعمال الكافرين ـ فإننا بعيدون عن هذا التهديد، وعن هذا الوعيد. هل هذا صحيح أم لا؟ ليس صحيحا أنه فقط من يحملون اسم كافر هم وحدهم من سيعذبون؛ لأن الكافر لا يعذب على اسمه، لأن اسمه كافر! يعذب على أعماله أعمال يعملها: إعراض عن دين الله، صد عن سبيل الله، عمل في سبيل الطاغوت.

أو لم يكن في المسلمين من كانت أعمالهم أسوأ من أعمال أولئك الكافرين؟ بلى هناك في المسلمين من يظلم، في المسلمين من يصد عن سبيل الله، في المسلمين من يقتل القائمين بالقسط من عباد الله. فهل أن الله سبحانه وتعالى إنما يعذب أولئك على أعمالهم لأن اسمهم كافرين؟!.

أما أنت متى حملت اسم إسلام فلن تعذب؟ سيصبح الحال حينئذ يصبح الإسلام عبارة عن رخصة للمجرمين، أنت تريد أن تحصل على ترخيص لترتكب كل الجرائم ثم لا تعذب؟ إذاً قل: [لا إله إلا الله محمد رسول الله]. يصبح الإسلام هكذا، ويصبح الكافرون كل واحد منهم أحمق. أنت لم تسلم لأنك لا تريد أن تبتعد عن هذه الأعمال التي أنت عليها. أسلم إذاً وبإمكانك أن تستمر عليها، ثم عندما تقدم في يوم القيامة سيشفع لك محمد، وتدخل الجنة!. يصبح الإسلام حينئذ وسيلة أمن للمجرمين، وبطاقة ترخيص للمجرمين.

فبدلا من أن تكون مجرما، تتهدد بهذا التهديد الشديد، ويواجهك المسلمون بالاحتقار، ويواجهونك بسيوفهم في الدنيا، كن مجرما محترما، اسلم لتكن مجرما محترما.

أليس هذا هو إسلام من يقولون بأن الشفاعة لأهل الكبائر؟! الإنسان هو الإنسان، رغباته، شهواته، مطامعه، هو هو، سواء كان يهودياً، أو نصرانياً، أو وثنياً كافراً، أو مسلماً.

أنظر إلى واقع الناس في هذه الدنيا الآن، في هذا الزمان، أليس البشر فيها من طوائف كثيرة؟ اليهودي والنصراني، والوثني، والمسلم، والمسلمون باختلاف طوائفهم؟ انظر إلى واقعهم كناس رغباتهم واحدة، شهواتهم واحدة، مطامعهم واحدة، الإنسان هو الإنسان، الجرائم التي تنطلق منك وأنت كافر هي نفسها إذا ما سرت وراء شهواتك هي نفسها التي ستنطلق منك وأنت مسلم، تنطلق من اليهودي، والنصراني بشكل واحد سواء.

إذاً فلماذا مجرمون يعذبون، ومجرمون لا يعذبون؛ لأنهم يحملون أسماء مختلفة! هل هناك بين الله وبين أحد قرابة؟ أو الله سبحانه وتعالى يداهن أحدا، أو يكيل بمكيالين، كما نقول عن أمريكا؟ الناس هنا يقولون عن أمريكا: أنها تكيل بمكيالين.

إذا ما انطلق الإسرائيلي ليقتل الفلسطيني لا تلتفت إليه، ولا تدينه، وإذا ما اتجه الفلسطيني ليقاوم ويدافع عن نفسه المحتل لأرضه قالوا: إرهابي. قالوا: هذا كيل بمكيالين. لماذا لا تعاملهم سواء على الأقل؟ فتقول: هذا عنف، وهذا عنف، وهذا إرهاب، وهذا إرهاب.

حينئذ ستصبح القضية هكذا: أن الله سيكيل مع الناس بمكيالين، فمجرمون ينطلقون في شتى الجرائم، وكبارها، يظلمون عباد الله، ويصدون عن سبيل الله، ويحرفون دينه، وينشرون الفساد في أرضه، ويهتكون أعراض عباده ثم سيشفع لهم محمد.

الكافر ماذا يعمل إذاً؟! هل هناك نوع آخر لدى الكافر؟ إنما يعمل هكذا عندما نقول: إن الزنا محرم، هو محرم، لكن لماذا يعذب عليه الكافر ولا يعذب عليه من اقترفه ممن يحمل اسم إسلام؟ أليست عملية واحدة؟ وجريمة واحدة عند اليهودي، والنصراني، والكافر والمسلم؟ هي فاحشة. الظلم هو نفسه. ليس هناك نوع من الظلم لا يمكن أن يصدر من الكافر، أو لا يمكن أن يصدر من المسلم، الأعمال واحدة التي نريد أن نفهمها: أن الناس كل الناس على اختلاف العناوين اتجاهاتهم واحدة، وجرائمهم، ومطامعهم، وشهواتهم، ومقاصدهم واحدة.. فلماذا ناس يعذبون وناس لا يعذبون على جرائمهم؟ يصبح الدين حينئذ بدلاً من أن يكون ديناً للحياة، بدلاً من أن يكون ديناً لمكافحة الجريمة، بدلاً من أن يكون ديناً كما قال الله عنه: ليزكي النفوس، ليطهرها يصبح عبارة عن رخصة لكل من يريد أن يستمر في إجرامه.

فبدلاً من أن تبقى مستحقاً للعذاب الشديد، أسلم. والإسلام مجرد قول، ثم ابقَ على أعمالك! وحينئذ لا جهنم، وحينئذ ستدخل الجنة مع المؤمنين، وسيشفع لك محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)!!. ألم يصبح الإسلام حينئذ عبارة عن رخصة؟ ألم يصبح ديناً بدلاً من أن يكافح الجريمة يشجع عليها؟ بدلاً من أن يخوف النفوس؛ ليزكيها، ليطهرها بتشريعاته وهديه، هو من يؤمّن تلك النفوس لتغرق في مستنقع الرذيلة والجريمة؟!.

فعلاً سيصبح الدين هكذا؛ ولهذا الله سبحانه وتعالى في القرآن تحدث عن بني إسرائيل بأن كثيراً من جرائمهم بما فيها قتل الأنبياء، وبيع الدين، وبما فيها استحلال أموال الآخرين عندما يقولون: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (آل عمران: من الآية٧٥) قال عن ما يدفعهم إلى ذلك هو: أنهم يعتقدون أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة. أي: أن هذه العقيدة تشجع على الجريمة، وتعمل على أن تغرق النفوس في مستنقع الجريمة والرذيلة {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (آل عمران:٢٤) ألم يعلل بأن عقيدة بهذه هي وراء الجريمة، وهي عقيدة تدفعك إلى الإجرام.

إذاً، فليست من دين الله لهذا قال: {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} خدعوا أنفسهم بالكذب، وفعلا لا تزال عقيدة قائمة عند اليهود إلى الآن.

بعض الناس قد يسأل هل يرى اليهود أنهم إلى النار؟ يرى أن النار لن تمسه إلا أياما معدودة، فكل ما يعمله [شارون] لو رأى نفسه مجرما، لو رأى نفسه مستحقا أن يدخل النار، فهو عندما يدخلها قد يبقى فقط سبعة أيام مقابل سبعة آلاف سنة هي عمر الدنيا، أو على أكثر قول لديهم سيبقى الواحد منهم أربعين يوما في جهنم على عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، ويخرج، وحينئذ لا يكترث بما يرتكب في الدنيا.

هي العقيدة التي كانت وراء ظلمنا نحن المسلمين من داخل المسلمين أنفسهم على أيدي الجبابرة من الطواغيت، الخلفاء، الملوك، والحكام، والرؤساء، والسلاطين بمختلف العصور، وهناك من علماء السوء من يؤمنهم أن محمدا (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) سيشفع لهم مهما كانوا مجرمين، فينطلقون لظلم الناس لتسفك دماؤهم، وينطلقون للصد عن دين الله، وينطلقون فيه وهم آمنون من جهنم، أنهم لن يدخلوا جهنم.

واليهودي يرى أنه سيدخل جهنم وسيبقى أياما معدودة، وأما صاحبنا فإنه يرى أنه لن تمسه النار إطلاقا.

اليهود قالوا: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ}.

أما نحن المسلمون فقناهم في هذا القول، فقلنا: ولا أياما معدودة، ولا لحظة واحدة، سيأخذ بيدك محمد ويمنحك وسام الشرف، شفاعته، فتدخل مع أولئك المؤمنين الجنة!. أليس هذا قول أبعد من قول اليهود؟ أليست عقيدة أسوأ من عقيدة اليهود؟ هي نفسها وراء ظلم الكثير من الخلفاء والملوك، والرؤساء في كل عصر من العصور، هناك من أمنهم.

القرآن الكريم تنزلت كثير من آياته في مكة، وعندما تسمع كلمة: [كفر] وكلمة: [شرك] فلأن من في الساحة وهو يخاطبهم، ويعمل على أن ينقلهم من الوضعية التي هم فيها، هم مشركون، كافرون، فتأتي العبارات على هذا النحو، ولأن الله يريد من عباده ـ وهو الشيء البديهي لو فهمناه ـ أنه عندما ترون هذا الوعيد الشديد لأولئك فهل تفترضون أننا نريد أن ننقلهم من اسم ليحملوا اسماً آخر، ثم ليبقوا على ما هم عليه، وحينئذ فلا يعذبون؟!.

أنت اسمع عندما ترى الآيات الكثيرة تتهدد الكافر، انظر لماذا الكافر؟ هل لأن اسمه كافر [ك ا ف ر]؟ أم لأنه على حالة هي تحول بينه وبين أن يتقبل هدى الله؟ لماذا المشرك؟ ولماذا تلك الهجمة الشديدة على أشخاص يعبدون أحجارا وهم يعلمون، والله يعلم، ورسوله يعلم أن تلك الحجر لا تستطيع أن تعارض الله، ولا أن تكون ندا لله، ولا أن تكون كفؤا لله، ولا أن تنازع الله في ملكه، لماذا هذه الهجمة؟. لأن هذا الشخص الذي يعبدها ولا يؤمن بالله كإله واحد، هو نفسه لن يكون لديه قابلية أن يتقبل هدي الله، سيبقى معرضاً عن تقبل هدي الله... الشرك لهذا.

إضافة إلى أنه قول باطل، تأثيره على صاحبه أنه إذا أنا لست مؤمناً بوحدانية الله، فلن أؤمن برسوله، ولن أؤمن بكتابه، وحينئذ يكون واقعي أنني معرض عن هدي الله، بل سينطلق ذلك المشرك إلى ميادين القتال للصد عن سبيل الله.

فالمشكلة الأساسية في الشرك بالنسبة لصاحبها: هو أنه على وضعية تجعله معرضاً عن هدي الله، وصادا عن سبيله. فهل الإعراض عن دين الله وهديه، والصد عن سبيله غير مسموح هنا ومسموح هنا؟ هو نفسه يصدر ممن يحمل اسم إسلام. أليس كذلك؟ الكثيرون يصدون عن سبيل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ} (التوبة: من الآية٣٤) **أليسوا علماء دين؟ أم مشركون؟ علماء دين، {لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** (التوبة: من الآية٣٤).

فأولئك الذين يقولون: [هذا تهديد للكافرين لاحظ هو يقول: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} ويقول: {إِنَّ الْمُشْرِكِينَ}، نحن لسنا كفارا ولا مشركين] طيب ما الذي تغير لدينا؟ أنت تعتبر أن مجرد تغيير الاسم هو كل شيء؟! إن الله ينظر إلى الأعمال، وليس إلى مجرد الأسماء، ينظر إلى الأعمال، وينظر إلى القلوب. نقول: هؤلاء الكافرون ما هي المشكلة لديهم؟ لأنهم هكذا: صادون عن سبيل الله.

ولهذا تعرض القرآن الكريم ـ عندما تتأملوا آياته ـ تعرض بالتفصيل لأعمال المشركين، ألم يقل في بعضها: {الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} (فصلت: من الآية٧) **ألم يقل في بعضها أنهم {يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** (الأعراف: من الآية٤٥)**؟ ألم يقل في بعضها أنهم {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}** (النساء: من الآية٧٦)**؟ هو يتعرض بالتفصيل لأعمال الكافرين، ولأعمال المشركين، وأنها هي الأعمال الممقوتة.**

وإنما مسألة الشرك هي نفسها وراء أن يكونوا على هذه الحالة، فيتوجه الكلام كثيرا إلى الشرك ليقلعه من نفوسهم، لتصبح تلك النفوس قابلة لأن تهتدي بهدي الله، ولأن تبتعد عن الصد عن سبيله، ولأن تلتزم بدينه، فيقلع الشرك من قلوبهم، يقلع الشرك من أذهانهم، وتقاليدهم وأفكارهم، لآثاره؛ لأنه معلوم عن الله سبحانه وتعالى أنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وكل هديه يتوجه إلينا نحن؛ لأننا نحن المحتاجون إليه، يتوجه إلى أنفسنا، ولأن كل عمل باطل هو فساد علينا نحن، هو ضد مصالحنا نحن.

فعندما يأتي ليتحدث عن الشرك والكفر، ليس لأنه أصبح يخاف من ذلك الصنم، أو أنه إذا تجمع الآلاف حول ذلك الصنم سينازعه هذا الصنم في ملكه؛ إنما ليبعد هؤلاء عن عقيدة جعلتهم يبتعدون عن هدي الله، وجعلتهم ينطلقون في الصد عن سبيله، وجعلتهم بعيدين عن التخلق بالأخلاق التي أراد أن يتخلق بها عباده الذين يسيرون على هديه.

إذاً فكل من صد عن سبيل الله، كل من ابتعد عن دين الله، كل من أعرض عن هدي الله، وإن كان يحمل اسم مسلم، حكمه حكم أولئك. وهذه قضية مفروغ منها في القرآن الكريم؛ مفروغ منها؛ لأنه من غير الطبيعي، ومن

غير المقبول أن تفترض أن المسألة إنما هي مجرد تغيير اسم، فتقول: أولئك فقط لأن اسمهم [كافرين] أما نحن فلو انطلقنا في نفس الأعمال التي تصدر منهم فإننا قد أصبحنا مؤمّنين من عذاب الله، هذا شيء غير طبيعي. الله البشر كلهم عبيده، وهو رب العالمين جميعاً، ولن يكيل بمكيالين معهم، لن يعذب هذا المجرم على أعمال هي نفسها التي لا يعذب عليها شخصا آخر صدرت منه، وحالته وموقفه حالة هذا الشخص الآخر. لا يمكن، إلا إذا كان هناك توبة.

والتوبة ألم يتوجه الأمر بالتوبة إلى المسلمين؟ لماذا التوبة؟ لو أن المسألة هكذا مفروغ منها أن الكلام كله حول الكافرين حول المشركين أما نحن فقد أسلمنا لما كنا بحاجة إلى توبة إذاً فلماذا التوبة؟ التوبة لا بد منها؛ لأنك أنت أيها المسلم فيما لو اقترفت عملا من أعمال أولئك ستعذب فهذه هي التوبة تب.

والتوبة معناها: الإقلاع عن المعصية، الرجوع إلى الله، الندم على ما صدر من الإنسان من تقصير، من تفريط في جنب الله، من تقصير في الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، ما حدث منه من معاصي لا بد أن يتوب منها، وإذا لم يتب فلا فرق بينه وبين ذلك الشخص الآخر.

ألم يقل عن المنافقين: أنهم في الدرك الأسفل من النار؟ ولا تصدقوا أن المنافقين هم كلهم من يبطن الكفر ويظهر الإسلام. بل إن في المنافقين من ذكر الله عنهم بأنهم في واقعهم معترفون، مؤمنون كإيمان أي واحد منا بأن الله هو رب العالمين، وهو الإله وحده، وأن القرآن من عنده، وأن محمدا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يقل هو: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} (التوبة: من الآية٦٤) ألم يقل هكذا؟. يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بل هم يخافون؛ لأنهم يعلمون أن الله عليم بذات الصدور، فهو يعلم ما يسرونه في أنفسهم فيخافون أن تتنزل سورة تفضحهم، أي هم مؤمنون بالقرآن أنه من عند الله، ومؤمنون بأن هذا الرجل هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الذي يتنزل عليه القرآن، ومع هذا قال الله عنهم: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (النساء: من الآية١٤٥).

قد يكون هناك فئة، فئة قليلة من المنافقين هم من قد يقال عنهم أنهم في واقعهم مبطنون للكفر، أي هم غير مؤمنين بالله، ولا مؤمنين بكتابه، ولا مؤمنين برسوله، إنما ألجأتهم الظروف إلى أن يتلونوا خوفا على أنفسهم، هذه النوعية من المنافقين إنما تكون في فترات محدودة، في الفترة التي تكون الغلبة فيها لجانب الإسلام، لجانب الحق فيرى الكفار أنفسهم مضطرين إلى أن يتمظهروا بالإسلام من أجل أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

لكن تجد المنافقين هم من كانوا كثيرين في المدينة، وهم من أهل المدينة، ومن غير أهل المدينة، وهم من قال عنهم أنهم مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. فلا هم مع المؤمنين ولا هم كفار مع الكافرين. هم يتلونون يظهر نفسه للكافرين وكأنه معهم، ومتى ما كانت الغلبة للمسلمين أظهر نفسه أنه معهم وتملق لهم، وأظهر أنه واحد منهم، يقول عنهم: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (النساء: من الآية١٤٥) بل وجدنا القرآن الكريم يتوعد بالعذاب الشديد، بالعذاب العظيم لمن قتل مؤمناً متعمداً، يتوعد بالخلود في النار لمن لم يلتزم بحدود الله في المواريث في [سورة النساء] يتوعد، والمواريث تخاطب من؟ أليست خطاباً للمسلمين؟ يتوعد بالعذاب، والخلود في جهنم لمن لا يقف عند حدود الله ويلتزم بما حدده الله سبحانه وتعالى في قضية المواريث وحدها خلي عنك أشياء كثيرة أخرى.

هل من المعقول أن يكون الصد عن دين الله مسموح للإنسان الذي يحمل اسم إسلام؟ وهل معقول أن يكون الإعراض عن هدي الله مسموح لمن يحمل اسم إسلام؟ ستصبح كلمة: [لا إله إلا الله محمد رسول الله] عبارة عن بطاقة تضعها في جيبك، ثم تنطلق إلى أسوأ مما كان عليه المشركون والكافرون في أعمالهم.

وحينئذ سيكون هذا الدين رخصة لظلم الناس، ورخصة لتدنيس النفوس تنطلق أنت لتضل عباد الله، من الذي سمح لك بهذا؟ هو الدين، هو الذي أمنني، لأن بإمكاني أن أنطلق في مجال كهذا ثم لن أعذب ولن أخلد في جهنم، بل لن تمسني النار إطلاقا. وهذا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

وعندما تقرأ في بعض التفاسير فيقول لك: هذه الآيات هي تتحدث عن كافرين، هي تتحدث عن مشركين فهي

آيات تعني أولئك، أما نحن فلا، نحن حملنا اسم إسلام وسيشفع لنا رسول الله فاعرف أن هذا غرور، وأن هذا خداع، وسيكون واقع من يعتقدون هذه العقيدة كما حكى الله عن بني إسرائيل: {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (آل عمران: من الآية٢٤). هذه افتراءات افتروها أناس سابقون وقدموها لنا ونحن قبلناها منهم، وبالطبع لا ينفق شيء من الباطل إلا إذا ما حمل اسم [دين] وقدم إلينا باسم [دين] فيقال: عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)! ويكون ذلك الحديث في بطون المجاميع الحديثية التي يعتبرونها هي مجاميع السنة، ألم يقدم الباطل باسم دين؟ هكذا {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.

وكما أسلفنا: أن القرآن تحدث عن جهنم، ووصفها بشتى الأوصاف وكذلك تحدث عمن داخل جهنم سواء كان يحمل اسم [مسلم]، أو يحمل اسم [يهودي، أو نصراني، أو مشرك]. أو كيفما كان.

يقول الله سبحانه وتعالى: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} (الصافات:٦٢)، بعد أن ذكر ما أعد الله سبحانه وتعالى للمتقين من النعيم العظيم، قال بعده: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً ـ أي: ضيافة وإكراما ـ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} (الصافات:٦٨) كما تحدث عن الفاكهة الكثيرة التي ليست كما قال عنها: {لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ} (الواقعة:٣٣) في الجنة فواكه كثيرة، العنب والرمان والتفاح، ومختلف الفواكه التي قد لا نعرف كثيرا منها.

هناك في النار أيضاً شجرة هي فاكهة أهل النار نفس اسمها بشع [زقوم] أليس اسما مزعجا؟ اسم غير مقبول، وهكذا بعض المفردات تكون هي غير مقبولة، حتى لو حاولت أن يكون اسمها لشيء جميل فالاسم لا يركب على هذا المسمى، اسمها بشع. وهي شجرة حقيقية، والله بقدرته سبحانه وتعالى هو القادر على أن يجعل في النار أشجارا تتغذى على النار، وتثمر نارا، وتورق نارا، ليس هناك ما يعجز الله سبحانه وتعالى، وإن كان الظالمون قد يجادلون في هذه.. كيف شجرة في جهنم ونحن نعلم أن النار تحرق الأشجار!.

من المعلوم أنه هنا في الدنيا يقال أن بعض الحيوانات جلودها غير قابلة للاحتراق هنا في الدنيا. النار ألم يجعلها الله سبحانه وتعالى بردا وسلاما على إبراهيم وهي نار قد ملئوا بها واديا تحرق الطير عندما يمر من فوقها، الله الذي خلق النار يستطيع وهو قادر على أن يجعلها بردا فلا تضر إبراهيم، ويستطيع أن يخلق أشجارا تنمو فعلا تتغذى على النار كما تتغذى أشجار الدنيا على التربة، والماء، والنور، والهواء.

{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} تخرج هي، تنبت، أليس كثيرا من الأشجار هنا في الدنيا الناس هم الذين يزرعونها، أهل النار غير مستعدين أن يزرعوا شجرة الزقوم، لكن هي تخرج رغما عنهم، تنبت لا تحتاج إلى مزارع، {تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} في نفس أرض الجحيم. {طَلْعُهَا}: ثمارها أيضا بشعة {كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} كل شيء في جهنم عذاب، وعذاب حتى معنوي أن تكون ثمرة تلك الشجرة التي هو سيضطر إلى أكلها الجوع يكاد يميته فيضطر إلى أكل ثمار هذه الشجرة ثمرة بشعة طلعها كأنه رؤوس الشياطين. العرب أنفسهم يتخيلون رؤوس الشياطين بشعة، وإلا فنحن لا نشاهد رؤوس الشياطين، وقد تكون حقيقة رؤوس الشياطين شكلها بشع جدا.

{فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} من شدة الجوع يأكل رغما عنه من هذه الشجرة الشديدة المرارة التي يقال كما روي في الأثر: أنه لو أن قطرة واحدة من هذه الشجرة شجرة الزقوم وقعت في الأرض لأمرت على أهل الأرض معائشهم، شديدة المرارة جدا، وهي أيضا نار هي تغلي في البطن، {فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ} الإنسان هنا في الدنيا أليس يتعود على أن يشرب أثناء الطعام؟ يأكل زقوم ثم يشرب حميما بعده. كما قال أيضا في آية أخرى يذكر فيها هذه الشجرة أنها نار أيضا ثمرها نار: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ} (الدخان:٤٥) ـ كالزيت المحترق تغلي في البطن ـ {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} (الدخان:٤٦). كغلي الماء الساخن جدا.

لأنه هنا في الدنيا عادة ما يضل الإنسان، وما يصرفه عن طاعة الله، ويصرفه عن مواقف الحق، هو ما يقدم إليه من إغراءات من قبل الآخرين، والإغراءات طبعا قد يكون كثير منها متعلق بقضية الأكل والشراب، وعندما يكون الإنسان نفسه يريد أن يتوفر له الطعام الجيد والشراب الجيد والسكن الجيد ولو كان على حساب دينه فليعرف أنه سيرى تلك متعة قصيرة تنسى، عارضة في حياته ثم نُسِيت ثم سيكون له طعام من هذا النوع.

عندما يأتي حاكم من الحكام يحكم بالباطل عندما تقدم له[جالونا] من العسل عندما تقدم له خروفا، عندما تنقله إلى بيتك وتقدم له غداء دسماً فيتعاطف معك فيضيع حق الآخرين مقابل ما أعطيته، نقول له هنا: أنت أضعت الدين، أضعت الحق مقابل طعام وشراب، أنت ستلقى طعاما وشرابا سيئا، وإذا كانت تلك وجبة واحدة فإنك ستأكل من ذلك الطعام البشع في اسمه، البشع في منظره، الذي هو يحرق البطن، ستأكله دائما، دائما، وجبة واحدة تبيع بها الحق، وجبة واحدة دسمة تبيع بها دينك، وجبة واحدة تدخل في موقف باطل؛ لأنه هنا قدم لك غداء دسما وقدم لك عسلا. هناك في جهنم ما يجب أن تتأمله، هناك زقوم، وهناك صديد، وهناك حميم.

كأن الله يقول لنا: إذا آثرتم هذا الطعام في الدنيا، وبعتم به دينكم، فإنكم ستجدون طعاما سيئا تأكلون منه دائما، دائما لا ينقطع أكلكم منه، حينئذ يخاف الإنسان.

لأن الله لرحمته عندما يذكر هذه التفاصيل هو من أجل أن نقارن نحن في الدنيا فنخاف؛ لأنه لا يريد أن ندخل جهنم إلا إذا فرضنا أنفسنا على جهنم رغما عنها، الله لا يريد لعباده أن يدخلوا جهنم، يهديهم، يذكرهم، يخوفهم يعرض تفاصيل هذه النار لأجل أن تقارن بينما تسمع من تفاصيلها وبين ما يعرض لك في الدنيا، طعام وشراب هنا، هناك طعام وشراب، فقارن بينهما، حينئذ تجد بأن هذا الطعام والشراب الذي يقدم لك في الدنيا ليس أهلا لأن تبيع دينك به ثم يكون جزاؤك طعام وشراب من هذا الطعام والشراب السيئ في نار جهنم.

هو لا يذكر هذه الأشياء لمجرد حكاية مشاهد، قصة [حزية أو وسيلة] كما نقول، بل لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن في ذكر هذه التفاصيل إذا ما تأملناها ما يخيفنا وما يردعنا، وسنجدها تفاصيل ماثلة أمام أعيننا كلما عرض علينا شيء من حطام الدنيا.

نقول: لا، هذا الطعام لا أقبله لأن وراءه طعام الزقوم، هذا الشراب لا أقبله وإن كان عسلا مصفى لأن وراءه الصديد والحميم، هذا الثوب، هذه البذلة لا أقبلها لأن وراءها ثياب من نار، وراءها سرابيل من قطران، وهكذا تجد في تفاصيل جهنم إذا كنت واعيا ما يجعلك تقارن في كل مسيرة حياتك عندما تتعرض للإغراءات من قبل الآخرين التي هي عادة تتعلق بقضية الشراب والطعام.

ويقول الله سبحانه وتعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} (الزمر: من الآية١٦) أليست هذه مساكن؟ مساكن في النار على هذا النحو، السقف كله نار، والأرض كلها نار، وما حولهم كله نار. يتحدث حتى عن ما يشبه المساكن؛ لأن من يريد لنفسه مسكنا جميلا يريد قصورا فخمة ويكون طامعا فيها، قد يصل به طمعه إلى أن يحصل على مباني من هذه وإن كان مقابل دينه فيدخل في الباطل، ويؤيد الباطل، ويصبح صادا عن سبيل الله وحربا لأولياء الله؛ لأنه يريد مسكنا جميلا. فليتذكر بأنه هناك في جهنم سيكون بدلا من مسكنه {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ} (الزمر: من الآية١٦) الحديث عن ذلك هو لتخويف الله لعباده {ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} (الزمر: من الآية١٦)، خافوا أن تكونوا ممن لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.

متى ما اشتدت حرارة الشمس وهي من فوقنا وبعيدة جدا عنا ألسنا نهرب لنبحث عن الظل؟ أو تحمل (شمسية) أو أي شيء تقي به نفسك من حرارة الشمس، أما في جهنم ليس هناك ما تقي نفسك منه، حتى ما يبدو أمامك وأنت في جهنم وكأنه ظل هناك هو ظل خادع هو حميم، هو نار. يقال أنه حتى في جهنم يتجمع دخان ويتراء وكأنه ظلال، فينطلق وإذا كله نار، ذلك الذي يراه على شكل ظلال كله نار. {ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ} (الزمر: من الآية١٦) فهذا هو الذي يجب أن نخافه، يخوف الله وهو إلهنا، وهو ربنا، وهو الرحيم بنا؛ لأنه لا يريد أن نقع في هذا العذاب.

لاحظوا كيف يعمل ملوك الدنيا الذين لا رحمة لديهم، هم من يريدون أن يعذبونا، وليس أن يبعدونا عن العذاب فهم يخادعوننا حتى نقع في العذاب المهين. أليس كذلك؟.
عندما يأتي الأمريكيون إلى اليمن فيقولون: نحن نريد أن نساعدكم على مكافحة الإرهاب، الإرهاب أنتم ستعانون منه! وهم يريدون أن يتمكنوا، ليسيطروا علينا ويذلونا، فيوقعونا في الخزي وفي العذاب المهين.
أليست أمريكا دولة ولها رئيس؟ قل هو ملك ذلك الشعب. هكذا يعمل على أن يخادعك ليوقعك في العذاب المهين تحت وطأة قدمه، أما الله ربنا سبحانه وتعالى فهو الذي هو على كل شيء قدير فإنه رحيم بنا يعمل على أن يخوفنا من عذابه من أجل أن نبتعد مما يؤدي بنا إلى عذابه، هذا هو عمل الناصح، عمل الرحيم بعباده.
ولذلك تجد أهل النار في الأخير يرون أن الله سبحانه وتعالى لم يكن من جانبه أي تقصير، وأن كل من يدخل جهنم سيرى نفسه جديرا فعلا بأن يعذب فيها، وأن يصرخ بملئ فيه فيها، أما الله فلا تقصير عنده، سيعرف أن رحمته عرضت عليه في الدنيا، ويعلم أن الله خوفه في الدنيا، وأنه الذي كان يعرض عن تخويف الله، وأنه الذي كان يخاف ما لدى الآخرين أكثر مما عند الله، وهذه هي الحماقة أن نخاف ما عند الآخرين ولا نخاف ما عند الله.
{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} (الزمر:٧١) نعوذ بالله، كل واحد منا يفكر فيما لو كان واحدا من أولئك الذي سيساقون إلى جهنم كيف ستكون نفسيته، وكيف ستكون حسرته، وكيف ستكون آلامه ومشاعره.
{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} لأنهم يدفعون دفعا إليها كما قال الله: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً} (الطور:١٣) لا يريدون أن يذهبوا، فتدفعهم الملائكة رغما عنهم وتقودهم في السلاسل فيسحبون على وجوههم إلى نار جهنم.
{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} (الزمر: من الآية٧١) جاهزة لاستقبالهم {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا} (الزمر: من الآية٧١) خزنتها يستغربون من الناس، ويندهشون من الناس: ما الذي أدى بكم إلى جهنم؟! ما بالكم؟! {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى} (الزمر: من الآية٧١) والله قد جاءتنا الرسل وجاءنا المنذرون وكنا نسمع آيات الله ولكنا كنا معرضين عنها ولا نحسب لها أي حساب.
{أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} (الزمر: من الآية٧١)؟!! الملائكة أنفسهم يندهشون من أهل جهنم وعندما يرون الملايين تساق إلى جهنم، {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ} (الزمر: من الآية٧١) تلك الآيات التي تهديكم، تلك الآيات التي فيها ما يبعدكم عن أن تصلوا إلى جهنم {وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} (الزمر: من الآية٧١).؟!.
أليس هذا حاصل في القرآن في كثير من الآيات الكريمة، سور بأكملها تتحدث عن اليوم الآخر؟ سور القرآن مليئة بالحديث بالإنذار لعباد الله من اليوم الآخر، بالآيات التي تهدي الناس إلى ما يبعدهم من سوء الحساب ومن عذاب جهنم في اليوم الآخر، أليس هذا في القرآن كثير؟ أليس القرآن في كل بيت؟ فلماذا لا نخاف؟ ولماذا نخاف الآخرين؟ بمجرد ورقة واحدة، أو واحد من زبانيتهم يخيفنا، ولا نخاف من أي شيء من كل ما نسمع الحديث عنه في كتاب الله الكريم، الذي بين أيدينا وفي كل بيت من بيوتنا؟.
{قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (الزمر: من الآية٧١) {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} (الزمر: من الآية٧٢) ما دام وقد جاءتكم رسل يتلون عليكم آيات ربكم، وقد أنذرتم لقاء يومكم هذا، إذاً ما بقي هناك أي عذر لكم {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر: من الآية٧٢).
ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا: {وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} (الشورى: من الآية٤٤)، هل هناك سبيل إلى أن نرجع إلى الدنيا، يبحثون عن الخروج من جهنم بأي وسيلة، ولو بوعد أنهم سيعودون إلى الدنيا ثم ينطلقون في الأعمال الصالحة {هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} (الشورى: من الآية٤٥)، كأن هذا في القيامة وهم في المحشر؛ ينظرون إلى جهنم؛ لأن جهنم تبرز يوم القيامة كما قال الله: {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} (الشعراء:٩١) فيرونها وهي تلتهب

وتستعر، ويسمعون صوتها، زفيرها، وشهيقها، يتساءلون: {هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} (الشورى: من الآية٤٤)، هل هناك ما يبعدنا عن هذه النار؟.

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ} مطأطئين رؤوسهم ومستكينين {مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} إلى جهنم {وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} (الشورى: من الآية٤٥). المؤمنون وهم يرون أولئك الذين كانوا في الدنيا كبارا، الذين كانوا في الدنيا معرضين عن دين الله ويسخرون من عباد الله سيرون أنهم في خسارة عظيمة، وهم يرونهم في وضع سيء، هكذا خاشعين من الذل ينظرون إلى جهنم نظرات مخيفة، نظرات شزر: لا يحاول أن يملأ عينه من رؤيتها، لا يحاول من شدة الخوف، هناك يتجلى من هو الخاسر، تجلت الخسارة على أفظع ما يمكن أن تتصور: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ ـ حقيقة هم ـ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، {أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ}.

لأنه هنا لاحظوا في الدنيا قد يرى أي شخص من المنافقين إذا ما تعرض الناس لأي شيء فرأوهم مثلا يقادون إلى السجون أليسوا هم من يسخرون؟ أليسوا هم من يرون أولئك المؤمنين خاسرين؟ المنافقون، الجاهلون الذين لا يعرفون من هو الخاسر الحقيقي، يرونك وأنت في السجن، وأنت تعمل في سبيل الله، يرونك وأنت تطارد فيعتبرون أنفسهم أنهم حكماء وأذكياء أنهم هاهم آمنون في بيوتهم، وأن أولئك خاسرون.

وقد يقول للبعض: [ألم نقل لك بأن هذا العمل سيضيعك من بيتك وأهلك؟ كان احسن لك تبطل وتجلس بين مالك وتجلس في بيتك وبين أولادك وما لك حاجة].

هم ينظرون إلى ما يتعرض له المؤمنون أنه خسارة، لكن الخسارة الحقيقية التي هم فيها، الخسارة الحقيقية التي سيلقونها هم {وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، أما من رأونا أننا خسرنا أنفسنا وأهلنا في الدنيا فليست خسارة، لو خسرت بيتك، لو خسرت أهلك وأولادك فطردت من بينهم فإن هذه ليست خسارة في سبيل الله. وقد يصل بك الأمر إلى أن تخسر نفسك وأهلك وأولادك ولكن في ذل وفي استكانة على أيدي أعداء الله وفي وضعية لا فضل لك فيها؛ لأنك كنت من قعدت، كنت من سكت، ومن توانيت حتى وصل الأمر بك إلى أن تخرج من بيتك غصبا عنك، ثم لا فضل لك عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أولسنا نرى الفلسطينيين يخرجون من بيوتهم؟ وتدمر بيوتهم ويطردون من بين أهلهم؟ من قبل من؟ من قبل أعدائهم، وأعداء الأمة اليهود، وهكذا يصل الأمر بالناس إلى هذه الدرجة.

فمن يقول: أنه يريد أن يحافظ على نفسه وأهله وبيته وماله قد يخرج منها رغما عنه، ثم لا يكون خروجه منها في سبيل الله بل حسرة وندامة، وتحت وطأة أقدام أعداء الله، أما المؤمن المجاهد الصابر الذي يعمل في سبيل الله فلو خسر نفسه، ولو خسر أهله وبيته وماله فإنه ليس خاسراً، هو من سيقول فيما بعد عندما تتجلى له الأمور، وهو يرى أولئك الذين يرون أنفسهم في الدنيا أنهم كانوا أذكياء لم يتعرضوا ـ في مرحلة مؤقتة فقط وليس على الإطلاق ـ لم يتعرضوا لما تعرضت له أنت في سبيل الله، ستراهم أنت يوم القيامة ثم ترى أن كل ما نالك في الدنيا ليس خسارة، إن الخاسرين الحقيقيين هم أولئك الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وليس نحن، وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

وقد يأتي الشيطان ليقول لك عندما تتعرض لحالة كهذه وأنت مجاهد في سبيل الله قد يقول لك: [لو أنك ما دخلت في هذا الموقف كنت مثل فلان، شف فين فلان فوق بيتهم مكيف شف فين فلان بين مزرعته يشتغل وماله حاجة]، فيوحي لك بأنك في خسارة، وأنك أوقعت نفسك في ورطة وخسارة، يوم القيامة سيتضح لك الأمر إذا ما حاولت أن تدفع الشيطان عنك، وأن تعود إلى صوابك وترى نفسك أنك في مقام تتعرض فيه للربح عند الله يوم القيامة، سترى أنت أولئك هم الخاسرون حقيقة وليس أنت الذي خسرت نفسك وأهلك في الدنيا.

لهذا قال الله: {وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا}، لأن الكثير من المؤمنين هم من يصنفون عند الآخرين خاسرين: تخسر دراستك، تخسر شهادتك، تخسر بيعك وشراءك، خسرت مالك، خسرت بيتك، هكذا يتعرض المؤمنون للكلام الكثير من قبل الآخرين فيصفون كل ما يتعرضون له بأنه خسارة، ويصفونك بأنك أحمق وأنت تنطلق في عمل

ما، أو تقول كلمة حق بشكل صريح، يعتبرونك أنك أحمق؛ لأنك تعرض نفسك للخسارة، فهؤلاء المؤمنون الذين تحملوا في الدنيا ما يقال ضدهم وصبروا واستقاموا هم من ستتجلى لهم الأمور يوم القيامة فيقولون للآخرين، ويقولون لأنفسهم: {وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا} حينئذ والله صح {إِنَّ الْخَاسِرِينَ ـ هم أولئك ـ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، ونحن نراهم يسحبون على وجوههم في السلاسل والأغلال إلى جهنم، أليست هذه هي الخسارة الحقيقية؟؟.

قد يراك أحد الناس ـ كما حصل فعلا في بلادنا وحصل في مناطق أخرى ـ فيرون أحدا من الناس من هذا الصف وهو يقاد به إلى السجن فيرون أنفسهم في ربح أنهم رأوا أولئك.. ومن هم أولئك؟ هم في الواقع الذين لم يتعرضوا لأي أذى أو ضر من جانبهم، لأن المؤمن هو من لا يضر الآخرين، وهذه هي من الأشياء التي تعتبر مما تدهش الإنسان أمام المنافقين: أن المنافق يحمل غيظا وحقدا على المؤمنين، وهو يتأكد في قرارة نفسه أنه غير خائف منهم لا على نفسه ولا على ماله، هو لا يتوقع منهم أن ينهبوا ماله، هو لا يخاف أي شيء من ضرهم وأذاهم ولكنك تراه يفرح ويرتاح والمؤمنون يقادون إلى السجن. ألم يحصل كهذا؟.

وقد يرى الإنسان نفسه وهو في حالة كهذه في ألم شديد، لكن أنت عد إلى كتاب الله لتعرف أن المواقف ستتغير، وأن هناك في القيامة سيتجلى من هو الخاسر الحقيقي، ومن هو الرابح الحقيقي.

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} أليست هذه هي الخسارة؟ أم خسارة المؤمن في هذه الدنيا التي يفرح بها الآخرون، وأنهم أوقعوه فيها، بتقاريرهم، بوشاياتهم بنفاقهم بكذبهم!.

ما هي الخسارة التي سيوقعونه فيها؟ قد تكون لو هلك هو في نفسه فهي فترة محدودة لا يحس بعدها بشيء من الألم بل سيكون شهيدا يفرح يعيش حيا يرزق، ويستبشر ويفرح بتلك الحالة التي قد وصل إليها فيما بعد، أو يرى نفسه فوقه ظلل من الإسمنت، وتحته أرض مبلطة، يرى نفسه يقاد إلى السجن في سيارة، هل هذه هي الخسارة؟ أم خسارة من يقاد إلى جهنم في السلاسل والأغلال ويسحب على وجهه؟. ومن سيكون في سجن جهنم من فوقه ظلل من النار ومن تحته ظلل؟. أليست هذه هي الخسارة؟.

ولهذا جاء في الآية الأخرى: {قُلْ} قل يا محمد للناس، لأولئك الذين يسخرون من المؤمنين ويعدونهم خاسرين عندما ينالهم شيء وهم ينطلقون في سبيل الله ليست هذه خسارة: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ ـ الحقيقيين هم ـ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم القيامة وليس هنا في الدنيا {أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} الخسران الحقيقي والواضح {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}.

هكذا يقول الله لنا سبحانه وتعالى؛ ليعلمنا كيف تكون مشاعرنا، وما هي المشاعر التي نحملها ونحن في أي مرحلة صعبة، وأنت في مواجهة أي خطر ينالك أو يحدق بك، لا تعد شيئا في هذه الدنيا ينالك في سبيل الله خسارة، وهذه هي قاعدة عامة وثابتة، وسنة من سنن الله سبحانه وتعالى: أن من يعمل لدينه وفي سبيله، وينطلق في رضاه، ليس هناك أمامه أي خسارة على الإطلاق، لا خسارة مادية، ولا خسارة معنوية أبدا.

لاحظوا، عندما يدعو الله الناس للإنفاق في سبيله ألم يعدهم بأنه سيخلف عليهم ما أنفقوا؟ ليفهمنا أن العمل في دينه ليس فيه خسارة أبداً، والنظرة المغلوطة لدينا هي هذه: أن كل من يفكر أن ينطلق في الأعمال في سبيل الله بنفسه وماله يخيل إليه أنه سيقع في الكثير من الخسارة، سيحتاج أن يعطي كذا، سيحتاج أن ناله كذا فيرى نفسه يتعرض للخسارة!. إن الله في القرآن الكريم أوضح لنا بأنه ليس في العمل في سبيله أي خسارة أبدا.

فأنت إن أنفقت يخلف عليك أضعاف ما أنفقت، وأنت عندما تكون تعمل في سبيله فينالك شيء من الألم كله سيكتب لك عملا صالحا، ذلك الألم الذي قد ينالك على أيدي أعدائك الذين لم تعمل في سبيل ضربهم قد ينالك الكثير من الألم ثم لا يكتب لك شيء. أما إذا كنت في سبيل الله فإن كل حركة من حركاتك، وأي مصيبة تنالك، وأي مشقة مهما كانت بسيطة كلها تكتب لك عمل صالح، وأن يكتب لك عمل صالح مضاعف الأجر حينها ستجد بأن كل ما ينالك ليس وراءه خسارة.

إن الخسارة هي أن يكسر عظام الإنسان على أيدي اليهود وهو بعد لم يعمل ضدهم شيئا، هذه هي الخسارة. إن الخسارة هي أن يدمر بيتك على أيدي أعداء الله وأنت ممن كنت لا تعمل ضدهم شيئا، هذه هي الخسارة. حينها سيكون كل ما نالك عقوبة، والعقوبة لا أجر عليها، لا أجر معها. أليست هذه هي الخسارة الحقيقية؟ لكن ليحصل مثل هذا، أو أكثر منه، أو أقل منه في سبيل الله لن يكون خسارة؛ لأنه يكتب لك عمل صالح، مضاعف الأجر عند الله ثم وبناء على هذه القاعدة الإلهية أنه لو وصل الأمر إلى أن تضحي بنفسك ألم تنفق نفسك حينئذ في سبيل الله؟ يقول لك: لن تخسر أبدا حتى روحك وستعود حيا، ألم يقض بهذا للشهداء؟ {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٤)، {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:١٦٩).

لأنك من بذلت نفسك في سبيله، وعلى أنه لا خسارة في التعامل معه سيعيد لك روحك، وتعيش حيا ترزق بكامل مشاعرك، وتفرح، وتستبشر بما أنت عليه، وبمسيرة الآخرين ممن يسيرون على نهجك، أنهم يسيرون على طريق حق، وعلى صراط مستقيم، وأن من سيلحق بعدك من إخوانك سينال ما نلته أنت من التعظيم، ومن الحياة في ذلك العالم، حياة مليئة بالفرح والسرور، هل هناك خسارة؟.

بل أليس الناس يموتون؟ هذه هي الخسارة أن تموت ثم لا يكون في موتك إيجابية بالنسبة لك، ليس في موتك أي استثمار لك، وهذه هي الخسارة الحقيقية. هكذا يعلمنا الله: بأن كل من ينطلق في سبيله لن يخسر أبدا، وأن الخسارة هي خسارة أولئك الذين قد يكون واقعهم يؤدي بهم إلى أن يخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. ومن يهربون من الموت في الدنيا، هم من يموتون حقيقة، هم من يضيعون في التربة حقيقة، أما الشهداء فإنهم لا يموتون. أوليس كذلك؟.

فكل من يخاف من الموت هو الخاسر، هو الذي يريد أن يموت، هو من سيكون موته لا قيمة له، إذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله، وأن تقتل شهيدا في سبيله.

وكلما يقعد الناس عن العمل في سبيل الله إنما هي مفاهيم مغلوطة، كلها وضعية غلط، وكله فهم غلط حتى من يرى أن هناك ما يبرر له قعوده عن أن يجاهد أعداء الله؛ لأنه عالم اكتشف على أساس قواعد [أصول الفقه] أن بإمكاني أن لا يجب هذا الواجب عليّ، وأن يكون تعاملي مع الله محدودا، أستطيع أن أبحث عن الحيل التي تخلصني من أن يجب هذا الواجب عليّ، أليس هو سيموت؟.

لماذا تهرب عن هذه الكرامة العظيمة، وربما قد تكون أنت من قد عشت في الدنيا عشرات السنين ومتعت بما متعت في الدنيا، حاول أن تستثمر موتك، لا تبحث عن الحيل، لا تبحث عن المبررات، إنك من يجب لمثله أن ينطلق ليحظى بهذه الكرامة؛ لأن - في العادة - الإنسان لا يبحث عن المبررات وعن الحيل ليقعد، أو لينطلق ليصنف أعمال الآخرين بأنها أعمال حمقاء، أو أنها باطلة كله: الخوف من الموت، هل أنت تخاف من الموت؟ هل أنت تكره الموت؟ حاول أن تعيش حيا، حاول أن تكون ممن قال الله لنا ومنعنا عن أن نسميهم أمواتا، الموت ملغي من قائمتهم {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} ليسوا أمواتا إنهم أحياء {بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.

إن الحماقة هي هذه، وهذه هي الخسارة: أن يتهرب الإنسان عن الربح العظيم في الدنيا وفي الآخرة، يتهرب عن الحياة، أليس الشهيد حيا؟ أنت تتهرب عن الحياة خوفا من الموت. وهذا من أغرب الأشياء، أنا أخاف من الموت فلا يدري الإنسان وإذا به قد وقع في الموت الحقيقي، الغيبوبة المطلقة إلى يوم الدين، أما الشهيد فهي لحظة، قد تكون لحظة ربما قد لا تكون إلا دقائق معدودة، وقد لا يكون فعلاً هناك فاصل، فهو حي، وحياة يراها أفضل من الحياة التي كان فيها.

حينئذ إذا تأملنا كل شيء وعلى أساس أن دين الله كله ربح، هو ليس فيه خسارة في أي مجال من المجالات. حتى وأنت عندما تنطلق كطالب علم، يقول طلاب العلم أنهم يريدون أن يعرفوا الحق، وأنه تفرغ لطلب العلم من أجل أن يعرف الحق، ويعرف كيف دين الله؟ إن هناك أعمال هي نفسها وسيلة من وسائل الهداية المهمة لتعرف

الحق في كل شيء {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٦٩)، {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤).

لا تفكر أن العلم هو كل ذلك الذي يعطيك أستاذك، أو كل ذلك الذي تحصل عليه من داخل الكتاب، انطلق في الأعمال التي هي أعمال إحسان كبير عند الله لتكون ممن يعطيه هذا الجزاء العظيم {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ} (يوسف: من الآية٢٢) {آتَيْنَاهُ} ولم يقل أوتي من أي طرف آخر {آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ} (يوسف: من الآية٢٢) وهكذا كسنة ثابتة {نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: من الآية٢٢) المحسنين، وأرقى درجات الإحسان هي الدرجة التي قال الله عن أصحابها: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ألم يعد الجهاد هنا هو الإحسان الحقيقي؟.

فطالب العلم الذي يرى نفسه بأنه في طاعة الله وهو هناك، يرى مجاميع كهذه يضيعون أوقاتهم - من وجهة نظره - وهم يستمعون للمحاضرات، أو ينطلقون في أعمال ويشغلون أنفسهم عن أن يبقوا في زاوية المسجد على شرح [الكافل] أو على أي كتاب آخر يراهم خاسرين، ويرى نفسه هو أنه من عرف الطريق الصحيح، وأنه ها هو يشتغل بطلب العلم.

إن طلاب العلم، ومن يحملوا العلم إذا ما اتجهوا هذا الاتجاه هم من سيحصلون على العلم الحقيقي فعلا {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ - ماذا؟؟ حُكْماً وَعِلْماً}.

وكم وجدنا، كم وجدنا ممن قطعوا أعمارهم في زاوية من زوايا بيوتهم بين ركام الكتب يظنون أن هناك العلم وحده، وأن ذلك مصدره وحده، كم وجدنا لهم من أقوال، كم وجدنا من الجهالات، وتجد لأولئك المجاهدين كالخميني مثلا وكالإمام زيد، وكالإمام الهادي، وأمثالهم من المجاهدين تجد الحكمة، وتجد العلم، وتجد الهدى لديهم، وهم بعضهم لم يعش كنصف عمر ذلك الشخص الذي عاش ستين سنة أو سبعين سنة في زاوية من زوايا بيته بين ركام الكتب، ترى في أقواله الكثير من الجهالات، ترى في عقائده، في نظراته الكثير من الأخطاء.

لأن النظرة من أساسها خاطئة، أن تظن أن هذا الكتاب أو ذلك الكتاب هو كل شيء.. إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل حتى القرآن بدلا عنه، هو من يهدي، وهو من يعلّم، وهو من يؤتي الحكمة من داخل كتابه، وممن يشدهم كتابه إليه، وليس لمن يرون كتابه حتى كتابه بدلا عنه، فكيف بمن يرى كتبا أخرى هي من كتب البشر بدلا عن أن يجاهدوا في سبيل الله، وأن يكونوا من المحسنين ليحصلوا على العلم والحكمة من قبل الله.

ثم كم وجدنا ممن حملوا علما وليس لديهم حكمة.. ومتى كان للإنسان علم دون حكمة يتحول علمه إلى ماذا؟ إلى صد عن سبيل الله في أغلب الحالات، يتحول علمه إلى إضلال.

الإنسان يحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يتجه بعلمه إلى نفسه، ويحتاج إلى حكمة مع علمه وهو يدعو الآخرين إلى ربه، إذا ما فقدت الحكمة وأنت تعلم نفسك ستفقد الحكمة وأنت تعلم الآخرين، من أين تأتي الحكمة؟ لا يستطيع أحد أن يؤتيك الحكمة إلا الله سبحانه وتعالى، وهو هو من قال لشباب كانوا في مراحل التعليم {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} شابا، وقد يكون البعض يرى بأنه قد بلغ السن الذي فاته فيه أن يتعلم. نشأ يوسف في مصر، من الذي علم يوسف؟ ألم يأخذه أخوته وهو صغير، وسجنوه في البئر، ثم مشى وقطع فترة طويلة من عمره داخل قصر يشتغل أشبه شيء بخادم؟!.

ثم موسى من الذي علمه في مجتمع كذلك المجتمع، مجتمع الفراعنة؟ هو الله سبحانه وتعالى الذي قال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.

ثم انظر كيف كانت مواقف موسى، ذلك الذي نشأ في بيئة جاهلة، ألم ينشأ في بيئة جاهلة في مصر، مصر الفرعونية، هل كان هناك مراكز؟ هناك مدارس علم؟ ربما قد يحصل لديه القليل مما يعرفه عن ديانة آبائه من بني إسرائيل، لكنك تجده في القرآن يقدم حكيما قبل النبوة، ويقدم عالما قبل النبوة أيضاً، من أين جاء هذا؟ لأنه انطلق كما قال الله عنه في مجالات الإحسان فآتاه الله حكما وعلماً.

كذلك يوسف ألم يكن تصرفه حكيماً، ومنطقه حكيماً وهو في مصر؟ والنساء يحاولن وراءه، ثم وهو في السجن، ثم وهو كوزير للاقتصاد، أو وزير للمالية، ألم يكن منطقه حكيما وتصرفه حكيماً؟ ألم يكن استقباله لأبويه وإخوته حكيماً ومنطقه معهم؟ من أين جاء هذا؟ من الله سبحانه وتعالى.

أما الذي ينصرف ويقول: هؤلاء الناس يضيعون أوقاتهم بين ندوات وجلسات وأمسيات، لماذا لا يتفرغون لطلب العلم؟. هذه نظرة جاهلة، سيكفيك كتاب واحد وترى نفسك أنه يكفيك أكثر من عشرات الكتب التي قطع ذلك الشخص عمره وهو يتردد بينها، ويقرؤها كتابا بعد كتاب، ويردد الكتاب مرتين أو ثلاث.

ثم وجدنا في الأخير أبنا كنا نقطع أيامنا مع كتب وإذا هي ضلال كلها من أولها إلى آخرها ككتب [أصول الفقه] بقواعده، وإذا هي وراء كل ضلال نحن عليه، ووراء قعود الزيدية، ووراء ضرب الزيدية، ووراء هذه الروحية المتدنية لدى الزيدية، التي تختلف اختلافا كليا عما كان عليه السابقون من أهل البيت وشيعتهم.

وهي التي نسهر ونحن نراجع الدروس فيها، وهي هي من نحملها معنا إلى داخل المساجد، وما أبعدها عن واقع المساجد، ثم وإذا بنا نجني على أنفسنا، ونجني على مساجدنا من تلك الكتب التي كنا نرى أنفسنا نتعبد الله بقراءتها، إذا بها هي التي عطلت مساجدنا فلم تصبح لها روحيتها التي لروحية مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وإذا بنا فقدنا روحيتنا التي كانت في لأهل البيت وشيعتهم السابقين.

هذا ما سيحصل عليه من سيسخر ممن ينطلقون في الأعمال في سبيل الله، الأعمال التي هي تدافع عن هذا الدين، وهي جهاد في سبيله ومواجهة لأعدائه، أليس هذا هو ما نتكلم عنه، ونحاول أن نسير فيه ونحن نرى أعداء الإسلام يصلون إلى كل منطقة؟ ونحن نرى أمريكا وإسرائيل، ونسمع أن الأمريكيين قد وصلوا إلى بلادنا؟ ماذا سيعمل أولئك الذين في زوايا المساجد ماذا سيعملون؟.

هو من سيبحث عن مبرر لقعوده، ومن أين سيحصل؟ من القرآن؟ لا. لن يحصل عليه من القرآن، سيحصل عليه من بطون الكتب الأخرى.

ويكفينا شرفا أننا أبعدنا أنفسنا عن ما رأينا آثاره السيئة في واقعنا، وماثلا أمام أعيننا في مجتمعنا، ويكفينا شرفا أن ننطلق في عمل نحن نعرف أنه العمل الذي ينسجم مع القرآن كاملا، وأنك حينئذ تجد نفسك منسجما مع القرآن، لا تبحث عن مبرر يبرر لك قعودك أمام ذلك النص القوي في هذه الآية أو تلك.

أما أولئك فهم من إذا رأوا آيات كآيات الجهاد، وآيات كآيات الإنفاق، وآيات كآيات الأمر بالتوحد، وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو من يحاول أن يرجع إلى ما قرأ في تلك الكتب داخل [أصول الفقه] ليبحث عن المبرر، ليتهرب من هذه الآيات.. هل هذا منسجم مع القرآن، أم أنه بعيد عنه؟ إنه بعيد عنه.

فالعلم هل هو الذي يبعدك عن القرآن، أم الذي يجعلك منسجماً مع القرآن؟ إنه الذي يجعلك منسجما مع القرآن، والعمل الصالح هو الذي يجعلك منسجما مع القرآن، وفي الأخير هو ما يجعلك بعيدا عن جهنم، جهنم هذه التي ملأت آيات القرآن صفاتها الشديدة المرعبة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبعدنا عن جهنم، وأن يرشدنا إلى صراطه المستقيم إنه على كل شيء قدير،
وأن يؤتينا الحكمة والعلم إنه على كل شيء قدير.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٦ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ عظمة الله

الدرس السادس

آيات من بداية سورة الحديد

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٣/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الكلام من بدايته يتجه نحو محاولة محاولة في أنفسنا كيف نثق بالله سبحانه وتعالى، كيف تعظم ثقتنا بالله؟ كيف تكون ثقتنا بالله قوية؟.

وقلنا بالأمس: بأن الحديث عن نعم الله سبحانه وتعالى يتسع الحديث عنها في مجالاتٍ أخرى، وبشكلٍ آخر، من حيث: كونها مظاهر من مظاهر حكمته، وقدرته، وعلمه، وتدبيره، ورعايته، وملكوته، وألوهيته، وربوبيته.. إلى غير ذلك.

وشيء آخر مما يساعد على أن نعرف الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي نحصل من ورائه على تعزيز لثقتنا به سبحانه وتعالى هو: حديثه في القرآن الكريم عن ذاته سبحانه وتعالى في الثناء على ذاته، وعن ما ذكره من مخلوقاته الكثيرة باعتبارها مظاهر من مظاهر ملكوته، وأنه هو من له المُلك، هو رب العالمين، هو من له الملك، ونفاذ الأمر في العالمين.

منها: ما ذكره سبحانه وتعالى في أول [سورة الحديد]: بِسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(الحديد١)**. سبح لله: نزهه، وشهد بنزاهته وقدسيته، نزاهته عن كل ما لا يليق به، نزاهته عن كل عيب ونقص، نزاهته عما لا يليق بكماله، فكل ما في السماوات والأرض يشهد بنزاهة الله، سواءً من كان ينطق بذلك، أو من كان في نفسه شاهداً على ذلك.**

هو العزيز: المَنيع الذي لا يُقهر، لا يُغلَب ولا يُغالَب، هو غالب على أمره، هو العزيز الذي يَمنح مِن عزته من اعتزّ به، يمنح مِن عزّتِه أولياءَه، فيصبحون كما قال عنهم: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} (المائدة: من الآية٥٤)**.**

الحكيم في ما يصدر منه، الحكيم في تدبيره، الحكيم في هدايته، الحكيم في تشريعه، الحكيم في تدبيره لشؤون خلقه.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الحديد٢) **هو مَلِك السماوات والأرض، مَلِكُها ومَالِكُها. قد يكون الإنسان في هذه الدنيا ملكاً فيَحدُثُ انقلاب فيصبح مطروداً منفياً فيَملِك غيرُه، أمّا الله سبحانه وتعالى فهو الملك، هو المالك، هو الملك ذو المُلك الدائم في سلطانه {يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(الحديد: من الآية٢)**، كل شيء يريده هو قادرٌ عليه، {هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، ليس هناك أشمل من هذه العبارة، ولا أوضح منها في: أنه لا أحد يستطيع أن يحول بينه وبين ما يريد أن ينفذه، فهو قادر وهو قاهر في نفس الوقت.**

{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (الحديد:٣) **ثناءٌ على الله، وبيان لكماله المطلق سبحانه وتعالى. {هُوَ الْأَوَّلُ} عبارة: {الْأَوَّلُ} تعني: لا شيء قبله، لا أولَ لأوّلِيّتِه، ليس هناك شيء سبقه أبداً في الوجود، {هُوَ الْأَوَّلُ} وهذه العبارة أفضل بكثير من عبارة [المتكلمين] التي يرددونها: [القديم] فيسمون الله قديماً، وهذا ـ في ما أعتقد ـ لم ترِد في القرآن الكريم ولا مرة واحدة: أن يصف نفسه، وأن يجعلها من أسمائه [القديم]؛ لأن كلمة: [قديم] ليست مما يصح أن يُمدَح الله بها سبحانه وتعالى؛ لما فيها من إيهام وهو: أنها تُوهِم العمق الزمني، توهم العمق الزمني، كلمة: قديم، وهي في نفس الوقت إنما تعني.. تعني ماذا؟ أنه لم يسبقه عدم، [قديم]: لم يسبقه عدم، لم يكن محدثاً ثم وجد.**

بينما كلمة: {الأول} هي أهم بكثير، فهي لا تُوهِمُ هذا الإيهَام، وهي تتجه إلى نفس المطلوب بِدَايةً، دون ترتيب مُقَدِّمات، الله هو الأول فلا شيء قبله، وهذا هو المطلوب: أن نثبت أن كل من سواه.. أن كل من سواه هو مخلوق له سبحانه وتعالى.

{وَ}هو {الْآخِرُ} بعد فناء الأشياء، {وَ}هو {الظَّاهِرُ}، الظاهر لعباده، الظاهر لمخلوقاته، ليس غائباً كما يقول [المتكلمون]! فيقولون: [قياساً للغائب على الشاهد]، يعرف هذا من قرأ في كتب [علم الكلام] وهذه العبارة القاصرة التي ترسخ غياب الله في ذهنية الإنسان، وفعلاً الإنسان الذي يتأمل سيجد كم كان لهذه من آثار سيئة جداً، ترسيخ في شعور الإنسان غياب الله بهذه العبارات: [من باب قياس الغائب على الشاهد] وهكذا يكررونها.

ولهذا لما جعلوا الله غائباً اتجهوا ليبحثوا عن وجوده هو، عن هل هو موجود أو لا، فيأتوا إلى ترتيب مقدمات معينة، تبدأ بالحديث عن [أن هذه الأشياء وجدناها مُحدَثة؛ لكونها ملازمة لعلامات الحدوث، إذاً فهي مُحدَثة، إذاً هناك من هو مُحْدِثٌ لها، إذاً هناك مُحدِثٌ]، وعلى هذا النحو يتحركون فيجعلون الله سبحانه وتعالى بالنسبة لنا بحاجة إلى أن نستدل على وجوده بأي شيء من مخلوقاته، بينما هو يصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه: {الظَّاهِرُ}، هو أظهر من مخلوقاته، هو أظهر من مخلوقاته، هو من غَرَزَ في نفوس عباده معرفته، المعرفة الجملية، لم يغب اسمه عن ذهنية البشرية.

والقرآن الكريم أكد هذه، وهو يذكر لنا كيف كان الأنبياء يدعون أممهم إلى الله، وكيف كانت تلك الأمم إنما تنازع في ما يتعلق بالوحدانية، أنها غير مستعدة أن تتخلى عن الآلهة الأخرى، لينفرد الله هو وحده بعبادتهم له، وينازعوا الأنبياء في أنه بعد لم يثبت لديهم أو أنهم يريدون أن يثبت لديهم بأنهم رسلٌ من الله، ليس هناك إشكالية حول وجود الله، حتى ولا عند الكافرين {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (الزخرف:٩) **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}**(الزخرف: من الآية٨٧) **ولئن سألتَ مَن؟ سألت الكافرين.**

بل يقول الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم (صلوات الله عليهم): ((أن الله غرَزَ معرفته في نفوس عباده من الملائكة والإنس والجن)) حتى قال أيضاً: ((بل والطير والحيوانات الأخرى كلها تعرف الله)).

وكل ما تشاهده، كل ما تشاهده أنت في واقعك تشهد بسبق خالقه، بسبق صانعه في فطرتك قبل أن تنطلق لترتب مقدمات كلامية منطقية: [هذا مُحْدَثٌ فلا بد له من مُحْدِث، فثبت أن له مُحْدِثٌ]. من أين قلت: [مُحدَثٌ]؟ أليس بعد أن شهدتَ بأن فيه علامات التدبير والخلق، إذاً أنت تشهد أولاً، أنت تشهد أولاً في فطرتك بوجود الخالق، وتشهد بسبق الخالق، وإلا لما عرفتَ أن هذا فعل، ولما انطلقت لترتب هذه المقدمة.

الله سبحانه وتعالى هو أظهر من كل مخلوقاته؛ ولهذا ـ في ما أفهم والله أعلم ـ لم أجد في القرآن الكريم آية واحدة ـ على الرغم مما ذكره الله سبحانه وتعالى من مظاهر قدرته ونعمته وحكمته و.. إلى آخره ـ أن ذكر شيئاً منها بعبارة: [أليس ذلك يدل على أنني كذا]، لا تجد هذه في القرآن الكريم، ليس هناك آية تقول: [أليس ذلك دليل على أني قادر، أليس ذلك دليل على أني حي، أليس ذلك دليل على أني حكيم، أليس ذلك يدل على أن لها خالق، يدل..]، لم ترد هذه إطلاقاً؛ لأنه هو {الظَّاهِرُ}، هو {الظَّاهِرُ}، هو الذي فطر النفوس على معرفته، بل لم يأتِ أحد ليسمي صنماً باسمه، أو يسمي بشراً باسمه، أو يسمي شيئاً باسمه، الذي هو اسم لذاته سبحانه وتعالى المقدسة: [الله]، {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} (مريم: من الآية٦٥) **كان المشركون يسمون الآلهة [هُبَل، اللاَّت، العُزّي، وُد، سُواع، يَغُوث، يَعُوق].**

الله معروف لدى البشر أنه [الله]، هو الإله، هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلقهم، هم يعرفون هذه، لم يأتوا ليسموا صنماً آخر باسمه أبداً، هو إله، بل هو إله مقدس لدى البشر، إله مقدس لدى البشر في كل مراحل تاريخ البشرية. بل يقول أحد الكتاب أيضاً: بأنه في هذا العصر ـ في استبيان ـ ظهر بعد أن أُكتشِفت مناطق بدائية، قُبُل بدائية، وعرف بأن الله معروف لديها، قُبُل بدائية في مجاهل أفريقيا وفي مناطق أخرى في هذا العالم، وما يزال بعضهم شبه عُراة، والله معروف لديهم.

هو {الظَّاهِرُ}؛ لهذا كان هناك تأثير سلبي وسيئ جداً لترتيبات المتكلمين المنطقية، لمقدماتهم المنطقية حيث جعلونا نحتاج نحن ـ حتى نعرفه ـ أن نستدل عليه بأي شيء من هذا لنعرف وجوده من حيث المبدأ: أن هناك إله، أن هناك [الله].

كيف وهو الذي قال سبحانه وتعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس:٧ـ٨) **كيف يلهمها فجورها وتقواها ولا يلهمها معرفته، ولا يفطرها على معرفته، وهي من أهم.. من أهم ما يمكن أن تسير بالنفس نحو الهدى، وتصرفها عن الفجور ـ معرفته سبحانه وتعالى ـ هل مجرد أن تهتدي إلى ما هو تقوى وإلى ما هو فجور أهم من معرفته سبحانه وتعالى؟. هو قال: أَلْهَمَهَا {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} فكيف لا يلهمها ما هو أساس.. ما هو الأساس في أن تنطلق في التقوى وتبتعد عن الفجور، وهو معرفته سبحانه وتعالى؟!.**

فالمعرفة الجملية لدى البشر قائمة، ومترسخة في ذهنيتهم، بما فطرهم الله، بما فطر نفوسهم عليه، وبواسطة رسله المتعاقبين جيلاً بعد جيل، وكتبه التي أنزلها إليهم، فلم يغب ذكره عن ذهن البشرية، ولا عن مسامعها، فهو {الظَّاهِرُ}.

يجب أن نلغي أن نلغي تماماً استخدام عبارات المتكلمين: [الغائب..الغائب.. قياساً للغائب على الشاهد، قياساً للغائب على الشاهد]، وأشياء من هذه.

وأول ما يرسخون في نفسيتك: أنك تقوم تبحث عن من هو الذي أسدى إليّ هذه النعمة، تُدوِّر هنا وهنا.. نجد أن هذه النعم لها محدث، إذاً لها محدث. تمام اتفقنا.. مَن هو؟. بقي الإشكال مَن هو؟. لم يستطيعوا أن يجيبوا عليه..من هو؟ لأن غاية ما يمكن أن تحصل عليه من خلال تلك المقدمات هو ماذا؟: أن لها صانع. لا بأس لها صانع، لكن مَن هو؟ وأي دليل نظري ترتبه على هذا النحو يمكن أن يوصلك إلى الله؟ لا تجد.

لا يوصلك إلى الله إلا فطرتك، وإلا أنبياؤه وكتبه؛ ولهذا نجد: [وهو الله] هم بيقولوا هكذا: [فدل على أن لها محدث... وهو الله تعالى]!! هذه القفزة.. القفزة هذه ليست نتيجة منطقية لترتيب المقدمات هذه أبداً، نتيجةٌ منطقية هو أن لها محدث، لكن قولك: [وهو الله] من أين أتيت بها؟ إنما من خلال أنبيائه، من خلال كتبه، من خلال ما فطر النفوس عليه؛ لأن [وهو الله] هو يأتي بعد سؤال: إذاً فمن هو هذا المحدث؟ من هو؟ رتب لي مقدمات توصلني إلى أنه هو الله، الله.

[طَيْبْ] الله: هو اسم للذات المقدسة، عَلَم للذات المقدسة، الله سبحانه وتعالى، وهو الأساس لبقية أسمائه، تأتي بقية أسمائه في مقام الثناء بعد أن يكون الأساس الذي تضاف إليه وتستند عليه هو اسمه سبحانه وتعالى: الله.

فأي متكلم يستطيع أن يوصل بتسلسل استدلالاته المنطقية إلى الإجابة على من هو؟ ثم ليقول لي: هو الله.

الله إنما أتى من خلال الفطرة التي فطر النفوس عليها، ومن خلال أنبيائه ورسله، وليس عندما تقرأ في [العقد الثمين] أو تقرأ في [الأساس] أو تقرأ في كتب أخرى من هذه كتب المتكلمين المصبوغة بأساليب المعتزلة وعباراتهم فيقول لك: وهو الله.. وهو الله.. وهو الله.. الخ.

هو الله، لكن ليس على هذا الاستدلال الذي ذكرته، هذا الاستدلال يجعل الله بحاجة إلى أبسط مخلوقاته في أن يدل عليه، ونحن ـ كما قلنا سابقاً ـ لم نجد في القرآن الكريم آية واحدة بعد أن يذكر الله كثيراً من مظاهر خلقه، ومفردات هذا الكون فيقول: [أليس ذلك دليل على أني حي، أو على أني قادر]؟. أبداً يقول لك: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} (القيامة:٤٠) **أي أليس مَن صنع هذا بقادر على أن يصنع هذا؟.**

لاحظوا حتى في [سورة الحج] لم يفرق بين الموضوع إلا حرف واحد هو حرف [الباء]: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحج:٦) **بعد أن ذكر في بيان الأدلة التي تقمع كل ذلك الريب الذي لدى المشركين في ما يتعلق بالبعث {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ}، لم يقل: ذلك أن الله هو الحق؛ فتوهم العبارة: أنه استدل على أنه حق بهذه الأشياء، فهي دلت على أنه حق. ذلك بسبب أنه هو الحق، بسبب أنه هو**

الحق كانت على هذا النحو. {وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، أي ولأنه يحيى الموتى، ولأنه على كل شيء قدير.

في آخر سورة [القيامة] قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} (القيامة: ٣٦-٤٠) هل تستطيع أن تقول: أن ذلك هو إشارة إلى الله؟.. لا.. أليس هذا دليل على أن من قدر عليه هو قادر على أن يحيى الموتى، فيوجه الاستدلال إلى الفعل وليس إلى الدلالة عليه هو، من قدر على هذا قادرٌ على هذا، من صنع هذا قادر على صنع هذا، وهكذا تأتي.

تجد أيضاً في [سورة هل أتاك حديث الغاشية] بنفس الأسلوب؛ بحيث لو لم تحمله على نفس الطريقة ستقول الاستدلال هذا غير منطقي. عندما قال ـ وهو يبين قدرته سبحانه وتعالى على البعث ـ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (الغاشية:١) القيامة.. إلى أن قال: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (الغاشية:١٧-١٩) في مقام ماذا؟ في الاستدلال على أن هناك بعث، لا بد من بعث.

ما العلاقة بين الجمل والجبل والسماء منطقياً ـ كترتيب مقدمات منطقية ـ وبين البعث؟ ما العلاقة بين قامة الجمل وارتفاعه وطول قوائمه وبين البعث؟. هل هناك علاقة؟ إلا من هذا القبيل: أن من قدر على هذا، وظهر في هذا حكمته وقدرته على كل شيء، هو قادر على هذا الشيء الآخر؛ فلهذا كان الجمل دليلاً على البعث، من حيث أن من قدر على صنع هذا الجمل، وعلى خلق هذا الجبل، وعلى رفع هذه السماء بما فيها من وضوح على أنه هناك قدرة لا حد لها، لا يعجزها شيء.. إذاً فالبعث ممكن، فهو قادر على أن يحيي الموتى، قادر على أن يبعث الناس من جديد.

ترسخ هذا الأسلوب حتى لا نستطيع أن نخلص أنفسنا منه، ونحن نتحدث، ونحن نَعِظ، ونحن نرشد، نقول: [فدل على أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، دل على أن الله كذا، ودل على أن الله..]، ونحن نستخدم هذه؟ ترسخت فينا بشكل رهيب، لكن هي خلاف أسلوب القرآن الكريم الذي يوجه نظرك إلى المقارنة بين الأفعال: ما في هذا من مظاهر يدل على أن من قدر عليه قادر على كذا، لا يأتي على هذا النحو: فدل على أنه قادر، فدل على أنه حكيم.

فعلاً بأسلوبنا القاصر ممكن أن نستخدمها، ممكن أن نستخدمها، ولكن لأن الله هو الظاهر الذي حكم بأنه ظاهر، لا يحتاج إلى شيء يُستَدَل به عليه، هو أظهر من كل شيء، هو أظهر من كل شيء، فلم يأتِ هو سبحانه وتعالى ليستخدم هذا الأسلوب الذي نستخدمه نحن: [فدل على أني على كل شيء قدير، دل على أني حكيم، فدل على..]، تأملوا هذه، هل تجدوها في القرآن؟ لا أعتقد.

وهي قضية مهمة، قضية مهمة جداً: تذَكُّر حضور الله، وتذَكُّر شهادته هي الغاية المهمة من وراء كثير من الأذكار التي شرعت: التسبيح، التهليل، التكبير، التحميد، تذكر النعم، أن لا تنساه، أشياء كثيرة جداً كلها تصب في هذه الغاية هو: استشعار حضور الله سبحانه وتعالى وشهادته.

فكيف نأتي في الكتب التي موضوعها هو: معرفة الله فنقدمه غائباً!، ما الذي حصل؟ بعد أن فهمناه غائباً وترسخ في مشاعرنا غائباً، انطلقنا نحن لنحكم أنه في الواقع غابت أعلام الهدى، فكل واحد منا فليقم ينظر هو من جديد يبحث عن خالقه، كل واحد يقوم ينظر ويجتهد يبحث عن ما هي الأحكام التي يدين الله بها؛ لأنه قُدِّمَ في الصورة: أن الله غاب من يوم مات نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) وانقطع الوحي فغاب.

بينما هو يذكّرنا بأنه لم يغب، في قصة عجيبة في القرآن الكريم قصة الغنم التي رعت الزرع في أيام سليمان حينما قال: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} (الأنبياء:٧٨) لاحظوا العبارة هذه: {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} (الأنبياء: من الآية٧٩)

فيأتي الآن مجتهدون وعلى طول تاريخ الإسلام ويتعاملون مع القضايا وكأن الله غائب، وكأنه ارتفع عن هذا العالم، وانقطع بانقطاع الوحي الاتصال به.

هو يذكر أن قضية بسيطة: قضية غنم رعت قليل زرع، داود وسليمان، داود نبي وسليمان ابنه قبل أن يكون نبي، لكنهم من المصطفين الأخيار، وهم يجول في أذهانهم أو يترادون الكلام كيف يحكمون فيها، الله قال: {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} ماذا؟ بالطبع بعد أن ترفع القضية إلى داود وسليمان بالطبع أن الذي يجول في خاطره هو: ما هو الحكم فيها؟ حتى وإن كان في قرارة نفسه مُربّى على أن ينتظر الوحي، هذا بالطبع يجول في نفسه، يتساءل كيف يكون الحكم فيها؟ هو نبي عن طريق الوحي يوحى إليه، وابنه سليمان من ورثة الكتاب هو ممن اصطفي ليكون من ورثة الكتاب {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} ألم يقل الله: أنه تدخل هنا؛ بأنه شاهد؟ تدخل في الحكم في قضية زرع، رعته أغنام شخص آخر على شخص، فَهَّم الحكم في هذه القضية سليمان، هو يوحي إلى داود وهو أيضاً يفهم سليمان، فهو يوحي إلى أنبيائه وهو يفهم أعلام دينه.

وهذا هو ما قاله [الإمام الناصر الأطروش] فيما حكى عنه شارح الأساس أنه يقول: ((أن الاجتهاد في القضايا هو من اختصاص أئمة أهل البيت)). وفعلاً، ولكن وفق الثقافة التي قُدمت في مجال معرفة الله قُدم غائباً، وارتفع عن هذا العالم، فحتى الإنسان يقوم هو يبحث حتى عن الله، حتى عن الله، كل واحد ينظر يدوّر فين الله؟. كيف الله..الخ!!.

هل يمكن في قضية زرع بسيطة أن يقول الله بأنه كان شاهداً {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ}، هو لا يغيب، وأن يتدخل فيها ففهمها سليمان وهناك أبوه داود نبي، ولم تُترك المسألة للاجتهاد من قِبل هذا أو هذا، على الرغم من أنه {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً}، أليس هذا؟ بلغوا درجة الاجتهاد وزيادة، {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً}، لكن لا، هو من يتدخل، ثم يهمل هذه الأمة وهي ستواجه قضايا كبرى ومستجدات كثيرة جداً وأحداث رهيبة، وأحداث كبيرة، يتركها وهي آخر الأمم، ويبعث إليها نبياً واحداً ثم يقول: هذا خاتم الأنبياء، وكتاباً واحداً ثم يقول: هذا آخر الكتب، ثم يقفل الملف، وينطلق الناس كل واحد يبحث عن إلهه وعن ما يتعبد به؟!.. يهمل الأمة وهو لم يهمل واحد فلسطيني أو ماذا أصله؟ رعت أغنام صاحبه عليه قليل زرع، فتدخل هو في القضية، وقال: أنه هو شاهد على حكمهم، وأنه فهّم سليمان كيف يكون الحكم؛ لأنه شاهد، وهذه قضية فرعية طبعاً.. فرعية هذه [كل واحد يقول فيها: يا أخي مسموح]، وإلا يقول واحد فيها أطرف واحد بما يقول له: [أعط له قليل حب بدل الحب الذي أكل منها]، أو بعبارات من هذه.

فهو الشاهد، {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: من الآية٥٣) **الله في القرآن الكريم يؤكد لنا بأنه شاهد على كل شيء، وحاضر على كل شيء، ولو أنه ترسخ في ذهنيتنا ما رسخه القرآن الكريم لتفادينا كثيراً من الإشكالات، وكثيراً من هذا الانحطاط الذي وصلنا فيه؛ لأنه بسبب أننا لم نثق بالله؛ لأن الله لم يعد له حضور في نفوسنا، لم يترسخ في أنفسنا شهادته، شهادته وحضوره، وهو يقول في آيات كثيرة يرسخ أنه على كل شيء شهيد: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.**

وهو: {الْبَاطِنُ} سبحانه وتعالى فيما يتعلق بذاته فلا تدركه الحواس، ولا يمكن أن تقف الأذهان منه على كيفية، ولا يمكن أن يُرى، ولا يمكن أن يُحس، ولا يُجَس، ولا يُمس.

{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} هو باطن لكن لا يعني ذلك بأنه غائب عن الأشياء، لاحظ كيف تكرر هو ظاهر {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} هو باطن فيما يتعلق بذاته سبحانه وتعالى، لا يمكن.. لا يمكن أن نتخيل له كيفية، ولا أن نقول بأن بإمكاننا أن نراه أو نلمسه أبداً.. أن نراه بأبصارنا {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٠٣) **هو بكل شيء عليم.**

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (الحديد: من الآية٤) **خلق السماوات والأرض، هذا العالم الكبير المترامي الأطراف ـ داخل هذا العالم ـ كما يقولون في هذا العصر وهم يقدرون المسافات ما بين الكواكب بملايين الأميال، ملايين الأميال المسافاتُ ما بين الكواكب داخل هذا العالم الواسع، {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} فيما يقدر بستة أيام من أيامنا، وإلا فليس هناك زمن، الزمن بالنسبة لنا في الأرض هو حركة الأرض التي يتألف معها الليل والنهار، حركة الليل والنهار، وحركة الأرض هذا هو الزمن.**

فهو قادر على كل شيء، من خلق السموات والأرض في ستة أيام هو قادر على كل شيء، أفلا يكون قادراً على أن ينجز لأوليائه ما وعدهم به في الدنيا؟! لكن من الذي يثق؟. الذي يثق من يعش حضور الله في ذهنيته وشهادته على كل شيء، من يكرر تدبره في القرآن الكريم وتأمله في القرآن الكريم، ويلغي عبارات الآخرين القاصرة في مجال معرفته، اللهم إلا من كان أسلوبه يدور حول أسلوب القرآن الكريم كأئمة أهل البيت القدامى الذين لم يتأثروا بالمعتزلة ولا بغيرهم، كالإمام الهادي والإمام القاسم بن إبراهيم، وفي ما نجد في [نهج البلاغة] من فقرات جميلة جداً في الحديث في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى، هؤلاء هم من يَدُوْرُوا حول القرآن.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الآيات من أولها هي تتحدث عن ماذا؟ عن عظمة الله سبحانه وتعالى، عن مظاهر قدرته العجيبة، هو خلق السماوات والأرض تحدث عن خلقها عن تكوينها، أليست هذه آية عظيمة على قدرته؟ على حكمته؟ وأنه وحده الذي له ملك السماوات والأرض؟.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} نأتي إلى الحديث عن كلمة: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} بالمعنى الذي يقول الآخرون، أي: هناك عرش استوى عليه استواءً يليق بجلاله! انظر كيف ستهبط الآية إلى أحط مستوى؟ ما قيمة أن يقول الله لنا الله سبحانه وتعالى بأن هناك عرشاً هو يستوي عليه؟. ما قيمته بالنسبة لنا في مقام الدلالة على قدرته سبحانه وتعالى، على تدبيره، على حكمته، على عظمته وجلاله!. هل يمكن لأي شخص منا أن يتحدث بأن له سرير نوم [يرقد] عليه في بيته ما قيمة هذا؟ أن أقول: فلان عظيم وهو من أولياء الله وهو كذا وهو كذا ومعه أيضاً سرير في غرفته ينام عليه. هل لهذا الكلام قيمة؟. أو له كرسي في صالته يستوي عليه!.

القرآن الكريم كل مفردة داخله لها أهميتها {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) **يتحدث عن خلق السماوات والأرض ويقول: وله أيضاً عرش يجلس عليه! ما قيمة هذه في مجال حكمته؟ في مجال قدرته؟ في مجال ماذا؟ بل قد تستوحي منها على هذا النحو: بأنه [ثم تعب ورجع يرتاح قليل على الكرسي حقه] هذا في منطقنا نحن نقول هذا: [عملتُ إلى بعد العصر وعدت إلى البيت لأستريح فألقيت بنفسي على الكرسي] ألسنا نقول هكذا؟ حينئذٍ يكون كلامك على الكرسي في مكانه صحيح؟ لكن في الدلالة على ماذا؟ على التعب، أنك قد تعبت.**

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} عندما يقولون: هناك عرش، يعني: سرير أو كرسي، فالله استوى عليه. ولكن قالوا: كيف استوى عليه؟ هل جلس كذا أو كذا؟ قالوا: استواء يليق به، لكن ما الذي قد ثبت في الصورة؟. هو أن هناك عرش، والله جاء فوقه، [لكن ما درينا كيف يكون استواؤه فوقه؟]. أليس هذا الذي يحصل في الذهنية؟. هناك عرش وهناك جلس فوقه، على حد عبارة من يقولون استواء يليق به.

كلمة: استوى على العرش تبين لك أن الله من حيث المبدأ خلق السماوات والأرض، كوّنها، لكن السماوات والأرض شؤونها واسعة، مملكة عظيمة، مملكة واسعة، شؤونها كثيرة جداً {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} (الرحمن: من الآية٢٩) **{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ}** (السجدة: من الآية٥) **شؤون مملكته في اليوم الواحد ينجز فيها ما لا ينجز إلا في ألف سنة مما نعد، فهذا الكون الذي خلقه لم يخلقه ثم يرمي به هناك، خلقه ثم اتجه إلى تدبيره، إلى تدبير شئونه، تدبير شؤون هذا العالم الفسيح، وهذا هو ما يعبر عنه [بالعرش] الذي يعني: السلطان والمملكة.**

الاستواء على العرش معناه: ثم اتجه نحو تدبير شؤونه، هو خلقه ثم دبره، وجاء صريحاً هذا في أول [سورة يونس]، ومعظم ما تأتي عبارة: [استوى على العرش] تأتي في مقام عرض لمظاهر قدرته سبحانه وتعالى ففي

أول [سورة يونس] يقول تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} (يونس: من الآية٣) **يدبر الأمر.. وهم يقولون: [استواء يليق به، وفي الأثر: استواء يليق بـه!!] وأينما وصلنا عند: [استوى على العرش]: استواء يليق به!**

فهم مغلوط للقرآن، بل حط، حط لعظمة القرآن وحكمته. أي: أنه خلق وعندما خلق هذا الكون الفسيح ذو الشؤون، ذو الشؤون الكثيرة لم يتخلّ عنه، هو وليه، هو ملكه، هو من يدبر أمره، هو حكيم، هو حكيم لا يخلق شيئاً هناك ثم يرم به، ثم ما عاد له حاجة منه.

اتجه إلى تدبير شؤونه، وهذا ما يعني في اللغة العربية، العرب يسمّون المُلك والسلطان ولاية الأمر يسموها العرش، عرش المملكة، هو أساساً مأخوذ ـ في لغة العرب، وفيما هو معروف ـ من الأشياء عند الملوك هو أن يكون للملك عرش يجلس عليه، لا يجلس عليه إلا الملك، حتى ولي العهد يكون له مقام آخر، هذا العرش الذي هو أصله كرسي، كرسي مزخرف كبير مفخم، يضفي على المَلِك هيبة أيضاً. عرش، عرش تكرر في الذهنية استخدام [عرش .. عرش..] ثم أصبحت العبارة تعني: المملكة والملك.

والقرآن الكريم هو قرآن عربي، هو قرآن عربي، بلسان العرب، وبأساليب العرب يتحدث، فقال: هو خلق هذا العالم السموات والأرض، ثم اتجه نحو تدبير شؤونها؛ لأنه ملكها، عبر عن المسألة بالعبارة المعروفة لدى العرب [الاستواء على العرش].

أذكر أنه في الأردن قبل فترة طُبع دينار أردني مكتوب فيه: [بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما من الاستواء على العرش] أو بعبارة تشبه هذه، في الدينار الأردني طبعوه، معروف إلى الآن.

ألسنا نقول: أن المسؤول همه الكرسي، ماذا تعني هذه، عبارة [كرسي]؟ المنصب، المقام، الرتبة التي هو فيها، لا تزال الكلمة معروفة لدينا إلى الآن تستعمل، التعبير عن الملك، عن المنصب، عن المقام بما هو عادة يكون متوفراً لدى الملوك ولدى المسؤولين، فنقول: الرئيس ما همه إلا الكرسي، رئيس الوزراء همه الكرسي، وزير الخارجية همه الكرسي، ألسنا نحن نقول هكذا؟.

الذي يسمعك تقول ما همه إلا الكرسي، هل ممكن أن يقول لك: [يا أخي نحن سنبحث له عن كرسي ونوصله إلى بيته من غير أن يزعجنا]، هل أحد سيقول كذا؟. لا أحد يقول لك هذا، هو فاهم أنه يعني: همه المنصب، همه الملك، همه الزعامة.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} مثل عبارة سورة الحديد {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (يونس٣) **تذكرك نفس الآيات في [سورة الحديد]. بما هو بمعنى: يدبر الأمر الذي جاء في [سورة يونس] {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** (الحديد٤) **أليس هذا هو تصرف المُلك، تصرف المَلِك؟. هذا معنى {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}.**

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الحديد: من الآية٤) **هو معنا، عندما يحاول المتكلمون دائماً أن يعملوا التعريفات لكل شيء فلا يدعوا الموضوع للمعرفة الفطرية الجُمْلِيَّة تحدث إشكالات، أقل ما يحدث فيها هو تضييق، تضييق المفهوم الذي فيما لو تركت المفردة تتجه نحو الوجدان سيكون بالشكل الذي أيضاً لا يكون فيه ما يتنافى مع توحيد الله سبحانه وتعالى، ما لا يكون فيه ما هو تشبيه لله.**

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} لا يغيب عنكم، رقيب عليكم، عليم بكم، يحصي عليكم كل شيء، قادر على أن يرعاكم، يعلم كل الحالات والظروف التي تمرون بها، عليم بذات الصدور.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، هو يعلمها ويعلم ملابساتها، ويعلم دوافعها، ويعلم غاياتها. {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (الحديد:٥) **هذه الآيات هي تختلف عن الآيات التي يعدد فيها النعم، أليس كذلك في نفس الأسلوب؟.**

يتحدث عن ذاته سبحانه وتعالى باعتباره هو ذو الكمال المطلق، وهو الملك لهذا العالم، وهو رب العالمين، وهو ملكهم {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} له وحده ملكها، أليس هذا هو الدليل الكافي على أنه لا يجوز لأحد أن ينطلق نحو التحكم في شؤون عباد الله دون أن يكون له شرعية من عند الله؟. إذا كانوا يقولون: لا.. يجوز هذا، إذاً فيجوز لأي شخص أن ينطلق إلى مركز المحافظة فيتحكم فيها، إلى مركز المديرية فيأخذ المبنى ويتحكم فيه دون إذن من رئيس، ودون إذن من ملك، ودون إذن من رئيس وزراء ولا غيره، هل هذا مقبول في عالمنا؟. ليس مقبول. لماذا نقبله بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟.

نحن في أعمالنا نشهد على أنفسنا.. نشهد على أنفسنا بأننا نجوّز على الله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بشأنه، وفيما هو من اختصاصه ما لا نجوّزه ولا نسوّغه في ما يتعلق بعالمنا، وفي أنفسنا. هو له ملك السماوات والأرض، ما معنى ملكها؟ من فيها، هو الذي له الحق في أن يلي أمرهم، أن يدبر شأنهم، أن يشرّع لهم، أن يرسم هدايتهم، أن يوجههم هو.

عندما يقول: بأن له ملك السماوات والأرض، ليس ملك كأي ملك من الملوك الآخرين هو ملك رحمن رحيم رؤوف رحيم. يعرض القرآن الكريم في آيات أخرى كيف تدبير الله لشؤون خلقه، ما هو الأساس الذي يقوم عليه تشريعه لعباده ورعايته لشؤونهم، وهدايته لهم، من منطلق رحمته بهم، هو رحمن رحيم.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، إذاً فلا شرعية لأي شخص يتحكم على رقاب الناس، أوليس الناسُ هم ممن داخل السماوات والأرض؟ أو أنهم هم العنصر الأساس داخل السماوات والأرض، هم من استخلفوا على هذه الأرض فسخرت لهم السماوات والأرض وما فيها، حتى كثير من الملائكة أعمالهم مرتبطة فيما يتعلق بالناس، فيما يتعلق بالأرض {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} (الشورى: من الآية٥) **كثير من شؤون الأرض مرتبطة بهم، تأتي من جهتهم ممن اصطفاه الله من داخلهم يقوم بإبلاغ وحيه بإنزال كتبه، ومع عباده حفظة، ومع عباده كُتّاب، الكل.. الكل حول الإنسان. الكل حول الإنسان.**

ثم إذا انتزعنا ملك الله من هذا الإنسان، وقلنا لا حاجة إلى أخذ شرعية من جهة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالحكم لهذا الإنسان، والهيمنة عليه، والتحكم في شؤونه، فماذا بقي لله؟ تركنا لله الأشياء الباقية! تركنا له الأشياء الباقية! ثم نأتي إلى المخلوق الرئيسي الذي هو خليفة لله في هذه الأرض، وسخر له الأرض والسماوات وما فيهما، فننتزع سلطان الله منه، ونأتي نحن ولا نربط أنفسنا بالله، بل نأتي لنقول: السلطة ملك للشعب يمنحها من يشاء، هكذا في دساتيرنا العربية عبارات كهذه بالتصريح أو ما يُفهم معناها وهو الذي يقول: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦).

السلطة ملك للشعب، هكذا نقول! هذه العبارة ليست سهلة، هذه العبارة خطيرة جداً على الأمة، أن تدين بها دولة، وأن يدين بها شعب عبارة خطيرة.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} إذاً فهو هو من له الحق أن يدبر شأنهم ولا شرعية لمن لا يعتبر في حكمه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى، الذي هو ملك السماوات والأرض، ولا يجوز أن ندين بشرعية أي شخص تحت أي مسمى كان حتى ولو كان تحت اسم [إمام] لا يكون حكمُه امتداداً لشرعية الله سبحانه وتعالى.

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} هو ملكها، ما أكثر الملوك في هذه الدنيا والرؤساء، لكن أليست الأمور تخرج عن أيديهم في كثير من أحوالهم، وفي كثير من أحوال شعوبهم؟ تخرج الأمور عن أيديهم، مَلِك قاصر، مُلك

الناقصين، مُلك من لا يعلموا سر السماوات والأرض، ملك من لا يعلم بعضهم بكثير مما يخص شعبه، فكثير من الأمور تجري على خلاف ما يريدون، والزعماء العرب الآن هل الأمور تمشي على ما يريدون؟.

هكذا تمشي الأمور ويتغير الزمن من حيث لا يشعرون، فهو لا يدري إلا وقد أصبح ينادي بالديمقراطية، وهو من كان لا يريدها، أصبح ينادي مثلاً بضرورة أن يكون هناك مجلس شورى وهو ممن كان لا يريد أن يكون هناك أي شخص آخر يحتاج إلى أن يشاوره في أموره، تُفرض الأمور من هنا إلى هنا.

أما الله سبحانه وتعالى فهو وحده الذي إليه ترجع الأمور، وهو الذي يستطيع أن يخلق ويهيئ المتغيرات. وفي الدنيا ـ عندما تتأمل ـ أحداثٌ تحصل، متغيرات عجيبة، متغيرات عجيبة، تحولات بنسبة مائة في المائة في بعض الأمور، الله هو سبحانه وتعالى من هو غالب على أمره، من هو قادر على كل شيء.

فكل عبارة من هذه تأتي في القرآن الكريم: {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} (هود: من الآية١٢٣) **هو يقول لعباده يقول للمؤمنين: ثقوا بي، انطلقوا في عبادتي، انطلقوا في نصري، وفي العمل لإعلاء كلمتي، وأنا من إليّ ترجع الأمور فلا أدع المجال يقفل أمامكم. هو من سيهيئ، من سيخلق المتغيرات، من سيهيئ الظروف.**

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} حتى وإن كان الناس هنا في الدنيا يتصرفون بعيدين عن الله سبحانه وتعالى، فهذا يتزعم على هذا الشعب، وهذا يتملك على ذلك الشعب، وهذا يقفز على هذا الشعب وهكذا.

هم ما زالوا في داخل محيط قدرته تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} (الأنعام: من الآية١٨) **بل كثير من الأمور تفرض عليهم بتهيئة من الله، من حيث لا يشعرون.**

ولو تأملنا لوجدنا أنه حتى أعداء الإسلام أنفسهم الذين يحاولون أن يقفلوا كل شيء بالنسبة للمسلمين ينطلقون في مجال ولا يدرون بأنهم يهيئوا أجواء عظيمة جداً للمؤمنين من خلال ما تحركوا فيه؛ لأن الله غالبٌ على أمره.

جاءوا بالديمقراطية لتكون بديلاً عن نُظُم الإسلام، وعن نظام الإسلام، ولنكون نحن المسلمين يمسح من ذهنيتنا أن هناك في الإسلام نظام، هناك ولاية أمر، هناك دولة، فيأتون بالديمقراطية، الديمقراطية نفسها ما الذي حصل؟ يُفرض داخلها حرية رأي، حرية التعبير، حرية الكلمة، حرية التحزب، حرية التجمع، حرية القول، أليس هذا هو ما يحصل؟ فكم أعطوا الناس من متنفس عظيم، أعطوا الناس.

من أين جاء هذا؟. هل نقول أنهم جاءوا بالديمقراطية رحمةً بنا؛ من أجل أن لا يكون هناك كَبْت ولا قهر؟ لا.. لهم أهداف أخرى وغايات أخرى، لكن الله يهيئ حتى من خلال ما يفرضونه هم، وهم يتجهون نحو طمس معالم الإسلام حتى يغيب عن الذهنية اتصاله بأي شأن من شؤون الحياة بما فيها شأن ولاية الأمر، فلا يدرون بأنهم يمنحون من حيث يشعرون أو لا يشعرون أن الله يهيئ من خلال ما أرادوا أن يفرضوه أن يكون هناك متنفساً لأوليائه، وما أكثر ـ لو تأمل الإنسان ـ ما أكثر الإنفراجات التي تأتي، ما أكثر الإنفراجات التي تحصل، لكن من لا يهيئ نفسه لأي عمل في سبيل الله تمر الأشياء ولا قيمة لها عنده، ولا يبالي.

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الحديد:٦) **هو من يدبر كل شيء، الليل والنهار هو الذي يدبره فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يتعاقبان ويتداخلان فينقص هذا حيناً ويطول هذا حيناً آخر، في حركةٍ مستمرة منظمة ومدبّرة بأمر الله سبحانه وتعالى، هذا مظهر من مظاهر ملكه، أن له ملك السموات والأرض هو خلقها ثم تحدث عن استوائه على العرش ليدبر شؤونها، ثم ها هو يتحدث كيف يدبر شؤونها، وكيف علاقته بها كملك للسماوات والأرض وما بينهن وما فيهن.**

{وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} هذا الليل الذي يُجِنُّ هذا العالم، أو قطعة من هذه الأرض بظلامه، فيبدو أمام الأنظار وكأنه أصبح يمكن أن يخفي أشياء كثيرة عن الله، يقول: إنه {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} تلك الصدور التي هي ظلمة في داخلها، تجويف الصدر في داخله مظلم، وداخله ماذا؟ داخله هواجس من النفس، أشياء داخل

النفس، الله يعلم بذات الصدور نفسها، فلا يمكن لليل أن يخفي شيئاً من ما يحصل من عباده، ولا يخفي أي شيء من أشياء هذا العالم عنه.

من هذه الآية قوله تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} مما نفهم منه بأن الليل والنهار موجودان مع بعض، ثم يحصل بينهما تداخل، فنشهد بأن الحركة حركة مستمرة الليل والنهار وبشكل دائري، كما اكتشف أخيراً وأصبحت الأشياء واضحة فعلاً، قد تتصل بشخص إلى منطقة أخرى في العالم فيكون الوقت عندك نهاراً وعنده ليل أو العكس. اتصل بأمريكا تجد الوقت هناك نهار ما يزال نهاراً وأنت في الليل.

فأولئك الذين كانوا يقولون أن الأرض هكذا تكوير لها تكوير معين، وأنها فوق قرن ثور وأشياء من هذه، هي خرافات، بينما في القرآن ما يرشد.. ما يرشد فعلاً أو ما يشير إلى أن الأرض بهذا الشكل الذي اكتشفت أخيراً وصورت من بُعْد، وأنها كروية الشكل أو بيضاوية الشكل، وأنها تتحرك بصورة مستمرة، ولها حركة حول نفسها، وحركة حول الشمس. فالليلُ والنهارُ في هذا العالم متعاقب على هذا النحو.

{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} (الحديد:٧) بعدما تحدث، أو بعدما قررت الآيات الأولى في ما يتعلق بكمال الله سبحانه وتعالى ثم خلقه للسماوات والأرض ثم ملكه للسموات والأرض، وما فيهما.. إذاً آمنوا به، من هو ذلك الذي يمكن أن يكون له هذا الكمال، أن يكون له هذا الملك فتروا أنفسكم ملزمين بأن تؤمنوا به، أو تروا أن عليكم حقاً أن تؤمنوا به من هو هذا غير الله سبحانه وتعالى؟.

ثم من هو الذي يمكن أن تخافوه من ملوك الأرض، من رؤساء الأرض، وهم من هم.. من هم بالنسبة لملك الله سبحانه وتعالى؟ من هم بالنسبة لكمال الله سبحانه وتعالى؟ من هم؟ من هو منهم يستطيع أن يغالب الله سبحانه وتعالى؟. من هو منهم يستطيع أن يخرج عن دائرة قدرته وجبروته وقهره لعباده؟. فكيف تخافونهم أكثر مما تخافوا الله؟.

كل حديث أو كل آية من هذه الآيات كلها تتجه نحو نفسية الإنسان، نحو نفسية الإنسان لتعزز داخلها الإيمان والثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى.

{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} (الحديد:٧)

لاحظ، تحدثت بداية الآيات عن تدبيره لشؤون مخلوقاته فيما يتعلق بحركة الكون {مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} هو يعلمه.. الليل والنهار في حركتهما المتعاقبة، هو نفسه الذي يحرك الليل والنهار فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.. أليس هذا جانب من شؤون مخلوقاته؟. ثم يتجه إلى الجانب الآخر، وهو الجانب التشريعي جانب الهداية بالنسبة للإنسان ليقول لنا: بأنه من اختصاصه هو، هذا كله من اختصاصه هو سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الملك.

فهو من له الحق أن يشرع لعباده، من له الحق أن يأمرهم حتى فيما يتعلق بأغلى الأشياء لديهم وهو المال: {وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} هو من له الحق أن يصطفي من عباده رسولاً لعباده فيبلغ شريعته وهديه إليهم {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} بعد أن قرر لكم بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وأن له ملك السماوات والأرض، إذاً فما أنتم إلا عبارة عن مستخلفين فيما بين أيديكم من أموال، هو المالك الحقيقي، هو الخالق لها، وهو المالك الحقيقي لها.

من يحاولون أن يفصلوا سلطان الله عن عباده فيما يتعلق بالتشريع والهداية، وتدبير شؤونهم، وولاية أمرهم يسيئون إساءة كبيرة إلى الله سبحانه وتعالى، فكأنهم إنما يحولون الله ـ وسبحان الله أن يقول الإنسان عبارة كهذه مهما كانت لكن الحاجة إليها ـ أصبح الله شغال لديهم، يولج الليل في النهار، ويدبر هذا الشيء و ينزل مطر، و..! شغال لديهم، وهم من يتحكمون في شؤون عباده كما يشاءون، فهم الملوك وهو عامل لديهم، هذه إساءة عظيمة إساءة بالغة.

فِعلاً كما يقول بعض العلماء: هذا شرك، وكيف لا يكون شركاً وهو يقول للمؤمنين في ما يتعلق بالميتة عندما كانوا يجادلوهم الكفار حولها، كانوا يأكلون الميتة فجاء الإسلام يقول: لا يجوز أكل الميتة، فكانوا يجادلونهم ويقولون: كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية١٢١) أن تطيعوهم في شأن مخلوق واحد من مخلوقاته إنكم إذاً لمشركون؛ لأنكم قبلتم حينئذٍ ما قرروه هم فيما يتعلق بالميتة من أنه لا مانع من أكلها بناءً على أنه [كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله].

أليسوا قرروا شيء فيها؟ لكن لا. من هو الذي له الحق أن يقرر في شؤون عباده، ويحكم فيهم بما يريد؟ من هو؟ الله سبحانه وتعالى، إذا أطعتموهم في شأن ميتة، نعجة ميتة أو أي حيوان من الأنعام تطيعوهم فتقبلوا حكمهم، ولا تقبلوا حكم الله تكونوا أنتم إذاً مشركون، جعلتم ما هو من اختصاص الله وما هو حق لله جعلتموه للآخرين فأصبحتم مشركين به، مشركين به في ملكه، جعلتم هؤلاء هم الملوك، فهم الذين يقرروا ما يروا في شأن هذه الميتة، والحق فيها إلى الله.

هذا مثال واحد في شأن ميتة، فشأن أمة تقرر أنت، وتقبل أنت بأن لطرفٍ آخر الحق أن يقرر ما يريد، وتفرض على نفسك أن تطيعه وتؤمن بما قرره في شؤون أمة! أليس هذا أعظم من شأن ميتة؟ فإذا كانوا مشركين ـ أولئك السابقون الذين نقول عنهم: صحابة، وصحابه ـ هم سيطلعون مشركين فيما إذا قبلوا قرار الكافرين في حكم هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى.

فما أسوأ الإنسان أن يكون في واقعه ممن يقدم إلهه عبارة عن عامل لدى الآخرين، ويكون الملوك هم الآخرون الذين لا نفترض أن يكون لملكهم شرعية من قبل الله سبحانه وتعالى، بل هم لا يفرضون أن لأنفسهم شرعية من قبل الله سبحانه وتعالى، وإنما شرعية نظامية وفق قانون الديمقراطية، أو وفق قانون الوراثة في التعاقب على السلطة في البلد هذا أو ذاك، فيصبح هو من له الحق أن يحكم، ولتصبح أنت من عليك الحق أن تسمع وتطيع، الخطورة عليهم أشد، والإساءة من جانبهم أكثر عندما يحكموا رقاب الناس دون أن يستندوا على شرعية إلهية.

بل قُدِّمَ هذا المنطق بأنه منطق مرفوض، هو ما يسمى بالحكم [الثيوقراطي] ما يقابل [الديمقراطية] [الثيوقراطية] أي الحكم الإلهي، الله لا دخل له في العالم، ومن ينادون بأن يكون الله هو من يحكم عباده، وأن لا نقبل إلا من له شرعية من الله أن يحكم في أرضه، قالوا: ربْطُ الحكم بالله، ربْطُ السلطة بالله، هذا هو نظام [ثيوقراطي] هو نظام مرفوض! بديل عنه النظام الديمقراطي الذي يجعل السلطة ملكاً للشعب، هذا هو النظام التقدمي والنظام الأفضل، هكذا يقولون.

مع أن النظام الديمقراطي أو هذه العناوين هي من قبل الإسلام بفترة طويلة عند اليونانيين، وعند الإغريق، عند فلاسفتهم هم من تفلسفوا وحللوا ما يتعلق بالأنظمة فقدموا عناوين وقسموها إلى تقسيمات معينة، لكن الإسلام أصبح تخلفاً، والديمقراطية هي ماذا؟ هي تقدم، وهي من عمرها قد يكون ربما نحو ألفين سنة أو أكثر من أيام الإغريق، ثم يأتي الإسلام دين للعالمين، ورسوله رحمة للعالمين ثم لا يكون لديه أي نظام، لا يكون لديه أي نظام، يكون امتداداً لسلطان الله في أرضه، إذا كان تدبيره في ما يتعلق بالإنزال للهداية إلى خلقه لا بد أن يرتبط بشخص {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية٧٥) فولاية شأن عباده في هذا الجانب لا بد أيضاً أن تكون مرتبطة بأحد من عباده، وهو هو من له الحق أن يصطفي ويختار ويعيِّن ويحدد هو سبحانه وتعالى.

فنحن عملنا نحن المسلمين عملنا ثورة على الله ـ إن صح التعبير ـ ونزعنا سلطاننا من يده، وجئنا لنقول: الأمر لنا، والملك لنا، والزعامة لنا، فنحن من نتحكم فيها ونمنحها من نشاء!، بينما هو في هذه الآيات يتحدث معنا بأنه هو من ـ بعد أن قال: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ـ فهو يدبر شؤون مخلوقاته، سواء ما كان حركة هذا العالم

بكله، بما فيها حتى إمساك السماوات والأرض أن تزولا {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} (فاطر: من الآية٤١).

ثم يقول لنا بعد مما يدل على أنه فيما يتعلق بالهداية والتدبير والتوجيه والأوامر والنواهي هو من يختص بها سبحانه وتعالى، وهي أيضاً مظهر من مظاهر ملكه، وحق من الحقوق له التي يجب أن نؤمن بها، أنها حق يختص بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه الملك، وهو الإله، وهو الذي خلق،: {فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} هذا ـ كما أسلفت سابقاً ـ له علاقة بما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى.

إذاً ليس معرفته كما يقال فقط [أن تعرفه إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً] فتحفظ هذه الكلمات كعناوين.. أن تعرفه إلهاً، هو إلهك هو ملكك، ثم ماذا يعني أن أؤمن بأنه إلهي وإله العالمين، بأنه الملك عليَّ وملك العالمين، بأنه ربي ورب العالمين؟، هو هذا: أن تكون مؤمناً بأنه هو وحده الذي له الحق أن يتصرف في شؤون عباده كلها.

أوليس القرآن الكريم هو كله يدور حول جانب الهداية لعباده؟ أنزله من عنده، حتى لم يكتفِ أن يصطفي أحداً من رسله ثم يقول له انطلق أنت فشرّع للناس كما ترى، بل هو الذي يتولى التشريع لهم {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية٢١٣) هو الذي له الحق أن يشرِّع، وهكذا كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في كل قضية ينتظر، ينتظر كيف سيكون الحكم فيها من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو من قد اصطفاه الله وأكمله.

فالذي نريد من خلال معرفة الله هو أن نفهم معرفة واسعة، كلمة [مَلِك]، أنه ملكنا، ترددت في القرآن الكريم كثيراً، ونحن نؤمن بها، نؤمن بأنه ملك الناس في هذه الدنيا، وأنه ملك يوم الدين، أليس كذلك؟. لكن نجهل ماذا يعني هذا، وهو الذي نريد أن نفهمه؛ لأنك قد تدخل في الواقع في اعتقادات، في رؤى، في وجهات نظر هي متنافية مع ما تؤمن به من أن الله هو ملك الناس، وأنه ملك العالمين في الدنيا والآخرة، ملك الدنيا والآخرة، فتكون في واقعك أسوأ من أولئك الذين قال الله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.

وحينما نعرف ـ معرفة واعية ـ أنه سبحانه وتعالى هو ملكنا إذاً فلنثق به؛ لأنه هو العليم بذات الصدور، هو الذي يحرك هذا العالم بكله، حركة الليل والنهار، هو يعلم كل ما يدور في هذا العالم، فلماذا لا تثق به.. فتتولاه؟. ثم تنطلق في توجيهاته من منطلق الثقة به.. هذا ما نحاول من خلال كل درس.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لحسن معرفته والثقة به إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة معرفة الله (٧ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ عظمة الله

الدرس السابع

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٥/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى، وفي سبيل ترسيخ معاني معرفته في أنفسنا لتعزيز الثقة به سبحانه وتعالى هناك وسيلة أخرى هي من أهم الوسائل، تلك الوسيلة هي: التمجيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى، ومن خلال عرض الثناء عليه بكماله، كماله المطلق.. والقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الآيات الكريمة التي كانت على هذا الأسلوب، قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر:٢٢ـ٢٤).

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة:٢٥٥).

{هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:٦٥).

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٨).

{وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (القصص:٧٠).

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:٧٣).

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٠١ـ١٠٣).

وكثير من السور في القرآن الكريم تصدّرت بالثناء على الله مثل قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}(سبأ: من الآية١ـ٣).

وسور أخرى تصدّرت بقوله تعالى: {سَبَّحَ} أو{يُسَبِّحُ} مثل ما في أول هذه السورة سورة [التغابن]: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التغابن:١) **{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**(الحشر:١).

وكقوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (يّس:٨٣).

وقوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}(الروم:١٧ـ١٩).

وما أكثر ما ورد في القرآن الكريم من أمثال هذه الآيات.

وليس فقط في القرآن الكريم بل ورد على هذا النحو أذكار كثيرة شرعها الله لعباده أن يرددوها في صلاتهم، وفي غير صلاتهم: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر) هذه من أذكار الصلاة.. (سبحان الله العظيم وبحمده)، (سبحان الله الأعلى وبحمده)، ونحن في الصلاة، ندخل في الصلاة بالتكبير لله (اللَّهُ أَكْبَرُ) وداخلها نكرر التكبير لله عند الركوع، وعند السجود، وعند القيام، وعند القعود.

والتسبيحة: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) هي من الأذكار التي وردت أحاديث بفضلها.

كل هذا هو في الواقع خطاب ثناء على الله، ينطلق من وجدان الإنسان ثم يعود إليه بشكل معانٍ تترك آثاراً في النفس.

إذا تأملنا في الآيات الأولى قول الله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} هو.. يتبادر إلى ذهنك كل ما عرضه في القرآن الكريم من أنه الملك، وأنه الإله، وأنه الرب، وأنه المدبر لشؤون السموات والأرض، وأنه مالك لأمر عباده، هو الذي يحكم فيهم، هو الذي يتولى هدايتهم، هو الذي يُشرِّع لهم.

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} كلمة: {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه} التي نرددها ونرفعها في أذاننا كل يوم للصلاة، كلمة: {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} التي تتردد في القران الكريم كثيراً، سواء بالعبارة كاملة {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}أو بعبارة {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} تكريرها جيلاً بعد جيل، سراً وجهراً هي في حد ذاتها دليل على أنه فعلاً ليس هناك إله إلا الله.

من هو ذلك الإله الذي جاء يعترض علينا فيقول: لا، عاد باقي واحد ثاني. عندما نؤذن في الصلاة وبمكبرات الصوت (أشهد أن لا إله إلا الله)، ونكرر ذلك ثم نقول في الأخير: {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ونقرأ القرآن وهو مليء بـ{لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}لو كان هناك إله آخر لظهر.

فنحن نرددها جيلاً بعد جيل، مئات السنين، يرددها المسلمون في كل بقاع الدنيا، ولا أحد ظهر ليقول بأنه باقي واحد ثاني هو أنا. إذاً فحقيقة ليس هناك إله آخر.

إنما نحن الذين نصنع آلهة داخل أنفسنا، نصنع آلهة من الأشخاص ممن هم عبيد كالأنعام، وليسوا حتى مثل بقية الناس، نحن من نصنعهم آلهة، ونحن من نصنع داخل أنفسنا آلهة، في الوقت الذي نسمع قول الله تعالى يتكرر في آذاننا وعلى مسامعنا: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}. والمؤذن للصلاة يقول لنا: (لا إله إلا الله). ونحن نقول في صلاتنا: {سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله}.

لماذا لا نفكر في كيف يجب أن نستفيد من تكرير {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} نرسخ في داخل أنفسنا أن ما سوى الله لا يجب أن يخيفنا، لا ينبغي أن نخاف منه، لا ينبغي أن نعتمد عليه، ونطمئن إليه في مقابل الابتعاد عن إلهنا الذي لا إله إلا هو، وهو الله سبحانه وتعالى.

في درس سابق[1] حول قول الله تعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (محمد:١٩).

تحدثنا كثيراً عن كيف يجب أن نتعامل مع {لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، وكيف يجب أن يكون ترديدنا لها، وكيف نستفيد منها، وكيف هو الأثر الكبير، الأثر المهم الذي تصنعه في النفوس، التي تحاول أن ترسخ معانيها فيها، كيف ستصبح قوة تقهر كل من يبرزون في هذا العالم كآلهة للناس، ممن هم عبيد أذلاء ضعفاء أمام الله الواحد القهار، جبار السموات والأرض، وكيف يجب أن تكون ثقتنا بالله ثقة مطلقة، فما الذي يمكن أن نخاف منه سوى الله؟ من الذي يملك ما يملكه الله؟ من هو الكامل ككمال الله؟ من هو الدائم بدوام الله؟ من هو القاهر كقهر الله؟ من هو الجبار كجبروت الله؟. لا أحد. لا أحد.

حتى كل من يبرزون في هذه الأرض يتَعَاظَمُون أنفسهم، ويقدمون أنفسهم كجبارين، وطواغيت.. إنهم أذلاء، إنهم ضعفاء، إنهم مساكين، مساكين أمام جبروت الواحد القهار. ما أضعفهم، وما أحقرهم، وما أذلهم، وما أذلنا نحن، وما أحقرنا، وما أضعفنا إذا أصبحنا نخاف منهم ولا نخاف من الله، ما أضعفنا وما أحقرنا وما أعمى بصائرنا إذا اطمأنينا إليهم، ولا نطمئن ولا نثق بالله سبحانه وتعالى.

هو الله وحده فبه ثِق، وعليه توكل، وإياه فاسأل، وبه فاستعن، وإليه فارغب، وإياه فارهب، وإياه فاعبد، وله فأخلص {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}. أليست هذه واحدة تكفي أن تتعامل مع الله على هذا النحو، وأن تنظر إليه هذه النظرة؟ لأنه لا إله ءَألَهُ إليه، أتجه إليه، أصمُد إليه، أقصده، أعبده إلا الله.

---

(١) الدرس الأول من دروس سلسلة معرفة الله، معنى (لا إله إلا الله)

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أليست هذه صفة أخرى إيجابية تدفعني إلى أن أثق به، وأطمئن إليه، وأشعر بعظمته، وأرسخ في نفسي الشعور بعظمته؟ هو عالم الغيب والشهادة، فهو من إذا وثقت به وثقت بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وثقت بمن لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فمتى يمكن أن يَستَغفِلني أعدائي إذا كان وليي هو من يعلم الغيب في السموات والأرض، هو عالم الغيب والشهادة؟ ومتى أحتاج فلا يسمعني، متى أدعوه فلا يسمعني؟ ليس له مجلس معين فقط متى ما سرنا إلى بوابة ذلك المجلس يمكن أن نقابله.

هو معكم أين ما كنتم، هو من يعلم الغيب والشهادة.. بالنسبة له كل شيء شاهد ليس هناك غائب بالنسبة له سبحانه وتعالى إنما ما هو غائب وشاهد بالنسبة لنا الله يعلمه، {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} هو الرحمن الرحيم.. وكما قلنا سابقاً بأن مجموع اللفظتين تفيد المبالغة في أنه رحيم بعباده.

ولو تأملنا من خلال هدايته للناس، من خلال تشريعه للناس، من خلال تدبيره لشؤون عباده، لشؤون مملكته لوجدنا ما يبهرنا من مظاهر رحمته بنا، لوجدنا ما يبهرنا من مظاهر حلمه عنا. رحمته الواسعة بنا ونحن ما نزال في بطون أمهاتنا، وبهذا ذكّرنا في القرآن الكريم.

رحمته بنا ونحن في أحضان أمهاتنا، يعطفن علينا بقلوب مليئة بالرأفة والشفقة على الرغم من أننا نكون في ظرف لا ننفعهن فيه بشيء، بل نؤذي الأمهات. أليس الولد يؤذي أمه بأشياء كثيرة؟ يقلقها وقت نومها، يقلقها أثناء عملها، يوسخ ثيابها، وتخدمه بكل رغبة، تخدمه بكل ارتياح، يعجبها وترتاح حتى بأن تسمع صوته، وإن كان في منتصف الليل بعد أعمال شاقة طول النهار، يعجبها أن تسمع صوته، وتضمه إلى صدرها، وتَحْنُو عليه بقلبها وعطفها.

وهكذا تجد في مختلف الحيوانات الأخرى، حتى تلك الحيوانات الشرسة، تلك الحيوانات ذات المنظر البشع، أنثى التمساح التي ليس لها حِجْر تحتضن صغارها فيه، أين تضع صغارها؟ في فمها، ذلك الفم الممتلئ بالأسنان الرهيبة، فم طويل فيه مواشير من الأسنان فتحمل أولادها برفق وشفقة فوق أسنانها الرهيبة المفترسة، فيحس بالطمأنينة، ويحس بالإرتياح فوق تلك الأسنان، التي لو رآها واحد منا عن بُعد لولى هارباً من بشاعتها!. لا تحاول أن تطبق فمَها على صغارها، تطبق فمها بالشكل الذي فقط يمسك صغارها. الرحمة حتى داخل الفم الممتلئ بالأسنان المفترسة البشعة الشكل، الكثيرة العدد.

وهكذا تجد في بقية مخلوقات الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بمرحلة من مراحل المخلوقات هي مرحلة الولادة، ومرحلة الحضانة للصغار.

مظاهر رحمته بنا واسعة جداً حتى في تشريعه لنا، يشرع لنا ما هو ضروري بالنسبة لحياتنا أن نسير عليه، حتى وإن لم يكن هناك من ورائه لا جنة ولا نار. المتأمل يرى بأنه ضروري فعلاً للحياة، أليس الناس يشرعون لأنفسهم قوانين ودساتير؟ هل وراءها جنة ونار من الدولة التي تشرعها؟. لا.. مجرد تشريعات يقال: تمشون عليها لتستقر الحياة السياسية والاقتصادية، ويحصل استقرار داخل هذا الشعب أو ذاك الشعب فيسعد الناس. هذا كل ما يقولونه من وراء ما يشرعون. ومع هذا ما أكثر الأخطاء التي تظهر في تلك التشريعات؛ لأنها ناقصة جاءت من قاصرين وناقصين شرعوها للناس، الناس الذين لا يمكن أن يعلم بما هو تشريع مناسب لهم إلا الله الذي خلقهم.

تأتي إلى الله سبحانه وتعالى تجد كيف أنه فيما هدانا إليه وفيما شرّعه لنا مما هو ضروري بالنسبة لحياتنا أن تستقيم عليه، وأن يسعد الناس في السير على نهجه، يأتي ليعدنا على ذلك بالأجر العظيم، والثواب الكبير، برضاه، وبالأمن يوم لقاه، وبالجنة التي عرضها السموات والأرض، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين. أليس هذا من مظاهر رحمة الله؟.

لو أتى رئيس من الرؤساء وصاغ دستوراً معيناً، أو قانوناً في مجال من المجالات وقال: من التزم به وسار عليه فسوف نعطيه قطعة أرض في محافظة (حضرموت) سعتها كذا وكذا.. بمضختها بالقائمين عليها، لاتجه الناس كلهم إلى تطبيق ذلك القانون، ولآمنوا به أعظم من إيمانهم بالقرآن، من أجل أن يحصلوا على قطعة أرض، أو

من أجل أن يحصل الواحد منهم على وظيفة معينة.. وما قيمة الوظيفة، وما قيمة قطعة أرض في مقابل جنة عرضها السموات والأرض؟!.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} (محمد:١٥) **أليس فيها أنهار؟ كل هذه الأنهار، كل تلك الجنات المتدلية الثمار، كل تلك الجنات الواسعة المساحات، كل ذلك النعيم الدائم الذي لا ينقطع، كله يعتبر زيادة منه سبحانه وتعالى، رحمة لعباده، وعدهم به فيما إذا ساروا على هديه، والتزموا بتشريعه، أن يمنحهم ذلك النعيم العظيم.. هذه رحمة عظيمة.**

ثم تجد أثناء دفعه للناس إلى أن يلتزموا بتشريعه، ودفعه بالناس إلى أن يسيروا على صراطه المستقيم الذي يوصلهم إلى مستقر رحمته الجنة، يفتح أبواباً في الدنيا، أبواباً كثيرة لمضاعفة الأجر: من أول وَهلَة الحسنة بعشر حسنات.

أي الناس من أقاربك، من أرحم الناس بك يمكن أن يبادلك على هذا النحو في تصرفاتك معه: الحسنة بعشر حسنات! هل يمكن أمُّك أن تتعامل معك على هذا النحو في أمور تخصها فتقول لك: يا بني اسرح اعمل وحاول أن تدخِّل لي مائة ريال وأنا سأعطيك بدل المائة ألف ريال، هل هذا يحصل؟ أو أبوك ممكن أن يعمل هكذا؟. أو حتى أولادك ممكن أن يعملوا هكذا؟ أي من الناس ممن هم رحماء بك يمكن أن يتعاملوا معك على هذا النحو؟ من حيث المبدأ مائه بألف ريال أو حسنة بعشر حسنات؟. لا أحد إلا الله.

من الذي فرض عليه هذا؟. هل أحد فرض عليه هذا من جهة عباده؟. لا.. هو الرحمن الرحيم، هو الرؤوف الرحيم الذي يدفعنا بأي وسيلة، ويشجعنا بأي وسيلة، ويعمل هو على تكثير حسناتنا؛ لنكون جديرين بما وعد به أولياءه، ويثقِّل موازين حسناتنا يوم القيامة هو، حسنة بعشر حسنات، سيئة واحدة منك يكتبها واحدة، تتوب تمحى بكلها ويبدل لك حسنات مكانها، أليست هذه رحمة؟ {فأولئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} (الفرقان: من الآية٧٠) **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}** (هود: من الآية١١٤) **يحاول أن يحتفظ لك برصيدك من الحسنات مهما أمكن، إلا أن تأتي أنت بحماقتك فتعمل ما يحبطها، رغماً من محاولاته فتصبح أنت من جنيت على نفسك.**

قد أعتذرُ إلى شخصٍ أسأت إليه، ماذا يمكن أن يعمل لي بدل اعتذاري إليه؟. سيقول لي: [جاهك على الرأس يا رجّال، وكانت زلّة وانتهت، ونحن اخوة من الآن فصاعدا]. أليس هذا كل ما يمكن أن يعمله شخص يحترم وصولك إليه لتعتذر من زلة بدرت منك نحوه؟. أما الله فهو يتوب عليك، بل هو أحياناً ـ ومع بعض عباده ـ يحاول هو أن يتوب عليهم أولاً ليتوبوا {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} (التوبة: من الآية١١٨) **يعمل على أن يدفعهم إلى أن يتوبوا، بلطفه، وبتوفيقه ثم يتوبوا فيتوب عليهم، ومتى ما تاب أحدنا من زلة بدرت منه، أو سيئة هي في نفس الوقت ضر عليَّ وليست على الله. هل هناك ضر على الله فيما أعمل؟ فلأنني رفعت ضراً عن الله قدّر لي ذلك العمل فبادلني بحسنات بدل تلك الأزمة التي فكيتها عنه؟. ليس هكذا.**

الله لا تضره معاصينا، معاصينا ضر علينا نحن، ولكن على الرغم من ذلك يأتي هو فيبدل ـ عندما نتوب إليه ـ يبدل سيئاتنا بحسنات، الأمر الذي لا يكاد أن يفعله أي شخص أبداً ممن تعتذر نحوهم من زلة بدرت منك إليهم وإن كانت ضراً عليهم. أما الله فهو الذي لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وهكذا يتعامل معنا.

ثم هل هذا هو أكثر ما يمكن الحصول عليه، وما يمكن أن يعمله بالنسبة لمضاعفة الحسنات؟. لا.. يفتح مجالات واسعة، ويفتح أبواباً واسعة: في خلال اليوم أوقات معينة فيها صلوات يُضاعِف فيها الأعمال. في خلال الأربعة والعشرين ساعة هناك وقت متأخر في ثلث الليل الآخر يضاعف فيه الأعمال والحسنات أكثر. هناك داخل الأسبوع يوم واحد يضاعف فيه الحسنات وهو يوم الجمعة، في نفس هذا اليوم ساعة واحدة يضاعف فيها الأجر أكثر. في السنة هناك شهر يضاعف فيه الحسنات أكثر إلى سبعين ضعفاً، وفي نفس الشهر ليلة واحدة يضاعف فيها الحسنات آلاف الأضعاف، ليلة القَدْر. هكذا بالنسبة للزمن.

تعود بالنسبة للأماكن فيفتح نفس الشيء. أماكن معينة تكون العبادة فيها أفضل: المساجد، المساجد متعددة هناك مساجد العبادة فيها أفضل من العبادة في المساجد الأخرى، المسجد الحرام ومسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والمسجد الأقصى. في داخل المسجد الحرام بجوار الكعبة تبدو الحسنات أكثر وتضاعف أكثر.

في أيام معينة هي من ليالي العشر، عشر ذي الحجة كذلك تتضاعف فيها الحسنات أكثر. تأتي إلى الأجواء الأجواء التي نؤدي فيها العبادة تجد كيف أن العمل الجماعي يكون الأجر فيه مضاعفاً أكثر عندما تصلي جماعة تصبح صلاتك بنحو خمس وعشرين صلاة.

وفيما يتعلق بالمال يفتح مجالات لمضاعفة الأجر بشكل أفضل وأكثر من الحسنة بعشر إلى الحسنة بسبعمائة حسنة وأكثر {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٦١) **أليس هو سبحانه وتعالى برحمته من يعمل على أن يضاعف حسناتنا؟ تلك الحسنات التي تصدر منا من أعمال بسيطة هو ليس بحاجة إليها، نحن، نحن المحتاجون إليها، فيضاعفها لنا كي يرفع درجاتنا؛ لأنه حتى وإن كان يريد منا أن ندخل الجنة فهو يريد أن ندخلها ونحظى بدرجات رفيعة فيها.**

فيما يتعلق بأعمالك أنت في الدنيا وأنت تجمع المال من الذي يمكن أن يتعامل معك من أسرتك على هذا النحو فيفرغ وقته ويُجهد نفسه في تَـثْمِيرِ رأس مالك. فتجمع عند أخيك أو عند والدك أو عند أمك مائة ألف فيقوم هو بتثميرها ومضاعفتها فلا يأتي عليها فترة من الزمن إلا وقد أصبحت سبعمائة ألف، هل هناك أحد يعمل هذا؟.

هل يمكن لأبيك أن يعمل هذا هو؟ تودع عنده مائة ألف فيقوم هو بالعمل فيها والتجارة فيها واستثمارها لتصبح بعد أربع أو خمس سنين سبعمائة ألف؟. لا.. بل لن يبقى رأس المال سالماً [والولد وما ملك لأبيه] أليس هذا هو ما قد يحصل؟. وهكذا تجد أمك، وهكذا تجد ابنك، وهكذا تجد إخوانك وهكذا تجد أصدقاءك، ليس هناك أحد مستعد ـ ممن هو رحيم بك ـ أن يُجهد نفسه ليُثَمِّر رأس مالك هكذا.

ثم بعد أن يُثَمِّر رأس مالك فيصبح سبعمائة ألف هل سيعطيك فيما بعد سيارة قيمتها أربعة ملايين جائزة على أن مالك كثر إلى سبعمائة ألف هل هذا ممكن؟. أما الله فيعطي بعد مضاعفة الحسنات يضاعفها يضاعفها ثم في الأخير يعطيك جائزة مهمة جداً جداً لا يساويها شيء هي الجنة.

الإنسان لو يتأمل في القرآن الكريم وفيما يصنع الله لعباده لوجدت كم هو فعلاً رحمن ورحيم، رحيم، رحيم بعباده بشكل يجعل الإنسان يستحي ويخجل.

هذا فيما يتعلق بتشريعه، وكما سبق فيما يتعلق بتدبيره لشؤون خلقه ما ذكرنا من رعاية الصغار في المخلوقات.

تدبيره أيضاً لشؤون خلقه من الليل والنهار والحر والبرد وإنزال المطر وأشعة الشمس وكلها كلها تكون بالشكل الذي لا يضر الإنسان، ولا يضر ما يعتبر من الضروريات لبقائه حياً في هذه الدنيا ولاستقامة معيشته فيها، فيأتي الليل بقدر، ويأتي النهار بقدر، وتأتي أشعة الشمس إلينا بقدر، وينزل إلينا الماء من السماء مفرقاً إلى قطرات حتى لا يجرف أموالنا وبيوتنا وهو ملايين الأطنان في السماء.

هل يأتي بالسحاب فينزل دفعة واحدة على بلد واحد؟ سينهيها. لكن ينزل بشكل قطرات متفرقة فتجتمع القطرات فترى منها الأودية التي تجرف الصخرات. وكم، كم ذكر في القرآن الكريم فيما يتعلق بتدبير شؤون خلقه برهنة لعباده على كم هو رحيم بهم؛ ليفهموا أنه رحيم بهم.

وإذا فهمنا أنه رحيم بنا ماذا يعني ذلك؟ هل أن نقول: [الحمد لله، لك الحمد يا الله، ولك الشكر يا الله]، ثم نتجه في عبادة الآلهة الأخرى، ثم نتجه في طاعة الأصنام الأخرى من أصنام البشر ثم نتجه إليهم فنخافهم ونرغبهم ونثني عليهم ونمجدهم أكثر؟! هو ذكر في البداية: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم إذاً فإليه فانقطعوا، به ثقوا، ومنه فاستحيوا واخجلوا.

إذا عرفنا كم هو رحيم بنا ستترك هذه المعرفة شعوراً مهماً في أنفسنا؛ لأنك حينها ـ كما ذكرت سابقاً ـ تستعرض أقرب المقربين إليك فلا تجد فيهم من يمكن أن يكون فيه معشار معشار ما يحيطك الله به من عنايته ورحمته، خَلّي عنك مدير المديرية التي أنت فيها، محافظ المحافظة التي أنت فيها، رئيس البلد الذي أنت فيه، من لا يعلم

أين أنت، ولا ممن أنت، ولا كيف أنت، ولا يبالي على أي حال كنت، وهم من نخافهم، من نرغب إليهم، من نرمي بكل توجيهات الله بعيداً عنا من أجل الخوف منهم، من نتردد في أن نقول الحق من أجل الخوف منهم!.

هل هم يمتلكون ما نخاف منه مثلما يمتلك الله؟. لا. هل أن فضلهم علينا أعظم من فضل الله علينا؟. لا. هل أن رحمتهم بنا أعظم من رحمة الله بنا، فنحن نؤثر الرغبة إليهم والالتزام بتوجيهاتهم أكثر مما يصدر من جانب الله تعالى؟. لماذا؟. لماذا لماذا كل ذلك؟؛ لأنا كما قال الله سبحانه وتعالى {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:١٧) قتل: لعن، لعن الإنسان ما أكفره!!.

وفعلاً كل إنسان يستحق اللعنة إذا لم يرجع ليتفهم جيّداً معاني رحمة الله به، يتفهم جيداً معاني معرفته بالله، ليعرف بأنه ليس هناك ما يمكن أن يدفعه إلى أن يميل إلى هذا الجانب أو هذا الجانب لا برغبة ولا برهبة، ولا بخوف ولا برجاء.

يقول لنا في أول كل سورة: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثم ينطلق داخل السورة هذه بالثناء عليه ثم يتحدث بتوجيهنا وهدايتنا بأشياء مهمة.. فنأتي نحن ونقول: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}هذه ليست آية ماذا نعمل بها؟ فنرمي بها بعيداً في أفضل عبادة من العبادات التي شرعها لنا وهي الصلاة.. أليس هكذا يعمل بعض البشر من المسلمين يرفضون {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وهي آية مهمة لها دلالتها المهمة جداً جداً، في أن كل هداية منه، وكل تشريع منه، وكل توجيه منه داخل هذا القرآن الكريم هو من منطلق رحمته، يقوم على أساس رحمته، ويسير بنا في أجواء رحمته، وينتهي بنا إلى مستقر رحمته.

فيتنازع الفقهاء والمفسرون هل هي آية أو ليست آية! كيف لا تكون آية من أعظم الآيات وأهمها وهي التي تكررت في القرآن كله حتى قيل أنها حتى في سورة براءة إنما حذفها عثمان على أساس أن يدمج [الأنفال] و[براءة] كسورة واحدة واعترض عليه ابن عباس قال: كيف عمدتم إلى سورة هي من أول السور نزولاً في المدينة وسورة أخرى هي من آخرها فدمجتموهما سورة واحدة وحذفتم بسم الله الرحمن الرحيم بينهما؟! هكذا روي.

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الرحمن الرحيم.. هذه الآية المهمة لمن يتأملها. ثم تأتي داخل السور نفسها تكرير للرحمن الرحيم {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (فصلت:٢) {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة:٢-٣) وهكذا تتكرر.

لو نأتي إلى هذا الاسم الإلهي: {الرَّحِيمِ} ونتأمل مظاهر رحمته فينا لكفتنا هذه، لكفتنا خلي عنك، {عَلِيمٌ حَكِيمٌ خَبِيرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَدِيرٌ} إلى آخر أسمائه الحسنى، رحيم وحدها، إسمه العظيم {رَّحِيمٍ} لو نأتي لنتأمل معناه ونتلمّس مظاهره في حياتنا كلها، وفي تشريعه لنا لوجدنا أنفسنا، لوجدنا أنفسنا في حالة سيئة من الكفران بالله، من الظلم لأنفسنا، وسنرى أنفسنا كما قال الله: ظلوم كفار، ألم يصف الإنسان بهذا؟ {إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: من الآية٣٤).

وعندما يذكّرنا بنعمه في القرآن الكريم هو كذلك لننظر إليها من منظار أنها مظهر من مظاهر رحمته بنا أيضاً ألم تتكرر آيات كثيرة يذكرنا الله فيها بنعمته علينا؟.ألم تتكرر آيات كثيرة يقول لنا فيها: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ} (النحل٥٣) {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: من الآية٢٠) {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (إبراهيم: من الآية٣٤) فكون الأشياء كلها بالنسبة لنا نعمة منه أليس ذلك يعني أنها مظهر من مظاهر رحمته بنا؟. أليس يعني ذلك أنه رحيم سبحانه وتعالى بنا؟.

ثم نأتي إلى بقية الأسماء الحسنى التي أثنى الله سبحانه وتعالى بها على نفسه في هذه الآية؛ لننظر إليه سبحانه وتعالى نظرةَ مَن نفسُه ممتلئة بالشعور بعظمة الله. {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ} (الحشر: من الآية٢٣) ألم يكرر نفس العبارة الأولى {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} هو الله، ثم يأتي بعدها بقية أسمائه الحسنى التي هي قائمة على هذا الإسم المبارك [الله] الذي لا إله إلا هو {الْمَلِكُ}الملك بـ (ألـ) التي تفيد الإختصاص أنه

وحده الملك من له ملك السماوات والأرض من هو ملكنا إذاً فهو هو وحده من له حق التصرف فينا، هـو وحـده مـن يجب أن نرغب إليه، ونخاف منه؛ لأنه الملك القاهر علينا.

ثم تجد مُلكَه سبحانه وتعالى ليس كمُلكِ الآخرين من البشر مُلك هيمنة، مُلك جبروت، ملك طغيان، أوامر جافـة، نواهي جافة نفِّذ.. لا تكريم فيها ولا كرامة معها. أما الله عز وجل فإن ملكه كله قائم من منطلق أنه رب العـالمين، وهو رحيم ورحمن بهم، نفس المعنى الذي جاء في أول سورة الفاتحة: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة:١-٣) هو الذي ربوبيته تقوم على أساس رحمته، ربوبيته لعباده هي مظهر مـن مظاهر مُلكه، وتدبير من تدبير شؤون عباده الذين هو مَلِكُهم.

{هو الملك الْقُدُّوسُ} المُنَزَّه المُعَظَّم، فأنت عندما تكون منقطعاً إليه، ملتجئاً إليه تجهر بأنه ربـك، وأنـه ملكـك، وأنه إلهك، وأنه وليّك، فإنه هو من هو فخرٌ لك أن يكون إلهك، هو (قدُّوس)، هو منزّه، هـو طـاهر، هـو معظّـم، أنت لم تلجئ نفسك إلى طرف تستحي إذا ما أحد عرف أنه وليك أو أنه قـدوتك أو أنـه رئيـسك أو أنـه ملكـك فتخزى، أما الله فإنه من يشرفك أنه إلهك أنه ربك وملكك، من تتشرف بأنك عبدٌ له.

ولهذه القضية أهميتها في السمو بالنفس حتى على مستوى القدوات من البـشر، ألم نقل في مقـام آخـر أن مـن الفخر لنا، أن قدواتنا من أهل البيت، ليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة للرسول (صلوات الله عليـه وعلـى آله) الملطخين بالأخطاء والمساوئ، والمواقف السيئة، فنحن نتعب أنفسنا في الدفاع عنهم وفي تَنْمِيق مظهرهم.

قدواتنا من أهل البيت هم من أولئك المنزهين المطهرين الكاملين في أنفسهم، ممن يشرفنا أن نقتدي بهم. فأنـت لا تخجل إذا ما قلت أن وليّك علي بن أبي طالب، عد إلى علي فتعرّف على علي تجد أنه بالشكل الـذي يـشرفك، بالشكل الذي يجعلك تفتخر بأنه إمامك، بأنك تتولاه.

ولكن انظر إلى الآخرين كيف يتعبون أنفسهم وهم دائماً يدافعون عمن يتولونهم، يحرفـون معـاني القـرآن مـن أجلهم، يحرفون معاني كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أجلهم، يعملون على أن يحولـوا سـيئاتهم إلى حسنات، يعملون على أن يقدموهم للأمة كأعلام. ولكن يكفينا شهادة على أنهم ليسوا ممن يمكن أن نفخر بهم إذا ما انتمينا إليهم أننا نجدكم أنتم تتعبون أنفسكم وأنتم تغطّون على خطيئاتهم، وعلى قصورهم ونقصهم.

الله سبحانه وتعالى {الْقُدُّوسُ} هو الذي تفتخر بعبوديتك له، وتفخر بقربك منه. أليس هناك في هذه الـدنيا من يفخر بأنه مقرب من الرئيس أو مقرب من الملك؟ ويرى لنفسه مكانة عظيمة يتطاول بها علينا، أنه شخص له كلمته عند الرئيس أو عند الملك أو عند رئيس الوزراء أو عند الشيخ فلان، أليس هذا هـو مـا نـراه؟ ومـن هـم هؤلاء؟ من هم هؤلاء البشر الضعاف الناقصين القاصرين المساكين!.

فإذا كنا نجد من يفخر بقربه منهم، من يفخر بتوليه لهم، من يفخر بطاعته إياهم، فلماذا نحـن لا نفخـر علـى الآخرين بأننا نعمل لنكون مقربين إلى الله؟! أن نبحث عن كيف نحصل على ما فيه مجد لنا، وعزة لنا، وفخر لنا هو أن نقرب من الله، وأن نعزّز علاقتنا به، وأن نرسخ تولينا له؛ لأنه {الْقُدُّوسُ}.

{السَّلامُ الْمُؤْمِنُ} سلام لأوليائه، مؤمن لأوليائه، فكن من أوليائه سيرعاك ويحيطك بالسلامة بالأمن من الضلال، من الذل في هذه الدنيا، وهو من سيوصلك إلى دار الـسلام في الآخـرة، ألم يـصف جنـته بأنهـا دار الـسلام في الآخرة؟.

{الْمُهَيْمِنُ} على كل شيء، هو المهيمن على كل شيء، فكيف تخاف، وكيف ترهب ممن هـم تحـت هيمنتـه!!. إذا كان رئيس أمريكا هو من يهيمن على بقية الزعماء، وهو مَن هو؟! أليس هو مَن الله مهيمن عليه؟. فما هـو إلا ذرة من ذرات هذا الكون الذي يهيمن الله عليه. أنظر كيف نـتعامل نحن: نخاف من شخص هناك من هو مهيمن عليـه شخص آخر، وهذا الشخص الآخر هو مهيمن عليه شخص آخر، وهذا الكبير في الأخير هناك من هو مهـيمن عليـه، هو الله الواحد القهار، الذي يقول لنا في كتابه {هُوَ اللَّهُ}هو هو.

عبارة (هو) هي تناجيك في كل لحظة وأنت تبحث عن أن تـنصرف بذهنك إلى هذه الجهـة أو إلى هـذه الجهـة، تقول لك: {هُوَ} وحده {اللَّهُ}.

بالإمكان إذا كنت تبحث عن السلام، تبحث عن الأمن، كما هو حال العرب الآن في صراعهم مع أعداء الإسلام والمسلمين يبحثون عن السلام، ويبحثون عن الأمن، فلم يجدوا أمناً ولم يجدوا سلاماً وإنما وجدوا ذلاً وقهراً وإهانة، ودوساً بالأقدام. لماذا لا تعودون إلى الله هو الذي سيمنحكم السلام. أليست إسرائيل هي في موقع سلام بالنسبة للفلسطينيين؛ لأنها هي المهيمنة عليهم؟ هل هي التي تخافهم أم هم الذين يخافونها؟.

نحن لو التجأنا إلى الله سبحانه وتعالى كلنا وتلك الحكومات التي تبحث، وأولئك الكبار الذين يبحثون عن السلام من أمريكا، ويبحثون عن السلام من روسيا، يبحثون عن السلام من بلدان أوروبا، بل يبحثون عن السلام من إسرائيل نفسها، عودوا إلى الله هو الذي سيمنحكم القوة، يمنحكم العزة فتكونوا أنتم المهيمنين على الآخرين؛ لأنكم تمسكتم بالسلام المؤمن المهيمن، وهناك من الذي يستطيع أن يضركم؟. من الذي يستطيع أن يؤذيكم؟ من الذي يمكنه أن يقهركم؟ أوليس هذا هو السلام؟.

السلام لا يتحقق لك إلا إذا كنت في موقف عزة وقوة ومكانة، أما أن تأتي تبحث عن السلام وأنت تحت، ـ كما يصنع الفلسطينيون، وكما يصنع العرب الآن ـ فإنما هو استسلام، هو استسلام، وأنت في الواقع تحت رحمة عدوك، بإمكانه أن يضربك في أي وقت، بإمكانه أن يختلق لك مشكلة ما مع أي بلد آخر فتدخل في حرب مع ذلك البلد كما رأينا.

هل يريد الناس سلاماً بما تعنيه الكلمة، وأمناً بما تعنيه الكلمة؟ فليعودوا إلى السلام المؤمن المهيمن، مَنْ كتابه مهيمن على الكتب، ومن سيجعلهم مهيمنين على بقية الأمم وحينها سيحظون بالسلام.

والإسلام هو دين السلام، لكن دين السلام بمعناه الصحيح، ما معناه إقفال ملفات الحرب مع الآخرين ليس هذا هو السلام. ؟ أن نقول: انتهى الأمر نلغي الجهاد، ونلغي الحروب لنعيش مع الآخرين في سلام. هذا هو ما حصل لنا نحن المسلمين، ما عمله كبارنا، ظلوا يلهثون وراء السلام، ويناشدون الآخرين بأننا نريد السلام ويبحثون عن السلام، بعد أن ألقوا آلة الحرب وألغوا اسم (الجهاد)، فما الذي حصل؟ هل حصل سلام أم حصل دوس بالأقدام؟. وحصل استسلام. أليس هذا هو الذي حصل؟.

إفهم إسلامك الذي سيحقق لك السلام، هو دين الله السلام، لكن بمعنى آخر، متى ما سرت على نهج هذا الدين، متى ما تمسكت بهذا الدين، متى ما اعتصمت بالله المشرِّع والهادي بهذا الدين ستكون قوياً، ستكون عزيزاً، ستكون الأعلى {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (محمد:٣٥).

ألم يستنكر عليهم أن يدعوا إلى السِّلم وهم في موقف يجب أن يكونوا هم الأعلون؟ فكيف تبحث عن السّلم مع الآخرين وأنت من يجب أن تكون أنت من يحاول الآخرون أن يبحثوا عن السِّلم معك، فتقول لهم: أدخلوا في الإسلام لتحظوا بالسِّلم؛ ليكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا. ألم يكن هذا ما يعمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **في أيام حروبه، عندما يخيرهم بين واحدة من اثنتين: إما الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو الحرب. أنتم تريدون السلام أدخلوا في هذا الإسلام لتحظوا بالسلام، وإلا فليس أمامكم إلا السيف. حينها يصح أن نقول عن أنفسنا بأننا قد حصلنا على السلام، وحينها سنعرف معنى إسم كلمة إسلام الذي شُوِّه معناه، فأصبح يعني الآن استسلام للآخرين.**

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} أليس في هذه الأسماء الحسنى ـ التي تتحدث عن كمال الله سبحانه وتعالى ـ أليس فيها ما يصنع الثقة في نفوس أولئك الذين ارتَمَوا تحت أقدام أمريكا وإسرائيل؟ لماذا يعرضون عن الله وهم من يعترفون ويشهدون على أنفسهم بأنهم مسلمون، وأنهم مؤمنون بهذا القرآن الكريم؟.

هذه هي التي ضربت المسلمين كباراً وصغاراً (عدم الثقة بالله)، **عدم الثقة بالله حتى فينا نحن الصغار نخاف من شخص هو مسكين بالنسبة للآخرين هناك من هو مهيمن عليه، والذي هو مهيمن عليه مسكين بالنسبة لذلك الأمريكي الذي في واشنطن الذي هو مهيمن عليه، والكل مساكين ومقهورين تحت جبروت الله وقهره.**

اربط نفسك بالله رأساً، تجاوز كل هذه الأصنام في هذه الدنيا، وارتبط بالله رأساً، وثق به، وهو من سيجعلك قوياً أقوى مما يملكه هؤلاء من وسائل القوة في هذه الدنيا.

هو أيضاً {الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} فأنت عندما تلتجئ إليه تقل: فعلا: [الله هو طيب، لكن نفسه سمحة وأعداءنا والله ما هو محاول يحرك ساكن معهم واحنا عارفين له، وإنما يريد أن نسير نمسّح أكتافهم ونحاول نحسن أخلاقنا معهم لأنه مسكين سالك لطريقه لا يريد أن يتدخل في شيء]. هل الله هكذا؟. يمكن إذا قلنا: [يا خي فلان ممكن يعاونا؟ تقول: والله فعلاً هو رجّال جيْد لكن ما مِنّه شيء سيمكنها ضحكة في الأخير.. نحن الآن معنا مشكلة مع ذولاك ونريد رجّال يكون وجه بادي ورجّال يستطيع أنه ينفع] أليس الناس يقولون هكذا؟.

الله في الوقت الذي يقول لنا: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ} أليست عبارات تبدو رقيقة؟ يقول لك: هو أيضاً في نفس الوقت إذا ما وثقت به وأنت في ميدان المواجهة والصراع مع أعدائك وأعدائه من يريدون ظلمك وقهرك واستذلالك هو {عَزِيز} يمكنك أن تمتنع به، هو (جَبَّار،مُتَكَبِّر) سيقهرهم، وسيجعلك أنت من تقهرهم {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} (التوبة:١٤) ألم يقل هكذا؟.

هو يقول: سأجعلكم جبارين على أعدائكم، ومتكبرين على أعدائكم، فأنت عندما تثق بالله، ستثق بمن هو سلام لك وأمْنٌ لك في مقامات السلام معه، عزيز جبار متكبر سيمنحك من عزته وجبروته وكبريائه ما تقهر به أعداءك وأعداءه، ليس هناك نقص إطلاقاً في جانب الله عندما تثق به وتلتجئ إليه.

عندما تشعر بعظمته ليس فيه صفة واحدة كما هي في الناس، والتي نسمعها كثيراً من بعضنا بعض نقول فلان.. تقول: [فعلاً يا أخي فلان رجّال جيْد وباهر، وما يقصر لكن أمانه ما هو حق هذه المواقف] أليس الناس يقولون هكذا؟.

أما الله فهو من يكون لك في كل المواقف، ولك بأكثر مما يمكن أن تدرك، سيملأ قلوب الآخرين رعباً بالشكل الذي لا يمكن أن تصنعه وسائل إعلامك، ولا يمكن أن تصنعه أيضاً آليتك العسكرية. هو من نصر نبيه بالرُّعب بمسافة شهر، وكم كان الجيش الذي معه؟ هم أولئك الذين حُوصروا في المدينة عدد قليل، ونصره الله بالرعب، فكان بعض أعدائه من اليهود يخربون بيوتهم ويقطعون نخيلهم أحياناً، ويرحلون خوفاً قبل أن يجيّش الجيوش عليهم، وقبل أن يحاول أنه يشعرهم بأنه يريد أن يهاجمهم.

{الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} بعد هذه الأسماء الحسنى ترى غريباً جداً جداً أولئك الذين يلتجئون إلى غير الله سبحانه وتعالى ما أسوأ حالهم! ما أحط مكانتهم! وما أتعسهم!. وما الأمهم!. عندما يلتجئون إلى غير الله، إلى صنم من الأخشاب أو صنم من الأحجار أو صنم من البشر؛ لأنهم يخافونه، ويرجون منه أشياء، والله قال لهم في هذه الآيات هو، هو كذا، كذا.. إلى آخره.. من يمكن أن ترجوه، من يمكن أن تعتمدوا عليه، من يجب أن تخافوه.

ولأنه ليس هناك في هذا العالم، ليس هناك في الوجود من يمكن أن يكون متصفاً بكمال الله سبحانه وتعالى، ولا بجزءٍ من كمال الله سبحانه وتعالى ـ إن صح التعبير ـ من الظلم لأنفسنا ومن الإساءة إلى الله ربنا الذي هو {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} من الإساءة البالغة إليه أن نجعل له شركاء فنمنحهم ولاءنا، ومنهم نخاف، وإليهم نرغب.

{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} تنزيه لله عن أن يكون له شريك، تنزيه لله وتقديس له عن أن يكون له شريك في ملكه، شريك في كماله {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر:٢٤) {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ} هو من قال لبني إسرائيل: {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً} (الإسراء:٦) فعندما يقول الناس: نحن قليل الآخرون قد يستذلونا، قد يُقتل منا كذا، ونصبح قليل لا نستطيع أن نعمل شيئاً. الله هو الخالق، هو الذي يستطيع أن يمدكم بأموال وبنين، ألم يقل نوح لقومه هكذا؟ {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} (نوح:١٠-١٢)

إذا ما قتل ابني هذا وابني هذا هو من سيمدني بأبناء آخرين {يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}.

هو الخالق، هو البارئ، كلمة {بَارِئ} تشبه معنى كلمة {خَالِق} فيما تعنيه أيضاً من الإبداع أو الابتداع، أو أنه فاطر ما خلقه.

{الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} أن يخلق الشيء على نحوٍ معين، على كيفية معينة ويقال الذي برأ النَّسَمَة، كما كان في قسم الإمام علي (والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة) خلقها على كيفية معينة، فطرها هو وابتدعها هو بدون مثال سابق.

{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} فهنا ذكر لنا مجموعة من أسمائه الحسنى، التي تعني ماذا؟ تعني كمالاً بالنسبة لله سبحانه وتعالى، ليس مجرد أسماء ألفاظ لا تعني شيئاً. الآن لو وضعنا لشخص منا خمسة أسماء هل يمكن أن تزيد في معانيه شيئاً فنسميه: أحمد ومحمد وقاسم وصالح ومسفر وجابر. هل لهذا زيادة فيه؟. لا. هل تعطي هذه الكلمات معاني بالنسبة لك؟ يعني شهادة بكمالك؟.

الله هنا عرض لنا مجموعة من أسمائه الحسنى التي هي حديث عن كماله، كماله المطلق في كل شيء، (عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر).

ثم قال لك أيضاً: له الأسماء الحسنى، عُد إليها في بقية الآيات والسور داخل القرآن الكريم وجمّعها وستجد كم هي. أشبه شيء بإحالة لنا إلى ما ذكره من أسمائه في بقية السور والآيات الأخرى، ارجع إليها من هناك حكيم، حليم سميع، بصير إلى آخر أسمائه الحسنى، تلك الأسماء التي تشهد بكماله؛ لترى نفسك بأنه يمكن لك، بل يجب عليك، بل لا يجوز لك غير هذا هو أن تعتمد عليه، وأن تثق به، وأن تستشعر عظمته سبحانه وتعالى.

استشعار عظمة الله في نفوسنا، أن تملأ عظمته نفوسنا، قضية مهمة، قضية مهمة، ولا شيء يمكن أن يمنحنا هذا الشعور سوى القرآن الكريم فيما يعرضه من أسماء الله الحسنى، ومعانيها، وما فيها من شهادة بكمال الله سبحانه وتعالى.

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} هذه آية الكرسي ـ تحدثنا عنها في درس سابق ـ هي في نفس هذا المسار يمكن أن نتحدث عنها في مجال خلق شعور بعظمة الله سبحانه وتعالى، وثناء عليه، وشهادة بكماله، وكل أسمائه الحسنى، هي مفردات تعبر عن كماله المطلق سبحانه وتعالى هو العلي العظيم.

وهذا الأسلوب بالنسبة لنا يجب أن نرسخه في حياتنا أن تكون هناك أوقات كما نحن ندعو الله في أوقات، يكون هناك أوقات نمجّد الله فيها، نعظم الله، نقدس الله.. من خلال ذكره الكثير الذي شرعه من مثل (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إلا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ) يردد الإنسان هذه التسبيحة كلما تذكر، هي ثناء على الله، وتعظيم وتمجيد لله سبحانه وتعالى، تترك في النفس أثراً طيباً هو شعور بعظمة الله، وتذكر دائم لله سبحانه وتعالى.

هناك أيضاً في دعاء الإمام علي (عليه السلام) أو في ما أُثر عنه، وفيما أُثر عن الإمام زين العابدين من هذا النوع، من الكلام الذي هو تمجيد لله الشيء الكثير، مناسب جداً أن يعود الإنسان إليه. فقط نحن نرى أنفسنا ندعو الله أدعية: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.. اللهم اقض حاجاتنا.. اللهم) أليس هذا هو ما يحصل؟. هذا يسمى دعاء، هناك نوع آخر يسمى (تمجيد لله وثناء عليه)، هو عبادة مهمة ذات قيمة عظيمة، ولها أثرها فيما يتعلق بالنفس، في مقام معرفة الله سبحانه وتعالى واستشعار عظمته.

فيما أُثر عن الإمام زين العابدين في دعاء يوم عرفة قال (عليه السلام): (الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، رب الأرباب، وإله كل مألوه، وخالق كل مخلوق، ووارث كل وارث، ليس كمثله شيء، ولا يعزب عنه علم شيء، وهو بكل شيء محيط، وهو على كل شيء رقيب.

أليس هذا تمجيد أم هو دعاء؟ تمجيد لله وثناء على الله، وتعظيم لله.

أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد المُتوحِّد، الفرد المُتَفَرِّد. وأنت الله لا إله إلا أنت، الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر. وأنت الله لا إله إلا أنت العلي المتعال الشديد المِحَال. وأنت الله لا إله إلا أنت الرحمن

الرحيم العليم الحكيم. وأنت الله لا إله إلا أنت السميع البصير القديم[1] الخبير. وأنت الله لا إله إلا أنت، الأول قبل كل أحد، والآخر بعد كل عدد. وأنت الله لا إله إلا أنت الدّاني في علوّه والعالي في دُنُوّه. وأنت الله لا إله إلا أنت ذو البَهاء والمجد، والكبرياء والحمد. وأنت الله لا إله إلا أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سِنْخٍ[2]، وصوَّرت ما صورت من غير مثال، وابتدعتَ المبتدَعات بلا احتِذاء، أنت الذي قدَّرت كل شيء تقديراً، ويسرت كل شيء تيسيراً، ودبرت ما دونك تدبيراً.

أنت الذي لم يُعِنْك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير، أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضَيتَ فكان عَدلاً ما قضيتَ، وحكمت فكان نَصَفاً ما حكمت، أنت الذي لا يحويك مكان، ولم يقم لسلطانك سلطان، ولم يُعْيِك برهان ولا بيان. أنت الذي أحصيت كل شيء عدداً، وجعلت لكل شيء أمداً وقدرت كل شيء تقديراً. أنت الذي قصُرَت الأوهامُ عن ذاتيّتك، وعجزت الأفهامُ عن كيفيتك، ولم تدرك الأبصار موضع أيْنِيَّتِك، أنت الذي لا تُحَد فتكون محدوداً، ولم تُمثَّل فتكون موجوداً[3]، ولم تلد فتكون مولوداً. أنت الذي لا ضد معك فيعاندك، ولا عِدْل فَيُكَاثِرَك، ولا نِدَّ لك فيعارضك، أنت الذي ابتدأ واخترع، واستحدث وابتدع، وأحسن صنع ما صنع.

سبحانك ما أجل شأنك، وأسْنَى في الأماكن مكانَك[4]، وأصدع بالحق فرقانَك، سبحانك من لطيفٍ ما ألطفك، ورؤوفٍ ما أرأفك، وحكيمٍ ما أعرفك، سبحانك من مليكٍ ما أمنعك، وجوادٍ ما أوسعك، ورفيعٍ ما أرفعك، ذو البهاء والمجد، والكبرياء والحمد، سبحانك بسطت بالخيرات يدك[5]، وَعُرِفَت الهداية من عندك، فمن التمسك لدين أو دنيا وجدك.

سبحانك خضع لك من جرى في علمك، وخشع لعظمتك ما دون عرشك، وانقاد للتسليم لك كل خلقك، سبحانك لا تُحَسّ ولا تُجَس، ولا تُمَس، ولا تُكَاد ولا تُمَاط[6]، ولا تُنازع، ولا تجارَى، ولا تُمَارَى، ولا تخادَع، ولا تماكَر. سبحانك سبيلك جَدَد[7]، وأمرك رَشَد، وأنت حي صمد. سبحانك قولك حُكم، وقضاؤك حَتْم، وإرادتك عزم. سبحانك لا رادّ لمشيئتك، ولا مبدل لكلماتك. سبحانك باهر الآيات فاطر السموات، بارئ النسمات).

وهكذا الإمام زين العابدين يُمَجِّد الله سبحانه وتعالى بهذا الأسلوب الذي يشد النفوس نحو الله، يشد القلوب نحو الله سبحانه وتعالى، ومن خلاله تتعرف على معاني أسماء الله الحسنى، وتعرف سعة علم الله، ما أمكنك ذلك، وتعرف حكمته، وتدبيره، وقدرته.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا، وأن يعرفنا بأسمائه الحسنى، وأن يعرفنا من كماله
ما يجعلنا نثق به، ونعتمد عليه، ونعتز به فنؤمن به ونقدس له.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

---

(١) كذا وردت، ولعل أصلها (القدير) أو (الحليم).
(٢) أي من غير أصل.
(١) أي لو كان لك مثل لكان هناك من أوجدك.
(٢) مكانك: مقامك.
(٣) تعبير عن عظَم تفضله وسعة جوده وكرمه.
(٤) أي لا تُنَحّى ولا تُبعَد.
(٥) أي واضحاً مستوياً.

ملحق بعد الدرس

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} (النمل٨٢) الناس الذين ما ينفع فيهم تذكير، ما ينفع فيهم عبر مما يحصل.. في الأخير ربما قد يكون قرب القيامة يخرج الله الدابة تنتشر في الأرض، وتنبئ الناس، تكلمهم.

قد تقول لك مثلاً: أنت ثور، أنت غبي، لو يأتي حمار يكلمنا ألست تخجل أن يأتيك حمار يكلمك؟ أو أي حيوان آخر يكلمك؟ يقول: أنت غبي، أنت هيّن، أنت ظلوم، أنت كفار، أنت كنت لا توقن بآيات الله. أليس الواحد يكاد يجن وهو يسمع هذا الكلام؟ وهذا فيه سخرية من الإنسان وهو أنه أنت في الأخير تصبح محط سخرية، لأن تسخر منك دواب الأرض، وأنت من جعل الله لك قلباً، وإدراكاً وفهماً واسعاً، وأنت من ترى كل شيء من العبر والدروس التي ستجعلك ستوقن بآيات الله ثم لا توقن.

إذاً سيخرج الله من أرضه من يسخر منك: {تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} ما بقي إلا هذا بعد ما يرسل الرسل يبلغونا، وعلماء يرشدونا، وكتابه بين أيدينا يذكرنا كيف نوقن بآيات الله، في الأخير قد يخرج والله أعلم وكما تعني هذه الآية من يسخر منا واحداً واحداً، عندما تلقاك دابة الله أعلم كيف قد يكون شكلها.

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ} لا تدري إلا وهي أمامك تقول: أنت لا توقن بآيات الله، أنت بغل، بعبارات قد يكون فيها السخرية، يرى الناس أنفسهم بأنهم أصبحوا من تسخر منهم دواب الأرض عندما أعرضوا عن تذكير الله، ورسول الله، والمبشرين من عباده، المبلغين من عباده فلا يستفيدون بشيء، سيخلق ما يسخر منهم.

واقعنا الآن هو واقع فعلاً أن نسخر من أنفسنا نحن، أن نسخر من أنفسنا لماذا لا نوقن بآيات الله؟ ما بالنا ترتعد فرائصنا وترجف قلوبنا ممن ليسوا بشيء أمام الله سبحانه وتعالى، أمام جبروته وملكه وقدرته وعزته وقوته، نخاف سجونهم أكثر مما نخاف جهنم! نرغب في أشياء يعطونا من فتات ما لديهم أكثر مما نرغب في النعيم العظيم عند الله سبحانه وتعالى، نوقن بالأشياء التي تأتي على أيديهم أكثر مما نوقن بما بين أيدينا مما هو من عند الله.

أليس هذا موقف سخرية؟ أن نسخر من أنفسنا؟ لاحظوا فعلاً لو تأمل الإنسان القرآن الكريم سيسخر من نفسه، وسيسخر من الناس، سنقول لأنفسنا: ما بالنا هكذا؟! أنت تسخر من كل زعماء العرب عندما يقرأون هذه الآية، أو يسمعونها ثم لا يلتفتون إليها وإنما يبحثون عن السلام من أمريكا! الله يقول لنا: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} (الحشر٢٣).

هل يمكن أن تصف رئيس أمريكا بنصف هذه الصفات؟ لا يمكن. ثم يضع لهم أمثلة أيضاً من واقع الحياة؛ لأن الله رحيم، رحيم بعباده يقول لهم: وشاهدوا أولئك الذين التجأوا إليَّ كيف هم أعزاء أقوياء، ألم يشاهدوا حزب الله كيف يضرب إسرائيل هذه التي يحاولون أن نصمت عنها؟ يضربها وهو لا يبالي، ويتحدونها من عند رأسها وهو لا يبالي، يمطرون معسكرات إسرائيل بالقذائف!.

أليس هذا أيضاً من الشواهد الحية على أن من اعتصم بالله فإنه اعتصم بمهيمن عزيز جبار متكبر، وكل هذا لم ينفع لا آيات قرآنية، ولا شواهد كونية، لم يبق إلا أن تقوم الحمير، وتكلم الناس، وتسخر منهم، أو ربما تكون دابة شكلها والله أعلم ربما بالشكل الذي يرى الإنسان نفسه في خزي أن تحدثه مثل تلك الدابة، وتسخر منه وتقول له: أنه كان بآيات الله لا يوقن، الله أعلم في أي زمان قد يحصل هذا.

سلسلة معرفة الله (٨ ـ ١٥)

دروس من هدي القرآن الكريم

معرفة الله ـ عظمة الله

الدرس الثامن

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٦/١/٢٠٠٢م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة١::٧).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.

السلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

قد تقدم في الدروس السابقة أيضاً الحديث حول نعم الله سبحانه وتعالى وإحسانه العظيم إلينا فهنا يقول الإمام علي (عليه السلام): ((وإن أحق من كان كذلك)) أي من يجب أن يجل أو يكبر الله، ويعظم الله في نفسه فيصغر عنده كل ما سواه هو من؟ ((من عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه)).

من الآيات القرآنية التي نفهم منها ما يتعلق بهذا الموضوع قول الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر ٦٥) **وقلنا: كل من يسمع كلمة (هو) والتي هي ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى ليثير في نفسك كل ما قد عرفته وسمعته داخل آيات الله في بقية سور القرآن الكريم من حديث حول عظمة الله سبحانه وتعالى.**

ويجب أيضاً أن تتذكر (هو) في جميع مواقفك في هذه الدنيا، فمتى ما وقفت متردداً بين أن تقف بصدق مع الله سبحانه وتعالى أو أن تقعد، أو أن تميل مع أطراف أخرى بعيدة عن الله سبحانه وتعالى فتذكر أنك تقارن بين الله وبين غيره فارجع إلى (هو).

{هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:٦٥) **كل ما سوى الله سيفنى، وكل ما سوى الله ناقص وضعيف. إذاً فمن هو الذي يجب عليّ أن ألتجئ إليه، وأدعوه وأثني عليه وأثق به؟ الله أم شخص آخر؟ الله أم مطمع من مطامع الدنيا؟ الله أم هوى نفسي وشهواتها؟ أنا سأقول: (هو)، سأرجع إلى الله؛ لأنه من؟ {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} هو الحي الدائم البقاء الذي لا يفنى، وهو الإله الذي لا إله غيره، فهو من يجب أن أدعوه مخلصاً له في دعائي، من ألتجئ إليه مخلصاً له في التجائي إليه، من أتوكل عليه منقطعاً في توكلي عليه، من أثق به معرضاً عن كل من ليس في خطه وعلى صراطه.**

وهو أيضاً من يجب أن أثني عليه؛ لكماله سبحانه وتعالى، ولعظيم إحسانه إليّ، ولسوابغ نعمه عليّ.. إنه إله رحيم، إله عظيم الإحسان، إله يسبغ نعمه على عباده، عباده الذين أنا واحد منهم، وأنا من أعلَمُ بأن نعمه عليّ لا أستطيع أنا ولا غيري أن يحصيها. وكما قلنا في سؤال سابق أثناء درس من الدروس: من الذي يستطيع أن يحصي نعم الله عليه؟.

هو المقدّس، هو المنزه، هو الذي من تسبح له السماوات والأرض ومن فيهن، وهو الذي له الحمد، والحمد معناه: الثناء على الله، هو وحده من يستحق الثناء، ومن له الثناء، وهو رب العالمين، إذاً فهو من يجب أن أخلص له.

الإنسان لا يرائي في أعماله إلا إذا لم يكن الله عظيماً في نفسه، الإنسان لا يرائي في أعماله إلا إذا كان ما يريده من الناس هو في نفسه أعظم مما يمكن أن يحصل عليه من قِبَل الله، وهذا من أعظم الجهل بالله سبحانه وتعالى، من أعظم الجهل بما يسبغه علينا من نعم، من أعظم الجهل بعظم ما عنده مما وعد به أولياءه المؤمنين.

في آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام ١٨) **فمن الذي يستطيع أن يغالب الله؟ من الذي يستطيع أن يقهر أولياء الله المعتصمين به، والمتوكلين عليه والواثقين به؟.**

وهو الذي قال في كتابه الكريم: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (المجادلة:٢١) **{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}** (غافر:٥١) **من الذي يستطيع أن يقف أمامه فيحول بينه وبين أن يفي بوعده للمؤمنين الصادقين عندما يقول: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}**(الحج: من الآية٤٠) **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}**(محمد: من الآية٧).

إنه القاهر فوق عباده.. من هو ذلك الذي يمكن أن نصفه بصفة كهذه من ملوك وزعماء الأرض؟ من هو ذلك الذي قد نقارن بينه وبين الله في جبروته وقهره؟ لا أحد في هذه الدنيا مهما ملك من قوة الله وحده هو القاهر فوق عباده كبيرهم وصغيرهم، ملكهم ومملوكهم، رئيسهم ومرؤوسهم.

وهو الحكيم في أفعاله، الحكيم في تدبيره، أعماله لا عشوائية فيها، ولا جهالة فيها، الخبير بشئون عباده، الخبير بأعمال عباده، الخبير كيف يقهر من تمرد عليه، الخبير كيف ينصر من نصره، الخبير في كيف يفي بوعده لمن وثق به وتوكل عليه.

{وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: من الآية١٨) **في هذه الدنيا نجد أمثلة كثيرة تبين أن كثيراً من أولئك الذين يعتمد عليهم الناس فمتى ما انطلقوا ليفوا بوعودهم لهم كم تحصل من أخطاء.. أمريكا عندما دخلت أفغانستان، ووقفت مع أحزاب التحالف الشمالي، التي كانت معارضة لحركة طالبان كم حصل من أخطاء من قِبَل الطائرات الأمريكية فضربت مدناً، وضربت مناطق هي تابعة لأحزاب المعارضة، فحصل قتلى كثير في مناطق هي تابعة لأحزاب المعارضة الذين هم تولوا أمريكا، وأمريكا وقفت معهم، لا أحد مهما كان ناصحاً معك إذا ما توليته وابتعدت عن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يكون خبيراً في كيف يقف معك.**

بل نجد كيف أن أمريكا نفسها كم من الزعماء جنّدوا أنفسهم لخدمتها، وقضوا أعمارهم في العمالة لها، وفي تنفيذ مخططاتها، وفي الأخير في وقت الشدة، ووقت ثورة شعوبهم عليهم تتركهم وتتخلى عنهم، وأحياناً تتخلى عنهم قبل ذلك، كم من شخص جنّد نفسه ليكون جاسوساً للمخابرات الأمريكية أو غيرها، فيبدوا لهم في حين من الأحيان أن يقضوا عليه، أو يعملوا على أن تصيبه عاهة من الجنون أو نحوه تفقده شعوره.

هكذا يعملون بأوليائهم، أفعال ليست من الحكمة في شيء، أعمال هي فيما يتعلق بذلك الشخص الذي بذل جهده من أجلهم، وضحى بعمره من أجلهم تعتبر مكافئة سيئة على إحسانه إليهم، أما الله سبحانه وتعالى فهو من ينصر أولياءه، ومن يقف مع أوليائه، ومن لا يضيّع جهود أوليائه، ومن يقرب أولياءه منه، ومن لا يفرط فيهم ولا يضيعهم؛ لأنه الحكيم الخبير.

ويقول سبحانه وتعالى: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ} (القصص٧٠) **هو من له الثناء، من له المجد في الدنيا في هذا العالم وفي الآخرة، هو المقدس، والمنزه عن كل نقص، وعن كل قبيح، وعن كل عيب في هذه الدنيا وفي الآخرة.**

والدنيا والآخرة عالَمان الإنسان لا بد أن يمضي فيهما، نحن في هذه الدنيا في عالم الأولى، ولا بد أن نَفِدَ ونتحرك جميعاً إلى عالم الآخرة.. فمن هو هناك الملك في اليوم الآخر؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى، فهو هناك من له الملك وحده، لا أحد يستطيع أن يتصرف في شئون عباده في اليوم الآخر.

وهو هو سبحانه وتعالى المستحق للحمد والثناء والمجد في الدنيا وفي الآخرة، وهو هو من لا يمكن أن يتنكر لك، فإذا ما وعدك هنا في الدنيا فقد يخلف في الآخرة. لا.. هو من ستكون رحمته بك في الآخرة أعظم وأعظم، وسيبدو لك إحسانه إليك في الآخرة أكبر وأكبر مما حصل في الدنيا.

وكونه مستحق للحمد هو لكماله، لقدسيته، فهو، هو الكامل في الدنيا وفي الآخرة، فلا يمكن أن تخشى أن يتغير لديه مزاج كما يحصل للناس في هذه الدنيا، قد تجد شخصاً وفياً معك، وصادقاً معك فترة، ثم تلمس فيه أنه بدأ يتغير مزاجه، وبدأ يقلب وجهه عنك، قد يصدق معك في موقف معين، ثم يأتي موقف آخر فتراه تغير وتبدل وقعد عنك .. ألست ترى بأن هذا الشخص قد اعتراه نقص، قد علاه نوع من النقص، وسوء الخلق؟ فأنت تنظر إليه أنه أصبح يستحق الذم؟ أليس كذلك؟ بل قد تنطلق أنت لتذمه بعبارات قاسية تطلقها من فمك، أما الله سبحانه وتعالى فهو مَن سيكون شعورك نحوه في الآخرة أعظم مما كنت عليه في الدنيا، تتجلى رحمته لك أعظم، وإحسانه إليك أكبر، وتأتيك البشارات الواحدة تلو الأخرى وأنت في موقف الحساب، فالناس تشخص أبصارهم من شدة الهول، وأنت هناك مطمئن {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس:٦٢) **{يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}** (الزخرف:٦٨)

يكون أولياؤه ـ والناس في شدة الحساب ـ مَن هم متكئون وجالسون على أرائك، والأرائك هي [الكنب] كما نقول في الدنيا، المقاعد الملبسة بالفراش، يقدم لهم الشراب، ويقدم لهم الطعام قبل أن يزفوا إلى الجنة، والناس هناك في هول شديد.

الله من لا يمكن أن تخشى منه أن يتغير أو يتبدل؛ لأن كماله هو كمال ذاتي، وكماله هو الكمال المطلق، إذاً فلماذا لا تثق به؟ لماذا لا تعظم ثقتك به؟ أنت قد تثق بشخص هنا في الدنيا حتى ولو كان رئيس دولة، وأنت تعلم بأنه من المحتمل أن يموت اليوم أو غداً، من المحتمل أن يحدث عليه انقلاب اليوم أو غداً، فيصبح مسكيناً لا يستطيع أن يعمل لنفسه شيئاً فضلاً عن أن يعمل لك شيئاً. أما الله فهو من لا يمكن أن يغيره نقص يعتريه، أو إله آخر يقهره، متى ما وثقت به هنا في الدنيا؛ لأنك تراه هو أهل المجد، وأهل الحمد، وأهل الثناء، كذلك ستجده في الآخرة هو أهل المجد، وأهل الحمد، وأهل الثناء لا يتخلف عنك، ولا يتغير أمامك، ولا يتبدل.

{وَلَهُ الْحُكْمُ}(القصص: من الآية٧٠) **هو من لـه الحكم هنا في الدنيا، وله الحكم في الآخرة أيضاً، له الحكم في الآخرة في يوم الفصل، لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد إلا بإذنه، ولمن ارتضى من عباده، كل عباده يقفون صامتين بين يديه فلا تسمع إلا همساً {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً}**(طه: من الآية١٠٨) **كل أولئك الذين كانوا يتجبرون في هذه الدنيا، ويطلقون العبارات القاسية ضد المستضعفين من عباد الله، هم مَن سيقفون أذلاء بين يدي مَن أنت تتولاه، هم من ستضحك منهم، وتسخر منهم في الآخرة كما سخروا منك في الدنيا، وكما كانوا يضحكون عليك في الدنيا {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}**(المطففين٣٥).

في يوم الحساب مرتاحين تقدم لهم [مَدَاكِي] يجلسون عليها، وشراب وأكل، وهم يضحكون من الآخرين، وهم من قد شخصت أبصارهم، هم من قد كادت أفئدتهم أن تخرج من صدورهم من شدة الخوف والهلع، فترى كم كان لتوليك لله سبحانه وتعالى من أثر عظيم.

في ذلك اليوم الشديد الأهوال ترى أن من توليته هو من رفعك في ذلك المقام العظيم، فأمَّنك في يوم الهول الشديد، فتصبح أنت مَن تضحك، ومن تسخر من أولئك الكبار، الذين كانوا في الدنيا يضحكون من أولياء الله، ويسخرون منهم، ويتهددونهم، ويستضعفونهم، ويتجبرون عليهم.

والفارق كبير جداً، في هذه الدنيا فترة قصيرة نعيش فيها جميعاً نحن والمستكبرون، نحن ومن يسخرون منا، نحن ومن يضحكون منا، لكن هناك في اليوم الآخِر هو عالَم الخلود الأبدي، سيكون مَن هو آمن آمن دائماً، من هو ذليل ذليل دائماً، من هو خائف، خائف دائماً في قعر جهنم. فالفارق كبير جداً؛ لأن من توليته هو من له الحكم في الآخرة، ومن إليه يُرجع الناس جميعاً، وأنت منهم سترجع إليه فترى الجزاء الحسن، وترى الثواب العظيم على توليك لـه، ورجوعك إليه في الدنيا، يوم كنت ترجع إليه في كل أحوالك، وتتجه إليه في كل أعمالك.

هو أيضاً كما قال سبحانه وتعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ} (الأنعام:٧٣) **قوله الحق الذي لا يتخلف، قوله الحق الذي لا يمكن لأحد أن يفرض عليه أن يتخلف عن قوله، أو يحول بينه وبين تنفيذ قوله، ومعنى أن قوله الحق: هو الواقع الثابت الذي لا يتخلف، وهو الحق الذي لا باطل فيه، ولا ضلال فيه. {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}** الأنعام:٧٣ **له الملك في الدنيا، وله الملك في يوم ينفخ في الصور، في يوم القيامة، هو عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير.**

عندما نقرأ مثل هذه الآيات العظيمة، ليس المقصود فقط هو: أن تعرف أن الله هكذا، هو هكذا سبحانه وتعالى، لكن المطلوب ماذا ستترك هذه الآيات في نفسك من أثر، الله سبحانه وتعالى نزل كتابه الكريم، وكتابه كتاب هداية، كتاب يعمل على أن يهديك بأي وسيلة، فهو هنا لا يتحدث لمجرد الحديث عن عظمة الله سبحانه وتعالى فقط، بل ليقول لك: أنا هكذا.. فبي فثق، وعليّ فتوكل، وإياي فارجوا وهكذا.

عندما يقول عن نفسه سبحانه وتعالى: {قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}.. فهل نجيب عليها بأن نقول: صح، نعم!. نعم هي حق، لكن لنرجع إلى أنفسنا، نبحث عن كيف

نجعل لهذه الآيات العظيمة ـ التي تتحدث عن عظمة الله سبحانه وتعالى ـ أثراً عظيماً في نفوسنا، كيف نجعل نفوسنا تشعر بعظمة الله، فيعظم الله فيها، فيصغر ما دونه أمامها.

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (البقرة:١١٧) **مبتدعهما، أي هو لم يخلقهما على مخطط قدم له من جهة أخرى، أو عملهما على مثال عملته جهة أخرى، هو من ابتدعهما، هو من أوجدهما من حالة العدم على غير مثال احتذاه.**

{أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (الأنعام:١٠١) **فأولئك الذين أدعو له ولداً، أو جعلوا أنفسهم أبناء له، اليهود والنصارى، اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، الله كفّرهم بأقوالهم هذه، وسخر منهم: {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ} كيف يمكن أن يكون له ولد {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} ليس له زوجة، هو ليس بحاجة إلى ولد، هو بديع السموات والأرض، هو من لا يمكن أن يلد أو أن يكون مولوداً، لا يمكن إطلاقاً، لا يمكن أبداً أن يكون مولوداً، ولا يمكن أبداً أن يلد، أن ينجب؛ لأن هذا هو شأن المخلوقات، شأن المحدثات، تعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك.**

فكان من يقولون بأن لله ولداً كاليهود والنصارى الله كفّرهم، ولعنهم بقولهم بأن لـه ولداً. وما نزال نسمع من إذاعات المبشرين، التبشير بالنصرانية يتحدثون عن المسيح أنه ابن الله، يتحدثون عنه بأنه ابن الله ويقولون: أنه مع أمه ومع الله إله واحد، واحد في ثلاثة! هذا كفر وجهل بالله سبحانه وتعالى.

كثير من الناس حول هذه المسألة لا يتعقل ما فيها من سوء حتى يرى بأن عليه أن ينزه الله منهـا، فـنحن متـى مـا نزهنا الله ينزهه الكثير من منطلق إيماني: بأنه هكذا نزه نفسه، فنحن ننزه نفسه. لهذا متى ما سمع كثير مـن العوام إذا ما قلت لهم: فلان يقول: أن الله يُرَى! بعضهم لا يستنكر، لا تثيره هذه القضية، إلا إذا كان قـد تعلـم وعرف معرفة لا بأس.

الله سبحانه وتعالى عندما ينزه نفسه عن مشابهة خلقه، عندما ينزه نفسه عـن أن يكـون لـــه ولـد، أو يكـون مولوداً، أو يكون لـه صاحبة، ينزه نفسه؛ لأنه لو كان على هذا النحو لكانت فيه دلائل الحدوث، ولو كانت فيـه دلائل الحدوث لكان ذلك يعني: أن هناك طرفاً ثانياً أحدثه على هذه الكيفية الـتي هـو عليهـا، فيكـون ناقـصاً محتاجاً، ويكون غيره أكمل منه.

كما هو الحال بالنسبة لنا، أليست فينا دلائل الحدوث؟ من تركيبنا على كيفية معينة، ووجودنا بعد حالة عدم، وكوننا مولودين من بطون أمهاتنا. أليس ذلك يدل على أننا محتاجون، أن هناك طرفاً ثانياً عمل هذا بنا؟ فنحن ناقصون بالنسبة له، نحن محتاجون إليه.. إذاً هو أكمل منا.. أليس كذلك؟.

فإذا كان يلزم من هذا من أن يكون له ولد، أو يكون مولوداً، أو تكون له صاحبة أن يكون مُحْدَثاً، وأن يكون محتاجاً، ويكون ناقصاً، فهذا يعني: أن هناك غيره من هو أكمل منه هو من أولده من آخر، أو مَن جعله على كيفية معينة قابلة لأن يلد فينجب فيكون ناقصاً.

ونحن نقول ـ كما تكرر في القرآن الكريم في آيات كثيرة ـ : إن من أعظم ما يؤكد عليه القرآن الكريم ويعمل على ترسيخه في النفوس هو: الشعور بكمال الله المطلق، أي هو من لا يحتاج أبداً إلى غيره، هو الكامل، فعندما نصفه ونسميه كما سمى نفسه ((عليم)) فهو العليم الذي لا يجهل شيئاً، هو الذي أحاط علمه بكل شيء، هو عالم الغيب والشهادة.

ومتى ما سمعناه يسمي نفسه بأنه قدير فإنه يقول: {إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(فصلت: من الآية٣٩) **لا يعجزه شيء، والقرآن الكريم عمل على ترسيخ مبدأ الكمال، كمال الله سبحانه وتعالى، وهو المبدأ الذي استطاع أن ينسف الشرك من نفوس العرب، عندما جاء ليقول لهم: إن الإله يجب أن يكون كاملاً، الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون كاملاً كمالاً مطلقاً، أما إذا كان ناقصاً محتاجاً فغيره أكمل منه، إذاً فغيره أولى بالعبادة له منه، فتحدث عن أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر، لا تسمع، لا تبصر.. ألم يتحدث في القرآن الكريم عن هذا كثيراً؟.**

نبي الله إبراهيم عندما حطم تلك الأصنام؛ ليثير في نفوس قومه أن هذه الأصنام التي تعبدونها ناقصة قاصرة، لا تستطيع أن تنفع ولا تضر، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها فكيف يمكن أن تدفع عنكم، فلماذا تعبدونها؟! إن من يجب أن تعبدوه هو الله سبحانه وتعالى الكامل، ذي الكمال المطلق، الذي لا أحد يستطيع أن

يقهره، الذي إذا التجأت إليه نفعك، إذا خرجت عن نهجه وتجبرت عليه ضربك، ويستطيع أن يضربك، ويقول لك: بأن كل من في السموات والأرض جنود له: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفتح: من الآية٤) {فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} (الأنبياء:٦٤) عرفوا أنه فعلاً أصنام تتحطم هي ناقصة، فكيف نعبدها، ماذا يمكن أن تعمل هذه الأصنام؟ من أي وجه تستحق العبادة؟ أيّ كمال لها تستحق به أن نعبدها، ونُخْضِع أنفسنا لها، ونثنيَ عليها.

وهكذا استطاع القرآن الكريم أن ينسف الشرك من نفوس العرب إلى الآن. هل هناك صنم في البلاد العربية ركزوه من جديد ليعبدوه؟ انتهى الموضوع؛ لأن كل واحد يتساءل لماذا أنصب صخرة، أو خشبة، أو تمثالاً فأعبده وأؤلهه، ماذا يمكن أن يعمل؟ لماذا أعبده؟ بأي وجه يستحق العبادة؟ أي كمال فيه يستحق أن أعبده، واثني عليه، وأمجده، وأعظمه وأقدسه؟ إنتهت.

فعندما نسمع أن من عقائدنا: أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يجوز أن يشبه شيئاً؛ لأن كل الأشياء غيره سبحانه وتعالى فيها دلائل الحدوث، فلو كان مشبهاً لأي شيء من مخلوقاته لكان قد أصبح ناقصاً محتاجاً كمثلها، ولكان هو في نفسه دليلاً على أن هناك طرفاً آخر هو أكمل منه، وهذا نسف للألوهية من أساسها، نسف لاستحقاقه الألوهية والربوبية من أساسها؛ لأننا سنقول فيما بعد: إذاً ذلك الذي منحك هذا الذي أنت عليه هو أجدر بالعبادة، هو أكمل منك. وتلاحظون أن مبدأ الكمال ـ أيضاً ـ هو مما رسخه الله سبحانه وتعالى في نفوسنا، فطرة فطر الناس عليها.

أنت في كل أعمالك تبحث عن الأكمل. أليس كذلك؟ أنت تريد أن تبني فيقال لك: فلان وفلان، وفلان، وفلان، فلان هو تعلم عند فلان. ستقول والله سأشوف فلان الذي علمه هو أبصر منه.. أليس كذلك. حتى وأنت تبحث عن زوجة تريد أن تبحث عن الزوجة الأكمل، عندما نقول نحن: أريد أن تكون طبيعتها جيدة، شكلها مقبول، ومن أسرة جيّدة.. ألست هنا تبحث عن كمال؟. هكذا وأنت تريد أن تغرس شجرة قات ألست ستبحث عن الشجرة الجيدة؟ تقول ما نشتي نغرس حمار أو سواد نشتي نغرس قات زراق هو أحسن، وبيتحمل قطف، هو كذا، وكذا.. وأنت تريد أن تشتري ثور، أنت تبحث في السوق تبحث عن الثور الذي تجد فيه مميزات كمال بالنسبة له، وأنت تريد أن تبحث عن خياط كذلك تريد تبحث عن خياط يجيد الخياطة أي فيه صفات كمال أكمل من الآخر... دكاكين الخياطة واحد اثنين ثلاثة أربعة أنت تبحث عن من؟ عن خياط جيّد وهكذا. مبدأ الكمال، والبحث عن الأكمل هو من الفطر التي فطر الله الناس عليها، وهو سُلّم ينتهي بالله سبحانه وتعالى الكامل الكمال المطلق.

حتى عندما نصف شخصاً نقول: عالم كريم فاضل.. ما أنت تصفه بنوع من هذه الصفات التي تسمع الله سبحانه وتعالى يصف نفسه بها؟ لكن وفوق كل ذي علم عليم، إلى أن تنتهي إلى عند العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، عند من قال عن نفسه بأنه لا تسقط ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه، وهو في كتاب مبين، في علمه الذي لا يعزب عنه شيء.

والكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، لا يمكن أن تفترض أن هناك اثنين كاملين، كل واحد منهما سيظهر ناقصاً بالنسبة للآخر، الكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، وهو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا كل ما يستلزم منه أن يكون الله مشابهاً لخلقه بما يعني هذا: أنه أصبح فيه دلائل أنه محدث ومحتاج إلى طرف آخر فهو من أكبر الكبائر عندما تعتقده بالنسبة لله سبحانه وتعالى؛ لأنه ماذا يعني؟ بأنك حكمت بنسف استحقاقه للألوهية من أساسها؛ ولهذا نحن نقول في عقائدنا: لا يجوز أن نقول: أن لله وجهاً، كما يقول الآخرون، وليس له يد، ليس له أعين كما يقول الآخرون، هذه آليات عملها لنا نحن الناقصين، نحن القاصرين، نحن المحتاجين.

لو قلنا بأن له وجهاً، وله يداً، وله رِجلاً حتى ولو قلنا كما يقولون: يليق به، وجه يليق به، يد تليق به، رِجل تليق به.. هكذا يقولون. إسألهم: هل وجهه غير يده، ويده غير رجله؟ أم أن وجهه يده، ويده رجله، ورجله وجهه؟. سيقول لك: لا، هي بالطبع وجهه غير يده، ويده غير رجله؟ إذاً مَن الذي منحه وجهاً هو مغاير ليده، ويداً مغايرة لرجله، إذاً أثبتم له أعضاء، وإن كنتم تقولون بأننا لا نعرف كيفيتها، فالتنزيه لا يعني فقط بأنك

تقول بأنك لا تعرف الكيفية التي عليها هذا الوجه الذي أثبتّه لله، أن تنفي عنه من الأساس أن يكون له عضو، أو يكون مركباً من أجزاء، أن يكون مؤلفاً، لا يصح؛ لماذا؟. لأن التركيب علامة من علامات الحدوث.

ماذا يعني الحدوث؟. أي أن هناك مَن منحه وجهه كما منحك وجهك، ومن منحه يده وجعلها في موضع في غير موضع وجهه، ولها أعمال غير أعمال وجهه، وله رِجْل لها أعمال غير أعمال يده، وموضعها غير موضع يده، كما هو الحال بالنسبة لنا أليس كذلك.

إذاً فهذه علامات الحدوث، إذاً هناك من منحه هذه الأشياء، إذاً فهو ناقص، ومن منحه هذه الأشياء هو أكمل منه، إذاً فليس رباً ولا إلهاً، أليست المسألة تنتهي إلى هذه؟ المسألة تنتهي في الأخير إلى كفر بالله؛ ولهذا أذكر أن أحد أعمامي (رحمة الله عليه) وهو السيد العلامة [حسين بن حسن الحوثي] وزع قبل سنوات فتوى يحكم فيها بكفر من يعتقد: أن الله يُرى، ويقول: أن الله يرى؛ لأنه هكذا تنتهي المسألة إلى هذا الحد؛ ولهذا نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن أن يكون له مشابه، وهنا نزه نفسه عن أن يكون له ولد، ألم ينزه نفسه هنا؟.

تأتي هذه الآيات تتحدث عن تنزيه لذاته سبحانه وتعالى لأنه هو {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الأنعام: من الآية١٠١) هو من لا يحتاج ـ وهو يخلق ما يخلق ويفطر ما يفطر ـ إلى أن يعتمد على طرف آخر يسلمه مخططاً ليرسم عليه، أو يستقدِمَ نموذجاً فيصنِّع كمثله، هو مَن لا يحتاج إلى هذا، هو من ليس هناك غيره يمكن أن يعمل هذا؛ لأن كل ما سواه مخلوق، كل ما سواه محدث، هو الذي خلقه، هو الذي أحدثه، فهو مَن ابتدع السماوات والأرض، هو من لا يمكن أن يكون له ولد.

هل فهمنا الآن بأنها صفة نقص لو حكمنا بأن له ولداً؟ صفة نقص فيه نثبتها.. ما هي صفة النقص هذه؟ أي سنثبت بأنه ناقص. ما هو النقص؟ أننا أثبتنا أنه محتاج لطرف آخر، وأن الطرف الآخر هو أكمل منه، إذاً ونحن مفطورون على إعطاء الحق للأولي أليس كذلك؟ والتسليم للأكمل، سنقول: إن ذلك الذي هو من صنع الله على هذا النحو، أو منحه هذا الشيء هو الأكمل، إذاً فهو الأولى. فهذه تنسف التوحيد من أساسه، كفر، كفر شديد.

{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٠١) هو من خلق كل شيء، كل شيء من هذه الأشياء التي نراها أمامنا، خلقنا نحن، وخلق كل هذه الموجودات التي أمامنا. كلمة: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} أتت في سياق الثناء على الله، والتمجيد لله، والتقديس لله، والحديث عن كماله سبحانه وتعالى، كماله الذي يستحق الثناء من عباده، بل هو من أثنى على نفسه قبل أن يثني عليه عباده.

فعندما يأتي الآخرون فيقولون: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} يعني: هو أيضاً أفعالنا هذه، المعاصي هو الذي خلقها؛ لأنها أشياء فهو إذاً الذي خلقها. لا يفهمون الحديث هو عن ماذا هنا، أنه يتحدث عن كماله، عن تنزيهه، عن تنزيه ذاته، عن تمجيده، عن تقديسه، عن الثناء عليه، عن كماله سبحانه وتعالى.. فهل هو من يتمدح يَتَمَدّح بأنه الذي خلق المعاصي وخلق الظلم وخلق الفساد وخلق الكفر وخلق النفاق؟! هل هذا تمدُّح؟!. لو كان هو من خلق الضلال والكفر والفساد والنفاق والمعاصي والباطل لما استحق أن نثني عليه. نثني عليه مقابل ماذا؟ إذا كنا نقول: بأنه مصدر كل قبيح ومصدر الفواحش، ومصدر الشرور، فلماذا نثني عليه؟. هل يستحق الثناء عليه فيما إذا وصفناه بأنه مصدر القبائح والفواحش؟ هل من هو مصدر القبائح والفواحش يستحق أن يُثْنَى عليه؟ هل الله سبحانه وتعالى ممكن أن يثني على نفسه، ويتحدث في مقام الثناء على ذاته بأنه من خلق الظلم والفواحش والفساد؟! هذا ليس مما يمكن أن يقوله من في قلبه مثقال ذرة من معرفة بالله صادقة، وشعور بعظمة الله سبحانه وتعالى.

هو من نزه نفسه في آيات أخرى عن الفساد والظلم، أنه لا يريد أن يظلم العباد: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (فصلت: من الآية٤٦) وهو من قال: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٨) ، وكلمة ظلم تشمل ـ تقريباً ـ كل أنواع الفساد {إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: من الآية٢٨) {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} (النحل:٩٠).

هو الذي ينهى عنها فكيف يتمدح بأنه هو من يخلقها، وكيف يمكن أن يكون هو من خلقها فيك، إذا كان هو من خلقها فيك فمعنى ذلك بأنك انطلقت فيها بغير اختيار منك؛ لأن كل ما خلقه الله فيك هو بغير اختيار منك، بل وبغير اختيار من أبيك، وبغير اختيار من أمك، لونك، شكلك، طولك، قصرك، شكل أعضائك، هل هو باختيار منك؟ هل أنت قدمت لله مخططاً فقلت أريد أن تجعل أذني كذا وأنفي كذا وعيوني كذا وأن يكون طول وعرض وجهي على هذا النحو مثلما تعمل مخططاً لواحد صاحب ورشة؟. لا.

إذاً فلو كان الله هو من خلق فينا المعاصي، ومن ساقنا إليها ـ على اختلاف أقوالهم حول هذه ـ هم يلتقون حول هذه أنه خلقها فكيف يمكن أن ينطلق هو ليلعن الشيطان ويأمرنا أن نعادي الشيطان وأن نلعنه والشيطان إنما يوسوس ليحملنا على الفحشاء فكيف يعمل هذا مع الشيطان وهو هو من خلق الفحشاء؟! من الأسوأ حينئذٍ من يخلق الفحشاء أو من يوسوس لها فقط؟.

حينئذٍ جعلوا الله ـ سبحانه وتعالى ننزهه ونقدسه ـ جعلوه أسوأ من الشيطان! عقائد سيئة.. خلق الفواحش وهو من تنزل أول آية من كتاب الله الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم هي [سورة الفاتحة] وأولها الثناء على الله {الْحَمْدُ لِلَّهِ} (الفاتحة: من الآية٢) {الْحَمْدُ}بهذه العبارة التي تعني: كل الحمد، كل الثناء كل المجد {لِلَّهِ} سبحانه وتعالى {رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة: من الآية٢) فكيف يستحق الثناء من هو الذي يخلق الفواحش، من يملأ القلوب كفراً ويملؤها نفاقاً رغماً عن أصحابها، ثم هو في الأخير من يلعنهم، وفي الأخير من يقودهم إلى قعر جهنم؟! ماذا عملوا؟ ماذا عملت أنت؟ رغماً عنك يملأ قلبك كفراً ونفاقاً، ويملأ قلبك فساداً ثم يعذبك؟!.. يتنافى هذا مع عدله، يتنافى مع حكمته، يتنافى مع رحمته، يتنافى مع كماله، يتنافى مع جلاله وعظمته وقدسيته.

وهكذا، يقولون: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه عقيدتنا، وهذا دليلها من القرآن {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٠١)، والمعاصي هي أشياء إذاً هو الذي خلقها!!.

القرآن الكريم هو كتاب عربي، بلسان العرب، بأساليب العرب، ونحن نستخدم هذه العبارة، والقرائن المحيطة بها، والجو الذي تقدم فيه، الطرف الآخر الذي تتحدث معه هو من يعرف ماذا تعني، عندما تقول:[نحن تغدينا عند فلان وقدم لنا من كل شيء] ألسنا نقول هكذا؟ هل سيفهم ذلك أنه قدم لكم من كل شيء في الدنيا في السماوات والأرض؟ لا. من الأشياء المعلومة المعروفة.

فنقول: هذه الأشياء التي تشاهدونها، هذه الأشجار هذه الجبال والأحجار، هذه الدواب، هذه الكواكب، هذه السحب الله هو الذي خلقها {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} من هذه الأشياء، لأن الناس بفطرتهم لا أحد يتبادر إلى ذهنه أن يقول: إذاً هو خلق أفعالي؛ لأن كل إنسان بفطرته، بل الدواب بفطرتها تعرف أن أفعالها منها، أنها هي التي انطلقت فيها؛ ولهذا ترى القط، ترى الكلب عندما يعمل عملاً هو يعرف بأنه عمل غير مسموح به، يدخل من باب البيت فمتى ما سمعك أنك قريب من البيت يهرب بسرعة؛ لأنه يعرف أنه هو قد ارتكب خطأً، دخل البيت وليس من حقه أن يدخل البيت. القطُّ قبل أن يتناول [اللحمة] أليس هو ينظر هنا وهنا قبل أن يتناولها هل أحد يراه ثم يقفز وينطلق بسرعة؟ وإذا لم يكن أحد عنده أكلها مكانها، فعندما يسمع أحداً قادماً إليه يأخذها ويهرب بسرعة.. هكذا حتى الحيوانات تعرف أن أفعالها منها.

من منا ممكن أن يتبادر إلى ذهنه أنه عندما يشرب، عندما يأكل أن الله هو الذي خلق هذا الفعل وأنا آكل، يمكن تقول هو الذي خزن هو الذي دخن! خلق التدخين خلق التخزين؟! هذه أفعالنا نحن، والحيوانات لها أفعال تختص بها. لا يتبادر إلى الذهن، لكن الطواغيت، وعلماء السوء هم من أجل خدمة السياسة الفاسدة، خدمة الطواغيت يحمِّلون الله كل سوء، وينسبون إلى الله كل قبيح فيشبهون على العوام من الناس، فمتى ما رأينا معاوية بطغيانه وقبحه نقول: الله هو الذي ولاه، والأعمال التي تصدر من معاوية الله هو الذي خلقها! فأصبح معاوية مقبولاً بكل ما هو عليه؛ لأنه كله من الله، هو الذي ولاه، وهو الذي خلق أفعاله!! فمن الذي سيستثار ضد معاوية إذا أو أشباه معاوية وهو يعتقد هذه العقيدة؟!.. أليسوا هم من دَجَّنُوا أنفسهم ودجّنوا الأمة للظالمين بعقائد مثل هذه؟ هم من أساءوا إلى الله إساءة بالغة.

فسبحانه وتعالى ما أعظم حلمه عنهم، وهم من ينطلقون في عباداتهم، وأنت عندما ترى ما في كتبهم من عقائد باطلة، وتراهم يتعبدون ستحكم بأنهم يتعبدون لغير الله، وأنهم يتعبدون لمن؟ أنت كيف تقول: ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) فتثني على من تعتقد أنه وراء كل فاحشة وقبيح؟! هذا تناقض.
ثم أنت تجعل العقيدة الباطلة في قلبك، والمنطق الصحيح على لسانك فقط، والله يتعامل مع من؟ مع القلب أو مع اللسان؟ مع القلب. بل لو انطلقت من لسانك كلمة كفر تكره عليها وقلبك مطمئن بالإيمان لا يضر، لكن أن يكون قلبك مطمئناً بالكفر وتنطلق من لسانك كلمة إيمان لا تنفع ولا قيمة لها. يقرؤون القرآن أحياناً ويبكون، وفي الصلاة يسبحون: سبحان ربي العظيم وبحمده. اسأله عن ربه بعد سيقول لك: هو الذي يقدر كل شيء إذاً فلماذا تسبحه؛ لأن التسبيح لله يعني: تنزيه له عما لا يليق بكماله، وأنت الآن نسبت إليه بأن تلك الفاحشة التي اقترفها فلان، تلك الجريمة التي ارتكبها فلان الله هو الذي قدرها، هو الذي خلق الفعل الذي انطلق من هذا الشخص وهو ينفذ الجريمة! فكيف تسبحه! وكيف تلعن الشيطان وهو لم يعمل إلا أقل مما عمله ربك الذي قلت بأنه خلق الفاحشة، وقدرها وساق ذلك الشخص إليها رغماً عنه!. إنهم متناقضون .. عقائد خبيثة، عقائد تتنافى مع القرآن الكريم بشكل مفضوح.
ثم لا ينفع أن يقولوا: ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) أو يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة: من الآية٣) ألم ينطق بكلمة: {الْحَمْدُ} لكن كما قلت سابقاً؛ لأن بعض الناس يقول: كيف هم هؤلاء يقولون مثلنا يسبحون الله ويحمدون الله ويمجدون الله!. نقول: لكن فيما إذا كان الواقع على هذا النحو: أن قلوبهم تعتقد عقائد باطلة وفقط ألسنتهم تقول بهذا فما يصدر من ألسنتهم إنما هو شهادة على قبح اعتقادهم، وهو نفس المنطق الذي استخدمه القرآن مع الكافرين الذين كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (الزخرف:٩) ويردد في آيات أخرى، {ولئن سألتهم..} ثم بعدها يقول: {قل أَفَلا تَعْقِلُونَ . أَفَلا تَتَّقُونَ . أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ}
إذاً أنتم تقولون: بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، إذاً فلماذا تجعلون معه آلهة؟ أنت من تقول: الحمد لله، وتقول: سبحان الله، إذاً فلماذا تعتقد بأنه مصدر القبائح؟ نفس المنطق، ونفس الأسلوب. فأولئك عندما كانوا يقولون: {خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} الله هو الذي خلقنا، ألم يجعل هذه حجة عليهم وشهادة انطلقت من ألسنتهم على بطلان ما يعتقدون من أن هناك آلهة مع الله؟. نفس الشيء أنت عندما تقول: سبحان الله والحمد لله وأنت تعتقد أن الله هو مصدر القبائح والفواحش، هو الذي خلقها وقدرها، فأنت تشهد على نفسك، وقولك حجة عليك يشهد ببطلان ما تعتقد، إذاً فلماذا لا تتحول عن هذا الاعتقاد الباطل.
أما أن آتي أنا وأقول: هذا الاعتقاد لا يضر؛ لأني سمعتك تقول: سبحان الله والحمد لله، إذاً سأقول لذلك النبي عندما يقولون: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) سأقول له إذا خلاص هم يقولون الله، إذاً فالمسألة انتهت إلى مجرد حجر يطوفون عليها فلا تضر هذه المسألة، أو أنهم جعلوا هذا إله، هم ما نسبوا إليه أنه خلق، ولا نسبوا إليه أنه رزق، ولا نسبوا إليه أنه من يدبر الأمر، ولا نسبوا إليه أنه من خلقهم، ولا شيء، إذاً لم يعد إلا مجرد خرافة لا تضر ولا شيء فلماذا نتقاتل نحن وإياهم عليها؟.. هل هذا منطق؟ على هذا الأساس ممكن أن يكون منطق، لكن القرآن رفض هذا الأسلوب. إذا كنت من أتأول لك وأنت صاحب هذه العقيدة الباطلة؛ لأنه انطلقت من لسانك كلمات: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} وكلمات: {سُبْحَانَ اللَّهِ} فأقول: خلاص.. إذاً سأقول: خلاص لذلك المشرك بعد أن قال: الله هو الذي يدبر الأمر، الله هو الذي خلق السماوات والأرض، الله هو الذي يرزق، الله هو الذي ينزل من السماء ماء.. هكذا ورد اعترافهم بهذا نقول: خلاص يا محمد، خلاص يا نوح، خلاص يا فلان، خلاص.. انتهى الموضوع.. ماذا تريدون منهم.. نقوم نتقاتل إحنا وإياهم وهم ذولا معترفين أن الله هو الذي عمل كل شيء، فقط تعتبر مجرد خرافة أنهم نصبوا حجر يقولون: أنها إله وهم ذولا يقولون أنها ما سوت شيء..
لاحظ هل هذا منطق قبله القرآن؟ لا. بل اعتبر اعترافهم شهادة على بطلان اعتقادهم بجعل هذا إله حتى وإن كانوا لا ينسبون إليه شيئاً مما هو يختص بالله سبحانه وتعالى.

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا} قالوا {إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ} (المائدة: من الآية٧٣) وهل الله في واقعه ثالث ثلاثة؟ لا. هل يمكن أن أقول لكن الله ليس ثالث ثلاثة وهذه مجرد كلمة شلتها الرياح، كفروا وإن لم يكن إلا مجرد قول. وفعلاً الشرك لا حقيقة له.. هل للشرك حقيقة؟. هل لله شركاء حقيقيون؟. لو كان لله شركاء حقيقيون لكان الشرك حق، فالشرك باطل أي لا أصل له، ولا حقيقة له. طيب.. كونه لا حقيقة له ولا أصل له.. وهو مجرد خرافة، إذاً خلاص لا يضر. لا، يقتل صاحبه وإن كان هذا لا أساس له. ماذا يعني لا أساس له؟ أي ليس واقعاً، وليس هناك شريك لله حقيقة، وفي واقع الأمر.

كذلك عندما قالوا: {اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ} هل الله ثالث ثلاثة؟ لا. الله إله واحد {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (النساء: من الآية١٧١)، لكن هم كافرون، وسيدخلون جهنم، وسيخلدون في جهنم، ويجب قتالهم. أن آتي وأقول: يا أخي هذه كلمة تشلها الرياح وكلنا عارفين أن الله سبحانه وتعالى إنما هو إله واحد فإذا قالوا أن الله ثالث ثلاثة قد مريم والمسيح قد هم آلهة سيصبحون آلهة حقيقيين لمجرد هذا القول؟ لا. إذاً ما تضر المسألة!.. هل هذا المنطق قبله الله؟. لا. هم كافرون، هم كافرون.

إذاً فجاءت كلمة: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} في مقام الثناء على الله سبحانه وتعالى، وهو يعلم أننا نفهم، وأننا بفطرنا لا يمكن أن يتبادر إلى أذهاننا أن هناك ما نعمله من معاصي هو أيضاً داخل تحت كلمة: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ}، الناس عرب والناس يفهمون في تخاطبهم ماذا تعني العبارات المطلقة أنها مقيدة بالقرائن الحالية، بالقرائن المقالية، بما يحيط بالكلام من ملابسات، وقرائن، بل لا يتبادر إلى الذهن شيء من هذا.

{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أليس هذا أيضاً من عبارات الثناء على الله سبحانه وتعالى، والحديث عن كماله؟. فهي كلها من {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وتنزيهه عن أن يكون له ولد، أو أن يكون له صاحبة، وإثبات أنه خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم .. أليست هذه كلها حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى؟ تنزيه لذاته، وثناء على ذاته؟.

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} (الأنعام: من الآية١٠٢) ذلكم، بديع السماوات والأرض، المنزه عن أن يكون له ولد، أو يكون له صاحبة، من هو خالق كل شيء، من هو بكل شيء عليم، هو ربكم لا إله إلا هو {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٠٣) أيضاً جاءت آية تنزيهه عن الرؤية عن أن تدركه الأبصار جاءت أيضاً في مقام تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن ما لا يليق بأن ينسب إليه، تنزيه لذاته، لا يمكن أن تدركه الأبصار، كيفما كانت هذه الأبصار، سواء قالوا حاسة سادسة أو سابعة أو ثامنة أو حاسة تاسعة أو كيفما قالوا فهي لا تخرج عن كونها أبصار، وعملية الرؤية لا تخرج عن كونها إبصار، فهو نزه نفسه سبحانه وتعالى، نزه ذاته عن أن تدركه الأبصار.

قالوا: يعني هذا في الدنيا أما في الآخرة فسنراه، ويدعون الله أيضاً بأن يريهم وجهه الكريم، وفي أدعيتهم: اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، اللهم أرنا وجهك، وهكذا.. الباطل، النقص الذي نزه الله ذاته عنه يصبح عند بعض المسلمين عبادة يتعبدون الله بنسبتها إليه، ويطلبون من الله أن يمكنهم من الحصول عليها.

{لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} وتأتي العبارة مطلقة، وكلما هو تنزيه لذاته فهو تنزيه لذاته في الدنيا والآخرة؛ لأنه كما قال سابقاً: {وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ} (القصص: من الآية٧٠) فكلما هو تنزيه لذاته هو تنزيه مطلق لذاته سواء في الدنيا وفي الآخرة، والدنيا والآخرة بالنسبة لله سبحانه وتعالى ليستا عالمين متغيرين، لا يحدث هذا التغير في الكون أي تغير بالنسبة لله سبحانه وتعالى، عالم واحد وضعية واحدة الله لا يتغير بتغيرها، ولا يطرأ عليه شيء من خلال تغيرها، فهو من لا يمكن أن تدركه الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولماذا نزه ذاته عن أن تدركه الأبصار كما نزه هو ذاته عن أن تدركه الأبصار؟ نفس الكلام الذي قلناه في قوله تعالى عندما نزه نفسه عن أن يكون له ولد أو أن تكون له صاحبة: أن هذا يعني: إثبات نقص في الله سبحانه وتعالى؛ لأنه متى ما قلنا بأنه يمكن أن يُرى فالرؤية لا تتحقق إلا من خلال: أن يكون بينك وبين الطرف المرئي

مسافة معقولة تمكنك من رؤيته، ويكون هو على كيفية محدودة تتمكن من رؤيته، وتسقط عليه الأشعة لتنقل صوراً من الكيفية التي هو عليها إلى [شَبَكِيَّة] إبصارك، أو بأي وسيلة كانت، ولا بد أن يكون على كيفية محددة، والتحديد والتكييف هو من خواص المحدثات، وهو من دلائل الحدوث، إذاً فيلزم أن يكون محدثاً، فيلزم أن يكون مخلوقاً، إذاً فيلزم أن يكون هناك من خلقه، ومن أحدثه.

وإذا لزم أن يكون هناك من خلقه أو أحدثه، فلزم أن يكون ناقصاً، وأن يكون محتاجاً، وأن يكون هناك من هو أكمل منه، وهذا ينتهي إلى ماذا؟ إلى كفر بالله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن تدركه الأبصار إطلاقاً.

ويقول سبحانه وتعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} (سبأ: ١-٢)

إلى قوله تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (سبأ: من الآية٣) **الحمد لله معناه: الثناء على الله، الذي يستحق الثناء كل الثناء هو الله سبحانه وتعالى، هو من له ما في السموات وما في الأرض، وتأتي العبارة أحياناً بلفظ: {مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (البقرة: من الآية١٠٧) **وأحياناً: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكلها تفيد أنه هو مالك ما في السماوات وما في الأرض، وله الملك في السماوات وفي الأرض.**

وله الحمد في الآخرة كما له الحمد هنا في الدنيا، وهو الحكيم الخبير. {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} كل شيء يَلِجُ في الأرض أي يدخل فيها، أنت عندما تغرس شجرة ألست تدخل جذورها في الأرض؟ عندما تبذر البذور ألست تدخل البذور في الأرض؟ كل شيء يدخل في هذه الأرض، وكل شيء يخرج منها الله سبحانه وتعالى يعلمه، لا يعزب عنه أبداً مثقال ذرة، بمعنى: لا يغيب عنه.

يعلم أيضاً بما ينزل من السماء، وما يعرج فيها.. يدل هذا على أنه من يملك السماوات والأرض، وهو ملك السموات والأرض، لكنه مُلك متميز بخلاف من يملكون في هذه الدنيا، هل الرئيس يعلم بما يلج في اليمن وما يخرج منه، لا يعزب عنه مثقال ذرة؟.الله سبحانه وتعالى، وهذا من الشيء الذي يبهر الإنسان أمام عظمة الله سبحانه وتعالى، قدرته، علمه الواسع، تجد كم في هذه الدنيا من آلاف المخلوقات، والصنف الواحد كم آلاف من أفراده.

عندما تطّلع على بلد وقت الزراعة، وقت زراعة [ذُرَة] أو زراعة [بُر] أو أي شيء من أنواع الحبوب كم يمكن أن يكون في هذه المنطقة من حبوب، كم في [الجِربة] الواحدة من زرع، كم في الثمرة الواحدة من حب، [المطوي الواحد] وفي رأس كل حبة يكون فيها هناك زهرة صغيرة يسمونها حبوب لقاح أو نحوه، كل هذه معلومة لله سبحانه وتعالى، مليارات من حبات القمح في هذه الدنيا معلومة لله سبحانه وتعالى هو الذي فلقها وبرأها، هو الذي أنبتها، هو الذي خلق الثمرة التي فيها، هو يعلم كل حبة فيها.

لو تأتي إلى صنف واحد من مخلوقاته لبهرك سعة علمه سبحانه وتعالى به، كم في استراليا من مليارات حبات القمح وقت الزراعة؟ كم! من الذي يستطيع أن يحصيها؟ ثم تجد هذا صنف واحد من مخلوقاته، هناك البشر، هناك الحيوانات بأصنافها، هناك الأشجار الأخرى بأصنافها، هناك الدواب الصغيرة والحشرات بأصنافها.

المخلوقات في البحار أيضاً التي هي أكثر مما في البر، أصناف الحيوانات بأعدادها الهائلة في البحر هو أيضاً من يعلمها، ومن يرعاها. لا يشغله وهو يرعى حبة قمح يفلقها في اليمن عن أن يرعى ملايين الأسماك في البحار عن أن يعزب عنه ذرة من سمكة واحدة .. قدرة عجيبة، علم واسع.

يدعوه الناس بمختلف لهجاتهم، وبمختلف حاجاتهم، وعلى اختلاف ألوانهم وبقاعهم فيعلمهم جميعاً، ويجيب من يجيب، ويترك من لا يستحق أن يجيبه، كلهم يتحركون في هذه الدنيا فيحصي على كل واحد منهم أنفاسه، يعلم بذات صدره، هو عليم بذات الصدور.

أنت لو تأتي تفكر، وتتأمل في سعة علم الله من خلال التعدد الهائل لأصناف مخلوقاته تجد ما يبهرك، تجد ما يملأ قلبك شعوراً بعظمة الله سبحانه وتعالى، وهو هكذا وليس فقط مرة واحدة أو سنة واحدة ثم ترى بأن هذا

عمل مضنٍ ومجهد قد تتركه وتتخلى عنه، كم أجلس أراقب مليارات الأسماك في البحار، ومليارات من حبات القمح، ومليارات الأزهار، ومليارات البشر، ومليارات الدواب، تعب، تعب، لا يمكن هذا على الله هو حي قيّوم، هو كما قال عن نفسه سبحانه وتعالى في آية الكرسي: {وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة: من الآية٢٥٥) لا يتعبه هذا، لا يشغله، لا يرهقه، لا ينسيه شيء عن شيء، لا يشغله شيء عن شيء آخر، عن الشيء الواحد أو إثنين أو ثلاثة أو صنف أعداده محدودة.

سبحان الله.. إذا تأمل الإنسان في مظاهر قدرته، ومظاهر علمه، وسعة علمه كيف سيجد نفسه مبهوراً. تراه يرعى الأشياء الكبيرة الكبيرة، وقد تنتهي الأحجام بالنسبة للحيوانات إلى الفيل، ثم تتجه أيضاً لتبحث عن الحشرات الصغيرة فترى حشرات صغيرة جداً، جداً بعضها قد تكون النقطة التي تحت حرف [الباء] أكبر منها وتراها فوق صفحة من صفحات كتابك تتحرك، وكم تجلس حتى تقطع السطر من طرفه إلى طرفه الآخر مسافة، وأنت تراها بجسمها الكامل والمتكامل، ولها إدراكاتها، ولها إحساسها، ولها حياتها الخاصة، ولها الأنواع التي تعيش عليها، ولها مشاعرها وهي تبيض وهي تربي صغارها.

ثم تتجه إلى هناك بعدما أكتشف في هذا العصر الآليات للبحث عن الأشياء الصغيرة إلى أن تنتهي بالفيروسات والجراثيم، مخلوقات صغيرة جداً جداً، ينتهي إدراكك عند الإحساس بصغرها، ينتهي إدراكك ينتهي أن تتصور صغر صغر صغر لما ما عاد هناك شيء ينتهي ما عاد تستطيع أنك تواصل بمسيرة ذهنك وأنت تتابع تصور الصغر الصغر إلى ما لا نهاية.

ثم يأتي الإنسان كما قال الله عنه: إنه {لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}، {خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} (النحل٤) يلفت نظرك إلى أن أصلك من نطفة، ويكشف هذا العلم الحديث بأنك كنت حيوان صغير جداً يسمونه [الحيوان المَنَوي] ربما آلاف من هذا الحيوان قد تجتمع على رأس دبّوس صغير، دبوس صغير على رأسه قد تجتمع آلاف من هذه الحيوانات التي كنت واحداً منها، ثم تمشي وأنت تبحث عن [البُوَيْضَة] وتتجه إليها فتشتبك معها، ثم تتخصب، ثم تطلع جنيناً ضعيفاً فتنفخ فيك الروح، ثم عندما تخرج من بطن أمك وأنت لا تعلم شيئاً يهديك إلى أن ترضع من ثدي أمك، ويصنع لك غذاءك، يجعل غذاءك قريباً من فمك، وفي مكان تحظى فيه بالحنان والدفء والعطف والرحمة والغذاء، وبعد أن يشتد عودك تتحول إلى خصيم لله، وبعد أن يرعاك هذه الرعاية لم تعد تركن عليه وتثق به فقد أصبحت رجلاً مفكراً.. أليس هذا الذي يحصل عند الناس؟. لم نعد نركن عليه فيما بعد، ولم نعد نثق بكلامه، ننسى مسيرة حياتنا من يوم تخرج من صلب أبيك، وتتقلب في رحم أمك حتى تخرج من بطنها ثم تشب.

خلي عنك الأشياء الأخرى في هذا العالم التي يتبين لك من خلالها سعة قدرة الله وعظمته وعلمه فتصبح خصيماً مبيناً معانداً متمرداً مجازفاً، ثم تصبح أنت ترى أن ذكاءك هو ذلك الذي يجعلك لا تثق بالله، وتقرأ القرآن ولا تثق بوعوده، وكأنه لا يستطيع أن يقدم أو يؤخر، ولا يستطيع أن يعمل شيئاً.. جحود بالله سبحانه وتعالى.

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التغابن:١) {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر:١) {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (يّس:٨٣)

ترى كم تكرر التسبيح في القرآن الكريم بما يعنيه التسبيح من تنزيه لله سبحانه وتعالى وتقديس وإجلال وتعظيم له، بما يعنيه أساساً من تنزيه لله عما لا يليق أن ينسب إليه لا باعتبار ذاته، ولا أفعاله، ولا في تشريعه. ولأن تنزيهه سبحانه وتعالى قضية مهمة بالغة الأهمية يجب أن يكون الإنسان مستشعراً لها دائماً، وقاعدة ينطلق منها في معرفته لله سبحانه وتعالى.

يستنفر الله سبحانه وتعالى كل ما في سماواته، وكل ما في أرضه ليقول لك بأن كل ما فيهما يسبحون له، {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجمعة:١)كل ما فيها يشهد بنزاهته ما بين من ينطق بذلك بلسان المقال، وما بين من ينطق بلسان الحال فيشهد على نزاهة الله سبحانه وتعالى.

تنزيهه عن ماذا؟ للتسبيح معناً مهماً جداً، تنزيهه عن ما لا يليق به في ذاته أن تنسب إليه نقصاً، أن تنسب إليه من العيوب ما لا يليق بأن تنسبها إليه كما نسب إليه الآخرون من أنه ذو أعضاء، من أنه يقدر المعاصي، ويخلق المعاصي والفواحش، ويريدها ويقضي بها. تنزيه له أيضاً في أفعاله هو من لا يظلم، من لا يفعل الفساد، من لا يفعل ما يتنافى مع الحكمة، هو من خلق كل شيء فقدره تقديراً، تنزيه له سبحانه وتعالى أيضاً في تشريعه، وفي هدايته.

أنزهه عن أن يشرع لي طاعة من يعصيه، أن يوجب علي أن أطيع الظالمين والجبارين والطواغيت والمتكبرين وهو من يلعنهم في كتابه، وهو من يستنصرني لأقف في وجوههم فكيف يأمرني بطاعتهم؟ وهل يشرف الله سبحانه وتعالى، أو يليق به أن يكون هؤلاء من يوجب علينا أن نطيعهم وهم مفسدون ومجرمون وطواغيت وكافرون!.

ألست أنت من تحاول أن تطرد ابنك من بيتك إذا ما وجدته ابناً فاسداً؟. والآخرون يقولون لك اطرده من بيتك؟. وأنت تقول لابنك: أنت شوهت سمعتي، أنت لا تشرفني أن يقال أنت إبني.

الله سبحانه وتعالى كيف يمكن أن يوجب علينا أن نطيع أعداءه!. هذه واحدة من العقائد الباطلة التي نسبوها إلى دين الله، ودين الله هو تشريعه وهديه.

ولو تأتي، لو تأتي تتبع ما حصل من هذا القبيل مما نسب إلى الله سبحانه وتعالى لوجدت بأنهم نسبوا إليه ما لا يليق به، وأمام هؤلاء استنفر الله كل مخلوقاته لتسبحه؛ لعظم قبح ما نسبوا إليه في تشريعه، أو في هديه، أو في أفعاله، أو في ذاته سبحانه وتعالى.

والتسبيح هو الذي أخذ المساحة الواسعة في التعبُّد داخل الملائكة، وداخل المخلوقات كلها، الله قال عن ملائكته {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} (الأنبياء:٢٠) وقال لنا، يخبرنا عن أنهم يسبحونه، ثم قال لك: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} (الإسراء: من الآية٤٤).. لتفهم ماذا؟. أنها قضية كبيرة، جريمة كبيرة، قبح عظيم أن تنسب إليه ما لا يليق به، ما يتنافى مع جلاله، مع قدسيته، مع كبريائه، مع عظمته، الأمر الذي لا يهز في الكثير منا شعرة واحدة، ولا ينطلق يتفاعل إذا ما سمع بأن هناك من ينشر عقائد باطلة.

يقولون: أن الله كذا وكذا، ويقولون أن رسول الله يشفع لأهل الكبائر، ويقولون بأنه يجب طاعة الظالمين، ويقولون كذا.. فيقول: والله مجرمين. وانتهى الأمر، لا يغضب، لا يعرف أن هذه قضية غير عادية، أنها إساءة بالغة إلى الله سبحانه وتعالى. ولتفهم أن القضية مهمة جداً تدفعك إلى أن تغضب لله، وإلى أن تبذل نفسك وتبذل مالك لتنصر الله سبحانه وتعالى فتقول لأولئك: لا. تنطلق في الحديث مع الناس عن تنزيه الله، وأن ما يقال بأنه كذا وكذا، وأنه شرع كذا وكذا، هذا باطل لا يجوز أن ينسب إلى الله. تنطلق في نصر الله كما قال لك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤).

إرجع إلى القرآن الكريم عندما يقول لك بأن كل من في السموات والأرض يسبحون له، والملائكة عملهم الدائم التسبيح له {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} هل لأن الله سبحانه وتعالى يعجبه أن يسمع ترديد التسبيح ليستمتع به؟ هو سبحانه وتعالى من هو منزه عن هذا، وإنما ليقول لنا: أن قضية أن نحافظ في أنفسنا على الإيمان بكماله المطلق الذي يدفعنا إلى أن ننزهه عن كل ما لا يليق به، وأن نسبة شيء إليه لا تليق به هي قضية كبيرة جداً.. وعلى من؟. هل سيصل ضرها إلى الله أو علينا نحن؟. علينا نحن.

لاحظوا عقائد من هذه أين جاء ضرها؟ هي قبح أن تنسب إلى الله سبحانه وتعالى، لكن أين حصل الضر؟. على الأمة، على البشرية نفسها؛ لأنه متى ما جوزنا على الله سبحانه وتعالى أن يكون في تشريعه طاعة للمجرمين استسغنا نحن البشر أن يحكمنا الطواغيت، وإذا حكمنا الطواغيت ما الذي يحصل في حياتنا؟ تضيع كرامتنا، تضيع عزتنا، نستذل، تصبح حياتنا ومعيشتنا ضنكة، نُضَام، نُقهر، يسود فينا الفساد، تغيب عنا وعن أوساطنا القيَم المثلى والفضائل. وما السبب؟. قالوا لنا بأنه يجوز، وأن الله شرع هذا.

انظر كيف وصلت بالأمة هذه العقيدة وحدها، عندما قلنا في المحاضرة في القاعة يوم الخميس: أن أولئك الذين انطلقوا فوق منابر المسلمين ليدجّنوا الأمة للظالمين.. ألم يعلموا ما جنت أيديهم! كيف أصبح هؤلاء يدجّنون

الأمة لليهود، وكيف أصبحنا في واقعنا الاقتصادي لا نستطيع أن نعيش شهراً واحداً ـ كما عاش أسلافنا قبل ألف سنة ـ معتمدين على أنفسنا!.

أتحدى أن يستطيع اليمنيون أن يعيشوا شهراً واحداً معتمدين على أنفسهم وقوتهم من داخل بلدهم كما كان أسلافنا قبل ألف سنة، أولئك الذين نقول عنهم أنهم متخلفون، ومن أصحاب العصور المظلمة.. ما الذي جعل البشر يصلون إلى هذا المستوى؟ هي هذه العقائد الباطلة. من أين استسغناها؟. من يوم ما آمنا وجوزنا بأنه يصح أن تنسب إلى الله فتكون جزءاً من دينه، وتكون مما شرعه لعباده، ونسينا ما كان بالإمكان أن يعمله التسبيح في نفوسنا لو رجعنا إليه.. عندما نجد الله يستنفر كل من في السموات ومن في الأرض ليسبحوه، وعندما يقول عن ملائكته أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

لكن هكذا عندما يصبح القرآن على ألسنتنا مجرد لَقْلَقَة باللسان، ويهمنا تجويد حروفه نحافظ على [الغُنَّة] وعلى [المد] و على[القلقلة] ونحوها.. وننصرف عن ما تريد منا هذه الآيات: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} حتى تتساءل لماذا التسبيح هو الذي أخذ المساحة الواسعة في التعبد؟ في صلاتنا تسبيح، في الركوع في السجود في القيام.. أليس كذلك؟ والتسبيح يُشَرع كذكر من أذكار الله المهمة: ((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)).

عندما نسينا، أو جهلنا، أو ابتعدنا عن هذه الآيات فلم ندعها تترك في نفوسنا الأثر المهم لها، هو أن نلمس أن القضية مهمة جداً وخطيرة جداً أن ننسب إلى الله ما لا يليق به في تشريعه، عندما نسينا هذا استسغنا عندما قالوا: هذا من دين الله، ورواه فلان عن فلان قال حدثني فلان أخبرني فلان قال قال رسول الله كذا كذا .. إلى آخره.. صدق رسول الله. واعتقدناها ومشينا عليها. يُكذب على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ويُفترى على الله سبحانه وتعالى.

فينبغي علينا أن نعود إلى هذه الآيات العظيمة نستلهم منها ما يحول بيننا وبين الوقوع في هذا الضلال الشديد {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الروم: ١٧-١٩)

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن تملأ قلوبهم مشاعر عظمته، ممن ينطلقون في تنزيهه وتسبيحه وتقديسه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس الأول]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي
بتاريخ: ٢٨/٥/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

قال (عليه السلام): **[وفي تبيين ما نزّل الله في كتابه من الآيات، وجعل فيه من المواعظ الشافيات، لمن قبله وفهمه]** تتكرر كثيراً الكلمة هذه: **[لمن قبله وفهمه]**، لمن تأمله، لمن، لمن..؛ لأن القضية هكذا: أن الإنسان هو لازم أن يكون عنده اهتمام بأن يفتح صدره، يصغي، يستمع باهتمام حتى يستفيد. وإلا ستنتهي القضية في الأخير إلى أنه لا يعد ينفع في واحد شيء على الإطلاق. ليس هناك شيء أعظم من كتاب الله، القرآن الكريم. إذا واحد لا يتفهم، لا يعد ينفع فيه شيء نهائياً، أيّ شيء كان.

[لمن قبله، وفهمه عن الله جل جلاله من عباده البررة المتقين الأتقين ما يقول سبحانه: {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ}(النور٣٤)**]** أمثلة، وقصص **[{وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**(النور٣٥)**]**.

هذا مثل لأقصى نور ممكن في ذلك العصر. تصوَّر نور في مشكاة: كَوَّة، يكون النور مجتمعاً فيها، {فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}، نظيف، يكون الزجاج نظيف، ووقودها زيت الزيتون. ويصف الشجرة بالشكل الذي يكون زيتها جيِّد، نقي، {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}.

{نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} يحاول واحد أن يكون ممن عسى أن يشاء الله أن يكون ممن يهتدي.

مسألة الهداية، تأتي الهداية العامة هذه التي تعني: الإرشاد، إرسال الرسل، إنزال الكتب. هذه التي يسمونها: الهداية العامة، الإرشاد. لكن يهدي لنوره قضية ثانية، مطلوب أن الإنسان نفسه هو يتسبب لهذه من جهة الله، يهتم، يصغي، يتفهم، يرجو الله، يدعو الله أن يهديه.

{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ} هذا مثل، نور على أرقى درجة تتصوره، نور على أرقى درجة في محيط مظلم.

[فمثّل سبحانه ما في كتابه من نوره، وهداه، وما وهب ـ من تبيينه فيه برحمته ـ أولياه] يعني: أولياءه، مثّله **[بمشكاة قد ملئت نوراً، بمصباح في زجاجة نقيّة، ككوكب دري]** المشكاة معناها: الكوَّة، ترى النور فيها مجتمعاً، قد ملئت نوراً. وهنا تتصور الكوة تكون متى؟ في الليل، هذا المثل في الليل، أليس في الليل؟ كيف تكون الكوة لوحدها، النور فيها بهذا الشكل، في محيط مظلم؟.

[ومثّل سبحانه ما في كتابه من نوره، وهداه، بمشكاة قد مُلئت نوراً بمصباح في زجاجة نقية، كوكب دري، ومثل كتابه بما فيه من هداه بنور مصباح زاهر مضيء] مثّل ما في كتابه بمشكاة، ومثل كتابه هو بما فيه من هدى ونور بنور مصباح **[قد نُقّيا من كل ظلمة، وغلّس، وصفّيا من كل كدر، ونجس. فأعلمنا سبحانه بأنه هو نور السموات والأرض]**.

الله نور السموات والأرض، كل نور فيها هو منه بهذا المعنى: نور الهداية. الأشياء الأخرى هي من خلقه: الشمس، والقمر، والكواكب، وسائر الدرر هذه، لكن ما كأنها هي المقصودة أن يتحدث عن المخلوقات التي تضيء، وتنير كالشمس والقمر.

يتكرر كثيراً الحديث عن الهدى، عن هدى الله بأنه نور؛ لأن هنا تتصور معه بأنه تكون الحياة ظلمات كلها، تكون الحياة كلها ظلمات. فالإنسان بحاجة إلى هذا النور، تمثل في آية أخرى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}(الأنعام١٢٢) **والتشبيه لها بالظلمة، أليس**

الإنسان في الظلمة الحقيقية هذه يحتار، ويتوقف فلا يدري أين يذهب، هكذا أو هكذا؟ هو نفس الشيء في الأمور المعنوية، في شؤون الحياة.

فالإنسان إذا لم يسر على هدي الله يكون متخبطاً في واقعه، ما يدري إلا عندما يضرب برأسه هنا.. وكم مصاكيع تأتي للناس! يكون متخبطاً يعني، ظلام حقيقي، وهكذا يكون شكل الناس في ظلمات الضلال مثل شكلك وأنت في طريق متجه لأي مكان آخر في ظلمات الليل، في ظلام شديد.

أليس الواحد منا يحاول يضرب [الكشاف] ليزداد نوره؛ لأنه يشعر بحاجة ماسة إلى النور في الظلام، لو لم يكن إلا نوراً بسيطاً في [الكشاف] يضربه يحاول فيه يولع. هذا نور حقيقي هذا. معناه أنه يجب أن يكون الناس حريصين؛ لأنه يتحدث يقول: هناك ظلام ونور، الحياة ظلام، الضلال ظلام، أنتم بحاجة إلى نور، نحن لا نهتم بهذه، فلا يدري واحد وضرب برأسه، لا يدري الناس: أمة، أو شعب إلا وضربوا برؤوسهم، متخبطين.

[فأعلمنا سبحانه بأنه هو نور السموات والأرض ومن فيهما] هو مصدر النور الذي هو الهدى للبشرية في هذه الحياة هو الله سبحانه وتعالى، نور الهداية. [هو نور السموات والأرض، ومن فيهما، إذ هو الهادي لكل من اهتدى من أهليهما] ولن يحصلوا على الهدى إلا من عنده. الإمام القاسم يتحدث كثيراً عن موضوع هداية الملائكة. الملائكة لا تتصورهم خلقاً هكذا يخلقون [تماتيك]، مهديين جاهزين. إن كل هدى مصدره من الله، وكل كائن، كل مخلوق يحتاج إلى هدى الله، وهداية الله؛ الملائكة، الأنبياء، البشر. البعض يقولون: [أما أولى عندك إنهم ملائكة]! كأن الله خلقهم جاهزين!.

هنا يؤكد في أكثر من موضوع بأن الملائكة هم محتاجون إلى هداية الله.

[الله سبحانه وتعالى قدم كل الوسائل التي تؤدي إلى] لملمة الناس أن يسيروا في صراطه المستقيم، وأن يسيروا على هداه بكل الوسائل. مثلما قلنا بالأمس أنه أكثر مما قال الشيطان، عندما قال الشيطان: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ}(الأعراف١٧) ألم يقل هكذا وهو يريد أن يضل؟ الباري جاء للإنسان من محيطه كله لمحاولة هدايته، ما زال هناك من فوق، ومن تحت، ومن داخل، ومن كل جهة، من كل جهة، وبكل وسيلة.

[وقد قيل في التفسير: إن المشكاة هي الكوة التي يجمع ما فيها، كما يجمع ما فيه السقاء، والشكوة] هنا يقول: الشكوة: الوعاء، من جلد. هكذا قيل في التفسير. [فنور هدى كتاب الله محفوظ بالله مجتمع، وكل من وفقه الله لرشده فهو لأمر الله كله فيه متبع، لا يسوغ لأحد عند الله من خلافه سائغ، ولا يزيغ عن حكم من أحكام الله فيه إلا زائغ، يزيغ الله قلبه بزيغه عنه، ويفارق من الهدى بقدر ما فارق منه، كما قال علام الغيوب، وخلاق ما ضل واهتدى من القلوب: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(الصف٥)].

هذه تتكرر في القرآن كثيراً، وأكثر من أن تبادر إلى مسألة كيف نتأولها حتى لا يلحق الباري أثام! لا، افهم أن القضية خطيرة. أنك تحاول أن تتسبب لأن لا يزيغ قلبك، لأن لا يطبع على قلبك، لأن لا تضل، تسبب للهدى من الله.

هذه تكررت في القرآن بشكل كبير، وفيها تحذير رهيب. يعني: أن القضية لا تعتبرها قضية على مزاجك [أستمع، ومتى ما أردت أهتدي أهتدي، والبادي مني أقتّح، والبادي مني أصحا] لا، يعرض عليك الهدى، ما تصغي، ما تهتم، ستقع في ضلال.

القضية خطيرة جداً، يقسو قلبك، فترى آخرين من الذين ما قد سمعوا شيئاً، وإنما لأول مرة يسمع، قد يكون أكثر منك استفادة، عندما يحضر وهو مهتم. ألست تجد أن هناك نوعية تأتي تِدبّغ فيه، تِدبّغ لا يعد ينفع شيء معه؟ من النوعية هذه: سوف يسمع وعنده فيما بعد، ليس الآن، وممكن يفتح متى ما أراد، وممكن يهتدي

متى ما أراد! لا، الموضوع مقدم على أنك كل قضية هي من الهدى تكون مهتماً بها بوقتها، كلما تسمع تهتم. لا تقل ما قد هو الآن.

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} هذا الأسلوب قائم. لو تلاحظ الإمام القاسم هنا لا يكون مشغولاً بمسألة التأويل، كيف يتأول: [أزاغ الله قلوبهم، أزاغ، يعني: خذلهم فزاغوا فكأنه هو.. الخ]؛ لأن الموضوع الإمام القاسم يتحدث من منطلق هداية؛ لهذا قال في مكان آخر عبارة يوصي أولاده أن ينظروا إلى القرآن الكريم ككتاب هداية.

لاحظ كلمة هدى، هداية، النظرة هذه إلى القرآن الكريم غابت، وهي تترتب عليها فوارق كثيرة جداً، انظر إليه ككتاب هداية، واعرف الهداية ما هي، كتاب هداية لمجالات واسعة جداً، لكل شيء، كل شيء {وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام:١٥٤) وفي الأخير يقول بعضهم: لكن [لا يكفي]!. يقول الله: {وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ} قال: لا يكفي!.

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} هذه حقيقة، حقيقة تزيغ، تحاول تتملص، ما تهتم، يزيغ الله قلبك، ثم يقسو، فلا يعد ينفع فيك شيء، إلا إذا حاولت تقحم نفسك، وترجع إلى الله هو، ترجع إليه هو، وتتوب إليه، وتستغفر، وتحاول تطلب منه أن يهديك، وإلا فهي حالة خطيرة هذه.

لا ترجع القضية إلى مسألة: هل هو سيأتي على الباري أثام؟! هو بُحث الموضوع في كثير من الأشياء من قِبَل الذين ينطلقون زعم للتأويل لنزاهة الله، طلعنا في الأخير من نسمي أنفسنا عدلية، طلعنا لا نقّل سوءاً عن المجبرة حقيقة، لا نقل سوءاً عن المجبرة! خاصة في الزمن هذا.

لا يوجد تنزيه لله، ولا حتى الأسلوب الذي كانوا يسيرون عليه الذي يسمونه: التأويل، ما هو أسلوب تنزيهي نهائياً، ولا يكفي لتنزيه الله؛ [أي: خذلهم، فزاغوا؛ فوقعوا في كذا، فكأنه هو، فنسب الفعل إليه نسبة مجازية!] أليسوا يقولون هكذا؟ أينما لقيناها [طبَعَ، أضَلَّ، أزاغَ.. الخ].

يعني: يكون معناها عبارة سيئة، أزاغ مشكلة، ضلّ مشكلة، طبع مشكلة! وإذا الباري هو لا يبالي بنفسه، إنما فقط نحن نحاول نستر عليه هو! لا، هذه حقيقة، إذا زاغ الإنسان عن هداه، لا يرضى يتفهم، يزيغ قلبه، ويعيش في الظلام، وفي الضلال؛ لأن الإنسان قد هو يعتبر في حالة فسق، أنت خرجت {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} يخرجون؛ لأنه ماذا؟ يقدم الشيء على أرقى مستوى، قدم هداه إلى عباده على أرقى مستوى، يصطفي رسلاً على أرقى مستوى، ينزل كتباً ويقول فيها: هدى، نور، شفاء، تبيان.. الخ، ومع هذا ما زلت غير مهتم!.

هذه أليست موجودة عند البشر؟ يعني كمثال ـ ولله المثل الأعلى ـ تقول: قد عملت له، عملت كذا و.. و.. وفي الأخير يصفعه، ويطرده ولا يعد يبالي به. قال: [ما رضي يفهم، ختنت، زوجت، عملت كذا، صلحت كذا..] أليس الناس يقولون هكذا؟ أيّ واحد سيقول: [أمانه أشهد لله ما عاد عندك حجة، ذا عندك كذا، كذا.. ولا يصلح لشيء..] أليست هذه فطرة؟ هل أحد يعيب عليك بعد؟ يقول: يا أخي ابنك لماذا قمت بطرده؟ قلت: [يا خبير عملت له كذا، أكل كل ما معي، ما عمل لي شيء، ولا، ولا، ولا...]، وتعرض كل ما قد قدمته له أنت، وبقناعة سيقول: [أشهد لله ما عندك تقصير].

{فَلَمَّا زَاغُوا} يا أخي من يزيغ بعد هدى الله، بعد القرآن الكريم [أشهد إنما ما هناك تقصير، أن الباري يزيغ قلبه أينما وصل يوصل] ينتهي إلى جهنم، فاسق، خرج. هذه هي حالة ليست بسيطة، حالة البهطلة هذه التي فينا، لا تتوقع أن الناس مع البهطلة يمكن يكونون كل سنة أفضل، لا، سيكونون أسوأ، أسوأ في نفسياتهم، في تأثيرهم، مجتمعهم.

في الأخير من جاء يوعظ يوعظ، من يعلّم يعلّم، يدبغ، يدبغ!! قد هم يريدون انطلاقة جديدة من داخل، مع الله، نتعة جديدة ـ إذا صحت العبارة ـ نتعة جديدة من داخل. تتجه إلى الله، وتعزم على أنك فعلاً كل قضية من الهدى يكون لها قيمة عندك، يكون عندك روح عملية تنطلق في كل مجال تسمعه من الهدى، تتفهم.

وفي الأخير سترى الأشياء، تراها واسعة جداً جداً، وسائل الهدى، وترى أنه طمأنينة. أليس الله يتحدث عن المؤمنين: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد٢٨).

هنا يسميه شفاء، الناس يكونون في حالة مرض، أمراض كثيرة، يسمي القرآن بأنه {وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ} (يونس٥٧). نحن لا نفكر في هذا، أي: في الحالة التي أنت لا تهتدي فيها بالقرآن الكريم تأكد بأنك مليء بالأمراض، ولم يعد لأحد قيمة عند أحد. أليس الناس قد يكونون هكذا؟ يكون واحد قد هو ضاجر على نفسه، والناس ضاجرين على بعضهم بعض، ولا يعد لأحد قيمة عند أحد.

لكن يتجهون اتجاها آخر، تجدهم يشعرون بعلو في نفوسهم، رفعة في نفوسهم، طمأنينة في نفوسهم، ارتياح في نفوسهم، قيمة لبعضهم بعض، واحترام لبعضهم بعض. ويكون ما يزال واحد يسمع ويفهم {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} تكون ما زلت تسمع وتفهم، لكن بدون أي أثر تسمع وتفهم بدون أي أثر، إذا واحد غير مهتم، ثم يتخبط في حياته، يتخبط.

[وفيما جعل الله في كتابه من الحكم، والفرقان، والفصل، ما يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} (الطارق١٣)] بعد قسم قبل هذا، {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، فصل في كل قضية {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} (الطارق١٤) ما هو لعبة، ما هو كلام كيفما جاء، أو خدرة [تخزينة] على ما قالوا، لا، قول جاد، قول محكم، قول مفصَّل، قَول فَصل.

[والفصل فهو الحَكَم الجد الرشيد] حَكَم جاد، ورشد [والهزل فهو اللعب، والكذب، والتفنيد، وفي ذلك ومثله ما نزل الله فيه من فصله] من الحديث عن أنه فصل وتفصيل [ما يقول سبحانه: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} (الفرقان١) والفرقان فهو التفصيل من الله فيه لرشده] فرقان يفصل ما بين الحق والباطل، يبين الحق من الباطل، الخطأ من الصواب، الهدى من الضلال.

لكن تكون الإشكالية أحياناً عند الإنسان، عندما لا يكون عنده مشكلة سواء يكون حق أو باطل، هدى أو ضلال، خطأ أو صواب. هذه روحية سائدة عند كثير من الناس، باطل أو حق، كله سواء عنده! لا، لازم تكون ترى الضلال خطيراً جداً، تتخوف منه، وتراه خطيراً.

والقرآن الكريم ركز على النقطة هذه: أن الإنسان يجب أن يكون حذراً جداً من الضلال، والوقوع في الضلال، وتكون كلمة ضلال تزعجه، باطل: كلمة تزعجه. يتحدث يوم القيمة، وإذا كل من يصيحون، يصيحون من الضلال. هو الذي ورطهم، الضلال، وكانوا في ضلال، والذين أضلوهم في الدنيا. أليسوا كلهم يصيحون من الضلال؟.

هنا في الدنيا عندما تقول له: يا أخي هذا باطل. لا تتحرك فيه شعرة، هذا ضلال، هذا خطأ.. طبيعي، لا يوجد هناك انزعاج!. هذه هي النفوس الميتة. الذي لا ينزعج للباطل، لا يؤلمه الباطل، لا يعتبر الباطل فضيعاً، والضلال فضيعاً، قبيحاً، سيئاً، فتأكد أنه لن يكون للهدى قيمة عنده، ولا للحق قيمة. قيمة الحق عندك هو بمقدار ماذا؟ كراهيتك للباطل، انزعاجك من الباطل، قبح الباطل في نفسك.

[فمن لم يرشد بكتاب الله فلا رشد] هذا أيضاً من الأسلوب الذي يمشي عليه الإمام القاسم في هذا الكتاب؛ بأنه فعلاً في الأخير يدعو عليه: لا جعله يرشد، لا رشد، وفي ستين داهية.

[فمن لم يرشد بكتاب الله فلا رشد، ومن ابتعد عن كتاب الله فبَعُد، كما بعدت عاد وثمود] لماذا يقول الإمام القاسم هكذا؟ لأنه يفهم القرآن الكريم، إذا لم يعد ينفع فيك القرآن ففي ستين داهية على ما نقول، لا جعلك ترشد، ولا جعلك تهتدي، ولا..؛ لأن الله يقول: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} (الجاثية٦) ماذا بقي من

شيء تتوقع أنه ممكن يؤثر فيك؟ إذا وجدت نفسك لا يؤثر فيك القرآن تأكد أنك في وضعية لم يعد هناك شيء آخر ممكن يؤثر فيك أبداً.

[ومن لم يهتد في أمره بكتاب الله، وتنزيله لم يهتد بغيره] أي: بغير القرآن **[للحق أبداً ولا لسبيله]** لن يهتدي، أليس هو يأتي بعبارات قاطعة؟ لن يهتدي. **[لم يهتد بغير القرآن للحق أبداً، ولا لسبيله]** لسبيل الحق **[بل لن يبصر، ولن يرى للحق عيناً، ولا أثراً]** وهو يريد يعرف الحق. أليس الإنسان أحياناً يريد هو، هو من جهة نفسه، يعني: يتحرك هو، عنده ما يزال داخله شيء ـ ما زال ـ ممكن ينير له الطريق أكثر من القرآن، أو شيء أكثر من الله. بهذه الانطلاقة الفردية، أنه هو ذكي.. وأشياء من هذه، يريد ينطلق هو!.

أبداً. الهدى لا يكون إلا بكتاب الله وبالله، لا يكون إلا بهذا؛ ولهذا قال: **[بل لن يبصر، ولن يرى للحق عيناً، ولا أثراً، ولا يزال ـ ما لم يراجعه ـ لا يزال متحيراً ضالاً، ومعتقداً ـ ما بقي كذلك ـ حيرة وضلالاً]** لا يزال متحيراً ضالاً، ولا يزال دائماً معتقداً حيرة، وضلالاً.

الإمام القاسم لاحظ هو يعبّر لك وكأنه يحكي واقعاً ملموساً، يعني يلمس؛ إنسان ذكي، إنسان عالم كبير، إنسان متفهم، يعرف الناس، يعرف الإشكاليات التي لديهم من أين منشؤها. فالذي لا يهتدي بالقرآن سيظل دائماً في حيرة، وضلال في معتقداته، رؤاه، معتقداته، آراؤه كلها حيرة وضلال.

[يَعُدُّ نفعاً له ما يضره] قد صار مقلوباً، قد صار يسير بالمقلوب **[يعد نفعا له ما يضره، وثقة عنده أبداً من يغره، مرحاً لهلكته فرحاً]** أليس هو هنا يتحدث عن المقلوب، عندما يصير واحد مقلوب؟ هذا هو الضلال. تجد هذه حالة قائمة عند الناس.

[مرحاً لهلكته فرحاً، يرى غشه له براً ونصحاً، يخبط بنفسه كل ظلمة وعشواء، متبعاً في دينه، وأمره كله لما يهوى. إن قال مبتدياً عسّف]؛ لأنه ليس بإمكانه أن يهدي **[أو حكى عن غيره حرّف، افتراء وبهتاناً]** وما يكون واحد داري أنه لا يقول الصدق! إن قام يخطب يكون قلّب، يتحدث خطأ، ولا يكون الناس دارين، ويعيشون في حالة من هذه.

[افتراء وبهتاناً، وقسوة ونسياناً، أثرة منه للباطل على الحق] أحياناً قد يكون واحد ليس في الحالة الدائمة مؤثراً للباطل على الحق، يوجد عنده قضية وهي التي ينطلق منها، هي قضية باطلة. فتحاول أنك ترشده إلى الهدى فيها، إلى الحق فيها، يتشبث بأشياء، ويجلس ينطلق عليها، وتكون هي قضية يتفرع عنها أشياء كثيرة جداً من أعماله، تراها مثلاً في خطاباته، تراها في رؤاه، تراها في آرائه، تراها في مواقفه تلك الحاجة.

[أثرة منه للباطل على الحق، ونقضاً لما عقد عليه من العهد والموثق، كما قال الله سبحانه: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}(المائدة١٣)**]** قسيت قلوبهم، ألم تقس قلوبهم؟ متى قسيت؟ بعد أن عرض عليهم الهدى على أرقى مستوى ولم يقبلوه {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} تتحول قلوبهم إلى قلوب قاسية.

القلوب القاسية لا تعد تكترث من الوقوع في الباطل، لا يعد الباطل عندها شيء موحش. ينطلقون يحرفون الكلم عن مواضعه مثلما قال عنهم في آية أخرى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(البقرة:٧٥) هذه نوعية. وقد يتطور الإنسان إلى الحالة هذه، إذا هو من البداية لم يتقبل الهدى، قد يتطور إلى الحالة هذه.

وفي الشيطان عبرة، الشيطان نفسه أولاً انصرف عن تنفيذ أمر إلهي، عاند بعد أن قال له: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}(ص:٧٥) ألم يعاند؟ بسبب العناد قسي قلبه، وفي الأخير تحول إلى شيطان مريد، وكان قبل عبّادة، على ما يروى، كان عبادة مئات السنين، أو آلاف السنين؛ لأنه في الحالة هذه، متى ما قسي قلب الإنسان، متى ما زاغ قلبه، في الأخير ينطلق في الباطل متجرئاً، غير مكترث، ولا مستوحش.

[{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ}] نصيباً، أو قسطاً كبيراً مما ذكّروا به، أيضاً ينسونه [{وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}] فهنا يقدم لك الصورة الذين تحدثنا أنهم يسيرون بالمقلوب {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ} تحريف للكلام عن مواضعه، نسيان لذكر الله، ونسيان لما ذُكّروا به {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

طيب: هنا فاعف عنهم واصفح، معناه يعرض عن هؤلاء وبس؟ هم بهذا الشكل. ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مسيرة عملية لبناء أمة، اترك هؤلاء على جنب، ليس الآن وقتهم، يعني ما هم هنا العدو الذي يشكل خطورة كبيرة عليك الآن في طريقك. اشتغل وستلحقهم في أي وقت. ألم يتجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لبناء أمة؟ حصل من عندهم هم نكث لما عاهدوا عليه، لما وضع عليهم من شروط؛ ضربهم.

[فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره، وأمور غيره بتنزيل رب العالمين] عنده أنه لن يكفي! يريد يوعظ الآخرين، يبحث له عن كتب أخرى في الترغيب والترهيب، تلك التي تكون مليئة أخطاء رهيبة. يا أخي: هذا القرآن، وعّظ من القرآن. لكن ما أعجبه وكأنه لا يكفي! ما عنده أن القرآن سيترك ذلك الأثر؛ لأنه قد صار لديه خطأ هو في فهم ما هي الخشية، ما هي الحالة النفسية التي تكون أثراً لما يقدم، الحالة المطلوبة. يكون عنده هذا الكلام أحسن يركز عليه!

لا، القرآن الكريم قدّمه بشكل صحيح، وكفاية، وقل لنفسك [بده يكفي بده لا] أليس من الممكن أن يقول واحد هكذا؟ الباري هو جاء لنا بالقرآن، وما معنا إلا القرآن، وما معه إلا القرآن منا، وهو أرقى ما يمكن أن نصل إليه. لو نصبح فعلاً نقول: ما معه إلا القرآن منا، ونتبع القرآن، ونسير على القرآن، ما هو أرقى مستوى؟.

[فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره، وأمور غيره بتنزيل رب العالمين] إذا أنا أوعظك بالقرآن وما رأيتك تبكي، ليست مشكلة أنك تبكي أو ما تبكي، ليست قضية هذه. فإذا أنا أريد أوعظ واحد، وأجعله يبكي أنطلق أبحث له عن أحاديث من أحاديث الترغيب والترهيب من النوعية تلك الثانية لأجل يبكي! لا. ربما لو أن الناس يتفهمون القرآن بشكل كبير يحصل عندهم خشية من النوع الآخر، من النوع المطلوب، خشية لله، وهذه هي المطلوبة.

[فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره، وأمور غيره بتنزيل رب العالمين، كيف عظم ضلاله وغيه، وضلت أعماله وسعيه، فيحسبه محسناً وهو مسيء، ورشيداً في أمره وهو غوي] ضلت أعماله، وسعيه، فيحسب أعماله وسعيه، أو يحسب عمله وسعيه، أو يحسبه غيره في أعماله هذه محسناً وهو مسيء! مثلما قلنا: ما واحد سيقول في الأخير: [أحسن الله إليك، جزاك الله خير] أحياناً؟.

قد يقوم واحد يرشد قلّب، وهو لا يعلم، هو يريد يوعظ الناس. فقالوا: [أحسن الله إليك، وجزاك الله خير] أليسوا يرونه محسناً؟ وهو في الواقع غير محسن إليهم، بل مسيء إليهم، وهم في الواقع لا يعلمون بأنه يسيء إليهم، ويسيء إلى نفسه. [أحسن الله إليك، وجزاك الله خير]!!.

الإمام القاسم يتحدث وهو يرى مظاهر من هذه في عصره، وكان معروف أنه يبكي، الإمام القاسم يبكي على الأمة من الحالات هذه: هي بهذا الشكل، والقرآن بهذا الشكل، لماذا؟ هذا القران العظيم نور، وهدى، شفاء، وأشياء من هذه، والأمة على هذه النوعية.

[فيحسبه محسناً وهو مسيء، ورشيداً في أمره وهو غوي، كما قال سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وعلى أهله): {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}(الكهف:١٠٤). أفليس هذا هو الذي ظن ـ والله المستعان ـ ضره له نفعاً، وحسب ضلالته هدى، وهدايته إلى الجنة ردى].

لاحظ بعض الناس عندما يقول: لا يجوز ترفع شعار من النوع هذا في المسجد! قل يا أخي: ما أنت داري أنك أنت الذي تعمل جريمة كل يوم في المسجد، تقوم بتدريس كتاب معين، وعندك أنه هدى، ومن كتب الهداية، وهو ضلال، ضلال، وظلمات بعضها فوق بعض.

وهو يتصور بأن الملائكة تفرش أجنحتها له هو وطلابه! وهم في المسجد، إما عند المحراب، أو في مكان آخر. ومن هذا النوع المقلوب الذين يتحدث عنهم الإمام القاسم.

[وهدايته إلى الجنة ردى] عندما تهديه إلى الجنة، وتهديه إلى طريق الجنة، يعتبرها ردى، يعتبرها ضلالة، يعتبرها مهلكة، يعتبرها تردي به، لا يرضى يسمعك.

[كما قال سبحانه: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}(الزخرف٣٦)] وهذه من أخطر المراحل التي يصل إليها الإنسان: أن يصبح في ضلال، في باطل، وما زال يعتبر أنه مهتدي! {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}.

{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} عن ذكر الله، ذكره هو، وذكره الذي هو القرآن الكريم. {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً} طيب: عندما تسمع مثل العبارات هذه ليس معناه أن الباري يكون سريعاً، يقدم قليل كلام، ما نفع.. وبسرعة يقيض. لا، بعد القرآن الكريم، بعد القرآن الكريم، عندما لا ترضى تفهم، بعدما تعرض، ما تبصر، وهو يقدم لك القرآن الكريم، هنا تستحق أنه يقيض شيطاناً، يهيئ شيطاناً، لا يعد يبالي بك، شيطان وبعدك، يوقعك في الضلال، حتى تصبح أنت شيطاناً من النوعية هذه؛ لأن هذه من أرقى ما يريد الشيطان أن يصل بالناس إليه؛ لأنه لا يريد منك أن تعمل معصية، أو تدخل في باطل، وأنت ما زلت مستوحش هكذا، أو ما زلت تتألم قليلاً، يريد يدخلك في باطل، فتصبح في الأخير مقتنع بهذا الباطل، فتنطلق جندياً لهذا الباطل، على أساس تشتغل، هو لا يشغل نفسه دائماً بك، يريد يوصلك إلى أن تكون شيطان شغال أنت وهو يهتم بواحد ثاني.

وهذه أخطر مرحلة على الإنسان أن يصبح في باطل فيكون يجند نفسه للباطل، ويخسر في الباطل، ويطلع وينزل في الباطل، ويقدم أمواله في الباطل، ويقاتل من أجل الباطل، ويسجن من أجل الباطل. ما هناك ناس هم بالشكل هذا؟ يكون هكذا عندما يصل إلى الدرجة هذه.

{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} تنكشف المسألة بعد: {حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}(الزخرف٣٨) أي: كيف تعرف؟ المقياس هو القرآن الكريم. حتى تعرف هل أنت من النوعية هذه، أم أنت من النوعية المستقيمة، القرآن الكريم هو المقياس. إذا رأيت نفسك أقرب ما تكون إلى القرآن الكريم، في حركته، في حيويته، وليس إلى القرآن الكريم برؤيتك التي تغطي على أكثره، وتحكّم عليه أشياء أخرى.

ترجع إلى القرآن الكريم على ما هو عليه، في حيويته، في حركته، في مقاصده تجد حركتك، وتوجهك منسجم معه، إذاً فلست من هذا النوع، أنت لا تعش عن ذكر الرحمن أبداً، لست من هذا النوع.

{وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} هم النوعية الذي ينطلق فيما ينطلق فيه، وأي بصيص نور يبدي عليه، أو تريد تحركه قام غطى عليه، قد هو مقتنع بتلك الأشياء، وعليها، ومنسجم، وفي الأخير يحاول يفكر كيف يعمل لنفسه تبريرات أكثر [وهذا عليه العلماء، وكان قبلك الأئمة: الإمام الفلاني، والإمام الفلاني، وزعطان، وفلتان، و و.. الخ، وجلس كذياك!.

لا، القرآن هو المقياس، إن كنت تجد أنك فعلاً منسجم مع القرآن، ولا عندك محاولة، لست من النوع الذي يحاول يغطي، ويلجم، ويستر، ويقول: أبداً، هذا ما هو وقتها، هذه منسوخة، وهذه كذا، كذا. فإذاً حالتك صحية، حالتك صحيحة.

[وفي القرآن وأمره، وما عظّم الله من قدره ما يقول سبحانه: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(الحشر٢١)] أيّن أكبر أنا أو الجبل؟ أيّ واحد من الناس أو الجبل، وأيّن أقسى؟ الجبل وهو صخرات صماء. يقول لك: هذا القرآن الذي ترون أنفسكم أنه لا يؤثر فيكم لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله.

فمن يعظ الناس، من يعلّم الناس إذا ما زال عنده تفكير آخر، منهجية أخرى، علوم أخرى، عنده أنها ستكون أكثر أثراً من القرآن فليرجع إلى الآية هذه. والقرآن هذا هو بالشكل الذي لو أنزل {عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}.

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} فعندما نجد أنفسنا لم يحصل عندنا شيء من خشية الله فلا يوجد خلل في القرآن الكريم؛ لأنه أحياناً جو قد واحد يبحث هنا وهنا! إذا رأى الناس ما عندهم خشية من الله، أو إذا رأى نفسه ما عنده خشية من الله، في الأخير يبحث عن أشياء أخرى! لا. افهم بأن القرآن لا يوجد فيه إشكالية، الإشكالية توجد عند الناس، ترجع لمعالجة الإشكالية عند الناس من القرآن نفسه، من القرآن نفسه لماذا؟ يا إما في أسلوبك أنت وأنت تقدم القرآن، يوجد قصور في تقديمه، أنت تغفل أشياء داخله هامة جداً.

وقد تكون بعض الأشياء من أسباب أن يغفلها الناس مفهوم ناتج عن قراءة أشياء أخرى، أو أصول، أو قواعد أخرى، في قضية أن لا يستفيد الناس من قصة آدم مثلاً، وقصص أخرى في القرآن الكريم، التي تعرض، وعرض فيها نوع من الخطأ لداوود، أو لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لأنه ينطلق بروحية أنه يحاول يستّر على محمد، وعلى داوود، وعلى آدم (صلوات الله عليهم).

فنسي أن يستفيد من قصة آدم، هذه القصة العظيمة الرهيبة التي فيها عبر لأول رجل وامرأة من البشر، أب وأم البشر هؤلاء جميعاً، حول المعصية، وأثر المعصية، وكيف كان الهدى، يعني: فيها نموذج كامل، نموذج أن الهدى يأتي من عند الله كاملاً، وبيّناً.

ألم يقل له: اجلس هنا، لا تقرب هذه الشجرة، لا تأكل من هذه الشجرة؟ {هَذِهِ الشَّجَرَةَ}(البقرة٣٥) أليس هذا تبيين؟ لم يقل شجرة هناك من بعد البلسة تلك وكذاك، أو من الزيتونة الفلانية وكذاك، لا تقربها. فيقول في الأخير بأنه ما درى، أنه ما بيّن له. {وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ} أليس هو يقول: هذه؟ {الشَّجَرَةَ}؟. هذا نموذج، مثل للهدى الإلهي، والتبيين الإلهي أنه يكون بهذا الشكل كاملاً.

في الجانب الآخر الذي قد يكون مصدر إضلال له يقول له: الشيطان، وهو يعرف الشيطان، آدم هو يعرفه، {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}، عدو مبين. لا تصغ إليه، انتبه له، قد يخرجك أنت وزوجتك من الجنة. أنت إذا قاربت الشجرة هذه، وأكلت منها ستشقى، أنت إذا أصغيت لهذا الشيطان سيغويك ويشقيك.

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ}(طه:١١٥) عهدنا إليه، كلمناه، وقلنا له: لا تقرب هذه الشجرة، الشيطان عدو، اجلس هنا، إذا أكلت منها ستشقى و و.. الخ. ما هو هنا يقدم لك أن هدى الله يكون واضح تماماً، لا يغلط الإنسان لقصور من جانب الله على الإطلاق، من جانب هديه.

لكن آدم نسي، مثلنا، {فَنَسِيَ} نسي ماذا؟ نسي أهمية ما قدم إليه، عندما كان يقول له: إن الشيطان عدو لهم، ينتبهون له، لا يغويهم، لا يصغوا إليه. ألم يذكره فيما بعد؟ {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(الأعراف:٢٢).

آدم هو كاره للشيطان لكن نسي أن يتعامل مع الشيطان بحذر ويقظة، ولو قدم الشيطان نفسه ناصحاً كيفما كان، نسي والشيطان يتقلب بين يديه، أنه ناصح له، وأنه ما يريد إلا أن يكون ملَك، ويكون، ويكون.

أحياناً ينسى، لاحظ هذه حالة تحصل عند الناس، يأتي شيطان من البشر، ويقدم نفسه ناصحاً لك في موقف معين، أنه ناصح لك، وما يريد إلا مخرجك، ولا يريد، ولا يريد، ونريد ترجع لفلان، وأنا عارف أن فلان هو عدو الله لكن سينفعك و و. هنا في الأخير تنسى، وتسير بعد الشخص هذا.

ألم يشق آدم عندما خرج؟ إذاً الإنسان شقي في هذه الدنيا بسبب عصيانه لله، بسبب خروجه عن هدي الله، بسبب نسيانه لهدي الله، أنه لا يعطيه قيمة. يعني هو مطلوب من الإنسان أن تكون نفسيته نفسية يقظة، دائماً منتبهاً، حذراً، يقظاً، ما يكون عرضة لأن ينسى، ويأتي أحد من الناس يغويه فينسى الأصول التي يجب أن ينطلق منها في رؤيته لهذا الشيطان الذي يحاول يغويه.

وهذه واحدة منها، أو مثلاً فيما يتعلق بهذه، هذه النقطة الهامة التي في الأخير ننطلق فيها تحت عنوان: عدل الله، وحفاظاً على تنزيه الله، وننسى أصل المسألة: أن تنزيه الله هي قضية كبيرة جداً عند الله.

يعني: هو سبحانه وتعالى هو يقول: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(التغابن:١) طبع الأشياء كلها تكون ما بين مسبح بلسان الحال، والمقال. تكون كل الأشياء تشهد بتنزيهه، فقضية تنزيهه عنده قضية هامة جداً جداً. لماذا تأتي بسرعة زعم انك فارع في الباري! خرجت كلمة من طرف فمه لم ينتبه لها {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}!.

وهنا مثلما يقول في آية أخرى: {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً}(الزخرف:٣٦) وآية أخرى: {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}.

فتكون أنت مشغول تستر على الباري، كلمات تأتي من عنده، احسب انه ما بين ينتبه لها أن فيها مساس بتنزيهه!! هنا تنسى موضوعاً هاماً جداً عندك وعند الآخرين، منهجاً هاماً، وهو أن تذكّر الناس: يا جماعة الإنسان إذا لم يتقبل هدي الله، هذا الذي هو هدى، نور، كذا، كذا، سيكون عرضة لأن يزيغ قلبه، لا يعد ينفع فيه شيء، سيكون عرضة إلى أن يقسو قلبه، سيكون عرضة إلى أن يقيض الله شيطاناً معه، سيكون، سيكون.

{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ}(التوبة١١٥) هذه المنهجية لا نسير عليها نهائياً؛ لأنه حصل مفهوم لها غلط عند المجبرة، ومفهوم قاصر جداً أيضا عندنا نحن العدلية، وتركنا منهجاً هاماً جداً؛ لأنه مثلما قلنا بالأمس: هذه كلها هي تتقدم لك منهجاً في خطابك للناس.

أليس القرآن هدى؟ وأنت تهدي الناس انطلق انطلاقة القرآن. لكن لا تفهم أزاغ الله قلوبهم على طريقة الأشعرية مثلاً، أو المجبرة. ولا تنطلق في التلفيق، والطمرة إلى الآية هذه تحاول أن تغطي عليها، وتأتي من تحت مثلما يعمل العدلية، مثلما نعمل نحن، لا؛ لأنهم أحياناً بلغوا إلى مسألة وكأنه قد هو يحاول أن يعمل أن لا يجي على الباري أثام!.

يا أخي: الباري سبحانه وتعالى هو خارج عن إطار عليه أثام أو ما عليه أثام، نحن نقول من بحين: القضية هذه ليست مقياس إثم أو ما إثم، الله متى ما قال أنه سيفعل شيئاً هو سيفعله، وهو حكيم، ومنزه في فعله، ولن يفعل معصية، ولن يفعل فاحشة، ولن يفعل قبيحاً على الإطلاق، لن يفعل قبيحاً على الإطلاق.

{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ} لاحظ أن الأشياء يكون لها أسباب من عندك {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} فأصبحوا هكذا: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} بسبب ماذا؟ قلوبهم أصبحت قاسية، أصبحت عندهم جرأة على الباطل؛ لأنهم من البداية لم يقبلوا أن يهتدوا نهائياً.

عندما انطلقوا من منطلق: [إذا قلنا هو جعل قلوبهم قاسية إذاً ما عاد جهدهم يطيعوه، فكيف سيعذبهم وهو الذي جعل قلوبهم قاسية!] طيب: الفكرة هذه هي تتقوم على أساس من عند {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} ووراء، لا يتذكرون ما قبلها.

الإمام القاسم يقول: الله يضل، لكن يضل من؟ الفاسقين، الظالمين، وقال في آية صريحة: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ}(التوبة١١٥). أولاً يهديهم، ثم أيضاً بعد ما يكون قد بين الهدى، عندما يقول: {بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ

حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ}أيضاً أن يقعوا في الضلال، ويضلهم. يعمل لهم أيضاً أي حاجة ممكنة حتى لا يضلهم، إذا ما رضيوا يقبلوا أضلهم.

تأتي في الأخير تقول لي: [فكيف سيعذبهم] وقد هو محكوم عليهم بالعذاب من قبل! {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ} نقضهم ميثاقهم. وكلمة ميثاق ما معناها عهد واحد، أو يمين واحد. ما عهد به إليهم، تعوَّدوا على نقض كل ما عهد الله به إليهم، كل ما عاهدوا الله عليه ما وفوا. ألم يصبحوا هنا مستحقين للعذاب عند من يريد يجعل قضية العذاب مقياس؟ مستحقين للعذاب.

عندما يقول: يضل الله الفاسقين، فسقوا فأضلهم، لم يهتدوا فأضلهم. إذا أنت مُدَوِّر بعد جهنم، جهنم أو ما جهنم، عندما يقول لك: فسقوا، ألا يعني أن قد هم مستحقين لجهنم؟ هل ما زال هناك شيء جديد من بعد؟ عندما يقول لك: لم يهتدوا ألم يصبحوا مستحقين للنار؟.

ثم هذه الانطلاقة تقوم على أساس فهم كلمة: ضلال ـ مثلما قلنا أكثر من مرة ـ أنها تعني: المعصية! هؤلاء الذين جعل قلوبهم قاسية يصبحون في ضلال، الضلال بمعناه الواسع في كل حياتهم هذه، وضلال في نفوسهم هم، تقسو قلوبهم، يكونون جريئين على الباطل، جريئين على الفساد... مثلما اليهود. وأشباه اليهود كثير. لا يعد يبالي.

يعني: لا تتصور أن الباري يأتي إلى عند واحد وهو ما زال نظيفاً، وقام يضله. هذه لا تحصل نهائيا. ومن يتحدث عنهم بأنه هو يضلهم هي النوعية التي يقدم إليهم الهدى إلى بين أيديهم ثم لا يقبلونه. هؤلاء يضلهم. والشيطان أيضاً يشتغل من هناك، في جوانب من عنده، الطرق الأخرى، جانب الإضلال. لكن الشيطان ينطلق انطلاقة من على شِق.

الباري ما معناه تحسب كل ضلال في الدنيا إليه هو، الضلال الذي يقول عنه أنه هو يضل، يضل. يبين لك في القرآن بأنه يضل نوعية من الناس، هم الذين يقدم الهدى إلى بين أيديهم، ثم لا يستجيبون، لا يقبلون. فهؤلاء هم محط أن يضلهم، يجعل قلوبهم قاسية، يلعنهم، يقيض شيطاناً لهم مثلما قال هنا: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ}(الزخرف:٣٦) **هو انصرف هو، وعشي بصره عن أن يرى ذكر الرحمن الذي هو القرآن الكريم؛ {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً} هي النوعية هذه.**

فالإشكالات عندما جاءت استشكالات هو يتصور وكأن الباري يأتي إلى عند واحد وهو ما زال نظيفاً، وما عنده أي خلل، وطبع على قلبه، لا، لا تحصل هذه، أو يقيض له شيطاناً، أو يضله، أو يجعل قلبه قاسياً! هذه لا تحصل من جانب الله أبداً إلا لمن كان من عنده أسباباً لهذه.

وهذه عند الإمام القاسم من الأشياء التي يعتبرها ..؛ ولهذا تراه هنا يقرأ الآيات بكل صراحة. هل هو يعلق عليها؟ عنده حل للإشكالية هذه هناك، بل قال في واحدة من عباراته بأنه عقوبة لهم؛ بعد أن يقدم لك الهدى على أرقى مستوى، تفصيل، تبيين، نور، شفاء، ثم لا ترضى تقبل، قال: يجعل لك عقوبة لك أن يضلك، يقسو قلبك، يأتي شيطان معك، في الأخير تتخبط مثلما قال هنا: خبط عشواء.

إذاً نتعامل مع هذه الآيات من هذا المنطلق، لا تنظر إليها بنظرة المجبرة، ولا بنظرة المعتزلة، تذكّر بأنها قضية خطيرة؛ ولهذا المؤمنون الله يحكي عنهم: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً}(آل عمران٨) **يقول لك: الهدى هو من عنده، ثم الرعاية بأن تظل على الهدى، أن تظل على الهدى، وتبقى على الهدى، تحتاج إلى رعايته.**

تكون دائماً ترجو الهدى من الله، وتتخوف على الهدى الذي عندك أن لا تكون عرضة لأن يفلت من بين يديك، تطلب من الله بأنه يرعاك، يحفظك {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}.

ألم يأت بها في إطار الحديث عن مؤمنين نوعية راقية، لو أنه دعاء قلب، وغلط ما من جعله من أقوال عباد مؤمنين، ويصفهم بالإيمان بدرجة عالية.

وهذا لاحظ هذا هو العلاج للإشكالية التي تراها عند الناس، [البهطلة] قل له [بَطِّل]، لا تتبهطل، ليست قضية سهلة، فتّح من أول ما تسمع هدى لكل كلمة هدى، لكل موقف هدى، لكل بصيص نور هدى، يجب أن يكون له قيمة عندك، أو تأكد أنه سيكون مصيرك كهؤلاء، وعرض أمثلة حتى من داخل بني إسرائيل، الذين كان قد اصطفاهم. عندما تأتي آيات من جانبه وما يتأثروا بها، تقسو قلوبهم، وهنا يتحدث عنهم، عن بني إسرائيل: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}.

تكون قد أنت خلاص؛ لأن الإنسان يحتاج إلى الله، إلى رعاية الله الدائمة، وكل المسائل هي تحتاج إلى تسليم من جانبك أنت، ضروري تكون مفتح لآذانك بشكل واعي للهدى.

ثم وأنت تهتدي انطلق بجدية، ويكون عندك أيضاً في نفس الوقت التفاتة إلى الله بأنه يرعاك، يحميك، يحفظك، لا تقع في باطل، لا يزغ قلبك، لا، ...الخ. تحتاج إلى رعاية الله دائماً.

[وفيه وفي خلاله، وما منّ الله به من إنزاله، ما يقول تباركت أسماؤه لمن نزله عليهم كلهم جميعاً معاً: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً}(الرعد٣١)] يقول المفسرون جميعاً: أي: لكان هذا.

هنا يتحدث عن شيء له أثر خارق، أثر يعني بالشكل الذي يكون أكبر مما تتصور. هناك تحدث عن أنه لو أنزله على جبل لتصدع. تصور مثلاً شيئاً تسّير به الجبال، أو تقطع به الأرض، أو تكلم به الموتى. ألست تتصور تأثيرات لشيء من هذا النوع الخارق؟ يقول لك: لكان هذا.

أي هذا هو على أرقى ما يمكن من التأثير، وكله يقول لك في الأخير: ليس هناك تقصير من هذا الجانب على الإطلاق، الخلل عندك، ولتعرف أيضاً بأنك تكون مستحقاً فعلاً إذا لم تقبل هذا الهدى أن يطبع على قلبك، أن يعمي بصرك، أن يضلك، أن يجعل قلبك قاسياً، أن يقيض لك شيطانا [وما بِلاّ جو عادها مَنزل منزل إلى جهنم].

يتحدث عن تأثير القرآن، لو أن قرآنا، أتصور قرآنا تسير به الجبال، يعني تأثير كبير، أو كذا، لكان هذا. أي ليس هناك أرقى من هذا على الإطلاق بالنسبة للبشر؛ ولهذا يقول الإمام القاسم: وحتى الملائكة هناك هم يهتدون بالقرآن.

[أولم يسمع من آمن بالله سبحانه في آيات نزلها من الكتاب: {هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}(إبراهيم٥٢)].

هنا يتحدث عن تأثير القرآن، وعن المجالات التي يتناولها القرآن، هي كل المجالات، وهذه هي من المجالات الرئيسية: {بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ} هذه هي عبارة عامة: بلاغ. {وَلِيُنذَرُواْ بِهِ}عبارة عامة، يعني مجالات واسعة. {وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ} فيما يتعلق بمعرفة الله وهو واسع جداً، معرفة الله واسعة جداً، والهداية التي يهدي إليها القرآن في مجال معرفته واسعة جداً جداً. والتذكر{وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}. هنا أربعة مجالات رئيسية تحدث عنها هي ماذا؟ من المجالات التي يهدي إليها القرآن بشكل واسع. {هَذَا} أي: القرآن.

[وفي مثل ذلك بعينه، وفيما أنزل من تبيينه ما يقول سبحانه: {هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}(آل عمران١٣٨)].

فعندما يرجع الإنسان إلى هذه الصفات الهامة، وهذا الشرح الهام عن القرآن الكريم، يعني: إذاً فالقرآن هو الذي يجب أن نتحرك على أساسه، ونهدي به، ونهتدي به، ونرشد به، ونتثقف به.

وهل بالإمكان أن تفترض أنه ما يزال هناك شيء أكمل منه؟ لا، لا يعد ذلك ممكناً. إذا كان يوجد شيء هناك، في مسيرة الحياة، في متغيراتها، هو مصدر هداية فلن تهتدي به إلا من خلال رؤية قرآنية، فيكون امتداداً للهدى القرآني، امتداداً لهدى الله في القرآن الكريم.

عندما يقول: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ} (فصلت٥٣) أليس هو هنا يتحدث بأنه متغيرات كثيرة، تكون عبارة عن شواهد على حق، عبارة عن شواهد على مصير مظلم؛ لأمة كانت على نحو معين. فالقرآن الكريم هو يهدي بشكل واسع إلى ما يعتبر امتداداً لهدايته، إلى الآيات الكونية. هو يهدي إلى الآيات الكونية.

إذا ما هناك اهتداء بالقرآن تأتي المتغيرات من حولك، والآيات من حولك، وما تنتبه، ما تراها، ما تعتبر بها، بل يحصل فهم لها قَلْب. مثل النوع الأول الذي حكاه عندما يكون واحد قد صار يمشي بالمعكوس.

تأتي متغيرات رهيبة. نحن نقول: المتغيرات هذه التي تحصل في السنين هذه المتأخرة، يعني أحداث نحن نشاهدها، ونشاهد أهلها، ونشاهد الأطراف فيها، أن هذه فيها أدلة واسعة جداً جداً على قضايا كثيرة جداً، فيما يتعلق بالاعتقادات، فيما يتعلق بالمفاهيم، فيما يتعلق بالرؤى، هي مدرسة، لكن إذا أنت تنظر إليها من خلال النظرة القرآنية ستعرف وإلا فستقول في الأخير: دنيا، هذا لطم هذا فقط، وتغمض عينيك مثل المغمضين، [وهذا حال الدنيا هكذا الناس يتلاكموا فيها، وفكّه من يوم القيامة] ما هو مهتدي بواحدة من هذه.

هنا يتحدث القرآن الكريم بأنه أحياناً يترك من آثار الأمم الماضية، يحافظ هو على آثار معينه من آثارهم؛ لتكون آية {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (العنكبوت٣٥) يتحدث في سورة [العنكبوت] أذكر آية، أو آيتين، تتحدث بأنه هو يحافظ حتى على آثار معينة؛ لتكون آية، يحافظ على باقي بيوتهم، على باقي معالم من عندهم.

هكذا؛ لأنه الآيات الكونية هذه الآيات كثيرة جداً جداً فهي مدرسة، مدرسة واسعة، لكن مفتاحها من خلال القرآن، من خلال القرآن، فالقرآن هو سيعلمك كيف تهتدي بها، والقرآن هو سيشرح لك كيف كان مصير أهلها، ولماذا صاروا إلى هذه العاقبة السيئة، القرآن الكريم.

{هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} يقولون: [فإن قلت] بتحصل تفسيرات من هذه، وهذه إشكالية عندما يقول لك: بيان، وهدى، وموعظة للمتقين [قد هم متقين فماذا بقي من فائدة؟] هذا تساؤل يطرحه [الزمخشري] من عند أول سورة [البقرة] {لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة٢) قال: مشكلة هذه قد هم متقين فكيف عاد تقول لي هدى؟. هي من هذه النظرات التي تكون محدودة جداً؛ لأن كلمة هدى قد هي عنده قاصرة، والتقوى تعني عنده مجرد أداء العبادات هذه.

[المتقون هم من سيهتدون بهذا القرآن ويتعاملون مع هداه بكل جدية] بدون إهمال، بدون تقصير، بحذر، بيقظة. المتقون عمليون، عمليون دائماً، متحركون بحركة الحياة، وفي مجالات الحياة كلها، وعندما تتحرك تتلمس بأنك بحاجة دائماً إلى هدى الله، هدى متجدد، هدى؛ ولهذا نقول: بأن القرآن حتى فهمه لا تتصور أن بالإمكان أن تجلس في زاوية وتفسره وانتهى الموضوع. لا، بالحركة في الحياة.

وسورة [الفاتحة] تشهد بهذا، كل يوم نقول: اهدنا، اهدنا، أليست إنشاء؟ لأن الإنسان في مسيرته في الحياة يحتاج إلى هداية الله الدائمة، الدائمة. أنت أمام المتغيرات هذه، الفتن، المواقف، الأشياء الكثيرة تحتاج إلى هدى الله فيها. لاحظ الآن ألسنا بحاجة ماسة إلى هدى الله؟ إذا أنت تتحرك في مجال في الأخير تتلمس بأنك بحاجة إلى هداية من الله داخل هذا المجال.

لكن قد هم يتصورون الهدى هناك أن معناه مثلاً التعريف بأن الله واحد لا شريك له، وتعليم العبادات. وقد هم يؤدونها، وقد وحدوا الله، قد هم يؤدونها، قد هم متقين فلماذا يقول: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}؟!.

هو يقول: هدى للمتقين؛ لأن المتقين هم من سيهتدون به، المتقون هم أصحاب حركة دائمة، ونفوس يقظة دائماً، نفوس متحركة دائماً، دائما في الحياة كلها. فالقرآن هو حركة دائمة، وموعظة دائمة، كل يوم، كل يوم. يـأتي في الأخير يقول لك: [فإن قلت].

لا توجد إشكالية عندما يقول: {هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ} للناس لا بأس، ما قـد هـم متقين، لا توجـد مـشكلة، لكـن المشكلة عندما يقول: {وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}. عندما تقول: فما قيمة هذا؟ قال: لأن معنـى هـذا أنهـم قـد يكونون هم أكثر استفادة، أو تأثراً به، أكثر! هكذا؛ لأنهم سيستفيدون أيـضاً مثلمـا قـال هنـاك: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى} (الأعلى١٠)!.

المتقون هم يهتدون به فعلاً باستمرار، ويتعظون به فعلاً باسـتمرار، ويعطـيهم هـدى، ويعطـيهم موعظـة يوميـاً يومياً.

القرآن عندما يتحدث عن المتقين في موضوع الاهتداء، هو يتحدث عن المتقين في جوانب أخرى، تجـده يقـدمهم ناس عمليين، حركيين، يعني: أن التقوى هي حالة تخشى، تخاف، تخاف من الله، تخشاه؛ فأنـت تحـرص علـى أن تقي نفسك من كل ما يمكن أن يجلب عليك سخطه، أو غضبه، أو مقته، أو عقوبته في الدنيا، وفي الآخرة. فأنت تنطلق في كل المجالات سواء يكون واجب، أو مندوب، أو كيفما كان أمره، تتحرك فأنت هنا تهتدي به باستمرار.

والاهتداء هنا ليس معناه يقريني اليوم شروط الوضوء، وغداً يقريني شروط الوضوء، وبعده شـروط الوضـوء! ليست هذه، هو يدلك على سعة مجالات الحياة، سعة مجالات الدين التي تحتاجها أنت، سعة مجال حركتك، سـعة مجال حركة المتقين في هذه الدنيا.

يعني: افترض مثلاً المتقين يرون أن من واجبهم أن يجاهدوا في سـبيل الله، المـتقين يـرون أنـه لا بـد أن يكونـوا مجاهدين في سبيل الله، يكافحون أعداء الله، يزيحون أعداء الله، يعملون على إظهار دين الله في الأرض كلها.

هذا مشروع كبير. أليس مشروعا كبيراً للمتقين؟ أليس مشروعاً يستغرق عمر أي واحـد مـن المـتقين وزيـادة؟ إذاً أليس مشروعاً سيكون ذهنه دائماً متحرك فيه، تخطيطه تـدبيره، طلعة نزلة، أشياء من هذه؟.

ثم يرى في هذا الموضوع كم من الوسائل يحتاج إلى استخدامها: زراعة، صناعة، تجارة، تثقيف، وسائل متعـددة، كم يحتاج إلى استخدامها؟! في الأخير أنت تـرى أمامه، أمامه أعمال كثيرة جداً جداً، مشروع كبير. هذا هو مشروع متقين، أليس مشروعاً من مشاريع المتقين قدمه القرآن؟.

إذاً هو يحتاج إلى هداية الله الدائمة فيه، في عمله هـذا الواسـع، يحتـاج أولاً إلى هدايـة الله في كيـف يكـون جديراً، أن يكون ممن يتحرك في هذا المشروع أولاً، وهذا موضوع واسع جداً، وموضوع كل حديثنا مـا هـو حولـه؟ هل نحن الآن في إيطاليا، أو أين نحن؟ ألسنا في اليمن ما زلنا في بيوتنا؟ لكن تـرى أمامك موضوع واسع جداً جداً هو موضوع كيف يكون الناس، وكيف نكون بشكل نصلح لأن نكون مجاهدين في سبيل الله، وأن يكون معنا.

ثم تـرى كم أمامك من مفاهيم مغلوطة، نظرات مغلوطة، كم أمامك من إشكاليات! كم أمامك من وسائل نحتاج نـربي أنفسنا عليها، ونربي أولادنا. ميدان واسع جداً. هنا في كل قضية، في كل مجال، تحتاج إلى هداية الله فيها.

فتكون اهدنا الصراط، التي نقولها كل يوم، اهدنا، اهـدنا، تـوحي لـك فعـلاً أن الحركـة في الحيـاة هـي بهـذا الشكل، الحركة المتجددة، الدائمة، هي تحتاج إلى هداية متجددة دائمة.

الآن يوجد خلط، الذين يسمونهم: عبّاد هم المتقون، والمتقون هم هؤلاء!. هذا هو خلط في المفهوم. يعني: يوجـد الآن كثير من العبّاد تقطع على أساس القرآن الكريم أنهم ليسوا متقين، ليسوا متقين، ونحن قلنا من بحـين: إذا أنت تتأمل القرآن تجد أننا عندما نسمي بعضنا بعض أولياء الله ليس صحيحاً، مـا قـد وصـلنا إلى درجـة أوليـاء الله، متقين، ما هو صحيح.

لاحظ المتقين كيف هم في القرآن الكريم، والتقوى من أين مبعثها، من أين منطلقها؟ حالة من اليقظة، حالة من الشعور بالمسئولية. فالذي يحاول بطريقة التبريرات يجلس يدافع، ما يريد، ما يريد، ما يريد. هذا ما عنده روح تقوى، ما هو متقي. يتحدث الله عن المتقين في آيات أخرى: سباقين للخيرات، يسارعون.

{هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} لاحظ من موضوع معرفة الله لوحدها. لما رأى الرجَّال أنه قد تلك معرفة الله قد كمّلناها، كمّلناها، قد قرأنا الكتاب الفلاني وانتهى الموضوع. ماذا عاد فيها من هدى لمثلي، وقد أنا داري بما يتعلق بمعرفة الله؟! طيب معرفة الله واسعة جداً جداً، تحتاج إلى هداية الله فيها بشكل واسع جداً.

[ويقول سبحانه وتعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}(النحل٨٩)] هل لدينا أشياء ما تناولها القرآن؟ طيب عندما يأتي يقول لك، لاحظ من العجيب، الذي يقول لك: أن القرآن لا يكفي!. عندما تتأمل تجد مفهومه للعلم محدودا جداً، العلم صغير، قليل، قليل، العلم هذه المنهجية التي نقرؤها، الكتب التي نقرؤها فيما تعطيه من علم، فيما تتناوله من مجالات، من أشياء. لأن ما سعة المجالات هي بسعة الكتب، ما سعة المجالات بسعة الكتب.

ترى رصات من الكتب تجد مجالاتها، محتواها، الأشياء التي تتناولها، أنت تعتبرها تبيانا لها محدودة جداً. مع هذا نقول بأن القرآن لا يكفي! أول شيء يجب أن تفهم أن الأشياء التي ما بين يديك يتناولها محدودة جداً، وبالغلط يتناولها بشكل مغلوط.

لا، الله يقول في القرآن الكريم: {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} ما يكون عندك أن قد عندك كل شيء، وبين يديك المجالات كلها، ويبدو أن القرآن ما تناول إلا سبعين في المائة منها مثلاً. لا، بل يجب أن تفهم أن القرآن الكريم ما يزال تبياناً لمجالات كثيرة جداً، لأشياء هي غير معروفة لديك، ولا ما بين يديك يتناولها، ولا هو حولها، وقد عندك أن كل الأشياء هي هذه!

لكن لا، أول جهل أنك تجهل بأنه ما يزال هناك مساحة واسعة من الأشياء هي محط تبيان من جانب القرآن الكريم ليست في ذهنيتك، عندك العلم هو هذا[الأخ العلامة] هو هذا، وهي ليست عندهم سوى مجالات محدودة فقط، والأشياء لديهم محدودة بشكل نقطة واحدة. مثلاً كل ما نقرؤه حول موضوع مثلاً معرفة الله، أليست هكذا؟ تجد ما يتناول الموضوع من معرفة الله، من خلال القرآن الكريم أشياء محدودة.

تجد أنه ليس محسوباً داخلها معرفة ماذا يعني أن الله ملك؟ ماذا يعني أن الله إله. هذه ليست ضمنها! فقط معرفة أنه لا يرى، ليس كمثله شيء، لا يجبر العبد على معصية، وأن الله خلق الإنسان مختار، وأنه من أدخله النار لن يخرجه منها، وصادق الوعد والوعيد، يعني إذا وعد بجهنم صدق، وإذا وعد بالجنة صدق.

نقاط أليست نقاطاً محدودة جداً؟ تجد القرآن الكريم معرفة الله واسعة جداً جداً، أي هناك مجالات ليست مصنفة عندك ضمن معرفة الله، في تلك الأشياء التي تعتبرها علم معرفة الله، وأول ما يجب على العبد أن يعملها، وموضوعها أشرف المواضيع، وأشياء من هذه. لا، هذه المجال فيها محدود جداً، وقاصر جداً، ومسائل محدودة جداً.

باقي، القرآن يتناول أشياء كثيرة جداً، في موضوع معرفة الله، وهكذا نقيس عليها أشياء أخرى. وفي الأخير يظهر لك أن ما لدينا نحن نعتبره أشياء، وقد هي كل الأشياء، وما هي أشياء، في الأخير يأتي أشياء في الحياة، في حركة الحياة، وليس معنى حل لها.

مثلما هو الآن حاصل. أليس الناس كلهم الآن عاجزين، وأنك تلمس أنه اعتمت عليهم المسألة في مواجهة أمريكا وإسرائيل؟ والعدو هذا الذي ... خلاص عُلمَانا أعلنوا بياناً [ونحن عاجزون عن عمل ما يجب علينا] إذاً قل أنه باقي أشياء كثيرة جداً، ملايين الأشياء، ما هو داري بها، القرآن قد تناولها، وقال: {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} لماذا ترى

نفسك عاجزا، وترى الدنيا مقفلة، ترى الأشياء ما عاد عرفنا من أين نأتي لها بعضهم يقول: التطمت! ما هو هكذا؟ التطمت هذه الدنيا، ولا عاد عرفنا كيف نعمل.

إذاً معنى هذا: أن هناك أشياء كثيرة جداً أنت لا تعرفها، أو تحاول أن لا تعرفها القرآن الكريم هو تبيان كامل لها، أو أنها ليست أشياء هذه؟ أليست تعتبر أشياء؟ أشياء من كبار الأشياء، من كبار الأشياء، وليس فقط من الغوامض.

يعني: قل له: الله يقول في القرآن الكريم: {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}ونحن معنا أشياء الآن واضحة، معنا أمريكا وإسرائيل متوجهين إلى العالم الإسلامي لاحتلاله، وطمس معالمه الدينية، هويته الدينية، تغيير ثقافته، تغيير أنظمته، تغيير مناهجه التعليمية، السيطرة على ثرواته. أليست هذه أشياء؟ أشياء جبال، ليست من الغوامض.

قل لي فكرة مواجهة هذه، هل هي أشياء؟ أو تحتاج إلى أشياء؟. إذاً لماذا القضية عندك مطموسة؟ لأن هذه الأشياء كلها أنت لا تحاول أن تنطلق في الشيء الذي قد ترى من خلاله تبياناً. إذاً هي أشياء بالتأكيد القرآن مما بيَّن كيف يكون الموقف معها، المواقف، تفاصيل المواقف، تفريعات المواقف، النظرة إليها. هذه أشياء يتناولها بشكل كامل. أليست هذه أشياء؟ شخّص لك هؤلاء الأعداء ماذا يريدون، وماذا يمكن أن يعملوا، وماذا يهدفون إليه، وكيف سيكون مصير الناس؟ أليست هذه واحد من الأشياء؟.

يبين لك كيف يجب أن تكون في مواجهتهم. أليست هذه أشياء من الجانب الآخر، يعني يشتغل في الموضوعين، يبين بيان لكل شيء {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} وضح لك العدو إلى درجة يقول لك حتى بطبيعته: أنه في الأخير لو تدخل معه في مواجهة هو من النوع الذي يُهزم ويُذَل{ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} ألم يقل هكذا؟ {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ}(آل عمران١١١) أليس هنا يبين أشياء؟ يبين نفسية العدو؟ واقع العدو؟ قدرات العدو؟ أساليبه؟ نظرته إليك؟.

يبين حتى نظرته إليك، حتى مشاعره نحوك {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ}(البقرة١٠٥) {وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ}(النساء٤٤) أليس هو هنا يبين؟

....

هذه الأشياء نصفّر عليها كلها! ألسنا نصفر عليها كلها؟ إذاً معنى هذا أنه يوجد خلل في ثقافاتنا تخلي معلوماتنا محدودة جداً، ونظرتنا إلى الدين محدودة جداً، وإلى المجالات التي يجب أن يتناولها الدين محدودة جداً، إنما في الأخير نكبر [علاّمة] للمبالغة، عالم، ثم نسميه علامة، ما بلى مبالغة لفظية من عندنا، أما مبالغة حقيقية، معرفة واسعة، لا توجد، لا توجد.

لو هو يستحق اسم علامة لكان فاهم لـ{تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} في الأشياء الكبيرة التي يراها أمامه، ما هو يأتي يعلن لي في بيان، ويعلن في الميكرفون: [ونحن عاجزون عن عمل ما يجب علينا] هل هذا تبياناً؟ أو منطق قرآن؟ لأن عاجزون أليس معناها أشياء؟ في أشياء، أشياء كثيرة.

رأى أشياء ما اتضحت له، ورأى أشياء أخرى، ما عرف أنها قد تكون معالجات ووسيلة لصد العدو هذا. في الأخير أعلن تبياناً لماذا؟ للعجز، ونحن عاجزون!.

{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}هل الأشياء التي في حياة النبي فقط؟ لكل شيء في مسيرة الحياة.

عندما يقول لك مثلاً: لا بأس تبيانا لكل شيء، لكن ما وجدناه ذكر الصلاة بالتفصيل كم ركعاتها! ما هو قد يقول هكذا؟ نقول له: اترك القضية على جنب، تعال معي ننظر إلى الانطلاقة الأخرى التي لم تقم على أساس هدي القرآن. أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) صلّى؟ تعال قل لي كيف قدمها المسلمون هذه الصلاة، يوم انطلقوا هم. ألم يقدموها لنا مشكّل؟ ناس يرفع، وناس يضم هنا، وناس يضم هنا، وناس يعمل كذا، وناس يعمل كذا، و ... أليست منوعة؟.

الآذان حتى الآذان منوّع، ألم يصبح التطبيق الذي عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ضائعاً؟ أصبح ضائعاً؟ فعلاً ضاع من خلال ما بين أيدي المسلمين، وكل فئة قدمت نموذج معين. أليس معنى هذا أنه في المجموع جهل التطبيق الحقيقي، الممارسة الحقيقية للدين الذي أداها بما فيها أذانه، الآذان نفسه ناس يقول: الصلاة خير من النوم، وناس يكبر أربع مرات، وناس يقولون: حي على خير العمل.. طيب وهو كان يؤذن.

لكن هداية القرآن هي كانت بالشكل، وما تزال بالشكل الذي لا يصبح شيء من هذا التطبيق محط إشكال، ولا غائب، لو تمسكوا بالإمام علي مثلاً، والأمة سارت بمسيرة الإمام علي، أليس الإمام علي يعرف كيف كان يصلي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ما سيكون أداء الإمام علي لصلاته، وصيامه، وحجه، وكل عباداته، وكل مواقفه، هي نفس التطبيق الذي قام به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

إذاً ما سيكون موقف الإمام علي هو تبيان واضح للتطبيق؟ فتكون الأمة تمشي على طريقة واحدة، وما هناك إشكالية، ولا خبصه؟. ومن التبيان، من التبيان أنه يهدي إلى العَلم الذي هو أعلم بالمسيرة التي كان عليها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فتسير الأمة على منهج واحد، وطريقة واحدة، وما هناك اختلافات، ولا هناك شيء.

وهي نفس الصلاة، ونفس الحج، ونفس العبادات، ونفس المواقف، أليست الصورة ستكون أبين من الصورة التي نحن عليها الآن؟ الصورة عن الدين يوم طبقه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست الصورة ستكون عن هذا الطريق أبين، وأوضح من الصورة التي عليها المسلمون الآن؟ ناس يكبر كذا، وناس يصلي كذا، وناس يصوم إلى وقت كذا، ويبدأ من كذا، والحج..الخ.

أليس هناك اختلافات في كل قضية؟ أي: المسالة من حيث هي ليست بيّنة! أليس معناها هكذا؟ وإذا كان الآذان الذي كان يؤذن به كل يوم عدة مرات جهراً لم يعد بيّناً عند المسلمين، ناس يقول: الله أكبر أربع مرات، وناس يحذفون حي على خير العمل، وناس يأتي بالتثويب بدل، وناس يقولون: حي على خير العمل! وهو أذان واحد.

أي: أن من التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله؛ فيكونون هم وسيلة تبيين، هم أنفسهم، ولن يكونوا عبارة عن رقم ثاني، نحن نقول لكم من أمس ما هناك رقم ثاني، تبيين في إطار القرآن الكريم.

عندما يقول لك: لكن كم عدد ركعات كذا؟ قل: يا أخي القرآن في تبيينه يرشد إلى علي، وعلي سيبين لك الصلاة التي صلاها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وانتهى الموضوع. أليس هذا بيان؟ لكن ما مشينا على هذا البيان، ما الذي حصل؟ ألم يحصل اختلاف؟ وحصل تضييع للتطبيق؟ ضاع التطبيق الذي قام به رسول الله في حياته في وسط الغاغة هذه.

[ويقول سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}(النحل٨٩)] المُسلّمين أنفسهم لله، المسلّمين أنفسهم لله، بشرى، لاحظ كلمة: بشرى، هي تتنافى مع مسألة النظرة المعتمة إلى الدين. بشرى في الحياة نفسها، والقرآن الكريم ذكر أمثلة للبشرى هذه.

عندما يكون الناس ينطلقون في حركة قرآنية، وعلى هدي الله يجدون أشياء كثيرة تطمئنهم جداً، ويرتاحون لها جداً، بشارات بنجاحات في أعمالهم، بشارات بأن مواقفهم صحيحة، بأن حركتهم ثابتة، بشارات بأن الله معهم. مثلما ذكّر بالمطر في بدر، مثلما ذكّر بالرياح في الأحزاب، مثلما ذكّر بالملائكة في بدر، مثلما ذكّر بكذا .. أليست من هذه بشرى؟ بشرى هنا في الدنيا، وتبشير بالعاقبة، بالجزاء العظيم في الآخرة بالجنة {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}(يونس٦٤).

لكن الذي لا يمشي على هداه، يكون كل مرة والتطمت عليه، كل مرة وعرف أنه تورط، أنه قلعب على نفسه، أنه غلط، وهكذا، فتكون النتيجة شؤم، تكون نتيجة أموره في الأخير تطلع شؤم، تسيئه، تسوء وجهه، مقابل البشرى، هنا هو يقول لك بشرى.

[فجعله سبحانه تبياناً] تبياناً، لاحظ كلمة: تبياناً، هي أيضاً أبلغ من كلمة بيان، تبيان: بيان واضح، القرآن استخدم أرقى، وآخر ما يمكن تَمَلّكه من تعبير عن الوضوح، النور، الهدى، الشفاء.

ما هو حتى قضية يقول لك: الهدى فيه إنما فقط يأتي أحد يكتشف أنه هدى. هو يقول هو عن نفسه أنه نور، ويضرب أمثلة لهذا النور.

[فجعله سبحانه تبيانا لكل شيء] أحياناً يرجعون إلى مسألة: كل شيء هذه، نتيجة النظرة القاصرة، ويفسرونها مثل تفسير: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} يعني: فسروا منطق عربي هكذا أحياناً يأتي بعبارة: كل شيء، والمقصود منه الأشياء التي تناولها هو، والأشياء التي تناولها هو، يعني الأشياء التي قد هو يفهم الدين أنه تناولها، بالنظرة القاصرة هذه.

يقول في بلقيس عندما حكى عنها: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} (النمل٢٣) ليس معناها من كل شيء في السموات وفي الأرض، معناها من كل شيء من الأشياء التي عادة تكون متوفرة مع الملوك [تغدينا عند فلان قدم لنا من كل شيء] أليسوا يقولون هكذا أسلوب؟ يعني من الأشياء المعروفة المعهودة أن تقدم للضيف على طعامه في عرف البلاد الفلانية، أو في نوعية الطبخ والغذاء عندهم. وقد هو يريد يرجع إلى القرآن بهذه! و{تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} يعني من الأشياء التي تناولها، قد نظرته هو قاصرة إلى الدين، والمجالات التي يتناولها، أن معناها: كل شيء، هذه الأشياء، فقط جاء على سبيل التغليب بعبارة تشبه عبارة: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ}!

لا، {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} مما يصح أن يقال له شيء، بدءاً من الله الذي معرفته رأس كل شيء، معرفة يعرِّفه بشكل يكون لها اثر كبير جداً، معرفة شبه كاملة. فهو تفصيلا لكل شيء، هدى، تبياناً، لكل شيء.

طيب: كلمة شيء حتى نعرف أنها فعلاً تتناول الأشياء هذه، نحن قلنا قبل فترة: أن الدين له علاقة - في الأخير - لدرجة أن يتحكم في تصميم بيتك، في التصميم الهندسي لعمارتك. الفارق مثلا ما بين تصميم البيوت للسكن مثلا في البلاد الإسلامية وفي الغرب أنت تلمس أثر هنا للثقافة.

ألست هنا تصمم البيت على أساس أن يكون فيه شقتين، شقة معزولة للنساء، هناك بالمطبخ بالحمام بكل حاجاته على جنب، ومدخل من هناك، وشقة هنا خاصة بالرجال ومدخل خاص.

الغربيون لا يصممون بهذا الشكل، يصمم لك بيت يكون واسع، حجرة وسيعة، كنب هنا، وكنب هنا، امرأة تخرج من هنا، وتدخل من هنا، وتطلع من هنا، وباب من يأتي يدخل منه.

إذاً ما هنا قضية الدين في الأخير يتناول حتى الإنفاق في منزلك، نوعيته في مرحلة معينة، كميته {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} (الفرقان٦٧).

إذا أنت تتصور بأن القرآن مثلاً ما يقدم قائمة من الأغذية، هو يهديك إلى مسألة، المسألة هذه هي تحكم أن يكون واقعك على النحو الفلاني، وهو هذا الهدى، يحكم أن يكون واقعك في إنفاقك، في تصرفاتك على النحو الفلاني.

فالمؤمنون عندما يكونون متقين، يتحركون، ويهتمون، ويعرفون أن الحركة تحتاج إلى مال، سيكون هو شخصيا عندما ينفق في بيته لا يوجد عنده إسراف؛ لأنه يريد الفائض على أقل تقدير ينفق النفقة المتوسطة، لا إسراف ولا تقتير؛ لأن عنده قضية يريد أن يوفر لها، عنده عمل يتحرك فيه في سبيل الله يوفر.

هي هكذا أحياناً بهذا النوع، إذا أنت تقول ما هناك قائمة، تقول هل هدى إلى موضوع الاختراعات هذه؟ أقول لك: نعم هدى إليها بطريقة إن لم تكن قائمة، يذكر لك كذا: اعمل، واتجه إلى كذا. الحياة هي طبعت فيها الأشياء، في الحياة أشياء كثيرة من الكنوز، من المعادن، ولها خواصها، ولها كذا.

حاجيات الإنسان واسعة من جانب، المسئولية التي ربطك القرآن بها تفرض عليك أن تتحرك في كل هذه المجالات، أن تصنّع، أن تزرع، أن تعمل على أن يكون لديك خبراء، أن يكون لديك مهندسين، أن تهتم ببناء أمة متكاملة. أليس القرآن هدى إلى هذه؟ يكون عندك خبراء يشتغلون في كل المجالات، ويبدعون، ومعاهد، معاهد، بحث، دراسات، تمويل للبحث من أجل ماذا؟ أنك تريد أن لا يسبقك الآخرون إلى شيء، تكون أنت من تملك الخبرة، من تملك الصناعة، من تملك الاكتفاء، في زراعة، في غيرها.

وتجد في كل واحدة من هذه تلقى الله فيها، عندما يتحركون في أي مجال من المجالات يتلمس التأييد الإلهي، يتلمس البركة الإلهية، يتلمس البُشرى التي قال هنا: {وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} يتلمس أيضا مظاهر معرفة الله، مظاهر قدرته، مظاهر رحمته، مظاهر رعايته، مظاهر تدبيره، مظاهر... الخ.

فالدين هو يملأ الحياة، يملأ الحياة بكلها، والتبيين لا يعني أن يعمل لك قائمة تفصيلية بأسماء الأشياء بالتحديد، هو يبين لك كيف تكون، يهديك إلى كيف تكون هذه الأمة، ماذا ينبغي أن تعمل. ومعلوم بأنه حتى في الصناعات ألا يكون فيها ما تسمى قواعد؟ فهو يهدي إلى أبواب من المعرفة، تهدي إلى معارف من هذا النوع، تهدي إلى بناء للأمة في كل المجالات. هذا هو التبيين.

[تبيانا وحجة على من فسق وكفر، وهدى ورحمة وموعظة لمن اتقى وشكر.].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس الثاني]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٩/٥/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[هناك شبه تأتي حول القرآن الكريم، لكننا نلاحظ أن الكثير ممن يتصدرون للرد عليها، لا يمتلكون القوة التي] يهاجمون بها الآخرين، قد يكون بالطبع الظاهر الذي يظهرون فيه كونهم متولين لأبي بكر وعمر وعثمان، أمام شبه كثيرة تأتي من قبل الآخرين، معظمها مرتبطة مثلاً بأبي بكر أو عمر أو عثمان، عثمان في كونه حرق المصاحف. أليست هذه قضية محرجة؟

طيب: فهنا تكون إشكالية كبيرة عنده، ضَعُف، لن يجرؤ أن يناقش القضية، ويعرف عثمان، ويمكن ولو يتكلم على عثمان نفسه.

الشبه، هي مرحلة شبه، والشبه ربما لن تكون فقط في داخل أروقة جامعات، أو مراكز علمية، قد تكون ربما شبه تأتي على الشاشات، من على الشاشات، من التلفزيون، والإنترنت، وغيره. كم يقولون يوجد داخل الإنترنت صراع، مواقع حرب، مواقع صهيونية، ومواقع أخرى، في صراع حول القضايا هذه.

شبه حول القرآن مثلاً أنت بحاجة أن تعرف من خلال تأملات في القرآن الكريم، من خلال أن تثقف نفسك ثقافة قرآنية، تفهم كيف لغة القرآن بالنسبة للطرف الآخر، كيف تنشأ الشبهة عند الطرف الآخر. أولاً كيف تنشأ الشبهة، وما منشأ الشبهة؟ هل القرآن كتاب يقول مثلما يأتي يقول لك أي منجم: [ما هو نافع لك إلا إذا قد بدأت أولاً تؤمن تماماً به أنه كذا كذا] فيكون هذا في الأخير تأثير نفسي؟ ألا يبدو هكذا أحياناً؟.

هذه قضية ليست منطقية عند آخرين، أقول لك: إشكالاتك أنك أولاً صدق به تماماً، صدق به تماماً، وفي الأخير سترى أنه لا يوجد إشكال. لا، تحدث عن منشأ الإشكال، هو فقط القرآن يريد منك نظرة موضوعية، نظرة موضوعية أولاً، إذا ما عندك نظرة موضوعية، إذا أنت متحامل فمنشؤ الشبه هو كونك متحامل، أنك لا تنظر نظرة موضوعية، لا تنظر نظرة منصفة.

هذه القضية مسلّم بها في الجدل، أنها من الأسس التي كل طرف يطلبها من الآخر، أليس كل واحد يطلبها من الآخر؟ يا أخي: أريد أن تكون أنت منصف، تكون موضوعي. والآخر يقول له: يا أخي أنا أريد أن تكون أنت منصف وموضوعي. أليسوا يقولون هكذا؟.

القرآن هو يريد هذا، خليه ما يريد يكون منصفاً، ما يريد يكون موضوعياً، أنت يكون عندك فهم كيف تضرب ما يمكن أن يقدمه من شبه، سواء قدم نفسه موضوعياً، أو ما قدم نفسه موضوعياً.

طيب: المرحلة التي نحن فيها الآن مرحلة إيجابية، مرحلة هامة جداً؛ لا يوجد فيها شيء ضاغط، قد تفرض علينا منطقاً معيناً، قد تفرض علينا منطقاً مؤطراً بإطار مشكلة معينة.

هنا فعلاً تستطيع أن تقول: أنت تريد ثقافة قرآنية، تقدم ثقافة قرآنية، وتستطيع أن تقدمها بالطرح المتكامل، تستعين بما يوجد من شواهد حولك في واقع الحياة. أليس هذا شيء؟

لكن لو تأتي وقد هناك وضع ضاغط عليك. مثلاً أن تصبح مثلما أصبح اللبنانيون محتلين، في الأخير يختلف المنطق، يفرض عليك من خلال وضعية معينة أن تؤطر أطروحتك بإطار معين، فيظهر عندك خلل، يظهر عندك خلل في جوانب هنا، وجوانب هنا، تصبح أنت تعيش في أجواء ضاغطة.

الوضعية التي نحن فيها الآن من أرقى، وأفضل الوضعيات على الإطلاق، يعني بعبارة أنه هكذا على الإطلاق أرقى وضعية بالنسبة لك. شواهد من حولك، وكلها ليست بالشكل الذي تكون ضاغط عليك، بالشكل الذي يحكم منطقك في إطار معين، يعني فأمامك مجال لتأهيل نفسك، أمامك مجال لتفهُّم الموضوع بشكل كامل، أمامك مجال لتقدم طرحاً إسلامياً عاماً.

الآن يوجد إشكالية، أليست هناك إشكالية بالنسبة للمسلمين الآن؟ يوجد إشكالية كبيرة جداً، مثلاً قد نقول: بأن كل بلد مؤمن بأنه يقاوم الاحتلال، أليست هكذا؟ في لبنان مقاومين الاحتلال، ومؤطرين أنفسهم بإطار مقاومة

احتلال. في العراق قد يكونون بهذا الشكل، في فلسطين هم بهذا الشكل، في أفغانستان قد يكونون بهذا الشكل، وفي أي بلد آخر قد يكونون بهذا الشكل.

طيب: هذه الحركات نفسها هي قد تُفرض عليها وضعية تؤطر منطقها،و تؤطر أسلوب عملها؛ فتراها في الأخير ليست حركة، هي تؤمن هي بأنها حركة لا تقدم الإسلام بالشكل العام في الساحة. أليست هذه واحدة؟.

إذاً في الأخير ظهر لك خلل هنا، وخلل هنا، وخلل هنا، وخلل هنا. الكل مجموعة حركات هنا، وهنا، والإسلام بطرحه العام، باستشهاداته العامة، لا يوجد، لا يكون حاصلاً.

لاحظ مثلاً كمظهر لهذا متى سمعنا مثلاً من أي حركة من الحركات هذه التي أصبحت محكومة، و مؤطرة بواقعها أنهم يقولون للأمريكيين: أنتم تأتون أنتم تعطون لأنفسكم شرعية أنكم تدوسون العالم كله هذا، وتغيرون أنظمته، وتغيرون ثقافاته! نحن لنا شرعية أن نتحرك نفس الحركة. هل أحد يقول بهذه؟!.

يأتون يقولون: نحن لنا حق أن نقاوم، ونحن مقاومون، ولي حق أن أقاوم عن وطني، وعن تربتي، وعن، وعن، عن .. يضغطون أيضاً عليه في أن يفقدوه شرعيته، يحاولون أن يصنفوه إرهابياً وهو في داخل بلاده!

طيب: المسألة هذه فيها حرب شرعيات، فيها حرب شرعيات هذه، لماذا لا تتذكر تقول للأمريكي، تقول أنت: أنت ترى لنفسك شرعية من هذا النوع، أنا أرى لنفسي شرعية من هذا النوع: أن أحاربك، وأقدم الإسلام، والإسلام هو للدنيا كلها، وللعالم كله، لي شرعية أن أتحرك إلى أقصى منطقة في الدنيا، مثلما أنت ترى لنفسك شرعية.

هنا الأمريكي ما هو يرى بأنك تأتي بشيء ليس غريباً بالنسبة له؟ تقول: أنا مثلك، لماذا أنت ترى لنفسك شرعية أنك تتحرك في الدنيا كلها، وتغير أنظمتها، وتغير ثقافاتها على مزاجك، وعلى ما يتناسب مع مصلحتك؟ أنا أقول لك: هذا ديني هو بهذا الشكل، هو للعالمين، ورسول للعالمين، وشرعيتي ممتدة من هذا الدين، من هذا الكتاب أن أتحرك في الدنيا كلها.

هنا ستفوت عليه محاولة الضغط عليك، وتأطيرك، بحيث يربطك بتربة بلادك، ثم يخلق عليك ضغوطاً.

الآن لاحظوا حزب الله، الذي قد يكون أرقى حركة في تقديمه، في طرحه، الآن مُعَرّضين لضغوط رهيبة. رأيناهم في الخطاب الأخير ما سمعنا شعار! من أين جاءت الضغوط هذه؟ على إيران، على سوريا، على لبنان، وأصبحت ضاغطة عليهم هم. أليست هذه مؤشرات خطيرة؟ مؤشرات خطيرة. شعار: [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] هل سمعناه في الخطاب الأخير في عيد النصر؟ في النصر الأول سمعناه، في عاشوراء، في أربعينية الإمام الحسين، كنا نسمعه. من أين جاء هذا؟.

جاء ضغط ربما من جانب إيران، وسوريا، إيران [خاتمي]، إيران الانفتاح، الانفتاح يعني: الاعتدال، والاستعداد لتقبل ما لدى الآخر، ليس على عنوان: {تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}(آل عمران٦٤) مع أنه عنوان [حوار الحضارات] الذي يقدمه خاتمي! إذاً تجد حزب الله أصبح مضغوطاً عليه الآن، الشعار ربما لم يعد يرفعه! ما ضغطت عليه إسرائيل مباشرة، ولا أمريكا مباشرة.

ألم يحصل هكذا؟ وهم عندهم قوة، ما تستطيع أمريكا أن تضغط عليهم مباشرة، ولا إسرائيل مباشرة، لكن ضغط عليه طرف آخر. الطرف الآخر هذا، ظهر من خلال هذه خلل معين لتأطير حركتي في البداية يوم انطلقت لتكون حركة مقاومة لبنانية لتحرير أرضي من إسرائيل. أليست هذه هي الفكرة؟.

كنت قابلاً أن إيران تدعمني، وسوريا تدعمني، وقضية نقوم فيها جميعاً، ودعموك؛ أصبحت مدينا لهذا. ألم تصبح مدينا له؟ أصبحت مشاريعك مفصلة على أساس دعمه ومساندته. يعني: هم قاموا في ظرف مضغوطين باحتلال، الفكرة السائدة عندهم، والتي في رؤوسهم هي ماذا؟ مقاومة احتلال، احتلال يعني إسرائيل، إخراج إسرائيل من بلادهم. أليست هذه؟.

لاحظ كيف كان التأطير جرهم إلى أنه تساندهم إيران، يعملون على أن تساندهم إيران، وتساندهم سوريا. أليست هذه إيجابية تبدو؟ إيجابية، لكن لاحظ كيف يكون هذا الشيء، يكون له خلل في الأخير. إيران

الخميني كان ممكن تقول، إيران الخميني باستمرار لو الخميني موجود كان ممكن، ما يمكن يحصل من هذا، لكن تتغير أحيانا الدول فيتغير مواقفها، فيحصل مزايدة تضحي بحركة إسلامية من هذا النوع.

طيب: هذا مثلاً ما تراه بسبب أنهم كانوا في وضعية نحن الآن لسنا فيها. إذاً أنت الآن قدم الإسلام، قدم طرحك إسلامياً متكاملاً، تحاول أن تفهم كيف يمكن أن تخاطب الآخر.

لماذا ترى كل حركة دائماً مضغوطة؟ وما يلاحظون أن الأمريكي يتحرك تحت شرعية لنفسه، ما يستطيع يقول له: وأنا لي شرعية مثلك. وضعية حزب الله الآن مع أنه مؤسف جداً أن يكون هناك ضغوطاً على حزب الله، قد تقلصه، أو ربما قد تساوم به، ربما قد تجرده من سلاحه، ربما قد تؤثر عليه فتقعده.

لأن هناك ضغوطاً من جانب إيران، من جانب سوريا. سوريا بدا منطقها منطق ليِّن، يقولون: هم سيساندون حزب الله ما دام عمله في داخل لبنان. أليس هكذا؟ هنا الكل ما يلحظوا شرعية الانطلاقة العامة هذه، ما يلحظوا الشرعية هذه: أن لهم من الأساس شرعية أن يتحركوا لمقاومة الأمريكي، مثلما الأمريكي يرى له شرعية أن يتحرك على مستوى العالم. هذه خطيرة على حزب الله نفسه، هذا المنطق نفسه خطير على حزب الله جدا.

في الأخير نستفيد من هذا عندما نقول: لدينا وضعية هامة جداً، كل الشواهد من عندك، ومجالات مفتوحة لديك، وما هناك وضعية ضاغطة عليك، احتلال أمريكي مثلاً، أو احتلال إسرائيلي. فأنت في مجال أنك تثقف نفسك.

لو أنك في وضعية محتل لكانت ذهنيتك ذهنية رفع محتل، تفكيرك تفكير رفع محتل، ربما تنسى تأهيل نفسك للرؤية العامة، للقضية العامة، للموقف العام، لشيء عام، يكون الشيء الذي قد طبع في ذهنك، ومسيطر على ذهنيتك هي ماذا؟ رفع الاحتلال، مقاومة الاحتلال، إخراج احتلال، مسألة احتلال، تفكير احتلال، وتخطيط لرفع احتلال. أليست كلها ستؤطرها هذه؟.

الآن نقول: نثقف أنفسنا ثقافة نستطيع أن نواجه الحرب التي هي حرب على الإسلام، الإسلام، ومسلمين، مسلمين، ليس فقط لبنان، حرب على لبنان، حرب على إيران، حرب على العراق، احتلال للعراق، احتلال للسعودية، احتلال لليمن، أشياء من هذه.

هذه هي قضية فرعية في داخل مشروعك، في داخل مشروعك أنك أول شيء تنظر ماذا يريد العدو؟ أليس العدو هذا هجمته هجمة عامة على الإسلام والمسلمين. إذاً ما يفك هذا، ما يواجه هذا إلا نظرة تكون تحمل نفس العمومية، نفس الشمولية لصد العدو. أي حركة إسلام، مسلمين، حركة تؤهل نفسها لتواجه مشروع العدو في طرحه.

لاحظ عندما يتحدث عن مناهج تعليمية، أليست كلها وهو يغير هنا، يغير في السعودية، يغير في العراق، أليس في إطار مفهوم لديه هو ماذا؟ حرب ثقافة إسلامية؟.

عندما يأتي في التلفزيون مثلاً من الجزيرة، أو من أي منطقة يبرر قضية معينة، أو ينمق قضية معينة، هل أنت في الأخير تراها مرتبطة بوطن معين؟ أو تراها حرباً على مفهوم إسلامي، ثقافة إسلامية؟.

نحن الآن في وقت ذهنية ما هي مضغوط عليها بهذا الشكل، وقت أن يكون لدينا حرص على أن نتثقف ثقافة إسلامية، قرآنية، نظرة قرآنية، ثقافة قرآنية، موقف قرآني. والقرآن هو يعلمك كيف تكون نظرتك، وأين حدود نظرتك، القرآن نفسه. وهذا هو ما يتطلبه مواجهة العدو.

عندما خطب حسن نصر الله في الخطبة الأخيرة كانت مؤلمة، فعلاً كانت جداً مؤلمة تكشف عنده تألم هو، في الوقت الحرج جداً، وأمريكا داخل البلد هذا، قد احتلت بلداً، وإسرائيل مشتغل في داخل فلسطين، وإذا هو يعكس مثلاً وضعيته، وكلامه وكأن هناك مساومة على تجريد حزب الله من سلاحه، على تعطيله كحركة، على إيقاف أشياء معينة، على سكوت عن أشياء وهكذا.

هذه من الأشياء الخطيرة، في الوقت الحرج ترى مساومة عليك من هذا النوع، هو يقول: يجب أن نفهم، أن نحتفظ بعناصر قوتنا. من يخاطب؟ إيران وسوريا. هو لا يخاطب جماعة حزب الله. يقول: حزب الله هو قوة لكم بسلاحه، يقول: السلاح هذا إذا هناك ناس يتخوفون ـ يعني: يعكس لك من خلال كلمته حملة عليهم شديدة ـ هذا السلاح منذور، أي: نذر. موقوف، أي: وقف. يقول ـ بالتعبير الفقهي ـ لمواجهة العدو الصهيوني، وأي طرف يفكر في غزو بلدنا.

يعني: هناك مساومة حول موضوع السلاح، مساومة حول موضوع منطقه، وطرحه، فعلاً من بوادرها قد تكون هذه: أنه ما ظهر الشعار! هيهات منا الذلة وحدها فقط. ألم يكونوا يهتفون به سبع مرات؟ لم يعد هناك شيء. يبدو أنه في وضعية الآن ضاغطة جداً.

يوم كانوا مرتاحين بالدعم الإيراني، بالمساندة الإيرانية، يوم كانت حركتهم مؤطرة بنحو معين، يظهر سلبيات، أي شيء يؤطر بإطار معين في الأخير تظهر سلبياته، تظهر النتائج الضاغطة من ورائه؛ لأن السوري، الإيراني، ممكن يقول: يوجد ضغط شعبي داخل إيران؛ لأن جماعة خاتمي ثقفوا الشعب الإيراني تثقيف مَنزّل.

إذا كانت أمريكا، لاحظ الآن أمريكا أليست تضغط على إيران؟ قد يأتي الإيراني في الأخير يقول يعني: ما دام أن مساندتي لحزب الله من أجل يحرر منطقة معينة قد تؤدي إلى ضربنا نحن الشعب خلاص من هذه! يجب أن نحافظ على مصلحتنا، يجب أن .. أليس هنا في الأخير يظهر أثر تثقيف غير إسلامي، هذا يكون ضاغط على القيادة في إيران مثلا.

إذا هناك قيادات عندهم نظرة إسلامية، يكون ضاغط عليهم هذا المنطق الشعبي، وفي الأخير يضطروا للتخلي عن حزب الله. أليس معنى هذا أنها ستكون ضربة شديدة لحزب الله أن يتخلوا عنه؟ الأجواء مهيأة أن يتخلوا عنه، إلا أن يهيئ الله شيئا آخر، الأجواء مهيأة، والمؤشرات أنهم قد يتخلون عنه.

لماذا وصلوا إلى هذه؟ لأنهم تحركوا في وضعية مضغوطة باحتلال إسرائيلي، كان ما يحكم تفكيرهم، ما يحكم نظرتهم، وأشياء من هذه كلها وضع احتلال، أيّ منطق آخر يكون هذه من نتائجها.

عندما نقول نحن مثلاً: نحاول إذا عندك عمل، عمل من هذا العمل، عمل يعني في سبيل الله، ويكون له أنشطة تحتاج إلى تمويل، يجب أن تركز وفق منهجية القرآن، تركز على جانب تثقيف الناس بثقافة العطاء، الإنفاق، وتقول لهم بقيمة هذا الموضوع في القرآن، أهميته في القرآن، ويكون شيئاً متكرراً على الناس، متكرراً على الناس باستمرار.

ثم تجد عندما يكون الناس معتمدين على أنفسهم سيتمكنون أن يكون عملهم متكاملاً، يكون طرحهم متكاملاً، لا يرون أنفسهم مدينين لأحد. هذه إيجابية بالنسبة لنا يعني: شاهد على أنه لا يوجد معنا مساندة من إيران، ولا من أي طرف آخر، أننا نتمكن أن نطرح الطرح الذي هو نقد لما عليه علماء في إيران، لما عليه علماء في لبنان، لما عليه حتى في بلادنا. أليست هذه إيجابية؟ لو كنت مثلاً مدين لمساندة طرف آخر لكان هذا سيحكم خطابك، يحكم منطقك.

يجب أن نفهم أن الناس في فترة زمنية هامة، في مرحلة من أفضل المراحل بالنسبة لهم أن يتثقفوا، وأن يثقفوا، أن يعملوا، وأن يحركوا الآخرين ليعملوا، من أفضل المراحل.

فالإهمال والتقصير في مرحلة كهذه، فترة كهذه، ونحن نرى الآخرين مثلاً، الذين ما تهيئ لهم فرصة كهذه كيف أصبحوا يعانون من ضغوط معينة، وهم أقوى مننا، وهم أقدر مننا، لكن لاحظ كيف أنه يحتاج يظهر أثر أي شيء هو حَكّم مشروعك من البداية، حكم طرحك من البداية.

عندما يأتي إهمال من جانبنا، من جانب شخص معناه تكون المسؤولية كبيرة، وتكون خطيرة أمام الله؛ لأن هذه التهيئات معناها ماذا؟ تهيئات إلهية، وتهيئات لو تأتي مثلاً تقيّمها، تنظر إليها، تسردها، تراها أشياء عجيبة، وواسعة جداً.

التهيئات هذه لأن تُطرح ثقافة قرآنية، في ظل وضع عدو يتجه لطمس ثقافة قرآنية، وما هناك صوت يتبنى الموضوع فيتاح له بالشكل المتكامل، فيتاح له أن يكون بالشكل المتكامل. يا إما عوائق طائفية مذهبية لديك، يا إما عوائق من وضعية معينة مفروضة عليك.

نحن نرى الآخرين ليس على أساس أننا نقول الآخرين ما يسوا شيء، لا، قيّم واقعهم فعلاً، يعني: نقطة واحدة ما تسمع لها صوت، قضية أنه لماذا الأمريكي تاركين له يزحف، ويثقفنا بأن له شرعية يتحرك كيفما يريد، وليس فينا من يقول: لا، لنا شرعية، لنا شرعية أن نتحرك في مواجهة عدو الله أينما كان.

هل هناك أحد يقول هذه؟ لا إيران، لا حزب الله، لا حماس، لا الجهاد، لا السعودية، لا الأردن، لا أي بلد آخر! ليست موجودة، ولا الإخوان المسلمين، لا توجد هذه، ليست مطروحة! ألا يعني هذا أن هناك إشكالية كبيرة؟ يعني معنى الموضوع أن هناك عدو - كما قلنا سابقاً - هناك عدو يتجه لحرب الإسلام، غير مرتبط في ذهنيته بإقليم معين. الإسلام في اليمن، في السعودية، في الأردن، في العراق، في لبنان، في إيران، في كل مكان. أليست هذه فكرة عنده؟.

وفي نفس الوقت لا يوجد من يواجهه بنفس الفكرة! أليست هذه خطورة؟ خطورة كبيرة هذه عندما لا يكون هناك من يواجهه بنفس الفكرة، يعني هو يفسح مجال. أليس هو يفسح مجال؟ هم من خبثهم لا يستخدمون إفساح المجال لمجرد عمل، مسيرة، يستخدموه أيضاً لترسيخ في الذهنية، في التثقيف.

حتى نقول: هم يستطيعون أن يغيروا عن طريق المخابرات، أليسوا يستطيعون أن يغيروا أنظمة عن طريق المخابرات الأمريكية؟ فلماذا يحاولون أن يغيروا علناً؟ ويتحدثوا علناً؟: نريد نزيل صدام، نريد نزيل صدام، لازم نزيل صدام نأتي بحاكم من عندنا! أليسوا يقولون هكذا؟.

هم يستطيعون عملياً أن يعملوا هذه، يستطيعون عملياً، لكن لخبثهم الشديد، وهم يعرفون أثر الأشياء، يركزون على أن يرسخوا في الذهنية العربية، يرسخوا في الذهنية - ليس فقط عمل، أن تصبح الذهنية العربية قابلة لهذه، ويصبح العرب مسلّمين - بأننا نحن أصحاب الحق هذا، نغير من نريد، ونطرح من نريد، بطريقة معلنة.

أليس هذا يكشف عن هدف آخر؟ هو: ضرب الذهنية نفسها، وترسيخ في الذهنية؟ وليس فقط مجرد أن يتمكنوا من أن يعملوا هذا عملاً.

يستطيع في اليمن يغير،هم يستطيعون عن طريق المخابرات يغيروا علي عبد الله والمؤتمر بطريقتهم، بإمكانياتهم، بتغلغلهم في أجهزة الدولة، هم يستطيعون، وفي أي بلد آخر، لكن هم يختلفون عنا في تفكيرهم، يعرفون أنه لازم النفسية هذه نجعلها تسلّم، نجعلها تهزم، نجعلها تستسلم، نجعلها تؤمن بأننا نحن أصحاب الحق!.

للأسف لا يوجد مواجهة لهذه النقطة، ترى الأمريكي داخل البلاد العربية يتحرك، ويرى له شرعية، واللبناني متحاشي يتجاوز حدوده في منطقه، والإيراني متحاشي أن يتجاوز، والسعودي متحاشي، واليمني متحاشي، والمصري هكذا، وكلهم، كل واحد يعني: تحرير بلادنا، مقاومة الاحتلال لبلادنا، وكلها من هذا النوع.

نأخذ عبرة من الآخرين، إذا نحن نأتي نقرأ عن الصحابة، وتاريخ الصحابة، وما حصل بسبب البهطلة، وهذه الحالة، ما حصل بسبب هذه الظاهرة عند العراقيين. تجد هذه حالة خطيرة. أنت أمامك أمثلة، أمامنا أمثلة، أمامنا حالة كانت من هذه، ورأينا كيف آثارها إلى عندنا نحن، وكيف عانينا بسبب آثارها.

فكيف ما يكون عند الإنسان حرص أنه يتخلى من هذه الحالة، وهو قد أصبح يعرف بأنها من أسوء ما يكون عند البشر، حالة اللامبالاة، وعدم تقييم ما يقدم له من هدي الله، عدم الاهتمام، أو ضعف الاهتمام بما يقدم له.

هذه هي التي ضربت المسلمين من البداية، هي هذه الظاهرة، فإذا هي عندنا ظاهرة هذه فهي ظاهرة خطيرة جداً، انعكاسها على نفسية كل واحد منا قبل المجتمع، في الزمن هذا ربما أكثر مما كان ذلك اليوم.

أولاً تنعكس هذه الظاهرة على نفسك فتحول دون تثقيف نفسك، فتكون فاعلاً بالشكل المطلوب، وبالشكل الذي يكون نصيبك من رضوان الله أكبر، ويكون أجرك أكبر؛ لأنك أصبحت في حالة تكون غير قابل أن تتثقف، لا بالاتجاه هذا وأنت تخاطب الآخرين، ولا بالاتجاه هذا وأنت تخاطب المجتمع فتحجب نفسك عن معارف كثيرة.

أيضاً يجب أن نعمل على أن نحافظ على نزاهة الله، وجلاله، وقدسيته عند عباده، في الوقت الذي ما يقدم الآخرون ما هناك من مظاهر سيئة، يحسبونها على الدين، فيقدموا الدين مضروباً عند الناس! ليظهر ولو لم ينجح الناس إلا في هذه لكانت جهاداً من أكبر الجهاد، في هذه النقطة لوحدها، لو افترضنا ما ننجح إلا في هذه، في أن نجعل الناس يفهمون أن الخلل هو من عندهم هم، وليس من عند الدين.

بطريقة ليست طريقة كلامية، تعرفه رؤى الدين، مفاهيم الدين، مواقف الدين من القضايا هذه، وكيف سيكون الناس لو ساروا على هذا الدين وفق هذه الرؤية القرآنية. بحيث إذا جاء اليهودي يريد يحمل الدين المسؤولية لا تعد تقبل هذه، بحيث الإنسان هو نفسه، لا يقبل مثلما قالوا هناك: أين الله في العراق! أظن نصر الله حكاها، قال أن بعضهم يقولون عندما قال الله: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ}(الحج:٤٠) أين الله في العراق! لم يعمل للعراق شيئاً.

ألم يحصل هنا الخطأ في المفهوم، انعكس على تحميل الله المسؤولية، وانعكس على تحميل الدين الخطأ؟ لا، خلي الناس يفهمون، ويؤمنون بأن الخطأ هو من عندنا نحن، نحن، لم ننطلق على أساس هدى الله، أما دين الله فهو بالشكل هذا، وبالشكل هذا، وبالشكل هذا. ما عنده خلل على الإطلاق.

ألست هنا تنطلق تحافظ على عدل الله، ونزاهته؟ هذه النقطة مهمة جداً ليست سهلة. كيف نتمكن من هذه؟ هو أن نحاول أن نثقف أنفسنا بشكل كبير جداً، وفق رؤية القرآن، وفق رؤية القرآن في نفس الهداية، ومن أين حتى تثقيف النفس، بناء النفس التي نتحدث عنها؟ ألسنا أحياناً ننقد بناء النفس؟ بناء النفس وفق الرؤية القرآنية، من أين تبنى النفوس؟ بتعبيد الإنسان نفسه لله، بتسليمه نفسه لله، بثقته وإيمانه بأن الهدى هو من عند الله، ويتسبب له عن طريق سيره على هديه الذي رسمه في القرآن الكريم.

ليس قضية أنه يقوم واحد هو نفسه يريد..! بالأسلوب هذا. نحن نقول: أنه يوجد خطأ حتى في هذا المفهوم، في مفهوم كيف يبني واحد نفسه، إذا قدمت مسألة بناء النفس، الإسلام هو يريد أن تبنى النفوس ألم يقل: {وَيُزَكِّيهِمْ}، تبنى النفوس على أرقى مستوى في ثقافتهم، في طرحهم، في بيانهم، في قدراتهم، لكن أساس بناء النفس لا تغرق أنت في ذاتك، لا تغرق في نفسيتك أنت.

بناء النفس هو أن تسلم نفسك لله، وتعبّدها لله، وتطلب منه هو الهداية، وتتسبب للهداية عن الطريق التي رسمها هو في قرآنه. هذه هي بناء النفس. لو ترجع أنت إلى نفسك تريد تبنيها أنت، هنا يحصل غرور، يحصل رياء، يحصل كبرياء، يحصل الجهل، فتنحط، تنحط فعلاً، ما تبني نفسك على الإطلاق.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) تألم من الوضعية التي غادرها؛ لم يحصّل أشخاصاً كانوا يتفهمون تماماً، الإمام علي كذلك. أليس هكذا؟ معنى ذلك أن الدين في الأخير يصيح مننا نحن؛ لأنهم يتألمون هم من الناس الذين هم محيطهم، الذين هم أصحابهم، ما يتفهموا، ما يتفهموا بالشكل المطلوب. إذا لم نتفهم نحن بالشكل المطلوب فبالتأكيد سيصيح القرآن منا، يصيح الدين مننا نحن.

عندما نقول: نحن، أليس أحيانا قد يقول واحد: نحن المجموعة الفلانية، ماذا نحن؟ ليست القضية بهذا الشكل، يعني مجموعة ولو ستة أشخاص عندهم قدرة يستطيعون أن يغيروا تغييراً كبيراً في الدنيا ولو ستة أشخاص، ليست قضية، يقول واحد: إنما فقط إذا قد نحن كذا.

بل القرآن ضرب الفكرة هذه، عندما رأى المسلمون أنفسهم أن قد هم مدري كم ضربهم، وأصبحوا غارقين في ماذا؟ في نفسياتهم [أننا قد صرنا اثنى عشر ألفا]! ألم يضربهم في حنين؟. المسألة هكذا: أنك تثق بالله،

والمطلوب أن تعرف أنك لست رقماً جديداً، يعني: لن يكون الناس رقماً جديداً أساساً، سيصبحون جنداً لله. أليست هكذا؟.

الله هو ملك من قبلك، وله جنود كثيرة غيرك، عندما يكلم المسلمين في بدر ينطلقوا أليسوا ثلاثمائة؟ إذا هم يتصورون أن ما هناك إلا هم في العالم، هو هذا مدهم بثلاثة آلاف، قد يكون من أطرف قطعة من سماء في سماواته، يمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة.

أن يكون الناس عبارة عن ماذا؟ أن تفهم نفسك جندياً مثلما قلنا في محاضرة [الهوية الإيمانية]: أن من فوائد الإيمان بالملائكة، الإيمان بأن لله جنود السموات والأرض، أن تعرف ـ لتكون معنوياتك مرتفعة ـ أن ما أنت الوحيد، أنت واحد مع الرياح، مع الزلازل، مع الملائكة، مع أشياء كثيرة ما تعرفها.

لست إلا جندياً قد تكون مثل بعوض، ومثل ضفادع. ألم يستخدم ذلك مع آل فرعون فضربهم بضفادع؟. {وَلِلَّـهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفتح٤)**. فالنظرة هذه عندما ينظر الناس لأنفسهم قليلاً، هذه نظرة خاطئة، تقوم على فهم ماذا؟ أننا جديد في العالم هذا، أننا جديد، يعني ما مع الباري إلا نحن فقط! تكون نظرتك أنك ستنظم إلى الكتائب الفلانية، الله أعلم كم هي! التي منها الرياح هذه. ألم يقل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا}**(الأحزاب٩)**.**

الله موجود من قبلك، فقط تكون جندياً من جنوده، فقط، هذا هو المطلوب أنك جندياً من جنوده، ثم في الأخير ترى بأنك رقماً من ملايين الأرقام.

عندما يرى الناس أنفسهم باعتبار وضعيتهم أنه فعلاً ترى طوائف أخرى، ترى وضعيات بلدان أخرى عندها عوائق، عندها إشكاليات، عندها، عندها، عندها....، وتجد مثلما تحدثنا سابقاً تجد نفسك عندك مجالات مفتوحة كثيرة ألا يعني هذا أن المسئولية تكون أكبر؟ المسؤولية عليك تكون أكبر جداً. وأن الفضل عظيم جداً على الناس من جهة الله، أن يهيئ لهم هم مجالات مفتوحة كثيرة، ووضعية يستطيعون من خلالها أن يثقفوا أنفسهم غير مضغوط عليهم بما يؤطر منطقهم، لم يعد يظهر خلل إلا من جانبهم هم.

هذا معروف أننا كنا ندرس مجموع الإمام القاسم كتاب [مديح القرآن] للإمام القاسم بن إبراهيم، جد الإمام الهادي.

قال (عليه السلام)**: [فالتمسك به أحسن الإحسان، وحقيقة الإصلاح والإيمان] أي: القرآن [وهو فكتاب الله المحفوظ، الذي لم يضع منه بمنٍّ الله قط آية، فيضيع بضياعها من الله نور وبيان وهداية] فهو محفوظ لم تضع منه آية [وكيف يذهب منه شيء، أو يضيع، أو يتوهم أن الله سبحانه له مضيِّع بعد قوله تبارك وتعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**(التوبة١١٥)**.**

وبعد قوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ}(الأنعام١٣٠)** وبعد قوله سبحانه وتعالى: {وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}**(الأنعام١٢٦)** فكيف يصح أن يذهب منه شيء وهو صراط الله المستقيم، وتبيانه لكل شيء، ففيه لعباده هدى وتقويم].**

في قوله: {حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ} هو هذا في القرآن؛ لأنه لو افترضنا وضاع منه آية يعني ضاع منه بيان. أليست كل آية تكون بياناً لشيء؟ والقرآن ما فيه تكرير بمعنى الكلمة، يعني موضوع تكرر تماماً، لا يوجد هناك أي إيجابية من إعادته، لا يوجد.

كل آية تراها في موضع يكون لها أهميتها، توكيد، شهادة على معنى جديد، مثل لمعنى جديد، لا تأتي هكذا تتكرر. فلو نقص منه آية لكان قد نقص منه بيان، ونقص منه هدى، ونقص من الصراط في قوله: الصراط المستقيم، يكون فيه مطب أو شيء.

طيب: هذا هو من الشواهد على أن هناك خللاً كبيراً فيما بين أيدي الناس من هدي، يعني: عندما يقول كثير في القرآن الكريم، تتكرر كلمة صراط مستقيم، صراطاً مستقيماً، وهنا يقول: {وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً} طريق قيمة، يعني: واضحة؛ لأن الصراط معناه: الطريق الواضح، الطريق المتسع، المعبد، الواضح. أين هو الآن؟ هل يوجد الآن صراط مستقيم أمام الناس واضح؟ لا، ضيعوه.

ألم يطلع الدين كله ظنيات في الأخير؟ القرآن، الأحاديث كلها ظنيات، كلها ربّاط هكذا، وكلها، ما عاد رأى الناس الذي هو صراط مستقيم.

الظن هل ممكن يصنع صراطاً مستقيماً؟ {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} (النجم٢٨) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} (الحجرات١٢) لكن إذا عاد الناس إلى القرآن، في الأخير يرون صراط خطين، وليس خط واحد فقط، سريع، مثلما تقول: الخط السريع، ما هو يكون خط فسيح جداً؟

لاحظ القضية الواحدة، المبدأ الواحد كم فيه من تبيين! كم له من الأمثلة! كم له من شواهد! كم له من أشياء كثيرة!. والقرآن فيه أسرار عجيبة؛ ولهذا قال الله فيه: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} (الإسراء٨٨)على الإطلاق.

قد تأتي مثلاً تقرأ سورة، وتفترض مثلاً من مواضيعها الرئيسية، الموضوع الفلاني، وتبدأ بالسورة من أولها إلى آخرها تجدها حوله، ترجع لموضوع آخر من المواضيع داخلها، ترجع للسورة من أولها إلى آخرها تجدها أيضاً حوله بشكل عجيب، يعني: يوجد يمكن من أمثلته التي نقول [المساطر] تلك التي تكون متعددة الأوجه.

ما تجد فيه اختلاف، ولا هو صحيح عندما يقول لك: حمّال أوجه. هذه العبارة ليست صحيحة نهائياً. حمال أوجه، يعني يحتمل كذا، ويحتمل، ويحتمل.

قبل ليلتين واحد اتصل أظن بمذيع من القاهرة تقريباً، يسألوه حول ما هو رأيه في التفجيرات تلك التي حصلت في الرياض، والذين يسموهم إرهابيين، وأشياء من هذه. يسأله المذيع عن رأيه، قال: خليني أقرأ لك آية. قال: أبداً أريد أسالك عن رأيك، أريد رأيك أنت. قال يا أخي أقرأ لك آية. قال يا أخي القرآن حمال وجوه، أنا أريد رأيك أنت! تقول لي آية، واحد غيرك سيقرأ الآية هذه ويطلع لها وجه آخر.

لاحظ النظرة هذه! ما تركه المذيع أبداً يقرأ آية، نهائياً. طيب هذا، عندما يقال: القرآن حمّال وجوه، هذا ما هو صحيح، القرآن ما يتلون مع كل مزاج، يقول لك: يحتمل، ويحتمل.

هو عميق، عميق في اتجاه واحد، في اتجاه واحد شامل، لا يوجد أنه ممكن يتأقلم معك، ويتأقلم معي! غير صحيح هذا، ممكن يعطيك وجه، ويعطيني وجه، يعطيك رأي، ويعطيني رأي معاكس! غير صحيح هذا أبداً، وإلا لكان القرآن مداهن، مجامل، لا يوثق به في الأخير لو كان بالشكل هذا.

لكن لا، هو كله يعطي معنى واحد، صحيح، عميق، وسيع، شواهد، كلها تصب في اتجاه واحد. الخطأ يأتي عندما تدخل إلى القرآن وأنت ما عادك طبيعي، ما عادك حتى عربي، تكون نظرتك إلى القرآن من خلال معرفتك باللغة العربية، وأساليب اللغة.

ما جو عادهم طبيعيين أبداً الذين مثلاً يستخدمون زعم آلة لفهم القرآن، أو استنباطات من القرآن، آلية ليست صحيحة، يدخل ولم يعد صحيحاً هو، ينظر إلى القرآن نظرة من منظار ضيق، من منظار محدود. القرآن هو مثلما يقول هنا الإمام القاسم: عندما تكون مدبر عنه يدبر عنك.

قد تكون مدبراً عنه عندما لا تهتدي بالطريقة التي هو يرسمها لك لتهتدي به، منها قوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف٢) هذه تكررت في أكثر من آية: التأكيد على كونه عربي، {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} (الشعراء١٩٥) بلسان وليس فقط بمجرد الحروف أنه مثلاً بلغة أخرى، وإنما كتب بالحروف العربية. لا، بلسان، بنفس اللغة، بنفس النص، بنفس الأسلوب، بنفس الطريقة العربية.

فعندما جاءوا يأخذون عناوين معينة، مثلاً عندما تلاحظ أصول الفقه، يوجد فيه عناوين هي عناوين أساساً هي من داخل أساليب اللغة، أمر ونهي، خصوص وعموم، إجمال وتبيين، إطلاق وتقييد. عناوين من هذه. أليست من أساليب اللغة؟ لكن فصلوها، أعطوها اصطلاحات أخرى، تعريفات أخرى، بحثوها بشكل آخر، ما عاد طلعت طبيعية هي، لو تركت هي في موضوعها، لو تركت ضمن مباحث اللغة، ومن أساليب اللغة، ستقرأ اللغة أنت، تقرأ الشعر العربي، تقرأ النصوص العربية، تقرأ الأدب العربي، فتعرف أنت كيف كان العربي يخاطب الآخر، كيف كانت أساليبهم في التخاطب، فتعرف أنت.

لأن الخصوص والعموم ليس حتى خاص باللغة العربية، هذه هي أشياء هي في كل لغة: خصوص عموم، إجمال تبيين، إطلاق تقييد، أمر ونهي. هذه الأشياء كلها في اللغات كلها، إنما أساليب اللغة العربية في هذه المواضيع كيف هي من خلال المعايشة، من خلال التكرير؟ استعمال الشعر العربي مثلاً لنصوص أدبية من هذه تعرف روح اللغة، تعرف نَفَس اللغة، تعرف أساليب العربي وهو يخاطب العربي الآخر.

هذا يفيدك كثيراً عندما ترجع إلى القرآن الكريم، عندما ترجع إليه يفيدك كثيراً هذا الأسلوب، لكن تأتي بطريقة أخرى، آلية تتصور آلية ليست آلية صحيحة أن تدخل إلى القرآن بشكل مقلوب، ما يمكن يعطيك القرآن أي فائدة، ثم يطلعوا في الأخير هم يضربوا القرآن.

ألم يضربوا هم القرآن في الأخير؟ طلّعوه ظنيات، طلعوه حمّال أوجه، طلعوه ممكن يتأقلم مع هذا، ويتأقلم مع هذا! هذا غير صحيح. إن الله قال فيه: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود١) آيات محكمة، هل هذا من الإحكام؟ أنه يتأقلم مع كل واحد، ويعطي كل واحد معنى يخالف المعنى الآخر؟ لا يصح هذا، ولا من صح أن يكون تفصيل، ولا بيان، ولا هدى، ولا نور، وكان هذا هو الاختلاف، والتناقض، لو كان سيعطي كل واحد وجه، ويتمشى مع كل واحد، وجوه متناقضة، آراء مختلفة، وجوه متباينة، ويقول لك: هذه كلها، القرآن حمّال أوجه.

يعني: لاحظ هذا عندما يقول المذيع: أبداً ـ ما ترك ذلك يقرا آية ـ القرآن حمّال أوجه. من أين جاءت لهم هذه؟ من أين جاءت لهم هذه المصطلحات التي في الأخير لا يعد يتركك تقرأ له آية على الأقل! قال: يا أخي اتركني أقرأ لك آية. قال: أبداً، أنا أريد رأيك أنت، أنت. الآية، القرآن حمال أوجه! كل واحد سيقرؤها ويطلع لك وجهاً ثانياً!.

أليس هنا يوجد تثقيف يضرب الثقة بالقرآن؟ هذا تثقيف يضرب الثقة بالقرآن. يقول لك: سيطلع معنى الآية كذا، وغيره ممكن يطلع لك معنى آخر!. وضرب القرآن على يد من؟ على يد أصحاب أصول الفقه، على يد أصحاب أصول الفقه طلعوا القرآن بالشكل هذا.

[وفيه ما يقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء٩)] هذا من الآيات الشاملة، معناها واسع جداً، وتتحدث عن سنة، سنة في مقاصد القرآن هو أنه يهدي للتي هي أقوم في كل مجال من المجالات التي يتناولها بأكمل شيء، وأحسن شيء، وأفضل شيء.

لأن هناك قيّم وأقوم، قيّم يقابل مثلاً أعوج، وهناك أقوم يعني: أحسن، وهذا ضمن السنة الإلهية؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الكامل الكمال المطلق، وكل ما يأتي من عنده يكون كاملاً {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} (المائدة٣) وهنا: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء٩).

تلاحظ في هذه بناء على هذه أنما يأمر الناس به، أو يطلبه منهم هو يطلب أن يؤدوه على أقوم، وأحسن طريقة. فإذا أمرهم بالتوحد فمعنى هذا أن يكون توحدهم على أكمل طريقة، إذا أمرهم أن يكونوا أنصاراً له فيعني هذا أن يكونوا أنصارا له على أفضل وأحسن طريقة. يعني: أحسن ما يمكن أن يكون عليه ناس ينصرون قضية، لا يوجد فيه يا الله اليوم، وماشي الحال، على ما يقول الآخرون، أو مغاضاة، أو..

فهو يهدي إلى أن تكون القضية التي تدخل فيها، إلى أن تكون القضية ألتي تكون عليها على أقوم ما يكون.

فعندما يقول للناس: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} (الصف١٤) هو في نفس الوقت يهدي إلى أن يكونوا أنصاراً لله على أحسن ما يمكن. يعني: أنها ليست قضية متروكة إلى أنه كيف نفكر بأحسن ما يمكن، بل هي قضية فطرية، معروفة لدينا، ولو عناصر كثيرة من أقوم شيء.

لكن هو في نفس الوقت يهدي هو، هو يهدي حتى يكون الناس على أحسن ما يمكن في قوله: {أَنصَارَ اللَّهِ} أن يكونوا على أحسن ما يمكن في قوله: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً} (آل عمران١٠٣) وأن يكونوا على أحسن ما يمكن في قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات١٠) وهكذا. لا تتصور مبدأ، أو شيئا يتحدث عنه ويطلبه، أو يأمر به، أو يوجّه إليه، إلا وهو يرسم له طريقة يجعل الناس معه على أحسن ما يمكن؛ ولأنه تنزيل من عليم حكيم، تنزيل من عالم الغيب والشهادة، تنزيل ممن خلق الإنسان، وخلق العالم هذا. فكيف ما هو داري بما هو أقوم؟.

فهو يعلم ما هو أقوم، وأفضل، وليس فقط احتمالات، أو افتراضات، أو زعم على ما غلب في ظنه هذا هو عند البشر فقط، أما الله فهو يعلم بأكمل شيء، أقوم شيء. فإذا رسم طريقة تؤدي إلى أكمل شيء فهو فعلاً أكمل شيء، وأقوم شيء. قد يأتي الإنسان هو كإنسان، ما هو يعلم الغيب، ولا يعلم السر، ولا يعلم كذا، فيرسم طريقة معينة على غالب ظنه.

يعني: هذا أحسن ما يمكن، لكن ومشى في الزمن، وبدا له ماذا؟ خلل! لكن القرآن الكريم طريقته تقوم على أساس ما يبقى البشر هكذا: يغلطوا ويصلحوا، يغلط ويصلح ويتأرجح، ويتردد، ويشتغل كم سنين وطلع غلط، ورجع كذا، واشتغل كم سنين، وطلع غلط، يقوم يشكل لجان، ويعمل نصوص، ولوائح، وقوانين، ومشى فترة وطلع خلل! لا. هذا يرسم طريقة يطمئن إليها الإنسان، يسير عليها، لا يوجد فيها كل مرة واكتشف غلط، بل كل مرة واكتشف شواهد على أهميتها، على عظمتها، على صحتها.

الإمام القاسم عندما كان يعرف القرآن على هذا الشكل، ويعرف الناس على هذا الشكل كان يبكي، كان معروف بأنه كان كثير البكاء لماذا؟ بين يطّم واحد على ما بين نقول.

هنا الإمام القاسم كان كثير البكاء أنه لماذا البشر ما يرجعون إلى القرآن! ما هو المانع؟ لو يأتي واحد يبحث هذا الموضوع أنه ما هو المانع أساساً، لماذا؟ هل يوجد مانع؟ لا يوجد مانع، لا يوجد مانع أساساً، بل كل المغريات تدفع بالناس إلى أن يتجهوا إلى العمل بالقرآن، كل المغريات.

القرآن الكريم يقدم مغريات كثيرة للعمل به من جهة الله سبحانه وتعالى، كيف يتجه الناس للعمل بالقرآن ويعطيهم إغراءات كبيرة. طيب لماذا نحن ملبّزين مع الشيطان؟ هل عنده إغراءات الشيطان؟ هل يعد بالجنة أو يعد بكذا؟ لا يوجد معه شيء، ولا معه شيء الشيطان، إلا يرجع يضحك علينا في الأخير: {إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} (إبراهيم٢٢) أليست هذه سخرية؟. طيب هل الشيطان يقدم إغراءات كبيرة؟ أبداً، إنما هكذا تائهين.

عندما يقول الله، وهذه القضية عندما تقرأ القرآن تكون متذكرا أنه من الله، تريد تعرف أكثر؟ تذكر السموات والأرض، وكل المخلوقات فتعرف أن هذا القرآن نزل من عند من خلق هذه المخلوقات بكلها، حتى تكون تعرف أنه خطاب لي من الله، يعظم في نفسك كونه خطاب من الله، فتتذكر الله، الله أي خالق هذا الكون الكبير، خالق هذا العالم الفسيح، خالق هذه المخلوقات المتنوعة.

فعندما يقول هو: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء٩) ثم يجلس الناس بعيدين عن هذا، أليس هذا من أشقى الشقاء، ودبور من أدبر الدبور على الناس؟ يا أخي: لماذا لا نثق بأنه يهدي للتي هي أقوم، ألسنا بحاجة إلى أقوم طريقة في مواجهة العدو؟ أقوم طريقة لأن نكون عليها في الحياة؟ أقوم طريقة في كل شؤوننا. أليس هذا الشيء مطلب للناس؟ وكل من يخادعوننا أليسوا على أساس أنهم يقدمون لنا أحسن [إنشاء الله سيكون العمل

في الفترة هذه على أحسن ما يمكن، وسنفتتح صفحة جديدة، ويكون هناك اهتمام ويكون الأداء على أحسن...] أليسوا هكذا يعدون؟ ونجلس نتطلع فيهم، ونجلس نشخر معهم.

يا أخي هو هنا يقول لك: القرآن يهدي للتي هي أقوم، وما تعاملنا معه مثلما يقدم لنا عبارة دون هذه بكثير أي شخص آخر من الناس تجعلنا ننطلق بعده، ونشخر فيه. لو لم يكن إلا مترشح لمجلس نواب، أليس هو يعد بأن تكون الحياة على أحسن شيء؟ سأعمل لكم، وأصلح لكم مشاريع، وأشياء من هذه. أليست عبارة على أنه يعد بأقوم؟ يعني: حالة أقوم من الحالة التي أنتم عليها. قلنا بعدك! ولم يأت شيء. أما هذا فيقول: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}.

عندما يقول لك: يهدي للتي هي أقوم، أيضاً هو هو سبحانه وتعالى هو قادر على كل شيء سيجعل الشيء أقوم، وليس فقط أنه يقول لك: [والله أما نحن قد رسمنا أما نفس النصوص قد هي على أحسن ما يمكن لكن ربما حظك ما طلع ..] ليست قضية يتركك للواقع، بل هو ما زال في الموضوع. أليس هو يستطيع أن يصنع الأقوم، يستطيع هو.

ثم عندما ترجع إلى جهنم، وترى جهنم شديدة، وترى جهنم رهيبة جداً في الأخير ستعرف حقيقة أن الناس مثلما قال في القرآن في الأخير: يشهدون على أنفسهم أنهم يستحقون جهنم، حقيقة يستحق الناس جهنم بعد القرآن.

القرآن بهدايته، بسعته، بنوره، بوعوده هنا في الدنيا قبل الآخرة. ما يرضوا يثقوا، ما يرضوا ينطلقوا! نوعية يستحقوا جهنم، وهي أرقى شيء. الله ما عنده إلا أرقى شيء، عنده أرقى شيء في العذاب، وأرقى شيء في النعيم. فتستحق أسوأ، وأشد عذاب؛ لأنك تركت أفضل، وأحسن، وأقوم أليست هكذا؟ أفضل طريقة، أحسن طريقة، أقوم هدى تركته فتستحق عقوبة أشد عقوبة.

[فهل بقي لأحد من بعده عذر أو متلوَّم] بعد أن يقول: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} ما بقي عذر، ولا بقي أن تتلفت هنا، أو هنا، التلوم إذا كان بمعنى التلفت بحث هنا، أو هنا لما هو أقوم، لما يمكن أن يكون أحسن، هو هذا أحسن.

[وكيف يصدَّق مفتر على الله في ضياعه] إذا أحد ادعى أنه ضاع من القرآن شيء، كيف يمكن أن يصدق؟

[وقد أمر تبارك وتعالى عباده بإتباعه فقال فيه: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأنعام١٥٣)] وعندما يقول: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} ما عاد يصح أن تفترض أنه ضاع منه شيء على الإطلاق؛ لأنه لو ضاع منه شيء لضاع من الصراط الذي أمر بإتباعه، فتكون الإشكالية في هذا أنه ما يكون هناك حجة لله على الناس؛ ولهذا حفظه.

الشاهد على أنه محفوظ فعلاً على مدى ألف وأربعمائة سنة من تنزله، ومع كثرة أعدائه، خاصة في هذا الزمن، كثرة أعدائه، تطور وسائلهم، وما استطاعوا أن ينالوا من نصه بشيء على الإطلاق، تغيير ما استطاعوا أن ينالوا من نصه بشيء نهائياً.

وهو هو نفسه أعظم شيء لديهم مستهدف هو القرآن الكريم، لو يتمكنوا من تغييره، لو يتمكنوا من تضييعه، لو يتمكنوا من التلاعب فيه لعملوا، وبذلوا كل ما لديهم، ما استطاعوا أبداً.

أيضا الأمر بإتباعه أنه محفوظ، أي أن كلما هو مطلوب من الناس أن يتبعوه هو موجود، لا يصح أن تفترض فيه شيء ضائع، ثم لا تجد فيه شيء ضائع؛ لأنه لو ضاع شيء لضاع موضوع. أليس هكذا؟ لضاع شيء له علاقة بقضية، فنقول في الأخير أما هذا فما فما طَرَّقه، لا، القرآن الكريم تجده يتناول كل شيء، كل المواضيع، كل المواضيع داخله، كل ما له علاقة بشئون الإنسان في الحياة هذه، بشئون المجتمعات موجود في القرآن الكريم.

{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} الله يسميه صراطه، يعني الطريقة التي تؤدي إليه، الطريق التي رسمها هو، وتؤدي إليه، وهي مستقيمة، واضحة، وقيمة، وتقوم بمن يسير عليها، ما يحتاج إلى أي طريق، لا يمين ولا شمال {مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}.

أي طريق آخر سيؤدي بك إلى غاية أخرى، ويبعدك أكثر وأكثر عن سبيل الله، وعندما يقول: مستقيماً لا يوجد طريق آخر غيره مستقيماً. ما هو يصف صراطه بأنه مستقيم؟ يجب أن تفهم بأنه أيضاً ليس هناك طريق آخر مستقيماً غيره، حتى لو بدا لك منمقاً، مزخرفاً فهو ليس مستقيماً، ولن يكون مستقيماً.

والواقع شهد بهذا. ألسنا الآن في آخر الأزمنة ربما لاحظ كل شيء أمامك مطلع، كل النظريات، كل الأفكار، كل الرؤى، كلها اتضحت غير صحيحة، كلها كانت غاياتها خطأ، كلها كانت نتيجتها دمار، ووبال على البشرية.

هل تجد الآن في هذا الزمان ماذا يوجد من حاجة البشر ما يزالون يتطلعون إليها؟ أو ما يزالون يأملون فيها؟ هل بقي شيء؟ جربوا كل النظريات، كل الأنظمة، كل الأطروحات، الديمقراطية جربت على مستوى عالي، كيف نظرة الناس إلى الديمقراطية في العالم؟ جربت الاشتراكية، جربت الشيوعية، جربت أنظمة كثيرة، فلسفات كثيرة، تحرك عليها ناس، كلها فشلت.

داخلنا، داخل الإسلام رؤى معينة مشوا عليها اكتشف بطلانها، اكتشف سوؤها، ما هذا كل شيء تبين؟ وكل من عملوا الأشياء هذه هم يعملونها على أساس تكون سبل يعني: معظمها قد تكون بحسن نية، يرسم طريقة معينة بحسن نية. لكن هو بشر، هو ناقص، هو قاصر.

هناك فارق كبير بين أن يأتي من يعلم السر في السموات والأرض، من يعلم الغيب والشهادة، من هو خالق هو لهذا الكون، لكل صنف في هذا العالم، هو خالقه، فيشرع هو، ويهدي هو، ويرسم الطريق هو.

طيب: الإنسان هو واحد من مفردات العالم هذا كله، واحد من ملايين ملايين الأصناف، نقطة، أو ذرة في هذا العالم، ويريد يضع نظاماً، ويصلح طريقة، ويعمل سبيل، ويرسم أشياء من هذه! يقوم يتفلسف، ويطنن، وأشياء من هذه! وعمل طريقة، وكشفها الواقع أنها خطأ.

عندما يقول واحد: الإسلام قائم لكن ونحن هكذا واقعنا!. الإسلام بعد لم يعمل به، لم يعمل به بالشكل المطلوب، والمسلمون شاهدون على هذا. ألسنا شاهدين كلنا على هذا؟ أن القرآن هو هذا، هل القرآن طبق؟ لا.

لاحظ ما الذي نعمل به؟ تجدها أشياء أسردها كلها، وتجد أن الواقع السيئ هو نتيجة لها، استعرض القرآن تجد أن هذا الذي وقع الناس فيه لو ساروا على القرآن لما وقعوا فيه أبداً، لكانت الحياة بشكل آخر، وعلى وضعية أخرى، أفضل مما الناس فيه بكثير، بل لا مقارنة. هذه حالة سيئة، ما يقول واحد هي فضلى، وهذا يمكن أفضل. لا، حالة سيئة، لما وصلوا إلى الحالة السيئة التي هم فيها أبداً.

طيب: هذا من جريمة من قدموا الدين بان ما له علاقة بالحياة .. من جريمة من قدموا الدين وكأن ما له علاقة بالحياة هذه! جعلوا البشر ما يتطلعون إليه، وكأنه فقط ليوم القيامة! فيأتي واحد هنا في الدنيا، ويمشي على هواه، وعلى أموره، وعلى أشياء أخرى؛ لأنه يكون مشغول بدنياه.

[{وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأنعام١٥٣)] عندما يقول: وأن هذا صراطي، ما هو هنا أضافه إليه؟ تذكّر هنا من هو هذا، صاحب الضمير؟ هو الله، ربك، إلهك، ملك هذا العالم، وسيده، ومن خلقك، ورزقك، وسيميتك، ويبعثك، ويحاسبك.

ليس طرفاً يعرض ما لديه من فكرة مثلما يعرضها الآخرون، يقولون: نحن عندنا الفكرة هذه، وقال فلان: وأنا عندي طريقة، والله يأتي كواحد من هناك مثلهم يقول: وأنا عندي هذا الصراط! ليس بالشكل هذا، هو ينبهك بقوله: صراطي؛ أن تفهم من أنا؛ ولهذا جاء في مقامات أخرى ـ مثلما قلنا بالأمس ـ يقول: ربكم.

عندما يقول لك: صراطي افهم من هو هذا الذي أضاف إليه هذا الصراط؟ هو ربك، يعني: ما يقدم الصراط هذا، أو الطريقة هذه من طرف هو يعرض فكرة كما يعرض الآخرون أفكارهم يقول: [يا أخي جرب طريقتي مثلما تجرب طريقة آخرين] لا، ليس بالشكل هذا. ثم عندما يقول: هو رب، وكثير من هذه يتحدث معها بعبارة: ربكم، التي تعني المعني بتربيتكم، الذي يعلم كيف يربيكم تربية صحيحة، الذي يهمه أمركم، والمعني برعايتكم.

{ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ومن توصيات الله: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} إذاً افهم هذه، افهم.

يجب أن تفهم أنه يوجد فرق بين كلمة: تتقون، ليست دائماً، تتذكرها دائماً كلما قال: تتقون، يعني: هو يصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج.

كلما قال: تتقون يعني: مثلما يقول: متعبدون! لا، يوجد فوارق، وقد تحدثنا بالأمس عن هذه. تلك هي ممارسة معينة؛ لتكون متقياً إذا مارستها بمشاعر تقوى، يمكن أن تكون متقياً، وإلا فممكن تؤديها، وتغزل فيها، ويمكن ما تطلع متقياً.

أي: ليس مجرد أدائها يعتبر تقوى، ليس مجرد الأداء يعتبر تقوى، هي وسيلة من وسائل أن تكون متقياً، تعملها في إطار تحمل روحية يقظة، تخاف، تخشى الله فتتقي، يعني تعمل على وقاية نفسك من كل مساوئ الابتعاد عن سبيله، الخروج عن طاعته، الفسق عن طريقه.

[وقال تبارك وتعالى فيه:] أي في القرآن [{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}(الأعراف٣)] هذا يتكرر كثيراً في القرآن، عندما يقول لك: {مِّن رَّبِّكُمْ}، {مِّن رَّبِّكُمْ}، ما معنى كلمة: رب؟ عندما تأتي لمعناها تراها مشتق من التربية، هو ربنا أي: هو المعني بتربيتنا، ورسم طريقة على أفضل ما يمكن بالنسبة للإنسان في مجال تربيته، وهو خلق العالم هذا، وأنعم على الإنسان؛ ليكون على أحسن وضعية، في نفسيته، في سمو روحه، في زكاء نفسه، وفي وضعيته في الحياة.

التربية ألا تكون على هذا الشكل؟ التربية تهتم بالجوانب المعنوية، فيما يتعلق بالروح، وبالجوانب المادية أيضاً.

[{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}] هم لا يتذكرون! لماذا تتبع أولياء آخرين، تتبع أصحاب طرق أخرى، يرسمونها هم، وأنت تعرف أنهم بشر مثلك، قاصرين، ناقصين، مطننين فقط.

معظمها تكون هي عبارة عن تطانين، وعبارة عن أفكار، وفلسفات، يأتي يرسم طريقة معينة، لا هو يعلم الواقع، ولا يعلم السر، ولا يعلم الغيب، ولا الشهادة، ولا شيء، وقام يفرضها، ويجربها بالقوة، واكتشفت خطأ.

وكل من هم دونه، هل يعتبرون أرباباً؟ هل هم معنيين بتربية الإنسان؟ معنيين مثلما الله عندما يقول: {مِّن رَّبِّكُمْ}؟ هو طرف آخر، نظرية من طرف آخر، وأكثر ما تكون النظريات، تكون أيضاً مصبوغة بماذا؟ تعكس بيئة الشخص الذي عمل هذه النظرية الفلانية، مصبوغة أيضاً بمصالح معينة هو يراعيها، مصبوغة باتجاه قومي معين، أشياء كثيرة يكون طابعه فيها، طابعه فيها.

[وقال سبحانه:{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الأنعام١٥٥)] هو يقول: {وَهَـذَا}، لاحظ هذه الطريقة نقول: إن الله سبحانه وتعالى يوضح الأشياء، يبين، ما يقول لك: يوجد كتاب، هناك كتاب مبارك، ثم نقول: أين هو؟ ونبحث عنه، لا، موجود يا أخي هذا، هذا، موجود أمامك.

الآن القرآن هل هو شيء يتحدثون عنه مثلاً، مثل الاسم الأعظم؟ الذي لا أحد يدري به إلا مدري أين، أو خاتم سليمان، أو أشياء من هذه؟ ويقول: يوجد شيء، يوجد شيء كذا لو تتبعوه لكنتم كذا، ثم نقول أين هو ونقوم

نبحث عنه!! {وَهَذا} هي طريقة إلهية من زمان، من أيام آدم {وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ} (الأعراف١٩) أليس هكـذا؟ يوجه لشيء واضح أمامك؟ ينهى عن شيء واضح، لا يوجد غموض من جانبه.

{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ} لاحظ عبارة: أنزلناه، هو أنزله هو، من عنده {مُبَارَكٌ} كلمة: أنزلناه تساوي كلمة: {مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} (الأعراف٣)؛ لأن الضمير في أنزلناه هو ربكم {مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} مبارك هو. في الوقت الذي هـو يرسم طريقة هدى، ونور، ويهدي للتي هي أقوم، هو أيضاً مبارك، العمـل علـى أساسـه فيـه بركـة، فيـه بركـة عظيمة.

هذه القضية يجب أن يفهمها الناس، نفهمها، أن ينطلق الناس في أعمالهم على أساس سـتكون أعمـالهم مباركـة، ينطلقون في الحياة على أساس إتباع القرآن تكون حياتهم مباركة. البركة هي سر إلهي، زيادة على ما أمامك مـن أرقام، في تأثير الشيء، في فاعلية الشيء، في كثرة الشيء، في أشياء كثيرة.

البركة هي سر إلهي زيادة على مسألة الأرقام. أي يمكن أن تبيع من [قاتك] مثلاً بثلاثمائـة ألـف، ألـيس هـذا رقماً أمامك؟ ثلاثمائة ألف، تنزع البركة منه، تراها ما تعمل لك عمل عشرين ألف فيهـا بركـة! تقـول: [بعنـا بمبلغ كذا، لكن مدري كيف جاءت، احسب الجن بينها] بعضهم يقول هكذا.

البركة هي سر إلهي، حتى البركة في النفوس، حتى البركة في الغذاء، البركـة في النفـوس يقـول لـك بعـضهم: [كان احنا تقل تباعه مثل أثوار وما بلّى بين نأكل خبزه ولكوة] وإلا [خبزه وفجّلي] وإلا [ما بلى نهايـة الأسـبوع يأتي له كذا، ولا خبزه عامي أحياناً] يسموه عامي، من الكدة حق المدفن!.

ونحن نأكل كل يوم لحم دجاج، خضار، أشياء من هذه، وما هناك بركة، لا يوجد، إن سَمِن واحد، إنما فقط تحطم أكثر، وإن جلسنا هكذا ... يعني البركة الإلهية، هي سر في كل شيء، سر في كل شيء.

فهو مبارك بما تعنيه كلمة: مبارك من عظمة، من جلال بالنسبة له، وفيما يعطيه من أثـر. في الناحيـة العلميـة مبارك، أن تكون تهتدي به في معارفك، في علومك هو مبارك أيضاً، يفتح آفاقاً كثيرة من المعرفة.

{فَاتَّبِعُوهُ} وما أكثر ما تكررت كلمة: {فَـاتَّبِعُوهُ} {فَـاتَّبِعُوهُ}! عنـدما يقـول: {فَـاتَّبِعُوهُ}، هـي عبـارة أيـضاً واضحة، يقول لك: طريق مستقيم، شيء واضح، امشوا بعده، أي: المسألة لم يعد فيها كلفـة، المـسألة نفـسها لم يعد فيها كلفة، عندما يقول لك: {فَاتَّبِعُوهُ}، يعني قد رسمه، نزله، جعله مستقيماً، جعله بيِّناً، جعلـه نـوراً، لم يعد موكولاً إليك أنت أشياء كثيرة فيما يتعلق به، أشياء عملية كثيرة حتى تطلعه نوراً، أو حتى تطلعه هـدى، أو حتى تطلعه ... واضح، بيِّن، مهمتك: اتبعوه. ما قد هذا أسهل شيء أنك تتبع؟ أسهل شيء، امش على أساسه.

{وَاتَّقُواْ} عبارة: واتقوا هنا تعني: انطلقوا في إتباعكم له بروح يقظـة، تكونـوا حـذرين مـن أن تقـصروا في إتباعكم، أي إذا لم يحصل منكم إتباع، معناه: أوقعتم أنفسكم في ضلال، في خسارة، في مهالـك. اتقـوا، اتقـوا، يعني: قوا أنفسكم بإتباعه من أشياء كـثيرة يـؤدي إليهـا عـدم إتباعـه؛ ولتحظـوا بهـذا: {لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُـونَ} فسترحمون. وكلمة: ترحمون هنا، يعني: في كل مجال أنت بحاجة إلى الرحمة فيه، وكل مجال من مجالات الحياة، وكل شأن من شؤون الحياة يكون الإنسان بحاجة إلى أن يرحم فيه، فتحظون بالرحمة من الله.

[وقد قال قوم مبطلون، عماة لا يعقلون، أن قد ذهب منه بعضه، فافتروا الكذب فيه، وهم لا يشعرون] هذه من أين جاءت؟ جاءت بها أحاديث من عند السنّية، إنه كان سورة كذا مثل سورة كذا، ولكن أكلها الجرذان! كانـت تحت سرير عائشة أكلتها الجرذان!! أبو موسى الأشعري قال كان يعرف أن سورة - تقريباً - [والليل] مثـل سـورة [يس] وسورة كذا مدري أين جاءت!!

تجد كل باطل يأتي من عندهم، ناس اندس فيهم يهود فعلاً، وعندما تأتي أنت، عندما تأتي تتأمل من أين أتـي المسلمون فقدمت أشياء ... مع أنه بحين ما كان قد عند العرب خبرة، بنو أمية عندما حكموا، ما كان قـد عنـدهم خبرة في مسألة أنه كيف يعمل، خبرة في كيف أنه يرسم أشياء، في كيـف أنـه .. لكـن اليهـود عنـدهم خـبرة،

عندهم خبرة مئات السنين من قبل جربوا مع المسيحيين، ومن قبل عندهم خبرات في مسألة التحريف، مسألة التضليل، كيف يقدم بشكل مصبوغ بصبغة دينية.
أن يكون تشكيك في موضوع القرآن، يقرأ الناس التشكيك في الجامعات، في كتب تتحدث عن علوم القرآن، تتحدث عن كيفية جمعه، لولا أن الإنسان واثق من القرآن لكان هذا كله تشكيك فيه، في قصة جمع القرآن، وأحاديث أنه كان سورة كذا مثل سورة كذا.
{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر٩) لولا أن هذا مع هذه الآية تتبخر كل الأشياء التي يطرحونها: كان، وكان، ولولا فلان لكان أدى إلى كذا، خبصه عملوها، في كتاب: علوم القرآن للقطان، وعلوم القرآن أيضاً لواحد مصري آخر قد نسيت اسمه، بهذه الطريقة يجعلك تشك في القرآن؛ لولا أن الإنسان واثق أن القرآن أعلى من أن يحتاج إلى روايات: حدثنا فلان عن فلان، قال قال: نزل كذا، وحدد له آية تنزل، أو أن يحتاج إلى اثنين شهود، يشهدون أن هذه الآية هي آية، وعمر قال: معه آية، لكن قال: ما رضيوا يقبلونها منه؛ لأنه ما حصل شهود عليها!. أليس هذا الكلام كله باطل؟ تشكيك في الموضوع؟.
القرآن الكريم يشهد على أنه كامل، عندما ترى أنه ليس هناك شيء أغفله نهائياً. فإذا افترضنا شيئاً من القرآن نقص، هو لا يعني شيء، يعني لا يوجد شيء يتناوله، لا يوجد حاجة إليه. كل أمر، كل أمر مثلما قال: {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ} (النحل٨٩).
استعرض الأشياء في الحياة، افترض حتى أشياء، تجد القرآن تبياناً فيها، أي: لم يغفل أيّ مجال على الإطلاق. إذاً فما نقص منه شيء. لو نقص منه شيء لكنت ستلقى هوة وأنت تقرأ القرآن. لا، هذا معروف، إذا واحد يراجع بعض الكتب القديمة حق اليهود تلقى هوة، وتلمس أن فيه تحريف، أدخلت عبارات أخرى عندما ينقلون النصوص أن هناك حاجة هي ناقصة.
[فافتروا الكذب فيه وهم لا يشعرون]؛ لأنه قد يكون الموضوع أنه ربما قد لا يكون بعض الرواة يرويه على أساس أن عنده هدف هو: أن يخلق تشكيك في القرآن مثلاً، لكن روايات، المحدثين هم مثل الصحفيين سواء، حدثنا، أخبرنا، وهكذا، قرقرة وجمّاع أحاديث من أجل يطلع الحافظ فلان، أو شيخ الإسلام فلان؛ لأنه يحفظ أحاديث. مثل الصحفيين؛ ولهذا سطّروا الكذب، وبقي الكذب، خلدوا الكذب بالطريقة هذه.
[وقالوا من الافتراء على الله في ذلك بما لا يدرون. فيا سبحان الله! أما يسمعون لقول الله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}]، وإنا له لحافظون، وبعبارة تفيد الاستمرار. ما قال: كنا له حافظين، وإنا له لحافظون، يعني: على الاستمرار، من يوم تنزيله إلى آخر أيام الدنيا.
تولى حفظه، ما يستطيع أحد من أعدائه أن يلعب فيه على الإطلاق، ولا ينقّص منه ما يستطيع أحد. الحفظ من أن تتناوله أيدي التحريف، الحفظ من أن يتناوله أحد بزيادة أو نقصان. وحتى فيما يتعلق إذا ما حاول أحد أن يلصق به شيء، تعمل شيئا هنا، مقولة معينة، وتحاول تلصقها بالقرآن، أي: أن القران يدل عليها، القران يرفضها؛ لقوله: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} (فصلت٤٢) لا يمكن أن تجد فيه باطلاً، ولا يقبل هو أن يلصق به باطل. فقط الآخرون يظن أن الآية تعني هذا. يأتي عالم سوء يقول له: القضية كذا، ويقدم له آية، وهو لا يدري؛ ولهذا كانت جريمة كبيرة الإضلال، الإضلال كان جريمة كبيرة.
لو هناك من يتأمل يجد أن هذا غير صحيح، هذا الأسلوب، تجد هذا الموضوع ليس بهذا الشكل، هذه الآية ليس هذا موردها، ليس هذا الموضوع الذي تأتي بها فيه.
مثلما يقولون مثلاً بالنسبة لمن عندهم عقيدة أن الله هو الذي يقحم الإنسان في الباطل، في المعصية، في الكفر، في النفاق، ويسوقه إليه، ويجبره عليه. أليست هذه مقولة باطلة؟ يقول: قال تعالى: {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} (الرعد٢٧)

ذاك قدّر أنه صدق!. ارجع إلى {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} لا يمكن يكون هذا المعنى مقبولاً على الإطلاق، يرفضه القرآن، يرفضه.

[وقوله سبحانه: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}(البروج٢٢)] الله يتحدث عن أنه مثلما يقول: أصله محفوظ، مثلما تقول: النسخة الأصلية محفوظة، يعني: حتى القرآن هو مؤرشف، النسخة الأصلية محفوظة، مثلما يتحدث في أكثر من آية: {في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون} {فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}.

طيب: المقام هذا ليس مقام نقول: هل الباري سيحتاج إلى لوح، أو ما لوح؟ المسألة بالنسبة لنا نحن أنه يؤكد أكثر من مرة، وبأكثر من طريقة: أن القرآن لا يمكن أن تفترض، أو تقول: ربما يكون هناك شياطين في الوسط. قال: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ}(الشعراء٢١٢) أليست هذه واحدة؟ يطمئنك بالنسبة للطريق، بالنسبة لأصله أن هذا الذي عندك أصله محفوظ في السماء، لا ندري في أي سماء. {إنه لقرآن كريم {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}(الواقعة٧٩). يؤكد في آية أخرى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}.

[وكتاب الله فهو الذكر الحكيم] ثم نأتي في الأخير نناقش، ماذا يعني يقول: لوح، نفترض لوح؟! هل الباري بحاجة إلى لوح؟ الموضوع لا تنظر له من الناحية هذه، انظر لها من منظار أنه في إطار أن يرسخ ثقة لدى الناس بحيث ما يفسح لأي مجال للارتياب في القرآن. فكلمة: لوح محفوظ، شأنها شأن {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ}.

[وكتاب الله فهو الذكر الحكيم، والقرآن المكرم العظيم، فمن أين يدخل عليه مع حفظ الله له ضياع؟ أو يصح في ذلك لمن رواه عن أحد من الصالحين سماع] أي: رواية؟ لا يمكن أن تصح هذه الرواية على الإطلاق، فتكون صحيحة، أي: واقعية، وإن كانت رويت فعلاً قيلت، حدثنا فلان عن فلان عن أبي موسى الأشعري قال كذا. هذه الرواية حاصلة، لكن لا يمكن أن تكون صحيحة، أي لها واقع، أي: فعلاً هناك سورة نقصت، وكانت مثل سورة: [يس]، ولم تعد إلا بضعة أسطر.

[مع ما كان لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من الأصحاب، وكان عليه أكثرهم من المعرفة بالخط والكتاب] الآن هو يتحدث عن تفاصيل معينة، قد تكون التهيئة أن تكون على هذا النحو هي من ماذا؟ اعتبرها من تجسيدات الحفظ الإلهي. رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي تنزل عليه كان شخصاً يهتم جداً بالنص القرآني.

القرآن يحكي لنا بأنه كان يردد الآية الواحدة بعد ما يوحى إليه، يرددها، يرددها، يرددها من أجل لا ينسى، الله ضمن له هذه {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى}(الأعلى٦) ألم يتحدث عنه هناك بأنه كان يردده من أجل أن لا ينسى؟ طيب فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) اهتم بموضوع الكتابة، واختار ثقات ليكتبوا له هذا الكتاب، مثلما قال الطبري: بأن الكاتب الذي كان يكتب القرآن هو الإمام علي، قال: كان جبريل يتنزل على محمد، ومحمد يقرؤه على علي، وعلي يكتب.

الاهتمام من جانب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالقرآن لا يمكن تفترض معه بأنه يقبل شخصاً مثل معاوية، أو أي إنسان كذا يكتب له، هذه روايات. ارجع إلى رسول الله، وارجع إلى أهمية القرآن لديه؛ لتعرف أنه هل يمكن أن تعتمد على كُتّاب، أطرف كُتّاب! لا يمكن هذا. حتى رواية عبد الله بن أبي سرح، وتلك العبارات هي بعيدة أن تكون واقعية، يعتمد على أشخاص أطرف واحد يكتب.

أما الطبري نفسه فهو أكد هذه، أكد: جبريل ينزله، يوحيه إلى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومحمد يقرؤه على علي، ويكتب علي. ثلاثة أمناء، سماهم، ثلاثة أمناء على وحي الله.

هنا سئل حول القراءات كيف بالنسبة لها؟

فقال: القراءات هي من الخبصة التي عملوها، هي من الافتراضات التي عملوها، لكن القراءات ما كانت بالشكل الذي يؤثر على النص القرآني نهائياً، ما هي تؤثر على النص القرآني، يعقلون، تعقلون، وأشياء من هذه، ما تؤثر على النص القرآني نهائياً.

أي عندما يتحدث: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} تجد كلمة حافظون لها مظاهر مما هي يمكن أن تظهر، منها هذه الطريقة، مثلاً اهتمام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) به، اهتمامه بكتابته. أيضاً فيما يتعلق بقرناء القرآن، هذه قضية لها علاقة بحفظ القرآن. أن تأتي إلى الآخرين ما هم يأتوا يخربطوا قراءات، ويهتموا بقراءات، وأشياء من هذه؟ لكن هذه ما تجدها تؤثر على النص، يكون كل القراءات هي تدور حول الشكليات، حول الأشكال التي لم تكن عند العرب نهائياً، ولا كانت ضمن الكتاب يوم تنزل.

أليست القراءات الآن تأتي تتعلق بنقاط، أو بشكل ضمة، أو فتحة، أو أشياء من هذه؟ النص القرآني نفسه إذا أحد قال: أن هناك قراءة هي: تعقلون، يستطيع من يفهم بأنه لا، هذه يعقلون. إذاً هل هناك تأثير على النص؟ لا يوجد تأثير على النص نهائياً.

القراءات مع أنها قليلة القراءات، ما معناها أن كل كلمة فيها قراءة. عندما تأتي إلى كتب القراءات التي يتحدثون عنها هي قليلة جداً، محدودة، ومعظمها من هذا النوع: مَلِكِ، مَالِكِ. ما هناك تأثير على النص نهائياً.

لو قال واحد: هذه مالك يوم الدين، وقال آخر: لا، هي خالق يوم الدين، ممكن تعتبر هذه مشكلة، لكن ما هناك تأثير على النص القرآني أبداً يمكن جاء آخرون يتصور مثلاً عندما يكتب كلمة ملك أو كلمة مالك تكتب وتكون محتملة يأتي آخر يتوهمها قراءة، هذا الآخر ما دخله هو في الموضوع؟ أليس الله جعل للقرآن حملة وجعل له ورثة؟ عندما يتحدث مع الصحابة أن يتمسكوا بالإمام علي الإمام علي هو إذاً سيعرفون من خلاله هل هي ملك أو مالك. إذا أنت التبس عليك مثلا من خلال كَتْبَت الكلمة، جاء واحد ثاني يريد يطلعها قراءة هذا الإمام علي سيعرفك هل هي ملك أو مالك، أليس هو أعرف بالنص؟ هو أعرف بالنص القرآني؟.

ولهذا إلى حد الآن تلك الكلمات: سبعة أحرف، قراءات، أشياء من هذه، إلى الآن عادها ما قد تميزت! خاصة كلمة: سبعة أحرف، كما يقولون، نزل على سبعة أحرف، إلى الآن ما قد حددوها هم، ما قد تبلورت لديهم ما هي الأحرف، بعضهم يقول: سبع لهجات، سبع لغات، سبعة مواضيع: أمر، ونهي، وأمثال، وقصص... وأشياء من هذه.

وكلهم حول حديث: نزل على سبعة أحرف. أليسوا حول هذا؟ طيب: القرآن الكريم هو أبعد من مسألة أن يكون نزل بكم لهجات، يكون نزل بلهجات متعددة، لهجات داخله متعددة هذا بعيد جدا؛ لأنك تجد القرآن نفسه هو هذا يؤكد على مسألة أن تكون اللغة العربية هي اللغة العالمية، فهو لن يأتي يحاول يدون لك كم لهجات، لو كان سَيُدَوِّن لهجات لدوّن أيضاً لغات أخرى؛ لأنه كتاب للعالمين.

ألم تكن الحاجة ماسة إلى أن يكون أيضاً باللغة الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، وأشياء من هذه؟ فيكون نزل بسبع لغات، وليس بسبع لهجات عربية، يقول لك: يصح أن تقرأها على كذا، على لغة [هذيل]، ويصح أن تقرأها كذا على لغة [تميم]، ويصح أن تقرأها على لغة [قريش]! لا، لأن الذي هو من هذيل، والذي هو من تميم هو سيفهم المفردات بنزولها على لغة قريش أليس هو سيفهم؟ فهل يمكن أن القرآن يأتي ليراعي لهجته؟ أم أن الأولى إذا كانت المسألة بهذا الشكل أن يراعي لغات أخرى وهو للعالمين جميعاً، فيأتي أيضاً بصيغة انجليزية، بصيغة فارسية، بصيغة كذا. ألم يكن هذا هو الأحوج إليه لو كانت المسألة بهذا الشكل؟ لا، {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}(الشعراء١٩٥)؟ فإذا كان الهذيلي يستخدم [عتّى] بدل [حتى] مثلاً فهو يعرف حتى، فهي ضمن اللغة المعروفة لديه، المتداولة في بلده، في محيطه.

ولهذا نقول: ما هي طريقة مناسبة أن يأتي واحد ويقول: قرأ السبع القراءات، علامة، أو تدور لك لمصحف ملان قراءات من هذه ليست جيدة نشرها بين الناس على الإطلاق. وقُرِأ كذا، وقُرِأ كذا، وقرأ فلان كذا، وقرأ

فلان كذا. هذه طريقة تنزل للناس غير صحيحة، تساعد على تقبل أي تشكيك من الطرف الآخر، تساعد على تقبل التشكيك.

ثم أنهم ضبطوا القراءات في الأخير، جعلوها قضية رواية! فالقراءة هي: ما صح سندها، ووافقت العربية بوجه. أليست هكذا؟ وبعضهم قالوا: ووافقت الرسم العثماني. أي وافقت خط أي المصاحف العثمانية التي أمر عثمان بكتابتها وتوزيعها للمناطق. المسألة ليست مسألة تضع ضابط للقراءة التي هي صحيحة والقراءة التي ليست صحيحة.

القرآن هو أرفع من مسألة الأسانيد، هل تحتاج الشمس حدثني فلان عن فلان،عن فلان أن هناك شمس تطلع كل يوم؟ هل هناك سند بأن هناك شمس؟ القرآن هو كالشمس لا يحتاج إلى سند على الإطلاق.

إذا عندك أنه صح ما صح {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(البقرة٢٣)، إذا أنت تفترض أن فيه شك فأتِ بمثله.

أن يعجز البشر أن يأتوا بمثله، هذا هو ماذا؟ أقوى شاهد عند أنفسهم بأنه من الله، وبالتالي ما يحتاج إلى سند، ما يحتاج الباري إلى روايات نهائياً، حدثني فلان عن فلان أن الله هو الذي خلق فلان، لا يحتاج الباري إلى هذا، ما يحتاج روايات.

القرآن الكريم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تولى هو تلاوته على الناس {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}(النمل٩٢) ألم يكن يقرؤه دائماً عليهم في مكة، يقرؤه دائماً عليهم في المدينة، هو الذي كان يتولى قراءته، ويكرر قراءته عليهم. هذه واحدة من ماذا؟ من الضوابط للحفظ؛ لأنه ما كانت تنزل آية وكل واحد يكتبها، وكل واحد جاء يقرؤها من عنده، هو، هو يكرر قراءته على الناس في كل محضر، في كل اجتماع، ويقرؤها عليهم في كل صلاة، من الصلوات الجهرية.

إذاً هنا ترديده باستمرار من فم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست هذه قضية أيضاً واضحة في مسالة أنه يعني ما نزل في وضعية تحتمل فيها أنه تطرق إليه اختلاف، أو مثلا اختلاف في النقل، اختلاف في القراءة نهائياً؛ لأن من كان يقرؤه كثيراً هو الذي تنزل عليه، وهو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

تجد القرآن الكريم تحدث عن هذا في أكثر من مقام {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ}(العنكبوت٤٥) أتلو أنت {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}(النمل٩٢) وهكذا. وإلا فليست مسألة مضبوطة لو أن المسألة فقط نقول: هو نزل، وهناك كتّاب كثيرون؛ لأن قضية أن يكون هناك كتّاب كثيرون ليست مسألة ضبط. الضبط هو أن يعيِّن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من يكتبه، هو الذي يعيِّن.

وأن يكون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الذي يقرؤه كثيراً، كثيراً على الناس، فيحفظه من حفظه بنص من جانب الرسول، بحيث لو يطّلع واحد عبارة يغلط فيها، أليسوا هم سيقولون: غلط؟ يعني: مثلما الآن، لما أصبحت قراءته بالشكل الذي كتب عليه لدي قضية صحيحة، واحد قرأ آية وغلط فيها، ما واحد يرد عليه من هناك؟ لماذا؟ لأنه قد عُرفت كيف تلاوته، قد عرفت تلاوته.

إذاً فأن يكون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كرره كثيراً، كثيراً هو هنا سيخلق لك في الذهنية معرفة، بحيث واحد يقرأ بنص آخر يغلط يقولون: غَلِط.

أما بعض القراءات فهي تكون مثلاً سببها هكذا: فتّحوا الموضوع قليلاً؛ بأن بالإمكان أن أقرأ مثلاً باللهجة الفلانية، فأعمل إمالة مثلما عند ورش {وَيَقُولُونَ [مَتِي] هَذَا الْوَعْدُ}(الأنبياء٣٨) على أساس أن الإمالة موجودة في اللغة كذا {[مَتِي] هَذَا الْوَعْدُ} أو أشياء من هذه. ما تستطيع تقطع بأنه نزل القرآن بهذا النص: {مِتِي} يقول: هذه هي لهجة عربية.

هي تؤشر، هي مؤشر لك هذه، قضية القراءات التي يسمونها، هي مؤشر أن القرآن كان بحاجة إلى حفظ فعلاً، وأنه لولا أن الله تولى حفظه لرأيت فيه أشياء كثيرة، سورة طويلة، وسورة قصيرة، وهي نفس العنوان، نصوص تختلف عن نصوص أخرى، وهكذا، ولكانوا خبصوه خبصة.

وفي الأخير ترجع في هذا، هذا أصل ترجع إلى ما يسمى: السنّة ـ مثلما قلنا قبل أمس ـ موضوع السنة، أن السنة هي هذه الأحاديث، هذه الروايات، هذه الكتب : البخاري، ومسلم، وكذا، وكذا.. هذه هي السنة!! وأنت ملزم بهذه كما أنت ملزم بالقرآن.

نقول: المسألة لو كانت بالشكل هذا: أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يتحدث مع الناس هو يعتبر كلامه نصوص كنصوص القرآن يجب أن تدون للأمة؛ لكان هو أول من يجب عليه أن يقوم بهذه المهمة، فمتى ما تكلم يُلزِم هناك من يكتب عنه، ثم بعد أن تنتهي الكتابة يجب بأن يحفظ الموضوع كما حفظ القرآن.

فكيف تفترض لي أمرين، قضيتين، أنت تقدمهما كمنهجين، وترفض عندما أقول لك: القرآن هو حكم؟ يرفضون هذه، بل في تثقيفهم في الأخير يقول لك: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن! أليسوا هكذا يقولون؟ خاصة أصحاب جامعة الإيمان، هذا التيار حقهم، يعني: لدادة بشكل رهيب على السنة، السنة، السنة يعني: هذه الأحاديث، الأحاديث هذه.

فأول ما ترد عليه لو كانت القضية على هذا النحو من بدايتها، والمطلوب الإلزام بها نصياً على هذا النحو لوجب أن تكون محفوظة كما حفظ القرآن، وإلا فجوب علي عندما أقول لك: لماذا احتاج كلام الله إلى أن يحفظ؟ أما كلام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فليس بحاجة إلى أن يحفظ! أين أحكم كلام الله، أو كلام رسوله؟.

ألم يكن كلام رسول الله هو أحوج إلى أن يحفظ؟ وهو الذي يمكن أن يتطرق إليه الخلل؟ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يملك أن يكون لديه من الحكمة في كلامه كما هو موجود من الحكمة في كلام الله، مثلما تقول لا يملك رسول الله ما يملكه الله من أن يكون كلامه حكيماً بحيث لا يتطرق إليه الخلل على الإطلاق؟.

هذا الذي جعل كتابه حكيماً هو أيضاً قال: إنه حفظه، فلماذا تقدم لي رقماً آخر ليس محفوظاً؟ وتقدم لي القضية ورسول الله وكأنه عندما كان يخطب كأنه يقرأ سورة.

معلوم بأن الرسول عندما كان يخطب يختلف عن كونه يقرأ سورة، أليس هذا معلوماً؟ السورة يكتبها هو نصوصاً تكتب، نصوص تحفظ كتابة، وتخلد هكذا، تحفظ، وتكتب، أما ما يتكلم به هو فهو يقصد المعاني، الخطاب المعروف. عندما تقوم خطيباً في الناس في يوم الجمعة تخطب، ماذا تريد من خطابك؟ هل تريد أن الناس يحفظون نص خطابك، أو أنك توصل معاني لهم؟.

فعندما كان يخطب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ليوصل إليهم معاني، ليس على أساس أنه ليكونوا مثل الصحفيين، عندما يكونون في مؤتمر صحفي كل واحد بدفتره، ومكتّب؛ ليكتبوا نصوصه، لو كانت المسألة على هذا النحو لوجب عليه أن يكتبها هو، أو يكلف من يكتبها ثم يجب أن تكون محفوظة كالقرآن الكريم.

لكن ما كان يخطب به رسول الله، ما كان يتكلم به هو يدور حول القرآن نفسه، ويقدم القرآن بشكل توجيهات، معاني، هذا هو أسلوبه، وهذا هو الأسلوب الذي عليه الناس، عندما يأتي واحد يرشد الناس، عندما يأتي واحد يخطب للجمعة، ماذا يهدف إليه؟ المعاني، إيصال المعاني، أليس المقصود إيصال المعاني؟.

طيب: هذه المعاني نفسها قد يكون فيها نصوص، فتلاحظ يوجد نصوص معينة، نصوص معينة زيادة حجة على الناس، زيادة حجة على الناس مثلاً أن يحفظ حديث الثقلين، حديث الغدير مثلاً، حديث المنزلة، مجموعة أحاديث مما قالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليست سائرة في الأمة؟ أما نفس الموضوع بأصله، عندما كان يخطب، خلي علي بن أبي طالب ما يحفظ نصاً واحداً لفظاً، ما يحفظ ولا نصاً واحداً لفظاً، لكن هو يحفظ المعنى، والمضمون، ويحفظ المقاصد، ويعرف ماذا يريد. ما هو سيتحرك على ما يريد النبي تماماً؟ فيكون هو من حفظ السنة، ولو لم يحفظ نصاً واحدا بلفظه.

أنت عندما تخطب في الناس يوم الجمعة، هل أنت ستلقاهم، وتقول كيف أنت حفظت الخطبة؟ أو أنك تريد أن يتفهم الناس معاني ما تقول لهم. ما أعتقد أن هناك خطيب يخطب ويكون هدفه هو أن يحفظ الناس نص الخطبة، وإلا كان هناك طريقة ممكن يصورها، ويعطي كل واحد نسخة. أليست هذه أقرب، ولا يخطب ولا شيء. تكون يوم الجمعة تصور لك على عدد المصلين من الخطبة حقك، ووزعها، وتقول له يقيم الصلاة وبس، ألم تكن هذه هي أقرب؟.

كل كلام حول موضوع السنة، ويدافعون باستماتة عندما تقول أنه لازم أن تعرض على القرآن، لازم ما خالف القرآن نرفضه، يقولون: أبداً؛ لأن موضوع السنة هذه التي يسمونها السنة، موضوع يمكن داخله يلعبوا لعبة رهيبة، وكذب كثير: حدثنا فلان عن فلان عن فلان قال قال رسول الله .. كذبة يطلعها، ورسول الله بعيداً عنها.

أليس معناه أن هناك ثغرة، لو أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يريد هذه الطريقة معناه أنه هو الذي فتح ثغرة هو، ونعتقد أنه صحيح فعلاً أنه نهى عن كتابة الأحاديث، عن كتابة كلامه، وهذه القضية معروفة، أن هذا الحديث ما بدأ تدوينه إلا من بداية القرن الثاني؛ ولهذا من يكتبون في اللغة العربية لا يستشهدون بالأحاديث؛ لأنها إنما رويت بالمعنى؛ لأن هناك فترة ما رويت فيها أحاديث، يعني: ما دونت، ما كتبت نهائياً، ما بدأ التدوين إلا متأخراً. عندما بدأ التدوين كانت الروايات بالمعنى، كانت الروايات هكذا بالمعنى.

طيب: مشكلة التدوين إذا لم يكن هناك حفظ هو أن التدوين يخلد الكذب، والضلال، فيجعله قضية يمكن أن تتوارث، بينما أن لا يكون هناك من هذا الشيء الكذب يتبخر، ينتهي، أساطير ما تحفظ. لكن هنا عن طريق التدوين غير المحكم سطروا لنا فخلدوا كذباً، وباطلاً، وضلالاً إلى الآن، إلى الآن ما يزال.

كيف هم يطلعون السنة تصبح أعظم من القرآن. وعندما يقولون: السنة، يعني: ما لديهم من رصيد أحاديث، وفي الأخير ما يفترض أن تحفظ كما يحفظ القرآن! والقرآن هنا يكرر في كثير من آياته ما يدل على أنه محفوظ، أن الله اعتنى بحفظه، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر٩) أليست هذه عبارة مكررة مؤكدة؟.

ولهذا نقول: في منهجية الناس الثقافية، وأنت ترشد، وأنت تعلّم، وهي طريقة نحن نسير عليها اعتقد وقد تكون هذه ملموسة في عملنا، تتجنب الروايات بشكل واضح، الأحاديث أليست نسبة بسيطة جداً داخل ما قلناه؟ لا تأت - يا أخي - على الناس تخطب: وقال قال رسول الله، وروي عن رسول الله أنه قال، وحدثنا فلان عن فلان أنه قال قال .. أنت هنا ترسخ عند الناس قابلية طريقة، سيأتي من يقرأ عليهم بالأسلوب هذا كذباً على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

اربط الناس بالقرآن، اربط الناس عندما تخطب، عندما ترشد، عندما تتحدث، اربطهم بالقرآن، وبعد أن تصح لديهم الطريقة فيفهمون أن المسألة مضبوطة، ليست مفتوحة، من أين يتلقون، ممكن تأتي بحديث من طريقة، من داخل الطريقة التي قد هي مضبوطة عند الناس، وقد هم فاهمين بأنه ما يتلقى حديثا من أين ما جاء، كنا نرى المساجد في صنعاء، يخطب على هؤلاء الناس، مجاميع من الأمة : حدثنا فلان، عن فلان، قال قال رسول الله، وروي أن رسول الله قال قال ... هنا هو يرسخ أمام المجاميع من الناس ماذا؟ الأحاديث، منطق الأحاديث، تقبل الروايات. ما هو يرسخ تقبل الروايات؟.

يأتي آخر بروايات باطلة، يقول: حدثنا فلان عن فلان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله، ويطلع لك حديثاً باطلاً، وهم قد صاروا متعودين على تقبل الروايات، هذه طريقة خاطئة.

الله يقول لرسوله: {وَذَكِّرْ بِهِ} (الأنعام٧٠) {وَأَنْذِرْ بِهِ} أليس هكذا يقول؟ يقول له: أنت ذكر بالقرآن، أنذر بالقرآن، وخلال توجيهك الناس إلى القرآن، وأنت تتحدث عن الهداية، عن سنن الله في الهداية، في الأخير يعرفون أين الطريقة، في الأخير قدم لهم هذه الطريقة إذا هناك نصوص، وقد تكون قليلة النصوص؛ لأن الإمام علي ألم يكن شخصاً يهتم؟ وهذه هي القضية الصحيحة {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} (الحاقة١٢) يعي تماماً ما يقول

رسول الله، يعي تماماً ما يريد، يعي تماماً ما يقصد، فعندما يتحرك على هذا الأساس، ما هو أنه يأتي يحفظ العبارة، يحفظها لفظاً، لفظاً، لفظاً هكذا، ثم في الأخير يكتبها، ويطلع له كتاب أحاديث.

أبو هريرة مثلما قلنا سابقاً: هذا كان عاملاً لمعاوية، أليسوا يحكون عنه أنه ملان أحاديث، ما يفهم السنة، ما يعرف ماذا قال رسول الله، ما يعرف ماذا يعني، ما يعرف ماذا يقصد، إنما مثلما تأتي تكتّب، لكن الإمام علي هو الذي يعرف، هو الذي يفهم، وهذا هو الضابط الحقيقي؛ ولأنه في الواقع؛ لأنه في الواقع أن القضية هي كلها مرتبطة بالقرآن {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} (يونس١٥) **أليس هكذا؟ {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}** (الأحزاب٢) **وليس أنه هو نفسه رقماً آخر، رقماً جديدا يأتي بأشياء جديدة.**

فعندما يأتي أشياء ـ مثلما قلنا سابقاً ـ عندما يأتي أشياء من الشرائع مثلاً محددة، أليس بالتأكيد الإمام علي سيفهمها، ومن يوكل إليهم أمر الأمة سيفهمونها، هداية الأمة، نقل الدين بالتطبيق إلى الأمة؟ سيفهمونها، ويفهمون محتواها، ويعلمون الناس بها.

ما هو يأتي يجمع لي أحاديث ثم يقدمها في الأخير في ذهنية الطالب بأنها أهم من القرآن، وهذا الذي عليه أهل السنية، وخاصة الوهابية، وبزيادة في الزمان هذا المتأخر، ركزوا جداً على هذا الجانب.

جامعة الإيمان في صنعاء معها ملزمة في هذا الموضوع، كلام سيء يقول فيها: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن!! بالعبارات هذه؛ ليشدك إلى الأحاديث، والروايات، ويخليك بمعزل عن النص القرآني، عن القرآن.

وإذا قد أنت هناك حول روايات سيعمل ما يريد معك، وقد عمل الأولون، قد عملوا كمّن كذبة، وكمّن افتراء على الله، وهو قدمها أن هذه حدثنا، وقال قال رسول الله، ولو هو كلام مخالف للقرآن! هذه سنة، هذا بيان للقرآن!! البيان يقول لك، البيان لا يجوز أن يعارض ـ مثلما قال الوالد في الرد عليهم ـ البيان لا يجوز أن يكون معارضاً للمبيَّن، هذا ما يسمى تفسير، ولا يسمى بيان، تقول لي؛ لأنها بيان، وتبين.

هذه المسألة نفوسهم هم عجزوا فيها، عندما يقولون: لأن السنة مبينة للقرآن، طيب، قلنا: هاتوا تفسيراً للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **للقرآن. جاء محاولة في الموضوع [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] مثلاً أليس هذا للسيوطي؟ تجد التي هي تفسير قليل جداً جداً عن رسول الله، وروايات متعارضة فيها، من عند الفاتحة، روايات متعارضة فيها، ثم في الأخير يعود إلى الضحاك، وابن عباس، ومن تلك الروايات حقهم، زعم أنه تفسير بالمأثور.**

لا يوجد تفسير عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، **لا يوجد تفسير عن رسول الله إلا أقل قليل، كتفسير للنص، هذه تعني كذا، بالطريقة التفسيرية المعروفة. لكن هو في حركته كله تفسير وتبيين، وتوجيهاته كلها تفسير، وتبيين.**

وهذه هي الطريقة المطلوبة، وليس أن يقول: يريد يفسر له عبس، عبس معناها كذا: قطّب وجهه، لا يوجد روايات عن رسول الله في هذا، هل يوجد شيء؟ وهكذا على الطريقة هذه ما تحصل، عجزوا هم عن أن يأتوا بتفسير مأثور فرجعوا إلى تفاسير للضحاك، وابن عباس، وعكرمة، وزعطان، وفلتان.. و.. و.. ما هناك شيء.

[وكان عليه أكثرهم من المعرفة بالخط، والكتاب، إن هذا] يعني: **القول بأنه نقص منه شيء، أو ضاع منه شيء [إن هذا من الافتراء لعجب عجيب، لا يقبله مهتد من الخلق، ولا مصيب. فنعوذ بالله من الجهل والعمى، ونسأله أن يهب لنا بكتابه علماً، ويجعله لنا في كل ظلمة مظلمة سراجاً مضياً، ومن كل غلّة معطشة شفاء ورياً، فقد جعله رياً من الظمأ لمن كان ظمياً، وضياء من العمى لمن كان جاهلاً عمياً، فهو البصر المضيء الذي لا يعمى]** أو لا يُعمِي **[والرِّي الروي الذي لا يظمأ]** يعني: **لا يعمى من استبصر به، لا يظمأ من ارتوى به.**

[فمن روي به من الصدى بإذن الله ارتوى] الصدى: **الظمأ [ومن أبصر ما فيه من الهدى سلم أن يضل، أو يغوى]** ما أحد يستطيع يغويك على الإطلاق، أو يضلك، بل كل باطل تجده شاهداً للحق الذي عندك.

فإذا لم يهتد الناس بالقرآن يكونون عرضة للضلال، للشبه، يكون واحد مهزوز [بل هو سراج السُرُج، وحججه فأبلغ الحجج، كما قال الله ذو الحجج البوالغ، والحق المبين الغالب الدامغ: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ}] بالغة في أثرها، بالغة في حجيتها، قاطعة مؤثرة، ما يبقى معها أي اشتباه، أو التباس، أو تظلم، يقول: [والله أنت ما أعطيتنا حجة كافية، ما بينت لنا [{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}(الأنعام١٤٩) وقال سبحانه: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}(الأنبياء١٨)].

هذه قضية، قضية معرفة، الحق والباطل، وموقع الحق، وموقع الباطل، ومدى قوة الباطل، والحق. هذه القضية يجب أن يفهما الناس بشكل واضح، أن الله يتحدث عن الباطل بأنه يُزْهَق أساساً، لا يثبت، لا يستقر، لا يستطيع أن يثبت على قدميه أمام الحق. وكيف التصور الآن بالنسبة للحق والباطل؟ قد الحق الذي نعتبره لا يستطيع أن يثبت! والباطل هو الراسخ في الدنيا، والدنيا خلقت للباطل!! هذا من المفاهيم المقلوبة، المغلوطة.

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} أليس هو هنا يتحدث معك عن طبيعة الباطل؟ كيف هو، كيف اهتزازه، كيف عدم رسوخه، كيف أنه هو الشاذ في الحياة، هو الذي لا يثبت، يتحدث في آية أخرى: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء}(الرعد١٧) ألم يشبهه بالزبد الذي يكون على الماء؟ عندما يحتمل الوادي، ويظهر [الجفلة] الزبد فوق الماء، هذه هي: الجفلة التي تراها عندما يحتمل الوادي.

أليس هو يذهب جُفاء، لا يثبت؟ هذه تعطي رؤية بأن الباطل ليس هو الشيء الثابت في الدنيا، ولا خلقت الدنيا لتكون موقعاً للباطل يترسخ فيها فكأنها هي أرض الباطل، وليست أرض الحق! أبداً إن الله يقول: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ}(الحجر٨٥) هي فطرتها قائمة على الحق، والحق ينسجم معها، وهي موقع الحق، ومكان الحق، من أين تأتي.

عبارة أنه أهل الباطل والباطل [وياخه الناس ما عاد هم سابرين، وهذه أشياء ما عادها متغير، والزمان هذا ما عاده سابر فيه شي...] أليست هذه عبارات تسمعها؟.

هنا يقول لك: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ}(الأنبياء١٨) يقهره، يضربه ضربة قاضية{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} إنما فقط لا يأتي من يتحدث بالحق. هذه هي المشكلة، يزهقون هم أهل الحق، يمتلئ باطل، وعنده أنه هو الذي هو صاحب حق.

مما يدل على أنك مبطل أنني أراك زاهقاً، إنما فقط باطل يزهق أمام باطل، هذا ممكن، باطل لديه آلية أقوى، عنده كذا، أنت عندك باطل، وهو باطل يزهق باطل، أما لو أنك على حق لما استطاع أبداً أن يثبت الباطل أمامك على الإطلاق؛ لأن الباطل ضعيف، وبضعف الباطل يضعف أهل الباطل مثلما تحدث في آية أخرى: {فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}(النساء٧٦).

وهم أليسوا يسيرون على كيده؟ معناه: أنه من يسير على منهجية ضعيفة، على رؤى ضعيفة، كيد ضعيف، هو بالطبع يكون ضعيفاً، يكون ضعيفاً في مواقفه.

الباطل لا يثبت أمام الحق نهائياً، هذه قاعدة؛ لتعرف أنك أنت الذي ضعفت أنت، أي: في أسلوبي ما هو خطأ، في أسلوبي ما هو باطل، أو ربما المفهوم الذي أتحرك عليه هو مفهوم باطل، فيكون باطلاً، عجز أمام باطل فقط.

إذا انطلقت على هذا الأساس معناه أن أنسب الضعف إلي أنا، أترك الحق نظيف، أترك الحق على أصله، لا أن ترجع ترد السبب في الحق، وترجع تنسب في الأخير الضعف إلى الحق، حتى تجد من يقول لك: أهل الحق دائماً يكونون ضعافاً، وأهل الحق ما يسبر لهم شيء، ولا يقوم لهم شيء، ولا تسبر الدنيا لأهل الحق! أليسوا يقولون هكذا؟ أي لا ينجحون في مواقفهم.

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} قد يكون هؤلاء داخلون في الويل هذا، يقول لك: [أهل الحق ما بيسبر لهم شيء، والدنيا هذه ما بيسبر فيها الحق وأهل الدين يكونون ضعافا] هذا منطق شيطاني هذا حقيقة، منطق سيء إلى أبلغ سوء.[وأهل الحق يكونون كذا] يا أخي لا، الحق الله يحكي عنه هكذا: الحق هو القوي، والباطل هو الضعيف، إنما أنت لا ترضى تتحرك على أساس الحق، أنت على باطل بدليل منطقك هذا، منطق ضعيف، وهو في منطقه هذا ليس نتيجة حق، أي أن الحق هو الذي أعطاه هذه الرؤية، أبداً هذا باطل، نتاج باطل.

ثم ترى في الأخير عندما يقول لك: حق وباطل، وأن الحق يدمغ الباطل، ويزهقه. هل تتصور أنه نأتي نعمل مصارعة بين حق وباطل، في حلبة حق وباطل. هكذا مثلما تعمل الدّيكة، أو الأثوار، أو شيء، بين من يكون الصراع؟ بين من ومن؟ بين أهل الحق وأهل الباطل، ما يأتي صراع هكذا، ترى الحق والباطل متصارعين مثلما ترى اثنين أثوار متصارعين، لا، أهل الحق وأهل الباطل.

أهل الحق إذا عرفوا كيف يتحدثون بالحق هم سيزهقون الباطل، ويضعفون جانب الباطل فتضعف نفسيات أهل الباطل، يرتبكون هم في قراراتهم، تضعف نفسيته، ويرتبك هو. لكن إذا لم تكن بالشكل هذا، يضعف الذين هم يحسبون أنفسهم على الحق. لم يعد يبق هذا إلا دعوى، أما الحق في الواقع فلسنا عليه وفق ثقافتنا هذه، إنما مفاهيم باطلة قد نحن ملان باطل، إنما فقط مقدرين أننا على حق، ونحن نترك الحق. أليس هذا من الحق؟ من تراث أهل البيت الحق؟.

هذا الكتاب، [مديح القرآن] يعطي رؤية صحيحة عن القرآن، مفاهيم صحيحة عن القرآن، هذا متروك لا يعملون به، الزيدية هنا لا يعملون به، ولا يسيرون عليه، ولا نظرتهم للقرآن نظرته! تجد نظرتهم للقرآن نظرة الزمخشري، نظرة المعتزلة، نظرة السنية، وعاد يقول نحن أهل البيت، وكتاب الله وعترتي، وسفينة نوح، وأشياء من هذه! ما عاده هو في السفينة، لم يعد هو في السفينة، وهو يريد أن يكون سفينة، لم يعد هو في السفينة بكله.

أليست هذه هي رؤية الإمام القاسم عندما يقول: [وحججه فأبلغ الحجج كما قال الله ذو الحجج البوالغ، والحق المبين الغالب] يتحدث بالغلبة لجانب الحق، النصر بجانب الحق، القوة لجانب الحق.

أصبح المنطق السائد:[أهل الحق لا ينتصرون، وأهل الحق يكونون ضعافاً، وانا بوك قد الدنيا فسلة ولا عاده سابر شي فيها] أليس هذا منطق آخر؟ هذا هو نتيجة ثقافة أخرى، وليس نتيجة ثقافتهم، عندما يقولون لك: أهل البيت، هذا منهج أهل البيت، هذا المنطق الذي يتحدث به الإمام القاسم في الكتاب هذا: [مديح القرآن] هو نظرة أهل البيت، ورؤية أهل البيت، وتوصيات، وتوجيهات أهل البيت.

[فمن عمي عن حججه فلن يبصر] فلن يبصر، لو عيونه كبار كيفما كانت [ومن حاجّ بغيره فلن يظفر] هذه قاعدة هامة، ومن حاجّ بغير القرآن فلن يظفر، لن يكون له الظفر، ولن يكون له الغلبة، ولن تكون له الحجة، إذا كان يحاج بغير القرآن، وعلى غير منهجية القرآن، وعلى غير رؤى القرآن فلن يظفر.

إذا انطلق الناس على أساس القرآن، وثقفوا أنفسهم بالقرآن، وتوجهوا توجهاً قرآنياً، عندما نقول: توجها قرآنياً لا تتصور أنه ما يزال هناك أشياء نواقص هنا وهنا، القرآن كامل، والناس في هذه المرحلة بحاجة إلى هذا؛ ما بقي إلا القرآن، ما بقي إلا القرآن الآن الذي ما يزال بالإمكان أن يشتغل بشكل صحيح.

نحن الآن نرى نظريات تهاوت، ومذاهب فشلت، أليس هذا شيء واضح؟ ورؤى، ومناهج أيضاً فشلت. أنت عندما تريد أن تعتمد على واحدة من هذه لن تأتي بجديد، هل عندك جديد؟ أنت ستعتمد على طريقة قد ظهر بطلانها، تعتمد على منهج قد ظهر فشله، ما بقي إلا القرآن.

فالناس بحاجة إلى القرآن يتثقفون بثقافته، ويفهمونه. فإن دخل في محاجة، دخل في مناظرة، دخل في حوار فسيكون له الظفر، وسيغلب، وستكون الحجة معه، ويكون منطقه قوياً بقوة القرآن، وإن جينا نلبج في أشياء

ثانية فستضعف أنت أمام أخس الناس، أمام كافر بالله، قد تضعف أمامه، وتكون أنت في نفس الوقت تصد عن دينه ربما آلاف البشر، خاصة في الزمن هذا، عندما تكون في مناظرة تلفزيونية، أو في حوار تلفزيوني يبث في كل أنحاء الدنيا من خلال الفضائيات هذه يرتكب واحد جريمة صد عن سبيل الله على أوسع نطاق.

[ومن ضل عنه عظم ضلاله] [ومن ضل عنه] عن القرآن [عظم ضلاله] تضاعف ضلاله، ويعظم ضلاله، ضلال مبين، ضلال كبير [ومن قال بخلافه كذّب مقاله، ضياء سراجه ووحيه، ساطع لائح، وعزم أمره ونهيه، رحمة من الله ونصائح].

وعندما يقول الله فيه بأنه نور، نور على طول الزمن، مهما كان هناك من ظلمات، أو ظلمات تكبر، أو ظلمات جديدة، ما يزال نوراً، ما ينتهي الوقود حقه فيضعف في الأخير، أو يطفأ، هو ضياء.

فتجد أنه فعلاً نور - كما قال الله فيه - بشكل عجيب أنه بعض الآيات فيه يبدو وكأنها نزلت لهذا الزمن، وكأنها نزلت في ذلك الزمن، وعندما تراها وكأنها تحكي هذا الواقع، وكأنها تؤهل لمواجهة مثلاً ضلال، أو عدو لديه مثلاً وسائل معينة، يقتضي أن يكون من يواجهوه على هذا النحو الفلاني، إنه يتقد نوراً مع الزمن، لا أنه يخبو نوره.

[وعزم أمره ونهيه] إما أن يكون بمعنى عزم مثلما تقول: لازم، أو تكون على شبيه كلمة لقمان لابنه وهو يعظه {إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(لقمان١٧) الأمور التي تعتبر من الحزم، من أمور أولي العزم؛ لأهميتها، ولأهمية نتائجها، ولحسن عاقبتها. هو أيضاً رحمة من الله، ونصائح لعباده.

[فيه قصص الأمم والقرون، وتفصيل الحكم كله والشؤون] تفصيل الحكم كله والشؤون، والشؤون كلها، مهما اتسعت شؤون الحياة، مهما اتسعت مجالات الحياة. [يخبر عن السماء والأرض وابتدائهما، وعن الجنة والنار وأنبائهما] يخبر عن ما هو مخلوق مما نحن نعرفه، ونحن نتحرك فيه، مثل الأرض، ومما نحن نراه ونشاهده ونحن بعيدون عنه كالسماوات، ويخبر حتى عن الشيء الذي ما يزال مغيب، الجنة والنار.

وتلاحظ مثلا حتى تعرف بأن أخباره صحيحة كالمغيبات مثلا عن قضية النار عندما يتحدث عن أهل النار ماذا سيقولون فيها. نحن عادة في أسلوبنا ألست عندما تقول لواحد: [يا خبير أحسن لك كذا وكذا لا ترجع تقول..] ما واحد يقول هكذا؟ تكاد تعرف في الأخير ماذا يمكن أن يقول فيما بعد [لا ترجع ما ندري إلا وقد أنت تقول كذا وكذا، ما لنا دخل] عندما يقول لك أنهم سيقولون في الأخير كذا وكذا، يتحدثون عن الضلال، وكانت المشكلة هي أنهم كانوا ضالين {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا}(الأحزاب٦٧).

تستطيع أن تعرف أنها قضية حقيقية من القرآن، تلاحظ القرآن ماذا يتحدث، وتلاحظ الغاية هذه، وتلاحظ الناس، تجد فعلاً أنهم لا بد أن يقولوا شيئاً من هذا. الزائد في الموضوع هو أنه الله يخبر عن النص الذي سيقولونه فعلاً، الموضوع بالتأكيد سيقولون سيصيحون من الضلال، سيصيحون ممن كانوا أتباعاً لهم في الدنيا يصيحوا من كبرائهم من وجهائهم الذين عبر عنهم بقوله: {سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا}.

{فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} يعني: ما تقول إنه يمكن واحد يأت يعمل أشياء. الآن لو تأتي تفترض أنت تقول بعد كم سنين سيحصل كذا، كذا من رأسك، عندما يأت واحد يتأمل للواقع سيعرف بأن مثل هذا لن يكون نتيجة طبيعية مثلاً لتداعيات هذا الواقع حتى يقولون هكذا.

أليس هنا يستطيع يكذبك واحد؟ فالشاهد على أنهم فعلاً سيقولون هذا الشيء، الإخبار بالغيب هو نفسه من دلائل إعجازه على ما يقولون، وهو في نفسه يشهد على الغيب، القرآن يشهد على الغيب نفسه، وليس فقط تنظر للغيب بأنه شاهد للقرآن بل القرآن نفسه هو يشهد على الغيب نفسه، أي ففيه ما يشهد بأنه فعلاً سيقولون هكذا، حكم واقع القضية أنه فعلاً سيقولون هكذا. أي أن من يكون شأنهم هكذا من الطبيعي أن يصلوا إلى حالة كهذه.

هنا هو يقدم فعلاً أنهم سيقولون. الشيء الذي لا أملكه أنا هو أنه فعلاً سيقولون، أو ربما قد تكون حالة نفسية لديهم مثلاً الله في القرآن يقول بأنهم فعلا سيقولون هذا. أنا سأعرف فعلاً بأن هذا احتمال كبير جداً جداً حتى لو لم يكن في إطار غيب أن يقولوا كلاماً من هذا، من خلال معرفة القرآن، معرفة الإنسان، معرفة الغاية هذه.

ونحن نقول شبيه لهذه، عندما تكون أنت تحدث شخصاً عنده قضية معينة، أليس هكذا؟ واقع معين، أنت تعرف كيف قد تكون النتيجة؟ ألست ستفترض بأنه لا يأتي في الأخير وتكون قد أنت تقول كذا كذا. أليس هكذا يقول الناس؟

[وعن الجنة والنار وأنبائهما] أخبارهما، أخبر عنهم بالتفصيل، تفصيل كامل [وعن ما فطر من الجن والإنس وخلق من كل بدن ونفس بأخبار ظاهرة جلية وأخر باطنة خفية] استوحى من خلال مثلما يقولون مما بين السطور [وأخر باطنة خفية إلا عمن خصه الله بمستورها، وأطلعه بمنه على خفيّ أمورها، فعنده منها، ومن الخبر عنها عجائب كثيرة لا تحصى، وعلوم جمة لا تستقصى، فهو ينظر إليها ويراها بغير قلب منه] أو [بعين قلب منه] هذه عبارة فيها إشكال هنا، العبارة هنا [بغير قلب منه يرعاها] في مكان آخر تحدث بأنه [بعين قلبه] فكأن العبارة هنا: [بعين قلب].

هذه من الأشياء العجيبة في القرآن أنه عندما تراه يتحدث عن قضية هو يشخّص المجتمع، أحياناً يعطي صورة عن المجتمع نفسه، يشخّص لك واقع أمة، يشخص لك المجتمع كيف كان طبيعته، حياته، تفكيره، العوائق فيه، الوضعية. يشخّص الإنسان، الإنسان كإنسان يشخصه في طبيعته في العوائق لديه.

وفي هذا المجال أحياناً قد يغلط واحد عندما يقول: {إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم٣٤) هنا لا تفهمها بأن معناه أنه هكذا بالطبيعة التي خلق عليها. هو يتحدث عن واقع هو عليه، هكذا أصبح، هكذا صار، وإلا فالإنسان بطبيعته أليس هو يتأثر بالإحسان؟ يتأثر بالإحسان، لكن عندما يفهم الإحسان، عندما يفهم الأشياء هذه النعمة؛ ولهذا معروف عند الناس أنه [أحسن إلى من شئت تكن أميره] أليست هكذا؟ ليس بطبيعته، بطبيعته هو، غريزته التي خلق عليها، ظلوم كفار.

أحيانا قد يصل الناس تترسخ لديهم حالة فتبدو وكأنها غريزية، أو طبيعية، في فترة ـ مثلاً ـ الضلال الذي تراكم حتى رسخ لديهم أشياء فأصبحت وكأنها حالة، وإلا الباري سبحانه وتعالى ما يمكن أنه يخلق الإنسان ـ مثلما نقول أكثر من مرة ـ فيكون في الكيفية التي خلق عليها، والغرائز التي أودعت فيه هي كلها عوائق عن الهدى، هذا ليس صحيحاً ما يمكن هذا، لكانت المشكلة من عنده هو، مثلما قلنا قبل أنه مثلما تأتي تفصل طاقة ٦٠ × ٦٠ فتحة في الجدار، وتعمل عليها طاقة مثلا ٨٠ × ٨٠ من عند النجار، وتركبها. هل يمكن تركب؟ لا، أنت هنا عملت عوائق، أنت، فتحت فتحة صغيرة في الجدار، وتعمل طاقة كبيرة عند النجار هي غير متلائمة.

الإنسان قد يصل إلى حالات من هذه، يصبح ظلوما كفارا، يصبح أكثر الناس لا يعقلون، أكثرهم لا يفهمون، أكثرهم كذا؛ لتراكم الضلال لديهم؛ لإعراضهم مثلاً، يحصل إعراض، إما نتيجة خوف، أو نتيجة رغبة في مصالح، أو استماع إلى كبراء وسادة كما قال الله: {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} (الزخرف٣٧) وأشياء من هذه، فيتراكم ظلم.

الظلم، الضلال في الأخير يترسخ فيبدو وكأنه يصبغ الإنسان بطبيعة معينة، يصبح لديه طبيعة معينة، تصبح نفسيته هكذا.. يأتي القرآن الكريم يأتي الهدى من الله أليس هو أيضاً ليحول النفسية؛ ليصبغ النفسية، ليزكيه مثلما قال يزكيه.

يا إما ضلال، باطل، يصنع لك نفسية، ويصنع للمجتمع نفسية، يصبح ظلوما، كفارا، يصبح مفسدا، يصبح كذا.. أو هدى يزكي النفوس فتصبح نفوساً طاهرة، يصبح عنصر خير، ويأتي الخير على يديه، سواء فرد، أو مجتمع، نتيجة هدى الله. أليس الهدى يتجه إلى النفس، الضلال يتجه إلى النفس؟.

لاحظوا الذي في الأخير يكشف الطبيعة الحقيقية عند الإنسان، في وقت يكون هكذا، يكون فيه لعبة، وتمـرد. متى ما مر بحالة صعبة أليس هو يعود إلى الوضعية الطبيعية التي خلق عليها؟ إذا هناك مريض قد هو يقول: يـا الله لك الحمد، ولك الشكر يا الله، إذا قد صار يأكل لقمتين، قد هو ملان حمد وشكر وملان إيمان بالله، ومـلان. عندما يحس بنفسه بأنه تعافى قليلاً قد صار يتحمد لله؟ [ما أطعم العافية]..

عندما تدخل على مريض، وقد صار يتحسن ما بيكون يقول هكذا؟ يتشكر لله، ويتحمد. كذلك حكى عمن كـانوا في البحر عندما يكون هناك أمواج عاتية، وحالات من هذه {دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ}(يونس٢٢) مـن داخـل قلبه.

وهكذا، لكن متى إذا وصلوا إلى البر، وأمِنوا، رجعوا لتلك اللعبة، إذا قد هـو بخـير، نـسي تلـك الحالـة عنـدما تبخّير، لحظة تعافى من المرض الفلاني، ألا يكون ملان حمد وشكر؟ يـومين، ثلاثـة، ثـم ينـسى تلـك الحالـة، ويصبغ نفسه بصبغة أخرى.

فهنا تكون الغرائز الحقيقية، داخل، تكشف كيف واقعك. وكل هذه تثبـت أن الإنـسان بحاجـة إلى هـدى الله؛ ليكون مستقيماً، إذا سار على غير هدي الله فسيكون ظلوما كفـارا، مفـسدا، لعينـا، شـريرا، {قُتِـلَ الْإِنـسَانُ مَـا أَكْفَرَهُ}(عبس١٧)، وأشياء من هذه، يحصل لديه، يعني ينطبع بطبيعة أخرى.

هذه قضية هامة، لها علاقة بالجانب التربوي، أن تعرف أن الإنسان هو بهذا الـشكل، ولهـا علاقـة بتنزيـه الله سبحانه وتعالى، لها علاقة بتنزيه الله. فلو تتصور هكذا أنه أنزل هذا الهدى لكـن هـو خلـق الإنـسان بالـشكل الذي لا يقبل هذا الهدى؛ لكان هذا يتنافى مع الحكمة.

بعض الناس يقول، أذكر واحد من الدكاترة كان يقول من خلال تصوره للموضوع: أنه يبـدو أن الـدين إنمـا هـو مثالية، قضية مثالية! هذه قد تحصل لديك الفكرة هذه، إذا أنت تـرى أن الإنسان مـن أساسـه خلـق علـى هـذا النحو الذي لا يقبل الدين، فقط يعرف أن الدين ممتاز، أما واقعاً فلا يمكن أن يحصل، فتقول: هذه مثالية، لكن لا، الموضوع ليس بهذا الشكل.

هنا يقول: {فاتبعوه} {ولو أنهم آمنوا واتقوا..}، والله يدعوهم إلى واقع يكونوا عليه وهم متلائمين معه يمكن أن يسيروا عليه. ويتحدث عن مصائب كانت عليهم؛ لأنهم لم يسيروا على هـذا النحـو، أي: أنـه قـضية واقعـة، الدين أمر واقعي، يمكن أن يطبقه الناس، ويمكن أن يسيروا عليه، بل يمكن أن يضحوا من أجله، بل يمكـن أن يعتزوا به، ويلمسوا ويتذوقوا طعمه.

ليست قضية فقط احتاجوا إليها، وطعمها مر، أبداً ما هو حتى بهذا الشكل، عندما يتحدث هنا شـفاء ألـيس هـو يقول: هنا شفاء، طيب: هذا الشفاء ليس مثلما تقوم تعمل لك مر، أو كذا؛ لأن فيك مرض معين، فأنـت تتجرعـه غصباً عنك من أجل أنه شفاء.

أما هذا فهو شفاء مثلما يقول لك: اشرب لك كأس عسل على الريق مثلاً، أو أشياء من هذه. فهو شفاء حالي، شفاء مفيد لأكثر من المرض الذي أنت تعاني منه؟ {وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ}(يونس٥٧) أليس هكذا يقول؟.

[فهو ينظر إليها، ويراها [بعين قلب منه يرعاها] فلا يخفى عنه مما أظهر الله به منها خافية، وموهبة الله له في نفسه بعلمها من كل علم فكافية] ربما هذه ثاني فقرة تحدث الإمام القاسم عن موضـوع الاختـصاص، أن هناك عندما يقول: من اختصه الله بعلمها.

طيب: أليس هو هنا تحدث عن نظرة موجودة لدى أهل البيت، أن القضية بهذا الشكل. من أيـن جـاءت النظـرة الأخرى؟ أن كل إنسان، يقول لك: القرآن الله خاطب به الناس جميعاً، ولا يمكن إلا أن يكـون كـل شـخص يفهـم القرآن كاملاً؛ لأنه خاطبه به وكل واحد يستطيع أن يفهمه.

هكذا يقولون؛ على أساس أنه مكلف به، فكيف يكون مكلفاً به ولا يفهمه؟ بالنظرة الفردية، هذه، بالنظرة الفردية. طيب هنا طلع ما يشهد بأن الأطروحة هذه غير صحيحة، أن تفترض أن الناس هكذا، خليك عن الناس كل الناس، أنتم، العلماء، أنتم العلماء أنفسكم في الأخير تطلعون مختلفين! فإن كنتم تفهمون القرآن فعلاً فإما أن يكون القرآن هو نفسه مختلف وهو الذي يجعلكم مختلفين، أو أنكم لا تفهمون القرآن، أو الكثير منكم لا يفهمون القرآن، وإنما يحكم لنفسه بأنه فهمه.

أليسوا عندما يطلعون بآراء متباينة، وأحكام مختلفة، يشهدون بأن هذه الأطروحة ليست صحيحة؟ أو أن القرآن هو منبع الاختلاف! ترجع إلى القرآن تجد لا، لا يمكن أن يكون هو الذي يفرق بين الناس فيختلفون فيما يعطيهم، يعطي هذا شيئاً، ويفهم هذا منه شيئا، وكله قرآن!.

أليس هذا يشهد ببطلان هذه الأطروحة؟ وهي الأطروحة السائدة، والمنهجية قائمة عليها، أقرأ أصول الفقه على أساس ماذا؟ لتنطلق أنت، وأنت أنت تنطلق، تستنبط أنت، وهذا القرآن بين يديك تحرك.

الإمام القاسم يقول: يتحدث عن أشياء من هذه في الوقت الذي يتحدث عن أن بإمكان الناس أن يفهموا أشياء كثيرة من القرآن؛ يستطيعوا أن يفهموا أشياء كثيرة، يسميه سراجاً، هدى، نور.

ثم يتحدث [من اختصه] هذه القضية حقيقية في القرآن الكريم؛ لأن الهدى مثلما نقول من قبل، الهدى لم ينزل على أساس الفردية، وبعثرة الناس. هدى أساسه أن يكون بالشكل الذي يجمع الناس في طريقة واحدة، وكيان واحد، ينتهي بهم إلى علَم واحد، ومن هذا إلى الله سبحانه وتعالى.

عندما يقول: اختصاص، يأتي الاختصاص لمن له دور يختص، مثلما قلنا أيضاً، ثم الاختصاص هذا بكله أليس من أجل الناس؟ يعني: هو في إطار هداية الناس. طيب نحن نؤمن بهذا في واقعنا، نؤمن به، عندما أرى عالماً، ما أنا سأراه متميزاً عليّ؟ عالم لكن أنا عندي فكرة أن هذا العالم بكله هو لهدايتي، أليس هكذا؟ فتشعر أنه عالم لهدايتي، لا توجد مشكلة؛ لأن هذا العالم هو حقي، أليس معناه في الأخير هكذا؟ أنه في الأخير القرآن للناس، النبي للناس، هؤلاء الذين يختصهم الله بالطريقة هذه للناس.

تكون مشكلة لو أن المسالة فردية، وهذا متميز على هذا؛ لكانت مشكلة هذه، لكن تميز هذا بأنه اختص باعتبار دوره، ودوره منوط به دور هو مسئول عن ماذا؟ عن الآخرين أليس هكذا؟ فكل ما لديه من هدى هو للآخرين. الدور الذي يقوم به كله هو للآخرين. فترى في الأخير أن القرآن حقك، النبي حقك، الإمام علي حقك، وهذا منطق القرآن: للناس. أليس هكذا يقول؟ أرسلناك للناس، وهكذا على هذا السياق، على هذه السنة الإلهية.

إذاً فالفكرة التي يقدم على أساسها تثقيف الناس بأصول الفقه، مسائل أنظر، وأجتهد، وأرجح، ومن عندك اقلب الدنيا. هذه تدل على أن هذه هي النظرة عند أهل البيت التي قدمها الإمام القاسم بن إبراهيم، وتلك ليس لها علاقة بأهل البيت نهائياً.

ترجع إلى تقييم الفكرتين، والمنهجين، تجد هذه فعلاً الطريقة الأخرى تؤدي إلى بعثرة الناس، وتعدد الرؤى تتعدد الأقوال، تعدد المواقف، تشتت الناس، يغرقون هم في صراع فيما بينهم، قبل أن يتجهوا إلى قضية واحدة هم مؤمنون بأنها قضية تهمهم، يجلسون مختلفين هم فيما بينهم، يضعفوا، يتمزقوا، يتعادوا فيقدموا في الأخير الدين غير صالح لأن يقدم شيئاً للحياة نهائياً، ولا تجتمع عليه كلمة. أليس هذا مظهر ضعف؟.

لكن الطريقة هذه التي يحكي لك عنها تجدها هي الطريقة التي يقدم على أساسها بناء كيان واحد، أمة واحدة بكل ما تعنيه الكلمة، منهج واحد، قيادة واحدة، تهديهم بهذا الدين لمواقف واحدة، أليس هذا أفضل للأمة؟ لأنه موافق لفطرتنا؛ لأن في فطرتنا أسس هي هذه، تستطيع أن تعرف حتى لو لم تقرأ أي إنسان تحدثه بهذا المنطق، أين أحسن كذا، أو كذا، يفهم في الأخير بفطرته أن هذه الطريقة هي تؤدي إلى نتيجة هي أفضل بالطبع.

إنما فقط يحصل منطق مثلاً من جانب أفراد من أهل البيت ما يكون بالشكل الصحيح، يكون بالشكل الذي يثير، بالشكل الذي يقدم القضية وكأنها اختصاص شخصي [أما احنا شفتوا أما أنتم لا] مثل طريقة الأولاد الصغار عندما يقول: [أبي شرى لي كذا أما أنت لا].

ليست المسألة بهذا الشكل نهائياً يقول: أما نحن فنحن ونحن. يا أخي قل له لماذا؟ قل للآخرين أن يفهموا القضية أنك في الواقع مِلْكُهم في الأخير، أنت وكل اختصاصك هذا هو من أجلهم، ما هو ترجع تخليه يرى أن الباري أما هو فهو أهمله، وما عمل له شيئاً، ولا يعتبره، ولا بين يحين فيه أما أنت فهو صلّح لك كذا وكذا وكذا. هذه تكون نظرة تجعل الناس يقولون لماذا؟ بالنسبة لله. وفعلاً هي على هذا الأساس محط تساؤل، على هذا الأساس القاصر.

لكن أن تفهّم الناس بالقضية تجدهم يؤمنون بها بسهولة، بل يعتبرونها ضرورية، وليس فقط يسلّمون بها، هكذا لا بأس يعتبرونها ضرورية، وقوي فهمهم بأن في شواهد حياتهم هم، ما يشهد بهذا، في واقع حياتهم ما يشهد بأن هذه قضية لا بد منها، أن هذه هي الرؤية الصحيحة، والموقف الصحيح.

أنك تجدهم هم عندما نقول: نحن نريد فلان مثلاً، نريد نبدي على ألت فلان، ما هم سيبحثون من الذي يتقدمنا؟ أليسوا يقولون هكذا؟ أليسوا سيحاولون يبحثون عن واحد يعتبر أحسنهم أو من أحسنهم؟ هكذا. فكل ما يقدمه الله سبحانه وتعالى هو منسجم مع فطرة الناس، وهم يشهدوا في أصل فطرهم بضرورته وصحته.

[وموهبة الله له في نفسه بعلمها من كل علم فكافية] من علوم أخرى غير صحيحة تكون كافية هذه [فإن شاء أن ينطق فيها نطق فأحق في خبره عنها فصدق، وكان بها وفيها أصدق قائل، وإن سكت عنها سكت غير جاهل، فهو لعلومها قرين، وعلى مكنونها أمين، إن ذكّر منها بآية رعاها، أو سمعها عن الله وعاها، لا تصم عنها له أذن، ولا يقين، ولا تعمى عنها منه فكرة ولا عين، فهو ينظر إلى ما أرته بيقين قلبه عياناً - أو بعين قلبه عياناً- كما قال سبحانه: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً}(الفرقان٧٣).

ليس بمنٍّ الله عليه، ولا مع إحسان الله إليه بمستكبر عليها، ولا بمصر فيها، فيكون كمن ذكره الله فيها بإصراره، وإعراضه عنها، واستكباره، فقال سبحانه: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}(الجاثية٧) ولا كمن ذكر بآيات الله فأعرض عنها، وظلم، ولم يعلم عن الله منها ما علّم، كما قال تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً}(الكهف٥٧) بل وهبه برحمته، ومنّه، وفضله، قبول ما جاءت به آيات الله من النور والهدى، فسمعها عن الله بأذن منه واعية، وعلمها من الله بنفس في علمها ساعية] تعمل بما تعلم [ثم لم يمنعها من أهلها فيأثم].

تلاحظ أنه هنا يتحدث عندما قال: من اختصه الله. أليس هكذا يقول؟ إلا عمن خصه الله بمستورها، هنا يتحدث كيف يكونون من اختصهم الله، لا يكون بهذا الشكل، اختصه، ويجلس يغطي على نفسه هو وما اختصه الله به، لا يحصل هذا. هنا يتحدث عن العمل، يتحدث عن وعي، وليس في الأخير: هذه مستورة، علم مستور، وفي الأخير يغطي نفسه.

[بل وهبه برحمته ومنّه وفضله قبولَ ما جاءت به آيات الله من النور والهدى] فإذا وجدته أنت يحاول يغطي على كل آية، أو على آيات معينة، فهو ليس ممن اختصه الله، هذه واحدة. هو هنا يتحدث عن الله يهبه قبول، وليس رد ورفض وستّار على الآيات، تريد تحرك له آية يقول ما شي.

[فسمع عن الله بأذن منه واعية، وعلمها من الله بنفس في علمها ساعية] تسعى بموجب علمها [ثم لم يمنعها من أهلها فيأثم] أليس هذا يعني بأنه يتحدث عن انطلاقة عن عمل [لم يمنعها من أهلها فيأثم] وهذه هي

الرؤية التي نقولها بأنه قضية الاختصاص لا تفهم بأنه اختصاص شخصي له هو وحده، بل هو يجب عليه أن يتحرك، يعلمها الناس مثلما يقول هنا: [ثم لم يمنعها من أهلها فيأثم] يأثم إذا منعها من أهلها، [ولم يضعها في غير موضعها فيظلم]، يظلمها هي.

أحيانا قد تظلم الحكمة، تظلم العلم إذا وضعته في غير موضعه، يعني: عند من لا يقيموه، عند من لا يهتمون به، معنى هذا فكأنهم ليسوا أهلاً له، فأنت تظلم الحكمة.

[كما قال الله لرسوله (صلى الله عليه وعلى أهله): {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}(الأنعام٥٥)] تستبين، تظهر، تتجلى سبيل المجرمين.

لاحظ من تجلي سبيلِ المجرمين أن يكون هناك مجرمون يتحركون، فمواقفهم هي تجلي الباطل نفسه، فمن خلال مواقفهم تستطيع أن توعّي الناس: لاحظوا الباطل كيف يكون، لاحظوا أهل الباطل كيف يكونون؟ لاحظوا ماذا يريدون أن يصنعوا؟ لاحظوا ماذا صنعوا وهكذا.

بالطريقة هذه يتجلى أيضا قيمة الحق، وعظمة الحق، من خلال التجليات هذه {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}(الأنعام٥٥) طيب هذه هي أصل في موضوع الصراع ما بين الحق والباطل، الصراع ما بين المسلمين، وما بين أعداء الإسلام.

[أيضاً من خلال مواقف من يمثل جانب الحق، تلك المواقف التي يتجلى من خلالها قيمة الحق عندما] يعمل أشياء يكون فيها ما يشد الناس إلى الحق، يكون فيها ما يقوي جانب الحق، يكون في أسلوبه هو ما يفضح الباطل، ويظهر قيمة الحق، ويرفع معنويات جانب الحق. فالذي الآن يقول لك: [يا أخي الدنيا، هي كذا عندك، وذولا عندك هم أعداء، وأعداؤنا كثيرون وأعداؤنا أقوياء، ولا جهدنا و..] هو يفترض أن لا يكون هناك أعداء.

قضية أن يكون العدو يتحرك هذه قضية ملموسة، وقضية يشهد لها القرآن الكريم إلى درجة أنه قال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ}(الفرقان٣١) هذا في إطار{وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} والعدو الذي على باطل يتحرك، هو يظهر الباطل ويجليه للناس فيفهمون كيف يكون الباطل.

ما يكون فقط عبارة عن نظريات تتكلم عنها، أو أشياء لا يوجد لها وجود في واقع الحياة، لا يوجد أحد يجسدها، ستكون تتحدث عن أشياء وكأنها غير ملموسة، لا يفهمها الناس، وبالتالي لا يفهمون قيمة الحق. وليس الناس فلاسفة يفهمون عمق الأشياء، وبطريقة فلسفية يعرفون عمق الأشياء، تكون هذه مما يساعد. يقول لك: [يا أخي معنا أعداء] هو لا يريد يجاهد في سبيل الله إلا إذا ما هناك أعداء! لا يريد يتحرك لدين الله إلا إذا ما هناك أعداء! تحرك ومن مصلحتك أن يكون هناك أعداء.

نحن في عملنا هذا البسيط ما هو عندما تحرك الأمريكيون يحاولوا يقولون لفلان: سجّن، ومسّح شعار، وأشياء من هذه، ما هم أفادونا في الموضوع؟ طيب هو يأتي يسلك طريقة أخرى، يحاول يوزع كراسي، وماسات، ويعمل عليها طبعة أمريكية. ما هنا جلى لك أيضاً هدف من أهدافه، وأثبت لك، وبرهن لك على صحة طريقة معينة أنها من الناحية النفسية مؤثرة؟.

عندما نقول: اعمل شعارات، اعملها للطلاب يحملونها في حقائبهم، ويحملونها على كتبهم. طيب هذا الذي عنده معاهد، أبحاث، دراسات، علماء نفس، أشياء من هذه، يعرفون أن المسألة هذه مؤثرة. هو هذا يعمل لك طابع عل طاولة [هدية من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية] مع العلم الأمريكي.

ما هنا تجلى؟ استبانت سبيل المجرمين؟ تأتي تلاحظ في واقع الناس بالنسبة للناس، وليسوا فلاسفة، ولا شيء [والله فعلا أنت على حق] طيب، وفي الأخير تأتي تقول: لماذا عمل كرسي، وعمل طاولة جميلة؟ ما هو كله من أجل هذا الطابع؟ كله من أجل هذا الطابع، ماذا يريد من هذا؟ هو يريد أن يكون ابني وابنك ناس لطيفين،

يحبونهم من أجل ماذا؟ من أجل أنه في الأخير يحتل بلاده، ويستقبله بكل احترام، فيغير ثقافته، وينهب ثرواته، ويهين كرامته، ويستقبله بكل حب واحترام.

عندما تعود إلى القرآن الكريم في تشخيصه لهؤلاء الأعداء، تجد أنه فعلاً هذا شاهد حي لما يحكي عن هذه النوعية. تجد بالنسبة للآخرين الذين يقولون ماذا نعمل؟ عند ما نقول له: نجاهد هؤلاء، قال: [ما جهدنا نحن عاجزون] يا أخي هو هذا العدو يقول لك، يكشف لك هو أن هناك من سبلهم، ولتستبين سبيلهم. يقول: هناك طرق تستطيع أن تقاومها. لاحظه يعمل كراسي، وماسات من أجل يعمل طبعة عليها، من أجل يصلح نفسية هذا الطالب، وهذا الطالب.

إذاً ألست في مواجهة ثقافية مع هذا؟ إذاً تحرك ثقافياً. هل يمكن لك أن تتحرك ثقافياً؟ هذا العدو يشهد لك أنه يمكنك أن تتحرك ثقافياً في مواجهته، لا تقول: ما معك صاروخ، ما معك دبابة، ما معك مدري ماذا، هو هذا أبو الصاروخ، والدبابة، والغواصة، يستخدم هذه الطريقة التي باستطاعتك أنك أنت تكشف نواياه، وتكشف واقعه من خلالها، تستطيع تحول الماسة التي جاء بها، والكرسي شاهد، شاهد يعبئ نفوس الطلاب الذين يجلسون عليها عداوة لهذا.

تقول له: لاحظ هذا الذي عمل لك ماسة، وعمل لك كرسي، الله يقول عنه: أنهم لا يودون لنا الخير، وما أعطاك أنه يحبك، ما أعطاك أنه يرحمك، هو أعطاك من أجل يمسح مشاعر العداوة من نفسك، من أجل أن لا يكون لك موقف في مواجهته، من أجل أن تقبله.

إذاً فالكرسي، والماسة، هو ثمنك، وثمن دينك، وثمن وطنك، ما هو يستطيع أن يفهم؟ تجعل الطالب يجلس على الكرسي والماسة، وهو يلعن أمريكا؛ لأنه فعلاً أمريكا لا تقدم شيئاً من واقع عمل إنساني، رحمة، حب أبداً، كلها وسائل من هذا النوع، يعني كلها طُعم، مثلما السمك، عندما تكون أنت متصيد للسمكة، عندما تعمل لها لحمة في رأس السنارة حقتها، هل أنت عندك مشاعر رحمة، تشفق عليها؛ لأنك تحبها، وتسير تبحث لها عن أي فتات تأكله؟ لا، أنت تريد تتصيد لها، وتأكلها هي. إذاً هذا طُعم، كرسي وماسة يؤثر عليه من أجل يأكله هو ووطنه بكله.

هذه هي أول ما كشفها الله من طرق أهل الضلال، يقدمون أنفسهم أحياناً بمنطق الناصحين، وأسلوب الناصحين.

إبليس ألم يعمل هذه؟ {هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} (طه١٢٠) وهو يتردد على آدم، يتردد على آدم بهذا المنطق الناصح، ما هو كأنه مهتم جداً بآدم، ويحب له الخير؟ إنما فقط أريد أن تكون ملكاً، وتكون من الخالدين، وفي الأخير يُقْسِمُ لهما {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف٢١) {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} (الأعراف٢٢) ما قال: أريد أن تكون عدو الله، أنا أريد أهينك، أنا أريد أضلك، أنا أريد أبهذلك، أنا أريد أشقيك. هل قال له هكذا؟ مع أن واقعه هكذا.

إذاً هي هذه: كرسي وماسة، ويعمل لك مشروع، ويعمل لك حاجة من هذه، يعمل، يعمل، يريد تتقبله، من أجله يهيمن عليك، فيشقيك، ويهين كرامتك، ويعمل على أن تكون الجنس الغريب في البلد، مثلما عملوا في أمريكا نفسها، هم محتلين، توافدوا على أمريكا نفسها من أوروبا، من مناطق كثيرة.

والسكان الأصليين بشكلية تختلف عن هؤلاء، ما زال منهم بقايا، هؤلاء مساكين كانوا ملايين، قتلوهم، وعذبوهم وحاولوا يقلصوا وجودهم حتى أصبحوا غرباء، وأصبحوا جنساً غريباً يسخر منه، يعتبرونه يمثل قروناً مظلمة.

ألم يصبح الهنود الأمريكيون قليلاً؟ حتى عندما ترى مهرجانات أمريكية، ترى حضوراً أمريكياً هل تجد منهم أحد؟ أين الملايين من السكان الأصليين لهذا البلد؟ قضوا عليهم.

هنا يعمل لك نفس الطريقة في الأخير ترى البلد هذا هم مزحومين، هناك مزحومين، وما هم مرتبطين بتربة معينة، مرتبطين بمصالح، مرتبطين بنفوسهم، هو هذا يغادر من روسيا يأتي فلسطين، يملئوا الدنيا مهاجرين

من عندهم، وفود من عندهم، آلاف، عشرات الآلاف، ملايين، فيقلصون وجود الناس بأي طريقة، عندهم طرق كثيرة حتى ولو بوسائل أخرى، حتى ماذا؟ قد اليمني مثلما الهندي الأمريكي نادر، نوعية يعلمك نوعية من اليمنيين واحد.

لاحظ المهرجانات، عندما ترى الاحتفالات في أمريكا، هل تحصل بينهم هنود حمر؟ من السكان الأصليين؟ لا يوجد أحد، أنهوهم! قضوا عليهم! سيقدمون كوحوش، لا يصلح أن يجلسوا في الأرض، ويتكاثروا! سيعتبروننا شريرين، ما نصلح نكون موجودين، وهم يفهموننا أننا ما نصلح فعلاً، هم يحاولون يفهموننا أننا ما نصلح؛ حتى يقول واحد في الأخير: [يستحقوا، والثاني قال يستحقوا ياخه، ما منهم شيء، يروحوا أحسن، يروحوا من هناك] هم هكذا يعملون.

فهذه المسألة هامة: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} وما أوسع الأشياء التي جعلها الله وسيلة من وسائل استبانة سبيل المجرمين، طريقتهم! والمجرمون هم أعداء {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ} وتفصيل الآيات لها دخل كبير في ماذا؟ في استبانة سبيل المجرمين، يعني: في ظهورها، وتجليها، فيعرف الناس ما هي، وكيف يواجهونها، ويعرفون أيضاً كيف يكونون بعيدين عن سلوكها.

[ففصل تبارك وتعالى آياته، وبينها لمن يستحق تفصيلها وبيانها من المؤمنين] عندما قال: {وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ}(الأنعام٥٤) هنا عندما يقول: سلام عليكم. تلاحظ نوعية من النوعية الذين يهتمون، جديرين بأن يهتم بهم، جديرين بأن يعلمهم الحكمة فيستقبلهم حتى بالترحاب.

وهنا يتحدث الله عن هؤلاء، وحتى تكون رحمته قريبة منهم جداً، يغفر لهم. بينما النوع الآخر يجعل قلوبهم قاسية، يضلهم، لا يوجد مغفرة، لا يوجد رحمة بالنسبة لهم. هو يقول لك هنا: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} مثلما قال في آية أخرى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}(الأعراف٥٦).

فإذا أنت على هذا النحو، تحاول أن تكون ممن هو جدير بهداية الله، معنى هذا أنك تجعل الباري قريباً منك، إن حصل منك غلطة، وفقك لأن تتوب منها، ثم يتوب عليك، إذا أعرضت يكون له معك أسلوب آخر، يكون بعيداً عنك، يكون قاسي عليك، يجعل قلبك قاسياً، يزغ قلبك، يضلك، يبعدك تماماً عن طريقه.

ولأن هذه النوعية لا يكونون ممن يعملون سوءاً تعمداً، هكذا، وتكبراً على الله، واستهتاراً وتجرءاً {أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ}(الأنعام٥٤) هو يعلم أنكم لستم ملائكة، قد يحصل منكم عمل سوء بجهالة، في حالة نسيان، في حالة غفلة {ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ}.

يتحدث في آيات أخرى أنه حتى التوبة تحتاج إلى أن يكون هناك توفيق إلهي لك {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}(التوبة١١٨) يعني: ما هي هنا تشجيع، أنه يقول لك: تعال، واعمل ما تريد سأتوب عليك، ليست بالطريقة هذه، هو يعبر عن واقعك كإنسان، قد يحصل منك في حالة غفلة، جهالة، عمل سيء، لكن هو رحمته قريبة منك سيوفقك إلى أن تتوب وتصلح فيتوب عليك، فيمحو عنك أثرها، مثلما قال هناك، في جانب آخر ألم يتحدث أنه كيف سينطلقون فيتحولون إلى مفسدين؟ {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}(المائدة١٣) ثم تراهم ماذا يعملون بعد لما أصبحوا هكذا منبوذين، قلوبهم قاسية، ينطلقون في أعمال، فساد في الدين وفي الدنيا {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} وفي تعاملهم مع البشر{وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ} إلى هنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

[بعد الدرس تقريبا]

[كل واحد هو بحاجة إلى أن يكون لديه معرفة] ثقافية واسعة، وكبيرة، وأنت ستحتاج إلى كل شيء، ستحتاج إلى كل شيء، قد ترى نفسك في موقف من المواقف ـ مثلما قلنا بالأمس ـ ترى نفسك في موقف من المواقف ضعيف، ترى نفسك في موقف من المواقف أتحت فرصة أن يبدو الباطل أكثر قابلية، أو أقوى حجة، سواء في ندوة حتى في خطاب مع الناس، حتى مع مسافرين في سيارة، حتى في أي مقام.

لأنه يوجد هجمة ثقافية واسعة من جانب وهابيين، ومن جانب يهود، يعني: بكل أشكالها، تحتاج، ومعك مجتمع عنده مفاهيم ثقافية مغلوطة كثيرة تحتاج إلى أن تحركه تحتاج إلى أن تصححها لديه، يعني الناس كل واحد يحتاج إلى كل حاجة يسمعها مما هو من هدى الله، تحتاج إلى كل قضية يرشد إليها القرآن الكريم. يكون أحياناً تفكير عند واحد في تفاصيل أشياء، تفاصيل أشياء، يريد يكون معه دليل على هذه.

هناك أشياء تغنيك عن هذا كله، ممكن تضرب الأصل بكله، تضرب الأصل كله، فيتهاوى كل هذا، ما تعد تحتاج تغرق في تفاصيل أدلة على الضم لوحده أنه غير صحيح، أو صحيح. التأمين لوحده أنه صحيح ما صحيح. أشياء من هذه، تفصيلات أليست تفصيلات كثيرة؟ يوجد أشياء أساسية عندما يضرب الأصل هذا هناك تقول له إذا ثبت أن هذا لا يصح أن أعتمد عليه في ديني، ولا أقبل ديني منه، ولا أن اعتبره حجة لي، ولا أقلده في شيء. إذاً طريقته له، لماذا أشغل نفسي؟.

يعني القرآن الكريم يهدي إلى هذه الطريقة، وهكذا تكون كثير من المسائل على هذا النحو، هل تتصور مثلا أشياء كثيرة، تفاصيل كثيرة، يوجد تفاصيل كثيرة، من التفاصيل ما تحتاج تناولها هي، ومن التفاصيل ما هي مدرجة هي، إنما هي فروع إذا ما ضرب الأصل لا تعد تحتاج تلك كلها، حتى عند الشخص الذي هو متشبث بتفاصيل من هذه، تضرب عنده الأصل حقه يتهاوى كل هذه الأشياء عنده، ويعود إلى الأصل الذي أنت عليه، وعمل بالتفاصيل التي عندك. هذه هي الأدلة الجملية، الأدلة الجملية على أساسيات.

ولاحظ هذه هي الأصل في موضوع النبوة، نبوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم تقم أدلة جملية على صدقه، وأنه رسول من الله؟ فأصبحت تفاصيله مقبولة تماماً، بل أصبحت تفاصيله يتعاملون معها كتشريع، أصبحت هي حجج ألم تصبح هي حجج؟ أصبحت أدلة؟ هل عاد أحد يريد يطلب من رسول الله دليلاً على التفصيل الفلاني الذي قدمه على المسألة الفلانية، التي قدمها على القول الفلاني الذي قال، هل سيحتاج يطلب منه دليل عليه؟ لا؛ لأنه الدليل الإجمالي الذي أثبت صحة أنه قدوة، أنه مصدر هداية يهتدي به الناس أنه رسول من الله، جعل كلما يأتي من لديه مندرج ضمن هذا الأصل مقبول.

هذه هي طريقة في المناظرة، طريقة في الحوار، ومثلما نقول أكثر من مرة: لا يكون عند الإنسان فكرة جدل لمجرد الجدل، أو مناظرة لمجرد المناظرة، تكون كل مناظراتك، حواراتك عملية، وأن تفهم هذه، أن تضرب الأصول الفاسدة، وستضرب معها كلما يقوم عليها من تفاصيل، وانتهى الموضوع. تدخل في تفاصيل تغرق أنت والآخرين، وأخذ ورد طويل عريض، أيام طويلة ما تنتهوا إلى شيء [والقرآن الكريم] يرسم في هذا الجانب، يرسم منهجية للحوار مع الآخر للدخول في حوار مع طرف آخر.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس الثالث]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣٠/٥/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

البعض يتصور أنها ستضيع مصالحهم في ظل الاهتمام بدينهم! هذا ما هو صحيح، إن أصل المسألة ما هو صحيح. إن الدين نفسه، الدين جعله الله يجلب الخير للناس من عنده هو، وفي واقع حياتهم، في واقع الحياة؛ ولهذا يعد الناس بالخير، يعدهم بالبركة، يعدهم بالأمطار، يعدهم بالدفاع عنهم.

الدين هو للحياة الدنيا وللحياة الأخرى، لسعادة الناس، لسعادة البشر في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى. إنما نفس التوجه إذا أنت تريد تتجه للدنيا نفسها تخربطت عليك الدنيا، تتخربط الدنيا كلها. عندما يكون البشر غارقين في الدنيا ومعرضين عن الدين. لا، اتجه للدين والدين تجده كله متعلق بالحياة.

هذه القضية هي سنة تقريباً في كل شيء، سنة في كل شيء، تحصل الأشياء تلقائياً، يحصل الخير من جهة الله سبحانه وتعالى، تستقيم الحياة بدون ما يغرقوا هم في الموضوع، يتجه الناس إلى الله، يتجهون إلى دينه، متى ما اتجهوا إلى الله واتجهوا لدينه فهو يصلح دنياهم وآخرتهم.

لو تأتي مثلاً تنظر لأحكام الدين وتوجيهاته، تأتي تنظرها وتتأملها تجدها مرتبطة كلها بالدنيا هذه؛ لاستقامة الإنسان، متى ما استقام الإنسان استقامت الحياة.

تجد كثيراً من تشريعاته ـ وبعضها من الأسس الهامة ـ هي بالشكل الذي يدفع الناس إلى أن يعمروا الدنيا. مثلاً قضية الجهاد ـ مثلما تحدثنا عنه أكثر من مرة ـ أن يحمل الناس مسئولية الدين، هذه النقطة لوحدها تتكفل بعمارة الدنيا كلها؛ لأنك تحتاج فيما بعد أن تزرع، أن تصنع، أن تعلّم، أن تطور الحياة على أرقى ما يمكن. التخلف الذي نحن فيه سببه أن ما هناك اهتمام بالدين! لما لم تكن مثلاً الدول مهتمة بأمر الدين، أهملت الدنيا، وأهملت الأمة؛ لأنه لا يوجد عنده قضية، لا يوجد عنده اهتمام.

قضية المواريث مثلاً، الميراث نفسه له علاقة بعمارة الحياة، تجزئة الميراث. إذا هم أسرة خمسة أولاد وعدد من البنات، أبوهم معه أموال، عندما يتقسمون الميراث أليست الأموال تتجزأ عليهم؟ لاحظ كل واحد من بعد ما هو في الأخير يذهب يشتري له أصلاب، أو إذا معهم أصلاب يحاول يخرجها أو إذا معهم محجر قاموا يخرجوه؟ هكذا كل تشريعات الدين لها علاقة بعمارة الحياة.

لأنه لو الموضوع فقط، الموضوع فقط هو أنه يريد تسبيح، وصلوات، السماء ملان ملائكة مسبحين مصلين أكثر مننا، صفوف من الملائكة ملايين من الملائكة. حتى عبادتنا هذه تجدها ليست إلا نموذج مما لدى الملائكة. أليس الإمام علي يقول في وصفهم: (منهم قيام لا يركعون، وركوع لا يرفعون، وسجود لا يقومون) منهم هكذا ناس على طول. نحن أعطانا قليل ركوع وسجود وقيام وتسبيح قليل، خمس صلوات؛ لأن الدور واحد، أساساً الدور واحد، دور الملائكة ودور البشر في الغاية هو دور واحد.

من خلال عمارة الإنسان للحياة تتجلى أشياء كثيرة جداً من مظاهر قدرة الله، وحكمته، وعلمه، وألوهيته، وتدبيره،.. كلها بهذا الشكل. الملائكة هم قد يكونون يستفيدون مما يظهر على يد الإنسان نفسه.

لاحظ عندما تقدمت العلوم ألم تتكشف أشياء كثيرة لها علاقة بالجوانب الإيمانية، لها علاقة بمعرفة الله؟ هكذا؛ لأن الله طبع الحياة بهذا الشكل، معرفته تملأ الحياة، وهي الغاية من الحياة، يتجه الناس في عمارة الدنيا تتجلى على أيديهم مظاهر قدرة الله.

الإنسان نفسه هو آية من آيات الله مهما أبدع هو فهو شاهد لمن خلقه أنه الحكيم، وأنه المبدع، وأنه ... مهما أبدع الإنسان، أليس الإنسان الآن يبدع أشياء غريبة في صناعاته، في اختراعاته؟ طيب ما يزال شاهداً على أن من أبدعه هو. كل ما يأتي على يده، كل ما يتجلى على يده هو شهادة لمن أبدعه هو، لمن خلقه، لمن صوره، لمن خلق الحياة هذه.

وإلا تجد كل ما في الحياة ما أتى الإنسان بجديد أساساً، ما أبدع هو، يعني ما فطر بمعنى الكلمة من عدم، كلها شغل لما هو مودع في الحياة. عندما تأتي تشرح مثلاً جهاز معين هل تجد فيه حاجة ليست من الأرض؟ كلها مما خلقه الله، الكهرباء موجود، المعادن موجودة، بلاستيك، نحاس، حديد كلها موجودة، إنما يأتي الإنسان يعمل

دوائر كهربائية، يعمل حاجة فيها قليل كبريت، أو قليل قصدير، أو قليل ملح، أو أي حاجة من هذه، كلها ليست إلا من هذه.

عندما يقول: {وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (النجم٢٩) يعني هو ذهنيته مستغرَقة في الموضوع وبشكل مغلوط، يعني ما يفهم أن الدين له علاقة بالحياة، هذه الحالة هي قائمة عند الكثير من المسلمين خلي عنك الآخرين، الحالة هذه، هذا الشعور: [ما هو وقت اللدادة، ما هو وقت المقرى، ما هو وقت وعاظ، معنا شغل، معنا كذا] أليسوا يقولون هكذا؟ {ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ} (النجم٣٠) وهو جهل هذا، هذا آخر ما عنده.

في هذه العبارة ما هو يعتبر تهكم بمن تفكيره هذا التفكير؟ معرض عن ذكر الله، ما هو متفرغ لهذا! مشغول، غارق في الدنيا. ما هو غارق في الدنيا؟ لكن الدنيا، الدنيا! ارجع إلى القرآن الكريم تجد كم تحدث الله عن الدنيا من وعود أن تستقيم إذا استقام الإنسان على هدي الله.

ترجع إلى الدين نفسه تجد كثيراً من تشريعاته مرتبطة بالدنيا. فعندما يأت واحد يريد مثلاً يوعظ الناس يقول: [لاحظتم أن الدنيا هذه ما تصلح {وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} إذاً الناس ينبذوا الحياة الدنيا!] ويقوم يوعظهم فقط من الدنيا! هذا ما هو أسلوب صحيح.

قل لهم أن يتجهوا إلى الدين بإخلاص، ويسيروا عليه، ويجعل الله كثيراً من الدنيا يستقيم تلقائياً بالبركات بالخيرات، تصلح تلقائياً، زراعات الناس تصلح، كثير من الكوارث الطبيعية ما تحدث، أمطار تتنزل.

لاحظ الآن الماء أليس مشكلة الآن عند الناس؟ ما كان هنا شيء من قبل نهائياً مشكلة من هذا النوع قبل مثلا عشرين سنة ما كان يوجد مشاكل من هذه فيما يتعلق بالماء، والماء أساس هام في الحياة، نفس الماء.

[وكما قال عيسى بن مريم (صلى الله عليه وسلم): لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم] ما زال هذا الموضوع مرتبط بالموضوع الأول [لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تبذلوها لمن لا يستأهلها فتظلموها، ولا تطرحوا كرائم الدر بين الخنازير فيقذروها] هذا ترجمة لنص يقول من الإنجيل، هي ترجمة أحسن من الترجمة التي يترجموها.

[وكما قيل للمتكلم بالحكمة عند من لا يعقلها، ويؤثرها فيقبلها، كالمغني عند رؤوس الموتى، وكذلك من أمات الله قلبه عن آياته فلم يقبلها هلكة وموتاً] تقدم له الحكمة ما يقبلها، ما يهتم بها [وكما ذكر عن يحي بن زكريا (صلى الله عليه): أنه سارت طائفة من الزنادقة وأبنائها إليه، يريدون تطهرته] أن يطهرهم [ومسألته تعنتاً وتمرداً، فقال لهم إذ علم أنهم لا يريدون بمسألته الرشد والهدى عندما طلبوا من ذلك إليه: يا أبناء الأفاعي ائتوا بثمرة تصلح للتطهر والتزكي، وأبى (صلى الله عليه) أن يطهرهم، إذ عرف كفرهم وأمرهم. فكتاب الله أولى ما أعز وأكرم، إلا عمَّن آمن بالله واستسلم].

هنا يتحدث عن الحكمة، عن الذي نسميه: مستور الآيات وكامنها وعمقها، تنطوي على كثير من الحكمة؛ لأن بعضهم ما يعطيها أهمية، ليس لها قيمة عنده، بل قد تكون محط سخرية عنده.

[فكتاب الله أولى ما أعز وأكرم إلا عمَّن آمن بالله واستسلم] استسلم لله [فأما من أعرض عنه، وتمرد عليه، فحقيق بأن لا يُعلَم بسرٍ من أسرار حكمة الله فيه] من أسرار حكمة الله في القرآن؛ لأنه ما يكون لها قيمة عنده، وكثير من الأشياء هذه قد يكون الإنسان بسبب أنه ما يعرف قيمة شيء معين، ما عانى في الحياة، أو مثلاً ما فهم مشاكل رهيبة، فيكون للحكمة قيمتها عنده، يكون لما هو حل لمشكلة معينة قيمتها عنده، ما دخل في صراع حتى يجد نفسه بحاجة إلى حل لهذه المشكلة، إلى رؤية في هذا الموضوع إلى كذا .. يكون فارغ، فاضي ذهنه، ما هناك مشكلة، لا هو حانب في مشاكل، ولا بحاجة إلى حلول، ليست مشكلة عنده.

يا أخي عندما تقحم نفسك في عمل؛ ولهذا أن موضوع الجهاد في سبيل الله، حمل مسؤولية الدين هي وسيلة من وسائل المعرفة، باب من أبواب العلم. عندما تقحم نفسك في عمل في سبيل الله تجد بعد كم هناك عن مشاكل، وكم هناك من حاجة إلى حلول، وتجد مشكلة يتفرع منها مشاكل، وحل تجد له ذوق، تجد هناك حاجة ماسة إليه.

هنا تزداد معرفة، تزداد هدى. لكن إذا أنت مقفّل ذهنيتك ما هناك شيء، ما تهتم بشيء، وفي نفس الوقت تغلق على نفسك باب من أبواب المعرفة الواسعة الذي هو باب العلم حقيقة؛ لأن العلم بكل سعته، بحكمته هي في

القرآن، والقرآن ما يعطي إلا من يتحركون له، ما يعطي أحد لو كان كيفما كان، لو كان عبادة كيفما كان وهو يجلس محله لن يعطيه شيئاً، أشياء بسيطة سيعطيه.
لكن مع حركته في سبيل الله، يعني حمل قضية الدين بكل ما تعني، نصر دين الله، إعلاء كلمة الله، إرشاد عباد الله، دفاع عن دين الله، هذا العنوان الكبير تتحرك فيه، في القرآن الكريم تلمس كم فيه من هدى! كم فيه من نور، كم فيه من حكمة، كم فيه من معارف جمة؛ لأن الحياة هذه هي مطبوعة بالحركة، حركة على طول، لا يوجد وقفة فيها نهائياً.
ولهذا أنه يعد الإنسان صاحب موقف، سواء تحرك أو قعد، عندما يقول: ما لي دخل وجلس! ما هو جالس، لا يمكن لأن الإنسان متحرك بطبيعته، والحياة كلها متحركة بطبيعتها، حركة كلها. [ومن قبل مصير كتب الله إلينا، ومَنّ الله بتنزيله علينا، ما صار من الله إلى السموات، ودار بين أكنافها، وشهد بترتيله من ملائكة الله جميع أصنافها، ومن قبل منّه علينا به منّ على الملائكة بعلمه، وما وهبهم من سماع حكمه، وفي ذلك من شهادتها وبيانه] شهادة الملائكة [وما نزل الله منه في فرقانه، ما يقول سبحانه: {لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً}(النساء١٦٦) فكفى بهذا الحكم لكتاب الله والحمد لله تبييناً وتوكيداً، وفيه حجة وبياناً، وعليه دلالة وبرهاناً، فأين يتاه بمن غفل عنه؟! وهل يجد واجد أبداً خلفا منه؟!] يعني عندما قال: {وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ} يعني أن القرآن معروف لديهم، يعرفونه، ويشهدون بأنه من الله، ويشهدون على أن الله أنزله بعلمه.
تلاحظ أنه حتى الكلام الكثير حول القرآن الكريم الذي يعرضه الله في القرآن ما تعرف أهميته إذا ما هناك حركة قرآنية، ما تعرف أنت، لكن إذا عند الناس حركة قرآنية، يعني حركة تقوم على أساس القرآن، حاجة إلى القرآن، عودة إلى القرآن، تثقيف بالقرآن في الأخير تجد كل واحدة من هذه أنه فعلاً على ما هي عليه في أن القرآن هام جداً، عظيم جداً، واسع جداً، وإلا فيمكن يأتي يدرسها واحد، يدرسها كلها {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}(الحشر٢١) ولا يعيرها أي اهتمام!.
كلمة هامة جدا هذه، كبيرة جدا هذه الكلمة بما تكشف عن أهمية القرآن، لكن لن ترى أهمية قرآن ولا أهمية شيء وأنت معرض، ما لك دخل [وهل يجد واجد أبداً خلفاً منه؟! كلا لن يجده، ولو جهده جهده!] لن تجد شيئاً يمكن أن يكون بديلاً عن القرآن، أو يغني عن القرآن، لا تجد شيئاً على الإطلاق.
[نزل به من الله سبحانه روح القدس، شفاءً من المؤمنين لكل نفس] يشفي من المؤمنين كل نفس [فزادهم به إلى إيمانهم إيماناً، ووهبهم به بصيرة وإيقاناً، وجعله الله عمى ورجساً لمن كان عمياً نجساً، كما قال سبحانه: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً}(التوبة١٢٤)] هذا ما زادته ولا شيئاً.
[{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}] مرتاحين فرحين بما حصلوا عليه مما زادهم إيماناً من القرآن الكريم [{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}] عبارة مرض هذه ترد في القرآن عبارة عامة، أنواع المرض كثيرة جداً في الإنسان. عندما يقول: مرض، تشمل نفاق، تشمل جبن، تشمل أشياء كثيرة من أنواع المرض، مفاهيم غلط، رؤى خطأ.
هنا يتحدث عن القلب وهو المنطقة في الإنسان التي يكون عندها هذه الأشياء [{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ}(التوبة١٢٥)] ونوعية المرض في الأخير يترتب عليه نوعية مثلما تقول قبح النتيجة العكسية، مثلاً هنا مرض قد يكون نوع نفاق مرضهم هنا {فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ} قد يكون نفاق، قد يكون ارتياب، قد يكون الله أعلم.
ما يستطيع واحد إلا إذا في حركة الإنسان في الحياة مع الناس يكتشف كيف يكون تفكير المنافق، كيف يكون تفكير الجبان، كيف يكون تفكير الذي عنده ثقافة خطأ، كيف تكون نتيجة الأشياء عليهم، فيمكن واحد مع الـ.. لأن كلمة مرض يعني هو في وضع غير طبيعي، وضع غير صحي على ما بيقولوا.

[فجعله الله لأعدائه ولمن لم يقبله وعمي عنه رجساً وتباراً] هلاكاً أو دماراً [كما قال سبحانه: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً}(الإسراء٨٢)] طيب هذه هي من الأشياء التي هي محط إشكال كيف يمكن {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ} أولاً أن نص الآية، نصها ما يتغير، يعطي نفس المعنى، ما هو أن المنافق مثلاً قد تكون المفردة هذه تعطيه معنى آخر.

هو نفس المعنى، ليس المعنى أن الآية تحتمل معنى باطل، وتوجهه لذاك، وتعطي معنى صحيح تتركه لهذا. لا، هي نفس الآية، ونفس المعنى.

في الأخير يفسرونها [بأنه عندما تأتي الآية فيها هدى هم يبتعدون عنها فيقعون في باطل فكأنها هي التي..] ذلك التحليل الدائم حق [ضلَّ، وهدى]، وحق هذه الأشياء هو تحليل واحد؛ لأنه دائماً عندهم مسألة أنه وقع في معصية، لا يلحظون إلا معصية، وقع في معصية، يعني لم يهتد بالآية فخذل فوقع في باطل وقع في معصية فكأنها هي التي زادته رجساً نسبة مجازية يسمونها، نسبة مجازية. هذا التحليل السائد.

طيب أولاً ما كل آية، ما كل سورة تعطي هذه، أحياناً قد يكون عند واحد نوع مرض، يجد آية معينة، يجد وكأنها على حسب قولبته لها هو وكأنها تدعم ما عنده، كأنها تساند ما عنده، يحاول يشغلها على ما عنده، يأتي آيات من هذا القبيل مثل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(الحجرات١٣) أليس البعض يشتغلون في هذه؟

طيب هذه آية صحيحة {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} لكن ماذا تريد بها أنت؟ ما هو يريد بها نفي سنة التفاضل في الحياة؟ هنا هو سيتمسك بها، أليس هو سيتمسك بالآية هذه؟ تمسكه بها بالشكل هذا بفهمه، بإصراره على أنها تعطي هذا، وأنها تعتبر شاهداً لما في رأسه! فهو هنا يزداد ضلالاً؛ لأنه ينسف مسالة من خلال هذه الآية كبيرة جداً، يعني يتشعب عليها أشياء كثيرة جداً في واقع الحياة، وفي أمور الدنيا والدين بكله.

مثلاً في الزمن هذا يقول لك: الله قال عن اليهود: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ}(المائدة١٣) أليست هذه واحدة؟ {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} يعني نفس الشيء، إذا هو الآن يحكي لك {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} كان ذلك الزمن كان هناك ناس يرى أية معينة، ويعطي مفهوما من عنده، ويشغلها على أساسه، موجود في كل زمان. أليس الله قال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الذين ظلموا منهم}(العنكبوت٤٦)؟ طيب ما هو عارف أحسن ماذا تعني أحسن، ماذا تعني كلمة أحسن، قد كلمة أحسن تعني: لين وهدوء وبدون أي شيء يكون مثيراً! وأشياء من هذه.

مثل: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}(النحل١٢٥) بالحكمة [ونزّل يده] طيب عندما يقول: بالحكمة هكذا [ونزل يده إلى أسفل] ليست الحكمة على حسب ما يقول هنا! في الأخير تجد كل هذه أليست مفاهيم هي تجعله ينظر إلى الآية نظرة معينة؛ لأن داخله يوجد خلل، يوجد خلل في الداخل، مثلاً هو ما عنده انطلاقة عملية، لا، هو يريد إذا هناك حاجة بهدوء، بكذا ممكن! نظر إلى {بالحكمة} نظرة [ينزل يده إلى تحت] بالحكمة يا أخي [ونزل يده إلى تحت]!.

طيب قد تكون بالحكمة الجهاد، السيف قد يكون أحيانا هو الحكمة، هو قد يكون هو الحكمة في مواجهة أعداء الله، ما هو قد يكون هو الحكمة؟ الحكمة قضية يعني مثلما تقول: واسعة جداً، هم يفسرونها تفسير [وضع الشيء في موضعه] ما أحد داري من هو الذي يضع الأشياء في مواضعها.

الحكمة هي من الله مثلما قال: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}(البقرة٢٦٩) هي هذه: [وضع الأمور في مواضعها] أن تكون بالشكل التي تضع الأمور في مواضعها، التصرف هذا بالشكل الذي فعلاً تتناسب مع قضيته هذه، وهكذا.

طيب هذه قد تكون مثالاً من أمثلة {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ} قد يكون مثلاً عندك مرض أنت معين يخليك تنظر للآية نظرة معينة وهو ليس المعنى حق الآية لكن أنت تصرُّ على أنه هكذا، وتشغلها بسطحية على هذا النحو الذي تراه يتناسب مع ما في داخلك. طيب أنت في داخلك مرض، قد يكون مثلاً من مظاهره آيات هي تعطي؛ لأن الله عندما يقول: آيات، هي حقائق، هي أعلام، أعلام على حقائق.

هو ما أدرك شيء من هذه، ما لمس شيء من هذه، هو يرى أن ما هناك فائدة من الآية هذه، فكونه لا يفهم أن هـذه الآية لها أهميتها فهو يأتي التأثير عكسي، يعني اعتبره انحط أكثر في واقعه، في ضلاله، عندما لا تفهم الآيـة أنها لها قيمتها، هي حقيقة على كذا، مثل عندما يقول في الأخير: ما منها شيء.

طيب في مقابلة من يصبح هكذا نظرته إلى القرآن وإلى الآيات أن ما منها شيء! ألم يهبط هنا كثيراً؟ ألم يقع في رجس؟ هذا المرض هو كثير فينا، هذا النوع من المرض، لا يعد واحد يلمس أهمية الآية، أهميتها، أهمية ما ترشد إليه. قد يكون سبب أنك ما تلمس هذه، ما لها قيمة عندك كبيرة هو أنك في الداخل ما عندك اهتمام بقضية.

هذا مرض، هو مرض أساساً عند ما لا يكون عندك اهتمام بقضية، ما عندك مسؤولية، ستمر عليها مثـل: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً} فقط أننا لا نتحدث بذلك. كان أولئك صريحين الأولين، بطبيعتهم البدائيـة عـاده صـريح يقول: من هو الذي يزداد إيماناً من هذه ولو على لهجة البدو لكـن نحـن واقعنـا هكـذا: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً}؟ كلنا نعرف أننا ما بين نزداد إيمان، لا نزداد إيمان بآيات هي هامة جداً؛ لأن عندنا مرض، ما هو المرض؟ ما عندنا اهتمام، ولا شعور بمسؤولية، ولا عنده روح عملية. لو عندك اهتمـام بمـسؤولية دينيـة، عنـدك روح عملية، من ترى الآية هامة جداً، هامة جداً، ولذيذة وتزداد إيماناً، وتزداد معرفة.

طيب فإذا أصبح الإنسان تمر عليه آيات من هذه الآيات الهامة ولم يزدد إيماناً، فـاعتبره وقـع في رجـس أكثـر؛ لأنه لم يعد هناك شيء ممكن يعطيه إيماناً، يعطيه معرفة، ما هناك شيء، إذا لم يزدد الإنسان إيماناً مـن آيـات الله، ما ازداد معرفة من آيات الله، ما ازداد هدى من آيات الله فلم يعد هناك شيء ممكن يعطيه هـدى ونـور علـى الإطلاق، أليس الله هنا يقول: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}(الجاثية٦) إذا ما نفعتك هذه فاعرف بأنك في ضلال بشكل رهيب جداً...

مثلاً عندما تقرأ قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَـابَ يَـرُدُّوكُم بَعْـدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}(آل عمران١٠٠) إذا عندك اهتمام تجد أنه يتحدث عن قضية خطيرة، عن فئة خطـيرة لهـا أسـاليب متعددة تستطيع أن تصل بالمؤمنين إلى درجة الكفر. يجب هنا أن تكون ترى كلمة كفر كلمة رهيبة {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} كافرين هذه يجب أن تكون كلمة مزعجه عندك، إذا ما هي كلمة مزعجة عندك فيوجد مـرض، مثلما نقول: أنه إذا الإنسان ما عنده تخوف من كلمة ضلال، إذا سمع كلمـة ضـلال، أو شـيء ضـلال ينـزعج منهـا ويتخوف منها، فيوجد مرض.

إذا أنت عندك خلل ستقرأ هذه الآية وهي لا تزيدك ولا مِّلي واحد إيمان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقـاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} إيمان، كفر، كلها عبـارات بـاردة عنـدك، أهـل الكتـاب، تطيعوا، أليست كلها عبارات باردة؟!.

لكن إذا عندك اهتمام تعرف {إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً} تعني أن هؤلاء شغالين بشكل يريدون أن يطوعوكم تحت كلمة إن عندهم تفكير أن يحاولوا أن يطوعوكم فتطيعوهم، تكشف لك أساليب كثيرة جداً من أساليبهم، وهي قائمـة، أساليب من هذه الأساليب التي يسمونها حرباً باردة، أساليب ثقافية، أساليب مساعدات. هي منها قضية الكراسي هذه والماسات، هي مسألة تطويع.

عندما يقول: {إِن تُطِيعُواْ} ما هو محتمل أن المؤمن هكذا صراحة يقول لليهودي: تمام، يطيعه رأساً، لا، اليهودي يشتغل بأساليب ليطوع المؤمنين، ويطوع المجتمع المؤمن، يطوعهم. طيب هـذه الأسـاليب، هـذه الأسـاليب كـثيرة وواسعة جداً.

الآية هذه تعطيك رؤية، تجعلك تبصر، ما هي الأساليب التي يمكن أن اليهودي يحاول يطوع المجتمع المؤمن لـه، نحن لا نرى هذه، هل أحد يرى هذه؟ لا يمكن لأحد أن يبصرها إلا إذا هو يعطي الآية هذه أهميتها، لـن تكـون للآية أهميتها إلا إذا عنده اهتمام هو، وعنده شعور بالمسؤولية، وعنده اهتمام كبير.

طيب عندما يقول لك الآن ماذا نعمل؟ أليس بعض الناس يقول ماذا نعمل؟ أو عندما تقول له: هؤلاء أعـداء الله، قال لك: ما باستطاعتنا نعمل شيء! لأن ما في ذهنه إلا قضية إن ما عنده صاروخ ودبابات، وأشياء من هذه يقاتل

بها!. ارجع إلى الآية هذه، الآية هي تكشف لك بأن أهل الكتاب دائماً يفكرون بأن يسلكوا أساليب كثيرة؛ لأن يطوعوا المؤمنين لهم.

اشتغل هنا ولاحظ كم يوجد معك من عمل هنا، أنك تبحث بعد الأساليب التي يحاولوا أن يطوعوا الناس بها فتقاومها، ما فيها قوارح هذه نهائياً، هل يوجد فيها شي قوارح؟ ما فيها قوارح أي التطويع ما يأتي بوسيلة القوة، يعني لا تفكر أن اليهودي ممكن دائماً انه كلما يقوم من النوم هو يمسح الصاروخ حقه، لا، هو ناسي للصاروخ ربما هناك، يفكر كيف يعمل يطوع، يطوع؛ لأنه يريد بكل هدوء يدخل؛ لأنهم هم نفوسهم ضعاف اليهود، نفوسهم ضعاف، يعني ما عندهم مثلاً الشجاعة، الجرأة، لو عندهم شجاعة وجرأة ما استطاعوا يشتغلوا بالطريقة هذه.

لسلكوا طريقة أن يضرب هذا، ويضرب هذا بطريقة يثيروا المجتمعات، لكن هم يسلكون طريقة التطويع، التطويع وهذا أسلوب خطير جداً عندما يقول لك: {إِن تُطِيعُواْ} معناه أن هؤلاء قد يصلون بكم إلى أن تطيعوهم، تطيعوهم في ماذا؟ أيضاً تفهم وهم يحاولون أن يطوعوك، يقدمون لك مفاهيم تبدو وكأنها لمصلحتك أنت، ولمصلحة بلادك، أليسوا هكذا يعملون؟.

يعني نريد تجلس ترتاح ابنك على كرسي وماسة نظيفة، ونريد مشروع من أجل خدمات إنسانية، ونريد نحرركم، وأشياء من هذه.. أليست هكذا؟ يقول لك: لا، هم لديهم هدف {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} يعني هدف رئيسي لديهم أن تصبحوا كافرين. طيب لماذا كافرين؟ يعني هل اليهودي يتعب نفسه، ويشتغل من أجل يراك كافراً فقط؟ لا، هو يعرف أن أسهل ما تكون أنت في ضربك، في احتلال بلادك، في استعمارك، في تغيير ثقافتك، هو عندما يحولك إلى كافر؛ لأنه هنا سيفصلك عن ماذا؟ عن منابع القوة عندك، يفصلك عن القوة التي تمتلكها أنت في إيمانك بدءاً بإيمانك بالله ليفصلك عن أن يكون الله معك، فإذا كان الله معك فهو يعرف بأنه ما يعمل شيء.

إذاً كيف أعمل بك؟ أن أحولك إلى كافر؛ لهذا هم ما يفكرون أنهم يجعلون الناس يهوداً بمعنى الكلمة، ما يحتاجوك تكون يهودي، يحاول تكون كافراً فقط، يعني يجردك من كل وسائل قوتك؛ ليطوعك له، يطوعك له لتقبل أن يجعلك كافراً، أن يجعلك كافراً بما تعنيه الكلمة، مع أنه جعل في نفس الطريق في محاولة التطويع، يحصل تولي.

هنا يهددك، ليس فقط يهددك أنك في الأخير تقول: سهل، سنقول لهم تمام، وما احنا راضين نكفر، لا، أنه حتى في الطريق، أنك عندما تكون تقول له تمام، أو تحاول تقبل منه، أو مظاهر ولاء له، وهي كلها مظاهر ولاء أنك هنا تصبح حكمك، حكمه. هذا تهديد إلهي للمؤمنين {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} فإذا واحد ما هو منزعج من الأشياء هذه كلها فلن تزيده هذه الآية إيماناً.

طيب كيف يمكن تزيدك الآية هذه إيماناً تتحرك تجدها وكأنها نزلت في هذا العصر، تجدها تحكي واقع حقيقي، أشياء ملموسة. هنا تزداد إيماناً من كل جوانب الإيمان، إيمان بأنها تخبر عن واقع إيمان بأنها هي من الله، إيمان بأن الله مثلما تقول رحيم بعباده، إيمان بأن الله يرعى المؤمنين، لا يترك الأشياء مبهمة لديهم، إيمان، كلمة إيمان مجالات واسعة جداً من الإيمان تصل إليها، تتقفل من البداية ما أنت عارف لحاجة نهائياً.

نحن الآن وضعيتنا الكثير منا الكثير لسنا من النوعية الذين يزدادون إيماناً، وسيأتي يفسر الآية {إِن تُطِيعُواْ} يعني تطيعوا، وأشياء من هذه يفسرها لكن الإشكالية ليس أن الآية نفسها، نفسها ستعطي هذا خلاف ما تعطي هذا باعتبار نصها. كلمة تطيعوا سيسمعها المؤمن والمنافق سواء. أليسوا سواء؟ لكن هنا الآية هذه قد لا تزيدك إيماناً إلا وفق مفهوم من آية أخرى.

آية: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} (الصف١٤) ستجعلك تزداد إيماناً بآية {إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ} وهكذا. إذا ما عندي أثر لآية: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} وآية: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} (آل عمران١٠٤) إلى

آخره. إذاً يوجد مرض، هذا المرض لن يتركني أرى أي شيء من هذه الآيات، ما تراها، تِدّرْوِسْهَا ما تزيدك إيماناً نهائياً.

طيب المرض أحياناً يكون هناك نوع من المرض يزدادوا رجس، رجس، رجس، الرجس الذي يحصل الآن هو بشكل تحميل ـ كل هذا ـ الله المسؤولية، الإنسان ـ لو نقوم نعمل حركة استبيان سترى كيف تتكشف على حسب فهمنا، وثقافتنا واختلاطنا بمن يحملون ثقافتنا من زمان، يوجد مفاهيم خطيرة جداً هي رجس، في الأخير نحمّل الباري المسؤولية [الدنيا هو الذي صلحها هكذا]! هذا ما هو رجس؟ [أهل الباطل هم دائماً يكونون أقوياء وينتصروا، أهل الحق ما بينتصروا، لأن الله طبع الدنيا هكذا، طبع الدنيا هكذا]!! هذا رجس ونجاسة رهيبة.

فكلما ترى أهل الباطل تحركوا، وترى أهل الكتاب هؤلاء يطوعون شعوباً، يطوعون حكومات، يطوعون جيوشاً، يطوعون مثقفين قالوا [هو كذا، الناس ما بيعجبهم إلا الباطل]! هذا رجس.

غير صحيح، غير صحيح أن الإنسان بفطرته ما يعجبه إلا الباطل، الإنسان مظلوم، الإنسان كمجتمع ظلم على أيدي علماء السوء، على أيدي من كانوا يسمعون الأنبياء يحدثونهم، ما فهموا فنقلوا مفاهيم مغلوطة، ظُلموا على أيدي سلاطين الجور ثقفوهم ثقافة مغلوطة. الإنسان ما قدم له في الواقع دين الله بالشكل المطلوب، ما ثقف، ما طبق في واقع حياته وإلا فهو مقبول.

عندما يقول لك: [الناس هكذا ما بيعجبهم إلا الباطل] أليس هذا رجس؟ يعني هذا هو مفهوم، وفي الأخير نرى هذا المفهوم: الناس ما يعجبهم إلا الباطل! ثم ترى أهل الباطل عندهم قوة، وأهل الحق ضعافاً، وفي الأخير تقول: لاحظتم الله هو طبع الإنسان هو بالشكل هذا، ما يعجبه إلا الباطل، وفي الأخير نحمل الباري المسؤولية [الله هو خلق الدنيا على هذا النحو ما يهيمن فيها إلا أهل الباطل، ما يستقوي فيها إلا بأهل الباطل، أهل الحق يكونون ضعافا!] كم سمعنا الكلمة هذه! كثير سمعناها.

عندما يقول واحد لماذا لا تتحركون؟ قالوا: أهل الحق يكونون ضعافاً، قد قام فلان وما انتصر، ثم حركة غيره وما انتصرت! إذاً هم هنا يزدادون رجس، رجس، رجس، ومن أسوء الرجس أنك في الأخير تحمل الباري المسؤولية، فكأنه هو الذي طبع الحياة بهذا الطابع السيئ، وهو الذي خلق الإنسان على هذه الحالة السيئة. هذا يتنافى مع قدسية الله، مع جلاله، مع حكمته، مع رحمته، مع إلوهيته، مع كل صفات الكمال، يتنافى تماماً.

أليس هذا رجسا؟ رجس، رجس، رجس حتى يطلع الباري عندك شرير! حقيقة ثقافتنا هي بالشكل الذي لو نأتي نكشفها لطلع الباري عندنا لا يختلف عن الشيطان، حقيقة وفق ثقافتنا المغلوطة هذه؛ لأن الشيطان إنما فقط يوسوس على مستوى فرد، هذا يقول لك: إن الله طبع الناس على هذه الطبيعة: لا يقبلون الحق! أليست القضية سواء؟ طلعنا مجبرة، مثل المجبرة سواء، مثل القدرية الذين يسمونهم، مثل الحشوية، الأشعرية، كل تلك الأشياء لم يختلف إلا عناوينها فقط، أما الواقع فهو عندنا! الله طبع الدنيا على هذا الطابع ما يمكن للحق أن تقوم له قائمة فيها!!.

طيب الباري عندما يقول هكذا: يأمر الناس يجاهدون ويقاتلون ويدعون كيف هذا؟ إذا كان هو الذي طبع هذا الطابع يعني هذا حتم، قضى بهذا لا تستطيع أن تزيحه فلماذا يجعل هؤلاء يقاتلون هؤلاء؟ قالوا فقط الباري يعمل حاجات من هذه يتفرج على الناس، ويعطي لهذا ثواب، وهذا كذا! كلها طلعت هكذا في الأخير بأنه الباري يحرك هؤلاء لأجل يعطيهم ثواب.

تعود إلى المسألة هذه باعتباره ملك، الملك لو تصرف أي ملك من البشر لو تصرف هذا التصرف لكان لا يمتلك من الحكمة شيئاً. عندما تسير صنعاء أليس فيها وزارات؟ تدخل وزاراتها تراهم هذا مكتّب، وهؤلاء على كراسي، ما هو يراهم كلهم يشتغلون؟ هل يمكن أن تفهم أو أحداً منهم يقول لك عندما تقول له ماذا تعملون هنا؟ قالوا بين نكتب هكذا.

طيب تكتبوا لأجل ماذا؟ قالوا: لأجل يجي لنا مرتب! ما هناك غاية ثانية من بعد المرتب والكتّاب هذا؟ يوجد غاية ثانية. وزارة فيها مكاتب، وفيها ناس موظفين مكتبين، أليسوا هناك بمرتبات؟ الوزارات كلها هذه لها مهمة

خارج إطار الكتاب والمرتبات. لو تأتي أنت تجمع، تبني مبنى وتعمل فيه أشخاص تعطيهم ورق وأقلام وتقول لهم: شخططوا طول الشهر وسنعطيكم مرتبات وفقط!. أليست هذه حماقة؟ حماقة هذه.

طلعوا الباري في الدنيا بهذا الشكل، اعمل كذا، وصلح كذا، واعمل كذا؛ لأجل يجي لك ثواب، وليس وراء هذا أي شيء آخر، ما وراءها أي غاية. قدم الدين بهذا الشكل وفي الأخير تراه لم يعد هناك مكان للآيات، لم يعد هناك مكان للإيمان، ولا للحق، قد القرآن أعوج!.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ} تلقائياً وهو زعم من ضمن المؤمنين الذين يخاطبون بالقرآن.

لو نشخص ثقافتنا ومفاهيمنا ستطلع كفر رهيب ونحن لا ندري حقيقة من هذه النظرات، من هذه المفاهيم، في الأخير يطلع في الواقع وإذا عندنا كفر مبطن رهيب، وعندنا نظرة سيئة إلى الله رهيبة. فقط أننا لا نتحدث، لا نتحدث مع أنفسنا، ولا نتحدث مع الآخرين أننا هكذا لكن واقعنا يشهد أننا هكذا.

عندما تلاحظ واقع الإنسان ألا يبدو أنه واقع صامت؟ ليس صامتاً، لو تأتي تقول له: يا أخي لماذا أنا ألاحظك كذا وكذا وكذا، ألست تسأل عن واقعه؟ أريد تكتب لي لماذا؟ ما هو سيكتب لك واقعه؟ إذا كتب لك واقعه ما هو سيطلع كتابة؟ ما هو سيطلع شيئاً أمامك، يطلع مفاهيم، يطلع ثقافة لديك، يطلع رؤى؟ ما هناك واقع صامت.

إنما فقط الإنسان يبدو أنه عندما تراه لا يعمل شيئاً، ما يصلّح شيئاً، ما يتحرك في مجال كذا، ألست تتخيله أنه صامت؟ ليس صامتاً، يوجد حاجات لديه يستطيع أن يكتبها، متى ما كتبها رأيتها بشكل مفاهيم، رؤى، ثقافة. من خلال ما يقدم تستطيع أن تقول هذا حق أو باطل، هذا إيمان أو كفر، ما هو يمكن؟.

عندما يكتب بأن الله سبحانه وتعالى هو طبع الدنيا بهذا الطابع، وأهل الحق لا ينجحون فيها، والحق يكون ضعيف، وأهل الحق ضعاف، ولا هو سابر إلا كذا، والإنسان يصبر على هذه الحالة ويلقى الله وهو.. ألست هنا ممكن تحكم على كلامه هذا بأنه فيه تنزيه لله أو فيه مس بجلال الله وقدسيته؟.

ولهذا القرآن عندما يقول فيه: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء} شفاء يوجد أشياء كثيرة من الأمراض، من المفاهيم الخاطئة {مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} مثلما قال هناك سابقاً: رجساً وتباراً، خساراً يعني: تباراً، تدمير، هلاك، فشل، ضياع. هذا يعتبر من أشد ظلم الناس لنفوسهم عندما يكونون معرضين عن كتاب الله، يظلمون نفوسهم، ويظلمون بعضهم بعض؛ لأن القرآن هو هدى، ونور، ورحمة، ويرسم الطريقة الصحيحة التي تجنب الناس الخسارات، الخسارات في الحياة، الخسارات في أنفسهم، ينصرفون عنه فيعتبروا ظالمين لأنفسهم {وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً}.

[{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(فصلت٤٢)] لا يوجد فيه منفذ للباطل على الإطلاق، لا يتطرق إليه الباطل، لا أن يكون شاهداً على باطل، ولا أن يُلحق به باطل، ويُفرض عليه باطل، فيُضَّمن معانيه ويضَّمن ما يدل عليه.

هنا كل ما يأتي من كلام حول القرآن هو بالشكل الذي يجعل الناس الذين يسيرون على حركة القرآن بهذا الشكل، فأي باطل ما يستطيع أن ينال منهم، إذا أنت تتثقف بثقافة القرآن، ومعرفتك معرفة القرآن، ورؤيتك رؤية القرآن، ما كل ما حولك باطل؟ أي باطل في حينه ما عاد يمكن ينال منك، ما يمكن يؤثر عليك نهائياً، بل أي باطل يبدي برأسه عليك سترى فيه شاهداً على أنك على حق، يكون بهذا الشكل، تكون القضية بهذا الشكل، لا يعد هناك باطل إلا يفيدك أنت رغماً عنه، الباري جعل القضية بهذا الشكل: أن الباطل يفيد الحق رغماً عنه، ويكون في نفسه شهادة على أن الحق حق، وأنه هو باطل رغماً عنه.

فإذا الإنسان لا يسير على القرآن يدخل الباطل من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته ومن كل مكان يدخل له، في نفسيته وفي واقعه. {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} حميد: من الحمد من المجد. {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}!! البعض يقرؤها دون أن يكون لها أي أهمية عنده.

هذه الآية هامة جداً: {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} هنا يقول لك: امشوا عليه تصبحون أنتم بالشكل الذي لا يستطيع الباطل يتطرق إليكم، لا في نفوسكم، ولا في واقع حياتكم نهائياً. وفعلاً تجد إلى ما يهدي إليه في بقية الأشياء أنه بالشكل الذي لا يعد يرى الباطل له مكاناً في الدنيا هذه، لا يعد يرى له مكان؛ ولهذا كان تثقيفه يقوم للمؤمنين على أساس السبق، المبادرة، العمل على أساس الاحتمالات المستقبلية.

تجد واقعنا بالشكل المغلوط تماماً، ما يؤمن بالقضية إلا بعدما تقع، ما يؤمن بأن الأمريكي بعده إلا بعد ما يراه عند باب بيته فيقول: والله صحيح، من هذا النوع. هنا لا، القرآن هو بالشكل الذي يعطي ثقافة، ما عاد يرى الباطل له مكاناً في الدنيا هذه، ما يرى له مكاناً في نفسك، ما عاد يرى له مكاناً في بلادك. أليس هذا هو ينسف تماماً الرؤية الخاطئة الأخرى التي هي رجس؟ جعلوا الدنيا ما عاد يرى الحق هو له مكان!.

نحن في الواقع الذين ما تركنا الحق أن يبقى له مكان لا في نفوسنا ولا في واقع الحياة؛ لأن الذي نزله هو حكيم، وهو يعلم كيف يعمل، ويعلم ما هو الحل لإشكاليات مثل هذه، يعلم ما هو الشيء الذي يمكن أن يعيق قضية باطل مقبلة على الناس، يعيقها، يحول دون وقوعها، إذا ما بدت يضربها، هو{حَكِيمٍ حَمِيدٍ} من الحمد، من الثناء، وتشير إلى معنى الكمال بالنسبة له، ما هو ناقص، ما هو قاصر، هو من يستحق الحمد والثناء والرفعة والمجد، فما يقدمه يكون على أرقى مستوى.

{كِتَابٌ عَزِيزٌ} العزة من الرفعة والمنعة، المنعة. طيب نحن نقول أنه كتاب عزيز، ونشوف القرآن عزيز، هو عزيز في نفسه، لكن لماذا لا تفهم بأن معناه يعطي عزة، يعطي منعة، يعطي قوة، يعطي مجداً ورفعة لمن يسيرون عليه. هو ما بين يتكلم لك عن إخراج الكتاب وطباعته والجوانب الفنية فيه، يتحدث لك عن واقعه، وعن ما يمكن أن يترك من أثر لمن يسيرون عليه، أن يكون هناك عزة.

هذا نفسه هو يدل على أن القرآن هو سلاح، وقلنا أن هذه مما ضاعت، مما ضاعت في صراعنا مع الآخرين، نغرق معهم في أشياء معهم، جدل معهم كذا، ما نلتفت إلى القرآن نقول: القرآن هو يقول هكذا. متى ما جاء يريد يشككنا في القرآن نقول القرآن هو يتحداك: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}(البقرة٢٣) **أنت تمتلك وسائل أكثر مما كان يمتلكها المشرك يوم نزل القرآن، وتمتلك رؤى في مجال التربية والتقنين والأشياء هذه ووضع أنظمة أكثر مما يملكها العربي الأول هات سورة مثله، تعال اتأمله، يتأمله اليهودي سيعرف أنه من الله، بل الله قال: أنهم فعلاً يعرفونه كما يعرفون أبناءهم {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ}**(الأنعام١١٤) **يعلمون علماً أنه من الله.**

فقط قد هو منطق عندما نقول: ندافع عن الدين، هي عبارة نكررها لقصورنا وإلا فأصل الموضوع هو أن الدين دفاع عنا، القرآن سلاح لنا، الدين سلاح لنا، والإمام علي قال في الإسلام أنه سلاح، لأنه هو يبني الأمة، يجعلها أمة قوية، يجعلها أمة تمتلك قدرات رهيبة، واقعها بالشكل الذي يكون الله معها، هو نفسه يدافع عنا، إنما فقط قد هو منطق نقول: ندافع عن ديننا، قد هي عبارة ربما ما حصلت ولا مرة في القرآن، هل حصلت مرة في القرآن؟ تدافعون عن دينكم؟ ما حصلت هذه.

قال لأولئك المنافقين العنوان الذي قدمه القرآن: قتال في سبيل الله، نصر لله، كونوا أنصار الله، قال للآخرين: قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، أليست هذه درجة ثانية؟ يقول للمنافق: أنت ما عندك تقاتل في سبيل الله، دافع عن بلادك عن المدينة هذه هم هاجمون عليك {أَوِ ادْفَعُواْ} لتعبيرنا فقط، تعبيرنا القاصر وإلا فأصل القضية أن الله جعل الدين هو دفاع عن الناس، الدين بناء للناس، الدين قوة للناس، سلاح للناس. نحن بحاجة إلى الدين أكثر من حاجة الدين إلينا.

هنا يتحدث عن المسؤولية: في سبيل الله، جاهدوا في سبيل الله، أنصاراً لله، ما هناك كلام دافعوا عن ديني، ما قدم المسألة هكذا حتى تترسخ في ذهنيتنا هذه، القضية ليست واقعة، يعني ليست واقعية المسألة بهذا الشكل، أنك فقط سير على هذا الدين، وهذا الدين بالشكل الذي يجعلك قوياً فتراه يدافع عنك، تراه دفاعاً عنك، تراه سلاحاً لك.

[فكتاب الله إمام لكل مهتدٍ من خلق الله رشيد، أعزه الله عن الوهن والتداحض] عن الضعف أن يكون في القرآن ضعف، ما يكشف عن ضعف فيه في أي جانب من الجوانب، والتداحض مثل بعضه يدفع بعض اختلاف، يكون بعضه ينقض بعض، هذا لا يوجد فيه كله يشهد بعضه لبعض **[فلا يتصلان به أبداً]** الوهن والتداحض **[ومنعه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ حفّه بالنور والهدى، فنوره وهداه مقيمان أبداً معه، مضيئان مشرقان لمن قبله عن الله وسمعه، ساطع فيه نور شمسهما]** شمس النور والهدى **[بَيِّنٌ هداه ونوره لمتلمسهما، لا يميلان لمتبع لهما عن قصده، ولا يمنعان من طلب رشدهما عن رشده، بل يدلانه على المراشد المرشدة، ويقصدان به الأمور المُعَدّة، التي لا يشقى أبداً معها]**.

العبارة هذه: **[ويقصدان به الأمور المُعَدّة]** هنا ممكن الأمور المعدة، تجد ما يهدي إليه القرآن هو يهدي إلى قضايا واقعية، فيبدو ما يهدي إليه وكأنه قد أعد من قبل أن يكون على النحو الفلاني عندما يقول: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ} (الفتح٢٢) أليس هذا يبدو أمراً يمكن أن يكون له صورة في ذهنك أمراً معداً؟ وكأنه أمراً معداً فهو يهدي إلى أمور هي ذات واقع، هي واقعة وكأنها معدة أن تكون على هذا النحو الذي هدى إليه.

{إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران١٠٠) أليس هذا أمر؟ كلمة أمر هي تشبه كلمة شيء كلمة تطلق على كل شيء هذا أمر معد وهو حقيقة نتيجة حتمية.

عندما يقول: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} (محمد٧) أليس هنا يهدي إلى أمر؟ هنا ما هو نصر أمور معدة **[التي لا يشقى أبداً معها، ولا يضل أبداً من اتبعها، فرحم الله امرأً نظر فيه فرأى سعادته ورشده وهداه، فجانب شقوته وغيه ورداه، قبل أن يقول في يوم القيامة مع القائلين: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ}(المؤمنون١٠٦)]** أي بعدما تتكشف الحقائق بشكل رهيب.

لاحظ لا يوجد جدل يوم القيامة مع الله، طيب عندما تقول مثلاً لا يوجد جدل مع الله، ربما الله ما يسطّر ما يمكن أن يقوله الآخرون؟ لا، هنا في القرآن شاهد على كيف يمكن أن يكون الواقع لا يمكن أن تقول: ربما الباري ما يسطّر ما يمكن أن يقولونه هم، أو هناك تظلم، أو أنت لم تعمل كذا أو أنت .. لا، المسألة بالشكل الذي ترى من خلال القرآن الكريم أنه لا يمكن.. يعني هنا في الدنيا لو يأتي الناس إلى القرآن الكريم ويحاسبون أنفسهم على القرآن هنا في الدنيا لقالوا هذه: والله أننا ضالين وأشقياء.

ما هناك مجال أن تقول فيه: لماذا لم يعمل الباري كذا؟ لماذا لم يصلح كذا؟ لماذا لم يهد إلى كذا؟ لماذا لم يعمل كذا؟ لا يوجد، إنما تكون القضية كلها في الأخير ترجع إلى الإنسان هو يتحسر، يتحسر البشر، يرون أن الغلط هو من عندهم هم، أن الخطأ هو من عندهم هم {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} نحن كنا أشقياء، أشقياء وإلا لسرنا على هداه، يعني: حظنا فسل، مثلما يقول واحد: حظنا فسل.

{وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ} ضائعين تائهين، لاحظ هنا الضلال يصيحون منه، يوم القيامة يصيح الإنسان من الضلال كأنه يصيح لماذا ضل عن هذه الطريقة، يرى أن كل المصير السيئ الذي هو فيه هو بسبب أنه ضل عن الطريقة التي كان يمكن أن يكون مع أولئك الذين يراهم يقودونهم إلى الجنة وهو يراهم زمراً، وهم يسيرون بهم إلى الجنة. أليست هذه حسرة شديدة؟ حسرة رهيبة.

فيكون مطنن لماذا؟ لأنه ضل عن الطريق التي يرى أصحابها يدخلون إلى الجنة {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} (الزمر٧١) جماعات يساقون أمام الآخرين.

أليست هذه حسرة شديدة جداً، حسرة يعني يتصورها الإنسان من أشد الحسرات، عندما يقول لماذا؛ لأنه ضل عن طريقتهم، يصيح من الضلال {وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ} يصيحون من الضلال وهم في النار وهم في المحشر.

[كتاب نزله الله الرحيم الأعلى برحمته من فوق السموات العلى، فأقر في أرضه قراره، وبثّ في عباده أنواره، فنوره ظاهر لا يخفى] قضية أن نوره ظاهر لا يخفى قضية ملموسة، كما تحدثنا عنه أكثر من مرة، حتى بالنسبة للعامة من الناس، حتى البسطاء من الناس يعطيهم من نوره ما يبصرون أشياء أخرى تعطيهم نوراً.

[وضياؤه زاهر لا يطفأ، مشرق نوره بالهدى يتلألأ، كما قال سبحانه وتبارك وتعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(التوبة٣٢)] أن يكون نوره تاماً، أن يكون نوره شاملاً وعاماً، ولو كره الكافرون.

لاحظ هذه الآية هي من الآيات التي تعطي المسلمين أمل، الآية هذه هي من الآيات التي تعطي المسلمين أملاً بأن هذا الدين هو بالشكل الذي يمكن أن يظهر على الأديان، والثقافات كلها، وأن من يحملونه يكونون ظاهرين على كل من يحملون أي ثقافات، وأديان أخرى، فهي تعطي أملاً كبيراً جداً للمسلمين، وتنقض كل المقولات الأخرى: أنه ما يمكن للحق أن ينتصر، ما يمكن للحق أنه يظهر، المفاهيم الباطلة هذه، هنا يقول لك: {وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} مع محاولاتهم لإطفاء نوره، لا يستطيعون أبداً أن يطفئوا نوره.

[فأبى الله سبحانه إلا تمامه فتم، وخاصم به من هُدي لرشده من خلقه فخصم] من خاصم بالقرآن خصم أي: فلج، وظفر هو، وقهر الطرف الآخر الذي يناوؤه.

[برهانه منير مضيء] عندما تلاحظ هذا معناه هذا من الإيجابيات التي تغطي كل مشاعر الضعف لدى الإنسان، نحن نقول: أن الإنسان ما يأتي له مشاعر ضعف إلا عندما يرجع إلى نفسه هو، عندما ينظر إلى الأشياء من نظرته هو كإنسان، الإنسان ضعيف، وهو قال هو في القرآن الكريم قال الله: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}(النساء٢٨) ألم يقل هكذا؟ لكن انظر نظرة القرآن، اعتبر نفسك بعد القرآن، هنا ما تشعر بضعف على الإطلاق، لكن ترجع إلى نفسك كإنسان ترى نفسك ملان ضعف، في كل رؤية، في كل نظرة إلى عدو، إلى قريب، إلى بعيد، كل هذه ما ترى إلا ضعفاً.

[وخاصم به من هدي لرشده من خلقه فخصم] لكن تخاصم بدونه ما يمكن، تضعف أنت، يعني أن تكون ثقافتك ليست ثقافته ستضعف، ونحن نراهم يضعفون على الشاشات حقيقة ليست افتراض، أن تتحرك حركة لا تقوم على أصله ستقهر، وتضعف، هذه قضية ما فيها شك، خاصم به كثقافة، خاصم به كحركة، خاصم به كرؤية، خاصم به كحلّ، هنا لازم أن تخصم، وتظفر وتغلب.

وهنا أيضاً تخاصم به نفسك، أيضاً عندما تحس بضعف ارجع إلى القرآن نفسه، هذه كانت من طرق أهل البيت الأولين في تعاملهم مع القرآن، في المراحل التي تبدو فيها الآراء مضطربة، ووضع ضاغط جداً، وأشياء من هذه، فتجد في الأخير مظاهر الضعف حتى على أقوياء من حولك، في رؤاهم، في آرائهم.

في الحالة هذه يكون التوجيه إلى أن الناس يعودون إلى القرآن تلاوة، ليس المعنى أن يقرؤوه بنية أن الله يعمل كذا! يقرؤونه يرفعون معنوياتهم به، يتأملونه، يستعيدونه، يتصفحون توجيهاته، ترتفع معنوياتهم، يهتدون، يقوون، يرون كل ذلك الذي قد أصبح يفرض عليهم وضعية من اضطراب في الآراء، ومواقف ضعف، ورؤى ضعف، يراها كلها تتبخر، يراها كلها القضية تلك بسيطة، في الأخير يرى كل القضية تلك بسيطة، وكلها ليست مشكلة، يشد الناس إلى مواقف قوية.

عندما ترى في التراجم يقول لك: كان مثلاً أهل البيت وأتباعهم في حركة من الحركات، كانوا في الليل يقرءون القرآن، أليسوا في اليوم الثاني يكونون مقاتلين مستبسلين؛ لأنه يفيد في هذا الموضوع أنك كلما تلمس من مظاهر ضعف عندك أنت ارجع إلى القرآن، إذا أحد من حولك عنده رؤى ضعف وأشوار من هذه الضعيفة الهابطة قل لهم تعالوا نقرأ، نرجع إلى القرآن، يرجعون إليه، ولاحظ عندما يتبخر، ويستحوا إن كان عندهم رؤى من هذه، يستحوا إن كان عندهم رؤى ضعيفة، ويرى نفسه شوعة.

فالقرآن هو يرفع المعنويات بشكل رهيب، يخصم نفسك، يخصم الضعف الذي في نفسك بكله، وتخصم به أي طرف آخر، يظهر موقفه ضعيف أمام موقفك. وكل الأشياء الأخرى هي في الأخير تتوقف على مدى معنويات الإنسان ورؤاه، عندما ترى الطائرة، ترى الصاروخ، ترى مطارات تمشي في البحر، ترى أشياء من هذه، هي كلها تسيِّرها معنويات ورؤى ومفاهيم من أصحابها، هؤلاء عندما يضعفون في هذا الجانب وقفوا هذه الأشياء يوقفوها.

هؤلاء عندما يكون هناك من يتحرك بشكل صحيح، على أساس كتاب الله أيضاً يأتي من جهة الله هو ما يجعلهم يتخذون قرارات أخرى، يعني ما تقول مثلاً: هل يستطيع القرآن أن يفجر الصاروخ حق ذولاك، أو يخليه كذا؟

يستطيع أن يوقفه محله، يستطيع أن يخلي حاملة الطائرات تُصدّي في البحر لو أن العرب يسيرون على أساس القرآن، عندما يسيروا على أساس كتاب الله سيحصل تدخل إلهي من جانبه هو؛ ولهذا يقول: [ومن خاصم به خصم] مثلما تقدم في قوله: [من جادل به ظفر].

[برهانه منير مضيء، وتبيانه مسفر جلي]؛ لأنه أحياناً، وهذه مما يجب أن تتنبه لها في إرشاد الناس، وإرشاد نفوسنا، قد تأتي أحياناً تريد تبين لكن ما يزال هناك عقدة؛ لأنه يبقى عقدة أحياناً، إذا ما يزال هناك عقدة واحدة تكون مشكلة [يعني حقيقة الله هو قال: ولينصرن الله من ينصره، لكن هذه الأشياء التي نراها كيف ما هو الحل]!.

المشكلة التي تراها ليست أمريكا، أمريكا هو الجندي، هو القادة، هو الإنسان، أمريكا هو الإنسان، تدري من الذي حرك هذه؟ هم اليهود، أعطوا ثقافة، مفاهيم، رؤى، آمال، جعلت هؤلاء يتحركون، هذا معلوم، معلوم حتى عند الأمريكيين أنفسهم أنهم يقولون: هذه الحرب وراءها دفع يهودي، الدفع ما هو في الأخير؟ يا أخي افهم كل قضية هي تنتهي في الأخير إلى تثقيف، ومفاهيم، ورؤى تصنع وتحرك كلها، أو تجمد أمة وتجعلها تائهة، هي هذه.

فالذي حرك هذه مفاهيم، أعطوهم ثقافة معينة أعطوهم آمال دينية أيضاً، إضافة إلى حب السيطرة، والمصالح، والعداء، أعطوهم آمالاً دينية بتغرير وتلبيس رهيب عمله اليهود، الوعود التي كانت من قبل أن يأتي المسيح، وعود بأن يأتي المسيح شغّلوها فيما بعد؛ لأن اليهود ما زالوا كافرين بأن المسيح عيسى بن مريم هو المسيح الموعود به في الكتب السابقة، طرحوا الموضوع من جديد وبأسلوب جعلوا المسيحي نفسه الذي هو مؤمن بعيسى يتطلع إلى عودة المسيح فعلاً، عودته هو.

تسمع عندهم على أساس القضية هذه يأتي كلام من هذا، عندما يتحدث عن إيران والعراق وكوريا محور الشر، هو عندهم أنه لا يأتي المسيح إلا بعد أن نزيل أكثر الشريرين هؤلاء، يأتي المسيح إلى عالم نظيف من نوعيتنا، من نوعيتهم هم يعني، فتنشأ حياة سعيدة!

يوجد نصوص من هذه لكن هي من النوع الذي هو من قبل أن يأتي المسيح عيسى بن مريم، هم جاءوا يشغلونها من جديد؛ لأن عندهم قدرة في تلبيس الحق بالباطل، عندهم قدرة رهيبة في هذا الموضوع، حتى جعلونا نحن نفكر تفكيرهم في موضوع عودة المسيح، نفكر تفكيرهم هم، عن طريق كعب الأحبار، وآخرين ممن دخلوا.

والأفكار يكون بعض الأفكار منها ما يضرب أمة، على أساس فكرة معينة تباد أمم، على أساس فكرة معينة.

عندما يتحدث القرآن الكريم بأنه هدى ونور وشفاء، وأشياء من هذه، لا تتصوره يعني في إطار حروف، فيبقى معك عقدة، إن أساس الموضوع في القرآن الكريم هو ليزيل العقد هذه، كيف أنه ممكن يأتي يحلل لك عقد صغيرة ويترك العقدة الكبيرة؟! العقدة الكبيرة هذه التي ترى أنت في الأخير بأن ما في وسعك أنت، بحسب طاقاتك، وإمكانياتك أنك تحلها أنت لا تُبْصر أن هناك حلول لها من تحت بسيطة في متناولك.

مثلما بين نقول أنه كل هذه الإمكانيات الهائلة لدى أمريكا، لدى العرب حل يوقفها كلها، يتوقفوا من تصدير النفط، ويقاطعوا أمريكا اقتصادياً، تتوقف كلها هذه، تتوقف. إذاً ما هذا سلاح في أيديهم؟ سلاح في أيديهم، هذا السلاح يعتبر واجب عليهم، مفروض، مفروض.

طيب هم يجدونه بالشكل الذي ما يحتاجوا يحملونه، ولن يؤدي إلى ضر عليهم على الإطلاق، هناك بلدان أخرى ستستقبل نفطهم، عاشوا من قبل بدون نفط، هناك بلدان أخرى تصدر بضائع أخرى، لن يكون هناك أي ضرر إلا على أمريكا نفسها، تتوقف كل آلياتها؛ ولأن كل الآليات هذه كلما تطورت كلما كبرت نقطة الضعف لديهم هم، من الأوليات حقتها أن تعتمد عليك كسوق تستهلك، تخرج ما في جيبك إليهم، وتعتمد على الأوليات التي في بلادك، ومن أهمها النفط.

إذا توقف النفط، وتوقف الناس عن شراء البضائع الأمريكية والإسرائيلية، في الأخير تراها تتوقف، تراها تتوقف كلها؛ لأن الالتزامات المالية تكبر جداً جداً كلما علت التقنية في استخدام الأشياء، تكون الخسارات كبيرة جداً كلما علت التقنية، وما هي كلها تقوم على جهودها الذاتية من أوليات إلى آخر شيء هي عليه، فهم مربوطين بالعرب، مربوطين بالبلاد العربية.

ولاحظ كيف أن القضية صحيحة هذه أنهم هم تفكيرهم الآن بأنهم بهيمنتهم على المنطقة هذه سيهيمنون على العالم، كيف عندما تفكر أنت العربي أنك في موقع تستطيع من خلاله أن تهيمن على العالم؟ الإسرائيليون الأمريكيون عندهم اعتقاد بأنه أن يهيمنوا على المنطقة هذه معناه يهيمنوا على الصين، اليابان، على كل دول آسيا هذه المصنعة، وعلى دول أوروبا، ويهيمنوا على العالم كله من المنطقة هذه.

أليست هذه قضية هامة؟ قضية هامة جداً، معنى هذا أن الأسلحة حتى لإيقاف الأشياء هذه ما تزال قائمة، عندما تفترض، أو ما تبصر، أبصر نقطة واحدة هو أنك جندي من جنود الله، فإذا سار الناس على هدي الله فهو هو يأتي بأشياء كثيرة، يتدخل ولو في قراراتهم وفي اجتماعاتهم يرون بأنه ليس هناك أي مصلحة من الدخول معك في صراع.

ممكن يحصل من هذا النوع، أو أي آراء يحصل ماذا؟ يكون فيها تدميرهم، والله عرض في القرآن أشياء من هذه، ممكن يدخلهم في صراع مع أطراف أخرى، يضرب الطرفين فيه، ويفتح مجال كبير للمسلمين، المسلمين العمليين، وليس المسلمين الراقدين.

تحدث عن نظير لهذا في أول ما بدأ الإسلام في قول الله تعالى: {ألم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ} (الروم:٤) **تجد أن الصراع الذي قام بين الفرس والروم كان بالشكل الذي يخدم حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن يغلب الروم قبل الفرس في بداية حركة الدعوة كان أفضل للمسلمين من أن يغلب الفرس، لماذا؟ لاختلاف موقف الفرس والروم من حركة الرسول، الروم دولة دينية، ما هي دولة دينية، أهل كتاب ودين.**

هم يخافون من نشوء دين، من ظهور دين، خاصة الدين الذي قد يرون بأنه منافس، سيكون لهم موقف من هذا الدين من أول أيامه، الدولة هذه يكون تفكيرها أن تجتاح الشيء من أصله، لا تقم له قائمة، لا يسمحون له بالظهور نهائياً.

الفرس لهم موقف من حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) موقف كدولة أن ينشأ كدولة في المنطقة، ما هو كدين، ما يفهموا؛ لأنهم مجوس. فيُضرَب الروم أولاً، وتمشي حركة الرسالة بمأمن، وهي حركة دين بحت كانت، تمشي بمأمن من هجوم خارجي، في وقت هي فيه تبدو ضعيفة، هنا ترتيب إلهي على مستوى العالم في ذلك الزمن!.

طيب بعدما ظهر المسلمون، أصبحوا في المدينة، قد أصبحوا كيان، وأصبحوا دولة، هنا هم بحاجة إلى ماذا؟ أن تُضرَب الفرس، الروم يضربوا الفرس، في بضع سنين، في فترة قياسية، ليست هي الفترة الطبيعية التي تستعيد فيها دولة قواها لتضرب دولة أخرى، لكن هناك {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ}.

ترتيب إلهي في المسألة، ليفسح المجال لهؤلاء، يُضرب الفرس، ويكون الفرس أيضاً بالشكل الذي لا تعد تقم لهم قائمة، هم أعداء خطيرين من هذا المنطلق، من كونهم أعداء لأن يظهر الإسلام كدولة وكيان، بغض النظر عن الدين، عن كونه دين. هنا ضرب الفرس، ثم بعدما ضُربوا أيضاً ما عاد نشأ فيهم قيادة حكيمة، ما عاد نشأ فيهم زعامة تعيد للدولة هذه هيمنتها.

طيب هنا الروم ما هم انتصروا في هذه، وأصبحت دولة عالية؟ لكن هم في الوقت الذي فكروا أن يغزوا المسلمين أصبح المسلمون دولة، وأصبحوا كيان قوي. القائد الإسلامي العظيم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان بالشكل الذي يعرف كيف يواجه هذه، هذه الدولة التي هي دولة دينية، هي عندها نقاط ضعف كبيرة، يعرف كيف يتصرف معها، توجه وحشد أكبر حشد ممكن، حوالي ثلاثين ألف إلى تبوك.

بعد ما حصل معركة مؤتة، معركة مؤتة ظهر المسلمون فيها وإن كانت معركة موجعة لكن ظهروا المسلمون فيها بشكل أعطوا الآخرين درساً أن هؤلاء فتاكين جداً في قتالهم، رأوا ثلاثين ألفاً بعد ما كان المسلمون في مؤتة حوالي ثلاثة آلاف فقط. ثلاثون ألفاً، ونحن ذقنا الأمرين من ثلاثة آلاف! هم نفوسهم حوالي مائة وثلاثين ألف قد حشدوهم في دمشق، اتخذوا قراراً بالتراجع عن المواجهة.

هنا عندما يقول: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} أدنى الأرض: أقربها إليكم؛ لتلمسوا أن هذا ماذا؟ تهيئة إلهية، هذا درس للمسلمين أنهم إذا كانوا بهذا الشكل لن يبقى أمامك عائق على الإطلاق، تقول: أمامك كذا، ممكن الباري يفتح مشكلة لهؤلاء مع هؤلاء، مع آخرين، بل ويرتب المسألة أيضاً فيها ترتيب بالشكل الذي يكون من مصلحتك أن يضرب هذا قبل هذا، فضربوا الروم قبل الفرس، أليس هكذا؟ ثم الفرس ضربوا الروم.

لاحظ لو تأتي تعكسها أنت، دراسة تحليلية، لو تأتي تعكسها لما أمكن، لكان فيها خلل، أي لظهر لا، من مصلحة المسلمين على أساس أنك تعرف موقف الفرس منهم، وموقف الروم منهم، تكتيك رهيب جداً. طيب التكتيك هذا مقابل كم أشخاص، ولكم ناس في مكة، ما عادهم في مكة؟ يحرك العالم، وترتيبات عالمية من أجل الدعوة هذه، الحركة هذه في مكة.

القرآن هو بهذا الشكل، ما يترك عقدة على الإطلاق أمام من يسيرون عليه مهما كانت، عندما ترى العقدة أنت باعتبار طاقاتك، قدراتك من التي لا يرضى الناس يرتفعون منها، ارتفع أنت بكلك إلى الله، ارجع إلى الله ماذا يعمل؟ يقول لك: هو يعمل كذا لمن هم على هذا النحو في مسيرة دياناته، وهديه من قبل الإسلام. إلى هنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس الرابع]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣١/٥/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

بالنسبة للشباب الذين عادهم جاءوا نحن الآن ندرس كتاب [مديح القرآن] للإمام القاسم بن إبراهيم. وهذا الكتاب مناسب أنه يصوّر، ويخرج بأحسن مما هو عليه، يكبّر؛ لأجل يدرّس في المراكز، وينتشر للناس. فهو مناسب جداً نشره في الفترة هذه بالذات. يعني الناس الآن أحوج ما يكونون إلى القرآن، في الزمن هذا بالذات. نحن بحاجة إليه في المساجد، في المراكز، ينتشر في أوساط الناس.

كتاب هو من إمام كبير من أئمة أهل البيت، الزيدية متفقين عليه، هو مشهور عندهم جميعاً، وكتابته بالطريقة التي تكشف كيف رؤية أهل البيت، وتوجه أهل البيت الأصلي، قبل تجي أشياء أخرى. هنا يعطي فعلاً رؤية أهل البيت. يتحدث عن أهمية القرآن، وعظمة القرآن، وحاجة الناس إلى القرآن، وهداية القرآن بشكل كبير.

الإمام القاسم هم يعتبرونه من أقدر أئمة أهل البيت، الإمام القاسم بن إبراهيم يعتبرونه كبير أهل البيت، في قدرته، بل إن بعضهم يعتبرونه فيلسوف المسلمين.

الإمام القاسم نفسه هو ممن كان يهتم بالقرآن، يهتم به اهتماماً كبيراً، وهذا واضح في كتاباته، يعني عنده كمنهج تربوي؛ لهذا تجد الإمام الهادي نفسه ـ وهو حفيده ـ كيف كان اهتمامه بالقرآن.

نحن نقول: أنه حصل عندنا خلل في نظرتنا إلى القرآن الكريم، ولو أن الناس ما يزال عندهم إيمان بأهمية القرآن، وعظمته، لكن حصل خلل كبير في النظرة إلى القرآن، وفي التعامل معه، وحصل خلل كبير، عوائق حدثت لدينا أعاقتنا عن الاهتداء به بالشكل المطلوب.

قد أخذنا فيه حوالي ثلاثة دروس، هو كتاب صغير لكنه عظيم جداً في فائدته.

قال(عليه السلام)**: [كتاب نزله الله الرحيم الأعلى برحمته من فوق السموات العلى، فأقر في أرضه قراره، وبث في عباده أنواره، فنوره ظاهر لا يخفى، وضياؤه زاهر لا يطفأ، مشرق نوره بالهدى يتلألأ، كما قال سبحانه وتبارك وتعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**(التوبة٣٢) **فأبى الله سبحانه إلا تمامه فتم، وخاصم به من هُدي لرشده من خلقه فخصم].**

مثلما قلنا بالأمس حول هذه، بأن القرآن الكريم كما قال هنا: [وخاصم به من هُدي لرشده من خلقه فخصم] أن من يخاصم بالقرآن، يعني يحاج آخرين بالقرآن، لا بد أن يخصم، لكن إذا كان عنده معرفة بالقرآن، وعنده فهم للقرآن، فلا بد أن يغلب.

طيب العبارة هذه هي عبارة عامة، وهو الشيء الحقيقي بالنسبة للقرآن؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو نزل القرآن والدنيا فيها ديانات، فيها فلسفات، فيها مذاهب متعددة، فيها ديانات متعددة، بعضها أصلها سماوي مثلما كان عند أهل الكتاب، وبعضها ديانات أخرى، ديانات البوذية، وديانات أخرى في الصين، ويوجد هناك فلسفة عند اليونانيين، وممتدة عند العرب.

طيب عندما ينزل الله القرآن هو قال فيه: أنه نزله للناس جميعاً. طيب هو فيما هو عليه هو بالتأكيد فيه الرد الوافي على أي شيء من هذه التي كانت في الدنيا كلها؛ لأن الله جعله بالشكل الذي يثق به المسلمون أنه يمكن أن يحج أي طرف آخر، أي ثقافة أخرى، حتى ولو كانت ثقافة إلحادية، فلسفة كيفما كان شكلها، ديانة كيفما كان شكلها، أن القرآن بالشكل الذي يحجّها.

فإذا رأينا أنه ليس على منهجية الفلاسفة مثلاً، ما يعني هذا بأنه ربما ما لحظ الموضوع، أن يكون فيه ما يعتبر رد على ما يعتبر باطل لديهم من فلسفات، فقد يكون القرآن من أصله يعتبر المنهجية بكلها التي يسيرون عليها خطأ؛ لهذا لم يأت على طريقة الفلاسفة، ما بيأتي وفق قواعد المنطق، المنهج الذي يسير عليه الفلاسفة في أبحاثهم، أو في مناظراتهم.

وهو فعلاً القرآن الكريم كشف بأن أسلوبه هو الأسلوب الذي يصلح للإنسان، وأن الأسلوب الآخر كان أسلوباً قاصراً. القرآن الكريم تقدم في الموضوع بطريقة تختلف عن طريقتهم، هم يقيمون الحوار، والمناظرات على أساس مقدمات منطقية، حوار عقلي يسموه هكذا، يعني من العقل إلى العقل ـ على ما يتصورون ـ من العقل إلى العقل، ما هناك لحظ للموضوع الآخر، الجانب الوجداني لدى الإنسان، وهو جانب واسع جداً، الجانب الوجداني، وحتى في خلق قناعة لدى الإنسان، أو في خلق إيمان لدى الإنسان هذه الطريقة التي يسمونها منطقية ما تكفي، ما تكفي نهائياً.

جاء الأسلوب في القرآن الكريم بطريقة أنه يأتي للإنسان من كل جهة، منطق بشكل مقنع، وترغيب، وترهيب، واستعطاف، بكل الوسائل؛ ولهذا نجح، وانتشر الإسلام بشكل كبير في فترة قصيرة، مع أن الفلاسفة كانوا يغرقون مع بعضهم بعض، ما تلمس بأنها اتسعت فلسفة معينة، متى ما اتسعت مثلاً أحياناً فلسفة معينة فتكون على أساس أنها توافقت مع سياسة نظام معين، حتى الآن في قراءة الفلسفة معظمها قراءة مقولات الفلاسفة، فلان قال كذا، وفلان قال كذا، حكايات، ما هناك ما يمكن ينزل ويكون هو مقبول، ويمشي. هذا يتفلسف، وذاك يتفلسف من هناك ونقض عليه ما عنده، وهكذا، بالطريقة هذه.

فالقرآن سلك طريقة أخرى، طريقة مقنعة، وطريقة تدفع بالإنسان إلى أن يستجيب من خلال هذه: أنه يأتي له من جميع جهاته، من جميع الجهات، ولم يسر على أسلوب الفلاسفة أنفسهم، ما سار على هذا الأسلوب، بحيث أنه يوجد طريقة منطقية أنك مثلاً ما تحتج على الخصم إلا بشيء هو يستلزمه مثلاً، أو هو مؤمن به، أو يلزمه قبوله، ووفق القاعدة هذه.

القرآن الكريم يخاطب مشركين هم ما يزالون كافرين برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكافرين بالقرآن، وكافرين باليوم الآخر، وبالجنة والنار، أليست هذه قضية معروفة؟ ومع هذا تجده يهددهم بالنار، يخوفهم بالنار، يرغبهم بالجنة، يخوفهم بما حصل للأمم الماضية، يذكرهم بالنعم العظيمة عليهم.

طيب على أساس الطريقة المنطقية أنه كيف أنك تأتي تخوفه بجهنم وعاده ما قد آمن بالقرآن، ولا قد آمن بالرسول، والإيمان بجهنم هو فرع على الإيمان بالقرآن، والإيمان بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟! الله أعلم بالإنسان، هو الذي يعلم بالإنسان كيف يخاطبه، فتجد في السور المكية كثير من الوعد والوعيد، السور المكية كثير من الوعد والوعيد فيها، ووعد ووعيد يتحدث عن الآخرة، وعن يوم القيمة، يتحدث عن أهواله، يتحدث عن سوء الحساب، يعرض صور كيف سيكون المشركون، كيف سيكون المجرمون، كيف سيكون الكافرون في ساحة الحشر، كيف سيكون الخوف لديهم، وأبصارهم شاخصة، قلوبهم هواء.

بهذه الطريقة الواسعة جداً وهي عند الآخرين يقولون لك: ما هي منطقية بكلها هذه، إذ كيف يحتج عليه، أو كيف يستدل عليه، أو كيف يهدده بشيء وهو بعد ما قد آمن به؟!.

فبهذا الأسلوب القرآن كشف أن الأسلوب الذي يستخدمه الفلاسفة أسلوب ناقص، أسلوب قاصر. تجد نفس الشيء مشى أسلوب الفلاسفة إلى المتكلمين من الأشاعرة، والمعتزلة، مشى نفس الأسلوب حقهم: الحوار العقلي، الجدل العقلي، الأدلة العقلية، مناظرات عقلية، يعني: كل واحد من رأسه إلى رأس الثاني هكذا، ما يلحظوا الأشياء الأخرى.

نفس الشيء فشلوا، بل ضاعوا هم المعتزلة انقرضوا هم، و الأشاعرة أولئك الذين كانوا أشاعرة بشكل متكلمين طغى عليهم التيار الآخر، تيار المحدثين الحنابلة طغوا عليهم، وإذا المتكلمين سواء كانوا أشاعرة، أو كانوا معتزلة من المسلمين ذابوا هم! هل استطاعوا أن يُدخِلوا أحداً إلى الإسلام؟ لا، بل حنبوا هم، طلع إشكاليات لديهم، غرقوا هم فيها مع بعضهم بعض، وتفرقوا هم، واختلافات، وطلع شبه على حسب طرحهم هم، وتقديمهم للدين، ورؤاهم في موضوع الدين، طلع شبه كثيرة عليهم من الملحدين، والزنادقة، وإذا به بدل ما هو يريد أن يدخل ناس بطريقة عقلية، ناس ربما ما هم مؤمنين بالله، وأنه لازم يخاطبهم خطاب ما يكن له علاقة

بالمنهجية هذه القرآنية! فحنبوا هم قبل يدخلوا أحداً في لإسلام، وإشكالات، بقيت إشكالاتهم في بطون الكتب وقد انقرضوا.

ولم يحفظ للمعتزلة بقية من تراثهم إلا الزيدية، الزيدية عندما كان يوجد اتفاق معهم هكذا، أو مثل ما تقل ارتياح لجانبهم؛ لأنهم يتحدثون عن جانب العدل والتوحيد، طغى أسلوبهم علينا، ضيعونا نحن، طغى أسلوبهم علينا وإذا بنا ضعنا.

[برهانه منير مضيء، وتبيانه مسفر جلي، فهو من إسفاره وتبيانه، وهداه ونوره وبرهانه، كما قال الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً}(النساء١٧٤)] ما هو يقول يا أيها الناس؟ خطاب للناس جميعاً؟.

طيب ضمن الناس هؤلاء من؟ كل من لديهم ثقافات أخرى، ديانات، أو فلسفات، أو كيفما كان شكلها، أليسوا ضمن هذا؟ لو قلنا أن القرآن الكريم هو نزل في المنطقة العربية، ويعالج إشكاليات عربية، وما هو متجه لذولاك، ما قد هو حول ذولاك، لما صح أن يقول أنه للناس، ويا أيها الناس، وأرسلناك للناس رحمة، ويتحدث عن العالمين، أنه هدى للعالمين، أليس هكذا يتحدث؟ ولو افترضنا بأن ما فيه ما يمكن أن يكون أجوبة، وليس فقط أجوبة، بل بالشكل الذي يصلح أن يدعو الآخرين فينضووا تحت لوائه لقلنا هذا يعتبر مثلما تقول تقصير كبير.

فكيف يكون القرآن فقط مركز على العقلية العربية هذه، أما الآخرين الذين هم أكثر شبه، منطقهم معقد، منطقهم استدلالي، ما عنده حل لإشكالياتهم! ما هم أكثر خطورة على الإسلام هم؟ مثل قضية ملحدين مثلاً، فلاسفة، أشياء من هذه، ما هم الذين هم يعتبروا خطيرين أكثر من العربي العادي، يعتبروا خطيرين؟

فلو قلنا بأن القرآن ما لحظ من يعتبروا خطيرين على هذا الدين، أو يمكن يقدمون شبه على هذا الدين، ما لحظ موضوعهم لكان هذا يعتبر تقصيراً كبيراً. فبالتأكيد أنه لحظ كل شيء، هو دعوة للناس جميعاً، وإجابات شافية للناس جميعاً، وطريقة صحيحة تنقد كل الطرق التي كان عليها الناس جميعاً.

{قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ} هنا كلمة: {بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ} هذا خطاب للكل على اختلاف دياناتهم وثقافاتهم. إذا قلنا فقط بأنه يأتي ببرهان للعربي، وما هو حول الفلاسفة مثلاً، وحول أصحاب الديانات الأخرى، وهم الذين هم أكثر شبه على الدين، أليسوا أكثر شبه على الدين؟ يعني هذا أنه ترك العدو الخطير، ما معناه هكذا؟ ترك العدو الخطير؟ ما عمل شيء يمكن أن يكون قوياً في مواجهته، ممكن أن يكون كاشفاً لبطلان ما لديه.

{قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً} كلمة برهان أحياناً تأتي بعبارة مفردة، ما يقول برهان على كذا، وأحياناً ما يقول تبياناً ويجعلها مثلاً قضية خاصة، ما هو يقول: تبياناً لكل شيء؟ هنا أيضاً برهان لكل شيء، برهان على كل شيء؛ لأن كل شيء لا يخرج عن كونه صح أو خطأ، عن كونه هدى أو ضلال، عن كونه حق أو باطل، لا يخرج شيء عن كونه هكذا.

فالقرآن يعتبر برهان على كل ما هو صواب، وكل ما هو حق، وكل ما هو هدى بطريقة مباشرة، وبطريقة يهدي إلى قضية تهدي إلى ألف قضية في إطارها.

[{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}(النساء١٧٥)] هذا واحد من أساليب القرآن الكريم، هو هنا يقول: يا أيها الناس، خطاب للناس جميعاً، ثم يقول في أثناء خطابه للناس جميعاً {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ} ما هذا ترغيب؟ ترغيب موجه للناس جميعاً حتى الذي ما قد آمن، الذي ما قد آمن.

طيب هذا من الناحية المنطقية على قواعد الفلاسفة، على قواعد المنطق، المقدمات المنطقية، يقول لك: لا، أولاً تجعله يؤمن، ثم اذكر له الشيء الذي قد هو متفرع على إيمانه به. ما الجنة والنار متفرعة على الإيمان

بالرسول، والقرآن؟ تخليه يؤمن بالله أولاً، ثم يؤمن بالرسول ثانياً، ثم يؤمن بالقرآن بعد إيمانه بالرسول، ثم بعد ذلك تحدثه عن الجنة والنار. هنا القرآن حدثهم من أول يوم.

[{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} فمن اعتصم بنور كتاب الله وبرهانه، واتبع ما فيه من أموره وتبيانه، أدخله الله ـ كما قال سبحانه ـ مدخلاً كريماً، وهداه به ـ كما وعد ـ صراطا مستقيماً، ومن أبصر به واهتدى لم يعم بعده أبداً].

هذه القضية هامة، تفهم هذه. إذا كل واحد يريد يثقف نفسه حتى يكون قادراً على معرفة الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، وأشياء من هذه. ما هناك ما يمكن أن يوصلك إلى الدرجة هذه إلا القرآن، عندما تكون بهذا الشكل تهتدي بالقرآن الكريم لا يمكن أن تعمى بعده أبداً؛ لأنه يأتي منطق باطل، يأتي أحداث باطلة، يأتي أشياء كثيرة تكون كلها بالشكل الذي يشهد لما لديك.

نحن نقول: أن الباطل نفسه لا يستطيع أن يكون بالشكل الذي لا يقدم شهادة للحق، الباطل رغماً عنه يحمل في طياته ما يعتبر شاهداً للحق؛ لأن أقل ما في الباطل أنه يفضح نفسه، أليس هكذا؟ هو يفضح نفسه، فكونه يفضح نفسه يدل على ماذا؟ يشهد لعظمة الحق، ويشهد في نفس الوقت هذا الباطل على بطلانه! لكن إذا ما هناك اهتداء بالقرآن ممكن يتأثر الإنسان بشبه، يمكن يتأثر بأشياء تغير نظراته، وتعطي مفاهيم خاطئة، مفاهيم معكوسة، ثم ينطلق عليها.

بعضها قد تكون تنطلق عليها كمقاييس وتكون خطأ يتفرع عليه خطأ، وترى النتائج التي تصل إليها اعتماداً على هذه القواعد الخطأ تطلع النتائج خطأ، وهكذا، وكلما توسع واحد كلما توسع في الضلال.

[ومن أبصر به واهتدى لم يعم بعده أبداً] وهنا في الأخير يمكن بعد ما تهتدي بالقرآن تستطيع تنفتح على كل الثقافات، تقرأ أي شيء، تسمع أي شيء، تجلس مع أي طرف كان، ما عادك أبداً بالشكل الذي يمكن أن يؤثر عليك أي مقولات أخرى، ما عاد يمكن أن يؤثر عليك باطل أبداً، بل كلما ظهر شبه إنما تكون هي بالشكل الذي تزيدك أنت إيماناً ووعياً وبصيرة، وتعرف كيف ترد عليها.

إذاً فهذه هي القاعدة الأساسية، يعرف الإنسان كيف يهتدي بالقرآن، ويهتم جداً بالقرآن، ثم بعد ما عاد يمكن أن يضل إلا قد هو من جهة نفسه هو هكذا تمرد عناد، يسير بعد هواه. فهذا الشيطان ما هو إلا واحد من النوعية هذه، عاصي، ومتمرد وهو عارف، هو عارف هو أنه على باطل، ويعرف الحق، الشيطان يعرف الحق، ولولا أنه يعرف الحق ما استطاع أن يشتغل في مجال الإضلال.

هو عارف للحق، وعارف للباطل، عارف للهدى، وعارف للضلال، يتحرك عارف كيف يضل الناس، وعارف الضلال، وإلا مِن يكون يغلط كثير، لو لم يكن عارف للضلال، من يكن يغلط هو، يكون أحياناً يدخل الناس في حق، يدعوك إلى حق من دون أن ينتبه إلا بعد أنه قد غلط، لكن هو عارف.

[ومن عمي عنه فلم ير هداه، وتورط من غيه ورداه] من عمي عن القرآن. طيب هذه قاعدة لنا عندما نقول أننا نريد أن نتعلم، نريد نعرف، يريد واحد يعرف حق وباطل، يريد واحد يقرأ كل شيء، يريد يعرف كل شيء، يمشي على الطريقة هذه، وستمشي واثق، واثق من نفسك، بثقتك بالقرآن؛ لأن القرآن هو نزل وهو واثق من نفسه، القرآن في الدنيا هذه واثق من نفسه؛ لأن ما هناك أي ثقافة أخرى، أو ديانة أخرى، أو منطق آخر يمكنه أبداً أن يتغلب عليك أبداً، من ينطلقون بانطلاقته، من يتثقفون بثقافته، من يعرفون هداه يكونون بهذا الشكل.

أي ثقافات أخرى غير القرآن يقع واحد في أخطاء كثيرة جداً، ويتيه واحد، ثم يصبح في الأخير ما عاد عنده هوية معينة، ما هو داري من هو؟ مرة يكون معجب بهذا، ومرة يكون معجب بهذا، ومرة كذا، مضطرب، لا تعد تستقيم له أبداً هوية معينة، ولا عاد تستبين له طريق معين، يجلس مرجوج، تختلط عليه الأوراق فعلاً.

والقرآن هو بهذا الشكل يتثقف به المسلمون ثم ينطلقون، ينطلقون على أساس هداه، بمنهجيته، برؤاه، بمفاهيمه، بطرحه، بكل ما فيه، وهنا هو بهذا الشكل الذي قال: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (الصف٩) {وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ} (التوبة٣٢) ويمشي بعد ذلك يناظر، يقرأ، يلتقي بيهود، يلتقي بنصارى، يلتقي بأي شخص من أي طائفة من طوائف المسلمين يلتقي، لكن لازم يعرف كيف منهجية القرآن أولاً في التعامل مع الآخرين.

لأن القرآن يطرح قاعدة: أنك ما تنطلق بروح جدلية هكذا، تنطلق بروح دعوة، إصلاح، حرص على هدى، حرص على هدى للطرف الآخر، لا تكن هنا تؤهل نفسك على أساس أنك تسير تناظر الناس، ومناظرة لمجرد المناظرة، وجدل لمجرد الجدل، لا، أسلوب دعوة، وتسلك طريقته هو، وتحمل نفس المشاعر التي يريد أن تحملها، يكون عندك حب شديد لهداية الناس، عندك حرص على هداية الناس.

عندما تناظر، عندما تناظر لاحظ القرآن الكريم كيف قدم المسألة، تكون بالشكل الذي الطرف الآخر ما يلمس انك تجذبه إليك شخصياً، شخصياً، أنك تدعوه إلى الله، وطريقة إلى الله هكذا. وهذه قضية في القرآن بشكل عجيب ظهرت مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وطريقة من طرق أنبيائه سلكوها، وهذه هي الطريقة الناجحة.

لاحظ عندما أضاع المسلمون هذه الطريقة أصبح المعتزلي يناظر الأشعري، وأصبح الزيدي يناظر كذا، طوائف، وكل واحد مشتد هو يعرف أن اسمه الطائفة الفلانية، وقد هو عارف تلك الطائفة، وفي ثقافته قليل يعقده عليها، هو عارف أنك تريد تسحبه إليك أنت يصبح معتزلي، أو يصبح شيعي، وما هو مستعد، كلما تقدم له من حوار هو يحاول كيف يجوب عليك، كيف يبطل كلامك، كيف يعمل أشياء تخلصه! وجلسوا يتناظرون، يتناظرون لّما انتهوا، لا احد جر هذا إليه، ولا أحد دخل في هذا المذهب، ولا احد دخل في هذا المذهب! هذا أسلوب خاطئ، أسلوب خاطئ.

الأسلوب الذي ظهر من سيرة الأنبياء (صلوات الله عليهم) والأنبياء طريقتهم من أرقى الطرق في مجال الدعوة، الأنبياء طريقتهم من أجمل وأدق الطرق طرق الدعوة وأساليبها؛ لأنهم أشخاص اصطفاهم الله وأكملهم لهذه المهمة، تجدهم لا يقدم نفسه شخصياً، هو شخصياً، يدعوهم إلى الله، إلى الله، إلى الله، وعندما يحاولوا هم أن يفهموا القضية شخصية يذكر أن ما القضية شخصية.

من الأشياء التي تعتبر عجيبة في الموضوع عندما هدد الأنبياء أممهم يهددونهم بأنه {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} (إبراهيم١٣) الله يحكي في آية من الردود على هذه أنهم قالوا: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ} (الأعراف٨٩) إلا أن يشاء الله، العبارة هذه: إلا أن يشاء الله، هو عارف أن ملته شرك، ما ملته شرك؟.

طيب هذه ليست التي يسمونها: مرونة، أو روح تسامح، ليست قضية تسامح، أليس منطق الأنبياء يكون شديداً على الشرك؟ يهاجمون الشرك، يهاجمون المعتقدات الباطلة، لكنه في مهاجمته، في أسلوبه لا يحاول يقدم نفسه وكأنه يشد إليه شخصياً، شخصياً، يكون للآخر موقف منه، بل يقول: بالنسبة لما أنت عليه أنت، إذا أنت تراني أهاجمه بشدة، مالي موقف شخصي منه، لو يشاء الله أن أعود إليه سأعود، لو يشاء الله أن أكون مثلك أعبد الصنم سأعبده! ما هو هنا يترفع عن كون القضية شخصية؟.

فهنا يوحون، ويطبعون ذهنية المجتمع أنهم عبارة عن طريق إلى الله، ويدعونهم إلى الله، وحركة إلى الله، كلها بهذا الشكل؛ ولهذا نجح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). عندما يأتي شخص يسلك الطريقة الأخرى: مناظرة، مناظرة شخصية، وعاد عندما تكون أيضاً قاصرة بهذا الشكل، حوار منطقي بحت، ما يتبنى أسلوب دعوة بنفس الطريقة التي سلكها القرآن الكريم، ما يتبنى في تقديم نفسه المشاعر التي قدمها القرآن الكريم أنك تتبناها عندما تكون محاوراً للآخرين، عندما تناظر الآخرين.

عند ما سلكوا الطريقة هذه فعلاً فشلوا، لا الشيعي تحول سني، ولا السني تحول شيعي، ما كان يأتي تحولات من هذه إلا عن طريق السلطة بالقوة فقط، كان أحياناً تأتي عن طريق هذه، كان المصريون في أيام الدولة الفاطمية شيعة، عندما تزور الآن القاهرة ترى مسجد الإمام الحسين فيه مشهد على رأس الإمام الحسين في القاهرة تجد فيه كتابات كلها نصوص شيعية، قصيدة كلها، هم كانوا شيعة.

عندما جاء صلاح الدين الأيوبي هو الذي فرض عليهم هذا التسنن، وظلم الشيعة هناك وعاملهم معاملة قاسية.

أما عن طريق الأخذ والرد في أوساط المثقفين من الشيعة والسنة، في أوساط المتكلمين، المعتزلة، والأشاعرة، ما احد رد احد، تكون حالات نادرة جداً.

تجد القرآن الكريم في هذا الإطار {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}(إبراهيم١١) ما القرآن يأتي بهذا المنطق؟ يقول: ما أنا إلا بشر، {إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} يقول: أنا أنا شخصياً لست إلا بشر مثلك، لكن المسألة هي هكذا علي وعليك، هو دعوة لي ولك، هو طريقة ترسم لي ولك، نسير عليها جميعاً إلى الله.

قضية الله هي ثابتة عند الناس جميعاً، الله سبحانه وتعالى معروف المعرفة الجملية أنه هو إله، وخلق السموات والأرض، ورب السموات، هذه ثابتة عند البشر جميعاً، معروف لديهم كإله، بل كان الكثير من المجتمعات تعرف حتى الملائكة، وليس فقط يعرفون أن هناك إله هو الله الذي خلق السموات والأرض؛ ولهذا عرض في القرآن الكريم: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}(الزخرف٩) وهكذا.

{إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ} ما هو يتحدث عن الله؟ {اللّهُ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} من علينا أن نكون رسل إليكم مبلغين لكم، ننذركم، نهديكم، ننصحكم، من أجلكم انتم؛ لأن لا يعاقبكم الله؛ لأن تحظوا بثواب الله؛ لأن تحظوا برضاه، لأن تحظوا بجنته، ما هي هكذا كلها شد إلى الله؟.

هذه طريقة أساسية، طريقة أساسية في العمل، طريقة أساسية في المناظرة، في الدعوة في الحوار يجب أن تتبناها، ما يفرض واحد نفسه عبارة عن مناظر مجادل، تدخل في مناظرة فتكون المناظرة عبارة عن مباراة، من الذي سيغلب! المفروض ما تحمل هذه الروحية أبداً، القضية ليست قضية أريد أن أغلبك أو تغلبني، القضية كذا كذا، دعوة إلى الله، المسألة كذا، يجب علينا أن نعمل كذا، لا بد أن نعمل كذا.

يكون عنده شبه معينة ترد عليه في هذا الإطار، تفند شبهه في هذا الإطار، وتأتي بالتذكير، تأتي بنفس الأسلوب تستخدمه قضية الجنة النار، الوعيد الإلهي بالخذلان في الدنيا، الخزي في الدنيا، ومصائب في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، وهكذا، بهذه الطريقة، لا يقدم واحد نفسه كمناظر؛ لأنك تشد الطرف الآخر فيحصل هكذا كل واحد يشتد من عنده، ويرى بأنه ما هو مستعد أبداً أن يظهر أنه ضعف أمامك، أو انهزم أمامك، سيكابر ويعاند، وينكر، ويعمل كل طريقة؛ لأن معنى الموضوع أنه هزم أمامك.

إذاً لازم أنك تذيب شخصيتك نهائياً، تشده إلى الله، والموضوع إلى الله {إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ} هذا النبي بكله يقول له: نحن بشر مثلك يا أخي، فقط القضية كذا كذا..الخ، ما هم هكذا يجعلونهم يتجاوزون بذهنيتهم شخصه إلى الله؟.

طيب الإنسان أساساً ما عاد يحصل عنده حرج، الطرف الآخر ما عاد يحصل عنده حرج معك عندما يعرف أن القضية هي على هذا النحو، يعني ما إنك تريد أنت أن تقهره، تريد تفند ما يقول هكذا بطريقة تجبهه، تظهر ضعفه، تظهر بطلان كذا، بطريقة وكأنها مباراة، وكأنكم في حلبة مصارعة!.

هذه الطريقة فاشلة، الطريقة الأولى هي الطريق التي يكون معها قريب أن يستجيب؛ لأنه عندما يستجيب يعني استجاب لله، استجاب لشيء من جهة الله، استجاب لطريقة تشده إلى الله، فيكون قريب منك عندما تسلك الطريقة هذه.

هذه واحدة من الطرق الهامة التي أرشد إليها القرآن الكريم، يعني عندما نقول يتثقف الإنسان بثقافته، أي تعرف بيناته، تعرف برهانه، تعرف ما يهدي إليه، في نفس الوقت تعرف الطريقة التي سلكها هو كمنهج في محاورة الآخرين، في مناظرة الآخرين، في دعوة الآخرين، تمشي عليها، وإلا فأنت أول غالط أنت.

[ومن عمي عنه فلم ير هداه، وتورط من غيه ورداه] تورط بسبب غيه ورداه [في بحور ذات لج من الجهالات] هذه واحدة من الأشياء الخطيرة. أحياناً قضية واحدة تخطئ فيها تفتحك على أبواب من الجهالات؛ لهذا قلنا: كل غلطة في الجانب الثقافي، كل صغيرة هي كبيرة في الأخطاء الثقافية؛ لأن ما هناك حاجة تراها مثلاً لوحدها، لها تداعيات، حتى في قول الله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة٨) قلنا: أن الله في هذه ما يتحدث عن قضية مقاصاة، الذي نسميها مقاصاة.

إن كل شيء له تداعيات، كل شيء يفتح على أشياء، فالذرة هذه قد توصلك إلى جمل، توصلك إلى جبل، ما هي قضية ذرة لوحدها، وما تكون الحاجة تجلس لوحدها، لوحدها، يكون كل شيء له تداعيات. طيب بعض الأشياء تكون خطيرة، تكون مثلاً تفتح على جهالات رهيبة، وإشكالات ما تحتل، إشكالات تموت وعادها في راسك لو قلك دارس مائة سنة ما ترضى تحتل.

لهذا نقول: أنه فعلاً وهي قضية مجربة قد تسير تدرس عند شخص عمره مثلاً ثمانين سنة، قضّى حياته كلها دراسة، تدرس في أشياء من هذه، وتمر بمشاكل، ويقول لك: [عز الله أنها مشكلة]!.

ما هو يقول: عز الله أنها مشكلة بعد ثمانين سنة؟! بعد ثمانين سنة مشكلة، معناه ما هي محتل، المشكلة ما تحتل بمشكلة، إذا هي مشكلة متفرعة من قاعدة باطلة ما هي محتل أبداً إلا بفهم بطلان القاعدة التي هي متفرعة عنها، متى ما ضربت هذه احتل الإشكال، ثم تحتل إشكالات كثيرة، كل ما هي متفرعة عن القاعدة المغلوطة ستراها في الأخير تحتل كلها.

درسنا عند شيبات وهو يقول لك: عز الله أنها مشكلة هذه! وهكذا، طيب لو هو ذكي لفهم أنك ما تستطيع أبداً أن تحول المشكلة إلى حل، المشكلة مشكلة، والباطل باطل، يريد يحاول مثلاً يلفق له طلّع مشكلة جديدة، يريد يحاول يعمل له مبررات طلّع إشكالات جديدة.

مثلما قالوا مثلاً، عندما جعلوا المسألة أنه هكذا أن الإنسان يتحرك هو كل شخص لوحده ويرجح ويجتهد وينظر، وأشياء من هذه، ثم ظهر حصل اختلاف، الاختلاف مشكلة، ما هو مشكلة؟ كيف نحاول في المشكلة هذه نحلها، نضفي عليها شرعية، ونقول: يجوز الاختلاف! ألسنا من صلحناه يجوز؟ لكن ما سبر يجوز، ولو قلنا يجوز، ما سبر يجوز من مرة، لأننا دخلنا الآن في مشكلة كبيرة، لأننا متى ما قلنا يجوز فكلمة يجوز يعني يجوز من جهة الشرع، ما معناها هكذا؟ فنكون قد أضفينا عليه شرعية، والشرع منسوب إلى من؟ منسوب إلى الله، طلع لك ماذا؟ أن الله يجوِّز الاختلاف في دينه! طلع الموضوع بالنسبة لنا مشكلة كبيرة، أنه هو الذي نهى عن الاختلاف والتفرق، وهو الذي يستطيع أن يرسم منهجاً لا يختلف الناس إذا ساروا عليه، فكيف يتهدد ويتوعد المختلفين المتفرقين، ثم يجوِّز الاختلاف؟!.

ما هو طلع تناقض؟ إذاً طلعت مشكلة كبيرة، ونحن نريد نسبرها تجوز! وهكذا، ما هناك حاجة باطل تريد تلجمها إلا وتدخل في إشكاليات أكبر منها، ما يمكن تتلجم نهائياً.

عندما يقول: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران١٠٥) ما هذا وعيد؟ هو عندما يقول: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ} بالتأكيد أنه قادر على أن يرسم منهجاً لا يختلف الناس عليه أبداً إذا ساروا عليه، وهو قال هذا في القرآن، هو قال هذا، عندما تحدث عن من اختلفوا بعد الأنبياء أنهم إنما اختلفوا من جهة أنفسهم، بغي، حسد، أشياء من هذه، دوافع أخرى.

يعني ما سببه قصور من جانب الله، تقصير في آيات الله، هو يقول: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ} (الجاثية١٧) {مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران١٠٥) {مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (البقرة٢١٣) طيب بينات على ماذا؟ هل معناها بينات ليختلفوا؟! فكيف تنهى، وتتوعد المختلفين وتأتي تقدم لهم بينات تفرق بينهم؟! ما من صح هذا.

بينات معناها إذا ساروا، بينات على منهج، على طريقة إذا ساروا عليها لا يختلفون في الدين، لا يتفرقون في الدين نهائياً؛ لأن الدين أساساً نزل لحل الخلافات {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ} (البقرة٢١٣) فما نختلف فيه نحن من شؤون الحياة هذه، في حركتنا في الحياة، وتعاملنا مع بعضنا بعض، جاء الدين ليحسم الخلاف هو، ليجعل الناس أمة واحدة، فكيف يمكن أن يبيح الاختلاف هو؟ وكيف يمكن أن يرسم هو طريقة للاختلاف، ويوجه الناس إلى طريقة تؤدي إلى الاختلاف؟!.

ثم قالوا بعد عندما رأوا أنهم يخطئون، كل واحد يرى الثاني مخطئا؛ لأنه حتى نفس المجتهدين كل واحد يرى الثاني مخطئا رغماً عنه، هو يرى أن القضية التي رآها صحيحة أليس هكذا؟ فهو بالطبع يرى أن الطرف الثاني مخطئ، لكن قالوا خلاص مادام المسألة بهذا الشكل فكلنا مصيبين! صُلح، نتصالح أنه نكون كلنا مصيبين!.

طيب إذا اتصالح لك عشرة علماء، اتصالح عشرة علماء هم في نفس الوقت يجيزون لكل واحد منهم أن يتحرك في الساحة، وفق الرؤية حقه، ويجوز للآخرين أن يقلدوه! هنا ما حلوا الإشكالية بالنسبة للعامة، وهي الأمة، نسبة العلماء من الأمة تكون نسبة قليلة، تكون أقل ربما واحد في المليون، أو أقل، نسبة العلماء بالنسبة لعامة الأمة قد تكون واحد في المليون.

طيب إذا نحن اتصالحنا عشرة علماء، عشرين عالماً على أن كل مجتهد مصيب، ونجلس فيما بيننا هكذا، لكن ما كل واحد مننا يشتغل على كيفه؟ ما كل واحد يدعو على كيفه هو؟ ما كل واحد يجيز لنفسه أنه يلف معه مجاميع ممن يقلدونه؟ صارت الأمة متفرقة بشكل كبير بطريقتهم هذه، عندما يقولون: أن كل مجتهد مصيب، سواء قالوا: مصيب للحق، وهم يريدون مصيب للحق الذين يقولون بهذه، والآخرين لا، مصيب في عمله من حيث هو أما فيما توصل إليه فقد يكون خطأً، هؤلاء الذين عادهم ـ مثلما تقل ـ محافظين.

عندما نقول: مصيب طلع نفس الشيء، أن الدين يتفرق، ونجعل كل قضية في نفس الوقت، نجعلها حق، ونجعلها صواب! هذا يعارض هذا، هذا القول معارض لهذا، ونجعلها صواب كلها! يطلع في الأخير لا شيء، يطلع في الأخير الباري فقط مثلما بين نقول أنه يأتي يختم، مثل عندما يكون جالس في مكتب طلّع ذياك رأي من عنده، طلع ذياك ورقة من عنده، ختمها له، وجاء الثاني وختم له! ما بلى يختم فقط [إرادة الله تابع لإرادة المجتهد] كما يقولون!!.

طيب بالتأكيد يكون لها آثار سلبية في واقع الحياة، والدين هو جاء ليبني الحياة بشكل صحيح، يبني الأمة بشكل صحيح، قالوا: مصيب أو مهما قالوا، يحتاج يظهر الخطأ، الخطأ يحتاج تظهر آثاره، لو اتفقوا كلهم أنهم مصيبين هكذا واتصالحوا فيما بينهم، في الأخير تتباين رؤاهم، وما عاد تراهم يلتقوا على موقف واحد.

تأتي قضية هذا يرى أنه لازم أن يتحرك الناس فيها، قال آخر: لا، وجاء ذاك الثاني وطرح له رأي فيها، وهكذا.

ما الأمة ستضطرب عندما يضطرب من يوجهوها؟ ما العلماء أساسا هم المعنيين بتوجيه الأمة؟ فإذا اختلف العلماء اختلف توجيههم للأمة، فتباينت مواقفها، فضعفت، يطلع غلطة كبيرة جداً تتنافى مع منهجية القرآن التربوية للأمة، يربي الأمة على أساس أن تكون أمة واحدة، تنطلق في مواقفها بشكل سريع، على جاهزية تامة، أمة على جاهزية تامة.

ما تجلس تضطرب في ماذا تعمل، وتحاليل ماذا نعمل، ماذا نعمل؟ وهل يجوز، وهل ما يجوز! والعدو يغرقهم بالإشكاليات، مثلما الآن، قد هو ذا قد دخل أفغانستان وفلسطين والعراق، وبلدان أخرى يهددها، وعاد المحللين شغالين في ماذا يعمل الناس! ورؤى متباينة في ماذا يعملون، ما قد ارتسمت طريقة!.

فتلاحظ أنه لا بد أن يكون هدى الله بالشكل الذي يجعل الأمة على جاهزية تامة بحيث هي تغرق العدو هي، تغرقه ما هو يغرقها بمشاكل، نجلس نتناقش حول مشكلة ماذا نعمل أمامها، وأخذ ورد! نختلف، تكون الأمة بوضعية بالشكل الذي إذا واجهها العدو يفرقها أكثر، تتفرق أكثر، عندما تكون هكذا، يختلفون أمام أي قضية تأتي من جانب العدو.

وجلسوا يأخذوا ويردوا، وطلّع لهم مشكلة ثانية وعادهم ما قد تخلصوا من الأولى، واختبصوا في هذه، وطلّع وحدة ثالثة، وأغرقهم، لّما في الأخير يحبطوا، ويستسلموا، ما هذا حاصل؟ إنه لازم أن يكون هناك طريقة؛ لأن الناس هم عبيد لله، وهو ملكهم، وهو المدبر لشئون عباده، لا بد أن يكون لديه طريقة إذا ساروا عليها ما يحصل شيء من هذا على الإطلاق.

ومثلما قلنا أكثر من مرة: أن كل قضية هي تعود إلى الله، عندما نكون نتحدث فيما بيننا وجوزنا حاجة، جوزناها، أو قلنا: قد هي سابر، افهم بأنك ترد القضية إلى الله، في الأخير ترى من فوق هل هي تليق بجلال الله، هل هي تتناسب مع حكمته، مع علمه، مع ملكه، مع إلوهيته، مع ربوبيته، مع رحمته، مع عدله، ..الخ، أو أنها لا تتناسب.

أي قضية طلعها إلى عند الله؛ لأن كل شيء أقول فيه جائز، أو حتى تقول: مباح، أنت ترده إلى الله، هل أباح هذا هو، هل أجاز هذا؟ ثم ترجع إلى القرآن الكريم ستجد بأنه قد يطلع الباري على أساس كلامك أن هذا جائز، أباح هذا، وأجاز هذا، يطلع الباري متناقض في شرعه هو، وفي هديه هو.

عندما تفترض أن الأمة هذه فيما هي عليه أن الباري ما عمل لها حل كان يقيها أن لا تصل إلى ما وصلت إليه، هذا يمس بعدل الله أيضاً، يمس برحمته، يمس بملكه، يمس بحكمته.

أي أن الوضعية التي الأمة فيها الآن بالتأكيد أن هناك حل لها، إذاً الأمة هي انصرفت عنه، أو لم يقدم لها مع تعاقب الأجيال؛ لأن ما من جوزنا، ما من صح أن تجيز على الله أن يترك عباده هكذا، ما من جاز أبداً أن تجوّز على الله أنه هكذا ترك الناس هكذا، وترك الدنيا هكذا، وما قدم لهم أي حل إذا ساروا عليه ما يمكن أن يحصل هذا الذي هم فيه من المعاناة، من الذلة، من الضعة، من التمزق، والتفرق.

هذه قضية هل يمكن أن نجوّزها على الباري؟ لأن الله يقول عنا بأننا عبيده، فنحن عندما يقول هو ملكنا ونحن عبيده، طيب هو الذي يختص، والذي له، ومن حق الناس عليه أن يرسم لهم الطريقة؛ باعتبارهم عبيده، يرسم لهم طريقة لا يظلموا، وهو يقول في القرآن الكريم: {وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ} (آل عمران١٠٨) ما هكذا يقول؟.

يرسم طريقة؛ لأننا عبيده، وهو يتحدث بأنه رحمن رحيم، ما رحمن رحيم هي تمشي إلى رحمن بعبيده، رحيم بعبيده، حكيم في تصرفه مع عبيده، وتدبيره لشئونه يقوم على أساس الحكمة، وهذه كلها أليست تصرفات مع خلقه؟ ومن أهم مخلوقاته في الدنيا هو الإنسان، من أعظم المخلوقات في الدنيا هو الإنسان الذي توجه إليه كثير من التدبيرات الإلهية، والتوجيه الإلهي، هو الإنسان نفسه.

فعندما تأتي تصنف الحالة التي الناس فيها ما أنت ستصنف بأنهم متفرقين؟ لأن آراءهم متشتتة متباينة؛ لأنهم ممزقين إلى شعوب، وطوائف؛ لأنهم، لأنهم، فكان هذا هو سبب ضعفهم، أليست هكذا؟ أبسط واحد يحلل سيطلع هذه.

إذاً لا بد أن تفترض أن هناك طريقة بعكس هذه تماماً، أي أن الله رسم طريقة ما يختلفوا، ما يتمزقوا، ما يتحولوا إلى طوائف، ما يكونون آراء متفرقة، ومتباينة، طريقة تجعلهم على مستوى عالي من الجاهزية، لا بد أن تفترض هذه.

ترجع إلى القرآن الكريم تجد فعلاً أنها بالشكل هذا، أنه رسم الطريقة بهذا الشكل التي تجعل الأمة على هذا النحو: أمة واحدة، أمة قوية، أمة ما تظلم، ما تقهر نهائياً، أمة ما يغرقها العدو في مشاكل، هي نفسها تستطيع أن تحبطه من أول يوم.

لاحظ الآن كيف وضعيتنا؟ ألسنا الآن كل ما بدر شيء من جانب العدو اختلفنا عليه، فيزداد الناس ضعفاً كلما تقدم العدو إليهم. لاحظ أمام شعار فقط، نزل شعار إلى الساحة ما احنا اختلفنا؟ ناس يقول: لا، وناس يقول: إلا! وهكذا، افترض أي حاجة في وضعية الأمة هكذا – أي قضية يطرحها العدو من جانبه – ستكون بالشكل الذي يتفرق الناس، من جهة أن هذا رأى هذا، وهذا ما رآه، وما هناك شيء يعتبر حسم في الموضوع، ما هناك لديهم قضية قائمة، كلنا معرضين عن أن يكون هناك قضية قائمة تجعلنا بالشكل الذي يأتي شيء من جانب العدو نستطيع تلتقي كلمتنا عليه، ما هناك تردد ولا اختلاف ولا اضطراب.

هنا يكون واجب كبير على الإنسان فيما يتعلق بتنزيه الله قضية هامة أن يكون عملك بالشكل الذي يكون دائماً تجعل تنزيه الله مقياسا؛ لأنها هي الغاية الكبرى هو تنزيه الله، وتقديسه، والشهادة على كماله؛ ولهذا يتحدث في القرآن الكريم عن تسبيح كل الكائنات، يسبح لله ما في السموات وما في الأرض، قضية تنزيه الله قضية هامة.

فإذا الإنسان مؤمن بقضية هي بالشكل الذي يمس بكمال الله، تؤدي إلى إلحاق نقص بجلال الله، وحكمته، وقدسيته، معنى هذا أنك ارتكبت جريمة كبيرة، جريمة كبيرة جداً، ليست قضية بسيطة.

نحن قلنا في موضوع الدين، موضوع الدين لا زم أن يكون عملك في تقديم الدين بالشكل الذي يعرف الناس الدين، بحيث ما يروا عند الله تقصير، يكون معرفتهم للدين بالشكل الذي يدينوا بشيء هو الذي يليق بجلال الله، يكون فيه تنزيه لله، لا يكون الناس في الأخير هم ـ إذا ما قدمت القضية بهذا الشكل ـ يكونوا في الأخير قد عندهم فهم يحملوا الباري المسئولية هو، وهذه حاصلة عندنا.

عندما تسمع حديث عن صراع الحق والباطل، وقوة أهل الباطل، وغلبة أهل الباطل وإمكانياتهم الهائلة يقولون: هكذا حال الدنيا، الباري أراد أن تكون الدنيا هكذا!.

إذا أحد يريد يتحرك ويقول الحق وما حق، يقول لك: أهل الحق يكونون ضعاف، أهل الحق ما يينجحوا، والحق ما بيسبر في الدنيا هذه! وأن الباري جعلها هكذا، جعل الدنيا على هذا الشكل!.

ما معنى هذا أننا نحمل الباري المسئولية؟ نحمله مسئولية هذه الأشياء، هو الذي جعل الناس بشكل ما بيرضوا يقبلوا الحق! وهذه فكرة قائمة، فهم قائم، هو الذي جعل الدنيا بهذا الشكل ما فيها مكان للحق، ما بلى باطل باطل، ما يستقيم فيها إلا أهل الباطل، أهل الحق ما ينتصروا، أهل الحق ضعاف، أهل الحق ما بيسبر لهم شيء، هذه مقولات حاصلة!.

طيب فمعنى هذا أن الله هو الذي هيئ للباطل الساحة، هو الذي خلق الإنسان على وضعية ما يقبل الحق أبداً! ما معنى هذا أن الخطأ جاء من عنده؟ طيب هذه عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجدها قضية باطلة من أفضع القضايا في بطلانها.

إن الله يقدم ما لديه، وعود لأهل الحق لأن ينتصروا، وعود لمن ساروا على هديه، وعود للناس إذا ساروا على هديه كيف ستكون حياتهم، كيف ستكون سعادتهم في الدنيا، كيف ستكون سعادتهم في الآخرة.

قدم الحق بالشكل الذي إذا سار الناس عليه لا يبقى للباطل مكان. الباطل أساساً ما هو شي مطبوع في الدنيا، مطبوع، هو يعتبر شاذ، يعتبر شاذ، هو الشذوذ في الدنيا، الباطل هو الشذوذ أساساً، ما هو الشيء الأصلي فيها،

المعصية هي الحالة الشاذة، الباطل هو الحالة الشاذة بالنسبة لفطرة الإنسان، بالنسبة لسنن الكون، بالنسبة للهداية الإلهية، الهداية الإلهية لا تقوم على أساس أنه لازم أن يطبع في الدنيا نصفها باطل، يطبع لك نصف باطل، ويقول لك في الاختيار: نصف باطل، ونصف حق، نصف طاعة، ونصف معصية، ويخليك في الوسط، ونقول هذا هو الاختيار، يا إما تروح في الحق، يا إما تروح في الباطل.

ما هي بالشكل هذا، خلق الإنسان، وخلقت الدنيا بالشكل الذي الباطل يعتبر شاذ فيها، ما هناك حاجة للباطل بكله نهائياً؛ ولهذا يتحدث عن الباطل بقوله: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الإسراء٨١) هو الحالة الشاذة، هو الذي لا مكان له في الواقع، لكن أنتم تجعلون له مكان في نفوسكم، وتطبعون الحياة به {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم٤١).

طيب فالمفاهيم الأخرى المعكوسة سمعناها هذه أيام كنا نتحرك في حزب الحق [أهل الحق ما بيسبر لهم شيء، وأهل الحق يكونوا ضعاف، وأهل الحق ما بينتصروا، وأهل الحق ..]!.

هل أن الله طبع الدنيا بهذا الطابع، وطبع الإنسان بهذه الطبيعة، فهو جعل الإنسان بشكل ما يقبل الحق، وجعل الدنيا بشكل لا مكان فيها للحق؟! معنى هذا تطلع إشكالية كبيرة في هذه بالنسبة لله، ما هو سيطلع سؤال كبير على الله سبحانه وتعالى؟ أنه كيف هذا، ترسم هدى وأنت رسمت أمامه عوائق كبيرة لا يمكن أن يتخطاها، فشلنا، لا نستطيع، لا نستطيع على الإطلاق، وأنت رسمت في الحياة، أنت قضيت وحكمت أن تكون على هذا النحو: لا مكان فيها للحق!.

فلماذا تتحدث معنا بالحق، وتقول: نقاتل من أجل الحق، وندعو للحق، وما هناك مكان له؟ ما من كان هذا سؤال كبير على الباري؟ سيكون معنى هذا ماذا؟ أنه تصرف غير حكيم، تصرف ما فيه أي شيء من مظاهر الرحمة، ولا فيه أي شيء، وحتى لو افترضت أن بعده جنة ونار، ما تكفي في كونه حكمة أبداً، ما تكفي في كونه حكمة.

طيب هم قدموا المسألة بالشكل هذا، إنما فقط فلسفوها فيما بعد قالوا: سهل يعني قد الجنة هناك بعد هذه قد هو ثواب كبير، قد هو يغطي النقص ذاك فقد هو مصلحة للإنسان.

لكن الباري هو يتحدث عن نفسه بأنه ملك، وهو مدبر، وهو حكيم، ما من أمكن يعمل هذه القضية إنسان خلي عنك الله سبحانه وتعالى، مثلما قلنا بالأمس هل يمكن واحد من الناس يأتي يصلح مبنى كبير ويمليه موظفين، ويسلمهم قراطيس وأقلام يشخططوا، يقول واحد ما معكم؟ قالوا: فقط نحن نشتغل لأجل يعطونا معاشات!.

طيب من بعد المعاشات والمبنى هذا والأقلام والأوراق هل هناك غاية أخرى؟ أو فقط هو جمعهم هنا لأجل يعطيهم معاشات؟ هل يمكن لشخص يعمل هذه؟ يأتي رئيس الوزراء يبني مبنى كبير ويمليه موظفين ويعطي لكل واحد منهم في الشهر أربعين ألف، وفي الأخير يقول لك: ماذا تعملون هنا؟ قالوا: نشخطط هكذا، ونجمع قراطيس في الدواليب!. لأجل ماذا؟ قالوا: لأجل يجي لنا مرتبات، والذي لا يعمل هكذا لن يجي له شيء!!.

طيب هنا ألست ستسأل ما هي الفائدة من هذا؟ ما المقصود من وراء هذا؟ هذا هو السؤال، ماذا وراء هذا، لازم هناك غاية.

لهذا الباري ما جعل الجنة نفسها أو النار هي الغاية من وراء التشريع، من وراء الخلق، لا، بل هي في نفس الوقت من الآن وسيلة للإنسان أن يندفع في العمل؛ ولهذا يأتي بالحديث عن الجنة، بالحديث عن النار، أليس ليرغب ويرهب الناس هنا في الدنيا لينطلقوا في العمل هنا في الدنيا فهي وسيلة.

طيب يوجد غاية أخرى، يوجد غاية كبيرة جداً، الغاية تتمثل في استقامة الحياة على هدي الله، وتنتهي القضية كلها عندما يستقيم الإنسان على هدي الله، يتجلى بشكل رهيب، وبشكل دقيق جداً حكمة الله، ورحمته، وحسن تدبيره، وقدرته، يتجلى كماله، من خلال هذا يتجلى كمال الله سبحانه وتعالى.

لكن تركنا هذه وقلنا ما شي هو الذي طبع الدنيا بهذا الطابع، والدنيا هي هكذا، هي دار امتحان وابتلاء، وأهل الباطل يكونون فيها هم المسيطرون، وما هناك مكان فيها إلا للباطل!.

ما يصح هذا على الله أبداً، هو في القرآن الكريم يقول: لا، {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} هم الذين طبعوها بالفساد، هو خلقها عندما تأتي تشوف خلقها تجدها وكأنها كنز، أو كأنها درة ثمينة بكلها، وأودع فيها كل ما هو يعتبر ميدان واسع للإنسان أن يرتقي إلى أرقى العلوم، في مجالات الصناعة، وغيرها.

ما كلها هنا في حركة الدنيا وأجوائها؟ وجودها بهذا الشكل، هي تعتبر درة ثمينة غالية لها قيمتها عند الله، غير صحيح عندما يقول لك: ما تساوي عند الله جناح بعوضة، لها قيمتها عند الله؛ لأن الحكيم لكل شيء قيمته، ما هو باعتبار حاجته إليه، كونه في نفسه ذو قيمة.

....

{إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}(هود١٢٣) **كل شيء هو في الأخير ينتهي إلى الله، وكل شيء يوصلك إلى بين يدي الله، أي أنت تسير على ما يوصلك إلى بين يديه، يا إما لسعادة، يا إما لشقاء.**

إلى أن قال: [وتورط من غيه ورداه، في بحور ذات لج من الجهالات] لجج مثل طبقات البحر [وتخبط في غور لجج من الضلالات، لا يخرج من تورط فيها من ضيق غورها، ولا ينجو غريق بحورها، من نار تبوبها، وحيرات سهوبها] التباب يعني: الهلاك، والسهوب يعني: الفلوات، وحيرات صحاريها، يعني: الصحاري، قفار واسعة من الضلال تتيه فيها.

[فلا صريخ له فيها ينقذه من تبٍّ، ولا هاد يهديه منها في سهب، فهو في لج بحورها في تبوب] في هلاك، خسارة [ومن ضلالات غورها في سهوب] ضلالات واسعة [متحيِّر بين هلكة وثبور، وضلال حيرة في ظلمة وبحور] كل مرة واكتشف أنه خاسر، كل مرة واكتشف أن طريقته غلط، كل مرة واكتشف أن الطريق التي يتصور أنها قد سبرت خسارة عليه، وهكذا.

[موصولٌ ضلاله وعماه، بما هو فيه من عاجلته ودنياه، بعمى من الآخرة لا يبيد] يقول لك: الضلال، العمى هو موصول من الدنيا إلى الآخرة، له آثاره السيئة في الدنيا وفي الآخرة.[بل له فيها البقاء أبداً والتخليد، كما قال سبحانه: {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً}(الإسراء٧٢)].

نحن نفترض العكس، نقول: نحن في الدنيا هذه، والدنيا هذه كذا كذا كذا، ـ هي حالة عمى نحن فيها ـ وهي أيام يقضيها واحد، ويحافظ واحد على دينه! أيضاً يقول هكذا: يحافظ واحد على دينه! ماذا بقي له من دين؟! وما هي إلا أيام الدنيا هذه، ويقدم واحد على الباري ويدخله الجنة! الله يقول لك هنا: {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى}؛ لأن عماك هنا في الدنيا هو عمى عن الطريق التي توصلك إلى الجنة، العمى هنا في الدنيا هو عمى عن طريق الخير.

وهذه حالة خطيرة أيضاً، هذه آية يجب أن الناس ينتبهوا لها جميعاً، هي تشبه الآية الأخرى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(طه١٢٤) فهو هنا يربط، يربط ما بين العمى والشقاء في الدنيا، والعمى والشقاء في الآخرة؟.

كيف تفترض حالتين متباينتين، تفترض حالة العمى هنا هي طريق النجاة في الآخرة!؟ ما هو صحيح هذا، حالة العمى في الدنيا ليست طريق نجاة في الآخرة {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى} العمى هنا عمى عن ماذا؟ عمى عن هدي الله، عمى عن السير على هدي الله سبحانه وتعالى، يصبح في واقع حياته متخبط، أعمى ما يبصر شيئاً {فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً}.

يعني: نلاحظ هل نحن في عمى أو نحن مبصرين؟ ما يقاس العمى والبصر بكبر العيون وصغرها في هذا الموضوع، بالمقياس القرآني، هل نحن في مفاهيمنا، في رؤيتنا للحياة، في رؤيتنا للإنسان، في رؤيتنا للدين، في رؤيتنا لكل حركة الحياة، في مواقفنا هل نحن وفق القرآن الكريم؛ لأنه هو النور، أليس النور؟ هو البصائر.
إذا لم يكن الناس وفق القرآن الكريم فهم في عمى، فإذا كانوا في عمى {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} لكن لا، الآن تجد المفهوم السائد [الدنيا هذه قد التطمت، وما عاد درى الناس كيف يعملوا، وقد احنا كذا...] وعمى [لكن هي أيام، أفضل لواحد إذا قد مشّى حاله كيفما جاء ويصبر، ويحاول واحد يكون من أولياء الله، ويدخل الجنة]! نفترض بعد العمى هنا في الدنيا والتخبط والحيرة أن نكون مبصرين يوم القيمة!.
[**فمن لم يستدل على أمر دنياه وآخرته بكتاب الله**] يستدل: يجعله دليله، يجعله هاديه؛ لينير له الطريق؛ لأن القرآن يرسم الطريق، وينيرها، ويرغبك لأن تسير فيها، وفي نفس الوقت يدافع عنك وأنت تسير فيها. ما هو ما بلى مثلما يسير واحد معه [اتريك] أو [كشاف]، لا يرسم له الطريق، ولا يوجد أكثر من كونه معه كشاف يبصر به الطريق.
أما القرآن فهو يرسم هو الطريقة، ويبين الطرق الأخرى كيف أنها طرق خسارة، هادي بكل ما تعنيه الكلمة.
[**فمن لم يستدل على أمر دنياه وآخرته بكتاب الله فلن يصيب عليه أبداً دليلاً**] لن يصيب على أمر دنياه وآخرته أي دليل غيره يهتدي به. [**ومن لم ينج به من خبوت الحيرة والجهالة**] الخُبُوت يعني: الخبت، المتاهات، الصحاري، خبت مثلما بين نقول معروفة الكلمة هذه. [**ويحيا بروحه من موت العمى والضلالة، لم يزل لسبيل الجهل سالكا**] ولو عنده أنه علامة، ولو قال له الناس علامة، ولو كتبه كما كانت ومؤلفاته كما كانت.
هنا يقطع بأنه [**لم يزل لسبيل الجهل سالكاً، وبموت العمى والضلال هالكاً؛ لأن الله جعله روحاً من موت الضلالة محيياً، وضياء من ظلم الجهالة منيراً مصحياً**]. طيب: المشكلة أننا نقول: القرآن صحيح هو هكذا، أليس الناس مؤمنين بهذا؟ ويكون عندهم عندما يأتي يفسر القرآن يقول لك: هذه الآية نتركها محلها، وهذه معناها كذا، وهذه معناها كذا! أليس هو هنا يرى أنه يتعامل مع القرآن؟ لكن المشكلة أن معه غلطة من البداية في النظر إلى القرآن، في النظر إلى التعامل مع القرآن، إلى الاهتداء بالقرآن الكريم كيف يكون.
يأتي يحكّم أشياء أخرى، مقاييس من عنده، يرسم هو رؤى معينة، الناس يأتوا يرسموا رؤى معينة تحت عنوان خدمة دين، تحت عنوان بأنها أيضاً من علوم الدين، وانطلقنا إلى القرآن ننظر إليه من خلالها فلم نبصر، وفي الأخير نقدم موضوع القرآن عمى على عمى بالنسبة للناس! يتخبط الإنسان حتى ولو عنده أنه يسير على طريقة هدى، ولو عنده أنه يخدم القرآن نفسه، يقرأ هنا، يقرأ يقرأ؛ لأجل يعرف في الأخير كيف يتعامل مع القرآن.
القرآن نفسه مرتبط بهداة، والقرآن نفسه يرسم الطريقة في التعامل معه، حتى ما ترك هذا الموضوع؛ لأنه هو المفتاح، حتى طريقة التعامل معه، طريقة الاهتداء به، الأسس التي تسير عليها لتهتدي به، العلاقة التي تبتعد عنها لتهتدي به، رسمها أيضاً.
أليس هذا هو المفتاح للموضوع بالنسبة للقرآن؟ أي حتى نفس المفتاح هذا هو هدى إليه، هو هدى إليه.
[هنا ورد سؤال: إذاً ما جدوى ما يسمى بعلوم الآلة؟]
فقال: علوم الآلة منها ما هو بشكل قلّب يضرب القرآن، ومنها ما هو ناقص عن الموضوع المهم في القرآن، من أجل القرآن، مثل اللغة العربية، نحن أساساً لا نقرأ لغة عربية، عندما تأتي تقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان فأنت لا تقرأ لغة عربية، أنت تقرأ قواعد.

المطلوب أن تتعرف على اللغة نفسها، وأن تمارس قراءتها، والإطلاع على نصوصها، من شعر ونثر، حتى تعرف أنت تلقائياً أساليبها، أساليب العرب في خطابهم، وأساليب العرب في التعبير عن كل قضاياهم؛ لأن الشعر العربي يشتمل على قضايا العرب نفوسهم، لا توجد قضية ربما إلا وفيها شعر، كل قضاياهم، كل تفكيرهم، كل نظراتهم، هو داخله أساليب العرب في التخاطب، داخله الأساليب اللغوية نفسها، كذلك النثر.

القرآن أيضاً في هذا الموضوع يعتبر من أهم مراجع اللغة العربية، بل فيه ما يضرب بعض قواعد النحاة أنفسهم، ما يضرب بعض قواعد النحويين؛ لأن النحوي ما يجلس نحوي يلتزم بعمل استقراء أنه لماذا نصبوا هذه ولماذا رفعوا هذه، في كونه فاعل أو مفعول أو أشياء من هذه، لكن هو أيضاً يتطرق، هو أيضاً يتطرق إلى المعاني، يتحدث عن المعاني.

لاحظ مثلاً موضوع [الاختصاص] نصبه على الاختصاص، والاختصاص يعني خصه بأهمية بخصوصها مثل من يأتي ينصب {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} من قوله تعالى: {لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ}(النساء١٦٢) ألم يتحدث هنا بالرفع في بدايتها؟ في موضوع يؤمنون بالله، الإيمان بالله مرفوع، وصل عند والمقيمين الصلاة نصبها، قالوا: هو نصبها على الاختصاص، أي وأخص المقيمين الصلاة بالمزيد من المدح.

ما هو معقول أن يكون مقيمي الصلاة محط اختصاص بعد كلمة يؤمنون بالله، بعد الإيمان بالله، الإيمان بالله هو أرقى، يعني هذا المكان ليس مكان اختصاص نهائياً. عندما تلاحظ أنه ليس النصب هنا لكونه وأخص، العطف هو العطف لكن المفردة هنا في الاستعمال العربي ثقيلة جداً [والمقيمون الصلاة] فأين ما حصل في القرآن، ربما في موضعين أو في ثلاثة ما تجدها إلا منصوبة، ليس من أجل الاختصاص، العطف هو العطف لكن المفردة هذه، والصيغة هذه تجد لا يوجد معها في القرآن مثلها، ما كان من هذا النحو يعتبر ثقيلاً [والمقيمون الصلاة] الميم تؤدي إلا ضم الشفتين بإشباع، بعدها كسره مشبعة، أليست امتداد من حالة إلى حالة مضادة تماماً، ثم الانتقال إلى حالة مضادة تماماً [مقيمون] لا توجد هذه.

لاحظ كيف عبارة مسلمون ثقيلة؟ أليست ثقيلة مسلمون؟ ثقيلة، إلا أنها فقط أخف من هذه، لأنه لا يوجد فيها إشباع حركات. الميم هنا ثقيلة، الميم مع الضمة ثقيلة، الميم مخرجها من الشفتين، الموقف متضاد تماماً أن يكون بعدها حرف مكسور بإشباع بعده ياء، أليست هذه حالة مضادة؟ تنتقل أيضاً إلى ميم مضمومة، هذه حالة مضادة.

هذه ليست موجودة، الاستخدام هذا نادر في اللغة العربية، أو يكاد لا يوجد، لكن أن يكون حرف آخر [تاء] تقيمون، أليست سهلة؟ تقيمون، يقيمون سهلة. هنا والمقيمين الصلاة بدل والمقيمون الصلاة، التعامل مع المفردة هذه على هذا النحو.

طيب هنا يأتي يحاول يفلسفها للاختصاص أي وأخص المقيمين الصلاة. ما يصح أن تقول: أخص المقيمين الصلاة بعد قوله يؤمنون بالله. الإيمان بالله هو الدرجة العالية الإيمان بالله، هنا تجدها ينصبها لوحدها.

طيب في آية أخرى عندما تحدث في سورة [الصافات] عندما قال: {بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}(الصافات٤٣) فهنا عباد الله منصوبة؟ هل هذا استثناء؟ مشكلة هذه، اختصاص، استثناء!.

هذه لها قيمة فنية، تصوير، مثلاً بالنسبة لهؤلاء الناس الضالين الذين وعدوا بهذا العذاب الأليم، يصور موقفهم ـ وربما قد يكون موقفاً حقيقياً في القيامة ـ أنهم يخاطبون، ويرون أنفسهم أنهم في حسرة شديدة عندما ينتقى من بينهم عباد الله المخلصين، فيتصورون أنفسهم مجموعين ثم ينتقى من بينهم الناس المخلصين الذين يذهبون إلى الجنة وينجون. هذه فيها حسرة شديدة.

لاحظ إذا هناك سجناء مثلاً في عنبر واحد، عندما يكون هناك سجناء وفي عنبر واحد، وجاءوا يخرجون من بينهم خمسة أو ستة، أليست ستكون شديدة على الآخرين؟ تكون ثقيلة عليهم. فهو يتحدث عن موقف من هذا القبيل، عن مقام من هذا النوع، يطلقون مثلاً أشخاصاً من عنبر آخر ليسوا من الذين هم عندك ما تكون ثقيلة عليك، ما تكون ثقيلة.

فعندما يقول: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} ما أمكن يكون استثناء على قواعد النحو، ولا أمكن يكون اختصاص لكن أخص؛ لأن الاختصاص يكون في السياق الواحد، ولا أمكن تقدر له لكن؛ لأن المقام الذي تقدر فيه لكن يأتي مرفوع.

هنا يصور موقف، ويصور حالة لديهم من الآن، عندما يكونون في حالة من التحسر شديدة، عباد الله المخلصين ينجون من بينهم فيكون حسرة شديدة عليهم.

فالقرآن، أعتقد أن القرآن نفسه هو من أهم المراجع اللغوية، من أهم مراجع اللغة العربية. تجد أحياناً في بعض المفردات، بعض المفردات تأتي تبحث في [القاموس]، تبحث في [لسان العرب]، تبحث في مراجع ما تجد الكلام الذي ترى أنه فعلاً ممكن تقول أنه هو المعنى لهذه المفردة، إلا بما يعطيها القرآن هو من معنى لها، ولو معنى إجمالي تفهم من خلالها.

فالقرآن هو مرجع من أهم مراجع اللغة، لازم اهتمام باللغة نفسها؛ لأنه ممكن أقرأ معاني وبيان، قواعد المعاني والبيان هي حول فصاحة وبلاغة، يتحدث عن أساليب، لكن ما تعايش نفس اللغة، ممكن تقرأها وما تطلع بليغ، بل يمكن تقرأها ولا تستطيع تقيم نص معين، أو تحلله إذا ما هناك معايشة للنص اللغوي نفسه.

أقرأ قواعد النحو أعرف كيف اللغة فيما يتعلق بالنطق بالحركات، هذا منصوب، وهذا مرفوع..الخ، فيما يتعلق بآخر الكلمة: إعراب وبناء، وشكل الإعراب فيها، سواء كان بشكل حركات، أو بشكل حروف علامات.

فاللغة العربية على هذا النحو ضرورية جداً، بل ضروري جداً أن الناس يحاولون من خلال قراءة الشعر، ومن خلال قراءة النثر، والنثر الذي يكون بليغاً، لا تقرأ لناس ليسوا بلغاء، إذا واحد قرأ لأشخاص ليسوا بلغاء، وكتّاب ليسوا بلغاء يتأثر بأسلوبهم، تقرأ نصوصاً بليغة للعرب يتحدثون في نفس الفترة التي ما كان قد حصل فيها خلل في استخدام الناس للغة العربية.

هذا يعين على فهم القرآن الكريم؛ ولهذا فعلاً تجد أن اللغة العربية محاربة جداً من اليهود، حتى الشعر العربي يحاربونه، يحاربونه بطرق كثيرة تحت عنوان الحرية حتى في اللغة، الحرية من القيود هذه، قيود القافية، وقيود البحور والوزن، مثل الشعر العمودي الذي يسمونه الشعر الحر، شعر حر، متحرر من القافية! هذه ليست حريات.

عندما يعرفون اللغة العربية التي عايشها العرب، وارتبطوا بها، وتحدثوا بها، وعرفوا قيمتها سيتذوقون القرآن الكريم، ويعرفون قيمته بشكل رهيب؛ ولهذا تجد أن من ينطلق يفسر ممن هم أدباء، انشغلوا باللغة على هذا النحو، يكون تفسيرهم جيد، يكون تفسيرهم ممتاز، تفسيرهم يعني يقدم القرآن بشكل جميل، بشكل مثلما يعمل سيد قطب في [ظلال القرآن]، هو أديب أساساً. لكن خلي نحوي يفسر، أو خلي فقيه، أو أصول فقهي، أي واحد من هؤلاء يفسر، يطلع لك القرآن لاشيء، هذا يطلعه بشكل جميل جداً.

محمد حسين فضل الله أيضاً أديب، في تفسيره [من وحي القرآن] يكشف وجوها ممتازة وجذابة، والقرآن يقدمه بشكل عظيم، بشكل جذاب؛ لأنه عايش اللغة العربية في نصها، في النص العربي؛ ولهذا نقول: أنه ضروري جداً أن يكون في المراكز ملازم من هذا النوع، يقراها الطلاب، ونقراها جميعاً، تؤخذ مقطوعات شعرية من دواوين الشعر العربي، ويقرأها الطلاب، تتعود على اللغة؛ لتتعرف اللغة نفسها عندما تقرأ قصيدة، والقصائد هذه فيها أساليب لغوية تعبر عن معاني، بل يكشف لك واقع المجتمع العربي، وكيف كانت حياتهم، كلها هذه مهمة بالنسبة لفهم القرآن الكريم، كلها مهمة بالنسبة للعودة إلى القرآن الكريم.

تجد اللغة العربية محاربة بشكل رهيب جداً من جانب الغربيين، بشكل رهيب. طيب ونحن أيضاً نأتي عندما لا يوجد منهجية تقوم على أساس اختيار ورؤية صحيحة، اللغة العربية مربوطة عندنا بالنحو، النحو عندنا من أعقد الأشياء على الطلاب، يتصور اللغة العربية يعني النحو، والنحو قد بدا ثقيل، نقول: النحو هو واحد من فنون معرفة قواعد اللغة في النطق، وإلا فنحن أساساً ما قد عرفنا اللغة، اللغة تعال نقرأ نصوصها، الشعر العربي، النثر العربي، مثل فقرات في [نهج البلاغة]، وترجع إلى القرآن الكريم أهم مرجع عربي، بل هو موثق يوثق أيضاً القرآن الكريم، فيه توثيق أيضاً للنص العربية. أما أصول الفقه فبالتأكيد سيطلع واحد متخبط مع القرآن ومع كل شيء.

[**فمن أحياه الله بروحه فهو الحي الرضي**] من أحياه الله بروح القرآن فهو الحي الرضي، الراضي عن نفسه، الراضي عن طريقته، المرضي عن طريقته، الراضي عنه الله سبحانه وتعالى. [**وما كان فيه من حق فهو المصحّي المضيء**] المصّحي إذا هناك رقود يصحيهم. [**لا تلتبس به الأغاليط، ولا تشوبه الأخاليط، فهو النقي المحض**] نقي خالص، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، الباطل بكل أنواعه، والباطل فيما يتعلق بجانب النص، اختلاف، تناقض، لا يوجد فيه نهائياً.

[**والجديد أبداً الغضّ**] طري دائماً، القرآن طري دائماً، لكن لا يعرف طراوته ـ وإلا بيطلع غُبيب، يطلع غُبيب له ألف ومدري كم سنة جالس ـ إلا من يتحركون على أساسه، من يتحركون على أساسه يجدونه طرياً دائماً، يجدونه يهدي دائماً، يجدونه يتحرك دائماً. طيب نصه، نفس النص هو قديم، أليس النص قديم حقه من يوم نزل؟ له ألف وأربعمائة سنة نفس النص من يوم نزوله؟ لكن القرآن نفسه، يقدم نفسه وكأن الآية نزلت الآن، في حركة الحياة، فيما يهدي إليه، فيما يهدي إليه، وكأنه جديد دائماً.

يعني ما موضوع جِدّته مرتبط بالجانب البلاغي في النص، في النص نفسه، ليس لهذا فقط، فيما يهدي إليه، فيما يكشفه، فيما يرشد إليه، فمن يقرأه بتفهم يهديه إلى أن يكون عنده فهم لمعانيه سيكون هو من يفهم بلاغته، ويفهم فصاحته.

لاحظ هذه القضية هي هامة معرفتها فيما يتعلق، يعني عندما نقول: أننا نقرأه ولا نمل منه، والمسلمون يقولون هكذا، الآخرين قالوا فقط لأنكم مربيين على التعلق به، ومنشدين إليه هكذا، ومتعصبين له.

لا، مسألة كون أن الإنسان لا يمل من قراءته إذا كانت قراءته بالشكل الذي يهتدي لمعانيه، سيراه دائماً جذاباً، يراه دائماً لذيذاً، يراه دائماً لا يمل منه أبداً إذا كان بهذا الشكل، إذا كان بهذا الشكل لا يمل منه أبداً.

أما من يقرؤه هكذا بدون تفهم، لا تصدق بأنه لا يمل، أنه ممكن يدَرْوِسه، يدَرْوِسه ولا يمل منه، المسألة هي يا إما عنده حالة معينة هو يعتقد أن له ثواب في قراءته فيقرأ ولو عنده ملل هو سيأتي له ثواب عليه.

فكونه لا يُمَل هو أن النص على أرقى نص، آياته محكمة، وفيما يهدي إليه بشكل دائم، دائماً كلما ترجع إليه، وكلما تقرؤه دائماً يعطيك أشياء جديدة، وليس معنى جديدة مغايرة، جديدة في الاتجاه الواحد، القرآن هو في عمقه، هو عمق واحد، هو اتجاه واحد.

[**لا يُخلِق جدَّته تكرار، ولا يدخل محضه الأكدار**] محضه: خلوصه، نقاؤه. الأكدار: ما يكدره. [**بل نقي من ذلك كله فصفى، فأغنى بمنّ الله وكفى، فليس معه إلى غيره حاجة**] ليس بك مع القرآن إلى غير القرآن حاجة [**ولا فاقة، ولا يغلب حجته من ملحد فيه لدد، ولا مشاقّة**] ملحد فيه، في القرآن الكريم، لديدة، لا يستطيع أبداً أن يكون منطقه بالشكل الذي يغلب منطق القرآن.

لما انصرف المسلمون عن الطريقة هذه غُلبوا، هل تدري بأنه طلع إشكالات غرق فيها المتكلمون، حنبوا فيها. عندما تأتي تقرأ لابن المقفع إشكالاته، إشكالاته هي وليدة رؤية المتكلمين، تجد الإشكالات حقته هي وليدة رؤيتهم، ليست إشكالات طبيعية، يعني إشكالات ثقافية هي قامت على تقديم الموضوع برؤية طلع منها استشكال من عندهم، وتساؤل.

عندما تقرأ في كتاب الرد على ابن المقفع للإمام القاسم نفسه، وتتأمله طلّعوا إشكالات عندما انصرفوا عن طريقة القرآن في خطاب الآخرين، في دعوة الآخرين، قدموا الدين بطريقة معينة، طلع عليهم إشكالات كبيرة. معهم إشكالية حول موضوع جهنم ما احتلت إلى الآن، ماتوا وما زالت مشكلة في كتبهم، حول قضية جهنم، لماذا جهنم؛ لأنهم فسروا التكليف هذا، التكليف: عرض على الخير قالوا، عرض على الخير، تعمله يجي لك خير. يعني يتفلسفون حول موضوع لماذا الدين من أصله، ولماذا وجب؟ كونه وجب قالوا: من أجل شكر المنعم، وأشياء من هذه.لكن كيف حسن من الله؟! كيف نعتبره حسن؟ أن الله فعله فهو محسن به؟ قالوا: لأنه عرض على الخير.

طلع لهم مشكلة من عند الزنادقة الذين يسمونهم زنادقة، يزنقونهم، زنادقة يزنقون هؤلاء، طلع من عندهم إشكالية يقولون: تمام، عرض على الخير، لكن إذا واحد ما قبل هذا الخير فلماذا يعذبه؟ هذا ما هو منطقي، ولا هو معقول، فلماذا جهنم؟ ولا استطاعوا يجوبوا عليهم.

تحصلها مشكلة عند القاضي عبد الجبار في [شرح الأصول الخمسة]، وعند غيره؛ لأنه ـ يقولون ـ مثلما أجي أقول لك: قد جهزت لك مائدة معينة، أليس هذا عرض على الخير؟ تعال، أنت ما رضيت، فقمت أضربك حتى اشبعك ضرباً لماذا؟ إذا ما رضي خلاص يرح له، مع السلامة، ما رضي يمشي على الخير هذا، لا يريده، ما أعجبه الدين يمشي عليه من أجل الخير الذي سيؤدي إليه فخلاص أتركه وبس، أما أنك أيضاً تعذبه فلماذا؟ هذه الإشكالية لاحظ كيف طلعت من عند النظرة التي قدموها للحياة.

طلّعوا ناس أصحاب شبه، طلّعوا ناس متنكرين لهذا الدين؛ لتقديمهم الدين على هذا النحو. ولاحظ أن هذه قضية حصلت، اليهود استطاعوا يطلعوا ناس كثير يتنكرون لهذا الدين بناء على تقديم الدين على هذه المفاهيم السائدة، يجعلون الدين هذا ليس له قيمة، ينفرون منه. العلمانيون يقولون: الدين ليس له علاقة بالحياة، ولا هو شيء، من يريد الدين فذاك المسجد مكانه! بكل قناعة، ويناظروا، ويحرجوا الإسلاميين! يحرجونهم فعلاً لماذا؟ لأن الدين قُدم بالطريقة التي ينفر منها الإنسان حقيقة، قدم بالطريقة التي ينفر منها البشر على أيدي هؤلاء المعتزلة، والأشعرية.

[ولا يغلب حجته من ملحد فيه لدد ولا مشاقّة] لا لدادته، ولا مشاقته يمكن أن تغلب حجج القرآن الكريم نهائياً، أسلوب القرآن قدم أن الهدى الذي فيه حتى مع الآخرين هدى الله كله، في عصر القرآن، ومن قبل القرآن، أنه يكون بالشكل الذي يجعل الطرف الآخر يؤمن به غصباً عنه من الداخل، غصباً عنه، لا أن يطلع له إشكاليات وشبه أيضاً، ويتنمر بها على الطرف الآخر الذي يمثل الدين {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنـزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً} (الإسراء١٠٢) {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام٣٣) {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} (النمل١٤).

وهكذا يقدم الموضوع بأن دين الله إذا ما قدم، هدى الله إذا ما قدم هو بالشكل الذي يقتحم الإنسان إلى أعماق أعماقه فيؤمن به من الداخل رغماً عنه، وإن كان معانداً.

[بل حججه الحجج الغوالب، وشهب نوره فالشهب الثواقب] الحجج الغوالب تغلب أي شُبَه، أي شيء يطلق عليها صاحبها حجة **[وشهب نوره فالشهب الثواقب، التي لا يخبو أبداً ضوء نورها، ولا يخرب أبداً عمارة معمورها، فيخبو بخبوّها نور ضوئها]** أي يقول لك: حتى الإنسان عندما يكون مهتدياً بالقرآن الكريم، ما يتعرض أنه في يوم من الأيام يأتي طرف آخر يستطيع أن يجعله يتلاشى إذا كان هو مهتدياً.

والإنسان هو أيضاً من عنده إذا أراد أن يكون خبيثاً يستطيع، والقرآن عرض أن هناك نماذج من البشر من هذا النوع، أنه حتى لو تأتي له آيات كيفما تكون ما يرضى، ما هو أنه زعم ما فهم، ما عرف، لكن معاند، معاند، معاند صريح، ويمكن يكون هناك معاندين، أعداء لله فعلاً، يحملون عداوة لله {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ

مِنْهُ} (التوبة١١٤)، الشيطان حمل عداوة لله، ما القضية قضية معرفة، أو ما معرفة، يصبح هو يكون له موقف ساخط على الله، وعدو لله، وحرب لله هو.

[وشهب نوره فالشهب الثواقب] تثقب الظلام، تخترقه [التي لا يخبو أبداً ضوء نورها، ولا يخرب أبداً عمارة معمورها، فيخبو بخبوِّها نور ضوئها، ويخرب لو خربت لخرابها نعمة الله وهابها، فيكون خرابها تغييراً لها] لنعمة الله، أو تغييرا لها، لهذه التي عمرت من نورها، [ولنعمة الله فيها، ولما جعله من هداه مضموما إليها] يبدو أنه في العبارات هذه فيها نقص من ناحية التعبير في هذه النسخة [ويخرب لو خربت لخرابها نعمة الله وهابها، فيكون خرابها تغييراً لها، ولنعمة الله فيها، ولما جعله من هداه مضموما إليها].

خلاصتها أنه لو خربت لخربت هي، وخربت نعمة الله بها وفيها، وما يحصل هذا [ولن يغير الله نعمة كما قال عز وجل: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد١١) ولن يلتبس شيء من هدى الله عليهم أبداً إلا بتلبيسهم كما قال سبحانه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأنفال٥٣)] التغيير إلى الأفضل، والتغيير إلى الأسوء.

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ} هم غيروا ما بأنفسهم، تحولوا فتحولت النعمة، تغيرت النعمة، ولن يتغيروا إلى واقع نعمة، وإلى واقع أفضل إلا بتغيير ما هم عليه، إذا هم على نعمة لن يُسلَبوا هذه النعمة، ولن تتغير إلا بتغيير من جانبهم هم.

فإذا ما هناك اهتداء من جانب الإنسان مثلاً بالقرآن الكريم ما هو لأن الله هو نفسه عمل عائق معين، أو غير هو من تلقاء نفسه هذا الشيء، لا، بسبب من جانب الناس هم، يكونون على وضعية معينة، ما يهتدوا بالقرآن الكريم، يحصل من جانبهم انحراف كيفما كان لا يعودوا يهتدوا بالقرآن. وهنا يقطع بأن الناس إذا أصبحوا لم يعودوا يهتدون بالقرآن فليس هناك شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يهتدوا به نهائياً.

[وفي التلبيس عليهم بتلبيسهم] هذا الاستشهاد على أنه ما يحصل ما جانب الله هكذا تلبيس، أو تغيير أو هكذا إلا من الإنسان نفسه إذا هو غير فتغيرت نعمة الله عليه، لبّس على نفسه فبدا الموضوع ملبس عليه.

[وفي التلبيس عليهم بتلبيسهم، وما وكلهم الله إليه في ذلك من أنفسهم، ما يقول الرحمن الرحيم: {وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}] يعني فهلا أنزل ملك [{وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} (الأنعام٨)] وتطلع إشكالية أخرى؛ لأن الله ما بيفصل تصرفاته وفق مطالب الآخرين ورؤاهم {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} (المؤمنون٧١) يقول: لو نزلنا ملكا لجعلناه رجلاً، ثم يلتبس عليهم الموضوع ويقولون: ما هو ملك.

هو يتحدث في القرآن عن مسألة المفاهيم هذه التي تكون عند الناس، مفاهيم معينة، وتكون من أساسها دعاية معينة، ثم تؤصل وتصبح مفهوماً معيناً، عندما كانوا يقولون: {وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً} (المؤمنون٢٤) {لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} ومن هذا القبيل. هم في الأخير يقولون: الرسالة ليست قضية عادية، لو أن الله يريد يرسل رسولاً لأرسل ملكاً، لما أرسل واحد منا، أليسوا في الأخير يقولون: ما أنتم إلا بشراً مثلنا، لستم إلا بشراً أنتم. أليس هذا مفهوم معين مغلوط يخليهم لا يعودوا يحاولون أن يهتدون بالله؟.

طيب الموضوع هو ما ربطه بشخص الذي يقدمه، يكون ملك أو يكون رجل، هو جعله بالشكل هذا، لماذا تجعل من شخصه إشكالية، تجعل من شخصه كونه بشرا إشكالية؟ ليست إشكالية هو لاحظ ماذا يقدم لك، أليس هو يقدم له آيات، ويقدم له بيانات، ويقدم له هدى، يقدم له أشياء يفهمها، أشياء يؤمن بها رغماً عنه. لكن لا، هو يأتي يتمسك بمسألة مفهوم من هذا: ذا عندك ما هو إلا بشر. قد لا يعد يحضر عنده.

تجد كثيراً من الأنبياء لا يعد يحضر عندهم ناس من الأمم التي بعث فيهم؛ لأنهم يقولون: أبداً، ما هو رسول، ما يمكن يكون رسول، {وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً} ولا يعد يبدي عليه نهائياً. هكذا تأتي مفاهيم عند الإنسان تصرفه، تصرفه عن أن يهتدي بشيء.

[وفي كتاب الله وترافده، وتشابهه في البيان وتشاهده] ترافده بعضه يرفد بعض، يشهد بعضه لبعض، ويشد بعضه بعضاً، ويؤكد بعضه بعضاً [وتشابهه في البيان وتشاهده]؛ لأن القضية الواحدة يتناولها من أكثر من جهة، ويقدمها أكثر من مرة، وفي أكثر من موضوع، قضية تأكيد، لا تكون فقط قضية واحدة، ويخطفها خطفه فقط، تجده يتحدث عنها كثيراً ومن جميع جوانبها.

[وفي كتاب الله وترافده، وتشابهه في البيان وتشاهده ما يقول سبحانه فيه وفيما جعله من ذلك عليه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً}] يشبه بعضه بعض [{مَّثَانِيَ}] بمعنى مثنّى، أو تثنى الأشياء فيه، تتردد، وعندما تتردد لا تتردد على صورة واحدة، يكشف القضية من أكثر من جهة، من أكثر من جانب.

[{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}]هذا هدى الله، فالذي لا يهتدي به سيضل، ويضله الله {وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} ولم يعد هناك أي طرف آخر يمكن أن يهديه على الإطلاق.

الضلال ـ مثلما نقول أكثر من مرة ـ الضلال معناه واسع جداً، يعني في كل مجالات الحياة، في كل مجالات الحياة.

[فهل بعد هذه الآية وبيانها لملحد ـ أنصف نفسه ـ في كتاب الله من حيرة في شك، أو إلحاد؟!] لملحد أنصف نفسه [في كتاب الله من حيرة في شك، أو إلحاد؟! لو لم يسمع فيه غيرها، إذا هو فهم تفسيرها، فكيف بما ثنّى الله في الحجة لذلك من المثاني، وكرر على ذلك من شواهد البرهان، التي فيها من الحجة، والتبيين والإتقان، ما هو أحق من كل رؤية وعيان].

يعني أنه يبين ويوضح بما هو تقريباً أكثر من ماذا؟ من وضوح المرئيات، بما هو يكاد أن يكون أكثر من وضوح المرئيات [فليسمع سامع لتقرير الله سبحانه لعباده على الشهادة له، بتنزيله الكتاب إذ يقول سبحانه فيهم لمن أنكر أنه تنزيل رب العالمين: {قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ}(هود١٣)] إذا عندكم أنه افتراه، من عنده صلحه، فأنتم عرب مثله تستطيعوا إذاً فهاتوا، هاتوا عشر سور مثله مفتريات، إن كان على ما تقولون أنه مفترى، وأنت افتري، هات عشر سور، تستطيع أن تعمل عشر سور من مثل القرآن ما تستطيع. هناك قال: {بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}(البقرة٢٣) في آية أخرى.

[{وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}] بأنه افتراه، وبأنه مفترى وليس من عند الله؛ لأن ما كان من عند البشر فيستطيع البشر أن يعمل مثله، يستطيعون أن يعملون مثله ما كان صناعة بشرية، يستطيع الآخرون أن يصنعوا مثله.

إذا هناك مثلاً ساحر ما هو يستطيع شخص آخر يتعلم قواعد السحر فيكون ساحراً مثله؟ إذا هناك أحد مثلاً يبدع في مجالات معينة، ما هو يكون للصناعة قواعد معينة، يستطيع من يتعلموها أن يصنعوا مثله وهكذا.

[فأمرهم تبارك وتعالى بذلك بالحشد لأوليائهم، ولكل من قدروا عليه في ذلك من أعدائهم، ممن أنكر من القرآن ما أنكروا، وكفر بالله كما كفروا، فلم يستجب له في ذلك مجيب، أحمق منهم ولا لبيب، وانحسروا عن الجواب له قاصرين، وغلبوا بمنِّ الله صاغرين، ولو وجدوا على ذلك قوة لأجابوا فيه ـ مسرعين ـ الدعوة، ولو كان ما جاء به بشرياً] شيء من صناعة البشر [لكان بعضهم عليه قوياً] يستطيع أن يأتي بمثله؛ [لتشابه البشر في القول والنظر، والهيئات والصور.

ولعلم الله بعجزهم عن أن يأتوا بسورة واحدة من سوَرِه، أو بشيء مما جعله فيه من هداه ونوره، ما يقول أرحم الراحمين لرسوله وللمؤمنين: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}(هود:١٤) فهل بعد هذا من تقرير أو برهان، أو تبصير لقوم يعقلون].

ونحن نأتي في الأخير ونقول: القرآن على هذا النحو: عظيم، وهدى، ونور، وشفاء...الخ، لكن نقول في الأخير: هذا القرآن ما استطاع يوحد الناس! أو نقول: نحن مثلاً نتفرق في قضايا ثم نظفي عليها شرعية، ويقدم موضوع الدين كل واحد من عنده، فتفرقنا واختلفنا، وهذه هي إشكالية، أليست إشكالية؟ وفي الأخير نحسبها على هذا!!.

فإذا افترضنا أنه لا يوجد في القرآن حلاً لهذه الأشياء، لا يوجد في القرآن حلاً لهذه الوضعيات السيئة التي الناس عليها، معنى هذا لا يوجد قيمة للضجة هذه بكلها حول عظمته وهدى ونور وشفاء وبصائر .. الخ، إذا لم يكن فيه ما يعتبر بصيرة نبصر فيها الحالة السيئة التي نحن فيها، إذا ما كان فيه ما نبصر به طريق لا نختلف إذا سرنا عليها.

أليس هذا من أبسط الحاجات، ومن الإشكالات القائمة التي يلمس الناس دائماً بأن هناك حاجة إلى حل لها؟ لأن الكل مختلفين عندما تأتي تناقشه يقول لك في الأخير: لكن ما أمكن إلا كذا. ما هو يقول: هي إشكالية؟ يقول لك في الأخير: ما أمكن إلا كذا.

أو يقول لك: الاختلاف هو طبيعي، يعني البشر هم طبيعي يختلفون، والاختلاف هو طبيعي عند البشر. قلنا: صحيح، الاختلاف طبيعي عند البشر؛ ولهذا كان ممنوع أن ينزل الدين إلى بين أيديهم، وكل واحد من عنده؛ لأنهم سيختلفون فيه؛ لأنهم متنوعين في رؤاهم، في أمزجتهم، في طبائعهم، فكان القرآن، وكان هدي الله بالشكل الذي ينضوي تحت لوائه من هم مختلفين، ولو نزل إليهم سيختلفون فيه، ويفرقونه، ويمزقونه؛ لأن الاختلاف طبيعي عندهم، أليس الاختلاف طبيعي؟.

الاختلاف هذا نفسه الذي يقولون هو طبيعي، هي ليست قضية سلبية، هو أصلاً تنوع بالنسبة لعمارة الحياة، هو تنوع، تنوع، لكن إذا تريد تنزل القرآن إلى بين أيدي هؤلاء المتنوعين سيمزقونه كل ممزق، والدين يفرقونه، وكل واحد ينطلق لوحده.

وهذه قضية فيها شاهد من الحياة بالنسبة لنا، ألست مثلاً ستجد في الشعب الواحد ترى الناس مختلفين، مختلفين في مؤهلاتهم، مختلفين في صناعاتهم، مختلفين في أذواقهم، مختلفين في مهنهم، ويأتون بنظام واحد، أليسوا يأتون بنظام واحد يكون نظام لحياة هؤلاء الذين تراهم هذا نجار، وهذا طبيب، وهذا كهربائي، وهذا ملحّم، وهذا بنّاء، وهذا مليّس، وهذا يأكل هذا، وهذا ما يعجبه الأكل هذا، وهذا يأكل كذا، وهذا يعجبه أن يكون شكله كذا. أليس هذا التنوع حاصل عند الناس؟.

هذا لا يمكن أن يحصل عندنا نحن البشر، يعني نقول: أنها ليست قضية صحيحة أنه ممكن ننزل النظام، ننزل قانون ونجعله في متناول الناس هم، نقول: أنتم اعملوا لكم قانون، وكل واحد يمشي على ما ترجح لديه! ما هو سيطلع رؤى متباينة؟ يأتي القانون بالشكل الذي لا يخضع للاختلافات هذه، بل هو يحسم، أي يعتبر نظام يجمع هؤلاء المختلفين في صناعاتهم، في أمزجتهم؛ ليسيروا في اتجاه واحد في الحياة؟ يسيروا في اتجاه واحد، وما معناه ليطلعوا كلهم نجارين، أو يطلعوا كلهم كهربائيين، أو يطلعوا كلهم ملحمين، أو بنائين، لا، لأن مجموع البنائين، والملحمين، والكهربائيين، والأطباء، والإداريين، والمعلمين .. الخ، كلهم يبنوا ماذا؟ يبنوا الحياة.

فهنا يجعل كيف يكون عمل النجار بشكل صحيح، يكون رافد في الحياة، يكون له أثر في الحياة، مثل الكهربائي، مثل المعلم، مثل كذا، فيضبط المسيرة هذه المتنوعة، يضبط المسيرة المتنوعة، يضبط الناس المتنوعين في مسيرتهم، ويجعل المؤدى واحد، والغاية واحدة، ويجعل البناء في الأخير بناء واحداً.

عندما تتصور مثلاً أمة تكون قوية، ما كلمة أمة تعني حاجة واحدة، تتصور قوة واحدة، أليست هكذا؟ تنزل إلى تفاصيل القوى، تقول: يجب أن يكون هناك زراعة، يكون هناك تعليم، يكون هناك صناعة، يكون هناك مراكز علمية، ومراكز أبحاث، ألست هنا في الأخير ترى تنوعاً؟ لتتشكل قوة، وتتشكل أمة واحدة، بناء الأمة يتمثل في هذا التنوع الواسع، فليضبط المسألة بحيث يكون هذا التنوع بالشكل الذي يبني الأمة، ويكون هؤلاء بالشكل الذي ما يكون بينهم اختلافات، ينطلقون انطلاقة واحدة وهكذا.

كيف أما في دين الله نجوّز أنه ينزله إلى بين أيدينا، وكل واحد ينطلق على حسب مزاجه؟ يستنبط هو، ويمشي على ما ترجح لديه وفهم، وعلى ما غلب عليه ظنه، وعلى ما أدى إليه نظره، ما هذه قضية؟ هذه لا تقبل عند أي شخص عنده تفكير لصناعة نظام ولو لمديرية واحدة ما بالك لشعب، هذه الطريقة ليست صحيحة أبداً.

فعندما يقول لك واحد: الخلاف هو طبيعي، طيب هذا شاهد على المسألة هذه؛ لأنك ترى الناس هكذا يختلفون في أمزجتهم، في أهوائهم، في أشياء من هذه، فهذا شاهد على أن الدين لو نزل إلى بين أيديهم فيخضع لرؤاهم، وأنظارهم سيختلفون، وهذا الذي حصل فعلاً، أليس هو الذي حصل؟ وشهدوا، وأصبح مبحثاً من مباحث أصول الفقه نفسه، ومن مباحث علم الكلام، موضوع الاختلاف. قضية حصلت لا يوجد أي مجال لسدها لا تحصل، بحيث نعمل على أن لا تحصل.

في الأخير قاموا ببحثها: هل كل هؤلاء المختلفين مصيبين، أو الحق واحد والباقين مخطئين؟ وإذا قلنا: الباقين مخطئين، فهل هم آثمين، أو ما هم آثمين، أو من هو الآثم، ومن هو الذي ما هو آثم..! أصبح مبحثاً هو في حد ذاته، يعني قضية مسلمة، وقعت فعلاً.

طيب لماذا لا يعملوا بحث أنه هل هناك شيء يحول دون أن يحصل اختلاف على هذا النحو، وكل واحد يطلع رؤية من عنده، وكل واحد يقدم فكرة من عنده في هذا الدين، وكل واحد يقدمها بأنها هي الدين، أو ما يريده الدين؟. لا بد أن هناك حل، إذا لم نفترض في القرآن الكريم حلاً لهذا، فمعنى هذا بأنه ما هناك حاجة لقوله: هدى، نور، شفاء، بصائر .. الخ.

لأننا بحاجة، هذه ظلمة، أليست هذه ظلمة، وهذه إشكالية كبيرة، هذه تجعل الأمة لا تعد تلتقي على موقف واحد، تجعل الأمة تتعادى فيما بينها، تجعل الناس يحارب بعضهم، تجعلهم أمام الأعداء إذا جاءت قضية يختلفون بدل أن يتوحدوا في وجهه. ما هذا شيء ملموس؟ هل هناك حل لهذه وإلا فما هو النور والبصائر إذا ما هناك نور وبصيرة لهذه المشكلة؟ وأمثالها، وكم يا مشاكل من هذا القبيل.

يعني هذه هي قاعدة على أساس ننطلق منها، عندما تجد في القرآن الكريم أن الله يقول لك: حكيم، عليم، قدير، رحيم، أليس هذا شيء؟ قل: لا بأس، لكن إذا افترضنا بأنه أنت ما عندك أي تدبير في هذا الموضوع الذي نحن نراه بالنسبة لنا شقاء، وحالة غير حكيمة، وحالة غير صحية ـ على ما يقولون ـ فما معنى عليم حكيم قدير وأنت ملكنا وإلهنا؟ أليست هكذا؟.

لا بد أن تفترض أن لديه ما يجعل حياتك بالشكل الذي تتناسب مع حكمته هو، مع رحمته هو، لا بد أن تفترض هذه. عندما يقول لك: القرآن هدى ونور وشفاء، طيب أنا عندي إشكاليات معينة، وفي الحياة إشكاليات معينة، فلا بد أن نفترض أن في القرآن حلولاً لها لو سار الناس عليها لما وقعت هذه الإشكاليات نهائياً.

أما إذا افترضنا أن القرآن ليس له دخل من الموضوع فأنت إذاً ما تردده عبارات فاضية، نوراً مبيناً، وهدى، وضياء، وأشياء من هذه، وأنت مؤمن بالإشكالية كإيمانك بالقرآن! كيف تؤمن بالمشكلة كإيمانك بالقرآن أنها واقعة، ولا هناك منها مخرج؟! طيب أنا أريد أن أسألك أنه إذا القرآن ليس فيه نور لهذه المشكلة إذاً فالقرآن، وهذه قد تحصل لواحد في مناظرة معينة، قد تحصل لك هذه؛ ولهذا نقول: يجب أن نفهم ما هو الحل؟ ما هو الحل فعلاً وإلا قد يقال بالنسبة للقرآن: هدى، نوراً، شفاء، الخ. نقول لك: طيب هنا وضعية معينة أليست إشكالية؟ صحيح إشكالية، ما هو النور حقك لهذه؟ ما هو الهدى هنا في هذا؟ ما هو ... الخ. عندما لا يكون هناك شيء إذاً

لماذا تقول لي أنت: هدى، ونور، وأنت معتقد بأن هذه ظلمة، ولا يوجد منها مخرج في قرآنك؟! أليست هذه مشكلة؟.

لاحظ كيف مارسوها بطريقة معناه مستعجلة، لما قد أصبح مفهوماً سائداً عند الناس أنه نقرأ كذا بنية كذا، أليست هذه حالة؟ قالوا: إقرؤوا {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ} ألف مرة و{ألم تَر} خمسمائة مرة، يقرؤونها بنية أن الله يدمر أمريكا وإسرائيل! طيب نقول: الغلطة في هذه أن هذا تقديم للقرآن بالنسبة للعامة بشكل غير صحيح، سيأتي من بعدك إحباط، سيقرؤونها خليهم يقرؤونها كم ليالي من ألف مرة، من خمسمائة مرة، ورأى العدو إنما فقط إنجازات، ونجاحات في عمله هناك، أخذ بغداد، أخذ العراق، وقد هو يريد إيران، يريد السعودية.

ماذا سيقول الناس بعد، من يقرؤون القرآن بالشكل هذا؟ سيقول واحد: ما نفع، هي نفس هذه، يعني هو ليس فيه حلاً للمشكلة هذه، ما عمل شيء، ما له أثر! ما هنا ستهبط قيمة القرآن في النفس؟ بالرؤية هذه عندما يقول لك: اقرأ كذا بنية كذا، وقرأ قرأ وفي الأخير يقول: ما نفع، تهبط قيمة القرآن عنده، أي لا يوجد فيه مخرج لهذه.

لكن لا، يُقدم القرآن بالشكل الصحيح في التعامل معه، هو يهدي عملياً تنطلق {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}(الأنفال٦٠) {وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}(آل عمران١٢٢) وهكذا، أليس هو يتحدث؟ يهدي عملياً؛ لأنه أنزله كتاباً لنقرأه ونسير على هديه، وليس لنقرأه هو على العدو، تقرأه على العدو هذا، لا؛ ولهذا ما حصلت في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما حصلت، ما قرأه وجلس في مسجده على المشركين وهم متجهين إلى المدينة، لقيوهم في [أحد] وقتال، خسروا سبعين شخصاً منهم حمزة.

ألم يكن أسهل عليه أن يقرأ {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ} ألف مرة؟ لكن هذه ليست طريقة، خاصة وأنت في مواجهة يهود، وحملة دعائية، حملة ثقافية يهودية متجهة، قد هم معبيين شُبَه، عارفين ماذا يطرحوا من إشكالات، إذا ما هناك عند الناس فهم لحل فعلاً سيجعلون الناس يكفرون، يشكون في الدين، أو على الأقل ما يكون للدين قيمة عندهم نهائياً.

عندما يقول: {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفرقان٦) معناه أن كل قضية ما يغفل عنها، في القرآن ما يهدي إليها.

إذا الإنسان ما يلمس أنه يوجد حل تفصيلي لتلك النقطة الفلانية، فهو يهدي إلى شيء، هذا الشيء يقوم على أساسه الحلول التفصيلية للقضية.

ثم إن القرآن ـ كما نقول أكثر من مرة ـ القرآن الكريم أيضاً هو بالشكل الذي لم يقدم بمعزل عن الله، الإمام القاسم أيضا له عبارة في هذا الموضوع، لم يقدم بمعزل عن الله، أو بديل عن الله على الإطلاق، هو يهدي، ومما يهدي إليه يهدي كيف يكون نظرتك إلى الله، كيف يكون تعاملك معه، كيف تكون ثقتك به؟.

ثم يأتي هو، يتدخل هو، لاحظ في القرآن الكريم أليس هو يعرض تدخلات إلهية؟ في كل الميادين، حتى في الحالة التي المسلمون ما يكونون منتبهين ماذا يعمل، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ}(المائدة١١) ما هو يأتي عنده تفكير الآن أنه إذا قال الناس كذا أنه [سيأتي ذاك يدجهم، ويأتي مدري من هو ذاك يدجنا، وعاد احنا، وعاد احنا، يا خبير امانه بطّل]. ثم في الأخير يطلع حكمة يطلع موقف حكيم أن الناس يبطلوا!.

طيب هذه، كلمة يدجوكم، أو يدجوهم، ليس لها أصل في القرآن نهائياً، يقول لك لا، هل تدري متى يمكن أن يدجوك؟ عندما لا تسير على القرآن، سيدجوك ولو قد أنت في الميدان.

....

أليس الناس سيموتون رغماً عنهم؟ إذا اتركها، وقد نحن في آخر الدنيا، وقد نحن هؤلاء بعد ألف وأربعمائة سنة، الله أعلم كم عاد في عمر الدنيا، وقد جرب الناس كل شيء، خلنا نجرب القرآن، ننطلق على هديه بثقة وأينما وصلنا نوصل، وأنت أمام عدو سيدجّك ولو أنت جالس، سيدجّك ولو أنت جالس، ولو ما تتعرض له، ولا تطّلع كلمة عليه، أنه سيبحث عنك، هو هذا قد دور بعد السعودية، يقوم يعمل في الرياض انفجار رهيب جداً، حتى يقول: رأيتم أنكم مقصرين، وما هم مقصرين، هم أصدقاء لأمريكا أكثر من صداقة بعضهم بعض، حتى يقولون عن السعوديين أنفسهم كان كثير من السعوديين يكونون عارفين لأمريكا أكثر من معرفتهم للسعودية هي! يكون موظفاً في جدة، أو في الرياض، وجاءت العطلة ومشى كذاك، لا يعرف لا المنطقة الشرقية، ولا يعرف مناطق أخرى. عارفين أمريكا أكثر مما يعرفون السعودية.

يطلعون لهم تلك القضية؛ ليقولوا: السعودية مقصرة، هم قالوا مقصرين، ما يستطيعون، ما قاموا بواجبهم في مكافحة الإرهاب إذاً ما منهم شيء لازم ندخل نحن. إذا لاحظ هنا ألم يدجهم؟ افترض دجنا فخليه يدجنا ونحن نعمل ضده، ولا يدجنا ونحن ساكتين. أليس هكذا أفضل؟ على مبدأ الدجة التي يسمونها يدجهم، أو يلبجهم.

ترجع إلى القرآن هو يعتبر هذه قضية ما لها أساس من الصحة الدجة هذه نهائياً، يشكل وقاية، لاحظ في سورة {ألم غُلِبَتِ الرُّومُ} هذه العبارة الهامة جداً، من بداية حركة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة إلى أن تمكن أن يقيم دولة في المدينة، يعمل تغييراً عالمياً، صراع دولي بالشكل الذي يتناسب مع حركته، ما عاد بدوا عليه يريدوا يدجوه إلا وقد هو قوي، وعارف كيف يتعامل معهم. ألم يدجهم هو؟ وفي الأخير أولئك هم دجوا الفرس والروم، ألم تنته إلى هذه القضية في الأخير.

هذه المسألة، وهذا التفكير عند الناس كلهم، قضية [ما بلى با نقم ودجونا، أحسن لنا ما لنا حاجة] في القرآن منسوفة بشكل مؤكد، ومكرر، ومبين؛ لأن الله يعلم كيف يفكر الإنسان، ما هو يعلم؟ أن عندك عقدة معينة يهدي إلى ما يحلها، ويقول لك أنه يصنع في واقع الحياة ما لا ترى هذا الشيء وتتخيله [الدجة هذه] هو هذا يقول لهم: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} (الأنفال٢٦) جعل الفرس يدجوا الروم، والروم بعد يدجوا الفرس.

ألم يأت الدج هناك؟ لكن إذا ما تحرك الناس سيخلي الروم يدجوهم، ويخلي الفرس يدجوهم، يخلي أمريكا تدجهم، ويخلي كثير من الناس يدجوهم عندما لا يتحركون؛ لأنه يكون تسليطاً؛ لأنه من تفترض مثلاً، من تفترض اليهودي هو الذي يأتي يشتغل بالقرآن والنصراني؟ إن الناس هم يعتبرون أنهم قد أعطوا الله ميثاقاً، عندما سموا أنفسهم مسلمين، وآمنوا بهذه الأشياء هم مسلمون، إذاً يجب أن يسيروا وإلا سيعرضون أنفسهم هم لتسليط من جانب الله، يسلط عليهم أخبث أعدائهم.

إذا كانت هذه رؤية عندي وعندك، ارجع إلى القرآن الكريم ترى كيف رؤيته في الموضوع، ليست بهذا الشكل، هو يرسم طريقة يكون بدايتها فكرة تراها ليست بالشكل الذي أمامها عوائق نهائياً، أن الناس أنفسهم يحملون الشعور بمسؤولية، هذه أول واحدة، يعرفون الله، ثم يتحملون مسؤولية أن يكونوا أنصاراً له هذه واحدة، على هذا الأساس ترى في الأخير موضوع الوحدة عندما يقول واحد، أليست الوحدة أساسية؟ لكن الوحدة مفتاحها من هنا، مفتاحها من هنا.

طيب في هذا الموضوع ما هناك أحد سيحول دونك أبداً في أنك تتحمل الشعور بالمسؤولية، هل أحد يستطيع يسيطر على مشاعرك؟ لا، في مجال معرفتك لله حتى تثق به، وتعرف ماذا يعمل للناس إذا كان معهم، عندما يكونون سائرين في طريقه، هذه قضية أيضاً لا يوجد عائق أمامها، الباري لا يجعل عوائق أبداً.

ثم ترى أنه إذا الناس ساروا بهذا الشكل كانوا قريبين من التوحد؛ لأن المسألة أن الله يرسم طريقة للناس يسيرون عليها، يتدخل هو، أسباب لأن يتدخل في الموضوع؛ ولهذا قال: {وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} (آل عمران١٠٣) **ألم يتدخل؟ طيب هذه ليست قضية هكذا مصادفات، لها سنن هذه، لها سنن من عنده، لها أسباب {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}** (الأنفال٦٣) **أليست هكذا؟ هذه واحدة.**

وعندما يتحملون الشعور بالمسئولية سيكونون قريبين من التوحد، سيكونون قريبين في أشياء كثيرة تحصل في مجتمعهم، أخوة، ألفة، تعاون، محبة، صدق؛ لأنهم كلهم قد هم يشعرون بمسؤولية أن يتحركوا بموقف واحد، وأن عليهم أن يكونوا على هذا النحو؛ فانطلقوا تلقائياً، ما يكون هذا التباطؤ، فلا نرضى إلا أن ما هناك ما يدفعنا، ما يوجد لدينا الشعور بالمسؤولية فنرى بأنه فعلاً واجب أن نتوحد، ويجب أن نتوحد، ولا تسببنا بالطريقة التي تؤدي إلى أن الله يتدخل في الموضوع فيؤلف هو بين قلوب الناس.

هذا ليس حاصلاً فقط نجلس نؤمن بأن التوحد ضروري، وما هناك أحد متوحد مع أحد عندما لم ننطلق من هذه البدايات.

لأن هذه سنة في القرآن الكريم أن الله لا يهدي إلى شيء، أو يأمر بشيء إلا ويهدي إلى الطريقة التي يقوم عليها، وتؤدي إليه، الأسس التي يقوم عليها، والطريقة التي تؤدي إليه ـ هو لا يقول كذا ثم يتركك لوحدك ـ التوحد ما هو، وكيف يكون، ما أسسه؟ ما الذي يجعل الأمة قريبة من أن تتوحد، رسمها في القرآن الكريم بشكل كامل.

لاحظ متى ما قال واحد: [احنا ضعاف، واحنا مفرقين، واحنا، واحنا ..] ما واحد يقول هكذا يعدد؟ طيب هذه هي مشاكل أليست مشاكل؟ لازم في إيمانك أن تفترض أن في القرآن ما يعتبر حلا لها وإلا لكانت مشكلة. إن الله يقول: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} (الصف١٤) **وكونوا، وكونوا، وكونوا، وهو يعلم بأننا ضعاف لن نستطيع أبداً، ثم في الأخير يطلع تكليف ما لا يطاق، أليس هكذا؟**

لأنه يخاطب الناس هو يعلم أنهم يستطيعون، ويخاطبهم بالشكل الذي يقول لهم هو أيضاً سيكون معهم، ثم يعمل هو الشيء الكثير الذي ما يمكن يعملونه هو.

نقول هذا آية من آيات الله في الموضوع في بداية الإسلام، يضرب الروم بالفرس، ثم يضرب الفرس بالروم خلال تلك المرحلة، من بداية حركة النبي في مكة، وقد أصبح ظاهراً، هكذا عمله عمل ديني، في ظرف معين. لمّا قد هو في المدينة، وقد عنده كيان، وقد عنده جيش، ألم يضربهم ببعضهم بعض هناك؟ وكلهم كانوا مفتحين عيونهم عليه، فلو أن المسلمين ذلك اليوم كانوا يقولون: لكن الروم، لكن الفرس، ولا جهدنا، ولا بأيدينا، ولا احنا ولا.. ما كان معهم أكل أحياناً، أضعف مننا حقيقة.

ثم لا يمر الزمان إلا ويرون أنفسهم هم أولئك الذين كانوا مستضعفين في الأرض أصبحوا هذا والي على منطقة كذا داخل بلاد فارس، وهذا والي على كذا، وقادة للجيوش في أعماق بلاد الروم وفارس، وهم أولئك الذين كانوا مستضعفين في الأرض {تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} وكل حاجة تقول فيها لكن افهم أنها محلول في القرآن، وتقطع كل الأعذار.

وليست بطريقة يقطعها بالقوة غصباً، يقول ما معك مجال، لو يأتي ما يأتي، لا، هو سيكون معك، ويحصل تغيرات، ويحصل كذا، أشياء كثيرة، يرغبك للطريقة نفسها، ويكشف لك كل الوسائل التي يمكن أن تهيئها، وتجعلها سهلة، وتصل إليها تلقائياً، ما هو أنه يأتي بمنطق ما معك مجال، نقول نحن ضعاف، يقول: لو ما تستطيع ستحتاج، لازم تعمل هذا وإلا جهنم. ليس بالمنطق هذا نهائياً.

يهيئ، ويتحدث بأنه يهيئ، وأنه يعمل الشيء الكثير الكثير، عرض أمثلة كثيرة، سواء كانت من بداية الإسلام، وحركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أو من الأمم الماضية، عندما يعرضها في القرآن الكريم ليثق الناس به، يعرض صوراً حقيقية؛ ولهذا ما يكون قصصه عبارة عن قصص مثل القصص التي يعملها الآخرون كتّاب**

قصاصون، يلاحظ موضوعاً معيناً، ويكتب فيه قصة افتراضية، قصة خيالية، قصص واقعية، من واقع الحياة؛ لتثق أكثر.

تكون أمثلته أمثلة واقعية، من واقع الحياة، مما عمل هو بالأمم الماضية، مما عمل هو لأوليائه في الأمم الماضية، مما عمل هو في بداية حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) حركة الرسالة.

{وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} (القصص٥٧) أليست هذه الدجة التي هي عندنا؟ [با يقطعوا علينا مدري إيش، وما عاده جاي لنا شيء] هنا أشار لهم {أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} يتحرك هؤلاء مرغمين، ويأتون بالحاجات إلى عندهم نفوسهم، يعني هنا كمثال، ويتحدث في آيات أخرى عما يزيح هذه الفكرة: تتخطف من حولنا، يدجونا، عمل أشياء كثيرة تزيح الفكرة هذه من نفوس الناس.

حتى الأرقام عندما يقول مثلاً: أحنا قليل، هو هذا قال: {أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ}، قليل لكن متى ما قد صرنا كثير ممكن. ضرب أمثلة في هذا الموضوع نفسه، أصبحوا كثيراً ضعفت ثقتهم بالله ضربهم في يوم حنين، اثنا عشر ألفا بعدما هزموا المشركين، وفتحوا مكة، وراحوا فهزموا أمام قبيلة! أليست هذه واحدة منها؟.

القضية ليست قضية أرقام هنا، هي قضية ثقة بالله، وتعد كل ما تستطيع من قوة، ومهما كان لديك من قوة وأرقام كبيرة لازم أن تبقى حالتك دائماً مشدود إلى الله ثقة به {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ} (آل عمران١٢٦) هدايته، تأييده، لا ترتبط بنفسك على الإطلاق مهما بلغت من قوة، يقول: أعد كل قوة.

[هنا سؤال عن مسألة التوازن، أو التكافؤ أنه لابد من التكافؤ.]

أجاب: يوجد فهم مغلوط لمسألة التكافؤ، يعني يتصور أن القضية هي قضية مثلاً حديد، عند العرب قوة أخرى تعطل تلك القوة، ما تحتاج لها ربما خبرات نهائياً؛ لأن هذه سنة إلهية، لا يسمح للعدو أن يكبر دون أن يكون فيه نقاط ضعف كبيرة. أمريكا عندها تكنولوجيا متقدمة جداً، عندها سلاح متطور، عندها جيش كبير، عندها عتاد عسكري كثير جداً.

لكن لو أن العرب قاطعوها اقتصاديا، وقطعوا النفط ـ هذا العمل هل فيه تكنولوجيا؟ أو فيه شيء؟ ـ لانهارت، لو سحبوا أموالهم من بنوكها لانهارت أمريكا.

أيضاً إذا هناك فهم لما هو التكافؤ، المسلمون ملزمون إلى أن يطوروا أنفسهم على أرقى مستوى، أن يعدو كل القوة، لكن وقوة واحدة يجب أن تكون لديهم دائماً، ومسيطرة على مشاعرهم.

مسالة التوازن، مسألة التوازن هذا نفسه، أن تفهم سنن أخرى، لا تأتي تقارن بين نفسك بأن ما عندك إلا بندق، أو عندك حاجة بسيطة والآخر عنده طائرة، وعنده كذا، فتقول متى ما قد عندي طائرات ودبابات، وعندي كذا، وعندي كذا ... الخ، فسأعمل كذا، ما هو قد يقول الناس هكذا؟.

لا، إفهم في الواقع بأنه هذا العدو الكبير يوجد ثغرات لديه، يوجد نقاط ضعف رهيبة جداً، يوجد وسائل في متناولك أن تعملها تؤثر عليه، وأنت في مواجهته أنك فعلاً تؤثر عليه فعلاً، خاصة في الزمن هذا، الحرب في الزمن هذا وإن بدت أرهب هي أسهل هي أسهل، ووسائل مواجهة العدو كثيرة، ومتنوعة، في متناول الناس أن يعملوا الكثير منها، ففي يديك وسائل تعيقه عن استخدام السلاح الكبير ذلك. إذاً هذا توازن أليس توازن؟ هنا التدخل إلهي، التدخل الإلهي هو يعمل عملاً كبيراً جداً، أو العمل كله يأتي من خلال التدخل الإلهي.

لكن متى يكون التدخل الإلهي؟ ليس فقط تأتي تقرأ ألف {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، أن تتحرك فعلاً، تتحرك فعلاً، تفكر، تنظم، تعد كلما لديك من قوة، تغرق ذهنيتك في الموضوع. التدخل الإلهي قد يجعل الشيء من جانبك له تأثير بالنسبة للعدو، يجعل وجودك إشكالية ترعب العدو ولو كيان صغير، ترعب العدو، يصبح العدو نفسه تكون قراراته بالشكل الذي لا يرى بأن من مصلحته أن يضربك، هذا تدخل إلهي يأتي يعيقه عن أشياء؛ لأن الله هو مهيمن على الناس جميعاً، هو ضرب أمثلة عن هذا في القرآن.

عندما يقول عن موسى وفرعون، فرعون يقول: {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى} (غافر٢٦) أليس هو هنا يقول اتركوني أقتله، ولا أحد منعه، ولا شيء، هنا يأتي دفاع إلهي، يأتي متغيرات، أو العدو نفسه يتبنى خطة يرى أنه لازم يسير عليها، وتكون هي بالشكل الذي تظهر لك نقاط ضعف كثيرة فيه، وتتيح لك مجالات كثيرة أن تعمل ضده.

نقول: أن الناس يستطيعون أن يعملوا ضد أمريكا، يعملوا ضد أمريكا بشكل مكشوف، سيكونون أسلم الناس عن أمريكا، أبعد الناس عن أن تضربهم أمريكا. هذه قضية تبدو غريبة، أليست غريبة؟ لماذا؟ لأن الأمريكيين يتبنون طريقة هم يريدون أن لا يكشفوا أنفسهم عدوانيين للشعوب كمعتدين، يحتاجوا يعملوا مبررات من هذه، ما هم يحتاجوا يعملوا أشياء؟ طيب أنت تستطيع أن تكون بالشكل الذي لا يستطيع يعمل ضدك شيئاً، أو يعمل ضدك شيئاً يكون بالشكل الذي ، مثلاً تهمة معينة تكون بالشكل الذي هي غير مقبولة، هي غير مؤثرة، لا على جماعاتك، ولا على محيطك، ما تكون مقبولة.

فأنت تجد أنه في الوقت الذي تراه كبيراً أنه عنده ثغرات كبيرة تجعل تفكيره بالشكل الذي لا يعد يستخدم تلك الحاجة الكبيرة ضدك، لا يستخدمها ضدك. وأنت في الطريق تعدُّ كلما حصل عندك إمكانيات، تصنع تحصل على أسلحة متطورة، اعمل كل ما باستطاعتك، اعمل كلما بوسعك، هذا شيء لا بد منه.

لكن يقعد واحد، يقعدوا هنا، ويقولوا: نريد توازن، أي أن يكون عندنا تكنولوجيا مثلما يوجد عند أمريكا نفسها، يكون عندنا من الأسلحة مثلما عند أمريكا نفسها! هذا ليس مقياساً، ليس مقياساً أساساً، لا واقعاً، ولا ضمن السنة الإلهية، ليس مقياساً؛ لأنه معلوم عند العرب الآن، وهم يعرفون بأن لديهم سلاح النفط، والمقاطعة الاقتصادية بالشكل الذي يوقف كل هذه القطع التي تحركها أمريكا.

لأن تكنولوجيا أمريكا التي نراها متطورة يترتب عليها التزامات مالية كبيرة، يكون أي ضعف اقتصادي يؤثر عليها، يقولون حتى تحريك هذا السلاح النووي أنه مكلف جداً، تخزينه، وإخراجه من داخل مخازنه، يعني الحركة حتى للتي تكون جاهز، مثل رؤوس، أو قطع، يقولون: بأنه هو مكلف جداً، ليست قضية سهلة، ليست مثل عندما تأتي تأخذ لك قذيفة من هذه القذايف العادية، وتحملها، يحتاج إلى أشياء يقولون مكلفة جداً مسألة التخزين، وتجهيزه مكلف جداً.

ثم في الأخير تجد أنه بحاجة إلى المال في حركته هذه، والمال مصدره من عندك كسوق استهلاكية، والنفط الذي أنت مهيمن عليه. فلاحظ من باب التوازن هذا، ما العرب عندهم هذا السلاح سلاح النفط، وسلاح المقاطعة الاقتصادية؟ سيوقف أمريكا عن قراراتها هذه كلها؟ لم يتحرك الأمريكيون إلا بعد ما حاولوا في العرب يعملوا اتفاقيات معهم أن النفط لا يستخدم كسلاح، أولاً يجمدوا سلاحنا هم!.

ولأن عندنا حكاماً من النوعية هذه، قابلين، مفرقين، الكثير منهم قد يكونون متواطئين مع الأمريكيين، لا يستخدم النفط كسلاح! الأمريكي هو يشهد بأن النفط مؤثر عليه لو تحاول تستخدمه كسلاح، أولاً يوقف سلاحك. إذاً لاحظ بأنه هو كان ينظر إليك بأن عندك سلاح أرقى مما عنده، سلاح يوقف سلاحه نهائياً، يقعده، بل قد يؤدي إلى انهياره هو كدولة، ككيان.

القرآن كل ما فيها لكن يبعدها، يبعدها نهائياً، ولا يترك للناس أي عذر.

....

لماذا يحاولوا يضغطوا على إيران وسوريا ولبنان من أجل حزب الله؟ أيّن أقوى إيران وسوريا ولبنان أو حزب الله؟ في عتاد، في كل شيء، لماذا لا يضغطوا على حزب الله من أول يوم؟ ما باستطاعتهم أن يضربوا مناطق حزب الله بصواريخ من أوربا، وليس فقط من داخل البلاد العربية؟ من البحر الأحمر، من عند رؤوسهم من هنا، من البحر الأبيض من طرف لبنان ما باستطاعتهم يضربونهم؟

تجد العرب معهم سلاح ثقيل، وطائرات، معهم سلاح ثقيل لكن حزب الله أثقل، وما معه دبابات ولا طائرات ولا صواريخ بعيدة المدى، ما هو أثقل عليهم؟

إيقاف النفط يوقف أمريكا، إيقاف النفط وما بلى ماسورة يوقفها، فقط يغلقها، ويصدره إلى بلدان أخرى، لكن لا يوجد عندهم إرادة، ما عندهم مسؤولية، ما عندهم اهتمام نهائياً!.

هذا الدين يجعل الناس ينظرون إلى أمريكا نظرة احتقار، إذا فهموا دين الله لن يكترثوا بأمريكا لكن إذا ما فهموا الدين ستكون أمريكا عندهم أكبر من الله.

تجد الدولة الآن تخاف من أمريكا أكثر مما تخاف الله، يخافون منهم أكثر، لن يكون عنده اهتمام بالنسبة لك أنه يتجه، وقد هو يعرف بأنك ربما تشكل حماية له، خاصة بعد ما رأوا العراق انهار الجيش، وأنه لا يعد يوثق بالجيش وقد هو في داخله مخلخل. هذه حركة شعبية، انطلاقة دينية ما بين تكلف الدولة شيئاً، ولا تحسب عليها، يكونون بالشكل الذي يستطيعون أن يدافعوا عن دينهم، يدافعوا عن بلادهم.

فأي دولة المفروض أن هذا شيء طبيعي، أي شخص، أي مسئول أصبح خائفاً هو لم يعد يرى منظمات دولية يمكن تنفعه، لم يعد يرى الجامعة العربية يمكن تنفعه، لم يعد يرى جيشه يمكن ينفعه، أليس هذا شيء طبيعي عنده انه يمكن يرى عمل الناس بالشكل الذي يرضى عنه هو؟. عندما يقول الأمريكي يمتنع الناس فيمكن تقول له: لا، يريد يحاول يمتنع الناس، تقول: لا، لا تمتنعوا أبداً، إذا حاول الأمريكي يضغط عليه يقول: ما رضيوا هم شعب فوضوي.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس الخامس]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١/٦/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[ومن ذلك ومثله، ما يقول سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى أهله: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء٨٨)] هذه الآية هي في نفسها تحدي، هو يقول الله لنبيه: أن يقول للآخرين الذين يجلسون يعارضونه، ويجلسون يدّعون أنه افتراه، وأنه أساطير الأولين، وأشياء من هذه.. قل لهم: {لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} بكل قدراتهم، وفي أي زمن كانوا، الإنس والجن حق ذاك اليوم والآن، أليس الإنس حق الزمان هذا قد عندهم خبرات أكثر؟.

وموضوع أن القرآن معجز ليس الموضوع مرتبطاً بالنص اللغوي فقط، عندما يفهم واحد بأن معنى: {لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} في جانب الفصاحة مثلاً، الفصاحة! الموضوع أوسع من هذا بكثير، جانب بلاغته، وفي كونه بليغ.. الجانب البلاغي مرتبط بالمعنى.. أليست البلاغة مرتبطة بالمعنى؟ ليست مرتبطة بشكلية المفردة، أو بطول النص، أو بقصره. فالكلام يعتبر بليغاً في كونه يؤدي المعنى بشكل كامل، وبشكل جميل، وفي قالب جميل، ويعبر عن المعنى من جميع جوانبه، هذا يعتبر بليغاً عند العرب.

موضوع أن القرآن مثلاً معجز ليس فقط مرتبطًا بالنص من ناحية الفصاحة والبلاغة، بل في جوانب أخرى، هناك ناس آخرين ليسوا عرباً نهائياً، وترى عندهم خبرات أخرى، مثلاً عندهم خبرات اقتصادية، قانونية، تربوية، أشياء كثيرة من هذه، تنظير فيما يتعلق بوضع أنظمة. سيعرف أي إنسان لديه اهتمام في مجال من المجالات أن القرآن فوقه، وعندما يأتي واحد يضع مثلاً نظرية معينة يجد سلبيات فيها، يجد القرآن فوق هذا، يجد القرآن هو يقدم الطريقة على أحسن ما يمكن.

عندما يقولون: أنه قد كفى أنه أعجز أولئك، وهم سيقولون لنا بأنهم قد عجزوا، والآخرين سيعلمون بأنهم قد عجزوا.. هو معجز في أي زمان، الإنس والجن في أي زمان.

نجد مثلاً موضوع فصاحة وبلاغة، من الناحية الفنية، الجانب الفني فيه، فبالتأكيد لا نحن ولا المعاصرين من أمم أخرى يمتلكون القدرة الفنية في التعبير، أو في إدراك الجانب البلاغي، يكون عندهم قدرة على ماذا؟ قدرة في مجال البلاغة، أليس هذا معلوماً؟.

لا يوجد لدينا نحن قدرة العرب الأوائل في جانب البلاغة؛ ولكن الموضوع أوسع من هذا، قدمت القضية للناس لما فهموا أن الموضوع فقط مرتبط بالجانب الفني فيه، جانب البلاغة: أنه عجز أولئك الأولون، وعجزهم قد هو يكفينا، والأخبار بأنهم عجزوا قد هو يكفينا، ويكفي!. لكنه ما زال معجزاً للبشر جميعاً، الإنس والجن، لا يوجد حتى مسألة الفصحاء أو البلغاء، الإنس والجن.

وبلاغة القرآن الكريم، عندما تأتي تقرأ قصيدة شعرية، ألست ستراها جميلة؟ أليس هناك قصائد شعرية جميلة، لكن فيما تتناوله، في عمق الأشياء، في واقعيتها، في سعتها، هذا شيء ثاني يختص به القرآن.

السورة مثلاً قد يكون لها مثلاً موضوع رئيسي، فيها موضوع رئيسي، هذا الموضوع هو واقعي، قضايا حقائق واقعية. تجد السورة مثلاً تخدم هذا الموضوع من أولها إلى آخرها، وعندما تخدمه هي تشخّص أي حالة نفسية عند الإنسان، أي تفكير لديه، أي تساؤلات لديه، فيكون فيها من البداية ما يزيح كل تساؤلات لديه فيتقبل الموضوع ويصبح الموضوع عنده مقبولاً.

لاحظ مثلاً سورة [فاطر] سورة فاطر من المواضيع الرئيسية فيها: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (فاطر٣٢) موضوع الاصطفاء على هذا النحو، تجد السورة من أولها إلى آخرها تخدم الموضوع بشكل رهيب، وبشكل عجيب، في كل ما يطلع من تساؤلات حول الموضوع.

فالقضية هي في الذهنية قضية تفاوت، أليست قضية تفاوت؟ يبدأ لك بالتفاوت من أول السورة إلى آخرها: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} (فاطر١) أليس هذا أول

شيء؟ وهكذا منْزل، مَنْزل، تصل إلى عند: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ} (فاطر٢٧).

تجد السورة تقدم لك أن هذه سنة إلهية، سنة إلهية، وأنه أحياناً المهام نفسها تتطلب تفاوت على هذا النحو، كما أن الملائكة هم رسل، ولديهم مهام متفاوتة، فالمهمة تفرض أن تكون على نحو معين، تكون لائقاً بأداء المهمة {رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} هناك ملائكة معهم من أربعة أجنحة، وملائكة معهم من ثلاثة، أو تقول ثلاثة وثلاثة، وهناك ملائكة معهم من اثنين أجنحة. أليس هذا نفسه تفاوت؟. وهكذا يمشي في الموضوع بشكل واضح.

نأتي إلى الموضوع في نفس السورة، أو المواضيع الرئيسية فيها، تجد السورة تخدم الموضوع من أولها إلى آخرها، تخدمه من أولها إلى آخرها. تطلع لك كلمة: {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} بالنسبة لهذا الموضوع الرئيسي أن معناه هام جداً، يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي فقط يعمل مثلما يعمل الآخرون، أو أنه يساير تقاليد لدى البشر قائمة! لا، هو مبدع وفاطر، هو فاطر، هو مبدع للأشياء.

هو لا يقلد! رأى العرب يعملوا شيخ، وهو قال: سنعمل لنا شيخ! رآهم يعملوا بيت مَشْيَخ، فقال: ونحن سنصطفي بيت ونقول كذا... لا، هي مسألة من جهة نفسه، وهو عادة ليس مقلد، هو فاطر، فطر السماوات والأرض هذه بكلها، فهل سيقلدك في حاجة بسيطة من هذه؟! وهكذا... إلى آخر السورة.

ترجع للجوانب التربوية التي ما يزال البشر منظّرين فيها، وباحثين في كيف المنهج الذي يطلع الإنسان بالشكل المطلوب، فلاسفة متفلسفين، ومنظرين منظرين، تربويين، علماء نفس، كلهم مطننين. هؤلاء نفوسهم، هؤلاء لو يأتوا يستعرضون، يستعرضون واقع الإنسان، وواقع الحياة، وما مرت به أعمالهم، ما مرت به نظرياتهم مثلاً من معوقات، وما رأوا من النتائج، ويرجع إلى القرآن، يجد القرآن يقدم القضية بشكل على أجمل وأفضل وأحسن.

هنا تلمس بأنه كلام فوق كل شيء، وكونه فوق يعني ليس من داخلنا، يعني ما حصل القرآن من عندنا، ليس من عند بشر، ولا من عند مخلوق على الإطلاق. لو هو من عند مخلوق من المخلوقين لا فتضح إلى الآن.

ولاحظ كيف يفتضح المفسر، المفسر للقرآن نفسه، الذي فسر لك قبل ألف سنة، تجد الآن بأن الكثير من تفسيراته ليست معقولة، ولاهي مقبولة. ناس في الأخير يقولون: لأن هذا المفسر كان في زمن لا يوجد عندهم إلا الفهم هذا، يأتي الواقع يأتي بأشياء يتجلى من خلاله ما يبرهن على أن المعنى الصحيح لهذه الآية مثلاً هو كذا، أو أن المفسر لم يأت إلا بواحد من معانيها، أو بجزء محدود من معنى واسع لها .. أليس هكذا يتجلى؟ يتجلى، يتجاوزنا القرآن، يتجاوز الناس!.

تفسر أنت في القرن الثالث، ما يأتي القرن الخامس إلا وقد أنت هناك وراء، تفسر في القرن الخامس ما يأتي القرن السادس أو السابع إلا وقد أنت هناك! تفاسير في تفاسيرك يتركها هناك وراء! وهو تجده يستوعب الحياة، يستوعب الحياة، كلما تأتي من أشياء هي تشهد له، كلما يأتي من أشياء هو شاهد عليها من قبل ما تأتي، من قبل أن تأتي هو عنده شهادة، وعنده ما يرشد إليها من قبل أن تأتي.

لا يستطيعون على الإطلاق، لو اجتمعت الإنس والجن في أي زمن، فصحاؤهم، منظروهم، تربويوهم، بلغاؤهم، عباقرتهم ... الخ، ما يستطيعون أبداً أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

إلا أنهم يجلسون في الأخير يتحدثون في هذا الموضوع، دائماً في موضوع أنه الجانب البلاغي، أي الجانب الفني فيه، الجانب الفني فيه، في الأخير يقولون: إذاً فقد أعجز أولئك، فكونه أعجزهم قد بلغنا خبرهم أنهم عجزوا ولو أنهم عملوا شيئاً لنقل؛ لتوفر الدواعي إلى نقله. إذاً ما هناك شيء، إذاً هم عجزوا. وتجلس، وكلما يقول لك واحد شيء عن القرآن تقول: [يا خبير أولئك قد عجزوا.. الخ].

تحدى به الآن، حتى جانب الفصاحة قل له: اعمل لك معهد، وتلك اللغة العربية أمامك، بقواعدها، بأساليبها، علّمهم يكونون عرباً، علمهم يكونون كذا.. ويقوموا يشتغلوا. هل تستطيعون أن تأتوا بمثله؟ لن يستطيعوا. لاستطاعوا أن يعملوا هذه لو المسألة هكذا. أليست قضية قريبة؟ حتى في هذا الجانب أليسوا يعملون معاهد

أبحاث في موضوع الدين، يعني فيما بين المسلمين من تراث ديني؟ ليس الدين نفسه، يجب أن تفهم أن الدين نفسه لا يمكن على الإطلاق أن يزيف، لكن فيما بين المسلمين أنفسهم من تراث ديني محسوب دين يقولون: هذه نشغلها وهم يكونون هم عارفين أن ما هي دين. في هذا الموضوع تعمل معاهد، وأبحاث وسنين طويلة.

لو أن القضية يعني مثلاً حتى في هذا، في جانب البلاغة أنه لو يعملون لهم معهد ويدرِّسوا أشخاص، ويعلمونهم اللغة العربية، ويقرؤون أدب اللغة هذه فيصبحوا بلغاء، ويقوموا يشتغلوا. قل لهم يعملوا معهد من هذا؛ لأنه خلِّيه يأخذ له عشر سنين، عشر سنين ممكن، عشرين سنة حتى، وطلعوا لك خمسة، ستة أشخاص بلغاء، ويقولون لهم يصلحوا مثل القرآن. أليسوا سيعملون هذه؟.

لكن لا يستطيعون، ولا يتوقف على هذا الجانب الفني أبداً؛ لأنه مما أظهر فيه، في كونه معجز، في كونه حكيم بشكل لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ}(النساء٨٢) بلغاء أو غير بلغاء كيفما كانوا {لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}. هذه واحدة من مظاهر أنه فوق، فوق كل ما هو سوى الله، فوق المخلوقين جميعاً، {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}. إذاً فهذا هو جانب أعظم من الجانب الفني في النص، أليس أعظم منه؟.

طيب كونه محكم فيما يتناوله على الرغم من سعته، واسع جداً جداً، ومحكم، ولا تجد شيئاً منه إلا وهو يخدم الشيء الآخر، ما تجد تناقض: هذا يناقض هذا، يكون هذا يمشي في اتجاه، وهذا يمشي في اتجاه، وبعد مسافة ألف كيلو يتناقضون هناك، ويتعارضون. هذه لا تحصل، ما تحصل على الإطلاق، وهذا هو الجانب المهم، يعني الجانب المعجز.

لاحظ عندما يقوم من يشتغلون في الدين نفسه، مثلاً يلاحظ أن الجانب، جانب الترغيب والترهيب في القرآن جانب ـ مثلما نقول ـ من المواضيع التي ركز عليها.. فقام يشتغل ترغيب وترهيب، ألم يحصل هذا؟ اشتغلوا ترغيب وترهيب، وفي الأخير تلاحظ أن ما قدموه أن غايته هناك على بعد مسافة تقرب أو تبعد، يختلف مع القرآن على بعد مسافة يختلف مع بعضه بعض في نفس الكتاب حقه!. تقرأ كتاباً من هذه تجد أن كلامه هنا يؤدي إلى خلق حالة نفسية عند الإنسان تختلف عما يؤدي إليه كلامه في موضوع آخر، عندما يلتقي في نقطة معينة، يحصل اختلاف، يحصل تعارض، يحصل تباين!.

هذا هو من الجوانب المهمة فيه: {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}(هود١) أحكمت ليس معناها أنها مشدودة، بصواميل، وأشياء من هذه.. حكيمة جداً جداً، تعطي معاني واسعة، ومعاني واقعية، وحقائق هامة مع الزمن، كلما مشى الزمن تجده ما يزال القرآن أكثر منه، ما يزال القرآن أكثر منه، وأكثر مما يتطلبه الزمن هذا! أكثر مما يتطلبه الزمن نفسه.

هذه الآية نفسها هي أيضاً ترسم لنا منهجاً، ما تجد في القرآن آية إلا ولها علاقة بموضوع المنهجية، أي السلوك الذي تسلكه أنت وأنت تتحدث مع الآخرين، أو تدعوا الآخرين، أو تناظر. هنا يقول له: قل، يقدم القرآن سلاحاً. القرآن هو سلاح يحمي الرسول نفسه، هو سلاح يحمي نفسه، بحيث أنه يهزم الجانب الذي يتعلل، يدعي ادعاءات بأنه أساطير الأولين، وأنه مفترى، وأنه سحر، وأنه أشياء من هذه. هذا وسيلة من الوسائل: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} يعني خلّ اما أنتم، أربعة، خمسة من المشركين من يأتون بعبارات من هذه.

أليس هذا تحدياً؟ أليس هو هذا يستخدم القرآن؟ يقدم القرآن؟ القرآن هو نفسه يكمم أفواهكم، ويلجمكم، وأنتم أعجز من أن تأتوا بشيء من مثله، ولو اجتمعت الجن والإنس كلهم لكانوا عاجزين عن أن يأتوا بشيء من مثله، ولو تعاونوا كلهم، {ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} في مؤتمر عالمي أنهم يقومون كلهم، يد واحدة، وموقف واحد، يعملون مثل القرآن، ما استطاعوا أبداً.

بـ{مثله} فما بالك بمعارض له.. يأتي بمثله، يعني في الاتجاه نفسه، مثلاً هو عنده رؤية صحيحة، أو عنده فكرة أنه يقدم رؤية صحيحة للبشر، يقدم منهجاً للبشر، ما بالك أن يأتي بشيء آخر فيبدوا هو الصحيح، ويضرب منهجية القرآن، فهذا أبعد، هذا أبعد. يعني مثلاً تقول: القرآن يقدم منهجاً للحياة، أليس منهجاً

للحياة؟ طيب أنتم ترون أنفسكم مخلصين، مخلصين للبشرية، وتريدون أن تقدموا منهجاً للحياة، لا تستطيعون على الإطلاق أن تأتوا بمثله. أليست هذه درجة؟.

الدرجة الثانية: أنه أنتم تفندوا هذا. طيب أنتم لا تستطيعون أن تأتوا بشيء يبدو يجعل هذا القرآن لا شيء، وتقدموا أنتم شيئاً يعتبر أحسن منه، لا يمكن على الإطلاق. هذا أيضاً أبعد. إذا ما تستطيع أن تأتي بمثله وبمنهجية صحيحة بإخلاص فلن تستطيع أن تجعل منهجية أخرى مغايرة له هي أحسن منه أنت أعجز في هذا.

في الأزمنة هذه يأتي مثلاً مجموعة قانونيين، خبراء في القانون، أو منظرين ويعملون مثلاً دستوراً معيناً، أو قانوناً معيناً، عندما تمر عليه مثلاً ثلاثون سنة، أربعون سنة، يعتبر قد هو قديم، وقد هو بحاجة إلى تغييرات كثيرة، ثلاثون سنة، أربعون سنة، قد ظهر أنه لم يعد متناسباً مع الزمن هذا، بعد ثلاثين سنة، أربعين سنة، تغييرات كثيرة داخله، ما بالك مئات السنيين تمر على القرآن وتجده كلما مشى الزمن كلما اتضح بشكل أفضل وأفضل، وأفضل، كلما تفهمه بشكل أفضل، وكأنه يتناول كل شيء، وكأنه يتناول كل شيء على أرقى، على أرقى مستوى.

قد تترسخ القضية لدينا: [أن القرآن مسكين الله، والدين هذا مسكين الله عوينه ندافع عنه احنا] أليست هكذا تترسخ؟ لا...، القضية أرفع من هذا، أنك أنت، أنت الذي بحاجة إليه، ما هو في فضلك، حقيقة، أنت ملزم أن تسير عليه، أنت محتاج إليه كمنهج في الحياة، أنت محتاج إليه أمام أي إشكالية تواجهك، عدو، أي إشكالية كانت أنت بحاجة إلى هدي الله، أنت بحاجة إلى القرآن.

لو يسلك الناس الطريقة هذه، هي التي ستصدم نفوس الآخرين، خليهم يتمشكلوا مع الباري. هنا يقول لنبيه، عندما يقولون بأن هذا القرآن أساطير، افتراء، أشياء من هذه.. ما هو بيأتي مثل هذا في الزمن هذا؟.

إذا حصل مثل هذا نأتي نغطي المصحف هناك، ونقول: نريد ندافع عنه، مسكين الله، ويأتي يبرز هو كإنسان، كإنسان، يبرز هو كإنسان بتفكيره، بعقليته، بنظرته كإنسان. هنا يقول له: القرآن هو سلاح لك أنت، أنت قل لهم: أنا عندي القرآن هذا، ما أعجبكم هاتوا مثله، ما أعجبكم انقضوه، ما أعجبكم ردوا عليه، هذا من عند الله. خليهم يبحصوا مع القرآن، سيعجزون فعلاً، أليس الأولون عجزوا؟ والآخرين سيعجزون.

لكن الذي يحصل أنه يقفل القرآن على جنب، ويبرز هو وما قد فهم القرآن نفسه! وضعف أمامهم، وضعف. هذا المنهج، منهج ترك لمدى سنين طويلة، لمئات السنيين!.

استخدام القرآن، استخدام الإسلام كسلاح، افهم بأنه هو الذي يدافع عنك أنت، ما أنت الذي تأتي تتصدق عليه تدافع عنه، هو يدافع عنك أنت؛ ولهذا يأتي بعبارات: اتبعوا، أليس هكذا: اتبعوا؟ اهتدوا، سيروا على هذا. فقط ما بلا هذا. عندما تسيروا عليه، سيبرز مدافع عنكم، سيبرز مدافع عنكم فعلاً. وفي جوانب الدعايات هذه، أو جوانب النقد للإسلام، ردهم يتمشكلوا مع القرآن، ما تغرق معهم في جوانب فلسفية.

عندما يتحدث مثلاً عن ميراث المرأة، لماذا المرأة ما معها إلا نصف! قل: هذا شرع الله في كتابه، القرآن الكريم هو نزل من عنده إلينا، وقال فيه كذا.. إذا عندكم أنه غلط ردوا عليه، فنّدوه، هاتوا مثله، وعندكم أجهزة كمبيوتر، وعندكم إمكانيات كبيرة. تستطيعون، يعني من ناحية الآليات تستطيعون أكثر مما كان الأولون، لديكم آليات أكثر مما عند الأولين من آليات، وعندكم خبرات، وأمامكم رصيد من الزمن مليء بالنظريات، ملي بالأشياء الكثيرة، هاتوا مثله!.

ولهذا نقول بأنه يقول لنبيه: {قُلْ} {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} (البقرة٢٣) أليس هكذا؟ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين بأنه سحر، وأنه... هاتوا مثله، وخليه في الأخير يلتجم هناك، يكمم فمه. لكن تبرز أنت..؛ ولأن الأغلبية سيبرز وما هو فاهم للقرآن، أولاً ما هو فاهم منهجية القرآن، ولا فاهم لطريقة القرآن، أليس هذا كبرياء؟ تجد إلى من هو يفهم القرآن تماماً، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يفهم القرآن، وأعلم الناس بالقرآن نفسه الله يقول له استخدم هذا القرآن هو نفسه سلاح تحداهم به هو، قل لهم: {لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء٨٨) [خلي اما أنتم فما انتم شي]، {وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}.

وفي الأخير تجعلهم يطننون مع القرآن، ويهندسون مع القرآن، ويقفون مع القرآن، ولو هم يستطيعون لعملوا ذلك من قبل أن تدخل معهم في نقاش وفي صراع، من قبل. في الأخير يترتب على هذه هز للقرآن في النفوس.
إذا انطلق الإنسان هو ما يسير على المنهجية هذه مع الأطراف المعاندة وضعف هو، قدم القرآن؛ القرآن والموضوع كله ضعيف عند الأتباع نفوسهم، يهز الموضوع في نفسياتهم هم!.
فهنا عندما يقول: {فأتوا بمثله} رأى الأتباع نفوسهم أن أولئك عجزوا اشتدوا أكثر. أليسوا يشتدون أكثر؟ هذا سلاح رهيب جداً أغمده المسلمون بناء على النظرية حق المعتزلة والأشاعرة أنه ينطلق هو يترك القرآن على جنب وينطلق هو! فشلوا وفشّلونا، وأضاعوا أسلحة هامة جداً هي هذه، هذه المنهجية في القرآن، وتكررت أكثر من مرة.
لهذا نقول: أنه مهم جداً، مهم جداً أن يكون عند الناس آلية للإحصائيات، إحصائيات ومعلومات، عندما طرحت الإشتراكية كنظرية، وحصل لها دولة، وعممت كنظام، ماذا ترتب عليها؟ كيف كانت نتائجها في الحياة؟ الشيوعية كذلك، الرؤية الأمريكية الغربية هذه للحياة، وحركتهم على أساسها، وكيف نتائجها، الأنظمة: ديمقراطية، جمهورية، ملكية، سلطانية، بكل أنواعها، ماذا وراءها؟ مجتمع يعيش على نمط معين من الحياة، ومفاهيم معينة من الحياة، كيف أصبحت؟ كيف أصبح واقعه؟.
هذه الإحصائيات مهمة جداً، مهمة جداً أن يعرفها الناس؛ لأنك عندما تدخل مثلاً في محاورة مع طرف آخر تستطيع قبل أن تصل إلى موضوعك أنت تفنده هو من واقعه، وتبطل ما عنده مما عنده، تبطل ما عنده مما تجلى في واقع حياته هو، مثلما نحن نعمل هذه، ألسنا نعمل هذه؟ بالنسبة لنا داخلنا، مما لدينا من واقع يتجلى بطلان أشياء مما لدينا مما قدمت باسم آلية للدين، أو حسبت على الدين وليست منه، أليست هكذا؟.
ولهذا هي منهج أيضاً: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}(فصلت٥٣). ولهذا هم يخافون جداً أن يأتي نموذج قرآني في الحياة، عارفين هم، الدين الإسلامي احتمال يكون صحيحاً ولو بنسبة ٧٠٪، يخافون، عارفين أنه ممكن يقدم نموذجاً للحياة هاماً، إذا قدم نموذجاً للحياة هاماً هو محسوب للإسلام ضرب كل ما عندهم؛ لأنهم يقدمون أنفسهم بأن ما لديهم هو الأفضل، رؤيتهم الأفضل، فلسفتهم الأفضل، طريقتهم في الحياة الأفضل، وهكذا.. وإلا فهم عارفين أين الأفضل.
بعدما قامت إيران كدولة إسلامية هاجموها مهاجمة رهيبة، ليس فقط لقضية مصالح، أو أشياء من هذه في المنطقة، أن لا تظهر كنموذج جيد يحسب للإسلام، أي معنى هذا يشهد على أن الإسلام هذا قادر على قيادة الحياة ـ كما يقولون، قادر على بناء الحياة، أن رجال الدين في الإسلام قادرين على قيادة الأمة، على بناء الحياة، تتجلى الحياة في هذا المجتمع أفضل من الحياة في المجتمع الغربي، سيضرب ما لديهم؛ لذا يحاولون أنه لا يحصل هذا، هم يخافون من أثر القرآن في الحياة، يخافون من أثره، أن لا يأتي شيء هكذا يسير ـ ولو بنسبة محدودة ـ على منهجيته فيتجلى جيد محسوب للقرآن.. أي أنهم عارفين أنه قادر على أن يضربهم في هذا الجانب من واقع الحياة نفسها.
فعندما يقول: {بمثله} دائماً كلمة بمثله، بمثله هي تحمل على ماذا؟ على الجانب البلاغي، الجانب الفني، أليس هكذا؟ قل له: خلاص، لا أنت، ولا أنا، مازلنا عرباً، لكن نحن وأنت ربما لدينا قدرة في موضوع نظام للحياة أكثر مما كان لدى العربي الأول، وأنتم أصحاب حضارة، وأنتم كذا.. طيب هات منهجاً للحياة مثل هذا، ولو انجليزي، خلي عنك أن أقول لك: عربي فصيح، هات منهج للحياة مثل هذا القرآن، في واقعيته، في سعته، في صدقه، في حقائقه. لا تستطيع أبداً، لا تستطيع أبداً، لو لم يكن نصاً عربياً، لو لم يكن نصاً عربياً! اكتبه انجليزي، انجليزي.
ما هي البلاغة عندنا؟ لا يوجد إلا بلاغة تعجز، يعني عندك كفاءات بلاغية ستعجز. طيب أنت عندك قدرات تنظيرية ستعجز، أنت عندك مثلاً قدرات تربوية، رؤى تربوية ستعجز. والميدان لتجليات العجز هي الحياة هذه، تجليات العجز هي في هذه الحياة، في الأخير ينكبه الواقع، ينكبه الزمن، ينكبه كذا..

ولهذا نقول: لا يأتي مثلاً عندنا مجلس النواب بعد أربع سنين، ست سنين، ويدخلون ويستعملون القوانين مما قد مشت ويعدلونها من جديد! وهكذا، وهكذا. مع أنهم يخرجون من المجلس ما قد استكملوا تعديلات القوانين الأولة!.

....

[عندما نقول] الذين كانوا فصحاء وبلغاء عجزوا ذاك اليوم، وقد ظهر لنا أنهم قد عجزوا إذاً فقد هي حجة عليكم أنتم الذين في هذا الزمن. هذه ليست مقنعة، لا يقتنع بها الإنسان، بهذه نهائياً، ولا هو منطق هذا، ما هو منطق. لو يأتي يقل لي هو بمنطق على هذا النحو ما أنا مصدق له هو، يكون عنده عجزوا الناس ذاك اليوم، ما استطاعوا يعملوا مثله، ونحن نقول لكم أنهم عجزوا؛ لأننا الذين ننقل لهم الخبر، أنهم عجزوا، أليس هكذا؟.
ونقول لهم: لو كانوا جاءوا بمثله لكان ينقل.. نقول لهم: أنتم تواطأتم جميعاً، ما تركتموه يمشي، أليس بالإمكان أن نقول هكذا؟ ناس جاءوا بمثله، ما رضيتم تتركوه يمشي؛ ولهذا لما كانت هذه ثغرة رجعوا قالوا أصحابنا لو كان .. لنقل لكثرة الدواعي إلى نقله، بل ربما نقل أكثر من القرآن، بل كذا.. الخ...
أليست حَنْبَة! وقعوا في حَنْبَة؟ يا أخي {مثله} في أي زمان، ومكان، وتفهم ماذا يعني مثله، بكل ما في رأسك، وبكل ما لديك من مؤهلات، بمثله. لكونه نظام للحياة، نظام للحياة، ومنهج لبناء الإنسان، وبناء الحياة على أرقى مستوى ... ما يستطيعوا أن يأتوا بمثله على الإطلاق؛ لهذا فهي نقطة ضعف لدينا، أن يكون واحد فاهم فقط يعني في الجانب البلاغي، ثم في الأخير تلجم فيما بعد.
لا، إفهم القرآن أنت، يتفهم الناس القرآن هم، ويتفهمون كيف كان واقع الحياة بالنسبة للآخرين، هذه القضية هامة، يتفهمون واقع الحياة التي نحن عليها، والتي عليها الآخرون، أصحاب نظريات كثيرة، وفلسفات كثيرة، وثقافات كثيرة، كيف أصبح واقع حياتهم.
هذه قضية تعطي ثقة قوية جداً بالقرآن، وتجعلك فاهم إذا ما قلت للآخرين: هات لي انجليزي، أو فارسي، وليس بالنص العربي، منهج للحياة مثل هذا المنهج الذي قدمه القرآن الكريم، وتعال أنا وأنت نستعرض واقع ما لديك. تستطيع تفند واقع ما لديه قبل أن تدخلوا في موضوع القرآن، تفند ما لديه من خلال تجليات آثاره في الحياة.
قضية هامة جداً؛ ولهذا نقول أكثر من مرة: يجب أن لا يترسخ في الذهنية ـ لا عندهم ولا عندنا ـ أن ما نحن عليه من سوء هو واقع دين، لأن هذه ضربة رهيبة، هذا واقع باطل حُسِبَ على الدين وليس من الدين في شيء نهائياً، بل حرب للدين. فهو شاهد على أن الدين صحيح، ابتعدنا عنه فكنا على هذا النحو. أما إذا الناس [متساهين] مثلما يعمل الكثير [متساهين] هكذا، وهم هناك مدبلجين الموضوع، هم مركزين على النقطة هذه: شهادة الواقع على بطلان النظرية.. هي قضية أساسية. يقولون: لاحظوا كيف أنتم كذا، وأنتم، وأنتم، وأنتم، دينكم هذا ليس بشيء!. يا أخي هذا ليس هو الدين، هذا الذي صنعه أصحابكم زمان، يوم دخلوا مع بني أمية ينظّرون لهم.
هذا الذي عمله أشباه اليهود من زمان، قدموا لنا باطلاً، جعلوه بهذا الشكل. الدين شيء ثاني هو: القرآن. وواقع حياتنا الذي نحن عليه هو ما صنعته ثقافتكم أنتم يوم دخل كعب الأحبار وأمثاله. فنحن فيما نحن عليه من سوء شاهد على سوء ما لديكم، أي سوءكم أنتم؛ لأن الإسلام ما اشتغل ولا مرة، ما قد اشتغل إلا مرة واحدة في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، جانب محدود منه، وفي فترة قصيرة، أيام الإمام علي (عليه السلام) ما أتاحوا له، كم أربع سنين وستة أشهر تقريباً؟ فترات محدودة هكذا، ما ترك القرآن يشتغل، لكن أنت تشتغل الآن تتفهم واقع ما لديهم، وواقعك هذا نفسه السيئ تحسبه عليهم، ويكون عندك قدرة أن تبرهن على أن تحسبه عليهم.
إذا ما تطاول هو إلى نص القرآن، أو إلى قضية هي صريحة في القرآن، قل له: القرآن يتحداك، هات مثله: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة٢٣)؛ لأنه لاحظ كيف يكون عمل خطأ

رهيب، يأتي شخص من الناس يكون مهتم هو بنفسه أنه يكون الدين على هوايته، ومزاجه هو، أو يجعل من الدين مبررات لضعفه، وقعوده، وإعراضه .. أليس هكذا يستخدم؟. ويكون مرتاح!.

طيب لا ترتاح، هل تدري ماذا تعمل؟ أنت تقدم شاهداً رهيباً على خطأ هذا الدين، إذا كان هذا هو الدين؛ لأن الآخر سيرى مثلك وأمثالك، ويرى مثلك وأمثالك ويقول ماذا؟ لاحظوا الدين ماذا يعمل؟! الذي عنده الروحية هذه، أليس هو سيقول الدين فعلاً؟ فيكون هو شاهد للكفر، شاهد للباطل، شاهد للكافر على دعواه في بطلان دينه؛ لأنه في الأخير يستطيع أن يبرهن له بأنه فاشل.

فالذي عنده الروحية هذه، مثلاً شخص [منخّط، نخيط عنده] ويريد يكون الإسلام موافق لرؤاه، وكل شيء يسير على رأيه، يبرر له شرعية أن يتحرك وفق رؤاه، أليس هكذا؟ وكأن ما في الدنيا إلا هو، وكأن الدين ما نزل إلا له هو.

طيب من أول ما تفهم أن هذه حالة التي تفترضها لك وتفترضها للآخرين، أليست تؤدي إلى رؤى متباينة؟ وتؤدي إلى تفرق الناس، حتى لا تبتني أمة. إذاً فأنت تشهد على أن الدين هذا إذا كان هو الدين دين لايبني أمة، ولا يصنع نظام الحياة، يقدم رؤى متباينة، وأن الديمقراطية أفضل منه تطلع! أليس هكذا؟ على أساس الطبيعة هذه..

شخص آخر يريد لا يلزمه شيء ما يريد يتحرك [و ما له دخل وما يلزمني] الخ. أليس هكذا أيضاً؟ دينك هذا أيضاً لا يعمل شيء للناس في حياتهم، ولا يحل إشكاليات، ولا يوجههم لما يدفع عنهم إشكالية معينة، لا إشكالية لا داخلية، ولا خارجية، لا إشكالية في واقع حياتهم: اقتصادية، ثقافية، وغيرها، ولا تأهيلهم لمواجهة مشكلة كبيرة متجهة إليهم! ما دينك هذا باطل؟!.

في الأخير يكون هذا النوعية الذي يغرق في ذاتيته، ولا يريد يتحرك، يطلع الدين مبرراً له. والنوعية الأخرى الذي هو ملان [نخيط] يطلّع الدين عبارة عن ماذا؟ وسيلة تمزق، ووسيلة لأن لا يكون له رأي واحد في شيء، ماله رؤية واحدة في شيء، فيكون هذا النوع يقدمون للعدو شهادة على بطلان دينهم؛ ولأنهم هم سيقولون دين، هذا هو الدين.

الآن لاحظ: أليس بعض الناس يقول وفق المنطق الغربي السائد الآن: الحرية، وحرية الرأي، والتعددية؟ هي هذه، هي ليست إلا مؤقت، في الأخير هم يقلبوا عليها، وأنت كنت تسير على أساسها، وأنها هي ما يتطلبه العصر، ومسايرة العصر، والعصر هذا هو عصر الحضارة والتقدم!.

هي خدعة هذه بكلها أساساً، هي خدعة. في الأخير يقلبوا، عندما يقلبوا هم يقول لك: الرؤى المتعددة المتباينة، أي نظام يسمح بتعددية وتباين، وحرية صحافة، وأشياء من هذه هي كلها غلط، سيقول لك: غلط، وحصل منها كذا وكذا؟... سيقول: نعم، صحيح، صحيح أليست هذه هي باطلاً؟ يستطيع يقول لك في يوم واحد، يوم واحد يستطيع يقدمها لك كلها باطلاً.

وفي الأخير يقدم ما كنت تفتخر به، وعندك أنه هو الطريقة، أن [ما بلاّ هو خلاّك تقول هكذا وتسير عليها، وهو مجهز نفسه] وفي الأخير تقدم له شواهد على بطلان مسيرتك كلها، وفي الأخير لا تعد ترى إلا هو، لا تعد ترى إلا هو في الأخير، ويدخل [اليهودة] بقناعة، وتقبُّل حكم يهودي عالمي بقناعة، أليس هكذا؟.

[فكفى بهذا ومثله وبأقل أضعافٍ منه] يعني: كيف نقول: مضاعفة مَنْزَّل **[والحمد لله تعريفاً وتقريراً.]** أقل بكثير مما هو فيه، هو يكفي تعريفاً وتقريراً. **[وفيما برّأ الله كتابه من الاختلاف والتناقض، وما خصّه به من الحكمة والبعد من التداحض، ما يقول سبحانه: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ}** [النساء: ٨٢] من عند غير الله، ملك، جن، من الملائكة، أو جن، أو بشر، أو أي مخلوقات أخرى **{لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}** كثيراً وليس فقط قليل.

[فهو الذي برّأه الله من كل تناقض] طيب هذه نحن قلنا: هي تكشف لنا، تساعدنا على فهم {بمثله} عندما يقول: {عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} (الإسراء٨٨) لا تحملها على جانب واحد: الجانب الفني، جانب النص اللغوي، بلاغة.

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} ما هو الاختلاف هنا؟ في ماذا؟ هنا الاختلاف ليس متعلقاً بالنص .. إنما في ما يؤدي إليه؛ لأنه هل القرآن مثلاً عبارة عن كلمات واحدة مكررة؟ الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.. إلى آخرها. فيقول: لو كان من عند غير الله لطلع بينه [سبحان الله] أو [أعوذ بالله] لا، ليست بالشكل هذا .. هنا أنت تراه كلاماً، أليس كلاماً؟. لو أتصور اختلافاً فيما يؤدي إليه .. أليس فيما يؤدي إليه، فيما يهدي إليه، فيما يقدمه، فيما يرشد إليه.

فالتناقض هنا والاختلاف هنا مرتبط بالمعنى، يعني مرتبط بما يهدي إليه، وليس بنفس النص، بما يهدي إليه، بما يرشد إليه، يعني من يرشد هنا إلى شيء، وأرشد هناك إلى شيء، ويكون هذا وهذا متضادان أو متضاربان.

وهي طريقة هذه حتى في هذا الجانب. لاحظ مثلاً في حديث العرض .. حديث العرض ما يشتغل حديث العرض نفسه إلا بحركة القرآن، مع حركة القرآن، وإلا فقد تأتي أشياء مثلاً قد أجد حديثاً ما أرى أنه معارض للقرآن لأني ما رأيت الجانب الذي يمكن أن يطلع فيه معارض له، لكن في حركة الحياة، يعني هذا جانب واسع؛ لأنه عندما يقول في الحديث: (فاعرضوه على كتاب الله) هل معناه تعرض النص على النص تجده متعارض؟ هذه قد تكون حالة نادرة هذه، لكن فيما يؤدي إليه هذا، ويكون مختلف مع ما يؤدي إليه القرآن أو آية من القرآن، أليس هكذا؟.

أحياناً، أحياناً مثلاً ما يظهر أن هذا الحديث هو مباين لمقصد قرآني، لمنهج قرآني إلا من خلال حركة الحياة، يعني حركة الناس على أساس القرآن في الحياة فيتجلى، إذا أنت تجلس فلن تستطيع تعرض إلا الواضحات، الواضحات مثلاً، مثل: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] وأشياء من هذا القبيل، أما أشياء كثيرة، مثل هذا الحديث في كتب الترغيب والترهيب، بأن من أمتلك أكثر من قوت يومه نقص من أجره مثل ذلك يوم يلقى الله!.هذا بيرووه في [كنز الرشاد] وغيره.

طيب مثل هذا عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجده يحث على الإنفاق في سبيل الله، تجده يقدم للإنسان التزامات مالية أكثر من موضوع معدته. قدموا في كتب الترغيب أن المشكلة هي المعدة! أنت لا تنشغل بالمعدة فحاول أن تحصل على قوت يومك فقط!. طيب في الإسلام ما المشكلة هي المعدة؟ ما قدم المعدة، هناك التزامات مالية أخرى كثيرة، التزامات مالية أخرى غير المعدة: الإنفاق في سبيل الله، في أعمال البر، مجالات واسعة، قدمها.

إذاً فكيف يمكن أن تجد القرآن الكريم في منهجيته يربط جوانب كثيرة بالجانب المالي، الجهاد مثلاً مرتبط بالجانب المالي، النصر لله، بناء أمة، كلها مرتبطة بجوانب مالية. فكيف يأتي هناك يشجع المؤمنين على أن لا يهتم أبداً، ولا يحاول يحصل من الدنيا على شيء أبداً إلا إذا قد معه لقمة ويكفي، وهو المؤمن المخلص!؟.

طيب المؤمن هذا ما باستطاعته يقدم شيئاً في الواقع، ولا يعمل شيئاً. أليست هذه منهجية متعاكسة؟ هذا سيرسخ شيئاً يختلف عما يريد القرآن منا.

[{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً} [النساء: ٨٢]، فهو الذي برّأه الله من كل تناقض واختلاف وطهره تطهيراً] لاحظ أن هذه نفسها هي تقدم لك ضعف الجانب الآخر، ضعف أي ناس لا يسيرون على القرآن، وعندك فهم؛ لأنه من خلال القرآن الكريم تفهم ما هي المنهجية الصحيحة في الحياة، والنظام الصحيح في الحياة، وتجد أن القرآن هو يقدم في الجانب التربوي، في الجانب المعنوي، في الجانب السياسي، في الجانب الإقتصادي، في جوانب كثيرة جداً .. كامل في كل جانب، وكل الجوانب مع بعضها بعض تشكل تكامل، لا يوجد تناقض هنا أو هنا نهائياً، ولا هذا الموضوع ينقض هذا الموضوع.

طيب الآخرين بالتأكيد عندما يقول لك: {لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} (النساء٨٢) يعني هو يقول لك: القرآن من الآن أي نظرية يقدمها الآخرون للحياة بالتأكيد فيها اختلاف كثير، يعني هي متناقضة هي في نفسها.

فالقرآن هنا يعطيك قدرة على أنك تهاجم الآخر، تهاجمه، وتكشف سوء ما لديه، مما لديه هو .. نجد أنت رؤيتك في الجانب التربوي هي هكذا، ونظامك السياسي كذا، ما يصنعه هذا المنهج التربوي هو بالتأكيد يؤدي إلى

خلق مجتمع لا يتقبل النظام السياسي هذا، وهكذا .. نظامك الاقتصادي هو على هذا النحو الذي يتنافى مع نظامك التربوي، في الأخير تقدم له الموضوع [مخربط] عنده قبل تبدوا على القرآن.

وهذا هو نفسه أيضاً في إطار التأهيل للأمة أن تكون هي قادرة على أن تهاجم الآخرين، لا أن تغرق هي، يقدمون لها شبهة، أو يقدمون لها حاجة فيجلسوا يبحصوا فيها [مدري كم] هنا يقول لك: بالتأكيد ما لدى الآخرين فيه تناقض، التناقض معروف عند البشر بأنه خلل، أليس هذا معروفاً؟ معروف عند البشر جميعاً أن التناقض والتداحض هو خلل ويدل على خطأ.

إذاً أنت بحاجة إلى هذه؛ لتغرقهم هم في ما عندهم: [منهجكم فيه كذا، يتنافى مع منهجكم في كذا، يؤدي إلى تعارض في الأخير، إلى تناقض وإلى اختلاف، إلى اهتزاز في بنية المجتمع] هذه مما نفهمها هنا، القضية هذه تفهمها وتركز عليها.

طيب الموضوع كله مرتبط بأن تفهم المنهجية الصحيحة للحياة من خلال القرآن الكريم، وأن تفهم من خلال إحصائيات ومعلومات مما لدى الآخرين، مما لدى الآخر. فتستطيع أن تكشفه مضطرباً، تهزمه هو نفسياً أمام واقعه.

[فلم ينظر بعين قلبٍ مبصرة، ولا تمييز نفس زكية مطهرة، مَن خفي عنه أن تنزيل الكتاب لا يمكن أن يكون من غير رب الأرباب، لعجز كل مَنْ سِوى الله عن أن يأتي من آياته بآية، ولو عني بذلك وفيه بكل جهدٍ وعناية، لامتناع ذلك وعوَزِه] غير ممكن، يعني مفتقر إلى قدرة الباري [وارتفاعه عن ذلك وعزه] ارتفاع القرآن ومنعته [عن أن ينال نائلٌ ذلك أبداً منه، وأن يصاب أبداً إلا بالله وعنه.] أن يصاب القرآن ـ أن يكون هو إلا من الله، إلا بالله وعنه هو ـ القرآن أن يصاب أبداً إلا بالله وعنه.

وهذا يعطينا هذا شاهد آخر عندما تفهم بأنه الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن الملائكة، عندما يتحدث عن الرسل عندما يتحدث: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج٧٥) أن هذا الملك الذي اصطفاه، وهذا البشر الذي اصطفاه لا يوكل إليه هو أن يقدم منهجاً للحياة، نفس المصطفى الذي قد صار كاملاً؛ لأنه لا يستطيع على الإطلاق، على الإطلاق، إلا إذا افترضته أنت مثل الله! ولا يمكن أن يكون مثل الله، لا يمكن.

طيب عندما نأتي نحن، نحن، وكل واحد عنده هو ينطلق على رؤيته، وعلى ما طلع في رأسه يطنن ويتفلسف! أليس الفارق كبير جداً هنا؟ لأن القضية هي قضية مرسومة، المصطفى هذا بكله يا الله أنه يعرف كيف يبلغه {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأنعام٥٠) يعني حرفياً، التزام حرفي، {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} لا يوجد أنه يقول له: [أنت رجال بلحيتك واتوكل على الله الذي تراه مناسب قدمه للآخرين] فكيف بنا كيف بالبشر كلهم هكذا.

الإنسان أحياناً يكون عنده رغبة في الأخير يجعل نفسه إلهاً!! لا، القضية كبيرة، القضية صعبة جداً، قضية رسم منهج للحياة، قضية ليست في متناول أحد أبداً إلا من خلق الحياة وخلق الإنسان، ويعلم السر في السماوات والأرض، ولا يوجد إلا الله يعلم السر في السماوات والأرض، وهو الذي خلق السماوات و الأرض، وخلق الإنسان.

[فواللهِ ما ينال ذلك في ظاهره وعليِّه، وبيِّنه الذي لا يخفى وجليِّه،] أقسم أنهم ما يستطيعون أن يأتوا بمثله في الظاهر، الظاهر منه، ما بالك أما عمقه!.

[فوالله ما ينال ذلك في ظاهره وعليِّه، وبيِّنه الذي لا يخفى وجليِّه، فكيف بما فيه من الأسرار والخفايا؟! وما خُبِّئ فيه لأولياء الله من الخبايا؟!]. فعندما يأتي واحد من الناس يعمل كلام من أجمل الكلام هو يكتب قصيدة شعرية، أو كتابة. هل تتصوره بحر لا يدرك قعره؟ قولبه مره مرتين ثلاث ونجح، ينجح المعنى حقه، ينجح خلاص ينشف، إنما فقط فيه مثل ذلك [الوقيع] الذي يكون على صخرة يأتي أي حيوان وشربه! هذا بحر لا يدرك قعره، القرآن.

وما هناك شخص أيضاً تقول مؤهل سيعلمه تماماً ثم ينطلق، لا يوجد، لا يحصل هذا أساساً، لا يحصل أبداً..

عندما يكون الناس يتحركون في الحياة تجد أنت آية تفسرها وهو كل ما عندك في ذلك الشهر، قد هو كل ما عندك، تمشي في الزمن تطلع أشياء أيضاً، تطلع، تطلع، أشياء كثيرة، وأشياء هامة وليست فقط عبارة عن

هوامش، لم يعد هناك سوى حثوله!.. أشياء هامة، هامة على طول، ما تنتهي، ما تنتهي، ولا تختلف أبداً إذا المسيرة صحيحة، إذا الأشياء صحيحة.
وقد قلنا: أن الشهادة على هذه هو أن الله سبحانه وتعالى عندما أرسل رسوله، ألم يرسله؟ ما هي الرسالة؟ أليست القرآن؟ لم يبدأ ينزله عليه في البيت كاملاً، وأولاً يفهمه، ويتحفظه، ثم في الأخير يتحرك فيه!. نزل عليه هو على مدى ثلاثة وعشرين سنة؛ لأنه هكذا القرآن، هكذا، ولا يمكن يكون إلا هكذا، ليس كتاباً يمكن تقراه، تقراه، وتكمله، وتفهمه ثم تقوم تنطلق! أبداً، أبداً، هو كتاب حياة، كتاب حركة.
طيب تجده في هذا الجانب وحده وهو كونه بهذا الشكل واقعي بالنسبة للإنسان؛ لأن الإنسان في واقعة متحرك، الحياة متحركة، وهو واقف هو له موقف، هو معرض له موقف! ما هناك جلسه، ما هناك جلسه أبداً. عندما تقرر أنت تجلس، عندك موقف، في الأخير يطلع أثره؛ لأنه ما هناك جلسة، هو موقف، تجلى أثر موقفك بعد، الم يتجلى أثر موقفك؟ وفي الأخير تقول: لماذا لم تجلس الحياة عندما جلست؟ لا، {إِنَّكَ كَادِحٌ إلى ربك كدحا} (الانشقاق٦) مسيرة، حركة في الحياة على طول، على طول؛ ولهذا كان هناك حاجة للهداية، {إهدنا} وجاءت أيضاً بعبارة تفيدك على طول، تأتي في الصلاة، والصلاة على طول، وفي اليوم والليلة، وفي أوقات متعددة.
يعني بالنسبة لنموذج الوقت، معك في الصبح، معك في نصف اليوم، معك وقت الأصيل: العصر، معك في أول الليل، وأيضاً مناسب تتهجد في الليل، أليست هكذا؟.
إذاً هنا مسيرة الحياة كلها، مسيرة الحياة كلها ما هو زعم السنة، بل اليوم، الليلة، داخل اليوم، داخل الليلة، أنت بحاجة إلى هداية. ماذا يعني هداية؟ أليست الهداية معناها إرشاد؟ أنت عندما تقول: [أريد يا خبير أن تعلمني الطريق، ترشدني] معناه أني متحرك، إرشاد، كلمة إرشاد؛ ولهذا كلمة هدى متكررة في القرآن.. كلمة هدى هي توحي بحركة الحياة، بحركة الحياة على طول، ولوا افترضت مثلاً أن ما هناك باطل، لا يوجد باطل نهائياً، فالحياة ما تزال واسعة في عمارتها، وعمارة النفس واسعة جداً جداً، تحتاج إلى هداية.
هل الإنسان فقط يحتاج إلى هداية إذا كان فقط يريد يخرب طابق ويبني طابق؟ أم أنه يحتاج إلى هداية وهو يبني وما هناك خراب؟ ألست ستحتاج إلى هداية وأنت تبني؟ تقول: [يا خبير إن جو واحد يفصِّل بالمتر] أليس من يبني يحتاج يعمل هكذا؟ وأنت تبني في مسيرة البناء، وليست الهداية فيما بين طابق أريد أخربه وطابق أريد أبنيه، في مسيرة الحياة، حتى مع كون المسيرة إيجابية، حتى ولو افترضنا أن ما هناك باطل نهائياً، أنها واسعة بالشكل الذي يتطلب هداية باستمرار، باستمرار، إرشاد.
[كيف بما في حواميمه؟! من غرائب حِكَمِه، وما في طواسينه،] يقول هنا أنه ما يستطيعون في ظاهره أن ينالوا هذا، يعني أنه يأتي بمثله، أو بآية أو بسورة في ظاهر القرآن، ما بالك ما فيه في الخفايا. [كيف بما في حواميمه؟! من غرائب حِكَمِه، وما في طواسينه، من عجائب مكنونه،] المكنون منه [وما في ق، وطه، ويس، من علمٍ جمٍّ للمتعلمين،] الذي يجب أن يعلموه، المتفهمين [وفي كهيعص وألم والذاريات، من أسرار العلوم الخفيات، وما في المرسلات والنازعات، من جزمِ أنباءٍ جامعات، لا يحيط بعلمها المكنون، إلا كل مخصوص به مأمون، فَسِرٌّ ما نزل الله سبحانه من الكتاب، فخفِيٌّ على كل مستهزئ لعَّاب.].
هنا الإمام القاسم كأنه يرى أنه [ألف لام ميم ط سين ميم] هي إشارة إلى أن السور التي تحمل هذا العنوان وتبدأ بهذه فيها أسرار كثيرة جداً.. هنا عندما يقول، وهي نفس العبارة، أي أنت أمام شيء [تطس عليك] إذا ما هو مؤهل [ألف، لام، ميم] أليست نفس العبارة هذه؟ يجلسوا يعصدوا فيها ماذا تعني، ماذا تعني [ألف، لام، ميم،] لماذا..؟ في نفس العنوان. يقول لك: أنت أمام شيء فيه أسرار كثيرة، فيه مكنون علم كثير، فيه كذا.. يعتقد هذا بأنه السورة التي تبدأ بهذه هي إشارة إلى أن السورة داخلها أسرار كثيرة جداً. [ك هـ ي ع ص] أليست هذه خبصه؟ يعني مدري ماذا يريد! لأن السورة فيها أشياء كثيرة، كثيرة جداً.

....

صفات الحروف التي يذكرونها في كتب التجويد يذكروا صفاتها. هنا يريد أن يقول لك: هي رمز، وهذا معناها، أليس هذا معناها؟ هو معنى أن السورة فيها أسرار، الأسرار ما هي، عندما تقول أسرار، عندما يقول أصحابنا أنه

لا يمكن أن يكون هناك سر على أحد، لا يوجد سر على أحد، هي كلها كذا، الناس خوطبوا به كلهم، وكل واحد هو مكلف، مكلف! هذه عبارة مكلف هي التي كلفت على أشياء كثيرة! مكلف به يفهمه؛ لأنه مخاطب به؛ لأنه تكليف له؛ لأنه قد يعاقب عليه!.

نظرة فردية وهذا كتاب للحياة، للأمة، هذا كتاب للحياة، وكتاب للأمة، هو أوسع من نظرتك القاصرة، [مكلف يجب] أو عبارات من هذه، وعليه أثام وأشياء من هذه، هو واسع، واسع جداً، قد يكون فيه هدى يفهمه أحد من الناس، هو مرتبط بالناس، يرتبط بدور له في الحياة، وهكذا..

فأن يكون فيه أشياء هي اختصاصات بنقول هناك في واقعنا ما يشهد على هذا.. يأتي الناس يعملوا دستور لأي دولة، وعملوا صلاحيات، أليسوا يعملون صلاحيات خاصة؟ مثلاً رئيس الدولة أليسوا يعطونه صلاحيات؟ طيب فالهدى هو مبني على بناء أمة، بناء الأمة يأتي فيه أدوار متعددة، وكل دور هو عبارة عن مهام، كل مهمة أنت تحتاج إلى هداية فيما يتعلق بهذه المهمة.

إذاً فالشخص الذي له مهمة، وكل المهام هي مرتبطة بمن؟ بالحياة، بالبشر جميعاً، أليست مرتبطة بهم جميعاً؟ هو له مهمة يختص بها ليست لي، إذاً هو بحاجة إلى هداية فيما يتعلق بمهمته، أليس هكذا؟ إذاً ففي الموضوع سر بالنسبة لي أنا ما أفهمه! ولا أفهمه! سيفهمه صاحب الدور المنوط به مهمة معينة، الذي هو بحاجة إلى أن يهتدي فيما يتعلق بمهمته، والنتيجة في الأخير لي وللكل، أليس هكذا؟؛ لأن دورهُ منوط بنا، مهمته من أجلنا، فيهتدي فيما يتعلق بمهمته من أجلنا..

أن تفترض أن هذه لكل شخص لا يوجد لها إيجابية. يأتي في القرآن مثلاً يأتي فيه ما يشهد بصحة هذه.. يعني ما هو أرضية لتتقبل ما يأتي من جانب الطرف الآخر فيما هو تحت مسمى أسرار، فيهتدي هو، ويهدي آخرين، أو ينعكس في دوره في الحياة، وهو يؤدي دوره ومسؤوليته عملياً، بالنسبة للآخرين، يكون هناك شهادة على أنه سلوك صحيح، ورؤية صحيحة، أليست هكذا؟ ليست القضية مثلاً سرية مثلما عند الباطنية.. الباطنية ربما انطلقوا انطلاقة لكن أخطئوا فيها بشكل كبير، سر سر!.

يا أخي أين السر، إذا كان هناك سر لا باس هو سر يختص بك، لكن ليست القضية مقفلة بحيث أنه لا يفهم الآخرون إيجابية ما لديك، وصحة رؤية، أو سلوك، أو أي شيء تسير عليه وفق السر الذي لديك.

إن القضية هي بهذا الشكل، بحيث ما يأتي طرف آخر يقول: هناك أسرار، ويقدم أسرار وهي ليست أسرار، ويخدع الناس أن هناك أشياء أشياء! هذا حصل عند الباطنية يقول لك: سر سر، السر هناك أرضيه لدينا لتقبل أنه فعلاً سر، يعني أنه صحيح، هذا شخص فهم شيئاً من القرآن الكريم يتعلق بمهمته، ما يأتي من عنده من رؤى، ما يأتي من عنده من أفكار، ما يأتي من عنده من إرشادات هي مما هدي إليها من خلال السر هذا، افترض هذا..

طيب هذه هي عندما تنزل تكون مقبولة، مفهومة تماماً لدينا، نعرف فعلاً صحته، فالقرآن أعطى أرضية، أن هذا منوط بالناس، منوط بهم هم بحيث ما يمكن تزييف في الموضوع.. فيأتي واحد يقول فيه أسرار، فيه أسرار وأشياء من هذه.. لا، لا، ليست القضية متروكة لك، هذه عليها الباطنية أسرار، أسرار، أسرار.. إنما فقط صاحبهم [ذياك] هي أصل الفكرة قد تكون على هذه، عندهم مثلاً قد يكون هناك شخص واحد فقط، وهو يفهم مالا يفهمه الآخرون باعتبار مهمته.

قد تقول هذه بالمعنى العام، أنه هكذا المسيرة، شخص هو هادي للأمة، يهدي الأمة، يقود الأمة، يرشدها، يحصل لديه فيما يتعلق بدوره أن يفهم أسرار، يهتدي من خلال أشياء في القرآن الكريم، ليس الآخرون بحاجة إلى أن يعرفوها هي هي..لكن أنت تقول لي فيما بعد تهب لك واحد هناك على جنب، واحد تقول لي عنده أسرار، ويقدم لي [طناجع] ويسميها أسرار، ويقول أن ما احد داري إلا هو، وعنده أسرار، هذا تزييف، أليس هذا تزييف؟.

فالقضية وضعت بالشكل الذي ما يمكن أن يقبل تزييف على الإطلاق، يعني ما يقدمه الإمام علي، ما يقدمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من قبل، أليس رسول الله من النوع هذا الذي يفهم أسراره وهي أسرار

تختص به؟! ما يقدمه هو أليس هو يكون بالشكل المعقول، المقبول، الجذاب؟ وله شواهد من النصوص التي أمامه من القرآن؟.

....

[وأسراره برحمة الله لأوليائه فعلانية، وأموره لهم فظاهرة بادية.] وليس من الممكن أن تكون بادية من أول يوم، بادية هكذا على طول، على طول، في حركتهم، في حركتهم في الحياة، حركة ذهنيتهم في الحياة؛ لأنه ممكن أن تكون جالس، وأنت مقفل ذهنيتك عن الحياة، ما تلحظ حركة الحياة، ما تلحظ تراقب، ما تلحظ كيف نعمل، كيف يعمل الناس، كيف، أليس هذا إنسان جامد؟ وقد تكون جالس..

لاحظ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يكن معه بيت جلس فيه؟ لا يعني حركة الحياة أن تكون [طالع ونازل][ونازل وطالع] هكذا باستمرار. حركة ذهنيته، وحركة عملية ينطلق فيها، فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يكن يفكر في العالم كله؟ كان يفكر في الروم؟ والفرس، والعرب هؤلاء؟ والناس كلهم كيف يعملوا، كيف يكونوا، كيف يشتغل لهذا الدين، ما هي المشاكل عند الأمة هذه التي قد تخليهم ما يقبلوا حركته. المهم ذهنية مستغرقة.

فلاحظ بأنه نتيجة لهذه الحركة أنه كيف قال للنسوان، معه تسع نسوان كان البعض يكون معها طلبات، طلبات، يقول: أنه ليس من النوعية هذه، تزعجه مرة طلبات[وهات، وهات] وأشياء من هذه، يقول له يخبر نسوانه يبقن معه على الحالة هذه، بدون إزعاج؛ وإلا فيطلقهن ومع السلامة، أليس هكذا؟ في بيته نفسه ما هناك أطفال، حتى في بيته يزعجوه، أطفال[وصياح، وزحمة] وكذا، لا يوجد، لماذا؟؛ لأنه شخص ذهنيته شغالة على طول، مستغرقة بالعالم.

لهذا أمر بأن يخبر نساءه، كيف آية التخيير؟ {إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا}(الأحزاب٢٨) فيكون عندها إذا جاء نصر وجاء غنائم [هات] تريد، وتريد، وتريد، لماذا ما يبني لنا بيت! و. أشياء من هذه {إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً}(الأحزاب٢٨)[وفي ستين داهية] {وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ}(الأحزاب٢٩) تهدأ، وتقبل أي وضعية، [وما جاء جاء وما راح راح] {فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً}(الأحزاب٢٩) حتى ما يجلسن يشغلن ذهنه بالطلبات على طول، على طول، وأذية وإزعاج، وقضايا [الطبان] هذه، أنك كنت عند فلانة!.

حتى في موضوع [الطبان]! ماذا قال له؟ ألم يقل: {تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ}الأحزاب حتى لا تقل أين كنت! لماذا جلست عند فلانة! لماذا كذا..

ما معه مجال لهذا نهائياً، ما معه مجال. لماذا؟؛ لأنه وهو في بيته، في مسجده، ذهنيته مستغرقة بالعمل كله، ذهنيته مستغرقة بحمل رسالة، ليست قضية بسيطة. والمرأة لا تكون مشغولة إلا [بالطبان] إذا معها [طباين] مشغوله بمظاهر الحياة، تريد حاجات من هذه يوفر لها، وعندها أن هذا شخصية عظيمة وبالإمكان ينتصر، وفتوحات، وأشياء من هذه .. وتريد تجي مثل زوجة كسرى أو زوجة مدري من .. لا، لا يمكن هذا.

لهذا لاحظ كيف حرم عندما جاء له قليل عسل عند وحده وهي قالت لماذا؟ حرمه على نفسه، عندما قالت ريحه فسل، حرم ما عاد يشرب عسل.. ألم يقطع الموضوع؟. يعني ما هناك مجال عنده، حرمه على نفسه، يسلم أذيتها وبس، حرم ما عاد يشرب عسل يسلم أذيتها.. يقفل الموضوع نهائياً، يقطعه نهائياً من أول يوم.

[وأسراره برحمة الله لأوليائه فعلانية، وأموره لهم فظاهرة بادية، فهو الظاهر الجلي المجهور، والباطن الخفي المستور، وهو بمنِّ الله المصون المبذول، والجَزْمُ الذي لا يدخل شيئاً منه هذرٌ ولا فضول، بل قرنت فيه لأهله مجامع كَلِمِه.] جوامع الكلم أن تكون الكلمة تحتها معاني كثيرة جداً، جوامع الكلم.

[بل قرنت فيه لأهله مجامع كَلِمِه، وسهّلت به لهم مسامع حكمه، فقرعت من قلوبهم مقارع، ووقعت من أسماعهم مواقع، لا يقعها من غيرها عندهم واقع.] ما هناك ما يمكن يترك أثرها على الإطلاق لديهم. لكن أغبياء آخرين معرضين عن هدي الله ممكن تكون الحاجة تكون تطلع جميلة عنده وهو غير صحيح!. هنا هو يقول لك:[ووقعت

من أسماعهم مواقع، لا يقعها من غيرها عندهم واقع،] غيرها ما يترك أثر في نفوسهم على الإطلاق كهذا الأثر، يرون غيرها دونها.

[ولا يسمع بمثل تفسيرها أبداً منهم سامع،] وهنا يقول لك أن القرآن هو نفسه الذي يقدم نفسه لك عندما يأتي؛ ولهذا قلنا عناوين كثيرة نحن نعملها وهي في الواقع تكون مجازات، تطلع مجازات في الأخير.

القرآن هو نفسه يعتبر هنا هو الذي يفسر نفسه له، هو الذي يقدم نفسه له، هو الذي يفتح أبواب علومه له.. تدبر، تأمل، والقرآن هو يقدم نفسه لك، ولكن أيضاً على هذا الأساس؛ لأن مفاتيح معرفته هي مرتبطة بهذا الجانب بمعرفة الله، وبتحمل مسؤولية في الحياة تحت أنصار الله، أنصاراً لله، هذا في الحياة، وتنظر نظرة القرآن، لو تقصر نظرتك عن القرآن تحجب عن نفسك علوماً كثيرة جداً.

نظرة القرآن نظرة للحياة كلها، نظرة للكون كله، أليس هكذا؟ لا تأتي تحجمه أنت بنفسيتك الضعيفة مثلاً، أو حتى جغرافيتك. لاحظ الآن كيف اتحجمت المسؤولية بالجغرافيا عندنا، اليمني مثلاً يرى نفسه وكأنه غير مسؤول عن واحد من [عَلَبْ] وكذاك، وعن واحد من [سقطرة] وكذاك! أليست هكذا؟.

والقرآن عنده حده [عَلَبْ] وحده هذه الحدود ما بين اليمن والسعودية، وكأنها هي حدوده! والسعودي هناك حدوده عنده إلى هنا..

القرآن لا يوجد أمامه حدود، يجب أن تنظر نظرته، وتعرف أنه هو نزل وما هناك أمامه حدود، لا يوجد أمامه حدود على الإطلاق، هو للحياة كلها، للبشرية كلها، كلما ترى صور من صور البشرية في أي بلد من البلدان خارج حدودك تراها بأنها في واقعها تشهد على حاجتها إلى القرآن الكريم، وإلى هديه، وأنها تقدم فيما هي عليه من خطأ في مسيرتها شاهداً على بطلان الأسس التي تتحرك عليها، منهجيتها الثقافية، ونظمها التي تسير عليها.

فهنا لما تبدي على القرآن بهذا الشكل، في الأخير يتجلى لك أيضاً هو في هديه، وإلا فجو عندك أن الدنيا هكذا ما هناك شيء، وفي الأخير تجمد القرآن مثلما أهل بلادك، وما تحصل شواهد عليه، ما ترجع تحصل شواهد كثيرة له تكون شواهد لبطلان أي شي سواه.

لاحظ كيف أنه يأتي لنا بشواهد من الأمم الماضية، أليس من الأمم الماضية؟ ليس فقط مما في العالم هذا فقط، بل من الأمم الماضية، يأتي لك بشاهد من عند ذي القرنين من هناك، من عند المنطقة التي سار إليها في شمال الأرض، من عند السدين هناك. ألم يقدم لك هناك من أمة معينة، وشخص معين، وماذا عمل؟ كمثل تهتدي به؟.

[فمن أبى ذلك، وأنكره أن يكون كذلك، فليأت بمثل سورة كبيرة من سوره] هذا أسلوب، ألم يسر عليه الإمام القاسم نفسه؟ الطريقة هذه؟ من أبى ذلك فليأت، **[فمن أبى ذلك، وأنكره أن يكون كذلك، فليأت بمثل سورة كبيرة من سوره أو صغيرة، فلن يفعل ولو أجلب بالخلق كلهم أبداً، ولن يزداد بذلك لو كان كذلك من أن يأتي بمثلها إلا بعداً، كما قال الله سبحانه:{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أنه ليس من عند الله. {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}** [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤] **وفي الكتاب والقرآن، وما جعل الله فيه من البيان، ما يقول سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}** [القيامة: ١٦ ـ ١٩]**]**

ثم إن علينا بيانه، أليست هذه المسألة واضحة؟ لاحظ هذه من الأشياء التي يقول الباري: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل١٢) {إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} هي أشياء اختصاصات، هذا هو عَلَيَّ، الموضوع هذا هو عَلَيَّ.

طيب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما يقولون هو مفسر، أو هو مبين! بالتأكيد هو مبين. أليس هذا الشيء ما فيه شك؟ لكن هات لي أحاديث تفسير، تفسير، يفسر لك آية، آية، لا يوجد، ما لقيوا شيء هم، قليل جداً، التفسير بالمأثور، ما هو البيان؟ البيان ما يقتصر فقط على مجرد أن يقول: هذه الآية تعني كذا، البيان في حركته في الحياة، هو قرآن يتحرك، حركته كلها هي ماذا؟ تجسيد للقرآن، لما يهدي إليه القرآن.

فالبيان يأتي عن طريق الكلام، وعن طريق الحركة، وعن طريق أشياء كثيرة جداً، عن طريق مواقف يتبناها على نحو معين، مواقف يتبناها على نحو معين هو عبارة عن بيان؛ ولهذا أن بيانه هو حركته في أداء الرسالة

يدخل ضمنها إرشاداته، إرشاداته هل كان يأتي يقوم يفسر لك السورة من أولها إلى آخرها بالتفسير المعروف: {والليل إذا يغشى} إي الليل إذا غطى الأرض، {والنهار إذا تجلى} أي جعلناه هكذا..لم يكن يقول هكذا.. يتحدث بما تعنيه والليل مثلاً إلى آخرها، أليس هكذا؟ هل كان خطابه عبارة عن تفسير على النمط المعروف؟ يفسر لك آية آية، هو ينطق بالقرآن، يبين للأمة ماذا يريد القرآن، وكيف يريد القرآن أن تكون، أليس هو هكذا عمله؟.

إذاً فسنته هي حركته في الحياة، وأسلوبه الذي كان يسير عليه في الحياة، وبيانه للقرآن هو هذا. من الذي كتب هذا؟ الجانب الكبير من البيان جانب غير مكتوب، ليس مكتوباً، بل لا يمكن أن يكتب ويحلل بالتحليل الكامل، لا يمكن، لا احد يستطيع. مثل هذا ممكن يكتب أين؟ في ذهنية الإمام علي، يكتب في ذهنيته، الشخص الذي يمكن يقوم بدور كهذا هو الإمام علي..

ما هو يأتوا يقولوا سنته أبو هريرة الذي عنده ثلاثة آلاف حديث يقولون: هذا هو الذي علم بالسنة، السنة ليست هذه، والبيان ليس هذا؛ لأني أتحداك أن تأتي لي بتفسير من النبي بالمعنى الذي تريد، يفسر لك آية آية لكن وهو يخطب هو يبين القرآن، ماذا يعني يبين القرآن؟ يقدم ما يريد القرآن أن يفهمه الناس، هدى القرآن أن يقدمه للناس، حركته، مواقفه كلها تقوم على أساس توجيه القرآن الكريم.

في الأخير ترى مثلاً من خلال سلوك معين من سلوكه يتجلى مبدأ معين هو مركز عليه تركيز كبير، هو مما أرشد إليه القرآن، يتجلى للأمة، هو يهدف إلى كذا، مثلما يتحرك لمواجهة الروم دون أن يستعين بأي طرف آخر، أن يكون في كل حروبه يتحرك ضد المشركين، وضد الروم دون أن يستعين بأطراف أخرى.

إذاً هل هو إنسان نقول مثلاً أنه لم يكن عنده قدرة أنه يقيم علاقات مع دول أخرى، ويحاول يستعين بها؟ أو ماذا؟ أولم يكن يدري، أو كيف كان، لا، هذا إنسان يعتبر هذه قضية ضرورية لا بد منها: أن يبني أمة، أمة واثقة من نفسها، معتمده على نفسها، تكون بالشكل الذي يترسخ في ذهنيتها أن تعتمد على نفسها لتبني نفسها.

لو يفتح ثغره معها يشدها إلى آخرين معنى هذا يوجد عندها نقطة ضعف رهيبة، ما تبني نفسها، يبني علاقات واتفاقيات مع الآخرين، تعاون مشترك، دفاع مشترك، وتمد يدها للآخرين وتغفل نفسها..

لاحظ أليس هذا مبدأ هام جداً؟ مبدأ هام جداً أنه حتى لو كنا في حالة معاناة شديدة لن نستعين بأطراف أخرى على الإطلاق، يجب أن نتحرك نحن، نحن، كما عمل في تبوك، كما عمل في تبوك.

إذاً فهو وهو يتحرك على هذا الأساس، هو يبين، أليس هو يبين.. طيب هذا هو الجانب الذي لا يوجد فيه روايات، لا يوجد فيه روايات، لا يوجد فيه أحاديث: حدثني كذا أن رسول الله لم يعمل كذا؛ لأنه أراد كذا، كذا، كذا..الخ. لأن هذا الموضوع يريد تحليل، لا يوجد.. ممكن يروي لك أنه حشد الناس وكانوا ثلاثين الف، وساروا إلى تبوك، وتبوك تبعد عن المدينة وهي في تخوم الشام، وانتهى الموضوع. لكن لماذا كان هكذا في قيادته؟ لا يوجد فيها روايات.

طيب هذا هو الجانب المهم، والجانب الكبير، وهذا هو البيان، أين هو هذا؟ عند الإمام علي، الإمام علي هو الذي سيعرف، وهو مؤهل من جانب الله سبحانه وتعالى، ومؤهل لتربية رسول الله له، سيعرف حركة رسوله، فهو من سيعرف سنة رسول الله، وأن السنة ليست موضوع روايات، وهو يعرف كيف كان يبين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) القرآن، وما هو بيانه للقرآن، وما القضية قضية تفسير، يأتي يفسر له كذا..

قلنا أنه عندما حاولوا أن يقولوا هكذا: الأولوية هي للتفسير بالمأثور، تفسير النبي، جاءوا بأحاديث، مجموعة بسيطة جداً، ما عاد لقيوا شيء، رجعوا لتفسير أولئك الناس، صحابة، وتابعين، وأصحاب تفاسير... رجعوا دوروا من عند بني إسرائيل!. فسنة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي طريقته في ماذا؟ في حركته الرسالية.

[فما على الله تبارك وتعالى بيانه، فلن تضل عنه أبداً حجته ولا برهانه.] أي فالحجة عليه قائمة، والبرهان قائم، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} (القيامة١٩) أين هي الشروح حق القرآن؟ لمن يفهم القضية بهذا الشكل، مسألة شروح،

وروايات، وأشياء من هذه، أين هي شروح القرآن التي أرفقها الله بالقرآن؟ {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} الم يكن بالإمكان أن يرفق به {بيانه} فيعمل مجلدين آخرين؟ شرح بيان القرآن.

هو سيبينه وعليه بيانه، وبطريقته، عليه بيانه هو، بيانه مرتبط بالحياة، وبيانه مرتبط بمن يكمله، بمن يختصه كما يقول الإمام القاسم في أكثر من مقام يختصه ببيانه. وبيانه أيضاً سواء على يد رسول الله، أو يد الإمام علي، أو أي شخص آخر لن يكون أبداً بطريقة تفسيرية، مثل: الزمخشري، أو الطبري، أو أي واحد ثاني، لن يكون بالطريقة هذه.هذا بيان محدود، هو يتعامل مع اللغة أساساً، أساساً هو يتعامل مع اللغة، النص ومعناه في اللغة، أليس هو يأتي يستعين بقواميس؟ لكن بيانه كهدى، بيانه مرتبط بحركة في الحياة، مرتبط باختصاص إلهي. {علينا بيانه} مثلما قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} {وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} يقول: هذه هي عَلَيّ، لا تشغلوا أنفسكم أنتم بها، تنطلقون أنتم تتناولونها ستتيهون، وتضيعون.

عندما انطلق الناس هم كل واحد يريد هو يبين لنفسه هو، ما أحد بحاجة أحد، ولا شيء، ينطلق هو هو، تمزقوا، وتفرقوا، وطّلعوا غرائب، وطلعوا ضلال رهيب، انعكس علينا. ألم ينعكس علينا؟ أصبحنا أمة قد النسبة إليها سُبَّة في العالم، عربي يعني مثلما قال أحمد مطر:

قال الصبي للحمار يا غبي

قال الحمار للصبي يا عربي!!.

[وفي تعجب ما استمعت الجن به، وما سمعوا عند استماعهم له من عجبه، ما يقول سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} [الجن:١]، **فجعله تبارك وتعالى لهم عجباً معجباً.] {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}**[الجن:٢] **رسالة نوعية {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا}**[الأحقاف:٢٩] **أنصتوا. وهناك قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا}** (الأعراف٢٠٤) **تفهموا، تأملوا إصغاء، إعطاء أهمية له: {فلما قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ}.**

لاحظ القفزة هذه: تفهموا، اهتَدَوا، بل أصبحوا مؤمنين. هناك قالوا: {وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً} (الجن٢) **ألم يقتنعوا؟ وقطعوا عهداً بأنه {لَن نُّشْرِكَ} يعني اكتشفوا بطلان الشرك، وسوء الشرك هذا. يعني لاحظ كيف لما كانوا على هذا، نحن نسمع القرآن، نسمعه ما أحد يقول مع نفسه: {ولن} هل معنا لن؟ لا توجد لن، أبقى هكذا [مبهطل]، لن أبقى فاتر، لن أبقى غير مهتم، لا يوجد عندنا {لن} نهائياً.**

هؤلاء الجن عندما حضروا القرآن واستمعوه ماذا قالوا بعد هذه؟ {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً} (الجن٢).

....

كيف يستمع الناس له؟ كيف يكونون هم في استماعهم له، وتفهمهم له؟ قدم لك نموذجاً: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ} قدم نموذجاً، ثم كيف تحركوا، إنه كتاب حركة. {فلما قُضِي} ما قالوا: [أمانة باهر، أحسن الله إليك، جزاك الله خير] وفقط، هم قالوا كذا؟ {وَلَّوْا} رجعوا {إلى قومهم منذرين} وعندما أنذروا قدم نموذج راقي لهم: {قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً} لاحظ كيف نقلوا، ألم ينقلوا؟ {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الأحقاف٣١).

{أجيبوا داعي الله} ألم يركزوا على مسألة الشد إلى الله؟ لم يقولوا: نحن، ونحن، ونحن. لا توجد هذه، لا يوجد هذا النموذج، تخلي واحد يربط عندك، هذا خطأ، وهذه لا تحصل على الإطلاق عند من يسيرون على هدي الله، ليست حاصلة هذه عندهم، وكلما ترجع لهم يمشيك مَطْلَع، كلهم عبارة عن مرور، كلهم مَطْلَع، مَطْلَع. لا يوقفك عنده إلا من؟ إلا أولياء الشيطان، يربطك عنده وفقط، ويريد هو، هو، ويوقف الناس عند شخصيته هو! هؤلاء فقط هم أولياء الشيطان، أما أولياء الله فيمشوا الناس مطلع كلها، كلهم رجال مرور، مطلع إلى الله.

عندما قال مؤمن آل فرعون: {اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} (غافر٣٨) أين سيهديهم؟ إلى موسى، وموسى يهديهم إلى الله. لكن الآخرين يقول إلى عنده هو! تتولاه هو، يجب عليك طاعته هو هو وفقط إلى عنده!..
طيب أنت ثم أين من بعده؟ خلاص إلى هنا وفقط، إلى عند رئيس الدولة وفقط، إلى عند الملك وفقط، إلى عند [زعطان] وفقط، هؤلاء ليسوا بالشكل هذا على الإطلاق، وإلا ولو تقول له هو عنده فما عاد فيه وكذاك شيء، أو هو تقول له: امش معي، أي امش معي نمشي أحنا واياك كذاك مطلع إلى الله... لا توجد هذه!. امش بعدي، معي بعدي، إلى عندي، تطعني، تقول لي ناهي، أنا، أنا إلى عندي فقط، هذه لا توجد إلا عند أولياء الشيطان.
تجد أن المسألة العجيبة في هذه أنه حتى الله سبحانه وتعالى، أليس الناس كلهم يشدون إلى الله؟ الله ما بيربط عنده هو، في الأخير يرد على الناس هم، فيفيض عليهم من كرمه، من جوده، من عزته إلى الناس.. هي حركة دائرية.
يرتبط الناس بالله، الله يفيض عليهم من عزته، من كرمه، من مجده، من رفعته، من علمه، من حلمه، من حكمته، كلها يفيض عليهم منها.. تجد الآخرين يجعلون لأنفسهم مقام لا يفترضه الله لنفسه هذا المقام؛ لأنه ليس مقام حق على الإطلاق، يكفيك شرف أنك تدين بالطاعة له هو، هو، فقط..
عندما يكون مثلاً الإعلام يشدك إلى شخص معين، مثلما عليه الآن في الدنيا هذه كلها، وخاصة في البلاد العربية. أليس إعلام كل دولة يشدك إلى زعيمها؟! وكفاك شرف أنه زعيمك وبس، هل هو يفيض شيء؟ هل عنده الفكرة هذه، هذا الشيء الذي الله سبحانه وتعالى يعمله هو، أي أن الله ما يقف أي أنه خلاص هو يرتاح إذا قد الناس يمجدوه، ويسبحوه.
هو عندما يمجدوه ويسبحوه يفيض عليهم، فيكون ما يقدمه لهم أكثر بكثير، بكثير مما يمكن {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} (إبراهيم٧) ألم يقل هكذا؟ وهذا يقول لك: [هنيئاً لشعب أنت قائده] وبس، وإلى عنده وبس!. طيب ماذا ستفيض علي؟ تخلق بأخلاق الله، ماذا ستفيض علينا من عندك؟ من كرم أخلاقك، من هدايتك، من عنايتك، من رعايتك، من.. لا يوجد شيء، معه شيء؟ لا.
هذه قضية هامة تفهم في موضوع سنة الله وهو يقول لك: اتبعوه، اتبعوه، اتبعوه، أليس هكذا؟ لاحظ كيف تنتهي. والآخرين عندما يقول لك: اتبعوه، اتبعوه، كيف يقول؟ بالحدية هذه، نقول: خلاص، اتبعناك، لكن نحن نعرف أن الله عندما يطيعوه، ويتبعوه، ويشكروه، ويمجدوه، ويسبحوه، أنه يفيض عليهم من حلمه، علمه، مجده، كرمه، عزته، رفعته...الخ. أنت ماذا لديك من شيء؟ لا شيء. بيكون صفر بعضهم، ماذا يفيض عليك؟. {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} هذه آيات هامة جداً.
[وأيّ عجب أعظم، أو حكمةٍ أحكم، أو كتاب أعلى وأعزّ، وأحفظ من كل ضلالٍ وأحرز، لمن كان من أهله، أو مُنَّ عليه بتقبله، عند من يفهم أو يعقل، أو يفرق بين الأمور فيفصل، من حكمة الله في تنزيله ووحيه، وما جعل فيه من ضلال عدوه وهدى وَلِيِّه، وهو أمر من أمور الله واحد، يضل به الضال ويرشد عنه الراشد، فهو ضلالٌ لمن ضل عنه، وهدى ورشدٌ لمن قبل منه، ونجاةٌ لمن اتقى ورحمة وبركة، وخزي على من تعدى ونقمة وهلكة.]
عندما يقول [وهو أمر من أمور الله واحد، يضل به الضال ويرشد عنه الراشد، فهو] نفس هذا الأمر في القرآن، هو نفسه ضلال، وهو نفسه هدى، هو ضلال لمن ضل عنه، وهدي ورشد لمن قبل منه، ونجاة لمن اتقى، ورحمة وبركات، وخزي على من تعدى، ونقمة، وهلكة [كما قال سبحانه: {ألم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ١-٣]. هنا يقول للمتقين باعتبار المتقين هم من يقبلون، هم من سيقبلون هداه.
[وفي بركة كتاب الله وما أمر به من تدبره، وما وهب لأولي الألباب من الذكر به، ما يقول سبحانه: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألباب} [ص: ٢٩].اللبُّ هنا: هو العمق، ما معناه حاجة معينة اسمها لُبٌّ، أو تقول مثلاً: هو جهاز معين اسمه عقل هو كذا.. عمق الإنسان، عمق نفسيته، لبه؛ لأن التذكير

بالنسبة لك ألست تتذكر الشيء داخلي؟ لا أحد يتصور أن التدبر، أو التذكر، قضية خارجية. ألست تعتبرها قضية في عمقك، ليست قضية سطحيه، فلب الشيء هو ماذا؟ خلاصته وعمقه.

[فنحمد الله رب الأرباب، على ما وهب من الهدى بما نزّل من الكتاب،] نحن نقول: أن القضية هامة بالنسبة لرؤية الإمام القاسم، ورؤية أهل البيت، أن القضية هي تفضل من الله، ونعمة من الله، مسألة إنزال كتاب، مسألة التشريع، مسألة الهدى، ليست قضية تكليف، أحمال، أعباء، أشياء من هذه، مثلما ما قُدم على أيدي المعتزلة.

[فنحمد الله رب الأرباب، على ما وهب من الهدى بما نزّل من الكتاب، ونسأله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هداها،] لاحظ الإمام القاسم لماذا لم يعد يجد إحراجا عندما يتحدث بعبارات كهذه، مضى له في مديح القرآن الصغير عبارات من هذه: **[ونسأله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هداها، وأن يمتعنا فيه بما وهب لنا من هداها، وأن يجعلنا له إذا قُرئ من المستمعين بالإنصات، وأن ينفعنا بما نزل فيه من الآيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلنا وهو رب العرش الكريم. تم المديح الكبير، بمنّ الله العالم القدير.**

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله الطيبين، وسلم تسليماً كثيراً.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

[الدرس السادس]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي
بتاريخ: ٢ /٦/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

يقول الإمام القاسم (عليه السلام): [الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكمّلاً، ونزل برحمته للعباد منه بياناً كريماً مفصّلاً، فيه لمن استغنى به أغنى الغنى، ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى، لا يجتّوي عن جناه أبداً مجتوٍ، ولا يَدْوَى مع شفائه أبداً مُدْوٍ، نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، إلف فكر كل حكيم، وسكن نفس كل كريم، وقصص الأنبياء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة، ويقين شكوك حيرة أولي الألباب،] بديل عن الشكوك والحيرة لـ[أولى الألباب] ما هي الألباب؟ يفسرونها بالعقول! ليست العقول.

كلما وردت كلمة عقل في كتاب للإمام القاسم، أو الهادي هو يكون بالمعنى المصدري، عَقَلَ، يَعقِل، عَقلاً. العقل: أي العملية، عملية التعقل، أي الضبط، عملية الضبط. وقد صرح الإمام الهادي في إحدى رسائله في [المجموعة الفاخرة] بالنسبة للقلب أنه هو الآلية للتعقل، والفقه. القلب هو الآلية، وهي صريحة في القرآن مثل: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (الحج٤٦) في آية أخرى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف١٧٩).

يجب أن يكون عند واحد فكرة أنه أي شطحة، أي شطحة يكون تداعياتها طويلة، يكون لها آثار كبيرة، مثل الأشياء هذه، أيّ مفهوم خطأ لا تقدر أنها مسألة واحدة تقف عند نفسها، يأتي بعدها غلطات تتفرع عنها.

كم تفرع من أخطاء رهيبة بسبب العدول عن أن القلب هو الآلية للتعقل، والفقه، هو الآلة، أخطاء كبيرة جداً عندما حصل تصور أن هناك مخلوق آخر، مخلوق آخر، له وجوده ذاتياً وله كيانه، وهو العقل، يسمونه العقل، والقلب إنما هو عبارة عن محل والعقل هو في داخل القلب، وحالّ في القلب، أخطاء كبيرة ترتبت على هذه.

[نور أعين القلوب المبصرة] هنا يتحدث عن القلوب، والقرآن الكريم يتحدث عن القلوب {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} (ق٣٧) {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج٤٦) {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم} (المطففين١٤) {قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (الحج٤٦) {قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف١٧٩) وهكذا.. ولا يوجد كلمة واحدة في القرآن الكريم عَقل أو عُقول على الإطلاق. هي العملية، الفعل تعقلون، يعقلون. تعقل، أي تفقه، وتمسك على ما تعقل، ما فقهته، تمسك وتعقل ما فقهته.

فالذي يعقل هو من؟ هو الإنسان نفسه، هو الذي يعقل، هو الذي يبصر، هو الذي يسمع، الإنسان، النفس؛ ولهذا نسب اليقين إلى النفس {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ} (النمل١٤).

تجد هذا من آثار، من آثار اللاشعورية عندما تجد الناس يقرؤون القرآن، يقرؤون ويدرسون على طول، واحترام للقرآن.. في النقطة هذه، في مسألة: عقل أو ما عقل، تجدهم يقرؤونه! وعندهم اعتقاد أن العقل هو: عرضٌ محله القلب، أي أن العقل هو كائن آخر غير القلب، غير الروح، غير النفس، غير الجسد، مخلوق آخر، لكن محله في القلب!.

قد هي في الذهن هكذا ويدرسون، ويمرون بحوالي ست عشر آية تأكيداً للموضوع أنه موضوع قلب، قلب {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} (ق٣٧) ولا يمكن تأتي ستة عشر آية تتحدث عن القلب، والقلب إنما هو فقط وعاء، إنما هو فقط العَطَل والعقل جالس فيه.

[قال أحد الحاضرين: أنهم يقولون أن الآيات عندما تتحدث عن القلب فذلك أسلوب مجازي.]

فقال: لا يكون المجاز هكذا تلقائياً، المجاز يكون له علاقة مناسبة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، ما يكون مجاز على طول، على طول، وعندما يتحدث غير ممكن أن يتحدث دائماً عن الوعاء، ولا يتحدث عن الأصل.

ألم يجعلوا هناك أن الإنسان لديه عقل وهو الأصل؟ والخطاب موجه إليه، والإدراكات كلها منه، وهو كل شيء؟ ولم نر له أثراً على الإطلاق، ولا كلمة واحدة فيه، يوجه الخطاب إليه! إما يقول لأولي العقول، أو لمن كان له عقل، أو... أليس المفروض هكذا؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له عقل، وليس لمن كان له قلب، لا يصح أن يكون مجازاً هكذا في أكثر من ستة عشر آية مجاز، مجاز. ما هو الشيء الذي يخلي واحد ما عاد ينتبه لآيات كثيرة؟ هو هذا، قد عرف من خلال كتاب معين، أن المسألة هكذا، وما عاد ينتبه، يدرس ولا يعد ينتبه.

فالإنسان الإنسان هو هو النفس، نفسه، هو هو يعقل، هو يفقه بواسطة القلب، ويبصر بواسطة العين، ويسمع بواسطة الأذن.

هذا لما تصوروا بأن كل إنسان معه عقل، معه جهاز يفرز حق وباطل وخطأ وصواب هكذا من نفسه، كل واحد معه جهاز عند اللزوم الجهاز سيفرز! لا، إن الإنسان يفهم بأنه مخلوق قابل لأن يهدى، وقابل لأن يضل، لا يقدّر بأن معه جهاز يفرز، معه جهاز تلقائي، يفرز تلقائياً، حق وباطل، وخطأ وصواب.

أليس أكثر أهل الدنيا على باطل وضلال؟ لماذا أما أجهزتهم هذه ما تشتغل؟ أم أن معهم أجهزة مركبة أجهزة تايوان!.... إذا فهم الإنسان بأنه مخلوق على هذا النحو: قابل لأن يهدى، وقابل لأن يضل، إذا كان يرى بأنه أشياء واضحة من الضلال يمكن أن يفهمها، فهناك أشياء كثيرة وواسعة من الضلال ما يدري بها.

كذلك جانب الهدى إذا كان عنده هذا الفهم بأنه قابل أن يهدى، وقابل أن يضل، وأن مصدر الهدى هو واحد فقط، الذي يأمرنا أن ندعوه كل يوم، {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}(الفاتحة٦) {إهدنا} {إهدنا} على هذا سيكون حريصاً .. وإذا عندك الشعور هذا فهو هو مفتاح الهدى وهو الأساس.

إذا عندك شعور بأن الهدى هو من الله، والهدى يأتي عن الله، ومن طريق الله، وعلى صراط الله، وأن ما هناك أي شيء آخر ممكن يوفر لك هدى فستظل مرتبطاً بالله... إذا عندك فهم بأن عندك آلية معينة هي تفرز حق وباطل، وخطأ وصواب، فستكون مفصول عن الله، عندك أنك أنت تشتغل وتغربل وستعرف الأمور تلقائياً. إذاً فهي قضية هامة في القرآن الكريم: التأكيد على أن يبقى الإنسان دائماً مسيطر على شعوره حاجته المطلقة إلى الله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّه}(فاطر١٥) فقراء في كل مجال، في كل شيء.

الهدى، الناس بحاجة إلى الهدى ومصدره الله، كما أن الرزق الناس بحاجة إلى الرزق ومصدره الله، وهكذا..

فيكون الإنسان حريصاً على أن يفهم، يكون حريصاً على أن يعرف في موضوع الهدى أن مصدره الله، وكيف الطريقة التي جعلها الله للهدى وللهداية.

وما غرق الناس إلا عندما انفصلوا عن الله، غرقوا في الضلال؛ لأنه سار هناك لوحده، كل شخص[بيطنن لوحده]؛ لأن عنده أنه هو يستطيع، مثلما يقول البعض: اطّلع يا أخي، أليس هو يقول هكذا؟ اطّلع قد خلق الله لك عقل؟ ما هو يقول هكذا؟ اطّلع واقرأ، وستعرف أنت خطأ وصواباً، وحقاً وباطلاً من نفسك ما تحتاج أي أحد..

هذه العبارات هي من أضل الضلال، العبارات هذه.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد الكبار، الشخصيات الكبيرة جداً، الأنبياء أنفسهم لا يوجد عندهم الفكرة هذه، ذهنه مسيطر عليه، مستغرق، ذائب في الله، مستغرق في{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}(طه١١٤) يبرز الواحد منا ولم يعد النبي شيئاً عنده! لم يعد النبي ولا مثل رأس أصبعه!... هنا يقول: لهذا الشخص الكبير (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}(طه١١٤) أليس هكذا؟ وهؤلاء يقولون: لا، أنت، أنت اقرأ، اقرأ واطّلع على الأشياء كلها وأنت ستعرف، وأنت ستطلع شخصية هامة، وأشياء من هذه.. لا، هذه كلها خطأ.

مصدر الهدى هو الله، ورسم طريقة لكيف يهتدي الناس بهداه، وكيف يتعاملون معه، ولا بد أن يكون مسيطراً على المشاعر هو، تكون مشاعرك مرتبطة به، وتفهم الطريقة، وتُعبِّد نفسك له، وتُسلّم نفسك له، وتسير على الطريقة التي جعلها توصلك إلى الهدى، وتعرف كيف أسباب الهدى منه.

ولهذا ترى الناس لا يعودوا يتقابضوا لبعضهم بعض، من هذه الفكرة، كل واحد يقول: يا خي قد خلق الله لك عقل! وهكذا، ما عاد أحد يتقابض لأحد، وكل واحد قد هو فاهم أنه قادر يعرف يستطيع أن يعوم الدنيا هذه كلها، ويعرف خطأ وصواب، وفي الأخير تراه في ضلال.

لو أن المسألة هكذا: أن الله خلق للإنسان جهازاً يعرف حقاً وباطلاً، ويفرز خطأ وصواباً هكذا تلقائياً! لورد سؤال كبير على الله حول هذه الأجهزة التي وزعها على عباده، لماذا أكثر عباده ضالين ومختلفين؟ هل الأجهزة حقهم هذه لماذا؟ هل فيها خلل؟ أو أنه ركب لهم أجهزة متباينة، ماركات متعددة، طلعت آراؤهم متباينة، وطلعت آراؤهم مختلفة؟.

لا يوجد.. أنت الله خلق لك نفس، نفسك، روحك، أنت، ما كل واحد داري أن معه نفس؟ هذا هو أنت، أنت قابل لأن تُهدى، وقابل لأن تضل، قضية ما فيها شك، إذا لم تعرف كيف تهدى، وأين مصدر الهداية، فستضل، وقابل لأن تضل بقناعة، يمكن هذا {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} (الزخرف٣٧).

وأكثر أهل الدنيا هكذا؛ لأن ما هو معقول أساساً أن يكون كل البشر هكذا: يمشي على باطل وهو متأكد أنه على باطل، يمشي في ضلال وخطأ وهو متأكد أنه في ضلال، ويعيش عمره كله في الشعور هذا! أليس هذا بعيد؟ بعيد هذا، لا، يكون هناك نوعية من الناس بهذا الشكل، قليل، ويكونون عدداً محدوداً الذين هم من هذه النوعية، يعرف أنه على باطل، يعرف أنه على ضلال، يعرف أنه على خطأ، يعرف أن مصير ما هو عليه سيئ، ثم يصر على ذلك.

قليل من خلق الله بهذا الشكل، الأكثرية الساحقة يُقَدم لهم الباطل منمق، مزخرف، مفلسف، أليس هكذا يعملون؟ وأول عملية عملها إبليس، أول عملية في الإضلال هي هذه {هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} (طه١٢٠) ألم يقل هكذا لآدم؟ ألم يقدمه بشكل مغري؟ {فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ} (الأعراف٢٢) على الطريقة هذه طريقة الضلال تكون على هذا النحو، فيضلل عباد الله بشكل واسع، بطريقة يفلسف لهم الضلال فيقدم حرية، يقدم أشياء من هذه العناوين التي يعملونها، فيقتنع بأنه سابر.

فلا بد أن يكون كل إنسان فاهم مهما كان، كبر أو صغر، مهما كان ذكاؤه، مهما كانت عبقريته، لا يمكن أنك تتصور أنك أنت شخصياً شخصياً يمكن أن تصلّح نفسك، وتعرف حقاً وباطلاً، وخطأ وصواباً، وهدىً وضلالاً من جهة نفسك، أنت لازم يكون عندك ارتباط بالله، هو الذي يهدي، فتسير على هداه، وستعرف أنك على هداه، عندما تسير على هدى الله ستعرف أنك على هداه، وتعرف الضلال كيف هو، ومن أين يأتي الضلال، فتتوسع معارفك بشكل كبير في هذا المجال، عندما يسير الإنسان على هدي الله، ويظل دائماً مرتبطاً بالله، مرتبطاً بالله.

إذا واحد بتعجبه نفسه، وعنده أنْ قد هو عبقري، فيرجع إلى أنبياء الله، بالتأكيد أي واحد منا لا يمكن أن يرى نفسه عبقريته كعبقرية نبي من الأنبياء، ولا ذكاؤه كذكاء نبي من الأنبياء. ترجع إليهم من القرآن الكريم يقدمهم، يشخصهم لك في مشاعرهم أنهم ناس ذائبين في الله، حتى على مستوى العلم ما يكون عنده أنه هو.. {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه١١٤) هكذا، هو يتحدث عن الكثير من أنبيائه، مما يؤكد لك هذه القضية، ما بيكون عندهم أنت عبقري وما عاد تحتاج لأحد! الباري هو الذي يهدي، ويفتح أبواب الهداية، ثم فيما بعد تفكر وتتفهم، وترى الأشياء واسعة جداً، ومعارف واسعة جداً، ومع هذه لا تصل في حياتك إلى شعور بأنك قد أصبحت [طَبَقَه] ـ مثلما يقولون ـ أبداً.

هذه قضية بالنسبة للعبودية لله، وبالنسبة للمعارف {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه١١٤) دائماً؛ لأنه {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (يوسف٧٦) {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (الإسراء٨٥) تجلس دائماً متعلم، دائماً طالب علم من مصدره، من الله، وتعتبر نفسك أنك ما تزال قاصراً، ما تزال محتاجاً دائماً، دائماً، لا يصل واحد إلى درجة يقول لنفسه يكفي أنا لم أعد محتاجاً.

هذه المشاعر هي التي تضرب الناس، المشاعر السيئة هذه، عنده أنه قد قرأ كذا وقرأ كذا.. يكفي! يعتبر نفسه يسير ولا يعد محتاجاً لأحد، إنما فقط يوجه عباداته لله فقط ليعمل له ثواباً عليها؛ وإلا أما نفس مشاعره فعنده أنه قد أصبح غير محتاج لأحد.

نلمس هذه من الإمام القاسم نفسه عندما يتحدث عن القرآن، مع أنه من عباقرة أهل البيت الكبار، الإمام القاسم بن إبراهيم وتجد أنه ينظر إلى القرآن بهذا الشكل: ذهنيته هكذا، ذهنيته متجهة إلى الله.

إذاً فالقرآن [إلفُ فكر كل حكيم] تألفه نفسك، يألفه فكرك، مرتبط به، إلفَيْن، يعني: مرتبطين ببعضهم بعض، هو مرتبط به، ويألفه، [وسكن نفس كل كريم] تسكن إليه نفسك، تطمئن إليه. [وقصص الأنباء الصادقة ونبأ الأمثال المتحققة] أمثال واقعية، لا يأتي بقصص خيالية، مثل ما يأتي الآن..! هي فكرة في

التثقيف للمجتمع عن طريق القصص، والقصص يكون معظمه قصص خيالية، لو تتابع الكُتّاب، وكُتّاب القصص يفترض قصة خيالية على أساس يعالج مشكلة اجتماعية وأشياء من هذه. القرآن عنده أمثال وقصص واقعية.

[ويقين شكوك حيرة أولى الألباب] ما يبقى شكوك، ولا يبقى حيرة نهائياً، وهذا من أهم الفوائد. إذا واحد يقرأ منهجاً معيناً، وهو دائماً ملان شكوك، وملان إشكالات ما تحتل، ما تحتل نهائياً، اجلس ولو مائتين سنة لن تحتل، جيلاً بعد جيل لن تحتل إنما كل واحد يمشي عليها ويا الله.

هذا خطأ، القرآن الكريم في منهجه، في هداه، هو بالشكل الذي يعطيك يقيناً، يقينيات، تطمئن إليها النفس، ما يبقى حيرة، ولا يبقى شكوك، وهذا له أثر كبير في الثقة بالطريقة، في الثقة بالنفس، يعني يعطي لك ثقلاً، ويعطيك ثقة بنفسك. الإنسان إذا عنده منهج مهزوز، ملان إشكالات يكون ضعيفاً، أليس ضعيفاً في واقعه؟ يدخل في حوار معين، يدخل في مناظرة معينة تمر به ضعيفاً، حتى وهو في نظرته للحياة، يبقى مهزوزاً.

والقرآن الكريم هو يعطي طمأنينة، يجعلك واثقاً، واثقاً من الطريقة التي أنت عليها، واثقاً ليس فقط مثلما تقول: يفرض لها وثوقاً، وثوق حقيقي، تثق بهذه الطريقة، فتكون مطمئناً، ما تخاف أن هناك شيئاً ممكن يغلب ما لديك أبداً.

[وخير ما صحب من الأصحاب] خير صاحب [سر أسرار الحكمة، ومفتاح كل نجاة ورحمة، قول ارحم الراحمين] وهذا شيء مهم، في أنك دائماً تستشعر وأنت تقرأ القرآن، أو تسمع حديثاً عن القرآن ،أو أحد يتحدث معك عن القرآن، والقرآن ما هو؟ القرآن هو قول الله، هو كلام الله.

هذه قضية هامة، حتى عندما تكون تقرؤه استشعر أنك تقرأ ماذا؟ كلام الله، يمكن تطلع فوق السطح ترى مظاهر خلق الله، فتعرف أن الله الذي خلق السماوات والأرض، وخلق هذه الأشياء كلها، هذا كلامه. في الأخير ترى أنه شيء كبير جداً، ونعمة كبيرة جداً أن تكون أنت تقرأ كلام الله، وتسمع كلام الله، ويكون لهداه أثر في نفسك. ما تكون أنت تقرأ المصحف مثلما تقرأ أي كتاب آخر، وكأنه كتاب ماله علاقة بصاحبه، تأمل ممن هو هذا القرآن الكريم، هو كلام الله، هو من الله، نزله الله، هو وحي الله، الله الذي خلقنا وخلق السماوات والأرض وما فيهما.

[قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فأي مُنزِّل سبحانه ونازل وتنزيل،] المنزل: الله، والنازل: جبريل، والتنزيل: القرآن الكريم. [لقد جل سبحانه وتنزيله عن كل تمثيل،] فقد جل سبحانه، وتنزيل عندما يقول: نزل به، نزلناه. [عن كل تمثيل، وطهر وتقدس ـ إذ وَلِيَه بنفسه، ونزل به روح قدسه ـ عن قذف الشياطين وأكاذيبها، وافتراء مردة الآدميين وألاعيبها،] وهذه هي نفسها قضية ركز عليها القرآن بشكل كبير، خلق طمأنينة فيما يتعلق بتنزيله، عملية تنزيله.

يطمئن البشر بأنه لم يحصل تدخل من أي أطراف شيطانية على الإطلاق {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} (الشعراء٢١٢) نفس الشياطين هم غير متناولين له، ما يمكن هذا، شيطان يقدم توجيهات من هذه، ما يمكن {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ} (الشعراء٢١٢). هو نفسه القرآن الكريم هو يشهد بأنه ما يمكن؛ لأنه لا يوجد شياطين يصلحوا كذا، من يعتبروا ملائكة مقدسين، لو هم هكذا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير، وتوجيهات عظيمة، أخلاق عالية، تسمو بالنفوس، تزكية للنفوس، هل هذا عمل شياطين! أو أن عملهم عكس؟ عملهم نهي عن المعروف! أمر بالمنكر! إفساد، تحطيم للنفوس، تدنيس للنفوس.

تتكرر في القرآن الكريم كثيراً هذه: {إِنَّا نَحْنُ} {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً} (الإنسان٢٣) أليست هذه طمأنينة في الوسط؟ عمليتين. {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء١٩٢) أيمان داخله، تأكيدات، وشرح للوسيلة، {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} (الشعراء١٩٥) قد يكون بعض الوحي يسمعه، ينزل بآية يقرؤها عليه كذا، ويسمعه، وقد يكون وحياً مباشراً إلى قلبه وأعماقه.

[هنا ورد مداخلة حول أن هذه الآية: {عَلَى قَلْبِكَ} تدعم موضوع التعقل بالقلب.]
فقال: لا يوجد شيء آخر غير القلب، حتى عند العرب ما كان معروفاً شيء اسمه عقل، عند العرب أنفسهم الجاهليين، تقرأ الشعر يتحدث عن قلب لا يوجد عقل، عقل، إذا حصل مثل هذه العبارة تكون أنت تلمسها بالمعنى المصدري (اعقل عني)،(يا كميل اعقل عني ما أقول لك)... تأتي كثيراً استخدام العرب عبارات: اعقل عني. كلها آليات، الإنسان هو ماذا؟ هو نفسه؛ ولهذا الخطاب يوجه للإنسان نفسه، وبقية الأشياء هي آليات: حافظة، وأشياء من هذه، حوافظ، أرشيفات، ملفات.
عندما يفكر أحدنا ماذا يعمل؟ أليس هو يقلب ملفات داخل؟ ثم إنه أحياناً إذا هناك مفهوم مغلوط، يأتي واحد يحسبه على الدين، ثم يأتي العلم يكشف خطأه. هذا يكون خللاً كبيراً، أليس هذا خللاً كبيراً؟ لكن هذا إذا أنت تأخذ معلوماتك، معتقداتك من خلال أشياء من خارج القرآن، ستقع في إحراجات، وتقع في أخطأ كثيرة. الآن هم يغيرون القلب بقلب، ويشتغل بنفس الطريقة وما هناك مشكلة.
لاحظ القرآن نفسه، حتى في هذه المسألة، هو يكون بالشكل الذي يوحي بأن القلب عبارة عن آلية، وليس فقط قلبك، قلبك الموجود هو وحده الآلية يمكن حتى قلب آخر من نفس الجنس {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ}(ق٣٧) {قلوب} معظمها تأتي بالتنكير، التنكير هذا يدل على الشياع، لا يدل على التخصيص، على الاختصاص. قال: {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ}، قلوب، أعين، هذه كلها توحي أنه ربما الأعين يمكن تغييرها، وتكون قابلة بأن يركب للإنسان عين شخص آخر وتشتغل إذا تطور العلم إلى هذا.
أما إذا معك عقل، وهو في القلب هذا ومرض وأبعدوه، ركبوا لك قلب واحد آخر وعقله، كيف سيعمل واحد؟ ستختلط الأمور!! قالوا: أنهم يركبون للشخص قلباً، ويلاحظون أنه لا تتغير مشاعره، ولا معلوماته، فلو كان هناك عقل محله القلب كما يقولون فإما أن نقول: أن القلب ذلك قد راح، نكع، خلاص، تصبح صفراً، ما هناك عقل نهائياً، وإذا افترضنا أن العقل هو عرض ومحله القلب، فهم يقولون: بأن الأعراض غير قابله للانتقال، العرض لا ينتقل، فبمجرد ما يزول قلب واحد عقله فيه، فإذا أزالوا قلب واحد وعقله فيه لا يعد عنده إدراكات، لا يعد عنده معلومات، قد هو صفر، يركبون لك قلب آخر، وعقل صاحبه فيه، والعقل بيعتبروه هو أيضاً محل الإدراكات والمعرفة هو، يعتبرون العقل هذا نفسه كل الإدراكات فيه، والمعارف كلها فيه، ما تدري ومعلومات ذاك عندك ومعلوماتك عند ذاك!.
[فأحكم عن خطل الوهن والتداحض، وأكرم عن زلل الاختلاف والتناقض.] إذاً من يسيرون على القرآن وهو كطريقة مرسومة، كهدى مرسوم، لا يمكن أن يتطرق إليه على الإطلاق، لا ضعف، ولا وهن، ولا باطل ولا شيء، من يتثقفون به، من يسيرون على هديه فعلاً، من يسيرون على هديه، لا يوجد للباطل مدخل بالنسبة لهم، ما يجد الباطل له مكاناً نهائياً. بينما أشياء أخرى هي تجلس محط إشكالات، عندما تأتي تقرأ في كتب علم الكلام يطلع عندك مشاكل، تقرأ أصول الفقه يطلع عندك تساؤلات، ومشاكل كثيرة ما تحتل، وترى نفسك ضعيفاً.
[فجُعل بآياته مترافداً.] يرفد بعضه بعض [وبضياء بيناته متشاهداً.] وهكذا أيضاً تجد بالنسبة للحياة، أحداث الحياة أليست هي تشهد للقرآن؟ تشهد له. طيب أنت عندما تكون ثقافتك ثقافة القرآن، هديك هدي القرآن، يصبح كل شيء في الدنيا يعطيك معلومات، ويطمئنك على ما أنت عليه، ويشهد لما أنت عليه؛ فإذا أصبح القرآن داخلك، أصبح ماذا؟ كل شيء يشهد للحق الذي أنت تحمله، كل شيء.. الباطل لم يعد له منفذ، لم يعد هناك إمكانية بأن يضلك أحد إلا بعلمك أنت، وبهوايتك أنت، تمرد، وعناد، وقد تكون بعيدة على إنسان تكون بداياته صحيحة.
أخطر شيء على الإنسان هو عندما يكون غارقاً في ذاتيته، في نفسيته، هذه هي المشكلة الكبيرة، مثلما إبليس، أخذ يتعبد، ومعارف، وأشياء من هذه، وفي مقام هناك مع الملائكة لكنه شخص غارق في ذاتيته! كل سنة، كل سنتين، وكل قرن وهو يلتفت إلى نفسه، وهذه هي التي جعلته في الأخير يسقط.
لكن الإنسان إذا بداياته صحيحة، ونفسه هو يثّبّت نفسه بأنه هكذا، ما هناك مجال لأن يغرق في ذاتيته، يفهم واحد بأن الباري لا يأتي [يخلطفِ] لأوليائه أبداً، أذا أنت تسير على طريقة صحيحة عشرات السنين بحيث أنه

لم يبق بينك وبين الجنة؛[إلا شبراً أو ذراعاً] مثلما في ذاك الحديث، وفي الأخير يمكر لك ، ويخلطف لك ليدخلك جهنم هذا غير صحيح!.

يأتي تثبيت إلهي، تثبيت متواصل، لكن إذا فيك خلل، إذا كان يوجد عندك بذرة خلل لا بد ما تكبر، وفي الأخير تغرق في الضلال؛ لهذا ربطت الأشياء هذه كلها أن الله يقول للناس هم يسلّموا أنفسهم إليه، وما لهم دخل من نفوسهم، هو سيجعل في دينه رفعة لهم، عظمة لهم، مجداً لهم، سمواً لهم. هي بهذه الطريقة، مثلما حصل في القرآن بالنسبة للنبي نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه من الآيات العجيبة في سورة: {إذا جاء نصر الله والفتح}، وتكلمنا كثيراً حولها، في الوقت الذي هو يحصل لأي إنسان، عمل إنجازات من ذلك النوع، يلتفت إلى نفسه، ويرى نفسه كبيراً! أليست هذه قد تحصل؟ يسحب ذهنيته يقول: لا، {فسبح بحمد ربك}، أليس هكذا؟ في لحظة الإنجازات الكبيرة هذه اغرق في ماذا؟ في تقديسك لله، إنس نفسك نهائياً، واعرف بأنك ما تزال قاصراً ومقصراً، {واستغفره إنه كان توابا}استغفره، ترجو توبته. أليست هذه عبرة كبيرة جداً؟.

في نفس الوقت هل الله يأتي يضرب الإنسان لا يَكْبُر؟ لا، يأتي هو من الجانب الآخر يقول: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}(الشرح٤) **ألم يرفع له ذكره؟ يقرن اسمه باسمه في الأذان، يقرن اسمه باسمه في الشهادة بالوحدانية، في التشهد للصلاة، أليس هذا حاصل؟.**

هو لا يقول: لا نريد أن يكون لك رفعة. يقول هو: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ}(الزخرف٤٤) **لكن أن تأتي أنت، أنت تريد تبني نفسك ـ مثلما نقول نحن ـ يريد واحد هو، هو، هو غارق في ذاتيته، ما هو طالع على الإطلاق، سيحبط، وينحط، مهما رأى نفسه كبيراً، ويغرق في الضلال؛ ولهذا جعل الله القضية أكبر من أن تلتفت إلى ذاتيتك، إلى نفسك، نفس حمل المسئولية، حمل المسئولية هي جعلها بالشكل الذي تكون أكبر منك.**

وهذه قضية ملحوظة؛ ولهذا نقول: إنْ ما هناك قضية إلا ولها شواهد، لاحظ إذا واحد حصل له مشكله أكبر من طاقاته، وأكبر من نفسيته، إذا دخل في شريعة مع أحد، الناس بهذا الشكل قد الموضوع مسيطر على ذهنيته، ما هو قد بينسى نفسه؟ أحياناً قد يقوم من فوق الأكل ما قد شبع، ما درى! أحياناً يصلي الظهر ست ركعات، أو يصلي العشاء ركعتين، أو ثلاث ركعات، أحياناً ينسى أي حاجة.. قضية ملحوظة هذه؛ لأن هناك قضية سيطرت على ذهنيته جعلته ينسى تقريباً ذاتيته، تفكيره فيه وهو يصلي، وهو يأكل، وهو يسير، وهو جالس، وهو قائم، يكون كل تفكيره فيها.

هذه واحدة، إذا ما عند الناس حمل مسئولية في الأخير يعيش في حالة فراغ، يرجع كل واحد إلى نفسه يريد نفسه هو، يكبّر نفسه وعنده أن نفسه ... لا؛ لأن ما هناك قضيه تراها كبيرة، تخليك تغرق فيها.

موضوع الله سبحانه وتعالى قضية كبيرة إذا هناك جهل في معرفة الله، قصور في معرفة الله كذلك، ما هناك شيء يملأ وجدانك، يملأ ذاتيتك، في الأخير تكون حول نفسك، لا يتمحور الإنسان حول نفسه إلا في حالات الفراغ من الله، ومن حمل مسئولية على هذا النحو، مسئوليته كبيرة، يتمحور حول ذاتيته.

إذا تمحور الإنسان حول ذاتيته انحط، وتكون هذه بذرة اختلاف فيما بين الناس، وكل واحد يكون عنده أن الدنيا صراع على مقامات، وعلى مناصب، وعلى أشياء من هذه [لماذا اما أنت كذا، لماذا إما فلان] وهكذا، وكل واحد يريد.. فيكونون أبعد ما يكونون في التوحد، أبعد ما يكونون في الإخلاص، أبعد ما يكونون عن أن ينشغلوا بأشياء إيجابية.

هذه قضية هامة، الإنسان يحاول أن تتوسع معرفته بالله، يعمل على أن يتحمل مسئولية، يكون عنده قضية ومهما كبرت في ذهنيتك هو أفضل لك، مهما رأيتها كبيرة في ذهنيتك فهو أفضل لك؛ لأنها أول شيء تعتبر باباً من أبواب المعرفة الواسعة. ثانياً هي أفضل حتى لا ترجع لذاتيتك أنت. تأملوا مثلاً في الذين يتشاجرون، تأملوا فيهم عندما يكونون مثلاً عند الحاكم كيف يمكنك تخرج من جيبه شيئاً ولا ينتبه، أو يخرج من عند الحاكم ويسير يفتح سيارة ثانية غير سيارته، وأشياء كثيرة من هذه.

[فجُعل بآياته مترافداً،] أي القرآن الكريم **[وبضياء بيناته متشاهداً،]** يشهد بعضه لبعض، **[غير متكاذب الأخبار]** لا يوجد منه شيء يكذب بعضه بعض **[ولا متضايق الأنوار]** نور ضيق إنما فقط بصيص، وأشياء من هذه، لا.

[بل ضحيان النور، فيحان الأمور] نور واسع، أمور واسعة **[سيحان الأنهار بالحياة المنجية،]** هذا يعني بحور، سيحان الأنهار يعني تتدفق. عندما يقول واحد: بَس، قد بايكفي القرآن!؟ إنما نحن فقط أنظارنا تكون .. يريد واحد رصات! هل أنت تدري بأن الكتاب هذا هو أوسع من الحياة بكلها؟ القرآن الكريم أوسع من الحياة بكلها {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (الكهف١٠٩) كيف تقول لي: بَس! أمام القرآن، القرآن ما هناك أمامه بَس! على الإطلاق، أو تقول: أنه ما يكفي.

يبدو أمامنا أنه حتى يستكمل الموضوع أنه لازم رصات كتب! أقرأ حتى لو قالوا فيها، المهم أريد أقرأ، أريد أقرأ، أريد أحسي رصات، يشبع، يشبع! نأتي نقرأ الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس، وهكذا. تقول: هذه فيها خلل، لكن عندما نبعدها ماذا بقي؟ أليسوا يقولون هكذا؟!.

لأن القرآن في رؤيته بالنسبة للجانب المعرفي، المعرفة مثلما قلنا قبل أنه يجعل الحركة في سبيله مدرسة يحول الحياة بكلها إلى مدرسة، كلها، يرى الدنيا عبارة عن فصل دراسي، كلها عبارة عن فصل دراسي، كل أحداثها، كل متغيراتها، كل حركة الناس فيها، كلها تعطي معارف، معارف واسعة جداً.

ما ربط الموضوع بمدونات، يعني عندنا تفهم أنه فقط العلم يأتي عن طريق أن أقرأ كتاباً، إذا ما قرأت كتاب وكتاب وكتاب، إذاً ما هو ساير أشعر أني عالم! أليس هكذا؟ لكن لاحظ أنك عندما تعرف أن هذه الرصة من الكتب في الفن الفلاني باطل، هذه هي معرفة إيجابية، عندك رصة من كتب أصول الفقه، تقول هذا ضلال فيتركه. هذه هي معرفة إيجابية، تفتح لك معارف كثيرة، تقول: أبداً، ضروري أقراها حتى أطعم العلم، وأتذوقه، وأرى العلم! مقروات، مقروات!.

القرآن يقدم أنه الحياة كلها عبارة عن مدرسة، وممكن تطلع على كل شيء آخر لن تزداد إلا هدى ونور؛ لأنه عندما تكتشف أن هذا باطل أليست معرفه؟ معرفة هامة جداً أن تكتشف أن القاعدة الفلانية، أن المفهوم الفلاني خطأ، القاعدة الفلانية باطلة، المسألة الفلانية باطلة، هو هذا العلم، ما معناه إنْ واحد قد هو عطل! هذا علم أن تعرف أنها باطلة؛ لأنه ما هناك نقطة تقف عند نفسها، ما هناك مسألة تقف عندها، كلها يكون لها آثار.

أن تعرف أن هذا الشيء، القاعدة الفلانية باطلة، أنت هنا تفتح نفسك على معارف صحيحة في موضوع قد ترى آثارا ـ مثلاً ـ أن هذه باطلة، متمددة في أشياء كثيرة، مفروض تفهم أخطاءها كيفما هي، وأنت عندك بديل هو ماذا؟ معرفة صحيحة عن كيف الواقع، كيف الحق، كيف الصحيح في الموضوع هذا.. ما هو إنْ واحد سيجلس عطل.

[سيحان الأنهار بالحياة المنجية، واسع الأعطان والأفنية، ساطع النور والبرهان، جامع الفصل والبيان، فأنواره بضيائه زاهرة، وأسراره لأوليائه ظاهرة، فما إن يواري عن أهله الذين أستُودِعُوا علمه من سرائر سريرة، ولا يدع ما وضح من نوره في قلوبهم من مشكلةِ حيرة،] لا يدع حيرة، أليست هذه إيجابية كبيرة؟ لا يوجد عندك شكوك، ما عندك حيرة، ما عندك اضطراب .. فإذا أحس الإنسان في أي وقت .. فإنما فقط ما زال يحتاج إلى معرفة، ما صادف أنك قد حصلت على كل شيء ثم يظهر يبدو أنك ضعيف في موقف معين: [إذاً والله هذا شيء ما عليه مركن] لا، الضعف يرجع إليك أنت، ما تزال بحاجة إلى معرفة.

[ولا يدع ما وضح من نوره في قلوبهم من مشكلةِ حيرة، بعزائم حكماته المنزلة،] يريد إحكامه وحكمه **[ودلائل آياته المفصّلة. فسبحان من جاد به طولاً،]** تفضلاً. من جاد بهذا القرآن الكريم، جاد به على عباده طولاً يعني تفضلاً منه، وتفضل عن غنى، هو نفسه غني، هو أكرمنا بهذا الشيء العظيم، وهو في نفس الوقت هو غني، ليس بحاجة إلى إي شيء من هذا كله، من الذي يدعونا إلى أن نكون سائرين عليه، وملتزمين به، ليس بحاجة إلينا نهائياً، ليست مصالح متبادلة بين الله وبين الإنسان مثلاً.

[وجعل سببه به موصولاً.] فالقرآن الكريم ما نزل بالشكل الذي قال: تفضلوا وهو منفصل عنه، والقرآن الكريم هو بالشكل الذي يشد الناس إليه بطريقة دائمة مستمرة، يهديهم إليه، ليس فقط ينزله قانون ويقول تفضلوا، اتفقوا أنتم وأنفسكم عليه، وحاولوا تسيروا عليه، وما عاد لنا علاقة به! بل من أعظم مهمات القرآن الكريم هو ماذا؟ يهدي الناس إلى الله، ويملأ وجدانهم بمعرفة الله، بالخوف من الله، بالحب لله، بالخشية من الله، وهكذا، بالرجاء بالأمل.

[لقد أجلّ سبحانه به المنة على العباد،] منة جليلة **[ودلهم به تبارك وتعالى على كل رشاد،]** كل رشاد، ما يمكن نقول: ما يكفي .. **[فجاد لهم سبحانه بما لا تجود به نفس وإن عظم جودها، وكبر في الجود بالعطايا المحمودة محمودها، لقد جاد لهم منه بكنوز لا تبلى، وأعطاهم به عطيّةً لا يجد لها واجدٌ وإن جهد، فبذل لهم به منه كنز الكنوز، ودلهم به على كل نجاة وفوز.]**.

لكن كيف يمكن يعرف واحد أن هذه الأشياء سيكون لها قيمه عنده؟ تعتبر كنوز، وتعتبر لها دور، ولها قيمة عنده؟ أنت إذا ما رجعت لكل هذه الأشياء من حولك لا تبالي بها، يعني تعتبر نفسك صفر في الحياة، لا يوجد عندك اهتمام، إذا ما عندك اهتمام، ما عندك مسئولية، لن تستفيد.

الضلال ليس مشكلة، ليس مزعجاً، الحق ليس مطلوباً، ليس جذاباً، يكون واحد فاضي، إذا واحد هكذا على ما بين نقول: [مبهطل] ما عنده اهتمام، ما يستفيد، لكن لا، تحمّل المسئولية؛ ولهذا جاءت المسئولية في القرآن مؤكدة مفروضة، تحمّل مسئولية، يكون لك عمل وأنت ستلمس بأن هذه مشاكل، ومشاكل هنا مزعجة، خطيرة، تكرهها، في نفس الوقت تنشد إلى ما هو حق، إلى ما هو ماذا؟ إلى ما هو يهدي إلى إزاحة هذه المشكلة، إزاحة هذا الضلال، إزاحة هذا الباطل، فيكون للحق قيمة عندك.

أما إذا لم يكن لك دور نهائياً، ما عندك مسئولية، ما عندك اهتمام فلن يكون لأي شيء قيمة عندك نهائياً..

الإمام القاسم يقول، يسميه كنوز لا تبلى **[فجاد لهم سبحانه بما لا تجود به نفس وإن عظم جودها]** لماذا؟ لأنه إنسان هو نفسه كان من هذا النوع، إنسان متحرك، إنسان يهتم بأمر الأمة، يتحمل مسئولية، تكون نفسه كلها غارقة في ماذا؟ في تحمل المسئولية، وهمّ كبير هو هم الأمة هذه بكلها، كان يبكي كثيراً، هو يعرف أن هذه حلول، هذه أشياء هامة، كنوز، معارف، هدى، رشاد، لماذا الأمة هكذا؟ يفكر كيف يحاول أن يحمل الأمة على أن تهتدي بهذا الهدى، وتسير على هذا الهدى، ويسود فيها هذا المنهج العظيم.

[فتح لهم أبواب الجنان، وهداهم به سبيل الرضوان، ونبأهم فيه عن نبأ السماوات العلى، وما مهد تحتهن من الأرضين السفلى،] يعبر عن سعته كيف في الدنيا وفي ما يتعلق بالآخرة. فالقرآن يملأ هذه كلها، يتناول هذه كلها، أنباء عن الجنة والنار، عن الآخرة، وعن السماوات والأرض وما بينهن، وما فيهن **[وما فتق من الأجواء، بين الأرض والسماء، وعن خلق الملائكة والجن والإنس فقد نبأهم، وعن كل علم كريم مكنون فقد به أتاهم، قصّ به عليهم أخبار القرون الماضية، وأخبرهم فيه بمن أهلك بذنبه من الأمم العاتية، فكل عجيب من الأشياء، أو قصة كريمة من قصص الأنبياء، فقد أوصل فيه علمها إليكم، وأورد عجيب نبئها به عليكم. فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا، وبه فهو ذو العبرة فاعتبروا،]**.

[فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا،] اقتصروا لتدوروا حوله، تهتدوا به، تسترشدوا به **[وبه فهو ذو العبرة فاعتبروا، ففيه نوافع العلم، وجوامع الكلم، التي يستدل بقليلها على كثير]** يستدل بقليلها على كثير، هو يفتح أبواب معارف، هو يجعل الحياة مدرسة، بينما مناهج أخرى تجعل الحياة ظلاماً، لا ترى فيها إلا ظلاماً.

[يستدل بقليلها على كثير من ملتبس قال وقيل،] ملتبس الأقوال: قال، الأقوال سواء داخل كتب فلاسفة، متكلمين، فقهاء، محدثين، كيفما كانت، أليست أقوال؟ قيل، وقال، أو اختلافات بين الناس مثلاً، حول غايات الأشياء، حول أصول أشياء حول .. قال، وقيل، قال وقيل يكون أحياناً داخل الكتب، الفلاسفة، أليس لديهم [قال وقيل] حول موضوع الخلق، وحول موضوع العالم، هذا كيف، ومن أين بدأ، وكيف سينتهي، ولماذا! أليست هكذا تكون المباحث عندهم؟ والمتكلمون، والمفسرون، والفقهاء، والمحدثون، والكل، قال، وقيل، القرآن الكريم

سيعلمك الصحيح، حتى عندما تمر بقال، وقيل، من هذا ستعرف من هو صاحب القيل الصحيح، ومن هو صاحب القيل الخطأ.

[ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل.] يعني وكأن القرآن مضغوط جداً، أي لو أن نصوصه تأتي على وجه مساوية لمعانيه لطلعت ربما ملايين المجلدات من الكلام، لو أن نصوصه تساوي معانيه، أليسوا يقولون أن هناك: إيجاز، وهناك إطناب، وهناك مساواة. الإطناب: عندما يكون الكلام أكثر من المعنى، الإيجاز: الكلام أقل من المعنى، يعني يعطي معاني أكثر من الألفاظ القليلة، ألفاظ قليلة، ومعاني واسعة، المساواة: المعنى مساوي للفظ.

لو تفترضه بهذا النحو: مساواة، تطلع لك ملايين المجلدات، يقول لك هنا: [ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل.] يعتبر شفاء لك، وشفاء من المرض، من مرض الإشكاليات، الإشكاليات تكون أحياناً واسعة، إشكاليات واسعة، لو تأتي تدون إشكالياتك تطلع لك مجلد.. من آية واحدة، قد يستشفى بها فيما يتعلق بالإشكاليات هذه، يعتبر ماذا؟ حبة واحدة، مثلما تعمل لك حبة، كبسولة واحدة تشفيك من مرض خطير.. وهكذا.

وترى في الأخير ما يجد الإنسان كرامة للإنسان إلا على أساسه، تكريم؛ لأن الله عندما يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء٧٠) في الأخير تلحظ كل توجيهاته كل تشريعاته كلها هي تلحظ التكريم للإنسان، تلحظ التكريم للإنسان، بينما ما يأتي من عند الآخرين لا يلحظ التكريم على الإطلاق، يؤدي إلى إهانة، إلى حط لمستوى الإنسان هو كمخلوق كرمه الله تحطه.

لاحظ في موضوع الإتباع، موضوع سنة الإتباع في دين الله كيف قدمها، ألم يقدمها بشكل يختلف عما عليه الآخرون؟ نحاول نتفهم بشكل كبير؛ لأن هذه القضية الآخرون أليسوا يقدمون مثلاً أشياء معينة هي عبارة عن حرية؟ وأن هذه عبارة عن صنمية، وهذه عبارة عن عبودية، وهذه عبارة عن عمى [فلان يتبع فلان] يعني يدهج هكذا عمى! لا، أتركه هكذا!.

الحرية التي يسمونها حرية، لا يلحظون فيها ما هو الأساس الذي يمكن أن يحقق للإنسان حرية، الله جعل حرية الإنسان في عبوديته لله، إذا انفرد من هذه تحول إلى عبد لغير الله، أنت لا تستطيع أن تتخلص من العبودية، فإما عبودية لله، وإما عبودية للشيطان، ما هناك مجال من هذا. أن تكون عبداً لله تكون حراً، هذه حرية، كرامة؛ لأن العبودية لله: هي تكريم، هي حرية.. ما الله سبحانه وتعالى يتعامل مع عباده مثلما يتعامل معك الشيطان، أو مثلما يتعامل معك أولياء الشيطان!.

أليسوا يحاولون أن يخضعوا الناس لهم بطريقة إذلال؟ بطريقة إهانة، بطريقة قهر، أما الله فهو يقول: لا، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ} (المنافقون٨) لاحظ كيف أشركهم في الموضوع: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} ألم يعمل هكذا؟ فما هناك شي حتى في مسألة مثلاً أنبيائه، أوليائه، يكون النبي نفسه ليس غارقاً في أن الناس يتبعوه هو هو؛ لأنه هو نفسه ليس حول نفسه، هو غارق في إتباع الله، فهو يهدي الناس إلى الله.

والمسألة ـ كما قلنا بالأمس ـ فعلاً أنه حتى بالنسبة لله سبحانه وتعالى ما يرضى فقط أن تنتهي المسألة عنده وفقط، هو يفيض على عباده، هذه قضية مؤكدة، عندما يعبّدون أنفسهم له، ألم يصف نفسه بأنه الكريم العظيم الحليم الحكيم؟ أليس هكذا؟ يفيض على عباده، يفيض عليهم من كرمه، من رحمته، من حلمه، من حكمته، من علمه، من عزته، من مجده، فيصبحون أعزاء {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون٨).

فهذه هي قضية هامة جداً، تجد أنه فعلاً ما هناك تكريم للإنسان على الإطلاق إلا وفق منهج الله الذي رسمه لعباده، إذا خرجوا عنه، أهانوا نفوسهم، تحولوا إلى عبيد لأعدائهم.

.....

ثم يقول في الوصية: [فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا، وبه فهو ذو العبرة فاعتبروا، ففيه نوافع العلم، وجوامع الكلم، التي يستدل بقليلها على كثير من ملتبس قال وقيل، ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل.

فسبيل قصده فاسلكوا] السبيل القاصد الذي رسمه فاسلكوه [وبه ما بقيتم فتمسكوا،] دائماً.

ما تعتبر القرآن عبارة عن مرحلة، نقرؤه هذه السنة، سنتين، ثلاث، وانتهى الموضوع، ثم نقول: قد قرأنا القرآن، وقدنا منه وكذاك! لا، دائماً، دائماً يجب أن ترتبط بالقرآن دائماً، كمّا كان عمرك؛ لأنه أوسع منك، وأوسع من حياتك، وأوسع من عمرك، ما يمكن تقول: سأتفرغ له، أتفرغ له، وأفرّغ له سنتين، ثلاث، وفي الأخير يكفي، لم يعد هناك فائدة، قد زليته قد با أمشي كذاك.

[فهو ذروة الذرى،] قمة القمم [وبصر من لا يرى،] إذا كنت ممن لا يرى ارجع إلى القرآن الكريم وستبصر [وعروة الله الوثقى، وروح من أرواح الهدى، سماويٌّ أحلّه الله برحمته أرضه،] هو سماوي: من السماء، يعني أشبه شيء بكونه روحاني، أحله الله في أرضه [وأحكم به في العباد فرضه، فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً إلا به،] تجد كم يكرر من الكلمات القاطعة [فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً] خيرات في الدنيا، وفي الآخرة، أليس الناس دائماً يريدون خيرات في الدنيا؟ يجب أن نلحظ هذه: أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذه الدنيا، وهو مرتبط من حيث حاجياته في الدنيا، هو يحتاج إلى خيرات الدنيا هذه.

هذه قضية لا يغفلها أبداً، فالخيرات في الدنيا تأتي في الاستقامة على ما هداهم إليه، وفي الالتزام بما أمرهم به، وأرشدهم إليه. هذه القضية أساسية إذا ما هي على هذا الأساس، وما هي خيرات تأتي من جانب الله بسبب الالتزام بهديه فهي تنقص، تنقص، وكل سنة هي أكثر نقصاً.

[فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً إلا به، ولا تُكشف الظلمات إلا بثواقب شُهبه،] إذا الناس كل واحد حريص على كشف الظلمات عن واقعه، كشف الظلمات عن حياته فلا تكشف الظلمات إلا بثواقب شهب القرآن.

[مَن صحبه صحب سماوياً لا يجهل، وهادياً إلى كل خير لا يضل، ومؤنساً لقرنائه لا يُمَلُّ،] لا تشعر بوحشة [مؤنساً لقرنائه لا يُمَلُّ،] ما تضجره، يصبح قريباً لك، مثلما قال قبل يتحدث عن عبارة تشبه هذه: [إلف فكر كل حكيم] ألم يقل إلف فكر كل حكيم؟ [وسكن نفس كل كريم] وهكذا؛ لأنه حتى في وقت الشدائد ترجع إلى القرآن الكريم، وتقرؤه وتتأمله تجد كيف ينفس عنك، كيف يجعل المشاكل، يجعل هذه الأشياء الكبيرة بسيطة، لا تجزع، ما يحصل عندك جزع، ما يحصل عندك وهن أمامها، ما يحصل عندك انكسار، ما يحصل عندك هزيمة.

[وسليماً لمن صحبه لا يَغِلُّ، ونصيحاً لمن ناصحه لا يغشّ، وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حابَّهُ لا يبغض،] ما تخشى في يوم من الأيام يبغضك أبداً، ما تزيد معايشته إلا حب له، وتجده في معايشته وكأنه معني بك، تجده وكأنه معني بك، ففي الوقت الذي تراه أنت معني بالناس جميعاً، وبالبشر جميعاً، وبالعالم كله، تجده وكأنه معني بك، أنت عندك مشكلة، عندك مصيبة، كارثة معينة، تجد فيه أنسك تجد فيه مواساة لك، حتى وكأنه إنما هو لك، وكأنه مخصص صحبته لك، في الوقت الذي أنت تراه هو فعلاً للعالمين جميعاً.

[ومقبلاً على من أقبل عليه لا يعرض،] لا يعرض، ولا تجده في مرة من المرات كمّل ما عنده، لا يوجد: إنك تقرأ القرآن مثلاً مع مسايرتك له ثم ينجح عليك، يقول: أمانه إلى هنا وبس، لم يعد معي شيء، دوِّر إذا عاد أحد سينفعك، لا يوجد هذا، لا يزال على طول، على طول، مهما كانت المهمات، مهما كانت مهامك في الحياة.

[يأمر بالبر والتقوى، وينهى عن المنكر والأسواء، لا يكذب أبداً حديثاً، ولا يخذل من أوليائه مستغيثاً،] ليس في حديثه ما يمكن أن يكون كذب، ولا يمكن أن يأتي ما يكذب بحديث من حديثه نهائياً، لا يمكن أن تجد في داخل القرآن ما يكون مكذباً لحديث منه في موضع آخر، ولا يمكن أن يأتي في الحياة ما يكذب شيئاً من القرآن على الإطلاق، عندما ترى شيأً اكتشف فأثبت بطلان اعتقاد معين، أو رؤية معينة، أنت ترى بأنه ما كان منشؤها القرآن أبداً، منشؤها من عند الآخرين، أما القرآن فما يمكن على الإطلاق، بل يظل فوق ما يتوصل إليه العلم نفسه.

لذلك جاء بعبارة التنكير في مسألة قلب، وعين، وأذن، يقول عنها: آلية قابل أن تتغير، قابل أن تُغَيَّر، وصل العلم إلى هذه فيما يتعلق بالقلب! بالنسبة للعين هم يفكرون في هذه، في العين نفسها قالوا: هم يفكرون في إمكانية أنه تركب عين محل عين زراعة عين فيبصر بها.

ولهذا الإنسان يحذر تماماً، يحذر أن تكون معتقداته مأخوذة من غير القرآن ورؤاه، مأخوذ من غير القرآن لأي ظاهرة من الظواهر، وإلا فسيأتي العلم، تأتي الأبحاث، تأتي الاكتشافات تكذب واحدة من هذه، فتقول في

الأخير: [إذاً والله مشكلة] عندما تكون تنسبها إلى الدين. لكن عندما تربط معتقداتك، ورؤاك بالقرآن الكريم، فثق بأنه لن يزيد ما لديك إلا يقين بأنه صحيح كلما تقدم العلم، كلما توسعت البحوث، والاكتشافات.

[هنا ورد كلام من أحد الحاضرين حول أنهم كانوا قد قالوا: إن الشمس ثابتة ثم ما حصل من تغيير لهذه النظرية.]

فقال السيد: الشمس والقمر والنجوم، هذه كلها تدور في فلك، كلها تتحرك، والحياة كلها، كلها متحركة، والإنسان وهو راقد هو في وضعية متحركة، هو رقد عن موقف أليس هكذا؟ صنع موقفاً وهو راقد.

هذه القضية هامة يفهمها واحد؛ لأن هناك شعور عند الناس أنه بيمكن واحد يعتزل وماله حاجة من شيء، وبقي..! لا، أنت عندما تكون معتزل أنت تصنع موقفاً.

[إن وعد وَعْداً أنجزه،] وعود صادقة [إن وعد وَعْداً أنجزه، أو تعزَّز به أحدٌ أعزه، لا تَهِنُ لأوليائه معه حجة،] هذه قضية هامة لا تهن، لا تضعف لأوليائه مع القرآن حجة أبداً، في أي مقام كانوا، وفي أي حوار كانوا، لكن ولازم تفهم - مثلما قلنا سابقاً - أن القرآن هو أيضاً وهو يبين، ويرشد، مما يرشد إليه، ويبين، أنه وضع منهجاً، يرسم منهجاً في كيف تحاور، يرسم لك منهجاً في كيف تدعو، كيف تعلّم، كيف ترشد، وهو يركز دائماً على ضرب أسس الباطل، هذه قاعدة فيه.

ما تأتي تستغرق مع الآخرين في التفاصيل، في التفاصيل، في تفاصيل معينة، عد إلى الأسس في حوارك، ارجع إلى الله، أبدأ من الله، واربط كل قضية بالله، ولاحظ عندما يتهاوى الباطل، ويضعف صاحبه، لكن تأتي تغرق أنت وإياه في تفاصيل من تحت تفاصيل، تجلسوا على طول ما تنتهوا إلى شيء.

وأن يكون عندك روح أن تهدي، أن ترشد، لا أن تقهر الآخر، لا أن تغلبه، لا أن تبين ضعفه أمام الناس، لا تكن هذه عندك على الإطلاق. يكون عندك هدى، أن تهدي، أن ترشد. نبي الله موسى انطلق إلى فرعون وهو حريص على أن يهتدي وهو المجرم الذي قتل من بني إسرائيل آلاف الأطفال! ألم يقل له: {هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} (النازعات١٩)؟ هنا هو يدعوه إلى الهدى، يحب أن يهتدي.

ولا يأتي مع القرآن فكرة المساومات، والتنازلات، لا تحصل هذه، أسكت عن هذه، أسكت عن هذه، وأحاول أتأقلم معك في هذه الحاجة من أجل نحاول.. لا توجد هذه، هذا هو أسلوب العاجز، أسلوب الضعيف فقط، وإلا فحجج القرآن فوق أنك تحتاج أن تتنازل عن مبادئ، تتنازل عن أسس، وتتأقلم مع الآخر فيما هو عليه من أجل ماذا؟ من أجل زعم تكسبه. لا، أنت هنا دخلت معه.

القرآن يركز على قضية هي أنك تثق، تثق باتجاهك أنك أنت تدعو الآخرين إلى هذا الاتجاه: {تَعَالَوْا} (آل عمران٦١) وأيضاً عبارة: {ادْعُ} نفسها تفيد هذا {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ} (النحل١٢٥)؛ لأنك في الأخير تتوكل معهم على زعم أن واحد يريد ماذا؟ يتأقلم معهم، ويكونون جميعاً صفاً واحداً! لا، ليست طريقة هذه، هو يعطيك هذه النظرة: أن القضية ليست قضية توليف هكذا، قضية تنازلات، وقضية تسامح، كل واحد يغطي على ذا، أنت ادع، يكون عندك هذه النظرة، وهي نظرة هامة تجعلك لا تذوب مع الآخر في باطله، فيما هو عليه أبداً.

[لا تَهِنُ لأوليائه معه حجة، ولا تبلى له ما بقي أبداً بهجه،] بحيث يكون في الأخير لا يعد له جاذبية، بهجته، جاذبيته، بهاؤه في الأخير يبهت.. لا، بل تزداد.

[ولا تبلى له ما بقي أبداً بهجه، ولا يخلقه كرٌّ ولا ترداد،] يبليه [ولا يلّم به وهنٌ ولا فساد، ولا يعي به وإن لَكِنَ لسان،] لا يعي به لسان وإن كان فيه، لكنه سيكون لساناً طلقاً، تحججه يعني لو عندك لكنة في لسانك سيجعل حججك وبيناتك أقوى من حجج وبينات طلق اللسان الذي لا يتعثر لسانه، ولا في حرف واحد.

[ولا يشبه فرقانَه فرقان،] ما هناك فرقان آخر يشبه فرقان القرآن. [ومن قبلُ ما صَحِبَ الروحَ الأمين، والملائكة المقربين، فكان لهم هادياً ومبيناً، وازدادوا به من الله يقيناً.

فاتخذوه هادياً ودليلاً، واجعلوا سبيله لكم إلى الله سبيلاً، حافظوا عليه ولا ترفضوه، واتخذوه حبيباً ولا تبغضوه، فإنه لا يحب أبداً له مبغضاً،]. إذا أنت تنظر إليه نظرة استثقال فأنت تبغضه في الواقع لن يبدي

عليك عندما تعتبره أنه تكليف وأنه شاق، أوامر شاقة لازم نعملها وإلا جهنم وكلها تراها أحمال!. كما قدم الدين!. قدم بهذا الشكل؛ لهذا الناس هم في واقعهم الكثير منهم يستثقلون القرآن، يستثقلونه.

طيب أنت عندما تستثقله أنت لا تحبه، الإنسان ما يستثقل حبيب له، هل أنت تستثقل حبيباً؟ ما تستثقل إلا شخص تراه حملاً، ليس مقبولاً لديك؛ لهذا يكرر هنا، ويؤكد على مسألة أنه نعمة، أنه منة، أنه تطّول من الله، جاد به فضلاً على عباده، أكرمهم به.

ويؤكد على أن يكونوا محبين للقرآن، كيف تحب القرآن؟ عندما تعرف بأنك في أمس الحاجة إليه، وبأمس الحاجة إلى هدايته، بأمس الحاجة إلى نوره، بأمس الحاجة إلى عزته، وأنه يهدي، وأنه يقبل على من أقبل عليه، وأنه يؤنس، وكل هذه جاءت في صفات الحبيب.

الم يقل هنا أنه يعتبر أنيساً لمن قرن نفسه به، لمن صاحبه وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حابه لا يبغض، فإنه لا يحب له أبداً مبغضا، ولا يقبل على من كان عنه معرضاً، وقد تكون معرضاً عنه وأنت تقرأه بفكرة: تحصل على عشر حسنات لكل حرف وتمشي بسرعة، وتلك الآيات تتقافز من فوقها وهكذا.. هذا إعراض.

عندما تجد نفسك أنك تحاول أن تصنع مبررات لأن لا تنطلق على أساس آية من آياته، هذا موقف من؟ موقف المعرض، موقف المبغض ولو لم يوجد هنا مشاعر كراهية له، يشعر بكراهية، لكن هذه مواقف المعرض، مواقف المبغض، مواقف الكاره، مواقف المستثقل، مواقف المعرض. لو عندك مثلاً نظرة إليه يجب أنك من تحاول تتفهم كل شيء فيه، وتحاول أن تنطلق ما من جو أنت تحاول تغطيه، لا يراك، ولا تراه، يعني إنك لا تريد أن تراه.

[ولا يُقبل على من كان عنه معرضاً، ولا يُهدَى إليه من عاداه، ومن تعامى عنه أعماه، ولا يبصر ضياءه إلا من تأمَّله، ولا يُعطِي هداه إلا أهله، من ضل عنه أضله، يُقلِّد جَهلَه مَنْ جَهلَه،] فالقرآن يمكن أن يضل ويمكن أن يجهِّل، لكن نوعية من الناس هذه النوعية: من جهله، من ضل عنه.

[إن أدبر عنه أدبر،] إذا قفيت بوجهك منه يقفي عنك، يبادلك، [أو أقبل عليه بصَّر. جعله الله يتلوّن في ذلك بألوان، ويتفنن فيه على أفنان،] ما معناه أن نصوصه هي تتلون فيكون معناها مضل، معناها باطل، أبداً، ما يحصل هذا، معناه هو المعنى الحق دائماً [جعله الله يتلوّن في ذلك بألوان، ويتفنن فيه على أفنان،].

طيب هذه قد ما نستطيع أن نفهم تفاصيل تعتبر أمثلة للحالة هذه ربما إلا مع حركة الناس في الحياة على أساسه، وتقييم لوضعية المجتمع، وتقييم لواقع الناس على أساسه، حتى تعرف كيف مسألة أنه يضل من ضل عنه، ويجهل من جهله، أنه يدبر عمن أدبر عنه، أنه يتلون في ذلك بألوان، ويتفنن فيه على أفنان.

[فهو الهادي المضل،] وهذا من الأشياء الغريبة [وهو المدبر المقبل، وهو المسمع المصم، وهو المهين المُكرِم، وهو المعطي المانع، وهو القريب الشاسع] هو بعيد، تبعد عنه يبعد عنك، تقترب منه يقترب منك [وهو السر المكتوم، وهو العلانية المعلوم، فمرّةً يهدي إليه من اصطفاه، ومرّةً يُضل من أبى قبول هداه، ومرّةً يُقبل على من أقبل إليه، ومرة يدبر عن من التوى في الهدى عليه، ومرّةً يُسمع من استمع منه، ومرّةً يُصِم من أعرض عنه، ومرّةً يهين الأعداء، ومرّةً يكرم الأولياء، يعطي من قَبِلَ عطاه، ويمنع من أبى قبول هداه، يَقرُب لمن ارتضاه، ويَتشسع] يبعد [عمن سخط قضاه، يَعلَنُ لأوليائه ويَظهَر، ويكتتم عن أعدائه ويستر، نور هدىً على نور، وفرقان بين البِرِّ والفجور،].

كيف يمكن أن تتصور هذا؟ لأنه جاء بأشياء تبدو صفات هي متضادة. طيب هذه في أساسها هي توجد دفع للإنسان أن يفهم أنه إما أن يهتدي وإلا فسيضل، إما أن يقرب وإلا فسيبعد، إما أن يقبل وإلا فسيدبر. وهذه هي قضية؛ لأن الحياة هكذا، واقع الإنسان هكذا. يعني ما قدم هدى القرآن وعلى مزاجك! تقول: [بعدين با نرجع با نشوف كيف وبا نرجع نلتفت إليه بعد سنة أو بعد سنتين]؛ لأنه مسيرة متحركة، الحياة متحركة، والمسيرة مستمرة.

لا تتصور، قد يعتبر واحد أن هذه أشياء راكدة، لا تتصور أن الأشياء راكدة، والحياة راكدة، والمسيرة انتهت، وإنها على مزاجك. القرآن في حركة عندما يقول: اركب معنا وإلا فستكون مع الكافرين أشبه شيء بما حصل،

وهو يعتبر مثلاً لهذا الموضوع، ما حصل لنبي الله نوح مع ابنه، هنا سفينة أمواج {ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} (هود٤٢).

هذا الموضوع لا يوجد فيه أخذ ورد كثير .. مسيرة متحركة ما رضي وقال: سآوي {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (هود٤٣) وهو أقرب مثال نفهم منه هذا، يعني القرآن، الهدى هكذا، الهدى هكذا ما هو أقل: [أتسمّع ثم أفكر وإنشاء الله عندما يواتيني إذا واتاني ما يهمه] بهذا الشكل: أنت إما أن تقبل وإلا فمع السلامة، حركة، {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} (هود٤٣) ما هناك أخذ ورد، وساعة العون، وعندما يواتينا با نرجع. عندما تتأخر عنه ما تدري وضاعت أشياء من فرص الحياة، من فرص الهدى، من فرص العمل، من فرص الاستبصار تضيع. إذا فهمنا أن المسألة هي بهذا الشكل، الحياة متحركة، عجلة، مثل الشريط، ما هناك وقفة.

أنت عندما تقول: با نشوف، متى ما واتانا! مشى قد هو هناك، أتوكل، مشى.. عندما تتصور مثلاً بأنه شيء آخر ممكن تفكر بأنه قد يهديك، هو سيتجاوزك، {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ} لكن بعد ما قال ماذا؟ {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء} (هود٤٣) ألم يقل هكذا ابن نوح؟ يعني هناك شيء آخر ممكن أصير إليه! قال: {لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ} (هود٤٣) لم تبق القضية على مزاجه، {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ} (هود٤٣).

هنا قد يحول بينك وبين القرآن الموج فتكون من المغرقين؛ لأن ما هناك وقت، ما يمكن تجلس وتقول: بعدين، أنت جلست تجاوزتك المسيرة، أصبحت هناك، أصبحت متأخراً، هو قفى وذهب.

من أمثلة هذه أنني إذا لم اهتد بالقرآن لأعرف أسس الهداية، ومصادر الهداية، إذا لم يكن عندي قابلية لهذه فسأكون في نفس الوقت قابل لأن أضل من أعلام ضلال، يقدم لي القرآن ضلال، هذا ممكن. ألست تجد كثيراً من أهل الباطل، كثيراً من أهل العقائد الباطلة، يحاول يقدم نصوصاً من القرآن؟ يقدم نصوصاً من القرآن، يحاول يقدم أحاديث مكذوبة على النبي، أنت تقبله من منطلق ماذا؟ أن الله قد قال في القرآن: {وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} (الحشر٧) أليسوا يستخدمون هذه؟

يقول لك هذه أحاديث عن رسول الله، وهي عندنا صحيحة. يقولون لك هكذا، وأنت عليك أن تقبل؛ لأن الله قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (الحشر٧) ألم يطلع لك الآية بالشكل الذي تشدك إلى ضلال فيصبح القرآن - إذا لم تعرف من أين تأخذه، وعلى يد من تهتدي به، وممن تقبله فسيقدمه الآخرون لك وسيلة للإضلال، يقول لك: الله يأمر بالفحشاء، يأمر بالمعاصي، هو يحمل الإنسان على المعصية، هو يقضي بالمعصية، ويقدر المنكرات! وأشياء من هذه.. ثم أليس هو في الأخير يقدم لك آيات؟ يقدم آيات.

طيب من أين جاءت المشكلة بالنسبة لك؟ أنك ما قبلت هدي القرآن في ماذا؟ في إلى من تتجه، وممن تقبل الهدى، يأتي ليقول لك: الله قال: {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} (الرعد٢٧) {وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ} (البقرة٢٥٣) {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} (الإنسان٣٠) ويخليك تعتقد باطلاً في الله عن طريق ماذا؟ تقديمه للقرآن.

هذه واحدة من أمثلة هذه.. فإذا أنا لم أُقبل على هداه، إذا لم أُقبل على هداه، وهداه ليس فقط تفصيليات بالنسبة لكل شخص. هو يهدي إلى أسس هي مصدر هداية، يهدي إلى أعلام، مثلما قال الإمام الهادي: (القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن).

.....

لا تتصور بأن النص القرآني هو نفسه يتلون هو، قد تتأمله ويطلع لك باطل! هذا غير واقع، بل أنت عندما يكون عندك مفهوم باطل، وتحاول أن تؤقلمه لك، تحاول أن تؤقلمه، هو لا يستجيب لك إلا أن تُكره القضية على أن تكون على هذا النحو، تُكرهها هي، تقول: أبداً؛ لأن عندي مثلاً اعتقاد أن الله فيما يتعلق بالمعاصي، بالقبائح هو الذي يحمل الإنسان عليها أجي أطلع كلمة مضل لتكون دليلاً لي على هذا.

عندما تحاول أن تقحم في القرآن باطلاً، أو تحاول أن تلصق به باطلاً هو يرفضه، يرفضه في مقامات أخرى.

طيب أمامنا ربما مثالين من الأمثلة، كيف هو يُقبِل ويدبر، ويسمع ويصم، الخ.. وهذه هي واحدة من الأسس الهامة في القرآن، أن تعرف أن للقرآن ورثة، أن للقرآن أعلام يهدون به، وإلا إذا فكر كل واحد منا بأنه ليس إلا

كبقية الناس في عهده وقبله كل إنسان كل واحد ينطلق للقرآن هو يتفهم، ويريد يستنبط، وأنه يتأمل إلى أخره، أليس هكذا؟ والناس ناسين، ناسين هذه المسألة سيضلون، أي لا تتصور أن ما هناك أحداً يحاول يرجع للقرآن وهو هكذا يقرؤه.. لكن بروحية أنه أنا، أنا أهتدي بالقرآن، وأعرف القرآن أنا، وأطّلع على القرآن أنا، وافهم أسراره أنا .. الخ.

لا تتصور بأنك حالة نادرة عندما ترجع أنت إلى الطريقة هذه، كثيرون.. المفسر أليس يحتاج يمارس الطريقة هذه؟ أمامك المفسرون كمثال واضح، الطبري، ابن كثير وغيرهم، أليسوا يحتاجون الطريقة هذه: يتأمل؟ يتأمل لكن منسوفة في ذهنيته أن هناك ورثة لكتاب الله اصطفاهم الله، هم يهدون بالقرآن، لا يوجد عنده هذه، يطّلع لك ضلال من تفسيره، وهو قد مر بكل آية من آياته.

هذه واحدة من الأسس، واحدة من القضايا التي لا بد أن تفهمها، باعتبار ماذا؟ تثقيف قرآني، وأساس قرآني، إذا ما عندنا هذا المفهوم ما نهتدي بالقرآن على الإطلاق، ما نهتدي به على الإطلاق، إذا ما عندي هذا المفهوم سأكون قابلاً لمن يطّلع القرآن في غير مورده، في غير موضوعه، فيضلني به.

قد جعلوا مجاميع من الشباب يسيرون ليجاهدوا جهاداً أمريكياً في أفغانستان وما هم دارين! وحركوا لهم آيات الجهاد. ألم يحركوا لهم آيات الجهاد؟ عملاء لأمريكا، متواطئون مع أمريكا، بتمويل أمريكي وبتوجيه أمريكي يحركون لك شباباً مسلمين مساكين، يحركونهم ويسيّرونهم أفغانستان باسم الجهاد في سبيل الله، أليس هو هنا يقرأ عليهم آيات الجهاد؟ ينكشف الموضوع وإذا المسألة كلها إنما هي ترتيبات لإخراج روسيا من أفغانستان؛ لتأتي أمريكا بديلاً عنها! ثم يقفل أولئك الأعلام – أعلام الجهاد، وأعلام آيات الجهاد الذين كانوا يتحدثون بها في المساجد – يقفلون ملف الجهاد، وانتهى الموضوع.. وإذا بهؤلاء المجاهدين الذين ـ الله يقول الجهاد في سبيله {ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (التوبة٤١) **ـ وإذا هم يطلعوا عند أمريكا التي جاهدوا من أجلها مسيئين، وتقول عنهم إرهابيين؛ لتعتبرهم مدانين بما عملوا، ألم يصبحوا مدانين بهذه؟ قالوا: هم راحوا أفغانستان!.**

طيب هم راحوا أفغانستان، حركّهم عملاؤكم، حركهم عملاؤكم يسيرون إلى أفغانستان وهم بسطاء، مساكين، على أقل تقدير قدّروا لهم جهودهم هذه؛ لأنهم اتجملوا فيكم، وأخرجوا روسيا بدل أن تضحوا بجندي واحد أمريكي! فأصبح عملهم في أفغانستان لم يكن فيه خير لهم نهائياً، لم يكن فيه خير لهم، بل أصبحوا مطاردين به. فهنا سيأتي من يحركك بآيات قرآنية في غير وقتها، في غير موضوعها، القضية هذه ليست سهلة.

هذا أساس هام جداً: الاهتداء بالقرآن، تجد أهل البيت أليسوا ـ أنفسهم ـ إذا خرجوا عن هذا المفهوم يضلون؟ هم إذا خرجوا عن مفهوم أن للقرآن ورثة هم يرشدون إليه، هم يهدون به .. يصبحون هم ضالين، هم يغرقون في الضلال.

[هنا سأل أحد الحاضرين عن رفع معاوية المصاحف يوم صفين وقول الخوارج للإمام علي (عليه السلام)**: أجب القوم إلى كتاب الله.]**

فقال السيد: هو مرتبط بقرين القرآن، هو مرتبط. أجب القوم إلى كتاب الله، ألم يقولوا هكذا؟ كتاب الله معه طريق من هنا من عند قرينه. لاحظ كيف كان مصيرهم.

عندما يأتي في القرآن آيات تتحدث عن مسألة أنه فئة من الناس يصلون إلى درجة أن يسمعوا القرآن، ولكن على قلوبهم أكنة، أليس القرآن يتحدث عنهم هكذا؟ وفي آذانهم وقر، على قلوبهم أكنة، على أبصارهم غشاوة، وأشياء من هذه، ما يدري واحد كيف يتصورها، وهو في نفس الوقت يفهم، لكن لم يعد هناك تفاعل مع ما يفهمه نهائياً، ما هناك تفاعل من جانبه، قلبه قد غطى عليه الرين، قلبه قد طُبع عليه قد خُتم عليه.

قد ربما يكون بعض الأمثلة، أو بعض الأشياء ما يعرفها عملياً محسوسة إلا مَن؟ إلا النوعية هذه، ما تستطيع أن تقدم مثالاً على مسألة كيف الطبع على القلب، والختم على القلب، وعلى العين، وعلى أبصارهم غشاوة، في آذانهم وقر، وأشياء من هذه، لكن ربما قد يتلمس الناس في حركتهم كيف يكون الإنسان ـ فعلاً ـ أنه يسمع الشيء ولكن كأنه لا يسمعه، يبصره ولكن كأنه لا يبصر، يفقه ولكن كأنه لا يفقه.

ولهذا ظاهرة تحدث عنها القرآن الكريم، واعتبرها هي حالة تأتي لأسباب من جانب الإنسان هو؛ لأنه لا يتفاعل مع ما يقدم له من هدي الله من القرآن الكريم. هذه القضية لها إيجابية كبيرة، أن تفهم بأن القضية ليست على مزاجك، والبادي منك هكذا. الأمور ليست على [متى ما واتانا والبادي مننا] تقبل، تتفاعل، تتحرك، ما لم يأت العكس، يختم الله على قلبك، يطبع على قلبك، يجعل على بصرك غشاوة، ويجعل على أذنك وقراً، وأشياء من هذه، ويبعد عنك القرآن، وقد أنت هناك وراء بعيد.

{نور هدىً على نور، وفرقان بين البِرِّ والفجور، أرشدُ زاجرٍ وآمرٍ، وأعدل مقسط ومعدّل} يبذل ما فيه إعذار، ولا فئة من الناس ما يمكن أن تنال منه، تستضيء بضيائه، وتستنير بنوره، وتهتدي بهداه، وهذا من أعجب الأشياء في القرآن الكريم.. الحكيم، العبقري، الفاهم، صاحب العلوم الكثيرة في أي مجال كان، ما يمكن أن يرى نفسه وقد هو من القرآن وكذاك، قد هو فوق القرآن أبداً، سيرى القرآن أكبر منه، وأوسع منه، والإنسان العامي البسيط يقدم له القرآن فيهتدي به، ويستنير بنوره، ويستضيء بضيائه، يعني يغطي المساحة كلها، ما يمكن تقول أن هذا شيء ما يمكن أن تستفيد منه، ولا يمكن .. هو فقط لطبقة المثقفين، وهو هناك، لا يهتدي بهداه عوام الناس، وإنما يهتدي بهداه حكماء الناس، وكبار علمائهم، وكبار مثقفيهم.

لا يوجد من كتابات الآخرين على هذا النحو، لا يوجد من صنع المخلوقين يكون على هذا النحو، في الأخير تراه فقط ينسجم مع فئة، مع مستوى معين، ينزله يقول له يا أخي ما هم فاهمين له، ما هم دارين ماذا يعني نهائياً..

[يوقظ بزجره النُّوَّماء، ويعظ بأمره الحكماء، ويُحيي بروحه الموتى، ولا يزيد من مات عنه إلا موتاً، يعدل أبداً ولا يجور، وكل أمره قَدَرٌ مقدور] حقائق كلها حتمية عندما يقول: إذا لم تكن كذا فسيكون كذا، إذا لم تعمل كذا فسيحصل كذا، حقائق.

[ظاهره ضياء وبهجة، وباطنه غور ولجّة،] عمق [لا يُملك حَسنُ أنواره، ولا يُدرك باطنُ أغواره،] يملكه، احتواه، سيطر عليه. أليس معناها هكذا؟ قد يكون معناه إنْ ما بإمكان طرف معين أن يحتويه، وأن يسيطر عليه، ولا يعد هناك شيء يبقى نوره قائم، قد يكون هكذا ربما؟.

[ولا يُدرك باطنُ أغواره، فمن ظهر لظاهر مَنَاظِره، رأى أعاجيبه في موارده ومصادره،] عندما تتحرك على أساس القرآن ترى عجائب القرآن نفسه في مواردك، ومصادرك، يعني في كل حركتك، أليست هذه من أهم الآليات؟ إذا هي تقدم هناك آلية يقول لك: اقرأ علوم الآلة، اقرأ، اقرأ وستفهم القرآن!.. من الآليات الهامة هو أن تعرف أن القرآن متحرك، فتتحرك بحركة القرآن، وهنا ستفهم من القرآن، تفهم أشياء كثيرة جداً، هذه هي من الآليات.

إذا توقفت، فلو تقرأ كمّا تقرأ أبداً، بل قد يطلع قَلَب في الموضوع، وهذا الذي هو ملموس حقيقة، يقضي عدة سنين هناك ويسميه علوم آلة، ودخل إلى القرآن من باب ضلال، تصبح نظراته باطلة في أكثرها.

[ومن بَطَنَ لمستَبطَنِه رأى مكنون محاسنه، من غرائب علمه، وأطايب حِكَمِه،] لكن ما يدري واحد كيف الطريقة لأن يتبصر، هي أن يغوص في أعماق لجج القرآن. هو قال هناك في الفقرة السابقة، فالقرآن يفرض أن يكون الناس على حالة معينة، ونظرة معينة، وحركة معينة، ثم هو، هو يقدم، يفسر، مثلما قال هنا في المعايشة للقرآن وللواقع، ونظرة متبادلة، وحركة على أساسه، وتخلي من عوائق تحول بينك وبين فهمه، وبين الاهتداء به، تجد القرآن هو، هو يعلمك، وهذه هي قضية القرآن الكريم، وفي آيات الله، أنها في الواقع تدرك بالشكل الذي هي هي تحدثك، هي قد تكون بوضعية هي تحدثك، تناجيك، تقدم دلائلها هي تلقائياً إلى وجدانك.

لكن لا بد من تجلي المسالة، تقول: اجعلها مثلما تقول قاعدة، تعمل قاعدة يكون في ذهنيتي أنا أنظر إلى الحاجة وأصدر عليها حكماً، أقول: هذا محدث، إذاً لا بد له من محدث. هنا أنت تؤطر الموضوع وتضيقه، وكل ما رأيت من شيء تكون أنت، أنت تريد تصدر حكماً عليه، على هذا النحو. لا، القضية هي تكون بهذا الشكل: يكون عندك تفتح ذهنيتك، نفسك، ما يكون عندك عوائق، وما تكون أنت ترى وفق قواعد معينة.

نظرات وجدانية، هي نفسها تخاطبك هي نفسها، ترشدك هي نفسها، تدلي بشهادتها إليك، بشهادتها على ما وراءها، على ما هي تنبئ عنه إليك. وهذه القضية هي في القرآن الكريم، وفي آيات الله كلها، تجد مشكلة

المعتزلي نفسه، عندما انطلق انطلاقة هو يباشر، ورأى أصناف الأشياء المتعددة كلها، تعني ماذا؟ أن لكل حادث محدث فقط، أنها دليل على أنها محدثة، وما أضيق هذه المعلومة! ضيقة جداً.

[ومن بَطُنَ لمستَبطِنِه، رأى مكنون محاسنه،] وأحياناً لو تحاول أنت في ظرف معين، تريد تستبطن، تستبطن.. ما يطلع لك شيء،ما يطلع باطن، لكن مع حركة الحياة، مع التردد الكثير على القرآن، والتفهم له، والتفهم للأحداث، والتفهم له، ولجوء دائم إلى الباري، اهتداء بالله، الدعاء له، {وقل رب زدني علماً}، والدعاء بأن يهديه، دعاء الليل.. هنا قد تأتي لك، والقرآن يكشفها.

قد يكون معظمها فوق المعنى اللغوي للمفردة، أنت ترى نص الآية، تأتي تفسرها بالمعاني اللغوية، فلا تعد تلمس أكثر من هذا، لكن مع الزمن، مع الوقت، تأتي فتفهم من خلالها أشياء كثيرة.

[ومن بَطُنَ لمستَبطِنِه، رأى مكنون محاسنه، من غرائب علمه، وأطايب حِكَمِه، لبابُ كل لباب، وفصل كل خطاب، وحكمه من حكم رب الأرباب، اكتفى به منه في هداه لأوليائه،] يكتفي به، أي جعله كافياً وتفهم معنى كافياً، أن من أسس القرآن هو الشد إلى الله، والهدى إلى الله، لا تفهم على الإطلاق أن القرآن ممكن أن يكون بديلاً عن الله، تتحرك تقول: قد معنا منهج مرسوم، وعلى أساسه قد، قد... وما عاد لك علاقة بالله! من أسسه الهامة، أنه يشدك إلى الله، هذه واحدة، والله يتدخل هو يهدي به، ومن خلاله يهدي هو، ما يزال يهدي هو.

[واصطفى به من خصّه الله سبحانه باصطفائه، فمصابيح الهدى به تُزْهِر واهجة، وسُبُل التقوى به إلى الله تلوح ناهجة، يُحتاج إليه ولا يَحتاج،] لاحظ عبارات صحيحة ليست مثل عبارات الآخرين: القرآن أحوج إلى السنة من حاجة السنة إلى القرآن! هذه قاعدة عملوها!.. أي الأحاديث تصبح في الأخير حَكَم على القرآن ومهيمنة عليه!. والأحاديث التي هم يشهدون بأن الكثير منها مكذوب! مع أنها تكون على نمط واحد، حدثنا فلان قال قال فلان أخبرنا فلان، قال قال رسول الله، أليست هكذا؟ أليست ترد على نمط واحد، ما هو صحيح، وما هو كذب.

[يُحتاج إليه ولا يَحتاج، سراجه أبداً بنوره وهّاج،]يعني مستمر سراجه،متوهج مستمراً [يُعَلِّم ولا يُعَلَّم،]أنت لا تدخل إلى القرآن كمعلم للقرآن، عندما تدخل وعندك قواعد معينة تريد تحكّمها عليه أنت هنا تدخل بروحية أنك أنت تأتي تؤقلم القرآن، وتريد تعلّم القرآن كيف يكون هو.

[يُعَلِّم ولا يُعَلَّم، ويُقوِّم ولا يُقَوَّم، فهو المهيمن الأمين،] مهيمن، جعله الله مهيمناً على كتبه [والفاصل المبين، والكتاب الكريم، والذكر الحكيم، والرضى المقنع،] يُوجِد قناعات، يوجد طمأنينة، يوجد يقين، يوجد رضا، [والمنادي المسمع،] ما يمكن يأتي من الناس يقولون: ما سمعوا اما هم، أو ما وصلهم النداء حقه، أو ما...

[والضياء الأضوى، والحبل الأقوى، والطود الأعلى، الذي يعلو فلا يُعلى، ولا يؤتى لسورة مِن سوره أبداً بمثل ولا نظير، ولا يوجد فيه اختلاف في خبر ولا حكم ولا تقدير، فصل كل خطاب، وأصل كل صواب. فجعلنا الله وإياكم من أهله، وعصمنا وإياكم بحبله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وأهله وسلم تسليماً.

[وبعد: فإنا لّما رأينا ـ فيه من جوامع الهدى واليقين،] هذا كعبارة عن مقدمة للتفسير [وبعد: فإنا لّما رأينا ـ فيه من جوامع الهدى واليقين، وكان الهدى واليقين به مقدَّمة مُعتَصَم كل دين ـ علمنا متيقنين، وأيقنّا مستيقنين، أن لن نصيب رشداً، ولن ننال مطلوبَ هدىً، إلا به وعن تفسيره، وبما نوّر الله القلوب به من تنويره،] تفسيره وبما نور الله القلوب به من نوره.. يعني ما تفهم أن القضية مفصولة عن الله على الإطلاق ... ممكن أقرأ لغة عربية تعينني على فهمه، باعتباره بلسان عربي مبين، أليست هذه واحدة يمكن أن أتدبره؟ وأتأمله، أستعين على فهمه؛ لأهتدي به، ومما يؤهلني به فيه هو أنه يهديني إلى الله؛ لأفهم أنني بحاجة إلى الله في الاهتداء به، وفي الالتزام به، وفي السير على نهجه.

[فنظرنا عند ذلك فيه، واستعنا بالله عليه، فوجدناه بَمنٍّ الله لكل عِلمٍ من الهدى ينبوعاً، ورأينا به كل خير] ينبوع، هو يشبه ينبوع الماء، ينبوع العين، هذا هو ينبوع العلم [ورأينا به كل خير في الهدى مجموعاً، فلا خير في الحياة الدنيا كخيره، ولا يُهتدى لأحكام الله بغيره، من طلب الهدى في غيره لم يجده أبداً، ومن طلبه به

وجد فيه أفضل الهدى، فقصدنا قصده، والتمسنا رشده، فأيّ رشد فيه وجدنا؟!] رشد عظيم جداً [وإلى أيّ قصدٍ منه قصدنا؟!] يعني ما كان أعظم ما قصدنا إليه فيه [تالله ما غابت عنه من الهدى غائبة،] أليست هذه واحدة؟ إنه يجب أن تفهم الهدى، معناه بسعة الحياة، بسعة الكون كله، ما نؤطر الهدى نفسه، والاهتداء والهدى نؤطره في أشياء لمعرفة هذه الأحكام التي نسميها أحكام عبادات ومعاملات، يكون عنده ماذا يعني هدى لماذا؟ كل شئون الحياة، كل مجلات الحياة، كل أمور البشر في الحياة.

[تالله ما غابت عنه من الهدى غائبة، ولا خابت لطالب فيه خائبة، لقد كشف ستور الأغطية، وأظهر مكنون سرّ الأخفية،] مثلما قال: ولا خابت لطالب فيه خائبة، أي ما ترجع خائب عندما تطلب الهدى منه،ما ترجع خائب. طيب عندما أجي أرجع أنا وما فهمت ما أستغرب!.... ربما ما فهمت كيف الطريقة، ربما يوجد طريقة أخرى لأهتدي بالقرآن [لقد كشف ستور الأغطية، وأظهر مكنون سرّ الأخفية، على ما بُلي به قديماً من تلبيس ملوك الجبابرة، وأتباعها من علماء العوام المتحيِّرة،].

إذاً نفهم قضية أن الدين بكله القرآن الكريم، لا يمكن على الإطلاق أن أحداً يزيف، هو غير قابل للتزييف .. إنما بتقدم أشياء بتكون بدائل، تقدم بدائل، وتقدم أنها هي الدين هي، هي المعبرة عن القرآن، وهي تقول وتحسب ما تقوله أنه ما يريد القرآن، تعمل حديثاً وتقول هذا قاله النبي، وهكذا {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ} (البقرة٧٩)، {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} (النساء٤٦).

لا تتصور أن الإسلام نفسه هو قابل للتزييف، هذا غير صحيح، يأتون بأشياء يسمونها إسلام، يأتون بأشياء يحسبونها على الإسلام وليست منه، وهو يكذبها.

الجبابرة كانت هذه طرقهم، هل استطاعوا أن يغيروا آية من آياته؟ أبداً لكن اتجهوا لطرق يجعلون ما يقدمونه هو ماذا؟ هو ما يريده القرآن، يفهمون الناس بأن هذا هو ما يريده القرآن .. طاعتهم هي طاعة الله، كما أمر القرآن، أليس هكذا؟ وبالطريقة هذه.[على ما بلي به قديماً من تلبيس ملوك الجبابرة وأتباعها من علماء العوام المتحيرة] هؤلاء هم منابع الشر، وسلاطين الجور، وعلماء السوء[في توجيهها له] إنما تكون بالطريقة هذه فقط [في توجيهها له على أهوائها وتصريفه،] وهو في نفس الوقت يكذبهم، لكن يكونون بالشكل الذي لا يستجيبون لطرف آخر، يكشف باطلهم وزيفهم، ألم يكونوا يستخدمون الطريقتين هذه؟ تحريف لبسطاء الناس، ويكمموا أفواه آخرين، أو يقمعوهم، أليس هكذا يعملون؟.

يزيفون الأعلام أيضاً، مسألة علماء وأعلام يطلع لك عالم يسميه قاضي القضاة، وشيخ الإسلام، وعناوين من هذه، ويكبره أمام العامة، حتى يكون هو لسان الدين، وحبر الدين، وعلم الدين، وهي فقط مصالح متبادلة ما بين هذا الشخص، وما بين السلطة.

[في توجيهها له على أهوائها وتصريفه، وتأويلها له بخطئها على تحريفه،] تحريفه لتأويلها [حتى عُطِّل فيهم قضاؤه، وبُدِّلت لديهم أسماؤه، فسمّيت الإساءة فيه إحساناً، والكفر بالله إيماناً، والهدى فيه عندهم ضلالاً، وعلماء أهله به جهّالاً،] يعني علماء أهله قدموهم هم جهال به.

[ونور حكمه ظُلَماً، وبصر ضيائه عمًى،] التعكيس هذا عكسوا الأشياء كلها [بل حتى كادت أن تُجعل فَاؤُهُ أَلِفاً، وألفه للجهل بالله فاءًا، تلبيساً على الطالب المرتاد، وضلالة من العامة عن الرشاد، فنعوذ بالله من عماية العمين، والحمد لله رب العالمين.]

[فلو لا ما أبدى الله سبحانه من كتابه وحججه، وأذكى سبحانه من تنوير سرجه، لأَبَادَ حُجَجَهُ ـ بتظاهرهم ـ المبطلون، ولأطفأ سرجَه الظلمة الذين لا يعقلون،]

......

مثلاً في موضوع السلطان الجائر له علاقة به، تلمس فيه يده، في كتب الجرح والتعديل تلمس فيها يده، في كتب الحديث كون هذا الكتاب هو أصح، كون هذا هو كذا، تلمس فيها يده، تفسير معين تلمس فيها يده، أشخاص معينين أشاد بهم تلمس فيها يده.. وهكذا تلمسهم في كل زاوية من الزوايا.

ما تكون فقط تقدر ما بلاّ مسألة أنه يغصبوا الناس بحاجة وإلا سجنوهم. ما هي تقتصر على هذا! تراهم في كل مجال، هو يصنع الملهى، ويتحكم في المسجد أيضاً، ترى المدير حق الملهى قد يكون شخص من مخابراته، والخطيب حق الجامع شخص من مخابراته، ما هو بيكون هكذا؟.

يجعل الملهى بالشكل الذي يخدمه، ويجعل المسجد بالشكل الذي يخدم أغراضه؛ لهذا كانت القضية هامة جداً، قضية أنها سنة إلهية لا تتغير، وأنه هكذا كتبه وأعلام لكتبه؛ لأن الأعلام لكتبه هي تمثل ضمانة لكل ما هو مطروح في الساحة.

فإذا لم يكن هناك علَم هو هو الذي يتحكم في المسجد، هو الذي يوجه كيف يكون المسجد، فسيكون المسجد منبر ضلال وإضلال، منبر يدجن الأمة للظالم، بل يدجن الأمة لليهود حقيقة، منبر المسجد نفسه، يجعل الحج نفسه باطلاً، يجعل كل شيء مما هي أساساً أشياء وضعت ليهتدي بها الناس، وإيجابياتها في جانب الهدى، في جانب الحق، تتحول هي كلها إلى ماذا؟ إلى وسائل إضلال، إلى وسائل لترسيخ الظلم والطغيان.

فهي قضية هامة، أن قضية ولاية الأمر في الإسلام هي جعلت بشكل ضمانة للدين نفسه، هي تكون كلها، معالمه في الحياة، المسجد، الحج، النص القرآني وهو يقدم للأمة، المرشد، الخطيب، المدرِّس، الكاتب، كل هذه، كلها تحتاج إلى أن يكون هناك ضمانات من يوجهها، من يضبط مسيرتها وإلا ستستخدم لتكون طريقة إضلال. هل جاء مثلا أهل الباطل يدمروا المساجد؟ لا، بل بنوا مساجد وشيدوها، بنوا منارات ومنابر، وطبعوا المصاحف، وعينوا خطباء؛ لأنه ما هناك إشكالية فيها، ممكن يستخدمونها.

هكذا؛ ولهذا كانت عندما يقول لك الاثنا عشرية، هذا من أدل الدلائل على بطلان مذهب الاثنا عشرية، عندما يقول لك: إمام غائب على طول ألف سنة! هذه قضية غير صحيحة. الدين، الأمة بحاجة إلى علم هو قرين القرآن يشكل ضمانات لما هو مطروح في الساحة من الدين، وإلا فسيستخدم كل شيء من الدين لإضلال الأمة بما فيها القرآن نفسه.

هذه قضية ضرورية، لا بد أن يكون هناك ضمانة قائمة، وإلا فسيقدم كل شيء باطلاً، مذهب باطل. من يقول كذلك مثلاً: يأتي من يحكم الأمة وسابر، ظالم طاغية يقصم ظهرك.

طيب إن القضية هي أخطر من هذا، هل تجد أن بإمكان شخص واحد يحكم، وهمه فقط سلطة، يديول ويجي له فلوس محله؟ لا تحصل هذه. تجده في الأخير يتدخل هو في المسجد، يتدخل في التربية، يتدخل في التعليم، يتدخل في الإعلام، يتدخل في الصحافة، يتدخل حتى في التاريخ، في القرآن، يتدخل في كل شيء، يطبع كل شيء بنفسيته، بطابعه، يؤقلم كل شيء يكون بالشكل الذي يجعل الأمة تقبله وتتلائم معه.

عندما تقول لي: ظالم، منحط، افهم بأن معنى هذا أنه سيحط الأمة، ويحط الدين، ما تجي تقول: يا أخي ما هي مشكلة هو هناك وهي دنيا، هو هناك في القصر. ليست مسألة قصر، ليست مسألة قصر فقط، هل سيقتصر على القصر، يأخذ القصر ويجلس فيه، هل يمكن هذا، ويترك الدين؟ هل يمكن؟ لا، هو يعمل لك وزارة تربية وتعليم، يعمل وزارة أوقاف وإرشاد، ووزارة ثقافة، أليس هكذا يعمل؟ وزارة شئون قانونية، ووزارة كذا.. أليسوا هكذا يعملون في الدنيا هذه كلها؟.

يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة من تثقيف الناس، إنما فقط ما عندهم النظرة التي عند أولياء الله، وهذا هو الفارق الكبير جداً، هو، هو لا يرى شيء منّه وأعلى! هذه الإشكالية هنا، فيؤقلم الحياة، ويؤقلم الناس ليتلاءموا معه هو، بينما الطرف الآخر ما عنده النظرة هذه؛ لأنه فقط هو يجعل الحياة بما يتلاءم مع المسيرة إلى الله، الاهتداء إلى الله، ما يربط عنده. هذا هو الفارق الكبير، الفارق الكبير هو هذا.

أولياء الله لا يكون عنده النظرة هذه أن يؤقلم الأمة لتكون على ما يتلاءم معه هو، هو وسياسته، وواقعه حتى يصبح هو أفضل السيئين مثلاً، يحاول يجعل المجتمع سيئاً ليكون هو أفضل السيئين فينتهي بالأمة إلى عنده!.

أولياء الله ما يمكن على الإطلاق أن يعمل هذه، ما يمكن يعمل هذه على الإطلاق؛ لأنه الفكرة أساساً قدمت ليست بالشكل الذي يفكر في كيف يجعلهم يتلاءمون معه. ما هو مستغرق في الموضوع؟ مسيرة إلى الله؟ كيف

يجعل دين الله هو قائم، وهدى الله هو السائد، يهدي إلى الله، يلتزم الناس ليكونوا مطيعين لله، يبني الحياة ويعمرها على أساس منهج الله، وهكذا.

الله لا يغيب عن أي مجال من مجالاته مثلما قال ذو القرنين بعدما كمّل السد: {هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي} (الكهف٩٨)

بينما الآخرون يقولون: [هذه من إنجازات فلان] أليسوا يقولون هكذا؟ من إنجازاته هو.

هنا يقول عنهم [حتى كادت أن تجعل فاؤه ألفاً وألفه فاء] تقليب للأمور بشكل رهيب، وما زالت الأشياء قائمة، مازالت الكعبة والحج قائمة، أليس هكذا؟ والمساجد قائمة وأكثر، والمدارس والجامعات، والمرشدين، والقرآن موجود، والحديث موجود، وكل شيء موجود، لكن قد كل شيء مشغل بالطريقة هذه: يجعل الألف فاءا، والفاء ألفاً!.

ثم إن المسألة تراها في الأخير كيف تنعكس على واقع حياة الناس هم، يرون ظلماً، وضلالا، وقهر، وذلة، وتخلف، وانحطاط، آلام، يعني كلها لا تكون مجابر، ما يكون سواء ما يُقدم من فوق منبر المسجد ضلال أو هدى، هو كله كلام.

لا، هو يخرج من المسجد إلى واقع الحياة، يخرج من المسجد إلى واقع الحياة، فتصبح الحياة هكذا، الله يشتغل من عنده، يشتغل من عنده، {وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (الأعراف٩٦) والظالم يشتغل من عنده، العدو يشتغل من عنده، وربي يشتغل من عنده تكون الأمور تمشي قلب، ويكون الناس يصيحون، والخطباء ملان الدنيا في المساجد، الناس يصيحون ويتألمون، ويشعرون بالذلة والقهر، والمصاحف ملان المساجد والبيوت، والجامعات والمراكز والمدارس ملان الدنيا، والحجاج بالملايين!.

ما هو الذي ضاع! لا يدرون ما هو الذي ضاع! ما كله كلام واحد؟ أليسوا كلهم يدورون هكذا على الكعبة؟ كلهم يدورون، لكن من الذي يشرف على الدورة هذه؟ تجد ملايين تدور ما تربى على أن تكون بشكل يرهب العدو.

بينما أشخاص معدودين دخل بهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعلهم يعرضون عضلاتهم أمام الأعداء، ويتقافزون في السعي، في ثلاثة أشواط يتقافزون في السعي؛ لأن هناك شخص يدير المسألة يجعلها بالشكل الإيجابي، يجعلها بالشكل الذي يرهب العدو.

يأتي العدو بأشخاص يديرون المسألة، يقولون: لا، هذا حج والحج ما له علاقة بالسياسة، الحج ما له علاقة بكذا! هذه عبادة لله، دُور، اغزل فقط، اغزل على الكعبة فقط، ملايين تعود وهي لا أثر لها في الحياة، ويغرقونهم من أول ما يدخلوا الحدود، من أول ما يدخل الحدود يغرقوه بكتب من حقهم، ضلال، ولا أحد يتكلم إلا هم، لا أحد يؤم الناس إلا هم، لا أحد يتحدث إلا هم، لا أحد يوزع شيء، كتب إلا هم، إلا تأتي خلسة هكذا!.

فيصبح ملايين الحجاج مالهم أثر في الحياة كما كان لأولئك مئات معدودة، ولا كان تحتهم بلاط، كان تحتهم غبار، يطوف وعاده بيمتلي غبار. لكن هؤلاء استطاعوا أن يؤثروا في الدنيا، ونحن ملايين كغثاء السيل، من أين المشكلة؟ من أين المشكلة والقرآن موجود، وكل شيء موجود، والحرم اليوم أكبر من الحرم بالأمس وأجمل، أليس أجمل؟ كهرباء ومنارات، ومكبرات صوت رهيبة، وبلاط مبرد، ومساجد مفروشة ومزخرفة، ومكبرات صوت ومنارات من ثلاثين متر وأكثر!.

كل شيء في هذه الشكليات قائمة باقية لكن هناك خلل كبير، أين الضمانة التي تفعل هذه لتكون هدى وبناء للأمة؟ هذا الذي افتقد. لن يكون إلا ماذا؟ علم والقرآن، الأعلام الذين هم قرناء مع القرآن.

[فلو لا ما أبدى الله سبحانه من كتابه وحججه، وأذكى سبحانه من تنوير سرجه، لأَبَادَ حُجَجَهُ ـ بتظاهرهم ـ المبطلون، ولأطفأ سرجَه الظلمة الذين لا يعقلون،] وأيضاً لا يعقلون أين تنتهي المسيرة بالأمة أنه في الأخير يسير هو. لاحظ الآن كيف المسيرة الآن، طرحنا في مكان آخر مثال لهذا.. قد صاروا يرون أنفسهم أنهم سائرون هم والأمة إلى البحر إلى الهاوية مثل فرعون تماما مثل فرعون والمصريين، ألم يتقدم قومه إلى البحر؟ أرسل في المدائن حاشرين، وجمع لك عشرات الآلاف وتقدمهم إلى ماذا؟ إلى البحر!.

الآن هم يتقدموننا إلى البحر، إلى البحر ويأتي بديلا عنهم وعنا ماذا؟ يهود! وهو يريد يقافط المسألة عليه، يقافط الأمة عليه، وفي السعودية يريد يقافط السعودية على مزاجه، وعلى تقبله هو هو، وفي اليمن نفس

الشيء، وفي مصر نفس الشيء، وكل بلد عربي نفس الشيء؛ لأن ما هناك فكرة بأن يجعلوا الأمة بالشكل الذي يتلاءم مع دين الله، يبنوا الأمة بالشكل الذي تكون قوية في مواجهة أعداء الله، لا يوجد هذا.

لذلك تراهم في الأخير لكونهم لا يعقلون، ما عاد باستطاعته يشكل ضمانة لوجوده هو، يشكل ضمانه لوجوده هو. جارفين جاءوا يجرفوه، إنما فقط هم بادعين من طرف، أليس الشيول بدّع من فلسطين؟ جارفين جرف، من أفغانستان، يجرفوا الأمة هذه، بهؤلاء الذين على أكتافها، وعلى رأسها، الحكام أنفسهم كلهم إلى البحر يجرفونهم.

لهذا تكون النظرة ضيقة أن تظن بأن المسألة شخص محل شخص، ما هو ضروري الشخص الفلاني، أو أن يكون من آل فلان، با يسبر فلان، أليست هذه تحصل أحيانا؟ حتى عند من يقول لك ما هو ضروري علي، ممكن أبو بكر، أبو بكر لا بأس، ومشّى المسألة! القضية ما تنتهي عند أشخاص، ما تنتهي عند أشخاص، علي، بايسبر واحد يكون اسمه أبو بكر، ما هناك مشكلة! أبو بكر هو بايصلي بالناس، ويجيش جيوش، ويعين ولاة، ويحدد ناس يسيروا، لا، المسألة هي في الأخير تنعكس على الدين بكله، وعلى الأمة بكلها، تنعكس؛ لأنه يجعل كل شيء يكون بالشكل الذي يتلاءم معه هو.

بينما علي بن أبي طالب ما يكون عنده هذا التفكير أساساً، أن يكون غارقا في نفسه، فيجعل الأمة بالشكل الذي تتلاءم معه هو، بل يجعل الأمة بالشكل الذي تتلاءم مع المسيرة التي يسير عليها هو ومن قبله رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فيسيروا جميعاً في طريق الله، يسيرون جميعاً في طريق الله.

تلاحظ في حركة الإمام علي لو كان عنده التفكير هذا لكان يستطيع هو أيضاً، وهو قال هو: أنه لو شاء لاهتدى إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، وأشياء من هذه، هو كان يستطيع، ليس المعنى أن معاوية كان شخص داهية، وبصير... يستطيع أن يؤقلم الأمة معه، ويكون سلطانه بالشكل الذي يضيع معاوية، ولكن لا، القضية أنه هو يريد للناس أن يسيروا في هدي الله، ويتعامل معهم بالرؤية القرآنية نفسها، لا أن يتعامل معهم بالقهر، والإذلال.

يجلس يحركهم، يجلس يرغبهم، يجلس يحذرهم، يجلس يوعظهم، يذكرهم، لينطلقوا هم، هم، وإلا باستطاعته كان يعمل له جهاز مخابرات، يعمل له شرطة قمع، يعمل له بوليس قمع، وخلاص، أليس هو يستطيع أن يخضع العراقيين مثلما أخضعهم صدام والحجاج؟ يستطيع، لكن لا، لماذا؟ لأن هذه طريقة ليست طريقة صحيحة: أن يخضع الأمة. هو يريد أن يوعي الأمة، وتفهم الأمة، وإلا فستذوق عاقبة إهمالها، وإعراضها، هو هكذا وإلا تأتي العواقب في الأخير وتعلم الناس.

هي من أسهل الوسائل لأي شخص يحكم: أن تؤقلم الناس عليك وتخضعهم، تستطيع، أي واحد يحكم ما يحتاج عبقرية، ما يحتاج عبقرية، ولا شيء، جهاز مخابرات، وجهاز قمع، تخضعهم وبس، وخطباء في المساجد، ومدرسين في المدارس، وفي الجامعات، ولو ما بين تبصر تتحاكى! وهكذا، أليس الكثير من حكام العرب هكذا؟ صدام ألم يكن منطقه حتى شوع! حتى منطقه، أخضع العراقِ إلى درجة أنهم قد صاروا يقسمون بحياته، [وحياة السيد الرئيس]!.

ما كان الإمام علي يستطيع لو أراد أن يعمل بالطريقة هذه؟ ما أبسطها لمن لا يخاف الله؟ لمن لا يعرف دين الله، لمن ينطلق في ماذا؟ في أن يؤقلم الناس مع شخصيته، ويطبع المجتمع ليكون بالشكل الذي يتقبله، ما أسهلها الطريقة هذه، صدام نفسه كان حتى كلامه ومنطقه بالشكل الذي يشوهه.

[ولأطفأ سرجَه الظلمة الذين لا يعقلون، ولكن الله سبحانه أبى له أن يطفى، وجعله سراجاً لأوليائه أبداً لا يخفى، ولذلك ما يقول سبحانه: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[التوبة: ٣٢]. ولعلنا ولا قوة إلا بالله العلي الكبير، وبالله نستعين على ما هممنا به لكتابه من التفسير، أن نضع مما علّمنا الله فيه طرفاً، وأن نَصِفَ فيه من وصف الحق وصفاً، نُبين عنه بما يُحضِرنا فيه الله من التبيين، ونعتمد فيه على ما نزّله الله به من هذا اللسان العربي المبين.]

اللغة العربية هامة، اللغة العربية هامة، واللغة العربية هي التي لا نقرؤها، لا نحن ولا الذين في المساجد، نحو، وصرف، ومعاني، وبيان، هي معرفة القواعد فقط، لازم تعرف اللغة نفسها، تقدم اللغة نفسها، ولكن عندما تقرأ القواعد هذه فائدتها في جوانب محدودة، لكن معرفة الأساليب بطريقة طبيعية، أساليب اللغة، نَفَس اللغة، طرق العرب في التخاطب فيما بينهم، لا بد من أن تعرف النص العربي على أساس تتعامل معه، عن طريق الشعر، وعن طريق نصوص عربية.

[فإن الله جعله مفتاح علمه،] هذا بالنسبة للسان العربي {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}(الشعراء:١٩٥) [فإن الله جعله مفتاح علمه، ودليل من التمسه على حكمه، فلا يُفتح أبداً إلا بمفاتيحه، ولا تُكشف ظلمه إن عرضت في فهمه إلا بمصابيحه، فعنه فاستمعوا، وبه وفيه فانتفعوا، واعلموا أنّا لن نضع من ذلك إلا قليلاً وإن أكثرنا،] عنده الرؤية هذه الإمام القاسم بأن أي شخص لا يستطيع أن يفسر القرآن بالكامل، ويقدم كل ما يحتويه القرآن في أي زمن كان، لا يستطيع أحد.

يستطيع فيما يتعلق بزمانه، وفي حركته، أما يجلس في بيته ويفسر قد يأتي بأشياء مما هي في الواقع تفسير لغوي، يأتي بأشياء هي مما قد تكون ظاهرة، أو شبه ظاهرة، أو قريبة، خلي المفسر يطّلع لك أربعة مجلدات، خمسة مجلدات، ثلاثين مجلد، لكن ما يزال الكثير الكثير بالشكل الذي وإن بذل جهده ما هو متناول له؛ لأنه هكذا القرآن مربوط بالحياة، وبالحركة، والأحداث لها دخل كبير في الاستفادة منه، والجهاد في سبيل الله، نصر دين الله، الاستجابة لله هي تكون بهذا الشكل، لها دخل كبير، في ماذا؟ في الاستفادة منه، وفي تبيينه.

ولهذا نقول بالنسبة لحركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى اله) حركته هي من التبيين، حركته هي تطبيق. لا تتصور أن باستطاعة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى اله) هو أن يجلس في مسجده ويبين القرآن كلمة كلمة، ويبين معانيه، بل هو نصه تنزل عليه مرتبا، أو منجما - كما يقولون - على مدى ثلاثة وعشرين سنة، مرتبط بالحركة، وبالحياة.

[واعلموا أنّا لن نضع من ذلك إلا قليلاً وإن أكثرنا، وأنّا وإن بلغنا من تفسيره كل مبلغ فلن نمسك عنه إلا وقد قصّرنا، وإن لكل تفسير منه تفسيراً، وإن قَلَّ تفسيره كثيراً،] والتفسير منه وإن قل تفسيرا كثيرا، [ولكل باب منه أبواب، وكل سبب فقد تَصِلُهُ الأسباب،] يفتح، ما هناك حاجة وقفت هنا، كل شيء هو مرتبط بأسباب، كل شيء له هو متصل بأشياء، وهكذا.

[وكل سبب فقد تَصِلُهُ الأسباب، إلا أنا سنقول في ذلك بما يُحضِرُنا الله فهمه، وما نسأل الله أن يهبنا في كتابه علمه.] يعني أن هذه رؤية، رؤية أهل البيت القدامى في موضوع التعامل مع القرآن، نسفت الرؤية هذه، يقول لك: [لا، كل شخص يستطيع أن يفهمه هو كله؛ لأنه مخاطب به، مكلف! كيف أن الله ممكن يكلفك، يخاطبك بما أنت مكلف به ثم لا تفهمه! إلا إنك تستطيع أن تفهمه] قاموا كل واحد قال: با نفهمه جا يربض عليه وعنده أنه سيفهمه! طلعنا صفر! حقيقة، وفهمناه قلب، وامتلأت نفوسنا ضلال.

[ونبدأ من تفسير كتاب الله بما نرجو أن يكون الله به بدأ، من تفسير السورة التي أمر نبيَّهُ أن يسأله فيها الهدى، وسماها عوآمّ هذه الأمة فاتحة الكتاب والفرقان،] أي المعروفة عندهم بهذا الاسم، [وقال بعضهم: اسمها أمّ القرآن، وذلك مما يدل من يستدل، على أنها أول ما نزل، لا كما يقول بعض جهلة العوامّ بغير ما دليل ولا برهان، أن أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}[العلق:١-٢].] فأول ما نزل هي الفاتحة، الحمد لله رب العالمين، [ألا ترى كيف يقول: اقرأ ما يُقْرِيك، باسم ربك الذي نزل عليك، فأخبر جلّ ثناؤه أن قد نزّل عليه قبلها،] عندما يقول: اقرأ باسم ربك إذاً ما هو اسم ربك؟ قد نزل شيء قبل من كتابه، وأن تقرأ شيئا قد نزل، ما هو الاسم الذي أقرؤه؟ وما هو الذي أقرؤه؟

ثم إن أكثر ما تعني قراءة الرسول (صلوات الله عليه وعلى اله) للقرآن، أن أقرأ، أن أتلو، اقرأ على الناس، أن تتلو على الناس، [فأخبر جلّ ثناؤه أن قد نزّل عليه قبلها، الاسم الذي أمره أن يقرأ به فيها ولها، وأن يقدمه في القراءة عليها، ثم يصير بعد القراءة به إليها.] عندما يقول: باسم ربك. إذاً أقل ما في الموضوع أنه قد نزل شيئا يقرؤه، ويبدأ قراءته به، وهو يريد هنا: بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم أنه عندما يقول: اقرأ، لازم أن يكون قد نزل شيئا ليقرأه. فسورة اقرأ هي تدل على أنه قد سبق شيئا نزل يقرؤه.

[**ألا ترى أنه لو كان ما قد قرأ، هو ما أمرَ عليه السلام أن يقرأ، لكان إنما أمر بفعل تامّ مفعول، وقول قد تقدم مقول. وإنما اسم ربه الذي أمِرَ أن يقرأ به بسم الله الرحمن الرحيم،**] **عندما يقول اقرأ، فهو قد أمر أن يفعل فعل تام، يعني قد وقع، أليس هكذا؟، يبدو كأنه يريد هكذا بالعبارة.**

[**ألا ترى أنه لو كان ما قد قرأ هو ما أمر عليه السلام أن يقرأ**]**، أو أن يكون في قوله: اقرأ، هو ماذا؟ اقرأ؟ أن يكون في أمره له بأن يقول: اقرأ باسم ربك، هو قوله: اقرأ باسم ربك الذي خلق، لكان أمراً بأن يقرأ الشيء نفسه، أن يقرأ ماذا؟ يقرأ {اقرأ}!!.**

[**وإنما اسم ربه الذي أمِرَ أن يقرأ به بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قدّم به في صدر كل سورة عند أول كل تعليم.**] **هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم، هي آية هامة فعلا.**

والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله، تم المديح الصغير بمنّ الله اللطيف الخبير.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

القرآن كتاب هداية

من كتاب

[الناسخ والمنسوخ]

[الدرس السابع]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣/٦/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

يقول الإمام القاسم (صلوات الله عليه): **[فتعلموه ـ يا بني ـ وعلّموه]** أي القرآن الكريم **[فتعلموه ـ يا بني ـ وعلّموه، وفقكم الله لرشد ما وهبكم الله ومنَّ به عليكم من أهل أو ولد ومن رأيتموه،]** علموه أهلكم وأولادكم **[ومن رأيتموه، وإن كان في النسب قاصيا بعيدا، ولله مريدا،]** فعلموه الناس جميعاً، أهلكم وأولادكم، وحتى البعيد منكم في النسب، علموه القرآن.

[فإن في تعليمه وعلمه، ودرك فهمه وحكمه، النجاة المنجية والفوز، وهو فكنز الله المكنون الذي كَنَزَه وأخفاه، لمن رضيه واصطفاه، وطواه فواراه، عمن هجره وجفاه، فلن يفهمه عن الله إلا مجد في علمه مجتهد، ولن يصيب علمه إلا طالب له مسترشد.

واعلموا يا بني علّمكم الله الكتاب والحكمة، ونفى عنكم ــ بما يعلمكم منها ــ العمى والظلمة، أن أول علم الكتاب وتعليمه، العلم بقدره عند الله وعِظَمِه].

هذه قاعدة مهمة، أول شيء مهم في تعاملك مع القرآن الكريم هو: العلم بقدْرِه، بقدر القرآن الكريم عند الله، وعظمه عند الله. عندما تفتح المصحف، وتبدأ تقرأ تكون مستشعراً لأهمية هذا الكلام، أهمية القرآن الكريم، أولاً: أنه كلام الله، وفي نفس الوقت أن هذا الكلام هو عظيم القدر عند الله سبحانه وتعالى، لا يأتي واحد يقلب المصحف مثلما يقلب أي كتاب آخر، استشعر هذا في نفسك، في ذهنك.

[وإن كان من لم يعلم قدره وغرضه،] الغرض من القرآن، يعني مقاصد القرآن **[أعرض عنه وهجره ورفضه، فقلَّ به هداه وإتباعه، ولم ينفعه مع الجهل استماعه، بل خسر به ورجس، كما قال من جل وتقدس: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}** [الإسراء: ٨٢]. **فجعله كما تسمعون للمؤمنين شفاء ورحمة، وللظالمين عمى وخسارا ونقمة، كما قال تعالى: {وهو عليهم عمى}** [فصلت: ٤٤]. **وفيما زِيدُوا به من الرجس، مع ما فيه من الحكمة والقدس، ما يقول الله سبحانه: {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا}** [التوبة:١٢٤]. **قال الله سبحانه: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}** [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

وفي هذا الموضوع يأتي الناس ينشغلون كيف يتم هذا! وأهم شيء في الموضوع هو: أن تعلم أن هذه القضية واقعية، أهم شيء في الموضوع هذه: أن الإعراض عن القرآن الكريم، أن عدم الاهتمام به من أول سماعه، تفهمه، وتنطلق على أساسه. إذا لم تكن هكذا يحصل ضلال، يحصل رجس، يحصل إدبار، القرآن يدبر عنك، يحصل عمى، يحصل أشياء رهيبة جداً!. أما كيف يعمل، فيمكن واحد يعمل استبيان، يكون واحد يلاحظ ناس من هذه النوعية.

[ففرضُ كتاب الله يا بني وقصدُه، فهو هداية الله به ورشده،] وهذا الشيء المهم في القرآن، وهذه مهمة القرآن الكريم: هداية من الله لعباده، إرشاد من الله لعباده. ويجب أن ننظر إلى القرآن بهذا المعنى، ما نقول: آيات تشريع، آيات أحكام، أحكام شرعية... أشياء من هذه.

هو مثلما قال في مقام آخر يوصي أولاده: أن ينظروا إلى القرآن ككتاب هداية، كتاب هداية، وهذه هي العبارة التي تكررت في القرآن الكريم بشكل كبير، كلمة: هدى، هدى، يهدي .. وفي الأخير نأتي نؤطر الموضوع، ونحجمه ونقول: أحكام شرعية، كتاب تشريعي .. كتاب تشريعي، هذه واحدة من مهامه، كتشريع، ولأن كلمة تشريع نحن قد أطرناها، وضيقناها فيما يتعلق بالأحكام التي نعرفها، ويقرأها الناس في العبادات، والمعاملات، وهذه كلها هم يطلعونها من القرآن خمسمائة آية! أليسوا يطلعون آيات الأحكام خمسمائة! وباقي آلاف الآيات!.

القرآن هو كتاب هداية، يهدي الناس إلى صراط مستقيم، إرشاد لهم، إرشاد واسع بسعة الحياة كلها، وكل شئونها، وكل مجالاتها، والأزمنة كلها على تعاقبها إلى يوم الدين.

اعتبره كتاباً واسعاً أعظم من سعة الحياة، لا تأت تؤطره في ذهنك بخمسمائة آية، مثلما يعملون! يعني العلم كله، والدين كله في إطار خمسمائة آية!! وآلاف الآيات ماذا ستعملون بها؟! فهو كتاب هداية في كل مجالات الحياة، في كل شئون الحياة، وأنت سترى في الأخير، ترى بأن نفس العبادات هذه هي واحدة من وسائل الهداية هي فقط وسائل عملية للهداية، وسائل تربوية، وسائل ترويضية، والعبادات، المعاملات، كثير من أحكامها تجدها تصب في هذا الجانب: في كيف تكون الأمة هذه مهتدية.

الربا لماذا هو محرم، البيوعات المجهولة، البيوعات المنهي عنها، الأشياء هذه كلها تجدها في الأخير تنتهي إلى أن يكون الناس أمة واحدة، تهدف إلى أن يكونوا أمة واحدة، أن تكون الخلافات قليلة داخلهم، تكون الاختلافات قليلة، يكون هناك تكافل فيما بينهم. أليس هذا كله يقدمه كله عبارة عن وسائل في إطار العنوان الكبير وهو الهداية، هداية الأمة إلى الصراط المستقيم في كل شئونها، في كل مجالات حياتها؟.

[والرشد من الله والهدى، فهو الفوز بالخير والنجاة من الردى، ومن ظفر برشده وهُداه، فقد أصلح الله دينه ودنياه.] بهذه العبارة العامة دين ودنيا [وليس يا بني بعد فوت الدين والدنيا، حياة لأحد من الخلق ولا بُقيا،] إذا أصبحت وضعيتك بالشكل الذي دينك ودنياك معطل فيها ماذا بقي؟! ماذا بقي بعد الدين والدنيا؟! خسارة هنا في الدنيا، وخسارة في الآخرة، والعلاقة بين الدين والدنيا علاقة لا يمكن فصلها على الإطلاق.

الدين لاستقامة الدنيا، واستقامة الدنيا لاستقامة الدين، استقامة الدنيا تجسيد لسيادة الدين. ما تتصور دين لوحده، ودنيا لوحدها، لا تستقيم الدنيا على الإطلاق مهما فكرنا وما هناك استقامة وسيادة للدين في توجيهاته، وهداه وإرشاداته.

[وليس يا بني بعد فوت الدين والدنيا، حياة لأحد من الخلق] إذا فسد دينك ودنياك ما بقي شيء؛ لأنه هنا يقول: [ومن ظفر برشده وهداه فقد أصلح الله دينه ودنياه] فكيف يمكن فساد الدين؟ أصل الكلمة هذه لا تتوجه إلى الدين فيقال: الدين فسد! أبداً، مثلما قلنا بالأمس: أنه ليس بإمكان أحد على الإطلاق أن يزيف الدين، يزيف القرآن، لا ، الأشياء تأتي على ما قال الإمام القاسم في الدرس الماضي: الآخرون هم يقدمون أشياء ويحسبونها على الدين، يسموها إسلام، يسمونها دين، يعمدون إلى القرآن الكريم، يحرفون تأويله، ويقدمونه للأمة، يقدمون المحرف، يقدمون الضلال، ويحسبونه على القرآن، بالطريقة هذه يأتي.

[فليكن أول ما تخطرون في الكتاب ببالكم، وترمون إليه فيه ـ إن شاء الله ـ بأوهامكم، ما ذكرت من غرضه ووصفت، ووقّفت عليه من قصده وعرّفت، فمن لم يعرف غرض ما يريد وقصده،] لم يعرف غرض القرآن، أو أي إنسان لا يعرف غرض ما يريده، وقصد ما يريده [لم يبذل في الطلب له جهده، ولم يعلم منه أبداً، هداية ولا رشداً، فخرج من علمه كله صفرا،].

الإمام القاسم يركز هنا على قضيتين، قضيتين هامتين جداً: أن تعلم أولاً عظمة هذا القرآن عند الله، وقدره. أليست هذه أول واحدة؟ **ثانياً**: أن تنظر إلى القرآن أنه كتاب هداية، وإرشاد للعالمين جميعاً، في كل شئون حياتهم. هذا هو غرض القرآن وقصده. إذا لم تعرف غرض القرآن وقصده لن تستفيد.

[لم يبذل في الطلب له جهده، ولم يعلم منه أبدا، هداية ولا رشدا، فخرج من علمه كله صفرا،] عندما تنظر إلى القرآن بالنظرة القائمة مثلاً أجي أقرأ، وكلما أقرأ، وكلما في ذهنيتي هو ماذا؟ بحث عن أحكام شرعية. أليس هكذا نقول؟ أريد أقرأ لأعرف الأحكام الشرعية، مثل: العبادات، والمعاملات. فَهَمّي من القرآن عندما أراه أبحث عن آيات الأحكام حتى أطلع مجتهد؛ لأجل يكونوا يقولوا: الأخ العلامة المجتهد، وهكذا، ألقاب!.

طيب هنا تنسى أنه باقي هناك مساحة واسعة جداً من القرآن الكريم، بل تجد سور في القرآن الكريم لا يوجد فيها حكم شرعي من هذا النوع نهائياً. سورة [يس] سورة [عمّ] سور أخرى ليس فيها، لا حول نكاح، ولا طلاق،

ولا بيوعات، ولا ربويات، ولا صلاة، ولا حج، ولا صيام، ولا شيء من هذه، وتجدها في مجال الهدى كل مفردة فيها هامة في مجال الهدى.

يجب أن تفهم أن الأحكام الشرعية هذه التي تسيطر على ذهنياتنا، على نفسياتنا، هي كلها إنما هي واحدة من وسائل الهداية: الصيام يقول: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة١٨٣)**، يتحدث عن الحج بكله {مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً}** (البقرة١٢٥)**، يتحدث عن الغايات كلها في إطار هداية الأمة؛ لتكون بشكل صحيح، وعمارتها للحياة على أساس صحيح، وتكون النفوس زاكية طاهرة.**

الهداية هو العنوان الكبير، هو العنوان الكبير، عندما تنظر إلى القرآن بهذا الشكل من أول مفردة فيه إلى آخر مفردة، تستفيد منه، وتمر بآيات الصلاة، بآيات الحج، بآيات النكاح، الطلاق، والبيوع، والأشياء هذه... وكلها لم تعد في ذهنيتك إلا من وسائل الهداية، وهذه هي مقاصدها، مثلما قال الله في الصلاة: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} (العنكبوت٤٥) **أليست وسيلة قدمت هنا؟ أنها وسيلة من وسائل ذكر الله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** (طه١٤) **ألم يقل هكذا؟.**

تجد هنا كل العبادات هذه، وكل الأحكام في المعاملات، لها غاية تعود إلى ماذا؟ تعود إلى زكاء النفس، وإلى بناء الأمة بشكل صحيح، نفس الاتجاه حق الآيات الأخرى التي ليس فيها ولا حكم واحد.

لهذا يجب أن نلحظ هذا الشيء: أن ننظر إلى القرآن كتاب هداية، وأنه لا يأتي يركز هو على كلمة: وجب، يجب إلا في النادر؛ لأنك متى ما لاحظت القرآن كتاب هداية، ستفهم الصلاة وقيمتها أكثر مما يفهما آخرون، في كونها وجبت؛ لأن فيها أقيموا، وأقيموا فعل أمر يدل على الوجوب. تفهم قيمتها بأرقى، وأكثر ممن ينطلق هذه الانطلاقة الثانية، وبهذا الشكل يستفيد الناس من القرآن.

بالنظرة القائمة والتي نسير عليها في منهجيتنا في حلقات الدرس، ما تستفيد من القرآن أبداً، ولا نفهم الغايات من هذه؛ لأنك لاحظ تجد كلمات: أقيموا الصلاة، كلمات حج، كلمات هدى.. في وسط آيات أخرى، يكون لها علاقة بمواضيع أخرى، في الموضوع العام، في إطار الهداية، في كونها كلها هداية، وإرشاد.

يأتي يتحدث عن الحج في وسط آيات الجهاد، ماذا يعني هذا؟ أن الحج مهم فيما يتعلق ببناء الأمة وتأهيلها لأن تكون أمة مجاهدة، وأن الحج لعلاقته الهامة فيما يتعلق بهذه الأمة، لعلاقته ببنائها، لعلاقته بأن تكون أمة قادرة على مواجهة عدوها، هو أيضاً مستهدف من جانب العدو، يؤكد على أنه مستهدف من جانب العدو. وهذا شيء ملحوظ. الغربيين مركزين جداً على موضوع الحج بأي طريقة، كيف يعطلونه، كيف يسيطرون عليه؟.

لو أن المسألة هي مسألة هذه الأحكام فقط، وهي هي المقصودة فقط، ولذاتها فقط، ما هناك غاية لها أخرى، إلا اللهم أن يأتي لواحد ثواب هو الغاية ـ وهذا هو المفهوم السائد ـ من يأتي بشكل فصول. لكن يأتي بالصلاة، ويتحدث عن الصلاة مع الإنفاق في سبيل الله، أليس هكذا؟ فالصلاة لها أثر في مجال الشد إلى الله، في مجال معرفة الله، في مجال الثقة بالله.. الثقة بالله تجعلك بشكل تكون هنا عنصراً فاعلاً، ومؤمناً قوياً، يكون لك أثرك في هذه الحياة.

وتجد العبادات كلها هذه التي نسميها، والأحكام هذه كلها مفرقة، ومبعثرة داخل مواضيع متعددة، وكلها في هذا الاتجاه: هداية، وإرشاد، فالهداية، والإرشاد أشياء منها سلوكيات، أشياء منها تجتنب أشياء، وأشياء منها تواظب على أشياء، وكلها في إطار تزكية النفس، وسموها، وبناء الأمة بشكل صحيح.

[فمن لم يعرف غرض ما يريد وقصده، لم يبذل في الطلب له جهده، ولم يعلم منه أبدا، هداية ولا رشدا، فخرج من علمه كله صفرا، ولم يصب بشيء منه ظفرا،] إذا لم تعرف القرآن كتاب هداية، لم تصب شيئاً، ولن تظفر بشيء حتى ما تعرفه من الأحكام هذه التي نقول عنها: أحكام شرعية، عبادات ومعاملات، تفهمها فهماً ناقصاً، ولا لها قيمة عندك إلا باعتبار كونها يأتي بعدها ثواب، أو آثام إذا تركتها، لا يوجد لها غاية أخرى، ما تفهم قيمتها، وتفهم جاذبيتها أنت، وتفهم ما تترك من أثر في مجالات أخرى.

[ولم يصب بشيء منه ظفراً وكان كمن سلك طريقا لا يعرف وجهته ولا قصده، فتبع فيه ضلالته وخسرته وتلدده،] يعني ضايع، ما يهتدي بشيء [فلم يزدد من الهدى، إلا نقصا وبعدا، فهلك وأهلك فضل وأضل عن سواء السبيل،] وهنا الخطورة في هذا؛ لأنه لا يضل لوحده، في الأخير يضل الآخرين.[فهلك وأهلك] وهذه حقيقة من أسباب ضلالنا أننا لم ننظر إلى القرآن ككتاب هداية، في حلقات الدرس حقنا، وفي توجيهنا، وإرشادنا، وحركتنا الثقافية.

لم ننظر إليه ككتاب هداية، ثم نعرف ما هي الهداية؟ الهداية في الحياة كلها، كل شئونها، كل أمورها، كل مجالاتها .. لا تعني الهداية إن واحد يقول: [يا سيدي أشتي تهب لابني عزيمة، أن الله يهديه، يهتدي، بيكسر علينا فناجيل ويبكي كثيراً، ويكسر ثلاجات، ولا يترك أمه تعمل لنا غداء، نريد يهتدي].

مسألة الهداية يعني: هداية في الحياة كلها، كلما أمامك، كل مجالات الحياة، نظام للدنيا هذه كلها، في كل شئونها، في كل مجالاتها. هذه هي الهداية، في كل مسيرة الإنسان في الدنيا هذه. ثم لاحظوا كلمة هداية هي توحي بأن الإنسان والحياة في حركة مستمرة{وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (يس:٤٠) كل شيء يسير، كل شيء يسير، كل شيء متحرك، ألسنا نرى الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنجوم أليسوا كلهم هؤلاء في فلك يسبحون؟.

الأرض التي نحن عليها تدور، أليست تدور لها دورتين ـ كما يقولون ـ دورة حول نفسها، ودورة حول الشمس، وأنت أيضاً في الحياة، لا يوجد أحد جالس، لا يوجد أحد جالس أبداً، باعتبار حركة الحياة أبداً. وكلمة هدى، يعني: أنتم سائرون، أنتم ماشين، أن هذا ليهديكم كيف تكونون في مسيرتكم في الحياة، وليس أننا جالسون، لا نتصور أن الله يرانا جالسين ثم يقول: هه شوفوا هذا وتأملوه لأجل إذا أحببتم تتحركوا، تتحركون على أساسه!. لا، حركة قائمة.

فهو هدى، هدى مستمر، ولا يبن تتوقف الحاجة إلى الهدى، والمدد الإلهي في الهدى، ما تتوقف على الإطلاق، مثلما أن الصلاة خمس مرات في اليوم فيها: اهدنا، اهدنا، اهدنا؛ لأننا ماشين على طول، ومتحركين، على طول. فإما أن تهتدي وإلا فأنت ستدخل في ضلال، حتى عندما تجلس ـ مثلما تحدثنا أمس ـ عندك أنك راقد وأنت جالس مالك دخل! أنت تصنع موقفاً وسترى أثر موقفك في الساحة بعد فترة، أنت تتحرك وأنت راقد، أنت تصنع موقف، تترك أثرا في الحياة وأنت راقد! بعض الناس يكون عنده مالنا حاجة ونجلس، يجلس واحد وماله حاجة!.

لا يوجد أحد جالس، لا يوجد أحد جالس على الإطلاق، هو يصنع موقف وسيظهر أثر موقفه وربما يصكع رأسه موقفه هذا، الرقدة هذه قد يكون فيها في آخرها أن يصكع في رأسه .. من جانب الذي زعم أنه يريد يجلس ويسكت، حتى لا يحصل عليه شيء من جانبهم.

هدى من أكثر الكلمات تكريراً في القرآن، لم تأت كلمة تشريع إلا ربما مرة واحدة{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (المائدة٤٨) يقول: هدى، ونور، وموعظة، هدى، ونور، وموعظة، هدى، هدى، هداية، تهدي، يهدون.. كلها بهذا الشكل. لا يوجد مسألة تشريع، يعني كلمة تشريع هذه هي محدودة، ونحن جئنا حددناها أيضاً وأطرناها، وجعلناها بحيث لم تعد إلا دائرة صغيرة. ما عاد طلع نصيبها من القرآن على أكثر تقدير إلا خمسمائة آية! والقرآن كم هو؟ ستة آلاف وستمائة وستة وستون آية تقريباً.

حتى تعرف مثلاً ما معنى أنه هدى؟ تجد كل ما يصنع الناس في الحياة أليسوا هم ينَظّرون ويقننون وينظمون ويعملون كل شيء؟ أن هذا هو البديل عنها، والبديل الأفضل، وهو البديل الوحيد الصحيح في كل المجالات هذه.. أليست الدنيا الآن ملان ثقافات، وملان فلسفات، وملان تنظيمات، وملان نظريات، وفي كل المجالات؟.

أليس هناك في التربية منظّرين؟ أليس في النفس علماء؟ أليس في الاقتصاد علماء ومنظرين؟ أليس في الجانب السياسي نظريات ومنظرين؟ وفي الأنظمة... وأشياء من هذه؟ كل الذي يشتغل فيه الناس الآن القرآن الكريم هو هدى بديل عنه وأفضل منه، بل لا مقارنة، وفي كل المجالات.

هل يوجد الآن مجال يتركه الناس فاضي؟ البشر أنفسهم، هل يوجد مجال نتركه فاضي، فارغ هناك؟ أو نحن نتناوله. الجانب السياسي أليس الناس تناولوه؟ تناولوه تنظير، وأنظمة، وهل هذا أو هذا. الجانب الاقتصادي أليس ملان منظرين، ومختصين، وأشياء من هذه، وكتابات فيه، وكتب، وأشياء من هذه؟ الجانب التربوي، كل شيء ترى الناس شغالين فيه.

أليس الناس يحاولون أن يرسموا طريقة تهديهم فيكون أداؤهم أفضل؟ أليست هذه فكرة عند البشر جميعاً؟ إذاً البشر تراهم أنفسهم يتناولون المجالات كلها، لكن ما زالوا متخبطين. فهداية الله هي تبيان لكل شيء، في كل الأشياء التي يراها الناس، ويتناولونها والتي هي كل شيء. لا تتصور هداية، يعني أنا في الجانب الذي نسميه الجانب الروحي، كيف أكون طيب، ومن أولياء الله، وهذه المفاهيم، لا، القرآن هو للدنيا، هو للحياة. والحياة هي أوسع منك، أليست الحياة أوسع؟.

نرى نحن عندما يأتي واحد يقرأ كتاب فقه، يقرأ البيوعات وليس معه بيع وشراء، ويقرأ النكاح والطلاق وما قد تزوج، ولا هو مطلق، يقرأ الزكاة، وهو فقير ليس لديه ما يزكي. ألست هنا تقرأ كتاب هو أوسع منك؟ افهم أن الدين ليس لك شخصياً، أنت، الدين هو للحياة بكلها، والدين هو أوسع من نفسيتك أنت، أوسع من نفسيتك.

إذا أنت تقرأ كتاب فقه، وترى كتاب الفقه هذا الصغير أوسع منك، اقرأ فيه عدة أشياء ما أنا مطبق لها؛ لأنه ليس عندي أولياتها، ما عندي مال حتى أزكي. بين تقرأ كم في البقر، والغنم زكاة، وما هناك ولا إلى عشر بقرات مع احد وهكذا.

إلى أن قال: [فهلك وأهلك فضل وأضل عن سواء السبيل] هذه خطيرة جداً نفهم هذه، عندما نرشد، عندما نخطب، عندما نعلم، يجب على الإنسان أن يفهم، حتى لو أنه يرى نفسه أنه ليس شغال في موضوع الدين، وأنت طالب في الجامعة، أنت طالب في أي موضوع، أنت تتحدث مع الناس حديثاً ثقافياً، قد تضل، قضية خطيرة قد تضل، وقد تعمم مثلاً في أسلوبك مفردة معينة، هي نفس المفردة الواحدة، واحدة، ضلال. لاحظ كيف أن الله نهى المؤمنين في مفردة واحدة كان اليهود أصبحوا يستغلونها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا}(البقرة١٠٤) أليست راعنا مفردة واحدة عربية{وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا} اسمعوا، اعرفوا أهمية الأشياء، لا تقل هذه ليست إلا كلمة ماذا ستعمل؟ ماذا ستفعل؟{وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. هذه مفردة واحدة، يقول: خلاص، لا عاد ترددوها وهي عربية، وهم يرددونها من قبل!.

[فضل وأضل عن سواء السبيل، وخيّم وأقام هالكا متحيرا بين هلكات الأضاليل، لا يبصر رشده فيه ولا هداه، مهلكا لمن أطاعه مطيعا لمن أرداه، لا يرى فيه للهدى علما، ولا يطأ به من رسومه رسما.] ما يرى في القرآن علماً للهدى، ولا يقع به من رسومه رسم.

[فاعرفوا يا بني هديتم لرشدكم، ما قد حددته لكم، في كتاب الله من القصد والغرض،] يجب أن نفهم نحن وليس فقط بنيه [ما قد حددته لكم في كتاب الله من القصد والغرض] وهو أن قصده وغرضه ماذا؟ الهداية، والإرشاد.

[فإن بعض ذلك يدعو إلى بعض، فمتى تعرفوا يا بني غرض كتاب الله وقصده، يبذل كل امرئ منكم في طلبه جهده، ويفز منه بالحظ الأوفر، متى يظفر منه بالفوز الأكبر، فيستأنس به من الوحشات، ويكتفي بعلمه من القماشات، التي قمشها في الدين، فَضَلَّ بها عن اليقين. من رغب عنه إلى غيره، ولم يستنر منه بمنيره، فعَمِهَ في ضلالات المضلين غرقا متسكعا، إذا لم يكن بكتاب الله مكتفيا ولا عنه مستمعا، يستفيد الباطل من المبطلين ويفيده،] ويفيد الباطل [معرضا عن حق المحقين لا يطلبه ولا يريده، راضيا لنفسه بالهلكة من النجاة،] بديلاً عن النجاة [وبالموت الموصول بنكال الآخرة من الحياة،] بدلاً عن الحياة [يَعدُّ غيّه وعماه بَعدُ رشدا،].

على الرغم من أنه هكذا، فما زال يعد عماه وغيه رشداً [وضلالته عن الرشد هدى، قد زاد غيّه وعماه، ما أسعده من دنياه، لما أسلمه الله لجريه إليه، بما أمده من ماله وبنيه.] وبعضهم قد يكون هذه مما يرى نفسه بأنه محق؛ لأنه رأى أموره سابرة هو مثلما يقول البعض: [لاحظ السعوديين لو ما هم على حق ما من أنعم الباري عليهم، ما من الكعبة عندهم!!] وكأن الكعبة لم تأت إلا من بعد ما جاء عبد العزيز، طرحها الباري هناك!.

[فاستدرجه به من الملأ، بالعافية من نوازل البلاء، كما قال تبارك وتعالى فيهم: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ، وَلاَ يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦].] عندما يروا حالتهم جيدة، معهم زراعات، ومعهم أبقار، وغنم وأشياء من هذه، ورأوا أنفسهم ما قد تعرضوا لشيء.

هذا هو عبارة عن مؤقت، إما لحالة تكون الضربة عليهم فيها أشد، استدراج، والاستدراج معناها يدهفك إلى حيث تكون الضربة عليك أشد.

[فغرض كتاب الله المبين، فإنما هو البيان واليقين.] مثلما تحدث عن مثل هنا في الصناعة أو في التجارة، [وقد تعلمون أن كل ذي صناعة] ضرورة فهم الغاية من الشيء، غرضه وقصده. [وقد تعلمون أن كل ذي صناعة، أو تجارة مما كانت أو بياعة، قد علم قبل ملابسته لها ودخوله فيها، ما قصدها وغرضها وما دعا أهلها إليها، كما قد رأيتم وأيقنتم من حال البنّاء، الذي قد علم قبل دخوله فيما يريد أن غرض البناء، رفع السقوف والحيطان، وعقد العقود والطيقان.

وكذلك النجار فيما يريد بعمله من النجارة فقد علم قبل دخوله فيها أن غرضها عمل الكراسي والأبواب وكذلك مثلهما] أصحاب الحرف والمهن هذا يكون قد عارف بقصدها، وغرضها، يريد أن يؤكد أنه لا بد أن تكون فاهماً لهذه: بغرض القرآن الكريم وقصده.[في علم غرض ما يريد غيرهما، من التجارة والبياع، فهم في علم غرض التجارة والبيع وما يريدون فيه كالصُّنّاع، قد علم كل تاجر، من بر أو فاجر، ما غرض بيعه وتجارته، علم الصانع بصناعته، وعلى قدر علم كل صانع، وتاجر منهم أو بائع، يجدّ ويجتهد، ويسعى ويحتفد، فيقل فتوره، ويجل سروره. فلا يكونن أحد منهم فيما يزول عنه ويفنى، أجدّ منكم فيما يدوم أبدا ويبقى، ولا يدخله خسارة ولا نقصان،]

فإذا أنتم ترون التاجر مثابر، وترون الصانع يشتغل، ما يترك الورشة إلا.. والنجار، وهؤلاء كلهم، يجب أنتم أن تكونوا على هذا النحو، لا يكونوا هم أجدّ منكم فيما هو يفنى، أجد منكم فيما هو يبقى، [ولا يدخله خسارة ولا نقصان، ولا وضيعة ولا خيبة أبدا ولا حرمان،].

[فإن تُقَصِّروا في ذلك تكونوا أخسر فيما تعدونه من التجارة والصناعة خسرانا منهم،] إذا أنت ترى فلان قالوا تعرض لخسارة، فلان أفلس، فلان تعرض لكارثة في ماله، احترقت عليه ورشته، احترق مصنعه، وأشياء من هذه، أنت كذلك بالنسبة للقرآن الكريم، أنت أخسر منهم إذا لم تجدّ.

[فأن تقصروا في ذلك تكونوا أخسر فيما تعدونه خسراناً] في موضوع التجارة، والصناعة، [بعد ما فرق الله في ذلك بينكم وبينهم،]. هنا ذكر بأن من يسيرون على هداه هم المفلحون، هم الفائزون، هم الناجون، وكم قد تحدث في هذا الموضوع، يبين بأنه كله ربح، كله فلاح، وفوز، ونجاة، ليس فيه خسارة.. وهذه قاعدة يجب أن نفهمها في الدين بكله: بأنه في الدين، التعامل مع الله لا يوجد خسارة على الإطلاق، لا يوجد خسارة نهائياً.

عندما تنفق هو يعدك بأن يخلف عليك أكثر مما أعطيت، أليست هذه واحدة؟.

عندما تذكره، عندما تتعبد له بأي عبادة، يضاعف لك أجرها، أليس هذا شيء ملحوظ؟ عندما تضحي بنفسك، ما قد نفسك أغلى شيء؟ أيضاً ما يخليك خاسر معه، يجعلك حياً من جديد. أليس هذا شيء معروف بالنسبة للشهداء؟{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} (آل عمران١٦٩) لماذا؟ لأنه بذل روحه. الله ما يريد أن يكون أحد خاسر معه، يعيد له روحه، ويكون مرتاح في حياة أفضل من الحياة التي فارقها، في فرح،

ورزق، مثلما قال في الآية: {بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ} (آل عمران١٧٠) **هنا رزق، وفرح، واستبشار، بكل ما تعنيه الكلمة. ومن العجيب أن هذا الموضوع هو الموضوع الذي الناس يعتبرونه خسارة، الخسارة هو الخسارة هنا، يسجن أشخاص وقد الناس يقولون: [لاحظوا ذولا المغفلين المباليع كيف استجنوا!] وكل واحد ينتبه لابنه لا يدخل في الموضوع فيسجن معهم! ولا يلاحظ سجن الأمن المركزي في صنعاء، أو يلاحظ الإصلاحية في صعدة مليئة بالسجناء، ما يطلع في ذهنه بأنه، لماذا سجنوا؟ ثم يقول لأولاده: [بطلوا، رأيتوا، انتبه، لا جو أنت تسرق، أو تعتدي على أحد] لا أحد يقول هكذا، إلا في عمل الدين، يقول: [بطل أنابوك، مابترى ماذا عملوا؟ ماذا حصل عليهم] ثلاثين شخص يملؤا عينه، يملؤا نفسه، ولا يرى ربما خمسمائة شخص، أو ألف شخص، أو أكثر في سجون أخرى؛ لأن موضوع الدين، أن يقدم مائة في سبيل الله خسارة عندما يطلب منه مساعدة في عمل، يعتبرها خسارة، لكنه يسير ليبذل أضعافها رشوة طبيعي!.**

هذا من الدبور علينا، ومن الخذلان في الناس: أن الخسارة هي كل عمل للدين، نحن نعتبرها خسارة! الأشياء الأخرى ما نبالي بها، لا نحسبها خسارة، ولا هي شيء! من الذي قد سمع شخصاً يقول: يا أولادي انتبهوا، انتبهوا، لاحظوا ذا عندكم السجن فيه ما يقرب من أربعين شخص سجنوا؛ لأنهم سرقوا، انتبهوا لا عاد تسرقوا، أو تعتدوا على أحد .. هل أحد يقول هكذا؟.

مع أنه يسمع أن هناك ألف سجين، ولا يطلع في ذهنه، لمّا يسجن أربعة خمسة من أجل عمل في سبيل الله، وجاو قد هو منتبه لأولاده، وللآخرين بطلوا، لاحظوا، وكأنه ما سجن إلا هؤلاء، وكأنه لا يوجد سجن في الدنيا إلا الذي فيه هؤلاء، لا يرى آلاف من الآخرين من الذين سجنوا على قضايا أخرى.

[فأعوذ بالله لي ولكم من الخسران المبين، فإنه عند الله هو الخسران في الدين،] الخسران المبين {أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(الزمر١٥) **[وذلك فهو الخسران والضلال البعيد، الذي لا يخسره ــ بمنِّ الله وإحسانه ــ رشيد. فمنه يا بني أرشدكم الله فتحرزوا،] من هذه الخسارة الخسارة في الدين[وعنه بالله ما بقيتم فتعززوا، فإنه هو العز الأعز، والحرز الحصين الأحرز،] بالله [الذي لا يكون معه أبدا ضياع، ولا يخسر فيه تاجر.] هذا أيضاً يعود إلى القرآن الكريم.**

[ولا يخسر فيه تاجر ولا صناع وفي ذلك، ولأولئك، ما يقول الله سبحانه: {وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ} [فاطر: ٢٩]**،] الله يسميها تجارة: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ}** (الصف١٠) **هنا يأتي حتى وفق ما هو متداول بين الناس، موضوع التجارة، والربح، والخسارة، يتحدث في القرآن. [فافهموا هداكم الله عن الله هذا البيان والنور. واعرفوا قوله، جل جلاله: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ}** [النور: ٣٦ – ٣٧]**. واعلموا أن التجارة مشغلة وملهاة، لكل من آثر على دينه دنياه،]. لاحظ كيف العبارة هنا عبارة حكيمة: لمن آثر، ولمن يؤثر على دينه دنياه يصبح كل شيء ملهاة له، حتى [الفصفص، التي يسمونها: الزعقة] عندما يكون واحد معرض عن الدين، ما يوجد عنده اهتمام بالدين يصبح كل شيء ملهاة. [وبَخِلَ عن الله من الدنيا بما أعطاه، واقتصر لنفسه مما ينجيها، على رجاء المغفرة وتمنّيها،] الله غفور رحيم.**

[مقيما على المعاصي لا يزول عنها ولا يبرح، ظالما لنفسه لا يشفق عليها ولا ينصح، ولا يقبل من رشده وهداه، إلا ما وافق محبته وهواه،]. في الأخير عندما تريد تنصحه ما يقبل منك نصيحة إلا شيء هو يتناسب معه؛ ولهذا في الأخير هم يختارون هم، يقولون يكفي ما نريد خطبة في هذا الموضوع، هب لنا خطبة في كذا، أليسوا هكذا؟ يُمْلُوا على الخطيب أحياناً؟.

[عدوًّا لمن نصحه في الله، معرضا عمن دعاه إلى الله،]هكذا قد يصبح الإنسان [لم ينصفه مفترٍ عليه فيه بهّآت، له جلبة بجهله وأصوات،] كأنه في قوله: عدواً، ومعرضاً، لم ينصف هذا الذي يعاديه، لكونه دعاه إلى

الله، ونصحه، يصبح مفتريا عليه، وبهاتا له! هذه تحصل في الأخير يقول لك: هؤلاء ما بِلاّ معهم كذا كذا.. هؤلاء هم يشتوا كذا كذا.. أليسوا يقولون هكذا؟ يبهته، ويقدم أن معك أغراض أخرى، ويحاول تكون أغراض بالشكل الذي تشوهك..

[له جلبة بجهله وأصوات، يقول الباطل، ويتبع الجاهل، ليس له في نصح الناصحين حظ ولا نصيب، ولا له مع جهله من الصالحين ولي ولا حبيب، فهو كما قال صالح نبي الله ورسوله، صلوات الله عليه ورضوانه، إذ تولى عن قومه، عند نزول عذاب الله بهم ونقمه، {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف: ٧٩]. وقوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ} [الشعراء: ١٥٠ – ١٥١]. فأسرفُ الإسراف وأفسدُ الفساد؛ كل ما صد بأهله عن الهدى والرشاد.وأرشدُ الرشاد والهدى، وأقصده إلى كل خير قصدا، تنزيل الله ووحيه، وأمره فيه ونهيه، وهو يا بني: الذكر الحكيم، وفيه ما يقول الخبير العليم: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ٥٨].

وفيما خص الله به ذكره من الكرامة والتعظيم، ما يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: ٤٢]، فكفى بهذا لذكر الله سبحانه تعظيما وتجليلا، مع ما يكثر من هذا ومثله، في كتاب الله وتنزيله، قال الله سبحانه: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} [النور: ٣٦]،]

تجد الحديث عن ذكر الله وعظمة ذكر الله كثيرا في القرآن جاءت [والتسبيح وإن كان من ذكر الله والإجلال، فأكثر الذكر وأجمله، وأكرم القول وأفضله، ذكر الله تعالى بما نزل من الكتاب،] تلاوته بتدبر هو ذكر لله، اختيار الأذكار وأنت تذكر الله بالأذكار التي وردت فيه، اختيار الأدعية بالأدعية التي وردت فيه.

بعض الناس يأتي يصلح له أدعية وتكون متنافية في الواقع مع ما قدم في القرآن، تكون متنافية تماماً. لاحظ كيف الأدعية في القرآن فيما يتعلق بحالات الصراع، بحالات الجهاد، تختلف عما يحصل من أدعية من عندنا ومما دُوِّن من أدعية.

[فبه يا بني فاذكروا رب الأرباب،] فبه، أي بالقرآن الكريم، وبما ذكر الله به نفسه في القرآن الكريم فاذكروا الله [فاذكروا رب الأرباب، فإن ذلك هو الذكر المقدم عند ذوي الألباب،]. تلاحظ في الآيات هذه مثل: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} والتسبيح، وأشياء من هذه في الأخير كلها يردوها إلى الصلاة، وكله بعد كلمة، سبحوا؛ لأنها أمر، والأمر يفيد الوجوب، والتسبيح ليس واجباً إلا في الصلاة، وردوها إلى الصلاة!.

الصلاة قد هي تلك مشروعة وفيها تسبيح، وفيها ذكر. مثلما عملوا في الإنصات للقرآن {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا} (الأعراف٢٠٤) قالوا: استمعوا، وأنصتوا أمر يدل على الوجوب، في الأخير نقول: إذاً لا يوجد واجب هنا، إذاً هنا يبدو أنه ليس واجباً.. ما بِلاّ في الصلاة، وردوا كل شيء فيها.

هنا ذكر الله مطلوب، وواجب في أوقات، مطلوب يذكرون الله في القرآن الكريم، قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب، وبكرة، وأصيلاً، {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} (الروم١٧) هنا يأمر الناس بأن يذكروه، يذكروه في كل وقت، ما يمر وقت إلا ويذكروا الله فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}.

هل يوجد أحد يقول أنه يجب التسبيح بكرة، ويجب التسبيح في الأصيل، يعني في آخر النهار؟ ولهذا لعبوا بالنصوص بهذا الشكل، يردونها كلها إلى الصلاة، لا يتذكرون بأنه أحياناً ما يكون هناك صلاة في الوقت الذي

يذكر فيه تسبيح ما هو وقت صلاة .. في نفس الوقت عندما يقول لك في القرآن الكريم: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ}ثم أرده إلى الصلاة، مع أن الصلاة ما بتكون واسعة بأن يقرأ فيها قرآن كثير.
وإذا قرئ القرآن: للتعليم، للهداية يجب أن تستمعوا، وتنصتوا، وكلها وراء القواعد هذه، يريد يرى المفردة هذه إذا هي فعل أمر إذا هي تدل على الوجوب، فيحاول يحولها هناك، يجمع الأوامر في [زوة] هناك يحاول كيف يقصيها. هذه هداية، بغض النظر عن كونه يجب أو ما يجب، هذا مطلب إلهي، وإرادة إلهية: أن الناس هكذا يعملون، يسبحوه بكرة وأصيلاً {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}(الطور٤٩) أليس هكذا يقول؟.
هل هي أوقات صلوات؟{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}؟ يذكر هناك أوقات الصلوات، يذكرها، ألم يذكرها في آيات أخرى؟ {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} إذاً فهو مطلوب التسبيح لله، والذكر لله.
وأفضل الذكر كما يقول: هو القرآن الكريم، ومما ذكر الله به نفسه في القرآن الكريم، ومن الأذكار الجميلة: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) هذه من أحسن الأذكار، وهي كلها مأخوذة من القرآن الكريم (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) هي كلها مأخوذة من القرآن الكريم.
[فإن ذلك هو الذكر المقدم عند ذوي الألباب، ذكّرني الله وإياكم منه بخير، ونفعكم بكتابه المنير، فإنه أفضل المنافع، وخيرها سلكا في المسامع، لما فيه من ذكر الله وعلمه، وما دلَّ عليه من أمره وحكمه. فمن أعظم الذكر لله والتذكير به، ذكره بما ذكر به نفسه من آياته وكتبه، فبتلاوة الكتاب فاذكروه، تُجِلّوا الكتاب وتوقروه،].
وهذه هي عبارة هامة جداً: أنه يجب على الإنسان أنه يحاول أن يصنع للقرآن في نفسيته قدسية وإجلال، وفي أسرته عند أولاده، وفي أهل بيته، ولطلابه، وللمجتمع، أن يعمل الناس على ترسيخ، وإجلال للقرآن، وتقديس للقرآن عند المسلمين.
قد يكون المعلمون بشكل خاص في المدارس، يجب أن يلاحظوا دائماً عندما يكون الطلاب يكتبوا في دفاتر، يكتبوا {بسم الله الرحمن الرحيم} ويكتبوا نصوصاً قرآنية، ثم تراها مبعثرة في أرضية الفصول، وفي حوش المدرسة، أنه يجب على واحد أنه يحاول دائماً يحسس الطلاب بأنها طريقة خطأ هذه، يجمعوها ويدفنوها، أو يجمعوها ويطرحوها بين خزان ماء، أو أي شيء، ولو النص القرآني من داخل الورقة.
عندما تكون أنت معلم تتابعهم بهذا الشكل، هو نفسه تعليم تحسسهم بأهمية القرآن، وقدسيته، لا تتركهم هكذا تكون أوراقهم مبعثرة في الطرق، وفي حوش المدرسة، يذكّر واحد الطلاب بهذا. وهذه قد يكون لها أثر سلبي بالنسبة للطلاب، وبالنسبة للمدرسة، وبالنسبة للناس؛ لأنه مظهر من مظاهر عدم الاكتراث بالقرآن الكريم، وكأنه كأي كلام آخر يداس ليست مشكلة!.
[تُجِلّوا الكتاب وتوقروه، ولا تكتفوا بتلاوة الكتاب مِن تَدبُّره،] لازم تلاوة معها تدبر **[ولا ترضوا من قراءته بِهَذّه ونثره،]** هكذا بسرعة **[فإنه ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تنثروا القرآن نثر الدقل)،]** ومعناه قراءة القرآن هكذا بدون تأمل، بدون تدبر.
[فاقرأوه يا بني إذا قرأتموه بالتنزيل والترتيل] التنزيل، والترتيل، هي قد تكون القضية واحدة، أو أن تكون في قراءتك له، قراءة ما تقطع الآيات ما تبترها، وما يتقيد حتى بموضوع الدائرات، العشارات؛ لأنه قد يكون أحياناً ما بعدها هو استكمال لما قبلها، ربما يقصد هكذا قوله: بالتنزيل. والترتيل، معناه: التأني.

[وتفهموا بالإطالة له والترتل والترسل،] الإطالة له، ليس معناها المدودات، وأشياء من هذه، معناها التأني، فيبدو وكأنه طويل، يبدو أنه إذا كان بالإمكان أخلص المصحف في ثلاثة أيام، قد ما أخلص المصحف إلا في شهر. فهذا أفضل، أكون أدرس المصحف في شهر رمضان بتأمل، وترتيل، وتدبر، أفضل من تقرأ خمسة، ستة مصاحف.

[والترسل، وعندما ذكره الله سبحانه من ناشئة الليل،] يشير إلى الأوقات التي يكون الذكر فيها، والتلاوة يكون لها أثر أكثر بالنسبة للإنسان. **[ففي ذلك ما يقول تعالى لرسوله، صلى الله عليه وآله: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً، إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً}** [المزمل: ٤ – ٧]، **يقول سبحانه: إن لك في النهار مهلا وتمهيلا،]** ناشئة الليل كأنها أول الليل، يكون واحد في وقت صفاء ذهنية، ووقت فراغ، وفي نفس الوقت ما قد هو قريب أن يكون فيه نوم، يأتيه النوم.

[فكفى بما وصفت لكم بهذا بيانا ودليلا، فالحمد لله وَلِيِّ المن به وبغيره من الإحسان، ونسأل الله العون على ما نزل في وحي كتابه من البيان، واعلموا يا بني: أن في كتاب الله جل جلاله، حرام الله كله وحلاله، فليس لأحد تحليل ولا تحريم إلا به، فمن أبى ذلك فهو من الجاهلين بربه.]. هنا يقول الإمام الهادي: بان فيه أصل كل شيء، حتى في موضوع التحريم، والتحليل، كلها لها أصول في القرآن الكريم، ما هو صحيح، فأصله في القرآن الكريم، وفيه الحرام كله، وفيه الحلال كله، وقد يكون مثلاً بعضه بصورة غير مباشرة.

إذا قلنا مثلاً عدد الركعات في الصلاة ليست مذكورة في القرآن مثلاً عددها، عدد الركعات في الصلاة الفلانية، أليس القرآن يهدي إلى إتباع رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ورسوله هو جاء بالصلاة على هذا النحو، هو نفسه امتداد لهداية القرآن، وربما رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قد يفهم فيما يتعلق بعدد الركعات، وتناسقها من خلال القرآن نفسه.

مثلما ذكر الإمام القاسم في موضوع عدد الصلوات أنها خمس، استخرجها من آية: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ} (البقرة٢٣٨) الصلوات، والصلاة الوسطى قال: هذه تدل على أن الصلوات خمس؛ لأن ما هناك وسطى بين صلوات، قد أقل رقم إلى ماذا؟ إلى خمسة، ثنتين، وثنتين، وواحدة.

وأصل الصلاة ليست عبادة مجهولة، الصلاة في الديانات كلها، ليست عبادة مجهولة تماماً، موضوع ركوع، وسجود، وقيام هي معروفة عند الناس من قبل، معروفة أنها عبادة، معروف أن الصلاة عبادة، كانوا يعرفون في الجاهلية أن الصلاة عبادة، هم يشاهدون أهل الكتاب يتعبدون، ومعروفة في الديانات السابقة: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً} (مريم٣١) ويعرفون الزكاة أيضاً.

ولقوله سبحانه في تنزيله، بعد ما ذكر فيه من تحريمه وتحليله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة: ٣]، وكفى بهذا على ما قلنا به فيه علما وتبيينا.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة آل عمران (١ ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

الدرس الأول

{إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٨/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} (آل عمران:١٠٠-١٠٩). **صدق الله العظيم.**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} خطاب للمؤمنين كمؤمنين وباسم الإيمان الذي يحملونه وينطقون به ويقرون به، أنتم كمؤمنين وترون أنفسكم مؤمنين {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} فريقاً منهم، فريق: طرف، وهو الفريق الذي يتحدث عنه القرآن الكريم بصورة خاصة ـ لأن القرآن الكريم كان حديثه حتى وهو يلتزم جانب العدل، ويتحدث عن الواقع ـ كان حديثه بالنسبة لأهل الكتاب هو أنه لا ينسى فريقاً آخر كان ما يزال ملتزماً، كان ما يزال فريقاً يهدي، كان ما يزال فريقاً يمثل الخير في كل أعماله.

هناك فريق الشر، وفريق الغدر، فريق الكفر، فريق الحسد، فريق الدهاء الشديد، {فريقاً من أهل الكتاب} أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى، وكان معظم من يواجه الناس في تلك الفترة، ويدخلون في صراع معهم هم ـ خاصة في بدايات فترة المدينة بعدما هاجر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى المدينة ـ هم يهود. كان من حول المدينة يهود في [خيبر]، و[بني قريظة]، و[بني قينقاع]، و[بني النضير]، ومناطق أخرى هم يهود، ولكن أهل الكتاب بصورة عامة؛ على الرغم من أن الله قد ضرب بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، لكنهم بالنسبة لنا يمكن أن يتشكلوا فريقاً واحداً.

[أهل الكتاب] هو اسم يطلق على اليهود والنصارى، هم أهل الكتاب السماوي السابق، أهل التوراة وأهل الإنجيل، والواقع كشف هذا: أن أهل الكتاب، اليهود والنصارى اجتمعت كلمتهم علينا، أليس هذا الذي حصل؟ على الرغم مما حصل بينهم، ما بينهم من عداوة وبغضاء، وعلى الرغم مما قد حصل فيما بينهم في هذا العصر مما يُوغِر الصدور أكثر، ويرسخ العداوة فيما بينهم أكثر، كما حصل في [الحرب العالمية الأولى]، و[الحرب العالمية الثانية]، وكما حصل لليهود في مختلف مناطق العالم، وكما يقال ـ إن كان صحيحاً تاريخياً ـ ما حدث لهم في ألمانيا على يد [النّازيّة] في [ألمانيا] في أيام [هِتْلَر] على الرغم من ذلك كله اجتمعت كلمتهم علينا، وأصبحوا جميعاً يعملون سوياً في مجال أن يردوا الأمة بعد إيمانها كافرة، أن يردوا المؤمنين كافرين بعد إيمانهم.

الآية تحكي حالة قائمة وستبقى قائمة، وإن كانت هي في البداية، ومن يقرأها في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفي فترات من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يتبادر إلى ذهنه أولئك اليهود الذين كانوا في المدينة وخارج المدينة، أولئك اليهود كانوا بالنسبة لهؤلاء الذين في عصرنا يُعدّون [بدو] يعدّون [بدو]، وإذا كان أولئك اليهود الذين يتبادر إلى ذهن من يقرأ هذه الآية في فترة نزولها وما بعد نزولها في القرون الأولى من تاريخ الأمة هذه، يتبادر إلى ذهنه أولئك اليهود الذين كانوا حول المدينة، أولئك الذين يُعدّون بالنسبة ليهود اليوم [بدو] أغبياء، أما هؤلاء فيهود متطورون جداً، في مكرهم، وخداعهم، وتضليلهم، يهود أصبحوا يمتلكون إمكانيات هائلة، إمكانيات رهيبة اقتصادية وإعلامية.

ولكن كيف؟ كانت تلك النوعية ـ الذين هم بدو بالنسبة لهؤلاء ـ كان فيهم ما يكفي فعلاً من الخطورة البالغة لدرجة أنهم من الممكن أن يصلوا بالمؤمنين من هم في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، والرسول بين أظهرهم والقرآن يتلى عليهم أن يردوهم بعد إيمانهم كافرين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} ما هذه حالة رهيبة؟ يقلب الأمة، يقلب الناس من إيمان إلى كفر، ولن يكون فقط أنه مجرد التضليل الذي يصل بك إلى درجة الكفر من حيث لا تشعر، أو التضليل الذي يأتي من قبلهم وأنت لا تشعر أنه من قبلهم ولو شعرت أنه من قِبَلهم لتمردت عليه. لا.

هم يستطيعون أن يصلوا بالأمة إلى درجة أن تلمس أن هذا هو من قِبَلهم هم اليهود، وستنطلق في طاعتهم، هم يستطيعون أن يصلوا بالأمة إلى أن تطيعهم هم، وهم بكامل مشاعرهم يعرفون أن هذا من قِبَل اليهود، أو أن هذا يهودي ويطيعونهم؛ ولهذا جاء بالضمير {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً} تطيعوا فريقاً {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}.

توحي الآية: بأن اليهود وهم دائماً في كل أعمالهم يلحظون جانب التكلفة؛ لأنهم المال لديهم عزيز، المال ينظرون إليه كسلاح مهم جداً، لكنه لديهم أيضاً له مكانة كبيرة لديهم، فهم معروفون بالبخل والحرص؛ لشدة نَهَمِهم بالمال وجَشَعِهم عليه، فهم يلحظون أيضاً في جانب التضليل هو التكلفة، أن يضل الأمة وبتكلفة أقل، لا يريد أن يخسر كثيراً في تحويل الأمة إلى ضالة، لا يريد أن يخسر كثيراً وهو أيضاً يتحرك لضرب الأمة حتى ولو عسكرياً. هذا من الدهاء أيضاً، من الدهاء الشديد.

فما هي أقرب الوسائل إلى أن يجعلوا الناس كافرين بعد إيمانهم، ضالين بعد هداهم، نفوسهم مسالمة بعد إبائهم؟ هو أن يصلوا بالمجتمع إلى درجة الطاعة.

من يتأمل في أعمال اليهود هم كانوا يلحظون هذا الجانب، يلحظ وبخطوات متأنية وخطط دقيقة وحبة حبة إلى أن يصل بالأمة إلى أن تطيعهم، بل أن يتحول الناس إلى دعاة لطاعتهم، وحينئذٍ لا يخسرون شيئاً. يردون الأمة بعد إيمانها كافرة، بعد عزتها ذليلة، بعد مَنَعَتِها مقهورة وبتكلفة أقل، الشعور الذي لا يحصل عند أي شخص منا وهو يتشاجر مع الآخر ويتخاصم معه عند الحاكم، ما كل واحد سيفتح [الشمطة]؟ كل واحد سيفتح [الشمطة] ولو فيها خمسين ألف سعودي، مائة ألف سعودي يقرِّحها في رأس خصمه.

ليس بتكلفة أقل، ليس لدينا هذا الحس في مقام الخصومة في ما بيننا هو أن أتشاجر معك ولو من منطلق أن أحاول أن أحصل على حكم شرعي وبالطرق الصحيحة عليك، لكن أريد أن يكون بتكلفة أقل، ما كان هذه ستكون ميزة؟. فأصبحنا لا نمتلك ـ تقريباً ـ عقولا حتى في الصراع فيما بيننا ناهيك عن الصراع مع هؤلاء الدُّهاة، اليهود والنصارى.

ثم لماذا يحرصون أن يردوكم بعد إيمانكم كافرين؟ لماذا لا تتجه أذهانهم إلى مشاعر السيطرة وقهر الأمة واستعباد الأمة بعيداً عن مسألة التكفير والتضليل؟ بعيداً عن مسألة أن يردونا عقائدياً في أفكارنا في ثقافتنا في مواقفنا كافرين؟ أي هم هم يحرصون على أن يروك كافراً، لماذا؟.

نحن قلنا: اليهود لديهم [خِبرَة دينية]، ماذا يعني خبرة دينية؟ هم يعرفون أن هذا الدين حق، ويعرفون أن المؤمنين متى أصبحوا مؤمنين لا يمكن أن يقهروهم، لا يمكن أن يقهروهم أبداً متى ما أصبح الناس مؤمنين حقاً.

فمن منطلق البحث عن تَدْجِين الأمة وبتكلفة أقل، تصور قد يقال ـ بالعقلية العربية عقلية صدام ونحوه ـ : [القهر، بالدبابات والطائرات والقنابل النووية ما دام لدينا قنابل نووية فلندمر الأمة هذه]. ما هذه هي عقلية عربية لدينا؟. إنفجار كبير على الأمة وقهرنا أبوهم وطَحَنَّا أبوهم، لكن كم تطلع التكلفة؟ تطلع مليارات الدولارات. آثارها سيئة جداً على اقتصادهم، والاقتصاد هو صمام مُهم في ميدان المواجهة.

وهم يفهمون حتى لو انطلقوا بهذا المنطلق، من منطلق القوة القاهرة والناس ما يزالون مؤمنين فلن يستطيعوا أيضاً أن يقهروا المؤمنين.

هم مؤمنون بالله اليهود، هل تعرفون هذه والاّ لا؟ مؤمنون بالله وكان يأتي منهم أنبياء كثير، وكان يأتي منهم هداة، ويأتي منهم مصلحون، ولديهم [خبرة دينية] لديهم تاريخ آلاف السنين، عرفوا أحداثاً كثيرة في مقام الصراع فيما بينهم وبين الآخرين، كيف أن الإيمان كان هو العنصر المهم في أن تحظى تلك الفئة المؤمنة بنصر الله، ومتى ما حظيت بنصر الله وتأييده فلن يقهرها شيء. حصل درس لديهم هم في قصة [طالوت وجالوت] التي نقرأها في القرآن: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٥١) بإذن الله.

إذاً فكيف نعمل بالبشر حتى نقهرهم وخاصة هؤلاء المسلمين؟ كيف نعمل؟ أليسوا الآن يمتلكون [قنابل نووية] و[قنابل ذرية]؟ أليسوا هم من يمتلكون الصواريخ بعيدة المدى؟. أليسوا هم من يمتلكون الأسلحة الفتّاكة؟. لكن هل فكروا في الدّمْدَمة هذه؟. لا.. يدمدمونا أولاً من الداخل فيفصلون فيما بيننا وبين الله، فمتى ما فصلوا فيما بيننا وبين الله وأصبحنا بعيدين عن أن نحظى بنصر الله... بل هم يفهمون بأنه أيضاً من الممكن أن يتحول الله إلى طرف آخر يضرب معهم هؤلاء ـ وهذا ما توحي به الآيات فعلاً ـ أنهم هم من جهة يضربون والله من جهة أخرى أيضاً سيضرب.

وهذا فعلاً ما سيحصل، لماذا؟ أولئك من منطلق العداوة، والله سبحانه وتعالى من منطلق الغضب على هؤلاء؛ لأنهم لم يكونوا جديرين بأن يحظوا بنصره، لم يهتدوا بهداه، وهم برزوا في الساحة باسمه وممثلون كطرف عنه، أليسوا هم من يسمون أنفسهم جند الله؟ إذاً فأنتم سُبّه إن لم تهتدوا بهديي، إن لم تلتزموا بنهجي وهديي فستصبحون جديرين بأن تُذلوا، فيتخلى عنا هو، بل يُذلنا بل يضربنا هو سبحانه وتعالى.

لماذا؟ لأن المسؤولية علينا أكثر وموقفنا أيضاً بالنسبة للبشرية عامة هو أخطر. لماذا؟ الأمة هذه العربية لو نهضت إسلامياً على هدي الله، أما كان من الممكن أن تهتدي البشرية كلها على يديها؟ أما كان من الممكن أن يسود العالم كله دين الله؟. أما كان من الممكن أن يسود العرب هم العالم هذا؟ أما كان من الممكن أن يسود الصلاح العالم هذا. فكل ما رأيناه في هذا العالم، العرب بتخليهم عن دين الله وعن هدي الله يمثلون عاملاً أساسياً فيه، ليس فقط الآخرون.

إذاً فأنت من أضعت، أنت ـ بانصرافك عن هديي بانصرافك عن نهجي، بانصرافك عن أعلام الدين ـ أنت الذي أضعت ديني، أضعت عبادي جميعاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى يهمه أمر عباده جميعاً، لكن عن طريق من؟. ـ كما اقتضت سنته ـ عن طريق بعض عباده، إذا لم يتحمل هذا البعض المسؤولية فإنه هو من يجني على البشرية كاملاً، وهذه حقيقة. أليس صحيحاً لو أن العرب هم من التزموا بالدين فإن الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله؟ وأمرهم أن يقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

{يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} حينئذٍ عندما تصبح كافراً، يصبح من السهل على اليهود أن يضربوك؛ لأنهم قد فصلوك عن الله، وستكون في نفس الوقت بدلاً من أن تكون محط عناية الله وتأييده تصبح محط ومحل غضب الله ـ ونعوذ بالله من غضبه ـ وإذلاله وتعذيبه.

هل من المحتمل أن يحصل هذا؟ الآية توحي فعلاً، هو يتحدث عن حقيقة، وتسمى آيات الله حقائق {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) هذا الاستنكار يعني أن موقفكم هو مما يثير الاستغراب فعلاً، قد تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، وهذا شيء مدهش جداً، شيء مزعج جداً، كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله؟!. وبمجرد تلاوتها ناهيك عن فهم معانيها، وفهم أعماقها وفهم ما توحي به، فإن مجرد تلاوتها وسماعها فيه ما يكفي للهداية.

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) آيات الله، وهي حقائق وأعلام؛ ولهذا سميت آيات، هي أعلام على حقائق، حقائق من الهدى، حقائق من واقع الحياة، حقائق من مستقبل الغيب، حقائق في كل ما تحكيه.

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) **آيات الله ربكم، آياته ليست صحفاً [صحيفة الحياة] أو [صحيفة الشرق الأوسط] آيات هي من قِبَل من؟ من قِبَل الله الذي هو ربكم، الذي هو الرحيم بكم، الذي هو الهادي لكم، الذي هو اللطيف بكم، الذي هو إلهكم وملككم يهمه أمركم. آيات الله، هل أنتم بعد لم تعرفوا الله، وتعرفوا موقفه منكم، وتعرفوا أنه يهمه أمركم، أنه رحيم بكم، أنه لطيف بكم، أنه حكيم، أنه عالم الغيب أنه... الخ؟. أليس هذا شيئاً مدهشاً؟!.**

ممكن يقول: وأنتم تتلى عليكم صحيفة كذا، أو مجلة كذا، أو كتاب بخاري، أو كتاب فلان، فتقول: لكن هذا الرجل أو هذا الكاتب أو هذه الصحيفة لا يهمها أمرنا، وإن أدت نصائح فليست بالمستوى الذي يهمها أمرنا لدرجة عالية. لكن أما الله سبحانه وتعالى هو رحمن رحيم، وجاءت (بسم الله الرحمن الرحيم) في كل سورة تؤكد أنما يتلوه على الناس من آياته، وما يهديهم إليه، وما يشرّعه لهم هو كله من منطلق أنه رحيم بهم ورحمن بهم.

{وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} إضافة إلى القرآن وفيكم رسوله، رسوله. لا حظوا الإضافات هذه [آيات الله، رسوله] ألم تأت كلها مضافة إلى الله؟ هو عندما يرسل رسولاً هو يصطفي رسلاً من نوعية معينة، يصطفي رسلاً لا يأتون إلى البشرية ليتحكموا عليها من منطلق الجبروت والهيمنة والاهتمام بالمصالح الخاصة، رسلاً يصطفيهم الله سبحانه وتعالى رحمةً للعالمين، يحملون هَمّاً كبيراً ويحملون اهتماماً كبيراً بأمر الأمة.

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة:١٢٨). **هذا الرسول الذي قال: {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} وليس رسول كسرى، أو رسول ما أدري من، أو وفيكم خبير أمريكي، أو فيكم خبراء ألمان، أو فيكم قانونيون.! {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} آياته ورسوله، آياته تتلى عليكم ورسوله يتلو عليكم.. فكيف تكفرون؟.**

هل نقول بأنه فعلا قد لا يكون هناك أنه حصل حالة كفر؟ بل حصلت {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} (الحشر: من الآية١١) **ألم يحصل هذا؟. المنافقون أليسوا من وسط المؤمنين؟ من وسط المجتمع الذي كان يتلى فيه آيات الله وفيه رسول الله؟ إخوانهم أصبحوا يشعرون بمشاعر الأخوة نحوهم وأصبحوا كمثلهم وشأنهم شأنهم، وحكمهم حكمهم.**

أناس يمكن أن يكفروا وهم في نفس الوقت تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله، ما هؤلاء؟. ماذا يمكن أن نقول فيهم؟. هل هناك أحط مستوى من هذا النوع؟. لا. ولا حتى الأنعام ليست أحط مستوى ممن يمكن أن يكفر بطاعته لليهود، وهو يعلم أن اليهود أذلاء، وهو يعلم أن اليهود أعداء لدينه، وهو يعلم أن اليهود حاقدين عليه، وهو يعلم خبث اليهود، ومكرهم ثم يطيعهم فيكفر، في نفس الوقت الذي تتلى عليه آيات الله وفيه رسوله، أليست هذه نوعية سيئة جداً؟.

لكن لاحظ يبدو في المجتمع أيضاً من هم أسوء من هؤلاء.. المنافقون، ومعظم المنافقين ما كانوا كافرين بمعنى منكرين للقرآن أو منكرين للرسول.. مؤمنون بأن هذا هو القرآن وأن هذا هو رسول الله لكنهم ينطلقون منطلقات أخرى بسبب قلة وعيهم، وبسبب جهلهم بالله سبحانه وتعالى، جهلهم بمعرفة الله بالشكل الذي كان يمكن أن يخلق في نفوسهم خشية، اهتمامهم بمصالحهم، اهتمامهم بنفوسهم، {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}إلى آخره.

ثم تلاحظ هؤلاء المنافقين هم أنفسهم ألم يكونوا يشكلون خطورة في ذلك المجتمع الذي كان فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. فأصبحوا هم من كانوا يؤثّرون على الكثير فلا ينفق الكثير، فلا يخرج مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويتخلف عن الجهاد معه.

تأتي حملة رهيبة في القرآن الكريم على المنافقين؛ لأنهم كانوا شديدي التأثير، وكثيري التأثير في أوساط المجتمع الذي فيه آيات الله وفيه رسوله، لدرجة أن الله قال عنهم: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} (المنافقون: من الآية٤) **لماذا احذرهم؟. هل لأنهم يشتغلوا في أوساط الكافرين؟ أو أنهم كانوا يشتغلوا في أوساط المؤمنين أنفسهم؟ في أوساط**

المسلمين فيجعلونهم يتخلفون عن رسول الله ولا يهتمون بمقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا يهتمون بما يصدر منه، ولا يخرجون للجهاد معه إلا متثاقلين، ويتعبونه جداً ويقلقونه جداً.

رجع عبد الله بن أُبَيّ بكم؟ بثلاثمائة رجل عندما خرج رسول الله إلى غزوة [أحد] استطاع أن يرجع بثلاث مائة إلى المدينة ويتخلفوا عن رسول الله ثلاثمائة!.. منافق واحد.

من يتأثر بمنافق عربي.. منافق عربي وآيات الله تتلى عليه وفيه رسوله، سيعبد يهودياً وليس فقط سيتأثر بيهودي، سيتحول إلى كافر على يد يهودي، وسيرى نفسه في يوم من الأيام يعبد اليهودي كعبادة الناس للشيطان؛ لأن المنافق العربي هو أقل دهاء من اليهود، أقل خبرة، أقل فهماً، أقل ذكاءً، أقل دهاء من اليهود. فإذا كان منافقون عرب من أهل المدينة وممن حول المدينة هم قد يكونون من تأثروا تأثيراً بسيطاً باليهود فأصبحوا منافقين مزعجين، فأصبحوا مؤثرين فالمجتمع الذي يتأثر بالمنافق العربي البدوي سيتأثر باليهودي فيتحول إلى كافر، اليهودي الذي يمتلك تاريخاً من الخبرة قوامه أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ويعرف هذا الدين أكثر مما يعرفه المنافق العربي.

لو تلاحظوا حتى فعلاً منافقي العرب في زماننا ألم يتحولوا إلى خدام لليهود؟ وعن بُعد يشغلوهم [بالريموت]، عن بُعد.

إذاً فتأتي الآية هي فعلاً تحكي أن هناك وضعية خطيرة حتى على الرغم من وجود النبي ووجود القرآن {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران:١٠٠) **وهل هناك أبعد من الكفر؟.**

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} لا حظ كأنه يحكي بأنه قد حصل منهم، أحياناً عندما تكون حالة الإنسان أو حالة المجتمع مهيأة لأن تسودها ظاهرة معينة يصح أن يُحكى عنها وكأنها قد وقعت. {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) **هنا قد نضل بمنافق عربي متأثر بيهودي بدوي.**

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) **توحي الآية بأنه أيضاً: لا بد من هداية الله على هذا النحو، وأن الأمة تحتاج إلى هدي من الله بشكل كتب وإلى أعلام للهدى قائمة، تحتاج إلى أعلام للهدى قائمة. لم يقل: {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية١٠١)، **هل اكتفى بهذا؟. {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ}** (آل عمران: من الآية١٠١) **عَلَم منكم، رجل منكم، عَلَم للهدى يحمل هذا القرآن، ويدور حوله، ويهديكم بهديه، يحمل رحمة القرآن، ويحمل هدي القرآن ـ والقرآن هو يتنزل في تلك الأيام آية، آية، على مرأى ومسمع منهم ـ وهو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يعرفونه بشخصه، ويعرفونه بمواقفه، يتحرك بينهم، ومع هذا يمكن أن يضلوا بمنافق يعتبر عميل أو متأثر بيهودي، يكفر بطاعة فريق من أهل الكتاب!.**

وأولئك اليهود كانوا أقل دهاء وأقل خبثاً، بل كانوا فعلاً يعدون [بدواً] بالنسبة ليهود اليوم، والكتاب هو كتاب للعالمين إلى آخر أيام الدنيا، والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو رسول للأمة إلى آخر أيام الدنيا، والقرآن هنا ينص على أن الأمة بحاجة إلى القرآن، وبحاجة إلى عَلَم يتجسد فيه القرآن هو امتداد للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ووارث للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في كل عصر من العصور. أليس يعني هذا: بأن الأمة ستكون أحوج ما تكون إلى أعلام للهدى تلتف حولهم؟ هم يجسدون القرآن ويهدون بالقرآن، ويرشدون الأمة بالقرآن، ويعملون على تطبيق القرآن في أوساط الأمة.

أم أن الله لم يهتم بالأمة هذه؟!. فكتاب ورسول هو سيد الرسل لمجموعة من البشر في زمن محدود ثم يقول هذا الدين هو كله للعالمين، وهو يهددنا ويحذرنا من أهل الكتاب وهم [بدو] مقابل أهل الكتاب الرهيبين الشديدين في مكرهم الذين يمتلكون إمكانيات هائلة، ثم لا يضع حلاً للمسألة؟!. الحل هو نفس الحل: لا بد للأمة من أعلام تلتف حولها، هم أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) **هذه آيات الله هي قائمة فينا، لكن عندما فُقدت الأعلام ألم يضع الكتاب نفسه؟ ـ نضيعه نحن ولم يضع هو ـ ألم تضيع الأمة الكتاب هو عندما أضاعت الأعلام؟. أم أنه ليس هناك إشكالية؟ هذه نقطة مهمة. أن من قوله: {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} بعد قوله: {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ}** (آل

عمران: من الآية١٠١) **إذا قلنا وأنتم تتلى عليكم آيات الله، [حسبنا كتاب الله]، ألم يقلها عمر؟ [حسبنا كتاب الله] لكن كتاب الله تحتاج الأمة إلى من يجسده ـ تحتاج الأمة ولا يصح أن نقول: يحتاج، يحتاج.. هذه عبارة ليست مؤدبة ـ لكن نقول الأمة تحتاج إلى من يهديها به، تحتاج إلى من يجسد قيمه، تحتاج إلى من يفهم آياته فيرشدها بهديه وإرشاده، الأمة تحتاج إلى هذا.**

فعندما رأت نفسها مستغنية ما الذي حصل؟ هل اهتدت فعلاً بالقرآن؟. لا.. بل ضلت ولم تهتد بالقرآن، وبدلاً من أعلام الحق يصعد لها أعلام سوء، وأعلام شر، وأعلام باطل! هذا الذي حصل، فضلت عن القرآن، وبدلاً من أن يكون لها أعلام حق وأعلام هدى يبرز لها أعلام شر وضلال على امتداد تاريخها، وتتعبد الله بولائهم!.

وما أسوأ أن يتعبد الإنسان ربه بالضلال، ما أسوأ أن تتعبد الله بضلال؛ لأنك ضليت ثم رأيت الضلال حقاً فأصبحت تتعبد الله بضلال، والله هو المنزه أن تقصر أنت في طاعته بالحق الذي هو حق، متنزه، لا يليق بك أن تقصر في طاعته بالحق الذي هو حق صريح، أما أن تتعبده بضلال فهذا شيء لا يليق بالله إطلاقاً، لا يليق بكماله إطلاقاً.

ثم إن الضلال يتجه نحو من هو شر، أن أتعبد الله بأن هذا هو علم من أعلامه، وهو نفسه ممن يخالف كتاب الله ويخالف رسوله، هو نفسه ممن ضرب الأمة وأهان الأمة، هو نفسه ممن يحمل الباطل من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، أنا أتعبد الله بأن هذا هو بيني وبين الله، هو علم من أعلام الله أليس كذلك؟.

معنى ذلك أنه إن كان الله شراً، وكان الله ناقصاً فيمكن أن يكون هذا علم من أعلامه فأنت تدنس مقام الله، تدنس الله ـ إن صح التعبير ـ أن تتعبده بتولي هذا؛ لأن هذا لا يليق بأن يكون فيما بينك وبينه، {وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً}(الكهف: من الآية٥١) **وما كنت متخذ المضلين عضداً ساعداً يعينني أو يساعدني أو عوناً فيما يتعلق بهداية عبادي، لا يمكن.**

لكن تصبح المسألة إلى هذه الدرجة: أن يتعبدوا الله بالضلال فيتولى ذلك الشخص ويصلي عليه كما يصلي على آل محمد، يصلي على آله وأصحابه [أجمعين] فيدخلهم في الصلاة التي هي كلمة لها معاني رفيعة، لها معاني سامية جداً، ولها ـ فيما توحي به ـ معاني مهمة جداً؛ من أجل أن تشمل أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعائشة وفلان، وفلان [أجمعين].

إذاً فالأمة تحتاج في تاريخها إلى القرآن ـ وهو قائم بين أظهرنا ـ لكن ((رسوله)) هل كان رسوله لتلك الفترة إذاً فنحن يا الله لماذا تضيعنا؟ فترة قصيرة هي خمسة وعشرين سنة أو ثلاثة وعشرين سنة تؤتي أهلها وهم لا يتجاوزون آلافاً معدودة، تعطيهم رسول هو سيد الأنبياء والرسل، ثم تضيعنا من بعد فلا تهدينا إلى أعلام، ولا تجعل لنا أعلاما، ولا ترشدنا إلى أعلام، يقومون فينا خلفاء لرسولك (صلواتك وسلامك عليه)، يهدون الناس بهديه ويجسدون قيمه ومبادئه ويسيرون بالناس سيرته فيلتف الناس حولهم!!.

لا يجوز هذا على الله إطلاقاً، لا يجوز على الله وإلا كان منافياً لرحمته، ونحن من نقرأ في كتابه: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(الفاتحة:١ـ٢). **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألم} {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم} ما كلها في بدايتها {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}؟.**

وكلمة [رحمن رحيم] فيما تعنيه جملةً المبالغة في الرحمة، كما تقول: [الأخ العالم العلامة]، ألسنا نقول هكذا في رسائلنا: العالم العلامة؟، [عالم وعلامة] اشتقاقها واحد.

وضل المفسرون في معنى رحيم بمن؟ ورحمن بمن؟ رحيم في الدنيا ورحمن في الآخرة، فيقسمون رحمته! هي فيما تعطيه جملةً تدل على المبالغة الشديدة في رحمته، في التعبير عن رحمته بنا.

[رحمن رحيم] عبارة واحدة تنظر إليها كعبارة واحدة، وهذا في لغة العرب تستعمل على هذا النحو تكرير الصيغتين ذات جِذْرٍ واحد، بصيغتين مختلفتين في الظاهر واشتقاقهما واحد للمبالغة جملةً، الرحيم، الرحيم، الرحيم.. وكأنه يقول هكذا.

فأين رحمته ـ إن جَوّزنا عليه هذا ـ إن جوزنا عليه أن يهتم بسكان منطقة الجزيرة العربية خلال فترة ثلاثة وعشرين سنة، وأمام يهود مساكين مستضعفين [بدو]، لم يكونوا على هذه الخطورة العالية، ثم يموت نبيه

فيغلق ملف هدايته ورحمته ولطفه، ثم يقول: هناك الجنة وهناك جهنم، جهنم يسعرها بعد أن أغلق ملف رحمته، وهدايته! هل هذا يليق بالله؟.

لا يليق بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن نعتقده، بدليل أن الأمة في واقعها بطبيعتها لا يمكن أن تتخلى عن هذا، حتى وهي تسير في طريق الباطل تحتاج إلى أعلام للباطل، ولن تتخلى، أنت لا تستطيع أن تعيش في ذهنيتك بدون علم، لا تستطيع، هل تعيش في ذهنيتك بدون أعلام؟ تعدل عن هذا لكنك ترجع تلقائياً إلى هذا، أليس هذا الذي يحصل؟.

متى ما جاء شخص كره [السادة] وخلاص مِن [السادة] فين بيرح؟ هو بيجلس عَطَلْ؟ تراه يميل إلى مَن؟. إلى [مقبل، الزنداني، ابن باز، ابن تيمية، بخاري، مسلم، أبو بكر عمر، عثمان، عائشة]، ما هذا الذي بيحصل؟. لا يوجد إنسان يجلس عطل، ما يمكن تجلس عطل نهائياً؛ لأنك في نهاية المطاف إما أن يكون الله هو مَن هو في ذهنك، الله هو الذي أمامك أو يكون الشيطان. هل هناك شيء غير هذا؟.

من الذي يستطيع أن يجلس بعيداً عن أن يكون عَلَمُه هو الشيطان إذا لم يكن ماشياً على هدي الله؟ لا أحد. المسألة من أساسها سُنّة بشرية، فطرة بشرية لدى الإنسان يحتاج إلى أعلام سواء للباطل أو للحق، والحق أيضاً يحتاج إلى أعلام والباطل يحتاج إلى أعلام.

الباطل ما بينتشر من الأشخاص الذين يكونون في الشوارع مساكين مدهجين وسبّر حديث وافلته وجاءت الأمة تلتقطه ثم تعممه في مدارسها، هذا ما بيحصل.

ينتشر الباطل من داخل أعلام رموز هم من يَلُوا أمر الأمة، أو يكبّروا كعلماء في وسط الأمة فيصبح [قاضي القضاة]، أو يكون له لقب من هذا النوع، أو [إمام المحدثين]، فيأتي من هنا التضليل، ويأتي من هنا الانحراف، ويأتي من هنا الكذب، فيأتي من هنا الباطل فيعمم على نطاق واسع؛ لأني تلقيت الباطل من عَلَم، فبقدر ما لهذا العلم في نفسي من مكانة بقدر ما هيئت نفسي لتقبل هذا الباطل من جانبه، ليس هناك باطل ينتشر من الناس المساكين الذين هم فلاحين الذين يكونون بين أموالهم أو في الشوارع مُتَخبِّطين، ما بيمشي الباطل من بينهم، التحريف الذي هو باطل كتحريف لمعاني القرآن أو بوضع ثقافة باطلة.

من الذي يستطيع أن يعمم ثقافة باطلة؟ أليست هي الدول؟ والدول بواسطة من؟ بواسطة علماء يخدمونها من صحابة أو من تابعين أو من غيرهم من بني البشر.

فالباطل نفسه يحتاج إلى أعلام، وما بين أيدينا من الباطل لم ينتشر تلقائياً، إنما عن طريق أعلام شدّونا نحوهم، ثم قالوا هذا هو دينهم، هذه هي عقيدتهم، هذه هي سيرتهم، هذا هو ما كانوا عليه، فالتزموا بما كانوا عليه، وقد أصبحوا يملئون أنفسنا.

هكذا يكون انتشار الباطل، ولا بد في نفس الوقت للحق أن يسري على هذا النحو.. يأتي الحق عن طريق أعلام لهم مكانة في نفوسنا، أعلام نجلّهم، أعلام نحترمهم، أعلام ندين بحبهم، أعلام نعرف تاريخهم المشرق، أعلام نعرف كيف كانوا يجسدون القيم الصالحة، كيف كانوا رحماء بالأمة، من خلال انشدادي لهؤلاء الأعلام وحبي لهم وإجلالي لهم أتحلى بما كانوا يتحلون به، أدين بما كانوا يدينون به، فمن هنا يأتي تقبل الحق.

نفس الشيء الذي أحيط به كل مصادر هداية الله سبحانه وتعالى بدءاً من القرآن الكريم، بدءاً منه هو سبحانه وتعالى، ألم يقدم نفسه كعظيم لدينا؟ كعظيم نعظمه، نُجِلُّه، نقدسه؛ ليملأ مشاعرنا لننطلق في التمسك بهديه، إذا كان الله لا قيمة له عندنا فمن الذي يتمسك بهدي من لا قيمة له عنده؟. أليس نسيان الله وهو على ما هو عليه، نسيانه هو يؤدي إلى أن ينسى الإنسان أن يهتدي بهديه {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}(التوبة: من الآية٦٧).

كذلك كتابه الكريم، ألم يثنِ الله في كتابه الكريم الثناء العظيم {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} (عبس:١١-١٥) **أليس هكذا تحدث عنها؟ يثني على القرآن الكريم بأنه كتاب حكيم، بأنه نزله من يعلم السر في السماوات والأرض، بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنه هدى، أنه نور، أنه شفاء، أنه موعظة، أنه.. أنه... لدرجة أن تملأ نفسك مشاعر الإجلال والنظرة إلى العظمة في هذا الكتاب فتهتدي بهديه.**

إذا كنا نحن، ونحن شيعة لم نصل بعد إلى درجة أن نؤمن بما توحي به هذه الآية وتنص عليه كحاجة ماسة {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) وأنه يرشد إلى منهج وقدوة، أليس كذلك؟. يرشد إلى كتاب، ينزل من عنده، ورسول يصطفيه من عباده، رسول هو خاتم النبيين، فلا بد أن يكون هناك أعلام للأمة من بعده يسيرون بسيرته، وليكن في المسألة كفاية؛ لأن يكون من جهة الله وهو يرى أن فيها الكفاية للأمة.

وورثة من أهل بيت نبيه، هم لا يرقون بالطبع إلى درجة أنبياء، إنما هم ورثة لنبيه يسيرون بسيرته يهدون الأمة بهديه، يكونون هم أعلام دينه وأعلام هديه، تلتف الأمة حولهم.

تحتاج الأمة إلى أن تهتدي عن طريقه بالكتاب الذي نزل بلغتها، على الرغم من أنه نزل بلغتها، أو أنه نزل بلغة لا يفهمها إلا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. أم أنه بلسان عربي مبين. طيب ما نحتاج أحداً.. بلسان عربي مبين، نحن عرب لا نحتاج إلى أحد، مع السلامة، أنت وصلّت المكتوب والرسالة ومع السلامة، كما كان يقول الوهابيون، كانوا يثقفون بهذه الثقافة؛ ولهذا اضمحلت جداً عظمة رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في نفوسهم.

قالوا: محمد هو رسول جاء برسالة وذهب، هكذا كانت عبارة معروفة لديهم، بدوي جاء برسالة، جاء بمكتوب من عند الله وراح {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ} (فصلت: من الآية٦)، هو بشر جاء بمكتوب ومع السلامة راح، كانوا يقولون هذه العبارات يحكيها [دحلان] وغيره، هم كانوا يكرروا هذه.

نحن شيعة أهل البيت وبالذات نحن [الزيدية] هم من وُوجِهوا بحملات كثيرة ضد أهل البيت، كثير من الناس لا تشعر بأنه فعلاً أصبحت هذه القضية يؤمن بها فعلاً، مجرد احترام وتقدير وصداقة، لكن لو يدخل في مشكلة مع أحد بعضهم قد يقلب إلى عند الإمام علي. نحن لا ينبغي أن نكون بهذه العقول، بهذه النفوس الصغيرة نفهم دين الله.

كما قال الإمام الخميني: ((إن الإسلام أسمى مما تتصور)) هو شخص صعد عظيماً وهز الدنيا مع هذا كان يصيح بعظمة الإسلام، ويقول في نفس الوقت ((إن الإسلام أعظم وأسمى مما تتصور))، وفعلاً إذا بقيت الأمة وخاصة نحن [الزيدية] لم نؤمن بعد بهذه المسألة، أنه فعلاً ثقلين لا بد منهما ((كتاب الله وعترتي)) كما قال هنا: {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) أليس المعنى واحد؟ والتعبير واحد؟.

ويمكن أيضاً أن نقول أننا مغبونين ـ إذا أردتم الصدق ـ أن الله يقول لأولئك الناس ـ وهم مجموعة من البشر وخلال ثلاثة وعشرين سنة ـ {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) تتنزل {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) سيد البشر موجود بينكم، ما عاد احنا مكلوسين قليل؟.

معنا كتاب الله تلقيناه ولا زال يواجه بالتشكيك بأنه إنما جُمّع من خَزَف وأضلاع وقراطيس وجمّعها أبو بكر، لولا أبو بكر كان يمكن أن ينتهي القرآن، وفلان كان عنده آية وفلان نسي آية، وسورة كانت أطول من هذه.. فرق كبير بين من ـ لولا أن القرآن استطاع أن يدحض كل هذه المقولات ـ لكن فرق كبير بين من يرى محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو ينزل إليه الوحي ثم يستيقظ من وحيه فيقرأ عليه الآية، ما كل شيء طري؟.

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) وفيكم رسوله سيد البشر، من حكى الله عنه بأنه {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: من الآية١٢٨) وهو واحد علَم يرونه، أما نحن عترة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليست المسألة أقل؟ لكنها كافية، ونريد أن نتنكر للقليل الذي يكفي، فما هو البديل إذاً؟ ما هو البديل إذاً؟.

نحن حتى عندما نؤمن بالثقلين كتاب الله وعترة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ربما ـ وإن كانت عبارة غير مؤدبة لكن لنعرف، لنفهم نحن [إن عاد احنا مكلوسين، مكلوسين] لم تصبح وضعيتنا كوضعية من كان في حياة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، ونحن مَن في زمن أطول، ونحن من وُوجِهنا من قِبَل أعداء أشد خبثاً وأكثر قوةً، ما هذا الذي حصل؟. لو نريد أن نُقاصي الله.

لولا أنه يعلم أن في المسألة كفاية لكان بالإمكان أن نقول: كان تنعكس القضية كان خلي محمد يأتي في القرن العشرين ووقت الشدة وقت الأزمات، ووقت كذا.. لكن لا؛ لأن الله يعلم أن في المسألة كفاية وفوق الكفاية، أن عترته (صلوات الله عليه وعلى آله) فيهم كفاية وفوق الكفاية، أن يكونوا أعلام للأمة، ومع هذا نقول: [ما قد امتغطت المسألة، ما نشتيهم]!.

يا أخي لو تنظر إلى واقع القضية عادك مكلوس ـ بعد أن تؤمن وتقبل ـ بالنسبة لما كان للناس في مجتمع النبي نحن مكلوسين، لو لا ثقتنا بالله سبحانه وتعالى، ثقتنا بالله أنه سيجعل في هذه الأمة من بعد حياة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) منهم أزكى وأقوى وأعظم نفعاً للإسلام والمسلمين ممن كانوا في أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما عدا الإمام علي والأقلية منهم.

ولهذا في حديث صحيح أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يسمى أناساً سيأتون من بعده ((إخوانه)) بعبارة ـ لا أذكر نص الحديث ـ أنه كان يتأوه على إخوانه، قالوا: نحن إخوانك يا رسول الله. قال: لا، إخواني الذين سيأتون من بعدي فيرون كتاباً ـ أو بعبارة تشبه هذه ـ فيؤمنون به ويصدقون به.

أنه رسول الله نفسه كان يُقَدِّر لمن يأتي بعده أنه ممكن أن يكون بعده ممن هم في واقع المسألة لم يحظوا بما حظي به من كان في مجتمعه، في حياته من مشاهدة القرآن يتنزل، ومشاهدة الرسول يتحرك حياً بين أيديهم، لكن الله سيرعاهم فيكون منهم من سيصبح إخواناً للنبي فوق درجة أن يقولوا: صحابي، صحابه، صحابه.

ولهذا كان الحديث محرجاً حتى حاول الكثير أن يقولوا فيه: هي فضيلة عظيمة لكنها لا ترقى إلى درجة الصحبة، مع أن الحديث ينص أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يتكلم بهذا الحديث ((إخواني، إخواني)) قالوا نحن يا رسول الله؟. قال: لا، إخواني من يأتون بعدي. أليست كلمة ((إخواني)) بهذا المعنى هي أرقى من كلمة (أصحابي)؟.

يعني ماذا؟ أن الله قائم، أن الله حي قيوم وموجود يستطيع أن يجعل فيما بين المسلمين الكفاية. [فرق كبير بين من يتلى عليه القرآن من فم رسول الله وهو ينزل طري وبين] كتاب تعرض للهزات من قِبَل المسلمين أنفسهم: نزل على سبعة حروف، نزل على سبع قراءات، لحد الآن لم يعرفوا ما هي هذه الحروف، أناس قالوا: سبع لغات، وأناس قالوا: كذا، لحد الآن لم تتميز المسألة لحد الآن فعلاً، أنهم كانوا يتضاربون ناس يقرؤون كذا، وناس يقرؤون كذا، ثم أحرقوه وبقي نسخة واحدة جمَّعها عثمان وطبع عليها ووزعها في المناطق. وعَظْمِي من هنا كان فيه آية، وعظمي آخر جمَّعوه، ولوح من هنا.

اقرؤوا كتاب[علوم القرآن] للقطان؛ لتجدوا كيف تعرض القرآن الكريم لهزات لولا أنه محفوظ من قبل الله لطلع فيه سور أخرى واحدة لمعاوية، وواحدة لعائشة، وواحدة لأبي بكر، وواحدة لعمر، وواحدة لعثمان... لكن الله سبحانه وتعالى حفظه.

من أجل من؟ حفظه حتى ممن رأوا النبي من أجل أن يصل إلينا نظيفاً وسليماً. أعتقد أنه حفظه حتى ممن كانوا في زمن النبي؛ لأنهم بعد موته كانوا يشكلون خطورة عليه كثير منهم، معاوية ألم يعاصر النبي أليس صحابياً؟ عمرو بن العاص أليس صحابياً؟ المغيره بن شعبة وعائشة ما هم صحابة؟ لكن ما كان هناك مجال والا معاوية مِن يطلّع لك عشرين مصحف، يطلّع لبني أمية سورة، وفي أهل البيت سورة تكون لعناً وسباً.

سبروا حديثاً في أهل البيت ((إن آل أبي طالب ليسو لي بأولياء)) أن رسول الله قال كذا، لكن كَبُرت عليهم المسألة، حتى المحدثين تحاشوا أن يصدروها في كتبهم، فجعلوا بدلها ((فلان)) ((إن آل أبي فلان ليسو لي بأولياء))! قالوا إما هذه كبرت، لكن السند صحيح رواه فلان عن فلان ثقة ـ بيسموه ـ ثقة ضابط، ثقة! [ضابط أموي برتبة عميد].! أليسوا يقولون ثقة ضابط؟.

أقول نحن فعلاً [الزيدية] إذا لم نصل إلى قناعة بهذه المسألة بالثقلين، وأن نتحرك في إطار الثقلين فسنظل أخذل الأمة وأرذل الأمة، أتعرفون أننا الآن أضعف طائفة؟ وأننا الآن أذل الطوائف والاّ لا؟ تعال انظر إلى المسلمين جميعا تجد المسلمين تحت أقدام اليهود، تعال إلى الشيعة تجد الشيعة طوائف متعددة كلها في وضعية جيدة احترمت نفسها، لماذا؟ ربما لأنها ليست المسئولية موجهة عليها بشكل كبير كما هي موجهة إلى [الزيدية]،

[الإثنا عشرية] محترمون ولديهم دولة ولديهم أحزاب قوية، ولديهم إمكانيات هائلة وصحف ومجلات ومطابع وأعلام وأشياء كثيرة يملئون الدنيا بها. [المكارمة] من يحسبون أنفسهم على الشيعة، ونحن بعد لم نعترف بهذه [الباطنية] في حراز وفي الهند. [البُهْرة] هؤلاء من يعدون أنفسهم من الشيعة الإسماعيلية كلهم طوائف وضعيتها جيدة.

ما الذي حصل للمكارمة في [نجران]؟ عندما تعرض واحد من طلاب سيدهم إلى إهانة أو استجواب من السلطة السعودية ماذا عملوا؟ عملوا ثورة في نجران وخرجوا في الشوارع وضرب بالبنادق حتى ضربوا مكتب الأمير نفسه، وكسروا سيارات، وحرقوا أقاموا لعبة داخل السعودية. [البُهْـرَة] طائفة غنية، طائفة منظمة، لكن الزيدية بيلعب بهم مدير مدرسة، أو يلعب بهم محافظ، أو سارق، أو مدير ناحية أو حاكم أو عسكري، يعني وضعية سيئة جداً، لماذا؟.

ليس لأن أولئك لديهم الحق، تعال تصفح لن تجد عندهم الحق، لكن عند هؤلاء الحق وهم من أضاعوا المسؤولية، هم من أضاعوا مسئوليتهم هم فاستحقوا أن يذلوا كما قلت سابقاً.

ألم نصبح نحن كعرب أذلاء تحت أقدام اليهود والنصارى؟ لأننا أضعنا ما استوجبنا به أن نكون تحت أقدام من قد أذلوا، من ضربت عليهم الذلة والمسكنة. ألسنا نحن الزيدية تحت أقدام السنّيّة؟ لأننا نحن من أضعنا المسؤولية الكبرى، ونحن من نتنكر لأهل البيت، ولم نؤمن بعد بقضية الثقلين: ((كتاب الله وعترتي))، وقد آمن بها الآخرون، إنما لم يطبقوها، آمنوا بها لأن هذا الحديث صحيح، لكن ثُقّفُوا ثقافة أخرى وانطبعت في نفوسهم عقائد أخرى وثقافة أخرى جعلتهم يعدلون عنها، وإلا فهم مؤمنون بها.

نحن متى لم نؤمن بالثقلين فسنظل أذلاء وليطل الزمن كمّا طال، ولن نحظى بعزة، ولا بقوة، ولا بتمكن، ولن نستطيع أن نقدم للإسلام شيئاً.

كيف نستطيع أن نقدم ونحن ندخل بوجهة نظر ناقصة، هي نفسها تجعلنا ندخل إلى القرآن ناقصين، وننظر إليه بنظره ناقصة... لسنا بحاجة إلى أعلام بينما الله يقول لأولئك ـ كما قلت سابقاً وأكثر من مرة ـ {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) في مواجهة [بدو] من أهل الكتاب، ما الحديث عن {إن تطيعوا فريقاً}؟ فريق أما الآن دول، أليس صحيحاً؟ فريقاً يعني مجموعة من أهل الكتاب، أما الآن أنت تواجه الصهيونية بإمكانياتها الهائلة، وتوسعها في العالم، أنت تواجه دولاً بأكملها، تعمل كلها جاهدة على أن تكفرك، أن تصل بك إلى درجة الكفر، تمتلك إمكانيات هائلة تعمل فعلاً على دعم وسائل الضلال.

[الدُّشّات] هذه ما كان الدُّش بمائة وستين ألفاً أو بمائة وثلاثين ألفاً؟ دعمته الصهيونية بأخبار مؤكدة أنها دعمته الصهيونية من أجل أن ينتشر بين الناس برخص فيصل سعره إلى خمسة عشر ألف، عشرين ألف، والباقي عليهم، يعطوا الشركات المصنعة المبالغ التي هي قيمة هذه الأجهزة وتنزل لدينا برخص.

أتعرفون ما معنى الدعم؟ الدعم: إذا كان هذا الجهاز تصنعه الشركة الفلانية يصل قيمته إلى مثلاً ألف دولار، الشركة يُدْفع لها ـ مثلاً ـ تسع مائة دولار. ويبيعه في السوق بمائة دولار، هذا هو الدعم.

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) نريد أن نعرف نحن كم نحن مجموعة من الزيدية كم نحن هنا قد نكون مائة شخص أو أقل، من يعرف بأننا نحن المائة هذه ـ ونحن نموذج لغيرنا ـ أن فينا على الأقل ثمانين في المائة مؤمنين بالقضية هذه، مؤمنين بقضية الثقلين بوعي، أنها هي المسألة التي لا بد منها في الاهتداء بالدين ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) أليس هذا صمام أمان من الضلال في كل مجالات الدين، في كل مجالات الحياة؟.

والضلال هنا الذي قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يعني ضلال أنك تقع في معصية تدخل في باطل من الباطل الذي نسميه نحن، هذا الباطل المعروف، بل الضلال بكله، ضلال في العقيدة، ضلال في الفكر، ضلال في الحياة، ما هو الضلال في الحياة؟ أليس هو التِّيْه، الجهل، الضَّعة، الذلة، افتقاد القوة، الشقاء، أليس هذا هو الضلال؟.

الإسلام هو جاء دين يهدي الأمة فيزكي النفوس، يعلّم الناس، يزكيهم، يطهرهم، يجعل الحياة كلها سعيدة بالنسبة لهم، يجعلهم متمكنين في الأرض، كل خيرات الأرض تحت أيديهم، كل أسباب القوة بأيديهم، هذا الذي أراده الله سبحانه وتعالى للمسلمين، للعرب بالذات، لكن تنكروا لكل شيء فأصبحوا أذلاء وأصبحوا لا يمتلكون شيئاً، إلا ما كان فضلات مما لدى الآخرين.

حتى في المناهج الدراسية نحن ندرس نظريات قد عفا عليها الزمن، وقد تجاوزوها هم فأصبحت قديمة لديهم، سواء في الطب أو في الفيزياء، أوفي غيرها، وأصبحت غير مجدية كاملة أو بنسبة معينة، أصبحت معروفة لديهم، وقد تجاوزوها، وقد مشوا من بعدها بزمان، أصبحنا إلى هذه الدرجة لا نستطيع أن نصنع مثل تلك قطعة الغيار الفلانية مثل هذه المسجلة مثل هذه السيارة.. ما نستطع أن نصنع مثلهم.

هذا هو الضلال الذي تقع فيه الأمة، لكن ما عاش الناس ثقة بالقرآن، ولا عاشوا ثقة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ونظروا إلى القرآن ونظروا إلى الرسول وكأنه صاحب مهمة معينة، ومجال محدود هناك، لا شأن له بالحياة وبأمور الحياة، نحن سنحاول من جانبنا ننظر كيف نهدي أنفسنا، كيف نعمل في سبيل إخراجنا من هذه الأزمات. لدرجة أنه ماذا حصل؟.

أليس العرب الآن يبحثون عن السلام من أمريكا؟! من عدوهم، وهم يقولون ويصرحون أن أمريكا هي التي تدعم إسرائيل. أليس هذا من الضلال المكشوف؟ الضلال الذي لا يدخل فيه أحدنا، هل أنت ستذهب إلى عدوك الأكبر تريد منه أنه يفك منك عدو ما هو إلا يد من أياديه، وهو إنما يعمل لصالحه؟! هل سيفكه منك؟ لا.

هذا الزمن ـ أيها الإخوة ـ هو زمن لا بد أن الناس يقفون موقفاً صحيحاً من أنفسهم، ما عاده وقت مجاملات ولا حياء ولا مداهنة... وقت مناقشة الحقائق، ومعرفة الحقائق، يكفي الناس ما يلمسونه من ذلة وإهانة وضياع لهم كمسلمين، كعرب.. يكفي.

المفروض أن يبحثوا عن الحل.. الإنسان متى ما اشتد به المرض ما هو في الأخير بيشرب العلاج ولو هو مرّ؟. الآن نبحث عن العلاج، ولنقبل ولو كان مراً، مع أن العلاج من قِبَل الإسلام ليس مراً، ما يمكن يكونْ مرّاً، لكن نفهم أن وضعيتنا أصبحت إلى درجة أنهم إذا قالوا لي..، أعتقد أن العرب لو يفهمون وضعيتهم وقالوا: أنتم لن تتخلصوا من هذه الوضعية إلا بعد أن تُتَوِّجُوا ذلك الجَمَل وتجعلوه قائداً لكم، أن من الطبيعي أن يسيروا وراء هذا الجمل، ويُتَوِّجوه ويجعلوه قائداً لهم، ويهتفوا باسمه، ويصفقوا له، وضعية سيئة.. ناهيك عن الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

هل كان أعلام أهل البيت مرّ؟ غير مقبولين لدى الأمة؟ علي غير مقبول؟. لماذا غير مقبول؟ كان ظالماً؟ كان جشعاً؟ كان غبياً؟ ماذا كان؟ أعلام تشدّ الناس إليهم فكيف يمكن أن يكونوا مراً؟ كيف يمكن أن لا يُقبلوا؟.

أنت عندما تمرض وتشتد بك[الملاريا] ألست تشرب [السَّنّا] وهي مرّ. سعال يحصل فيك أو أي شيء من الأمراض، تأكل [مرّ]، تأكل [صبر] الأمة هذه هي لا تدرك بأنها أصبحت مريضة، خليك عن الآخرين، نحن الزيود هل أننا بعد لم نفهم وضعيتنا؟ هل كل شيء سابر؟. لا والله ما كل شيء سابر، وأننا تحت الصفر في كل شيء.

نستعرض: هل لدينا حزب؟ لا. هل لدينا مطبعة؟. لا.. لدينا قناة تلفزيون؟. لا.. لدينا إذاعة؟. لا.. لدينا صحيفة.. لدينا مجلة؟. لدينا جمعيات؟ حتى الجمعيات ألسنا فاترين فيها؟ قلنا جمعية لهمدان ممكن تعملوا جمعية ما تحرك الناس في ضحيان اعملوا جمعية ما تحركوا رازح حاولوا ما تحركوا فوط ما تحركوا وهكذا... فاترين، فاترين في كل شيء. نحن نعيش حالة ضلال رهيب. هل نحن طائفة واعية نستمسك بعلمائنا وبأعلامنا؟

أم أننا أصبحنا كما يقال: [تَوْفِيْقة مذاهب] من يريد أن يوفي مذهبه قال من عن الزيدية! إما جعفري والاّ وهابي ما بيروا إلا الزيدية ذي هم مضاحك.. تائهين، لم يعد لدينا شيء حتى الوعي ليس لدينا شيء ثابت. يطلع واحد من هناك وشخروا فيه يرى بلاطه بتلمع قالوا ذولا على الحق، لمه تولع فوق الحرم، قالوا [أشهد لله أن ذولا على حق]، يعني حالة من الضياع تبحث عن بلاطه أو صومعة، أو ناس يطوفون عند البيت أو واحد بثوب نظيف وذقنة نظيفة قال: [كيف يا خي ما هم على حق وهم كأنهم عُطْب] وأشياء من هذه.

الزيدية عندما يكونوا على هذا النحو هم تائهين ضائعين، حتى في حياتنا، الشوافع هم الآن في اليمن أرقى منا، تعرفوا؟ أهل تعز أرقى منا، لديهم خدمات أكثر منا، نحن الزيود ينظر إلينا نظرة أخرى. على مستوى المحافظات ينظر إليهم نظرة أخرى إمش من صنعاء وكذا تجد اليمن نصفين نصف فيه خدمات كثيرة وفيه أشياء كثيرة والموظفين منّه والمسئولين منّه، القواد منه الوزراء منّه ونصف آخر لا يلتفت إليه أليس هذا حاصل؟.

يعني أننا أصبحنا ضائعين حتى أمام من هم مضيعين للثقلين.

قد نقول سابقاً مثلاً الزيدية من أسس فكرهم من أسس دينهم هو أن الدولة الظالمة لا يدخلون فيها، لكن الناس الذين قد أصبحت القضية عادية لديهم هل هم داخلون فيها؟ لا. لا زالوا خارج. فمتى ما أصبحنا غير قابلين [لمرّ]، نحن الآن مستعدون أن نقبل [مرّ] نأكله فنشفى من حالتنا هذه.

عندما تقارن بالإمام علي، تقارن بالحسن، تقارن بالحسين تقارن بالأعلام من أهل البيت الذين صعدوا في مختلف مراحل التاريخ يفرضون أنفسهم عليك، وليس فقط أنت من تحاول أن تلمّعهم. متى لّمعنا أحداً من أهل البيت واحتجنا إلى أن نكذب له من أجل أن نلمعه أمام الآخرين. لكن الآخرين يتمسكون بـ[مُرّ] حقيقة، يتمسكون بناس منحطين يحتاجون في كل وقت يضربون لهم [رَنْج] مره أصفر، ومره أبيض من أجل أن يلمّعه أمام الآخرين؛ لأنهم أعلام مثل إذا هناك بضاعة تقليد مثل البضاعة التي تأتي من تايوان ما بتكون ملان بُويَه لماعات كلها، ثلاجات لَمّاعة صفراء.. [أهلا وسهلا] مكتوب فيها، تقليد. ثلاجات أصلي تأتيك أحياناً بثوب طبيعي ومنظر عادي لكنها أصلي با تجلس معك سنين والقهوة فيها ما تتغير. هكذا التلميع.

نحن لا نحتاج إلى أن نلمّع أعلام أهل البيت، أي لا نحتاج نحن ونحن نراهم ناقصين أن نكبرهم، نكبرهم حتى يكونوا جذّابين عند الآخرين، فقط نحتاج إلى أن نتحدث عن نصف واقعهم، وسيصبحون جذابين عند الآخرين، لست بحاجة إلى أن تضيف شيئاً من عندك، تحدث فقط عنهم، تحدث ولو بنصف مما هم عليه مما لديهم يكفي أن يجعلهم جذابين عند الآخرين.

لكن ما الذي يحصل؟ [خلاص يا خي هذفه في علي كم قلحنا دائماً علي، أهل البيت، أهل البيت!] بينما لا ينظر إلى أن الآخرين شغالين أربعة وعشرين ساعة [أبو بكر، عمر، عثمان، معاوية.. أبو بكر عمر عثمان]، في المساجد في المدارس في الجامعات في المعاهد في الأشرطة، في الصوامع، في العربيات، في الإذاعات، في صفحات الكتب أبو بكر عمر عثمان. الصحابة، صحابة، صحابة.

ونحن صاحبنا عاده مركز دخل عندهم قله سنتين.. ثلاث، سمع ثلاث، أربع محاضرات في أهل البيت قال: يا خي بس خلاص أهل البيت أهل لبيت. ما هذه ـ أيضاً ـ حالة متدنية. والآخرين متى سمعتم سني يقول يا جماعة خلاص صحابة أو شغلتونا صحابة صحابة، لا.. يقولون له: تحرك شغل صحابة صحابة أبو بكر عمر عثمان معاوية ما هذا الذي يحصل؟. لاحظوا الفارق الكبير الذي يعني أننا في ضلال رهيب. أعلام لديهم يحتاجون أن يلمّعوهم، وهم منحطون يحتاج أن يلمّعه، ويحتاج يتكلم عنه كثيراً، هم ينطلقوا يتكلموا عنهم كثيراً وبالكذب، الذي ليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولا قاله، ولا يمكن أن يقوله، فيتكرر هذا الكلام كثيراً كثيراً جداً.

ونحن من أعلامنا قدوات يصح أن نتعبد الله بولائهم، لا تحتاج إلى أن تكذب من أجلهم، ولا أن تكذب من أجل أن تلمعهم، وهم لو تحدثت بنصف ما هم عليه أو بربع ما هم عليه لكان فيهم ما يجذب الناس إليهم، ولكان فيهم ما ترى بأنك تعتز وتفتخر بأن يكونوا قدوة لك، ثم لا تتحدث عنهم، ثم تصمت عنهم. أليس هذا الذي يذهل الإنسان، لا تتحدث عنهم بل متى ما جاء أحد يتحدث عنهم قلنا: [بس ياخي خلاص].

الإنسان يحاول إذا أراد أن يعرف وضعيته ينظر إلى الآخرين، أنت زيدي شيعي، ولك أعلام من أهل البيت، انظر ماذا يعمل الآخرون لأعلامهم، أنظر كيف أعلام أولئك وكيف أعلامك.

السنيّة في تعب شديد وهم دائماً يقفوا وهم ملجمين أبو بكر وعمر.. حديث يأتي من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) صحيح في علي يحاول بأي طريقة يدفعه.. يركله، لا يسقط على أبي بكر يطحسه. يحاول في آيات القرآن كذلك، يتقافز من فوقها من أجل أن لا يلزم أن تكون في علي فيكون علي هو أفضل من أبي بكر.

أليس هذا يعني أن هناك أعلاماً متعبين؟. أعلاماً يرهقونك، أعلاماً تجد نفسك في موقف ضعف، أعلاماً تحتاج إلى أن تدافع، تدافع من؟ تدافع باطل أو تدافع القرآن وتدافع الرسول من أن يهجم عليهم.

طيب لو كان أبو بكر هو بالشكل الذي يمكن أن يكون أهلاً لأن يكون علماً لكانت تلك الأحاديث التي تأتي تدفعها هي له، لكان هو الذي سيرفع رسول الله يده يوم الغدير ويقول: ((من كنت مولاه فهذا أبو بكر مولاه)). ما كان بالإمكان هكذا؟. كان بالإمكان أن يكون هو الذي قال فيه الرسول: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)). لكان بالإمكان أن يكون هو الذي قال فيه (صلوات الله عليه وعلى آله) ((أنا مدينة العلم وأبو بكر بابها)) ما كان بالإمكان هذا؟ فلماذا تسمع دائماً يقول: علي.. علي. ثم في الأخير تحاول تدفع علي هناك وترى حالك تلجم هناك! ما هذا يعني عمل متعب؟ عمل متعب، عمل مرهق.

لكن تعال إلى علي، تعال إلى أهل البيت هل تجد تعباً؟ لن تجد تعباً، لن يحرجك الإمام علي إلى أن تدفع عنه القرآن، أو تدفع عنه محمد.. لكن ادفع عنه الباطل، ادفع عنه معاوية، ادفع عنه باطل. بل هو الذي تحتاج إليه مع القرآن لتدفع أهل الباطل أن لا يشوهوا القرآن. صحيح؟.

تدفع أهل الباطل أن لا يدنسوا مكانة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لكن هل يحرجك علي؟ هل ارتكب أخطاء تاريخية مخزية يحوجك إلى أن تُلَجِّم، وتغطي وتدسم عليها؟. أو يحوجك أهل البيت من بعده إلى هذا؟.

حصل ظاهرة في أئمة متأخرين من الزيدية، حصل داخلهم حركة وتضارب، وأشياء من هذه، هل نحن أحرجنا أنفسنا بهم، ونقول سلام الله عليه وهو كذا؟. لا. لا سلام الله عليه وهو على باطل، لا سلام الله عليه ولو عمامته كيف ما كانت، أو يحمل اسماً كيفما كان. نحن لا نتعب أنفسنا بأعلام يرتكبون باطلاً ثم نحاول أن ندسم عليهم. هذا ليس من طريقتنا إطلاقاً.

متى حصل هذا؟. عند متأخري الزيدية عندما امتدت إليهم هَبَّة من الروائح الكريهة من جانب شيعة هؤلاء، فدخل معتزلة ودخل سنيّة، وأصبحوا متأثرين بهم، فطلعوا أعلام منحطين، وطلع صراع فيما بينهم، طلع صراع ما كان يحصل مثله بين أئمة أهل البيت السابقين، فتدنسوا هم بسبب ما وصل إليهم؛ ولأنهم لم يكونوا كاملين، لم يحصلوا على الكمال، بعضهم لم يحصل على الكمال؛ لأن ثقافته كانت معتزلية، ثقافته كانت سنية، ولا يمكن أن يبلغ رجل درجة كمال بحيث يمكن أن يلي أمر الأمة، وهو على هذا النحو؛ لأنه هو أصبح متأثراً بالآخرين، أصبح متأثراً بما هَبّ من جانب أبي بكر وعمر وشيعتهم.

ما هم بيحاولوا الآن أن يقولوا: الأئمة الزيدية حصل فيهم كذا، كذا. قلنا شوفوا احنا [مُطَرِّقِيْنَ فيهم]، من شفتوه على باطل العنوه. هل سنأتي نحن ونقول: ماشي أبداً.. نحاول نشرِّبك عائشة وقد خرجت تقاتل الإمام علي، وتحت قيادتها حوالي ثلاثين ألفاً، وحاشيتها من بني أمية. نحاول نشرب الناس غصبا غصبا، في الأخير يقل لك رضي الله عنهم هؤلاء ما يضرهم شيء هؤلاء ما يؤثر عليهم شيء [مُصَرَّفِيْنَ] كلهم من المعاصي، مصرَّفين تصاريف ما يضرهم شيء لكن محمداً يضره عندما قال: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥).

حتى الإثنا عشرية تدرون أنهم محرجين هم أيضاً مما تجلى لنا أنهم محرجين في مسألة أئمة معدودين، جعلوهم أئمة الكون بكله، ثم رأوا في الأخير أن المسألة كانت غير طبيعية، فعندما ظهر الإمام الخميني وطرح نظرية [ولاية الفقيه] كان كثير منهم يقاومها.

طيب ما الذي حصل؟ من آمنوا بالمسألة ولا يزال في ذهنيتهم اثنا عشر رأوا وضعيتهم محرجة، فماذا قالوا؟. عمدوا إلى الجانب الزيدي المجاهد فقالوا: [هذا كان هو الجناح العسكري للأئمة] من أجل ماذا؟ من أجل أن يحاولوا أن يبرهنوا على أن أولئك الأئمة كانوا رجال ثورة وجهاد، ورجال يعملون على إقامة حكومة إسلامية. ما هم دوروا للزيدية؟ فقالوا هم كانوا الجناح العسكري للحركة الرسالية في حركة الأئمة، فكان [زيد] هو القائد العسكري للإمام جعفر الصادق، فكان هو عبارة عن شخص على رأس معسكر، وجيش يخرج تحت قيادة جعفر الصادق.. وهكذا وعلى هذا النحو. من أجل ماذا؟. من أجل أن يحاولوا أن يلبسوا أئمة معينين لباس آلة الحرب.

فيقولوا هؤلاء الأئمة الذين هم أئمة عظماء هم كانوا أئمة يقاومون الظلم، هم كانوا يعملون في إقامة حكومات إسلامية، هم كانوا أئمة يلبسون آلة الحرب، وينزلون إلى ميادين القتال.

مع أن كان المنطق السائد هو أئمة هكذا عباد زهاد، ليس هناك أي كلام حول الجانب الجهادي، جانب إقامة حكومة فيما بعد من عصر زين العابدين ومَنْزِّل إلى عند المهدي المنتظر [عجل الله فرجه]!، كما يقولون هم أنه قد ولد. إذاً فهناك من أئمتهم تسعة لا يستطيعون أن يتحدثوا عنهم أنهم قاموا بحركة جهادية، وعندما لمسوا المسألة أنهم بحاجة إليها حاولوا أن يضفوا عليهم صبغة الحركة الجهادية.

طيب ما هم احتاجوا يعملوا نفس الأسلوب يلبسوا أئمتهم دروع الحرب وقد تحولوا إلى رفات؟ لكن تعال أنت إلى أئمة الزيدية لا تحوج نفسك في شيء ستجد لديهم ما يدعم نشاطك كله، وأنت تدعو إلى الإسلام، وأنت تجاهد في ميادين الإسلام، وأنت تعمل للإسلام في مختلف مجالات العمل تجد لديهم القدوة الكاملة، وأنت تريد أن توعي الناس ليفهم الناس تجد لديهم الأمثلة الكاملة من واقع حياتهم بالشكل الذي يذهل الناس ويرسخ الوعي بأهمية قيم الدين إلى أعماق أعماق نفوسهم.

ثم تجدنا أقل الطوائف ولاءً، ما هذا هو الحاصل؟ نحن أقل الطوائف ولاءً لأهل البيت. ويا ليت أهل البيت الذين هم من نوعيتنا كانت المسألة بسيطة، لكن أقل الطوائف ولاء لمثل الإمام علي. المكارمة أكثر ولاء للإمام علي منا، الإثنا عشرية أكثر ولاء للإمام علي منا، الإسماعيلية أكثر ولاء للإمام علي منا، بل الصوفية السنّيّة بعضهم أكثر ولاء يهتفون باسم علي أكثر منا.

ونحن.لا.. مثلما قال [محمد عصمت] الرجل المصري وهو يخطب في الغدير قال:[حالة رهيبة شاف اليمنيين عليها، قال لو تدخل نعجة سيد بين زرع قبيلي سيقول: رضي الله عن أبي بكر وعمر، ويكفر بعلي، ويطلع أبو بكر بسرعة خليفة]. هكذا خطب في الغدير، عندما رأى الروحية هذه.. قال: مالكم؟. هو نفسه تشيع لأنه لاحظ أحاديث حول أهل البيت داخل كتبهم هم، تشيع وهو لا يزال في مصر، وجاء إلى اليمن فرأى اليمنيين هنا الزيدية ليسوا بالشكل الجذاب في مجال التشيع، ورأى كتبنا مخطوطات ما استطاع يقرأها، ورآنا على هذا النحو المنحط من الولاء لأهل البيت حتى قال هذه العبارة: [لو تدخل نعجة سيد بين زرع قبيلي وكان يقول قبل أن تدخل النعجة أن الإمام علي هو الخليفة الأول سيطّلع أبو بكر هو الخليفة وعمر بعده وعثمان بعده ويجعل علي الرابع ثم يترضي على الثلاثة كلهم الأولين].

ثم أنه لَفْ أدواته وسافر إلى إيران، وذهب إلى هناك يتجعفر كله عقله وزيه؛ لأنه رأى أننا لسنا جذابين؛ ولهذا لسنا جذابين حتى عند نفوسنا.. صحيح؟. هذا الزيدي يتحول وهابي، وهذا يتحول إلى إثناعشري؛ لأنه ما رأى من يجذبه، ما رأى ولاء، ما رأى أمة لها أعلام واضحة تنشد إليهم. يدخل بعض المراكز وهم متعاندين وهم متماحكين، في الساحة لا يسمع شيئاً، كلمتين ثلاث في الإمام علي قال: بَسْ.

لم يروا فينا ما يشدهم نحونا، لا حركة عقائدية ولا حركة جهادية، لا حركة سياسية، لا اقتصادية، لا ثقافية، لا شيء. ألسنا رقم تحت الصفر؟ حقيقة.

إذا أحد عنده ملاحظات يقول الصدق في هذا. أنا لا أتهَجّم على طائفة أخرى، أنا من قلب الطائفة هذه.

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) **ماذا توحي به هذه الآية؟ من قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا}** (آل عمران: من الآية١٠٠) **أليست توحي بأن هناك عملاً رهيباً ضد هذه الأمة عمل رهيب يحاول أن يطوع الأمة، عمل رهيب كله شر، يجعل واقعك تبحث عن من تعتصم به هنا أو هنا، فبمن تعتصم؟ اعتصم بالله. {وَمَنْ يَعْتَصِمْ}: يمتنع. كلمة {يَعْتَصِمْ} توحي بأني أنا أبحث عن من أعتصم به، أليس العرب الآن هكذا؟ تارة يبحث عن أمريكا يعتصم بها، وتارة يبحث عن الاتحاد السوفيتي يعتصم به، وتارة يحسن علاقاته مع طرف آخر يعتصم به. أليس هذا هو الحاصل؟.**

المسألة تعني أن الأمة تُواجه بصراع جاد، عمل جاد من ذلك الزمن إلى الآن، يتجه نحو تطويع الأمة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لنكون تحت أقدامهم كافرين، وليس فقط يهود كمثلهم، نحظى بحقوق متبادلة معهم كمواطنين يهود. أليس كذلك؟.

أنهم لو كانوا حريصين علينا لكانوا يعملون على أن يجعلونا يهوداً كمثلهم لنحظى بحقوق مواطنة كيهود. لكن كافرين تحت أقدامهم يسخروننا لهم، بلداننا كأسواق لمنتجاتهم، وسائل إعلامنا كأبواق لثقافتهم وفكرهم، كُتّابنا أقلام تصدر تضليلهم تتحول كلنا إلى خدام لهم، كافرين تحت أقدامهم، فلا نستطيع أن نخدم أنفسنا، ولا أن ننقذ أنفسنا، ولا يكون في واقعنا ما هو عصمة لنا، ولا يبقى ـ أيضاً ـ لنا توجه نحو الله بشكل يجعلنا نعتصم به، الله يقول هنا القضية خطيرة جداً، القضية خطيرة جداً، ما هو فارع فيكم منها ـ بعبارة بلادنا ـ ما هو فارع فيكم منها إلا الله.

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(آل عمران: من الآية١٠١) **بالتأكيد قد هُدِيَ، ما {قد} للتحقيق؟ هدي.. وكلمة {هُدِيَ} توحي بأنه حصل على الهدى من طرف آخر. أي أن المسألة هو أنك في ميدان هذا الصراع تحتاج إلى طرف آخر يهديك لا بد أن يكون من طرف الله، يتمثل أولاً بالاعتصام بالله، وما هو الاعتصام بالله؟.**

ما ينزل الساحة الآن في أوساط المسلمين: [لو تمسك المسلمون بكتاب الله وسنة رسوله لاستطاعوا أن يخرجوا من هذه الأزمة].

أليس هذا المنطق يحصل؟.

نحن قلنا بأن كلما نسمع لم يعد منطق نرى فيه الحل، إما لأن التعبير عنه ناقصاً، وإما لأن التعبير عنه أيضاً يؤدي إلى ضلال، أو أن تقديم هذا الذي قُدم كحل ليس حلاً في الواقع، وإنما يرسخ الإشكالية أكثر فأكثر، ويهيئ الأمة لأن تبقى في وضعية على ما هي عليه أيضا قروناً بعد قرون.

الله عندما قال: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل شيئاً آخر بديلاً عنه، هل تفهمون هذا؟.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة آل عمران (٢ ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

الدرس الثاني

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٩/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

قد يكون من مظاهر الضياع بالنسبة لنا كمسلمين، من مظاهر الضلال في نفوسنا أن يصبح الحديث عن قضايا مهمة جدا هي من صميم الدين، الحديث عن مشاكل كبيرة جداً وخطيرة جداً هي عامة لجميع المسلمين قد تبدو عند الكثير شيء ليس هناك حاجة للحديث عنه، أو شيء ليس هناك حاجة لمعرفته، شيء لا يهمنا عمله.

هذه الحالة النفسية في حد ذاتها ضلال كبير، وخطورة بالغة على الإنسان. يعود الواحد إلى تشغيل البرنامج المألوف لديه: [ما لنا حاجة با نصل ونصم، ونلهم الله بين أموالنا].

إذا كانت هذه النظرة عند إنسان فليعرف بأنه في خطورة بالغة، ويعيش في حالة رهيبة من الجهل بدينه، وقد يكون فعلا سائر إلى طريق جهنم وهو يعتقد أنه هو الذي رسم لنفسه طريقا سليمة هادئة إلى الجنة، لكن محمدا(صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله احتاج إلى أن يسلك الطريق الشاقة إلى الجنة.. أليست هذه حماقة؟.

حماقة في النظرة إلى الدين، وفي النظرة إلى الجنة، في النظرة إلى الله سبحانه وتعالى، أن أتصور أنا، ومن أنا؟. أن باستطاعتي أن أرسم لنفسي طريقاً هادئة، طريقاً لا تشغلني عن أي شيء من أمور ديني، لا تشغلني عن أي شيء من أمور دنياي وأصل إلى الجنة بكل هدوء، لكن أولئك الأنبياء (صلوات الله عليهم) كانوا مساكين احتاجوا إلى أن يسلكوا الطريق الشاقة إلى الله.

سيد الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليه وعلى آله) الله يقول له: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية٨٤) **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ}** (هود: من الآية١١٢) **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}** (الأحقاف: من الآية٣٥) **{جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}** (التحريم: من الآية٩). **رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو سيد المرسلين، وهو من هو في إيمانه بالله، وقربه من الله.**

إذاً فالإنسان يقيس نفسه برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه لماذا ذلك الرجل العظيم الذي قال الله لنا في مقام النظرة إليه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:٢١).

أصبحت المأساة جداً لدى المسلمين أنه ليس فقط مجرد تقصير في قضية هم يؤمنون بأهميتها، ويؤمنون بأنها جزء مهم من دينهم: الاهتمام بأمر المسلمين، الاهتمام بأمر الدين، محاربة أعداء الله من اليهود والنصارى وعملائهم، لم يعد هناك شعور تقريباً عند كثير من الناس وخاصة داخلنا نحن الزيدية، من أصبحوا في أحط مستوى من الوعي.

قد نشعر بأن هذه القضية مهمة ولكن نبدو مقصرين فهذا لا بأس يمثل نقلة جيدة، بل أحياناً وعند الكثير، بل وعند بعض المتعبدين أيضاً تبدو قضايا لا أهمية لها، وأشياء خارج إطار ما يجب أن نهتم به من أمر ديننا، إذا كان هناك حالة مثل هذه تحصل عند أي شخص منا فلينظر إلى ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن رسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه هو كُلِّف بأن يمشي ولو بمفرده في الطريق الشاقة.

الطرق الأخرى قد تكون كثيرة عند الناس، وقد ينطلق بعض الناس فيها بإعجاب أيضاً، بإعجاب بأنه قد رسم لنفسه طريق سلام من أحسن الطرق، ما الذي ينتج منها؟ ينتج منها تقصير في القضايا التي هي بالغة الأهمية عند الله، عدم شعور بأهميتها، وقد يرى نفسه في الأخير في وضعية سيئة جداً، بسبب تقصيره، قد يكون قد رسم لنفسه طريقاً ويرى نفسه أيضاً أنه مسلم، وقد يأتي الواقع فيكشف ولو لم يكن إلا يوم القيامة فيرى أنه كان قد كفر فعلاً، أصبحت تلك الطريقة التي رسمها لنفسه إنما هي طريق أبعدته عن الله، طريق جعلته بعيداً عن الجنة، طريق أدت به إلى النار.

من هذه الآيات نعرف هذا في قول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢)

أمس وصلنا في الكلام حول هذه الآيات إلى قول الله تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) وتأتي كلمة {يَعْتَصِمْ} و{اعْتَصِمُوا} في هذه الآيات مرتين بالشكل الذي يوحي أن القضية خطيرة جداً جداً إلى درجة أنك يجب أن تبحث عمن تعتصم به، عمن تلتجئ إليه فيهديك، وينقذك، ويهديك إلى ما فيه خروجك من هذه الأزمة الشديدة، أم أنها لا تعتبر قضية كبيرة إذا كان الإنسان في الواقع قد يصل إلى أن يكون كافرا؟.

{إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠) كلمة {كَافِرِينَ} هل هي سهلة لدينا وعلى مسامعنا؟ ماذا تعني كافرين في الأخير؟ تعني ماذا؟ أذلاء في الدنيا، مقهورين في الدنيا، تعني في الأخير جهنم، جهنم، أيمكن أن يكون الإنسان من الكافرين وليس هو من كافري جهنم؟!.

ليست كلمة عابرة أن يقول: {يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠)؟ ليست كلمة عادية {كَافِرِينَ} يجب أن تَهُزَ ضمير كل شخص، أن تقشعر منها جلودنا، أن تملأ قلوبنا خوفاً ورعباً من أن هؤلاء قد يصلون بنا إلى حالة خطيرة جداً هي حالة الكفر، الكافرون أليس مثواهم جهنم؟ جهنم هل هي قضية عادية لا تمثل أي خطورة، لا تمثل أي شيء يثير الخوف في نفوسنا والقلق؟.

{يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠) أي فتصبحوا من أهل جهنم، جهنم التي وصفها الله في القرآن الكريم بأوصاف رهيبة جداً {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (البقرة: من الآية٢٤) بالنسبة للوقود، طعامها الزقوم، شرابها الحميم، {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} (الزخرف:٧٥-٧٨).

جئناكم في الدنيا بوسيلة نجاتكم وهو الحق لكنكم كنتم كارهين للحق، فإلى ماذا أدت بهم كراهتهم للحق؟ أدت إلى أن يكونوا كافرين، فاسقين، ضالين، عاصين، تحت أي عنوان من هذه العناوين التي كلها تسير بأهلها إلى جهنم.

إذاً فالقضية من أساسها قضية يجب أن تبعث في نفوسنا حالة من الخوف؛ لأنها تحكي أننا في مواجهة مع طائفة تعمل دائماً على تَطْوِيْعِنا لنصبح كافرين، تطويعنا لما تريد أن تصل بنا إليه إلى أن نكون كافرين ونصبح كافرين.

فيجب أن يبحث الناس عمن يعتصمون به، عمن يلجئون إليه..الله يقول: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) ليس هناك أي وسيلة للنجاة سوى الإعتصام بالله.

الإعتصام بالله يُقدم في ساحة المسلمين من زمان طويل أن معناه [العمل بكتاب الله وسنة رسوله] ما هكذا يقال؟ وهي آخر ما يمكن أن نتصور للمسألة باعتبارها هي هذه، لا يوجد غير هذا. هذه حق، لكن ما معنى {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} بالله؟.

وصلنا أمس إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل شيئاً بديلاً عنه في علاقتنا به، وحتى القرآن الكريم ليس بديلاً عن الله إطلاقاً، بل هو من أكثر ما فيه، وأكثر مقاصده، وأكثر ما يدور حوله هو أن يشدك نحو الله.

الله ليس كأي رئيس دولة، أو رئيس مجلس نواب يعمل كتاب قانون فنحن نتداول هذا الكتاب ولا نبحث عمن صدر منه، ولا يهمنا أمره، ما هذا الذي يحصل بالنسبة لدساتير الدنيا؟ دستور يصدر، أنت تراه وهو ليس فيه ما يشدك نحو من صاغه، وأنت في نفس الوقت ليس في ذهنك شيء بالنسبة لمن صاغه، ربما قد مات، ربما قد نفي، ربما في أي حالة، ربما حتى لو ظلم هو لا يهمك أمره.

لكن القرآن الكريم هو كل ما فيه يشدك نحو الله، فتعيش حالة العلاقة القوية بالله، الشعور بالحب لله، بالتقديس لله، بالتعظيم لله، بالالتجاء إليه في كل أمورك، في مقام الهداية تحتاج إليه هو، حتى في مجال أن تعرف كتابه.

{إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩) ألم يتحدث القرآن عن التنوير، والنور، والفرقان، التي يجعلها تأتي منه؟ ليس هناك شيء بديلاً عن الله إطلاقاً. فأن تأتي للقرآن الكريم هو هو وليس في ذهنك الله سبحانه وتعالى، العلاقة القوية بالله، الثقة القوية بالله؛ فإن القرآن في الأخير لا تستفيد منه.

ما أكثر ما يُقرأ القرآن في أوساطنا، ما أكثر ما يسجل القرآن، ما أكثر الدارسين للقرآن خاصة في أوساط السنية، أليسوا أكثر منا تلاوة للقرآن؟ أشرطتنا تأتي من عندهم، ومصاحف من عندهم، وكل شيء من عندهم من الطبعات للقرآن الكريم ما كلها من هناك؟ إلا من بعد ما قامت الجمهورية الإسلامية في إيران وطبع القرآن طبعات أخرى في إيران وإلا كلها جاءت من عندهم. لكن هذه النظرة القاصرة التي تفصل القرآن عن الله جعلت المسلمين يفصلون أنفسهم عن الله، وعن كتابه فعلا.

الذين يقولون: قد معنا كتاب الله وسنة رسوله، نفس الشيء بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو هاديا إلى الله، أليس كذلك؟ هاديا إلى الله، فُصل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ذهنية الأمة عن القرآن، وهو رجل قرآني بكل ما تعنيه الكلمة، فُصل عن القرآن، ثم قسموه هو فأخذوا جانباً من حياته، جانباً مما صدر عنه وسموه سنة، فأصبحت المسألة في الأخير: الله هناك، رسوله هناك! هناك بدائل نزلت: قرآن، وكتب حديث.

ولاحظنا كيف أصبح الخطأ رهيباً جداً جداً في أوساطنا؛ لأننا فصلنا كتاب الله عن الله، وفصلنا رسول الله، جعلنا شيئاً سميناه سنته، ثم سنته جعلناها بديلاً عنه! لاحظوا في القرآن الكريم كم يتكرر [الله ورسوله، في طاعة الله ورسوله، إتباع الله ورسوله، استجابة لله ورسوله] ألم يتكرر كثيراً في القرآن بهذه العبارة: [الله ورسوله] أكثر من كلمة: [كتاب الله، أو كلمة سنة رسوله]، هل ورد شيء عن سنة رسول الله في القرآن الكريم؟.

المسألة من أساسها يجب أن تترسخ في ذهنيتك العلاقة بالله، العلاقة برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) الثقة بالله، الثقة برسوله. رسوله نفسه يكون له مقام عظيم عندك، تعرفه هو، تعرف حياته، تعرف مواقفه، وتنظر إليه كرجل قرآني، تنظر إليه كرجل يدور مع القرآن، {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأنعام: من الآية٥٠) {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) ألم يقل هكذا الله عنه؟ {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الزخرف: من الآية٤٣) أليست هذه آيات صريحة؟.

فُصِل رسول الله، قسّموه، وتصبح المسألة في الأخير مجموعة كتب حديث، تطْلع في الأخير أصحابها هم الحاكمون عليها، هم المقدّسون لدى الأمة، تصبح هي البديل عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)! ألم يحصل في هذه الكتب أحاديث نحن نقول وعلماؤنا يقولون: بأنه لا يمكن أن تصدر من رسول الله؟.

ما الذي حصل؟ أنها جُعلت بديلاً عنه، ولم يلحظ جانبه، لم يلحظ مسألة العلاقة به، ولم يلحظ جانب التعرف عليه هو (صلوات الله عليه وعلى آله)، لم يلحظ جانب أن تترسخ له عظمة في نفوسنا، وإجلال، واحترام، وتقدير، الأمر الذي سيصل بنا إلى أن ننزهه من مثل هذا الحديث، أو هذه العقيدة، أن تكون صدرت منه.

لكن إذا لم تكن لك علاقة قوية برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقالوا: هذا الحديث هو منه، وهذا الرجل الذي دوّن هذه الأحاديث هو فلان، وهو كذا، وهو.. وهو.. وهو، أئمة السنة، إمام في السنة، أعلم الأمة بالسنة.

أنت تعمل بالحديث وإن كان فيما يترك في نفسك من اعتقاد، أو نظرة مما لا يمكن إطلاقاً أن ينسب إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنك فُصِلت عن النبي، فُصِلت عنه فقدم لك بديلاً عنه، هذا البديل صنعه الآخرون، أمكن أن تنطلي عليك الخدعة، وتقول: خلاص: نحن متمسكون برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). أي متمسكون بكتب حديث معينة، أو بأشخاص معينين جعلناهم هم أعلاماً للسنة، فأصبحوا هم بدائل عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله).

هنا {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} يشعر بأنه لاشيء ينقذه من هذا الوضع السيئ إلا الله فيلتجئ إليه، وعندما تلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى ليس على أساس أن يقوم هو بالقضية بديلاً عنك، عندما تلتجئ الأمة إلى الله سبحانه

وتعالى لا يمكن أن يكون على أساس أن يقوم هو بدلاً عنها، الحالة التي نحن نعبر عنها بالدعاء، ألسنا نستخدم الدعاء؟ [اللهم أهلكهم، اللهم دمرهم، اللهم عليك بهم، واتركنا مكاننا] أليست هكذا؟ هكذا واقع صريحاً، ويهتمون بالقضية فيقنتون في ظهر، وعصر، ومغرب، وعشاء، وفجر: [اللهم دمرهم، اللهم رد كيدهم في نحورهم، اللهم.. اللهم..].

هذا لا يمثل حالة الالتجاء الصحيح إلى الله، أنت إذا انطلقت هذا المنطلق فأنت في نفس الوقت تفترض لنفسك حالة هي لم تحصل لسيد المرسلين (صلوات الله عليه وعلى آله) لم تحصل لسيد المرسلين! هذه ثاني وحدة.

نحن تحدثنا سابقاً وقلنا: أن الإنسان يرسم لنفسه طريقة هي لم تتهيأ للنبي هو فنقرأ عن حياته، وما واجه من مصاعب، ومشاكل، وكأنه بَس ما كانه بصير مثلنا، ما كان ذكياً مثلنا يعرف كيف يرسم له طريقاً إلى الجنة سهلة، [مقربة] توصلك بسرعة إلى الجنة، أما الرسول فجاء من الطريق البعيدة إلى الجنة، جاء من الطريق التي يراه الكفار، التي عبر منها فاحتاج إلى جهاد وحركة.

نحن نعمل هذا، نلتجئ إلى الله لكن بطريقة غير صحيحة، بنظرة قاصرة، نحن نريد أن الله يقوم هو بالمسألة بدلاً عنا: [قم أنت يا الله انصر دينك أما نحن فنحن مشغولون. اللهم دمرهم، اللهم أهلكهم، اللهم دمر إسرائيل]، ذاك [شارون] يظهر في التلفزيون وهو يزن حوالي ٩٥ كيلو، [شارون] ما هو مثل الثور؟. كم تنصبُّ من دعوات؟. من جو قدو مثل الريشة، و إسرائيل قد انتهت.

هل أن الله لا يسمع دعاءنا؟ هو يسمع السر والنجوى، ويعلم السر والنجوى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} إذا دعاني أجيب لكن {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) **استجابة إيمان من منطلق أن نسترشد بالله سبحانه وتعالى، هو يرشدنا كيف نعمل، ونحن سنعمل هنا سيستجيب إن استجبنا له، هو يريد أن نعمل، وقال في الجنة: {فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}** (الزمر: من الآية٧٤) **في الآية التي قرأناها في دروس السابقة: {فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}** (الزمر: من الآية٧٤).

{فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} أنا دعوتهم إلى طريق معين، إلى هدي معين {فَلْيَسْتَجِيبُوا} هم وأنا سأستجيب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} (الأنفال: من الآية٢٤) **أليست هذه آية صريحة؟ هو دعا فلنستجب له، فمتى ما دعوناه ونحن قد استجبنا سيستجيب لنا، ما هذا هو المنطق الطبيعي الذي سيقوله أي واحد لشخص آخر؟ {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}** (البقرة: من الآية١٨٦) **ومن رشادهم عندما يدعون استجيب لهم.**

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ألم تكن دعوته مستجابة؟ كان بالإمكان أن يجلس في زاوية مسجده، وهو أول ما عمل في المدينة ـ عندما وصل إلى المدينة ـ بنى المسجد، لكن ما بنى المسجد ليجلس في الزاوية، بنى المسجد كقاعدة عسكرية، قاعدة للجهاد، بنى المسجد ليؤاخي ـ داخل هذا المسجد ـ بين أصحابه، بين جموع المهاجرين والأنصار، بنى المسجد ليكون منطلقا ليوحد بين الأمة، بنى المسجد لينطلق منه لمقارعة الظلم والطغيان، أم أنه اهتم أن يجلس ويقول لعائشة تكون تخرج له فنجال قهوة، ويجلس في المسجد، ويدعو: [اللهم اهلك قريشا] فيمسحون من هناك، اللهم اهلك [هوازن] فيمسحون، اللهم اهلك [ثقيفاً]، اللهم دمر الروم، اللهم دمر كسرى. ما هو سيد الأنبياء والمرسلين ودعوته مهمة؟. ولكن لا ليست هي الطريقة.**

إذاً نحن كلنا بما فينا أولئك الذين يقولون وهم مهتمون بالقضية أن يقنتوا داخل الصلاة ـ الوهابيين وهؤلاء السنية ـ يقنتون في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كلها دمر أمريكا، دمر روسيا، وهم شغّالين في خدمة أمريكا وإسرائيل من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فليستجيبوا لي أولا كما قال الله: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) **متى ما استجابوا استجابة صحيحة فالدعاء سيكون له أثره. ومعنى فليستجيبوا لي يعني أنه دعانا إلى شيء، والشيء الذي دعانا إليه ما هو؟. هل شيء نعمله له هو؟. لا، دعانا إلى أعمال، أعمال قلبية، أعمال في واقع الحياة، قِيَم نتحلى بها، قضايا نهتم بها، سلوك نسير عليها، سلوك معينة من الأخلاق الحسنة نتحلى بها، أعمال في واقع الحياة كثيرة جداً نؤديها، تتحقق الاستجابة.**

أليست هذه من الحماقة أن يفترض الناس أو تفترض الأمة لنفسها حالة هي لم تحصل للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أن نفترض لأنفسنا مقاماً هو لم يحصل للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (النساء: من الآية٨٤) ما معنى قاتل؟ ما هي كلمة صريحة؟ أصرح من كلمة [جاهد] التي تفسر في زماننا بأنه جهاد الكلمة، جهاد القلم، جهاد النفس، نصف أنفسنا بأننا مجاهدون لكن نريد بالقلم؛ لأنه أسهل.. ما هو أسهل؟ القلم يعتبر جهاداً إذا كان هو يصدر خطوطاً تؤدي إلى القتال فهو جهاد، أما إذا كان يصدر سطوراً تجمد الأمة، وتخدع الأمة فيعتبر ماذا؟ يعتبر منافيا للجهاد، يعتبر حربا على كل ما تعنيه كلمة [جهاد].

الكلمة نفسها إذا لم تأخذ بالبال أن تكون كلمة تحرك في مشاعر الأمة أن تصل بنفسها إلى درجة القتال لأعداء الله فهي كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، لا تترك أي أثر، ليس لها قيمة، إذا كانت الكلمة التي تصدر من فمي، ومن فمك، ومن أفواه الآخرين هي كلمة، هي دعاء لله.. ألم يأتِ في الأحاديث أن الدعاء هو مخ العبادة؟ الدعاء أليس من الكلمات الطيبة؟ إذا كانت هذه الكلمات الطيبة لا تترك أثرها، ولا قيمة لها عند الله، إذا لم تنطلق من حناجر تهيئ نفسها للعمل، فكيف بالكلمات الأخرى سيكون لها اثر؟.

الدعاء أليس كلاماً طيباً؟ [اللهم دمر الكافرين، اللهم دمر أمريكا وإسرائيل] أليست هذه كلمات جميلة؟ دعاء لله، لكنها أيضا لا أثر لها عند الله، إذا لم تكن كلمات تنطلق من حناجر هي في ميدان المواجهة كما كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يهيئ، ويلبس لامة حربه، ويدعو المسلمين إلى الإنفاق، وإلى الخروج في سبيل الله، ثم يدعو وهو في الطريق، ويدعو وهو في ميدان القتال، هنا الدعاء يقبل.

لكن أفواج من العلماء، أفواج من العباد في كل مساجد الدنيا: اللهم.. اللهم.. اللهم.. وفي يوم الجمعة، من فوق المنبر: [اللهم احفظ قادتنا، اللهم أيدهم بنصرك، وأصلح بهم الدين، وارزقهم البطانة الصالحة]، وأشياء من هذه. ما هذا تناقض في المواقف؟ تناقض.

عملاً نعمل ضد الله، ودعاء ومجرد كلام ننطلق به مع الله، كلام مجرد كلام مع الله، وعمل وخدمة مع أعداء الله. من يكون واقعه على هذا النحو يصبح واقعاً سيئاً. حتى علماء على هذا النحو، التعامل مع الله مجرد كلام، والتعامل مع أعداء الله عمل وبإخلاص.

إذاً فلماذا لم يعتصم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالله على هذا النحو الذي نزلت عليه الآية: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} فيقول: [والله هذا صدق اعملوا لي مكان في زوة المسجد ولا يدخل أحد عليّ إلا إذا جاء واحد معه سؤال، وأخرجوا لي زادي إلى هنا، وأنا بادعى من هنا من زاوة المسجد]؟!.

لا، كان هو (صلوات الله عليه وعلى آله) حتى لا يحاول أن يتعبد كل عبادته في المسجد بل هو في بيته؛ ليوحي للأمة أن المساجد لها أهميتها، لها قيمتها، لكن لا يجوز أن تتحول إلى دار عجزة، لا يجوز أن تتحول إلى [مَكَاسِل، مَكْسَلة]، لا يجوز أن تتحول إلى منابر تجمِّد المسلمين. فكان مسجده أشبه شيء بثكنة عسكرية، قاعدة عسكرية، كان منبره صوت يهز الكفر، يهز الطغيان، يهز الظلم، هكذا فهم هو الإعتصام بالله سبحانه وتعالى.

لكن نحن الأذكياء، وعلى طول وعرض الساحة الإسلامية.. لا.. نرجع إلى الدعاء، يخرج المطوع في السيارة الفخمة إلى المسجد الحرام، والجنود من يمينه وشماله ويدعو ـ أو في أي بلد من البلدان يكون هذا النمط تشاهده ـ ثم يعود في السيارة الفخمة إلى الشقة، والعمارة الفخمة المكيفة المجهز فيها كل وسائل الراحة، وانتهت المهمة، دعونا الله فلينطلق هو! كما قال بنو إسرائيل: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة: من الآية٢٤) الله حكى هذا عن بني إسرائيل في مقام السخرية من أمة يصدر منها كلام مثل هذا {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا} (المائدة: من الآية٢٤) فليخرجوا هم ونحن سندخل، نحن مستعدون أن ندخل {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة:٢٤)

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} اعتصام حقيقي، أي يهتدي بهديه، يرجع إليه، يثق به ليرشده كيف يعمل، يرشده كيف يعمل، وليس كيف يقوم بدلا عنه، ومتى ما انطلقت على ما أرشدك إليه كيف تعمل هو سيقف معك.

ما هو الإعتصام بالله؟ [العمل بكتاب الله، وسنة رسوله! لو أن المسلمين مشوا على كتاب الله، وسنة رسول الله لكان كذا وكذا] لكن ما حال بينهم وبين أن يعملوا بكتاب الله، وسنة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أنهم فصلوا أنفسهم عن الله، وعن رسوله، فصلوا أنفسهم عن الله، عن الثقة به، عن العلاقة به، وعن رسوله على هذا النحو أيضاً.

فيجب أن تترسخ في أذهاننا هذه القضية، وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد بأنها من أهم ما دار حوله القرآن الكريم هو شد الناس إلى الله، وشدك أنت إلى الله، فلم يقدم كتابه بديلاً عنه، ولم يجعل رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) بديلاً عنه، بل رسول الله أليس هو ـ وقد هو رسول الله بنفسه ـ كان يهتدي بالله، يلتجئ إلى الله، يرجع إلى الله، ويهتدي بهدي الله؟. فلم يكن رسول الله بدلاً عن الله، ولا رقم ثاني ننظر إليه منفصلاً عن كتاب الله، وعن الله.

فمن يعتصم بالله على هذا النحو فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، تلاحظ أن المسألة هي أنك تعتصم بالله يهديك أنت إلى شيء؛ ولهذا قال: {فقد هُدِيَ}، أي أن اعتصامي بالله هو على النحو الذي أريد منه أن يهديني إلى كيف أعمل.

الإنسان الذي لا يتحرك، الذي لا يعمل هل يحتاج إلى هداية؟ أنت لا تحتاج إلى أن تسير إلى القرية الفلانية هل أنت في هذه الحالة تحتاج إلى من يهديك إليها؟ لا، أنت عندما تتحرك، وتريد أن تسافر إلى بلد معين، وأنت في الطريق تحتاج إلى من يهديك، وتبحث عمن يهديك. فقوله: {فقد هُدِيَ} فعلاً يفيد بأنه قد اهتدى وعبارة {هدي} أي أن هذا طرف اعتصم بالله من منطلق أنه ينطلق في ميدان العمل، فهو يحتاج إلى أن يهديه الله إلى كيف يعمل عملاً، كيف يتحرك.

{فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) **طريق واضحة، طريق تؤدي إلى النجاة، تؤدي إلى الفوز، تؤدي إلى الغلبة، تؤدي إلى العزة، تؤدي إلى الرفعة والمكانة، تؤدي إلى الفلاح، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} قَيِّم ليس فيه عوج، ما فيه [مطبّات] قد تقفز من فوقه يحطم نفسك فيوقعك في الضلال.**

طريق لا تضل وأنت تسير عليه، طريق لا تخزى وأنت تسير عليه، طريق لا تُقهر ولا تذل وأنت تسير عليه، وهو في نفس الوقت مستقيم، قَيِّم، ذو قيمة، يجعلك أنت تستغني عن أي طرق أخرى متى ما سرت عليه، لا تحتاج إلى الالتجاء إلى أي طرف آخر متى ما سرت عليه، يستطيع أن يقف بك على قدميك، يستطيع أن يقف بالأمة السائرة عليه على قدميها، مستغنية عن أي قوى أخرى، مستغنية عن أي طرق أخرى، مستغنية عن أي خبرات لتهديها نحو الطرق التي توصلها إلى الفلاح والفوز والنجاة.

عندما كانت البلاد العربية مستعمرة من قِبَل البريطانيين، والفرنسيين، والإيطاليين، وغيرهم كيف كان يحصل؟ كان معظم ما يحصل ـ عندما كانت النظرة كلها منعدمة نحو الثقة بالله سبحانه وتعالى، الثقة بالله منعدمة في نفوس المسلمين ـ كان من يريد أن يتحرر من هذا البلد يلجأ إلى هذا، يتحرر من بريطانيا يلجأ إلى روسيا، يتحرر من روسيا يلجأ إلى بريطانيا، يتحرر من إيطاليا يلجأ إلى فرنسا، من فرنسا يلجأ إلى إيطاليا وهكذا. ما هي النتيجة في الأخير؟ ما هي سواء؟ تخرج من تحت بريطانيا تدخل تحت روسيا، كله واحد.

الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا بأن دينه يستطيع أن يجعلنا أمة مستقلة، تقف على قدميها، عزيزة، رافعة رأسها، تقهر الأمم الأخرى، ما الذي يحصل الآن؟ أليس كل العرب يتجهون إلى أمريكا لتفكهم من إسرائيل؟ ولو أن أمريكا هي المحتلة وإسرائيل هناك للجئوا إلى إسرائيل تفكهم عن أمريكا! يلجئون إلى أمريكا وروسيا راعيتا السلام أن تفك فيهم من إسرائيل.

النظرة القاصرة التي أراد الله أن يمسحها من أذهان العرب ـ لو تربوا على دينه، لو تربوا على نهج نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، لو عرفوا سيرته وهو في جهاده من بدر إلى آخر غزوة لم يلجأ إلى طرف آخر، لم يلجأ إلى الفرس، أو يلجأ إلى الروم، وهما القوتان التي كانت تمثل القوى العظمى في العالم في ذلك العصر لم يلجأ إلى الفرس ليساعدوه ضد الروم، ولا إلى الروم ليساعدوه ضد الفرس، ولا إلى الفرس ليساعدوه على

قريش، ولا إلى الروم ليساعدوه على قريش، ربى الأمة تربية توحي لها بأن في استطاعتها أن تقف على قدميها وتقارع الأمم الأخرى.

وكان أبرز مثال على هذا ما عمله هو في ترتيبات [غزوة تبوك]؛ لأنه كان رجلاً قرآنياً (صلوات الله عليه وعلى آله) يتحرك بحركة القرآن، ويعرف ماذا يريد القرآن أن يصل بالأمة إليه في مناهجه التربوية وهو يربي نفوسهم كيف تكون كبيرة، كيف تكون معتزة بما بين يديها من هذا الدين العظيم فلا تحتاج إلى أي قوى أخرى.

حتى نحن على مستوانا في أعمالنا لدينا مثلاً مراكز صيفية، نقول: [لننظر إلى المؤتمر إذا كان سيساعدنا، أو ننظر إلى ذلك الطرف إذا كان سيعيننا أو ننظر إلى هذا أو ذاك] تصبح حالة سائدة لدينا حتى كمواطنين من عند الكبار كمسئولين وحكام، ثم إلى عند المواطنين حتى إلى عند الدعاة في سبيل الله، الذين هم دعاة في سبيل الله يجب أن يفهموا أولاً ما يدعوهم إليه الله، في كيف يكونون معتمدين على أنفسهم حتى لا يقعوا في أحضان هذا الطرف أو أحضان هذا الطرف فتصبح في الأخير تخدم هذا أو تخدم هذا، ولم تخدم دينك بشيء، الأمر الذي يؤدي بالأمة إلى أن تضحي بدينها.

وهكذا تأتي آيات كثيرة تتحدث عن صراط الله بأنه صراط مستقيم بما تعنيه الكلمة من أنه قيِّم، وفيما تعنيه الكلمة من أنه يستطيع أن يجعل السائرين عليه قادرين أن يستقلوا بأنفسهم، وأن يقفوا على أقدامهم فلا يعتمدوا على هذا ولا على هذا، دينا قيِّماً {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّماً}.

نعود إلى أصل الموضوع ولأن الآيات من أولها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...} بل الآيات التي تسبقها في أهل الكتاب توحي بأن القضية بالغة الخطورة وأن القضية هامة جداً جداً عند الله سبحانه وتعالى فيقول للناس ويذكرهم بإيمانهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢)

القضية مهمة جداً يجب أن تخافوا من الله من أن يحصل من جانبكم تقصير فيها، أن يحصل من جانبكم أي إهمال، أي تقصير، أي تفريط، القضية مهمة جداً جداً، هو يقول لنا هكذا، يذكرنا بأن نتقيه فالقضية لديه مهمة، وبالغة الخطورة، وبقدر ما تكون هامة لديه، وبالغة الخطورة أي أنه سيكون عقابه شديداً جداً على من فرط وقصر فيها، فيجب أن نتقيه أبلغ درجات التقوى {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} أقصى ما يمكن فالقضية خطيرة جداً، وهامة جداً لديه، ولن يسمح لمن يقصر، لن يسمح لمن يفرط، لن يسمح لمن يهمل.

وهكذا تأتي عبارات: {اتَّقُوا اللَّهَ} في القرآن الكريم في مقامات كثيرة، في مقدمة كل قضية هامة ليوحي للناس بأن المسألة هامة لديه، فلينطلقوا من منطلق الحذر من الله من أن يقصروا في هذه القضية سيضربهم هو، سيكون عقابه شديداً عليهم، سيكون غضبه شديداً عليهم كما في قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (الأنفال: من الآية١).

وهكذا تأتي في القرآن الكريم مكررة في معظم المقامات المهمة؛ لينطلق الناس من منطلق أن هذه قضية مهمة لدى الله سبحانه وتعالى، وهي في واقعها بالغة الخطورة فأي تقصير من جانبنا نحوها سيجعلنا عُرضة لسخط الله ونعوذ بالله من سخطه.

فقوله: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} أنتم في مواجهة مع طرف يمكن أن يصل بكم إلى أن تكونوا كافرين، أنا لا أريد أن تكونوا كافرين، أن تكونوا كافرين يعني أن تصبحوا من أهل جهنم، أن تتحولوا إلى أطراف، تهملوا فتصبحوا فعلاً في واقعكم كافرين، أي أن تضيِّعوا الرسالة التي حُمِّلْتُمُوها من جانب الله سبحانه وتعالى. أليس هذا الذي حصل بالنسبة للعرب؟ العرب ألم يُذِلّوا الإسلام بذلتهم؟ ألم يقهروا الإسلام بقهرهم؟ ألم يضيِّعوا كتاب الله بضياعهم؟ لأنهم فرطوا في الرسالة، فرطوا في الرسالة، إذاً فكانت القضية فعلاً بالغة الخطورة.

وتقوى الله سبحانه وتعالى معناها الحذر منه، تكون دائماً تعيش حالة الحذر من جانبه فيما إذا حصل منك تقصير فيما يوجهك إليه، وفيما يرشدك إليه، وفيما يأمرك به وينهاك عنه، ليست سواء، القضايا ليست سواء

أن تشرب [كوب] شاهي على واحد آخر ما هذا حرام؟ لكن لا يقال لك في هذا المقام: اتق الله حق تقاته، حرام واتق الله لا تأخذ هذا.

لكن مقامات مهمة جداً، مقامات مهمة جداً أي تفريط من جانبك فيها هي قضايا عند الله بالغة الخطورة يعلم سوء آثارها على دينه، وعلى عباده وأنت وهذا وذاك أنتم يا هؤلاء هذه الأمة بكلها هي المعنية بأن تكون هي الطرف الذي يَدْرَأ هذا الخطر، ويدفع هذا الفساد، ويعلي هذه الكلمة.. أليس هذا هو الطرف المسئول؟.

إذاً فانطلقوا من منطلق الحذر؛ لأن مسئوليتكم كبيرة، وأن القضية خطيرة يجب أن تتقوا الله أبلغ درجات التقوى، أي أن تخافوه وتحذروه هو لن يسمح إطلاقاً.

وهذا فعلا شواهده قائمة، شواهده قائمة أنه غضب غضباً شديداً على الأمة أن جعلها تحت أقدام من قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة، وجعلها أمة تائهة، تمتلك الأموال الكثيرة، تمتلك الخيرات الكثيرة ومع ذلك لا تزال أمة جاهلة، ما تزال تبعث منح دراسية إلى الخارج، منح دراسية، منح دراسية، وخبراء جايين من هناك وناس رايحين يدرسوا هناك، الخبراء بيروحوا ولم ينفعوا بشيء، والطلاب يعودون إلى هنا ولا يعملون شيئاً بل يعودون حرباً لأمتهم الكثير منهم، حالة من الضياع، حالة توحي بأن الأمة تواجه ضربة قاضية من الله سبحانه وتعالى، غضبة شديدة من جانبه.

لأن الله سبحانه وتعالى هو رحمن، هو رحيم يهمه أمرنا، لا يريد أن نُظْلم، لا يريد أن نكون كافرين فنستحق جهنم، هو عندما وعد بجهنم للمجرمين لم يقل: تلك جهنم فأي مجرم، أو واحد يريد أن يضل فمصيره جهنم، لا يهمه أمره، هو يهدي الناس، ويرشدهم إلى كيف يبعدهم عن مقتضى سخطه، وعقابه، كيف يبعدهم عن طريق جهنم، عن الوقوع في جهنم، هو رحيم بالناس، هو رحيم بعباده.

دينه هذا الذي هو لا يساوي عند الكثير منا [الدخان الذي نعمره يومياً]، لا يساوي الاهتمام به الاهتمام بالدخان الذي يتحول من نقود إلى دخان في الهواء. أمره عظيم عند الله، هو يعلم أنه نعمة عظيمة لعباده، يعلم أنه متى ما ضاع في وسطهم سيضيعون هم، ويهلكون هم، متى ما ضاعوا هم، متى ما هلكوا سيضيعون هداه لعباده، للبشر كلهم.

كم صعدت أصوات تقول: [يجب أن نلحق بركاب الغرب] من قبل مائة سنة بدأت من مصر، ومن بلدان أخرى [يجب أن نتثقف بثقافة الغرب، يجب أن نلحق بركاب الغرب، يجب أن نعمل على كيف نتطور مع الغرب].طيب نساء العرب [تخلوسن] وأصبحن يقلدن الغرب تماماً هل تطوروا؟ هل وصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون؟. لا، لا؛ لأنهم يتصورون أن المسألة هي أن بإمكاننا أن نصل إلى ما وصل إليه الآخرون، ونحن العرب، نحن العرب من لدينا مسئولية مهمة كان بالإمكان أن تجعلنا ـ لو نهضنا بها ـ فوق أولئك الآخرين ويكونون هم من يفكرون في اللحاق بركابنا، فالمسألة لا تتأتى، لن تحصل.

فمازال المصريون الذين انفتحوا على دول الغرب قبل أن ينفتح الصين عليها، وبعثوا بطلاب إلى الغرب قبل أن يبعث الصينيون بطلاب إليها، أصبحت الصين دولة عظمى صناعية، والمصريون مازالوا شغالين في التمثيل قطاع التمثيل مجبر مازالوا يبعثون بطلاب إلى الغرب، طلاب على طول، منح دراسية يرجع قد هو فرنسيا بتفكيره يكون حربا لأمته، لدرجة أن من يرسلوا ويعودوا يتحولون إلى ساخرين من أمتهم.

أي أن الوضعية التي يعيش فيها العرب هي وضعية سخط، الوضعية التي يعيش فيها المسلمون وضعية سخط من الله لماذا؟ لأنهم أضاعوا دينه الذي فيه ذكرهم، وفيه شرفهم، وفيه عزتهم فلا يمكن أن يتحقق لهم شيء إلا بعد أن يعودوا هم، ومتى ما عادوا سيصبحون هم سادة الدنيا، سيصبحون هم من يفكر الآخرون باللحاق بهم، بالاهتداء بهم، بالتقليد لهم، بالتثقف بثقافتهم، بالتحلي بأخلاقهم، فيعم الهدى الدنيا كلها.

{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} لاحظ {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} لو نأتي إلى النظر إلى الآية من منظار آخر أن يأمرك بأن تكون على أعلى درجات التقوى، ثم يقول لك: انتبه لا تموت وأنت كافر.. ما هذه حالة من التباين في التعبير تقريباً؟ عند من يفهم اللغة العربية حالة من التباين في التعبير، ولهذا يأتي بعض المفسرين فيقولون:

معناها ولا تموتن إلا وأنتم مستسلمون لله، خالصون لله! من أجل أن يجعلوا كلمة: {مُسْلِمُونَ} تنسجم مع كلمة {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}.

المسألة هي على وضوحها، أنتم في مواجهة فريق من أهل الكتاب، بل أنتم الآن في مواجهة أمم من أهل الكتاب تعمل على أن تردكم بعد إيمانكم كافرين، أليس هذا شيء؟ هناك طرف يعمل على أن يصل بنا إلى درجة الكفر، إلى أن نكفر، وطرف خطير سيعرف كيف يصل بنا إلى أن نكفر ونحن نشكره على ما عمل معنا، إلى كيف نكفر ونحن نتلهف على أن نلحق بركابه، كيف نكفر ونحن نثقف أنفسنا بثقافته ونعتبرها هي التحضر والتقدم والتطور، وتعني هي العقل، والسمو الروحي والبشري، والارتقاء الإنساني.. ما هذا الذي يحصل الآن في بلاد المسلمين؟ نكفر طواعية ولهذا قال: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران:١٠٠).

إذاً فمعناه أنه فعلاً سيحصل هذا، كفر صريح. ألم يجعل الله تولي اليهود والنصارى كفراً في قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة: من الآية٥١)**؟. أليس اليهود والنصارى عند الله كافرين؟. أو فقط أنهم لم يتقوا الله حق تقاته؟. بل كافرين.**

فمعنى هذا أنتم في مواجهة قضية خطيرة جداً عليكم هي بالغة الخطورة عند الله، وبالغة الأهمية عند الله، يجب أن تتقوا الله أولاً حق تقاته هو تحذروه أقصى درجات الحذر من أن تقصروا فيها.. لماذا؟. القضية خطيرة، ثم لتفهموا بأن تحرصوا وتنتبهوا، قد تموتوا غير مسلمين هذا الإسلام العادي، ليس فقط غير مستسلمين الذي هو أعمق درجات الإسلام، وأرقى درجات الإيمان، التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى.

تصبحوا غير مسلمين بهذا المعنى الذي يكتب في جوازاتكم، أو يتردد على ألسنكم تصبح كافرا بمعنى الكلمة؛ ولهذا قال: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٢) **أي تنبهوا أنتم في مواجهة قضية خطيرة قد يموت الواحد منكم وهو كافر، فكونوا متيقظين، حريصين على أن تنتبهوا لأنفسكم حتى لا يحصل الموت إلا وأنت مسلم، أي لا يحصل الموت وأنت كافر، لا يأتيك الموت وأنت كافر، أي أن هناك من سيأتي ليطبعك بالكفر فتعيش كافراً وتموت كافراً، والأمة معرضة إلى هذه الحالة، وما أكثر ـ ربما في علم الله ـ من يكون قد وقع في هذه الحالة، في حالة الكفر.**

وما هو الكفر؟. هل متى ما أصبح الإنسان كافراً فستخرج له قرون في رأسه يعرف بأنه كافر؟ أو يصبح ـ مثلاً ـ لونه متغير إلى لون أزرق فعرفنا بأنه كافر؟ الكفر والإيمان هو في النفوس، في القلوب، في الأعمال، تتحول كافراً وأنت أنت ما ترى بأنك تغيرت شيئاً، أنت فلان بن فلان صاحب ذلك البيت، وصاحب تلك الأموال، والذي يسوق ذلك السوق، والذي يدخل المسجد يصلي، لكن تصبح كافرا فعلا.

ولهذا تأتي العبارة: {وَلا تَمُوتُنَّ} {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٢) **أي أن القضية بالغة الخطورة على طرف معين بالذات أكثر من غيره، هو من يمسح من ذهنيته روح الجهاد فليس مستعداً أن يقاتل أهل الكتاب، ليس مستعداً أن يقاتل أعداء الله، هو يريد أن يجلس على حاله لا يمسه شيء؛ لكي يموت على فراشه، أي هو يريد أن يموت.**

لكنه يقول لك: أنت بهذه الروحية تواجه خطورة بالغة يحتمل أن تموت كافراً، لكن وأنت تنطلق في ميدان القتال لأعداء الله أنت أبعد ما يكون عن الخطورة؛ ولهذا لم يقل: [ولا تُقتلوا إلا وانتم مسلمون] هل جاءت عبارة [ولا تقتلوا؟.] القتل غير الموت؛ ليقول لأولئك الذين يرسمون لأنفسهم طريقا يتهربون به عن ميدان المواجهة مع أعداء الله، مع هذا الفريق الذي يسعى إلى أن يراك تموت فوق فراشك وأنت كافر، من يتهرب عن ميدان المواجهة هو هو من يتعرض لخطورة الموت كافراً وبسهولة.

وأنتم عندما تتأملون فعلاً كيف ستنطلق أصوات من حناجر مسلمة، بعضهم هو الذي يؤذن للصلاة، أو هو الذي يصلي بالناس، أو هو الذي يظهر أمام الناس بمظهر أنه متدين قد يصدر من حنجرته كلاماً يهيئ الناس إلى أن

يكونوا كافرين، قد يكون هو من حيث لا يشعر كافراً؛ ولهذا جاءت الآية تحذر من قضية بالغة الخطورة أنه أنت انتبه لنفسك قد يأتيك الموت وأنت غير مسلم.

هذا هو مسار الآيات، مسار الآيات حول قوله: {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠) **{لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (آل عمران: من الآية١٠٢) **ما معنى هذا؟ قضية مترابطة، انتبهوا هم ناس يسعون بكل جد واجتهاد، ولديهم خبث شديد، وإمكانيات هائلة ليردوكم كافرين، انتبهوا لا تموتوا إلا وأنتم مسلمون، لا يأتيكم الموت إلا وأنتم مسلمون، متى ما حصل لديك هذا الشعور فأنت ستنطلق إلى ميدان المواجهة، ستنطلق إلى ميدان القتال فإما أن تقتل وأنت مؤمن، وإما أن تموت فيما بعد وأنت مؤمن.**

أنت تعرف عدوك وماذا يعمل، أنت تعرف عدوك ماذا يريد منك، يريد أن يلغي روح الجهاد من داخلك، يريد أن يمسح روح الجهاد من أوساط أمتك، وهذا الذي حصل بالنسبة لليهود، ألم تحصل من جانبهم أن ألغيت كلمة [الجهاد] في مواثيق [منظمة المؤتمر الإسلامي]؟ أي مجموعة الدول الإسلامية التي وصلت إلى قرار عدم التحدث عن الجهاد واستخدام كلمة [جهاد]، قالوا: نظهر مسالمين للغرب، ونكشف أنفسنا أمة يمكن أن تعيش مع الأمم الأخرى في سلم، واحترام متبادل!.

أُلغيت كلمة [الجهاد]، فحل محلها [مناضل، مقاوم، حركة مقاومة، مناضلين، انتفاضة]، ومن هذا النوع، ألم تغب كلمة[الجهاد] من أوساط المسلمين؟ على يد من غابت؟ على يد اليهود هم الذين يفهمون كيف تترك المصطلحات القرآنية أثرها في النفوس فيعملون على إلغائها، يعملون على نسفها من التداول في أوساط المسلمين.

ثم تتطور المسألة لديهم أن يصبح المجاهد إرهابياً، أن يصبح إرهابياً ثم يكون جهة تقلق حتى المسلمين أي ينظر إليه نظرة قلق، وأنه شاذ في هذه الأمة، حالة شذوذ قد حصلت لديه، فهو إرهابي يجب أن يزال، يجب أن يُسلم لأمريكا! هكذا تلغى كلمة [جهاد]، ثم يريدون أن تنسف روح الجهاد، ثم ليغيب المجاهدون عن المجتمع تحت عنوان أنه إرهابي فمتى ما قالوا: هذا إرهابي خذوه، ما هذا يعني نسف للجهاد والمجاهدين؟ للجهاد من داخل ثقافة الأمة وفكرها، وللمجاهدين من وسط الأمة وصفوفها.

حالة رهيبة جداً، حالة خطيرة جداً، فلنفهم بأن التقصير فيها ليس عاديا، التقصير في النظر إليها، التقصير في الاهتمام بها، ولا يتصور أحد بأنه ليس في استطاعته أن يكون فاعلاً في ميدان مواجهة هذا الفريق من أهل الكتاب وأوليائهم، كل مسلم يستطيع أن يعمل، وكل مسلم يكون لعمله أثر.

الحالة التي تأتي تترسخ عند الناس أنه [ماذا سنفعل بهم؟ ما هو جُهدنا أمام قوتهم؟] ألسنا نقول هكذا؟ الله يعلم أن كتابه هذا سيسير في أمة وسيلاقي صفوف من هذا النوع، لكنه يعلم بأن باستطاعة عباده المؤمنين أن يعملوا الشيء الكثير الذي يؤهلهم إلى درجة أن يقهروا أعداءه، ألم يضرب شواهد في واقع الحياة؟ ألم تكن إيران كمثل للدول الإسلامية؟ ألم يكن حزب الله كمثل لكل الطوائف، ولكل المجتمعات؟.

حزب ألم يقهر أمريكا وإسرائيل؟ أخرج أمريكا من لبنان، ضرب بارجاتها وجعلها تنسحب ذليلة ببارجاتها التي كانت تضرب بقذائف كبيرة جداً، أخرجهم من لبنان، ثم أخرج إسرائيل من لبنان، ويضربهم بمختلف الأسلحة التي يمتلكها، فقهر أمريكا وإسرائيل، حزب واحد.

اليهود يعرفون بأنك أنت الذي تفكر بأنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضدهم أنه متى ما أفسدوا أسرتك، أولادك الصغار. أليس أولادك الصغار من أضعف من تتصور بأنه ممكن أن يعملوا شيئاً ضد إسرائيل؟ أليس هذا مما يتبادر إلى أذهاننا؟ لكن هم يعرفون بأن إفسادهم شيء مهم بالنسبة لهم، وبالنسبة للحفاظ على مصالحهم، وإلى الاستمرار في عملهم في تحويل الأمة إلى أمة كافرة، هم عندما يحرصون على إفساد أسرتك.. أليس ذلك يعني أنهم يعرفون أن إفساد أسرتك هو في صالحهم، أليس كذلك؟.

وهم عندما يعملون على أن تنزل [الدشات] هذه بأسعار رخيصة من أجل كل أسرة يمكن أن تأخذ لها [دُش] فتفسد المرأة: زوجتك، وبناتك، وأخواتك، وأولادك، وكل أقاربك. هم ساهموا معك في قيمة [الدش] حقك فعلا ساهموا بما تعنيه الكلمة. الدش قيمته حقيقة قد تكون مائة ألف مثلا تأخذونه بعشرين ألف، من الذي دفع الباقي؟ الصهيونية هي التي دفعت الباقي نقدا فعلا إلى الشركات المصنعة.

الدش الذي فوق سطح منزلي أو منزلك اشتريته أنا ومن؟ أنا وإسرائيل حقيقة بما تعنيه الكلمة، شراه لي الإسرائيليون، ودفعوا مبلغا أكثر مما دفعت؛ لأنهم يفهمون أن هذه الأسرة متى ما فسدت سيصبح فسادها في صالحهم. لأن المسألة وصلت إلى صراع صراع شامل وليس صراعا في جانب واحد، صراع إعلامي، فكري، ثقافي، سياسي.

أم أنهم يرتاحون جداً لنا، ويريدون أن نعيش حياة مرفهة، ونرتاح جداً فنتفرج على العالم من خلال ما تبثه القنوات الفضائية في مختلف بلدان الدنيا، يريدون أن يقدموا لنا خدمة؟! ما عندنا مثل معروف يقول: [ما قد نصح يهودي مسلم]؟.

هذا قد حصل لآبائنا وأجدادنا، قد جربوا العيش مع اليهود، وعرفوا اليهود، وأنه [ما قد نصح يهودي مسلم]، فاليهودي هو الذي دفع ثلاثة أرباع قيمة الدش الذي فوق منزلك، لأنه عارف أن ابنك عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد أن المجتمع مكون من لبنات هي الأسر ومتى ما فسدت هذه الأسرة وهذه، وهذه، وهذه... يعني فسد المجتمع، ومتى ما فسد المجتمع أصبح لا يشكل أي خطورة عليهم، وأصبح ميدانا يمشي عليه كل ما يريد أن يعمموه عليه.

هذا جانب مما تعنيه آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} (آل عمران: من الآية١٠٢) وهي من منظار آخر بعد أن قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) يقدم هو الهداية فهكذا كونوا، هكذا كونوا.

تلحظ في الموضوع جانب المبادرة من قبل الله سبحانه وتعالى أنه لا يتركك حتى تقول: ها نحن اعتصمنا بك، ثم يبحث للهدى إذا عاد معه باقي هدى في [المخزان] هذا أو ذك ثم يقول: خذ هذا، لا.. يهديك، يهديك من قبل أن تفكر في الإعتصام به، وقد قدم الهدى إلى بين يديك ليقول للناس، ليقول للأمة، ليقول لكل من يهمهم أمر الدين وإن كان مجتمعاً صغيراً: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} تحلوا بالتقوى، كونوا متقين لله فيما تعنيه كلمة التقوى من مشاعر الحذر من التقصير فيما أمرنا الله أن نهتم به، فيما يأمرنا الله أن نعمل من أجله. التقوى فيما تعنيه الابتعاد عما يوقعنا في سخطه وعقابه.

ويأتي القرآن الكريم يتحدث عن المتقين، وما وعد الله به المتقين من النعيم العظيم، من الرضوان، ومن المكانة لديه، من القرب لديه، ومن النعيم العظيم الجنة {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ} (المرسلات:٤١) {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً} (النبأ:٣٠-٣٦). {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:١٣٣) {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} (القمر:٥٤-٥٥) كم ورد من آيات في القرآن الكريم تبين ما وعد الله به المتقين.

وفي ميدان المواجهة مع أعدائه يأمر المؤمنين بالصبر والتقوى {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} (آل عمران: من الآية١٢٥) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} (آل عمران: من الآية٢٠٠) التقوى لابد منها، التقوى كحالة نفسية تسيطر على مشاعرنا، الحذر الشديد من أن نقصر، أو نهمل، أو نبتعد عن ما أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليه، التقوى فيما تعنيه من انطلاقة في التحلي بالفضائل، من انطلاقة في كل العبادات التي شرعها الله سبحانه وتعالى لنا نؤديها كاملة بشكل واعٍ، نفهم مقاصد الله سبحانه وتعالى، ومقاصد كتابه في تشريعها.

إذا فقد الناس التقوى في نفوسهم في أعمالهم فلن يكونوا أبداً جديرين بنصر الله سبحانه وتعالى، وسيكون أول من يواجههم هو الله، سيكون أول من يضربهم هو الله، متى ما قصروا، متى ما أهملوا، متى ما ضيعوا.

فهنا بدأ يرشد المسلمين، يرشد المؤمنين كيفما كانوا، الأمة بكاملها، أو مجتمعاً خاصاً ـ وهو الذي يهمنا ـ إذ يهمنا نحن الآن نتحدث مع الزيدية بخصوصها، لماذا؟ لأنه فيما أعتقد أن بقية طوائف الأمة ميئوس منها فيما هي عليه الآن، وأن الطائفة التي لم تعمل حتى أبسط ما يمكن أن تعمله ولو أن تعمل مثل ما عملته طوائف أخرى

ممن فشلت أيضاً هي طائفة الزيدية الذين يجب أن يكونوا هم من يتقوا الله حق تقاته، ويجب هم أن يكونوا أول من يهتدي بكتابه.

ألم يقل الله لأهل الكتاب: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) هذه العبارة تعني لا يليق بكم وأنتم أهل كتاب تعرفون الرسالات، تعرفون الكتب أن تكونوا أول من يكفر بهذا الكتاب بالقرآن الذي أنزلته، وبهذا النبي الذي تعرفون أنه نبي كما تعرفون أبناءكم، عبارة {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ} أي لا ينبغي لمثلكم أن يكون أول من يكفر وهو على ما هو عليه من المعرفة، وبين يديه ما يؤكد أن هذا الذي جاء من جديد ليس بِدْعاً من الرسل، وليس بِدعاً من الكتب.

فالزيدية هم الطائفة الذين يجب أن يكونوا أول من يحمل الاهتمام بأمر الإسلام، الاهتمام بأمر المسلمين، الاهتمام بالعمل لإعلاء كلمة الله، ونحن في وضعيتنا التي نحن عليها ممن يجب أن نكون أكثر انتباها، أن لا يأتينا الموت ونحن غير مسلمين، أو ـ كما قلت سابقاً ـ نتصور بأنه ليس هناك شيء يصل إلينا؟ هناك ما يصل إلينا، كل ما يعمله اليهود والنصارى، كل آثاره تصل إلينا.

ثم تواصل الآيات الكريمة في إرشاد الناس إلى ما يكونون مؤهلين به لمستوى مواجهة أعدائه، إلى ما يكونون مؤهلين به إلى أن يحافظوا على أنفسهم من أن يتحولوا إلى كافرين {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران:١٠٣) تأتي الكلمة: {وَاعْتَصِمُوا} الإعتصام معناه الالتجاء للامتناع بمن التجئ إليه من خطورة بالغة تهددني.

نعتصم بالله متى ما اعتصمنا به فهو سيهدينا، وهاهو يهدينا في آياته المباركة، فيوجهنا إلى أن نعتصم بحبله، بهذا التوجيه الذي يوحي بأن الأمة وهي في ميدان المواجهة إذا لم تكن يقظة ستصبح في مستنقع، ستصبح في هوّة من الضلال، هي فيها أحوج ما تكون إلى شيء تتشبث به فيقول لنا: هذا حبلي تمسكوا به، اعتصموا به لتنجو من هذا الضلال، تنجو من هذه الذلة، تنجو من هذا الخزي، تنجو من أن تتحولوا إلى كافرين.

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} هو يمثل لنا دينه، يمثل لنا هداه أنه بمثابة الحبل المدلّى من عنده نستمسك به ليرفعنا من مستنقع الضلال، والضياع، والكفر، والذلة، والهزيمة، والجهالة، والحالة السيئة التي تعيشها هذه الأمة.

أليس هذا من أبلغ العبارات التي توحي بعظم رحمته لنا، التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يريد لنا أن نُظلم، لا يريد لنا أن نضل، لا يريد لنا أن نضيع لا في الدنيا ولا في الآخرة، فاعتصموا بحبل الله، ولتكن اعتصامتكم بحبل الله اعتصامة جماعية، لابد من أن تتوحدوا، لابد من أن تجتمع كلمتكم، تجتمع كلمتكم على أساس من هدى الله، وفي مجال الإعتصام بحبله الواحد.

لاحظوا أنه لم يأت ليقول: [واعتصموا بحبال الله] ويدلّي حبلاً إلى مصر، وحبلاً إلى اليمن، وحبلاً إلى تونس، وحبلاً إلى الجزيرة، مثل ما يأتي عندما تغرق سفينة في البحر تأتي طائرات الهيلوكبتر وكل طائرة تدلي حبلاً، أو تدلي عدة حبال، أو سلالم من الحبال لتنقذ من يتعرض للغرق في البحر.

الله له طريق واحد، هو الواحد الطريق إليه واحدة، السبيل إليه واحد، الحبل الذي إذا استمسكت به الأمة سيرفعها من هوّة الضلال، وهوة الذلة والمسكنة، يرفعها من حالة التعرض إلى أن تكون كافرة تستوجب غضبه وناره هو حبل واحد.

عندما يقول: {بِحَبْلِ اللَّهِ} تصور كيف سيكون حبل الله، حبل لا يتسع لأيدينا، لأيدي الأمة أن تستمسك به؟ سيتسع، أو حبل دقيق عندما يتمسك فيه قليل من الناس سينقطع، لا، هو يوحي لنا بأنه حبل، وحبل متين، حبل هو يتسع للأيدي كلها أن تمسك به، ومتى استمسكت به فهو حبل لا يمكن أن ينقطع بها فتعود إلى الهوة من جديد، سيرفعها نحو كمال الله، سيرفعها إلى الله ورفعتها إلى الله هو أن ترتفع فتحظى بنفحة من كماله، من عزته، من علمه، من جبروته، من قدرته، من حكمته.

هو حبل وحيد في واقع الأمة، لم يقل: [ابحثوا عن أي حبل تستمسكون بـه أو تعتـصمون بـه]، أنـتم في حالـة تستوجب عليكم أن تفكروا في أن تبحثوا عن أي شيء تتشبثون به لكن ليس هناك إلا شيء واحد هو حبـل الله، هو حبل واحد وليس هناك ما يمكن أن ينقذكم إذا اعتصمتم به إلا حبل الله، كما قال ابن نوح: {سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} (هود: من الآية٤٣) في حالة الطوفان الذي اجتاح الأرض {سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} (هود: من الآية٤٣) يمنعني من الغرق {قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} (هود: من الآيـة٤٣) ليس هناك ما يمكـن أن يمنـع مـن أمـر الله، هو ظن بأن ذلك الجبل الشاهق سيعصمه من الغرق، لم يعصمه من الغرق، وأبوه يتحدث معه فحـال بينهمـا الموج فكان من المغرقين.

خطاب للأمة بصيغة الجمع، هو خطاب للأمة سواء كان على مستوى الأمة الإسلامية يشملها هذا الخطاب، وخطاب لأي مجتمع أن المسألة أيضاً لا يُنجي منها إلا اعتصام جماعي؛ لأنه سيأتي في مقام الهداية نحو الحيلولـة مـن أن نغرق في الضلال الذي يصل من جانب أهل الكتاب وأن نصل إلى الكفر الذي يريدون أن يصلوا بنا إليـه، سيأتي مهام جماعية فيما بعد، في نفس الآية، فلم يأتِ الحديث ليقول: [وليعتصم كل واحد منكم بحبل الله].

أنتم في مواجهة، مواجهة مع أمة هي متوحدة، تتوحد ونحـن نراهـا تتوحـد عالمياً، تتوحـد كلـها تحـت قيـادة أمريكا.. ألم تتوحد كلها تحت قيادة أمريكا؟ وتصادق على إعطاء أمريكا مقام القائد للتحـالف الـدولي العـالمي ضد الإرهاب.. ما هذا الذي حصل؟. هم يتوحدون كدول، ثم تتوحد الدول فيمـا بينهـا في مواجهتنـا، فهـل مـن المعقول، ومن الممكن أن تنطلق أنت فردياً لتواجه هذه الأمم من أهل الكتاب الأمم الكافرة الـتي تريـد أن تكـون كافرا؟. تنطلق لمواجهتها أنت لوحدك، وهذا لوحده، وآخر لوحده؟!. لا.. لا ينقذ مـن هـذا الـضلال، لا يخـرج الأمة من هذا المأزق، لا تكون أي طائفة في مستوى أن تواجه إلا إذا اعتصم أفرادها بـصورة جماعيـة بحبـل الله، فحبل الله هو الذي سينقذهم، وحبل الله هو هدايته للناس، هدايته التي تأتي لعباده المتمثلـة في كتابـه، وفي رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيما يرسخه القرآن من إنشداد روحي، وشعوري نحو الله سـبحانه وتعـالى، وتعلق كبير وانشداد كبير نحو رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله).

لن تنقذ حتى أنت إذا انطلقت بنظرة فردية، أنني سأعتصم بحبل الله وما علـيّ أي شـيء، فستـضل أنـت رغمـا عنك، وستُساق إلى الضلال رغما عنك، وستنطلق من فمك عبارات الكفر رغما عنك؛ لأنك أمام واقع يفرض نفسه عليك، وأنت في حالة تقصير لا تمنحك مبرراً أمام الله سبحانه وتعالى، فستغرق وستهلك، ولن تـستطيع أن تعصم نفسك بمفردك.

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} يؤكد، عبارة: {وَاعْتَصِمُوا} فيها [واو الجماعة] الذي يوحي باعتصام الجميـع، ثم {جميعاً} تأكيد من جديد، {وَلا تَفَرَّقُوا} تأكيد من جديد بالنهي عن التفرق، ثلاث عبارات توحي بأهميـة وحدة المسلمين، وحدة أي أمة تتحرك في مواجهة أعداء الله، وحدة تقوم على أساس الإعتصام بحبلـه، اعتـصام جماعي بحبله.

{وَاعْتَصِمُوا} [واو الجماعة] يفيد اعتصام جماعي {بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} أليست هذه ثلاث عبارات؟.

هذا التأكيد من قبل الله سبحانه وتعالى يوحي بل يدل بما لا غبار عليه أن هذه القضية لا بد منهـا لأي أمـة في أن يتحقق لها الإعتصام بحبل الله؛ فتكون في مستوى أن يسود فيها دين الله، في مستوى أن تواجـه أعـداء الله، لابد أن تكون متوحدة. ونحن نلمس آثار التفرق في حياتنا، كيف تضيع كثير من قيم الـدين في حياتنـا، لـيس شيء من أسباب ضياعها إلا تفرقنا، تسود قيم فاسدة، يسود ضلال، يسود ظلم، تحدث ظواهر كثيرة من الفـساد والظلم، وليس هناك سبب صريح في سيادتها في أوساط المجتمع إلا تفرقنا، أليس هذا واردا وحاصلا؟.

متى ما تفرقت قرية واحدة أمكن أن يظهر فيها فساد، وينتشر حتى يصل كل بيت فيها، توحد الكلمة لا بد منـه في ميدان مواجهة أعداء الله، لابد منه في تطبيق دين الله في المجتمع، لابد منه في أن تبرز أنـت كفـرد ملتزمـا بدين الله، متى ما حصلت فرقة في الأمة ما الذي سيحصل؟ ستكون النتيجة أنه هذا فاسد، وهذا مقصر، الجميـع عند الله ماذا؟. يستوجبون غضبه، الجميع عند الله عاصين. من الذي يتـصور أن يكـون هنـاك مجتمعاً متفرقاً

يمكن أن يكون متقياً لله كامل التقوى، لا يحصل هذا. أنت أقل أحوالك إذا لم تكن أنت فاسد في حد ذاتك فأنت عنصر مساعد على الفساد أن ينتشر في مجتمعك لماذا؟ لسكوتي، لتقصيري، لإهمالي، لانزوائي بمفردي.

ولأهمية الموضوع كلنا نقول: [لو أن كلمتنا واحدة ما من حصل كذا وكذا، لو كلمتنا واحدة ما انتشر الفساد في المنطقة الفلانية، لو كلمتنا واحدة لما كان مدرس أو مدير يلعب كيفما يشاء]. ما الناس يقولون هذا؟ يعرفون هذا؟ [لو أن الكلمة واحدة]. كلمة من؟! الناس يقرون بأن تقصيرهم هم، وهم الذين لم ينطلق من جانبهم هذا العمل التخريبي، وهذا العمل الفاسد، يقرون بأن إهمالهم هو مما ساعد على انتشار الفساد، وظهور الفساد، وظهور الظلم، وغياب مبادئ الإسلام.

أي في الأخير لا أحد يستطيع أن يحكم لنفسه في مجتمع متفرق أنه ملتزم بدين الله؛ لأن أقل ما أنت عليه هو أنك مقصر، هو أنك لا تأمر بمعروف، لا تنهى عن منكر، لا تتعاون مع أخ على بر ولا تقوى، أنك منزوي على نفسك إذا فأنت عامل مساعد على ظهور الفساد، وانتشار الفساد. الإعتصام الجماعي بحبل الله لابد منه حتى بالنسبة لكل فرد في أن يصح أن يقال بأنه ملتزم بدين الله، أنه متقي لله، أنه مطيع لله، ولا ينطلق واحد من منطلق آخر.

اذكر بحين واحد من الكبار قلنا له: المفروض أن الناس يحاولون أن يعملوا جميعا، في أن تتوحد الكلمة ـ وهذا كان في بلد آخر غير بلادنا هذه قبل ربما عشرين سنة ـ قال: [أما أنا، أنا متوحد، الآخرين يتوحدوا معي، يأتوا الناس يتوحدوا معي]!.

هذه النظرة غير طبيعية، غير صحيحة أنت تنطلق تتوحد مع الآخرين، حاول أن تعزز في المجتمع كل ما يؤدي به إلى الوحدة في العلاقات، والروابط، والقيم، أنت اعمل في هذا الميدان، أنت تحرك في هذا الميدان، أن تحقق داخل الأمة الإعتصام بحبل الله جميعاً.

البشر كلهم يعرفون أهمية التوحد، لكن تختلف النظرة إلى كيف تكون هذه الوحدة التي ستحقق هذه النتيجة المهمة. القوميون كانوا يهتفون بوحدة عربية، ومن منطلق أننا أمة عربية لغتها واحدة، أمة عربية على صعيد واحد، المنطقة الجغرافية لها هي واحدة، بقي هذا الصوت فترة طويلة ولكنه غاب ولم يكن مجدياً، وحدة قومية، ووحدة عربية، كقوم كعرب، ليس على أساس من الدين بل على أساس من العروبة أننا عرب؟.

تنطلق أيضا هتافات وحدة [أن ننطلق على نهج السلف الصالح] وهم الذين يسمونهم السلف الصالح هم من لعب بالأمة هذه، هم من أسس ظلم الأمة، وفرق الأمة؛ لأن أبرز شخصية تطلع في ذهن من يقول السلف الصالح يعني أبو بكر وعمر عثمان معاوية عائشة عمرو بن العاص المغيرة بن شعبة وهذه النوعية هم السلف الصالح! هذه أيضاً فاشلة.

نتوحد على أساس ـ وهي أرقى ما يطرح في الساحة ـ على أساس [أن يرجع الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله لكن من المنظار المحدد لديهم، ووفق القواعد المحددة لديهم، ومن المنافذ التي عن طريقها، وقد رسموها أن تمر من خلالها لتكون متمسك بالكتاب والسنة.

أو أن ندعو إلى الوحدة، ما كل مسلم يدعو إلى الوحدة ـ حتى ولو باسم حدة دينية ـ لكن ونحن في مناهجنا، في ثقافتنا نعزز حالة التفرق في أوساطنا، فيطلع هذا الشخص الذي يقرأ سنة بعد سنة مع شخص أخر وثالث ورابع يطلعون متفرقين ديناً، من منطلق أن لهذا حق هو أن ينطلق وفق ما يقتضيه نظره، وعلى ما أداه إليه اجتهاده، ويتعبد بما غلب في ظنه، ثم في الأخير يرى ـ ديناً ـ بأنه لا يجوز له أن يقلد أحداً، لا من الماضين ولا من الحاضرين، فلا يجوز أن يقلد هذا، ولا يقلد هذا، ولا يتبع هذا، ولا يستمسك بهذا. الثقافة التي نطرحها ثقافة في أوساط المسلمين ونحن نتعلم الدين تجعل كل شخص منا يطلع بمفرده، ثقافة لا تعزز روحية الإعتصام بحبل الله جميعاً.

حبل الله هو هداه، هداه هو دينه، دينه هو خط واحد وحبل واحد. عندما نأتي نفرق دينه بشكل مواقف وأحكام فتطلع حبال متعددة تأتي النتيجة في الأخير أنت تمسك من عندك بحبل وأنا أمسك من عندي بحبل، وهذا يمسك من عنده بحبل.. نكون في الواقع غير متمسكين بحبل الله إلا طرف واحد، يكون فقط طرف واحد هو

المستمسك بحبل الله. والآخرين يمسكون حبالاً وهمية ليست حبال الله؛ ولهذا يرونها لم تنزعهم من هوة الضلال والكفر والذلة.
[فالوحدة بين المسلمين التي تقدم في الساحة] إما أن نهتف بها ونحن نعمل على صعيد الواقع إلى ما يعارضها ويضادها في أهدافها وفي نتيجتها، أو أن نقدمها بشكل ناقص ونحن نتحدث عنها.
الله هنا في هذه الآيات الكريمة حدد بوضوح بيِّن لا غبار عليه كيف هي الوحدة المجدية، كيف هي الوحدة التي تعطي ثمرتها، التي تنطلق فيها أمة، ينطلق فيها مجتمع على أساس من الإعتصام الجماعي بحبل واحد، أي منهج واحد، موقف واحد، خطة واحدة، عَلَم واحد، قيادة واحدة.
ليس هناك أدق تعبير في فردية الشيء من كلمة {حَبْلِ} حبل واحد. لو قال مثلا: [واعتصموا بشجرة الله] قد تتصور بأنه كل واحد سيمسك بغصن هذا يمسك بغصن، وهذا بغصن، وهذا بعرق منها.. حبل واحد لا يوجد أدق من هذه العبارة في أن تعطينا فهم أن الطريق هي واحدة فقط، وقناة واحدة فقط، ومنهج واحد فقط، منهج واحد يُقدم في ساحة العمل، منهج واحد يستطيع أن تكون ثمرته واحدة يطلّع أشخاص على قلب رجل واحد.
انظر إلى مدارسنا نحن الزيدية ماذا تقرأ فيها؟ تقرأ فيها ما يجعلك من أول ما يتفتح ذهنك لفهم المسائل تنطلق لحالك، ويصبح هذا هو واجبك، ويصبح هذا هو العلم، فتنطلق لحالك، وزميلك ينطلق لوحده، أصبحت تدين بشيء، وهو يدين بشيء، أصبحت تتعصب لشيء، وهو يتعصب لشيء آخر ضده.
توحي الآية بأنه يجب على المسلمين، أو يجب على المجتمع خاصة من هو محمل مسئولية كبيرة أمام الله أن ينطلق في الإعتصام بحبل الله، وفي نفس الوقت هي حالة تستدعي المحافظة عليها أثناء العمل للوصول إليها، ثم بعد الوصول إليها فينهى عن التفرق، التفرق في الطريق، والتفرق بعد الوصول إلى تحقيق هذه الحالة، حالة الوحدة الإعتصام بحبل الله جميعا {وَلا تَفَرَّقُوا}. و{جَمِيعاً} توحي لكل فرد بأنه مسئول هو، ولا يقل [أولئك فيهم الكفاية]، أليست تحصل هذه؟.
انطلاقة فردية وأولئك قد فيهم الكفاية لا عندما يقول: {جَمِيعاً} توحي لكل فرد بأنه مسئول هو أن يتحرك من جانبه ليكون ضمن هذه الجماعة، لا يقل: [فيهم الكفاية، وهم قد أصبحوا كثيراً]، يجب أن تلغى مشاعر أن الآخرين يمكن أن يكونوا بديلاً عنك، عندما يقول: {جَمِيعاً}أليس هو يخاطب كل فردٍ منا أن ينظم نحو هذا المجموع؟.
عندما تقول: [فيهم الكفاية] سيقول الآخر مثلك والثالث مثلك، يصبح في الأخير أن الجميع هؤلاء لا يوجدون [الوحدة التي يريدها الإسلام]. ما الذي يصنع هذه؟. يصنعها حسن تعامل، ويصنعها ثقافة واحدة، ويصنعها شعور واحد، ويصنعها اهتمام واحد.
غير صحيح أن بالإمكان أن يتوحد المسلمون توحداً على هذا النحو الذي الآية توحي بأنه لابد منه في ميدان المواجهة مع الآخرين، مع أهل الكتاب لابد منه، وأهل الكتاب ـ من يتأمل كتاب الله سبحانه وتعالى ـ يرى بل يصل تقريبا إلى درجة القطع بأن هنا في القرآن ما يوحي بأن الجهة التي ستكون هي من يمثل خطورة على الأمة، وهي الطرف الذي سيصارع الأمة على امتداد تاريخها هم طائفة أهل الكتاب اليهود والنصارى.
في مواجهة هؤلاء لابد لمن ينطلق في ميدان مواجهتهم من عباد الله سواء الأمة بكلها، أو مجتمع من المجتمعات لابد أن يتحقق لديهم وحدة على هذا النوع من الإعتصام بحبل الله جميعا، وحدة يحافظون عليها، ووحدة تقوم على أساس من الألفة فيما بين أنفسهم، والروابط التي تعزز حالة الإخاء والمودة فيما بينهم.
أنت تقول من هناك: [ممكن كل واحد ينطلق وكل واحد على مذهبه] غير صحيح أن بالإمكان أن تقف هذه المذاهب التي هي فيما بينها يكفر بعضها بعضاً، ويفسق بعضها بعضاً، والتي أفرادها فيما بينهم لا يحملون مشاعر الحب والإخاء والألفة مع الآخرين، ولا يصلون إليها بحكم تباينهم في معتقداتهم، في ثقافتهم، تباينهم أعلامهم، في قدواتهم، تباينهم في نظرتهم إلى الدنيا، في نظرتهم إلى الحياة. لا يمكن حتى أن يصل إلى هذه الدرجة فيما بينهم.

إذاً فلا يمكن أن تتحقق الوحدة، فكل شعار أو كل نداء يهتف بوحدة الأمة على ما هي عليه هو نداء وشعار لا جدوى من ورائه، هو يدعو إلى حالة وهمية، إلى حالة لا ثمرة لها، لا تتحقق على صعيد الواقع، وإن تحققت شكليا فلن يكون لها أي جدوى.

لهذا ولأن الآخرين من اليهود والنصارى يعرفون أن تفرقنا كمذاهب هو مما يساعد على ضعفنا حتى ولو بدت أصوات تهتف بوحدتنا كمذاهب، هم يعرفون بأنها ستكون فاشلة، فهم يعززون التفرق المذهبي فيما بيننا، هم وراء دعم الوهابيين، هم وراء دعم طوائف متعددة، هم وراء إحياء التفرق المذهبي. التفرق المذهبي حاصل في الأمة من قبل لكنهم عرفوا بأنه يخدمهم فليغذوه وليبقى هذا التفرق على ما هو عليه.

طيب ما هي المعالجة؟ قد يقول البعض: إذاً مادام أن أعداء الإسلام يخدمهم تفرقنا كمذاهب إذاً فيجب أن نسكت عن بعضنا بعض وأن ننطلق كأمة واحدة، ويرى البعض بأن هذا يمثل حلا لكن الواقع أنه لا يمثل حلا. وإذا كنا نعرف بأن التفرق المذهبي من أساسه هو يخدم أعداء الإسلام إذا فلنلغيها ولنرجع إلى حبل واحد. ما هذا هو الصحيح؟

أو أن نأتي ونقول: نتقارب أنا وأنت، وأنا وأنت مختلفين في عقائدنا بدءاً من الله إلى يوم القيامة، لك أعلام تقتدي بهم، ولي أعلام أقتدي بهم، لك أشياء تهتم بها، ولي أشياء اهتم بها، ليس بيننا ألفة، ليس بيننا تقارب فكيف يمكن أن يقال أن بالإمكان أن يجتمع هؤلاء شكلا ثم هم سيعملون ضد الآخرين. لا. الله تعالى يقول للناس وهم مؤمنون قبل أن يتحولوا إلى مذاهب بأن عليهم وهم أفراد قبل أن يتحولوا إلى مذاهب: أن يعتصموا جميعا جميعا بروح جماعية على هذا النحو الذي تسود داخل نفوسهم حالة المشاعر المتبادلة من الإخاء، والألفة، والحب، والود.

فغير صحيح أن يقول الإنسان: إذاً فلا ينبغي أن تثير القضايا لأن أصحاب المذهب الآخر هم حساسين، وهذا يعزز حالة التفرق. نحن قد تفرقنا من زمان، نحن قد اختلفنا من زمان، وأصبح تفرقنا واختلافنا مما يخدم أعداء الأمة، فما هي المعالجة الصحيحة؟ هي أن نرجع إلى حبل واحد، وإلا فنحن جميعا نكذب بكتاب الله، ونتصور بأن الحبل الواحد هو الاجتماع الشكلي.

الحبل الواحد هو هدى من الله، هو هدى من الله، لا مجرد أشخاص وتجمع شكلي، حبل الله هو هداه، إذا فهداه يرجع الناس جميعا إلى هدى هو هدى الله وهو هدى واحد. ولن يجدي إطلاقا ـ فيما اعتقد ـ أي صوت يقول: [أصحاب المذاهب هؤلاء يسكتون من بعضهم البعض وسيتوحدون جميعاً ضد مدري من].

تجمعت جيوش عربية انطلقت من عدة دول ولم تجد شيئا، وهم فيما بينهم سُنّيّة، لكن حتى نفس التفرق باعتبارهم كل شعب وطن مستقل بنفسه عن الآخر كان لهذا التفرق الذي داخل أذهانهم أن هذا له رئيس ورئيسه فلان، وهذا قائده فلان، لدينا قوانين هي كذا وآخر قوانينه كذا، بلادنا حدودها كذا، شكلها كذا، والآخر حدوده كذا.

حالة تفرق من هذا النوع التي هي أقل من التفرق المذهبي أثرت سلبا في تلك الجيوش فلم تكن مجدية، اجتمعت من مصر وسوريا وعدة بلدان، اجتمع المصري مع السوري مع العراقي مع الأردني مع اللبناني لكن كل واحد هو يرى نفسه ليس منصهرا في مشاعره مع الآخرين، أنا رئيسي فلان، وأنت رئيسك فلان، بلادي اسمها كذا، بلادك اسمها كذا، بلادي حدودها كذا بلادك حدودها كذا. أليست هذه فرقة؟. انظر كيف أثرت هي داخل من؟. داخل السنّيّة أنفسهم.

ففرقة المذاهب هي أشد بَوْناً واتساعاً من فرقة الأوطان، وفرقة أسماء الرؤساء والزعماء، وفرقة عناوين البلدان، أنا بلدي اسمه مملكة، وأنت بلدك اسمه جمهورية، وذلك اسمه سلطنة. أليست فرقة المذاهب أبعد وأشد؟. أين ساحة فرقة المذاهب؟. أين هي؟. أليست هي النفوس؟. ساحة فرقة المذاهب ميدانها هو نفوسنا نحن المسلمين، فما دامت النفوس هذه متفرقة أي هي متفرقة ليست مجتمعة على هدي واحد، أليس كذلك؟.

مذاهب متعددة وكل مذهب لحاله أي هو يسير على هدى لحاله، وهذا على هدى لحاله، وهذا على هدى لوحده أليست هكذا؟. ألم يطلع الهدى متعددا؟. إذاً حبال متعددة داخل أنفسنا، وهذه هي نقطة الخطر، لو أنها حبال

متعددة في ساحة خارجية خارج ساحة أنفسنا لكانت أقل ضرراً، لكنها حبال متعددة داخل ساحات أنفسنا كمسلمين فهي أشد ضررا في أن تحول بيننا وبين أن نصل إلى حالة يكون اجتماعنا فيها مجديا في مواجهة أعداء الله.

لماذا؟ لأن المطلوب أن يصل أفراد المجتمع الذين يعتصمون بحبل واحد ويتوحدوا على هذا الهدي الذي وجههم الله إليه أن تسود داخلهم مشاعر الألفة والمحبة؛ ولهذا قال: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٠٣).

أليس هناك عداوة مذهبية قائمة؟ من الذي يستطيع أن يمسحها؟ من الذي يستطيع أن يجعل القلوب متآلفة؟. إلا متى ما اجتمعت هي على الإعتصام بحبل واحد؛ لهذا جاء في مقدمة التوجيه نحو الوحدة الإعتصام بحبل واحد، والحبل الواحد هو هدى، الهدى هو ثقافة وفكر، أليس كذلك؟. في داخل نفوسنا مشاعر، وثقافة، وفكر، وتوجهات. أليس الهدى هو داخل النفوس؟ الحبل هذا أليس في الواقع داخل النفوس؟.

يمتد من يد الله إلى أعماق نفوسنا، فمن الذي يستطيع أن يصنع حالة تمسح العداء وتخلق حالة من الألفة بين أفراد المذاهب المتعددة المتعادية فيما بينهم ديناً؟ ماذا يعني ديناً؟ أنا أدين الله بأنك خبيث رافضي؛ لأنك لا تتولى أبا بكر وعمر.. أليس هكذا يحصل؟.

أليسوا يقولون عنا نحن الشيعة بأننا مشركون، وأننا روافض، أننا من أهل النار؟ وما هي جريمتنا؟ أننا لا نتولى أبا بكر وعمر، وأننا نحب أهل البيت. إذاً أليسوا هم يعيشون حالة العداء لنا إلى درجة أن من يُقتل منا في مواجهة إسرائيل لا يتحدث عنه، ولا يلتفت إليه، فليقتل عباس الموسوي.. أليس شيعيا مجاهدا، قائد حزب الله في لبنان؟. يقتل في عملية رهيبة، عملية مؤسفة، وتقتل معه زوجته، وابنه، ثم لا يتحدث الآخرون عنه؛ لأنه شيعي قتله يهودي، يهودي يقتل شيعي، شيعي يقتل يهودي كلها واحد!.

من يستطيع أن يمسح حالة العداء في نفوس السنية قبل؟ نحن شخصياً لا نحمل حالة من العداء نحوهم كما يحملون هم حالة العداء نحونا. يقوم الإمام الخميني تصدر أصوات من جانبهم يكفرونه رأساً [وجاء دور المجوس] هكذا، يأتي شخص من أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يدعو الأمة إلى كيف تواجه أمريكا وإسرائيل، إلى التحرر من هيمنة دول الاستكبار من اليهود والنصارى، رجل مؤمن، تقي، رجل مجاهد، شجاع، يعرف كيف يضع الخطط الحكيمة، ينطلق انطلاقة قرآنية، ثم تأتي أصوات، وتطبع كتب من داخل بلاد السنية [وجاء دور المجوس]! الخميني يعني أكبر مجوسي، وبدأت حركة المجوس.. ما هكذا قالوا؟. كتاب [وجاء دور المجوس] هل عرفتموه؟.

إذاً فنحن عندما نقول: نحن لازم أن يكون منطقنا ليناً، ونحن جميعا مسلمين، والمذهب على ما هم عليه، وأنا على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، ونتوحد، ألسنا أول من يكذب الله؟. الذي أمرنا أن نعتصم بحبل واحد، وقال: أنه لا سبيل إلا هذا الشيء أن نعتصم بحبل واحد، نحن قدمنا فكرة أخرى وقلنا: بأنها هي المجدية أن بالإمكان أن تكون على ما أنت عليه، وأنا على ما أنا عليه، وهذا على ما هو عليه، مذاهب متعددة، ويمكن أن نتوحد، وأن نعمل الشيء الكثير في الآخرين.. أليس هكذا قُدم؟. أي نحن قلنا: لا يا الله ليس صحيحا أن من الضروري أن نعتصم بحبل واحد.

لو كان الحبل هذا هو حبل مادي نازل من السماء إلى الأرض، أو كان هذا الحبل شيء غير هدى الله لكان بالإمكان أن نقول: يمكن أن يتعدد، لكن هدى الله ما هو؟. هدى الله بما فيه الأحكام الشرعية ما هي من هدى الله؟. العبادات بكلها إنما هي آلات لتصل بالإنسان إلى هدى الله. فهدى الله هو شيء واحد. فمن جاء ليقول: ممكن كذا، وممكن كذا، ثم نتوحد، يتصور بأنها ستكون وحدة مجدية، ستكون وحدة شكلية فإنه أول من يكذب الله عندما يقول الله: لا.. لن يحصل شيئا مجديا إلا اعتصاما بحبل واحد هو حبلي، لأنه متى ظهرت أشياء أخرى فليست من قِبَل الله، من قِبَل الله شيء واحد فقط سماه حبله.

تحصل مثل هذه الأصوات داخلنا نحن الزيدية ما هذا الذي يحصل؟ نقول: ليكن منطقنا ليناً مع الآخرين، تتسع صدورنا للآخرين، وألفة فيما بين المسلمين، وانفتاح على الآخرين، أليس هذا يحصل؟.

طيب ضع لي حلا للمشكلة وأنا أول من يستجيب لك، قدم لي هذا الطرح كشيء مجدي فعلا وفكني عن هذه الآيات التي تقطع بأنه لا مجال إلا على هذا النحو وأنا سأمشي وراءك. لن يجد سبيلا إلى هذا إلا مجرد البقاء في الإشكالية، وفي المستنقع الذي غرقت الأمة فيه.

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً} (آل عمران: من الآية١٠٣) أي أن العداوة نفسها تجعل الأمة ساحة قابلة لماذا؟ قابلة لأن تضرب من قبل أعدائها، ساحة قابلة لأن يسود فيها الضلال والكفر المُصَدّر من قبل أعدائها. العداوة هي التي تهدم الأمة، فعندما يأمرنا أن نعتصم بحبل واحد هو أقرب ما يمكن أن نكون قادرين على مسح حالة العداوة فيما بيننا، ليس هناك أقوى من الاجتماع على منهج واحد في التأليف فيما بين نفوس الناس، إذا ما كان لهذا المنهج أهميته الكبرى في نفوسهم، أي أن حالة العداء أن تُمسح، والأسباب التي تؤدي إلى العداء أن يقضى عليها، بما فيها المذاهب المتعددة التي تصنع عداوة دينية، فيأتي طرف على باطل، على ضلال، ويدين لله بعداوتك أنت، وأنت صاحب الحق، وأنت من أنت على الحق، وهو يحمل الاسم الذي تحمله [مسلم]، ويدعي أنه أرقى منك في الاسم الذي تحمله [مؤمن].

فأن يكون هناك حالة من العداوة، عداوة تخلقها مذاهب، عداوة تخلقها اختلافات شخصية فيما بين الناس يجب أن يعمل الناس على أن تنهى هذه الحالة، لابد من ألفة القلوب {فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} وعدها نعمة من نعمه الكبرى؛ لأن الألفة فيما بين النفوس أن يغيب من النفوس حالة العداوة والبغضاء هي شرط أساسي في تحقيق وحدة معتصمة بحبل الله، يكون لها أثرها الكبير في الحفاظ على الدين، وفي ميدان المواجهة مع أعداء الله، وإلا ما قيمة أن يذكر هنا بأنها نعمة من نعمه أنهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم، أي أن الألفة بين القلوب لابد منها في تحقيق وحدة يكون لها أثرها.

متى تحصل ألفة بين قلوب منهم مذاهب متعددة؟ هل يحصل هذا؟. هل السني، هل الوهابي قلبه متآلف معي؟. لا، هو يدين الله ببغضي، وأنه متى قتلني يهودي ربما يفرح أن اليهودي قتلني، سواء قتلت يهودي أو اليهودي قتلني، المسألة عنده واحدة.

هل هم انطلقوا ليسموا شارعاً باسم [عباس الموسوي] أمين عام حزب الله وهو عالم، مجاهد، شجاع، إنسان حكيم، يملك قدرة هائلة من التدبير، والتخطيط في مواجهة إسرائيل، يهتدي بالقرآن، قُتل في حادث مأساوي تضربه الطائرة الإسرائيلية بصاروخ، تضرب سيارته وهو فيها هو وزوجته وطفل صغير، هل سموا شارعاً باسمه؟ أو سموا مصنع تحلية مياه باسمه، أو سموا مطعما، أو سموا قاعة محاضرات، أو سموا أي شيء باسمه؟. لا، ليست مشكلة. لكن أن يقتل طفل آخر [محمد الدرة] هذا طفل قُتل، قُتل أطفال كثيرون، يجتمع مجلس الوزراء في اليمن، ويقرر بأن يسمى الشارع من [مذبح] إلى ملتقى طريق عمران صعدة [شارع الشهيد محمد الدرة].

كنت أتوقع أن [محمد الدرة] هذا قبل أن أعرف من خلال المشهد التلفزيوني أنه كان بطلا، كان شجاعا، عمل أعمالا رهيبة بإسرائيل؛ لهذا أصبح صوته، وأصبح اسمه هكذا، وسميت شوارع باسمه، وسميت مقاهي، وسميت حتى معامل تحلية مياه باسمه، ومطاعم، وبنشر، وأشياء من هذه باسمه، أشاهد المشهد في التلفزيون فإذا هو طفل قتل. لاحظوا كيف؟ هذا هو نفسه من التضليل اليهودي أن يقتل [يحيى عياش]، يحيى عياش هو مجاهد، وبطل، وعمل أعمالا رهيبة ضد إسرائيل، قتل، هل سمي في اليمن، أو في مصر، أو في السعودية، أو في أي بلد مسلم سمي شارع الشهيد يحيى عياش؟. لا، هل سُمي شارع الشهيد عباس الموسوي؟.

قُتل ابن حسن نصر الله في الجهاد هل سمي شارع باسمه؟ هل سمي شارع باسم ابن عباس الموسوي؟ إذا كانت المسألة مسألة عاطفية مع أطفال، هل سميت شوارع أخرى بأسماء أبناء مجاهدين، أو مجاهدين ضد إسرائيل؟ لا. لماذا؟.

هذا من العمل الذي يخدم إسرائيل أن يُقتل شهيد بطل ثم لا يخلد ذكره؛ لأن تخليد ذكره في أوساط المسلمين يعني استلهام روح ماذا؟ روح القتال لإسرائيل، والعداوة لإسرائيل، والمواجهة مع إسرائيل، لكن يُقتل طفل فلتعمم الدنيا باسمه ما الذي سيحصل؟ تفاعل عاطفي معه فقط. [الله يلعنهم الله أكبر عليهم] أليس هذا الذي سيحصل اليهود يعرفون كيف، وأولياؤهم أيضا يعرفون أنهم أن يعمموا اسم الشهيد عباس الموسوي، أو الشهيد

يحيى عياش فتسمى شوارع بأسمائهم أن هذا يزعج إسرائيل، لماذا يزعج إسرائيل وقد قتل هذا الرجل؟ لأن هذا يبعث في الأمة، في الشباب مشاعر ماذا؟ البطولة، والتضحية في مواجهة إسرائيل. فهكذا يصنع تخليد الشهداء.

فلهذا يقولون: ذكرى استشهاد الإمام علي بدعة بدعة، يريدون أن تموت الأمة باسم الدين، وأن تذبح باسم الإسلام، لكن محمد الدرة وأطفال آخرين يؤلم قتلهم، لكن هذا له أثر آخر لا يضر إسرائيل، غاية ما يصدر مني أن أقول: [الله يلعنهم، الله أكبر عليهم].

لكن شهيد من خلال أن تعرف شارع سمي باسمه فتعرف ماذا كان يعمل، تعرف كيف كان يخطط، سيظهر من أوساط المسلمين من يحاول أن يقلده، ويتشبه بروحيته، أليسوا يخدمون إسرائيل بهذا؟.

أن تغيب أسماء الشهداء، أن يغيب أسماء المقاتلين الأبطال ضد إسرائيل من شيعة وسنة كيحيى عياش، وكعباس الموسوي، ثم يشاد بأسماء أطفال آخرين على أساس تكون المسألة غير حساسة بالنسبة للصديقة إسرائيل؛ من أجل أن لا نجرح مشاعر إسرائيل، من أجل أن لا نسيء باسم ذلك الرجل العظيم الذي قد يكون فيه إساءة إلى مشاعر إسرائيل. وهكذا يُصنع الرموز بشكل لا يضر بهم، يشدونا إلى طفل يجعلون رمزنا طفلا محمد الدرة، ثم نحن ننشد، نحن في أناشيدنا هنا في المدرسة، وفي مدارس أخرى محمد الدرة، محمد الدرة.

أول مرة اسمع أنشودة لم تعجبني إطلاقا، لماذا؟ لأنه كان الذي يجب أن ننشده هو أن ننشد في الأبطال الذين سقطوا في ساحة المواجهة، لأن هذه أعلام لا تترك أثـراً في نفسك، لا تترك أثـراً يجعلك تستلهم منهم روح الجهاد.

طفل قتل وهو متمدد وشخص عنده آخر متمدد عند فرن أو شيء آخر، مشهد عاطفي فقط، أنت بحاجة ماسة من أجل أن يكون حتى لهذا المشهد أثره أنت بحاجة أن تنشد إلى أعلام من المجاهدين، المقاتلين، فأرى ماذا؟ يترافق الأمران وتصبح المسألة إيجابية، عباس الموسوي، يحي عياش يكون أسماؤهم مترددة في أذهاننا، ثم أرى ماذا عملوا، هنا سيكون لي وأنا أرى طفلا مثل هذا، أو امرأة، أو أي شيء آخر يثيرني، يصبح لدي استلهام روح الجهاد، والاستبسال، والاستشهاد من ذلك البطل الذي ترسخ في ذهني، وتكرر اسمه أمام عيني، وأنا في الشارع الفلاني، أمام القهوة الفلانية، أمام القاعة الفلانية، أمام البنشر الفلاني أمام صالون الحلاقة الفلاني.

أليس هذا هو ما يجعل للأشياء قيمة؟ لكن مشاهد عاطفية بحته لا يوضع هناك أعلام يرافقها تخلق في نفوس الناس استلهام مشاعر البطولة، والتضحية تصبح هذه عاطفية بحتة، والجانب العاطفي لحاله يصبح في الأخير مظهراً مألوفاً، ثم في الأخير لا يثير شيئاً، ثم في الأخير لا يضر إسرائيل بشيء.

{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}(آل عمران: من الآية١٠٣) **وهؤلاء يريدون أن يعيدوكم فيها.. أليس هذا ما تعني الآية؟ نحن الآن أمام آية تقول من البداية: {يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}**(آل عمران: من الآية١٠٠) **الله يقول: هو استنقذكم من النار بكتابه، برسوله، بهدايته. ألا يعني هذا أن هذه نعمة عليكم كبرى أن استنقذكم من النار؛ فاذكروا نعمة الله عليكم، لتكون المسألة لها قيمتها في نفوسكم؛ لأن هناك من يعملون جادين على أن يعيدوكم في حفرة النار من جديد.**

{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}(آل عمران: من الآية١٠٣) **وهؤلاء سيردونكم إلى هذه الحفرة، وهاهو من جديد الله ينقذنا منها، ويوجهنا إلى ما ينقذنا منها، ما هذا يحصل؟. هو من جديد يوجهنا إلى ما ينقذنا منها، مظهر من مظاهر رحمته العظيمة، بعد أن يردونا بعد إيماننا كافرين يعني أن نكون من أهل النار، أليس كذلك؟. إذاً قد أنقذناكم أول مرة، انتبهوا، ما معناها هكذا؟.**

هؤلاء يعملون على أن يردوكم في الحفرة، ثم ها أنا الآن اعمل على إنقاذكم من النار، كأنه يقول لنا هكذا، وهو يوجهنا إلى أن نتقيه حق تقاته، وأن نعتصم بحبله، وأن نكون هكذا في مستوى مواجهة هؤلاء الذين يريدون أن يردونا إلى حفرة جهنم من جديد {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}(آل عمران: من الآية١٠٣) **إذاً استنقذوا أنفسكم من جديد في مواجهة هؤلاء بما أقدمه لكم من هدايتي، هكذا معني قول الله سبحانه وتعالى.**

ثم يقول أن المسألة هي أشياء مؤكدة، القضية آيات ومعنى آيات أعلام لحقائق واضحة، حقائق لابد منها أن تقع في واقع الحياة، إذا سمحتم لها أن تقع، حقائق من قِبَله يتحدث عنها {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ} بعبارات لا أوضح منها بيان {آياته} أي حقائقه، هذه الآيات التي هي ترشد إلى حقائق أنكم إذا لم تكونوا على هذا النحو ستكونون كافرين.. أليست هذه حقيقة؟ أنتم إذا لم تكونوا على هذا النحو ستوقعون أنفسكم من جديد في حفرة جهنم، هذه حقيقية.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) **إلى ماذا؟ تهتدون إلى ما ينقذكم من جهنم أن تعودوا فيها من جديد {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ}** (آل عمران: من الآية١٠٣) **كدتم أن تقعوا فيها. إذاً هؤلاء هم يدفعونكم إلى أن تكونوا كافرين من أجل ماذا؟ يوقعونكم في جهنم.**

وهو يريد سبحانه وتعالى أن نهتدي بهداه؛ ولهذا قال: {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} تهتدون إلى ما يريد أن تكونوا عليه كأمة تسير في طريق الجنة، في طريق رضوان الله، تسير في طريق العزة، في طريق الرفعة والمكانة، طريق العلو، السمو الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون لعباده المؤمنين.

{لَعَلَّكُمْ} لأجل أن تهتدوا إذا كنتم تريدون أن تهتدوا. هل هناك أوضح من هذه الآيات التي تبين لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى يرعانا، كيف أنه يرحمنا، كيف أنه يهمه أمرنا، كيف أنه حريص على هدايتنا، ـ إن صحت هذه العبارات لكن لا نملك إلا هي، كلمة [حريص] ونحوها ـ أنه رحيم بنا أقصى ما يمكن أن يتصور الإنسان من معاني الرحمة. صدق الله العظيم

أسال الله أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه ويهدينا بهديه ويجمع كلمتنا على الإعتصام بحبله،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة آل عمران (٣ـ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

الدرس الثالث

﴿ولْتَكُنْ مِنْكُم أمَّةٌ﴾

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٠٠٢/١/١١م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران:١٠٢-١٠٤).

عرفنا تفسير هذه الآيات [في الجلسة السابقة].. وصلنا إلى قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) **هكذا يكون بيان من الله سبحانه وتعالى لكم، من منطلق رحمته بكم، وأنه لا يريد لكم أن تُظلموا، ولا يريد لكم أن تكونوا كافرين، ولا يريد لكم أن تعودوا على شفى حفرة من النار كما أنقذكم منها أول مرة فتعودون إليها من جديد.**

إذاً فالله سبحانه وتعالى عندما يبين لنا فهو يبين لأنه رحيم بنا، فمن منطلق رحمته، وهذا أهم.. أهم ما رسخه القرآن الكريم هو: أن الله [رحمن رحيم]، وأن الله رحيم بعباده، فلأنه رحيم بعباده يهديهم، يبين لهم آياته، ويسميها آيات؛ لأنها علامات على حقائق، حقائق لا تتخلف، حقائق لا يمكن أن تتخلف عن أن تحصل نتائجها سواءً كانت سلباً أو إيجاباً.

فمتى ما تفرقتم ستظلمون، متى ما توانيتم وقصرتم في مواجهة أهل الكتاب قد ترتدون بعد إيمانكم كافرين، وقد تعودوا إلى شفى حفرة من النار.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) **تهتدون إلى ما أنتم بحاجة إلى أن تهتدوا إليه، ألا نشعر بأن لدينا حاجة ماسة إلى أن نهتدي إلى ما به نحافظ على أنفسنا أن نبقى مسلمين؟ إلى ما به نبتعد عن أن يحوّلنا أهل الكتاب إلى كافرين بعد إيماننا؟ نهتدي إلى ما به نبتعد عن النار التي قد كنا على شفى حفرة منها، هل هناك حاجة إلى هذا أو لا؟.أقول: أنا لست بحاجة إلى أن أهتدي حتى لا أتحول إلى كافر! ما الذي سيحصل إذا أصبحت كافراً؟. هو مشكلة كبيرة الكفر والاّ لا؟.**

الناس في الدنيا يرون بعض الأشياء مشكلة كبيرة جداً وغايتها ما هي؟ النتيجة منها التي ترعبهم ما هي؟ قد يكون إما سجن، أو يخسر قليل فلوس، أو وجع في رأسه، والاّ قليل مغص في بطنه، ما هو يعتبرها مشاكل هذه في الدنيا؟. أو مشكلة كبيرة؛ لأنه قد يؤخذ عليه قطعة أرض، أو قطعة [مَشْرَب] لقطعة أرض، فتصبح مشكلة كبيرة عليه إذا لم يشاجر بعنف ويبذل كل أمواله في سبيل أن لا تخرج من تحته، حتى وإن كانت حقاً للآخر. تصبح مشكلة لديه تشغله وهو يأكل، تشغله وهو يصلي، تشغله وهو متوجه إلى فراشه للنوم، تشغله وهو يمشي!.

ما هكذا تحصل الأمور بالنسبة للذين يشاجرون على قطعة [مَشْرَب] أو على أشياء من هذه؟ تصبح مشكلة لديه كبيرة! تشغل بَالَه وتأخذ كل تفكيره وكل اهتمامه، فيعيش البعض في حالة تقشف، يتقشف يحاول عندما يطلع وينزل إلى المحكمة يحاول أن يصبر على أن يأكل أكل كيفما جاء من أجل أنه يستطيع أن يواصل شريعته، من أجل أن غريمه [لا يربِّطه] ـ على ما قالوا ـ لأنها مشكلة كبيرة لديه.! ما هي مشكلة كبيرة؟.

طيب: أليست مشكلة كبيرة أن تقع في حالة يمكن أن تؤدي بك إلى جهنم؟ أليست هذه مشكلة كبيرة؟، هل هناك شيء أشد من جهنم؟ هل هناك شيء أسوأ من جهنم؟ من عذاب النار؟، من عذاب الحريق؟. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) **إذا كانت تهمكم أنفسكم فتبحثون عما يهديكم إلى ما فيه نجاتكم فلا تُظلمون في الدنيا، ولا تصيرون إلى ما تستوجبون به عذاب جهنم في الآخرة.**

ثم أي طرف في الدنيا، أي جهة في الدنيا يمكن أن تكون أكثر رحمة بنا من الله سبحانه وتعالى؟. هل هناك أحد؟. وإذا افترضنا أن هناك من هو رحيم بنا، فهل هناك من يستطيع أن يهدينا كما يهدينا الله سبحانه وتعالى؟. لا.. قد ترحمك أمك، قد يرحمك أبوك، قد يرحمك إخوانك، قد يكونون حريصين على نجاتك، حريصين على سلامتك، لكن لا يمتلكون علم الغيب، لا يمتلكون ما يستطيعون به أن يرسموا لك طريق الهداية التي تعتبر حقائق لا تتخلف.

بل قد يحصل العكس، قد توجهك أمك أو يوجهك أبوك أو أخوك إلى الترك، أن لا تتحرك في قضية يكون في الواقع سلامتك وهدايتك وعزتك ونجاتك في أن تتحرك فيها، فتنطلق أمك من باب العاطفة من باب الرحمة بك.

أليست تتحدث من منطلق الرحمة؟ لكنها لا تستطيع أن ترسم لك الهداية الحقيقية، لا تستطيع مهما كانت رحيمة. فبالنسبة لله سبحانه وتعالى تجتمع أشياء كثيرة: رحمته العظيمة بنا، وعلمه، هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، يعلم الغيب والشهادة، علمه بكيف يهدينا وما هو الذي فيه هدايتنا؟. ولهذا يتحدث بأن ما يهدينا إليه هو آيات. معنى آيات: أعلام على حقائق، حقائق لا تتخلف، حقائق هي تمثل إذا سرتم عليها وفي طريقها هدايتكم، فآياته أعلام على حقائق نمشي وراء هذه الأعلام نهتدي بها، ولا بد أن تحصل ـ إذا ما مشينا مهتدين بها ـ لا بد أن تحصل تلك الحقائق من وراءها، سواء ما كان منها في الدنيا من عزة ومكانة وشرف ورفعة واستقامة، وبالنسبة للآخرة الفوز العظيم بالجنة، أليست هذه هي الهداية الحقيقية؟.

عندما يهدينا هو يهدينا إلى ما نحن في أمس الحاجة إليه في الدنيا قبل الآخرة، هذا شيء مؤكد؛ لأن الثمرات كلها ليست مرتبطة بأنه فقط ثمرتها هي الجنة لا شيء قبلها، بل يهدينا إلى ما نحن في أمس الحاجة إليه في الدنيا؛ كي لا نُظلم، لا نُذل، لا نُقهر، لا نصبح جنداً للشر والباطل، لا نصبح عبيداً للشيطان، أليست هذه أشياء تهمّ الإنسان أن لا يقع فيها؟.

وعلى الرغم من ذلك أيضاً يكتب لنا أجراً على كل ما نسير فيه مما نحن في أمس الحاجة إليه فيكتب لنا أجراً عليه، ويكتب لنا الفوز بالجنة، وما أعظم الجنة، وما أعظم رضوان الله الذي هو أعظم من الجنة. أليست هذه هي منتهى الرحمة؟ ولهذا قال تعالى: {فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٧) **كما سيأتي بعد في هذه الآيات، هذه هي الرحمة.**

أمك أبوك خالك جدتك أي أحد من أقاربك أي شخص يهمه أمرك لو انطلق بكامل الإخلاص فلن يستطيع أن يهديك على هذا النحو، ومتى ما هداك فإنه لا يملك لك شيئاً من بعد، لا يملك جنة ولا يملك ناراً، وقد لا يملك فعلاً أنك متى ما سرت على النحو الذي هداك إليه أنه سيقف معك بكل ما يملك، قد يكون مجرد نصح فقط، أما الله فقد وعد أنك عندما تسير على ما هداك إليه فإنه سيقف معك، وسيؤيدك، وسينصرك، وسيهديك، ويوفقك، ويرعاك، ويرشدك.

الإنسان إذا تأمل لا يجد أي طرف إطلاقاً يمكن أن يهديه كهداية الله، لا يمكن أبداً، و لا أن يتحقق له من أي طرفٍ مهما كان ناصحاً له كما يتحقق له على يد الله سبحانه وتعالى.

ولأن الآيات هي في سياق الحديث عن أهل الكتاب وعن أعمالهم الخبيثة وخططهم الماكرة، بدأ التوجيه نحو الهداية من الأمر بتقوى الله حق تقاته، ثم الاعتصام بحبله، ثم ماذا؟ {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران:١٠٤) **في طريق أن تكونوا بمستوى أن تواجهوا أهل الكتاب لا بد أن تؤهلوا أنفسكم، لتتحركوا أولاً في مجال إصلاح المجتمع من الداخل؛ لأن أهل الكتاب سينفذون إلى داخلكم إلى أعماق بيوتكم، إلى أعماق نفوسكم. فلا بد أن تكونوا معتصمين بحبل الله جميعاً، ثم تنطلقون بشكل جماعي ـ بعد أن تؤهلوا أنفسكم وتجعلوا من أنفسكم أمة قادرة على أن تتحرك في الداخل أولاً ـ في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

لا تتصور أبداً بأن معنى المسألة في مواجهة أهل الكتاب هو: أن تتجه بعينيك إلى [نيويورك] أو إلى إسرائيل أو إلى [لندن] أو [باريس] أو نحوها، من هنا، العمل يأتي في مواجهتهم من هنا من الداخل؛ لأنهم هم ـ وهم في مجال أن يضربوا الأمة ـ يتغلغلون إلى داخلها بمختلف وسائلهم الخبيثة، {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٣٣) **فساداً ثقافياً، فساداً أخلاقياً، فساداً اقتصادياً، فساداً في البيئة، فساداً في كل مجالات الحياة.**

إذاً فلا بد، لا بد للأمة ـ وهي في طريقها إلى أن تؤهل نفسها لتكون بمستوى مواجهة أهل الكتاب، وفي مجال أن تحصّن نفسها من خبث أهل الكتاب حتى لا تتحول إلى أمة كافرة، إلى أمة مرتدة بعد إيمانها ـ سواء الأمة على مستوى الأمة أو أي مجتمع داخل هذه الأمة لا بد، لا بد أن تتحرك في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الخير، وإلا فماذا؟. قد تكون أنت تفكر بأنك تجهز قطعاً عسكرية لتضرب [واشنطن]، وهم يضربونك في داخل كل بيت من بيوت مجتمعك، هذا لا يتأتى، وهذا هو ما حصل، أليس هذا هو الحاصل؟.
صفقات أسلحة للسعودية، لليمن، لمصر، لهذه الدولة، لهذه.. صفقات أسلحة: طائرات دبابات، كل مرة نسمع بصفقة أسلحة، لكن من الذي سيحرك هذه الأسلحة؟ بدءاً من الكبير، من الملك أو الرئيس إلى آخر شخص في المجتمع من هو؟. لقد ضُربت الأمة من الداخل.
وعندما غاب الأمر بالمعروف.. الأمر بالمعروف لا يعني فقط أن تقول لفلان: يغطي ركبته فقط!، بكل ما هو معروف، بكل ما الأمة بحاجة إليه أن تهتدي به، أن تتحلى به أن تسلكه، أن تعمل به، في مجال السياسة في مجال الاقتصاد، في مجال الأخلاق، في كل مجالات الحياة، في كل مجالات الدين، المعروف باب واسع جداً.
إن من المعروف أن نقول للآخرين: إن عليكم أن تهتموا بالجانب الاقتصادي فتجعلوا الشعوب قادرة على أن تقف على أقدامها مكتفية بذاتها فيما يتعلق بقوتها الضروري؛ لتستطيع أن تقف في مواجهة أهل الكتاب، أليس هذا من المعروف؟. ليس المعروف فقط هو فيما تتصور، حتى أصبح هذا المبدأ العظيم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني فيما يتعلق بأشياء بسيطة، بسيطة جداً [غَلّق المسجلة، غَطّ ركبتك]. ما هي هكذا؟، تقريباً تنتهي إلى هذه.
المعروف.. ولهذا نحتاج إلى أن تكون هناك أمة، أن يؤهل الناس أنفسهم إلى أن يصبحوا أمة قادرة على أن تدعو إلى الخير تحت عنوان (الخير) الواسع، وأن تكون أمة تأمر بالمعروف تحت هذا العنوان الواسع، وتنهى عن المنكر بعنوانه الواسع، ثلاثة عناوين واسعة جداً، ثلاثة عناوين مهمة هي تشمل كل مجالات الحياة، سواء ما كان من وجهة نظرنا لا نراه متعلقاً إلا بالدنيا، وما كان منها متعلقاً بالدين.
أليست هذه هي هداية حقيقية إذا أحد تأمل فعلاً، تجعلك تثق بالله، يجعل الإنسان يثق بأنه يضع الخطط الحكيمة للأمة لتمشي عليها. وهو يعلم ما سيعمل أهل الكتاب، وكيف ستكون أساليبهم، وأنهم سيغزون الأمة من الداخل فيجعلوا الأمة تقف مستسلمة أمامهم، طائعة لهم، متولية لهم، كبارها جنود لهم، وصغارها ضحية لفسادهم، فتتجمد وتتعطل كل وسائل القوة الأخرى.
البترول في الأرض يصبح لا يمثل ما يمكن أن يمثله من آلة ضغط عليهم، هذه الخيرات المنتشرة في معظم البلاد الإسلامية كذلك لم تعد تمثل وسيلة للضغط على دول الغرب: اليهود والنصارى، هذه الأسلحة المتطورة التي يمتلكها هذا الشعب وهذه الدولة وهذه الدولة وتلك الدولة هي أصبحت قطعاً متجمدة لا معنى لها لا قيمة لها، بل ستصبح قطعاً تتحرك بفاعلية في خدمة أمريكا وإسرائيل لضرب الشعوب نفسها! أليس هذا من الدهاء اليهودي؟. أليس هذا من الخبث اليهودي الشديد؟.
وفعلاً كم وجدنا أن الأسلحة العربية والجيوش العربية تحركت لخدمة إسرائيل وأمريكا ـ سواءً من حيث تشعر أو لا تشعر ـ عندما تحركت جميعاً في مواجهة [الثورة الإسلامية] في إيران ومواجهة [الإمام الخميني]، الذي برز كأعظم قائد يحمل أفضل نظرة منبثقة من القرآن الكريم في مواجهة اليهود والنصارى، تتحرك جيوش من مختلف الدول العربية، وقطع عسكرية من مختلف دول العالم، قطع أسلحة تتحرك في مواجهة هذه الدولة المسلمة وهذه الثورة الإسلامية! فتكون النتيجة في الأخير هي أنهم حموا إسرائيل من أخطر جهة كان يمكن أن تواجهها في هذا العصر، كان يمكن أن تقضي عليها فعلاً، كان يمكن أن تقضي على إسرائيل.
وكان [الإمام الخميني] رحمة الله عليه يرفع شعار: ((أن إسرائيل غُدّة سرطانية يجب أن تُستأصَل))، وكان فعلاً جاداً في أن يستأصل هذه الغُدّة، لكن العرب الذين يصرخون الآن من إسرائيل، العرب الذين تحولوا إلى جنود لإسرائيل هم الذين وقفوا في وجه ذلك القائد العظيم، وذلك الشعب العظيم، والثورة العظيمة؛ لتقف إسرائيل محميّة دون أن تخسر شيئاً. ومتى ما انتهى خطر ذلك الشبح المخيف تستمر إسرائيل في عملها، لا تقدر ـ على أقل تقدير ـ لا ترعى جميلاً: أن هؤلاء خدموها فتتعامل معهم بوداعة وسلام،لم يحصل هذا.
{هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران: من الآية١١٩) **مهما عملتم لهم لن يقدروا لكم جهودكم، لن يرعوا لكم جميلاً، لن يكافئوكم**

بإحسان، وهذا ما حصل، وهذا الذي نشاهد الآن، أما كان من المفترض أن إسرائيل ترعى ذلك الجميل لهذه الدول العربية التي انطلقت لتقف بدلاً عنها في مواجهة [الثورة الإسلامية] و[الإمام الخميني] فتزيح ذلك الخطر عن وجهها، أما كان من المفترض أن إسرائيل تتحول إلى دولة مسالمة؟ دولة تهتم بأمر العرب وشأنهم.

[لاحظ العرب] كانوا يقولون: لا بد من تحرير فلسطين حتى آخر ذرة من تراب أرض فلسطين؟ أصبحت المسألة بالعكس سيخدمون إسرائيل حتى آخر ذرة، وآخر جندي من أبناء أوطانهم، لكن تحت عناوين أخرى، اليهود هم يعرفون كيف يرسمونها، وكيف يشغّلون الأمة ويشغّلون الشباب في التحرك تحتها.

إذاً فإذا غاب العمل على تصحيح الوضع من الداخل تحت العمل في إطار الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلن تقف الأمة على قدميها أبداً، أبداً مهما امتلكت من أسلحة في مواجهة اليهود والنصارى؛ لأن هذا الأمر أتى في إطار وضع الخطة الحكيمة، الخطة المستمرة التي تؤهل الأمة لمواجهة أهل الكتاب اليهود والنصارى، سواء في حماية أنفسهم منهم كي لا يتحولوا إلى كافرين مرتدين بعد إيمانهم أوفي رفع ظلمهم عنهم، وفي قطع أيديهم عن بلدانهم، لا بد من تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير.

ولكن ما الذي حصل؟.

من جَنى على هذا المبدأ هم الفقهاء أنفسهم، من جنى على هذا المبدأ نفسه هم أصحاب [أصول الفقه]، وأصحاب كتب [علم الكلام] والفقهاء أنفسهم، الذين حولوا المسألة إلى مسألة فردية: [أنت يجب عليك شخصياً أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر]، متى؟ قال: [متى ما امتلكت القدرة أو ظنيت التأثير! ما لم فما عليك].

فجعلوا كل شخص ينظر إلى هذا الواجب العظيم، وهذا المبدأ المهم، وهذه الهداية الربانية العظيمة، كل شخص ينظر إليها بنظرة فردية ومن منطلق ذاته واستطاعته أو عدم استطاعته، وكل شخص منا سيرى في الأخير نفسه عاجزاً عن أن يعمل شيئاً، أليس هذا الذي سيحصل؟، فلنكن عشرة آلاف في منطقة سيرى كل شخص نفسه عاجزاً عن أن يعمل شيئاً هو، فيقول: إذاً ارتفع الوجوب عني، إذاً أنا لا أستطيع، والثاني مثلي، والثالث مثلي، والرابع مثلي، وهكذا.

ناسين أن القرآن، أن الله سبحانه وتعالى يقول: أنه في تحقيق هذا الأمر من المعلوم أنه لا يتأتى ـ وهو الشيء الطبيعي والغالب ـ إلا بأن يكون الناس يتحركون بشكل جماعي متوحدين؛ لذا فعليهم أن يؤهلوا أنفسهم ليصبحوا أمة قادرة حينئذٍ عندما يتوحدون، عندما يكون منهجهم واحداً، عندما يكون منهجهم قائماً على الاعتصام بحبل الله مجتمعين، عندما يكونون صادقين متعاونين فيما بينهم حينئذٍ سيصبحون أمة قادرة على أن تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

لكن وتعال فيما بعد طبّق هذا المبدأ على أفراد هذا المجتمع المتوحد تقول له: واجب عليك إذا استطعت، ما تستطيع أنت شخصياً ما عليك.. فعزلت أنت هذا ثم تعزل الثاني بعده والثالث بعده حتى تخرج من آخر الصف وما أحد يستطيع ستجد كل واحد يقول: والله أنا ما أستطيع أنا خلاص ارتفع الوجوب عني ولي عذري عند الله!.

هكذا انطلق فقهُنا، انطلقت القواعد التي تسمى [أصول فقه] لتوجه كل الخطاب الذي هو في القرآن خطاب جماعي للأمة من خلال الفرد أنه يجب عليه أن يتحرك في إطار أمة في تأهيل نفسه والآخرين ليكوّنوا صرحاً شامخاً بأمة.

انطلقت الأشياء لتخاطب الأفراد كأفراد، وكل شخص يرجع إلى نفسه سيرى نفسه عاجزاً فيقول لله: [أنا لا أملك شيئاً، أنا لي عذري عندك ومع السلامة]!

الله هنا يقول: {وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ} يعلم أن كل فرد بمفرده لا يستطيع أن يعمل شيئاً، أحياناً يحتاج الإنسان هو في تربية أسرته في الداخل في تربية أولاده إلى من يعينه من الآخرين قد تحتاج إلى هذا داخل أسرتك يحتاج إلى من يعينه من الآخرين على تربية أولاده، على تنظيم شؤون أسرته ليكونوا أسرة منضبطة.

ثم لأن المسألة في مقام الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تكون بشكل واعٍ، وخطة واحدة، ومنهج واحد، وأسلوب واحد، وعمل واحد، وإلا فهو من المنكر أن تتحرك أنت بطريقتك الخاصة فتوجه توجيهات تعتقد أنها دعوة إلى الخير وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وآخر له خط آخر وأسلوب آخر ووجهة أخرى

وثالث ورابع على هذا النحو فينزل في المجتمع ثقافات متعددة، وجهات نظر متعددة، دعوة إلى أشياء متعددة منهم من يرى أن هذا مهم بالغ الأهمية، ومنهم من يرى أن هذا لا معنى له من أصله، وكلٌ يخاطبك باسم الدين، ويخاطبك باسم النصيحة. فهذا سيصبح نفسه من المنكر؛ يؤدي إلى تفريق المجتمع، يؤدي إلى تباين وجهات نظره، يؤدي إلى تشتت وتعدد مواقفه وتباينها.

فلا بد في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير أن يتحركوا من قاعدة واحدة، من توجيهات واحدة، وخطة واحدة، وأساليب واحدة حتى يكون فعلاً أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ودعوة إلى الخير بنّاءة، تكون نتيجتها تصب في قالب تأهيل الأمة فيما يتعلق بوحدتها، فيما يتعلق باهتماماتها بأمر الدين، وفيما يتعلق باهتمامها في مواجهة أهل الكتاب سواء في الداخل أو في الخارج.

قد تأتي أحياناً أساليب دينية تُقدم إليك سواءً عن طريق خطب جمعة أو حلقات درس أو مدارس تقدم إليك الدين بشكل اهتمامات معينة تغيب أمامك الأشياء الأخرى المهمة، ويأتي آخر يتحرك إليك يطلعك على الأشياء التي يراها مهمة، فهذا يقول: هذه أشياء لا تشكل أي مشكلة، هذه أشياء لا يُعد الاهتمام بها شيء ضروري، ما الذي سيحصل؟. أليس سيحصل تباين في المجتمع نفسه: فمنهم من يصدق هذا ويمشي على نهجه، ومنهم من يقبل من هذا ويمشي على طريقته، فيؤدي إلى ماذا؟ أليس يؤدي إلى خلخلة وحدة الأمة حتى وإن كانت قد توحدت، حتى وإن كانت قد توحدت سيؤدي إلى ضرب وحدتها، وضرب كيانها فتخلخل صفها من جديد.

{وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) **بهذه الصِّيغَة {وَلْتَكُنْ}، أليس هذا أمر مؤكد يجب أن تكونوا على هذا النحو: أمة تتحرك، ويأتي بصيغ الفعل المضارع {يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} من الصِّيَغ التي تفيد ـ كما يقولون ـ الحدوث والتجدد والحركة المستمرة في الدعوة إلى الخير، يتحرك كل إنسان باستطاعته يدعو إلى خير يدعو إليه، لكن في إطار الخطة، في إطار وجهة النظر الواحدة، وإلا فحَذَارِ حذار من دعوات إلى خير بأساليب متعددة، إلى أمر بمعروف بأساليب متعددة إلى نهي عن منكر بأساليب متعددة، من منطلق توجيهات متعددة، وإلا فكلما كان منها منفرداً عن الآخر فلا بد أن يكون له تأثيره المباين لتأثير الآخر، وما النتيجة؟. هي: تفريق كلمة الأمة تحت عنوان: دعوة إلى الخير وأمر بمعروف ونهي عن منكر.**

توجيهات تؤكد لنا ضرورة إصلاح المجتمع من الداخل وهذا ما يؤكد السنة الإلهية بأن الله سبحانه وتعالى كما قال: {إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد: من الآية١١) **وبهذا نعرف نحن كيف نرد على أولئك الذين يقولون: [ماذا سنعمل نحن بإسرائيل وأمريكا، عندها قوة جبارة وعندها وعندها ونحن ماذا سنعمل ضدهم]؟.**

نقول: اعمل على هذا النحو، ابدأ تحرك بشكل أن تبنى أمة تكون مؤهلة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متوحدة، معتصمة بحبل الله جميعاً، وسيحصل كل شيء مما تراه مستحيلاً سيحصل، المستحيل هو في نفسك أنت وليس في واقع الحياة، وليس فيما هدى الله إليه، أنت في نفسك التي لا تثق بالله، في نفسك العاجزة، في نفسك المهزومة، في نفسك الضالة التي لا تعرف كيف تعمل، هناك المستحيل، أما فيما يهدي الله إليه، أما في واقع الحياة، أما في السنن الإلهية، أما في السنن الكونية فليس هناك شيء مستحيل، إذا ما سرت على ما هداك الله إليه فسيصبح ما بدا أمامك مستحيلاً يصبح يسيراً وسهلاً.

ثم أليس من الدعوة إلى الخير ومن الأمر بالمعروف أن نتحرك، يتحرك علماؤنا يتحرك المتعلمون فينا يتحرك طلاب العلم، يتحرك كل من لديه فهم؟ إلى أن يكشف للناس خطورة هذا الواقع الذي نعيشه خطورة هذه المرحلة وهذه الأحداث التي نواجهها ويدعون الناس جميعاً إلى كيف يجتمعون على كلمة واحدة، معتصمين بحبل الله جميعاً؟ أليس هذا من الدعوة إلى الخير ومن الأمر بالمعروف؟. أليس من النهي عن المنكر النهي عن أي ثقافة تخلق وجهات النظر المتباينة؟ النهي عن تعدد الوسائل، والمؤسسات الثقافية ـ وإن كانت باسم الدين ـ التي تخلق آثاراً متباينة في الأمة وتفرق كلمة الأمة؟.

أليس من النهي عن المنكر النهي عن تلك القواعد التي تخلق نظرة ضيقة وقاصرة، وتؤدي إلى عدم ثقة أو

نقص كبيرٍ في الثقة بالله وبكتابه وبرسوله؟ من النهي عن المنكر أن ننهى عنها؛ لأنها هي التي ضربتنا سواء كنا علماء أو متعلمين أو متعبدين أو دعاة تتحرك في الميادين ندعو الناس إلى الله ونحن في الواقع نجني على دين الله، ونجني على عباد الله ونفرق كلمتهم.

ميدان العمل أمامنا مفتوح، من يقول: [ماذا نعمل؟]. نقول: ميدان العمل أمامك مفتوحٌ أمام الجميع مفتوح، المطلوب أن تتحرك لا أن تتساءل، ميدان العمل فيه ما يكفيك أن تعمل بكل قدراتك وبكل طاقاتك مهما كانت، ويتساءل [ماذا نعمل؟] وكأنه ليس هناك ما يمكن أن نعمله حتى يقول: ماذا نعمل؟ وكأننا قد أكملنا كل شيء، قد صلح كل شيء.!

ميدان العمل أمامك مفتوح من الآن أن تتحرك على هذا النحو، إذا كنت مؤمناً بالله، إذا كنت واثقاً بالله، إذا كنت واثقاً بكتاب الله، إذا كنت تعتبر هذه آيات، أعلاماً على حقائق واقعة، حقائق لا تتخلف فتحرك وميدان العمل أمامك واسع، حاول أن تجعل من نفسك لبنة في صرح بناءٍ واحد متماسك، حاول أن تجعل من نفسك عنصراً فاعلاً متحركاً في مقام الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار وحدة لمجتمع يسير على خطة واحدة ونهج واحد.

ثم أي شيء من هذا ليس في متناولنا؟ كله في متناولنا، البُعد في أعماق أنفسنا نحن، المستحيل هو في أنفسنا نحن، متى ما غيرناها بلفتةٍ صادقة إلى الله، بالتجاء صادقٍ إلى الله، بثقة قوية بالله، وثقة بكتابه، وتتحرك في إطار الثقلين: الكتاب والعترة، فسيصبح كل شيء بمتناولنا وسنمشي على نهج واحد ونعرف كيف تكون آثاره طيبة، وكيف تكون ثماره طيبة، وآثاره بنّاءة.

من يقول [ماذا نعمل؟]، ليبرر لنفسه أنه لا قيمة لما يقال ولما يدعى إليه، وكأنه يُدعَى إلى المستحيل، يُدعى إلى ما ليس له وسيلة في واقع الحياة، ليعرف أنه إنما هو الذي يجهل، إنما هو الذي يتهرب ويبحث عن مبررات لنفسه، ميادين العمل مفتوحة، تتسع لأن تشمل كل طاقاتك، طاقاتك المعنوية وطاقاتك المادية، لكن حاول أن تغير من نفسك حتى تصبح إنساناً فاعلاً قادراً على تغيير نفسية المجتمع بأكمله نحو الأفضل، نحو الأصلح، نحو العزة، نحو الشرف، نحو الاهتداء بهدي الله، نحو طريق الجنة طريق رضوان الله سبحانه وتعالى.

آيات الله التي فيها هداية للناس أليست الدعوة إليها من الدعوة إلى الخير؟ أليست الدعوة إليها من الأمر بالمعروف؟. فأولئك الذين يتحركون في أوساط الناس يدعون الناس ـ ويقدمون أنفسهم كناصحين مشفقين على هذا أو ذاك ـ إلى ما يخالف هذه الآيات، إلى ما يخالف هذه الدعوة التي دعانا الله إليها أليس عملهم من المنكر؟ أليس عملهم منكراً؟

إذا كانت هذه آيات ووثقنا بها بأنها آيات أتتنا ممن هو أرحم الراحمين، أتتنا ممن يعلم السر في السماوات والأرض، أتتنا ممن يعلم الغيب والشهادة ويقول بأنها هداية لنا {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، ثم ينطلق أحد من الناس ليدعونا إلى ما يُثبّطنا عن العمل بها، فعندما يبدو مشفقاً يبدو وكأنه ناصح لا ينبغي إطلاقاً أن نلتفت إليه، سواء كان مشفقاً في واقع الأمر وناصحاً..، نقول: أنت لا تفهم. شكراً لك على نصيحتك، وشكراً لك على إشفاقك لكني أرى أن الله سبحانه وتعالى هو أنصح لي منك، وأرحم بي منك، وأشفق عليّ منك وأهدى لي منك، أليس بالإمكان أن تقول لأي شخص؟.

أما إذا كان شخصاً آخر نرى أنه ممن يتحركون في التخريب، وتثبيط الأمة عن الدعوة إلى ما دعاها الله إليه فبالأولى أن نعرض عنه، بل أن نظهر في وعينا بالشكل الذي يحطم أعماق مشاعره بأن من المستحيل أن يؤثر علينا، كما قلنا لكم سابقاً عن نبي الله موسى عندما قال: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}(القصص: من الآية١٧) **أنه رسخ في نفسه نوعاً من المشاعر الواعية التي تجعل الطرف الآخر من المستحيل أن يقدم لموسى كلمة يتأثر بها، وما أعظم أن تصل إلى هذا المستوى بوعيك: أن يراك الآخر صخرة أمامه لا يمكن أن يؤثر فيك، وأن أي كلمة تنطلق من فمه نحوك ستتحول إلى شظايا، تتحول إلى فُتات، إلى بخار لا تؤثر فيك بأي أثر.**

عادةً من يتحول نحوك ليقدم لك هذه الكلمة أو هذه ويصبغها بصبغة أنه مشفق عليك وناصح لك إنما انطلق لأن لديه أمل في أن يؤثر عليك.

نحن بحاجة إلى أن نظهر في وعينا في سلوكنا في أعمالنا في جدنا في اهتمامنا إلى درجة تحطم معنويات المخربين من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض، فييأسون فيضمَحِلُّون ويتضاءلون أمام ما يلمسونه من كل شخص منا، من جِدِّه واهتمامه ووعيه، فيرون الناس كتلاً من الصلب تتضاءل نفسياتهم وتضمحل ويتلاشون شيئاً فشيئاً حتى يصبحوا في المجتمع لا قيمة لهم، وحتى يصل إلى درجة أن لا يعرف ماذا يقول وبماذا يتفوه معي أو معك، تضطرب المسألة لديه، يتلَجلَج الباطل في فمه، فلا يعرف ماذا يقول وماذا يعمل.

إذا وصلت الأمة إلى وعي من هذا النوع فلو اتجهت عشرات المحطات والقنوات الفضائية ومحطات الإذاعة نحو مجتمع من هذا النوع كل ذبذباتها ستنطلق إلى الجو ولن تصل إلى أرض نفسيتك لن تؤثر فيك. كما وصل إليه الإيرانيون في أيام [الإمام الخميني] كانوا على هذا النحو حملوا وعياً رهيباً وعياً عالياً.

لكن المجتمع الذي يبدو أفراده حتى المتدينون فيه وطلاب العلم وحملة العلم يبدو وكأنهم أغبياء مساكين لا يفهمون شيئاً ولا يعرفون شيئاً فيتحرك هذا بنشاط، وهذا المنافق بنشاط، وهذا الذي في قلبه مرض بنشاط، وهذا المرجف بنشاط؛ لأن الساحة تدفعهم نحو هذا، هم يأملون أن يغيروا يأملون أن يؤثروا، يرون الناس يتحركون أمامهم وهم يمكن أن يكونوا ضحية كلمة واحدة فينشطون.

وهكذا عندما كان المجتمع في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **فيه كثير من هذه النوعية أصبح للمنافقين فاعلية كبيرة جداً {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}** (التوبة: من الآية٤٧) **لأن فيكم سماعون لهم، متى ما أصبح المجتمع ليس فيه سماع للمنافقين، ليس فيه سماع للمرجفين؛ لأن من تقدم إليّ بثوب ناصح أو مشفق مهما كان ـ حتى وإن كان ناصحاً في واقع الأمر ـ فلا يمكن ـ إذا كنت عارفاً بالله ـ أن اعتقد أنه أنصح لي من الله أو أن أرى فيه أنه أنصح لي من الله وأرحم بي من الله، أليست هذه وحدها تكفي؟.**

عندما تقول لي: [بَطِّل مالك حاجة، با تكلف على نفسك]. ـ العبارة المعروفة ـ أقول: لكن الله هو نفسه هو الذي دعاني إلى أن أتحرك، فإن كان أرحم الراحمين هو الذي دعاني إلى أن أتحرك فإن الله يعلم أن الحركة هي خير لي من القعود، أن العمل هو خير لي من الجمود، أن الحركة هي نفسها تجسيد لرحمة الله بي، أن العمل بما أرشدني إليه هو نفسه الذي سيحقق لي الرحمة في الدنيا والآخرة، الله هو أنصح لي منك، هو أرحم بي منك، هو أهدى لي منك.. تكفينا هذه، والله إنها تكفينا.. تكفينا هذه.

ولهذا نحن يجب أن نعمل فعلاً على أن نعرف كيف نكون معتصمين بالله بوعي، {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١).

هؤلاء الذين يتحركون بعد أن يصبحوا بشكل أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أليست أعمال تبدو أعمال صراع مع الآخرين؟ قد تصل إلى درجة صراع مع الآخرين مع من يصدر منهم المنكر، مع من نريد أن يمشوا ويأمروا بالمعروف، مع من نشجعهم على الخير، ونحركهم إلى أن يكونوا فاعلين للخير وعاملين في إطار الخير. هل هذه خسارة أم أنها هي الفلاح؟ هي الفلاح، هي النجاح، هي الفوز {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} هكذا يقول الله سبحانه وتعالى في آخر هذه الآية: {وَأُولَئِكَ} [أولئك هم]، هذه العبارة التي تُشَخِّص وتُخصص من يتحركون على هذا النحو: أنهم هم وحدهم المفلحون، لا أولئك الآخرون الذين يرسمون لأنفسهم طرقاً أخرى، يرون أن الحياة ستستقيم وأنهم سيصلون إلى الجنة بعيدين عن القيام بأعمال من هذا النوع، هم الخاسرون، وليسوا مفلحين.

هؤلاء وحدهم عندما يقول: {وَأُولَئِكَ} إشارة إلى من؟ إلى من يعملون على أن يكونوا بشكل أمة مؤهلة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على أرقى وسائله وفي أرقى نُظُمه، من منطلق واحد، توجيهاتٍ واحدة، وخطة واحدة، هؤلاء هم المفلحون {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} يقول علماء البيان بأن هذه هي من العبارات التي تفيد الاختصاص، بمعنى هم وحدهم لا غيرهم المفلحون، بكل هذه العبارات الثلاث: {أُولَئِكَ} اسم الإشارة الذي يفيد الاختصاص في الإشارة إلى شيء، الإشارة تفيد الاختصاص أولئك {هُمُ} الضمير نفسه {الْمُفْلِحُونَ} ثم اسمية طَرَفَي الجملة، [هم المفلحون] بـ[الـ]، بكل وسائل التخصيص والتشخيص للطرف المفلح وحده هو جاء في

هذه الآية: {أولئك، هم، ألـ، مفلحون} ماذا تعني؟. لا غيرهم، إذا كنت أنت المفلح وحدك لا غيرك فغيرك ماذا يعني؟ هو الخاسر.

لو كان بالإمكان أن تتصور أن طرفاً آخر أيضاً سيُعد مفلح لكنا مكذبين بهذه الآية: {أُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أولئك هم وحدهم المفلحون في الدنيا وفي الآخرة.

هذه نفسها الآية مما تدعونا إلى أن ننظر لأنفسنا من جديد هل نحن ممن يمكن أن يكونوا هم المفلحون أم لا؟. إن رضينا لأنفسنا أن نبقى على ما نحن عليه، وتمشي علينا هذه الوضعيات والأحداث السيئة فلا نتحرك لديننا، ولا نتحرك للحفاظ على سلامة ديننا في أنفسنا على أن نبقى مسلمين، لا نتحرك في أن نكون أمة واحدة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فلسنا مفلحين، إذا نحن لسنا مفلحين لا في الدنيا ولا في الآخرة أليست هذه قضية خطيرة علينا جداً؟.

إذا كنا نرى هذه الآية تتحدث عن ناس هناك مدري منهم [مفلحين]، لكن واحنا أيضاً مفلحين!. فهذا من التكذيب بآيات الله، هذا من التكذيب بآيات الله، وكأن الله يحكي لي عن ناس هناك مجموعين نراهم، نشاهدهم ـ سواء في ذهنيتنا أو على الشاشة ـ يتحركون يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون، المفلحون.. لكن واحنا مفلحين!. لا.. لا.. الآية جاءت بالتشخيص، بالتحديد، بالإختصاص {أُولَـئِكَ هُمُ} وحدهم، هم وحدهم {الْمُفْلِحُونَ} لا غيرهم.

هل نرضى لأنفسنا أن نسير في هذه الحياة على خط الخسران، أن نكون خاسرين، ونحن نرى، ونحن نتعلم أو نُعلّم، أنني أنطلق في عبادة الله وأنا أُعلم، أني كالمجاهد في سبيل الله وأنا أعلم، وأنك وأنت طالب علم تسلك طريقاً إلى الجنة، وأنك وأنت طالب علم تفرش الملائكة أجنحتها لك رضاً بما تصنع، إذا كنت تتجه نحو هذا الاتجاه، وتبني هذا البناء ففعلاً سيكون تعليمك جهاداً في سبيل الله، وتكون وأنت طالب علم ممن تفرش الملائكة أجنحتها لك إذا كنت ممن يتحرك على أن تكون ضمن أمة وتؤهل أمة وتبني أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ففعلاً ستكون مفلح، وإلا فلا يمكن أن تُعدّ مجاهداً وأنت في طريق الخسران، ولا أن تُعدّ سالكاً لطريق الجنة وأنت في طريق الخسران، ولا أن تفرش الملائكة أجنحتها لك وهي تعلم أنك لا تسير على هذا الطريق، طريق الفلاح.

فكل ما تقوله أنت لنفسك إنما هو خيال ووَهمٌ: أنك مفلح وأنك مجاهد وأن الملائكة تفرش أجنحتها لك، وأن من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وتَعدّ نفسك ضمن هؤلاء وأنت تقرأ ما يخلخل صفوف الأمة، وأنت تقرأ ما يجعل كل فرد يطلع لوحده أمّة واحدة، شخصاً واحداً، وأنت تقرأ وتُعمِّم ما يفكك الأمة فيجعلها أمة لا تتبع أحداً ولا تلتزم لأحد، من منطلق الدين، وكل فردٍ فيها يمشي على ما أدى إليه نظره، و على ما رجحه هو، فلا أحد يتمسك بهذا ولا يلتزم بهذا ولا يتبع هذا، ولا أحد يمشي وراء أحد، ولا أحد يقف مع أحد، وكل شخص يرى أنه لا يَلْزَمه أن يمشي مع هذا، ولا يَلْزَمه أن يمشي وراء هذا!.

من الذي ستفرش أجنحتها لهم عندما يكونون على هذا النحو؟. هي الشياطين؛ لأنها هي التي سترضى بما تصنع وليس الملائكة، الملائكة سترضى منك إذا كنت تسير على هذا الطرق، طريق {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران: من الآية١٠٣) طريق {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران:١٠٤).

الملائكة هم خلق من خلق الله على مستوى عالٍ من الوعي يفهمون كل شيء، يفهمون المنهج الذي تدرسه، يفهمون الخطبة التي تقدمها للناس في المسجد، يفهمون البحث الذي تكتبه، يفهمون الحركة التي تتحركها، والكلام الذي تنطق به باسم الدين أنه إما أن يسير بالأمة إلى هذا الطريق فستفرش أجنحتها لك وإلا فستبتعد عنك وستأتي الشياطين لتفرش رقابها وليس أجنحتها لك وتضع أعناقها تحت قدميك رضاً بما تصنع.

لأن في الحديث ((أن الملائكة تفرش أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع)) راضية بما يصنع؛ لأنه يمشي على طريق الفلاح، يمشي على طريق الله التي تبني ولا تهدم، وتوحد وتجمع ولا تفرق. والشياطين ماذا تريد؟.

أليست تريد أن نفرق؟. فمن يقدم كلمة تفرق الناس داخل المسجد فوق المنبر أو في حلقة درس أو داخل مركز أو داخل مدرسة فلا ينتظر الملائكة لتفرش له أجنحتها بل ستفرش له الشياطين أجنحتها، وإن كان يقدم من داخل القرآن وهو يحرف معاني القرآن، وهو داخل مسجد وفي يده المصحف، وهو يتحدث عن القرآن بما يصرف الأمة عن واقع القرآن فلا ينتظر ملائكة ستدخل الشياطين إلى داخل المسجد وتضع أعناقها تحت طلبته وتحت أقدامه هو رضاً بما يصنع؛ لأنه سيصنع جريمة، سيفرق الأمة باسم الدين، ويجعل كل شخص يطلع بمفرده بعيداً عن الآخر باسم الدين [لا يجوز لي أن أقلدك، لا يجوز لي أن أتبعك، لا يجوز لي أن أمشي على ما ترى، لا يجوز لي..لا يجوز. لا يجوز. لا يجوز لي إلا أن أطلع وحدي أنا وأعتمد على رأيي أنا وعلى ما يؤدي إليه نظري أنا].
ماذا يعني هذا؟ أليس هذا يعني تعميق وترسيخ للفرقة؟ و صبغاً لها بصبغة دينية؟ تطلع في الأخير كل هذه الآيات لا قيمة لها أمام هذا الترسيخ الذي يمر على أذهاننا سنة بعد سنة ونحن طلاب علم.

وما تزال حلقات العلم قائمة على هذا النحو، ما تزال إلى الآن. ومن مَن يتفرغ ويترك أعماله وشؤونه الخاصة، ويتفرغ للآخرين يدرسهم لكن على هذا النحو من الأفضل له أن ينطلق إلى أعماله الخاصة، ويترك ما يرى أنه فيه مجاهد في سبيل الله، ليس جهاداً في سبيل الله.

{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥) الآيات من أولها، سواء ما كان منها يتحدث عن خطورة القضية التي تواجهنا ـ والتي عادة ما يتبادر إلى أذهان الناس وحدة الكلمة ليكونوا بمستوى المواجهة، أليس هذا طبيعي يحصل ـ ثم من بداية التوجيه للناس نحو الطريق ـ التي فيها ما يجعلهم بمستوى مواجهة هذا الخطر بل القضاء عليه وضربه ـ كلها تتجه نحو وحدة الكلمة تحت الاعتصام بحبل الله جميعاً، كلها في هذا.. {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية١٠٣) {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤) الآية الأولى فيها ثلاث عبارات تؤكد على وحدة الكلمة، على وحدة الأنفس، وحدة الصف {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤) كذلك تؤكد الوحدة.

ثم يأتي نهي مؤكد بوعيد شديد {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥) تنهى عن التفرق، تنهى عن الاختلاف، وتحذر أن نكون مثل أولئك الذين تفرقوا واختلفوا، وهم تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم بينات من قِبَل الله توجههم إلى ما يحول بينهم وبين التفرق والاختلاف، توجههم إلى ما سيجعل منهم أمة واحدة لا تتفرق ولا تختلف، لكنهم تفرقوا واختلفوا؛ تبعاً للأهواء أو جهلاً بدين الله، أو بغياً من بعضهم على بعض، أو حسداً من بعضهم لبعض، تفرقوا واختلفوا.

ولم يكن هناك تقصير من جانب الله سبحانه وتعالى أنه لم يوجههم إلى ما يجعل منهم أمة واحدة، أنه لم يأتِ من جانب الله ما يحذرهم من خطورة التفرق والاختلاف، ما ينهاهم عن التفرق والاختلاف، كل شيء قد أتى من قِبَل الله على أوضح ما يمكن وأعلى ما يكون. فهو يقول لنا: بأنكم لا تتفرقوا ولا تختلفوا، ينهانا عن التفرق والاختلاف، وعندما ينهانا عن التفرق والاختلاف؛ لأنه يعلم أن في التفرق والاختلاف الضربة الموجعة لنا، الضياع لديننا، الإهانة لأنفسنا، الشقاء في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا شقاء في الحياة وذلة وخزي في الحياة وفي الآخرة نار جهنم.

عندما ينهانا عن التفرق لا بد وأنه قد رسم لنا الطريق التي إذا سرنا عليها سنكون متوحدين على أرقى ما يمكن أن نتصور، من توحد الصف، توحد الكلمة، تآلف القلوب، تآلف النفوس، لقد أرشد الله إلى ما يجعلنا بهذا المستوى في كتابه الكريم.

فعندما نتفرق ونختلف فنحن تفرقنا واختلفنا على الرغم من وجود آيات الله التي تحول بيننا وبين التفرق لو عملنا بها، أما عندما نتفرق ونختلف ونصبغ فرقتنا واختلافنا بصبغة دينية فإن ذلك يدل على جهل شديد جهل شديد بآيات الله، جهل شديد في مقام معرفة الله، اتهام لله في حكمته، اتهام لله في رحمته، اتهام لله في علمه وهدايته، ونقول: [ما سبر إلا كذا، وليس لنا إلا هذه الطريق، فواجب على كل منا أن يمشي عليها بمفرده] كما هو منطق من يصبغهم [أصول الفقه] بقواعده، من يصبغهم [علم الكلام] بقواعده، ممن يضع نفسه وقلبه بين أيديهم من بداية عمره، فينشأ وهو يرى [أن التفرق والاختلاف هو ما يعني الحرية الفكرية، هو ما يعني كرامة

الإنسان، هو ما يعني اتساع المعرفة، ما يؤدي إلى التفرق والاختلاف هو الميزة في هذا الدين]. فتتقدم الأشياء معكوسة، وتُسمى بعناوين هي بعيدة عنها، وتُكتب فوقها عناوين هي أبعد ما تكون عنها.

أين الحرية لأمة متفرقة؟ أليس ذلك يؤدي إلى استعباد هذه الأمة؟ لأننا نجد في المقابل أن أولئك الذين ينطلقون نحونا ليستعبدونا ويستذلونا، أليسوا هم يتوحدون على أرقى ما يمكن فيه التوحد فيما بينهم في مواجهتنا؟ يتوحدون في مواجهتنا، وينطلقون جيوشاً من مختلف البلدان تحت قيادة واحدة لضابط أمريكي، وتوجيهات واحدة تصدر من تحته، ففي إطار هذه القضية الواحدة يتوحدون فيما بينهم، ونحن نتفرق ونصبغ تفرقنا بأنه هو الحرية الفكرية، ثم نقول في الأخير [اختلاف أمتي رحمة]. تجلّت الرحمة الآن، ألسنا مختلفين؟ هاهي الرحمة لكبارنا والرحمة لأفراد شعوبنا!. تتحول إلى جنود لأمريكا وإسرائيل هذه هي رحمة، نصبح تحت رحمة اليهود والنصارى، هل هذه هي الرحمة؟!.

نعم اختلاف أمتي تجعلنا تحت رحمة اليهود والنصارى، هي رحمة تجعلنا تحت رحمتهم، هل رسول الله يريد لنا هكذا؟!. لا، الله لا يريد لنا هذا، رسوله لا يريد لنا هذا. {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩). **من الذي يعطي الجزية الآن عن يد وظهر وبطن وهم صاغرون؟ المسلمون والاّ أهل الكتاب؟ نحن نأتي نعطيهم بترولنا من الباطن، ونعطيهم عقولنا وقلوبنا في الظاهر، ونقدم أنفسنا بين أيديهم في الظاهر، أموالنا تسير إلى جيوبهم من باطن الأرض وظاهرها، وألسنتنا تخدمهم، وأقدامنا تتحرك في خدمتهم ونحن مع ذلك صاغرون تحت أقدامهم، هل هذه هي الرحمة؟.**

فما الذي جعلنا هكذا؟ أن الأمة لم تعتصم بحبل الله جميعاً، ولم تكن أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتكون مفلحة، وأنهم تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم.

يدل على خطورة التفرق والاختلاف، وأنه في حد ذاته جريمة، هو في حد ذاته جريمة؛ لأنه توعد عليه بخصوصه بالعذاب العظيم، {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥) **أي متى كنتم مثل أولئك المتفرقين والمختلفين من بعدما تأتيكم البينات فماذا؟. فسيكون لكم عذاب عظيم كما كان لهم.**

ألسنا متفرقين؟ أليست الأمة متفرقة ومختلفة؟ حتى الزيدية أنفسهم في داخلهم متفرقين ومختلفين، فأين نحن نسير، وكيف نحن؟ يعني كمثل من نحن؟. ألسنا كمثل أولئك الذي تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات؟، هل نحن نسير في طريق الجنة ونحن على هذا والاّ سايرين فين؟. طريق النار.

ثم مع هذا لا يهز فينا شعرة واحدة، ولا يحرك ضمائرنا ولا يقلق بالنا أن واقعنا هو واقع من يسيرون نحو النار. أليست هذه جهالة؟. أليست هذه هي غفلة شديدة؟. هذه هي غفلة شديدة، هذه هي جهالة عظيمة نحن نشهد على أنفسنا، ألسنا نشهد على أنفسنا؟. فإذا كنا نشهد على أنفسنا بأننا على النحو الذي هدد الله من كان على مثله بعذاب عظيم، فما الذي يجب علينا؟ ما الذي يجب؟ أليس الواجب علينا هو أن ننطلق لنكون أمة واحدة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونتوحد لا نتفرق، ولا نختلف، لا نسمح للتفرق أن يتغلغل إلى صفوفنا، حتى ولا على شؤون الحياة، فإذا ما حصلت مشكلة نبادر إلى حلها نحن من جهة أنفسنا نحن المتشاجرين. نبادر إلى حل مشاكلنا.

من الطبيعي أن يحصل تشاجر، هذا يسمى تشاجر حول قضية معينة فلنبادر إلى حلها، إذا لم نحلها فإننا سنصبح متفرقين.. نحذر أن نتلقى من قنوات متعددة ثقافاتنا وتوجيهاتنا وخطط أعمالنا؛ لأننا سنختلف ستكون نظرتنا إلى دين الله مختلفة، ستكون نظرتنا إلى مختلف القضايا مختلفة، ستكون نظرتنا إلى هداية الله مختلفة وسنكون مختلفين.

ما الذي يضمن لنا أن نكون أمة تنجو من هذا التهديد الشديد بالعذاب العظيم؟. أن نعتصم بحبل الله جميعاً وأن لا نتفرق، نعتصم بحبل الله جميعاً، فنجعل من أنفسنا أمة واحدة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وإلا فالقضية أمامنا ـ سواء علماء أو متعلمين أو متعبدين أو فلاحين أو غيرهم ـ واضحة {وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ} وهذا هو كتاب الله، وهو هو الذي يرسم طريق الجنة والنار؛ لأن الذي نزل الكتاب هو الذي بيده الجنة والنار، ليس هناك إلا إله واحد، هو الذي بيده الجنة والنار، وهو الذي نزل الكتاب على رسوله وهو الذي يستطيع إذا لم نمشِ على هداه أن يوصلنا إلى النار وليس هناك من يُفك فينا منه. أو النار قضية عادية ليست مشكلة ليست مقلقة؟!.

لو يأتي [الدَّجَّال] ويعمل [بركة] كبيرة ويملأها بالفحم ويملأها بالحطب ويوقدها ناراً، ويجي يجمع كل واحد منا.. وقّع على هذه، وكونوا كلكم أمة واحدة على هذا، والاّ إلى داخل[البركة] هذه. تمام جميعا أليس الناس أكثرهم يقولون هكذا؟ أكثر الناس؛ ولهذا كانت ميزة عظيمة لأصحاب الأخدود ذكر الله قضيتهم في القرآن الكريم عندما تعرضوا للتعذيب بالنار وتحملوا، فلعن من جَنَوا عليهم تلك الجناية {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} (البروج:٧) مؤمنين، مؤمنين {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (البروج:٨).

ولهذا نقول: أن من يُسمون الآن إرهابيين ـ ما هم الآن بيسموا بعض الوهابيين [إرهابيين]، أن فيهم ناس إرهابيين مطلوبين كانوا في [القاعدة] أو أتباع لـ[طالبان] ـ نقول: هم إرهابيون فعلاً يوم كانوا يسعون في المجتمع ليفرقوا كلمة المجتمع، يفرقوا كلمة الناس ويضللونهم، هذا هو الإرهاب الحقيقي، هذا هو الإرهاب الذي هو إرهاب للمؤمنين، إرهاب للمسلمين.

لماذا لم تتحركوا لمنعهم؟ لماذا كنتم تشجعونهم؟، لماذا كنتم تفتحون لهم أبواب مؤسسات الدولة؟، لماذا كنتم تفتحون لهم مراكز التربية والتعليم؟ لماذا كنتم تفتحون لهم المساجد؟. يوم كانوا يتحركون في تفريق كلمة الأمة، في التضليل على الأمة، في جعل اليمني هذا يلعن هذا، يطلع هذا وله ولاءات واعتقادات تخالف ما عليه هذا، يفرقون الطائفة الواحدة، يفرقون أبناء الزيدية ـ الطائفة التي هي المحقة، ونأمل أن يكون لها الدور الكبير في نصر الحق ـ يوم كانوا يتحركون لم تسموهم إرهابيين وهذا والله هو الإرهاب الشديد، هذا هو الإرهاب هذا هو الهدم للأمة الذي يُعتبر أشد على الأمة من هدم ذلك البرج في [نيويورك] ـ الذي بدا في أذهاننا وكأنه ضربة قاضية لأمريكا! ليس ضربة قاضية لأمريكا ـ لأن تُهدم أسرة هنا وتُفرق أحب إلى أمريكا من أن يُبنى لها أبراج متعددة مثل تلك الأبراج في (نيويورك) أو في [واشنطن].

أنتم تبنون لأمريكا هنا، وتهدمون الأمة فتفرقون كلمة الأمة وهذا هو البناء للمجتمع الذي يخدم أمريكا ويخدم إسرائيل، فيصبح مجتمعاً لا يستطيع أن يُقدم ولا يؤخر ولا يُحرك ساكناً، مجتمع لا يستطيع أن يحافظ على ما تبقى من إسلامه في نفسه، حتى إذا بدوا في الصورة وكأنهم عملوا شيئاً ضد أمريكا، يتحركون بكل قوتهم ويتابعونهم من هنا وهناك.

هم إرهابيون من قبل، إرهابيون وهم يفرقون كلمتنا، هم إرهابيون لأنهم يؤدون بالأمة إلى أن تصير إلى قعر جهنم؛ لأن الله تهدد في هذه الآية: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥).

فمن يعمل في أوساط الطائفة الواحدة إلى أن تتفرق وتختلف وداخلها البينات، البينات التي تجمعها على كلمة واحدة، وتجمعها في صف واحد، وتجعلها جديرة بنصر الله وتأييده، البينات التي هي الهدى من الله في معتقداتها في مواقفها، في فقهها، فتتفرق كلمتها، أليس هذا هو الدمار لهذه الأمة في الدنيا وفي الآخرة؟. هذا هو الإرهاب الحقيقي.

فكيف أصبح الحال يزعجنا أن يضرب مبنى من عدة طوابق في [نيويورك] ثم لا يزعجنا نحن ـ مَن نُسمّي أنفسنا [أولياء أمر] لهذا الشعب أو ذاك ـ لا يزعجنا أن تتهدم الأسرة ويتهدم المجتمع أسرة بعد أسرة، فتتفكك عراه، تتباين النفوس فهذا يُكفّر هذا وهذا يُضلل هذا فنصبح مجتمعاً متفرقاً، كان هذا الذي يجب أن يزعجهم، ومن أجله يقطعون يد أولئك الإرهابيين الذين يفرقون كلمة الأمة، لا أن ينزعجوا عندما يُهدم برج، أليس الله سبحانه وتعالى يريد أن نبني أنفسنا صرحاً ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))، ألم يمثل الرسول

(صلوات الله عليه وعلى آله) المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد؟. فيجب أن يكونوا صرحاً واحداً. فمن يهدم هذا الصرح بكلمة من يهدمه بكلمة هو أخطر من ذلك الذي يهدم برجاً بطائرة أو بصاروخ.
إن هدم صرح الأمة هو الهدم الحقيقي، هو الذي ينفع أمريكا وإسرائيل، هو الذي ينفع اليهود والنصارى، الذي يضرهم هو بناء هذه الأمة وليس هدم ذلك المبنى في [نيويورك]، الذي يُعد ضربة لأمريكا هو بناء هذه الأمة لتصبح أمة واحدة، أمة واعية، أمة قادرة على أن تقف على قدميها، هذا هو الذي يُعد ضربة لأمريكا وليس ضرب الطوابق، عدت ملايين تبني مثل ذلك البرج وانتهت الإشكالية.
{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} في {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} (آل عمران: من الآية١٠٦) لأن ما يحصل في هذه الدنيا من مواقف بسبب جهل الناس بواقعهم ووضعيتهم، تظهر مواقف تُعتبر تدنيساً لهذا أو لذاك أو لتلك الطائفة أو تلك الأمة، مواقف وأعمال تدنسها، عار عليها، تسود وجهها فعلاً.
من يعمل على تفريق طائفة مُحِقَّة يمكن أن تجتمع على كلمة واحدة هذا هو يُلطِّخ وجهه بالعار وبالخزي، سيقدم على الله يوم القيامة ووجهه أسود، من يتولَّ اليهود والنصارى، ويقف في خدمتهم يقدم على الله ووجهه ملطخ بالخزي والعار سيقدم على الله ووجهه أسود.
من لا يثقون بالله فيتبنون مواقف أخرى هم سيلطخون أنفسهم أيضاً بالعار وبالخزي؛ لأنهم لم يثقوا بربهم بأرحم الراحمين بهم، بالذي يهديهم إلى صراط مستقيم سيلطخون أيضا أنفسهم ويلطخون قلوبهم ويلطخون وجوههم بالعار فيقدمون على الله ووجوههم مسودة.
من يسمحون لأنفسهم أن يظلوا متفرقين مختلفين على الرغم من خطورة ما يواجهون على أنفسهم وعلى دينهم هم يجعلون أنفسهم في موقف خزي وعار أمام الله سبحانه وتعالى فيقدمون على الله ووجوههم مسودّة.
يوم القيامة يوم تتجلى فيه مواقف الناس في هذه الدنيا فمن كان في هذه الدنيا يلطخ نفسه بالعار وبالخزي وبالذل تكون سِمَتُه أن يكون وجهه أسود، ومن كانت مواقفه في هذه الدنيا مواقف صحيحة مواقف مشرفة، مواقف نظيفة يَقدم على الله ووجهه أبيض.
{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران:١٠٦) كفرتم بعد إيمانكم؛ لأنكم رضيتم لأنفسكم؛ لأنكم قصرتم؛ لأنكم فرطتم؛ لأنكم توانيتم فأصبحتم ضحية لأهل الكتاب فردوكم بعد إيمانكم كافرين، وهذا موقف خزي لكم؛ لأن الله يقول في القرآن وحدثنا عن أهل الكتاب أنه ليس فيهم ما يشدنا إليهم، ليس فيهم ما يجعلنا نتأثر بهم، أنهم في خبثهم ومكرهم على النحو الذي يجب أن نكون حريصين على الاعتصام بالله من أجل أن ننجى من كيدهم ومكرهم وخبثهم حتى لا نتحول بعد إيماننا كافرين.
عندما تعاملنا مع القضية هذه ببرودة فأصبحنا نفتح أذهاننا وقلوبنا لهم، أصبحنا نفتح بيوتنا وأسرنا لهم، أصبحنا نؤيدهم، أصبحنا نتحرك في خدمتهم، أليس هذا هو الخزي؟ أليس هذا هو الكفر بعد الإيمان، أن يكون الله قد عمل على إنقاذنا من أول مرة ـ عندما كنا قد أصبحنا على شفى حفرة من النار فأنقذنا منها ـ ثم على يد من؟. على يد اليهود والنصارى وبخبثهم ومكرهم نعود من جديد إلى النار.
فإذا لم نتعامل مع القضية بجدِّية كما ينبغي أن نكون في مواجهة خطورتها سنكون فعلاً جديرين بالخزي والعار فنتقدم على الله ـ ونعوذ بالله من أن نكون من هؤلاء ـ نقدم على الله ووجوهنا مسودة فيقال لنا {أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٦)، أي أنه حصل كفر بعد إيمان، كفر بعد إيمان حصل، وكيف حصل؟ نحن قلنا بالأمس أن اليهودي لا يأتي إليك فيقول لك: اكفر بالقرآن، اكفر بمحمد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا يقول لك: تَهوّد تَنَصّرَ. سيوصلك إلى الكفر من حيث لا تشعر، ومتى سيوصلك إلى الكفر من حيث لا تشعر؟. عندما تكون إنساناً لا يبالي، عندما تكون مجتمعاً لا يبالي، عندما تظل مجتمعاً متفرقاً، عندما لا تهتم بهذه القضية فإنك قد هيأت نفسك لتكون بيئة صالحة توصلك إلى الكفر، توصلك إلى الارتداد بعد الإيمان فتتقدم على الله ـ كفرد أو كمجتمع ـ بوجوهٍ مسودّة {أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ؟

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٦)؛ **لأنه هنا كفر حصل بعد الإيمان، على يد من؟. أليس على يد أهل الكتاب.**

وأين هو الوسط الذي قَبِلَ هذا الكفر؟. هو ذلك الوسط الذي لم ينطلق على هدي الله من أول ما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران ١٠٣-١٠٥).

المجتمع الذي لا يتحرك على هذا النحو هو المجتمع القابل لأن يرتد بعد إيمانه فيصبحوا على يد أهل الكتاب كافرين، وإلا فمن؟ هل المجتمع الذي ينطلق على هذا النحو هو الذي يمكن أن يرتد بعد إيمانه كافراً؟. لا. الأمة التي تتحرك وتعتصم بحبل الله جميعاً، الأمة التي تتحرك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الخير، الأمة التي تتحرك جسداً واحداً لا تسمح للتفرق والاختلاف أن يفرق صفوفها وكلمتها، هل يمكن أن تكون هي التي تكفر؟. لا. هؤلاء قال عنهم: {هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، الكافرون عند الله يصفهم بأنهم خاسرون. فـ{الْمُفْلِحُونَ} عند الله كلمة لا تطلق على من يمكن أن يكون كافراً أو فاسقاً أو ضالاً في هذه الحياة، أو مقصراً في أمر الله. {الْمُفْلِحُونَ} تُطلق على المؤمنين في أرقى درجات الإيمان، على المتقين في أرقى درجات التقوى، على السائرين على هدي الله.

إذاً فالمفلحون هم الذين لا يمكن أن يكونوا كافرين بعد إيمانهم، هم الذين يمكن فعلا أن يكونوا هم من يضربوا أولئك الذين يعملون على أن تكفر الأمة بعد إيمانها، وليسوا هم الذين سيكونون ضحية لأهل الكتاب فيرتدوا بعد إيمانهم كافرين فتكون وجوههم ملطخة بالعار.

أولئك الذين يتحركون في تثبيط الناس والإرجاف عليهم وتخويفهم: [بَطِّل مالك حاجة]. الذين كنا نسمعهم من زمان: [بَطِّل با يقولوا أنت إرهابي، مالك حاجة] هؤلاء ماذا يعملون بكلامهم هذا؟. أليسوا ممن يهيئ الأمة إلى أن تكون كافرة بعد إيمانها؟ هم من يثبِّطون الأمة، ويثبِّطون الناس عن أن يسيروا على هدي الله فيصبحون متقين لله حق تُقاته، يصبحون أمة واحدة معتصمة بحبل الله بشكل جماعي، يصبحون أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

هل هذا هو هداية لأناس يتحركون أم يقعدون؟. هل هو هداية لناس يعملون وينطلقون في ميادين العمل أم لأناس يجمدون؟. الذي يقول لك: [بَطِّل .. بَطِّل] وفي كل فترة يقول لك: [بَطِّل] أليس يدعوك إلى الجمود والتخلي عما هداك الله إليه، وتقعد عن العمل الذي أرشدك الله وألزمك أن تعمله؟. أليس ممن يعمل على أن يجعل منك شخصاً يمكن أن تكفر بعد إيمانك؟. فتكون ضحية للكافرين، لأهل الكتاب؟ إنهم ممن يقدمون على الله ووجوههم ملطخة بالعار، إنهم ممن يخدم اليهود والنصارى، ويخدمون من إذا خَلَوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، من تحبونهم ولا يحبونكم إنهم يخدمون من هم حساد لنا، من هم أعداء لنا، من هم مبغضون لنا، من هم لا يودون أي خير لنا، ما أسود وجوههم!، وما أعظم ما لطخوا به وجوههم من الخزي والعار! فيقدمون على الله ووجوههم مسودة.

إن الآيات توحي بأن من يُقصرون ويفرطون قد يكونون ممن يقدمون على الله ووجوههم مسودة، فكيف إذا كان ممن يعمل ويتحرك، وتنطلق من فمه تلك الكلمات المثبطة للناس عن أن يسيروا على هدي الله فيحافظون على إسلامهم وينطلقون في مواجهة أعدائهم، فتنطلق منهم الكلمات المرعبة المخوفة المرجفة، ويصبغون أنفسهم بصبغة الناصحين المشفقين، أليس هؤلاء ممن يسودون وجوههم ممن يقدمون على الله ووجوههم مسودة فيقال لهم: {أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٠٦)**؟ بل كنتم ممن يهيئ الساحة لتكفر بعد إيمانها، ممن يساعد على أن يترسخ في الأمة ويسري في الأمة الكفر بعد الإيمان.**

التثبيط هو معوّل هدم خطير على الأمة؛ لهذا قال الله مهددا لأولئك الذين كانوا يسلكون مثل هذا الطريق في أوساط المجتمع في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا} (الأحزاب: من الآية٦١) ملعونين أينما تحركوا، أينما التقيت بهم هم ملعونين، أينما التقيت بهم فاعرف أن الفارق فيما بينك وبينهم مليء بلعنة الله عليهم.

تستشعر هذا أنت أنك ستواجه ملعونين عند الله فلتكن حذراً منهم {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً} (الأحزاب:٦١) جديرين بأن يقتلوا أينما ثقفوا؛ لأن أعمالهم خطيرة، هم جسر الباطل، هم من يُعَبِّدون الطريق للكفر، هم من يعبِّدُون الطريق لأعداء الله ليضربوا الأمة، هم من يعملون على أن ترتد الأمة فتصبح كافرةً بعد إيمانها، بل تصبح جنوداً مجندة بكل ما تملك لأعدائها.

ثم كما قلنا سابقاً إذا انطلق معك من منطلق أنه ناصح لك ومشفق عليك ورحيم بك فارجع إلى أرحم الراحمين الذي يرشدك إلى هذا، هو الذي يرحمك فعلاً، هو الناصح لك، هو المشفق عليك، هو من يهمه أمرك، هو من لا يريد أن تُظلم فهو يرشدك إلى العمل فيما فيه عزتك وكرامتك ورفعتك، فيما فيه نجاتك في الدنيا ونجاتك في الآخرة من عذاب الله، وفوزك برضوان الله وبجنته.

هذه قاعدة يجب أن ننطلق عليها وأن تكون دائماً مترسخة في أذهاننا أنه ليس هناك أحد أرحم بك من الله، فمن انطلق من منطلق النصح والإشفاق عليك والرحمة بك وهو يوجهك إلى خلاف هذا، إلى خلاف كتاب الله إلى خلاف آيات الله التي هي تنطلق من الرحمن الرحيم فاعرف أنه ـ سواء كان في واقعه مشفقاً عليك وناصحاً لك أو لا ـ أنه إنما يغشك من حيث يشعر أو لا يشعر، وأنك إذا ما قبلت ما قدمه إليك باسم نصح وإشفاق عليك ورحمة بك فإنك قد غشيت نفسك وظلمت نفسك؛ لأن هنا الرحمة، هنا النصح، هنا مظاهر الإشفاق عليك.

{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران:١٠٧) ابيضت وجوههم في مواقفهم في الدنيا، كانوا ملتزمين، كانوا من يهمهم أمر الأمة، من يهمهم أمر الدين، هم من يحملون نفوساً كبيرة تأبى الظلم، تأبى الذل، تأبى الاضطهاد، وتأبى الضَّيمَ، تغضب لله، تغضب للمستضعفين من عباد الله، تحمل العداوة الشديدة لأعداء الله، والغضب العارم على أعداء الله، هم من كانوا ينطلقون في مواقفهم على هدي الله فيقفون المواقف المشرفة مهما كان الحال ومهما كان الأمر.

هؤلاء هم من يأتون يوم القيامة ووجوههم مُبْيَضّة وجوههم بيضاء مشرقة؛ لأنهم بيضوا وجوههم مع الله، مع دينه، مع أمته، مع إخوانهم، مع أمتهم، مع أبناء وطنهم فيقدمون على الله ووجوههم مُبْيَضّة، هؤلاء هم منهم في رحمة الله في الدنيا وفي الآخرة، إنهم يتحركون في رحمة الله، يتحركون في ظل الآيات، وعلى هدى الآيات آيات الله ربهم الرحمن الرحيم.

وفي يوم القيامة سيكونون في مستقر رحمة الله في الجنة يحظون برضوانه، ويحظون بالنعيم، هؤلاء هم من يستحقون كل شرف وكل كرم وكل تقدير، يستحقون المقام العالي عند الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا جاءت الآية بالتعبير السريع جداً الذي يعبر عن جدارتهم بالجنة {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران:١٠٧)، كأنهم أصبحوا في الجنة، كأنهم صاروا إلى الجنة، وكأنه ليس هناك ما يمكن أن يحول بينهم وبين الجنة ولا لحظة واحدة {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٧).

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} (البقرة: من الآية٢٥٢) {تِلْكَ} إشارة إلى هذه الآيات، وكلمة {آيَاتُ} تعني أعلام من الهدى، أعلام من البينات، أعلام إلى الحقائق. {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} حق لا ريب فيه، حق لا شك فيه، حق لا يتخلف.

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران:١٠٨) كل هذه التأكيدات من عند الله سبحانه وتعالى بشكل رهيب، بشكل يخلق في نفس الإنسان شعوراً بالحياء، بالخجل أمام الله سبحانه وتعالى، تكشف عن رحمته العظيمة بعباده، إنه يرشدنا؛ لأنه لا يريد لنا أن نُظلم.

ثم عندما يرشدنا أن نسير على هذه الطريق، عندما يهدينا إلى هذا النّهج هو يقول لنا: بأنه سيكون معنا أنه سيقف معنا، وعندما يحصل لدينا إيمان بأنه سيقف معنا فلنعلم من هو الذي سيقف معنا، هو من له ما في السماوات وما في الأرض وإليه ترجع الأمور. هو من يمكن أن يهيئ، هو من يمكن أن يخلق المتغيرات، هو من يمكن أن يهيئ الظروف، هو من يمكن أن يُعَبِّدَ الطريق، هو من يهيئ في واقع الحياة المتغيرات التي تجعلكم قادرين على أن تصبحوا ـ وأنتم تسيرون في هذا الطريق ـ أن تصبحوا أمة قادرة على مواجهة أعدائكم، على ضرب أعدائكم، على قهرهم؛ ولهذا جاء بعدها: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (آل عمران:١٠٩) **أي ثقوا بأني عندما أهديكم أن تسيروا على هذا الطريق أني بيدي ما في السماوات وما في الأرض، سأستطيع أن أجعل من يؤيدكم من خلقي، ألم يجعل الله الملائكة تؤيد المسلمين في بداية تحركهم مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.**

{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفتح: من الآية٧) **هو من كل من في السماوات والأرض خاضع له يستطيع أن يهيئ يستطيع أن يفتح الفُرَج، أن يفتح الثغرات في ذلك الجدار الذي تراه أمامك جداراً أصماً، تراه جداراً من الصلب، هو من يستطيع أن يفتح في هذا الجدار أمامك فترى كيف يمكن أن يضرب هذا الجدار، كيف يمكن أن يدمر ذلك الجدار، الذي ترى نفسك مهزوماً أمامه، ترى نفسك ضعيفاً أمامه، تراه من المستحيل أن تتجاوزه، من المستحيل أن تعلوه، من المستحيل أن تهدمه، {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}.**

نحن قلنا أكثر من مرة كيف بإمكان الإنسان ـ إذا تأمل في واقع الحياة ـ أن يرى ما يهيئ الله أمام عباده، أمامهم يهيئ الكثير من الفرص؛ لترى وتثق بأنه ليس هناك من يمكن أن يغلق الأجواء أمامك كاملة، ليس هناك من يمكن أن يحيطك بسور من الحديد بسور فيقفل ويحصرك في موقعك، ترى كل شيء مستحيلاً أمامك، إن الله يهيئ، إن الله يسخر، إن الله يخلق المتغيرات، الأمور بيده، له ما في السماوات وما في الأرض. أليس هذا مما يعزز الثقة في نفوس من يسيرون على هديه؟.

وإنه لا يعطي تلك التهيئة ولا يهيئ ذلك إلا لمن هم جديرون بها، ولمن تكون حجة عليهم تلك التهيئة تلك الإنفراجات تلك الفرص إذا ما قصروا وفرطوا وتوانوا في استغلالها والتحرك لاستغلالها.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (آل عمران:١٠٩) **صدق الله العظيم.**

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة آل عمران (٤ ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

الدرس الرابع

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٢/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

يقول الله سبحانه وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران:١١٠ـ١١٢). **صدق الله العظيم**

من قول الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآيـة١١٠) **نفهم من هذا ما هو أسلوب القرآن الكريم في جلب كل ما يمكن أن يكون مساعداً للناس أن ينطلقوا، وفي القيام بما يريد الله سبحانه وتعالى أن يقوموا به، كما يذكّر باستشعار المسؤولية الكبيرة على المسلمين، بدءاً من أولئك المسلمين الذين كانوا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يذكّرنا كما ذكرهم سابقاً بتلك المسؤولية الكبيرة، بأن عليهم مسؤولية كبيرة هي: أنهم أخرجوا للناس، أخرجت للناس، أي: أظهرت لإصلاح الناس، لرد الناس إلى دين الله، لرفع الظلم عن الناس، لتعميم هذه الرسالة العظيمة في أوساط البشرية جميعاً.**

مسؤولية كبيرة جداً، وهي في نفس الوقت تذكير بنعمة عظيمة هي: أنهم اختيروا، اختيروا أن تناط بهم هذه المسؤولية الكبيرة، فمن يعرفون قيمة الوسام الذي قلدهم الله سبحانه وتعالى به، وسام شرف عظيم، أن يكونوا هم المؤهلين لأن يحملوا هذه الرسالة؛ ليلتفوا حول راية هذه الرسالة، فيتحركون في أوساط الأمة، لإصلاح العباد، وتطهير الأرض من الفساد، ليحوزوا شرف السبق، شرف أن تصلح الأمة على أيديهم، وأن تُطَّهر من فساد المضلين على أيديهم.

أليس هذا شرف عظيم، ونعمة كبرى؟ مسؤولية كبرى، ونعمة كبرى، وشرف عظيم، يدفع، يدفع من يرى لهذا قيمته الكبيرة، يدفعه إلى أن ينطلق فعلاً، يدفع هذه الأمة إلى أن تنطلق فعلاً في ميدان العمل، وفق ما هداها الله سبحانه وتعالى إليه، في مجاهدة أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، من يشكلون أعظم خطر على البشرية؛ لأنهم كما قال الله عنهم: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٦٤).

فنرى كيف اجتمعت عملية الدفع بالناس، الدفع بالمسلمين، بالعرب، بأهل البيت، وتجد المسؤولية أيضاً على درجات الأولوية داخل هذه الأمة، العرب يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم، أهل البيت وشيعتهم يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم، أهل البيت بالذات يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم.

حينما نتأمل نجد من خلال هذه الآيات ثلاثة عوامل مهمة للدفع بالناس إلى أن ينطلقوا، إلى أن يهتموا بالقضية، في البداية: ذكّر بخطورة القضية، الخطورة البالغة، التي تصل بالناس إلى درجة أن يكفروا، أن يكفروا بالله وبرسوله من حيث لا يشعرون.

الشيء الثاني: خطورة إذا لم يعملوا على تأهيل أنفسهم؛ ليكونوا بمستوى المواجهة، الخطورة البالغة، بالعذاب العظيم، عندما قال تعالى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥).

الدافع الثالث: تذكير الله لنا بأنه هو سيهيئ الأجواء التي يمكن أن تفتح انفراجات كبيرة أمام العاملين في سبيله، في هذا الميدان، كما يقول: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (آل عمران:١٠٨ـ ١٠٩).

العامل الرابع: التذكير بالنعمة والمسؤولية الكبرى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآيـة١١٠) **أليس هذا وسام شرف عظيم جداً؟ أنتم من أنيط بكم حمل هذه الرسالة، إن تتحركوا فعلى أيديكم تطهر الأرض من فساد**

من يسعون في الأرض فساداً، وعلى أيديكم يتم إعلاء كلمة الله، على أيديكم يكون إصلاح عباد الله. فضيلة السبق فضيلة عظيمة.

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} مقارنة بالأمم الأخرى، في ذلك العصر، وفي هذا العصر، مسؤوليتكم تتمثل في هذا، الاصطفاء لا يأتي لمجرد الاصطفاء إنما يناط به مسؤولية كبرى، الاختيار لا يكون لمجرد الاختيار، إنما يناط به مسؤولية كبرى، مسؤوليتكم هي: {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إطار واسع، يشمل العمل في كل مجالات الحياة، في سبيل إعلاء كلمة الله، وتطهير الأرض من الفساد والمفسدين.**

{وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} فحينما فرط أهل الكتاب أنفسهم، حينما لم يعودوا بمستوى المسؤولية التي أنيطت بهم، على طول التاريخ، عندما جاء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وهم من كانوا ينتظرون أن يجاهدوا بين يديه، وكانوا من قبل يذكّرون الكافرين، ويستفتحون به على الكافرين، أنه سيأتي نبي يبعث، وسنقاتلكم تحت رايته.**

يذكّر كيف يجب أن يكون من تناط به المسؤولية، كيف يجب أن يكون من تناط به المسؤولية. عندما تخلى أهل الكتاب، عندما أصبحوا غير جديرين بتحمل المسؤولية، عندما أصبح أكثرهم فاسقين، وكان المؤمنون فيهم قليل، أختار الله سبحانه وتعالى هؤلاء، اختار العرب أن يكونوا هم من يقومون بحمل الرسالة تحت راية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.**

ويذكّر بأن حمل الرسالة هو شرف عظيم، أن أولئك الذين لم يكونوا بمستوى الأمانة التي قُلدوها في آخر أيامهم، وهم أهل الكتاب {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} أنتم اخترتم تقومون بالمهمة تحت راية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أهل الكتاب أنفسهم لو استشعروا عظم المسؤولية لعرفوا أن المسألة هي على هذا النحو: أنه متى اختار الله نبياً من أنبيائه، فليكن من هنا، أو من هنا، فالأمر إليه، ولهم الشرف العظيم بأن يقاتلوا تحت راية هذا النبي، حتى وإن لم يكن من بني إسرائيل؛ لأنهم غضبوا جداً عندما لم يأت النبي من بني إسرائيل، وقالوا: لماذا يأتي من بني إسماعيل؟! الله هو الذي يقول: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** (الأنعام: من الآية١٢٤).

والمجال لا يزال أيضاً أمامهم مفتوحاً {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} خيراً لهم؛ لأنهم هم من يفترض فيهم أن يكونوا من أول من يؤمن بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وهم كانوا من تجمع نحو المدينة؛ لما يعرفون من أنها ستكون مهاجر النبي الذي سيبعث في آخر الزمان، فتجمعوا تجمعات كبيرة حول المدينة المنورة وداخلها.**

{وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) **لا تكونوا أول كافر به، أنتم يا بني إسرائيل، لا يليق بكم أن تكونوا أنتم أول من يكفر بهذا الدين، وبمحمد، وبالقرآن، وأنتم من تعرفون الرسالات، وتعرفون الكتب السماوية، وتعرفون حاجة الأمم الماسة إلى الهداية من قبل الله، كما قال هنا، في مطلع هذه الآيات في أولها: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ}** (آل عمران: من الآية٩٩) **وأنتم شهداء، وهو دوركم في الحياة: أنكم اخترتم، وفضلتم على العالمين؛ لتكونوا أنتم من تحملون لواء الرسالات، وأنتم من تكونون شهداء على الأمم، شهداء على الناس.**

لكنهم لما تخلوا عن المسؤولية، لما لم يكونوا بمستوى المسؤولية في آخر أيامهم، وإن لم يكن المجموع، كما سيأتي الاستثناء فيما بعد، ولكن عندما يغلب، عندما يكون الغالب هم الفاسقون، عندما يقصّر، ويفرط المؤمنون، فتبقى الغلبة للفاسقين، يصبح المجموع، من حيث المجموع غير جدير بتحمل المسؤولية، وبالتالي يكون معرضاً للاستبدال، بأن يستبدل به غيره.

هم فضلوا، ونعم كثيرة أعطاهم الله سبحانه وتعالى، وفضلهم بها على العالمين، ولكنهم عندما قصروا، عندما فرطوا، عندما توانوا، عندما أصبح الكثير منهم فاسقون، كما قال الله: {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران: من الآية١١٠) **أصبحوا في وضعية تؤهل غيرهم أن يستبدلوا عنهم.**

ومع ذلك ما يزال المجال أمامهم مفتوحاً، فلوا آمنوا لكان خيراً لهم، ولو آمنوا لكان خيراً لهم، ولكانوا على ما كانوا عليه من قبل، يسيرون تحت لواء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) كما ساروا تحت لواء موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله، من بني إسرائيل.

نفس المسالة بالنسبة للعرب أنفسهم، بالنسبة لأهل البيت أنفسهم، عندما يفرطون، عندما يتوانون، عندما يقصرون، فيكون المظهر العام، المظهر العام هو: التفريط، هو التقصير، هو الضلال، هو الفسق، يتعرضون لما تعرض له بنوا إسرائيل من الاستبدال، فهذه سنة إلهية، يتعرض العرب لما تعرض له بنوا إسرائيل من الاستبدال، ويكونون جديرين بأن تضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأن يبوءوا بغضب من الله، كما ضربت على بني إسرائيل، لأن القضية واحدة، كما كان بنوا إسرائيل هم خير أمة أخرجت للناس في تاريخهم الطويل، كذلك العرب {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وهذه هي مسؤوليتكم {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

فالتذكير بالمسئولية، هو يذكر أيضاً بخطورة التفريط فيها، ولا شيء أعظم من التفريط في المسئولية، في قضية كبرى كهذه؛ لأنه تفريط في السبق، تفريط في فضيلة عظيمة، في شرف عظيم، تفريط في البشرية كلها، لو تحرك العرب، واستقاموا على الطريقة، وتمسكوا بالثقلين، كما أمرهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لكانوا هم من تصلح البشرية على أيديهم.

عندما فرطوا قدموا الإسلام بطريقة غير مقبولة، وبشكل مهزوز، ضربوا جاذبيته في أعين الناس، وفي قلوب العالمين، فأصبح لا يشد أحداً إليه. عندما فرطوا هم فرطوا في البشرية كلها، وأصبح معظم سكان الأرض لا يدينون بهذا الدين، أصبحوا هم ـ عندما فرطوا ـ أمة في هذا الزمن، هذا الزمن الذي توفرت فيه كل عوامل القوة، وأخرجت الأرض خيراتها من باطنها وظاهرها بشكل ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا العالم بكله، يظهرون أمة مستضعفة، أمة جاهلة، أمة مشتتة، أمة لا تستطيع أن تفك عن نفسها ربق الذلة، تستجدي هذا، وتستجدي هذا أن يفك عنها عدواً يمثل في عدده أصغر شعب من شعوبها. عندما فرطوا في المسئولية هكذا أصبح الواقع بالنسبة لهم.

إضافة إلى أنهم فرطوا في البشرية كلها؛ لأنكم {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} كل الناس، أما كان هذا شرف عظيم أن العربي الواحد يصبح شريكاً في أجر من يهتدي في هذا العالم بكله، من أقصاه إلى أقصاه، في هذه الأرض بكلها.

من العجيب عندما نأتي إلى البعض فيكون همه من هذه الآية هو: أن يتحدث بأن في هذه الآية شرف للعرب {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٤٣) فهذه هي أمة وسط، يأخذ منها هذا فقط، مسألة: أن الله شرفهم بأن جعلهم أمة وسطاً، أو يقول: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} هذه فضيلة عظيمة! وأحيانا يحاول أن يخص بها أولئك الصحابة، وانتهى الموضوع!.

إنها مسئولية كبيرة جداً، إنها مسئولية كبيرة جداً، بدءاً من أولئك الذين كانوا أول المسلمين، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من ذكّرهم بها؛ ولهذا قال فيما بعد: {وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} الذي يشكل ضابط الالتزام لديكم حتى تؤدوا مسئوليتكم بنحو صحيح، وعلى شكل صحيح.

عندما فرطوا، عندما لم يكن إيمانهم بالله بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفياً، إيماناً واعياً. هم كانوا مؤمنين بالله وبرسوله، لكن الإيمان درجات، الإيمان درجات، لم يكونوا بمستوى أن يعوا، أن يعوا من خلال القرآن، ومن خلال محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) عظم المسئولية الكبرى، وكيف يكونون بمستواها، ولم يأت التقصير، لا من خلال القرآن، ولا من خلال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو أفصح العرب، أفصح العرب، وأنشط الأنبياء في عمله، أكثرهم نشاطاً، وأعظم البشر تبليغاً بوسائله، وبمنطقه.

عندما لم يعوا مسألة الإيمان بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفياً بتوجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بالقرآن الكريم بدأ التفريط من أيامهم، بدأ التفريط ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) على فراش

الموت مريضاً في آخر أيامه، عندما قال: ((هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) فجاء عمر مع مجموعة كبيرة داخل مجلس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليعارضوا بأن يقدم لرسول الله قلم ودواة، فيأمر بكتابة من يكتب مالا تضلوا بعده، مالا تضل الأمة إن تمسكت به، فعارض عمر، وأثاروا ضجة في مكان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقالوا: [حسبنا كتاب الله]! لو كانوا يعرفوا كتاب الله بالشكل المطلوب لكان عليهم أن يقدموا لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قلماً ودواة حتى يكتب ذلك المكتوب الذي يريد أن يكتبه، يأمر بكتابته حتى لا تضل الأمة من بعده.

بوادر التخلي عن المسئولية، عن المسئولية الكبرى بدأت ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان ما يزال حياً بكامل وعيه، وهو في آخر أيامه مريضاً على فراش الموت.

{وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}؛ لأن مسألة أن تحمل المسئولية، وأن تفهم المسئولية هي لا بد أن تكون على النحو الذي هداك الله إليه في أدائها، وفي حملها، وفي تمثيلها، وأن تكون على هذا النحو من الالتزام لا بد أن يكون إيمانك بالله قوياً، قوياً.

فعندما يأتي عمر وهو رجل بتلك الأعمال: تنصيب أبي بكر، ثم تنصيب عثمان من بعد، هو كله عمل عمر، هو الذي قال لأبي بكر أمدد يدك أبايعك، ولم يمد يده ليبايع تلك اليد التي رفعها رسول الله في [يوم الغدير]، يد علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين عندما رفع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يده في يوم الغدير وقال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) ولم تكن الأمة من بعد، ولا أولئك الصحابة أنفسهم، لم يكونوا بمستوى حمل المسئولية، هم من بدءوا يفرطون، عندما يلتفون حول اليد التي مدها عمر، ولم يلتفوا حول اليد التي رفعها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

من الأولى ـ إن كانوا يؤمنون بالله وبرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) إيماناً واعياً ـ أن يلتفوا حول يد مدها عمر [امدد يدك أبايعك] أو حول يد رفعها رسول الله على نحو من مائة ألف من المسلمين يرونه جميعاً ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))؟.

إنها آية خطيرة، تذكّر بعظم المسئولية، وتثير الجانب العاطفي لمن يتأمل هذه الآية، وكأنه يذكّر كيف ستكونون، لو كنتم تعرفون مسئوليتكم، وتعرفون كيف تحملونها {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} مثلما نقول: [حمِّيْهَا، كان المؤمل فيها كذا...، وكانت...، وكانت...، وكانت...]؛ لهذا جاءت بالشكل الذي يوحي بان الأمة هذه ستتحسر على ماضيها، عندما ترى أنها فرطت، وضيعت، لم تأت العبارة بلفظ: [أنتم خير أمة أخرجت للناس]، {كُنْتُمْ...} يقول المفسرون، معناها: وُجِدتم، بدون لحظ ماضي، وجدتم هكذا {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

ما هو الفارق بين أن يقول: أنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وبين أن يقول: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} فعلاً اخترتم لحمل هذه المسؤولية، وكنتم ـ مقارنة بالأمم الأخرى، مقارنة بالأمم الأخرى ـ من يؤمل فيهم أن يكونوا بمستوى حمل هذه المسئولية، ولكن ماذا؟ كيف يقول الناس؟ [حمِّيْهَا]، أليسوا يقولون هكذا؟ يمسك على لحيته ويقول: والله كنتم المؤمل فيكم، أنتم كنتم المؤمل فيكم، أن تكونوا من تحملون المسئولية، من ترفعون راية الإسلام، من تصلح البشرية على أيديكم، من تقاتلون في سبيل الله حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله في الأرض كلها، ويظهر دينه على الأديان كلها، وتظهر كلمته على الكلمات كلها، ولكن فرطتم، وما زال التفريط، ما زال التفريط منذ أن كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مريضاً إلى اليوم.

يتحرك الدعاة الآن ليلفوا الناس، ليلفوا الناس حول تلك اليد التي مَدت، والتي طلبت أن تُمَد، يد أبي بكر وعمر، عمر هو الذي قال: أمدد يدك، وأبو بكر هو الذي مد يديه، يدين، كم الفرق بينهما؟ بين يد رسول الله، ويد علي بن أبي طالب، يد تَرفَع، ويد تُرفَع؟ ويعملون جاهدين أولئك الدعاة على أن تهبط هذه الأيدي، وتكسر هذه السواعد، ولترفع تلك اليدين، [أمدد يدك أبايعك] يد أبي بكر، وعمر، أليس هذا هو ما يعملون له؟.

إذاً فالتفريط ما يزال قائماً، التخلي عن المسئولية، الابتعاد عن أن يكونوا بمستوى المسئولية ما يزال قائماً، تلك اليد التي فرطت هي نفسها التي ما تزال تقدّس، وتقبّل، وتلك اليد التي رَفعت، وتشير إلى رفعة الأمة ـ إذا هي التفت إلى حول هذه اليد المرفوعة ـ هي التي يعمل الدعاة على أن تكون هي اليد التي تُكسر! فما الذي حصل؟ كسروا أنفسهم، وحنوها، وحنوا رقابهم بمقدار ما حنوا من يد رسول الله، ويد الإمام علي بن أبي طالب.

{وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} نحن نقول في أكثر من محاضرة: الإيمان الواعي بالله هو الأساس، هو الأصل، المعرفة الواعية الصحيحة بالله سبحانه وتعالى هي التي تجعلك تعرف كل شيء بمستواه من الأهمية، وعلى ما هو عليه من الأهمية.

أليس في هذه الآية تعنيف لهذه الأمة، وتأنيب لهذه الأمة؟ بدءاً من أولئك الصحابة، بدءاً من أولئك الذين لو كانوا هم يتذكرون عظم المسئولية لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه نحن، ولما وصلت البشرية كلها إلى ما هي عليه الآن، أن يعمها الفساد من بني إسرائيل، الذين حكى الله عنهم في قوله: {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً}.

متى سترتفع هذه الأمة؟ عندما تعمل على رفع يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ورفع يد علي من جديد، وإلا ستظل ممددة ما دامت تعمل حول: [أمدد يدك أمدد الأمة من بعدي]، أليست هكذا؟ أمدد يدك نمدد الأمة أنا وأنت من بعدنا، وهذا الذي حصل فعلاً، ما هي إلا فترة من الزمن قصيرة وإذا بجيش يزيد بن معاوية يدخل المدينة فيستبيحها، ويرتكب ذلك الجيش أفضع الجرائم داخل بيوت هؤلاء الذين مددوا أيديهم، فمددوا عرضهم، ومددوا [عزتهم، وكرامتهم، ومددوا الأمة من بعدهم، وما يزال هناك إلى الآن العديد من] المراكز الإسلامية تعمل، كتّاب يعملون، صحفيون يعملون، وكل من حاول أن يلفت نظره لفتة اهتمام بهذه الأمة، إنما يتحرك في إطار كيف نسير على سيرة السلف الصالح، ذلك الذي مدد الأمة من أول ما مد يده.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في كل حركة من حركاته يعطي مؤشر هداية للأمة، عندما يرفع يده ويد علي ماذا يعني؟ رفعة الأمة، فوق أقتاب الإبل، ألم تجمع له أقتاب الإبل؟ أنتم يا رعاة الإبل يمكن أن تكونوا أرفع أمة إذا رفعتم هاتين اليدين، ألم يكن العرب هم رعاة الإبل؟ هم رجال الصحراء؟ وكان الإجتماع للغدير في الصحراء، ومن فوق أقتاب الإبل ترفع يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويد علي، وكأنه يقول: أنتم يا أبنا الصحراء، ويا رعاة الإبل، يمكن إذا رفعتم هاتين اليدين أن ترفعوا، وتكونوا أنتم من يرفع لواء الله، وكلمة الله في الأرض، ومن تكن لكم السيادة على الأمم، لكنهم تخلوا عنها فأصبحوا حتى ولا رعاة إبل، أصبحوا حتى لا يحملون ذلك الإباء الذي كان يحمله البدوي الذي يرعى الإبل، لم يعودوا يحملون تلك الشهامة، وتلك النفوس الرفيعة التي كان يحملها البدوي الذي كان يرعى الإبل! فكان يأبى أن يخضع لكسرى، أو لقيصر، وكان يأبى أن يظلم أبسط الظلم، هبطوا، هبطوا، هبطوا حتى أصبحوا من يصفقون للظالم، من يؤيدون الظالم، من يعنفون من يرفع رأسه بإباء وشرف!.

ألم يصبح هكذا واقع العرب؟ اهبط، عندما تحرك معمر القذافي بكلمات، ومواقف، يقولون: مجنون، مجنون ـ كيفما كان ـ ألم يأت بكلام هو نفسه كلام ذلك البدوي الذي كان يرعى الإبل، ويجلس في الصحراء، هو نفسه يقلد هذا المنظر حتى هو، الخيمة، والصحراء، وزيّه البدوي، ويحاول أن يقول لهؤلاء العرب: على أقل تقدير حاولوا أن نحمل تلك النفوس التي كان يحملها البدو من رعاة الإبل، الذين كانوا يعيشون في الصحراء في خيام كهذه. قالوا: مجنون، وهذا إرهابي، وهذا مغفل، وهذا سيكلف علينا، وذا.. وذا..

كلهم أصبحوا يدسون رؤوسهم في التراب، ومن يأتي يتكلم منهم من جديد، ويحاول أن يضع النقاط على الحروف يقول: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فتعالوا نمشي على سيرة السلف الصالح، أبي بكر وعمر، وصحابة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن جديد يرجع إلى أن يدس رأسه في التراب من جديد.

لا، لا، لن ترفع الأمة رأسها حتى ترفع يد علي، ويد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حتى {وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}، {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}. عندما جاء بهذه الكلمة: {وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} في هذا المقام؛ لأنكم لن تكونوا جديرين ـ حتى لو انطلقتم من استشعار المسئولية ـ أن يكون لأمركم بالمعروف، ونهيكم عن المنكر إيجابية، وأثر حقيقي، ويكون له قيمته، إلا متى كان على هدي

الله، والتزام بهدي الله، في كتابه، وعلى لسان رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفي حركة رسوله، في حركة رسوله، وفي مواقفه، في حياته (صلوات الله عليه وعلى آله).

هكذا يقول القرآن الكريم الذي لم يروا فيه أنه جدير بأن يهدي، وكأنه كتاب قديم، كتاب قديم لا دخل له بشئون الحياة، ولا يعرف كيف يوجه الناس إلى الصراع، ولا يعرف كيف يتحاور كما نتحاور نحن، ولا يعرف كيف يضع أسساً، وقواعد للمفاوضات مع اليهود كما نعمل نحن!!. إنه يعمل بكل وضوح، وبكل بيان؛ لأنه كتاب مبين، كتاب مبين يعمل على أن يدفع بالناس نحو الانطلاقة على أساس من هداه، فيذكرهم بكل العوامل التي تساعدهم على الانطلاقة والعمل.

خطورة عظيمة، التفريط خطورة عظيمة، كأنه يقول: أنا من لي ما في السموات، وما في الأرض، وأستطيع أن أغير وأهيئ الأمور، أنتم تتحملون مسئولية عظيمة، تذكروا عظم المسئولية، وتذكروا عظم النعمة عليكم، بأن تكونوا انتم من تناط بكم هذه المسئولية، أليست هذه عوامل للدفع على أرقى مستوى؟ من لا يتحرك بعد هذا فإنه جدير إذا كان هناك ما هو أذل له من أن يكون عنقه تحت أقدام اليهود لكان جديراً به، يكون جديراً بالذلة في الدنيا، وجديراً بأن يكون في قعر جهنم في الآخرة؛ لأننا لم نجن على أنفسنا، نحن العرب لم نجن على أنفسنا فقط، بل جنينا على البشرية كلها، تركناها ضحية لمن يسعون في الأرض فساداً، فكم هو إثم العرب! كم هي الجريمة التي ارتكبها العرب! أن يكون آلاف الملايين من البشر المساكين، الذين لا يفهمون شيئاً أمام الخبث والمكر اليهودي.

يقول أحد الكتاب عن الأمريكيين، قال: ٩٤ أو ٩٦٪ من الأمريكيين العاديين تحت مستوى درجة الذكاء، فلماذا حركت أمريكا على هذا النحو، وحرك العالم على هذا النحو؟ هو الخبث والمكر اليهودي، هو القدرة اليهودية على التخطيط، والتنفيذ، فلعبوا بالعالم فعلاً، دوخوا حتى النصارى، تلك الشعوب من النصارى دوخوها، وجعلوها تتقف معهم، وهم من كانوا يحملون حقداً كبيراً عليهم، وهم من كانوا يتهمونهم بقتل المسيح، وصلبه، يستخرجون قراراً من مرجعية المجتمع النصراني بتبرئة اليهود وساحة اليهود عن قتل السيد المسيح! ففكوا عن أنفسهم عقدة كانت عليهم في قلوب النصارى، ليضمنوا بها أن يشتغلوا من جديد في أوساطهم، فيكونون هم الرأي الذي يؤيدهم، هم الكلمة التي تؤيدهم، بأموالهم، بأقلامهم، بألسنتهم، بمواقفهم.

خمس عشر مليون يهودي فقط في العالم هذا كله ـ كما يقولون في الإحصائيات ـ خمس عشر مليون، أقل من سكان اليمن، هم من يحرك هذا العالم، أقل من سكان اليمن!

متى ما قلنا يتوحد الناس تبادر إلى ذهن أي واحد منا: يتوحد المسلمون جميعاً! لا، لا، لو توحد شعب واحد، لو توحدت محافظة واحدة، لو توحدت قبيلة واحدة لعملوا المستحيل. وأمر الله للناس بالتوحد، وهذه التوجيهات ألم تكن في بدايتها موجهة إلى كم؟ إلى ما هو أقل من مليون مسلم، قد لا يكونون نحو مليون مسلم، الذين توجهت هذه التوجيهات إليهم، وكم هو اليمن؟ تسع عشر مليون على أقل تقدير، ونفس الشيء بالنسبة للزيدية، بقدر ما تكون أنت تناط بك مسئولية أكثر، بقدر ما تكون الجريمة من قبلك في التفريط أكبر.

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ألسنا نقول بأننا خير الأمة، الزيدية؟ وأننا نحن الطائفة المحقة؟ وفعلاً عقائدنا هي الحق، يشهد لها القرآن الكريم، ويشهد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولكنا أصبحنا كما أصبح الآخرون.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} فهذه الأمة هي أفضل الأمم، ناسين في وسط هذه الأمة لما فرطت في المسئولية، وفي هذا الشرف العظيم، كذلك نحن الزيدية، من نقول بأننا أفضل الطوائف، وأننا خير الطوائف، وأننا أهل الحق، وأننا.. وأننا.. المسئولية كبيرة علينا، وأكبر من الآخرين. أهل البيت من يقولون أنهم هم خير الناس، وأن الله فضلهم، وأن الله كذا، وكذا.. وأوجب على الناس محبتهم، ومودتهم، المسئولية عليهم أكبر، وأكبر، لكننا فرطنا جميعاً.

فالتذكير بما حصل على بني إسرائيل هو يذكر بسنة إلهية، نعوذ بالله من أن تقع علينا {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} (آل عمران: من الآية١١٢) **أليس هذا هو الذي حكاه عن بني إسرائيل؟ إنما نسأل الله أن يرفعها عنا أما وقوعها فيبدوا أنها قد وقعت فعلاً، ونعمل كيف نكون ممن يسعى لرفع هذه الذلة، وهذا الغضب، وتلك المسكنة وإلا فهذه الذلة، والمسكنة معروفة، أصبحت معروفة.**

تضرب طائرات ياسر عرفات، مسكين، ويحاصر في بيته، وكل زعماء العرب، كل شعوب العرب فقط يتفرجون في التلفزيون، لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً، ولا يحركون شيئاً! أليست هذه هي الذلة؟ ما كان العربي البدوي يسمح لمثل هذه أن تحصل.

الصحفيون، ومن يتولون إذاعات نشرات الأخبار ماذا يكون همه؟ مذيعة في قناة الجزيرة أثناء الضرب، لاحظوا أثناء الضرب، همها، همها فقط أن يوافي بآخر الإحصائيات من أجل الخبر تسبق إليه الجزيرة فقط، [تمام لكن قلنا كم هناك من ضحايا لحد الآن، وكم هو الضرب] فقط، إنما نريد نعرف كم قتلوا، وكم دمروا! بدون أن نعمل شيئاً، وهكذا وسائل الإعلام تأتي بالأخبار فقط لمجرد الإحصائيات، ونحن نستمع فقط لمجرد الإحصائيات، لكن ليس هناك في إعلامنا ما يحركنا، ولم يعد في ضميرنا، وفي أنفسنا من الإباء ما يحركنا، هي تسابقه في الكلام، هو يريد يكلمها تقول: [تمام لكن قل لنا الآن، الآن، قبل تأتي قناة أخرى تأتي بإحصائية دقيقة قبل، حتى تسبق إليها قناة الجزيرة، الآن قل لنا الآن كم الإحصائيات؟] فقط.

ونحن عندما نطالع في التلفزيون فنعرف ماذا يعمل بالمسلمين هنا وهناك لمجرد معرفة إحصائيات فقط،لأنه قد روضنا اليهود، واليهود خطيرين في الترويض، يقتلون اثنين، ثلاثة، أربعة فلسطينيين، خمسة، عشرة، واليوم بيت، وغداً بيت، وثاني أسبوع ثلاثة بيوت؛ لأننا نحن هم عارفون طبيعتنا نحن العرب، في الأخير نضجر، لا نعد نريد أخبار فلسطين، قد نحن نريد أخباراً جديدة، أما هذه قد هي معروف خلاص! هم يروضوننا.

لكن لاحظ كم ستطلع النتيجة؟ كم طلع إحصائيات القتلى خلال هذه الانتفاضة، كم؟ عدد كبير جداً، نحو ثلاثة آلاف، لكن وحدة، وحدة، كل يوم يفطرون بثلاثة، ويتعشون بأربعة، هم يعرفون أننا سنضجر حتى أن نتابع أخبارهم، ملل لدينا العرب ملل! هذا هو من الخذلان أيضاً، من مظاهر الخذلان: أن يحصل ملل لدى الناس فلا يعودون يستثارون بشيء، فقط أحياناً متى ما حصل حادثة فيها عدد كبير، عشرة في مرة واحدة، أليس هذا يكون مثير قليلاً؟ لكن قالوا: [اقسموهم لليلتين]، ثاني مرة يضربون خمسة، وثاني يوم خمسة، والنتيجة هي تلك، هم تحت اليد، هم تحت اليد، هم ليسوا عجالين.

لأهمية التذكير بفضيلة السبق التي كان العرب معروفون بأنهم كانوا سباقين إلى ما فيه الشرف، والرفعة، ألم يكونوا هكذا؟ سباقون إلى ما فيه شرف ورفعة، ويتنافسون فيما بينهم على مقامات الشرف، والرفعة، والإباء، يقول لبني إسرائيل أنفسهم: {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} ليفوزوا بشرف السبق في مستقبل الرسالات كما فازوا في ماضيها، في أيام أنبياء بني إسرائيل، عندما فاز الكثير منهم، حيث كانوا يجاهدون تحت راية موسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء.

ونحن العرب يقول لنا، ولو كنا كما كان يراد لنا خير أمة، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله لكان خيراً لنا، لكان خيراً لنا في دنيانا، وآخرتنا. لماذا انحط بنوا إسرائيل؟ لأنهم منهم المؤمنون قليل، وأكثرهم الفاسقون، هكذا تكون الأمة في حالة كهذه معرضة للإستبدال، أن يستبدل الله بها غيرها.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: من الآية٥٤) **يعني قوم آخرين غيركم {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ} هذا هو الفضل، يعني: التأهيل، التأهيل لحمل الرسالة، التأهيل بأن تناط بكم مسؤولية كهذه، هو شرف، وهو فضل عظيم.**

ذكّرهم بالنعمة العظيمة، والشرف العظيم لهم بأن يكون محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) منهم، لم يحسبوا لها حسابها، كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته، ويجهرون له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض، فجاء الله في كتابه الكريم يؤدبهم، أنتم لا تعرفون من هو هذا الرجل، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، أنتم لا تعرفون عظم النعمة به عليكم، منّ عليهم بان كان كتابه الكريم بلغتهم، {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء:١٩٥)، وذكرهم بالشرف العظيم {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: من الآية٤٤) لشرف لك ولقومك {وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}.

فالمسئولية كبيرة، ضياع، ضياع ما هو شرف لك، شرف لك في الدنيا وفي الآخرة، ومن شرفك به هو الله، سوف تسأل عنه يوم القيامة بين يدي الله {وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}، لم يهتموا بهذا! شرفهم بأن اختار لهم قائداً، يؤمنون، ويسلّمون بأنه أعظم فارس، ومقاتل، وأنه أكملهم بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، علي بن أبي طالب، فلم يلتفتوا إلى هذا، أختار لهم أهل بيته ليكونوا قرناء مع كتاب الله، فيكونون هم من تلتف حولهم الأمة، فرفضوا هذا، وبحثوا عن قدوات من هنا وهناك، من بخارى، ونيسابور، وطبرستان، وجرجان، وغيرها من المناطق الأخرى، حتى لم يعودوا يبحثون عن قدوات من العرب! البخاري، ومسلم، وأبو داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، من أين هم؟ من هناك، أعاجم! وابن جرير، والرازي، وفلان، وفلان، من أين هم؟.

العرب أنفسهم، من اختير لهم قدوة نبي من أنفسهم، وقائد من أنفسهم، وهداة وأعلام من أنفسهم، وكتاب بلغتهم، يرفضون هذا، ويطّلعون عليه كتاب البخاري! أين كتب كتاب البخاري؟ ومن هو كاتب الكتاب هذا؟ لاحظ كيف يستبدلون هم لأنفسهم! {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا..} (البقرة: من الآية٦١) اهبطوا، أليس البخاري لديهم وهم يقولون أنه الكتاب الأول بعد القرآن؟ وعملياً، عملياً يقولون: [السنة حاكمة على القرآن]، حاكمة على القرآن، وأعظم كتاب لديهم في السنة هو البخاري.

إذاً فالبخاري حاكم على القرآن، أليس هكذا؟ ألم ينبذوا كتاب الله الذي نزل بلسانهم، ويبحثون عن كتاب من بخارى؟ ينبذون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو من أنفسهم، وفي أكثر من آية {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية١٦٤) منهم، عربي. أنت أيها العربي، من كنت تنافس، ومن كنت تكاثر الآخرين حتى بالأموات، وكانوا يتنافسون في العدد، وفي البحث عن مقامات الشرف، حتى ينطلق بعضهم مع بعض ليقول: هذا عمي، وهذا خالي، وهذا جدي، في المقابر {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} (التكاثر:٢) كان هنا التكاثر الحقيقي، كان هنا الشرف الحقيقي.

القراء الذين اختاروهم، قراء للقرآن، وأصحاب القراءات من أين هم؟ أكثر من ٩٠ ٪ منهم، أعتقد واحد منهم عربي، والباقي كلهم موالي، الكل موالي.

إذاً فهداتهم، وقادتهم، وأعلامهم، في التفسير، في الحديث، في القراءات كلهم من غير العرب، أما كان العرب هم منهم جديرون بأن يكون الشرف العظيم لهم؟ الآن أن يلتف العرب حول البخاري؟ أليس شرفاً لأهل بخارى، أن منا البخاري، ومنا فلان، ولأهل نيسابور، أن منا مسلم بن الحجاج، وهكذا، أليس فخراً لأولئك، وشرفاً لأولئك؟.

كان الشرف للعرب أن يكون منهم نبي الأمة، منهم آخر الرسل، هو سيد البشر، لكن افتخار حقيقي، يكونون بمستواه، وبلغتهم نزل القرآن، ومنهم أعلام الأمة، ومنهم هداة الأمة، ومنهم قادة الأمة، منهم علي، ومنهم أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لكن لا، ضيعوا، ضيعوا. إذاً قل أنها أصبحت القضية كنتم، [حقّيها، كنا نريد منكم أن تكونوا كذا، وكذا، ثم ضيعتم].

تعود الآيات إلى ساحة الصراع من جديد، بعد أن ذكّرت بعظم المسئولية، إذا كان هناك من يندفع من منطلق استشعاره بعظم المسئولية؛ ليقول، وهذه هي الهداية على أرقى مستواها، وتصوير الواقع على أوضح ما يكون، وبما يكشف أن الله يهدي، يهدي الناس هنا إلى كيف يكونون مواجهين في ميدان المواجهة مع أهل الكتاب، اليهود والنصارى، يقول بعد أن أرشدنا إلى التوحد، أرشدنا إلى التقوى، نهانا عن التفرق، وخطورة التفرق في الدنيا وفي الآخرة، ثم أكد لنا بأن هذه الآيات هي حق، ثم قال: هو معنا، وله ما في السموات وما في الأرض، سيهيئ

الأمور لنا، يقول أيضاً عن أولئك الذين ندعوكم الآن لمواجهتهم، كأنه يقول لنا هكذا: الذين نحدثكم في هذه الآيات، ونؤهلكم لمواجهتهم، ولقتالهم هم أيضاً ضعاف.

أليس هذا عامل آخر يبعث على الانطلاق؟ يقول: أنتم متى كنتم بهذا المستوى: متوحدين معتصمين بحبل الله جميعاً، وكنتم على هذه الثقة العالية بالله، أن له ما في السموات وما في الأرض، وأنه لن يغلق الأجواء أمامكم، ولن يدعها مغلقة أمامكم.

وبعد أن ذكر بخطورة أولئك علينا في حياتنا، وفي ديننا، في آخرتنا، يقول عنهم: هم أيضاً متى كنتم بهذا المستوى فسيصبح واقعهم هكذا: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً} (آل عمران: من الآية١١١) **طقطقة هناك، طقطقة لا قيمة لها، {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران: من الآية١١١) **ما بقي بعد هذا؟ ومن الذي يقول هذا؟ هو الله، الذي يعلم الغيب في السموات وفي الأرض، ويعلم السر في السموات وفي الأرض، يعلم اليهود الذين ضرب عليهم الذلة والمسكنة، كيف سيكونون في ميدان القتال.**

ولهذا الأشخاص الذين يثقون بالله يتكلمون بملئ أفواههم بكل تحدي لإسرائيل عند رأسها، حسن نصر الله، وأمثاله، بكل صراحة، وبكل قوة، من منطلق ثقته بصدق القرآن، أن هؤلاء أجبن من أن يقفوا في ميدان القتال صامدين، وجربوهم فعلاً، جربوهم في جنوب لبنان، كيف كانوا جبناء، يهربون، جندي واحد يرد قافلة، ورتل من الدبابات، الشاحنات العسكرية، أرعبوهم حتى أصبح اليهود متى ما خرج اليهودي من جنوب لبنان إلى داخل فلسطين يبكي من الفرح، ويقبّل أسرته، خرج من بين غمار الموت.

{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً} يصبح إعلامهم، تصبح كل أعمالهم، كلها تتبخر عندما تكونون على هذا النحو، عندما تكونون على هذا المستوى من الوعي، والثقة بالله، والاعتصام بحبل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في داخلكم حتى تكشفوا لكل أسرة ما يدبره ضدها الآخرون، تصبح كل وسائل إعلامهم تخسر، تخسر، قنوات فضائية تتبخر، وترسل ذبذبات إلى فوق ولا تنزل إلى الأرض، مؤامراتهم في مجال الاقتصاد كلها تتبخر، تصبح أذية، إزعاج، مثلما يأتي ذباب [يحدث طنيناً] عند أذنك.

{وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ} أليس هو يؤكد لنا أن كل شيء من جانبهم يتبخر، وسيفشل؟ كل مؤامراتهم تصبح مجرد أذى، لا فاعلية لها، وإن نزلوا إلى ميدان المواجهة المسلحة {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} يفرون من أمامكم {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} لا يجدون من ينصرهم، فعلاً لا يجدون من ينصرهم، لا الله، ولا حتى تلك الشعوب الأخرى، شعوب الغرب، ستتخلى عن اليهود، إذا ما وجدونا نحن، من مصالحهم داخل أراضينا، هكذا قال أحد المسئولين، أعتقد مسئول فرنسي، أو بريطاني، عندما قالوا لهم لماذا لا تقفون مع العرب؟ قال: [لستم بمستوى أن نقف معكم، ولا بمستوى أن نتخلى عن إسرائيل؛ لأن إسرائيل هي المهيمنة].

قال: {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} عبارة: ينصرون فعل ما يسمى مبني للمجهول، أي فاعله مجهول، أي: لا يحصل لهم نصر من أي طرف آخر، لا من قبل الله، ولا من قبل أحد من البشر، {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} تلك الشعوب نفسها سترى بأنها أن تقف مع إسرائيل، وهي ترى موقف السخط داخل هذه الأمة، وترى الجهة القوية التي تضرب إسرائيل، ستحافظ على مصالحها. هل هم وقفوا مع شاه إيران، وكان هو عميل، وكانت إيران تهمهم كثيراً، مصالحهم من إيران أكثر من مصالحهم من إسرائيل.

{ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} لا يكون هناك من يقف معهم وينصرهم، أليس هذا مما يشجع على مواجهتهم حتى المواجهة المسلحة، قل للناس الذين يقولون: كيف يمكن؟ من يستطيع لإسرائيل وأمريكا؟ من يستطيع في إسرائيل، من يستطيع يواجه إسرائيل؟ في الأخير يصبح لدينا شعور بعيداً عما قاله الله سبحانه وتعالى: أن هؤلاء الذين هم خصوم ألداء، وخصوم خطيرين جداً، جداً، هم ليسوا خطيرين في ميدان المواجهة المسلحة.

{وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} أليست هذه الآية من آيات الله حقيقة، وجربوها في جنوب لبنان، {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ} منهم أصحاب الضمير في قوله: يقاتلوكم؟ أنتم يا هؤلاء، وليس هذه المجاميع؛ لأنهم قد قاتلوا المصريين، وقاتلوا سوريين وهزموهم، أليس كذلك؟ لأنهم لم يكونوا من هذه النوعية، ممن يعتصمون بحبل الله

جميعاً، وينطلقون بثقتهم بالله، وينطلقون وفق ما هداهم الله في هذا القرآن الكريم، القرآن الكريم هدى حتى إلى القيادة التي يجب أن تكون هي القيادة للأمة كيف يجب أن تكون، ومن أين تكون، فعندما تتوفر للأمة هذه المقومات وإن كان شعباً واحداً، أو جنوب شعب، كما هو في جنوب لبنان، سيولونهم الأدبار، وسينهزمون من أمام وجوههم.

لكن لما تجمعت سوريا ومصر والأردن، وعدة بلدان، وهزمتها إسرائيل، ألم يهزمهم اليهود؟ أم نقول: أن القرآن الكريم ليس حقائق؟ لا، هو حقائق لا تتخلف إطلاقاً، لو تجمع العرب على هذا النحو، وكل بلد يعطي جيشاً وهم على هذا النحو، لن ينتصروا أبداً أمام إسرائيل، وستهزمهم إسرائيل.

ابدأوا كونوا بهذا المستوى وسترون، ترون ماذا؟ أن أولئك اليهود {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} أصبح الناس في جنوب لبنان لا يخافون إسرائيل، يتجرءون على إسرائيل، يتحدونها، عروض عسكرية تحت مرأى أقمارها، مرأى ومسمع وسائل إعلامها، يتحدونها بكل جرأة، وبكل قوة، وهم حزب واحد فقط، في جنوب لبنان، بينما هزمت أمامها جيوش عربية متعددة؛ لأنهم كانوا غثاء كغثاء السيل، ليسوا بمستوى أن يحظوا بأقل نسبة من نصر الله.

يتحدث عن كيف سيكونون في ميدان المواجهة {يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}؛ لأنهم ـ ويعتبر عامل آخر يشجع المؤمنين على أن يهيئوا أنفسهم لمواجهتهم ـ لأنهم هكذا، هكذا، هؤلاء اليهود، هؤلاء أهل الكتاب {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا} (آل عمران: من الآية١١٢) ذلة في أعماق نفوسهم، لكن معها خبث، وتخطيط، ومكر رهيب، سيحطم ويجعل تلك الشجاعة في هؤلاء العرب، وذلك الإباء في هؤلاء العرب يتبخر إذا لم يهتد العرب بهدي الله في مواجهتهم.

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا} أينما وجدوا، أينما أخذوا {إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} ولن تأتي الحبال، ويأتي حبل لهم من الله إلا بسبب تفريطنا نحن، متى ما فرطنا سيتخلى، بل ربما سيسلطهم هم علينا.

وتلاحظوا كيف تدل علامات التسليط، عندما اجتمع زعماء المسلمين في [الدوحة] كنا لا نزال نرى عندما يعرض التلفزيون لقطات من اجتماعات مجلس الوزراء في إسرائيل، ليس هناك أي شيء يخيف اليهود، ولا يخيف رئيس الوزراء، عملية الضرب لا تزال مستمرة، الأجواء طبيعية داخل إسرائيل، لم يقال بأن إسرائيل أعلنت حالة الطوارئ، أو أنهم أعلنوا في جيشهم حالة الطوارئ، وحالة الإستنفار، طبيعي.

هم يحملون نفوساً قوية؛ لأنهم يعرفون أن هؤلاء أصبحوا لا شيء، لم يعودوا يخافونهم، خمسين دولة يجتمع زعماؤها ولا يحرك في [شارون] شعرة واحدة، ولا يبالي! لماذا؟ لأنه لا يشعر برعب، مظاهر الرعب هي من مظاهر من ضربت عليهم الذلة في مواجهة الطرف الآخر، ألم يرعب الناس جميعاً حتى أصبحوا يقولون: [بطّل، سيقولون أنت إرهابي، هؤلاء إرهابيين، و. و.].

كلهم أصبحوا يخافون، كلهم زعماء، وكلهم أصبحوا خائفين، قد هم يسمعون أن أمريكا تحرك طائرات، تحرك قطع بحرية، زحمة، زحمة ضجة.. لو أن الأمة كانت بهذا المستوى لكانت تلك الضجة عبارة عن ضجة، طنين لا أثر لها، بل ربما لما استطاعت أمريكا أن تحرك قطعة واحدة داخل البحار.أمريكا التي تخلت عن الشاة تتخلى عن إسرائيل، تتخلى عن عملائها، تتخلى عن أصدقائها، ملك إيران الذي كان عميلاً حميماً، أعطاهم امتيازات هائلة داخل إيران، البترول يستنزفونه، جعل إيران مأكلة لأمريكا.

عندما انتفض، وعندما انطلق الشعب الإيراني المجاهد، وطرد هذا العميل لم تسعه الدنيا، الأمريكيون ما عاد قبلوه حتى أن يذهب إلى عندهم، إلى أمريكا، وأمريكا واسعة، ما عاد قبلوه يلجأ إليهم، ولا قبلته بريطانيا، ولا قبلته دول الغرب بكلها يقولون: [نقبل هذا نخسر مصالحنا داخل شعب، نحن نريد أن تبقى علاقاتنا الاقتصادية] وأشياء من هذه، هم كل حسهم اقتصادي، تجاري، يتخلون عنك بسهولة، مثلما أنت قد تبيع شرفك، وعروبتك، ودينك، ووطنك بمبلغ معهم، فتصبح عميلاً، هم سيبيعونك بكل بساطة.

الآن أليسوا هم في حالة بيع للأمراء؟ مهيئين يبيعونهم فعلاً، انتهى لم يعد له أي قيمة، فالحبل ـ إن كان هناك حبل ـ هو تسليط لهم من قبل الله بعدما فرطنا، وبعدما أصبح واقعنا سيئاً، يجعلنا عاجزين عن مواجهتهم، فنصبح جديرين بأن يسلطوا علينا، وهذا ما هو واقع.

وحبل من الناس من عندنا: بترولنا، وأموالنا، وألسنتنا، ووسائل إعلامنا، ومواقفنا، وحبل من الغرب، حبل من شرقي، وحبل من غربي، أمريكا، ودول أوروبا كلها تقف معهم؛ لأنهم أصبحوا يرون بأن في الحفاظ على إسرائيل حفاظاً على مصالحهم، لأن من يحرك تلك الشعوب؟ هم اليهود، من يحرك أمريكا هم اليهود.

ألم يقل ذلك الكاتب: أن الأمريكيين هم أغبياء أساساً؟ رعاة أبقار كان يسمونهم، بدو عاديين، ليسوا هم إلى مستوى أن [يهيمنوا هذه الهيمنة لوحدهم]، هم اليهود من يحركون بريطانيا، وفرنسا، وأمريكا، ودول أوربا كلها هم اليهود، أشخاص قليلين، تحكموا في الدول الكبرى في هذا العالم، لكن عندما نراهم كباراً، وكيف أصبحوا يتحكمون في العالم، كان هذا هو ما يراد للعرب، لكن على نحو من إصلاح الدنيا، من نشر دين الله، أن يكونوا هم، العرب، أولئك الذين كانوا رعاة الإبل، وسكان الصحراء، هم يصبحون من يسودون العالم.

ألسنا الآن ننبهر أن نرى اليهود وهم أقلية هم من يتحكمون في شؤون هذا العالم؟ بشؤون هذه الدول، وهم عدد قليل، وهم من ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وهم من هم مكروهون في المجتمعات، أما نحن فكان كتاب الله سيحببنا إلى البشر، يحبب العرب إلى البشر، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) سيكون شرفاً عظيماً للعرب يجعلهم مقبولين عند الشعوب، الدين العظيم هذا الإسلام دين عظيم نقدمه للأمم فترى فيه العظمة، يحببنا نحن العرب إليهم فيقبلوننا، يقبلوننا بكل مودة، وبكل قابلية.

عندما يقول: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} هو خطاب لمن؟ للعرب، هو خطاب للعرب، ظهرت للناس، من أين ظهر؟ ألم يظهر من مكة ومن المدينة؟ ثم توسع في الجزيرة، داخل بلاد العرب، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وعبارة للناس لمن؟ للبشر، للعالمين.

{إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} أليست هذه أشياء تدل على أنهم يعيشون حالة الذلة في نفوسهم، اليهود؟ ذلة، مسكنة، غضب من الله. لاحظ هنا يقول: بأنه سيكون معنا، فمن هو غاضب عليه لن يكون معه، أليس هذا واحد من العوامل المهمة؟ أن من الله غاضب عليه سيسلطك عليه، من ضربت عليه الذلة والمسكنة لن يقف بجرأة وشجاعة أمامك في ميدان المواجهة.

فالآية هذه هي تتحدث بكل ما يدفع بالناس إلى أن ينطلقوا في العمل ضدهم، لكن ما هو الذي يحول دون كل ذلك؟ هو ضعف الإيمان بالله، عندما لم نكن كمن قال: {وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} سيجعل كل هذا الكلام فاضي، كلام ما له معنى، نرى الدبابة كبيرة، نرى الصواريخ، فنقول: هذا يمكن هو ما هو داري ماذا سيأتي بعد، فكأنه هكذا أصبحنا، بمعنى أنه: {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} حتى وإن كانوا يمتلكون أسلحة فتاكة، وأسلحة خطيرة.

والواقع شهد على هذا، المجاهدون في جنوب لبنان يمتلكون أسلحة خفيفة، فكانوا يفجرون الدبابات، وأصبحت تلك الدبابات، وتلك القطع المتطورة، قد أصبحت وسيلة للهروب، وهم يولون الأدبار، ومتى ما كانت الدبابة متثاقلة، ينزلون منها ويهربون، قد هي ثقيلة الدبابة، يولوكم الأدبار، يخرجون من هذه العربات، يخرجون بأي طريقة ويهربون، أليس هذا شاهداً حياً من واقع الحياة، من واقع مشاهدتنا نحن؟.

أن نقول: يمكن هذا يوم كان عادهم يهود ما قد معهم إلا سيوف، ما قد معهم إلا رماح، أما الآن فقد معهم صواريخ، ومعهم قنابل نووية، ومعهم دبابات متطورة، ومعهم كذا أسلحة، وأصبحوا هم من يبيعون من دول أخرى التكنولوجيا العسكرية، من الصين، ومن غيرها، فيمكن ما .. لكن لا، آيات الله هي حقائق، عندما يقول: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٥٢) **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ}** (آل عمران: من الآية١٠٣) **هي حقائق مهما كان بحوزة اليهود من أسلحة، فمتى انطلق الناس على هذا النحو، وعلى هذا المستوى الذي هداهم الله إليه فإنهم سيولونكم الأدبار ثم لا ينصرون، وإن كان معهم ما معهم من الأسلحة.**

فمن المهم جداً، مهم جداً أن يتابع الناس عن طريق الأفلام، أن يتابعوا العمليات الجهادية، التي ينفذها حزب الله، وتجد فيها الآيات، وليس فقط مشاهد عسكرية، تجد فيها مصاديق للقرآن الكريم، مصداق للقرآن الكريم، تأييد للقرآن الكريم، وهم عندهم، وهم عندهم، عند رؤوسهم، يستطيعون أن يضربوهم بالقنابل، لكن لا، اليهود {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} لا يوجد في داخل أنفسهم ما يجعلهم ينتصرون عليك، ولا أحد من حولهم يجعلهم ينتصرون عليك، ولا حبل من الله يبقى، ولا حبل من الناس، كل شيء يصبح متخلياً عنهم، فلا ينصرون فعلاً.

عندما قال: {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} أحيانا قد تكون عوامل النصر هي من كونك تحمل نفساً قوية أحياناً، قوة معنوية، معنويات مرتفعة، وصبر، وفتك، وفروسية، هذه مفقودة فيهم؛ لأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة، معهم حبال، حبل من هنا، وحبل من هنا، ستنقطع هذه الحبال إذا ما أصبحتم أيها المؤمنون على هذا النحو. فماذا بقي، ماذا بقي من عوامل النصر؟ عوامل الانتصار في المعارك هي تأتي بارتفاع معنويات الجنود، ارتفاع معنويات أنفسهم، نفوس قوية تجعلهم يستبسلون، ويقاتلون، ويصبرون، أو تأييد من هنا، ومن هنا، أليس هكذا؟.

إذاً عرض لك المسألة كلها بأنه معهم حبل من عند الله، وحبل من عند الناس، ستنقطع هذه الحبال، وهم في أنفسهم ليسوا مهيئين، هم ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة، ترى أنفسهم ذليلة، وأنفسهم مسكينة، وإنما نحن العرب من جعلنا أنفسهم كبيرة أمامهم، وهم باءُوا بغضب من الله، فلن يبقى حبل، وسيقف ضدهم، متى كنا معه، على هداه في مواجهتهم سيكون معنا، سيكون معنا في الميدان وسيضربهم.

{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} ونفس الشيء، نفس ما يتحدث عنه القرآن الكريم من أن المسألة هي لها أسبابها، لماذا ضربت عليهم الذلة والمسكنة؟ لماذا باءوا بغضب من الله؟ لأنهم اقترفوا ما استوجبوا به هذا، وهم من كان منوط بهم مهمة ماذا؟ مهمة إبلاغ الرسالات، وحمل الرسالات لإصلاح البشرية، فتحولوا إلى مفسدين في الأرض، وتحولوا إلى محرفين لدين الله، وإلى ملبسين للحق بالباطل، فأضاعوا أنفسهم، وأضاعوا البشرية، فأصبحوا جديرين بأن تضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأن يبوءوا بغضب من الله.

فعندما يذكر بأسباب هذه يقول: والآخرون كذلك، أنتم يا من كنتم خير أمة أخرجت للناس، أنتم يا من ترون أنفسكم الطائفة المحقة، أنتم يا من ترون أنفسكم بأن الله اختاركم، وفضلكم، وأوجب على الأمة محبتكم، إذا ما تخليتم ستضرب عليكم الذلة والمسكنة، وتبوءوا بغضب من الله، كما ضربت على أولئك.

لأنه لاحظ فيما عرضه القرآن الكريم من الآيات: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:٤٧) يتحدث عما حظوا به من رعاية عظيمة من قبل الله؛ ليعرف الناس بأنهم مهما حظوا به من عناية ورعاية، مهما حظوا به من تفضيل وشرف وتكريم، ولم يكونوا بمستوى المسؤولية التي أنيطت بهم، بمستوى هذا الشرف فإنها ستضرب عليهم الذلة والمسكنة، ويبوءوا بغضب من الله؛ لأنه قال هنا: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} ذلك، يعني ما هو؟ ضرب الذلة والمسكنة، وأن يبوءوا بغضب من الله. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} كيف يمكن أن يكون الكفر بآيات الله؟ أن يتحدث معك بآيات هي أعلام على حقائق، أنت في واقعك لا تؤمن بها، هذا كفر.

هل أن اليهود كفروا بالتوراة والإنجيل، وهم من يفتخرون بها، ويحملونها معهم أينما حلوا في بقاع الدنيا؟ ألم تكن التوراة مع اليهود في اليمن؟ ومع اليهود في المغرب، مع اليهود في العراق، مع اليهود في كل مكان؟ هل كانوا كافرين بالتوراة؟ لا، هم كفروا بحقائق التوراة، كفروا بالسنن الإلهية في التوراة، من حيث أنهم لم يعوها، لم يؤمنوا بها كحقائق لا بد أن تقع، وسنن لا بد أن تكون نافذة.

إذاً نحن هكذا، صفحة واحدة من القرآن، أليست مليئة بالحقائق؟ العرب كافرون بها، أليس العرب كافرين بها؟ كافرين بها كحقائق، وهم يتحركون بعيداً عنها، عندما تتحرك بعيداً عن حقيقة، يعني ماذا؟ خسرت أنت حقيقة هي في صالحك أنت، ماذا يعني؟ أنت غير مطمئن إليها، وأنت لا تعرفها، ولا تصدق بها في واقعك. الكفر كما قلنا لا يكون شيء يطلع هكذا قرون، أو شعر طوال، أو حاجة تتركز، هو في الداخل، واقع الرفض الذي تعيشه هو حالة الكفر بالحقيقة التي يؤكدها القرآن الكريم.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}(آل عمران: من الآية١١٢) يقتلون الأنبياء، سواء من قتل من أسلافهم الأنبياء، فانطلق هؤلاء على تأييد السلف الصالح، هكذا هم، اليهود المتأخرون في زمن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعدهم هم على مسيرة من يسمونهم هم: السلف الصالح لهم، وهم ذلك الخط الذي كان يقتل أنبياء الله، وكان يكذب بأنبياء الله، هم من تمسك بهم أهل الكتاب المتأخرون. فكان حكمُهم حكمَهم.

يقتلون أنبياء الله سواء من باشر القتل، ومن رضي بالقتل، ومن أحب، وتولى من قتل ورضي بالقتل، حكمهم واحد، ((إنما يعم الناس ـ كما قال الإمام علي ـ الرضا والسخط))، ((إنما يعم الناس الرضا والسخط {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} وإنما عقر ناقة صالح رجل فعمهم الله بعقاب من عنده؛ لأنهم رضوا بفعله)).

{وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} أنبياء بني إسرائيل، لماذا ليس في هذه الأمة أنبياء بعد محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) كما كان في بني إسرائيل أنبياء بعد موسى، يتحركون في إطار الشريعة التي جاء بها موسى (صلوات الله عليه)؟ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعل خيار أهل بيته، جعل الكاملين من أهل بيته بمنزلة أنبياء بني إسرائيل في هذه الأمة، جعلهم في هذه الأمة بمنزلة أنبياء بني إسرائيل في بني إسرائيل، وإن لم يكونوا أنبياء؛ يأمرون بالقسط، يعملون على إقامة العدل، فما الذي حصل لهم؟ ألم يقتلوا؟ ألم يقتل علي؟ من قبل من؟ من قبل من يتولاهم العرب جيلاً بعد جيل، معاوية هو المتهم بترتيب عملية اغتيال الإمام علي (عليه السلام) اتهمه بهذا أبو الأسود الدؤلي في أبيات يرثّي بها الإمام علياً (عليه السلام) وهو معاصر للحدث.

وقتلوا علياً وهو كان لا يزال حياً يوم كانوا يتثاقلون عنه، ويتباطئون عنه، حتى قال: ((اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني)).

قتلوا قلبه وهو ما يزال ينبض: ((قاتلكم الله)) كان يقول هكذا: ((قاتلكم الله يا أهل العراق لقد ملئتم صدري قيحاً)) ثم قتل بالسيف، قتل فعلاً، واستشهد (صلوات الله عليه)، أليس هذا هو أول رجل بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذه الأمة من القائمين بالقسط؟ ممن هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل؟.

ثم ماذا حصل؟ قتل الحسن أيضاً من قبل معاوية، وأيده هؤلاء الذين يتحركون في المحاريب، يدعون الناس إلى تولي معاوية، من يقولون: ذلك هو السلف الصالح، فلنمش على سيرة السلف الصالح! وقتلوا الحسين، وقتلوا زيداً، وقتلوا عبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله، ويحيى بن عبد الله، وإبراهيم بن عبد الله، وقتلوا فلان، وفلان...، كم! أئمة أهل البيت جيلاً بعد جيل قتلوهم، وشردوهم، وهؤلاء لا زالوا متمسكين بمن قتلهم، يتولونهم، ويسيرون على طريقتهم، ثم يتولون من يتولونه، من بني العباس، من بني أمية، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعمرو بن العاص، ومعاوية، وعائشة، وكل من تحرك في الحيلولة دون أن يقوم من هم في هذه الأمة بمنزلة أنبياء بني إسرائيل، دون أن يقوموا يأمرون بالقسط في الناس، ويعملون على إعلاء كلمة الله، ويقودون الأمة إلى حيث تؤدي مسؤوليتها، إلى حيث تحظى بالشرف، والرفعة، والمكانة التي وهبها الله سبحانه وتعالى لها إن قبلتها.

إذاً هذه واحدة، أليست هذه واحدة؟ كانت هذه الأمة فيها كبني إسرائيل، مما يعني أنها أصبحت تسير في طريق ضرب الذلة والمسكنة، وأن تبوء بغضب من الله.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} واحدة هذه حصلت، {وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} من الذي يستطيع أن يقول في علي بن أبي طالب أنه كان يستحق أن يقتل؟ في الحسن يستحق أن يقتل؟ في الحسين يستحق أن يقتل؟ ماذا عمل؟ ماذا عمل علي (عليه السلام) حتى تخرج عائشة، وتقود ثلاثين ألف جندي لمقاتلة الإمام علي (عليه السلام) ماذا صنع بها علي؟ لاشيء، بغير حق.

يعني: ليس هناك ما يمكن أن يكون في الصورة مبرراً ليأتي هؤلاء الذين يتولون عائشة، ويرفعونها فوق سيدة نساء العالمين، فوق فاطمة الزهراء، وفوق خديجة، يأتون بمبرر حقيقي لعائشة في خروجها تقاتل الإمام علياً (عليه السلام) وتفسد دولة الإسلام، وتدعو الأمة إلى حربه، ما هو المبرر؟ لا شيء، بغير حق، كما قال هنا.

وهكذا أهل العراق عندما لقيوا الحسين وقتلوه، لماذا؟ بغير حق، هل كان يزحف عليهم بجيش جرار، يخافون أن يجتاح مدنهم، وقراهم؟ أم أنه كان مسافراً إلى الكوفة مع مجموعة من النساء والأطفال، مسافراً، يسافر وليس يقود جيشاً، في نفس الوقت، هو مطمئن بأنهم سيصدقون عندما قالوا: [أقدم علينا يا ابن رسول الله فقد أينعت الثمار وقد ظلمنا، وقد، وقد.. الخ] انطلق مسافراً معه نساؤه، وأطفاله، ومجموعة من خدمه، وأعوانه، ثم يلقونه فيقتلونه، بغير حق.

الإمام الحسن قبله قتل، بغير حق، هو بالطبع ليس هناك نبي، أو ولي صالح سيقتل بحق، ليس هذا حاصل، لكن معناه أنه حتى ولا مبرر ظاهري، ولا مبرر ظاهري، هذا هو ماذا؟ باطل الباطل، أوضح الباطل؛ لأنه فعلاً هل يمكن أن يقتل مثل علي بحق؟ لا، هل يقتل نبي من أنبياء الله بحق؟ عندما يقول: بغير حق، يعني: ليس هناك حتى ما يبرر قتله لكم، ولو من منطلق غير صحيح، ولو إعلامياً، أي لا تستطيعوا أن تقولوا كلمة واحدة تصنعونها تبرر في الظاهر، في الصورة أمام البسطاء من الناس قتلكم له.

قتلوا الحسن، نفس الشيء، بغير حق، انتهت الحرب، وتفرق عنه جيشه، اضطر إلى أن يأخذ ما يمكن من الشروط والعهود لأمنهم، وأمن أعراضهم، وبيوتهم، ومعاوية قد أصبح هو الذي اجتاح المنطقة، والمهيمن، عندما تفرق عن الإمام الحسن جيشه، وأنصاره، بعد ذلك كله، وقد قعد في بيته يدس معاوية السم له ليقتله، بغير حق، أليس هذا الذي حصل؟ وهكذا امش إلى آخر الأحداث، التي مرت على أهل البيت، زيد نفسه قتل من غير مبرر، دعوته ظاهرة، والمجتمع يعرف ما وصل إليه، إذاً فلماذا يقتل؟ كلها بغير حق.

وسيظل العرب هكذا، وسيظل زعماء العرب يعملون على قتل من يتحرك ليأمر بالقسط من الناس، ولكن ربما ستصبح المسألة أسوأ وأسوأ بكثير، أن يصل بهم اليهود إلى أن يصنعوا المبرر الظاهري للبسطاء، وللمغفلين من الناس، فيقتلوا ذا، وذاك، بحجة ماذا؟ إرهابي، أليس هذا بحق في الصورة؟ هذا من مظاهر الكفر بعد إيمانكم {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠) **فتصل بكم الحال إلى أن تنطقوا أنتم بالمبرر غير الشرعي، وغير الواقعي لقتل من يأمر بالقسط من الناس، من يتحرك ضد اليهود والنصارى، فتقولون: إرهابي {نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}** (المائدة: من الآية٥٢) **[ويكلف علينا] ويضرب مصالحنا، إذاً يقتل، إذاً يشرد، إذاً يسجن! وهكذا.**

يصبح الناس أسوأ، أسوأ مما عجز عن أن يقوله بنوا إسرائيل أنفسهم حينما كانوا لا يستطيعون أن يأتوا بمبرر ظاهري لقتل نبي من أنبيائهم، أو ولي من أ وليائهم، وحينما كانت هذه الأمة من يتولون أولئك الذين قتلوا من قاموا بالقسط من أهل البيت، لم يستطيعوا أن يأتوا بمبرر منطقي، مبرر يعني: كلامي، كلامي هكذا في الصورة، أمام البسطاء.

[لكن اليهود] قد يصلون بالناس، قد يصل الناس إلى درجة أنهم ينطقون بالمبررات الوهمية، ويتشبثون بها، أليس هذا يدل على أن الأمة قد وصلت إلى ضلال رهيب جداً، حتى أصبحت تبحث عن مبررات ترددها على أفواهها، وعلى مسامع بعضها بعض؛ ليقتل الزعماء من يأمرون بالقسط من الناس، أو يشردونهم، أو يسجنونهم، تحت عنوان: إرهابي، سيضرب مصالحنا؛ لأنه قد أصبحت مصالحنا الوهمية، مصالح وهمية هي المقياس، هي المعيار الذي يجعلنا نقف مع هذا، أو مع هذا، والذي يجعلنا في الواقع ـ وهي مصالح وهمية، وكلها كلام ـ يجعلنا في الأخير لا نعدُّ أيَّ قائم بالقسط من الناس ذو قيمة إذا كان سيتعارض معها، ولو كان محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أو علي بن أبي طالب، أو الأئمة من أهل البيت.**

ونفس الشيء أن يكون واقع الناس على هذا النحو، وإن لم يكونوا يباشرون قتل نبي ماداموا متولين لمن قتل الأنبياء، هذا بالنسبة لبني إسرائيل، لما كانت نفس الروح السيئة الخبيثة ما تزال قائمة لديهم، ألم يتآمروا هم على قتل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ يعني: كان ما زال حالة قتل الأنبياء قائمة في نفوسهم، فتآمروا، وحاولوا أن يقتلوا النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بالحجر، وهو يتظلل قرب بيت من بيوتهم، وحاولوا أن يدسوا السم لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله).

[هذه الحالة أليست عند العرب الآن؟ أليس زعماء العرب الآن] مستعدين أن يقتلوا من يأمر بالقسط من الناس، أليس كذلك؟ لو قام عالم من العلماء ماذا سيعملون؟ يعملون على أن يقتلوه، ألم يعملوا على أن يقتلوا بدر

الدين، ويغتالوه في بيته وهو إنما حمل لقب نائب رئيس حزب الحق، وتحرك لإحياء هذا الحزب، ولجمع كلمة الناس تحته؟ حزب، من أجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقوم بالقسط من الناس، ويتحرك أيضاً في إطار دستور وقانون كبقية الأحزاب، ألم ينطلقوا ليعملوا على اغتياله بصاروخ يوجهونه إلى نفس المكان الذي ينام فيه؟ وضربوا بيته أيضاً بالبوازيك فيما بعد؟.

إذاً هذه الحالة التي هي تجعلهم على ما كان عليه بنو إسرائيل لا تزال حالة قائمة لديهم جميعاً، لدى مختلف زعماء العرب، ولدى الشعوب نفسها التي ألفت أن تؤيد أيَّ زعيم لها، في أي موقف كان، ومن يقول لنا بكلمة من هذا التلفزيون، أو من هذه المحطة الإذاعية تصنع مبرراً وهمياً، فنحن سنردده، ونؤيد، ونبارك! ألم يباركوا قتل الحجاج؟ وهم كانوا إنما كانوا يتحركون بكلمات: [الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل] هي عمل بسيط في إطار إقامة القسط في هذه الأمة، وإعادة رفعتها، وشرفها، فقتلوهم، فانطلق علماء من هنا، وهناك يقولون: لم تعمل المملكة العربية السعودية إلا ما يجب عليها، وإن على بقية الحكومات العربية أن تقف معها! سمعنا هذياناً من هذا النوع، أليست هذه هي حالة قائمة؟.

إذاً هي نفسها، هي نفسها الحالة التي كانت عند بني إسرائيل، وما زالت، فجعلتهم جديرين بأن يبوءوا بغضب من الله، وأن يضرب عليهم الذلة، والمسكنة. أليست هذه ظاهرة في العرب الآن: الذلة والمسكنة؟ لأنهم كفروا بآيات الله، وقتلوا من يأمرون بالقسط من الناس، مَن هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل في هذه الأمة، بغير حق.

{ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، فمن عصى، واعتدى على هذا النحو فسيكون جديراً بأن يضرب بالذلة، والمسكنة، ويبوء بغضب من الله.**

إذاً وجدنا في مجموعة آيات من آيات الله، كم فيها من الهداية! كم فيها من التذكير! كم فيها من الحقائق! حقائق في إطار العلو، والرفعة لهذه الأمة، وحقائق في إطار الهبوط، والخسة، والذلة لهذه الأمة، وكيف رُسمت لها الطريق، وكيف أخبر الله بأنه هو سيتولى قيادة الموقف معها، {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (آل عمران: من الآية١٠٩)، **يذكر بأنه سيهيئ، سيهيئ، وهو من له ما في السموات، وما في الأرض، وله جنود السموات والأرض.**

كأنه يشعر هذه الأمة بأنه سيحشد معها ما يملك، يحشد معها ملكه، وعالمه، يحشد معها تأييده ونصره؛ لنرى في الأخير كيف ضعف إيمان أولئك، كيف قلة وعيهم، كيف عدم ثقتهم بالله سبحانه وتعالى، عندما لا يلتفتون إلى القرآن الكريم؛ ليهتدوا به في مقام المواجهة مع إسرائيل، وأمريكا، مع اليهود والنصارى.

لنرى في الأخير كيف تكون مسؤولية كبرى على علماء الأمة، على علمائنا أيضاً، عندما لا ينطلقون أن يذكروا الناس، ويثقفوا الناس، ويرشدوهم، ويهدوهم بالقرآن الكريم، ويبينوا لهم حقائق القرآن الكريم. ما الذي يمنع؟ ما الذي يخيف؟ لا شيء إطلاقاً يشكل خطورة على الناس أعظم من خطورة العواقب التي رسمها الله أمامنا في آياته على التفريط، والتواني، والتقصير، وبعدم الثقة به، والرجوع إليه، إلا متى ما أحسينا بحاجة، متى ما أحس واحد [بجيبه فاضي]، وجاء قليل جدب [اللهم إنا نسألك، اللهم اسقنا، اللهم، اللهم..] نرجع إلى الله، فمتى ما سقانا الله، وأصبح لدينا نعمة، لا نعد نفكر في شيء آخر.

ثم يبين في هذه الآيات أن ما يقوله الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل، أن ما يقوله عنهم هو كلام موضوعي، حقائق عادلة، هو لم يتجن على اليهود؛ ليقول لنا نحن: أن ننظر إلى قضية أهل الكتاب في القرآن بنظرة موضوعية، نظرة نأخذ منها الدرس، نأخذ منها العبرة، وليس فقط نأخذ من مجملها، ونخرج من أولها إلى آخرها، نخرج بمجرد اللعنة لليهود فقط، نقول: لاحظوا كيف لعنهم الله في القرآن، لاحظوا كيف كذا.. وبس، خذ عبرة؛ لأنه وهو يتحدث عن بني إسرائيل؛ هو ليضرب مثلاً لهذه الأمة، أنه يمكن أن يحكم عليها بما حكم على بني إسرائيل، وأن تذوق على يديه ما ذاقه بنوا إسرائيل، إذا ما سلكوا طريقة بني إسرائيل.

وليقول لأولئك الذين فضلهم الله واختارهم أيضاً، وأوجب على الأمة محبتهم، فأصبحوا يغضبون إذا ما قيل: هذا شخص لا يحبنا، إذا ما قيل هذا ناصبي، إذا ما قيل كذا.. اغضبوا على أنفسكم أولاً، أن تقصروا، أن تفرطوا، أنتم معرَّضون لما تعرض له بنوا إسرائيل، الذين قد اختارهم الله من قبلكم، وفضلهم على العالمين من قبلكم، فأصبحوا: ضربت عليهم الذلة، والمسكنة، وأصبحوا من باءوا بغضب من الله، وهم أبناء نبيه إبراهيم، أبناء

خليله {وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}(النساء: من الآية١٢٥) **هم أبناؤه، هم صفوته {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ}** (آل عمران: من الآية٣٣ـ٣٤).

ألم يصطفيهم الله؟ لماذا ضرب عليهم الذلة والمسكنة؟ الله لا يتعامل مع أوليائه هكذا؛ لأنه قد أصبح لم يعد بحاجة إليهم، كما تتعامل أمريكا مع عملائها، وكما تتعامل إسرائيل مع عملائها، لم يعد بحاجة إليهم فيرفضهم، ويبحث عن عميل آخر، لا، سننه ثابتة، متى ما كنت تسير على سننه، وستتغير، وتدخل في سنة أخرى متى ما تغيرت أنت؛ لأنه قال هنا: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١١٢) **عندما يحصل عصيان، عندما يحصل تفريط، وماذا حصل عصيان فيهم، حصل عصيان في الجانب الذي يتعارض مع مسؤوليتهم، أصبحت معصيتهم من النوع الذي يتنافى مع ما يراد منهم، كما قال سابقاً في هذه الآيات التي تلوناها سابقاً: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاء}** (آل عمران: من الآية٩٩). **ماذا يعني؟ أليس هذا مما يتنافى مع مسؤوليتكم، ومع ما يراد منكم؟ الصد عن سبيل الله من آمن به، وتبغونها عوجاً، وأنتم، أنتم شهداء على الناس، شهداء تدعون الناس إلى الإستقامة.**

إن من واجبكم أن تكونوا أول من يؤمن بمحمد، أول من يؤمن بالقرآن، أول من ينطلق تحت راية نبي من أنبياء الله، فلله الحق أن يختار نبياً من هنا، أو من هنا، فتنطلقون تحت راية محمد، كما انطلقتم تحت راية موسى وعيسى، وغيرهم من أنبياء الله، من بني إسرائيل، فكيف تتحولون إلى هذا التحول الذي يتنافى مع مسؤوليتكم، ومع ما أنيط بكم {وَأَنتُمْ شُهَدَاء} كذلك يقال للعرب، كذلك يقال لأهل البيت، كذلك يقال لشيعة أهل البيت، {لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاء} لم تفرطون، لم تقصرون، لم تعملون الأعمال التي تتنافى مع ما أراد الله منكم، تتنافى مع ما أنيط بكم من مسؤولية بأن تكونوا أنتم الشهداء على الناس؟.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ} فيكون هو الهم الذي يريدونه من هذه الآية، وكل المعنى الذي يريدونه أن يقولوا: بأن هذه شهادة للصحابة بأنهم عدول؛ لأن كلمة وسط تأتي في اللغة العربية بمعنى: العدل، إذاً فهم عدول!.

هكذا تمسخ الآيات، إذا كنا نبحث عن فضيلة لشخص هنا، أو هناك، لا يهمنا أكثر من ذلك، لا يهمنا أكثر من مجرد أن نكون مهتمين بالصحابة، ونبحث عن فضائل للصحابة، ومتى رأينا [خطفة] آية حاولنا أن نحولها كلها للصحابة، ثم ننسى ما حولها من أشياء مهمة.

ليقول في الأخير: أن حديثه عن بني إسرائيل في القرآن الكريم هو حديث موضوعي، ومنطقي، هو للعبرة، لأخذ الدرس، وليس للتحامل عليهم، وليقول: أن ما جرى عليهم سيجري عليكم أنتم، فيتحدث بموضوعية، فيتحدث عن الجانب المشرق نحو فئة من بني إسرائيل {لَيْسُواْ سَوَاء}(آل عمران: من الآية١١٣) **هكذا يقول بعد هذه الآيات: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} ثم يقول: {لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}** (آل عمران:١١٣ـ١١٥).

يقول: ليس الكلام كلام تحامل عليهم، هو حقائق فيها دروس، فيها عبر لكم أنتم، ما الذي يحصل الآن؟ نخرج من مجمل الكلام حول الآيات هذه التي نسمعها دائماً في أوساط من يتحدثون عن اليهود، من مجمل الآيات: أن الله غضب على اليهود، وأن الله لعنهم، وحصل عليهم غضب، وحصل عليهم لعنة، لكن هذا هو مجمل ما أخذوه من الآيات، لم نعد إلى الآيات؛ لنعرف ما فيها، ما فيها من حقائق، ما فيها من دروس، وأنها كلام موضوعي، أن الله ليس بمعرض فقط التحامل على فئة من خلقه.

لو كانت المسألة مسألة تحامل، أو كانوا غير جديرين بأن يصطفيهم لما اصطفاهم من قبل، لكن ليقول: أن من يصطفيهم إنما يصطفيهم ليؤدوا مسؤولية، ويقوموا بمهمة، إذا لم يؤدوها سيكونون هم من يستحقون أن يغضب عليهم أكثر مما يغضب على غيرهم.

فنأخذ منها الدرس، والعبرة، ولو كنا ننظر إلى القرآن الكريم من منطلق الثقة بالله، وبأنه كتاب هدى للعالمين، في كل مجالات العمل، والحياة؛ لأخذنا العبرة والدروس من داخل هذه الآيات، وهذا هو واجبنا؛ لأنها تساعدنا في هذا الزمن الأحداث، تساعدنا الأحداث، والحقائق المتجلية على أن نفهم القرآن بشكل أكبر، فإذا أعرضنا عن آيات الله في كتابه، وهي تتحدث عن حقائق، ولم نهتد بهذه الحقائق التي تقع في هذا الكون هنا وهناك {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} (الجاثية: من الآية٦). **صدق الله العظيم.**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة المائدة (١ ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

الدرس الأول

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٣/١/٢٠٠٢م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين.

هناك سؤال قبل أن نبدأ في الدرس عن موقفنا من ولاية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هل كل واحد منا يتولى الإمام علياً تولياً حقيقياً، إيماناً صادقاً، وليس في قلبه ذرة ولاء لأبي بكر وعمر وعثمان؟.

حقيقة مهمة: قضية أبي بكر وعمر، إذا كان هناك أي أحد يريد أن يسأل، يسأل ويستفسر بكامل حريته، ونتحدث حول الموضوع، إذا كان لدى أحد أي إشكال في القضية، أو في نفسه ميل قليل إلى أبي بكر وعمر وعثمان يستفسر. قضية لا بد أن يصل الناس فيها إلى موقف واضح.

معاوية سيئة من سيئات عمر، أنا في اعتقادي، ما معاوية بكله إلا سيئة من سيئات عمر بن الخطاب، أبو بكر هو واحدة من سيئاته، عثمان واحدة من سيئاته، معاوية واحدة من سيئاته، كل سيئة في الأمة هذه، كل ظلم وقع على الأمة، وكل معاناة الأمة وقعت فيها المسؤول عنها أبو بكر وعمر وعثمان، عمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها، هو المرتب للعملية كلها فيما يتعلق بأبي بكر؛ ولذلك الإمام علي خاطبه هو فقال: ((إحلب حلباً لك شطره، شدّها له اليوم يردها عليك غداً)).

عندما كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية ليعنّفه على مخالفة الإمام علي وخروجه عليه وأن علياً هو صاحب الحق وهو كذا وهو كذا.. قال: [نحن إنما اقتدينا بأبيك]. محمد بن أبي بكر كان من العظماء، وكان مع الإمام علي (عليه السلام) من خاصته، ومن أوليائه. ابن أبي بكر نفسه. فقال له معاوية: [نحن إنما اقتدينا بأبيك فإن كنا مخطئين فأبوك مخطئ، وإن كان أبوك مصيباً فنحن مصيبون] بعبارة تشبه هذه.

معاوية نفسه ممن يتولى أبا بكر وعمر، وهو ممن عمل على إعلاء صيتهم، ورفع مقامهم لدرجة ما كانوا يحلمون أن يصلوا إليها، يعني هم الآن أعظم منهم في حياتهم، لو هم عارفين كيف هم الآن لخرجوا من قبورهم من شدة الفرح.

لهذا قال عمر: [إن بيعة أبي بكر كانت فلتة] يعني هكذا [اتلجمت ومشت]، يعني ما كان هو المؤمل فيه، ولا المتوقع لمثله هو أن تستقيم له المسألة، وكان المتوقع أن يأتي اضطراب كبير، وكان المتوقع أن يأتي أشياء كثيرة. فَلْتة لكن وقى الله شرها قال!! هذا يدل على أن أبا بكر نفسه لم يكن هو الشخص المؤهل لأن يلي أمر الأمة؛ لأن عمر نفسه [هو واياه كانوا متخوفِيْن، ولكن قد با يجربوا ويعيّنوا كيف ومدري وجَزْعت] من خلال إدراكهم للناس، وأن الناس قد لا يتحركون في الموضوع، وفهمهم للآخرين من بني أمية والمنافقين بأنهم لن يتفاعلوا للمسألة، فكانت فَلْتة.

الشخص الذي يكون محط إجلال وإكبار الناس جميعاً لا تكون بيعته فلته. الإمام علي ما هم اتجهوا إليه كلهم بعد ما قُتل عثمان؟ حتى كادوا يطأوا ابنه الحسن! اتجهوا كلهم إليه من بعد يبايعونه جميعاً؛ لأنه لا أحد يشك في أن علي بن أبي طالب ليس أهلاً للولاية، بل كان عمر نفسه ممن يشك بالنسبة لأبي بكر؛ لأن الناس [دارين ما هو حق ولاية ما بلاّ با نجرب ومدري وجزعت.. وكانت فلته وجزعت].

لكن قوله: [وقى الله شرها] ليس صحيحاً ما زال شرها إلى الآن، وما زال شر تلك البيعة التي قال [فلتة] ما زال شرها إلى الآن، ومازلنا نحن المسلمين نعاني من آثارها إلى الآن.

هي كانت طامة بشكل عجيب، هي سبب المشكلة وهي المُعَمِّي على حل المشكلة، لا يوجد قضية مثلها، أن تكون هي سبب المشكلة، والذي يعمي على أن لا تَعرف حلها.

ألا ترى المسلمين كيف أنهم [ما استطاعوا يحلوا إشكالياتهم نهائياً]، ما أكثر المسلمين سنّية وهم متولون لأبي بكر وعمر؟، ما استطاعوا أن يصلوا إلى حل إطلاقاً في قضيتهم هذه في صراعهم مع أعداء الإسلام، والأمة في كل سنة تهبط نحو الأسفل جيل بعد جيل بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، من عهد أبي بكر إلى الآن وهي تهبط جيل بعد جيل.

كيف مشكلة مثل هذه! تكون هي سبب مشاكل المسلمين، ثم هي من يعمي على الحلول أمام المسلمين، يكون أحيانا سبب المشكلة هنا والحلول هناك تعرف، يوجد مشاكل كثيرة تكون سبب المشكلة هي كذا ويمكن ويعرف حلها هناك

لا تكون نفس المشكلة هي من تعمي على الحل. أما هذه المشكلة فكانت من هذا النوع، قضية أبي بكر وعمر كانت هي سبب مشاكل المسلمين ثم هي من غطى على أعينهم عن أن يعرفوا الحل والمخرج منها.
تُقْبل منذ ألف وأربع مائة سنة، ما هي فترة طويلة؟ ألف وأربع مائة سنة. والمسلمون لم يجلسوا جلسة واحدة ليناقشوا لماذا؟. ما هو الخلل؟. ما الذي حصل حتى أصبحنا على هذا النحو؟. مَنزل مَنزل مَنزل بعد كل مائة سنة هبوط هبوط، وكم قد جاء من ضربات للأمة هذه ضربها الصليبيون ضربات شديدة، ضربها التتار والمغول ضربات شديدة، الصليبيون من بحين، والصليبيون في فترات الاستعمار المتأخرة، وهكذا ضربة بعد ضربة حتى أصبحوا الآن تحت أقدام اليهود، ولم يجلسوا ليناقشوا المسألة من جديد، ويرجعوا إلى القرآن الكريم لينظروا هل فيه حل؟ هل هو وضع حلاً؟ هل عالج المشكلة هذه؟ هل تحدث عن أسباب هذه المشكلة؟ أبداً.
ولن يتخلوا عن أبي بكر وعمر حتى آخر ذرة من البلاد العربية، وليس آخر ذرة من أرض فلسطين، ما هم كان يقولون حتى تحرير آخر ذرة من تراب فلسطين؟ حتى آخر ذرة من تراب الوطن العربي، ما معنى إلى آخر ذرة؟ يعني إلى آخر ذرة تستعمر وتستذل وتقهر.
من خلال هذه الآيات التي سنقرأها، ومن خلال درس الليلة سنعرف ما له علاقة بهذه القضية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٥١} فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ {٥٢} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ {٥٣} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٥٤} إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {٥٥} وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ {٥٦} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} لاحظ يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين آمنوا {لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {٥٧} وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ {٥٨} قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} (المائدة٥١ـ٥٩) صدق الله العظيم.
الآيات هذه من [سورة المائدة]، وسورة المائدة هي من أواخر سور القرآن نزولاً، وتتحدث في كثير من آياتها عن أهل الكتاب، تتحدث عن أهل الكتاب، تتحدث عن خطورتهم، تتحدث أيضاً عما يؤهل الناس لمواجهتهم. الآيات التي قرأناها خلال الأسبوع الماضي هي كانت من [سورة آل عمران]، وكل من تلك الآيات وكل من هذه الآيات في سورة المائدة، كل واحدة تحدثت عن بني إسرائيل، وتلك الآيات تحدثت عن بني إسرائيل، وعن هذه الأمة، وقدمت جانباً من الحل، وقدمت نسبة كبيرة من تأهيل الأمة للمواجهة.
تبدأ هذه الآيات الكريمة بنداء يتكرر كثيراً في القرآن الكريم يخاطب الناس الذين قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤمنون باسم إيمانهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} كل من يرى أنه مؤمن، كل من ينتسب إلى هذا الاسم العظيم اسم (الإيمان). {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أنتم من تعدون أنفسكم مؤمنين انتبهوا، انتبهوا، قد تقعون في موالاة اليهود والنصارى من حيث تشعرون أو من حيث لا تشعرون، فيوجه النهي بصراحة: {لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ}.

تبدو الآية وكأنها غريبة كيف مؤمن يتولى يهودياً ونصرانياً!!، ما العقائد أصبحت متباينة؟. المؤمن المسلم غير اليهودي وغير النصراني؟ المسلم من أول أيام إسلامه هو من وُجه من جانب اليهود بشراسة تجعله يحمل حقداً لليهود، ويحمل عداءً لليهود؟ هو من يرى أنه في مكان واليهود في مكان آخر، هو مفصول عنهم مباين لهم، ليس بينه وبينهم أي علاقة، فكيف يمكن أن يكون ممن يتخذهم أولياء؟.

لاحظ كم هي العبارات متقاربة بين العبارات الأولى في قول الله سبحانه وتعالى: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً} (آل عمران: من الآية١٠٠) وهنا: {تَتَّخِذُوا}، تبدو القضية وكأنه ـ على الرغم من أنكم مؤمنون ـ تكادوا أنتم الذين تتخذون، وأنتم الذين تبحثون عن كيف تطيعوا، يعني هناك جذب ما هو يحصل جذب؟ يبدو وكأنه يتحدث بأنه وكأننا نحن سنتخذ، ونحن سنطيع، فليست المسألة فقط هي أننا سنُخدع، بل يمكن أن تصل المسألة إلى أن نحن ننطلق نحن لنتخذهم أولياء، نحن ننطلق لنطيعهم، هذا شيء غريب. أليس غريباً؟.

ألسنا نلعن اليهود؟ نلعن اليهود ونحن نلعن النصارى، ونحن نبغضهم ونعاديهم ونكرههم، ومتى ما غضب أحدنا على الآخر قال له: [يا يهودي، أنت نصراني أنت يهودي أنت كذا]، لكن على الرغم من هذا كله قد تصل المسألة إلى درجة أن يكونوا من هم يحملون اسم إيمان، ينتمون إلى هذا الاسم أن ينطلقوا هم ليتخذوهم أولياء، أن ينطلقوا هم ليطيعوهم فيردوهم بعد إيمانهم كافرين.

ما الذي سيدفع إلى هذا؟ هل أن اليهود والنصارى سيبدون أمامنا من أولياء الله فننطلق نحو توليهم أو طاعتهم.. سيتغيرون؟ أو أن عداوتهم ستذوب من قلوبنا؟ أو يبدون لنا بشكل يشدنا إليهم؟ ما الذي يشدنا إليهم؟ ما الذي يمكن أن يشد الإنسان المؤمن إليهم فيكاد هو الذي يبحث عن كيف يتخذهم أولياء؟! ويكاد هو الذي ينطلق في طاعتهم ليطيعهم ليردوه بعد إيمانه كافراً؟ وهنا ليصبح مثلهم، ويصبح ظالماً كما هم ظالمون، ظالماً لنفسه وظالماً للبشرية.

إذاً فماذا؟ معنى هذا أنه سيحصل وأنت تحمل اسم الإيمان، واليهود على ما هم عليه لم يتغيروا بعد إلى درجة أعلى فتجعلك أنت تنجذب نحوهم لكونهم أصبحوا من أولياء الله، هم هم اليهود، الذين يبدون أمامك ملعونين، يبدون أمامك مبغوضين ومكروهين. هم من قد تنطلق ـ وأنت تحمل اسم الإيمان ـ لتتولاهم.

المسألة قد تكون على هذا النحو؛ لأن قضية التولي هي خطاب للمشاعر للقلب، أعمال تنطلق نحو القلب نحو النفس، وهذه هي منطقة خطيرة، منطقة القلب منطقة خطيرة، التولي هو من أعمال القلوب، العداء هو من أعمال القلوب، ميل إليهم يدفعك إلى أن تكون معهم.

نفس الشيء الذي يحصل من جانبنا بالنسبة للشيطان، ماذا يعمل الشيطان؟ وسوسة وساوس وحاجات كذا بسيطة لكن تتجه إلى القلب، فترانا نلعن الشيطان جميعاً، ألسنا نحن بنو آدم نلعن الشيطان جميعاً؟ ولكن نسبة ربما ٩٥٪ يعبدونه، كيف حصل؟. عندما يقول الله للناس لبني آدم يوم القيامة: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يس:٦٠).

نحن نرى الشيطان عدواً، نلعن الشيطان، إذا أراد أحدنا أن يسب الآخر يقول له: [شيطان]. أصبح اسمه سُبّة عندنا، ولكن ننطلق في عبادته، ما العبادة طاعة وزيادة؟ كيف حصل؟ المسألة هي مسألة القلب، والقلب منطقة حساسة وخطيرة جداً، وهي التي بعد تحرك كل شيء، يحرك مواقفك، ويحرك لسانك، ويحرك وجهة نظرك، ويحرك مشاعرك، ويحرك حتى مالك، ويحرك سلاحك، القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الإنسان، وإذا فسدت فسد الإنسان.

واتجاه الفساد نحوها سهل إذا كان من جهة تعرف كيف تعمل، كيف تشتغل. الإفساد للقلوب سهل، إذا كانت قلوب فاضية، إذا كانت قلوب خالية، ليست مملوءة بما يحصنها من مثل هذه الخطورة.

القلوب لا تستشعر شيئاً، قد يكون هناك تصديقات لكنها ليست راسخة في القلب فهي لا تستطيع أن تحصن القلب من خطورة كهذه.

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} (يس: من الآية٦٠) **عندما ينكشف للناس يوم القيامة للكثير من بني آدم أنهم كانوا يعبدون الشيطان، وهم كانوا في الدنيا يلعنونه، ما كانوا في الدنيا يلعنونه؟ {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}** (يس:٦٠-٦٢).

نفس العمل الذي يقوم به اليهود، لديهم خبرة شيطانية، لديهم خبث شيطاني، ومكر شيطاني رهيب، فهم يتجهون نحو الوسوسة ونحو القلوب، ونحو النفوس، بأي وسيلة من وسائل الإفساد {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٦٤) **بأي وسيلة من وسائل الإفساد: بامرأة تبدوا مكشوفة في التلفزيون، على المسرح، أو راقصة في السينما، من خلال شاشة التلفزيون، من خلال قنوات عربية، من خلال قنوات أخرى فضائية، من مختلف البلدان عن طريق [الدّش] الذبذبات تأتي تدخل الذبذبات عندما ترى امرأة مكشوفة في التلفزيون فاعرف لا بد أن ينقص من زكاء نفسك شيء. {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ}** (النور: من الآية٣٠) **أطهر لنفوسهم.**

ألم يعملوا على أن تتخلع النساء وتتبرج؟. لماذا؟ هم يعرفون أن تلك الصورة عندما تراها أنت توجد خللا في نفسك، ووسيلة مع وسيلة أخرى، وأسلوب بعد أسلوب، وطريقة بعد طريقة، ترى نفسك قابلة، وأنت لا زلت تحس في رأسك أن اسمك مؤمن، وأنك مؤمن واسمك مسلم، وتقول للآخر يا يهودي يا نصراني، وتنطلق تصلي وتصوم وتزكي وتحج، ومسلم مؤمن، ولكن واحدةً بعد واحدة، ضربة بعد ضربة مما يفسد بها زكاء النفس وطهر النفس. ثم تضليل ثقافي، يترافق أيضاً، تضليل ثقافي عن طريق الصحيفة، المجلة، التلفزيون، الإذاعة الكُتّاب، الصحفيين، مرشدين، أشياء كثيرة جداً تهاجم الإنسان من كل جهة.

وكلها تتجه إلى أين؟ تتجه إلى قلبه، إلى نفسه؛ ولأن قلب الإنسان يحتاج إلى أن يكون يحظى برعاية عالية من قبل الله سبحانه وتعالى، وأن يكون مملوءًا بهدي الله بهدى الله، مملوءًا بالولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، إذا لم يكن على هذا النحو فما أسهل أن يفسد، وما أسهل أن يتحول إلى يهودي، وإلى نصراني، إلى قلب يهودي وقلب نصراني، وهو من يرى أنه ما يزال مؤمناً.

القلب الفارغ من هدي الله ومما يرشد إليه الله سبحانه وتعالى هو من سيكون ضحية؛ ولهذا جاءت الآية بعد: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (المائدة: من الآية٥٢).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (المائدة: من الآية٥١) **هم لا يتولونكم هم إنما يتولى بعضهم بعض، هل هم يتولونكم؟ فما لكم ولموالاتهم! ما الذي يدفعكم إلى موالاتهم؟! ما الذي يجذبكم إلى موالاتهم؟! هل هناك من جانبهم شعور بعاطفة؟ بميل؟ بمودة نحوكم؟. حتى تبادلوهم نفس الشعور؟. لا.. قال في آية أخرى: {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}** (آل عمران: من الآية١١٩).

فهؤلاء إنما يتولى بعضهم بعضاً، وهم لا يتولونكم، ولا يمكن أن يبادلوكم هذه المشاعر الحسنة التي تنطلق منكم نحوهم، فما لكم ولتوليهم؟!. كم يعمل القرآن الكريم على أن يبغّضهم إلينا، وأن يبين بأنه ليس هناك أبداً، أبداً أبدا ما يمكن أن يشدكم نحوهم.. فلماذا؟.

[ما بلاّ مقابض مقابض لنا نريد بعدهم، مقابض مقابضة واحنا نريد بعدهم] دون أن يكون هناك أي وسيلة جذب من جانبهم نحونا فننجذب لها إليهم، لا يوجد شيء، لا تعامل حسن، لا مودة، لا احترام متبادل، لا صدق، لا وفاء، لا أمانة، ولا شيء. فقط كتل من الحقد، كتل من العداوة، {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران: من الآية١١٩). **[يعض أنامله].**

بالمناسبة كان في [شِبام] يهود ـ شبام هي خارج صنعاء ـ ذكر لنا واحد قصة: بأنه كان معه صديق يهودي، وكانوا يبيعوا ويشتروا جمعه ويسافروا جمعه، وكان معروف هكذا بـ[أنه متى ما مشى مسلم وبعده يهودي فأن اليهودي من شدة غيظه يَهُمّ بقتله لو كان با ينوس]. هم أصدقاء ويمشيان جميعاً، وكان المسلم يمشي قبله فالتفت إليه

[وهو يعض أنامله]، فسأله بالله: هل هو صدق متى ما كان اليهودي يمشي بعد مسلم...؟. فقال: والله ما نمشي بعدكم إلا ويَهُمّ الواحد منا بالقتل لو يا ينوس.
وهم أصدقاء تجارة بيسافروا جمعه ويبيعوا ويشتروا جمعه، من مدينة واحدة.
طيب هذا التولي ماذا يعني التولي؟ التولي يبدأ بميل، ميل، ثم ينعكس بشكل تأييد فتكون معهم موقفك موقفهم، تؤيد مواقفهم ولو موقفاً واحداً، تصبح في ذلك الموقف ولياً من أوليائهم ومتولياً لهم. هذا معنى التولي.
هل هناك خطورة بالنسبة للتولي؟. أوضح ما يمكن أن يُعبر عن خطورة التولي بعبارة توجد تقززاً واشمئزازاً من المسألة هذه أنك ستكون مثلهم، ما أنت تلعنهم؟ ما أنت تبغضهم؟ يهودي نصراني، اعرف أنه سيكون حكمك حكمهم، وتكون مثلهم. جمع في هذه بين بيان حكم من يتولاهم كيف سيكون في واقعه، وبعبارة توجد أيضاً ـ هي نوع من الهداية ـ توجد اشمئزازاً وابتعاداً وتقززاً في النفس عن توليهم.
أتولاهم يعني أصبح ماذا؟ يهودياً نصرانياً بالتولي لهم، ما هذا شيء يوجد في النفس تقززاً؟ فيدفعك نحو الابتعاد. هذا من دقة آيات الله التي هي محكمة {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) تهدي داخل كل مفردة فيها.
{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ} يتولهم منكم أنتم أيها المؤمنون، وهو ما يزال يحمل اسم الإيمان، ويرى أنه ما يزال منكم، وليس فقط من قد تتصور بأنه تَيَهود.. مؤمن عربي، سيصبح حكمه حكمهم، أن يصبح حكمك حكم اليهود والنصارى هل هي قضية عادية؟ تقول: والله لا بأس، هم هناك، يعني بلادهم جيدة، وقد يكونوا أحياناً يعيشون في مناطق ينشأون فيها نشأة جميلة، وأجسام كاملة وجميلة ولطيفة!. لا.. ارجع إلى القرآن تجد ما قال فيهم حتى تعرف ما معنى أن تكون منهم، وحكمك حكمهم، ارجع إلى القرآن الكريم، كم فيه من كلام يبين سوء ما هم عليه وخبثهم، يبين سوءهم وخبثهم وأنهم لعنوا {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} (المائدة: من الآية٧٨) وعندما تكون مثلهم سينالك النصيب الأوفر مما وصموا به في القرآن الكريم، من اللعن، ومن الخبث، ومن المكر، ومن الكفر بنعم الله.
ستصبح في نفس الوقت ظالماً لنفسك، وظالماً للأمة، وظالماً للبشرية؛ لأنك أصبحت واحداً ممن يسعون في الأرض فساداً، ومن يسعى في الأرض فساداً فهو يظلم نفسه، ويظلم عباد الله، ويظلم البشر جميعاً. يظلم الناس ـ بدل أن يكون المطلوب والمراد لله سبحانه وتعالى من عباده أن تكون نفوسهم زاكية طاهرة، وأن يعيش الإنسان مكرماً في هذه الدنيا ـ يعيش نفساً مدنسة، يعيش ذليلاً، يعيش مهاناً محتقراً مظلوماً، بواسطة خبث نفسه وخبث ما حوله؛ لأن فساد اليهود يتناول كثيراً من شؤون الحياة إضافة إلى فساد النفوس.
فتكون أنت ممن يظلم نفسه، وممن يظلم البشر جميعاً، وما أوسع هذه الدائرة؛ لأن الله قال عنهم {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٦٤) فتصبح من حيث لا تشعر شريكاً في كل عملية إفساد تنطلق من أي منطقة في هذا العالم، نحو بقية البشر من داخل أمريكا، من داخل إسرائيل، من داخل بريطانيا من داخل أي منطقة تنطلق منها مؤامرات اليهود فتصبح بتوليك لهم شريكاً في كل عمل سيئ، مفسد في هذه الأرض في أي بقعة كانت من الأرض.
هل تعتقد أن التولي قضية سهلة؟. القرآن الكريم خاطب اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم من لم يقتلوا الأنبياء السابقين، هم أنفسهم الموجودون لم يعيشوا فترات طويلة حتى يكونوا هم ممن شارك في قتل الأنبياء السابقين، خاطبهم القرآن على أنهم يقتلون الأنبياء بغير حق {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩١) ألم يخاطبهم هكذا؟.
لماذا أصبح هؤلاء الذين عاشوا في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يخاطبون بأنهم قتلوا الأنبياء؟. وكم بين ذلك اليهودي الذي في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في زمن تنزل القرآن وبين أولئك اليهود السابقين قبل مئات السنين الذين قتلوا الأنبياء؟ ما الفارق مئات السنين؟. فما الذي جعله أن يخاطَب بأنه قتل، قتل؟ لأنه تولى أولئك عدّهم السلف الصالح له، فتولاهم. فأصبح حكمه حكمهم فقيل له: أنت قاتل.

وهكذا من يهتفون الآن بأنهم يتولون السلف الصالح ممن قتل عليا وفاطمة والحسن والحسين، فاطمة نفسها قُتلت كَمَداً، قُتلت كمداً وقهراً وهي ترى هذا الدين يُعصف به من أول يوم بعد وفاة والدها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لم تبك على [فَدَك]، فدك قضية تؤلمها لكن لم تبك عليها، ولم تمت كمداً على فدك، إنما ماتت كمداً على هذه الأمة.

هذه خطورة الموالاة، خطورة التولي، ويمكن فعلاً أن تكون شريكاً لليهود في عملية إفسادهم في العالم. هذه القضية ليست قضية عادية، قضية رهيبة جداً، يأتي الإنسان يوم القيامة فيرى أنه عاش في منـزله لم يظلم أحداً، [ولا شل حق أحد] على حسب عباراتنا.. فتأتي يوم القيامة وأنت شريك في إفساد ذلك الإنسان في أقصى الأرض، أقصى مشرق الأرض وأقصى مغربها، وأنت شريك في إفساد كل إنسان داخل هذه المعمورة بكلها، شريك في ظلم كل إنسان.

قضية التولي خطيرة جداً جداً، لا يكاد يكون هناك شيء أبلغ من خطورتها، فتأتي يوم القيامة فتجد كم ملفات من الجرائم أنت شريك فيها، فتقول: من أين هذه؟. هذا الشخص لا أعرف اسمه. ماذا عملت به؟، اسم إنجليزي، اسم فارسي، اسم عربي، مَن هذا؟؛ لأنك توليت من ظلموا الناس؛ ولهذا قال الله هنا: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}، ستكون ظالماً، وظلم اليهود أليس ظلماً للبشرية كلها؟.

تأتي يوم القيامة ومعك غُرماء كثيرين جداً، العالمُ كلهُ أسماءٌ أنت لا تعرفها، وجوهٌ لا تعرفها أنت ظلمتها وأنت أفسدتها.

هذا الموقف مما يدفع بالإنسان أن يكون دقيق المراقبة لنفسه في هذا العصر، الذي انتشرت فيه أبواق اليهود في كل بلاد، وسائل الإعلام أصبحت كلها تخدم اليهود، مناهج دراسية تخدم اليهود، صحف تخدمهم، مجلات تخدمهم، كُتّاب يخدمونهم، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، وإن لم تكن خدمة مباشرة أحياناً بالتدريج ـ كما يقولون ـ بطريقة غير مباشرة والآثار تُحتسب، آثار الشيء تُحتسب وكأنها هي الشيء نفسه.

ما معنى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(المائدة: من الآية٥١)؟. إن الله لا يهدي القوم الظالمين: ليست مجرد تتمة للآية ليتسق الوزن كما هو شأن الشعراء، يختم قصيدته بأي كلمة تناسب القافية. القرآن {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}(هود: من الآية١) القرآن كتاب آياته محكمة {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} إذاً فهو ظالم {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لا يهديهم إلى أي خير، لا يوفقهم، ولا يهتدون حتى هم إلى كيف يواجهون اليهود؛ لأنهم أصبحوا يتولونهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، وفي نفس الوقت يضجون منهم، هذا من أغرب الأحداث، ومن أغرب المواقف.

ولهذا كانت أحداث هذا العصر غريبة جداً، ربما لم يأت مثلها في التاريخ: تُداس بِقَدَم وتُقَبِّل نفس القدم التي تدوسك، تُضرَب وتَستَجْدِي السلام من اليد التي تضربك!!. ما حصل مثل هذا.

كان في الزمن القديم كان يعرف هذا عدو تعرفه، وولي تعرفه، لا تستجدي عدوك أنت تستجدي منه السلام، تحاول بأي طريقة ولو من باب مصالحة عادية بين طرف وطرف على أشياء واضحة، أما الآن فأصبحت مواقف غريبة، نحن نلعن اليهود والكثير يتولونهم، ونصرخ جميعاً نحن ومن يتولونهم منهم، ونستجدي السلام منهم، ونبحث عن الحلول من عندهم!! مبهمات كلها، ومواقف غريبة كلها.

ولهذا كان منطق القرآن الكريم فيما يتعلق بالموقف من اليهود والنصارى منطق يثير الدهشة فعلاً لأنه تتجلى مواقف غريبة مدهشة، تتولاهم وأنت تصرخ منهم!!، أي أنت لم تحصل على شيء من خلال توليك لهم، تتولاهم وتنفذ ما يطلبون منك وأنت عميل لهم، ثم في فترة من الفترات يركلونك بأقدامهم ويستبدلونك بشخص آخر. أو إذا ثارت الأمة ضدك لا تتسع بلادهم لك، هذا كما حصل لملك إيران، [شاه إيران] حصل له هذا، لم تسمح أمريكا ولا بريطانيا ولا فرنسا له بالدخول إلى بلادها.

تولي يؤدي إلى خطورة بالغة، وليس من ورائه ثمرة ولا مصلحة، لا احترام متبادل، لا مصالح حقيقية متبادلة، ولا شيء.

إذاً أليست قضية خطيرة جداً؟. وغامضة جداً؟ خطيرة جداً عندما يقول لك {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ما هو يشعر بأنك ما زلت مؤمن وتتولاهم؟ لأن هناك أعمالاً خطيرة جداً غامضة، ومن النوع الذي يتجه إلى أعماق النفوس فينعكس مواقف. بالغ الخطورة جداً في غايتها، أن تصبح ظالماً لنفسك ومشارك في ظلم البشرية كلها، أن تصبح تأخذ نصيبك من كل ما ذُمَّ به اليهود في القرآن الكريم، وعلى ألسنة عباد الله.

على الرغم من هذا كله، من خطورة المسألة {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وكأن الشيء هذا كله لا يلفت النظر ولا ينتبه له، ويقفز من فوقه. {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} لاحظوا إضافة [الفاء] في [فترى]، كأنه يقول لك: وعلى الرغم من هذا كله، من خطورة القضية، وغموض أساليبها، وخطورة نتائجها وغاياتها، التي هي في الواقع تدفع كل إنسان أن يكون بعيداً جداً جدا عن هذا، أو بطيئاً وهو ينطلق نحوهم على أقل تقدير، بطيئا وهو ينطلق نحوهم لكن لا، ترى من داخل المؤمنين من يسارعون فيهم. ماذا يعني يسارعون فيهم؟. يسارعون نحو توليهم نحو خدمة ضمائرهم، نحو تنفيذ خططهم، مسارعة، أليس هذا الموقف مضاد جدا لما كان ينبغي لأي إنسان مؤمن أن يكون عليه؟ أن يكون بعيداً جداً، جداً عنه أن يكون في نفسه أطرف ميل، أو أن يكون قلبه من القلوب التي يمكن أن تتعرض لأن تواليهم، ولو بأدنى ولاء؟.

لكن تجد هناك منهم؟. الذين في قلوبهم مرض.. ولاحظ متى حصل مرض في القلوب كيف يحصل ماذا؟ مسارعة إلى توليهم، فاليهود هم يعرفون كيف يشتغلون، هم يوجهون أعمالهم نحو القلوب، والمرض يتجمع، تتجمع أمراض من هنا ومن هنا، من مشاهدة التلفزيون، ومن قراءة صحيفة، ومن كلمة فلان، زعيم يتكلم، تتجمع، تتجمع فحصل مرض في النفوس، في القلوب.

بمعنى أن القلب السليم الذي هو مملوء بتولي الله ورسوله والذين آمنوا ما يمكن أن يميل إليهم، يبقى سليماً منهم، سليماً من هذه المخاطر الرهيبة.

ومرض القلوب يتجلى بعناوين متعددة قد يصبح نفاق، شك، ارتياب، إيثار لمصالح خاصة على الدين، إيثار لمصلحته الخاصة على الدين مما هو مرض مشين. عادة قد لا تحتسب فعلا أن يكون صادقاً من يدعي أنه من منطلق الحفاظ على المصلحة العامة، هذا ما يحصل من القلوب المريضة.

فمن يسارع فيهم في قلبه مرض، وغير صادق عندما يدعي أنه من أجل الحفاظ على المصلحة العامة، على مصلحة شعبه أو على مصلحة المسلمين، غير صادق. القلوب المريضة ليست هي من تهتم بمصالح المؤمنين بمصالح المسلمين، القلوب السليمة هي وحدها التي تهتم بمصالح المسلمين، هي التي تتجاوز خارج إطار وحدود شخصيتها، أما القلب المريض فلا يمكن أن يحمل اهتماماً بمصالح الآخرين؛ ولهذا يأتي بعبارة (يقولون) {يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}. فنحن نحافظ على المجتمع من أن يحصل عليه ضربة.

عبارة (يقولون) مثلما يقول لك: يزعمون يتفوهون، والواقع أن هناك مرض، قد يكون هذا المرض جُبْن، نفاق، حب لهم، تأثر بثقافتهم يدفعه إلى أن يُنَفِّذ مؤامراتهم، ويتولاهم، ثم يضفي على توليه لهم، ماذا؟. عنواناً كبيراً يقدمه وكأنه يخاف على المصلحة العامة، أو أنه حتى يخاف على نفسه، حتى أن يتفوه بأنه يخاف على نفسه، هو ممن في قلبه مرض.

لأن الله عرض قضيتهم في القرآن أنه متى ما أصبحتم ممن يحملون قلوباً سليمة ليس فيها مرض فستصبحون مؤهلين لدرجة أن يصبح واقعهم معكم على هذا النحو {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١).

المؤمن، من قلبه مملوء بالإيمان، من قلبه سليم، لا يمكن أن يخاف على نفسه منهم؛ لأنه يثق بالله، ويعلم بأن ما يقوله الله سبحانه وتعالى عنهم أنه حقائق، بل يكون قوياً عليهم، جريئاً عليهم.

هل أحد منكم شاهد [السيد حسن نصر الله] في التلفزيون وهو يتكلم بملء فمه، وبكل قوة وبعبارات تهز إسرائيل. ماهي عبارات مثلما يتكلم زعماء العرب الآخرين: كلمتين أو ثلاث، وسموه [فارس العرب].

كلمات مجاهد، كلمات شجاع، كلمات تحتها جيش من الشباب المجاهدين الأبطال، يتكلم كلمات حقيقية مؤثرة، وهو بجوارهم، وهو يعلم أن معهم قنابل ذرّيّة، وأن معهم صواريخ ومعهم دبابات، ومعهم كل شيء، لكن قلبه من القلوب المملوءة بتولّي الله ورسوله والذين آمنوا فأصبحوا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، كما سيأتي عندما نصل إلى عند هذه الآية.

فمن في قلبه مرض هو من يخاف، فيدفعه خوفه إلى أن يقول: نحن خائفون على أنفسنا. {نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} أو نخشى أن تصيب المجتمع والشعب دائرة، لكن ذلك ليس في الواقع هو مبعث خوف، وليس هو في الواقع مبرر ادعاء اهتمام بمصلحة عامة، إنما سببه مرض.

أحياناً قد يكون الخوف الحقيقي مما هو مخيف حقيقة، قد يكون أحياناً مقبولاً، بل قد تأتي أحكام شرعية تسوغ تصرف معين تحت وطأة الخوف كما يقال: [التقيّة] {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}(آل عمران: من الآية٢٨) **لكن مع هذا الجانب الذي يسارع فيهم يعني أن هذا عمل يدل على أن في قلبه مرض، وما يقوله من بعد معناه مرض يدفعه إلى أن يكون فعلاً متولياً لهم، إنما قضية أن يقول: [والله احنا خائفين على مصالحنا، أو خائفون على بلادنا]. إنما هي تغطية فقط، وإلا فواقعه أن في قلبه مرض، فهو يسارع فيهم.**

ما معنى {فِيهِمْ}؟ هي مثل {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}(الحج: من الآية٧٨) **يسارع في خدمتهم، في تنفيذ خططهم، في تنفيذ مؤامراتهم، في توليهم؛ لأن في قلبه مرض فهو يتولاهم.**

هنا تأتي عبارة {يَقُولُونَ} بمعنى يتفوهون وكأنها عبارة فعلاً لهجتها أو صيغتها تفيد بأنها شيء غير حقيقي بالنسبة لواقعهم أنهم فعلاً يخافون على أنفسهم فعلا، أو يخافون على أمتهم، وإنما الذي دفعهم إلى المسارعة هو أن في قلوبهم مرض جعلهم يتولونهم.

إذاً فاليهود هم يشتغلون معنا كثيراً ليوجدوا في قلوبنا مرض، {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية٦٤) **إلى أين يتجه هذا الفساد؟. ما هو بيتجه إلى النفوس أولاً؟ ثم ينعكس بشكل أعمال، إفساد في الأرض؛ لأنه حتى ما يحصل من إفساد في الأرض إنما يأتي عن طريق الإنسان نفسه.**

{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}(المائدة: من الآية٥٢) **لاحظ (الفاء) في قوله {فَعَسَى اللَّهُ} توحي بأن أولئك الذين يسارعون فيهم، أولئك الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، سيأتي اليوم الذي يندمون فيه على كل ما عملوه معهم، على كل ما بذلوه من جهودٍ فيهم، على تلك الجهود التي سارعوا إليها، سارعوا في بذلها فيهم. {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}**(المائدة: من الآية٥٢) **وعبارة {أمرٍ من عنده} واسعة {فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}**(المائدة: من الآية٥٢).

{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} من هذه الآية من قوله: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ}(المائدة: من الآية٥٢) **إلى قوله: {فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}**(المائدة: من الآية٥٢) **تعنى بأنه يجب أن نكون واعين نحن أمام من تنطلق من أفواههم هذه العبارات من كبير أو صغير، من يدعي أنه خائف علينا منهم، أو من يدّعي أنه خائف على نفسه منهم، فيريد أن يجمّد المسلمين، يجمد أي حركة للمؤمنين؛ لأنه إما خائف عليهم وإما خائف على نفسه، من خلال تحركهم فليتوقف كل صوت يكون معادياً لأوليائه.**

هذه في حد ذاتها تخلق لدينا وعياً أن كل من انطلق مسارعاً فيهم، وتحت أي عنوان يقدمه إنما هو ممن في قلوبهم مرض، وما يقوله إنما هو مجرد تَفَوّه، فعندما يقول: إنما كان ذلك من أجل حرصٍ على مصالحكم، وحفاظاً عليكم. نقول له: لا. لا. نحن رأينا المسارعة، نحن رأينا المسارعة عندما جاءت أمريكا لتتقدم نفسها قائداً للتحالف الدولي ضد ما يسمى بالإرهاب، ألم يسارعوا فيهم جميعاً؟. يكفينا هذه، أن كل كلمة يتفوهون بها من بعد غير مقبولة.

فعندما يقول: اسكتوا لا تتحركوا لا تعملوا شيئاً نحن إنما أوقفناهم، نحن إنما رديناهم، وإلا ربما كان ستحصل ضربة، ربما سيحصل كذا، وإذا عملتم كذا سيحصل كذا، اتركوا.. اتركوا. سنقول له: لا.. إن الله هو الرحمن

الرحيم هو الذي يأمرنا أن نقف هذه المواقف، أليس الله هو أرحم بنا من أي إنسان آخر؟ أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وأرحم بنا من زعماء بلداننا؟ أرحم بنا من حكوماتنا؟ هو من يطلب من عباده المؤمنين أن يتحركوا، هو من يعمل هذا العمل الكبير جداً، جداً في هدايتنا إلى أن نكون واعين، هو من يعمل على أن يخلق في قلوبنا وعياً وفهما، وإيماناً واعياً، إيمانا واعيا.

إذاً سنقول لهم: لا تهتموا بمصالحنا أمام هذه القضية، ولا تتعبوا أنفسكم من أجلنا، ولا تَمُنوا علينا بأنكم ستكفون عنا شر أولئك.لا.. اكفونا شر أنفسكم فقط. أما أولئك فدعوهم. وإذا كنتم لا يزال لديكم ذرة من الشرف فلا تتحركوا أنتم كجنود لهم تضربون هنا وتضربون هنا، وتأخذون هذا وتأخذون هذا تحت اسم [إرهابي] تحت اسم [إرهابيين]، دعوا الأمريكيين هم يضربوا، دعوا الإسرائيليين هم يضربوا، وهم أحكم منكم، هم لن يضربوا، هم لن يضربوا إلا بعد أن يحوزوا على رضا الآخرين، هم حريصون جداً على أن لا يخلقوا في أنفسنا عداءً شديداً لهم.

فلماذا لا تكونون أنتم حريصين على أن لا تخلقوا في أنفسنا نحن أبناء شعوبكم عداءً لكم، أنتم من ستتلقون الجفاء من كل عمل تعملونه ضد شعوبكم، وسيكون الرابح هو أمريكا وإسرائيل، هم اليهود والنصارى.

نحن نقول: إذا كنتم لا بد أن تعملوا عملاً ما، فقدموا لهم خرائط عن أماكننا، خرائط عن بيوتنا، خرائط عن مناطقنا، ثم دعوهم يضربوا، وانظروا هل سيضربون، فتكونون أنتم قد فتحتم لهم كما يقول الناس كما يقول القبائل [حَد وبلاد] ودعوهم هم يضربون، هم لن يضربوا، ومتى ما ضربوا، وإن قُدِّر لهم أن يضربوا فإنما سيكون بعد أن تكون المسألة قد أخذت شرعيتها من داخل وسائل إعلامكم، فتضرب تلك المنطقة أو تلك المنطقة بعد أن أصبح الناس أعجل من أمريكا على أن تضرب، هكذا يعمل اليهود. أصبحنا ـ تقريباً وهي تتحرك إلى أفغانستان ـ عجّالين، قطع ثقيلة صعبة التحرك، نريد نعرف ماذا سيعملون، كلنا عجّالين أن تضرب أفغانستان أعجل من الأمريكيين، ألم يكن الناس أعجل من الأمريكيين؟.

إذاً فلنحذر، فلنحذر نحن ممن يُقدم نفسه بأنه إنما يعمل ما يعمل من منطلق الحرص على مصالحنا. القرآن الكريم يقول: إن المسارعة تكشف أن هناك مرض في القلوب، وأن أي ادعاءات بعدها إنما هي ادعاءات زيف وتضليل، وتبرير للعمل الذي هو في الواقع مسارعة فيهم انطلق من قلوب مريضة ملؤها الولاء لهم.

إذا كنا نثق بالله، نأخذ الحقائق من كتاب الله ربنا الرحيم بنا، الذي يعلم السر في السموات والأرض، العليم بذات الصدور، بذات صدور اليهود، بذات صدور العرب، بذات صدور زعماء العرب، بذات صدور العالمين جميعاً، أليس هو العالم بذات الصدور بدخائلها بخصائصها بأعماق ما فيها؟.

ثم هنا يأتي تهديد لهم، تهديد لأولئك الذين يسارعون فيهم ممن في قلوبهم مرض ويبررون مسارعتهم بأي كلام كان، الله يقول لهم: {فَعَسَى اللّهُ} و[عسى] من قبل الله هي وعد عسى من جانب الله هي وعد فهو إذاً يَعِدُ بأن أولئك الذين يسارعون[هم فعلاً يعرضون أنفسهم لخطورة بالغة].

{فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} (المائدة: من الآية٥٢)....

الذين يسارعون فيهم إما بفتح على أيدي أوليائه، وإما بأمرٍ من عنده فهو الذي له جنود السماوات والأرض. وكلمة {أمر من عنده} واسعة جداً يعلمها الله وحده. إلا أن الشيء المؤكد أنه يقول لأولئك وبسرعة من الانتقام منهم، لاحظوا ما أسرع عبارة {فَعَسَى}.. {فَيُصْبِحُوا} {فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} (المائدة: من الآية٥٢) **ما هذا وعيد شديد، ووعيد بعقوبة عاجلة سريعة سواء كانت عن طريق فتح على أيدي أوليائه أو بأمر من عنده، إذاً فهم فعلاً يعرضون أنفسهم لخطورة بالغة.**

فهو يقول لهم على فرض أنكم تقولون: {نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} (المائدة: من الآية٥٢) **اخشوا من يمكن أن يضربكم بسرعة، الدائرة معناها [ربما يرجع يلف الشريط علينا.. ربما.. هم قالوا: اليمن من ضمن البلدان التي قالت أمريكا أن فيها إرهابيين، وقالوا مصر وقالوا مدري فين وقالوا.. ربما..] لكن الله يقول: إذا كنتم تخشون دائرة وتقولون هكذا فافهموا بأنكم ستتعرضون لغضب سريع، انتقام عاجل،** (الفاء) **في {فَعَسَى} يفيد التعاقب**

وتعاقب الأحداث بسرعة {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا} (المائدة: من الآية٥٢) ما كأنها إلا عشية أو ضحاها، {فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} (المائدة: من الآية٥٢) على ما كان في واقع قلوبهم، تلك القلوب المريضة من أشياء، هي الحقائق التي على أساسها ينطلقون نحو المسارعة.

{عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ} (المائدة: من الآية٥٢) يقول لهم ـ وهو العالم بذات الصدور ـ قولكم: {نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}، مجرد كلام لكن هناك شيء أنتم تسرونه ستصبحون على ما أسريتم في أنفسكم نادمين.

وحينها تتجلى الحقائق، وعندما تتعاقب الأحداث تتجلى الحقائق وتكشف الحقائق بشكل يجعل الناس يندهشون {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} (المائدة: من الآية٥٣) إذا كشفت التقارير، كشفت الأوراق، كشفت الحقائق أنهم كانوا عملاء، وكانوا على تواطؤ مع كذا وكانوا على لقاء مع فلان، وكانوا.. وكانوا.

حصل مثل هذا في إيران بنحوٍ عجيب، ملك إيران أصبح من النادمين، بعد أن اقتحم الشباب المسلم في إيران السفارة الأمريكية كم اكتشفوا من التقارير، كم اكتشفوا من الأسرار التي كشفت حقائق كثيرة، جعلت الناس يرون أولئك الذين كانوا يقدمون أنفسهم وطنيين، ومخلصين وأنهم أحياناً ينطلقون بعبارات قاسية ضد تلك الدولة أو تلك، ضد أمريكا وإسرائيل {أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} (المائدة: من الآية٥٣) كيف انكشفوا عملاء، كيف انكشفوا خونة، كيف انكشفوا متآمرين، كيف كشفتهم الوثائق والأسرار، كيف انكشفت بطريقة مدهشة.

كانت وثائق مهمة اكتشفوها في السفارة الأمريكية في طهران ترجموها باللغة العربية وطبعوها ونشروها، وكم داخلها من مؤامرات. وكم داخلها من العملاء يتآمرن على شعوبهم، وهم يقدمون أنفسهم بأنهم وطنيين ومخلصين، وأنهم أحياناً يَتَنَمَّرُون بعبارات ضد تلك الدولة أو تلك الدولة.

لاحظ من الذي سيقول هذا من الذي سيفرح بهذا؟. هم الذين آمنوا؛ لأنهم من سيزدادون إيماناً، ومن يزدادون وعياً، من يزدادون فهماً، عندما ينطلقون فيرسخوا في أنفسهم إيماناً واعياً على ضوء ما يحكيه القرآن الكريم، فهم في واقعهم وكأنهم مؤمنين بغيب، لكن عندما يرون الأحداث تتجلى فيرون أن ذلك الإيمان الذي هو شبه إيمان بغيب يصبح حقائق يشاهد أمامهم. يبادرون إلى أن يفرحوا فيترسخ الإيمان بشكل أكثر وأكثر ويزداد وعيهم أكثر وأكثر.

أليس الإنسان يزداد فهماً، ويزداد وعياً عندما يجد الحقائق تتكشف على وفق ما هو يعتقد؟. على وفق ما يرى؟. بلى. {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٥٣).

أصبحوا خاسرين حقيقة. شاه إيران أصبح خاسراً، أصبح إنساناً مرفوضاً عالمياً، مرفوض من كل الأمم، استقبلته مصر فقط، وذهب إلى مصر وبقي فترة يتجرع مرارة القهر والذل، مرارة القهر والذل كيف تخلى عنه من ظل عمره يخدمهم، القهر والذل على أيدي ذلك الشعب الفاتح الذي قهر ذلك العميل فمات كمداً وغيظاً، ودفن هناك في مصر.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٥٣). ولأن القضية مع أهل الكتاب هي قضية مواجهة حقيقية في شتى ميادين الصراع عسكري، اقتصادي، سياسي، ثقافي، إعلامي؛ ولأن الآيات كلها تسير في إطار أو في سياق خلق وعي لدى المؤمنين، هدى من الله يسيرون عليه، حقائق تتكشف أمامهم، لتؤهلهم لأن يكونوا هم من يهاجم أولئك، من يضرب أولئك الذين يسعون لأن نكون بطاعتنا لهم كافرين بعد إيماننا، إلى أن نتولاهم فنصبح ظالمين كما أصبحوا هم ظالمين، فنشاركهم في ظلمهم في العالم كله.

عندما نتخلى، عندما نتوانى، الله يهدد، يصف من يحصل منه هذا بأنه مرتد {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤) أليس المقام مقام جهاد؟؟ مقام حركة؟. إذاً فالتواني التفريط هو نفسه يكشف أن في القلب مرض، القلب المريض هو معرض لخطورة بالغة أن يتولى اليهود والنصارى، إذاً فهو سيرتد سيصبح مطيعاً لهم فيرتد عن إيمانه، فيصبح كافراً.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} . تأتي الآية هذه مصدرة بهذا النداء، النداء الذي يصل إلى أعماق النفوس التي تدعي أنها مؤمنة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} . الآية هذه تأتي في إطار الحديث عن بني إسرائيل وفي إطار السياق من بداية الآيات فهي لا تأتي تتحدث عن موضوع آخر {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} ماذا يعني يرتد عن دينه؟. يصبح كافراً يصبح يهودياً، يصبح نصرانياً.

فكما قلنا سابقاً من يتوانى، من يفرط، من يقصر، من تنطلي على نفسه عبارات الجمود، عبارات التضليل، فليحذر، وليعلم أن في قلبه مرض، فالله قد حذر في البداية بأن أولئك الذين يسارعون إنما لأن في قلوبهم مرض.

وسواء كانت المسارعة أفقياً أو عمودياً، عمودياً فوق، أو مسارعة تحت كلها واحدة، أنت تخدمهم. أسارع فيهم، أقدم خدمة لهم، أنفذ مؤامرة معينة، أو أسارع نحو التخلي عن مواجهتهم، ونحو التثبيط عن مواجهتهم، هي كلها واحدة، هنا يختلف المرض. ولهذا جاءت بعبارة عامة {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} ما كلمة {مَرَضٌ} في الدنيا تطلق وتحتها أنواع كثيرة؟. أنواع كثيرة جداً، وما أكثر أمراض القلوب، وما أكثر أمراض القلوب.

بل نحن البسطاء، نحن المساكين يحصل في قلوبنا مرض فيجعلنا نسارع باتجاه تحت نَجْمُد ونُجمِّد من حولنا. طيب إن هذا هو خدمة عالية، خدمة مهمة لليهود والنصارى، التثبيط خدمة مهمة لليهود والنصارى، ولهذا هم يحاولون بكل وسيلة أن يتفادوا انبعاث الأمة، يتفادوها بأي وسيلة.

يتركون الآخرين هم يضربون، ويتلقون الجفاء، يتركون هذا هو الذي يزحف ليتلقى الجفاء ويتلقى الخسارة؛ لأنهم يريدون أن نبقى ماذا؟ قاعدين، وأن يثبط بعضنا بعضاً؛ لأن هذا هو نفسه يوفر عليهم الشيء الكثير، يسهل مرور ونفاذ مؤامراتهم.

إذاً فأنت قد يكون في قلبك مرض ـ ونعوذ بالله من أن يكون في قلوبنا مرض من هذا النوع ـ فتسارع فيهم، ولكن بأسلوب آخر هو أسلوب القعود عن مواجهتهم، التثبيط عن مواجهتهم، هو نفس الشيء، كما يقول أولئك الذين يسارعون باتجاه عمودي فوق بتنفيذ مؤامرات وأعمال {يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} (المائدة: من الآية٥٢) تقول أنت نفس العبارة وأنت تدس رأسك في التراب {نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} وكما يقدمون أنفسهم للآخرين ليُبجِّلوهم على ذلك الموقف، أنت في الداخل قد ترى بأنك إنسان حكيم، وأن هذا هو الرأي، وهذا هو التصرف الواعي، لكن لا. الحكمة، الهدى، الوعي هو أن تنطلق انطلاقة القرآن، لا تسارع لا باتجاه عمودي ولا باتجاه تحت تسارع في خدمتهم.

إذا حصل أن أصبح الناس على هذا النحو فإن الله قد وعد ـ وهو القادر على تنفيذ وعده ـ {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ} غيركم، وإذا قال غيركم [سيأتي الله بقوم غيركم] معناه أنتم سيضربكم، سيذلكم، وتنالون بسبب ارتدادكم، بسبب تثبيطكم وتوانيكم تنالون ماذا؟ الخسارة والذل في الدنيا، والخسارة والذل في الآخرة في نار جهنم، نعوذ بالله من نار جهنم.

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ} عبارة {بِقَوْمٍ} هي نفسها تفيد، أو تكاد تصور لك أولئك القوم وكأنهم صخرات، كأنهم قطع من الصلب، في قوتهم في إيمانهم، في وعيهم، في فهمهم، {بِقَوْمٍ}، وليس كأي قوم ليسوا كمثلكم، قوم {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} والله لا يحب إلا نوعية متميزة. يمكن يرحم وتكون رحمته واسعة للناس جميعاً كما هو هنا يرحمنا، أليس هو يرحمنا ونحن مقصرون؟ لكن أما أن يحب لا، إنما يحب نوعية متميزة.

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ويقدم كلمة {يُحِبُّهُمْ} على {يُحِبُّونَهُ} لتشعر كيف أن هؤلاء جديرون بأن يحبهم هو، فهم جديرون بحبه، فيسارع إلى التعبير عن محبته لهم قبل التعبير عن محبتهم له.

القوم الذين يحبهم ويحبونه هل سيكونون من هؤلاء الذين في قلوبهم مرض؟. فيسارعون نحو تنفيذ الخطط والمؤامرات في خدمة اليهود، أو يسارعون نحو القعود فيصبحوا مرتدين؟!. هذا ارتداد كله، من يسارع مطلع ومن يسارع منزل كله ارتداد.
هؤلاء قوم نوعية أخرى عمليين، وبنفوس قوية، وليس فقط زحزحة ودفع. لاحظوا كيف تصور الآية هذه النوعية من القوم هم ليسوا حتى ممن يحتاجون إلى تحريض كثير، وكلام كثير، [وانت بعده كل يوم تكلمه والاّ رجع، ويحتاج له مجبر ثاني يوم والا جا له كلمه من واحد وبَرَد]. لا، هؤلاء واعين لدرجة أنهم يقدمون أنفسهم للآخرين بالشكل الذي يهزم نفس من يمكن أن تنطلق من فمه عبارة مثبطة، هو يرى أنك تخلق في نفسه يأساً أن يؤثر فيك؛ لأنك معتز بالموقف الذي أنت فيه لا تحس بحرج. كنبي الله موسى بعدما حصل منه ما حصل، ففقد ذلك المقام الذي كان فيه، وتلك النعمة التي كان فيها في قصر فرعون، بعدما قتل القبطي، من منطلق غيرته على المستضعفين وكراهيته للباطل واعتزازه بأن يقف موقف حق، ورأى نفسه في مواجهة مجرمين، ما هو رأى نفسه في مواجهة كافرين مجرمين؟: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص: من الآية١٧) أليست هذه عبارة رجل لا يمكن أن يتأثر؟. هو الذي سينطلق يؤثر.
{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} يحبونه فينطلقون في السعي فيما يحصلون به على رضاه، يحبونه فينطلقون غاضبين له، يحبونه يكرهون أعداءه، يغضبون على أعدائه، يكرهون الفساد في أرضه، يغضبون لأن يعصى في أرضه، يغضبون للمستضعفين من عباده؛ لأنهم يحبون الله، ومتعلقة قلوبهم بالله [وليس فقط ممن لا ينطلق إلا متى ما لزمه وما عاد معه أي مخرج فينطلق وهو يدهف نفسه، ويحاول بأي طريقة أن يتملص ويتخلى].
هؤلاء ينطلقون من واقع المحبة لله سواء قالوا واجب والاّ مندوب المهم أن فيه لله رضى، وليس من أولئك الذين عندما تحتدم المواقف عندما يحمى الموقف يبحث مع سيدي فلان أو سيدنا فلان يسأله: [يا خبير قدو يلزمنا إن احنا نخرج مع أولا، أو نسبر مثل ذولا؟ قدو يلزمنا؟ قال: لا عز الله ما قدو يلزم]. قال: [ها خاطرك... يا جماعة قال سيدي فلان قال سيدنا فلان ما كو يلزم].
هؤلاء قوم يحبون الله لا يبحثون عن لزم ولا ما لزم، إما أن يكون واجب فذاك واجب، أو كان مندوب، مندوب، مستحب... واجب مندوب كله واحد، المهم أن فيه لله رضى، من منطلق الحب لله.
وهم فيما بينهم أذلة على المؤمنين متواضعين يبدون أذلة؛ لأنهم جداً حريصون على وحدتهم، حريصون جداً على أن يكونوا بمستوى القيام بالموقف الذي يهمهم، وأداء المهمة التي تهمهم فعلاً، وليسوا ممن ينشغلون بأنفسهم ومصالحهم الخاصة فقط، فيأنف من هذا ولا يغضب لله، ولا لرسوله ولا لدينه، ولا للمستضعفين من عباده، ولا يغضب لهدم أمة بكلها.
يغضب لنفسه ويبدو قوياً على صاحبه وكبيراً على صاحبه وشجاعاً على صاحبه، عزيز على صاحبه، وذليل على أعداء الله، هذه صفة سيئة، صفة سيئة عادة ما تكون منتشرة في المجتمع الذي لا يحمل أي اهتمام بأي قضية من القضايا الكبرى، مجتمع معرض نفسه لأن يُستبدل ويُرفض، الإستبدال معناه أن تُرفض من قبل الله، إذا كنت قد ترفض من قبل الله فهذه حالة خطيرة جداً، ترفض في الدنيا وفي الآخرة.
هؤلاء فهم نوعية أخرى فيما بينهم أذلة مع بعضهم بعض يكظم غيظه، ويعفو، ويصبر،ويتحمل ويسامح ويحاول أن تبقى علاقته مع أخيه قوية، ويبقى الود فيما بينهم قائماً، تبقى العلاقة فيما بينهم قائمة، ونفوس متآلفة، وقلوب متحابة، لكنهم في ميادين المواجهة {أعزةٍ على الكافرين} ما معنى أعزة؟. أقوياء ينطلقون بنفوس قوية، هم ينطلقون بنفوس قوية، وليسوا ممن يحتاجون إلى تحريض ودفع، ولا ممن يثاقل {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} (التوبة: من الآية٣٨) ليسوا هذه النوعية.
تجد الألفاظ هذه ما أجملها وهي تعبر عنهم تعبيراً يصورهم تصويراً أمامك، تتخيلهم {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} جهاد، جهاد في سبيل الله {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤)

فلأن هذا الميدان هو ميدان صراع متكامل يجاهدون بالكلمة، يجاهدون بالمال، يجاهدون بالقلم، يجاهدون بالسيف، يجاهدون بمختلف الأسلحة التي يمكن أن يحصلوا عليها، جهاد، يجاهدون جهاد بناء للأمة وجهاد يهدم أعداء الله.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ}؛ لأنهم يحبون الله والله يحبهم، فهم يبتغون بجهادهم رضاه، وما أعظم أن ينطلق الإنسان في سبيل الله، وما أعظم أمة تنطلق للجهاد في سبيل الله حيث ستكون فيما بينها أقرب أقرب إلى أن يتحقق على يديها النصر.

أي ليسوا من أولئك الذين ينطلقون إذا كان هذا أو ذاك سيعطيهم بنادق وفلوس وطحين ومصروف وصرفة وأشياء من هذه. ما كانوا أيام الثورة يوم ملكي ويوم جمهوري؟ يسير لبندق من عند الملكية، ويقول ملكي، وراح في يوم ثاني ودخل بـ[زامل] للجمهورية وقال جمهوري وصرفوا لهم بنادق وفلوس، هؤلاء متعيشين، هؤلاء يسمون مرتزقة، مرة هنا ومرة هنا. أما هؤلاء فهم يهمهم أن يجاهدوا في سبيل الله وعندما ينطلقون في الجهاد في سبيل الله ينطلقون بأموالهم وأنفسهم.

{ولا يخافون لومة لائم}، أيَّ لومة كانت، وأي لائم كان؛ ولأنهم هم أصبحوا إلى درجة أنهم لا يخافون ممن يمكن أن يحذرهم من القتل؛ لأنهم مجاهدون؛ ولهذا لم يأت ليقول ولا يخافون مثلاً من يهددهم بالقتل، أو من قد يقول قد تتعرضون للقتل أو أشياء من هذه؛ لأنهم هم مجاهدون والمجاهدون في سبيل الله هم يبحثون عن الشهادة، أن تخوفه بالقتل ستخوفه بماذا؟ {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}(التوبة: من الآية٥٢) **تخوفه بالحسنى بالنصر، أو تخوفه بالحسنى بالشهادة، ليس هناك ما يمكن أن تخوفه به.**

يمكن أن يكون هناك لومة لائم من قريب من بعيد، من يقول له: [يا أخي ما عادك أحسن من فلان، هو ذا عندك من أولياء الله جالس أما أنت فبا تقوم تتحرك عادك أعلم منه عادك اما أنت كذا.. كذا] بيجي لوم كثير وبوسائل متعددة، هم ليسوا ممن يخافون لومة لائم. أما أنهم يخافون قتل، أو يخافون سجون أو يخافون أي شيء هم مجاهدون. هم أعزة مجاهدون فينطلقون برغبة، فأن تخوفه مما يرغب فيه فليس معقولاً، وليس منطقياً أن تخوفهم مما هم يرغبون فيه.

ثم هل هؤلاء يعتبرون ناس حمقى أو تورطوا؟. لا. هم ممن حازوا الفضل، هم من أصبحوا وحدهم من حازوا هذا الشرف العظيم {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ} ما معنى فضل الله؟. فضل الله أن يهيئهم هم أن يكونوا هم من يحظون بأن يكونوا على هذه الصفة، من يكونوا بدلاً عمن تقاعدوا وتوانوا وتخاذلوا. أليس هذا اصطفاء من جانب الله لهم؟. تفضيل من الله لهم أن اختارهم هم؟ أن اصطفاهم هم ليكونوا بدلاً عن أولئك المتقاعسين المتوانين المثبطين المتعرضين للارتداد؟ فهم هم مفلحون هم فائزون، وليسوا متورطين.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ} وهو فضل من الله أن يكونوا هم من يقوم بهذه المهمة بهذه المسؤولية التي يعد القيام بها فضلاً من قبل الله سبحانه وتعالى {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}(المائدة: من الآية٥٤) **عاد فيها يؤتيه من يشاء، وليست المسألة تكاد أن تكون مجرد اختيار من قبل الناس هنا أو هنا، بل قد يكون من قبل الله هو أن يرى أمة من الأمم أن يرى ناساً من الناس مؤهلين وجديرين بأن يؤتيهم ذلك الفضل وبأن يكونوا ممن يستحق هذا الفضل العظيم، {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**(المائدة: من الآية٥٤).

الله واسع الفضل {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}(النساء: من الآية٩٥) **ففضله واسع، فضله واسع وهو العليم بمن هو جدير بفضله، بمن هو جدير بأن يصطفيه لمثل هذه المهام التي يتقاعس عنها الكثير من الناس، وإن كانوا يحملون اسم الإيمان. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ}**(المائدة: من الآية٥٤) **فيرتدون وهم يحملون اسم الإيمان، فلا يدرون أين بلغ بهم الحال، وكيف أصبحوا، وهم يظنون أنهم ما يزالون مؤمنين، وهم قد ارتدوا، وهم قد استبدل الله بهم غيرهم، وهم قد رُفضوا وأذلوا وأُبعِدوا، وهم يقدروا بأنهم مؤمنين.**

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) **وأنتم في ماذا؟. وأنتم في ميادين الجهاد، وأنتم تحصنون أنفسكم عن أن تصبحوا في يوم ما ممن يتولى اليهود والنصارى، املأوا قلوبكم بالولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا. من هم الذين آمنوا؟.**

ما هو هنا يتحدث عن مؤمنين قبل؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، هل نوالي [الذين آمنوا] أولئك الذين قد يتولون اليهود والنصارى، أو [الذين آمنوا] الذين قد يرتدوا وقد ارتدوا؟. [الذين آمنوا] كثير، من يخاطبون بهذه العبارة، ومن يرى أن نفسه ومن يعد نفسه تحت هذا الاسم كثير من الناس، الناس كلهم، المسلمون كلهم على اختلاف طوائفهم يعدون أنفسهم [الذين آمنوا]. {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية٥٥) **علي بن أبي طالب؛ لأنه هو الذي نزلت فيه هذه الآية، هو من تصدق بخاتمه أثناء الركوع، فنزلت فيه هذه الآية.**

وتأتي الآية بشكل يشخص نوعية من المؤمنين. ما استطاع المفسرون أن يجعلوها عامة، حاولوا أن يجعلوها عامة، راكعون: خاشعون، راكعون: [مدري ماذا!] لكن الآية نفسها ترفض، ترفض أي محاولة لإخراجها عن أن تكون في علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

إن قالوا: {يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية٥٥) **أي مصلون فكلمة {يقيمون الصلاة} هي أوضح من كلمة [وهم مصلون]، فكيف يأتي القرآن الكريم فيكرر عبارة في مقام التفضيل والثناء، يكرر عبارة تكون الأخرى هي أدنى من الأولى، وهي نفس المسألة {يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} أليست أوضح في نسبة الفضل إليهم والثناء عليهم من عبارة [وهم مصلون]؟. إذاً {وَهُمْ رَاكِعُونَ} هي جملة حالية من فاعل {يُؤْتُونَ}، يؤتون الزكاة أثناء ركوعهم.**

قالوا: راكعون: خاشعون. لا.. يأتي ما يعبر عن الخشوع والخضوع بكلمة سجود، {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الرعد: من الآية١٥)، **وهناك في آية أخرى: {سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ}** (النحل: من الآية٤٨) **وكم ورد في القرآن الكريم من عبارة [سجد ويسجد، وساجدين] وتعني الخشوع والخضوع. ثم لا بد مهما حاول المفسرون الآخرون، مع أن الآية مما هي عند أهل البيت، وعند الكثير من المفسرين أنها نزلت في الإمام علي بن أبي طالب لا شك عندهم في ذلك.**

ولو افترضنا أنه ليس هناك حديث، وليس هناك كلام حول الآية أنها نزلت في شخص معين، فإننا نحن سنسأل: أنت تتحدث هنا عن مؤمنين قد يتعرضوا لتولي اليهود والنصارى، ومؤمنين قد يرتدون ويستبدل بهم غيرهم، وكلهم يطلق عليهم الذين آمنوا، الذين آمنوا وأنت تقول هنا من جديد {وَالَّذِينَ آمَنُوا} من هم الذين آمنوا هؤلاء؟،الذين إذا توليناهم سنبتعد جداً عن أن نكون معرضين لتولي الكافرين من اليهود والنصارى، أو من أن نكون مرتدين؟!.

هذا سؤال وجيه، سؤال وجيه: من هم الذين آمنوا؟.

عندما يقول البعض: الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة [وهم خاشعون]، كان بعضهم يخشع، كان علي بن الفضل يخشع في وادي هناك، وهو [يتعشق للسلطة] كان يتعبد في وادي هناك في اليمن ويخشع، ما الكثير من الناس يسجلون تلاوة القرآن وهم يخشعون، ويصلون عند الحرم، ويصلون في أماكن كثيرة وربما قد يكونوا من المتولين إلى الأعماق ليهود أو نصارى، وهم خاشعون.

من هم؟. من هم؟. لا بد أنهم نوعية من المؤمنين متميزة. لا يجوز لا يجوز أن ننطلق نحن لنفسر الآية بالتعميم، {وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} كلنا مصلين، {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}، كلنا مزكين، {وَهُمْ رَاكِعُونَ}: خاشعون، كثير منا خاشعون، في زيود خاشعون، وفي وهابيين خاشعين وفي مالكيين خاشعين وحنفيين خاشعون، وصوفية خاشعون، وفي بوذيون خاشعون وهم ليسوا بمسلمين.

إذاً لم توضّح لنا الآية إن كان الأمر كما يقول أولئك المفسرون. والمقام مهم، المقام خطير جداً، نقول: آمنوا قد يتولوا يهود ونصارى، يا أيها الذين آمنوا قد ترتدوا، يا أيها الذين آمنوا قد تتولوا اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا تولوا الذين آمنوا، مثل آية ذياك صاحبنا [يا أيها الناس اتبعوا الناس] ما هو قال أنها آية؟!.

هذا من محاولة مسخ معاني كتاب الله الكريم، الذي أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم عليم، لا بد أن هناك مؤمنين معروفون بأسمائهم، معروفون بأشخاصهم، هم من يريد منا أن نتولاهم بعد التولي له ولرسوله، وإلا كانت الآية مثل [يا أيها الناس اتبعوا الناس] يا أيها الذين آمنوا اتبعوا الذين آمنوا، يا أيها الذين آمنوا تولوا الذين آمنوا.

فعندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أنتم يا من تسمون أنفسكم مؤمنين والذي يسمى نفسه مؤمناً ماهو نفسه يصلي، ويزكي، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة؟. فتصبح الآيات، يا أيها الذين آمنوا قد تتولوا اليهود والنصارى، قد ترتدوا، فكيف تعملون؟. تولوا الذين آمنوا. فيكون هذا الكلام كلام غير عادي، حتى ولا كلام ناس عقلاء، هكذا يدفع أولئك الذين يحاولون بأي وسيلة أن يدفعوا الآية عن أن تكون نزلت في الإمام علي، يدفعهم إلى أن يجعلوا كتاب الله الذي أحكمت آياته، ولا ككلام الناس، ولا ككلام العاديين، دع عنك البلغاء والعقلاء من الناس.

هذا كله من أجل من؟. من أجل أبي بكر وعمر، من أجل أبي بكر وعمر؛ لأنه إذا كانت الآية في هذا المقام المهم وتتحدث عن نوعية عالية جداً من المؤمنين وتكون في علي بن أبي طالب يعني علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر، إذا طلع علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر فهذه هي الطامة على تسعين في المائة من الأمة، يعتبرونها كارثة عليهم، أن يطلع علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر وعمر. لا.. نمسخ الآية بكلها دفاعاً عن أبي بكر وعمر.

فلهذا قلنا: من في قلبه ذرة من الولاية لأبي بكر وعمر لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق التي تجعله فيها من أولئك الذين وصفهم الله: {بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (المائدة: من الآية٥٤). **ولن يكونوا من حزب الله لأنه قال فيما بعد: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}** (المائدة:٥٦) **فلن يكون غالباً لأنه ما رضي يتولى الذين آمنوا الذي نزلت فيه الآية، ما رضي أبدا إذا كان رافضاً أن يتولى عليا فلن يكون من حزب الله، ولن يغلب.**

والواقع شهد بهذا أنهم غُلبوا وقُهروا وهم أكثر عدداً وأكثر عُدة من اليهود والنصارى، أكثر عدد وأكثر عدة من إسرائيل، وهي داخل بلاد المسلمين، فقهرتهم وأذلتهم وهم أكثر عدداً وأكثر عدة؛ لأنهم لم يكونوا بمستوى أن يكونوا حزب الله، الذين وعدهم الله بأنهم سيكونون غالبين.

لن يكون من حزب الله إلا من؟ من يتولّى التولي الذي رسمه الله هنا في القرآن: {اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) **علي بن أبي طالب حينئذٍ سيكونون هم كما كرر من جديد: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} فسيصبح من حزب الله، {وَالَّذِينَ آمَنُوا} فيما بعد، يعني {الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} لكن القرآن لا يخاطب أطفالاً بل يخاطب عرباً فاهمين، أن الذين آمنوا فيما بعد تعني الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، سيكونون حزب الله فعلاً، وحزب الله لا بد أن يكونوا غالبين.**

[والآية تشير إلى] خطورة من جانب آخر: أنك لن تكون من حزب الله سواء أنت ستنطلق للجهاد أو لا تنطلق للجهاد إذا لم تكن متولِ لله ورسوله وللإمام علي بن أبي طالب وإذا لم تكن من حزب الله فستكون من حزب من؟.

هناك حزبين فقط، ستكون من حزب الشيطان، القرآن تحدث عن حزبين: حزب الله، وحزب الشيطان، {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المجادلة٢٢) **بعد {أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** (المجادلة: من الآية١٩) **إذاً سيكون الإنسان من حزب الشيطان ولن يَغلب ولن يُنصر في مقام المواجهة مع أهل الكتاب. من هم أهل الكتاب؟. هم الآن الدول العظمى والقوى العظمى في العالم، ما كلها باسم يهود ونصارى؟.**

حزب الله في جنوب لبنان طردوا أمريكا من لبنان، وقد أتت ببارجات تضرب بقذائف ضخمة جداً، قطع قريبة من بيروت، وداخل بيروت مبنى كبير لقيادة الأمريكيين يسمونه [المارينز] حطموا هذا المبنى بعملية استشهادية، وجعلوا الأمريكيين يهربون من لبنان منهزمين، وطردوا إسرائيل من جنوب لبنان، حزب؛ لأنهم فعلاً تمثل فيهم حزب الله، هم شيعة من أولياء علي بن أبي طالب الذين صح توليهم لله ولرسوله وللذين آمنوا، فغلبهم حزب ولم تغلبهم دول بأكملها من ستين مليوناً، من عشرين مليوناً من ستة عشر مليوناً، من خمسة ملايين إلى مائة مليون عربي لم يغلبوا إسرائيل؛ لأنهم لم يصبحوا حزب الله، ولم يكونوا من حزب الله فغلبهم اليهود وهم داخل بلادهم. أليست إسرائيل داخل البلاد العربية؟.

ولهذا جاءت الآية قاطعة {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦)**عبارة (هم) تعني وحدهم، من لا يكونون حزب الله على هذا النحو في مواجهة اليهود والنصارى فلن يغلبوا، هي جاءت بعبارة مؤكدة {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ} أصبح معناها: فهم حزب الله، أو أولئك حزب الله، ثم يقول: فعندما يكونوا حزب الله فإن حزب الله هم الغالبون، و(هم) تعني وحدهم، في مقامات كثيرة في القرآن الكريم، {الْغَالِبُونَ} و[الـ] نفس الشيء تفيد الاختصاص، {الْغَالِبُونَ}. ما هي الغلبة؟ أليست هي القهر للأعداء الذين تتحدث الآيات عنهم، اليهود والنصارى؟.**

لاحظ الربط المهم، الربط الشديد بين قضية ولاية الإمام علي (عليه السلام) في مقام، وبين التأهيل للأمة في مواجهة اليهود والنصارى، مواجهة اليهود والنصارى في ميدان المواجهة، وتحصين القلوب أيضاً من أن يصيبها مرض فتصبح ممن تتولى اليهود والنصارى، أو ترتد بعد إيمانها، فقال هناك: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} (المائدة: من الآية٥٢).

إذاً فولاية الله ورسوله والإمام علي بن أبي طالب هي فعلاً عندما تملأ القلب ستملأه إيماناً واعياً، ستحصن القلب من أن ينفذ إليه أي ذرة من ولاء لليهود والنصارى أو لأولياء اليهود والنصارى، ستحصن الإنسان نفسه، من يحمل هذا القلب من أن يصبح مرتداً عن دينه، ستحصنه أيضاً من أن يصبح طائعاً لأهل الكتاب، لفريق من أهل الكتاب، كما في الآية الأخرى في سورة [آل عمران]، فيرتد بعد إيمانه كافراً.

إذاً هي مهمة جداً، مهمة جداً في المقامين: في مقام الحفاظ على نفسي بعيداً عن هذه الخطورة العظيمة، وفي مقام تأهيل نفسي لضرب مصدر ذلك الخطر العظيم.

ولكن علياً مهما كبر لديهم لا يساوي شيئاً بالنسبة لأبي بكر وعمر، وأبي بكر وعمر حتى آخر إنسان عربي، حتى آخر ذرة من البلاد العربية، حتى آخر قيمة من قيم الإسلام ومبادئه. أبو بكر وعمر لا يمكن أن يتخلوا عنهم، اللهم إلا أن يفهموا هم من جديد ويعيدوا النظر من جديد، ويتساءلوا من جديد: أنه إن كان هذا هو مصداق للآية ما هم عليه، فلم ينقصهم ولاء، أليسوا متولين لأبي بكر وعمر أكثر من تولينا لعلي؟ يهتفون بأسمائهم في مساجدهم في مدارسهم، في جامعاتهم، في كتبهم يعلمون أطفالهم ونسائهم ويحاولون أن يُشربوا من يلقوه في الطريق أبا بكر وعمر، في المسجد في السيارة في السوق في أي مكان.

فإن كان توليهم هو فعلاً التولي للمؤمنين لأولئك المؤمنين الذين قال الله عنهم في هذه الآية، فهم إذاً لم ينقصهم ولاء، ولم تنقصهم أسلحة، ولا عدد، ولا إمكانيات فلماذا لا يكونوا حزب الله فيغلبون تلك الشرذمة القليلة من اليهود داخل وطنهم؟. لماذا؟.

هل أن القرآن غير صادق عندما يقول أولئك حزب الله، ثم يقول: {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}؟. لماذا لم يغلبوا؟. لماذا غُلِبُوا؟. لماذا قُهِروا؟. لماذا أُذِلوا حتى أصبحوا لا يستطيعون أن يستخدموا في مواجهة إسرائيل إلا الحجارة، أصبحوا لا يستطيعون أن يستخدموا في مواجهة إسرائيل إلا الحجارة؟!!.

فمن أين الخلل؟ هل أن القرآن غير صادق؟ لا. ولم يقولوا هم: أن القرآن غير صادق. إذاً الخلل من آخر الآية {وَالَّذِينَ آمَنُوا} أنتم صرفتموها إلى آخرين إلى آخرين هم من هزموا أمام أقلية من اليهود، فكيف يمكن لأوليائهم أن يهزموا أعتى يهود في تاريخ اليهود هم، أعتى قوة يهودية في تاريخ اليهود هم.

لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما جعل أبا بكر قائداً في غزوة خيبر وهو يحاصر خيبر فرجع منهزماً، ثم في اليوم الثاني عمر فرجع منهزماً، ثم في اليوم الثالث علي وهو كان [أرمداً]؛ ليقول: أن الأمة بحاجة إلى علي حتى وإن كان في مقام قد تعتقد أنه لا ينفع فيه. فنحن نحن بحاجة أن نتولى علياً (عليه السلام). وإن كنا نعتقد أن علياً لن يخرج بسيفه فيقاتل.

عندما كان أرمداً لا يبصر موضع قدميه، ألم يكونوا يرون بأنهم لا يحتاجون إلى علي؟ فعندما قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): ((لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) نفس الآية التي قالت: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: من الآية٥٤) **نفس المنطق يضعه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) على علي: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه)).**

أبو بكر رجع منهزماً، عمر رجع منهزماً، فليفهم أولياؤهم أنهم سيظلون منهزمين أمام اليهود؛ لأنه إذا كان قد هُزم الكبار من يجعلونهم قدوة لهم فسيُهزم الصغار؛ لأن أي واحدٍ منهم يرى بأنه ليس في مقام أبي بكر وعمر. صح؟ إذاً أبو بكر قد هُزم، وعمر قد هُزم فبالأولى أن يهزموا هم وسيهزم، لقد هُزموا هم وهزم أولياؤهم من بعدهم الآن أمام اليهود وأمام الصليبيين، وأمام المغول، وكم هزائم حصلت عليهم في تاريخ هذه الأمة.

إذاً ماذا ينقصهم؟ لا ولاء لأبي بكر وعمر، هم يتولونهم إلى النخاع، ولا عدد ولا عُدة فلماذا لم يكونوا حزب الله؟؛ لأنهم عندما صرفوا هذه الآية عن علي ليلبسوها أبا بكر، وأبو بكر لا تتلبس عليه، كبيرة عليه، وسيعة عليه، أكمامها طويلة، تغطيه ما عاد ترى أبا بكر بكله.

عندما صرفوها إلى ذلك هم عمُوا هم عن الحل فلهذا قلنا سابقاً أن مشكلة أبي بكر وعمر مشكلة خطيرة، هم وراء ما وصلت إليه الأمة، وهم وراء العمى عن الحل، أليست طامة؟ طامة هذه.

وراء العمى عن الحل، الحل هنا لكن من يتولي أبا بكر وعمر لا يرى حلاً، لا يعرف سبب المشكلة، ولا يعرف حل المشكلة.

لهذا قلنا بالنسبة للشيعة هم عليهم هم من يتبنون العمل بعيداً عن أولئك؛ لأنهم هم من يمكن أن يكونوا هم حزب الله، نحن ليس لدينا عوائق من هذا النوع، نحن لا نحمل أبا بكر على جنب وعمر على جنب، فندخل إلى آيات القرآن نركلها آية كذا وآية كذا، ورسول الله كلمة منه تأتي في علي نركُلها كذا وكلمة كذا، ونحن محافظين على أبي بكر وعمر، نحن لا نتولاهم، فنحن أقرب إلى أن نتولى علي، بل يجب علينا في هذا العصر بالذات أن نرسخ جداً جداً ولاءنا لله تعالى ولرسوله وللإمام علي (عليه السلام) حتى نحصن أنفسنا، وحتى نكون جديرين بأن نكون حزب الله وسنكون حزب الله فعلاً. إلا إذا كنا لا نثق بالله إذاً نصحح ولاءنا معنى ولاءنا نكون مع الله، منشدين مع الله، نثق بالله، نسير على هديه، نصدق ما وعد به، ونثق بما وعد به. ليكون هم الشيعة الجديرون بأن يكونوا هم الغالبون.

فإذا كان الشيعة الإمامية كما نراهم الآن، أليسوا هم متميزون من بين العرب جميعاً بموقفهم العالي من بين العرب؟ أليسوا هم رافعين رؤوسهم من بين العرب في إيران وفي جنوب لبنان؟ من لديهم ولاية الإمام علي، وسنكون نحن الزيدية جديرون بأن نكون أعظم قوة منهم لأن ولاءنا للإمام علي ولأهل البيت ـ فيما نعتقد ـ هو أكثر إيجابية من ولائهم هم لهم فتلك فقط شذرة من شذارت ولاية الإمام علي أعطتهم هذا المقام العالي، وعندما ألقوا بأبي بكر وعمر من فوق جنوبهم [واحد كذا وواحد كذا] وتولوا علياً أصبحوا في هذا المقام.

السُّنّي الوهابي يُجَنُّ من حديث مثل هذا، يُجَنُّ، وهو مستعد أن تتحطم الأمة كلها ولا يتخلى عن أبي بكر وعمر. إذاً إذاً فأنت تشهد على أنك تعيش المشكلة وتعمى عن حل المشكلة، وأنك تحب المشكلة نفسها: أن تتحطم هذه الأمة ولا تتخلى عنهم.

إذا كنت تعتقد أنما يقال ما يصدر من مثل هذا القول قول غير حقيقي فارجع أنت إلى القرآن الكريم وارجع إلى واقعك أنت، انظر ما الذي ينقصك، إن كان {وَالَّذِينَ آمَنُوا} هم أبو بكر وعمر أو الصحابة كما تقول فأنت تتولاهم وتهتف بولائهم أكثر مما نتولى علياً وأنت لا ينقصك عدد ولا ينقصك عدّة، ومن يحكمك هم من توجب

طاعتهم، هم من ينسجم حكمهم مع القرآن ـ من وجهة نظرك ـ إذاً فلماذا لا تكونون حزب الله؟ فعلاً لأنهم غير جديرين بأن يكونوا حزب الله، هناك خلل واضح هم لا يكادون يعترفون به إطلاقاً.

فمن الحماقة نحن أن نرتبط بهم، أو نفكر بأن بالإمكان أن نتوحد معهم إذا توحدنا معهم فهم يريدون أن نتوحد معهم تحت رايتهم، هم لن يقبلوا أي واحدٍ من أهل البيت أو من شيعة أهل البيت، من أولياء علي ليلتفوا حوله؛ لأنه عندما يصعد سيواجه بأنه رافضي خبيث، كما عملوا بالخميني نفسه، وكما عملوا بحسن نصر الله، وكما عملوا بحزب الله بكله، لا يتكلمون عن حزب الله بكلمة ولم يتكلموا عن عباس الموسوي ولا عن حسن نصر الله ولا عن أولئك الذين قادوا ذلك الحزب الذي هو حزب الله، لم يتكلموا عنهم بكلمة؛ لأنهم [روافض خباث!]، فأن نتجه نحن نحوهم نتوحد تحت رايتهم نحن سندخل في المشكلة وسنعمى كما عميوا.

إذاً فالشيعة وخاصة الزيدية هم فعلاً من يكونون جديرون بأن يكونوا هم حزب الله الغالبون إن وثقوا بالله وعززوا ولاءهم لله ولرسوله وللإمام علي.

اللهم وفقنا، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم الغالبون، واجعلنا من جندك فإن جندك هم المفلحون وهم المنصورون.

وصدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة المائدة (٢ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

الدرس الثاني

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٤/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أي شيء مهما كان مهماً، مهما كان عظيماً لا بد أن يسمع الإنسان حوله كلاماً معاكساً، كلاماً مثبطاً، كلاماً مشوهاً، والقرآن الكريم عرض علينا نماذج مما حصل، القرآن الكريم هو كتاب من عند الله سبحانه وتعالى وهو أعظم كتبه التي أنزلها إلى عباده، ماذا قال الآخرون في مقابلة القرآن؟ ماذا قالوا؟ {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} (المدثر: ٢٤) **{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (الفرقان: ٥-٦) **جاء الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى نعمة للبشر، هدى للعالمين، كل أمة كان يأتي من بينها نبيها، وقد يكون الكثير يقول للنبي الذي هو أكمل الناس عقلاً وأزكاهم نفساً: مجنون، شاعر، مفتري، كذاب، ساحر.**

هذه أيضاً عرضها القرآن الكريم؛ لأنه لم يحدث أن أرسل رسولٌ إلى أمة إلا وجاء من بينها من يقول: مجنون أو ساحر {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} (المؤمنون: من الآية ٢٤) **أن يتكبر عليكم.**

العبرة في هذا هو أن تفهم أنه من الطبيعي أن يقال أمام كل شيء مهما كان عظيماً أن تسمع كلاماً يعمل على الحط من مكانته وتشويهه وإبعاد الناس عنه، ماذا قالوا لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو سيد البشر، سيد الأنبياء والمرسلين الكامل في نفسه، الزاكي في نفسه الحريص على هداية البشر، الناصح العظيم لهم قالوا عنه: [مجنون، مفتري، ساحر، شاعر، كذاب، مفتري على الله] يسخرون منه أحياناً {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً. إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} (الفرقان: ٤١-٤٢) **لقد كاد أن يغوينا لولا أننا كنا رجالاً وتمسكنا بآلهتنا.**

هذا الموضوع طرحناه سابقاً وقلنا أنه من العجيب أن نكون نحن المسلمين من لدينا كتاب الله سبحانه وتعالى هذا الدين العظيم دين الإسلام ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم لا يحصل لدينا حمية لهذا القرآن ولذلك النبي العظيم ولهذا الدين العظيم مثل ما كان يحصل عند بعض عبّاد الأصنام، ذكرنا لكم قصة قوم إبراهيم عندما كان يسرح كل واحد منهم يقطع حطباً حتى جمعوا جبلاً من الحطب... اهتمام، {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (الأنبياء: ٦٨) **ليس الوقت وقت نوم الأصنام في خطر، وهم منذ لحظات رأوا أصنامهم محطمة.**

كذلك هؤلاء في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} (الفرقان: ٤١-٤٢) **لو لم نقف وقفة رجال عندها لكسرها {وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ}** (ص: من الآية ٦) **امشوا، تحركوا، واصبروا على الآلهة، جاهدوا في سبيلها، كافحوا في سبيلها، لا تتركوها تتعرض لأي كلام يصرف الناس عن عبادتها، وهي أنها أحجار مركزة أو أخشاب مركزة مالها قيمة، فكيف بالمسلمين وإلههم رب العالمين الذي سيقف معهم إذا وقفوا، سينصرهم إذا نصروه، سيضربهم إذا توانوا.**

نرجع إلى أصل الموضوع، وهو أنه هكذا تسمع في كل زمان أمام كل عمل مهما كانت الأمة في أمس الحاجة إليه في أي مرحلة من مراحل تاريخها، ومن أي جهة يكون مهما كانت عظيمة لا بد أن يأتي من هنا وهناك من يتكلم، من يثبط، من يشوه، من يحارب، هذا شيء ذكره القرآن الكريم ولم تكن آية أو آيتين بل في آيات كثيرة، لأن معرفة هذا نفسه يمثل جانباً مهماً من وعي القضية وفهمها، أن تعرف أنك قد تسمع كلاماً على هذا النحو ومن جهات أخرى، فليكن لديك، ولتكن على مستوى تجعل ذلك الكلام لا أثر له عندك.

الكلام لا يخلو عن: إما أن يكون تخويفاً، أو يُقدم بأسلوب نصح من جانب الذين يواجهون أي عمل مهما كان عظيماً، فليكن لديك قاعدة ثابتة عندما يخوفونك هي أن الله هو الذي يجب أن تخافه، الذي يجب أن تخشاه لأنه هو القادر على أن يضر بك ولا يحول أحد دون إرادته فيك، هو الذي يمتلك جهنم، هو الذي بيده جهنم ـ الذي يخوفك بأي شيء آخر ـ هل هناك ما يمكن أن يرقى إلى درجة البقاء يوماً واحداً في جهنم؟ ليس هناك أي شيء يساوي غمسة واحدة في نار جهنم. إذاً تخوفني بماذا؟ يجب أن أخاف مَن لا أستطيع أنا ولا غيري يستطيع أن يصرف عني عذابه وسخطه ومقته.

كان جواب نبي الله إبراهيم عندما كانوا يخوفونه بأنه ستضره الأصنام، سيحصل عليه كذا: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}؟ (الأنعام: من الآية ٨١)**. تخوفوني بماذا؟. أنتم الذين يجب أن تخافوا وأنتم تشركون بالله، أنتم من تتعرضون للخطورة العظيمة لنار جهنم ولسخط الله.**

لاحظوا نبي الله إبراهيم كيف كان إنساناً واعياً على درجة عالية من الوعي، انطلق من مقاييس المقارنة، من قواعد ثابتة لديه، يخوفونه بهذا ويخوفونه بهذا، وكل تخويف يبدو تخويفاً بشيء لا يشكل خطورة مع المقارنة بما يجب أن نخافه من قِبَل الله سبحانه وتعالى {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}؟ أنت تريد أن تخوفني من أجل أن تدفع بي إلى جانب الأمن، أليس كذلك؟. وأنا أخوفك بالله أريد أن أدفعك إلى جانب الأمن {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}؟ أي الفريقين يصح أن يقال: هو الآمن؟ من يكون في واقعه آمناً من عذاب الله وسخطه أو من يحاول أن يأمن من عذاب الناس وسخطهم، ويوقع نفسه في عذاب الله وسخطه، هل هو آمِنٌ؟ لم يأمن، أمن من شيء في الواقع لا يقارن بينه وبين ما يمكن أن يحصل من قبل الله؛ ولهذا جاءت الآية بالسخرية من التخويف بشيء من دون الله {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر: من الآية ٣٦) **يخوفنك بأنه سيحصل عليك كذا وكذا، تهديد من قبلهم أو سيحصل عليك من الأصنام ما يضرك، لا، أي تخويف بشيء من دون الله لا يشكل خطورة.**

فالآمن هو من يأمن من عذاب الله وسخطه، وكل شر وكل عذاب، وكل أمر مخوف هو دون جهنم لا قيمة له، بل هو بالنسبة للواعين الفاهمين للخطورة العظيمة التي يجب أن يأمنوا منها، أنه إذا لم يحقق له الأمن من عذاب الله إلا أن يخوض هذه الغمار التي تبدو مخيفة للكثير، يخوضها بارتياح؛ لأنها لا تشكل شيئاً بالنسبة لما يخاف منه، وسيكون خوضها مما يحقق له الأمن يوم القيامة، الأمن من نار جهنم، الأمن من أهوال القيامة، الأمن من شدة الحساب؛ ولهذا قال الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليخاطب الناس {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام: ١٥) **هذا الذي يخيفني، فلا بد أن أنطلق في طاعته، وفيما يحقق لي الأمن من ذلك الشيء المخيف من نار جهنم، مهما كان الأمر، لا يقعد بي أي أمر مخيف من أمور الدنيا، أي شيء مخيف على أيدي الآخرين، أو ألسنة الآخرين {أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.**

هذا فيما يتعلق بجانب التخويف أن يكون لديك قاعدة ثابتة من ينطلق ليخوفك كيفما كان هدفه من تخويفك، فارجع إلى القرآن الكريم تعرف ما هو الأمر الذي يجب أن تخافه فعلاً وبيد من هو؟ هذه واحدة، تتأمل في القرآن الكريم عندما يتلو الإنسان القرآن الكريم تجد ما كان يحصل من تخويف للأنبياء للمصلحين، وكيف كانوا يواجهون من يخوفونهم بأنهم يخوفونهم بلا شيء بما ليس مخيفاً مقارنة بما يجب أن نخافه مما هو بيد الله، الله القاهر فوق عباده، الذي لا يستطيع أحد أن يحول بينك وبين أن يوقعك في هذا الأمر المخوف، نار جهنم.

أليس الإنسان يولد رغماً عنه؟ ثم يموت رغماً عنه؟. وستبعث رغماً عنك، وتساق إلى المحشر رغماً عنك، وتساق إلى جهنم إذا كنت من أهلها رغماً عنك، من الذي يستطيع أن يسحبك من أيدي الملائكة وهم يسوقونك إلى جهنم؟ لا أحد؛ لأن من كان يملك أعظم قوة في هذه الدنيا سيأتي يوم القيامة وهو في حالة رهيبة {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} (البقرة: ١٦٦) **كل واحد يكون مشغولاً بنفسه، من كان هنا يمثل في الدنيا قوة جبارة من المجرمين سيأتي يوم القيامة وهو أكثر الناس خوفاً ورعباً وانشغالاً بنفسه.**

فالقرآن الكريم يثقفنا ويعلمنا كيف يجب أن نواجه من يخوفنا بما دون الله، هذه واحدة؛ لأنه في هذا الجانب الله هو الجبار، الله هو الذي بطشه شديد {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج: ١٢)**.**

ثم لنعد إلى الجانب الأخر الذي قد نفسر به كلام من يتكلم معنا ليثبطنا عن أي أمر من الأمور التي هي طاعة لله سبحانه وتعالى، وأداء لمسؤوليتنا أمامه في مقام نصر دينه أن يكون يتحدث معك من جانب أنه ينصح، وأنه

شفيق عليك، وأنه رحيم بك، فتأتي شفقته ونصحه ورحمته بك متركزة على أن لا تتحرك في أمر من هذه الأمور.

نعود إلى القرآن الكريم لنحصل من خلاله على ما يجعلنا واعين أمام هذا الطرح، القرآن يعلمنا بأن الله الذي يأمرنا ويرشدنا لمختلف الأعمال الصالحة مهما بدت أمامنا ثقيلة على أنفسنا أنه فيها ومن خلالها تتجسد رحمته بنا، أليس هو الرحمن الرحيم؟ هو الرحيم بعباده، هو الناصح لعباده، هو اللطيف بعباده، هو الخبير بما يصلح عباده، إذاً أثق، أثق فعلاً لأقول لأي شخص ـ سواء قلت له مشافهة أو أقول له بلسان الحال ـ : إن الله هو أرحم بي منك، الله هو أنصح لي منك حتى وإن كنت رحيماً وإن كنت ناصحاً فقد توقعني في الهلكة من حيث لا تشعر، أما الله سبحانه وتعالى فهو رحيم بعباده رحيم بنا، وهو الذي يعلم ما هو فعلاً رحمة بنا ويحقق لنا الأمن.

هناك في القرآن الكريم ـ إذا كنت تتدبر آياته وتعي وتفهم، وتريد أن يكون لك موقف في هذه الحياة ـ ستجد من خلاله ما يحول بينك وبين أن تتأثر بأي كلام يقال للتثبيط أو للصرف عن قضية يصورها لك بأنها تبدو غير ذات أهمية. مثلاً ولاية الإمام علي عليه السلام قد يأتي من يقول: [ما أهمية قضية ولاية الإمام علي بن أبي طالب في إعطاء عمل معين إيجابية كبرى؟ أو في حل مشاكل المسلمين في هذا العصر الذي بينه وبين علي ألف وأربع مائة سنة؟ علي الله يرحمه قد قتل ذاك اليوم، ونحن نتولاه، لكن لا نشغل أنفسنا بأولئك أو نفرق الآخرين عنا من أجل علي أو.. أو..] كان يأتي كلام مثل هذا، بل أمام أهل البيت متى تحدث الإنسان عن أهل البيت يقول: [ليس وقت الحديث عن أهل البيت نحن مشغولون بالناس] أليس هكذا يحصل؟. يتكلم معك عن قضية هي مهمة ليصرفك عنها وقد يكون بحسن نية، لكنه كلام ينبئ عن جهل بأهمية الأمور وعلاقة بعضها ببعض: [ما هو وقت الحديث عن هذا الموضوع، سننفر هذا، وذا يزعل منا، وذا يرح مننا، وستجلب علينا مشاكل، المفروض الآن نمشي في عملنا ما هو وقت ذا]. ما هي أعمالك؟ أعمالك لا تمشي إلا بهذا الشيء الذي تريد أن ترمي به بعيداً عنك.

علي عليه السلام كما تحدثنا بالأمس حول عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في خيبر وقلنا أكثر من مرة بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان في حركاته إنساناً واعياً على أرقى مستوى يعطي الهداية من كل حركة من حركاته. لمن؟. للأمة كلها، لم يكن فقط همه تلك المجاميع من البشر في عصره في سنوات معدودة محدودة من عمر هذه الأمة، كان ينظر إلى الأمة بكلها ليرسم لها طريق الهداية، ألم يكن الإمام علي عليه السلام) في أيام خيبر مصاب بالرمد لا يبصر موضع قدميه وهناك من أعينهم مفتحة، هناك من أعينهم سليمة ليقول للأمة أنها بحاجة إلى علي حتى وإن بدت ـ باعتبار وضعيته ـ غير محتاجة إليه فليس صحيحاً.

أرسل أبا بكر فعاد منهزماً ـ والقضية هي في مواجهة اليهود ـ أرسل عمر فعاد منهزماً كذلك، ثم أرسل إلى علي ونادى بعلي وهو أرمد، كيف يكون الرمد نفسه يعطينا هداية، الرمد وهو مرض يتعرض له الإنسان، أن يُصاب الإمام علي بالرمد في تلك الأيام لها دلالتها المهمة في واقع الحياة بالنسبة للأمة، أولئك الذين أعينهم سليمة كثيرون لكنه لا بد من علي.

ومن يقول: [نحن الآن مشغولين بمواجهة إسرائيل وأمريكا لسنا مشغولين بعلي، علي سلام الله عليه قد قُتل ذالك اليوم ونحن نحبه، ومع السلامة، نحن مشغولون بعمل، ونحن مشغولون بالإسلام ومشغولين بمواجهة أمريكا وإسرائيل]. هذه هي جهالة، أن يكون علي قد مات بالنسبة لنا كما كان أرمد في خيبر بالنسبة لأولئك، ستحتاج الأمة إلى أن تتولى علياً وإن كان علي قد تحول إلى تراب في قبره، ستحتاج إلى أن تتولاه لتهتدي؛ لتسلم قلوبها، لتسلم في حياتها، تحتاج إلى أن تتولاه؛ لأن توليه شرط في تأهيل نفسها لتكون من (حزب الله) ما لم فلن يتحقق شيء، والله متى ما رسم شيئاً وحدده فلا يمكن أن يكون هناك شيء بديلاً عنه مهما بدا لك أنه يمكن أن يكون بديلاً عنه، فلا يمكن.

{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) **الذين آمنوا هنا هو الإمام علي عليه السلام، بدون ولاية الإمام علي عليه السلام لن تتحقق هداية، ولن يتحقق للأمة ولأي جماعة وضعية تكون عليها جديرة بأن تسمى بـ(حزب الله) فتحظى بتأييد الله فتصبح هي حزبه الغالب.**

كلمة {الْغَالِبُونَ} هي جاءت في واجهة الحديث عن مواجهة اليهود والنصارى وهم أعداء الأمة على امتداد التاريخ، لماذا؟ بالنسبة لله سبحانه وتعالى كلنا متفقون على الله، أليس كذلك؟ حتى المشركين كانوا يعترفون بالله، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: ٨٧). بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن جميعاً متفقون عليه أنه هو محمد بن عبد الله هو رسول الله الذي أنزل الله الكتاب الكريم إليه وهو نبينا، أليس المسلمون متفقون على هذا؟ لكن لله سبحانه وتعالى منهج هداية ينزل بواسطة كتابه ورسوله، ليست المسألة مسألة أسماء، ولو أن المسألة مسألة أسماء فقط مجرد اعتقادات ليس وراءها شيء لكنا نحن والمشركين متفقين في [الله]أليس كذلك؟ [الله] نحن متفقون بأنه إله، لكن لا يكفي هذا؛ لأن الله هو ملكنا يأتي من قِبَله منهج محدد لهدايتنا.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن متفقون عليه لكن ليست المسألة مسألة اتفاق على اسم أو على إعطاء مكانة لشخص هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، المسألة مسألة هداية له منهج وهداية ممتدة من عند الله سبحانه وتعالى مرتبط بنا، يتجه نحونا، إذاً فمِن تحت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ستتشعب الطرق، أليس كذلك؟ ويتركز الكثير أمامك رجالاً ونساءً، هناك تحصل إشكالية، ألم تظهر قنوات كثيرة، وكلٌ يدعي أنه بواسطته يوصلك إلى محمد ثم إلى الله تعالى، بواسطته يرشدك إلى هدي الله ورسوله.

تأتي الإشكالية من هنا؛ ولهذا جاءت الآيات الكريمة نفسها تتحدث عن هذا، لم تأت فقط لتقول {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ثم تنتهي القضية ويقول: {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: من الآية ٥٦) فعلاً من يتولّ الله سيكون هو الغالب لكن عن طريق من أتولّ الله؟ عن طريق من تكون ولايتي لله هي ولاية حقيقية تسير على هديه؟.

لأن المسألة ليست فقط مسألة أسماء. ممكن أن يهتدي الواحد حتى من حركة الناس، يعرف. عندما تذهب إلى الأسواق سترى في السوق نفسه ما يمكن أن يفيدك في قضايا عمرها ألف وأربع مائة سنة، لكن هل المسألة هي تعود إلى قضية التّنميق وإزالة التراب والتزيين وأن تكون بضاعتك في مكان مرتفع وبارز؟.

في مقام الدين، أعلام الدين هي قضية تأتي من قِبَل الله سبحانه وتعالى، أنه هو يبدأ يصطفي من داخل ملائكته رسلاً {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً} (الحج: من الآية ٧٥) ليقوم بالمهمة إلى من؟ إلى البشر، يصطفي من البشر رسلاً {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية ٧٥) إذاً فهو هو الذي يحدد لنا من هم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم؛ لأن القضية دقيقة جداً، ومحكومة جداً، ومضبوطة جداً وهدي واحد، تميل كذا أو كذا تقع في ضلال، وليست القضية متروكة لك مثلما عندما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُرَوِّج وهذا يُرَوِّج، وهذا يتلطف لك، وذلك نقص لك ريالين فتتجه إليه، أو نَمَّق بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه.

المسألة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله، من قِبَل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعلام الذين يتمسكون بهديهم، وسيظلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم، وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين؛ لأنه أليس هدي الله هو للحياة كلها؟.

ذلك العَلَم الذي وضعه الله لك هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنت بحاجة إليه وإن كان بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، العَلَم الذي وضعه للأمة من بعده.. وهي بداية نقطة الإفتراق، بداية مفترق الطرق، الموقع المهم هناك؛ لأنه متى ما بدأت من نقطة الإفتراق ومفترق الطرق تميل كذا فستبقى فلتَتْك إلى آخر الحياة وآخر عمر الدنيا، من هناك، هناك مفترق الطرق، هناك علي، وعلي يمثل طريقاً يمثل هدياً، الميل عنه يميناً أو شمالاً يشكل خطورة بالغة، هي نفسها التي تراها ماثلة آثارها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر.

فعندما تقول: [ما شأننا {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} ونحن الآن مشغولون بعصر جديد، الآخرين طلعوا إلى القمر ونحن مشغولون بعلي وأبي بكر، نحن أمام خطورة بالغة، وأنت مشغول بأهل البيت وبعلي وفلان وفلان والآخر مشغول بأبي بكر وفلان وفلان]. تقول: لا، نحن مسلمون وأعداؤنا يواجهوننا كمسلمين وينطلقون في حربهم لنا من منطلق

عداوتهم لنا لأن يضربوا إسلامنا قبل أن يضربونا شخصياً، فمتى ما ضُرب إسلامنا واستطاعوا أن يحرفونا يميناً وشمالاً عنه ويبعدونا عنه سهل عليهم ليس فقط أن يضربونا، بل أن يستعبدونا ويستذلونا.

فإذا كان هذا الدين، كان هذا الكتاب، كان ذلك الرسول هو للأمة كلها إلى آخر أيامها فما يزال هو وحده الهادي لها في كل مواقفها. القرآن الكريم يربط الأمة في كل مرحلة من مراحل حياتها أنها لا بد أن تتولّى ـ علياً (عليه السلام) ـ الله ورسوله ـ أليست هذه قضايا معروفة، مُسلّم بها؟ ـ وطرف ثالث من هو؟. الذين آمنوا.

ونحن قلنا بالأمس أن كلمة {الَّذِينَ آمَنُوا} لو أنها عامة كما يقولون لكانت القضية عائمة، والله لا يُعمّي علينا، الله سبحانه وتعالى رحيم بنا، يهدينا إلى صراط مستقيم إلى طرق واضحة جداً، كيف يُعَمّي علينا ويتركنا نختلف على ماذا يريد منا، يبين {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية ١٠٣) لا يعمي علينا وهو يتحدث عن خطورة بالغة علينا، ألم يتحدث عن خطورة بالغة؟ قد ترتدوا قد تتحولوا إلى يهود ونصارى، قد ترتدوا بعد إيمانكم كافرين، فهو من يعلم السر في السماوات والأرض وهو الرحيم بنا لا يمكن أن يحدثنا عن قضية بالغة الخطورة جدا علينا ثم يعمي علينا ولا يبالي. لا. هذا ليس عمل الحكيم، ليس عمل الرحيم الحكيم العليم، هو يعمل على أن يبين آياته للناس لعلهم يهتدون، أليس هو الذي قال لنا {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} نقول إذاً بيّنْ لنا هنا، وبَيّن لنا هنا فعلاً {الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية ٥٥).

قد يقول البعض: لماذا لم يقل [علي] حتى تكون واضحة كالشمس؟.

قلنا هذا أسلوب القرآن الكريم متى ما تناول قضية ليس لها فقط اتجاه واحد في مقام الهداية، تهدي من هنا ومن هنا ومن هنا ومن هنا، كل آية وأنت تراها وكأنها تحدثت لك عن إشكالية معينة، كم تلمس في داخلها هداية لجوانب أخرى.

القرآن الكريم يتجه ـ بالنسبة لله سبحانه وتعالى، بالنسبة لرسوله، بالنسبة لأوليائه ـ يتوجه إلى ترسيخ مبدأ الكمال، الله سبحانه وتعالى بدءاً منه ملأ كتابه الكريم بالحديث الذي يرسخ في أذهاننا كماله هو، هل قدم لنا اسمه في القرآن الكريم بأنه [الله] فقط؟ [الله] الذي هو الإسم للذات المقدسة له سبحانه وتعالى، قدم لنا نفسه كاملاً ويرسخ في أذهاننا كماله.

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر: ٢٢ـ٢٤) ما مسار هذه الآيات؟ أليست كلها إبراز كمال الله سبحانه وتعالى، وإظهار كماله وعظمته؟ لأنها نقطة مهمة، وقضية مهمة لها أثرها العظيم في مقام الهداية، فيما تخلقه في النفوس، ولها أثرها العظيم في مقام الهداية فيما تخلقه من وعي وفهم ومقاييس ثابتة.

إن تقديم القرآن لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يرسخ كماله هو كان الوسيلة المهمة في القضاء على الشرك، ونسفه من أوساط العرب الذين كانت الأصنام تكاد تكون في كل قرية، وفي كل بيت من بيوتهم، ترسيخ مبدأ كمال الله، حتى أصبح العربي ينظر إلى ذلك الصنم الذي كان يمسحه آباؤه وأجداده ويقبّلونه ويسجدون أمامه وينذرون له بالنذور ويبخرونه بأغلى البخور أصبح محط سخرية وازدراء واحتقار قد يدوسه بقدمه أو يبول عليه.

من أين جاء هذا؟. ألم يكن العرب هم يعرفون الله من قبل؟ الله، الله يعرفونه، لكن لم يكن يدور في بالهم ربما أن الألوهية لا تكون إلا لمن هو كامل، أن الأكمل هو الجدير بأن يُعبد، أنه هو المستحق لأن يكون هو الإله. ألم يتحدث القرآن بالنسبة للأصنام ليحطها أمامهم باعتبارها ناقصة {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} (الأعراف: من الآية ١٩٥) وهكذا {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: ٦٦ـ٦٧).

على ذلك النحو حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى، على هذا النحو الذي ورد في هذه الآيات: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} إلى آخر [سورة الحشر]، ترسيخ مبدأ الكمال في أذهاننا في قلوبنا كان هو الكفيل بنسف الشرك.

بالنسبة للأنبياء أنفسهم، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وربما كانت هذه الأمة بالذات أحوج الأمم إلى ترسيخ مبدأ الكمال في ذهنيتها ونفوسها أكثر من أي أمة مضت؛ إذاً سيبدو هذا المبدأ مهم جداً جداً هو كفيل بأن يخلق لديها وعياً واستقامة وثباتاً على امتداد تاريخها إلى يوم القيامة مهما طال الزمن.

تلاحظ، ألم يُعرض الأنبياء بأسمائهم في القرآن الكريم؟ [موسى، إبراهيم، نوح، عيسى] وهكذا إلا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) فيُقدم في القرآن الكريم [رسوله، رسول الله، رسول، رسولنا]، أليست كلمة: [رسول] في حد ذاتها هي صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ كم جاءت كلمة: [محمد] في القرآن؟. في ثلاثة موارد {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} (الأحزاب: من الآية ٤٠) **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}** (آل عمران: من الآية ١٤٤) **في ثلاثة موارد ولأن المقام يتطلب أن يذكر باسمه فيها ليس فقط على طريق أنه كان بالإمكان أن يقول [محمد] أو أن يقول: [رسول] بل لأن المقام نفسه يتطلب في واقع الهداية أن يذكر باسمه فيها، ويأتي القرآن الكريم في الآيات الأخرى يقدم محمداً ليس باسمه، لم يقدم محمداً باسمه في المقامات المهمة مثل {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} يأتي القرآن الكريم ينادي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): {يَا أَيُّهَا الرَّسُول} {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}.**

وكلمة [نبي] وكلمة [رسول] أليست تُقدم باعتبارها صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أليست تنبئ عن كمال عظيم هو له أنه رسول لله؟ لأن الله هناك قد ذكر لنا هناك ما يبين لنا أن كون فلان رسول الله هو مقام عالي وعظيم جداً، {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام: من الآية ١٢٤) **حتى لا نفهم بأنه فقط يخاطبه بمجرد كونه موظف وباسم وظيفة معينة مثل [يا مدير، يا فندم] وأشياء من هذه، وإنما خاطبه بشيء هو كمال له، هو من كماله، فيقول: رسولاً، أن يكون فلان رسولاً له هو مقام عالي جداً، جداً، مرتبة عظيمة جداً {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ}** (الحج: من الآية ٧٥) **اصطفاء، واصطفاء الله الذي يعلم بالكمال، وبمحيط دائرة الكمال بكلها سيكون اصطفاؤه على نحوٍ عالٍ جداً.**

أن يكون رسولاً لـه أن يكون نبياً له أليس هـذا يدل على كماله؟ عندما تأتي إلـى القرآن الكريم كـم يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} حتى وهو يخاطب محمداً نفسه {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} لا يقول [يا محمد، يا محمد] على أساس أننا قد عرفنا أن محمداً هو رسول، بل يجب في خطابنا نحن أن لا نكثر من كلمة [محمد] إلا ونرفقها بكلمة [رسول الله] (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا في مقامات تستدعي ذلك، نستخدم كلمة (الرسول) كلمة [النبي] لندور في الإطار الذي يركز القرآن عليه ويجعله مهماً جداً.

وكلمة [يا أيها الرسول، رسولي، رسولنا، الرسول] {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} هل فقط مجرد عبارة يرددها أم أنه يريد من ورائها أن يترسخ في ذهنيتنا كمال هذا الشخص باعتباره رسول ونبي؟ غاب اسمه تحت تكرير كلمة [رسول ونبي]، استعرض في القرآن الكريم كم عُرضت هذه الكلمة العظيمة[رسول، رسول] وكلمة [نبي] تأتي كلمة محمد ـ تقريباً ـ في ثلاث أو أربع أماكن فقط.

وقد تجد في نفس السورة خطاب للنبي بأنه نبي ورسول أكثر بكثير من تلك الكلمة التي وردت بذكر اسمه فقط التي هي في [سورة الأحزاب]، وفي [سورة الفتح]، وفي [سورة محمد]، في داخل السورة نفسها يخاطبه كثيراً كثيراً باسم [نبي ورسول]، متى ما جاءت كلمة [محمد] في مقام معين لأن المقام يستدعيها فهي واحدة في مقابل عدد كبير من إطلاق كلمة رسول ونبي.

طيب، كلمة رسول وكلمة نبي، أليست تقدم محمداً بغير اسمه؟ ولأن كلمة رسول وكلمة نبي يعني ترسيخاً له في ذهنيتنا بكماله، حتى نفهم أن ارتباطنا به هو باعتباره رجلاً اصطفاه الله وأكمله واختاره فجعله رسولاً له.

في الجانب العاطفي نفسه أن أكرر هكذا: محمد، محمد.. هل تستطيع أن تخلق في نفسك ما يشدك نحوه أو عندما أتحدثت عنه بصفات كماله: رسول الله، هو رسول من عند الله، هو كذا، هو كذا هو كذا؟ ألست سأغيب اسمه وأنا أتحدث عن كماله؟ هو نبي الله، لكن عندما أقول لك: محمد، ومحمد، هو محمد، ومحمد هو.. محمد هل هذا سيعطيك شيئاً في ترسيخ عظمته في نفسك، وفي ترسيخ مبدأ الكمال، هذا المبدأ المهم؟.

حتى عندما يذكر الله سبحانه وتعالى بأنه منّ على المؤمنين بهذا النبي العظيم الذي نعلم أنه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أليس يقدمه بأنه رسول؟ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} (التوبة: من الآية ١٢٨) {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية ١٦٤)، وعندما يتحدث معه فيتحدث عن صفات أخرى، تأتي كلمة رسول في مقدمة الصفات المهمة له التي تدفعنا إلى أن نعتبره عظيماً وننشد إليه {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} رسول، وكلمة رسول هنا في إطلاقها على هذا النحو من [الإفراد والتنكير] يفيد التعظيم {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) أين اسم [محمد] هنا؟. لو نقرأها من جديد: (لقد جاءكم محمد من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)، لاحظ أليست ستهبط كثيراً في التعبير عن عظمة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

إن (محمد) هو الاسم الذي سمته به أمه، أو سماه جده عبد المطلب، هو اسمه كاسم أي واحد منا يكون له اسم يختص به، اسم عَلَم، لكن ارجع إلى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أليست كلمة رسول تعطي شعوراً بكماله؟ إذاً أريد أن أرتبط بمبدأ كمال فأنظر إلى هذا من خلال كماله، أعظمه لكماله، أجلّه لكماله، أحبه فيترسخ في ذهنيتي رجلاً كاملاً، كاملاً، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يترسخ في ذهنيتي أنه رسول الله، أنه نبي الله، أنه هادي للأمة {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الفتح: ٨) وهكذا.

لاحظوا كيف عندما جاء من يتعامل مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كمحمد، ومع كلمة: [رسول] أنه رسول من طرف القرية يأخذ مكتوباً ويسيره للآخرين ومع السلامة ثم مات.

الوهابيون عندما انطلقوا هذا المنطلق فعملوا على أن لا تُخلق لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عظمة في النفوس كيف تَجَنَّوْا عليه، وكيف أصبحوا هم في أنفسهم أجلافاً غلاظاً قساة، ترى [المطوع] فعلا أليس المطوع هو الذي هو عادة رجل الدين الذي يجب أن تبرز على ملامحه سيماء الدين والتقوى والخلق الحسن واللطف واللين والبشاشة؛ لأنه يجب أن يتحلى بأخلاق يقتبسها من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي قال الله عنه {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ٤)، تجدهم هناك جفاة غلاظ قساة! مَن منكم رأى مطوًع ينشد إليه قلبه ويرتاح له كل من راحوا يعملوا هناك أو حجوا؟ تراه ترى ظلمة، ترى جفوة، ترى قسوة، ترى غلظة، ترى جفاء. أحيانا أرى فعلاً مطوعاً وأرى شخصاً آخر بدون ذقن ويبدو لي هذا إنساناً دَمِثاً لطيفاً عليه سيماء هدوء ورزانة لين، ترى أنك قريباً له، تراه طبيعي بالنسبة لك، وذلك المطوع تراه مظلماً في شكله، في كلامه، في حركاته.

تراهم عند قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحاولون أن لا يظهر في أوساط الزائرين له (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يكشف عن تعظيمهم له، أصبح التعظيم في نظرهم شركاً، التعظيم الذي هو الغاية التي تراد من خلال ترسيخ مبدأ كمال هذا الرجل (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نجلّه أن نحترمه، أن نعظمه، أن نقدره، أن نذوب في ولاءنا له، يركلون الناس بأقدامهم، متى وقف شخص يريد أن يمسح ويقبل حجراً متصلة بتربة لها علاقة على بعد أمتار بجسد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليس هذا يعني أنه يحبه منشد إليه؟. هؤلاء بجفوتهم بغلظتهم بوحشيتهم عند قبره يركلون الناس بأقدامهم؛ لأنهم تربوا على ماذا؟ على مسح الشعور بأنه عظيم.

من هذا نعرف بدءاً من الله سبحانه وتعالى كيف قدم نفسه لنا، وارجعوا أنتم إلى الآيات التي تذكر صفات الله وملكه وكل الأسماء التي تدل على كماله المطلق سبحانه وتعالى، ثم كيف بالنسبة لرسوله (صلوات الله عليه

وعلى آله)، تجد أن المسألة هي مسألة ترسيخ كمال، لما لترسيخ هذا المبدأ من أثر مهم في نفس كل إنسان وفي الأمة بكلها.

نأتي إلى علي (عليه السلام) ونأتي إلى هذه الآية نفسها هل قال: ومن يتول الله ومحمد وعلي؟. قال {وَرَسُولَهُ} ألم يقدم محمداً بصفته رسولاً، قدم علياً بنفس الأسلوب قدمه باسم الإيمان، ويتحدث عن صفتين مهمتين فيه هي تمثل العلاقة بالله سبحانه وتعالى في أسمى ما هي عليه، وتمثل العلاقة بالناس في الجانب الآخر، وهذا هو ما تلمسه كثيرا عندما ترى بعض صفات المتقين تُعرض في مقام ولا تذكر صفات أخرى، وفي مقام آخر تذكر تلك الصفات ولا تذكر صفات أخرى، وهكذا؟. لأنه يذكر ما له أهمية متعلقة بالموضوع في الأمر الذي سياق الآيات حوله، فهنا تبدو أهمية ـ وانسجاماً مع هذا المبدأ الإلهي المهم ـ ترسيخ مبدأ الكمال، مبدأ التكامل؛ فلم يذكر علياً باسمه كما لم يذكر محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) باسمه في نفس الآية.. يذكره بماذا؟ بصفته التي هي صفة كمال {والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} لاحظوا كيف كرر صفات كمال؛ ليقدمه إلينا عظيماً، لو أتى بكلمة (علي) مكررة لما أفادتنا أكثر من اسم [علي].

{والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية ٥٥) ولنأت إلى الصفة الأولى التي تمثل علاقة الإمام علي بالله وهي {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} الصلاة.. أليست خير الأعمال؟. الصلاة فيما تعطيه من آثارها المهمة في العلاقة بالله سبحانه وتعالى وفي ميدان العمل في الحياة بكلها، تعتبر فعلا خير الأعمال لأثرها الكبير، أثرها المهم فيما تحتويه من دلالات مهمة، فيما تعطيه من إشارات مهمة، فيما تترك من آثار مهمة.

ألسنا ننادي في الأذان بـــ[حي على الفلاح، حي على خير العمل] هل هناك عبادة أخرى ينادى لها بهذا النداء إلا الصلاة؟. حي على الفلاح، حي على خير العمل. والصلاة متى ما أُدِّيَتْ قَيِّمَةً ذات قيمة {يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ} ليست ركوعاً وسجوداً أجوفاً.. ركوع وسجوداً باتجاهٍ، بإقبالٍ، بخشوع، بفهم لمعاني الصلاة، لآثار الصلاة، لأهمية الصلاة التي نحن ننادي بأنها خير الأعمال، ووصفها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في حديث صحيح عنه ((خير أعمالكم الصلاة)) ألم يكن المصلون كثيرين؟ لكن ما أقل من يقيمون الصلاة.

كيف نعرف بأننا لا نقيم الصلاة؟ أننا نصلي والكثير يصلي ولو التفت التفاتة بسيطة إلى ما تعنيه تلك الأذكار في الصلاة وتلك السورة التي يجب قراءتها في الصلاة، وذلك القيام، وذلك الركوع، وذلك الاصطفاف صفاً واحداً، خلف إمام واحد، وفي مكان واحد، واتجاه واحد، لو حصلت التفاتة بسيطة منا ـ ونحن نصلي كل يوم خمس مرات ـ لتركت أثرها الكبير في نفوسنا، ولكانت مفتاحاً لكثير من أبواب الهداية أمام قلوبنا.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} الزكاة: تعني هنا الصدقة.. الزكاة في القرآن الكريم تُستعمل بمعنى الصدقة النافلة. وتستعمل الصدقة أيضاً بمعنى الزكاة التي أصبحت عَلَماً على النسبة المحددة من المال المفروضة المرتبطة بعين المال، وإلا فكلها تسمى زكاة باعتبار أن الصدقة من حيث هي زكاة للنفوس وزكاة للمال.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} أدى الزكاة أي تصدق بماله أثناء ركوعه.. وتقدمه بما هو أهم من أن يذكر باسمه في مقام ترسيخ النظرة إليه كإنسان كامل نرتبط به، وهذا هو ما افتقده السنية عندما لم يرتبطوا بعلي (عليه السلام) لماذا؟. لأنهم اعتبروا أن الآخر هو أكمل منه، ألم يقولوا بأن أبا بكر أفضل من علي؟. فهم ارتبطوا بمن؟ بأبي بكر بعد أن جعلوه الأفضل، لما لم ينظروا إلى علي (عليه السلام) ويلحظوا كماله ويؤمنوا بكماله لم يفدهم اسم [علي]، هل أفادهم اسم علي، لما فقدوا الارتباط بعلي باعتبار كماله فقدوا ما كان سيعطيهم الارتباط به ولم يعد اسمه ينفعهم، بل جعلوه رابعهم وقدموا عليه أبا بكر، قدموا عليه عمر، قدموا عليه عثمان؛ لأنه أصبح [علي، علي، علي] في نفوسهم هكذا.. أصبحوا ينظرون إليه علي ، علي، نزلوه أول مرة، ثاني مرة، ثالث مرة، ولولا أن الآخرين هم حالوا لربما جاء واحد ثاني ونزلوه لما البادي من الخلافة تجي له بأي طريقة.

أليس اسم علي معروف لدينا ولديهم؟ ما الفارق بيننا وبينهم؟. هو أننا نظرنا إلى علي كرجل كامل، هو أفضل الناس بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو أكمل الناس بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو من رباه القرآن ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وكان جديراً بتلقي تلك التربية المهمة، نحن ننظر إليه

كإنسان كامل أم أننا فقط الذي عرفنا اسم [علي] والآخرون لم يعرفوا اسم [علي]؟. هم يعرفون اسم [علي] أليسوا يقولون هكذا: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟. لكن ما الذي جعلنا نختلف عنهم وفرق بيننا وبينهم؟ هو أنهم لم ينظروا إلى علي كرجل كامل، كشخص كامل اختاره الله ليكون علماً للأمة بعد نبيه، فمن هنا يظهر لنا فعلاً أثر النظرة لهذا الشخص الذي ترتبط به باعتبار كماله، أما إذا لم تعتبره كاملاً فسيصبح لديك مجرد اسم على جسد، حبر على ورق، كما يقولون.

ما في هذا من كمال أيضاً؟ كنت أتصفح كتاب للسيد محمد حسين فضل الله فجاء لي فائدة مهمة في هذا الموضوع قال فيها: تنبئ هذه: أن يتصدّق علي بخاتمه وهو يصلي تدلنا نحن على جدارته العظيمة بأن يقود الأمة؛ لأنه هو من يهتم بها، من يؤلمه فقير واحد منها فلا ينصرف وهو في مقام التوجه نحو الله سبحانه وتعالى، ويقول: [احنا مصلين ما هو وقتك] فلا ينصرف بعيداً عن ذلك الفقير بل تهمه قضيته ويعالج مشكلته كفقير يسأل فيتصدق بخاتمه وهو يصلي، هذا هو من يهمه أمر الأمة، هذا من هو حريص على الأمة ورحيم بها حريص عليها وشفيق بها، هذا هو الجدير بأن يتزعم الأمة ويقودها.

ما أكثر من يقولون: [ما احنا في واديك، احنا في وادي عبادة، هذا أفضل، هذا أحسن!] علي (صلوات الله عليه) أليس ممن يقيم الصلاة وهو يصلي؟ لكن وهو يصلي يفهم أن الدين أعمال متكاملة وتوجه نحو الله سبحانه وتعالى له علاقته المهمة في نظرتي الحسنة واهتمامي بالآخرين، ومن أبرز من أهتم بهم ويهمني أمرهم: الضعفاء والمساكين وفقراء الأمة، فهو هنا لم يقل: [أنا في عبادة هي خير الأعمال، بعدين، رحلك]. يهمه أمره، ويقلقه وهو داخل الصلاة؛ لأنه لم يلحظ أن أحداً أعطاه شيئاً فيؤشر له بخاتمه وهو أثناء ركوعه فيأتي الفقير هذا ويأخذ الخاتم من يده.

لاحظوا كيف قدم لنا أعماق علي، ألم يقدم لنا أعماق نفسية الإمام علي عليه السلام بأنه الشخص الذي يهمه أمر كل شخص في هذه الأمة، فكان هذا من أبرز كماله أن يقدم لنا علياً باعتباره كاملاً، وهذا هو شيء مما يمشي عليه الناس، وسُنّة يسير عليها الناس حتى في أعمالهم الخاصة، أنت عندما تقول تريد معلم يعمل كذا أقولك فلان ما هو سيطلع في رأسك صفات كمال أو عدمها؟ عنده خبرة هو جدير بكذا أو لا؟. أليس هذا الذي سيحصل؟.

عندما يقال: جاء محافظ. هل سيهمني اسمه أم يهمني أن أتساءل عن كماله؟ عسى يكون رجال جيد، عسى إنشاء الله يكون رجال باهر يهتم بالناس ويعطينا كذا وكذا.. أليس هكذا يحصل؟.

مدير ناحية، نفس الشيء هل يهمك اسمه أو يهمك أن تعرف الكمال الذي هو عليه، ما لديه من مقومات تجعله أهلاً لأن يَلِيَ أمرنا ويدير منطقتنا، أليس هذا الذي يحصل؟ يأتي حاكم نفس الشيء. أنت في شريعة فيقال لك: فلان وكّله. ما الذي سيطلع في نفسك؟. هل أنه جدير بهذه المهمة ولديه خبرة ولديه معرفة و .. و .. الخ، أليس هذا الذي يحصل؟ عامل يشتغل بين مالك ما الذي سيحصل؟. يهمك اسمه أم يهمك أنه ناصح ويشتغل بجد، وبصير يشتغل؟. وإلاّ يهمك اسمه فقط؟. هذه سنة من سنن الحياة إذا فهمناها نحن نعملها، ونحن ننظر إلى الكمال في كل شخص حتى وأنت تبحث لك عن زوجة، هل يهمك اسم الزوجة التي تريد أن تتزوجها فتقول أريد أن يكون اسمها (مريم) لا يكون اسمها(علوة) يكون اسمها كذا.. لا.. يهمك أن تعرف صفاتها فتقول: أرجو أن تكون ممتازة، أن تكون طبيعتها جيدة، لا أريد أن تكون كذا. أليس الإنسان يبحث عن صفات كمال؟.

هكذا يرسخ الله هذا المبدأ الذي هو مبدأ مهم.

فعندما يربطنا بعلي عليه السلام يربطنا بعلي من باب تقديم علي كرجل كامل جدير بأن نرتبط به، وهو من يصلح أن نتولاه هو من هو ـ إذا كنا ناصحين لأنفسنا ـ الجدير بأن نتولاه، وأن يكون هو باب مدينة علم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهو الباب الذي منه ندخل إلى محمد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

يقول لك لماذا ما ذكر [علي] حتى يكون النص صريحاً؟. هذه هي من سلبيات [أصول الفقه] التي دائماً نصيح منها، من سلبيات أصول الفقه الرهيبة، التي تصرفك عن النظر إلى الأشياء من منظار الهداية [أريد يقول لي فلان حتى يكون نصاً صريحاً يلزمني].

يا أخي القرآن كتاب هداية، الدين كله هداية، أعماله كلها هداية حتى عندما ينصب لك محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) الرسول هو هداية، والقرآن هداية، وعلي هداية، وكل شيء في هذا الكون هو يخاطبك بمنطق الهداية. يريد نصاً صريحاً يقول: اسمه (علي).

أن يرتبط الناس فقط بمجرد اسم تأتي إشكاليات أخرى فينسوا الكمال، هو ما ضربنا وضرب أهل السنة، وضربنا الآن كلنا، أننا لم نعد نلحظ ضرورة أن يكون من يَلي أمرنا رجلاً كاملاً.

وعندما ننظر إلى كماله ننظر بالمعيار الديني بالمعيار الإلهي {والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} أليس هذا هو تقديم لهم بمقامات دينية وصفات دينية؟ [تَصَدّق]، لماذا لم يقل (والذين آمنوا الذي سيقدم لك مشاريع ويعمل لك مشاريع ويعمل لك إزفلت ويعمل لك كهرباء ويعمل لك) هل قال هكذا؟.

من تتوفر فيه الصفات الدينية باعتبار الدين هو هدى للناس، من يهمه أمر فقير هو من سيهمه أمر الأمة كلها فيعمل على أن يوفر لها ويؤثرها على نفسه في جميع شؤون حياتها، على يد مثل هذا يتحقق بناء الأمة، تأتي المشاريع، تأتي الخدمات على أرقى ما تكون عليه، والواقع يشهد بهذا.

الإمام الخميني عندما جاء ـ وهو رجل من هذا النوع [يقيم الصلاة]، رجل كماله كمالاً دينياً، كمالاً على وفق هدى الله سبحانه وتعالى ـ ما الذي حصل في إيران؟. كان في أيام ملك إيران الذي يسمى (شاه إيران) فترة طويلة حكم إيران، وفي أثناء فترته ودولته ـ وكانت إيران تنتج نحو خمسة ملايين برميل في اليوم الواحد ـ كانت ما تزال أحياء كثيرة من [طهران] العاصمة ما تزال بغير ماء ولا كهرباء ولا نظافة ولا أي خدمات أخرى.

كان ما تزال الخطوط في إيران ليست أكثر من أربعة عشر ألف كيلو، بعد الثورة الإسلامية ماذا حصل؟ وتحت قيادة هذا الرجل الديني ـ الذي يفهم الدين أيضاً، وليس رجل ديني ممن يفهم الدين فهماً قاصراً بعيداً عن الحياة ـ جاء ما الذي عمل في خلال سنوات محدودة؟ أربعين ألف كيلو متر من الخطوط مقابل أربعة عشر ألف كيلو، في فترة قصيرة يبني المستشفيات، يبني الجسور، يبني السدود، يبني المصانع، المزارع، المدارس، الكهرباء، التلفون.

ونحن نزور في إيران متجهين إلى منطقة في شمال إيران اسمها (آمُل) ومعنا أشخاص إيرانيين ونحن نرى الكهرباء وكل الخدمات أمامك للقرى، ـ ألسنا هنا نطالب لمنطقة بأكملها ويعطونا مشروعاً واحداً فقط بعد ست سنين سبع سنين من المتابعة ـ هناك هم ينزلون بأنفسهم إلى القرى ليوفروا لكل قرية الخدمات التي تحتاجها: صحة وكهرباء ومياه ومدارس وطرقات كلها متوفرة، واهتمام بالمزارعين، قلنا لماذا؟.

قالوا: نريد أن يتوفر لأهل الأرياف كما يتوفر لأهل المدن فيظلوا في بيوتهم متوفر لهم كل أسباب الحياة، فيهتمون بالزراعة ويهتمون بكل شيء ويعيشون كما يعيش الآخرون؛ ولأننا بهذا العمل نواجه خطة خبيثة لليهود هم يحاولون أن تنهض المدن فقط، أن تنهض المدن من أجل أن يفلّت الناس الأرياف ويتجهوا إلى المدن وهذا هو ما يحصل، لاحظ صنعاء قبل عشر سنوات، الآن ادخل صنعاء ترى أحياء كثيرة تُبنى بطريقة عشوائية، وذا من [أرحب] وذا من [ريمة] وذا من [صعدة] وذا من [تعز] وذا من [حجة] زحمة مهاجرين من الأرياف إليها قالوا: أن هذه خطة مقصودة من خطط اليهود الغربيين من أجل أن يزدحم الناس في المدن، وازدحام الناس في المدن سيعطل الأرياف، وهي المساحات الكبرى في الشعوب فتتعطل الزراعة ويتعطل كل شيء.

ثم عندما يتجهون إلى المدن بحثاً عن ماذا؟ يريدوا [معنا كهرباء ومعنا تلفون، ومستشفى قريب] أليس هكذا بحثاً عن الخدمات؟. طيب ما الذي يحصل في المدن؟. في المدن يتجمع الناس بأعداد كبيرة ولا يكون بينهم أي علاقات ولا روابط، بيت عند بيت ولا أحد يلتفت إلى أحد، ولا أحد يسأل عن أحد، شقة فيها ناس وشقة فيها ناس آخرين وشقة هنا.. لا يتعارفون في الغالب، ولا يدري هذا من أين هذا، ولا لهذا علاقة بهذا، فيتجمع المسلمون تجمعات تتفكك بينهم كل العلاقات الأخوية والإسلامية، ويتجمعوا في تجمعات ثم يبدأ الفساد ينتشر داخل المدن بهذه الأعداد الهائلة التي تتوافد، تتوافد بأعداد كبيرة بدون تنظيم وبدون رعاية وبدون اهتمام فيظهر الفساد الكبير داخل المدن، فساد في الحياة العامة، فساد في الأخلاق، فساد في كل شيء يعيشون هناك

فيروا لازم يبحث كيف يدخل، لأن المدينة تتطلب حياة أخرى تريد فلوس كثيرة، يبحث له عن وظيفة بأي طريقة، متى ما توظف أصبح مختلساً؛ لأنه يريد فلوس كثيرة، أليس هو هنا يضحي بأخلاقه، ويضحي بدينه من أجل محاولة إشباع متطلبات الحياة في المدينة؟. لكن يوم كان في الريف كانت عنده مزرعة، وعنده كثير من الخضراوات التي يزرعها، ومعه بقر ومعه دجاج ومعه أغنام.. أشياء كثيرة تتوفر له فيبقى محافظاً على نزاهته، على دينه، على أمانته، على قيمه. لكن في المدينة يفقد هذه كلها ويصبح همه الفلوس، لا يوجد هنا أي شيء والمدينة كما يقولون (صنعاء شمسها بفلوس).

إذا وُفرت الخدمات في الأرياف تفادينا كل هذا. وفعلاً لم توفر الخدمات حتى في المدن دع عنك الأرياف.

هناك في إيران أبدوا اهتماماً كبيراً ورعاية كبيرة للناس في كل منطقة؛ لأنهم من يحمل هذه الروحية فيهمه أمر فقير وهو أثناء الصلاة، وهي خير الأعمال [لم يقل إيش با تجي صدقة أعطيه خاتمي وأنا أسبح الله داخل الصلاة؟ ما هذه أثوب؟] لا.. وهذا وهذا.. لأن الصلاة هي من أجل أمثال هذا، الصلاة هي من أجل هذا الفقير وأمثاله من المستضعفين من عباد الله. فمن يهمه فقير، من يهمه مستضعف، من يهمه أمر المواطنين وأبناء أمته ودينه ماذا سيعمل؟ سواء كان فقيراً في المدينة أو في الريف أو في أي منطقة؟. سيوفر له خدمات وتحت يديه أن يوفر في أي منطقة كان.

الإمام الخميني الذي كان لا يملك هو إلا [البشت] حقه كما يقولون الدجلة حقه الذي كانت ممتلكاته بسيطة قدم للفقراء ما جعلهم يعيشون عيشة أرفه من حياته فعلاً. اقرؤوا كتاب (مدافع آيات الله) لكاتب مصري (محمد حسنين هيكل) وهو يتحدث عن بيت الإمام الخميني الذي دخله، عن مطبخه وعن ثلاجته وعن أكله وعن ممتلكاته عادية بالنسبة له لكنه قدم الخدمات للآخرين بشكل رهيب؛ لأنه كروحية علي (صلوات الله عليه) الذي كان يأكل ما يتسهل له، ويهمه أمر الفقراء، وأوصى ولاة أمور المسلمين بأن عليهم أن يقيسوا أنفسهم بفقراء الناس، أن تعيش كما يعيش فقراء الناس، تحاول أن ترفع بالفقراء إلى مستواك أو تعيش بعيشتهم، لا تَلِي أمرهم ثم تعيش في ترف، في قصور فخمة، ممتلكات فخمة والناس الفقراء المساكين هناك يعانون من شظف الحياة وصعوبة الحياة لا يتوفر لهم جزء مما يتوفر لك، قال: (حتى لا يَتَبَيَّغَ بالفقير فقره) الفقير يتألم عندما يرى الكبير ولي أمر، عندما يرى رئيس، عندما يرى مسئول أرى فين حياته وأرى فين أنا، أرى أولاده في العيد وأرى أولادي في العيد، أرى زوجتي وهي تتجه إلى أسواق البالة تشتري ملابس لأولادي في العيد وهو يرسل بنته أو زوجته أو خادم خادم زوجته إلى أرفع وأرقى معارض عرض الأزياء ليشتري الفساتين الفخمة والأحذية الفخمة.

هكذا حاصروا الناس، أسواق [البالة] في صنعاء وفي كل مكان، أصبحنا شعب نتلقى البالة في كل شيء، سيارات مستعملة من كوريا تدخل بالة اليمن كفرات بالة أحذية بالة ملابس كل شيء أصبح بالة، وهناك معارض للأزياء الفخمة، وهناك معارض للسيارات الفخمة. إلى أين تتجه هذه؟. وإلى أين تتجه هذه؟. انظر إلى الأسواق، أدخل تلك المعارض، ثم ادخل هذه المعارض معارض البالة ومعارض الأزياء الفخمة والأحذية الفخمة تجد من يرتادها، هنا يحس الفقير بوطأة الفقر، يحس بالألم، وذلك لا يبالي، ولا يهتم، ولا يفكر، ينسى أن في الدنيا ناس.

الإمام الخميني الذي كان لا يملك إلا ممتلكات بسيطة جداً كوّن جيشاً بأكمله سماه جيش [جهاد البناء] هناك جيش مجاهدين يحملون البنادق والبوازيك وفي الدبابات وفي الطائرات وكوّن جيشاً يحمل المطارق والفِرَس والكُرَيْكات ومفاتيح الهندسة ويقودون الحراثات ويقودون مختلف الآلات الثقيلة لعمل الجسور، وعمل السدود، وبناء المصانع، وبناء المدن، جيشاً بأكمله سماه [جهاد البناء].

كنا نقول قفزة كبيرة أصبح يقال: (مجالس محلية)، وسيوكل لهذا المجلس المحلي يوكل له أن يهتم بخدمات المنطقة ويهتم بحاجات المنطقة، ونرى كيف واقعنا مجلس محلي لا يمتلك ما يُؤثث به مكاتبه، ثم يقال للناس: نحن قد جعلنا صلاحية مطلقة للمجالس المحلية، وأوكلنا إليها الاهتمام بخدمات الناس وحل مشاكلهم و.. و.. الخ.. مهام جميلة لكن ما الذي أعطيتم المجالس المحلية حتى تكون قادرة على أن تنهض بهذه المسئولية؟. أين

هي المقاييس الإلهية التي وضعتموها في الأشخاص الذين لا بد أن يكونوا هم من يصلون إلى المجالس المحلية حتى يكونوا جديرين بتوفير الخدمات للناس؟. لا شيء من هذا.
لنعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى عرض الصفات المهمة التي على يديها تسعد الأمة، على يديها تسعد الحياة، على يديها تزكو النفوس وتزكو الحياة بأكملها.
وكما قلنا في هذا العصر تقريباً لا تتحدث عن شيء إلا وتجد الشواهد عليه في مختلف المجالات شواهد نعرفها جميعاً. عندما يأتي المترشحون سواء لرئاسة الجمهورية أو لعضوية مجلس النواب أو للمجالس المحلية أليس المترشحون كلٌ منهم يحاول أن يخاطبنا بأنه سيفعل، وسيعمل لكم كذا ونفعل لكم كذا مدارس ومستشفيات وخطوط وأشياء من هذه؟. أليسوا كلهم يتحدثون بهذا المنطق؟ هذه نفسها هي مطالب للحياة لكن نحن نريد على يد من ستتحقق مثل هذه بصدق؟ على من يد تتحقق؟. على يد من يهمه أمرنا، نحن مسلمون من الذي يهمه أمرنا؟. هو من يمتلك مقومات إلهية مثل هذه، من يمتلك مبادئ مترسخة في أعماق روحه في أعماق نفسيته فتجعله مهتماً بأمر المسلمين، مهتماً بضعفاء المسلمين مهتماً بالأمة بأكملها.
سنُخدع لأنهم يخاطبوننا كما يخاطب الصياد السمك، ما الذي يعمل الصياد للسمكة؟. ما هو يقدم لها لحم؟ يقدم لحم يقدم لها طعام ويرسل الشبكة إلى هناك فتلتف حوله السمك، ألم يقل للسمك: أنا أعطيكم طعاماً، أعطيكم لحماً أفضل من أن تبحث عن عشب من أعشاب البحر تأكلها؟ نحن سنعطيك لحمة هي هذه، فتلتف السمك حوله فمن وقع في شراكه يأكله هو، هذا الذي يحصل، تقع في شراك هؤلاء فيأكلوك، ولكن بأساليب متعددة.
ما الدليل على أنه يأكلني؟ أنه عندما يطلع أراه بعد فترة وإذا لديه سيارات فخمة، وقصور فخمة، وممتلكات كبيرة وكان جندياً مسكيناً ثم يتحول إلى تاجر صاحب رأس مال كبير فعرفت أنه هو أصبح كذلك الصياد الذي قد سَمُنَ وأصبح جسمه كبيراً من خلال ماذا؟ وهو يأكل أسماك تلك الأسماك التي تتجه نحو الشراك نحو شبكته التي فيها قطعة لحم من عجل تبدو للسمك جميلة ولذيذة؛ لأنها لا تعرف مثلها في البحر، لهذا لما كانت القضية هذه هامة أن الناس يُخدعون بمثل هذه الأشياء.
الإمام الخميني جاء بكلمة مهمة قال: (يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية) هي هذه المعايير الإلهية التي قُدِّمَت هنا {والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} شخص يهمه أمركم، حتى الواحد منكم وإن كان داخل أهم عبادة من العبادات لا ينشغل عنكم؛ لأن ما يُقدم لنا في الانتخابات وفي تنميق الآخرين لأنفسهم لدينا ما هي؟. هي معايير ليست إلهية معايير مادية، هي ليست أكثر من تقديم قطعة لحم لسمك لتؤكل هي، نقول: تمام.. ثم نرى في الأخير أنه حتى ولا وعد واحد يحققه من الوعود التي وعد بها: إن شاء الله في عام ١٩٨٦ م كما قال علي عبد الله يوم زار صعدة ستكون صعدة كلها شبكة واحدة بالكهرباء!.. [٨٧ و ٨٩ و٩٠ و٩١]، ونحن لنا كم؟ سبع سنوات متابعين في كهرباء لمنطقة، سبع سنوات! جلسنا سبع سنوات تتابع في الكهرباء.
يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية، هذه في هي حد ذاتها تستدعي لها وقتاً طويلاً نتفهم جميعاً كيف يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية في مختلف الأشياء حتى لا نخدع؛ لأن فرعون إنما خدع قومه في مواجهة موسى بمعايير مادية {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ} مسكين {فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}، أليست هذه كلها مظاهر مادية؟ أن يكون معه حاشية وخدم وموكب مثل ما معي يكون معه موكب من الملائكة، وأساور من ذهب وأشياء من هذه، هكذا يُخدع الناس دائماً بالمعايير المادية، التي هي في حد ذاتها لا يعطى إلا القليل منها على أيدي من يخدعون بها أو ينمقون أنفسهم أمامنا بالحديث عنها.
متى ما كانت المعايير التي نتعامل من خلالها مع الآخرين معايير إلهية فسيتحقق الكثير على يد من لديهم مبادئ إلهية مترسخة في أعماق نفوسهم، تجعل نفوسهم محطاً لأن يهتموا بالآخرين وإن لم يكن يعرفون الآخرين ولا يعرف الآخرون أسماءهم ولا أشكالهم. لاحظوا، الإمام علي هو آتى الزكاة وهو راكع؟ هل هو يتلفت إلى الفقير

ويعرف من هو؟ أو الفقير نفسه يعرف من هو هذا؟. أليست هذه هي في حد ذاتها تبين لنا؛ لأنه أحياناً قد يقدم لك هذا خدمة لأنه يعرفك وتعرفه معرفة فيستحي منك أن تعرفه ثم لا يعطيك شيئاً، علي وهو أثناء الركوع ميزة أكثر من لو أعطاه وهو أثناء القيام، لو تعرّض له الفقير وهو أثناء القيام في الصلاة ربما لاتجه الفقير إليه لمعرفة ملامحه ربما يكون لديه شيء، أو ربما رأى الفقير فرأى حالته الرثّة فأشفق عليه.. لكن لا.. هو في حالة الركوع وعادة يكون الإنسان الذي يركع لا يبصر إلا الأرض، سمع بفقير يسأل، هذا الفقير لا يراه وهو لا يراه فيؤشر بيده إليه ليأخذه. هكذا يكون من نلحظ فيهم أن تكون نظرتنا إليهم من منطلق المعايير الإلهية، التكامل الإلهي من خلال ما ترسخ في نفوسهم من قيم الإسلام ومبادئه، هم من سيهتمون بمن لا يعرفهم ولا يعرفونه.

ألسنا نقول دائماً: أبحث لك عن وساطة؟ ما معنى وساطة؟ أي شخص يعرف فلاناً ويعرفه فلان، أليست هكذا؟. من أجل يمكن أن تحصل على كذا، يمكن أنه يسهل لك معاملة المشروع الفلاني، ابحث لك عن وسيط. ما معنى وسيط أليس معنى الوَسِيط أن هذا يعرف هذا؟ هي هذه.

الإمام الخميني اهتم بمن لا يعرفهم، وبمن لا يعرفون ربما إلا صوره بعدما صعد، اهتم بهم فملأ إيران بالمشاريع في مختلف المجالات، وأصبحت إيران تكاد أن تشرف على أن تكون دولة صناعية، أصبحت تنتج إلى مختلف البلدان إنتاجات كثيرة تصدر حتى السيارات، ترى شوارع [طهران] كلها سيارات من صناعة محلية لا ترى سيارات يابانية أو كورية إلا نادراً، ترى كل ذلك السيل الذي يظهر أمامك في الشوارع كله سيارات إيرانية، ونحن كنا نحرث زمان على إثنين أثوار وكان يقدم هذا المظهر مظهراً متخلفاً أمام الحرّاثة ثم نقص ثور ثم غاب الثور وطلع بدله حمار.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} ثم هؤلاء على أيديهم هم.. لاحظوا، متى ما كانت قيادة الناس من هذا النوع فهم من يعرفون كيف يبنون الأمة لتصبح فعلاً أمة قوية. ما الذي يحصل في البلدان العربية؟ أليس الزعماء يقدمون أنفسهم هم ـ فقط ـ أمامنا كأقوياء، لكن لم يقدمونا كأمة قوية أمام الآخرين فلا يعملون أي عمل يسهم في أن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين.

إيران فتحت المعسكرات للتدريب رجالاً ونساء، اهتمت ببناء الاقتصاد في مختلف مجالاته، التعليم في مختلف مجالاته، احتاجوا ثورة علمية من جديد، ثورة من جديد بعدما انتصرت الثورة الإسلامية؛ ليعيدوا المناهج ويجعلوها بالشكل الذي يفيد.

نحن لا نجد في واقعنا أي شيء يؤهلنا لأن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين، أي نحن لا نجد من يبنينا بناءً لنكون حزب الله؛ لأنه من يمكن أن يبني أمة لتكون حزب الله التي تقهر الآخرين من أعدائها، إذا لم يكن هو ممن يمثل رقم واحد داخل ولاية الله ورسوله، ممن يمثل رقم واحد داخل حزب الله. أعضاء حزب الشيطان لا يمكن أن يبنوا أعضاءً في حزب الله، لا يمكن إنما يبني حزب الله من هو يحمل الأرقام الأولى في بطاقات حزب الله.

في [بغداد] ترى في منعطف الطريق هنا وهناك في الصحراء صورة كبيرة [للسيد الرئيس] صورة كبيرة جداً، ومعها شبك عليها مكلف وماطور كهرباء خاص، وكشافات فوقها.. هناك في الصحراء.

ترى الشخص الذي يمكن على يديه فعلاً أن تبنى الأمة بناء أمة عظيمة.. وهكذا من يكون على هذا النحو هم من يبنون الأمم العظيمة فأين إيران الآن عن إيران قبل الثورة الإسلامية بفارق بسيط هو أقل من عمر ملك واحد ممن سادوها وحكموها قبل الثورة الإسلامية. أليس هؤلاء هم من يبنون الحياة ويبنون الرجال ويبنون الأمم؛ لأنه يهمهم أمر الحياة بالنسبة للناس أكثر مما تهمهم أنفسهم، هم من يهمهم أن يجعلوا الأمة قوية وعزيزة فيبنوا الأمة فتصبح أمة قوية تمثل في بنائها حزب الله.

ارجع حتى تتأكد من هذا إلى الأمثلة الكثيرة في واقع الحياة أمامك هنا وهناك تجد فعلاً أن {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} أليس هذا الرقم الثالث {وَالَّذِينَ آمَنُوا} هو بداية التولي الحقيقي لرسول الله ثم لله سبحانه وتعالى على نحو تصاعدي، التولي للذين آمنوا تولياً صادقاً يجعلك فعلاً بالشكل الذي أنت فيه متولٍ

للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عن هذه القناة يجعلك بالشكل الصحيح الذي تكون عليه صادق الولاء لله سبحانه وتعالى.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}أي {وَهُمْ رَاكِعُونَ}: وهم خاشعون، كما يقول المفسرون الآخرون لكن تعال إقرأها وأنت ممن يدين بولاية الإمام علي كم ترى فيها من أبواب الهداية في آية واحدة، لكن إذا لم يكن أمامك إلا أبا بكر لا يعطيك القرآن شيء بكله، بل تخرج منه وأنت ضال، تجعل القرآن حرباً لله سبحانه وتعالى، تخرج وأنت تعتقد بأن الله هو مصدر كل فاحشة، وكل ظلم بقضائه وقدره، تخرج منه وهو يوجب عليك طاعة أي ظالم يحكمك أو أي مجرم كيفما كان ما لم يظهر كفراً بواحاً؛ لأنه قال {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية ٥٩) وهذا هو أولي الأمر، هكذا يعطي تولي الآخرين ضربة للأمة من ذلك اليوم إلى الآن.

فمن هنا نعرف عندما يقول الإمام الهادي رحمة الله عليه: (إنه يجب على كل مسلم أن يتولى علي بن أبي طالب) على كل مسلم؛ لأن ولاية علي تعتبر حصناً مهماً بالنسبة لك، هل لمجرد اسم علي؟ لأن ولاية علي ستفتح أمامك آفاقاً واسعة في مجال الهداية، تفتح أمامك أبواب الهداية فتهتدي بالقرآن وتهتدي بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)). فمن هنا نعرف كيف كان مهماً فعلاً ـ باعتبار أن الإسلام هو دين يربي الناس، ودين هداية للناس ـ أن المهم هنا جداً جداً أن يُقدم علي بمواصفاته، بتلك الصفات التي تبين لنا أعماق أعماق نفسه، وتبين لنا كيف اهتماماته وكيف نظرته للدين وللأمة. ثم يأتي من يقول: [لماذا لم يذكر علياً باسمه؟ لو كان هو المراد لقال علياً]. هذه نظرة قاصرة جداً تعتبر من الأخطاء التي هي نتاج أخطاء ثقافية من هنا وهناك.

الشيء الثاني مما يمكن أن نستفيده من هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام، ترتبط بهم ـ بهؤلاء الأعلام ـ هدايتها في دينها ودنياها، ولا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد، هو من يبين لنا من هم الأعلام من بعد نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) لنرتبط بهم، فمن خلالهم نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي؛ لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى فالآخرون سيضعون، بل وضعوا على الرغم من أنه قد وضع، سيضع أهل الباطل أعلاماً؛ لأن الباطل يحتاج إلى أعلام، هل تعرفون هذا؟. تقريبا عندما تجد القنوات نفسها أو الأساليب من حيث هي كلها أساليب واحدة.. الباطل يحتاج إلى أعلام فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يركزوا أمامك شخصيات أو مجاميع فيكبرونها وينمقونها، وينفضون التراب عن خدودها لتبدو أمامك لماعة؛ لتنفق بضاعتهم فينفق الباطل فينفق الضلال من خلالهم.

لا بد للإنسان من أعلام ومتى ما أنت حاولت أن تنصرف عن علي فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محالة، عندما تقول: [لا أنا لا أريد هذا ولا هذا] فأنت فعلاً ستنصرف في الأخير إلى الشيطان؛ لأنه آخر واحد. إذا تهربت عن علي بن أبي طالب وعندك [ما انا بحاجة لا علي ولا أبو بكر ولا عمر]، ما أنت رفضت علياً؟ رفضت حقاً فماذا بعد الحق إلا الضلال، إذا أنت فقط.. فقط أنت لم ترضَ بالضالين الصغار فهذا معناه أنك تريد الضال الكبير ترتبط به رأساً فقط ما هي إلا هذه، [لا أريد معاوية ولا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي]. أنت اختصرت المسافة فقط، فكأنك تقول: أنا لا أريد أن أتعامل مع هؤلاء الصغار مباشرة أنا سأتعامل مع الكبير تقع في أحضان الكبير بكله ستجد الشيطان هناك في الأخير، هو في الآخر، في المضيق، تتهرب من هنا ولاّ ما يعجبك ذا ولا ما يعجبك ذا فأنت في طريقه ستلقاه ما معك إلا هو ليس بالإمكان أن يبقى الإنسان بدون أعلام يرتبط بهم.

نجد هذه الآيات نفسها تشهد بأنه لا يمكن أن تهتدي الأمة إلا على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله، أو أي مجموعة؛ ولهذا جاءت العبارة بلفظ {وَمَنْ يَتَوَلَّ} من يتولّ سواء الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تولياً صادقاً على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً.

أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس من أن ترتد بعد إيمانها، من أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لنا من بعده أن نرتبط بهم حتى نهتدي في ميدان المواجهة؛ ولهذا قال هنا: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

فمن هنا نعرف كطلاب علم، ونعرف كمسلمين بصورة عامة أنه لا يمكن أن تتصور بأن بإستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية من جهة نفسك، وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى، لا بد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم.

وهم بالطبع من يضعهم الله أعلاماً لأمته.. إنما يضعهم كاملين {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} (القصص: من الآية ٦٨) **هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ ـ مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل ـ فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيقدم لنا الكامل بدأً من علي عليه السلام.**

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً، ليس حتى في صلاحيتي أنا أن أقول: إذاً الكمال هو كذا كذا كذا..إلى آخره، سيأتي آخرون يقولون: لا، الكمال كذا هو كذا وكذا.. الخ، نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه، والله سبحانه وتعالى هو من سيضع لأمته أعلاماً يختارهم ويؤهلهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها.

ألم يكن علي عليه السلام هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فبرز هو علماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه.

هذه المسألة في حد ذاتها الإرتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَليَ أمرنا مرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما قال الإمام الهادي عليه السلام: (أن الله هو الذي يختار، هو الذي يؤهل).

[إذا لم نعمل على] مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدم لنا أشخاص كثيرين، ويُقدم رموز كثير وهميِّين لا يعتبرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى، وليسوا جديرين باختياره.

عندما تتحدث الزيدية في كتبهم عن شروط الإمام أليسوا يضعوا شروط كمال؟ [أن يكون عالماً وأن يكون مدبراً وأن يكون سليماً وأن يكون سخياً وأن يكون شجاعاً يكون تقياً ورعاً زاهداً رحيماً بالأمة وعادلاً..] إلخ، ألم يضعوا شروط كمال؟. لماذا الكمال؟ ومن أين مصدر الكمال؟.لأن الكمال هو يأتي من قبل الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار هو الذي يصطفي {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية ٣٢) **الاصطفاء الإلهي يأتي دائماً في كل مقام يرتبط به سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده.**

فإذا أصبحت المسألة لدينا هي على هذا النحو فمعنى ذلك أن هذا هو الضمان الذي يجعل القضية بيد الله، هو الذي يؤهل، هو الذي يكمل، هو الذي يختار، فإذا ما نسفنا مبدأ الكمال هذا بكله ظهر على السطح، الكثيرون، الكثيرون جداً.

لاحظوا في قضية الإمامة، عندما يحاربون الإمامة هل تظنون بأنهم يحاربون اسم [إمامة] هذا واحد من مقاصد الصهيونية في محاربة العناوين والمفردات ـ مع أن كلمة إمام أطلقت في القرآن الكريم على البر والفاجر {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} (القصص: من الآية ٤١) **وهناك {أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}** (السجدة: من الآية ٢٤) **ـ هم حاربوا مبدأ كمال أن لا يترسخ في ذهنية الناس، لماذا؟. لأنه متى نسفنا هذا الكمال الذي لا بد منه فسنصل إلى أن نحكم الناس، سأصل أنا إلى أن أحكم الناس متى ما نسفت شروط الكمال، أليس هذا هو الذي حصل؟. ما هذا الذي يقدم في كل دساتير البلدان الإسلامية، لا يُشترط في زعيم البلد الفلاني إلا أن يكون من نفس الوطن، وأن**

يكون عمره كذا، وأن لا يكون قد صدر في حقه حكم شرعي يخل بالشرف ما لم يُرد إليه اعتباره. هذه هي الشروط فقط.

أليس الكثير سيكون على هذا النحو وإن كان من الشارع، وإن كان ممن لا يهمه إلا مصلحة نفسه، وإن كان ممن لا يعرف كيف يدير شئون أمة، بل ممن لا يعرف كيف يدير شئون أسرة.

أليست الدساتير فتحت المجال أمامهم؟ وعن أي طريق؟ عن طريق نسف الكمال الذي لا بد منه، عندما يقولون: يجب أن يكون كذا وأن يكون كذا وأن يكون. أليست هذه معايير دينية معايير إلهية؟. لماذا تجعل المعايير إلهية؟.

نربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وهو الذي سيصنع هو الذي سيؤهل، هو الذي سيكمل هو الذي سيختار كما نص الإمام الهادي عليه السلام.

بل تأثرت الزيدية نفسها عندما غابت عن المعايير التي وضعها الإمام الهادي باعتبارها معايير إلهية في بداية كتاب (الأحكام) فظهر لنا أئمة حتى داخل الزيدية ليسوا جديرين بأن يحكموا الأمة، وصُدروا في تاريخنا كأئمة من أهل البيت وليسوا كاملين ولا مؤهلين، فعلاً وهم لا زالوا كثيرين في سلسلة أئمة الزيدية في كتب تاريخنا لكن جاؤوا هم فيما بعد يجعلوا مقاييس مغلوطة للكمال هذا نفسه [أن يكون عالماً، ويعني أن يكون مجتهداً، ومعنى أن يكون مجتهداً أن يكون قد قرأ كذا كذا كذا إلخ].

ألم تصبح المقاييس مادية في الأخير؟ بينما الإمام الهادي قدم نحو صفحة وهو يتحدث عن مواصفات من هو الأولى في ولاية أمر المسلمين، صفحة كاملة، وقال في الأخير: أن الله هو الذي يؤهل على النحو، إذا ما ارتبط الناس بالله من هذا المنطلق هو الذي سيؤهل لكن جئنا فيما بعد وقدمنا معايير مادية لنسف المعايير الإلهية فانحطينا فظهر لنا أئمة فعلاً كانوا ممن رسخ مبادئ الاختلاف داخل هذه الطائفة نفسها وبدلاً من أن يقدموا لنا علوم أهل البيت وحدهم أضافوا لنا ركاماً من علوم الطوائف التي هي طوائف ضالة فشغلوا أوقاتنا، وشغلوا بيوتنا بركام الكتب من هذا القبيل بدل أن ينتقوا لنا علوم القرآن الكريم وعلوم العترة الطاهرة، ركام من أقوال الآخرين تضيع عليك سنين من عمرك، تضيع حياتك تضيع وقتك تضيع الكثير من أعمالك.

ولنعرف أن المسألة هامة فعلاً أنها: إما أن تكون ضمانة تجعل القضية بيد الله، أو أن يكون نسفها يُهيئ الواقع لتكون في متناول كل من هب ودب، أنه ما الذي يحصل؟. حتى لو قلنا ليس شرطاً أن يكون من يلي أمر الأمة من أهل البيت تعالوا إلى الشروط الأخرى ضعوها في الدستور لتكون هي شروط في من يلي أمر الأمة، لن يقبلوا هذا، أتظنون أن المسألة فقط هو محاربة لأن يكون الشخص من أهل البيت الذي يلي أمر الأمة ليس هذا فقط يحاربوا أن يكون كاملاً كمالاً إلهياً وفق معايير إلهية.

عندما تقول يجب أن يكون من يلي أمرنا عالماً بالدين، عالماً بالله، متقياً لله، رحيماً بالأمة، تقياً، ورعاً، زاهداً، أليست هذه المعايير قرآنية؟ حاول أن تضعها في قاعة مجلس النواب لأن تكون ضمن النص الدستوري في مواصفات من يلي أمر هذا البلد أو ذلك البلد لن تقبل بل تحارب.

أولئك الذين يحاربون الإمامة باعتبار إمامة أهل البيت نقول: تعالوا: خلاص أسكتوا إذا كنتم ترون بأن المشكلة هي مشكلة أهل البيت لكن قدموا للأمة أنه يجب أن يكون من يلي أمرها تتوفر فيه المعايير الإلهية الأخرى، لا، مشغولون بأن يحاربوا مسألة أهل البيت وهم في نفس الوقت يؤمنون ببقية الشروط فلماذا لا تقدموا الشروط الأخرى هي وإن سكتم عن أهل البيت، لأنكم تعرفون أن الآخرين لن يسمحوا إطلاقاً أن تكون هذه ضمن الشروط التي لا بد منها في من يلي أمر الأمة، لماذا؟. لأنها معايير إلهية، لا تتوفر إلا على يد الله سبحانه وتعالى ونحن لا نريد أن نربط المسألة بهذا النحو، نريد أن نحكم، أنا أريد أن يكون المجال أمامي مفتوحاً أحكم بدون شرط ولا قيد. عندما يقال: لا بد أن يكون عالماً أنا لست عالماً إذا فكيف أحكم، إذاً ما هذا شرط جديد علي نصفر عليه، وهكذا وهكذا.. هذا الذي يحصل.

ولهذا نفس الآية هذه عندما تعرض معايير إلهية في المؤمن الذي نتولاه {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}(المائدة٥٦) **بعد أن قال: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} وعادة ما يعرض**

القرآن صفتين أو ثلاثة هي نموذج يدل على ما وراءها؛ لأنه عرض مجمل نواحي شخصيته في صفتين تدلك على ما بعدها من صفات الكمال والمعايير الإلهية.

وأين تأتي هذه الآية؟ ألم تأت في إطار الحديث عن خطورة بني إسرائيل، وأن خطورة بني إسرائيل تتمثل في اتجاههم نحو إفساد القلوب والنفوس لصنع ولاءات، لصنع أعلام، لصنع ثقافات، أليس هذا مما عمله بنو إسرائيل والله قال في القرآن الكريم بأنهم يمتلكون قدرة رهيبة في مجال لبس الحق بالباطل {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ}(آل عمران٩٩) ثم يقول: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران: ٧١).

إذاً إذا لم نلتزم نحن بأن نسبق الآخرين إلى قلوبنا نسبق نحن الآخرين إلى قلوبنا إلى مشاعرنا لنملأها بالولاء الصحيح وفق المعايير الإلهية فإنهم هم سيأتون ليضعون لنا أعلاماً آخرين يصلون بهم إلى أعماق نفوسنا فتكون أعلاماً للباطل، أعلاماً للضلال أعلاماً لا تقدم ولا تؤخر، ليست أكثر من تزييف لعقولنا، تزييف لمشاعرنا، صرفاً لاهتماماتنا عن المحل الذي يمكن أن يكون لها جدوى إذا ما اتجهت إليه، ألم يركزوا أسامة بن لادن وتصيح منه أمريكا، ما هم صاحوا منه أنه.. وأنه.. وأنه.. ألم يكبروه جداً أمام الناس؟ كبروه كبروه جداً.

إذاً كان من المحتمل لو أن المسألة على هذا النحو يشكل خطورة بالغة عليهم وقائد إسلامي صحيح مخلص للأمة ويحمل رؤية صحيحة في مواجهة أعداء الله لكان تعاملهم معه تعاملاً آخر، ولما احتاجوا إلى أن يحركوا ولا قطعة واحدة فالمخابرات الأمريكية واسعة جداً تستطيع أن تضربه أينما كان.

تعرض السعودية في التلفزيون عن وزير سوداني بأن (كلنتن) رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن.

ألم يقل الأمريكيون لطالبان في أفغانستان أنها لا بد أن تسلمه وإلا فسيضربون أفغانستان؟. قال: هم رفضوا عرضاً أيام (كلنتن) الذي تولى قبل الرئيس هذا (بوش) وأمريكا من زمان ترمز أسامة هذا، بأنه رفض عرضاً بتسليم أسامة يعني أنه كان بالإمكان أن يسلموا أسامة لأمريكا ولكنه رفض، لا نريد أن تسلمه نحن نريد أن نرمزه فنجعله علماً نخدع به هؤلاء المساكين من المسلمين، أليس هذا لبس للحق بالباطل، أليس هذا صنع ولاءات يجعلك تتولى أشخاصاً وهميين أشخاصاً لا يشكلون أي خطورة على أعدائك، أشخاصاً يكون ولاؤك لهم ولاءً لا يسمن ولا يغني من جوع، يكون اهتمامك بهم اهتماماً ليس في محله، اهتمام يتبخر في الأخير، تنطلق حتى تقتل بين يديه لا يصبح لدمك أي قيمة، حتى لو بذلت أموالك إليه لا يصبح لمالك أي قيمة في الأخير، خداع رهيب، تزييف رهيب، يجعل كل شيء لا قيمة له، حماسك كله يوجهونه إلى حيث يتبخر فلا يصل إليهم حتى ولا رذاذ من ذلك البخار.

هنا تبدو القضية مهمة إذا لم نتولى علياً عليه السلام ثم نمشي في الخط المرسوم لنا أن نتولّى أعلامه سنصبح عرضة لأن يصنع لنا الآخرون أعلاماً وهمية نتولاها، أعلاماً للباطل وتساند الباطل وتضع الباطل وتصرف عن الحق نتولاها.

أنت قد تقول: ربما فلان عالم، لأنه عالم الله يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} (التوبة: من الآية ٣٤) هذا يبين بأن المسألة حتى غير متروكة لك فتتأثر بهذا أو بهذا دون مقاييس إلهية وأنت تتولى الأعلام الذين الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم وعينهم وحددهم حتى تتولاهم فتسلم من أن تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها، تضر بالقضية نفسها التي أنت تتولاه من أجلها، أما هنا فالتولي صحيح حيث تكون الولاية للأعلام الذين رسمهم الله للأمة ونصبهم للأمة فإن الولاية تعطي ثمرتها، ألم يقل هنا {فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} طالبان ماذا عملوا؟ ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا؟ ولم ندر أين ذهبوا؟ هل غلبُوا أم غُلبُوا؟ غُلبُوا أو تَغَالبوا لأن القضية هي كلها خداع ووهم، كلها تزييف وتضليل، حتى لا يبقى منفذ للآخرين لأن يضعوا هنا أو هنا من جانبهم شخصاً آخر وهمياً علماً من أعلام الباطل؛ لأن الآخرين شغالين حتى وإن كان الله قد وضع هم يحاولون أن ينصبوا، ألم يختر علياً علماً للأمة فنصبوا لنا آخرين؟ ألم يختر الزهراء لتكون علماً بالنسبة للنساء

وقدوة للنساء سيدة نساء العالمين فنصبوا أخرى؟. هكذا يعمل بدو أهل الضلال خلي عنك الخبثاء والمحنكين والدهاة منهم. إذاً فالمسألة مهمة.

وهذه الآيات يجب أن ننظر إليها نظرة جادة فعلاً، قد تقدم مقاييس معينة هي في الواقع مغلوطة لكن القرآن الكريم هو نفسه أيضا إذا ما اهتديت به وسرت على ولاء صحيح لمن نصبهم لك من أعلام الهدى لتهتدي بهم هو الكفيل بأن يفضح أمامك الآخرين، هو الكفيل بأن يعرفك الله من خلاله وبتوفيقه فيكشف ويفضح لك الآخرين الذين هم أعلام وهميين عندما تراهم ينتصبون هنا أو هناك تصيح منهم جهة هنا وهناك، القرآن الكريم لم يغفل أي شيء، في الوقت الذي هو يوجهك هو يبين لك أيضاً كيف تكون طريق الباطل، ألم يقل الله {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد: ١٠)؟ يعني بين لك وضح لك كيف طريق الحق ثم بين لك أيضاً كيف طريق الباطل.

أحياناً يتجلى لك من خلال الأشياء التي لا بد منها في جانب من هو علَم من أعلام الحق يتبين لك عكسها في الآخر الذي يُرفع أمامك كعلَم، لتقول هو فاضي من هذه إذاً لا يصح أن يكون علَماً.

نأتي إلى عمر، ألم يُقدم عمر وكأنه أزكى شخص بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أبو بكر إنما قدموه هكذا باعتبار سُلّم الخلافة لأن عمر قدمه وإلا فالولاء الحقيقي عندهم هو لعمر، في هذه الآية ألم يعرض لنا القرآن نفسية الإمام علي في اهتمامه بالأمة في حرصه على الأمة فيهمه أمر فقير لا يراه ولا يراه لا يرى علياً ولا يرى هو ذلك الفقير إنما يسمع صوته فيتصدق بخاتمه وهو أثناء الركوع، أليس هذا إنسان رحيم بالأمة؟. حريص على الأمة؟. يهمه أمرها؟ أليست هي مواصفات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) وهو الذي ربى علياً عليه السلام ليكون هكذا تتجسد فيه هذه الأخلاق، هذه المعايير الإلهية.

قالوا عمر هو عمل كذا وقالوا فعل كذا قالوا كذا.. إلخ. نحن نعرف أن القرآن الكريم فيما يركز عليه يعمل على أن يكشف لك الأعماق؛ لأنه يرى أن الأشياء هي من داخل وليست من الخارج، ألم يكشف لنا هنا نفسية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} أين موضع الإشفاق على الأمة والحرص والرأفة والرحمة أين هي؟. فوق العمامة، فوق الغترة ولاّ داخل في النفس؟. هل قدم لنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه يَتَرَكَّعُ كثيراً؟. أو أنه يسبح كثيراً؟ أو أنه كان يقرأ القرآن كله في سجدة؟ أو أنه.. من هذا القبيل، هل قدمه بهذا الشكل؟. هذه شكليات سطحية يمكن أن أنمق شخصاً آخر هو خبيث فأقول هو كان كذا، وكان كذا في الشكليات هذه.

من الذي يعرف أعماق النفوس؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟ هنا كشف لنا نفسية علي عليه السلام التي نحن الأمة بحاجة إليها؛ لأنه ماذا نريد فيمن يتولّى أمرنا؟ هل نريد أن يكون شخصاً يعز عليه أي مشقة أو مصيبة تحصل لنا {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} يعني يؤلمه جداً ويعز عليه أي مشقة تحصل لكم، أي ألم يصيبكم أي شيء يؤلمه جداً كما يؤلمه أن يرى واحداً من أطفاله، واحداً من أهل بيته، من أسرته {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} ألم يقدم هذه الأشياء التي تكشف لك نفسية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، داخلها يصلي مائة ركعة؟؟ داخلها يقرأ القرآن داخل ركعة؟؟. هذه شكليات، النفس متى صلحت فهي المهم بالنسبة للأمة، ومن يكون على هذا النحو هو الذي ينفع الأمة، وهو في نفس الوقت إنما يكون من منطلق علاقته القوية بالله سبحانه وتعالى التي تجعل حتى لتلك الصلوات المحدودة قيمتها في نفسه وقيمتها عند الله سبحانه وتعالى.

وهؤلاء يقولون عن أعلامهم أنه كان يصلي ألف ركعة! الليل لا يتسع ينسوا أن الليل محدود.. كان يقرأ القرآن في سجدة!. خليه يصلي ألف ركعة في ثلاثة أيام تكون صلاة على طول، أين هذه الثلاثة الآلاف أو الألف ركعة من ثلاث ركعات من نفسية كنفسية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في انشدادها القوي نحو الله سبحانه وتعالى وفي ما تتركه الصلاة من أثر في نفسه، تبدو الألف ركعة أو الثلاثة آلاف ركعة لا قيمة لها لا عند الله ولا في نفس هذا الشخص ولا في واقع الأمة.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتعبد لله لكن تلك العبادة التي لها قيمة تلك العبادة التي لها قيمة فيما تتركه في نفسه وفيما يكون لها من أثر في واقع الأمة.

وعندما نأتي إلى الإمام علي عليه السلام {يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} فكشف لنا ما كشف عن واقعه في نفسه مما لا بد منه بالنسبة لنا ونحن في أمس الحاجة إلى أن يكون من يلي أمرنا على هذا النحو، ويأتي من قبل الله ما يدلنا ويرشدنا إلى أنه على هذا النحو، وتتجلى أحيانا الأشياء بمظاهر معينة صادقة حيث قد لا تكون عادة مظاهر جذابة كما حصل من علي وفاطمة عليهما السلام في إطعامهم المسكين واليتيم والأسير.

ألم يكشف هناك أيضاً كيف أنهم يؤثِرُون الآخرين وكيف أنهم ينطلقون في إطعام الآخرين والاهتمام بهم وإيثارهم على أنفسهم من منطلق ابتغاء وجه الله، وإن كان هذا الشيء الذي أعطوه وقدموه هم في أمس الحاجة إليه؛ ولأنهم أعطوا من؟ مسكين ويتيم وأسير، هذه مظاهر جذابة؟ خليهم يقولون لك: أن فلان أطعم مسكيناً لن يكفيهم هذه.

لاحظ لما أصبحت القضية حتى لدى من يحاولوا يلمعوا الآخرين في أذهاننا كيف يعملون؟. يظن أنه لو قال أن أبا بكر أطعم مسكيناً أو أعطى يتيم وآثره بقرص ما هي فضيلة كافية له يريد يعطيه آلاف إما يقول لك ألف مسكين ولا يقول لك ألف ركعة، ولا يقل لك أشياء... ما هو يريد يكبر مثل هذه؟. لكن المسألة ليس المقاييس فيها هي الشكليات أنه هذا أطعم ألف مسكين وهذا أطعم فقط مسكيناً واحداً، أن هذا أعطى في غزوة ثلاثين ألفاً وهذا أطعم مسكيناً واحداً. القرآن الكريم يهمه أن يركز على المظاهر وإن كانت صغيرة التي لها دلالاتها المهمة بالنسبة لأعماق النفوس؛ ليكشف لك نفسية هذا، هذا هو الذي يهم.

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} (الإنسان: ٨) لاحظوا حتى التقليل في العبارة هنا: مسكين واحد أول ليلة، يتيم واحد ثاني ليلة، أسير واحد ثالث ليلة. ما هم هنا ثلاثة أشخاص؟. ثلاثة أشخاص! يستحق أنه أعطى ثلاثة أشخاص!. يعني أعطى كذا.. كذا.. أعطى مئات الناس! لكن عطاء مئات الناس أحياناً لا يكون له قيمة يصفر عليه عند الله سبحانه وتعالى، ولا قيمة حتى عند الإنسان نفسه الذي بذله، لأن العطاء إذا لم يكن من داخل، وتبتغي به وجه الله، وإن كان لفرد واحد، العطاء إذا لم يكن على هذا النحو تبتغي به وجه الله ومن أعماق نفسك يكون له أثره في تزكية نفسك أنت، لكن متى ما أعطيت مراءات لو تعطي مليوناً لن يصنع في نفسك أثراً أبداً ولن يزكي نفسك مهما عملته مراءاتاً أو لأي غرض آخر ليس على هذا النحو: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً} (الإنسان: ٩) ولا من الآخرين أن يثنوا ولا أن يمدحوا، لأنه بالطبع من الذي سيثني على أنه أطعمنا يتيماً، يتيماً واحداً لا يبدو جذاباً صحيح؟ لكن ألف شخص يعمل لهم وليمة يبدو جذاباً هذا، صحيح؟. القضية ليست على هذا النحو، يكشف لنا أعماق نفسيات هؤلاء الذين يشدنا إليهم كأعلام.

أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فقط ثلاثة! ليس المهم هو العدد فقط ثلاثة! المهم أجواء العطاء والنفوس التي انبعث منها.. الدوافع نحو العطاء هي التي أردنا أن نكشفها لك، فتعرف من هم هؤلاء، الذين يعطون على هذا النحو سيعطون الأمة كلها كلما يملكون، أليس هذا هو المهم؟.

إذاً فلنرجع إلى (أمير المؤمنين عمر) ـ ما هكذا يقولون؟ ـ لنكشف فيه قضية واحدة هم يعرفونها وينقلونها ويروونها هم ويعترفون بها: أثناء مرض النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أليس النبي هو الشخص الذي يجب أن يحترمه الناس ويجلوه ويقدروه وتكون قلوبهم مملوءة بالرحمة والرأفة والعطف عليه؟ أثناء مرضه أليس مرضه في تلك المرحلة وبعد تلك المؤشرات التي تدل بأنه يوشك أن ينتقل إلى ربه، مما يترك الخوف والرعب والإشفاق في نفوس الناس فتكبر لديهم المسألة فيكون إنشدادهم نحوه أكثر عطفهم عليه أكثر أن يرونه مرة واحدة يركزون بأنظارهم على وجهه ليتمتعوا بما يمكن أن يروه من وجهه في بقية أيامه، يطلب مطلباً أي مطلب كان أن ينفذوه.

ماذا حصل؟. ولأنه (صلوات الله عليه وعلى آله) كما وصفه الله: {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} يهمه أمر الأمة من بعده لا تضل لا تختلف لا تتمزق لا تتفرق، لا يبرز أشخاص يضلونها يدمرونها يهلكونها، وعلى الرغم مما قد عمل في الغدير وغيره يقول: ((هَلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) والحمى تلهب جسمه، لكنه ما يزال يحمل اهتماماً بأمر المسلمين بأمر الأمة يريد أن يعمل ما يمكن أن يعمله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، أليس هذا هو يهمه أمر الأمة؟ حريص عليها مشفق عليها؟ في مجلسه عمر ومجموعة كبيرة، يقول عمر: لا، حسبنا كتاب الله ويثير ضجة وآخرون يلتفون نحو عمر ويفهمون ماذا يريد عمر ويفهمون ماذا يمكن أن يقول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم عارفين دائماً بيركز حول علي، يرمز علي يشد الناس نحو علي إذاً هو سيكتبها لعلي، لا. لا، حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، دعوا الرجل فإنه يهجر.

آخرين يقولون قربوا قلماً ودواة قربوا كذا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده يقول عمر لا، وبإصرار: لا. لا. ألم يسمع أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول (لا تضلوا بعده)؟. إن كان يهمه أمر الامة فسيكون حريصاً جداً جداً على شخطة قلم كلمة واحدة يكون فيها أمان للأمة من الضلال، والسلامة للأمة من الضلال لأنه يعلم أن الذي تكلم بهذه العبارة هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لكن لا، هو يعلم ما سيعمل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وسيعارض له أهدافاً، له آمالاً أخرى، هو لا يهمه أمر الأمة تضل أو لا تضل يحول بين أن يكتب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذا الكتاب بعد أن سمع (أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) ألم يكشف لنا هنا نفسية عمر أنه إنسان لا يهمه أمر الأمة، أنه إنسان لا يتألم فيما إذا ضلت الأمة، أنه إنسان يحول دون كتابة كلام يحول دون ضلال الأمة، يؤدي بالأمة إلى أن لا تضل؟.

هل هذا إنسان في أعماق نفسه يهمه أمر الأمة وأمر الدين؟. لا. إذاً فهذه النوعية هي التي لا تصلح إطلاقاً أن تحمل لها ذرة ولاء وإن نُمّقَتْ أمامك وادّعوا لها الآلاف من الفضائل من هذه الشكليات ألف ركعة، القرآن في سجدة، يتبخر من فهمه رائحة الشّواء من خوف الله وعناوين من هذه.

لا، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو إنسان قرآني يتحرك بحركة القرآن ويعرف قدرة القرآن على كشف الآخرين، يكشف للناس في آخر أيامه نفسية عمر، ويكفينا أن يكشف لنا نفسية عمر لأن عمر أصبح عَلماً للخط الآخر، عمر هو مهندس كل تلك المتغيرات من الصعود بأبي بكر، والإمام علي كشف المسألة أيضاً قال لعمر ((إحلب حلباً لك شطره، شدها له اليوم يردها عليك غداً)). هو الذي قال لأبي بكر: (أمدد يدك أبايعك) أليس هو الذي رفع أبا بكر بين الضجة؟. هو الذي هندس أن تصل الخلافة إلى عثمان؟ هو الذي هندس ورتب أوضاع معاوية أن يكون في الشام هو الشخص الذي يمكن يكون مؤهلاً لأن يضرب علياً متى ما تحرك هو أو أحد من أهل بيته في أي فترة، هو الذي رفع بني أمية بعد أن وضعهم الإسلام، وأصبحوا مجتمعاً منحطاً في نظر الأمة؟ هو الذي رفعهم من جديد فأصبحوا يمتلكون الأموال الهائلة، وأصبح لهم علاقات واسعة في أوساط كثير من زعماء العشائر في هذه الأمة!.

إذاً من خلال أن يكشف لعمر سيعرف عمر وكل من يدور في فلك عمر أنهم ليسوا جديرين بأن يلوا أمر الأمة ولا أنهم يهتمون بأمر الأمة، أليس هذا ما حصل؟. وبعد ذلك فليقولوا ما يقولون: فاروق، صدّيق أشياء من هذه لو يقولوا ما يقولون. كلمة (فاروق) ما هي كلمة كبيرة؟ فاروق.. فيظهر لك عمر يرتفع إلى هناك، لكن تعال إلى القضية التي رواها البخاري وغيره رووها هم مؤرخين ومحدثين أنه عارض أن يكتب رسول الله كتاباً لا تضل الأمة من بعده، ألم يشهد عمر هو على نفسه أنه لو كان لديه احتمال بأن رسول الله سيكتب شيئاً يتعلق به وبصاحبه وأنه قد يرفعهم لقدم برميلاً وليس دواة ولحاول أن يُقدم أي شيء يكتب به النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكتب المكتوب إذا كان سيكتب شيئاً يتعلق بأبي بكر أو عمر يجعلهم أعلاماً للأمة، لكن هو يعرف أنه لن يكتب شيئاً إلا وهو يقصي الأمة عنهما، أنه سيكتب ما يقصي الأمة عن أبي بكر وعمر، إذاً فهو يريد لا يعمل لهم ورطة ثانية بعد الغدير. في الغدير طلع هو وعلي فوق الأقتاب ورفع يد علي وقال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)) فهو أيضاً يريد يعمل لنا ورطة ثانية ويكتب.. تلك ممكن نقل: مولاه، يعني ويعني ويعني.. ما يزال معنا..

والمكتوب الذي كان يريد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يكتبه ألم يعمل عمر دعاية تضرب المكتوب، وهذا الذي جعل النبي فعلا يتوقف ويقول أخرجوا إنه لا ينبغي عند نبي تنازع، وأصبح الغالب في القاعة، في المجلس عند رسول الله هم يدورون في فلك عمر عندما قال حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، إنه يَهْجُر.

لكن لو كتب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاباً ما عمر قد عمل الدعاية ضد هذا الكتاب؟ سيقول هذا الكتاب لا ينفع لأنه كتبه وهو في حالة هذيان لا يعرف ما يتكلم فلا يعمل به، لم يكتبه في حالة الصحة والاختيار شرعاً، فيُضرب المكتوب، لكن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذا الموقف المهم كشف لنا عمر بشكل رهيب، بل هو بيّن لنا بياناً لا يضل الناس بعده إن فهموا حتى وإن لم يكتب في الأوراق فقد كتب في أعماق الكون وفي التاريخ وكتب في القلوب إن كانت تفهم، أني كشفت لكم عمر أنه لا يهمه أمركم أن تضلوا فلتضلوا فإذا كان لا يهمه أمركم أن تضلوا فعمر وكل من يدور في فلك عمر ليسوا أمناء على الأمة، ولا يمكن أن يكونوا هم الأعلام الذين تقتدي بهم الأمة، ولا يمكن أن يؤيد الإسلام ولا كتابه ولا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تلتف الأمة حول عمر ويكون علماً لها كما يصنع الآخرون، ألم يكشف الرسول هذا كما كشف القرآن نفسية علي عليه السلام؟. فمن خلال نفسية علي هنا تعرف نفسية عمر هناك.

هذا ما يجعلنا فعلاً نثق بأنه متى ما سلمنا قلوبنا، متى ما سلمنا مشاعرنا لله سبحانه وتعالى وانطلقنا بثقة عالية إلى القرآن نتثقف به، سنعرف كل شيء، لأن القرآن تفصيل لكل شيء، وستكون إنساناً لا يمكن أن تُضل، إنساناً لا تُخدع، إنساناً تفهم الأحداث، تفهم أهمية الأحداث ما كان منها حقاً وما كان منها باطلاً، تفهم خطورة الأحداث التي بدت صغيرة عند الآخرين، يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولائنا للإمام علي وأن نعرف أهمية التولي للإمام علي عليه السلام وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربع مائة سنة.

لن نكون من حزب الله الغالبين ما لم نكن على هذا النحو من الولاء لعلي عليه السلام، الولاء الصادق الولاء العملي الذي يجعلنا نستلهم من علي كيف نتحلى بأخلاق علي، كيف نتحلى بنظرة علي باهتمامات علي عليه السلام، وسنرى كيف سنكون في مواقفنا في اعتقاداتنا في نظراتنا في توجهنا منسجمين مع القرآن لأن ((عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي)).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يتولى علياً عليه السلام تولياً صادقاً، وأن يثقفنا بالقرآن، ويفقهنا بالقرآن، ويفهمنا القرآن.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الـموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة المائدة (٣-٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

الدرس الثالث

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٥/١/٢٠٠٢م

اليمن - صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

نحن بعد لم نستكمل الآيات في [سورة المائدة]، وصلنا إلى قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥).

قد تحدثنا حول هذه الآية وذكرنا أيضاً مما ذكره السيد [محمد حسين فضل الله] حول الآية أيضاً.

وقد يبدو للكثير منا بأن الموضوع قد استُكمل، أو قد يبدو للبعض أيضاً تساؤل من نوع آخر.

والذي أريد أن أقول: بأن هذا الزمن، هذا العصر لا نعلم بأنه مر في هذه الدنيا عصر أزهى منه، ولا أكثر تضليلاً وضلالاً مما يحدث فيه، ضلال بشكل رهيب، وبشكل دقيق، وبانتشار كثير على نطاق واسع، وبشكل أوسع من انتشار الضلال ربما في أي زمن من الأزمنة الماضية، الضلال ينتشر في هذه الدنيا من أقصاها إلى أقصاها في لحظة واحدة وفي ساعة واحدة، بينما كانت الكلمة الباطلة، الكلمة المضلة، أو الموقف الضال في العصور الماضية لا تنتشر في منطقة كالجزيرة العربية إلا في أشهر حتى تصل من أقصى الجزيرة إلى أقصى الجزيرة.

وعندما تصل لا تصل إلى كل قرية، عندما تصل لا تصل إلى كل بيت، في هذا الزمن يصل الضلال، التضليل، الخداع، التزييف إلى داخل ـ تقريباً ـ كل بيت، وفي لحظة واحدة، وبسرعة هائلة، حتى إلى داخل المساجد أنفسها، زمن رهيب جداً.

نعود إلى أنفسنا نحن [الزيدية] هذا الشيء الذي يزعجنا جداً، نحن الطائفة ربما الوحيدة في هذه الدنيا، وفي هذا العصر الرهيب، الطائفة المعرضة للتضليل بشكل رهيب جداً أكثر من غيرها؛ لأن كل ما تتلقاه ليس على أيدينا، حتى أبناءنا في مدارسنا لا يتثقفون على أيدينا، أليس كذلك؟.

الصوت الذي نسمعه ليس منا، الصوت أو الموقف أو الكلام الذي نراه أيضاً ليس من داخلنا، الصحيفة التي نقرأها ليست من داخلنا، ليس لنا أعلام واضحة، ليس لنا هداة نلتزم بهم، ليس لنا مدارس قائمة هي التي تتولى إخراج مرشدين يتحركون في أوساط مجتمعنا، ليس لدينا شيء، فكلما يدور في داخلنا في داخل بيوتنا، في داخل مساجدنا، في داخل مدارسنا، في داخل ساحتنا هو ليس منا ولا على أيدينا.

ونحن في نفس الوقت مُفَتَّحِين كل واحد منا له [أريل] أو إثنين يستقبل من كل الجهات يعني ذلك بأننا قد نكون نحن الضحية، الضحية الكبيرة للتضليل في هذا الزمن. طوائف أخرى لديها ضوابط، مازال لديها ضوابط معينة، لديهم عالم يمثل مرجعيتهم الكبرى أو العليا، وسائل إعلامهم من داخلهم، مناهجهم في المدارس هي على أساس مذهبهم وعقائدهم وتاريخهم، الصحيفة هي من داخلهم، السلطة هي سلطتهم، المرشدون هم منهم، الكُتّاب هم منهم، المكاتب مملوءة بكتبهم، أليس كذلك؟.

لكن نحن الزيدية ماذا نملك؟ إذهب إلى أي مكتبة من المكتبات في صنعاء أو حتى في صعدة كم تجد؟ ربما أقل من ١٪ من الكتب التي أمامك، كلها ٩٩٪ كتب أخرى، من كتب الآخرين.. أليس هذا مما نراه؟. مكتبات طويلة عريضة أدخل تجد ٩٩٪ منها كتباً ليست زيدية، ليس لدينا شيء، لا ثقافة هي تمثل ثقافتنا تسود في الساحة، ولا ثوابت داخل أنفسنا تقينا من أي ضلال يأتي من هنا أو من هنا أو من هناك!.

لولا أن الآخرين من الطوائف الأخرى أو الكثير من الطوائف الأخرى لولا أنهم هم على ضلال فيما بين أيديهم لما تعرضوا هم للتضليل، ولما كانوا ضحية للضلال، لولا أن ما بين أيديهم هم ضلال؛ لأن ما بين أيديهم هو يُفعَّل، أليس كذلك؟ تراثهم هو الذي يُفعّل، هو الذي يملأ المكتبات، هو الذي يرفع في المسجد، هو الذي يدرس في المدرسة، هو الذي يُكتب في الصحيفة إذا كان هناك صفحات عن قضايا إسلامية هو الذي يكتب في الصحيفة هو، هو الذي يتحرك لولا أنه من أصله لا يقوم على أسس صحيحة لما تعرضوا للتضليل والإضلال، ولما أصبحوا على ما هم عليه؛ لأنهم لا ينقصهم شيء، هم أساساً لا ينقصهم شيء بالنسبة لما هم يعتقدونه ويؤمنون به، ويثقفون أنفسهم به إسلامياً، هل ينقصهم شيء؟ لا.

ألا يعني هذا بأننا نحن الزيدية في هذا الزمن الرهيب قد نكون نحن الضحية الكبرى للتضليل، نحن من نرى أبناءنا هذا يسير كذا وهذا يسير كذا، أبناء الطائفة هذه، هذا وهابياً وهذا أصبح اثنى عشري، وهذا أصبح لا

ديني! ونرى أبناءنا من داخل مدارسنا يتخرجون على نحو آخر. ألا يعني هذا بأننا نحن بحاجة إلى وعي إلى فهم؟ بحاجة إلى مزيد من المعرفة، بحاجة إلى مزيد من المعرفة بالثوابت التي نقف عليها، ونتحرك على أساسها، أو أنه لا تعنينا أنفسنا، لا يهمك أن تصبح ضحية للضلال، أو لا يهمنا أمر ديننا لا يهمنا، لسنا مسؤولين أمام الله.

تحدثنا في كلام سابق بأن المسؤولية على الزيدية تبدو أكبر من المسؤولية على أي طائفة أخرى، أكبر من المسؤولية على أي طائفة أخرى؛ لأننا ـ في نفس الوقت ـ نقول: نحن أهل الحق، ونحن من بين أيدينا مبادئ الإسلام وقيمه بشكل صافٍ ونقي لم نتعرض في تاريخنا إلى أن نحمل عقائد باطلة ندين لله بها، فنحن أهل الحق. إذاً فأنت أنت المسؤول الأول عن هذا الحق أن تعلي كلمته، أن تعلي صوته، أن توسع دائرته في هذه الأرض.

ثم مع هذا نبدو أكثر الناس مللاً، وأقصر الناس نظرة، ـ وتقريباً ـ أضيق الناس صدراً، لا نريد نسمع كثيراً، لا نريد أن نفهم كثيراً، متى ما تحدث أحدنا عن علي بن أبي طالب مرتين ثلاث قلنا [خلاص، يكفي] متى تحدث عن أهل البيت قلنا: [يكفي]. إذا تحدث عن قضايا المسؤولية وإشعارنا بمسؤوليتنا قلنا: [يكفي]. ملل وضيق أفق.

ألسنا نرى الآخرين لا يملون من أن يسمعوا ما هو حديث عن معتقداتهم؟ أحياناً حتى داخل مدارسنا العلمية هذه التي عمرها لا تزال ناشئة نسمع أن في داخلها من يقول: [خلاص ـ يا أخي ـ يكفي]. أنت أول من تَملْ وأنت من يراد منك أن تخرج داعية للأمة، مرشداً للمجتمع، مرشداً للناس فإذا كنت أول من يمل، أول من يقول: [يكفي] فلن تتحدث مع الآخرين حتى يقولوا: [يكفي] مثلما قلت أنت. ألا يعني هذا بأنا يجب أن نُفَتّح أكثر وأن نفهم أكثر، حتى لا نكون تحت أقدام منهم تحت أقدام منهم تحت أقدام من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، حتى لا نبوء بغضب من الله، حتى لا نتعرض لعقوبة الله في الدنيا قبل الآخرة.

وغير صحيح غير صحيح أن تقول: نحن نعيش مستضعفين أذلاء لكن إن شاء الله يوم القيامة ندخل الجنة، ونعيش أعزاء، ونعيش سعداء، ونرى الآخرين وهم في قعر جهنم. ليس صحيحاً هذا. إذا لم تكن أنت من تعمل هنا في الدنيا؛ لأن الجنة هي كما قال الله: {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (آل عمران: من الآية١٣٦) **مجرد خداع فقط نخادع أنفسنا.**

إذاً فلنعي ولنفهم ولنحاول أن نسمع أكثر، ولكن من أين؟ نحن نسمع كثيراً وتسمع أحياناً بغير إرادة منك، أليس الكلام في هذه الدنيا كثيراً؟. أليس الكلام كثيراً في الدنيا هذه؟ تسمع حتى على غير إرادة منك وتشاهد رغماً عنك، تسمع رغماً عنك، وتشاهد رغماً عنك، أنت تمشي في الشارع وذلك الميكرفون في الجامع فيه إنسان مضل يتحدث فتمشي أنت في السوق ورغماً عنك تسمع كلامه.. أليس كذلك؟ يتحرك وراءك بعربية الأشرطة أو سيارة فتسمع رغماً عنك، تلتفت إلى الأرض ترى قطعة صحيفة، قطعة كتاب تقرأها رغماً عنك، لافتة هنا أو هناك [يافطات] تقرأها رغماً عنك، أليس كذلك؟ حتى يصبح الإنسان يتعرض لبعض الأشياء رغماً عنه فيضل رغماً عنه.

عندما نقول: نفتح نسمع أكثر.. نسمع من قناة واحدة، لا يعني بأن نسمع من هنا ونسمع من هناك، كل شيء حاصل من هنا وهناك وهو الذي عانينا منه، إذاً فالزمن بكله والمرحلة بكلها هي نفسها ما سماه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((**فتن كقطع الليل المظلم يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً يصبح مؤمناً ويمسي كافراً**)) **ما المخرج؟.**

هل المخرج كما يقال: [أن تتثقف أكثر] فتنظر هذا، وتسمع هذا، وتذهب إلى ذاك وتسير عند ذاك، وترجع إلى هذا، وتنظر عند هذا فيقال توسع ثقافتك على أساس أن يكون لديك معرفة ويكون لديك رؤية وأن يكون لديك خبرة، وتطور معلوماتك، وكلام من هذا القبيل.. هل هذا هو الحل؟. لا.

سيكون هذا مفيداً متى ما بدأت تمشي في طريق واحدة وتثقف نفسك أولاً من قناة واحدة فتصبح لديك ثوابت صحيحة، يصبح لديك رؤية صحيحة، مقاييس صحيحة، معايير صحيحة، ثم حينها انطلق في هذه الدنيا، اقرأ

أي شيء، تسمع ولو كل قنوات العالم هذا تسمعها أو محطات الإذاعات كلها فيما بعد ستفيدك فعلاً خبرة وبصيرة، سترى كم هي ضالة، سترى كم فيها ما يشهد بصحة ما أنت عليه، حينها لا تكون عرضة إطلاقاً لأن تضل.
بعد أن أخبر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه سيأتي بعده فتن كقطع الليل المظلم على هذا النحو هل سكت؟ هو من هو حريص على هذه الأمة أن يرشدها أن يبصرها حتى وإن كان في آخر أيامه، والمرض ينهك جسمه، والموت يدب في أعضائه، ما يزال يحمل حرصاً على هداية أمته.
من خلال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) سنعرف ما هي هذه القناة، ومن خلال القرآن أيضاً. وأولاً نعرف ما هي هذه القناة التي نعطيها أهمية كبرى أولاً، الله قال في القرآن الكريم يتحدث عنه بأنه هدي {إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) {هُدىً لِلنَّاسِ} (البقرة: من الآية١٨٥) {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية١٦) سبل السلام، سلام من ماذا.؟ السلام من الضلال السلام من الهلاك، السلام من الخزي، السلام من العار، السلام من جهنم.
{وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: من الآية١٥٣) في أكثر من آية يذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن هو هدى {هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة: من الآية٢) {هُدىً لِلنَّاسِ}، إنه الهدى الذي قال عنه: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طه: من الآية١٢٣).
أثناء الفتن وعند تراكم الفتن هذه التي كقطع الليل المظلم ما الذي يحدث؟ ليست الخطورة فيها في أنه كم قتلى يحصل هنا، كم دمار يحصل هناك لأنه قال فيها، يبين وجه الخطورة فيها على أمته ((يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً، يصبح مؤمناً ويمسي كافراً)) أي الخطورة فيها خطورة تضليل رهيب والتباس في الأمور، وضلال رهيب، وضلال دقيق، ويأتونك من بين يديك، ومن خلفك وعن يمينك، وعن شمالك {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي} (طه: من الآية١٢٤).
ألم يقل الله بأن هذا ذكر؟ {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤) لماذا يحشر أعمى؟؛ لأنه كان ضالاً عندما أعرض، أعرض فضل. {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} (طه: من الآية١٢٧) هكذا يكون جزاؤه أن يحشر يوم القيامة أعمى، وأن يعيش في الدنيا عيشة ضنكا.
الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول في حديث رواه الإمام علي (عليه السلام)، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال سمعت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: ((ألا إنها ستكون فتنة.. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم)).
قلنا أكثر من مرة بأن القرآن الكريم يستطيع أن يكشف لكل أمة واقعها، يستطيع أن يكشف لك الواقع.
((فيه خبر ما بعدكم)) خبر ما سيأتي بعدكم لكن ليس على سبيل الإخبار التاريخي بأنه سيأتي في عام كذا وكذا يحصل كذا وكذا.. لا. بطريقة أخرى بطريقة أخرى لا يستطيع أحد أن يعملها.
((ألا إنها ستكون فتنة.. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم)) ونبأ ما قبلنا فيه عبرة ودروس لنا في مقام الهداية {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (يوسف: من الآية١١١).
((وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل)) فيجب أن نتعامل مع القرآن بجدية، هو فصل في كل القضايا، فصل في مقام الهداية يرشد للتي هي أقوم.
((ليس بالهزل)) هو كتاب عملي، كتاب عملي، كتاب للحياة، كتاب للنفوس، كتاب للهداية، ليس فيه مفردة واحدة لا تعطي هداية، ليس فيه آية واحدة لا تعطي هداية، حتى تلك التي يقول عنها أصحاب الناسخ والمنسوخ، أو أصحاب [قواعد أصول الفقه]: هذه الآية منسوخة. ما الحكمة من بقائها؟ قال: لمجرد التعبد بتلاوتها. ليس من هذا القبيل كتاب الله، كل مفردة فيه فيها هداية كبرى، كل آية تهدي هداية، أحياناً تفتح كثير من الآيات أبواباً واسعة من أبواب الهداية.

((من تركه من جبار قصمه الله)) حتى وهو جبار متى ما ترك القرآن يتعرض لأن يقصمه الله، فكيف بأولئك المستضعفين الذين ليس لديهم ما يحميهم إذا ما تركوا القرآن سيُقصمون سريعاً على أيدي الجبارين، هذا هو جبار أي يمتلك قدرة أن يحمي نفسه بل هو من يتسلط على الآخرين متى ما ترك القرآن فإنه يتعرض هو لأن يقصمه الله. لكن هناك سنن ثابتة في القرآن الكريم في قصم الجبارين.

((ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله)) حتى عندما تعرف الواقع الذي أنت تعيش فيه، وتعرف المرحلة السيئة التي أنت تعيش فيها، والضلال الذي ينتشر من يمينك وشمالك، وأنت هناك من يهتم بنفسه فتبحث عن الهدى، وإن كان لديك حرص كبير على أن تهتدي فإنك عندما تبحث عن الهدى في غير القرآن، وعن غير القرآن تضل، بل يضلك الله، وكلمة: ((ابتغى)) يعني طلب الهدى.. من الذي يطلب الهدى؟؟. من يشعر بحاجة إلى الهدى، حتى من يشعر بحاجة إلى الهدى متى ما انطلق ليهتدي من هنا أو من هنا سيضل.

((وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء)). متى ما اختلفت الألسن وهي تتلوه، متى ما اختلفت الألسن وهي تعبر عنه لا يؤثر هذا عليه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:٩). وما أكثر ما حصل من التباس الألسنة حول القرآن الكريم، التباس رهيب على أيدي المفسرين، على أيدي أصحاب فنون كثيرة من الفنون التي يقال بأنها تخدم القرآن الكريم، التباس كثير حصل، ولكن القرآن ما يزال هو، هو، لا يمكن أن يمسه أحد بسوء، ولا يزال هو هو يرفض كلما يلصق به مما لا ينسجم معه.

((ولا يشبع منه العلماء)) لا يشبع منه العلماء؛ لأن فيه المعرفة الواسعة، هو بحر لا يدرك قعره.

لكن أصبحنا في موقف عجيب، الشخص منا متى ما كان فقيراً يقول للآخرين: ما معي إلا الله. أليس هكذا يقول؟ يقال للشخص الذي يتعلم القرآن: أنت بتقرأ؟ أنت تتعلم؟ يقول: نعم. في ماذا؟ يقول: في القرآن، أتعلم حصة في القرآن. وماذا؟ أليس الواحد يقول: وماذا هل معك شيء آخر، لم يعد هنا شعور بأن القرآن يكفي إلى درجة أنه لا يشبع منه العلماء. ومن العلماء؟. العلماء الذين يغوصون في أعماق أعماقه، لا يزالون مهما عُمِّرُوا لا يشبعون منه. أي هو بحر علوم.

((ولا يَخْلَقُ على كثرة الرّد)) مهما تردد الحياة تتردد من حولك وتتغير، وتحدث أحداث متعددة والقرآن كلما ترجع إليه يفيدك يعطيك هدى، يكشف لك شيئاً.. كل يوم ترجع إليه. أليست الحياة هكذا تتحرك؟ الحياة كلها تتحرك متغيرات تطرأ، أحداث تطرأ، القرآن يكشف لك الكثير الكثير عنها، وكيف تنظر إليها، وكيف تتعامل معها.

((ولا تنقضي عجائبه)) حكم عجيبة يعطيها، أمور عجيبة يكشفها، سبل عجيبة يهدي إليها قيم عجيبة.

أيضاً ((هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} (الجن: من الآية٢)) هؤلاء جن [قُبَلِيين] على ما بنقول نحن: قُبَلِي. {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} (الاحقاف:٣٠) كذلك قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} عجيب فيه العجائب، {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}.

حاولوا أن تربطوا أنفسكم في عملكم هذا بالقرآن وأنت ترشد حاول أن تدور حول القرآن وتنزل القرآن للناس وتعرض آياته للناس وتذكرهم به؛ لأنك هنا لن تقع في باطل، لن تقع في باطل إذا كنت تقول به، وليس تتقوّل عليه. هناك من يرجع إلى القرآن ولكنه يتقوّل على القرآن من منطلق عقائد فاسدة لديه، أو قواعد باطلة ينظر من خلالها إلى القرآن الكريم فيصبح مُتَقَوَّلاً عليه، لكن لا.

((من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حَكَم به عدل)) فيعني ضمانات هذه مادمت تتحرك في إطار القرآن فكل شيء يأتي من عندك سيكون صحيحاً، عندما تقول به تصدق، تعمل به تريد الأجر من الله يحصل لك أجر، تحكم به تعدل.

((ومن دعا إليه فقد هَدى إلى صراط مستقيم)) ألسنا بحاجة إلى أن نهتدي إلى الصراط المستقيم؟. إذاً فالقرآن الكريم هو فعلاً القناة التي يجب أن نتلقى منها البينات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر. في هذا العصر

الذي تحدثنا عنه، عن واقعه، وعن واقعنا فيه، وعن وضعيتنا فيه. نحن قلنا: مما نعاني منه الملل، أو تساؤلات بالمقلوب.

تحدثنا بالأمس حول ولاية الإمام علي (عليه السلام) من خلال الآيات الكريمة: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) وتناولنا الآخرين أيضاً بكلام من خلال المقارنة، عمر أبو بكر عثمان وأضرابهم.

العادة في طرح كهذا؛ لأنه أصبح غير مألوف، أصبح غير مألوف عند الكثير، وغير مسموع عند الكثير أن يتحدث الإنسان بشدة حول أبي بكر وعمر وعثمان وتلك المجموعة التي لا نزال نعاني من آثار مخالفتها لله ولرسوله، قد يبدو بعض الناس يتساءل: [أنه لماذا ولاية علي بالذات ممكن نتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان والكل ونرضّى عليهم جميعاً وكلهم باهرين] ما احنا قد تولينا علي؟ إذاً هل هناك مانع من دخول الآخرين معه؟ وبذلك سنبدو سمحين ونبدو قريبين من الآخرين ونبدو ونبدو.. الخ.

هذا يحصل مثل هذا كثيراً حتى في أوساط علماء ومتعلمين، وقد يكون ـ ربما والله أعلم ـ من أوساط العامة أنفسهم ممن تراه لا يتسامح في شبر واحد من [مَشْرَب] أو قطعة أرض، أو [مَحْجَر] مع صاحبه، أو مع أخيه من أمه وأبيه! ولكنه سيبدو متسامحاً مع أبي بكر وعمر وعثمان، وسَهْل لو أخذوا علينا ثلثين الدين.

لكن بالعودة إلى القرآن الكريم سنعرف أننا بحاجة إلى أن نتحدث بهذا الأسلوب، وبهذا المنطق، وإلا فنحن لسنا ممن طبائعهم حمقى أو ضيقة أو شديدي اللهجة على أي إنسان أو يتطاولون بألسنتهم على أي إنسان.. ليس هذا من طبعنا. ولكن هي الحاجة الماسة التي جعلتنا نتحدث حتى على الرغم من أننا نعلم أننا سنجرح مشاعر كثير من المسلمين بهذا الكلام.

لكننا نقول: نحن أمة مجروحة يجب أن تبحث عن العلاج وعن سبب المرض، عن السبب الذي جعل هذا الجرح ينزف دماً ولا نجد هناك من يلتئم الجرح على يديه. ليس عصر مجاملة، ليس عصر مداهنة، ليس زمن تغطية وتلبيس، زمن يجب أن تكشف فيه الحقائق على أرقى مستوى، وأن يتبين فيها بدءاً من هناك من مفترق الطرق من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من هو السبب في كل ما نحن نعاني منه؟ حتى وإن كان علياً، حتى وإن كان عماراً، حتى وإن كانت فاطمة ناهيك عن أبي بكر وعمر وأضرابهم.

ليست المسألة تحامل على الآخرين إنما هي شيء يجب أن نصل إليه من خلال، من خلال ثقتنا بأن هذا القرآن هو وحده الذي يهدي، من خلال اعتماد القرآن الكريم بأنه هدى الله الذي يهدي للتي هي أقوم، وبروحية القرآن نتحدث عن الآخرين، وبأسلوب القرآن نتحدث عن الآخرين أيضاً.

إذاً فليس هناك مجالاً أن تبدو أكثر تسامحاً من الله، أو أكثر رحمة بالآخرين من الله، أو أكثر حرصاً على وحدة الأمة ـ فتقول من أجل الأمة تتوحد ـ من الله، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي لم يراع مشاعر أولئك الذين يقول الكثير: لا بد أن نراعي مشاعرهم، بل خاطبهم بلهجة قاسية في قضية تبدو عادية للبسطاء تبدو عادية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الحجرات:٢) سننسف أعمالكم.

أليس هكذا؟ هذا منطق شديد وإلاّ لا؟ يقل: [كانوا وكانوا مع رسول الله، ويقال كانوا يجاهدوا، وكان باهر... وكان.. وكان..] الله الذي يعلم الأعمال ويكون للأعمال قيمتها عنده، يقول: {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} عندما تخاطبوه: يا محمد. بعبارات نحو هذه.

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ} سنحبط أعمالكم. ماذا وراء إحباط الأعمال ماذا؟ أليس وراءها جهنم أن تحبط أعمالك الصالحة؟ الإنسان لا يبقى صفر لا سيئات ولا حسنات معناه سترتكب خطيئة وجريمة تحبط كل حسناتك، وتملأ كل ذلك الفراغ سيئات. الإنسان لا يعيش في لحظة لا حسنة ولا سيئة، لا أحد يعيش صفر من هنا ومن هنا.

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} قالوا: هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر، ودعها تنزل في الصحابة كلهم.. أليس هذا منطق ولهجة شديدة؟ ألا تدري لماذا؟ لأن في رفع صوتهم فوق صوت النبي (صلوات الله عليه

وعلى آله) ما يخل بالأدب في مجلسه ومحضره، ما يكشف عن عدم إجلال واحترام وتقدير له بالشكل الذي يليق به، فإذا كان محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله ليس لـه المكانـة العظيمـة في نفـسك الـتي تجعلـك تتأدب في مجلسه إذاً فلن يكون لكلامه وتوجيهاته أهميتها في نفـسك، ولـن تقـع موقعهـا في نفـسك، وبالتـالي فسيكون من السهل أن تخالفها، من السهل أن تتملص عنها، من السهل أن تؤولها، من السهل أن تبتكر من عنـدك ما تعتقده بديلاً عنها وتقدمه بديلاً عنها، وهنا مَكْمَن الخطورة.

فكيف بمن رفعوا صوتهم فوق صوت النبي، وخالفوا النبي، ورفعوا صوتهم فوق صوته وهو في حالـة المـرض وفي قضية مهمة.

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} ارجع إلى القرآن الكريم تجـد أسـلوبه يقـوم علـى هـذا النحـو: يلعـن الكافرين، يلعن الفاسقين، يلعن الظالمين، يلعن المؤذين لله ولرسوله، أليـس القـرآن ملـيء بهـذا؟ أم أنـه فقـط كتاب أخلاق وتساهل، وليست مشكلة وإن كان ظالم ما عليك منه، وفاسق تتمشّى معه، وكافر اتركه لوحده، وكـلٌ سيدخل قبره وحده. هو هكذا منطق القرآن؟ أم أن منطقه صرامة وشدة مواقف. والقرآن كتاب عملي، ليس فقط للترانيم كتاب عملي للحياة وللنفوس تهتدي، وتتحرك على أساسه، كل شيء فيه مهم، فهو يوجه حتى بأساليبه.

الله الذي يسمي نفسه بأنه أرحم الراحمين، رحيم بعباده يلعن هذا، وسيحبط عمل هذا، ويضرب هـذا. المـسألة ليست مسألة رحمة كما نتصورها نحن، أو تسامح مـع كـل الأطـراف كمـا نتـصورها نحـن. لا.. لـه مـنهج واحـد {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} (الأعراف: من الآية١٥٦) أليس كذلك؟ له هـدي واحـد: {فَمَـنِ اتَّبَـعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طـه:١٢٤) مـن أي الأوساط كان، وفي أي مرتبة كان حتى وإن كان نبياً من الأنبياء فإنه يقول له: {قُلْ إِنِّـي أَخَـافُ إِنْ عَـصَيْتُ رَبِّـي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥) ليس هناك مجاملة إطلاقاً من قبل أرحم الراحمين.

أنت قد تتجنى يا من يبدو في منطقه أو في تفكيره أكثر تسامحاً، عندما تسمع منطقاً شديد اللهجة غير مـألوف ولو على مسامعنا، نحن أصبحنا كما قلت سابقاً لا نتثقف بثقافتنـا، وإلا فهـذا المنطـق لـيس جديـداً هـو منطـق السابقين من أئمة أهل البيت، هو منطق فاطمة الزهراء التي أوصت أن لا يحضر جنازتها ولا الـصلاة عليهـا أبـو بكر ولا عمر، حتى خرج علي (عليه السلام) مع عمار ومجموعة خاصة من أوليائه ليـدفنوها في الليـل ويعملـون عدة قبور ليعمّوا حتى قبرها عنهم، أليس هذا شدة من فاطمة؟.

فاطمة هي كما قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ((هي سيدة نساء العالمين)) ((فاطمة بضعة مني يُرِيـبُني ما رابها، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، من آذاها فقد آذاني، من أغضبها فقـد أغـضبني)) علـى اخـتلاف ألفاظ الحديث أو تعدد رواياته.

قد تتجنى على حكمة الله سبحانه وتعالى، فتبدو وكأنك أكثر حكمةً من الله، الله الذي قال: سيحبط أعمـالهم، أعمالاً صالحة. وأنت تريد أن تتغاضى عن أعمال سيئة ترفعها إلى مقام الأعمال الصالحة، كم هو الفارق؟ كـبير.

الله قال: سيحبط أعمالاً وإن كانت أعمالاً صالحة فعلاً، وإن كان فيها جهاد وعبـادة وإنفـاق، سـيحبطها إذا رفعـتم صوتكم فوق صوت النبي، فكيف إذا رفعت خطاً ومنهجاً بأكمله خلاف منهج النبي فتجعل حركة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وما بذله من جهد كبير أيام حياته تجعله لا شيء في الأخير. وهو الذي ساد في هـذه الأمـة مـن ذلك الزمن إلى الآن، أليس أبو بكر وعمر ومن ورائهم هم الذين سادوا المجتمع المسلم؟ أليسوا هم أغلبية الأمة؟.

قل: إذاً أولئك لم يرفعوا فقط أصواتهم فوق صوته بل رفعوا أشياء أخرى خلاف ما جاء به، رفعوا أمة أخرى غـير الأمة التي كان يريد أن تكون هي التي ترتفع، رفعوا أمة. هذه الأمة التي كان يريدها النبي (صلوات الله عليـه وعلى آله) أن تكون هكذا على مستوى عال، على مستوى عال في واقع حياتها، في تفكيرها، في هـديها، في زكـاء نفوسها أصبحت أمة دُنّست بالعقائد الباطلة، تحت أقدام الجبارين من الخلفاء في مختلف العصور، علـى يـد مـن حصل هذا؟.

يُظلم أول من يُظلم أهل بيته: علي وفاطمة والحسن والحسين أول من ظلم في هذه الأمة، على يد من حصل هذا؟ على يد أبي بكر وعمر.

يصل معاوية إلى حكم الأمة، ويصل يزيد إلى حكم الأمة، ويصل من كانوا يسبحون في أحواض من الخمر فيشرب حتى الثّمالة وهو أمير المؤمنين! على يد من حصل هذا؟ وبسبب من حصل هذا؟.

القرآن الذي جاء به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان هكذا يريد أن يكون من يلي أمر أمته التي هو حريص عليها أن يكون من هذا النوع: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}** (المائدة: من الآية٥٥) **فكان هناك من لا يصلي، من يسبح في أحواض من الخمر، من يسهر في السهرات الحمراء الراقصة ـ كما يقولون في زماننا هذا ـ على يد من حصل هذا؟ بسبب من حصل هذا؟.**

رفعت أشياء رهيبة جداً، جداً خلاف ما كان يريد القرآن ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن يرتفع في الأمة، أليس هذا أعظم من رفع الصوت فوق صوت النبي؟ أليس هذا يؤلم النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أكثر من أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته؟.**

بل هو كان سمحاً في أخلاقه وإن حصل في مجلسه ما لا يليق من ناحية الأدب معه (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان يستحي أن يتحدث. كان يجلس في مجلسه ناس فيستحي أن يخرج من عندهم إنما يأتي الله هو يقول لهم: يا جماعة خففوا على النبي، خففوا على نبيكم. ألم يحصل هذا من قِبَل الله هو الذي فَرّغ فيه.**

كان يستحي أن يتكلم هو، يرفعوا أصواتهم فوق صوته فيتحمل، يجلس في حجرته الشخص منهم أو الأشخاص فترة طويلة يستحي أن يقول لهم اخرجوا، يستحي أن يخرج من عندهم. كانت أخلاقه عالية وكريمة وصدره فسيح، لكن القضايا هذه ليست عادية فقال الله سبحانه وتعالى هو لعباده يحذرهم ويؤدبهم.

فأيهما أشد عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وعلى مشاعره، وعلى نفسه أن يرفع صوت فوق صوته في مجلسه أو أن يرفع شخص آخر غير من رفعه هو ورفع يده فوق أقتاب الإبل [يوم الغدير]؟. أيهما أشد عليه؟ مخالفته في قضية كهذه أو أن يرفع أحد صوتاً فوق صوته؟ معلوم أن مخالفته في قضايا كهذه المهمة هي التي تؤلمه جداً.**

قد تبدو متسامحاً أكثر من الله. الله لا يتسامح مع الذين يَتَجَنَّون على عباده، ويظلمون عباده، ويحرفون دينه.

هل تسامح مع آدم؟ أول رجل في هذه الأمة أخرجه هو وزوجته من الجنة التي كان قد أعدها لهم في هذه الدنيا ليقيموا فيها فترة حتى يتكاثر نسلهم، عندما أكل شجرة، ما هي هذه الشجرة؟ هل هو شرب خمراً؟ لا. شجرة..

قال المفسرون: شجرة حنطة، أو أنها الشعير أو أنها التينة، أو أنها الكَرْمة، شجرة عادية من هذه التي نأكلها، لكنه خالف فشقي {فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} (طه: من الآية١٢١) **أخرجا من الجنة، اهبطا منها، ونُزِع عنه وعن زوجته لباسهما فخرجا عاريين، نُزِعت ملابسهما من فوقهما {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}** (طه: من الآية١٢١). **شقي آدم بسبب مخالفة؛ ليعطي دروساً لبني آدم من بعده أن مخالفته لا يمكن أن تكون كطاعته.**

فتأتي أنت تسوي بين من خالف أمره في أمور مهمة جداً وبين من يطيعه وهو يقول: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ} (السجدة:١٨) **{لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}** (الحشر:٢٠) **يجب أن نهتدي بهدي الله، وأن نقف موقف القرآن، وأن ننطق بأساليب القرآن وأن نكون أقوياء بقوة القرآن، وإلا فسنكون نحن من يَتَجَنّى على حكمة الله وعدله ورحمته فيبدو وكأنه أكثر حلماً من الله، أكثر رحمة من الله، أعظم حكمة من الله، أوسع علماً من الله، ستبدو هكذا فتسيء أنت إلى إلهك، وتسيء إلى نفسك إساءة بالغة، إساءة بالغة.**

كيف تريد أن تتسامح مع أشخاص هم ضربوا هذه الأمة؟ بل لا مخرج لهذه الأمة إلا بأن تصحح وقفتها معهم ونظرتها إليهم من جديد. والله هو الذي يقول لنبيه سيد المرسلين: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥) **هل هناك أحد في هذه الأمة أرفع من محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهو الذي يقول: لو عصيت لعذبني، أخاف إن عصيت أن يعذبني. طيب لو عصى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **سنقول: طبيعي، هو نبي هو كذا. حتى هذا أليس منطقاً رفيعاً؟ هل هو مقبول عند الله؟. لا.**

تنـزل إلى شخص آخر ما كان ربما يدري من هو الذي يخاطبه، مقام الذي يخاطبه، عظمة الذي يخاطبه، جلال الذي يخاطبه فيرفع صوته فوق صوته ويعارضه في منزله في داخل بيته أثناء مرضه في قضية تهمه جداً، هل تريد أن تمنحه ما لم يُمنح لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) من قِبَل الله؟. فتؤمّنه مما لم يأمن منه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إن عصى ربه؟!!. تبدو أنت ترتكب جريمة أخرى، تبدو أنت من يغطي على منابع الفساد في هذه الأمة.

ثم نأتي إلى من يقول: [ممكن نتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان والصحابة جميعاً ونرضي عليهم ونبدو أكثر تسامحاً، ويمكن أن نتوحد مع الآخرين..] الخ.

هل هذا صحيح؟. هل هذا ممكن؟. لو كان ممكناً، لو كان يبرّئ الذمة، لو كان فيه الحل، لو كان هو هدى الله ما الذي يمنعنا من ذلك، هل هناك ما يمنعنا؟ يمكن أن نصلي عليهم وليس فقط نرضي عليهم لو كانت القضية هكذا ممكنة، لكن ارجع إلى الآيات هذه نفسها، أليست تتحدث عن قضية مهمة جداً بالغة الخطورة علينا في إسلامنا، في أنفسنا في إيماننا في أنفسنا؟ وفي واقع حياتنا؟ قضية أهل الكتاب مواجهة اليهود والنصارى، ما يحصل من جانبهم، أليست القضية خطيرة؟ تضربنا في إيماننا فنكون قد ارتكبنا جريمتين أضعنا إسلامنا وأضعنا مسؤوليتنا.

ألم تذكرنا آيات [آل عمران] بأن القضية هي على هذا النحو: محافظة على إسلامكم، وتأهيل لأنفسكم لتكونوا بمستوى أداء مسؤوليتكم. ما هي المسؤولية هذه؟ مسؤولية كبرى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **مسؤولية كبرى، أن تكونوا ممن قال عنه: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** (المائدة: من الآية٥٤) **إذاً ففي هذه الآية أرشد إلى تولي من نوع خاص ولطرف خاص: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}** (المائدة:٥٥).

إن المراد هنا: أن تتولى جهة، تولي تنظر إليها أنها الجهة التي تعتبر ولي أمرك ولاية أمر منها تتلقى الهداية، منها تتلقى التوجيهات، بها تقتدي، بها تهتدي؛ إن المقام مقام يتطلب هذا فعلاً، ولهذا قال بعدها: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) **هو يفترض أننا يجب أن نكون في مقام تأهيل أنفسنا لنكون حزب الله ولنغلب، إذاً ماذا يعني هذا؟ هو أنك تبحث عن من تتولاه به تهتدي، به تقتدي، له تطيع، له تأتمر، له تتبع، منه تقتبس، به تتأسى. قيادة، ولاية أمر، هذه تختلف عن الولاية فيما بين المؤمنين أنفسهم {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}** (التوبة: من الآية٧١) **هذا هو جانب معناه أن يكونوا مع بعضهم أولياء بعض، أن يكونوا صفاً واحداً وموقفاً واحداً متعاونين متكاتفين كالجسد الواحد فيما بينهم، يَهُمّ بعضهم أمر بعض، تسودهم حالة من الألفة، من الأخوة، من المحبة.**

لكن هنا يرشد إلى جانب الجهة التي تتولاها لتتلقى منها الهداية، تتلقى منها التوجيهات؛ لأنك عندما تريد أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى تريد أن تكون من حزبه أليس يعني هذا أنك تريد أن تكون جندياً من جنوده في مواجهة طائفة خبيثة من خلقه هم أهل الكتاب: اليهود والنصارى.. إذاً كيف جندي بدون قيادة؟ كيف جندي لا يتلقى أوامر ولا توجيهات من طرف معين؟ كيف يوجهك إلى أن تكون جندياً من جنوده فتكون واحداً من أفراد حزب يسمى [حزب الله] هو الحزب الموعود بالغلبة ثم لا يتحدث لك عن قيادته من هي؟ وكيف يجب أن تكون قيادته؟ هل هذا ممكن؟ لا يمكن لا يمكن؛ ولهذا قال هنا: {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: من الآية٥٦) **حزب الله ماذا يعني؟ جنود، أليسوا جنود لله؟ جنود لله يسمون حزبه في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع، في ميدان الكفاح بمختلف الوسائل.. كيف جنود بغير قيادة؟ هل هذا ممكن؟ هل ممكن لأي ملك من ملوك الدنيا أو زعيم من زعماء هذا العصر أن يرسل كتيبة إلى منطقة بغير قائد، هل هذا يحصل؟ يضعون قائداً حتى للطقم الواحد، سيارة واحدة يضعون لها قائداً، أليس هذا هو ما هو معروف؟.**

هذا الذي قال عنه القرآن الكريم: {هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية١٦) **{يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}** (الإسراء: من الآية٩) **هو يهدينا إلى كيف نكون جنوداً في مقام مواجهة عليا، مواجهة على مستوى راقٍ، ثم لا يتحدث عن الجهة التي تتلقى منها التوجيهات، عن الجهة التي تقودنا، عن الجهة التي بها نقتدي، عن الجهة التي لها نطيع ونأتمر، هل هذا ممكن؟. لا يمكن، لا يمكن.**

ولهذا تجد أنه كيف في الآيات في [سورة آل عمران] في مقام الحديث عن أهل الكتاب كيف وجهنا إلى نقطة مهمة هي: أن نكون متوحدين داخل من يجب أن يكونوا حزب الله ثم هنا يتحدث عن القيادة، القيادة هي تبدأ من عند ولي العباد هو الله سبحانه وتعالى.

قلنا في جلسة سابقة بأنه يبدو لمن يتأمل هذه الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وعن ما يراد للأمة في مواجهتها، وعن خطورة هذه القضية يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى هو من يقود هو من يتصدر لقيادة المهمة فعلاً، ماذا يعني؟. وكأن القضية تولى رسم معالمها، تولى تبيينها بشكل يعني هو تولى قيادة ـ كما يقولون ـ [غرفة العمليات] تولى هو القيادة لخطورة القضية. فكيف لا يوجه؟

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} تهتدون بهديه، تسيرون على تعليماته ووفق خططه في هذه المواجهة، أنتم يا من تريدون أن تكونوا حزبه لتغلبوا، وليكم الله ورسوله والذين آمنوا علي بن أبي طالب، فتولي علي بن أبي طالب هو تولي قدوة، تولي ولي أمر، تولي هادي للأمة من بعد نبيها (صلوات الله عليه وعلى آله).

[علم للأمة بعد نبيها لم يقل علي وفلان، وفلان، وفلان] لم يرض عمر هو، قال: (لا يجتمع سيفان في غِمْدٍ واحد) **أو بهذا المعنى، هو نفسه لا يرضى هو؛ لأن معناه أن ترفع أبا بكر وعمر وعثمان في نفس المقام الواحد لتعطيهم هذه الولاية التي لا تصح إلا لعلم واحد.. هل يمكن أن يكون هناك أكثر من قائد واحد لكتيبة واحدة؟. أكثر من قائد لشعب واحد؟. أكثر من قائد لأمة واحدة؟ أليس هذا يوجد خللاً؟.**

عمر نفسه رفض عندما قال الأنصار: [منا أمير ومنكم أمير]. قال: لا.. وأنت تريد أنت أن تضيف عمر وهو يرفض من حيث المبدأ ما تريد أن تعمله له، تضيفه إلى علي والذين آمنوا، تقول: علي وأبو بكر وعمر وعثمان وهكذا.. لا.

المسألة هي مسألة ولاية هدى، ولاية اهتداء واقتداء من جهة عُليا، منها تتلقى الهداية، أنت يا من أنت جندي في ميدان المواجهة، من أنت تسمي نفسك أو تريد أن تكون من حزب الله يجب أن تتلقى من هذه الجهة، وأنت تتولاها ولاية اهتداء واقتداء، ولاية طاعة، ولاية أمر، إذاً فلا مجال لسحبها على الآخرين. لأننا هنا نخاطَب بخطاب يختلف نوعاً ما عن قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: من الآية٧١).

ثم نعود إلى ما تحدثنا عنه بالأمس لأن البعض قد يقول: لماذا لم يقل فلان؟ لماذا لم يقل ملككم أو رئيسكم أو زعيمكم: الله ورسوله وعلي، أو حتى يقول والذين آمنوا بعد ما يقول زعيمكم. لماذا قال: (وليكم)**؟.**

يجب أن نفهم كيف يجب أن تكون العلاقة، وكيف هي العلاقة فعلاً من وجهة نظر القرآن، وعلى وفق رؤية الإسلام، كيف هي العلاقة بين الله ملكنا وبيننا نحن عبيده وشعبه ـ إن صح التعبير ـ ليست العلاقة بيننا وبين الله، ولا بيننا وبين رسوله، ولا بيننا وبين علي على نمط العلاقة بيننا وبين الرئيس أو الملك أو الزعيم الفلاني، هل تفهمون هذه؟.

العلاقة بيننا وبين الله هي علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين علي** (عليه السلام) **كذلك علاقة أسمى وأرفع، بيننا وبين أئمة أهل البيت كذلك علاقة أسمى وأرفع من هذه.**

ماذا يعني هذا؟ هي أنك خليفته في أرضه، أنت في واقعك خليفة له في أرضه، أنت بمسؤولياتك الكثيرة بمهامك الكثيرة في الحياة، أنت طرف تنطلق أنت من جهة نفسك لتبحث عن كيف تتلقى التوجيهات، عن كيف تتلقى الهداية، عن كيف تكون خطط عملك، عن كيف تهتدي وبمن تقتدي. تتلقى التوجيهات من فوق؛ ولهذا جاءت بلفظ (ولي).

كمثال لنفهم المسألة أكثر: أنت هنا علاقتك بعلي عبد الله كعلاقة المحافظ بعلي عبد الله؟ لا.. لكن نحن تحت اسم واحد [رئيس] أليس هكذا؟ تحت هذا الاسم الواحد؟ لكن علاقة المحافظ به ما هي؟ أليست علاقة طرف يتحمل مسؤولية، منُوط به مسؤوليات ومهام؟.

لاحظ كيف يبدو المحافظ مع الرئيس؟ أليس يبدو أكثر اهتماماً في متابعة أخباره، والبحث عن كيف يتلقى التوجيهات منه، وعلى علاقة دائمة به واتصال مستمر به. أليس هذا الذي يحصل؟ أنت كيف علاقتك أنت بهذا الشخص؟ لا شيء، ألست هكذا في ذهنيتك غافل عنه؟ فقط عندما يأتي أمر ممكن تقابل، ما هكذا يحصل؟.

إذاً نحن المسلمين في واقعنا في ما يتعلق بالعلاقة فيما بيننا وبين الله في هذا الجانب في كونه ملكنا وإلهنا ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ولي أمرنا وعلي (عليه السلام) هو ولي أمرنا، هي من هذا القبيل، أنت في موقع المحافظ، مسؤوليات كبرى، مهام كبرى، فأنت أنت من جهة نفسك من ينطلق ليبحث وهو في ميدان تنفيذ المهام وأداء المسؤوليات والمواجهة مع أطراف متعددة، يتلقى التوجيهات من الجهة العلياء هذه. هل تفهم الفارق بين دورك أنت ودور المحافظ؟ أنت في دور المحافظ.

لهذا تجد القرآن الكريم عندما ترجع إليه يعبر عن ولاية الله سبحانه وتعالى لعباده بمختلف الأساليب، فهو وليهم يتلقون منه الهداية {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة: من الآية٢٥٧) فهو وليهم يتلقون منه التأييد بالنصر {وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ} (آل عمران: من الآية١٣) هو وليهم وهو يدبر شؤونهم، هو وليهم وهو يرعاهم.

تجد كلمة (ولي) في القرآن الكريم استخدمت بشكل كبير في مجال العلاقة فيما بين الله وبين الإنسان وبين عباده بالذات المسلمين لتعبر عن أن مصاديقها متعددة. وليست معانيها ـ كما يقول البعض ـ متعددة (مولى) تأتي بمعنى كذا وبمعنى كذا!. كلمة (مولى) هي كلمة واسعة مصاديقها متعددة، مصاديقها متعددة في ميدان الهداية هو وليك يهديك، في ميدان المواجهة هو وليك ينصرك ويؤيدك. هكذا المحافظ يعمل مع الرئيس، أليس كذلك؟.

في ميدان المواجهة اتصال مستمر [ألو فندم] ماذا نعمل، كيف نتحرك. أليس كذلك؟ في ميدان الثقافة في ميادين أخرى أليس على اتصال مستمر به، هو وليه يستمد منه كذا، ويتلقى منه كذا، ويتحرك على وفق ما يرشده إليه. وليست فقط على نحو ما نتصور هكذا كنظرة الشخص منا للعلاقة بينه وبين الرئيس.

القضية الآن معروفة؟.

فلهذا نفهم كم هي قيمة كلمة: (ولي)، هو من يتولى مختلف الشؤون، الشؤون المتعلقة بك في إطار المهمة الكبرى المنوطة بك في مختلف مجالات الحياة وأنت تتحرك. هي نفسها ما أعطاه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) علي (عليه السلام) يوم الغدير عندما قال: ((فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)). فيأتي بعد من لا يفهم فيقول: لماذا لم يقل [خليفتي].! نفهم السلطة، نفهم العلاقة على أضيق نطاق، نفهمها ضيقة جداً، نفهمها من خلال ما فهّمنا الخلفاء الجبابرة والسلاطين الجبابرة عن العلاقة بيننا وبينهم. ومن خلال ما فُهمنا فعلاً من داخل كتب [علم الكلام]، وكتب [علم أصول الفقه]، تجعل علاقتي بالله كعلاقة أي واحد منا بعلي عبد الله.

انحطينا بشكل رهيب، أضعنا مسؤوليتنا فلم نعد نعرف ما هي العلاقة بيننا وبين الله فنرى كم هي متشعبة، ثم نرى كم هي واسعة، ثم نرى كم شؤونها متعددة، أو أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ما كان يفهم ما كان يعرف كلمة [خليفة] وكلمة [سلطان] وكلمة [ملك]، وما كان يسمع هذه ولا يعرفها؟. هو يعرف، لكنه يريد أن يقول: أنت أيها الإنسان أنت أيها الإنسان خليفة لربك في هذه الأرض، أنت أيها المسلم، أنت أيها العربي المسلم مَنُوطة بك مهمة كبرى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١١٠)

أليس هذا إطار واسع جداً جداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ يشمل كل مجالات الحياة، يشمل كل المجالات: ونحن نتجه إلى الإنسان لنبنيه، كيف نربيه، كيف نثقفه، كيف نعلمه، كيف نصنعه. ويشمل كل مجالات الحياة، ونحن نبنيها. {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٠) إذاً المسألة ليست مسألة تسلط. مسألة هداية، الله يصف نفسه بهذا.

أليس الله سبحانه وتعالى وهو يهدينا ويرشدنا داخل كتابه الكريم، يصف نفسه بالرحمة؟ أو أنه يقول أنه يسطر إرشاداته بشكل قوانين بشكل مرسوم ملكي، أو قرار من رئاسة الجمهورية: [مادة اثنين يعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية]. ما هكذا يصدر؟. أم أنه يقول: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة:١) **{حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}** (غافر:٢) **{تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}** (فصلت:٢) **{هُدىً لِلنَّاسِ} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}** (المائدة: من الآية١٦) **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** (الأنبياء:١٠٧).

ما هذا؟ منطق ماذا؟. منطق ولي، لا ينظر إليك نظرة تسلط وتجبر وهيمنة على النحو الذي تفهمه أنت من خلال علاقتك برئيس أو بملك من زعماء الدنيا، ليس على هذا النحو.

أليس الله هو من يعرض كيف يحسن إلينا؟ {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) **{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}** (لقمان: من الآية٢٠) **أليس هو من يدللنا ويسير بنا على نحو معين لننطلق في السير على صراطه المستقيم وهو يلفنا برحمة وبرفق ولين، هَلُمَّ إلى هنا إلى الصراط المستقيم، تكاد ـ وأنت تتأمل ـ أن تنسى أن الله يتعامل معك كملك على النحو الذي أنت تفهم من خلال تعامل زعماء الدنيا معك.**

[ولي] يرعاك، يدبر أمرك، يهمه أمرك، يحرص عليك، يرحمك، يرفق بك، لا يريد أن تضل، لا يريد أن تشقى {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٨) **وهكذا كان رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهكذا العلاقة مع رسوله، وهكذا العلاقة مع علي بن أبي طالب** (صلوات الله عليه).

إذاً فعلي ولايتنا له ننظر إليه كولي أمرنا.. ما هو أمرنا؟ مهامنا في الحياة، مهامنا ونحن نربي أنفسنا ونرشدها لنزكيها.

وليس كما يقال: الإمامة رئاسة عامة يعني إقامة الحدود، نقتل هذا ونقطع يد هذا ونجلد هذا. ما هذه أوامر، أوامر. أمر، الأمر الذي هو وليك فيه هو الأمر الواسع، هي المهام الواسعة في مقام تزكية نفسك، في مقام أداء مسؤولياتك في الحياة، هذه هي الأمور (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) **ماذا يعني هنا كلمة** (أمر)؟ **هل تعني من لم يهتم بأن يأمر المسلمين فإذا لم ينفذوا ضربهم. هي هكذا؟.**

بأمر المسلمين بأمورهم التي يجب أن تكون محط اهتمامه، أمورهم تلك المتعلقة بنفوسهم لتزكو، تلك المتعلقة بحياتهم لتبنى وتعمر على الصلاح والعزة، تلك الأمور التي يجب أن تتهيأ لهذه الأمة وتجتمع عليها لتكون أمة عزيزة قوية. ألم تأتِ هنا: (من لم يهتم بأمر المسلمين) **كما نقول: [ولي أمر المسلمين]. {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}** (الأحزاب: من الآية٦) **ماذا تعني: {أولى بهم من أنفسهم}؟. هل أنك دائماً تتعامل مع نفسك أوامر، كيف يتعامل الواحد منا مع نفسه؟. هل أصدرت مرة أمراً على نفسك؟ أمر، اسرح يا حسين الهم الله اسرح يا حسين السوق!! سيقال له مجنون من يتعامل مع نفسه على هذا النحو.**

لكن نفسك هذه ما هي؟ ماذا يُراد لها؟ أليس يُراد لها أن تتعلم وأن تزكو، أن تنطلق قائمة بالقصد، أن تكون عضواً في حزب الله، أن تكون جندياً من أنصار الله. أليست هذه نفسك؟ طيب من الذي سيبنيها على هذا النحو؟ دع النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **يبنيها على هذا النحو فهو أولى بك من نفسك؛ لأنك أنت لن تستطيع، لا تملك أيضاً أن تجعل من نفسك هذا الإنسان على هذا النحو. {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}** (آل عمران: من الآية١٦٤) **ألم يقل: {يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}** (البقرة: من الآية١٢٩)، **أليست هذه ما تكررت في أكثر من آية: {يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} فهو يعلم نفسك، يزكي نفسك، يؤهل نفسك، يبني نفسك يثقفها ينورها.**

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} على هذا النحو، هو الذي يتولى بنايتها، وبالطبع أنت إذا لم تدع النبي يتولى هو أن يبني نفسك، ويتولى شؤون نفسك ليجعل منك عنصراً صالحاً في هذه الدنيا، فستصبح ماذا؟ عنصراً باطلاً، عنصراً ضالاً، عنصراً مخرباً، تكون خبيثاً.. أين مكان الخبيث؟ جهنم، أليس كذلك؟ في يوم القيامة يميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً ثم يجعله في جهنم، أليس كذلك؟.

أنت في هذه الدنيا إذا لم تجعل وليك هو الله ورسوله والذين آمنوا، ووليّك بمعنى تسلم له نفسك هو الذي يعلمها هو الذي يزكيها، هو الذي يؤهلها لتكون من حزب الله، لتكون من أنصار الله {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المجادلة: من الآية٢٢) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) فتكون ممن يقومون بالقسط، هو يؤدبك، هو يربيك، هو يثقفك، إذا لم تسلم نفسك له وتشعر بأنه أولى بنفسك منك، أو أولى بك من نفسك ـ التعبير متقارب ـ ستصبح ماذا؟ شيطاناً وضالاً وفي الأخير تتحول إلى خبيث، وفي الأخير يكون مصيرك جهنم.

من هنا نعرف الفرق بين أن نفهم أن الحياة ـ كما يقول البعض أو كما نُفَهّم ـ مطبوعة هكذا: طاعات ومعاصي وأنت مخير هنا في الوسط إما تمشي هناك وإلاّ تمشي هناك، أليس هكذا يبدو الكلام؟. ونعرف هكذا؟، خاصة طلاب العلم عندما نقرأ [أصول الفقه] أو نقرأ في كتب [علم الكلام].

الحياة ليست مطبوعة بالمعاصي، ليست مطبوعة بالضلال، إنما أنت من سينطلق أنت من سينطلق، وحتى عندما يقول: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد:١٠) هي هداية تتجه في قناة واحدة هي أنه إذا لم تكن أنت على هذا النحو فستصبح على هذا النحو، أليس كذلك؟.

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (الأحزاب: من الآية٦) فإذا لم تدع النبي هو الذي يتولى شؤون نفسك وأمر نفسك. ماذا يريد النبي هل سيقول لك: هيا، تسرح تشتغل مزارعه، وإلاّ تعمل له أعمال، وإلاّ ماذا يريد منك النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. ما هو دوره؟. ما هو ليعلم الناس، ويزكيهم، وينورهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويجعل منهم أفراداً صالحين، يجعل منهم أعزة على الكافرين، يجعل منهم أمة قوية، أمة متوحدة، أمة تنطلق في ميادين الحياة لتأمر الأمم الأخرى بالمعروف وتنهى عن المنكر. إذا لم تدعه هو فستصبح تلقائياً في ماذا؟ في جانب الشر وفي جانب الخبث، فتصبح خبيثاً.

إذاً فلنأتِ إلى الآخرين [أبي بكر وعمر]، بل الكل من الصحابة أنفسهم ليس لأحد هذا المقام، وحتى فيما يتعلق بمثل هذه الآية، ليس فقط موقفاً من أبي بكر وعمر فقط، بل ومن الكل أنهم هم ملزمون بأن يتولوا علياً عليه السلام؛ لأن أول مهمة ستكون لعلي (عليه السلام) ـ هذه المهمة الكبرى ـ هي من بعد أن تفارق روح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الحياة الدنيا.

إذاً فنحن حتى عندما نتولى عمار بن ياسر أليس تولينا لعمار يختلف عن تولينا لعلي؟ أليس عمار هو نفسه يتولى علياً كما نتولاه نحن؟. بل أعظم مما نتولاه نحن، فيعد نفسه جندياً من أخلص جنود الإمام علي عليه السلام، وهو عمار من السابقين في الإسلام، وهو من قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ((أنه مُلئ إيماناً من قمة رأسه إلى أخْمُص قدميه)). إذاً فكيف تريد مني أن أمنح هذه الولاية التي لم أمنحها لعمار أن أمنحها لمن خالف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فيها، من خالفه فيها: أبا بكر وعمر وعثمان وآخرين. أليس هذا من الأشياء العجيبة؟ تريد مني أن أتولاهم كما أتولى علي وأنا لم أتولّ عماراً بعد كما أتولى علياً وعمار هو نفسه يتولى علياً بأعظم مما نتولاه نحن.

إذاً فهمنا بأن مسألة الولاية هنا الذي نحن موجهون إليها في هذا المقام المهم، في مقام أن تكون الأمة، أو يكون المجتمع الفلاني من حزب الله الذي سيغلب في ميدان المواجهة، ألم نفهم بعد بأنها لا تعني أولئك ولا علاقة لهم بها، لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان؟ إذاً فالمقام ليس مقام أن تقول با يسبر أننا نتولى علي وأبا بكر وعمر وعثمان، والنتيجة تجي تسحب هذه الآية عليهم جميعاً.

لهذا جاء المفسرون ليسحبوها على المؤمنين جميعاً، أي {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} (المائدة: من الآية٥٥) يعني يؤدونها، {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} (المائدة: من الآية٥٥) وهم خاشعون لله. حتى ما عاد يدروا من يريدوا من مرة، كل المؤمنين، والمؤمنون كما قلنا ـ في كلام سابق[1] ـ من هم معرضون لأن يرتدوا بعد إيمانهم كافرين، ألم يُخاطبوا بمخاطبة إيمان

---

[1] **قال ذلك في الدرس الأول من سورة المائدة.**

(يا أيها الذين آمنوا)؟ هـم الذي خُوطبوا بـ{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} (المائدة: من الآية٥١) ـ وكما قلنا سابقاً[2] ـ قد تصبح المسألة [يا أيها الذين آمنوا تولوا الذين آمنوا] وهذا منطق غير مقبول.

قد يقول البعض: إن الله قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (الحشر:١٠) إذاً لا أحد يتكلم في أحد ممن قد سبقوا بـل يستغفر لهم. أليست هكذا؟ لأنهم جينا من بعدهم وهم سبقونا! السبق ليس سبق زمني، ليس المقصود هنا مجرد السبق الزمني، إنما السبق بالإيمان، إذاً فنستغفر ونحب وندعو لمن سبقونا بالإيمان فعلاً، لكـن مـن سـبقنا إلى مخالفة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والضرب بجهوده عرض الحائط وضـرب أمتـه، هـل هـذا هـو الـذي نستغفر له؟ هل سبقنا بإيمان أم سبقنا بمخالفة؟.

القرآن حكيم قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا} (الحشر: من الآية١٠) يعني كانوا قبلنا بزمن أم سبقونا بإيمان؟ بإيمان. من كان يؤمن بعلي (عليه السلام)، بولاية علي هذا هو سـبقني بإيمان فعلاً، لكن من كان لا يؤمن بهذا بل انطلق ليخالف علياً، ويظلم علياً وفاطمة والحسن والحسين، ويظلـم الأمة كلها، هل هذا سبقني بالإيمان أم بماذا؟ سبقني بماذا؟ بمعصية وبمخالفة؟ أليس كذلك؟.

من هم إخواننا الذين سبقونا بالإيمان؟ نحن في واقعنا مع الصحابة جملة ألسنا مخاطبين سوياً؟ مخاطبين بخطاب واحد {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (المائدة: من الآية٥٥) هل هذا الخطـاب لمـن بعـد القـرن الأول فقـط؟ أم خطاب من بعد ما نزلت الآية لكل من كان موجوداً، من البشر من المسلمين من ذلك العصر إلى آخـر أيـام الـدنيا.. أليس خطاباً لهم جميعاً؟.

طيب، من يتولى الله ويتولى رسوله ويتولى {الَّذِينَ آمَنُوا} ـ الذي هو علي بن أبي طالب ـ أليس هذا أمـر موجـه إلى الصحابة وإلينا جميعاً؟ إذاً فهم ملزمون بما نحن ملزمون به، بل بطريق الأولى؛ لأن موقفهم هناك موقف مـن يـبني أو يهدم؛ ولهذا جاء في الآية: {الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، أليس الإيمان هو الـذي يـبني الحيـاة ويـبني النفوس؟ من كان منهم يؤمن، ونحن وهم شأننا واحد نؤمن جميعاً بما هو مطلوب منـا أن نـؤمن بـه فهـم إخوتنـا، أليس كذلك؟ هم إخوتنا نستغفر لهم، ندعو الله لهم، نحبهم، نتولاهم باعتبار أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، هم سلسلة واحدة متواصلة عبر الأجيال وتوالي السنين. لكن من سبقونا بمخالفة لا علاقة لنا بهـم بـل هـم مـن نحملهم مسؤولية معاناة الأمة، وما انتشر في الأمة من ضلال بسبب مخالفتهم.

أين الأولى أن نبارك جهود من يهدم أو أن نصيح في وجهه؟ هل أن نرفع يده عن الهدم أم أن نصفق له؟ كيف هـو الموقف الصحيح؟ أليس أن نرفع يده؟ أليس أن نلقي به من فوق الجدار الذي انطلق ليهدمه؟ أليس هذا هـو مـا يعمل الناس؟ أليس هذا هو الموقف الطبيعي للناس؟. أمام من يبني ويهـدم. مـن يـبني يـشدون أزره ويعطونـه اللبنات ليبنيها واحدةً بعد واحدة، ومن يهدم يلقون به من فـوق الجـدار، هـذا هـو الموقـف الـذي لابـد منـه، والحقائق لابد أن ننطلق لنتعرف عليها؛ لأن لها علاقة بواقعنا كما أن لعلي علاقة بواقعنا ـ وهو الـذي تحـدثنا عنه أكثر من مرة ـ أن ولايته ـ على الرغم أنه قد قتل واستشهد رحمة الله عليه وبيننا وبينـه أكثـر مـن ألـف وأربعمائة عام تقريباً ـ مازال واقعنا مرتبطاً به، مازال الحل مرتبطاً بتوليه.

إذاً، إذا كان يُقدم لك في الساحة أطراف أخرى تتولاهم بديلاً عنه فالإشكالية ما تزال قائمة، والحـل مـا يـزال ضائعاً.

ونحن الزيدية من يجب أن نعي نحن الزيدية من يجب أن نفهـم قبـل غيرنـا، نحـن الـذين يجـب أن ألاّ نـسمح لقلوبنا أن يتخلل إليها ذرة من ولاءِ أولئك الذين يُقَدَّمون للأمة وهم من هدموا صرح هذه الأمة.

ثم ننطلق في الآيات هذه، لنعرف كيف أنه توسط الحديث عن قيادة الأمة عن هداية الأمة لتجعـل مـن نفـسها حزب الله الغالب يأتي في إطار الحديث عن بني إسرائيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا} (المائدة: من الآية٥٧)

---

[2] المصدر السابق.

وهذه جاءت بعد قول الله تعالى {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦)، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يرجع بك من جديد للموضوع المهم {لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (المائدة:٥٧) **ما هذا المنطق المهم، العبارات المهمة، الخطاب الشديد اللهجة {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.**

كيف تتولون قوماً هم هكذا كما عرضناهم لكم في أكثر من آية: حُسّاد لكم، يعضون أناملهم من الغيظ. أليست هذه هي ضائعة أيضاً؟. فعلاً هي ضائعة. من الذي يغضب لدين الله؟ هم القليل، من الذي يؤلمه أن يجد من يسخر من دين الله، من يسخر من أعلام دين الله؟ من يسخر من هداة عباد الله؟ أليس القليل؟ والكثير هو من يغضب لنفسه، هو من يغضب لأبيه أو أمه ولا يغضب لأعلام دينه، ولا يغضب لهداة عباد الله، ولا يغضب لهداة الأمة إلى الحق، ولا يغضب للدين أن يصبح ديناً يُسخر منه فيقال: هو [دين التخلف] هو [أفْيُون الشعوب]. أليست هذه العبارات تأتي من قبل أهل الكتاب من قبل اليهود والنصارى؟. وعلى ألسنة من يتثقفون على أيديهم؟.

{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ} (المائدة:٥٨) **الصلاة التي هي خير الأعمال، الصلاة هذه التي أنتم تتسابقون إليها في كل يوم خمس مرات تؤدونها من منطلق أنكم تشعرون بأنها هي خير الأعمال، وأنها أبرز العبادات التي تجسد العلاقة فيما بينكم، أو تشكل همزة وصل فيما بينكم وبين الله، علاقة روحية فيما بينكم وبين الله هل يغضبكم فيدفعكم هذا الغضب إلى أن تنفصلوا عمن يتخذون النداء إلى صلاتكم هزواً ولعباً، أي هل بقي هناك من الدين ما يمكن أن يثيركم ويثير حميتكم فيجعلكم على أقل تقدير تفكرون في كيف تحملون العداء، وكيف تكونون بعيدين جداً عن أن تتخذوا هؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً؟. ويسخرون منكم إذا ناديتم إلى الصلاة أن تتخذوهم أولياء؟.**

لاحظ، كيف في هذه الآيات المهمة حول الحديث عن بني إسرائيل كيف يذكرنا بالمسؤولية، كيف يذكرنا بعظم الخطورة، كيف يدفعنا بأي وسيلة إلى أن ننفصل عنهم.

لماذا لماذا هذا الاهتمام الكبير؟؛ لأن اليهود والنصارى وخاصة اليهود الإسرائيليين خطيرين جداً على الأمة، هذه الحملة الرهيبة داخل القرآن الكريم التي تعمل على إبعادك بأي وسيلة بأي طريقة عنهم، وأن تتأثر بهم تدل على أنه يمكن أن تكون بسهولة وأنت تحمل اسم الإيمان وأنت تنطلق لتصلي وأنت تسمي نفسك باسم هذا الدين، يمكن أن تكون ضحية لهم فتصبح في واقعك يهودياً أو نصرانياً أو كافراً بأساليب خبيثة بأساليب ملتوية.

هذا الأسلوب جاء في سورة آل عمران في سورة البقرة في سورة المائدة في سورة النساء في كثير من سور القرآن.

ثم لماذا من جديد لتعرف أن القضية على هذا النحو؛ أنه يمكن أن تقع ضحية من حيث لا تشعر فتتقدم على الله وأنت في واقعك كافر أو يهودي أو نصراني، وأنت تظن بأنك ستتقدم عليه وتدخل الجنة مع أوليائه؛ أنه يتحدث معنا على هذا النحو الرهيب، على هذا النحو العجيب الشديد، الذي يدل على اهتمام بالغ وإشعار بخطورة هذه القضية، مع أننا نعرف اليهود ونعرف النصارى، ونعرف الكافرين ونحن نلعنهم، أليس كذلك؟ ألسنا نلعنهم؟.

يعني هل يتوقع منك أن تقول أنت يهودي وتتيهود؟. فهو فقط يريد منك أن تصل إلى درجة أن تكون يهودياً فعلاً فتصبح يهودياً [برزانير] وتطلق على نفسك اسم يهودي؟ هل هذا سيحصل من أحد؟. لا. وحتى اليهود لا يدعونا إلى هذا. أو تصبح كافراً على النحو الذي يقولون: [إلا أن تروا كفراً بوَاحاً]. لاحظوا حتى كلمة [بَوَاحاً] ليست من قِبَل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **لأنه هنا يحذرك من كفر قد يحصل في أعماق الأعماق؛ ولذا قال: [أن تطيعوهم إلا أن تروا كفراً بواحاً] من الذي سيعمل كفراً بواحاً!!، أليس الله يقول: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}** (آل عمران: من الآية١٠٠) **ثم يقول هناك: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}** (آل عمران: من الآية١٠٦).

إن كانت القضية هي فقط موجهة إلينا على أساس أن لا نصل فقط إلى مرحلة التصريح بالكفر إلى مرحلة التصريح بأن فلان يهودي، بأن فلان نصراني أن يتحول ويعلن عن نفسه، فهذا لا يحصل إلا في النادر النادر، هل هذا يحصل؟. من الذي أعلن عن نفسه بأنه يعبد الشيطان إلا النادر من البشر الحمقى الذين يلعنهم الناس كما

يلعنون الشيطان؟ أوليس الكل ممن يعبد الشيطان في واقعهم؟. {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} (يس: من الآية٦٠) يا بني آدم.. يحدث أهل المحشر {أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يّس: من الآية٦٠) عبدوه.

لو كانت المسألة على هذا النحو فقط الخطورة هي بأن تصل إلى درجة التصريح فتصل فعلاً إلى أن تكون كافراً صريحاً منهم؛ لما كان هناك ما يوجب إلى أن يأتي بمعشار ما أتى من آيات عن بني إسرائيل من التوجيهات الشديدة اللهجة والدقيقة إلى هذه الأمة فيما يتعلق بمواجهتهم، هل تفهمون هذا؟. من يفهم القرآن الكريم سيقطع بهذا أنه ما كان هناك حاجة ولا حتى إلى آية واحدة؛ لأنه اطمأن نحن لن نعلن عن يهوديتنا، ونحن لن نعلن عن نصرانيتنا، ونحن لن نعلن عن كفرنا، أليس هذا مما يطمئن؟ حتى من يذهب إلى بلدانهم ويرجع، أليس يرجع وجوازه فيه مكتوب [مسلم]؟ ويرجع وهو مسلم، هل هو يعلن بأنه كافر؟. لا. بينما هو في داخله قد صُبِغَ صبغةً أخرى، وصِيْغَ صياغةً أخرى.

فلنفهم أن هذه القضية بالغة الخطورة وحسَّاسة جداً، وأن من الضمانات ـ وكما قلنا أكثر من مرة ـ هو أن نتولى علياً (عليه السلام) على هذا النحو الذي فهمناه من خلال هذا الكلام تولياً صادقاً، تولياً عملياً، نتولى الله تولياً صادقاً تولياً عملياً نحب الله، ونخاف من الله، ونحرص على رضى الله، ونتولى رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) تولياً صادقاً نحبه ونعظمه ونجّله، يكون له في نفوسنا وَقْعٌ، يكون له في نفوسنا مكانة عظيمة، كذلك الإمام علي (عليه السلام). ثم نعرف خطورة المسألة.

وإن شاء الله سنكون ممن يحصنون أنفسهم، وسيكونون بتوليهم لله ولرسوله والذين آمنوا من حزبه الغالب، وأن نبتعد عن كل أسباب التضليل، عن كل مصادر التضليل سواء عن وسائل التضليل من قِبَل اليهود والنصارى مباشرة أو من طريق أولياءهم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأن يهدينا وأن يبصرنا وأن يلهمنا رشدنا إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

سلسلة سورة المائدة (٤ ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

الدرس الرابع

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٦/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

لا يزال الكلام هو حول موضوع الآيات التي تحدثنا حولها من خلال اليومين الماضيين، الآيات من [سورة المائدة].

وكنت أريد اليوم أن يكون بداية الحديث عن كيف نتولى الله، وكيف نتولى رسوله، وكيف نتولى علياً (عليه السلام). كيف نكون من أولياء الله. ومن أولياء رسوله ومن أولياء وصي رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وسنبدأ بالحديث عنها إلا أنه ظهر أنه من المناسب أن نتحدث عن نقطة واحدة لها علاقة بما نتحدث عنه حول قضية أبي بكر وعمر باعتبارها قضية ذات صلة كبيرة بولاية الإمام علي (عليه السلام).

ونحن ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ في مرحلة يجب أن نناقش فيها كل شيء، وأن نقف على الحقائق.

نحن الزيدية سكتنا قروناً، وليس فقط أجيالاً، وكان متأخرون من الزيدية يرون بأنه من الممكن التوقف والسكوت حول قضية أبي بكر وعمر، من أجل الحافظ على التوحد مع الآخرين، ومراعاة مشاعر الآخرين.

وكانت هذه فكرة جيدة لو كان هناك من يقدرها، وكان بالإمكان أن نلتزم بها لو كان الآخرون يقدرونها أيضاً، لكن ما الذي حصل؟ سكتنا قروناً، مئات السنين.. وكان السكوت عن هذه القضية ليس على أساس إقرار بشرعية خلافتهما، ولا من منطلق التعامل باحترام وتعظيم لهما، وإنما من أجل تهيئة الأجواء لوحدة المسلمين مع بعض، واحترام لمشاعر الآخرين من السنيّة، سواء من كانوا في اليمن أو خارج اليمن.. كنا نسكت مع اعتقاد أنهما ـ أي الشيخين أبا بكر وعمر ـ مخطئون عاصون ضالون، كما قال الإمام عبد الله بن حمزة قال: [نعتقد أنهم أخطئوا وعصوا وضلوا في ما وقع منهم بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).] بهذا المنطق قال الإمام عبد الله بن حمزة.

ما الذي حصل؟ لما سكتنا عنهم كمخطئين قُدِّمُوا لنا من قبل الآخرين ـ الذين لم يبادلونا الشعور الجيد ويقدروا لنا أننا سكتنا من منطلق احترام مشاعرهم وحفاظاً، أو تهيئة أجواء، إن كان هناك أي فرصة للتوحد معهم ـ انطلقوا هم ليقدموهم لنا ولأبنائنا كخلفاء، ويقدموهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، سكتنا عنهم كأسماء: أبي بكر وعمر فتحركوا هم عندما تغير الزمن وعندما أصبحت الدولة لهم يقدموهم لنا بأسماء كبيرة: [الصديق والفاروق]، سكتنا عنهم، سكتنا عن أبي بكر وعمر فأصبحوا يقدمون لنا معاوية ويزيد أيضاً!.

مناهجنا الدراسية، ما يقال على المنابر، ما يقال في المعاهد، ما يقال في المدارس، ما يقدم في كل هذه المراكز العلمية والدينية والثقافية، داخل البلاد الزيدية هو كله عمل يعلّم أبناء أولئك الذين سكتوا جيلاً بعد جيل يعلمون أبناءهم كيف أن أبا بكر وعمر [خلفاء وصديق وفاروق]، بل تفضلوا نقدم لكم أشخاص آخرين: عائشة ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري والمغيرة ابن شعبة، وهكذا.. لم يراعوا مشاعرنا، لم ينطلقوا هم ليتعاملوا معنا ـ في الوقت الذي أصبحت الدولة لهم ـ كما تعاملنا في الماضي من منطلق الحفاظ على الوحدة، أو تهيئة الأجواء للتوحد معهم.

الشيعة في تاريخهم الطويل كانوا هم أكثر الطوائف حرصاً على تهيئة الأجواء للتوحد مع الآخرين، ولكن الآخرين لم يكن لديهم ذرة من حرص على أن يتوحدوا مع الشيعة، أو يلتفتوا إلى الشيعة، أو يحملوا ذرة احترام للشيعة.

وفي هذا أذكر كلمة لمحمد جواد مغنية ـ أحد علماء الشيعة الاثنا عشرية ـ قال: إنه يكفي الشيعة، يكفيهم مئات السنين دليل على أنه ليس بالإمكان التوحد مع الآخرين، مهما انفتحنا نحن، مهما فتحنا قلوبنا، مهما عدّلنا منطقنا، مهما سكتنا عن ذا أو ذك، أو هذه المسألة أو تلك، هم هم لن يقدروا لنا أي شيء من ذلك.

يوم كان أئمة الزيدية هم الذين يحكمون اليمن كانوا لا يفرضون على المناطق الشافعية، على المناطق السنيّة في اليمن لا يفرضون عليهم مؤذناً، ولا خطيباً، ولا إمام جامع، ولا قاضياً، ولا مفتياً، كانوا يجعلون القاضي من الشافعية، مفتي للشافعية من الشافعية، حتى وإن كان زيدياً يفتي بمذهب الشافعي للشافعيين، يؤذن في بلدانهم بأذانهم، يصلون بصلاتهم، لا يتعرضون لهم.

وما الذي حصل عندما تغير الوضع؟ يعملون على ما سماه أحدهم بـ[فتوحات]، سماه أحدهم فعلاً فتوحات عندما سمع التأمين أصبح يَرِنّ في مساجد صنعاء وصعدة وغيرها، قال: هذا يعتبر فتحاً. التأمين في الصلاة لم يراعوا مشاعرنا وهم في مساجدنا، في بلداننا.

نحن سكتنا عن قضايا كبيرة، حساسة لديكم من أجل مشاعركم، فكيف أصبحتم أنتم ترون قضية ليست إلا مندوبة عندكم أنتم، التأمين، فتزحفون به زحفاً في المساجد، وتعتبرونه زحف فتوحات.

سكتنا عن أبي بكر وعمر فلم تسكتوا عن التأمين.. سكتنا عن الإمامة فلم تبادلونا بالسكوت عن شيء واحد وإن كان من المندوبات أو الهيئات التي ليست واجبة لديكم.

هل هذه الأطراف يمكن أن يتوحدوا معنا، أو نلتف نحن معهم تحت راية واحدة وهم على ما هم عليه؟. لا.. سكتنا عنهم فلم يسكتوا عن أئمتنا، ولا عن علمائنا، ولا حتى عن الإمام علي (عليه السلام).

إذاً فالمسألة أي شخص يتوهَّم بأن بالإمكان أن يُعدِّل منطق من هذا النوع، ونتحدث بلين عن القضايا هذه مراعاة للآخرين نقول: لا، هم أثبتوا هم في تاريخهم الطويل أنهم ليسوا مستعدين إطلاقاً أن يقدروا أي شيء لنا، أي شيء يصدر منا مهما كان عظيماً، مهما كان كبيراً، مهما كان دليلاً على حرص من قِبَلنا على توحد أو مراعاة شعور.

ومن يدري أنها قد تكون غلطة من المتأخرين من الزيدية أن ينطلقوا على هذا النحو، ولم ينطلقوا على ما كان عليه الأئمة القدامى من أهل البيت (عليهم السلام)، من أمثال الإمام الهادي، وعبد الله بن حمزة وغيرهما من الأئمة الذين عرفوا الواقع، عرفوا أولئك، عرفوا تثقيفهم من أين، عرفوا بأنه لا يمكن أن يلتئموا معهم، مع أن دعوتهم كانت دعوة توحد، ودعوة لتوحيد الأمة، ومراعاة لمشاعر الأمة، واحترام لأي طائفة يحكم فيها أحد من أئمة أهل البيت لا تُظلم، لا تُهْضَم، لا يتعدى على حقها الفكري والثقافي، حتى اليهود أنفسهم وهم ذمّيون حظوا بالأمن في ظل دولة أهل البيت، وهم من هم في خبثهم، وعرف أهل البيت كيف يتعاملون معهم بالشكل الذي يحفظ لهم حقوقهم، ويبعد المجتمع الإسلامي عن التأثر السيئ بهم، هم فيما هم عليه، ونحن في ما نحن عليه.

موقفهم يشهد بأنه ليس بالإمكان أن نقول ـ على نحو مما تساءلنا بالأمس عنه ـ بأن بالإمكان علي وأبو بكر وعمر وعثمان والكل نتولاهم، وسنلتقي هنا تحت هذا العنوان، هذا لا يحصل. هم أثبتوا بأننا لو انطلقنا نحن نتول أبا بكر وعمر وعثمان وآخرين إضافة إلى علي لن يرضوا بهذا منا، لازم ننزل علي ونخليه رقم أربعة، لازم أن ننزل سيدة نساء العالمين، ونطلّع عائشة التي يسمونها الصديقة بنت الصديق، ننزل سيدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين ونطلع عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق، لازم.!!

لا يقبلونك إطلاقاً ولا يتوحدون معك ولو كان على يديك سيتم فتح القدس، ما لم تُنَزِّل هذا وتطلع هذا، هم أثبتوا هم ـ وكما قلنا لبعض زملائنا ـ بأنه ليس بالإمكان أن يبادلونا نفس الشعور، وإلا كان بالإمكان أن نسكت لو أن القضية كان سيكون لها ثمرة، ولو من باب التجربة لنعرف هل أن بالإمكان أن نقدم شيئاً بديلاً عما قدمه القرآن الكريم، وأن نقدم أنفسنا كمتسامحين بديلاً عن حَدِّية القرآن وصرامته، ولو كان على سبيل التجربة، وقد جربت الزيدية فعلاً، وجربوا وليس فقط عشر سنين بل مئات السنين جربوا وسكتوا.

والآن ماذا جنينا نحن من السكوت؟. نقول ـ لأولئك من أسلافنا الذين سكتوا ـ هاهم من سكتم مراعاة لشعورهم، هم يجرعون أبناءكم، أبناء أبنائكم جرعات مركزة من الولاء الخاص لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبه بل ومعاوية، هاهم يعملون على طمس فضل الإمام علي (عليه السلام) وفضل أهل البيت بل هاهم يتجاوزون على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فماذا جنينا نحن؟.

وكما قلت أكثر من مرة أن ألف وأربع مائة سنة فيها عبرة كافية، وفيها دروس كثيرة جداً لكل شيء والواقع هذا شهد كل شيء، وحقائق تجلت على طول القرون الماضية وفي هذا العصر بالذات بشكل يساعد جداً على كشف الحل، أو البحث عن الحل الإسلامي الصحيح لمشاكل المسلمين، وهم من يقولون بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، قال: ((لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)). صلح أول هذه الأمة على يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وبالقرآن الكريم.. أو كان ما قُدم لإصلاحها وإن لم تصل إلى الدرجة المطلوبة فعلاً،

ما قُدم لصلاحها هو ماذا؟ هو القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فلنرجع إلى القرآن الكريم، وإلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وما نبحثه، وما نتحدث عنه إنما هو في إطار أن نعود إلى القرآن الكريم وإلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذا العصر الذي بدا أننا بأمس الحاجة إلى العودة إليهما، وحتى يكون لدينا ولاء للإمام علي (عليه السلام)، وحتى لا يبقى لدينا ذرة من ولاء للآخرين الذين ضربوا هذه الأمة.

هذه الأمة ـ في الواقع لو تفهمون أنتم ـ أو هذا العالم بكله هو عالم أبي بكر وعمر.. تعرفون ماذا تعني هذه العبارة: [هذا العالم بكله هو عالم أبي بكر وعمر]. لو أن علي هو الذي تولى أمر المسلمين من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لقدم هذا العالم على نحو آخر، على نحو آخر.

لم يكن تأثيرهم فقط هو داخل المنطقة العربية أو داخل العرب فقط؛ لأن العرب كانوا هم من قد أهّلوا بالقرآن وبالرسول لأن يحملوا لواء الإسلام للأرض كلها، للعالم كله، فما حصل من تقصير داخلهم وما حصل من خلل كبير داخلهم هو نفسه الذي نتج عنه هذا الخلل في العالم كله.

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}(آل عمران: من الآية١١٠) ما كانت هذه هي المسئولية التي أنيطت بهم؟ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} للعالم، من الذي وقّف هذا الظهور، وهذا الإخراج؟ من الذي مسخ صورة هذا العالم؟ إنهما الشيخان: أبو بكر وعمر، وعمر بالذّات عمر بالذات هو مهندس هذا العمل.. فالعالم الذي نحن فيه الآن، وجه العالم الآن هو وجه أبي بكر وعمر فعلاً ليس عالم محمد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ليس عالم الإسلام، ليس عالم علي.

من أجل أن نفهم هذا كله نعود إلى التحدث عن قضية نحن نقول: بأنه لا يمكن أن تصل الأمة إلى حل إلا بعد تحديد موقفها وتصحيح نظرتها ابتداء من مفترق الطرق من هناك من عصر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن بعد وفاته، هناك بداية مفترق الطرق.

أليست الطريقة الصحيحة أنك عندما تخطئ وأنت تتجول في شوارع مدينة لا تعرفها أن تحاول أن ترجع، ترجع إلى نقطة الصح، إلى حيث أنت تتذكر المكان الذي هو صواب لديك، وتعرفه، ثم تتحرك من جديد باتجاه تكون واثقاً بأنه يؤدي بك إلى المكان الذي تريده، أما أن تتخبط بعدما قد نزلت من مفترق الطرق وأنت تغلط فربما لا تجد حلاً، إلا بأن ترجع من الشارع الذي غلطت فيه، ارجع ارجع إلى نقطة الصواب ثم تحرك بشكل صحيح من هناك.

قد يقال: لكن حصل فتوحات في أيام عمر فلو أن القضية مرتبطة بعلي لما حصل فتوحات وانتصارات للمسلمين. أليس هذا هو ما يردد لعمر: فتوحات وفتوحات إسلامية في أيام الفاروق، وهكذا.. هذه العبارة تردد وترسخ في أذهان الطلاب، وكلكم تسمعونها.

نريد أن نعرف هذه النقطة.

كنت قد تحدثت مع بعض الشباب عنها، لكن تذكرت بأني لم أتحدث عنها حديثاً عاماً معكم فمناسب أن نخرج بشيء منها لنعرف هذه الفتوحات وما هي؟ وكيف تمت؟.

عبارة (فتوحات) نفسها تقدم بشكل كبير تعطي المسألة أكثر من واقعها، ولكن فلندعها فتوحات، ولندعها عظيمة، ثم لنقول لأولئك: من الذي قاد هذه الفتوحات؟.

سيقولون: عمر. سلمنا: عمر.

من الذي تحرك في تلك الفتوحات؟ هل هم الجيش الذي تحرك مع النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في [غزوة تبوك]؟ هل هم أصحاب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. هل هم أولئك الناس الذين كانوا في أيام النبي؟. سيقال: نعم الصحابة، هم أولئك. سلمنا أيضاً، ولكن قفوا لنتأمل قليلاً.

تحركوا في أيام عمر بنشاط أليس كذلك؟ تحركوا بنشاط وفاعلية، بينما سورة التوبة التي تحدثت عن آخر غزوة جماعية للأمة.

ومن خلالها تلاحظ حنكة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وتحركه القرآني ونظرته العميقة إلى الأمة إلى آخر أيام التاريخ، كيف وضع الدروس؟.

سورة التوبة تحدثنا عن وضع غير طبيعي حصل في أيام إعداد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أولئك الناس، ذلك المجتمع لمواجهة الروم في غزوة تبوك، ما الذي حصل؟ تثاقل، تباطؤ، تخلف، قعود، وآيات القرآن في سورة التوبة تهاجم، وتدفع بعبارات قاسية، بعبارات تعتبر بالنسبة للشخص الذي يتقاعد ويتخلف إهانة تعتبر إهانة له، عملية دفع، عملية زعزعة، محاولة تشجيع، وحركة نفاق تبدو على أوسع نطاق. لاحظوا [سورة التوبة] ـ عندما ترجعوا إليها ـ كيف مُلأت بحديث عن المنافقين؛ لأنهم تحركوا بشكل كبير.

وعادة عندما يتحرك منافقون بأعداد كبيرة منهم معروفون، ومنهم غير معروفين، ومنافقون ألوان: منهم من هو لا يزال كافر في باطنه مظهر للإسلام، ومنهم من هو مسلم، ولكنه مازال من النوعية التي في قلبه مرض، من النوعية التي يؤثر مصالحه، من النوعية الذي يؤثر أنانيات، ونظرات معينة لديه، أعداد كبيرة تحركت، وعندما يتحرك المنافقون في ظروف كتلك يدل على أن المجتمع أصبح في ما ظهر عنه قابل لأن يُزعزع، ويُثبِّط.

سنرى كيف أن أولئك الذين انطلقوا فيما بعد في أيام عمر بنشاط ومعنويات مرتفعه هم الذين كانوا متثاقلين، قعد منهم من قعد، وتخلف من تخلف، وتثاقل من تثاقل، وتأتي التوجيهات القرآنية الحامية، الساخنة بالدفع بهم، ما الذي حصل؟ وكيف يمكن أن نحلل هذه المسألة؟.

نقول: لا تخلوا ـ بعد أن سلمنا أن القائد هو عمر، وأن أولئك الجيش الذين تحركوا في [اليرموك والقادسية] هم هؤلاء ـ إما أن يكون عمر أقدر على قيادة الأمة من النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكانت توجيهاته ومنطقه أكثر فاعلية من القرآن إذاً فلماذا لم يكن عمر هو النبي؟ ولماذا لم نكتفِ بتوجيهات عمر عن القرآن؟ هل بالإمكان أن نقول أن عمر كان أقدر على قيادة الأمة؟ وأكثر حَنكَة، وأكثر شجاعة من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ وأن توجيهاته كانت تعطي فاعلية للأمة أكثر من توجيهات القرآن في سورة التوبة؟.

إن سلّموا، ما الذي عملوا؟ ألم يجنوا على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. ألم يجنوا على حكمة الله؟. على قوله تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام: من الآية١٢٤) لكن كيف ساغت هذه المسألة عند الكثير؟ لأنه بعد أن قُدّم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) كمُوَعِّظ مسكين، ملان أخلاق، لا يعرف كيف يتحرك، [جواد الله] ليس لديه حنكة سياسية ولا قدرة قيادية عسكرية، هكذا قُدم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، إنسان [جواد يرحم الله] موعِّظ، مرة في المسجد، ومرة في الشارع، ومرة في أوساط الجيش.. لكن عمر، عمر هو.. عبقرية عمر، وسياسة عمر، وحنكة عمر.. و.. إلى آخره.

فعلاً احتاجوا ـ ونحن نقول أنهم يتجنّون على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ أن يصنعوا لرسول الله شخصية.. سواء من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون. إن قلنا من حيث لا يشعرون لأن حرصهم على ترميز هؤلاء وتكبيرهم أنساهم أن يهتموا بالشخص العظيم بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فعملوا على تقديمه في ذهنية الأمة بشكل آخر حتى يتسنّى بأن يصعد عمر في مجال آخر.

بل بلغ بهم الأمر إلى أن قالوا: إن عمر كان مُلهم، وأن القرآن كان يتنزل ليوافق عمر في أشياء كثيرة..! حتى في ما يتعلق بحياة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الخاصة وبأموره الخاصة: يا رسول الله لو أنك سترت نساءك أو عملت لهن ملابس أو حجبت نساءك، فنزل القرآن يأمر النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بأن يأمر نسائه وبناته ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. قال: يا رسول الله إن نسائك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن، فنزلت هذه الآية.

إذاً فإما أن يكون عمر هو أعظم قيادة وحنكة وتوجيهاته أكثر فاعلية من قيادة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن توجيهات القرآن، وإما أن نقول بأن عمر لم يكن كذلك.. فلنرجع إلى الآخرين إلى الصحابة أنفسهم وإلى ذلك المجتمع الذي تحرك بتثاقل في غزوة تبوك، ثم تحرك بفاعلية ونشاط في [القادسية] وفي [اليرموك].

هل عندما انطلقوا بفاعلية ونشاط هل كانوا ـ وهم الذين تباطئوا مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وتثاقلوا ـ هل كانوا أكثر طاعة لعمر من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟! فهذه سُبّة لهم، يثاقلون تحت قيادة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو أعظم من عمر، ويتثاقلون على الرغم من توجيهات القرآن، وتوجيهات القرآن أعظم من كلمات عمر القليلة حتى، وغير البليغة، وغير المشجِّعة.

فإذا كانوا أطوع لعمر من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله فماذا يعني هذا؟.هل يستحقون أن تقال كلمة واحدة في التعظيم لشأنهم، أوفي التقدير لهم إذا كانوا أطوع لعمر من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إذاً فما المخرج من هذا؟ كيف يمكن أن يخرجوا من هذه؟.

إن كان ذلك من أجل عمر إذاً فعمر أقدر من محمد! إن كان ذلك عائد إلى الجيش نفسه، إذاً فالجيش أطاع عمراً أكثر مما محمد، وكل واحدة منها تعتبر بالنسبة لهم سُبّة.

ما الذي حصل؟ ومن الذي صنع تلك المعنويات؟ من الذي صنع ذلك الانتصارات؟. إنه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو الذي صنع ذلك الانتصار الذي وقع في [اليرموك والقادسية] وغيرها، هو الذي عمل طول حياته وخاصة بمرافقة القرآن الكريم وخطةٍ موحدة من قِبَل القرآن ومن قبل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) [أعد تلك الأمة لتكون هي من تضرب] الأمم الأخرى الطاغية الظالمة من تضرب الدول الكبرى في عصرهم وفيما بعد هو الذي عمل على رفع معنوياتهم.

فالقرآن دفعهم دفعاً رهيباً في غزوة تبوك، مع أن الله يعلم أنهم لن يواجهوا بقتال، أخرجوا، حتى ثلاثة أشخاص عندما تخلفوا ماذا كان موقف النبي منهم (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. قال: لا تكلموهم.

كان استنفاراً عاماً لأن المسألة كان الجانب التربوي فيها للأمة أكثر من احتمال المواجهة العسكرية من خلال القرآن نفسه، خرجوا متثاقلين، ووضع اقتصادي سيئ، ومعنويات هابطة جداً، هم عدد قليل سيواجه أكثر من مائة ألف أو من مائة وثلاثين ألف جندي حشدتهم دولة الرومان. خرجوا بتثاقل، وتباطؤ ومعنويات هابطة وزحزحة. ما الذي حصل؟.

ولم يحاول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يعود إلى دولة كسرى، إلى دولة الفرس وهي كانت أيضاً الدولة العظمى الثانية في ذلك العصر ليستمد منها؛ لأنه سيواجه دولة كبرى، والدولة هذه لا تزال في صراع مستمر مع دولة الفرس فتكون فرصة مهيأة له بأن يحصل على دعم من الفرس، من الأكاسرة فيشدوا أزره فيهاجم دولة الرومان، لم يحصل هذا، ولم يحاول، بل لم يفكر في هذا. أراد أن يربي هذه الأمة كيف تكون معتمدة على نفسها، وعلى ربها، وعلى كتابها، وعلى نبيها؛ لأنها تملك ديناً قيِّماً يستطيع هذا الدين أن يجعلها تقف على قدميها دون أن تحتاج لا إلى شرق ولا إلى غرب، ولا إلى أمريكا ولا إلى روسيا، ولا إلى أطراف أخرى.

خرجوا متثاقلين، جمعوا نحو ثلاثين ألفاً بعد الحشد والاستنفار العام، والحشد الهائل والدفع الهائل، ثلاثين ألفاً توجهوا على بعد سبع مائة وخمسين كيلوا من المدينة باتجاه الشام.

فبدا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) شخص وكأنه ـ أمام الآخرين ـ لا يدري من سيواجه، إذاً أحشد هذا الحشد، لكن حاول أن تضع هذا الحشد في أماكن تحصن منه البلد الإسلامي الذي قد أصبح بين يديك، واتسعت رقعته بين يديك.. لا. هو الذي هاجم وبادر بالهجوم هو، ليهاجم بأولئك الجيش، أو بذلك العدد، ذا النفسيات الهابطة، والمعنويات المنحطة، على بعد، إلى أعماق، إلى أقرب منطقة للدولة الرومانية، إلى تبوك.

الروم أزعجهم هذا أزعجهم فقرروا عدم المواجهة، ما الذي حصل؟. وتحرك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو ما يزال في تبوك تحرك بسرايا هنا وسرايا هناك، وعمل أعمالاً يتحدى، يتحدى فارتفعت معنويات الناس بشكل رهيب جداً، خرجوا وهم يرون الروم مستحيل أن يواجهوهم.

بل كان المنافقون، وبعض من تخلفوا من الأعراب تشجعوا إلى أن يدبروا مؤامرة ضد رسول الله في المدينة نفسها ليمسحوا الدولة الإسلامية بكلها فترك لهم علياً، علي هو صمام الأمان للدولة الإسلامية سيبقى في المدينة بعده، وهو من يخرج إلى أقصى منطقة.

ولهذا المنافقون عملوا دعاية ضد علي (عليه السلام): أنه إنما خلفه في النساء والأطفال، أنه إنما استثقله، كره خروجه معه. فلحق علي (عليه السلام) برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فقلده ذلك الوسام الذي أبكم المنافقين، وكمم أفواههم: ((أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) فعاد علي (عليه السلام) إلى المدينة ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) توجه لقيادة الجيش إلى (تبوك).

رجعوا من تبوك وهم كل واحد أصبح اثنين، ثلاثة في داخل ردائه وإزاره، قهروا الدولة العظمى في ذلك العالم وبدون مواجهة.. ففيما بعد بقيت معنوياتهم مرتفعة.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يريد شيئاً عظيماً للأمة، يرفع معنوياتها، يربيها، يشد من أزرها، يقوي إيمانها، يربيها كيف تعتمد على نفسها، وفي نفس الوقت يختار لها القائد المُهِم العظيم الذي هو جدير بقيادتها علي بن أبي طالب في يوم الغدير.

لكن لما خسرت القائد هذا وبقي معها جانب من أثر ما رتبه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لها كأمة، أمة معنوياتها مرتفعة، وتمتلك قائداً عظيماً، خسرت ذلك القائد فطلع عمر.

وكيف يمكن أن يكون عمر بطلاً عالمياً وهو الذي لم يستطع أن يكون بطلاً أمام حصن واحد في خيبر، أمام أقلية من اليهود في خيبر، يصبح بطلاً عالمياً!!. لا.لا. لا يمكن.

فلنقل فعلاً لأولئك الذين يتحدثون عن الفتوحات: لو تعلمون كم خسرنا، وما نسبة هذه الفتوحات التي تتحدثون عنها لو كان علي هو الذي قاد الأمة، وبتلك المعنويات التي رسخها النبي في نفوسها، في غزوة تبوك، لما كانت هذه الفتوحات التي حصلت على يد عمر تساوي معشار معشار ما يمكن أن يحصل في علم الله سبحانه وتعالى لو أن علي هو الذي قاد الأمة.

فنحن من يجب أن نبكي وليس من نفخر بأن عمر عمل فتوحات، وفتوحات. أنتم تجهلون كيف كان يمكن أن يكون الواقع لو أن علياً هو الذي قاد. لكن عمر هو الذي قاد الأمة فحصلت تلك المعركتان: [اليرموك والقادسية] بمنطقتين، حصل أشياء لا تعد شيء فيما لو كان علي هو الذي قاد، في ما نعتقد بحسب فهمنا.

الذي جعل أولئك يتحركون بفاعلية هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي ما زالت معنوياتهم مرتفعة لما صنعه فيهم في غزوة تبوك.

إذاً فليس عمر، وليست توجيهات عمر، عمر هو نفسه الذي حاول أن يخرج، وهم أثناء مواجهة الفرس فقال له الإمام علي (عليه السلام): لا.. أقعد. هو يعرف ماذا سيحصل إذا خرج عمر، هناك في الجيش منهم أشجع ومنهم أقدر، إذا خرج سيكون هو القائد الأعلى وبالتالي سيعود يجَبِّن أصحابه وهم يُجَبِّنُونه إن عاد هو وأصحابه، سيؤدي إلى هزيمة منكرة. قال له الإمام علي: لا. إجلس، ينصحه أن يجلس.

إذاً فالذي صنع انتصارات القادسية واليرموك هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وليس عمر.

وينبغي لأولئك الذين يقولون فتوحات، فتوحات أن يبكوا أنه فقط لم تحصل الأمة إلا على تلك الفتوحات وما نسبتها وما قيمتها لو كان علي هو الذي قاد الأمة.

إذاً فلا تُعَد مسألة فتوحات أو ما فتوحات شبهة في نفس الموضوع الذي نتحدث عنه، إنه خسارة، خسارة بسبب عمر فعلاً، وإلا لو كان علي (عليه السلام) هو الذي قاد لكانت الأمة هي الغالبة فعلاً، {هُمُ الْغَالِبُونَ} ولم يحدد المسألة. اليهود والنصارى حركات أما الكافرون فكانوا أقل خطورة.

كانوا في ميدان المواجهة أقل خبرة من اليهود الإسرائيليين، حتى الفرس أنفسهم كانت روحيتهم أشبه شيء بروحية العرب، لم يكن لديهم خبث اليهود، يضربك ثم يأتي ليدوس من فوق ظهرك وأنت تتبسم له، لم يكن عندهم هذه الخبرة وهذه الحنكة.

إذاً ـ من وجهة نظري أنا ـ لم يبق في مسألة فتوحات ما يمكن أن يكون شبهة لمن يعقلها ولمن يستطيع أن يفهمها، ومن أراد أن يجعلها بسبب عمر ستحصل الإشكاليات التي تحدثنا عنها سابقاً. هذا مفهوم أو لا؟ وبإمكاننا أن نتحدث مع أي شخص يقول: لكن عمر كانت له فتوحات.. فكيف لازم علي؟ قولوا له ما قلنا وما سمعتم.

ولنعد بعد استكمال هذا الموضوع إلى محاولة أن نفهم كيف نتولى الله ورسوله والـذين آمنـوا. كيـف نكـون مـن أولياء الله؟. ومنهم أولياء الله؟.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

بعد أن عرفنا من قول الله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) **التوجيه لنا ـ إضافة إلى ما تقدم في الآيات قبلها من التحـذير عـن تـولي اليهـود والنصارى ـ التوجيه الذي يبعدنا عن أن نتولّ اليهود والنصارى، أو تكون وضعينا بالشكل الذي نقبـل فيـه ـ مـن حيث نشعر أو لا نشعر ـ أن نتولّ ـ من حيث نشعر أو لا نشعر ـ اليهود والنصارى.**

بعدها {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) **يقول: ومن يتولى.. نريـد أن نعرف كيف نتولى الله ورسوله والذين آمنوا؟ وكيف نكون من أولياء الله؟.**

الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم مخبراً عن حال أوليائه: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لا خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْـدِيلَ لِكَلِمَـاتِ اللَّـهِ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس:٦٤) **{أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} أليس هذا تعريف بأوليائه؟ {الَّذِينَ آمَنُوا}: صدّقوا، ووثقوا، وفهموا ووعوا، صدّقوا بوعد الله لهم، وثقوا بالله ربهم.**

الوعود سواء ما كان منها متعلقاً بحالة المواجهة مع أعدائه وأعداء المسلمين، أو ما كان منها متعلقاً بـالآخرة، أو مـا كان منها متعلقاً بمغفرة الذنوب، أو ما كان منها متعلقاً بسعادة الأمة في الدنيا.

الذين آمنوا وصدّقوا ووثقوا بمثل قول الله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْـدَامَكُمْ}(محمـد: مـن الآيـة٧) **أليس هذا وعد؟. يتطلب إيماناً. صدّقوا ووثقوا بمثل قول الله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}**(الحج: من الآية٤٠) **صدقوا بوعد الله، ووثقوا بقوة الله وعزته.**

صدقوا وهو يتحدث عن واقع أعدائهم حيث يقول في ما يتعلق بـاليهود والنـصارى: {لَـنْ يَـضُرُّوكُمْ إِلَّـا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِـنَ اللَّـهِ وَحَبْـلٍ مِـنَ النَّـاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}(آل عمران: من الآيـة١١٢) **ألـيس يتحـدث عـن واقـع أعـدائهم؟. وكيـف سيكونون هم في ميدان المواجهة معهم؟. صدقوا ووثقوا، آمنوا.. وبمثل قوله تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ}**(الفتح: مـن الآيـة٢٢) **صـدقوا بمثـل قولـه تعـالى وهـو يـأمرهم بالجهـاد: {ذَلِكُـمْ خَيْـرٌ لَكُـمْ إِنْ كُنْـتُمْ تَعْلَمُونَ}**(التوبة: من الآية٤١) **فعلموا وصدقوا ووثقوا.**

صدقوا بوعد الله للشهداء حيث يقول: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتـاً بَـلْ أَحْيَـاءٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:١٦٩). **آمنوا، صدقوا، ووثقوا.. وصدقوا أيضاً بمثل قوله تعالى وهو يتحدث عن أوليائه في هذه الآية نفسها: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُـوا وَكَـانُوا يَتَّقُـونَ لَهُـمُ الْبُـشْرَى فِـي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** (يونس:٦٤) **أليس هـذا وعـد إلهـي؟ آمنـوا وصدقوا.**

وكم في القرآن الكريم من الوعود المهمة، من الوعود العظيمة، التي لها قيمتهـا وأثرهـا في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة، لو وَجَدَتْ من يؤمن بها، لو وَجَدَتْ من يُصدق ويثق بها، وعود تأتي من قِبَل الله، وعود من قِبَـل مـن لـه ملك السماوات والأرض، وله الدنيا والآخرة.

ولكن الشيء المُدهِش والغريب هو أننا كيف نصدق وعوداً تأتي من قِبَل آخرين نحن نعرف أنهم كذبوا علينـا في السنة الماضية، وقبل السنة الماضية، ثم يحدثونا بأنه من الآن وصاعداً سنفتح صـفحة جديـدة، فنـصدق ونثـق ونصفق.

لم نتعامل مع الله سبحانه وتعالى، ولم نصدق تلك الوعود المهمة، تلك الوعـود العظيمـة، وَعَـدَ المـسلمين حتـى بغنائم، وَعَدَهم بمناطق أخرى سيفتحونها {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}(الفتح: من الآية٢١).

فلهذا كان من ميزة أولياء الله، الميزة العظيمة هو أنهم يؤمنون بما تعنيه الكلمة أي يصدقون ويثقون.. ثم {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}؛ لنعرف أن الذي يصنع التقوى هو الإيمان، متى ما آمنت، متى ما صدقت، متى ما وثقت، متى ما فهمت أهمية هذا الوعد، أهمية هذا الأمر، أهمية هذه المسئولية هناك سترى كم يكون التقصير مزعجاً، كم سيكون التقصير مخلاً، كم سيكون التقصير سيئاً، فأنت حينئذٍ ستعمل من منطلق إيمانك الواعي، وفهمك الواعي إلى أن تكون متقياً من أن يحصل منك تقصير نحو الله سبحانه وتعالى، تفريط في المهام التي أصبحت تعرف من واقع إيمانك أهميتها، تخاف من تلك العقوبات التي توعد بها من قَصَّر وفَرَّط وخالف وعاند، فأنت تعمل على أن تتقي الله من أن يحصل منك ما تستوجب به غضبه، وما يجعلك أيضاً جديراً بأن ينزل عليك عقوبته، تلك العقوبة التي أوعد بها.. القرآن مليء بالوعد والوعيد، مليء بالوعيد الذي يعني التهديد على التفريط الذي يحصل من جانب الناس.

{آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ولهذا نفهم كيف أن التقوى فعلاً هي حالة نفسية يخلقها الإيمان الواعي، يخلقها التصديق العملي في نفس الإنسان وهو ينطلق من واقع إيمانه، ومن صدق وعيه وفهمه، نحو كل قضية؛ لأنه يعرف أهميتها، وخطورتها، ومسئوليته الكبيرة فيها؛ فيخاف الله من أن يقصر فيتقيه. إذاً آمن واتقى {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

إذاً فكيف نكون من أوليائه إلا إذا كنا نثق به، نثق بالله، نعتمد على الله، نتوكل على الله، نعمل على الحصول على أن نكسب ونحصل على رضا الله، نخاف من الله، نستعين بالله، نسترشد بالله، نستهدي بالله، نعتبره ولي أمرنا، هو هادينا، هو مرشدنا، هو من سيرعانا، من سينصرنا، من سيؤيدنا.. ولكن ليس مجرد كلام، ليس مجرد لقلقة ألسنة، تكون أنت فاهماً وواعياً من هو هذا الذي تريد أن تعتمد عليه، إنه الله القوي العزيز القاهر فوق عباده، الذي له ملك السموات والأرض، وبيده خزائن السماوات والأرض، بيده الأولى والأخرى، بيده الدنيا والآخرة، تثق به وثوقاً صادقاً عملياً لا يتزعزع أبداً أمام أي دعاية أو إرجاف، أو تخويف، تعتمد عليه، تتوكل عليه.

وما أكثر ما كان يردد الإمام الخميني (رحمة الله عليه) كلمة [يجب أن نعتمد على الله] يقول للإيرانيين: اعتمدوا على الله، توكلوا على الله، بالاعتماد على الله نستطيع أن ننتصر، بالاعتماد على الله نستطيع أن نقف على أقدامنا دون حاجة إلى أن نستعين بهذا أو هذا ممن لا تمثل استعانتنا به شيئاً، ممن لا يمكن الاستعانة بهم إلا وندفع من إيماننا، ومن ديننا ثمن الاستعانة بهم.

كيف لو فهم زعماء العرب الاعتماد على الله، والتوكل على الله، لو كانوا بهذا المستوى كيف كانوا سيكونون في هذا العالم، لكن لا. انطلقوا كلٌ منهم يحاول أن يستعين بهذا أو بهذا بتلك الدولة أو بتلك، في كل أموره، حتى في مجال الخبرة في كيف ينظف مدينته، في كل شئون الحياة، أصبحوا يعتمدون عليهم.

إذاً فلنكون صادقين في إيماننا يجب أن يكون إيماناً واعياً بالشكل الذي يخلق لدينا هذه المقومات المهمة، ثقة بالله، اعتماداً على الله، حباً لله، استعانة بالله، توكلاً على الله، ألم يقل هو: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}(آل عمران: من الآية١٢٢) **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**(الطلاق: من الآية٣) **أليست هكذا الوعود الإلهية؟. وهي وعود أصبحنا في واقعنا ـ كباراً وصغاراً ـ لا نثق بها.**

من يمثلون أولياء الله حقاً في واقع إيمانهم وتقواهم لهم مواصفات في القرآن الكريم تتجلى في سلوكهم، مواصفات تعكس واقع نفسياتهم، تتجلى في أعمالهم في واقع الحياة.

فلنعد إلى جملة آيات من القرآن الكريم تتحدث عن صفات أولياء الله، الذين هم المؤمنون، والمؤمنون الذين هم على هذا النحو، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}(الشورى: من الآية٣٦) **أليست هذه واحدة؟. اتكالاً على الله من منطلق الثقة بالله. والاتكال على الله لا يعني أن نُوكِل الأمور إليه فندعه هو يعمل بدلاً عنا، ننطلق نحن في ميدان الحياة، في واقع الحياة في أداء المسئوليات، في أداء المهام، ونحن نتكل عليه حيث نهتدي بهديه، حيث نلتجئ إليه، حيث ندعوه.**

{آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} من منطلق إيمانهم بأن الله هو ربهم، من يهمه أمرهم، من يعمل على تدبير شؤونهم.

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى:٣٧) لاحظ كيف سلوكياتهم تكشف واقع نفسياتهم، التي ملؤها الإيمان الواعي، الإيمان الراسخ، الإيمان الذي لا ارتياب معه، هم يجتنبون كبائر الإثم حياء من الله، ولما لكبائر الإثم من أثر في جعلهم غير جديرين بتحقيق وعود الله على أيديهم ولهم.

{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} لا يتجاوزون الحق، لديهم اهتمامات كبرى، لديهم حرص على رضى الله سبحانه وتعالى، فسيصفح وسيغفر لأخيه إذا ما بدرت منه إساءة أو زلة، هو لا يريد أن يغرق المجتمع في مشاكل ثانوية تصرفه عن القضايا المهمة التي يجب أن يعطيها كل اهتمامه، فهم عادةً إذا ما غضبوا لا يدفعهم الغضب إلى التجاوز، ولا إلى الباطل، بل يغفرون أيضاً.

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} (الشورى: من الآية٣٨) لأنهم مؤمنون بربهم فاستجابوا له في كل ما أرشدهم إليه، وكل ما أراد منهم، وطلبه منهم.

{وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (الشورى: من الآية٣٨) أمورهم وهم في ميادين المواجهة، في ميادين العمل على إعلاء كلمة الله، في كيف يحافظون على صلاح المجتمع، في كيف يحققون التعاون على البر والتقوى، في كيف يؤهلون أنفسهم ليكونوا أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، يتشاورون في أمورهم كيف نصنع؟ ما الذي ينبغي أن نعمل؟ يشعرون بمسئوليات كبيرة وعظيمة، وهم في نفس الوقت نفوس متآلفة قريبة من بعضها بعض، كلٌ منها ينصح، كل منها لديه رؤية من واقع اهتمامه بواقع الحياة، وبوضعية الأمة، ليسوا من أولئك الذين تمر الأحداث، وتمر الوضعيات السيئة وهم لا يلتفتون إليها، ولا يحملون أي رؤية عملية نحوها، ولا يفكرون في ماذا يصنعون من أجل المخرج منها، فأنت لا تجد لديهم أي فكرة، أما هؤلاء فاهتماماتهم تجعلهم جديرين بأن يكون لديهم أفكار ذات قيمة في مجال بناء الأمة، في مجال المواجهة لأعداء الأمة، في مجال الحفاظ على صلاح المجتمع، لديهم رؤى، ومتى يمكن أن يكون لديك رؤى؟. عندما يكون لديك اهتمامات كبرى بواقع الأمة.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (الشورى: من الآية٣٨) يبذلون أموالهم، ومما رزقناهم ينفقون: من علمهم، من مالهم، من خبراتهم، بأقلامهم، بأيديهم، بكل ما رزقهم الله من إمكانيات ينفقون، ينفقون في مجال ماذا؟ في المجالات التي يجب أن تهمهم كمسلمين، كمسئولين أمام الله، كمؤمنين مصدقين بما وعد الله المؤمنين به في الدنيا وفي الآخرة، فهم لا يبخلون؛ لأنهم يثقون بمثل قول الله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (سبأ: من الآية٣٩) {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} (الأنفال: من الآية٦٠) أليست هذه وعوداً؟ لكنها تتطلب إيماناً، وتتطلب أن تكون أنت ممن يحمل اهتماماً من واقع إيمانك حتى تعرف مدى أثر ما تنفق، وتعرف أنه يجب أن تبذل مالك، وتبذل من كل ما رزقك الله من خبراتك، وإمكانياتك.

فهم هكذا شأنهم كمؤمنين واثقين بوعد الله، حريصين على رضا الله، عارفين أثر الإنفاق في تحقيق ما يَصبُون إليه وما يريدون تحقيقه، فهم ينفقون.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (الشورى:٣٩) لديهم وعي إيماني بأن الصبر على الظلم لا يمثل إلا الضَّعة والذلة والخنوع، لا قيمة له عند الله إذا لم يكن صبراً عملياً، إذا أصابهم البغي إيمانهم، تربيتهم الإيمانية، ثقافتهم القرآنية جعلتهم يمتلكون نفوساً عالية، نفوساً أبيّة، نفوساً تفهم كيف ستكون العاقبة السيئة إذا ما خنعوا، إذا ما خضعوا إذا ما استُذِلوا وقُهروا، كيف ستكون الحياة، كيف سيصبح الدين، كيف سيضيع الحق، كيف سيسود الباطل، كيف سينتشر الفساد، فهم ينتصرون، ينتصرون إذا أصابهم البغي في أنفسهم؛ لأن نفوسهم أبية، نفوسهم كبيرة، لا يطيقون السكوت على أن يُظلموا، وأن يُهضموا، وأن يُذلوا، ينتصرون لدينهم.

وعادة ما يكون أحياناً البغي عليهم هدفه البغي عليهم باعتبار ما يحملون في دينهم، في كونهم هم طائفة محقة، في كونهم من يحملون اهتمامات بأمر الدين فالبغي عليهم هو عملية ضرب للدين من خلال ضربهم هم، فهم ينتصرون على من بغى، وليكن هدفه ما كان.

هكذا آية واحدة تعرض مثل هذه القيم المهمة، والصفات العليا لأولياء الله، هذه الصفات التي تجسد إيمانهم الحقيقي الصادق، الراسخ، الواعي.

يقول أيضاً سبحانه وتعالى عن المؤمنين، وهم بالطبع أولياؤه؛ لأنه قال في مقدمة وصف أوليائه مَنهم؟ {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} آمنوا، كيف هذا الإيمان؟ هو هكذا إيمان من هذا النوع: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات:١٥) وهؤلاء هم أولياء الله، الصادقون هم: أولياء الله، الصادقون في إيمانهم، آمنوا بالله، آمنوا برسوله إيماناً واعياً لا ارتياب معه، ولا يمكن أن يتعرض لأي ارتياب أمام هذه الشبهة، أو هذه الدعاية، أو أمام هذه الإغراءات، أو هذا الترهيب، أو هذا الترغيب، إيماناً عملياً يفهمون الإيمان، الإيمان العملي الذي يجسدونه في التزاماتهم، وفي اهتماماتهم، أنه إيمان بقضايا، بمبادئ، بعقائد، بأحكام تتطلب الالتزام بها، وتتطلب أيضاً الدفاع عنها، وتتطلب أيضاً نشرها والعمل على إعلاء كلمة الله في سبيل تطبيقها وسيادتها في أرضه.

{وَجَاهَدُوا}، جاهدوا.. من أجل ماذا جاهدوا؟ وبماذا جاهدوا؟ بأموالهم وأنفسهم، وهي أغلى ما يملك الإنسان: ماله ونفسه، فلتكن الأموال رخيصة، ولتكن النفوس رخيصة في سبيل من؟ في سبيل الله.

هؤلاء هم الصادقون، وحدهم هم الصادقون، والصادقون من هم؟ هم أولياؤه.. أولياؤه من هم؟ هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. هم من لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

المؤمنون من هم؟ هم من ينتفعون بالذكرى إذا ما ذكروا، لماذا؟ لأن نفوسهم مهتمة، قلوبهم مفتحة لتستقبل الهدى لتنتفع بالذكرى؛ ولهذا قال الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات:٥٥) وهم من سيحتاجون إلى الذكرى، وهم من تنفعهم الذكرى؛ لأنهم دائماً في عمل، في عمل وهم يزكون أنفسهم، وهم يصيغون نفسياتهم على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى، وهم ينطلقون في سبيله، في سبيله يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، يواجهون في مختلف ميادين المواجهة لأعداء الإسلام، وأعداء الأمة، فهم من تنفع فيهم الذكرى، من تنفع فيهم الذكرى المستمرة، هم من تبنيهم الذكرى {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}.

هم من قلوبهم التي ملئت إيماناً أصبحت على هذا النحو: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} (الأنفال: من الآية٢) لشعورها بعظمة الله، لخشيتها من الله، وخوفها من الله، ورغبتها في رضاه، ورغبتها في أن تحظى بقربه، ورغبتها في ما عنده.

وَجِلَت قلوبهم، توجل، تخاف، ترتجف، قلوب ما زالت مفتوحة لم يطبع الله عليها، لم يختم عليها، لم يضع عليها أكنَّة، لم تُدنِّسْها السيئات، لم تدنسها الخطايا والمعاصي، لم تهيمن عليها العقائد الباطلة، لم تقفلها العقائد الباطلة، إنها قلوب تتعامل مع الله سبحانه وتعالى وتتلقى هداه، فكانت على هذا النحو تَوْجَل إذا ما ذكر الله.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} (الأنفال: من الآية٢) ففي كل جلسة يزدادون إيماناً، ومع كل آية يسمعونها، ومن خلال كل آية من آيات الله يسمعونها يزدادون إيماناً، فليسوا من أولئك الذين يقولون: {حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} (محمد: من الآية١٦) هؤلاء قلوبهم ليست ممن طبع الله عليها، بل قلوب مستنيرة، [تتلى عليهم آيات الله] فيزدادون إيماناً، وهم يرون أنفسهم دائماً بحاجة إلى أن يزدادوا إيماناً؛ لأنهم يعرفون ما هو الإيمان، وهم في ميادين العمل الإيماني يحتاجون دائماً إلى زيادة الإيمان.

لماذا؟ لأن كل إيمان في الإسلام هو عملي، وكل عمل في الإسلام له غاية إيمانية، فيزدادون دائماً إيماناً، فتتجلى لهم الغايات، فتتجلى لهم الوقائع والأحداث من خلال آيات الله سبحانه وتعالى التي تُتْلَى عليهم، تتجلى لهم من

واقع الحياة، ومن خلال آيات الله في كتابه الكريم، تلك الحقائق التي ترسخ الإيمان في قلوبهم بصدق وعد الله لهم.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الأنفال: من الآية٢) **ومن الذي يحتاج إلى أن يتوكل على الله إلا من لديه اهتمام بأمر الله، من هو دائم اللجوء إلى الله، من هو عظيم الثقة بالله، فتصبح صفة لديه، وتصبح صفة لديهم، هؤلاء المؤمنين أنهم دائماً على ربهم يتوكلون، لكن ليس ـ كما قلنا سابقاً ـ إيكال الأمور إليه فلينطلق هو، فيكون واقعهم كما قال بنو إسرائيل لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** (المائدة: من الآية٢٤).

يتوكلون على الله وهم في ميادين العمل لإصلاح الأمة، والإهتمام بأمر الدين، وإصلاح أنفسهم، اتكالهم على الله، اهتداؤهم به، استرشادهم به، التجاؤهم إليه، رجاؤهم العظيم فيه، أن يوفقهم، ويرشدهم، ويهديهم، ويلطف بهم ويرعاهم.

{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} وما أكثر ما كُرر التأكيد على إقامة الصلاة، لم تأت حتى بلفظ [يصلون، يصلون] {يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} هي تشبه في ما يتعلق بالزكاة {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}، فالزكاة لأنك مؤمن أنت من تنطلق لتؤتيها فتدفعها أنت لا تنتظر إلى من يأتي ليأخذها قسراً منك، من واقع إيمانك وشعورك بالمسئولية أن تؤدي هذا الواجب العظيم عليك، الذي فيه رضى لله سبحانه وتعالى، كذلك الصلاة هم حريصون على أن يصلّوا، ولكن صلاة قيِّمة، حريصون على أن تكون صلاة لها قيمتها فيقيمونها على النحو الذي شُرعت له، ويعملون على أن يحصلوا من خلالها على تحقيق الغاية التي شُرعت لأجلها. والصلاة لها معانيها العظيمة، لها قيمتها الكبرى، لها أثرها العظيم، إذا ما فهمنا معاني الصلاة وكيف نقيمها.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} نفس الكلام السابق تجد ليس هناك إيمان بدون إنفاق، بل أنت لا تحتاج إلى من يدفعك إلى الإنفاق في ما إذا فهمت مسئوليتك أمام الله سبحانه وتعالى، إذا ما أصبحت إنساناً تهتم بأمر دينه وعباده، إذا ما عملت كعضوٍ في أمة تنطلق في الدعوة إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، سترى ماثلاً أمام عينيك أهمية الإنفاق في هذه المجالات، إنما الذي يتقاعس عن بذل المال هو ذلك الذي لا يحمل أي اهتمام، وليس ربما في قلبه حتى مثقال ذرة من إيمان، يقرن الإنفاق هنا بالصلاة، الصلاة التي هي خير الأعمال، وأنت في ميدان الإقبال على الله سبحانه وتعالى يبرز الإنفاق في الجانب المالي من أهم الأعمال في ميدان العمل في سبيل الله تعالى.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} هذه طبيعتهم، وهذه عادتهم.. لاحظوا هنا يعرض صفات هم عليها أصبحت شبه تلقائية لديهم، صفات أصبحت غرائز في نفوسهم: مجاهدين صادقين، يزدادون إيماناً، يتوكلون، يقيمون، ينفقون. لم تأتِ بشكل أوامر. هكذا أصبحوا، وهكذا يصبح من يكون إيمانه بالله إيماناً صادقاً؛ لأنه هنا يقول هكذا يكون المؤمنون عندما يقول: {إنما المؤمنون} هكذا يكون المؤمنون، وهكذا هم المؤمنون حقيقة، الذي يكون شأنهم هكذا، إيمان بالله ورسوله لا ارتياب معه، جهاد في سبيله بالمال والنفس، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، إذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، يتوكلون على الله، يقيمون الصلاة ينفقون مما رزقناهم، هكذا شأنهم.

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} (الأنفال: من الآية٤) **كما قال هناك: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} هنا: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً}.**

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الأنفال: من الآية٧٤) **والمؤمنون عادةً من يكون إيمانهم صادقاً بالله سبحانه وتعالى، ويفهمون ماذا يعني الإيمان به، ماذا يعني، وما يتطلب من أعمال، وما يترتب عليه من مسئوليات، ينظرون إليها نظرة شرف وافتخار واعتزاز بها، أنهم أصبحوا من يحملها، هم فيما بينهم كالجسد الواحد، كلٌ منهم يحرص على أن تكون علاقته بأخيه علاقة قوية.**

إنما المؤمنون هكذا شأنهم: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: من الآية٧١) **من واقع ماذا أصبحوا هكذا بعضهم أولياء؟ بعض بعضهم مع بعض، يقفون مع بعض يتعاونون، يبذلون معروفهم لبعضهم بعض، يقفون صفاً واحداً، كلمة واحدة، كتلة واحدة، جسداً واحداً، يهمهم أمر بعضهم بعض؟ لأنهم نوعية تحمل شعوراً بمسئوليات كبرى، فينطلقون في البداية لتأهيل أنفسهم، والحفاظ على وضعية تؤهلهم لأن يؤدوا مسئوليتهم التي ينظرون**

إليها كمسئولية كبرى لا يتحقق لهم صدق الإيمان مع التفريط بها، وأنها ليست من النوع الذي يبحثون عن المبررات للتقاعس عنها.

هكذا هم بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ دائرة واسعة يشمل كل مجالات، وشئون الدنيا والدين.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة: من الآية٧١) ولاحظوا كيف يأتي الوعد بالمغفرة وبالرزق الكريم، بالرحمة والجنة لهؤلاء الذين يقول عنهم هم الصادقون، هم المؤمنون حقاً، بعضهم أولياء بعض ليشعرنا بأن هؤلاء هم وحدهم الذين سيكون لهم هذا الجزاء العظيم.. وليسوا ممن يضعون لأنفسهم صِيَغاً إيمانية يُفَصِّلُونها على حسب وجهة نظرهم، وعلى الواقع الذي يريدون أن يكونوا عليه هم، هؤلاء ليسوا ممن يقول عنهم: {أُوْلَـئِكَ}، ليسوا من أولئك الذين لهم مغفرة ورزق كريم، ولا من أولئك الذين سيرحمهم الله في دنياهم وآخرتهم لأن الله هو ربهم وهو العزيز الحكيم.

المؤمنون بلغ بهم إيمانهم إلى درجات عليا من الإنشداد نحو الله سبحانه وتعالى، والرغبة في الحصول على رضاه، والرغبة فيما وعد به أولياءه المؤمنين فأصبحوا لا يحتاجون ـ تقريباً ـ إلى من يعرضهم على الله ليبيعهم منه، بل هم من ينطلقون ليبيعوا أنفسهم من الله، ليبيعوا أنفسهم، وأموالهم من الله، فالله يأتي ليشتري، وبالشكل الذي يوحي، وكأنها لم تحصل مساومة بل هم انطلقوا ليعرضوا أنفسهم، وأموالهم في سوق الله؛ ليحصلوا على ذلك الثمن العظيم [الجنة]، {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ}(التوبة: من الآية١١١) ماذا يريدون من أنفسهم وأموالهم عندما باعوها؟ هم يريدون الجنة.. باعوها منه ابتغاء رضاه فمنحهم رضاه، ومنحهم الجنة.

وعندما باعوها باعوها بصدق [بيع صَرْم نافذ] كما نقول [وطرقوا صَبّ وصَلّب وسَيْل وغَيْل] كما نقول نحن في مبايعنا على هذا النحو.. فانطلقوا ليقاتلوا في سبيل الله، وليس فقط بيع وعاد فيه خيار، وعاد با أشوف الوالد إذا با يرضي، والوالدة إذا هي با توافق إذا أعجبها السعر وأعجبها الثمن لا بأس سيبيع وإلا فلا. لا، بيع صَرْم نافذ يريدون الجنة، يريدون رضا الله.

ففيما تَجَسُّد هذا البيع؟ تجسد في قتالهم في سبيل الله، ذلك الميدان الذي يتطلب بذل النفس والمال، فهاهنا يكون البيع، وهاهنا يكون الشراء من الله سبحانه وتعالى {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ}(التوبة: من الآية١١١) وعندما ينطلقون للقتال في سبيل الله لا يتصورون بأن مجرد البيع هو أن يحضروا ميدان المواجهة بل ينطلقون في خوض الصفوف في غَمَرَات الأهوال يقاتلون، وليس فقط يتفرجون كما كان بعض أولئك ممن يوصفون بأنهم عظماء فيقال عنهم بأنهم كانوا يحرسون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في معركة بدر ومعارك أخرى فنراهم عندما تصول الصولة من جانب الكافرين يكونون هم من أوائل من ينهزمون فيتركون النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، فليسوا هم من قاتل في الميدان، وليسوا هم من حافظ على النبي في وقت الخطر، هذا ليس بيعاً.

هؤلاء ينطلقون ليقاتلوا بجدية في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، هم باعوها من الله، لم يبيعوا مجرد تحرك وهمي لينتظروا هذا الطرف أو هذا الطرف من الذي سيدفع أكثر لنتحرك معه؟ لا.. ليحصلوا على أموال؛ لأنهم قد خرجوا بشكلهم كمقاتلين، خرجوا بشكلهم، بآلتهم كمقاتلين هم يريدون من الذي سيشتري، من الذي سيدفع أكثر من الأموال من الذي سيعطي بنادق، من الذي سيعطي ذخيرة، من الذي سيعطي رتب، من الذي سيعطي كذا ننطلق معه.

هؤلاء ليسوا من هذا النوع، رأوا أن أنفسهم غالية، وفعلاً ((إن نفوسكم غالية ليس لها ثمن إلا الجنة)) هكذا ورد حديث بهذا المعنى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن النفوس عظيمة وغالية ليس لها ثمن إلا الجنة، ماذا يعني؟ أبذلها في سبيل أن تحصل على الجنة.

هؤلاء انطلقوا يقاتلون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فأمام إغراءات أعدائهم لا يفكرون أن يميلوا يميناً أو شمالاً؛ لأنهم لا يبحثون عن المال، هم من باع المال، وأمام إرهاب وتخويف أعداء هم أيضاً ليسوا ممن يخاف الموت؛

لأنهم من باعوا النفس أيضاً. فماذا يصنع معك العدو أكثر من أن يُرغّبْ أو يُرهب، أكثر من أن يعـد أو يتوعـد؟. فتصبح كل الوعود لا قيمة لها، وكل التّوَعُّد أمامك لا قيمة له.

{أَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}، وعدُ إلهي صدقوا به أيضاً. هكذا هو شأن أولياء الله الـذين آمنـوا، تـصديق بثقـة بـأن لهـم الجنة، ويؤكد الوعد {وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} (التوبة: من الآية١١١) أنـني سأمنحهم الجنـة فصدقوا وانطلقوا {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} (التوبة: من الآية١١١) من الذي يمنعه من أن يفي بعهده؟ ومن الذي يمكن أن يحول بينه وبين أن يفي بعهده؟، ومن هو ذلك الطرف الذي يملك ما يملك الله؟ حتى يمكـن أن يكـون مثلـه بالوفاء بعهده، من هو ذلك الطرف الذي يمكن أن يكون أوفى من الله بعهده؟ لا، {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ} (التوبة: من الآية١١١) هذا ليس خسارة، هو بشارة {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة: من الآية١١١).

المؤمنون الذين دفعهم إيمانهم، وترسخ في نفوسهم من خلال هذا العمل، ومن خلال هذا العمل، ومـن خـلال هـذه الآية، ومن خلال تلك الكلمة، ومن خلال ذلك الموقف الذي تجسد في عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آلـه) لم يكن وليدة لحظة بل ترسخ في نفوسهم؛ لأنهم كانوا هكذا: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} (التوبة: من الآية١١٢) هـم هـؤلاء المؤمنـون الذين قال عنهم بأنهم باعوا أنفسهم من الله، كأنه قال: هم الذين يمكن أن يصلوا إلى هذه الدرجة، هم أولئك الذين هم {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنـاهون عـن المنكـر والحافظون لحدود الله. وبشر المؤمنين}.. ما هي البشارة من جانب الله؟. رضـوانه، والجنـة، والفـوز في الـدنيا والآخرة، الكرامة في الدنيا والآخرة، العزة في الدنيا والآخرة.

وهم من كان إيمانهم إيماناً كاملاً، إيماناً وهم يتجهون نحو الله سبحانه وتعالى فتبرز من كل جـوارحهم مـا يجـسد إيمانهم حتى وهم يتحركون في الأرض سائحون في أعمال التجارة في مختلف الأغراض يـسافرون فيكـون سـفرهم أيضاً مما يصبح عبادة من خلال تأملاتهم، ومن خلال اهتماماتهم بواقع الحياة، ومن خلال اهتمامهم ببناء الأمـة، فخبرات من هنا، ومن هنا يحصلون عليها في مجال بناء الأمة. سواء في تعاملهم مع الآخـرين أو تعاملـهم مـع الله، هكذا {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} (الرعد: من الآية٢١) لأنهم مسلّمون، ومستسلمون ونفوسهم سليمة، ومستسلمة لله ربهم وملكهم، وإلههم، وسيدهم، فهم لا يـأنفون مـن أن يصلون ما أمر الله به أن يوصل؛ لأنهم عبّدوا أنفسهم لله.

{وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} (الرعد: من الآية٢١)، قلـوبهم مملـوءة بالخـشية مـن الله، والخـوف مـن يـوم الحساب، أن يقفوا بين يديه فيحاسبوا حساباً عسيراً؛ لأنهم يعرفون ماذا وراء الحساب العسير أن وراءه النار.

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} (الرعد: من الآية٢٢) أليست هذه الصفات يحكيها كواقعة؟. صفات متجـسدة فـيهم، في مختلف المجالات. {صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} هذا هو الصبر العملي: الصبر على نقص، في الأنفس على نقـص في الأموال، صبر على شدائد، صبر وهم يواجهون حصارات اقتصادية، صبر وهم يواجهون هجمات إعلامية؛ لأنهـم في ميدان العمل بوعي وثقة بالله وصدق مع الله، منطلقين في أعمالهم مـن واقـع الوفـاء بعهـد الله، ومواثيقـه، والحرص على أن يصلوا ما أمر الله به أن يوصل فلا ينقطع في نصف الطريق الذي أمرهم الله بأن يواصلوا السير عليه، إلى الغاية المنشودة التي يجب أن يسعوا لأن يصلوا وهم في طريقهم إليها.

وهم عندما يصبرون يصبرون ابتغاء وجه ربهم؛ لأنهم مخلصون له فلا ينتظرون ثناء من ذا أو من ذاك. {ابْتِغَـاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ}، فهذا هو الصبر العملي، الصبر الذي منـزلته من الإيمان بمنـــزلة الـرأس مـن الجـسد. أمـا ذلـك الصبر على الذل، الصبر على الخضوع، الصبر على القهر، الصبر والباطل يسود، والفساد ينتشر، والحق ضـائع، والناس يظلمون، ويقهرون، وعباد الله يستضعفون، واليهود والنصارى يتحركون هنا وهناك، وأمريكـا وإسـرائيل تتحرك هنا وهناك، الصبر في هذه المرحلة هو ذل، لا يمكن أن يسمى صبراً، إنه ذل بكل ما تعنيـه الكلمـة، إنـه

ضياع للإيمان، إنه انحطاط في النفوس. هؤلاء المؤمنون يصبرون في ميادين العمل في مواجهة أعداء الله، ويتحملون مختلف الشدائد، مهما كانت؛ لأنهم صبروا ابتغاء وجه ربهم.
سواء طالت المرحلة أو قصرت، هم حتى لم يضعوا لأنفسهم حداً معيناً هناك، أننا نتحرك إلى هذا المستوى، إلى هذه النقطة، لا بأس سنصبر إلى هنا.. لا. هم صبروا ابتغاء وجه ربهم، وهذا هو الصبر في المجالات المفتوحة، في المجالات نحو الغايات الطويلة، نحو أداء المهام الكبيرة، فهم لا يقولون: فقط سنصبر إلى هنا ثم بعد لا. {وجه الله} الله لا يزال باقياً، وحاجتهم إليه كمؤمنين في أن يحصلوا على رضاه ما تزال أيضاً قائمة، فليس هناك حدود في ما بينهم وبين الله، ليس هناك نقاط تحدد ما يطلبونه من الله، وما يعملونه ابتغاء وجهه.
ولأنهم يصبرون ابتغاء وجه الله يصبح للصبر طعمه الحلو لديهم فعلاً. كان يقول أحد الأئمة وهو يتشرد بأنه يرى نفسه في نعمة عظيمة، أنه أصبح يرى أنه استطاع أن يخيف الظالمين، وأن يتخوف منهم، وهو يتشرد ويواجه التعب والجوع، أصبح بتلك الحالة التي تعتبر مظهراً من مظاهر الصبر وهو في ميدان العمل، أصبح يراها نعمة، أوليس الإنسان ينظر إلى النعمة نظرة يرتاح لها ويلتذ بها كأنهم ـ لأنهم صبروا ابتغاء وجه ربهم ـ لا يرون أنفسهم، ولا ينظرون إلى واقعهم وهم في ميدان العمل فيرون أنفسهم أنه قد أجهدهم هذا فأصبحوا على حافةٍ من الملل ومن التخلي. ومهما بلغت الأمور إليه، فالمسألة هي ازدياد من الصبر والازدياد من الصبر ابتغاء وجه الله، يعني الحظوة برضاه أكثر، والقرب منه أكثر.
{وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} (الرعد: من الآية٢٢) لاحظوا كم تتكرر هذه الآيات وعلى هذا النحو: الصلاة والإنفاق، الصلاة والإنفاق، الصلاة والإنفاق، فأين أولئك الذين يزعجون الناس بالصلاة، وبمكرفوناتهم ثم لا ينفقون في سبيل الله، ليفهموا أنه لا قيمة لصلاتهم إذا لم يتحركوا للإنفاق في سبيل الله. حين تصلي صلاة جديرة بأن ترفع لها ولو عدة أجهزة من مكبرات الصوت، صلاة ولو تريد أن يسمعها الناس على بعد، على مسافات بعيدة فلتكن صلاة معها ذلك المُقَوِّم الآخر الذي يجعلها قيّمةً هو الإنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى.
وتأمل هنا في كم آيات يقرن الإنفاق في سبيله بالصلاة: {وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً} (الرعد: من الآية٢٢) في كل الحالات، في كل الظروف، وهم أيضاً هؤلاء المؤمنون ممن يهمهم أمر دينهم، وأمر أمتهم فيحرصون جداً على وحدة كلمتهم، وصلاح ذات بينهم.
{وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} (الرعد: من الآية٢٢) يدفعون بالكلمة الحسنة، بالقضية الحسنة، بالموقف الحسن السيئةَ، الكلمة السيئة البَادِرَة السيئة، الزلة السيئة من طرف آخر منهم يدفعونها؛ لأنهم يعرفون قيمتها، أنه لا بد أن نتعامل هكذا فيما بيننا؛ لنحافظ على صلاح ذات بيننا، لنبقى أمة تستطيع أن تؤدي ما أوجب الله عليها، وما حملها مسئوليته من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على إعلاء كلمته، وإصلاح عباده، ونشر دينه.
فهم حريصون، وهم يعرفون قيمة ما يتركه الدرء بالحسنة، ما يتركه من أثر في الطرف الآخر، من خلال قول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:٣٤).
أنا سأدفع السيئة التي بدرت منك بشكل زلة أدفعها بالكلمة الحسنة، ولا أبادلك بالكلمة عشراً، عندما تكون أنت طرف لا تزال إنسان لا تزال يمكن أن تسمى إنسان فأنت ستبادل الشعور وسأراك وأنت منكسر الخاطر أمام موقفي الحسن، فتصبح تنظر إليّ، وتصبح وأنت تشعر بقربك مني وكأنك وليٌ حميم صديق مقرب لي، هكذا يترك كظم الغيظ والعفو والدرء للسيئة بالحسنة، الدفع.
{وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد: من الآية٢٢) الجنة، العاقبة الحسنة في الدار في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة جنات عدن إقامة وخلود {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} (الرعد: من الآية٢٣). لاحظوا كيف حظوا بهذا التكريم الإلهي العظيم، الذي لم يتوقف على تكريمهم هم شخصياً بل أصبح جزء من تكريمهم أن يُقَرّب إلى مكانتهم أفراد أسرتهم، وطبعاً أولئك الأفراد الذين يدفعون

بك إلى هذه الميادين، وليس أولئك الذين يثبطونك، أولئك الذين يوبخونك، أولئك الذين يُكَبِّلُون أيديك من أن تنطلق في التحلي بصفات أولياء الله.

لو عرف الآباء والأمهات والأبناء أنه من النعمة العظيمة عليّ أن يكون لدي ابن صالح ينطلق في هذه الأعمال الصالحة، في هذه الميادين التي ترضي الله سبحانه وتعالى فيحظى على المكانة العظيمة، وأنا أشده، وأنا أشجعه، وأنا أدعمه، وأنا أؤيده، وأنا أقف معه قد يحظى ابني هذا بمكانة عظيمة عند الله، فيكون قربه هو الذي يساعد ـ من منطلق التكريم له ـ أن أحظى أيضاً بالقرب من المكان الذي هو فيه، والجنة درجات عظيمة {وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} (الاسراء: من الآية٢١).

هذا بالنسبة للأب أمام ابنه الصالح، كذلك الابن أمام أبيه الصالح وأنت ترى أباك يتحرك في هذه الميادين، لا تحاول تثبطه، لا تنطلق منك كلمة تثبطه. إذا كنت ترى أباك وهو ينطلق في ميدان من هذه الميادين فتشجعه إذا كنت مؤمناً، قد يكون أبوك في ما هو عليه هو مؤهل لأن يصل إلى درجة عالية فإذا ما لحقته بإيمان ستكون من المقربين معه في تلك الدرجة، تكريماً لأبيك. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} (الطور: من الآية٢١).

كذلك الزوجات، كذلك الأزواج {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} (الرعد: من الآية٢٣) تلك الزوجة التي تشد زوجها، وهو في هذه الميادين ينطلق ليعمل، تشجعه حتى لو خرج مقاتلاً في سبيل الله، لا تَبْكِي، بل تشجعه، تودعه بعبارات التشجيع، بعبارات تبقى حَيّةً في نفسه، تدفعه، تشد من أزْرِه، تلك الزوجة التي لا ترهق زوجها بتصرفاتها العشوائية داخل منزله، فتبعثر الكثير من أمواله فترهق كاهله فلا يكاد كل ما يجنيه يوفر إلا حاجات منزله لا يستطيع أن يُسْهِم في مجال الإنفاق في سبيل الله، ليكتمل له دينه من خلال صلاته وإنفاقه.

تلك الزوجة التي لا تزعج زوجها وهو يفكر في ما يهم أمر الأمة، فيما يجب أن يهتم به من أمر دينه وأمته، تلك الزوجة التي لا يكون همّها أن يبقى يسامرها ساعات بعد ساعات، زوجة صالحة.

وما أعظم دور الزوجات الصالحات في الدفع بالرجال، ما أعظم إسهام ـ المرأة الصالحة التي تربي ـ في صنع الأبطال، صنع الرجال، صنع المجاهدين في سبيل الله.

يقال أن الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلاً تجديداً في العالم، وخلق صحوة إسلامية، وأرعب أعداء الله، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم، يقال: أن خالته ـ وهي من تولت تربيته ـ كانت تقول له: [أنت عظيم، أنت بطل، أنت ستكون شجاعاً، أنت ستكون بطلاً، أنت ستكون عظيماً]. تلقنه هذه العبارات وهو ما يزال طفلاً فنشأ فعلاً عظيماً كبيراً، نشأ فعلاً بطلاً شجاعاً مقداماً أرعب أمريكا، وأرعب دول الاستكبار كلها.

وليست تلك الأم، أو تلك المربية التي همها فقط أن يسكت ابنها، فبأي عبارات مزعجة مقلقة تحاول أن تسكّته.

المرأة تقع عليها مسئولية كبرى جداً، وهي زوجة، وهي أم، وهي قريبة من هذا الطفل تربيه، وهي قريبة من هذا الرجل تؤيده وتدفع به وتصبِّره وتشجِّعه.

لقد بلغ الأمر بالنساء الإيرانيات أن أصبحن يفتخرن، تفتخر إحداهن بأنها أصبحت أم أربعة شهداء، وأخرى تفتخر بأنها أصبحت أم ثلاثة شهداء، وهكذا أصبحن يتفاخرن بأنهن أمهات شهداء، وزوجات شهداء.

مثل هذه الزوجة وهي في بيتها هي من سيكون لها ذلك الموقع العظيم إذا ما لحقت زوجها بإيمان وصلاح، وتقوى، أن تحظى بالقرب منه في درجته كشهيد مجاهد، وهي درجة عالية {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً} (النساء: من الآية٩٦) فهي في بيتها تحظى بهذه المكانة.

ذلك الزوج أيضاً الذي يرى لدى زوجته اهتماماً من خلال ما تقرأ أو تسمع مما ترك لديها عمقاً إيمانياً فأصبح لديها اهتمام بأن تُسْهِم بمالها، بأن تُسْهِمَ في مجال تربيتها لأولادها، فهي تحرص على أن ينشئوا رجالاً صالحين، رجالاً جنوداً لله، أنصاراً لله فلا يثبطها، ولا يشغلها بأعمال قد لا تكون تمس الحاجة إليها، ولا يرهقها بأعمال قد يكون في غنى عنها، فيما يتعلق بمعيشته، يفسح لها المجال.

أفراد الأسرة إذا ما انطلقوا هكذا يشد بعضهم بعضاً، فقد يحضون كلهم بالقرب بأن يصلوا إلى تلك الدرجة التي يصل إليها واحد منهم عظيم، أليست هذه نعمة عظيمة داخل الأسرة؟ بواسطة الأب قد تلتف الأسرة في جنات عدن في مقام واحد، بواسطة الابن قد تلتف الأسرة ويجتمع شملها في مكان واحد في الجنة، وقد يكون مكاناً عالياً ببركة ذلك الابن. الأسرة ببركة تلك الزوجة، ببركة ذلك الزوج، ببركة تلك الأم قد يصلون إلى تلك الدرجة. لكن فيما إذا كانوا على هذا النحو يشدون بعضهم بعضاً.

وفعلاً يختلف الأفراد في الأسرة أحياناً باعتبار واقع عملهم فيكون بعضهم له دور كبير يحظى بمكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فتكرم كل أفراد الأسرة من أجله، فتصل إلى تلك الدرجة العظيمة التي وصل إليها؛ لأنها كانت تشجعه، كانت تؤيده، كانت تقف معه.

أما أولئك الذين يثبطون بعضهم بعضاً فسيكون البَوْنُ بينهم شاسعاً قد لا يكون ولا حتى داخل الجنة، قد يكون خارجها، هذا في النار، في قعر جهنم، وهذا في الدرجات العليا في الجنة، هذا هو شتات الشمل الرهيب، هذا هو شتات الشمل الرهيب في العالم الأبدي، في الآخرة.

ولمكانتهم العظيمة عند الله، ولعظم ذلك النعيم الذي أصبحوا يحظون به في جنات عدن، الذي ليس نعيماً مادياً فقط بل تكريم تكريم، وعلى أيدي أولئك المكرمين من عباد الله. الملائكة {وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد:٢٤) **فهؤلاء هم المؤمنون، هؤلاء هم من يكونون إخوة كما قال الله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**(الحجرات: من الآية١٠) **لأن واقعهم في اهتماماتهم، في توجههم، في شعورهم بمسؤولية واحدة هو الذي يجعل منهم فعلاً إخوة، أخوة إيمانية.. وما أعظم وأقوى روابط الإيمان بين أفراد المجتمع فيصبحون إخوة بما تعنيه الكلمة، أكثر من علاقة الأخوة التي سببها الصُّلب والبطن الواحد. إن هذه أخوة الدين الواحد، والهَمّ الواحد، والمسئولية الواحدة، والمصير الواحد هكذا {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا}** (يونس:٦٢). **هؤلاء هم المؤمنون {وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.**

يعرض في آية واحدة بعض صفات المتقين، ونحن فعلاً ـ كما قلنا لكم ـ نفهم المؤمنون هم المتقون المتقون هم المؤمنون، إنما التقوى حالة يخلقها الإيمان الواعي الصادق؛ لأن كلمة [التقوى] تتقي أي تحذر، فتصنع وقاية تنطلق لتَقِيَ نفسك من غضب الله، من عقوبته، عقوبة التفريط، الغضب للتفريط سواء بارتكاب معصية، أو التفريط في أداء عبادة، أو التفريط في أمر من الأمور التي الله يريد منك أن تتحرك فيها، في آية واحدة يقول عنهم: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران:١٥).

من هم المتقون؟. {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران:١٧) **صدق الله العظيم.**

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يجعلنا من المؤمنين الذين يَتَحَلَّون بهذه الصفات المهمة في مختلف مجالات حياتهم وأعمالهم، ومن عباده المتقين الذين يحظون بالجنة وبالرضوان منه سبحانه وتعالى، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٤/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، نبي الأمة، رسول القرآن، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ليتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

والصلاة والسلام على أهل بيت رسول الله الذين ساروا بسيرته، وتمسكوا بالثقلين من بعده، ونهجوا نهجه، فوقفوا في وجه الظالمين والكافرين والمستكبرين في كل العصور.

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته

هذه هي الجلسة الثالثة، وفي البداية نقدر لكم حضوركم الكبير، ونبارك لكم الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى على مشاركتكم في اجتماعات نتناول فيها جميعاً ما يهمنا كمسلمين، نتناول فيها جميعاً ما يهمنا كمؤمنين من أتباع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والقرآن الكريم، وعترة المصطفى (صلوات الله عليه وعليهم).

وكما أسلفنا في الجلسة السابقة ما تمتاز به مثل هذه الاجتماعات هو: أن نتناول فيها القضايا من واقع الشعور بالمسئولية بجدية واهتمام وعمل؛ إن كنا صادقين في التمسك بالقرآن الكريم والرسول وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم). فالقرآن الكريم كتاب عملي، كتاب يتحرك، كتاب يواكب كل الأحداث، والمتغيرات في هذه الدنيا.

والرسول (صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين) كان كذلك نبياً عظيماً يتحرك بحركة القرآن، يتحرك بحركة الوحي الذي يتنزل عليه بين حين وآخر، يتحرك والوحي بعد لم يكتمل إنزاله إليه، فإن كنا من أتباع أهل البيت الذين رأسهم الإمام علي (عليه السلام) الذي قال له الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((ستقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)). من قال فيه: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)). فكان علي يتحرك بحركة القرآن، بل كان في حياته قرآناً ناطقاً، وكذلك الأئمة الصادقون من أولاده ممن ساروا بسيرته.

لنقل لأنفسنا وللناس جميعاً من حولنا: يجب أن نستشعر أن علينا أن نستأنف حياة جديدة، وأن نقول لزمن اللامبالاة، زمن اللاإهتمام، اللاشعور بمسئولية: يجب أن يولي.

نحن ـ أيها الإخوة ـ لو سألنا أنفسنا، وسألنا كل واحد منا: هل أنت مسلم؟ هل أنت مؤمن؟ هل أنت مؤمن بالله وبرسوله وبكتابه؟ هل أنت مؤمن بهذا القرآن العظيم؟ لأجاب كل واحد منا: نعم. ولما رضي أي واحد منا لنفسه أن يقال بأنه غير مؤمن بهذا كله.

فإذا كانت هذه حقيقة نحن نقر بها فإنها ميثاق بيننا وبين الله سبحانه وتعالى: {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} (المائدة: من الآية٧) **هل أحد منا يمكن أن يقول: سمعنا وعصينا؟. لا. كلنا نقول، وكلنا نشهد على أنفسنا بأننا لا نستطيع أن نقول إلا سمعنا وأطعنا.**

إذاً بين أيدينا الكتاب الكريم، القرآن الكريم، وبين أيدينا في واقع الحياة أحداث كثيرة، هذا الكتاب الكريم يكشف عن حقائقها، ويكشف عن واقعها؛ لأنه كما قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فيه: ((فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم)).

ونحن عندما نجلس في مثل هذا الاجتماع لنتحدث عن أحداث كثيرة من حولنا في هذا العالم إنما لنناقشها على ضوء القرآن الكريم، بعد أن نكون قد قطعنا على أنفسنا عهداً بأن نلتزم به، وأن نثق به ككتاب من عند الله سبحانه وتعالى، من عند الله {الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان: من الآية٦) **الذي يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، الذي يعلم الغيب والشهادة، أنه كتاب هدى، أنه نور، أنه بيان، أنه شفاء لما في الصدور.**

لنعود بجدية إلى التمسك بالقرآن الكريم كما يريد الله سبحانه وتعالى منا إذ يقول: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥) **لننظر هل القرآن الكريم له نظرة حول ما يحدث؟ هل له**

موقف حول ما يجري في هذا العالم؟ هل يريد منا أن نتحمل مسئولية ما؟ هل يريد منا أن نعمل عملاً ما؟ هل يريد أن يكون لنا موقف من كل ما يجري؟ من كل ما يحدث؟.

كل ذلك في إطار قاعدة نريد أن نسير عليها جميعاً هي: أن نهتدي بالقرآن، وأن نثقف أنفسنا بثقافة القرآن الكريم، لنبحث الهدى من خلاله، ولندعو إليه، ولنسير على هداه باستقامة وثبات.

وقبل أن نتحدث عن ما جرى خلال هذا الأسبوع ينبغي أن نقف معكم قليلاً حول موضوع: [علاقتنا بالقرآن الكريم].

القرآن الكريم فيه رسم الله سبحانه وتعالى لعباده الطريق التي توصلهم إلى رضاه وجنته، وفيه أبان أيضاً، وأوضح الطريق التي يستوجب بها الناس سخطه وعذابه في الدنيا والآخرة، فعندما يقول في كتابه الكريم: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥) نجد في هذه الآية المباركة أنه وصف هذا الكتاب أنه هو الذي أنزله، هو الذي أنزله.. رحمة منه بنا، هداية منه لنا، رعاية منه بنا.. وأن هذا الكتاب كتاب كامل، فيه الهدى الكامل، فيه النور الكامل، لا ينقصه شيء، وأنه مبارك، مبارك من يسير عليه، مبارك من يهتدي به، مبارك من يتمسك به، مبارك في أثره في النفوس، وأثره في الحياة.. كل ما تعنيه كلمة: {مُبَارَكٌ} هي في القرآن الكريم، ومن خلال القرآن الكريم، ولمن يسيرون على نهجه تتحقق على أعلى وأرقى مستوى.

{فَاتَّبِعُوهُ}؛ لأن الله سبحانه وتعالى الذي أنزل هذا الكتاب الكريم هو الملك، من له ملك السماوات والأرض، من له ما في السماوات والأرض، من يدبر شئون السماوات والأرض، وشئون عباده من الجن والإنس، من يعلم بما يمكن أن يجري في هذه الحياة، من يعلم خصائص النفس الإنسانية، وما يمكن أن ينبع منها، وما يمكن أن يحدث على يديها من فساد في هذه الأرض. فلأن الله هو الملك، هو الإله تجد القرآن الكريم يتحدث عن الله سبحانه وتعالى بأنه إله قيوم حي أي ـ إن صح التعبير ـ عملي، يعمل، يدبر، يخلق، يسيّر، يهيئ، يثيب، يعاقب.

كيف يمكن أن يكون هناك ملك للسماوات والأرض، ومن له ملك السماوات والأرض، وملك عباده، ثم يقف من الجميع موقف اللامبالاة، إنما تجمّل فيهم أن ينزل إليهم كتاباً لمجرد التلاوة، ومجرد الترفيه على أنفسهم في أوقات الشدة! لا. إن من هو المدبر لما في السماوات وما في الأرض، من قال عن نفسه سبحانه وتعالى في سعة تدبيره: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} (السجدة:٥) في اليوم الواحد يدبر ما لا يدبر العباد مثله إلا في ألف سنة، في اليوم الواحد.

إذاً فهذا الكتاب الذي أنزله من عنده سبحانه وتعالى هو نزل من عند ملك، إله، مدبر، حي، قيوم، عليم، حكيم، سميع، بصير، رحيم. وهو كتاب عملي، كتاب عملي للحياة يتحرك بحركة الحياة. فأن تجمد أمة بين يديها القرآن الكريم هي ليست جديرة بحمله، هي أمة لا تتخلق بأخلاقه، هي أمة تنبذ القرآن وراء ظهرها، هي أمة تهجر القرآن، هي أمة جديرة بأن تعيش منحطة ذليلة مقهورة.

فعندما يقول الله سبحانه وتعالى لنا: {فَاتَّبِعُوهُ}؛ لأن فيه ما نحن بحاجة إلى اتباعه، نحن لا نجد في سواه ما يمكن أن يجعلنا نثق به في اتباعنا له. هو كتاب عملي اتَّبِعُوهُ. لا تستطيع أن تقول: ماذا نتبع فيه؟. ماذا؟ ما الذي فيه؟.

{وَاتَّقُوا} وتأتي كلمة {اتَّقُوا} في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، في حالات التحذير عن التفريط مما ألزم به سبحانه وتعالى، فبعد أن قال: {فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا}: أحذروا أن تفرطوا في اتباعكم له، أحذروا أن تبتعدوا عن اتباعكم له.

ثم بعد أن نكون قد اتبعناه، واتقينا الله في أن لا نفرط في اتباعنا له، {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} عسى أن ترحموا، هذا الجزء من هذه الآية المباركة قول الله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} عسى أن ترحموا، رجاء أن ترحموا؛ ليوحي للناس أن من لا يتبعون القرآن ما أبعدهم عن رحمته، أن من لا يتقون الله في تفريطهم في اتباع القرآن ما

أبعدهم عن رحمته، وأين رحمته؟ وأين مستقر رحمته؟ رحمته في الدنيا، ومستقر رحمته في الآخرة وهي الجنة، أليس في هذا نوع من التهديد؟ أليس في هذا إيحاء بخطورة الموقف؟.

ونجد شبيها بمثل قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} مع النبي (صلوات الله وسلامه عليه): {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} (الفتح:٢) {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (محمد: من الآية١٩) في أكثر من آية يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يستغفر لذنبه، وهو من كان يتحرك بحركة القرآن، لكن ربما في علم الله أن القرآن الكريم في عمقه، في وسعه، هو أوسع، أوسع من أن يطيق بشر مهما كان كاملا كإنسان أن يكون محيطا بدائرة سعة القرآن الكريم في حركته العامة في الحياة.

الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لم يأل جهداً، ولم يقصر، ولم يتوانَ، هو من وصفه الله سبحانه وتعالى بحرصه الشديد على هداية الأمة، بتألمه الشديد أن لا تهتدي الأمة، أسفه البالغ أن يرى قومه معرضين عن ذكر الله وهديه، لما يعلمه (صلوات الله وسلامه عليه) من خطورة موقف الأمة في ما يتعلق بإلهها يوم تقف بين يديه يوم القيامة، ولعلمه (صلوات الله عليه وعلى آله) بعظم هذا القرآن الذي أنزل عليه، وبحاجة الأمة الماسة إليه وإلى الاهتداء به، {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} عسى أن ترحموا، رجاء أن ترحموا.

فنحن يا من نسمي أنفسنا مسلمين، نسمي أنفسنا مؤمنين، نسمي أنفسنا أتباعا للرسول وللقرآن ولأهل البيت أين نحن من هذه الآية؟ كل واحد منا يرجو أن يرحم، متى ترجو أن ترحم؟ بعد أن تتبع القرآن وتكون متقياً لله في أن تفرط في اتباعك للقرآن، هناك يمكن لك أن ترجو الرحمة من ربك. ما أكثر ما نقول، ويقول الناس جميعاً: [الله غفور رحيم، رحمة الله واسعة، عسى الله يرحمنا] ما هذه العبارات التي نرددها كثيراً؟ هنا يقول لنا: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥). رجاء أن ترحموا.

نحن لو سألنا أنفسنا هل هناك خيار آخر غير هذا لنحصل من خلاله على الرحمة من الله سبحانه وتعالى؟ نحن في هذه الحياة ليس بين أيدينا سوى القرآن الكريم هو ما يمكن من خلاله أن تتحقق لنا الرحمة من الله سبحانه وتعالى أو أن نرجو رحمته، هل هناك خيار آخر؟ هل هناك سبيل آخر؟ هل هناك كتاب آخر؟ هل هناك نبي آخر؟ هل هناك خيار أن لا نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة؟ فإذا ما وقفنا بين يديه يوم القيامة، ماذا يكون الناس هناك ينتظرون؟ أليس كل واحد منهم يرى نفسه في أمس الحاجة إلى رحمة ربه؟ وهو يرى جهنم أمامه لها زفير وشهيق.

لقد أرشدنا الله ـ هنا في الدنيا ـ أنه لا خيار سوى هذا: {فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أن نأتي يوم القيامة ونحن نريد من الله الرحمة، سيقال لنا: {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} (المؤمنون: من الآية١٠٥)؟ {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} (غافر: من الآية٥٠)؟ هو الجواب في المحشر، والجواب حتى عند خزنة جهنم: {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا} (غافر: من الآية٥٠) نحن لا نستجيز أن ندعو لكم، حرام ندعو لكم، الدعاء للظالم لا يجوز حتى مع أهل جهنم، مع خزنة جهنم، فادعوا أنتم.

{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} (طه:١٢٦) أنت في أمس الحاجة إلى الرحمة، تريد ذرة رحمة من ربك، سيقال لك: كانت الرحمة قد قدمت إليك في الدنيا لكنك كنت تنساها، وكذلك كما نسيت آياتنا في الدنيا اليوم ـ يوم القيامة الذي أنت ترى نفسك في أمس الحاجة فيه إلى من يعطف عليك، إلى من يرحمك ـ تنسى، تترك، تهمل عن أي شيء يمكن أن يكون فيه رحمة لك {وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} (طه:١٢٧).

لا خيار عن اتباع القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نرجو رحمة الله سبحانه وتعالى، ورحمة الله كما وعد {قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف: من الآية٥٦) هو سيرحمنا إن شاء الله فيما إذا اتبعنا كتابه الكريم. إذا جئنا لننظر إلى القرآن الكريم، ما هي آياته، أليس القرآن الكريم، تراه كتابا عمليا يتحرك؟ كتابا له موقف من كل حدث في الحياة،

يتحدث عن الكافرين، ويوبخهم ويسخر منهم ويلعنهم ويأمر بجهادهم، يتحدث عن الظالمين يسخر منهم ويلعنهم، يتحدث عن المنافقين ويلعنهم ويلعن الفاسقين، ويلعن المجرمين، يرسم الخطط الحكيمة والدقيقة التي يمكن أن تجعل هذه الأمة بمستوى أن تكون أمة تهيمن على الأمم كلها، يتحدث عن كل ما يمكن أن تلاقيه الأمة في حياتها من قبل أعداء أوحى بأنهم سيكونون هم الأعداء الرئيسين للمسلمين في هذه الدنيا: اليهود، أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

المؤمنون الذين يصفهم في القرآن الكريم كلهم ليسوا من نوعيتنا أبداً، الذين يعدهم بالنصر ويعدهم بالفوز، ويعدهم بالفلاح، ويعدهم بالرحمة، ويعدهم بالجنة، ويعدهم بالرضوان، نوعية أخرى، عملية، لا يهدءون، لا يهدأ لهم بال وهم يرون الله يعصى في أرضه، وهم يرون كتابه يخالف، يرون الباطل يسود، يرون الحق يضيع، يرون الأمة تظلم وتقهر.

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: من الآية٧١) **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}** (آل عمران:١٣٤) **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}** (التوبة:١١١) **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}** (الأحزاب:٢٣) **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** (الحجرات:١٥).

وهكذا يتحدث عن المؤمنين. لماذا لم نفكر؟ لماذا لم يفكر كل واحد منا بأن يعرض نفسه على القرآن؟ وهو من يسمي نفسه مؤمنا، أو أنه يتحدث عن مؤمنين آخرين كانوا سيئي الحظ أن يكلفوا بأن يقوموا بهذه المهام، وأن يتحملوا هذه المشاق، وأن ينطلقوا في هذه الأعمال، أما نحن فنحن مؤمنون حظنا حسن؛ سندخل الجنة بدون أي عمل يذكر إلا ما لحقناه من هنا وهنا من هامش هدي الله ومن هامش دين الله.

لماذا لم يفكر كل واحد منا أن يعرض نفسه؟ لنرحم أنفسنا هنا ونحن في الدنيا، نرحم أنفسنا هنا ونحن في الدنيا قبل أن لا نجد من يرحمنا في الآخرة، فنسمع تلك الآيات التي يحكيها الله سبحانه وتعالى جواباً لمن أعرض عن ذكره، حتى أولئك الذين يتمسكون بآخرين هم من المستكبرين في الأرض، ممن يرون أنفسهم أنهم عزيزون بالولاء لهم والتمسك بهم واتباعهم، ويرون لأنفسهم مقاماً رفيعاً في هذه الدنيا عليهم أن يرجعوا إلى القرآن الكريم ليعرفوا من خلاله كيف ستكون حالتهم يوم يلقون الله سبحانه وتعالى، يوم يتبرأ منهم هؤلاء الذين خدموهم في الدنيا، وسخروا أنفسهم لخدمتهم، ولتنفيذ مخططاتهم، عندما يتبرأون منهم {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة:١٦٧).

تبرأ أنت منهم في الدنيا قبل أن يتبرءوا منك في الآخرة، إذا كان يوم الفصل، يوم القيامة هو اليوم الذي تتبين فيه الحقائق بشكل أوضح وأجلى، وهي نفسها حقائق تمثلت في الدنيا لكنا نحن الذين نعرض عنها، سترى نفسك في حسرة شديدة {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} (الزمر: من الآية٥٦) **ثم عندما يساق بك إلى جهنم فيقال لك: {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}** (غافر: من الآية٥٠) **ستكون إجابتك هي إجابة أهل جهنم جميعاً: {بَلَى}، لم يكن هناك تقصير، لم يكن هناك تفريط من قبل الله سبحانه وتعالى، ومن قبل رسله، ومن قبل المنذرين منه سبحانه وتعالى من أوليائه، فترى نفسك بأنك جدير بأن تعذب في جهنم، وترى نفسك أنك تستحق جهنم {بَلَى} تشهد على نفسك.**

لماذا لا تتبين الحقائق هنا وأنت في الدنيا؟. لماذا لا نحاول أن نعرف الحقائق ونحن هنا في الدنيا؟ حتى لا نكون ممن يقول: {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} (الزمر: من الآية٥٦).

كان أولئك يهتفون بـ [الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل..] ونحن نسخر منهم، كانوا يتجمعون في تجمعات يقولون أنهم فيها يريدون أن يعرفوا ماذا عليهم أن يعملوا من أجل الله، وفي مواجهة أعدائه فكنا نسخر منهم. الساخرون في هذه الدنيا، من يسخر بلسانه، أو من يسخر من الموقف الذي هو فيه، يرى بأنه موقف لا يعني شيئاً، موقف لا حاجة إليه، موقف قد يكون أشبه شيء بألعاب الأطفال.

المؤمنون كل شيء لديهم مهم، معصية لله سبحانه وتعالى، مهما كانت بسيطة تهمهم، عمل صالح فيه رضا الله سبحانه وتعالى، مهما كان قليلا يعتبرونه مهما، شيء من هداية الله سبحانه وتعالى مهما أعرض عنه الناس ولم يفهموه أو لم يقدروه حق قدره يرونه مهما.

المؤمن نفسه رفيعة، نفسه عالية، يقدر الأمور حق قدرها، القرآن الكريم يضرب أمثلة لهذه {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة:٨).

كل عمل ترى أن فيه رضا الله وإن كان لدى الآخرين لا شيء، أو كنت تراه أنت قليلا فيما يجب عليك أن تؤديه، قدره حق قدره، ثم حاول، حاول أن يدفعك اهتمامك إلى أن تنال الأمور الكبيرة التي فيها لله رضا، التي يرضى عنك بها الله سبحانه وتعالى.

إذا كنا في هذه الدنيا لو سألنا أنفسنا الآن ـ أيها الإخوة ـ عن موقفنا من القرآن الكريم أعتقد لا أحد منا يستطيع أن يجيب بأننا نتبع القرآن الكريم اتباعا كاملا، بل واقعنا واقع المعرضين عن كتاب الله، المعرضين عن ذكر الله. يجب علينا أن نستيقظ، يجب علينا أن نتنبه، يجب علينا أن نعود إلى القرآن الكريم فنتدبر آياته، نتأملها نتفهمها، نتدبرها بشكل جدي، وبروح عملية، وبشعور بمسئولية.

الله يقول عن هذا القرآن الكريم: {وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ} (طه: من الآية١٠٠). **ماذا يعني أعرض عنه؟ رمى به هناك؟! قد تكون معرضا عنه وهو بين يديك، قد تكون معرضاً عنه وهو في جيبك، قد تكون معرضاً عنه وأنت تحفظ آياته آية آية عن ظهر قلب، أنت معرض عنه في ميدان العمل، معرض عنه لا ترى أن فيه الهداية الكافية، فأنت تبحث عن هدى من هنا أو هنا، معرض عنه لا تقدر الهدي الذي بين دفتيه حق تقديره، فترى أن كثيرا من شئون الحياة لم يتناولها ولم يهتم بها.**

{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً} (طه:١٠٠) **أوزاراً كثيرة {فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ}** (طه: من الآية١٠١) **خالدين في عقوبة ذلك الوزر {وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً} حمل سيء، حمل مثقل، يجعلك تنحط وتهوي إلى أسفل درك في النار بإعراضك عن كتاب الله.**

{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ} (طه: من الآية١١٣) **وعيد متكرر. بعد كل آية تقريبا فيها حديث، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا المهمة، فيما يتعلق بالقضايا العملية التي يريد الله من المسلمين أن ينطلقوا فيها، يأتي الوعيد الشديد عليها {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}** (طه: من الآية١١٣) **عسى أن يكون فيه ما يدفعهم إلى أن يتقوا، يتقوا التفريط، يتقوا التقصير. والوعيد كثير بجهنم، أو الوعيد بأن يأتيك الموت وأنت على حالة تستحق بها جهنم كما قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (آل عمران:١٠٢) **وعيد على تفرق الكلمة، على التفرق عن الاعتصام بحبله {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** (آل عمران:١٠٥)

هذا هو القرآن الكريم الذي لا رحمة لنا إلا باتباعه ولا فلاح، ولا فوز، ولا نجاة، ولا عزة، ولا كرامة، ولا قوة، ولا رفعة لنا في الدنيا والآخرة إلا باتباعه، أو أن لدى أي أحد منا فكرة أخرى؟ لا أعتقد. إذاً فلا مناص عن اتباع القرآن الكريم.

لنأتِ إلى القرآن الكريم، ولنأتِ إلى الواقع ما حدث خلال هذا الأسبوع. في خلال هذا الأسبوع مسئول أمريكي يزور اليمن، والموضوع الذي يشغل بال الجميع هو: موضوع الإرهاب، وما إرهاب! وهل نحن ـ يا سيدتنا أمريكا ـ ضمن منهم في قائمة الإرهاب لديك أم لا؟! سؤال الجميع لأمريكا.

المسئول الأمريكي هذا حظي بوعد من اليمنيين بأن يعملوا بجدية في مكافحة الإرهاب، وهو من جانبه وعد بأن تعمل أمريكا بما يتعلق برفع مستوى التنمية، أو تقدم مساعدات في مجال التنمية لليمن.

من المفارقات العجيبة في هذه الأيام الفارق الكبير بين الإعلام في اليمن وبين الإعلام في السعودية، الإعلام في السعودية يكاد أن ينصبغ نوعاً ما بصبغة جهادية، منطق من هو معد لنفسه، والإعلام في اليمن والمواقف في اليمن بشكل آخر، صوت من هو مؤيد، صوت من جند نفسه، صوت من يرى أنه يستغفل هذا الشعب، يستغفله، يستخف به، لا يسمع كلمة من هنا أو من هناك تقول له: لا. لسنا مستعدين أن نرى أنفسنا جنودا لأمريكا، لسنا مستعدين أن نرى اليهود يعبثون في البلاد الإسلامية هنا وهنا فنسكت.

وثقوا؛ لأنهم لم يسمعوا أحداً يتكلم ـ فيما أعلم ـ لم يسمعوا أن أحداً يتكلم، لكن القرآن هو الذي يتكلم ويقول: أننا في واقعنا أصبحنا مثل اليهود الذين حكى الله عنهم في أكثر من آية أنهم كانوا يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، تكرر هذا في القرآن الكريم عن النفسية اليهودية التي كانت تبيع الدين، تبيع الدين مقابل ثمن زهيد.

لّما أصبحنا نحن نتثقف بثقافة اليهود، وهم من يثقفوننا ويحركون أنظارنا، أو وجهات أنظارنا كما يريدون، أصبحنا هكذا همنا: تنمية، همنا الدولارات. نسمع في الأجواء كثيراً يتردد كلام عن مبالغ موعود بها من هنا وهناك؛ لإعمار أفغانستان، اليهود يدمرون، والعالم عليه أن يبني ما دمروه من أجل مصالحهم، على الآخرين أن يبذلوا أموالهم! حتى البلدان الإسلامية وحتى السعودية نفسها ـ فيما يقال ـ أنها مسئولة عن قسط كبير من المبالغ المرصودة لإعمار أفغانستان!.

يقال عن اليهود إنهم يقولون: [أنهم شعب الله المختار، وأن بقية الناس ليسوا بشراً حقيقيين وإنما خلقهم الله بشكل بشر ليكونوا مسخرين في خدمة اليهود، وليكن اللائق بهم أن يخدموهم] هكذا يقولون، وهكذا صدّق الآخرون هذه المقولة.

شيء عجيب!! اليهود من يفسدون في الأرض، من يدمرون الأنفس، والاقتصاد، والمنازل، والمساجد، والمدارس والمستشفيات، ثم يقولون للآخرين: تحركوا أعمروا أنتم، هم من يبحثون عن من يتهمونه بأنه يعمل ضدهم هنا وهناك، ولكنهم سيظلون في موقف السيد المحترم فيقولون للآخرين من البشر الوهميين ـ كما يزعمون ـ نحن: تحركوا أنتم، انظروا هناك إرهابي هاتوه، إرهابي هناك امسكوه، وإرهابي في منطقة أخرى تفضلوا ائتوا به حياً أو ميتاً وهكذا. أليس هذا ما نشاهده؟ على أيدي من؟ من الذي يقدم المسلمين لأمريكا إلا مسلمون، من الذي يحرك أمريكا نفسها إلا اليهود؟.

لقد صدّق الناس بأفعالهم تلك النظرة اليهودية: أنهم هم الناس الحقيقيون وبقية البشر ليسوا بشراً حقيقيين إنما خلقوا لخدمة اليهود، لكن كان من المناسب أن يكونوا بشكل إنسان ليتمكنوا من خدمتهم على النحو الأفضل!

وهذا ما هو حاصل {يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران٧٧) **{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً}** (التوبة: من الآية٩) **هذه الروحية اليهودية هي الآن التي تعمم في أوساط المسلمين دولاً وشعوباً! حتى نحن همنا عندما تأتي انتخابات، تقييمنا لأي شخصية هو بقدر ما يبذل، هل هو مستعد أن يعطينا مشاريع؟ هل هو مستعد أن يعطينا أموالاً وعدنا بها فنحن معه!.**

الإشتراء معناه: الاستبدال، أن تقبل ذلك المال بأي شكل كان، وعلى أي صفة وعدت به، تقبله مقابل دينك، هذا هو بيع الدين.

ونحن قلنا في الجلسة السابقة: أن هذه قضية أصبحوا هم واثقين من أنفسهم بأن بإمكانهم أن تكون مقبولة لدى الناس جميعاً أنه ستعطينا أمريكا مبالغ، مئات الملايين، أو ستعطي باكستان ملايين، أو يعفوننا عن قروض أو

يعفون باكستان أو أي دولة أخرى تتحرك في خدمتهم عن قروض ثم ينفذون لها ما تريد!. أليس هذا هو من بيع الدين؟ أليس هذا هو من بيع الوطن؟ أليس هذا هو من بيع أبناء الوطن؟ أليس هذا هو من بيع الأنفس وبيع المسلمين؟ ولكن بيع ممن؟ بيع من الشيطان ومن أولياء الشيطان.

من الذي اعترض؟ أو هل سمعنا أحداً اعترض حتى من علماء الدين؟ عندما نسمع أن أمريكا استعدت أن تعمل لباكستان كذا كذا مقابل موقفه منها، أو أن ترفع عنه الحصار الذي كان قد فرض عليه أثناء قيامه بتجارب نووية، أو أنها مستعدة أن تعطي اليمن مبلغاً من الملايين مقابل تعهده بمحاربة الإرهاب، نسمع مثل هذه العبارات ولا نعرف بأنها هي النفس اليهودية.

أولئك الذين يتصورون أو يتساءلون ماذا يعمل اليهود؟ لقد نفذ اليهود إلى داخل نفوسنا نحن فطبعونا بنفسيتهم التي هي بذل الدين في مقابل المال، والتي تحدث عنها القرآن الكريم في أكثر من آية، وهو يحكي عن نفسيتهم، وواقعهم، واستخفافهم بالدين إلى أن يبيعوه من كل يعرض لهم ثمناً.

وبيع الدين ـ أيها الإخوة ـ ليس سهلاً هو معناه: أن نبيع أنفسنا، أن تبيع نفسك ممن؟ ممن يوقع هذه النفس في قعر جهنم، تبيع نفسك ممن يذلك في الدنيا، ويعرضك للذل والخزي في الآخرة، تبيع نفسك ممن لا ينفعك في الدنيا وإن نفعك بشيء ما، فلن ينفعك في وقت الحاجة الماسة إلى المنفعة في الآخرة.

يقولون لنا: بأن التنمية هي كل شيء، ويريدون التنمية، ولتكن التنمية بأي وسيلة وبأي ثمن! نحن نقول: لا نريد هذا، وكل ما نراه، وكل ما نسمعه من دعاوى عن التنمية، أو أن هناك اتجاه إلى التنمية كلها خطط فاشلة، كلها خطط فاشلة. متى ما وضعوا خطة تنموية لسنين معينة، انظر كم سيطلبون من القروض من دول أخرى؟ هذه القروض انظر كم سيترتب عليها من فوائد ربوية، ثم انظر في الأخير ماذا سيحصل؟ لا شيء، لا شيء.

إن التنمية لا تقوم إلا على أساس هدي الله سبحانه وتعالى، أليسوا يقولون هم كقاعدة اقتصادية، أو مقولة اقتصادية: [أن الإنسان هو وسيلة التنمية وغايتها]؟ الإنسان هو وسيلة التنمية وغايتها. لا بأس، هذه حقيقة، فإذا ما كان هذا الإنسان يسير على هدي الله سبحانه وتعالى، إذا ما كانت نفسه زاكية، إذا ما كانت روحه صالحة، ستنمو الحياة، وتعمر بشكل صحيح.

نحن نسمع كلمة: [التنمية] كل سنة، وكل أسبوع، وكل يوم [تنمية، تنمية] ونحن نرى نمو الأسعار، أليس كذلك؟ ما الذي يحصل؟ هل هناك نمو فيما يتعلق بالبنى التحتية الاقتصادية؟ أو أن هناك نمواً في الأسعار؟ أليس هناك غلاء؟ أليس هناك انحطاط في النفوس والقيم؟ ليس هناك تنمية لا في واقع النفوس، ولا في واقع الحياة، وإن كانت تنمية فهي مقابل أحمال ثقيلة تجعلنا عبيداً للآخرين، ومستعمرين أشد من الاستعمار الذي كانت تعاني منه الشعوب قبل عقود من الزمن.

التنمية من منظار الآخرين: هو تحويلنا إلى أيدٍ عاملة لمنتجاتهم، وفي مصانعهم، تحويل الأمة إلى سوق مستهلكة لمنتجاتهم، أن لا ترى الأمة، أن لا يرى أحد، وليس الأمة، أن لا يرى أحد من الناس نفسه قادراً على أن يستغني عنهم؛ قوته، ملابسه، حاجاته كلها من تحت أيديهم، هل هذه تنمية؟.

فنحن نقول: نريد التنمية التي تحفظ لنا كرامتنا، نريد نمو الإنسان المسلم في نفسه، وهو الذي سيبني الحياة، هو الذي سيعرف كيف يعمل، هو الذي سيعرف كيف يبني اقتصاده بالشكل الذي يراه اقتصاداً يمكن أن يهيئ له حريته واستقلاله، فيملك قراره الاقتصادي، يستطيع أن يقف الموقف اللائق به، يستطيع أن يعمل العمل المسئول أمام الله عنه.

الآن أليس الناس كلهم يخافون من أن يعملوا شيئاً ضد أمريكا أو ضد إسرائيل؟ بل يخافون متى ما سمعوا أن هناك تهديداً لشعب آخر؛ لأنه ربما يحدث غلاء فيما يتعلق بالحبوب، وفيما يتعلق بالحاجيات الأخرى فيسارعون إلى اقتناء الحبوب بكميات كبيرة، أليس هذا هو ما يحصل؟.

نرى أنفسنا أننا لا نستطيع أن نقف المواقف التي يجب علينا أن نقفها؛ لأننا نعرف أن حاجياتنا كلها هي من عند أعدائنا، أليس هذا هو الذي يحصل؟ ومن الذي أوصلنا إلى هذه الدرجة؟ هم أولئك الذين يعدوننا بالتنمية، يعدوننا بالتنمية كل يوم، كل يوم.

ولكن عندما نقول: يجب أن نعمل، نحن نريد أن نعرض أنفسنا لرحمة الله سبحانه وتعالى الذي يقول: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} (الجن:١٦) نحن الذين يجب أن نبدأ، أن نعمل وإن تعبنا، وأن نعلن عن وحدة كلمتنا في مواجهة أعداء الله من اليهود وأوليائهم، وأن نقول ما يجب علينا أن نقوله، وأن نعمل ما بإمكاننا أن نعمله في سبيل الحفاظ على ديننا وكرامتنا، في سبيل أداء مسئوليتنا التي أوجبها الله علينا في كتابه الكريم، وهناك سيبدأ الله سبحانه وتعالى برحمته لنا {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} لقد وصلنا إلى وضعية لا بد في طريق التخلص منها أن نسير وأن نبدأ نحن ولو تعبنا، إن الله سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد: من الآية١١).

فلا تتصور أنه ـ إذاً ـ إذا كان الله يريد منا أن نعمل عملاً ما، إذاً فليبدأ هو، لينزل علينا الأمطار، ويسبغ علينا النعم، فنرى أنفسنا نملك غذاءنا، ونرى بين أيدينا الحاجيات الضرورية من داخل بلادنا، ثم إذاً نحن مستعدون أن نعمل.. لا.

أنتم من فرطتم، الأمة من فرطت، ولا يأتي فرج إلا بعد شدة، ولو كانت الشدة هي عملية النقلة للخطوة الأولى، وقد يكون أبرز شدائد الدنيا في هذا العصر هو ما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فنحن قلنا: يجب أن نعمل، وأن نتحدث، وأن نكشف الحقائق، وأن نعلن عن وحدة كلمتنا، وأن نعلن أنه لا بد أن نحيي القرآن في أنفسنا، وفي واقع حياتنا قبل أن يتحول إلى كتاب إرهابي يغيب من بين أيدينا، ومن مساجدنا وبيوتنا.. أو أن هذا غير محتمل؟ لقد غاب في بلدان الاتحاد السوفيتي أيام كان يحكمها اليهود باسم الحزب الشيوعي الذي كان أعضاء اللجنة المركزية فيه معظمهم من اليهود، استطاعوا أن يغيبوا القرآن في بلدان واسعة هي أوسع من البلاد العربية بكلها فغيبوه.

والآن عنوان [إرهاب] سيتجهون إلى القرآن، ويتجهون إلى كل كلمة فيها حديث عن اليهود، أو لعن للظالمين أو للفاسقين، أو للمجرمين، وحينها ـ ولن يصل الأمر إلى هذه الحالة إلا بعد أن نكون قد خذلنا من قبل الله سبحانه وتعالى كما أعتقد ـ وحينها لا نستطيع أن نعمل شيئاً.

فيجب قبل أن نسمع ـ وأكرر كما كررت في الجلسة السابقة ـ أن نحيي في أنفسنا، وفي واقع حياتنا ما يمسح أن تترسخ كلمة: [إرهاب] في داخل نفوس الناس في بلادنا، وفي أي بلاد يمكن أن يصل إليها صوتنا، وأن نعلن أننا أصبحنا الآن، اتجهنا بجدية إلى القرآن الكريم؛ لنحيي القرآن في نفوسنا وفي واقعنا. ومن الذي يستطيع أن يحول بيننا وبين القرآن إلا بعد أن نكون قد شهدنا على أنفسنا بالكفر.

نحن نريد أن نثقف أنفسنا بثقافة القرآن الكريم، وأن تتسع أعمالنا في الدنيا بسعة المجالات التي تناولها القرآن الكريم، فمن يمنعنا ممن يحمل اسم إسلام فليس بمسلم، من يعمل ضدنا ونحن نتحرك لنثقف أنفسنا بثقافة القرآن قبل أن يثقفنا اليهود ـ أكثر مما قد حصل ـ بثقافتهم، فإنه من أولياء اليهود، من يحاول أن يحول بيننا وبين ذلك.

أو لنقول لأنفسنا من الآن بأننا غير مستعدين أن نكون جادين في هذه المسألة، هل أحد منا مستطيع أن يقول: لا. أنا لست معكم؟.

أنتم ـ أيها الإخوة ـ في هذه القاعة هل أحد مستعد أن يقول: أنا لست جادا معكم في هذا؟ ولا أريد أن أتثقف بثقافة القرآن، أنا سأبحث لي عن مجال آخر، أو وسيلة أخرى، أو سأنطلق انطلاقة أخرى؟ كلنا نقول: لا. كلنا نقول: لا. ويجب أن نقول: لا. وإلا فماذا وراءنا؟ بالله عليكم ماذا وراءنا؟.

أليس الحديث عن جهنم هو ما ملأ صفحات القرآن الكريم؟. أليس الحديث عن الذلة والشقاء وظنك المعيشة في الدنيا هو ما امتلأت به آيات القرآن الكريم؟ ليعِد من يعرضون عن ذكره، من ينبذون كتابه وراء ظهورهم، أليس هذا هو ما نعرفه في القرآن الكريم؟. إذاً لا مجال من أن ننطلق لنثقف أنفسنا بالقرآن الكريم قبل أن يثقفنا الآخرون.

ونحن نثقف بهذه المفسدة الرهيبة مسألة: [الإشتراء بآيات الله ثمنا قليلاً] أسألُ أيّ واحد منكم الذين يتساءلون بأنه لا يلمس أن هناك نفوذاً لليهود داخل نفسه؟ عندما سمعت أنت عندما زار المسئول الأمريكي اليمن وسمعته يعد الرئيس بتنمية اليمن أو بأن تسهم أمريكا في مجال التنمية هل تبادر إلى ذهنك أن هذا هو من الإشتراء بآيات الله ثمنا قليلاً؟ لا.

وإنه لمن أشهر وأعظم المصاديق لهذه الآية، وإنها النفس اليهودية التي نفذت إلى كبيرنا وصغيرنا، حتى ربما قد يكون بعضنا يفرح، بماذا يمكن أن تفرح؟ أنت تنسى في نفس الوقت أن الله قال لك عن اليهود: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} (البقرة: من الآية١٠٥). فالتنمية هذه التي تسمع عنها، تنمية، هل تعتقد أنها تنمية حقيقية؟ هم يحذرون من أن يعطوك تنمية حقيقية تعطيك بنية اقتصادية حقيقية تقف على قدميك فوق بنيانها أبداً.

لا تخرج تنميتهم عن استراتيجية أن تبقى الشعوب مستهلكة، ومتى ما نمت فلتتحول إلى أيد عاملة داخل مصانعهم في بلداننا، لإنتاج ماركاتهم داخل بلداننا، ونمنحها عناوين وطنية[إنتاج محلي] والمصنع أمريكي، المصنع يهودي، والمواد الأولية من عندهم، وحتى الأغلفة من عندهم. التنمية لهم هنا، وفروا على أنفسهم كثيراً من المبالغ لأن الأيدي العاملة هنا أرخص من الأيدي العاملة لديهم في بلدان أوربا وأمريكا وغيرها من البلدان الصناعية، إذاً فليكن [الدخان] هنا منتجاً محلياً [صنع في اليمن] ، [سمن البنت صنع في اليمن، صابون كذا صنع في اليمن]، لكن بترخيص من شركة من؟ زر المصنع وانظر أين يصنّع حتى الغلاف، وانظر من أين تأتي المواد الأولية، لترى في الأخير من الجميع يعملون معه؟ إنهم يعملون مع اليهود والنصارى. هل هذه تنمية؟!.

عد إلى واقع الحياة، أين التنمية الزراعية، أين الزراعة؟ أين قوت الناس الضروري؟ ألم يكن قد غاب؟ ألم يغب نهائياً؟ لقد غاب فعلاً، هل يملك اليمن الآن ما يكفيه شهراً واحداً من إنتاج أرضه، من قوته من الحبوب؟ لا يوجد. هم يعملون أشياء أخرى ولكن لن تجد نفسك أكثر من متجول في سوق كبيرة تستهلك منتجاتهم، ولن تجد نفسك تتجول داخل مصانع يمنيه.. المصانع تتحرك، والأيدي العاملة تتحرك وتحركها، كلها تعمل معهم، ليس هناك تنمية؟.

القروض التي يعطوننا قروضا منهكة، مثقلة. وهل تعتقدون أن القروض تسجل على الدولة الفلانية، أو على الرئيس الفلاني، وعلى رئيس الوزراء الفلاني؟. تسجل على الشعب، وهي في الأخير من ستدفع من أجساد الشعب نفسه في حالة التقشف التي مرت بها بلدان أخرى أنهكتها القروض، يفرضون حالة من التقشف. ألسنا متقشفين؟ ستفرض حالات أسوأ مما نحن فيها تحت عناوين أخرى، ستدفع أنت ثمن تلك القروض من شحمك ولحمك أنت وأبناؤك، تذبل أجسامنا من سوء التغذية، فندفع تلك الفوائد الربوية، من أين؟ من شحمنا ولحمنا ودمائنا، ألستم تسمعون بأن هناك بلدانا كالبرازيل وبلد كتركيا أصبحت الآن مشرفة على أن تعلن عن حالة التقشف؟ واليمن ألستم تسمعون كل شهر قروض؟.

قروض بعد قروض، كنا في مجلس النواب لا يكاد يمر أسبوع واحد ليس فيه قروض، وهم يصادقون عليها، قروض بالملايين من الدولارات، قروض شهر بعد شهر، سنة بعد سنة، قروض [للتنمية، للتنمية] نموا هم، أما نحن فما نزال جائعين، أليس كذلك؟ المسئولون هم من نموا، هم من غلظت أجسامهم، وعلت بيوتهم وقصورهم، هم من نموا، ونمت شركاتهم، من نما أولادهم، من نمت أرصدتهم في البنوك، والشعب هو من سيدفع ثمن ذلك كله؛ لأنه كله من القروض.

إذاً يجب ـ أيها الإخوة ـ أن نفهم، وهذه الحقيقة مما أردت أن أقولها في هذا اليوم: حقيقة {يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية٧٧) **{اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً}** (التوبة: من الآية٩) **أنها من الحقائق التي كشفت بشكل مرئي في هذا الزمن.**

حقيقة النفس اليهودية التي أصبحنا نراها في كبيرنا وصغيرنا، وأصبحنا لا نعود إلى القرآن الكريم عندما يقول الله فيه بأنهم لا يودون لنا أي خير، فمتى ما وعدونا بخير صدقناهم، أليس كذلك؟ ألسنا نصدقهم؟ أو يصدقهم الكبار في هذا البلد، أو ذلك البلد، الحكومات تصدقهم! إن تصديقهم تكذيب للقرآن.

ولتروا الأمر صادقاً انظروا إلى أي بلد عربي هل هناك تنمية؟ داخله تنمية حقيقية؟ هل هناك أي بلد عربي أهله أصبحوا يكتفون بأنفسهم فيما يتعلق بقوتهم وحاجاتهم الضرورية؟.

لم نعد كأولئك العرب، ألم يكن هناك أسلاف لنا في هذا الشعب، وفي ذلك الشعب من قبل مئات السنين، ألم يكونوا يعيشون؟ أصبحنا الآن لا نمتلك أن نعيش كأولئك الذين عاشوا قبل ألف سنة، هل تفهمون هذا؟

أصبحنا الآن غير قادرين على أن نعيش كأولئك من أجدادنا الذين عاشوا قبل ألف عام؟ إذا ما قطع كلما يأتينا من عند أعدائنا. فهل هذه التنمية أم هذا خنق للأمة؟ خنق للشعوب؟

إذاً نقول: لا تخدعونا، لا تخدعونا بالتنمية؟ فتجندون أنفسكم لمكافحة الإرهاب، ليس في بلدنا إرهاب فلا تخدعونا، نحن ننظر إلى كل كلمة تقولونها من وجهة نظر القرآن الذي نزله من هو عليم بذات الصدور {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ} (المائدة:٥٣).

ويجب علينا ـ أيها الإخوة ـ أن يستقر في قرارة أنفسنا، وأن يعمل كل واحد منا على أن يوصل هذا الوعي إلى الآخرين، بأن ننظر لليهود والنصارى من منظار القرآن، فهم من ملأت أخبارهم صفحات القرآن، وهم من أوضحهم الله لنا أوضح بيان، فمتى ما وعدوك بتنمية، لا تصدق.

إنها لن تكون تنمية حقيقية، متى ما طلبوا منك أن تنفذ مخططا لهم مقابل تنمية فاعلم بأنك ممن يحمل النفسية اليهودية التي تبيع الدين بالمال، وتبيع الوطن بالمال، وتبيع الناس بالمال.. هذا هو ما يجب أن نفهمه فيما يتعلق بهذه القضية.

وترون الآن كيف رئيس حكومة أفغانستان المؤقتة يبحث ويلهث وراء تلك الوعود، هم وعدوا أفغانستان بمبالغ كبيرة خيالية، وهو مسلم، مسلم هو وصدّق! مرة في الصين، ومرة في اليابان ومرة في دول أخرى يبحث عن تلك الوعود أن تتحق وهي وعود وهمية، حتى الاستقرار السياسي في أفغانستان قد يكون وهمياً أيضاً.

إنما عملت أمريكا فقط عملية تجميلية لتحفظ ماء وجهها فتنسحب عن أفغانستان، وتوهم الآخرين بأنها قد قضت على أولئك، ونحن ـ كما قلنا سابقاً ـ لم نجد أنها قضت على طالبان ولا على قادة طالبان، إذاً أوصلت البلد إلى أن وضعت بديلا، هذا البديل وهمي وقد بدأت مؤشرات الصراع بين فصائل التحالف داخل أفغانستان، ومن المحتمل جداً أن يعود أفغانستان من جديد، ومن المحتمل أيضاً أن تعود طالبان من جديد. طالبان إنما انكمشت بتوجيهات لتمتد بتوجيهات أخرى.

وعود كثيرة بالتنمية وعدوا بها أفغانستان من أجل أن يبنوا ما دمر اليهود، ولن يصدقوا أيضاً، وإذا ما صدقوا فستكون بالشكل الذي لا ينفع الأفغانيين.

من الحقائق القرآنية أيضاً ـ التي تجلت خلال هذا الأسبوع في الأحداث ـ في موقف [حزب الله]، حزب الله الذين اهتدوا بالقرآن الكريم فمنحهم الله ما وعد أولياءه في قوله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) **أمطروا معسكرات الجيش الإسرائيلي بالنار، بالصواريخ، بقاذفات الهاون، لم يرتعبوا، لم يرتبكوا؛ لأن قلوبهم ليس فيها مرض، قلوبهم مليئة بتولي الله ورسوله وعلي بن أبي**

طالب، تحدوا وانطلق أمين عام حزب الله بكلماته القوية يتحدى أمريكا، ويتحدى إسرائيل، ويشد من معنويات اللبنانيين، ويقول بعبارة: إن كل ذلك لا يرعب ولا طفلاً واحداً في حزب الله.

أليس هذا هو موقف الرجال، هو موقف المؤمنين؟ أم أولئك الزعماء الذين يمتلكون أضعاف أضعاف ما يمتلكه حزب الله من المعدات، ويهيمنون على ملايين البشر، فيطأطئون رؤوسهم للأمريكيين، لمساعد مساعد وزير خارجية، أو مساعد نائب وكيل وزير داخلية.. من هذه الأشياء. يرسلون بطفل أمريكي، ولو بفرَّاش أمريكي فيطأطأ من يحكم ملايين البشر رأسه، ويعدهم بأنه مستعد أن يجند نفسه لخدمتهم.

أما أولئك الأبطال الذين آمنوا بقول الله تعالى ـ بعد أن يهيئوا أنفسهم ليكونوا بمستوى المواجهة في إيمانهم، في إعداد ما يستطيعون من قوة ـ صدَّقوا بقول الله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: من الآية٧) **لأن أي عمل ضد اليهود هو نصر لله؛ لأنهم هم المفسدون في أرض الله، المفسدون لعباد الله، الظالمون لعباد الله، المحاربون والصادون عن دين الله.. وثقوا بقول الله تعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران:١١١).

ضربوا، ومن ضربوا؟ هل ضربوا بيتا هنا أو هناك؟ بل ضربوا الجيش الإسرائيلي نفسه، أليست هذه هي الجرأة، هي القوة؟ أن يضربوا معسكرات الجيش الإسرائيلي نفسه، وبتحدي واضح بالقول وبالفعل، وثقوا من قول الله تعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٢).

هكذا تتجلى الحقائق كي نرى نحن مصاديق الإلتزام بكتاب الله، ويتجلى لنا أيضاً مصاديق الابتعاد عن كتاب الله، حينما نرى مظاهر الخزي، مظاهر الذلة، الصمت، الإلتزام بالصمت عن أن تنطلق كلمة من فم هذا الزعيم، أو فم هذا، فإذا ما أطلقها مرة سحبها مرة أخرى وتلافاها.

ألم يكن البعض قد قدم نفسه بالشكل الذي أطلق عليه الفلسطينيون: [فارس العرب] ثم ها هو يترجل عن صهوة الحصان؛ ليطمئن الأمريكيين ويبدي استعداده الكامل بأن يعمل ضد الإرهاب هنا. قبل أن يسأل ما هو الإرهاب؟ وأين هو الإرهاب؟ قبل أن يسأل أين هو الإرهاب هنا؟ هل هناك إرهاب؟ هل الوهابيون عملوا شيئاً بأمريكا؟ لم يعملوا شيئاً بأمريكا، هم من حركهم عملاء أمريكا.

ونحن نقول: مهما كانت الوعود، مهما حاولوا أن نصمت فلن نصمت، أليس كذلك؟ وإذا ما صمتنا، وإذا ما صمتنا، إذا ما صمتنا شهدنا على أنفسنا بأننا من المعرضين عن كتاب الله الذي قال لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) **أفلا نكون من أنصار الله ولو بكلمة؟! سننصر دين الله، وإذا لم ننصر الله ودينه أمام اليهود، في مواجهة اليهود فأمام من ننصره؟! أمام من ننصره؟! إذا سكتنا في أوضاع كهذه فمتى سنتكلم؟ متى سنتكلم إذا سكتنا وهناك من يأمرنا بالصمت؟ سنتكلم، ويجب أن نكرر دائما شعار: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] في كل جمعة وفي كل اجتماع.**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الهوية الإيمانية

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣١/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} (الفاتحة:١-٧).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته.

نشكر لكم في المقدمة حضوركم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب أجركم.

في هذه الجلسة سيكون حديثنا حول مقارنة بين خيارين، بين خيارين أمامنا، وقبل أن نتحدث عن هذا الموضوع سيكون مقدمة حديثنا حول قول الله سبحانه وتعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة:٢٨٥-٢٨٦) **صدق الله العظيم.**

إن هذه الآية الكريمة، هي الهوية الإيمانية لأنبياء الله ورسله وللمؤمنين جميعاً، هي البطاقة الكاملة العناوين لأنبياء الله ورسله، والسائرين على طريقه من المؤمنين بهم، هي تقرير للمؤمنين أنه هكذا يجب أن يكون إيمانهم، هي تعريف بالمسيرة الإلهية لأنبياء الله ورسله والصالحين من عباده جيلاً بعد جيل.

شملت وبصورة موجزة المجالات الإيمانية الكاملة، بدءاً من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهكذا تتصدر الآية الكريمة بالتقرير على الإيمان بالله، ثم تنتهي بالمواجهة لأعدائه، أنه إيمان على غير هذا النحو ليس إيماناً، إيمان لا يبدأ من الله وينتهي بالمواجهة مع أعدائه، ليس هو إيمان الرسل والأنبياء والصالحين من عباد الله.

لقد جاءت هذه الآية بصيغ إخبارية في التقريرات الإيمانية؛ لتوحي لنا بأنه هكذا، هكذا يكون الإيمان، الإيمان الذي هو إيمان الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله.

وكما كررنا أكثر من مرة: أن الإيمان، أن العقائد في الإسلام العظيم كلها عملية .. كلها عملية، إيمان يترك تأثيراً على النفس، ثم نفس تترك تأثيرا في واقع الحياة، ما عدا ذلك يعتبر إيماناً أجوفاً، لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأول المؤمنين بهذا الإيمان هو الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

إن الآية هذه نزلت في القرآن الكريم الذي هو خطاب للناس جميعاً في هذه الأمة، والتي أولها الرسول محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، هكذا إيمان، وأن نعرف بأنه هكذا كان إيمان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يعني ذلك أنه بغير إيمان من هذا النوع لا نكون صادقين حتى في إيماننا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولن نلتقي معه في الطريق الإيمانية، ولا في غاية تلك الطريق، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أولم يقل الله له: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (الأنعام: ١٥٩) **لست منهم في شيء، لا تلتقي مع محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لا تلتقي الأمة مع رسولها (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا في طريق إيمانية واحدة هي: هذه الطريق التي بدأ الخطوة عليها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).**

هو (صلوات الله عليه وعلى آله) آمن بما أنزل إليه من ربه، وعندما آمن بما أنزل إليه من ربه كانت مصاديق ذلك الإيمان كلها حركة، كلها حركة نشطة، كلها عمل، كلها استقامة وثبات، كلها إخلاص لله سبحانه وتعالى وانقطاع إليه وثقة عظيمة به؛ لأن ما أنزل إليه هو أنزل إليه من ربه الذي أرسله، وأرسله إلى من؟! هل إلى نفسه، أم إلى البشرية كلها؟!.

هل كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يكتفي بأن يبلغ الآخرين، ويرشد الآخرين، ويعظ الآخرين، ويأمر وينهى أولئك الآخرين، ثم هو يقبع في زاوية من زوايا مسجده، أو يدعو على أولئك، أم أنه كان هو في مقدمة المؤمنين في كل الميادين؟.

الإيمان بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يجب أن يترسخ في نفوس من يحملون العلم برسالته، يجب أن ينطلقوا هذا المنطلق الذي انطلق منه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن يتحركوا بحركته، لكن للأسف ما نشاهده عند الكثير ليس على هذا النحو الذي كان عليه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يجلسون في زوايا بيوتهم، أو في زوايا مساجدهم ويعظون الآخرين، أو يدعون للآخرين، وأحيانا ينطلقون لمعارضة العاملين في سبيل الله، وهم يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذا القرآن العظيم، ويؤمنون بالنبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

لأنه في الوقت الذي نرى فيه هذه الآيات هي تقرير للمؤمنين كيف يجب أن يكون إيمانهم، هي في نفس الوقت توضح لنا ما هو مقاييس صحيحة وصادقة ننظر من خلالها إلى بعضنا بعض، ونقيّم على أساسها مواقف بعضنا بعض، فلا نتسمى باسم الإيمان، ولا نتسمى باسم أولياء الله، ولا نحمل اسم صالحين، إذا لم يكن إيماننا على هذا النحو.

{وَالْمُؤْمِنُونَ}، آمن الرسول وكذلك المؤمنون {كُلٌّ} كل منهم {آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ}، الرسول نفسه والمؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، الإيمان بالله سبحانه وتعالى هل فقط مجرد تصديق بأنه إلهنا؟! وأنه ربنا؟! أم أنه لا بد أن يكون إيمانا واعيا، إيمانا عمليا، إيمانا يبعث على التطبيق، إيمانا يعزز الثقة في نفوسنا بالله سبحانه وتعالى، فيما وعد به أولياءه في الدنيا والآخرة، هو من قال سبحانه وتعالى في كثير من آيات كتابه الكريم أنه سيكون مع أوليائه المؤمنين، سيكون مع عباده الصالحين، سيكون مع عباده الصابرين، هو من طمأنهم على أنه سيكون معهم، فأي عذر لهم في أن يقعدوا عما أراد منهم أن يتحركوا فيه، عما أراد منهم أن يعملوا به، عما أوجب عليهم أن يدعو إليه.

الإيمان بالله، وكذلك الإيمان بملائكته. والإيمان بملائكة الله له قيمته الكبرى، له أثره الكبير عند من يعرف الملائكة، وعند من يعرف الدور الذي يقوم به الملائكة.

قد يرى الناس أنفسهم في ظرف من الظروف وهم عازمون على أن يتحركوا في ميدان المواجهة لأعداء الله ولكنهم قد يرون أنفسهم قليلاً، وقد نرتاح فيما إذا بلغنا أن هناك منطقة أخرى تتحرك نفس التحرك أو عدد من الناس ينطلقون نفس الإنطلاقة ويقفون نفس الموقف، أليس ذلك مما يعزز معنويات أنفسنا؟!.

الإيمان بالملائكة باعتبارهم جند من جند الله، الإيمان بالملائكة متى ما كنت في طريق تصبح فيها جديراً بأن تحظى بوقوف الملائكة معك فإنك قد ترى في ميادين المواجهة آلافاً من الملائكة، من جند الله ينطلقون وبكل إخلاص، وبكل نصيحة، وبما يملكون من خبرة عالية لتثبيت قلوب المؤمنين متى ما توجه الأمر الإلهي إليهم {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ} (الأنفال: من الآية ١٢).

قد لا نشعر نحن بقيمة الإيمان بالملائكة، وقد لا يشعر كل إنسان قاعد، كل إنسان لا يحمل هم العمل في سبيل الله، لا يكون إيمانه بالملائكة إلا مجرد تصديق بأنهم عباد مكرمون، وأنهم كما حكى الله عنهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم: من الآية ٦).

لكن في أن يترك ذلك الإيمان أثراً في نفسه لا يحصل شيء؛ لأنه ليس في ميدان يرى فيه قيمة إيمانه بالملائكة، لكن أولئك الذين ينطلقون في ميدان العمل في سبيل الله سيعرفون أهمية الإيمان بملائكة الله سبحانه وتعالى، وقد تحدث القرآن عن دور للملائكة في بدر وفي يوم الأحزاب وفي أيام غيرها في حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أولئك الذين خرجوا وعددهم قد لا يزيد على نحو ثلاثمائة شخص إلا عددا قليلا، الله وعدهم بأنه سيعزز بجند من لديه يبلغ عددهم أضعاف أضعاف أولئك، هناك سيعرف الإنسان قيمة إيمانه بالملائكة، وسترى بأنه لست أنت وحدك في ميدان المواجهة، سترى تلك المجاميع الصغيرة من المؤمنين بأنها ليست وحدها هي في ميدان المواجهة بل هناك آلاف من ملائكة الله سبحانه وتعالى الذين ليسوا

كمثلنا يقعدون ويتثاقلون، ويعصون، ويتحيلون، ويتهربون، ويبحثون عن مبررات. لا.. هم من ينطلقون انطلاقة واحدة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فإذا كانت معنوياتك ترتفع عندما تسمع بأن هناك عدداً قد يكون أقل من هذا، أو أكثر فإن عليك أن ترتفع معنوياتك وتستشعر القوة إذا ما كنت في طريق ستقف معك فيه آلاف من ملائكة الله، إذا ما توجه الأمر منه سبحانه وتعالى إليهم، فقط عليك أن تبحث عن كيف تؤهل نفسك، على تلك المجاميع أن تبحث عن كيف تؤهل نفسها لتكون جديرة بأن تقف ملائكة الله معها.

فإيماننا بالملائكة هو إيماننا بجند من جنود الله، متى ما تصدر أمر إلهي نحوهم: إنطلقوا لتثبيت نفوس المؤمنين، فهم من سينطلقون بكل جدّ، وبكل إخلاص وبكل نصح، ينطلقون ولديهم خبرة، ولديهم معرفة فيكون لهم تأثيرهم الكبير في تثبيت نفوس المؤمنين، أو في أي عمل يأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يقوموا به. إذاً لا بد من إيماننا بملائكة الله.

يأتي أيضاً الإيمان بكتب الله، الكتب السابقة، إضافة إلى القرآن الكريم التوراة والإنجيل والزبور وغيرها كصحف إبراهيم وغيرها من الكتب السماوية الإلهية، ما نعرفها وما لا نعرف أسماءها.

{وَرُسُلِهِ}، الإيمان بكتب الله ورسله السابقين له أثره أيضاً فيما يتعلق بنفوس العاملين في سبيل الله حينما يرون أنفسهم بأنهم امتداد لخط إلهي واحد يتمثل في خط كتب الله ورسله، والسائرين على نهج كتبه ورسله جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر، منذ أول نبي وأول كتاب إلى خاتم الأنبياء وخاتم الكتب القرآن الكريم وسيدنا محمد (صلوات الله وسلامه عليه).

هناك تشعر بطمأنينة أنك تمشي وتسير في هذا الخط الذي رسمت لك غاياته، ونهايته في آيات القرآن الكريم، العاقبة التي يسير إليها أولياء الله، الجزاء العظيم الذي ينالونه في الدنيا وفي الآخرة، فترى نفسك لست وحيداً. وهكذا الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما انطلق لحمل الرسالة تنزلت آيات الله عليه لتخبره بأن هناك أنبياء سابقين عليه أن يؤمن بهم، أن يهتدي بهم، أن يصبر كصبرهم.

مجرد إخباره بأنه واحد من سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين السابقين، له أثره الكبير في نفسيته في ميدان العمل، وهكذا المؤمنون.

الإيمان بكتب الله أيضاً هو إيمان بتدبير الله الدائم المستمر للسابقين من عباده والمتأخرين، بقيامه سبحانه وتعالى بهداية عباده السابقين والمتأخرين، وأنه لم يأت في عصر من العصور ليهمل عباده، ولم تقفل ملفات كتبه في أي زمن من الأزمنة، ولا عن أي جيل من الأجيال على امتداد التأريخ.

إيمان بوحدة الرسالات، إيمان بوحدة الهدي الإلهي لعباده، هذا ما يتركه الإيمان بكتب الله في نفوس المؤمنين من أثر تركه قبل في نفس الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَرُسُلِهِ} الإيمان برسل الله سواء من عرفنا أسماءهم في كتاب الله الكريم، ومن لم نعرف عنهم {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} (النساء: من الآية ١٦٤) **رسل أخبر الله محمدا (صلوات الله عليه وعلى آله) بأسمائهم في كتابه الكريم ورسل لم يخبره بأسمائهم.**

الإيمان من جانبنا برسل الله يعني: إيمان بأن الله سبحانه وتعالى - كما ذكرنا سابقا فيما يتعلق بالكتب - لم يهمل عباده في أي فترة من فترات الأمة، لم يهملهم عن نبي من أنبيائه، أو عن ولي من أوليائه، ووارث من ورثة كتبه يسير على نهج أي نبي من أنبيائه السابقين الذين تركوا كتبا في أممهم.

الإيمان بالرسل كشخصيات مهمة، أشخاص مهمون، اصطفاهم الله، أكملهم الله، لم يكونوا أناساً عاديين، أنت حينئذ ستحس وأنت تؤمن بأولئك العظماء - على امتداد التاريخ - تحس بافتخار، بعز، برفعة نفس، أن قدواتك على امتداد التاريخ، أن من أنت تسير على نهجهم، وعلى طريقهم هم أناس عظماء، اصطفاهم الله وأكملهم واختارهم لأن يكونوا هم المبلغين لدينه، لهديه إلى عباده.

الإيمان بالرسل نحن في حاجة ماسة إليه على هذا النحو، فالقرآن الكريم عرض لنا عددا كبيراً من الأنبياء والرسل وشرح لنا كثيرا من أحوالهم وأورد كثيراً من نصوص دعواتهم، وأبان كثيراً من أساليب دعوتهم، وكشف

لنا كثيراً عن خصائص نفسياتهم، فيما تحمله من جدٍ، من اهتمام، من إخلاص، من نصح، من حرص على البشر لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم.

في مسيرة الرسل (صلوات الله عليهم) الكثير من الدروس، الكثير من العبر، لكنها كلها لن يكون لها قيمة ـ وهذه هي المشكلة ـ أن من رضي لنفسه بأن يظل جامدا فكل شيء لن يكون له قيمة لديه. متى انطلقت، متى شعرت بتحمل المسئولية أمام الله سبحانه وتعالى، أن تكون من أنصار دينه، أن تكون من العاملين في سبيله، حينها ستعرف قيمة كل شيء وأهمية كل شيء، كم من الأنبياء في القرآن الكريم عرفنا كثيراً من أخبارهم، عرفنا كثيراً عن تلك الأمم التي بُعثوا إليها. ولكن نمشي على كل تلك القصص المهمة دون اعتبار، دون استلهام ما نحن بحاجة إليه من واقع تلك الشخصيات المهمة، دون تعرّف على السنن الإلهية، دون تعرف على الأساليب المهمة التي يجب أن يتوخاها، وأن يعمل بها العاملون في سبيل الله.

هكذا ستجد في سيرة الأنبياء، في أخبار الأنبياء، في قصصهم ما هو عبرة لأولي الألباب، ما هو دروس عظيمة ومهمة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أخبرنا القرآن الكريم بأنه كان بحاجة إلى أن يقص عليه أنباء الرسل السابقين قبله، فقص عليه من أنباء الرسل، وقال بأن الغاية من ذلك هو: {مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}، لأن فؤاد النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فؤاد رجل، قلب رجل مهتم، يعمل، يتحرك، وأمام كل الأحداث، أمام كل المتمردين، أمام المعاندين، أمام كل الظروف والمواقف الصعبة، سيكون لأخبار الأنبياء السابقين أثره الكبير في تثبيت فؤاده {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} (هود: ١٢٠) {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ} (يوسف: ١١١). رسل الله وتلك الأمم التي بعثوا إليها عدد كبير، وأمم كثيرة، وأجيال متعاقبة، وأزمنة مختلفة، ونفسيات متعددة، وأحوال متباينة.

من حسن حظنا نحن المسلمين الذين نحن آخر الأمم أن كان بين أيدينا رصيد عظيم، رصيد مهم مليء بالعبر والدروس، مليء بالمواقف المتماثلة، والمواقف المتباينة، كلها دروس مهمة، تراث مهم.. فمن العجيب، ومن الغريب أن تضل أمة بين يديها هذا التراث العظيم، هذا الرصيد المهم الذي عرضه القرآن الكريم بين يديها.

تجد في أنبياء الله ـ على الرغم من كمالهم، هم في أنفسهم، باعتبار الظروف، وباعتبار نوعيات الأمم التي بعثوا إليها ـ تجد وحدة الأنبياء، روحية الأنبياء الواحدة على اختلاف الزمان والفارق الكبير بين كل نبي ونبي، تشعر وكأنك أمام مجموعة من التلاميذ عاشوا في زمن واحد، وتلقوا تعليمهم على يد أستاذ واحد، هذا نفسه هو شاهد حي على أن بإمكان منهج الله سبحانه وتعالى، وهديه أن يبني أمة متوحدة.

من الذي يقرأ أخبار أولئك الأنبياء ثم لا يلمس أنه أمام روحية واحدة، ونَفَس واحدة؟ تقرأ عن نوح، عن إدريس، عن إبراهيم، وهكذا، وهكذا إلى أن تصل إلى نبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إذا بك ترى نفسك أمام مجموعة واحدة، كلها على قلب رجل واحد، نظرتها إلى الحياة واحدة، اهتمامها بعباد الله واحد، تفانيها في ميدان العمل من أجل الله واحد، علاقتها بالله سبحانه وتعالى، منطلقها واحد؛ لنقول لأنفسنا نحن في هذه الأمة التي تفرقت وتمزقت بعد أن حذرها الله في كتابه الكريم، ونهاها عن التفرق والاختلاف، وأن لا تقع فيما وقعت فيه الأمة السابقة، أو جملة من الأمم السابقة قبلها {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران١٠٥).

نقول لأنفسنا: ما الذي فرقنا؟ هل هو دين الله؟ هل هو هدي الله؟ إن هدي الله استطاع أن يوحد ويخلق روحية واحدة لمجاميع من أنبيائه ورسله وأوليائه على اختلاف عصورهم، على اختلاف فئاتهم، على اختلاف مجتمعاتهم.

لنقول لأولئك الذين يشرّعون الاختلاف، ويؤصلون للفرقة: ليست هذه هي روحية الأنبياء، هذه ليست هي الروحية التي يمكن أن يخلقها هدي الله في نفوس الأمة، ليعرفوا هم جسامة الخطأ الذي ارتكبوه، وما زالوا يرتكبونه، أن ينطلقوا إلى أولئك الذين سيكونون هم الفئة التي تنطلق لإصلاح المجتمع، الفئة التي تحمل دين الله، ليقولوا لكل واحد منهم أن له صلاحية أن ينطلق معتمداً على نفسه فيدين بما أداه إليه نظره

واجتهاده، مع علمهم ومع علمنا جميعا بالتباين الذي يحصل في وجهات النظر وفي النتائج التي تحدث بناء على اختلاف وتعدد وجهات النظر. هل هذا دين الله؟ ليس هذا دين الله.

نرجع إلى هدي الله في كتابه الكريم الذي أبان لنا أمة واحدة، وليس فقط الأنبياء بل عرض علينا شخصيات أخرى من أوليائه، ومجاميع أخرى من أوليائه ليبين لنا نفسياتهم كيف هي وهم في ميدان الاهتداء بهدي الله والالتزام بدينه، والعمل في سبيله، تراهم كذلك نموذجا واحدا، تراهم كذلك نفسيات واحدة، ونظرة واحدة، ووعي واحد.

هذا مما يمكن أن نستفيده من خلال التعرف على أنبياء الله ورسله في القرآن الكريم. تجد في نفس الوقت الأمم التي بعث إليها الأنبياء والرسل كيف كانت أساليبهم واحدة، كيف كانت بواعث تمردهم وعنادهم ودعاياتهم ضد الأنبياء واحدة، {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} هكذا قال الله عنهم، إنما أحياناً ـ وهو الشيء الطبيعي ـ مع تعاقب الأمم أن تكثر الدروس، وتتعدد المواقف التي تتجلى من خلالها الدروس والعبر في هذا الاتجاه، أو في هذا الاتجاه، فإذا نحن نرى أنفسنا أن بين أيدينا تراثاً مهما، رصيدا مهماً لكننا نحن ونحن كطلاب علم، نرجع إلى الأنبياء، أو نرجع إلى نظرتنا إلى الأنبياء فنجد أنها نظرة غير واقعية ونظرة غير حقيقية بسبب الأخطاء الثقافية التي تلقيناها فقدمت لنا الأنبياء مجموعة من المساكين الذين لا يعرفون كيف يتحركون، والذين لا يكادون يعرفون كيف يتكلمون،، [أجواد أطياب مساكين الله]، فلم يكن هناك ما يمكن أن يجعلنا نستلهم من حياتهم، ومن أساليبهم، ومن حركتهم، ومن أعمالهم ومن مواقفهم الدروس المهمة.. فإذا بنا نعطل تلك الآيات الكثيرة، على الرغم من قول الله لنا في كتابه الكريم أن في قصص الأنبياء تثبيتا لفؤاد نبيه.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي نؤمن بأنه سيد الرسل، كيف نظرتنا إليه؟ ومن أين يمكن أن نتعرف على شخصيته بالشكل الذي تملأ نفوسنا حبا له، وشعورا بعظمته، وكمال نفسيته، وكمال شخصيته، وقدرته الهائلة، وذكائه الكبير؟.

متى ما جئنا إلى السِّير التي تحمل عنوان سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم نأتي فيتحدثون عن مولده ونبذة بسيطة من الإرهاصات التي حصلت عند مولده، ثم يبدأ المؤلف، غزوة بدر، بعدها، غزوة أحد، بعدها، غزوات، غزوات. يتحدث عن الغزوة كم عدد المسلمين، كم كان عدد الكافرين، ما الذي حدث أخيرا، متى كانت ومتى انتهت، ثم ينتقل إلى غزوة أخرى، فنخرج من كتب السيرة ولدينا معرفة بتواريخ أحداث، غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة حنين، غزوة كذا إلى آخره، ولكن أين هي شخصية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) التي تعرفنا عليها من بين ذلك الركام من كتب السيرة؟!. بل نقرأ في كتب الكلام الأساليب التي توجهنا إلى كيف نعمل ونحن نستدل، ونحن نحتج، ونحن نناقش، ونحن نبحث، ونحن نجادل الآخرين، وحتى ونحن ندعو الآخرين، وإذا بنا نرى أنفسنا بعيدين عن شخصيات الأنبياء، وعن أساليبهم بما فيهم سيدنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

بل سترى أخيرا أن منطق الأنبياء ليس منطقيا وهم يتحدثون مع أممهم، وكأنهم لم يجيدوا ترتيب ونظم المقدمات المنطقية لإقناع أممهم!. هكذا علمنا [المعتزلة]، وهكذا علمنا [الأشعرية]، هكذا علمتنا الثقافة الخاطئة، كيف لا نعتمد على كتاب الله، ولا نستلهم ـ ونحن في ميدان العمل ـ شيئا من حياة أنبياء الله ورسله..

هذه هي الخسارة ونحن كلما حاولنا أن نبحث في جانب وجدنا أنفسنا أمام إشكالات، أمام ضياع، أضعنا هنا الشيء الكثير، وأضعنا هنا الشيء الكثير، وضلينا هنا، وضلينا هنا، بسبب هذا وبسبب هذا.

الإمام الخميني (رحمة الله عليه) هو الشخص الوحيد ـ فيما أعلم ـ ممن قرأت لهم ـ ومقروءاتي قليلة، لكني لم أسمع حتى ولا ممن قرؤوا أكثر مني عن آخرين ـ هو الشخص الذي كان يقول للناس: يجب علينا أن نهتم بدراسة حياة الأنبياء، وأن نتعرف على الأنبياء، وأن نستلهم منهم ـ ونحن في ميدان العمل ـ الكثير، الكثير من أساليبهم وحركتهم، أن نتعرف على حركة الأنبياء، والقرآن الكريم قدم هذا، نحن كدعاة ونسمي أنفسنا أحيانا دعاة لماذا لا نحاول أن نتعرف على أساليب الأنبياء في الدعوة؟. أساليب مهمة، أساليب بالغة الدقة، وشخصيات قوية، ومواقف جريئة، مع تواضع كامل لله، مع رحمة عظيمة بعباد الله، وحرص على هدايتهم.

ننطلق لنبحث عن أي كتاب هنا أو هناك مما كتبه [الإخوان المسلمون] أو غيرهم ولا نكاد نعرِّج على أخبار أنبياء الله إلا في القليل النادر. رسل الله هم سلسلة واحدة، وطريق واحد، وصف واحد، وأمة واحدة. ورسل الله جاءوا بديانات وكان أعظم الديانات، وأعظم الرسل هو سيدنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، والإسلام العظيم، وهذا الكتاب الكريم الذي جعله الله مهيمنا على كل ما سبقه من الكتب؟!. فلماذا تفرق الناس؟. لماذا ندرس ونتعلم كيف نتفرق؟!. ثم ندين بالاختلاف؟! فيصبح واجبا، يصبح التفرق حتما لا مفر منه، ونصبغه بصبغة شرعية، أليس هذا هو نكران لنعمة الله العظيمة بهذا الدين العظيم؟ أليس هو كفر بنعمة الله المتمثلة في نبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وفي القرآن الكريم، وفي الإسلام العظيم؟.

{لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} ولن تفرق، مسيرة واحدة، روحية واحدة، نفسية واحدة، وعمل واحد، لا بد أن تؤمن بهم، وإيمانك بهم هو إيمان أيضا بعدل الله وحكمته ورحمته؛ لأن كل رسل الله هم رحمة لعباده، وكل رسل الله هم بمقتضى حكمته؛ لأنه هو الملك، هو الرب، هو الإله، وكل البشر عبيد له فلا يمكن أن يتركهم دون أن يبين لهم ما يهديهم، دون أن يكون لسلطانه نفوذ فيهم عن طريق كتبه ورسله.

هكذا المؤمنون {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} (البقرة: ٢٨٦).، والمسلمون هم الوحيدون الآن في إيمانهم على هذا النحو: {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} (البقرة: ٢٨٦). لكن اليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد، والنصارى لا يؤمنون بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فهم مفرقون بين رسل الله، أما نحن ـ والحمد لله ـ فنحن مؤمنون برسله جميعا، موسى وعيسى ومحمد ومن سبقهم من أنبياء الله. ولكن للأسف أننا افترقنا عنهم جميعا، نحن لا نفرق بينهم، لكننا في واقعنا مفارقون لهم جميعا.

فرسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الإيمان برسالته، العمل وفق ما هدى إليه وأرشد إليه، هو يجسد الإيمان الذي لا تفريق فيه بين رسل الله، ولكن لو عرضنا أنفسنا وواقعنا على ما كان لدى رسول الله من إيمان وعلى ما أرد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا القرآن الكريم أن نكون عليه لوجدنا أنفسنا بعيدين جدا وابتعادنا عن محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) في واقعنا ملموس، وهو ابتعاد أيضا عن بقية الأنبياء.

بل سنرى أنفسنا ـ وهو الموضوع الذي نريد أن نتحدث عنه هذه الليلة ـ كيف أننا أيضا بعيدون عن موسى ومتأثرون باليهود، عن روحية موسى، عن اهتمام موسى، عن جدية وحركة موسى، وأصبحنا نميل إلى المفسدين الذين تنكروا لشريعته، وتنكروا للتوراة، وتنكروا لمحمد، وتنكروا للقرآن، أليست هذه مفارقة لموسى؟.

ونحن أيضاً نفارق عيسى، ونلتجئ إلى النصارى، وتتولى النصارى الذين هم اليوم ليسوا على منهاج عيسى، اليهود اليوم وقبل اليوم الذين ليسوا على منهاج موسى ولا على طريقته ولا على كتابهن، رأينا أنفسنا مباينين لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثم رأينا أنفسنا أمام موسى وعيسى في القرآن، وأمام اليهود والنصارى في واقع الحياة فإذا بنا وراء اليهود والنصارى وبعيدين عن موسى وعيسى ونحن من نقول في إيماننا: {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} (البقرة: ٢٨٦) لأن كل واحد من أنبياء الله، في حركته، في مسيرته، ما أنت بحاجة إلى أن تهتدي به.

{لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} (البقرة:٢٨٦). ولا يعني ذلك بأن تعود أنت لتدين برسالة موسى التي كانت قبل رسالة عيسى، وبرسالة عيسى أن تدين بها عمليا التي كانت قبل رسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

أنت لو حاولت هذا لأصبحت مفرقا فعلا؛ لأنك حينئذ سترى في الإسلام أنه ليس لب تلك الرسالات، ليس غاية تلك الرسالات، ليس الشامل لكل تلك الرسالات، فأقول سأعود إلى هذا لأنه هذا لا يكفي، وأعود إلى هذا لأن هذا لا يكفي، فأنت تفرق، بل أنت ستحكم على كل ديانة بمفردها بالنقص، الإيمان الذي هو إيمان لا تفريق فيه بين أنبياء الله هو: الإيمان برسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، والقرآن الكريم يؤكد لنا بأنه كتاب مهيمن على ما سبقه من الكتب ومصدق لما بين يديه من الكتب، فإيماني بالقرآن التزامي بالقرآن هو إيمان والتزام وتطبيق لدين الله الذي أراد أن يتعبدنا به، وأن يهدينا إليه، ما عرفنا منه وما لم نعرف.

ألم يقل هو لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} (الشورى:١٣) إلى آخر الآيات هذه. هذه شريعة الله الواحدة، ونحن عندما ننطلق في الإيمان بهذا، أو بهذا بعد هذا الإيمان أيضا بمجموعهم كرسل لله هو استجابة لله سبحانه وتعالى، وهذا هو ما كان يريده من اليهود ومن النصارى أن يقول لهم هو من يبعث الرسل. فالرسول الذي أنتم تؤمنون به موسى،والرسول الذي تؤمنون به عيسى الذي بعثه وأرسله هو الله الذي بعث محمد وأرسله، فلماذا لا تؤمنون به؟ له الأمر وحده، له الحكم وحده، له التدبير وحده، هو الذي يبعث من يشاء من رسله متى ما شاء ومن أي فئة شاء، فإيمانك بالله يفرض عليك أن تؤمن بهذا النبي كما آمنت بالنبي الذي قبله، أن تؤمن بهذا الكتاب كما آمنت بالكتاب الذي قبله، بل نحن في إيماننا نحن المسلمين بموسى وعيسى وغيره من الأنبياء السابقين إنما كان عن طريق إيماننا بمحمد وبالقرآن، فلولا محمد ولولا القرآن لما صح لنا إيمان بهم، ولما عرفناهم، ولما اعترفنا بهم.

أحيانا يقول اليهود: نحن وأنتم مختلفون في محمد ومتفقون على موسى، لماذا لا ننطلق جميعا على ما نحن متفقون عليه؟ وقد يقول النصارى: نحن وأنتم مؤمنون بعيسى ومختلفون في محمد، لماذا لا ننطلق جميعا على ما نحن متفقون عليه؟. نقول لهم: إنما آمنا بموسى وعيسى عن طريق محمد فإذا لم تصح نبوته فلا صحة للنبوات السابقة قبلها لدينا.

وهكذا المؤمنون يقول الله عنهم: {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} سمعنا وأطعنا، سمعنا كتبك، سمعنا رسلك سمعنا هديك وأطعنا، وهذا هو في واقعه ميثاق بين الناس وبين الله، ميثاق أعطيناه الله على أنفسنا، ألم يقل: {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}؟. أن ترى نفسك في وضعية لا بد أن تقول فيها سمعنا وأطعنا، أن ترى أنه لا مناص من أن تقول: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} وهو ما نحن عليه، أليس كذلك؟ إذاً نحن أعطينا ميثاقا لله أن نلتزم، والمؤمنون هكذا يقولون: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} سمعنا وأطعنا، والطاعة أليست لا تتجسد إلا في الالتزام، في العمل؟. متى يمكن أن تكون مطيعا إذا لم يكن هذا منك إلا مجرد قول. سمعنا وأطعنا، انطلقنا لنعمل وفق ما سمعنا.

وعندما قال المؤمنون: سمعنا وأطعنا، لم يكن من منطلق التمنن على الله سبحانه وتعالى والشعور بالقفزة الكبيرة إلى حيث لا يرون في أنفسهم أي تقصير {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} ونحن سمعنا وأطعنا هديك من منطلق شعورنا بضرورة أن نؤمن بهديك وحاجتنا الماسة إلى هديك الذي جئت به على يد رسلك، نحن بحاجة إليه في حياتنا،نحن نحس بالشرف العظيم لنا أن نهتدي بهديك، نحن نحس بأنفسنا أن تتزكى بهديك، إلى أن تتطهر من الذنوب بهديك، فلك المنة علينا، وأنت من نرجع إليه في كل تقصير يحصل منا.

{غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} ما أكثر ما يتكرر هذا الأسلوب في القرآن الكريم، ليقول لأولئك الذين يتمننون على الله بأنهم استجابوا، بأنهم اهتدوا، أن عليهم أن يفهموا أن هذه النظرة إلى أنفسهم نظرة مغلوطة، نظرة سيكون ضحيتها إيمانهم، سيكون ضحيتها مصيرهم، سيكون ضحيتها زكاء أنفسهم {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} (الحجرات: ١٧) المنة لله على عباده، ونحن عندما نرجع إلى هدي الله الواسع، نحن المسلمين، نحن من في هذه القاعة، ألسنا نتعرف كثيرا عندما نرجع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى عندما نسمع شيئا عنه ونتعرف على كثير من التقصير لدينا فيما يتعلق بهدي الله، حينئذ انطلق وقل لله: غفرانك ربنا عما بدر من تقصير.

هدي الله واسع، ومجالات العمل به واسعة، مجالات النفس التي انطلق الهدى لتزكيتها واسعة، إشكالاتها كثيرة، أدناسها متعددة، أمراضها كثيرة، انطلق دائما وكلما اكتشفت علاجا لمرض نفسك كلما اكتشفت وسيلة كنت بعيدا عنها لتزكية نفسك حينها قل: {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة: ٢٨٦).

الإيمان بالله الذي ينطلق الإنسان فيه من واقع الشعور بأنه عبد لله، بتواضع لله، بشعور بحاجته إلى هدي الله هو من ينطلق ليتلمّسه ويبحث عنه، ما هو الشيء الذي أنا لا بد أن أعرفه؟. ما هو العمل الذي أنا لا أزال

مقصرا فيه؟. ينطلق ويعتذر إلى الله سبحانه وتعالى من كل تقصير يكتشفه، لكن ذلك الذي يدخل بنفس المُتَمَنّن على الله أو على أوليائه الذين انظم إلى صفهم هو من لا يفكر بأن لديه تقصيرا ما، هو من لا يفكر بأنه ما يزال بحاجة إلى معرفة ما، أنه ما زال بحاجة إلى اهتداء كثير في مجالات كثيرة، يعيش نفسا تنظر إلى محيطها بنظرة اختيال وكبرياء وإعجاب وغرور فيعيش جاهلا، يعيش ضالا، يعيش قاصرا وناقصا، لأن الإنسان الذي يمن على الله أن استجاب لهديه هو من ينظر إلى نفسه نظرة اختيال وإعجاب، هو من ينظر إلى نفسه نظرة إعجاب نظرة اختيال، هو من لا يفكر أو من لا يشعر أيضا بأن لديه قصوراً، أو أن لديه نقصاً، أو أنه بحاجة إلى أن يعرف منك أو يعرف من هذا أو يزداد معرفة حتى بكتاب الله الكريم.

{وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} إليك مرجعنا في كل أمورنا في هذه الدنيا وإليك مرجعنا في الآخرة بعد الدنيا فنحن من نحن بحاجة إلى أن نقول سمعنا وأطعنا؛ لأن إليك مرجعنا لأن إليك مصيرنا.

{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} (البقرة: ٢٨٦) هذا مما يؤمن به المؤمنون من أن الله سبحانه وتعالى فيما أنزله إلى رسله، فيما دعا إليه رسله، فيما قالوا فيه وله: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} كله تشريع كله هداية فيها سعة لنا ونحن نتحرك فيها، ونحن نلتزم بها، ليس فيها تكليفات لا نطيقها، ليس فيها تشريعات لا نطيق أن نتحملها كلها مما هي في وسعنا أن نعملها وأن نلتزم بها، وسنعرف هذه. وهذه قضية مهمة يجب أن نعرفها لأننا أصبحنا الآن في واقعنا ننظر إلى كثير من تشريعات الإسلام ونعدها في قائمة المستحيلات، منها توحد الكلمة، منها الجهاد في سبيل الله، منها العمل على إعلاء كلمة الله، منها العمل على إقامة دولة الإسلام، كل هذه في قائمة المستحيلات.

المؤمنون يرون أن كلما أوجبه الله عليهم، كلما دعاهم إليه، كلما شرعه لهم، كلما هداهم إليه كله {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} داخل هذه الدائرة، ولكن بجهلنا نحن، نحن الذين صنفنا مجموعة كبيرة من هدايته من تشريعاته المهمة في قائمة تكليف ما لا يطاق، في قائمة المستحيلات، في سجل الغائبات، أليس هذا ما هو حاصل؟.

تحصل هذه عند من ينظر إلى الدين في مهمته في الحياة نظرة تجزيئية، لي وحدي، ولك وحدك ولهذا وحده إلى آخره. أنظر إلى الدين كدين للأمة وأنك واحد من بناء هو صرح الأمة حينها سترى الإسلام مترابطا، وتراه لكل مجالات الحياة شاملا، أن تنظر إلى التشريعات التي شرعها الله سبحانه وتعالى، إلى كل ما هدانا إليه، إلى كل ما ألزمنا به كمنظومة واحدة، وستجدها حينئذ كلها يخدم بعضها بعضا، ويهيئ بعضها للوصول بك إلى البعض الآخر الذي تراه في قائمة المستحيلات، لكن أن تنظر نظرة تجزيئية للتشريعات الإلهية وللهدي الإلهي ستراها متباينة عن بعضها البعض، ثم لا تدري وإذا بك ترى مجموعة كبيرة منها في قائمة المستحيلات.

فتعيش أنت حياتك وأنت تنظر إليها هذه النظرة، وطلابك الذين علمتهم يعيشون حياتهم أيضا من بعدك وهم ينظرون هذه النظرة، وكذلك أبناؤك، وكذلك مجتمعك الذي تتحرك فيه لإرشاده، وتمر في الحياة الكثير من المتغيرات التي تجعلك لا تفهم علاقتها بهذا أو بهذا، من الأشياء التي قد جعلتها وصنفتها في قائمة المستحيلات، ستمر بك وأنت لا ترى لها قيمة ولا تلمس لها أثرا، ولا تلتفت إليها.. ثم في الأخير تتعبد الله جهلا بالذل الذي أنت فيه، وبضياع الحق الذي أنت وغيرك من الأمة عليه، وتحت سيادة الباطل وانتشار الفساد، تتعبد الله أنك مسكت على ما تبقى من دينك، وأصبحت تنظر إلى ما تبقى من عمرك يوما بعد يوم يمر لتقول في الأخير: هذه دنيا وإن شاء الله ينتهي كل شيء ثم ندخل الجنة عندما نحشر بين يدي الله.

ما يدريك؟ ربما لا يكون بينك وبين الجنة أي صلة، ربما لا تكون ممن يسير على طريق الجنة لأنك من جئت لتجزئ طريق الجنة الذي هو صراط مستقيم فتصنع فيه العقبات، تلك التشريعات التي جعلتها مستحيلات، ذلك الهدى الذي جعلته بعيد التأثير، أنت هنا شقيت طريقا للجنة لا تصل بك ولا بالآخرين ممن يسيرون عليها إليها، طريقا مليئة بالمستحيلات، ومن الذي سيصل إلى الغاية عن طريق المستحيلات؟. هل أحد؟. هل المستحيل يؤدي إلا إلى المستحيل؟.

حينئذ يجب علينا جميعا أن نراجع أنفسنا وأن ننظر إلى دين الله نظرة صحيحة، إنها شريعة سمحة، إنها شريعة كلها تحت قول الله سبحانه وتعالى: {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة: ١٨٥). **{مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِّنْ حَرَجٍ}. لكن إسأل كثيرا من المتعلمين كم ستطلع لك في قائمة الحرج من أشياء كثيرة فترى نفسك من يغمض عينيه إذا ما مر بقول الله سبحانه وتعالى: {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}** (البقرة: ١٨٥) **يريد بنا من خلال ماذا؟ من خلال هديه، من خلال تشريعه، وهو هو من قال للمؤمنين بأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، لا يكلف نفسا إلا ما آتاها، لأنه هكذا الإنسان عندما ينظر إلى التشريعات ينظر إلى نفسه فيرى أنها صعبة بالنسبة إليه، أنت عندما تنظر إلى نفسك النظرة الأولى انظر إلى دين الله بأنه للأمة، انظر إلى دين الله وهديه بأنه تشريع مترابط، ثم انظر إلى نفسك في الأخير سترى بأنك لم تكلف أنت شخصيا إلا ما فيه سعة.**

نحن مثلا، من في هذه القاعة، ألسنا نرى أن بإمكاننا أن نتوحد؟. ما الذي يمنعنا عن أن نتوحد؟ هل هناك قرار دولي يمنع مجاميع معينة عن التوحد؟ هل هناك قانون يقضي بعقوبة على من يتوحدون؟. حينئذ نقول: أن بإمكاننا أن نتوحد، أليس سهلا؟ أليس يسرا؟ وهكذا بقية تشريعات الدين.

هو من يقول للمؤمنين أيضا أو يعبر عن لسان حالهم أنه هكذا في واقع إيمانهم تكون نظرتهم إلى الدين بأن كل تشريعاته وهديه وأحكامه هي مما فيها سعة على أنفسنا، حتى تلك التي أصبحنا الآن وعلى مدى زمان طويل ننظر إليها أنها من ضمن المستحيلات، ومن ضمن ما لا يطاق، المؤمنون هكذا يقولون ويعتقدون {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} (البقرة: ٢٨٦) **وهم يقرؤون أن الله كلفهم بالجهاد في سبيله أليس كذلك؟ هم يرونه مما في وسعهم أن يعملوه كيف؟ هم ينظرون إلى الدين أنه عندما شرع الله هذا المبدأ المهم كم شرّع له من أشياء مهمة هي في متناول الناس يصبح واقع ذلك المبدأ يصلون إليه تلقائيا بل يشتاقون إليه فلا يشعرون بحرج إطلاقا وهم ينطلقون فيه، ألم يكن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **والإمام علي ونبذة من أولئك الذين يعرفون الدين أكثر مما نعرف، كانوا ينطلقون في ميادين الجهاد في سبيل الله بنشوة وارتياح وسرور، ألم يكونوا يتسابقون في ميادين الجهاد؟.**

هو هذا الدين، هي تلك النظرة التي جعلتهم يفهمون أن كل شيء في هذا الدين لا يخرج عن السعة التي تطيقها أنفسنا، بل تشتاق لها أنفسنا، أليست العبادات، أليست كل أحكام الله عند أوليائه لها مذاقها ولها قيمتها؟. يرتاحون لها. ألم يكن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **يقول:** ((**وجعلت قرت عيني في الصلاة**)). **وهكذا في بقية العبادات لا يشعرون بحرج من خلال فهمهم لعظمة هذا الهدى، من خلال فهمهم للأثر العظيم لهذا الدين، من خلال فهمهم أنه يسرٌ كله، أنه لا حرج فيه كله، فتكون نظرتهم إليه نظرة المشتاق، نظرة المرتاح، نظرة من يشعر بالسرور وهو ينطلق في أي ميدان من ميادين العمل بهدي الله وتطبيق أحكامه.**

وهكذا هم أيضا يؤمنون بالجزاء، والجزاء لكل نفس فتطمئن كل نفس بأن جزاء عملها لا يضيع وإن كانت واحدة من آلاف المنطلقين في ذلك الميدان العملي لتطبيق أي حكم من أحكام الله، والسير على أي هدى من توجيهاته وإرشاداته، إيمانهم بالجزاء، والجزاء الذي جاء في القرآن مؤكدا ومكررا الجزاء الحاسم {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}، فينطلقون في أعمالهم من ثقة بالله سبحانه وتعالى أن أعمالهم لا تضيع، من منطلق خوفهم من الله أن كل تقصير منهم عليهم محسوب ومرصود {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} فهم ينطلقون بدون أي تقصير.

ومع ذلك يطلبون من الله سبحانه وتعالى أن لا يؤاخذهم على تقصير يحصل منهم أو سيئة يقترفونها في حالة خطأ أو نسيان {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة: ٢٨٦). **أما نحن فنتعمد الترك، أما نحن فنتعمد التقصير.. فأين نحن من أولئك الذين هم بعيدون جدا عن أن يحصل منهم تقصير متعمد؟. أن يحصل منهم اقتراف لسيئات أو عمل لمعاص بتعمد، بل هم من وصل بهم الأمر إلى أن يخافوا من أن يحدث منهم شيء في حالة خطأ أو نسيان، وهم يؤمنون أيضا بأن الخطأ والنسيان ـ وإن كان معفواً عنه فيما يتعلق بالجزاء الأخروي ـ**

فإنما يحدث من الإنسان ولو على سبيل الخطأ والنسيان في واقع الحياة قد يكون له أثره {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة: ٢٨٦).

أليست هناك آية تقضي بأن ما حصل من الإنسان خطأ لا يؤاخذ فيما يتعلق بالجزاء الأخروي؟. {لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} جناح. هناك من المفسرين من يقول: بأن خطيئة نبي الله آدم كانت على سبيل النسيان وكانت على سبيل التأويل أي وقع فيها خطأ ونسيانا، نحن حتى لو سلمنا بأنها كانت على هذا النحو، ألم يعرض الله لنا بأنه حصل الأثر السيئ لتلك الخطيئة بالنسبة لآدم نفسه؟. ألم يشقَ؟ ألم يطرد من الجنة؟ ألم تنزع عنه وعن زوجته ملابسهما؟. شقي فعلا حتى وإن كان الله قد تاب عليه فيما يتعلق بالمؤاخذة في الآخرة أو بالمؤاخذة على أوسع نطاق ممكن أن يستحقها لاقترافه تلك الخطيئة..

إذاً وحتى لو قلنا بأن المعاصي أو التقصير الذي يحصل منا على سبيل الخطأ والنسيان فإن أثره في الحياة لا بد أن يقع، أو لسنا الآن نعمل على أن نكتشف أخطاءنا؟. ونكتشف ما ضيعنا من أعمال وقصرنا فيها؟. ونحن ناسون بأنها واجبة علينا، أو أن علينا أن ننطلق فيها؟ أليس هذا هو ما نعمل؟ ثم أليس الواقع؟ أليست الساحة تشهد بأن آثار تقصيرنا قائمة؟ أن مساوئ الوضع الذي نحن فيه هو آثار لذلك التقصير على الأعمال التي كان يجب علينا أن ننطلق فيها وعلى الأمة أو حتى على جزء من الأمة أن تنطلق فيها؟. ولكنها ابتعدت لخطأ أو نسيان، ألم يكن الكثير منا ناسين أن هناك أشياء مهمة؟. بل كنا ناسين أننا نعيش في وضع سيئ، أليس كذلك؟ هناك خطأ، هناك نسيان، لكن هل أننا لم نؤاخذ على خطئنا ونسياننا؟. نحن مؤاخذون عليه وقد أوخذنا فعلا عليه، أليس المسلمون الآن تحت أقدام اليهود والنصارى؟ أليسوا مستضعفين؟ أليسوا أمة ـ الآن ـ مستكينة، مستسلمة خاضعة، ذليلة، جاهلة، ممزقة؟ الأمة هذه التي هي مكونة من آلاف من مجاميع البشر من الناس المساكين الناسين لما يجب عليهم أن يعملوا، أليس هو هذا الواقع؟.

المؤمنون يبحثون عما يجب عليهم أن يعملوه، ويخشون من أن يقصروا خطأ أو نسيانا؛ لأنهم يعلمون أن هناك مؤاخذة على الخطأ والنسيان في واقع الحياة.

وأحيانا قد تكون المؤاخذة على الخطأ والنسيان توصلك إلى ترك متعمد لحق، توصلك إلى دخول في باطل متعمد، أو توقعك في ضلال بل توقعك في كفر من حيث لا تشعر {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: الآية ١٠٠) ألسنا في مسيرة أن نرتد بعد إيماننا كافرين؟. ونحن ناسون، ونحن مخطئون لا ندري ماذا يجب علينا أن نعمل؟ ولا نعرف ماذا ينبغي أن نعمل، بل ناسين تماما، لماذا؟ ناسين لأن نفكر في ماذا ينبغي أن نعمل؟. فقد يصل الناس إلى درجة الكفر أثرا للمؤاخذة على نسيانهم نسوا وتناسوا وأخطئوا وتجاهلوا فأصبح واقع على هذا النحو، واقع سيكون هم ضحيته عندما يرون أنفسهم يساقون إلى مواقف باطلة.

أولسنا الآن يطلب منا أن نسكت عن أمريكا وإسرائيل؟ من الذي شجع أولئك أن يطلبوا من المسلمين أن يسكتوا؟ سكوتنا عن العمل ونحن في مرحلة النسيان لما يجب أن نعمل، لما يجب أن نفكر فيه، لما يجب أن نعمله، أصبحنا نرى أنفسنا يطلب منا قسرا أن نسكت عن أمريكا وعن إسرائيل، أن نسكت عن لعن اليهود والنصارى أن نسكت عن فضح حقائقهم وفضح تضليلهم وفضح ما جنوه على هذه الأمة.. المؤمنون حذرون جدا.

لكن مما جنى علينا نحن طلاب العلم أن فهمنا بأن الخطأ والنسيان معفو عنه ولم يقل لنا أولئك بأن الخطأ والنسيان ستبقى المؤاخذة عليه في واقع الحياة على هذا النحو.

{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة: ٢٨٦) أما نحن فمتعمدون، أليس كذلك؟ بل ربما قد يكون فينا ـ والله أعلم ـ من لا يزال مصرا على أن لا يكون له أي عمل، أليس هذا تركا متعمدا؟. إذاً افهم من خلال هذا مقدار إيمانك، الإيمان الذي بدأ بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه إيمانه وبدأ بالإيمان بالله، وسارت على هذا النحو معالمه، معالم الإيمان هي على هذا النحو، أولئك المؤمنون الذين يخافون أن يقع منهم تقصير

على سبيل الخطأ والنسيان أما تعمدا فهم من يرونه في أنفسهم بعيدا جدا جدا عنهم، ممن يرون أنفسهم من غير المحتمل أن يقع منهم تعمد لتقصير أو اقتراف معصية.

{ربنا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} (البقرة: ٢٨٦) نحن مؤمنون بأن الله ـ فيما يتعلق بالتشريع ـ لا يكلف نفسا إلا وسعها، ما كلف عباده إلا ما فيه سعة لهم.

لكن قد تبرز هناك أحمال كما حصل على بني إسرائيل {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} (النساء:١٦٠) كانت هناك مراحل ما يزال التشريع فيها قائما، فكان بسبب تقصيرهم في مجال ما، يكونون جديرين بأن يحملوا أحمالا ثقيلة تشريعية، لكنها تسجل في قائمة الاستثناءات وليست هي السنة الإلهية الثابتة في التشريع، وهكذا ألم يحرم عليهم الاصطياد يوم السبت؟. ثم تظهر الحيتان يوم السبت، أليسوا هم سيرون أنفسهم في حالة من الضيق والحرج وهم يرون السمك يوم سبتهم شرعا فوق سطح الماء ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، من هذا الأحمال تأتي.

كيف قد تكون الأحمال بالنسبة لنا وملف التشريع قد أقفل فلا نبي يبعث من جديد، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو خاتم النبيين؟؟.

قد يكون في نتائج تصبح أنت ملزم بها أو ترى نفسك داخل في باطل وترى نفسك في ضلال، مثلا: من المعروف أنهم يقولون: بأن الناس إذا لم ينطلقوا في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تصبح وضعية البلد الذي هم فيه فسقا ظاهرا أو كفرا، عصيانا ظاهرا لله سبحانه وتعالى يغيب في أجوائه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فترى نفسك، أو ترى هذه المجموعة نفسها مقصرة في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترى نفسها عاجزة عن أن تعمل شيئا حينها سيجب على كل واحد أن يرحل من بيته وماله ويغادر إلى منطقة أخرى، الهجرة: أليست هذه من أصولنا أيضا؟ الهجرة. في الدين ما يشكل ضغطا بالنسبة للناس في ما إذا قصروا، وسائل ضغط، نتائج ثقيلة في الأخير، تقصيرك أنت الآن وتقصيري وتقصير هذا وتقصير الرابع عن أن تجتمع كلمتنا، وتتوحد كلمتنا، ويتوحد صفنا لننطلق جميعا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل ما نملك، سأرى نفسي وترى نفسك في وضعية تفرض علينا أن نغادر بيوتنا ونغادر أموالنا.

نقول لأولئك الذين يبخلون بجزء بسيط من أموالهم في سبيل أن تحيا أمة أو أن تؤهل أمة لتكون قادرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيجدون أنفسهم في يوم من الأيام في مرحلة عصيان كامل أن تبقى في بيتك ومالك، فإما أن تنطلق لتضحي بنفسك وأنت ترى بأن تلك العملية قد تقوم بها وليس لها تأثير يذكر..

ألسنا نرى الفلسطينيين الآن يضحون بأنفسهم أحيانا رجالا ونساء، عملية في وسط السوق، عملية داخل شاحنة، وغالبا ما تكون ضد مواطنين يهود، أي ليس لها أثرها الكبير وإن كانت عملية شجاعة وعملية مهمة لكن لاحظ من هو الضحية؟. هم في الغالب ليسوا أولئك العساكر، ليسوا أولئك الجنود الذين هم درع الدولة الصهيونية، الذين هم وسيلة الظلم، الذين هم يقومون بتلك المجازر، لا يستطيعون أن يصلوا إلى معسكراتهم، لا يستطيعون أن يصلوا إلى ثكناتهم، أعمال فردية لا يستطيعون أن يتكونوا ولا بشكل مجاميع ولو على أقل تقدير إلى مائة شخص إلى خمسين شخصا، هل هناك من يمكنهم من هذه؟. لا... قد ينطلق بمفرده ثم ليس بإمكانه أن يصل ثكنة عسكرية في أغلب الأحوال فيفجر نفسه هناك في هذا الشارع أو في ذلك السوق، فليقتل ما يقتل، سيقتل لكن هل هناك نكاية حقيقية ومؤثرة جدا بالعدو؟. لا.

قد يرى الناس أنفسهم في وضعية كهذه فإما أن تفجر نفسك لتقول لله ها أنا قد أعذرت، وما يدرينا لعله لا يقبل منك حتى حالة كهذه؟. لأنك فرطت يوم كان العمل اليسير سيترك أثرا كبيرا في نصر الدين، وفي القضاء على المنكر، وفي سيادة المعروف، فتنطلق لتفجر نفسك أو تقيم على فسق، على ضلال، وأنت تعلم أنه واجب عليك أن تهاجر فتترك بيتك ومالك، أو أن تنطلق في حمل ثقيل لتنزع نفسك من مالك وبيتك لتغادر إلى منطقة أخرى، أليس هذا حملاً؟، أولئك الذين يستثقلون ألف ريال في سبيل الله، سترى نفسك في واقع من هذا النوع إذا لم تنطلق، أم أن الفساد يقف عند حد؟. أم أن الظلم يقف عند حد؟. لا... الفساد لا يقف عند حد، الظلم

لا يقف عند حد إذا لم يوقفه المؤمنون بأيديهم، أو ننتظر الظالمين أو ننتظر الفاسقين هم من يوقفون الفساد والظلم!، لا...

إذاً سيصل بالناس الحال إلى أن يروا أنفسهم أمام أحمال ثقيلة في ميدان العمل، ينطلق ليفجر نفسه فلا يرى أن هناك نكاية شديدة في العدو، أو أن يخرج من بيته وماله فتكون الأعمال مجهدة وتكون الإنطلاقة لتبتعد عن مالك وعن عمارتك عن مزارع [القات] عن مزارع [البن] عن [العمارة] الجميلة فتغادرها وترى نفسك ملزما بأن تهاجر عنها وتتركها، أليس هذا حملا ثقيلا؟.

سيكون ثقيلاً فعلا، ولكن سيكون حينها لا مناص منه، واحد من اثنين: إما أن يكون مسكنك أحب إليك من الله ورسوله وجهاد في سبيله، أو تنطلق لتجاهد في مرحلة ليس معك أحد ولا تستطيع أن تقوم بعملية مع مجموعة بسيطة من زملائك، بل لا تستطيع أن تُكَوِّنَ مع الآخرين جيشا ولا كتيبة واحدة.

ثم ما هو العمل الذي ينكي بالعدو؟ إن أردت أن تتكلم كمموا فمك وضربوك وداسوك، وتكون أنت من تتكلم وحدك ولا ينفع كلامك، ترى نفسك أنه لا مجال وليس هناك أي وسيلة أخرى إلا أن تربط نفسك بالمتفجرات ثم تنفجر، تنفجر بكل ما تعنيه الكلمة غيضا وتنفجر ألماً على ما ضيعت، وتنفجر حيث ترى أنه لا وسيلة غير هذا الانفجار لتعمل ما يمكن أن يكون له أثر ولو بسيط في العدو، أنت تركت يوم كانت الكلمة الواحدة يمكن أن يكون لها أثر عمليات متعددة من هذا القبيل في مرحلة كتلك المرحلة المظلمة.

الكلمات في مراحل معينة هي من تفجر أوضاعا، هي من تهز عروش ظالمين، هي من تبني أمة، لكن ستجد نفسك ـ أنت المؤمن المقصر ـ في مرحلة لن تستطيع أن تقول كلمة فلا يكون أمامك إلا هذا العمل أن تفجر نفسك أو تترك بيتك ومالك وتغادر إلى حيث يكون هناك أجواء بعيدة عن أجواء البلد الذي أنت فيه.

{رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا} (البقرة: ٢٨٦) أبعدنا يا إلهنا عن أن يكون في أعمالنا في تقصيرنا في تفريطنا ما يجعل النتيجة أن نتحمل أوصاراً شديدة وثقيلة.

{رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} حتى فيما يتعلق بالابتلاءات، الابتلاءات نفسها التي قال الله عنها: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ} كثير من الابتلاءات ـ في علم الله ـ قد يستطيع الناس أن يتفادوها فيما إذا انطلقوا بإخلاص وجد واستجابة لله ولرسوله في علم الله، حيث ينفع الدعاء، ألسنا نسمع أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: ((الدعاء يرد القضاء)). لكن الدعاء في مرحلة لا يستجاب لا يرد قضاء، وقد يكون القضاء من جانب الله بشكل ابتلاءات بشكل عقوبات، كثيراً كثيراً يتردد ويتكرر، متى ما صحح الناس أوضاعهم مع الله ورجعوا إلى الله وانطلقوا في الأعمال التي ترضيه كاملة حينها سينفع دعاؤهم، حينها سيكف الله سبحانه وتعالى كثيرا من العقوبات التي كانوا يستحقونها ويستحقها أمثالهم بسبب تقصيرهم.

{رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (البقرة: ٢٨٦). نحن مؤمنون بأن الله لا يحملنا في ميدان التشريع ما لا نطيقه، بل المجال أيضا مجال التشريع من جديد قد أقفل بموت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) خاتم النبيين، هل هناك احتمال أن تضاف تشريعات قاسية؟. هل يحتمل أن يكون هناك توبة بالنسبة لنا تفرض من جانب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نقتل أنفسنا؟ ألم تكن توبة بني إسرائيل بعد أن عبدوا العجل أن يقتلوا أنفسهم؟. في قضية عبادتهم العجل، كانت توبتهم أن يقتلوا أنفسهم فانطلقوا ولا خيار أمامهم إلا هذا أن يقتلوا أنفسهم، هذا من تحميل ما لا يطاق، لكن ليس كتشريع ضمن السنة التشريعية الإلهية إنما هذه من الأحمال التي كان سببها من عندك أنت، فأنت الذي حملت نفسك.

{رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ} (البقرة: ٢٨٦) المؤمنون حريصون جدا على نجاة أنفسهم. بعد أن قالوا: سمعنا وأطعنا هم يعلمون بأن كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وكثير من الأعمال تنطلق من الإنسان حتى على سبيل الخطأ والنسيان، وكل عمل هم يرون أثره سيئا، فهم يحرصون جدا على أن يبحثوا عن نجاة أنفسهم من عقوبات أعمالهم التي

يقترفونها سواء عمدا أو خطأ أو نسيانا فيدعون الله ويطلبونه بكل المجالات التي تحقق لهم النجاة {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا} (البقرة: ٢٨٦) المهم أن تنجينا من عقوبات أعمال نقوم بها ونقترفها على أي سبيل كانت عمدا أو خطأ أو نسيانا، اغفرها سواء من باب عفوك أو من باب رحمتك أو من باب مغفرتك {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا} (البقرة: ٢٨٦) ألم يطلبوا الله من كل المجالات ومن كل الأبواب أن يتجاوز عنهم؟ هذا ينبي عن شدة حرصهم على نجاة أنفسهم فهم يطلبون من الله من كل الأبواب عسى أن يحصل التجاوز من هنا أو من هنا أو من هنا.

{وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا} (البقرة: ٢٨٦) أنت وحدك مولانا، ولينا ولي أمرنا من له الأمر فينا من له اختصاص تدبير أمرنا وشؤوننا، أنت ملكنا أنت إلهنا أنت وحدك مولانا، مولانا هنا بمعنى ولينا ولي أمورنا، من إليه نرجع، ومن به نلتجئ، ومن منه ننتصر ونطلب التأييد، ومن بهديه نهتدي، ومن له وحده نذعن، ومن بحكمه وحده نرضى، ومن له وحده نستجيب.

{أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٢٨٦). ليس أنت مولانا تنزل لنا المطر وتبارك لنا الأرزاق، [وتشتغل معنا] تعمل معنا، هكذا أصبح واقعنا نريد من الله أن يعمل معنا يهيئ الأشياء التي نحن بحاجة إليها ولا نستجيب له، ولا نؤمن به إيماناً فعلاً عمليا بأنه مولانا، ولا ننطلق في ميدان المواجهة لأعدائه، أما المؤمنون فهم قالوا هذه من واقع الشعور بالحاجة، وهم لم يدعوا فقط لأن ينطلقوا في ميادين المواجهة بل هم في ميادين المواجهة مع أعداء الله، هم في مواجهة مع أعداء الله؛ لهذا كان دعاؤهم دعاء من يعمل، دعاء من هو في ميدان المواجهة {أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٢٨٦).

وهكذا المؤمنون يدعون الله سبحانه وتعالى وهم في ميادين العمل وليس في زوايا بيوتهم ولا في زوايا مساجدهم، بعيدين عن واقع الحياة، بعيدين عن الأعمال التي لا بد أن ينطلقوا فيها كما أمر الله سبحانه وتعالى.

المؤمنون يدعون الله دعاء من يؤمن بأنه هو وحده وليه أنت ولينا {أَنتَ مَوْلاَنَا} (البقرة: ٢٨٦)، وها نحن في ميدان المواجهة لأعدائك {فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} هكذا هو دعاء المؤمنين.

من هذه الآيات تعرفنا على ما يتعلق بالإيمان برسله والذي كان نريد أن يكون هو موضوع هذه الجلسة ولكنها طالت، يمكن إن شاء الله أن نتعرض لها في الأسبوع المقبل في ما يتعلق بالمقارنة في واقعنا بين ما عرضه القران الكريم عن أنبياء بني إسرائيل وبين ما عرضه عن اليهود والنصارى من خبثهم، وخبث نفسياتهم لأننا في واقع الحال بين هذين الخيارين: إما أن نقتبس من نفسيات أنبياء بني إسرائيل أنفسهم، أو أن نقتبس من بني إسرائيل الحديثين الذين يسعون في الأرض فساداً، فنرى في الأخير الروحية التي نحملها هل هي روحية موسى وعيسى وسليمان وداوود وإبراهيم وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل؟. أم أنها روحية المفسدين في الأرض؟.

على أساس أن نتلمس الفارق، ونضع أقدامنا على الطريق الصحيح لأنه ليس هناك ـ فيما أعتقد ـ واحد منا يرضى أن يسير على طريقة قارون أو شارون، وأن يكون من يصنع ثقافته ونفسيته قارون أو شارون، أو أن يكون ممن يصنع نفسيته موسى، أليس كلنا نؤمن بموسى؟.

في حياة نبي الله موسى الكثير من العبر، وترددت قصته كثيراً في القرآن الكريم، وربما مما يمكن أن نفهمه من خلال الحديث الكثير عنها عن قصة موسى وفرعون، أنها هي القضية التي ستبقى لنا علاقة بها مستمرة ليقال للمسلمين في ما بعد: أولئك الذين يدّعون أنهم أتباع موسى وعيسى هم من يسعون الآن في الأرض فسادا وعلى امتداد تاريخكم، أولئك أنبياؤهم فأنتم بين خيارين تعرّفوا على أنبيائهم وتعرفوا عليهم، على أولئك المفسدين في الأرض منهم، ثم اختاروا أنتم، ثم قيّموا واقعكم أنتم، ثم انظروا أيهما أكثر تأثيرا في نفسياتكم، هل إبراهيم وموسى وعيسى الذين هم مسيرة واحد وروحية واحدة مع محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، أم أولئك الذين يسعون في الأرض فساداً؟.

وفعلاً سنجد أننا نمشي وراء الذين يسعون في الأرض فساداً حكومات وشعوب، وأننا نرمى بأولئك الأنبياء العظماء الذين من بني إسرائيل بدءاً بإبراهيم جد بني إسرائيل وجد الأنبياء من بني إسرائيل إلى أخر نبي من أنبيائهم.

إن شاء الله سنتعرض لهذا الموضوع في الأسبوع المقبل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المؤمنين الواعين المستبصرين المستقيمين،
وأن نكون من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

دروس من وحي عاشوراء

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٠/١/١٤٢٣ هـ

الموافق: ٢٣/٣/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين، لينقذ الأمة من الطغيان، والشرك، والجهالة ويخرجهم من الظلمات إلى النور، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين نهجوا نهجه، وسلكوا طريقه، وحملوا رايته، ونصحوا لأمته.

في هذا اليوم، يوم عاشوراء، في هذا اليوم، يوم العاشر من محرم وقعت فاجعة عظيمة ومأساة كبرى في تاريخ هذه الأمة، الأمة التي دينها الإسلام، وسماها الله ونبيها: المسلمين. تلك الفاجعة كان المفترض أن لا يقع مثلها إلا في تلك العصور المظلمة، في عصر الجاهلية، في عصر الشرك، في عصر الظلمات، كان الشيء المفترض والطبيعي لحادثةٍ مثل هذه أن لا تكون في عصر الإسلام، وفي ساحة الإسلام، وعلى يدي من يسمون، أو يحسبون على الإسلام، فما الذي حصل؟.

لم نسمع في تاريخ الجاهلية بحادثة كهذه!. ما الذي جعل الساحة الإسلامية مسرحاً لمثل هذه المآسي؟ لمثل هذه الأحداث المفجعة؟ ما الذي جعل من يسمون أنفسهم مسلمين، ويحسبون على الإسلام هم من ينفّذون مثل هذه الكارثة!؟ مثل تلك العملية المرعبة المفجعة!

وضد من؟ ضد من؟! هل ضد شخص ظل طيلة عمره كافراً يعبد الأصنام، ويصد عن الدين؟ هل ضد رجل عاش حياته نفاقاً ومكراً وخداعاً وظلماً وجبروتاً؟ كان هذا هو المفترض لأمة كهذه، أن يكون لها موقف كهذا أمام أشخاص على هذا النحو: كفر وشرك وطغيان وجبروت وظلم ونفاق.

لكنَّا نرى أن تلك الحادثة التي وقعت في الساحة الإسلامية، وعلى يد أبناء الإسلام، بل وتحت غطاء الإسلام وعناوين إسلامية، وخلافة تسمي نفسها خلافة إسلامية، نرى أن ذلك الذي كان الضحية هو من؟ واحد من سادة شباب أهل الجنة (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). هو ابن سيد النبيين، هو ابن القرآن، هو ابن سيد الوصيين، وسيد العرب، علي بن أبي طالب، هو ابن سيدة النساء فاطمة الزهراء، هو ابن سيد الشهداء حمزة.

ما الذي جعل الأمور تصل إلى أن يصبح الضحية في الساحة الإسلامية وتحت عنوان خلافة إسلامية وعلى يد أبناء هذه الأمة الإسلامية، أن يكون الضحية هو هذا الرجل العظيم؟.

إنه حدث ـ أيها الإخوة ـ مليء بالدروس، مليء بالعبر.. وما أحوجنا نحن في هذا الزمن إلى أن نعود إلى تاريخنا من جديد، إلى أن نعود إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فنتطلع في سيرته وحركته الرسالية، منذ أن بعثه الله رسولاً إلى أن صعدت روحه الشريفة للقاء ربه، إلى أن نعود إلى علي (عليه السلام) لنقرأ سيرته وحركته في الحياة، إلى أن نعود إلى الحسن وإلى فاطمة الزهراء وإلى الحسين، إلى الحسين الذي نجتمع هذا اليوم لنعزي أنفسنا بفقد مثله، وإلى أن نستلهم في هذا اليوم بالذات ما يمكننا أن نفهمه من دروس وعبر من تلك الحادثة التي كان هو وأهل بيته ضحيتها.

حادثة كربلاء فاجعة كربلاء هل كانت وليدة يومها؟ هل كانت مجرد صدفة؟ هل كانت فلتة؟ أم أنها كانت هي نتاج طبيعي لانحراف حدث في مسيرة هذه الأمة، انحراف في ثقافة هذه الأمة، انحراف في تقديم الدين الإسلامي لهذه الأمة من اليوم الأول الذي فارق فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه الأمة للقاء ربه.

إذا ما فهمنا أن حادثة كربلاء هي نَتاج لذلك الإنحراف، حينئذٍ يمكننا أن نفهم أن تلك القضية هي محط دروس وعبر كثيرة لنا نحن، من نعيش في هذا العصر المليء بالعشرات من أمثال يزيد وأسوء من يزيد.

إن الحديث عن كربلاء هو حديث عن الحق والباطل، حديث عن النور والظلام، حديث عن الشر والخير، حديث عن السمو في أمثلته العليا، وعن الإنحطاط، إنه حديث عن ما يمكن أن تعتبره خيراً، وما يمكن أن تعتبره شراً، ولذا يقول البعض: إن حادثة كربلاء، إن ثورة الحسين (عليه السلام) حدث تستطيع أن تربطه بأي حدث في هذه الدنيا، تستطيع أن تستلهم منه العبر والدروس أمام أيٍّ من المتغيرات والأحداث في هذه الدنيا؛ لذا كان مدرسة، كان مدرسةً مليئة بالعبر، مليئةً بالدروس لمن يعتبرون، لمن يفقهون، لمن يعلمون.

الإمام علي (عليه السلام) عندما آلت الخلافة إليه كان أمامه عقبة كئوداً، شخص معاوية في الشام. أول قرار اتخذه الإمام علي (عليه السلام) هو أنه يجب عزل هذا الرجل ولا يمكن أن يبقى دقيقة واحدة في ظل حكم علي، يحكم منطقة كالشام باسم علي، وباسم الإسلام.

البعض نصح الإمام علياً (عليه السلام) بأنه ليس الآن وقت أن تتخذ مثل هذا القرار، معاوية قد تمكن في الشام، انتظر حتى تتمكن خلافتك ثم بإمكانك أن تعزله. يبدو هذا عند من يفهمون سطحية السياسة، وعند من لا يصل فهمهم إلى الدرجة المطلوبة بالنسبة للآثار السيئة، والعواقب الوخيمة لأن يتولى مثل ذلك الرجل على منطقة كَبُرَت أو صَغُرَت، على رقاب المسلمين، كمعاوية، تبدو هذه فكرة صحيحة.

دعه حتى تتمكن ثم بإمكانك أن تغيره بعد.. الإمام علي (عليه السلام) قال: لا يمكن.. واستشهد بقول الله تعالى: {وما كنتُ مُتخذ المضلينَ عضداً} (الكهف: من الآية٥١) عوناً ومساعداً؛ لأن من تعينه والياً على منطقة، أو تقرُّه والياً على منطقة ما، يعني ذلك أنك اتخذته ساعداً وعضداً، يقوم بتنفيذ المهام التي هي من مسئوليتك أمام تلك المنطقة أو تلك.

عندما نعود إلى الحديث من هنا هو من أجل أن نعرف ما الذي جعل الأمور أن تصل إلى هذه الدرجة فنرى الحسين صريعاً في كربلاء، إنها الإنحرافات الأولى.

الإمام علي لم يقرّ أبداً معاوية والياً على الشام وعندما استشهد بقول الله تعالى: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً} (الكهف: من الآية٥١) إن معاوية رجل مضل، يضل أمة، ومعنى أن تُضِل أمة بعد أن جاء هدي الله، بعد أن جاء نور القرآن، بعد أن بعث الله محمداً (صلوات الله وسلامه عليه) ماذا يكون إضلالك؟ هل يكون إلا صرفاً للأمة عن القرآن، صرفاً للأمة عن محمد، صرفاً للأمة عن دين الله، عن الإسلام، عن هدي الله.

إن معاوية مضل، وقد بقي فترة طويلة على بُعدٍ من عاصمة الدولة الإسلامية، أضل أمة بأسرها، أقام لنفسه دولة في ظل الخلافة الإسلامية.. وعندما حصل الصراع بين الإمام علي (عليه السلام) وبين معاوية وجاءت معركة [صفين] استطاع معاوية أن يحشد جيشاً كثير العدد والعدة أكثر من جيش الخليفة نفسه! أكثر عدداً وأقوى عدة من جيش الخليفة نفسه! وكان ذلك الجيش الذي حشده إلى ساحة [صفين] مجاميع من تلك الأمة التي أضلها معاوية.

لما أضلها معاوية انطلقت تلك الأمة لتقف في صف الباطل، لتقف في وجه الحق، لتقف في وجه النور، لتقف في وجه العدالة، في وجه الخير، تقف مع ابن آكلة الأكباد، مع ابن أبي سفيان، ضد وصي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ضد أمير المؤمنين على ين أبي طالب، الذي قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)).

إنه الضلال، وما أخطر الضلال، ما أخطر الضلال وما أسوأ آثار ونتائج وعواقب الضلال! و ما أفضع خسارة المضلين عند الله، ما أشد خسارتهم، وما أفضع خسارتهم في هذه الدنيا ويوم يلقون الله سبحانه وتعالى، وقد أضلوا عباده!.

الإمام علي (عليه السلام) هو يعلم أن أخطر شيء على الأمة، أن أخطر شيء على البشرية هو الضلال والمضلون، لذلك وهو من يعرف واجب السلطة في الإسلام، ويعرف مهمة الدولة في الإسلام، ويعرف مهمة الخلافة الإسلامية، يرى أنه لا يمكن بحال أن يقرَّ شخصاً مضلاً على منطقة في ظل دولته وإن كانت النتيجة هي تَقويض خلافته واستشهاده.. كان يقول: ((إن خلافتكم هذه لا تساوي عندي شراك نعلي هذا إلا أن أقيم حقاً أو أميت باطلاً)).

لماذا؟ قد يستغرب أي شخص منا عندما يسمع كلاماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) كهذا... أنت حريص على أن تزيل معاوية من موقعه حتى لو كان الثمن هو تقويض خلافتك، إزاحتك عن هذا المنصب، استشهادك.! الإمام علي (عليه السلام) يرى كل هذا سهلاً، ولا أن يبقى معاوية دقيقة واحدة على رقاب الأمة؛ لأن علياً لم يكن من أولئك الذين يحرصون على مناصبهم، وليكن الثمن هو الدين، وليكن الثمن هو الأمة، ومصالح الأمة، ومستقبل

الأمة، وعزة الأمة وكرامتها.

الإمام علي يعرف أن من يعشق السلطة، أن من يعشق المنصب هو نفسه من يمكن أن يبقي مثل معاوية على الشام، هو نفسه من يمكن أن يبيع دين الأمة، أن يبيع الدين الإسلامي، هو نفسه من يمكن أن يبيع الأمة بأكملها مقابل أن تسلم له ولايته، وأن يسلم له كرسيه ومنصبه.

وهل عانت الأمة من ذلك اليوم إلى الآن إلا من هذه النوعية من الحاكمين! هذه النوعية التي نراها ماثلة أمامنا على طول وعرض البلاد الإسلامية لما كانوا من هذا النوع الذي لم يتلق درساً من علي (عليه السلام) الذي كان قدوة يمكن أن يحتذي به من يصل إلى السلطة، قدوة للآباء في التربية، قدوة للسلاطين في الحكم، قدوة للدعاة في الدعوة، قدوة للمعلمين في التعليم، قدوة للمجاهدين في ميادين القتال، قدوة لكل ما يمكن أن يستلهمه الإنسان من خير ومجد وعز. أولئك الذين لم يعيشوا هذه الروحية التي عاشها الإمام علي (عليه السلام) في اليوم الأول من خلافته، فأرى الجميع أن خلافته عنده لا تساوي شراك نعله إذا لم يقم حقاً ويمت باطلاً.

ما قيمتها إذاً! ما قيمة دولة تحكم باسم الإسلام، ويتربع زعيمها على رقاب المسلمين، وعلى عرش البلد الإسلامي، ثم لا يكون همه أن يحيي الحق ويميت الباطل؟. لا قيمة لها، ليس فقط لا قيمة لها، بل ستتحول قيمتها إلى شيء آخر، ستتحول الأمور إلى أن يكون قيمتها هو الدين، إلى أن يكون قيمتها هو الأمة.

عندما نسمع ـ أيها الإخوة ـ زعماء العرب، زعماء المسلمين كلهم يسرعون إلى الموافقة على أن تكون أمريكا حليفة، على أن تكون أمريكا هي من يتزعم الحلف لمحاربة ما يسمى بالإرهاب، وعندما نراهم جميعاً يعلنون وقوفهم مع أمريكا في مكافحة ما يسمونه بالإرهاب؛ لأنهم جميعاً يعشقون السلطة؛ لأنهم جميعاً يحرصون على البقاء في مناصبهم مهما كان الثمن، لكنهم لا يمكن أن يصرحوا بهذا، هم يقولون: من أجل الحفاظ على الأمن والإستقرار، من أجل الحفاظ على مصلحة الوطن! أو يقولون: خوفاً من العصا الغليظة، العبارة الجديدة التي سمعناها من البعض: الخوف من العصا الغليظة! وأي عصا أغلظ من عصا الله، من جهنم، ومن الخزي في الدنيا؟ هل هناك أغلظ من هذه العصا؟.

الإمام علي (عليه السلام) أراد أن يعلم كل من يمكن أن يصل إلى موقع السلطة في هذه الأمة أنه لا يجوز بحال أن تكون ممن يعشق المنصب؛ لأنك إذا عشقت المنصب ستضحي بكل شيء في سبيله، وأن لا تخاف من شيء أبداً فإذا ما خفت من غير الله فسترى كل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً يبدو عصا غليظة أمامك.

سترى معاوية... هل معاوية، والذي كان موقعه فعلاً في الأيام الأولى لخلافة الإمام علي (عليه السلام) بل في أيام عثمان كانت دولته أقوى في الواقع من محيط الخليفة نفسه، كان في تلك الفترة حكمه مستقراً، ويمتلك جيشاً كثير العدد، هو كان أقوى في الواقع من المجتمع الذي جاء ليبايع علياً (عليه السلام)، من مجتمع المدينة وما حولها.

كان هناك استقرار لدى معاوية.. سنين طويلة من أيام عمر، من أيام الفاروق، الفاروق الذي جعل هذه الأمة تفارق علياً، وتفارق القرآن، وتفارق عزها ومجدها من يوم أن ولىَّ معاوية على الشام، وهو يعلم من هو معاوية، هو يعلم من هو معاوية.

إذاً كل بلية أصيبت بها هذه الأمة، كل انحطاط وصلت إليه هذه الأمة، كل كارثة مرت في هذه الأمة بما فيها كربلاء، إن المسئول الأول عنها هو عمر، المسئول عنها بالأولوية هو عمر قبل أبي بكر نفسه، قبل أبي بكر نفسه، عمر الذي ولى معاوية على الشام سنيناً طويلة.

نجد الفاروق الحقيقي، الذي يفرق بين الحق والباطل لا يسمح لنفسه أن يبقي معاوية دقيقة واحدة على الشام، ومن هو الشخص الذي قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): أنه مع القرآن؟ هل عمر أم علي؟ ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) أم قال عمر مع القرآن والقرآن مع عمر؟.

وعندما نجد أن علياً لا يسمح لنفسه أن يبقي معاوية لحظة واحدة على الشام، فإنه يتحرك باسم القرآن، وأنه منطق القرآن، وموقف القرآن.

إذاً فالموقف الآخر الذي سمح لنفسه أن يبقي معاوية سنيناً طويلة لا يحاسبه على شيء من أعماله، ويقول عنه: [ذلك كسرى العرب] هو الموقف الذي لا ينسجم مع القرآن بحال، هو الموقف المفارق للقرآن، هو الموقف الذي ضرب القرآن، وأمة القرآن، وقرناء القرآن. فهنيئاً لفاروق هذه الأمة، هنيئاً يوم يلقى الله فيُسأل عن كل حادث حدث في هذه الأمة.

لا تنظر إلى فاجعة كربلاء أنها وليدة يومها.. من الذي حرك الجيوش لتواجه الحسين في كربلاء؟ من الذي أرسل ابن زياد إلى الكوفة ليغري زعماء العشائر بالأموال، ويرغّب ويرهب حتى يجيشهم، حتى يحولهم إلى جيش يتوجه لضرب الحسين بعد أن كانوا قد بايعوا الحسين، من هو؟ إنه يزيد.

من الذي جعل يزيداً خليفة على رقاب المسلمين؟ إنه معاوية، من الذي جعل الأمة ـ تلك الأمة ـ تقبل مثل يزيد؟ من الذي جعل ليزيد سنداً قوياً وقاعدة قوية؟ إنه معاوية، من الذي ولى معاوية على الشام؟ إنه عمر، من الذي ولى عمر؟ هو أبو بكر.

أبو بكر وعمر كانا يتحركان كما قال الإمام علي (عليه السلام) لعمر: (أحلب حلباً لك شطره، شدّها له اليوم يردها عليك غداً). حركة واحدة كانت على هذا النحو ممن يعشقون السلطة، ممن يعشقون المنصب، ممن يعشقون الوجاهة.

يقول البعض: لو كان أولئك ممن يعشقون السلطة لرأيناهم مترفين؛ لأننا نشاهد أن من يعشقون السلطة هم عادة إنما من أجل أن تتوفر لهم الأموال، وتتوفر لهم الملذات.. إلى آخر ما قيل في هذا الموضوع.

يقول أحد العلماء الآخرين ـ وهو محمد باقر الصدر ـ: ليس صحيحاً كل هذا، بل وجدنا في التاريخ من ظهروا بمظهر المتقشفين الزهاد من أجل أن يصلوا إلى السلطة. إن هناك من يحب السلطة فتبدوا لديه ألذ من كل مطائب العيش، ألذ من كل ملذات الدنيا كلها، فمن أجل الوصول إلى السلطة يتقشف، ومن أجل الوصول إلى السلطة يبدو زاهداً.

وقد وجدنا في اليمن نفسه [علي بن الفضل]، علي بن الفضل عندما وصل إلى اليمن جلس في واد يتعبد زاهداً ويتركع، يقبل الشيء اليسير مما يعطى، زاهد متقشف متعبد. إن هناك نوعيات في البشر يعشقون المنصب، يعشقون الوجاهة فتبدو كل لذة أخرى من ملذات الطعام والشراب والنكاح والبنيان وغيره، تبدو كلها لا تساوي عنده شيئاً، سيضحي بها جميعاً من أجل أن يصل إلى المنصب.

هو يجيب على من يحاول أن يقدم أبا بكر وعمر بأنهم لم يكونوا عشاق مناصب، لو لم يكن عمر يعشق المنصب لكان أول من يستجيب يوم قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في يومه الأخير من أيام مرضه: ((ائتوني بقلم ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) عمر اعترض هو يعرف ماذا سيعمل؟، هو يعرف أنه سيكتب علياً.

إذا كان قد تحدث عن علي طيلة حياته، وأعلن ولايته على رقاب الأمة يوم الغدير فماذا يتوقع أن يكتب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا أن يشد الأمة إلى علي فيكون قد استخدم كل الوسائل، فضج عمر، وقال: الرسول قد غلب عليه الوجع! وقال: إن الرسول ليهجر! لأنه ـ كما قال الإمام علي (عليه السلام) ـ ((أشددها له اليوم يردها عليك غداً)).

لا ننظر إلى فاجعة كربلاء أنها وليدة يومها، وتتحدث عن ابن زياد وحده، أو نتحدث عن يزيد وحده، إذا كنا على هذا النحو، إذا لم ننظر دائماً إلى البدايات، ننظر إلى بدايات الإنحراف، ننظر إلى الأسباب الأولى، النظرة التي تجعلنا نرى كل تلك الأحداث المؤسفة، نرى كل هذا الواقع الذي تعيشه الأمة إنما هو نتاج طبيعي لذلك الإنحراف، إنما هي تداعيات لتلك الآثار السيئة التي كانت نتاج ذلك الإنحراف، وإلا فسنعيش في ظل الأسباب نفسها، وسنكون نحن جزءاً من الأسباب التي جعلت الحسين صريعاً في كربلاء، وجعلت علياً قبله، والحسن قبله يسقطون شهداء.

من خلال موقف الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يسمح أن يبقي معاوية لحظة واحدة نعرف خطورة ما يمكن أن يعمله معاوية، ومن خلال هذا الشاهد نفسه نعرف عظم ما جناه عمر على الأمة يوم ولّى معاوية على الشام، وجاء من بعده عثمان ليبقي معاوية، وهو بالطبع ابن عمه، ليبقيه ملكاً على الشام، وليس فقط والياً.

الإمام علي (عليه السلام) كأنه يحذر الأمة إذا ما بقي هذا الشخص ولو لحظة واحدة والياً على منطقة فيها فإن التاريخ سيتحول إلى تاريخ مظلم، وإن الدين ستطمس أعلامه، وهذا هو ما حدث بالذات، هذا هو ما حدث بالذات.

ويعطي ـ كما أسلفنا ـ درساً لنا نحن؛ لنفهم نظرة أهل البيت إلى السلطة، لأن أكثر ما يقوله المنحرفون عن أهل البيت والمضللون على الناس: أن ذلك إنما تحرك لأنه يريد أن يحكم، إن هذا إنما ثار لأنه يريد أن يصل إلى السلطة!.

إن من يتأمل تاريخ أهل البيت سيجد أنه ليس فقط مجرد حالة بل مبدأ لديهم ثابت أنه يجب أن لا يكون للسلطة عندك قيمة تساوي شراك نعلك؛ لماذا؟ هل لأنك تبدو زاهداً، أن هذا هو مظهر من مظاهر الزهد، وأنه لا يهمك أمر الأمة؟ أن يحكمها من يحكمها؟.. لا.

إن علياً يوم قال هذه العبارة لا يعني أنه لا يهمه أمر الأمة أن يحكمها من يحكمها، وأنا لا أرغب أن أحكمكم، أنا زاهد متقشف، أنا لا أرغب أن أحكمكم حتى وإن استطعت أن أحيي الحق وأميت الباطل.. ليس هذا منطق علي، إن علياً يقول لا يجوز أن يحكم المسلمين بحال من يعشق السلطة، من يعشق المنصب.

والذي فهم هذا الإمام الخميني ـ رحمة الله عليه ـ يوم قال لابنه وهو يوصيه: ((لا يجوز أن تبحث عن منصب، لا يجوز أن تجري وراء الحصول على المنصب حتى وإن كان منصباً دينياً)). أنت تريد أن تصل إلى أن تصبح [آية الله العظمى]، أو أن تصل إلى لقب [حجة الإسلام والمسلمين]، أو عناوين من هذه. إن عشق المناصب هو ما يمكن أن يضحي بالدين، ويضحي بالأمة، ويضحي بكل شيء.

إن علياً (عليه السلام) ترك شاهداً حياً على أنه فعلاً لم يكن يعشق السلطة لهذا الاعتبار، لهذا الاعتبار الذي ذكرناه.. يوم أن رفض أن يبقي معاوية، واسأل أي زعيم من هؤلاء الزعماء، واسأل أي خليفة من أولئك الخلفاء.. أليس أي واحد منهم سيرى أن من مصلحته، ولا يرى في ذلك ضيراً، بل يراه من الحكمة، ويراه من السياسة، أن يبقي مثل معاوية، وأسوء من معاوية، أن يبقيه والياً ولو إلى الأبد، من أجل أن يبقى له منصبه، ويحتفظ له كرسي سلطته.

الإمام علي (عليه السلام) ترك مثالاً حياً لنا، ونحن ـ أيها الإخوة ـ بحاجة إلى أن نعرف تاريخ أئمة أهل البيت لنستطيع أن نفضح كل من يقول أنهم كانوا يلهثون وراء السلطة، الكل يلهثون وراء أن يقوم حكم الله في أرضه على عباده، أن تقوم شريعته فتكون هي التي تحكم عباده، أن يسود هديه كل المعمورة التي يعيش عليها عباده.
هذا مبدأ إسلامي: أن الدولة الإسلامية، أن الحكومة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من هذا الدين.

ولكنهم يرون أنه لا يجوز بحال أن يكون لدى حتى علي أو الحسن أو الحسين أو زيد أو الهادي أو أي شخص من تلك النوعية أن يكون لديه عشق للسلطة، عشق للمنصب.

ألسنا نرى أننا أصبحنا نُواجه وتُواجه الأمة بكلها بأن يضحى بها على يد زعمائها.. أليس هذا ما هو حاصل؟ وكل ما نسمعه لأجل الحفاظ على المصلحة وعناوين أخرى!. إن السر الحقيقي هو أن أولئك يعشقون السلطة. يجب أن نفهم هذا حتى نميز بين أساليب من يعشقون السلطة، وكيف ستكون العواقب الوخيمة حتى ولو انطلق باسم الإسلام، حتى ولو حكم تحت عنوان إسلامي، حتى ولو حمل لقب [خليفة أو أمير المؤمنين!] أو غير ذلك.

ألم ينهزم [أمير المؤمنين محمد بن عمر!] في أفغانستان وهو باسم خليفة المسلمين؟! هل أنهزم علي أو انهزم الحسن أو انهزم الحسين أو انهزم زيد؟ أو انهزم الهادي أو انهزم قبلهم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

لا. لا يجوز لأمير المؤمنين أن ينهزم، إذا انهزم فإنه من يعشق السلطة، من يعشق الحياة، من يعشق المنصب، هو يريد أن يتمتع أياماً متتالية بلقب [أمير المؤمنين]، و نحوه من الألقاب.

عودوا ـ أيها الإخوة ـ إلى تاريخ أهل البيت، ادرسوه دراسة حقيقية واقعية حتى تجدوا أنه ليس هناك مكان لتلك المقولة: بأنهم كانوا إنما يثورون من أجل أن يصلوا إلى السلطة، وأنهم كانوا عشاق سلطة. هم عشاق حق، هم من قال لهم جدهم ـ وهو يوصي الحسن ـ ((وخض الغمرات للحق حيث كان)) خض غمرات الموت من أجل الحق حيث كان. هذه هي طريقتهم.

وعندما نعرف أن الإضلال الذي تبناه معاوية طيلة أيام إمارته، ثم بعد أن أصبح يحمل لقب خليفة يحكم البلاد الإسلامية بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام)، ثم من بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) رأينا كيف حول ذلك المجتمع إلى مجتمع يناصر الباطل، ويقف في صف الباطل.

ورأينا أيضاً ـ أيها الإخوة ـ كيف يكون الجانب الآخر ـ وهو ما كنا نقوله أكثر من مرة ـ : أن الجرائم ليست في العادة هي نتيجة عمل طرف واحد فقط، المجرمون من جهة، المضلون من جهة يجنون، والمفرِّطون والمقصرون والمتوانون واللاأباليون هم أيضاً يجنون من طرف آخر.

فالجريمة مشتركة، الجريمة مشتركة من أول يوم حصل الإنحراف بمسيرة هذه الأمة عن هدي القرآن، وهدي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكيف يمكن أن يسمع الناس منطق الحق ثم نراهم في يوم من الأيام يقفون في وجه الحق، في صف الباطل، هذا هو الذي حصل بالنسبة لأهل العراق.

معاوية أضل أهل الشام فكانوا قاعدة لإمارته وخلافته، وقاعدة لخلافة ابنه يزيد، وكانوا جيشاً قوياً يتحركون لتنفيذ أهدافه، وأهل العراق من جانب آخر. ما الذي حصل؟. ألم يعش علي (عليه السلام) بينهم سنين خلافته ماعدا الأيام الأولى منها كانت في العراق.. وعلي ببلاغته.. علي بمنطقه.. علي بحجته.. علي بمعرفته وعلمه الواسع ((باب مدينة العلم)) هو من كان دائماً يتحدث مع أهل العراق، من كان دائماً يوجه ويتحدث ويرشد ويعلّم ويحذّر وينذر من عواقب الأمور.

فلماذا رأينا أهل العراق يقفون هم قبل أهل الشام في صف يزيد في مواجهة الحسين نفسه؟! إنه التفريط، ليس فقط التفريط أمام الحدث، بل التفريط يوم نسمع التوجيهات فلا تعطيها أهميتها. أن تحصل حادثة معينة، فتتقاعس، تقاعسك، قعودك، إنما هو نتيجة لتفريطك الأول يوم كنت تسمع توجيهات علي، يوم كنت تسمع إنذار علي، يوم كنت تسمع الحِكَمَ تتساقط من فم علي كالدرر، فتنظر إليها و كأنها بَعَر، لا تهتم بها.

التفريط.. التفريط إنما هذا منبعه: يوم أن يسمع الناس الكلام، ويسمعون التوجيهات ويسمعون منطق الحق ثم لا يهتمون ولا يبالون، ولا يعطون كل قضية ما تستحقه من الأهمية.

لماذا تربع أبو بكر على الخلافة بعد أن سمع المسلمون ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في يوم الغدير وما سمعوه قبل ذلك وبعده؟ سمعوا علياً، وسمعوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، وسمعوا كل شيء، لكن [وأبو بكر لا بأس المهم واحد]!. حالة اللامبالاة.

من هنا بدأ التفريط، فتربع أبو بكر على الخلافة، ولولا أبو بكر لما كان عمر كما قال عبد الله بن حمزة [ولولا عمر لما كان عثمان، ولولا عثمان لما كان معاوية، ولولا معاوية لما كان يزيد]. لولا تفريط أولئك لما كان أبو بكر من البداية، ولولا تفريط أهل العراق يوم كانوا يسمعون علياً يتحدث، ومن أبلغ من علي بعد القرآن وبعد الرسول! ومن أبلغ من منطقه، وأعظم أثراً ـ إن كان هناك ما يمكن أن يترك أثراً ـ بعد القرآن وبعد كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من مثل كلام علي؟!.

ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجعلهم قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي (عليه السلام) سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم؛ لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟.

هم فرطوا، وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور. أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حداً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزه. ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة.. يمكن أن يُصفى

الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!.

بعد أن قُتل الحسين.. (عليه السلام) هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه. لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم.

ما أسوء الإنسان أن يسمع كلمة الحق ثم يرى نفسه في يوم من الأيام يقف في وجه الحق يضربه بسيفه، إنه أسوء من ذلك الذي تربى على الضلال من يومه الأول، إنه أسوء من أولئك؛ ولذلك تجد مثلاً واضحاً على هذا.. أليس تاريخ العراق أسوء من تاريخ سوريا، أليس العراقيون في كل عصر لا تجد شعباً من الشعوب في البلاد العربية أكثر نكبات، وأكثر مآسي من شعب العراق نفسه؟ لأن شعب العراق هو الذي سمع علياً أكثر من أي شعب آخر.

علي خرج أياماً معدودة إلى اليمن، وبقي أياماً معدودة في المدينة بعد خلافته، وكان في المدينة لا يتفوه بكلمة في ظل الخلفاء الثلاثة، لا يريدون أن يتفوه بكلمة، لكن معارفه وتوجيهاته وحكمته انصبت في الكوفة على آذان ومسامع أهل العراق ففرطوا.. ففرطوا فكانت عواقبهم أسوء من عواقب أهل الشام أنفسهم.

وعندما يكون الإنسان من هذه النوعية فقد يصحوا في يوم من الأيام لكن في الوقت الذي لا ينفع. أهل العراق ندموا بعد، وتاب الكثير من تفريطهم في الإمام الحسين إذ لم ينصروه وخرجوا ثائرين، وقتلوا مَنْ قتلوا الحسين (عليه السلام) وثاروا، ثأروا لقتله لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية عظيمة كالحسين.

لو كانت تلك التضحية، لو كان ذلك الصمود، لو كان ذلك التفاني، لو كان ذلك الإهتمام، لو كان ذلك الوعي في وقته، يوم كان الحسين متوجهاً إلى الكوفة لاستطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بأكمله، وليس فقط وجه العراق، لاستطاعوا أن يعيدوا الأمة إلى ما كان يريد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون عليه.

قتلوا الآلاف، وقُتل منهم الآلاف لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية كالإمام الحسين. وأعظم ما تتعرض له الأمة أو من أعظم نكبات الأمة أن تفقد عظماء كالحسين وعلي وزيد والحسن وأمثالهم من أعلام الهدى، خسارة عظيمة.

فنحن ـ أيها الإخوة ـ عندما نتحدث عن كربلاء لا نتحدث عنها فقط من الجانب العاطفي، الجانب العاطفي مثير لكن قد يجعل القضية تتجمد في عصرها، ويجعلنا نحن لا نستطيع أن نستلهم منها الدروس والعبر، ولذا حاولنا أن يكون إحياؤنا لهذه الذكرى هو فعلاً حديث عن ما حدث فيها من مآسي كشفت عن وحشية أولئك الظالمين، وخشونة طباعهم، وخبث أنفسهم.

ونعرف أيضاً الأسباب التي أدت لمثل تلك؛ لأنها أسبابٌ الناس يعيشونها في كل عصر، نحن نعيش ـ فيما أعتقد ـ الأمة المسلمة هي تعيش الحالة، الحالة نفسها، الأسباب نفسها التي هيأت الظروف لأن يسقط بين أيديها مثل علي والحسن والحسين وزيد ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وغيرهم من عظماء أهل البيت، الحالة نفسها واحدة.

سنظل دائماً نئن ونتوجع من الأحداث ولا نهتدي لحل، ولا نعرف من الذي وراء ذلك، إذا لم نعد إلى دراسة أسباب الأشياء من أولها، نعود إلى دراسة الأسباب الأولى للأحداث حتى نعرف ما إذا كان هناك في واقعنا شيء من هذه الأسباب متوفر، شيء من هذه الحالة التي أدت إلى تلك النتائج السيئة تعيش عليها الأمة، فإذا ما وجدنا أنفسنا نعيش نفس الشعور، نعيش نفس الحالة فاعرف بأنك إنما ستكون مثل أهل العراق، مثل أهل الشام الذين ظلوا دائماً يتوجعون، مثل هذه الأمة من أولها إلى حاضرها، تتوجع من الأحداث، تتوجع من الكوارث، وتئن وتصرخ ولا ترى مخرجاً، ولا تعرف حلاً.

وحتى نعرف، وحتى يعرف كل واحد منا أنه يعيش نفسية الشخص الذي أغمض عينيه يوم صعد أبو بكر على كرسي الخلافة، وأنك تعيش نفسية ذلك العراقي الذي كان يسمع علياً يتحدث بمسجد الكوفة، وتحمل نفسية ذلك العراقي يوم خرج الحسين متجهاً إلى الكوفة، ويوم دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، حتى تعرف أنك لا

تختلف عن أولئك، إذا ما وجدت نفسك أمام أي قضية، أمام أي حدث، تجد هناك من يذكرك بمسئوليتك، ويذكرك بخطورة عواقب تلك الأحداث يذكرك بعقوبة تفريطك ثم لا تهتم، فإنك من قد تجد نفسك في يوم من الأيام ليس فقط ضحية لتفريطك، بل تجد نفسك في موقف أسوء من ذلك الموقف، تجد نفسك في صف الباطل تقف في وجه الحق، تساق إلى مواقف الباطل.

وهذا لم يكن فقط ما حصل للعراقيين وحدهم في التاريخ، لقد حصل للكثير من البشر على امتداد التاريخ، تاريخ هذه الأمة، كم من الأشخاص ممن هم يُحسبون على جانب الحق، ممن سمعوا توجيهات الحق، وسمعوا صوت الحق ودعوا إلى الحق ففرطوا فرأوا أنفسهم يساقون إلى ميادين نصر الباطل!.

نحن ـ أعتقد ـ إذا لم ننطلق في مواجهة الباطل، في هذا الزمن فإننا من سنرى أنفسنا نساق جنوداً لأمريكا في ميادين الباطل في مواجهة الحق. لا يجوز بحال إذا كنا نحن من نلوم أولئك، أي واحد منا يلوم أهل الكوفة أليس كذلك؟ يلوم أهل العراق، يلوم ذلك المجتمع الذي لم يصغ لتوجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن ولى علياً، يلوم أهل المدينة، يلوم أهل البصرة، يلوم أهل الشام، يلوم.

إذا كنا فقط إنما نلوم الآخرين، ولا نعرف على ماذا نلومهم، أنت تلومهم لأنهم قتلوا الحسين، أليس كذلك؟ فعلاً يلامون على أنهم قتلوا الحسين، لكن ما الذي جرّهم إلى أن يقتلوا الحسين؟.

أنت تعيش النفسية، تعيش الحالة التي جرتهم إلى أن يخرجوا ليواجهوا الحسين، فَلُمْ أنت نفسك، ولُمهم أنت على تفريطهم يوم كانوا يسمعون علياً، واحذر أنت أن تكون ممن يفرط وهو يتكرر عليك هدي علي، وهدي القرآن الكريم الذي هو فوق كل هدي.

أوليس القرآن الكريم حياً بين أظهرنا؟ أولسنا نقرأه؟ أولسنا نحاول أن نعرض الأحداث على القرآن الكريم لنستلهم من خلال القرآن ما هو الموقف المطلوب منا؟ بل لنحصل من خلال القرآن على وعي وبصيرة نفهم من خلالها ما يدور حولنا؟ فمن يُعرض، من يُفرط، من لا يهتم، من لا يبالي إنه يعيش نفسية من يلومهم قبل ألف سنة وأكثر من ألف سنة.

بل أرى أن اللوم علينا أشد.. لماذا؟ عادة الناس إذا تحدث معهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحذرهم من عواقب الأمور، الكثير من الناس هو يكون من أولئك الذين يريدون أن ينظروا إلى الأشياء متجسدة أمامهم حتى يصدقوا، وحتى يستشعروا الخطورة، وحتى يهتموا، أو يكون لهم موقف، يريدون كما قال بنو إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: من الآية١٣٨) بعد أن خرجوا من البحر، بعد تلك الآية العظيمة، الآية الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى.

وهم مؤمنون بالله، لكنهم ما زالوا يريدون أن يروا إلهاً متجسداً أمامهم، حتى قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} (البقرة: من الآية٥٥) ألم يقولوا هكذا؟ {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} هذه الروحية: [لن نصدقك حتى نرى الأحداث ماثلة] هذا هو الغباء، هذا هو الخطأ، هذه هي الأمية الحقيقية، هذه هي الجهالة، هذه الروحية هي التي تؤدي إلى ضرب الأمة في كل عصر.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يتحدث.. القرآن الكريم ((فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم)) يتحدث هو أيضاً عن عواقب الأمور، عن عواقب التفريط، عن عواقب اللامبالاة، عن أضرار الضلال والباطل عليكم في الدنيا قبل الآخرة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضاً تحدث لكن لم تكن هناك أحداث واسعة بسعة ما يسمعونه من حديثه، وهم من نوعية من يقول في واقعه ـ من حيث لا يشعر ـ [لن نؤمن لك حتى نرى عواقب الأمور جهرة!].

الإمام علي (عليه السلام) تحدث مع الناس، وكانت أيضاً قد عرضت في الحياة أحداث كثيرة، فكان من المفترض أن يكون من يعيشون في عصر علي ـ لأن منطق علي هو منطق القرآن، ومنطق محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ أن يكونوا أكثر وعياً؛ لأنهم من قد شاهدوا الأحداث الكثيرة والمتغيرات من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى أن قام علي، ورأوه فوق منبرهم في الكوفة يتحدث معهم ويوجههم.

كذلك من جاء بعدهم، نحن في هذا العصر من أمامنا رصيد هائل من الأحداث، أمامك كربلاء، وأمامك يوم الحرة، وأمامك ضرب الكعبة، وأمامك استشهاد زيد، واستشهاد أصحاب [فَخّ]، وأمامك الأحداث تلو الأحداث الرهيبة التي تكشف لك عواقب التفريط والضلال والتقصير والجهل، أصبحت مثلاً شاهداً من واقع الحياة تستطيع أن تضربه مثلاً أمام كل قضية تتحدث عنها. إذا ما كنا نحن لا نفهم بعد ولا نعي وأمامنا رصيد من هذه الأحداث، أمامنا كربلاء التي نحن في هذا اليوم نتحدث عنها، ونستلهم العبر منها.

هذا الحدث نفسه إذا لم تكن أنت، وأنت في هذا العصر من يفهم الأمور ـ وأمامك هذا الرصيد ـ فإنك أسوء ممن خرج يقاتل الحسين، أنت أسوء ممن خرج يقاتل الحسين.

وإذا كان أولئك لتفريطهم هيئوا الساحة لأن يتولى يزيد فأنت هنا لتفريطك ستهيئ الساحة لأن يحكمها [بوش]، ولتحكمها إسرائيل، فيحكمها اليهود، أوليس اليهود أسوء من يزيد؟ إن من يهيئ الساحة لتحكمها أمريكا، من يهيئ الساحة لتحكمها إسرائيل، من يهيأ الساحة لتحكمها ثقافة الملعونين من اليهود والنصارى بدل ثقافة القرآن هم أسوء ممن شهروا سيوفهم في وجه الحسين.

لأنها كلها حالة عربية واحدة، كلنا نحن العرب حالة مترسخة لدينا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} ((حَذْوَ بني إسرائيل)) هم قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}(البقرة: من الآية٥٥) لن نؤمن لك يا علي عندما تقول: ((والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم؛ لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)) لن نؤمن لك حتى نرى معاوية جهرة فوق منبرنا فنعلم أنه فعلاً أنه قد أُدِيلَ منا.

لن نؤمن لك يا حسين، لن نؤمن لك يا علي إلا بعد أن نرى يزيد فوق منبرنا، لن نؤمن لك إلا بعد أن نرى سيف يزيد مشهوراً على رقابنا، لن نؤمن لك حتى نرى أمريكا ونرى الأمريكي يوجه بندقيته إلى صدورنا، لن نؤمن لك حتى نرى نساءنا يخرجن متبرجات كالأوربيات في شوارعنا، لن نؤمن لك حتى نرى القرآن تُمَزَّق صفحاته في مساجدنا، لن نؤمن.. لن نؤمن.. هي الحالة العربية التي ضربت العرب، وضربت القرآن، وضربت الدين، نحن نعيشها [لن نؤمن لك حتى نرى...]

نحن ـ أيها الإخوة ـ يجب أن ننسف هذه الكلمة من مشاعرنا، ومن عقولنا، ومن أذهاننا [أنني لا أصدق إلا عندما أرى الأشياء ماثلة] إذا كنت من هذا النوع إذاً أمامك على طاولة التاريخ الشواهد الحية لهذه، ألا يكفيك شواهد حية على مدى [١٤٠٠ عام]؟. ألا تكفيك شواهد إذا كنت ممن يريد أن يرى الأشياء أولاً هاهي أمامك كربلاء، هاهي أمامك [الحَرَّة]، هاهي أمامك ضرب الكعبة، هاهي أمامك الأحداث، تلك الأحداث، هي مثلٌ على كل ما نحدثك عنه.

إذا كنت لا تريد أن تكتفي بهذه الشواهد ـ التي هي شواهد حية، أحداث تجسدت في التاريخ بل تريد [موديلاً] جديداً من الأحداث ـ فأنت أيضاً أسوء ممن قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} أولئك الذين خرجوا ليشهروا سيوفهم في وجه الحسين هو ملعونون، ألسنا نلعنهم.

نعتبر أنهم ارتكبوا جريمة من أفضع جرائم البشرية على طول تاريخها، لكنهم في الواقع لم يكن أمامهم رصيد من الأحداث، والأمثلة الحية، وهم كمثلنا نحن وهم عرب ممن يعيشون في أنفسهم وتترسخ في أنفسهم [لن نؤمن لك حتى نرى ما تحدثنا عنه ماثلاً أمام أعيننا]. نحن نشاهد في التاريخ الأمثال الكثيرة، إذا كنت أنت تريد أمثالاً جديدة فإنك أنت أيضاً تعيش حالة يجب أن تسخر فيها من نفسك، تريد [موديلاً] جديداً من الأحداث، تلك أحداث ماضية بالية، أحداث ماضية أنا أريد أحداثاً جديدة، أريد أن أرى تلك الأحداث ماثلة أمام عيني فألمسها وأشاهدها، وأحس بوطأتها أنا!.

لا يجوز بحال ـ أيها الإخوة ـ أن نظل قاصرين في وعينا إلى هذه الدرجة وأمامنا هذا الرصيد المهم من الأحداث طوال التاريخ.

أكرر هذا؛ لأنها حالة نلمسها عند الجميع، ولأنها حالة قائمة لاحظ كيف أننا نقتنع بالمبررات الواهية المكذوبة التي ليست منطقية ولا معقولة ولا واقعية، يُصدِّرها الأمريكيون، يُصَدِّرها اليهود وعملاؤهم فيتحدثون بها

فنقتنع، ونسكت ونجلس، بل نحن من وصلنا إلى أن نجعل تلك الحالة هي الحكمة، هي منطق الحكمة، هي منطق الحفاظ على الأمن، هي منطق الحفاظ على المصلحة العامة للشعب. والحكمة هي نفسها التي قال الله عنها: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} (البقرة: من الآية٢٦٩) **أصبحنا نعتبر قصور وعينا وجهلنا هو الحكمة.**

إن الحكمة أن تعود إلى التاريخ، وتعود إلى القرآن، وتأخذ العبر والدروس من خلال تلك الأحداث، وتأخذ المقاييس الثابتة والوعي والبصيرة من خلال القرآن الكريم هنا الحكمة؛ حتى ترى في الأخير أن التفريط، أن السكوت، أن الجمود، أن التفكير في أنك ستسلم كلها متنافية مع الحكمة، كلها ليست واقعية، كلها هي سبب النكال، وسبب الخزي في الدنيا، وسبب أن تكون من يتلقى الضربات تِلْو الضربات من أعدائك، هذه ليست حكمة.

ونحن ـ أيها الإخوة ـ أيضاً هناك ما هو أسوء من هذا، في الوقت الذي نحن نشاهد زعماء العرب جميعاً في موقع نحن نسخر منهم، أنهم فرطوا في هذه الأمة، وأنهم دائماً يتحدثون عن السلام، ويبحثون عن السلام من أمريكا، ثم عندما وصلت الأمور إلى ساحتنا ـ نحن المواطنين ـ إذا بنا نكرر العبارة نفسها، ونتخذ الموقف نفسه، [نريد السلام، والأفضل هو أن نسكت وأن نجمد وأن نحاول أن لا نثير وأن.. وأن..]!.

أليس هذا هو ما كنا نلوم عليه زعماء العرب؟ أليس هذا هو ما نلوم عليه أننا نسمع أنه قد يمكن أن يخرج المؤتمر ـ مؤتمر القمة الذي سينعقد في بيروت ـ أن قراره قد حُسِم هي التسوية مع إسرائيل، هي المصالحة مع إسرائيل لتتوقف الإنتفاضة؛ لأن تلك العمليات البطولية التي ينفذها الفلسطينيون أصبح الزعماء هؤلاء يخافون منها كما تخاف منها إسرائيل نفسها، وإلا لماذا؟.

هذا موقف غير طبيعي، الموقف الطبيعي أنك عندما تشاهد الشعب الفلسطيني في انتفاضته بدأ يستخدم الوسيلة الصحيحة فبدأ يضرب العدو ضربات موجعة هو أن تدعمه بالسلاح، أن تدعمه بالرجال، أن تسانده بالمال من أجل أن يتمكن في مواصلة أعماله ليحرر نفسه وليرفع الظلم والجبروت عن كاهله، أما أن تبادر إلى تسويات تجعل ذلك الشعب يتوقف وتصنع أمامه عائقاً، فإذا ما تحرك نفس التحرك بدا أمام الجميع كله أنه عمل غير مشروع! لماذا؟!. هذا عمل غير طبيعي.

إن هذا يدل على أنك تخاف من الإنتفاضة نفسها كما يخاف منها الإسرائيليون؛ لأن تلك العمليات، لأن تلك الأعمال البطولية، وتلك الإنتفاضة هي التي جعلت العرب، كما نشاهده اليوم مظاهرات في معظم البلدان الإسلامية، مظاهرات يرفعون فيها شعارات تهتف ضد أمريكا وضد إسرائيل، ويحرقون فيها العَلَم الأمريكي، ويحرقون فيها العَلَم الإسرائيلي، سخط يتنامى ويتداعى في الساحة العربية. يعرف هؤلاء أن هذا السخط ليس في صالحهم، أن الشعوب أن تتجه هذا الإتجاه، ليس في صالحهم هم، نفس الحاكمون، إذاً فليوقفوا هذا.

نحن أسوء من هؤلاء عندما نربط نظرتنا إلى الأحداث وموقفنا من هذه الأحداث بهم، هذا هو الموقف السيء. لماذا؟ أنت عندما تخرج في مظاهرة تؤيد فيها تلك الأعمال، وتؤيد فيها أولئك الأبطال، ألست تطلب منهم أن يواصلوا المسيرة؟ وأنك تعلن عن وقوفك إلى جانبهم، وتأييدك لأعمالهم؟ ألست بعملك هذا تحاول أن توجه رسالة إلى عدوك وعدوهم أن الجميع قد يقفون كلهم في وجهك؟.

إذاً فليس من الطبيعي أن تقف من القضية موقف زعمائك الذين هم سيضحون بهذه الأعمال البطولية، ويكون قرارهم مما يدعو إلى إيقافها.

فنحن عندما نشاهد هذه الأحداث، ونحن عندما نكون من يعرف أنها أحداث موجهة ضد ديننا، وضد أمتنا، وضد أنفسنا، وضد مصالحنا ثم نقف منها موقف الزعماء فهذا هو أيضاً دليل آخر على أنك أسوء من ذلك العراقي الذي وقف موقف يزيد من قضية مواجهة الإمام الحسين، أنت أسوء منه.

أنت هنا تخرج في هذه المظاهرة تعبر عن هذا الموقف، وترى الزعماء يعبرون عن موقف آخر، ثم أنت من يرتبط بهم وأنت من تؤيد ما وصلوا إليه، ثم عندما تصل القضية إلى ساحتك أنت من تتبنى نفس الموقف الذي

تبنوه، أنت من تقول: لا ينبغي أن نرفع مثل هذا الشعار، نحن نخاف أن تضربنا أمريكا، نحن نخاف [العصا الغليظة] العبارة الجديدة [العصا الغليظة] لتعرفوا صدق قول الله سبحانه وتعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} (المائدة:٥٢).

ألم يكونوا دائماً يقولون: حفاظاً على مصلحة الشعب؟ إن الإمام علياً (عليه السلام) يقول: ((ما أضمر إنسان شيئاً في قلبه إلا ظهر على قسمات وجهه وفلتات لسانه)) يوم كانوا يتحدثون عن الحفاظ على الأمن ومصلحة الشعب، ومن أجل التنمية ـ وهو منطق الزعماء جميعاً ـ بدأ الصدق، صدق ما في قلوبهم: يخشون {نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} (المائدة: من الآية٥٢) **بعبارة: [نخاف العصا الغليظة].**

نحن يجب أن نقول: نحن لا نخاف تلك العصا التي تسمونها غليظة، ونحن لا يجوز أن نخاف من أي عصا في هذه الدنيا.

كلمة: {مَرَضٌ} في القرآن الكريم واسعة جداً، واسعة جداً، مجمل ما تعني: أنه موقف غير طبيعي، موقف غير سليم، موقف غير صحيح، موقف غير واقعي، أن تسارع إلى أعدائك وأعداء دينك، أن تسارع إليهم، أن تثبط الأمة عن مواجهتهم، ثم تتحدث بأنه من أجل الحفاظ على الأمن والمصلحة والتنمية ونحوها.

إن الله يقول: إن ذلك موقف من في قلبه مرض، سواء كان زعيماً أو مواطناً عادياً أو وجيهاً أو كيف ما كان، من يقف هذا الموقف في قلبه مرض، وليكن ذلك المرض في أدنى حالاته هو [الجُبن] وهل الجبن منسجم مع الإيمان؟ أم أن الإمام علياً (صلوات الله عليه) هو الذي قال: ((لا تجد المؤمن جباناً ولا بخيلاً))، ((البخل والجبن خَلّتان يجمعهما سوء الظن بالله)). من كلام الإمام علي (عليه السلام) ((يجمعهما سوء الظن بالله)) مرض، فإذا كان ذلك مرض فيعني أن ذلك الموقف موقف غير صحيح.

ما هو الموقف الصحيح؟ هو الموقف الذي وجه إليه القرآن: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) **أليس هذا هو الموقف القرآني؟ يخاطب الجميع زعماء وشعوب حكومات وشعوب يخاطب الجميع، كل من يحمل اسم الإسلام. إن هذا هو الموقف لكن ما الذي جعلهم يتخذون مواقف أخرى؟ مرض، وليكن ذلك المرض العشق للمنصب، الحرص على المصلحة الخاصة، أو يكون جبن أو يكون ما كان.**

بل أصبحت المسألة ـ وهي قضية يجب أن نعيها أيها الإخوة ـ يجب أن نعيها، أصبحوا هم من يتعاملون مع الشعوب، فإذا ما دعونا لمظاهرة ضد إسرائيل، أصبحت فلسطين، أصبحت فلسطين نفسها الآن تستخدم وسيلة لامتصاص غضب الشعوب، لامتصاص غضب الساخطين في هذه الشعوب، الذين قد يصل غضبهم وسخطهم إلى التساؤل لماذا لا يكون لنا موقف؟ ما الذي عاقنا عن أن يكون لنا ونحن أمة لها جيوشها، لها أسلحتها.. ما الذي عاقها عن أن يكون لها موقف؟ فترى نفسها هي من تتفرج على إخوانهم، على أبنائهم، على أمهاتهم في فلسطين، تدمر بيوتهم وتسفك دماؤهم.

أليس الناس يتساءلون بعد من المسئول وراء ذلك؟ أوليس الناس كلهم سيحمّلون المسئولية حكوماتهم وزعماءهم؟ إذاً قبل أن يصل الوضع إلى هذه الحالة، قبل أن يتنامى السخط، إلى أن يخلق هذه النظرة هلمّوا أخرجوا إلى الشوارع، اخرجوا ما في نفوسكم، اسخطوا، تكلموا تحدثوا، ثم يعود اليمني، يعود المصري إلى بيته ويرى نفسه وهو في بيته مثل حالته قبل أن يخرج من بيته، ويرى والوضع هو الوضع، والجمعة هي الجمعة، والخطبة هي الخطبة، والموقف هو الموقف، موقف الزعماء هو الموقف.

هذه الطريقة ليتظاهر الناس ولوكل أسبوع على هذا النحو لا يجدي إذا لم يكن تنامي السخط في الأمة هو يتجه من منطلق الإيمان بضرورة أن تصحح هذه الأمة وضعيتها، وأن تبني نفسها؛ ليتجه الجميع لاتخاذ موقف من ذلك العدو الذي نراه يعمل بأبنائنا وأمهاتنا وإخواننا، ببيوتهم بمزارعهم بمساجدهم بمستشفياتهم في

فلسطين، وفي أفغانستان، وفي كشمير وفي غيرها من البلدان؛ لنستطيع أن نوقفه عند حده، وأن نقطع تلك اليد التي تعبث في البلاد الإسلامية، في فلسطين وفي غيرها.

وإلا فليتظاهر الناس.. المظاهرة جيدة، والمظاهرة نفسها تترك أثراً أمام اليهود، وأمام النصارى: أن هؤلاء يغضبون، لكنهم سيكونون هم من يأمنون من غضبنا متى ما وجدوا أن غضب هذه الأمة لا يصب في قناة تحتويه فتحوله إلى صخرة تدك عروشهم، حينها سيأمنون غضبنا، وحينها نصرخ كما نصرخ لا يخافون منا.

يجب أن تستغل المظاهرات، يجب أن تستغل الخطب، يجب أن يستغل شعار: [الموت لأمريكا ، الموت لإسرائيل]، وغيره من كل الهتافات التي تنمي السخط في نفس الأمة لبناء الأمة، لتتجه هي هي، لتقف الموقف الذي يفك عن الفلسطينيين وغيرهم من المظلومين ممن تظلمهم أمريكا وإسرائيل وحلفائهم، ليفكوا هم وإلا فكل واحد منكم ـ وليس محللاً سياسياً وليس مفكراً ـ لو سألناه إذا كنا كل أسبوع نخرج، أو كل شهر نخرج في مظاهرة من هذا النوع والوضعية على ما هي عليه، ليس هناك من يبني اقتصادنا بناءاً صحيحاً حتى نرى أنفسنا نستطيع أن نتحمل حصاراً يُفرض علينا، نستطيع أن نقف في وجه عدوّنا، إذا كنا لا نرى أنفسنا تُفتح مراكز للتدريب ليتدرب الشباب جميعاً على الأسلحة.

عندما ادعى الرئيس وقال: من يريدون الجهاد في سبيل الله فليتحركوا إلى فلسطين عبر أيّ القنوات، نقول: أنت قناة من هذه القنوات فسنتحرك عبرك، إذاً افتح مكاتب للتطوع، افتح مراكز للتدريب وسننطلق جميعاً نتدرب، وسننطلق جميعاً لنقاتل.

هذا هو الموقف الصحيح، ونحن نشكر لك هذه العبارة التي قد نراك في أي يوم من الأيام تضطر إلى أن تسحبها: [من كان يريد الجهاد في سبيل الله فهناك إسرائيل يتجه عبر أي القنوات] أنت واحد من هذه القنوات، أنت واحد من المسئولين على طول وعرض هذه الأمة، أنت واحد من الزعماء الذي يجب أن يجعل من نفسه قناة تحتوي هذا الغضب؛ لتبني هذه الأمة بناء صحيحاً تجعل منها أمة مؤهلة لتواجه ذلك العدو.

نقول: إذا كنتم صادقين افتحوا مراكز للتدريب، مَوّلونا، مولوا شبابنا، افتحوا مكاتب للتطوع وسيتجه الشباب وسنحرض الشباب، وسنتكلم مع الناس ليتطوعوا وليتدربوا، وسنتجه جميعاً نتطوع ونتدرب، ونتجه جميعاً نقاتل. لكن أما أن يكون الحديث على هذا النحو فإننا لسنا أغبياء إلى هذه الدرجة.

نحن نعرف ـ من قبل أن يتكلم ـ أن قضية فلسطين أصبحت بؤرة يحاولون أن يصبوا سخط الناس هنا أو هنا ليتجه إلى هناك، هناك فرّغ سخطك، هناك فرغ غضبك، اخرج اهتف في الشارع ضد إسرائيل، تضامن مع الشعب الفلسطيني، ثم عد إلى بيتك وترى الوضع نفس الوضع، وترى مواقف الزعماء هي نفس المواقف، وترى أن الثقافة هي الثقافة والإعلام هو الإعلام، وأمريكا هي أمريكا، وإسرائيل هي إسرائيل.

نحن لا نسمح لأنفسنا ونحن قد فهمنا ـ فيما أعتقد ـ كل شيء، نحن استطعنا أن نفهم كل شيء، وهم في نفس الوقت عندما يتحدثون معنا حديث من يرى أنه وحده من يفهم أمريكا وإسرائيل، ويفهم السياسة في هذا العالم، ويفهم الخطورة في هذا العالم، ويفهم كل شيء، أما أنتم يا أبناء الشعب فليس أحد منكم بمستوى أن يفهم؛ لأننا نحن من نسبح دائماً بحمدهم ونقدسهم ونصفق لهم، حتى أصبحوا يرون أنفسهم عظماء إلى درجة أن رأوا في أنفسهم أنه لا يمكن أن يكون هناك أحد من الناس يفهم الواقع كمثلهم.

نقول: نحن من خلال القرآن، من خلال الأحداث استطعنا أن نفهم الواقع الذي أنتم جزء منه، استطعنا أن نفهم خلاف الفهم الذي أنت تفهمه، فَهْمُكم أنتم هو الذي جعلكم ترون أمريكا وإسرائيل عصاً غليظة، أما نحن فإن فهمنا هو فهم القرآن الذي يقول: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) **هل هذه عصا غليظة، أم أن هذه قشة؟!. هذه في الواقع قشة، وليست عصاً غليظة.**

فمن الأولى بالفهم الصحيح؟ من يرى أمريكا عصاً غليظة أم من يراها وفق ما قال عنها وعن أمثالها القرآن الكريم: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} (آل عمران:١١٢)

هذه هي التي ترونها عصاً غليظة، هذه هي التي تجعلكم تضطربون وترتعد فرائصكم أمام مبعوث صغير من أمريكا أو من أي بلد من تلك البلدان التي ترونها كبيرة. إن رؤية القرآن، إن وراء القرآن من نزل القرآن، القوي العزيز، القادر القاهر، هو الذي يريد أن يجعل أولياءه ينظرون إلى أولئك الذين تسمونهم [عصاً غليظة] أنهم ضعفاء {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}(النساء: من الآية٧٦) {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(آل عمران:١٧٥).

نحن من فهمنا من خلال القرآن ـ وهو ما يجب أن يُفهم دائماً بالرجوع إلى القرآن وبالرجوع إلى الأحداث، ونحن أيضاً من نستطيع أن نفهم مصالحنا، ونفهم سلامتنا ـ إنه إذا لم يسلم ديننا فلا سلامة لنا، لا أمن لنا، لا كرامة لنا.

فعندما يتحدثون بأن من يتحدث عن الجهاد هو قد يؤدي إلى خلق إختلالات أمنية! نقول: إن من يسمح للأمريكيين بالدخول إلى اليمن هو من سيعمل على أن يجعل اليمن بؤرة للفساد، ومن سيجعل اليمن مضطرباً، من سيفقد اليمن أمْنه، وإن كان في الواقع لم يتمتع في يوم من الأيام بالأمن بالشكل الذي يريده اليمنيون، من يدخل الأمريكيين، من يسمح للأمريكيين أن يدخلوا هو من سيشكل خطورة على أمن اليمن، أوليس كذلك؟ لأن من التأكيد أن الأمريكيين لن ينتظروا اليمنيين حتى يتحرك أحد اليمنيين ليعمل شيئاً ضدهم، هم من سيفجرون على أنفسهم، هم من سيضربون أنفسهم، هم من سيضربون على سفارتهم، هم من سيضربون على أي منشئة لهم؛ ليقولوا: إنهم أولئك، إنه ذلك الشخص، أنها تلك الجماعة.

وهم من سيدخّلون من يسمونهم إرهابيين إلى اليمن، قد يدخّلون أفراداً من [القاعدة] فيبثونهم في مناطق في اليمن، ثم يقولون: هناك في تلك المنطقة واحد من أفراد القاعدة، هناك في تلك المنطقة واحد من تنظيم طالبان، أولئك هم يحتضنون إرهابيين، هم يساندون إرهابيين، اضربوهم!. لن يبقى لليمن أمن ولا إيمان ولا حكمة، نحن نقول عن اليمن: إنه بلد الحكمة بلد الإيمان (الإيمان يمان والحكمة يمانية) لن تبقى حكمة، ولن يبقى إيمان من بعد أن يدخل الأمريكيون.

وعندما يدخل الأمريكيون في هذه الفترة هو يختلف عن دخولهم إلى أي بلدان أخرى دخلوها قبل عشرات السنين، وأنشئوا فيها قواعد عسكرية، الآن هي المرحلة التي يتوجه فيها أولئك لضرب الإسلام، وضرب الأمة.

دخلوا بلدان وبنوا فيها قواعد عسكرية، وفعلاً انهكوها، وفعلاً أذلوها، وأنهكوا اقتصادها، وأذلوا زعماءها، لكن دخولهم في هذه الفترات لبناء قواعد عسكرية، لإرباك وضعية الأمة.. هو فعلاً سيكون في مرحلة تنفيذ الخطة الأخيرة لضرب الإسلام والمسلمين.

وما أجمل ما قال السيد حسن نصر الله ـ في تحليل هذه المسألة ـ قال: [إن أولئك عندما يتحركون ليس من أجل أموالهم ومصالحهم، فأموالهم ومصالحهم في المنطقة مأمونة وهناك قواعد تحميها، وهناك أنظمة تحميها، وليس من أجل خيرات معينة، هم من تصب خيرات الشعوب العربية في بنوكهم، إنه تحرك ـ قال ـ لضرب الإسلام، إن المستهدف في هذه الفترة هو الإسلام، هو القرآن، وقد نجد أنهم سيلغون هذه الآيات في المنهج أو في الخطب، أو في أي شيء آخر] هكذا تحدث في أول ليلة من ليالي عاشوراء، في هذه المناسبة التي نحن نحتفل بها في هذا اليوم.

من هو الذي يسعى لتحقيق أمن وطنه؟ من ينطلقون لمحاربة أولئك الذين يسعون في الأرض فساداً.. ألم يقل الله عن اليهود والنصارى أنهم يسعون في الأرض فساداً؟ من أين يأتي الفساد؟ من أين يأتي الإرهاب؟ من أين تأتي الجريمة؟. أليس منبعها الفساد الأخلاقي، الفساد الثقافي، الفساد العقائدي، الفساد الاقتصادي؟ يسعون في الأرض فساداً في كل المجالات.

إذا ما انتشر الفساد. ما الذي سيحصل؟ من هو ذلك السياسي الذي يستطيع أن يقول إن انتشار الفساد يؤدي إلى استقرار أمني؟ أليسوا يقولون هم: أن الجريمة تؤدي إلى الإختلالات الأمنية؟ الجريمة تؤدي إلى الإختلالات الأمنية.. من الذي يخلق شاباً، أو يخلق مجتمعاً ينطلق في الجريمة؟.

اقرؤوا أنتم عن الجرائم في أمريكا كم في الدقيقة الواحدة تحدث من جرائم اغتصاب ـ حسب تعبيرهم ـ من جرائم سرقة، من جرائم قتل في الدقيقة الواحدة في أمريكا!. في أمريكا نفسها المحلات التجارية يحتاج أصحابها إلى أن يكون داخلها حرس معهم رشاشات لحراستها ممن قد يسطون عليها.

مجتمع مليء بالجريمة، مليء بالإرهاب، مليء بالفساد، مليء بالنهب، لا تستطيع أن تتحرك في مدينة أمريكية وفي جيبك دولارات، فقط شيكات، أوراقاً من هذه التي ليست أوراقاً نقدية، شيكات فقط، أو سندات، حوالات أو نحوها. أما أن تتحرك ولديك لديك في جيبك دولارات فقد يقتلونك ويأخذون الدولارات من جيبك.. هل هو استقرار أمني؟ أو أنه اختلالات أمنية؟.

إن من يفقد اليمن منه هم اليهود والنصارى عندما يدخلون، هم الأمريكيون، هم أولئك الذين قال الله عنهم أنهم يسعون في الأرض فساداً، أنهم يريدون أن نضل السبيل، هم من سيفقدون كل إنسان أمنه حتى داخل بيته.

أين هي جرائم قتل الأبناء للآباء، وقتل الأبناء للأمهات، وقتل الأخ للأخت، وقتل الأخت للأم؟. أليست في بلدان أوروبا؟. هنا تعيش الأسرة كلهم مع بعضهم يأمنون شر بعضهم بعض، بل كلهم يقفون موقفاً واحداً في مواجهة صعوبات الحياة، وفي العمل في سبيل توفير معيشتهم.. أليس كذلك؟.

إذا ما تمكن الأمريكيون ستنتشر الإعمال الإرهابية في اليمن، تفجيرات هنا وهناك على أيديهم هم، هم من فجر البرج في نيويورك، سيفجرون أمثاله هنا في اليمن، ويفجرون في كل مكان بحجة أنهم اليمنيون، وهم من سيفسدون أخلاقنا، ويفسدون بنينا وبناتنا، فتنطلق الجريمة في كل بيت، في كل قرية، في كل مجتمع، سيكون هناك نهب، يكون هناك جرائم لا أخلاقية، يكون هناك قتل، يكون هناك كل جريمة تتصورها.

مَنْ الذي يريد الأمن؟ مَنْ يعمل على أن يحارب من يسعون في الأرض فساداً.. أم مَنْ يعمل ويكتب الاتفاقيات معهم ويوقع على اتفاقيات أمنية معهم لدخولهم اليمن؛ ليسعون فيه فساداً؟ أم أنهم سيسلكون طريقة أخرى؟ إنها صفة لازمة لهم حكم بها القرآن عليهم.. دخلوا فلسطين سعوا فيها فساداً، يدخلون اليمن سيسعون فيه فساداً، يدخلون أي شعب سيسعون فيه فساداً. وكلمة {فَسَاداً} تعني في كل مجالات الإفساد ليس فقط في مجال معين، في كل مجال من مجالات الإفساد.

فنحن نقول للآخرين: نحن أيضاً نفهم ما هو الذي يحقق الأمن لبلادنا، لا تتصوروا بأنكم وحدكم من يمكن أن تعرفوا الآخرين، ومن يمكن أن تعرفوا مصلحة الشعوب، ومن يمكن أن تعرفوا ما يحقق للشعوب أمنها وتطورها وتقدمها وحضارتها، نحن من وصلنا إلى أن نحكم على أن سياستكم التي تقوم على هذا الأساس من أولها إلى آخرها خطأ، وتؤدي إلى انحطاط الأمة، وتؤدي إلى أن تصل الأمة إلى واقع أسوء مما وقعت فيه.

من أين ذلك؟ نحن طبعاً ليس لدينا أجهزة معلومات ولا استخبارات لكن القرآن الكريم، والأحداث والتي منها الأحداث التاريخية، وهي ما قلت سابقاً: أن الأحداث التاريخية نفسها هي كافية أن تعطي العبرة ناهيك عن الأحداث التي نحن نعاصرها، تلك الأحداث، والقرآن الكريم هي من يجعلنا نفهم مصالحنا ونفهم أمننا، ونفهم أين هي [العصا الغليظة] عصا جهنم وعصا الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة، أم عصا أولئك الذين قال عنهم: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}(آل عمران:١١١)**..**

بل نحن من فهمنا من خلال القرآن الكريم، وما أحوجنا ـ أيها الإخوة ـ أن نرجع إلى القرآن الكريم دائماً، وخاصة في هذه المرحلة، الأمريكيون إذا ما تمكنوا ـ فعلاً ـ من سيحاولون أن يضيِّعوا القرآن، من يحاولون أن يدوسوا القرآن الكريم بأقدامهم، من سيفصلون القرآن، من سيمنعوننا عن تلاوة آيات معينة من القرآن الكريم.

يجب أن نرتبط بالقرآن الكريم من جديد، ونتعلمه ونعلم أبناءنا وبناتنا ونساءنا، ونكثر من تلاوته، ونهدي مصاحفه لبعضنا البعض وأشرطة تلاوته، نتحرك في إطار أن نشد أنفسنا إلى القرآن من جديد، وأن نرسخ قدسيته ومكانته وعظمته في نفوسنا من جديد؛ لأن القرآن،لأن القرآن هو من لو لم يكن من عظمته وفضله إلا أنه يكشف الحقائق أمامنا. لا يمكن لأي كتاب في هذه الدنيا أن يريك الحقائق ماثلة أمامك.

حقيقة منها عندما نرى زعماءنا في مختلف المناطق متى ما جاء مبعوث أمريكي، متى ما سمعوا خطاباً فيه تهديد لرئيس أمريكا، أو لأي مسئول في إسرائيل، أو أي بلد آخر من تلك البلدان.. أليسوا من يظهرون حكماء، ويظهرون لينين، ويظهرون أذلاء، لكنهم متى وقفوا ليتحدثوا أمامنا ويخاطبونا أليسوا من يتحدث بلهجة قوية، وبشدة وبأعين مفتحة، وبأوداج منتفخة، وبالعبارات المُهدِدة؟.. ما الذي يصدق عليهم؟.

إن الله سبحانه وتعالى قال عن نوعية معينة هم من يمكن أن ينتصروا لدينه، هم من يمكن أن يقفوا في مواجهة أعدائه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}(المائدة:٥٤) هؤلاء عندما يتحدثون معنا نراهم أعزةً علينا، نحن قد استضعفنا، قد استذلينا، قد أُهنّا من قبل الآخرين، لم يعد حديثكم بهذه اللهجة يشرفكم أن تتحدثوا به أمامنا، نحن في وضعية، وضعية المريض، وضعية المستضعف المقهور المستذل، وهو الذي يحتاج إلى كلمة رقيقة لينة منكم.

لماذا نراكم تتحدثون معنا بهذه اللهجة القاسية وبالأعين المفتحة وبالعبارات الجزلة، وتستخدمون عبارات هي عبارات الفاتحين، عبارات القادة العظماء في ميادين مواجهة أعداء الله، تستخدمونها معنا، وإذا ما كنتم تتحدثون مع أولئك، أو تواجهون تهديدات صرح بها الرئيس الأمريكي نراكم تتحدثون بلين.

أولئك هم من يحتاجون إلى كلمة قاسية، وليس نحن، هم من يحتاجون منا جميعاً إلى كلمة خشنة، إلى موقف صلب في مواجهة تهديداتهم، وفي مواجهة ما يعملونه.. لماذا أصبحتم عكس هذه الآية؟ لأنه فعلاً يكشف أن واقعكم لستم ممن يحب الله، ولا ممن يحبهم الله، ولستم ممن يمكن أن تعتز بهم هذه الأمة، ولا ممن يمكن أن ينتصر بهم الله سبحانه وتعالى لدينه؛ لأنكم أصبحتم هكذا: أعزةً على شعوبكم، قساةً في منطقكم، تتهجمون عليهم، تقسون عليهم [اضربوا بيدٍ من حديد] تستخدمونها في الخطاب مع شعوبكم.

إن مَنْ هم محتاجون إلى الضرب بيد من حديد، يدنا جميعاً ـ نحن وأنتم ـ هم أولئك الذين يضربون أبناءنا في فلسطين، وفي أفغانستان، وفي مختلف بقاع البلاد الإسلامية، مَن هو المحتاج إلى ضربة اليد الحديدية أمريكا أم هذه الشعوب المستضعفة؟ أمريكا أم نحن الذين لا نمتلك شيئاً؟.

من هو الذي يشكل خطورة على الدين والدنيا، والأمة والبشرية كلها؟ أمريكا وإسرائيل ومن يدور في فلكهم أم هذه الشعوب المغلوبة على أمرها المسكينة؟ من هو الذي يحتاج إلى أن يُضرب بيد من حديد وإلى أن تُرفع فوق رأسه العصا الغليظة؟ إنهم الأمريكيون والإسرائيليون ومن يدورون في فلكهم، وليست هذه الشعوب المستضعفة.

نحن نقول: إن من نعم الله العظيمة علينا هو القرآن الكريم، الذي استطاع أن يكشف الحقائق كلها ماثلة أمامنا حتى أصبحنا نستطيع أن نعرف زعماءنا هل هم مؤهلون لأن يفكوا عن هذه الأمة هذه المعاناة التي تعيشها، أم أنهم جزء من هذا الواقع الذي تعاني منه الأمة، إنه القرآن الكريم الذي يجب أن نعود إليه، وأنك أيضاً أنت في أي شعب كنت من أبناء هذه الأمة إذا كنت من تخاف مثل تلك الخطب المليئة بالتهديد فإنك أيضاً ممن يرى كل شيء غير الله عصاً غليظة، ممن يرى القشات عصاً غليظة.

إن الله لا يريد لعباده أن يكونوا هكذا، يريد لعباده المؤمنين أن يكونوا من هذه النوعية: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} فيما بينهم، رحماء فيما بينهم، {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}(المائدة: من الآية٥٤)، فعندما نسمع خطابات من تلك النوعية التي توجه نحونا بعبارة مهددة تستخدم من أقسى العبارات التي كنا نتمنى أن نسمع مثلها من هؤلاء الزعماء لنقف في صفهم، و نؤيدهم ونصفق لهم لو أطلقوها في مواجهة أمريكا، لو سمعنا مرة واحدة من زعيم من زعمائنا يقول: إنه يجب أن نقف في وجه أمريكا لنضربها بيد من حديد .. أليست هذه كلمة كانت ستجعل الجميع يصفقون معهم؟ لكنها وجهت في غير مكانها، وجهت إلى غير أهلها.

نحن نقول أيضاً: نحن ممن لا يخاف مثل تلك الخطب، فلا اليد الحديدية، ولا العصا الغليظة يمكن أن تخيفنا أبداً. لأن الله سبحانه أوجب علينا أن لا نخاف غيره، أوجب علينا أن لا نخشى سواه، وذكر لنا أن كل من يخشون سواه أنهم ليسوا مؤمنين، ليسوا متقين، ليسوا جديرين بعزة ولا بحرية ولا بكرامة..هم أيضاً يتحدثون عن

الحرية أليس كذلك: نحن يجب أن نحافظ على منجزاتنا ومكتسباتنا وحريتنا وعبارات من هذه، أيّ حرية بقيت للعرب في وضعية كهذه؟ من هو ذلك العربي ـ زعيماً كان أو مواطناً عادياً ـ يستطيع أن يقول أن العرب يتمتعون بذرة من الحرية؟ أي ذرة بقيت من الحرية لأي عربي، زعيمٍ أو مواطنٍ وهو تحت أقدام، والجميع تحت أقدام من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، هل هناك حرية؟

إن الحرية لا تأتي من خلال العبارات، الحرية تتمثل في عبوديتنا لله سبحانه وتعالى، العبودية التي تجعلنا أعزاء على الكافرين وأذلاء على المؤمنين، هناك الحرية،الحرية التي تجعلنا نضرب أمريكا وإسرائيل بيد من حديد، التي تجعلنا ننظر إلى أمريكا وإسرائيل قشة وليس عصاً غليظة.

نحن نقول: أنه يوم كنا نتحدث ويكون في عباراتنا ما هو عبارات قد تبدو قاسية لديهم هم قد يخافون أنها قد تؤدي إلى إضرار بهم مثلاً فواجهوها بعبارات مهددة .. أليست خطاباتنا كلها موجهة ضد أمريكا وإسرائيل ومن يدور في فلكهم وعملائهم؟ هذا هو كلامنا أم أننا نهدد الناس ونهدد الشعوب حتى يقال: بأن أولئك قد يؤدوا إلى إضرار بأمن الوطن، وأن هؤلاء قد تكون أعمالهم اختلالات أمنية. يجب أن يضربوا بيد من حديد!.

الكل في اليمن، الأحزاب، الخطباء، الناس بدءوا يثورون ضد أمريكا وإسرائيل، بدءوا يسخطون، بدءوا يهتفون بالشعارات، بدءوا يتحدثون عن الجهاد.

إن السياسة الحكيمة لزعيم في شعب كهذا هو أن يسير مسيرة شعبه، أن يتوجه هو ليقف نفس الموقف من أمريكا وإسرائيل، حينها أليس من الطبيعي أن يحظى بتأييد الناس؟ أليس من الطبيعي أن يحظى بالولاء؟ أليس من الطبيعي أن يحظى بشعبية واسعة في أوساطهم؟ لو انطلق يقف من أمريكا وإسرائيل المواقف التي نريد أن نقفها نحن والتي أصبح الخطباء يتحدثون بها في مساجدهم، والناس يهتفون بها كل جمعة، وفي كل مناسبة، والصحف تكتب عنها.. أليس ذلك هو الموقف الحكيم؟.

لكن العصا الغليظة هي التي جعلت أعصابهم ترتجف، وجعلت فرائصهم ترتعد، فلا يمكن.. لا يمكن أن يقفوا في يوم من الأيام موقفاً قوياً ما داموا يرون أمريكا عصاً غليظة، عصاً غليظة على من؟ على الشعوب؟ إذا كانت عصاً غليظة على الشعوب فإن من أقل واجباتكم أن تدعوا الشعوب لتواجه تلك العصا الغليظة دعوها تواجه وأنتم اجلسوا.

حزب الله أليس مجموعة من الشعب ـ أم أنه سلطة ـ استطاع هو أن يذيق أمريكا وإسرائيل الأمرين، استطاع أن يجعل الإسرائيليين ترتجف قلوبهم من ذكر [حزب الله]، اسم [حزب الله] أصبحت ترتجف منه أفئدتهم، أصبحت ترتعد منه فرائصهم؟.

دعوا الشعوب تواجه، أما أن تكونوا أنتم من وصل بكم الأمر إلى هذه الحالة من الضعف، إلى هذه الحالة من الوهن، تريدون أن تفرضوا هذه الحالة على الشعوب، و أصبحتم ترون أن كل الناس يرون الآخرين بأعينكم، وينظرون بنظرتكم!، لا، دعوا الشعوب أن تواجه، وكثّر الله خيركم أن تدعوا الناس يواجهون أولئك.

وكنا نقول هذه سابقاً.. كنا نقول نتمنى من هذه الدولة أن تتركنا نحن والوهابيين أول ما دخلوا اليمن، أما عندما نرى أنهم من أفسحوا المجال للوهابيين ليدخلوا، من مكّنوهم من وزارة التربية والتعليم والأوقاف ومن المساجد وغيرها، من مكنوهم ثم متى ما تحدث أحد ضدهم، أو خطب خطيب ضدهم، أو حصلت مشكلة في جامع معهم انطلقوا ليسجنوا الزيدي، ويطلقوا الوهابي.

الوهابي كان يستطيع أن يتصل مباشرة بـ[علي محسن]، والزيدي لا يستطيع أن يتصل بأحد، لا يجيبه أحد حتى المحافظ، حتى إذا ملأوا الشعب من أولئك الناس وجعلونا نقف عاجزين أمامهم؛ إذا بهم يقولون عنهم إرهابيين؛ ليخرج هؤلاء وسنأتي بنوعية أفضل! جاءوا بالأمريكيين، أزالوا الوهابيين وجاءوا بالأمريكيين!.

نحن نقول من جديد كما قلنا سابقاً: دعونا نحن والأمريكيين، دعوا الشعب اليمني هو سيتصرف مع أمريكا، ولن ينالكم سوء، ولن يمسكم سوء، أما أن تفرضوا على الشعب اليمني، ويفرض الآخرون على الشعب في السعودية، ويفرض الآخرون على الشعب في مصر.. وهكذا في كل شعب يفرضون موقفهم وضعفهم ووَهَنَهم على الشعوب فإن

هذه من أعظم الجرائم عند الله سبحانه وتعالى، ومن أعظم الخيانة للشعوب وللدين وللأمة.

من أقل المطالب التي يجب أن تستجيب لها عندما يقول لك الناس: دعنا نحن والآخرين، ولا عليك من هذا، أما أن نراك تقف في صفهم، وتقف معهم، أما أن نرى الجيش ـ الذي يقول دائماً أنه للحفاظ على أمن الوطن وحريته واستقلاله وسلامته ـ نراهم هم من قد يتحولون في يوم من الأيام ـ شاءوا أم أبوا ـ ليتحركوا من أجل الحفاظ على أمن أمريكا، من أجل الحفاظ على أمن اليهود والنصارى.. هل أصبح ذلك الجيش لمصلحة اليمن أم أصبح في الواقع من يحاول أن يحافظ على أمن أمريكا؟.

فعلاً نحن كنا من قبل فترة نطالب.. هناك في المناسبات من يطلقون الرصاص، والرصاص الآن أصبحت تتساقط على رؤوس الناس، قتل فلان وقتلت فلانة، وجرح الكثير، امنعوا هؤلاء.. هل هذا إرهاب؟ أم أنه ليس إرهاباً؛ لأنه ليس داخلاً في إطار التعريف الأمريكي للإرهاب؟. إنه إرهاب لنا اليمنيين نحن في مساجدنا، في مدارسنا، في بيوتنا، في أسواقنا، في مزارعنا، في المناسبات، في الأعراس يطلقون الكثير من الأَعْيِرَة النارية فتتساقط الرصاص، امنعوا هؤلاء، هذا شيء يرعبنا، المتقطعون في الطرقات يرهبوننا، النهابون يرهبوننا، لماذا لم تحاولوا أن تعملوا موقفاً واحداً للحفاظ على أمننا نحن اليمنيين؟ لكنكم قد تتحركون بأطقمكم من أجل الحفاظ على يهودي صحفي يتحرك على طول اليمن وعرضه! لو تحرك واحد من علمائنا هل يمكن أن يحظى بمرافقة جندي واحد؟.

لو سقطت آلاف الرصاص فوق رؤوسنا فقتلت كثيراً من الناس هل سيسمعون صراخ الناس [أوقفوا أولئك الذين يستخدمون الأعيرة النارية في المناسبات].

[في الغدير] هناك من يشيّعون ذلك اليوم بدون أن يطلقوا أعيرة نارية، بعد أن عرف الجميع أن الرصاص تعود من جديد فتتساقط فتجرح هذا وتقتل هذا.. أولئك انطلقوا وأطلقوا آلاف الطلقات، وتساقطت وقتل شخص وجرح نحو أحد عشر شخصاً.. هل تحركوا ليؤمّنوا الناس؟ لا يتحركون أبداً ليؤمنوا الناس، لكنهم سيتحركون ليؤمنوا الأمريكيين.

ومَنْ هو المحتاج إلى الأمن؟ الناس المساكين أم أمريكا التي لديها الأسلحة؟ أمريكا التي تبعد عن اليمن آلاف الأميال؟!.

ما الذي يضرهم هنا؟ ما الذي يعرض مصالحهم للخطر؟ لا شيء.. لكنا نحن من لم نتذوق طعم الأمن في أسفارنا، في أسواقنا من متقطعين، من نهابين، من رصاص تتساقط، وهكذا، ولا تقبل شكاوينا!. نحن نقول أن الأمن هو مسئولية الدولة، ولا يجوز ـ ونحن نفهم أنه لا يجوز ـ لشخص أن يقول: أنه حريص على أمن البلد إذا كان قد سمح للأمريكيين بالدخول إلى اليمن..

إذا كنت حريصاً على مصلحة اليمن، وعلى أمن اليمن، وإذا كان يهمك أمن اليمن، ونرى منطقك صادقاً وصحيحاً فادفع الشر الخطير عن اليمن، ادفع الخطر الجسيم على أمن اليمن، إنه الأمريكيون ودخولهم، إنه إعلان الوقوف معهم في مكافحة ما يسمى الإرهاب.

نحن ـ أيها الإخوة ـ إذا ما سمعنا أي كلمة لأي زعيم من زعمائنا فلنعرضها على الواقع، ولنعرضها على القرآن، وستعرف منطق ذلك الزعيم، لا يجوز أن تكون أنت ممن يؤثر فيك خطاب زعيم من هؤلاء الزعماء إلا إذا كان منطقه وفق القرآن، إذا كان منطقه وفق القرآن حينئذٍ يمكن أن نقول.. ككلمة البشير ـ عندما اجتمع زعماء العالم الإسلامي في الدوحة ـ جاء بكلمة جميلة، جاء بكلمة قوية، نحن نردد هذه الفقرة منها تقريباً في كل المناسبات، وفي كل المحاضرات، يوم قال: [نحن في مواثيق منظمة المؤتمر الإسلامي كنا ألغينا الجهاد، وقلنا نحن سنستخدم كلمة سلام، ونتعايش مع الآخرين، وهم يقولون أنهم يريدون أن تعيش البشرية كلها في ظل أمن وسلام، فلا وجدنا سلاماً ولا أمناً ولا وجدنا مصداقية لمن يرفعون هذه]، ثم قال: [يجب أن نعود من جديد إلى الجهاد لنجاهد في سبيل الله]، وقرأ آيات في الجهاد.

هذا هو المنطق الصحيح لزعيم عربي كهذا، أما من يخوفك من أمريكا، أما أن ينطلق أحد منهم يُخَوِّفك من أمريكا، فارجع إلى القرآن الكريم، ينطلق أحد منهم يريد أن يتحدث معك عن تبرير موقفه، وهو موقف يساعد أمريكا في مكافحة الإرهاب، من منطلق الحفاظ على أمن الوطن ومصلحته وتنميته! فارجع إلى القرآن الكريم، وارجع إلى الدنيا هذه وإلى أحداثها، وإلى البلدان التي دخلتها أمريكا، والشركات الأمريكية والبريطانية، ارجع وستجد الواقع وتجد الصحيح، لتعرف هل هذا الكلام صحيحاً أم لا.

وهكذا يجب أن نعود إلى القرآن الكريم، وأن نعود إلى تاريخنا، وأن يكون إحياؤنا لهذه المناسبات في هذه الوضعية التي الأمة تعيش فيها هو كلام مَنْ يستلهم العبر والدروس ليصحح فهمه، ليصحح نظرته، ليقوي إيمانه، ليعزز من موقفه، لينطلق الجميع انطلاقة واحدة، يخلعون من فوق أبدانهم تلك الأسباب التي أدت بالحسين إلى أن يقتل، الأسباب وتلك الإنحرافات، وتلك النظرات، وذلك الضلال.. ليس فقط من عاشوراء أو من قبل عاشوراء، إنها مسيرة تسير في الناس إلى يومنا هذا.

يجب أن نرفض ذلك، وسنرى كيف سيكون الواقع، وسنرى في الأخير كيف يمكن أن نتحدث عن كربلاء، وعن عاشوراء.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه، وأن يبصرنا، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين الذين قال عنهم: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}(المائدة: من الآية٥٤) {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة: من الآية٢٥٠).

اللهم إنا نسألك أن ترحم سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين، وأن تجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والعن يزيد ومعاوية، وكل من سار على طريقة يزيد، وكل من سار على نهج يزيد، وكل من تعامل مع المسلمين معاملة يزيد، في كل الأزمنة، إلعنهم لعناً وبيلاً.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وصلى الله وسلم على أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، خليفة رسول رب العالمين، أمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب، وعلى أهل بيت رسول الله، ورضي الله عن شيعتهم الأخيار في كل زمان ومكان.

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا جميعاً، أن يتقبل منكم مشاركتكم بهذا الحضور الكبير؛ لنحيي ذكرى حزينة، لنتحدث عن مأساة، مأساة للدين، مأساة للأمة. إنها فعلاً لذكرى حزينة، وكيف لا نحزن والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد قال في حديثٍ أن ذلك الذي يقتل الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) هو أشقى الأمة، جلب الشقاء على هذه الأمة من ذلك الزمان إلى اليوم.

الإمام علي (عليه السلام) بفضله، بمقامه، بسبقه، بكماله، بعنائه الكبير، وجهاده المستمر المرير في سبيل إعلاء كلمة الله، تحت راية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

كيف لا تكون ذكرى حزينة أن نرى ذلك البطل، ذلك العظيم، ذلك العَلَم يسقط شهيداً. هل كان سقوطه ذلك في مواجهة مع أعداء الإسلام فكان السيف الذي قُتِل به من خارج هذه الأمة؟ إنه وللأسف الشديد، والذي يدل على الشقاء الذي وقعت فيه هذه الأمة أن علياً (صلوات الله عليه) يسقط شهيداً في عاصمة دولته، في باب محرابه، في فِنَاءِ مسجده، وسط هذه الأمة، وبسيفٍ محسوب على هذه الأمة، وبمؤامرات من قبل من أصبح فيما بعد خليفة يحكم هذه الأمة، والكل تحت عنوان: إسلام ومسلمين.

إن هذا يدل على ماذا؟ يدل على انحراف عن الخط السوي، عن الصراط المستقيم؛ لأن من المعلوم أن دعوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن رسالته، أن تربيته، أن منهجيته كانت بالشكل الذي تخلق ساحة للعظماء، تخلق أمناً للعظماء، تخلق التفافاً تحت رايات العظماء، لا أن يصير الحال إلى أن نرى أولئك العظماء يتساقطون واحداً تِلوَ الآخر داخل هذه الساحة. فعلي يسقط شهيداً، والحسن بعده يسقط شهيداً، والحسين بعده يسقط شهيداً، وزيد بعده يسقط شهيداً وهكذا واحداً تِلوَ الآخر!.

ما الذي حصل؟ إن لم يكن في هذا ما يدل على أنه وقع انحراف خطير فلا أدري ما هو الشيء الذي يمكن أن يدل بعد هذا.

الذي يتأمل كتاب الله يجده يأمر الأمة، يأمر المسلمين أن يكونوا مع الصادقين، فلماذا أصبح الصادقون يتساقطون واحداً تلو الآخر؟! ولماذا أصبحت تلك الأمة التي خُوطِبَت بأن تكون مع الصادقين تعتدي على هؤلاء، وفي نفس الوقت التفوا مع الكاذبين!. يسقط علي شهيداً وتلتف الأمة بعده ـ رغبة ورهبة ـ تحت راية معاوية، وفي صف معاوية!.

هل كان ذلك وليد تلك اللحظة؟ وليد ذلك الشهر الذي سقط فيه الإمام علي (صلوات الله عليه) شهيداً؟. لا. إنه الانحراف الذي بدأ، والذي يرى البعض بل ربما الكثير يرون في تلك البداية وكأنها بداية لا تشكل أيّة خطورة، لكن شاعراً كـ[الهَبَل] مرهف الحِس، عالي الوَعي، راسخ الإيمان، يمتلك قدرة على استقراء الأحداث، وتسلسل تبعاتها، يقول في كلمة صريحة في بيت صريح:

وكل مُصابٍ نَالَ آل محمدٍ فليس سوى يوم السَّقِيفَة جَالبُه

عندما نرى الإمام علياً (صلوات الله عليه) يسقط شهيداً لا يكفي أن نحزن، لا يكفي أن نبكي، لا يكفي أن نتألم، بل لا بد أن نأخذ العبرة، أن نتساءل: لماذا نرى الصادقين يسقطون شهداء داخل هذه الأمة؟! ولماذا رأينا فيما بعد وعلى امتداد التاريخ الكاذبين الظالمين الطغاة، المحرفين للدين، المنتهكين لحرمات الله هم من يحكمون هذه الأمة؟! وباسم رسالة هذه الأمة [الإسلام]! وباسم نبي هذه الأمة [أمير المؤمنين، خليفة رسول رب العالمين،] وعناوين من هذه؟!.

سنظل نحزن نحن وغيرنا، ونظل نبكي نحن وغيرنا ما لم تكن نظرتنا إلى الأحداث على هذا النحو، وسنظل نشاهد الأحداث المريرة، ونتألم لحادث بعينه، للفترة التي هو فيها، دون أن نأخذ العبر، دون أن نأخذ الدروس، إن هذا يعتبر خللاً كبيراً.

لا يمكن للأمة أن تعرف كيف ترسم طريقها، لا يمكن للأمة أن تعرف كيف تسلك المنهج الذي تمثل في سلوكه الالتفاف مع الصادقين، الإنضواء تحت رايات أعلام الدين، لا بد من استقراء الأحداث، لا بد من معرفة الأسباب، لابد من معرفة الخلفيات.

وهذه قضية ليست جديدة، نحن عندما نربط سقوط الإمام علي (عليه السلام) بحادثة السقيفة على الرغم من قربها فليست قضية مستبعدة، فنحن نسمع اليوم من يقولون عن اليهود: إن الذي جعل اليهود على هذا النحو: يتعاملون مع الأمة بهذه القسوة هو ثقافتهم، تأثر بثقافتهم، تلك الثقافة التي عمرها قرون طويلة قد لا تقل عن ثلاثة آلاف سنة.

فعندما تسمع محللين من هذا النوع يقولون لك: إن تلك الثقافة قبل قرون من الزمن هي التي جعلت اليهود على هذا النحو في نظرتهم للبشرية، في تعاملهم مع الأمم، في انزوائهم على أنفسهم بأرواح شريرة، بقسوة بالغة، بنظرة ملؤها الحقد والكراهية للبشرية، وبالذات للمسلمين إنما ذلك نتيجة انحراف حدث قبل قرون.

لأن ما هم عليه الآن ليس امتداداً لشريعة موسى في أصلها، في جوهرها، في حقيقتها، ولا تطبيقاً لشريعة عيسى بالنسبة للمسيحيين في أصلها، وجوهرها، وحقيقتها، وما تدعو إليه، لا يمكن لدين من أديان الله سبحانه وتعالى أن يكون أثره في أمة من الأمم على هذا النحو الذي نرى عليه اليهود اليوم، على هذا النحو الذي نرى عليه النصارى اليوم.

إذاً فالكل متفقون، بل لقد سمعنا بعض المحللين من قساوسة المسيحيين يقول: إنما جعل المسيحيين على هذا النحو هو تأثر بثقافة يهودية اخترقت صفوف المسيحيين. فقال: [لدينا مسيحيين يهود، وأنتم عندكم ـ قال ـ مسلمين يهود، لكنكم لا تجرءون على أن تقولوا هذا، فكما لدينا مسيحيين يهود أنتم لديكم أيضاً مسلمين يهود].

لأن اليهود اشتغلوا عملوا في الخطين: داخل المسيحيين من قبل، وداخل هذه الأمة وما زالوا يعملون على هذا النحو إلى اليوم.

بهذه الطريقة، وبهذا الأسلوب نحن نجيب على تساؤل، أو نطرح تساؤل: لماذا استشهد علي؟ لماذا قُتل علي (عليه السلام) وعلى هذا النحو: في المسجد، في شهر رمضان، في ليلة القَدْر، بسيف محسوب على المسلمين، رجل محسوب على هذه الأمة، وبمؤامرة شخص حكم فيما بعد هذه الأمة؟!!.

إنه الانحراف السابق، الانحراف الذي أدى إلى ماذا؟ على الرغم من تأكيدات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لأولئك الذين كانوا على يقين من صدقه، كانوا على يقين من نبوته، كانوا على يقين من حرصه على المؤمنين، كانوا على يقين من حرصه على هداية هذه الأمة، وأن لا ترتد هذه الأمة، وأن لا يسيطر الضلال على هذه الأمة.

فلقد قال لهم (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي))، وقال لهم أيضاً وقال للناس جميعاً من بعدهم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض)) والإمام علي (عليه السلام) هو رأس أهل البيت، هو رأس العترة الطاهرة.. هكذا قال لهم (صلوات الله عليه وعلى آله).

لنأتِ إلى حديث واحد هو قوله (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي)) حتى يتجلى لنا أن تلك الإنزلاقة التي يراها البعض لم تشكل خطورة على الإسلام والمسلمين أنها في واقعها كانت على هذا النحو.

نحن متأكدون والمسلمون جميعاً يعرفون أن الإمام عليا (عليه السلام) أُقْصِيَ، أُزِيْحَ، أُبْعِدَ عن المقام الذي اختصه به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وحل محله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

فعندما نرى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي)) فعندما يُقصَى علي على جنب فبالتأكيد أن القرآن أُقصِيَ معه أيضاً؛ لأنه قرين القرآن لا يمكن أن تتصور أن أحداً من الناس بإمكانه أن يُقصيَ علياً جانباً ويبقى القرآن يعمل، ويبقى القرآن حياً، ويبقى هو مطبقاً للقرآن، ويبقى هو على منهجية القرآن، لا يمكن ذلك، لو قلنا ذلك لكنا مكذبين بهذه المقارنة المؤكدة، الصريحة، التي قالها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذا الحديث المتواتر، المعروف عند الجميع: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي)).

وعندما يُقصى علي ففي الواقع أُقصيَ القرآن معه على جنب، أليس هذا انحراف خطير؟. لذا كان طبيعياً بعد ذلك الانحراف أن نرى العظماء، أعلام الدين، الصادقين، يسقطون واحداً تلو الآخر داخل هذه الأمة، ونرى الكاذبين المنحرفين هم من يَلُوا أمر هذه الأمة، هم من يتحكمون في شؤون هذه الأمة، هم مَنْ بعد تحكموا في هذا الدين فقدموه بشكل آخر.

يصبح هذا طبيعياً، أن ترى معاوية يحكم البلاد الإسلامية، بعد أن رأيت أمير المؤمنين قرين القرآن سقط شهيداً في محرابه؛ لأنه: لولا أبو بكر لما كان عمر، لولا عمر لما كان عثمان، لولا عثمان لما كان معاوية، هذا شيء مؤكد لا شك فيه.

ماذا يفيدنا هذا بالنسبة لنا؟ بالنسبة لنا؟ بالنسبة لنا سنرجع إلى نفس الحديث: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي)) وسنظل مع علي أينما كان، نظل مع منهجية علي أينما كان حتى وإن كان قد أُقصيَ، نحن لا نلتفت إلى الكراسي، إلى العروش، إلى القصور، فمن وجدناه في سُدَّة الحكم قلنا: ذلك أمير المؤمنين، من وجدناه في قصر الخلافة قلنا: ذلك خليفة رسول رب العالمين. لا.

أمير المؤمنين، خليفة رسول رب العالمين، قرين القرآن هو ذلك الرجل، الإمام علي (عليه السلام) يوم أُقصِي، ويوم عاش سنين طويلة يعيش مرارة الألم وهو يرى هذه الأمة يبدأ الانحراف يأكل قِيَمها، يأكل عظمة مبادئها، ثم في الأخير نراه يسقط شهيداً في محراب عبادته.

لنقول لأنفسنا مهما طَبّل الآخرون فقالوا أولئك: [الصّديق، الفاروق، ذي النورين، كاتب الوحي] عناوين من هذه، ألقاب ضخمة من هذه، لا نغتر بها أبداً؛ لأن كل هؤلاء [صديقهم، فاروقهم، أنوارهم، وكاتب الوحي] - كما يقولون - نحن لا نشك جميعاً أنهم كلهم أقصوا علياً، وأنهم سمعوا جميعاً أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي)) ((علي مع الحق، والحق مع علي)) ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) ((لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)).

أحاديث كثيرة من هذا القبيل سمعوها، وعلموها، وسمعناها نحن من بعدهم، وسمعها أيضاً أشياعهم من بعدهم، أولئك الذين قدموهم من بعد [السلف الصالح] أطلقوا على أولئك هذا اللقب الكبير: [السلف الصالح] [تتمسك بسيرة السلف الصالح] [بمنهجية السلف الصالح]!.

لقد رسم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) القدوة لنا، والعَلَم لنا، والسلف الصالح لنا في هذه الأحاديث التي يعرفها الناس جميعا، يعرفها علماء المسلمين، يعرفها المحدثون، يعرفها الكثير من المثقفين، ولربما يسمعها الكثير أيضاً من عامة الناس في كل زمان ومكان.

إذاً سنرجع إلى علي باعتباره قرين القرآن، ولا يمكن بحال أن نتأثر بتلك الضجة الإعلامية، وبذلك الإرهاب الثقافي الذي يفرضه الآخرون؛ لأننا نجدهم هم، ونجد أنفسنا أيضاً لو استجبنا لهم سنصطدم بمثل هذه الأحاديث، سنصطدم بالقرآن، نصطدم بالرسول، نصطدم بالواقع أيضاً، نصطدم بالواقع.

فعندما نرى عليا (صلوات الله عليه)، نرى فيه المنهجية التي سار عليها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، نرى فيه القرآن الناطق كما قال هو عن نفسه.

إذاً فلنستنطق علياً فيما يتعلق بقضايانا، الأحداث التي مر بها علي، المواقف التي سار عليها علي، التوجيهات التي أطلقها الإمام علي، فيما يتعلق بتصحيح عقائدنا، فيما يتعلق بترسيخ إيماننا، ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية التي جاء بها كتابنا، ورسولنا (صلوات الله عليه وعلى آله).

ففي موضوع الشهادة مثلاً، موضوع الشهادة، لقد كان الإمام علي على علم عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يوم أن أخبره بأن لحيته سَتُخْضَب من دم رأسه.

هذا الخبر لو يأتي لشخص منا ـ ربما ـ قد يكون مزعجاً، لو يأتي هذا الخبر لشخص منا قد ينظر إلى ما حوله، ينظر إلى أسرته، إلى أولاده، إلى ممتلكاته إلى مظاهر الحياة من حوله فيبدو متأسفاً ويودع نفسه حيناً بعد حين وينتظر متى يخضب دم رأسه لحيته، لكن عليا كان يهمه شيء واحد.

كيف أجاب على الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. قال: ((يا رسول الله أَفِيْ سلامة من ديني؟)) أفي سلامة من ديني يحصل هذا؟ ((قال: نعم. قال: إذاً لا أبالي)) مادام أن ديني سليماً.

الإمام علي عندما يقول بهذه العبارة يعطينا إشارة مهمة جداً، وكأنه يلحظ من خلال ما يسمع من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه سيحصل ضلال، يحصل انحراف، تحصل فتن. يهم أي إنسان حريص على سلامة نفسه أن يبحث عن سلامة دينه، وأن يحرص على سلامة دينه.

لو كانت الأمور عند الإمام علي (عليه السلام)، في رؤيته ـ يوم قال له الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذا الكلام ـ هو أن هذه الرسالة ستمشي بشكل طبيعي، وسيكون الناس كلهم هكذا بشكل صحيح يسيرون جيلاً بعد جيل لما سأل الرسول: ((أفي سلامة من ديني؟)).

ناهيك عما إذا كان قد قال له: أن الذي سيقتله هو أشقى هذه الأمة، أي من هذه الأمة، وهو من يجلب الشقاء على هذه الأمة، وشبَّهه بعاقر ناقة ثمود الذي جلب الشقاء على تلك الأمة فجعلها تستحق عذاباً شديداً من الله، استأصل تلك الأمة بأكملها.

((أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟)) ما أحوجنا إلى هذه المشاعر!.

تجد الإمام علياً تأكد أيضاً بأنه فعلاً كان قريناً للقرآن، وما يزال قريناً للقرآن، أن هذا هو منطق القرآن نفسه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢) أليس هذا توجيه يحث كل إنسان منا على أن يكون حريصاً على أن يسلم له دينه؟ وأن يكون كل ما يهمه هو أن يسلم له دينه، على الرغم من كل ما يواجهه، على الرغم من أي شيء يمكن أن يواجهه حتى وإن كان خبراً مؤكداً على نحو ما جاء لعلي (صلوات الله عليه): ((ستخضب هذه من هذا)) وأشار إلى لحيته ورأسه؟.

ومن خلال هذا نعرف موقعنا نحن من القرآن ومن قرين القرآن، عندما نجد الكثير منا، الغالبية العظمى منا يضحي بدينه من أجل احتمال أن تسلم له دنياه، إحتمال أن تسلم له قدماه ناهيك عن رأسه، أو لاحتمال أن لا يبيت ليلة في سجن من السجون، لاحتمال أن لا يضحي بمبلغ من المال في سبيل إعلاء كلمة ربه، أليس كثير من الناس على هذا النحو؟.

كأننا نقول للقرآن نفسه عندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) أفي سلامة من دنيانا يا قرآن الله؟!. عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) تمام، لكن هل في سلامة من دنيانا ورؤوسنا وأقدامنا وأيدينا يا كتاب الله؟!.

إن كل إنسان يتولى عليا، إن كل إنسان مصدق برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وبكتاب الله يجب أن تكون مشاعره على هذا النحو الذي كان يسيطر على مشاعر علي (عليه السلام): ((أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟. قال: نعم: إذاً لا أبالي)).

ولقد كان يقول: ((والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت عليّ)) إن كل شيء يهمه هو أن يكون هناك السلامة لدينه، فلتخضب دماء رأسه لحيته، وليتقطع إرباً، وليكن ما كان ما دام دينه سالماً له.

وهذه هي الرؤية الصحيحة، هذه هي السلامة لمن يبحث عن السلامة، الإنسان لا يمكن أن يسلم إذا لم يسلم له دينه، لا في دنياه ولا في آخرته، ما الذي جعلنا نُظلم؟ ما الذي جعلنا نُقهر ونحن ملايين؟ نمتلك الإمكانيات الكبيرة، نمتلك الجيوش، نمتلك الثروات الضخمة والهائلة في باطن الأرض وظاهرها، نمتلك رقعة استراتيجية مهمة؟ لأن ديننا لم يسلم لنا، فوجدنا أنفسنا لم نسلم من الذل، لم نسلم من القهر، لم نسلم من النهب.

أصبحت هذه الأمة ذليلة، أصبحت مستضعفة، أصبحت مقهورة؛ لأنها لم تفكر تفكير قرين القرآن ((أفي سلامة من ديني؟))، وحينها عندما تنطلق لتبحث عن السلامة لنفسك وأنت لا تفكر في أن يسلم لك دينك فلن تسلم نفسك، لن يسلم عِرضك، لن تسلم كرامتك، وفي الأخير لن تسلم أنت في الآخرة يوم تلقى الله، لن تسلم سوء الحساب، لن تسلم نار جهنم.

إنها الرؤية الحكيمة، ليست رؤية ذلك الذي يفكر في ممتلكاته البسيطة، يفكر في نفسه هو فيرى نفسه أغلى من الدين بكله، يرى نفسه أغلى من نفس الرسول، أغلى من نفس علي، أغلى من نفس الحسن، أغلى من نفس الحسين.

متى يمكن أن يكون لإنسان يفكر هكذا تفكير قيمة عند الله؟ متى يمكن أن يُمنح إنسان على هذا النحو عزة من الله؟ لا، إنه بهذا التفكير يُعتبر تجسيداً صادقاً لمن يَعْشُ عن ذكر الرحمن {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف:٣٦).

كم هو الفارق بين أن تكون في الاتجاه الذي يمنحك الله فيه العزة، يمنحك الله فيه القوة، التأييد، يمنحك الله فيه سلامة آخرتك وإن لم تسلم دنياك؟ كم هو الفارق بين واقع شخص على هذا النحو وبين شخص يُقَيِّض له الله شيطاناً يصبح قريناً له {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} (الزخرف:٣٧) **وواقع إنسان يُسلط الله عليه شرار عباده، يسلط الله عليه من يسومه سوء العذاب في دنياه، وفي يوم القيامة سوء الحساب، وسوء العذاب في نار جهنم؟ نعوذ بالله من نار جهنم.**

إن عليا (صلوات الله عليه) ـ وإن وجدناه [سَقَطَ] بل نقول صعد إلى ربه شهيداً ـ إنه ما يزال حياً كما أن هذا القرآن الذي قرنه به الرسول حياً، حياً فيما يعطيه من هدى، من نور، من دروس، من عظة، من عبر، حياً فيما يعطيه الأحرار، فيما يعطيه المجاهدين، فيما يعطيه الصادقين من دروس تجعلهم يذوبون في هذا الدين.

أنت عندما تنظر إلى نفسك، أنا عندما أنظر إلى نفسي، وأنظر أيضاً إلى علي (صلوات الله عليه) فأكون حريصاً على سلامة نفسي وإن كان ثمن ذلك أن ألقي بعلي، وبدين علي، وبمنهج علي، وبتوجيهات علي عرض الحائط، هذا يعتبر من أسوء الانحطاط الذي يمر به الإنسان.

هل يمكن أن أرى نفسي، أو أي واحد منا يرى نفسه أغلى من نفس علي (صلوات الله عليه)؟؟. هل يمكن لأحدٍ منا أن يرى نفسه، أن يرى دمه أغلى من دم علي (صلوات الله عليه)؟. لا يمكن لأحدٍ أن يقول لنفسه هكذا وإن كان واقع الكثير منا هكذا.

فعلي (صلوات الله عليه) عندما وجدناه كان يستقبل ذلك الحدث الذي يتوقعه: أن يخضب دم رأسه لحيته ويسقط شهيداً، لم يكن منزعجاً من ذلك، كان الذي يزعجه هو ما يرى الأمة فيه وهي تسير باتجاه ذات الشمال، وهي تبتعد حيناً بعد حين، ومسافات طويلة تبتعد عن كتاب الله، وعن منهج رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله).

كان يتألم عندما يرى أن تلك الجهود التي بذلها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وبذلها هو تحت لوائه، في مكة، وفي المدينة، في معارك الإسلام، كلها ضاعت هباء، وصارت هباء منثوراً تحت أقدام، وعلى أيدي من لم يكونوا يجرؤون في يوم من الأيام أن ينزلوا إلى ساحات الوغى لمواجهة أعداء الله.

لقد كان الإمام علي (صلوات الله عليه) يخوض غمار الموت، ويقتحم الصفوف، في بدر، في أحد، في كل معارك الإسلام، بينما كان أولئك يجلسون جانباً، وَلَيْتَهم جلسوا جانباً من بعد ممات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لا. كانوا في أثناء احتدام مواجهة الكفر يجلسون جانباً، وعندما نزل (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى قبره،

بل من قبل وهو ما يزال على فراش الموت بدأوا يتحركون وينزلون إلى ساحة هذه الأمة؛ لينحرفوا بها عن نهج محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي من أجله كان يقتحم ساحات الوغى، يقتحم الصفوف، وهو يواجه المشركين ويواجه الرومان، ويواجه اليهود، ويواجه كل أصناف أعداء الإسلام، برزوا بعد!.

هناك عبارة قالها أحد العلماء بالنسبة لعلي (صلوات الله عليه): [لو كانت الأمور تُقاس بمقاييس الدنيا لما رأينا أحداً يُعدُّ مظلوماً أكثر مما حصل على علي من الظلم] يجاهد، يعاني، يتعب في سبيل دين هو يعلم أنه دين عظيم، وفي خير هذه الأمة، وفي مصلحة هذه الأمة، وفي عزة هذه الأمة، ثم يرى أيادي تعبث بهذا الدين.

يتجه إلى تلك الأمة نفسها التي من أجلها جاهد، من أجلها عانى، من أجل عزتها تعب، يحاول أن يحركها قبل أن يَعْظُم الخَطْب، في مرحلة كان يمكن أن يتلافى فيها ما حصل لم يحصل له استجابة، حرّك الزهراء (صلوات الله عليها)، حرك الجانب العاطفي، ماذا عمل أولئك عندما خطبت فيهم الزهراء؟ بكوا وقالوا: إن خطوتها ما تَخْرُم خطوة رسول الله، تذكروا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في خطوة فاطمة، وخطى فاطمة، ومنطق فاطمة، ولم يتذكروا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فيما ذكرتهم به فاطمة!.

بكوا لغياب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ولم يبكوا لغياب دينه، لم يبكوا لغياب الدين الذي كان الرسول مستعداً من أجله أن يُقتل، وواجه المخاطر الشديدة من أجل هذا الدين.

فكيف لا يتألم الإمام علي (عليه السلام)، وكيف لا يرى نفسه مظلوماً وهو يرى الأمور تسير على هذا النحو الذي يضيع كل الجهود التي بذلها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكل الجهود التي بذلها هو وبذلها عظماء آخرون من خيار صحابة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

وعندما نرجع إلى علي (صلوات الله عليه) نراه ـ كما أسلفنا ـ يُلْهِمُ من خلال ما قدّم، من خلال ما تكلم، يُلْهِم الناس كيف تكون المواقف الصحيحة، كيف تكون التوجهات التي فيها نجاة الناس. عندما نرجع إلى فضائل الإمام علي (صلوات الله عليه) نجد أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يثني عليه كثيراً.

يجب أن نفهم من كل هذا، من كل ما قدمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، من فضائل لعلي، من كل ما ذكره من فضائل لعلي، من كل ما وجدناه من مواقف عظيمة لعلي أن تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وتفكير علي، وما يريده النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وما يريده الإمام علي هو أن نأخذ من ذلك العبرة، نأخذ من ذلك الوعي، نأخذ من ذلك ما يجعلنا مستبصرين في كل شؤون الحياة، في كل المواقف التي يطلب منا أن نقفها في هذه الحياة، أن نعرف المقاييس الصحيحة التي من خلالها نستطيع أن نقيّم الأشخاص والمواقف والاتجاهات في هذه الحياة؛ لهذا قال عنه (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع الحق، والحق مع علي)).

ونحن شيعة علي يجب أن نرجع إلى دراسة تاريخ علي، إلى دراسة سيرة علي (صلوات الله عليه)؛ لنعرف كيف نقتدي به؟ كيف نسير على خطاه؟ كيف نتمسك بنهجه؟ كيف نسلك السبيل الذي سلكه؟ كيف ننظر إلى الأمور كنظرته؛ لأنه بالتأكيد قرين القرآن.

ثم نأتِي إلى موضوع آخر هو: كيف كان استقبال علي (صلوات الله عليه) للشهادة؟.

قد تحدثنا عن ما الذي أوصل الإمام علياً (صلوات الله عليه) إلى أن نراه يخرُّ صريعاً في وسط أمة مسلمة، وداخل بيت من بيوت الله، كيف كان استقباله للشهادة هو؟ لنعرف أن الإمام علياً (صلوات الله عليه) كان يرى أن مقام الشهادة مقام عظيم، وأنها أمْنِيّة كان يطلبها، أنها أمنية كان يسأل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عنها هل سيحصل عليها؟، ومتى سيحصل عليها؟.

استقبلها الإمام علي (عليه السلام) استقبال من يعرف كرامة الشهيد، عظمة الشهيد. فعندما خرّ صريعاً بعد تلك الضربة قال (صلوات الله عليه): ((فُزْتُ ورب الكعبة)).

بينما نرى التاريخ يحكي عن أشخاص آخرين ممن سبقوه أن أحدهم تمنى عند احتضاره أنه كان بَعَرَات لخروف تتساقط هنا وهناك، لكن علياً (صلوات الله عليه) قال: ((فزت ورب الكعبة))؛ لأنه على يقين من سلامة دينه، على يقين من صحة موقفه، على يقين من صحة نهجه، على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد منح الشهداء،

وأعطى الشهداء الكرامة التي تجعل مثله ـ على الرغم من عباداتـه الكـثيرة ـ يـصرخ بهـذه الكلمـة العظيمـة مقسماً: ((فزت ورب الكعبة)).

ما أحوجنا ـ أيها الإخوة ـ إلى أن نستلهم من علي (صلوات الله عليـه) الـصبر علـى الحـق، الـصمود في مواجهـة الباطل، استقبال العناء والشدائد بصدور رَحْبَة، بعزائم قوية، بإرادات لا تُقهر، برؤية واضحة، ببصيرة عاليـة فنكون ممن يحمل شعور علي حتى في لحظـة الاستـشهاد، في لحظـة اغتيالـه يـرى نفـسه مـسروراً ((فـزت ورب الكعبة)).

لماذا سماه فوزاً؟. وهل يمكن للكثير منا.. الذي يرى نفسه فـائزاً أنـه لم يُقْحِـم نفـسه ـ كمـا يقـول الكـثير ـ في مشكلة، أنه لم يدخل في عمل ربما يؤدي إلى مشكلة، أنه يبتعد مسافات عن أن يحصل عليه أبسط ما يحتمل مـن ضر في ماله أو في نفسه، هل يمكن لأحد ممن يفكر هذا التفكير أن يقول عندما يحتضر، عندما تأتيـه ملائكـة الموت: ((فُزتُ ورب الكعبة))؟؟. لا والله، بل ربما يصرخ مُتَأَوِّهاً، بل ربما يَبْهَرَه الموت ـ كما قال الإمام علي (صلوات الله عليه) وهو يوصي ابنه الحـسن ويحـذره مـن أن يكـون علـى طريقـة سيئة عنـدما يفاجئـه المـوت ـ قـال: ((فَيَبْهَرَك)). نعوذ بالله من بَهْرَة الموت.

متى تكون بَهْرَة الموت؟ عندما تكون أنت من لم تحرص على سلامة دينك، من لم تُضَحِّ من أجل دينك، من لا تعتبر السقوط شهيداً في سبيل الله من أجل سلامة دينك فوزاً، سيبهرك الموت، وسـيبهرك الحـشر، وسـتبهرك زبانيـة جهنم.. هذا شيء لا شك فيه.

الإمام علي عندما يقول: ((فزت ورب الكعبة))؛ لأنه سار على منهجية هي منهجية يفوز من سار عليها.

عاش مجاهداً في سبيل الله، عاش أميناً، عاش صادقاً، عاش ناصحاً، عاش حراً، عاش ينطق بالحق.. ولـولا علـي، لولا كلمة علي، لولا مواقف علي لما وصل الدين إلينا بنقاوته، لما وصل الدين إلينا بصفائه من داخل ظلمات ذلك الانحراف الذي أوصل معاوية ـ وهو اللعين ابن اللعين ـ إلى سُدَّةِ الحكم، إلى أن يتحكم على رقاب هذه الأمة.

الإمام علي (صلوات الله عليه) بعد أن عاش مجاهداً، عاش على هذا النحو الذي أصبح فيـه فعـلاً ـ وهـذه نقطـة مهمة يجب أن تتفهمها ـ شاهداً لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه في علي (صـلوات الله عليـه) نـزل قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} (هود: من الآية١٧).

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتحرك على بينة من ربه، وعلي (صلوات الله عليه) كـان هـو الـشاهد لرسول الله، هو الشاهد من نفس رسول الله؛ لذا قال عنه (صلوات الله عليه وعلى آله) في مقام آخر: ((أنت مـني وأنا منك)) ((علي مني وأنا من علي))، وجاء القرآن الكريم ليؤكد ذلك: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} (آل عمران: من الآيـة٦١) فجاء بنفسه ونفس علي بعبارة واحدة {أنفسنا}.

{وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} هل الشهادة هذه هي فقط تقتصر بأنه: فعلا والله صح؛ لما رأيناه من هـذه المعجـزة أو تلـك المعجزة أنك نبي صادق؟! هذه شهد بها حتى المشركون في قرارات أنفسهم {فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام: من الآية٣٣).

ما هي شهادة علي للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

إنها شهادة على مدى سنين، شهادة أداها في مواقفه، شهادة أدّاها في حياته كلها، أنت تـريد أن تعرف عظمـة هـذا الإسلام، إذا كان هناك أي نظرية ـ كما يقولون ـ لا يمكن أن تعرف عظمتها إلا عندما ترى ما تصنعه، مـا تقدمـه من أثرٍ، ترى نماذج ممن يحملون أفكار تلك النظرية، ثقافة تلك النظرية، توجُّهـات تلـك النظريـة، فتراهـم كيف هم، هنا تحكم على تلك النظرية عندما كانوا يجسدونها بنسبة مائة في المائة.

لقد عَدّ كثير من الكُتّاب ومن العلماء قالوا عن علي (صلوات الله عليه) أنه كان معجزة للرسول من هذا الاتجاه.
ما يُدرينا أن هذا الدين عظيم في واقعه؟ هو دين يخاطبنا، دين يتحدث مع نفوسنا، مع وُجداننا، دين له رؤيته في نموذج للإنسان يريد أن يقدمه، كيف ذلك النموذج الذي سيقدمه الإسلام فعلاً لمن يسير عليه؟ ارجع إلى علي وستعرف ذلك النموذج، الذي لم يبهر فقط المسلمين، بل بهر أيضاً المسيحيين فكتب عنه كُتّاب مسيحيون أُعجِبوا بعظمته، أُعجبوا بمصداقيته، اعتبروه عبقرياً، عظيماً، اعتبروه مثلا أعلى حتى من غير المسلمين.
عندما ترجع إلى علي (صلوات الله عليه) في رؤيته، في مواقفه، في ممارساته، في سلوكياته تجده فعلاً نموذجاً للشخصية العظيمة التي يمكن أن يصنعها هذا الدين الذي جاء به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، فهو شاهد لهذا الدين: أنه دين كامل، من إله كامل، اصطفى لتبليغه رسولاً كاملاً، هو الله سبحانه وتعالى الذي قال:
{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً} (المائدة: من الآية٣).
دين كامل، رسول الله، الله اصطفاه وأكمله، هو من قدم هذا الدين كرسول له. نريد أن نرى في الساحة نموذجاً صادقاً يشهد لعظمة هذا الدين؟ ارجع إلى علي {ويتلوه شاهد منه} في مواقف علي عندما ترجع إليها تجد عظمة الإسلام، تجد أخلاق الإسلام متجسدة، وهذه لها أثرها في النفوس، كل شيء سيبقى نظرية، كل شيء سيبقى خاضعاً للاحتمالات إذا لم يكن هناك على صعيد الواقع ما يشهد لصحته، {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت: من الآية٥٣).
كما تأتي الشواهد في الأحداث، في المتغيرات تشهد لهذا الدين، وهو حق لا شك فيه لكن كمنهجية تربوية لهذا الإنسان، لينطلق إلى أعماق مشاعر هذا الإنسان، ويفرض عظمته على هذا الإنسان من خلال الأحداث، من خلال الآيات، من خلال ما يُقدمه من نماذج، فعلى مستوى الإنسان ارجع إلى علي (صلوات الله عليه) إنه شاهد على أنه حق، {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:٥٣) **وكفى به شهيداً.**
ولكن من أجلنا نحن بني البشر الذين قال عنهم: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} (الكهف: من الآية٥٤) **{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}** (عبس:١٧) **إلى آخر ما وصل به هذا الإنسان عندما يتجه إلى العناد؛ فمن أجل رحمة الله به، من أجل لطف الله به، من أجل رأفة الله به يُقَدِّم له الشواهد في مختلف المجالات على عظمة ما قدمه له من منهج، على عظمة هذا الدين الذي أكمله له، وأتم به النعمة عليه به، ورضيه ديناً يدين به أمام مولاه سبحانه وتعالى.**
عندما تأتي إلى رؤية علي (صلوات الله عليه) تجد فيه شاهداً، رؤيته للحياة، رؤيته للإنسان؛ لذا جمع في نهج البلاغة ما قال عنه الكثير: [بأن عليا (صلوات الله عليه) برز عالماً فيلسوفاً بل قدوة في كل هذه الاتجاهات فبرز كعالم اجتماع، عالم اقتصاد، عالم نفس، مرشد، معلم في كل الاتجاهات، برز ذلك الشخص عظيماً يقدم رؤية حقيقية وواقعية للحياة].
حتى وهو يتحرك في مواجهة أعدائه، وهو يتحرك مع من ينضوون تحت لوائه كان يحذرهم، كان ينذرهم، كان يعطيهم رؤى، كان يذكرهم بأشياء عرفوا من بعد صحتها، عرفوا صحتها بل مر الكثير منهم بها وعايشوها، كان يقول لأهل العراق: ((والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)) في هذه العبارة تجد رؤية حقيقية، رؤية واقعية، رؤية صحيحة لدى الإمام علي (عليه السلام) في النتائج، في المسببات، ما خلفياتها؟ ما أسبابها؟.
عندما تجد الناس، وتعيش مع الناس، وتسأل ذا وذاك وتنظر إلى ما يمكن أن يقوله هذا الإنسان أو ذاك - وهو يسمع ويرى ما يعمله أعداء الله - ما هو الكلام الذي يقوله أي واحد منا؟ [لعنة الله عليهم، مجرمين، الله يكفينا شرهم].

عندنا تفكير أنه: فقط يُهَيمن الباطل، يسود الضلال، ينتشر الفساد، يضيع الحق من جانب واحد هو جانب أولئك، هذه النظرة نفسها التي توجد لدى شعوبنا، ولدى زعماء هذه الأمة.. لاحظوا كيف هم يتجهون إلى محاولة أن يتداركوا أولئك ولو بتوليهم، والبحث عن السلام من عندهم وبأي طريقة ترضيهم، يتصوروا أن المنفذ من هناك فقط، ولا يتجهوا إلى جانب آخر إلى هذه الأمة لبنائها، يفكرون هذا التفكير الذي يفكر فيه الكثير الكثير من الناس، جانب واحد فلنتفادى ذلك الجانب، أسالم ذلك الجانب، أعطيه ما يريد؛ من أجل أن لا يسود ما يسود، لا يهيمن، لا يحصل ما يحصل من شر.

إن الفساد ينتشر، إن الحق يضيع، إن الباطل يحكم ليس فقط بجهود أهل الباطل وحدهم بل بقعود أهل الحق. وأعتقد أن هذا نفسه قد يمثل نسبة سبعين في المائة من النتائج السيئة.

بدليل أننا نرى: أن الله سبحانه وتعالى لم ينظر حتى إلينا بمنظار خمسين في المائة وخمسين في المائة من جانب الأشرار فنكون أمامه على صعيد واحد، بل نراه يسلط أولئك على هؤلاء، ماذا يعني ذلك؟ أن التقصير من جانب أهل الحق، من جانب هذه الأمة، من جانب من هم في واقعهم يمثلون جنود الله أن التقصير من جانبهم هو عامل مهم، وهو العامل الأكبر في سيادة الباطل، في استحكام الضلال، في انتشار الباطل، في ضياع الحق.

من يفكر هذا التفكير هو علي في هذه الكلمة عندما قال لأهل العراق: ((لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)).

لو لم نخرج من هذا الاجتماع إلا بأن نحمل هذه الرؤية لكان مكسباً كبيراً، أن نعرف من علي في هذه الليلة ولو هذه الرؤية: أننا نمثل في قعودنا، في سكوتنا، في صمتنا، في إهمالنا، في حالة اللامبالاة التي نعيشها نمثل سبعين في المائة من عوامل سيادة الباطل وضياع الحق، من عوامل ظلمنا وقهرنا وإذلالنا لأنفسنا نحن.

ولهذا وجدنا الله يُسلط الكافرين على المسلمين متى ما كانوا على هذا النحو: ((لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يُستجاب لهم)) ماذا يعني هذا؟. ليش ما تُسلط علينا وعليهم مع بعض؟. ليست القضية على نسبة خمسين في المائة من عندك وخمسين في المائة من عند أولئك، أنت من جانبك تمثل..؛ لأنك عندما قعدت.. الباطل العدو هو بطبيعته سيزهق.

لكنك عندما تتحرك، عندما تسير على نهج الله، عندما تثق بالله فالله سبحانه وتعالى هو سيتحرك - إن صحت هذه العبارة - سيقف هو في وجه أولئك الأعداء، والحق بطبيعته إذا ما وجد أمة تحمله، تثق بربها فإن الباطل زَهُوقٌ بطبيعته {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الإسراء:٨١)، بل قال بصريح العبارة: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} (الفتح:٢٢).

ويقول عن أهل الكتاب هؤلاء الذين يتسابق الزعماء على استرضائهم، يتسابق الزعماء على توليهم، يتسابق الزعماء على الدخول في اتفاقيات أمنية من أجلهم، يقول عنهم: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١)

فأمة تُضيّع كتابها، تضيع ما يمكن أن يعطيه الله من عونٍ وإمداد لها، تضيّع الحق الذي هو بطبيعته أقوى من الباطل، أقوى في منطقه، أقوى فيما يُقدمه، فيما يخلقه من روحية، فيما يخلقه من معنويات عندما تضيعه بالطبع تكون جريمتها أكبر.

الإمام علي حذر أهل العراق قال لهم - إن ما هم عليه من تَقَاعُسٍ، من حالة اللامبالاة، من حالة فيهم هكذا لا ينطلقون، لا يبادرون، لا يتحركون بالشكل المطلوب حذرهم - : ((والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم)) ما معنى يُدَالَ: أن تكون لهم الدولة عليكم، أن يكون لمعاوية ولأهل الشام الدولة عليكم فيحكمونكم، يقهرونكم، يذلونكم، يضطهدونكم، يستضعفونكم، يقتلوا ويشردوا ويدمروا؛ ((لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم))، لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم. ألم يُقدم العامل على أنه عامل مشترك في سيادة الباطل، في استحكام الشر؟.

هذه النظرة من الذي يحملها؟ من هم أولئك من هذه الأمة الذين تسيطر على مشاعرهم هذه الفكرة؟ يجب أن نكون هكذا، وهذا هو الذي يخلق دافعاً لدى الإنسان، يستشعر مسؤوليته، يعرف سوء موقفه وهو يقعد، وهو يصمت، وهو يتقاعس، وهو يتخاذل، ويتثبط، سيعرف سوء موقفه.

إذا لم تكن تنظر إلا إلى جانب واحد ستتقدم نفسك وكأنك ترى أنه ليس من عندك أي خلل، بل في الأخير ستكون أنت من يلوم الله لماذا لا يكف عنك أولئك، وأنت في الأخير من ستنطلق لتقول لله: [اللهم أنت دمر أولئك اما احنا ما لنا دخل، اللهم دمر أولئك، اللهم أهلك أولئك، اللهم افرَغ فينا من أولئك] ومتى ما حصل تسليط لك نلوم الله لماذا سلط علينا؟.، لماذا أصبحنا هكذا؟! وهو قال في كتابه الكريم: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (النساء: من الآية١٤١) لماذا حصل لهم سبيل؟. نحن من جعلنا لله سلطاناً: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً} (النساء: من الآية١٤٤) هكذا قال لأولئك: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً} فيضربكم ويسلط عليكم؛ لذا تجد منطق القرآن الكريم ينسجم مع علي في مقولته هذه، ينسجم مع علي وهو يقدم لك نماذج من أمثال علي في تاريخ البشرية، من أنبياء الله ورسله وأوليائه، يقدم لك نفسياتهم، وتفكيرهم ومشاعرهم داخل القرآن، وفي ميادين المواجهة كيف كانوا يفكرون، حتى في الدعاء لا تجد أنهم كانوا ينطلقون فقط ليدعوا على أعدائهم بل كان كل همهم أن يدعوا لأنفسهم؛ لأنهم يعرفون أن القضية بالنسبة للعدو محسومة، إذا ما صَلُحنا نحن وكنا بالشكل الذي نصبح جديرين بأن يقف الله معنا؛ فلذا كان دعاؤهم {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠) ما هكذا كان دعاؤهم؟. هكذا كان دعاؤهم، لم يكونوا ينطلقون على نحو ما يفكر فيه الكثير من الناس اليوم؛ لأنهم يعرفون أنه متى ما تخاذل من هم في الأرض جنود الله، إذا ما قعدوا استحقوا غضب الله، هم من يضيعون أشياء عظيمة لا يمكن أن يمتلكها العدو مهما كان لديه من أسلحة مهما كان لديه من قدرات لا يمكن أن يمتلك العدو ما يمكن أن يمتلكه المؤمنون بالله لا يمكن.

ولاحظوا كيف في فلسطين ولبنان كمثال على هذا، ألم يستطع الإسلام أن يصنع [قنابل بشرية] فعلاً، وهذا - كما يقول المجاهدون - [بأن هذا هو السلاح الذي لم يستطع الأعداء أن يصنعوا مثيلاً له، ولا أن يصنعوا ضداً له] قنبلة بشرية تنفجر فتربك جيش إسرائيل، تربك أمن إسرائيل، تحطم اقتصاد إسرائيل. هكذا في اللحظة الأخيرة وهم كانوا قد أضاعوا - خاصة بالنسبة للفلسطينيين - وربما هذا الجيل وهو الذي يعاني معاناته تعتبر وزراً من أوزار الجيل الذي سبقه، الذي ضيع الفرص الكبيرة في مواجهة اليهود يوم كانوا لا يزالون عصابات داخل فلسطين.

هكذا يجب - أيها الإخوة - أن نتذكر المأساة بفقد الإمام علي (صلوات الله عليه) على هذه الأمة، الشقاء الذي جلبه غيابه في تلك اللحظة والفترة التاريخية الحرجة ما جلبه من شقاء على هذه الأمة.

ونفكر أيضاً فيما جلبه مَن أقصوا عليا والقرآن الذي جاهد من أجله علي، وقُرن به علي، ما جلبوه من وبال وشقاء وفساد على هذه الأمة، وأن نرجع إلى ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في فضل علي؛ لنَدِيْنَ بالولاء للإمام علي.

الولاء للإمام علي كما يقول الإمام الهادي، هو يعتبره ركناً لابد منه بالنسبة للإنسان المسلم، لابد أن يَدِيْنَ بالولاء لعلي كما نَصّ على هذا في مقدمة [الأحكام] وفي داخل رسائله في [المجموعة الفاخرة].

بل جعل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) - قبل ذلك كله - جعل حُبّ علي إيماناً وبغضه نفاقاً، بل جعله قَسِيْمَ النار وقَسِيْمَ الجنة، جعله قسيم النار كما ورد في الأثر، وعندما استبعد بعض الناس أن يكون علي قَسِيْمَ النار فقال: كيف يمكن هذا؟. فقال أحد العلماء: ألم يقل فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ((لا يُحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق))؟. فأين هو المؤمن؟. فقال: في الجنة. أين هو المنافق؟. قال: في النار. قال: إذاً صح أن يكون قَسِيم النار، يعني من يبغضه إلى النار ومن يحبه إلى الجنة، أليس هنا يقسم الناس نصفين؟ منافق للنار، ومؤمن لعلي في الجنة.

فلنستلهم من الإمام علي (عليه السلام) الرؤى الحكيمة، التوجيهات الحكيمة في مختلف الميادين، في مختلف المجالات.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا على نهج علي، أن يجعلنا من أولياء علي، أن يجعلنا من شيعة الإمام علي، وأن يحشرنا في زمرته يوم القيامة، وأن يحيينا قبل ذلك في الدنيا على ملته، وأن نموت على سبيله وصراطه وطريقته، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا في هذا الشهر الكريم من عُتَقائه من النار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الصرخة في وجه المستكبرين

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٧/١/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قلنا في الأسبوع الماضي في مثل هذا اليوم: مناسب جداً أن نجتمع كل يوم خميس في هذه القاعة ولتكن جلسة، ممكن أن نسميها حتى جلسة تخزينه، نخزن جميعاً، بدل أن نكون بشكل مجموعات كل مجموعة تخزن في بيت، في هذه القرية، وفي تلك القرية، وبدل أن تتحدث كل مجموعة لوحدها عن الأحداث التي تدور في العالم في هذا الزمان، فلنتحدث جميعاً، بدل أن نتحدث كمجموعات في بيوتنا في جلسات القات، فتنطلق التحاليل الخاطئة والمغلوطة، وينطلق التأييد والرفض المغلوط في أكثره، داخل هذه المجموعة وتلك المجموعة وتلك المجموعة من المخزنين في مجالس القات، وبدل أن نتحدث كمجاميع هكذا مفرقة في البيوت حديثاً أجوف، تحليلاً لمجرد التحليل، وأخبار لمجرد الفضول، وبطابع الفضول نتناولها، ثم نخرج وليس لدينا موقف، من تلك المجموعة ومن تلك المجموعة ومن تلك المجموعة، تخرج كل مجموعة وليس لها رؤية معينة، ولا موقف ثابت، تتقلب في حديثها ومواقفها تبعاً لما تسمعه من وسائل الإعلام.

فتكون النتيجة هي أن يهلك الناس أنفسهم، تكون النتيجة هي أن يخرج هذا أو ذاك من ذلك المجلس، أو من ذلك المجلس في هذه القرية أو تلك القرية ولا يدري بأنه قد تحول إلى كافر أو يهودي أو نصراني من حيث يشعر أو لا يشعر، وبالطبع من حيث لا يشعر.

فلنجتمع هنا ولنخزن ولنتحدث، ولكن بروحية أخرى، نتناول الأحداث ليست على ما تعودنا عليه، ونحن ننظر إليها كأحداث بين أطراف هناك وكأنها لا تعنينا، صراع بين أطراف هناك، وكأننا لسنا طرفاً في هذا الصراع أو كأننا لسنا المستهدفين نحن المسلمين في هذا الصراع. نتحدث بروحية من يفهم أنه طرف في هذا الصراع ومستهدف فيه شاء أم أبى، بروحية من يفهم بأنه وإن تنصّل عن المسئولية هنا فلا يستطيع أن يتنصّل عنها يوم يقف بين يدي الله.

نتحدث - أيضاً - لنكتشف الكثير من الحقائق داخل أنفسنا، وفي الواقع، وعلى صعيد الواقع الذي نعيشه وتعيشه الأمة الإسلامية كلها، نتحدث بروح عملية، بروح مسئولة، نخرج برؤية واحدة بموقف واحد، بنظرة واحدة بوعي واحد، هذا هو ما تفتقده الأمة.

نحن نعرف جميعاً إجمالاً أن كل المسلمين مستهدفون، أو أن الإسلام والمسلمين هم من تدور على رؤوسهم رحى هذه المؤامرات الرهيبة التي تأتي بقيادة أمريكا وإسرائيل، ولكن كأننا لا ندري من هم المسلمون.

المسلمون هم أولئك مثلي ومثلك من سكان هذه القرية وتلك القرية، وهذه المنطقة وتلك المنطقة، أو أننا نتصور المسلمين مجتمعاً وهمياً، مجتمعاً لا ندري في أي عالم هو؟ المسلمون هم نحن أبناء هذه القرى المتناثرة في سفوح الجبال، أبناء المدن المنتشرة في مختلف بقاع العالم الإسلامي، نحن المسلمين، نحن المستهدفون.. ومع هذا نبدو وكأننا غير مستعدين أن نفهم، غير مستعدين أن نصحوا، بل يبدو غريباً علينا الحديث عن هذه الأحداث، وكأنها أحداث لا تعنينا، أو كأنها أحداث جديدة لم تطرق أخبارها مسامعنا، أو كأنها أحداث وليدة يومها.

فعلاً أنا ألمس عندما نتحدث عن قضايا كهذه أننا نتحدث عن شيء جديد، ليس جديداً إنها مؤامرات مائة عام من الصهيونية، من أعمال اليهود، خمسين عاماً من وجود إسرائيل، الكيان الصهيوني المعتدي المحتل، الغُدّة السرطانية التي شبّهها الإمام الخميني رحمة الله عليه، بأنها (غدة سرطانية في جسم الأمة يجب أن تُستأصَل).

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على ماذا؟ يدل على خبث شديد لدى اليهود، أن يتحركوا عشرات السنين عشرات السنين، ونحن بعد لم نعرف ماذا يعملون. أن يتحركوا لضربنا عاماً بعد عام، ضرب نفوسنا من داخلها، ضرب الأمة من داخلها، ثم لا نعلم من هم المستهدفون، أليس هذا من الخبث الشديد؟. من التضليل الشديد الذي يجيده اليهود ومن يدور في فلكهم؟.

فلنتحدث لنكتشف الحقائق - كما قلت سابقاً - الحقائق في أنفسنا، ولنقل لأولئك الذين تصلنا أخبار هذا العالم وما يعمله اليهود عن طريق وسائل إعلامهم، هكذا نحن نفهم الأخبار، هكذا نحن نفهم الأخبار.

ما هي الحقيقة التي نريد أن نكتشفها داخل أنفسنا؟ هي: هل نحن فعلاً نحس داخل أنفسنا بمسئولية أمام الله أمام ما يحدث؟ هل نحن فعلاً نحس بأننا مستهدفون أمام ما يحدث على أيدي اليهود ومن يدور في فلكهم من النصارى وغيرهم؟.

عندما نتحدث عن القضية هذه، وعن ضرورة أن يكون لنا موقف هل نحن نُحِسّ بخوف في أعماق نفوسنا؟ وخوف ممن؟ بالطبع قد يكون الكثير يحسون بخوف أن نجتمع لنتحدث عن أمريكا وعن إسرائيل وعن اليهود وعن النصارى. ولكن ممن نخاف؟ هل أحد منكم يخاف من أمريكا؟ لا.. هل أحد منكم يخاف من إسرائيل؟. لا..

ممن تشعر بأنك تخاف منه؟ من هو الذي تشعر بأنك تخاف منه؟ عندما تتحدث عن أمريكا، عندما تتحدث عن إسرائيل، عندما تلعن اليهود والنصارى. إذا شعرنا في أعماق أنفسنا بأننا نخاف الدولة فإننا نشهد في أعماق أنفسنا على أن هؤلاء هم ماذا؟ هم أولياء لليهود والنصارى، أي دولة كانت يحدث في نفسك خوف منها فإنك في قرارة نفسك تشهد بأن تلك الدولة هي من أولياء اليهود والنصارى. هذه واحدة.. وإلا ما الذي يمكن أن يخيفني من جانبهم إذا ما تحدثت عن أمريكا وإسرائيل وعن اليهود والنصارى؟؟.

ثم لنقل لهم هم، من يمكن أن يدخل في نفس أي واحد منا خوف منهم: ليس من مصلحتكم أن تظهروا للناس بأنهم يخافونكم إذا ما تحدثوا عن اليهود والنصارى، وتحدثوا عن أمريكا وإسرائيل؛ لأنكم وإن قلتم ما قلتم، وإن صنعتم ما صنعتم من مبررات فإن القرآن علمنا أنها ليست بشيء، أنها ليست واقعية، القرآن الكريم قال لنا:

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} (المائدة:٥٢).

من مصلحتكم أن لا تعززوا تلك الحقيقة في أعماق النفوس من أننا نخاف منكم إذا ما تحدثنا عن اليهود والنصارى، إن أعماق النفوس هو مكمن الحقائق، ففي أعماق النفوس تكون بذرات السَّخط، تكون هناك بذور الحرية، تكون هناك بذور الصرخات التي تسمعونها في وجوه أوليائكم، وفي وجوهكم إذا ما تحركتم لتبرهنوا على أنكم فعلاً كما شعر الناس أمامكم بأنهم يخافون منكم؛ فتعززون في أعماق نفوسهم هذه الحقيقة، التي ليس من صالحكم أن تفهموا الناس بأنها حقيقة، دعوها، ومن مصلحتكم أن تدعوها وهماً، وأن تكون وهماً في نفوس الناس، ليس من مصلحتكم أن يكون من جانبكم أي تحرك، أي حدث لتعززوا هذه الحقيقة في النفوس.

وكما قلنا سابقاً: لا تستطيعون أبداً لا تستطيعون أبداً ما دام لدينا ـ كمؤمنين ـ إيمانٌ بالله وبصدق قوله هو، أن كل ما ينطلق من عبارات تدل على مسارعة باتجاه فوق أو باتجاه تحت، إلى اليهود والنصارى فإنها تنبئ عن مرض في القلوب، وإن أول من هدد كل من تنطلق من فمه، أو يتحرك بما يدل على مرض في قلبه، إن أول من هدده هو الله حيث يقول: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}، بل هدد بأن حقائق أمركم ستكشف هناك: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٥٣) **أليس هذا تهديد إلهي؟.**

نحن كل ما صدر منا، وكل صرخة نرفعها، كل اجتماع نعمله كهذا أو غيره نحن إنما تأثرنا بوسائل إعلامكم فماذا تريدون أنتم عندما تعرضون علينا أخبار ضربات اليهود والأمريكيين والإسرائيليين هنا وهناك في أفغانستان وفي فلسطين، وفي كل بقعة من بقاع هذا العالم، عندما تعرضونها علينا ماذا تريدون أنتم من خلال العرض؟.

عندما تأتي أنت أيها المذيع وتعرض علينا تلك الأخبار، وعبر الأقمار الصناعية لنشاهدها، فنشاهد أبناء الإسلام يُقَتَّلون ويُذبحون، نشاهد مساكنهم تهدم، هل تظن أننا سننظر إلى تلك الأحداث بروحية الصحفي الإخباري الذي يهمه فقط الخبر لمجرد الخبر. وتهمه نبرات صوته وهو يتحدث واهتزازات رأسه. إن كنت لا تريد من نبرات صوتك أن توجد نبرات من الحرية، نبرات في القلوب، في الضمائر تصرخ بوجه أولئك الذين تقدم لنا أخبارهم، إن كنت لا تريد باهتزاز رأسك أن تهز مشاعر المسلمين هنا وهناك، إن كنت إنما تحرص على نبرات صوتك وعلى اهتزازات رأسك لتظهر كَفَنيٍّ إعلامي، نحن لا ننظر إلى الأحداث بروحيتك الفنية

الإعلامية الإخبارية، الصحفية، نحن مؤمنون ولسنا إعلاميين ولا صحفيين ولا إخباريين، نحن نسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف:٢-٣) نحن ننظر إلى ما تعرضه على شاشة التلفزيون بنظرتنا البدائية، نحن لا نزال عرباً لم نَتَمَدّن بعد، وببساطة تفكيرنا كعرب مسلمين لا تزال في نفوسنا بقية من إبَاءٍ، بقية من إيمان، فنحن لسنا ممن ينظر إلى تلك الأحداث كنظرتك أنت.

لنقول لهم: إذا كنتم لا تريدون من خلال ما تعرضون أن تحدثوا في أنفسنا أن نصرخ في وجه أولئك الذين يصنعون بأبناء الإسلام ما تعرضونه أنتم علينا في وسائل إعلامكم فإنكم إنما تخدمون إسرائيل وأمريكا وتخدمون اليهود والنصارى بما تعرضون فعلاً؛ لأنكم إنما تريدون حينئذٍ بما تعرضون أن تعززوا في نفوس أبناء الإسلام في نفوس المسلمين الهزيمة والإحباط، والشعور باليأس والشعور بالضَّعَة، أو فاسكتوا فلا تعرضوا شيئاً، ولكن لو سكتم فلم تعرضوا شيئاً ستكون إدانة أكبر وأكبر، ستكونون بسكوتكم تسكتون عن جرائم، تسكتون عن جرائم اليهود والنصارى في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ضحيتها هم أبناء الإسلام، هم إخوانكم من المسلمين.

هذه الحقيقة التي يجب أن نعرفها وأن نقولها لأولئك، وأن نرفض الحقيقة التي يريدون أن يرسخوها في أنفسنا هم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حقيقة الهزيمة، حقيقة (الهزيمة النفسية)، لا نسمح لأنفسنا، لا نسمح لأنفسنا أن نشاهد دائماً تلك الأحداث وتلك المؤامرات الرهيبة جداً جداً، ثم لا نسمح لأنفسنا أن يكون لها موقف، سنكون من يشارك في دعم اليهود والنصارى عندما نرسخ الهزيمة في أنفسنا، عندما نَجْبُن عن أي كلمة أمامهم.

إذاً فهمنا بأنه ليس من صالح أي دولة كانت أن تُظهر للآخرين ما يخيفهم عندما يتحدثون ويصرخون في وجه أمريكا وإسرائيل، عندما يرفعون صوتهم بلعنة اليهود الذين لعنهم الله على لسان أنبيائه وأوليائه.

ثم سنسهم دائماً في كشف الحقائق في الساحة؛ لأننا في عالم ربما هو آخر الزمان كما يقال، ربما - والله أعلم - هو ذلك الزمن الذي يَتَغَرْبَل فيه الناس فيكونون فقط صفين فقط: مؤمنون صريحون/ منافقون صريحون.. والأحداث هي كفيلة بأن تغربل الناس، وأن تكشف الحقائق.

عندما نتحدث أيضاً هو لنعرف حقيقة أننا أمام واقع لا نخلوا فيه من حالتين، كل منهما تفرض علينا أن يكون لنا موقف.. نحن أمام وضعية مَهِيْنَة: ذل، وخزي، وعار، استضعاف، إهانة، إذلال، نحن تحت رحمة اليهود والنصارى، نحن كعرب كمسلمين أصبحنا فعلاً تحت أقدام إسرائيل، تحت أقدام اليهود، هل هذه تكفي إن كنا لا نزال عرباً، إن كنا لا نزال نحمل القرآن ونؤمن بالله وبكتابه وبرسوله وباليوم الآخر لتدفعنا إلى أن يكون لنا موقف.

الحالة الثانية: هي ما يفرضه علينا ديننا، ما يفرضه علينا كتابنا القرآن الكريم من أنه لا بد أن يكون لنا موقف من منطلق الشعور بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى. نحن لو رضينا - أو أوصلنا الآخرون إلى أن نرضى - بأن نقبل هذه الوضعية التي نحن عليها كمسلمين، أن نرضى بالذل أن نرضى بالقهر، أن نرضى بالضَّعَة، أن نرضى بأن نعيش في هذا العالم على فتات الآخرين وبقايا موائد الآخرين، لكن هل يرضى الله لنا عندما نقف بين يديه السكوت؟ من منطلق أننا رضينا وقبلنا ولا إشكال فيما نحن فيه سنصبر وسنقبل.

فإذا ما وقفنا بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، هل سنقول: (نحن في الدنيا كنا قد رضينا بما كنا عليه؟). هل سيُعْفينا ذلك عن أن يقال لنا: ألم نأمركم؟ {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} (المؤمنون: من الآية١٠٥)؟ {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} (غافر: من الآية٥٠)؟. ألم تسمعوا مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية١٠٣) ومثل قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ

ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (١٠٧) (آل عمران) أليست هذه الآيات تخاطبنا نحن؟. أليست تحملنا مسئولية؟.

ألم يقل القرآن لنا: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١١٠)؟.

ألم يقل الله لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤)؟.

فإذا رضينا بما نحن عليه، وأصبحت ضمائرنا ميتة، لا يحركها ما تسمع ولا ما تحس به من الذلة والهوان، فأعفينا أنفسنا هنا في الدنيا فإننا لن نُعفى أمام الله يوم القيامة.. لابُدّ للناس من موقف، أو فلينتظروا ذلاً في الدنيا وخزياً في الدنيا وعذاباً في الآخرة.. هذا هو منطق القرآن الكريم، الحقيقة القرآنية التي لا تتخلف، {لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} (الأنعام:من الآية١١٥) {وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} (الأنعام:من الآية٣٤) {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (قّ:٢٩).

ثم عندما نتحدث، ونذكر الأحداث وما يحصل في هذا العالم وما يحدث، ووصلنا إلى وعي بأنه فعلاً يجب أن يكون لنا موقف، فما أكثر من يقول: ماذا نعمل؟. ماذا نعمل؟ وماذا بإمكاننا أن نعمل؟. أليس الناس يقولون هكذا؟. هذه وحدها تدل على أننا بحاجة إلى أن نعرف الحقائق الكثيرة عما يعمله اليهود وأولياء اليهود، حتى تلمس فعلاً بأن الساحة، بأن الميدان مفتوح أمامك لأعمال كثيرة جداً جداً جداً.

أولا تدرون أن بإمكانكم أنتم في هذه القاعة أن تعملوا عملاً عظيماً، وكل واحد منكم بإمكانه أن يعمله وستعرفون أنه عمل عظيم عندما تحسون في أنفسكم أن عملاً كهذا سيثير هذا أو ذاك، وسينطلق المرجفون من هنا وهناك، والمنافقون من هنا وهناك فيرجفون ويثبطون.

الميدان ليس مقفلاً، ليس مقفلاً أمام المسلمين، أعمال اليهود والنصارى كثيرة، ومجالات واسعة، واسعة جداً، وهم يحسون بخطورة تحركك في أي مجال من المجالات لتضرب عملهم الفلاني، أو تؤثر على مكانتهم بصورة عامة، أو لتؤثر على ما يريدون أن يكون سائداً، لِحافٌ على العيون وعلى القلوب.

أو قد يقول البعض: (فقط هي أحداث هنا وهناك) لقد حُسِم الموضوع بالشكل الذي يؤهل أمريكا لأن تعمل ما تريد وأن تعمل في بقاع العالم الإسلامي كله، فما سمعناه بالأمس في أفغانستان هو ما يُحَاك مثله اليوم ضد حزب الله في لبنان، هو ما يُحاك مثله اليوم ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، هو ما يُحاك مثله اليوم ضد المملكة العربية السعودية للسيطرة على الحج، على مشاعر الحج، فنحن من كنا نصرخ لتحرير القدس، سنصرخ، وسنصرخ ـ إن كنا سنصرخ ـ عندما تُحتل مكة عندما تُحتل المدينة، وهذا محتمل احتمالاً كبيراً جداً.

فكيف ترى بأنه ليس بإمكانك أن تعمل، أو ترى بأنك بمعزل عن هذا العالم، وأنك لست مستهدف، أو ترى بأنك لست مُستذَل، ممن هو واحد من الأذلاء، واحد من المستضعفين، واحد من المُهانين على أيدي اليهود والنصارى، كيف ترى بأنك لست مسئولاً أمام الله، ولا أمام الأمة التي أنت واحد منها، ولا أمام هذا الدين الذي أنت آمنت به؟!.

هذا شيء مؤكد، أنه بعد أن سلّم الجميع لأمريكا، أن تكون هي من يقود التحالف العالمي ـ والذي من ضمنه الدول العربية ـ لمكافحة الإرهاب.

والإرهاب ما هو من وجهة نظر أمريكا ما هو الإرهاب؟ في رأس قائمة الإرهاب هو ذلك الجهاد الذي تكررت آياته على صفحات القرآن الكريم، هذا هو الإرهاب رقم واحد، من وجهة نظرهم، وهذا هو ما وقّع عليه زعماء العرب، ما وقع زعماء المسلمين على طمسه!.

إذاً ربما شاهدتم ما يُدبر ضد حزب الله، وفعلاً هذا هدف رئيسي من وراء كل ذلك التمثيل، قصة أسامة، التمثيلية التي كان بطلها أسامة وطالبان، فلا أسامة ولا طالبان هم المستهدَفون، ولا ذلك الحدث الذي حصل في نيويورك هو الذي حرك أمريكا، من يدري، من يدري أن المخابرات الأمريكية قد تكون هي من دبرت ذلك الحدث؛ لتصنع المبررات، وتهيئ الأجواء لتضرب من يشكلون خطورة حقيقية عليها، وهم الشيعة، هم الشيعة.

اليهود يعرفون بأن السّنّية لن يشكلوا أي خطر عليهم، ونحن رأينا فعلاً، رأينا فعلاً ما يشهد بأنهم فعلاً ينظرون هذه النظرة. أليس زعماء العالم الإسلامي اليوم سنيّة؟. أليسوا سنيّة؟ كلهم ربما واحد منهم (خاتمي) شيعي. هؤلاء هم ماذا عملوا في هذا العالم؟ أليسوا هم من وافق، من سارع إلى التصديق على أن تكون أمريكا هي من يقود التحالف العالمي ضد ما يسمى بالإرهاب؟ ومن هو الذي يقود التحالف العالمي؟ أمريكا، أمريكا هم اليهود، وأمريكا هي إسرائيل، اليهود هم الذين يحركون أمريكا ويحركون إسرائيل، ويحركون بريطانيا، ومعظم الدول الكبرى، اليهود هم الذين يحركونها.

لقد تجلّت حقيقة خطيرة جداً.. خطيرة جداً جديرة بأن نلعن كل صوت رفع في تاريخ الإسلام أو خُطَّ بأقلام علماء السوء، أو مؤرخي السوء الذين عملوا على تَدْجِيْنِ الأمة لكل حكام الجور على طول تاريخ الإسلام، نقول لهم: انظروا ماذا جنت أيديكم في هذا العصر، انظروا ما تركت أقلامكم، انظروا ما تركت أصواتكم، يوم كنتم تقولون: يجب طاعة الظالم، لا يجوز الخروج على الظالم، يجب طاعته لا يجوز الخروج عليه، سيحصل شق لعصى المسلمين، وعبارات من هذه. أنتم يا من دَجَّنْتُم الأمة الإسلامية للحكام، انظروا كيف دَجَّنَها الحكام لليهود، انظروا كيف أصبحوا يتحركون كجنود لأمريكا وإسرائيل.

ونحن نعرف ـ من تتعلم ومن نحمل علماً ـ ما أخطر ما أخطر ما تجني على نفسك وعلى الأمة باسم عالم وباسم علم. عندما رفعوا أصواتاً مثل تلك أيام أبي بكر، أيام عمر، أيام عثمان، أيام معاوية، أيام يزيد، أصوات كانت تُرفع، وهكذا على طول تاريخ الأمة الإسلامية إلى اليوم نقول لهم: انظروا، انظروا دَجَّنْتُمونا لأولئك فدجنونا لليهود، وكما كنتم تقولون لنا أن نسكت، أسكتوا لا ترفعوا كلمة ضد هذا الخليفة أو هذا الرئيس، أو ذلك الملك أو هذا الزعيم. هم اليوم يقولون لنا: اسكتوا لا تتحدثوا ضد أمريكا وضد إسرائيل!.

فما الذي حصل؟. ألم يقدم علماء السوء القرآن الكريم والإسلام كوسيلة لخدمة اليهود والنصارى في الأخير؟.

هذا هو الذي حصل، هذا هو الذي حصل. ولا تُقْبل المبررات عند الله سبحانه وتعالى تحت اسم (لا نريد شق عصى المسلمين)، هذا هو شق عصى المسلمين، هذا هو كسر الأمة، هذا هو كسر نفوس المسلمين، هذا هو كسر القرآن، وكسر الإسلام بكله، أن تصبح وسائل الإعلام، أن تصبح الدول الإسلامية في معظمها هكذا تعمل على تَدْجِين الشعوب المسلمة، أبناء الإسلام، أبناء القرآن تُدَجِّنُهم لليهود والنصارى..أي خزي هذا؟!. وأي عار هذا؟!.

ثم بعد هذا من يَجْبُن أن يرفع كلمة يصرخ بها في وجه أمريكا وإسرائيل فإنه أسوء من أولئك جميعاً، إنه هو من توجهت إليه أقلام وأصوات علماء السوء من العلماء والمؤرخين على امتداد تاريخ الإسلام وإلى اليوم، وهو من تتجه إليه خطابات الزعماء بأن يسكت، فإذا ما سكتَّ كنت أنت من تعطي الفاعلية لكل ذلك الذي حصل على أيدي علماء السوء وسلاطين الجور. فهل تقبل أنت.؟ هل تقبل أنت أن تكون من يعطي لكل ذلك الكلام فاعلية من اليوم فما بعد؟.

ألا يكفيك أنت ما تشاهد؟. ألا يكفيك ما ترى؟. إلى أين وصلت هذه الأمة تحت تلك العناوين؟؟.

وهذا هو ما كان يدفعنا ـ أيها الإخوة ـ إلى أن نتحدث بصراحة في مجالسنا بدئاً من أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى اليوم ـ حسب معرفتنا ـ لتتجلى الحقائق، لتكتشف الحقائق، إذا كان هناك لا يزال ذرة من إيمان، ذرة من إباء، ذرة من شهامة.

ما يتعرض له اليوم حزب الله، ومن هو حزب الله؟. إنهم سادة المجاهدين في هذا العالم، هم من قدموا الشهداء، هم من حفظوا ماء وجه الأمة فعلاً، لقد ظهروا بالشكل الذي كنا نقول: (مازال هؤلاء يحافظون على ماء وجوهنا، هم الذين حفظوا الشهادة على أن الإسلام لا يمكن أن يُهزَم).هم اليوم تحاك ضدهم المؤامرات، ولكن بأسلوب آخر.

هل اتهموا حزب الله بأنه كان وراء عملية ضرب البرج في نيويورك؟. لا أعتقد، لو اتهموه بذلك لشدّوا أنظار الأمة إلى حزب الله، وهذه حالة خطيرة جداً جداً على أمريكا وإسرائيل أن تنطلق من أفواههم كلمة واحدة تشد المسلمين إلى حزب الله، حاوَلوا أن يشدوا أنظار المسلمين إلى ذلك الرمز الوهمي، الذي لا يضر ولا ينفع، لا يضر

أمريكا ولا ينفع المسلمين [أسامة وطالبان]. أليسوا هم من أُتّهموا بحادث نيويورك من بعد تقريباً ربع ساعة من الحادث؟.

حزب الله يُدبر لـه تحت عناوين أخرى لا تكون جذابة، وحينها عندما يُضرب حزب الله فنكون نحن المسلمين لم نعد نرى في حزب الله بأنه يشكل خطورة على أمريكا وإسرائيل؛ لأنه لم يقصم رأس أمريكا، ذلك البرج الذي كان منتصباً في نيويورك.

هذا من خبث اليهود أن يضربوا برجاً هكذا؛ لأنهم أصبحوا يعرفون أننا نحن العرب أصبحت أنظارنا كأنظار القطط، تنظر إلى الشيء الذي يتحرك طويلاً منتصباً، فيوهمونا بأن هذا رأس أمريكا ضُرب على يد أسامة وطالبان، إذاً أولئك هم من ضرب أمريكا أما حزب الله ماذا عمل؟.

ليُضرَب حزبُ الله فيما بعد ثم لا يتحرك في المسلمين شعرة واحدة، يُضرب من يُضرَب فليُضرَب حزب الله فلتضرَب إيران فليُضرَب العراق كل هؤلاء ليسوا بشيء، فقط نكون حريصين على أن يسلم أسامة وطالبان.

وقد سلموا فعلاً؛ لأن أمريكا كانت أحرص منا على سلامتهم، سلموا فعلا أين هي الإحصائيات عن قتل واحدٍ من قادتهم؟. أين هي الإحصائيات عن قتل ولو ألف شخص منهم؟. لا شيء. الله يعلم وحده أين ذهبوا، والأمريكيون يعلمون أيضاً أين ذهبوا. هكذا يخطط اليهود، هكذا يخطط اليهود.

ولنعرف حقيقة واحدة من خلال هذا، أن اليهود أن الأمريكيين على الرغم مما بحوزتهم من أسلحة تكفي لتدمير هذا الأمة عدة مرات حريصون جداً جداً على أن لا يكون في أنفسنا سخط عليهم، حريصون جداً جداً على أن لا نتفوه بكلمة واحدة تنبئ عن سخط أو تزرع سخطاً ضدهم في أي قرية ولو في قرية في أطرف بقعة من هذا العالم الإسلامي، هل تعرفون أنهم حريصون على هذا؟.

والقرآن الكريم كان يريد منا أن نكون هكذا عندما حدثنا أنهم أعداء، يريد منا أن نحمل نظرة عداوة شديدة في نفوسنا نحوهم، لكنا كنا أغبياء لم نعتمد على القرآن الكريم، كنا أغبياء، فجاءوا هم ليحاولوا أن يمسحوا هذه العداوة، أن يمسحوا هذا السخط.

لماذا؟. لأنهم حينئذٍ سيتمكنون من ضرب أي منطقة أو أي جهة تشكل عليهم خطورة حقيقية، ثم لا يكون هناك في أنفسنا ما يثير سخطاً عليهم، ثم لا تكون تلك العملية مما يثير سخط الآخرين من أبناء هذه الأمة عليهم، هكذا يكون خبث اليهود والنصارى، هكذا يكون خبث اليهود بالذات، أما النصارى فهم هم قد أصبحوا ضحية لخبث اليهود، النصارى هم ضحية كمثلنا، تلك الشعوب هم ضحية مثلنا لخبث اليهود، هم من يحركهم اليهود، من أصبحوا يصفقون لليهود.

لماذا لم تبادر أمريكا إلى أن تتهم حزب الله وتضرب حزب الله، ونحن نعلم بأن من هو رأس قائمة الإرهاب ـ كما تقول ـ هو إيران وحزب الله؟! لأن أمريكا هي اليهود، اليهود هم الذين يحركونها، هم يريدون أن يضربوا في الوقت الذي يكون فيه، ما حدث أو على ضوء ما حدث في نيويورك، قد أحدث رعباً في نفوس الناس فبدت أمريكا تتحرك بقطعها ثم سارع إليها الآخرون فأيدوها، ثم انطلقوا هم ليكمموا أفواه المسلمين عن أن ينطقوا، أن تنطلق من حناجرهم صرخة ضد أمريكا وضد إسرائيل. حينئذٍ رأت الأجواء المناسبة لأن تضرب هنا وهناك، وتحت مبرر أصبح لدينا مقبولاً هو أن أولئك إرهابيون، وطبعاً الإرهابيون قد أجمع العالم كله عليهم فليُضربوا.

قد نسينا أننا مسلمون، نسينا أنه ليس فقط المستهدف هو حزب الله أو إيران إنما الأمة كلها، ألم نفرح نحن عندما رأيناهم يمسكون الوهابيين في اليمن؟. وقلنا:[نعمة، وهذا من بداية الفرج أن يمسك هؤلاء لأنهم وُصِموا بأنهم إرهابيون].

أنتم جميعاً، أبناءَ الشعب هذا كله ممكن أن يكونوا إرهابيين في نظر أمريكا، وستكون أنت إرهابي داخل بيتك؛ لأنه لا يزال في بيتك كتاب إرهابي هو القرآن الكريم، لا زال في بيتك ـ أنت أيها الزيدي ـ كتب هي ـ من وجهة نظر أمريكا ـ في بداية وفي أول قائمة الكتب الإرهابية، كتب أهل البيت.. ليس فقط الوهابيون هم الضحية، ليسوا هم المستهدفين فعلاً، زعماؤهم لن يتعرضوا لسوء ـ هذا ما اعتقد ـ وكلها تمثيليات.

الإرهابيون الحقيقيون هم الوهابيون يوم كانوا يفرقون كلمة الناس، يوم كانوا ينطلقون داخل هذا المسجد وتلك القرية، وهذه المدرسة وذلك المعهد؛ ليثيروا في أوساط الناس العداوة والبغضاء ضد بعضهم بعضاً؛ ويثقفوا أبناء المسلمين بالعقائد الباطلة التي جعلت الأمة ضحية طول تاريخها وأصبحت اليوم بسببها تحت أقدام اليهود والنصارى، هم إرهابيون فعلاً عندما كانوا يعملون هذه الأعمال ضدنا نحن أبناء الإسلام.

ولكن على الرغم من هذا كله هل تعتقدون بأننا نؤيد أن يُمسكوا؟ نحن لا نؤيد أن يمسك يمني واحد تحت أي اسم كان، سواء كان وهابياً شافعياً حنبلياً زيدياً كيفما كان، نحن نرفض، نحن ندين ونستنكر أن يُمسك تحت عنوان أنه إرهابي ضد أمريكا، وحتى [الزنداني] نفسه وهو من نكرهه، نحن لا نؤيد أن يمسك تحت عنوان أنه إرهابي ضد أمريكا.

هذا ما يجب أن نتفاداه جميعاً، ما يجب أن نتفاداه جميعاً، حتى وإن ارتحنا في داخل أنفسنا من واقع أن هؤلاء هم ضربونا، هم ضربونا فعلاً، هم أثروا فعلاً، لكن أنت إذا أيدت فإنك أول من تحكم على نفسك متى ما قالوا أنك إرهابي أن تُسَلّم ثم لا أحد يدين ولا يستنكر ولا يصرخ.

فعلاً نحن نكرههم، ونحمّلهم مسئولية ما أحدثوه من فرقة داخل الزيدية من البسطاء المساكين الذين أصبحوا ضحية لدجلهم وتضليلهم، ونقول لهم: أنتم إرهابيون فعلاً، ولكننا فيما إذا تعرضتم لمسك تحت مسمى الإرهاب فإننا نستنكر أن يمسك أبغض شخص منكم عندنا.

لأن هذا لم يكن حتى عند العرب البدائيين مما يمكن أن يقبل،نحن كعرب، نحن كمسلمين ـ وإن كنا طوائف متعددة ـ نرفض أن يكون لإسرائيل أو أمريكا، أن يكون لليهود تسلط على واحدٍ منا كائناً من كان، ونحن في داخلنا فلنتصارع، ونحن في داخلنا فلنصحح وضعيتنا، وهكذا يعمل من لا زالوا قبائل في بعض مناطق اليمن، متى ما كانوا مختلفين فيما بينهم يتحدون صفاً واحداً ضد طرف آخر هو عدوٌ للجميع.

نعود من جديد أمام هذه الأحداث لنقول: هل نحن مستعدون أن لا نعمل شيئاً؟ ثم إذا قلنا نحن مستعدون أن نعمل شيئاً فما هو الجواب على من يقول: [ماذا نعمل؟].

أقول لكم أيها الاخوة اصرخوا، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا:

[اللّه أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟ بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة، وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد ـ بإذن الله ـ ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم ـ إن شاء الله ـ في مناطق أخرى:

[اللّه أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام][1]

هذه الصرخة أليست سهلة، كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟.

إنها من وجهة نظر الأمريكيين ـ اليهود والنصارى ـ تشكل خطورة بالغة عليهم.

لنقل لأنفسنا عندما نقول: ماذا نعمل؟. هكذا اعمل، وهو أضعف الإيمان أن تعمل هكذا، في اجتماعاتنا، بعد صلاة الجمعة، وستعرفون أنها صرخة مؤثرة، كيف سينطلق المنافقون هنا وهناك والمرجفون هنا وهناك ليخوفونكم، يتساءلون: ماذا؟. ما هذا؟.

أتعرفون؟ المنافقون المرجفون هم المرآة التي تعكس لك فاعلية عملك ضد اليهود والنصارى؛ لأن المنافقين هم إخوان اليهود والنصارى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ}(الحشر: من الآية١١) فحتى تعرفون أنتم، وتسمعون أنتم أثر صرختكم ستسمعون المنافقين هنا وهناك عندما تغضبهم هذه الصرخة، يتساءلون لماذا؟ أو ينطلقون ليخوفوكم من أن ترددوها.

[1] كان هذا في تاريخ ٢٠٠٢/١/١٧م أول انطلاقة لترديد هذا الشعار في قاعة مدرسة الإمام الهادي في مَرّان ـ صعدة ـ

إذاً عرفنا أن باستطاعتنا أن نعمل، وأن بأيدينا وفي متناولنا كثير من الأعمال، وهذه الصرخة [الله أكبر/ صرخة الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود - لأنهم هم من يحركون هذا العالم من يفسدون في هذا العالم - / النصر للإسلام] هي ستترك أثرها، ستترك أثراً كبيراً في نفوس الناس.

ما هو هذا الأثر؟. السخط، السخط الذي يتفاداه اليهود بكل ما يمكن، السخط الذي يعمل اليهود على أن يكون الآخرون من أبناء الإسلام هم البديل الذي يقوم بالعمل عنهم في مواجهة أبناء الإسلام، يتفادون أن يوجد في أنفسنا سخط عليهم، ليتركوا هذا الزعيم وهذا الرئيس وذلك الملك وذلك المسئول وتلك الأحزاب - كأحزاب المعارضة في الشمال في أفغانستان - تتلقى هي الجفاء، وتتلقى هي السخط، وليبقى اليهود هم أولئك الذين يدفعون مبالغ كبيرة لبناء مدارس ومراكز صحية وهكذا ليمسحوا السخط. إنهم يدفعون المليارات من أجل أن يتفادوا السخط في نفوسنا، إنهم يعرفون كم سيكون هذا السخط مكلفاً، كم سيكون هذا السخط مخيفاً لهم، كم سيكون هذا السخط عاملاً مهماً في جمع كلمة المسلمين ضدهم، كم سيكون هذا السخط عاملاً مهماً في بناء الأمة اقتصادياً وثقافياً وعلمياً، هم ليسوا أغبياء كمثلنا يقولون ماذا نعمل؟. هم يعرفون كل شيء.

من خلالهم تستطيع أن تعرف ماذا تعمل إذا كنت لا تعرف القرآن الكريم ماذا تعمل ضدهم؟.

والقرآن الكريم هو الذي أخبرنا عنهم، وكيف نعمل ضدهم، فحاوِل أن تعرف جيداً ما يدبره اليهود والنصارى؛ لتلمس في الأخير إلى أين يصل، ولتعرف في الأخير ماذا يمكن أن تعمل.

نحن يجب أن نكون سبّاقين، ونحن - في هذه القاعة - متعلمون وطلاب علم ومتدينين ووجهاء، أن نكون سبّاقين، ليكون لنا فضل السبق، فلنكن أول من يصرخ بهذا الشعار، أول من يعلن الاستنكار ضد مسك أي شخص، من يستنكر أي عمل تريد أن تعمله أمريكا ضد حزب الله وضد إيران، وضد العراق، وضد أفغانستان، وضد أي بلد إسلامي، وضد السعودية نفسها التي كنا نعاني منها - وما زلنا نعاني - الكثير الكثير، الأمور أصبحت أكبر، أكبر بكثير، عدو الأمس قد يصبح صديق اليوم بالنسبة لك أمام هذه الأحداث المرعبة.

ماذا لو تعرض الحج؟. هل تظنون أنه مستحيل؟. الحج كنا نقرأ من سنين نقرأ من سنين نصوصاً لوزراء بريطانيين ونصوص ليهود، وهم يصيحون من الحج، وقرأنا للإمام الخميني وهو يؤكد - قبل أكثر من عشرين عاماً - بأن أمريكا وإسرائيل تخطط للاستيلاء على الحج.

ولتعرف أهمية الحج بالنسبة للأمة وفي مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين ارجع إلى القرآن الكريم تجد آيات الحج متوسطة للحديث عن بني إسرائيل، وآيات الجهاد والإعداد ضدهم في أكثر من موقع في القرآن الكريم.

فهم لا بد، لا بد أن يعملوا للاستيلاء على الحج بأي وسيلة ممكنة، وقد رأوا بأن الأمور تهيأت لهم على هذا النحو، حتى أصبح زعماء المسلمين بعد أن فرقوا البلاد الإسلامية إلى دويلات، كل دولة لا يهمها أمر الدولة الأخرى، فإذا ما ضُرِبَت السعودية تحت مسمى أنها دولة تدعم الإرهاب، والسعوديون أنفسهم نستطيع أن نقطع بأنهم لم يعملوا ضد أمريكا أي شيء، لكنهم يواجَهون بحملة عشواء، ويواجهون بحملات دعائية ضدهم في الغرب، تَصِمُهُم بأنهم دولة تدعم الإرهاب، وأنهم إرهابيون، وأن مصالح أمريكا في المنطقة معرضة للخطر من الإرهابيين، السعوديون أنفسهم لم يفهموا ما هذا؟!. استغربوا جداً لماذا هذه الضجة ضدنا، ونحن أصدقاء، نحن أصدقاء معكم أيها الأمريكيون، ما هذه الضجة ضدنا؟.

كل ذلك يدل أن بالإمكان - فعلاً - أن تضرب السعودية للاستيلاء على الحرمين، ونحن سننظر - في بقية بقاع الدنيا - بأن الذي حصل هو حصل داخل المملكة العربية السعودية، وعلى مناطق هي تحت سيادة المملكة العربية السعودية، ونحن يمنيون وهم سعوديون، نحن مصريون وهم سعوديون، نحن باكستانيون وهم سعوديون، نحن.. وهكذا كل دولة مسلمة ربما تقول هذا المنطق. وسيقول زعماؤها: لا.. السعودية إنما ضُرِبت لأنها دعمت الإرهاب، ثم سيقطع زعماء البلدان الأخرى علاقاتهم مع السعودية، كما قطعوها مع طالبان، ألم يقطعوها مع طالبان سريعاً؟. السعودية والإمارات العربية وباكستان كانت هي الدول التي اعترفت بـ(طالبان).

ظهر في الصورة أن أمريكا تريد أن تضرب هؤلاء هم إرهابيون، إذاً نقطع علاقاتنا معهم، سيتكرر هذا مع السعودية نفسها، وقد يتكرر مع باكستان نفسها إذا ما جُنِّدَت الهند ضدها، وهكذا سيصبح اسم [إرهاب، إرهاب،

إرهاب، أنت إرهابي، دولة إرهابية] هي العبارة التي تُقَطِّع الأسباب، وتقطع العلاقات، وتُقَطِّع كل أسباب التواصل فيما بيننا كأفراد كمجموعات كشعوب إنها عبارة خبيثة أطلقها اليهود وأرادوا أن يرسخوها حتى هي عبارة سهلة يمكن لأي شخص جبان، يمكن لأي شخص لا يستشعر المسؤولية، يمكن لأي شخص لا يهمه أمر المسلمين، يمكن لأي شخص ليس فيه ذرة من عروبة أن يقول للآخرين: [هم إرهابيون، من الذي قال لهم أن يعملوا هكذا، هم إرهابيون]، تصبح كلمة للتبرير، يبرر كل إنسان موقفه السلبي من الآخرين، تبرر كل دولة موقفها السلبي من الدولة الأخرى وهكذا. حالة خطيرة استطاع اليهود والنصارى أن يصنعوها، استطاعوا أن يصنعوها.

ماذا يمكن أن نعمل نحن؟. ستقول الدولة: [نحن يمنيون وهم سعوديون، والسعوديون هؤلاء هم دعموا الإرهاب، وإنما يُضرَبوا من أجل أنهم إرهابيون] لن يتفوه اليهود بكلمة واحدة أنهم سيحتلون مكة والمدينة، لكن سيحتلونها. وما زالوا محافظين على آثار اليهود في أماكن قريبة من المدينة، بل ويمكن لليمن نفسه أن يكون ضحية لليهود، هل تعرفون ذلك؟. والوثائق بأيديهم، بأيديهم [بصاير] ـ حسب منطقنا ـ وثائق.

أولاً ماذا يمكن أن يعملوا؟. كثير من [المشايخ] الذين كانوا هنا يعارضوننا يوم كانوا يستلمون من السعودية مبالغ، ألم يكونوا هم من سهل للوهابيين أعمالهم؟ وهم يستلمون مبالغ من المال من السعودية؟. سيستلمون مبالغ من أمريكا، لكن لعمل آخر؛ ليسكتونا ليضربونا، ليضربوا تراثنا، مدارسنا بحجة أنها إرهابية.

ثم عندما تتهيأ الأجواء على شكل أكبر وأكبر، ستسمع نبرة أن اليمن كان هو شعب يهودي في السابق، في التاريخ، أليس كذلك؟. {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧)} (البروج) هذا كان في أيام أحد ملوك حِمْيَر الذي فرض على اليمنيين أن يكونوا يهوداً، فرض اليهودية في اليمن، وكان كثير من اليهود الذين كانوا ما يزالون في اليمن هم من بقايا اليهود الذين كانوا في أيام الدولة الحميرية في بعض مراحلها. ففرضوا اليهودية على اليمن والنصرانية كانت ما تزال دينا قائما قبل الإسلام.

حينئذٍ سيقول كُتّاب ـ من نوع أولئك الذين تأسفوا على أن بلقيس ذهبت إلى سليمان لتسلم: [أننا خسرنا حضارة، لماذا تذهب بلقيس لتسلم على يد سليمان] ـ أقلام هنا في اليمن ستخدم اليهود، بعض الأحزاب حاولت أن يكون في أعضائها يهود ـ لا أذكر اسم ذلك الحزب بالتحديد ـ ، في بعض مناطق تعز وفي صنعاء.. يحاول أن يكون له علاقة قوية باليهود، وأن يكون في أعضائه يهود، ويفتخر بذلك، سينطلق كُتّاب من هذا النوع يذكرونا بأمجادنا بحضارتنا السابقة.

ألم يبدءوا بربطنا نحن اليمنيين ـ من قبل فترة طويلة ـ بتلك الأعمدة التي كانت ما تزال من آثار دولة بلقيس، دولة السبئيين والمعينيين، الأعمدة والآثار ألم يربطونا بها وأنها شاهد على حضارتنا وعلى مجدنا في التاريخ؟ سيصبح في الأخير شاهد على حضارتنا كأمة لها ثقافة أيام كنا يهود، سيقولون هكذا، ليس بعيداً، لا تستبعدوا شيئاً أليس هناك داخل لبنان عملاء لإسرائيل ضد اللبنانيين؟.

أليس هناك داخل الفلسطينيين من أبناء الفلسطينيين أنفسهم ممن يرون أبناء وطنهم أبناء إخوانهم، أبناء أمهاتهم يُذبّحون ويُقتلون فيعملون مع إسرائيل وبكل إخلاص مقابل دولارات؟. ألم يحصل هذا؟. هل نحن اليمنيين لسنا على هذا النحو؟. والله كثير ـ فيما أعتقد ـ وسيظهر كثير من زعماء القبائل وليس فقط من الصغار، صغار وكبار سيظهرون، ومثقفون وكُتّاب سيظهرون. من باع دينه ـ والدين سواء يباع من وهابي أو من سعودي أو من إسرائيل أو من أمريكا ـ الذي باع دينه من هذا سيبيعه من هذا، والذي سيدفع أكثر سيبيعه منه قبل أن يبيعه من الطرف الآخر.

إذاً يجب ـ أيها الإخوة ـ أن لا نسمح لهذا التّدجين الذي يُراد له أن يكون في اليمن وفي بقية شعوب البلاد العربية أن لا تتكلم ضد اليهود، ولا تتكلم ضد النصارى سيقولون إرهابيون، يضربوا هذا فتفرح، وتصبح أنت بوق إعلام يعجبك أن ضربوا، والحمد لله ضُربوا، ستخلق روحية يحمد الله الآخرون عندما تضرب أنت، ستعزز في نفوس الناس كلمة: [إرهاب]، كلمة: [إرهابي]، سيقولون إرهابي، وأن يسكتوا عن أمريكا وإسرائيل، أن نسكت عن اليهود والنصارى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} (المائدة: من الآية٧٨) من

ذلك الزمان، ثم نسكت عن لعنهم في هذا الزمان؟!. ونحن من نصيح تحت أقدامهم من شدة الألم، من الخزي، من العار، من الذل؟!.
نسكت عن لعنهم؟ سنلعن اليهود والنصارى، سنلعن أمريكا وإسرائيل، سنلعن أولياءهم حتى تترسخ في أوساطنا في أوساط الشعوب في أوساطنا نحن اليمنيين ما لنا وللآخرين صرخوا أو لم يصرخوا.
في أوساطنا لا نسمح لوسائل الإعلام أن تعزز الهزيمة في أنفسنا من خلال ما تعرضه، لا نسمح ـ ولا للدولة نفسها ـ أن تطلب منا أن نسكت فنسكت، لا يجوز أن نسكت، لا يجوز أن نسكت أمام الله، وليس هناك أي مبرر إطلاقاً، ليس هناك أي مبرر ديني، وأتحدى.. أتحدى من يمكن أن يخلق أي مبررٍ ديني في وضعية كهذه للسكوت أمام ما يحصل.
فإذا كنا في الأخير لا نخاف الله، وإنما نخاف الآخرين فنسكت خوفاً من الآخرين ـ ونحن قلنا أنهم هم يجب أن يكونوا من يعمل على أن لا يظهروا أنفسهم بالشكل الذي يخيف الآخرين منهم؛ لأنهم سيبرهنون على أنهم أولياء لليهود والنصارى ـ سنعمل على أن نصرخ، ونعلن أننا نستنكر أن يُضرب حزب الله، أن تضرب إيران، أن يضرب العراق، ونحن صرخنا سابقاً.
ألم نخرج مظاهرات في صعدة يوم زحف الأمريكيون وتلك الدول على العراق؟. نحن خرجنا مظاهرة و صرخنا فعلاً، قبل سنوات في صعدة صرخنا فعلاً وأعلنا أننا مع الشعب العراقي، وأننا ضد التدخل الأمريكي، وصرخنا عندما تدخلوا ورفعنا أصواتنا، وقمنا بمسيرة كبيرة في الشارع العام بصعدة.
ونحن سنصرخ سواء ـ وإن كان البعض منا داخل أحزاب متعددة ـ سنصرخ أينما كنا، نحن لا نزال يمنيين، ولا نزال فوق ذلك مسلمين، نحن لا نزال شيعة، نحن لا نزال نحمل روحية أهل البيت التي ما سكتت عن الظالمين، التي لم تسكت يوم انطلق أولئك من علماء السوء من المغفلين الذين لم يفهموا الإسلام فانطلقوا ليدجنوا الأمة للظالمين، فأصبح الظالمون يدجنوننا نحن المسلمين لليهود. أليس هذا الزمن هو زمن الحقائق؟. أليس هو الزمن الذي تجلى فيه كل شيء؟. ثم أمام الحقائق نسكت؟!. ومن يمتلكون الحقائق يسكتون؟!. لا يجوز أن نسكت.
بل يجب أن نكون سباقين، وأن نطلب من الآخرين أن يصرخوا في كل اجتماع في كل جمعة.. الخطباء، حتى تتبخر كل محاولة لتكميم الأفواه، كل محاولة لأن يسود الصمت ويعيدوا اللحاف من جديد على أعيننا.
لقد تجلى في هذا الزمن أن كُشفت الأقنعة عن الكثير، فهل نأتي نحن لنضع الأقنعة على وجوهنا، ونغمض أعيننا بعد أن تجلت الحقائق، وكُشفت الأقنعة عن وجوه الآخرين؟!. لا يجوز هذا، لا يجوز.
هذا هو حديثي في هذه الجلسة.
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نكون من أنصار دينه، ممن يصرخ في وجه أعدائه، ممن يعمل على إعلاء كلمته، وأن يتقبل منا، وأن يُبَصِّرنا ويلهمنا ويوفقنا ويسددنا إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

لَتَحْذُنّ حَذوَ بني إسرائيل

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٧/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفاه الله لأداء أمانته، وتبليغ رسالته، وهداية عباده، من بعثه ليتمم مكارم الأخلاق، ليزكي العباد، ليطهر نفوسهم، ليجعل منهم أمة سامية في روحها، مصلحة في أعمالها، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن شيعتهم الميامين.

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته

نقول: بارك الله في جمعكم، وتقبل منكم، وجعلكم من أنصار دينه، ومن الهادين إلى صراطه المستقيم، ومن الذابيّن عن حرمه.

في هذه الجلسة نحب أن نستعرض ـ كما وعدنا في الأسبوع الماضي ـ صوراً عرضها القرآن الكريم عن أنبياء كرماء، عظماء، هم من بني إسرائيل، وعن أمة نبذت كتاب الله وراء ظهرها، واشترت بآيات الله ثمناً قليلاً، وانطلقت لتفسد في الأرض، هم أيضاً من بني إسرائيل.

ونحن العرب الذين كرمنا الله بهذا القرآن العظيم وبنبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، الرسول العربي الذي امْتَنّ الله به على المسلمين، قد مُنحوا أعظم مما منح الله بني إسرائيل، وامتن الله عليهم، ومنّ عليهم كما منّ على بني إسرائيل.

بنو إسرائيل الذين نلعنهم يجب أن نتعرف أولاً: هل نحن نسير على هدي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلى هدي أولئك الأنبياء العظماء من بني إسرائيل؟ أم أننا نلعن بني إسرائيل ونحن في نفس الوقت نتخلق بأخلاقهم، نتثقف بثقافتهم، نسلك سلوكهم، نقف مواقفهم، نتأثر بهم في كل مجالات حياتنا؟. حتى تتضح الرؤية لدينا، وحتى يتضح الموقف لدينا؛ لنصحح وضعيتنا في أنفسنا، ولنعمل جميعاً على قطع كل الوسائل التي توصل خبثهم إلينا.

في هذه الآيات المباركة التي سمعناها من كتاب الله الكريم [1]عرضت صوراً متعددة عن أولئك الذين منّ الله عليهم بأن جعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكاً، وآتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، عن أولئك الذين حظوا برعاية فائقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ثم تحولوا إلى مفسدين في أرضه، إلى صادين عن سبيله. لنعرف أيضاً بأنه إن اتضح الأمر جلياً أننا في واقع حياتنا متأثرون ببني إسرائيل، فلنعرف أننا سنكون أجدر منهم بأن يضربنا الله بأعظم مما ضرب بني إسرائيل أنفسهم.

لأن الله عندما ذكر لنا في كتابه الكريم كيف آل أمرهم، وكيف تحولوا من النور إلى الظلام، ومن الإصلاح إلى الإفساد، ومن الإعتزاز بكتب الله وأخذها بقوة إلى نبذها وراءهم ظهرياً، ومن العمل لنصر الدين وإعلاء كلمته إلى الإشتراء به ثمناً قليلاً.. كلها ذكر أنها كانت هي الأسباب لتلك العقوبات العظيمة التي عاقبهم الله بها، وأنها سنة إلهية، أنها سنة إلهية، ما عمله ببني إسرائيل يمكن أن يعمله حتى بآل محمد أنفسهم إذا ما سلكوا طريقة بني إسرائيل، سيعمله بالعرب أنفسهم إذا ما سلكوا طريقة بني إسرائيل.

وللأسف الشديد أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال ذلك اليوم أن الأمة ستسير سيرة بني إسرائيل ((لتحذن حذو بني إسرائيل حذو القُذّة بالقُذّة، والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه)).

وفعلاً شهد الواقع، شهد هذا الزمان أننا أصبحنا نتنكر لكتاب الله، نتنكر لهدي رسل الله، نتنكر حتى لقيمنا العربية وننطلق وراء بني إسرائيل، ننطلق وراءهم باعتزاز، ونحن نقول: هذه هي الحضارة، هذا هو التقدم، هذا هو التطور، وهذا هو التمدّن! ولم نشعر بأنه الانحطاط، وأنه الذلة، وأنه الدناءة، وأنه الضلال والضياع.

فيما يتعلق ببيع الدين بالدنيا ذكر الله عن بني إسرائيل في أكثر من آية من كتابه الكريم أنهم كانوا يبيعون الدين مقابل الدنيا، يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، والإشتراء بمعنى:

---

[1] الآيات من سورة آل عمران من الآية (٦٩) إلى الآية (٧٥).

يبيعون هم الدين دون أن يُلْجَئُوا إلى أن يبيعوه، هم من يبحث عن بيعه، الإشتراء يعني: أنهم هم يطلبون الآخرين أن يبيعوا الدين مقابل مواقف معينة، مقابل ثمن معين من حطام الدنيا!. وماذا تدل عليه هذه الحالة؟ تدل على أن الدين لا قيمة له في نفوسهم، لا قيمة له عندهم.

ومن العجيب أن يكون الدين هكذا في أنفسهم لا قيمة له بعد أن منّ الله عليهم، بعد أن أنقذهم، وبماذا منّ عليهم؟ وبماذا أنقذهم؟ ألم يَمُنّ عليهم بموسى الذي أنقذهم من عذاب فرعون وآل فرعون؟ وموسى نبي من أنبياء الله.

إن الدين هو الذي أنقذهم من العذاب، والظلم والاستضعاف، إن الدين هو الذي أعزهم يوم أورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} (الأعراف: من الآية١٣٧) ثم في لحظة يتنكرون لهذا الدين الذي إنما اعتزوا على يديه، إنما استقرت أوضاعهم وسعدت حياتهم على أيدي أنبيائه، يصبح هكذا سلعة تباع، ويبحثون عن من يشتريها! وبالطبع الطرف الآخر لا يشتري الدين منهم، إنما معنى المسألة أنهم هم ينبذون الدين، يرمون بالدين عرض الحائط مقابل ثمن من الدنيا.

ولاحظنا أنه في القرآن الكريم يتحدث عن كل ما ذكر في كل موضع يذكر فيه هذه الحالة يسمي ذلك الثمن (ثمناً قليلاً ثمناً قليلاً)، (ثمناً قليلاً ثمناً قليلاً) حتى ولو كانت الدنيا بأكملها، إنها ثمن قليل، الدنيا بأكملها مقابل شيء من دينك تبيعه إنه ثمن قليل، إنك بعت نفسك، بعت إلهك، بعت أنبياءك، بعت كرامتك، بعت جنتك، بعت عزتك، وبعت إنسانيتك.

ألم يقل الله عن أولئك الذين يتنكرون للدين، ولا يهتدون بهدي الدين: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الفرقان: من الآية٤٤)؟. إن الإنسان يبيع إنسانيته، إن تكريم الله له أعظم تكريم، يتمثل في الهدي الذي منّ به عليه ليسير عليه فيحظى بتلك الكرامة، ويكون جديراً بتلك الكرامة، أما إذا تنكر للدين فإنه يصبح في واقعه وهو إنسان يصبح أضل من تلك الأنعام {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}.

يقول عنهم سبحانه وتعالى: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) لا ينبغي لمثلكم إذا كنتم تتذكرون نعمة الله عليكم أنها كانت كلها بواسطة الدين، وعلى يد الدين، وعلى يد الرسل الذين جاءوا بهذا الدين فلا ينبغي أن تكونوا أول كافر بمحمد، وأول كافر بالقرآن الكريم.

{وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) ويقول أيضاً: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة:١٧٤) {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية٧٧) {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} (آل عمران:١٨٧).

ألم يقل هنا ثمنا قليلاً، ثمناً قليلاً؟ إن كل ما بأيدي اليهود الآن، وهو تلك الممتلكات الهائلة في مختلف أقطار الدنيا إنها عند الله ثمن قليل مقابل ذلك الدين الذي نبذوه وراء ظهورهم، مقابل هدي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا القرآن الكريم الذي أمرهم الله أن يؤمنوا به كما أمر بقية عباده، إنه ثمن قليل ويجب أن نفهم نحن، وما أكثر ما أكثر الناس من المسلمين أنفسهم الذين يبيعون الدين بثمن قليل.

الدين لا يعني أنك كفرت به بلسانك وصرحت بنبذه.. أليس بنو إسرائيل الآن لا يزالون يطبعون التوراة والإنجيل ويوزعونها؟ أليسوا إلى الآن لديهم إذاعات تدعوا إلى النصرانية، وتتحدث عن المسيح، وتتحدث عن أعلام الديانة اليهودية أو النصرانية؟ أليس ذلك قائماً؟ ماذا يعني الإشتراء؟ إنه عندما يعرض الباطل بشكل مال، بشكل مصالح، بشكل مكانة، أو مقام معنوي ينطلقون فيه ويتركون الدين.

أوليست هذه حالة لدينا على نطاق واسع في أوساط المسلمين؟ بكل بساطة، وبدون اكتراث يدخل أحدنا في موقف باطل، يعمل على أن يحصل على مصلحة ولو من طريق باطلة غير مشروعة ولا يبالي أن دينة يحرم عليه هذا،

ولا يبالي أن دينه يهدده إذا ما دخل في هذا.. هذا هو البيع للدين ولو في موقف واحد، ولو في قضية واحدة.
ألسنا في الانتخابات ينطلق أعضاء [مجلس النواب] فيقولون: [سنعمل لكم، وسنعمل، وسنعمل،] يعدون هذا بوظيفة، وهذا يعدونه برتبة عسكرية، وهؤلاء يعدونهم بمدرسة، وأولئك يعدونهم بخط، وأولئك يعدونهم بمستوصف، وفلان يعدونه بأنه إذا ما وصل إلى مجلس النواب سيقف معه، وسيعمل على حل مشكلته، وسيحاول أن يكون موقفه هو الأعلى ضد خصمه.. فننطلق للتصويت لمن يترشح دون أن نلحظ هل أننا ـ من وجهة نظر ديننا ـ وقفنا موقفاً ينسجم مع الدين أم أنه متخالف ومخالف له؟. لا نبالي.
ألم يبع الناس في كثير من المناطق أصواتهم لأعضاء قد يكون بعضهم ليس من الدين في شيء، ولا تهمه مصلحة الدين، ولا تهمه مصلحة الأمة، ولن يفي بوعوده، يبيعون أصواتهم بقليل من السكر، أو من الرز، أو بتُنور غاز، أو بأي شيء من الوعود.
ما الذي يدل على أن هناك سوقاً كبيرة قائمة؟ هو أننا نرى كل من يترشح هل تسمع من أحد كلمة يقول فيها: [أنه سيعمل على إعلاء كلمة الله، أو أنه سيعمل على نصر الدين، أو انه سيعمل على محاربة المفسدين في أرض الله، أو الظالمين لعباد الله]؟ هل نسمع عبارات من هذه؟ لأن هذه بضاعة غير نافقة، لن يحصل على صوت واحد! البضاعة النافقة هي أن نقول: سنعمل لكم، ونعمل ونعمل، أشياء من حطام الدنيا، مصالح، ماديات، فننطلق نصوت ولا نلحظ أي جانب من الجوانب التي هو عليها في واقعه مخالف للدين.
قد يقول: [حقيقة هو ما بين يصلي، وإنسان فعلاً عدو الله لكن وعد أنه سيعطي لنا، ويعطي لنا.. إلى آخره] أليس هذا حاصل؟ حتى نعرف أنه حاصل ـ وأكرر ـ أنها هي السلعة التي ينزلها المرشحون في كل انتخابات، ومتى رأينا دعاية، متى رأينا وعوداً من أحد من المترشحين ـ سواء كان لرئاسة الجمهورية، أو لمجلس النواب ـ يتحدث عن جانب الدين، يتحدث عن جانب المحاربين للدين، أو يتحدث عن الأشياء المهمة بالنسبة للأمة، الجانب الزراعي مثلاً، أنه سيعمل على تحقيق اكتفاء ذاتي للوطن، نسمع عبارات من هذه؟ لاشيء.
من أين جاءنا هذا؟ أننا فعلاً كما قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((لتحذن حذو بني إسرائيل)). ألم يقل الله لهم: {أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ} (البقرة: من الآية١٧٤) هؤلاء الذين اشتروا بدين الله، بعهد الله، بأيمانهم ثمناً قليلاً {أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (البقرة: من الآية١٧٤) تعبير عن إعراضه، عن أي شيء فيه رحمة لهم يوم القيامة، إعراض عنهم، أولئك ليس لهم جزاء إلا النار، سوء الحساب، وجهنم، {وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: من الآية١٧٤). ويقول في الآية الأخرى: {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} (آل عمران: من الآية١٨٧) أن يبيعوا الدين مقابل ثمن.
هنا هو لا يقول: بأنهم لم يبيعوا الدين بالثمن الذي يساويه، إنما قال ثمناً قليلاً في كل المواضع يقول ثمناً قليلاً ليس اعتراضه على أساس أنهم باعوه بـ(٢٥٠) لو باعوه بـ(١٠٠٠) كان أفضل ولو باعوه بـ(١٠٠٠) لما قال. لكن المشكلة أنهم باعوه بثمن قليل هو (٢٥٠). إن كل شيء في مقابل الدين هو ثمن قليل وإن كانت الدنيا بملئها ذهباً هي ثمنه فهي قليل؛ لأنك تبيع نفسك، لأنك توبق نفسك، توقعها في جهنم.
ألم يقل الله: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر:٤٧) لو أن لك الأرض بكلها، ومثلها معها، وملؤها ذهباً، يوم القيامة عندما ترى جهنم، عندما تُبَرَّز جهنم للغاوين فتسمع شهيقها وزفيرها، وتسمع صراخها المرعب تود لو أن الدنيا بأضعاف ما فيها لك لسلمتها فدية مقابل أن تنجى.. أليست الدنيا إذاً ثمناً قليلاً؟ أليست ثمناً قليلاً؛ ولهذا تجدون في كل موضع يقول: (ثمنا قليلا، ثمنا قليلا).
كلنا سواء من ينطلقون مقابل مصالح مادية، أو من ينطلقون باسم الدين نفسه فيتكيف مع هذا، وينسجم مع هذا، ويكتم جزءاً من الدين من أجل أن يرضى عنه هذا، أومن أجل أن يحصل على مساعدة منه، يقف معه موقفا باطلاً من أجل أن يدفع له أكثر حتى يتمكن من إقامة مراكز أكثر، ويقول باسم الدين، من أجل نصر المذهب [وسهل هذه ليست مشكلة، وسهل ذي الموقف يدخل معهم فيه وإن كان باطل] هذا نفسه من بيع الدين،

هذا نفسه من بيع الدين بثمن قليل، بل هذا أسوء من الآخرين.
الذين باعوا الدين وهم حملة الدين، أو يكونوا في مواقفهم وإن كان من باب مراعاة المصلحة للدين، إنهم أسوء وأكثر أثراً وضرراً على الأمة؛ لأنه إذا باع أهل الدين الدينَ فمن أين ستلقى الدين نظيفاً ونقياً؟ بنو إسرائيل عندما باعوا الدين باعوه وهم حملته فكان بيع الدين هو إضلال للأمة؛ لأنهم من ينظر إليهم الناس في مختلف مراحل التاريخ أنهم الجهة التي يتلقون منها إرشادهم وتعليمهم، ويتلقون منها الكتب التي أورثهم الله إياها.
نحن كذلك إذا ما انطلقنا وقلنا: لدينا مشاريع دينية، ثقافية دينية، ولكن لا بأس ندخل مع هذا الحزب أو مع هذا، ونحاول أن نحصل على مساعدات من هنا أو من هنا، [وسهل نسكت عن هذه، ونسكت عن هذه، ونسكت عن هذا المبدأ، ونلغي هذا المبدأ، ونقف في هذا الموقف] إنه من بيع الدين، إنه من بيع الدين في العصر الذي الأمة أحوج ما تكون إليه كاملاً ونقياً.
أولسنا نرى الدين الآن على رقعة واسعة من الدنيا هذه؟ أليست البلاد العربية كلها تحمل اسم بلاد إسلامية؟. أليست هناك شعوب أخرى تمتد إلى أوساط آسيا، وإلى أوربا، وإلى بلدان أفريقيا، أليست رقعة البلاد الإسلامية واسعة؟ أليست إذاً مساحة الدين منتشرة بشكل واسع؟ لكن ما بال هذا الدين لم يعمل شيئاً لهذه الأمة؟ ما باله؟ إنه قدم ناقصاً.
حينئذ سيكون عملك وأنت مرشد، وأنت تملك مشروعاً ثقافياً دينياً لن يعمل شيئا للأمة، ولست تختلف عن الكثير من أمثالك، وعن من يملكون أكثر مما تملك من مشاريع دينية على طول وعرض هذه الرقعة الإسلامية الكبيرة، ممن لم يقدموا للأمة الحلول التي تضمنها ديننا، الحلول التي تضمنها كتابنا، الحلول التي وجهنا إليها نبينا (صلوات الله عليه وعلى آله).
ثم يقول: [حفاظاً على المذهب، حفاظاً على الدين، مراعاة للمصلحة العامة!] وكأن الدين أمامه هو أن يرى أن مدرسة كهذه أصبح في قاعتها ألف طالب.. هذا هو الدين! إن هناك ألف مليون، هناك ألف مليون مسلم.. أليس كذلك؟ فأنت تقول: ألف طالب أصبح لدينا (١٥) ألف طالب، لدينا (٢٠) ألف طالب، لدينا كم معاهد، لدينا كم مراكز، عبارات من هذه.
انظر إذا كنت ممن لا يعمل على أن يقدم الدين كاملاً بنقائه وإن كنت تشعر بخطورة بالغة عليك فإن تلك الأرقام لا تشكل أي شيء في إضافتها إلى هذه الأمة التي هي أوسع مما لديك، والكثيرون داخلها يمتلكون أكثر مما تمتلك.
إن بيع الدين ـ سواء من قِبَل من يحملون اسمه، ومن يتحركون باسمه، أو من قبل بقية الناس ـ مقابل مصالح مادية لا يبررها إطلاقاً، لا تجد مبرراً لها إطلاقاً، لا أن تقول: حفاظاً على المصلحة العامة، ولا أن تقول: حفاظاً على المذهب.. ماذا يضرنا إذا سكتنا عن هذه مقابل أن يبقوا لنا [حي على خير العمل]، ويبقوا لنا أشياء من هذه الأخرى؟ فهذا هو المذهب نحافظ عليه!.
هذا ليس مبرراً، أنت تريد أن تحافظ على الدين، أنت تريد أن تعمل للدين؟ إن الدين للأمة، فانظر ما الأمة بحاجة إليه، انظر وضعيتها، وحلل وضعيتها، وانظر ما هو الذي ضاع من الدين في أوساطها فانطلق لتحييه إنه الدين، والحفاظ على الدين، والحفاظ على المصلحة العامة للأمة.. أنت تريد أن تحافظ على المصلحة العامة للأمة، أو لبلد، أو لشعب فحافظ على الدين بأكمله أن يُقدم لتلك الأمة، أوليس الدين لمصلحة الأمة؟ إن الدين لمصلحة الأمة فمن يهمه مصلحتها فليقدم الدين لها كاملاً، وليوجهها بتوجيه الدين كاملاً.
أما إذا قدمت الدين منقوصاً فأنت من تضرب الأمة وإن قلت من أجل مصلحة الأمة، وأنت من تضرب الدين وإن قلت حفاظاً على المذهب وعلى الدين.. الله لم يفرق، هو الذي تكفل بالمصلحة العامة لعباده، متى؟. متى ما ساروا على دينه على نحو كامل وصحيح، أما إذا آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ألم تضرب المصلحة العامة في الدنيا والآخرة؟. {لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة: من الآية٣٣) ألم يقل هكذا؟. الخزي في الدنيا هو حفاظ على المصلحة العامة؟! العذاب العظيم في الآخرة هو حفاظ على المصلحة العامة؟! من أين جاء الخزي في الدنيا؟ ومن أين جاء العذاب العظيم في الآخرة؟ إنه من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض.

فأنت يا من تُعلّم، يا من ترشد، يا من لديك مشاريع، معاهد علمية، أو مراكز، أن تكون حركتك على هذا النحو هي في واقعها: إيمان ببعض وكفر ببعض، فإنك من تعمل على أن توقع الأمة في الخزي في الدنيا، وأن تسير بالأمة إلى العذاب العظيم في الآخرة.

في هذه النقطة؛ لأن الزعماء يعرفون أن السوق ينفق فيها بيع الدين بالدنيا، أننا أصبحنا جميعاً كمسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية لا يهمنا الدين، يهمنا أن نرى مشاريع وإن كانت مشاريع بسيطة، وإن كانت مشاريع هي من قوتنا، هي قروض، هي من قوتنا، أو هي فضلة، فضلة ما انتهبه الآخرون من ثرواتنا.. متى ما أحد وعدنا بشيء من هذه انطلقنا وراءه، ولا نسأل عن دين.

بل ولا نسأل عن واقع الدنيا أنه ما قيمة ما يريد أن يقدمه لنا، أو ما قد قدمه لنا بالنسبة لما أكله علينا! أنه من أين جاء ما قدمه لنا، وما لمع شخصيته أمامنا به؟ هل هو من ثرواتنا الطبيعية؟ أم أنه من عرق جبيننا ومن قوتنا؟ أم أنه قروض تثقل كاهلنا، وتصنع لنا الأزمات، وتخنقنا سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، وتجعل زمام أمورنا بأيدي أعدائنا؟ حتى عن جانب الدنيا لا نستوضح، أما الدين فهو ذاك الذي لا نلتفت إليه.

لّما كانوا قد عرفوا أن الأمة أصبحت على هذا النحو؛ انطلقوا كلهم كما انطلق فرعون يوم قال لأولئك في مواجهة ما كان يدعوهم نبي الله موسى إليه: {وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الزخرف:٥١) **ألم يعرض مشاريع وخدمات مقابل هدي الله؟ ألم يقل هو لقومه: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}**(غافر: من الآية٢٩) **اتركوا هذا الفقير، اتركوا هذا الصعلوك، اتركوا هذا المهين، هكذا يقول لموسى.**

فانشدوا نحو فرعون، ليقل الله لفرعون ولهم في الأخير يوم غرقوا في قعر البحر: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} (طه:٧٩) **أضل فرعون قومه وما هدى يوم قال: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} إنه المنطق الذي يتكرر على مسامعنا دائماً من وسائل إعلامنا، إنه كل ما يعرض في المناسبات الوطنية.**

تأملوا التليفزيون في اليمن، في السعودية، في أي دولة عربية تعرض ما تسمى منجزات ومع أنشودة حماسية، وصور لمشروع هنا ومشروع هناك، ومصفاة للبترول هنا ومصنع هناك وأشياء من هذه.. هي نتاج عشرين عاماً أو ثلاثين عاماً، والعشرون عاماً والثلاثون عاماً هي لأمة كفيلة بأن توصلها إلى دولة صناعية إذا كان هناك من يقومون على أمور الناس ممن هم مخلصون، ممن هم يعرفون كيف يبنون شعوبهم.

أولم تصل إيران الآن إلى دولة صناعية، ودولة منتجة، ودولة مصدرة لمختلف المنتجات؟ دولة استطاعت الآن أن تهدد أمريكا فعلاً، ألم تسمعوا أنتم في هذا الأسبوع أنهم هددوا أمريكا؟ وأولئك الذين ينتجون ما بين خمسة ملايين برميل بترول، وتلك الثروات التي يمتلكها هؤلاء العرب ـ لأنهم لم يبنوا نفوسهم ولم يبنوا شعوبهم؛ لأن كل ما يلمعون به أنفسهم إنما هو من فضلات ما ينتهبه الآخرون من ثرواتهم ـ هاهم يخضعون، ويركعون، ولا يستطيعون أن يقولوا كلمة.

الإيرانيون خرجوا في هذا الأسبوع وملئوا الساحات، وخرج الإمام الخامنئي، وكلهم هددوا أمريكا، وكلهم لعنوا أمريكا، وهم من كنا نسمع عنهم مباشرة أنهم كانوا يتمنون أن يدخلوا في حرب مباشرة مع أمريكا، قالوا: أمريكا هي كانت وراء العراق، يوم دخل العراق معهم في حرب شديدة وطويلة، أمريكا هي التي دفعته، أمريكا هي التي دفعت البلدان العربية الأخرى لترسل جيوشها، ولترسل مساعداتها الكبيرة للعراق، ويقاتلون جميعاً صفاً واحداً ضد الإمام الخميني، وضد الشعب الإيراني، وضد الثورة الإسلامية، على الرغم من ذلك كله ألم يهدد هؤلاء الأمريكيين، هددوهم وفعلاً بدأ منطق أمريكا ضعيفاً.

لأنهم وعلى مدى عشرين عاماً فقط، عشرين عاماً التي هي قد تكون عمر رئاسة شخص، أو ملك من ملوك العرب، وبعضهم يبقى في حكمه خمسة وعشرين عاماً أو ثلاثين عاماً، وترى شعبه ما يزال فقيراً، ترى شعبه ما يزال ذليلاً، ترى شعبه متى ما سمع تهديداً ونظر ورجع إلى نفسه رأى أنه لا يمتلك قوته فيخاف أن يقول كلمة جريئة أمام أعدائه.

أولئك هم من استطاعوا أن يخفضوا إنتاج البترول عما كان عليه أيام ملك إيران السابق، خفضوه بنحو مليونين برميل في اليوم، واستطاعوا بعد التخفيض أن يبنوا إيران في مختلف مجالات الحياة، وهاهم لما انطلقوا وعلى مدى عشرين عاماً فقط لما سمعوا تهديد أمريكا استطاعوا أن يصرخوا في وجه أمريكا وأن يتحدوها، ورأينا فعلاً كيف بدا زعماء آخرون من الغرب وكيف بدا [الكونجرس] الأمريكي نفسه يهاجم [بوش] على سياسته القاسية، ستضرب مصالح أمريكا هوّن.

هذا ما كنا نقوله للناس: أولئك جبناء، أولئك يرون أن مصالحهم تحت أقدامنا لو نعرف واقعنا إنهم أحوج إلينا من أي أمة أخرى، إنهم من يجب أن يكونوا تحت رحمتنا لو كنا نفهم، إن مجاميعنا هذه هي سوقهم الاقتصادية، إن خيرات أوطاننا هي المواد الأولية التي تحرك مصانعهم، إن البترول هو من أرضنا أكثر من ٨٥٪ من احتياطي العالم من البترول هو في البلاد الإسلامية أكثر من ٨٥٪، هم من هم تحت رحمتنا لو كنا نفهم.

هل تحرك [الكونجرس] الأمريكي وهاجم [بوش]؟ متى تحرك؟ بعدما تحرك الإيرانيون وتهددوا وقالوا: لو تضرب أمريكا، أو تفكر أن تضرب فسيتلقون ضربة مباشرة وشديدة. هم يعرفون إيران، ويعرفون شعب إيران، ويعرفون أن إيران استطاعت أن تبني نفسها عسكرياً واقتصادياً وثقافياً.

لكن الآخرين مازالوا هكذا، همهم أن يبقوا في مناصبهم، ونحن همنا أن ننظر إلى ما يمكن أن يقدموه لنا من مشاريع بسيطة لا تعمل شيئاً، ليست في قائمة (البُنَى التحتية الاقتصادية) ـ كما يقولون ـ ولا تشكل في واقعها تنمية حقيقية؛ لأنهم عرفوا أن هذا هو همنا، أن هذا هو ما نريد، أننا نفوس حقيرة، أننا نفوس ضعيفة، ليس لدينا طموحات، ليس لدينا أهداف، ليس لدينا شعور بكرامة، ولا بعزة، يُسْلِينا أي شيء، يرضينا أي شيء، وليكن هذا الشيء البسيط هو ثمن ديننا لا نفكر ولا نعبأ به.

تراهم في كل مناسبة وطنية يعرضون علينا المنجزات! نحن نقول: أين المنجزات الحقيقة التي تحافظ على كرامتنا؟ أين البناء الاقتصادي، والتنمية الحقيقية التي تجعلنا أمة تستطيع أن تقف على قدميها؟ إذا كنتم تبنون مستشفى هنا، ومستوصف هناك من أجل متى ما أحسسنا بألم ما صداع في الرأس، أو جرح، أو ضيق في الشرايين، أو في التنفس، يكون هناك أمامنا مستشفى.. إننا نعيش الألم النفسي، نعيش ألماً شديداً ليس من نقص في الفيتامينات إنما من نقص في الكرامة وفي العزة، نقص في الحياة الكريمة التي أراد ديننا أن تتوفر لنا، نعيش الألم فأين هو العلاج؟ نعيش الجوع الذي سيجعلنا مستسلمين أمام أعدائنا فأين هو الغذاء من أوطاننا؟ هذا هو العلاج الحقيقي، هذا هو العلاج الحقيقي.. هل هناك عمل على توفيره؟ لا يوجد. لماذا؟ لأن الشعوب نفسها لا تتحدث مع أولئك.

نحن قلنا في الجلسة السابقة أنه يجب في كل انتخابات أن نقول: نحن لسنا مستعدين أن نصوت لأحد إذا لم نراه يهتم باقتصادنا، ببناء اقتصادي تقوم عليه أقدامنا، اقتصاد صحيح، تنمية حقيقية، زراعة.

النساء عندما كن يصوتن في حجة، وفي مناطق أخرى مقابل [تنانير]، تنور من الغاز، بعض الأعضاء وزعوا كميات كبيرة من التنانير، تنانير الغاز للنساء ليصوتن، وزوجها مرتاح أن صوت زوجته وفّر له تنور، لكن التنور هذه، الخبز الذي تريد أن تصنعه فيها من أين يأتيك؟ حاول ـ على أقل تقدير ـ أن تصوت للخبز أولاً، صوت ولا تعط صوتك إلا لمن يوفر لك خبزك وطعامك من داخل وطنك، أما التنور فهي تلك التي لا تنفعك فيما بعد عندما ترى لا دقيق ولا قمح موجود.

عند ما يقال أن هناك إرهابيين في اليمن إذاً فليحاصر اليمن، إذاً فليضرب اليمن، التنانير ستبقى حينئذ باردة لا تشتغل، وسنرى الأراضي الواسعة الشاسعة في بلادنا بيضاء، بيضاء لا تزرع، ويتعاقب الزعماء زعيما بعد زعيم، وأعضاء مجلس النواب عضواً بعد عضو، وأعضاء الحكومة عضواً بعد عضو أيضاً، وما تزال أراضي بيضاء.

لكن إذا ما كانت الزراعة لصالحهم فسيزرعون (المانجو) ليبيعوه بالملايين، ويصلحون تلك الأراضي الواسعة ومن مال من يصلحونها؟ الله يعلم من مال من يصلحونها؟ وتلك العائدات التي تدرُّ عليهم هذه المزارع الكبيرة، مزارع (المانجو) الله أعلم في أي بنوك تودع؟ الله أعلم من هو الذي يستثمرها فيجني من ورائها أكثر مما يجنونه هم من تلك المزارع؟ ألم تصبح حينئذ الأراضي قابلة للزراعة؟! لكن للحبوب غير قابلة للزراعة، لمختلف المنتجات

الزراعية التي المواطنون بحاجة إليها غير قابلة للزراعة!.
القروض الكثيرة جداً تتوارد على البلاد أيضاً لا تصرَّف إلى المجال الزراعي. لماذا مشى كل هذا؟ لأننا لا نتفوه بكلمة، نحن لا نعرف مصالحنا، ما قالوا هم بأنه مصلحة لنا نُسلّم! حتى عندما يقولون: نحن سنكافح الإرهاب، وأمريكا تريد منا أن نتصدى للإرهاب، لأي كتاب إرهابي، لأي مدرسة إرهابية، لأي مدرسة تحفيظ قرآن إرهابية تُصنَّف عند أمريكا إرهابية، لأي شخص يقال أنه إرهابي سنضربه حفاظاً على مصلحة الوطن لأن لا تضربه أمريكا، أو نواجه بحصار من جانب أمريكا!. أليسوا هم من يرسمون لنا المصالح، ونسلّم؟ مع أنها ليست مصالح حقيقية.
الأمر الذي يكف عنكم الضغط الأمريكي، الذي اضطركم إلى أن تجندوا أنفسكم وتستعدوا لمكافحة كل ما قالت أمريكا أنه إرهابي، وأنتم من رأيتموهم يسألونكم عن مدارس تحفيظ القرآن، ويسألونكم عن (مركز بدر)، وسيسألونكم عن مراكز [الشباب المؤمن]، وسيسألونكم عن المساجد الفلانية، وعن العلماء الفلانيين، وعن، وعن... قائمة طويلة عريضة.
دعوا الشعب يصرخ في وجه الأمريكيين، وسترون أمريكا كيف ستتلطف لكم.. هي الحكمة. ألسنا نقول: أن الإيمان يماني، والحكمة يمانية؟ أين هي الحكمة؟ إن من يعرف اليهود والنصارى، إن من يعرف أن كل مصالحهم في بلادنا، لو وقف اليمن ليصرخ صرخة في أسبوع واحد لحولت أمريكا كل منطقها، ولعدّلت كل منطقها، ولأعفت اليمن عن أن يكون فيه إرهابيين.
هكذا عمل الإيرانيون، هل انطلق رئيسهم، هل انطلق قائدهم الأعلى ليقول: اسكتوا أمريكا تهددنا؟ والمواطنون يعلمون فعلاً أنهم مستهدفون، وقد عانوا من حصار اقتصادي طويل، لكن الإمام الخميني كان يقول لهم: إنه في مصلحتكم، إنكم حينئذ ستتجهون لبناء أنفسكم، والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات داخل وطنكم.
هؤلاء هل انطلقوا ليقولوا للناس اسكتوا؟ أم أنهم خرجوا إلى الميادين زعماء، وإمام، وشعب ليتحدوا أمريكا؟.
ويأتي التهديد من كل المسئولين بما فيهم وزير الدفاع نفسه يتهدد بضربة مباشرة. ألم تغير أمريكا منطقها؟ تأملوا أنتم، لأن الكثير منا يخافون أيضاً [قد يضربنا الأمريكيون، قد يحصل.. قد يحصل]..
إذا كنت تريد أن تسلم أولئك فامش على قاعدتهم هم، هم الذين يقولون: [إذا أردت السلام فاحمل السلاح] هذا مثل أمريكي [إذا أردت السلام فاحمل السلاح].
عرفات ألم يبحث عن السلام؟ هل وجد سلاماً؟ متى فقد السلام؟ ومتى فقد الفلسطينيون السلام؟ يوم القوا بأسلحتهم وانطلقوا على طاولات المفاوضات، مفاوضة بعد مفاوضة، مفاوضات طويلة عريضة ثم بعد فترة تتلاشى كلها وتتبخر. هل حصلوا على سلام؟ إن هذا هو منطق الأمريكيين أنفسهم: [إذا كنت تريد السلام فاحمل السلاح].
إذا كان اليمنيون يريدون أن يسلموا شر أمريكا فليصرخوا جميعاً في وجهها، وليتحدوها، وليقولوا: ليس هناك إرهاب داخل بلادنا. لكن ما الذي يحصل؟ أمر بالسكوت من الكبير والصغير، وكله يُقدم تحت عنوان [حفاظاً على مصلحة الشعب].
نحن نقول: إن القرآن الكريم هو الذي علمنا مصالحنا، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لنا أن من يسارع إلى اليهود والنصارى لا يمكن أن يبرر مسارعته بأنه من منطلق الحفاظ على المصلحة، وأنه فيما لو قال ذلك وكان في واقع نفسه معتقداً لذلك فإنه مخطئ، فإنه مخطئ؛ لأنها ليست مصلحة، أنت تريد أن تحافظ على مصلحة شعبك دع شعبك أن يصرخ كله، وأن يخرج في مسيرات كبيرة.. إذا ما قال الأمريكيون: أن هناك إرهابيين في اليمن، وهم من سيكفون أيديهم، وسينسلون، ويكممون أفواههم حينئذ ستحافظ على مصلحة شعبك.
ولا تتوقع أنهم سيحاصرونك اقتصادياً، هم جربوا عندما حاصروا إيران اقتصادياً أنهم هم من خسروا، أن الشركات الأمريكية هي من صرخت في وجه الحكومة الأمريكية جرّاء الخسارات الكبيرة التي فقدتها، بينما شركات أخرى فرنسية، وألمانية، وصينية، وغيرها هي التي كانت هي المستفيدة، من الذي خسر في الحصار ضد

إيران؟ إنهم الأمريكيون أنفسهم، من الذي خسر من الخروج من إيران؟ إنهم اليهود، إسرائيل هي التي خسرت.
وما الذي يحصل أيضاً مع الأمر بالسكوت؟ من يتأمل ـ وحاولوا أن تتأملوا وتسمعوا كثيراً ـ هناك منطق يتكرر كثيراً، منطق يقوم على أساس أن يرسخ في نفوسنا أنه لا شرعية لأحد أن يتحرك ضد أمريكا اللهم إلا إذا كان قد أصبح يُعاني ويُضرَب كما هو الحال في فلسطين، حينئذ يمكن أن يقال: أن المقاومة مشروعة، ولكن بمنطق بارد، وقليلٌ من يؤيد هذا.
ألسنا نسمع الآن بأنه نحن نمنع أن تكون حماس إرهابية؟ أو أن يصنف الفلسطينيون بأنهم إرهابيون؟ أو أن يصنف حزب الله بأنه إرهابي؟ لأنهم ماذا؟ لأنهم يقاومون احتلالاً.. لكن آخرون ينطلق منهم مواقف ضد أمريكا في أي بلد عربي إسلامي سيقول الجميع: أنتم إرهابيون! لماذا؟ لأنه لا مبرر لكم أن تتحركوا، أليس هذا هو ما يحصل؟ يفهموننا نحن أنه لاشرعية لأحد أن يتحرك ضد أمريكا اللهم إلا متى ما أصبحت وضعيته كوضعية الفلسطينيين.
أي لا شرعية لك أن تقاوم وأن تتحرك وأن تواجه إلا بعد أن يصل بك اليهود والنصارى إلى وضعية لا يكون لتحركك أي جدوى، فحينئذ سيتفضل عليك هؤلاء الزعماء ويقولون: لا بأس أنت لن نسمح بأن تصنف إرهابي. لكن لن يقدموا لك شيئاً، ولن يدفعوا عنك شيئاً، أليس هذا هو ما يحصل مع الفلسطينيين أنفسهم؟.
يتمنن زعيم من هنا أو هناك أن يقول: لا، الفلسطينيون ليسوا إرهابيين، هم يقاومون الاحتلال.. ويرى هذه كلمة كبيرة، ويراها منّة على شعبه، ويراها منّة على الفلسطينيين، لكن هل عمل هؤلاء للفلسطينيين شيئاً؟ ألسنا نرى الفلسطينيين يذبحون كل يوم، وتدمر مساكنهم، ومزارعهم تقلع وتدمر؟ ما الذي عمل هؤلاء للفلسطينيين؟ ماذا عمل هؤلاء لحزب الله؟ ماذا عمل هؤلاء لحماس؟.
لماذا أما الغربيون: دول، وشعوب، وأفراد وهو ما حصل بعد حادث [الحادي عشر من سبتمبر] بشكل صريح.. ألم ينطلق المواطنون في فرنسا، وفي بريطانيا، وفي أمريكا، وفي استراليا، وفي ألمانيا، وفي مختلف المناطق ضد المسلمين في تلك البلدان؟ ألم تنطلق الصحف؟ ألم تنطلق وسائل الإعلام كلها لتهاجم الإسلام والمسلمين؟ هم انتظروا أحداً يمنحهم شرعية؟ أم أنهم يرون أن لهم شرعية؟ لأنهم يعتبرون الإسلام والمسلمين أعداء ولك حق في أن تقف في مواجهة عدوك.
لكننا نحن المسلمين نُثقف هكذا: ليس لليمنيين حق أن يقفوا في مواجهة أمريكا وإسرائيل، وليس للسعوديين حق، وليس للإيرانيين حق، وليس لأي مواطن في أي بلد عربي حق أن يقف ضد أمريكا، سيقولون ماذا تعني؟ ماذا تريد؟ ماذا تريد عندما تقول هكذا؟ أنت الآن إرهابي، هل ضربتك أمريكا الآن أو عملوا بك شيئاً؟.
نقول: أنت تريد أن أنتظر حتى يدوسوني بأقدامهم، ثم فقط يكون كل ما أريده وأنا منتظر منك، كل ما أريده منك أن تقول لي في الأخير: أنني لست إرهابياً، وأنت في الأخير لا يمكن أن تعمل لي شيئاً!.
الزعماء أنفسهم هم من سيقعون فيما وقع فيه عرفات.. وهل أحد من زعماء العرب عمل لعرفات شيئاً؟ بل يقول بعض الكتاب في الصحف: أنه فعلاً حتى الاتصالات، الاتصال من زعماء العرب أنفسهم بعرفات كلهم أقفلوا الاتصالات معه، ولا كلمة يسمعها، ويسجن داخل بيته ولا أحد يقدم له شيئاً، ولا أحد يتصل حتى يواسيه بكلمة!. هذه ما يجب أن نقاومها.. هذا ما يجب أن نرفضه.
إن اليهود والنصارى يقاتلوننا كافة، والله يأمرنا أن نقاتلهم كافة كما يقاتلوننا كافة، إنهم يتحركون في كل شعب، وهل هناك دولة إسلامية تضرب بريطانيا، أو دولة إسلامية تضرب فرنسا حتى ينتظر الفرنسيون أن يوجد لهم المبرر أن يتحركوا ضد المسلمين؟ أم أن كثيراً من المسلمين الآن ما يزالون سجناء بما فيهم يمنيون؟ سجناء في أمريكا، وسجناء من مختلف المناطق، وأشخاص قتلوا.
حتى نشرت بعض الصحف أن أربعة يمنيين من مدينة [القاعدة] قتلوا واستجوب كثير منهم؛ لأن في وثائقهم اسم [القاعدة] ـ والقاعدة هي مدينة في اليمن ـ ظنوا أنه من تنظيم القاعدة تنظيم [أسامة بن لادن] وهو من مدينة القاعدة مدينة هنا اعتقد في محافظة [إب]. محل الميلاد [القاعدة]، قالوا: إذاً أنت من القاعدة.. قتل أربعة أشخاص لاشتباههم في الاسم.

لكننا نحن لا يجوز لنا أن نصرخ في اليمن، ولا في أي بلد عربي آخر، ونحن نُضرب في كل مجالات حياتنا، ونحن نرى ديننا يهدد، أولسنا كلنا نعرف أن الإسلام والمسلمين يواجهون بهجمة شرسة جداً من دول الغرب كلها؟. أليس هذا هو ما نلمسه؟. فلماذا يريد هؤلاء أن لا نتكلم لا في اليمن ولا في أي منطقة أخرى؟. لأنـه لاشـرعية لـك أن تقول إلا بعد أن يصل أولئك إلى عندك فيدوسونك بأقدامهم.

تأملوا ستسمعون هذه العبارات تتكرر، ودائماً وسائل إعلامنا تخدم إسرائيل من حيث تشعر أو لا تـشعر، وترسـخ في أذهاننا شرعية بقـاء إسـرائيل كدولـة، وشـرعية تحـرك أمريكـا ودول الاسـتكبار ودول الكفـر دول اليهـود والنصارى ضد المسلمين شعوباً وحكومات ولا تمنح الشرعية إلا لفئات معينة!. ماذا يعني هذا المنطق عندما نسمع [أنه لا أما حماس وحزب الله وحركة الجهاد والفلسطينيين لا نسمع أن يصنفوا أنهم إرهابيين] ماذا يعني هـذا؟، أما الباقون فإذا ما صرخ أحد ضدكم فهو إرهابي، أما البـاقون في مختلـف الـشعوب الإسـلامية فـإذا مـا تحركـوا لمواجهتهم فهم إرهابيون وسنكون معكم ضدهم.

أليس هذا هو ما يعني حصر؟ حصر ماذا؟ حصر من نعزلهم عن قائمة اسم إرهاب في منظمات معينـة بحجـة أنهـا تقاوم احتلالاً مباشراً أولسنا محتلين في اقتصادنا، في سياستنا، في كل شئون حياتنا؟.أوليس العـرب مـستعمرين الآن؟ هم مستعمرون، أي زعيم يمكن أن يقول كلمة جريئة إلا ويسحبها بعد ساعة أو ساعتين؟ أليس هـذا يعـني استعمار؟.

استعمار في كل مجالات شؤوننا، وحرب لـديننا نراهـا ونـشهدها، وإفـساد في أرضـنا، وإفـساد لـشبابنا، وإفـساد لنسائنا، وإفساد لكبارنا وصغارنا.. أليس هذا هو ما يحصل في البلاد العربية كلها؟.

إن الله هو الذي منح المسلمين الشرعية أن يقاتلوا أعداءهم كافة كما يقاتلونهم كافه، هـو يقـول: {وَلا يَزَالُـونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧) هو يقول: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) هو من أمر المسلمين جميعاً أن يقفوا صفاً واحداً وبكل ما يمتلكـون مـن وسـائل في مواجهة أعدائهم، سواء كثر أعداؤهم أم قلوا.

التوزيع للشرعية إنما جاء بعد ما وزعت البلاد الإسلامية إلى قطع صغيرة، ثم بعد وزعت المواقف: فهذا مشروع، وهذا ليس مشروعاً.

إن كل ذلك هو يخالف منطق القرآن الكريم، وسيقولون ماذا؟ حفاظاً على مصالح، سيقولون ماذا؟ مقابـل قـروض تُعفى عنها، أو مساعدات، أو تنمية موعود بها.. كل ذلك يصنف في قائمة ماذا؟. في قائمة (بيع الدين بالدنيا)، فهل يجوز أن نرضى؟ سنقول: نحن مسلمون، وإذا كنا نرى دول الغـرب كلـها حكومـات وشـعوباً ينطلقـون لمحاربـة الإسلام والمسلمين كافة فإن كل مسلم يجب أن يكون جندياً يعاملهم بمثل ما يعاملون به المسلمين، ويقف في وجههم كما يقفون بكل إمكانياتهم في وجه المسلمين.

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً عن بني إسرائيل أنهم يشترون الضلالة بالهدى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء:٤٤) أُوتوا نصيباً وافراً من الكتاب، أورثوا الكتاب، لكن أصبح الكتاب لا قيمة له لديهم، وأصبحوا هـم يـشترون الـضلالة، يبحثـون عـن الـضلالة.. الـضلالة في أنفسهم، والضلالة ليصدروها للآخرين {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} يريدون أن تضلوا السبيل، والذي يريـد أن أضل أليس أنه عندما يتمكن، ويحصل على الإمكانيات التي يستطيع بها أن يضلني ألن يعمل على إضـلالي؟. لأنه يريد أن يضلني، أليس كذلك؟ هم يريدون أن نضل، وقد أصبحوا يمتلكون إمكانيات هائلة جداً من الآليات والماديات، ألن يسعوا بجد؟ أليس هناك ما يدفعهم إلى أن يتحركوا لتصدير الضلالة إلينا وإلى أن يضلونا؟.

فعلاً هم يمتلكون مليارات، ويمتلكون شركات السينما، ويمتلكون القنوات الفضائية الكـثيرة، يمتلكـون الآليـات بمختلف أنواعها.. ألسنا نرى أنها كلها تُجَنّد لإضلال الآخرين؟ لإضلال الشعوب؟ ألسنا نعاني مـن إضـلال كـبير يأتي من مختلف وسائل الإعلام؟ ومن مختلف وسائل النشر؟ ومن الأقلام الكثيرة التي تكتب؟ وفي كل بلد، وبكل

وسيلة؟.

أولسنا نرى أنه هنا في اليمن كل سنة ينتشر فيها الفساد والضلال أكثر من السنة السابقة؟ لأن الله قال عنهم أن أولئك من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى اشتروا الضلالة، نبذوا الكتاب وراء ظهورهم ليستبدلوا به الضلالة، وأنهم في نفس الوقت يريدون من الآخرين أن يضلوا {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}.

فلنرجع لنتلمس آثار إضلالهم في واقع حياتنا، تلك نقطة عرفنا أنها.. قضية بيع الدين بالدنيا أليست هي السائدة داخل أوساط المسلمين؟.

هناك فيما يتعلق أيضاً بجوانب كثيرة لأن عبارة {الضَّلاَلَةَ} تعني أنهم عندما يكونون يريدون أن نضل السبيل كل وسيلة سيسلكونها؛ لأنهم لن يتحرجوا إذا، وما الذي سيدفعهم إلى أن يتحرجوا من أن يستخدموا كل وسيلة فيها إضلال لنا؟ هل دينهم سيمنعهم؟ لقد نبذوا الدين وراء ظهورهم، لقد نبذوا الكتاب وراء ظهورهم، فما الذي سيجعلهم يتحرجون من أن يستخدموا أي وسيلة للإضلال؟ إنهم يستخدمون حتى بناتهم ونسائهم لإضلال الآخرين، إنهم يستخدمون اليهوديات المصابات بمرض (الإيدز) لينتشرن داخل مصر من أجل أن ينتشر ذلك المرض الفتاك، ومن أجل أن يفسدوا شباب المصريين زيادة على ما قد حصل.

هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية، هم من دفعوا المرأة المسلمة، المرأة المحتشمة، المرأة التي يلزمها دينها وقيمها العربية أن تكون متأدبة ومحتشمة، هي من أصبحت الآن تتبرج، هي من أصبحت الآن تكشف شعرها وبدنها، هي من أصبحت الآن تزاحم الرجل في جميع مناحي الحياة بحجة مشاركتها في المجال السياسي.

الآن في اليمن يطعّمون المكاتب بالنساء! هنا مدير وهنا سكرتيرة لتكون أجواء المكتب لطيفة، لتكون أجواء المكتب كلها أجواء حب.. ومتى سينصح هؤلاء لشعبهم وأجواء مكاتبهم كلها حب؟!. يسرح الموظف من بيته وهو يحاول كيف يكون شكله مقبولاً أمام الموظفة، أمام السكرتيرة، أو أمام امرأة أخرى تشاركه في مكتبه، الآن يعملون على أن تشارك المرأة الرجل في المكاتب، في الدوائر الحكومية، ويعتبرون أن هذه هي المشاركة الحقيقية للمرأة في الحياة.

تلك المشاركة التي تقوم بها المرأة في الريف، هي من تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي من توفر على أسرتها كثيراً من الأشياء التي يحتاج رب الأسرة إلى دفع فلوس كثيرة في توفيرها، هي تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي توفر الحطب، هي توفر الماء، هي تعمل جاهدةً في المجال الزراعي.. أليست هذه هي مشاركة حقيقية في التنمية؟. مشاركة تجعل الأسرة كلها تتحمل جميعاً أعباء الحياة، تلك الأعباء التي فرضها علينا هؤلاء، هذه الحياة التي أصبحت صعبة.. هذه لم يعترفوا بأنها مشاركة بل يصنفونها بأنها ظلم، وأنها امتهان للمرأة!. من أين جاء هذا التقييم؟ من أين جاء؟.

يقال أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قضى على فاطمة الزهراء بأعمال منزلية، وأعمال ترتبط بالمنزل، وعلى الإمام علي بأعمال خارج المنزل.. وهكذا المرأة في اليمن تشارك الرجل في جميع مناحي الحياة. لكن هذه التي هي مشاركة حقيقية، ويلمس الجميع أن زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم يساعدنهم مساعدة كبيرة على تحمل أعباء الحياة، هذه تصنف عند أعدائنا بأنها امتهان للمرأة!. لا، المشاركة الحقيقة هي أن تكشف نفسها ووجهها، وتزاحم الرجل هذه هي التنمية أن تزاحم الرجل في المكاتب، أن تزاحم الرجل في محطات التلفزيون، أن تزاحم الرجل في كل مناحي الأعمال الأخرى.. لا حاجة إلى هذه؛ لأن هذه ليست مشاركة حقيقية.

إن الذي يجب عليكم هو أن تشجعوا المرأة، هو أن تعملوا على تشجيعها، وأن تساعدوها وهي التي تعمل في مجال الزراعة، وتعمل في مجال تنمية المواشي، وهي التي تساعد رب أسرتها، تساعد زوجها، وتساعد قريبها مساعدة كبيرة، إنها تخدم الشعب أكثر منكم.. أين هي مشاريع المياه؟ هل هناك مشاريع مياه؟ من الذي يوفر المياه لنا؟. أليست هي النساء توفر المياه؟ إن النساء ينفعننا أكثر من ما تنفعنا الحكومة، إن النساء يقدمن خدمات للمجتمع أكثر مما تقدمه الحكومة.

أنتم تريدون أن تقولوا لهذه النساء: أن هذا امتهان، وأنه يجب أن تترك كل هذه الأعمال وتنطلق لتزاحم الرجل في المكتب فتخرج زوجتك، وتخرج بنتك لتعمل ساعات داخل مكتب مع شخص آخر، أيّ أجواء ستسود هذا المكتب؟ اقرؤوا إحصائيات عما يحصل في أجواء كهذه في بلدان أوربا.. إحصائيات عن النساء كم من النساء ـ كما يقال بعبارتهم ـ يُغتصبن ممن يشاركن الرجل في أعماله في المكتب، من قِبَل مدراء المكاتب، من قبل مشاركين في هذه المكاتب، يجلسون سوياً هم وتلك النساء في مكتب واحد! كم يحصل من جرائم؟.

إحصائيات نشرتها بعض الصحف تذكر كم يحصل من جرائم بسبب مشاركة المرأة للرجل في الأعمال داخل المكاتب، في الدوائر الحكومية، وفي مختلف منشآت القطاع الخاص.. ونحن أيضاً نسلم بهذا، ألسنا تنطلي علينا هذه المسألة، وعلى نسائنا؟ أن يقال: هذا امتهان للمرأة، أن تحمل المرأة الماء، أو تحمل الحطب.

نقول: الامتهان هو عملكم أنتم وأنتم تحملوننا القروض المنهكة هذا هو الامتهان، الامتهان من قبلكم أنتم وانتم تضعوننا تحت أقدام أعدائنا، الامتهان من قِبَلكم أنتم وأنتم لا تعملون على أن نحصل على قوتنا، وأن نحصل على مختلف الأشياء التي نحتاجها من داخل بلدنا، أليس هذا هو الامتهان؟. أليس كل عربي أصبح الآن لا يفخر بأنه عربي؟ من هو العربي الذي أصبح الآن يفخر بأنه عربي؟ هل هناك أحد؟ كل الناس يشعرون بالخزي حتى زعماؤهم يشعرون بالخزي.

وكل الناس لمسوا أن موقف الزعماء كان موقفاً يشهد الجميع بأنه مخزٍ عند ما يكون أحد زعماء العرب وزعيم شعب مظلوم على مدى خمسين عاما مسجوناً داخل بيته، وتحاصره الدبابات الإسرائيلية ثم يقطعون حتى الاتصال عنه، ثم لا يصرخون في وجه أولئك الذين حاصروه، ثم لا يعملون أي عمل .. أليس هذا هو الخزي؟. كلنا يشهد بأنه خزي، هذا هو الامتهان لكم أيها الكبار، والامتهان لنا نحن الرجال، أما المرأة التي تنطلق لتشارك الرجل أعباء وضعية فرضتموها أنتم وأعداؤنا علينا وعليه فإن هذا هو العيش الكريم، هو العيش الكريم.. لا بد أن أعمل، ولا بد أن تعمل زوجتي، ولابد أن تعمل بناتي لنعيش حياتنا بجهدنا، وبعرق جبيننا؛ لنحصل على حياة كريمة ولو بنسبة محدودة.

أنتم تريدون أن ترحمونا، وأن ترحموا تلك النساء، وأن تفكوا عن تلك النساء ذلك الذي تسمونه امتهاناً، اعملوا على توفير المشاريع، وفروا لها الكهرباء، وفروا لها مشاريع المياه، وفروا لها المراكز التي ترعى الأمومة والطفولة، وفروا لها كل شيء. لا تقولوا لها: بأن التقدم، بأن الحرية، بأن المشاركة الحقيقية هي أن تنطلق لتزاحم الرجال داخل مكاتبكم، داخل مكاتب الدوائر الحكومية.

من أين جاء هذا؟. ألم يأتي من عند أولئك الذين قال الله عنهم: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} يريدون أن نضل فيعملون جاهدين على أن يخرجوا بناتنا ونساءنا ليزاحمن الآخرين في مكاتب الدوائر الحكومية، وفي مكاتب الشركات، ومكاتب ومنشآت القطاع الخاص، {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}.

المرأة التي أصبحت متبرجة .. من أين جاء هذا؟ هل القرآن هو الذي قال لها؟ أم القرآن هو الذي أمر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن، وأن يضربن بخُمُرهن على جيوبهن، وأمرهن بأن يحفظن فروجهن، وأن يغضضن النظر عن الرجال الأجانب، أليس هذا هو منطق القرآن؟. من أين جاء التبرج؟. من أين جاء السفور؟. ألم يأت من عند من يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل؟. أولم نضل؟.

هنا في اليمن كل سنة هي أسوء من السنة التي قبلها؛ لأن هناك من يعمل جاهداً من أولئك الذين يريدون أن تضلوا السبيل، يعملون على أن تخرج المرأة اليمنية متبرجة مكشوفة، وهي الآن من تحاول على أن ترفع ثوبها قليلاً قليلاً، لتبدو أقدامها، ثم ليبدو ساقها، وتعمل على أن تكشف جزءاً من شعرها قليلاً قليلاً، وتكشف يديها قليلا قليلا.. وكل سنة نلحظ من المشهد العام في صنعاء أنها أسوء في هذا المجال من السنة الماضية، هناك عمل هناك عمل ممن يريدون أن نضل السبيل، يريدون أن تصبح نساؤنا كالنساء التي نراهن في التلفزيون في مختلف بقاع العالم.

سافر إلى القاهرة، أو إلى عمَّان، أو إلى دمشق، أو إلى بغداد، أو إلى أي بلد عربي إسلامي تجد المرأة العربية المسلمة لا تفرق بين مظهرها وشكلها وبين المرأة الأوربية المسيحية أو اليهودية، حتى النساء في فلسطين وفي (البوسنة) ترى المرأة التي تصرخ وتبكي على ابنها وهو قتيل، أو جريح، أو تبكي على بيتها وهو مهدم على أيدي اليهود هي في شكلها لا تختلف عن أم ذلك اليهودي، عن زوجة ذلك اليهودي الذي هدّم بيتها وقتل ابنها.

لنقول أيضاً: أنه حتى عندما نسير وراء الآخرين فيما نعتبره حضارة وتقدماً، نقول للمرأة عندما تخرجين متبرجة، عندما تخرجين سافرة لوجهك وبدنك مكشوف هل رحموكِ؟. هل رحموها؟ هل كفوا عن تدمير منزلها؟. لأنها أصبحت قد لحقت بركابهم؟ إنهم يركُلُون كل من لحق بركابهم من عندنا. هل كفوا عن ابنها؟. هل كفوا عن زوجها؟ ثم هل تريدين أنت أن يكف الله عنك وأنت من تسيرين وراء ضلالة هؤلاء أكثر مما تسيرين وراء هدي الله؟ الله لن يكف عنك، الله لن ينقذك وأنت من تسيرين وراء من يريدون أن تضلي، ويريدون أن تهاني، ويريدون أن تظلمي، وأنت تقلدينهم في كل مظاهر الحياة. أليس هذا هو ما يحصل؟ إن الله لن يكف عن تلك النساء.

حتى أصبح البعض منا فعلاً يوم كنا نشاهد ما يحصل في البوسنة على شاشات التلفزيون، ألم تكن ترى المرأة المسلمة كالمرأة الصربية؟ شكل واحد، وزي واحد، ترى الفلسطينيات وهن يهربن أمام الإسرائيليين كالإسرائيليات سواء. حاول أن تشاهد فيما لو تمكنت أن تشاهد شاشة التلفزيون الإسرائيلي ستجد أنه لا يختلف لا يختلف أبداً عما تشاهده في شاشة أي تلفزيون آخر في البلاد العربية.

لقد ضلينا السبيل، سبيل ديننا، سبيل عزتنا، سبيل كرامتنا.. السبيل كل ما تعنيه كلمة {السَّبِيلَ} الذي يهدي إلى التي هي أقوم، الذي يهدي إلى العزة والكرامة {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}.

وهم عندما يريدون أن نضل السبيل، هم كالشيطان يعرفون سبيل عزتنا ليصرفونا عنه، هم لا يغلطون، يعرفون سبيل الحق فيصرفونا عنه، يعرفون سبيل تنميتنا الحقيقية فيصرفونا عنها، يعرفون سبيل زكاء نفوسنا، وسمو أرواحنا فيصرفونا عنه، يعرفون سبيل قوتنا في توحدنا فيصرفوننا عنها {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}.

وهم يعلمون أن التركيز على الجانب الأخلاقي الذي وسيلته المرأة، المرأة هي وسيلة سهلة، سهل إفسادها، وعظيم جداً إفسادها أيضاً، إنها تفسد بسهولة، وهي من تفسد الرجل بسهولة أيضاً.. يركزون على المرأة لتفسد في نفسها من خلال ما تشاهد.

وهم من حتى يقدمون في المسلسلات العربية ـ التي يسمونها عربية ـ يقدمون المرأة التي زيها مازال زياً عربياً هي الشغالة، وهي الخادمة، ألسنا نشاهد هذا في المسلسلات المصرية؟ المرأة التي دورها شغالة، أو خادمة، أو بوابة عملها عمل ممتهن، أليست هي تبدو بالشكل العربي وبزيها العربي؟ لكن المرأة ذات الدور المهم داخل المسلسل، بطلة تلك القصة هي من تبدو مشبهة تماماً للمرأة الأوربية؛ لنقول: هكذا هو التحضر. لا يليق بها حتى ولا أن تمثل دوراً لائقاً إلا وهي بزي المرأة الأوربية، الزي المفضوح، الزي الذي يفسد كل من يشاهده، ويرسخ في أذهان نسائنا أن تلك النساء اللاتي ما يزلن محافظات على زيهن العربي، على حجابهن الإسلامي ها هن منحطات، إنما هن فرّاشات ويقمن بدور الفرّاشة، بدور الخادمة، بدور الطباخة في هذا المسلسل الذي يسمونه أيضاً [المسلسل العربي]، والذي يقول مخرجوه: أنه من أجل معالجة مشكلات اجتماعية. أليس هذا هو من يصنع مشكلات اجتماعية؟. أليس هذا هو من يخدم أعداء الله؟. أليس هذا هو من يساعد المرأة، من يدفع بالمرأة التي تشاهد إلى أن تتبرج؟.

هل نحن نرى النساء يقلدن من يشاهدنه من النساء داخل تلك المسلسلات ممن لا يزلن يحملن الزي العربي؟. أم أنهن ينطلقن لتقليد تلك النساء التي يتبرجن؟. من يقلدن؟. هي لا تنشد لتقليد تلك المرأة؛ لأن دورها في المسلسل قُدم دور ممتهن إذاً فهذا اقترن الزي بالدور، اقترن الزي العربي الزي الإسلامي بالدور الممتهن للمرأة داخل المسلسل، من أجل المرأة العربية التي تشاهد المسلسل لا تنشد لتقليد هذه المرأة وإنما تنشد لتقليد تلك

المتبرجة السافرة؛ لأن دورها في المسلسل هو دور البطلة، هو دور الممثلة الكبيرة، أليس هذا إضلال؟ {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}.

بل أصبحنا نضل وبأموالنا نحن المسلمين نضل بعضنا بعضا، تموّل كل تلك الأعمال التي فيها إضلال لنساء المسلمين، التي تدفع المرأة إلى السفور والتبرج تمول من الأموال العامة للشعب، تمول، أو تشجع من الأموال العامة للشعب إذا ما كان هناك قطاع خاص هو من يقوم بتلك الأعمال، والمعاهد التي يتلقى التدريب والتعليم فيها من يتخرجون فيما بعد مخرجين أو ممثلين هي أيضاً من المشاريع التي تمول من قبل المال العام للشعب في أي بلد إسلامي.

نشتري الضلالة كما اشتراها بنو إسرائيل، هم يريدون أن نضل السبيل، بل أن نصل إلى ما وصلوا إليه أن نشتري الضلالة، أوليست وسائل إعلامنا تشتري الضلالة بمبالغ كبيرة؟ تشتري الأفلام من المصريين، ومن السوريين، ومن غيرهم لتعرضها أمام نسائنا في بيوتنا، أليس هذا اشتراء للضلالة؟ أليست هذه هي النفس التي حكى الله بأن اليهود يحملونها؟ {يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} إذا هذه واحدة أخرى.

في نفس الوقت هل هناك أحد يقدم هدى؟ يقدم هدى يصرخ في وجه هؤلاء؟ لا.. لأننا حتى وإن كنت تحمل اسم مؤمن أنت في نفسك قابل لأن تروض حتى يصبح كل شيء أمامك طبيعي وغير مثير، يصبح كل شيء أمامك طبيعي.

لدرجة ـ كما يقول لنا البعض ـ أنه فعلاً في البلدان التي أصبح سفور المرأة شيئاً طبيعياً تجد هناك عالم دين، وخطيب وإمام جامع زوجته وبنته متبرجة وسافرة! وهو من يأمر الناس بالتقوى في المسجد، وهو من ينطلق على شاشة التلفزيون ليعمل في برامج دينية تقدم للناس، وزوجته وبناته متبرجات!.. هكذا يتروض الناس أنفسهم حتى تصبح الضلالة لديهم مقبولة.

لكن الله سبحانه وتعالى لا يتعامل معنا ونحن نضل، كما نتعامل نحن مع الضلالة، كل شيء مرصود، وعقوبات الأعمال كلها تحصل حتى وإن كنت تراها شيئاً عادياً وغير مثير.

هذا فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي، والجانب الأخلاقي، فساد المرأة هو مما استخدمه الإسرائيليون وكانوا يغرون ولا يزالون يغرون به العملاء من فلسطين ولبنان، وهم من يدفعون النساء، الغربيون هم من يخرجون النساء بشكل سائحات إلى اليمن، ويقولون بأنه يعجبهم البيوت القديمة في صنعاء باعتبارها نمط معماري قديم! إنهم يريدون أن يدخلوا إلى داخل الأحياء السكنية.. هناك بيوت في صنعاء ـ وبعضها وللأسف الشديد كانت بيوت علم وعلماء ـ أصبحت فنادق يتجمع فيها السواح الخليعون من كل منطقة، من بلدان أوربا وغيرها، ثم لا ستائر على الطياق، ولاشيء، سفور، وخلاعة، وتبرج.. وصنعاء القديمة بيوتها هكذا كثيفة ومتقاربة جداً.

يقول بعض الناس: بأنه فسد كثير من البيوت المجاورة، فسدوا بواسطة ذلك البيت الذي قد أصبح فندق يأوي إليه السواح؛ لأنه يعجبهم المباني القديمة، ونمط معماري قديم. ليس لهذا، ليس لهذا، إنهم يريدون أن يدخلوا إلى أعماق أحيائنا السكنية، لم يكفهم أن يكونوا في الشوارع العامة، ولا في الأسواق العامة، ولا أن يسير شبابنا وراءهم يتطلعون إلى تلك النساء، بل يريدون أن يدخلوا إلى داخل الأحياء العامة في العاصمة، وفي أي مدينة.

وأولئك الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً لا يهمهم، لا يهمه وقد يكون بعضهم من أسرة علمية يؤجر بيته مقابل مبلغ من الدولارات ليكون فندق، ولا يهمه أن يكون من ينام مكان جده الذي كان عالماً من علماء الدين، أن ينام في تلك الغرفة التي كان يتردد كتاب الله فيها كل حين، أن ينام خليعون من أي بلد من بلدان أوربا.. أليس هذا هو تنكر لقيم الآباء والأجداد؟ أليس هذا هو إساءة للآباء؟ إساءة للأجداد العظماء من أولياء الله؟.

تتحول بيوت كانت بيوت علم ودين، وبيوت فضيلة تتحول إلى بيوت فاسدة، ثم تفسد الحارة كلها وهو لا يبالي يحسب كم سيستلم في آخر الشهر من دولارات مقابل تأجيره لهذا المنزل.. أليس هذا أيضاً من الضلالة؟ ألم يصبح هذا الذي باع دينه يشتري الضلالة، ولا يبالي أن يضل الآخرون؟.

هكذا يصبح العرب أنفسهم، يصبح المسلمون أنفسهم.. وكل هذا شاهد على أنه لو تمكنت أمريكا من بلادنا ستجد الكثير والكثير من الشباب قابلين لأن يكونوا عملاء يسخرون النساء كما يعملون في فلسطين، وكما يعملون في لبنان.. لو تقرؤوا قصص العملاء أشخاصاً فلسطينيين، وأشخاصاً لبنانيين تحولوا إلى عملاء وكان من أكثر الأشياء إغراءً لهم النساء والمال فيتحول إلى عدو يتنكر لدينه، ويعمل على أن يغتال، ويُغتال على يديه العظماء من الأحرار الذين يحاربون من أجل شرفه، ومن أجل وطنه.. إن النساء خطيرات جداً إذا ما أتجه الإفساد إليهن.

ونحن لا نعمل، حتى أولئك الذين كانوا يتشدقون بأنهم دعاة إسلاميين،لم يهتموا بهذا الجانب وهم من تمكنوا أيضاً في السلطة، وهم من أصبح في معاهدهم ومدارسهم مجاميع كبيرة من النساء، يستطيعون أن يوجهوا فلم يوجهوا بالشكل المطلوب الذي يجعل المرأة اليمنية ترفض هذا الشكل، وهذا التقليد الذي يريد اليهود أن تسير عليه.

هذا في الجانب الأخلاقي، وهذا ما يعمله اليهود، مع أننا نجد أن نبياً من أنبياء الله العظماء وهو من بني إسرائيل جعله الله مثلاً للعفة، مثلاً للنزاهة على الرغم من جماله البارع، على الرغم من شبابه المكتمل، وعلى الرغم من الأجواء المهيأة الكاملة لفساد أخلاقي، لفاحشة يرتكبها.. فإذا به يصبح مثلاً للعفة، نبي الله يوسف، سورة يوسف، قصة يوسف في القرآن الكريم هي مثل للعفة، مثل للطهارة، نبي الله يوسف هو مثل لكل شاب مهما رأى نفسه في المرآة جميلاً، الكثير من الشباب متى ما تصفح وجهه في المرآة فرأى شعره جميلاً، وشكله مقبولاً انطلق هنا وهناك، وراء البنات، انطلق وهو بكل غرائزه مستعد لأن يسقط في مستنقع الرذيلة.

إن نبي الله يوسف الذي قد يكون ربما أجمل إنسان خلقه الله، وكان في وقت مكتمل الشباب، هو من قال عندما اجتمعت [المصريات] عليه وبعد أن بهرهن جماله، وقطعن أيديهن، وهددنه بالسجن إن لم يقبل ما يردن منه قال: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف:٣٣) هذا هو الشاب التقي الطاهر.

أليس من بني إسرائيل؟ نقول لشبابنا، نقول لشاباتنا، نقول لبنينا وبناتنا في كل مكان: أنتم وراء من تسيرون؟ وبمن تقتدون؟ كلنا ـ سلمنا ـ وراء بني إسرائيل .. لكن وراء من؟ إنكم تسيرون وراء أولئك الذين يبيعون بناتهم، ويبيعون أعراضهم من بني إسرائيل.. لماذا لا تسيرون بسيرة يوسف نبي الله؟. لماذا لا تسيرون هذه السيرة لتحصلوا على ما وعد الله به نبيه يوسف عندما قال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف:٢٢)؟ كونوا محسنين بعفتكم، كونوا محسنين بطهارتكم وستحصلون على الحكمة، وستحصلون على العلم، العلم الذي تزكو به نفوسكم، والعلم الذي تبنون به أمتكم، العلم الذي تبنون به اقتصادكم وحياتكم.

أما أن تسقطوا في مستنقع الجريمة، وتسيرون وراء أولئك الذين يريدون أن تضلوا السبيل، أولئك الذين هم أعداء لكم، فإنهم يعلمون علم اليقين أنكم عندما تسيرون في هذا الطريق، وتسقطون في هذا المستنقع فإنكم ستكونون وسيلة لضرب نفوسكم، وضرب أمتكم، وضرب شعوبكم، وأنكم ستكونون وسيلة لتدمير أنفسكم، وتدمير أمتكم، وأنكم ستصبحون أجساداً لا قيمة لها يدوسونها بأقدامهم وهي تبتسم، وتقبّل تلك الأقدام.

وهكذا متى يمكن أن تتوقع لشاب همه أن يجري وراء البنات سواء في ساحات الجامعة، أو في الشوارع، هل تتوقع لشاب نفسيته غارقة في هذا المستنقع أن يحمل همّ أمة؟!.، أن يتألم إذا ما قلت له اليهود يدوسونك بأقدامهم؟!. إنه لا يمانع أن تدوسه يهودية جميلة بأقدامها اللينة مباشرة!!. فكيف تريد منه أن يتحرك؟. سيقبل قدما تدوسه، وهم فعلاً قد يصلون بالشباب إلى هذه.

بعد أن تصالح معهم المصريون، وبعد أن أقامت مصر معهم مصالحة، وتبادلاً دبلوماسياً هل أصبحت مصر تنعم بالسلام مع إسرائيل؟ أم أصبحت تعاني معاناة شديدة من الفساد الذي يريد الإسرائيليون أن يصل إليه شباب مصر أكثر مما قد وصلوا فيه؟ وفساد من ذلك الذي يحمل الدولة عبئاً مادياً كبيراً، فساد بثمن، فساد بأموال

كثيرة، نساء ممن هن مصابات بمرض (الإيدز) ينتشرن في أوساط الشباب المصري، الشاب الذي يصاب بمرض (الإيدز) هل سيعود له أثر في بناء الحياة، أم سيصبح عبئا على الدولة والمجتمع؟. ألا تجد الدولة نفسها مرهقة فيما بعد وهي تعمل على مكافحة (الإيدز)؟. وهي تعمل على حجز من يصابون بمرض الإيدز، فتتحمل كامل نفقاتهم، وتتحمل كلما تفرضه وضعيتهم السيئة.

هم يريدون أن نضل السبيل، ثم أن يكون ضلالنا أيضاً مما ينهكنا اقتصادياً، هكذا يعمل اليهود وبخبثهم الشديد، وهكذا نحن نجري وراءهم وليس وراء أنبيائهم، أنبيائهم العظماء.

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ}(آل عمران: من الآية٦٩)[يتمنون وبكل لهف وشوق أن يضلوكم {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}(آل عمران: من الآية٦٩) وعندما يكونون ـ كما قال الله تعالى عنهم ـ يودون، فمن الطبيعي أنهم عندما يمتلكون كل وسائل الإضلال أنهم سينطلقون إلى إضلالنا، فنحن هنا وجدنا فيما يتعلق بنموذج واحد من أنبيائهم أنه النموذج الذي لا يسير وراءه شبابنا، أو الكثير من شبابنا في البلاد العربية.

أوليس اليهود هم من يصنعون للشباب نماذج يتعلقون بهم في مجال الفن، في مختلف مجالات الألعاب الرياضية؟. تجد الشاب هو من يتعلق ببطل في الأرجنتين، أو في البرازيل، أو في أي منطقة أخرى وهو يتنكر لكل أعلام تاريخه، ولكل أعلام دينه، بل يتنكر للعظماء من أنبياء الله فلا يلتفت إليهم، ولا يعمل على أن يتحلى بأخلاقهم، والله هو من أمره، وأمر بقية الشباب المسلمين، أمر الناس جميعاً أن يؤمنوا برسل الله كما في آخر [سورة البقرة]: {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}(البقرة: من الآية٢٨٥).

لأن كل نبي من أنبياء الله هو علَم من أعلامه، ويحتاج الناس إلى أن يقتبسوا من هديه، أن يتأسوا به في مواقفه المشرفة، في مواقفه العظيمة، وكثير من أنبياء الله عُرضت لهم مواقف عظيمة جداً وهم مازالوا في مرحلة شبابهم، في فترة ريعان شبابهم كنبي الله موسى، نبي الله موسى الذي تكررت قصته في القرآن الكريم كثيراً، كما تكرر الحديث عن فرعون أيضاً كثيراً، كما تكرر الحديث عن بني إسرائيل؛ لأن فيه أسوة، وليقال لنا: هذا هو نبي اليهود، الذي يؤمنون به، وهو نبي من أنبياء الله لكنهم أصبحوا بعيدين عنه.. فهل أنتم يا من آمنتم بموسى كما آمنتم بمحمد هل ستتركون محمداً، وتتركون موسى وعيسى وتسيرون وراء أولئك؟.

نبي الله موسى لاهتمامه العظيم بأمر الدين، والفارق الكبير فيما بينه وبين أولئك الذين أصبحوا من بني إسرائيل يشترون الدنيا بالدين، يبيعون الدين بثمن قليل من الدنيا، كان للدين مكانته العظيمة في نفسه.

أليس هو من استشاط غضباً عندما عاد ووجد قومه قد أصبحوا يعبدون العجل؟. ألقى الألواح وهي تلك الألواح التي ظل بكل شوق ينتظر الموعد مع الله ليتلقى منه الهداية، لكنه عندما عاد عاد غضباناً أسفاً، وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه..

أخوه نبي الله هارون، انفعل انفعالاً شديداً، غضب غضباً عارماً حتى جر رأس أخيه هارون بانفعاله الشديد فقال له هارون: {يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي}(طـه: من الآية٩٤) هز بلحيته، وهز برأسه، وأخوه هارون هو الذي لم يقصر.. هذه النفس التي يستثيرها أن ترى ذلك الهدى، أن ترى تلك الأمة التي هو حريص على هدايتها، ويعرف قيمة الهدى بالنسبة لها، أهمية الدين والهدى بالنسبة لها يراها تتحول إلى عجل، تتنكر لنعمة الله عليها يوم أنقذها من آل فرعون، يوم أن شق لهم البحر طريقاً يبساً ليخرجوا ثم ينطبق البحر على أعدائهم، ثم يتجهون لعبادة عجل!.. غضب غضباً شديداً، انفعل انفعالاً شديداً.

هو نفسه من هدد قارون ذلك الذي كان لديه الأموال الكثيرة الطائلة، الذي قال الله عنه: {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}(القصص: من الآية٧٦) هل قال موسى: حاول أن تدي لنا سلفة، حاول تعطينا من هذا ونحن سنعمل كذا، ونحن سنتمشى معك؟. هدده، وفي الأخير دعا الله عليه أن يخسف به وبداره الأرض، ولم يلتفت إلى ماله، ولم يصبح لقارون ولا لماله وزن عنده.

من هو ذاك منا الذي يغضب والعجول تعبد؟ عجول من البشر! عجول من اليهود والنصارى تعبد من دون الله! عجول من الطاغوت يسير الناس وراءها فيعبدونها من دون الله!. من هم أولئك الذين يغضبون لهذا؟. هل أحد

يغضب؟. اللهم لا ندري من هو الذي يغضب.
ما الذي أوصلنا إلى هذه الحالة؟ هي أننا حملنا النفسية اليهودية بين أكتافنا، تلك النفسية التي لا قيمة للدين عندها، والذي لا قيمة للدين عنده لن يغضب إذا ما رأى الأمة تعبد عجلاً سواء عجلاً من الفضة، أو عجلاً من البشر، لا يغضب.. ألسنا نرى أن الشيء الذي هو غائب عن أوساط المسلمين هو الغضب لله؟ بل يصبح الاستسلام هو الحكمة، أن تهدأ، أن تسكت، أن تمسك أعصابك لا تغضب هذه هي الحكمة، ودع الأمة كلها تعبد تلك العجول، وتعبد ذلك العجل الكبير في البيت الأبيض.. أليس هذا هو منطق الحكمة داخل البلاد العربية؟.
أما من ينفعل، أما من يغضب، فإنه أحمق، وإنه لا يقدر مصلحة الأمة، وإنه لا يبالي بوضعية الأمة.
وهكذا تصبح النفسية اليهودية هي الحكمة، وهي الرزانة، وهي الحفاظ على المصلحة العامة، على الرغم من آلاف المسلمين يعبدون العشرات من العجول من البشر، ممن يصدون عن دين الله، ممن يسعون في الأرض فساداً.
ذلك الغضب الذي استثار في نفسية موسى حتى كادت الألواح أن تتحطم عندما ألقاها من يده وهو من يحرص عليها جداً لكنه انفعل حتى كاد أن يفقد شعوره، وهم يعبدون عجلاً من الفضة، عجلاً هو في نفسه لا يتحدث فيصد عن سبيل الله، العجول من البشر هي أسوء من ذلك العجل الذي عبده بنو إسرائيل، ولكننا لا نغضب كما غضب نبي الله موسى.
فهل نغضب كنبي الله موسى؟ أم أنّ الواحد منا لا يغضب إلا إذا مُسّت مصلحة شخصية له، أما أن يرى الأمة تعبد أعجالاً لا يغضب، أما أن يرى تلك الأعجال كلها تصد عن دين الله فلا يغضب، أما أن يرى الدين يضيع والفساد ينتشر فلا يغضب.. أو إذا غضب كان موقفاً غريباً، ونرى جميعاً أنه لا داعي لغضبه، ونتساءل ماذا يريد هذا؟.
أو ما هي الأهداف له من وراء هذا؟ فأي نفسية نحن نحمل؟. وأي نفس يحملها العرب وزعماؤهم؟. هل نفس موسى؟ أم نفس شارون وقارون؟ أم نفس اليهود الذين يسعون في الأرض فساداً؟ كلنا نعرف أنهم يحملون نفسية غير نفسية موسى، ونحن والكثيرون منا، والكثيرون جداً منا نحمل نفس النفسية التي يحملونها.. لا غضب.
أليس هذا يعني أننا فعلاً نحذو حذو بني إسرائيل؟ نبي الله موسى الذي كان يؤلمه جداً أن يرى بني إسرائيل تذبح أبناؤهم، وتستحيى نساؤهم يسومونهم سوء العذاب، وهو الذي عاش في قصر فرعون في نعمة منذ الطفولة، تربى في قصر فرعون.. ماذا عمل؟. وهو شاب ليس نبياً بعد، هو بعد لم يبعث نبي لازال شاباً.. ماذا عمل نبي الله موسى؟. وكيف كانت نفسيته؟. وكيف كان توثُّبُه في العمل على إنقاذ المستضعفين؟. أليس هو الذي ذهب ليضرب ذلك القبطي {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} (القصص: من الآية١٥) عندما وجد ذلك القبطي يحاول أن يسخّر واحداً من بني إسرائيل ـ كما يقال ـ ليحمل الحطب عنه، ودخل معه في خصومة.. ماذا عمل موسى؟. لشدة تألمه، لشدة اهتمامه نزل هو في الميدان بدلا عن ذلك المستضعف، وقاوم هو وضرب ذلك القبطي بدلاً عنه وبضربة قاضية تعبر عن شدة ألمه، عن سخطه الشديد، عن غضبه الشديد، عن اهتمامه الكبير بأمر المستضعفين.
ونحن من نحمل القرآن ونقول: أننا مؤمنون بموسى، ومؤمنون بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أين هي الروح، روح موسى وروح محمد في نفوسنا؟ لا نتألم عندما نرى الأمة مستضعفة، لا نتألم عندما نرى الأمة ذليلة مهانة، لا نتألم عندما نراها مقهورة بل نعمل على أن تبقى هذه الوضعية قائمة.. نسكت، ونصمت، ولا نتكلم، ولا نحرك ساكناً.. نفسية من هذه؟ نفسية موسى؟ أم نفسية بني إسرائيل الآخرين؟.
لأنها هي النفس التي يريدون أن نحملها، أن نصمت كما كانوا يصمتون هم.. ألم يصل بهم الحال إلى أن سخروا الدين للطواغيت؟ إلى أن قال الله تعالى عنهم أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه؟ إلى أن قال عنهم أنهم كانوا يتولون الذين كفروا؟ إلى من انطلقوا ليرموا بأنفسهم في أحضان الطواغيت ليكونوا أيضاً وسيلة للطاغوت ضد المستضعفين.. هل نسوا أن الله أنقذهم بموسى يوم كانوا مستضعفين في مصر؟ وأنه إنما كان إنقاذهم على يد شخص يحمل تلك الروحية، روحية الاهتمام بأمر المستضعفين، هو الذي طالب فرعون صريحاً وبكل قوة: {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ} (الشعراء:١٧) {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} (طـه: من الآية٤٧) عمل جاهداً قبل النبوة وبعدها على تحرير بني إسرائيل كمستضعفين من مصر.

موسى تكررت قصته في القرآن الكريم؛ لأن فيها دروساً كثيرة جداً، فيها عبرة للشباب، الشباب الذين هم يتوقدون حماساً، الشباب الذين يستشيطون غضباً عندما يرى شيئاً من أموال والده أو ممتلكاته يحاول أحد أن يسطو عليها، ألا تغضب وأنت في مكتمل غرائزك الإنسانية ألا تغضب عندما ترى الأمة مظلومة ومقهورة؟!. عندما ترى الأمة مستضعفة؟!. إن الأمة هذه يسومها بنو إسرائيل سوء العذاب، ويسومها أولياء بني إسرائيل سوء العذاب، هذا شيء لاشك فيه.

فنحن نحمل نفسية من؟. نفسية موسى؟. أم نفسية يريد بنو إسرائيل أن نحملها؟.

الكلام طويل جداً حول هذه المواضيع، وبعون الله، إن شاء الله سنعمل على استكمالها، وإنشاء الله بعد أن نعود من الحج سنواصل جلساتنا هذه مع القرآن الكريم، ومع مجموعة كبيرة من الأنبياء والعظماء، سواء كانوا أنبياء أو عظماء سطر الله أقوالهم داخل القرآن الكريم كما سطر أقوال ومواقف أنبيائه؛ لنتعرف على كتاب الله بشكل كاف فنشعر بعظم النعمة التي وهبنا الله إياها ومنحناها لنشكر الله عليها، ولنتعرف من خلالها على واقعنا، ولنتعرف من خلالها على ما يمكننا أن نعمله في مجال نصر دينه، ولنعرف في حياتنا وراء من نسير، وبمن نتأسى، وأي روحية نحمل، وعلى أي طريق نسير.

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يسير بنا على طريق رضوانه وجنته، على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٠/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله.

الله سبحانه وتعالى يصف كتابه الكريم بأنه آيات {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} (يونس: من الآية١) تكررت هذه الكلمة كثيراً في القرآن الكريم تصف القرآن الكريم بأنه آيات، الآيات معناها: أعلام، معالم، حقائق.. كلما في القرآن الكريم هو حقائق لا شك فيها {لا رَيْبَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢) لا مرية فيها أبداً.

من تلك الآيات قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) هذه آية، أي هذه حقيقة لا تتخلف {لَنْ تَرْضَى عَنْكَ} بـ[لن] النافية، لن يرضوا عنك أبداً مهما عملت لهم، مهما قدمت لهم، مهما أظهرت من حسن نوايا معهم، مهما أظهرت من تعاون معهم، إنهم لن يرضوا عنك أبداً.

ولن ترضى عنك اليهود، ولن ترضى عنك أيضاً النصارى حتى تتبع ملتهم، فتكون كواحد منهم صريحاً، تتبع ملتهم، وهم لن يعترفوا بك أنك قد أصبحت متبعاً لملتهم إلا بعد أن يتأكدوا منك أنك قد تخليت عما أنت عليه، عن ملتك التي أنت عليها، وعن أمتك التي أنت منها.

اليهودي هنا في اليمن يرى أن أمته التي هو مرتبط بها هم أولئك اليهود المنتشرون في أقطار الدنيا، نفسه مشدودة إلى إسرائيل وإن كان هنا في اليمن، ولد في اليمن، ونشأ في اليمن، ويتحدث بلغة اليمنيين، وله صداقات مع بعضهم، لكنه يرى هو أنه مرتبط بأولئك، هؤلاء ليسوا هم أهل ملته وبالتالي فليسوا هم الأمة التي يعتبر نفسه واحداً منها.

فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} معناها أيضاً ـ فيما نفهم ـ أنه أيضاً هم لن يقبلوا منك إلا أن تتخلى عن ملتك التي أنت عليها، وعن أمتك التي أنت منها. هذه حقيقة. آيات الله حقائق، وفي نفس الوقت سيأتي الواقع يكشفها، فيقول في آية أخرى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:٥٣).

سنريهم آياتنا سواء كانت آيات جديدة، أو شواهد على آياته، شواهد تكون هي مصاديق لما نطقت به آياته داخل كتابه الكريم. {فِي الْآفَاقِ} في آفاق الدنيا، في أقطار السموات والأرض {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} يتبين هو، يظهر، تظهر الحقائق بشكل تفرض نفسها على كل من يعاند، حقائق تتجلى للناس الفاهمين، وتفرض نفسها أيضاً حتى على المعاندين فيقطعون بأن تلك الآيات هي الحق، ويقطعون أن هذا الكتاب الكريم هو الحق، ويقطعون بأن هذا الدين هو الحق، ويقطعون بأن كل ما أخبر الله عنه هو حق.

مع الزمن سنريهم آياتنا مع الزمن في الآفاق وفي أنفسهم، الكثير من المتغيرات تحدث على يد الإنسان نفسه، فتبرز الشواهد. نحن قلنا في دروس سابقة أنه ما من شيء إلا ويحدث فينا ما يشهد له، ما من شيء من الأشياء التي هي آيات من آيات الله، أمر من دين الله، ونحن لا نكاد نصدق به، أو نحن نستبعده، أو قد نرفضه، هناك في واقعنا وفي ممارساتنا، وفي تصرفاتنا ما يشهد بأنه الحق.

لكن المشكلة عندما يكون الإنسان في هذه الدنيا يعيش عمراً طويلاً سنة بعد سنة، وفي السنة الواحدة كم تحدث من متغيرات، كم تحصل من أشياء، من أحداث تشهد بصدق ما أخبر الله به، تشهد بالحقائق التي داخل كتاب الله الكريم، ولكن لا يلتفت الإنسان إليها، لا يلتفت إليها، يكون في واقعه معرض، والإنسان الذي يضع لنفسه برنامجاً معيناً في هذه الدنيا يأخذ عليه كل ذهنه، وكل اهتمامه، لن يبصر الأشياء الأخرى بالشكل الذي يفيده فيزيده بصيرة، ويزيده معرفة، ويزيده هدى ونور.

فيما أتصور هكذا حياتنا، كل واحد منا يضع لنفسه برنامجاً معيناً مرتبط بأمور معيشته، إما أنه قد قرر أن يشتغل في التجارة، فهو يفكر في الدكان، ويفكر في البضاعة من أين يأخذها، وهكذا ذهنه معظمه يتجه إلى

هذا الجانب. أو يفكر في أن يبيع ويشتري في [القات] مثلاً ليله ونهاره تفكيره حول موضوع القات، أو يفكر في الزراعة.

وهذا في الواقع هو ظلم للنفس، ظلم للنفس؛ لأن الله سبحانه وتعالى وهبنا مدارك واسعة، وهب الإنسان قدرة على أن يستوعب إدراكه وذهنه الأشياء الكثيرة من حوله، فيمكنه أن ينشغل في التجارة، يعمل في التجارة، أو في الزراعة، وفي نفس الوقت ما يزال في ذهنه، ما يزال في مداركه سعة، ما يزال هناك مجال واسع جداً لأن يدخل الأشياء الأخرى ويهتم بها ويدركها ويتأمل فيها.

نحن من نضيق على أنفسنا نظرتنا، الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:٤) **في شكله، في مداركه، باستطاعته أن يستوعب الأشياء الكثيرة.**

يقول علماء في هذا العصر: بأن الإنسان يتعمر عمراً طويلاً ويموت ولا يكون قد استغل من دماغه إلا نحو ١٠٪ دماغه لا يكون قد استغل منه إلا نسبة بسيطة هي ما تساوي ١٠٪ أي العشر. وبقية الأشياء، هم يقولون هكذا: دماغه على أساس أنهم يعتبرون أن الدماغ هو مركز لكثير من الإدراكات والمشاعر والمعلومات، وهناك الذاكرة التي تحفظ الأشياء الكثيرة من المعلومات، المهم معنى هذا سواء أكانوا مصيبين بأن الدماغ هو المسؤول عن هذا، أو أن المقصود أن الإنسان لديه مدارك واسعة جداً، ولديه قدرة وهبها الله له يستطيع أن يستوعب بها أشياء كثيرة جداً، فيشغل ذهنه هنا، ويشغل ذهنه هنا، وفي مجالات متعددة.

الإنسان المؤمن، الإنسان المسلم بمعنى الكلمة هو من يستفيد من كل شيء حوله، من متغيرات الحياة، من الأحداث المتجددة في الحياة، أي حادث في أي بقعة من الدنيا تأكد أن فيه شاهداً هو فيه آية، هو شاهد على آية وفيه آية، وفيه عبر كثيرة.. ألم تكن تلك الأحداث التي وقعت في الأمم الماضية، ألم يأت القرآن الكريم يقصها علينا وعلى النبي نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ ليقول للجميع: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}** (يوسف: من الآية١١١) **لأولي الألباب: الناس الذين هم لديهم لب، أي لا ينظرون إلى الأشياء نظرات سطحية، هم يتفهمون الأشياء، هم يتأملونها وينظرون ما فيها من عبر فيستفيدوا منه.**

قصصهم، ما هو القصص هنا؟ تلك الأحداث التي كانت تحصل.. ألم يعرض القرآن أحياناً كلمة يقولها كبار العشائر في أيام نوح، أو في أيام فرعون، أو في أيام صالح أو هود أو أي نبي من الأنبياء، حتى الكلمة الواحدة يسجلها هي حدث ومن وراءها عبرة، وتوحي بالشيء الكثير. مواقف الأنبياء أيضاً.

لأهمية هذه يقول: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ} (يوسف: من الآية١١١) **عبرة يعني: دروس كثيرة جداً، والدروس لا يعني فقط هو مجرد المعرفة، أي عرفت أنه كان هناك نبي، وأنه كان يقول كذا، وقالت أمته له كذا، وانتهى الموضوع. لا، عبرة، فيها دروس كثيرة، تعرف من خلالها نفسية أهل الباطل، تعرف من خلالها ما الذي يحول بين الناس وبين أن يؤمنوا، تعرف من خلالها أيضاً لماذا كانوا ينطلقون بجد واجتهاد لمعارضة نبي من أنبياء الله، تعرف من خلالها كيف كان الأنبياء** (صلوات الله عليهم) **رحماء جداً بالأمم، ومخلصون وناصحون، وهم أيضاً أناس اصطفاهم الله وأكملهم.**

ثم تستغرب أن كل أمة من الأمم ما سلم نبي من أنبياء الله، أي نبي يبعثه إلى أي أمة من الأمم ما سلم من أن يقولوا له أنه ساحر أو مجنون، مجنون، مجنون ذلك الشخص الذي اصطفاه الله وأكمله، ذلك الذي يتقطع قلبه أسفاً وألماً على الناس أن لا يهتدوا، ذلك الذي يبذل وقته كله لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، يقابل بأن يقال له: مجنون شاعر كذاب مفتري ساحر، وإن أتى بكتاب من عند الله {قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} (الفرقان:٥).

العبر كثيرة جداً من خلال الأحداث سواء ما قصه الله في القرآن الكريم من أخبار الأمم الماضية؛ أو من الأحداث التي تطرأ في هذه الدنيا، سواء في تاريخنا القريب، تاريخ الأمة هذه الإسلامية، أو في عصرنا الحاضر، وما أكثر الأحداث والمتغيرات في هذا العصر الحاضر.

لكن يبدو أننا لا نرى فيها إلا أنها أحداث مجرد أحداث، خصومة وقعت بين دولتين هنا وهناك حصل ما حصل، ونتابع الأخبار لنعرف ماذا يحدث فقط، كل حدث فيه عبرة، كل حدث هو آية، هو شاهد على آية من آيات الله، هو شاهد على كل ما هو حق سواء كان في كتابه الكريم، أو أخبر به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:٥٣).

هو شاهد على كل شيء، لا يغيب، هو شاهد، فهذه الأحداث التي تحدث هو يعلمها، وهو يعلم ما فيها من عبرة، وكثير منها، كثير منها هي لا تخرج عن سننه التي رسمها في هذه الحياة، تلك السنن التي تقضي بأنه إذا ما عملت أمة هكذا ستكون نتيجة عملها هكذا في هذه الدنيا.

{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: من الآية٥٣) **فهو من سيريكم آياته في الآفاق وفي أنفسكم، حتى يتبين أن كلما ذكره في كتابه الكريم هو حق لا شك فيه.**

أكرر.. نحن كمؤمنين أليس كذلك؟ ونرجو الله أن نكون مؤمنين حقاً، وأن نكون من الصادقين في إيماننا، إذا أردت أن تكون مؤمناً بمعنى الكلمة فخذ العبر من كل حدث تسمع عنه، أو تشاهده حتى في بلدك، حتى في سوقك، حتى داخل بيتك، كل شيء فيه دروس وفيه عبرة، ليزداد الإنسان بصيرة، يزداد إيماناً، يزداد وعياً.

والإنسان الذي يعرف يزداد إيمانه ووعيه؛ سيجنب نفسه الكثير من المزالق، سيدرك كيف ينبغي أن يعمل؛ لأنه من خلال تأملاته الكثيرة يعرف أن الأشياء أشبه بسنن في هذه الحياة، ولهذا قال الإمام علي (عليه السلام): (العاقل من تدبر العواقب).

وكيف تستطيع أن تتدبر العواقب، أن تعرف أن أمراً كهذا تكون عاقبته هكذا إلا من خلال تأملاتك، وتدبرك للقرآن الكريم، ولصفحات هذا الكون في أحداثه المتجددة والكثيرة؟ ولهذا قال في كلام آخر: (العقل حفظ التجارب) التجارب هي الأحداث سواء تجارب تجربها أنت، أو أحداث تقع في الحياة، هي كلها لا تخرج عن سنن مكتوبة وراء كل عمل من الأعمال، أنه عملٌ ما يجر إلى نتيجة معينة، سواء كانت نتيجة سيئة أو نتيجة حسنة.

إذا عاش الإنسان في هذه الدنيا وهو لا يحاول أن يستفيد، أن يستفيد مما يحصل فإنه نفسه من سيكون معرضاً للكثير من المزالق، يتأثر بالإعلام المضلل، يتأثر بالدعاية، يتأثر بالوعود الكاذبة، يتأثر بزخارف القول، وهكذا يظل إنساناً في حياته مرتابا يهتز لا يستطيع أن يستقيم ولا يستطيع أن يثبت؛ ولأن الدنيا مليئة بالضلال، والباطل له دعاته الكثيرون، والباطل لديه إمكانياته الكبيرة والواسعة، يمتلك الباطل هنا في هذه الدنيا أكثر مما يمتلك الحق؛ له القنوات الفضائية، وله وسائل الإعلام بشتى أنواعها، بشتى أنواعها سواء التلفزيون أو الإذاعة أو الصحيفة أو أشخاص يتحركون في أوساط الناس يحملون أفكاراً ضالة، أو كلمات مضلة، يحملون زخارف من القول يضلون بها الناس.

ودعاة الحق قليل، الكثير منهم مغلوب على أمره، مقهور، وإذا ما تحرك يجد نفسه يفتقر إلى الكثير من الإمكانيات سيكون صمته محدوداً، ويكون مجال نفوذ كلمته محدوداً، حينئذٍ يكون الإنسان عرضة لأن يضل بسهولة إذا كان من يعملون من حوله، إذا كان كلما تسمعه وتشاهده من حولك يخدم الباطل بنسبه ٩٠٪ أو أكثر، والنسبة القليلة هي نسبة الحق، وهي المغمور جانبها، المغلوب والمقهور صاحبها.

إذا أنت تتأمل الأحداث لا تكن أنت بالشكل الذي يتلقى من الآخر ما يقول، ثم يأتي الطرف الآخر فتتلقى منه ما يقول حينئذٍ لن تكون أكثر من مجرد ناقل، تكون ذاكرتك عبارة عن شريط فقط تسجل فيها كلام فلان ثم يأتي كلام الآخر تسجله على الكلام الأول فيمسحه، وهكذا؛ أنت على هذا النحو لن تستفيد من العبر حتى من شخص واحد. قد يأتي زعيم من الزعماء يسمعه الناس عشر سنين عشرين سنة ثلاثين سنة، وكل فترة يقول كلاماً معسولاً، ووعود براقة، ويقول أما الآن: الفترة هي فترة قليل من الكلام كثير من العمل.. تقول: صحيح.. تسجل الكلام في ذاكرتك، ثم تأتي شواهد على أن كلامه ذلك ليس واقعياً فأنت لا تبصرها ولا تتأملها.

إذاً وأنت تحتفظ بذلك الكلام وأنت نظرتك إلى ذلك الرجل أنه هكذا كما قال، ولا تبصر الشواهد على أن كلامه غير حقيقي، ثم إذا بك تملّ، وتقول: يبدو أن هذا الكلام غير صحيح؛ قد بلي الشريط في ذاكرتك؛ ينطلق من جديد يقول: نحن الآن نريد أن نفتح صفحة جديدة، والآن هو فترة أن نقول ونعمل، وقليل من الكلام وكثير من العمل! قالوا: [والله كلامه أمس سمعناه جميل جداً وقال: أما الآن صفحة جديدة سنفتحها]! وهكذا، تعيش مع شخص على هذا النحو عشرين سنة، ثلاثين سنة وأنت ذلك الذي لست أكثر من سماعة.

الله وبخ بني إسرائيل في كثير من آياته الكريمة على كثير مما كانوا عليه، منها قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} (المائدة: من الآية٤١) **سماعون للكذب، أنت قد تسمع الكذب من الشخص تسمعه فتعرف أنه كذب، أو تعرف حتى لو لم تجد الشواهد في نفس الوقت على أنه كذب، تستطيع أن تقطع أن تلك النوعية لا يمكن أن يأتي منها كلام صحيح، فأنت من تقطع بأنه كذب، لم يقل: يسمعون الكذب، {سَمَّاعُونَ} يسمعه ويتأثر به في وقته، وقد ينطلق أيضاً وسيلة لنشره يخدم ذلك الكذب.**

{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} هل أن الكذب لا يأتي ما يكشفه؟ إن الكذب في أكثر الحالات يكون هناك ما يكشفه قبل أن يخرج إلى النور أن يخرج إلى الوجود، تستطيع أن تعرف أن مثل ذلك الشخص لن يكون صادقاً فيما قال، هو من النوعية التي هي عادة هي لا تصدق حتى ولو أقسم.

وحتى لا يكون المؤمن من أولئك الذين قال الله عنهم: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} هو من يتأمل الأحداث، هو من يبصرها، هو من يعرف الشواهد عليها، ثم هو حينئذٍ من يعرف قبل أن يبرز الكذب من هناك، أو يبرز الباطل من هناك، وعادة الكذب هو يظهر بثوب الصدق هكذا، والباطل هو أيضاً يعمل على أن يرتدي رداء الحق فيظهر بثوب الحق أيضاً.

كما قال الله عن اليهود في أنهم يلبسون الحق بالباطل، الباطل يقدمونه في ثوب الحق {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} (النساء: من الآية٤٦) **{يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}** (البقرة٧٩) **وما هو من عند الله؛ لأن هناك في الساحة الكثير من الناس ممن يسمع الكلام ويتعامل مع ما سمع؛ لأنه يكون لديه خلفية مسبقة يستطيع من خلالها أن يعرف بطلان ما سمع، وإن نسب إلى الله، أو نسب إلى نبي من أنبيائه؛ لأنه قال عن أولئك أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله.. ألم يقدموه باسم الله وأنه من عنده، يقولون للناس هذا من عند الله وما هو من عند الله {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** (آل عمران: من الآية٧٥).

فكيف تستطيع أنت أن تعرف أن هذا الشيء من عند الله، أو أنه ليس من عند الله؟. مثلاً في القرآن الكريم ـ وهي قاعدة ثابتة عند أهل البيت ـ أنه كتاب يجب أن يعرض عليه أي شيء ينسب إلى الله، سواء كان حديثاً قدسياً أو ينسب إلى رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أما من يتدبر القرآن الكريم، من يتأمله؛ لأن القرآن حقائق، هو من يكتشف أن ذلك الذي نسب إلى الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وإن قال المحدث الفلاني أن سنده صحيح وأنه رواه الثقة عن الثقة ستقطع بأنه ليس من عند رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله).

أو لسنا نسمع حديث [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] أنه حديث صحيح، ويكتبوه بالذهب أو بالنحاس بخط كبير فوق باب من أبواب روضة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **فالكثير من الناس؛ لأنه في أوله قال رسول الله؛ أو عن رسول الله؛ بطبيعة الحال أنه مسلم ومؤمن برسول الله ومصدق سيقول: إذاً هذا قاله رسول الله، نفق عنده. لماذا انطلى عليه هذا الباطل؟ لأنه لم يعرف الحقائق داخل القرآن الكريم التي تجعل مثل ذلك الحديث مثل تلك العقيدة لا يمكن أن تكون منسوبة إلى النبي، لا يمكن أن تكون منه أبداً.**

الإنسان المؤمن إذا لم يربِّ نفسه من خلال تلاوة القرآن الكريم أن يتأمل كتاب الله، ويتدبر الأحداث في هذه الدنيا فهو من سينطلي عليه الباطل، سواء باطل قدم ونسب إلى الله، أو قدم ونسب إلى رسوله، أو قدم بشكل براق. والشيء المعروف في هذا الزمن أنه اختلفت الوضعية عما كان عليه الخلفاء السابقون الملوك والسلاطين في الزمان الأول هم كانوا يحتاجون إلى أن يقدموا الشيء للناس على أنه من دين الله لينفق وليقبله الناس؛ لأن الناس كانوا ما يزالون حديثي عهد بالنبوة، والشخص قيمته هو باعتبار ما يضاف إليه من مقام ديني؛ من مقام

ديني، ولهذا كانوا يحتاجون إلى أن يختلقوا الأحاديث فضائل ينسبونها إلى فلان وفلان وفلان ليقدموه في ثوب رجل دين رجل الفضائل رجل الكمال فباسم الدين يمشي عند الآخرين ويقبله الآخرون.

تطور الزمان، وهكذا الباطل يتطور، لكن باتجاه تحت إلى أسفل إلى الحضيض حتى أصبحت القضية الآن أنه أي زعيم من الزعماء لا يحتاج في تلميع نفسه في أن يوجد لنفسه ولاء في نفوس الناس، لا يحتاج إلى الجانب الديني بكله، وإذا قلنا هو لا يحتاج إلى الجانب الديني فماذا يمكن أن يقدم للآخرين؟ الآخرون نحن هبطنا أيضاً مع الزمن، هبطنا أيضاً؛ فنحن لم نعد ننظر إلى الشخص من زاوية الدين أبداً، اختلفت المقاييس، اختلفت المعايير لدرجة أنه أي زعيم من الزعماء لا يحتاج أن يضفي على نفسه شرعية دينية، يمكن أن نقول شرعية ديمقراطية مثلاً، أو شرعية وراثة الملك، أنهم بيت ملك يتوارثونه واحداً بعد واحد، وهذا حق مطلق لهم ليس لأحد غيرهم فيقبل الناس.

في أن يوجد لنفسه ولاءات الناس، وهذه هي تربية الباطل، تربية الباطل تجعل الناس يخلدون إلى الأرض، ويضعون صفر على الدين بكله، وما لديهم من قيم الدين، أو ممارسات دينية إنما هي عبارة عن موروث تعودوا عليه وألفوه، يكون الجهل بالدين مطبقاً على الناس، وإن كانوا لا يزالون يمارسون شكليات منه، فيكتفي بأن يقدم للناس حديثاً يتعلق بمصالحهم الشخصية، منجزات، مشاريع، تنمية، عبارات من هذه.

أليس هذا هو ما يستخدمه الزعماء والملوك في عصرنا هذا؟ لم يعودوا بحاجة إلى أن يستخدموا الأسلوب الذي استخدمه معاوية. معاوية كان يحتاج، ويحتاج الآخرون من حوله من علماء بلاطه أن يقدموه للمجتمع كخليفة للنبي ويضفوا عليه شرعية دينية ويعملوا له فضائل [كاتب الوحي] مثلاً، أن جبريل أنزل إليه قلماً من ذهب ليكتب به آية الكرسي!! من هذا النوع من الفضائل.. لكن نحن الآن لا نحتاج إلى أن يقال أن ملكاً من الملوك أو زعيماً من الزعماء هو خليفة لرسول الله وأنزل إليه جبريل قلماً من فضة أو ذهب يكتب به أي شيء من كتاب الله أو من كلام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

أمكنهم أن يعودوا إلى الأسلوب الذي عمله فرعون مع قومه أيام موسى، الحديث عن مظاهر الملك، الحديث عن مقامه باعتباره رمزاً، الحديث عن المنجزات، الحديث عن وعود كثيرة.

عادة الباطل؛ الباطل إذا انساق الناس معه منطق الباطل لا يخلق لديك وعياً أبداً إنما هو جهل متراكم؛ جهل يتراكم داخل نفوس الناس فيصبحون أيضاً لا يبصرون؛ لا يبصرون أيضاً أن مثل ذلك لا يمكن أن يصدق في وعده أو على أقل تقدير أنه من المحتمل أن لا يفي بوعوده.

لم يعد لديهم ما يبصرهم على هذا النحو، قد يكون هذا للمؤمنين الذين لديهم مقاييس دينية، ولديهم تقييم إلهي؛ لأن الله في القرآن الكريم عمل تقييماً متكاملاً للشخصيات بأنواعها.. ألم يقدم لنا نفسية المؤمن؟ وقيّم لنا نفسية المنافق؟ قيّم نفسية اليهودي ونفسية النصراني ونفسية الكافر تقييماً كاملاً يعلمك هذه النفسية وكيف سيكون سلوكها في الحياة، كيف سيكون منطقها، هل هي ستفي أم أنها ستكذب أم أنها حتى تعمل على أن تنفق كذبها بالحلف، بالأيمان الفاجرة.

ألم يقل هكذا عن المنافقين: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ}(التوبة: من الآية٦٢) **يقول شيئاً ويتبعه بيمين من أجل أن تقتنع بما قاله، من أجل أن تصدقه، ولأنها نفوس هكذا، وتقييم صحيح لها يحشر الإنسان يوم القيامة، يبعث ويحشر بنفسيته؛ فيأتي المنافقون يوم القيامة يقول الله عنهم بأنهم {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ}**(المجادلة: من الآية١٨) **حتى في يوم القيامة يحلف بالله على أنه ما قال كذا، ويحلف بالله أنه ما أراد إلا كذا أمام الله، يحلف ويظن أنه سينفعه يمينه أو أنه سيقنع الباري ويخدعه؛ لأنه هكذا كان في الدنيا، هكذا كان في الدنيا.**

الذي يزيد الإنسان وعياً فيستفيد من كل شيء حتى يصبح لديه قدرة على أن يعرف عواقب الأمور، ويعرف الشخصيات ماذا يمكن أن تعمل، وكيف يمكن أن يكون عملها، هم المؤمنون، هم من يستنيرون بنور الله، هم من تزكوا نفوسهم، وتزكوا مداركهم، هم من يمتلكون الحكمة، لا يحصل هذا إلا ممن يسيرون على نهج الحق.

والحق أو الهدي الإلهي قدم للناس بالشكل الذي يمكن أن يعطيهم بصيرة فيفهمون الأشياء قبل أن تحيط بهم آثارها السيئة، وإلا فكثير في الدنيا من الناس عقلاء حتى وإن لم يكونوا مؤمنين، لكن متى؛ متى ظهر لديهم وعي؟ بعد الضرب، الضربة بعد الضربة حتى صحوا، وحتى فهموا.

أما المؤمنون فإن الله أراد لهم من خلال نوره.. ألم يقل عن كتابه أنه نور، نور يضيء لك الطريق قبل أن تسقط في الهوة.. في حفرة، قبل أن تطأ قدمك الشوك، نور ينير لك الطريق في هذه الحياة.. الذي بيده نور وهو يمشي في الليل وإن كان الظلام شديداً هل يمكن أن يطأ شوكة أو يمكن أن يسقط في حفرة؟ لكن من لا يمتلك نور يمكن أن يسقط في حفرة، ويمكن أن يدعس شوكة ثم في الليلة الأخرى يكون قد حصل لديه وعي أنه إذا سار في هذه الطريق وليس لديه نور أنه سيحصل له هذه المشاكل التي حصلت بالأمس.

ألم يحدث له وعي لكن بعد أن سار في طريق شائك وناله ما ناله. فنجد البلدان، بلدان الغرب في أوروبا وأمريكا وغيرها تجد الناس هناك لديهم وعي، وعي من خلال تجارب، هم ناس وهم بشر يعقلون، يفهمون، لكن تجارب، حاول أن تعرف شيئاً من التاريخ عن تلك البلدان تجد أنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أحداث دامية، وأحداث رهيبة داستهم وأحرقتهم وأنهكتهم.

لكن الإسلام، لكن الحق، لكن نور الله، هو من لا يريد لعباده المؤمنين أن يكونوا على هذا النحو، لا يبصرون إلا بعد أن يقعوا في الحفر، وتطأ أقدامهم الشوك، وبعد أن يتلقوا الضربة بعد الضربة، يقدم لهم النور، ألم يقل عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه بعثه للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقال عن كتابه الكريم أنه نور، هو نور ينير لك الدروب فتعرف الأشياء قبل أن تقع عليك نتائجها السيئة.

ألم يوبخ في القرآن الكريم من يحملون هذه المشاعر الذين لا يبصرون إلا بعد أن يسقطوا على وجوههم؟ فقال في القرآن الكريم عن كثير من أولئك سواء في الدنيا أو في الآخرة من قال عنهم أنهم يقولون بين يدي الله:
{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢).

ولاحظوا هذه قاعدة في هدي الله سبحانه وتعالى ـ كما نفهم ـ أنه إذا كان هناك شيء الله يوبخ الناس عليه، أو يعتبره خصلة سيئة في وعيهم، هو من عمل الكثير داخل كتابه على أن يكون عباده المؤمنين بعيدين عن أن يقعوا في مثله، أي هو من أعطاهم وعياً وبصيرة؛ حتى لا يحصل لديهم ما حصل لدى الآخرين، حتى لا يكونوا كأولئك الذين يتحسرون بعد فوات الأوان.

قلنا خلال درس من الدروس: نحن طائفة لديها عقائد، والبعض منا كطلاب علم يعرف الأشياء عبارة عن عقائد مكتوبة في كتاب قرأها هو من كتب أهل البيت ومسلّم معهم، وماشي معهم، ومصدق معهم، وقد لا يكون وصل في إيمانه بتلك العقيدة إلى درجة عالية، فتراه إذا ما تعرض لشبهة من جانب آخرين يهتز بل قد يتحول.. ألم نشاهد كهذا؟ ألم نشاهد أن هناك الكثير من الزيدية منهم من تحول إلى وهابي، ومنهم من تحول إلى علماني متنكر لدينه، ومنهم من تحول إلى اثنا عشري، أو إلى أي مذهب آخر. ما الذي ينقصه؟. ينقصه أنه لم يعمل على أن يبصر ما حوله من الشواهد.

وقلنا: إن هذه الشواهد هذه الأحداث في هذه الدنيا هي تعطيك بصيرة تعرف من خلالها صحة عقائدك، تعرف من خلالها أن تلك العقيدة التي قرأتها واعتقدتها أنها حق لا شك فيه، تلمس الشواهد عليها قائمة، وكثيرة جداً، شواهد كثيرة جداً، جداً، لكن من يتأمل، ولمن يستطيع أن يعرف كيف يربط هذا الحدث بهذا الشيء، كيف يعرف العبر في الأحداث، فهي أي هذه الأحداث تأملاتك لها تفيدك حتى في الجانب الإعتقادي فتزيدك بصيرة فيما أنت عليه أنه حق.

وهذه قضية مهمة جداً؛ لأنني قد أقرأ في كتاب فأرى عقيدة معينة، وقد يكون الكتاب مختصراً فلم يشرح لي الكثير من الشواهد على صحتها فيصادف أن أجلس في مجلس وفيه شخص من فئة أخرى لكنه ممن يحرص على أن يغير عقيدتي فيتحدث، وعادة عندما يتحدث أي شخص معك من الطوائف الأخرى هو من يحاول أن ينمق كلامه،

وأن يقدم لك أشياء بشكل أدلة هي ما يسمى بالشبهة؛ لأنه عادة لا يرقى شيء إلى درجة أن يسمى دليل في مواجهة الحق أبداً.

الحق هو الذي يمتلك الدليل وحده على أنه حق، وليس باستطاعة الباطل أن يقدم لنفسه دليلاً يرقى إلى درجة الحق أبداً؛ فلهذا تسمى شبهة.. لماذا تسمى شبهة؟ قالوا: لأنها تجعل القضية شبيهة بالحق، فيصبح ما قاله لك ذلك الشخص الوهابي مثلاً وهو ينمق لك الكلام ويسرد عليك الأدلة: أخرجه فلان ورواه فلان، وكانت هذه عقيدة السلف، فلان وفلان والأكثرية من الأمة عليه. وهكذا.. عبارات من هذه، هي شبهة كلها ليست أدلة.

والشبهة هي أيضاً جانب من الباطل هي نفسها لا تستطيع أن تقف في مواجهة الحق، هي بطبيعتها تزهق إذا ما جاء الحق تزهق، لكنها ستصبح لدى الشخص الذي لا يمتلك بصيرة، ولا يتأمل في كل ما حوله لا يقرأ كتاب هذا الكون، لا يقرأ كتاب هذا العالم، لا يقرأ صفحاته، لا يقرأ سطوره، التي هي الأحداث والمتغيرات فيه تصبح تلك الشبهة لديه دليلاً أقوى من دليل الحق.

أليس هذا هو من الجهل؟ أن تصير في واقعك من حيث لا تشعر، تنظر إلى الباطل الذي هو في واقعه باطل فيصبح لديك هو الحق بعينه، والحق الحقيقي الذي كان لديك يصبح هو الباطل.. أليس هذا هو الجهل؟.

هل أن في الدنيا ما يمكن أن يجعل الباطل في واقعه يصبح حقاً؟. لا. لا يمكن؛ لأن الحق هو من الله، وما كان من الله لا يمكن لأي طرف آخر أن يحصل منه ما يحوله إلى باطل، أو ما يجعل ما لدى ذلك الطرف يقدم نفسه هو الحق الذي لا شك فيه، وما كان من عند الله يبدو محل ارتياب، أو يبدو باطلاً كما أسلفنا. لا يمكن هذا أبداً.

إنما أنا بجهلي الذي أرى الحق باطلاً، ويصبح الباطل لدي حقاً؛ لأنها تشتبه علي الأمور، وجاء من شبه عليَّ، جاء من لبس عليَّ.

وفي نفس الوقت هل أن الحق الذي جاء من الله سبحانه وتعالى جاء هكذا، قدم ليس له شواهد؟ له الشواهد الكثيرة، الشواهد التي لا تكون فقط في عصر واحد ولا في يوم واحد، شواهد كثيرة جداً، جداً تمشي مع الأمة جيلاً بعد جيل؛ لأن الله رحيم؛ لأن الله رحيم بعباده، فهو لن يقدم الحق من عنده بإيجاز وبعبارات مختصرة، ثم لا تكون هناك الشواهد الكثيرة عليه، فيكون مما أدى إلى أن ينطلي عليك الباطل هو أن هذا الحق الذي قدم من عند الله ليس هناك شواهد كثيرة تصل بي إلى درجة أن لا أتأثر بالباطل!. لكن أنا عندما لا أبصر تلك الشواهد يصبح الحق الذي جاء من عند الله هكذا حق مجرد لا يمتلك أي شواهد، فيتحول بين عشية وضحاها إلى باطل.

ولهذا روي عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يتحدث عن الفتن، والفتن عادة هي أحداث تلتبس فيها الأمور، يلتبس فيها الحق بالباطل، لا أن الحق في واقعه اخترق جسمه الباطل فالتبس به، لا، إنما نحن في قصور وعينا قدم الباطل لنا بشكل حق فقبلناه من أي طرف، هكذا يأتي في الفتن، فما الذي سيحصل قال فيه: ((يمسي المرء مؤمنا ويصبح كافراً، أو يصبح مؤمناً ويمسي كافراً)) أليس الكفر باطلاً، والإيمان هو الحق.

عندما تكون في الصبح مؤمناً ثم تصبح في المساء كافراً، أي أنك تنكرت في واقعك لذلك الإيمان الذي كنت عليه في الصباح فأصبح ما كان إيماناً لديك وهو الحق أصبح ماذا؟ أصبح من وجهة نظرك باطلاً، فحل محله في نفسك الكفر، يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً، أو يصبح مؤمناً ويمسي كافراً!.

أليس هذا تغير سريع؟ تغير سريع، ما الذي هيأ الإنسان إلى أن يتغير هذا التغير السريع في خلال ساعات؟ هو لأنه لم يشاهد ما لديه ويبصر ما لديه؛ لأن الله كما أسلفنا إذا ما قدم حقاً للناس فإنه كما قال عنه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت: من الآية٥٣) تأتي الشواهد الكثيرة؛ تأتي الشواهد الكثيرة، وإذا ما أبصرت الحق وأنت ممن يتأمل فيبصر الشواهد على الحق فإنك من لا يستطيع أحد أن يغيرك ولا على مدى ألف سنة فضلاً عن أن تتغير خلال أربعة وعشرين ساعة، أو خلال اثني عشر ساعة.

أليس هذا الحديث يدل على أن هناك من يتغير خلال اثني عشر ساعة؟؛ لأنهم لا يبصرون الشواهد الأخرى على الحق، لكن من يبصر الشواهد على الحق هو من لا يتغير ولا خلال ألف سنة، وكيف يتغير وهو يبصر في كل سنة، بل ربما في كل شهر، بل في كل يوم يبصر الشواهد على ذلك الحق تعززه في نفسه وتقرره في نفسه

وتوسع معانيه في نفسه؛ فهو من لا يمكن أن يتغير، بل هو من سيزداد إيماناً.. إيماناً.. إيماناً كلما طال الزمن وكلما كثرت الأحداث، فإذا ما جاءت الفتن فلتكن كيفما كانت هو من لا يتغير أبداً أمامها؛ لأن لديه أسس من البداية، لديه قواعد من البداية، ولديه الأحداث المتكررة هي من تمكنه في الأخير أن يعرف أن كل ذلك الذي قدم إلي بشكل حق أنه لا شك أنه باطل؛ لأنني أراه من جهة هي في أساسها مبطلة.

مثلاً عندما يقوم أمامك خطيب من طائفة عقيدتها باطلة، في عقيدتها ضلال أنت تعرفه، فيقوم في محراب المسجد ويكون شخصاً قديراً على الكلام ويتكلم بالقرآن، ويسرد الكثير من الأحاديث، ويحلل وينمق كلامه، أنت من لا يمكن أن تتغير به؛ لأنك تعرف أن هذا من أساسه على ضلال فمن كان على ضلال لا يمكن أن يهدي إلى الحق ومن كان على هذا النحو لا يمكن أن أغتر به وأن أقبله قدوة لي وأن أعتمد عليه في ديني؛ لأن المسألة أرقى من هذا، المسألة أرقى من هذا؛ أن المفترض هو أنك لا تقبل من لا يهدي إلى الحق إلا أن يهدى إليه؛ لأن الله قال: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} (يونس: من الآية٣٥).

إذا كانت هذه الآية تعني بأنك وأنت تبحث عن قدوة، وأنت تبحث عن من تتبع، هنا شخص يقدم الحق، وهنا شخص أيضاً يقدم الحق لكن من الأولى؟ من يهدي إلى الحق أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون؟.

فكيف تغتر بمن هو على ضلال في واقعه، وأنت من يريد الله منك أنك لا تكون على هذا النحو تقبل الحق ممن لا يهدي إليه إلا أن يهدى.

مثل ما بيحصل في [الظاهرة] في بعض الأسواق يأتي الشخص الذي [يظهر] من هناك، من تحت و[الدوشان] يطلع فوق يقول: قل كذا.. قال: كذا.. وهكذا.. أليس الدوشان لا يهدي إلا أن يُهدى؟ هكذا.

فأنت عندما تكون عارفاً أن ذلك الشخص من أساسه على باطل فأنت من لا يمكن أن تتأثر بالكلام المعسول مهما كان، ومهما كان شكل ذلك الشخص، فلتكن لحيته طويلة، وليكن جسمه سميناً، وليكن مظهره يملأ محراب المسجد، وليكن صوته بالشكل الذي يرن منه المسجد، أنت من لا يمكن أن تنطلي عليك هذه المظاهر، وهذه الشكليات وليسرد عليك الآية تلو الآية، أنت تعرف أن ذلك على ضلال، فإذا كان على ضلال فمعنى ذلك أنه لم يهتد بعد بالقرآن فكيف يمكن أن يهدي إلى الحق من القرآن.

عند من تأتي هذه البصيرة؟ عند من لديه ثوابت، عند من هو مستقيم في عقيدته، عند من لديه رؤية صحيحة وبصيرة نافذة.. وهل تكون الرؤية الصحيحة والبصيرة النافذة فقط من خلال أن تقرأ في الكتاب الفلاني، لا بد أيضاً من قراءة الأحداث في واقع الحياة.. ألم يقل الله في القرآن الكريم وهو الذي هو آيات هي آيات مقروءة أليس كذلك؟ وهي في نفسها حق، وهي تكشف الكثير من الحق، والإنسان المؤمن بها يعرف الحق جلياً، من يعرف كيف يتدبرها وكيف يتأملها، لكن وأيضاً ستكون هناك شواهد في واقع الحياة {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت: من الآية٥٣).

لا بد.. لا بد أن نقرأ آيات الله في الآفاق، لا بد أن نقرأ الأحداث حتى نستطيع أن نحصل على البصيرة، وعلى الوعي.

عنوان الكلام هو أن الله قال سبحانه وتعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) **تجلت في هذه الأيام، وأعتقد - كلكم تعرفون - تجلت أحداث هي مصاديق لهذه الحقيقة الإلهية بأن اليهود والنصارى لن يرضوا عن أي شخص مهما كان صديقاً لهم وإن ملأت العهود والإتفاقيات والمواثيق معهم أدراج مكتبه، وإن قدموا له في ماضيه ما قدموا، وإن قدم لهم هو من الخدمات ما قدم فإنهم لن يرضوا عنه.**

موقف السعودية الآن أليس معروفاً لدينا؟ الم تكن السعودية معروفة عند الجميع بأن لها علاقة قوية جداً مع أمريكا وصديقة لأمريكا، ولم نعلم أن هناك ما طرأ من جانب السعودية جعل أمريكا هي التي تغير موقفها، هم تغيروا هم أليس كذلك؟ لأنهم في واقعهم - وعلى مدى السنوات الماضية الطويلة، وعلى الرغم من التعامل الواسع مع السعودية وكذلك مع شعوب أخرى، في كل تلك الفترة - هم ما زالوا أعداء، والعدو لا يمكن أن ينصح لك، ولا يمكن أن يخلص لك، عدو تاريخي، عدو عداوة مستقرة ثابتة، فكلما تقدمه له فإنه لن يرضى عنك

أبداً حتى تكون على النحو الذي يريد.. وما هو النحو هذا؟. هو ما قال الله عنه: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} واتباع ملتهم هو أيضاً أن تتخلى عن ملتك، وعن أمتك وعن شخصيتك وهويتك التي أنت عليها، هذا هو ما لا بد منه، وإلا فأنت ما تزال غير مرغوب فيه، وغير مرضي عنه مهما حاولت.

هنا في اليمن بدأت الأشياء كذلك تتجلى، والموضوع الذي نريد أن نتحدث عنه الليلة هو ما سمعنا من خلال مقابلة بالأمس في التلفزيون، مقابلة من مبعوث لشبكة [سي إن إن] الأمريكية يتحدث مع الرئيس ويسأله في القضايا المحرجة والحساسة، الرئيس عاد في رمضان إلى اليمن وكما سمعنا من كلامه بالأمس أنه كان قد تحاور مع أولئك فعاد إلى اليمن وهو مطمئن.. وهو مطمئن؛ فقال للناس أن يسكتوا، هو كان يقول بالشكل الذي يوحي بأن هناك في اليمن إرهابيين، وكان يردد كلمة [ونحن عانينا من الإرهاب] ووعد أولئك بأن يقف معهم ويساعدهم على مكافحة الإرهاب، لكن ظهر من خلال كلام أمس أنهم يحاولون بأي طريقة يتمحلون الكلام ويلفقون الدعايات والإتهامات لليمن ليجعلوا منه بلداً إرهابياً يحتضن الإرهاب ويدعم الإرهاب ويسانده.

بدأ الكلام بالأمس يوحي بهذا؛ لأن النظرة أصبحت إلى اليمن كالنظرة التي لمسناها مع السعودية من جانب أولئك. فمن خلال الكلام سمعنا أن هناك حملة دعائية ضد اليمن، ومن تلك الحملات أنه يقال عن اليمن بأنه بلد.. أي كلمة يعني توحي فعلاً بأن هناك حملة دعائية شديدة، وأنها فعلا لا بد أن تصنف اليمن ضمن الدول الإرهابية.

قالوا عن اليمن قال المراسل: يقولون ـ الأمريكيون وهناك الحملات الدعائية ضد اليمن ـ : إن اليمن ملاذاً جيداً للإرهابيين، ملاذاً جيداً للإرهاب! وعندما تأتي حملة دعائية طبعاً الحملات الدعائية والإعلامية من هذا النوع تكون مرتبطة بسياسة معينة للكبار، لأولئك.

يريدون من خلالها أن تهيئ الرأي العام العالمي ليترسخ لديه فكرة أن اليمن بلد إرهابي. أنه إذا يمكن أن يتعامل معه كما يتعامل مع السعودية ومع أي بلد آخر يصنف بهذا. الرئيس ظن بأنه إذا قال للآخرين نريد أن نسكت اسكتوا عن الكلام في أمريكا وفي هؤلاء.. اسكتوا عنهم، قد يظن بأنه عندما يبرز استعداده للتعاون معهم، وأنه عندما يقول للناس أن يسكتوا أن أولئك سيرضون عنه، وأنهم بالتالي سيسكتون وبالتالي فلن يكون هناك أي تدبير من جانبهم يضر باليمن.

إذا كانت هذه المشاعر لديه وافترضنا أنها لديه فإنها أيضاً تعبر عن أن من يحمل تفكيراً كهذا في مواجهة أولئك أنه مخدوع بهم، وأنه ظن أن بالإمكان أن يرضوا عنه، وأنه ظن أن بالإمكان أن يكون هو وبلده بمعزل عن مؤامراتهم وكيدهم.

لو رجع هو أو أي شخص يحصل لديه هذا الشعور إلى قول الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) لكان هو من لا يمكن أن يثق بهم، لكان هو من يأخذ حيطته اللازمة في مواجهة كيدهم ومؤامراتهم وما يمكن أن يدبروه للناس؛ لأنهم إذا كانوا لا يرضون عنا وهم أعداء وامتلكوا قدرات.. فما هو المحتمل أن يعملوا؟ أليس المحتمل أن يعملوا كل شيء حتى تكون ملتهم هي الماثلة أمام الجميع، وحتى تكون ملتنا غائبة لا وجود لها، أو أن يحملوا من أمكن على أن يكون في واقعه مؤيد لملتهم وعلى ملتهم.

ألم نسمع أيضاً عبارة أخرى جاءت من الرئيس وقد يكون هو لا يعرف بالتحديد آثارها، هي سبق مثلها من أنور السادات أيام ما اتجه للمصالحة مع إسرائيل قال: اليهودية والنصرانية هذا كلام أنور السادات [اليهودية والنصرانية والإسلام كلها ديانات سماوية]. الرئيس قال: [لسنا ضد اليهودية ولا ضد النصرانية هي كلها ديانات سماوية].

هذه العبارة، هذه العبارة قد يكون لها أثرها من جانب الله سبحانه وتعالى، الحديث عن اليهودية الآن، الحديث عن النصرانية الآن، ووجه اليهودية ووجه النصرانية هو هذا الفساد القائم.. هل يمكن أن نقول بأنها هي ديانات وأنها ديانات سماوية؟ والله قال عنهم من قبل ألف وأربع مائة سنة في القرآن الكريم: أنهم حرفوا

وغيروا وبدلوا، فكيف يمكن أن نعتبرهم على ما هم عليه فنشهد بأنهم هم كيهود على ما هم عليه أنهم على ديانة سماوية.

يمكن أن نصدق بالتوراة التي جاءت من عند الله وهي الكتاب الإلهي الذي نزل على موسى، لكن تصديقنا بالتوراة لا يعني تصديقنا باليهودية القائمة الآن، كما أن تصديقنا بالإسلام هو أيضاً لا يعني تصديقنا بأن تلك العقائد المنتشرة في أوساط المسلمين هي الإسلام.. ألسنا ننقدها؟. ننقدها على أساس أنها ليست من الإسلام داخل أمتنا.

بدأت المقابلة أمس وذلك المبعوث من تلك الشبكة التلفزيونية يطرح أسئلة حساسة، منها قضية أفغانستان، وقضية أسامة: يقال أن أسامة أصلاً هو من أصل يمني، جده من اليمن، وأسامة قد يكون له أتباع في اليمن. وهناك إرهابيون من تنظيم القاعدة في اليمن، وهل هناك علاقة بين حادثة السفينة [كول] وبين حادث نيويورك، ومن هذا القبيل يحاول بأي طريقة.

إن قلنا بأن هذا عبارة عن مراسل صحفي فالعادة أنه عندما يطرح أسئلة من هذا النوع إنما لأن الدعاية الإعلامية هناك هي تقول هكذا، أي هي من يربط ما بين حادث السفينة وبين حادث نيويورك أنه من طرف واحد هذا الطرف ـ يريدون أن يرسخوا هذا ـ أن هذا الطرف هو في اليمن وفي أفغانستان. إذاً فإذا كنا تعاملنا مع أفغانستان على هذا النحو فيجب أن نتعامل معهم أيضاً في اليمن على هذا النحو. فالمراسل عادة هو يحاول أن يحصل على أي كلام ينقله.

وإما أن يكون كلاماً يؤيد ما يطرح من جانب الرئيس مثلاً أو كلام ينـزله؛ لأن العادة عند الصحفيين أنه إذا كان هناك جهة يقال عنها شيء ويتجه الكلام إليها الصحفيين أيضاً وشبكات التلفزيون تتجه إلى ذلك الطرف لتعمل مقابلة معه ولقاء معه تعرف موقفه، تعرف ما يقال حوله تعرف؛ لتقدمه للآخرين، هذا هو العمل الصحفي.

إذا كان هناك صراع بين أطراف أليسوا يتجهون إلى هذا الطرف يقابلوه وإلى هذا الطرف ليقابلوه وينـزلوا في كتاباتهم وفي صحفهم أو ينشرونه ويبثونه في قنوات التلفزيون، يبثون الخبر من هذه الجهة ومن هذه الجهة.

جاء في الأسئلة حول أفغانستان وكان مما فهمناه من كلام الرئيس: أن أمريكا لم تكن لديها ما تعتمد عليه بالنسبة لذلك العمل الذي عملته في أفغانستان إلا قرائن وشبه قرائن وأمارات، أي أنها لا تتثبت؛ لأنه قال هكذا: إذا كانت أمريكا عملت ما عملته في أفغانستان ولم يكن لديها إلا قرائن؛ وحركة طالبان قالت هي لن تسلم أسامة إلا بأدلة، يكون هناك أدلة تشهد، أو تكفي لإدانته في ذلك الحادث ممكن.

هل طالب الأمريكيون بالأدلة أو قدموا الأدلة أو عملوا محكمة يقدمون لها ما لديهم ضد هذا الشخص. كما يقدم هو من طرفه ما ينفي تلك الأدلة أو ما يثبت في الأخير، ما يجعل المحكمة في الأخير تثبت بأنه متورط في هذا.. هل انتظرت أمريكا لهذا؟. لا. أي أنها تتصرف تصرف العدو مع هذه الشعوب، وعدوك هو من يكتفي بشبهة معك ليعمل كل ما يعمله ضدك ولا ينتظر أدلة، ولا ينتظر محاكمة ولا ينتظر شيء، فعندما يرى نفسه متمكناً يضربك بدون أن ينتظر للأدلة. أي أنه بالإمكان أن تتعامل مع اليمن على هذا النحو، وهناك الكلام الكثير: هناك إرهابيون، هناك كذا.

وسألوه: هل أن اليمن بحاجة إلى مساعدة عسكرية، أو من أي نوع يحتاج إلى مساعدة.. أسئلة من هذا النوع، أسئلة عن اتفاقية بتمويل السفن الأمريكية هل ما تزال قائمة. حتى سؤال عن إسرائيل كيف ينظر هو إلى إسرائيل؟ كان الجواب جيداً بالنسبة لإسرائيل، أنها تعتبر دولة إرهابية. لكن الغلطة أن تقال لإسرائيل دولة، يجب أن لا ينطق العرب بأن إسرائيل دولة، هي كيان صهيوني؛ كيان صهيوني لا يستحق أن يطلق عليه أنه دولة له شرعية في وجوده كدولة كأي دولة أخرى في المنطقة.. وقال أنها دولة إرهابية؛ أنها دولة إرهابية في العالم أو أكبر دولة إرهابية في العالم على الإطلاق.

لاحظ هم في حملاتهم الدعائية أيضاً يحاولون أن يرسخوا شرعيات معينة في أذهاننا، عندما يأتي شخص من الأشخاص من الزعماء هؤلاء وهو ينطلق معهم بحسن نية، أو ينطلق معهم يقدم لهم خدمة: يكافح الإرهاب،

فكافح في بلده إرهابيين اعتبروا عمله ذلك نفسه إدانة له، أي عملك هذا يشهد على أن هناك إرهاباً في بلدك إذاً إذا كان هناك إرهاب في بلدك فإن الحلف الذي قام هو قام على أساس أن يعطي أمريكا الصلاحية الكاملة لتتولى هي ضرب الإرهاب، ومن رؤيتها هي؛ برؤيتها هي.

فعندما يقول هذا الرئيس أو ذلك الملك: لدينا إرهابيون ولكن نحن سنتكفل بهذه وهناك لدينا قضاء وهناك لدينا كل شيء. لا يمكن أن تنتهي المسألة إلى هذا النحو سيحاولون أن يدخلوا وبحجة أن يساعدوه في البداية أن يساعدوه على عمله، ثم يكثر الإرهاب حينئذٍ على أيديهم هم؛ لأنه ليست المشكلة لديهم هي قضية الإرهاب.

هناك يقال في واشنطن نفسها وفي نيويورك في المدن الأمريكية: المحلات التجارية الكبيرة تحتاج إلى أن يكون داخلها حرس جنود مسلحين بالأسلحة النارية؛ لأن هناك سطواً، هناك إرهاب داخل أمريكا نفسها على المحلات التجارية في وضح النهار. فلماذا لم تُأمّن أصحاب تلك المحلات التجارية؟ لماذا تبحث عن واحد إرهابي هناك؛ يقال له إرهابي في اليمن أو في أي دولة إسلامية أخرى.

ليس هذا هو المقصود؛ هم يريدون أن يثبتوا وجودهم داخل هذه البلدان، وهذا ما رأيناه في أفغانستان.. أليست التعزيزات العسكرية ما تزال تتوافد على أفغانستان؟ وهم في البداية دخلوا بحجة أنهم يقدمون خدمة للأفغان.

إذاً فأنت عندما تريد أن تكسب رضاهم فتقول: أنا فعلاً لدي إرهابيين، ونحن عانينا من الإرهاب، ونحن سننطلق معكم لنكافح هذا الإرهاب. فبدلاً من أن يشكروك على ذلك إنهم من يعتبرون قولك ذلك وسيلة لأن يدخلوا إلى بلدك. وحينئذٍ سيحجونك بماذا؟. سيحجونك بالإتفاق الذي قد حصل من جانبك بالموافقة التي قد حصلت من جانبك على أن تكون أمريكا هي التي تتولى التحالف الدولي ضد الإرهاب.

هناك أصوات الآن تظهر لكن هل أمريكا تعتبرها، هناك من يقول: يجب أن يكون مكافحة الإرهاب عن طريق الأمم المتحدة، هناك من يقول: يجب أن تعتمد أمريكا على جوانب أخرى في مكافحة الإرهاب، لا يكون الحل العسكري لديها هو الحل الوحيد في هذا الجانب، هناك من يقول عبارات أخرى، لكن هل أمريكا تسمع لهم؟. لا تسمع أبداً.

هي تنطلق فمتى قيل: إن هناك إرهاباً فهي من تمتلك الحق ـ من وجهة نظرها ـ أن تكافحه بالشكل الذي ترى، وهي لا تكافحه كإرهاب على أساس أنه يزعج الناس أو يزعج المواطنين الأمريكيين؛ إنما لأن هناك وسيلة تعتبره وسيلة للدخول إلى هذه البلدان.

هي لا تكتفي بالإستعمار، الهيمنة العالمية هذه التي تحصل بل تريد أن تصل إلى كل منطقة، وأن تهيمن على كل بلد من داخله.

قلنا في كلام سابق بأنه كان من المفترض أن أمريكا هي التي تشكر أولئك الذين تسميهم الآن إرهابيين؛ لأنهم هم من انطلقوا ليحاربوا الشيوعية في أفغانستان بأمر وتوجيه من أمريكا.. فلماذا تنظر إلى جنودها الذين خدموها وضحوا بدمائهم من أجلها، أو كان في الأخير، أصبح في الواقع تعود المصلحة إليها هي.. لماذا تعتبرهم إرهابيين، ثم تعتبر البلد الذي هم منه بلداً إرهابياً. هذا هو نفسه شاهد على هذه الآية.. هل هي رضيت عن أولئك؟ ونحن سمعنا بأنهم انطلقوا إلى أفغانستان بأمر من أمريكا.

الآن يحاولون أن يجعلوها إدانة على الدولة نفسها وعلى اليمن نفسه أنه انطلق منه إرهابيون إلى أفغانستان، وأن هناك يمنيون أيضاً كانوا مع طالبان وكانوا من المصنفين ضمن الإرهابيين.. ألم يعتبروا تلك الخدمة إدانة الآن، كما اعتبروا دعم السعودية للوهابيين في مختلف المناطق ـ وهو بالطبع كان في ظرف من الظروف برغبة أمريكا ـ هم من اعتبروها أيضاً إرهابية بذلك الدعم، أي لا يمكن أن يرضوا عنك بنفس الخدمة التي قدمتها لهم، وإن كنت جندياً من جنودهم لن يرضوا عنك، بل تجلى الأمر إلى أن تصبح تلك الخدمة هي إدانة ضدك.. إدانة ضدك.

كانت أمريكا حريصة جداً على أن تخرج روسيا من أفغانستان، وكان يهمها جداً وجود الإتحاد السوفيتي في أفغانستان.. فهؤلاء الذين انطلقوا كمجاهدين من هنا وهنا هم في الواقع قدموا لها خدمة، سواء شعروا أو لم يشعروا، وأن يتوافدوا من هنا ومن هنا إلى ذلك البلد، ونحن لم نرى أن هناك ما يسمح لهم ولغيرهم أن يتوافدوا على هذا النحو إلى فلسطين لمحاربة إسرائيل.. هل حصل مثل ذلك؟.

لأن كلما يحصل هنا في هذه الدنيا في البلدان التي تهيمن أمريكا عليها هو طبعاً بتوجيهات أمريكا وإيحاءات منها، أو رضا عنها بذلك التصرف باعتبارها ترى أنه يخدم مصالحها. هم قاتلوا، وفي الأخير خرجت روسيا من أفغانستان، وإذا بأولئك يصبحون فيما بعد إرهابيين.

اليمن الآن يعتبر مدان أنه انطلق منه شباب كثيرون، هم الآن يصنفون بأنهم إرهابيون، والبلد الذي هم فيه يعتبر بلد إرهابي، وأسامة أصله من اليمن! أصله من اليمن سيحاسبون اليمن على أن أصل أسامة من اليمن.

ونحن أحياناً نزيد عبارات تعطي توسعهم شرعية أكثر [مكافحة الإرهاب من جذوره واقتلاع جذوره، وتجفيف منابعه] هكذا سمعنا بالأمس عبارات من هذه [اقتلاعه من جذوره] وأنت من يجب أن تنكر أن هناك إرهابيين أو من لا تسمح أبداً أن يقال لبلدك، أو أن يتجه أولئك لتصنيف بلدك كله بأنه بلد إرهابي على النحو الذي يريدون.

لاحظوا كيف عملت إيران، هي اتهمت بأن هناك اثنا عشر شخصاً دخلوا إيران من تنظيم القاعدة، الإيرانيون يعرفون أمريكا، ويعرفون أنهم لو قالوا فعلاً هناك أشخاص ونحن سننطلق، ونحن فعلاً معكم في مكافحة الإرهاب.

أن هذا لا يرضي أمريكا، هي تريد أن تجعل إيران بلداً إرهابياً بهذا الشكل الذي تصنفه أو تطلقه الآن عليه إرهاب سواء كانوا أشخاصا من تنظيم القاعدة أو من طالبان، لتبرر لنفسها أن تضرب إيران، ثم ليتجه الإعلام ليقول إذاً فإيران بلد إرهابي هو داعم للإرهاب، إذاً هو منبع من منابع الإرهاب، إذاً للإرهاب جذور في إيران، وهكذا سيكون بالنسبة لليمن.

ماذا عمل الإيرانيون؟ انطلقوا هم وهددوا أمريكا وصرخوا في وجهها، وتحدوها وقالوا عليها أن تفهم أنه لن يكون أي ضربة من جانبها تمر دون رد فعل مباشر.

لكن ماذا؟ الموقف يختلف هنا في اليمن، والمفترض أننا هنا في اليمن يجب أن تتنبه سواء الرئيس أو الدولة أو المواطنين أنفسهم أن يتنبهوا إلى أنه يجب أن يتعاملوا مع أمريكا ومع الإعلام المضاد كما يتعامل إيران تماماً، وإلا فإذا أبدى الرئيس استعداده فإنه سيرى في كل أسبوع في كل شهر يرى أنه يصنف بلده ويصنف هو داعماً للإرهاب، وبالتالي فهو بسكوته، بل واستعداده لأن يعمل معهم إنما يمنحهم شرعية من وجهة نظرهم، إنما يشجعهم على أن يزيدوا؛ على المزيد حتى تطأ أقدامهم اليمن كما بلغنا فعلاً، ثم إذا ما دخلوا ولو مائة شخص سيأتي بعدها التعزيزات، سيأتي بعدها التعزيزات، وسيقدمون أنفسهم لليمنيين بأنهم إنما جاءوا ليخدموا اليمن! قد يقولون هكذا: ليساعدوا اليمن على مكافحة الإرهاب، كما جاء في السؤال بالأمس، هل أن اليمن بحاجة إلى مساعدة مثلاً اقتصادية أو عسكرية؟ هكذا مساعدة، يعني: في مكافحة الإرهاب.

لو قال الرئيس: لا. سيفرضون هم عليه، وسيرغمون اليمن على أن يقبل المساعدة؟، ما يسمى بالمساعدة سيرغمونك على قبولها؛ لأنك لم تقف في وجوههم من أول يوم، أنت كنت ترى أن السكوت يمكن أن يرضيهم، أو أن إظهار استعدادك للتعاون معهم سيرضيهم. لا.

إن الله عندما يقول لنا أنهم أعداء إنه يريد منا أن نتعامل معهم كأعداء، وعدوك عدو من هذا النوع يجب أن تقف في وجهة حتى لا يفكر بأن يعمل ضدك أي عمل، فيراك أنت متأهب تماماً لمواجهته ولقطع يده.. هذا ما يجب أن يكون عليه اليمني، وإلا فسيرى علي عبد الله نفسه يقع في المأزق الذي فيه عرفات فعلاً.

هذا شاهد.. ألم نكن نسمع نحن الرئيس في مقابلات سابقة وفي لقاءات وفي تجمعات يظهر نفسه كشخص مستعد أن يكافح الإرهاب؟ إذاً فلماذا الدعايات ضد اليمن فليكتفوا بهذا الشخص الذي وعدهم أنه هو يستطيع. ونحن قلنا في المحاضرة في القاعة أنه في الواقع لو افترض أن هناك إرهابيين يضرون فعلاً بمصالح مشروعة لأمريكا

فإن اليمن بدولته وقضائه يستطيع أن يحسم الموضوع دون أي تدخل أمريكي.. لكن هل يرضيهم هذا؟. لا يرضيهم.

إنه لا يهمهم مكافحة إرهاب، هم من يصدرون الإرهاب، وهم جذور الإرهاب، وهم منبع الإرهاب الأمريكيون أنفسهم. أمريكا هي الشيطان الأكبر - كما قال الإمام الخميني - هي من تثير الفتن وتثير القلاقل، ومن تصدر الإرهاب في العالم كله.. من وراء إسرائيل؟. أليست أمريكا وراء إسرائيل؟ ألم يظهر الرئيس الأمريكي بالشكل الصريح متعاطف مع إسرائيل، ويصنف الفلسطينيين المساكين المظلومين بأنهم إرهابيون.. هل هذه الدولة، أمريكا يصح أن تعطى هذا المقام وهذا المنصب أن تكون هي من يقود التحالف ضد الإرهاب، وهي من تدعم الإرهاب الكبير، تدعم إسرائيل؟ هل يثق بها العرب أنها ستكافح الإرهاب؟.

إن موقفها في فلسطين، موقفها من إسرائيل هو واضح بالشكل الذي يفضح أمريكا ويفضح من يقف معها أنها لا يمكن أن يوثق بها أن تكون دولة تقود مكافحة الإرهاب، تقود الأمم لمكافحة الإرهاب.

إذاً فاليمن نفسه، الحملة الدعائية هذه ضد اليمن، تصنيفه كدولة إرهابية ربما ومن المحتمل جداً أن يتعزز الكلام، وإذا بدأت الحملات الدعائية هناك فتأكد أنها حملة دعائية ستشغل بال الدولة وتشغل الرئيس وتشغل اليمنيين كما شغلت السعوديين.

لكن السعوديين ظهر موقفهم جيداً، ظهر موقف الأمير عبد الله موقفاً جيداً فعلاً، أحس فانطلق انطلاقة جيدة حسن علاقاته مع إيران. علي عبد الله إذا انطلق على هذه المسيرة: تمام، تمام، كلما قالوا.. قال: تمام، نريد ندخل نعمل مساعدة، تمام، اعتبره منتهي هو، هو أول من سيضرب، وهو من سيعاني، سواء أن تكون في مواقفه ما يثير سخط شعبه عليه ويسيء سمعته إلى شعبه، وهو من قدم لشعبه كرمز للوحدة والديمقراطية، حينئذٍ سيجعله الأمريكيون، سيحولونه إلى شخص يسخط منه شعبه ويسخر منه شعبه، أو يضربونه هو كما ضربوا عرفات بحجة أنه لم يكافح الإرهاب بالشكل المطلوب.

يعملون تفجير في أي مكان قريب من منشئاتهم، أو مصالحهم، ثم يقولون: ألم تروا أنه لم يكافح الإرهاب بالشكل المطلوب؟. فيضربونه هو، وهذا محتمل جداً.

فالمفترض هو ماذا؟ أن يبادر.. أن يبادر هو كما بادر الأمير عبد الله ليحسن علاقاته مع إيران، وليري أولئك من خلاله هو، ومن خلال الدولة، ومن خلال الشعب أنه لا يمكن أن ينطلي علينا هذا الخداع. فإذا ما وقف الناس موقفاً صريحاً كموقف إيران على مستوى الدولة، وعلى مستوى الشعب فهذا هو الذي سيوقف أمريكا.. هو الذي سيوقفها عند حدها، أما إذا انطلق على هذا النحو الذي ظهر عليه بالأمس، وظهر عليه في مقابلة سابقة فلنتأكد بأن مصيره بدأ على أيدي الأمريكيين هم محرج جداً له هو قبل غيره.

ثم لنعود إلى أنفسنا نحن كمواطنين، كمواطنين مسلمين مؤمنين نؤمن بقول الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) **لنقل لأنفسنا إذا ما كنا نميل إلى السكوت، ونقول لأولئك الذين يطلبون منا أن نسكت: أن هؤلاء لا يرضيهم سكوتنا بل يشجعهم سكوتنا، لن يتوقفوا عند حد إذا كنا ساكتين، هاهو الرئيس سكت.. ألم يسكت من البداية، ألم ينطلق هو ليظهر استعداده في الوقوف معهم لمكافحة الإرهاب حتى بمجرد بلاغ كما حصل في المقابلة أمس، بمجرد بلاغ من الأمريكيين يتحرك لمطاردة من قالوا أنهم إرهابيون.**

فإذا كان هو لم يُجْدِ معه، لم ينفعه سكوته بل لم ينفعه استعداده فإن هذا يدل على أن سكوتنا لن ينفع، وأننا حتى لو استعدينا أن نقف في مكافحة من قالوا هم أنه إرهابي فإن ذلك لن ينفع؛ لأنهم يريدون شيئاً آخر، هم يريدون أن يهيمنوا على اليمن، أن يثبتوا أقدامهم في اليمن أن يسيطروا عليه مباشرة.

إذاً فلننقل للآخرين قد سكت علي عبد الله فلم ينفعه سكوته، بل استعد لمساعدتهم فلم تنفعه مساعدته، وهاهو الآن محرج، إذا كان هناك حملات دعائية إعلامية فإنه لا بد أن يكون هناك في اليمن حملات دعائية أخرى مضادة، فهو محرج إما أن يسكت على ما يقال عن اليمن فيتعزز في الرأي العام العالمي أنه دولة إرهابية، أو أن

يقول للصحف أن تكتب وأن ترد على كل ما يقال، فنفس الرد عندما يظهر بالمنطق اللين هو نفسه لا ينفع، لا ينفع الرد الإعلامي لا ينفع إلا الخروج إلى الشوارع في المدن اليمنية، ويتظاهر الجميع ضد أمريكا، ويقفون كموقف الإيرانيين، هذا هو الذي ينفع.

وأن ينطلق هو كما انطلقت السعودية ليحسن علاقاته مع إيران، والإيرانيون هم من يعرفون كيف يتصرفون مع الأمريكيين، وحينئذٍ سيخيف هذا أمريكا نفسها وستتراجع.

إذاً آمنا وعرفنا فعلاً بأن أولئك كما قال الله عنهم، ومن خلال الآيات التي تجلت في الآفاق والمتغيرات أنهم لن يرضوا عنا حتى ولو أظهرنا أنفسنا كعملاء لهم، حتى ولو انطلقنا كجنود لهم لن يرضوا عنا أبداً، لا يهوديهم ولا نصرانيهم حتى نتبع ملتهم، ونحن لا يمكن أن نتبع ملتهم، ونحن من أمرنا الله بأن نحاربهم، أمرنا الله بأن نذلهم، أمرنا الله بأن نقاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

جاء في الأسئلة بالأمس أنه هل الرئيس موافق على العمل ضد الإرهاب ومكافحة الإرهاب بهذه الطريقة العسكرية حتى لضرب أي دولة، العراق أو غيرها حتى وإن كان اليمن؟!. السؤال على هذا النحو.

ماذا يعني هذا السؤال؟. يوحي بأن هناك في الحملة الدعائية ضد اليمن من يقترح من الكتاب ومن صحفيين هناك أنه يجب أن يصنف اليمن كتلك الدول كالعراق وكأفغانستان وأنه يجب أن يتلقى ضربة كما تلقى أفغانستان، وأنه يجب أيضاً أن يكون في قائمة الدول التي يجب أن تضرب كما ضرب أفغانستان.

فيسأل الرئيس هل هو موافق على ضربه؟ هل هو موافق على ضرب بلده؟ بالطبع لا، من الذي يمكن أن يقول هو موافق على ضرب بلده، لكن السؤال يوحي بأن الحملة الدعائية هي على هذا النحو.

ولاحظوا الآخرون مثلاً الأمريكيون يهمهم جداً الرأي العالمي هناك في أمريكا وفي بلدان أوروبا؛ لأنهم هناك إنما يتحركون بعد أن توافق مجالسهم النيابية ومجالسهم التشريعية توافق وتعطي الرئيس صلاحية.. تعطي الرئيس أو الملك أو رئيس الوزراء صلاحية أن يتحرك على هذا النحو. هم ليسوا أيضاً كزعماء العرب ينطلق في تصرفاته دون أن يتشاور مع مجلس النواب، ودون أن يكون تصرفه قائم على وفق قرار أو وفق قانون يقره مجلس النواب ويوافق عليه يتحرك هكذا.

ثم هم حينئذٍ وسائل الإعلام هناك هي مَن متى ما وافق الرأي العالمي هناك فوسائل الإعلام هي من تتجه إلى هنا إلى هذه المناطق، ونحن العرب يكفينا قليل من الكلام؛ لأن العرب فعلاً ترسخ لديهم ما كان قائماً ولا يزال عند بني إسرائيل {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ}(المائدة: من الآية٤١) يتجهون إلى أن يقولوا: هناك إرهاب في اليمن، هناك إرهاب في أفغانستان، هناك إرهاب في العراق، وهذه الدولة إرهابية، هذا الشخص إرهابي، والإرهاب يعني كذا يجب مكافحته.. يجب.. وأننا نريد أن نطهر الشعوب من الإرهاب، الإرهاب هو يضر بالجميع، فيوافق سريعاً، يوافق زعماؤنا سريعاً ونحن تعودنا على أن نوافق زعماءنا سريعاً!! فما الذي يحصل؟.

يحصل موافقة عالمية داخل الدول وداخل الشعوب، فيوافق الناس من حيث لا يشعرون على ضرب أنفسهم، يوافق الناس من خلال موافقتهم لحركات زعمائهم، ولتصريحات زعمائهم ولاستعدادهم للتعاون مع أولئك، يعني ذلك موافقة ضمنية على أن نضرب، فكل تصريحات علي عبد الله التي كان يقول فيها: نحن عانينا من الإرهاب، أصبحت الآن لدى الأمريكيين حجة على أن اليمن إذاً يجب أن يصنف كدولة إرهابية وكبلد إرهابي، وأنه من منابع الإرهاب.

فإذا ما سكت المواطنون أنفسهم لسكوت الدولة، لسكوت الرئيس فمن الذي يكون ضحية قبل الكبار؟ أليسوا هم الصغار؟ أليسوا هم الشعب؟ من كان الضحية في أفغانستان هل أسامة ومحمد عمر أم الشعب الأفغاني؟ الشعب الأفغاني كان هو الضحية، من الذي كان الضحية في العراق الشعب العراقي أم صدام؟ الشعب العراقي.

وهؤلاء الزعماء متى ما ضربوا أيضاً فإنما يضربون على هامش ضرب الشعب نفسه، لا تتوقع أنه سيضرب الزعيم دون أن يضرب الشعب، إذا ما ضرب الزعيم وضربت الدولة ستكون أيضاً على هامش ضرب الشعب.

ماذا يحصل في فلسطين؟ ألم تدمر البيوت وتدمر المباني الحكومية في فلسطين؟ وعرفات أيضاً حوصر.. أين أشد ألماً وضرراً عرفات أم الشعب؟ هل دمر بيته؟ لم يدمر بيته، دمرت بيوت الآخرين، لكن دمرت نفسيته، دمرت شخصيته، أصبح تحت رحمتهم، وفعلاً في الأخير قد يدمر نهائياً كما هم الآن يبحثون عن بديل له، وهكذا مصير الزعماء الآخرين.

فنحن إذاً إذا كنا ننطلق في محاربة اليهود والنصارى على وفق الحقائق الإلهية فإنه العمل الصحيح والموقف الثابت الذي ينسجم مع الواقع، والذي يدفع عن الناس الكثير، الكثير من خطرهم، والكثير من شرهم فيصبح شرهم بالنسبة لنا على النحو الذي ذكره الله في القرآن: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١).

أما إذا لم نرجع إلى القرآن وإذا لم نتأمل الآيات في الآفاق وفي أنفسنا من خلال التغيرات التي تطرأ على يد الإنسان في هذه الآفاق فإن معنى ذلك أنهم سيضربوننا وسيقهروننا وبالتالي لا نستطيع أن نعمل شيئاً ضدهم، كما وجدنا عليه الآخرين.

إذاً فلنضع نصب أعيننا في هذه المرحلة هي الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، عن أهل الكتاب، عن اليهود في نظرتهم إلينا، في نظرتهم إلى ديننا، فلنعتبرها حقائق، ثم لننظر إلى الواقع نفسه وعندها سترى الشواهد الكثيرة، عندها حينئذٍ سيزداد الناس بصيرة وهم في ميدان العمل، حينئذ لا يستطيع أحد أن يوقفهم، ولا يستطيع أحد أن يؤثر عليهم لا بدعايته ولا بفتاواه، ولا بأن يقرأ عليهم آيات من القرآن، أو أن يقرأ عليهم أحاديث من سنة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه حينئذٍ ستصبح بصيرتك نافذة وقوية.

آيات الله في القرآن الكريم، والآيات في الآفاق التي تشهد على أن تلك حقائق واقعية لا تتخلف، وتشهد على أنه ليس هناك ما يحول بيننا وبين ذلك الخطر إلا عمل من هذا النوع وأرقى من هذا النوع، حينئذٍ سيزداد الناس بصيرة فلا يتأثرون، ويزداد الناس بصيرة بأنهم على الحق في عملهم؛ لأنهم تحركوا وفق ما تقضي به تلك الحقائق داخل القرآن الكريم، ووفق ما يقضي به الحقائق في واقع هذا الكون. هذا ما أريد أن أقول هذه الليلة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا وأن يكفينا شر أعدائنا، وأن يعيننا على أنفسنا.

ونقول: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

والسلام عليكم ورحمة الله

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

يوم القدس العالمي

رقم (١)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٨/٩/١٤٢٢هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة١-٧).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك الذي اصطفيته لرسالتك، ولإحياء ملّتك، ولإنقاذ عبادك، محمد بن عبد الله صلواتك وسلامك عليه وعلى أهل بيته الذين ساروا بسيرته.

أيها الأخوة الأعزاء في هذا الشهر الكريم، شهر القرآن {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: من الآية١٨٥) **هو شهر كما حكى الله عنه شهر القرآن يرجع فيه الناس إلى الله، يرجع فيه الناس إلى هذا القرآن العظيم؛ ليعرفوا كيف يهتدون بهدي الله في كل ما يواجهونه في حياتهم.**

في هذا الشهر الكريم اقترح الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ذلك الرجل العظيم من سلالة بيت النبوة، ومعدن الرسالة أن تكون آخر جمعة من شهر رمضان هي يومٌ يسمى: [يوم القدس العالمي]، دعا الإمام الخميني كل المسلمين في مختلف أقطار الدنيا إلى إحياء هذا اليوم، وتخصيصه لخلق الوعي في صفوفهم، وتهيئة أنفسهم ليكونوا بمستوى المواجهة لأعدائهم.

ففي عشرين من شهر رمضان [عام ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩/٨/١٥ م] أعلن الإمام الخميني هذا المقترح في دعوةٍ، وفي بيانٍ عام وجهه للمسلمين جميعاً قال فيه: ((إنني أدعو كافة المسلمين في جميع أرجاء العالم والدول الإسلامية إلى أن يتحدوا من أجل قطع يد هذا الغاصب ومساعديه ـ يعني إسرائيل ـ وأدعو جميع المسلمين في العالم أن يعلنوا آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك الذي يعتبر من أيام ليالي القدر، ويمكنه أن يلعب دوراً مهماً في مصير الشعب الفلسطيني [يوم القدس العالمي]، وأن يعلنوا ضمن مراسم هذا اليوم اتحاد المسلمين بجميع طوائفهم في الدفاع عن الحقوق القانونية للشعب الفلسطيني المسلم)). روح الله الموسوي الخميني. (رحمة الله عليه).

الإمام الخميني هو الشخص الذي عُرِف بجدّيته في مواجهة أعداء الإسلام كافةً، في مواجهة أمريكا وعدّها [الشيطان الأكبر]، واعتبرها وراء كل ما يلحق بالمسلمين من ذلٍ وإهانةٍ، وغير ذلك من الشرور.

الإمام الخميني كان رجلاً يفهم المشكلة التي يعاني منها المسلمون، ويعرف الحل والمخرج لهذه الأمة مما تعاني منه، وبعد أن قال هو أنه قد يأس من أن تعمل حكومات المسلمين شيئاً اتجه إلى الشعوب أنفسها، طلب من الشعوب جميعاً أن تجعل هذا اليوم، آخر جمعة من شهر رمضان يوماً يسمى: [يوم القدس العالمي]؛ لتعرف الشعوب نفسها أنها تستطيع من خلال إحياء هذه القضية في مشاعرها، من خلال البحث عن الرؤى الصحيحة التي تحل هذه المشكلة، وترفع عن كاهلها هذه الطامة التي تعاني منها؛ لأن الشعوب هي نفسها المتضررة، أما الحكومات، أما الزعماء فهم غير متضررين، هم غير مكترثين، لا يهمهم ما يرونه بأم أعينهم من المعاناة في مختلف بقاع الدنيا لجميع المسلمين.

الشعوب هي التي تتضرر، الشعوب هي التي تلحقها الذلة والإهانة، الشعوب هي الضحية، وما لم تتجه الشعوب نفسها إلى أن تهتم بقضيتها، وتتعرف على أعدائها، وتعرف الحل والمخرج من مشكلتها ومصيبتها فلا تتوقع أي شيء آخر من زعمائها أو من غيرهم.

لأهمية هذا اليوم من وجهة نظر الإمام الخميني (رحمة الله عليه) وهو يتحدث في بيانه عن [يوم القدس العالمي] قال (رحمة الله عليه): ((إن يوم القدس يوم يقظة جميع الشعوب الإسلامية، إن عليهم أن يحيوا ذكرى هذا اليوم. فإذا انطلق المسلمون جميعاً، وانطلقت جميع الشعوب الإسلامية في آخر جمعة من رمضان المبارك في يوم القدس بالمظاهرات والمسيرات فسيكون هذا مقدمة لمنع المفسدين إن شاء الله وإخراجهم من البلاد الإسلامية)).

ويقول: ((وإنني أرجو جميع المسلمين أن يعظموا يوم القدس، وأن يقوموا في جميع الأقطار الإسلامية في آخر جمعة من الشهر المبارك بالمظاهرات، وإقامة المجالس والمحافل والتجمع في المساجد، ورفع الشعارات فيها. إن يوم القدس يوم إسلامي، ويوم لتعبئة عامة للمسلمين)).

هذا هو حديث الإمام الخميني (رحمة الله عليه) عن يوم القدس العالمي، وعندما اقترحه هو؛ لأنه رجل يملك رؤية صحيحة، يملك فكراً و رؤية يستطيع أن يقرأ بها كثيراً من الأحداث المستقبلية من خلال تأملات الحاضر، ودراسة الماضي.

كان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) يصرخ، ويصيح في جميع المسلمين، يستثير جميع المسلمين أن يهبوا من يقظتهم، أن ينتبهوا، أن يستشعروا الخطر المحدق بهم. وعرض هو أن باستطاعتهم، وباستطاعة الشعب الإيراني بما يملكه من قوة عسكرية واقتصادية هائلة أن يقف مع جميع المسلمين، وخاصة الدول العربية، وأن باستطاعتهم إذا وقفوا جميعاً أن يضربوا إسرائيل، وأن ينهوا وجود هذا الكيان الغاصب من داخل البلاد الإسلامية.

الإمام الخميني (رحمة الله عليه) هو الذي أطلق على إسرائيل اسم [الغدة السرطانية] وهو لا زال في حركته الجهادية داخل إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية، وكانت قضية إسرائيل هي من أولى اهتماماته أثناء جهاده في إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية.

عندما أطلق هذا الاسم على إسرائيل [غدةً سرطانية] معلوم أن السرطان إذا ما ترعرع في أي جسم من أجسام البشر لا بد إما أن يتمكن الإنسان من القضاء عليه واستئصاله وإلا فإنه لا بد أن يُنهي ذلك الجسم، لا بد أن يخلخل ذلك الهيكل الذي نما وترعرع فيه.

ليؤكد أن إسرائيل ليس من الممكن المصالحة معها، ولا السلام معها، ولا وفاق معها، ولا أي مواثيق أو عهود تبرم معها. إنها دولة يهودية، إنها دولة يهودية طامعة، ليس فقط في فلسطين، وليس فقط في أن تهيمن على رقعةٍ معينةٍ تتمركز فيها، بل إنها تطمح إلى الهيمنة الكاملة على البلاد الإسلامية في مختلف المجالات، وتطمح إلى أن تقيم لها دولة حقيقية من النيل إلى الفرات، من النيل في مصر إلى الفرات في العراق؛ لأن هذه الرقعة هي التي يعتقد اليهود أنها الأرض التي كتبها الله لهم، وهي أرض الميعاد التي لا بد أن تكون تحت سيطرتهم وبحوزتهم، وأن يقيموا عليها دولتهم.

من أين جاءت هذه الرؤية الصحيحة للإمام الخميني (رحمة الله عليه)؟ من أين جاءت؟ من القرآن الكريم، من القرآن الكريم الذي تحدث عن اليهود كثيراً، ومما قاله عن اليهود، ومما وصفهم به: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٠٠) **كلما عاهدوا عهداً، إذا ما عاهد [حزب العمل] عهداً نقضه [حزب اللِّيكود] عندما يتسلم السلطة، إذا ما دخل [اللِّيكود] في معاهدات ومواثيق مع الفلسطينيين ومع العرب نقضه [حزب العمل] عندما يتسلم السلطة.**

كم من المعاهدات، كم من المعاهدات قامت في ما بين إسرائيل وبين العرب، بين دول عربية وبين إسرائيل وبين الفلسطينيين، معاهدات [أوسلو] ومعاهدات كثيرة كثيرة، وفي لحظة من اللحظات تتنكر إسرائيل لكل تلك المعاهدات، وما زال العرب وما زال الفلسطينيون أنفسهم يعلنون أمام كل نكث عهد من قبل إسرائيل أنهم متمسكون وملتزمون بمعاهدات السلام، أنهم محافظون على السلام!.

بل بعبارات تثير الاستغراب، أثناء هذه الأحداث التي ضرب فيها الإسرائيليون الدولة الفلسطينية الوهمية، وتغلغلوا إلى داخل المدن الفلسطينية، وضربوا طائرات الرئيس الفلسطيني، وعملوا كل تلك الأعمال، يأتي من يعلن أحياناً وزير الإعلام الفلسطيني، وأحياناً أمين سر حركة التحرير الفلسطينية، وأحياناً مسئول منهم أي مسئول كان يعلن [أنه يتهم إسرائيل أنها تريد أن تقوض عملية السلام]!.

بهذه العبارات الباردة: [وأن على أمريكا أن تبادر لتنقذ عملية السلام، وأن إسرائيل ـ هكذا ـ مُتَّهمة أنها تريد أن تقوض عملية السلام، وأنها مُتهمة أنها تريد أن تقضي على الدولة الفلسطينية]!.

الإمام الخميني وقف موقفاً ثابتاً، موقفاً ثابتاً، ورؤيةً صحيحةً ثابتةً حدّية: أن فلسطين، أن البلاد العربية أن البلاد الإسلامية كلها لن تسلم من شر اليهود إلا باستئصالهم، والقضاء على كيانهم، أي شيء غير ذلك إنما هو ضياع للوقت، وإتاحة للفرصة أمام إسرائيل أن تتمكن أكثر وأكثر، حتى أنه قال ـ وفعلاً عندما يقول الإمام الخميني فالشواهد أثبتت أن رؤيته فعلاً واقعية في كثير من الأشياء ـ قال: ((إن إسرائيل تطمح إلى الاستيلاء

على الحرمين الشريفين، وليس فقط على القدس، إسرائيل تطمح للاستيلاء على مكة المكرمة، على الكعبة المشرفة وعلى المدينة المنورة)).

وفعلاً إسرائيل استطاعت أن تصل إلى درجة لا يوقفها أمام ما تريد أحد.. فالغرب وراءها، والعرب مستسلمون، العرب مهزومون، لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ـ دولهم بالطبع ـ دولهم. وإنما المسألة هي مسألة وقت، واليهود يستمرون في خططهم، ويعملون على تهيئة الأجواء المناسبة لأن يقوموا بعمل ما في الوقت المناسب.

الفلسطينيون أنفسهم عندما تحول جهادهم من جهادٍ لتحرير الأرض من إسرائيل للقضاء على إسرائيل، عندما تحولوا إلى المطالبة من أجل إقامة وطن خاص بهم داخل فلسطين، من أجل إقامة دولة يكون حكمها حكماً ذاتياً فقط وليست دولة بمعنى الكلمة كانوا هم أول من شهد على أنفسهم بالهزيمة، وفعلاً حصل الاعتراف من الفلسطينيين، وأقصد بهذا [منظمة التحرير الفلسطينية] وعرفات.

الدولة الفلسطينية ـ كما يقال عنها ـ حصل منهم الاعتراف بإسرائيل مقابل أن تكون هناك دولة للفلسطينيين، وأن يكون حكمها حكماً ذاتياً، أي أن يحكم الفلسطينيون أنفسهم بأنفسهم، وتكون دولة لا يجوز أن تقيم لها جيشاً، ولا علاقات خارجية كأي دولة من الدول، حكم ذاتي فقط، ضمن الدولة الإسرائيلية العامة.

هم وهم يواجهون إسرائيل منذُ فترة طويلة لم يأخذوا دروساً، لم يأخذوا عبراً، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليستوحوا منه كيف يواجهون هذا العدو اللدود.. لو رجعوا إلى آية واحدة لأعطتهم درساً، إن كل ما يؤملونه في ظل الدولة الإسرائيلية غير ممكن أن يتحقق، الله قال عن اليهود: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً} (النساء:٥٣) **والنقير ما هو؟ الحبة البيضاء الصغيرة في ظهر نواة التمر [العَجَمة].**

عندما يكون لليهود سلطة لا يمكن أن يعطوا الآخرين منها ما يعادل نقيراً، فكيف يطمح الفلسطينيون إلى أن بإمكانهم أن يتهيأ لهم إقامة دولة داخل إسرائيل في فلسطين نفسها يقيمون دولة؟! كيف يمكن أن تسمح لهم إسرائيل بذلك؟ وفعلاً لم يحصل هذا، لم تستقر هذه الدولة، لم تستقر إطلاقاً، ورأينا في هذا الشهر كيف ضربتها إسرائيل، ومن الذي استنكر؟ من الذي هب لإنقاذهم؟ من الذي صرخ في وجه إسرائيل؟ لا أحد.

بل هم الفلسطينيون أنفسهم يتجهون إلى أمريكا يستغيثون بها، يستنجدون بها، وهي هي [الشيطان الأكبر] هي التي وراء إسرائيل. هذه هي المشكلة التي لم يفهمها المسلمون، لم يفهمها الفلسطينيون، حتى عندما يريدون أن نتعاطف معهم، الفلسطينيون الذين قد اعترفوا بإسرائيل، وهم يريدون أن يقيموا حكماً ذاتياً لهم داخل فلسطين، يعترفون بإسرائيل، وتعترف بهم إسرائيل كدولة فلسطينية، يريدون أن نقف معهم ليتحقق لهم هذا المطلب، لم يبق لهم طموح إلى أن ينهوا إسرائيل من الوجود، إلى تحرير الأرض المقدسة من أدناس أقدام الإسرائيليين. هل هذا شيء معقول بالنسبة للمسلمين أن يقفوا مع الفلسطينيين من أجل إقامة حكومة لهم؟.

لو وقفنا مع دولة عرفات من أجل تحقيق هذا المطلب لكنا قد اعترفنا بإسرائيل ضمناً أن لها حق الوجود في فلسطين، وأنها تعتبر دولة؛ لذلك يجب أن يكون التأييد مع أي حركة تعمل من أجل تحرير الأرض من إسرائيل، من أجل القضاء على إسرائيل، هذه هي التي يجب أن يقف معها المسلمون، ويجب أن تتجه نحوها مساعداتهم، ويتجه نحوها تأييدهم، أما أن نقف موقفاً يعتبر في الحقيقة اعترافاً ضمنياً بإسرائيل فهذا ليس من حق الفلسطينيين أنفسهم، الفلسطينيون أنفسهم ليس من حقهم أن يعترفوا بإسرائيل ثم يريدون منا أن نقف موقفهم.

قضية إسرائيل ليست قضية تخص الفلسطينيين، إنها قضية المسلمين جميعاً، حتى لو اعترف الفلسطينيون أنفسهم بإسرائيل، حتى لو رضوا بأن يكونوا عبارة عن مواطنين داخل دولة إسرائيل فإنه لا يجوز للمسلمين أن يقروهم على ذلك، ولا يجوز للمسلمين أن يتخلوا عن جهادهم في سبيل إزالة هذه [الغدة السرطانية] كما أطلق عليها الإمام الخميني (رحمة الله عليه).

الإمام الخميني في رؤيته فهم عمق المشكلة، وواقعها، وفي نفس الوقت قدم الرؤية العملية في الحل لهذه المشكلة.

وهذا الشيء الذي نفقده الآن.. ألسنا نرى في مختلف وسائل الإعلام الحديث عن ما يقوم بـه الإسـرائيليون في داخل فلسطين من قتل وتخريب للمساكن، ومن استئصال لأشجار الزيتون في المزارع الـتي تخـص الفلـسطينيين؟ نسمع ونرى من تلفزيون اليمن، ومن تلفزيون السعودية، وهكذا من كل وسائل الإعلام العربية.. لكن هل تـسمع أو ترى رؤية عملية، أو وضعاً لحل صحيح في إنقاذ الفلسطينيين، وفي إنقاذ الأمة من إسرائيل؟ لا.

ليس هناك أي شيء، وإنما هم يعملون كما تعمل إسرائيل، لا أقل ولا أكثر، حتى وإن تكلموا عن إسـرائيل فكـلام بأدب، كلام لا يثير مشاعر إسرائيل، كلام لا يجرح مشاعر إسـرائيل، فيقولـون: [قـوات الاحـتلال الإسـرائيلي] بعبارات لا تساوي ما تعمله إسرائيل بأولئك المساكين، ومع ذلك لا نسمع أحداً يفكر في الحل، أو يهدي إلى حـل، أو يرشد إلى المخرج من هذه المشكلة التي تعاني منها الأمة، وفي مقدمتها الفلسطينيون.

لماذا؟ هل لأن هذه الدول ليست جادة في مواجهة إسرائيل؟ وليست مكترثة مما تعاني منه هذه الأمة بسبب وجـود إسرائيل في داخل كيانها؟ أم أنهم لا يفهمون ما هو الحل؟ أم أنهم لا يعرفون ما العمل الذي يعتبر مُجدياً للمخـرج من هذه المشكلة الكبيرة؟.

سواء كانوا غير جادين، أو كانوا غير فاهمين هذا لا يعد مبرراً إطلاقاً، لا يعد مبرراً، ولا أعتقد أنهم يجهلون كيف يمكن أن يكون الحل العملي لإنقاذ الأمة من هذا الكيان الغاصب [إسرائيل]، وإنما ليسوا جادين كما قـال الإمـام الخميني (رحمة الله عليه): أن مشكلة الشعوب في حكوماتهم، حكوماتهم لم تقف بجدية ضد إسرائيل.

ثم ما هو الحل بالنسبة للشعوب؟ إن ظلت الشعوب تنتظر من دولها أن تقوم بشيء مـا في مواجهـة إسـرائيل فـإن هذا لن يتحقق، لن يحصل إطلاقاً؛ لهذا أتجه هو إلى اقتراح [يوم القدس العالمي]، وأن يحيه المسلمون جميعاً في مختلف أقطار الدنيا، وخاصة البلاد العربية.

لاحظوا بعد أن دعا الإمام الخميني إلى إحياء هذا اليوم هل اهتمت الدول العربيـة أن تـستجيب لرجـل عظـيم مخلص، رجل هزّ الغرب فعلاً، رجل أرعب أمريكا، وأرعب دول الاستكبار كلها، وأرعب إسرائيل بحكمته، بشجاعته، برؤيته الصحيحة، في جعل الأمة بمستوى المواجهة الحضارية لأعدائها، في جعل الأمة قادرة على أن تقف علـى أقدامها مستقلة لا يهيمن عليها أحد من أعدائها، لا أمريكا، ولا بريطانيا، ولا إسرائيل، ولا غيرها.

هم رأوا بأم أعينهم ما عمله الإمام الخميني من إرباك، وما خلقه من رعب في صـدور الأمـريكيين والإسـرائيليين، وعرفوا هم ورأوا بأم أعينهم مدى اكتراث أمريكا ومختلف دول الغرب من الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ومـن الثورة الإسلامية.. فلماذا لم يستلهموا من هذا الرجل رؤيته العملية الصحيحة في إنقاذهم هم من إسرائيل؟.

لم يستجيبوا إطلاقاً، لم يستجب العرب للإمام الخميني! حتى هذا اليوم لم يستجيبوا له أن يحيوه وأن يجعلـوه يوماً يُحيى كما دعا إليه الإمام الخميني (رحمة الله عليه) وهم في نفس الوقـت يحيـون أياماً اقترحهـا اليهـود والنصارى [عيد الأم] [عيد العمال] مناسبات كثيرة [عيد رأس الـسنة الميلاديـة] اقترحهـا اليهـود والنـصارى يحيونها ويعتبرونها عطلاً رسمية في مختلف البلاد العربية! لكن اليوم الذي هو يوم مـن أجـل أن تبقـى قـضية فلسطين حيّة في نفوس المسلمين، من أجل أن تبقى مـشاعر الجهـاد، مـشاعر الـرفض لإسـرائيل حيـة في نفـوس المسلمين، هذا اليوم لم يلتفتوا إليه ولم يكترثوا ولم يهتموا، ولم يستجيبوا للإمام الخميني (رحمـة الله عليـه) في إحياء هذا اليوم. لماذا؟ لأنهم خذلوا فعلاً، لأنهم قد خذلوا.

وعندما نعود ـ أيها الإخوة ـ هذه فقط مقدمة لنعرف ما يتعلق بيوم القـدس العـالمي، والـسبب الـذي دعـا الإمـام الخميني (رحمة الله عليه)إلى أن يعتبر يوماً عالمياً في مختلف المناطق الإسلامية؛ ولذلك فـنحن نعتـبر أن إحيـاء هذا اليوم استجابة للإمام الخميني (رحمة الله عليه)؛ ولما نعرفه من أثر مهم في خلق وعـي في أوسـاط المـسلمين، ورؤية صحيحة للمخرج مما تعانيه الأمة، أن إحياء هذا اليوم يعتبر فعلاً عبادة، وأن إحياءه يعتبر أيـضاً ممارسـة جهادية في سبيل الله، إن شاء الله تعالى.

ولنعد إلى القضية نفسها، قضية اليهود.. وقد سمعنا من الإخوة الأعزاء الذين سبقوني بالحديث حـول اليهـود الكثير.

عندما نعود ـ أيها الإخوة ـ إلى القرآن الكريم، إلى كتاب الله الذي نزله من يعلم السر في السماوات والأرض نرى فيه أنه عرض كثيراً من أخبار اليهود، عرض كثيراً مما يكشف واقعهم، مما يكشف واقعهم، [سورة البقرة] [سورة آل عمران] [سورة المائدة] [سورة الإسراء] و[الحشر] وغيرها من السور، وخاصة [سورة البقرة] و[آل عمران] [والمائدة] مليئة بالحديث عن اليهود، مليئة بالحديث عن اليهود، واليهود لا شك، بنو إسرائيل في تاريخهم عبر ودروس كثيرة جداً فيما ذكره القرآن عنهم، دروس وعبر مهمة جداً جداً، ولكن الشيء الذي يؤسف له أننا نأخذ مما عرضه القرآن عن بني إسرائيل جانباً واحداً فقط هو فهمنا أن هذه الآيات عبارة عن آيات تهاجم هذه الطائفة، وتبرزها كطائفة مجرمة، ولا أقل ولا أكثر من ذلك.

فعلاً القرآن تحدث عن بني إسرائيل حديثاً متنوعاً، يذكر فيه أنه فضلهم على العالمين، يطلب منهم أن يذكروا نعمه التي أنعم بها عليهم، ومنها: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة: من الآية٤٧) هذه واحدة.

ثم وهو يتحدث، ويعرض النعم التي أنعم بها عليهم، والرعاية التي منحهم إياها في أيام فرعون ومن بعد فرعون، وفي مختلف الأزمنة، رعاية عجيبة، رعاية عجيبة.. يلعن الكافرين منهم، يلعن المتمردين منهم، يلعن الذين لم يستجيبوا، لم يلتزموا بكتبه السماوية التي أنزلها إلى الأنبياء منهم، ويدعوهم في نفس الوقت إلى الإيمان برسول الله (صلوات الله وسلامه عليه)، بل يعتبر أنه يجب أن يكونوا هم أول من يؤمن بمحمد (صلوات الله عليه)، وأن يكونوا هم أول من يؤمن بالقرآن الذي هو مصدق لما معهم من الكتب السماوية.

دمج بين الحديث عن مساوئهم وبين الحديث عما منحهم من الرعاية الكبيرة، وبين الحديث عما برز في تاريخهم من صفحات مشرقة، دمجه بضرورة أن يستجيبوا لهذا النبي الذي أرسله إلى العالمين جميعاً محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، وقال عنهم: {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) لا ينبغي لمثلكم أن يكون أول كافر به.

نحن قد نسيء فهم المسألة فعندما نقرأ القرآن، ونراه يتحدث بأنه فضل هؤلاء على العالمين، وأنه منحهم من الرعاية الكثير الكثير: في صحراء سيناء، يوم تاهوا، أظلهم بالغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، عندما تمردوا نَتَقَ الجبل، رفع جبل الطور فوقهم، ثم عاد إلى مكانه ولم ينزل عليهم، لم يحصل أن استؤصلوا بعذاب كما تُستأصل الأمم الأخرى.

عندما نأتي إلى قضية اليهود في القرآن الكريم ونأخذ منها فقط سوء اليهود، سوء اليهود فقط سنسيء فهم القضية، ثم نفقد كثيراً من الدروس في ما عرضه الله من حديث عن بني إسرائيل. أول سؤال: أنت تريد أن تقدم لنا هؤلاء على أنهم هم شر البرية، وأنهم رجس، وأنهم أصل سيئ دنيء، وأنت في نفس الوقت قلت أنك فضلتهم على العالمين، وأنك منحتهم من الرعاية طول تاريخهم ما منحته، فكيف تُفضل وتَمنح من هم رجس، من هم خبثاء في أصلهم؟.

هل يمكن هذا بالنسبة لله تعالى؟ هل يمكن هذا بالنسبة لله؟ إن الله فعلاً فضل بني إسرائيل، اصطفى آل إبراهيم جميعاً على العالمين {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} (آل عمران: من الآية٣٤)، وفي نفس التفضيل دروس: أن هؤلاء الذين فضلهم على الرغم من أنه فضلهم إذا لم يلتزموا، إذا لم يتمسكوا، إذا لم يستجيبوا سيلعنهم، سيلعنهم، وسيمسخ منهم قردة وخنازير، وسيلعنهم على ألسن أنبيائه. وفعلاً هذا ما حصل بالنسبة لمن كفر منهم، لمن تمرد، لمن عاند.. إلى آخر ما قال عنهم.

هذا الجانب شيء ملحوظ في القرآن الكريم فيما يتعلق بالتفضيل مع جانب ما حصل منهم فاستحقوا به اللعنة واستحقوا به أن يحكم عليهم بالكفر.

الشيء الآخر فيما يتعلق بعدم استجابتهم للنبي(صلوات الله عليه وعلى آله) كان من منطلق الحسد، أنه لماذا لم يأت الرسول الموعود به في آخر الزمان من بني إسرائيل، وهم كانوا قد هاجروا إلى قرب المدينة المنورة في تجمعات يهودية كبيرة: بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النظير، ويهود خيبر، وفدك.. وغيرها من المناطق، كانت فيها تجمعات يهودية كبيرة، هاجروا إلى قرب المدينة المنورة لما يعرفونه في كتبهم من أن نبي آخر الزمان سيكون هذا مُهَاجَره، وكانوا من قبل يستفتحون به على الذين كفروا كما حكى الله عنهم، كانوا منتظرين لهذا

النبي ليقفوا معه وينصروه، فلما جاء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من غير بني إسرائيل، وجاء من بني إسماعيل حسدوه بعد أن عرفوه كما يعرفون أبناءهم.. كما حكى الله عنهم.

حينئذٍ استحقوا اللعنة أيضاً من جديد، استحقوا اللعنة أن يكفروا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وبالقرآن الذي أنزله الله إليه وهو كتاب مصدق لما بين أيديهم، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعرفون أخباره في كتبهم المقدسة في التوراة والإنجيل، يعرفون صفته، يعرفون مهاجره، يعرفون مولده، ثم يكفرون به.. استحقوا أيضاً أن يلعنهم، واستحقوا أيضاً أن يغضب عليهم.

ثم فيما عرضه القرآن الكريم عن بني إسرائيل ما يدل فعلاً على عِظمهم إذا صلحوا، وعلى خطورتهم البالغة إذا ما اتجهوا إلى جانب الشر، خطورتهم في ذكائهم، في مكرهم، في تصميمهم، في دهائهم، أنهم بالغوا الخطورة، بالغوا الخطورة جداً، وفعلا هذا هو ما حصل، وشهدت به الأحداث، وشهد به التاريخ الطويل، في التاريخ الإسلامي ناهيك عن التاريخ الماضي لبني إسرائيل.. بل هم استفادوا من التاريخ عبراً ودروساً فكانوا في هذا الزمن على أرقى ما يمكن أن تكون عليه طائفة من البشر.

اليهود خطيرون جداً إذا ما اتجهوا إلى جانب الشر، وهذا هو الصفة الغالبة عليهم.. أخيراً وخاصة بعد الإسلام أصبح هو الصفة الغالبة عليهم الآن في كل بقاع الدنيا، الاتجاه إلى الشر إلى المكر، إلى الخداع، إلى التضليل، إلى لبس الحق بالباطل، قدرة رهيبة جداً في هذا الموضوع.

عندما يتحدث الله في كتابه العزيز عن أنهم كانوا قديرين جداً في مجال لبس الحق بالباطل، قديرين جداً في التحريف، قديرين جداً في التأثير، إلى درجة أنه عرض أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لولا فضل الله عليه ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوه {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ} (النساء: من الآية١١٣)، **وقال في آية أخرى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}** (الاسراء: من الآية٧٣).

ورسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هو الكامل في عقله، هو الكامل في دهائه، في فطنته، في ذكائه لكنه هنا يعرض درساً للمسلمين من بعد أنه إذا كان اليهود إلى هذه الدرجة العالية من القدرة، إلى درجة أنه لولا فضل الله على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لهموا أن يضلوه ولكادوا أن يفتنوه عن الذي أوحى الله به إليه، فكيف سيكون شأنكم أنتم يا أبناء هذه الأمة أمام هذه الطائفة إذا ما اتجهت لمحاربتكم، كيف سيكون شأنكم؟!.

فعلاً الآن تجلت الأشياء بشكل عجيب، برز العرب أمام اليهود مستسلمين عاجزين، استطاع اليهود أنه ليس فقط أن يقهرونا عسكرياً بل أن يقهرونا اقتصادياً وثقافياً وإعلامياً، وفي كل مختلف المجالات، قهروا هذه الأمة وهم مجموعة بسيطة، مجموعة بسيطة، استطاعوا أن يقهروا هذه الأمة، استطاعوا حتى أن يصنعوا ثقافتنا، أن يصنعوا حتى الرأي العام داخل هذه البلدان العربية. استطاعوا أن يجعلونا نسكت عن كلمات هي مؤثرة عليهم، فتسكت عنها كل وسائلنا الإعلامية، استطاعوا بأساليب رهيبة جداً.

واليهود يفهمون جداً أنهم قد قضوا على هذه الأمة، وحطموا هيكل هذه الأمة، تراهم يضربون كما يشاءون في أي موقع في البلاد العربية، يضربون داخل فلسطين كما يريدون، وحتى وإن كان زعماء العرب مجتمعين في أي عاصمة من عواصمهم، وعلى مرأى ومسمع من جامعة الدول العربية، وعلى مرأى من مجلس الأمن، وعلى مرأى ومسمع من منظمة الأمم المتحدة، خلّي عنك أولئك، على مرأى ومسمع من زعماء العرب وشعوبها.

لا يخافون العرب حتى أثناء اجتماع زعماء العرب، لا يخافون المسلمين جميعاً حتى أثناء اجتماع زعماء المسلمين، لا يخافون يضربون ويشتغلون، لا تسمع بأن إسرائيل أعلنت حالة الطوارئ أو أنهم رفعوا الرشاشات المضادة للطائرات فوق أسطح المنازل أو.. أو.. تحسباً لأي شيء من قبل العرب عند اجتماع زعمائهم في الدوحة أو في أي منطقة أخرى.. لماذا؟ لأنهم قد عرفوا وفهموا أن هذه الأمة قد قضوا عليها، وفعلاً قضوا عليها، لكن بواسطة من؟ بواسطة من؟ بواسطة زعمائها دولها الغبية.

وأقول وأؤكد إنها غبية فعلا وعاجزة فعلاً عن أن تواجه اليهود حتى في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟ هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ لا.

معروف عن اليهود والنصارى أنهم متباغضون فيما بينهم، وأن النصارى يتهمون اليهود بقتل المسيح، وأن النصارى حملوا العداء لليهود ـ كما نعاديهم نحن ـ فترة طويلة من الزمن، هل استطاع مثقفوا هذه الأمة العربية، هل استطاع الإعلام العربي أن يغذي العداء داخل النصارى لليهود؟ أو أن يصنع رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ أو أن يصنع رأياً عالمياً متعاطفاً مع فلسطين؟ أو حتى أن يصنع رأياً عالمياً عربياً يحمل عقدة العداء لإسرائيل؟ لم يحصل كل ذلك!.

وهم في نفس الوقت يقولون أن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، هم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان. أين جاءت أموال العرب؟ أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟ أين جاءت قنواتهم الفضائية؟ أين صحفهم؟ أين الصحفيون؟ المئات من الصحفيين منهم؟ أين مراكزهم الإسلامية؟ أين وأين؟. كلهم عجزوا أمام اليهود.

لنعد إلى القرآن الكريم عندما نراه يتحدث كثيراً عن اليهود، وعن خطورتهم البالغة، والله سبحانه وتعالى هو الذي أراد لهذه الأمة أن تكون عزيزة، وأن تكون قوية هل يمكن؟ وهذا هو السؤال الذي يمكن أن نتساءل عنه عندما نرى ذلك العرض الكثير عن خطورة اليهود داخل تلك الآيات، هل يمكن أن الله سبحانه وتعالى يحدثنا عن خطورة اليهود البالغة ثم لا يكون في كتابه العزيز قد هدى هذه الأمة إلى ما يمكن أن يؤهلها لأن تكون بمستوى مواجهة اليهود والقضاء على مخططاتهم وإحباط مؤامراتهم؟ لا بد، لا بُد في عدل الله ورحمته وحكمته أن يكون قد هدى إلى ذلك، وقد هدى فعلاً، لقد هدى فعلاً، وفي هذا القرآن الكريم الذي قال فيه: {مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية٣٨) وهو يتحدث عن اليهود داخل الآيات التي يتحدث فيها عن اليهود هدى الأمة إلى ما يمكن أن يجعلها بمستوى المواجهة لليهود، بل وإحباط كل مخططاتهم، وكيدهم الرهيب الرهيب.. لكن هذه الأمة هي التي تخلت عن هذا القرآن الكريم، تخلت عن هذا الكتاب العظيم.

نحن نقول أحياناً وبعض الكتاب يقولون: [الصراع الإسلامي الإسرائيلي] وهذه عبارة مغلوطة عبارة مغلوطة، لا يمكن أن يُسمى الصراع مع إسرائيل [صراعاً إسلامياً إسرائيلياً]، لو كان الإسلام هو الذي يصارع إسرائيل، لو كان الإسلام هو الذي يصارع اليهود، لو كان الإسلام هو الذي يصارع الغرب لما وقف الغرب ولا إسرائيل ولا اليهود لحظة واحدة أمام الإسلام، لكن الذي يصارع إسرائيل، ويصارع اليهود من هم؟ مسلمون بغير إسلام، عرب بغير إسلام، صرعوا الإسلام أولاً هم ثم اتجهوا لمصارعة إسرائيل بعد أن صرعوا الإسلام هم من داخل نفوسهم، من داخل أفكارهم، من جميع شئون حياتهم، ثم اتجهوا لصراع اليهود، تلك الطائفة الرهيبة، فأصبحوا أمامها عاجزين أذلاء مستكينين مستسلمين مبهوتين؛ لأنهم لم يهتدوا بهذا الكتاب العظيم؛ لم يرجعوا إلى هذا الكتاب الكريم، فأصبحوا كما نرى.

فالصراع هو صراع عرب مع يهود، صراع مسلمين بدون إسلام مع يهود، وليس صراعاً إسلامياً. نحن عندما نرجع إلى صدر الإسلام أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) نرى أنه استطاع أن يقضي على اليهود ـ وهم هم اليهود في خبثهم ومكرهم ـ استطاع أن يقضي عليهم على هامش جهاده مع الكافرين، وليس اتجاهاً محدداً ورأسياً ضد اليهود، بل على هامش حركته العامة، استطاع أن يقضي عليهم، واستطاع أن يحبط كل مخططاتهم، ومؤامراتهم على هامش حركته العامة.

فلماذا، لماذا لم يرجع المسلمون إلى هذا القرآن؟ ولماذا يصيحون دائماً من إسرائيل ثم لا يفكرون في حل؟ تابعوا أنتم وسائل الإعلام: الإذاعات والتلفزيونات هل هناك أحد يضع رؤية صحيحة لمواجهة إسرائيل؟ هل هناك أحدٌ يضع رؤية عملية في مواجهة اليهود والنهوض بهذه الأمة؟ لا،لم نسمع شيئاً، اللهم إلا ما يحصل من قناة حزب الله الفضائية، ومما يحصل من إذاعة طهران، وإذاعة طهران قد خففت منطقها كثيراً عن أسلوب ومنطق الإمام الخميني (رحمة الله عليه).

لنعد إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى عن اليهود في كتابه الكريم؛ لنفهم ما قلناه في هذه العجالة: تحدث عن قدرتهم الرهيبة على لبس الحق بالباطل، وهذه قضية ليست سهله قضية ليست سهلة {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٤٢) {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ} (آل عمران:٧١) {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٧٥).

هذه واحدة من خصالهم الخطيرة والسيئة: قدرتهم الرهيبة على لبس الحق بالباطل.. وهذا ما تعاني منه الأمة. هذه واحدة نقطة من الأشياء التي يشتغل بها اليهود داخل هذه الأمة: لبس الحق بالباطل، التزييف للثقافة، التزييف للفكر، التزييف للأعلام، التزييف للحياة بكلها.

نسير بسيرة اليهود ووفق ما يريد اليهود، ونحسب أننا مهتدون، وأننا أحرار، وأننا وطنيون وأننا متحضرون وأننا متقدمون، هذه القدرة الرهيبة التي يعملها اليهود: لبس الحق بالباطل؛ الله حكاها عنهم كصفة سيئة، وعندما يحكيها كما قلت: أنه يجب أن نتساءل هل عندما يصف الله اليهود بأنهم قديرون على لبس الحق بالباطل سيترك المسألة بدون حل أم أنه سيهدي؟ سيهدي الأمة إلى ما يمكن أن يجعلها قديرة، وبمنأى عن تلبيس بني إسرائيل لا بد أن يكون قد وضع، وقد وضع فعلاً.

ذكر عنهم حرصهم الشديد مع قدرتهم على تلبيس الحق بالباطل أنهم أيضاً ينطلقون بوُدٍ ورغبة ودافع قوي إلى مسخ المسلمين {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً} (البقرة: من الآية١٠٩).

اليهود يعرفون، يعرفون أثر الإيمان عندما يكون هناك في الأمة إيمان، وهم يعرفون أنهم إذا استطاعوا أن يمسخونا كفاراً هم لا يريدون أن نكون يهوداً.. وقالوا هم في وثائقهم المسماة [بروتوكولات حكماء صهيون] أنهم لا يريدون أن يكون المسلمون أو النصارى يهوداً، أنهم لا يستحقون أن يكونوا يهوداً ولكن يكونوا كفاراً يكونوا ضالين، يكونوا كذا إلى آخره ليفقدوا النصر الإلهي والتأييد الإلهي وما يمكن أن يعطيه الإيمان.

يودوا أن نكون كُفَّاراً ولم يقل: [يودوا أن نكون يهوداً]، هم ليسو مشغولين بأن يدعونا إلى أن نكون يهوداً، لماذا لا يودون أن نكون يهوداً ويودون أن نكون كفاراً؟ هم همّهم الرئيسي أن لا نحمل إيماناً نُمنح به تأييد الله ورعايته فيصعب عليهم مواجهتنا، ويصعب عليهم ضربنا.. فليفسدونا فليحولونا إلى كفار، هذا هو الذي يريدون.

ثم يقول أيضاً في آية أخرى، يقول عنهم: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً} (النساء:٤٤-٤٥) وبعدها يقول: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} (النساء: من الآية٤٦).. إلى آخر الآيات.

كراهتهم أن يروا المسلمين في خير، في تقدم، في رخاء.. فذلك شيء يعملون بجدٍ على أن يحولوا بين الأمة وبين الوصول إليه {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} (البقرة: من الآية١٠٥) وفعلاً نحن هنا في اليمن كمثال ناهيك عن بقية الدول العربية والمسألة هي واحدة طعامنا، لباسنا، أدويتنا، مختلف الكماليات التي نستخدمها، الصابون، الشامبو مختلف المشروبات، مختلف العطور، الأشياء الكثيرة جداً جداً التي نستهلكها معظمها شركات أجنبية بأيدي اليهود.

هم لا يريدون أن يصل الناس إلى مستوى أن يصنعوا لأنفسهم، أن يكتفوا بأنفسهم في مجال الزراعة، في مختلف شئون الحياة لا يودون لنا أي خير يريدون منا أن نظل سوقاً استهلاكية نستهلك منتجاتهم، وليضعوا مصنعاً هنا في هذا البلد العربي، أو في ذلك البلد العربي المصنع لنفس الشركة اسم المنتج يحمل نفس اسم الشركة صابون [آريال] صابون [كرستال] صابون كذا كلها نفس الأسماء بسكوت أبو ولد وغيره هي نفس الأسماء لنفس الشركات والمنتج لها الرئيسي، والشركة يكون مقرها في بريطانيا أو في أي مكان في دول الغرب أو في أمريكا وهنا مصنع يوفر عليهم كثير من الأموال عندما يكون مصنع هنا.. وليخدعونا نحن بأن هذا هو منتج وطني، واقرأ على كثير من المنتجات [بترخيص من شركة كذا] التي مقرها في نيويورك أو مقرها في لندن أو في أي دولة من الدول الأخرى، فكل ما نستهلك معظمه يصب إلى جيوب اليهود.

هذا بالنسبة للخير في هذا الجانب الاقتصادي في جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء. الدواء كذلك معظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب في أوربا وغيرها. يحملون عداوةً شديدةً لكم فهم لا يودون لكم أي خير،

وهم دائماً دائماً مستشعرون لهذه العداوة لأنه أناس لا تعرفهم ولا بينك وبينهم، أنت لا تودهم، ولا تبغضهم، لا تعاديهم، ولا تواليهم.

أليس هذا قد يحصل؟. لكن اليهود بالنسبة لنا مشاعر داخلية توجه داخلي حالة نفسية لديهم أنهم لا يريدون لنا أي خير ويعملون على أن لا نصل إلى أي خير لماذا؟ لأنهم أعداء ويريد الله أن يقول لنا إنهم أعداء، إنهم أعداء، ويجب أن تتعاملوا معهم كأعداء وأن تحملوا لهم عقدة العداء.

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ} (آل عمران: من الآية٦٩) نفس الشيء الإضلال هو ما يحصل في الجانب الثقافي، في الجانب السياسي، في مختلف الأشياء اليهود وراء إضلال المسلمين.

قضية أن يبقى الإسلام هو المسيطر على مشاعر المسلمين، وأمجاده وعظمائه، وأحداثه هي الأشياء التي يستوحي منها المسلمون ما يتعلق بحاضرهم.. حاولوا أن يصرفونا عن تاريخنا الإسلامي، وأن يعيدوا كل بلدٍ عربي إلى تاريخه الجاهلي.

في اليمن يشدون اليمنيين إلى التاريخ السبأي والحميري، ويجعلونهم يقدسون، ويعظمون بقايا أعمدة في مأرب من آثار دولة معين، أو آثار دولة سبأ في مأرب، وفي الجوف، أو في غيرها، وأن هذا هو تاريخنا وأنا كنا أصحاب حضارة، وكنا.. وكنا.. والتاريخ الإسلامي لا أثر له!.

من أين يحصل هذا؟ شد العرب إلى تاريخهم الجاهلي؟ هل عن طريق أفراد عاديين؟ أم عن طريق وزارات الثقافة في بلدانهم؟ وزارة الثقافة التي هي جزءٌ من الدولة في كل وطن عربي هي التي تهتم بأن تشد أبناء ذلك الوطن إلى تاريخهم الجاهلي.

في مصر نفس الشيء يشدون المصريين إلى تاريخهم الفرعوني، ويضعون لفرعون رمسيس [تمثالاً] كبيراً في ميدان يسمونه[ميدان رمسيس] وتسمع: [شارع رمسيس] [مطعم رمسيس] [صالون رمسيس] وترى النقوش الفرعونية من جديد.. وأحياناً اللهجة العبرانية التي يعتقدون بأنها هي كانت هي اللهجة الفرعونية [شالوم عليخوم] يستخدمها الآن المصريون في منطقهم في شوارع القاهرة ـ كما بلغنا [السلام عليكم] [شالوم عليخوم] اللهجة العبرانية التي يعتقدون بأنها هي من تراثهم القديم، ومن الشيء الذي يجب أن يفتخروا به. في العراق في سوريا نفس الشيء التاريخ الآشوري التاريخ البابلي وهكذا في كل منطقة أضلوا.

ويضعوا عقائدياً بطريقةٍ أو بأخرى، يجعلون تعظيم أولياء الله، الحفاظ على معالم معينة على ولي، على إمام، على مولد للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على أي أثر إسلامي.. الاهتمام به، تعظيمه يعتبر بدعةً وشركاً! فليُقضى على أي مَعْلم إسلامي، ولنَحُل بين المسلمين وبين أن يعظموا أي ولي من أوليائهم، أو معلم من معالمهم، أو علم من أعلام دينهم، من الأئمة والعلماء وغيرهم. من أين جاءت هذه الأشياء؟ أليست لإضلال الأمة، لتجريدها عن هويتها الدينية، عن هويتها الإسلامية: {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ} (آل عمران: من الآية٦٩).

ولشدة حرصهم كانوا يطمعون أن يضلوا حتى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يعرفون أنه نبيٌ من الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ثم مع ذلك يطمعون إلى أن يضلوه! فكيف لا يطمعون أن يضلوا هذه الأمة؟ أليس هذا هو ما يمكن أن نفهم؟ أنهم إذا كانوا من شدة حرصهم يحاولون أن يضلوا حتى النبي الذي يعرفون أنه نبي من عند الله فكيف لا يعملون في مجال إضلالنا.

لقد أضلونا من قمة رأسنا إلى أخمص أقدامنا فعلاً ثقافياً، اعتقادياً، سياسياً، اقتصادياً!.

الرّبا جعلوه يصل كل بيت من بيوتنا، البنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا، البنوك المركزية التي تنطلق منها عملات أي دولة عربية تتعامل بالربا، وكل عملة في جيبك مصبوغةٌ بالربا، وكل لقمة تأكلها الآن، وكل حاجةٍ تستخدمها من إنتاج شركة معينة، أو تمويل تاجر معين مصبوغة بالربا، مصبوغةٌ بالربا.

والمعروف عن اليهود أنهم في تاريخهم التجاري والاقتصادي معروفون بالربا وبالتعامل بالربا. لقد استطاعوا أن يوصلوا الربا إلى كل بيت ناهيك عن كل قطرٍ من الأقطار العربية.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (آل عمران:٩٩) أيضاً يصدون عن سبيل الله.. الصد عن سبيل الله بعد أن عرفوا أن هذا الإسلام هو من دين الله فعلاً،

وأن النبي محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) هو نبيٌ مرسلٌ من الله فهم يعرفون بأن هذا الدين هو دين الله، وهو سبيله فلا بد أن يصدوا عنه! وفعلاً عملوا على أن يصدوا عنه وبمختلف الوسائل والأساليب اتجهوا للصد عنه.

لكنه هنا قال: {وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ليس بغافل عن عملهم لا بد أن يكون قد وضع ما يمكن أن يحول بين المسلمين وبين ما يجعلهم متأثرين بالصَّد عن سبيل الله الذي يصل من جانب اليهود لكنا نغفل عن مثل هذه الأشياء.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}(آل عمران:١٠٠) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أليس يخاطب المؤمنين أنفسهم؟ {إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} ماذا يعني هذا؟ أنهم يعملون بجد على أن يجعلونا كافرين على أن يجعلونا كافرين بالله كافرين بدينه، سواء كافرين قولاً وجحوداً أو واقعاً.

هم كانوا وراء الشيوعية كما عرف ذلك، وتقريباً كل من تحدث عن الشيوعية، وكل من كتب عن الشيوعية، كلهم يؤكدون بأن الشيوعية كان ورائها اليهود.

ألم يعملوا من خلال الشيوعية على أن يجعلوا البشر كافرين ملحدين بالله سبحانه وتعالى؟ وانتشر هذا الكفر داخل البلاد الإسلامية، فكانت الأحزاب الشيوعية في كل بلد حتى في اليمن كان الجنوب في اليمن يحكمه حزب شيوعي اشتراكي مُلحد ملحد فعلاً، امتداداً للشيوعية في روسيا، ووصلت الشيوعية إلى مناطق وبلدان كثيرة {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}.

هذا فيما يتعلق بتوجههم نحو الإضلال، نحو الفساد، نحو تلبيس الحق بالباطل كما قال عنهم: {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية٦٤) نحو عملهم الجاد على أن يحولوا المسلمين إلى كافرين.. هذا شيء مما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم.

ذكر أيضاً فيما يتعلق بواقعهم هم أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٦١)، {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١١٢) وهذا من الأشياء العجيبة أن هذه الطائفة التي قد ضربت عليها الذلة، وضربت عليها المسكنة، وباءت بالغضب من الله أصبحت إلى هذا المستوى الذي هي عليه اليوم، وفي هذا التاريخ الحديث، وعلى مدى قرنين من الزمن على أقل تقدير أصبحت إلى هذا المستوى الذي هي عليه من أن تحكم العالم، تحكم العالم، اليهود هم الذين يحكمون العالم فعلاً.

من أين جاء هذا؟ من أين جاء هذا على الرغم مما هم عليه في واقعهم؟ ولماذا أصبح المسلمون ـ وبين أظهرهم كتاب الله سبحانه وتعالى ـ أصبحوا أذلاء لمن قد ضربت عليهم الذلة؟ ومستكينين لمن قد ضربت عليهم المسكنة، وتحت رحمة من قد باءوا بغضب من الله! كيف وصل الأمر إلى هذه الدرجة؟ هذا شيء غريبٌ جداً، هذا شيء يجب أن يهتم كل مسلم بالفعل بفهمه، وبمحاولة أن يتعرف أنه لماذا وصل الحال إلى هذه الدرجة؟.

يقول عنهم سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالعداوة التي نفهمها أيضاً من نفس الآيات السابقة بأنهم ما يودون لنا أي خير، بأنهم يودون أن نكون كفاراً، بأنهم يودون أن نكون ضالين. أليس هذا يعني عداء؟ هي نفس الصفة الشيطانية التي حكاها الله عن الشيطان، الشيطان هو معادي، ألم يذكر الله في كتابه الكريم عن الشيطان أنه عدوٌ مبين لبني آدم؟ وفي ماذا تجلت عداوته؟ أليست في الإضلال؟ فهم عندما يتجهون لإضلالنا إنما لأنهم أعداء ألِدَّاء شديدي العداء لنا.

يُصرح أيضاً في آية بهذه العداوة فيقول سبحانه وتعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}(المائدة: من الآية٨٢) وهنا يقول أن اليهود هم أشد الناس عداوةً للمؤمنين، والمؤمنون هنا في هذا التعبير هو بمعناه اللغوي، المؤمنون المنتمون إلى هذا الدين، والمحسوبون لهذا الدين، والذين يدينون بالإسلام، ويقرون

بالله وبرسوله وبالقرآن، الإيمان بالمعنى اللغوي وهو كثير ورد استعماله في القرآن الكريم. ناهيك عن عداوتهم الشديدة للمؤمنين الحقيقيين.

ثم يقول سبحانه وتعالى فيما يتعلق بواقعهم في ميدان المواجهة أنهم ضعاف {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** (آل عمران: من الآية١٢٠).

هذا أيضاً مما يثير الاستغراب طائفة ضعيفة في ميدان المواجهة، طائفة ضربت عليها الذلة والمسكنة، وباءت بغضب من الله استطاعت أن تقهر هذه الأمة، أن تقهر العرب أولئك الذين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن يقهروا أمام بعضهم بعض وهم ما زالوا قبائل أعراباً في نفوسهم الإباء، نفوس كبيرة فيها الإباء، فيها النجدة، فيها الشجاعة، يموت من أجل كلمة واحدة، يُقتل ولا يبالي، أقوياء في ميدان القتال.

العرب معروفون بقوتهم في ميدان القتال يبرز فيهم أبطال كثيرون جداً ولكنهم قُهروا أمام من حكى الله عنهم أنهم ضعاف، أنهم لو اتجهوا لقتالنا لما صمدوا لضعفوا، لتفرقوا.

{لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ} (الحشر:١٤) **هذه عن اليهود تحكي أيضاً في [سورة الحشر] فلماذا وصل الأمر إلى هذا الحال؟ ثم لماذا تبقى هذه الحالة قائمة منذ خمسين سنة؟ منذ خمسين سنة ونحن إلى الآن لا نرى توجهاً عملياً إلى إخراج الأمة من هذه الحالة السيئة: أن يصبحوا أذلاء أمام الذين قد ضربت عليهم الذلة، وأن يصبحوا جبناء مستسلمين أمام من هم جبناء في ميدان القتال، فبماذا وصل اليهود إلى هذا الشيء؟ وكيف عملوا حتى أوصلونا إلى هذه الحالة؟ وعن طريق من؟.**

كما قلنا سابقاً - أيها الإخوة - أنه بعد أن يذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود هذه الأشياء، ويذكر منها قضيتين - ويجب أن تكون محط اهتمامنا - أنه قال بالنسبة لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): **{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}** (الإسراء: من الآية٧٣)، **{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ}** (النساء: من الآية١١٣) **فهل يمكن - وقد كررت هذا السؤال أكثر من مرة - أن يذكر الله كل هذا عن بني إسرائيل عن اليهود ثم لا يكون قد وضع في كتابه الكريم، لا يكون قد هدانا في كتابه الكريم إلى ما يجعل الأمة بمستوى المواجهة لهذه الطائفة، وإحباط كل كيدها ومؤامراتها؟ وإلى ما يجعلها صاغرة ذليلةً تحت وطأة وأقدام هذه الأمة؟! لا بد، لا بد.**

ولو رجع المسلمون إلى القرآن الكريم لعرفوا أن لله سبحانه وتعالى قد هداهم إلى هذا الشيء ولكنهم أعرضوا عنه فأصبحت هذه الحالة سائدة، وأصبحوا يعانون من هزيمةٍ نفسية ثابتة مستقرة لا يرون منها مفراً ولا مخرجاً.

فما هي المشكلة؟ نحن الآن أمام هزيمة، تحدثنا أن العرب والمسلمين أمام هزيمة حقيقية بالنسبة لليهود مَن حكى الله عنهم هذه الأشياء.. فما هي مشكلة العرب والمسلمين؟ مشكلة العرب، مشكلة المسلمين أنهم لم يثقوا بالله، لم يثقوا بالله؛ ولهذا لم يرجعوا إلى كتابه، لم نثق بالله فلم نرجع إلى كتابه، ولم نثق برسوله (صلوات الله وسلامه عليه)، **لم يثقوا بالله، ولم يثقوا برسوله، ولم يعرفوا الله المعرفة الكافية، المعرفة المطلوبة، ولم يعرفوا رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **المعرفة الكافية، المعرفة المطلوبة.. فظلوا دائماً يدورون في حلقةٍ مفرغة، وظلوا دائماً يتلقون الضربة تلو الضربة، مستسلمين، مستذلين، مستكينين.**

ماذا يعني أنهم لم يثقوا بالله؟ المفسرون السابقون، وقضية إسرائيل، وقضية ما وصلت إليه الأمة ليست نتاج هذا العصر فقط، نتاج زلات وأخطاء قديمة جداً جداً جاءت من بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **بدؤها من يوم السقيفة، بدؤها من يوم السقيفة، لم يثقوا بالله لم يثقوا برسوله، لم يعرفوا كتاب الله المعرفة المطلوبة حتى عندما يأتي القرآن الكريم ليقول: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** (الأنعام: من الآية٣٨) **يقول المفسرون: أي من**

الأشياء التي تناولها؛ لأنهم يستبعدون أن يكون هذا القرآن قد هدى الأمة إلى كل شيء في هذه الحياة، وهداها إلى كيف تكون بمستوى المواجهة لأي خصم من خصومها.

جعلوا هذا القرآن عبارة عن كتاب يُتلى ويُردد، يتناول القضايا العبادية الأخلاقية في صورة محدودة، ويحكي قصص الماضين لمجرد العبرة التي يفهمونها بفهمٍ قاصر، أو يُعرضون عنها.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) جردوه من شخصيته، لم يعطوه المكانة اللائقة به حتى في أيام حياته (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعرض لنا القرآن الكريم صورة من تلك الصور التي تدل على أن كثيراً ممن كانوا في حياة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، لم يعرفوا ذلك الرجل العظيم من هو؟ من هو؟ فيجلّوه ويقدسوه ويعزروه ويوقروه ـ كما قال الله سبحانه وتعالى ـ وينصروه.

عندما كان يخطب ألم يخرجوا من عنده؟! {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً}(الجمعة: من الآية١١) **حكى الله عنهم هذه في المدينة، في آخر أيام النبوة في المدينة! هل حدثت في مكة؟ لا. حدثت في المدينة {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِما} لم يعرفوا الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهناك حديث ولا أستبعد صحة معناه يقول الرسول: (صلوات الله عليه وعلى آله): ((يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا)) لم يعرف المسلمون الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من ذلك اليوم إلى الآن المعرفة والفهم الصحيح الذي ينبغي أن يكونوا عليه.**

لم يفهموه حتى كقائد عسكري محنك وقدير وحكيم، لم يفهموه بهذا الشكل، جردوه من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عليه: [فرسول الله يعني: سنته، سنته تعني: المجاميع الحديثية المعينة التي جمعها فلان، وفلان، وفلان، وفلان هذا هو النبي!] تعال إلى النبي تراه هنا يقول النبي: [حدثوا عن اليهود ولا حرج!].

أليس هذا مما يجعل الأمة في وضعية مختلفة عن ما يريد الله لها في هذا القرآن الكريم أن تكون عليه في مواجهة اليهود؟ [حدثوا عن اليهود ولا حرج!] فكانوا يحدثون عن اليهود فملئوا كتب التفسير [بالإسرائيليات] بالقصص الغربية، ملئوا كتب الحديث بالأحاديث الدخيلة التي صنعها يهود تمظهروا بالإسلام، واندسوا في أوساط المسلمين، ثم أصبحت هي من معتقدات المسلمين، ثم أصبحت هي تصنع رؤية المسلمين وتوجههم؛ لأنهم لم يرتبطوا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصياً، ولم يدرسوا حياته، ويتفهموا حياته كإنسانٍ حكيم وقدير وإنسانٍ كامل.

لو يرجع المسلمون في مواجهتهم للغرب ولليهود إلى [غزوة تبوك] وحدها في السيرة، وإلى [سورة التوبة] التي توجهت نحو هذه الغزوة لكانت وحدها كافية لأن يأخذ المسلمون منها دروساً كافية في معرفة مواجهة اليهود، ودول الغرب بكلها.

لكنهم متى ما تحدثوا عن غزوة تبوك منشغلين بأن عثمان أعطى مبلغاً كبيراً لتمويل هذه الغزوة! هذا هو المهم عندما يعرضوه في المناهج الدراسية، وعندما يتحدث أحد من الكتاب في السيرة أهم شيء أن يتحدث عن ما أعطاه عثمان من تمويل لهذه الغزوة الذي هو معرضٌ للشك وعدم الواقعية في أنه أعطى فعلاً.

لم يستوحوا من موقف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذه الغزوة المهمة، التي أعطتها سورة التوبة أهمية كبرى، مع أنها في علم الله لن تحصل مواجهة، يستنفر كل المسلمين في هذه الغزوة حتى المنافقين حتى المنافقين يُستنفروا للخروج في هذه الغزوة مع علم الله بأنها لن تكون مواجهات.. فيها دروس مهمة جداً، ولكن كل من يتعرض لسيرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أهل السنة ـ وهم القطاع الأكبر في هذه الأمة ـ يكون همه ما عمله عثمان من تمويل لهذه الغزوة! وما عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أو دراسة حقيقية لهذه لا يهتمون بها.

حتى في هجرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من مكة إلى المدينة يتحدثون في كتب السيرة عن [صلحه مع اليهود] يتحدثون عن صلح وقع منه مع اليهود!. وعندما ترجع أنت لتقرأ الوثيقة التي صاغها الرسول (صلوات

الله عليه وعلى آله) بعد أن وصل المدينة المنورة بسرعةٍ صاغها، وذكر فيها كل بطون سكان المدينة، كـل بيوتـات القبائل الساكنة في المدينة وحولها، وثيقة ليست بصدد الصلح مع اليهود، ولا حول الصلح مع اليهود.

اليهود كانوا حول المدينة حلفاء لبيوت أو أشخاص مـن الأوس والخـزرج داخـل المدينـة، حلفـاء لهـم مـرتبطين بمعاهدات معهم كأتباع لهم. الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما اتجه من مكة إلى المدينة مهاجراً، اتجه ليبني قاعدةً ينطلق منها للجهاد، وإعلان دولته، وإعلان دعوته؛ لينطلق منها للجهاد ضد كل المعارضين لدعوته التي بعث بها، فعمل على أن يجعل المدينة قاعدةً مستقرة.

اقرءوا هذه الوثيقة لن تجدوا فيها مصالحة مع اليهود، إنما باعتبارهم حلفـاء لمـن داخـل المدينـة مـن أوس أو خزرج أو أشخاص من كبارهم يسري على اليهود ما يـسري علـى حلفـائهم. وهـذا شـيء طبيعـي في المواثيـق وفي المعاهدات العربية أنه يسري على الأولياء ـ الذين يسمونهم وَلِي آل فلان أو حليف آل فـلان ـ يـسري علـيهم مـا يسري على من هو في حلفه، أو في ولائه، أو في معاهدةٍ معه.

فيأتي كتاب السيرة ويعنونونه بـ[الصلح مع اليهود] ثم عنـدما اتجـه [الـسادات] إلى القـدس ليستـسلم أمـام إسرائيل ينطلق علماء مصر ليقولوا بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آلـه) قـد صـالح اليهـود أول مـا وصـل المدينة صالح اليهود، فنحن إنما نصالحهم كما صالحهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع الفارق الكبير من كل الوجوه فيما بين ما وقع عندما وصل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى المدينة وبـين مـا وقـع مـن السادات عندما اتجه إلى القدس.

لم يثقوا بالقرآن الكريم فيما يهدي إليه بصورة عامة؛ ولذا عندما تأتي أنـت لتقـرأ بعـض كتـب التفـسير مـن مفسري أهل السنة كالطبري وغيره في قول الله تعالى عن موسى: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} (المائدة: من الآية٢١) هؤلاء المفسرون يعطون اليهود وثيقة بأيديهم، الأرض المقدسة التي كتب الله لهم قالوا: هي أرض الشام! هي أرض الشام!. هذه العقلية سواءً لمفسر أو محدث بعيدة عما هدى إليه القرآن.

القرآن الكريم يؤكد، ويشير، ويدلل على أن الخصومة والمواجهة الحقيقية فيما بين المسلمين على امتداد التاريخ ستكون مع أهل الكتاب، ستكون مع أهل الكتاب، وفعلاً في التاريخ كان العداء فيما بين هذه الأمة وأعداء آخـرين كان مع أهل الكتاب. المشركون الكافرون لم تقم لهم قائمة، أو ظهر كفرٌ من صنع أهل الكتاب، ظهر كفر من صنع أهل الكتاب.

فالقرآن الكريم في [سورة آل عمران] وفي [سورة المائدة] وفي [سورة البقرة] يشير إلى أن المواجهة الحقيقية مع هذه الأمة ستكون مع اليهود، ومع أهل الكتاب جميعاً من اليهود والنصارى.

وعندما أشار هذه الإشارة نرى الحكمة العجيبة، نرى الحكمة العجيبة من قِبَل القرآن، ومن قِبَل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أنه قد تكفل بهداية الأمة إلى ما يجعلـها ـ كمـا كـررت أكثـر مـن مـرة ـ في مـستوى المواجهة مع أهل الكتاب، الذين سيكونون هم الخـصوم الحقيقيـون والأعـداء الألـداء لهـذه الأمـة علـى طـول تاريخها.

ومع من الآن نصارع؟ ومن الذي قهرنا؟ من؟ أليسوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى؟ أليست هي أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا وغيرها؟ هؤلاء منهم؟ يهود ونصارى، هم أعداؤنا الحقيقيون، وهم الذين أصبح واقعهم يشهد بأن هذا القرآن، بأن هذا القرآن حكيم من عند الله سبحانه وتعالى أنزله من قال عنه: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّـذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان: من الآية٦) نزله الذي يعلم السر في السموات والأرض.

ما أعظم هذه الآية ما أعظم هذه الآية لو أن هناك ثقة بالله، كيف من يعلـم الـسر في الـسموات والأرض، يعلـم الغيب في السموات والأرض لا يعلم مستقبل هذه الأمة؟! لا يعلم ما سيحصل لهذه الأمة، لا يعلم كيف يهدي هـذه الأمة؟!.

لقد فعل كل شيء لكن هذه الأمة ـ كما قلنا سابقاً ـ هي التي ابتعدت عن القـرآن، ابتعـدت عـن قرنـاء القـرآن، ابتعدت عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثم انطلقـت في الميـدان مجـردةً مـن سـلاحها الحقيقـي، مـن هديها، من هداتها، من قادتها.. ثم انطلقت لتصارع فهُزمت وأذلت، وأصبحت أمةً تحت أقدام اليهود والنصارى.

الإخوة الذين تحدثوا سابقاً، أشار أحدهم ـ لا أذكر بالتحديد ـ إلى خيبر، خيبر كانت منطقة فيها يهود من أقوى اليهود وأثراهم، حاصرها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فترة، وأثناء هذا الحصار أعطى المسلمين درساً؛ لأن مهمة القرآن باعتباره كتاب للمسلمين إلى آخر أيام الدنيا يهديهم في كل مواقفهم، كذلك رسول الله هو خاتم النبيين ورسول لكل البشر يعطي هذه الأمة دروساً في مجال الهداية تستفيد منها إلى آخر أيام الدنيا.

أعطى درساً في وقعة خيبر عندما كانوا محاصرين لحصن من أمنع حصون يهود خيبر كان الإمام علي (صلوات الله عليه) أرمداً لا يبصر موضع قدميه، هناك أعطى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الراية أبا بكر ثم قال يمضي، ذهب أبو بكر بالجيش فهزمه اليهود فعاد.

ثم أعطى الراية في اليوم الثاني عمر اتجه إلى اليهود فهزموه فعاد، ولأن نفسه كبيره رجع يُجبن أصحابه ويجبنونه.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لديه من الفرسان الأقوياء والقادة آخرين غير أبي بكر وعمر، لم يكونوا معروفين بالفروسية، لم يكونوا معروفين بالقوة في ميدان القتال. فلماذا أعطى الراية هذا، ثم أعطى الراية هذا، ثم في اليوم الثالث يقول: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارٌ غير فرار، يفتح الله على يديه). أعطى الإمام عليا (عليه السلام) بعد أن دعاه وهو أرمد.

لاحظ هذه كلها إشارات هناك فرسان عيونهم سليمة ومفتحة، هناك قادة آخرين.. لا، دعا علياً، دعا علياً وهو أرمد لا يبصر موضع قدميه فتفل في عينيه، ثم أعطاه الراية بعد أن قال على مرأى ومسمع منهم جميعاً، وظل كلٌ منهم يتطاول إلى هذا المقام أن يعطى هو الراية؛ لأنه هنا قُلد من سيُعطى الراية وساماً مهماً ((رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارٌ غير فرار يفتح الله على يديه)). أعطى الإمام علياً (عليه السلام) اتجه إلى خيبر وفتح الحصن الذي أرسل أبا بكر إليه أول يوم وعمر في اليوم الثاني ورجعوا منهزمين فتحه الإمام علي قبل أن يتكامل جيشه!.

ماذا يعني هذا؟ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في مواجهته مع اليهود، ومع أقوى اليهود، وأمام حصن من أمنع حصون اليهود.. يشير إلى أن صراع الأمة في المستقبل سيكون مع اليهود سواءً اليهود بأنفسهم، أو بمن يلفونه حولهم، هم أصبحوا المتغلبين على النصارى فيما بعد، فيما هو حاصل الآن، ويجندون النصارى لصالحهم..

أبو بكر لم يفتحه، عمر لم يفتحه، سيفتحه رجلٌ يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله هو علي.

يشير بهذا إلى أن من يمكن أن يكون قادراً على مواجهة اليهود، إلى أن أي فئة هي مؤهلة لمواجهة اليهود لا بد أن تكون على هذا النحو: تحب الله ورسوله، ويحبها الله ورسوله.

يشير إلى أن الأمة لن تواجه اليهود، ولن تهزم اليهود، ولن تحبط كيد اليهود إلا تحت قيادة أهل البيت الذين يتجهون على اتجاه علي، ويوالون علياً(صلوات الله عليه)، وإلا فهناك من أهل البيت كملك المغرب، وملك الأردن سلموا القياد لإسرائيل، لكنهم من أولياء الطرف الآخر.

أما أولياء الإمام علي (صلوات الله عليه) فنحن رأينا في هذا الزمن ما يشهد لما عمله الرسول في خيبر، ولما يشهد للآيات التي سنقرؤها فيما بعد في من هي الطائفة، وما مواصفات من يمكن أن يقهر اليهود. فرأينا الإمام الخميني كيف هزم الغرب، كيف أرعبهم، كيف أربكهم. رأينا حزباً [حزب الله]، رأينا قائداً من أبناء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حسن نصر الله كيف أربك إسرائيل، وكيف قناة واحدة أربكت إعلام إسرائيل، وشوَّشت حتى على اليهود داخل إسرائيل.. قناة واحدة من حزب في بحر هذه الدول، وهذه القنوات العربية المتعددة.

فعلاً لن يُهزم اليهود إلا تحت قيادة أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تحت قيادة من ينهجون نهج علي، تحت قيادة من يوالون عليا(صلوات الله عليه).

ومن العجيب ومن حكمة القرآن العجيبة أنه جاء الحديث عن ولاية الإمام علي (عليه السلام)، ثم الأمر للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بإعلان ولاية الإمام علي في خضم الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، داخل الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، بعد أن حذر من موالاة اليهود والنصارى، بعد أن حذر من موالاة اليهود

والنصارى، وأن هذه هي القاصمة، أن هذه هي التي ستذل المسلمين إذا ما اتجهوا لموالاة اليهود والنصارى كما هو حاصل الآن.

أليست كل الدول العربية الآن تعتبر أمريكا صديقة! وأمريكا هي إسرائيل، تعتبر بريطانيا صديقة يوالون اليهود، يوالون النصارى فكيف يمكن أن ينصروا، كيف يمكن أن يحظوا بنصر الله. إن الله لا يعطي نصره إلا أولياءه، إن الله لا يعطي نصره إلا من يسيرون على هديه، لقد سلب أصحاب محمدٍ (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم في ميدان المعركة وبحضور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما تنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول سلبهم النصر، وضربوا في ميدان المعركة على أيدي الكافرين والرسول موجود فكيف يمكن أن يمنح نصره لدولٍ أو لشعوب تتولى دولاً هي صديقةً لليهود والنصارى، وتوالي اليهود والنصارى، وتوقّع بالحرف الواحد على زعامة أمريكا لتولي التحالف ضد الإرهاب كما يقولون.. كيف يمكن أن يحظوا بنصر الله؟!.

فلهذا لما كانت الأمة ستظل دائماً في صراع مع أهل الكتاب من بداية النبوة وربما إلى نهاية التاريخ ذكر الله الكثير عن أهل الكتاب، ثم ذكر الحل داخل الحديث عن أهل الكتاب فجاء بالحديث التحذير عن تولي اليهود والنصارى. هذا قضية لا بد أن تتحقق وإلا فلن يحصل نصر للمسلمين أبداً ماداموا أولياء لليهود والنصارى.

ثم ذكر بعد أنه يجب أن ينقطعوا إلى الله، إلى رسوله، أن يتولوا الله ورسوله ويتولوا الذين آمنوا، ويأتي بالصفة التي تدل على أن المقصود بـ{الَّذِينَ آمَنُوا} هو شخص الإمام علي (عليه السلام) وكما ذكر ذلك المفسرون. فقال سبحانه وتعالى وإن أطلنا في قراءة هذه الآيات.

الموضوع ـ كما قلنا سابقاً ـ يجب أن يكون حول رؤية صحيحة للحل، الشيء الذي هو مفقود في الساحة الإسلامية، وفي الإعلام العربي. ليس هناك توجيه للحل يجب نحن ـ وتنفيذاً لمطلب الإمام الخميني (رحمة الله عليه) من إحياء هذا اليوم يوم القدس ـ أن نتجه إلى التوجيه العملي الصحيح للمخرج لهذه الأمة من هيمنة أمريكا وإسرائيل مهما كان الأمر، مهما كان الأمر.

قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} متى ما توليتم اليهود والنصارى ستصبحون منهم، ومتى ما أصبحتم متولين لهم ومنهم فستفقدون هداية الله، فقد صرتم ظالمين وستفقدون هداية الله {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة: من الآية٥١).

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (المائدة: من الآية٥٢) **وما أكثرهم {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}** (المائدة: من الآية٥٢) **يسارعون في تولي اليهود والنصارى كما هو حاصل نقيم علاقات مع أمريكا، إذا لم نقم معها علاقة فقد يضربونا تحت مظلة محاربة الإرهاب، وتحت عناوين كثيرة يطلقونها.**

ثم قال تعالى: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٥٢ـ٥٣)

هذه الآيات تشير إلى أن الواقع سيتغير، وسيرى كل أولئك الذين يسارعون إلى تولي اليهود والنصارى تحت عنوان: [نخشى أن تصيبنا دائرة ونحافظ على شعوبنا ونحافظ على كذا..] أنه سيأتي اليوم الذي يندمون على موالاتهم لليهود والنصارى تحت هذا الغطاء، وستتكشف الأمور حتى يرى الناس أولئك الذين كانوا يظهرون أحياناً بكلامٍ براقٍ ويحضون بألقاب [كفارس العرب] أو [حارس البوابة الشرقية للأمة العربية] ونحوها، {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} (المائدة: من الآية٥٣) **تتكشف الأمور فترى أولئك إنما هم أولياء خالصوا الولاء، وعملاء مخلصون في عمالتهم لإسرائيل ولليهود وللنصارى {فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ}** (المائدة: من الآية٥٣).

ألم يتحدث هنا عن التولي لليهود والنصارى وخطورته؟ ثم قال تعالى بعدها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} (المائدة: من الآية٥٤) **اعتبر موالاة اليهود والنصارى ارتداداً، وفعلاً هو ارتداد حطم الأمة، حطم الدين، حطم الثقافة، حطم الرأي، حطم كل شيء يتعلق بالأمة. {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}** (المائدة: من

الآية٥٤) أليس نفس الشيء الذي قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في يوم خيبر؟ ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)) لن يقف أمام اليهود إلا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قيادة في هذا المستوى، قيادة يحبها الله ورسوله، وتحب الله ورسوله، وأمة تحب الله ورسوله ويحبها الله ورسوله.

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} يحبهم ويحبونه {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} (المائدة: من الآية٥٤) كان الإمام علي (صلوات الله عليه) معروف بتواضعه للمؤمنين، معروف بتواضعه، وكان عمر معروف بغلظته، وكانت الدّرة لا تكاد تفارق يده، بغلظته وقسوته والدرة يضرب هذا وهذا، ولكنه كان في ميدان الجهاد إذا ما برز الفرسان قال: [حِيْدِي حياد]. أما علي فكان ذليلاً أمام المؤمنين، رحيماً بالمؤمنين، ومتى ما برز إلى ميدان القتال، متى ما برز يبرز أسداً، يبرز أسداً هصوراً (صلوات الله عليه).

نجد هنا التوافق العجيب بين ما حصل في خيبر - وهي قصة مؤكدة وصحيحة يرويها المحدثون وبهذا اللفظ: ((رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)) - وهنا لا يمكن أن يُقْهَر اليهود إلا بأناس يحملون هذه الصفة {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: من الآية٥٤).

ثم يقول بعدها: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٥ - ٥٦) لأن الآيات تتحدث عن صراع، تتحدث عن الخلل الكبير وهو تولي اليهود والنصارى، وتتحدث عن من هم مؤهلون لضرب هذه الطائفة، ثم عن قيادة هذه الطائفة التي هي مؤهلة لضرب اليهود وقهرهم أنها تتولى الله ورسوله والذين آمنوا، الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم)؛ ولأن المقام مقام حديث عن صراع، قال بعدها: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} سيغلبون لا شك.

لم يقل هنا: {فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} كما قال في [سورة المجادلة]: {أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المجادلة: من الآية٢٢) لأن المقام مقام صراع.. ليرشد الأمة حتى تكون بمستوى قهر اليهود وتتغلب عليهم يجب أن تتولى الله، وتتولى رسوله.

تتولى الله ليس فقط أن تدعوه، أن تعرفه، أن تثق به، يعرفون الله حق معرفته، يثقون به حق الثقة، فإذا عرفوا الله، إذا وثقوا به، إذا عرفوا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تولوا الله، وتولوا رسوله، وتولوا الإمام عليا، وتولوا عترة رسول الله أهل بيته حينئذٍ سيكونون حزب الله، حينئذٍ سيحبهم الله ورسوله، وسيكونون فعلاً حزب الله، ولا بد أن يغلبوا، أولئك حزب الله {فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

ولأن القضية كما قلنا هي هذه يتحدث من جديد عن اليهود والنصارى فيأتي بالحديث عن فرض ولاية الإمام علي (عليه السلام) داخل الحديث عن اليهود والنصارى، وتحذير الأمة من توليهم، ثم تتجه الآية فيقول من جديد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (المائدة:٥٧).

ألم يحذّر عن تولي اليهود في بداية الآيات؟ ثم بعد أن تحدث عن الحل والمخرج، ثم من جديد يحذر عن تولي اليهود والنصارى.. وهي المشكلة التي نواجهها الآن تولي زعامات المسلمين لليهود والنصارى.

ثم قال بأن هؤلاء الذين تتولونهم هم أناس ليسوا جديرين بتوليكم: {هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} (آل عمران: من الآية١١٩) هم لا يحبونكم، هم أعداء لكم، هم يسخرون حتى منكم {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً} (المائدة: من الآية٥٨) فلماذا تتولونهم؟!. ألم يقل هنا بعدها: {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} (المائدة:٥٨) فكيف تتولون من هم لا يحبونكم؟ من هم لا يودون لكم أي خير؟ من يودون أن

يضلوكم؟ من يودون أن تكونوا كفاراً؟ من يعملون كل جهدهم على إذلالكم من حتى يسخرون منكم؟ ثم أنتم تتولونهم وتحبونهم.

ثم تحدث عن أهل الكتاب: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا} (المائدة: من الآية٥٩) وهكذا تمشي الآيات إلى أن يقول سبحانه وتعالى من جديد ليأمر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بإعلان ولاية الإمام علي (عليه السلام)، فتأتي الآيات بعد أن تحدث عن اليهود أنهم {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (المائدة:٦٥) ثم قال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٥-٦٧).

ثم يعود من جديد إلى الحديث عن أهل الكتاب: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} (المائدة: من الآية٦٨) وهكذا يمشي في آخر الآيات يتحدث بالحديث عن بني إسرائيل، يأمر رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) بأن يعلن ولاية علي: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} (المائدة: من الآية٦٧) ماذا يعني هذا؟ أليست هذه هداية تهدي الأمة إلى أنهم لا بد أن يعودوا إلى الله؟ لا بد أن يعودوا إلى كتابه ليهتدوا به؟ لا بد أن يعودوا إلى رسوله ليستوحوا من حركة جهاده ودعوته كيف يواجهون أعداءهم التاريخيين، في التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل، الذين سيكونون هم أهل الكتاب؟.

ثم يتحدث بأنه يجب أن يتولوا عليا بعد أن أمر رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يعلن على رؤوسهم أنه وليهم وخليفته عليهم من بعده.

أليس هذا هو الهدى؟ وهذا هو ما يجب أن نقطع به؛ لأنه لا يجوز ـ كما قلت سابقاً ـ أن يتحدث الله عن خطورة اليهود البالغة في كل المجالات، عن عملهم الدؤوب في إضلال الأمة، في تكفير الأمة، في أن لا تحصل الأمة على أي خير، في أن يعملوا كل ما يمكن عمله ضد هذه الأمة، وهو قال عن هذا الكتاب أنه {هُدىً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية٩٦)، أنه {يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء: من الآية٩)، لا بد أن يهدي وقد هدى فعلاً. لكن في هذه الأيام هل تسمعون من يدعو الأمة إلى أن تعود من جديد إلى القرآن؟.

لتعد إلى القرآن وليس إلى المفسرين، تعود إلى القرآن وليس إلى المفسرين من أهل السنة، لتتعرف على القرآن عن طريق قرناء القرآن، وورثة القرآن، وليس عن طريق [الطبري] و [ابن كثير] وغيرهما من المفسرين الذين يعطون وثائق لليهود بأن الأرض التي كتب الله لكم هي أرض الشام وليس فقط فلسطين، أرض الشام تشمل سوريا ولبنان وفلسطين.

ليعود الناس إلى القرآن الكريم من خلال تدبر آياته، ومن طريق قرناء القرآن الذين أرشد إليهم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) وعن طريق القرآن الذي يؤكد في سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (الفاتحة:٦-٧) ليبحث الناس عن من هم الذين أنعم عليهم بأن جعلهم أعلاماً لدينه، وهداة لعباده، وقادة لخلقه.

يجب أن يبحثوا وهم يقرؤون دائماً: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (الفاتحة:٦) لكن لا. أقصى ما يمكن أن يعملوه أن يقنتوا في الصلوات [اللهم أهلك أمريكا، اللهم أهلك إسرائيل] ثم يدعون في القنوت لولي الأمر ولسلاطين المسلمين، يدعون لهم، وهم من يتولون اليهود والنصارى. ليعود الناس إلى القرآن، وليس إلى المفسرين الذين لعبوا بالقرآن، وشوهوا القرآن، وحرفوا القرآن.

هذا فيما يتعلق بهذه الآيات، ذكر شيئاً من الأشياء التي تعتبر خطيرة جداً، ثم أرشد إلى القيادة التي يجب أن يلتجئ المسلمون إليها.

هناك أشياء أخرى ذكر فيما يتعلق بوضع حلٍ للأمة إذا ما تبنته لا بد أن تقهر أعداءها تحت ولاية الله ورسوله، وقيادة عترة رسوله (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم)، دعا إلى الجهاد، دعا إلى الإنفاق في سبيل الله. تجد من الأشياء العجيبة في كتاب الله الحكيم يتحدث عن الإنفاق في سبيله، يتحدث عن الجهاد في سبيله في إطار الحديث عن بني إسرائيل، وما يعرضه من أخبار بني إسرائيل؛ ليقول لنا: أنتم بحاجة إلى أن تربوا أنفسكم، وتربوا الأجيال من بعدكم، إلى أن يحملوا روح الجهاد، روح العطاء، روح الإنفاق في سبيل الله، لا بد لكم أيها المسلمون أن تنفقوا في سبيل الله، أن تكونوا مجاهدين في سبيل الله، وإلا فلن تستطيعوا أن تقهروا هذه الطائفة.

من العجيب أيضاً أن تأتي الآيات التي تأمر الناس بالتوحد والاعتصام بحبل الله أيضاً في إطار الحديث عن بني إسرائيل، في [سورة آل عمران] الآية التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢) **جاءت بعد الحديث عن أهل الكتاب، وهذا من السر في أن ورد الحديث كثيراً عن أهل الكتاب في القرآن الكريم أنهم سيكونون هم الأعداء الحقيقيون، والمؤثرون، والخطرون على الأمة، قال عن أهل الكتاب: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** (آل عمران:٩٩).

ماذا تعني هذه الآية أيها المسلمون؟ ماذا تعني هذه الآية؟ أن اليهود يصدون عن سبيل الله وهم يعرفون ما هو سبيل الله يعرفون أن الإسلام هو دين الله حقيقة، يعرفون حقيقة، إنما حسداً وكراهية كما عمل الشيطان، أليس الشيطان يعرف الله؟ أليس الشيطان يعرف الجنة ويعرف النار؟ أليس يعرف أن أمر الله له بالسجود لآدم حق؟ ويعرف أن عمل الملائكة في سجودهم لآدم طاعة لله؟ لكنه استكبر فتمرد رغم علمه، وهكذا يحصل من اليهود، ويحصل من الشيطان، ويحصل من كثير من البشر أن يصد عن الحق وهو يعرف الحق.

ثم عندما يتحدث عن اليهود أنهم يعملون، لا يتحدث عن أي طائفة يمكن أن لا يكون لها أي تأثير وإن اجتهدت؛ يتحدث عن اليهود أنهم خطيرون جداً، ولن يقدر على مواجهتهم إلا أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، **لن يعرف فضح مخططاتهم وإحباط كيدهم، لن يعرف أن يقهرهم إلا أهل بيت رسول الله، وتحت قيادة أهل بيت رسول الله، والتاريخ يشهد على ذلك، والحاضر يشهد على ذلك.**

قناة واحدة فضائية لحزب الله استطاعت أن تجعل إسرائيل تعترف بأن أخطر شيء عليها في هذه الدنيا هو القناة الفضائية لحزب الله، لحزب واحد يقودها واحد من أهل بيت رسول الله، من أولياء علي، وليس من أولياء الآخرين الذين انهزموا أمام يهود خيبر، ليس من أوليائهم، من أولياء علي.

وفعلا يصرخون وما قضية نيويورك، ولا قضية أسامة والأشياء هذه إلا محاولة من أعمال اليهود - الذين حكى الله عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل - أن يصنعوا للأمة، هذه الأمة التي قد لعبوا بعقولها لعبوا بأفكارها، لعبوا بتوجهاتها - يصنعون لها قدوات مزيفة، يوهمون المسلمين أن هؤلاء هم الخطيرون جداً علينا.

أسامة يشكل خطراً على أمريكا! أسامة وطالبان تصيح منهم أمريكا وهي تعرف، أمريكا تعرف أن أسامة لا يشكل أي خطر على أمريكا، اليهود يعرفون - ونحن نقطع - أن أمريكا واليهود يعرفون بأن أسامة وطالبان لا يشكلون أي خطورة حقيقية على أمريكا؛ لأنهم لا يحملون أي رؤية لهذه الأمة لتكون بمستوى المواجهة لأمريكا إطلاقاً؛ ولهذا عملوا على ترميزهم، عملوا على ترميز أسامة ليحل أسامة في ذهنية الأمة كخميني مزيف؛ لأنه برز خميني حقيقي، خميني حقيقي.

الإمام الخميني - رحمة الله عليه - أربكهم أذلهم قهرهم جعلهم يتيهون، حتى قال عنه الرئيس الأمريكي: [هذا رجل إلهي] قال عن الخميني رئيس أمريكا في أيامه: [هذا رجل إلهي]. عجزت أمريكا أن تعمل شيئاً معه، حتى عندما عملوا على اختطافه من منزله تضاربت الطائرات التي أرسلوها لاختطافه في صحراء يسمونها صحراء طَبَس أو قبس في إيران.

فاتجه اليهود من جديد وهم يعرفون بأن أفكارنا تحت أيديهم وتحت تأثير إعلامهم وكتّابهم وتحت تأثير دعاتهم إلى أن يصنعوا للأمة ـ لا يتركونها تستقر يوم من الأيام ـ قدوات مزيفة، أعلام مزيفة، تصيح منهم أمريكا وهي تعرف أنهم لا يشكلون خطورة عليها؛ لتتجه أذهاننا نحوهم.

ماذا عملوا بطالبان؟ ماذا عملوا بأسامة في هذه الحرب؟ لقد عرف الغربيون وقال رئيس وزراء [اندنوسيا] وقال وزير إيراني ـ لا أعرفه بالتحديد ـ [أنه قد ظهر أنه ليست طالبان ولا أسامة هي المستهدف]. كانت حرب أضحوكة، كانت حرب عجيبة، طالبان يتوقع لها، يتوقع لطالبان أن تعود من جديد.

وأسامة بن لادن كان مرمّزاً من أيام [كارتر] من قبل، وكان الأمريكيون دائماً يرمزونه، وفي هذه الأيام في شهر شعبان رأيت في التلفزيون السعودي يقول: بأن مسئول سوداني، أو وزير سوداني قال: أن الرئيس كارتر رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن، عرضوا عليه أن يسلموا أسامة فرفض. لا نريده، نريد أن يبقى نصنعه رمزاً لكم أيها الأغبياء المسلمون تتجهون نحو أسامة، وتنصرفون عن الحقيقيين الذين يحملون رؤية حقيقية، من يحملون رؤية صائبة ضد أمريكا وإسرائيل، من يحملون قوة نفسية، من يحملون رؤية قرآنية.

يتجهون بهم إلى رموز وهميين وخطر وهمي.. كما شدوا العرب في يوم من الأيام إلى صدام، فالتفوا نحوه وقالوا: [حارس البوابة الشرقية]، [وبطل الأمة العربية]، [وبطل القومية العربية]، وشدوهم سابقاً إلى جمال، وهكذا يلعبون بأفكار المسلمين، أحياناً ينصبون لنا علماً في مجال القومية للقوميين، وأحياناً متى ما رأوا توجهاً دينياً ينصبون لنا علماً وهمياً ـ بدقنته، بعمامته ـ باسم أنه يشكل خطورة على أمريكا، وأنه إنسان قوي، وأنه.. وأنه.. إلى آخره.

أسامة ماذا أصابه؟ إذا لم تكن المسألة استغناء عن طالبان وعن أسامة فأتوقع أن تعود طالبان من جديد وأن يعود أسامة من جديد، ولن يفرطوا في أسامة.

الأمريكيون عرفوا كيف يقتلون أحمد شاه مسعود، ويعرفون كيف يقتلون أعداءهم في أي بقعة، على مدى هذه السنوات الطويلة لم يعرفوا كيف يقتلون أسامة!. ماذا أصاب أسامة في هذه الحرب؟. لم يصبه شيء. من يدري ربما أن يكون أسامة في أي بلد من البلدان التي هي صديقة لأمريكا، من يدري قد يكون أسامة في فندق من الفنادق بتمويل أمريكي، من يدري!. أنا لا أستبعد كل هذا.

هذه من الأشياء الخطيرة جداً على المسلمين، أن اتجهوا إلى أن يصنعوا قدوات، قدوات. عندما وجدوا [حسن نصر الله] برز في هذه الفترة الأخيرة، وأصبحت قناة حزب الله تبث إلى بلدان أوروبا، وبرز كقائد قوي، وبرزت إسرائيل عاجزة أمام حزب الله وأمام صيحات حسن نصر الله، وبدأ صيته ينتشر في البلاد العربية بدأ الناس حتى في صنعاء يأخذوا الأقمار التي تستقبل قناة حزب الله الفضائية، وتأثروا بنصر الله. اليهود يعرفون من هم الذين يشكلون خطورة عليهم.

ليس في دقنته، ليس في تركعه، في رؤيته بالنهوض بهذه الأمة، كيف يمكن أن تتوقع ممن لا يرى الإسلام إلا دقنة وثوباً قصيراً و مسواكاً أن يجعل الأمة بمستوى المواجهة ضد اليهود وضد الغرب؟!.

ممن يرى أن الله قد أنعم علينا أن جعل الغربيين والكفار يصنّعون لنا ونحن نعبده ونسير في عبادته، وهم يصنعون لنا كل شيء! هل هذا يمكن أن يواجه الغرب؟.

الإمام الخميني عندما نهض برؤية صحيحة، وعرف بأن هذه الأمة أصبحت في صراعها مع اليهود في صراع حضاري، صراع حضارات، لم يعد صراعاً عسكرياً أصبح صراع أمة، صراع حضارة، قال: لا بد لهذه الأمة أن تتجه نحو الاكتفاء الذاتي، لتعتمد على نفسها في مجال غذائها فتهتم بالزراعة تهتم بالتصنيع، في كل المجالات، تهتم بالتصنيع العسكري، تهتم بالتصنيع في مختلف الأشياء التي يحتاجها الناس لتكون بمستوى المواجهة، تهتم أن تنشئ جيلاً يعرف كيف ينظر إلى الغرب، يصيح بالعداء لأمريكا، بالعداء لإسرائيل يهتفون.

وهكذا كان الإيرانيون يهتفون بـ[الموت لأمريكا وبالموت لإسرائيل]، عرف كيف يجب أن تربى الأمة على نهج هذا الكتاب حتى تكون بمستوى المواجهة، فتحمل العداء، وتبني نفسها لتكون بمستوى المواجهة.

الآن اليمنيون أنفسهم ـ وهم واحد من الشعوب العربية وحالتهم مستوية ـ هل يمكن أن يصمدوا أسبوعاً واحداً في حرب مع إسرائيل؟. لا. أنا أقطع أنه ولا أسبوعاً واحداً يمكن أن يصمد اليمنيون؛ لأن كل موادنا الغذائية، كل أكلنا، كل لباسنا، كل معداتنا، كل شيء من الضروري والكمالي لنا كله يخضع لهيمنة أمريكا، وبقرار من أمريكا تستطيع أن تقطع كل شيء فيستسلم اليمنيون.

فلماذا يصيح أولئك الزعماء أحياناً ويظهرون أنفسهم كفرسان، وأنهم أعداء ألداء لإسرائيل، وهم يعرفون أنهم هم الذين أوصلوا هذه الأمة إلى درجة أنها لا تستطيع أن تقف أمام اليهود؟! لا يستطيع العرب الآن إطلاقاً أن يقفوا أمام اليهود إلا بأن يستأنفوا حياتهم من جديد، يستأنفوا حياتهم من جديد، ولن تستأنف حياتهم من جديد تحت الزعامات التي تحكمهم الآن؛ لأنهم هم الذين أهملوا كل الأراضي الزراعية.

تجد وزارة الزراعة في أي بلد عربي هي أحط الوزارات، وأقل الوزارات نشاطاً.. في اليمن نفسه كم من الأراضي في اليمن تصلح للزراعة، ونحن نستورد حتى العدس وحتى الفاصوليا والقمح والذرة من استراليا ومن الصين وغيرها؟ واليمن يكفي ـ لو زُرع ـ لليمن ولغير اليمن. لماذا يستورد اليمنيون كل شيء مما هو خاضع لهيمنة أمريكا وإسرائيل؟.

هل يمكن للعرب، هل يمكن للعرب أن يقاتلوا وقد أذلهم زعماؤهم، وأوصلوهم إلى هذه الحالة؟. كانت المواجهة عسكرية قبل خمسين سنه، أما الآن فقد أصبحت المواجهة حضارية، أصبحت المواجه حضارية.

لا بد أن تبرز قيادة تستطيع أن تبني الأمة من جديد كما استطاع الإمام الخميني، ولقد كان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) رحمة من الله، وحجة على هذه الأمة العربية لو عرفت قدره، قائد عظيم، ورؤية صحيحة، وشعب قوي في ثرواته، في أعداده، وفي قوته، الإيرانيون معروفون بقوتهم في القتال، وشعب يمتلك ثروات هائلة، وقيادة حكيمة قوية، وتوجّه نحو العداء لإسرائيل وأمريكا، وصرخ في العرب أنه مستعد.

لقد كان الإمام الخميني نعمة على العرب لو كانوا يريدون تحرراً من إسرائيل، ولكنهم بدلاً من أن يلتفوا حول الخميني، وحول إيران ليضربوا إسرائيل، ويحرروا أنفسهم من أمريكا ماذا عملوا؟ اتجهوا هم لأن يقفوا ضد إيران وضد الخميني ليشغلوه عن أن يضرب إسرائيل، لم يتركوه وشأنه حتى ليتجه ضد إسرائيل، ثم هاهم الآن يصرخون من إسرائيل، وهم الذين حموا إسرائيل من الخميني، هم الذين حموا أمريكا من الخميني، هم الذين حموا إسرائيل من إيران، هم الذين يصرخون الآن، هم الذين وقفوا لصالح إسرائيل يوم حربها ضد إيران، حرب لا مبرر لها وتحركوا بإشارة من أمريكا ليقف الجميع في خدمة أمريكا وإسرائيل لإيقاف الثورة الإسلامية، ولإيقاف الخميني حتى تبقى إسرائيل آمنة. وهاهي إسرائيل ترد عليهم بالجميل، ردت عليهم بالجميل تضربهم وتسخر منهم {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ} (آل عمران: من الآية١١٩) **تحبونهم ولا يحبونكم {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً}** (المائدة: من الآية٥٨) **يقول عن اليهود أنه مهما عملتهم لهم لن يحبوكم، لن يعزوكم، لن يجلوكم، لن يقدّروا لكم أي شيء، حتى أنتم أيها العملاء الذين تتولونهم.**

نحن عرفنا ما حصل لعميل إسرائيل في جنوب لبنان [أنطوان لحد] ألم يَشْكِ هو، ألم يشك من إسرائيل؟ أنها تخلت عنه، أنها أهانته، الله قال للعرب في القرآن من قبل أن يتولوا اليهود والنصارى، لن يروا جميلاً لتوليكم لهم، إنهم يسخرون منكم. وفعلاً إن اليهود في إعلامهم وتثقيفهم في الغرب يزرعون في نفس الغربيين السخرية للعرب أنهم أمة بهيمية، أمة متخلفة، أمة حيوانية، أمة لا تفهم شيئاً، يسخرون منا، يسخرون منا ولا يحبونا.

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) **أنت يا محمد الذي هم يعرفون أنك نبي كما يعرفون أبناءهم، فكيف يرضون عن أمتك، وهم لم يرضوا عنك {لن تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} حتى تدين بدينهم، وتصبح يهودياً مثلهم. وهم قالوا: بأنهم غير مستعدين أن يدعوا أحداً أن يكون يهودياً. ليس هناك من يصلح من العرب أن يحظى بمكانة أن يصبح يهودياً، لكن يريدون أن يضلوا الناس.**

فلماذا، لماذا خسر العرب تلك الفرصة العظيمة؟ لماذا ضيع العرب حتى الفلسطينيون أنفسهم؟. كانت إيران دولة موالية لإسرائيل قبل قيام الإمام الخميني والثورة الإسلامية، كان هناك سفارة لإسرائيل في طهران حولها الإمام

الخميني إلى سفارة لفلسطين قبل أن تنشأ دولة فلسطينية، وقبل أن ينشأ في أي بلد عربي آخر سفارة لفلسطين، كانت هناك فقط مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في مختلف العواصم.

أما الخميني فإنه حول سفارة إسرائيل إلى سفارة لفلسطين، وأعلن ووعد عرفات، وأكد لعرفات أنه سيقف مع الفلسطينيين، ومع ذلك كان يتجه عرفات إلى مبارك وإلى آخرين، ولم يهتم بما قاله الإمام الخميني، وهو يعرف أن إيران أقوى من مصر، الإيرانيون أقدر من المصريين وأثبت من المصريين وأكثر ولاء لقيادتهم، وفي ميادين القتال أقدر من المصريين، وإيران أغنى من مصر، وقيادة إيران أصدق من قيادة مصر، ومع ذلك كان يخرج من عند الخميني ويتجه إلى زعيم مصر إلى حسني مبارك.

العرب هم الذين أوصلوا أنفسهم إلى هذه الحالة، إلى هذه الذلة، إلى هذا الخزي؛ لأنهم ضيعوا أشياء كثيرة، ضيعوا فرصاً عظيمة.

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً} (آل عمران: من الآية٩٩) **وعندما يعوج سبيل الله في حياة الناس أليست تعوج الحياة؟ أليست حياتنا الآن عوجاء؟ حياتنا الآن أصبحت تحت رحمة اليهود والنصارى؟ هل هناك عوج أسوأ من هذا؟ ليس عوجاً واحداً اعوجاج متعدد.**

ثم يقول: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (آل عمران: من الآية٩٩) **ماذا عملت يا الله عندما قلت بأنك لست بغافل عنهم؟ ماذا عملت لنا؟ هل يمكن أن نقرأ قوله: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ثم لا نجده قد هدى إلى كيف نواجه اليهود والنصارى؟. لقد هدى فقال في نفس هذه الآيات بعدها ثم قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** (آل عمران:١٠٠-١٠١)

مما ضرب القرآن المفسرون الذين يجعلون كلمة: {هُدىً} و{هَدَى} تنصرف إلى مجال العبادات البحتة، يعني إلى صيام، إلى صلاة. إن القرآن كتاب حياة، كتاب حياة شاملة، يهدي الناس في كل مجالات الحياة، يهدي الناس في كل شئون الحياة، وليس فقط إلى الجانب الإيماني العبادي الروحي، فجاء المفسرون ليقولوا عن (يهدي) يعني يهديك إلى طريق الجنة، أي إلى ما تعمل به لتصل إلى الجنة، كيف تسبح وكيف تصلى وانتهى الموضوع.

هنا يقول في مجال الحديث عن أهل الكتاب الأعداء في هذه الدنيا، أم أن أهل الكتاب سيكونون أعداء لنا في الآخرة، الآخرة ليست ميدان عداء من هنا وهنا.. سيكون الناس كلهم يقفون بين يدي الله ليحاسب الجميع، ليس هناك طوائف متعادية يقول هنا: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: من الآية١٠١) **الاعتصام بالله، الثقة بالله، والثقة بكتابه.. من الثقة بكتابه أن تعرف أن كتابه كتاب هداية، أن تعرف أن كتابه كتاب للحياة كلها، وليس فقط للجوانب الإيمانية التعبدية الروحية، الذي يقول يهديك إلى ما تحصل به على ثواب لتدخل الجنة.**

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} في حياته في مواجهته لأعدائه، هذه الأمة إذا اعتصمت بالله، إذا اعتصمت قيادتها بالله ستهدى إلى الصراط المستقيم في مواجهتها مع عدوها.

ثم يرشد إلى أن هذه الأمة لخطورة من تواجه... ومن العجيب، ومن العجيب أنه قال عن اليهود والنصارى أنه قد ضرب بينهم العداوة والبغضاء، أي أن الله سبحانه وتعالى قد خفف كثيراً كثيراً كثيراً فاليهود والنصارى الذين نصارعهم الآن هم من بعد التخفيف، بعد التخفيظ، ومع هذا يغلبوننا!.

كيف لو كان اليهود لا يزالون غير مضروب عليهم ذلة ولا مسكنة؟ كيف لو كانوا لا يزالون غير محكوم عليهم بغضب الله؟. كيف لو كانوا لا يزالون لم يزرع بينهم العداوة والبغضاء.

الآن من العجيب أن يهزم المسلمون أمام اليهود بعد التخفيظ، بعد التخفيف، أي أنت الآن لا تواجه اليهودي الحقيقي المركّز.. بعد التخفيف، تخفيف.. تخفيف.. ضربَ بذلة ثم مسكنة وباءوا بغضب، ثم ضرب بينهم عداوة وبغضاء، ثم.. ثم. ومع هذا يقهروننا، مع هذا يتغلبون علينا، هذا شيء يثير العجب، يثير الاستغراب،

وهم على الرغم مما هم عليه من تفرق، وعداوة وبغضاء يقول للأمة لا بد أن تعتصم بالله، لا بد أن تتحد كلمتها بالاعتصام بالله.

فيقول بعد هذه الآيات عن اليهود: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} (آل عمران: من الآية١٠٢) **أليس في سياق الحديث عن اليهود {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (آل عمران:١٠٢) **هذا من معاني الاعتصام بحبله والرجوع إليه وتحقيق العبودية له {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا لتكونوا بمستوى مواجهة هذه الطائفة التي تصد عن سبيل الله، وتبغي العوج لدين الله، هذه الطائفة التي تريد أن تكونوا كفاراً ضالين، هذه الطائفة التي لا تود لكم أي خير.**

وكأنه قال لنا وأنا من جانبي قد خفظتهم كثيراً كثيراً كثيراً، فضربت عليهم الذلة والمسكنة، وحكمت عليهم بغضبي، وفرقت شملهم.. فعندما تجبنوا أمامهم، وعندما تصبحوا أذلاء هذا يشهد أن العرب، أن المسلمين في واقعهم مع دين الله أصبحوا أسوأ مما وصل إليه بنو إسرائيل.

من العجيب أننا نقرأ الآيات التي تتحدث عن اليهود، ثم نقول هؤلاء مجرمون، هم مجرمون حقيقة، لكن ونصب غضبنا عليهم وننسى أننا نحن العرب وقد أخبرنا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) - سابقاً - فقال: ((لتحذّن حذو بني إسرائيل)) إلى درجة أن قال: ((حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه)) وفي بعض ألفاظ الحديث ((لتحذن حذو من قبلكم)) قالوا: اليهود والنصارى؟. قال: ((فمن؟)).

نحن نقرأ عن اليهود أليس تاريخا أسود؟ أليسوا سيئين؟ أليست حالة غريبة جداً هم عليها؟ يقتلون النبيين، يكذبون بآيات الله، يتكلمون على الله بالسوء {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} (المائدة: من الآية٦٤) **لكنا لا ننظر إلى واقعنا نحن، أننا وصلنا نحن العرب أسوء من بني إسرائيل، في تعاملهم مع كتابهم، وفي تعاملهم مع أنبياءهم، وفي تعاملهم مع البشر ومع بعضهم بعض.**

ولهذا كنا إلى درجة أن نُذّل بمن قد أذِلّوا، ونُضرب ونستكين لمن قد ضُربت عليهم المسكنة، وتتفرق على أيدي من قد ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء. أليس ذلك يدل على أننا أصبحنا في واقعنا أسوء منهم؟.

فعلاً الأمة من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تفرقت عن نهج نبيها، كما قال عن بني إسرائيل.. كانوا من بعد نبي من أنبيائهم يختلفون، هؤلاء اختلفوا من بعد ورسول الله كان لا يزال مريضاً، إختلفوا وهو لا يزال مريضا على الفراش ((هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) قال عمر ومجموعة: ((دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، إنه يهجر، حسبنا كتاب الله))!. اختلفوا والرسول كان لا يزال حياً.

اختلفوا بعد ما مات، قتلوا من كانوا كأنبياء بني إسرائيل. في شهر رمضان قتلوا وصي رسول الله علي، وقتلوا الحسن، وقتلوا الحسين، وقتلوا فاطمة الزهراء، كمداً، وقتلوا أئمة أهل بيته واحداً بعد واحد، وهم في هذه الأمة بمنـزلة أنبياء بني إسرائيل في بني إسرائيل.

وكذبوا بالقرآن، ونبذوا القرآن وراء ظهورهم، وحولوا القرآن إلى كتاب يخلق عقائد ليس فقط تنسب البخل إلى الله، بل تجعل الله مصدر كل قبيح، وتجعله يقضي ويقدر كل قبيح.

وأنتم شاهدتم في التلفزيون الذي يعرض مسلسل [ابن ماجة] ما حصل لتلك المرأة من أولئك اللصوص [قضاء وقدر!]!. هكذا يعلمون الناس أن الله سبحانه وتعالى الذي نزه نفسه، الذي نزه نفسه عن كل قبيح، وعن كل فاحشة، عن أن يريد ظلماً، أن يريد قبحاً، أن يأمر بظلم، أن يقدر ظلماً، أن يقدر قبيحاً، أو أي شيء من المعاصي والقبائح.. يقولون عنه بأنه هو الذي قضى بالقبائح وقدرها، وأنه هو الذي يخلق الشر والنفاق والكفر في قلب الكافر والمنافق، وهو الذي يقدر على العاصي أن يعصي.

ألم يتفوّقوا على بني إسرائيل في هذا؟. بنوا إسرائيل قالوا: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} (المائدة: من الآية٦٤) **أي الله بخيل. من هو الأسوأ؟ من ينسب إلى الله البخل، أو من ينسب إلى الله كل فاحشة**

وما البخل إلا واحدة منها؟. ألم يتفوق العرب على بني إسرائيل في تعاملهم مع كتاب الله؟ في تعاملهم مع أهل بيت رسول الله؟ في تعاملهم مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.
وأنتم عندما تستعرضون ـ وهذا الذي يجب أن نفهم، وهو من الحكمة في أن يعرض الكثير عن بني إسرائيل في هذا القرآن، وكيف بلغ بهم الحال ـ ثم عندما نرى أنفسنا مقهورين بهم لننتبه؛ لأنه لن نُقهر على أيدي هؤلاء إلا لأننا قد أصبحنا أسوء منهم في تعاملنا مع دين الله، حرفوا سنة رسول الله، كذبوا على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كذبوا عليه أحاديث تعطل كتاب الله، أحاديث تتنافى مع حكمة الله، تتنافى مع حكمة رسوله.
فعلاً عندما أصبحنا أسوء من بني إسرائيل ضربنا على أيدي بني إسرائيل، وإلا فلماذا هذه الأمة العربية، الذين كانوا يتقاتلون على أبسط الأشياء. كانوا أمة واحدة يستطيعون أن يقهروا؟ اليهود ظلوا بين أيديهم أجيالاً متعددة في بلدانهم وهم تحت رحمتهم وحلفاء لهم. ألم يكن يهود خيبر وفدك وبنو النظير وبنو قينقاع وبنو قريظة وغيرهم كانوا على كثرتهم وغنائهم ما زالوا حلفاء تحت رحمة أشخاص وقبائل عربية.
فلماذا إسرائيل داخل البلاد العربية، داخل هذه الأمة ـ وهم عدد قليل، لا يزيدون على خمسة ملايين ـ هؤلاء أصبحت الأمة تحت رحمتهم، أصبحت الأمة خائفة منهم، أصبحت مقهورة أمامهم.. حتى اقتصادياً، الآن العرب يخافون من أن إسرائيل ستكتسح العالم العربي اقتصادياً، وأنها تسعى للسيطرة اقتصادياً وسياسياً، أن تقود دول الشرق الأوسط. هكذا يقولون عن إسرائيل.
يعني هم يعرفون أنفسهم مهزومين أمام إسرائيل، يخافون أن تقهرهم، وستقهرهم فعلاً.
ليسوا مؤهلين لأن يقهروا إسرائيل كما كان أولئك الأعراب القليلون استطاعوا أن يجعلوا اليهود تحت رحمتهم في تلك المناطق التي كانوا ساكنين فيها، وهم كانوا تجمعات قبلية قريبة من العدد الذي كان عليه العرب في المدينة وغيرها.
فقال بعد ذلك.. وجّه الأمة إلى التوحد، وجه الأمة إلى التقوى، إلى الصفح، إلى الاعتصام بحبله الاعتصام بدينه، الاعتصام بكتابه، ثم نهاهم عن التفرق، نهاهم عن الاختلاف. ماذا عمل فقهاء هذه الأمة؟ جعلوا الاختلاف مشروعاً، وجعلوا الاختلاف داخل هذه الأمة رحمة. ألم يقولوا: [اختلاف أمتي رحمة!]، جاءوا يدعون كل إنسان إلى أن يجتهد ويستنبط، طلع لك أحكام، طلع لك مذهب، طلع لك أي شيء تريد، [وما أدى إليه نظرك فهو صحيح].
دعوا إلى ذلك ووسعوه من بعد ما مات الرسول (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله)، فتفرقوا واختلفوا، فرقوا الأمة وفرقوا الدين؛ لأنهم لم يهتدوا بكتاب الله سبحانه وتعالى.
ولذا قلنا: إنما وصلت إليه الأمة ليس نتيجة هذا التاريخ الحاضر، أو العصر الحاضر، وإنما له أسبابه فيما يتعلق بالأمة، أسبابه المتلاحقة منذ أن مات رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) إلى الآن.
ولاحظ مما يؤكد أن الله سبحانه وتعالى يهدي الأمة إلى ما فيه المخرج أنه يأتي بالحديث عن التوحد، يأتي بالحديث عن القيادة، يأتي بالحديث عن الجهاد، يأتي بالحديث عن عداوة بني إسرائيل للأمة، يأتي بالحديث عن الإنفاق في سبيله في أثناء الحديث عن بني إسرائيل.. حتى بعد هذه الآية التي أمر فيها بالتوحد والتقوى والاعتصام الجماعي، وأن لا يختلفوا سبقها بحديث عن بني إسرائيل، ثم تحدث فيما بعد عن بني إسرائيل، فقال بعد أن استمر في هذه الآيات: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(آل عمران:١١٠) ثم قال: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}(آل عمران: من الآية١١٢) ما الحبل الذي أعطيناهم نحن؟ هو الولاء، البترول المعادن المصانع التي داخل بلداننا لشركاتهم هو الحبل الذي منحناهم نحن المسلمون، وحبل من دول الغرب منحوه أيضاً لإسرائيل فأصبحوا على ما هم عليه.
ألم يعد للحديث عن بني إسرائيل من جديد كما تحدث عنهم من قبل؟ فعندما أمر بالتوحد هو في كل هذا يشير إلى أن الأمة الخطر المحدق عليها هو من قبل اليهود، وأهل الكتاب بصورة عامة، المواجهة ستكون قائمة، وأن

الأمة لا يمكن أن تهتدي من جهة نفسها إلى أن تعرف كيف تواجه أعداءها، لا يمكن إلا بالعودة إلى الله، بالعودة إلى كتاب الله، وبالاهتداء بهديه، وحينئذٍ سيستطيعون أن يقهروا إسرائيل.

فمن هنا نعرف سر هزيمة العرب، سر هزيمة المسلمين، وأن الإسلام ليس هو الذي يصارع إسرائيل، الإسلام، القرآن ليس هو الذي يصارع اليهود، إنما ـ كما قلت سابقاً ـ عرب بدون قرآن، ومسلمون بدون إسلام، وبدون قرآن.

من العجيب أن العرب يفهمون أن أمريكا أحوج إليهم من حاجتها لإسرائيل.. أليس ذلك معروف؟. هل البترول الذي تحتاج إليه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب من إسرائيل أو من البلدان العربية الأخرى؟.

أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها بحاجة إلى العرب أحوج منها إلى إسرائيل.

أمريكا حاجتها إلى إسرائيل لا تساوي شيئاً بالنسبة لحاجتها إلى العرب، والعرب يفهمون أن أمريكا هي وراء إسرائيل، وبريطانيا هي التي تساند إسرائيل، أمريكا هي التي تساند إسرائيل، وفرنسا ودول الغرب جميعاً هي التي تساند إسرائيل.

فلماذا لا يفهمون بأن عليهم ـ إذا كانت أمريكا أحوج إلينا ودول الغرب أحوج إلينا كسوق استهلاكية، ويحتاجون إلى ثرواتنا البترولية وغيرها ـ لا يستطيعون أن يستخدموا هذا كوسيلة ضغط على أمريكا وبريطانيا وغيرها لأن تجعل إسرائيل تكف عما تقوم به على أقل تقدير؟!. لا. إسرائيل تضرب الآن السلطة الفلسطينية، تضرب الفلسطينيين والعرب يعلنون وقوفهم مع أمريكا في قيادتها للتحالف ضد الإرهاب ـ كما يسمونه ـ .

أليس هذا من الأشياء الغريبة؟ أليس هذا مما يدل على أن مشكلة العرب ومشكلة المسلمين هي مشكلة داخلية؟.

أنهم هم قد وصلوا إلى حالة سيئة، حالة سيئة لا يمكن للإنسان أن يتصور فظاعة هذه الحالة، لا يستطيعون أن يستخدموا حتى حاجة أمريكا لهم، والبترول بملايين البراميل أمريكا بحاجة إليه، وغيرها من دول الغرب.

ما حاجة أمريكا إلى إسرائيل؟ ما هو الذي تستفيده أمريكا من إسرائيل من الناحية الاقتصادية؟ لا شيء، لا شيء.

ثم لماذا لا يعملون على مقاطعة الشركات الأجنبية؟ أحيانا إذا حصل هكذا من منطلق فردي، أو مجموعات تعمل على أن تقاطع منتج معين لشركات يهودية.. لكن لماذا لا تتخذ الدول العربية قراراً بقطع التعامل الاقتصادي مع أي شركة إسرائيلية، أو تدعم إسرائيل. أليس باستطاعتهم هذا؟.

لماذا ـ إذا كان العرب يخافون من أي حصار اقتصادي على دولة ما ـ لماذا لا يعملون على إقامة سوق إسلامية مشتركة؟ الإمام الخميني تبنى هذه الفكرة، وإيران تبنت هذه الفكرة، ودعت إليها وألحت عليها: أن العرب، أن المسلمين لا بد لهم في أن يكونوا متمكنين، من أن يملكوا قرارهم السياسي، لا بد من أن يكون لهم سوق إسلامية مشتركة بحيث يحصل تبادل اقتصادي فيما بين البلدان الإسلامية، ومع بلدان أخرى.

أيضاً هناك بلدان أخرى ليست مستعدة أن ترتبط اقتصادياً بأمريكا في ما لو حصل من الجانب العربي مقاطعة لأمريكا، أو لأي بلد تساند إسرائيل.. هناك بلدان أخرى مستعدة للتعامل مع العرب، ستأخذ بترولهم، ستأخذ منتجاتهم، ستأخذ أشياء كثيرة وتتعامل معهم، كما عملت إيران عندما اتجهت إلى التعامل مع بلدان معينة، عندما ضايقها الحصار الاقتصادي.

لم يتجه العرب أو المسلمون بأن يكون لهم عملة إسلامية موحدة.. العرب، المسلمون هم الذين أضاعوا أنفسهم؛ ولهذا.. ولنعد من جديد إلى تأييد فكرة الإمام الخميني (رحمة الله عليه) في ضرورة إحياء [يوم القدس] وكما قلت سابقاً لماذا لم تحي الدول العربية كحكومات [يوم القدس]؟ ليسوا جادين في مقاومة إسرائيل، ليسوا جادين في محاربة اليهود والنصارى، هم أولياء لليهود والنصارى، هم أصدقاء لأمريكا، أصدقاء لبريطانيا، أصدقاء حتى بعضهم أصدقاء لإسرائيل لا شك في ذلك.

هم الذين عطلوا البلاد الإسلامية من أن تنتج الخيرات من داخلها، فيحصل أبناؤها على الاكتفاء الذاتي في أغذيتهم، وفي ملابسهم، وفي غيرها. هم الذين أوصلوا المسألة وطوروا القضية من صراع عسكري إلى صراع

حضاري يحتاج إلى أن تنهض الأمة من جديد، وتبني نفسها من جديد، حتى تكون بمستوى المواجهة للغرب، والمواجهة لربيبة الغرب إسرائيل.

فيوم القدس هو يوم أن تتجه الشعوب نفسها حتى لا تبقى متأثرة بإعلام اليهود، ولا متأثرة بالإعلام الذي يبرر للدول التي تحكم المسلمين تبرر قعودهم، أو تحاول أن تعزز خلق الهزيمة النفسية داخل المسلمين؛ لأن ما يعرضونه من مظاهر عما يعمله الإسرائيليون دون أن يتحدثوا عما يثير المسلمين، ويحمل عقدة العداء، والحقد ضد إسرائيل.. إنما يعملون على ترسيخ الشعور بالهزيمة النفسية لدى المسلمين أمام اليهود.. ترى إسرائيل ثم لا ترى أي حل، ماذا يحصل لديك؟. تبرد أعصابك، ويموت ضميرك، وتتحول إلى يائس. فالقرآن عمل على أن ينهض بالأمة حتى لا تصل إلى هذه الحال.

حالة العداء لليهود عندما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} (المائدة: من الآية٨٢) يريد منا أن نربي أنفسنا، وأن نربي أولادنا على أن يحملوا عداوة لأعداء الله لليهود والنصارى، أن يحملوا عداوة. العداوة في الإسلام إيجابية ومهمة، العداوة إيجابية ومهمة، إذا كنت تحمل عداء لأمريكا وإسرائيل، إذا كان الزعماء يحملون عداء، والمسلمون يحملون عداء حقيقياً فإنهم سيعدون العدة ليكونوا بمستوى المواجهة، أما إذا لم يكن هناك عداء حقيقياً فإنهم لن يعدوا أي شيء، ولن يكون لديهم أي مانع من أن يتعاملوا مع اليهود والنصارى على أعلى مستوى، حتى إلى درجة الاتفاقيات للدفاع المشترك، الاتفاقيات الاقتصادية وغيرها؛ لأنه ليس هناك أي عداء.

أنت إذا لم تُكِنّ عداء لهذا أو لهذا لا تُعِد نفسك بمستوى المواجهة. فعندما قال الله سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) ألم يرسخ في نفوسنا أن أولئك أعداء، يريد منا أن نحمل هذه الكلمة، وأن نرسخ الشعور بالعداء؛ لأن ذلك هو الذي سيحملنا على إعداد القوة، وعندما تتجه الأمة لإعداد القوة ستعد نفسها للمواجهة في مختلف المجالات، في المجالات الاقتصادية، وفي مجال التجارة، في مجال التصنيع في مجال الزراعة، في مختلف المجالات.

كما عمل الإمام الخميني في إيران عندما رسخ عداوة أمريكا وإسرائيل، عمل على أن يجعل إيران أمة قادرة على أن تكون بمستوى المواجهة للغرب، بأن تحصل على الاكتفاء الذاتي في المجال الغذائي والعسكري وغيره من المجالات، وفي المجال الثقافي وغيره.

لكن هؤلاء لما عملوا على أن يمسحوا من الأمة، مشاعر العداء لليهود والنصارى.. أولئك لأنهم أعداء والعدو لا بد أن يعمل ضدك ـ كما أشار القرآن ـ لا بد أن يعمل بكل جد اتجهوا إلى أن يجعلوا حتى قوتنا تحت رحمتهم، أذلونا وقهرونا إلى هذه الدرجة.

ولهذا ـ كما قلت سابقاً ـ هم واثقون الآن بأنه ليس باستطاعتنا أن نعمل شيئاً.. أليست إسرائيل تتحدى داخل البلاد العربية تتحدى؟ تضرب والعرب محيطون بها، والدول العربية تجتمع أحياناً أو تندد؟ ولا يحرك فيهم شعرة.

ثم لماذا في الجانب الإعلامي أيضاً، في الجانب الإعلامي.. اليهود هم الآن أرفع وعياً من المسلمين، اليهود أكثر وعياً فيما يتعلق بالمواجهة في صراعنا الآن. ألسنا نقول أن الصراع [صراع عربي إسرائيلي]، والعرب يقولون هكذا: [صراع عربي إسرائيلي] العرب أو المسلمون بصورة عامة.. الإسرائيليون استطاعوا أن يخلقوا وعياً يهودياً داخل إسرائيل فيما يتعلق بالصراع مع العرب أفضل بكثير مما يعمله العرب، بل لا يعمل العرب شيئاً.

أين هي المناهج الدراسية التي تربي أبناءنا على أن يحملوا عداوة لأمريكا وإسرائيل؟ أن يحملوا عداوة لليهود والنصارى؟ أين هو العمل ـ من أي وزارة ـ الذي يجعل هذا الشعب بمستوى أن يصمد ولو شهراً واحداً فيما لو دخل في حرب مع إسرائيل؟ لا شيء.

بل إنهم بحكم تأثرهم واستجابتهم لمطالب إسرائيل، مطالب اليهود ـ واليهود دقيقون جداً جداً حتى في ما يتعلق بالمفردات، بالمفردات اللغوية ـ يحاولون أن ينسفوا أي مفردة يعرفون بأنها ترسخ مشاعر تكون خطيرة عليهم.

طلبوا من الإعلام العربي إزالة كلمة [العدو الإسرائيلي] التي كانت تستخدم، فأصبحت أجهزة الإعلام لا تتحدث - حتى الفلسطينية - لا تتحدث عن العدو الإسرائيلي، بل الفلسطينيون أنفسهم - وهذا من العجيب ومما يثير الاستغراب والأسى في وقت واحد - أن الفلسطينيين كلما سمعناهم يتحدثون عن هذا الظرف يقولون: [حكومة شارون، شارون، حكومة شارون، حكومة شارون]، لم يقولوا (إسرائيل)؛ لأنهم قد اعترفوا بإسرائيل، وإنما هذا كشخص يهودي هو [حكومة شارون] لو أنها حكومة شخص آخر ما يمكن أن تعمل هذا الشيء! المشكلة هو شارون باعتباره رئيس وزراء. أما إسرائيل ما كأنها مشكلة، ما كأن وجودها مشكلة، فأصبحوا يقولون: [حكومة شارون].

ألم تسمعوهم أنتم؟ كل من يتحدث عن شارون وحكومة شارون، شارون؟ ثم الأجهزة الإعلامية نفس الشيء في البلاد العربية تتحدث عن شارون؛ لأنهم لم يعودوا يتحدثون عن إسرائيل كعدو، لم يعودوا يتحدثون عن اليهود كعدو.

وهذه الكلمة مؤثرة جداً، استخدام كلمة: [عدو] ضد إسرائيل مما ترسخ مشاعر العداء، هذه فُقِدَت في إعلامنا، فُقِدَت في مناهجنا الدراسية، فقدت حتى في تداولنا في الحديث، فأصبحت كلمة [يهود ونصارى] أُستبدلت بكلمة [الغرب]. الإمام الخميني كان يستخدم - لما كانت هذه العبارة قد أشيعت بشكل كبير - [الغرب الكافر] الغرب الكافر، يتحدث بهذا المنطق.

الغرب، الغرب، أمريكا.. هم اليهود والنصارى الذين تحدث الله عنهم هنا وما يكنُّونه لنا، وما يعملوه ضدنا هم هم أنفسهم الذين يسموهم الآن [الغرب]، هم الآن اليهود الذين نسفوا من قاموس التخاطب الإسلامي للبلدان وللدول الإسلامية ألغوا استخدام كلمة (جهاد) واستبدلت بـ[مناضلين وحركة مقاومة وانتفاضة] وأشياء من هذه، لم يعودوا يستخدمون كلمة: [جهاد] التي ركّز القرآن عليها وجعلها مصطلحاً إسلامياً قرآنياً له أثره في خلق مشاعر دينية، أنه جهاد في سبيل الله، فاستبدلت بكلمة [مقاومة، حركة المقاومة اللبنانية، المقاومة الفلسطينية، المناضلين العرب، المناضلين، انتفاضة] ليس هناك استخدام كلمة: [جهاد]؛ لنعرف أن اليهود قد وصل الأمر بهم في سيطرتهم علينا إلى أن أصبحت ألسنتنا تحت تصرفهم، أصبحت أجهزتنا الإعلامية تحت تصرفهم.

فإذا كان هناك محطة تلفزيونية تبدو فيها المرأة محتشمة، يجب أن تتجرد من لبسها كما حصل في اليمن! ألم تكن النساء قبل فترة يظهرن محتشمات وتلبس لبساً يمنياً؟ لا، يجب أن تبرز شعرها، وأن تبرز سافرة. هذا السفور من أين جاء؟ هذا التأثير من أين جاء؟ اليهود هم الذين يتحكمون في صنع ثقافتنا حتى في التحكم في تخاطبنا فيما بيننا، ومن أين جاء؟ لأن كل الأنظمة التي تحكم المسلمين هي التي تسهل هذا، وتمهد لهذا.

على كل حال - حتى لا نطول - أحد الإخوة الذين تقدموني في الحديث طرح سؤالاً هو: أن الإنسان قد يصل إلى درجة أن يقول ماذا نفعل نحن؟ ماذا نفعل نحن؟. أنا أرى وأعتقد أن الزيدية، أن الزيود - وإن كانوا قليلاً - إذا اتّحدت كلمتهم، إذا بنوا أنفسهم، إذا وعوا هم، وهم يجب أن يكونوا أوعى الأمة.

الزيود هؤلاء الذين بدأ التأثير عليهم وترويضهم ليكونوا كالسُّنّية الآخرين، السنّيّة هم هؤلاء الذين يواجهون إسرائيل بالحجارة وهم يمتلكون الدبابات، ويمتلكون الطائرات، ويمتلكون كل شيء! يحاولون أن يروضونا أن نكون سنّيّة من هذا النوع.

يجب على الزيود أن يكونوا واعين، يجب على الزيود أن يحملوا وعياً حقيقياً، أن يتمسكوا بمذهبهم، يتمسكوا بالثقلين، الذين وجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الأمة للتمسك بهم، هذا من أوجب الواجبات علينا.

ألسنا الآن ننقد الأنظمة العربية، ننقد العرب الآخرين ومعظمهم سنة، طيب نحن الشيعة، الشيعة برزوا فعلاً أشد إنكاء لإسرائيل ولأمريكا، إيران، حزب الله برزت أقوى عدو لدود لأمريكا وإسرائيل، وأفضل أجهزة إعلامية لديها، تخلق وعياً لدى المسلمين.. نحن الشيعة الزيود يجب أن نكون واعين أكثر من وعي الإيرانيين، أكثر من وعي حزب الله.

وإذا ما وعى الزيود أنفسهم وكانوا بمستوى المسئولية التي حملهم الله سبحانه وتعالى، أن يكونوا بمستوى الدفاع عن دينه، الدفاع عن عباده فلا بد أن يصل الزيود - وإن كانوا بشكل طائفة بسيطة - إلى أن يكون لديهم قدرة يخلقوا وعياً في أوساط المسلمين، كما استطاع حزب الله، كما استطاعت إيران.

فنحن نحن طلاب العلم، ونحن هؤلاء الناس الذين نقول: لماذا العرب لا يعملون شيئاً!. نحن نستطيع أن نعمل شيئاً، إذا رجعنا إلى القرآن كما استطاع حزب الله، وحزب الله من الأمثلة الإلهية.

يجب أن نفهم أن هذه من الحجج علينا، احتج الله على العرب وعلى المسلمين بإيران وبالخميني، واحتج على الشعوب كشعوب، على الناس كطوائف بحزب الله، حزب الله استطاع أن يرعب إسرائيل، استطاع إعلامها أن يقهر إعلام إسرائيل، استطاع أن يؤثر جداً على إسرائيل.

أليس هذا شاهد الحال بأن الحركات الإسلامية إذا وعت تستطيع أن تكون مؤثرة ولو بمعزل عن دولها؟ أن الزيود وهم من يعتقدون أنهم هم الطائفة المحقة، يجب أن يرتقى وعيهم إلى أعلى مستوى، بحيث يكونون من أقدر الطوائف على مواجهة اليهود؛ لأن اليهود ليس فقط إسرائيل إسرائيل واليهود تصلون إلى كل بيت، التثقيف المغلوط يصل إلى كل بيت، عملاء إسرائيل يبثون الثقافة اليهودية إلى كل أسرة، إلى كل مسجد، إلى كل زاوية.

إسرائيل لم تعد تلك البقعة التي تهيمن عليها داخل فلسطين.. الثقافة، الرأي العام، الهيمنة الإعلامية، الهيمنة الثقافية أصبحت بأيدي اليهود، فنحن بحاجة إلى أن نواجه اليهود، وليس فقط إسرائيل، اليهود تأثيرهم يصل إلى كل مكان. والعقائد الباطلة هي تاريخياً من صنع اليهود، العقائد الباطلة التي اندست داخل المسلمين هي تاريخياً من صنع من اندسوا من داخل اليهود.

وماذا يعرض في تلفزيون صنعاء؟ قصة [ابن ماجة]، الحديث حول هذا الشخص شخص مهم وشخص عظيم.. وأنت تقراه أليس إمام يقولون عنه! إمام إماماً يجنّد نفسه لأميرة جميلة يجند نفسه لها!!. هكذا يعرضه الفيلم هذا أن العلماء يجب أن يكونوا خداماً للسلاطين، يجب أن يكونوا خداماً للأمراء، ومهما عمل الأمير لا، لا يجوز أن تعمل شيئاً ضده، ثم كلما حصل منه فهو قضاء وقدر، قضاء وقدر.

مثل هذه الفيلم هو امتداد للتثقيف الخاطئ، الذي نشأ في هذه الأمة، والذي جر هذه الأمة إلى أن تكون مضروبة على أيدي أذل خلق الله، وهم اليهود والنصارى.

هذا شيء نحن بحاجة إليه، من يتعلمون، ومن يقرؤون، كل الناس يجب أن يحملوا وعياً.. وإلا فلماذا ننقد الآخرين؟ لماذا ننقد العرب الآخرين؟ وننقد زعماء وننقد شعوباً.. نحن الزيدية علينا مسئولية كبيرة، ونستطيع أن نعمل الكثير ضد إسرائيل، ضد اليهود، وضد عملاء اليهود، وثقافة اليهود وإعلام اليهود، يستطيع الناس أن يعملوا الكثير.. وهذا ما نختتم به هذا الكلام.

نسأل الله أن ينور بصائرنا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الكريم، وأن يجعلنا ممن يهتدي بكتابه، وأن يجعلنا من المتبرئين ممن يوالى اليهود والنصارى، نحن براء من اليهود والنصارى، وممن يتولى اليهود والنصارى. اللهم إنا نبرأ إليك من اليهود والنصارى وممن يتولى اليهود والنصارى، ونقطع ونجزم بأن ولاءهم هو من أسباب الذلة التي هذه الأمة فيها، ونقطع ونجزم ونعتقد بأن الولاء لك ولرسولك ولأوليائك ولأهل بيت نبيك ولكتابك الكريم هو المخرج لهذه الأمة، أسألك اللهم أن تهدينا وأن تعيننا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الأول]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

١ـ ترسيخ الجانب الإيماني بالله واليوم الآخر

وفي هذا:

الدرس الأول والسابع والخامس عشر من دروس معرفة الله.

كيف نكون من أولياء الله؟

بعد أن عرفنا من قول الله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) التوجيه لنا ـ إضافة إلى ما تقدم في الآيات قبلها من التحذير من تولي اليهود والنصارى ـ التوجيه الذي يبعدنا عن أن نتولّ اليهود والنصارى، أو تكون وضعيتنا بالشكل الذي نقبل فيها ـ من حيث نشعر أو لا نشعر ـ أن نتولّ اليهود والنصارى.

بعدها {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) يقول : ومن يتولى، نريد أن نعرف كيف نتولى الله ورسوله والذين آمنوا؟. وكيف نكون من أولياء الله؟.

الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم مخبراً عن حال أوليائه {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس:٦٤) {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}أليس هذا التعريف بأوليائه {الَّذِينَ آمَنُوا}: صدّقوا، ووثقوا، وفهموا ووعوا، صدّقوا بوعد الله لهم، ووثقوا بالله ربهم.

الوعود سواء ما كان منها متعلقاً بحالة المواجهة مع أعدائه وأعداء المسلمين، أو ما كان منها متعلقاً بالآخرة، أو ما كان منها متعلقاً بمغفرة الذنوب، أو ما كان منها متعلقاً بسعادة الأمة في الدنيا.

الذين آمنوا وصدّقوا ووثقوا بمثل قول الله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد: من الآية٧) أليس هذا وعد؟. يتطلب إيماناً. صدّقوا ووثقوا بمثل قول الله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}(الحج: من الآية٤٠) صدقوا بوعد الله ووثقوا بقوة الله وعزته.

صدقوا وهو يتحدث عن واقع أعدائهم حيث يقول في ما يتعلق باليهود والنصارى {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}(آل عمران: من الآية١١٢) أليس يتحدث عن واقع أعدائهم؟. وكيف سيكونون هم في ميدان المواجهة معهم؟. صدقوا ووثقوا، آمنوا بمثل قوله تعالى {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ}(الفتح: من الآية٢٢) صدقوا بمثل قوله تعالى وهو يأمرهم بالجهاد {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(التوبة: من الآية٤١) علموا وصدقوا ووثقوا، صدقوا بوعد الله للشهداء حيث يقول: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:١٦٩) . آمنوا صدقوا، ووثقوا. وصدقوا أيضاً بمثل قوله تعالى وهو يتحدث عن أوليائه في الآية السابقة {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (يونس:٦٤) أليس هذا وعد إلهي؟آمنوا وصدقوا ووثقوا.

وكم في القرآن الكريم من الوعود المهمة، من الوعود العظيمة، التي لها قيمتها وأثرها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لو وَجَدَتْ من يؤمن بها، لو وَجَدَتْ من يُصدق ويثق بها، وعود تأتي من قِبَل الله، وعود من قِبَل من له ملك السماوات والأرض، وله الدنيا والآخرة.

ولكن الشيء المُدهِش والغريب هو أننا كيف نصدق وعوداً تأتي من قِبَل الآخرين نحن نعرف أنهم كذبوا علينا في السنة الماضية، وقبل السنة الماضية، ثم يتحدثون بأنه من الآن فصاعداً سنفتح صفحة جديدة، فنصدق ونثق ونصفق.

لم نتعامل مع الله سبحانه وتعالى، ولم نصدق تلك الوعود المهمة، تلك الوعود العظيمة، وَعَدَ المسلمين حتى بالغنائم، وَعَدَهم بمناطق أخرى سيفتحونها {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} (الفتح: من الآية٢١).

فلهذا كان من ميزة أولياء الله الميزة العظيمة هو أنهم يؤمنون بما تعنيه الكلمة أي يصدقون ويثقون.. ثم {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} لنعرف أن الذي يصنع التقوى هو الإيمان، متى ما آمنت، متى ما صدقت، متى ما وثقت، متى ما فهمت أهمية هذا الوعد، أهمية هذا الأمر، أهمية هذه المسئولية هناك سترى كم يكون التقصير مزعجاً، كم سيكون التقصير مخلاً، كم سيكون التقصير سيئاً، فأنت حينئذٍ ستعمل من منطلق إيمانك الواعي، وفهمك الواعي إلى أن تكون متقياً من أن يحصل منك تقصير نحو الله سبحانه وتعالى، تفريط في المهام التي أصبحت تعرف من واقع إيمانك أهميتها تخاف من تلك العقوبات التي توعد بها من قَصَّر وفَرَّط وخالف وعاند، فأنت تعمل على أن تتقي الله من أن يحصل منك ما تستوجب به غضبه، وما يجعلك أيضاً جديراً بأن ينزل عليك عقوبته، تلك العقوبة التي أوعد بها. القرآن مليء بالوعد والوعيد، مليء بالوعيد الذي يعني التهديد على التفريط الذي يحصل من جانب الناس.

{آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ولهذا نفهم كيف أن التقوى فعلاً هي حالة نفسية يخلقها الإيمان الواعي، يخلقها التصديق العملي، في نفس الإنسان فهو ينطلق من واقع إيمانه، ومن صدق وعيه وفهمه، نحو كل قضية لأنه يعرف أهميتها، وخطورتها ومسئوليته الكبيرة فيها، فيخاف الله من أن يقصر فيتقيه، إذاً هنا آمن واتقى {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

إذاً فكيف نكون من أولياء الله إلا إذا كنا نثق به، نثق بالله نعتمد على الله، نتوكل على الله، نعمل على الحصول على أن نكسب ونحصل على رضا الله، نخاف من الله، نستعين بالله، نسترشد بالله، نستهدي بالله، نعتبره ولي أمرنا، هو هادينا، هو مرشدنا، هو من سيرعانا، هو من سينصرنا، من سيؤيدنا .. ولكن ليس مجرد كلام، ليس مجرد لقلقة ألسنة، بل تكون أنت فاهما وواعيا من هو هذا الذي تريد أن تعتمد عليه، إنه الله القوي العزيز القاهر فوق عباده، الذي له ملك السموات والأرض، وبيده خزائن السماوات والأرض، بيده الأولى والأخرى، بيده الدنيا والآخرة، تثق به وثوقاً صادقاً عملياً لا يتزعزع أبداً أمام أي دعاية أو إرجاف، أو تخويف، تعتمد عليه، تتوكل عليه.

وما كان أكثر ما يردد الإمام الخميني رحمة الله عليه كلمة [يجب أن نعتمد على الله] يقول للإيرانيين :اعتمدوا على الله، توكلوا على الله، بالاعتماد على الله نستطيع أن ننتصر، بالاعتماد على الله نستطيع أن نقف على أقدامنا دون حاجة أن نستعين بهذا أو هذا ممن لا تمثل استعانتنا به شيئاً، مما لا يمكن الاستعانة بهم إلا وندفع من إيماننا، ومن ديننا ثمن الاستعانة بهم.

كيف لو فهم زعماء العرب الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والتوكل على الله، لو كانوا بهذا المستوى كيف سيكونون في هذا العالم، لكن لا. انطلق كلٌ منهم يحاول أن يستعين بهذا أو بهذا بتلك الدولة أو بتلك، في كل أموره، حتى في مجال الخبرة في كيف ينظف مدينته، في كل شئون الحياة، أصبحوا يعتمدون عليهم.

إذاً فلنكون صادقين في إيماننا يجب أن يكون إيماناً واعياً بالشكل الذي يخلق لدينا هذه المقومات المهمة، ثقة بالله، اعتماداً على الله، حباً لله، استعانة بالله، توكلاً على الله، ألم يقل هو {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (آل عمران: من الآية١٢٢) {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (الطلاق: من الآية٣) أليست هكذا الوعود الإلهية؟. وهي وعود أصبحنا في واقعنا ـ كباراً وصغاراً ـ لا نثق بها.

مواصفات أولياء الله

من يمثلون أولياء الله حقاً في واقع إيمانهم وتقواهم لهم مواصفات في القرآن الكريم تتجلى في سلوكهم، مواصفات تعكس واقع نفسياتهم، تتجلى في أعمالهم في واقع الحياة.

فلنعد إلى جملة آيات من القرآن الكريم تتحدث عن صفات أولياء الله، الذين هم المؤمنون، والمؤمنون الذين هم على هذا النحو، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}(الشورى: من الآية٣٦) أليست هذه واحدة؟. اتكالاً على الله من منطلق الثقة بالله، والاتكال على الله لا يعني أن نُوكِل الأمور إليه فندعه هو يعمل بدلاً عنا، ننطلق نحن في ميدان الحياة في واقع الحياة في أداء المسئوليات، في أداء المهام، ونحن نتكل عليه حيث نهتدي بهديه، حيث نلتجئ إليه، حيث ندعوه.

{آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} من منطلق إيمانهم بأن الله هو ربهم، من يهمه أمرهم، من يعمل على تدبير شؤونهم.

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى:٣٧)

لاحظ كيف سلوكياتهم تكشف واقع نفسياتهم، التي ملؤها الإيمان الواعي، الإيمان الراسخ، الإيمان الذي لا ارتياب معه، هم يجتنبون كبائر الإثم حياء من الله، ولما لكبائر الإثم من أثر في جعلهم غير جديرين بتحقيق وعود الله على أيديهم ولهم.

{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} لا يتجاوزون الحق، لديهم اهتمامات كبرى، لديهم حرص على رضى الله سبحانه وتعالى، فسيصفح وسيغفر لأخيه إذا ما بدرت منه إساءة أو زلة، هو لا يريد أن يغرق المجتمع في مشاكل ثانوية تصرفه عن القضايا المهمة التي يجب أن يعطيها كل اهتمامه، فهم عادةً إذا ما غضبوا لا يدفعهم غضبهم إلى التجاوز، ولا إلى الباطل، بل يغفرون أيضاً.

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ}(الشورى: من الآية٣٨) لأنهم مؤمنون بربهم فاستجابوا له في كل ما أرشدهم إليه، وكل ما أراد منهم، وطلبه منهم.

{وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }(الشورى: من الآية٣٨) أمورهم وهم في ميادين المواجهة، في ميادين العمل على إعلاء كلمة الله، في كيف يحافظون على صلاح المجتمع، في كيف يحققون التعاون على البر والتقوى، في كيف يؤهلون أنفسهم ليكونوا أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، يتشاورون في أمورهم كيف نصنع؟. ما الذي ينبغي أن نعمل؟ يشعرون بمسئوليات كبيرة وعظيمة، وهم في نفس الوقت نفوس متآلفة قريبة من بعضها بعض، كلٌ منها ينصح، كل منها لديه رؤية من واقع اهتمامه بواقع الحياة، بوضعية الأمة، ليسوا من أولئك الذين تمر الأحداث، وتمر الوضعيات السيئة وهم لا يلتفتون إليها، ولا يحملون أي رؤية عملية نحوها، ولا يفكرون في ماذا يصنعون من أجل المخرج منها، فأنت لا تجد لديهم أي فكرة، أما هؤلاء فاهتماماتهم تجعلهم جديرين بأن يكون لديهم أفكار ذات قيمة في مجال بناء الأمة، في مجال المواجهة لأعداء الأمة، في مجال الحفاظ على صلاح المجتمع، لديهم رؤى، ومتى يمكن أن يكون لديك رؤى؟. عندما يكون لديك اهتمامات كبرى بواقع الأمة.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}(الشورى: من الآية٣٨) يبذلون أموالهم، ومما رزقناهم ينفقون من علمهم، من مالهم، من خبراتهم، بأقلامهم، بأيديهم، بكل ما رزقهم الله من إمكانيات ينفقون، ينفقون في مجال ماذا؟. في المجالات التي يجب أن تهمهم كمسلمين، كمسئولين أمام الله، كمؤمنين مصدقين بما وعد الله به المؤمنين في الدنيا وفي الآخر، فهم لا يبخلون ؛لأنهم يثقون بمثل قول الله تعالى {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}(سبأ: من الآية٣٩) {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}(الأنفال: من الآية٦٠) أليست هذه وعوداً؟. لكنها تتطلب إيماناً، وتتطلب أن تكون أنت ممن يحمل اهتماماً من واقع إيمانك حتى تعرف مدى أثر ما تنفق، وتعرف أنه يجب أن تبذل مالك، وتبذل من كل ما رزقك الله من خبراتك، وإمكانياتك.

فهم هكذا شأنهم كمؤمنين واثقين بوعد الله، حريصين على رضا الله، عارفين أثر الإنفاق في تحقيق ما يَصْبُون إليه وما يريدون تحقيقه، فهم ينفقون.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (الشورى:٣٩) لديهم وعي إيماني بأن الصبر على الظلم لا يمثل إلا الضَّعَة والذلة والخنوع، لا قيمة له عند الله إذا لم يكن صبراً عملياً، إذا أصابهم البغي إيمانهم، تربيتهم الإيمانية ثقافتهم القرآنية جعلتهم يمتلكون نفوساً عالية، نفوساً أبيّة، نفوساً تفهم كيف ستكون العاقبة السيئة إذا ما خنعوا، إذا ما خضعوا إذا ما استُذِلوا وقُهروا كيف ستكون الحياة، كيف سيصبح الدين، كيف سيضيع الحق، كيف سيسود الباطل، كيف سينتشر الفساد، فهم ينتصرون، ينتصرون إذا أصابهم البغي في أنفسهم لأن نفوسهم أبية، نفوسهم كبيرة لا يطيقون السكوت على أن يُظلموا، وأن يُهضموا، وأن يُذلوا، ينتصرون لدينهم.

وعادة ما يكون أحياناً البغي عليهم هدفه البغي عليهم باعتبار ما يحملون في دينهم في كونهم هم طائفة محقة، في كونهم من يحملون اهتمامات بأمر الدين فالبغي عليهم هو عملية ضرب للدين من خلال ضربهم هم، فهم ينتصرون على من بغى عليهم، وليكن هدفه ما كان.

هكذا آية واحدة تعرض مثل هذه القيم المهمة، والصفات العليا لأولياء الله، هذه الصفات التي تجسد إيمانهم الحقيقي الصادق، والراسخ، الواعي.

يقول أيضاً سبحانه وتعالى عن المؤمنين، وهم بالطبع أولياؤه لأنه قال في مقدمة وصف أوليائه منهم؟. {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} آمنوا، كيف هذا الإيمان؟. هو هكذا إيمان من هذا النوع {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات:١٥) وهؤلاء هم أولياء الله، الصادقون هم: أولياء الله، الصادقون في إيمانهم، آمنوا بالله ورسوله إيماناً واعياً لا ارتياب معه، ولا يمكن أن يتعرض لأي ارتياب أمام هذه الشبهة، أو هذه الدعاية، أو أمام هذه الإغراءات، أو هذا الترهيب، أو هذا الترغيب، إيماناً عملياً يفهمون الإيمان، الإيمان العملي الذي يجسدونه في التزاماتهم، وفي اهتماماتهم، أنه إيمان بقضايا، بمبادئ وعقائد، بأحكام تتطلب الالتزام بها وتتطلب أيضاً الدفاع عنها، وتتطلب أيضاً نشرها والعمل على إعلاء كلمة الله في سبيل تطبيقها وسيادتها في أرضه.

{وَجَاهَدُوا}، جاهدوا من أجل ماذا جاهدوا؟. وبماذا جاهدوا؟. بأموالهم وأنفسهم، وهي أغلى ما يملك الإنسان: ماله ونفسه، فلتكن الأموال رخيصة، ولتكن النفوس رخيصة في سبيل من؟. في سبيل الله.

هؤلاء هم الصادقون، وحدهم هم الصادقون، والصادقون من هم؟. هم أولياؤه. أولياؤه من هم؟. هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. هم من لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، المؤمنون من هم؟. هم من ينتفعون بالذكرى إذا ما ذكروا، لماذا؟. لأن نفوسهم مهتمة، قلوبهم مفتحة لتستقبل الهدى لتنتفع بالذكرى، ولهذا قال الله لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات:٥٥) وهم من سيحتاجون إلى الذكرى، وهم من تنفعهم الذكرى؛ لأنهم دائماً في عمل، في عمل وهم يزكون أنفسهم، وهم يصيغون نفسياتهم على أساس من هدي الله سبحانه وتعالى، وهم ينطلقون في سبيله، في سبيله يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، يواجهون في مختلف ميادين المواجهة لأعداء الإسلام وأعداء الأمة، فهم من تنفع فيهم الذكرى، من تنفع فيهم الذكرى المستمرة، هم من تبنيهم الذكرى {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}. هم من قلوبهم التي ملئت إيماناً أصبحت على هذا النحو {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} (الأنفال: من الآية٢) لشعورها بعظمة الله، لخشيتها من الله، وخوفها من الله ورغبتها في رضى الله، ورغبتها في أن تحظى بقربه، ورغبتها في ما عنده.

وَجِلَت قلوبهم توجل، تخاف، تخفق، قلوب ما زالت مفتوحة لم يطبع الله عليها، لم يختم عليها، لم يضع عليها أكنّة، لم تُدنّسها السيئات لم تدنسها الخطيئات والمعاصي، لم تهيمن عليها العقائد الباطلة، لم تقفلها العقائد الباطلة، إنها قلوب تتعامل مع الله سبحانه وتعالى وتتلقى هداه، فكانت على هذا النحو تَوْجَل إذا ما ذكر الله.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} (الأنفال: من الآية٢) ففي كل جلسة يزدادون إيماناً، ومع كل آية يسمعونها، ومن خلال كل آية من آيات الله يسمعونها يزدادون إيماناً، فليسوا من أولئك الذين يقولون {حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} (محمد: من الآية١٦) هؤلاء قلوبهم ليست ممن

طبع الله عليها، بل قلوب مستنيرة، [تتلى عليهم آيات الله] فيزدادون إيماناً، وهم يرون أنفسهم دائماً بحاجة إلى أن يزدادوا إيماناً ؛لأنهم يعرفون ما هو الإيمان، وهم في ميادين العمل الإيماني يحتاجون دائماً إلى زيادة إيمان.
لماذا؟. لأن كل إيمان في الإسلام هو عملي، وكل عمل في الإسلام لـه غاية إيمانية، فيـزدادون دائمـاً إيمانـاً، فتتجلى لهم الغايات فتتجلى لهم الوقائع والأحداث من خلال آيات الله سبحانه وتعالى التي تُتْلَى عليهم، تتجلى لهم من واقع الحياة، ومن خلال آيات الله في كتابه الكريم، تلك الحقائق التي ترسخ الإيمان في قلوبهم بصدق وعد الله لهم.
{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}(الأنفال: من الآية٢) ومن الذي يحتاج إلى أن يتوكل على الله إلا من لديه اهتمام بأمر الله، من هو دائم اللجوء إلى الله، من هو عظيم الثقة بالله، فتصبح صفة لديه، وتصبح صفة لديهم، هؤلاء المؤمنين أنهم دائماً على ربهم يتوكلون، لكن ليس ـ كما قلنا سابقاً ـ إيكَال الأمور إليه فلينطلق هو، فيكون واقعهم كما قال بنوا إسرائيل لموسى {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}(المائدة: من الآية٢٤) .
يتوكلون على الله وهم في ميادين العمل لإصلاح الأمة والاهتمام بأمر الدين وإصلاح أنفسهم، اتكالهم على الله، اهتداؤهم به، استرشادهم به، التجاؤهم إليه، رجاؤهم العظيم فيه، أن يوفقهم ويرشدهم ويهديهم ويلطف بهم ويرعاهم.
{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} وما أكثر ما كُرر التأكيد على إقامة الصلاة، لم تأت حتى بلفظ [يصلون] {يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} هي تشبه في ما يتعلق بالزكاة { وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}، فالزكاة لأنك مؤمن أنت من تنطلق لتؤتيها فتدفعها أنت لا تنتظر إلى من يأتي ليأخذها قسراً منك، من واقع إيمانك وشعورك بالمسئولية أن تؤدي هذا الواجب العظيم عليك، الذي فيه رضاً لله سبحانه وتعالى، كذلك الصلاة هم حريصون على أن يصلّوا، ولكن صلاة قيِّمة، حريصون على أن تكون صلاة لها قيمتها فيقيمونها على النحو الذي شرعت له، ويعملون على أن يحصلوا من خلالها على تحقيق الغاية التي شُرعت لأجلها. والصلاة لها معانيها العظيمة، لها قيمتها الكبرى، لها أثرها العظيم، إذا ما فهمنا معاني الصلاة وكيف نقيمها.
{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}،نفس الكلام السابق تجد ليس هناك إيمان بدون إنفاق، بل أنت لا تحتاج إلى من يدفعك إلى الإنفاق في ما إذا فهمت مسئوليتك أمام الله سبحانه وتعالى، إذا ما أصبحت إنساناً تهتم بأمر دينه وعباده، إذا ما عملت كعضوٍ في أمة تنطلق في الدعوة إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، سترى ماثلاً أمام عينيك أهمية الإنفاق في هذه المجالات، إنما الذي يتقاعس عن بذل المال هو ذلك الذي لا يحمل أي اهتمام، وليس ربما في قلبه حتى مثقال ذرة من إيمان، يقرن الإنفاق هنا بالصلاة، الصلاة التي هي خير الأعمال، وأنت في ميدان الإقبال على الله سبحانه وتعالى يبرز الإنفاق في الجانب المالي من أهم الأعمال في ميدان العمل في سبيل الله تعالى.
{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} هذه طبيعتهم، وهذه عادتهم .. لاحظوا هنا يعرض صفاتهم التي هم عليها أصبحت شبه تلقائية لديهم، صفات أصبحت غرائز في نفوسهم: مجاهدين صادقين، يزدادون إيماناً، يتوكلون، يقيمون، ينفقون. لم تأتِ بشكل أوامر، هكذا أصبحوا، وهكذا يصبح من يكون إيمانه بالله إيماناً صادقاً؛ كأنه هنا يقول: هكذا يكون المؤمنون، عندما يقول: إنما المؤمنون، هكذا يكون المؤمنون، وهكذا هم المؤمنون حقيقة، الذين يكون شأنهم هكذا، إيمان بالله ورسوله لا ارتياب معه، جهاد في سبيله بالمال والنفس، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، إذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، يتوكلون على الله، يقيمون الصلاة ينفقون مما رزقناهم، هكذا شأنهم ..{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً}(الأنفال: من الآية٤) كما قال هناك {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} .هنا: { أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً}
{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}(الأنفال: من الآية٧٤) والمؤمنون عادةً من يكون إيمانهم صادقاً بالله سبحانه وتعالى ويفهمون ماذا يعني الإيمان به، ماذا يعني، وما يتطلب من أعمال، وما يترتب عليه من مسئوليات، ينظرون إليها نظرة شرف وافتخار واعتزاز بها، أنهم أصبحوا من يحملها، هم فيما بينهم كالجسد الواحد، كلٌ منهم يحرص على أن تكون علاقته بأخيه علاقة قوية، إنما المؤمنون هكذا شأنهم {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}(التوبة: من الآية٧١) من

واقع ماذا أصبحوا هكذا بعضهم أولياء بعض بعضهم مع بعض، يقفون مع بعض يتعاونون، يبذلون معروفهم لبعضهم بعض، يقفون صفاً واحداً، كلمة واحدة، كتلة واحدة، جسداً واحداً، يهمهم أمر بعضهم بعض ؟ لأنهم نوعية تحمل شعوراً بمسئوليات كبرى، فينطلقون في البداية لتأهيل أنفسهم والحفاظ على وضعية تأهيلهم لأن يؤدوا مسئوليتهم التي ينظرون إليها كمسئولية كبرى لا يتحقق لهم صدق الإيمان مع التفريط بها، وأنها ليست من النوع الذي يبحثون عن المبررات للتقاعس عنها.

هكذا هم بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ دائرة واسعة يشمل كل مجالات وشئون الدنيا والدين.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة: من الآية٧١) **ولاحظوا كيف يأتي الوعد بالمغفرة وبالرزق الكريم بالرحمة والجنة لهؤلاء الذين يقول عنهم هم الصادقون وهم المؤمنون حقاً، بعضهم أولياء بعض. ليشعرنا بأن هؤلاء هم وحدهم الذين سيكون لهم هذا الجزاء العظيم. أوليسوا من يضعون لأنفسهم صِيَغاً إيمانية يُفَصِّلُونها على حسب وجهة نظرهم، وعلى الواقع الذي يريدون أن يكونوا عليه هم، هؤلاء ليسوا ممن يقول عنهم {أُولَـئِكَ}، ليسوا من أولئك الذين لهم مغفرة ورزقاً كريماً، ولا من أولئك الذين سيرحمهم الله في دنياهم وآخرتهم لأن الله هو ربهم وهو العزيز الحكيم.**

المؤمنون بلغ بهم إيمانهم إلى درجات عليا من الإنشداد نحو الله سبحانه وتعالى، والرغبة في الحصول على رضاه والرغبة فيما وعد به أولياءه المؤمنين فأصبحوا لا يحتاجون ـ تقريباً ـ إلى من يعرضهم على الله ليبيعهم منه، بل هم من ينطلقون ليبيعوا أنفسهم من الله، ليبيعوا أنفسهم وأموالهم من الله، فالله يأتي ليشتري، بالشكل الذي يوحي، وكأنها لم تحصل مساومة بل هم انطلقوا ليعرضوا أنفسهم وأموالهم في سوق الله، ليحصلوا على ذلك الثمن العظيم [الجنة]، {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١) **ماذا يريدون من أنفسهم وأموالهم عندما باعوها؟ هم يريدون الجنة. باعوها منه ابتغاء رضاه فمنحهم رضاه ومنحهم الجنة.**

وعندما باعوها باعوها بصدق [بيع صَرْم نافذ] كما نقول في منطقنا [باعوها بيع صَرْم نافِذ وطَرَّقوا صَبّ وصَلْب وسَيْل وغَيْل] كما نقول نحن في مبايعنا على هذا النحو، فانطلقوا ليقاتلوا في سبيل الله، وليس فقط بيع ولا يزال فيه خيار، وشرط أن يشاور والده إذا رضي، ويشاور والدته إذا كانت ستوافق وأعجبها الثمن لا بأس سيبيع وإلا فلا. ليس هذا بل هو بيع صَرْم نافذ يريدون الجنة، يريدون رضا الله.

ففيما تَجَسَّد هذا البيع؟ تجسد في قتالهم في سبيل الله، ذلك الميدان الذي يتطلب بذل النفس والمال، فهاهنا يكون البيع، وهاهنا يكون الشراء من الله سبحانه وتعالى {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (التوبة: من الآية١١١) **وعندما ينطلقون للقتال في سبيل الله لا يتصورون بأن مجرد البيع هو أن يحضروا ميدان المواجهة بل ينطلقون في خوض الصفوف في غَمَرات الأهوال يقاتلون.**

وليس فقط يتفرجون كما كان بعض أولئك ممن يوصفون بأنهم عظماء فيقال عنهم بأنهم كانوا يحرسون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في معركة بدر ومعارك أخرى فتراهم عندما تصول الصولة من جانب الكافرين يكونون هم من أول من ينهزمون فيتركون النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، فليسوا هم من قاتل في الميدان، وليسوا هم من حافظ على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في وقت الخطر، هذا ليس بيعاً.

هؤلاء ينطلقون ليقاتلوا بجدية في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، هم باعوها من الله، لم يبيعوا مجرد تحرك وهمي لينتظروا هذا الطرف أو هذا الطرف من الذي سيدفع أكثر لنتحرك معه؟ لا.. ليحصلوا على أموال لأنهم قد خرجوا بشكلهم كمقاتلين خرجوا بشكلهم بآلتهم كمقاتلين فيريدون من الذي سيشتري، من الذي سيدفع أكثر من الأموال من الذي سيعطي بنادق، من الذي سيعطي ذخيرة، من الذي سيعطي رتب، من الذي سيعطي كذا ننطلق معه.

هؤلاء ليسوا من هذا النوع، رأوا أن أنفسهم غالية، وفعلاً ((إن نفوسكم غالية ليس لها ثمن إلا الجنة)) هكذا ورد حديث بهذا المعنى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن النفوس عظيمة وغالية ليس لها ثمن إلا الجنة، ماذا يعني؟ أبذلها في سبيل تحصل على الجنة.

هؤلاء انطلقوا يقاتلون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فأمام إغراءات أعدائهم لا يفكرون أن يميلوا يميناً أو شمالاً؛ لأنهم لا يبحثون عن المال بل هم من باع المال، وأمام إرهاب وتخويف أعداء هم أيضاً ليسوا ممن يخاف الموت لأنهم من باعوا النفس أيضاً. فماذا يصنع معك العدو أكثر من أن يُرغّبْ أو يُرهب، أكثر من أن يعد أو يتوعد؟. فتصبح كل الوعود لا قيمة لها، وكل التّوَعُّد أمامك لا قيمة له، {بأن لهم الجنة}، وعدُ إلهي صدقوا به أيضاً. هكذا هو شأن أولياء الله الذين آمنوا، تصديق بثقة بأن لهم الجنة، ويؤكد الوعد {وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ }(التوبة: من الآية١١١) **أنني سأمنحهم الجنة فصدقوا وانطلقوا {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}**(التوبة: من الآية١١١) **ما الذي يمنعه من أن يفي بعهده؟، ومن الذي يمكن أن يحول بينه وبين أن يفي بعهده؟، ومن هو ذلك الطرف الذي يملك ما يملك الله؟ حتى يمكن أن يكون مثله بالوفاء بعهده، من هو ذلك الطرف الذي يمكن أن يكون أوفى من الله بعهده؟. لا، {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ}**(التوبة: من الآية١١١) **هذا ليس خسارة، هو بشارة {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**(التوبة: من الآية١١١) .

المؤمنون الذين دفعهم إيمانهم وترسخ في نفوسهم من خلال هذا العمل ومن خلال هذا العمل، ومن خلال هذه الآية، ومن خلال تلك الكلمة، ومن خلال ذلك الموقف الذي تجسد في عمل الرسول (**صلوات الله عليه وعلى آله**) ، **لم يكن وليدة لحظة بل ترسخ في نفوسهم لأنهم كانوا هكذا {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ}**(التوبة: من الآية١١٢) **هم هؤلاء المؤمنون الذين قال عنهم بأنهم باعوا أنفسهم من الله، كأنه قال هم الذين يمكن أن يصلوا إلى هذه الدرجة، هم أولئك الذين هم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله.**

وبشر المؤمنين.. ما هي البشارة من جانب الله؟. رضوانه، والجنة، والفوز في الدنيا والآخرة، الكرامة في الدنيا والآخرة، العزة في الدنيا والآخرة.

(وهم من كان إيمانهم إيماناً كاملاً، إيماناً وهم يتجهون نحو الله سبحانه وتعالى فتبرز من كل جوارحهم ما يجسد إيمانهم حتى وهم يتحركون في الأرض سائحون في أعمال التجارة في مختلف الأغراض يسافرون فيكون سفرهم أيضاً مما يصبح عبادة من خلال تأملاتهم، ومن خلال اهتماماتهم بواقع الحياة، ومن خلال اهتمامهم ببناء الأمة، فخبرات من هنا ومن هنا يحصلون عليها في مجال بناء الأمة. سواء في تعاملهم مع الآخرين أو تعاملهم مع الله، هكذا {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ}(الرعد: من الآية٢١) **لأنهم مسلّمون، ومستسلمون ونفوسهم سليمة، ومستسلمة لله ربهم وملكهم، وإلههم، وسيدهم، فهم لا يأنفون من أن يصلون ما أمر الله به أن يوصل، لأنهم عبّدوا أنفسهم لله، {وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}**(الرعد: من الآية٢١) **قلوبهم مملوءة بالخشية من الله، والخوف من يوم الحساب، أن يقفوا بين يديه فيحاسبوا حساباً عسيراً، لأنهم يعرفون ماذا وراء الحساب العسير أن وراءه النار.**

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ }(الرعد: من الآية٢٢) **أليست هذه الصفات يحكيها كواقعة ؟. صفات متجسدة فيهم في مختلف المجالات. { صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ } هذا هو الصبر العملي: الصبر على نقصٍ، في الأنفس على نقصٍ في الأموال، صبر على شدائد، صبر وهم يواجهون حصارات اقتصادية، صبر وهم يواجهون هجمات إعلامية ؛لأنهم في ميدان العمل بوعي وثقة بالله وصدق مع الله، منطلقين في أعمالهم من واقع الوفاء بعهد الله، ومواثيقه، والحرص على أن يصلوا ما أمر الله به أن يوصل فلا ينقطع في نصف الطريق الذي أمرهم الله بأن يواصلوا السير عليه، إلى الغاية المنشودة التي يجب أن يسعوا لأن يصلوا وهم في طريقهم إليها، وهم عندما يصبرون يصبرون ابتغاء وجه ربهم؛ لأنهم مخلصون له فلا ينتظرون ثناء من ذا أو من ذاك .**

{ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ}، فهذا هو الصبر العملي، الصبر الذي منزلته من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. أما ذلك الصبر على الذل، الصبر على الخضوع، الصبر على القهر، الصبر والباطل يسود، والفساد ينتشر، والحق ضائع، والناس يظلمون، ويقهرون، وعباد الله يستضعفون، واليهود والنصارى يتحركون هنا وهناك، وأمريكا وإسرائيل

تتحرك هنا وهناك، الصبر في هذه المرحلة هو ذل، لا يمكن أن يسمى صبراً، إنه ذل بكل ما تعنيه الكلمة، إنه ضياع للإيمان، إنه انحطاط في النفوس. هؤلاء المؤمنون يصبرون في ميادين العمل في مواجهة أعداء الله، ويتحملون مختلف الشدائد، مهما كانت؛ لأنهم صبروا ابتغاء وجه ربهم.

سواء طالت المرحلة أو قصرت، هم حتى لم يضعوا لأنفسهم حداً معيناً هناك، أننا نتحرك إلى هذا المستوى، إلى هذه النقطة، لا بأس سنصبر إلى هنا.. لا. هم صبروا ابتغاء وجه ربهم، وهذا هو الصبر في المجالات المفتوحة، في المجالات نحو الغايات الطويلة، نحو أداء المهام الكبيرة، فهم لا يقولون: فقط سنصبر إلى هنا ثم بعد لا. [وجه الله] الله لا يزال باقياً، وحاجتهم إليه كمؤمنين في أن يحصلوا على رضاه ما تزال أيضاً قائمة، فليس هناك حدود في ما بينهم وبين الله، ليس هناك نقاط تحدد ما يطلبونه من الله، وما يبتغونه، وما يعملونه ابتغاء وجهه.

ولأنهم يصبرون ابتغاء وجه الله يصبح للصبر طعمه الحلو لديهم فعلاً. كان يقول أحد الأئمة وهو يتشرد بأنه يرى نفسه في نعمة عظيمة، أنه أصبح يرى أنه استطاع أن يخيف الظالمين وأن يتخوف منهم، وهو يتشرد ويواجه التعب والجوع، أصبح بتلك الحالة التي تعتبر مظهراً من مظاهر الصبر وهو في ميدان العمل أصبح يراها نعمة، أوليس الإنسان ينظر إلى النعمة نظرة يرتاح لها ويلتذ بها كأنهم ـلأنهم صبروا ابتغاء وجه اللهـ لا يرون أنفسهم، ولا ينظرون إلى واقعهم وهم في ميدان العمل فيرون أنفسهم أنه قد أجهدهم هذا فأصبحوا على حافةٍ من الملل ومن التخلي، ومهما بلغت الأمور إليه، فالمسألة هي ازدياد من الصبر والازدياد من الصبر ابتغاء وجه الله، يعني الحظوة برضاه أكثر،والقرب منه أكثر.

{وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ }(الرعد: من الآية٢٢) لاحظوا كم تتكرر هذه الآيات وعلى هذا النحو الصلاة والإنفاق، الصلاة والإنفاق، فأين أولئك الذين يزعجون الناس بصلاتهم وبمكرفوناتهم، ثم لا ينفقون في سبيل الله، ليفهموا أنه لا قيمة لصلاتهم إذا لم يتحركوا للإنفاق في سبيل الله، حين تصلي صلاة جديرة بأن ترفع لها ولو عدة أجهزة من مكبرات الصوت، صلاة ولو تريد أن يسمعها الناس على بعد مسافات بعيدة فلتكن صلاة معها ذلك المُقَوِّم الآخر الذي يجعلها قيّمةً هو الإنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وتأمل هنا في كم آيات يقرن الإنفاق في سبيله بالصلاة {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً}(الرعد: من الآية٢٢) في كل الحالات في كل الظروف، وهم أيضاً هؤلاء المؤمنون ممن يهمهم أمر دينهم، وأمر أمتهم فيحرصون جداً على وحدة كلمتهم، وصلاح ذات بينهم.

{وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ }(الرعد: من الآية٢٢) يدفعون بالكلمة الحسنة، بالقضية الحسنة، بالموقف الحسن السيئة، الكلمة السيئة البَادِرَة السيئة، الزلة السيئة من طرف آخر منهم يدفعونها؛ لأنهم يعرفون قيمتها، أنه لا بد أن نتعامل هكذا فيما بيننا، لنحافظ على صلاح ذات بيننا، لنبقى أمة تستطيع أن تؤدي ما أوجب الله عليها، وما حملها، مسئوليته من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على إعلاء كلمته، وإصلاح عباده، ونشر دينه، فهم حريصون.

وهم يعرفون قيمة ما يتركه الدرء بالحسنة، ما يتركه من أثر في الطرف الآخر، من خلال قول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}(فصلت:٣٤)

أنا سأدفع السيئة التي بدرت منك بشكل زلة أدفعها بالكلمة الحسنة، ولا أرد بالكلمة عشراً، عندما تكون أنت طرف لا تزال إنسان لا تزال يمكن أن تسمى إنسان فأنت ستبادل الشعور وسأراك وأنت منكسر الخاطر أمام موقفي الحسن، فتصبح تنظر إليّ، وأنت تشعر بقربك مني وكأنك وليٌّ حميم أي صديق مقرب لي، هكذا يترك كظم الغيظ والعفو والدرء للسيئة بالحسنة، الدفع .

{وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}(الرعد: من الآية٢٢) الجنة، العاقبة الحسنة في الدار في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة جنات عدن إقامة وخلود.

من التكريم لأولياء الله أن يقرب إلى مكانتهم أفراد أسرهم

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}(الرعد: من الآية٢٣) . لاحظوا هذا التكريم الإلهي العظيم، الذي لم يتوقف على تكريمهم هم شخصياً بل أصبح جزء من تكريمهم أن يُقَرِّب إلى مكانتهم أفراد أسرتهم، وطبعاً أولئك الأفراد الذين يدفعون بك إلى هذه الميادين، وليس أولئك الذين يثبطونك، أولئك الذين يوبخونك، أولئك الذين يُكَبِّلُون أيديك من أن تنطلق في أن تتحلى بصفات أولياء الله.
لو عرف الآباء والأمهات والأبناء أنه من النعمة العظيمة عليّ أن يكون لدي ابن صالح ينطلق في هذه الأعمال الصالحة، في هذه الميادين التي ترضي الله سبحانه وتعالى فيحظى على المكانة العظيمة، وأنا أشده، وأنا أشجعه، وأنا أدعمه، وأنا أؤيده، وأنا أقف معه فقد يحظى ابني هذا بمكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فيكون قربه هو الذي يساعد ـ من منطلق التكريم له ـ أن أحظى أيضاً بالقرب من المكان الذي هو فيه، والجنة درجات عظيمة {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}(الاسراء: من الآية٢١) .
هذا بالنسبة للأب أمام ابنه الصالح، كذلك الابن أمام أبيه الصالح وأنت ترى أباك يتحرك في هذه الميادين، لا تحاول أن تثبطه، لا تنطلق منك كلمة تثبطه . إذا كنت ترى أباك وهو ينطلق في ميدان من هذه الميادين فتشجعه إذا كنت مؤمناً، قد يكون أبوك في ما هو عليه هو مؤهل لأن يصل إلى درجة عالية فإذا ما لحقته بإيمان ستكون من المقربين معه في تلك الدرجة، تكريماً لأبيك. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ }(الطور: من الآية٢١).
كذلك الزوجات، كذلك الأزواج {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}(الرعد: من الآية٢٣) تلك الزوجة التي تشد زوجها، وهو في هذه الميادين ينطلق ليعمل، تشجعه حتى لو خرج مقاتلاً في سبيل الله، لا تَبْكِي، بل تشجعه تودعه بعبارات التشجيع، بعبارات تبقى حيّةً في نفسه، تدفعه، تشد من أزْرِه، تلك الزوجة التي لا ترهق زوجها بتصرفاتها العشوائية داخل منزله، فتبعثر الكثير من أمواله فترهق كاهله فلا يكاد كل ما ينتجه يوفر إلا حاجات منزله لا يستطيع أن يُسْهِم في مجال الإنفاق في سبيل الله، ليكتمل له دينه من خلال صلاته وإنفاقه.
تلك الزوجة التي لا تزعج زوجها وهو يفكر في ما يهم أمر الأمة، فيما يجب أن يهتم به من أمر دينه وأمته، تلك الزوجة التي لا يكون همّها أن يبقى عندها يسامرها ساعات بعد ساعات، زوجة صالحة.
وما أعظم دور الزوجات الصالحات في الدفع بالرجال، ما أعظم المرأة الصالحة التي تساهم في صنع الأبطال، صنع الرجال، صنع المجاهدين في سبيل الله.
يقال أن الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلاً تجديداً في العالم، وخلق صحوة إسلامية، وأرعب أعداء الله، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم، يقال: أن خالته ـ وهي من تولت تربيته ـ كانت تقول له: [أنت عظيم، أنت بطل، أنت ستكون شجاعاً، أنت ستكون بطلاً، أنت ستكون عظيماً] تلقنه هذه العبارات وهو ما يزال طفلاً فنشأ فعلاً عظيماً كبيراً، نشأ فعلاً بطلاً شجاعاً مقداماً أرعب أمريكا وأرعب دول الاستكبار كلها.
وليست تلك الأم أو تلك المربية التي همها فقط أن يسكت ابنها فبأي عبارات مزعجة مقلقة تحاول أن تسكته.
المرأة تقع عليها مسئولية كبرى جداً، وهي زوجة، وهي أم، وهي قريبة من هذا الطفل، تربية وهي قريبة من هذا الرجل، تؤيده وتدفع به وتصبِّره وتشجِّعه.
لقد بلغ الأمر بالنساء الإيرانيات أن أصبحن يفتخرن، تفتخر إحداهن بأنها أصبحت أم أربعة شهداء، وأخرى تفتخر بأنها أصبحت أم ثلاثة شهداء، وهكذا أصبحن يتفاخرن بأنهن أمهات شهداء، وزوجات شهداء.
مثل هذه الزوجة وهي في بيتها هي من سيكون لها ذلك الموقع العظيم إذا ما لحقت زوجها بإيمان وصلاح، وتقوى أن تحظى بالقرب منه في درجته كشهيد مجاهد، وهي درجة عالية {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً}(النساء: من الآية٩٦) فهي في بيتها تحظى بهذه المكانة.

ذلك الزوج أيضاً الذي يرى لدى زوجته اهتماماً من خلال ما تقرأه أو تسمع مما تـرك لـديها عمقـاً إيمانيـاً فأصبح لديها اهتمام بأن تُسهِم بمالها، بأن تُسهِمَ في مجال تربيتها لأولادها، فهي تحرص على أن ينـشئوا رجـالاً صـالحين، رجالاً جنوداً لله سبحانه وتعالى، أنصاراً لله فلا يثبطها ولا يشغلها بأعمال قد لا تكون تمس الحاجة إليها، ولا يرهقها بأعمال قد يكون في غناء عنها، فيما يتعلق بمعيشته، يفسح لها المجال. أفـراد الأسـرة إذا مـا انطلقـوا هكـذا يـشد بعضهم بعضاً، فقد يحضون كلهم بالقرب، بأن يصلوا إلى تلك الدرجة التي يصل إليها واحد منهم عظيم، أليست هذه نعمة عظيمة داخل الأسرة؟. بواسطة الأب قد تلتف الأسرة في جنات عدن في مقـام واحـد، بواسـطة الابـن تلتـف الأسرة ويجتمع شملها في مكان واحد في الجنة، وقد يكون مكاناً عالياً ببركة ذلك الابن، الأسرة ببركة تلك الزوجـة، ببركة ذلك الزوج، ببركة تلك الأم قد يصلون إلى تلك الدرجة. لكن فيما إذا كانوا علـى هـذا النحـو يـشد بعـضهم بعضاً.

وفعلاً يختلف الأفراد في الأسرة أحياناً باعتبار واقع عملهم فيكون بعضهم له دور كبير يحظى بمكانـة عظيمـة عنـد الله سبحانه وتعالى، فتكرم كل أفراد أسرته من أجله، فتصل إلى تلك الدرجة العظيمة التي وصل إليها؛ لأنها كانـت تشجعه، كانت تأيده، كانت تقف معه.

أما أولئك الذين يثبطون بعضهم بعضاً فسيكون البَوْنُ بينهم شاسِعاً قد لا يكـون ولا حتـى داخـل الجنـة، قـد يكـون خارجها هذا في النار، في قعر جهنم، وهذا في الدرجات العليا في الجنة، هذا هو شتات الشمل الرهيب، هذا هو شتات الشمل الرهيب في العالم الأبدي، في عالم الآخرة.

ولمكانتهم العظيمة عند الله، ولعظم ذلك النعيم الذي أصبحوا يحظون به في جنات عدن، الـذي لـيس نعيمـاً ماديـاً فقط بل تكريم تكريم، وعلى أيدي أولئك المكرمين من عباد الله. الملائكة {وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (الرعد:٢٤) هؤلاء هم المؤمنون، هؤلاء هـم مـن يكونـوا إخـوة كمـا قـال الله سبحانه وتعـالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات: من الآية١٠) لأن واقعهـم في اهتمامـاتهم، في تـوجههم، في شـعورهم بمسؤولية واحدة هو الذي يجعل منهم فعلاً أخوة، أخوة إيمانية، وما أعظم وأقوى روابط الإيمان بين أفراد المجتمع فيصبحون إخوة بما تعنيه الكلمة، أكثر من علاقة الأخوة التي سببها الصُّلْب والبطن الواحد، إن هذه أخـوة الـدين الواحد، والهَمّ الواحد، والمسئولية الواحـدة والمصير الواحـد هكـذا {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس:٦٢) .هؤلاء هم المؤمنون {وَكَانُوا يَتَّقُونَ}

يعرض في آية واحدة بعض صفات المتقين، ونحن فعلاً ـ كما قلنا لكم ـ نفهم المؤمنون هم المتقون المتقون هم المؤمنـون، إنما التقوى حالة يخلقها الإيمان الواعي الإيمان الصادق، تصبح إذاً كلمة [التقوى] تتقي أي تحذر، فتـصنع وقايـة تنطلق لتَقِيَ نفسك من غضب الله، من عقوبته، عقوبة التفريط، الغضب، للتفريط سواء بارتكاب معـصية، أو التفـريط في أداء عبادة، أو التفريط في أمر من الأمور التي الله يريد منك أن تتحرك فيها، في آيـة واحـدة يقـول عـنهم: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران:١٥) .

من هم المتقون؟. {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران:١٧) صدق الله العظيم.

[سورة المائدة الدرس الرابع من صفحة [٧ إلى آخر الملزمة]]

يجب أن تكون دائماً مرتبطاً بالله

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة:١٢٩) هو قال هناك: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) {وَابْعَثْ فِيهِمْ} في ذريتنا هذه { رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة: من

الآية١٢٩) هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفا بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علّم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} (محمد: من الآية٧) أن يدعوه، لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى .

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً، دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟

[الدرس السابع من دروس رمضان من صفحة [٧ ـ ٨]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الثاني]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

٢ـ [توصيات إيمانية وجوانب تربوية وعن التقوى والإستعانة بالله والصبر والصلاة والصيام والدعاء والإخلاص]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

التروبض على التقوى للإلتزام بهدى الله

في الآيات التي ذكر الله فيها تشريع الصيام ذكر بالنسبة لشهر رمضان أنه الشهر {الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: من الآية١٨٥) ويدل على عظمة القرآن الكريم وأهميته أن يكون الشهر الذي أنزل فيه هو موضع عبادة، هي تعتبر ركناً من أركان الإسلام وهي الصيام.
بمناسبة نزول القرآن في شهر رمضان أصبح شهر رمضان شهراً مقدساً وشهراً عظيماً وهذه الأهمية، أهمية القرآن الكريم هي تتمثل في أهمية وعظمة البينات والهدى التي هي مضامين، وهي الغاية من إنزاله، والبينات والهدى هي في الأخير لمن ؟ للناس. فيدل على الحاجة الماسة، الحاجة الملحة بالنسبة للناس، حاجتهم إلى هذه البينات، وهذا الهدى. أن تكون الفريضة التي فرضت في هذا الشهر العظيم هي الصيام، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، يدل على أن هناك علاقة ما بين الصيام، وما بين القرآن الكريم من حيث أن ما في القرآن الكريم من البينات والهدى، أن الالتزام بهذه البينات والهدى، أن القيام بالدين على أساس هذا القرآن العظيم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وترويض لنفسه على الصبر، وعلى التحمل.
فالصيام له أثره في هذا المجال، في مجال ترويض النفس. لأنك في أثناء نهار شهر رمضان تكبح شهوات نفسك، وتعود نفسك الصبر، والتجلد، والتحمل، تعود نفسك أنك أنت الذي تسيطر عليها، أنك الذي تسيطر عليها. فمن المهم جداً بالنسبة لنا عندما نصوم في شهر رمضان، عندما نصوم أن يستشعر الإنسان هذه الغاية من شرعية الصيام، يستشعر أنه يتجلد، ويتصبر، ويتحمل، ليعلم نفسه، يعلمها أنه هو الذي سيسيطر عليها بناءاً على توجيهات الله، بينات الله، هدى الله. تعود نفسك أنت الذي تقهرها، وتخضعها لهدى الله وبيناته. لا يكون شهر رمضان ندخل إلى هذا الشهر بعفوية، ونخرج دون أن نحسس أنفسنا بأننا قد قهرناها، من خلال نهار شهر رمضان، عندما نحس بالجوع، عندما نحس بالعطش نقول: لا. أليست هذه عملية تسلط على النفس؟ نوع من الترويض للنفس؟ وللجسم بكله على الصبر؟.
لأنه هكذا بالنسبة للقرآن الكريم، بالنسبة لبينات الله وهداه، يحتاج من الإنسان إلى أنه يخضع نفسه في مجال الاستجابة لها، والالتزام بها، والقيام بها، وهي تعتبر فترة قصيرة بالنسبة للسنة، شهر واحد من السنة، كلها تعتبر فترة قصيرة. ولهذا شرع أيضاً على سبيل التطوع صيام أيام أخرى، كصيام الست الصبر، وصيام الثلاث البيض من كل شهر.

دين الله يتناول بناء الإنسان

إضافة إلى أن الصيام كما يذكر الأطباء: أنه له فوائد كبيرة من الناحية الصحية. ومعنى هذا: بأن دين الله يتناول بناء الإنسان من كل جهة، أن في تشريعات الله ما الهدف منها أو من أهدافها: الجانب الصحي بالنسبة لجسم الإنسان، والجسم الصحيح، والجسم السليم، أو نقول: الصحة، وسلامة الجسم هي أيضاً هامة في مجال الالتزام بهدى الله، في مجال العمل في سبيل الله، في إقامة دين الله. هذه تساعدنا على فهم: أن مسألة المرض، أنه لا يصح أن نقول دائماً:

المرض، كل مرض ننسبه إلى الله، ونحن نرى في تشريعاته ما هي ذات أهمية كبرى في مجال صحة الجسم.
نحن نرى في تشريعاته ما هي بحاجة للنهوض بها إلى أجسام صحيحة وسليمة، كالجهاد في سبيل الله، هذه متنافية مع أن نقول: أن الله هو الذي يصب الأمراض صباً على الناس، أو الإنسان المؤمن، علامة أنك مؤمن عندما يصب الله عليك الأمراض، والمصائب صباً صباً كما في بعض الروايات. ولهذا تجد أن كثيراً من الأشياء الموجودة في هذه الأرض من النباتات، والمعادن، وحتى الشمس والهواء، يكون لها أثر كبير. أعني: تعتبر أدوية، نسبةً كبيرةً جداً من الموجودات في محيط الإنسان فيها أدوية، هي نفسها تدل على أنه مراد للإنسان أن يكون جسمه سليماً، أن يكون صحيح البدن.
لأن كثيراً من المسئوليات في دين الله تحتاج إلى هذا الشيء، إلى صحة الجسم، إذا كان الجسم منهك تتأثر أيضاً في الغالب. أعني بالنسبة لغالب الناس، تتأثر حتى اهتمامات الإنسان، تقصر نظرته، يكون قريباً من الملل والضجر.
إذا كان جسمه سليماً كانت ذهنيته صافية، متفتحة. وفي نفس الوقت تعتبر صحة الجسم نعمة كبيرة على الإنسان، نعمة كبيرة. ويجب أن يعرف أي إنسان منا بأنه، أي نعمة هو فيها بما فيها نعمة الجسم، نعمة صحة البدن، أنه يترافق معها مسئولية. إذا كنت ذكياً، إذا كان لديك حافظة قوية، إذا كان جسمك سليماً فهي تعتبر نعماً يجب أن توظفها في سبيل الله. ودين الله سبحانه وتعالى، والعمل في سبيل إعلاء كلمته مجال واسع جداً يستوعب كل القدرات، ويستوعب كل المواهب، وهذا من النعمة الكبيرة على الإنسان: أن يكون متمكناً من أن يوظف كل طاقاته في مجال تعتبر عائداته كلها له في الدنيا وفي الآخرة، أليست هذه نعمة كبيرة؟.
إذا لم يتذكر الإنسان هذه النعمة قد يحصل العكس، إذا كان ذكياً، إذا كان عنده نفس طموحة، وذكاء في نفس الوقت، هي حالة إيجابية، إذا وظفها في هذا المجال، إذا لم يوظفها في هذا المجال، إذاً أصبح معرضاً قد يتحول ذكاؤه إلى شر عليه، وعلى الناس، قد يتحول إلى منافق، وغالباً ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، في الغالب ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، أما الغبي المسكين هو لا يستطيع بأن يكون عنده خبرة في مجال الذكاء والتضليل أو الخداع، أو أشياء من هذه. لكن الغبي يكون ضحية هذا، متى ما أصبح الذكي منافقاً كان الغبي نفسه عُرضة لأن يضل، لكن بالنسبة لمن نقول: غبي هو في الواقع إنسان قابل لأن تتطور معارفه، وتتفتح ذهنيته، أن يعطيه الله نوراً فيتحول إلى إنسان فاهم، إلى إنسان ذكي.
إذا توجه، ومسألة التوجه هي قضية يعرفها كل إنسان، الذكي من الناس، والبسيط في ذكائه يستطيع أن يفهم، أن يكون مخلصاً لله، أن يكون مستجيباً لله، أن يلتزم بهدي الله، حينها سيحصل على ما وعد الله به من كان على هذا النحو {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩) {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) بنوا إسرائيل عندهم نوع من الذكاء، باقي المؤهلات، باقي مؤهلات، وراثة الكتاب، عندهم نوع من الذكاء، لكن لاحظ كيف أصبحوا يمثلون شراً كبيراً على البشر، وعلى أنفسهم في المقدمة، عندما لم يوظفوا ذكاءُهم في الاستجابة لله، وفي العمل في سبيل الله.
العمل في سبيل الله هو بالشكل الذي تزداد أنت فهماً، ومعرفة، وذكاء، وفطنة أعني: ليست عملية تقول: أنها تستنفد طاقاتي. هذه من الأشياء العجيبة في دين الله قد تكون كثيرٌ من الأعمال مثلاً، كثيرٌ من المهام، تستنفد طاقاتك، أما العمل في سبيل الله فهو بالشكل الذي تتنمى معه، وتنموا معه مواهبك، طاقاتك فعلاً. أليست هذه نعمة أيضاً كبيرة ؟ نعمة أخرى كبيرة جداً. لهذا قال في الأخير: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} (البقرة: من الآية١٨٥) تعظمونه، وتكبرونه، وتجلونه، وتقدسونه على هدايته لكم، على ما هداكم إليه. هذه تعني: بأن الإنسان كلما وجد شيئاً من هدى الله، يجب أن يستحضر في ذهنيته: أن يكبر الله على ما هداه إليه، مهما بدت القضية كبيرة أمامك، يحاول كل إنسان أن ينسف من ذهنيته استثقال أي شيء، لا .النظرة الصحيحة هو في مقابل ما يبدوا وكأنه شاق، ما يبدو وكأنه صعب، ما يبدو وكأن النفس تحس بنوع من العنا في سبيل أدائه، يجب أن تلحظ بأنه من النوع الذي يجب أن تكبر الله على ما هداك إليه.
{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥). ليس هناك في دين الله، ليس هناك في ما هدى الله الناس إليه، ما هو خارج عن هذه القاعدة، وعن ما يجب أن تنظر إليه على هذا النحو، ما هي القضية التي يمكن أن تجعلها مصيبة ؟ كل تشريع

من تشريعات الله، كلما هدى الله الناس إليه هو كله من هذا النوع، من النوع الذي يجب أن تكبر الله على أن هداك إليه، وتشكره يعني هذا في الأخير: أنه نعمة كبيرة عليك، نعمة كبيرة عليك. أليس الصيام يبدو وكأنه يريد أن نجوع ونظمأ طول النهار ؟ فتنظر إليه بأنه يعني: قضية مصيبة علينا ؟ لا. يجب أن تكبر الله على ما هداك إليه، أن شرع لك هذه الفريضة لأنه عندما يشرع شيئاً لك، ويشرع لعباده، فكل ما يشرعه لهم، كلما يهديهم إليه، كلما هو نعمة كبيرة جداً عليهم، نعمة عظيمة جداً عليهم .

الصيام وأثره فيما يتعلق بصفاء وجدان الإنسان وذهنيته

الصيام له أثر فيما يتعلق بصفاء وجدان الإنسان، وذهنيته، ويحس الإنسان في شهر رمضان، أليس الناس يحسون وكأنهم أقرب إلى الله من أي وقت آخر ؟ هذه فرصةٌ للدعاء، تلاحظ كيف أن الصيام مهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم، القرآن الكريم مهم فيما يتعلق بمعرفة الله حتى يجعلك تشعر بالقرب من الله سبحانه وتعالى.
إذاً فمن الإيجابيات الكبيرة له: أن تلمس في نفسيتك صفاء لذهنك، مشاعرك مشاعر دين، مشاعر قرب من الله، أن تدعو الله سبحانه وتعالى{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}(البقرة: من الآية١٨٦). هذه من النعم العظيمة لا يحتاج الإنسان أولاً يبحث عن جهاز اتصال، يبحث كم الرقم التابع للسماء الفلانية، أو تحتاج إلى أن تصعد إلى أعلى قمة من الجبال تدعوه. أينما كنت، وفي أي وضعية كنت، فهو قريب منك. هذه من الأشياء التي ينفرد بها المؤمنون، ينفرد بها المؤمنون عندما يكونون بالشكل الذي ينقطعون عن تولي أي طرف آخر إلا تولي الله سبحانه وتعالى، ومن أمر بتوليهم في سبيل توليه، أو كمظاهر لتوليه لأن الناس يتولون من هو قريب منهم، من ليس هناك حجاب فيما بينه وبينهم، من يسمعهم في أي مكان كانوا، وفي أي وضعية كانوا {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(البقرة: من الآية١٨٦). كل داع وليس نقول: القبيلة الفلانية .. يتجمعون، ويكلفون واحداً لأنه سنحتاج لذلك نتجمع كلنا لأنه لو أن كل واحد يدعو من عنده، وكل واحد يدعو بحاجته، وكل واحد يدعو بكذا، ربما تختلط. الله سبحانه وتعالى هو عليم، وحكيم لا تلتبس عليه الأصوات.
{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(البقرة: من الآية١٨٦). أي داع، وكل داع بمفرده. عندما ترى الناس في عرفات، هذه من الآيات العجيبة، وهي من مظاهر سعة علم الله، والناس في عرفات يدعون، كل واحد يدعو بلهجات متعددة، وبلغات متعددة، وأصوات مختلفة، وكل واحد يدعو ! لو تسجل مجموع أصواتهم لما عرفت أنت ربما كلمة واحدة تميزها تسمع ضجة فقط. {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(البقرة: من الآية١٨٦) هذا تذكير للإنسان كإنسان، الفرد الواحد من الناس، أن يعرف بأن بإمكانه أن يدعو الله وهو قريب منه، لا يحتاج لأن يتجمع مائة شخص ثم نقول: نريد نكلف واحداً يمثلنا من أجل يدعو لنا، فإذا دعونا كلنا فإنه لن يسمعنا، لا.
{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي}(البقرة: من الآية١٨٦). هذا الأساس في إستجابة الدعوة، وهي قضية منطقية، أعني قضية طبيعية، هي الحق، أنك تريد من الله أن يستجيب لكل ما تدعوه به، وأنت في نفس الوقت لا تستجيب له ! هذه ليست قضية صحيحة. {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي}(البقرة: من الآية١٨٦) فيما دعانا إليه نستجيب له، ومما دعانا إليه، أن ندعوه. الدعاء هام، الدعاء يجعل مشاعرك قريبة من الله، الدعاء يعبر عن أن نفسيتك في حالة مستمرة في الالتجاء إلى الله، والتوكل على الله، والاستعانة بالله.
الإنسان الذي يذهل عن موضوع الدعاء معنى هذه بأنه ماذا ؟ مسيطر على مشاعره نسيان الله، عندما تكون ذاهلاً عن الدعاء لله ألست بطبيعة الحال في كثير مما يمر بك ستتلفت يمين وشمال وإلى الناس، وإلى الناس كيفما كانوا، وتكون حريصاً على أن تقضي حاجتك ولو على يد إنسان لا يقضي حاجتك إلا بما يقابلها من دينك؟. فعندما يكون الإنسان منقطعاً إلى الله، ويدعو الله باستمرار، وكلما مر به من ظروف، كلما مر به من مهام، في كل أمر من أموره، في كل قضية من قضاياه دائم الالتجاء إلى الله، هذه نفسها تمثل حالة من الاستغناء عن أطراف ربما قد يكون رجوعك إليهم فيه إذلال لك، وفيه بيع لدينك، وفيه دخول في باطل.

{فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} (البقرة: من الآية١٨٦) مسألة الإيمان بالله كما نقول أكثر من مرة: الناس جميعاً مؤمنون بالله، مؤمنون بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله، وأن الذي خلقنا هو الله، وأن الذي يدبر شئوننا هو الله، لكن يوجد هنا مطلب في الآية هذه، وآيات أخرى، تذكير بأن المطلوب إيمان حقيقي، وإيمان واعي.

أنت عندما يقول الله سبحانه وتعالى لك: أن تؤمن به، أن تؤمن ماذا ؟ يعني أنه إلهنا. وما يترتب على هذه القضية من أشياء كبيرة في علاقتك به، وفي علاقتك بالحياة هذه كلها، أنه الإله، أنه الملك، أنه رحيم، أنه عزيز، أنه قوي، كلما تعني أسماؤه الحسنى، إيمان عملي، إيمان واعي. هذا الإيمان الذي يجعلك بشكل تنقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وتنطلق بقوة في هذه الحياة، عندما يدعوك إلى أن تنصره كما قال سبحانه وتعالى في آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ } (الصف: من الآية١٤). أليست هذه دعوة من جهة الله يريد منا أن نستجيب له فيها ؟ هي قضية، قضية الاستجابة متوقفة على نسبة الإيمان لدي ولديك، الإيمان به. فإذا كنت مؤمناً حقيقة بالله سبحانه وتعالى، بأنه هو ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وهو الغالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، وهو القوي، وهو العزيز .

الإيمان الواعي سيجعلك تنطلق، تنطلق في سبيله، لأنك تعرف أنه دعاك من هو أقوى من كل قوي، وأعز من كل عزيز، وأكبر من كل كبير، ومن هو غالب على أمره، والقاهر فوق عباده. هنا علاقة هامة جداً، وعلاقة متينة بين الاستجابة والإيمان به. الاستجابة متوقفة على الإيمان به.

إذا كان هناك ضعف في موضوع معرفة الله سبحانه وتعالى، جهل بالله فيما تعنيه أسماؤه الحسنى، فيما يعنيه إيماننا به، هذا يؤثر على الاستجابة لاشك في ذلك، يؤثر على الاستجابة. كلنا نقرأ، وكلنا نؤمن بقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤). هل هناك أحد ينكر هذه الآية ؟ لكن لماذا لاتصل الإستجابة ! لأن هناك ضعفاً في موضوع الإيمان به ولهذا قال: { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) لاحظ هنا كلها إيجابيات، كلها أشياء هامة جداً، الغاية من ورائها كلها للناس.

الصيام، هناك قال فيه: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} . ويقول فيه: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) يذكر بأنه نعمة كبيرة عليك، والاستجابة له، والإيمان به لعل الناس يرشدون {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} . هل هناك شيء يعود على الله من كل هذه ؟ لا . حتى ولا الإيمان به سبحانه وتعالى لا تكون الغاية منه، أو ليست نتيجة هي أن الله سيستفيد من ذلك. يعظم سلطانه، أو أشياء من هذه ! هو غني عن عباده، الله هو غني عن عباده جميعاً. الأمر بالاستجابة هنا مطلقة {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} أي كل ما دعانا إليه نستجيب له فيه، الاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} لأن كلمة: {يَرْشُدُونَ} كلمة واسعة، في كل حركتهم في الحياة، في حركتهم في سبيل إقامة دين الله، في كل أمورهم، رشد في الدنيا، للدنيا وللآخرة.

لا تأتي الاستجابة الجزئية إلا بسبب ضعف في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولهذا قد يعدل الكثير من الناس مستعد أن يصلي، لأن الصلاة لا تمثل خطورة بالنسبة له، و ربما لو وصل الحالة أن تصبح الصلاة خطيرة لتجنب الصلاة ويقول: يصلي على الحالة وبأي طريقة ! وهكذا ! القضايا الأخرى التي يراها وكأنها تبدوا صعبة سببها ضعف، أو عدم فهم لما يجب أن تكون عليه في نظرتك أمام كل ما تهدى إليه، وكلما تدعي إليه الآية {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) .

يجب أن تفرح، ولاحظ الناس الذين هم فاهمون فعلاً القضية هذه كيف قال الإمام علي في موضوع الجهاد الذي يعتبره الناس مشكلة ومصيبة وحِمْل قال: ((أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة لله لخاصة أوليائه)) أليس معنى هذه بأنه شيء عظيم جداً ؟ فعندما لا تكون هذه النظرة موجودة عند الإنسان ستكون القضية معكوسة عنده، مشكلة، ومصيبة. عندما يكون إيمانه ضعيفاً بالله تكون استجابته جزئية لأن معناه: أنه ليس واعياً بما يترتب عليه إيمانه: بان الله قوي عزيز .

ألم يقل الله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠). عنده [والله أما هذا لا نستطيع ولا

جهدنا.. نحاول نستجيب في الأشياء التي تبدوا سهلة] لكن الله سبحانه وتعالى كما نقول أكثر من مرة قلنا: يجب على كل واحد أن يفهم أنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، لا يمكن أحكم على شيء، لا يمكن يعمل مثلما يقولون: [يدخل الجنة بحيلة] يتحيل ودخل الجنة ! الجنة معها مقارب، لكن ليس فيها حيل، يقول واحد: [يمكن يجمع له حسنات من أطراف] هذه التي ليس فيها خطورة، ولا فيها بذل لأنفس، ولا لمال، ولا خوف، ولا ..هناك ربط قبولها بالأعمال الأخرى، تكون أنت صفر في الأخير، لا يوجد معك شيء.

هنا أمكن لواحد يتحيل على الباري ؟ أمكن أن يكون ذكياً أمام الله ؟ لا . وإلا ستكون حيلة كبيرة. يقول: [لا نستطيع، سنحاول، المهم الجنة، سنحاول نجمع لنا حسنات من هنا، وتتوكل، ونترك أولئك يجاهدون هم ويتعبون، وسنلتقي في الجنة، ويكونون قد تعبوا ونحن دخلنا ولا لقينا أي عناء، ولا لقينا أي تعب] ألا تكون هذه حيلة كبيرة ؟ لا يمكن.

توطين النفس على الاستجابة لله، وعمل الإنسان، واهتمامه بأن يعرف الله معرفة واسعة قضية أساسية في أن يكون راشداً، سواء أنت كنت عالماً، أو كنت متعلماً، أو كنت من عامة الناس. فمن يتجه لإرشاد الناس وهو بهذه الحالة: الاستجابة الجزئية، فليتأكد بأنه لا يصح أن يسمي نفسه مرشداً، ولا يصح أن يسميه الناس مرشداً. فعلاً هذا ليس مرشداً، هو يرشد إلى أشياء لن تنفق ! هل هذا مرشد؟ هو يرشدك في الأخير إلى أشياء لن تنفق له إلا بالأخرى، هو في نفسه لا يسترشد، لا يهتدي، وإنما فقط يمكن أن يسمي نفسه مرشداً، يسمي نفسه عالماً، يسمي نفسه معلماً، الآخرون كذلك يسمونه ! لكن هنا {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) فتكون مرشداً حقيقة عندما ترشد، وتسترشد حقيقة، عندما تسمع مرشداً، عندما تسمع شيئاً من هدى الله هنا ستستفيد . [الدرس التاسع من دروس رمضان صفحة [١ ــ ٥]]:

أهمية الصبر وذكر بعض عناصر القوة والإيجابيات

عندما نرجع إلى قضية منهج نحن قلنا: نستوحي منهجية في عملنا من خلال القرآن الكريم من خلال أسلوبه من خلال ترتيبه للقضايا تعطي منهجية للناس، عندما يعملون عندما يتحركون، هنا يقدم القضية تبيينا متكاملا، تبسيطا للمسألة، أليس هذا موجوداً؟ عندما تقول للناس: نحن عندما نتجه على الطريقة هذه لاحظ المسألة هي سهلة في الواقع، أعني: ليست القضية أنه عندما نتحرك في هذا الطريق فقط تحصل المصائب والمشاكل والعناء والخوف... لا. هذه هي تحصل عند الآخرين وستحصل عندنا، ولو كنا على طريق أخرى ليس معناه سنكون في وضعية صحيحة وسالمين ولا يحصل علينا أي شيء يخيفنا ولا أي شيء يقهرنا ولا أي شيء يتعبنا وإنما فقط عندما نتحرك في سبيل الله، بل العكس هو الصحيح، أن من لا يتحركون في سبيل الله هم يعانون أكثر، قد تكون المصائب عليهم أكبر وتكون وضعيتهم تقريباً إلى ما لا نهاية في السوء.

بينما من يسيرون في سبيل الله لو عانوا مرحلة معينة وصبروا هي القضية التي في نصوص القرآن الكثيرة تتكرر كسنة إلهية متى ما صبروا هو الصبر الذي يأتي بعده فرج هو العناء الذي يأتي معه تأييد، تأييد نفسي تجعلك تتحمل، بينما في الحالة الأخرى في حالة أن يكون السوء وأنت قاعد ومتخلف يكون للشيء وقعه الكبير على نفسك، تكون منهاراً معنوياً فتكون المصائب لها وقعها الكبير على نفسك، أعني: لو استوت مصيبتي ومصيبتك أنا متحرك وأنت قاعد لو استوت في شكليتها فالفارق الكبير في وقعها علي وعليك، هذه القضية كبيرة؛ ولهذا قال الله: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ} (النساء: من الآية١٠٤) .

عندما تكون أنت ترجوا من الله مالا يرجوه الطرف الآخر معنى هذا ماذا؟ يزيدك هذا، يجعلك تتحمل القضية فلا يكون للمصيبة وقع عليك، أو للشيء الذي يعتبر مخيفا وقع على نفسك كما لو وقع على الآخر، إذاً القضية أشد نكاية فيه وأشد وقعا عليه سيكون عذاباً شديداً. هذه قضية، التبسيط للمسألة ونحن بحاجة إلى هذه أعني: قضية مؤكدة في عمل الناس لا تقدم الدين حملا للناس حملا ومتاعب [والجنة حفت بالمكاره! والمؤمن يصب عليه البلاء

صبراً! ولازم نصبر ولازم كذا...] هذا غير صحيح.
ذكر الناس بأنه يأتي حتى لو لم تتحرك سيأتي لنا أشد مما نحن فيه، أفضل أن يكون العناء في سبيل الله [إذا قد أنت من مات يوم السبت فيوم الجمعة أفضل] مثلما يقولون، أليسوا يقولون هكذا؟ فهذا أسلوب هام جداً وطريقة ضرورية جداً؛ لأنك تجعل الإنسان هو ينطلق، عندما يقال لك أن تعطي مقارنات للناس تجعل القضية مبسطة لديهم وتصبح بسيطة عندما ترى بأنه فعلاً هي مصائب هنا أو هنا، لكنها هنا هي أفضل؛ لأنه يأتي بعدها فرج وأجر كبير من الله أو الشهادة لو حصلت المسألة وأدت إلى أن يقتل، بينما هنا في الطريق الآخر سيكون بدون مقابل، أليس سيعتبر هذا أفضل وأبسط وأسهل؟.
لكن أحياناً نأتي نتحدث في اتجاه واحد فقط:[يجب علينا أن نصبر ولو عانى الإنسان في سبيل ذلك فهو يعاني في سبيل الله...!] ونكون في نفس الوقت نقدم القضية أمام الناس بأنه سيلاقي مصائب وعقبات ويتصور بأنه لو كان قاعداً وليس هناك عمل في سبيل الله لما حصلت الأشياء هذه، وفي الأخير يقدم الدين للناس والعمل في سبيل الله للناس وكأنه أحمال ثقيلة هنا يقول: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) عبارة ما ينبغي أن تكونوا كذا... كذا... هي قضية تعطيك أيضاً أسلوباً مع الآخرين.
نقول نحن مثلاً: الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بالقرآن الكريم ، أنعم علينا بموقع هام جداً من الناحية الجغرافية من ناحية الثروات الهائلة التي نرقد عليها في باطن الأرض التي نحن فيها في الجزيرة العربية هذه ما ينبغي أن نكون نحن أضعف الناس، لا ينبغي أن نكون أول كافرين بهذه النعمة، نعمة على ظاهر الأرض القرآن الكريم، ونعمة في باطن الأرض الثروات الهائلة، نعمة في الموقع بكله؛ ولهذا يتسابق الآخرون عليه؛ لأنه موقع يعرفون بأن من يسيطر عليه يسيطر على العالم، الإسرائيليون الذين دولتهم ما تزال جديدة ولها فترة قصيرة عندهم طموح أن يهيمنوا على المنطقة هذه، لأنهم يعتقدون أن الهيمنة على المنطقة هذه يعني هيمنة على العالم بكله وهذه حقيقة باعتبار موقعه باعتبار ثرواته الهائلة.
[الدرس الرابع من دروس رمضان من صفحة [٩ ـ ١٠]]

<u>مطلوب مني أن أكون جندي لله</u>

الله سبحانه وتعالى وجهنا في القرآن الكريم في سورة نقرأها دائماً: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}(الفاتحة:٥) كل الناس الإنسان مهما كان هو بحاجة إلى أن يستعين بالله ليست المسألة أنه أنت فقط فتتصور أنك سوف تتحمل جبالاً عليك ليس الأمر كذلك حتى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يستعين بالله دائماً المؤمنون المخلصون أولياء الله الذين هم على مستوى عالي كلهم عندهم هذه القضية ثابتة: الإستعانة الدائمة بالله ، الإستعانة بالله سبحانه وتعالى هي أيضاً ما يزال فيها علاقة بمعرفة الله هو ، بمعرفته هو .
هنا عندما تعرف؛ لأنه من خلال القرآن الكريم يقدم لك المسألة بأنه هو مدبر شئون السماوات والأرض، وأنه إليه يرجع الأمر كله، وأن إليه عاقبة الأمور، معنى هذا لا تتصور بأنك أنت ومن معك الناس الذين أنت معهم أنكم ستحملون الجبال ، وتغيرون مجرى العالم هذا، وتغيرون أنتم بأنفسكم، أنتم شغالين في جانب والباري هو مشتغل ويعمل ـ إذا صحت العبارة ـ يعمل كثيراً، يعمل كثيراً من الأشياء التي لا تخطر في بالك، ولا تصل إليها قدراتك ، لا الذهنية ولا المادية ، هو المدبر ، هو المغير ، هو يصنع المتغيرات ، وضرب أمثلة كثيرة في القرآن على هذا.
إذاً عندما نفهم هذا نحن ، ونفهم الناس قضية ينطلق الناس فيها ويرون بأنه مطلوب مني أن أكون جندياً من جنود مدبر شئون السماوات والأرض ، أتحرك، هو يؤيد ، وينصر في حركتك المباشرة ، ويعمل أشياء كثيرة من هناك. مثلما قلنا بأنه ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة معه مجموعة مسلمين مستضعفين يعذبونهم، وناس يحتاجون يهربونهم إلى الحبشة لاجئين، أليس هو هناك يدبر ما بين فارس والروم؟ عندما يكون الناس يرون أنفسهم في وضعية تبدو أنهم مستضعفون فيها وفي حالة شدة وكذا، هم لا يعرفون ماذا يعمل الباري في مجالات أخرى في الساحة العالمية هذه، ذلك الذي يصيح وفوقه حجر في الشمس قد يأتي للواحد يأس، يأس يحصل عنده بنسبة

ألف في المائة أن هذه حركة يمكن أن تنهض، ويأتي في يوم من الأيام ويكون الناس هؤلاء هم ولاة في بلاد فارس والروم وغيرها، لا، هذا في حرارة الشمس والله يدبر هناك، يغير أشياء كثيرة لا يستطيع المسلمون أن يغيروها لو يقفون كلهم في الشمس، هو يغير هناك.

هذه تعطي الناس دفعة، أعني: تفهم الإستعانة بالله ، والإلتجاء إليه ، وتفهم أيضاً أنه مدبر شئون السماوات والأرض، تستعين بأشياء يقدمها هو في ممارساتك: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}(البقرة: من الآية٤٥) لاحظ كيف جعل الصبر وسيلة عملية للوصول إلى النتائج المهمة والنتائج الجيدة، واستعينوا بالصبر، واستعينوا بالصلاة ، الصلاة؛ لأنها تجعلك دائم الإرتباط بالله سبحانه وتعالى، ودائم التذكر لله والذكر لله.

تذكّر اليوم الآخر قضية مهمة، وعندما يقول: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ}(البقرة: من الآية٤٦) أي: أنها قضية يجب نحن أن نذكّر أنفسنا بقضية اليوم الآخر بشكل مستمر حتى تصبح المسألة عندك قضية تستشعرها دائماً ، لا يحصل منك حالة نسيان لليوم الآخر. ولهذا يكون هناك أدعية مناسبة، مناسب أن الإنسان يدعو بها دائماً، مما لها علاقة بموضوع الجنة والنار، واليوم الآخر وأشياء من هذه في قنوت الصلاة، وبعد الصلاة، وفي أي لحظة، يتذكر أن يدعوه دعاء ((اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار))، أن يدعوه كلما يحصل عنده رغبة أنه يدعوه ويذكر يدعوه؛ لهذا يجب التركيز في تذكير الناس باليوم الآخر بشكل متكرر، وبشكل يكون مرتبطاً عملياً.

أعني: عندما ترى بأن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا بموضوع هو يعني نقلة، ولهذا قال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} هنا يبين الأشياء التي تشكل عوناً للنقلة هذه: صبر وصلاة، وخشوع لله من مظاهره: التذكر الدائم لقضية اليوم الآخر{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(البقرة:٤٦) لأن هذا عملياً يجب أن نسلكه مع أنفسنا حتى في مرحلة النقلة هذه، للإستمرار على الحالة هذه، وعندما تذكر الناس الذين تريدهم أن ينتقلوا إلى وضعية كهذه، أن نركز على هذا الجانب، جانب: التذكير باليوم الآخر، الترغيب بالجنة، والترهيب من النار، وربط المسألة عملياً بهذه، أي لا أقوم أعمل لك خطبة فقط أذكر فيها جنة ونار وفقط .

تجد أسلوب القرآن الكريم هنا يأتي بالجنة والنار، وذكر اليوم الآخر في إطار عملي وهو يوجه إلى شيء ينطلقون فيه، أو يحذر من الوقوع في شيء، فيأتي بحديث عن اليوم الآخر. [صفحة [١٠ - ١١]]

<u>أهمية الإلتجاء إلى الله والدعاء في ميادين العمل</u>

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(البقرة:١٢٩) هو قال هناك: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) {وَابْعَثْ فِيهِمْ} في ذريتنا هذه { رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(البقرة: من الآية١٢٩) هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفا بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علّم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} (محمد: من الآية٧) أن يدعوه؛ لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى .

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟ .

[الدرس السابع من دروس رمضان صفحة[١٩]]

أهمية الصلاة وعلاقتها بكل الأشياء

الصلاة هامة جداً تجد لها ذكراً متكرراً في القرآن الكريم، في مواضيع كثيرة وكأنها عبادة لها علاقة بمختلف الأشياء أي تساعد الناس على أن يحافظوا على حدود الله، تجد موضوع النكاح والطلاق، وأشياء من هذه، أليست في كلام فيما نسميه حدوداً لا يتعدونها؟ ترى الصلاة لها علاقة تقريباً بكل الأشياء، وكأن الحفاظ عليها فعلاً يساعد على أن تحافظ على حدود الله، لأن الصلاة من أهم الأشياء فيها تذكّر الله، ذكر الله وتذكّره ، إذا أنت متذكّر لله يدفعك ذكره وتذكّره إلى أن تحافظ على حدوده في كل المجالات.

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} الصلاة الوسطى يقال عنها: أنها صلاة الجمعة بالنسبة للأيام، وأنها صلاة الظهر بالنسبة لعدد الصلوات.

{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}(البقرة:٢٣٨). حتى تتم الصلاة بتوجه لله هذه القضية في موضوع أن تكون العبادات، عندما تؤدي عبادة من العبادات كلها تتوجه بها [لله] لله جاءت في مختلف العبادات، قتال في سبيل الله، في الصلاة يقول لك: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} خاشعين متذللين، أي تعرف بأنك في الصلاة تؤدي عبادة تتوجه بها إلى الله، أي في مقام كما يقال: بين يدي الله، تناجي الله، وكما هو الحال بالنسبة لتشريع الله سبحانه وتعالى أنه يراعي كل الاعتبارات.

{فَإِنْ خِفْتُمْ}. عندما تريد أن تؤدي الصلاة على ما شرعت عليه تماماً قد تؤدي إلى أنه تعرضك لخوف أي قد تؤدي بك إلى خطورة كبيرة، فصلِّ على الوضعية هذه{ فإن خفتم فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً}(البقرة:٢٣٨). إذا أنت خائف، وأنت في وقت الصلاة صلِّ على الحالة لا تعتبر تارك للصلاة نهائياً، يخرج وقتها وينتهي وأنت لم تصلِّ، صلِّ ولو أنت في السيارة ماشي، أو أنت في ميدان مواجهة مثلما يصلون بما يسمونها: [المسايفة] يصلي وهو يقاتل، يذكر الله، وبما تحصل من قرآن، وتسبيح، وتكبير، ويكفي.

وما كأنها تختص، {فَإِنْ خِفْتُمْ}. بشكل عام وليس فقط فإن خفتم مثلاً وأنت في ميدان المواجهة مع عدو، مع كفار، مع يهود، مع نصارى، مع مجرمين، في سبيل الله، أعني في ميدان القتال. عندما تكون أنت خائفاً وأنت في سيارتك هناك ناس مثلاً يطاردونك يريدون أن يقتلوك ويأخذوا سيارتك وأنت ترى الوقت، وأنت بين خيارين إما أن توقف وتصلي لحقوا بك، أو أنك ماذا؟ لا تصلي نهائياً، وذهب الوقت، صل وأنت سائق وسائر{فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً}؛لأن الله يقول: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(الحج: من الآية٧٨). فإذا كنت خائفاً تصبح بين خيارين في واقعك، أن تؤدي الصلاة بهذا الشكل: تكبر، وتقرأ، وتركع، وتسجد إلى آخر الركعات التي تستلزم مكاناً معيناً وتأخذ وقتاً في مكان معين. أليست الصلاة وقفة؟ إذا كانت الوقفة هذه تشكل خطورة عليك صلِّ وأنت إما راجلاً أعني: تمشي، أو راكباً.

{فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}(البقرة: من الآية٢٣٩). فتؤدي الصلاة بالشكل الكامل الذي شرعت عليه من قيام وركوع وسجود باعتبارها وقفة في موضع واحد .

[الدرس العاشر من دروس رمضان صفحة [١٢ـ ١٣]]

العاملين في سبيل الله لهم مواصفات عالية

فالذين اتقوا من هم؟ {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} (آل عمران: من الآية١٦) منشدين إلى الله ومزين لهم الإيمان بالله ، الأعمال الصالحة ، العمل في سبيل الله ليسوا من الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين ...الخ ، منشدين إلى الله {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران:١٦ـ١٧) هذه صفات هامة جداً {الصَّابِرِينَ} صابرون ويعرفون الصبر عندما يكون لله وفي سبيله يعتبر عملاً صالحاً ، ويعتبر الوسيلة الصحيحة للفرج ، هم صابرون في سبيله ، هم يعملون ، صبر عملي وليس صبراً لظلم وقهر واستعباد {والصَّادِقِينَ} الصادقين في إيمانهم ، الصادقين في مواقفهم ،

الصادقين في فهمهم لدينهم ؛ ولهذا قال في آية سابقة ، عندما قال في [سورة البقرة]: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} (البقرة:١٧٧) إذاً لاحظ الصادقين هنا {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٧٧) الصابرون ، والصادقون في أقوالهم في وعودهم كلما تتناوله كلمة صدق.

{وَالْقَانِتِينَ} الخاضعين لله والخاشعين لله {وَالْمُنْفِقِينَ} في سبيل الله وفي كل ما وجههم الله أن ينفقوا فيه {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} ليس عندهم غرور ، الأسحار : آخر الليل الوقت القريب من وقت الفجر يعني في الحالة هذه التي تكون عند الكثير من العباد ، عند الكثير من المؤمنين يعتبر نفسه عندما يقوم وقت السحر يتركع يكون قد عنده [أنه من أولياء الله والجنة مفتحة له] لا ، المؤمنون يكونون مستغفرين في الأوقات التي قد تكون عادة ينشأ منها إذا ما هناك وعي وفهم حالة غرور فيكون قد عنده ماذا؟ [أنه يتمنى الباري إن قد مات يدخله الجنة] لا ، هؤلاء مستغفرون في الأوقات التي هي أوقات يحصل فيها غرور عند آخرين عند جهلة العباد فهو هنا عدد أشياء ألم يعدد أشياء هذه هامة جداً ؟ وهذه الأشياء هي في متناول الإنسان إذا رجع إلى الله واستعان بالله ، ليست الجنة متوقفة على أنك لا بد أن يكون عندك خيل ، وعندك نساء ، وبنين ، وقناطير مقنطرة من ذهب وفضة ، وخيل مسومة ،وأنعام وحرث ..إلى آخره، لا ، هذه قائمة أخرى لو لم يكن عندك شيء من هذه ، قائمة أخرى ، ألم يعدد هنا قائمة أخرى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران:١٧) يحصل هؤلاء على ما هو خير مما لدى هؤلاء ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ..إلى آخره . [الدرس الثاني عشر من دروس رمضان صفحة [٢٠]]

<u>الصبر في طريق الله أساسي في حصول الفرج</u>

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا} . ولاحظ هنا مع أن الله أنقذهم من طغيان شديد، من طغيان قد يكون عند الكثير منهم، ما كأن هناك أي بصيص أمل بأنه ينفك على الإطلاق، فيأتي بطريقة ما دخلوا حتى في مواجهة معهم، هم كانوا مساكين مستضعفين إلى آخر درجة، لم يدخلوا في مواجهة مع آل فرعون، لكن يقول لهم: اصبروا، يجلسون معه كقاعدة جماهيرية له، مؤمنون به، يصبرون، ولكل أمة أجل ،كما قال الله سابقاً، وأعطاهم أملاً كبيراً{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}.

الصبر أساسي، الصبر في طريق الله هو الأساس في ماذا؟ في أن يحصل للناس فرج، وهذه هي تعتبر مثالاً واضحاً، فرعون وواقع بني إسرائيل، طغيان في القمة، استضعاف إلى أحط مستوى، حركة لا يوجد معها أي آلية سوى عصا، أليست عصا من البداية؟ عصا من البداية، وتنتهي إلى أنه فعلاً هذا الإنسان الذي كان يراه الفراعنة والمصريون إنسانا فقيراً ولا بيده شيء، أنقذ قومه أمامهم وهم يرونهم، ورأوا أنفسهم في أعماق البحر .

[الدرس السابع والعشرين من دروس رمضان صفحة [٢٦]]

<u>الإخلاص لله هو صمام الأمان في ميادين العمل</u>

ثم يقول (عليه السلام): ((وانته بنيتي إلى أحسن النيات)) النية نفسها مهمة جداً، هي قصدك وأنت تتحرك في

مختلف ميادين العبادة لله سبحانه وتعالى، توجهك ، هي النية التي تجعل لعملك قيمة أو تجعله لا قيمة له حتى وإن سقطت ضحية في الميدان، وليست تلك النية التي تجعل كل قطرة من دمك تتحول إلى مسك يوم تبعث بين يدي الله، إذا لم تكن نيتك هي النية التي تجعل روحك تعيش في عالم آخر حيا فستكون أعمالك كلها لا قيمة لها، بذلك كله لا قيمة له، تضحياتك كلها لا قيمة لها.

ولأهمية النية تتكرر في القرآن الكريم ـ وهو يأمر عباده في مختلف مجالات ميادين العبادة ـ أن عليهم أن يتوجهوا بعبادتهم إليه {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}(البينة: من الآية٥) **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}**(الكهف: من الآية١١٠) **وعن الجهاد يقول دائما فيه: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أليس كذلك؟.هل تفهموا هذه؟**

تتكرر هذه، يقول لك: يجب أن يكون توجهك وتكون نيتك وقصدك وأنت تتحرك في ميادين العمل في سبيل الله، ميادين أعمال الجهاد أن يكون ذلك كله في سبيل الله، من أجل الله من أجل نصر دينه، من أجل إعلاء كلمته. لا أريد من هذا أن يقدر لي عملي، ولا أريد من هذا أن يشكرني على ما عملت، ولا أريد من هذا أن يعلم ماذا صنعت ولا أريد من هذا أن يعلم أثر ما قدمت، أريد ممن يعلم الغيب والشهادة هو وحده أن يكتب لي أجر ما عملت، وأن يتقبل مني ما عملت وبدون منّة عليه.. سأقول له: هذا هو أقل قليل يمكنني أن أعمله، هذا هو ما يمكنني أن أعمله وهو قليل يا إلهي في جانبك، هو قليل في جانبك، هو قليل في جانب ما يجب علي لك.

فما أكثر ما تكررت كلمة: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أو تأتي أحيانا بأبلغ منها {فِي اللَّهِ} {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}(الحج: من الآية٧٨) **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** (العنكبوت:٦٩).

ثم أنت حتى تتمكن أن تقطع على نفسك أن لا تلتفت إلى غير الله، وأنت تنطلق في الأعمال العبادية بمختلف أنواعها قارن بين الله وبين الآخرين الذين تحاول أن يلتفتوا إليك ليقدروا عملك، أو يشكروا جهدك ، أو يثنوا عليك ما قيمة ثنائهم عليك؟. ما قيمة تقديرهم لعملك؟. ماذا يمكن أن يصنعوا لك بجانب ما يمكن أن يصنعه الله لك؟. قارن بين الله وبين الآخرين، ستجد أنه ليس هناك أحد بمستوى أن تشركه في ذرة من عملك، في مستوى أن ترجو منه أقل قليل، قد يكون في مقابل أن تفقد الكثير، الكثير من ربك.

ليعظم الله في أنفسنا حتى يصغر كل ما سواه في أعيننا. الإنسان الذي يرائي، الإنسان الذي ينتظر الثناء من الآخرين، الذي ينتظر الجزاء من الآخرين هذا هو إنسان ليس لله في نفسه ذرة من شعور بالعظمة، هذا هو إنسان فعلا يؤلّه الإنسان أكثر من مما يؤلّه رب العالمين، هذه هي الحماقة بنفسها، هذا هو الغباء بنفسه، هذا هو الضلال بعينه، هو ضياع الأعمال والجهود.

الإخلاص لله هو صمام الأمان في ميادين العمل أيضاً. إذا انطلق الناس وكلهم مخلصون لله سيخلصون في السر وفي العلن، وفي السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وسيخلص سواء هو أمام فلان أم ليس أمامه، سيخلص في أي عمل يقوم به سواء رآه أحد أم لم يره أحد، سيكونون هم مجموعة يحافظون على توحدهم على أرقى درجات ما يمكن أن يصل إليه الناس في توحدهم، فما يفرق بين الناس إلا هذه المشاعر مشاعر الرياء. [أنا تحركت فلم يقدروا جهودي، هؤلاء لا يصلحوا]. فتذهب من عندهم، والآخر يذهب، والآخرون يذهبون من عندك، وهكذا.

لكن إذا انطلق الناس من أجل الله فما الذي سيفرق بينهم حينئذ؟ سيكونون جميعاً نفسياً مهيئين لأن يقبلوا توجيها واحداً هو هدي الله؛ لأنه ليس في نفوسهم شيء آخر بديل، ليس لدينا مطامع شخصية، ولا مقاصد شخصية، لا مادية ولا معنوية، وبالتالي فما الذي يحول بيني وبين أن أقبل هديا واحدا من جانب الله، أسير عليه أنا والآلاف من زملائي؟.

إنما أحيانا لا تسير مجموعة مكونة من عشرة أشخاص إذا كان داخلها من له رؤى أخرى يعمل على بناء شخصيته ـ كما يقولون ـ أن يكون هو مفكرا، أن يكون له حق التفكير، وحق إبداء الرأي، أن يكون هو الذي له حق أن يجتهد ، وله حق أن ينظر ، وله حق .. وله حق .. إلى آخره . يملأ رأسه بالحقوق الشخصية له، وحينئذ فأي جانب من التوجيهات هي من داخل القرآن الكريم سيعمل على أن يدفعها.

فإذا كان زميله هذا أو ذلك ممن يمكن أن يقبل ذلك التوجيه من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه ليس لهم هناك قائمة للحقوق الشخصية داخل نفوسهم فإنه وهم لن ينسجموا .. بل ستكون حركته في الساحة مختلفة عن حركتهم ، وسيعمل على أن يصنع في الساحة نسخا من نوعيته في الناس ، وهذا هو نفسه من أهم بواعث التفرق، ذلك التفرق الذي يصبغ كل طرف فيه ما هو عليه بصبغته الدينية فيضفي على تفرقه وخلافه صبغة دينية.

الناس إذا ذابوا في الله سبحانه وتعالى قبلوا جميعا كلمته الواحدة، هديه الواحد.. ألم نقل أمس في المحاضرة أن هناك نموذج مهم لهذا الجانب هو أنبياء الله على اختلاف أزمنتهم ، وأمكنتهم ، تلمس فيهم روحية واحدة ، وصفا واحدا، بل يعطون الموثق والشهادة لله، والعهد لله: أنه إن بعث الله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يقفوا جنودا معه أن ينصروه، أليس هذا هو قمة الذوبان في الله؟ وهم أنبياء مكانتهم عالية.

ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ إلغاء تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم: لي حق أن أكون كذا، ولي حق كذا .. ولماذا لم يعتدوا برأيي، ولي حق إبداء نظري ولي حق .. ولي ... الخ.

أنت تستطيع أن تنفع الإسلام، وتستطيع فعلا أن تنطلق في الساحة فتقيِّم كل شيء، تنظر إلى أعمال الآخرين من أعداء الله فتراقبها عن كثب ثم ارفع وجهات نظرك إلى الآخرين ممن تراهم قادة لك أو أعلاما لحركتك، وهم إذا كانوا مخلصين، مهتمين سيكونون ممن لا ينظرون نظرة احتقار إلى أي شخص مهما كان، فبإمكانه أن يذكرنا بقضية مهمة، ألم يتمكن [هدهد] من أن يدل أمة بكاملها بملكتها على أن تسلم؟ ألم يستفد سليمان (عليه السلام) من نملة واحدة؟.

الكل بحاجة إلى أن يذوبوا في الله، والكل بحاجة إلى أن يتحركوا بجدية، وكل واحد منهم يتحرك وكأنه هو القائد، وكأنه هو المعني بكل شيء، وكأنه هو المسئول عن كل شيء، وكأنه هو من عليه أن يهتم بكل شيء، بشكل مراقبة لواقع الآخرين وأعمال الآخرين، وأي قصور أو تثبيط أو تخاذل يحدث من جانب الآخرين من زملائه.

ثم ليقدم كل معلوماته لمن يرى أنهم هم من يقودون أعماله ، من يتحرك هو وهم في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي مواجهة أعدائه.

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله وفي توحيد كلمة الأمة

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله، وأحيانا قد تخسر قيمة كبرى لعملك، ليست فقط هي ما يمكن أن يعطيه عملك في حدوده بل آثاره أيضا، آثاره في الآخرين، وآثاره في الأمة من بعدك .. الإنسان إذا راى أنه سيخسر شيئاً عظيماً، سيخسر أجراً مضاعفاً يتكرر جيلاً بعد جيل.

أما إذا أخلص لله فسيكون هو من يلقى الله سبحانه وتعالى بأجر كبير، بأعمال مضاعفة، ليست فقط هي أعماله بل ومن أعمال الآخرين، ومن حسناتهم الذين كان عمله سبباً لهدايتهم، من كان عمله سبباً لإنقاذهم، كان عمله سبباً لتوعيتهم، وتبصيرهم، وإكمال إيمانهم.

أليس هذا هو الفضل العظيم؟ ألم يقل الله عن أولئك المجاهدين: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: من الآية٥٤)**؟ لأنه هكذا أنت في ميدان أن تصنع لنفسك فضلا عظيما عند الله ، أن تبني لنفسك رصيدا مهما من الأجر الكبير من الحسنات المضاعفة عند الله، المجاهدون هم أولئك الذين يعملون على أن ينقذوا الأمة، وينقذوا الأجيال من بعدهم فيكونوا هم من سيشاركون كل فرد في الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها .. أليس هذا هو الفضل العظيم؟.**

عمرك القصير سبعين سنة، ثمانين سنة، ستين سنة .. ماذا يمكن أن تتسع له أمام تقصيرك وقصورك وجهلك؟!. لكن تلك الأعمال المهمة هي الكفيلة بتغطية ذلك النقص.

أليس هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء بهذه العبارة؟: {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} فمن هو الذي يجعل نفسه جديراً بأن يؤتيه الله ذلك الفضل؟ هو من ينطلق في أعماله بإخلاص.

هذا هو فيما يتعلق بقيمة الإخلاص لله، فيما يتعلق بأجر العمل وهو في نفس الوقت له أثره المهم في توحيد كلمة الأمة، توحيد كلمة المجموعة، توحيد كلمة العاملين، بل وفاعليتهم سينطلقون بجد حتى وإن كان في ظلمات الليل في الصحراء لا ينتظر لأحد أن يلتفت إليه فيقول: ما شاء الله. يرى نفسه في حالة شديدة في الصحراء من البرد ، من الجوع ، من الألم لا يخطر بباله أن يتمنى [أن فلان يراني ليعرف أني أحسن من ذلك الشخص الذي رابض عنده أو أحسن من فلان الذي يعتمد عليه .. أو أو..] من هذه العبارات الكثيرة.

هو وحده واثق أن هناك من يراه هو الله، وهذا هو المهم أن يكون الله الذي يراه ، هو وحده الذي يقبل عمله ذلك .. أليس الإخلاص هو الذي سيجعل كل جندي يتفانى في أي ميدان هو؟ أليس الذي هو سيقفل كل بواعث التفرق؟.

معظم بواعث التفرق هي: البغي، والحسد. والبغي والحسد منبعه هو: النظرة الشخصية، مصالح شخصية، حقوق شخصية ، أهداف شخصية، ومقاصد شخصية .. أليس هكذا الله تحدث عن أولئك الذين تفرقوا من بعد أنبيائهم ، أن ما كان يدفعهم للتفرق هو البغي هو الحسد. البغي من بعضهم على بعض اعتداءهم، ومتى ستعتدي على أخ لك في الله وأنت وهو منطلقان في ميدان العمل لله بإخلاص لله.

من الذي سيفرق بينكم؟ الله الواحد الأحد يمكن أن يفرق بينكم؟!، وهو الذي لم يفرق بين أنبيائه جيلا بعد جيل، وهو الذي طلب منا كمؤمنين أن نؤمن بأن لا تفرقة بين أنبياءه {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٣٦) أبدا.. لا الله، ولا هديه، وإنما أنت أو أنا، إذا ما ابتعد عن هدى الله سيظهر البغي سيظهر الحسد، ستظهر المصالح الشخصية، ستظهر المقاصد السخيفة، ستظهر الحماقة.

ثم حينها سيكون كل طرف قوي .. قوي في سبيل مواجهته للطرف الآخر؛ لأنه حينئذ أصبح يتحرك لتحقيق أهداف شخصية لديه، وما أحمق الإنسان وما أضعف إيمانه، وما أضعف يقينه بالله إذا ما كانت حركته قوية عندما يتحرك من أجل مصالحه الشخصية، ومن أجل تحقيق أهدافه ثم هو الضعيف الضعيف إذا ما كانت حركته لله وفي سبيل الله.

الإخلاص لله سيقضي على كل هذه السلبيات، على كل هذه الثغرات سيسدها. حتى تكون نيتك على هذا المستوى أيضا أنت من يفكر دائما في عظمة الله، وفي حاجتك إليه، وفي أنه وحده فوق كل طرف آخر ممكن أن تطلب منه شيئا أو تخاف منه شيئا، الثناء من قبله وحده عليك أعظم من أي ثناء من الآخرين عليك.

فمنه وحده أطلب أن ينتهي بنيتك إلى أحسن النيات، فقل: ((وانته بنيتي ـ يا إلهي ـ إلى أحسن النيات)) انته بنيتي إلى أحسن النيات. هل أنّي على هذا النوع؟ هل يكون هذا مقصدي؟ إليك أنت وحدك يا إلهي اجعل عملي على أحسن ما ترى، وجهه إلى أحسن ما ترى. فأن يكون عملك في الله ومتى كان العمل لله انظروا ماذا عمل سبحانه وتعالى لأولئك من أهل البيت الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) عندما تصدقوا بشيء بسيط لكنه انطلق منهم على هذا النحو: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} (الانسان:١٠).

هذه الروحية، هذه النية، تلك المقاصد هي التي جعلت حفنة من الشعير، أقراصاً معدودة تخلد ذكر أولئك الذين قدموها لمسكين واحد، وأسير واحد، ويتيم واحد، تخلد تلك الفضيلة وتلك العطية العظيمة البسيطة في القرآن الكريم، فنحن نقرأها لنعرف نحن كيف أن يكون همك هو أن تكون نيتك صالحة لله وفي الله ، وأنت تعمل في سبيله ، وأنت تقوم بأي عبادة من عبادات الله في صلاتك ، في صيامك، في ذكرك لله، في حجك، في إنفاقك، في قولك الحق، في نصيحتك، في كل عمل تعمله يرضي الله أن يكون مقصدك فيه هو من أجل الله .

ستكون حينئذ الكلمة الواحدة يضاعف لك أجرها؛ لأن الله رحيم، فقط يريد منا أن نتجه إليه وأن نخلص له ، أليس هذا هو أقل قليل يطلب منا؟. أما أنك تريد أن يرحمك ، وتريد أن يدخلك جنته ، وتريد أن يعمل لك كذا ويعمل كذا وكذا، وأنت حتى لا تتجه إليه؟!.هذه حماقة هذا أسلوب خاطئ جدا، هو يقول لك: اتجه إلي بعملك والقليل من عملك سأضاعفه، بل سأكتب آثاره {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ }(يّـس: من الآية١٢) الله يكتب ما قدمت أنت من أعمال ويكتب آثارها .

أليست هذه من أظهر مظاهر رحمته بنا؟. فقط يقول لنا: أخلصوا، أخلصوا. ولأن الإخلاص له وهو الشيء الذي لم

يخرج عن القاعدة العامة لهدي الله: أن كل شيء من الإيمان بالله أوّلا والإخلاص له كل شيء له أثر في حياتنا، أثر في نفوسنا ، أثر في وحدة كلمتنا ، أثر في أن تكون أعمالنا ذات أثر ـ كما تحدثنا عن الإخلاص ـ ليس أن الله يقول هكذا من منطلق الأنانية ، هل يمكن أن نقول كذا بالنسبة لله؟. بل لأن كل شيء هدانا إليه حتى توحيده هو له أهميته الكبرى فيما يتعلق بنفوسنا، وفيما يتعلق بمسيرتنا في هذه الحياة، ليس هناك شيء من دين الله ليس له أثر في واقع الناس، في واقع الحياة ، في صالحهم في الحياة في عزتهم في الحياة ، في كرامتهم ، في عظمتهم في سعادتهم في كل شيء ، لأن الله هو غني عن عباده، أليس كذلك؟.

لو كفر الناس جميعا بالله لن يضروه شيئا، لن ينقصوا من كماله شيئا، ولأنه الكامل ولأنه الغني الذي لا يحتاج إلى أحد هو من جعل كل شيء من هديه ودينه ذو مصلحة لعباده الذين هداهم إلى هذا الدين وأرشدهم إليه ودعاهم إليه لمصلحتهم في الدنيا وفي الآخرة ، لو تأمل الإنسان هذه الأشياء: المظاهر المتعددة لرحمة الله لوقف خجلا مستحيا أمام الله، في ميدان الإخلاص، يقول لك توجه إلي.

وأنت لو تأتي ببديهتك ومن أول نظرة لتقارن بين الله وبين غيره لن تجد أحدا ترى نفسك مندفعة إليه غير الله سبحانه وتعالى لترجو منه، وتخاف منه، وتتمسك به، وتثق به.

[في دعاء مكارم الأخلاق الدرس الأول من صفحة [١٠ ـ ١٣]].

اتقوا الله حق تقاته

نعود إلى أصل الموضوع ولأن الآيات من أولها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...} بل الآيات التي تسبقها في أهل الكتاب توحي بأن القضية بالغة الخطورة وأن القضية هامة جداً جداً عند الله سبحانه وتعالى فيقول للناس ويذكرهم بإيمانهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:١٠٢)

القضية مهمة جداً يجب أن تخافوا من الله من أن يحصل من جانبكم تقصير فيها، أن يحصل من جانبكم أي إهمال، أي تقصير، أي تفريط، القضية مهمة جداً جداً، هو يقول لنا هكذا، يذكرنا بأن نتقيه فالقضية لديه مهمة، وبالغة الخطورة، وبقدر ما تكون هامة لديه، وبالغة الخطورة أي أنه سيكون عقابه شديداً جداً على من فرط وقصر فيها، فيجب أن نتقيه أبلغ درجات التقوى {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} أقصى ما يمكن فالقضية خطيرة جداً، وهامة جداً لديه، ولن يسمح لمن يقصر، لن يسمح لمن يفرط، لن يسمح لمن يهمل.

وهكذا تأتي عبارات: {اتَّقُوا اللَّهَ} في القرآن الكريم في مقامات كثيرة، في مقدمة كل قضية هامة ليوحي للناس بأن المسألة هامة لديه، فلينطلقوا من منطلق الحذر من الله من أن يقصروا في هذه القضية سيضربهم هو، سيكون عقابه شديداً عليهم، سيكون غضبه شديداً عليهم كما في قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}(لأنفال: من الآية١) .

وهكذا تأتي في القرآن الكريم مكررة في معظم المقامات المهمة؛ لينطلق الناس من منطلق أن هذه قضية مهمة لدى الله سبحانه وتعالى، وهي في واقعها بالغة الخطورة فأي تقصير من جانبنا نحوها سيجعلنا عُرضة لسخط الله نعوذ بالله من سخطه.

فقوله: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} أنتم في مواجهة مع طرف يمكن أن يصل بكم إلى أن تكونوا كافرين، أنا لا أريد أن تكونوا كافرين، أن تكونوا كافرين يعني أن تصبحوا من أهل نار جهنم، أن تتحولوا إلى أطراف، تهملوا فتصبحوا فعلاً في واقعكم كافرين، أي أن تضيّعوا الرسالة التي حُمِّلْتُمُوها من جانب الله سبحانه وتعالى، أليس هذا الذي حصل بالنسبة للعرب؟ العرب ألم يُذِلّوا الإسلام بذلتهم؟ ألم يقهروا الإسلام بقهرهم؟ ألم يضيّعوا كتاب الله بضياعهم؟ لأنهم فرطوا في الرسالة، فرطوا في الرسالة، إذاً فكانت القضية فعلا بالغة الخطورة.

وتقوى الله سبحانه وتعالى معناها الحذر منه، تكون دائما تعيش الحذر من جانبه فيما إذا حصل منك تقصير فيما يوجهك إليه، وفيما يرشدك إليه، وفيما يأمرك به وينهاك عنه، ليست سواء، القضايا ليست سواء أن تشرب فنجان شاي على رجل آخر هذا حرام، لكن لا يقال لك في هذا المقام: اتق الله حق تقاته، حرام واتق الله لا تأخذ هذا.

لكن مقامات مهمة جداً، مقامات مهمة جداً أي تفريط من جانبك فيها هي قضايا عند الله بالغة الخطورة يعلم سوء آثارها على دينه، وعلى عباده وأنت وهذا وذاك أنتم يا هؤلاء هذه الأمة بكلها هي المعنية بأن تكون هي الطرف الذي يَدرَأ هذا الخطر، ويدفع هذا الفساد، ويعلي هذه الكلمة.. أليس هذا هو الطرف المسئول؟.

إذاً فانطلقوا من منطلق الحذر؛ لأن مسئوليتكم كبيرة، وأن القضية خطيرة يجب أن تتقوا الله أبلغ درجات التقوى، أي أن تخافوه وتحذروه هو لن يسمح إطلاقاً.

وهذا فعلا شواهده قائمة، شواهده قائمة أنه غضب غضباً شديداً على الأمة أن جعلها تحت أقدام من قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وجعلها أمة تائهة، تمتلك الأموال الكثيرة، تمتلك الخيرات الكثيرة ومع ذلك لا تزال أمة جاهلة، ما تزال تبعث منح دراسية إلى الخارج، منح دراسية، منح دراسية، وخبراء يأتون من هناك وناس ذهبوا يدرسون هناك، الخبراء يذهبون ولم ينفعوا بشيء، والطلاب يعودون إلى هنا ولا يعملون شيئاً بل يعودون حرباً لأمتهم الكثير منهم، حالة من الضياع، حالة توحي بأن الأمة تواجه ضربة قاضية من الله، غضبة شديدة من جانبه.

لأن الله سبحانه وتعالى هو رحمن، هو رحيم يهمه أمرنا، لا يريد أن نُظلم، لا يريد أن نكون كافرين فنستحق جهنم، هو عندما وعد بجهنم للمجرمين لم يقل: تلك جهنم فأي مجرم، أو أي أحد يريد أن يضل فمصيره جهنم، لا يهمه أمره، هو يهدي الناس، ويرشدهم إلى كيف يبعدهم عن مقتضى سخطه، ومقتضى عقابه، كيف يبعدهم عن طريق جهنم، عن الوقوع في جهنم، هو رحيم بالناس، هو رحيم بعباده.

دينه هذا الذي هو لا يساوي عند الكثير منا [الدخان الذي نعمره يومياً]، لا يساوي الاهتمام به الاهتمام بالدخان الذي يتحول من نقود إلى دخان في الهواء. أمره عظيم عند الله، هو يعلم أنه نعمة عظيمة لعباده، يعلم أنه متى ما ضاع في وسطهم سيضيعون هم، وسيهلكون هم، ومتى ما ضاعوا هم، متى ما هلكوا سيضيعون هداه لعباده للبشر كلهم.

كم صعدت أصوات تقول: [يجب أن نلحق بركاب الغرب] من قبل مائة سنة بدأت من مصر، ومن بلدان أخرى [يجب أن نتثقف بثقافة الغرب، يجب أن نلحق بركاب الغرب، يجب أن نعمل على كيف نتطور مع الغرب]. فماذا حصل؟ نساء العرب [تخلْوَسنْ] وأصبحن يقلدن الغرب تماماً هل تطوروا؟ هل وصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون؟. لا، لا؛ لأنهم يتصورون أن المسألة هي أن بإمكاننا أن نصل إلى ما وصل إليه الآخرون، ونحن العرب، نحن العرب من لدينا مسئولية مهمة كان بالإمكان أن تجعلنا ـ لو نهضنا بها ـ فوق أولئك الآخرين ويكونون هم من يفكرون في اللحاق بركابنا، فالمسألة لا تتأتى، لن تحصل.

فمازال المصريون الذين انفتحوا على دول الغرب قبل أن ينفتح الصين عليها، وبعثت بطلاب إلى الغرب قبل أن يبعث الصينيون بطلاب إليها، أصبحت الصين دولة عظمى صناعية، والمصريون مازالوا شغالين في التمثيل قطاع التمثيل [كلام في كلام] مازالوا يبعثون بطلاب إلى الغرب، طلاب ذاهبون باستمرار، منح دراسية فيرجع وقد أصبح فرنسيا بتفكيره يكون حربا لأمته، لدرجة أن من يرسلوا ويعودوا يتحولون إلى ساخرين من أمتهم.

أي أن الوضعية التي يعيش فيها العرب هي وضعية سخط، الوضعية التي يعيش فيها المسلمون وضعية سخط من الله لماذا؟ لأنهم أضاعوا دينه الذي فيه ذكرهم، وفيه شرفهم، وفيه عزتهم فلا يمكن أن يتحقق لهم شيء إلا بعد أن يعودوا هم، ومتى ما عادوا سيصبحون هم سادة الدنيا، سيصبحون هم من يفكر الآخرون باللحاق بهم، بالاهتداء بهم، بالتقليد لهم، بالتثقف بثقافتهم، بالتحلي بأخلاقهم، فيعم الهدى الدنيا كلها.

نحن بحاجة في مواجهة أهل الكتاب إلى أن نتقي الله حق تقاته

{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} لاحظ {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} لو نأتي إلى النظر إلى الآية من منظار آخر أن يأمرك بأن تكون على أعلى درجات التقوى، ثم يقول لك: انتبه لا تموت وأنت كافر.. أليست هذه حالة من التباين في

التعبير تقريباً؟ عند من يفهم اللغة العربية حالة من التباين في التعبير، ولهذا يأتي بعض المفسرين فيقولون: معناها ولا تموتن إلا وأنتم مستسلمون لله، خالصون لله! من أجل أن يجعلوا كلمة: {مُسْلِمُونَ} تنسجم مع كلمة {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}.

المسألة هي على وضوحها، أنتم في مواجهة فريق من أهل الكتاب، بل أنتم الآن في مواجهة أمم من أهل الكتاب تعمل على أن تردكم بعد إيمانكم كافرين أليس هذا شيء؟ هناك طرف يعمل على أن يصل بنا إلى درجة الكفر، إلى أن نكفر، وطرف خطير سيعرف كيف يصل بنا إلى أن نكفر ونحن نشكره على ما عمل معنا، إلى كيف نكفر ونحن نتلهف على أن نلحق بركابه، كيف نكفر ونحن نثقف أنفسنا بثقافته ونعتبرها هي التحضر والتقدم والتطور، وتعني هي العقل، والسمو الروحي والبشري، والارتقاء الإنساني.. أليس هذا الذي يحصل الآن في بلاد المسلمين؟ نكفر طواعية ولهذا قال: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران:١٠٠).

إذاً فمعناه أنه فعلاً سيحصل هذا، كفر صريح. ألم يجعل الله تولي اليهود والنصارى كفراً في قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة: من الآية٥١)؟. أليس اليهود والنصارى عند الله كافرين؟. أو فقط أنهم لم يتقوا الله حق تقاته؟. بل كافرين.

فمعنى هذا أنتم في مواجهة قضية خطيرة جداً عليكم هي بالغة الخطورة عند الله، وبالغة الأهمية عند الله، يجب أن تتقوا الله أولا حق تقاته هو، وتحذروه أقصى درجات الحذر من أن تقصروا فيها.. لماذا؟. القضية خطيرة، ثم لتفهموا بأن تحرصوا وتنتبهوا، قد تموتوا غير مسلمين هذا الإسلام العادي، ليس فقط غير مستسلمين الذي هو أعمق درجات الإسلام، وأرقى درجات الإيمان، التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى.

تصبحوا غير مسلمين بهذا المعنى الذي يكتب في جوازاتكم، أو الذي يتردد على ألسنكم تصبح كافرا بمعنى الكلمة؛ ولهذا قال: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٢) أي تنبهوا أنتم في مواجهة قضية خطيرة قد يموت الواحد منكم وهو كافر، فكونوا متيقظين، حريصين على أن تنتبهوا لأنفسكم حتى لا يحصل الموت إلا وأنت مسلم، أي لا يحصل الموت وأنت كافر، لا يأتيك الموت وأنت كافر، أي أن هناك من سيأتي ليطبعك بالكفر فتعيش كافرا وتموت كافرا، والأمة معرضة إلى هذه الحالة، وما أكثر ـ ربما في علم الله ـ من يكون قد وقع في هذه الحالة، في حالة الكفر.

وما هو الكفر؟. هل متى ما أصبح الإنسان كافرا فستخرج له قرون في رأسه يعرف بأنه كافر؟ أو يصبح ـ مثلاً ـ لونه متغير إلى لون أزرق فعرفنا بأنه كافر؟. الكفر والإيمان هو في النفوس، في القلوب، في الأعمال، تتحول كافراً وأنت أنت ما ترى بأنك تغيرت شيئا، أنت فلان بن فلان صاحب ذلك البيت، وصاحب تلك الأموال، والذي يسوق ذلك السوق، والذي يدخل المسجد يصلي، لكن تصبح كافرا فعلا.

ولهذا تأتي العبارة: {وَلا تَمُوتُنَّ} {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٢) أي أن القضية بالغة الخطورة على طرف معين بالذات أكثر من غيره، هو من يمسح من ذهنيته روح الجهاد فليس مستعداً أن يقاتل أهل الكتاب، ليس مستعداً أن يقاتل أعداء الله، هو يريد أن يجلس على حاله لا يمسه شيء؛ لكي يموت على فراشه، أي هو يريد أن يموت.

لكنه يقول لك: أنت بهذه الروحية تواجه خطورة بالغة يحتمل أن تموت كافراً، لكن وأنت تنطلق في ميدان القتال لأعداء الله أنت أبعد ما يكون عن الخطورة؛ ولهذا لم يقل: [ولا تُقتلوا إلا وانتم مسلمون] هل جاءت عبارة [ولا تقتلوا؟.] القتل غير الموت، ليقول لأولئك الذين يرسمون لأنفسهم طريقا يتهربون به عن ميدان المواجهة مع أعداء الله، مع هذا الفريق الذي يسعى إلى أن يراك تموت فوق فراشك وأنت كافر، من يتهرب عن ميدان المواجهة هو هو من يتعرض لخطورة الموت كافرا وبسهولة.

وأنتم عندما تتأملون فعلاً كيف ستنطلق أصوات من حناجر مسلمة، بعضهم هو الذي يؤذن للصلاة، أو هو الذي يصلي بالناس، أو هو الذي يظهر أمام الناس بمظهر أنه متدين قد يصدر من حنجرته كلاماً يهيئ الناس إلى أن يكونوا كافرين، قد يكون هو من حيث لا يشعر كافراً؛ ولهذا جاءت الآية تحذر من قضية بالغة الخطورة أنه أنت انتبه

لنفسك قد يأتيك الموت وأنت غير مسلم.

هذا هو مسار الآيات، مسار الآيات حول قوله: {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٠) {لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٢) ما معنى هذا؟ قضية مترابطة، انتبهوا هم أناس يسعون بكل جد واجتهاد، ولديهم خبث شديد، ولديهم إمكانيات هائلة ليردوكم كافرين، انتبهوا لا تموتوا إلا وأنتم مسلمون، لا يأتيكم الموت إلا وأنتم مسلمون، متى ما حصل لديك هذا الشعور فأنت ستنطلق إلى ميدان المواجهة، ستنطلق إلى ميدان القتال فإما أن تقتل وأنت مؤمن، وإما أن تموت فيما بعد وأنت مؤمن.

اليهود يعملون على أن يلغوا روحية الجهاد من داخلنا

أنت تعرف عدوك وماذا يعمل، أنت تعرف عدوك ماذا يريد منك، يريد أن يلغي روح الجهاد من داخلك، يريد أن يمسح روح الجهاد من أوساط أمتك، وهذا الذي حصل بالنسبة لليهود، ألم تحصل من جانبهم أن ألغيت كلمة [الجهاد] في مواثيق [منظمة المؤتمر الإسلامي]؟ أي مجموعة الدول الإسلامية التي وصلت إلى قرار عدم التحدث عن الجهاد واستخدام كلمة [جهاد]، قالوا: نظهر مسالمين للغرب، ونثبت أننا أمة يمكن أن تعيش مع الأمم الأخرى في سلم، واحترام متبادل!.

أُلغِيت كلمة [الجهاد]، فحل محلها [مناضل، مقاوم، حركة مقاومة، مناضلين، انتفاضة]، ومن هذا النوع، ألم تغب كلمة[الجهاد] في أوساط المسلمين؟ على يد من غابت؟ على يد اليهود هم الذين يفهمون كيف تترك المصطلحات القرآنية أثرها في النفوس فيعملون على إلغائها، يعملون على نسفها من التداول في أوساط المسلمين.

ثم تتطور المسألة لديهم أن يصبح المجاهد إرهابياً، أن يصبح إرهابياً ثم يكون جهة تقلق حتى المسلمين أي ينظر إليه نظرة قلق، وأنه شاذ في هذه الأمة، حالة شذوذ تحولت لديهم، فهو إرهابي يجب أن يزال، يجب أن يُسلم لأمريكا! هكذا تلغى كلمة [جهاد]، ثم يريدون أن تنسف روح الجهاد، ثم ليغيب المجاهدون عن المجتمع تحت عنوان أنه إرهابي فمتى ما قالوا: هذا إرهابي خذوه، هذا يعني نسف للجهاد والمجاهدين، للجهاد من داخل ثقافة الأمة وفكرها، وللمجاهدين من وسط الأمة وصفوفها.

حالة رهيبة جداً، حالة خطيرة جداً، فلنفهم بأن التقصير فيها ليس عاديا، التقصير في النظر إليها، التقصير في الاهتمام بها، ولا يتصور أحد بأنه ليس في استطاعته أن يكون فاعلاً في ميدان مواجهة هذا الفريق من أهل الكتاب وأوليائهم، كل مسلم يستطيع أن يعمل، وكل مسلم يكون لعمله أثر.

الحالة التي تترسخ عند الناس أنه [ماذا سنفعل بهم؟ ما هو جُهدنا أمام قوتهم؟] ألسنا نقول هكذا؟ الله يعلم أن كتابه هذا سيسير في أمة وسيلاقي صفوف من هذا النوع، لكنه يعلم بأن باستطاعة عباده المؤمنين أن يعملوا الشيء الكثير الذي يؤهلهم إلى درجة أن يقهروا أعداءه، ألم يضرب شواهد في واقع الحياة؟ ألم تكن إيران كمثل للدول الإسلامية؟ ألم يكن حزب الله كمثل لكل الطوائف، ولكل المجتمعات؟.

حزب ألم يقهر أمريكا وإسرائيل؟ أخرج أمريكا من لبنان، ضرب بارجاتها وجعلها تنسحب ذليلة ببارجاتها التي كانت تضرب بقذائف كبيرة جداً، أخرجهم من لبنان، ثم أخرج إسرائيل من لبنان، ويضربهم بمختلف الأسلحة التي يمتلكها، فقهر أمريكا وإسرائيل، حزب واحد.

فساد الأسر مما يسعى اليهود إلى تحقيقه

اليهود يعرفون بأنك أنت الذي تفكر بأنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضدهم أنه متى ما أفسدوا أسرتك، أولادك الصغار. أليس أولادك الصغار من أضعف من تتصور بأنه سيعمل شيئاً ضد إسرائيل؟ أليس هذا مما يتبادر إلى أذهاننا؟

لكن هم يعرفون بأن إفسادهم شيء مهم بالنسبة لهم، وبالنسبة للحفاظ على مصالحهم، وإلى الاستمرار في عملهم في تحويل الأمة إلى أمة كافرة، هم عندما يحرصون على إفساد أسرتك .. أليس ذلك يعني أنهم يعرفون أن إفساد أسرتك هو في صالحهم، أليس كذلك؟.

وهم عندما يعملون على أن تنزل [الدشات] هذه بأسعار رخيصة من أجل كل أسرة يمكن أن تأخذ لها [دُش] فتفسد المرأة زوجتك، وبناتك، وأخواتك، وأولادك، وكل أقاربك. هم ساهموا معك في قيمة [الدش] حقك فعلا ساهموا بكل ما تعنيه الكلمة. الدش قيمته حقيقة قد تكون مائة ألف مثلا تأخذونه بعشرين ألف، من الذي دفع الباقي؟ الصهيونية هي التي دفعت الباقي نقدا فعلا إلى الشركات المصنعة.

الدش الذي فوق سطح منزلي أو منزلك اشتريته أنا ومن؟ أنا وإسرائيل حقيقة بما تعنيه الكلمة، شراه لي الإسرائيليون، ودفعوا مبلغا أكثر مما دفعت؛ لأنهم يفهمون أن هذه الأسرة متى ما فسدت سيصبح فسادها في صالحهم.

ثم المسألة وصلت إلى صراع صراع شامل وليس صراعا في جانب واحد، صراع إعلامي، فكري، ثقافي، سياسي.

أم أنهم يرتاحون جداً لنا، ويريدون أن نعيش حياة مرفهة، ونرتاح جداً فنتفرج على العالم من خلال ما تبثه القنوات الفضائية في مختلف بلدان الدنيا، يريدون أن يقدموا لنا خدمة؟! أليس عندنا مثل معروف يقول: [ما قد نصح يهودي مسلم]؟.

هذا قد حصل لآبائنا وأجدادنا، قد جربوا العيش مع اليهود، وعرفوا اليهود، وأنه [ما قد نصح يهودي مسلم]، فاليهودي هو الذي دفع ثلاثة أرباع قيمة الدش الذي فوق منزلك، لأنه عارف أن ابنك عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد، وابن هذا عندما يفسد أن المجتمع مكون من لبنات هي الأسر ومتى ما فسدت هذه الأسرة وهذه، وهذه، وهذه... يعني فسد المجتمع، ومتى ما فسد المجتمع أصبح لا يشكل أي خطورة عليهم، وأصبح ميدانا يمشي عليه كل ما يريد أن يعمموه عليه.

هذا جانب مما تعنيه آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}(آل عمران: من الآية١٠٢) **وهي من منظار آخر بعد أن قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** (آل عمران: من الآية١٠١) **يقدم هو الهداية فهكذا كونوا.**

تلحظ في الموضوع جانب المبادرة من قبل الله سبحانه وتعالى أنه لا يتركك حتى تقول: ها نحن اعتصمنا بك، ثم يبحث للهدى إذا عاد معه باقي هدى في [المخزان] هذا أو ذك ثم يقول: خذ هذا، لا، يهديك، يهديك من قبل أن تفكر في الاعتصام به، وقد قدم الهدى إلى بين يديك ليقول للناس، ليقول للأمة، ليقول لكل من يهمهم أمر الدين وإن كان مجتمعاً صغيراً: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} تحلوا بالتقوى، كونوا متقين لله فيما تعنيه كلمة التقوى من مشاعر الحذر من التقصير فيما أمرنا الله أن نهتم به، فيما أمرنا الله أن نعمل من أجله. التقوى فيما تعنيه الابتعاد عما يوقعنا في سخطه وعقابه.

ويأتي القرآن الكريم يتحدث عن المتقين، وما وعد الله به المتقين من النعيم العظيم، من الرضوان، من المكانة لديه، من القرب لديه، ومن النعيم العظيم الجنة {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ} (المرسلات:٤١) **{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً}** (النبأ:٣٠-٣٦). **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}** (آل عمران:١٣٣) **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}**(القمر:٥٤-٥٥) **كم ورد من آيات في القرآن الكريم تبين ما وعد الله به المتقين.**

الصبر والتقوى شيء مهم في ميدان المواجهة مع أعداء الله

وفي ميدان المواجهة مع أعدائه يأمر المؤمنين بالصبر والتقوى {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا}(آل عمران: من الآية١٢٥) **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}**(آل عمران: من الآية٢٠٠) **التقوى لابد منها، التقوى كحالة نفسية تسيطر على مشاعرنا الحذر الشديد من أن نقصر، أو نهمل، أو نبتعد عن ما أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليه، التقوى فيما تعنيه**

من انطلاقة في التحلي بالفضائل، من انطلاقة في كل العبادات التي شرعها الله سبحانه وتعالى لنا نؤديها كاملة بشكل واعٍ، نفهم مقاصد الله سبحانه وتعالى، ومقاصد كتابه في تشريعها.

إذا فقد الناس التقوى في نفوسهم وفي أعمالهم فلن يكونوا أبداً جديرين بنصر الله سبحانه وتعالى، وسيكون أول من يواجههم هو الله، سيكون أول من يضربهم هو الله، متى ما قصروا، متى ما أهملوا، متى ما ضيعوا.

فهنا بدأ يرشد المسلمين، يرشد المؤمنين كيفما كانوا يرشد الأمة بكاملها، أو مجتمعاً خاصاً ـ وهو الذي يهمنا ـ إذ يهمنا نحن الآن نتحدث مع الزيدية بخصوصها، لماذا؟ لأنه فيما أعتقد أن بقية طوائف الأمة ميئوس منها فيما هي عليه الآن، وأن الطائفة التي لم تعمل حتى أبسط ما يمكن أن تعمله ولو أن تعمل مثل ما عملته طوائف أخرى ممن فشلت أيضاً هي طائفة الزيدية الذين يجب أن يكونوا هم من يتقوا الله حق تقاته، ويجب هم أن يكونوا أول من يهتدي بكتابه.

ألم يقل الله لأهل الكتاب: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ}(البقرة: من الآية٤١) **هذه العبارة تعني لا يليق بكم وأنتم أهل كتاب تعرفون الرسالات، تعرفون الكتب أن تكونوا أول من يكفر بهذا الكتاب القرآن الذي أنزلته، وبهذا النبي الذي تعرفون أنه نبي كما تعرفون أبناءكم، عبارة {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ} أي لا ينبغي لمثلكم أن يكون أول من يكفر وهو ما هو عليه من المعرفة، وبين يديه ما يؤكد أن هذا الذي جاء من جديد ليس بدعاً من الرسل، وليس بدعاً من الكتب.**

فالزيدية هم الطائفة الذين يجب أن يكونوا أول من يحمل الاهتمام بأمر الإسلام، الاهتمام بأمر المسلمين، الاهتمام بالعمل لإعلاء كلمة الله، ونحن في وضعيتنا التي نحن عليها ممن يجب أن يكون أكثر انتباها أن يأتينا الموت ونحن غير مسلمين، أو ـ كما قلت سابقا ـ نتصور بأنه ليس هناك شيء يصل إلينا، كل ما يعمل اليهود والنصارى، كل آثاره تصل إلينا. [الدرس الثاني من آل عمران من صفحة [٧ ــ ١٢]].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الثالث]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

٣ ـ هدى الله وأهميته وخطورة اللامبالاة تجاهه وخطورة الضلال

الإنسان المؤمن يجب أن يكون مستنيراً ومهتماً

الإنسان المؤمن يجب فعلاً أن يكون مستنيراً، وأن يكون مهتماً، ولكن ربما أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى درجة أن يهتدي بهدى الله، أو يستنير. وكما قلنا في جلسة سابقة حول قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} (الأنفال من الآية: ٢٤) **والآية الأخرى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}** (البقرة: ١٨٦) **أن الإنسان يحتاج إلى أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، كل واحد منا حتى نستفيد، حتى يهدينا الله، حتى نستنير، أن يتوجه كل واحد منا بنفسه إلى الله سبحانه وتعالى، ويقطع، ويعزم مع الله، ويستعين بالله، ويرجو الله أن يعينه بأن يكون مهتدياً بهديه، بمعنى: أن يعزم فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى أنه سيسير على هدى الله، وأنه مسلّم نفسه لله، وانه موطّن نفسه للاستجابة لله، وإلا إذا جلس الإنسان هكذا لا يقطع بهذا الشكل مع الله سبحانه وتعالى، وفعلاً، كما قلنا أكثر من مرة في أجواء من الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، من الاستعانة بالله، إذا لم تحصل هذه ربما لو سمعنا أشياء كثيرة، لو لدينا دروس، لو قرأ القرآن علينا عدة مرات ربما لا يترك أثرًا في نفوسنا بالشكل المطلوب.** [الدرس الحادي والعشرين من سورة المائدة صفحة [١]]

خطورة عدم الإهتمام والتقدير لهدى الله

العبرة الثانية: أن يحذر الناس، أن يحذروا لأنه أحياناً قد يكون التمادي في التنكر لهدى الله أو عدم الإهتمام به، عدم التقدير له، يؤدي في الأخير إلى وضعية سيئة جداً، و أعتقد أن المسلمين يعيشون فيها بكل معانيها.
من القيمة الهامة للهدى الذي أنزل إليهم وجاء به موسى كتاب وفرقان وأساس الهدى وتربية للمجتمع يقول لهم أنه كان الكتاب والفرقان مرتبطاً بموسى، موسى يمثل العَلَم لهم يمثل: معلم، وقائد، مربي، موجه. هم يتفهمون وينطلقون على أساس توجيهاته بدون أخذ ورد. ما حصلت هذه. لاحظ كيف كان موقفهم في قضية واحدة، في قضية [البقرة]؟! هدى الله لا يصنع أناساً على هذه النوعية أبداً أعني: أنه يتضح لك كيف يحصل الخلل لأن الله سبحانه وتعالى يقول بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهي نفس المسيرة، ونفس الطريقة الواحدة التي عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد، وعند عيسى، وعند موسى، وعند إبراهيم، أنهم يهدون الناس، ويعلمونهم الحكمة، ويبنونهم مجتمعاً متماسكاً متوحداً كلمته واحدة، موقفه واحد، انطلاقته واحدة. حصل خلل كبير جداً لديهم! هذه الظاهرة السيئة عندما قال لهم موسى في قضية هم بحاجة إلى أن يكتشفوا من هو الذي ارتكبها، قتيل قتل في ظروف غامضة جداً وأصبحوا هم يتدافعون المسألة، [هم قتلوه آل فلان أو ربما آل فلان]: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا} (البقرة: من الآية٧٢) **كل واحد يدفع عنه ويتهم طرفاً آخر .**
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} (البقرة: من الآية٦٧) **. أسلوب الأنبياء تجد كيف الأنبياء أشخاصاً حكماء، هم حكماء يعرف نفسيات أصحابه، وكيف وصلت الحالة بهم! كان يكفي من موسى أن يقول لو أنهم كانوا قد وصلوا إلى مستوى[جيد] دع عنك [ممتاز] جيد، أنه كان يكفيهم من موسى نفسه توجيه معين أن يقول لهم موسى: اذبحوا بقرة فيتحركون، هو يعرف كيف واقعهم وكيف نفسياتهم {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ} أمر إلهي مباشر{ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}** (البقرة: من الآية٦٧) .
أساس تربية الأمم أنه لا يأتي بنبي بعد نبي على طول تاريخ البشرية، قد يكون مرحلة فيها نبي يمكن أن

يقول: {إِنَّ اللَّهَ} لأمة من الأمم، في مرحلة لا يوجد نبي، والأمة مترنبية على الحالة هذه تحتاج إلى شخص يقـول: إن الله يأمركم في موقف معين، هذا لا يتم، الأمة تـتربى بطريقة تصل فيها إلى أن يكفيها تـوجيهـات مباشـرة مـن جهـة الأنبياء أنفسهم، ثم من جهة ورثة الأنبياء.

أيضاً يكفيهم بأنه، ليست مسألة يكفيهم، أعني: يكونون هم تربـوا هـم تـربيـة وفهمـوا القـضية علـى هـذا النحـو فيكفيهم أوامر من الجهة التي يعرفون بأنها جهة هدى، لا، هنا احتاجوا: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} (البقرة: من الآية٦٧) كيف كان الجواب؟ {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً} (البقرة: من الآية٦٧). ماذا يعني نذبح بقرة؟! ماذا يعني بقرة؟!.

إذاً هنا لم تكفهم الفترة الطويلة تلك أن يعرفوا أن موسى رجل حكيم! الشخص الحكيم لا يأمر بأشياء ليست حكيمة، لا يأمر إلا بأشياء حكيمة، ومن ورائها حكمة، ولغاية مهمة، وإن بدت في الصورة وكأنها تصرف غير طبيعي مع أنه هنا لم يكن تصرفاً غير طبيعـي، تـشبه نفـسية الـذين قـال عـنهم في أول الـسورة: {إِنَّ اللَّـهَ لا يَـسْتَحْيِي أَنْ يَـضْرِبَ مَثَلاً} (البقرة: من الآية٢٦) {أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً} ماذا يعني نذبح بقرة! أليسوا يذبحون بقراً، ربما كل يوم يذبحون بقـراً لكـن لا، استغراب! هذا أول خلل، ماذا يعني أول خلل؟ ظاهرة من مظاهر الخلل لديهم، في أنهم لم يهتدوا بهدي الله.

كان الشيء الصحيح لمجرد أن يريد منهم أن يذبحوا بقرة، أن يأمرهم موسى نفسه مباشرة: [اذبحـوا بقـرة] وبـدون أخذ ورد، يتجهون إلى بقرة يذبحونها؛ لأن الأمر واضح في القضية. فعندما يقول: بقرة يعني: أيَّ بقـرة، معنـاه: أيَّ بقرة، لكن لا. {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (البقرة: من الآية٦٧) لا يمكن أتخـذكم هـزواً لا يمكن أعمل أوامر! مع أنه هنا يقول لهم: {إِنَّ اللَّهَ} معناها: أيتخذنا الله هزوا! أليس معناهـا هكـذا في الأخـير؟ مـا كفاهم بأنه قال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ} لاحظ كيف هذا وحده من المظاهر السيئة، عندما يكون المجتمع، أو أمة من الأمـم تهتدي بهدي الله الذي يوجد حكمة لدى الناس، ورؤية حكيمة، وفهم ومواقف مبادرة، لا يوجد فيها أخذ ورد، قالوا بعدما قال لهم: {بَقَرَةً} أليس كلمة بقرة تعني: أي بقرة، مثلما تقول لشخص: نحن نريد أن تبحث لنا عن [كـبش] عندنا ضيف، نريد تبحث لنا عن [كبش] أليس سيعرف أي واحد، أن المطلوب أن يبحث عن كـبش أيَّ كـبش؟ لـيس بحاجة أن يقول: ما لونه، ما هو، ومن أي نوع، وأشياء من هذه.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} (البقرة: من الآية٦٨) قد قال: بقرة من البداية، {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ} (البقرة: من الآية٦٨) ليست مسنة، ولا هي فتيّة، متوسطة {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} (البقـرة: مـن الآيـة٦٨) ألـيس هذا أمراً آخر؟ بعد أول سؤال أعطاهم مميـزات معينـة: بقـرة متوسـطة في الـسن {فَـافْعَلُوا مَـا تُـؤْمَرُونَ} (البقـرة: مـن الآية٦٨). {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا} (البقرة: من الآية٦٩) ما لونها؟ نحن نعيش الحالة هذه، لا نـضحك علـى بـني إسرائيل لوحدهم حقيقة؛ لأنه نعيش نحن المسلمين والزيديـة نحـن بالـذات الـذين نقـول: أننـا الطائفـة المحقـة والمتمسكين بأهل البيت، وبالثقلين كعنوان لدينا، قضية البقرة ما تزال موجودة، نأخذ عبرة من هذه، ونأخـذ دروسـاً من هذه.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} (البقرة: من الآية٦٩) من البداية {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} (البقرة: من الآية٦٩) يكفـيهم أن يـسألوه هـو شخـصياً؛ لأن ربهم قد اختاره لهم هادياً ومرشداً ومعلماً وموجهاً. هنا ألست ترى وتلحظ أن موسى نفسه لا يقدرونه حق تقديره هو كرسول من عند الله؟ فتكون القضية هذه انعكاس لتقديرك لما يأتي من عند الله عنـدما تعـرف بـأن الله لـن يختـار شخصاً إلا وهو بالشكل الذي فعلاً مؤهل لأن يقوم بالدور على أكمل وجه.

{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} (البقرة: من الآية٦٨) {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا} (البقرة: من الآيـة٦٩)! عـادة البقـر لا تكـون ملونة بشكل كبير، عادة البقر تختلف عن بعض الحيوانات الأخرى، ترى البقر والغنم في الغالـب لا يكـون القطيـع الواحد، هذه حمراء، وهذه صفراء، وهذه بيضاء وهذه خضراء، وهذه غبراء وهذه.. لا، الغالب أنها تكـون متقاربـة اللون لا يوجد هنا في واقع القضية ما يكون مبرراً لأن يتساءلوا يقولون مثلاً: قطيع البقر، أو السوق فيه بقـر لكـن هذه حمراء وهذه صفراء وهذه بيضاء ألوان متميزة، تبدي على سوق من البقر أو قطيع من البقـر تجـدها متقاربـة يكون إذا هناك لون متميز يكون نادراً وشاذاً. إذاً لا يوجد ما يوجب اشتباه على الإطلاق.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ} (البقرة: من الآية٦٩) من البداية {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ} (البقرة: من الآية٦٩) ألم يقل هناك: {بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} (البقرة: من الآية٦٨) وهنا أيضاً: {إِنَّهُ يَقُولُ} لم يعد موسى إلا مثل [المظهر]. لاحظ ذلك الذي يأتي في السوق واحد يظهر، يبلغ الناس نيابة عن شخص، يقف ويتكلم [يقول لكم الشيخ فلان على أن كذا كذا..] والشيخ يتكلم من هناك، وهو يأتي يكلم الناس بما قال له الشيخ.

أساس المسألة أعني: لاحظ أن هنا خللاً كبيراً جداً لأن الأمم تربى في عصور الأنبياء بالشكل الذي لما بعد الأنبياء أيضاً، لما بعده، لا تحتاج إلى أن يكون أمامها نبي يوحى إليه، فضلاً عن أن تكون مع وجود النبي تحتاج إلى أوامر إلهية مباشرة في لون بقرة، سن بقرة، تشخيص بقرة! فالنبي لا يأتي لعصره فقط. لا . النبي يربي أمة، ويرشد أمة، ويثقف أمة لتكون مستبصرة و حكيمة، قابلة لأن تستمر في دورها وتتقبل قيادات هي امتداد له، للنبي؛ لأن الأنبياء يموتون. أمة مثل هذه معناه تريد لها نبياً باستمرار وعلى اتصال مباشر!.

{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} (البقرة: من الآية٦٩) هنا يبين لنا نسبة لونها: هل صفراء وردية، أو صفراء فاقعة، أو صفراء طبيعية، لأن اللون الواحد كأنه أيضاً درجات. {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة: من الآية٦٩) ألم يبين هنا جواب موسى في الدرجة هذه؟ حاول أنه يقدم لهم، يشخص القضية بشكل كامل {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة: من الآية٦٩) لم ينفع {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٧٠) هم بقر هم، في الواقع، عندما يصبح الناس بقراً تكون الأمور متشابهة عليهم، والأمور معماة عليهم ولا يفهمون ولا يسمعون ولا يفقهون.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} (البقرة:٧٠) نحن على استعداد أن نلتزم بيِّن لنا هذه المرة فقط! يعني: عسى إن شاء الله نحصِّل البقرة هذه المطلوبة! هو من البداية المطلوب بقرة أيَّ بقرة يذهبون من السوق يأخذونها أو من عند أي فلاح من أطرف بيت ويذبحونها.

{وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ} عسى أننا سنجد البقرة المطلوبة ونذبحها. {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ} (البقرة: من الآية٧١) بقرة، لم يسنوا عليها، ولا استخدموها في حراثة الأرض {مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا} (البقرة: من الآية٧١) ليس فيها عيوب ولا فيها خلط من الألوان ـ كما يقولون ـ {لا شِيَةَ فِيهَا} ليس فيها عيوب، وفي نفس الوقت لا يوجد فيها ألوان أخرى ، على لون واحد . هنا أليست البقرة بدت نادرة أكثر؟ كلما زاد السؤال كلما جاءت القضية بشكل نادر أكثر .

<u>إذا لم ينطلق الناس في موقف معين فقد يبلون بأصعب منه</u>

هذا مؤشر، مؤشر خطير بالنسبة للناس، إذا مثلاً موقف معين لم ينطلقوا فيه قد يبلون بأصعب منه، ما انطلقوا، قد يعاقبون بأن يقحموا في أصعب منه، وهكذا.

في موضوع الجهاد يوجد مثل لهذا: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) لم يرضوا يتحركوا أن يقاتلوا أناساً عاديين مثلهم تخلفوا جبنوا، ما كان الموضوع بالنسبة لهم؟ أعني ماذا كانت النتيجة بالنسبة لهم، للمخلفين؟ أن يُقحموا بطريقة لا بد منها واحدة من اثنتين: {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا} (الفتح: من الآية١٦) أليس هذا أمراً صارماً؟ ليس لديكم مجال من أن تطيعوا وتتجهوا فعلاً لقتالهم وقدهم {أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} وهم كانوا يهربون من أناس عاديين {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الفتح: من الآية١٦) بينما العكس متى ما اتجه الناس في قضية، في موقف، هي تبدو سهلة فليفهموا بأنه عندما ينطلقون في هذا السهل يكون بالشكل الذي يسهل العسير فيما بعد، يأتي تدخل إلهي تكون انطلاقتهم في هذا الموضع يعينهم على ما هو صعب فلا يبقى حتى ولا صعب بالشكل الطبيعي، انطلاقتهم في تلك القضية التي تبدو سهلة تساعدهم على أن تبقى القضايا الأخرى تكون

أسهل من واقعها، أسهل من واقعها فعلاً .
{قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ}(البقرة: من الآية٧١) **وهو حق من أول كلمة قال لهم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}**(البقرة: من الآية٦٧) **ألم تكن حقاً كافياً ؟ {الآنَ} يعني: من الآن جئت أنت بالحق ! سوف يعتبرون أنفسهم أيضاً أنهم عباقرة وأذكياء، كيف أنهم استطاعوا أن يستخرجوا من موسى تشخيصاً كاملاً للحق! والآن هو رأى الحق، الآن عرف الحق الآن، وأعطانا الحق، {الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}**(البقرة: من الآية٧١) **لو يوجد لديهم مجال حول البقرة لوضعوا المزيد من التساؤلات لكن قد انتهت التساؤلات لم يعد لديهم شيء، وإلا باعتبار طبيعتهم لو أنهم وجدوا شيئاً لوضعوا المزيد، وربما أن بعضهم يفكرون في نفس الوقت ماذا يمكن أن يقدم من تساؤل حول البقرة المطلوبة! {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}** (البقرة: من الآية٧١) **{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}**(البقرة:٧٢-٧٣).
ثم إنهم في الأخير اشتروا البقرة هذه كما يذكر المفسرون اشتروها وبثمن غالٍ جداً، وهذا الشيء المحتمل، الشيء المحتمل: أنه فعلاً لا يحصلون عليها إلا بثمن غالٍ؛ ولأنه كلما ظهر التساؤل من جانبهم كلما قدمت البقرة تبدو نادرة، نادرة صاحبها يرى في الأخير ما كأنه يوجد سوى هذه البقرة، ربما قد يصلون إلى بقرة لا يوجد غيرها ويتحكمون كيفما يريدون فيها. [الدرس الخامس من دروس رمضان من صفحة [١ ــ ٤]]

دين الله هو بالشكل الذي يمكن للناس أن ينطلقوا فيه

فهذه تعتبر مما يبين للناس أن المسألة خطيرة جداً؛ إذا قدمت لك هذه العقوبة الخطيرة في قضية تبدو من القضايا العادية، موضوع أسرى ، فكيف بالقضايا الكبيرة؟.
عندما يعرض الناس عن هدي الله في الأخير تصبح هذه النظرة قائمة ، يصبح يشعر بحرج ، يشعر بالدين هذا عبارة عن جبال أمامه فيحاول يتخلص من هذا، ويحاول ينطلق في هذه، عسى هذه الانطلاقة تكفر عنه تركه للجانب الآخر مع أن الدين ما قدم بهذا الشكل. الله يقول: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ}(المائدة: من الآية٦) **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**(البقرة: من الآية١٨٥) .
فدين الله، هدى الله هو بالشكل الذي يمكن للناس أن ينطلقوا عليه بسهولة، ليست قضية يحتاجون أن يتهربوا منها حتى يظهر منهم مظاهر أو عمل أو سلوكيات من هذا النوع، إيمان ببعض وكفر ببعض. للأسف هذه قد تكون ظاهرة في تعاملنا مع القرآن الكريم! إذا كانوا هم، بنوا إسرائيل ـ والله اصطفاهم ـ وتعاملهم قام على هذا النحو مع التوراة، وقدم مثلاً هو من القضايا العادية، موضوع الأسرى، فكيف بالقرآن العظيم، القرآن هذا الكتاب الهام الذي هو مهيمن على كتب الله ـ كلها ـ السابقة، كيف عندما يكون تصرفات الناس، أو تعاملهم مع القرآن هو بالشكل الذي فيه إيمان ببعض وكفر ببعض. أي: رفض للعمل به في بعض آخر، وكان هذا البعض من القضايا الهامة والكبيرة في القرآن. أليست هذه تعتبر حالة خطيرة جداً على المسلمين؟.
معنى هذا أنه يجب على الإنسان أن يفهم ، ويوطّن نفسه على أن ينطلق بأن يعمل بكتاب الله، وأنه لا تشكل حرجاً في الواقع خاصة في الانطلاقة الجماعية عندما يصبح مجتمعاً ستكون هذه القضية تسهل على الناس بشكل كبير ولهذا قال الله: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}(المائدة: من الآية٢) **قد يكون هناك نوع صعوبة إلتزام في وسط فاسد، مجتمع سيء، مجتمع فاسد، يبدو أن الإلتزام فيه نوع صعوبة، لكن هنا الله يقول للناس: يهاجرون إلى مناطق أخرى. أما إذا استطاع الناس أن يكونوا بشكل مجتمع فيتجهوا للإيمان بكتاب الله والعمل به فستظهر الأشياء يسر بالنسبة لهم ، بالنسبة لهم ؛ لأن الجو نفسه يصبح جواً مؤلفاً من مجتمع، الناس فيه يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ويشدون بعضهم بعضاً، المظاهر الأخرى التي هي مخالفة لكتاب الله ، مظاهر فساد، مظاهر المخالفة لكتاب الله تكون شبه معدومة، فسيكون هو بيئة صالحة، الدين فيه سهل أكثر ، ينشأ جيل في وسط يساعد على أن ينشأ نشأة صالحة .** [
الدرس الخامس من دروس رمضان [١٥ ــ ١٦]]

كيف سيكون واقع من يخالفون هدى الله

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}(البقرة: من الآية٢٥٣). هذه القضية يكون منشؤها عند البعض من معتقدات غير لائقة بالله سبحانه وتعالى، وكأنه شاء ذلك منهم ! شاءه مشيئة نافذة أي هو أراد لهم أن يختلفوا أراد لهم أن يقتتلوا! البعض يقولون في الأخير هكذا! هذه قضية غير صحيحة. في الجانب الآخر يأتي أيضاً تأويل فيه نوع من التعسف أنه كيف نحاول أن نجعل{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا }(البقرة: من الآية٢٥٣) بالشكل الذي تكون لائقة بتنزيه الله سبحانه وتعالى! لكن عندما نعرف قضية هامة: الغاية من خلق الإنسان هنا في الأرض ، واستخلافه في الأرض هي غاية مهمة، غاية نهايتها الشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى ـ كما تحدثنا في درس سابق ـ الشهادة بكمال الله، الشهادة بقدسية الله، بجلاله، بعظمته، بحكمته، بعلمه ، برحمته، بكل ما تعنيه أسماؤه الحسنى.

لأنه بعد أن يأتي برسل على هذا المستوى العالي، ويأتي ببينات على هذا المستوى العالي، فانظر أنت في الأخير كيف ستكون نتيجة من يخالفونه، وكيف سيكون الآخرون ممن هم لا يهتمون بما يقدم إليهم من هدى، وبينات على أيدي هؤلاء الرسل، ومن داخل هذه الكتب الإلهية، كيف سيكون واقع من يخالفون هدي الله؟ أليس هذا في حد ذاته مما يعطينا شهادة على عظمة هدى الله؟ على عظمة رحمة الله؟ على حاجة الناس كل الناس إلى أن يتلقوا بإصغاء واهتمام لما يأتي من عند الله؟ وإلا ستكون النتيجة هكذا؟.

إذاً فالموضوع شهادة، ولهذا نقول: أن الإنسان يكون دوره هنا، أعني: المجتمع البشري، المجتمع البشري رغماً عنه، رغماً عنه ولو حصل على يده ما حصل من مخالفات فإن كل ما يعمله هو يشهد، تلك الأخطاء التي يعملها، ذلك الضلال الذي هو فيه يشهد بعظمة هدى الله، لأنه[وبضدها تتميز الأشياء] هذه قضية واضحة.

ولهذا نحن نقول أكثر من مرة : يجب أن ننظر إلى القضيتين مع بعض ، أن تعرف أن الجانب السلبي هو يمثل شهادة أيضاً، شهادة بطريقة أخرى، أي: أنظر عندما لا يسير الناس على هدى الله كيف سيكونون؟ عادة يكونون مختلفين، أو الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة قليل في المجتمع، قليل، لكن هذا القليل يواجه ساحة من الكثير الذين ما كانوا يهتمون بالشكل المطلوب، عندما يقدم لهم هدى الله، ولهذا نحذر دائماً من قضية: [القضية معروفة الموضوع معروف] وأنها قضية يجب أن تنسف من أذهاننا، دائماً تكون مهتماً مفتحاً وإلا ستكون ضحية أنت للآخرين ، النوعية، هذه وسيكون الضحية، هؤلاء البسطاء هم يقاتلون فيما بينهم ، ويجعلونهم محرقة لأهوائهم ، محرقة لضلالهم ، محرقة لبغيهم وتعديهم .

الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة يكونون نوعية من البشر قليل ، وقد قال لنا في القرآن بأن هناك نوعية من الناس نوعية لا ينفع فيه شيء ولا يسمع لشيء ، ولا يتجه لشيء ، هذه النوعية ستبقى غير مؤثرة إذا ما كان الباقون ـ الذين ليس لهم الدوافع ـ مهتمين بالشكل المطلوب عندما يقدم لهم هدى الله، دوافع البغي والتعدي ليست قائمة عند الكثير من الناس هذه ، لكن هم ـ عادة ـ يصبحون ضحية بساطتهم عندما كان يقدم لهم هدى الله على يد أنبيائه ومن داخل كتبه، وعلى أرقى مستوى ، ثم لا يصغون بالشكل المطلوب، ويلتزمون حرفياً، ويقدرون القضية حق قدرها ، ويهتمون بها اهتماماً كبيراً بمعنى: أنه هكذا قدم الله هداه ونبه الناس على أنه يجب أن يتفاعلوا بإيجابية مع هداه وإلا فليجربوا أنفسهم وليذوقوا وبال إهمالهم ، وبساطتهم ، وعدم تفاعلهم.

لاحظ كيف تنتهي المسألة؟ هذه قضية بهذا الشكل لا نحتاج نقول: نربطها بعقيدة سيئة بالنسبة لله تتنافى مع قدسيته وجلاله ، ولسنا بحاجة إلى تمحلات من ذلك النوع على أساس أنه فيما يتعلق بقضية:[الأفعال] أي: أن الله هو الذي حرك أيديهم ليقتتلوا بعضهم بعض! ليست المسألة هذه .

لاحظ موقف أمير المؤمنين لتعرف كيف المسألة، موقف الإمام علي عندما يقول البعض: لماذا لم يتحرك الإمام علي ويذهب يقاتلهم ولو ضحى بنفسه، لو لم يكن إلا هو وأولاده ؟ لا، إنك لاحظ هذا المجتمع قدم له هدى الله على أرقى مستوى ، ومن الهدى الذي قدم له على أرقى مستوى أن قال لهم: تمسكوا بهذا الشخص [علي] وهم يعرفون

علياً من أول يوم في الإسلام ، يعرفون علياً في معارك الإسلام ، يعرفونه في كل المواطن ، يعرفون مدى اهتمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) به لم يقل: ((من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)) في مجلس معين ، أو في زاوية من زوايا المسجد ، أو لأربعة أو لخمسة ، في يوم ظاهر شاهر ـ كما يقول الناس ـ ويوم شمس مشرقة، أعني: نور واضح ، حتى لا يقولون: كان هناك ضباب لم ندر ، ولا رأينا من هو الذي رفعه ، شمس واضحة ، وصحراء بينة ، لا يوجد فيها إلا أشجاراً معدودة التي وقف تحتها حتى لا يقولون: [كان هناك شجرة ما عرفنا والله من هو الذي قام معه، كان قدامي شجرة سدر، أو طلحة ، أو أي شيء من هذا].

أليست صحراء واضحة؟ وشمس محرقة؟ أي نور واضح، لا ضباب ولا أشجار ، ولا صخرات ، ولا مطبات، ولا شيء أمامهم ، قضية واضحة ، ثم ترص له أقتاب الإبل يعني: أن هناك جمع ، أن يكون هناك عدد كبير من أقتاب الإبل ترص له، أليس هذا يعني شهادة: بأن هناك أناس كثير حاضرين لا يمكن أقتاب إبل إلا والإبل كثيرة ، ولا إبل كثيرة إلا ويوجد ناس؟ أليس هذا شيء معلوم ؟ ثم يصعد ولا يطلع هو لوحده ، وهم يعرفونه ، ويعرفون صوته ، ويصعد معه بالإمام علي.

كيف يقدم بلاغ الأنبياء

لاحظ كيف يقدم بلاغ الأنبياء حتى نعرف خطأ كل من يحاول يقدم تأويلات لمن يختلفون بعد الأنبياء، أنك في نفس الوقت تحاول تنزه أشخاصاً ، وتلحق بالله ما هو نقص، تلحق بالله النقص، وتلحق بأنبيائه النقص من أجل أن تنزه أشخاصاً هم خالفوا متعمدين.

يطلع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، ويخطب ما هي أول كلمة يقولها؟ لأن هذه قضية هامة، حتى لا يقولون: لم نكن منتبهين، يخطب حتى يكونوا هم مستقرين ، وهادئين ، وساكتين ، ويأتي بالكلمة ويمهد لها بشكل يربطها بالله.

لهذا نقول في حديث الغدير: حتى نحن نقدمه بشكل مختزل [قال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه]! لا. يجب أن تنظر إلى الموضوع من أصله ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين)) هذا تسلسل مثلما قال النبي في بني إسرائيل: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً} (البقرة: من الآية٢٤٧) ((إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا ـ هذا ـ عليٌ مولاه)) ، هل هناك أوضح من هذه؟ لا يوجد أوضح من هذه. ذلك المجتمع الذي سمع الكلام هذا هل أحد يستطيع أن يفرض عليه موقفاً آخر؟ هل كان لدى أبو بكر وعمر مثلاً ، وتلك المجموعة ما يفرضونه أمام هذا البيان؟ إذاً موقف الإمام علي هو نفس موقف الآيات القرآنية هذه، من بعد ما يكون هذا المجتمع سمع كل شيء ، وفهم كل شيء، وذكرهم أيضاً هو، وذكّرتهم الزهراء هي أيضاً، وذكّرهم العوّام، وذكّرهم آخرون، لم يرضوا. إذاً فليجربوا أنفسهم . هذه سنة إلهية ، هذه سنة إلهية داخل الأمم ، الناس إذا لم يستجيبوا لهدى الله فليجربوا أنفسهم ، وسيذوقون العواقب السيئة نتيجة تقصيرهم ونتيجة مخالفتهم .

ألم يقم الإمام علي بكل ما لديه من وسائل؟ حتى في الجانب العسكري قال هو: ((فطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء)). الكثير بسطاء أثر عليهم آخرون؟ ونحن نقول أكثر من مرة: يجب أن نفهم الأمور على هذا النحو لا نقع في الإحراجات التي وقع فيها الآخرون ما بين مقدس للصحابة على الرغم مما هم عليه ، وما بين من له موقف سلبي تماماً يعتبر بأنهم كفروا بما تعنيه الكلمة. نقول: لا، يوجد حالة أخرى ، حالة أخرى هي حالة البساطة ، حالة ألا مبالاة ، التي يمكن أن تحصل مع إيمانك بالقضية ، مع إيمانك بالقضية.

كل الناس كانوا مؤمنين بأن الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) قال هكذا لعلي سلام الله عليه في [يوم الغدير] ويعرفون ما قال سابقاً ، لكن لم يعطوا القضية الأهمية اللائقة بها ، كانوا ضحية للآخرين عندما ضلوا، وقلنا أكثر من مره: التضليل عادة في مواقف معينة ، لا يلامس القضية الأساسية لديك فيدفعك إلى أن تكفر بها، هذه لا تحصل. هل إبليس ذهب إلى آدم ليقول له: أكفر بمسألة النهي عن أكل الشجرة؟. هل قال له هكذا؟ لا. [مجابر

ثانية والموضوع هناك]. هل قدموا لهم أن يكفروا بما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لعلي؟ قدموا أسلوباً آخر [علي قد قتل أناساً وعلىّ كذا، وهناك أناس آخرون ويمكن نجربهم والمقصود واحد ورسول الله همه واحد، وهؤلاء الناس تعرفونهم كانوا قريبين من رسول الله] وأشياء من هذه تجعلك تتقبل المسألة التي تعتبر مخالفة، ولا يطلب منك الكفر بما سمعته من النبي، وهذه من أخطر الأشياء، من أخطر أساليب الضلال هذه الطريقة. [الدرس الحادي عشر من دروس رمضان [٤ ــ ٥]]

<u>من لا يصغي ولا يهتم لهدى الله يكون عرضة للتضليل</u>

{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٨) **هنا يبين للإنسان كيف أنه فعلاً في موضوع هدى الله يحتاج إلى إصغاء، واهتمام، ويكون مبنياً على إيمان، والتزام، والذين لا يكونون بهذا الشكل يكونون عرضة لأي تضليل، قوم موسى، يعني ليسوا أناساً من مجاهيل أفريقيا، أو نحوها.. قوم موسى الذين حررهم وهم في مصر، حررهم مما كانوا فيه، وفلق الله لهم البحر، وآيات عجيبة يشاهدونها، ومع هذا ماذا؟ كانت عندهم قابلية أن يضلّوا، هو قال: {وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ}** (طه: من الآية٨٥) **ألم يقل وأضلهم السامري؟. لاحظ هنا في القضية هذه ألم يحصل مؤاخذة لهم شديدة؟. يوم قالوا: {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً ..} عندما خرجوا من البحر كانت نفسياتهم ما زالت ثانية، وجههم موسى، وما حصل لهم شيء. هنا قاموا هم بتضليل السامري، وهم يعرفون بأن موسى ما زال حياً وإنما ذهب إلى الجبل، ذهب في ميعاد حدده الله له.**

لهذا عندما يكون الإنسان غير مهتم، ولو كان في عصر مليء بالأنبياء، ولو كانت آيات الله تتنزل، ولو يشاهد عصا موسى تتحول إلى ثعبان، إذا لم تبنِ عليها قاعدة أساسية عندك: التزام، وفهم، ووعي، ستكون عرضة للتضليل، هؤلاء ناس ضُللوا وموسى ما زال حياً، وضللوا بعد أن قضى موسى معهم فترة طويلة في التبيين، وبعدما قد رأوا الآيات الكثيرة.

عندما يقول البعض: إنه كيف يمكن أن يكونوا ضلوا ناس من الصحابة بعد رسول الله! أليس هؤلاء صحابة ضلوا وما زال موسى حياً، إنما ذهب لفترة أربعين يوماً منهم، صحابة من داخل بني إسرائيل، من الذين اصطفاهم الله على العالمين، أمكن أن يضلوا مع وجود النبي، ثم تقول لي: كيف أنه يمكن أن يضل ناس من بعد النبي؟! أليس احتمال أن يضلوا بعد نبي أكثر من احتمال أن يضلوا في وقته؟ هذه الآيات نفسها كانت هي هامة جداً بالنسبة للصحابة أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يكون كل واحد منهم منتبهاً عندما يعرف أنه أمكن أن يضل ناس وما زال نبيهم موجوداً، وآيات قاهرة معه، عصا تتحول إلى ثعبان، يده تتحول إلى عمود من النور، وأمكن أن يضلوا، وقال لهم: إنه أضلهم السامري. هذه الآية ألم يقرأها الصحابة؟ لكن أي ناس كائنا من كان إذا لم يتفهموا، ويعوا، سيكونون عرضة للضلال.

فهي تعتبر حالة خطيرة في حد ذاتها، إذا ما هناك تفاعل بإيجابية مع هدى الله، قد يكون الناس في حالة، قد فعلاً يضلهم فعلاً، من يتأمل موقف الإمام علي في تلك الحالة يعرف المسألة ـ مثلما قلنا سابقاً ـ يعرف الإمام علياً، أشياء كثيرة من سنن الله، عندما لا يكون هناك اهتمام أثناء تقديمه، وهو يقدم على أرقى صورة، ويبين على أحسن تبيين، ويقدم على أجمل صورة، وأيضاً يعطى في نفس الوقت، يعطى الناس حتى وإن كانوا بسطاء أشياء واضحة للالتزام، واضحة مثل: اتبعوا، أطيعوا.. أليست عبارات واضحة؟.

لكن في الأخير، عندما لا يكون هناك اهتمام بالشكل المطلوب، هذه النوعية تكون عرضة لأن تضل، وأن تكون ضحية المضلين. قوم موسى أضلهم واحد، السامري، وجعلهم يعبدون عجلاً! ألا يمكن أن يأتي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من يضلهم، ويجعلهم يعملون خليفة آخر، قد أمكن شخص يجعلهم يعبدون إلهاً آخر.. أين أكبر؟ ألم يستطع أن يضلهم حتى يجعلوا لهم صنماً؟ إذاً بالتأكيد يستطيع أي شخص أن يضلهم فيتخذون لهم شخصاً آخر خليفة بدل ذلك الشخص الذي أعلنه على مرأى، ومسمع منهم. لكن إذا ما هناك اهتمام فهي في حد ذاتها حالة خطيرة.

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ} (طه: من الآية٨٥) **فتنهم.**

كل المسألة تقدم على أساس أن الإنسان يتعامل بجدية مع ما يقدم من عند الله، وأن يتعامل بجدية مع ما قدم من عند الله هو بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة في حياته؛ لأن حالة اللامبالاة هذه معناها في حد ذاتها: أن ما لله قيمة عندك، وليس لهداه قيمة عندك، إنما فقط اتغصّاب! إذا لم يكن [إلا اتغصاب يغصبه] فلن يغصبه، سيجعله يضل. [الدرس الثامن والعشرين من دروس رمضان [١٧ ــ ١٨]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الرابع]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

٤ ـ عن القرآن الكريم والتعامل معه

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

هذه المرحلة هي مرحلة القرآن الكريم

إذاً فالقضية التي هي مطلوب بالنسبة لنا جميعاً بأنه كيف نثق فعلاً بالمسألة على هذا النحو! نقول: كل ما بين أيدينا قد جرب، كل ما بين أيدينا من طرق أخرى قد جربت، وأخفقت، ولم تترك إلا آثاراً سيئة، كتب تفسير، وحديث، وأصول فقه، وعلم كلام، وكتب ترغيب وترهيب، والأشياء هذه كلها، مذاهب متعددة جربت، نظريات أخرى جربت، اشتراكية، علمانية، ليبرالية، رأسمالية، الأشياء هذه كلها جربت وأخفقت، أليست كلها جربت وأخفقت؟ إذاً قد نكون نحن ربما من أكثر الناس إمكانية أن نقدم القرآن للآخرين، أول شيء بالنسبة لنا ليس لدينا عوائق كبيرة، ليس لدينا عوائق كبيرة بحيث أنه مثلاً تجعلنا نؤقلم القرآن على أساس رؤى سابقة لدينا، أعتقد هذه قد تكون موجودة عند الآخرين تقريباً، عند الطوائف الأخرى إشكالية، لكن في حركة الحياة في المرحلة هذه، هناك ما يجعلهم يكتشف لهم ما هم عليه بأنه لم يعد يقدم حلاً، أما عندما يحصل مثلاً هجمة ثقافية، مليئة بالشبه، ربما قد تخليهم فعلاً يتنكرون لأشياء كثيرة، فيكون الشيء الوحيد المقبول هو القرآن، هو القرآن .

نحن قد تكون جريمة كبيرة بالنسبة لنا إذا لم نقتنع بالقرآن مِن صِدْق، والله أعلم كم بقي من عمر الدنيا، لا أحد يدري كم في أعمارنا، وكم في عمر الدنيا هذه بكلها، لماذا لا نحاول نتمسك بالقرآن من صدق، ولا نعتمد على أي تثقيف آخر سواه، مهما كان، وهنا ألم يقدم لنا بشكل لم يعد بعده إلا هل ينتظرون إلا أن يأتي الله أو الملائكة، أو يأتي بعض آيات ربك، هل ينتظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل.. يعني آيات كافية، ومعنى كافية، في كل ما تناولته.

هذه القضية يجب أن ننطلق منها بصدق، عندما يقول واحد: لكن بقي، وبقي...! لا يوجد، فقط أنت ما زلت مرجوجاً، أو يكون واحد فقط قد دخل برأس رجله، ورجل ما زالت متشبث بطريقة سابقة، فعندما تتحرك على هذا النحو فعلاً قد لا يكون ربما فيما أعرف في المنطقة العربية هذه نفسها لا يوجد ربما طائفة، ولا شعب عنده فرصة يتحرك على أساس القرآن مثلما عند الناس هنا في اليمن، فعلاً مقومات كثيرة ليست متوفرة في أي شعب آخر، فقد تكون خسارة كبيرة جداً علينا في المقدمة إذا ما تحركنا على أساس القرآن، إذا لم نقدم القرآن للناس، نقدمه على أعلى مستوى، أول شيء نلتزم نحن، عندما نقول: نقدم؛ لنعرف كيف هداه، ثم كيف نتحرك على أساسه ونحن نقدمه للآخرين، وتجد الآخرين فعلاً الآن لم تعد الديمقراطية جذابة لديهم، هل أحد ممكن يقاتل من أجل الديمقراطية الآن؟ من يمكن أن يقاتل من أجلها؟ ولا أحد، أعتقد لا جيش، ولا شعب في أي بلد عربي الآن، إتضح لنا أنهم قد مُلّوا منها، بقي القرآن، والقرآن عندما يقدم قِبل الإسلام نفسه، يُقْبل الإسلام؛ لأن الإسلام قد شوه حقيقة؛ ولهذا نقول: إنه شيء مؤسف أننا لا نسمع في وسائل الإعلام، لا تسمع أنهم يحاولون يقدمون حلولاً أخرى، وتحليلات كثيرة، لا يوجد تقديم بأن الإسلام يمثل حلاً! لا يوجد كلام حول القرآن نفسه!.

لو قال بعض: القرآن.. فسيقدمه بطريقته التي هو عليها، يقدمه وعنده رؤى أخرى يحكّمها على القرآن، وقدم القرآن لا شيء، لا يقدم للناس شيئاً.

خلال السور هذه التي قرأناها ألم نجد القرآن ممكن يعطي أشياء كثيرة جداً؟ الإنسان يفهم بأنه يمكن أن يكون هناك صراط مستقيم، تكون أشياء واضحة، تكون أشياء واضحة فعلاً، يوضح لك الأعداء، يوضح لك الطريقة الصحيحة، يوضح لك كيف يمكن يكون تأييد إلهي لمن يسيرون على هداه، يوضح لك بأنه غالب على أمره، بأن الله غالب على أمره، لا يمكن لأي جهة أن تعيق من يتحركون في سبيله مهما كان إلا أن يعيقوه هم، أن يعيقوا سبيله هم،

فتأتي السنة الأخرى، يستبدل بهم غيرهم .

كيف نكون شهداء لله

كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: أنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله، يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: {شُهَدَاءَ لِلَّهِ} (النساء: من الآية١٣٥) **قضية شهداء أن هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم مننا زيود، وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن الأمريكيين: أن معهم عناصر تتحرك، وتعمل استبيان للناس، يجب من يسيرون على القرآن أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها عشوائية، ولا كل واحد يمشي على هواه، ولا كل واحد [شوره من قرنه] مثلما نقول .**

نحن نقول: هذه من الناحية العملية مهمة جداً، يعملون استبيان، نحن أمام فئة كلما وجدوا الناس أقوياء كلما ضعفوا هم أمامهم، كلما ضعفوا هم، لا تتصور أن الأمريكيين معناه عندما يرون الناس أقوياء، ومنضبطين، ومصرين على ما هم عليه، وعندهم صمود أنهم لن يضعفوا، لاحظ مظهر السجن هذا، كل أسبوع يعتبر إيجابي كبير بالنسبة للناس، في تأثيره على نفوس الأعداء، على الأمريكيين، والإسرائيليين أنفسهم، أمام أمة صامدة، ومثلما قلنا سابقاً: نحن في مرحلة يجب أن نقدم، وليس على أساس أنه عنوان حزب، أو عندنا قيادة محنكة، أو عندنا شخصيات محنكة، قرآن، هذا دين الله؛ لأنه هي القضية الغائبة، البلاد العربية ملان محنكين، وملان مفكرين، وقادة، لكن الشيء الغائب هو ماذا؟ أن يلمسوا أثر دين الله، أثر القرآن، وكيف يكون الناس الذين يهتدون بهداه، هذه القضية أساسية ننطلق فيها.

ولا تأتي الشهادة لله إلا عندما يكون الناس يتحركون في سبيله، وبطريقة معلنة، في سبيله، أننا نهتدي بهداه، نسير على كتابه، لاحظ كيف تكون النتائج؟ عندما يكون الناس بهذا الشكل يكونون محط تأييد إلهي، محط عون إلهي، وفعلاً الناس، الأمة هذه بأمس الحاجة إلى القرآن، لكن من يقدم لها القرآن؟ هذه المشكلة هنا، أنا لا أتصور أن هناك طائفة أخرى، افهموا هذه ـ على معرفتنا بالطوائف ـ ما أتصور أن هناك طائفة أخرى يمكن أن يأتي من داخلها ممن هو متمسك فعلاً بما هو سائد في طائفته، يقدم القرآن بشكل إيجابي، أحياناً بعض الطوائف لا يمكن شخص منها يجرؤ على أن ينقد نفسه، وينقد مجتمعه، وينقد طائفته، هذا نادر، بعضهم قد ينقد في مجال وما زال هو [مخربط] في مجال آخر، نحن لدينا إمكانية ننقد الآخرين جميعاً، ننقد ما كنا متشبثين به من أشياء اتضح بأنها مخالفة لكتاب الله داخلنا كزيدية، داخلنا كشيعة، مع الاثنى عشرية، مع طوائف السنة. مجتمعات أخرى، محمد حسين فضل الله نفسه عندما نقد أشياء معينة عملوا عليه ثورة ثقافية، وحملة دعائية رهيبة.

بعض الناس قد يكون فعلاً يتأثر، نحن قلنا من البداية يجب أننا نوطن أنفسنا على هذه، وأنها قضية أساسية فيمن قال الله عنهم: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: من الآية٥٤) **لأنه قال بعد: {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}** (المائدة: من الآية٥٤) **أنه لو يقولون ما يقولون، خليهم يعملون فتاوى، يعملون بيانات، يعملون ما يعملون، طريقة لن يتزحزح الناس منها نهائياً، وهذه هي طريقة القرآن نفسه، كيف قدم في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ كانوا يقولون: ساحر، كذاب، مجنون، مفتري على الله، أساطير الأولين، أشياء كثيرة جداً، ولم يبال بها، واتجه في طريقه ونجح.**

الاهتداء بالقرآن ـ كما نقول ـ يجب أن نقدمه للناس بالشكل الذي يعطيهم أملاً، يعني كيف رؤية الإسلام في بناء الأمة، هذه قضية، كيف رؤية القرآن في بناء الأمة، تبدأ مننا نحن، عندما نقدمه في أوساطنا، لا تبقى عبارة: [كتاب وسنة] مثلما هو سائد، أليس هو السائد في المجتمع [كتاب وسنة]؟ لكن قد هم عارفين أن كل واحد يرجع إلى الكتاب يأخذ منه الذي على كيفه وخرج ولم يقدم شيئاً، والآخرين مثله، قد ملوا الكلمة هذه، كيف تقدم

رؤية يفهم الناس فعلاً بأنها رؤية بنّاءة للأمة، تمثل حلاً أمام الخطورة الكبيرة التي تواجههم .
القضية هي تحتاج إلى تسليم، مثلما ذكر الله في كثير من الآيات السابقة، ونحن ما قد قرأنا إلا إلى سورة [الأعراف] فقط، كم يوجد داخل كتاب الله بشكل كبير موضوع التسليم لله، والتسليم لله بمعنى أنه يخليك تنضبط، وتعرف كيف تسير على هداه، وإذا ما تزال عند نفس واحد هو يريد يقدم نفسه هو شخصياً، يريد.. يريد.. يريد يكون هو الذي يعرف هو، هو الذي لازم هو بطريقته، وأنه عبقري، وأنه.. وأنه، هذا الذي عانت منه الأمة إلى الآن، هذه الفكرة هي التي عانت منها الأمة إلى الآن، والدنيا ملان مجتهدين [ومفنقلين] وعباقرة، وما عملوا شيئاً، ولم يقدموا للأمة أي حل نهائياً.
قدم الموضوع أنه بالشكل الذي يعطي الناس معارف واسعة، ليس معناه أنه بشكل يجعل الأمة ناس جهلة، تعطيهم معارف واسعة، وحكمة، وتزكية للنفوس في إطار بناء صحيح، أليست هذه رؤية القرآن نفسه؟ فعلاً. فعندما يأتي واحد هو يرى أنه ما استطاع أن يقدم القرآن تماماً، ويفهم منه تماماً مثلاً، مثل فلان، أو فلان، يفهم بأن القضية ليست على أساس أنه هو لا قيمة له عند الله، أنه من أجلك، ومن أجل هذا، ومن أجل الآخرين الله يعمل الطريقة هذه، يصطفي نبي، اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ليكون على أعلى مستوى؛ ليقدم ما عنده من مؤهلات، وما عنده من علم ومعرفة كلها للناس، أليس هكذا؟.
نحن نقول: إن القضية أن نسلم أنفسنا لله، نحصل على المعرفة، على العلم، على نفوس زاكية، إذا برز الإنسان بنفسه سيخسر علماً كثيراً، ومعارف واسعة، ستفوتك معارف كثيرة جداً عندما تنفرد بنفسك؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وهو الذي يؤتي العلم هو، أنت تريد أنت من جهة نفسك تحصل على علم من جهة نفسك فيما يتعلق بموضوع الهداية والثقافة، بدل أن تخسر من هو محيط بكل شيء علماً ومن قال لنبيه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه: من الآية١١٤) أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان اصطفاه الله، وأكمله، ويعلمه بأن عليه أن يتوجه إلى الله؛ ليحصل على العلم من عنده هو {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}.
وأعتقد في هذا الكفاية لحد الآن ـ لأن الكثير ربما قد يسافرون الصباح ـ أنه قد اتضح لنا من خلال الذي قد قرأناه من القرآن، وهي سور محدودة من [البقرة] إلى أول سورة [الأعراف] وما يزال نسبة بسيطة من القرآن، ألم يتضح لنا عظمة القرآن؟ اتضح لنا فيها سعة ما يتناوله، اتضح لنا فيها أنه ملامس لواقع نفوس الناس، وحياة الناس، أنه كتاب حياة، اتضح لنا فيها بأنه لم يقدم كدستور مفصول عمن قدمه كما هو شأن الدساتير التي تصاغ في الدنيا، قد تقرأ أي دستور من الدساتير ولا تدري من هو الذي كتبه، من الذي صاغه! اعرف ما هناك ارتباط بشخصه، هو يقدم قوانين، مواد، مادة كذا، مادة كذا، إلى آخره.
القرآن ألم نلمس بأن فيه الله بشكل واسع؟ يعني: اسمه في داخله بشكل واسع، توجيهاته، وليس مشابهاً للدساتير والقوانين، ماذا يعني هذا؟ أن الذي أسماؤه داخل القرآن هو الحي القيوم، يعني: أن القرآن غير مفصول عنه على الإطلاق، غير مفصول عنه نهائياً، إذا فهمنا القضية هذه، وحاول الإنسان أن يدعو الله في بقية هذا الشهر، ندعو الله أن يهدينا، أن يبصرنا، أن يرشدنا بكتابه، أن يعيننا على أن نهتدي بكتابه، أن يعيننا على أن نقدم كتابه للآخرين يهتدون به، هذا هام جداً في بقية الشهر هذا؛ لأنه من أحسن الأوقات للدعاء، وليهتدي الإنسان هو نفسه. ونحن نقول: هي قضية أساسية فيما بينه وبين الله، يعني: إفهم بأن باستطاعتك أن تعمل هذه، ليس على أساس أنك منتظر ماذا يمكن أن يأتي من كلام، ثم بعد تنظر، هل تقطع مع الله فيما بينك وبينه، التزام بأن تسير على هداه، وتسلم نفسك له، هذه القضية بإمكان واحد يبدأها حتى من بعدما يسمع [الفاتحة] .
إذا كان على هذا النحو يمكن فعلاً أن يحصل على هدى، ويهتدي، إذا جلس هكذا ما زال مرجح، ما زال منتظر يعين كيف ... لما ينجح الموضوع، في الأخير ربما ينجح الموضوع ولا يهتدي، ثم عندما ينجح القرآن، وقد قدم لك بطريقة هامة، ما هو الذي أنت ما زلت منتظراً أنك تهتدي به ولم يعد بإمكانك أن تهتدي به. ربما فعلاً قد لا يعد يهتدي الإنسان، تكون القضية من البداية يستطيع الإنسان بأنه يقطع مع الله، والتزام ويطلب منه أن يعينه، أنه سيهتدي بهداه، ويسير على كتابه، على ما هداه إليه كتابه.

[الدرس السابع والعشرين من دروس رمضان الصفحة [٢٨]]

القرآن الكريم فيه الهدى الكامل

تدلنا هذه الآيات التي سمعناها، قول الله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ} (الأعراف: من الآية٢٠٤) فالإنسان إذا استمع إلى القرآن الكريم يجد أنه كتاب يفهم منه الكثير، أليس كذلك؟ يفهم منه الكثير وهو كما قال الله فيه: كتاب مبارك، أثره في النفوس أثر عظيم، أثره في النفوس مبارك، أثره في الحياة مبارك.
هذه الآية تعني: بأن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه الهدى الكامل، هذه الآية هي شبيهة بالآيات الأخرى التي تقول بالنسبة للقرآن الكريم: {فَاتَّبِعُوهُ} (الأنعام: من الآية١٥٥) هي تعني: أن هذا الكتاب شامل، وكامل، وآيات واضحات، وبينات واضحات، وبلاغ مبين. مطلوب من الإنسان أن يستمع، أن يتبع، كما نقول أكثر من مرة: أن هذه الآيات تعني: أن موضوع الهدى هو جاهز، هو جاهز، والإنسان عليه أن يستمع، وعليه أن يتبع. لكن هنا قال: {وَإِذَا قُرِئَ} والخلاف حول من يقرأ، مطلوب بالنسبة للإنسان هو عندما يقرأ، عندما يقرأ القرآن أن يتدبر، وأن يتذكر، كما قال الله في آيات أخرى. لكن بالنسبة للقرآن الكريم، موضوعه واسع جداً، أوسع مما يمكن أن تتناوله أنت فردياً، من أشياء تفهمها من ظاهر آياته. هناك كما هي سنة من سنن الله تعالى أنه ينزل كتبه إلى رسله، ثم بعد الرسل يورث كتبه من يصطفيه من عباده؛ ليتلوها على الناس، ليقرؤها على الناس.
الله قال عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} (النمل: من الآية٩٢) أي أن يتلو القرآن، مع أنه إنسان أمي، وهناك قراء آخرين من أصحابه، هم قراء للقرآن، ويعرفون القرآن، باعتباره بلغتهم العربية، لكن لازم أن يتلوه النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) عليهم، كثيراً من هذه الصيغ التي تأتي بعبارة: المبني لما لم يسم فاعله، مبني للمفعول ـ كما يقولون ـ قُرِئَ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} (الجمعة: من الآية٩) ، {وَإِذَا قُرِئَ} لا تعني بأن الفعل مبني للمجهول، نحن نقول: هذا من الصيغ النحوية التي تعتبر غير صحيحة أن يقال دائماً: مبني للمجهول، لا، مبني للمعلوم، إيكال على ما هو معلوم، وأنه سبحانه وتعالى يجعل من يقرأ، من يتلو، وفي موضوع الجمعة هو الذي يحدد كيف تكون الجمعة، وهو الذي يجعل من ينادي للجمعة. فإذا قال: {إِذَا نُودِيَ} ليس معناه أطرف مكبر، أو أطرف واحد يقرأ القرآن.
نحن نقول بالنسبة لتلاوة كثير من هؤلاء [الوهابيين]، تلاوتهم تشوه القرآن، ومثل هذه التلاوة التي نسمعها، تلاوة [المنشاوي] تلاوة جميلة، تلاوة شجية، يعني: كأنها تلامس معاني القرآن، تلاوة ليست بصوت غير مقبول، وليست مطولة. ونعمة كبيرة علينا، نعمة كبيرة في هذا الزمن أن يكون بإمكان الإنسان أن يستمع تلاوة القرآن بشكل جيد؛ لأنه قد يكون الكثير منا ليس لديهم أصوات جيدة، إذا قرأ القرآن سيشوهه. أعتقد أنه على أساس ما أعرف أنا، أنا نفسي عندما أستمع تلاوته يعجبني أحسن من لو تلوت أنا، أسمع تلاوته، وأتأمل على ضوء تلاوته، في موضوع الصوت هو يكفي، يقدمه بشكل جميل، وصوت شجي.
هكذا يتكرر في القرآن الكريم موضوع، نحن نقول في كثير من آيات الله: أن هذه القضية هامة داخل القرآن الكريم، أن الله يقول للناس: إن بيناته كاملة، وواضحة؛ فليتبعوا، وليستمعوا، ليست بحاجة إلى أن يبحثوا، يستنبطوا، يبحثون لهم عن آليات، ثم يستنبطون! ما معنى البحث والاستنباط، والأشياء داخله، ما هو المنطق الذي ساد فيما بعد في ثقافتنا العلمية؟ تقرأ من أجل تستطيع أن تستنبط! تقرأ أشياء أخرى ـ مثلاً ـ أصول فقه، من أجل أنك تستنبط! هنا يقول: الموضوع قدم بالشكل الذي لا يحتاج منك أي عناء سوى أن تتبع، تستمع وتتبع.
فهذه تعتبر قاعدة هامة، وكما هو واضح أيضاً داخل القرآن الكريم، وقد تحدثنا بالأمس حول بعض الآيات: أن هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، أنه يقدم هداه كاملاً، وبيِّن، يقول في القرآن الكريم: بأنه كتاب مبين، يسمي فقراته هذه آيات بينات، يأتي الخطأ فقط من جانب أن لا يفهم الإنسان كيف موضوع الهدى من أساسه، هذا الهدى الذي قدم للبشر على أي أساس هو؛ ولهذا يأتي الخطأ أن كل واحد عنده أنه هو، هو، يفهم كل ما داخل هذا القرآن، والقضية من أساسها هي ليست بهذا الشكل، الله سبحانه وتعالى كما قال في آيات أخرى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ

هُدَاهَا} (السجدة: من الآية١٣)، **و{لَوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً}** (الرعد: من الآية٣١) **وعبارات من هذه، لكن موضوع الهدى هـذا هو قدم على أساس بناء أمة؛ ليكونوا جميعاً قوامين بالقسط.**

القرآن الكريم خطاب لأمة

عندما تتصور بناء أمة معناه: أن الإنسان، كل واحد يعتبر لبنة في بناء، لبنة في بنـاء، سيفهم من ظاهر القـرآن الكريم أشياء كثيرة جداً تساعده على أن يلتزم، في نفس الوقت عليه أن يعرف أن مهمة البناء، بناء هـذا الكيـان، مهمة إقامة هذا الدين، عندما يكون الإنسان هو عبارة عن لبنة في بناء، لإقامة الدين معنى هذا أنها مهمـة كـبيرة جداً، فيجب أن تعرف بأن هناك مواضيع كثيرة أخرى هي مبنية على هذا الأساس، على أساس ماذا؟ أنها تقدم بالشكل الذي لا بد أن يكونوا أمة واحدة، أن يكونوا كياناً واحداً، أن يكونوا كتلة واحدة.

لأن الكثير من الهدى الذي في القرآن الكريم، عندما ينظر الإنسان فردياً هو، ألست قد ترى أشياء كثيرة جداً منه خارج دائرتك أنت؟ فعلاً، أي بالنظر إليك أنت كشخص، وأنت تفترض بتكليفك الخاص أنت، تقول صلاة ممكن صلاة أصلي مقبولة، صيام ممكن أؤدي الصيام هنا أستطيع من الصباح إلى الليل، ذكر الله ممكن أذكر الله، زكاة ممكن أؤدي، أشياء هذه محدودة، أليست تعتبر محدودة؟ لكن تجد المساحة الواسعة في الـدين، تجـدها قـضية جماعيـة، خطـاب جماعي، مهام جماعية، هذه المهام الجماعية عندما تأتي أنت بنظرتك الفردية إليها سترى بأن هذا مبني على أنه إذا كان هناك استطاعة، وفي الأخير تقول: أنا لست مستطيعاً، وهذا الذي حصل، الذي حصل عند الناس، عندما ترسخت النظرة الفردية، لم يبق لديهم ما يتنـاولوه إلا الأشـياء الفرديـة، تـراهم مـصلين، وصـائمين، وحـاجين، ومـزكين، ومتصدقين، الأشياء الأخرى وهي المساحة الواسعة يبدي عليها ورآها وقال: هذا يمكن كـذا... مثـل: {كُونُـوا أَنْـصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ}** (آل عمران: من الآية١٠٤) **{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}** (النساء: من الآية١٣٥) **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}** (الحج: من الآية٧٨) **{قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية١٦٧) **أليس هو يراها خطاباً لأمة، وبدا عليها.. و قـال: [هذا فيما إذا كان واحد مستطيع، وليس باستطاعتي أنا، ورجع.. ورجع.. ورجع..].**

لهذا ترى في الأخير أن الذي قعد عنه الناس يمثل نسبة كبيرة جداً من الدين، بسبب هذه النظـرة الفرديـة، إلى درجة أن الأشياء الأخرى لم يعد لها قيمة في واقعنا، وكما نقول أكثر من مرة: بأن الله يذكّرنا بـأن الأعمـال هنـا في الدنيا، تستطيع أن تعرف أن الأعمال مقبولة، ولها قيمة، أو أنها محبطـة، يـربط بـين حبطـت أعمـالهم في الـدنيا والآخرة، يقول هناك: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (العنكبوت: من الآيـة٢٧) **فنظرنـا إلينـا وإذا نحن ملايين مصلين، وملايين يحجون، وملايين يصومون، وكم يشترون من مسابح يسبحون، أسـواق تكـون في المدينـة، وفي مكة يشترونها في [الشوالات] مسابح، ولكن هذه الأمة رأينا واقعها بالشكل الذي يبدو أن كل هذه الأعمـال قـد فرغت من محتواها، ولم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقعها، إذا لم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقـع الحيـاة فـاعلم بأنهـا ليست ذات قيمة عند الله؛ لأنه هو الذي وعد أنه إذا كانت الأعمال متكاملة، ومقبولة، سيجعل لها أثرها هنا، وأثرها في الآخرة، فإذا لم نلمس لها أثرها هنا يعني ماذا؟ أنها ليست مقبولة، ليست أداء للدين كما أمر.**

إذاً فتجد أنه فعلاً بسبب النظرة الفردية التي رسخها أصول الفقه، جعلـت كـل إنـسان يبـدي علـى الـدين واختـار الأشياء التي يمكن يأخذها، واعتزل له هناك، وبقية الأشياء يقول: [لا نستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، مـا يلزمنا] وأشياء من هذه.

إذاً فنفهم جميعاً أن النسبة الكبيرة من الدين هي خطابات جماعية لأمة: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا} (البقـرة: مـن الآيـة١٠٤) **وتجدها فعلاً بالشكل الذي لا يمكن لشخص أن يقوم بها، بمعنى أنه يجب أن تكون أنت ضمن أمـة يتحركـون في أداء هذه الأشياء التي لا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد، حينها ستقبل الأعمال الفردية منك، ستقبل الأعمال الفردية من الناس، بل بدت القضية بشكل آخر، بشكل أنه حتى لو هناك خطايا، أو أشياء، أن الله سيغفرها لمن هم مجاهـدون في سبيله، لمن هم متحركون لإقامة القسط، لمن هم يعملون على إعلاء كلمته.**

بل رأينا تلك العبادات من أبرزها وأهمها الصلاة، ألم يجعلها بالشكل الذي كيفما أمكن وأنت في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله؟ لم يقل: توقفوا، اتركوهم هناك يعملون ما يريدون وابدءوا صلوا ركعات كاملة، بأذكارها كاملة، ولو يحصل ما يحصل! هو قال هناك: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً} (البقرة: من الآية٢٣٩)، هذه الصلاة التي هي كما نراها في القرآن في كثير من المواقع، وهي من أهم العبادات فعلاً لكن هذا مما يعتبر مثلاً واضحاً لنا، عندما تجد العبادة الهامة، وهي الصلاة في حالة العمل لإقامة الدين أديها على الحالة، إذا لم يمكنك أن تصلي وأنت على ظهر الفرس، كما كان في الماضي، أنت في ميدان الجهاد، حضر وقت الصلاة وأنت لا تتمكن فعلاً من أن تصلي أربع ركعات، أو ثلاث ركعات في الأرض فصل على الحالة، وأنت تقاتل، وكبر، واقرأ ما تيسر، وسبح، وهي صحيحة.

ماذا يعني هذا في الأخير؟ يعني بأنه لو قلنا: [لا، نترك هذا المجال، الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، ونصلي، نترك ما دام أنه قد يؤدي الموضوع إلى أنه لا يعد يلحق له إلا قراءة هكذا خطف، لا يتمكن حتى من أن يسجد، لم يعد هذا عمل صالح قد هذا قلة خير، اتركونا نتركع، وما لنا دخل!!] تركعنا سنين، أليس الناس متركعين سنين، ومبنين مساجد، ومليئة بالمصلين؟ وجدنا ليس لها قيمة.

كانت تلك الصلاة التي هي خطف فوق ظهور الخيل، وفي ميدان الجهاد رجالاً، أو ركباناً، تعتبر ذات قيمة كبيرة، وليس فيها لا سجود ولا ركوع، وإنما فقط الحاصل، ذات قيمة كبيرة أفضل من الركعات التي نصليها طويلة، وسجود، ويمتد واحد، ويسبح حتى يشبع، ويقوم ويقعد، ويضيف نوافل؛ لأن هذه ليس لها قيمة، والموضوع الآخر معطل، العمل لإعلاء كلمة الله.

فعندما نفهم فعلاً بأن الهدى هكذا من جهة الله سبحانه وتعالى، في خطاب، في مساحة واسعة من الخطاب جماعي، ومعلوم عند البشر بفطرتهم عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤)، {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ} (النساء: من الآية١٣٥) أليس معناه: أن يبنوا أنفسهم على أفضل طريقة، ككيان لأمة، ومعلوم عند البدو من البشر، عند البدائيين من البشر، كيف يجب أن يكونوا أمة، ومع هذا تناول القرآن الكريم تعليمات وافية، وخطة وافية، وكاملة في بناء أمة، من الناحية الهيكلية، ومن الناحية التربوية، قدمها بشكل كامل.

إذاً فلتفهم بأن موضوع الهدى هو مبني على هذا، غير طبيعي أن يقال بأن بالإمكان أن تتناول أنت كل شيء في القرآن؛ لأنك ترى معلوماً أمامك تراه أن كثيراً منها، وإن كنت مؤمناً بها لا تستطيع أن تقوم بها أنت؛ لأنها منوطة بالأمة، إذاً أنت من ضمن أمة يعنيٍّ يجب أن يكون الموضوع مرتبطاً بمن؟ بمن هو على رأس تلك الأمة التي تبني نفسها على ما أمر الله في كتابه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ}و{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}.

وجدنا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أن القرآن نزل بلغة العرب، وهم عرب، ونزل بلغتهم، ألم يكن موضوع الهداية، موضوع هدايتهم، تعليمهم، تزكيتهم، تربيتهم متوقفة على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هل أمكن أن يقول كل شخص منهم: هذا كتاب عربي، وبلغتي، وسوف آخذ منه، وأفهمه من غير هذا، ومن غير هذا؟ لا يمكن. إذاً فإذا لم يفهم هذا، أو هذا، أو هذا، لم يفهم من القرآن إلا أشياء معينة، وأشياء أخرى لم يفهمها فيرجع إلى نفسه، ويقول: يكفي، هذا القرآن هو هذا الذي قد فهمناه، فمنه ما فهمناه يمكن نؤديه، وأشياء فهمناها نتركها مكانها.

عندما انطلقوا فعلاً داخل، في مسيرتنا الثقافية قدموا فكرة: أن الله كيف يمكن يخاطب الإنسان بالقرآن ثم لا يفهمه، أليس هكذا؟ معنى هذا أن كل إنسان يستطيع أن يفهم القرآن كاملاً، هذه جاءت من عند المعتزلة. لكن لو تسأل أي واحد منهم، اتفقنا، هذا القرآن أمامك وأمامي، فهمنا منه، أو افترض أننا فهمناه. فهمنا منه أشياء يمكن أن أؤديها فردياً، كيف سيكون العمل بالنسبة للأشياء الكثيرة جداً التي داخله ونراها خطاباً جماعياً، ولا يمكن أن يؤديها إلا أمة؟.

إذاً فكيف الموضوع هنا؟ لمن هذا الموضوع موكول؟ أليس معناه أنه لا بد من أمة، الأمة أليس معناها أن تبنى بناء، وأن تربى تربية؟ إذاً نقول: لا بد أن تكون هذه القضية، إما أن تؤدي إلى أنه فعلاً فهمنا القرآن، لكن فهمنا أن ٧٠٪ منه يجلس على جنب، أليس هكذا؟ هذا يعتبر غلط، ألا يعتبر غلط؟ بالتأكيد، فهمنا أنه لا بد من أمة، وأن هذا القرآن

في منطقه، في أسلوبه، كتاب عملي، وليس كتاباً يمكن تقرأه هكذا كما تقرأ كتاب مجموع فتاوى، أو مجموع قصص، أو أشياء من هذه، كتاب عملي.

نقول: إذاً هنا القرآن الكريم يخاطبنا، وأنا وأنت الأفراد الذين نقول أننا فهمنا القرآن يخاطبنا ضمن أمة، إذاً لا بد أن هناك طريقة لبناء الأمة، ولا بد أن يكون النسبة الكبيرة موكولة إلى من هو موكول إليه توجيه أمة، وتربية أمة؛ لبنائها بهذا الشكل على أساس القرآن .

القضية برزت بالنسبة لمن قالوا هذا الكلام بشكل واقعي، أصبح ملموساً، ورأيناهم فعلاً فشلوا، مثلاً كل واحد عنده أن بإمكانه أن يعرف القرآن، يفهم القرآن، إذاً أنت فهمت القرآن، وهذا فهم القرآن، وذلك فهم القرآن، لكن ماذا قدمتم بعد؟! الذين ادعوا أنهم فهموا القرآن، والإنسان يستطيع أن يفهم القرآن هو كاملاً! سلمنا أنت فهمته، لكن ماذا قدمتم بعد، تراهم صفوفاً مجتهدين، ممن يدعون أنهم يفهمون القرآن كاملاً، ماذا قدموا؟ هل قدموا القرآن؟ هل استطاعوا أن يقدموه؟ وهل استطاعوا أن يبنوا الأمة على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يهدوا الناس على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يبنوا أمة قائمة بالقسط؟ بل العكس الذي رأيناه فعلاً، قدموا مفاهيم مغلوطة، جعلت الناس يقعدون عن أن يكونوا قوامين بالقسط، ويتفرقون عن أن يكونوا أمة واحدة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أليس هذا الذي حصل؟.

إذاً فمسألة الهدى هي مبنية على أساس الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى من وراء هذا القرآن بالنسبة للناس، وكما نقول أكثر من مرة: أنه يجب أن تفهم عندما نسمع الله يقول: {وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ} أن تنظر إلى القرآن أنه كل توجيهاته، وكل أحكامه، وكل تعاليمه مبنية على بناء أمة، وخطاب لأمة، حتى في منطقه، في أسلوبه، أليس هو يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (الصف: من الآية١٤) أليس يخاطب أمة؟ عندما يخاطب أمة على هذا النحو ليس معناه أن كل واحد سيأخذ نصيبه من الأمر مثلما حصل بعد، الذي حصل بعد يأتي واحد يقرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤)، هو يعرف أنها خطاب جماعي، ويعتبر أن الجماعة تكون مكونة من أفراد هو واحد منهم، نظر لقسمه من كونوا ووجد بأنه ماذا؟ لا يستطيع أن يكون إذاً فما يلزم! هذا الذي حصل فعلاً؛ ولهذا تجد أنه كثير ممن قرءوا على أساس الثقافة هذه التي نشكو منها دائماً يعرفون أن هذه خطابات جماعية، لكن قد ترسخت لديه النظرة الفردية، وأصبح التكليف لديه يعني ماذا؟ تكليف فردي، الخطاب أن يأخذ ما يخصه من الموضوع، فإذا رأى نفسه بأنه لا يستطيع أن يقوم بنصيبه قال: [إذاً ما يلزم]! أليس هذا في الأخير أدى إلى تجميد القرآن الكريم؟.

أدى قراءة اللغة العربية نفسها، وهم قرءوا اللغة العربية، وفي اللغة العربية يعرف الإنسان الخطاب الجماعي، والخطاب الفردي، أليسوا يعتبرون أن واو الجماعة يعني خطاباً جماعياً {كُونُوا} {وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ} أما هذه فقد كلمة أمة تعني الجماعة بنفس الصيغة، ومع هذا كان للنظرة الفردية أثرها الكبير في أنه ينظر إلى الخطاب الجماعي، ويرى واحد نفسه واحداً من الجماعة، أخذ نصيبه، ورأى بأنه لا يستطيع، وتركها مكانها، والثاني مثله، وتركوا كل شيء مكانه.

الشيء الذي يجب أن يفهمه الإنسان أنه هكذا القضية: نحن كأفراد نفهم من القرآن أشياء كثيرة، ونفهم من القرآن أنه خطاب لنا جميعاً، وسنظل في إشكالية كيف نعمل حتى نكون بالشكل الذي نؤدي ما أوجب الله علينا في هذه الخطابات، وما وجهنا إليه، أليس هذا يعتبر سؤالاً؟ إذاً، فنعمة من الله؛ ولهذا قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢)، {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (القيامة:١٧) نعمة من الله أن يجعل وهي سنته من يبين لنا القرآن الباقي، إذاً فهل فات علينا شيء؟ هل يعتبر الإنسان أنه فات عليه شيء؟ إذاً نقول: بإمكاننا أن نفهم القرآن لكن بالطريقة هذه، ما نفهم على سبيل التذكر والتدبر، وما نفهم عن طريق قرناء القرآن، هنا سنعرف من القرآن الكثير، وسنعرف كيف نبتني على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون قوامين بالقسط على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون أمة تدعو إلى الخير ـ إلى آخر الآية ـ على أساس القرآن.

أليست هذه هي الفكرة الصحيحة؟ هذه هي الفكرة الصحيحة. فالذين يقولون بالنظرة الفردية لا فهموا هم كل القرآن على ما يقولون، ووجدوا أمامهم أشياء كثيرة، في الأخير يتخلص منها، ويعزلها على جنب، وفاتهم ما كان يمكن

أن يفهموه، وأن يكونوا عليه؛ لأن من قيمة القرآن بالنسبة لك أن يصلح واقع لديك، تبتني نفسك على أساسه، يبتني مجتمعك على أساسه، وهذا هو الهدف، هدف رئيسي للقرآن، ليس مجرد فقط أشياء، معلومات داخل أوراق، أن يكون له أثر هناك في واقع الحياة، فاتهم هذا الشيء تماماً، فاعتبر أنه فاتهم أكثر الدين، وأن هذه طريقة تؤدي بالإنسان إلى أن يفوته معرفة أكثر الدين، وإلى أن يفوته معرفة كيف يقدم للأمة ما يبنيها، كيف يقدم للأمة ما يعتبر فعلاً مبرراً لها أمام الله سبحانه وتعالى، وينجيها من غضبه في الدنيا وفي الآخرة.

هنا قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:٢٠٤)، ولأنها قضية هي تمشي في اتجاه واحد، وقلنا بهذا الكلام سابقاً، أن الله يقول: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} (القمر: من الآية١٧)، ما هذه واحدة؟ إذاً عندما نسمع آيات من القرآن الكريم، وبإنصات، وتدبّر، وتأمل ستعرف من ظاهرها الكثير، الشيء الذي يقدم لك من غيرك سيكون أيضاً كثير لكن ماذا؟ وفي نفس المجال، لن ترى شيئاً يقدم لك خلاف ظاهر الآيات الذي يحصل لديك بتذكرك الطبيعي، وتدبرك من ظاهر الآيات، معنى هذا يزداد الإنسان معرفة؛ ولهذا كان القرآن الكريم ينزل بلغة العرب، ويفهمون ما يفهمون، وأيضاً يأتي الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عنه: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١٢٩)

.

التعليم من جهة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مهما كان واسعاً دائماً يكون في نفس الاتجاه، لن تقدم أشياء متناقضة، لن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن، مهما كانت القضية ذات عمق، فيعتبر ما يفهم الإنسان من ظاهر سماعه للتلاوة يعتبر ماذا؟ يعتبر أساساً يجعله يقبل ما يقدم له، ولن تكون القضية متباينة إلا إذا كان من يقدمون القرآن ليسوا من قرناء القرآن. عندما نقول: قرناء القرآن لا يعني فقط أن يكون أي واحد من أهل البيت؛ لأنه وإن كانوا من أهل البيت قد يكون الكثير منهم ليسوا قرناء قرآن، أن يكون هو بخصوصه، كل واحد يدعي أنه بخصوصه قرين قرآن، قرين قرآن.. إلى آخره.

إن الله كما قال في القرآن نفسه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية٣٢) أنه هو يورث، يورث من داخل بني إسرائيل، يورث من داخل آل محمد، ويعتبر مهمة آل محمد كدائرة - مثلما قلنا لكم سابقاً - مهمة أخرى في موضوع وراثة الكتاب. بنوا إسرائيل مهمتهم كدائرة مهمة أخرى أيضاً بالنسبة لكتب الله، ونحن نقول: إنها عبارة عن دوائر، وتبين من خلال الآية السابقة التي قال الله فيها: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليست هذه دائرة واسعة؟ {وَآلَ عِمْرَانَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليس آل عمران داخل؟ آل عمران: مريم وأمها وأبوها، تصطفى تلك الدائرة؛ ليأتي من داخلها علَم للأمة، وفي المقدمة بنوا إسرائيل، أليس هذا واضحاً في الموضوع؟.

لهذا يأتي الإنسان يسمع أحياناً أشياء ستراها متنافية مع ظاهر القرآن، متى ما جاء آخرون يقدمون، بعضهم يقدمونه بتحريف متعمد من أجل مثلاً تأقلم مع أهداف سلطة معينة، وبعضهم بسبب ماذا؟ بسبب انحراف ثقافي قائم لديه، يجعله ينظر نظرة معكوسة فيقدم الأشياء بشكل تبدو في الأخير متباينة مع ظاهر القرآن.

فلتكون القضية مضمونة بالنسبة للناس أنه بالنسبة للناس لا بد أن يقرؤوا القرآن، وأن يتلوا القرآن، وأن يتعودوا على تلاوة القرآن باستمرار، هذه قضية تعتبر أساسية في ماذا؟ في أنهم يفهمون أشياء كثيرة، وأساسية ؛ليعرفوا من هو الذي يمكن يقدم القرآن بشكل صحيح؛ لأنك عندما تكون هكذا ليس عندك فهم أنت، هذا الفهم الأول، تسمع واحد هناك يتكلم حول آية قد فعلاً يكون يقدمها بطريقة غلط، وتقبل، لو أنك إنسان كنت مثلاً متعود على تلاوة القرآن، وتفهُّمه، وتدبُّره، لعرفت أن هذا ربما معاكس لظاهر آيات سمعتها أنت، وتلوتها أنت. [الدرس الثامن والعشرين من دروس رمضان [١ ــ ٥]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الخامس]

الجزء الأول

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

٥ ـ الجهاد في سبيل الله وقضايا عملية وتنظيمية والأمة المجاهدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

شمولية الجهاد

الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يعتبر الموقف من العدو نفسه إلا موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقا؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تقدم نفسها نموذجا فعلا في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة، وتنسى موضوع إعداد القوة، قوة السلاح؛ لأنك ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها، القضايا النفسية، والمعنوية، والتربوية، والثقافية.. إلى آخره، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا.

سبيل الله طريق رسمها للمجاهدين من أجله

{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} أليس هنا ألغى موضوع: قومية، وطنية، تربة وطن، حجار وطن، وأشياء من هذه، لن يكون لها فاعلية على الإطلاق، لن يكون لها فاعلية، هم ينطلقون يجاهدون في سبيل الله، من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، يوجد سبل كثيرة تحمل عنوان: الجهاد، وهي سبل عوجاء، أما كلمة: جهاد في سبيل الله ـ ويمكن أي واحد يدعيها ـ هنا يبين لك سبيله، طريقه، هي طريق هو رسمها هو للمجاهدين من أجله أن يسيروا عليها في جهادهم.

مثلما قلنا سابقا: أنه تجلى من خلال قصة طالوت وجنوده، تلك النوعية التي انطلقت في سبيل الله، هي فعلا التي تحمي الأوطان والأعراض، أليست هي التي ستحمي الأوطان والأعراض؟ أما من يرفعون عبارات: وطنية، وقومية، أحيانا هم من يبيعون الأوطان والأعراض هم، أو حتى لو كان مخلصاً ستكون القضية قابلة للثغرات، يأتي العدو يدعم جهة معينة، وترفع شعارات قومية متفوقة على شعاراتك، وترى وكأنها تضرب العدو ضربات رهيبة، مثلما عملوا لاحتواء الثورات في القرن الماضي، آخر مثال لها [أرتيريا] تحرك المجاهدون المسلمون مساكين مقاتلين خلال فترة طويلة، رآهم الصهاينة وإذا هم ربما سينجحون، ربما تقوم دولة مسلمة، وعناوين ـ هم ليسوا فاهمين هذه: أهمية الارتباط بسبيل الله ـ من أجل الوطن، تحرير الوطن، إخراج المحتل، وأشياء من هذه.. جاء [أفورقي] هو ومجموعته، ومنظمته، وإذا هم وطنيون أكثر منهم، وإذا هم أيضا لديهم إمكانيات يستطيعون أن يضربوا، وإذا هم فرحوا بهم، فرحوا، نعمة أنه قد صار معنا ناس، وفي الأخير وإذا هو ماذا؟ نوعية ثانية، وإذا المجاهدون المساكين الذين قتل كثير منهم، ودمرت بيوتهم وأموالهم، وإذا بهم قد صاروا معارضة هناك، وإذا أرتيريا صارت بلداً مرتبطا بإسرائيل!

لكن في سبيل الله لا يمكن على الإطلاق أن تزيف المسيرة، لا يمكن لأحد أن يزيفها إلا إذا فهمنا أن سبيل الله مجرد عنوان، سبيل الله يعني: من أجله، لا ترفع شعارا آخر على الإطلاق، سبيل الله، تجاهدون في سبيل الله،

وتفهم سبيله وفق الطريقة التي رسمها هو، أين رسمها ؟ في القرآن، أليست في القرآن مرسومة؟ هذه هي الطريقة التي لا يمكن أن تخترق، ويخترقها مزيفون، ولو رفعوا عناوين: جهاد في سبيل الله، لا يمكن على الإطلاق، وإلا فالمرحلة خطيرة جداً، مرحلة قد يزيف لك الأمريكيون حركة معينة ويقولون: في سبيل الله، وجهاد في سبيل الله، وقد عملوا هذه في الماضي، ألم يعملوها؟.

لهذا يجب أن يكون هناك وعي تام، وإلا فقد تتحرك وأنت لا تدري، وباسم في سبيل الله عندما ترى منظمة أخرى أكثر فاعلية، وتحمل جهادًا في سبيل الله عنوانا، ثم تبدو في الأخير وإذا هي وهمية تتحرك متى ما أرادت أمريكا، وتجلس متى ما أرادت، في الأخير تراها إنما كانت [فخ] من أجل ماذا؟ من أجل تذوب كل الانفعالات ضد أمريكا في ماذا؟ في بؤرة لا تشكل خطورة عليها نهائيا، ثم في الأخير يظهر وإذا أولئك المجاهدون يتبخرون لا يوجد هناك شيء، ولا ترى بعد إلا أمريكا في وطنك، أو إسرائيل.

هذه القضية هامة، الآية تعطينا منهجا متكاملا متكامل في كيف نكون نحن، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، يحاول واحد يتعامل مع الله، يدعوه، وفي نفس الوقت كيف يكون توجيهنا للناس، لا نستخدم عبارات: وطن على الإطلاق، ونحن قلنا في هذه سابقا، عند آية طالوت وجنوده قلنا: إن الله ضرب مثلا لنا من داخل بني إسرائيل، عندما يقولون الآن: لا نريد عداء دينياً، نقول: أنتم وجدناكم في مرحلة كنتم مستضعفين، وقد أخرجتم من دياركم، وأبنائكم اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، أليس هكذا؟ فنحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن.

كن مستنيراً بالقرآن

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة {وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ}؟ إذا كان مستبصرًا بالقرآن، مستنيراً بنور القرآن، مستبصراً ببصائر القرآن، مهتدياً بهديه، وإلا فسيقعده اللوم في أي مرحلة من المراحل، لوم عالم، أو لوم قريب، أو لوم بعيد، أو لوم سلطة، أو لوم من أي جهة كان. تجد هذه النوعية فعلا عندما ينظر واحد إلى المرحلة هذه، هذه النوعية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه بني إسرائيل بفاعلية، ويمكن تهزم فعلا بني إسرائيل، هذه الفئة؛ لأنه قدم نوعية هي التي يجب أن تتوفر فيها الصفات الضرورية، والتي تجعل كل مؤامراتهم، وشعاراتهم، وعناوينهم، وخداعهم تتبخر عندما تصطدم بهذه النوعية، غيرها سيتبخرون هم أمام بني إسرائيل فعلاً.

وهنا يبين بأن هذه القضية بالشكل الذي تجعل الآخرين يحسون بأنهم في خسارة، المرتدين عن الجهاد، عندما يأتي بعد فيقول: {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} (المائدة من الآية: ٥٤) هذا فضل من الله الذي تتهرب منه، وتحاول أنك تعمل لك أشياء، وتلفق أشياء حتى لا يلزم، أو تتمسك بأشياء معينة، أو تخاف.. أنت تبعد نفسك عن الفضل، تبعد نفسك عن فضل عظيم، فكأنك تثبت بأنك غير جدير بذلك الفضل، لأن الله قال: {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}.

تلاحظ هنا أنه تبدو الآية فعلاً توحي بأنه قد تصل الأمة إلى حالة لا يعد يبقى لديها مقومات بناء نوعية كهذه، إنما من جهة الله هو فعلا، لا في تراثها، ولا في منطقها، وفعلا هل هذا موجود؟ لو تعود إلى تراثنا، تراثنا نحن الفئة أهل الحق التي نقول دائما: هم أهل الحق، سيكون هذا التراث بالشكل الذي يقعدك، وما الذي معك عندما تقرأ؟ معك أصول فقه، علم كلام، كتب ترغيب وترهيب، تفسير آخرين، أشياء من هذه تقعدك، ورأيناها أقعدت من؟ أقعدت من حملوها، وأقعدت من اتبعوها، أليست هذه القضية واضحة؟ ما بالك بما لدى الآخرين فعلا. إن هذه نوعية لا تبنى إلا من جهة الله {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة من الآية: ٥٤). [الدرس الثاني والعشرين من دروس رمضان من الصفحة [٢٣ ـ ٢٤]]

الإحتقار قضية خطيرة

هناك انتهوا مثل ما قلنا سابقا في موضوع الملائكة مع الله انتهوا إلى ماذا؟ {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} بقي ما حصل أو ما يعتبر أثراً من كلامهم، أو يوحي به كلامهم من ماذا؟ من ازدراء واحتقار لذلك المستخلف، فليسجدوا له، هذه حصلت أيضا بعد مع البشر أنفسهم، أخوة يوسف، ألم يحصل ازدراء؟ لماذا أن أباهم يحبه أكثر؟! وهم أقوياء، وهم كذا، وهم عصبة، ويوسف صغير ويحبه أكثر ويعطف عليه أكثر! يعني: يوجد حالة ازدراء، أبوه يحبه على أساس أنه جدير بذلك الحب وجدير بذلك التمييز لما يرجوه أو لما يتوسمه فيه من أن الله اجتباه، وأن تعامله مع ابنه على هذا النحو يجب أن يكون على هذا النحو تقديرا لما منحه الله يعني: القضية مرتبطة بالله، هم حصل من جانبهم نوع احتقار، كيف انتهت المسألة؟ انتهت إلى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} (يوسف: من الآية١٠٠) معنى هذا أن قضية الاحتقار قضية خطيرة، الاحتقار قضية خطيرة جدا، لا تحتقر أحدا نهائيا ، نهائيا لا تحتقر أحدا، إلا إنساناً هو جدير فعلا بالاحتقار باعتبار ما هو عليه من سوء؛ إنسان مجرم عاصي فاسق سيئ إلى آخره ممكن تحتقره على هذا الأساس، الناس فيما بينهم لا يكون هناك احتقار، ربما تحتقر شخصاً ما تدري في الأخير ولف الشريط لما ما تدري في يوم من الأيام يمر بك موقف صعب فلا يعد يشكل وقاية لك إلا ذلك الشخص!

هذا لو يأتي الإنسان إلى استخلاص أمثلة من هذه في الحياة، أعني: في التاريخ قد تجد شواهد كثيرة فعلا حصلت على هذا النحو، بل أحيانا يظهر في موضوع الأيتام الذين يكبرون أيتاماً ويكون عمه أو أقاربه يذلونه ويحتقرونه ويبهذلونه، وفي الأخير أحيانا ما تدري وطلع هذا رجل عظيم أو تاجر، ما تدري وقد هم يعيشون على هامش ما لديه! بعض التجار عندهم هذه، حصلت لهم هذه، نشأ يتيما وإذا قد أنت ترى أولئك الذين حوله قد هم ماذا؟ إحتاجوا يصلون إلى مرحلة يخرون له سجدا ولو سجود حالة إذا ما هناك سجود من هذا السجود الحقيقي، سجود حالة سجود وضعية.

{وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} سبق أن عندهم ماذا؟ احتقار {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (يوسف:٨) ماذا يعني ضلال مبين؟ أبوهم في نفس الوقت أن يحب كهذا، أليس معناه ازدراء واحتقار؟ كيف كان المشهد؟ أربعين سنة يقولون وانتهوا إلى أن يخروا له سجداً.

نأخذ من هذا درساً: أن الناس المؤمنين فيما بينهم لا يكون هناك احتقار على الإطلاق، احتقار أو ازدراء إذا بدر منك مثلا احتقار، نوع معين في نفسيتك، استغفر الله، تب، يستغفر واحد الله، احتقر الآخرين الظالمين المجرمين الفاسقين السيئين، هذه قضية، أما الناس المؤمنين فيجب أن يكونوا على حذر من مشاعر احتقار مهما كان الشخص وهو يبدو في خط إيمان وتوجه إيماني، فلا يكون عندك أن هذا ماذا يمكن أن يعمل للإسلام؟! ربما ما تدري قد يكون له دور أعظم من دورك، قد ربما يكون له دور هو يعتبر أساسي في دورك أنت فتشهد بأن لولا هو لما كان لدورك أثر، وهكذا أي ربما قد تكون هذه خطيرة، أن أي حالة احتقار وازدراء قد تنتهي بك المسألة إلى أن تسجد سجود حالة لماذا؟ لما وقع منك من ازدراء واحتقار ولأنه لا يجوز من الأساس، إنسان مؤمن تفرح به كمؤمن تقدره كمؤمن ما يكون عندك أنه هذا الشخص ماذا سيعمل للإسلام ؟! إفهم أن العمل في الإسلام واسع يحتوي كل القدرات ومن كل شخص، فالعمل في الإسلام هو بالشكل الذي يمكن للناس أن يتحركوا فيه.

إذا الآخرين الذين تراهم، وهم فعلا لن يصلوا إلى حالة مواجهة مسلحة تقول لهم: انتم أعينوا بأموالكم أنت ارفع شعاراً، لن تجرؤ أن ترفع شعاراً، أنت ادعم بمالك لمن يطبع الشعار ويرفعونه هناك، الإسلام قام بتشغيل الكل ويكون لكل إنسان أثره في الميدان، أثره في نصر دين الله، وفي نفس الوقت يكون العمل على أنه يرفع الناس إلى أن تكون أدوارهم أكثر وأعظم وأعلى يعني: ما قدمت المسألة من البداية على فرضية تكون مثالية في الأخير: أن هذا الدين يفترض نوعيات مثل عمار بن ياسر مع شخص كعلي بن أبي طالب وإلا فما هناك فائدة، الإمام علي ألم يكن يحرك الناس جميعا؟ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يحرك الناس جميعا وكان أحيانا.. هو يعرف الناس ويعرف قدرات الناس وطاقات الناس؛ ولهذا تكون القضية بالنسبة للناس من ناحية المسؤولية تكون أسهل يعني: عندما

يكون الناس في وضعية ما معهم شخصية على هذا النحو، تعتبر المسؤولية عليهم جميعا عندما يتوفر شخص على هذا النحو فيمكن أن يعذرك أنت تعتبر معذوراً فعلا؛ لأنه عادة أن رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف الناس جميعا ما كان يكلف هذا يبرز كما يبرز الإمام علي، ولا يكلف هؤلاء أن يكونوا جميعا على نوعية المقداد أو عمار أو... هو يشغل الكل عندما يأتي البعض ويقول: [يا أخي هؤلاء الذين يقولون: [الله اكبر....] هؤلاء لو يأتي قتال لما عملوا شيئا!] قل: هم الآن يقومون بعمل هام، متى ما جاء عمل أكبر، ربما ـ لأن الله سبحانه هو يتدخل في بناء النفوس يقوي النفوس، يقوي الفهم والذكاء ـ ربما هؤلاء الذين تحتقرهم قد يكون لهم دور كبير ولو كانوا في أثناء رفع الشعار في مرحلة معينة يكون عنده أنه سيقوم بهذه، لكن لو كانت قضية أعلى احتمال أنه سيضعف، ربما عندما يصدق مع الله أن الله يصل به إلى حالة فعلا يصبح قوياً، هذه لها شواهد واقعية من الواقع من آمن مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من كانوا مستذلين عند الآخرين مستضعفين، أي نفوسهم نتيجة الإستضعاف والإستذلال هي تكون هابطة معنوياتهم، أعطاهم الإسلام دفعة في رفع معنوياتهم أصبحوا، أذكياء عباقرة فرسانا أبطالا، إذا ما صَدَقَ الإنسان مع الله فعلا ترتفع معنوياته، إذا كان غير صادق مع الله تهبط معنوياته، ولو كان من أصول قوية تهبط معنوياته.

لذلك نقول في بداية الموضوع: بأن الناس عندما يكونون متحركين في عمل، لا يكونوا يحتقرون أنفسهم بأن ما معهم شخصيات [ما معنا العالم الفلاني والعالم الفلاني، وفلان وفلان والشيخ الفلاني والمثقف الفلاني والكاتب الفلاني والصحفي الفلاني.... إلى آخره] لا، إفهم بأن الإسلام هو بدأ على هذا النحو، عباقرة قريش أولئك هم تهاووا في الأخير، الأشخاص الذين كانوا في نفوسهم ضعاف ويراهم الآخرون ضعافا ويراهم لا شيء فعلا أصبحوا هم عباقرة، أصبحوا أذكياء، أصبحوا أقوياء، وأصبح الكبار الذين كانوا يرون أنفسهم بأنه ما يمكن يستقيم هذا الشيء وما هم فيه، عندهم ما يمكن ينجح محمد وما هم فيه إذ عليه أن يتقبلهم بإملاءات من فوق ويكون هذا الدين متأقلماً مع مصالحهم، إذا أراد أن يكون هناك فاعلية لدعوته وتتسع للآخرين! لا، هؤلاء العباقرة أصبحوا في الأخير لا شيء، وبرز الآخرون جعلهم الله أذكياء وعباقرة وأقوياء ومهتدين... إلى آخره.

هذه قضية فهمها يقي الناس من احتقار بعضهم بعض، بل يقي الإنسان هو نفسه من أن يحتقر نفسه، إذا هو في سبيل لله لا يحتقر نفسه، بمعنى ماذا؟ يكون عنده يمكن ما يعمل للإسلام شيئاً! أصدق مع الله، عندما تصدق مع الله، وتتفهم وتهتدي بهدي الله، يعطيك الله طاقات كثيرة وقدرات كثيرة وفهماً كثيراً وإمكانيات تجعل دورك واسعاً جداً أكثر مما يمكن تتوقع، أكثر مما كنت تتوقع أن تصل إليه، يظل الإنسان يحتقر نفسه وعنده ما يستطيع يعمل شيئا ولا منه شيء سيجلس هكذا دائما، يجلس دائما ما يرتفع، إعرف بأن الله هو يتدخل في القلوب ويقوي النفوس هو يربط على القلوب، ألم يقل: {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الكهف: من الآية١٤) وفي الطرف الآخر يقول: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} (لأنفال: من الآية١٢) .

الصناديد أولئك الكبار عندما برزوا في بدر من صناديد قريش، أبطال، أليسوا ذووا أصول قوية وأبطال؟ هنا جعلهم ينهارون وشدّ الآخرين، ولهذا بعضهم اندهش عندما رأى ابن مسعود على صدره وهو إنسان كان يعتبره لاشيء قال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] وهو في بدر وقد صار يخور في دمه، فتح عينيه وإذا بابن مسعود فوق صدره جالس فقال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] هذه قد تكون من هذا النوع، يرونهم فيحتقرونهم، يمر الشريط هذا الشريط خطير، هذا الشريط يأتي خطير، وإذا بمن كانوا يزدرونهم ويحتقرونهم ويعتبرون أنهم لا شيء وفي الأخير يرون هذا الدين نفسه لا شيء إذا ما هم فيه هم، وما هم مستعدين أن يكونوا فيه إلا بأن يكون هناك إملاءات معينة، رأوهم فوق صدورهم في بدر!.

إذاً الإنسان لا يحتقر أحدا ولا يحتقر نفسه هو وبدون غرور، أي عندما نقول: لا تحتقر نفسك معناه أن يكون عندك ثقة بأنه عندما تخلص مع الله سبحانه وتعالى سيؤهلك للدور المنوط بك، والناس مهما تعددت كفاءاتهم واقعا هذا من عظمة الإسلام أنه قابل ـ فعلاً ـ لأن ينصر بالناس الحاصل، هناك ثوابت معينة يجب أن تتوفر: طاعة مثلا لمن يقودهم، إخلاص لله، سير على هديه، هذه ثوابت أساسية. كونهم ضعافا ما معهم شيء، هو من أسرة أو من طبقة

تبدو ضعيفة أو محتقرة في المجتمع أو أو... كل هذه[الأو] ستنتهي في الأخير، أليس بلال حبشياً؟ كيف أصبح بلال؟ وغيره كيف أصبحوا؟ صهيب رومي، وفلان فارسي، وفلان ... وترى صناديد فرسان العرب أصبحوا لاشيء، تهاووا؛ لأن الإنسان هو من خلق الله والله سبحانه وتعالى هو الذي يصنع الإنسان فيما إذا اتجه على هداه بالشكل الذي يؤهله لدور هام في سبيله. [الدرس الثالث من دروس رمضان من الصفحة [٢٥ ـ ٢٧]]

التفضيل يترافق معه مسئولية

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:٤٧) **تفضيلهم على العالمين: بمعنى أعطاهم شيئاً هو يعتبر فضلا، أليس الله سبحانه وتعالى يذكر أن النبوة نفسها هي فضل؟ {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}** (النساء: من الآية١١٣) **هي رحمة {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}** (البقرة: من الآية١٠٥) **فالفضل معناه: أعطوا أشياء، أوتوا الكتاب، الحكم، النبوة، أورثوا الكتاب، أليست هذه تعتبر فضائل أعطوها؟ لكن عادة ـ ويجب أن نفهم هذه القضية دائماً ـ أن هذه الأشياء يترافق معها مسئولية، وليست فقط أوسمة هكذا، أبداً، كلها يترافق معها مسئوليات، ولهذا ترى أنه أعطاهم هذا الفضل لكن عندما فرطوا فيما يعتبر مسئولية مقترنة بهذا الفضل كانت النتيجة سيئة عليهم في الأخير، فوجدنا لعن هؤلاء الذين ذكر أنه فضلهم على العالمين لماذا! فضّله يوم ولعنه ثاني يوم؛ لأن القضية ليست مجردة، ليس تفضيل بحت، إعطاء أشياء هي مسئوليات.**

فأنت يقال أنت حصلت على فضل من هذا كان فضلا فعلاً عليك من الله أن أوكل إليك هذا الموضوع الذي هو يعني: مسئولية أمام الآخرين تتحرك به في الحياة تتحرك به مع الناس تلتزم به أنت، وتعمل بتوجيهاته، بالنسبة للآخرين أعني: ليست المسألة بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنه يأتي يصنف عباده هكذا باعتبار الجنس مجرداً عن أي اعتبارات، هذه لا أعتقد أنها تحصل، كلها قضايا مقترنة بمسئوليات، مهام ومسئوليات، هو فضل كبير عليك أن يكون الله سبحانه وتعالى اختصك بشيء هو يعتبر مسئولية، أليس هو يعتبر فضلا عليك؟ لكن هذا الفضل لن يكون له قيمته بالنسبة لك إلا عندما تتحرك وفق المسئولية المقترنة به؛ لأنه هو في الواقع مسئولية، الفضل اعتبره في كلمة مسئوليات، تتحرك إذا لم تتحرك نسف وفي الأخير يصبح هذا أسوء.

ألم نجد في القرآن الكريم ضرب أمثلة لمن حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار، عندما لم يحملوها ضرب لهم أسوء مثل. عادة قد تكون المسئوليات هذه تترافق بمؤهلات ، هذه المؤهلات نفسها هي تساعدك على القيام بالمسئولية هذه، فإذا لم تقم بالمسئولية هذه، قد تتحول مؤهلاتك إلى شر.

بنوا إسرائيل هم يبدو ولديهم ذكاء باعتبار عندهم نفوس ذكية عندهم خبث، شياطين، مثلما يقول البعض: [فلان شيطان] إذاً هذه كان المفترض أن هذه تسخر في ماذا؟ في النهوض بمسئوليتهم؛ لأنه عادة المسئوليات تحتاج إلى نفسيات كهذه، حتى أنت عندما تختار لمهمة من المهام عندما يأتي رئيس دولة أو أي شخص يريد أن يكلف أشخاصاً بمهام، ألا يحتاج إلى أن ينظر إلى ما لدى هذا الشخص باعتبار نفسيته، ومؤهلاته هل هو سيكلف شخصاً غبياً؟ لا. وإنما سيكلف شخصاً يرى فيه مقومات النهوض بهذه المسئولية. إذا لم يتحرك إذا لم يشغل هذه المؤهلات هذه المقومات التي تعتبر مساعدة على النهوض بالمسئولية إذا لم يشغلها في هذا الإطار، في ماذا؟ في مجال مسئوليته، تتحول إلى شر. الآن خبث بني إسرائيل أليس الناس يصيحون منهم في العالم الآن، وهم قليل لكن عندهم خبث يعرفون كيف يشتغلون كيف يخططون، عندهم الإستمرارية، الجدية هذه .

هذه القضية هي أساساً من الأشياء التي تعتبر ضرورية لمن يعطون مسئوليات، أو لمن يوكل إليهم مسئوليات ومهام، هل أنت يمكن أن توكل مهمة إلى شخص ليس عنده اهتمام ولا هو مستعد في نفسيته، أعني: كسلان لا يبالي أو تريد شخصاً يتحرك فيها؟ إذاً قد تكون اختصاصات من هذا النوع هي كلها معناها: منحة يعطيها الله وكلها مرتبطة بهذا الدور المنوط بهم، مثل العلم نفسه، أليس العلم نفسه هو يعتبر مسئولية؟ لكن عندما تتجرد عن الإهتمام بهذه المسئولية، فيمكن يتحول إلى شر فيمكن أن تحكم أحكاماً باطلة، أليس من الممكن أن يحكم أحكاماً باطلة مقابل فلوس؟

وإذا به أصبح يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وقد صار لديه معرفة كيف يوظف الدين للحصول على ماديات، وقد عنده ذكاء، ذلك الذكاء الذي كان المفروض أنه كيف يوظفه في إصلاح الناس، وفي دعوة الناس إلى الله، وإرشاد الناس إلى الله، وإذا هو قد صار يوظف هذا الذكاء في كيف يستثمر من ورائه.

فالقضية هي على هذا النحو: مؤهلات للنهوض بمسئولية هي أشياء لا بد أن تكون لها قيمة في الواقع، لكن تتعطل قيمتها عندما تترك المسئولية فتتحول إلى شر تحول ذكاؤهم تحولت جديتهم واستمراريتهم هذه الروح العملية لديهم الروح الحركية لديهم، تحولت إلى ماذا؟ إلى شر، تصبح هي وبالاً كثيراً عليهم، تصبح شراً عليهم هم، ألم يقل في آية سابقة في [سورة البقرة] : {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (البقرة: من الآية٩) في الأخير يصبح ذكاؤهم تصبح روحيتهم الحركية العملية مصدر شر كبير يتضاعف عليهم، بدل ما كان المفروض أن يكون مصدر أجر كبير وفضل يتضاعف لهم. [الدرس الرابع من دروس رمضان من الصفحة [١٢ ـ ١٣]]

ترسيخ روح المسئولية

ولهذا القضية بالنسبة للعربي نفسه هو ماذا؟ يستشعر القضية مسئولية، لاحظ هذه القضية أساسية جداً حتى بالنسبة لعملنا أعني لا يساويها في خلق دافع عند الناس الحديث عن مجرد دفاع عن النفس والوطن وأشياء من هذه ركز عند العربي ـ لأن العربي هو بطبيعته عنده قابلية للدين ـ ركز عنده موضوع المسئولية أمام الله مسئولية وراءها عقوبات هنا في الدنيا وفي الآخرة، وبنفس الطريقة السابقة مع ما يترافق مع هذا الحديث من أشياء كثيرة، لكن رسخ المسئولية؛ لأنك أحياناً عندما تقول له: هم سيأخذون كذا وهم سيعملون كذا هذا جانب من الحديث، جانب، لكن لا يكون تركيزك على هذا الجانب باعتبار أنه هو الذي يخلق دفعة عملية لأن ينطلق الناس، أحياناً يكون عندهم [ما في خلة ما في خلة] إلى أن يصل المحتل عندهم ثم [ما في خلة] وقد صار في طرف بلاده ولا يصيح إلا عندما يكونون في بيته قد هم هاجمين على بيته، قد يترافق مع هذا مسألة الدفاع عن النفس، حقيقة، لكن الإنسان بطبيعته والعربي بزيادة ربما يكون عنده إذا قد الشيء غير ملموس لديه وخطورته قائمة ومباشرة فعنده أنه ما يزال غيباً [فكّة].

لاحظ الآن كيف وضعيتنا نحن هنا في اليمن وفي السعودية مثلاً نشاهد العراقيين في العراق، ألسنا نشاهدهم في العراق؟ ونشاهد ما يعملونه في العراق إذاً هل تجد للحالة تلك والناس يشاهدونها هنا في وسائل الإعلام، هل تجد أنها خلقت دفعة معينة في محاولة أن يجهزوا أنفسهم يعدون ويحذرون؟ لا. [عندما يأتون من العراق (فكّة)] وصلوا السعودية، عنده ما زالوا في السعودية، وصلوا صنعاء وتعز، عنده هم ما زالوا هناك في صنعاء كما جاء في المسرحية التي قدمها الشباب، هكذا عندهم [ما في خلة والله أعلم متى (وفكّة)] وفكّة هذه لا تعطي دفعة ولكن القرآن الكريم يبني المسألة أن تكون القضية الأساسية التي تخلق عند الناس دافعا، وتستطيع أن تتجاوز هذه الحالة النفسية التي قد تقعد الإنسان، هي التركيز على المسئولية أمام الله، لازم تتحرك أمام أعداء الله.

عندما يقول لك: [ما هو وقت..]، قل له: لا، تعال إلى القرآن تجد أنه كان وقت من قبل أربعمائة سنة، فعلاً، وقت أن يعمل الناس ويحسبوا ألف حساب لأن لا يحصل وضعية كهذه، من قبل أربعمائة سنة، من بداية نهوض [أوربا] أو من بداية اكتشاف [أمريكا]، أليس الناس الآن [مصوتين] من أمريكا، متى اكتشفت أمريكا؟ قبل أربعمائة سنة اكتشفت القارة بكلها، لم تنهض أمريكا إلا متأخرة في الوقت الذي كان المسلمون يحكمون، يحكمون هنا في اليمن [الزيود] أنفسهم، كان معنا دول قائمة قبل أربعمائة سنة، والقرآن يعطي توجيها بالشكل الذي يجعلك تحسب ألف حساب من ذلك الوقت، وأنت ترى مؤشرات النهوض لديهم، يذكر لك هنا ماذا يمكن أن يعملوا فيما إذا تمكنوا.

إذاً، فالمسئولية في القرآن الكريم هي بالشكل الذي تنسف حالة اللامبالاة، أي حالة: [ما في خُلّة] وتعطيك عملا، أو تعطيك حركة مسبقة من واقع الشعور بالمسئولية أمام الله، أنك لا تفرط، فيؤاخذك في الدنيا وفي الآخرة على تفريطك. هذا جانب. جانب الترغيب في هذا الموضوع جانب كبير أيضاً جداً، بالثواب من الله، بما يمنح الله الناس عندما يكونون على هذا النحو في الدنيا وفي الآخرة. [نفس الدرس الصفحة [١٣ ـ ١٤]]

الحكمة أن تستثمر موتك

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٣-١٥٤) لو تأتي إلى مسألة: أن تقتل في سبيل الله تجدها في الأخير تعتبر من الحكمة بالنسبة لك ومن الخير الكبير بالنسبة لك لأنه عندما ترى أنه في الأخير أنت ستموت، أليس كل إنسان سيموت، أليس من الأفضل لي أليس من الحكمة أن استثمر موتي أنت ستموت، ستموت أليس هذا موقفاً حكيماً؟ ليست قضية تعتبر مصيبة لأنه ما هو الجديد في القضية؟ هل هناك جديد في الموضوع؟ هل القتل في سبيل الله شيء أكثر من الموت؟ أو الإنسان إذا لم يقتل في سبيل الله فلن يموت؟ سيموت ولا تدري في نفس الوقت متى ستموت، إذاً فالموقف الحكيم والخير الكبير عندما تقتل في سبيل الله تعتبر أنت استثمرت موتك الذي لا بد منه ثم تكون في الواقع أفضل لك من أن تموت فتكون في عالم اللا شيء إلى يوم القيامة تكون أحياء، أحياء.

ويبدو أن الشهداء يبقون أحياء من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة فيصبحون أحياء فعلاً ، ففي آيات أخرى عندما يقول الله عن أحداث القيامة: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} (الزمر: من الآية٦٨) تبين أن هناك فئة أو شيئا من مخلوقاته حية لا تتأثر بتلك الأشياء مع أن الشهيد يموت اسما، اسما هكذا أنت تراه لكن في الواقع يصبح حياً فقط ألقى [بذلة] خلع البذلة التي عليه ذلك [البودي] الذي له هذا الهيكل وأصبح حياً {عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: من الآية١٦٩) لم يعد هناك موت بالنسبة لهم {لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (الدخان:٥٦) تأمل في كثير من الآيات التي تتحدث عن أحداث القيامة فيها حالة استثناء {إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} (الزمر: من الآية٦٨).

هذه القضية قد تبدو في أول وهلة وكأنها كبيرة لكن قدم لها، وهذا أسلوب من أساليب التوجيه الإلهي والإرشاد الإلهي والتشريع الإلهي من المقدمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٣-١٥٤) لاحظ كيف يأت الكثير منها بأسلوب استعراضي ما جاءت عبارة: اقتلوا، اقتلوا في سبيل الله، لا. يبين لك هنا القضية موقع هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله حتى تصبح أنت متشوقا؛ لها إيجابية فيما يتعلق في نفس أي إنسان أكثر من أن يقال: اقتلوا أو يجب أن تقتلوا في سبيل الله وستكونون أحياء {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} (البقرة: من الآية١٥٤) لا. هذا مقام رفيع لا تسموهم أمواتا، لا يصح أن تقولوا: مات فلان ، إنهم أحياء بكل ما تعنيه الكلمة، ولكن لا تشعرون.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة:١٥٥) لاحظ ما أجمل موقع هذه الآية بعد أن يجعلك بالشكل الذي تشتاق إلى أن تقتل في سبيل الله! هل ستبدو ثقيلة عليك أن تمر بأي شيء من هذه الأشياء المتعددة بعد: خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو نقص في الأنفس؟ أنت مشتاق أن تقتل في سبيل الله هل هي مشكلة بالنسبة لك، جوع خوف نقص من الثمرات وأشياء من هذه، ستبدو أمامك هينة إذا كنت قد فهمت النقطة الأولى والمقام الرفيع لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل الله ثم هذه تبدو بأنها قد تمر بالناس على حسب إرادة الله سبحانه وتعالى ، هذه القضية لا نعلم كيف هل يمكن مع جيل معين أو في سنة معينة أو متى بالتحديد إنما يبدو أنها مشجعة باعتبارها ترويض ربما عندما تكون المسألة باعتبارها ترويض قد يكون الناس فيما إذا أخلصوا لله وتوجهوا إلى الله وعزموا على أن يضحوا في سبيله، ولو قتلوا في سبيله وأن يتحركوا في سبيل الله ولو قتلوا ربما، ربما ـ والله أعلم ـ قد تكون هذه الحالة بالشكل الذي قد لا تعد تحصل ابتلاءات من هذا النوع إلا ما كان في نفس الوقت ـ وهذه تبدو سنة إلهية ـ ابتلاءات في المقام العملي تكون إيجابية كبيرة في نفس العمل الذي أنت فيه تخدم القضية التي أنت تتحرك فيها .

أليس لدينا الآن[١٥٠] سجينا من أجل الشعار؟ تبين من خلال سجنهم إيجابيات كبيرة جداً جداً، لهذه المسيرة ولهذا العمل وفضح كبير للأمريكيين ولغيرهم بشكل لم يكن بالإمكان أن نحصل عليه ولا أن تصل القضية إليه لولا هذه

الحالة التي مر بها كثير من الشباب فأصبح منهم حوالي[١٥٠]سجينا، أليست تبدو في الصورة قضية ابتلاء؟ لكن الإبتلاءات في المجال العملي كلها تصبح إيجابية، إيجابية كلها إلا في حالة واحدة ما كان نتيجة تقصير من الناس تفريط من الناس هذه تكون تأديبا يحصل تأديب.

في مراحل الصراع مع أعداء الله يحصل حالة خوف، أليست طبيعية في الصراع عند البشر كبشر يحصل خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات أليست هذه تحصل؟ لكن المؤمنين أنفسهم عندما يمرون بأشياء من هذه تعطيهم تجلدا تعطيهم صبرا، وعندما تكون هي من جهة الله سبحانه وتعالى تكون إيجابية أيضاً في نفس الوقت إيجابية، فيجب هنا أن تصبر، تصبر لتنجح في هذا الإبتلاء الإلهي الذي يعطيك في نفس الوقت تجلدا؛ لأن ما يمكن أن يحصل عليك وأنت في مواجهة العدو كمجتمع وكأفراد هي هذه: حالة خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة: من الآية١٥٥) **بشر الصابرين، هذه الآية هذه العبارة تتكرر في القرآن الكريم بشكل كبير بأن الناس عندما يصبرون في سبيل الله فهناك بشارة هم موعودون بها هناك فرج إلهي {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا}** (الصف: من الآية١٣) **بعد ما ذكر الجنة والمغفرة وتكفير السيئات {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}** (الصف: من الآية١٣) **عادة الصبر الإلهي أن يصبر الإنسان في سبيل الله هو الصبر الوحيد الذي يأتي بعده فرج وإذا لم تصبر في سبيل الله فستصبر على قهر أعدائك على ظلمهم لك على استعبادهم لك على هتك عرضك، ويكون هذا الصبر لا لله ولا في سبيله ولا نهاية له وليس بعده فرج لا يحصل بعده فرج أبداً.**

إذاً فالأفضل للإنسان هي نفس القضية الأولى أنت ستموت، أفضل لك أن تحاول أن تعمل في مجال لتحصل فيه أن تستشهد في سبيل الله وإلا ستموت، أليس هذا أفضل من أن تموت أفضل لك أن تصبر في سبيل الله من أن تصبر على الذلة والإهانة والقهر والعبودية والإستذلال وتسلط الأعداء، أفضل لي أن أسير أنا ويكون الأعداء هم الذين يصيحون مني، الذي أضرِب أفضل من أن أكون أنا الذي أضرَب والذي أقهر وأذل وأصيح أنا وكل أسرتي وكل الناس من حولي، أليس هذا أفضل لك تصبر في طريق أنت فيها الذي تضرب وتؤلم الآخر وتغيض الآخر وتهزم الآخر؟ ولا أن تكون أنت الذي ماذا؟ الآخر العدو هو الذي يقتحم عليك بيتك هو الذي ينتهك عرضك هو الذي ينهب أموالك هو الذي يذلك ويقهرك ، نحن نرى صورا من هذه موجودة في العراق وفي فلسطين مؤسفة جداً.

إذاً هل هناك جديد بالنسبة لك عندما تصبر في سبيل الله أو أنه أفضل، أفضل أن تصبر في سبيل الله هو الصبر الذي هو في مقام عزة ورفعة والآخر يصيح منك، وإلا ستصبر في وقت أنت الذي تصيح فقط والعدو لا يصيح منك أنت الذي تصيح أنت بيتك دمروه نهبوه دخلوا يربطونك أمام زوجتك ويقودونك إلى السجن ويعذبونك يهود أعداء من أشد الأعداء ، ألست أنت الذي تصيح لوحدك؟ وأنت تصبر في سبيل الله أنت تجعل الآخرين يصيحون منك، إذاً ما معناه بأنه لا بد أن نمشي في سبيل الله ونصبر أننا إذا لم نكن على هذا النحو سنعيش في حالة استقرار وسعادة ولا هو حاصل علينا شيء؟ لا. ستجد أن هذه الحالة أفضل، أفضل بكثير في وقتها وفي غايتها وفي نتيجتها.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة:١٥٥-١٥٦) **هذه الخلاصة هي هذه، نحن لله فشيء في سبيله ليس هو مشكلة علينا في سبيله نحن له ونحن سننتهي في مسيرتنا بأن نرجع إليه، هذه العبارة جميلة جداً و ترسخ في ذهنيتك بأنك مملوك لله وأنت له وسترجع إليه، إذاً لم يكن هناك جديد بالنسبة لك نهائياً، أن نقول إن الآخرين أوقعوك في قضية هم يمكن أن يميتوك إذا تحركت في سبيل الله، معناه إذا ما تحركت ستخلّد، وأنهم سيعذبونك، لكن إذا أنت لم تتحرك في سبيل الله فلن ينالك شيء؟ لا. إذاً فنحن لله ونحن راجعون إليه فما يأتي ونحن في سبيله هو مما يجعل له أثره الكبير في مقام الرجوع إليه ويوم نرجع إليه.**

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (البقرة:١٥٧) **لاحظ العبارة هنا أن تأتي العبارة هذه بشكل صلوات، صلوات تعني الرعاية التي هي رعاية لمن هم في أداء مسئولية، رعاية تسهل لهم النهوض بمسئوليتهم مثل كلمة: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) عندما نؤمر أن نصلي على محمد وعلى آل محمد نحن ندعو الله أن يمنحهم ما يهيء لهم النهوض بمسئوليتهم فيمنحهم من الرفعة والعزة والتمكين ما يمكنهم من أن ينهضوا بالمسئولية الملقاة على كواهلهم {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ}الصلوات هي تفيد الرعاية يمنحهم مجدا**

يمنحهم رفعة يمنحهم عزة ، تختلف كلمة صلوات عن أي شيء آخر ، ورحمة يرحمهم في مسيرتهم، ورحمة الله مظاهرها كثيرة جداً في حياة الناس.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} هم المهتدون لسبيل الحق، هم المهتدون للطريقة الصحيحة هم المهتدون إلى ما يؤدي إلى الغايات العظيمة في الدنيا والغاية العظيمة في الآخرة وهي ماذا؟ الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن الناس يتساهلون يكون يتذكر الإنسان يتذكر دائماً لا يخاف، واحدة مما يجعل الإنسان يخاف عندما لا ينظر إلا إلى اتجاه واحد يكون عنده أن هذه الطريقة مليئة بالمشاكل والمصائب والسجون وأشياء من هذه وقد يقتل واحد ، لكن تذكر الطريقة الثانية تذكر أنك قد تعاني معاناة شديدة ليست في سبيل الله ولا وراءها أي غاية جميلة بالنسبة لك، إذاً يجب أن تتذكر هذه الحالة ليعرف الإنسان أو ليصل إلى مسألة: أن لا يخشى إلا الله هذه نفسها من العوامل المساعدة على أن تقف موقف الحق على أن تكون حالتك النفسية حالة حق وصواب ، ألم يقل هناك {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أليس من الحق ومن الصواب أن تكون على هذا النحو؟ أن لا تخشى غير الله .

لاحظ كيف قدم لك المسألة هنا بالشكل العظيم جداً، يدفع بك في الأخير إلى أن ترى فعلاً أنها قضية أفضل لي أن لا أخشى إلا الله؛ لأني عندما أقتل سأقتل في سبيل الله سأكون حيًّا، حيًّا في الجنة تتنعم من بعد ما تفارق اللحظة الأولى لتلقى الحياة هذه، أليست هذه الطريقة نفسها من عند {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٥٤) **إلى قوله في الأخير: { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}** (البقرة: من الآية١٥٧) **تجعلك بالشكل الذي تشجعك على أن تكون لديك حالة الحق وهو أن لا تخشى إلا الله { فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ}** (المائدة: من الآية٤٤) **تبين لك السنة الإلهية بأن الله عندما يوجه إلى حق عندما يأمر بحق هو يعمل الأشياء الكثيرة التي تسهل عليك الوصول إلى ذلك الحق ، فعندما يكون مطلوب منك، وهي قضية أساسية وقضية هامة أن يكون الإنسان هكذا لا يخشى إلا الله فانظر كيف عمل هنا بشكل يجعلك فعلاً لا تعد ترى بأنه صحيح أن تخشى غير الله وأنه خطأ أن تخشى غير الله؛ لأنه ما هي غاية أن يعمل بي غير الله؟ هو أن أقتل ، أليس هكذا؟ هو أن يحصل نقص من جانبه علي أموال ثمرات يحصل شي من الخوف أشياء من هذه كلها هذه فيما يتعلق بالقتل، بعده حياة في مقام رفيع أو تقع أشياء من هذه وراءها {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ }.إذاً عندما يرجع واحد في الأخير يخشى غير الله يعتبر نفسه مخطئا هو في حالة غلط هو في حالة خطأ هو في حالة [دبور] كما نقول نحن، دبور .** [الدرس الثامن من دروس رمضان صفحة [٩ ـ ١٢]]

<u>يجب أن يحمل الناس قضايا كبيرة</u>

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة:١٩٠) **. من نعمة الله على الناس ألا يكونوا في حالة فراغ يحول بينهم وبين المعرفة، يكونوا منشغلين بقضايا هامشية، الناس يقدم لهم قضية كبيرة قضية كبيرة في عنوانها: القتال في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله ، العمل لإعلاء كلمة الله، هذه قضية مهمة جداً في مجال المعرفة، في مجال معرفة الله بالذات، هامة جداً، في مجال المعرفة في كثير من الأشياء التي يجب أن يعملها الناس فتبنى الحياة بكلها، لا يعيش في حالة فراغ. إذا عاش الإنسان في حالة فراغ يكون في الأخير يكون بالشكل هذا: أسئلة هامشية اهتمام بقضايا لا تمثل شيئاً. إذا حمل الناس اهتماما كبيراً، وقضية كبيرة، استغرقت ذهنياتهم ، استغرقت اهتمامهم، فترفعوا عن الأشياء التي لا تفيد في نفس الوقت، الأشياء الهامشية في الأسئلة، أو في الاهتمامات.**

عندما يكون الناس عندهم اهتمام فيما يتعلق بالعمل في سبيل الله ستجد آثر هذه عليهم، هم فيما يتعلق بقضاياهم الخاصة، فإذا حصل نزاع فيما بينهم يكونون قريبين إلى أن يحلوا مشكلتهم بسرعة. فإذا الناس في حالة فراغ، ليس عندهم أي اهتمام، سيجلسون يتشاجرون بعضهم عشر سنين وهم متشاجرون، طالع ونازل، أو كل يوم، أو كل أسبوع إلى المحكمة سنين، ومستعد يشاجر عمره، قضية قد تكون في الأخير لا تساوي ما يضيعه من وقت، الذي يشاجر عليه، لماذا؟ لأنه فارغ. فعندما يكون الناس فارغين يحدث في الواقع أنه يحصل فيما بينهم كثير من الخلاف والشقاق،

فإذا بدت مشكلة، جلست مشكلة سنين، وتترك آثارها السيئة في وسطهم، تمزق صفهم، تفسد ذات بينهم. إذا هناك اهتمام بقضية كبيرة تبعد الناس عن الأشياء هذه التي تفسد ذات البين، وفي نفس الوقت إذا ما طرأت مشكلة يكونون قريبين لحلها، لأنهم مشغولون لا يريد أن تشغلهم القضية هذه، يقنع منك بيمين فقط، أو من أول جلسة، من أول جلسة أنت قدمت ما عندك، وهو قدم ما عنده، وحكم بينكم الحاكم، ومع السلامة، وتسيرون سواء في القضية الهامة التي هي مسئولية عليكم جميعاً.

في نفس الوقت، في حالة الفراغ، تكون حالة يترسخ فيها الجهل في الناس، مواهبهم تُسخر كلها للأشياء الهامشية، ذكي، وعنده قدرة، وعنده منطق لكن وسخره كله، ووظف كل مواهبه هذه على قطعة بسيطة من الأرض، أو على مشرب، وظف كل ذكائه، وموهبته، وقدرته البيانية. أليست هذه تعتبر خسارة؟!. لاحظ الآية هنا {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٠) أنت متجه للقتال في سبيل الله، وتحمل القضية هذه الكبيرة، كبيرة في الذهنية لأن الإنسان بحاجة إلى قضية تملأ ذهنيته، هي قضية إيجابية كبيرة، وأعني: لها أثرها الكبير فيما يتعلق بحياته في الدنيا، وفي الآخرة يحصل على رضوان الله، يحصل على الجنة التي هي أرقى نعيم، هو بحاجة إلى قضية من هذا النوع، وهي في واقعها العملي - بتأييد الله، بالتسهيلات التي تأتي من جهة الله، بالاستعانة بالله - تمشي.

إن هذه من الأشياء الدقيقة جداً في مجال هدى الله، تبدو قضية تملأ ذهنيتك، أنت بحاجة إلى هذا، والأمة بحاجة إلى هذا، وتصبح أنفسهم كبيرة، أصحاب اهتمامات كبيرة، وتصبح طاقاتهم كلها فاعلة، ولها أثرها، ميدان كبير يُشغلونها فيه، ووراءها إيجابيات كبيرة جداً، وراءها خير لهم في الدنيا وفي الآخرة، كما سيأتي بعد في موضوع الجهاد. {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (التوبة: من الآية٤١) . ولم يتركها في المجال العملي كبيرة كما هي في الواقع الذهني لأنه يقول سبحانه وتعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠)، {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} (محمد: من الآية٣٥) . يحصل تأييد. فهذه لها علاقة بالموضوع، أن ترفع الإنسان عن حالة التساؤلات، والتذكير على قضايا يستحسنها هي هامشية أنه يأتي البيت من فوقه، لا يأتيه من الباب. ينقل إلى قضايا يجعل اهتمامه كبيراً، وتجعله بعيداً عن الحالات هذه الهامشية، والقضايا الهامشية في تساؤلاتهم أو في سلوكياتهم . [الدرس التاسع من دروس رمضان من الصفحة [١٣ - ١٤]]

يجب أن يكون الصراع على أساس هدى الله

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة:١٩٠) فمما تعنيه كلمة اعتداء هنا: فيما يتعلق بالأشهر الحرم، ولذا جاء بعدها الحديث عن الأشهر الحرم المعروف عند العرب مسألة: أنه اعتدى أي ماذا؟ تجاوز، أو انتهك حرمة الشهر الحرام.

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} هذه قضية هامة، وقضية مؤكد عليها في القرآن الكريم بشكل كبير: أن يكون الناس كلما يدخلون في صراع أن يدخلوا فيه على أساس هدي الله، وليكن في سبيله، على الطريقة التي رسمها، ومن أجله، وله. هذه قضية هامة حتى فيما يتعلق بالدفاع عن الأوطان، تحدثنا سابقاً عنها: أنها قضية يجب أن تكون هي القضية الرئيسية عندك حتى وأنت تدافع عن بيتك، أن القضية الأساسية أن يكون الناس مقاتلين في سبيل الله، إذا كانوا في سبيل الله، يكون تحرير أوطانهم قضية ثانوية، أي: تتحقق تلقائياً، تتحقق تلقائياً صيانة أعراضهم، صيانة ممتلكاتهم تحقق تلقائياً، لكن متى ما عكسوا المسألة: يقاتل من أجل الوطن، بالعبارة هذه، وهو المنطق الذي استمر عليه العرب فترة طويلة، ترسيخ الوطنية، والقومية، والعناوين هذه، في الأخير خسروا فعلاً، ما حققت لهم شيئاً، ولا استطاعوا أن يحققوا شيئاً في مواجهة العدو بهذه العناوين [لن نسمح بأن يحتل، سنعمل على أن نحرر كل شبر في الأرض المحتلة].

والتربية للجيش تربية وطنية بحتة: من أجل الوطن، من أجل الوطن، من أجل الوطن، هذه بدت المسألة بأنها ليس لها قيمة في الواقع، وجدنا ممن يهتفون بها هم ممن يبيعون الأوطان فعلاً، ممن يبيعون الأوطان. الناس الذين

يتجهون في سبيل الله، ومن أجل الله، هم الناس الذين تعتبر الأوطان غالية لديهم، وتعتبر الأعراض عزيزة لديهم، وتعتبر الممتلكات هامة لديهم، فعندما ينطلقون في سبيل الله لا يعني: بأنهم لا يبالون بالوطن، أو أنها على حساب الوطن، أو على حساب الأعراض، أو حساب الناس أبداً.

هذا توجيه إلهي، لأن الله جعل دينه للناس، للناس، فعندما يقاتلون في سبيله، أنت في نفس الوقت تكون مستعداً أن تضحي بنفسك ومالك، فهل يمكن أن تصل إلى هذه الحالة من أجل التربة ومن أجل الآخرين؟ خاصة عندما يصل الناس في العلاقة فيما بينهم إلى هذه الدرجة التي الناس عليها.

لاحظ الناس وهم في الأسواق، لاحظ الناس وهم في حركتهم، هل تلمس احتراماً متبادلا بينهم؟ هل تلمس بأنه هذا فعلاً ممكن أن يصل إلى درجة أن يضحي بنفسه، وماله من أجل ذلك؟ أبداً. فسدت العلاقات فيما بين الناس، فأصبحوا في حالة لم يعد أحد يهتم بالآخرين، ولا يعطف على الآخر ولا يبالي بالآخر، فغير متوقع أن يأتي أحد من الناس يضحي، وهو يحمل هذا العنوان فقط: وطن. بمعنى أنه ماذا؟ إنه يضحي من أجللك ومن أجل التربة. أليس البعض يحلف يمين فاجرة من أجل التربة حتى لا يترك الآخر يأخذها، صاحبه !. هل سيضحي بدمه من أجل تربة الآخر؟ لا ترتقي هذه القضية بالناس أبداً إلى درجة أن يضحوا بأنفسهم، وأموالهم تضحية حقيقة، لا تصل إلى الدرجة هذه.

لكن متى ما انطلقوا في سبيل الله هذه هي القضية الهامة، تعتبرها تستحق أن تضحي بمالك، وتضحي بنفسك من أجل الله، وعلى طريقه في نفس الوقت، طريقه التي رسمها في مجال الصراع مع الآخر، وهي الطريقة الوحيدة التي يكون الله مع الناس إذا ما ساروا عليها. والمقصد الوحيد الذي يكون الله مع الناس، إذا ما توجهوا إليه أن يكون من أجل الله ولله. فهؤلاء سيكونون هم من سيحررون الأوطان، ومن يصونون الأعراض، ويصونون الممتلكات هم، أما الآخرون فيكون بعضهم وهو في المعسكرات، وطنية، وطنية.. وطنية.. وطنية، وقد صار في موضع قيادة يأتي الأمريكيون يشترونه شراء، وفي الأخير يبيع الأمة والوطن!، هذا يحصل.

وجه المسلمين أن لا يكون عندهم اعتداء، أن يراعوا حرمات الشهر الحرام، لكن لم تكن حرمة الشهر الحرام بالشكل الذي يفسح للآخر أن يعتدي عليك، وأنت تسكت، لا. {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}(البقرة: من الآية١٩٤) . هذه تعتبر دليل على أن الله سبحانه وتعالى في تشريعه لا يجعل شيئاً يحول دون القيام بالشيء الآخر، لا يحصل تصادم، يجعل هذا شهراً حراماً، وحرام. الطرف الآخر الذي لا يحترم الحرمات لا يقدر الحرمات، ينتهكها وأنت تكون ملزم بأن لا ترد، أليست هي تعتبر فرصة له لأن يضربك، وينهيك وينهي دينك؟ لا.

{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} أعطاك فسحة بأن تواجهه، وأن تقاتله، {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}(البقرة: من الآية١٩١) حتى وإن كان في الشهر الحرام، عندما يكونون هم المعتدين، هم المقاتلين، ويريدون أن يستغلوها فرصة، بأنهم سينتهكون الحرمات، وعندهم أنكم أناس ملتزمين، أحياناً يكون العدو يعرف، يعرف بأن ذلك الطرف ملتزم، ومتدين، ولا يمكن أن يحصل من جانبه ردة فعل، لن يواجهه.

كان المشركون في جوار بيت الله الحرام يعذبون المسلمين ليفتنوهم عن دينهم، يعذبونهم ليحملوه على أن يكفر بدين الله، هي أشد من القتل. فعندما يقولون: لماذا أنتم تنتهكون الحرمات؟ لأنه هكذا يحصل، لماذا؟ ألست متديناً! وتنتهك الحرمة ؟! أنت انتهكت أنت ما هو أشد من القتل، انتهكت حرمة المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، أنت، بما هو أشد من القتل .

{وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}(البقرة: من الآية١٩١) هذه تؤكد على أن حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية، ليس صحيحاً عندما يقول لك أحد من الناس: منسوخة .. منسوخة، أبداً قضية أساسية، وكأنها في مسيرة الدين بكلها، لهذا حكى الله في آية أخرى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}(التوبة: من الآية٣٦) . أربعة أشهر حرم هي: رجب ، والقعدة، والحجة، ومحرم. لأن هذه جعلها الله للناس بحيث لا تخرب الأرض نفسها، ويتفادى الناس تماماً فيما بينهم حروباً على طول.. على طول، أربعة أشهر يجب أن يتوقف الناس فيها، هذه الأربعة مرتبطة أيضاً فيما يتعلق ببيت الله الحرام، وعملية الحج، حج الناس، عودتهم من الحج. هي قضية معروفة عند البشر من

قبل الإسلام، لكن يأتي من بعد الإسلام أناس يقولون: منسوخة! بعض الفقهاء الذين يبحثون، أو المفسرون يأتي يقول لك: إن رسول الله قاتل فيها. عندما يقاتل هو على هذا الأساس لأنهم قاتلوه، لأنهم قاتلوه سيقاتلهم ولو في الشهر الحرام، ولو عند المسجد الحرام ،وهم يقاتلوكم فيه .

لاحظ حرمة المسجد الحرام كبيرة جداً، وحرمة الشهر الحرام عظيمة، لكن إذا كان الطرف الآخر يريد أن يستغلها، لا. قاتله أنت وهو الذي يتحمل المسئولية، هو الذي انتهك هو حرمة الشهر الحرام، والمكان الحرام، عندما قال: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} (البقرة: من الآية١٩١) عندما تكونون حُجاجاً، وأتوا يقاتلونكم فيه، هنا ترد: {فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} (البقرة: من الآية١٩١ــ ١٩٣). أي من حيث المبدأ يجب أن تكونوا فاهمين أن تعدوا أنفسكم لقتالهم حتى لا تكون فتنة، فيتمادوا في طريقتهم السابقة في أن يفتنوا الناس عن دين الله، {وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٣). هذه هي عامة، ليست مرتبطة بمكان محدد، توجيه المسلمين بشكل عام: أن يقاتلوا الآخرين، لأنه عادة الآخرون هم يعدون أنفسهم، ويتحركون لقتال المسلمين.

{حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٣). لاحظ هنا كيف يؤكد فيما يتعلق بالغاية، فيما يتعلق بتوجهك أنت، وأنت تقاتل، أنه من أجل ألا يتمكن هؤلاء، ويصدون الناس عن دين الله وفتنتهم، وفي نفس الوقت ليكون الدين لله، نفس العبارة السابقة في سبيل الله تشبهها.

{فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٩٣). فلا يحصل منكم اعتداء إلا على من ظلموا بأن قاتلوا في الشهر الحرام، أو قاتلوكم عند المسجد الحرام فاقتلوهم.

{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (البقرة:١٩٤) كأن هذه لا تعني: بأنه مرتبطة بشهر معين، فإذا قاتلوكم في رجب، وأنت لم تتمكن أن تقاتلهم في رجب، وأنت تتمكن أن تقاتلهم في القعدة، أو تقاتل في شهر من الأشهر الحرم، {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (البقرة:١٩٤). اتقوا الله لا يحصل من جانبكم اعتداء، انتهاك من جانبكم أنتم ابتدأ، وليس هناك ما يوجب له، أن تنتهكوا حرمة الشهر الحرام، وحرمة المسجد الحرام، يجب أن تتقوا الله، وتتقوا أيضاً: تكونوا على حالة تقوى وحذر من الآخر، من يستغل فرصة كهذه، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}. [نفس الدرس الصفحة [١٤-١٦]]

المجتمع المسلم هو من يمول نفسه

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥). هذا الكلام السابق أليس حول الجهاد؟ وحول القتال؟ شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل، التمويل من أين يأتي ؟ هل وجه المسلمين إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى؟ وأن يتجهوا للفرس، أو إلى الروم، أو إلى أي دولة أخرى تساندهم؟ لا. ينطلقون هم، فالمقاتلون أنفسهم، المجتمع المسلم هو يمول نفسه، وهذه القضية هامة جداً، لا يقوم الدين إلا بها، لا يقوم الدين إلا على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقاً من داخل نفس الذين هم يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع

المسلم نفسه، الموجه إليه هذه المسئولية، بأن يقاتل في سبيل الله، لأنه يحصل استقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله، ولا تكون مدينة لأي طرف آخر نهائياً، لأن أي طرف آخر لا يقدم شيئاً إلا بثمنه، ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية، بالنسبة للمجتمع المسلم، وللأمة عندما تبني على هذا الأساس، تصبح أمة هي واثقة بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، فتستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعداءها.

لكن إذا كانت القضية: أنهم هم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج، لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك.. في مصلحته أن يساعدك، لأن له موقفا من الطرف الذي أنت تقاتله، لكن هنا لها أثر سلبي كبير، فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين، المجتمع بكله، سيعتبرون الانتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا تقوم على أساس أنك أنت تكون متوجها إلى الله دائماً.. دائماً. ولهذا عندما تنفق، أنت تنفق في سبيل الله، من أجل الله، وتقاتل من أجل الله، وتتلمس النصر الذي هو من عند الله، فتكون مرتبطاً بالله، لا تأتي في الأخير تجعل سبب النصر، وفضيلة الانتصارات بسبب الطرف الآخر الذي هو دولة أخرى، أو جهة أخرى.

هنا لو يحصل موقف آخر ربما تتلفت من الذي يمكن أن يساعدك، ولو على حساب أن تقدم تنازلات من دينك، يأتي حالة أنت لا تجد فيها طرف يمكن أن يساعدك، تنهزم من أول يوم، مثلما حصل للعرب الآن، تلفتوا الآن، بحثوا عن روسياً، فرنسا، الصين، لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي سابقاً، استسلموا من أول يوم!، ألم يستسلموا من أول يوم؟ هذه عملية تربوية هامة جداً جداً: أن دين الله بنى الأمة بناءاً، استقلالية تكون هي معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، وتطور هي قدراتها، انتصاراتها تحسب لها، وتراها أنها من الله، وليس من الطرف الآخر الذي يساندها.

أمة على هذا النحو تستطيع باستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، ولا تكون مدينة لأي طرف في نفس الوقت، من إيجابيات هذه التربية: أنها لا تصبح مدينة لطرف آخر . لأن الدين هو مهمة عالمية، فهل من الناحية الأخلاقية، هل هو مقبول أن تأخذ من الفرس مساعدات، لأنك تقاتل الروم، وأنت تعرف أن هذا الدين يجب أن يدين به الفرس، ويجب أن تدعوهم إليه فتقاتلهم متى ما اتجهوا ليصدوا عنه، سيكون معناه في الأخير: بأنه هذا الدين يمكن أن يخادع، تقول لطرف من الأطراف، يساعدك، ويعينك حتى تنتهي، وتفرغ من قتال الطرف الآخر، وفي الأخير ترجع عليه عندما تكون قوياً.

هذه ليست من أخلاق الدين، وليست قضية أخلاقية، ولا من الناحية الإنسانية. فلئلا تكون الأمة مدينة لأي طرف آخر يجب أن يصل هذا الدين إليه، ستصل إليه. أن يرى الآخر: أن هذه هي نفسها تستطيع أن تواجه، مواقفها قوية، فعندما تصل إليه أنت، لن ينظر إذا ما لديك طرف آخر سيقيم الوضعية، فإذا ما هناك طرف آخر يساعدك سيكون متجرئا عليك، يعرف أنها أمة معتمدة على نفسها، وهي التي انتصرت على ذلك الطرف، وانتصرت على الطرف الآخر. فبالتأكيد سيكون هناك فيما يتعلق بهذا الطرف الذي تصل إليه أنت بالدين؟ يحاول أنه لا يتجرأ عليك في نفس الوقت، ولا ينظر للأمة نظرة أنها في وضعية مستضعفة لأنه ليس هناك طرف آخر يساندها.

فهي حالة مهمة جداً جداً، ولهذا قلنا: أنه يجب أن يكون الناس في عملهم هذا، مهما كان عملاً بسيطاً.. مهما كان عملاً بسيطاً، يجب أن لا تتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدى الله، أنه يجب أن تتحرك على أساسه ، لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أي طرف على الإطلاق، لا طرف داخلي ولا خارجي، ولأن الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا في سبيل الله، أن الله يجعل فيها بركة.. يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشدون إلى الله، وتعظم علاقتهم بالله، لأن الجهاد نفسه هو يعتبر من أهم الأشياء في مقام معرفة الله، لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، وبحاجة إلى نصر، وبحاجة إلى تأييد، وبحاجة إلى عون، وبحاجة إلى كذا.. يكونون دائمي الالتجاء إلى الله، وهم يتلمسون في الميدان السند الإلهي، والدعم الإلهي، والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله، هذه الحالة تنسف تماماً إذا ما كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى، إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى.

{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(البقرة: من الآية١٩٥) **لأهمية الإنفاق في سبيل الله لتمويل العمل في مجال إعلاء كلمة الله،مواجهة أعداء الله، إذا لم ينطلق الناس فيه، معناه: أنهم في الأخير سيلقون بأيديهم إلى التهلكة، تلك الأيدي التي تمسك لا تنفق، هي كأنها تمسك نفسها، وترمي بنفسها إلى التهلكة، إما أن تترك يدك تنفق في سبيل الله، وإلا فهذه اليد نفسها هي التي ستهلكك، ولهذا قال: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**(البقرة: من الآية١٩٥).

إما أن تلقي أنت أموالك في سبيل الله..أو ستلقى أنت أو الأمة هذه ستلقى بيدها إلى التهلكة، تهلك إذا لم تنفق، تضرب حركتها، تضعف مواجهتها، يتغلب عليها الأعداء، فيهلكونها قبل الهلكة التي تأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، أشياء كثيرة في الدنيا، والهلكة في الآخرة، هل يمكن لأحد أن لا يعتبر آيات هامة كهذه؟، آيات تعتبر أساسية، في التوجيه، وتتناول مواضيع هامة جداً: الجهاد هام جداً، والجهاد يحتاج إلى تمويل، عندما يأتي أحد يقول: منسوخة!. هنا لا يمكن على الإطلاق، ولا هو مقبول، هذه رؤية قاصرة جداً أن يقول لك: منسوخة.

الإنفاق في سبيل الله جعله الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يمكن للناس أن يعملوه في كل الظروف، لأنه هناك أيضاً من جهة الله، هو يعمل أشياء كثيرة. لا نقول: نحن ليس لدينا أشياء كثيرة حتى ننفق، ليس رأس مال كل واحد منا مليون دولار حتى ينفق! ينفق كل واحد بقدر استطاعته، وعملية مستمرة، ثم أنه يوجهه إلى قضية هي هامة جداً، بأن تكون موجهة إلى الناس جميعاً.. إلى الناس جميعاً، ليست مسئولية طرف معين، إلى الناس جميعاً عندما يكون كل إنسان ينفق بقدر طاقته، تجتمع مبالغ كبيرة، ويبارك الباري فيها بزيادة مما يمكن أن تعملها في واقعها.

لو أن تمويل الجهاد قضية تعتمد على طرف معين تعتبر منهكة.. منهكة للأمة نفسها، ثم أن هذه القضية نفسها هي أيضاً تجعل الإنسان عنده اهتمام، اهتمام مستمر يرى نفسه مسئولاً، ومعنياً بالقضايا. الآن أليس الكثير من الشعوب يكون عندهم الجيش هناك؟ الجيش! الذهنية هذه مسيطرة أن هناك جيش، وأيضاً البعض يقول: أن هناك جيشاً وأن هناك دولة. هذه القضية تجعل الآخرين مجردين عن الشعور بالمسئولية، وعن الاهتمام. الإسلام بنى الإنسان على أساس: أن يكون صاحب اهتمام بالقضايا الكبيرة، ومشارك فيها، ومشارك فيها، مشارك بيده، مشارك بنفسه، مشارك بماله، يكون في نفس الوقت شريكاً في النتائج، يلمس الناس هم، ترتفع معنوياتهم، عندما يحققون انتصارات هم.

فإذا كانت جهة معنية ومعينة [لحالها] هي فقط، تذبل الاهتمامات عند الآخرين، وينسون حتى تصبح لديهم حالة لم يعد لديهم شعور بمسئولية. فيكونون هم معرضين للهزيمة، فإذا ما هزمت تلك الجهة المعينة هزمت البلاد بكلها.

لهذا يأتي الخطاب موجه للمسلمين، أليس الخطاب موجه للمسلمين ؟ {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، {كُونُوا أَنْصَاراً لله} وهذه القضية هامة من الناحية التربوية بالنسبة للأمة، فيما يتعلق بواقع الأمة في بناءها، بنائها النفسي، بالطريقة هذه يصبح الناس، يصبح الإنسان المؤمن صاحب نفس كبيرة، صاحب اهتمامات كبيرة، يرى نفسه في الصراع الكبير مع الأعداء مهما كان كبيراً، لا تكون نفسيته معرضة للتضاؤل والتلاشي، فالإنسان الذي لا يعطى قضايا كبيرة تكون نفسيته معرضة للاضمحلال والتلاشي، فيصبح لا يمثل أي رقم في الحياة، لا يمثل أي دور في الحياة، لكن هنا قضايا تجعلك دور في الحياة، لك فاعلية في الحياة، ونفسك تكبر، ومعنوياتك تكبر، واهتماماتك تكبر. [نفس الدرس الصفحة [١٦ ـ ١٨]]

يأتي الفرج في المراحل الصعبة

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}(البقرة:٢١٤) **هذا مظهر آخر من مظاهر عمل الله في الميدان العملي، هدى الله فيما يتعلق في مقام لبس الحق بالباطل، يهدي أليس هذا شيء؟ وفي الميدان العملي يكون هناك أيضاً يهدي، ويفرج، ويأتي بالفرج في المراحل الصعبة، وأن يكون الفَرَج، قيمة الفَرَج العظيم هو في المراحل الصعبة. كثير مما تحصل من هذه يمس الناس بأساء، وضراء، وزلزلة، لأن من قد حكى عنهم من قبل النوعية**

الأخرى، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} (البقرة: من الآية٢٠٥).

وهؤلاء الذين يختلفون في الكتاب بعد ما يؤتوه فيعملون ضلالاً، ثم ينشأ من الضلال أشياء أخرى تجعل الحياة مليئة بالأشواك فعلاً، يجعل أشياء كثيرة، مطبات كبيرة، ليس معنى هذا أنه يصبغها هي، لازم من يجاهدون في سبيله يصب عليهم بأساء، وضراء، وأشياء من هذه! لا. هو يعطي الإنسان دفعة قوية من البداية، أي: يشجعك أن تكون مستبسلاً في سبيله، وقدم نماذج هامة حكى عنهم بأنهم أحياء لا يصح أن تقولوا: أموات، شهداء، ثم أثنى على من سماهم في الآية الأخرى ألم يقل عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٠٧).

الروحية هذه تجعلك تتحمل، وتتجاوز كل الصعوبات هذه، وتجد أن المسيرة تنتهي مهما كانت تبدو صعبة، تنتهي إلى ماذا؟ إلى أن يأتي نصر من الله، والنصر من الله معناه ماذا؟ فرج. أليس معناه فرج، وتمكين، وقوة؟{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة:٢١٤).

عندما يكون الناس في مرحلة أصبحت فيها حالات من هذه فالمسئولية هي أن تعمل على إعلاء كلمة الله، وتجاهد في سبيل الله، ولو كان هناك مطبات من هذه، أولاً أنّه يأتي تأييد من جهة الله، تجعل الكثير من هذه المطبات لا يكون لها أثرها الكبير، ولو تترك على ما هي عليه، لأثرها الواقعي، لكانت مرهقة، لكن يأتي تأييد من الله، يأتي عون من الله، وإن كان ما يزال يبقى لها آثار، لكن لاحظ أنه في حالة أن تتعود على الصبر، وفي حالة أن تعرف قيمة الصبر، وتعرف قيمة العمل الذي أنت فيه، تكون معنوياتك مرتفعة، وتعتبر نفسك في نعمة توجد عندك حالة من التحمل لما يأتي، فليكن ما كان، أتركه ينتهي إلى قتل في سبيل الله. أليس سيعتبرها فضيلة، البأساء، والضراء، كلها أليست دون القتل؟ أليست دون القتل على الأقل؟.

إذا أنت توطن نفسك وتفهم بأنه حتى أن تقتل في سبيل الله هو نعمة كبيرة، وشرف عظيم، وفضل كبير لك، ودرجة رفيعة.

إذاً فالبأساء، والضراء، فلتكن كيفما كانت سنتحملها. إذا كان الناس على هذا النحو، معناه: يكون عندهم قابلية، وتوطين لنفوسهم على أن يتحملوا بأساء، وضراء. والبأساء، والضراء، فيما قد يمس الإنسان باعتبار أمواله، وباعتبار بدنه، أحياناً قد تصل المسألة إلى هذه الدرجة {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ} (البقرة: من الآية٢١٤) زلزلة، أحداث، وغربلة، وبلبلة، وأشياء حتى وهم منطلقون على أساس هم مؤمنون برسول الله، لكن يتساءلون تساءل {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} ؟(البقرة: من الآية٢١٤) ظروف حرجة. {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة: من الآية٢١٤). كأن معنى العبارة {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة: من الآية٢١٤) أنه يأتي الفرج الإلهي، يأتي النصر الإلهي.

لاحظ قيمة هذه أن تقدم الأمثلة على أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن أوليائه، عن المجاهدين في سبيله، في المرحلة الحرجة.. في المرحلة الحرجة، أليس المرحلة الحرجة، والظروف الحرجة هي التي تجعلك أحوج ما يكون إلى الفرج؟ إلى النصر؟ أعني هي المرحلة الحرجة فعلاً. إذاً ليس معناها: بأنه وباقي المسيرة من قبل قد لا يحصل شيء، يأتي.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد كيف قال عن معركة بدر، ذكر أنه أنزل المطر ليثبت أقدامهم، وذكر تأييد ملائكة، وذكر أشياء كثيرة، لأن هذه لها قيمة فيما يتعلق بالثقة، ثقة الإنسان بالله تكون ثقتك به بأنه لا يتخلى حتى في الظروف الحرجة، فارق كبير لو أن المسألة تقدم أمثلة في بدايات الأشياء، أو في القضايا السهلة قد تقول: لكن كيف لو وصلت المسألة إلى كذا؟. أو قد ترى مثلاً بأنه لم يمر بك ما يسمى فرج، أو ما يسمى تأييد، في مرحلة معينة، وقد أنت في تلك المرحلة الصعبة يكون عندك أنه قد تخلى منك، كأنه قد تخلى عنك، لا. تكون ثقتك بالله بأنه لا يتخلى عنك، وتقدم الأمثلة لترسيخ الثقة بهذه الأمثلة التي تعني: المرحلة الحرجة، لهذا قدمت فيما يتعلق بيوسف في موقفه الحرج جداً مع امرأة العزيز، وهنا في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع مع الآخر، ليخلق عندك ثقة بأن الله لا يتخلى في الظروف الصعبة، وهي القضية الهامة. أليست هي القضية الهامة؟ الظروف الصعبة، أما أشياء من قبل يمكن قد لا تشكل خطورة لا يكون لها وقع كبير على أنفسنا .

هناك مثال لهذا حتى نعرف قيمة هذه، قد تجد كثيراً من الناس الذين نسميهم على حسب الشيء المعروف عندنا مؤمنين، وعبّاد. أليس هو يأتي يذكر لك قصص كثيرة عن سفرته عندما يحج، أو يسافر، أن الباري هيأ، ووفق، وسهل، وأشياء من هذه؟.
عندما تقول له: نجاهد في سبيل الله، لم تعد هذه الفكرة!، قد عنده فكرة أنه لن يحصل فرج في هذه القضايا الكبيرة، وهو يحكي لك هو أنه تسهيلات حصلت له في سفره، أو في قضية معينة، في تزويج ابنه، أو في بناء بيته، أو في أشياء من هذه. [سهل الله ، ووفق الله ، وهيأ الباري ، والباري جيد ولا يتخلى عن أحد] وأشياء من هذه. لكن اعرض عليه موقفاً صعباً، يقول: لا. إذاً ألا يوجد فارق هنا؟ فأن تقدم الأمثلة التي ترسخ ثقتك بالله في القضايا الحرجة، تعطيك ثقة من هنا وكذا إلى أول، من النقطة الحرجة ويكون ما قبلها بالأولى، وما قبلها، لأنه أهم شيء عندك هي الحالة الحرجة، الحالة الخطيرة. [نفس الدرس الصفحة [٢٨ ـ ٢٩]]

أسلوب الترويض للنفس

وجههم بطريقة جميلة هي في نفسها ترويض في عملية الإنفاق، وكل شيء يحتاج إلى ترويض بالنسبة للنفس، تحتاج أنت أن تروض نفسك وتحتاج أنت إلى أن تروض أولادك أيضاً. يبدأ الترويض فيما يتعلق بجانب معين هو: الأقارب، الوالدين، والأقربين، قضية ليست صعبة جداً بالنسبة لك أن تنفق للأقربين، كذلك أشياء كانت معروفة عند العرب باعتبارهم أمة لديهم نفوس جيدة فيما يتعلق بالكرم، فيما يتعلق بفعل المعروف كانوا معروفين بهذا، بالسخاء، وبالكرم، هناك مثلاً اليتامى والمساكين، وابن السبيل.
ثم يبين أهمية هذه، هذه الفئات من المجتمع مهما كان الناس في أحلك ظروفهم فيها يجب أن لا ينسوا، لأنه متى ما نسي هذه الفئات، أقاربك محتاجون، والداك محتاجان، أو هناك يتامى، ومساكين، وابن سبيل مسافرون يحتاجون ، يعطيهم الناس حتى وإن كانوا في مراحل جهاد تتطلب أكبر نسبة من أموالهم؛ لأن هنا في الموضوع أنك تعطي شيئاً هو من اهتمامات الدين في نفس الوقت، أو تعطي لفئة، الدين هو يهتم بها في نفس الوقت، ثم مشاعرهم لا يكون هناك في المجتمع فئة تتحول إلى معادية لنفس الخط لأنها ترى أن الأموال كلها تستنزف في هذا مهما كان عظيماً .
الحاجات الخاصة تترك أثرها في النفس، مهما كان عظيماً، قد يحصل لديهم عقدة [كل ما قلنا قالوا مشغولين نحن نريد في مجال كذا في مجال كذا.. على طول على طول.] أن تنفق في سبيل الله مجال هام جداً لكن في نفس الوقت لاحظ أن لا توجد في المجتمع فئة تصبح معادية لهذا التوجه باعتبار أنها تراه يستغرق كل شيء، متى ما تحول فقراء، أو مساكين، أو أيتام، أو كذا..إلى ناس لديهم هذه النظرة، أو أقارب لك لديهم هذه النظرة ستنطلق من أفواههم كلمات فيها نوع من التثبيط، فيها نوع من العتاب، فيها نوع من الغضب، فملحوظ في مجال بناء الأمة بشكل عام هذه الأشياء،لا تكن حريصاً أنك تبني خارج، وأنت تخلخل داخل.
فهذه القضية هامة في أنها تعود الإنسان على أن ينفق، تروض نفسه على أن يعطي، وفي نفس الوقت فئات لا تنسى. نقول لهذه الفئات، مثلاً في مرحلة معينة: يكفيكم أنه مقدار معين مثلما قال الإمام الهادي، أذكر أن الإمام الهادي قال في مرحلة معينة كانت حرجة جداً: أن يصبر الفقراء، يصبروا فترة وإنشاء الله عندما تنكشف القضية التي هو فيها محرج فيها في موضوع جهاد على أساس، مثلاً غزوة معينة، أو فترة محدودة، لكن هنا ما الذي عمل الإمام الهادي؟ حاول أن يخاطب الفقراء، فالفقير عندما تخاطبه المسكين عندما تخاطبه تقول: [نحن نهتم بكم جداً، ونحن فعلاً نتألم لحاجتكم، لكن ظرف معين تفهمون بأننا نحاول نحن أن نصبر، وأن نخفف من نفقاتنا الخاصة، أنتم كذلك وإنشاء الله عندما تتحسن الوضعية، أو يخرج الناس من إشكالية معينة نحاول نعطي أكثر، أو نعطي الشيء المعتاد].
كلمة طيبة، يفهمون بأنهم محط اهتمام لدى الناس، ويفهم بأنها قضية ليست قضية ثابتة على طول. أي: أن هناك شيء قدم ليصرف المجتمع، ليصرف المتعاونين، المحسنين عن أن يقدموا لهم فيعتبر أنها ستكون طريقة على طول، وأنه قد صار هناك توجيهاً يقوم على أنه يصرف الناس في مجال إنفاقهم، وعطائهم إلى شيء معين، يصرفهم عنهم، وبطريقة يفهمونها وكأنها حالة ثابتة، وحالة دائمة!.

عندما يقول الناس ، وهذه القضية هامة ، إذا واحد ـ مثلاً ـ متعود على أن هناك فقراء معينين يعطيهم، يذكرهم هو: [أننا في مرحلة لا تكن أنت منتظر بأنه يعني: تريد يتوفر لك [لحمة] كل يوم، وتريد مصاريف كثيرة، وتريد.. وتريد.. خفف قليلاً، وإنشاء الله عندما يفتح الباري علينا أكثر، أو عندما تتحسن وضعية الناس نعطي، نحن نحاول نقلل نحن في نفقاتنا ـ يقول له هكذا ـ ونحن لا ننساكم ونحن].. هذه قضية هامة، وقضية ملموسة فعلاً في المجتمع، ملموسة.

أيضاً أن يفهم الفقير نفسه، والمسكين نفسه، وابن السبيل نفسه بأنهم ناس هم عليهم مسئولية أيضاً عندما تكون أنت فقيراً ليس لديك أموال، يأتيك مساعدات من الناس حاول وأنت أيضاً أن تقدم بمقدار ما تستطيع أن تقدمه، أن تعوّد نفسك أنت على العطاء في سبيل الله، وتعرف بأنك لا تخرج من المخاطبين في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، أو في قوله: {وَأَنْفِقُوا} وفي كل ما فيه أمر إلهي يوجه للناس جميعاً، ويلحظ أيضاً وضعية كل إنسان بمفرده.

هنا لم يأت الجواب عن ماذا ينفقون، أجاب عن محط الإنفاق، وبطريقة جميلة جداً يعني: طريقة فيها ما يكشف نوعاً من الإهتمام بالفئة هذه، وهذا الشيء مهم؛لأنه في خلال آيات الجهاد ذكر الإنفاق في سبيل الله، ألم يذكر في نفس السورة هذه الإنفاق في سبيل الله؟ {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥) **ويأتي بعد آيات يذكر فيها الثواب الكبير جداً للإنفاق في سبيل الله فهنا قد يترسخ في ذهنية الإنسان توجه معين ينسيه فئة في المجتمع، هي فئة من؟ الأقارب، وفئة اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.**

هل ذكر هنا سبيل الله؟ ما ذكرها هنا، هذا عملية تكامل ، أو موضوع قدم فيه توجيه متكامل أن تنفق في سبيل الله، وتهتم بالإنفاق في سبيل الله، ولا يكون على حساب بنسبة كبيرة، نفسيات وحالة الفئة هذه من الأقارب وغيرهم الذين حكاهم في الآية، اليتامى والمساكين، وابن السبيل. هذه الآية بالنسبة للفقراء، بالنسبة للفئة هذه ، أليست هي في حد ذاتها ترى أن الله يهتم بهم ؟ ـ إذا صحت العبارة ـ ما نملك إلا هذه، يهتم بهم، أو نقول: القرآن الكريم يعطي حالتهم اهتماماً، ويجعلهم محط اهتمام لدى الناس عندما يقول: {قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢١٥) **لايضيع أجر الإنسان، ويضاعف أجره .**

هناك في آية أخرى بعد: {وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} ماذا ينفقون؟ {قُلِ الْعَفْوَ} (البقرة: من الآية٢١٩). **أي لستم هنا موجهين بأن تنفق كل ما لديك، كما قال الله هناك في آية أخرى لرسول الله** (صلوات الله وعلى آله) **{وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء:٢٩). **يعني: لا تبسط وفي الأخير تحس بحرج بالنسبة لك، بالنسبة لأسرتك، بالنسبة لأشياء يكون فيها إلتزامات مالية عليك، بالنسبة لضيوف معينين، بالنسبة لابن السبيل، بالنسبة لأشياء كثيرة تكون {فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء: من الآية٢٩) **يعني: كأن المطلوب أساساً، المطلوب أساساً هو: الإنفاق، أن الإنسان ينفق. والعفو يعني: الشيء الذي لا يؤدي إخراجه إلى إجحاف إجحاف بك أنت، والموضوع مفتوح، موضوع الخير، لكن هنا في الشيء المطلوب ولو أن الناس، لاحظوا لو أن الناس يعطون من هذا، من العفو أنه سيأتي شيء كثير جداً في سبيل الله من العفو نفسه. والعفو معناه: ما يقابل ـ تقريباً ـ الضروري، شيء زائد على الضروري، شيء إنفاقك منه لا يوجد إجحافاً بالإنسان على الحالة تلك التي حكاها في الآية الأخرى: {فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء: من الآية٢٩) . **[الدرس العاشر من دروس رمضان الصفحة [٢ ـ ٤]]**

موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة

بعد هذه الآية التي ذكر فيها الإنفاق، وذكر فئة معينة في المجتمع، ولم يذكر سبيل الله هنا، ألم يأت بعدها بآية: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) . **؟**

لاحظ أن موضوع القتال، موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة جداً، وتريد نظرة متكاملة لكل محيط هذا

العنوان العظيم: الجهاد في سبيل الله، القتال في سبيل الله بما فيها مراعاة نفسية هذه الفئة .
عندما تكون أنت إنساناً مؤمناً ، ومجاهداً ، وتنفق ، وعندك والداك، وعندك أسرتك، فتكون أنت تصل في وضعيتهم إلى حالة منهكة جداً ، أليس الذي سيحصل في نفوسهم هو تضايق من العملية هذه، من التوجه الذي أنت فيه؟ إذا أنت تحاول تراعي مشاعرهم أو تحاول توفر لهم ـ بحسب الوضعية، وبحسب الشيء الضروري ـ توفر لهم ، وتذكرهم بأننا الآن في مرحلة لا بد أن تكون نفقاتنا محدودة، لا بد أن نتقشف نوعاً ما من أجل نوفر أن ننفق في سبيل الله و... سيحصل من الوالدين، سيحصل من الأقربين عبارات تشجيع.
لكن قد تتحرك هنا ويكون أبوك ، وأمك، وأقاربك الذين هم عالة عليك يقولون: [ذلك الإنسان لم يعد يهتم بنا ، ومتخبط هناك ، وبعد فلان ويقول له كذا، وأعطاه حقنا ، ولم يعد يوصل لنا منه شيء ولا..ولا.] كلام كثير، والمطلوب بالنسبة للمجتمع في حالة مواجهة مع العدو أن تسوده حالة الرضا ، لأنه عادة العدو يعمل استبيان، واستقراء لوضعية المجتمع، فإذا لمس أنه هنا في الأسرة هذه ، وفي الأسرة تلك، وفي الأسرة الثانية ، في القرية هذه، والقرية تلك وهكذا..كلام من هذا النوع هنا سيظهر ماذا؟ عدم رضا عند نسبة كبيرة من المجتمع بالموضوع الذي يتحرك فيه المجاهدون من أبنائهم، تعتبر حالة فيها ما يسُر العدو نفسه.
لكن إذا عمل جولة ـ خاصة أمام أعداء كهؤلاء، بنو إسرائيل هم يهتمون جداً بموضوع الإحصائيات والإستبيان ، ومحاولة الاستقراء لوضعية المجتمع، ونفسية الناس ـ فإذا لم يسمع في المجتمع، عبارات من هذه التي قد يكون من أسبابها ماذا؟ إهمال، من أجل أنك تنفق في سبيل الله ، ويكون يسمع، كلما يسمع كلام تشجيع ما هناك أي خلخلة، هنا يرى المجتمع هذا كله مجاهداً.
لأنه يعتبر في موضوع الجهاد في سبيل الله ، القتال بشكل عام ـ وهي قضية معروفة عند الأمم ـ أن الشعب نفسه، أن المجتمع نفسه هو يشكل سنداً كبيراً جداً، إذا كان هو راضي بالوضعية، راضي بالمواجهة، ويشجع على المواجهة معنى هذا: أن أمام العدو بحر لا ينفد من ماذا؟ ممن يرفدون المجاهدين، ممن يعملون على رفع معنوياتهم، ممن يساعدونهم.
يعتبر فعلاً من أهم الأشياء، قضية معروفة ـ تقريباً ـ عند الأمم كلها، قضية الشعب، ومساندة المجتمع نفسه.
إذاً فهذه القضية هامة، قضية هامة. والله سبحانه وتعالى يجعل توجيهه، وتربيته حتى في موضوع الأشياء الهامة جداً أن لا تكون على حساب أيضاً بنسبة ١٠٠٪ أشياء مهمة. أحياناً قد تكون هذه الأشياء التي تعتبر مهمة، أو حتى أشياء شبه عادية التقصير فيها في الأخير يوجد خللاً في القضية الهامة .
هذا الذي ذكرناه أليست قضية معروفة فعلاً؟ لو يعمل اليهود استبيان للمجتمع وسمعوا في كل قرية هنا الناس يقولون: [أولادنا كذا ولم يعودوا يهتمون بنا ولم يعودوا يشتغلون معنا ولم يعودوا كذا وقد خذلوه آل فلان]. أليست هذه تطمع العدو؟ تطمع العدو أنه يواصل ضرباته للمجتمع هذا لماذا؟ لأنه يعرف أنه مجتمع قريب من الخلخلة، وقريب من الهزيمة النفسية، والهزيمة العسكرية أيضاً .
{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ}(البقرة: من الآية٢١٦) **لكم باعتبار رؤيتكم، ونفسياتكم، وفهمكم للأشياء، وإلا فالواقع، لو أن الإنسان يتأمل يتذكر بشكل جيد لرأى بأنه ليس القتال بالشكل الذي تكرهه. عندما تنظر إلى قضية واحدة هو أنه: أن كل إنسان سيموت، أليست هذه قضية معروفة؟ كل إنسان سيموت، وكل إنسان يلاقي في هذه الحياة أشياء تتعبه، ويعاني منها. أليست هذه قضية معروفة؟ إذاً فالقتال ما هو؟ غاية ما هناك أن تقتل، ألست ستموت وإن لم تقتل؟ أليس الأفضل لك أن تستثمر موتك فتقتل في سبيل الله؟ أفضل من أن تموت فلا يحسب لك موتك شيء؟.**
إذا أنت مثلاً تخاف من الموت كموت، فالله جعل من يقتل في سبيله حياً أي: أن الشهداء هم لا يموتون فعلاً، تراها في الأخير قضية لو يتأملها الإنسان حتى وإن كان ضعيف نفس، وإن كان يتخوف من الموت، إذا أنت تخاف من الموت حاول أن تقتل في سبيل الله شهيداً؛ لأنه بالعملية هذه أنت قهرت الموت فعلاً، ولم يكن الموت بالنسبة لك إلا نقلة قد تكون ربما [ثواني] قد تكون [دقائق] وتنتقل إلى حياة أبدية في نعيم ، وفرح ، واستبشار، ورزق كما ذكر الله في آية أخرى ولهذا لم يقل{وهو كره} لم يقل: {وَهُوَ كُرْهٌ} هذه قضية هامة أن كل ما أمرنا الله به ، كل تشريعات الله

ما فيها كره هي، هي. قد يكون المحيط الذي نحن فيه هو الذي يجعل القضية ونحن نتحرك فيها، فيها نوع من الكره، لكن هناك في دين الله ، في هدي الله ما يعطيك دفعة كبيرة إلى أن تتجاوز كلما تراها كرهاً ، كلما تراها صعوبات وأنت تقوم بالعمل الذي أمرك الله أن تتحرك فيه فقط أنتم {كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) لأن الإنسان لا يعلم الغيب والإنسان وكثير من الناس تكون نظرته محدودة، نظرته قاصرة ومحدودة {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) ربما قد تكرهون شيئاً هو في الواقع هو خير لكم، وأنتم تحبون الخير، وهو معلوم أن الإنسان نفسه في حياته يعمل أشياء فيها كره له عندما يكون فاهماً أن وراءها خيراً .

أعمال الناس، أليس هناك أعمال شاقة؟ في تجارتهم، في زراعتهم، في أشياء كثيرة من أعمالهم، يذهب يتغرب ويعمل من الفجر إلى المغرب [بنّاء أو مليّس أو خلطة، أو أشياء من هذه، أو يحفر في الأرض] هو عارف أن هذا كره، وهذا عمل ثقيل لكن متمسك به يجمع له فلوساً ويعود إلى البلاد ويجلس فترة ويأخذ بعض أشياء هو يرى بأنه بحاجة إليها ، أو كانت نفسه تطمح إليها ، أليس هذا يجعله وهو يعرف أن وراء التعب هذا خير أليست معنوياته ستكون مرتفعة؟ ويذهب يبحث هو لمن يتعب معه، أليس هناك حراج للعمال؟ حراج للعمال ماذا معناه في الأخير؟ مجموعة ناس يبحثون عمن يتعبون معهم، أليست هكذا؟ لأنه يعرف أن وراء التعب خيراً له .

إذاً هذه قضية تقيس عليها ومن منطلق ثقتك بالله سبحانه وتعالى عندما يقول لك: لو كان في هذا كره لك لكن فيه خير لك، فثق به فعلاً، عليك أن تقيس المسألة على الأشياء التي هي معروفة في حياتك أنت تكره نفسك على أعمال معينة لأن وراءها خيراً لك.

{وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) قد تحب أن لا تتحرك، أن لا تعمل، أن لا تنطلق تقاتل في سبيل الله ويكون في الأخير موقفك هذا شر لك. ويمكن من خلال ما نشاهده في التلفزيون أن نأخذ عبرة، تجد الأمريكيين في العراق يقتحمون كثيراً من البيوت، تجدهم ينتهكون الأعراض، وينهبون الأموال، ويدمرون، ويهينون كرامة الناس، يربطون كثيراً منهم أمام عوائلهم! أليس هذا شراً ؟ أليس من الأسهل للإنسان أن يقتل؟ ولا أن يصل به الأمر إلى الحالة هذه، أن يقتحموا بيته لماذا؟ لأنه في الماضي كان يغلق بيته على نفسه، ويجلس [وما له حاجة] يقول: [ماله حاجة] أليس هنا، أحب الحالة هذه؟ وإذا بها في الأخير شر له، يأتي العدو يركل بقدمه باب بيته، فيقلعه، نحن نشاهدهم بالطريقة هذه، ولهذا قلنا: هذه فيها عبرة حتى بالنسبة للأبواب، هذا كان إنساناً يغلق بيته على نفسه [وماله حاجة] يأتي من يركل باب بيته، ويدخل في الليل يدخل إلى وسط العائلة، ويربطونهم أمام عوائلهم، أليس هذا شراً؟.

إذاً، فمعنى هذا: أن الآية هذه أن كل ما يأمرنا الله به، كلما يدعونا إلى أن نعمله هو خير لنا بما فيه القتال الذي عند الناس أنها قضية صعبة، وأنها قضية شر، يسمونها مشاكل، ولا نريد مشاكل!.

أليس الناس يقولون هكذا؟ إنه يجب أن تعرف من أين مفتاح المشاكل التي تسمى مشاكل، والتي هي شر؟ يكون أحياناً مفتاحها ـ وهذه قضية أكيدة ـ عندما تقعد، عندما تتخلف، عندما لا تتحمل مسئوليتك أمام الله تنطلق مجاهداً في سبيله، وتقاتل في سبيله أنت فتحت على نفسك باب شر كبير، وشر، إهانة، خزي، ذلة يصل إلى القتل، يصل إلى قتل الأسرة، يصل إلى تدمير البيت، يصل إلى جرف المزرعة نفسها، وفي الأخير لا تجد وراءها شيئاً، لن يكون وراءها {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: من الآية١٦٩). لا يوجد شيء، أو أن وراءها جنة؟ شر بحت ، ووراءها ـ والله أعلم ـ الشر الدائم ، وهو جهنم .

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} (البقرة: من الآية٢١٦) لأنه خير لكم، ولأن العملية في الأخير لا تعتبر شيئا أكثر من أنه قدم لك أن تستثمر موتك، وأن تكتب حياً من بعد أن تفارق الحياة هذه، وهي حياة واحدة، هي حياة واحدة هذه مقدمتها، مقدمة الحياة الطويلة جداً التي لا انتهاء لها، الحياة الآخرة، إما أن تجعلها مقدمة جميلة تنتقل إلى حياة في نعيم وشرف، خلود لا ينقطع، أو إلى سوء المصير ـ ونعوذ بالله ـ إلى جهنم .

فتجد هذه القضية في القرآن الكريم ـ تقريباً ـ بأنه يبين للناس كلما يأمرهم به، كله هو خير، خير.. خير كله لهم

من كل الجهتين. كلمة خير هي كلمة عامة، كلمة عامة تشمل كل ما هو خير. {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦) ولهذا قال هناك: {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) لأنه أحياناً يكون عند الإنسان ما دام ما هو شر عليه هو هو، شر على آخرين، أو شر بالنسبة للدين، الباري هو المسئول عن دينه [نصر دينه وإلا فلا !] لا. القتال في سبيل الله هو خير لك ، وقعودك عنه هو شر لك أنت، شر لك أنت، هذه هي نظرة قائمة عند الناس يكون عند واحد أنه [قالوا نقاتل في سبيل الله من أجل دين الله] أليس هو يراه شيئاً هناك، منه وكذاك ، شيئاً آخر !. لا، هي قضية تلامسك أنت بخيرها أو شرها، خير لكم، أو شر لكم إذا لم تقاتلوا في سبيل الله .

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦) فإذا كان عندك ثقة بالله أنه أعلم منك، وأنت تثق بأنه عالم الغيب والشهادة وأنت تثق بأنه لا يريد لك إلا الخير في الدنيا والآخرة، فيجب أن يكون مسيطراً على مشاعرك: أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون لأنه أحياناً يظهر كثير من الناس ينسى أن الله هو أعلم منه، يكون قد قاس المسألة وطلعت عنده شراً فجلس، لا يريد شراً ! الله يقول: لا. ربما ما تراه أمامك كره لك، وتظن أن وراءه شر لك. لا، قد يكون عاقبته خير لك، والعكس بالعكس .

إذاً، يجب أن ينطلق الإنسان من قاعدة: أن الله في كل ما يأمرنا به، في ما يوجهنا إليه من ورائه خير لنا، خير لنا، وأنه يعلم ونحن لا نعلم{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦).

في الوقت الذي يحث المسلمين على أن يكونوا مقاتلين في سبيل الله، وبشكل كبير في القرآن الكريم يضع حدوداً، يضع آداباً معينة، يضع مبادئ في موضوع القتال. ليس معناه أن يتحولوا إلى وحوش، فلا يراعون أي مبدأ، ولا أي أخلاق، ولا حرمة أي شيء من الحرمات. هنا يقول: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} (البقرة: من الآية٢١٧) القتال فيه يعتبر انتهاك لحرمته وهي كبيرة عند الله{وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢١٧) الذي تعملونه أنتم، صدكم عن سبيل الله، وانتهاككم أنتم لحرمة المسجد الحرام، وصد عن المسجد الحرام ـ لأن الأشهر الحرم لها علاقة بموضوع زيارة المسجد الحرام بشكل حج أو عمرة ـ وإخراج أهله منه، الذين هم أولى به منكم أكبر عند الله .

لكن الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي يجعل حرمة هذه الأشهر الحرم كبيرة، ويجعل حرمة المسجد الحرام حرمة عظيمة، فيما إذا انطلق الطرف الآخر ليقاتل المؤمنين معتدياً هو فيجوز لهم أن يقاتلوه {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} (البقرة: من الآية١٩١). هناك قال: {وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية١٩٤).

إذاً هناك حرمات معينة، هناك ضوابط معينة، هناك مبادئ معينة في موضوع القتال، ولكنها ليست بالشكل الذي تمثل قيوداً تعتبر فرصة للطرف الآخر أن يضرب المؤمنين، يجب أن يراعي المؤمنون حرمتها، لكن متى اعتدى العدو فليعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليهم{وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} (البقرة: من الآية٢١٧) فتنتهم للمسلمين، عندما كانوا يعذبونهم ليصرفوهم عن دينهم، ولو لم يكونوا يصلون ببعضهم إلى القتل، لكنها تعتبر أشد من القتل حتى وإن لم تصل إلى القتل . [نفس الدرس من الصفحة [٤ـ٧]]

مصير من يتراجعون خوفاً من الموت

ثم قال تعالى في موضوع الجهاد، يحكي قصة فيمن جبنوا، وخرجوا من ديارهم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ} (البقرة: من الآية٢٤٣). وهم ألوف ! خرجوا من ديارهم، الله أعلم في أي أمة، يقول البعض: بأنه كان هؤلاء من بني إسرائيل{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} (البقرة: من الآية٢٤٣). قد تكون هذه أحياهم هم ليأخذوا عبرة من هذه، أو أحيا تلك الأمة مثلاً جيلاً من بعدهم{إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية٢٤٣). وهذه لها علاقة بالآية

السابقة: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦).
لاحظ هؤلاء أليسوا وقعوا في مصيبة؟ هم خائفون من الموت، وقعوا في الموت. بل هذه تبدو أنها قضية لها علاقة بالناس الذين يتراجعون عن القتال في سبيل الله بدافع الخوف، والحرص على الحياة، يعرّضون أعمارهم لأن تقصف سريعاً ! هذه آية من الآيات.

وآية أخرى: {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ} (الأحزاب: من الآية١٦). **{وإذاً} لاحظ هنا {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً}** (الأحزاب: من الآية١٦). **ليست قضية سهلة هذه أعني: أنت عندما تكون حريصاً على حياتك ، وعندك ما زال عمرك ثلاثين، أو أربعين، أو عشرين، أو خمسة وعشرين، يكون عندك أنك عندما تنطلق في قتال أنك ستخسر ما تبقى من عمرك، ربما تقتل، وما زال متبقي من عمرك مثلاً، ما زال عندك أمل ربما أربعين سنة، ربما لا.**

هذه الآيات هي بمعنى ماذا؟ تلك ، عملية التحيل على الله، لذا نقول دائماً: أنه يجب على الإنسان أن يفهم بأنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، أنت عندما تجبن، وتخاف من أجل أنك حريص على حياتك تقصف حياتك {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب: من الآية١٦). **قد تموت بعد سنة، أو سنتين أي: تخسر فعلاً ربما لو انطلقت تقاتل في سبيل الله قد لا تقتل، إن قتلت كانت شهادة، وحياة أطول من الحياة التي أنت حريص عليها، أليست أطول؟ نقلك إلى حياة حتى فيها فارق كبير جداً لأن الشهيد يعيش حالة طمأنينة وهو في حياته ، يعلم أنه قد صار في موضع آمن، أنه في موضع آمن في الحياة بعد أن يتحول إلى حي.**

ويبدو أن الشهيد لا يموت نهائياً، قد صارت هي الموتة الواحدة، حتى ولا يوم القيامة مع زلزلة الأشياء لأنه في آيات أخرى يقول الله فيها: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} (الزمر: من الآية٦٨). **إلا من شاء الله هنا في عملية استثناء، فكأن هؤلاء الشهداء هم فعلاً يذهبون إلى الجنة، الجسم ذلك عبارة عن [بذلة] خلعها فقط .**

إذاً فإذا أنت حريص على حياتك، من خلال القتال في سبيل الله لو قتلت أنت ستدخل إلى الحياة الأبدية بسرعة أفضل من أن تحرص على عدد من السنين، هي في ذهنيتك، وأنت لا تستطيع أن تضمن نفسك لا تستطيع أن تضمن بأنك ستعمر إلى سن ثمانين، أو خمسة وسبعين سنة .

هذه الآيات نفسها هي تدل على أنه قد تقصف فعلاً {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب: من الآية١٦). **لأن هؤلاء ربما قد يكونون رأوا أن القتال كره لهم تركوا ديارهم وخرجوا، أليسوا هم وقعوا في شر؟ {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}. لهذا الإمام علي له كلمة معروفة عنه قال: ((بقية السيف أبقى ولدا وأنمى عدداً)). إذاً فهذه هي قضية خطيرة جداً يجب أن تتنبه لها أي: عندما تتذكر بشكل كامل تجد بأنه تعتبر خاسراً عندما تجبن عن القتال في سبيل الله، وأنك تعرض نفسك لأن يقصف عمرك فتخسر الحياة الأولى والحياة الأخرى.**
[نفس الدرس الصفحة [١٣ ـ ١٤]]

أهمية الإنفاق في سبيل الله

لأهمية الإنفاق جاءت الآية بشكل آخر قال في آية سابقة: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥). **لأهمية الإنفاق هنا قدمه بعبارة لا تقل أهمية عن العبارة الأولى، وعبارة توحي أيضاً بخطورة في التهاون بهذا الموضوع: الإنفاق في سبيل الله ، هنا قال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** (البقرة:٢٤٥). **بعدما ذكر القتال قدم المسألة وكأنه هو يستقرض ! هذه توحي بأهمية الموضوع ذلك بشكل رهيب جداً، عندما يأتي الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة التي قد يقولها أي واحد منا عندما يحتاج إلى قرضة من الآخرين [من الذي عنده لي ألف ريال قرضة] أليس الواحد منا يقول هكذا ؟.**

لأن القتال في سبيل الله يحتاج إلى تمويل، يحتاج إلى إنفاق وأن الله سيعتبر ما يقدمه الإنسان وكأنه قرض له،

فيضاعفه له أضعافاً كثيرة، يرد عليك بأكثر مما أعطيت بأضعاف كثيرة إضافة إلى الأجر المرصود لك في الآخرة. هذه الآية نفسها توحي بأنه بعد أن يستقرض الله عباده ليمولوا موضوعاً هو خير لهم فيحصل إهمال، ويحصل إمساك للأيدي أن بعدها غضبة، يأتي بعدها غضبة شديدة من الله، لأن هذه العبارة تعتبر - لكن لا يمكن أحياناً نعبر فيما يتعلق بالله ببعض العبارات - معناه: عندما آتي أنا أمارس هذا الموضوع أنني حطيت نفسيتي أمامك أقول عندك [من الذي سيقرضني ألف ريال؟] أليس هذا مثل قولك عندما تدخل مجلساً وتقول: [يا جماعة من الذي عنده لي ألف ريال أحاسب فلان] صاحب سيارة مثلاً، أو أي شيء، أليست حالة وما كأن في المجلس شخص معين أنت معتمد عليه أن يقدم لك هو، أو تأخذ من جيبه ؟ كيف ستكون أنت عندما تخرج من مجلس وقد قلت هذه العبارة التي تعتبر - نوعاً ما - فيها حط لنفسيتك. أليس فيها حط لنفسيتك؟ ستقول: [في هذا المجلس فيه كم ناس ولا واحد منهم أقرضني] ألست تعتبرهم أناساً سيئين، ستعتبرهم أناساً لا يعتمد عليهم .

الله عندما يأتي بالعبارة هذه قد توحي بغضب شديد بعدها إذا ما هناك إنطلاقة من الناس أن ينفقوا في سبيله، قد استقرضهم وهو غني لكن يبين من خلال هذه أهمية الموضوع ، وأنه عندما لم تعد تثق به في قرضة! معناها في الأخير أي: لم نعد نثق بالله في قرضة، لم نعد نتعامل معه كما نتعامل مع أي واحد منا عندما يأتي شخص يستقرض منك ألست قد تعطيه قرضة؟ الله يقول اعتبرها عندي قرضة، أليس هكذا يقول؟ ولن يرد لك نفس المبلغ سيرد لك بأضعاف مضاعفة. إذاً ماذا وراء هذه؟ وراءها كما نقول نحن في تعبيرنا: [قلبت وجه خطيرة]. حقيقة، وراءها غضب شديد لأن معناه: أنه لم يعد أحد يثق بالباري، ولا أنه يقرضه مائة ريال ما معنى هذا؟ بأنه كفر بالله، وما لله في أنفسنا أي شعور بإجلال، أو عظمة ، أو حب، أو إكبار له.

وهو سبحانه وتعالى عندما يستقرض هو الذي يقبض ويبسط عندما تقبض يدك يمكن يقبض عليك فعلاً أشياء كثيرة، وعندما تبسط سيرد لك أضعافاً مضاعفة، هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وإليه ترجعون في الأخير، فإن قبضت سيقبض عليك أشياء هامة جداً، أليست خسارة كبيرة أن يقبض عليك الجنة ؟ فلا يدخلك الجنة، وتسير إلى النار، تساق إلى النار{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فيثيبك عندما تنفق في سبيله .

هنا يلاحظ الإنسان أهمية الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيله بأنها قضيتان مرتبطتان، بل قدمها في آيات أخرى سماها جهاداً كلها{وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}(التوبة: من الآية٢٠). ألم يجعلها عملية واحدة جهاداً بالمال وبالنفس، جعل الإنفاق في سبيله عبارة عن جهاد، وجعل مقومات الجهاد هي هذه. جهاد بالنفس وبالمال. [نفس الدرس الصفحة [١٥]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس الخامس]

الجزء الثاني

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

أقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين

هذه الآية تتحدث ـ كما يقولون ـ بأنه كان اليهود يستخدمون كلمة: {رَاعِنَا} التي هي كلمة عربية مفردة عربية معناها العربي معروف : أمهلنا أو أنظرنا يستخدمونها بمعنى سيئ لديهم سيئ في النفوس بمعنى: شرير أو من الرعونة التي تعني: السفه والحماقة والطيش أي كلمة معناها في النفس داخل وليس في إطلاقها، معناها عند اليهودي سب للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، إذاً هنا قضية يهودية ما زالت في الأعماق داخل اليهودي تعتبر ماذا؟ يحارب بها النبي وهي ما زالت في داخله لم تظهر على لسانه لم تتحرك بشكل موقف ما زالت في الأعماق يجب أن تكونوا دقيقين في التعامل مع هذه الطائفة ليس فقط ما يبرز من اليهود بل ما لا يزال في أعماق أنفسهم نوايا لديهم.

{لا تَقُولُوا رَاعِنَا} (البقرة: من الآية١٠٤) توقفوا عن استخدام هذه الكلمة تماماً، عندما يتوقف العرب عن استخدام تلك الكلمة بشكل عام ـ اتركوها نهائياً لماذا؟ـ ليقفل المجال على اليهودي فلا يعد بإمكانه أن يستخدمها ، إذاً ألم يكن هذا موقفاً أمام نوايا وقدم التوجيه به توجيها حاسما بعده{وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) واسمعوا ويكفيكم أن تسمعوا وقد سمعتم كيف كان الذين لا يستجيبون لهدي الله ولا يقيِّمون الأشياء التي تقدم إليهم ، لا تكونوا كبني إسرائيل تقولون: ما هي الفائدة؟ ماذا لها من فائدة ما هي القيمة لهذه ؟ نحن لا نستخدمها غلط؟ لا ، اسمعوا، التزموا{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: من الآية١٠٤) وللرافضين للكافرين نفس اليهود الذين لا زالوا يستخدمون نوايا سيئة وللرافضين منكم الذين لا يسمعون، اسمعوا{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} منكم ومنهم ، هذه تعطي ـ مع أنها تبدو في الصورة قضية عادية ـ لكن تعطي منهجاً مهماً جداً في الصراع مع اليهود ، أي هي ترسخ عند المسلمين حالة على مستوى عالي من اليقظة والحذر والانتباه واتخاذ موقف أمام أي شيء من اليهود وإن كان ما يزال نية في أعماق أنفسهم .

من أين أوتي العرب؟ من أين أوتي المسلمون حتى أصبح اليهود هم الذين يدوسونهم الآن من أين؟ لم يحملوا هذه الروحية التي تعطيها هذه الآية: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) لم يعد لديهم اهتمام حتى بما يشاهدونه بما يلمسونه بما يحسونه من اليهود لم يعد لديهم اهتمام أن يعملوا ضدهم شيئاً ، إذاً ألم يفقدوا روحية فقدوا تربية وجهت إليها هذه الآية؟ إذا ترى بأنها قضية هامة وهذا ـ مثلما قلنا سابقاً ـ من الأشياء الصعبة بالنسبة للناس القضايا التي هي في واقعها هامة جداً جداً جداً ولكن أمامهم طبيعية جداً هذا الذي يعتبر موقفاً محرجاً جداً ؛ لهذا كانت هذه الآية في مقدمة الآيات التي لتوجيه المسلمين بعد تقديم العبرة الشاملة من خلال ما ذكره عن بني إسرائيل .

النفسية هذه التي أضاعت معنى: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) هي نفس النفسية الموجودة الآن عندما نقول: [نرفع شعار يا جماعة ، الشعار كلمة عادية بسيطة تقولها في مسجدك في مسجدك الذي تصلي فيه الجمعة] يردون عليك: [ما هي الفائدة منها ماذا يعني أن نرفع شعاراً؟] مع أنه مسلّم بصحة مفرداتها يقول لك: [صحيح الله أكبر وحقيقة أمريكا ملعونة والموت لأمريكا] وسيقول لك أيضاً: [أمريكا ملعونة وإسرائيل ملعونة واليهود ملعونون والنصر للإسلام لكن ماذا هناك من فائدة؟ ماذا له من قيمة؟ هل هي ستؤثر على أمريكا هناك؟ هل، وهل، وهل ..!] تلك النفسية السابقة لأنه هذه بداية توجيه إلهي تربوي للمسلمين ليكونوا بمعزل عن روحية بني إسرائيل روحية البقرة نفسية البقرة: ما هي ، ما لونها ، إن البقر تشابه علينا ، الآن جئت بالحق ، الآن ..! لا ، إن الإسلام إن القرآن الكريم قام على أساس أن يقدم للمسلمين تربية ، تربية على مستوى عالٍ جداً يستبقون بها الأحداث يستبقون بها الأحداث فلا يكونون عرضة لأن يضربوا ضربات متكررة حتى يصحوا ومتى ما صحى وجد نفسه في وضعية لا يتمكن أن يعمل شيئاً.

عندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا} (البقرة: من الآية١٠٤) لماذا لا يـأتي الخطـاب لليهـود؟ يـا أيها اليهود اسكتوا أو اتركوا استخدام هذه الكلمة؟ ((لأن مفتاح أن يضرك العـدو ، أن يهينـك العـدو ، أن يهزمـك العدو هو من عندك أنت)) ذلك عدو يهودي نصراني كيفما كان إذا كنت مستقيماً تسير على هدي الله على كتـاب الله فلن يضرك العدو وستهزمه مهما كان {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} (الفتح:٢٢) .

هذه القضية في القرآن مؤكدة هنا توجه الخطاب إلى المؤمنين كلهم ، الإمام علي بـن أبـي طالـب ملـزم هـو أن يـترك كلمة: {رَاعِنَا} وهل يمكن أن الإمام عليا سيستخدم كلمة: {رَاعِنَا} في المعنى اليهـودي الـذي يـستخدمه اليهـود؟ لا ، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يقفل المجال على اليهود فلا يتمكنون أن ينطقوا بهذه الكلمة أي تحـبط مـؤامرتهم ـ اعتبرهـا أحبطت مؤامرتهم ـ إلا بأن تقفلوا أنتم هذا المجال من عندكم وإن كنتم لا تستخدمونها بنفس المعنى الذي يستخدمه اليهود ، ((إقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين)).

ولهذا حاولنا نقدم هذه الآية فيما يتعلق بالجانب الأمني ، الجانب الأمني عندما نقول: [نفتشك] أنت الأخ الصديق الموثوق به بنسبة ١٠٠٪ نفتشك أو نقول تكون متيقظاً تكون منتبهاً كل الإجراءات التي هي تمثل إقفال مجـال يجـب أن تكون أنت أول من يعملها ، المسألة هي إقفال مجالات إقفال منافذ.

عندما نقول:نترك [المصافحة] ونحن إخوة وكل واحد يجب أن يقبّل الآخر كم مرات أليس هذا إقفـال مجـال؟ إقفـال مجالات ؛ لأنه سيأتي يهود أو عملاء يهود ونمط المصافحة لدينا بالشكل الخطير وفي الأخير الزيدية هؤلاء يكفـيهم عشرة، عشرين وكفاهم سوف ينهونهم مع تمكنهم من استخدام أشياء دقيقة جداً نحن لا نستطيع حتـى أن نكتـشفها ولا أن نعرف كيف نقاومها، إقفل المجالات على الأقل عندما يأتي أحد يقول لك: لكن يا خبير أنا أخ وصـديق أعـرف فلان أو نحن أصحاب يعني هو شاك فيّا ؟ لا، ليس شاكاً فيك هل كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يـشك في الإمام علي عندما يقول له : أسكت عن استخدام كلمة: {رَاعِنَا} لا، أو يشك في الآخرين ربما قد لا يكـون هنـاك ولا مسلم واحد ولا مسلم واحد إلا إذا هم منافقون من تلك النوعية السيئة سيستخدمونها بالمعنى اليهودي ، لكن اسكت يا علي ، اسكت يا أبا ذر، المقداد، سـلمان، عمـار ، كلكـم اسـكتوا، وفاطمـة فلتـسكت، والكـل فليـسكتوا عـن اسـتخدام كلمة: {رَاعِنَا} .

إذاً فهذه القضية هامة: إقفال المجالات يأتي من عند الناس هم، هم، المخلصون الصادقون المؤمنون بالقضية التي هـم فيها لم يكن هناك مجال أن يقول الإمام علي مثلاً: لكن أنا سأستخدمها وليس عنـدي نيـة سـيئة والله المـستعان لمـاذا توقفني؟ هل يعني أن لديك شك فيّ؟ ما حصل هذا هم فاهمون خاصة عندما تعطيهم صورة رهيبة جداً .

هذه الآية تعتبر شهادة فيما يتعلق بالمقاطعة الإقتصادية ألم يحصل هنا مقاطعة للكلمة؟ قاطع المسلمون في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمة ؛ لأن استخدامها يمثل مـاذا؟ دعمـاً لليهـود ، إذاً فأنـت قـاطع بـضائعهم؛ لأن بضائعهم تشكل دعماً مادياً كبيراً لهم وتفتح عليك مجال لأن تتقبل كل ما يريدون أن يوصلوه إلى بدنك إلى جـسمك من سموم أو من أشياء لتعقيمك حتى لا تعد تنجب أو تورث عندك أمراضاً مستعصية أشياء كثيرة جـداً مـع تقـدمهم العلمي يعتبرون خطيرين جداً ، سيطرتهم على الشركات التي تعتبر متطورة في صناعات أشـياء خطـيرة مـن المـواد السامة عناصر كثيرة تستخدم قد أصبحوا يستخدمون عناصر تؤثر نفسياً تقتل عندك الإهتمام تصبح إنساناً بـارداً لا تهتم ولا تبالي. [الدرس السادس من دروس رمضان الصفحة [٤ ـ ٦]]

خطورة التنطط

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} (النساء: من الآية٧٧) عندما يقول: كفوا أيديكم ، أو اعفوا واصـفحوا لا يوجـد في المقام ما يسمى: أحكام شرعية بالنسبة للطرف الآخر أنه بمعنى لا يجوز ، المعنى: فاعفوا واصفحوا أنه لا يجوز أن تؤاخذوهم باعتبارهم هم، وضعيتهم هم وما هم عليه لا يجوز لأحد يكلمهم! لا ، بالنسبة لكم مسيرة بالنـسبة لكـم مرحلة لها أولوياتها وما هناك شيء سيفوت معناها ما هناك شيء سيفوت {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآيـة١٠٩)

كما قال.

{قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: من الآية٧٧) كأن فيهم تنطط: لا بد من كذا.. {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} (النساء: من الآية٧٧) كيف قالوا؟ عندما كتب عليهم القتال {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) قد فيهم خشوع وخضوع لكن بالمقلوب {لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} (النساء: من الآية٧٧) يدعون وبالعبارات الرقيقة هذه {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء: من الآية٧٧) ربما قد تحصل حالة كهذه للمتنطنطين الذين يسمون بهذا ، أي ما تكون مسيرتهم مسيرة على أساس من هدى الله والتي تكون الأولويات فيها مبنية على حكمة دقيقة تراهم متنطنطين هؤلاء ربما قد يأتي لهم موقف ثم يقولون بعد: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) لكن إذا المسيرة تسير بشكل صحيح لن يصلوا إلى حالة كهذه ، إذا المسيرة تمشي بشكل صحيح لا يكون فيها مما يعتبر ماذا؟ صدم لتنطنطهم ، لأن هذه الحالة تكون مزعجة بالنسبة للقيادات بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أشخاص هناك قد أنفسهم مليئة بالشجاعة والرجولة فقط مماسكين لهم!

أحياناً هذه الحالة تربك القيادة في اتخاذ قرارات حكيمة قد يكونون هم لا يفهمون الوضعية ما هو المناسب وما هو الأنسب ومتى وأين ، إذاً هؤلاء سيكونون مزعجين قد يورطون أي قيادة تسير بعدهم .

لكن يمشون هم بشكل صحيح :صل وصم ولا شأن لك باعتبار أولئك الذين أنت تركز عليهم الآن وامش في الإتجاه على حسب الأولويات وامش على ما أنت عليه وما يقدم لك من الدين، يعني هنا مقام: لا شأن لك، للمتنطنطين يقول: لا شأن لك بمعنى: لا شأن لك أمام النقطة هذه ليس القرار فيها إليك وليس تحديد الأولويات فيها إليك احتفظ بشجاعتك هذه ، اتركها توظف في مجالاتها. عندما تسير الأمة على هذا لن يمروا بحالة لن يمروا بحالة يصدمون فيها فيحصل تراجع نفسي وبعد ذلك في الأخير يقولون: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} (النساء: من الآية٧٧) .

لكن المتنطنطين قد يصلون إلى حالة مثل هذه بمعنى ماذا؟ يأتي التوجيه على أساس الطاعة ، على أساس الفهم، على أساس الوعي يوجد أولويات ، ألست في بعض الأحيان قد تكون الأولوية لديك مرتبطة بتقييم وضعية في محيط مثلاً البلاد التي أنت فيها المنطقة التي أنت فيها قد تكون الأولويات محسوبة بحساب هي أوسع من دائرة منطقتك ، فعلاً مثلاً تجد في الوقت الذي كان المسلمون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة يعذبون وفيهم ناس أبطال ممكن يقاتلون يعذبون وآخرين يهجرون يذهب إلى الحبشة منهم أعداد كبيرة بالعشرات وكان بإمكان هؤلاء أن يقاتلوا لكن لا، ليس الآن ليس باعتبار أنه لا يجوز بالنسبة للطرف الآخر ، لا.

إذاً عندما تنظر إلى وضعيتهم وأولويات فيها لا تحسبها بحساب محيط مكة أو حتى الجزيرة لوحدها ، لا،هناك تدبير إلهي واسع موضوع ما بين الروم والفرس .

بل أحياناً قد يبدو بأنه يتحكم الشيء هذا بحسب إرادة الله سبحانه وتعالى في نسبة الأعداد في نسبة الإقبال فعلاً قد تكون مرحلة معينة ليس مناسب فيها أن يكون الإقبال كبيرا من ناحية مصلحة العمل نفسه قد تحصل هذه لو كان الإقبال كبير مثلاً بناء على ماذا؟على أنه يوجد أشياء أخرى هناك اعتبارات أخرى محيط آخر قد يكون بالشكل الذي يعتبر ماذا؟ مثيراً جداً لكن لا،اصبروا تحملوا ، بعضهم يكون عليه صخرة وهو في رمضاء مكة فوق الرمضاء وفي حرارة الشمس الشديدة يصبرون، هنا يصبرون ،لكن العمل الإلهي هناك في محيط العالم بكله بل عندما تتأمل أن الترتيبات تكون ربما من قبل ولادة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن قبل أن يبعث هو (صلوات الله عليه وعلى آله) ترتيبات بشأن العالم .

إذاً فموضوع الأولويات أحياناً لا تقاس بمقاييس محيطك حتى ولو رأيت أن بالإمكان أن طرفا معينا تمسحه ربما لا ، ما القضية بالشكل هذا لاعتبارات أخرى هي أوسع من محيطك ، عندما يقول لهم هنا: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) واترك شجاعتك ورجلتك وكل شيء وفق أمر الله هذا أجمل شيء وأحسن شيء وأفضل شيء

تحرك وفق أمر الله لا تأتي تتنطط في وقت ومتى ما جاء أمر الله: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) وهي وقت الفرصة كان في الواقع عندها تقول: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) وعندما يقول: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} (البقرة: من الآية١٠٩) ليسوا مثلنا أعني: جالسون في المساجد ليس لهم دخل من شيء أي: عند جانب معين لا تنشغلوا بهم وهم في حركة يرون أنفسهم في مواجهة آخرين مواجهة مشركين مواجهة قتال، ما باستطاعتهم أن يقاتلوا في نفس الوقت اليهود؟ لا، ما هو وقت حتى يأتي الله بأمره {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:١١٠). [نفس الدرس الصفحة [٢١ ــ ٢٣]]

الأمة الوسط

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا} (البقرة: من الآية١٤٣) هذا صار خطاباً لمن؟ للمسلمين، خطاب بالذات للعرب، خطاب للعرب أنفسهم من البداية، وخطاب موجه بشكل رئيسي لقريش، دائرة الأسر التي تلتقي مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالجد الأقرب يشملهم اسم : قريش .المسألة عبارة عن دوائر: دائرة قريش، داخلها دائرة بني هاشم، داخلها دائرة أقارب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد دائرة قريش دائرة العرب.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا} (البقرة: من الآية١٤٣) هذه الآية هامة، جداً والكلام حولها بتحريف لمعناها، وتقديمها بشكل يخلق قابلية أن يجرد الأمة عن شهادتها قد {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} كلمة وسطاً لا تعني: عدول، أو تعني ..في آيات أخرى تبين ماذا يعني، أوسط في اللغة العربية، أوسط تعني: أفضل، تعني، أمة من أوسط الأمم، من أفضل الأمم، مهيئة لأن تحمل هذه الرسالة، وتكون في نفس الوقت شاهدة على الناس، الشهادة هنا ليس فقط في موضوع أنهم يشهدون يوم القيامة بأنه قد جاء نبي وبلغ، الشهادة بتجسيدهم للدين، وقيم هذا الدين، وتمثيلهم لهذا الدين .

هذا دين عظيم جداً تتجلى من خلال وسط معين من الناس أمة معينة، تتجلى قيمه ومثله ومبادئه بشكل جذاب جداً؛ ليكون شاهداً على عظمة هذا الدين أمام الآخرين فينجذب إليه، وتقوم الحجة على الآخرين به؛ لأن الكثير قد يقولون: مجرد نظرية، وأي نظرية لم يشهد لها الواقع في حياة الناس، لأن هذا هو المحك، هو المحك واقع الحياة، واقع الأمة، روحية الأمة، نفسية الأمة، أفرادها الذين يحملون هذه النظرية، يتجلى من خلالهم ماذا؟ مدى إيجابية هذه النظرية، أو سلبيتها بالنسبة للدين. هذه القضية لم يغفلها، موضوع أنه لا بد من دائرة تمثل قيم هذا الدين، ويتجسد فيها هذا الدين فتمثل بهذا شهادة على الناس بعظمة هذا الدين، فتقدم نموذجاً على أرقى مستوى {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (البقرة: من الآية١٤٣) أي تكون عملية متبادلة عندما تعرف عظمة هذا الدين، كلما عرفت عظمته، كلما وجدت في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وفي حركته شهادة أيضاً على عظمة هذا الدين نفسه.

دائماً تفسر هذه فيما أعرف بأنه: الشهادة على الآخرين، الشهادة على الأمم بأنه قد وصلتهم الدعوة، أو وصلهم البيان، أو وصلهم أخبار النبوة ! وهذه هي المهمة هنا، وهي نفس القضية الأساسية أنه: التأهيل، الإصطفاء، هي مسئولية {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ليس عبارة عن وسام هكذا، أي: أنهم يقدمونها وكأنها عبارة عن وسام، لا، المهمة هنا المسئولية {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} تحت هذه الكلمة أشياء كثيرة جداً {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} الإلتزام بهذا الدين، الإهتمام بهذا الدين، تجسيد قيمه، الجهاد في سبيل إعلاء كلمته ؛ لأنه أيضاً يحصل من خلال هذه أن يكون الناس محطاً للتأييد الإلهي أن يتلمس جانب هذه الأمة أشياء هي فعلاً تشهد بأن هذه الأمة على صراط مستقيم، وأن هذا الدين الذي تدين به هو دين عظيم، فهذه قضية هامة جداً: أنه لا بد من إناء، لا بد من محيط ليكون محطاً للتأييد الإلهي .

هذه القضية معروفة حتى فيما يتعلق بالرزق أليس الإنسان يحتاج يعمل لـه [جربة] يجمع لها تـراب حتـى يمكـن يعمل فيها زرع ؟ أليس الواحد يحتاج يعمل للمطر الذي ينـزل من السماء يعمل له مشرب يجمعـه حتـى يجـري إلى هناك ؟ لا بد من دائرة، لا بد من محيط مكون من أمة، من مجاميع المؤمنين ينطلقون انطلاقة صحيحة، يعتبرون محطاً للتأييد الإلهي، التأييد الإلهي لا يأتي مبعثر: مؤمن هناك، ومؤمن هناك، وواحد هناك، وواحد هناك ! سترى كـل واحد يصيح مكانه فقط، لكن إذا كانوا عبارة عن محيط واحد، هنا سيكونون محطاً للتأييد الإلهي، يتجمع التأييـد الإلهي مثلما ماذا؟ تأتي تجمع لك مشرب تصلحه من هناك يلتقي القطرات التي تنـزل مـن الـسماء حتـى تـصب في [جربتك] يحصل فيها زرع وتثمر .

ليست الوسطية معناها: بين اليهودية والنصرانية، بين التشدد واللين يسمونه: اعتدال، وسطية، لا، ليـست بهـذا الشكل؛ لأنك عندما تلحظ إلى كيف يجب أن تكون هذه الأمة التي قال: إنها أمة وسطاً في مجال أن تقوم بالمهمة التي تجسد ماذا؟ الشهادة على الناس معناها: أمة يجب أن تكون متوحدة، أن تكون قويـة، أن تكـون أفرادهـا أولـي بـأس شديد، بإخلاص لله عالي، بالإلتزام بهذا الدين، أشداء على الكفار، أعزاء على الكافرين ؛ هذا معنـى أمـة وسـطاً، كيف قال عنهم هناك: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} (الفتح: من الآية٢٩) أليس الذين معه هنا على أساس أنهم أمة وسطاً ؟ إن القرآن ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم يربون الأمة الوسط كيف تكون لتكون شاهدة علـى النـاس، ألم يربهم على مستوى أن يكونوا أقوياء {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}؟ (الفتح: من الآية٢٩) هـذه الأمـة الوسـط هـي التـي قـال لها: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَـدِينُونَ دِيـنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) هذه وسطية، هو الذي يقـول لهـم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} (الأنفال:١٥) هذه وسطية الإسلام، أو الأمة الوسـط غالباً تكون هكذا: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآيـة١٢) {إِنَّ اللَّـهَ اشْـتَرَى مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} (التوبة: من الآية١١١) {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٠٧) .

هذه هي الأمة الوسط، ليست الأمة الوسط أن يقال: أمة ليست حول أن تكون شديدة على الكـافرين، ليـست شـديدة على أعداء الله، ليست شديدة في ذات الله، قوية في ذات الله، في تجسيد دينه، في العمل لإعلاء كلمتـه، هـذه لا يصح أن يقال لها أمة وسطاً، هذه أمة منحطة، تسمى أمة منحطة، ليست أمـة وسـطاً، كلمـة وسـطاً {جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّـةً وَسَطاً} (البقرة: من الآيـة١٤٣) أي أن الله عندما اختار أن يكون هذا الرسول منهم فهو جعلهم، ما معنى جعلهم؟ مسألة [جعـل] هذه قد لا تعتبرها مرتبطة بعشر سنين، أو بعشرين سنة أحياناً قد تكون قروناً من الزمن، عملية قرون من الـزمن، رعاية إلهية حفاظ إلهي على أشياء معينة بحيث أن يكونوا مهيئين لأن ينهضوا بهذه الرسالة، أن يكونوا صـالحين لأن يكونوا جنوداً لها، من قبل البعثة، من قبل ربما أن يولد جد رسـول الله (صـلوات الله عليـه وعلـى آلـه) ثـم أثنـاء المسيرة في التربية التي تقدم لهم، في التوجيه الذي يقدم لهم، القيادة التي تقدم لهم .

الأمة الوسطية يجب أن تكون قيادتها عالية على هذا النحو الذي يحكيه الله في القرآن الكريم ستأتي الآيـة بعـد بالنسبة للأمة الوسط كيف قيادتها هنا: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ} (البقرة: من الآية١٥١) أليست هذه قيادة على مستوى عالي من القوة في ذات الله، من القوة في مواجهة أعداء الله؟ هذه الأمة الوسط، وقيادات الأمة الوسط، ومنهج الأمة الوسط هو هذا القرآن الكريم، عنـدما يـأتي أنـاس يحملـون علماً، باسم علم، ويحرفون كتاب الله كما حرف بنوا إسرائيل كتـبهم، ويحرفـون المعنـى: [لا، الوسـطية: الإعتـدال، الوسـطية تعـني مـاذا؟ أسـلوب لا يكـون فيـه شـدة، ولا مهاجمـة للآخـرين، ولا اسـتعداد لمواجهـة الآخـرين ولا..ولا..ولا...!] أليس هذا يعتبر سخافة؟ يعتبر هذا كفر بالنعمة العظيمة هذه التي هي القـرآن الكـريم، الـتي تبني الأمة الوسط.

نقول بكل تأكيد: إن الأمة الوسط هي الأمة التي يبنيها القرآن، الأمة الوسط هي الأمـة الـتي تبـتني علـى أسـاس القرآن، وتتبنى المواقف التي يهدي إليها القرآن، هذه هي الأمة الوسط. ماذا يعني الوسط؟ أفضل، أمة أفـضل، أمـة

تكون ماذا؟ تكون مؤهلة لأن تقوم بهذا الدور {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٤٣) من الشهادة على الناس، أن يكونوا أولي بأس شديد، وأن تكون أولي بأس شديد يعني أنت مؤمن بالقضية التي أنت فيها، أنت تغضب لها، أنت منشد إليها، وهي قضية في حد ذاتها جذابة جداً ؛ لأن هذا شيء عجيب جداً لا يمكن أن يحظى أي منهج آخر بهذه الحالة التي تبدو وكأنها مجموعة من النقائض، أو من المتناقضات أن يقول لهم: كونوا أشداء على الكفار، كونوا أولي بأس شديد، اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، في مسيرة دين هو للكل إلا لأن هذا الدين هو عظيم يجعل لهذه الظاهرة نفسها جاذبية لهذا الدين نفسه ؛ لأنه عندما أرى هناك أمة قوية جداً، متماسكة جداً هي تشكل أملاً عندي، ومنهجيتها صحيحة، إذاً أنا عندما أقارن بين وضعيتين، ومجتمعين وبينهم سأرى هذه الأمة أنجذب إليها، أمة تشد الإنسان، أمة تقف مع الإنسان .

أحياناً قد تكون من الأشياء التي لا تجعل لأمة معينة أي قيمة عندما ماذا؟ لا تكون هي ذات فاعلية في مواجهة أطراف أخرى حتى ولو هي أمة مؤمنة أنها بهذه الطريقة وحدها تفقد جاذبية الدين الذي تدين به، الطريقة التي هي عليها:[هؤلاء أناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، لا يمثلون شدة ظهر في شيء، لاحظ كيف هم ضعاف أمام أي عدو آخر] عندما يظهر هؤلاء أقوياء، أشداء، أمة قوية أي يعتز أي شخص ينتمي إليها يشعر بعزة يشعر برفعة يشعر بقوة .

لهذا كانت هذه الخصلة نفسها التي الآن يحاولون...، إضافة إلى أنها قد ضاعت في وسط الأمة، أشداء على الكافرين، أن يكونوا أعزاء على الكافرين، قد ضاعت، ومع هذا يحاولون أن يقدموها كثقافة يدينون بها أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أي شدة، ولا قوة على أعداء الله، لم يكف انحراف عملي، وإنما يقدمون انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويفهمونه بشكل خطأ، ويعتقدون أن هذا هو معنى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) هكذا ينتهي الضلال إلى أن يقدم الضلال العملي، الإنحراف العملي يحاط بماذا؟ بعقيدة أنه دين تدين به، هذا تحريف خطير جداً لآيات الله، تحريف في المعنى، في المضمون، في تقديم هام بهذا الشكل السيء!

نقول: نحن فعلاً أمة وسطاً ونتمنى أن نكون أمة وسطاً، والأمة الوسط هي: التي تبتني على أساس القرآن، ومواقفها قرآن، هي الأمة التي قال الله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) أنه يجعلها، وهذه طريقة من طرق أن يكون هناك أمة وسطاً، القرآن الكريم، وليس الوسط معناها بين شيئين، بين اليهودية والنصرانية، اعتدال ليس يهودياً ولا نصرانياً، لديه ملعقة يهودة وملعقة نصرنة وقليل إسلام فوقها خلطة!

هذه قضية نركز عليها في مسألة هذا الموضوع نقول: فعلاً نحن أمة وسطاً لكن نعتقد أن الأمة الوسط: هي الأمة التي تنطلق على أساس القرآن، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا، يقول أبداً. إذاً الأمة الوسط أليست الأمة التي تسير على هدي القرآن، وتبتني على أساس القرآن؟ إذاً فلنكون أمة وسطاً يجب أن نسير على هدي القرآن.

إذا أنت تقدم لي شيئاً آخر هذه وسطية ثانية ليست هذه الوسطية التي قدمها القرآن، أنت تريد أمة تكسر من وسط ظهرها حقيقة، وسطية يكسروها من وسطها، لا تريد أمة وسطية على هذا النحو، على هذا المفهوم القرآني ! فنحن نريد أن يكون الله هو الذي يجعلنا أمة وسطاً وليس أنت، والقضية هي بهذا الشكل: أن نفهم جميعاً أن الأمة الوسط ـ إذا كنا نريد أن نكون أمة وسطاً ـ أن نكون على هذا النحو: أن يجعلنا الله هو، وليس الآخرون الذين يجعلوننا أمة وسطاً، الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، أو في كتابات معينة، أو على المنابر، لأنهم يحاولون أن يجعلوا المسلمين أمة وسطاً بمعنى آخر، أمة منحطة، أمة لا يخاف منها عدو، ولا يهاب منها عدو، ولا تمثل حماية لأي شيء، لا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لأوطانها، ولا لأعراضها، ولا لأنفسها .

[الدرس السابع من دروس رمضان الصفحة [٢٦ـ ٢٨]]

يجب أن يفي الناس بالتزاماتهم حتى مع العدو

في بداية هذه السورة يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} (المائدة من الآية: ١) التزامات على المؤمنين، وتراها التزامات سواء فيما يتعلق بتعاملهم العام، أو التزامات حتى مع العدو، فيما يحصل مثلا من مواثيق أو عقود يجب أن يكون هناك وفاء بها، لكن ويجب من البداية أن تقوم العقود على أسس صحيحة، وإذا كانت عقوداً بمعنى مواثيق فيما بين مؤمنين وأعداء من أهل الكتاب، أو ممن كانوا أعداء، فهنا يجب أن ينظر أولاً إلى الطرف الذي يمثل المؤمنين، وأن يكون على مستوى عالي من المعرفة، هل هو مناسب أن يكون هناك ميثاق معين، وأن يكون هذا الميثاق مثلا مؤقتا، ثم متى ما حصل مواثيق فيجب الوفاء بها.

العهود فيما بين الناس، أيٌّ التزامات تلتزم بها أنت يجب أن تفي بها، إذا رأيت بأنك محرج مثلا، حصل حرج معين فحاول أن تستقيل من الطرف الآخر، لا تحاول أن تخلف العهود، أو تنقض العقد من عندك أنت، حاول أنت من جانبك أن تقول: [يا خبير الالتزام الفلاني أصبح كذا وكذا ما رأيك لو...؟ يأتي تعديل فيه ممكن] فيما لو تلمس من طرف آخر في مواثيق مثلا فيما بين المسلمين وأعدائهم، تلمس من جانبهم أنهم ربما يفكرون في نقضه، أنت لا تقول: إذًا هم يفكرون في النقض أنا سأنقض، أنبذ إليهم على سواء، أعلن بأنه أنتم يبدو أنكم متجهين لنقض المواثيق إذًا انتهى، إذا لم تعودوا تريدون التزاما، إذاً [فالوجه أبيض] كما يقول الناس، انبذ إليهم على سواء، تريد قضية فيما بينك وبينهم تكون معروفة وتكون معلنة . الوفاء قضية هامة جدًا فيما بين المؤمنين مع بعضهم بعض، ووفق التزامات صحيحة يدخلون فيها . [الدرس الحادي والعشرين من صفحة [٣]]

الإبتعاد عن المواقف الشخصية

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة من الآية: ٢) في حالة كهذه، في أجواء قد يأتي من جانب، أو قد يلمس الناس في داخلهم من يتحرك بغضب ويبدو ماذا؟ موقف شخصي، أن لا يستثير الآخرين فيستثاروا له، بل يجب ماذا؟ أن يتعاونوا جميعا على البر والتقوى، ومهما كان يهدئونه، يقولون: هذا لا يمكن، مثلا، قد تحصل هذه، قد يحصل من داخل الناس من مثلا لا يمسك أعصابه فيستثار غضبا ، غضبا هكذا ، يبدو وكأنه موقف شخصي، لا، يجب أن يكون الناس من أجل أن يلتزموا، من أجل أن يراعوا الحرم، من أجل أن لا ينتهكوا الحرمات، أن يتعاونوا فيما بينهم على تهدئة بعضهم بعض، لا أن يسمحوا بأن يستثار الناس من قبل من قد يكون أعصابهم تستثار، ويبدو وكأنه موقف شخص .

{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى} عبارة شاملة هذه، عبارة شاملة؛ لأن التقوى بأن يكون الناس متقين يحتاج إلى تعاون، قد يأتي التعاون مثلا في مجال معين من باب التواصي، من باب أن يردوا عليه أن [ما هو وقت، ولا يمكن] وأشياء من هذه، أو ما القضية إليك أنت، أو لأي اعتبار كان، أو يكون أن الناس بحاجة دائما إلى تعاون فيما بينهم؛ ليصبحوا متقين، وتكون أعمالهم أعمال بر. {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، أحيانا الاستفزازات قد تؤدي إلى أن طرفا معينا يستثار ولا تدري واستثيروا آخرين معه وانطلقوا، وقد تكون القضية تعاون فيما بينهم على إثم وعدوان، فهذا منهي عنه.

{وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة من الآية: ٢) صدَّر السورة هذه بضرورة إلتزام الناس بأن يفوا بالعقود فيما بينهم، فبالأولى ما هو من جهة الله إلزاما لهم {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ} (المائدة من الآية: ٧) هذا يعتبر ميثاقاً من جهة الله، إذا أنت ترى بأن الله سبحانه وتعالى يلزم الناس فيما بينهم بالوفاء بالعهود القائمة فيما بينهم، فبالأولى يجب أن يلتزموا بالعهود التي تقدم من عنده التي تعتبر ميثاقا من جهته سبحانه وتعالى عهدًا من جهته سبحانه وتعالى

عهد به إلى الناس . [الدرس الحادي والعشرين من دروس رمضان صفحة [٤]]

كونوا قوامين لله وفي سبيله

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة: من الآية٨) يؤكد ما يأتي في الآيات الأخرى دائماً: في سبيل الله، في سبيل الله ، في سبيل الله ؛ ليبعد الإنسان عن ماذا؟ العداوة الشخصية، هذه التي تعنيه كلمة شنآن {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} يجب أن تكونوا قوامين لله، من أجله وفي سبيله، شهداء {شُهَدَاءَ لِلّهِ} بالقسط، شهداء بالقسط لله، هنا لله، في المقدمة قوامين لله، يعني: في سبيله ليبعدنا عن ماذا؟ عن أي مشاعر شخصية في عداواتنا للآخرين، ألم يركز هنا على أن يقول: لله في المقدمة، قوامين لله، من أجله {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} ابتعدوا عن ماذا؟ عن أشياء شخصية تحملكم، عن مواقف شخصية لديكم حتى وإن كان من الطرف الآخر ما هو مثير يجب أن يكون الموقف كله في إطار لله، معناه هو نفس المعنى الأول {قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ} (النساء من الآية: ١٣٥) إنما هنا تذكير بسرعة في قضية لله، لله ، ليبعدنا عن هذه، عن عداوات شخصية، عن موقف شخصي، وأشياء من هذه .

أعتقد أنه قد يكون ـ مثلما نقول ـ هضم للآية عندما يأتون دائماً يربطونها بالشهادة، أي: معناها أن تشهد لله في قضية معينة، هذه واحدة، نوع أو مظهر من مظاهر إقامة القسط، أن تؤدي الشهادة، لكن المسئولية كبيرة، القسط معناه: الدين بكله في الأخير، إقامة دين الله ، إقامة دين الله هو ما تعنيه كلمة إقامة القسط، إنما ليكن من أجل الله وفي سبيل الله، ولتفهم بأن القضية أيضاً أنها شهادة بأن هذا قسط، وأن الله هو قائم بالقسط؛ لأنك تطبق أحكامه ، تطبق توجيهاته، تعمل بهداه .

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} لاحظ أليست آية واحدة ؟ آية واحدة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ماذا يعني كلمة تقوى؟ تقوى الله يعني: هذا أقرب لك إلى أن تكون ملتزماً فعلا أنت، وأقرب للتقوى ولو بالنسبة للطرف الآخر، قضية هامة جداً جداً، أن يكون المسلمون بالشكل الذي يقدمون نموذجا صادقا عن دينهم للتأثير على الآخرين، عندما يتأثر الآخرون ستراهم وأنت متجه إليهم سيرحبون بك، الست تجد الآن العرب يرحبون بأمريكا كشعوب على أساس قد عندها أنها ستأتي لتقيم حرية وعدل، وهم يعيشون في ظل وضعية سيئة، ما قد عند معظمهم ـ تقريباً ـ شبه ترحيب؟ .

فافهم بأنك عندما تقدم الإسلام، وتلتزم به أنت ستكفي الأمة هذه أشياء كثيرة جداً من العناء في سبيل المواجهة مع الآخرين، تتجه إلى الآخرين ويكونون متقبلين لك؛ لأنه ليس هناك قسط في الدنيا إلا عندك أنت، عندما تبرز الأمة كنموذج فعلاً يقدم نموذجا صادقا عن الإسلام، وإقامة القسط، وهم يعيشون في ظل وضع متخلف من الناحية النفسية، من الناحية الروحية، وفي ظل وضع ـ أيضاً ـ قهر، في حالة صراع، حتى عندما يقول لك: ديمقراطية، هي صراع أساسا أليست صراعاً بين فئات وأحزاب؟ وفعلا هي صراع يصبح ضحيته ملايين الملايين من ماذا؟ من أموال الناس، ومن جهودهم، وعداوات كبيرة تأتي بينهم .

فهو يمثل، إقامة القسط ـ بالنسب للناس ـ يمثل وقاية أي: ستقبل على أمة ترحب بك، إنما فقط عندما لا يسافر أحد الغرب ربما، أو مثلا لا نرى في التلفزيون إلا أشياء تمثل نموذج فقط ، هناك فقراء ومضطهدين بشكل كبير داخل أمريكا وداخل أوربا وداخل البلدان كلها، هؤلاء عندما يجدون أمة تكون محط أمل لهم، هم من سيكونون في الأخير سنداً لتلك الحكومات الطاغية لديهم، أو لا يكون عندهم أي رغبة أن يتفاعلوا مع حكوماتهم، ويرحبون بالمسلمين، أليس هنا ستكون الحرب سهلة؟ فعلا تصبح سهلة مثلما الأمريكيون يطمحون بأن الدخول إلى المنطقة سيكون سهلاً ؛ لأن الشعوب ترحب بهم، عندهم الفكرة هذه، لكن ناقصة جداً عما قدمه الإسلام، ولهذا عندما يقول: {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ} هنا أيضاً أمر آخر بالتقوى بكل ما تعنيه الكلمة، وفي نفس الوقت {وَاتَّقُواْ اللّهَ} لا تُخِلّوا، هنا يوجد قضية هامة يقدمها باهتمام كبير {وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} هو خبير بأثره،

خبير بأهميته، وخبير بأعمالكم عندما تقصرون، حينما تصبحون بعيدين عن التقوى، قد يضربون فعلاً.
يعني موضوع إقامة القسط خاصة في كثير من القضايا التي تقدم الإسلام هذا نفسه نموذجًا عظيمًا وراقيا عند الأمم الأخرى، بل نحن الآن بحاجة داخل المسلمين خلي عنك خارج فعلاً، الناس بحاجة إلى أن يقدموا الإسلام بشكل جذاب فعلا داخل المسلمين أنفسهم، خلي عنك الغربيين، أو الشرقيين .
إذًا لاحظ أن المسألة هامة جدًا جدًا، بعد الكلام عن الوضوء، أليست قضية كبيرة جدًا؟ هذا هو المنهج الصحيح، هناك أبواب باب بعد باب، وفقه على طول هناك، هناك، يضيعون عمرك، ويضيعون اهتماماتك، وتصبح رؤيتك قاصرة تماماً.

أهمية المبدأية في الصراع مع الآخر

{وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (المائدة: ٩) أليس هذا شبيه بتلك المسألة {كِفْلَيْنِ} مغفرة وأجر عظيم؟ هذه من الأشياء التي لا يستطيع أحد أن يصل إليها على الإطلاق من أي أنظمة أخرى، من أي ثقافات أخرى، أن يقدم تربية للإنسان على هذا النحو الذي يقدمه القرآن نهائيا، لا يستطيع على الإطلاق، يقدم لك تربية تكون قوياً شديداً، أعزة على الكافرين إلى الدرجة التي تجعل قوتك محط جاذبية للآخرين، أي ليست قوتك وشدة بأسك وفتكك بالشكل الذي يثير الآخر عليك، ما تحصل بهذا، قدمها بطريقة متكاملة عجيبة جداً، هنا يأتي وفاء، التزام بالمبادئ في الصراع مع الآخر، وشدة بأس .
فالأمة التي تكون على هذا النحو ستتقدم بهذا الدين، وبهذا القسط الذي هو من عند الله شهادة للآخرين ينجذبون، حينئذ سيرى الطرف الآخر أمامه أمة وفية، ملتزمة، مبدئية، قوية جدًا، تشكل أملاً، هو لن يقول: أمة ليست شيئا، وضعيفة. لماذا الآن الكثير من العرب قد يكونون ينظرون إلى أمريكا كأمل تحررهم من حكومات عانوا منها، أليس هذا حاصل على ما كنا نسمع فعلاً داخل عراقيين أو سوريين أو سعوديين لماذا؟ لأنهم يعتبرون أمريكا قوية، يقول: فعلاً قوية تضرب ولو فيها عدوان لكن عندهم إذا قد هي ستخلصهم، أليسوا هنا قد صاروا يعتبرونها محط أمل لكونها قوية؟ إذًا هنا قوة، القوة في الإسلام قدمت لها جاذبيتها، القوة عند أمة ملتزمة وفية، قيم عالية، وفي نفس الوقت تشكل أملاً لتحرير الآخرين من الظلم، من الاضطهاد في أي بلد من البلدان، في الأخير سينجذبون إليها، سينجذبون إليها حتى ربما قد يكون من هم في الميدان، وهذا حصل عند العرب أنفسهم ، ألم يحصل؟ في الأخير يراجع حساباته هو ، لماذا هو يدخل في عناء كبير مع أمة هي على هذا النحو فتاكة جدًا.
لاحظ كيف في معركة بدر الله يقول لهم : {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال من الآية: ١٢) وعندما أخذوا منهم أسرى ما كان ينبغي {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ} (الأنفال من الآية: ٦٧) الطرف الآخر في الأخير يراجع حساباته هو لماذا يدخل في مواجهة قوية شرسة مع ناس هم أمة ملتزمة، أمة وفية أمة هكذا يعرف عنها صورة جميلة جدًا، ويرجع إلى مجتمعه ويرجع إلى معتقداته وإذا هي كلها ليست بالشكل الذي تجعله يضحي من أجلها، في الأخير ينجذب إليهم .
هنا تكون قوة المسلمين بالشكل الذي تقدم أملاً للآخرين، وفي نفس الوقت حتى منهم في الميدان سيراجع حساباته، من هم الذين أسلموا بعد في الجزيرة؟ منهم؟ أليسوا هم الذين كانوا يصارعون في الميدان فعلا في بدر وفي أحد، هم الذين أسلموا في الأخير، هو يريد يقاتل، وهو يرى ناس أقوياء، لاحظ الروم أنفسهم ألم يتراجعوا في تبوك؟ حركة، حركة ناس يبدو شديدين، وعندهم قيادة عالية جدًا، وكان قد سبق في [مؤتة] قتال فيما بين الروم بين المسلمين ولم يكن المسلمون تقريبا إلا ثلاثة آلاف أو أقل، لكن هناك قيادة، عندهم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وبعده عبد الله بن رواحة، حصل قتال قوي جداً، هنا راجع الروم حساباتهم، ألم يراجعوا حساباتهم؟ قرروا أن لا يدخلوا في مواجهة.
هكذا تجد بشكل عام تربية القرآن، كيف يقول للناس أن يكونوا قوامين بالقسط، ويربيهم كيف يكونون في

مواجهة الآخرين وكل ما يقدم صورة عن الآخرين دائما يرجع إلى مسألة: لا تتأثر نفسيتك أنت، يكون لك مواقف شخصية، اترك عداءك لله؛ لأن هذه القضية خطيرة جدا، خطير جدا في مجال إقامة القسط، المواقف الشخصية، وستفقدك جاذبية تقيك الصراع، تقيك فعلاً، جاذبية عند الآخر تقيك أن يكون منشداً وقوياً في صراعك؛ ولهذا ربطها دائما في سبيل الله، في سبيل الله، ولله، شهداء لله، وهكذا، لو تنطلق بعنوان وطنية ألست ستفقد كل هذه العناوين الهامة؟ لأنك عندما تقول من منطلق قومية عربية مثلا، أو قومية يمنية، أو قومية مصرية، أو نحوها، هل يمكن أنك تشد الآخرين إلى أن يكونوا يمنيين؟ هل يمكن أن تدعوهم إلى أن يكونوا يمنيين؟ أو يكونوا مصريين؟ هنا يأتي في بعض الآيات، أليس هو يأتي ـ أيضاً ـ بدعوة، دعوة لهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله، وبالكتاب الذي أنزل على رسوله، أليس هو يأتي أيضا بدعوة للآخرين أنفسهم؟ هل يمكن وأنت عنوانك وطنية معينة، قومية معينة أن تقدم أشياء من هذه؟ تفقد أشياء كثيرة جدا قد يكون في مقدمتها التأييد الإلهي بكله ، الآخر يراك أنك قومية تواجه قومية، جنس يواجه جنس، لون يواجه لون، إقليم يواجه إقليم، هناك سينشد ، سينشد هناك، ويقاتل باعتبار أنك يمكن تريد أن تحتله، لكن هنا القرآن يذوّب هذه المسألة تماما، مسألة الإقليمية، مسألة القومية، مسألة وطنية، يجعلها كلها لله، والإسلام هو لله، وقابل للكل، وهو جذّاب فعلا عند الكل فيما لو قدم، وحصل من يكونون فعلا شهداء لله، كما في الآية هذه، يقدمونه بجاذبية عالية .

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (المائدة:١٠) ولاحظ في نفس الوقت أنه يقدم للمسلمين أنه يجب أن يكون عندهم التزامات بمبادئ معينة في صراعهم، تبدأ من داخل أنفسهم، أن لا يكون عندهم تصور بأن هذا قد يتيح للعدو فرصاً، وأنه قد يؤدي إلى ضياع فرص، وأشياء من هذه، أبداً لا تحصل هذه، الله هو رقيب على الجميع، لا تتصور بأنه شيء أمرك الله به يعتبر إضاعة فرصة لك، والأفضل أن تكون هكذا [متلون متقلب] تغدر وتمكر وتخون؛ من أجل تتمكن من عدوك، في الأخير لا تنجح، فعلاً لا تنجح بالطريقة هذه، ولو رأيت أنك نجحت في مرة أو مرتين، فعندما تلتزم فعلا بالمبدئية التي قدمها القرآن الكريم، حتى لو عندك يمكن أنه ربما قد يكون هذا بالشكل الذي يتيح فرصة للآخر، أبدًا لا يحصل هذا {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال: ٦٢) ألم يقل هكذا في آية أخرى؟، {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال من الآية: ٧١) .

هذا لن يحصل، الشيء الذي قد يكون في الصراع، وقد مر في الحديث حول الأشهر لحرم أو {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ} (البقرة من الآية:١٩٤) هذا أيضاً تعتبره دليلاً على أنه عندما يكون هناك التزامات معينة ـ لكن عندما تكون قائمة على أسس صحيحة ـ وأنت في ميدان المواجهة، فئات لا تقتلها، أصحاب سن معين مثلا لا تقتلهم، أشياء معينة لا تقربها، لا تقل: إذًا ماذا بقي لي! فلا نستطيع أن نضرب العدو نهائيا ، وقد يتمكن العدو من أن يعمل كذا، أحسن نضربه بطريقة معينة؛ من أجل لا يتمكن .

إفهم بأن التزامك بمبادئ الدين في ميدان المواجهة لن يضيعك الله أبدًا {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}، {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ} ماذا يعني؟ هو سيكفيك لا تخف ، لا تخف إلا من ماذا؟ من أن لا تلتزم بهذه المبادئ في ميدان المواجهة؛ لأنها مبادئ مهمة ، مهمة في التأثير في نفسية العدو، قد تكون أخطاء مثلا عندما يكون الطرف الذي يمثل المؤمنين ليس طرفا بمستوى أن يكون جديراً بأن يمثلهم فعلا في موضوع مثلا إما دخول في هدنة، أو ميثاق، أو أي شيء معين ، أما هذا فيجلب فعلا شراً، مثلما كان تعمل إسرائيل مع العرب، أليسوا يتقاتلون فترة ثم يدخلون في هدنة؛ لأن مسألة الهدنة، مسألة ميثاق، هذه الأشياء تقيّم ، وتقيم على اعتبارات متعددة، ومن جهة خاصة جديرة بأن تمثل المسلمين فعلاً عندما لم يكونوا جديرين بتمثيل الأمة هذه، أصبحت تلك الهدن كلها لصالح العدو فعلا، هنا يلمح إلى هذه، وكما هو أسلوب القرآن الكريم، قد لا يكرر الشيء دائما، دائما بطريقة موسعة، يشير لك إلى الموضوع.

هو يقول هنا: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (المائدة:١٠) هنا يقول لك الطرف الآخر الذي

قد تفكر أمامه عندما يقول لك: {لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} ثم تجلس تفكر في الطرف الآخر، هو قول لك: الطرف الآخر أمامنا، ننظر إليه، نراقبه، هم أصحاب الجحيم، أصحاب الجحيم يعني ماذا؟ هم خاسرين هنا، إذا ذكر لك بأنهم من أصحاب الجحيم فاعرف بأن تدبيره معهم هنا تدبير يقوم على أن لا ينجحوا، على أن يخسروا .

ثم جاء بمثال واضح {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} (المائدة من الآية: ١١) فلا تقول: نحن عندما نلتزم قد نعطي فرصة للعدو، وقد..وقد يتمكن ثم ..إلى آخره، الله يقول هنا: {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} من حيث لا تشعرون، وفي وقت ما قد دخلتم في التزامات قائمة على أساس توجيهه مع آخرين، فإذا هو كف أيديهم عنكم من حيث لا تشعرون ألن يكف أيديهم عنكم؟ ألن يكونوا هم الخاسرين ، ألن يحبط كيدهم عندما يفكرون أن يستغلوا فرصة معينة؟ ، بل ربما قد يدفعون إلى أن يظهروا في الصورة ناقضين مثلا، مثلما تعامل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معهم؟ ما كان أحيانا ما تدري ونقضوا هم من هناك، ينبذ إليهم على سواء ويضربهم، لكن العرب عندما كانوا يدخلون في هدن، كانوا يدخلون في هدنة لم تقم على أساس تقييم صحيح، ثم في نفس الوقت لا يهتمون ببناء أنفسهم كما يهتم العدو ببناء نفسه، ينخدعون به وهو شغال يبني نفسه وبدا عليهم من جديد وضربهم، ولا قيادات جديرة فعلا بكثير من الأشياء هذه التي وعد الله بها المؤمنين ، لأنه قد يكون بعضهم لا يختلفون فعلا عن قيادات العدو، هل هذا محط تأييد إلهي؟ وبعضهم لا يختلف عن شارون.

لاحظ كيف الآية هذه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} لأن تذكر نعم الله لها أثر مستمر، وأثر هام في كل الظروف، وفي كل الوضعيات {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} لكن المؤمنون بما تعنيه الكلمة، والمؤمنون الذين بنيانهم بنيان صحيح، على أساس قرآني، تجد الآية هذه أيضاً فيما يتعلق بنسف كثير من المفاهيم التي تقعد الناس، أو الرؤى القاصرة التي تؤدي بالناس إلى أن يقعدوا، أنها كلها ناتجة عن ضعف ثقة بالله سبحانه وتعالى، هو هنا يقول للمؤمنين: {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ}؛ لأن الله هو مسيطر ورقيب ومهيمن على كل الناس، على نفوس وقلوب أوليائه وجنده، ونفوس أعدائه.

وفي الوقت الذي يقدم وعوداً عندما يقول: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} (الحج من الآية: ٤٠) يقدم أمثلة عملية وقعت فعلا {هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} هذه تنسف الشعور الذي هو حاصل عند الناس، نقول: العدو.. قال العدو إذا كذا.. فيمكن يضربنا، لا تعملوا كذا، لأنه يمكن يضربنا ضربة قاضية!!.

لا، إذا الناس يتحركون على أساس دين الله، على أساس هدي الله ، ويثقون بالله وثوقا عمليا، ويبتنون على أساس قرآني، فهذه هي سنة الله أن ينصر أولياءه، وأن يكف أشياء كثيرة من جانب العدو قد لا يكون في طاقتك أنت، ولا إمكانياتك ـ سواء معدات عسكرية، أو إمكانيات أخرى ـ أن تدفعه، هو يكف يده عنك {وَاتَّقُوا اللَّهَ} لا يكون من عند الإنسان تقصير يقصر، يتراجع، يقعد؛ لأنه يرى العدو كبيراً، ربما يحصل، وربما يضربنا، وأحسن نحافظ على أنفسنا، أحسن نتحول إلى دعوة، دعوة هكذا نحافظ على الدين بشكل دعوة، لا ننطلق بهذا الشكل فيضربونا فيقضوا على الإسلام، هذه رؤى قاصرة كلها، الله يقول: {وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} .

[الدرس الحادي والعشرين من صفحة [١٣ ــ ١٧]]

يجب أن تلحظ وضعيات الناس في خطابك

معنى هذا أنت أيضاً في عملك عندما تكون أنت تعمل يجب أن تلحظ وضعيات الناس بشكل عام لا يكن خطابك مرهقاً وتريد من الناس نقلة في يوم وليلة من حالة إلى حالة راقية تريد من الناس في حالة منحطة ولو نسبياً، يصبحون إلى نفسيات مالك الأشتر وعمار بن ياسر وأمثالهم ، أي أن هذه فكرة قائمة أنك تراعي التنقل بالناس وأن تعرف أن الدين نفسه في موضوع نصره وإعلاء كلمته يتقبل ، أعني: ممكن أنت تشغل هذه الفئة وهذه الفئة وهذه الفئة وكل ناس تقدر وضعيتهم، ليس معناه تؤقلم الدين معهم، يوجد فارق كبير بين هذا وبين التأقلم، ليس معناه تؤقلم الدين مع مصلحتك، اعرف وضعيتك العامة، الوضعية العامة تخلق نفسيات تخلق حالة نفسية في أن تنتقل بالناس قليلاً قليلاً تربوياً وتوجه من هذه أنك تعرض عليهم كيف ينبغي أن يكونوا، هذه واحدة، ليس معناه أنك ستسكت لا تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا أن تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا لكن في مجال عملي لا ترهقهم بالشكل الذي قد لا يصلون إليه، قليلاً قليلاً، تنتقل معهم قليلاً قليلاً في حالة، الحالات تختلف أعني: وضعية الناس، وضعية القبل، وضعية الشعوب، وضعية، أعني أيضاً القضايا التي تقدمها تختلف منها ما تحتاج إلى أن تكون على هذا النحو بنسبة كبيرة ومنها ما يمكن أن تكون عادية ينطلقون فيها.

بعض الناس مثلاً قد يذهب إلى منطقة ويرى أهلها لم يرضوا يسمعوا ولم يرضوا يتحولوا تماماً بسرعة إلى ملائكة إلى نوعيات عالية، يوجد عدة اعتبارات، أنت لا تيئس معهم لاحظ موسى نفسه، كيف عمل موسى، أليس هو عندما رفضوا أن يدخلوا القرية تلك وبعد موضوع العجل هذا وجههم إلى أن يتوبوا توبة، هي كانت توبة تظهر ندماً كبيراً، وفي نفس الوقت عندما قال ادخلوا المدينة لم يرضوا يدخلوا المدينة أو القرية، التي كتب الله لكم، ثم كتب الله عليهم أن يتيهوا، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم أعني هو يعرف نفسيات أصحابه هم نفس الجيل الذي خرج مثلما يقولون، فعلاً أنه نفس الجيل الذي خرج من مصر ما زالوا هم هؤلاء نفس الجيل هذا لو لم يكن إلا على أقل تقدير يفرح بالجيل الذي سيصعد منهم يكون هذا الجيل على أقل تقدير ما يكون بالشكل الذي يثبط الجيل الذي ينهض، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم هو في التيه في صحراء سيناء ومات هناك ، قالوا موسى معهم لم يظهر أنه قال يذهبون وهو جلس. لا.

ماذا يعني هذا، هل معناه التأقلم مع فاسقين؟ مع أن الله قال أنهم فاسقين {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة:٢٦) هذا موسى ذهب معهم وجلس هناك {فاسقين} خارجين عن الطريقة نفس الإعتبارات قليلاً قليلاً، ليحاول معهم يحاول معهم في بقائهم في التيه فترة طويلة عسى أن لو لم يكن إلا أن يصبحوا أرضية على أقل تقدير قابلة لجيل ينهض متكامل أو على مستوى جيد.

[الدرس الرابع من دروس رمضان من الصفحة [١٨ ــ ١٩]]

كيف تقاتل عدوك دون أن تحقد عليه

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٦٢) أن تأتي هذه الآية بعد الكلام المتكرر عن فئة من الناس حتى أنه تبدو القضية وكأنه موقف شخصي، حتى لا يحصل هذا الشعور وكأنه موقف شخصي من هذا الجنس، لا. {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) وإلا فالقضية في أصلها وواقعها: أن القضية ليست قومية ولا مواقف من فئات لكونها الفئة الفلانية أو اسمها كذا، لا.

موضوع رحمة الله مفتوح {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) من اتجه هذا الإتجاه سواء كان أصله من الذين هادوا أو من النصارى أو من الصابئين أو من أي فئة كان {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

يَحْزَنُونَ} ماذا نفهم من الآية هذه في خلاصتها؟ أن تعرف أن هذا الحديث ما كأنه حديث عن جنس من البشر يكونون هكذا كموقف شخصي منهم بل هم لو استقاموا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هذه الحالة هامة جداً بالنسبة للمؤمنين قضية هامة جداً، أحياناً عندما تتحول القضية عندك إلى شخصية يكون لها آثار سلبية في موقفك، آثار سلبية في قراراتك فعلاً .

هناك عبارة جميلة رأيتها في [فيلم] ولم أرها لحد الآن في أي مصدر من المصادر عن مالك الأشتر قال: [إن علياً علمني كيف أقاتل العدو دون أن أحقد عليه] أليست هكذا العبارة؟ أي المجال بالشكل الذي أنت موقفك من الآخر ليس موقفاً شخصياً بما تعنيه الكلمة؛ إنما لِما هو عليه.

عندما تكون على هذا النحو وأنت أيضاً تحمل في نفس الوقت حرصاً على أن يهتدي معناه هنا أن الموضوع عندك مقبول بأنه يتحول، إذا أصبحت القضية عندك موقفاً شخصياً تأتي أحياناً ولو قد أراد أن يتحول أن تصده تصبح أنت تعمل عكس ما أنت تتحرك فيه تصبح صادّا عن سبيل الله عندما تنطلق انطلاقة شخصية؛ ولهذا ترى من الأشياء العجيبة في مسيرة أنبياء الله كيف كانت، كيف كان يقول لهم قومهم أنه لازم يعودون في ملتهم يرجعون معهم! يقولون: لا يمكن أبداً، إلا أن يشاء الله، أليسوا يقولون العبارة هذه؟ يعني: أنا ممكن أعود في هذا لكن بالشكل الذي يشاء الله... ليس معناه موقفاً شخصياً منها موقفاً شخصياً، لا، القضية هكذا: المسألة الله لا يريد أبداً لو شاء هو ممكن أدخل معكم في هذا، هذا أيضاً يعطي جاذبية بالنسبة للطرف الآخر.

الموقف الشخصي أحياناً تتبنى مواقف شخصية بحتة تتحول المسألة إلى صراع شخصي لم يعد صراعا من أجل دين الله من أجل ما ذلك الشخص، الطرف عليه، هنا يقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} (البقرة: من الآية٦٢) أليس هنا يسردهم في مقام واحد هؤلاء الذين قد أصبحوا محسوبين على هذا الدين يعني ماذا؟ يؤمنون بالله وبرسوله وبالقرآن قد أصبحوا هكذا، {وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) ليس معناها مع ماذا؟ مع كفره بالقرآن وكفره بالرسول؛ لأن هذه لا تتأتى أي هي لا تحصل، ما هي حاصل عندما تفهم ماذا يعني الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر الإيمان بالله ما هو؛ لأن الإيمان بالله ليس مجرد عقيدة فقط الإيمان بالله ليس فقط مجرد عقيدة، من إيمانك بالله أن تؤمن بأنه هو إلهك وملكك وربك أنك عبد له تسلم نفسك له تطيعه هو يريد منك أن تكون كذا، هذا الإيمان.

أما نفس إيمان بالله كإله هو حاصل عندهم من قبل، الإيمان بالله كإله حاصل عندهم وعند المشركين الإيمان بالله إله ورباً هكذا مجرد اعتقاد معين، لكن، لا. ترى كيف الإيمان بالله يأتي في القرآن الكريم وكلها عملية، أن أكون مؤمناً بالله مقتضى إيماني بالله أن أكون مسلماً له بمعنى أني مؤمن بأنه إلهي وربي وملكي وسيدي، في نفس الوقت أسلم لأمره وهذا هو ماذا؟ الإيمان الصحيح والإيمان الذي لا يقبل إلا هو، هذا الإيمان .

عندما يقول: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) هل يمكن تتصور إلى أن معناها لم أعد بحاجة أن أؤمن بمحمد ولا أؤمن بالقرآن؟ في أول الآيات هو قال: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) ألم يقل لهم هكذا؟ ليس معناه بأن الله سبحانه وتعالى هو يريد إذا قد اليهودي يعمل أعمالاً صالحة والنصراني يعمل أعمالاً صالحة والمجوسي والصابئي ، أهم شيء أن يكون الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع ، لا. بعضهم يقولون هكذا: [المطلوب فقط هو أن تكون أنت عضواً صالحاً في المجتمع اليهودي يهودي والنصراني نصراني من عمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟] لا. ليست القضية بهذا الشكل ولا يصح أن تفهمها بالشكل هذا وأنت تجد الآيات الكثيرة والخطاب الموجه لهم هم في [سورة البقرة] و[سورة آل عمران] وفي [سورة النساء] يؤمنون هم بما أنزل{وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) {وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) كيف قدم الإيمان به؟ ألم يجعل الإيمان برسوله والإيمان بكتابه جزء من الإيمان به؟.

{فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: من الآية٦٢) لكن يستفاد منها هذا المعنى السابق الذي ذكرنا لأنه جاءت بعد كلام هنا: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ} (البقرة: من الآية٦١) ليس معناه أنه في الأخير يقول واحد: [اترك هؤلاء]! يصبح له موقفاً شخصياً لا. قضايا ليست

شخصية على الإطلاق، في صراعك مع أعداء الله يجب أن لا تجعله صراعا شخصيا قاتله على أرقى مستوى، قاتله وتكون من أولي بأس شديد في الله ولله، وتتمنى أنه لو يهتدي ومقبول لو يهتدي، هذه قضية أعني: في التربية القرآنية يصل الإنسان إلى هذه: يكون شديداً على أعداء الله وفي نفس الوقت لا ينطلق من مواقف شخصية لديه هو، وفي نفس الوقت مقبول إذا أراد أن يسلم حيّاه الله يسلم ويؤمن طبيعي، هذه القضية هامة من الناحية التربوية، هي خلاف الذي يطرحونه [القبول بالآخر] يريدون القبول بالآخر على ما هو عليه! أبداً لا تقبل هذا الآخر على ما هو عليه أبداً، تقف في وجهه تحاربه تتصارع معه لكن إذا رجع، إذا دخل فيما أنت فيه وآمن بهذا القرآن وبالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وأصبح من المسلمين، هنا قد له ما لك وعليه ما عليك. [نفس الدرس صفحة [٢٣ ـ ٢٥]]

رؤية القرآن في التعامل مع العدو

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:٦٣) لاحظ هنا استكمال للموضوع السابق، ألم تأت أخبار أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يأتيه بعض الناس وفود من بعض المشركين، كان يأتيه وفد يستقبلهم؟ مثلاً شخص أو شخصين أو مجموعة يأتون يريدون أن يعرفوا هذا الموضوع هل يقول: هؤلاء مشركين يبعدهم عنه يخرجهم لأنهم مشركون؟! لا ، عارف مهمته، هو مهمته ماذا؟ هو أن هؤلاء جاءوا يفدون على أساس أنهم يريدون أن يعرفوا، ما زالوا مشركين، البعض منهم يصل وهو لا يزال مشركاً لا يسلم إلا بعد أن يتحدث معه ويفهمه ويوجهه، يستقبلهم بالشكل الذي هو طبيعي فيما بين الناس عند العرب أعني: كالقضايا المعروفة مثل المعروف والكرم والأشياء المعروفة في تقاليد العرب، يستقبلهم ويتحدث معهم لا يظهر في نفس الوقت أنه كاره وغاضب وزاعل منهم هم، هم كأشخاص طبيعي ويوجههم لكن هؤلاء الذين يوجههم إذا لم يرضوا يقبلوا سيقاتلهم على أعلى مستوى، وبأشد قتال يقاتلهم، يستقبلهم ويفهمهم ويوجههم ليسلموا؛ لهذا نقول: أن الناس لابد أن يكونوا يفهمون كيف الرؤية من العدو كيفما كان العدو، عدو من الداخل من داخل صفوف الناس عدو بشكل مشرك أو يهودي أو نصراني .

التربية القرآنية هي تجعله على أعلى مستوى في مواقفه من العدو{أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} (الاسراء: من الآية٥) {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآية١٢) كن غاضباً عليهم كارهاً لهم شديد الحنق عليهم لكن لماذا؟ لما هم عليه، لا يسمح لنفسه أن تترسخ القضية لديه حتى تصبح موقفاً شخصياً أو حالة نفسية شخصية، هذا في الأخير يكون لها سلبيات كبيرة منها هذه: أنه أحياناً لم يعد لديك رغبة أن يصلح قد أنت كاره له هو، هو شخصياً لم يعد لديك رغبة أن يصلح نهائياً ولا لديك رغبة أن يهتدي ولو قد أراد أن يهتدي فإنك ستحاول تعرقله حتى لا يهتدي وفي الأخير ستكون تصد أنت عن سبيل الله، فعلاً هذه قد تصل وتصل أحياناً قبل أن يكون الناس أمام يهود أو نصارى أو كفار آخرين أحياناً في مواقف داخلية فيما بين الناس، وهذه من أهم الإيجابيات فيما يتعلق بنفسيات المؤمنين بالنسبة للطرف الآخر يرون المؤمنين أناساً أقوياء وشديدين لكن في نفس الوقت يرى بأنه بإمكانه أن يدخل فيما هم فيه ويصبح طبيعيا وعاديا، له ما لهم وعليه ما عليهم لا يرى حاجزاً ما قد قام حاجز من مواقف شخصية عندما تكون القضية على هذا النحو، هذه تجعل الناس ملتزمين هم مثلاً بمبادئ المواقف من الطرف الآخر .

ألم يقل هناك: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: من الآية٨) ؟ في نفس الوقت في حالة القتال مثلاً في حالة المواجهة يمكن للمؤمنين أن يكونوا ملتزمين بمبادئ القتال وفيّين في مواثيقهم إذا دخلوا في مواثيق في هدنة وفيّين لا يحصل منهم نكث، في نفس الوقت يلتزمون بالآداب مثلا لا يقتلون شيبة لا يقتلون طفلاً، أليس هكذا كان يحصل في توجيهات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) للمسلمين؟ سيقاتل الرجل في ذلك الميدان قتالاً شرساً لكن بالنسبة لامرأته وطفله لا يمكن يقتلهم، أبوه الشيبة الكبير الذي هو هناك لن يقتله ، المواقف الشخصية العداوة الشخصية تريد أن تقتله وتقتل أباه وتقتل أمه وأولاده وأي شيء له علاقة به.

إذاً تحافظ على أن يبقى الناس ملتزمين هم بآداب الصراع مع الآخر يكون هناك قيم لا يتجاوزها الناس يكون هناك

قيم يوجههم إليها لا يتجاوزونها، هي لها إيجابية لا تعتبر قيودا ولو ظهر في الصورة وكأنها قيود! لا. الله يقول ويوجه نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} (الأنفال: من الآية٥٨) لا تسلك طريقتهم أعني: خداع وغدر، تنبذ إليهم إذا أنت تلمس أنهم يريدون أن يخدعوك قل: الآن انتهى ما بيننا أنتم حصل منكم كذا وكذا، إذاً انتهى [الوجه أبيض] مثلما يقول الناس لم يعد بيننا شيء{ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} (الأنفال: من الآية٥٨) هنا قال: {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} (الأنفال: من الآية٦٢).

ولهذا القضية أساسية أن يفهم الناس بأن ليسوا هم، هم فقط يعملون ويتحركون ، هناك مبادئ يلتزمون بها في ميدان المواجهة مع العدو ولو بدت وكأنها ثقيلة وكأنها قيود، وكأن العدو قد يستغلها لا. بعض المبادئ لازم تقف عليها لا يمكن أنك تخاف أن العدو قد يمثل له إيجابية أو يستغله، الله يقول: {فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} (الأنفال: من الآية٦٢) وفي آية أخرى يقول: {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال: من الآية٧١) يكون عندهم استغلال للوضعية، يخادعونك، لا. في الأخير ترجع عليهم هم فيكون المؤمنون استطاعوا بأن يحافظوا على مبدئية مواقفهم وهي قضية مهمة بالنسبة للطرف الآخر .

من الأشياء التي تشد الناس إلى المؤمنين عندما يكونون أولي بأس شديد وعندما يكونون في نفس الوقت أوفياء مبدئيين الطرف الآخر يرى ضربات شديدة يراجع حساباته فيجد أمامه أمة ذات قيم ومبادئ وملتزمة تمثل نموذجاً عالياً عنده، يقول: إذاً لماذا أتحمل ضربات من هذا النوع على لا شيء وهي أمة عظيمة على هذا النحو فيكون هو قريب أن يدخل معهم ، لاحظ كيف تربية القرآن تأتي بالشكل الذي يكون لها إيجابية، حتى الشدة ، أليس هو يقول: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (الفتح: من الآية٢٩) أشداء على الكفار ألست تتصور بأن معناه يقابلون من هناك بشدة {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآية١٢) يقول: إذاً فمعناه سيزيدون أكثر ويتشددون أكثر، وأن يكونوا أولي بأس شديد فمعناه أن الآخر سيكون أيضاً زيادة.

هي تبدو توجيهات لا أحد يستطيع أن يوجه أمة من الأمم بهذه التوجيهات إلا ويحصل في الجانب الآخر سلبيات، أن يقول لأصحابه أن يكونوا أولي بأس شديد وفتاكين وأشياء من هذه إلا وتكون تربية تؤدي إلى أن الطرف الآخر يشتد أكثر ويقاوم أكثر، إلا التوجيهات الإلهية وتربية القرآن فتأتي على هذا النحو وتجدها في المقابل بالشكل الذي لها آثار إيجابية في الطرف الآخر، مما يمثل إيجابية في مقابلة الشدة في الموقف في ميدان القتال: المبدئية والوفاء، الآخر يعود يراجع حساباته ويرى أنه لماذا؟! في الأخير يقيّم مجتمعه ويقيّم هذا المجتمع يقيّم ما لديه من مبادئ وقيم يتلقى من أجلها ضربات شديدة وما الآخرون عليه، وفي الأخير يصبح موضوع القوة والشدة شيء يجذب الآخر فعلاً، في الأخير قد عنده رغبة أن يكون مع أمة على هذا النحو: قوية في مواقفها ثابتة في مواقفها مبدئية وفية ، قيم ، صدق ، أمانة ..إلى آخره.

تكون جذابة نفس هذه بينما الضعف في داخل المؤمنين يشكل خطورة ، الضعف أخيراً يعكس ما هم عليه ضعفهم في مواقفهم في نفس الوقت عدم مبدئيتهم والتزامهم يوجد حنقا عند الطرف الآخر بشكل كبير وفعلاً يظهر بأنه يأتي تخلي من جهة الله ؛ ولهذا يقول: أنتم عليكم أن تلتزموا بهذه المبادئ حتى لو بدت عندك بأنها قد تكون فرصة للعدو يستغلها .

هنا يقول: ما يزال الله هناك فوق الجميع {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال: من الآية٧١) {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال:٦٢) لم يكن يأتي عند المسلمين الأوائل أعني بناءً على ما كان يقدم لهم من تربية وتوجيه يكون فيهم قسوة على الكافرين والمشركين من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في حديثه ومن القرآن الكريم وفي نفس الوقت متى ما جاء مشركون طبيعي أن يروهم يدخلون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) واستقبلهم وجلس معهم يتحدث، هل كانوا يستغربون يقولون:[هؤلاء مشركين ألم تكن تقل عنهم أنهم أعداء الله وأنهم وأنهم كيف تتركهم يدخلون إلى عندك وهذا أنت جالس معهم تستقبلهم وبعضهم تفرش له عبايتك، أو تبعد الفراش من تحتك وتفرشه لهم] هل كان يحصل الحالة هذه؟ لا. كانوا يقولون: حيّا الله مَن جاء، ويستقبلونهم يسلمون، يسلمون ما لم فيمكن يعودون إلى أماكنهم وقد عندهم وفاء

بقضية بأنه لا يمكن أن يضربوه في نفس الوقت ـ لكن غداً ممكن يقاتلونه بشراسة في الميدان هذه تعتبر مبدأية عالية فعلاً .

إذاً عندما يكون الناس يواجهون يهوداً ونصارى وكلام عن يهود ونصارى ما يدري الناس إلا وجاء يهود يريدون أن يعرفوا ما الذي مع واحد؟ ما هي أطروحته؟ على أساس أنهم ماذا؟ ،أنهم يريدون أن يتفهموا ليهتدوا هل يمكن يقولون: [هه! والله يهود قالوا أنهم عند فلان! إذاً لماذا نحارب اليهود ونلعن اليهود والآن قد هم هؤلاء عنده] إنك لاحظ كيف كان يذهب مشركون كفار يذهبون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم ما زالوا مشركين بعضهم ما زالوا مشركين فعلاً يستقبلهم ويوجههم بعضهم يهتدي وبعضهم لا يهتدي، يتركه يرجع مع أن الأسلوب هو نفس الأسلوب في قضية تربوية ذات قيمة وذات ماذا؟ تترفع بالناس عن الحالة النفسية الشخصية التي تعتبر خطيرة ولها سلبيات كبيرة . [نفس الدرس الصفحة [٢٥-٢٧]]

دين الله عملي وليس مجرد توجيهات

هذه السورة [سورة النساء] ـ كما قلنا بالأمس ـ من أعظم سور القرآن الكريم، مليئة بالتوجيهات، مليئة بالتشريعات، وتناول فيها مختلف القضايا من داخل الأسرة إلى داخل صفوف الأعداء: مشركين، يهود، نصارى كيفما كانوا؛ ولأن دين الله سبحانه وتعالى هو دين يعتبر عملياً، دين عملي ليس فقط مجرد توجيهات؛ لأن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) قائماً بالقسط ليس فقط أن تقول: مفتياً أو مخبراً، {قَائِماً بِالْقِسْطِ} لأن هذا الدين هو دين للحياة فيجب أن تكون مسيرة الحياة قائمة على أساس توجيهاته وتشريعاته وهدايته؛ ولأن المؤمنين هم جنود الله، المؤمنون هم جنود الله ومعنى أنهم مؤمنون: أنهم مؤمنون بالله، مؤمنون بهداه، بتشريعاته، مؤمنون بما يريد أن يكونوا عليه، ما يريد منهم وكيف يفهمون هذا الدين أنه دين عملي فكما قال عن نفسه سبحانه: أنه قائم بالقسط كذلك أمر المؤمنين أن يكونوا أيضاً قائمين بالقسط: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) قوامين: تعملون لإقامة القسط، القسط عبارة شاملة: إنزال كل شيء في مكانه قد تكون هذه العبارة أشمل من كلمة عدل، أشمل من كلمة عدل، وإن كانت تفسر في كثير من المواضع هي تفسر بأن معنى القسط هو: العدل.

فهذا يعتبر أمراً صريحاً وأمراً يقدم في غاية الأهمية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) فيجب على المؤمنين في البداية: أن يفهموا بأن الطرف ـ في هذه الأرض ـ المعني بإقامة القسط هم المؤمنون لا يكونون منتظرين أن هناك أطرافاً أخرى هي التي تقوم بالقسط، منتظرين لأمريكا لتقيم القسط، أو منتظرين لإسرائيل، أو لأوربا، أو لأي أطراف أخرى !! إقامة القسط مسئولية ملقاة على عاتق المؤمنين والتفريط فيها يؤدي إلى عواقب سيئة جداً على المؤمنين .

{شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} (النساء: من الآية١٣٥) فإن إقامة القسط على أيدي المؤمنين هو يمثل شهادة لله سبحانه وتعالى بأنه قائم بالقسط قال سابقاً: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) لأن إقامة المؤمنين للقسط إنما يعني ماذا؟ إنزال تشريعه، تطبيق تشريعه، تطبيق توجيهاته، تطبيق هداه؛ ليتجلى في واقع الحياة ليتجلى فعلاً القسط وأن الله قائم بالقسط، وأن تدبيره وتشريعه وهداه كله إقامة للقسط، وكله قسط وإلا فقد يعطي الناس صورة أخرى عن الله وعن دينه وللأسف كما هو حاصل، المسلمون الآن أصبح واقعهم بالشكل الذي يستغله أعداء الدين للهجوم على الإسلام بل أصبحوا إلى درجة أن يعملوا داخل المسلمين أنفسهم لإبعادهم عن هذا الدين، بأن هذا الدين هو هكذا، أن يجعلوا واقع الناس وما المسلمون عليه اليوم يمثل الدين [ولاحظوا كيف هذا الدين...] .

هذا يتنافى منافاة بشكل واضح مع ما يريد الله ويريد للمؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ليكونوا شهداء، شهداء

بالقسط الذي هو من عنده شهداء لله، شهداء لدينه، شهداء لرسوله، وأن لا يتوانوا في إقامة القسط في القضايا الكبيرة والصغيرة؛ لأن الموضوع يمثل شهادة{وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أن تقبل أنت أن يؤخذ منك الحق وأن تعطي الحق وتقبل أنت إقامة القسط على نفسك، إقامة الحق على نفسك،{أَوِ}على{الْوَالِدَيْنِ} أحد من والديك{وَالْأَقْرَبِينَ} لا يحصل أي تقصير في هذا ؛ لأنه في الأخير التقصير في هذا يعطي صورة سيئة، يقدم صورة سيئة عن دين الله وبالتالي يجعل الآخرين بدل أن يتأثروا بهذا الدين وينجذبوا لهذا الدين يرون صورة سيئة من خلال أعمال الناس وهم يبتعدون عن القسط فيبتعدوا عن الدين، ثم يتجهون أيضاً لمحاربة هذا الدين وللدعاية والتشويه لهذا الدين.

سواء كان الإنسان أو الوالدين أو الأقربين{غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً} يجب أن يقام القسط عليهم لا يقال: الغني استح منه، أو يقال للفقير: هذا مسكين{فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا} هو أولى بعباده والكل هم عباد له وكل الناس هم ملك له فهو أولى بهم منكم، هو أولى بهم منكم فإن كان هناك رحمة فهو أرحم، كان هناك عقوبة هو أولى ليس أحد من الناس أولى بنفسه من الله فضلاً عن أن يكون أولى بقريبه أو والده أو ولده أو صاحبه من الله، فالله هو أولى بالناس جميعاً فيجب أن تطبق أحكامه على الناس جميعاً.

{فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} يميل بكم إلى أن لا تعدلوا{وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} وهذه هي تهديد في نفس الوقت خبير بأعمالكم كلها خبير بموقفك أنه منطلق من هوى أو عاطفة لقريب أو غني أو أي شيء في هذه لماذا؟ لأن القضية كبيرة، إقامة قسط، شهادة لله.

هي تفسر هنا عادة بمعنى: أداء الشهادة [أشهد لله إن كذا.. كذا..] ولو على نفسك أو والديك.. إلى آخره..! أداء الشهادة أداء الشهادة هو لإقامة القسط، أداء الشهادة عندما تكون شهادة حق هي واحدة من القضايا التي يعتبر أداؤها إقامة للقسط لكن ما تعنيه الآية بشكل أكثر هو: أن يفهم الناس أنهم بإقامة القسط يمثلون شهادة لله أنه قائم بالقسط. عندما يقول الله سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} بالتأكيد أنه أمر أن يعملوا ويوفروا كل ما لا بد منه في أن يكونوا قوامين بالقسط وقد وجه في آيات أخرى كثيرة:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(آل عمران:١٠٤) وجه الطريقة بشكل متكامل؛ لأنه سبحانه وتعالى عندما يوجه لا تكون القضايا هكذا مفتوحة، يبين للناس كيف تكون طريقهم من أجل أن يكونوا بالشكل الذي يمكنهم من إقامة القسط، داخل آيات القرآن الكريم يتطلب إقامة القسط: وحدة الكلمة، يتطلب إقامة القسط: الإخلاص لله، الإلتزام بهدي الله، العمل بكتابه، الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله ـ كما سيأتي بعد ـ الإيمان باليوم الآخر وفي نفس الوقت في مجال أن يكونوا قوامين بالقسط هو وعد سبحانه وتعالى أنه سيؤيد الناس ويعين الناس{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}(هود: من الآية١٢٣) {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}(آل عمران: من الآية١٠٩) {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ}(آل عمران: من الآية١٦٠) {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد: من الآية٧) وهكذا آيات كثيرة.

في مجال إقامة القسط هناك قضايا باستطاعة الإنسان كفرد أن يتناولها شهادة مثلاً لديه شهادة حق، أمر بمعروف في متناوله، نهي عن منكر، النصيحة، كثير من القضايا التي بإمكانك أن تتناولها أنت كفرد تناولها ولا يغير هذا أن تكون أيضاً في إطار أمة كما أمر الله {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(آل عمران: من الآية١٠٤) فإقامة القسط بشكل كامل يحتاج إلى أن تكون هناك أمة تسير على هديه تلتزم بشرعه تبني نفسها على أساس هديه تبني نفسها، والقرآن الكريم يقدم للناس الطريقة التي على أساسها تبنى الأمة التي يأمرهم بأن يكونوا عليها{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(النساء: من الآية١٣٦) القضية هامة في أن ينطلق الناس ليقيموا القسط ؛ لأنها شهادة لله سبحانه وتعالى بأنه قائم بالقسط ؛ ولأن لها أثرها الكبير في بقية عباد الله أن ينجذبوا إلى هذا الدين {آمِنُوا} ألم يخاطبهم هنا:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}؟ هنا يوجد شيء أنتم كمؤمنين تعتبرون أنفسكم مؤمنين

ومحسوبين على هذا الدين الذي هو إسلام ومسلمون ومؤمنون لكن يجب هنا تفاعل بشكل جدي اهتمام توجه عملي وإيمان إيمان بكل ما تعنيه الكلمة يبدأ من ترسيخ الثقة بالله سبحانه وتعالى إيمان يجعل الإنسان يعرف أن دينه هام جداً وأن كل قضية في هذا الدين هامة ويعطي كل قضية أهميتها لا يكون إيمانا هكذا مع تخاذل وحالة لا مبالاة وابتعاد! لا، إيمان بما تعنيه الكلمة.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} (النساء: من الآية١٣٦) شبيهة بالآية التي في سورة أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الحديد:٢٨ ـ٢٩) أي عندما تنطلقون لتقيموا القسط ولإقامة القسط يجب أن تكونوا مؤمنين على هذا النحو: إيماناً عملياً باهتمام برؤية صحيحة واضحة وصحيحة فإنكم ستحصلون على شيئين أولاً: الإلتزام الديني العمل الديني الذي يكتب الله عليه الأجر الكبير للإنسان ثانياً: باعتباره يقدم شهادة لله عندما يقول: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} كفل لكونكم ملتزمين ، وكفل لأنكم تقدمون شهادة لله .

إذاً أليست هذه تعتبر قضية هامة للمؤمنين أن يحصلوا على أجرهم مرتين خاصة في زمن كهذا في زمن كهذا يحصل حملات دعائية مشوهة لهذا الدين أنه إلى درجة لا يصلح نظام للحياة ماذا يعني لا يصلح نظام للحياة؟ أي ليس قسطاً ولا عدلاً ولا فيه شيء ولا يمثل شيئاً ولا يصلح أن تقوم عليه الحياة لا يبني أمة لا يبني حياة لا يبني شيئاً نهائياً حملات دعائية أثرت ربما على الملايين في البلدان الأخرى وداخل البلاد الإسلامية نفسها حتى أصبحت النظرة إلى الإسلام نظرة وكأنه لا يمثل شيئاً حتى في هذه الفترة التي فيها الناس يبحثون عن أي مخرج وعن أي حل مما يواجههم من الأمريكيين والإسرائيليين والمؤامرة الكبيرة هذه جداً ليس هناك التفاتة إلى الدين بالشكل المطلوب ؛ لأنه أصبح لديهم وكأنه لا يمثل حلاً .

لأن إقامة القسط أمام القضايا الكبيرة عندما تجد هناك: أن الله وجه كيف أن يقام القسط في داخل الأسرة الواحدة الآيات التي قبل هذه الآية حتى لا يحصل هناك ظلم على شخص واحد لتبقى مهما أمكن تبقى بنية الأسرة على ما هي عليه لا تتفكك الأسرة فلا يكون هناك ظلم على أشخاص، أشخاص فقط داخل الأسرة وأن لا تتفكك بنية هذه الأسرة إلا في الوقت كما قال في الأخير: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ} (النساء: من الآية١٣٠) إذاً أليس هذا الدين بالشكل الذي يرعى الأمة؟ الدين الذي تراه يهتم بأسرة واحدة كيف لا يهتم بأمة كيف لا يهتم بالبشر جميعاً وهو يقدم لنا صورة عن الأعداء أليس هو يقدم لنا صورة عن الأعداء بأنهم لا يتوانون عن استغلال أبسط الأشياء؟ ألم يذكر عن اليهود بأنهم لا يتوانون عن استغلال كلمة: راعنا؟ وعن الشيطان بأنه لا يتوانى عن استغلال بأن يأمر الإنسان بأن يقطع أذن نعجة أو ناقة أو بقرة ما دام فيها ضلال فلن يتوانى عن شيء؟ ألن يكون الشيطان نشيطا في القضايا الكبيرة التي تعتبر ضلالاً كبيراً؟

فعندما تجد أن الله سبحانه وتعالى يهتم بالفرد الواحد يهتم بالأسرة الواحدة وأن لا يظلم شخص واحد داخل هذه الأسرة فكيف لا يكون ضمن إقامته للقسط وتوجيهاته لإقامة القسط أن لا يكون دينه بالشكل الذي يشكل حماية للأمة أن لا تظلم! قال هذا صريحاً في آية: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٨) وعندما يقول: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} ليس فقط مجرد أمنية مثلما يتمنى واحد منا: [أتمنى أن لا يظلم الناس لكن ماذا أعمل؟] أما هو عندما يقول: لا يريد، فإنه يقدم للناس ما يجعلهم فعلاً بعيدين عن أن يظلموا يقدم للأمة ما يجعلها بعيدة عن أن تظلم لكن لاحظ لما أصبحت النظرة إلى الإسلام إلى درجة وكأنه لم يعد يمثل حلاً على الرغم من متابعتنا للقضية هذه: بداية تحرك أمريكا وإسرائيل لأفغانستان إلى اليوم أليسوا في العراق؟ تحليلات ومحاورات ونقاشات في التلفزيون لا تلمس بأنه يقدم الإسلام ولو كحل من الحلول، أكثر الأشياء تكون كلاماً آخر إما بأن على الحكومات هذه أن تقيم إصلاحات معينة أو مزيد من الديمقراطية أو أشياء أخرى ليس هناك توجه إلى أن الله قد جعل دينه هذا بما يعتبر حماية للأمة!

ولهذا تجد أن القضية على هذا النحو كلما يذكر في دينه وهو يأمر الناس أن يتحركوا وهو يأمر الناس أن يقاتلوا

أن يجاهدوا لا يذكر بأنه دفاع عن دينه ؛ لأنه يعلم بأن دينه هو الذي فيه دفاع عن الناس وحماية للأمة وحماية للناس من الأسرة إلى العالمين كلهم كما قال: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} إذاً فالتفريط في مرحلة كهذه يعتبر جريمة ربما مرتين أو أكثر ؛ لأن معناه ستتقدم برهاناً للعدو فعلاً الذي يقدم الدين هذا بأنه لا يصلح أن يكون نظاماً للحياة ولا يمثل للبشرية أي شيء وليس فيه أي حل لمشاكلها لا على مستوى الأسرة ولا على مستوى الشعب الواحد ولا على مستوى الأمة ويكون المسلمون بتفريطهم وابتعادهم عن تفهم دينهم يقدمون شهادة للعدو، والله هنا يريد ويوجب عليهم أن يقدموا شهادة له أليست القضية كبيراً جداً؟ فعندما يتحرك الناس على أساس دينه وتكون حركتهم دائماً أن يحسبوا كل شيء من إيجابيات عملهم أنه بسبب انطلاقتهم على أساس دينه على أساس كتابه ما يهدي إليه كتابه ما يهدي إليه الله سبحانه وتعالى لا تكون بطريقة أنه حزب أو تنظيم أو كيان مثلما يأتي الآخرون قيادات عبقرية سياسيون محنكون خبراء على خبرات عالية وأشياء من هذه، لا، أن ينطلق الناس وكل ما لديهم من خبرات كلما يتحقق على أيديهم من إيجابيات يقدمونه بأنه للإلتزام بكتاب الله للسير على هدي الله بالطريقة هذه فعلاً يحصل الناس على أجرهم مرتين، كم قد تكون للمرة الواحدة عندما يقول: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} ليس المعنى أنه فقط بالملعقة الله هو كريم، الكفل كم قد يكون الكفل؟!

وفي نفس الوقت يبشر الناس بقضية هامة هم يحتاجون إليها في إقامتهم القسط في نصرهم لله في إقامة دينه: {وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) **ترى الآخرين يتخبطون في الظلام وفعلاً نراهم يتخبطون في الظلام حتى منهم في أمس الحاجة إلى أي حل يجعلهم بمعزل عن هذا الخطر الكبير خطر أمريكا وإسرائيل تجدهم يتخبطون في الظلام ويجلبون المشاكل على أنفسهم! فعندما ينطلق الناس على أساس دين الله في ظرف كهذا يعني في الأخير: أن الله سبحانه وتعالى يجعل لهم نوراً يمشون به في حركتهم.**

سياق الآية هذه باعتبار ما قبلها من الآيات وما سيأتي بعدها شبيه بما قبل الآية هذه التي قرأناها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} (الحديد:٢٨) **هذه أليست هذه تعتبر أشياء عظيمة جداً؟ عظيمة جداً وتتجلى عظمتها في نفس الوقت عندما يقول: {وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} الحياة مليئة بالظلمات والدنيا مليئة بأمم متخبطة سواء الظالم والمظلوم متخبطين من يخطط لاحتلال العالم ومن يخطط كيف يدفع عن نفسه هذا الخطر الكبير أليس الناس بحاجة إلى نور؟ وعندما يقول: نور ليس معناه: كشاف بطاريته ضعيفة أو شمعة! نور والنور يكون بمقدار الظلام، الظلام العام لازم نور كشافات كبيرة فعلاً والله سبحانه وتعالى سيهدي الناس معنى هذا أنه سيهديهم وينير طريقهم عندما يستشعرون أهمية عملهم أنهم سيقدمون شهادة لله.**

فيجب على الناس علينا جميعاً أن نعتبرها فعلاً - أن يكون عند الناس توجه إلى أن يهتدوا بكتاب الله وأن يعملوا على أساس كتاب الله في وضعية كهذه - أن يعتبروها نعمة كبيرة جداً، والمتخاذلون والمبتعدون فعلاً تعتبر خسارة كبيرة جداً عليهم مرحلة حساسة جداً وسائل الدعاية فيها ضد الإسلام وضد نبي الإسلام وضد القرآن نفسه ألم يصلوا إلى درجة أنهم يريدون أن يفرضوا رؤاهم هم فيما يتعلق بالقرآن فيخفوا الكثير منه؟ قد أخفوا الكثير من الكتاب الذي أنزل على موسى وهو الكتاب الذي يعتزون بأنه نزل عليهم فكيف لا يتجهون إلى إخفاء الكثير من القرآن كيف لا يتجهون إلى إخفاء القرآن بنفسه ضيعوا التوراة كيف لا يضيعون القرآن .

عندما يكون الناس قاعدين متخاذلين معناه أنها خسارة كبيرة جداً عليهم في مرحلة كهذه فبمقدار ما يكون العمل عظيما جداً وفضلا كبيرا جداً بمقدار ما يكون التخلي عنه جريمة كبيرة جداً ولهذا كانت عبارات جميلة من الشباب الذين يسجنونهم عندما يقولون لهم: ما هو الذي يجعلكم تكبرون وتسيرون وأنتم عارفون بأنكم ستسجنون؟! يقولون: القرآن. هذه العبارة هامة جداً. لاحظ العبارة كيف توحي بهذا من أكبر قضية إلى أصغر قضية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} (النساء: من الآية١٣٥) **يعتبرها آخر العملية يعني: من أصغر القضايا من أكبر القضايا إلى أصغر القضايا يكون فيها إقامة للقسط.**

أمام أوامر كهذه أليس الكثير من الناس يقولون: [صحيح لكن ما معنا ولا إحنا ولا جهدنا ولا بأيدينا..] أليس الله

يعلم بأنه سيقول الناس هكذا؟ أليس هو يعلم سبحانه وتعالى بأن الإنسان هو خلقه ضعيفاً؟ لكن لم يترك المسألة على هذا النحو، قطع كل العلل، قدم سبحانه وتعالى نفسه بأنه سيكون هو عوناً للناس وينصر الناس ويؤيدهم وقدم أمثلة كثيرة جداً لمظاهر تأييده للسابقين من البشر لمن انطلقوا لإقامة القسط لمن استجابوا له.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ} (النساء: من الآية١٣٦) **كل واحد منا يجب أن يعرف بأن عليه أن يؤمن، يؤمن إيماناً صادقاً نحن مؤمنون ولا أحد يقول بأنه ليس مؤمناً اسأل أي واحد سيقول بأنه مؤمن ويعتبر نفسه مؤمناً ولن يرضى أحد أن يقول بأنه فاسق نهائياً أيُّ واحد من الناس؟ لكن آمنوا، آمنوا إيماناً صادقاً، فعندما يُقرأ القرآن الكريم وتجد فيه هذا الهدى العظيم تجد فيه الوعود الإلهية تجد فيه البيان، البيان الذي يعتبر في حد ذاته من أعظم التأييد الإلهي، البيان عن واقع العدو ألم يبين للناس واقع أعدائهم من داخل أنفسهم من وهم يتآمرون في داخل أنفسهم إلى النتيجة النهائية بالنسبة لهم؟.**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} (النساء: من الآية١٣٦) **لأن مهمة الكتاب هو أنه يرسخ إيمانك، إيمانك الواسع بالله سبحانه وتعالى{وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} ألسنا مؤمنين بالله وكتابه ورسوله، لكن هنا يقول: آمنوا إيماناً صادقاً به وبالكتاب الذي نزل على رسوله هذا القرآن والكتاب الذي نزّل من قبل يكون مؤمنا بأن الله قائم بالقسط على طول تاريخ البشر وقائم بالقسط من قبل أن يستخلف بني آدم على الأرض{وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} الكتاب هنا: جنس الكتاب الذي يشمل كل الكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه من الماضين{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}** (النساء: من الآية١٣٦) **ضياع، ضياع إلى النهاية بكل ما تعنيه الكلمة لاحظ هنا وهذا من الشواهد لمعنى كلمة: ضل، كلمة: ضل في اللغة تعني: الضياع، والضياع يعني: أن تضيع الأمة في كل المجالات التي كان يمكن أن تحصل عليها لو اهتدت بهدى الله.**

تجدها مجالات الحياة كلها، كلمة: ضل في اللغة تعني: هذه، لا تعني في اللغة العربية ضل يعني: كفر، ضل يعني: نافق، لا، الكفر يقال له ضلال، النفاق يقال له: ضلال، الفسق يقال له: ضلال، ارتكاب المعصية يقال لها: ضلال أليست هذه الأعمال كلها ضياع؟ ضياع للإنسان لحياته في هذه الدنيا في الحياة الدنيا وفي الآخرة يضيع عنه كلما كان سيحصل عليه من أشياء عظيمة جداً لو سار على هدى الله لأنه غير ممكن أن تأتي كلمة: ضلال هنا بعد قوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ} لو كانت كلمة ضلال تعني كفراً لكان معنى الآية: ومن يكفر بالله فقد كفر كفراً بعيداً ! وهذا لا يستقيم. كلمة: ضل قدمت أعني: في التعريفات الإصطلاحية لها تعني: هذا، ثم أصبحت وإذا هي مرتبطة فقط بالقضايا العقائدية ضل يعني: كفر، ضل معناها: نافق أي فسق فقط !! يجب أن يعرف الناس أن الضلال معناه: الضياع ولهذا يذكر في القرآن الكريم الخسارة أليس الله يذكر الخسارة بالنسبة للإنسان خاسرين ضائعين تائهين ويذكر الضلال حتى في جهنم: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} (القمر:٤٧-٤٨) **أليس هذا ضياعاً.**

عندما يقول الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}أليست هذه الآية تعني: أن جانب المؤمنين هم فقط من سيكونون قوامين بالقسط معنى هذا أن يكون موقفك أنت من أعداء الله بأنه لا يمكن مهما كانت دعاياتهم جذابة أنهم يريدون إقامة قسط أبداً أنه لا يمكن أن يقوم القسط على أيديهم، لو أن القسط كان يمكن أن يقوم على أيدي الكافرين لكانت الدنيا الآن كلها قسطا وكلها عدلا، أليست القوة في أيدي الكافرين؟ أليست وسائل الإعلام بأيدي الكافرين؟ والأموال الضخمة والإمكانيات الكبيرة بأيديهم؟ هل هناك قسط؟ أو هناك ظلم؟ ظلم داخل كل الشعوب وفي كل الدنيا . إذاً فليفهم الناس ونفهم جميعاً بأنه فقط فئة واحدة التي يمكن أن تقيم قسط الله امتداداً لأمر الله وشهادة لله.

من ناحية الوعي معناه: إذاً عندما يقول لك: نحن نريد أن نكون محررين ونقيم ونؤدي حقوقاً ونعطي الآخرين حقوقهم وحقوق مرأة وأشياء من هذه أليست هذه ادعاءات قسط؟ أبداً لن يقيموا قسطاً أبداً، ولو كانوا قوامين بالقسط

لكانت الدنيا كلها قسطاً وعدلاً .
إذاً فالمنافقون عادة هم فئة لا يهتمون على الإطلاق لا بدين الله ولا بعباد الله {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} وكان الواجب عليهم أن يتخذوا المؤمنين أولياء لأن المؤمنين دائما ينشدون إلى بعضهم بعض{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: من الآية٧١) **يكونون عبارة عن أمة واحدة وكتلة واحدة ليكونوا قوامين بالقسط.** [الدرس العشرين من دروس رمضان من الصفحة [١ـ ٥]]

دروس من غزوة أحد

هذه الآيات التي سمعناها فيها، أو معظمها، ما هو استكمال لغزوة [أحد] وتقديم ما فيها من دروس وعبر للمسلمين الذين كانوا في هذه الغزوة، ومن بعدهم، وتركزت على كثير من القضايا الهامة التي الناس بحاجة إلى فهمها، فيما يتعلق بالعمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعدائه، ما كان منها متعلق بقضية الثقة بالله سبحانه وتعالى، وما كان منها عبارة عن توجيهات هامة في مواجهة العدو وتوجيه كيف يجب أن يكون منطق الناس كيف يكون كلامهم ما هي الأشياء التي يبتعدون عنها تماماً، باعتبار الكلام فيها جزافاً أو باعتبار الكلام فيها مما يسر العدو ويرفع معنويات العدو فيؤثر تأثيراً سلبياً بالنسبة للمسلمين بالنسبة للمجاهدين .
نرى أيضاً في ضمن هذه الآيات فيها ما يشخص لنا شخصية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفعلاً ـ كما نقول ـ أن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معرفة سيرته معرفة شخصيته معرفة عظمته أو جوانب من عظمته، ما يمكن أن نعرفها بالنسبة له (صلوات الله عليه وعلى آله) وكذلك بالنسبة لأنبياء الله الآخرين، ونحن بحاجة ماسة إلى هذه القضية أيضاً، إلى معرفة الأنبياء وإلى معرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالذات معرفة كافية .
عرفنا كيف أنه كان قائداً لديه معرفة عالية ويعتمد عليه بشكل كبير في ميدان المواجهة {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} (آل عمران: من الآية١٢١) **كذلك بالنسبة لنفسيته أخلاقه العالية سعة صدره التي تجعله يعرف كيف يتعامل مع الآخرين في الظروف الصعبة في الظروف التي عادة تؤدي إلى اختلاف بين الناس، اختلاف بين المجتمع اختلاف فيما بين القيادة والجنود {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** (آل عمران:١٥٩) **عندما نسمع توجيهات كهذه فيها ما هو حكاية عما هو عليه فعلاً {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** (آل عمران: من الآية ١٥٩) **أو نسمع توجيهات له وتراها ذات قيمة عالية وهامة جداً، خاصة في وضعية كهذه التي مر بها المسلمون بعد معركة أحد { فَاعْفُ عَنْهُمْ}**(آل عمران:١٥٩) **وتجد داخل الآيات التي تذكر أحداث معركة أحد وتلك الهزيمة، كم ظهر فيها من كلمات {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}**(آل عمران: من الآية١٥٥) **{وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}**(آل عمران: من الآية١٥٢) **وهكذا فيوجه رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضاً بأن يعفو عنهم {فَاعْفُ عَنْهُم}**(آل عمران:من الآية ١٥٩) **العفو قد يكون التغاضي عن المؤاخذة التغاضي عن كثير من التأنيب والتوبيخ، العفو يختلف عن المغفرة ويكون له مجال خاص غير موضوع المغفرة، ولهذا يأتي في بعض الآيات يجمع بين العفو والمغفرة .**
{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} (آل عمران:من الآية ١٥٩) **واستغفر لهم بأن تطلب من الله المغفرة لهم {وشاورهم في الأمر}**(آل عمران:من الآية ١٥٩) **لأنه في حالة كهذه عندما يتجه لأن يشاورهم هذه فيها نوع من الأنس، أعني يلمسون بأنه ما تزال نظرته إليهم جيدة وما يزال قريباً منهم، الإنسان الذي تتجه لمشاورته يعني ماذا؟ أن نفسك قريبة منه؛ لأنه ـ عادة ـ الهزيمة تترك أثراً كبيراً في النفوس خاصة، وهم عندما انهزموا في أحد تركوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في الميدان وكانت قضية كبيرة هذه، فكان هذا شيئاً طبيعياً أن يستحي كل شخص منهم ويخجل ويكون يحاول أن لا يراه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فإذا ما اتجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم وشاورهم وتحدث**

معهم يحسون بنوع من الأنس، فهذه لها أثر كبير في النفوس.
وعندما ينطلق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يتعامل على هذا النحو من منطلق معرفته للناس كبشر يعرف الناس كناس ويعرف الوضعية أنه ليس صحيحاً أو ليس أسلوباً صحيحاً أن يتجه إلى توبيخ ومقاطعة لهم ونفور منهم هذا سيزيد من ماذا؟ من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك تماماً وكل إنسان هو وإن زل قد يكون قريباً إلا نوعيه منهم تحدث عنهم: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}(آل عمران: من الآية١٥٤) هذه نوعية ثانية لكن آخرين قد تكون أحياناً متى ما زلّ زلة كل واحد يعرف زلته، وكل واحد يكون لزلته أثر في نفسه وبالإمكان إذا ما تزال نفسيته صالحة يكون قابلاً لأن يوجه أكثر ويتفهم أكثر ويأخذ دروساً وعبراً مما حدث فيكون فيما بعد على مستوى أفضل.
{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٥٩) أي يقول هنا في توجيهات {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٥٩) توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات .
إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد تكون في كتب السير تاريخاً يعرض فقط أحداثاً معينة مؤرخة ونكتب فيها أرقاماً معينة، لكن التحليل لشخصيته قضية ثانية، التحليل لمنطلقاته في عمله في تكتيكه العسكري في اختياره للقادة في اختياره للموقع وأشياء من هذه لا تتناولها معظم السير فعلاً، وهي قضية هامة، أي ليس المطلوب فقط من السير أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية وكم كان عدد المسلمين وكم كان عدد الكافرين وانتهى الموضوع، المطلوب أن نعرف كيف كان ـ بطريقة تحليلية ـ كيف كان تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف كان تخطيطه كيف كانت مشاعره كيف كان تقييمه كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين الكافرين الوضعية بشكل عام، وضعية العالم في ذلك الزمن بشكل عام حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة ويعطي عبرة وتعرف من خلاله النفسيات .
لاحظ هنا في معركة [أحد] كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} (آل عمران: من الآية١٦٧،١٦٦) وسابقاً يقول: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:١٤١) {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}(آل عمران: من الآية١٤٠) {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}(آل عمران: من الآية١٤٢) .
وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأي واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته. إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً قائمة على معرفة خططاً واعية قائمة على معرفة تعرف أن هذا الإنسان كذا وهذا كذا وهذا كذا وتلك القبيلة كذا وسكان تلك القرية كذا وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا
معرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية هامة ـ كما أسلفنا ـ في أن يعرف الناس فعلاً أنه نعمة عظيمة من الله ولهذا قال بعد: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}(آل عمران: من الآية١٦٤) وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون . في نفس الوقت أيضاً لا يعتبر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير، ولكنه حكيم تكون الأشياء تسير وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، أعماله تسير وفق ترتيبات دقيقة وخطط محكمة ورؤى صحيحة ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة معجزات، معجزات إلى آخرها يقول الناس من بعد: [إذاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قد التحق بالله وما معنا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة، خارقة... إلى آخره، إذاً ما نستطيع نعمل شيئاً] عندما

تعرف بأنه كانت تلك الحركة تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليه ومن خلال القرآن الكريم، ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } (هود: من الآية١) .

أن تكون الأشياء تمشي على الطريقة هذه، معناه ماذا؟ أنها قابلة للإستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) موجوداً بينهم لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط نعرف أنه قائد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا.... إلى آخره،لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس وكيف كان أيضاً كيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء .

[الدرس السادس عشر من دروس رمضان الصفحة [١ ـ ٣]]

القرآن يبني الإنسان بناء صحيحاً

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) قد فيهم خشوع الآن {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} (النساء: من الآية٧٧) كم الفارق بين المنطق هذا ومنطق الآخرين: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠) !؟{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} (النساء:٧٧-٧٨) إذا أنت تصبح هكذا تخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية وقد فيك دعاء بخشوع ولكن مقلوب يعني: أنت خائف من الموت، افهم بأن قضية الموت ستأتيك عندما تقول ستقعد أو أنت راغب أن تقعد {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}(النساء: من الآية٧٨) .

القضية هنا هي تقدم نموذجاً عالياً جداً، موضوع التوجيهات في القرآن الكريم تقدم إنساناً، نموذجاً عالياً جداً، قوياً لكن في نفس الوقت متزن وحكيم، ليسوا من النوعية الذين فيهم تَنَطُّط وعندما يكتب القتال قد فيهم خشوع ثاني، وخشية من الناس أشد من خشيته من الله؛ لأن هذه هي تعتبر حالة غير صحيحة، عندما يكون هناك أناس عندهم:[هيّا...] قد يؤثرون على قيادتهم فتدخل في مواقف غير حكيمة؛ لأنه ملاحظ مع أن يكونوا أشداء وأن يكونوا أولي بأس شديد، وأن يكونوا مستبسلين مضحين راغبين في الشهادة في سبيل الله يجب أن يكونوا أيضاً متزنين، وفي نفس الوقت طاعة، هنا فقط يحاولون الإمساك بهم {قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: من الآية٧٧) لا. أبداً!. فإذا جاء وقت الصدق لم يعد فيه ذلك التنطط وإذا به قد لديه كلام ثاني وقد صار يخشى الناس أشد من خشيته لله.

هذه نفسية عجيبة لا تحصل أبداً إلا عند المؤمنين الذين يسيرون على كتاب الله وهديه أقوياء أشداء لا يتهيب من المواجهة، لكن وكل شيء في وقته وكل موقف بما يتطلبه، ليسوا متنطعين بحيث يزعجون قيادتهم تدخل في مواقف قد تكون تضر بهم لا تخدم القضية التي هم فيها، ولا هم ممن عندما يأتي مواقف كبيرة يكون قد عندهم خشية من الناس أشد من خشية الله، هذه النوعية عالية أعني: أن القرآن يبني الإنسان بناء صحيحاً متكاملاً، ثم لاحظ هنا في الأخير كشف المسألة بأنها في الواقع خوف من الموت، أليس هكذا خوف من الموت؟ بعدما قال هناك سابقاً: {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٤) وأنت لا بد أن تموت أنت تريد أن تقعد لأنك خائف من الموت لا تريد أن تموت ستموت {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} (النساء: من الآية٧٨) فأفضل لك أن تموت في سبيل الله أن لا تخاف من موضوع الموت أن لا يقعدك الخوف من الموت ؛ لأن قعودك لن ينجيك من الموت فإذا كان لا بد من الموت فالأفضل أن تموت في سبيل الله بل أن تطلب أن تموت في سبيل الله. [الدرس الثامن عشر

من دروس رمضان الصفحة [٢٢]]

دين الله باب واحد يدخل منه الناس جميعاً

{وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنعام:٥٢) وهذه حصلت، ويبدو أنها كانت في معظم مراحل تاريخ الأنبياء، يسارع إلى الإسلام كثير من الناس المستضعفين، والآخرون يقولون: هؤلاء أراذلنا اتبعوك، ناس نحن لسنا مستعدين أن نجلس معهم أبداً، يعني: لسنا إلى درجة أن نجلس معهم، نجلس معك في مجلس هم فيه، ناسين أنه هو يجلس معهم! أليسوا ناسين بأنه يجلس معهم هو وهو أشرف منهم وأعظم منهم، يجلس معهم، لاحظ كيف جاء بالأعمى في [سورة عبس] يأتي يقوده [ليخربط] الإجتماع الذي كان مع مجموعة من وجهاء قريش .
هذه قضية هامة جداً، والإنسان إذا لم يكن عارفاً كيف يقيّم الناس، وعلى أي أساس، ويعرف أن هذا دين الله، وأنه باب واحد يدخل منه الناس جميعاً، وأن من واجب من يدخل - وإن كان كبير عشيرة، أو زعيم أو كيفما كان - أن الإسلام يجعله بالشكل الذي يعطف على هؤلاء، وليس أن يطردهم، أليست هذه تربية القرآن في آيات أخرى؟ بالنسبة للمساكين، الأيتام، الفقراء، وهؤلاء يريدون أن يطردهم، لا يصلح يجلسوا في مجلس وهم فيه!.
البعض من الدعاة، أو من أصحاب مدارس معينة، يكون عنده أنه يريد يحافظ على المذهب، أو يريد يحافظ على كذا يكون عنده فعلاً لا يريده، يمكن يبعد هذا إذا كان سيستجيب له فلان وفلان فقط يشرطون عليه بأنه لا نريد الصعاليك يجلسون عندك، قد يقول لهم: هيا، يذهبوا من عنده.
بما أنها قضية ملموسة أن الإنسان إذا كان في حركة معينة، وهو يرى بأنه يبدو من معه هم مجموعة مستضعفين وناس حتى بعضهم قد يبدو أنهم أغبياء، وأشياء من هذه، لا يحصل عندك فكرة بأنه [لو يدخلوا آل فلان لو يدخل فلان وفلان] فتكون أنت تعتبر حركتك بأنها لا تمثل شيئاً ؛ لأن ما فيها فلان وفلان وفلان، من علماء وزعماء عشائر، ومثقفين، وتجار، وشخصيات، وأشياء من هذه؛ إن القضية تكون بالعكس قد ترى كثيراً ممن هم على هذا النحو تراهم أكثر الناس تخوفاً؛ لأن عنده منصب، مقام معين، أو مال - هذه القضية ملموسة - ليس مستعداً أن يتحرك معك في مجال ربما يؤثر على منصبه، أو يؤثر على مصالحه، إذاً هذا لا ينفع، سينفع أولئك الذين هم صعاليك ليس معه ما يخاف عليه، أليس هذا سينفع أكثر .
ثم تجد بأن هذا حصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يوجد في قريش شخصيات عباقرة وصناديد ووجهاء في المجتمع، وأشياء من هذه، لم يستضعف نفسه؛ لأن الذي عنده من الموالي وشخصيات بسيطة من الطبقة المستضعفة في المجتمع، هؤلاء - لأن الله هو الذي يبني النفوس هو - الله سيجعلهم عباقرة، ويجعلهم مقتدرين، ويجعلهم أقوياء، وهذا حصل، والآخرون يتهمشون، يصبحون لا شيء.
هذه قضية أساسية لا تحتقر أحداً، ولا تحتقر وضعيتك، ومن معك على أساس ما معك فلان وفلان وفلان، وفعلاً كان أولئك المستضعفون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان بعضهم ممن جثم على صدور الصناديد والعباقرة والوجهاء يوم بدر، ممن جثم على صدره، ورأينا من بعد هؤلاء المستضعفين كيف أصبحوا ولاة في مناطق في داخل بلاد فارس وغيرها، وبعضهم ربما كان يمر من عنده فلا يتنازل أن ينظر إليه، لا يعتبره شيء نهائياً.
يثق الناس بالله أنه هو الذي يبني النفوس، متى ما اتجه الإنسان بإخلاص إليه، لا تستضعف نفسك أنت، أيّ واحد لا يستضعف نفسه، أو يستضعف جهة هو فيها، يتحرك على أساس أنه لو كان معنا... لا معنا سيدي فلان، ولا القاضي فلان، ولا الشيخ فلان، ولا فلان، ولا المسئول الفلاني، ولا معنا صحفيين، ولا محللين استراتيجيين، ولا...، من هذه الألقاب، أبداً، يثق الناس بأن الله سيعطيهم نوراً مثلما وعد عندما قال: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩)، ولأن الإسلام يتسع للجميع، يتسع للجميع فعلاً، حتى في مجال العمل له، مجال العمل لإعلاء كلمة الله يتسع للجميع؛ لأنه عمل واسع جداً، ويتسع لكل الفئات، إنما من يكون قائماً على موضوع إقامة دين، يجب

أن يكون فاهماً بالشكل الذي يستطيع أن يعطي الآخرين، يبين لهم بأن هذا الدين هو رحمة من الله، ونعمة، يتسع للكل، أنت قد تكون من طبقة مستضعفة معينة، قد لا تكون فعلاً إلى درجة أنك تنزل الميدان تقاتل، لكن باستطاعتك تقدم خدمات كثيرة في سبيل الله، أليست هذه القضية واضحة؟ والأقوياء باستطاعتهم أن يواجهوا، عمل واسع جداً، يتسع للأبطال، ويتسع للأقوياء، ويتسع للذين هم أخف منهم، والذين من بعدهم، وللكل، وهذا من النعمة على الناس، ومن مظاهر تكريم الله للإنسان؛ لأن الله قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}(الاسراء: من الآية٧٠) .

فإذا واحد فاهم هو يستطيع يشغّل الناس جميعاً للدين، لا يحصل عنده يقول: [إما ذولاك أتركهم ماذا سيفعلون للدين! ذولاك الذين يكبرون، هم ملان المسجد لكن لو يأتي شيء ما ثبت إلا القليل] قلنا: يشتغلون هكذا الآن ويكفي [قَدّه]، ربما يهيئ الله من هؤلاء الناس، ويهيئ من غيرهم، كل قضية سيهيأ لها أهلها، كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحشد الناس معه، ويحشد أشخاصاً هو يعرف ليسوا صناديد مواجهة لكن هو عمل طريقة جديدة في الحرب صف، يصف أصحابه من هناك إلى هناك، ورآهم العدو هناك أمة، هذا الشخص يشكل رقما، أليس هو يشكل رقماً هناك، إلى آخره.

في مواجهة أهل الكتاب بالذات، لاحظ كيف؛ لأنهم هم الله ضرب عليهم ذلة ومسكنة، هم يخافون من الجمهرة هذه، مزعجة لهم جداً، حشد لهم ثلاثين ألفاً، كم بين الثلاثين ألف هؤلاء؟ هل كلهم صناديد؟ بل كان هناك ظاهرة عامة عليهم أنهم في حالة انكسار نفوس؛ خارجين يواجهون دولة كبيرة، مثلما تقول الآن: قبيلة معينة يتجهون لمواجهة أمريكا، لكن سمع العدو أولئك ثلاثين ألفاً ! لأن العدو نفسه، لا تعتقد بأنهم صناديد كلهم، وهم هكذا تجد بينهم أبطال، وبينهم كثير... وإذا هناك أبطال الباري سيملأ قلوبهم رعباً، وأولئك فيهم رعب من بيوتهم، وسمعوا ثلاثين ألفاً خرج بهم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثلاثين ألفاً يعني هؤلاء يمكن أنهم شرسين كلهم، اتخذوا قراراً بأنهم يتراجعون، ولا يواجهون .

ومجال واسع لك شخصياً، لك شخصياً، أنك تبذل أكبر جهد في سبيل الإسلام ممكن لدرجة أن تواجه مواجهة مسلحة، وتقاتل في سبيل الله، وتستبسل وتضحي، هذا ممكن، أليس مفتوحاً؟ لا يكون هذا الباب محصوراً فقط على فئة، باسم أي فئة، ممكن إذا عنده روح استبسالية حيّاه الله وإلا... فهو عارف (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يعرف كيف، ولكل فئة، ولكل طبقة، ولكل قبيلة، ولكل شخص المجال الذي يستطيع يتحرك فيه.

هذا مما يؤكد أنها تكون أسهل للناس من ناحية المسئولية، إذا هم في وضعية إقامة دين، ولديهم من يقيم الدين برؤية صحيحة، أن المسئوليات تخف على كثير من الناس، بينما إذا ما هناك أحد يكونون مسئولين جميعاً، لأنه ممكن مثلاً أهل مدينة معينة، أو أشخاص معينين، أو شخص معين هو يعلم حالتهم، يعلم وضعيتهم ممكن يقول: [تمام أنتم اشتغلوا في مجال كذا] واعتبر عملهم كاف، عالم مثلاً، أو مجموعة علماء قد يكون مثلاً عندهم تخوف، أو قد هو يرى نفسه شيبة، أو أشياء من هذه متى إذا ما هناك أحد يعمل يكونون مسئولين جميعاً، إذا هناك من يقيم أمر الله يكون ماذا؟ باستطاعتهم أن يكونوا مؤيدين .

ما يزال مجال باب التأهيل مستمر، وفعلاً قد يكون بعض الطبقات لا تستطيع أن تعمل شيئاً في ظل وضعية معينة لكن في وضعية أخرى قد يكون لها دور فاعل، وهكذا.

فالإسلام يستوعب الأقوياء من أول يوم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الكل، ولهذا يأتي بخطاب: يا أيها الذين آمنوا، أليس يا أيها الذين آمنوا؟ لأن كل مؤمن يستطيع أن يشتغل، وكل مؤمن هو مدعوّ إلى ميدان يتسع له مع الآخرين كيفما كانت وضعيتهم، من ناحية التركيبة الإجتماعية، أو باعتبار البيئة الحاصلة، باعتبار الوضعية الحاصلة، لاحظ كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هكذا، يحرك المجتمع، نفس المجتمع، ذلك المجتمع على ما هو عليه، لا يوجد عنده فكرة أنه أولاً يدرسهم، يدرسهم، يدرسهم، يحمِّيه، يحمِّيه، يحمِّيه، وفي الأخير يفلته. لا، ناس يسلمون وقال: هيا يسرح معهم، يسرح معهم، يسلم أول يوم، وثاني يوم يسرح معهم، ولأن الله يتدخل في بناء النفوس، هذه القضية أساسية، يرفع معنويات الناس، يشد قلوبهم، يربط على قلوبهم، ينير أفكارهم فيصبح الذين كانوا يرون أنفسهم أغبياء في الأخير يصلون إلى أن

قد عندهم قدرة، عندهم قدرة في إدراك الأشياء، في فهم الأشياء، في تحليل الأشياء، رؤية الأشياء، وهكذا.
لهذا أنها تعتبر معجزة للإسلام نجاح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تعتبر معجزة في حد ذاتها، لاحظ عندما تتأمل القرآن كم فيه من أعداء يتحدث عنهم، أعداء صناديد، وأعداء مكارين، وأعداء متآمرين، من مشركين، من كل الفئات: مشركين، ويهود، ونصارى، ومنافقين، ومع هذا اجتاز الكل، ألم يكتسح الكل؟ وصدّر ما كان يعمل هؤلاء؛ ليبين لك بأنه هكذا الدين يعلو فعلاً، يعلو إذا هناك من يتحرك على أساسه، ألم يصدر في القرآن ماذا كان يقول الآخرون، أصحاب الدعايات، والمتآمرين، كلها صدرها هنا؛ لترى بأنه فعلاً معجزة أنه خرج من بين هؤلاء، واكتسحها، وهمش كل هذه الفئات: اليهود، والنصارى، والمشركين، والمنافقين، {وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (التوبة: من الآية٤٨).
معنى هذا أنه بإمكان أي إنسان ينفع الإسلام، وكلما تطورت قدراته سينفع أكثر، كلما ارتفعت معنوياته سينفع أكثر، وهكذا، هو لا يوقف المسألة على أنه أولاً يعمل له مدرسة خاصة هناك، [أولا يقربهم، يقربهم..] يقول: [أولاً يقرأ يقرأ يقرأ إلى أن يصير ...] هو هذا نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله)، يُقرِّيه الله في الميدان، أليس الله يقريه في الميدان؟ القرآن ينزل عليه وهو يشتغل.
فهي قضية أساسية: أن الإنسان لا يحتقر أحداً، وهو نفسه لا يحتقر نفسه، يكون عنده [ماذا يمكن نعمل للإسلام، ماذا سنعمل، وماذا بإمكاننا أن نعمل] هذه رؤية قد تأتي له من جهة الشيطان، إعرف بأن باستطاعتك أن تنفع الإسلام في الوقت الذي أنت فيه، وهذه القضية معروفة، نحن نرى أن الناس يستطيعون أن ينفعوا الإسلام ولو لم يكن إلا برفع شعار، أليست هذه القضية معلومة؟ في المسجد بين الناس مهما كان ضعفك، لو خوفك كيفما كان، ومع الجماعة بين الناس ما هم عارفين مَن، أليس هذا ممكناً؟.
ولهذا يحاولون، لاحظ كيف هم يحاولون، قالوا: [فقط يكون خارج المسجد، ويكون بعد كذا]، عارفين الذين هم خوّافين سيتركونه، لكن عندما يكون بعد الخطبتين في تلك الوقفة سيكبر الناس كلهم، وسيحسب أهل المسجد مكبرين، مثل حينما تدخل على هذا المجلس وهم مكبرين، هم لن يقولوا: أنت يا فلان، هل بالإمكان أن يطابقوا بالقلابات إلى عند المساجد ويقولوا: [هيا، أهل المسجد كلهم إلى السجن] هل هذا ممكن؟ لا، ولا ينتقوهم، يقولون: [من الذي كبر؟] كلهم كبروا، إذاً فأمكن لواحد يكبر ولو كان يرتعد من الخوف، أنه ممكن يكبر ولو كان يرتعد من الخوف.
{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} (الأنعام:٥٣) الله هو الذي يعلم، إن الله يعلم بالشاكرين المستجيبين، لا يبحث عن كبار الشخصيات، وكبار التجار من أول يوم؛ ولهذا يخاطب المؤمنين جميعاً، هو لا يقول: يا أيها الرئيس، يا أيها الوزراء، هل هو يخاطب بالشكل هذا؟ يا أيها القادة والضباط؟ يخاطب المؤمنين جميعاً، وهو أعلم بالشاكرين.
فالفئة هذه في الأخير يقولون: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، يعني: مثلما نقول: ليسوا جديرين بأن يمن عليهم، لو يريد أن ينصر دينه لبحث للناس الأقوياء الشجعان، يبحث عن ذلك الذي في الطائف، وذلك الذي في مكة، ألم يقولوا هكذا من البداية؟ {لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}(الزخرف: من الآية٣١) أنه لا بأس ذلك القوي إذاً يستجيب وسيظل قوياً؛ ولهذا تلاحظ كيف كان عمل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هل هو يحاول أن يحط أحداً من مقامه؟ لا، لم يكن يحاول أن يحط أحداً من مقامه، لكن أسلم وإلا ستنحط أنت، استجب وإلا فستنحط، وسترى من تقول: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، أنت ستراهم فوق، وهذا الذي حصل في تاريخ الإسلام، في بدايته، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).
فهي فتنة للطرفين {فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، هذه واحدة بالنسبة للمستكبرين، أصحاب النفوس المتكبرة، وفتنة للناس أنفسهم الذين يرون أنفسهم أنهم من عامة الناس، من المواطنين ـ الذين يسمونهم ـ من [الرعويين، رعوي] على تعبير أهل صنعاء، أنهم هم يجب أن يكونوا واثقين بالله، ويعرفوا بأنهم معتزون بعزة الله؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى أولئك إذا لم يرضوا أن يستجيبوا، لسنا بحاجة إليهم.

ولهذا كان السبق، فضيلة عظيمة، السبق؛ لأنه قد يكون في معظم المراحل تبدأ الأشياء بناس مستضعفين فقراء، ناس يراهم الآخرون لا يملكون شيئاً، حتى من هم مؤمنون بقضيتهم لا يتفاعلون معهم، يكون عندهم [ماذا يمكن أن يعملوا؟!] أليسوا يقولون هكذا؟ [عمل باهر لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟!]، أليسوا بحاجة إلى أن يفهموا الآيات هذه، الله يقدم الموضوع بأنه هو وراء كتابه، وبعد هداه، هم يرونهم [ناس باهرين وشباب طيبين وباهرين لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟ ماذا سيعملون؟!] لكن إذا أنت فاهم، ادخل معهم، والثاني يدخل معهم، وحاولوا تدخلون معهم حتى يستطيعوا يعملوا شيئاً، لكن يقول: [هؤلاء ماذا يمكن أن يعملوا] وجلس هناك، جلس هناك خارج، وقد صار يعتبرهم أنهم لن يعملوا شيئاً، ولا هم ناجحين في شيء، وجلس هناك بعيداً عنهم، أليس هنا ستفوته فضيلة السبق؟ لأن السبق يقوم على أساس إيماني بحت، السبق عادة يقوم على أساس إيماني خالص، أما وقد صار الناس قوة جبارة، أما وأنت قد صرت تلمس نجاحات كبيرة تنطلق معهم، هذا هو طبيعي بالنسبة لك ولغيرك، لكن في البداية يكون الناس في وضعية قد يكون الاحتمال، بل ربما يكون الكثير قاطعين بأنهم لن ينجحوا في أعمالهم، لا ينطلق إلا من هم ماذا؟ من يسمون: سبّاقين، وفي نفس الوقت لاعتبار إيماني بحت، ليس من أجل أننا قد أصبحنا قوة، أو من أجل أن قد معنا، أو من أجل قد يستطيعون، أو أشياء من هذه، لا، ثقة بالله، ويجب أن ننطلق على هذه الطريقة؛ لأن الله هكذا أراد منا أن ننطلق عليها.

وإذا خسر الإنسان مرحلة السبق، فلا تتعوض؛ لأن السبق هو مرتبط بمرحلة وقتية من الزمن، وقتية، أنت لا تستطيع أن تعيد عجلة التاريخ؛ ولهذا قال: {لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} (الحديد: من الآية١٠) ، قبل فتح مكة، {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}، لكن لو تعمل ما تعمل لا تستطيع أن تعمل تلك النقلة، تلك مرحلة مرت. وهنا يؤكد في تربيته للناس على أن يكونوا سباقين ومسارعين، ثم يذكر فضيلة السابقين، {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (الواقعة:١٠ ـ ١١) .

الله سبحانه وتعالى هكذا يتعامل مع عباده {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}؛ لأن الله هداه هو يعتبره نعمة، ويعتبره فضلاً، فهؤلاء هم الجديرون بأن يعطوا هذا الفضل، وهذه النعمة؛ لأنهم سيشكرونها، وأنت ابقَ هناك، انتظر هناك، يتكبر يجلس هناك، ما هو متنازل لما ما يدري إلا وانحط إلى آخر درجة، وضاع، وتهمش تماماً.

كان يدخل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يأتي بعض الوفود، شخصيات، زعماء عشائر واحترمهم وقدرهم، وأسلم، وأعاده إلى منطقته، لا يقول له: ابعد عن مقامك، هل كان يقول له هكذا؟ لا . إذاً أليس هنا يحصل الإنسان على تكريم؟ تكريم في الدنيا وفي الآخرة، لكن متى ما تمسك يقول: أبداً.. ما زال يراعي مقاماً معيناً عنده، في الأخير يهبط إلى الحضيض، ويتجاوزه الناس، ويتجاوزه الزمن، والتاريخ، ويعتبر خاسراً في الدنيا وفي الآخرة.

لاحظ كيف الرعاية الإلهية بالنسبة لهؤلاء المستضعفين الذين يحتقرهم الآخرون، يذكر الباري بأنهم محط عناية ورعاية إلهية، {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:٥٤) ، أليس هذا رفعاً لمعنوياتهم، التفاتة إلهية مباشرة إليهم مقابل إعراض الآخرين، وكبريائهم، والذين ينظرون إليهم بأنهم لا يمثلون شيئاً {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} ألم يأت بالتفاتة مباشرة إليهم؟ ويأمر رسوله هكذا أن يقول: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ}، إذا أنتم ترون الآخرين يحتقرونكم لا تظنوا أنه ربما فعلاً نحن في واقعنا محط احتقار حتى عند الله، لا، لاحظ هذا مما يدل على أنكم محط تكريم ورعاية إلهية. [الدرس الخامس والعشرين من دروس رمضان الصفحة [٦ ــ ١٠]]

من واجب الناس أن يتفهموا الأطراف الأخرى

من واجب الناس أن يتفهموا الأطراف الأخرى، مثلاً الناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم كانوا

مجتمعاً أغلبيته مشركين، يعبدون الأصنام، وهذه الأصنام محاطة بأساطير، لا تعتقد بأن هناك شيء لا يكون محاطاً بهالة من الأساطير تجعله وكأنه حق، وكأنه صحيح، إضافة إلى أنه يصبح حالة سائدة في المجتمع، ومسَلّمة في المجتمع، تبدو وكأنها طبيعي، وكأنها قضية تسالم عليها الناس، وكأنها لم يعد فيها أي إشكال بأنها صواب! هنا النقلة إلى أن يكفروا بها، إلى أن يتخلوا عنها، تعتبر نقلة كبيرة هذه، تحتاج إلى تصرفات حكيمة.

كذلك الناس مثلاً، عندما نقول: نحن في عصر كهذا، يوجد ثقافة سائدة نعتبرها مليئة بالأخطاء، مليئة بالأغلاط، يجب أن تكون عباراتنا حكيمة، بالنسبة لمن هم على هذا.

هنا تجد في القرآن كيف يفرق بين موضوع مهاجمة الشرك كشرك، أليس هذا شيء؟ بالنسبة للناس كناس يتخذ أسلوباً حكيماً معهم، عندما نتحدث عن ثقافة معينة، نحن عادة لا نتحدث عن أشخاص، خاصة من الموجودين، نتحدث عن أشخاص بأعيانهم، نتحدث عن محط الإشكالية، وهو ما هو؟ ثقافة مغلوطة، كيف نحاول أن نخرج منها نحن، وكيف نعمل على توجيه الناس لأن يبتعدوا عنها، إذاً لا يكون أسلوبك مع الأشخاص أنفسهم، نفس الأسلوب في مهاجمة القضية من حيث هي؛ لأنه فعلاً تجد الناس منشدين إلى ما هم عليه، أليس هذا شيئاً معلوماً؟ منشدين إلى ما هم عليه، سواء كانوا داخل الشيعة أو داخل السنة، منشدين إلى ما هم عليه، ويعتبرون أنه مضى عليه أعلام منهم، ومضى عليه عظماء منهم، والناس جميعاً على هذا، وقضية تبدو وكأنها ليست محط إشكال، فيحتاج الإنسان إلى أسلوب حكيم إذا دخل في حوار مع آخرين، أو وجد آخرين مثلاً تدخل مسجداً وفيه حلقة درس، معهم درس في أصول الفقه فلا تقول: [روحوا لكم أنتم وضلالكم هذا..] مثلاً، أو [اجلسوا تخيضعوا أنتم وضلالكم هذا....]، هنا تستثيره، لكن بطريقة وبأخرى تتحدث عن القرآن، وتذكر بما تعتبر أساسيات، وهي مقبولة عند الجميع، وهذا أسلوب ذكر في القرآن نفسه، تقول: كيف..! يعني بالنسبة لهذه الكتب كلها أليس القرآن الكريم هو يعتبر حاكماً عليها جميعاً، وله الأولوية عليها جميعاً؟ لا أحد سيقول لك: لا، قل: إذاً القرآن عندما نجد أي شيء فيه تكون هذه الأشياء مخالفة له، أي شيء سواء كان في كتب داخل التفسير، أو حديث، أو أصول فقه، أو علم كلام، أو أشياء من هذه، كتب ترغيب وترهيب، ألا يعتبر خطأً، ويجب أن نرفضه عندما يكون مخالفاً للقرآن؟ سيقول أيٌّ واحد: نعم، وبالطريقة الحكيمة هذه، فيما إذا دخل أحد مع ناس في حوار.

ثم أيضاً تكون الأشياء مختلفة، لاحظوا، هناك فارق كبير، أحيانا قد يكون الكلام من هذا، قد لا يكون مثيراً كما لو كان الكلام من هذا، هل تلاحظون فارقاً في هذا؟. {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ}، لكن ربما عندما يأتي شيء من جهة الله هو يقول عن الأصنام كذا، أو شيء من جهة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عن الأصنام كذا، أو يقول عن نفس الأشخاص مثلما سبق في آية فيها مقابلة سخرية بسخرية، عندما ذكر الذين يخوضون في آياتنا، وأشياء من هذه، بعدها قال: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا} (الأنعام:٧١)، أليست هذه العبارة تعني: أنتم في واقعكم هكذا؟ {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ}.

هذه القضية ملموسة، الإنسان يجب أن يعرف أنه ربما قضية ـ حتى لو كانت خطيرة في التعبير عنها ـ قد تكون من شخص بشكل لا تكون مثيرة، كما لو كانت من شخص آخر، فيجب أن نفهم نحن في عملنا هذا نفسه، الإنسان إذا كان مخلصاً لله، وهمه فعلاً هو أن يهتدي الناس، همه هو أن يعمم هذا التوجه، أنه وإن كان فاهماً أحيانا شيئاً معيناً يحاول أن يوكل القضية على آخرين، نحن نؤكد على هذا من زمان من البداية، نحن نعرف أننا تناولنا قضايا هي عند الآخرين قضايا ينشدون إليها، بل يعتبرونها ديناً.

إذاً فبدل أن يدخل أي واحد من الناس في مهاترة مع الآخرين، وقد يحاولون هم أن يستثيروه؛ ليدخلوا في مهاترة معه، ثم قد لا يقدم القضية بالشكل المطلوب، أو لأي اعتبار كان، أفضل عملياً هو أن يقول: القضية هذه روحوا عند فلان، هو الذي تناول هذا الموضوع، لاحظوا كتاباته، لاحظوا كلامه، اتفقوا أنتم وإياه .

هذه الطريقة من الناحية العملية ذات قيمة كبيرة، أولاً تجنب الناس الأخطاء؛ لأن النقل عادة يأتي فيه أخطاء؛ ولأنه لم تمر فترة طويلة بحيث أن القضية تكون قد اتضحت لكثير من الناس في كيف يعبر عن القضايا هذه مع

الآخرين، وكيف يتناولها، وقد تتجمع أخطاء من هذا وهذا، وهذا، ولا تدري والساحة ملان أخطاء، هذه الأخطاء في الأخير تراها وإذا هي كل منطق الآخرين الذي ماذا؟ يعارضون هذا العمل: [هم يقولون كذا وكذا..]، يقدمون مجموعة الأخطاء التي أتت من عند هذا وهذا، وهذا، ويقدمونها صورة لهذا الموضوع بكله. ثم في نفس الوقت يعتبر من ناحية ما يتعلق بالعدو نفسه، إذا لمس من الناس أنهم أمة منضبطة، أمة متقيدة، أمة لا تسير بطريقة عشوائية، لا يوجد عندها أسلوب الثرثرة، كل واحد من عنده، كل واحد يتناول القضية من عنده، ويغلط، والثاني يغلط، يجد أمة متقيدة، قضايا معينة يتركونها لجهة معينة، يوحي بأن هذه أمة مبنية بشكل صحيح، أمة كلمتها واحدة.

من الناحية العملية أنت ستؤثر في الآخر، أنت ربما تجره إلى موضوع قد يكون عندما يراجعه ربما يتأثر. هذا قلناه في البداية، عندما مررنا ـ في [سورة البقرة] ـ بقول الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} (البقرة: من الآية٢٣)، قلنا أنه هنا يدفعهم إلى أنهم يرجعون إلى القرآن، إذا اطلعوا على القرآن لن يخرج الإنسان من داخله مرتاباً نهائياً، يريد يبحث كيف يعمل في القرآن حتى يطلع سورة، لن يخرج من القرآن إلا وقد صار هو مستقيماً، وإن كان عندك خبرة أنت، بعض المقامات بالنسبة لكثير من الأشخاص وإن كان عندك خبرة في الرد عليه، أو التبيين له ربما الأفضل أن ترده إلى الموضوع؛ لأنه عندما يقرأ هذه الأشياء ربما في الأخير سيرى مواضيع هامة أخرى، سيرى حديثا عن الأمريكيين، حديثاً عن الإسرائيليين، حديثاً قد يكون أوسع من القضية التي أنتما تخوضان فيها، موضوع أصول فقه مثلاً، سيقرأ أشياء أخرى، وسيرى هذه القضية داخلها مرتبطة بأشياء أخرى، وفي الأخير: إما يتحول ويستجيب، أو على الأقل يترك المعارضة ويسكت، يرى بأنه غير مناسب أن يدخل في هذا الموضوع، ويعارض ويشاقق. هذه الطريقة أفضل حتى وإن كان عندك خبرة أن تبين بالنسبة لأشخاص .

نلمس من خلال آيات في القرآن الكريم: أن القضية، موضوع التوجيه الإلهي في القرآن يعطي الإنسان أسساً منها أن يكون همه ليس أنه يبرز شخصيته، أو يبرز أنه قدير في منطقه، أو أنه استطاع أن يفحم فلاناً، أو استطاع أن يفضح فلاناً في جلسة، لا، عنده روح عملية كيف يهدي الناس، وفي نفس الوقت محب بالنسبة للآخرين أن يهتدوا، فعندما يرى أنه فعلاً، أو قيل له: أن لا يتناول هذه القضية، سوف لا يتناولها؛ لأنه يعلم بأنه أن لا يتناولها هو أفضل للموضوع، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ التي هي دين الله، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ محاولة إبعاد الناس عن الضلال، ومحاولة إزاحة هذا الضلال من الساحة في داخل ثقافة الأمة هذه، يعني أنه سينضبط .

هذه القضية هامة: أن الإنسان يكون عنده رغبة فعلاً بأن القضية التي يتحرك فيها، أنها هي التي تنجح، هي التي تبرز، وليس شخصه هو الذي يبرز، هذا مثلما نقول: أنه حتى لو عندك قدرة أحياناً أن تبين، وقد يكون شخص معين الأفضل أن توكله على الموضوع تتركه يراجع أشياء ثانية، اتركه يطلع عليها، وأنت في المرة الثانية تسأله.

يجب أن يفرق الناس بالنسبة لنا عندما نتحدث عن القضية هذه، نحن نتحدث عنها فعلاً على أساس نبين، ونتلمس نحن جميعاً ـ من خلال قراءتنا للقرآن الكريم ـ الفارق بين ما يقدمه القرآن وما قدمته لنا هذه الأخطاء في ثقافتنا، هذه تؤدي بالإنسان فعلاً إلى أنه يعتبرها قضية رهيبة جداً، ضلال رهيب جداً ضرب الأمة ضربة شديدة جداً، هذا شيء. لكن، لا ما تدري إلا وقد أنت متحامل على أشخاص بأعيانهم، هكذا، [أنتم كذا، أو هم كذا] هذه ليست جيدة، إذا سمعنا فلاناً هو نفسه يتحدث، قد يضطر الإنسان أن يتحدث أحياناً، قد يضطر أن يتحدث، لا يحاول واحد يقلده في القضية هذه بالذات، في قضية أشخاص من الماضين، أو من الموجودين، لا نحاول نقلد فلاناً، لأنه يتكلم، أو سمعناه يتكلم فلنتكلم كمثله في تناول أشخاص، هذه قضية غير صحيحة، ولو لم يكن إلا في مرحلة معينة، أنت تريد أن تطلع الآخرين على ما قيل، حاول توزع ما نزل للتوزيع، وتخليهم يتفقون هم والذي جاء الكلام هذا من عنده .

بل من الناحية الأمنية أحياناً، افهموا هذه، من الناحية الأمنية أيضاً، أحيانا قد يكون كلمة من عندك في مسجد تجعل الآخرين، قسم شرطة، أو إدارة أمن، أو أي شخص آخر يأتي يمسكك ويذهب بك إلى السجن، شخص آخر ربما لا يحصل هذا، هل تفهمون هذه؟. إذاً فبطريقة أخرى مشِّي الموضوع، توزيع، وزع، وما يكون التوزيع مكتوب لا أحد يدري من هو منه، الاسم موجود فوقه، إذا هناك أحد يريد يحمس، أو يعمل شيء هو ذاك فلان يتفقون هم وإياه .

هذه قضية ملموسة بالنسبة للقرآن الكريم، داخله، افهموا، افهموا هذه القضية أساسية، ربما لو حاولنا نتطرق إليها

نجد فعلاً أنه قد يكون بالنسبة لأشخاص، قد لا يحصل شيء في الغالب، وإذا جاء الآخرون كل واحد عنده يريد أن يعمل مثل ذلك ربما يحصل لك أنت، وقد يكون فيها فائدة من جهة أن يبقى الناس مرتبطين بجهة واحدة، ويسيرون على توجيهات واحدة. وأنه كلما يقدمه القرآن الكريم من أشياء تجعلك مثلاً قد يكون عندك غضب شديد، وعندك عداوة شديدة مثلاً، لكن هناك شيء أساسي هو: أن تكون حريصاً على أن يهتدي الناس، كل الناس، هذه قاعدة، أنك حريص على أن يهتدي حتى اليهود، أليس هذا أسلوب نراه داخل القرآن .

إذاً فهذه القضية لا يجب أن تتحول الأشياء إلى شخصية، رأينا في القرآن كم حاول! يعني كم عمل فعلاً من أشياء داخل القرآن الكريم تبعد الموضوع أن يتحول إلى موقف شخصي، موقف شخصي، إلى آخره؛ لأن من سلبياته أنه قد يجعلك في حالة تصد عن سبيل الله فعلاً بمنطقك؛ لأنك قد أصبحت تعتبر القضية قد صارت قضية هناك ناس معينين لم يعودوا يصلحوا نهائياً، تحاول بعبارات قاسية، وأشياء من هذه، إلى درجة أنه قد يأتي الرد هكذا، يحدث سب لله مثلاً كما قال في الآية هذه.

اتبع الحكمة على أساس أنك تريد أن تنجح القضية هذه، وتعمل الطريقة التي يمكن أن يهتدي الآخرون، أو ينصرفوا بطريقة هكذا؛ ولهذا يقول أنهم هكذا يصدفون عن آيات الله بعد أن تأتي بطريقة حكيمة ومقبولة، لا تكن أنت الذي صدفه، أو صرفه بأسلوبك، إذا انصرف هو بأسلوبه بعد آيات تقدم إليه بشكل حكيم، وبتبيين حكيم، هذا الشيء الذي قد يضربه هو فعلاً، ولا يضرك أنت، لكن عندما يكون عملك أنت، أسلوبك أنت بالشكل الذي يصرف هذا، بعباراتك غير اللائقة، بأسلوبك الذي يبدو وكأنه قد أصبح قضية شخصية لديك، هنا قد تكون القضية مؤثرة عليك أنت، ويكون تأثيرها السلبي عليك أنت .

[الدرس السادس والعشرين من دروس رمضان الصفحة [٣ - ٦]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس السادس]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

٦ - [كيف نتولى الله؟]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

تشابهت قلوبهم

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة من الآية: ٥١) **فيجب أن تكونوا بعيدين عنهم؛ لأنك عندما تنظر إلى الصورة القاتمة عن اليهود، وتنظر إلى الصورة القاتمة عن النصارى تجد أنه إنما ينبغي لمثلهم هم أن يتولوا بعضهم بعض لماذا؟ لأنهم تشابهت قلوبهم، أعمالهم، أهدافهم، نواياهم، نفوسهم، في معظم ما هو بينهم مشترك وإن كانوا متعادين؛ لهذا تجدهم أليسوا الآن ينسقون مع بعضهم بعض ويتحركون؟ إسرائيل مع أمريكا ومع دول أربا. يجب أن تكونوا أنتم المؤمنون بعضكم أولياء بعض، واليهود هم هكذا لا ينبغي أن تتولوهم، إنما يتولاهم من هو مثلهم إما يهود يهوداً، أو نصارى نصارى، أو نصارى ليهود، أو كيفما كانوا. {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} ثم انظر إليهم في الصورة التي قدمها كيف هي، أليست صورة فضيعة؟ {إن اللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (المائدة من الآية: ٥١) **عندما تراهم في الأخير قدمهم ظالمين لعباد الله، ظالمين للبشرية، ظالمين لأنفسهم وللبشر، من يتولاهم يصبح شريكا في ظلمهم، يصبح ظالما مع الظالمين {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.**

عندما تتولاهم لأي اعتبارات، لمصلحة معينة، أو خوف، أو كيفما كان، لن تهتدي إلى ما تريد من وراء توليك لهم، هذه القضية هامة، يبدو فعلا أن الله لا يسمح أن يحصل، أن تتولاهم من أجل مناصب، أو من أجل مال، أو من أجل تأمن، أو أشياء من هذه، لا يتحقق هذا، لا يتحقق، إذا تحقق لك في مرحلة لتتمكن فيها، لتُضرَب في الوقت الحرج، وفي أشد مرحلة يكون وقع الضربة عليك فيها شديداً، أين أفضل لك أن تضرب وأنت فقير، وقع الضرب عليك في نفسك وأنت فقير معك غرفتين، أو وأنت صاحب ممتلكات، وبنايات فخمة؟ هنا أليست الضربة ستكون أشد على نفسك؟ الله يعتبرها عذاباً - كما قال في آية أخرى - يعني الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ولا يمكن لأحد أن يكون ذكيا أمامه على الإطلاق كما نكرر دائما، عندما يكون عند واحد أنه سيحاول أن يتولاهم من أجل، ومن أجل، ومن أجل، هنا يقطع الطريق، لن يتحقق، ولو تحقق في الصورة إنما ليكون عذابا لك في الوقت الذي يعتبر اشد نكاية عليك .

المسارعة إلى اليهود والنصارى تدل على وجود مرض في القلوب

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} (المائدة من الآية: ٥٢) **وهذا من الأشياء المؤسفة جدًا أنه بعد هذا البيان العظيم، وهذا الكتاب العظيم، وبعد ما أعطى من صورة واضحة، قدم صورة واضحة جدًا عن بني إسرائيل ويكون ما يزال هناك ناس يريدون أن يتولوهم!! هم بالطبع ليسوا طبيعيين، أي ليسوا سليمين، لن يتولاهم إلا أناس في قلوبهم مرض، ومعنى في قلوبهم مرض، لم ينطبع هذا الدين، هذا الكتاب، وهذا الهدى، وهذا النور، ما انطبع عليها، لم تمتلئ نوراً، ولا اهتدت، قلوب مريضة، أما قلوب مهتدية فلا يمكن أن تتولاهم على الإطلاق .**

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} مع أنهم بالشكل الذي يجب أن تسارع في الابتعاد عنهم، وليس أن تسارع فيهم، أن تسارع في الابتعاد عنهم؛ لأنهم هكذا قدمهم بشكل فضيع جدًا في نفوسهم، أهدافهم، تفكيرهم،

نواياهم، أعمالهم كلها . {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} وكلمة مرض واسعة المعنى، أهم شيء فيها قلوب لم ينطبع فيها هدى الله، ولم تستنر بنور الله، ولم تستبصر ببصائر الله، هي قلوب مريضة، فليكن فيما بعد يظهر إما بشكل نفاق، أو بشكل جبن، أو بشكل بحث عن مصالح، أو بشكل ـ التي يسمونها ـ مزايدات حزبية، أو كيفما كانت، المهم أن هناك مرضاً، أما ناس سليمين لا يتولونهم على الإطلاق، يبتعدون عنهم . إذًا فمعناه مريض يتولى مرضى، ألم يقدمهم مرضى، هم، بنوا إسرائيل؟.

{يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} يسارع فيهم، مثلما تقول: في الله، أشبه شيء مثلما تقول: يعمل في الله، أو يحب في الله، يسارع فيهم، يحاول في الشيء الذي فيه ماذا؟ فيه استرضاء لهم، أو الشيء الذي ربما يظهر لهم منه فيعتبرون أنه قدم خدمة لهم فيأمن شرهم، أو كيفما كان، المهم مسارعة إليهم بالشكل الذي يريدون، أنت عندما يقال لك: أنت تحب في الله أي: أنت تحب إنساناً الحب الذي يريد الله منك أن يكون قائما بينك وبينه، فهم مسارعون بالشكل الذي يريد بنوا إسرائيل، يسارعون فيهم أي يسارعوا إليهم بالشكل الذي يريدونه هم، وإذا لم يكن عنده معرفة أنهم يريدون فالقلوب المريضة هي تتشابه، {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}(البقرة: من الآية١١٨) ألم يقل هكذا؟ ثم ولا تدري في الأخير وإذا أنت أهدافك أهداف السفير الأمريكي تماماً ولست تدري إذا لم ينتبه واحد!.

لأن هذا الهدى هو قدم بالشكل الذي يجعل قلوب الناس مستنيرة وسليمة، القلوب المستنيرة المهتدية السليمة المستبصرة لا يمكن على الإطلاق أن تكون متشابهة مع القلوب المريضة، لكن القلوب المريضة يمكن تتشابه مع بعض، {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} ذلك من هناك يحاول أن يسكت الناس بأي طريقة حتى لا يرفعوا شعارًا في المسجد، وذلك الذي داخل المسجد، وإذا هو مثله محاول أنهم يسكتون ويتوقفون! ألم يبرز في الشاشة وإذا هم تشابهت قلوبهم؟ ذلك مريض من النوعية التي قال: {بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا} (النساء من الآية: ١٥٥) ونفوس خبيثة {أولئك الذين لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} (المائدة من الآية: ٤١) وأنت لأن قلبك مريض يعني: من يكون على هذا النحو قلبه مريض، أصبح عملك عمله ومشابهاً له، وبالطبع لا يتحرك هؤلاء الذين يعارضون إلا وقدهم عارفين أن أمريكا شغالة؛ ولهذا يكون خائفا، معظمهم، لو نقول ـ مثلاـ: [الموت لهولندا] هل أحد سيصيح في المسجد؟ لا، لن يعارضنا أحد، لو تقول: [الموت للعرب] أو تلعن العرب، هل سيعارضك أحد من هذه النوعية؟

إذًا فيها خوف، إما خوف، أو رغبة، المهم مرض، وهو يعرف في نفس الوقت أنك تقول: أمريكا، وهو يعرف أن أمريكا هي تتحرك وأن أمريكا أصبحت مهيمنة، وأن أمريكا بالشكل الذي يخاف منها، أو يرغب إليها، كيفما كان الأمر، قل: [الموت للسويد] لن يستثار، ولن يقول لماذا؟ ولن يرفع بك بلاغًا إلى أي جهة نهائيا، ولن يبادر الأمن السياسي إلى إلقاء القبض عليك، تقول: [الموت للعرب] تقول: [الموت لليمن] لن يغضب أحد عليك . إذًا فهذا معناه ماذا؟ أنه فعلا مرض، هناك مرض، المرض نحن نقول فيه، على أساس نحاول أنه مثلما قالوا نتأول مهما أمكن للموضوع إلا أنه بالطبع مرض واسع جدًا المرض، فليكن جهلا بدين الله، جهلا بأعداء الله، جهلا بما ينبغي أن يكون عليه باعتباره مسلم، وهذا مرض، أليس مرضا؟ لكن نحن نعتبر لا بأس إذا تأولنا لك مرضك بالمرض الذي يذهب واحد يتعالج منه وممكن يشفى، فقد يكون جهلا، وقد يكون غير فاهم، وقد يكون..، وقد يكون..، وإلا فقد هو فاهم أن أمريكا موجودة، وأن هذا الشيء يغضب أمريكا .

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} لم يقل مثلا: المواطنين الذين في قلوبهم مرض، أو الحكام الذين في قلوبهم مرض؛ لأن مرض القلوب يمكن أن يكون من عند أكبر مسئول إلى أصغر مواطن . {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} ليكون في الأخير ممن يرتد عن دينه والمفروض أن يسارع ليكون ممن قال الله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} (المائدة من الآية: ٥٤) نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم .

هذا من الخسارة الرهيبة للطرف الآخر أن يكونوا فريقا آراؤهم ورؤاهم التي تجعلهم يتقهقرون ويرتدون على أعقابهم فينقلبوا خاسرين. خسارة أن لا يكون الإنسان من النوعية هذه فعلا، أن لا يكون من هذه النوعية، نوعية

من وعد الله بأنه سيأتي بهم {فَسَوْفَ يَأتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} فمعنى هذا بأنه عندما ترى لبني إسرائيل حركة على هذا النحو، أنه يجب أن تسارع إلى أن يجعلك الله من هذه النوعية التي وعد بأنه سيأتي بها، لا أن تسارع فيهم، نخشى أن تصيبنا دائرة، [ويمكن، ويمكن، وأحسن لواحد كذا.. ولا..] لا، لأن هذه خسارة، والواجب هو أن تسارع إلى الله عسى أن يكتبك واحداً من هؤلاء الذين وعد بأنه سيأتي بهم .

ولأن لا يصاب الناس مهما كانوا قليلا، أو مهما كانوا يرون العدو كبيراً، ويرون التراجع الكبير، لا يصابون بإحباط. عندما ترى العرب تتقهقروا، ترى المسلمين تراجعوا، ترى قممهم تعلن تراجعهم، أليس القمم العربية، والقمم الإسلامية كلها يبدو منها التقهقر والرجوع؟ ليس فيها منطق جهاد، ليس فيها منطق مواجهة في أي ميدان من الميادين على الإطلاق، إذاً ما هنا تحقق ارتداد بكل ما تعنيه الكلمة في هذا الإطار، تأتي إلى الشعوب نفسها وإذا الكثير ليسوا حول الموضوع نهائيا، وهم يرون أمريكا، ويسمعون ما تريد أمريكا، وتكتب صحف، ويرون في التلفزيون والإذاعات، وكل شيء، ولا يبالي، ولا يوجد عنده فكرة، والكثير عنده فكرة أنه ماذا؟ يترك ولا يتدخل من أجل أنه يسلم!! نزل لهم أوراق تعلن بأن الأمريكيين يتجهون لتغيير المناهج بما فيها القرآن الكريم، لا يتحرك، أليس هذا من المتراجعين؟ يعني ماذا؟ وقت تحقيق الوعد الإلهي، أليس وقت تحقيقه؟ لأنه قال: {مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ} (المائدة من الآية: ٥٤) بالفاء التي تعني التعقيب مباشرة بدون مهلة، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وإن كان المرتدون ملايين أو عشرات الملايين .

هذه الآية أيضا تعطي الناس منهجا في كيف يجب أن يكون تثقيفهم لأنفسهم، وكيف يجب أن نوجه الآخرين ، وكيف كان يجب أن توجه وسائل الإعلام لو ما يزال هناك توفيق، أنك تربي الناس، توجه الناس كيف يكونون محبين لله هذه واحدة؛ ليحبهم، أليست هذه قضية أساسية، ونقطة هامة جداً؟ لأنه هنا ذكر نوعية ينطلقون في مواجهة بني إسرائيل بديلا عن أولئك المرتدين من داخل المسلمين، من منطلقات أساسية، لا تتأثر بالمصلحة على الإطلاق، لا تتأثر بالإغراءات، لا تتأثر بالتخويف، لا تتأثر بالدعايات، لا تتأثر باللوم، ينطلقون من منطلق حب لله، لا يبحث عن فتاوى [هل قد هذا يلزم أو ما يلزم] حب لله، سواء هو لازم أو لا، المهم أنه شيء يعتبر عملاً صالحاً، ويحبه الله، ومن يحب الله هو يسارع إلى العمل الصالح، وإن لم يكن قد وجب، أما هذا فربما قد وجب ربما مئات المرات وليس أن تقول: هل قد وجب أو لم يجب.

النوعية هذه الذين ينطلقون من منطلق حب لله لا يتأثر بمصالح أمريكية أو إسرائيلية أو كيفما كانت، في بلاده، عند بيته، له شخصيا، لا يتأثر؛ لأن موقفه منهم موقف ثابت وليس موقفا شخصيا، وسيعرف أنما يقدمونه إنما هو خداع، سيعرف أنما يقدمونه إنما هو خداع وتضليل؛ ليحبهم بدلا من أن يحب الله، ولن يحبوه، أما الله فإنك ستحبه، وهو يحب في المقدمة هو، أما بنوا إسرائيل قدمهم بشكل آخر: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} (آل عمران من الآية: ١١٩) .

إذاً فهذه نوعية راقية جداً، وأنها قضية منهجية فعلا، كيف يمكن للناس أن يحبوا الله؟ لمعرفته وفق ما يقدم القرآن وليس وفق ما تقدمه كتب علم الكلام على الإطلاق، هذه قضية، قد تكره الله فعلاً، إذا اعتمدت على تلك الكتب؛ ولهذا يقولون: أن الكثير فيهم يكونون قساة قلوب، ويتأقلم كثير منهم مع أي سلطة تحكم، وينتظرون للهبات منها، والجوائز والعطايا! هذه قضية أساسية، ولهذا نقول من البداية أن هذا القرآن يدل على أنه من عند الله يشهد هو، في هذا العصر أليس الأمريكيون يحاولون أن يقدموا خدمات، ويحاولون مثلا يضللون بأنهم يريدون مصلحة الناس من أجل يحبهم الناس، ومن أجل يقبلون احتلالهم، ونهب ثرواتهم، أليست هذه قضية معروفة؟ اعتمادهم على تقديم خدمات هي مزيفة في الواقع .

إذاً الإنسان الذي ينطلق من منطلقات شخصية، عداوة شخصية، أو حتى وطنية، أو قومية، ليس مضمونا أن يثبت في مواجهة مصالحهم، ووجدنا في المرحلة هذه من كانوا يتشدقون بالقومية أليسوا هم من أصبح الكثير منهم من سقطوا في أحضان أمريكا؟ فعلاً، عندما تأتي إغراءات كثيرة، لأنه ماذا؟ قد تكون دول عندها إغراءات كثيرة لكن المؤمن هنا سيعرف بأنها قيمة الله، وقيمة نفسه، وقيمة دينه، وقيمة الجنة، أليس هو سيعرف هذا؟ ليس مستعداً على

الإطلاق مهما قدموا من إغراءات. الحب لله يشكل ضمانة ضرورية، يعني: كأنه يكشف بأنه فعلا في مرحلة كهذه يحتاج الناس في مواجهة بني إسرائيل إلى أن يكونوا محبين لله، وإلا فقد يستفتي، قال لك: [ما يلزم] تقول: نريد كذا.. قال:[بل اترك الأمريكي يقدم لنا مصلحة]، وجلس، ألم يجلس؟ بقي ماذا؟ لا يتحرك إلا من ينطلق من الحب لله؛ لأنه ليس وراء [يلزم أو ما يلزم أو هذا قد وجب يا سيدي فلان أو ما وجب] وليس وراء: [إنهم يريدون أن يقدموا لنا مصلحة] بل أصبحوا إلى درجة أن يقول آخرون لنا، الذين يأكلون مصالحنا، الذين هم من داخل بلادنا، يقول: [من أجل مصلحة] والمصلحة ستأتي له هو، أي: قد صارت المسألة إلى أنه يباع الدين، ويباع الوطن من أجل مصلحة آخرين! أما هذا فقد صار يعتبر من أسوء الأشياء، تعتبر خسارة كبيرة جداً أن تبيع دينك بمصلحة لك شخصية مهما كانت، أما أن تبيع دينك ووطنك من أجل مصلحة آخرين فستكون أشقى الأشقياء .

أنواع الصراع

أيضا هؤلاء الأعداء لديهم فيما يتعلق بأنواع الصراع، يركزون على أشياء كثيرة يحركونها، تلويم عن طريق مثلا تثقيف، عن طريق دعاية، عن طريق ترغيب، وعن طريق ترهيب، حتى ينطلق اللوم ضد من يتحركون من كل جهة، من يلومك باعتبار أن عملك مخالف للمصلحة الوطنية، يضر بالمصلحة الوطنية، ومن يلومك باعتبار عملك يقضي على المذهب، ومن يلومك باعتبار عملك لا يجوز في المسجد، ومن يلومك باعتبار أنه خائف عليك، ومن يلومك باعتبار أن عملك يسد عليه مصلحة وقد هو مجهز لنفسه ليبيع في الأخير نفسه وهو يعتبر عملك يحول دون أن ينفق بثمن جيِّد، ومن.. ومن.. كم! .

إذًا معناه لا بد من أمة، من أناس لا يخافون لومة لائم، سواء عالم، أو زعيم، أو مسئول، أو أب أو أم، أو كيفما كان، إذا كان وعيه، إيمانه لم يرتق إلى الدرجة هذه قد يأتي لوم وطأطأ برأسه وجلس، يصطرع، يدخل في قائمة المرتدين. هنا لا يوجد مجال على الإطلاق في مرحلة كهذه، وبمنطق الآيات هذه إلا أن تكون واحداً من: إما مرتدين، أو ممن يأتي الله بهم . إذًا عندما لا تكن ممن يأتي الله بهم فأين موقعك؟ معناه موقع الساكتين، موقع الجالسين، أو ربما موقع المعارضين؛ لأنه ذكر عن البديل: يجاهدون، الذين يجاهدون يعتبرون ماذا؟ لأن هذا هو قطب الآية هنا، من يرتد قابل ما يساوي الارتداد بكلمة ماذا؟ يجاهدون، كلمة: يرتد، ليس معناها: ارتداد كفر، كلمة ارتداد، كلمة كفر، أشياء هي واسعة، ليس معنى ارتداد هنا يعني: كفراً، وقد يصلون بالناس فعلا إلى درجة الكفر، قد يجعلون الناس يكفرون بالدين نهائيا خلي عنك الكفر بأنواعه الكثيرة، كم قد أوقعوا إلى الآن!.

إذًا فكلمة: يرتد، معناه أنه في الواقع تراجعهم عن جهاد هؤلاء يعتبر ارتداداً؛ ولهذا ذكر البديل بعبارة ماذا؟ يجاهدون، لو لم يكن المعنى هكذا لم يقابل يرتد بكلمة يجاهدون؟ سيقول: يسلمون مثلا، أو يؤمنون لو أن المسألة معناها هناك ارتداد أي: خروج عن الملة، وقد يحصل خروج عن الملة، آيات أخرى تتناوله .

إذاً فأن يكون الإنسان على هذا النحو، وأن يكون توجيه الناس على هذا النحو: حب لله، هذه واحدة من القضايا الأساسية بأنه لا يؤثر فيه لوم لائم؛ لأن ذلك الذي قد يفتيك بأنه ما قد وجب أنت تعرف بأن هذا عمل يحبه الله [عساه لا يجب] هل ستتراجع؟ واحد هناك يريد أن يقدم لك مصلحة، أنت تحب الله لا يمكن أنك تؤثر على الله أي مصلحة، واحد من أقاربك مهما كان عزيزا عليك، أنت تحب الله أكثر من نفسك خلي عنك أن تحبه أكثر من واحد آخر. أليست هذه قضية هامة؟ تجد أيضاً في نفس أن يكون الله يحب الإنسان استعرض القرآن في موضوع الرحمة تجد أنه أرحم بالإنسان من أي قريب تطيعه؛ لأنك تحبه؛ ولأنه يحبك فتعدل عما يجب أن تكون عليه، تجاهد في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم، هذه واحدة من الضمانات، قضية الحب لله، الحب لله تأتي عن طريق المعرفة الواسعة القرآنية .

أذلة على المؤمنين

{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} متواضعين بالنسبة للمؤمنين، وأقوياء بالنسبة للكافرين، من يرتدون هم يكونون بالعكس: أعزة على المؤمنين، أذلة على الكافرين، حقيقة، أمام المؤمن يبادر إليه يكمم فمه حتى لا يقول: [الله أكبر] وبقوة وصرامة! أليست هذه واحدة؟ وأمام الكافر يقول له: هذا عمل إرهابي في بلادك، وهو يعرف أنه كاذب فيقول: نعم، يطأطأ رأسه ويقول: نعم عمل إرهابي! لم يعد يدفع عن بلاده تهمة فضلا عن أن يدفع عن بلاده حرباً، لا يعد يدفع تهمة هي أساس في الاعتداء على بلاده، أليست هذه قمة الخضوع، الذلة للكافرين، وعزة على مؤمنين، مؤمنين يعرف بأنهم من الناحية السياسية لا يؤثرون عليه على الإطلاق، بل لو سلك طريقتهم لنجي هو، أي سلطة حاكمة لو تسلك هذه الطريقة لكانت ناجية، لكن من يضمن أنه ما يزال هناك توفيق أن يهتدوا بهدى الله، ويسيروا على كتابه. ووجدنا آخرين، ألم نجد آخرين كانوا يتنمرون على من يسمونهم بـ[الشباب] يتنمرون عليهم، وشدة عليهم، وفتاوى، وارتداد، وأشياء من هذه، وإذا بهم في وقت بروز الكافرين يصدر بعضهم بياناً للمرشدين بأنه لا تسبوا أحدًا وإن كان كافراً!! أليس هذا ماذا؟ أمام الكافرين ولا كلمة، وهو من كان يكفّر بعضهم، أو يحكم بارتداد علماء؛ لأنهم ماذا؟ لأنهم مؤيدون لمؤيد للشباب، شدة بشكل رهيب، وإذا هي تلاشت بطريقة غريبة أمام الأمريكيين؛ لأنه قد أصبح يرى أنه ربما قد يصل هذا الموضوع إلى عنده .

يعني: أن هذه القضية معناها: أن الله لا يحدد فئة معينة، يحتاج الإنسان إلى أن يشرح نفسه هو كائنا من كان؛ لأن القضية إما أن تكون ممن يأتي الله بهم، وإما أن تكون ممن يرتد، ومن يرتد سيظهر منه مواقف المرتدين بما فيها الذلة أمام الكافرين، هذه واحدة، أو تكون هذه الفئة التي وعد الله بها، فيظهر بأنك لا تؤثر أي طرف مهما كان، ومهما كان لومه، ولو يصدر بيانا يوقع عليه مائة عالم، لن تتأثر به نهائيا؛ لأنك واعي وفاهم.

{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} إذًا فأين أفضل لك أن تكون ممن يحب من قال عنهم: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} أليست هذه خسارة أول شيء؟ أما هنا فيقول: {يُحِبُّهُمْ} في المقدمة . {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} لماذا لم يقل: يقاتلون هنا؟ نقول فعلاً: أن الآية تتحدث عن هذا الزمن؛ لأن القرآن هو للناس وللحياة كلها، الجهاد يعبر عن حالة الصراع، وسعة الصراع وميدانه أوسع من كلمة: يقاتلون، أي سيتحرك في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، ويقتضي العمل بإيجابية أن يكون مؤثراً على العدو فيتحرك فيه، بذل الجهد، سواء في موضوع ثقافي ، اقتصادي ، عسكري ، سياسي ، إعلامي ، في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، حرب نفسية، والحرب النفسية من أبرز مظاهر الصراع في هذا الزمن، الحرب النفسية؛ ولهذا يقول: يجاهدون في سبيل الله، يعني: يبذلون جهدًا في كل المجالات، وفعلاً ترى بأنه الفئة السابقة: {مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ} في خسارتهم تبرز أشياء هي سهلة جدًا وهي جهاد فلا يعد يتوفق أن يصل إليها، شعار يرفعه، أو بضاعة أمريكية وإسرائيلية يقاطعها، لا يعملها، يشتري قمحاً أمريكيا وهناك قمح آخر أمامه! أليست هذه خسارة، يتوقف أن يرفع شعارًا في مسجده، لا يحتاج يخسر من أجله ولا ريالا واحدًا، أليست هذه تعتبر خسارة؟ منتظر أن معنى يجاهدون: يقاتلون [متى ما قاتلوا]!

هذه من الأشياء الغريبة التي نقول هي أشياء مؤسفة فعلا بالنسبة للعرب أنه لم نفهم أنواع الصراع من داخل القرآن، والقرآن أعطى فعلا، نحن قرأنا في قصة معركة أحد كيف التركيز على الجانب النفسي والمعنوي، بمعنى أن الصراع لا يكون أمامك فقط مجرد سيف، هذه واحدة من وسائل الصراع التي يجب أن تكون نصب عينيك، لكن تعرف أن الصراع يتناول مختلف الأشياء النفسية والمعنوية، فالقرآن علمنا من قبل، لكن لا بد من القرآن حتى نعرف كيف الجهاد، ونعرف كيف عادة يحصل الصراع بين البشر، يقول لك: ننتظر حتى يأتي قتال!

نقول: إن هؤلاء الأعداء هم يركزون على قضايا نستطيع أن نواجهها إذا مشت سيقاتلون، وسيضربون، إذا لم تمش لهم لن يضربوا، ولن يصلوا إلى الناس، كيف تقول: أنك منتظر، منتظر.. في الأخير متى ما حصل ستقول: أنا لا

أملك إلا بندق ماذا سيعمل هذا البندق! الشيء المحتمل أن هذا النوع لن يتوفق، أن الكثير قد لا يتوفقون فعلا، الإنسان الذي هو يعتبر مجاهداً يجب أن يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً، وأعتقد فعلا رفع الشعار، والمقاطعة الاقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلاً، بل قد يكون هذا الجهاد اشد على الأمريكيين مما لو كنا عصابات نتلقى لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا: أن أثره عليهم أشد من هذا، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأي مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائيا، لم يستطيعوا أن يوقفوه بأي طريقة أبداً، ولا استطاعوا أن يلصقوا به شيئا يعتبر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة.

هذا هو الجهاد، والإنسان المسلم المؤمن يكون أمام عينه {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} (الأنفال من الآية: ٦٠) **قد تكون قوة معنوية هي بيدك تؤثر جدًا على العدو يجب أن تستخدمها، حرب نفسية، هو يستخدم حربا نفسية هو، العدو الذي يمتلك أفتك الأسلحة يرى بأنه ليس مستغنيا بل مضطراً إلى أن يسلك الوسائل الأخرى في الحرب، الحرب الثقافية، الإعلامية، الحرب النفسية، أليس هذا شيئا واضحاً؟ فكيف أصبحنا لم نعد نفهم حتى الصراع ما هو، أصبحنا لم نعد نفهم الجهاد ما هو! بالتأكيد المجاهدون ليس عندهم فكرة.. ـ لأن البعض يحاول يقدم تفسيراً لمعنى الجهاد أن الجهاد بالكلمة هو الجهاد وفقط أو آخر يقول: الجهاد بالسيف هو الجهاد فقط! ـ لا، الجهاد {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}** (الأنفال: من الآية٦٠) **هنا قدم كل قوة بما فيها القوة المعنوية {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}.**

[الدرس الثاني والعشرين من دروس رمضان من صفحة [١٨ ــ ٢٣]]

خسارة من يسارعون فيهم

بعد أن جاء النهي المؤكد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين: أن لا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، وبعد أن أوضح خسارة من يسارعون فيهم، والسبب الذي يدفعهم إلى المسارعة أنه نتيجة مرض في قلوبهم، وبين ما يعطي أملاً للمؤمنين: أن الله سبحانه وتعالى سيستبدل بمن ارتدوا عن دينه، سيستبدل بهم غيرهم، من وصفهم بأوصاف عظيمة، هذه الأوصاف العظيمة ليست بمعزل عن هذه الآية: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ} (المائدة: من الآية ٥٥) **بالإضافة إلى كونها توجيها للمؤمنين بشكل عام أنه لا يجوز أن تتخذوا اليهود والنصارى أولياء {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ} الذي يجب أن تتولوه فقط {اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}** (المائدة: من الآية ٥٥).

وليكم الذي تعتصمون به، وتلجئون إليه ، وتستنصرون به الله سبحانه وتعالى، هو من يجب أن تتولوه، وتكونوا معه وتتبعوه، وتطيعوه، {وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} الآية هنا تبين بأن ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض التي تتجلى على يد نبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه إنما هي امتداد لولايته سبحانه وتعالى ، امتداد لولايته، امتداد لسلطانه ، لهذا جاءت بعبارة واحدة {وَلِيُّكُمُ} ولم تأت بعبارة الجمع فيقول: أولياؤكم مثلا، {وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}؛ لأنها ولاية واحدة، ولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي امتداد لولاية الله، ولاية الإمام علي هي امتداد لولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، باعتبار الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن بعده الإمام علي امتداد لسلطان الله هنا في الأرض.

مفهوم الولاية في الإسلام

هنا يعطينا فهماً بالنسبة للولاية في الإسلام، عندما نقول: السلطة في الإسلام كيف هي؟ عندما تعود إلى القرآن

الكريم ترى في سور كثيرة، في آيات كثيرة، وعندما تعود أيضاً إلى واقع الحياة، تتأمل في السموات والأرض وما بينهما من خلق الله تجد أن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية رحمة، ولاية رعاية، ولاية تربية، ليست مجرد سلطة هكذا، سلطة قاسية، أوامر ونواهي فقط ، ولاية رحمة بكل ما تعنيه الكلمة. عندما تأتي إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وتتعرف عليه من خلال القرآن الكريم ، ومن خلال ما نعلمه من سيرته (صلوات الله عليه وعلى آله) تجد أيضا أنه كان يجسد هذه الولاية {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة: ١٢٨) . عندما تأتي إلى ولاية الإمام علي نفس الشيء .

إذًا فهذا هو مفهوم الولاية في الإسلام، وهذه هي مهام الولاية في الإسلام، ليست فقط سلطة تنفيذية، سلطة أوامر ونواهي جافة، وتجبر وتسلط وقهر، وأشياء من هذه.. أبدًا ؛ لأنه فعلا يحصل تساؤلات كثيرة حول النظام السياسي في الإسلام، أو حول السلطة السياسية في الإسلام، وأشياء من هذه، هو أساسا السؤال من أصله غير صحيح؛ لأنه في واقع الناس ليس هناك فصل ما بين سياسة، واقتصاد، واجتماع، وثقافة، وتربية، ورعاية، وأشياء من هذه، ليس هناك فصل فيما بينها. من أين جاء ترسيخ السلطة وكأنها فقط ما نسميها: سلطة سياسية فقط، سلطة تنفيذية لأوامر ونواهي وتسلط فقط؟! .

إنما جاءت عندما برز في الحياة هذه النوعية فعلا، وعندما كان من يتزعمون البشر في مختلف مراحل التاريخ من النوعية التي لا تمتلك أي رؤية أخرى، ولا قدرة أخرى فيما يتعلق بالرعاية، والتربية، والتثقيف وغيرها، لا يمتلكون شيئًا، لا يمتلك إلا القهر والسلطة، أمر ونهي وسجن وقتل ونفي ومصادرة، وأشياء من هذه ، هذا عمل يستطيع أي واحد يعمله ، أليس أي واحد يستطيع أن يعمله؟ لا يحتاج حتى إلى حنكة سياسية ـ كما يقولون ـ، معاوية استطاع أن يحكم الأمة عشرين سنة، ومعاوية لم يكن يمثل شيئا؛ لأنك بالطريقة هذه تستطيع أن تحكم العالم، هذا بوش نفسه أليس متجها إلى أن يحكم العالم؟ وهو عندما تتأمل منطقه، ملامحه، حركاته تجد أنه إنسان غير طبيعي، وغير متزن، لكن ما أيسر السلطة، وما أسهلها عندما تكون على هذا النحو: أو أمر ونواهي، الذي يقول لك: تمام، لا بأس، تعطيه كيفما أردت دون أن تلحظ حقوق الآخرين، والذي يرفض، سجن وقتل ونفي، وأشياء من هذه .

إذًا الولاية في الإسلام، السلطة في الإسلام هي أرقى بكثير مما عليه واقع البشر، أرقى بكثير في مهام من يلي أمر الأمة. تجد أنه عندما تتأمل ولاية الله سبحانه وتعالى لشئون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هي امتداد لولاية الله، يجب أن يكون عنده رحمة، يجب أن يكون عارفا كيف يربي الأمة، يجب أن يكون عارفا كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جداً، جداً.

تجد هذه ألم تكن هي أبرز الأشياء بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والإمام علي؟ ما الذي كان بارزا بالنسبة لشخصيتهم كأولياء لأمر الأمة؟ هل كان البارز موضوع التسلط والقهر، أو هذا الجانب الآخر، جانب الرعاية والتعليم والتزكية؟ {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}(البقرة من الآية: ١٢٩) جانب تربيتهم؛ لينشئوا أمة على مستوى عالي، هذه المهمة هي التي كانت بارزة في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ممارساته وسلوكه مع الناس الذين هو أولى بهم من أنفسهم {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}(الأحزاب: من الآية: ٦) ولهذا قال الله عنه: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}(التوبة من الآية: ١٢٨) يعز عليه ويؤلمه أي مشقة تلحقكم، هذه صفة هامة جداً {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي مشقة تلحقكم {حَرِيصٌ عَلَيْكُم} بكل ما تعنيه الكلمة، حريص عليكم بأن تنشؤا أمة مستقيمة، بأن تكونوا أمة قوية، بأن تنشؤا رجالا حكماء، أصحاب نفوس زاكية، أصحاب نفوس عالية، حريص أن لا يلحقكم أي ضر مهما كان {بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} .

إذاً عندما ترجع تتصفح القرآن الكريم بالنسبة لله سبحانه وتعالى أليس هذا ظاهراً، وليس فقط نقول: ملموس ، ظاهر من خلال القرآن الكريم مظاهر رحمته ، رأفته ، رعايته ، أنه فعلا بالنسبة لعباده هم محط عناية كبيرة جداً تساوي {حَرِيصٌ عَلَيْكُم} ما نمتلك عبارة بالنسبة لله نقول: هكذا، لكن مثلما قرأنا في الآية السابقة {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ} (المائدة من الآية: ٣٣) وكثير من الآيات غيرها، هذه الجوانب الهامة جداً هي الجوانب التي

يحتاج إليها الناس، وهذه هي الجوانب التي لا يمكن أطرف الناس أن يعملها، أما الجانب الآخر فبإمكان أي شخص يفوز بانتخابات، أو بانقلاب عسكري، أو عن طريق وراثة، أو بأي طريقة كان فيصل إلى الحكم، ويمارس الحكم، ويجلس ولو أربعين سنة، ولكن هل تجد له أثراً في تربية الأمة، رعايتها، تنشئتها، بناءها بناء صحيحا، لا تجد إلا العكس.

إذاً فقبل أن نتساءل عن ما هو النظام السياسي في الإسلام كنظام هيكلية الدولة، اسأل عن مهام الدولة في الإسلام، مهام السلطة في الإسلام ما هي ؟ هي هذه، وليس فقط: هل هو شخص واحد، أو مؤسسات؟ هل عن طريق انتخابات، أو عن طريق اختيار، أو عن طريق شورى أو..أو ..إلى آخره ، في المقدمة ما هي مهام الدولة في الإسلام؟

الإمام علي (صلوات الله عليه) هل كان إنسانا ضعيفا نفسيا؟ لم يكن ضعيفا نفسيا على الإطلاق، كان قويا، كان بإمكانه أن يخضع أهل العراق، ويخضع الجزيرة هذه، ويخضع كل البلاد الإسلامية، ويدير الأمور بشكل أقسى مما عمل معاوية، أليس هو يستطيع أن يعمل هذه؟ لكن اقرأ ما الذي ترك معاوية، وما الذي ترك الإمام علي، عندما تقرأ في نهج البلاغة تجد كيف ترك حتى فيما يتعلق بالوعي السياسي للناس، ترك تراثا هاما جداً، مثل عهده إلى مالك الأشتر، تجد نصوص خطبه وتوجيهاته ـ مع أنه قد يكون فقط قليل، ما وصل إلينا في نهج البلاغة قليل ـ كيف هو فعلا عمل الإنسان الذي يفهم السلطة في الإسلام ما هي، يفهم الدين من حيث هو بالنسبة للإنسان ما هو دوره، أن الله كرم الإنسان {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء من الآية: ٧٠) فيجب أن يكون الحكم للناس بالشكل الذي يسمو بهم، يكون متناسبا مع تكريم الله لهم، وليس بالشكل الذي يحطهم، ويقهرهم، ويذل نفسياتهم؛ ولهذا أصبح جانب كبير من المسئولية على نفس الأمة، على نفس الناس؛ لأن القضية هنا إضافة إلى خبرة إدارية، وخبرة تربوية، وتوجيهية بالنسبة لمن يلي أمرها لازم بالنسبة لها هي أن يكون لديها وعي، هو أن تعرف بأن من الأفضل لك أن تعيش في سلطة فيها مثل الإمام علي (صلوات الله عليه) لا تخاف أنه يمكن أن يظلمك، لا تخاف أنه بمجرد وشاية معينة إليه يمكن أن يسجنك، أو يقتلك، لا تخاف أن جواسيسه بعدك أينما ذهبت، لا تلمس أي خوف في نفسك، ولا أي شعور بقهر وإذلال ممن يحكمك ، أليس هذا الذي يتناسب مع كرامة الإنسان؟.

يجب أن تكون فاهما أن على الإنسان نفسه أن يكون واعيا وفاهما ؛ لأنه فعلا المسألة، أو تقول نصف الموضوع هو يتوقف على الناس؛ ولهذا كان الإمام علي والرسول من قبله (صلوات الله عليه وعلى آله) يوجهون الناس يوجهونهم على أساس يفهمون هم، ينطلقون هم، يتحركون هم، لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا من النوعية التي لا تتحرك إلا إذا سيقت بالعصا، لا تتأدب إلا إذا ضربت بالأسواط .

الإمام علي تعب جداً في هذا الموضوع، وكان باستطاعته أن يمارس السلطة، واحد من جماعته وليس هو ، واحد من جماعته باستطاعته أن يمارس السلطة بأرقى مما عمل معاوية ، لكن معاوية ما الذي ترك ؟ ما الذي سمعنا عن سلطته عن إدارته لشئون الأمة ؟ وماذا عمل ؟ سمعنا بقهر ، بإذلال ، بتدمير ، بسفك للدماء ، بتضليل رهيب للأمة ، تحريف لقيم الدين ، إذلال للأمة ، ومن أخطر الأشياء على الأمة أن تذل بواسطة من يحكمها، لكن الأمة إذا لم تكن واعية، إذا لم تكن واعية فعلا، تكون هي التي تعبر عن نفسها بأنها ليست جديرة إلا بمن يسوقها بالعصا، ويذلها ويقهرها .

الإمام علي أوكل المسألة إلى الواقع بعد أن فهمهم، وبين لهم، ووضح لهم، ووجههم، وحذرهم من العواقب، ما قبلوا، ولم يرضوا أن يتحركوا، ويتفاعلوا بالشكل المطلوب، ذاقوا العاقبة من بعد، ألم يذوقوا الأمرين عندما تسلط عليهم بنوا أمية من بعد؟ معاوية ومن بعده يزيد ومن بعده بنوا أمية واحد بعد واحد. الأمة هذه مسئوليتها كبيرة ، الهدى الذي قدم إليها مهمته بالنسبة لبناء النفسية مهمة عالية جداً، يصل بالنفس إلى مستوى عالي جداً، مهمتها في حركة هذا الدين لإيصاله إلى الأمم الأخرى، تحتاج إلى أن تربى على هذا النوع، تحمل نفوسا كبيرة، نفوسا كريمة، نفوسا عزيزة، نفوسا أبية، لا يكون قد أذلها، وحطها القهر، قهر التسلط .

لاحظ الآن عندما حكم العرب الكثير من حكامهم، الكثير منهم بسياسة القهر والتسلط، أنت هنا ضربت الأمة، لم تعد هذه الأمة صالحة لأن تدافع عن نفسها ، ألفت القهر، ألفت الإذلال ، ضعفت نفوسها، انهارت معنوياتها؛ لهذا يكون

هناك أثر سيء جداً، جداً للتسلط على الناس؛ لأنه يؤدي إلى قهر أنفسهم فيضعفون في مواجهة العدو، ويضعفون عن حمل الرسالة العظيمة هذه التي أوكلت إليهم.

هذه القضية من أهم الأشياء، حتى نعرف هل للإسلام رؤية سياسية ـ كما يقولون ـ هل الإسلام فيه ولاية أمر، أو ليس فيه شيء؟ كيف نظرة الإسلام إلى هذه القضايا التي يتكالب عليها الناس، ويتسابق عليها الانتهازيون؟ لا يمكن أن تفهم القضية إلا أن تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى فتعرف وهو يقول عن نفسه بأنه الملك، ألم يقل بأنه ملك؟ انظر إلى كيف ملكه هو، كيف ملكه، هل هو ملك تسلط وقهر وجبروت، أو ملك رعاية وتربية؟ وفي الأخير ـ فعلاً ـ لمن لا ينفع معهم أي شيء يضربهم ، أليس هذا الذي نلمسه في القرآن بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟ .

انظر إلى ولاية الله سبحانه وتعالى لأمر عباده، واعرف أن ولايته هنا عن طريق رسوله، أو الذين آمنوا، إنما هي امتداد لولايته، ويجب إذا لم تكن على هذا النحو، فليست امتدادا لولايته، إذا لم يكن من يلي أمر الأمة يتعامل مع الناس بالشكل الذي يلمسه من خلال مظاهر ملك الله، مظاهر ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، معنى هذا ماذا؟ أنه لا يعتبر امتداداً لولاية الله أبداً، هو مفصول عن الله، وسيترك آثاراً سيئة في نفوس الناس، وفي واقع الحياة .حصل الخطأ الكبير حتى عندنا نحن الزيدية، عند الزيود، ما بالك بالآخرين الذين جعلوها جائزة، من قفز على كتف، وعلى كاهل هذه الأمة تجب طاعته، وإن قصم ظهرها، وإن لعب بأموالها، وإن داسها، تجب طاعته! أيضاً قدموا عندهم الفكرة هذه: ما هي ولاية الأمر؟ قالوا في الأخير هي: [رئاسة عامة] يجيش جيوشا، ويعين ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم حدودًا، ويستلم زكاة، وانتهى الموضوع .

القضية أوسع من هذا بكثير، وإذا لم نفهم المسألة على هذا النحو، معنى هذا أننا جاهلون فعلا بالله، وجاهلون بمثل هذه الآية نفسها {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ} وليكم، أليست بعبارة مفردة {اللّه وَرَسُولُهُ وَالَّـذِينَ آمَنُواْ} أي بالتأكيد أن ولاية رسوله وولاية الذين آمنوا ـ الذي هو الإمام علي ومن كان كمثل الإمام علي ـ تعتبر امتداداً لولاية الله، هنا ستعرف أهمية ولاية الأمر في الإسلام بالنسبة للأمة، وأهميتها بالنسبة للدين، وأهميتها بالنسبة لإقامة الدين، ليست القضية هل يجوز أن يكون من هؤلاء، أو هل يجوز أن يكون بشورى، أو يكون بانتخابات، أو أن يقفز بانقلاب عسكري، أو بأي طريقة كانت، ليست القضية حول هذا، هل يكون واحدًا، أو عشرة، أو عشرين أو .. إن الإسلام لديه رؤية ـ إذا صحت العبارة ـ أن يحكم الأمة بكلها ، البشر بكلهم، قدم رؤية أرقى رؤية لحكم العالم بكله فضلا عن إقليم من الأقاليم .

عندما يقول البعض: أبو بكر ماذا فيه من عيب؟ أليس البعض يقول هكذا؟ أبو بكر هو هذا سير جيشا إلى الشام، وقاتلوا كذا، وأشياء من هذه، هذه كلها تكون نتيجة قصور في فهم ولاية الأمر في الإسلام ما هي، بالنسبة للأمة، أو بالنسبة للدين بكله ما هي، تراها قضية واسعة جداً، جداً؟ لا يستطيع مثل أبي بكر، ولا مثل عمر، ولا مثل عثمان أن ينجح فيها على الإطلاق، لا يستطيع حتى وإن حاول أن يُخلِص ،ليست قضية تعود إلى أنه مخلص أو غير مخلص، وإن أخلص، وقد أوضح الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)) للناس وضرب مثلا يبين للناس بأن هؤلاء غير جديرين بقيادة الأمة عندما ولاهم في خيبر، أعطى الراية في يوم من الأيام أبا بكر رجع منهزما أمام اليهود ، أعطى الراية عمر فرجع منهزما أيضاً من جديد أمام اليهود.

ثم تعود إلى هذا الدين وإذا هو يعطي هذه الأمة مهمة عالمية وكبيرة جداً، جداً حركة جهاد في العالم، إيصال هذا الدين إلى كل أنحاء العالم، أليس هذا بالتأكيد يتطلب قيادة عالية؟ فالذي انهزم أمام اليهود، وليس قبيلة عربية، ربما لو كانت قبيلة عربية الأمر أهون، لأن القبل العربية أقوياء، لكن اليهود هم أذلة، انهزم أمامهم، هذا يعطي مؤشراً واضحا بأن مثل هذا ليس جديراً بقيادة أمة مجاهدة، وتربى على أساس أن تكون مجاهدة، وتحمل هذه الرسالة إلى العالم كله . نحن نعتبر بأنه تراجع الدين، وتراجعت الأمة تراجعاً كبيراً جداً، جداً من أيام أبي بكر إلى الآن .

لكن إذا أنت فاهم فقط أن ولاية الأمر فقط تعني: واحد يرتكز يجيش جيوشاً، أيّ واحد يستطيع يجيش جيوشا، ويعين محافظين، ويزيل محافظين، أو أمراء، أو ولاة، على حسب منطق السلطة في أي زمن كان ، أليس باستطاعة أي

واحد، وباستطاعة أي واحد يقسم الأموال لهذا، وهذا، وهذا ، باستطاعة أي واحد أنه يحاول يسترضي كبار العشائر، يعطيهم أمولا كبيرة، والباقين في ستين داهية، أليس باستطاعة أي واحد يعمل هذه؟ أليست هذه مظاهر تتنافى مع ولاية الله؟.

إذًا فبالتأكيد أنه ليست قضية الولاية قضية فقط نختلف حول: هل واحد أو اثنين أو أن يكون واحد فقط، أو يكون هناك مؤسسات، أو تكون الطريقة هكذا، أو تكون الطريقة هكذا، حول ما يسمى نظام، أو هيكلية، حول المهام ما هي أولاً.

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: ٥٥) **في كثير من المواضع يأتي بالكلام عن الصلاة والزكاة وكأنهما نموذج للمجالين الرئيسين في العبادة ـ مثلما يقولون ـ عبادة روحية ، وعبادة بدنية مالية. هذه الآية المشهور فيها أنها نزلت في الإمام علي (صلوات الله عليه) عندما تصدق بخاتمه وهو راكع، ومثلما قلنا في درس سابق: أن هذا فعلا يعطي مؤشراً هاماً جداً، الإمام علي عندما دخل فقير يسأل ولم يعطه أحد أشر إليه بخاتمه ليأخذه .**

إذاً قضية الخاتم أليست تبدو قضية بسيطة؟ لكن ماذا تدل عليه؟ تدل على نفسية ثانية، نفسية تهتم بالناس، أليس هذا مؤشرا كبيرا؟ نفسية رحيمة، ونفسية تهتم بالناس، وليس يهتم كيف يأخذ حق الناس، يهتم بالناس، فأعطاه الخاتم، معناه: أن الأمة إذا لم تكن على هذا النحو: تتولى الله ورسوله وتتولى الذين آمنوا ستنهار، وفعلا قد تصبح فيما بين واحد من اثنين: إما أن تكون متولية لليهود والنصارى، أو متولية للذين آمنوا، فعلاً أن المسألة تصل إلى هذا أعني: لا تلحظ في كثير مما يقدم في القرآن في أجواء تبدو وكأنها أجواء مقارنة إلا ومعنى هذا أنه إذا ما حصل تقصير هنا سيكون الطرف الآخر هو البديل، إذا حصل تقصير في تولينا لله ورسوله والذين آمنوا سيكون اليهود والنصارى هم البديل ، أليس هذا واقع الآن ؟ واقع .

هذه الآية هي نزلت في الإمام علي فعلاً، وقلنا في درس سابق: بأن الآية هي نفسها تشهد، وتدل على أنها نزلت في قضية خاصة، بداية نزولها قوله: {يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} لا يمكن أن نفسر راكعون بمعنى: مصلون، إذ كيف يمكن يقيمون الصلاة وهم مصلون، ويؤتون الزكاة وهم مصلون، هذا لا يصح في التعبير العادي فضلا عن القرآن الذي أحكمت آياته، ولم يأت فيما نعرف كلمة: راكعون بمعنى: خاضعون، يأتي بكلمة: ساجد ، ساجدين، أو قانتين، هذا الذي نعرفه من خلال القرآن، فالآية نفسها هي فعلا تدل على أنها نزلت في قضية، في واقعة خاصة، لشخص خاص، في بداية نزولها، وما تزال، ولنعرف مثلا لماذا أنه تأتي مثل هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل، ويظهر من خلال الواقع: أن الأمة بحاجة إلى تولي الله ورسوله، وتولي المؤمنين في المقدمة الإمام علي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .

أن هذه القضية لا بد منها حتى تهتدي بالقرآن، وحتى تكون بعيدة جدا عن أي محاولة قد تكون بها قريبة من تولي اليهود والنصارى، وحتى تكون بشكل أخير على مستوى عالي، تعتبر حزب الله، وحزب الله كما قال : {هُمُ الْغَالِبُونَ} كما قال بعد في آخر الآية أنهم هم الغالبون؛ لأن الإمام علياً ، وهذا هو منطق الإمام الهادي هو يعتقد أن ولاية الإمام علي هي قضية واجبة على المسلمين، قد تكون القضية مختصة بالإمام علي أساساً، قد يكون بعده أئمة متأخرين قد لا تكون تعرفهم، قد لا تكون مسئولاً أمام الله بأنك لماذا لم تعرفهم، وتتولاهم بالتحديد، الإنسان يتولى المؤمنين بشكل عام ، بشكل عام يتولى أولياء الله، ويدين الله بولايته لأوليائه، وحبه لأوليائه، لكن الإمام علياً هنا يشكل ضمانة، ويشكل نموذجاً يقدم، قدم كنموذج لكيف يجب أن تكون ولاية الأمة من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى نهاية التاريخ .

الإمام علي نفسه قدم لهذه الأمة نموذجاً فمن يكون متوليا للإمام علي فعلا سيرى ولاية الأمر في الإسلام أنه يجب أن يكون من يلي أمر الأمة يتحلى بقيم، بروحية شبيهة بما لدى الإمام علي، أليس هذا حاصلا لدى الشيعة؟ ألم تبق عند الشيعة هذه الرؤية؟ بقيت هذه الرؤية عند الشيعة لماذا؟ لأنهم متولين للإمام علي، من يكون متوليا للإمام علي يكون في نفس الوقت يدين ويعتقد ـ لأن هذا معنى ولايته ـ أن هذا الدين لم يترك القضية فراغ، ولم يتناول

موضوع ولاية أمر الأمة، أن الإمام علياً، هو أول شخص من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، عينه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعني ماذا؟ أنك تدين بأنه ليس هناك فراغ على الإطلاق، وأن رسول الله مات وترك الأمة هكذا تبحث لها لمن ترى، أو من قفز فوق كاهلها فحياه الله .

تتجلى الصفات المعاكسة الآن، أليست تتجلى في واقع الأمة الآن عند من يلي أمر الأمة هذه؟ وعلى الرغم من أهمية هذا الزمن، وكثرة الإمكانيات فيه، والوسائل التي كانت تؤهلهم لأن يبنوا الأمة، لو كان هناك رحمة، وهناك رعاية، وهناك حرص، وهناك من هذه المواصفات العالية، ألن يكون واقع الأمة بشكل يختلف عما هي عليه الآن؟ إذاً ما الذي فقدت الأمة في من يلوا أمرها الآن على اختلاف بلدانهم؟ ما الذي فقدته؟ ألم تفقد صفات في هؤلاء؟ ألم تفقد صفات هي مرتبطة بالأمة هذه، مرتبطة بهذا الدين؟ هذا الذي فقدتها، لما كانوا فاقدين لها فقدتها الأمة، أصبحت الأمة في وضعية سيئة جدا، أليس هذا الذي هو معروف الآن؟ .

كما قلنا سابقا بالنسبة لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...}(المائدة: ٥٤) إلى آخر الآية، ألم يأت بصفات في هؤلاء؟ ثم يأتي بعدها: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ}(المائدة: ٥٥) بالتأكيد يجب أن يكون هؤلاء متولين لله ورسوله وللذين آمنوا والإمام علي في مقدمة الذين آمنوا بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية أساسية، وإلا فلن يهتدوا بالقرآن، ولن يحملوا تلك المقومات، والصفات الهامة . ولاحظوا أن القضايا كلها عملية في الإسلام، والولاية ليست فقط أن تحب له كما تحب لنفسك، وتكره له كما تكره لها، يجب على الأمة أن تتولى، المؤمنون يجب أن يتولوا الله ورسوله والذين آمنوا؛ لأن مهمتهم كبيرة، والخطورة عليهم كبيرة، متى ما تولوا الله ورسوله والذين آمنوا أصبحوا حزب الله؛ ولهذا قال بعد: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}(المائدة: ٥٦) يعني: فهؤلاء سيكونون حزب الله، وحزب الله هو الغالب لا شك في ذلك .

أليس هذا يعني: بأنها قضية ضرورية بالنسبة للناس، بأن يكونوا غالبين في مواجهة هذا العدو الذي يشكل خطورة كبيرة عليهم؟ أليس الناس كلهم بحاجة إلى مثل هذه الآيات؟ هم الآن في حاجة إلى من ينقذهم من هذا العدو ما بالك بأن يغلبوا ، كل العرب الآن حكوماتهم وشعوبهم، الأمة هذه كلها، المسلمون بحاجة الآن إلى من ينقذهم من أمريكا، تجلس محلها، وهم يجلسون محلهم! بينما هنا تجد في القرآن الكريم أنه يقدم ما يجعلهم إلى درجة أن يكونوا غالبين لهؤلاء الأعداء.إذاً أليست تعتبر خسارة كبيرة: أن لا يعودوا إلى القرآن الكريم، وأن لا يكونوا على ما يهدي إليه؟! عندما يقول واحد: أنه لماذا لم يذكر عليا؟! أليس البعض يقول هكذا؟ لماذا لم يذكره باسمه؟ القضية ليست بهذا الشكل، القرآن يقدم أسساً، مبادئ، مقاييس، مواصفات هي فوق مجرد اسم، فوق مجرد اسم، عندما يكون هذا الدين هو لهذه الحياة إلى آخر أيام الدنيا فهل معناه لازم أن يقدم قائمة بالأسماء: فلان بن فلان، وفلان بن فلان.. إلى آخره، ثم لا تدري إلا وكل واحد يسمي ابنه بذلك الاسم ، ألم يحصل هذا عندما يقولون: أن المهدي سيكون اسمه: محمد بن عبد الله؟ جاء الكثير ليسموا أولادهم محمد بن عبد الله، محمد بن عبد الله على أساس ربما يكون المهدي ، وهكذا.

إن القضية الأساسية هي: أن يبين كيف يجب أن يكون من يلي أمر الأمة، كيف يجب أن يكون، ثم إن المسألة هي أعلى من مجرد أن يكون اسمه فلان، أو فلان، هذه قضية مرتبطة بالله هو الذي يختار ويصطفي ويؤهل هو ، لا يعطي قائمة معينة من الأسماء، هنا القضية متميزة في القرآن أدق من الأسماء فعلاً، القضية وفق رؤية القرآن متميزة أدق من الاسم، أما الاسم فممكن يطلعون لك عشرات الأسماء، وكل واحد يدعي بأنه هو فلان يقدم لك قائمة: فلان بن فلان، وفلان بن فلان، ألم يحصل ادعاءات للمهدوية على طول التاريخ هذا؟ من جاء واسمه محمد بن عبد الله قال : المهدي ، وهكذا، وتكون الأمة منتظرة للاسم، منتظرين الإسم، أن يكون اسمه كذا، فيكون هذا متحرك بالاسم هذا، وذلك من هناك متحرك هو بالاسم هذا، قال ذلك : أنه المهدي ، وذلك قال: لا بل هو ، قال: أنا أسمي: محمد بن عبد الله، قال ذلك : وأنا اسمي: محمد بن عبد الله، أو أحمد عبد الله أو .. أسماء، أحمد، أو محمد كما يقولون !!.

لا، المسألة قدمت بأدق من التسمية، مبدأ التكامل، وأن القضية مرتبطة بأن تعرف الله في المقدمة، تعرفه هو

سبحانه وتعالى، ثم تعرف كيف ولايته التي هي عن طريق أحد ممن يصطفيهم من أنبيائه، ورسله، أو من أوليائه، كيف ستكون ولايتهم، وكيف يجب أن تكون ولايتهم، أنها امتداد لولايته، فتجد في القرآن تشخيص ، تشخيص بأدق من الاسم، أدق من الاسم، هذه قضية تقدم للأمة كتثقيف، تثقف بالرؤية القرآنية، وستميز المسألة بأدق من التسمية ، ولهذا نحن نقول: غير صحيح عندما يقول الإثناعشرية: واحد، فلان ابن فلان، وواحد، فلان ابن فلان، قدموهم مسلسل، نجح عليهم المسلسل في نصف القرن الثالث إلى مائتين وخمسة وخمسين، في الأخير [يحنبوا] إلى الآن على مدى أكثر من ألف ومائة سنة .

أن يذكر الاسم مثلا أليس الناس سيكونون بعد الاسم، منتظرين للاسم، وسيحصل تزييف عن طريق الأسماء، لكن هنا في القرآن قدمت المسألة فيما يتعلق بولاية الأمر، وفي منهم الذين يمكن أن يخلفوا رسول الله في أمته، قدمت بالشكل الذي لا يحصل التباس فيها على الإطلاق، ولا يحصل اختلاف؛ ولهذا كان الإمام الهادي يقول: (لن يشتبه اثنان) نهائيا عندما قالوا: [فإن كان ذلك عالم والثاني عالم وهذا كذا] في الأخير قال: (هذه مجاراة وإلا لن يلتبس اثنان في المسألة) لكن يكون تميزاً واضحاً، اختياراً إلهياً، اصطفاء إلهيا، وليست مسألة تأهيلية، كل واحد من عنده، بالاسم، أو بالتأهيل، أو بشهادة جامعية، أو بشهادة أزهر، وأشياء من هذه، فيكونون متنافسين على من الأعلم، من الأورع، من الأزهد، من الأكبر من الأصغر وهكذا.

لاحظ كيف ضرب مثلاً لبني إسرائيل أنفسهم، ومثل للأمة كلها، أليس عيسى بن مريم بعدما ولدته أمه ذهبت به إلى قومها طفلا بين يديها، طفلا، والكنائس مليئة بالحاخامات حقهم، وربما كل واحد منهم عنده أنه لو ينزل وحي من السماء لما نزل إلا عليه، والثاني مثله، وهكذا ، يأتي طفل تقدمه أمه: أن هذا هو الذي سيكون رسولا، سيكون رسولا، وينتظرون حتى يكلم الناس كهلا، كلمهم في المهد بقي طفلا إلى أن أصبح شابا، ثم أوحي إليه بتبليغ الرسالة، والنهوض بالرسالة .

ومع هذا وتطبيقا لمثل هذه الآية التي ستأتي بعد، ألم يعلن بالاسم، وهل أفادهم الاسم بعد أن أعلنه يوم الغدير ((فهذا علي مولاه)) ألم يقل هكذا (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ : ((فمن كنت مولاه فهذا..)) بالإشارة ، أليس تعيينا وهو ممسك له بيده ((علي)) ألم يذكره باسمه ((مولاه))، وفي الأخير يطلعوا بدلا عنه واحد اسمه: أبو بكر! ألم يطلعوا شخصا آخر باسم آخر؟ لأنهم لو فهموا المسألة بالشكل المطلوب ، لو كانوا يتفهمون فعلاً، لو كانوا يتفهمون، ولذلك نقول: التفهم زيادة على مجرد قضية الإيمان، ويجب أن نفهم هذه،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ} (النساء من الآية: ١٣٦) **أليس هذا إيمان داخل إيمان؟ لو كانوا متفهمين بالشكل المطلوب للمسألة بكلها، ولو عرفوا مسئوليتهم في الالتزام أمام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لما قبلوا غير علي على الإطلاق؛ لأن مواصفاته واضحة، كماله معروف، وبالتعيين أيضاً. فعندما يقول لك: لماذا لم يذكره هنا في القرآن، ذكره بأدق من الاسم، ثم انظر أنت هل نفع الاسم معهم؟! إذا لم ينفع الاسم مع أولئك الذين كانوا تلاميذ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هل سينفع الاسم من بعدهم؟.**

ولأن القضية هي بيد الله ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ أن موضوع إقامة دين الله ، موضوع قيادة الأمة، وتربيتها لتكون على مستوى عالي في النهوض بمسئوليتها، أنها قضية تختص بالله، وأنها القضية التي لا يمكن للناس أن يختلفوا فيها إذا فهموها؛ لأن بقاءها بيد الله يشكل ضمانة للأمة، تبعدهم عن التزييف، تبعدهم عن الادعاءات الكثيرة، تبعدهم عن التضليل، تبعدهم عن القهر والتسلط والإذلال، تبقى القضية بيد الله، وهذه هي سنة الله، أنه هو الذي يصطفي ويختار {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} (القصص من الآية: ٦٨) **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}** (فاطر من الآية: ٣٢) .

ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائنا من كان، سواء من داخل

أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار هذه الديولة في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟.

مثلما قلنا سابقا في درس ربما قد يكون من أول الدروس في الموضوع، في [يوم القدس العالمي] اعتقد بأنه فعلا أن القرآن يقدم القضية بالنسبة للأمة هذه أمام أعدائها، أمام هذا الخطر الكبير الذي يدهمها الآن لا مخرج لها على الإطلاق إلا العودة إلى هذه الآيات، إلى هذا القرآن ، التولي لله ورسوله والذين آمنوا، وفي مقدمة المؤمنين علي بين أبي طالب، قضية أساسية ...

في الأخير قدمت ولاية الأمر بشكل آخر فلم تعد تعني إلا السلطة التنفيذية، حتى أصبحت المسألة بأنه إذاً لم يعد معناها إلا ما يسمونه احتكار، أو استبداد، أو بأي عبارة، عندما قدمت ولاية الأمر بالشكل الذي يمكن أن يكون من أهل البيت أو من غير أهل البيت، ألم تقدم هكذا؟ وإذا لم يبرز موضوع أن يكون من أهل البيت إلا قضية شكلية، الآخرون رأوا بأنها ليست منطقية هذه، فقط أن يكون من هؤلاء لمجرد السلطة التنفيذية ....

{قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة من الآية: ١٢٤) **وإن كان من ذريته، وإن كان من آل إبراهيم، أو من آل محمد، لا ولاية له على الإطلاق، ولا يصح أن يعهد الله إليه نهائيا؛ لأنها قضية هامة جدًا، وواسعة جداً، وليست بالشكل الذي يقول الإمامية: هيمنة على ذرات الكون، ويجب أن يعلم الغيب .. لا، على النحو القرآني، من يخلف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب أن يكون على هذا الأساس على النحو القرآني تماماً .**

يأتي بالآية هذه، ألم يأت بها ثم يذكر في نهايتها: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: ٥٦) **في إطار الحديث عن بني إسرائيل من قبل الآية ومن بعدها .**

إذًا أليس هذا يعتبر من أبرز مظاهر رحمة الله بعباده؟ لكن هم الذين يظلمون أنفسهم هم، يعني: لا يزال أمام العرب، أمام المسلمين الآن أن يبحثوا كيف يسلمون شر هذا العدو الكبير ، أليس لديهم هنا ما يجعلهم غالبين على العدو؟ [الدرس الثالث والعشرين من صفحة [١ ــ ٨]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

دروس من هدي القرآن الكريم

البرنامج الرمضاني

[الدرس السابع]

من ملازم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

مواضيع متفرقة

١ ـ مفهوم الإصطفاء

من البداية سمعنا بالأمس الآيات السابقة من قول الله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران : الآية٢٦) **إلى قوله تعالى: {.. قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** (آل عمران : الآيات من ٣١ ـ ٣٤) .

تقرر هذه الآيات كلها وكثير من أمثالها في القرآن الكريم مما قد سبق ، وبقية السور أعني: هي تؤكد وتقرر قضية: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده ، هو الذي خلق الخلق ، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير فهو يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، فدور الناس أو تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله سبحانه وتعالى{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ} تدَّعون أنكم تحبون الله {فَاتَّبِعُونِي} هذا مؤشر وعلامة للتسليم لله سبحانه وتعالى، وليس كل واحد من عنده من هنا ومن هنا فاتبعوني ليحببكم الله .

الله قد جعل علامة التسليم له ومصداقية حبه أن يتبعوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم قال بعد: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} (آل عمران : من الآية ٣٢) **اتباع طاعة قد يكون الإتباع فيه نوع من الشعور بالقسرية بالكراهية بنوع من الثقل على النفس، لكن يجب أن يكون على هذا النحو: الإتباع لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) اتباع طاعة {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ}** (آل عمران : من الآية ٣٢) **هذا الرسول وإن لم يكن منكم، وإن لم يكن من بني إسرائيل ، الله هو الذي له الحكم والأمر في عباده ، يجب أن تسلموا له والقضية لم تخرج عن السنة الإلهية في موضوع الإصطفاء، في موضوع الإصطفاء {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ..}**(آل عمران : من الآية ٣٣) **إلى آخر الآية ، ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من آل إبراهيم اصطفاء ذرية بعضها من بعض ، فهذا الرسول الذي أمرتم بطاعته والذي جعلت طاعته علامة لمحبتكم إن كنتم صادقين في دعواكم الحب لله هو نفسه أصطفي واختير ؛ لأن هذه هي سنة إلهية {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}** (آل عمران : الآية ٣٣) **فهو اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكون رسولاً للعالمين .**

هنا لاحظ في مسألة الإصطفاء كيف يأتي بالشكل الذي نحاول دائماً أن نتحدث به لنفهمه جميعاً قضية [الدوائر] اصطفى آدم ونوحاً ، اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ، أليس آل عمران من آل إبراهيم ؟ في الداخل؟ آل عمران أسرة عيسى ، وسيأتي الحديث بالنسبة لمريم بنت عمران ونذر والدتها ، اصطفى آل إبراهيم كدائرة يصطفي من داخلهم أنبياء ، ويصطفي من داخلهم ورثة للكتاب لمن يصطفيه على هذا النحو دور ، وللدائرة هذه دور هام جداً ودور هذا ودور هذا كله يتوقف على مدى التمسك بالكتاب ، ويأتي التأكيد للكل أن يتمسكوا بالكتاب . اصطفاهم لحمل مسئولية : إقامة دين الله ، أن يكونوا هم من يحرصون على أن يجسدوا قيم الدين ويمثلوه في سلوكياتهم في واقعهم في مجتمعهم حتى تظهر قيمة هذا الدين أمام الآخرين لينجذبوا إليه وتظهر عظمته في نفس الوقت كشهادة على أنه على أرقى مستوى وأن البشر لا يستطيعون على الإطلاق مهما حاولوا أن يقننوا لأنفسهم أو يضعوا مناهج ثقافية لأنفسهم لا يستطيعون أبداً أن يرتقوا إلى جزء مما يمكن أن يتحقق على طريق الإلتزام بهدى الله سبحانه وتعالى .

وكما نؤكد دائماً بأنه هكذا مسألة الإصطفاء ، التفضيل هي كلها مسئوليات ومن اصطُفي سواء اصطفاء شخصي أو اصطفاء على مستوى دائرة معينة تجد الخطاب لهم دائماً أن يتمسكوا بالكتاب ، يقول لرسول الله صلوات الله عليه وعلى آله {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الزخرف : من الآية ٤٣) {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (هود : من الآية ١١٢) {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (الشورى : من الآية : ١٥) ويقول للكل: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ} (البقرة : من الآية ٦٣) .

تجد هنا على الرغم مما ذكر داخل بني إسرائيل الصفحات السوداء القاتمة فعلاً في تاريخهم تجد كان هناك ـ سواء على مستوى أفراد أو أسر أحياناً قد يكونون قليلاً وأحياناً قد يكونون كثيراً ـ نماذج عالية . في قصة طالوت وجدنا نماذج عالية تلك المجاميع التي بقيت معه الذين يقول المفسرون: بأنهم ربما لا يتجاوزون ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصاً قد كانوا نماذج عالية من داخل بني إسرائيل ، آل عمران أسرة متميزة داخل بني إسرائيل داخل آل إبراهيم هذه لها قيمتها بالنسبة للناحية العقائدية من ناحية الأمل بأنه تلك الدائرة التي اصطفيت كما قال هنا:[آل إبراهيم] مهما وجدت داخلها من أشياء مهما وجدت لن تعدم داخلها من يكونون هداة كما قال الإمام زيد بن علي (صلوات الله عليه): ((إن في أهل بيتي المخطئ والمصيب إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم)) وهذا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى ويزيح من ذهنية أي شخص مسألة التصنيفات عندما يقول: [لاحظ كيف فيهم وفيهم وفيهم كيف يمكن يأمرنا باتباعهم] أو أشياء من هذه أليس البعض يقولون هكذا؟ [فيهم وفيهم وفيهم كيف تتبعهم وهم كذا وكذا] هو قال في آية أخرى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (فاطر : من الآية ٣٢) .

ألسنا نجد هنا في داخل بني إسرائيل شخصيات عالية على مستوى هداة وأتباع على درجة عالية من الإلتزام والمعرفة والحكمة والرؤية؟ لأن ما عرض علينا في قصة طالوت وجنوده تجد فئة متميزة بقوة إيمانها تجد عندها أيضاً رؤية صحيحة فهماً صحيحاً ، هذه تعطي الإنسان أملاً بأنه مهما كانت مهما وصلت الحالة ما يزال ذلك الإصطفاء الإلهي قائماً ، وكما قال الإمام زيد ((إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم)) .

لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة تعني ميل إلى جانبهم نوع من الميل إلى جانبهم على أساس أنه أنت لديك ميل إلى هذه الدائرة وأنت في نفس الوقت تعرف كيف سنة الله داخل هذه الدائرة وكيف تتعامل مع هذه الدائرة مع دائرة أهل البيت ، وهي نفسها القضية التي كان عليها بنوا إسرائيل أي عندما يأتي في هذه الآية بكلمة: [اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم] وكل ما تقدم من أشياء تلك الصور القاتمة جداً أليست من داخل ناس من آل إبراهيم؟ ما يزال الإصطفاء قائماً في تلك المرحلة التاريخية الطويلة ولم يكن مثلاً ما هناك من صفحات سوداء بالشكل الذي يقفل الباب أمام أن يكون من داخلهم هداة وأن يكون داخلهم أسر متميزة وأتباع متميزون وشخصيات متميزة . [الدرس الثالث عشر من دروس رمضان من الصفحة [١ ــ ٢]]

٢ـ <u>خطورة التفريط</u>

وعندما نعرف أن الإضلال الذي تبناه معاوية طيلة أيام إمارته، ثم بعد أن أصبح يحمل لقب خليفة يحكم البلاد الإسلامية بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام)، ثم من بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) رأينا كيف حول ذلك المجتمع إلى مجتمع يناصر الباطل، ويقف في صف الباطل.

ورأينا أيضاً ـ أيها الإخوة ـ كيف يكون الجانب الآخر ـ وهو ما كنا نقوله أكثر من مرة ـ وهو: أن الجرائم ليست ـ في العادة ـ هي نتيجة عمل طرف واحد فقط، المجرمون من جهة، المُضلون من جهة يجنون ، والمفرِّطون والمقصرون والمتوانون واللاإباليون هم أيضاً يجنون من طرف آخر.

فالجريمة مشتركة من أول يوم حصل الإنحراف بمسيرة هذه الأمة عن هدي القرآن ، وهدي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكيف يمكن أن يسمع الناس منطق الحق ثم نراهم في يوم من الأيام يقفون في وجه الحق، في

صف الباطل ، هذا هو الذي حصل بالنسبة لأهل العراق.

معاوية أضل أهل الشام فكانوا قاعدة لإمارته وخلافته، وقاعدة لخلافة ابنه يزيد، وكانوا جيشاً قوياً يتحركون لتنفيذ أهدافه، وأهل العراق من جانب آخر. ما الذي حصل؟ ألم يعش علي بينهم سنين خلافته ماعدا الأيام الأولى منها كان في العراق، علي ببلاغته، علي بمنطقه ، علي بحجته، علي بمعرفته وعلمه الواسع « باب مدينة العلم » ،هو من كان دائماً يتحدث مع أهل العراق ، من كان دائماً يوجه ويتحدث ويرشد ويعلّم ويحذّر وينذر من عواقب الأمور.

فلماذا رأينا أهل العراق يقفون هم قبل أهل الشام في صف يزيد في مواجهة الحسين نفسه؟! إنه التفريط، ليس فقط التفريط أمام الحدث ، بل التفريط يوم تسمع التوجيهات فلا تعطيها أهميتها، أن تحصل حادثة معينة، فتتقاعس ، تقاعسك ، قعودك إنما هو نتيجة لتفريطك الأول يوم كنت تسمع توجيهات علي، يوم كنت تسمع إنذار علي، يوم كنت تسمع الحِكَمَ تتساقط من فم علي كالدرر ، فتنظر إليها و كأنها بَعَر ، لا تهتم بها.

التفريط، التفريط إنما هذا منبعه: يوم أن يسمع الناس الكلام، ويسمعون التوجيهات، ويسمعون منطق الحق ثم لا يهتمون ولا يبالون، ولا يعطون كل قضية ما تستحقه من الأهمية.

لماذا تربع أبو بكر على الخلافة بعد أن سمع المسلمون ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في يوم الغدير وما سمعوه قبل ذلك وبعده؟ سمعوا علياً، وسمعوا الرسول محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وسمعوا كل شيء، لكن أبو بكر لا بأس، المهم واحد ، حالة اللامبالاة.

من هنا بدأ التفريط، فتربع أبو بكر على الخلافة، ولولا أبو بكر لما كان عمر كما قال عبد الله بن حمزة [لولا عمر لما كان عثمان ، ولولا عثمان لما كان معاوية ، ولولا معاوية لما كان يزيد] لولا تفريط أولئك لما كان أبو بكر من البداية، ولولا تفريط أهل العراق يوم كانوا يسمعون علياً يتحدث، ومن أبلغ من علي بعد القرآن وبعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ومن أبلغ من منطقه، وأعظم أثراً ـ إن كان هناك ما يمكن أن يترك أثراً ـ بعد القرآن وبعد كلام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مثل كلام علي ؟!.

ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين وأهل بيته، وجعلهم ـ قبل أهل الشام ـ يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي (عليه السلام) سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم، لماذا ؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد ؟.

هم فرطوا، وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً ، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حداً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزه، ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة، يمكن أن يُصَفّى الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!.

بعد أن قُتل الحسين (عليه السلام) هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه. لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم.

ما أسوء الإنسان أن يسمع كلمة الحق ثم يرى نفسه في يوم من الأيام يقف في وجه الحق يضربه بسيفه، إنه أسوء من ذلك الذي تربى على الضلال من يومه الأول، إنه أسوء من أولئك؛ ولذلك تجد مثالاً واضحاً على ذلك، أليس تاريخ العراق أسوء من تاريخ سوريا؟ أليس العراقيون في كل عصر لا تجد شعباً من الشعوب في البلاد العربية أكثر نكبات، وأكثر مآسي من شعب العراق نفسه؟ لأن شعب العراق هو الذي سمع علياً أكثر من أي شعب آخر.

علي عليه خرج أياماً معدودة إلى اليمن ، وبقي أياماً معدودة في المدينة بعد خلافته ، وكان في المدينة لا يتفوّه

بكلمة في ظل الخلفاء الثلاثة، لا يريدونه أن يتفوه بكلمة ، لكن معارفه وتوجيهاته وحكمه انصّبّت في الكوفة على آذان ومسامع أهل العراق ، ففرطوا، فكانت عواقبهم أسوء من عواقب أهل الشام أنفسهم.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

وعندما يكون الإنسان من هذه النوعية فقد يصحوا في يوم من الأيام لكن في الوقت الذي لا ينفع. أهل العراق ندموا بعد، وتاب الكثير من تفريطهم في الإمام الحسين إذ لم ينصروه وخرجوا ثائرين، وقتلوا مَنْ قتلوا الحسين، وثاروا وثأروا لقتله لكن بعد فوات الأوان، بعد فوات شخصية عظيمة الحسين .

لو كانت تلك التضحية، لو كان ذلك الصمود، لو كان ذلك التفاني، لو كان ذلك الإهتمام، لو كان ذلك الوعي في وقته يوم كان الحسين متوجهاً إلى الكوفة لاستطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بأكمله ، وليس فقط وجه العراق ، لاستطاعوا أن يعيدوا الأمة إلى ما كان يريد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون عليه.

قتلوا الآلاف، وقُتل منهم الآلاف لكن بعد فوات الأوان ، بعد فوات شخصية كالإمام الحسين. وأعظم ما تتعرض له الأمة أو من أعظم نكبات الأمة أن تفقد عظماء كالحسين وعلي وزيد والحسن عليهم السلام وأمثالهم من أعلام الهدى ، خسارة عظيمة.

فنحن ـ أيها الإخوة ـ عندما نتحدث عن كربلاء لا نتحدث عنها فقط من الجانب العاطفي ، الجانب العاطفي مثير لكن قد يجعل القضية تتجمد في عصرها، ويجعلنا نحن لا نستطيع أن نستلهم منها الدروس والعبر ، إلا إذا حاولنا أن يكون إحياؤنا لهذه الذكرى هو فعلاً حديث عن ما حدث فيها من مآسي كشفت عن وحشية أولئك الظالمين، وخشونة طباعهم، وخبث أنفسهم.

ونعرف أيضاً الأسباب التي أدت لمثل تلك؛ لأنها أسبابٌ الناس يعيشونها في كل عصر ، نحن نعيش ـ فيما أعتقد ـ الأمة المسلمة هي تعيش الحالة، الحالة نفسها، الأسباب نفسها التي هيأت الظروف لأن يسقط بين أيديها مثل علي والحسن والحسين وزيد ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وغيرهم من عظماء أهل البيت ، الحالة نفسها واحدة.

سنظل دائماً نَئِنُّ ونتوجع من الأحداث ولا نهتدي لحل ولا نعرف من الذي وراء ذلك إذا لم نعد إلى أسباب الأشياء من أولها، إلى دراسة الأسباب الأولى للأحداث حتى نعرف ما إذا كان هناك في واقعنا شيء من هذه الأسباب متوفر، شيء من هذه الحالة التي أدت إلى تلك النتائج السيئة التي تعيش عليها الأمة، فإذا ما وجدنا أنفسنا نعيش نفس الشعور ، نعيش نفس الحالة فاعرف بأنك إنما ستكون مثل أهل العراق، مثل أهل الشام الذين ظلوا دائماً يتوجعون ، مثل هذه الأمة من أولها إلى حاضرها، تتوجع من الأحداث ، تتوجع من الكوارث ، وتَئِنُّ وتصرخ ولا ترى مخرجاً، ولا تعرف حلاً.

وحتى نعرف وحتى يعرف كل واحد منا أنه يعيش نفسية الشخص الذي أغمض عينيه يوم صعد أبو بكر على كرسي الخلافة ، وأنك تعيش نفسية ذلك العراقي الذي كان يسمع عليا يتحدث بمسجد الكوفة ، وتحمل نفسية ذلك العراقي يوم خرج الحسين متجهاً إلى الكوفة ، ويوم دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، حتى تعرف أنك لا تختلف عن أولئك، إذا ما وجدت نفسك أمام أي قضية، أمام أي حدث، تجد هناك من يذكرك بمسئوليتك ، يذكرك بخطورة عواقب تلك الأحداث، يذكرك بعقوبة تفريطك ثم لا تهتم، فإنك من قد تجد نفسك في يوم من الأيام ليس فقط ضحية لتفريطك، بل تجد نفسك في موقف أسوء من ذلك الموقف، تجد نفسك في صف الباطل تقف في وجه الحق، تساق إلى مواقف الباطل.

وهذا لم يكن فقط ما حصل للعراقيين وحدهم في التاريخ، لقد حصل للكثير من البشر على امتداد التاريخ تاريخ هذه الأمة، كم من الأشخاص ممن هم يُحسبون على جانب الحق، ممن سمعوا توجيهات الحق، وسمعوا صوت الحق، ودعوا إلى الحق ففرطوا فرأوا أنفسهم يساقون إلى ميادين نصر الباطل!.

نحن ـ أعتقد ـ إذا لم ننطلق في مواجهة الباطل في هذا الزمن فإننا من سنرى أنفسنا نُساق جنوداً لأمريكا في ميادين الباطل في مواجهة الحق.

لا يجوز بحال إذا كنا نحن من نلوم أولئك، أي واحد منا يلوم أهل الكوفة أليس كذلك؟ يلوم أهل العراق؟ يلوم ذلك المجتمع الذي لم يصغ لتوجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **بعد أن ولّى علياً، يلوم أهل المدينة ، يلوم أهل البصرة ، يلوم أهل الشام ، يلوم ..**

إذا كنا فقط إنما نلوم الآخرين، ولا نعرف على ماذا نلومهم ، أنت تلومهم لأنهم قتلوا الحسين، أليس كذلك؟ فعلاً يلامون على أنهم قتلوا الحسين، لكن ما الذي جرّهم إلى أن يقتلوا الحسين؟.

أنت تعيش النفسية، تعيش الحالة التي جرتهم إلى أن يخرجوا ليواجهوا الحسين، فَلُمْ أنت نفسك، ولُمهم أنت على تفريطهم يوم كانوا يسمعون علياً، واحذر أنت أن تكون ممن يفرط وهو يتكرر عليك هدي علي، وهدي القرآن الكريم الذي هو فوق كل هدي.

أوليس القرآن حياً بين أظهرنا؟ أولسنا نقرؤه؟ أولسنا نحاول أن نعرض الأحداث على القرآن الكريم ؟ لنستلهم من خلال القرآن ما هو الموقف المطلوب منا؟، بل لنحصل من خلال القرآن على وعي وبصيرة نفهم من خلالها ما يدور حولنا، فمن يُعرض، من يُفرط، من لا يهتم ، من لا يبالي إنه يعيش نفسية من يلومهم قبل ألف سنة وأكثر من ألف سنة.

بل أرى أن اللوم علينا أشد.. لماذا؟ عادة الناس إذا تحدث معهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وحذرهم من عواقب الأمور ، الكثير من الناس هو يكون من أولئك الذين يريدون أن ينظروا إلى الأشياء متجسدة أمامهم حتى يصدقوا، وحتى يستشعروا الخطورة، وحتى يهتموا، أو يكون لهم موقف، يريدون كما قال بنو إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}**(الأعراف: من الآية١٣٨) **بعد أن خرجوا من البحر، بعد تلك الآية العظيمة، الآية الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى.**

وهم مؤمنون بالله، لكنهم ما زالوا يريدون أن يروا إلهاً متجسداً أمامهم ، حتى قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً }(البقرة: من الآية٥٥) **ألم يقولوا هكذا؟{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً }هذه الروحية: [لن نصدقك حتى نرى الأحداث ماثلة]، هذا هو الغباء، هذا هو الخطأ، هذه هي الأمية الحقيقية، هذه هي الجهالة، هذه الروحية هي التي تؤدي إلى ضرب الأمة في كل عصر .**

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما كان يتحدث، القرآن الكريم الذي** ((**فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم**)) **يتحدث هو أيضاً عن عواقب الأمور، عن عواقب التفريط، عن عواقب اللامبالاة، عن أضرار الضلال والباطل عليكم في الدنيا قبل الآخرة.**

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أيضاً تحدث لكن لم تكن هناك أحداث واسعة بسعة، ما يسمعونه من حديثه، وهم من نوعية من يقول في واقعه ـ من حيث لا يشعر ـ: [لن نؤمن لك حتى نرى عواقب الأمور جهرة!].**

الإمام علي (عليه السلام) **تحدث مع الناس ، وكانت أيضاً قد عرضت في الحياة أحداث كثيرة ، فكان من المفترض أن يكون من يعيشون في عصر علي ـ لأن منطق علي هو منطق القرآن ، ومنطق محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ـ أن يكونوا أكثر وعياً؛ لأنهم من قد شاهدوا الأحداث الكثيرة والمتغيرات من بعد موت الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **إلى أن قام علي، ورأوه فوق منبرهم في الكوفة يتحدث معهم ويوجههم.**

كذلك من جاء بعدهم، نحن في هذا العصر من أمامنا رصيد هائل من الأحداث، أمامك كربلاء، وأمامك يوم الحرة، وأمامك يوم ضرب الكعبة، وأمامك استشهاد زيد، واستشهاد أصحاب [فَخْ]، وأمامك الأحداث تلو الأحداث الرهيبة

التي تكشف لك عواقب التفريط والضلال والتقصير والجهل، أصبحت مثلاً شاهداً من واقع الحياة تستطيع أن تضربه مثلاً أمام كل قضية تتحدث عنها، إذا كنا نحن لا نفهم بعد ولا نعي وأمامنا رصيد من هذه الأحداث ، أمامنا كربلاء التي نحن في هذا اليوم نتحدث عنها، ونستلهم العبر منها.

هذا الحدث نفسه إذا لم تكن أنت، وأنت في هذا العصر من يفهم الأمور ـ وأمامك هذا الرصيد ـ فإنك أسوء ممن خرج يقاتل الحسين ، فإنك أسوء ممن خرج يقاتل الحسين .

وإذا كان أولئك لتفريطهم هيئوا الساحة لأن يتولى يزيد فأنت هنا لتفريطك ستهيأ الساحة لأن يحكمها [بوش]، وتحكمها إسرائيل ، فيحكمها اليهود، أوليس اليهود أسوء من يزيد؟ إن من يهيئ الساحة لتحكمها أمريكا ، من يهيئ الساحة لتحكمها إسرائيل ، من يهيئ الساحة لتحكمها ثقافة الملعونين من اليهود والنصارى بدل ثقافة القرآن هم أسوء ممن شهروا سيوفهم في وجه الحسين . [دروس من وحي عاشوراء من الصفحة [٦ ــ ٩]]

٣ـ أهمية الإستغفار

نحن قلنا في محاضرة يوم الخميس حول قول الله تعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الإنسان الكامل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هو الكامل في إيمانه ، في تقواه ، في طهارة نفسه ، في حرصه على هداية عباد الله هنا يقول الله سبحانه وتعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (محمد: من الآية١٩) **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}** (الفتح: من الآية٢). . **فأنا عندما أرى نفسي بأنني أصبحت لا ذنب لي ، ماذا يعني هذا؟.**

أصبحت وكأنه ليس هناك أي ذنب لدي إطلاقاً، لم يبق إلا أن أنتظر، قد أصبحت القضية عليك أنت يا الله. كما قال الرئيس عندما اجتمع بالعلماء قال: نحن الأمراء أصلحنا نفوسنا الباقي أنتم أصلحوا نفوسكم ، أنتم تقولون أنه فئتان من الناس إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء أو السلاطين والعلماء نحن صلحنا إذاً أنت أصلحوا.

هكذا قد تكون أنت مع الله تقول: نحن قد استقمنا، نحن ليس مثلنا أحد في الطاعة! لم يبق إلا أن تفي أنت بما وعدت به ، باقي أنت يا الله تنزل البركات ، وتعطينا كل شيء بسرعة.

هل أنت ارتقيت إلى درجة محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أم أنك أصبحت تجعل لنفسك مقاماً هو أعلى من مقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يقول الله له: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} وما هي الذنوب التي قد نتصورها نحن بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لكن مهما ارتقيت ، مهما ارتقيت في سلم الكمال لا بد أن تستشعر أنك ما تزال قاصراً وناقصاً ومقصراً أمام الله سبحانه وتعالى ، ما تزال ناقصاً ما تزال مقصراً ، لا تستطيع أن تحيط علماً بكل الدائرة من حولك أنها قد أصبحت كلها طاهرة بنسبة مائة في المائة في كل تصرفاتك ، كل أفعالك ، كل أقوالك ، كل آرائك ، كل نظراتك ، كل مواقفك، ثم تقول بعد: لا يوجد أحسن منا ، فإذا لم تر الأشياء تتحقق على ما تريد تسخط على الله سبحانه وتعالى! هذه جهالة.

الإنسان المؤمن يجب أن يكون دائماً مستشعراً للتقصير أمام الله، الله وصف المتقين بأنهم كما قال عنهم: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران: من الآية١٧) **مستغفرين دائماً حتى في تلك الأوقات التي عادة ينهض فيها العباد المنقطعون في العبادة. هم عندما ينهضون في الثلث الأخير من الليل ، وفي السحر قبيل الفجر لا ينظرون إلى أنفسهم بأنهم قد أصبحوا في القمة، ولم يبق لديهم أي تقصير، وأنه ما بقي لديهم أي ذنب، يستغفرون الله دائماً {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}.** [معنى التسبيح صفحة[٦]]

٤ ـ الخدمات التي يقدمها الغرب

هذه تعطي رؤية فيما يتعلق بالأشياء التي تأتي من جانبهم هم نراهم يقدمون مساعدات أليس هذا يحصل؟ يعملون مشاريع خدمية؟ يجب أن ترجع إلى هذه كقاعدة لتعرف كيف تتعامل مع ما يقدمونه وكيف تتمسك بالشيء الذي هم يريدون من خلال تقديم هذه الخدمات أن ينسفوه من نفسيتك أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك بأنهم لا يريدون لنا أي خير أنهم لا يودون لنا أي خير على الإطلاق لكن هناك مشاريع بملايين الدولارات الإنسان البسيط يجب أن يفهم ويرى بأم عينيه حقيقة ما يقدمونه إنما هو عبارة عن طُعم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم من أجل ماذا؟ من أجل يحتلونهم ويجتاحون بلدانهم وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت بأكثر مما قدم لك ، أما إذا أنت تراه قدم مدارس مثلاً مدارس أليس هو يلحقها بالمنهج حقه؟ إذاً المدارس حق من في الأخير؟ حقه هو ؟ المدرسة هي لصالح من هو متحكم في المنهج ويكون معناه في الأخير أننا نقدم لهم الشكر ونصفق لهم ونعتبرهم متجملين فينا وإذا المدارس في الواقع فقط نقدم لهم ونعطيهم ولاءنا ونعطيهم أيضاً أبناءنا يعلمونهم كما يريدون .

إذاً ما هذه تطلع في الأخير قضية وهمية؟ ممكن يعطون لنا مثلاً مستشفيات يعطون مراكز صحية يعطون مستوصفات لكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عملياً ، إضافة إلى أنه من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم هذه النظرة الإيجابية هي تجعل الناس يغمضون أعينهم أمام ما يحيكونه من مؤامرات وما يسيرون من أجل الوصول إليه وهو أن يهيمنوا عليهم ، أليست هذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلا وهم واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافا مضاعفة يستلمونها هم.

إذاً عندما يأتي مشروع مستشفى كم فيه مثلاً؟ عشرات الأسرة وخدمات عالية وأطباء مهتمين وممرضين مهتمين يدخل مريض من قرية يهتمون به بشكل كبير سيقول: [هؤلاء ناس طيبين هؤلاء ناس ملائكة ، الأمريكيين هؤلاء ناس طيبين باهرين..] سيرجع القرية وعندما تقول أنت: هؤلاء ناس خطيرون هؤلاء ناس يجب أن نقف في مواجهتهم سيقول لك: [ماذا؟ مواجهتهم ! ولا أمك ستعمل لك مثل تلك الممرضة ولا أبوك سيعمل لك مثل ذلك الطبيب] قد يقول: [رضي الله عنهم اسكتوا] وإلاّ قد يصلي عليهم .

الخطورة هنا المكسب الكبير للأمريكيين عندما يقدمون المساعدات هي في هذه النظرة التي يخلقونها من خلال مساعداتهم هم لا يقدمون شيئاً بمشاعر إنسانية بشعور بحق عليهم كدول متقدمة أن يعطوا دولاً فقيرة ويساعدونها من منطلق إنساني لا يوجد عندهم هذه على الإطلاق ، إذاً فلما كانت هذه القضية هي نفسها قضية دقيقة وما تزال تعتبر دقيقة أمامنا وأمام الكثير عندما يكون الكثير منا لا يعرفون كيف تتم عملية خداع العدو مع أن هذه قدمها القرآن الكريم في قصة آدم مع الشيطان كيف الشيطان؟ ألم يقدم له أشياء تعتبر خير بالنسبة له ويحاول يحمله على أن يأكل من الشجرة ؛ لأنه عارف إذا أكل من الشجرة سيخرج من الجنة عاريا ، ولا يتركون له حتى السروال حقه فعلاً حاول{قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى}(طه: من الآية١٢٠) ألم يقدم نفسه حريصاً وهو يتردد عليه؟ حريص، حريص أنه يريد لآدم أن يصل به إلى الخلد وملك لا يبلى ويقسم بالله بأنه من الناصحين له هو وزوجته حواء.

أليسوا يقولون هكذا؟، بالطريقة هذه:[نريد نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد ...] هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل ، ففي [سورة البقرة] قرأنا في آيات سابقة:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا}(البقرة: من الآية ٨ـ٩) ويقول بعد:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}(البقرة:١١) يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يقدم على أساس يتقمص ثوباً يشكل جاذبية عندك خير لك نصيحة لك أليس هو يقدم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام

بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله ، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين ، أليس الله قال في آية أخرى: {وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} (النساء: من الآية٤٥).
إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} (البقرة: من الآية١٠٥) يعمل مشاريع يعمل ما يريد لكن موقفي هو موقفي منه الموقف القرآني يكون موقفك منه الموقف القرآني استفد مما يقدم من خدمات وابق في تعاملك معه التعامل القرآني اتركه في الأخير سواء أراد أن يعتبر نفسه متجملاً أو يندم المهم أن يروا في الناس بأن ما قدموه ـ وهو بالتأكيد إن ما قدموه عبارة عن طعم كما يقدم الصياد للسمكة قطعة لحم ـ يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة لن يقول لك في الأخير : إذا لم يقبل عندكم نحن نريد وجه الله الباري سيكتب أجرنا، هم ليسوا حول هذه يعرفون أن هذه الأمة لا تخدع بما يقدم لها أبداً وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر التي عندها أن الصياد ذلك فاعل خير نزل لها قطعة لحم أنه جاء من البيت قاصدا وقد ترك شغله وعمله ليقدم للسمكة قطعة لحم وهي لا تدري السمكة أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك ، إذاً ألم يستفد أكثر مما قدم؟ الصياد ألم يستفد أكثر مما قد ؟، كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل حقيقة قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين كيلو أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها . [الدرس السادس من دروس رمضان الصفحة [٦ ـ ٨]]

٥ ـ أهمية المبادرة في العمل

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} (آل عمران١٣٤ـ١٣٣) المسارعة معناها: المسابقة، عندما يقول: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ليست المسارعة معناها نسابق، نسابق سبَق؛ أن المغفرة موجودة هناك، والجنة هناك مطروحة نسابق إليها!.
نسارع: أي: نبادر إلى الأعمال التي بها نستحق المغفرة، وبها نستحق الجنة. المبادرة إلى الأعمال الصالحة، يكون الإنسان سبَّاق، مبادر، ما يكون فيه تثاقل، وكل ما ذكر من صفات المتقين يوحي بأن هذه هي من صفات المتقين: المبادرة، المسارعة إلى الخيرات .
قضية المبادرة، قضية المسارعة هي شيء مهم في الإسلام، شيء مهم، وفي ميادين العمل للإسلام، والصراع في مواجهة أعداء الله، تجد المبادرة لها أهمية كبرى جداً؛ ولهذا جاء القرآن بعتاب شديد، وسخرية ممن يتثاقلون: {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} (التوبة٣٨) تباطؤ، زحزحة، وممكن يحصل التثاقل عند الناس في الأعمال الصالحة ولو عند واحد انه مستعد، سيقوم، سيعطي من ماله، سيسرح يجاهد، سيقوم بالعمل الفلاني، لكن ببطء، وتثاقل .
عندما يدعوهم إلى الجهاد، وكان العادة أن يعسكروا، أو يحدد مكاناً معيناً يجتمع الناس فيه لينطلقوا بعدما يجتمعوا، وقد يكون كثير من الناس عنده استعداد أنه يخرج [لكن بقي معي باقي عمل، عاد معي حاجة من عند فلان باحتاج اسرح لها، ومتى ما غد إنشاء الله با نرجع نجاهد] بطء، تثاقل، [وعاد معي باقي شغل في حديقة نخل، أو في مزرعة، أو عاد معه مسقاة يريد يكملها]! .
مع أنه قد حصل استنفار، والإستنفار معناه: الدعوة إلى الخروج بسرعة، مبادرة، {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} والقائل من هو؟ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} (التوبة ٣٨) {انفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً} (التوبة٤١) .
أليس هذا أمر بالمبادرة، والمسارعة، هكذا؛ لأنه هذه الصفة مهمة جداً بالنسبة للمسلمين، هي الصفة التي تجعلهم هم السباقين، وهم سادة الأمم، تجعلهم هم أصحاب السبق في كل ميادين العلم، والمعرفة، في كل مجال من مجالات الصناعة، من مجالات الزراعة، وكل المجالات مثل: الطب، والهندسة، وغيرها، لكن مسألة التثاقل، التباطؤ، هي

التي تؤخر الأمم، وتؤخر الناس ما يعرفوا أشياء كثيرة، فيسبقهم الآخرون .
فكان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كانت صفة المبادرة، المسارعة، من أبرز الصفات لديه، لا يوجد عنده تثاقل، ولا تردد، ولا ترجيحات، ولا [عسى ما بو خلة، عسى] كان لديه طبيعة المبادرة.
في غزوة [تبوك] استخدم هذا الجانب، جانب المبادرة، وكان جانب المبادرة هذا هو الذي جعل الرومان ـ وهم أكثر قوة، وأكثر عدداً ـ يتراجعون، ويقررون عدم المواجهة مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه حرك الناس .
عندما بلغه بأنهم قد تجمعوا في الشام، يريدون أن يهجموا على بلاد الإسلام حرك الأمة، والقرآن حركهم أيضاً بآيات ساخنة، يخرجون حتى وإن كانوا[في وقت شدة]، حتى عندما صادف وقت شدة، وقت قلة ثمر، أو الثمر ما قد حصل. ما قال ننتظر حتى ينضج التمر، والثمار تحصل حتى يكون لدينا قدرة أننا نمول نفوسنا، ونخرج .
لا بد أن يخرجوا، وبادر هو بالزحف، وانطلق إلى تبوك، وبين تبوك وبين المدينة حوالي [٧٥٠ كيلوا]! يعني: دخل هو إلى أقرب منطقة من المناطق في بلاد الشام، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعه ثلاثين ألف، قد حشدهم من الناس جيد وفسل، هيا يخرجون .
هكذا كانت سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان رجلاً قرآنياً، رجل يتحرك بحركة القرآن، يجسد القرآن، يفهم معاني القرآن، وغايات القرآن، ومقاصده، وأساليبه، ومنهجه .
في قضية المال جربنا هذه، جربنا هذه مع المشاريع، والمساهمات، يكون كثير من الناس مستعد أن يدفع، لكن عنده سيدفع [بعد غد، أو إنشاء الله يوم الخميس سألقّيه أو...] مجرَب، كان يضيع علينا أحيانا شهر كامل وواحد منتظر، أو شهرين حتى يتجمع المبلغ، وهم مستعدين، لكن التثاقل، التثاقل يضيّع عليك وقت كثير، ويضيع فرص كثيرة أخرى [عسى برجع ألقاه يوم الخميس، أو برجع إنشاء الله أعطي فلان أو بقي معي أو...].
صفة المبادرة في كل شيء مهمة جداً، المبادرة إلى الأعمال الصالحة، حيث جعلها من صفات المتقين، ومن أهم ما أثنى بها على أوليائه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ}(الأنبياء٩٠) كانوا يسارعون في الخيرات، وفي آية أخرى: {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ}(البقرة١٤٨) .
بعد ما يقول في صفات المتقين، أول صفة مهمة، وصفة أيضاً ما لم تكن مطبوعة بطابع المسارعة أيضاً تفقد كثيراً من إيجابياتها، وثمارها، عندما قال: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء} هي أيضاً توحي بأنهم ينطلقون في مجالات الإنفاق بمبادرة، بسرعة، لا يوجد فيهم تثاقل، [وساعة العون] ؛لأن هذه القضية تفقد الأمة أشياء كثيرة .
مثلاً تأتي كما كان يحصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حركة جهاد، فيدعو إلى الإنفاق، وكل واحد جاء بقليل اليوم، والثاني جاء، وبدا مجموعة وجايوا بقليل، ومجموعة ثاني يوم، ومجموعة ثالث يوم، ما هم سيضيعون وقتاً كثيراً؟ ما دام أنت ستعطي على أساس بعد غد، أو يوم الأربعاء، أو يوم كذا، فبسرعة؛ حتى تتحرك المسألة .
كم سيأخذون من وقت! حتى يتوافد أهل المدينة، ويكمّلوا، ويتجمع منهم، وكل يوم ما بيبدي إلا مجموعة من الأشخاص، يتجمع قليل تمر، أو قليل حب، ما هم سيتأخرون على أقل تقدير أسبوع؟ والصراع يستدعي المبادرة.
لا يحسم الموضوع في الحروب، في المواجهة إلا المبادرة، عنصر المبادرة أهم عنصر، المسارعة، تكون أنت صاحب السبق، تكون أنت سيد الموقف، لكن متى يمكن أن تكون سيد الموقف؟ إذا كان من حولك كلهم مبادرين، عندهم حركة المبادرة، المسارعة .
فالآيات هذه كلها توحي بأن المؤمنين، المتقين، وهم من وصفوا بأنهم ينفقون في السراء والضراء، أنهم ينفقون بمبادرة، ومسارعة .
فالآية هذه من قوله: {سَارِعُوا} طبعت صفات المتقين إلى أنهم فعلاً يبادرون، ويسارعون إلى ما وصفوا به، ولهذا عندما قال بعد: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ}(آل عمران١٣٥) أليست هذه مبادرة؟

{ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا} ، ترتيب الغاية في {ذَكَرُواْ اللّهَ} بعد الشرط، أيضاً الإتيان بالفاء {فَاسْتَغْفَرُوا} تدل على أن عندهم روح المبادرة، المسارعة.

ولهذا كانت المسارعة في الواقع تبدو أنها مطلوبة في معظم الأعمال، عندما قال: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ألم يطبع المسارعة في كل ما تحصل به على المغفرة، في كل ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة أن تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة، ومسارع إلى ما تستوجب به المغفرة من التوبة، إذا حصل منك أي خطيئة، ثم تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به الجنة من الأعمال .

فتجد أن الشيء المطلوب في الغالب بالنسبة إلى الأعمال الصالحة هو المسارعة، هو المبادرة .

وأبرز صفات المتقين التي نريد اليوم أن نتحدث عنها أيضاً: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} هم ثلاث صفات مهمة جداً، لا تتوفر إلا فيمن تذوب شخصيته في الإسلام، تذوب نفسيته في العمل لله، بحيث نفسه هو ما يعطيها أهمية فوق كل شيء.

[سارعوا إلى مغفرة من ربكم من الصفحة [١ ــ ٣]]

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

من هدي القرآن الكريم

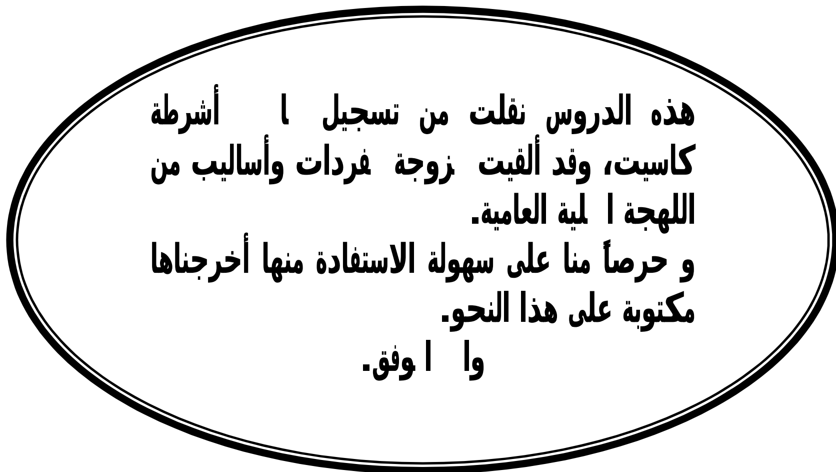
سورة البقرة

من الآية (٢١) إلى الآية (٣٩)

[الدرس الثالث]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٣ رمضان ١٤٢٤هـ
الموافق ٢٧/١٠/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ـزوجة ـفردات وأساليب من اللهجة ا ـلية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين. اللهم اهدنا وتقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم.

نريد أن نتعلم من خلال القرآن الكريم: أساليب القرآن، ومنهجية القرآن الكريم؛ هذا مما يحتاج إليه الإنسان بالنسبة لنفسه، ومما نحتاج إليها في تعليم الآخرين في تعليم الناس نفس أسلوب القرآن في الخطاب .

أول [سورة البقرة]: ذكر فيها المتقين ذكر فيها نوعية من الكافرين وذكر أيضا نوعية أخرى: المنافقين . وأسلوب القرآن الكريم عندما يذكر فئات معينة، أو عندما يذكر متقين ويذكر مؤمنين ويذكر منافقين وكافرين هو في نفس الوقت يأتي بنماذج من أعمالهم، يأتي بأشياء تعبر عن مشاعرهم وما بداخل أنفسهم اعني: يجلّي المنافقين ويذكر في نفس الوقت الأشياء التي قد تكون من العوامل التي تؤدي بالإنسان إلى أن يصبح منافقا. المتقون كذلك يذكر المتقين ويبين التقوى ما هي ويبين أيضا أعمال المتقين كيف هي تكون ـ عادة ـ مشاعر المتقين ما يأتي فقط بالمتقين بالمؤمنين بالكافرين بالمنافقين وما ندري كيف ، يبيّن، يوضح .

نتلمس في باقي السورة شيئا من التفصيل لما جاء في أولها: المتقون ذكرهم ،مثلا جاء الحديث من خلال هذه الآيات بالشكل الذي يوحي للناس بأن الإنسان مفطور أساسا على الحرص أن يقي نفسه من أي شر، من أي ألم، من أي عذاب وهذه نقطة هامة جداً هي قضية ملموسة لدى الناس: أن كل واحد يكون حريصاً على أن يقي نفسه .

إذاً هذه تعتبر قضية مساعدة جداً لمن يتحدث مع الناس لمن يعمل على أن يرتقي بنفسه إلى درجة المؤمنين المتقين وأن نعرف أن الإنسان نفسه بأنه مفطور على الحذر على أن يقي نفسه مما هو شر، من العذاب من الأشياء التي هي ضر هو فقط يحتاج إلى تذكير مستمر تذكير مستمر، فعندما تذكر الإنسان بقضية، أن فيها خطورة عليه، تقدمها بشكل واضح تبين له طريقة الوقاية منها، هنا يوجد تجاوب في داخل نفسيته، عادة يوجد تجاوب، وهذه من الأشياء المهمة: أن هذا الدين كما قال الله عنه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم: من الآية٣٠) **هذه تساعدنا على إزالة مفهوم ـ تقريباً ـ قد يكون نتيجة أننا لا نستقري فطرة الناس وتكون النتيجة عند هذا الشخص: [أن هؤلاء ما رضيوا يسمعوا ولا رضيوا يفهموا ولا يريدوا الحق ولا ، ولا] بالطريقة هذه يكون سريعاً إلى أنه يتوقف !**

لا، افهم: أن الإنسان هو مفطور على أن يقي نفسه فعليك أنت أن تطور أسلوبك فتعرف كيف تخاطبه حتى يتبين له فعلا: أن القضية الفلانية تشكل خطورة عليه، تبين له: أن عملا معينا أو تقصيراً في عمل معين يؤدي به إلى أن يشقى في هذه الحياة يؤدي به إلى أن يغضب الله عليه يؤدي به إلى أن يعذب في نار جهنم، ثم تبين له ما يشكل وقاية من هذه وباستمرار. الإنسان بحاجة إلى التذكير المستمر التذكير المستمر، ومعك في داخل كل إنسان ما يساعد على تفهم وتقبل ما تقدمه إليه، وإذا كنا قديرين على تقديم الأشياء للناس، وأعتقد لا يوجد أحد يعتبر قديراً إذا لم يكن مخاطبا للناس بالقرآن نفسه، القرآن هو أعلى أسلوب في الخطاب للآخرين هو أبلغ موعظة أرقى تذكير أوضح تبيين، يذكر كيف نخاطب الناس بل كيف نخاطب أنفسنا . هذه قضية أساسية لازم التذكير المستمر ، التذكير المستمر .

جانب آخر: الخطاب في السورة بدأ في أول السورة ـ فيما سمعنا بالأمس من التلاوة ـ ألم يأت فيه ـ إذا صحت العبارة ـ لهجة قاسية حول الكافرين وحول المنافقين ؟ ثم جاء بعده بعبارة لطيفة ورقيقة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:٢١) **إذاً ألم يتحدث هنا عن التقوى؟ وجاء بعبارة لطيفة ورقيقة؟ هذه من الناحية النفسية أسلوب من الأساليب الهامة عندما تخطب في الناس وتكون خطبتك من أولها إلى آخرها كله كلاما ساخنا:[د د د د د د د...] مثل بعض الخطباء! هذا ليس أسلوبا صحيحاً .**

عندما تكون في فقرة من الفقرات في موضوع من المواضيع تتحدث بلهجة قاسية مناسب جداً تنتقل إلى أسلوب آخر لطيف تقول: [أيها الإخوة: نحن يجب أن نكون كذا ....] ، بأسلوب لطيف بحيث يكون له وقع في

النفوس لكن تأتي بطريقة واحدة روتين واحد في الخطبة: إما شدة من أولها إلى آخرها أو كلام بارد وأسلوب متثاقل، متثاقل من أولها إلى آخرها، هذا غير صحيح . تقليب الموضوع بخطاب ما بين شدة ولين من الأساليب المؤثرة .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ} (البقرة: من الآية٢١) **خطاب للناس جميعا** {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: من الآية٢١) **اعبدوه هو عبِّدوا أنفسكم له هو ربكم هو القائم على تربيتكم هو الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم الذين أنتم جئتم بعدهم وفرع منهم.** {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} **من أجل تقوا أنفسكم من أشياء كثيرة مما يذكرها في آيات أخرى هو يذكر بالنسبة للضالين بالنسبة للذين هم غير متقين، يحصل لهم في الدنيا هذه شدائد رهيبة يحصل نقص في البركات نقص في الخيرات يحصل شقاء في الحياة يحصل ضنك في المعيشة يحصل خزي يحصل ذلة قهر استضعاف أشياء كثيرة جدا الإنسان يكرهها بطبيعته وبفطرته يمقتها .**

{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} **عبادة الله هي تشكل لكم وقاية من كل ما أنتم تريدون أن تقو أنفسكم منه وكل ما أنفسكم مجبولة على الحرص بأن تقي أو تتقي منه تبتعد عنه وتكون بمنأ ومأمن عنه حيث قال:** {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} **ألم يذكر هناك المتقين** {هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة: من الآية٢) **؟ ذكر صفات المتقين ثم ذكر أساليب أو وجه إلى أشياء معينه تجعلكم متقين تكونون بها متقين، غالباً ما تأتي العبارة هذه في بعض المواضع مطلقة** {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} **هنا تحمل على إطلاقها فعلاً أي في عبادة الله ما يعتبر وقاية لكم من كل الشرور من كل المصائب من ضنك المعيشة من الشقاء من الظلم من القهر من الإذلال من الخزي في هذه الحياة، ووقاية مما في الحياة الأخرى أيضاً سوء الحساب وجهنم .**

إذاً عندما تأتي إلى الأشياء هذه تسردها على الإنسان أي إنسان كان حتى ولو كان غير مسلم، عندما تسرد عليه الفقر ضنك المعيشة بشكل عام الشقاء الذلة القهر الاستعباد الخزي أليست كلها ممقوتة عند الناس؟ ما كل إنسان يحب أن يقي نفسه منها؟ عندما تقول له: هناك نار شديدة قبل أن يجادلك يوجد نار أو ما يوجد نار تقول له: افترض أنه يوجد نار ألست تحب أن تقي نفسك من أن تعذب بنار شديدة ؟ لأجاب: نعم .

جاء الخطاب في البداية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} **خطاب للناس جميعا لكل الناس أن يتجهوا إلى عبادة الله فعبادة الله هي التي تشكل وقاية لهم من كل ما هم مفطورون على الحرص بأن يقوا أنفسهم منه .**

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً} (البقرة: من الآية٢٢) **لاحظ هنا في العبارة هذه كيف هي رقيقة بشكل عجيب لم يقدم الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه جبار تقول: [يجب أن يقي الناس أنفسهم من واحد جبار غليظ قاسي شر كله] فيتقونه رغما عنهم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقوا أنفسهم منه إلا بالطريقة هذه . في الدنيا هذه يكون هناك طرف من الأطراف ما يقدم أي خير، كله شر، وتراهم يحرصون على أن يقوا أنفسهم من شره بأي طريقة يؤيدون معه ينفذون أوامره وما فيه أيٌّ خير لهم؛ ليقوا أنفسهم من شره، أما الله سبحانه وتعالى فليس بالشكل هذا . الله يقول: هو ربكم هو الذي خلقكم. أليس كل واحد يعتبر أن وجوده نعمة؟ أليس كل واحد يعتبر جسمه بالنسبة له نعمة، توفر أعضائه وتكاملها يبصر ويسمع ويتذوق ويمشي ويتحرك أليست تعتبر نعمة؟ فلأنه هو الذي خلقكم فهو أملك بكم وهو المالك لكم هو الذي أعطاكم نعمة الخلق هو في نفس الوقت المالك لكم لا يوجد أي طرف آخر خلقكم فيكون الله إنما هو يريد أن يفرض نفسه على الناس وهم صنيعة طرف آخر أو إله آخر! لا، هو الذي خلقكم هو فأنتم مملوكون له وهو الأولى بكم، ثم هو في نفس الوقت عندما يقول لكم تعبدوه فمعنى الآيات يبين، يبين ما يقدمه للناس في الأشياء الكبيرة والصغيرة، هو الذي هيأ هذا المكان الذي هم مستقرون فيه** {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً} (البقرة: من الآية٢٢) **تستقرون عليها** {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} (البقرة: من الآية٢٢) **يعني: مثّل السماء والأرض وكأنها غرفة واحدة أو بيت واحد وهو الذي أسكنكم في هذا البيت في هذا البيت الذي أنتم مستقرون عليه وجعل فيه سراجا في سقفه** {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً} (الانبياء: من الآية٣٢) **يأتي في القرآن بهذا التعبير أعني: يمثّل بالنسبة للأرض والسماء وكأنها غرفة واحدة أو قاعة واحدة الناس مستقرون فيها أو فيها كل ما يحتاج الإنسان إليه في استقراره وفيها ما يحتاج إليه بالنسبة لمعيشته بكل أصنافها، فيها سراج منير بشكل قوي**

[الشمس] وفيها [القمر] نور معتدل بالنسبة لليل وفيها [الكواكب] في الليالي التي ليس فيها قمر يتمكن الإنسان أن يتحرك حتى في الليل إذا هو في حالة سفر لا يكون الظلام مطبقا عليه تماما.

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً} (البقرة: من الآية٢٢) جعل لكم الأرض فراشا، يوجد فارق أحيانا بين كلمة: {خلق لكم}، و{جعل لكم}، قد يكون الشيء مثلا من قبل موجوداً من قبل وجود الإنسان لكن جعله يتكيف على هذا النحو كلمة: {جعل} أحيانا قد تأتي للشيء الحاصل الشيء الحاصل جعله على هذا النحو كلمة: {جعل} هي تصرُّف في الشيء الحاصل في كثير من الموارد التي تأتي فيها الأرض هي مخلوقة من قبل الإنسان الأرض مخلوقة ـ الله أعلم ـ من قبل كم ملايين السنين الله أعلم منذو خلقت، وخلق الإنسان بالشكل الذي تصبح هذه الأرض وهذه السماء بما هي عليه وكأنها خلقت له جعلت له {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} (البقرة: من الآية٢٢) هي في نفسها مستقرة ثم نحن في خلقنا نحتاج الاستقرار أعني: الإنسان يختلف عن بعض المخلوقات الأخرى لاحظ مثلاً [الخفَّاش] كيف يعمل! يتعلق بيد يكون في السقف يتعلق بيد هناك!

الإنسان بطبيعته هو مفطور على الاستقرار إذاً هو بحاجة إلى مكان يستقر فيه ويلاحظ واحد نفسه متى ما كان هناك مكان مرتفع يكون الناس راغبين أن تكون مستقرة فيكون كل واحد يريد يحاول يصلّح له مكان يستقر فيه هذه فطرة عند الإنسان فالله جعل الأرض هذه جعلها فراشا بسطها وجعلها فراشا للناس يستقرون عليها.

{وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢٢) إذاً الله سبحانه وتعالى عندما يدعونا إلى أن نعبده هو أيضا يذكر هذا الشيء أننا مملوكون له، ثانياً أن نلحظ ما يقدمه لنا إذا فينا معروف ـ إذا صحت العبارة ـ إذا فينا معروف ونقدر له سبحانه وتعالى ما أسبغ به علينا من النعم وما تفضل به علينا وما بذله من إحسان لنا. هنا جاء بأشياء جملية: الأرض ،السماء ،الماء ، الماء من الناحية التفصيلية واسع جداً في الاستخدام ومتعدد الأغراض بالنسبة للإنسان يحتاج إليه بشكل كبير جداً .

{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} هو الذي أنزله هو ينزله لم يقل:[معكم ماء في السماء دبروا نفوسكم فكروا كيف تعملون حتى تطلعوا وتحضروه !] لا.. هو ينزله هو، سحاب يسوقه محمل بملايين الأطنان من الماء وينزله هو وعندما ينزله ينزله بطريقة ما تؤثر لا يأتي ينزله ـ مثلا ـ كتلاً من الثلج أو البَرَد أو ينزله قطرات كبيرة مثل الخزانات مثل الصخرات أو وادي يفتحه علينا من أعلى .. ينزل بشكل قطرات تنزل على الإنسان ما تؤثر عليه، على الأشجار، على الفواكه، على الثمار، على البيوت ،....ما تؤثر، ثم تراها تتجمع هذه القطرات لتعرف الفارق: أن في إنزال المطر في كيفية إنزاله مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان، رعاية، لاحظ هذه القطرات عندما تتجمع اذهب وقف قبل الوادي كيف يعمل الوادي؟ أليس هو يجرف الصخرات ؟ سيجرفك ويوصلك البحر . كيف لو فتح المطر عليك بالشكل هذا؟ أو يأتي إلى بلاد وفتح عليهم وادي من السماء يجرف أموالهم ويدمر بيوتهم ومزارعهم.

{وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ} الثمرات المتعددة المتنوعة {رِزْقاً لَكُمْ} رزقا لكم هذا الرزق مخلوق لكم أنتم بحاجة في تكوين أجسادكم إليه ومنسجم هذا الرزق مع حاجتكم يلبي حاجتكم {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢) كيف تجعلون له أنداداً ؟ يأتي ليعمل له شجرة ،أو يعمل له صنماً ،أو يعمل له أي شيء آخر يعبده ويجلس عنده ويتمسح به ويسميه إله!! ليس هو الذي خلقه وليس هو الذي أنزل له من السماء ماء وليس هو الذي أخرج به من الثمرات مختلف أنواعها {رِزْقاً لَكُمْ} فكيف تجعلون له أندادا؟؟ {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} لله أنداداً {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أنتم تعلمون الأشياء هذه وهذه القضية معروفة عند الإنسان: أن الله هو الذي خلقه الإنسان على تعاقب الأجيال قضية معروفة لديهم: أن الله هو الذي خلقهم وخلق الأرض وخلق السماء وجاء في آيات أخرى يبين هذه، استبيان عمل القرآن الكريم استبيان للأمم كلها تقريباً من عهد نوح إلى أيام نزول القرآن الكريم وإذا كل الناس ـ فعلاً ـ مقرين بأن الله هو الذي خلقهم وهو الذي ينزل من السماء ماء وهو الذي ينبت الزروع والأشجار .

إذاً نلحظ هذا من ناحية المنهج والأسلوب وأن هذا جانب مهم جداً في تذكير الناس وفي الدفع بهم إلى عبادة الله

سبحانه وتعالى تذكير الناس بالله وبما أنعم به عليهم، تذكير حتى بالأشياء التي تبدو عند الناس أصبحت بديهية، لم يعودوا يلتفتون إليها، الأرض هذه على هذا النحو: {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} ذكّر حتى بنعمة الشمس. الإنسان أحيانا قد تكون القضية عنده تصبح عادية لأنه ألفها يومياً، يومياً، نحاول أن نذكّر أنفسنا ونذكر بعضنا بعض بالنعم بما فيها النعم التي قد أصبحت لم تعد تؤثر فينا قد هي طبيعية وبديهية لدينا لم تعد تثير لدينا أيّ تذكر؛ لأن المسألة في دفع الناس إلى العبودية لله لا تتطلب منك أن تبحث عن غوامض الأشياء ، بل بالواضحات خاطب الناس بالواضحات، أعني: بالأشياء التي هم قد ألفوها تماما حاول أنك تذكرهم من جديد وتلفت أنظارهم إلى أن يتأملوا ويتذكروا، الشمس مثلا أليست كل يوم تطلع؟ لا أحد منا يحاول يتذكر أنها نعمة، ناسين ! شمس كل يوم ، كل يوم، لم نعد نتذكر أنها نعمة وتثير انتباهنا عندما تطلع ! لكن لو نفترض أنها غابت شهرا مثلا الناس يصبحون في حالة سيئة جداً ويضيقون من الظلام ثم إذا ما ظهر لهم بصيص من نور كيف ستكون حالتهم وفرحتهم عندما تظهر الشمس عليهم؟!

جاء في آية أخرى في [سورة القصص]: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ} (القصص:٧١) **عندما يأتي الخطاب هنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} ويأتي بعدها بعبارة: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لم يأت بكلمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ثم يأتي بعدها بعبارة {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، هذه تأتي في مقامات أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** (البقرة:١٨٣) **أليست خطابا خاصا؟ نستفيد من هذه عندما يقول: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} هو: أن تعرف ـ مثلما قلنا سابقاً ـ أن التقوى لدى الإنسان ـ أي: حرصه على أن يقي نفسه من أي شر من أي ضر من أي عذاب ـ هي فطرة لديه؛ فحدث الناس .**

لهذا جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم واسع ، المشركون أنفسهم ، الكافرون أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بجهنم ولا مؤمنين بكثير من الأشياء التي تقدم إليهم ماذا يقول لهم؟ أليس هو يخوفهم من النار؟ يخوفهم من النار. إذاً التخويف هذا يعني ماذا؟ يوجد هناك قابلية له، لا يوجد أحد تخوفه من شيء ولا يخاف في أعماقه في أعماق نفسه، يخوفهم من النار وعلى ماذا؟ وعلى هذا النحو أي: على استخدام ـ إذا صحت العبارة ـ هذا الأسلوب يخوفهم بجهنم حتى لو لم يكونوا قد آمنوا بها؛ لأن الموضوع أنه يأتي تخويف بجهنم ، بسوء الحساب، زبانية جهنم {خُذُوهُ فَغُلُّوه ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} (الحاقة:٣١) **يخوف بما حصل على الأمم الماضية، الإنسان حتى كحالة نفسية لديه عندما يأتي له تخويف من هنا ومن هنا ومن ذا وذا ...أشياء كثيرة حتى لا تترك له الفرصة أنه ينطلق ليقول: إنه كذب.. كذب.. كذب.. كذب ...إلى آخره . لابد ما تؤثر فيه لابد ما تؤثر في نفسيته .**

أنت تستطيع انك تجعل الإنسان يتأثر فلا تترك له المجال يتفرغ مع نفسه ليكذب فقط، يكذب ، يكذب، ويجلس مطمئناً وكأن ما هناك شيء. وهذه قضية معروفة عندما يأتي أشخاص يقومون بتخويف أحد [قالوا: سيأتي ..وقالوا وقالوا، وقالوا ذا، ذا ...] أشياء كثيرة يخوفونه بها سيرتبك بتعدد الأشياء التي تخوف بها، هذه تفيده؛ لأنها تنسيه مسألة أنه يكذب تستطيع أنك تملأ ذهنيته. ولذا جاء القرآن الكريم بهذا الأسلوب ألم يخوفهم بما أتى على الأمم الماضية؟ خوفهم بعقوبات فيما يتعلق بمعيشتهم يخوفهم بما كان يحصل على الأمم الماضية من اجتياح أعني: عذاب يجتاحهم نهائيا، خوفهم أيضا بشدة المعيشة بنقص الرزق ونقص البركات خوفهم بجهنم خوفهم حتى بضرب الملائكة لهم عند النزع عند الموت{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (الأنفال: من الآية٥٠) **يخوفهم عند البعث كيف سيقولون يخوفهم في ساحة الحساب كيف سيحصل .**

لذا تجد قائمة من التخويف واسعة جداً هذه القائمة الواسعة جداً يوجد هناك في النفس ما يتقبلها يوجد هناك في النفس ما يجعل الإنسان ـ فعلاً ـ يتأثر بها تخويف متعدد؛ لأنه مجبول على أن يخاف مما فيه شر مما فيه ألم مما فيه ضر مما فيه ما هو عذاب له. الآية هذه تتوجه إلى ناس يبدو مشركين{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

(البقرة:٢٢) **يعني: كافرين وهذا أسلوب من أساليب أن يتركوا ما هم عليه من شرك وكفر ويعودوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .**

تجد في هذا الأسلوب ما يختلف تماما عن أسلوب المتكلمين في كتب [علم الكلام]. هنا الله سبحانه وتعالى ـ وهذه تجدها تقريبا في كل آية من الآيات ـ يأتي باسمه في الموضوع أعني نستفيد من المسألة هذه : أن الله معروف لدى البشر أن البشر مؤمنون بالله، بأن هنا إله أسمه:الله هو الذي خلقنا، وخلق الأرض، وخلق السماء، وخلق البحار، وخلق ....الخ، قضية موجودة عند البشر، ليست المسألة أن هؤلاء أناس لا يوجد في ذهنيتهم أي شيء من هذا لا يعرفون شيئا أسمه الله ولا يعرفون أي شيء من هذا . لا، القضية: الخطاب هذا يدل على أن الإنسان مفطور على ماذا ؟ على معرفة الله سبحانه الله سبحانه وتعالى، يعرفه .

وتجد أن هذه القضية من القضايا الهامة الأساسية ولولا هذا لما استقامت ـ ربما ـ نبوة لولا أن هناك لدى الناس إيمان بالله، أليس كل الأنبياء يأتون كرسل من جهة الله؟ وتنظر إلى خطابهم وإذا كل خطابهم هو خطاب رسول من جهة هي معروفة عند الناس [الله] تجد الموضوع هذا أو تجد هذا الأسلوب في كلام نوح وما بعده من الأنبياء إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .

عندما يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أليست هذه فيها ضمائر متعددة؟ من عند كلمة رب وفي نفس الوقت يأتي بكلمة:[الله] {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} هذه القضية هامة جداً أن نعرف أن الله معروف عند البشر، الإيمان الجملي هذا هو موجود عند البشر جميعا . عندما جهل المتكلمون، أو قدموا فرضية هي: أن الله ـ عادة ـ لا يكون معروفا أبداً، هم يفترضون أنه غير معروف في الذهنية نهائيا في الذهنية صفر لا يوجد شيء نهائياً! وانطلقوا يلفقون ويعتمدون طريقة منطقية في الاستدلال ليثبتوا أن هناك إله هو: الله على أساس قضية: [حادث ومحدث ... الخ] لو أن المسألة على ما يقولون هم لكان هذا الأسلوب غير منطقي لو أن المسألة هي: أن الإنسان الكافر هو ـ عادة ـ لا يعرف الله نهائيا، لا يعرف شيئا أسمه الله لكان هذا الأسلوب غير منطقي عندما يقول:{اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لماذا لم يأت بعبارة: [أليس هناك أشياء وهي محدثة؟ أليست هذه لابد لها من محدث ؟ أليس هذا يدل على أنه لابد أن هناك محدثا؟! إذاً ....إلى آخره] لا يوجد ، بل يقدم اسمه في الموضوع .

إذاً عندما يأتي القرآن الكريم ـ وهو كلام الله سبحانه وتعالى ـ على هذا النحو ويبرز المتكلمون بطريقة أخرى !! هذه الحالة نقول عنها أحيانا: أن الناس هم بحاجة إلى أن يعرفوا أن الله أعلم منهم. الإنسان أحيانا ينسى ،يتصور وكأنه قد هو أعلم من الباري أعلم من الله! الله يقول: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} (الملك: من الآية١٤) **هو اعلم يقدمون فرضية: أنه لا يوجد في الذهنية إيمان بالله ومعرفة لله عند البشر؛ طلع القرآن في الأخير غير منطقي في أسلوبه عزلوه على جنب فعلا، لم يعد منطقيا في أسلوبه؛ لأنهم يرون أسلوب كلام موجه من عند الله، كهذه الآية، أحيانا يأتي بكلمة: رب، أو الله، أو رحمن، أو أي اسم من أسمائه وتجدها مليئة ضمائر تعود إلى اسمه لاحظ كيف يوجد هنا{اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} لم يقل: اعبدوا الذي خلق سماء وخلق كذا وخلق كذا .... قال:{رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} ثم قال: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ} ولذلك كلمة: رب بعدها كلمة: الله{فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة: من الآية٢٢) **حصل مشكلة كبيرة في الموضوع في الأخير تتحول ذهنية الإنسان وهو باحث عن الله باحث عنه يشغلون أنفسهم في بحث في بحث عنه! هذه قضية غير طبيعية وغير منطقية ما يمكن هذا أن يكون هناك اله ونقوم نحن نبحث عنه [مدري أين هو!!] لا يمكن هذا حتى ولا محافظ محافظة أو رئيس دولة [معكم رئيس أين هو؟ ما اسمه؟] باحثين عنه في شوارع صنعاء! مدورين وباحثين عن أدلة على وجوده مدري أين! هذا ليس أسلوباً. الله سبحانه وتعالى هو رب الناس وملك الناس واله الناس لابد أن يكون قد فطرهم على معرفته، وهذه قضية يقول فيها الإمام محمد بن القاسم: ليس فقط الإنسان بل ـ تقريباً ـ كل مخلوقاته: أن الله غرز فيها معرفته أي: الإيمان بأنه موجود الإيمان بالله إله اسمه[الله] أو على حسب اختلاف اللغات، المهم أنه في الذهنية واحد وهذه من الأشياء العجيبة لدى البشر أنه في الذهنية واحد، هذه هي من أهم الأشياء في مجال الدعوة إلى**

الله مع أمم متعددة اللغات .

عندما بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يدعو إلى الله، إلى توحيد الله، إلى عبودية الله، وسمع به الفرس ، وسمع به الروم ، سمع به أفارقة، أصحاب لغات أخرى هل يمكن لأحد منهم أن يتبادر إلى ذهنه بأن محمدا هذا يدعو أن معه إلهاً عربياً ؟ أنه يدعو إلى اله عربي؟ عارفين أنه يدعو إلى ماذا؟ إلى الإله الذي هو في ذهنيتهم جميعا واحد، في ذهنيتهم جميعا الفرس والروم والأفارقة وغيرهم .. لا يقولون هم فعلا: إن هذا نبي يدعو إلى اله ثاني عربي، لا. عارفين بأنه يدعو إلى الله الذي هو في الذهنية واحد وإن اختلفت تعبيراتهم فيما يتعلق بماذا؟ بترجمة اسمه الذي هو علم لذاته سبحانه وتعالى [الله]. هذه قضية أعني: هي قاعدة هامة جداً جدا في موضوع الدعوة إلى الله. لو لم تكن هناك في الذهنية هذه الحالة الواحدة التقاء لدى البشر، التقاء ذهني بمعرفة الله سبحانه وتعالى لما صلحت دعوة ولا تجاوب أحد ولفهموا أنك تدعو قد معك إله ثاني تدعو إلى اللآت أو إلى العزى أو إلى .... لكن هو هنا عارف أنك تدعو إلى الإله الذي هو يعرفه، الذي خلق السموات والأرض وخلقه و.... هو يعبر عنه بما يساوي كلمة: [الله] على حسب اللغة، لغته .

{فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢) كلمة أنداداً: مماثلين أو أشياء أخرى سواء بشكل آلهة أو حتى طاعة أشخاص، أحيانا قد يجعل الناس لله أنداداً من طواغيتهم، أو تجعل هواك أنت نداً لله أي عندما تصبح أنت تطيعه وتعصي الله، تستجيب له ولا تستجيب لله، تؤمن به وتتعامل مع الله وكأنك كافر به ألم تجعله وكأنه إله؟ {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} (الفرقان: من الآية٤٣) الإنسان هنا أعني: في العبارة هذه مثلما تقول: عبارة سخرية أو عبارة استنكار{فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} إذا كان العربي الأول، أو الإنسان الأول مثلا يعمل أندادا أحجارا أو أشجارا هي قضية قد تصدق على غيرهم ممن يجعلون آخرين من البشر أنفسهم أندادا لله . الناس مثلا الحكام الذين ينظرون إلى رئيس أمريكا فيخافونه ولا يخافون الله، يطيعونه فيما هو معصية لله أليسوا قد جعلوه نداً، جعلوا منه إله؟ وهذه نفسها ذكر في القرآن ما يؤكدها في موضوع الشيطان نفسه، إن الله سمى البشر الذين يمشون على وساوس الشيطان ويتبعون خطوات الشيطان سماهم عابدين له {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يّـس:٦٠)

لا يكون فقط في ذهنيتنا أنداداً أولئك الأولين الذين كان معهم أصنام، يمكن أصناما من البشر! وقد تخافه أكثر مما تخاف ذلك الصنم الحجر وقد تكون تخضع له وتطيعه وذهنك متوجه إليه بخوف ورغبة ناسيا لله سبحانه وتعالى هنا كأنك تجعله نداً لله، كأنك تجله مماثلا لله فتعطيه ما هو لله وما هو مختص به. ولأن المسألة أنه لا يوجد شيء في الواقع ما يمكن أن يكون ندا لله على الإطلاق، لكن أنتم تجعلون ! يقول للناس: فلا تجعلوا. أنت الذي تأتي إلى شيء آخر فتجعله في تعاملك معه في رغبتك إليه ورهبتك منه وطاعتك له بالشكل الذي وكأنه ند لله أي: جعلت له من نفسك، عبّدت له نفسك وتوجهت إليه أنت بالشيء الذي كان يجب أن يكون لله أي قد جعلته أنت وكأنه مماثل لله، وند لله ، وهذه تصدق في القضية التي هي تعتبر خارج خط الله ، خارج صراط الله المستقيم ، الإنسان عندما يكون خارجا عن صراط الله المستقيم يكون معرضا فعلا للحالة هذه: أن يجعل لله أندادا سواء هواه أو أشخاصا آخرين أو كيفما كان .

أما أن يكون الناس على صراط الله المستقيم فعندما نطيع أحدا وهو يهدينا إلى الله فان المسألة كلها: نحن وهو في اتجاه لماذا ؟ لطاعة الله{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: من الآية٨٠) هل هنا كانت هذه المسألة سواء بالنسبة للشيطان أنه من يطع الشيطان فقد أطاع الله؟! لا،لأن الشيطان خط آخر وطريق أخرى. حسناً الشيطان أليس شيئا غير الله؟ ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضا شيء آخر غير الله معلوم، لكن لماذا كانت هذه طريقة يمكن وأنت عليها تجعل الآخرين أنداداً لله، وتكون في نفس الوقت ضالاً ويكون مصيرك جهنم؟ لأنه خط آخر، أما هذا الخط وفيه أنبياء الله سبحانه وتعالى وفيه أولياؤه عندما نسير في خطهم عندما نسير بعدهم عندما نتبعهم إنما هو في السياق أوفي المسار هذا في مسار ماذا؟ صراط الله، طاعة الله، إتباعا لله واهتداء بهدي الله ....إلى آخره .

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} (البقرة: من الآية٢٣) هناك تحدث عن الريب في البداية {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢) إذاً هذا أسلوب من الأساليب ، أول شيء قدم أنه لا يوجد ريب في هذا القرآن فقط{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} أعني: هذا أسلوب فيه فارق من ناحية التأثير على من تخاطبه، لو تأتي العبارة من أولها ما قد قدم نفي من الريب لاختلف التأثير عن أسلوب{ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} ثم يذكر بعد فيقول: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} لكان الفارق فيما يتعلق بالتأثير ليس على هذا النحو أعني: لو جاء من البداية يقول:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} من ناحية التأثير في النفس يختلف فعلا أعني: لن يصل إلى مستوى التأثير الذي يتركه الأسلوب القرآني؛ لأنه أول شيء يبرهن على أن هذا الكتاب لا ريب فيه، ثم يقول: إذا عندكم ريب فهناك الطريق:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ} ريب يعني: تشكك وتردد واضطراب [من عند الله وأحيانا كأنه ليس من عند الله، هل هو من عند الله، أو ليس من عند الله] تردد في الموضوع .

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} (البقرة: من الآية٢٣) أليس هنا يبرهن بالنسبة للقرآن أنه من عنده منزل على عبده رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله){وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة:٢٤) هذا ـ عادة ـ يقدم بأنه ـ يقولون ـ تحدي ،أليسوا يستخدمون الأسلوب هذا؟: تحدي ! لا ، العبارة ليست بالشكل هذا، هذه تراها ما تزال في إطار هذا الأسلوب الرقيق اللطيف من عند{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}إلى آخر الآيات ثم قال:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} هذا أسلوب مهم جداً، ليست المسألة مسألة تحدي ، بل العبارة نفسها ما هي لائقة ـ على حسب ما أفهم ـ ليست لائقة: [الله يتحدى !] هي أسلوب من الله سبحانه وتعالى هو توجيه وهداية وتبيين ليس تحديا لأطراف وكأنها أطراف تعتبر مماثلة أو مكافئة أو.....! الكل عبيد له الكل خاضعون له ليس أحد منهم في مقام أن يتحداه ، ما أحد من مخلوقات الله في مقام أن يتحداه الله فيقال : تحداه ! أنت إنما تتحدى الأقران ، التحدي إنما يكون للأ قران وللأ كفاء ، لا يكون التحدي لمن هم ليسوا أقران ولا أكفاء ... بل هم عبيد خاضعون له ولا أحد منهم يعجزه .

هذه فيها معالجة من الناحية التربوية ـ إذا صحت العبارة ـ من الناحية التثقيفية، فيها معالجة؛ ولهذا هنا قال:{فَأْتُوا بِسُورَةٍ} إذا كان هناك أي ريب فارجعوا إلى هذا الكتاب مما نزلناه فأتوا بسورة . عندما يقول لك:{فَأْتُوا بِسُورَةٍ}أليس الشيء الطبيعي بأنك سترجع إلى هذا القرآن تقلبه وتتأمل فيه وتلاحظ كيف أساليبه وتطلع عليه من أجل أن تعرف كيف تأتي بسورة؟ لن تكمله إلا وقد أنت مؤمن به ولم يعد هناك ريب ، حقيقة ، لهذا في هذا المقام قال:{فَأْتُوا بِسُورَةٍ} أليس هذا مطلب يبدو مطلبا سهلا قال: هات سورة واحدة .

الحالة هذه قد تحصل عند الناس خاصة في ذلك الزمن، في ذلك الزمن قد تحصل أعني عندما نقول: بأن القرآن الكريم جاء على أرقى درجات الفصاحة والبلاغة هذه ليست إيجابية بنسبة ١٠٠٪ بالنسبة لواقع الناس لأن الناس الذين يكون عندهم:[نحن في لغتنا فينا فطاحلة في مجال الفصاحة والبلاغة] هنا يقدّر بأنه ربما قد يكون هذا نفسه إنما هو إنتاج شخص! ولو هو على مستوى عالي من الفصاحة؛ لأنه أحيانا موضوع الفصاحة والبلاغة لا يعرف بأنه على أرقى مستوى إلا من هم ممارسون لها هم أعني: أدباء في اللغة مثلا شعراء أو ناس معايشون للغة ولأساليب اللغة: خطباء مثلا وشعراء هؤلاء الذين قد يلمسون فعلا بأنه فوق؛ لأنهم يعرفون ـ تقريباً ـ حدود البلاغة على حسب معرفتهم، لكن بالنسبة للجماهير أو للعامة الذين يسمعون منهم، وهم في مجتمع فيه الخطب الراقية والقصائد الراقية أعني: مجتمع فصاحة وبلاغة أليس هكذا؟ أليس قد يحصل معه ارتياب نوعا ما بأنه فعلا هذا كلام فصيح وبليغ لكن ربما محمد كواحد من الفصحاء البلغاء .

حسناً إذا افترض أن هناك ريب في أنه: هل هو من عند الله أو بعضه أومن محمد أو.....؟ فأتوا بسورة من مثله ،

اجعل لك مشروعا أنك تأتي بسورة مثله. مثلما قلنا سابقا الشيء الطبيعي لمن يفكر بأن يعمل شيئا مماثلا لشيء أنه أولاً يطلع على ذلك الشيء ويعرفه أليس هكذا؟ عندما يقول: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ} أليس المفترض أنهم سيعودون إلى القرآن الكريم يتصفحونه من أوله إلى آخره ويتفهمونه ويستمعونه على أساس يعرفون كيف الأساليب حتى يأتي بسورة مثله! القرآن سيبهره، القرآن سيجعله يؤمن ويقتنع ويقول: ما يمكن أبداً أعني: أنه سيتلمس فيه ما يجعله مؤمنا بدرجة عالية.

ليس الموضوع موضوع تحدي، هو موضوع توجيه تربوي. بل جاء مثل هذا بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} (يونس: من الآية٩٤) ألم يقل هكذا لنبيه هو (صلوات الله عليه وعلى آله) {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} ستبحث وتخرج وأنت مقتنع ولن تبحث حتى تأتي بسورة ولا نصف سورة. من الناحية العملية فعلا لا يستطيع أحد.

قالوا أن أربعة أشخاص في أيام الإمام [جعفر الصادق]، (ابن المقفع)، وثلاثة أشخاص آخرين ما أذكرهم اتفقوا وأتمروا فيما بينهم أن كل واحد يأتي بمثل سورة من القرآن ويلتقوا بعد فترة، التقوا بعد فترة وإذا كل واحد قد سحرته آية واحدة من الآيات، جلس محتاراً فيها متردداً في فهم بلاغتها انبهر جداً بأسلوبها الراقي وبلاغتها الراقية حتى انبهروا فلم يعد أحد منهم يفكر يعمل شيئا نهائيا، رجعوا وهم منبهرون من القرآن نفسه. إحدى هذه الآيات {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (هود:٤٤) بسرعة عرض مرحلة، عبّر عن حادث كبير جداً بعبارات مختصرة، {وَقُضِيَ الْأَمْرُ}.

الثاني جاء بآية، والثالث، والرابع، كل واحد جاء بآية وقال: جلس يفكر في هذه الآية بهرته واندهش نسي المشروع حقه الذي جاء لأجله!

من الناحية العملية بالنسبة للناس هذا سلاح، سلاح مهم جداً أغفله المسلمون؛ لأنه نحن ننسى بأن الله هو أعلم منا! وهذه المشكلة وهذا من الغرائب، يترك القرآن هناك ويبرز هو هو! نسي هذا الموضوع! وهذا الموضوع تكرر في القرآن الكريم ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يستخدمه هو، هذا القرآن الله نفسه يوجه بهذا الأسلوب {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} عندما يأتي مثلا آخرين يقولون لك: الأحكام الفلانية والتشريع الفلاني في الإسلام هو كذا وفيه كذا....قل له: يا أخي هذا من القرآن وهذا من عند الله اتفق أنت والله لاحظ كتابه وابحث كيف تأتي بسورة من مثله.

هو يوجه الإنسان إذا كان عنده أي ريب، يوجهه ـ إذا عند الإنسان أي ريب ـ أنه يحاول أن يأتي بسورة. اتركه يرجع إلى القرآن، عندما تبرز أنت أحيانا قد ما تنفع أنت، بل ربما ما يتوفق الإنسان؛ لأنك عندما تبرز أنت في الأخير وعندك نوع من الشعور وكأنك أنت تستطيع أكثر من القرآن لن تتوفق، هذه قضية، ما توفق [المعتزلة]، حصل هذا الشعور تقريباً عندما ترى كتاباتهم [علم الكلام] الذي كان نتاجاً لتفكيرهم، يبدو فيه أن كل واحد يرى نفسه أنه هو هو يستطيع! والقرآن هناك على جنب!!

الناس مثلا لو يأتي تشكيك، مهما يأتي من جانب الآخرين تشكيك سواء في معتقدات معينة أو في أحكام معينة، فيما يتعلق بقضية المرأة، بالنسبة للمواريث، أو بالنسبة لأشياء أخرى بشرط أن يكون الإنسان عارفاً كيف القضية في القرآن نفسه، قل له: القرآن تناوله على هذا النحو، ونحن ملزمون بأن نطيع الله، وهذا الكتاب هو من عند الله ـ هو مؤمن بالله هو ـ إذا عندك ريب بأن هذا القرآن هو من عند الله فأت بسورة من مثله أنت أو أي واحد عنده ريب. حاول تدفعه إلى أنه يرجع للقرآن، لا أن تحاول أنك تبعد القرآن وتبرز أنت فيما بينك أنت وإياه، بل تحاول كيف تجرجره إلى القرآن. هذه واحدة من الوسائل كيف تجر الآخرين إلى القرآن، واتركه يرجع إلى القرآن سواء هو، أعني: في أي تأهيل لديه مثلا: هو قانوني، أو اقتصادي، أو تربوي، أو فيلسوف، أو كيفما كان، بل تعتبر وضعيته أقرب إلى أنه يفهم أكثر من العامي منهم، فاتركه هو يرجع إلى القرآن.

عندما ترى العبارة هنا هل فيها شيء بالنسبة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا

عَلَى عَبْدِنَا} (البقرة: من الآية٢٣) فارجعوا إلى كذا ....؟ بل قال لهم: أنتم فأتوا بسورة من مثله. هذا يسمى توجيها إلى قضية هي تعتبر حلاً يجرهم إلى القرآن ليتفهموه ولن يخرج أحد بعد القرآن وهو مرتاب إذا كان ينظر بموضوعية، بل بنظرة طبيعية لا يكون عنده من قبل قد صار عبارة عن شيطان ويدخل إلى القرآن وعنده أهداف سياسية معينة، عنده عداوات معينة أعني: عبارة عن شيطان يحاول ....هنا ممكن يخرج من القرآن فاضي؛ لأنه لا يمكن يستفيد منه! لكن إذا رجع الإنسان بموضوعية، بل بنظرة طبيعية، لا تحامل لديه، لا يوجد تحامل لديه، فلن يخرج من القرآن إلا وهو مصدق بهذا القرآن .

{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: من الآية٢٣) جمعوا كل طاقاتكم وكل أوليائكم الذين تدعونهم وتعتبرونهم أنداداً لله وآلهة من دون الله، وهم أيضاً اجعلوهم يتحركون معكم . حسناً عندما يرجع إلى القرآن ونفسه أنه لا يستطيع لوحده، في نفس الوقت لفت ذهنه إلى الذين يعتبرهم لهم مكانة في نفسه، شهداء، يعني : أصناما آلهة مثلاً أنداداً كيفما كانوا، فشله في الموضوع هو: أن يخرج من القرآن وقد صار منبهراً بالقرآن، في نفس الوقت ينسف الآخرين. هذا يوجد فيه نوع تنبيه أو نوع لفت لنظره بأنه: [وجمِّع أصحابك كلهم ألئك الذين أنت تعتبر أنت وإياهم خطأً لوحدكم وأنداداً، جمعهم كلهم] إذاً أنت عندما تنبهر بهذا ألست ستتركهم كلهم؟

أيضا شيء آخر استفدناه هو: أنه لا يأتي في الموضوع وكأنه هو لوحده فقط فيخرج منه وما تزال القضية فيما يتعلق بالأصنام الأخرى قضية لوحدها. لا، في الذهنية أيضاً جمِّع أصحابك أولئك، سينظر أنه كيف يكلم الصنم مثلا ! افترض أنه ليس صنماً، ينظر شياطين إنس، أولياء له من الإنس، يتجمعوا مثلما تجمع الأربعة الذين كانوا في أيام [الإمام للهالصادق] أربعة تجمعوا فيما بينهم وأتمروا وكل واحد رجع، أليس كل واحد عندما يتراجع ويعرف أنه ما استطاع سيكفر بقدرات الآخرين في الموضوع؟ لن تبقى لديه فكرة أنه عجزت لأنني وحدي فقط لو اجتمعت أنا وهذا وهذا وهذا يمكن نستطيع نعمل شيئا. لا، عندما يخرج من القرآن بعد استعراضه سيرى بأنه قد انبهر من القرآن. وفعلاً إن القرآن فوق طاقات المخلوقين جميعا بما فيهم هذا وهذا وهذا، الذين يمكن أن يتآمر هو وإياهم على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن .

{ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في أنه محط ريب أو صادقين في أن هؤلاء شهداء من عند الله. عادة الإنسان يوجد عنده حالة في نفسه هو يعتبر نفسه صادقا فيها وإذا كان مرتابا أليس الارتياب يعكس حالة لديه مجمل الحالة هذه التي لديه أن هذا محط ارتياب، إذا أنت صادق بأنه محط ارتياب، أو أنت صادق بأن أولئك شهداء، أو كيفما كان الموضوع تقوم بالمهمة هذه .

{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا} من البداية يقنعهم أيضاً هذه تساعد إذا ما يزال هناك في النفس بواعث معينة أنه {وَلَنْ تَفْعَلُوا} هو قد أخبر من البداية: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} أي لن تستطيعوا أن تفعلوا هذه، أن تأتوا بسورة من مثله. إذاً هذه أحيانا يكون لها قيمة فيما يسمى بالاحتراس، أسلوب الاحتراس لأنه قد يقول بعضهم ـ هي جاءت من بعد في تفريعات علمية ـ بأنه عندما ينهى عن شيء أي أنه ممكن فعله. هنا قد قال: {وَلَنْ تَفْعَلُوا} بمعنى: أن هذه فرضية ليست قضية واقعية يمكن أن يفعلها الإنسان. ما المعنى أنهم هم يستطيعون، وإنما نهوا عن ذلك أو أنهم قد يستطيعون عندما يدعوهم إليه، لا، هذه هي تعني: عبارة احتراس{وَلَنْ تَفْعَلُوا}أي: لن تقوموا بالمهمة هذه ولن تستطيعوا أن تأتوا بسورة من مثله؛ ولهذا يقولون في الآيات التي فيها مثلا خطاب للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} (الزمر: من الآية٦٥) يقولون: أنه لم ينهاه عن هذه إلا على أساس أنه ممكن أن يحصل منه، ممكن أن يحصل منه، يعني: هذا تفريع آخر وإلا فهي ليست قضية حقيقية لكن التفريعات التي جاءت بعد الخوض في أساليب الإستدلال والتعامل مع النصوص، مع الأدلة، ومع المنطق، وفي الأخير تطلع هذه الأشياء!

ولهذا يأتون إلى تقييم كثير من الآيات التي هي موجهة إلى الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) فيقولون: فقط هو يخاطب والمقصود الآخرين لأنه هو لا يمكن أن يحصل منه هذا الشيء فعندما يخاطب بها هو فليس هو المعني

بهذا إنما الآخرين! مثلا عندما يقول: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥) قالوا هذه ما معناها بأنه خطاب له هو بأنه قد يعصي وإنما خطاب موجه للآخرين بأن يعرفوا أن من حصلت منه المعصية وإن كان كمثل هذا أنه سيؤاخذ .

وفيها أيضاً فضح بأنهم لن يفعلوا، لن يأتوا بسورة على الإطلاق، لا يستطيع أحد أن يأتي بسورة على الإطلاق. حسناً الجانب البلاغي مثلاً بالنسبة للقرآن الكريم عادة البلاغة: هي قضية مرتبطة بالمعنى، مرتبطة بعظم المعاني، قيمة المعاني، سعتها، واقعيتها، ليست قضية مجرد لفظ، مجرد اختيار عبارات فقط. قد تسمى فصاحة فيما يتعلق بالكلمات، تأتي كلمات فصيحة وترص رصا جميلا من الناحية الفنية لكن في أن تسمى بليغة البلاغة عادة مرتبطة بالمعنى بعد ماذا؟ بعد الجانب الفني فيما يتعلق بالمفردات لكونها فصيحة. إذاً فيما يتعلق بالذوق ، الذوق الفني عندما تسمع قصيدة معينة قد ترى أبيات معينة بيتين أو ثلاثة بليغة أعني: من الناحية الفنية رصت بشكل جميل تتذوقها، لكن ما القضية تنتهي إلى هذا بالنسبة للقرآن الكريم، فمثلاً سورة من أقصر سوره وراءها معاني هامة جداً وراءها واقع تحكي عنه، يأتي الزمن تتعاقب القرون فتتسع معاني السورة هذه، مثل: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} (الكوثر:١-٣) أليست ثلاث آيات مع البسملة؟ من الناحية الفنية نسميه التذوق، التذوق للعبارات، قد تحصل عبارات أخرى مثلا في قصيدة تراها جميلة لكن هل يقال لكون هذه جميلة أنه يعجبني أن أسمعها كما أسمع{إنا أعطيناك الكوثر} ؟ إذاً قد جاء بمثله! لا، إفهم أن البلاغة هي مرتبطة بالمعاني في عظمها، قيمتها، واقعيتها، سعتها. بلاغة القرآن وإعجازه هو من هذه الناحية ليس من ناحية أنه قد جاء بكلام جميل، إذاً وآخرين يستطيعون أن يأتوا بكلام جميل .

{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ} (البقرة: من الآية٢٤) من يخاطب بالعبارت هذه: {فَاتَّقُوا النَّارَ} ؟ أليس الكلام يقدم من بدايته مع أناس هم يجعلون لله أنداداً وهم يعلمون؟ ويبدو لديهم ارتياب؟ هنا يذكرهم بالنار ويأتي بكلمة: {فَاتَّقُوا} لتعرف أنها عندما تتوجه كلمة: اتقوا إلى المشرك، إلى المؤمن، إلى النصراني، إلى اليهودي .... أنك تلامس حالة لديه، هو إنسان يخاف من أي شر ومن أي ضر{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٤) لم يبق أمامكم إلا أن تتقوا أنفسكم من هذه النار، أي: وراء الإرتياب في هذا القرآن، والإصرار على الحالة هذه من الإرتياب، تجعلك بعيداً عنه، وراءها نار .

إذاً أنت انطلق أترك الريب وانطلق في عبادة الله لا تجعل له أنداداً وانطلق بالتصديق بهذا القرآن لا يبق لديك وبالإيمان به وبما تناوله لا يبق لديك أي ريب، وإلا فوراء المسألة جهنم{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} .

[تلاحظ هنا أسلوب التخويف بالنار التي هي موجودة أمامنا باستمرار ومن ضروريات حياتنا فهل تستطيع أن تضع يدك] في [مجمر] مليء بالنار؟ وكم الفرق بين أن تضع يدك في [مجمر] نار وبين أن تتحول هي إلى نار؟! وقودها الناس ووقودها حجارة، صخرات. هذا أليس شيئا مخيفا؟ أنت هنا تدفعه بشيء مخيف أكثر بأبلغ ما لديك من عبارة تجعله يتقي والإتقاء معناه: أن يترك ما هو عليه ويعود إلى هذه الطريقة التي هي طريقة القرآن الكريم وما دعاه الله إليه.

نستفيد من هذه الآيات بأن هذا أسلوب قرآني في دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته: التذكير بنعمه بهذه الطريقة المليئة باسم الله، قل: الله هو الذي جعل كذا، الله هو الذي خلقنا وهو سبحانه وتعالى الذي أعطانا كذا وهو هو الذي ....لا تذكر الأشياء مجردة لوحدها: [ابحث من الذي أعطاك كذا والذي أعطاك كذا والذي والذي و.....] فقط ! ،لازم تأتي باسم الله في الموضوع ، تأتي بذكر الله في الموضوع .

حالة أخرى هذه أو قاعدة أخرى في مسألة الدفع بالناس إلى القرآن الكريم: استخدامه كسلاح أمام مرتابين أو مشككين اجعلهم هم يصطدموا به هم ، قل لهم: أنا مقتنع أن هذا هو من عند الله، وأنا سائر عليه، هذا من عند الله، اذهب أنت، ارجع إلى القرآن، هناك، أمامك، هو يقول لك:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} .

إذاً يوجد فارق بين هذا الأسلوب ـ حتى يظهر لك أنه أسلوب توجيهي ـ فئة أخرى من الناس، فئة الساخرين،

السفهاء اللعابين، اللذين يتقولون هكذا، يقولون: أنه افترى على الله، وأنه، وأنه! وهـذا الكتـاب مفـترى علـى الله! قال لهم: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} ألم يقل عشر سور؟ يوجد فارق في الموضوع، عشر سور أفضح له أن يقال: عشر سور عندما يأتي يتخبط فجاء بسورة مضحكة، واحدة مضحكة، وواحدة مضحكة، أليس اثنتـان أو ثلاث أكثر فضيحة له ؟ إلى عشر أليست أكثر فضيحة؟ وأوضح في ماذا؟ في عجزه؛ لأنه قد يأتي بواحة منها قـد يقولون: ربما هو ما زال في البداية متعلم، مازال ... ربما لو أنه يفكر ويحاول لأتى بواحدة ثانية يمكـن تكـون أحسن!! قال له: هات عشر. هذا مقام سخرية منهم. لكن{فَأْتُوا بِسُورَةٍ} هـذا مقـام توجيـه تربـوي، توجيـه تعليمي{فَأْتُوا بِسُورَةٍ} هناك: {فَأْتُوا بِعَشْرِ}(هود: من الآية١٣) **لمن يقول؟ للمفترين، أعني: فئة مـن النـاس. يجـب أن نفهم أن القرآن الكريم لا يتحدث عن نوعية واحدة من البشر، الكافرون أنواع، المنافقون أنواع، المتقون أنـواع، المؤمنون أنواع، وهكذا .**

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}(البقرة: من الآيـة٢٥) **يلاحـظ واحـد المواضيع المهمة: فضح المنافقين، ضرب الأمثلة السيئة بالنسبة لهم، الكلام مع من قد يكونون مرتابين، ألم تـأت بطريقة الله سبحانه وتعالى تولاها؟ لأنها قضية فيها تعليم حتى للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فيجب أن نفهم بأن القرآن نفسه هو أيضاً وسيلة للنبي أن يهتدي به أن يهتدي به هو، ويعرف منهجية من خـلال القـرآن ، ويعرف أساليب من خلال القرآن، ويعرف طرقاً من خلال القرآن؛ فيتطور أسلوبه هو ومعارفه هو، وتتنـوع لديـه الطرق فيعرف من خلال تقييمه للموضوع هنا، يوجد تقييم للبشر، ألم يبدأ يقيِّم المتقين والكافرين والمنافقين؟ ثم هنا جاء بما يعتبر طرقاً ومناهج وأساليب في خطـاب الآخـرين، في محاولـة جـذب الآخـرين إلى عبـادة الله والدفع بهم إلى أن يطلعوا على القرآن الكريم ويتفهموا من خلاله{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} ما ظهر الموضوع ـ مثلا ـ أمام المرتابين، أمام كذا أن النبي نفسه قال: كذا.. كذا، أو بـرز هـو يقـول: كـذا.. كـذا؛ لأن الكـل ملائكـة الله وأنبياء الله يكونون هم بحاجة إلى الإهتداء بكتبه .**

عندما يصطفي من الملائكة رسلا ويصطفي من الناس رسلا، لا يوجد أحد يمكن أن يكون إلى درجة مـا يحتـاج إلى الإهتداء بالله، والإهتداء بنفس المهمة التي هـو يتحـرك لأدائهـا، إهتـداء بـنفس الكتـاب الـذي هـو يتحـرك لتبليغه؛ لأن من عظمة كتب الله وبالذات القرآن الكريم: أنه لا يأتي عبارات تقرأ علـى النـاس، بنـود معينـة: مادة واحد، مادة اثنين ..إلى آخره . هو في نفسه يربيك أنت ويربي الآخرين، يوجهك أنـت، يقـدم لـك منـاهج وأساليب وطرق و...أعني: واسع بشكل رهيب في مجال الطريقة التي أنت تـسلكها لـتعلم النـاس مـاذا هـدى الله وشرع الله.

تشريعه واسع جداً، هدايته واسعة جداً، وأيضاً مع هذا نفسه يعلمك كيف المـنهج والطريقـة والأسـاليب الـتي تسلكها في عملك مع الناس، في عملك مع نفسك. ما قدم ككتاب عبارة عن قانون جاهز: مادة واحد، مادة اثـنين ، مادة ..إلى آخره . هذا يسمى ماذا؟ أسلوب جاف ليس له قيمة، أسلوب ناشف ليس له أثر في النفوس ولا احـترام ولا تقدير! القوانين لولا أنه يأتي بعدها [سوط] لما كانت أشياء محترمة عنـد النـاس، القـوانين الـتي يـصيغها الناس لا تكون محترمة ـ تقريباً ـ عند الذين يقومون بصياغتها !.

كثيراً ما يأتي في القرآن الكريم هذا الأسلوب: متى ما تحدث عن عقوبة للكافرين، أو المنافقين، أو العاصين يأتي بالبشارة للمؤمنين، والعكس: متى ما تحدث عن مؤمنين وما وعدوا به، والمتقين وما وعدوا به، يأتي بالحديث عن الجانب الآخر. فهذه مهمة جداً من الناحية التربوية ومن ناحية خطاب الناس، يقدم الموضوعين: يتحدث عـن مـا وعد الله به المؤمنين الفوز الذي يمكن أن يصلوا إليه، والفلاح الذي يصلون إليه، والجنة، ومـا وعـدهم بـه في الدنيا وفي الآخرة بشكل عام، ويلاحظ الجانب الآخر العاصين كيف يكونون؛ لأن هذا نفسه يساعد على ترسـيخ الحالة الأولى، يساعد على ترسيخ الحالة الأولى لديك من خلال المقارنة الذهنية بين القضيتين .

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}(البقرة: من الآية٢٥)**لاحظ هنا يقول: وعملوا الصالحات، وعملوا الصالحات، تتكرر كثيراً في**

القرآن: عملوا الصالحات. هذه مهمة جداً أن يترسخ في ذهنية الإنسان: أن الشيء الذي يهمه أن يبحث عن عمل صالح وليس قضية أنه: هل قد وجب أو ما وجب ؟! هذا موضوع آخر؛ لأن الإنسان المؤمن يجب أن يكون عنده هذه الحالة: أن ينطلق على أساس أن هذا الشيء عمل صالح، لا أن يذهب ليسأل: هل قد وجب علينا أو لم يجب؟! الصحيح أن يسأل: هل هذا عمل صالح؟ لأن دائرة العمل الصالح واسعة جداً، دائرة واسعة جداً، وكثير منها يكون في متناولك. أحياناً عندما تسأل أولاً: هل قد وجب؟ قد يقول لك: لا ، تحرم بسبب أنه قال لك: لا، فقعدت عن أعمال كثيرة هي أعمال صالحة، تعتبر خاسراً .

الترغيب هنا يأتي على مستوى عالي{أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً}(البقرة: من الآية٢٥) أنواع متعددة إلى درجة أن بعضها متشابه من كثرة الأصناف خاصة الفواكه بعضها تكون متشابهة ـ تقريباً ـ في النوع أو في الشكل أو في كذا ....، ومختلفة في أشياء كثيرة، في ذوقها، وفي فوائدها {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}البقرة: من الآية٢٥) هذا مما يعجب الإنسان كمخلوق، يعجبه الأشياء الماديات؛ ولهذا أن الله جعل الجنة أرقى الماديات التي يتصورها الإنسان، أرقى نعيم مادي: جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن، أزواج، وخلود فيها...إلى آخره، أليس هذا يعتبر أرقى نعيم مادي؟ إذاً هنا لو نلحظ بأن الله سبحانه وتعالى ـ فيما يتعلق بهذه الدنيا ـ لو لم يقدم أشياء مرغبة في الدنيا هذه، من الناحية التربوية سيكون تقصيراً؛ لأنه يقول عن الإنسان بأن الإنسان ـ بطبيعته ـ يحب العاجلة، أن الإنسان يحب الخير هنا، هنا، الشيء الطبيعي أن يقول له: أنه حتى هنا في الدنيا، هنا في الدنيا عندما تستقيم، عندما تسير على الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى يحصل لك الخير، ويحصل لك البركة، وتحصل النعم ، ويحصل، ويحصل ، ويحصل ...أشياء كثيرة من الماديات والمعنويات .

إذاً فمعنى هذا من الناحية المنهجية عندما نرغب الناس في طاعة الله، في عبادة الله، في الإستقامة على طريقه نرغب في الموضوعين؛ لأن هذا وارد في القرآن ورد في القرآن وهذا هو الشيء الطبيعي والشيء الصحيح فعلا، كيف يمكن أن يقول عن الإنسان بأنه يحب الخير ويحب العاجل يريد شيئاً أمامه ثم يأتي هو ليقول لك تتحدث عن الجنة فقط على طول على طول! تحدث عن الجنة وتحدث عن ما يحصل في الدنيا وقدم للإنسان المسألة بأنها حياة واحدة بالنسبة له إنما هذه تعتبر لحظة من الحياة الأبدية لأن الإنسان من أول ما يخلق هو يخلق للأبد يخلق لحياة أبدية إنما يمر بمرحلة هذه حياة أولى بعدها يموت ثم يستأنف الحياة الأبدية التي لا انتهاء لها .

إذاً فالمسألة بالنسبة لك هي حياة واحدة، هي حياة واحدة بالنسبة لك، عندما تتحدث عن الجنة فقط على طول على طول والإنسان هنا هو يحب الخير ويحب العاجل وهو مرتبط أيضاً، مرتبط هو في تكوينه في هذه الحياة مرتبط بماديات هذه الحياة فمن الطبيعي من الناحية التربوية أن يكون هنا يعجل، يعجل للناس شيئاً بسبب استقامتهم بسبب ثباتهم وسيرهم على هدي الله وطريقه، أن يعجل لهم ـ وهذا حصل في القرآن الكريم بشكل واسع ـ أعني: أن القضية يجب أن تربط الناس تربطهم بأن سعادتهم في الدنيا في هذه الحياة متوقفة على أن يسيروا على هدي الله وإلا فستطلع النتيجة في الأخير نتيجة سلبية كبيرة، فسيعتبر الدين هذا ليست له قيمة هو مشغول؛ ولهذا ظهر في الناس أنه ما هناك اهتمام بأن يعملوا للدين هذا، لإعلاء كلمته لسيادة أحكامه لسيادة توجيهاته، لا يوجد هذا الإهتمام !! فمتى ما أراد أن يتحرك للدين فإنه يعتبره موضوعاً ثانوياً والحياة هنا وهو مرتبط بالحياة وشؤونه وأعماله وحاجاته ومعه عمل ومعه كذا .. وليس متفرغاً لك!

هذا من نتائج أن الإنسان لم يقال له ولم يترسخ في ذهنيته هذا الأسلوب القرآني: أن حياتك هذه لا تستقيم لا تستقر أبداً لامادياً ولا معنوياً إلا عندما تكون تسير على هدي الله، اربط حياته بالدين؛ ليصبح الدين عنده بالشكل الذي يهتم به كما يهتم بالحياة نفسها لماذا ـ مثلاً ـ عندما نأتي إلى الكثير من الناس نقول له: دين الله، ونقول: تتعاون من أجل عمل ديني يعتبره عملاً هامشياً ثانوياً هو مشغول بأشياء أخرى من شؤونه!

إذاً معنى هذا أنه عندما نجد هذه حالة موجودة عند الناس، وجود سلبية كبيرة تقعدهم عن العمل لدين الله يجب أن نركز على هذا الأسلوب، عندما نركز على هذا الأسلوب نحذر، نحذر أن نربط المسألة في ذهنية الإنسان مادية بحتة، شده إلى الله ومن الله، هذا أسلوب قرآني: [نحن إذا استقمنا على طريقة الله فالله هو...] ولهذا جاء هذا الأسلوب في كلام نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً} (نوح:١١) لا تقل

للناس اعملوا كذا وستحصلون على كذا وتحصلون على كذا ويحصل لكم ويحصل لكم ويحصل ....من العبارات هذه، هنا ستترسخ عنده ذهنية المصلحة، إذاً فممكن يأتي طرف آخر يقدم له: ويحصل، ويحصل، ويحصل ...وينجرف إليه، لا. يجب أن نركز على هذه بأنه نستجيب لله، والله هو .....ولهذا قال: {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} (نوح:١٢) لم يقل: يحصل لكم ماء، ويحصل لكم أولاد، ويحصل لكم جنات، ويحصل لكم، ويحصل ....قال: {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}.

هذا أسلوب هام جداً مراعاته: أن تذكر الناس بما يربط الدين بحياتهم، يربط حياتهم بالدين، وعلى هذا النحو؛ لتبقى الذهنية متجهة إلى الله، وأن كلما يحصل لهم إنما يحصل من جهة الله، ومن عند الله هنا سترتبطهم بالله سبحانه وتعالى، فهم لن يكونوا عرضة لأن يجرفهم طرف آخر يقدم لهم خدمات ومشاريع ومصالح من الأشياء هذه، فيكون عندهم: إذاً فما دام المسألة أنه يحصل ويحصل فهذا سيعطي لنا فمع هذا! لا ، تربطهم بالله وتقارن بين ما يقدمه الله سبحانه وتعالى للناس وبين ما يحصل عليه من الآخرين من ناحية تقديمه، الآخرون لا يقدمون لك شيئاً إلا وهم يريدون ثمنه منك شيئاً هو يضر بك أنت فيمكن يقدمون لك مصالح لكن هي في سبيل استعبادك أنت وإذلالك أنت وأن يأخذوا منك أنت أضعاف ما أعطوك، هل هذه موجودة عند الله سبحانه وتعالى أنه يعطيك ليأخذ منك أضعافاً؟ لا، بل العكس، الدين الذي نزله الله للناس هم بحاجة إليه لاستقامة حياتهم، ووعدهم بأن يعطيهم المزيد؛ ولهذا يَعِدُ بأضعاف مضاعفة لمن أنفقوا في سبيله لمن استقاموا على طريقته يعطيهم خيراً بأضعاف مضاعفة، والخير الكبير الذي لا ينتهي: الجنة، مع أن كان حاجتهم إلى هذا الدين في الدنيا هو يعتبر نعمة في حد ذاته، ومع هذا يعطيهم النعمة البيرة التي لا تنتهي أرقى نعيم وهي الجنة .

بعض المفسرين يقول: {قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ} (البقرة: من الآية٢٥) معناها أنه في الدنيا كان يأتي لنا عنب بهذا الشكل، وتين، وأشياء من هذه.

هذه قد تكون توحي بأن الإنسان يفهم أنه في الآخرة لن يكون شيئا آخر هو، لأن المسألة بالنسبة لأي واحد منا كما لو استيقض الصباح تماما من على فراشه، هل أحد يستيقض في اليوم الثاني وقد صار شخصا آخر؟ إنه هو أنت، أنت، هم بمشاعرهم بأحاسيسهم بأذواقهم، هم تماما، مثل اسيقاضك في اليوم الثاني من على الفراش، لا تظن بأنك يوم القيامة ستكون شخصا آخر.

{هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}أنا في الدنيا كان يعجبني [البلس] أنا في الدنيا كان يعجبني كذا أو ذلك مثل هذا بالنسبة لجنسه! لكن البعض يقولون: لا، القضية أنه تقدم لهم فواكه متعددة وبعضها تبدو متشابهة يقول: أليس هذا مثل الذي قدم لنا الآن في الصحون والصحاف قبل قليل؟ {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً} (البقرة: من الآية٢٥) قد تكون هذه هي أقرب، لكن مهما يكن الأمر، هنا يشخص لك الإنسان بأنه ما زال بمشاعره كإنسان هوهو ليس أنه قد تحول شيئا آخر، فيتصور أنه قد تحول إلى مخلوق آخر، أو شيئا آخر، أنت، أنت، وأنت في جهنم تصيح، أوفي الجنة تتنعم مثلما يسحبوك الآن إلى واحدة منها تماما، لا يوجد فارق .

{إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} (البقرة:٢٦) لأنه في مجال الهداية للناس يحتاج الإنسان إلى أشياء كثيرة، في مجال التبيين له وتقريب القضايا إلى فهمه، فالأمثلة أحيانا تكون تجسيداً للمعاني لتقربها إلى فهمك حتى لو كانت المسألة مثلا فيها ضرب مثل ببعوضة أو بفراشة أو ذبابة أو أي شيء من هذه، هذه لها قيمة من الناحية العلمية من ناحية التبيين بالنسبة لك .

الله سبحانه وتعالى هو من يريد لعباده الهداية، ويبين لهم على أرقى وسيلة، لا يستحي أن يضرب مثلا في سبيل أن يهتدوا، أن يبين لهم الأشياء ويقرب إلى أذهانهم ما يفهمون به مبادئ معينه، أو قيم معينه، المهم في مجال الاهتداء لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة أو أي شيء من الأشياء الأخرى، المؤمنون يعرفون: أن هذا حق

من الله، ولهذا قيمته، له قيمته، الآخرون يكونون مشغولين بأنه ماذا يعني أن يضرب بفراشة أو يضرب ببعوضة، أو ذبابة أو...؟! ما هي الفائدة في أن يضرب لك مثلا به! ما هي الفائدة منها أو ما هي قيمتها؟ هذا يسمى ضلالا، هو سماهم ضالين{مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} ينشغل بأنه ماذا يعني، ما قيمة أن يتحدث عن ذبابة! أو الله أعلى من أن يذكر ذبابة! أو الله أعلى وأعظم من أن يذكر بعوضة، فيكون هو منشغلاً بالفكرة هذه وناسي الإستفادة من المثل وبما يهدي إليه المثل.

يستفيد الإنسان من هذا: بأن يكون عنده حرص، حرص على أنه يستفيد ويعرف حتى في تأملاته يتأمل في النملة في الذبابة في أي شيء، لا يكن عندك أنك لست محتاجا إلى أنك تستفيد من النملة أو تستفيد من الذبابة أو من البعوضة، أحيانا لو لم يكن إلى من أجل أن تعرف ذكاءها مثلاً، ذكاءها وطريقتها عندما يكون البعوض هذا نفس البعوض يظهر ذكيا يعرف أين هو ويعرف أين أنت وهو يتصيد لك هو يأتي يتصيد لك وأنت أكبر منه حقيقة! لاحظ إذا أنت مثلا في السطح في مكان خارج هو عارف أنك عندما تحرك يدك لضربه أنك لا تستطيع اللحاق به يحاول من قريب يريد أن يلدغك وبإلحاح! إذا أنت في غرفة فإنه يكون حذراً جداً لأنه عارف فيحاول يترقب غفلاتك! إذا أنت تقرأ في كتاب وتمسكه بيديك يلدغك في ظهر الكف، وإن كان الكتاب على طاولة أو على فخذيك أو على أي شيء يترقب غفلاتك! في حالة الهواء الطلق إذا أنت خارج يحاول يهاجمك وهو منتبه لك؛ لأنه عارف هناك لن تقوم تبحث عنه، لكن وهو في الغرفة يرى جدران مغلقة والطياق مغلقة تراه حذراً جداً تراه أحيانا يطير على مستوى القاع ويكتم صوته!

إذاً هنا أنت ستراه مخلوقا يتصيد لك أليست هذه واحدة؟ الذي يقول: البعوضة! ماذا يعني بعوضة؟! البعوضة هذه هي تراك أصغر منها، إذاً هذه البعوضة تبحث عنك تريد أن تمص دمك، تتصيد لك كما تتصيد أنت لأرنبة أو لحمامة أو لأي شيء، أليس عندها طمع كبير وعندها نظرة كبيرة؟ رجل كبير تتصيد له تريد أن تمص دمه وهم يقولون: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} يعني، ما هي قيمة بعوضة؟! تراها فيها ذكاء وتعرف من خلال هذا بأنه مخلوق على هذا النحو كيف هدي إلى أن يعرف محيطه ويعرف ما حوله ويعرف متى يهاجمك، إنه يدري إذا أنت تريد أبعاد الكتاب وتريد تراقبه يعرف أنك تراقبه فعلا، تتجه إتجاها آخر، ينتبه أنك مراقب له، القضية هذه مجربة.

الإنسان يحتاج إلى أنه يستفيد من كل شيء، لاحظ نبي الله سليمان وهو نبي بعد ما سمع كلام النملة ظهر في مظهر من الخضوع بشكل عجيب، ألم يقل: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل:١٩)

النملة هذه استفاد من كلامها تذكيراً بنعمة عظيمة عليه، كيف أن النملة نفسها عندما قالت: {لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (النمل: من الآية١٨) **يعني: أنها عارفة أن سليمان عادل وليس بإمكانه أن يدوس على نملة متعمداً ولا أحد من جنوده، إذاً هو في نعمة كبيرة جداً أنه حتى الحيوانات الصغيرة تعرف عدالته. جاء بالعبارة هذه الهامة في الخضوع لله. أليست هذه نملة أفادته بشكل عجيب؟ إذاً فلا يظن الواحد منا أنه أذكى أو أعلى من أن يستفيد من نملة أو بعوضة أو أي شيء، معنى هذا كبرياء وغرور.**

{إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} (البقرة: من الآية٢٦) **فكيف تستحي أنت وأنت الإنسان القاصر من أن تستفيد من أي شيء من مخلوقاته هذه الصغيرة، وأن تتأمل فيها، تستفيد معرفة، وأنه هكذا المؤمن يكون حريصا جداً على ما يزيده هدى وإيماناً ومعرفة و...بينما الكافر هناك غرور، تعجرف يناقش أنه: لماذا تضرب بعوضة أو ذبابة أو عنكبوت؟ كل هذه ذكرت في القرآن: عنكبوت، وذبابه، وبعوضة.**

{يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} (البقرة: من الآية٢٦) **يضل بهذه الطريقة أو يهدي بهذه الطريقة من خلال ضرب أمثلة في كتاب الله الكريم في جزء من كتابه {يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} الخارجين عن طريقته يكونون عرضة للتضليل عرضة لأن يضلوا فعلاً يضيعوا ويبعدوا وفي نفس الوقت ستظهر سلوكياتهم فيما بعد على هذا النحو، وهم في الوقت أيضاً هم يكونون على هذا النحو عندما**

يذكر من صفاتهم بعد: {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (البقرة:٢٧)

في الأخير تلاحظ هنا بأنه هؤلاء الناس الذين يرون أنفسهم بأنهم تقريباً يترفعون من أن يضرب لهم مثلا بعوضة أو عنكبوت أو ذبابة هل ما معنى هذا بأنهم أناس قمة في ماذا؟ في القيم وفي النزاهة وفي الطهارة وفي أنفسهم، هم واقعهم هكذا: هم سيئون، {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} أحيانا أنت تعتبر أحمق عندما تبدو على هذا النحو وأنت منحط في واقعك أي: عندما ترى طرفا مترفعا قد يبدو لديك بأن هذا الإنسان يبدو على مستوى عالي من الطهر والنزاهة والثقافة والمعرفة وأشياء من هذه فهو يترفع، لا، في الواقع قد يكون منحطاً هؤلاء يقولون: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} وهم في واقعهم على هذا النحو: {يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}.

إذاً هم منحطون فهم في نفس الوقت من أحوج الناس إلى أن يهتدوا بأي شيء يقدم لهم، بأي مثل يضرب لهم ليهتدوا به، فلماذا الترفع إذاً! هل لأنهم هم ذوو قيمة في نفوسهم؟ هم هكذا: يفسدون في الأرض، وينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، أليس هؤلاء منحطين ؟ أو أنهم مثلا على معرفة عالية وثقافة عالية واستنارة واستبصار لا يحتاجون إلى هدى! هم بحاجة إلى هدى، {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

ثم تحدث الله عن الملائكة عما قالوا وكيف انتهت المسألة مع آدم وإبليس. هل الموضوع بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنه يحتاج إلى استشارة أحد؟ لا، يستشيرهم، ما هو رأيكم نريد أن نجعل في الأرض خليفة ؟! لا ، لكن القضية يأتي من خلالها دروس بالنسبة للملائكة أنفسهم وبالنسبة لبني آدم أو بالنسبة للإنس والجن يعني: القضية هذه فيها دروس للملائكة والجن والإنس، فيها دروس، وفيها عبر، تعطي هدى للملائكة وللإنس وللجن.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} (البقرة: من الآية٣٠) **هذه تعني بأنه قد قدم إليهم ـ مثلاً ـ شرحاً عن حالة هذا الكائن الذي سيخلق في هذه الأرض ويستخلف في الأرض، فوجدوا مثلاً من خلال استعراض حياة هذا الإنسان على الأرض أنه يحصل هكذا: يحصل فساد في الأرض ويحصل سفك للدماء اندهشوا، هنا اندهشوا، حصل عندهم تساؤل: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ}** (البقرة: من الآية٣٠) **إذا كانت المسألة هي من هذا المخلوق الذي تريد أن تستخلفه في الأرض هو أن يقوم بتسبيح وتقديس وعبادة ـ هم في ذهنيتهم العبادة على النمط الذي يؤدونه ـ نحن نقوم بالمهمة هذه، وفينا كفاية، معنى كلامهم: وفينا كفاية {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}.**

ربما أيضاً فيها شيء آخر يعني: إذا كنا نفهم بأنه أي مخلوق من مخلوقات الله يحتاج إلى هداية الله بما فيهم الملائكة والله أعلم في أي عصر حصلت هذه القصة قبل كم آلاف من السنين، كيف كان الملائكة، وكيف قد أصبحوا بعد في ترقيهم في ماذا؟ في اهتدائهم من خلال هذه القصة وغيرها. هذه القصة هي قديمة جداً وفي نفس الوقت يقول الإمام [القاسم بن إبراهيم]: ((بأن هذا القرآن يهتدي به الملائكة في السماء)) وكم بين القرآن في نزوله ووقوع القصة هذه خلق آدم هناك والحكاية هذه كلها. [قد يحصل من الملائكة كلام لا يتنافى] نوعاً ما مع الجلال والقدسية والعظمة هذا قد يحصل في تعبير الناس: [نحن نمدحك ونقول إنك وإنك وإنك] وهذا عندما يحصل من شخص مثلا شيء يتنافى مع نظرتنا إليه ومع ماذا؟ ثنائنا عليه وتمجيدنا له ومدحنا له.

{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٣٠) **يمكن أن نحملها على أساس أنه إذا نريد مثلا نراعي جانب الملائكة نراعي جانبهم؛ لأنه ربما ما توحي العبارة بهذا الشكل عند الكل {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} معناها: نحن نقوم بالمهمة إذا كانت القضية هي ليعبدوك هذا الكائن الجديد الذي ستستخلفه في الأرض هو ليقوم بعبادة، هذه العبادة نحن نعبدك على أرقى**

مستوى نسبح بحمدك ونقدس لك{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}.

إذاً القصة هنا، عندما نأتي إلى مجمل القصة ـ ومجمل القصة تؤخذ من أكثر من موقع من القرآن الكريم من [سورة البقرة] ومن غيرها من السور من [سورة الأعراف] وفي غيرها ـ تلاحظ: الإنسان بحاجة، الملائكة بحاجة، الجن بحاجة إلى أن يؤمنوا بأن الله أعلم منهم، وأن يؤمنوا بان الله أحكم منهم، إيماناً يكونون دائما مستشعرين له دائما، دائماً، بالطبع أن الملائكة يؤمنون بأن الله هو العليم، هو الحكيم، أليسوا مؤمنين بهذا؟ لكن أحيانا يحصل من جهة المخلوقين؛ لأنهم ناقصون وقاصرون فعلاً،أحيانا أوفي مراحل، بل الإنسان في مراحل اهتدائه ـ هي مراحل يترقى فيها ـ أحيانا قد يحصل من جانبه ما يعتبر غير منسجم مع ما هو مؤمن به، إذا كانوا مؤمنين فعلا، هم مؤمنون فعلا بأن الله عليم وحكيم، فكان يجب أن إيمانهم هذا نفسه يشغلونه في نفس الوقت، انه يجب علينا: أن نسلّم له؛ لأن الإيمان بان الله هو أعلم وهو أحكم يقتضي التسليم أمام ما يبدو وكأنه غريب أو يثير التعجب والإستغراب، هو أعلم منا وهو أحكم، فنحن سلمنا، فليستخلف ومقبول ولا اعتراض ولا تساؤل ونحن مسلّمون. هنا هم نسيوا في داخل نفوسهم ما يقتضيه إيمانهم بأنه أعلم وأحكم من تسليم لا يحصل معه تساؤل على هذا النحو.

هذه فيها جانب بالنسبة للمستخلف: نوع ازدراء نوع احتقار بالنسبة للمستخلف نفسه هذا ما كان ينبغي أن يحصل؛ لأنهم يعلمون بأن الله قد قال بأنه سيستخلفه هو الذي قدم لهم صورة أو نبذة عن حياة هذا الكائن على هذه الأرض، إذاً فلأنه استخلفه هم مسلّمون يعني: لا يحصل لديهم أي شعور بازدراء أو احتقار، هو جدير إذاً بالإستخلاف، معناها هكذا: هو استخلفه إذاً هو جدير بالإستخلاف.

ما الذي حصل بعد بالنسبة لهم؟ أمرهم أن يسجدوا لآدم يسجدوا لآدم نفسه هو!جاءت العبارة بصريح العبارة: {اسْجُدُوا لِآدَمَ} يسجدون لآدم، حصل من جانبهم ما يتعلق بهذا المخلوق الذي قال بأنه سيستخلفه نوع، معنى العبارة هذه ـ كما نفهمها ـ: توحي بنوع ازدراء {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}ماذا تعني العبارة هذه بالنسبة للمستخلف؟ أليست تعني: أنه غير جدير بأن يستخلف يعني: ماذا؟ ازدراء واحتقار لهذا المستخلف! هذا هو ناتج عن ماذا؟ النسيان لما يقتضيه الإيمان في أعماق الإنسان من تسليم لا يكون معه تساؤل ولا هناك ازدراء، يقول: سلمنا هو الجدير بأن يستخلف آمنا ولا أي تساؤل.

لاحظ العبارة هنا؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ} هل هاجمهم من أول يوم؟ هو يعلم{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}(الملك: من الآية١٤) هو يعلم بأن هؤلاء هم بحاجة إلى الإهتداء دائما، حصل عندهم حالة نسيان حصل لديهم اندهاش من موضوع معين أنساهم التسليم بما هم مؤمنون به، مع أنها قد تكون طبيعية عند المخلوقين، هذا شيء طبيعي عند المخلوقين وهم يترقون في ماذا؟ في الهداية{إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}معناه تبدو العبارة ليست سهلة في الواقع{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} ليست عبارة سهلة لكن الله سبحانه وتعالى هو رحيم ما هاجمهم؛ لأنه شبه طبيعي أن يحصل من مخلوق آخر على هذا النحو فيندهش، لكن سيقدم المسألة لهم بأن يهتدوا من خلالها، وربما قد يكون الملائكة فيما بعد أصبحوا أكثر اهتداء وأكثر انتباها من بعد، أخذوا منها درسا هاما.

لاحظ أحياناً الأشياء تقاس على أساس نظرتك أنت التي أحيانا تكون توجد كثيراً من العوائق وكثيراً من الإشكالات هذه الحالة، حتى أنه يكون الناس مثلا في توجه واحد وهدف واحد، أحيانا تبدو قضية هذا استنكرها وذاك استغربها وذاك حاول يشرد منها، كلهم ينطلقون على أساس ماذا؟ وفق تقييمهم هم، نظرتهم هم عندما يكون عندهم: أن المسألة هو ليعبُد، ليقوم هذا المخلوق بعبادته؛ لأنهم يعرفون بأنه كل ما سوى الله هم عبيد لله وكل ما سوى الله كل مخلوقاته لها أدوار في عبادته يعني: كلها تعبده، العبادة عندهم ما هي؟ تسبيح تقديس ذكر لله صلوات أشياء من هذه، أليست هذه قد تكون العبادة لديهم؟ إذاً نحن نقوم بالعبادة هذه، قد لا يكون هناك مناسبة أنه من أجل هذا المخلوق يقوم بالعبادة، ومع هذا أيضاً يحصل فساد ويحصل سفك للدماء ويحصل .. ويحصل .. نحن ملايين نقوم بتسبيحك وتقديسك، أليسوا هنا ينظرون إلى العبادة وإلى الأدوار من

خلال تقييمهم هم وفهمهم للعبادة؟

{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٣٠) **للأدوار المتعددة والمهام المتعددة في موضوع العبودية لله؛ لأن العبودية لله سبحانه وتعالى كلها تنتهي على اختلاف أدوارها إلى الشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى، كل عبودية الله لا تخرج عن هذا الموضوع، ارتباطه بالشهادة بكمال الله ووحدانيته وقدسيته وعظمته ....إلى آخره، كلها قد يكون دور الإنسان من الناحية العملية يكون في أدواره في الحياة هذه وهو يستخلف، يتجلى من خلال دوره هنا وسلوكياته هنا، وأعماله هنا: الشهادة بعظمة الله الشهادة بكمال الله الشهادة بوحدانيته؛ ولهذا الناس فعلا يؤدون هذا الدور رغما عنهم، مجمل البشر، الإنسان بالشكل العام، كلهم تنتهي المسألة: أنهم فعلاً المطيع منهم والعاصي الذي يعمل في هذا المجال وفي هذا المجال كل خلاصة الموضوع بالنسبة لهم: أنهم شاهدون على كمال الله ووحدانيته وعظمته .**

لأنه طلع في الأخير أنهم قالوا: إذاً فعلا الإنسان استخلف في الأرض أعني: ما قد يذكر بعض المفسرين: هو استخلف في الأرض إذاً سيبدو أن القيمة من وراء هذا الموضوع على الرغم من السلبيات الكثيرة جداً هو: أن هناك نماذج ستبدو طاهرة، ونماذج تبدو ملتزمة ومستقيمة، وأن هذه هي كلها الهدف والغاية من وراء الإستخلاف، وهذه إيجابيات تغطي باقي السلبيات كلها! لكن هذا الكلام أيضاً ما يزال ناقصاً حقيقة! لا ، عندما تنظر للقضية بشكل آخر الإنسان من حيث هو: تجد أنه يقدم شهادة لله سبحانه وتعالى بكماله المطلق، الكل يعني: عندما تجد أنه يهدي هو يهديهم إلى طريقة معينة، الآخرون الذين خرجوا عن هدايته كيف حولوا الحياة وكيف تحولت حياتهم؟!

هنا يتجلى لك جانب من ماذا؟ من السوء نتيجة أنهم لم يلتزموا بما هدى إليه الله يعني: شهدوا على ماذا؟ على إيجابية ما قدمه الله وعلى أن الإنسان لا يمكن أن يخرج عن السوء إلا إذا كان يسير على هدي الله، هم قدموا شهادة بكمال الله؛ لأنه عندما يكون يوجد يعني: على مستوى الناس ـ ولله المثل الأعلى ـ طبيب مثلا معين يقول لك: هذا هو عبارة عن وصفة معينة تسير عليها على مدار سنتين ، ثلاث، أنت إذا عدلت عن هذه الوصفة سيحصل لك كذا كذا، ما رضيت تلتزم، تذهب مثلا تأكل [سمن وعسل ولحم] وأشياء من هذه وأنت فيك [سكر] يقدم لك وصفة معينة، حصل لك أشياء كثيرة هنا أنت تشهد على ماذا؟ على صحة رؤية هذا الطبيب نفسه وتشهد في نفس الوقت بخبرته من خلال ما وقعت فيه أنت.

إذاً ما من كانت إيجابية فعلا لو أن الموضوع أنه: فعلاً يوجد سلبيات كثيرة هي: أكثر الناس لا يعقلون، لا يفهمون، ضالين، مفسدين،... إلى آخره، ويكون فقط الإيجابية التي تمثل غاية من وراء استخلاف الإنسان هنا في الدنيا هو: ذلك التيار المحدود داخل هؤلاء البشر الذي يعتبر رقماً محدوداً جداً بالنسبة للأعداد الأخرى الفاسدة إذاً هذه ما تعتبر في حد ذاتها يعني: في ما يتعلق بحكمة الله سبحانه وتعالى، وعلمه ما يمكن الإنسان يقدمها بأنها كافية، كافية كمبرر لماذا؟ لوجه الحكمة من الإستخلاف.

يقدم لك الحكمة مثلا: [الإمامية] في مسألة الإستخلاف بأن هناك مثلا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **وعلي والحسن والحسين وفاطمة الخمسة هؤلاء سهل أن يكون هناك سلبيات أخرى من قبل البشر كلهم القيمة هي هنا فيكفي هذا النموذج مع وجود بقية السلبيات! هذه ما تكفي،حقيقة، الإنسان له دور: اليابانيون يقومون بدور الأمريكيون الآن يقومون بدور الإنسان هو عبد لله رغماً عنه رغماً عنه وشاهد بكمال الله ووحدانيته رغماً عنه عندما تراه يضل هناك بسبب أنه عدل عن هدي الله، فهذا شاهد على أن الله هو يعلم السر في السماوات والأرض وأنه أعلم بخلقه وأعلم بما يهديهم وأنهم هكذا وقعوا في هذه لحالة السيئة بسبب أنهم لم يسيروا على هديه أليس هذا يعني: شهادة بكماله، شهادة بقيمة هديه، الذي يعني في الأخير: شهادة بكماله هو؟**

ما نأخذه من الآيات القرآنية الكريمة ما يعني كل شيء، القرآن بحر لا يدرك قعره الإمام علي يقول: ((القرآن بحر لا يدرك قعره)) ربما إنه يأتي واحد ينظر باعتبار آخر، إن هذا يعني: بأن الله سبحانه وتعالى هو مالك الأمر والنهي هو مالك الملائكة والإنس والجن والسماء والأرض وشئونها فهو الذي له الأمر والنهي فيها. إذاً فالإنسان عندما استخلف ، استخلف وقيل له من أول يوم: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا

يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طـه:١٢٣) يعني هنا أسكنهم في هـذه الأرض وقـال لهـم: سيروا على ما يأتيكم مني من هدى أليست هذه؟ لذلك بدأت إشكالية في مسألة مثلا سؤال الملائكة، سـؤالهم هـم ثم ما يقدم من تفصيل للقضية؛ لأنه لوحظ في الأخير فعلاً بالنسبة للإنسان كإنسان هذا جانب سلبي كبير جـداً؛ لأن الكثير من الناس فاسقين إلى آخره.. بل أفسدوا الحياة وأفسدوا البر والبحر وأفسدوا كل شيء، لكن لو أننـا عندما نأتي ننظر إلى المسألة باعتبار علاقتها بالله سبحانه وتعالى فهل القضية فعلا كما يقـول الـبعض؟ بأنـه: سهل هذه السلبيات كلها ما دام سيظهر نماذج معينة من البشر يمثلون قيمة الهدى الإلهي، فيظهر نماذج طاهرة ونماذج متكاملة من الأنبياء والأولياء والصالحين: محمد (صلوات الله عليه وعلـى آلـه) وعنـد [الإثناعـشرية] يقولون: الإثناعشر: الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وفاطمة وعلي وباقي الإثناعشر يعني: هـذا يكفـي ـ إذا كان سيأتي في الأرض وعلى طول الحياة هذا الإنسان الذي أعـداده مليـارات مـن البـشر آلاف الملايـين ـ هـذه النماذج !

حسناً والجانب هذا كيف يمكن نقول: أنه ما أمكن أن تبرز قيمة هدى الله إلا من خلال النماذج هذه فقط! أيـضاً ذلك جانب آخر يشهد، هذه القضية هامة نحن قلنا هذا بالأمس أعتقد أنه يجب أن نلحظ الجانب الآخر أنـه هـو تشغيل للقرآن بأسلوب آخر يعني ماذا؟ يوضح لنا عظمة القرآن عندما نرى توجيهات هنا ونرى كيف واقع الذين لا يسيرون عليها انهم يشهدون بماذا؟ بقيمتها وأهميتها وواقعيتها، أليس أي واحد سيقول له في الأخير: ألم نقل لك: لأنك لا تسمع للدكتور عندما قال لك كذا ، كذا، لاحظ ماذا حصل! يعني: هو يعتبر الأمراض الـتي حـصلت له ومضاعفات المرض أنه بسبب مخالفته لوصفة الطبيب أنه ماذا؟ شاهد على إيجابية الوصفة نفسها. فمجمل دور الإنسان هنا مجمل دور الإنسان بكل ما هو عليه، إن كان على هدى فهو يجسد الهدى ويظهر قيمة الهدى، وإن كان مخالفا للهدى هو أيضاً يظهر الأثـر السيء لمن يخالف الهدى، فهو في نفس الوقت يبين عظمة هذا الكتاب .

لهذا ما هناك فشل في المسألة بالنسبة لله سبحانه وتعالى، لا نقول: إنه فشل، أو نحاول نلجم المـسالة بحيـث مـا يظهر فيها وجه الحكمة بالشكل الذي يطمئن إليه الإنسان فعـلا، ويتناسـب مـع تقديـسه لله وإجلالـه لله ، لا، الإنسان هذا نفسه، ذلك الشخص الذي يبدع ، يبدع، هو عندما يبدع في صناعة معينة صناعات دقيقة جداً هـو نفسه يشهد على عظمة وكمال من أبدعه هو، من أبدع ذلك المخلوق هو، فالشهادة لله سـبحانه وتعـالى، الـشهادة الجملية من واقع البشر كلهم بكمال الله هي حاصلة، والناس هم الفاشلون هم، من خلال أعمالهم في الحياة هـذه ولهذا قال: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ](الرعد: من الآية١٥) وبعض الآيات التي تقول بأن الكل هم خاضـعون له، هم خاضعون.

عندما تقول: إذاً ما قيمة الإسـتخلاف إلا مـن أجـل يظهـر عـدد محـدود في تـاريخ البـشر فيكونـون إيجـابيين وطاهرين! ما أمكن أن تتم المسألة هذه إلا بوضعية يأتي من خلالها الملايين من الضالين والفاسدين؟

هذه ما تعتبر مبرراً كافيا بالنسبة لنا نحن يتناسب مع إيماننا؛ لأن إيمانك بقدسية الله سبحانه وتعالى وإجلالـه مفروض يكون بالشكل القاطع لديك، وما القضية بالنسبة لله لا يوجد موضوع ستحتاج إلى أنك تحاول تـستر، هي محاولة ستار هذه، مثل الذين يعتبرون أبا بكر فيه نواقص وهم قد قدموه بعنوان كبير يحتـاجون يغطـون عليـه ويتأولون له وأشياء من هذه. نقول: لا، الله استخلف هذا الإنسان والإنسان له دور فيما يتعلـق بالـشهادة بكمـال الله، هو نفسه جانب عملي إذا كان دور الملائكة هو دور سلوكي فيما يتعلق بذكر وصلوات وأشياء من هـذه، أليـست كلها تسبيح وتقديس لله؟ التسبيح والتقديس لمن هو كامل في ذاتـه، من هو كامل في ذاته إذاً فعلى صعيد الواقع في صعيد الواقع، الممارسة العملية: شهادة واقعية من واقع الحياة، سيجعل خلفاء وسترى كيف أن كل شيء يشهد له كل شيء يشهد بكماله فيما هو عليه.

إذاً فالقضية معناها ماذا؟ دور عبادي من خلال يعني: الغايـة هـي غايـة عباديـة، في الأخـير شـهادة بكمـال الله سبحانه وتعالى إنتهت القضية إلى شهادة بكمال الله كما الملائكة يشهدون بكماله من خلال تـسبيح وتقـديس هـو كله دور عبادي في غايته فيما يؤدي إليه في الأخير ستجد بأنك فعلا تـسبيح الله وتقدسه ولهذا يـأتي التـسبيح لله حتى أحيانا في مواطن هي تبدو سلبية [ذا النون] ألم يسبح الله في بطن الحوت؟ هو نبي وسـجنه في ذلـك

المكان أيضا انطلق يسبح الله، جاء التسبيح في مواقع كثيرة في القرآن الكريم التسبيح لله التسبيح التقديس الدائم المستمر لله سبحانه وتعالى، يجب أن يكون مسيطراً على مشاعر الإنسان، هذه القضية هامة في كل الحالات وقضية واقعية يعني: ما أنا سآتي مثلاً هو في الواقع سوء حصل من عندك وأقدسك أنت وهو حصل من عندك سوء التسبيح والتقديس هو ماذا؟ حالة ثناء في الواقع والثناء إنما تكون ماذا؟ لمن هو مستحق الثناء فعلاً يعني: لا يوجد في موضوع تسبيح الله وتقديسه أنك تسبحه وتقدسه على سيئة هي سيئة فعلا من عنده، سوء من عنده! لا يحصل هذا، لا يحصل على الإطلاق.

عندما سبح [ذا النون] يعني: مثلاً أنا المسؤول عن هذا، أنت سبحانك أنت قدوس ما يمكن أن يأتي من عندك سوء ولا خطأ؛ لأنه هو هرب ما قد أذن له؛ سجن على هذا النحو، انطلق يسبح الله، ما انطلق يسبح نفسه في الأخير، يقول: لماذا أنا نبي وتسجنني وتحصل هذه بعد ما تعبت! أليس هذا تسبيح للذات؟ انطلق يسبح الله.

قضية الأمر بالسجود لآدم تجد فيها دروساً هامة جداً القصة وقصة الملائكة قصة يعني: بمجملها الملائكة والأمر بالسجود لآدم وما حصل لآدم مع إبليس هذا من أهم القصص.

{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٣٠) **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}** (البقرة: من الآية٣١) **من خلال هذا سيتضح لهم اتضح لهم في الأخير: أن هناك مهمة معينة ودوراً آخر لهذا المخلوق لهذا الكائن له دور آخر. {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** (البقرة:٣١) **يقولون معناها: {صَادِقِينَ} يقول بعض المفسرين: معناها إنهم أولوا لنفوسهم، الملائكة: بأن الله لو خلق أحداً لن يخلق خلقاً أحسن منا ولن يخلق إلا خلقا يعصيه ويخلق خلقا مدري كيف...! قالوا إن معناها: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} بأن القضية على ما قلتم! وأنه من خلال الأسماء هذه ظهرت نماذج معينة من البشر يعتبرون راقين جداً! لهذا البعض يعتبرون أن الإنسان المؤمن هو أفضل من الملائكة، البعض من الفئات أعتقد أن [الإثنا عشرية] منهم في أن الإنسان المؤمن أفضل من الملائكة .**

نحن هنا ما نعرف {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في ماذا، ما هي المشاعر الداخلية لديهم؟ لأنه أحيانا تكون القصة مختصرة. إذاً ما انطلق منهم هو يوحي برؤية لديهم يعتبرونها صادقه واقعية ....إذا كنتم على ما ترون أنتم وأن القضية على ما ترون أنتم فـ{أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ} ينكشف لهم في الأخير هذا: إنه فعلا اتضح أننا ناقصون في رؤيتنا في معلوماتنا ولهذا قالوا بعد: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (البقرة: من الآية٣٢) **إذاً لاحظ كيف انتهت المسألة: أنه في موضوع هداية الله سبحانه وتعالى أشياء عجيبة، كان الخلل عندما قالوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} فيما يتعلق بأنه عليم حكيم وفي ما كان يقتضي إيمانهم بأنه عليم حكيم من تسليم مطلق تأتي المسألة بالنسبة لهم إلى أن شهدوا بأنه {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ألم ينتهوا إلى هذه؟ ترسخ لديهم مقتضى الإيمان بأنه: عليم حكيم. إذاً اعتبر بلطف الله ورحمته لهم انتهت القضية بالنسبة لهم مع الله وصلوا إلى التسليم بأنه: عليم حكيم وانتبهوا إلى ما كان يجب أن يكونوا عليه.**

بقي الموضوع فيما يتعلق بآدم لأنه كانت القضية هي تتناول شيئين، تتناول: موضوع حكمة الله وعلمه، وتتناول موضوع ماذا؟ المستخلف آدم وبنيه القضية الإيمانية قدمت على أساس: أن الإيمان يكون إيماناً تستشعر ما يقتضيه من تسليم: أنا مؤمن بأن الله عليم حكيم، وقيمة إيمان من هذا النوع انه في الحالات التي تبدو فيها مندهشا شيء يدهشك تسلّم، هي وقت التسليم وقت أن ترجع إلى مقتضى إيمانك بهذا الشيء، فإن نسي الإنسان ما هو مقتضى إيمانه... وهذه حاصلة لدينا هذه حاصلة لدينا ولهذا نقول: نستفيد منها نحن البشر: إن القضية هنا ظهرت هي حالة نسيان لمقتضى إيمان بأنه عليم حكيم نقلت القضية من أولها أنه هو الذي قال: لهم أنه سيستخلفه وفي مجمل القصة في مختلف مواقع القرآن الكريم قدم لهم القضية كاملة من عنده هو{إِنِّي جَاعِلٌ} ألم يقل هو جاعل؟ هم مؤمنون بأنه: عليم حكيم لكن حصل خلل بسبب نسيان مقتضى الإيمان الذي هو

حاصل عندنا، هذا المشكلة الكبيرة يعني: مجمل أسماء الله الحسنى: هو عليم، حكيم، عالم الغيب والشهادة، وملك، إله، قدير،.... إلى آخر ما تعني أسماؤه الحسنى. تجدنا مسلّمين بها إيماناً نحن مؤمنون بها لكن ما هو حاصل لدينا مقتضى هذا الإيمان إنطلاقة، إنطلاقة على أساس ما يقتضيه هذا الإيمان؛ فعندما يقول الله سبحانه وتعال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) أليس كل واحد مؤمن: بأن الله قوي عزيز؟ لكن لا ينطلق على أساس ما يقتضيه إيمانه بأنه: قوي عزيز ناسي ما يقتضيه إيمانه! أنت مؤمن بأنه قوي عزيز يقتضي منك هذا الإيمان أن تنطلق لنصره؛ لأنه قد وعد أنه سينصر وأنت مؤمن بأنه قوي عزيز، إذاً مقتضى إيماني عملياً هو: أن أنطلق. هل هذه الإنطلاقة حاصلة؟ ليست حاصلة عند معظم المؤمنين بأنه: قوي عزيز .

إذاً هذه توحي بأنه قد يحصل عند الإنسان خلل كبير جداً من خلال نسيانه لمقتضى إيمانه في ما يقتضيه إيمانه من تسليم، من عمل، من ثقة، هذه هي عبرة لنا، يعني: فيها درس للناس، وهذه واحدة من المشاكل بالنسبة لنا بالنسبة لمن هم مؤمنون بالله وبكتابه ومؤمنون بأسمائه الحسنى: قوي، عزيز، عالم الغيب والشهادة، قاهر فوق عباده، على كل شيء قدير، وترانا لا نتعامل مع الله سبحانه وتعالى ـ تقريباً ـ ما هناك ثقة به كثقة الناس ببعضهم بعض تقريباً.

إذاً هذا هبوط كبير في موضوع ماذا؟ هل في موضوع: الإيمان بأنه قوي عزيز، أو في ما يقتضيه الإيمان بأنه: قوي عزيز؟ بمعنى: أن الإنسان لابد أن يكون دائم التذكر، يذكّر نفسه، يستشعر دائما مقتضى إيمانه؛ لأننا نقول: لا يوجد في دين الله ـ على حسب ما نفهم ـ أشياء إعتقادية بحتة، كلها إعتقادات تتحول إلى عمل، كل الدين عمل، كله عمل حتى توحيده هو في الأخير دفعة عملية في اتجاه معين، توحيد الله سبحانه وتعالى وهكذا، ما هناك أشياء إعتقاد لمجرد الاعتقاد حتى الإيمان باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر أليست تعتبر قضية إيمانية يعتقدها؟ لكن لها أثر عملي هو: أنك هنا تلتزم؛ لأن هناك الآخرة قدمت بالشكل الذي يدفعك إلى الإلتزام هنا، الترغيب على أعلى مستوى والتخويف على أعلى مستوى، الترغيب والتخويف هو ماذا؟ يعطي دفعة عملية هنا، إستقامة هنا ستنتهي الاعتقادات كلها إلى عمل .

{قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (البقرة:٣٢) عليم حكيم إذاً أسلوب من الناحية العملية قد تجد الإمام علياً(عليه السلام) طبقه تقريباً في [صفين]، في صفين حصلت الحالة هذه يعني: في موضوع القرآن هو قال لهم: أن الآخرين ليسوا بأهل القرآن عندما بدأ عرض المصاحف، عرضوا المصاحف وطالبوا بتحكيم كتاب الله ! قال: هؤلاء ليسو بأهل كتاب، قالوا: أبداً لازم تجيبهم، لازم تحكيم ومحكمين قال: بشرط أن يحكموا بكتاب الله. كيف انتهت المسألة؟ بأن أولئك ليسوا بأهل كتاب أليست هكذا؟ ليسوا بأهل قرآن ولا لهم علاقة بالقرآن، ما هي انتهت إلى هذه؟ إذاً هذه انتهت المسالة هنا إلى ماذا؟{سُبْحَانَكَ} قدسوا الله سبحانه وتعالى{لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} هم فهموا أنه ما يزال هناك أشياء أخرى هم يجهلونها في موضوع العبادة، في موضوع أدوار أخرى وعلى أساس العبادة كل العبادة تنتهي إلى ماذا؟ إلى الله سبحانه وتعالى، الشهادة بكماله بأنه: الملك، أنه القادر، أنه الإله، أنه العزيز، أنه الحكيم، أنه الخالق ....إلى آخر ما تعنيه أسماؤه الحسنى .

{قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} (البقرة: من الآية٣٣) ما هم هنا جهلوا الموضوع؟ جهلوا الدور المنوط بهذا المستخلف{أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} يعني: بأسماء هؤلاء، ما معناه أسماء الملائكة، هي أشياء قد تكون مثلا من هذا العالم أي: أنه هو بحاجة عندما ينزل إلى الأرض يعرف أسماء يعرف كيف يتعامل معها، وقد يعرف ربما على أدوار أشياء منها، هذه أسمها كذا، وهذه تؤدي إلى كذا، وطريقتها كذا، ومهمتها كذا.. إلى آخره بمعنى: أن استخلاف الإنسان على هذه الأرض هي قضية مرتبطة بمظاهر الحياة هذه؛ ولهذا أن الله يقول في القرآن: {سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (لقمان: من الآية٢٠) استخلاف الإنسان على هذه الأرض داخل هذا البناء الذي يمثله في القرآن أشبه شيء ببيت، هذه الأرض مع السماء هذه، هذا المنزل الكبير، استخلافك فيه

مرتبط بمحتوياته، ومن خلال تعاملك مع محتوياته وفق هديه سيظهر نمط من الحياة بشكل، راقي تعاملك مع محتويات هذه الأشياء ينتهي في الأخير إلى شهادة بكمال الله كيف ما كان التصرف، كيفما كان التصرف في الأرض ينتهي بالشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته، وألوهيته.

إذاً فإذا كانت القضية هذه أن نفهمها، أو الشيء الذي ينبغي أن يفهم: أن استخلاف الإنسان في هذه الحياة ليقوم بدور، له غاية مرتبطة بمظاهر هذا المحيط الذي هو فيه، الأرض والسماء مرتبط به، ثم يأتي في الأخير تقديم للدين يفصله عن هذا كله تقريباً، ويأتي الدور معكوس، يعني: النظرة التي قد تكون حصلت عند الملائكة في موضوع الدور العبادي، مجرد تسبيح وتقديس وصلاة وصيام فقط هذه الأشياء! فيتصور هؤلاء: أن الله سخر هذه الأشياء كلها من أجل أنك تصلي وتسبح وهذه العبادات المعينة! لا ، هذه عندما تنظر إليها هي قد تراها فقط نموذج مستخلص مما عليه الملائكة في هذا الجانب الآخر، الصلاة فيها ركوع وسجود وقيام وفيها تسبيح وتكبير أليس فيها نموذج، نبذة؟ الملائكة يقول عنهم الإمام علي(عليه السلام): بأنهم ((منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون)) {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} (الانبياء:٢٠) **على طول!**

لو كانت المسألة هنا تستدعي تسخيراً من هذا النوع لكان الملائكة هم الذين يسخر لهم ما هو أوسع من هذا من أجل ذلك الدور الذي هم عليه، كونهم قيام لا يركعون وركوع لا يقومون وسجود لا ينهضون {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} أعطي الإنسان نبذة: الجانب العبادي على النحو الذي عليه الملائكة، أعطي خلاصة: قيام ركوع سجود تسبيح تكبير ذكر، تلك أليست عبارة عن خلاصة محدودة؟

إذاً هذا الدور الواسع في تعامل الإنسان على أساس هدى الله مع مظاهر الحياة هذه من حوله بما يتجلى من خلال تعامله معها من شهادة بحكمة الله، بعلم الله، قدرة الله، تدبير الله، ألوهية الله، ملك الله ...إلى آخره، موضوع واسع جدا جداً؛ ولهذا علّم آدم، ماذا عُلمِّ؟ هل علم [سبحان الله] أو علم أسماء أخرى؟ كما علم تسبيح وتقديس، علم قائمة من مظاهر هذا العالم الذي سينزل إليه، ألم يُعلّم هذه؟ أو علموه الصلاة !؟{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} هذه اسمها: شجرة، هذه الشجرة اسمها: كذا، هذا اسمه: جبل ... على حسب اللغة، الله أعلم ما هي اللغة الأصلية؟ هل هي [السريانية] الأصلية أو ما هي؟ المهم قائمة بأسماء أشياء؛ لأنه سينزل وهو في نفس نمط حياة الإنسان الواسعة، الكيفية التي خلقه الله عليها كيفية واسعة حاجياته واسعة.

أيضاً عندما يعيش كمجتمع تظهر حاجياته أوسع، تراه كائنا إجتماعياً عندما يكون بشكل تجمعات، أمم أيضاً تظهر سعة في مجالات حياته بشكل أكبر من أن يعيش حالة فردية، هذه السعة كيف تتناول؟ ماذا تتناول السعة هذه؟ أليست تتناول مظاهر الحياة من حوله؟ تجد الحياة هذه واسعة هي في أصنافها، وهل تجد صنفاً ليس للإنسان علاقة به؟ بأي اعتبار كانت العلاقة، مثلا عندما تظهر اختلاف الحيوانات، اختلاف جلودها واختلاف أصوافها، ما بالك الأشجار، كم فيها من أنواع مختلفة، وكم في كل شجرة من عناصر، الإنسان بحاجة إليها.

تلاحظ الحيوانات مثلاً في الصناعات الجلدية والملابس عندما تطور العلم في مجال واحد، في مجال الصناعات الجلدية وأشياء من هذه، كيف ظهر فوارق كبيرة لقيمة جلد [الثور] وجلد [التيس الصغير] وجلد [الكبش] كلها لها مواقع في تلبية حاجة للإنسان، في تلبية حاجة لديه، أصبح لها مواقع متعددة، الأصواف لها مواقع متعددة في تلبية حاجاته، الأشجار كذلك، وكلما اتسعت حياة الإنسان هي تتسع أين؟ في التعامل مع مظاهر هذه الحياة، كل ما تعامل مع صنف من أصناف هذه الحياة سيوجدها من أين؟ من خلق الله، هو أودع فيها هذا الشيء الذي هو يلبي حاجة لديه، كلما تعامل معها كلما تجلى من خلال تعامله ماذا؟ مظاهر لقدرة الله، لحكمة الله، لتدبيره، لألوهيته، لكل ما يعنيه الشهادة بكماله .

إذاً فهذا الموضوع بالنسبة للإنسان ما سخرت له السماوات والأرض من أجل ثلاث تسبيحات في ثلاث خمس مرات في اليوم، وهناك ملائكة ملان أطباق السماء مسبحين الليل والنهار لا يفترون! ذلك دور وهذا دور يقول: {سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} سخرها كلها من أجل تسبيح ثلاث مرات ! لو كانت المسألة بهذا

الشكل لسخر لمن يسبح الليل والنهار لا يفترون ما هو أعظم من هذا، ألم يكن المفروض أن يسخر لهم ما هو أوسع من هذا؟

إذاً هذا جانب معين أن تكون مرتبطاً بالله بذكر الله، وتسير في تعاملك هنا على هذا الأساس، وأنت مستحضر، مستشعر لله، وكلما تعاملت مع مظاهر هذه الحياة كلما زادت معرفتك بالله وإيمانك به، وكلما اتسعت مجالات حياتك كلما اتسعت ماذا؟ معرفة الإنسان بالله؛ ولهذا تأتي أخبار وقصص لأشخاص ممن هم علماء في [الطب] و[الهندسة] وفي [الفلك] أو في أي مجال منهم يصلون إلى حالات من الإيمان بشكل عجيب، حالات عميقة من الإيمان بالله وبعضهم يسلم بآية واحدة .

يذكر واحد قصة عن مسيحي[باكستاني] أو [هندي] ما أذكره بالتحديد يراه العالم المسلم إنساناً في حالة خشوع وتوجه إلى الكنيسة أعني: يكاد أن يذوب قال له ماذا؟ ذكر له مظاهر من الحياة، قال المسلم: الله يقول في القرآن : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} (فاطر:٢٧) **إلى آخر الآية. في الأخير قال: هذه في القرآن؟ قال: نعم ، فأسلم، آمن بالقرآن وأسلم، بهذه الآية وحدها، قد هو معبأ إيماناً وخشوعاً من خلال تعامله مع مظاهر الحياة الواسعة.**

ثم ترى في الأخير حتى جانب الدين نفسه إقامته حين تنظر إلى الدين مثلا من جانب من جوانبه كقيم ومبادئ تستقيم عليها الحياة: منهج تربوي، منهج أخلاقي، الإستقامة في الدين مرتبطة بمظاهر هذه الحياة، عندما نأتي نحن بعد عقود من الزمن، بعد قرون ونحن نوعظ الإنسان يبتعد عن الدنيا هذه وعن الحياة هذه، ثم في الأخير نقول: هؤلاء الناس نريد نواجههم، وهم متجهون لمحاربة هذا الدين. [قالوا: نحن لا نستطيع هم معهم ومعهم، ومعهم...] إذاً تعال معي إلى أنه ماذا معهم؟ معهم من أين؟ من الحياة هذه، الآليات هذه التي تراها الآن تشغل الباطل إلى أن يصل إلى داخل مسجدك أو مدرستك ليفرض عليك ثقافة باطلة ومنهجا باطلاً حديد، أليست حديداً؟ حديد وبلاستيك وقطع وأشياء، كلها معادن، كلها حاجات من هنا من مظاهر الحياة هذه، أمكن أن تشغل الباطل وتجعل للبطل كلمة تقهر المسلمين إلى داخل مساجدهم وإلى داخل مدارسهم، تصل إلى أعماق أنفسهم. أليست هذه كل ما وراءها من مظاهر الحياة؟ لم يرضوا يفهموا بأن الله قال عندما أنزل كتبه: أنه أنزل حديداً عندما قال: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ}(الحديد: من الآية٢٥) **تحدث عن الحديد، تحدث عن مختلف الأشياء التي لها علاقة بإقامة الدين، تحدث عن الإنفاق، تحدث عن إعداد كل ما يستطيعون من قوة.**

تجد الإنفاق مرتبط بالحياة هذه، أليس الإنفاق معناه أشياء ماديات من الأرض؟ إعداد القوة أليس معناها إعداد ماديات من الأرض؟ الحديد أليس معدنا من أكثر المعادن توفراً في الأرض؟ يقول: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ} وعد من غاية إيجاده وإنزاله ويأتي بعبارة تساوي إنزال الكتاب: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ}(البقرة: من الآية٢١٣) **ألم يقل أنزل؟ وبعدها يقول: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ}القرآن أو الكتاب استقامته مرتبط بماذا؟ بآليات من مظاهر هذه الحياة، منها الحديد، عندما ترى النصراني معه طائرة، حديد، أليست حديداً؟ معظم جسم الطائرة ومكوناتها حديد؟ معه دبابة معه مدفع معه، معه ...إلى آخره، معه حديد لأنك أنت ما رضيت أنت تشغل الحديد ليشتغل لك الكتاب حتى تقيم الكتاب بالحديد .**

يأتي ينصرف عن هذه الأشياء كلها، إذاً أثبت الواقع هذا الإرتباط: إرتباط إقامة الدين بمظاهر الحياة نفسها فوصلنا إلى المرحلة هذه، رأينا وبال أمرنا، أو نقول: عاقبة توجيهنا الخاطئ لانصراف الإنسان ....إما أن يأتي علماء ينشغلون بالموضوع الذي لا يعنيهم يطلعون لك عشرات أو مئات المجلدات في موضوع من مواضيع الدين واحد مثلا في [الفقه] توسع فيه واختلاف وأقوال متعددة وكلام كثير فيه وناسين ما هو يعتبر أساسياً في إقامة الدين وما علّمه آدم من قبل أن يُعلم كتاباً{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}أليس هذا أول شيء قبل ربما أن يُعلّم كتابا أو يعلم شيئاً يعلم أسماء هذه المظاهر هنا في الحياة .

فعندما تجد حياة الإنسان هو ككائن مخلوق وواسع تكوينه والكيفية التي هو عليها مرتبطة بمظاهر الحياة

والدين نفسه مرتبط إقامته، ميدانه وإقامته، أخذه ورده، هي الحياة هذه، واقع الحياة، ومظاهر الحياة الإرتباط الكامل وفي الأخير، يأتي توجيه يفصل الإنسان عن هذا كله، وإذا بالدين لاشيء، وإذا بهذا الإنسان أصبح لاشيء، أمة ظهرت متخلفة جاهلة، تفتقر إلى كثير من مظاهر الحياة، لا توجد لها وليست متوفرة عندها، ودينها ضائع، في الأخير شغلوا مظاهر الحياة، ظهروا على الناس بباطل، وإذا الحق أضعفناه بضعفنا، أو برؤيتنا القاصرة التي لم تنطلق على أساس ولو معرفة هذه السطور حول هذه القصة لوحدها، لأن قصة آدم واستخلافه وكلام الملائكة وهذه القصة وحدها تكفي بأن تعطي رؤية تبين من خلالها أهمية دور الإنسان هنا، وأن دوره مرتبط بمظاهر هذه الحياة، ما معنى مظاهرها مجرد الزينة، بالأشياء المودعة فيها، بتربتها، بمعادنها، بمياهها بأجوائها، بسمائها، بشمسها، بكواكبها، وبكل ما فيها، بكل الطاقات الموجودة فيها{قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة:٣٣)

هنا ينبهه على قضية هي موجودة أعني: لاحظ الأشياء التي ظهرت عند الملائكة، موجودة عند الناس، أعني: يقول لهم: أنا أعلم بما سيعمل الإنسان، هو يعلم غيب السماوات والأرض، فأنت تقول شيئا وهو من البديهي أن يكون معلوماً لديه أعني: ما أنت تنبه الله على قضية هي غائبة عنه، أن تقول بأنه هذا المستخلف سيفسد في الأرض ويسفك الدماء!

هذه تجدها أيضاً في تعامل الناس فيما بينهم من الأشياء الكثيرة المزهقة، بل هاجم القرآن الكريم هذا الأسلوب الذي كان يظهر من أصحاب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معه يسألونه عن أشياء هي بديهية بالنسبة له يقول: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}(البقرة: من الآية٣٣) كانوا يأتون يسألون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ}(الأنفال: من الآية١) أليست هذه واحدة منها؟ ما حكم الغنائم هذه وكيف ستعمل بأنفال الغنائم كيف ستعمل بها؟!أليست من القضايا البديهية لديه: أن يعرف كيف يعمل وكيف يتصرف فيها؟

قضية أنه سيحصل من الإنسان فساد في الأرض وسفك دماء، من الذي أخبرهم بهذا من؟ أليس هو الله الذي شرح المسألة؟ بعد ذلك يقولون: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} نسيوا أنه يعلم الغيب والشهادة؛ فانطلق السؤال بالشكل الذي يبدو وكأنهم يذكّرونه بقضية أو استفسار عن قضية هي من الأشياء المعلومة لديه معناه ماذا؟ نسيوا ما يقتضيه إيمانهم بأنه: عليم، بأنه عليم يعلم الغيب والشهادة، بل نسيوا أنه الذي علمهم هو أن الإنسان سيحصل منه هذه! هل هي قضية يمكن أن يعلموها هم من غير الله؟ نسيوا ! لأن الله هو الذي مثلا سيعطيهم نموذجا عن هذه الحياة، هذا الإنسان في الدنيا كيف سيحصل؟ ما المسألة على ما يقول البعض: أنه ربما عرفوا هذه من خلال أنه كان قبل الإنسان في الأرض مخلوق آخر لا أدري ما هي نوعيته [جان] أو غير الجن مخلوق آخر، وأنه حصل منهم سفك دماء، وحصل، وحصل، لكن القضية ما تؤدي إلى هذا، لكانوا قالوا: إحتمال أن يحصل كما حصل، أما هنا فقد عرفوا{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} خاصة وهم يعرفون عن هذا المستخلف نفسه هو سيحصل منه كذا، من أين هذه؟ من خلال أن الله أطلعهم على هذا.

هذا يحتاجه الإنسان في عمله، وربما القرآن الكريم أعني: في أكثر من مقام فعلا عرض ما حصل من الملائكة على هذا النحو، ثم عرض أيضاً بالنسبة للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعده ما كان يحصل من عند مؤمنين من تساؤلات مع النبي عن قضايا هي بديهية عنده، أو تساؤلات عن أشياء هي لا تعتبر ذات أهمية، لو كانت ذات أهمية لأطلعهم هو{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}(البقرة: من الآية١٨٩) مثلا عن الأهلة لماذا كل شهر هلال كيف قال؟ أجاب عليهم بقضية هي معروفة لديهم{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(البقرة: من الآية١٨٩) هم يعرفون أنها مواقيت هذا تأديب لو كان موضوع الهلال هذا ذو قيمة بالنسبة لكم ولوفي المرحلة هذه؛ لأنه ربما قد يكون الإنسان في واقع عمله تتسع معارفه مع اتساع حركته كلما اتسعت حركة الناس وانطلاقتهم الصحيحة كلما اتسع تعاملهم مع أشياء كثيرة من مظاهر الحياة، فاتسعت معارفهم، وهذه هي أحسن طريقة للمعرفة، وهذه مما يسمى [بحث علمي].

تجد الدول الأخرى مثلا [أمريكا] و[الإتحاد السوفيتي] سابقا هل طلعوا القمر لمجرد فضول؟ اتسعت شؤون حياتهم وشؤون دولتهم كأمة متحركة اتسعت إلى ماذا؟ إلى أن تناولت تعامل مع أشياء متعددة فأصبحوا يفكرون كيف يمكن أن يستفيدوا من القمر كمحطة لإطلاق الصواريخ، معهم صواريخ يفكرون في موضوع الوقود، موضوع عدو هناك إذا كانت القمر منطلق للصواريخ يمكن ماذا؟ تنزل على [الإتحاد السوفيتي] أو أي بلد آخر بسهولة قالوا: هذا أول فكرة كانت حاصلة عندهم في تفكيرهم أنهم يطلعون القمر، كانت فكرة عملية ليست مجرد فضول.

إذا استبق الإنسان ـ هذا منهج علمي في المعرفة بالنسبة للقرآن الكريم وهو معه أمثلة كثيرة ـ إذا حاول الإنسان أن يستبق الأشياء، فستتحول الأشياء كلها عنده إلى مجرد جدل ونظريات وأبحاث جامدة فقط مثل مدارس العرب الآن يتحدثون عن القمر، وعن صعود القمر، وأشياء من هذه، فاعتبرها عندهم مجرد نظريات جامدة وبحث وجدل ونقاش محله.

لكن الإنسان إذا انطلق انطلاقة عملية ، عملية كلما اتسعت دائرة عمله اعتبرها اتساع في ماذا؟ أليس اتساعا في مجال مظاهر هذه الحياة، ويظهر بحاجة عملية إلى هذا الشيء أو إلى هذا الشيء أو إلى هذا أو إلى هذا، فعندما يبحثه بروح عملية يكون أقرب إلى المعرفة، أقرب إلى المعرفة .

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} وما كنتم تكتمون، الله أعلم ما هو، المهم أنه تجلى لهم أن ما أبدوه وما كتموه كان على خلاف ما تجلت عليه المسألة؛ فقالوا بعد: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } فازدادوا هدى وتسليماً.

فيفهم واحد في خلاصة القضية بأنه الشيء الإيماني مثلا قدم الموضوع هو لكل إنسان مؤمن بالله ويعرف ما يقتضيه إيمانه بالله، كان هذا يكفي الإنسان، يكفيه فعلا، لكن فيما إذا حصل شيء آخر يكون ماذا؟ خلل فيما يقتضيه إيمانه مثلا بأن الله عليم حكيم ...إلى آخره، ألم يعدهم إلى نفس قضية أساسها موجود لديهم، هم مؤمنون بأن الله عليم حكيم، هل كان يوجد خلل في الموضوع، أن ما كان قد هم عارفين بأنه عليم حكيم؟ بلى هم عارفون بأنه عليم حكيم، لكن الخلل جاء من نسيانهم مقتضى الإيمان، حصل هذه النتيجة، في الأخير انتهوا إلى ماذا؟ إلى ما يجب أن يكونوا عليه، أليس معناه أعادهم إلى ما كان يجب أن يكونوا عليه من البداية؟ أي: أن الموضوع متوفر من البداية بشكل كامل أساسا، لكن هذه سنة الله سبحانه وتعالى أن الهدى يقدم متكاملا.

تكفي كان هذه، لكن افترض حصل شيء معين أيضاً يأتي منها هدى، يهديك قبل الحالة الفلانية، قبل تعيش مشكلة، ثم إذا حصلت مشكلة سيهديك أثناء المشكلة، ثم يهديك بعد المشكلة؛ لأنه رحيم، ألم يجعل هنا من غلطتهم هذه وسيلة لأن يتعمق لديهم الإيمان، ويعرفوا كيف يجب أن يكونوا عليه بطريقة مستمرة؟ لم يكن هذا ناقصاً لديهم أي: ما حصل الخلل لديهم من نقصان شيء من لديه، ما حصل هذا الخلل عندهم بسبب أنهم كانوا فاقدين لما يجب أن يكونوا عارفين له من قبل بأنه عليم حكيم.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} (البقرة: من الآية٣٤) **إبليس هو مع الملائكة وخوطب مع الملائكة وأمر مع الملائكة ويبدو أنه كان يدخل ضمن هذا الإسم، وإن كان جنسه مختلف وإن كان جنسه باعتباره مخلوقا آخر لكن في وضعيته، في دوره، في عبادته معهم قد صار يطلق عليه ما يطلق عليهم{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ}هنا حصلت عند البعض مشكلة فقالوا: انهم جعلوا آدم قبلة والسجود هو لله، ألم يقولوا هكذا؟ والله يقول : {اسْجُدُوا لِآدَمَ}.**

هناك انتهوا مثل ما قلنا سابقا في موضوع الملائكة مع الله انتهوا إلى ماذا؟ {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} بقي ما حصل أو ما يعتبر أثراً من كلامهم، أو يوحي به كلامهم من ماذا؟ من ازدراء واحتقار لذلك المستخلف، فليسجدوا له، هذه حصلت أيضا بعد مع البشر أنفسهم، أخوة يوسف، ألم يحصل ازدراء؟ لماذا أن أباهم يحبه أكثر؟! وهم أقوياء، وهم كذا، وهم عصبة، ويوسف صغير ويحبه اكثر ويعطف عليه أكثر! يعني: يوجد حالة ازدراء، أبوه يحبه على أساس أنه جدير بذلك الحب وجدير بذلك التمييز لما يرجوه أو لما

يتوسمه فيه من أن الله اجتباه، وأن تعامله مع ابنه على هذا النحو يجب أن يكون على هذا النحو تقديرا لما منحه الله يعني: القضية مرتبطة بالله، هم حصل من جانبهم نوع احتقار، كيف انتهت المسألة؟ انتهت إلى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} (يوسف: من الآية١٠٠)

معنى هذا أن قضية الاحتقار قضية خطيرة، الاحتقار قضية خطيرة جدا، لا تحتقر أحدا نهائيا ، نهائيا لا تحتقر أحدا، إلا إنساناً هو جدير فعلا بالاحتقار باعتبار ما هو عليه من سوء؛ إنسان مجرم عاصي فاسق سيئ إلى آخره ممكن تحتقره على هذا الأساس، الناس فيما بينهم لا يكون هناك احتقار، ربما تحتقر شخصاً ما تدري في الأخير ولف الشريط لما ما تدري في يوم من الأيام يمر بك موقف صعب فلا يعد يشكل وقاية لك إلا ذلك الشخص!

هذا لو يأتي الإنسان إلى استخلاص أمثلة من هذه في الحياة، أعني: في التاريخ قد تجد شواهد كثيرة فعلا حصلت على هذا النحو، بل أحيانا يظهر في موضوع الأيتام الذين يكبرون أيتاماً ويكون عمه أو أقاربه يذلونه ويحتقرونه ويبهذلونه، وفي الأخير أحيانا ما تدري وطلع هذا رجل عظيم أو تاجر، ما تدري وقد هم يعيشون على هامش ما لديه! بعض التجار عندهم هذه، حصلت لهم هذه، نشأ يتيما وإذا قد أنت ترى أولئك الذين حوله قد هم ماذا؟ إحتاجوا يصلون إلى مرحلة يخرون له سجدا ولو سجود حالة إذا ما هناك سجود من هذا السجود الحقيقي، سجود حالة سجود وضعية.

{وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} سبق أن عندهم ماذا؟ احتقار {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (يوسف:٨) ماذا يعني ضلال مبين؟ أبوهم في نفس الوقت أن يحب كهذا، أليس معناه ازدراء واحتقار؟ كيف كان المشهد؟ أربعين سنة يقولون وانتهوا إلى أن يخروا له سجداً.

نأخذ من هذا درساً: أن الناس المؤمنين فيما بينهم لا يكون هناك احتقار على الإطلاق، احتقار أو ازدراء إذا بدر منك مثلا احتقار، نوع معين في نفسيتك، استغفر الله، تب، يستغفر واحد الله، احتقر الآخرين الظالمين المجرمين الفاسقين السيئين، هذه قضية، أما الناس المؤمنين فيجب أن يكونوا على حذر من مشاعر احتقار مهما كان الشخص وهو يبدو في خط إيمان وتوجه إيماني، فلا يكون عندك أن هذا ماذا يمكن أن يعمل للإسلام؟! ربما ما تدري قد يكون له دور أعظم من دورك، قد ربما يكون له دور هو يعتبر أساسي في دورك أنت فتشهد بأن لولا هو لما كان لدورك أثر، وهكذا أي ربما قد تكون هذه خطيرة، أن أي حالة احتقار وازدراء قد تنتهي بك المسألة إلى أن تسجد سجود حالة لماذا؟ لما وقع منك من ازدراء واحتقار ولأنه لا يجوز من الأساس، إنسان مؤمن تفرح به كمؤمن تقدره كمؤمن ما يكون عندك أنه هذا الشخص ماذا سيعمل للإسلام ؟! إفهم أن العمل في الإسلام واسع يحتوي كل القدرات ومن كل شخص، فالعمل في الإسلام هو بالشكل الذي يمكن للناس أن يتحركوا فيه.

إذا الآخرين الذين تراهم، وهم فعلا لن يصلوا إلى حالة مواجهة مسلحة تقول لهم: انتم أعينوا بأموالكم أنت ارفع شعاراً، لن تجرؤ أن ترفع شعاراً، أنت ادعم بمالك لمن يطبع الشعار ويرفعونه هناك، الإسلام قام بتشغيل الكل ويكون لكل إنسان أثره في الميدان، أثره في نصر دين الله، وفي نفس الوقت يكون العمل على أنه يرفع الناس إلى أن تكون أدوارهم أكثر وأعظم وأعلى يعني: ما قدمت المسألة من البداية على فرضية تكون مثالية في الأخير: أن هذا الدين يفترض نوعيات مثل عمار بن ياسر مع شخص كعلي بن أبي طالب وإلا فما هناك فائدة، الإمام علي ألم يكن يحرك الناس جميعا؟ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يحرك الناس جميعا وكان أحيانا.. هو يعرف الناس ويعرف قدرات الناس وطاقات الناس؛ ولهذا تكون القضية بالنسبة للناس من ناحية المسؤولية تكون اسهل يعني: عندما يكون الناس في وضعية ما معهم شخصية على هذا النحو، تعتبر المسؤولية عليهم جميعا عندما يتوفر شخص على هذا النحو فيمكن أن يعذرك أنت تعتبر معذوراً فعلا؛ لأنه عادة أن رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف الناس جميعا ما كان يكلف هذا يبرز كما يبرز الإمام علي ولا يكلف هؤلاء أن يكونوا جميعا على نوعية المقداد أو عمار أو...

هو يشغل الكل عندما يأتي البعض ويقول: [يا أخي هؤلاء الذين يقولون: [الله اكبر....] هؤلاء لو يأتي قتال لما عملوا شيئا!] قل: هم الآن يقومون بعمل هام، متى ما جاء عمل أكبر، ربما ـ لأن الله سبحانه هو يتدخل في بناء

النفوس يقوي النفوس، يقوي الفهم والذكاء ـ ربما هؤلاء الذين تحتقرهم قد يكون لهم دور كبير ولو كانوا في أثناء رفع الشعار في مرحلة معينة يكون عنده أنه سيقوم بهذه، لكن لو كانت قضية أعلى احتمال أنه سيضعف، ربما عندما يصدق مع الله أن الله يصل به إلى حالة فعلا يصبح قوياً، هذه لها شواهد واقعية من الواقع من آمن مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من كانوا مستذلين عند الآخرين مستضعفين، أي نفوسهم نتيجة الإستضعاف والإستذلال هي تكون هابطة معنوياتهم، أعطاهم الإسلام دفعة في رفع معنوياتهم أصبحوا، أذكياء عباقرة فرسانا أبطالا، إذا ما صَدَقَ الإنسان مع الله فعلا ترتفع معنوياته، إذا كان غير صادق مع الله تهبط معنوياته، ولو كان من أصول قوية تهبط معنوياته.

لذلك نقول في بداية الموضوع: بأن الناس عندما يكونون متحركين في عمل، لا يكونوا يحتقرون انفسهم بأن ما معهم شخصيات [ما معنا العالم الفلاني والعالم الفلاني، وفلان وفلان والشيخ الفلاني والمثقف الفلاني والكاتب الفلاني والصحفي الفلاني.... إلى آخره] لا، إفهم بأن الإسلام هو بدأ على هذا النحو، عباقرة قريش أولئك هم تهاووا في الأخير، الأشخاص الذين كانوا في نفوسهم ضعاف ويراهم الآخرون ضعافا ويراهم لا شيء فعلا أصبحوا هم عباقرة، أصبحوا أذكياء، أصبحوا أقوياء، وأصبح الكبار الذين كانوا يرون أنفسهم بأنه ما يمكن يستقيم هذا الشيء وما هم فيه، عندهم ما يمكن ينجح محمد وما هم فيه إذ عليه أن يتقبلهم بإملاءات من فوق ويكون هذا الدين متأقلماً مع مصالحهم، إذا أراد أن يكون هناك فاعلية لدعوته وتتسع للآخرين! لا، هؤلاء العباقرة أصبحوا في الأخير لا شيء، وبرز الآخرون جعلهم الله أذكياء وعباقرة وأقوياء ومهتدين... إلى آخره.

هذه قضية فهمها يقي الناس من احتقار بعضهم بعض، بل يقي الإنسان هو نفسه من أن يحتقر نفسه، إذا هو في سبيل لله لا يحتقر نفسه، بمعنى ماذا؟ يكون عنده يمكن ما يعمل للإسلام شيئاً! أصدق مع الله، عندما تصدق مع الله، وتتفهم وتهتدي بهدي الله، يعطيك الله طاقات كثيرة وقدرات كثيرة وفهماً كثيراً وإمكانيات تجعل دورك واسعاً جداً أكثر مما يمكن تتوقع، أكثر مما كنت تتوقع أن تصل إليه، يظل الإنسان يحتقر نفسه وعنده ما يستطيع يعمل شيئا ولا منه شيء سيجلس هكذا دائما، يجلس دائما ما يرتفع، إعرف بأن الله هو يتدخل في القلوب ويقوي النفوس هو يربط على القلوب، ألم يقل: {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الكهف: من الآية١٤) **وفي الطرف الآخر يقول: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}** (الأنفال: من الآية١٢) .

الصناديد أولئك الكبار عندما برزوا في بدر من صناديد قريش، أبطال، أليسوا ذووا أصول قوية وأبطال؟ هنا جعلهم ينهارون وشدّ الآخرين، ولهذا بعضهم اندهش عندما رأى ابن مسعود على صدره وهو إنسان كان يعتبره لاشيء قال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] وهو في بدر وقد صار يخور في دمه، فتح عينيه وإذا بابن مسعود فوق صدره جالس فقال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] هذه قد تكون من هذا النوع، يرونهم فيحتقرونهم، يمر الشريط هذا الشريط خطير، هذا الشريط يأتي خطير، وإذا بمن كانوا يزدرونهم ويحتقرونهم ويعتبرون أنهم لا شيء وفي الأخير يرون هذا الدين نفسه لا شيء إذا ما هم فيه هم، وما هم مستعدين أن يكونوا فيه إلا بأن يكون هناك إملاءات معينة، رأوهم فوق صدورهم في بدر!

إذاً الإنسان لا يحتقر أحدا ولا يحتقر نفسه هو وبدون غرور، أي عندما نقول: لا تحتقر نفسك معناه أن يكون عندك ثقة بأنه عندما تخلص مع الله سبحانه وتعالى سيؤهلك للدور المنوط بك، والناس مهما تعددت كفاءاتهم واقعا هذا من عظمة الإسلام أنه قابل ـ فعلاً ـ لأن ينصر بالناس الحاصل، هناك ثوابت معينة يجب أن تتوفر: طاعة مثلا لمن يقودهم، إخلاص لله، سير على هديه، هذه ثوابت أساسية. كونهم ضعافا ما معهم شيء، هو من أسرة أو من طبقة تبدو ضعيفة أو محتقرة في المجتمع أو أو... كل هذه[الأو] ستنتهي في الأخير، أليس بلال حبشياً؟ كيف أصبح بلال؟ وغيره كيف أصبحوا؟ صهيب رومي، وفلان فارسي، وفلان ... وترى صناديد فرسان العرب أصبحوا لاشيء، تهاووا؛ لأن الإنسان هو من خلق الله والله سبحانه وتعالى هو الذي يصنع الإنسان فيما إذا اتجه على هداه بالشكل الذي يؤهله لدور هام في سبيله.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} (البقرة: من الآية٣٤) **ما المقام هنا أن تأخذ منه: أن هذا يعني: أن هذا الإنسان هو أفضل من الملائكة، ما القضية بهذا الشكل، نقول: إذاً عندما أمروا أن يسجدوا لآدم فمعنى هذا أن**

آدم هذا المخلوق هو يعتبر أفضل من الملائكة إذاً فالمؤمنون منهم من بني آدم أفضل من الملائكة، هذه القضية ما هناك حاجة لنتناولها، يجب أن نفهم من خلالها العبرة التي قد تكون سيقت من أجلها تعطي عبراً كثيرة جداً، ودروسا كثيرة، ما المقام أن الباري يعرض عليك أنواعا معينة وأنت تقول أين أفضل وأين أحسن، ليست هذه.

ولاحظ كيف حصل بعدما قالوا هكذا؟ أمرهم أن يسجدوا لآدم، حصل احتقار، إذاً معنى هذا، هذا مؤشر أن هذه قد تكون سنة، وفعلا قد تلحظ لها أمثلة كثيرة في حياة البشر، ليست قضية فقط كانت في عهد آدم وما بين الملائكة وآدم. {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} هم أذعنوا وهذه قيمة الإيمان في الأخير ما يؤدي إلى استكبار لأنه لاحظ ماذا انتهت الحالة إليه، انتهت الحالة وإذا هم رأوا بأن رؤيتهم تلك التي كانوا يرون أنفسهم صادقين، ألم يقل هناك: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وإذا هي كانت خطأ وكان قولهم هذا يكشف نقصا لديهم في وعيهم، وفي الأخير انتهوا إلى أن يؤمروا بالسجود، لهذا سلّموا ألم يسلموا؟ وقبلوا وخضعوا لأمر الله سبحانه وتعالى، هذا يعتبر شرفا عظيما بالنسبة لهم.

لكن لاحظ إبليس كيف كان إبليس نفسه {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٣٤) كيف انتهت المسألة بالنسبة لإبليس؟ تحول إلى لعين مذموم مدحور مطرود رجيم ضال، بسبب موقف واحد ما سلّم فيه لله؛ لأن مجمل القصة هذه هي حول ترسيخ التسليم لله، التسليم لله سبحانه وتعالى مجمل ما تتركز عليه حول أهمية التسليم كي تكون واعيا من قبل، تعرف تسلم في حالة الموقف الغريب، تكون أنت مستحضرا إيمانك مستحضرا مقتضيات إيمانك، إذا نسيت سيحصل خلل كبير، إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين؛ لأنه هناك {قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً} (الاسراء: من الآية٦١) ، {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (الأعراف: من الآية١٢) أليس هذا استكباراً؟.

تلاحظ هنا أنه ما يأتي الموضوع أبداً ـ أي قضية ـ يبدو وأن هناك نقص أو قصور أو تقصير من جانب الله على الإطلاق تلحظها عندما قال لإبليس: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} (الأعراف: من الآية١٢) أمره هو، قال في آية أخرى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (ص: من الآية٧٥) أي أنت تعرف القضية تماما، أنا الذي أمر وأنا الذي خلقته ما تقول ربما أني وجهت طرفا آخر بأن اصنع كذا اصنع بشرا، فجاء ذلك ذهب جمّع من تراب الأرض طلّع بشرا، وربما ما كانت القضية التي أريدها أنا!! أنا الذي خلقته على النحو الذي هو عليه ومن المادة التي كوّن منها، إذاً هنا لا يوجد عذر لإبليس، الملائكة كذلك ألم يقل: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}؟ ألم يقل: {إِنِّي جَاعِلٌ} تجد الموضوع نفسه مع آدم {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} كل هذا يبين بأن الهدى من جهة الله سبحانه وتعالى لا يكون فيه تقصير أبداً ولا نقص على الإطلاق، بل يكون بيناً على أوضح ما يمكن أن يكون التبيين، يكون بيناً تماماً .

لاحظ العبارة هنا لأنك تلحظ في القصة هذه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ} أليست هذه أشياء واضحة؟ أعني: ليس طرفاً آخر قال له الله أن يقول للملائكة أنه سيحصل كذا وكذا، قال هو لهم، أي: علموا بما لا شك فيه أنه من جهته هذا القول أنه سيجعل في الأرض خليفة. كذلك هنا أنه قال للملائكة بما فيهم إبليس وبيّن في مقام آخر بأنه أمر إبليس ويعرف إبليس أنه أمره، لم يقل: [والله ما دريت أنك أنت الذي أمر، أنا قلت ربما أنت أمرت واحد ثاني وهو أمر بأمر أبلغ مما تريد أو قاصر عما تريد] أمر هو وخلق آدم هو {بِيَدَيَّ}، يعني: عبارة الاختصاص أي: أنا، أنا، وليس طرفا آخر كلفته بالمهمة حتى يكون لك عذر أو شيء من هذا.

هنا نفس الشيء مع آدم {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} يعني: نستفيد من مجمل القصة هذه في هذا الجانب: أن الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن موضوع الهدى أنه يهدي ويبين على أرقى مستوى وأوضح شيء، فعندما يحصل خلل، لا يحصل خلل بسبب تقصير من جهة الله فيما يتعلق بالتبيين أبداً {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}.

وبعد هذا ترى بعض المفسرين يقول: ربما فهموا أن النهي عن جنس الشجرة ! أليس الله هو يعلم بأن مثل هذا كان يمكن أن يكون عذرا لآدم في الصورة، يقول: {هَذِهِ}أليست {هَذِهِ} هي: تشخيص، تشخيص وعن طريق

الإشارة إلى المنهي عنه بالذات، هو، هو، ما معناه ولا تقربا شجرة كذا فقط، حتى يقولون: إذاً فهموا النهي عن جنس الشجرة وما فهموا النهي عن تلك بخصوصها، يعني ماذا!؟ أنه: ولا تأكل تلك الشجرة كلها التي في الجنة في جرعة واحدة أو ماذا؟!، شخصها{وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ}.

عندما يقول: {هَذِهِ}أليست إشارة إلى محسوس، إلى مشاهد، إلى معروف ؟ {هَذِهِ الشَّجَرَةَ} هذه تعطيك مثلاً: أنه هكذا تبيين الله، هكذا هدى الله هكذا دين الله، ولهذا سماه [صراطا مستقيما] وسماه هدى، وكلمة هدى أي توضح الأشياء الأخرى، تُقدم المسألة فيما بعد وإذا صراط الله لم يعد واضحا ولم يعد دينه واضحا ولم يعد أحد داري كيف، إنما كل واحد يقوم يبحث من عنده، وكل واحد يمشي على ما طلع في ظنه، طلعت ظنون طلعت تخمينات في الأخير ضاع الموضوع بكله.

هذه عبرة لنا بأنه بما في هذا دينه بما في هذا هدايته كلها أنها تكون على هذا النحو، التشخيص التبيين الكامل {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} يبين لهم أيضا أنه ما سيحصل أنه نتيجة المخالفة فيما إذا أكلا من الشجرة، أنتم ستكونون من الظالمين، في آية أخرى يقول له: ستشقى، ستخرج من الجنة فتشقى، وضح له. هكذا هي سنة إلهية فيما يتعلق بالتبيين للناس، يبين القضية على أكمل طريقة وفي نفس الوقت ما سيؤدي ما سيحدث ما سيحصل للناس إذا لم يلتزموا بهديه.

تجد هذه تشخصت فيما بعد جاء في آية أخرى عندما جاء بسياق القصة في موضوع آخر عندما قال: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طه:١٢٣) أليست وفق هذا الأسلوب: فتكونا من الظالمين؟{وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}(البقرة: من الآية٣٥) فيبين ما يمكن أن يحصل من خلال المخالفة أو نتيجة للمخالفة{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤).

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}(البقرة: من الآية٣٦) ذكر في مقام آخر كيف عمل إبليس وأنه حذرهم من الشيطان نفسه بأنه عدو مبين لكما{فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}(البقرة: من الآية٣٦) ثم تجد فيما يتعلق بأول السورة في موضوع الإيمان بالغيب، أن الإيمان بالغيب قضية أساسية في تحقيق التقوى بالنسبة للإنسان، ألم يذكر المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ}(البقرة: من الآية٣) هذه نفسها من الأمثلة أنه عندما لا يحصل إيمان تستحضره أنت بالغيب يحصل خلل في موضوع التقوى، فعندما يقول لآدم مثلا: {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} لا تقربا هذه الشجرة فتخرج من الجنة، فتشقى، فيحصل كذا كذا، أليس هو يحدثنا عن قضية غيبية، النتيجة هي غيبية؟ الإيمان بالغيب، الإيمان، ولذلك جاء بفعل مضارع{يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.

إذا لم يحصل للإنسان، يحصل عنده استحضار للقضايا الغيبية، نتائج كانت تأتي على أثر ما يحصل من عندهم من مخالفات أو مصاديق لوعد إلهي يحصل خلل في موضوع التقوى، ما الذي حصل عند آدم؟ ضعف في موضوع الإيمان بالغيب ما هو الغيب هي النتيجة التي ستحصل عندما يأكل من هذه الشجرة، ولهذا قال الله: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ}(طه: من الآية١١٥) مشكلة النسيان هذه، نسي، ما الذي حصل عنده حتى أنساه الشيطان؟ أخذ ورد وطلعة ونزلة وكل مرة كلام إلى أن توهه، نسي العهد إليه أن الشيطان عدو، نسي النتيجة لأن النتيجة غيبية، عندما يقول: {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} هذا غيب المستقبل كله غيب، بالنسبة لك نسي النتيجة التي قد ذكّره الله بها بأنها ستحصل إذا ما أكل من هذه الشجرة، كان نسيانه للغيب، لم يكن مؤمنا بالغيب بحالة دائمة مستمرة، مستحضراً، حصل ماذا؟ ضعف في موضوع التقوى، وقع في ماذا؟ في النتيجة السيئة أي ما وقى نفسه.

نعرف أن الإيمان بالغيب أساسي جدا في تحقيق الوقاية، تحقيق التقوى ولهذا قال: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}(البقرة: من الآية٣) وهذه واحدة من الأمثلة على الخلل الذي يحصل في جانب الوقاية، أي ما عاد حصل لآدم، خسر

الوقاية من ماذا؟ من الخروج من الجنة والعيش الرغد الذي هو فيه، من أن يكون من الظالمين، من أن يشقى، ألم يخسر الوقاية من هذه بسبب نسيانه للقضية التي كان المفروض أن يكون مستحضرا لها؟ وهي قضية غيبية، لم يكن مؤمناً بالغيب بمعنى مستحضراً في ذهنيته النتيجة التي قال إنها ستحصل، وإلا لما رضي يأكل من الشجرة.

معنى هذا أنه يمكن يحصل شيء يتوهك حتى تنسى، إما أشياء تخوف، ولهذا أن الله هدد المرجفين، مثلا صورة الإرجاف سيطلّع عندك حالة تنسيك ما يجب أن تكون مؤمنا به من وعود إلهية، تنسيك النتائج السيئة التي قد تحصل فيما إذا تأثرت بالتخويف فضعفت أصبحت مثبطا، إذاً هذا جانب تخويف، أو جانب ترغيب، هذه واحدة من الأشياء التي تعمي الإنسان فينسى، ترغيب، تطميع، أشياء كثيرة حتى ينسى، أو تخويف، إرجاف، إرجاف، حتى ينسى. هنا حصل لآدم ماذا؟ حصل له طمع تطميع طمعه {هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى} (طه: من الآية١٢٠) {إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف: من الآية٢١) دلاهما بغرور، أخذ وردّ، في أشياء هي ترغيب حتى نسي، قال الله: {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي}.

إذاً فيكون الإنسان دائم الإستحضار عندما يقرأ في القرآن الكريم إخباراً عن نتائج تحصل فيما إذا فرط أن يكون حذراً، يعني مؤمنا بأن هذه القضية لا شك فيها ومستحضراً وليس فقط مجرد إيمان، فقط إذا قلنا لك هل أنت مؤمن بالغيب؟ تقول: نعم، مستحضراً هذه، مستحضراً للغيب، الذي يعتبر مصاديق للوعد الإلهي سواء في إخلاف ما تنفق، أو في النصر والتأييد الذي وعد به من ينصره، إذا الإنسان مستحضر دائما، لا يعد يؤثر فيه تخويف فينسيه ولا ترغيب فينسيه، لهذا قدمت بالنسبة لآدم كواحد من الأمثلة، كيف أن التطميع، الترغيب، أنساه قضية هي غيبية، هذا له علاقة بين تفاصيل السورة، داخل السورة وبين العناوين الرئيسية في أولها {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ} إلى آخره .

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} (البقرة:٣٦) ربما كانت هذه الجنة، لأن آدم خلق من البداية على أساس ليستخلف في الأرض، إذاً عندما يخلق هو وزوجته ويقومون من أول يوم يفلتون في الأرض هذه، قد تكون الجنة عبارة عن مكان يعيشون فيها حتى يكثر أولادهم ويتفرع أولادهم تلقائيا في الأرض هذه ما يقوم هو بأعباء الحياة والمعيشة وما قد هناك إلا هو وزوجته، وفّر له مكاناً يستقر فيه، ما معناه بأنه استخلف في ذلك المكان نفسه، مكان اعتبره مؤقتاً يعيش فيه ولهذا يقول البعض فعلا: إنها جنة في الدنيا، أي: مكان في الدنيا، وفر له مكان يعيش فيه، فيه الملبس فيه المأكل فيه المشرب فيه كل ما يحتاج إليه سينتجون أولاداً ويتفرعون، وأولادهم يتكاثرون في الدنيا لكن حصل هذه الحاجة خرج ونزعوا عنهم ملابسهم.

القضية هذه فيها بالنسبة للإنسان أن يفهم أنه عندما استخلف في هذه الحياة أنه يجب أن يستشعر أنه مرتبط بالله ليهديه في مسيرته، وأن هذه الحياة إذا لم يسر على هدى الله سيضل ويشقى، بحيث تكون عنده مترسخة هذه في الذهنية، مترسخة بشكل كبير، ما يكون عنده أنه يمكن يهدي نفسه، ويصلّح هدى أو يرسم طريقته هو، هو، أبداً أنت عندما تستخلف هنا يجب أن تسير على هذا الهدى، الهدى في الأخير يتمثل بتوجيهات إيجابية أو سلبية.

تجد مثلا موضوع الضلال، موضوع الشقاء الذي حصل لإبليس وحصل لآدم، هناك أمر وهنا نهي، أليست توجيهات إيجابية، وتوجيهات في الجانب السلبي؟ لا تقرب كذا، إعمل كذا، أليس هذا خلاصة الموضوع، خلاصة الهداية: اعمل كذا، لا تعمل كذا، امش هنا، لا تمش هنا، هل هناك شيء آخر؟ هل هناك شي وسط، هل هناك أسلوب آخر في التوجيه؟ لا يوجد. هو هذا يتمثل التوجيه، ينتهي إلى هذا النحو، يقال: اعمل كذا، لا تعمل كذا، قل كذا، لا تقل كذا، قال لإبليس: اسجد، ألم يأمره فلم يرض يسجد؟ تحول إلى ضالّ، سبب ضلاله هو ماذا؟ خلافه ومخالفته لهدي الله.

آدم قال له: {وَلا تَقْرَبَا} أليس هذا نهياً؟ {هَذِهِ الشَّجَرَةَ} ليفهم الكل أنهم عبيد لله، وأنهم في مسيرتهم في أي عالم كانوا، الجن في أي عالم كانوا، الإنس في الأرض هذه، أنهم مرتبطون بالله أنه هو الذي يهدي ويرسم طريقة الإنسان في هذه الحياة وإلا سيضل ويتخبط، يعطيه درساً من أول يوم {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ} {فَتَشْقَى} ستخرج من الجنة، سينزع عنك لباسك. خالف، وقع في شقاء ألم يقع في شقاء؟ يأتي بالآية في الأخير في الخلاصة: موضوع إبليس وموضوع آدم {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ} {هُدىً} الذي يأتي في جانب: قل كذا، لا تقل كذا، اعمل كذا، لا تعمل كذا، {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}.

ما الذي حصل في أول عملية ضلال من جانب إبليس فتحول إلا ضالٌ مضل، وشقاء بالنسبة لآدم؟ تجتمع الأشياء بالنسبة للإنسان وبالنسبة للشيطان، بالنسبة للإنس والجن، الإنسان سيشقى ويضل، النتيجة كانت شقاءً وضلالاً من أول عملية انحراف عن هدى الله، يقول لهم: هذه طريقة ثابتة {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} لو فكّر هو يبتكر من عنده هدى، لو فكر هو أن يرسم طريقة، مهما عمل لربط المسألة به هو، ولهذا جاءت بضمائر مكررة ومرتبطة بالله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً} أليس هو يقول: مني ؟ مني يأتيكم، ما معناه أنتم يوكل إليكم؟ أنتم تفكرون في كيف تطلعونه، يأتيكم من عنده{ يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً}[مني] الضمير يعود إلى الله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ}. ومسألة: اتباع، تجد الموضوع هنا كله موضوع: اتباع، من تشخيص للهدى، وتبيينه على أرقى طريقة، يتلخص في الأخير إلى أنه تبقى المهمة مهمة اتباع.

قدم الموضوع بشكل آخر أنه: لا، حتى تعرف دين الله، أن تعرفه عن طريق بحث واطلاع [وقَلْبْ وَصَلْبْ] وأشياء كثيرة وتعب وعناء، لا، هذه سنة إلهية أنه يقدم هداه بالشكل الذي ما عاد يبقى أمام البشر إلا أن يتبعوا {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} أو { فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ} كلمة: {تبع} لا يوجد فيها معاناة البحث عن الموضوع؛ لأن من شواهد أنْ ما هناك معاناة للبحث عن الموضوع أنه يقدم القضية على أوضح ما يمكن، هذا مثل واضح {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ} أليست هذه أول عملية توجيه تأتي على أرقى صورة من التبيين؟ أول عملية نهي لإبليس نفسه، أول عملية أمر لإبليس ألم يأمره أن يسجد لآدم؟ وقدم هذه بأنها كانت بعبارات واضحة وتبيين كامل.

إذاً هذه ترسم لك سنة إلهية أنه على هذا النحو: يبقى مهمة الإنسان هو ماذا؟ أن يتبع {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طـه:١٢٤) **ضلال في الحياة، ضلال بالنسبة للنفس معنوي وواقعي، ضلال في الحياة ضياع بما فيها الضياع المعنوي يسمى كله: ضلال وشقاء مجمله.**

{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٣٨) **هذه واحدة من ماذا؟ من ثمار اتباع لهدي الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا يضل ولا يشقى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة:٣٩) **يبين أبرز مثل للشقاء بعد ما يأتي في آيات أخرى أنه يحصل شقاء من هنا، فأن يضرب مثلا بالغاية التي تعتبر أقسى وأخزى شقاء، أبرز مثال للشقاء النار، هم فيها خالدون، معنى هذا بأن الإعراض عن هدي الله يؤدي بالإنسان إلى أسوء مصير، إضافة إلى ما يأتي في الدنيا هذه أسوء مصير وأشقى شقاء يمكن أن يتصور وهو جهنم نعوذ بالله . إلى هنا .**

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣/ ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

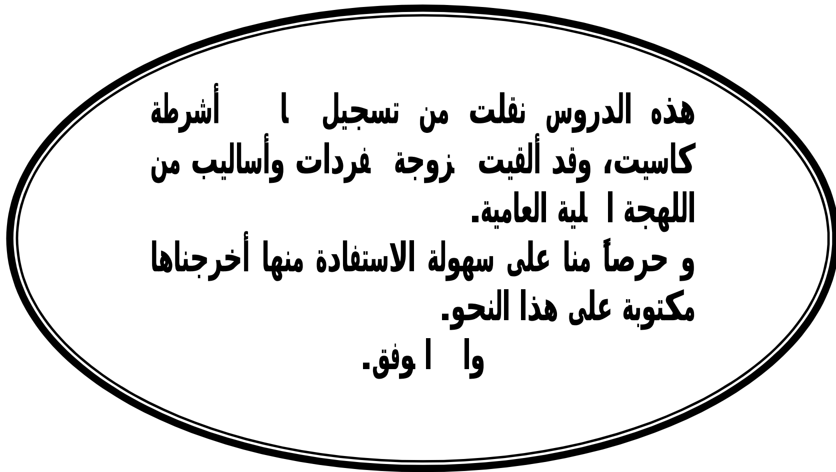
من الآية (٤٠) إلى الآية (٦٦)
[الدرس الرابع]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ٤ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق :٢٨/١٠/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

في هذه الآيات حديث عن بني إسرائيل، وبنوا إسرائيل ورد ذكرهم في القرآن بشكل واسع، عرض شامل لما آتاهم الله سبحانه وتعالى من نعم، وكيف كان تعاملهم مع تلك النعم، وعرَض أيضاً كثيراً من سلوكياتهم، من مواقفهم، من نفسياتهم، من مشاعرهم بشكل ربما لم يحصل استعراض لأي أمة من الأمم على هذا النحو. والقرآن الكريم هذا منهجه: القضايا الهامة يعطيها أهمية.

قد يقول الإنسان مثلاً ـ لو كان في العصر الأول، في القرن الأول ـ قد يتساءل بأنه: لماذا هذا الحديث الكثير عن بني إسرائيل على هذا النحو الواسع بما فيه الحديث عن خطورتهم، وتحذير للمؤمنين من مكايدهم، من تضليلهم، من مؤامرتهم؟ لكن لما كان الذي نزّل القرآن هو الله سبحانه وتعالى الذي يعلم الغيب والشهادة، ويعلم السر في السماوات والأرض هو يعلم بهؤلاء الناس، بني إسرائيل، دورهم في المستقبل، ما قد يكون لهم من أثر في المستقبل، أعني: في المستقبل، بعد تنزل القرآن الكريم إلى الله أعلم أي وقت .

تضمن الحديث عنهم أيضاً عرضهم كنموذج للناس الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى، وفضلهم على العالمين وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، كيف كانت العاقبة بالنسبة لهم، كيف كانت النتيجة بالنسبة لهم عندما لم يذكروا نعم الله، لم يشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه التي آتاهم، عندما لم يتحملوا المسئولية التي حمَّلهم إياها، كيف وصل بهم الحال إلى أن ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، إلى أن لعن الكثير منهم في عدة آيات في القرآن الكريم، ولَعْن على لسان أنبياء من أنبيائهم السابقين.

فالقضية بشكل عام، الحديث عن بني إسرائيل بشكل عام، يعتبر درساً هاماً جداً، جداً، بالنسبة للناس الذين بين أيديهم القرآن الكريم؛ لأنه كانت النعمة الأساسية والنعمة الكبرى التي أوتيها بنوا إسرائيل: نعمة الكتاب، والحكم، والنبوة، وراثة الكتاب، أي: نعمة الهداية ؛ لنفهم بأنه إذا تعاملنا مع القرآن الكريم ـ أهل البيت بالذات في المقدمة ـ إذا تعاملوا مع القرآن الكريم كتعامل بني إسرائيل مع تلك الكتب التي أنزلها الله إليهم، أن الله سبحانه وتعالى لا يجامل أحداً يمكن أن ينالوا بسبب ذلك ما نال بنوا إسرائيل .

القصة بالنسبة لبني إسرائيل طويلة جداً في [سورة البقرة] قد يكون هذا ربما أقل من النصف الذي توقفنا عنده، نستعرض هذه في البداية، عندما قال سبحانه وتعالى: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) تذكروها وقدروها حق قدرها ، وهذه القضية هامة جداً بالنسبة للنعم ، هو عدَّد النعم بشكل عام، عدَّدها: نعمة إنقاذهم من آل فرعون الذين كانوا يظلمونهم، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ويقهرونهم، ويذلونهم، ويستعبدونهم، نعم كثيرة متنوعة قدمها في الآيات هذه متنوعة منها: نعمة هداية، نعمة إنقاذ من وضعية سيئة، نعمة عفو، تجاوز عن أشياء حصلت منهم، تاب الله عليهم، عفا عنهم، ومثلما قال: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:٥٦)، {فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية٥٤) أنواع كثيرة من النعم تتجلى فيها كيف أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي من جانبه تقصير أبداً، أبداً بالنسبة للناس، فعندما يكفرون بنعمه، عندما يتخلون عن المسئولية التي ألقاها على كواهلهم بعد هذه النعم الواسعة المتنوعة التي فيها ما هو تأييد لهم، فيها ما هو رعاية لهم، فيها ما هو عفو عن تجاوزات حصلت منهم ، فعندما لا يذكرون هذه النعم المتنوعة تكون النتيجة سيئة، هذا الذي حصل لبني إسرائيل .

ذكر النعم قضية هامة ، أولاً: أن معنى ذكرها: استحضارها في الذهن، وتقييمها، وتقديرها، ومعرفة من أين جاءت، من الذي أتى بها؟ إنه الله سبحانه وتعالى، لها أثر كبير فيما يتعلق بمعرفة الله، فيما يتعلق بالإرتباط بالله، بالإنشداد نحو الله سبحانه وتعالى، تعظيم الله، إجلاله، تقديسه، الإذعان لأمره ونهيه، التسليم لحكمه، وهذه القضية الإنسان مفطور عليها، الإنسان متى ما أحد من الناس، قدم شخص آخر إليه شيئاً، تجمّل

فيه في موقف من المواقف أو أعطاه شيئاً، يحصل عنده تقدير له ويحصل عنده اهتمام به، وحب له وأشياء من هذه تحصل، بل قد يصل بك الحال إلى أنك تخدم ضميره ـ كما يقال ـ أعني: تحاول تعمل الشيء الذي تراه أنه يرضاه، وأنه يعجبه، حتى لو لم يطلبه منك ولا أمرك أن تقوم به.

إذا تأمل الإنسان في موضوع نعم الله هي كثيرة جداً وواسعة جداً محيطة بالإنسان من كل جهة، النعم المادية، والنعم المعنوية، النعم التي نعرفها ونعم لا نعرفها {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: من الآية٢٠) إذا لم يحصل تذكر للنعم سيكون البديل حالة نسيان، ونتيجة للنسيان هذا، عدم اعتبار لهذه النعم، عدم تقدير لها، نسيان لمن أسداها لمن جاءت منه وهو الله سبحانه وتعالى، وتكون نتائجه سيئة: ضلال، كفر بهذه النعم، أخطاء متتابعة، عندما يكون الإنسان ناسياً.

{اذْكُرُوا} كونوا دائمي الذكر، دائمي التذكر؛ ولهذا أمر نبيه موسى في آية من الآيات أن يذكّر بني إسرائيل بأيام الله، ذلك الحدث الهام وهو ماذا؟ إنقاذهم، تحريرهم من ظلم آل فرعون واضطهادهم كيف نجاهم الله سبحانه وتعالى بطريقة عجيبة خارقة: أن يشق لهم البحر فيخرجون ناجين وفي نفس الوقت يهلك آل فرعون مثلما قال هنا: {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة: من الآية٥٠) هذه وحدها من الأشياء التي لها قيمة عند الإنسان، عندما ترى عدوك الذي استضعفك واضطهدك وظلمك وقهرك واستعبدك سنين فتراه أنت وهو في حالة العذاب في حالة الهلاك في حالة الجزاء على ما ارتكبه معك، أليس هذا مما يشفي صدور الناس؟ مما يعتبر في حد ذاته نعمة؟ ولهذا ترى في آية من الآيات هنا، أنه أهلك آل فرعون {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} يذكّرهم بأن هذه النعم هي نعم هو، هو أنعم بها عليهم أي: ليست أشياء تلقائية توفرت لهم أو نتيجة خبرات لديهم أو شطارة أو ذكاء أو أشياء من هذه.

{اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) لو يقيّمون وضعيتهم هم، لو يقيّمون أنفسهم لوجدوا أنفسهم بأنه ليس باستطاعتهم أن يوفروا ربما ولا واحدة من تلك النعم، كانوا وهم في مصر مضطهدين معذبين قد يكون لديهم شعور بأنه من المستحيل أن تتغير حالتهم، من المستحيل أن يأتي يوم من الأيام يرون فيه فرعون وهامان وجنودهما وقد أهلكهم الله، فتأتي النجاة لهم بطريقة كما حكاها الله في آيات أخرى في القرآن بأنه تقريباً يعتبرون أنفسهم بأنه من المستحيل، وضعية ليس منها مخرج نهائياً؛ ولهذا قالوا لموسى: {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} (الأعراف: من الآية١٢٩) تعب من قبل ومن بعد، نريد أن تتركنا هكذا أتركنا هكذا نبقى على ما نحن عليه ليس هناك أمل.

وهذه حالة تحصل عند الناس عندما يكونون مستضعفين في ظل جبروت وطغيان قاهر ومتمكن، دولة مستحكمة متمكنة نافذة قوية، أحياناً قد يحصل عند الناس يأس أنه قد يأتي يوم من الأيام يتخلصون من تلك الوضعية إلى الأفضل وإلى الحرية بعد العبودية.

ذكر النعم باستمرار بأن تنقلها الأجيال إلى بعضها بعض قضية هامة جداً؛ لأن الناس الذين عاصروا وضعية معينة ذاقوا مرارة الألم، والإضطهاد، والإستعباد، والقهر، والذلة، فعاشوا في وضعية أخرى وضعية حرية، استقلال، تمكين في الأرض، هؤلاء يكون الجيل الذي عاصر هذه يكون لها وقعها في نفسه إذا ما هناك استمرار للتذكير بهذه وأن يحكيها المتقدم للمتأخر يحكيها الأب للإبن، يحكيها الجد للحفيد؛ ينشأ جيل رأى نفسه في وضعية جيدة وفي الأخير يتصور أنه ما كان هناك شيء، أعني: ما لديه صورة عن الوضعية السابقة لم يذق مرارة الوضعية السابقة فيكون من السهل أن يتنكّر لما هو فيه من النعمة.

هذه حصلت ربما قد يكون من أمثلتها أمامنا في عصرنا هذا مثلاً إيران، ترى الشباب هناك ـ على حسب ما نسمع ونعرف ـ بأنه معظم الشباب هم لم يعاصروا أحداث ما قبل الثورة أعني: الثورة هذه الآن تاريخها [خمسة وعشرون سنة] أليس هذا جيلاً؟ جيل كامل لم يعاصروا أحداث ما قبل الثورة، أعني: لم يذوقوا مرارة اضطهاد الشاة والأمريكيين والإسرائيليين، لم يعاصروا هم أحداث الثورة، فذاقوا ورأوا المآسي الكبيرة التي ارتكبتها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ومخابرات الشاة؛ حصلت عندهم فكرة أخرى وكانوا قابلين لأن يطرح لهم موضوع آخر: الإنفتاح ومحاولة التعايش مع الآخرين ولا داعي للشدة هذه ومواقف قوية في مواجهة أمريكا

وإسرائيل وأشياء من هذه، نحاول ننفتح على العالم وتتعايش سلمياً ونحاول أن لا نبقى في حالة تبدو متوترة هكذا، ونبدو وكأننا معزولون عن دول العالم الأخرى، انفتاح؛ لهذا كان الكثير ممن يصوتون لـ[خاتمي] هم من الشباب، هم من الشباب من الرجال والنساء، كثير من كبار السن أو نقول: الجيل الأول كثير منهم ما يزالون محافظين، الذين يسمونهم [محافظين] هم عاصروا الثورة ورأوا ماذا حصل أثناء الثورة وعرفوا ما كان قبل الثورة من أحداث رهيبة ومن تعامل سيء ومن استعمار من ثلاث جهات: حكم مستبد طاغوتي، واستعمار أمريكي، واستعمار إسرائيلي، وثرواتهم تنهبها أمريكا وإسرائيل، بلدهم هو بلد إسلامي بمثابة قاعدة واسعة للإسرائيليين، بترولهم يذهب إلى إسرائيل.

هؤلاء تجد أن الإشكالية هي: ما هناك تذكير بالنعمة، ما هناك تذكير بالنعمة ، كلمة: {اذْكُرُوا} قد تكون متميزة عن [تذكروا] اذكروا أنتم وتتذكّروا في نفس الوقت فيذكر هذا الجيل للجيل الآخر النعمة؛ ليبقى دائماً يستشعر مدى وعظم إحسان الله إليه ويكون للحالة التي هو فيها الحالة الجيدة الحالة الحسنة الوضعية المستقيمة يكون لها قيمتها عنده؛ لأنه قد يحصل عند الإنسان حالة ـ التي تتحدث عنها بالأمس ـ يتصور واحد: أن الدنيا هكذا! إذا رأوا أنفسهم في وضعية جيدة يحسبون أنها هكذا من قبل ، ما هناك صورة عن الماضي كيف كان، ولا عندهم احتمالات عن المستقبل، أنه قد يتغير وقد يتغير على أيديهم هم {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} (الأنفال: من الآية٥٣) .

عندما يكونون في وضع جيد ونعمة لا يحصل تغيير من جهة الله سبحانه وتعالى لهذه النعمة هكذا تصرفات مزاجية يقول: يكفي عشرين سنة، كفاية خمسة وعشرون سنة يقلب المسألة، لا. إذا كانت أمة مستقيمة قد تعيش مئات السنين لن تتغير وضعيتها إلى الأسوأ، فلا يحصل تغيير إلى الأسوأ إلا إذا غيرت هي، أليس هنا يسميها نعمة؟ {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} (الأنفال: من الآية٥٣) متى ما حصل تغيير هم من جهة أنفسهم غيَّر. هنا التغيير يكون إلى الأسوأ ، هذه الآية هي تختص يبدو في التغيير من النعمة إلى النقمة من الأحسن إلى الأسوأ تختلف عن الآية الأخرى التي تشمل الموضوعين: {إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد: من الآية١١) هذه تحتمل الأمرين كذا وكذا.

كانت قضية غريبة، استغربناها جداً أنه لماذا؟ ما هو الذي جعل أولئك الناس أن يصلوا إلى الحالة هذه؟ حصل تثقيف آخر، هذا التثقيف الآخر ركز على أطروحة جديدة، يعتبر الوضعية التي هم فيها مع ما يرافقها فعلاً من أن يكونوا منشدّين أو متشددين في موقفهم وحذرين في نفس الوقت من الطرف الآخر: هذه حالة ليس هناك داعي لها، يكفي! لكن هذه لها قيمتها الهامة، أنت في مرحلة أنت تشعر باستقلال، أنت تشعر بأنه يحكمك الإسلام نفسه، أنت تشعر بحريتك، لها قيمة وإن كان الموضوع فيه نوع أو يصاحبه نوع من المعاناة لا تعتبر مشكلة هذه.

أعني: هي وضعية يرتضيها الإنسان إذا كان ممن يقدّر الأشياء أفضل من أن يكون له نعم مادية وهو في ظل ماذا؟ استذلال استعباد قهر خنوع تبعيّة للعدو، ولو عنده الإمكانيات هذه ليست لها قيمة؛ لأنه عندما تنظر إلى نفسك أنت لن تجد لنفسك قيمة بل ربما قد يكون الإنسان الذي هو بهذا الشكل قد يغمض عينيه عن أن يقيّم نفسه هو؛ لأنه يستحي لو يأتي يرى نفسه وعنده نعم كبيرة مادية وعنده أشياء كثيرة لكن هي تعتبر قيمة من القيم الهامة، قيمة لنفسه، قيمة لدينه، قيمة لحريته، قيمة لمبادئه، وعندما يأتي ينظر إلى نفسه يعتبر نفسه كأنه يستحي، على حسب تصوري، بأنه قد يكون الإنسان الذي هو بهذا الشكل لا يحاول يرجع إلى نفسه؛ لأنه لا يستطيع أن يرى نفسه في وضعية يحس لها بقيمة أبداً، يعتبر نفسه عبداً للأجنبي عندما يرجع إلى نفسه يرى نفسه عبداً للأجنبي، فيغمض عينيه، يحاول أن لا يرى نفسه، يرى ما لديه من أشياء .

هؤلاء عندما لم يحصل ذكر للنعمة التي هم فيها من بعد انتصار الثورة في إيران، لم يحصل ذكر من نفس القائمين على السلطة أنفسهم نفس المثقفين، لم يحصل تذكير بالشكل المتكرر والمستمر؛ كان الجيل الجديد

عرضة للإنحراف برؤيته، أن تخلق لديه حالة من التذمر مما يعتبره حالة تأزم نفسي، تشدّد، انغلاق، وعزلة وأشياء من هذه، تهول عنده، وتكبّر عنده المسألة هذه.

إذاً وجدناهم نتيجة لهذا ما هو الذي حصل؟ حصل شيء غريب جداً، الشعب هذا الذي كانت تخافه أمريكا، تخافه دول الغرب له هيبته في مرحلة، لا يعتبر بالنسبة لما هو عليه الآن شيئاً تقريباً من ناحية قوته المادية والعسكرية وكان له هيبته، كان للخميني ولدولة الخميني ولإيران ثقلها العالمي، كان الأمريكيون يتمنون أن بالإمكان أن يدخلوا في حوار ولو مع مواطنين إيرانيين من هذا النظام الذي يحكم. بعدما وصلوا إلى تصنيع صواريخ، إلى تصنيع دبابات، تصنيع أشياء كثيرة، وفي الأخير وإذا هم في المرحلة التي أمريكا تعتبر فيها ضعيفة أمريكا تعتبر ضعيفة، باعتبارها دولة مسخوط عليها عالمياً، مكروهة، ممقوتة وإذا هم موقفهم يبدو ضعيفاً! من الذي أضعف هؤلاء؟ ألم يكن المفروض هو أن يكونوا بعد عشر سنين أقوى بعد عشرين سنة أقوى بعد خمسة وعشرين سنة أقوى من قبل ، وأن تكون هيبتهم أكبر ويكون خشية العدو منهم أكبر ؟ تغيّرت النفوس .

إذاً يفهم الإنسان: أن ما هناك قيمة للماديات إذا النفوس ليست مستقيمة، إذا الرؤى ليست صحيحة، إذا القائمين على تثقيف الناس ليس لديهم رؤية صحيحة وقيّمة فتصبح الأشياء الأخرى لا قيمة لها ، إذاً نحن نرى أن إيران توصلت إلى صناعة صواريخ وإلى عمل تجارب للصواريخ هذه ونلمس بأن ليس لها هيبة بعد هذه التجارب مثلما كان لها يوم ليس معها ولا صاروخ واحد من هذه النوعية، صواريخ تقليدية من تلك التي تسمى: [أسكود] ونحوها، لا توجد الهيبة الأولى لماذا؟ لأن العدو لا ينظر إلى ما لديك من إمكانيات ينظر إلى وضعيتك إلى الثقافة السائدة عندك إلى نفسيات الناس إلى معنويات الناس إلى رؤاهم ورؤى قاداتهم ، إذا رأى أن الوضعية على هذا النحو الذي هو موجود الآن في قطاع كبير منهم تنسف الهيبة من نفسه .

نجد أن أمريكا الآن تشكل ضغوطا هي وإسرائيل يعملون ضغوطاً مستمرة على إيران وبطريقة علنية وبطريقة علنية مكشوفة، تلمس من البعض منهم من بعض قيادات منهم في أهم مواقع فعلاً ضعف في المواقف يحكون بأنه بعدما جاء قرار الوكالة الدولية حول موضوع المفاعلات النووية، هناك تيار منهم يقولون: يجب أن نسلك طريقة كوريا نترك الوكالة هذه نتخلى عن الإتفاقية هذه، ليست قضية مُلزمة، إسرائيل ليست عضواً في الوكالة هذه، نفس إسرائيل ليست عضواً، الإسرائيليين أذكياء لم يدخلوا أعضاء في الوكالة هذه مع أن لهم نفوذاً داخل الوكالة وداخل أمريكا، لم يوقعوا على الوثيقة هذه التي تجعلهم أعضاء في الوكالة هذه وخاضعين لنظامها!.

الإيرانيون خنقوا أنفسهم بأن كانوا أعضاء في الوكالة نجد هنا فعلاً كانت هذه هي الرؤية الصحيحة أن يكونوا مثل كوريا الشمالية كوريا تخلت عن المعاهدة الدولية هذه، وتركت الوكالة الدولية نهائياً وطردت المفتشين وأزالت كامرات المراقبة وهددت أمريكا! الآخرون هناك ضعف في النفوس قالوا: لا، نحاول، نحاول! وإذا قد هناك منطق غريب بدا منطق أن الآخرين الذين هم التيار هذا القوي الذي لا يزال محتفظاً بمعنويات الثورة وقيم الثورة، وعرف كيف يتعامل مع أمريكا من زمان ولا يزال على نفس الروحية يسميهم الآخرون: دعاة حرب، دعاة حرب! أي: كأن هؤلاء ما قد عرفوا السلام وكم تكررت كلمة: سلام وكم بحث العرب عن السلام ولم يحصلوا على السلام [أولئك متشددون، دعاة حرب، متزمتون!] وأشياء من هذه يعتبرونهم؛ لهذا هي قد تكون فعلاً مواقفها بدت ضعيفة مواقف ينطلق منها قادة القاعدة قاعدتهم التي أوصلتهم إلى هذه المواقع هم من؟ هم أعداد كبيرة من جيل لم يُذَكّر بالنعمة لم يذكر بالوضع السابق ثم كيف تغيرت الوضعية إلى الأفضل .

لهذا كان مهماً جداً ذكر النعم {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) **ما عهد به إليهم ملخص ما عهد به إليهم هو كتبه أن يتمسكوا بكتبه أن يأخذوا ما آتاهم بقوة أن يتحملوا مسئوليتهم أن يلتزموا بهديه بتوجيهاته بأوامره ونواهيه {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعطي من جانبه أشياء، متى ما وفى الناس بما عهد به إليهم يفي بما تعهد به ـ إذا صحت العبارة ـ لهم.**

{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة: من الآية٤٠) **لا ترهبوا غيري هذه كلمة: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} أحياناً قد تكون الرهبة من طرف آخر غير الله، تنسيك ذكر نعم الله فلا تصبح لنعم الله قيمة عندك، تتحول المسألة عندك إلى أنك تستبدل**

بكتابه، تستبدل بهداه، هذا الذي حصل عندهم {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (التوبة: من الآية٩) عندما أصبحوا يرهبون آخرين.

أيضاً في مسألة الوفاء بالعهد لا تعد تحصل هذه، قد صار يفكر كيف يحاول أنه يقي نفسه من ذلك الذي يرهبه ولو بأشياء يقدمها: تنازلات من دينه، ويحاول أن يسخر دينه لمصلحة الطرف الآخر الذي أصبح يرهبه، هنا يقول: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} يقولون: تقديم المفعول أحياناً على هذا النحو، يفيد ماذا؟ الإختصاص أعني: تأكيد يفيد حصر كأنه يقول: لا ترهبوا غيري {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} كأنها تعني: ولا ترهبوا أحداً غيري .

{وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) هذا خطاب لبني إسرائيل في عصر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أول الآية هنا: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) نفس هذا الأسلوب هو يذكر بني إسرائيل ويأمرهم أن يتذكروا، أولئك الذين كانوا في عصر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يتذكروا النعم السابقة على أسلافهم من يوم خرجوا من مصر وأنقذهم من آل فرعون. {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) ما هو الذي أنزله مصدقاً لما معهم؟ هو القرآن الكريم من أول ما نفهم من الآية هذه: أن الله سبحانه وتعالى يأمر وأمر فعلاً بني إسرائيل بأن يؤمنوا بالقرآن الكريم، معلوم بأنه أمرهم بأن يؤمنوا بهذا القرآن كما أمرنا نحن كما أمر بقية البشر {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ} كلمة: {بِمَا أَنْزَلْتُ} هي تندرج في إطار السنة الإلهية في قطع كل الخواطر التي قد تعيقك عن الإنطلاقة وعن الإستجابة يقول: أنا الذي أنزله، مثلما قال لإبليس: أنا الذي خلقته بيدي .

تجد هذه هي قضية هامة في القرآن الكريم، وهي هامة جداً بالنسبة لنا أن نفهمها؛ لأنه قدم بالنسبة لنا الإسلام وكأنه قضية ضاعت طريق الله، لم يعد أحد يعرف كيف يعمل وإنما كل واحد يبحث من عنده ولا هناك مجال من الإختلاف، ولا أحد يعرف كيف الحق وأين الحق وإنما يبحث هو !! لما جهلنا هذه وجهل الناس: أن هذه هي سنة إلهية في هداه في دعوته أعني: هداه بشكل عام يقوم على أساس التبيين الكامل وقطع كل الأعذار وكل الخواطر التي قد تعيقك، {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ} أنا الذي أنزله أنا، هكذا يقول لهم مثلما قال لإبليس {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (صّ: من الآية٧٥) وهناك يقول {إِذْ أَمَرْتُكَ} (الأعراف: من الآية١٢) .

{مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) لما معكم من التوراة، في آيات أخرى تأتي: {مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} (المائدة: من الآية٤٨) أعني: ليس مصدقاً لموضوع التحريف، هو يفضح التحريف، القرآن الكريم، عندما تأتي تستعرض التوراة التي يسمونها: توراة، ويسمونها: أناجيل، لا تستطيع أن تفضح ما فيها إلا عندما تنطلق من رؤية قرآنية إليها فتقيمها من خلال القرآن؛ لأن القرآن تبنّى هذه القضية، قضية: التصديق لما هو صحيح، وفضح ما هو محرف تحريفاً، وفصل وبيان لما كانوا فيه يختلفون في قضايا تاريخية لديهم تتعلق بدينهم وتتعلق بتاريخ أنبيائهم.

عندما يقول: {مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) يعني: أنتم عندما تؤمنون لا تخسرون شيئاً يعني: ليس الإيمان بهذا الإسلام وبهذا القرآن والإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يتطلب منك أن تكفر بالتوراة وتكفر بموسى، لا يتطلب منك أن تكفر بعيسى وتكفر بالإنجيل، إذاً ما هو الذي ستخسره ما الذي يعيقك عن أن تؤمن وأنت تجد أن هذا الكتاب هو مصدق لموسى ومصدق لما أنزل على موسى، هذه قضية هامة، وفعلاً هي مما تدفع العذر بالنسبة لبني إسرائيل بأنه عندما تقول لليهودي بأنه ما هو الذي يعيقك عن الإيمان بهذا الكتاب هل يطلب منك أن تكفر بموسى فتكون ثقيلة عليك؟ لا. هل يطلب منك أن تكفر بالتوراة؟ لا. نقول نحن هنا لم نعرف موسى وآمنا بموسى إلا من خلاله هو علّمنا أن نؤمن بموسى ونؤمن بالتوراة، إذاً فهم [مدبرين] بما تعنيه الكلمة وضالين حقيقة؛ لأنه ليس هناك ما يعيقهم عن الإيمان لو كانوا مستبصرين .

{وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) مثلكم ما ينبغي أن يكون أول من يكفر وأنتم تعرفون الديانات وتعرفون الكتب الإلهية وهذه قضية، حقيقة، الناس الذين عايشوا كتباً إلهية، عايشوا ديانات رسالات يستطيعون أن

يميزوا بينما هو مكذوب على الله، وما هو من عند الله، مثلما قلنا كمثل بأنه عندما يكون هناك طبيب مختص وعارف وعلى مستوى عالي بالنسبة للطب ورأى كتابا مكتوب عليه كتاب طب، وفوقه اسم معين سيعرف بأن هذا الكتاب الذي كتبه هو فعلاً طبيب أو أنه إنسان ليس بطبيب، أعني أنه يستطيع أن يشخص هذا الكتاب فيعرف أنه كتاب طب حقيقة وأن الذي كتبه طبيب، أو أنه ليس بطبيب.

هم يعرفون من خلال التوراة من خلال الإنجيل من خلال الكتب ما كان فقط التوراة، التوراة هي كتاب رئيسي بالنسبة لهم وهناك كتب أخرى كانت تتنزل على أنبياء منهم كالزبور بالنسبة لداوود.

إذاً فأنتم تختلفون عن بقية العرب ومعايشين رسالات، معايشين كتبا، عندكم قدرة على التمييز، عندكم قدرة على فهم أن هذا الكتاب هو من عند الله، لا يمكن أن يكون من عند بشر؛ لخبرتكم الدينية بالرسالات وبالكتب إذاً فما ينبغي أن تكونوا أول كافر به وهو في نفس الوقت مصدقاً أعني: هو أنزل من عنده، من عند الله وفي نفس الوقت مصدقاً لما معكم، وأنتم في نفس الوقت لديكم خبرة ومعرفة تميزون بين ما هو من عند الله وما ليس من عند الله، أنتم كتقدير لما أنعم الله به عليكم من نعم سابقة النعم المتتابعة يجب أن تكونوا أول من يستجيب له، وهذا يعتبر في نفس الوقت نعمة عليكم أن تكونوا من أول من يؤمن به، فعندما تكونون أول من يكفر به هذه قضية غريبة جداً وقضية غير لائقة بمثلكم .

{وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) بأن يصرفكم مثلاً عن هذا القرآن، هو يحكي في آيات أخرى ما كان يحصل لديهم هم في تاريخهم من اشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً، في الخطاب الآن أمام القرآن الذي يقول لهم أن يؤمنوا به عندما ينصرفون عنه، لأنه مثلاً قد يكون أحبارهم وفق ثقافتهم وفق سنن معينة لديهم هناك مصالح معينة، له مقامات معينة له ولاءات معينة قائمة على الوضعية التي هم عليها، هذه تكون مما يخلق فعلاً صعوبة أمام التحول فيرجّح في الأخير أن يقبل ما هو عليه مراعاة لمصالحه ولمقامه ولاعتبارات معينة، بدلاً عن هذا القرآن الذي يفترض أن يكون أول من يؤمن به!يجب أن يكونوا مؤمنين به ويفترض من مثلهم أن يكونوا أول من يؤمن به.

{وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) كما قال هناك: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة: من الآية٤٠) هنا: {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) لأنه هذه الحالة خطيرة جداً هي أخطر ما يمكن. أعني بالنسبة لعقوبتها وبالنسبة لنتيجتها فينبغي أنك لا يشغلك شيء عن الإتقاء لما يمكن أن يحصل من عقوبات، بسبب ماذا؟ أنك لا تؤمن وتشتري وتستبدل بها ثمناً قليلاً، أليست هذه حالة خطيرة؟. {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) أي ما يمكن يحصل عليكم هو يعتبر أسوء بكثير من أي شيء آخر تحذرونه يحول بينكم وبين أن تؤمنوا فيدفعكم في الأخير إلى أن تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً .

{وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٤٢) هي طريقة كانوا عليها في الماضي واشتغلوا في نفس الوقت، عندما جاء القرآن الكريم وجاء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وصل بهم الحال إلى درجة أن يقولوا للمشركين أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، أليس هذا من لبس الحق بالباطل؟.

{وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٤٢) وما أسوء الإنسان عندما يكتم الحق وهو يعلم {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ذلك الحق يكتمون مثلاً كل الدلائل التي أصبحت لديهم أعطتهم معرفة بالنبي بأنه فعلاً نبي كما يعرفون أبناءهم، وأن هذا الكتاب هو من عند الله، ويعرفونه بدون شك أنه من عند الله ومع هذا يكتمون الدلائل لديهم مما في كتبهم مما توارثوها في علومهم، علامات للنبي هذا نفسه، وعلامات أيضاً كيف يكون النبي في سلوكه، وكيف تكون كتب الله عادة، عادة تكون متميزة، وليست فقط مجرد العلامات هذه، العلامات شيء علامات مثلاً في السماء علامات في الواقع شيء لكنه أيضاً يوجد في نفس سلوكياته شخصيته، الكتاب نفسه، يكون هناك الدلائل فعلاً الواضحة التي تبين أنه فعلاً كتاب من عند الله، هي قضية ملموسة في القرآن الكريم قضية ملموسة فعلاً، الإنسان عندما يتأمل القرآن الكريم لا يمكن على الإطلاق أن يحصل عنده شك بأن فيه آية واحدة من عند مخلوق من مخلوقات الله، لا ملك ولا نبي ولا غيره .

لبس الحق بالباطل هذه قضية خطيرة جداً، لبس الحق بالباطل يحاول أنه يعكس نظرتك بالنسبة للحق يجعل عندك باطلاً يصور لك موقفه وقضيته أنها حق، لبس يوجد التباس، القضية عادة لا تحصل إلى درجة مائة في المائة عادة لا تحصل إلى نسبة ١٠٠٪ إلا بالنسبة للناس، بالنسبة للآخرين إذا هم بسطاء في تفكيرهم، إذا هم ليس لديهم اهتمام بالقضية، ينفق عليهم هذا التلبيس وإلا عادة لا يستطيع الباطل أن يتقمص قميص الحق بنسبة ١٠٠٪ لا يمكن هذا؛ لأنه لو كان كذلك لكانت مشكلة كبيرة على الناس، لا، الباطل يكون معه مميزات له، طريق الشيطان يكون معها مميزات، طريق الله، الحق يكون معه مميزات الإمام علي (عليه السلام) يقول: ((الحق أبلج والباطل لجلج)).

ترى الباطل ـ مثلاً ـ في موقفك منه ، الباطل تحتاج أن تكون أنت الذي تشتغل له هو، تغطي عليه، تلجمه، تستر عليه تلفق، بينما الحق يشتغل، يبلج لك الطريق ويعطيك هو، الباطل أنت الذي تعطيه أنت تعطيه فكرك ووقتك، وأنت تستر عليه لا يقدم لك حاجة بينما الحق هو الذي يعطيك هو ولهذا قال: ((أبلج))، يعطيك معرفة ينير لك الطريق يعطيك استقامة يعطيك رؤية صحيحة يعطيك أشياء كثيرة .

تجد مثلاً في قضية الولاءات؛ ولهذا نحن نقول في هذا: لاحظ الناس المتولين للإمام علي، هل الإمام علي يحرجنا؟ ما يوجد إحراج، هل نحن نحرج معه؟، نحاول نستّر عليه في كذا، نحاول نلفق له فضائل نحاول ، نحاول، متى ما أتينا إلى فضائله نجدها فضائل من أعلى الفضائل ومن الأشياء المعترف بها عند الكل عند المسلمين جميعاً لا نحتاج نكذب عليه ونلفق له ونحارب آية قرآنية ونحارب حديثاً آخر نتأول هذا ونتأول هذا حتى نركزه؛ لأننا لو نأتي نقول للآخرين: ماذا استفدتم أنتم مثلاً من أبي بكر وعمر تعال قل لي ما الذي استفدت أنت منه؟ أنت الذي تشتغل له؟ لو لا أنت أبو بكر سينهار وأنت ملفق له مجمع له فضائل، تحاول تستر عليه يحاولون يعطون رؤية عامة بأن لا أحد يتكلم عن صحابة آخرين معروفين بأنهم أجرموا من أجل ماذا؟ من أجل لا يصل الموضوع إلى تقييم الأشخاص أولئك المعينين قالوا: اسكتوا ولا كلمة!.

لاحظ معنى هذا أنهم هم يحتاجون يسترون على باطل وعلى أخطاء، على قصور، على نقص على جهل على أشياء كثيرة، هل هذا الإنسان يمكن أن تلمس أنه استفاد من هذه الشخصية شيئاً؟ أبداً، لكن أنت تعال إلى الإمام علي مثلاً، عندما نأتي نقول: نقيّم الناس من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الإمام علي، إقرأ للإمام علي، إقرأ تاريخ الإمام علي، إقرأ أقوال الإمام علي، تعرَّف على سيرة الإمام علي، تجد كيف يعطيك، تستلهم منه أشياء كثيرة من حياته الخاصة، من شجاعته، من حكمته، من علمه، من قدرته القيادية، من حنكته السياسية، من كل الأشياء، يعطيك، لن تصل إلى حالة معينة ترى بأنه يحرجك تستّر عليه، لكن بالنسبة للبسطاء من الناس هؤلاء هم المشكلة الكبيرة، أعني: لا يكون عندهم اهتمام بالقضايا ولهذا نقول: أنه من الإشكاليات الكبيرة عند الناس أنهم لا يعطون أهمية كبيرة لموضوع: هدى وضلال، هدى فيكون الهدى هو شيء جذّاب عندك وتحرص عليه وتتلهف للحصول عليه، والضلال شيء يوحشك تكرهه تحاول تهرب منه تمقته لا يوجد! هدى ضلال حق باطل كلها سواء! لا يوجد اهتمام بموضوع حق وباطل وهدى وضلال، هذه التي تضرب الناس، ينفق عليهم التلبيس، تلبيس الحق بالباطل والهدى بالضلال، عندما يكونون على هذا النحو .

{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (البقرة: ٤٣ـ٤٤) **يعني: هذا مما لا ينبغي أن يكون عليه إنسان يعرف الحق، إنسان يعرف النبوّات يعرف الرسالات، يعرف القرآن بأنه من عند الله ويكون في نفس الوقت لا يلحظ نفسه هو، أن يكون لديه توجه للحق واستقامة والتزام وإنما الآخرين فقط ؛ لأن هذا معناه أن ليس للحق قيمة لديك إذا أنت تأمر الآخرين بالبر وتنسى نفسك!.**

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (البقرة:٤٤) **إذا كانت هذه قد تكون تتحدث عن حالة معينة ـ مثلاً ـ حصل من جانبهم توجيه بأشياء هي تعتبر براً، إذاً أنت تترك أن تتوجه لعمل ما هو من أرقى أنواع البر، عارفين هم أهل كتاب وعندهم بقايا دين وأشياء من هذه، يكون ما يزال هناك في الديانات أشياء تعتبر براً لكن من تلك الصغار، برّ من هذا الذي نحن نعمله يعلمك الوضوء ويعلمك كيف تهتم**

به لكن وينسى نفسه هو؛ لأنه يعلمك براً تعمل به وينسى هو براً كبيراً لا ينطلق فيه!. أن يتجهوا إلى الإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وإلى الإيمان بالقرآن، أليس هو أرقى أنواع البر؟ كافرين بهذه وما يزال يوعظ هنا بأشياء معينة، أخلاقيات معينة أو معروف معين من هذا.

{أَفَلا تَعْقِلُونَ} (البقرة: من الآية٤٤) وهذه هي تصدق على كثير من الناس حقيقة بالنسبة للناس فيكون هو يأمر الناس ببر صغير من هذا الذي ليس فيه خوف ولا فيه مشقة ولا فيه شيء ولا، ولا ، والبر الكبير، أنواع البر الكبيرة ليس له أي علاقة بها يحاول كيف يتهرب منها {وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية٤٤) الذي يأمركم بكل أنواع البر ويركز اهتمامه على قضايا البر الكبيرة {أَفَلا تَعْقِلُونَ}: تفقهون ، فتفقه بأن البر الصغير لن يعمل لك شيئاً ولن ينفعك بشيء ولن يوصل الناس إلى شيء ينفعهم حقيقة، عندما آتي أوجهك إلى عمل معين من أعمال البر الصغيرة، وأترك البر الذي يجب أن تنطلق فيه، فأنا في الواقع أغشك وأغش نفسي في نفس الوقت عندما أوجهك إلى بر من هذا النوع وأنا أعمله معك، بر صغير، ونترك البر الكبير، معناه ليس هناك فقه ليس هناك تعقل، أن تعرف أن هذا لن ينفق، هذا لن ينفق ولن يكون مقبولاً أي في الأخير لن يعمل لك شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولهذا نقول في موضوع الأعمال هذه، أننا نستطيع أن نعرف في الدنيا أنها لا تقبل في الدنيا هنا؛ لأن الأعمال يتجلى من واقع الناس ما يدل على أن أعمالهم مقبولة أو ليست مقبولة، تجد الدنيا الآن بلاد العرب مثلاً مليئة بالصائمين والمصلين والحجاج والمتصدقين والمزكين والقارئين للقرآن والمسبحين، أليس هذا موجوداً؟ لكن تجد هذه ما أعطتنا وضعية هي وضعية أولئك الذين قال الله عنهم: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} (الحج: من الآية٣٨) {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (النساء: من الآية١٤١) أبداً لماذا؟ لأن هذه لم يعد لها قيمة نحن معها كمسلمين بشكل عام غثاء كغثاء السيل، نفوس ضعيفة قلوب مليئة بالوهن، فتجد هذا لم يعد له أثر في حياتنا بأن كان لها قيمة، لأن قيمة الأشياء في واقع الحياة هنا، هي تأتي من عند الله سبحانه وتعالى في قيمتها المعنوية وقيمتها المادية، أليس الله يذكر في القرآن الكريم {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية٩٦) {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ} (نوح:١٠-١١) .

لا يوجد قيمة هنا ولا تستطيع أنت لا يستطيع الناس أن يكونوا هم، أن يجعلوا لأعمالهم قيمة، أعني: لا تستطيع أنت أن تجعل لصلاة هؤلاء الناس قيمة، وتجعل لها أثرها في واقع الحياة وفي واقع أنفسهم، هذه القضية تكون من عند الله، إذا أنت لا تلمس الشيء الذي هو مما وعد الله به أن يكون في هذه الدنيا في مقابل أعمال الناس أو جزاء أعمال الناس الصالحة، ماذا يعني هذا؟ أنها أعمال حابطة هنا، إذا هي حابطة هنا قد تكون حابطة في الآخرة فعلاً{أَفَلا تَعْقِلُونَ} ليس لها قيمة وترون أنها ليس لها قيمة في واقع الحياة.

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} (البقرة:٤٥) هذا الكلام مبني على قوله أولاً: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) آمنوا، كونوا على هذا النحو، واستعينوا بالصبر والصلاة على أن تتقبلوا النقلة هذه، وهي نقلة بسيطة في الواقع لكن كانت الإشكالية لدى بني إسرائيل إشكالية ثقافية: إنزواء في ثقافتهم على أنفسهم لدرجة أن الله يحكي عنهم أن عندهم بأنه لا يمكن أن أمة من الأمم الأخرى أن تعطى فضلاً من الله ورحمة وأنهم هم الفئة الوحيدة التي لا يصلح للدين إلا هم، حتى على ما هم عليه، أنه لا يوجد أمة غيرهم يمكن أن تنهض بدين ولا أن تتحمل مسئولية ولا أن يكون فيها نبوة أبداً إلا هم .

هناك ثقافة إنزوائية على النفس وتضخيم لوضعيتهم ولمقامهم وأشياء من هذه، فكان مجرد الحادثة هذه: أن يأتي نبي من غير بني إسرائيل في حد ذاتها تشكل لديهم قضية كبيرة، وإلا فالمسألة في واقعها هم يعرفون الكتاب أنه من عند الله وأن هذا نبي من عند الله والإيمان به هو إيمان بما هو مصدق لما معهم، ليست قضية كبيرة في واقعها، تحتاج إلى خشوع إلى استسلام إلى تسليم لله سبحانه وتعالى، ولهذا قال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} أي: النقلة هذه، وقد تكون الصلاة كما يقول البعض في حد ذاتها، لكن لا أعتقد أنه يقال عن الصلاة نفسها بأنها كبيرة إلا على الخاشعين؛ لأننا نصلي خاشعين وغير خاشعين، أليس الناس يصلون؟ الحالة

النقلة هذه هي كبيرة لمن ينطلق معها من واقع خلفيته الثقافية التي جعلته على هذا النحو، لكن إذا هو مؤمن بأصل القضية: أنه يجب أن تكون عبداً لله ومسلّم لله سبحانه فهذه هي سهلة.

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة:٤٥-٤٦) **هذه القضية التي تنسف كل الإعتبارات الشخصية وكل الأشياء الخاصة والشخصية لدى الإنسان{يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ} أي استشعار دائم ليس معناه أن يظنون مقابل يعلمون علماً يجعلهم في حالة وكأنه مترصد متى، متى يلقاه، ذهنيته حية، ذهنية تستشعر دائماً موضوع لقاء الله، ليس معنى يظنون مقابل يعلمون{يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ} يستشعرون أنهم ملاقوا ربهم{وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.**

{يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) **عندما نرجع إلى قضية منهج نحن قلنا: نستوحي منهجية في عملنا من خلال القرآن الكريم من خلال أسلوبه من خلال ترتيبه للقضايا تعطي منهجية للناس، عندما يعملون عندما يتحركون، هنا يقدم القضية تبيينا متكاملا، تبسيطا للمسألة، أليس هذا موجوداً؟ عندما تقول للناس: نحن عندما نتجه على الطريقة هذه لاحظ المسألة هي سهلة في الواقع، أعني: ليست القضية أنه عندما نتحرك في هذا الطريق فقط تحصل المصائب والمشاكل والعناء والخوف... لا. هذه هي تحصل عند الآخرين وستحصل عندنا، ولو كنا على طريق أخرى ليس معناه سنكون في وضعية صحيحة وسالمين ولا يحصل علينا أي شيء يخيفنا ولا أي شيء يقهرنا ولا أي شيء يتعبنا وإنما فقط عندما نتحرك في سبيل الله، بل العكس هو الصحيح، أن من لا يتحركون في سبيل الله هم يعانون أكثر، قد تكون المصائب عليهم أكبر وتكون وضعيتهم تقريباً إلى ما لا نهاية في السوء.**

بينما من يسيرون في سبيل الله لو عانوا مرحلة معينة وصبروا هي القضية التي في نصوص القرآن الكثيرة تتكرر كسنة إلهية متى ما صبروا هو الصبر الذي يأتي بعده فرج هو العناء الذي يأتي معه تأييد، تأييد نفسي تجعلك تتحمل، بينما في الحالة الأخرى في حالة أن يكون السوء وأنت قاعد ومتخلف يكون للشيء وقعه الكبير على نفسك، تكون منهاراً معنوياً فتكون المصائب لها وقعها الكبير على نفسك، أعني: لو استوت مصيبتي ومصيبتك أنا متحرك وأنت قاعد لو استوت في شكليتها فالفارق الكبير في وقعها علي وعليك، هذه القضية كبيرة؛ ولهذا قال الله: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ} (النساء: من الآية١٠٤) .

عندما تكون أنت ترجوا من الله مالا يرجوه الطرف الآخر معنى هذا ماذا؟ يزيدك هذا، يجعلك تتحمل القضية فلا يكون للمصيبة وقع عليك، أو للشيء الذي يعتبر مخيفا وقع على نفسك كما لو وقع على الآخر، إذاً القضية أشد نكاية فيه وأشد وقعا عليه سيكون عذاباً شديداً. هذه قضية، التبسيط للمسألة ونحن بحاجة إلى هذه أعني: قضية مؤكدة في عمل الناس لا تقدم الدين حملا للناس حملا ومتاعب [والجنة حفت بالمكاره! والمؤمن يصب عليه البلاء صباً! ولازم نصبر ولازم كذا...] هذا غير صحيح.

ذكر الناس بأنه يأتي حتى لو لم نتحرك سيأتي لنا أشد مما نحن فيه، أفضل أن يكون العناء في سبيل الله [إذا قد أنت من مات يوم السبت فيوم الجمعة أفضل] مثلما يقولون، أليسوا يقولون هكذا؟ فهذا أسلوب هام جداً وطريقة ضرورية جداً؛ لأنك تجعل الإنسان هو ينطلق، عندما يقال لك أن تعطي مقارنات للناس تجعل القضية مبسطة لديهم وتصبح بسيطة عندما ترى بأنه فعلاً هي مصائب هنا أو هنا، لكنها هنا هي أفضل؛ لأنه يأتي بعدها فرج وأجر كبير من الله أو الشهادة لو حصلت المسألة وأدت إلى أن يقتل، بينما هنا في الطريق الآخر سيكون بدون مقابل، أليس سيعتبر هذا أفضل وأبسط وأسهل؟.

لكن أحياناً نأتي نتحدث في اتجاه واحد فقط:[يجب علينا أن نصبر ولو عانى الإنسان في سبيل ذلك فهو يعاني في سبيل الله...!] ونكون في نفس الوقت نقدم القضية أمام الناس بأنه سيلاقي مصائب وعقبات ويتصور بأنه لو كان قاعداً وليس هناك عمل في سبيل الله لما حصلت الأشياء هذه، وفي الأخير يقدم الدين للناس والعمل في سبيل الله للناس وكأنه أحمال ثقيلة هنا يقول: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) **عبارة ما ينبغي أن تكونوا كذا... كذا... هي قضية تعطيك أيضاً أسلوباً مع الآخرين.**

نقول نحن مثلاً: الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بالقرآن الكريم ، أنعم علينا بموقع هام جداً من الناحية الجغرافية من ناحية الثروات الهائلة التي نرقد عليها في باطن الأرض التي نحن فيها في الجزيرة العربية هذه ما ينبغي أن نكون نحن أضعف الناس، لا ينبغي أن نكون أول كافرين بهذه النعمة، نعمة على ظاهر الأرض القرآن الكريم، ونعمة في باطن الأرض الثروات الهائلة، نعمة في الموقع بكله؛ ولهذا يتسابق الآخرون عليه؛ لأنه موقع يعرفون بأن من يسيطر عليه يسيطر على العالم، الإسرائيليون الذين دولتهم ما تزال جديدة ولها فترة قصيرة عندهم طموح أن يهيمنوا على المنطقة هذه، لأنهم يعتقدون أن الهيمنة على المنطقة هذه يعني هيمنة على العالم بكله وهذه حقيقة باعتبار موقعه باعتبار ثرواته الهائلة.

تجد الكلام مع بني إسرائيل هنا هو كلام أن يتوجهوا عملياً أعني: ينتقلون إلى مرحلة، أليست هكذا؟ مما هم عليه إلى مرحلة جديدة هي: الإيمان بالقرآن الكريم، والإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والإنطلاقة مع النبي ومع المسلمين، أليست هذه نقلة عملية؟ تجد عادة النقلات هذه يكون هناك ما يحيط بالناس عادة، أعني: في أي وضعية أشياء كثيرة تكون محط أن يرهب أو يتقي منها، أعني: أشياء تخيف أو ترهب أشياء من هذه، هنا تأتي العبارة بأنه لا ترهبوا أحداً غيري{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} لا تفكروا في اتقاء أحدٍ غيري {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} بمعنى ماذا؟ أنه في حالة كهذه تكون مسئولية كبيرة وعقوبة التفريط كبيرة، إذا أنت تفكر ترهب أو تخاف من أي شيء. لا، أنت في وضعية يجب أن تفكر في أن أعظم خطورة عليك هو: ما يأتي من جانب الله {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} ،{وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} قضية نقلات، مثلما نقول: نحن في وضعية المفروض أن الناس فيها يتوجهون توجهاً جديداً إلى أن يستشعروا مسئوليتهم من خلال القرآن الكريم، أليست دروساً لنفس الحالة؟.

إذاً افهم القضية على هذا النحو: أنت في مرحلة خطيرة جداً جداً عليك، من جانب من؟ الله؛ فيجب أن تفهم بأن عليك أن لا تفكر إلا في أن تتقي ما يمكن أن يأتي من جهة الله، وأن لا ترهب إلا الله. هذه أليس الناس فيها؟ نحن فيها حقيقة. أعني: فعملياً نركز على هذه: عندما تكون تتحدث مع الناس يجب أن تفهم أو يكون عندك تقديرات عن الأشياء التي هي تشكل عوائق داخلية عند الناس، يخافون من كذا، خائف على كذا، يخشى كذا، هذه تحاول تبرزها إلى السطح، قل: الإنسان قد يخاف على كذا أو كذا، لكن يجب أن يفهم بأن القضية الخطيرة عليه هي ـ عندما يفرط ـ ما يحصل عليه من جهة الله.

لا تكتف بالتذكير هكذا، دون أن تحسب حساب ما في أعماق نفوس الناس. هذه الآية تراها تناولت الأعماق ، ألم تتناول الأعماق؟ أعماق نفسياتهم عندما يقول: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} عندما يقول: {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) وعندما يقول: {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} والتوجيه بما يعين الناس، قدم للناس الشيء الذي يشكل عوناً لهم في المسألة، الله سبحانه وتعالى وجهنا في القرآن الكريم في سورة نقرأها دائماً: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:٥) كل الناس الإنسان مهما كان هو بحاجة إلى أن يستعين بالله ليست المسألة أنه أنت فقط فتتصور أنك سوف تتحمل جبالاً عليك ليس الأمر كذلك حتى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يستعين بالله دائماً المؤمنون المخلصون أولياء الله الذين هم على مستوى عالي كلهم عندهم هذه القضية ثابتة: الإستعانة الدائمة بالله ، الإستعانة بالله سبحانه وتعالى هي أيضاً ما يزال فيها علاقة بمعرفة الله هو ، بمعرفته هو .

هنا عندما تعرف؛ لأنه من خلال القرآن الكريم يقدم لك المسألة بأنه هو مدبر شئون السماوات والأرض، وأنه إليه يرجع الأمر كله، وأن إليه عاقبة الأمور، معنى هذا لا تتصور بأنك أنت ومن معك الناس الذين أنت معهم أنكم ستحملون الجبال ، وتغيرون مجرى العالم هذا، وتغيرون أنتم بأنفسكم، أنتم شغالين في جانب والباري هو مشتغل ويعمل ـ إذا صحت العبارة ـ يعمل كثيراً، يعمل كثيراً من الأشياء التي لا تخطر في بالك، ولا تصل إليها قدراتك ، لا الذهنية ولا المادية ، هو المدبر ، هو المغير ، هو يصنع المتغيرات ، وضرب أمثلة كثيرة في القرآن على هذا.

إذاً عندما نفهم هذا نحن ، ونفهم الناس قضية ينطلق الناس فيها ويرون بأنه مطلوب مني أن أكون جندياً من جنود مدبر شئون السماوات والأرض ، أتحرك، هو يؤيد ، وينصر في حركتك المباشرة ، ويعمل أشياء كثيرة من

هناك. مثلما قلنا بأنه ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة معه مجموعة مسلمين مستضعفين يعذبونهم، وناس يحتاجون يهربونهم إلى الحبشة لاجئين، أليس هو هناك يدبر ما بين فارس والروم؟ عندما يكون الناس يرون أنفسهم في وضعية تبدو أنهم مستضعفون فيها وفي حالة شدة وكذا، هم لا يعرفون ماذا يعمل الباري في مجالات أخرى في الساحة العالمية هذه، ذلك الذي يصيح وفوقه حجر في الشمس قد يأتي للواحد يأس، يأس يحصل عنده بنسبة ألف في المائة أن هذه حركة يمكن أن تنهض، ويأتي في يوم من الأيام ويكون الناس هؤلاء هم ولاة في بلاد فارس والروم وغيرها، لا، هذا في حرارة الشمس والله يدبر هناك، يغير أشياء كثيرة لا يستطيع المسلمون أن يغيروها لو يقفون كلهم في الشمس، هو يغير هناك.

هذه تعطي الناس دفعة، أعني: تفهم الإستعانة بالله ، والإلتجاء إليه ، وتفهم أيضاً أنه مدبر شئون السماوات والأرض، تستعين بأشياء يقدمها هو في ممارساتك: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} (البقرة: من الآية٤٥) **لاحظ كيف جعل الصبر وسيلة عملية للوصول إلى النتائج المهمة والنتائج الجيدة، واستعينوا بالصبر، واستعينوا بالصلاة ، الصلاة؛ لأنها تجعلك دائم الإرتباط بالله سبحانه وتعالى، ودائم التذكر لله والذكر لله.**

تذكّر اليوم الآخر قضية مهمة، وعندما يقول: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ} (البقرة: من الآية٤٦) **أي: أنها قضية يجب نحن أن نذكّر أنفسنا بقضية اليوم الآخر بشكل مستمر حتى تصبح المسألة عندك قضية تستشعرها دائماً ، لا يحصل منك حالة نسيان لليوم الآخر. ولهذا يكون هناك أدعية مناسبة، مناسب أن الإنسان يدعو بها دائماً، مما لها علاقة بموضوع الجنة والنار، واليوم الآخر وأشياء من هذه في قنوت الصلاة، وبعد الصلاة، وفي أي لحظة، يتذكر أن يدعوه دعاء ((اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار))، أن يدعوه كلما يحصل عنده رغبة أنه يدعوه ويذكر يدعوه؛ لهذا يجب التركيز في تذكير الناس باليوم الآخر بشكل متكرر، وبشكل يكون مرتبطاً عملياً.**

أعني: عندما ترى بأن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا بموضوع هو يعني نقلة، ولهذا قال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} هنا يبين الأشياء التي تشكل عوناً للنقلة هذه: صبر وصلاة، وخشوع لله من مظاهره: التذكر الدائم لقضية اليوم الآخر{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة:٤٦) **لأن هذا عملياً يجب أن نسلكه مع أنفسنا حتى في مرحلة النقلة هذه، للإستمرار على الحالة هذه، وعندما تذكر الناس الذين تريدهم أن ينتقلوا إلى وضعية كهذه، أن نركز على هذا الجانب، جانب: التذكير باليوم الآخر، الترغيب بالجنة، والترهيب من النار، وربط المسألة عملياً بهذه، أي لا أقوم أعمل لك خطبة فقط أذكر فيها جنة ونار وفقط .**

تجد أسلوب القرآن الكريم هنا يأتي بالجنة والنار، وذكر اليوم الآخر في إطار عملي وهو يوجه إلى شيء ينطلقون فيه، أو يحذر من الوقوع في شيء، فيأتي بحديث عن اليوم الآخر؛ ولهذا بعض الناس تجدهم ليس لديهم نقلة مع أن الخطب السابقة، أليست تركز على موضوع الجنة والنار؟ الخطب السابقة كانوا يتحدثون أيضاً عن مسألة عذاب القبر وأشياء من هذه كثيرة يتحدثون عنها، لكن لم يربط الموضوع عملياً بماذا؟ بقضايا تدفع الناس إلى أن يتحركوا فيها، وتقدم لهم موضوع اليوم الآخر، تكون القضية عندهم أن ينطلقوا في هذا. هو يأتي يعطي حديثاً هناك لوحده عن الجنة والنار! ورد ذكر الجنة والنار تقريباً في القرآن كله في مجال عملي. إذاً فهذا أسلوب يجب أن لا نغفله ويجب أن نعرف كيف نعمل فيه، أي لا يكون حديثك دائماً لا تتعرض فيه لليوم الآخر، ولا للجنة والنار، ولا تذكير بأهوال القيامة، ولا شيء من هذا، ولا أن تقدمه مجرداً عن توجيه عملي .

{يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) **أليس هذا تكريرا من جديد للمسألة؟ لأنها هامة: موضوع القرآن الكريم ليس هناك ما يقال فيه تكرير مثلاً لمجرد التكرير، يكون تكريرا لإعطاء القضية إشعارا بأهميتها، وفي نفس الوقت يكون أيضاً في الموضوع نوع اختلاف عن سابقه، بمعنى: أن إعادة هذا التذكير هام بالنسبة لما سيأتي بعده من حديث كما يأتي أحياناً بتكرير كلمة: اتقوا الله، أحياناً يكررها في داخل الآيات مرتين ثلاث؛ لأنه يأتي بعد{اتقوا الله} كلام يوجه لقضية معينة بعد قضية أخرى يريد أن يوجه بها، أو**

توجيه عملي، أو أن يتركوا، يأتي بكلمة: اتقوا الله، أي: فالتكرير معناه: أن القضية هامة نفسها هذه التي يذكّر بها وفي نفس الوقت هامة في أن يتحدث بما بعدها، مع الحديث عنها، مع التذكير بها .

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:٤٧) **تفضيلهم على العالمين: بمعنى أعطاهم شيئاً هو يعتبر فضلا، أليس الله سبحانه وتعالى يذكر أن النبوة نفسها هي فضل؟ {وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}** (النساء: من الآية١١٣) **هي رحمة {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}** (البقرة: من الآية١٠٥) **فالفضل معناه: أعطوا أشياء، أوتوا الكتاب، الحكم، النبوة، أورثوا الكتاب، أليست هذه تعتبر فضائل أعطوها؟ لكن عادة ـ ويجب أن نفهم هذه القضية دائماً ـ أن هذه الأشياء يترافق معها مسئولية، وليست فقط أوسمة هكذا، أبداً، كلها يترافق معها مسئوليات، ولهذا ترى أنه أعطاهم هذا الفضل لكن عندما فرطوا فيما يعتبر مسئولية مقترنة بهذا الفضل كانت النتيجة سيئة عليهم في الأخير، فوجدنا لعن هؤلاء الذين ذكر أنه فضلهم على العالمين لماذا! فضّله يوم ولعنه ثاني يوم؛ لأن القضية ليست مجردة، ليس تفضيل بحت، إعطاء أشياء هي مسئوليات.**

فأنت يقال أنت حصلت على فضل من هذا كان فضلا فعلاً عليك من الله أن أوكل إليك هذا الموضوع الذي هو يعني: مسئولية أمام الآخرين تتحرك به في الحياة تتحرك به مع الناس تلتزم به أنت، وتعمل بتوجيهاته، بالنسبة للآخرين أعني: ليست المسألة بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنه يأتي يصنف عباده هكذا باعتبار الجنس مجرداً عن أي اعتبارات، هذه لا أعتقد أنها تحصل، كلها قضايا مقترنة بمسئوليات، مهام ومسئوليات، هو فضل كبير عليك أن يكون الله سبحانه وتعالى اختصك بشيء هو يعتبر مسئولية، أليس هو يعتبر فضلا عليك؟ لكن هذا الفضل لن يكون له قيمته بالنسبة لك إلا عندما تتحرك وفق المسئولية المقترنة به؛ لأنه هو في الواقع مسئولية، الفضل اعتبره في كلمة مسئوليات، تتحرك إذا لم تتحرك نسف وفي الأخير يصبح هذا أسوء.

ألم نجد في القرآن الكريم ضرب أمثلة لمن حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار، عندما لم يحملوها ضرب لهم أسوء مثل. عادة قد تكون المسئوليات هذه تترافق بمؤهلات ، هذه المؤهلات نفسها هي تساعدك على القيام بالمسئولية هذه، فإذا لم تقم بالمسئولية هذه، قد تتحول مؤهلاتك إلى شر.

بنوا إسرائيل هم يبدو ولديهم ذكاء باعتبار عندهم نفوس ذكية عندهم خبث، شياطين، مثلما يقول البعض: [فلان شيطان] إذاً هذه كان المفترض أن هذه تسخر في ماذا؟ في النهوض بمسئوليتهم؛ لأنه عادة المسئوليات تحتاج إلى نفسيات كهذه، حتى أنت عندما تختار لمهمة من المهام عندما يأتي رئيس دولة أو أي شخص يريد أن يكلف أشخاصاً بمهام، ألا يحتاج إلى أن ينظر إلى ما لدى هذا الشخص باعتبار نفسيته، ومؤهلاته هل هو سيكلف شخصاً غبياً؟ لا. وإنما سيكلف شخصاً يرى فيه مقومات النهوض بهذه المسئولية. إذا لم يتحرك إذا لم يشغل هذه المؤهلات هذه المقومات التي تعتبر مساعدة على النهوض بالمسئولية إذا لم يشغلها في هذا الإطار، في ماذا؟ في مجال مسئوليته، تتحول إلى شر. الآن خبث بني إسرائيل أليس الناس يصيحون منهم في العالم الآن، وهم قليل لكن عندهم خبث يعرفون كيف يشتغلون كيف يخططون، عندهم الإستمرارية، الجدية هذه .

هذه القضية هي أساساً من الأشياء التي تعتبر ضرورية لمن يعطون مسئوليات، أو لمن يوكل إليهم مسئوليات ومهام، هل أنت يمكن أن توكل مهمة إلى شخص ليس عنده اهتمام ولا هو مستعد في نفسيته، أعني: كسلان لا يبالي أو تريد شخصاً يتحرك فيها؟ إذاً قد تكون اختصاصات من هذا النوع هي كلها معناها: منحة يعطيها الله وكلها مرتبطة بهذا الدور المنوط بهم، مثل العلم نفسه، أليس العلم نفسه هو يعتبر مسئولية؟ لكن عندما تتجرد عن الإهتمام بهذه المسئولية، فيمكن يتحول إلى شر فيمكن أن تحكم أحكاماً باطلة، أليس من الممكن أن يحكم أحكاماً باطلة مقابل فلوس؟ وإذا به أصبح يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وقد صار لديه معرفة كيف يوظف الدين للحصول على ماديات، وقد عنده ذكاء، ذلك الذكاء الذي كان المفروض أنه كيف يوظفه في إصلاح الناس، وفي دعوة الناس إلى الله، وإرشاد الناس إلى الله، وإذا هو قد صار يوظف هذا الذكاء في كيف يستثمر من ورائه.

فالقضية هي على هذا النحو: مؤهلات للنهوض بمسئولية هي أشياء لا بد أن تكون لها قيمة في الواقع، لكن تتعطل قيمتها عندما تترك المسئولية فتتحول إلى شر تحول ذكاؤهم تحولت جديتهم واستمراريتهم هذه الروح

العملية لديهم الروح الحركية لديهم، تحولت إلى ماذا؟ إلى شر، تصبح هي وبالاً كثيراً عليهم، تصبح شراً عليهم هم، ألم يقل في آية سابقة في [سورة البقرة] : {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (البقرة: من الآية٩) في الأخير يصبح ذكاؤهم تصبح روحيتهم الحركية العملية مصدر شر كبير يتضاعف عليهم، بدل ما كان المفروض أن يكون مصدر أجر كبير وفضل يتضاعف لهم .

لهذا عندما نتحدث عن بني إسرائيل، هذه القضية عندما تستعرض القرآن الكريم نلاحظ كيف النظرة إلى بني إسرائيل، معنى هذا أنه يجب أن نكون نحن لدينا هذه النظرة وهي ما تسمى بالنظرة الموضوعية، النظرة الموضوعية التي تبناها القرآن الكريم هي التي لا يجوز للناس أن يتجاوزوها، لا يجوز للناس أن يتجاوزوها أبداً، مثلاً عندما يتحدث عن بني إسرائيل، لا يقدم أن نفس الجنس، ذلك الجنس هو شرير، أنه هل يمكن أن الله يصطفي ويفضل ويعطي مسئولية لجنس هو من حيث هو خبيث أعني: أصل خبيث؟ لا. هذه لا تحصل أبداً هم باعتبار جنسهم من ذرية إبراهيم هم من البشر لكن لِما أصبحوا عليه ولما كانوا عليه من هذا الإنقلاب على ما آتاهم الله سبحانه وتعالى، من التنكر لما آتاهم الله سبحانه وتعالى من الفضل، ولهذا يأتي في القرآن الكريم [بما كانوا ، بما عصوا ، وبما كانوا يعتدون ، وبما كانوا ، لكذا] تكرر هذه. أعتقد هذا قلناه في أول محاضرة في يوم [القدس العالمي] أول محاضرة أنه عندما نتحدث عن بني إسرائيل، عن اليهود، لا يصل بك الحال إلى درجة أنك تعتقد أن هذا جنس من حيث هو، عنصره، نفس هذا العنصر هو خبيث، هذا لا يصح على الإطلاق ؛ لأن الله بين هنا بأنه فضلهم واصطفاهم وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وكانوا ورثة الكتاب وفيهم الحكم وفيهم النبوة، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين .

يجب في تقديسك لله ، وإجلالك لله أن تعرف أن هذا ليس عنصراً خبيثاً، إنما هم خبثوا، أخبثوا أنفسهم هم بما أصبحوا عليه بعصيانهم بتمردهم بعنادهم بشيطنتهم أصبحوا على هذا النحو الذي لعنهم هو، أي: لو تعتبر أنت أن هذا العنصر من أصله عنصراً خبيثاً بدون اعتبار لما أصبحوا عليه، معنى هذا أن الله فضل واصطفى وأعطى مهمة كبيرة أناسا هم على هذا النحو، معنى هذا بأنك أنت لا تنزه الله وأن عقيدتك هذه ونظرتك هذه تؤدي إلى ماذا؟ إلى الحط من قدسية الله وجلاله وعظمته؛ لهذا أحياناً نرى بعض الكتاب يتحدث عنهم كجنس، وهذه غلطة كبيرة يتحدث عنهم كعنصر من حيث هو، هو خبيث من أصله، هذا لا يجوز، هذا لا يصح، وأنت تنظر إلى الله وأنت إنسان تسبح الله وتقدسه وتنزهه، لا. لاحظ القضية كيف هي: هو اصطفاهم آتاهم الكتاب والحكم والنبوة، لكن قال: التزموا بها؛ لأن هذه مسئوليات، إذاً عندما فرطوا فيها أصبح الغضب عليهم شديداً، أنظر هذه النظرة، هو في الأخير لعنهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة، إلعنهم، عندما تلعنهم تعتبرهم ملعونين عندك لما هم عليه، ليس لأن هذا الجنس من حيث هو، هذا العرق من حيث هو أنه خبيث من أصله .

لاحظ الآن أليسوا على ما يقول الناس: [غوصوا العرب في فنجان] والعرب كانوا يستطيعون لو اهتدوا بالقرآن، العرب هم بطبيعتهم عندهم السماحة والحلم والأشياء هذه، واليهود عندهم خطط، عندهم قضايا علمية، تخطيط خبث استمرار، عمل على طول، مستمر على طول، العربي يعمل قليلاً وجلس ملَّ؛ ولهذا القضية بالنسبة للعربي نفسه هو ماذا؟ يستشعر القضية مسئولية، لاحظ هذه القضية أساسية جداً حتى بالنسبة لعملنا أعني لا يساويها في خلق دافع عند الناس الحديث عن مجرد دفاع عن النفس والوطن وأشياء من هذه ركز عند العربي ـ لأن العربي هو بطبيعته عنده قابلية للدين ـ ركز عنده موضوع المسئولية أمام الله مسئولية وراءها عقوبات هنا في الدنيا وفي الآخرة، وبنفس الطريقة السابقة مع ما يترافق مع هذا الحديث من أشياء كثيرة، لكن رسخ المسئولية؛ لأنك أحياناً عندما تقول له: هم سيأخذون كذا وهم سيعملون كذا هذا جانب من الحديث، جانب، لكن لا يكون تركيزك على هذا الجانب باعتبار أنه هو الذي يخلق دفعة عملية لأن ينطلق الناس، أحياناً يكون عندهم [ما في خلة ما في خلة] إلى أن يصل المحتل عندهم ثم [ما في خلة] وقد صار في طرف بلاده ولا يصيح إلا عندما يكونون في بيته قد هم هاجمين على بيته، قد يترافق مع هذا مسألة الدفاع عن النفس، حقيقة، لكن الإنسان بطبيعته والعربي بزيادة ربما يكون عنده إذا قد الشيء غير ملموس لديه وخطورته قائمة ومباشرة فعنده أنه ما يزال غيباً [فكَّة] .

لاحظ الآن كيف وضعيتنا نحن هنا في اليمن وفي السعودية مثلاً نشاهد العراقيين في العراق، ألسنا نشاهدهم في العراق؟ ونشاهد ما يعملونه في العراق إذاً هل تجد للحالة تلك والناس يشاهدونها هنا في وسائل الإعلام، هل تجد أنها خلقت دفعة معينة في محاولة أن يجهزوا أنفسهم يعدون ويحذرون؟ لا. [عندما يأتون من العراق (فكّة)] وصلوا السعودية، عنده ما زالوا في السعودية، وصلوا صنعاء وتعز، عنده هم ما زالوا هناك في صنعاء كما جاء في المسرحية التي قدمها الشباب، هكذا عندهم [ما في خلة والله أعلم متى (وفكّة)] وفكّة هذه لا تعطي دفعة ولكن القرآن الكريم يبني المسألة أن تكون القضية الأساسية التي تخلق عند الناس دافعا، وتستطيع أن تتجاوز هذه الحالة النفسية التي قد تقعد الإنسان، هي التركيز على المسئولية أمام الله، لازم تتحرك أمام أعداء الله.

عندما يقول لك: [ما هو وقت..]، قل له: لا، تعال إلى القرآن تجد أنه كان وقت من قبل أربعمائة سنة، فعلاً، وقت أن يعمل الناس ويحسبوا ألف حساب لأن لا يحصل وضعية كهذه، من قبل أربعمائة سنة، من بداية نهوض [أوربا] أو من بداية اكتشاف [أمريكا]، أليس الناس الآن [مصوتين] من أمريكا، متى اكتشفت أمريكا؟ قبل أربعمائة سنة اكتشفت القارة بكلها، لم تنهض أمريكا إلا متأخرة في الوقت الذي كان المسلمون يحكمون، يحكمون هنا في اليمن [الزيود] أنفسهم، كان معنا دول قائمة قبل أربعمائة سنة، والقرآن يعطي توجيها بالشكل الذي يجعلك تحسب ألف حساب من ذلك الوقت، وأنت ترى مؤشرات النهوض لديهم، يذكر لك هنا ماذا يمكن أن يعملوا فيما إذا تمكنوا.

إذاً، فالمسئولية في القرآن الكريم هي بالشكل الذي تنسف حالة اللامبالاة، أي حالة: [ما في خلّة] وتعطيك عملا، أو تعطيك حركة مسبقة من واقع الشعور بالمسئولية أمام الله، أنك لا تفرط، فيؤاخذك في الدنيا وفي الآخرة على تفريطك. هذا جانب. جانب الترغيب في هذا الموضوع جانب كبير أيضاً جداً، بالثواب من الله، بما يمنح الله الناس عندما يكونون على هذا النحو في الدنيا وفي الآخرة.

{وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٤٨) **إذاً، عرفنا من خلال هذه الآيات إلى الآن فيما تعطيه للناس من توعية في مجال منهج وأسلوب في عملهم أشياء واسعة جداً وأنها أشياء هامة، كنا نقول في موضوع منهج، الذي يسمى منهج دعوة أو منهج حركة أو منهج عمل، هي قضية في القرآن متكاملة مع مختلف الوضعيات، أنت الآن لو تأتي مثلاً أنت تحاول تضع منهج دعوة أو خطة عمل في حركتك تجعلها فقط لوضعية أمامك معينة، القرآن الكريم يعطي منهجاً متكاملاً لمختلف الوضعيات ومختلف الحالات، وأنه في الواقع في مسيرة عمل الناس أنك تلقى أو تصادف في حركتك عدة وضعيات، عدة وضعيات لأشخاص، عدة وضعيات [لِقُبُل] عدة وضعيات لمجتمعات في الزمن الواحد في السنة الواحدة، ما بالك مع تغيرات الزمن نفسه، فيما يخلق من تغيرات في وضعية الناس وفهمهم وتوجههم.**

تجد الكثير ـ مثلاً ـ ممن هم منظّرون لحركات يركزون جداً على موضوع أن يرسموا منهجاً! هذه هي قضية، أنه لا بد لأي مسيرة أن يكون لها منهج، أي حركة يكون لها خطة ومنهج، لكن ليس هناك إلتفات بالشكل المطلوب بالشكل الكامل إلى موضوع أن القرآن الكريم يعطي منهجاً متكاملاً، منهجاً عملياً لمن يدعو لمن يخطب لمن يعلم لمن يتحرك في أي مجال من المجالات، منهجاً متكاملاً. تلاحظ أنه يعطينا منهجاً لا يجعل شيئاً على حساب شيء، في الوقت الذي يعطي أهمية لقضية يذكّر بقضايا أخرى وإن كانت تبدو عادية؛ لأنه عادة في وحدة الدين وتشابك التشريع بعضه ببعض تكون الأشياء التي تبدو عادية لها قيمتها أيضاً في الموضوع، أنت عندما تذكر الناس فأنت لا تقدم فقط قضية واحدة تذكر، أو يكونون مجموعة ناس هم يذكرون ويتحركون في التوجيه يكونون هم مجموعهم أو مجمل عملهم يتضمن الموضوع بشكل كامل، بشكل كامل، بل مناسب جداً أنه يتناول الشخص الواحد أعني: وإن كان مثلاً قد تطغى على ذهنيتنا بعض القضايا يمكن أن تعطي قضية معينة أهمية كبرى وتقدمها ؛لأن هذه القضية ملحوظة في القرآن يعطي أهمية لقضية معينة وفي نفس الوقت يتناول قضايا أخرى مثلاً هي هامة بالإمكان تناولها، فعندما يقول هنا: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} (البقرة:٤٣) **يوجه هناك: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ}** (البقرة: من الآية٤١) **بعد قوله: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}** (البقرة:

من الآية٤٠) يعطيك عنواناً كبيراً، تذكُّر النعم، والإيمان بما أنزل، أليست هذه قضية أساسية وكبيرة: الدعوة إلى الإيمان بما أنزل؟ هم أنفسهم أصحاب ديانة، كيف دياناتهم؟ صلاة وزكاة، في نفس دياناتهم، أنتم عندما تتجهون إلى هذا الدين...؛ ولهذا جاء الخطاب معهم يختلف عن خطاب الكافرين والمشركين هو لا يقول للكافرين: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هؤلاء في دينهم أعني: في الرسالة التي هم مؤمنون بها فيها صلاة وفيها زكاة، يدعوهم إلى شيء هو غير غريب لديهم إنما يعتبر ـ أن يؤدوه في هذا الإطار ـ يعتبر فعلاً إقامة للصلاة وإيتاء للزكاة في محلها، عندما يكونون مؤمنين بالقرآن الكريم، ومتجهون إلى أن يدينوا بهذه الرسالة .

التذكير بالموقف الذي قد يجهل الإنسان أحياناً بأنه... وهذه هي قضية حاصلة: أنه يذكر بشيء ولا يذكر بشيء آخر نهائياً، أعني: متنكر له، ليس معناه: ناسي له، متنكر له! هنا بين له خطأ ما هو عليه، عندما يأتي شخص يقول لك: هو مرشد من طرف معين، هو مرشد ويذهب يعلم وعنده أنه سيذهب إلى منطقة معينة يرشد ويعلم، أليس معناه بأنه يأمر الناس ببر؟ قل له: أنت في نفسك أنت ناسي لبرٍ هامٍ يجب أن تكون عليه أنت وتأمر الناس به، تذكره بقصور عمله، بنفسه هو، في عمله هذا، لا يكون مسترسلاً في موضوعه وعنده أنه صحيح، لا، أحياناً قد يحصل عنده أو قد يزين له من أطراف أخرى بأن هذا هو الموقف الحكيم، يتكلم عن هذه القضايا العادية ولا يتناول القضايا الكبيرة، ولا يتحدث فيها نهائياً [ما هو وقت!] قل له: يا أخي هذا ليس إرشاداً للناس، أنت أول شيء افهم ماذا يعني إرشاد الناس، وإلى ماذا ترشدهم {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية٤٤) أليس هذا يعني فضحا لحالة هم عليها وهي غير طبيعية؟

التذكير باليوم الآخر، ثم يقول أيضاً من جديد: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٤٨) {لا تَجْزِي} لا تغني، أغنى عنه: أجزى عنه، فوقاه بإجزائه العقوبة الكبيرة{لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة: من الآية٤٨) لاحظ في هذا السياق بشكل عام هو يأتي التعبير في بدايته يخاطب أمة، لكن لا ينسى قضية هامة أنه أيضاً يتناول في خطابه التذكير الفردي مثلاً عندما تقول:[أيها الناس] تأتي عبارات من عندك يكون فيها ما يرى كل شخص أنه خطاب يعنيه هو بعدما يقول: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ} (البقرة: من الآية٤٠) يا بني إسرائيل، أليس هذا خطاباً لأمة؟ {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٤٨) أليس هو هنا يوجد عندك استشعارا فرديا تحسب أنت حساب نفسك أنت يوم القيامة؟

{وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة: من الآية٤٨) فقد تكون مثلاً هناك معتقدات معينة فيكون عنده حتى لو فرضنا ونحن مقصرون أو فرضنا ونحن كذا سيحصل شفاعة من كذا أو ربما أعمل شيئاً معيناً ويمكن أن يقيني هذا المؤاخذة يوم القيامة، وبعض المعتقدات سيئة تقعد الناس وتشجعهم على البقاء على حالة هي تعتبر مخالفة لما يريد الله منهم، بمعنى لا ينجي هذه النفس لا ينجيها إلا ما عملته هي: أن تؤمن بالله وبرسوله وتنطلق على أساسه كتابه. {لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة: من الآية٤٨) ماذا بقي؟ لم يبق إلا أن تكون هذه النفس ملتزمة بما أمرها الله أن تؤمن به وتلتزم به وتسير عليه .

يذكر نعمة أخرى هي من النعم الكبيرة: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} (البقرة: من الآية٤٩) {واذكروا} واذكروا هذه النعمة بخصوصها، يأتي أيضاً يعدد النعم بمختلف أنواعها، واذكروا معناه: واذكروا أيضاً{إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} يسومونكم أي باستمرار، مستمرين في ماذا؟ في تعذيبكم أسوء العذاب سوء العذاب: {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} (البقرة: من الآية٤٩) وهذه القضية صعبة جداً يذبحون الأبناء الذكور ويستحيون الإناث يستخدمونها في بيوتهم .

{وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (البقرة: من الآية٤٩) وفي ذلكم، أي هذه النعمة، إنقاذكم، نجاتكم من هذا العذاب الشديد المؤلم يعتبر نعمة عظيمة من الله هي تمثل ماذا؟ ابتلاء لكم أنتم أي أنكم يجب أن تقدروا هذه النعمة وتشكروا الله عليها وتنطلقوا على ماذا؟ على التمسك بكتابه وتسيرون على هديه؛ لأنه عندما تعظم نعمة الله

عليك هي في نفس الوقت تعتبر ابتلاءً لك، أليس نبي الله سليمان قال: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (النمل: من الآية٤٠) لأن كل نعمة تأتي لك تكون حالتك أمامها: إما حالة أن تشكر أو أن تكفر، فعندما تكون النعمة عظيمة يكون الكفر بها سيئا جداً فالنعمة باعتبار، لهذا الإعتبار أنها ما زالت تمثل أيضاً، مطلوب منك في مقابلتها موقف هو: أن تشكر لا أن تكفر، تعتبر عظيمة. {وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (البقرة: من الآية٤٩) ليس معناه مصيبة عظيمة، النجاة من هذه الوضعية السيئة التي كنتم لا تتصورون بأنه يمكن أن تخرجوا منها أو يأتي يوم ترون أنفسكم وأنتم قد نجيتم منها .

{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة:٥٠) نعمة كبيرة جداً هذه ، نعمة نجاتهم من آل فرعون، ثم أن تكون النجاة بهذه الطريقة أيضاً هي نعمة في حد ذاتها أن تكون نجاتهم على هذا النحو: بأن فرق لهم البحر فيجعل من فرق البحر وسيلة لنجاتهم ووسيلة في نفس الوقت لإهلاك أعدائهم وهم ينظرون في الشاطئ الآخر، آل فرعون يدخلون ويصطفق البحر عليهم .

{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} (البقرة: ٥١-٥٢) أليس هذا أيضاً في إطار الحديث عن النعم؟ تقع منكم هذه الخطيئة الكبيرة. {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} (البقرة: من الآية٥٢) أليست هذه نعمة كبيرة من الله أن يعفو عنهم؟ غالباً ما تكون كلمة: [يعفو] تتناول ما يمكن أن يحصل بشكل واسع في الدنيا قبل الآخرة كلمة: [يعفو] {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (المائدة: من الآية١٥) {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ} هناك فرق بين يعفو ويغفر ؛ لأن معناه الآثار أو مجمل أو كل الآثار السيئة التي كان تترتب على خطيئتكم هذه لم يتركها تمشي كلها، عفا عنكم، مثلما قال هناك: {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} .

{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ} (البقرة: من الآية٥٢) بأن تاب عليهم من بعد وعفا عنهم في المؤاخذة ؛ لأن المعصية يؤاخذ الإنسان عليها في الدنيا، وأول مثل يضرب للناس على أن المعصية يحصل مؤاخذة عليها في واقع الحياة خطيئة آدم ألم تكن تلك الخطيئة ترتب على آثارها ماذا؟ شقاء بأن أخرج من الجنة وفاته ذلك النعيم الذي كان مستقراً فيه ومرتاحاً فيه بسبب تلك الخطيئة مع أن الله قد تاب عليه، ألم يتب عليه؟ أحياناً تبقى المعصية تترك آثارها في واقع الحياة أعني: عقوبات معينة فمتى ما حصل عفو من الله سبحانه وتعالى بمعنى أنه لم يترك المسألة تمشي في آثارها إلى النهاية مثلما قال في أهل أحد: {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} (آل عمران: من الآية١٥٢) ألم يقل في أحد؟ {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} يعني بالشكل هذا.

{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} (البقرة: من الآية٥١) موسى ما زال حياً، واعد فقط ليسير إلى مكان معين يتلقى الألواح، التوراة تنزل إليه ويكتبها في الألواح أربعين ليلة فقط يعني: أنها خطيئة هذه تعتبر كبيرة، أول شيء لا يمكن أن تقول أنه مضى عليهم فترة من النبوة حتى نسيوا، أربعين ليلة فقط غاب عنهم ويرتكبون خطيئة كبيرة جداً وهارون ما يزال موجوداً معهم ويرتكبون خطيئة كبيرة جداً، يتخذون إلهاً آخر ويعبدونه عجلاً {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} (البقرة: من الآية٥١) ظالمون في عملكم هذا، ظالمون لأنفسكم .

{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:٥٢) هذا شيء عجيب إذا حاول أحد أن يفهم كيف يمكن هكذا، أن يكون عند الناس حالة نفسية كهذه، أعني بعد النجاة بالطريقة هذه التي تعتبر آية من آيات الله الكبيرة كانوا في وضعية سيئة جداً فأنقذهم الله منها وفرق لهم البحر أمامهم، ينفلق البحر أمامهم، أيضاً القضية هذه تعتبر في حد ذاتها مذهلة ومدهشة في نفس الوقت أكثر من لو مثلاً لم يصلوا إلى الساحل إلا وقد البحر فرقين، وصلوا إلى البحر وهو ما زال كما هو بحر على ما هو عليه، ثم يضرب موسى ثم يرونه ينفلق أليست هذه قضية مدهشة جداً؟

يخرجون من بين البحر وجدوا أناساً يعبدون شجرة أو شيء آخر كانوا يعبدونه {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف: من الآية١٣٨) {قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} إذا أنتم اتخذتم العجل والفارق فقط أربعين ليلة وما يزال هارون موجوداً، وكانت هذه معصية كبيرة جداً، وظلم كبير لأنفسكم، ولكن الله عفا عنكم، جعل

توبة معينة هي كانت توبة فعلاً، توبة قاسية، لكن ليست في الواقع، هي تعتبر أقل بكثير مما كان ربما ينبغي أن يحصل لهم، أن ينـزل عذاباً من السماء يحرقهم أو يخسف بهم الأرض، أو أي شيء من هذا، عندما أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعض فنفذوا المسألة هذه فترة ثم قال يكفي، يعني: قد تاب الله عليهم .

لماذا تحصل الحالة هذه؟ يلحظ واحد كيف أحياناً تكون آثار البقاء في وضعية سيئة أن يسمح الناس لأنفسهم أن يظلوا في وضع سيء جداً، وضع طغيان، وضع يذل النفوس ويقهر النفوس ويحطها ؛ لأنه ينحط في الحالة هذه قيمة الأشياء لديك، تنحط قيمة الأشياء العظيمة لديك، الإنسان هو حالة نفسية، أعني أحياناً يتروض على شيء متى ما اتّضعت نفسك، متى ما انحطت نفسك، تصبح الأشياء الهامة لا تصبح تنظر إليها بالشكل اللائق فتعطيها أهميتها وتقدرها قدرها، أعني: هم عاشوا وضعية صعبة جدا في مصر وصلت أنفسهم إلى حالة انكسار شديدة، حالة رهيبة جداً انحطت معها النفوس، متى ما انحطت النفوس تقدم لها خدمات عالية لا تقدرها بالشكل المطلوب، آيات كبيرة لا تؤثر فيها بالشكل المطلوب، يحصل تأثير لكن عندما يأتي شيء مثلاً مظهر آخر هو من المظهر الأول أحياناً يحن إليه .

أليس البعض ـ مثلاً ـ ممن كانوا قد تعودوا عندما كانت تصل بعض الحالات بالناس أحياناً إلى أنه لم يعودوا يأكلون إلا من [الكَدّة] التي تبقى عالقة على جدران [المدافن] من الداخل التي يسمونها:[الكدة] يأكلها وقد فيها رائحة لم تعد جيدة تأقلم معها بعد سنين متى ما أحد فتح [مدفن] وما يزال فيه منها ما تزال لديه رغبة أن يأتي له [شبْعة] من ذلك الخبز وهو يعرف أنه لم يكن يصل إليه في الحالة السابقة إلا مع ماذا؟ مع صعوبة الحياة لأن ما هناك [قمح] متوفر! هنا قالوا: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: من الآية١٣٨) **ما يزال لديهم رغبة أن يحصل لهم [شبعة] أعني: يتعبدون له مثلما كانوا في مصر! هذه قد تكون أغلبية فيهم الحالة هذه عند خروجهم أعني:عندما قالوا: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}** (الأعراف: من الآية١٣٨) **.**

لهذا تجد هم نفس ذلك الجيل الذي خرج؛ ولهذا نقول: إن الناس عندما يبقون في وضعية، مثلاً يكونون مفرقين ممزقين هذا يؤدي إلى انحطاط النفوس وضعفها، هذا ينتج عنه خسارات كبيرة جداً عند الناس وتطلع الأجيال وتظهر أجيال ضعيفة جداً منحطة نفسياً، هذه تكون جريمة كبيرة، وإذا قد أنت تلمس بأنه هل هذه الوضعية يمكن أن يكون الصبر فيها وتحملها قضية مقبولة، وما تزال تعتبر عبادة عند الله؟ انظر كيف تركت أثرها في بني إسرائيل تلك النفوس التي عاشت وضعية رهيبة جداً وكانت قد أصبحت منحطة ومنكسرة وهزيلة ومعنويات هابطة جداً كيف كان تعاملها مع الآيات الكبيرة ومع النعم الكبيرة، ثم كيف كان موقفهم مع الأعداء أنفسهم الجيل نفسه ذلك الجيل لم يرض أن يدخل القرية، هو الذي لم يرض أن يدخل القرية التي قال موسى، القرية {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} (المائدة: من الآية٢١) **ثم تاهوا سنين حتى ظهر جيل آخر ما يزال عنده لا بأس حيوية نشأ في وضعية هي ليست وضعية قهر وإذلال بالشكل الذي كان حاصلاً في أيام آل فرعون في مصر .**

لهذا دائماً يجب أن نفهم أنه لا تحصل هذه الأشياء بسبب تقصير من جانب أنبياء الله على الإطلاق، هذه القضية يؤكدها القرآن الكريم مثلما قلنا سابقاً يجب أن تفهم أن التبيين من جهة الله يأتي متكاملاً وعلى أرقى مستوى ، الأنبياء الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى للتبيين لعباده يكونون هم عندهم قدرة على مستوى عالي جداً، على التبيين للناس لكن تكون هناك وضعيات وبعض الوضعيات تصبح إلى درجة أنها تشكل عائقاً تماماً عن قبول الدين، مثلما حصل عند قوم نوح ؛ ولهذا عندما يعرض القرآن الكريم أشياء كثيرة تراها هي تشكل عوائق، معناه أن يحذر الناس هم، أعني: يكونون هم مجاهدين أن لا تستحكم وضعية من ذلك النوع لا يسمحون أبداً.

ذكر بالنسبة لقوم نوح أنه كان من الأشياء التي أعاقت فعلاً تلك الأمة زعماء العشائر الذين كانوا متسلطين بشكل كبير وضاغطين على أصحابهم ومصلحتهم ومقاماتهم مرتبطة بأن يبقى أصحابهم على ما هم عليه من الجهالة؛ هذه نرى لها أمثلة هنا في الدنيا كثيرة يمكن يكون عنده:[ذلك نوح نبي وحقيقة لكن والله خائف من ذلك عدو الله وترك] أما هذه فموجودة في بلداننا حتى في اليمن نفسه منطقة مهيمن عليها شيخ سيء لا يجرؤ أحد أن يرفع له رأس، منطقة مهيمن عليها حزب معين هيمنة سيئة أو عضو مجلس نواب، هيمنة من هذا القبيل

لو تحاول تعمل فيه ما تعمل [صحيح وفاهم وصدق لكن أمانة معنا عدو الله هذا لن يجرؤ أحد أن يرفع له رأس ولا أحد يجرؤ يعمل أي شيء أتركنا هكذا وعسى الباري سيرحم]؛ لهذا بقي نوح تسعمائة وخمسين سنة.

هذا كان عائقاً خطيراً جداً، عائقاً رهيباً جداً: قضية الضغط من هذا النوع أحياناً يصل بعض الناس إلى أنه يمكن أنه لا يخاف من أمريكا ولا يخاف من الدولة كما يخاف من الشيخ التابع له، يرى بأنه يمكن أن ينطلق ليس خائفاً من الدولة ولا خائفا من أمريكا كما يخاف من الشيخ نفسه، شيخ مدينته أو منطقته هذه تأتي لها مقدمات وهي: أن الناس المؤمنين يجب أن يكونوا يقظين لا يسمحون بوضعية من هذا القبيل أبداً؛ لأن معناها تصل إلى أن تخلق عوائق كبيرة تحتاج من هؤلاء الناس... هنا الإسلام وضع حلاً آخر، وضعية كهذه يجب عليك أن تخرج ليس باستطاعتك أن تعمل شيئاً وستبقى منحطاً هكذا اترك لا تدرِّس هنا ولا تعمل شيئاً هنا، اخرج، يخرجون ويتركون البلاد لذلك الشخص، هناك يستطيعون أن ينشئوا ويحسوا بحرية يحسوا بمتنفس يتقبلون فيه؛ لأنه في الأخير يصبح في الذهنية سقف تأتي تضرب برأسك فيه كلما أردت أن تقوم، يراه فوقه لا يستطيع أنه يتحرك ، هذه لا تعتبر مبرر: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} (النساء: من الآية٩٧) متى ما رأى نفسه في وضعية كهذه تماماً ولم يعد يستطيع أن يعمل شيئاً يخرج هو.

عندما تدرس أناساً في وضعية كهذه افهم بأنك في الغالب لا تتمكن أن تقدم الدين إلا منقوصاً تفصله بالشكل الذي لا يزعل الشيخ، بالشكل الذي لا يغضب عليك الشيخ، ويتقبلونه منك، وأنت تخطب وأنت تعلم بالشكل الذي لا يزعل منه [الشيخ]، هنا كيف يكون هناك دين بالشكل الذي لا يزعل الشيخ تقدم نسبة بسيطة جداً، والباقي سكتة منها، وضعية كهذه يعني: أمة أو ناس، مجتمع في وضعية كهذه، ربما الدنيا تتحرر من عندهم ويكونون آخر من يكون له موقف أو يخرج من وضعية كهذه، هذا شيء رهيب.. هنا نفس هذه الحالة حالة الإستضعاف التي كانوا فيها تركت أثرها في النفوس، أعني: بعدما خرجوا من البحر ورأوا الآية الكبيرة يريدون إلهاً كما لهم آلهة يغيب عنهم أربعين يوماً وإذا هم يتخذون عجلاً، ما هؤلاء الناس؟! هؤلاء الناس نفسياتهم ليست نفسيات كبيرة تقدر الأشياء، عادة الإنسان المنحط لا يكون للأشياء قيمة عند نفسيته المنحطة الضعيفة الهزيلة المقهورة؛ لأنه ليس لنفسه قيمة عنده لا يرى له هو قيمة عند نفسه، ولا لنفسه قيمة عنده، في نفس الوقت ما هو الشيء الذي يمكن أن يجعل له قيمة وإذا هذه الأشياء لم تترك أثراً في أنفسهم بحيث أنه لا يقعون في شيء يعتبر كفراً بتلك النعمة، يعتبر ماذا؟ يوحي وكأن تلك النعمة لا قيمة لها لديهم، انطلقوا يعبدون لهم عجلاً وموسى لم يغب عنهم إلا أربعين ليلة!.

تلاحظ هذه الأشياء مثلما قلنا في موضوع الملائكة سابقاً الله ذكر عن الملائكة عندما قال: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٣٠) عندما جاءت من عندهم حاجة تبدو غير لائقة بالنسبة لمقامهم وغير لائقة أيضاً مع الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى هو رحيم، هؤلاء أنفسهم ما يزالون في وضعية وعادة عندما يكون مجتمع في وضعية هي حالة نفسية لا تستطيع أنك تنقلهم في يوم وليلة تماماً، تأتي تساير الأشياء قليلاً قليلاً، قليلاً قليلاً معهم، أليست هذه جريمة كبيرة جداً أن يعبدوا العجل عندما غاب عنهم؟! لاحظ موسى عندما رجع، ألم يغضب جداً؟ انفعل جداً وغضب جداً، الله سبحانه وتعالى هو رحيم، ويعلم بواقع عباده كيف تترك الأشياء آثاراً سيئة.

معنى هذا أنت أيضاً في عملك عندما تكون أنت تعمل يجب أن تلحظ وضعيات الناس بشكل عام لا يكن خطابك مرهقاً وتريد من الناس نقلة في يوم وليلة من حالة إلى حالة راقية تريد من الناس في حالة منحطة ولو نسبياً، يصبحون إلى نفسيات مالك الأشتر وعمار بن ياسر وأمثالهم ، أي أن هذه فكرة قائمة أنك تراعي التنقل بالناس وأن تعرف أن الدين نفسه في موضوع نصره وإعلاء كلمته يتقبل ، أعني: ممكن أنت تشغل هذه الفئة وهذه الفئة وهذه الفئة وكل ناس تقدر وضعيتهم، ليس معناه تؤقلم الدين معهم، يوجد فارق كبير بين هذا وبين التأقلم، ليس معناه تؤقلم الدين مع مصلحتك، اعرف وضعيتك العامة، الوضعية العامة تخلق نفسيات تخلق حالة نفسية في أن تنتقل بالناس قليلاً قليلاً تربوياً وتوجه من هذه أنك تعرض عليهم كيف ينبغي أن يكونوا، هذه واحدة، ليس معناه أنك ستسكت لا تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا أن تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا لكن في

مجال عملي لا ترهقهم بالشكل الذي قد لا يصلون إليه، قليلاً قليلاً، تنتقل معهم قليلاً قليلاً في حالة، الحالات تختلف أعني: وضعية الناس، وضعية القبل، وضعية الشعوب، وضعية، أعني أيضاً القضايا التي تقدمها تختلف منها ما تحتاج إلى أن تكون على هذا النحو بنسبة كبيرة ومنها ما يمكن أن تكون عادية ينطلقون فيها.

بعض الناس مثلاً قد يذهب إلى منطقة ويرى أهلها لم يرضوا يسمعوا ولم يرضوا يتحولوا تماماً بسرعة إلى ملائكة إلى نوعيات عالية، يوجد عدة اعتبارات، أنت لا تيئس معهم لاحظ موسى نفسه، كيف عمل موسى، أليس هو عندما رفضوا أن يدخلوا القرية تلك وبعد موضوع العجل هذا وجههم إلى أن يتوبوا توبة، هي كانت توبة تظهر ندماً كبيراً، وفي نفس الوقت عندما قال ادخلوا المدينة لم يرضوا يدخلوا المدينة أو القرية، التي كتب الله لكم، ثم كتب الله عليهم أن يتيهوا، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم أعني هو يعرف نفسيات أصحابه هم نفس الجيل الذي خرج مثلما يقولون، فعلاً أنه نفس الجيل الذي خرج من مصر ما زالوا هم هؤلاء نفس الجيل هذا لو لم يكن إلا على أقل تقدير يفرح بالجيل الذي سيصعد منهم يكون هذا الجيل على أقل تقدير ما يكون بالشكل الذي يثبط الجيل الذي ينهض، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم هو في التيه في صحراء سيناء ومات هناك ، قالوا موسى معهم لم يظهر أنه قال يذهبون وهو جلس. لا.

ماذا يعني هذا، هل معناه التأقلم مع فاسقين؟ مع أن الله قال أنهم فاسقين {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}(المائدة:٢٦) هذا موسى ذهب معهم وجلس هناك {فاسقين} خارجين عن الطريقة نفس الإعتبارات قليلاً قليلاً، ليحاول معهم يحاول معهم في بقائهم في التيه فترة طويلة عسى أن لو لم يكن إلا أن يصبحوا أرضية على أقل تقدير قابلة لجيل ينهض متكامل أو على مستوى جيد.

{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(البقرة:٥٢) أي تستشعرون النعمة كبيرة وأن هذه كانت خطيئة كبيرة وتقدرون من خلال ما عمل الله معكم فيها أنه عفا عنكم لتشكروه {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣) لاحظ أليس هو يُنوّع الحديث عن النعم، نعم مادية ونعم معنوية نعم هداية {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣) الكتاب الذي هو نفسه فرقان، وهذا الشخص نفسه الذي هو بقيادته وتدبيره شخص مثلما قال الله: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً}(الأنفال: من الآية٢٩) أعني: هو إنسان مهتدي يسير بكم سيرة هي على هذا النحو، فرقان بين الحق والباطل والخطأ والصواب {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} وهذه نعمة عليهم كبيرة، لتهتدوا.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(البقرة:٥٤) لاحظ هنا منطق موسى في الحالة هذه، موسى ألم ينفعل جداً؟ وألقى الألواح وأخذ بلحية أخيه يجره إليه، انفعل من حالة فعلاً رهيبة جداً لا يدري ـ وهو كان يدعو فرعون يوحد ـ وإذا بأصحابه قد هم يعبدون عجلاً، هذا موقف رهيب جداً، لكن هو رجع إلى ماذا؟ إلى الوضع الطبيعي وإلى تقدير الحالة، لاحظ كيف خطابه هنا: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ}(البقرة: من الآية٥٤) أليس هنا يذكرهم بالخطيئة؟ {بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ}(البقرة: من الآية٥٤).

أليست هذه عبارات بعيدة عن قضية الإنفعال السابق ذلك؟ هم أناس والإنسان يحتاج إلى أن تسير معه في هدايته بطريقة لا تكون أنت قاسياً دائماً، الإنفعال هناك لهول الموقف ثم تعامل بواقعية مع الموضوع، أعني: مع الناس أنفسهم .

{إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ}(البقرة: من الآية٥٤) باتخاذكم العجل إلهاً {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(البقرة: من الآية٥٤).

لاحظ هنا هم يتقبلون، يغلطون غلطات كبيرة وقال لهم ورجعوا وغلطوا، وناس يرجعون وناس لا يرجعون، هذه التوبة، هم انطلقوا فيها كما يقول المفسرون فعلاً انطلقوا فيها وقتل منهم عدد كبير في نفس الوقت الله أعلم كم هي قد يكونون يبالغون في الأرقام عندما يقول بعضهم: سبعين ألفا أو عددا.. لا أدري كم قتل منهم، انطلقوا في

الموضوع وقتل بعضهم بعض فترة ثم تاب الله عليهم {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٥٤) **أليس هنا يذكر بنعمة؟ من النعمة أن يكون هذا النبي على هذا النحو: أن يخاطبهم بهذا الأسلوب الذي يقدر واقعهم النفسي، مثلاً عندما يأتي هنا بقوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى}** (البقرة: من الآية٥٤) **هو تذكير بنعمة في نفس الوقت أعني: أنه نفس هذا النبي على الرغم مما حصل منكم كيف كان أسلوبه معكم لطيف! يوجهكم توجيه العارف للحالة التي أنتم فيها، ويحاول أن ينتقل بكم إلى الأفضل والأحسن.**

هل موسى حاول يفلتهم ويذهب بعد القضية؟ هذه قضية كبيرة [أعداء الله مجرمين ما يصلحوا و..و..] وذهب؟ لا. عنده رؤية وفاهم هو أي: هي قضية أساسية: أن تفهم بأن الناس والملائكة والجن ـ مثلما قلنا بالأمس ـ الكل يحتاج إلى هداية الله، الهداية عادة تأتي على هذا النحو: القضية مسيرة ليست جرعة يمكن أن تعطي لواحد ملعقة وأصبح على مستوى عالي، هي تأتي في المسيرة قليلاً، قليلاً، فعندما تكون مثلاً أنت تنتقل بالناس من وضعية إلى وضعية أخرى تريدها يجب أن تقدر الوضعية السابقة كيف يمكن أن تكون آثارها في النفوس، موسى يعرف الوضعية السابقة التي كانوا فيها في مصر كيف كانت رهيبة جداً وكيف عادة وطبيعياً أن يكون تأثيرها في النفوس، النفوس لا تستطيع تقلبها في يوم وليلة تحاول تعمل مع الناس، وشجع الناس أن يكونوا هكذا وتهدي وترشد بطريقة مستمرة.

يذكر بأن هذه في نفسها {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} (البقرة: من الآية٥٤) **أنه هكذا خاطبكم هناك بيّن لكم كيف تتوبون والتوبة هذه أليست تبدو قاسية؟ ليست قاسية مقارنة مع ما عملوا فيما كان ينبغي أن يحصل عليهم؛ ولهذا قال هناك سابقاً: {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ}** (البقرة: من الآية٥٢) **ألم يذكر موضوع العجل هنا مرتين؟: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}** (البقرة: ٥١-٥٢) **عفا عن المؤاخذة التي كان المفروض ربما كان الشيء الذي يمكن أن يحصل هو نار تأخذهم مثلما يحصل للأمم؛ لأن وضعهم سيء جداً يعني: أشبه شيء بأمة من الأمم السابقة التي يأتي إليها نبي فتصرُّ على ما هي عليه فيصل الحال إلى أن تضرب نهائياً، التوبة هذه أن يقتلوا بعضهم بعض هي تعتبر أخف بكثير أعني: هي في إطار موضوع العفو مقارنة بما كانوا يستحقون أن يحصل عليهم لولا عفو الله {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ}** (البقرة: من الآية٥٤) **ليس معناها فئة تقتل فئة، كل واحد من عنده يقتتلون، معناه: أن الموضوع لا يبقى فيها حتى ولا اثنين، اقتتلوا، اقتتلوا مثلاً فترة محدودة أو لحظة أو ساعة أو كم، لا أدري بالتحديد، ثم تاب الله عليهم، قالوا: إن موسى دعا الله ورجع إلى الله فتاب عليهم {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** (البقرة: من الآية٥٤).

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} (البقرة: من الآية٥٥) **إذاً: هذا نفسه أليس مطلباً من المطالب القلب؟ مطالب متعنتين مطالب جهلة، جهلة {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}** (البقرة: من الآية٥٥) **قد نسيوا موضوع ماذا؟ {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}** (البقرة: من الآية٥٠) **هل ما يزال هناك آية مثل تلك كبيرة جداً؟ لاحظ كيف موضوع: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}** (البقرة: من الآية٤٠) **التذكير بالنعم هام جداً، وإلا فسوف تأتي أشياء في الأخير هي ناتجة عن نسيان تلك النعمة، لماذا هم ما زالوا يحاولون {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ}** (البقرة: من الآية٥٥) **؟ هل هم يريدون أعظم من تلك الآية حتى يطلبوا آية؟ هم قد نسيوا تلك الآية يريدون تذكيراً مستمراً، مستمراً، ثم أحياناً حالة الناس أحياناً قد يكون حالة أمة من الأمم أو فئة من الناس تتطلب تذكيراً مستمراً، مستمراً، أعني: تقريباً يومياً أكثر من حالات أمم أخرى.**

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:٥٥-٥٦) **أليس هو هنا يذكّر بنعمة أيضاً؟ {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** (البقرة:٥٧) **هذه نعم مادية أخرى وهم في حالة التيه، تلك الفترة الطويلة في التيه {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}** (البقرة: من الآية٥٧)

{الْمَنَّ}: شيء يشبه الحلاوى ينـزل عليهم بكميات كثيرة،{وَالسَّلْوَى} يقولون: طائر يتوفر يصطادونه ويأكلونه. {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (البقرة: من الآية٥٧) .

{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (البقرة: ٥٨ـ٥٩) القرية كأنها نفسها القرية التي قال لهم يدخلونها بالطريقة التي ذكرها في آية أخرى {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} (المائدة: من الآية٢٣) يعني: دخول اقتحام وقتال مواجهة، تراجعوا عن الموضوع هنا.

ثم قضية: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة: من الآية٥٨) هذا من موضوع النعم تجدها نعم متتابعة، المسيرة كلها إلى درجة ما قبل مرحلة استحقاق عذاب معين أيضاً، يقدم حالة هي سهلة لينطلقوا فيها يغفر لهم الخطيئات كلها ويزيد المحسنين من عنده بفضله ورحمته، قضية سهلة جداً، لم يتجهوا إليها، ما هو جانب النعمة في هذا، تقديم هذا هو نعمة في حد ذاته، تقديم الشيء السهل الذي يشكل لو انطلقوا فيه أنه يحول المرحلة بالنسبة لهم يغفر الخطيئات، والعقوبة إنما تأتي ماذا؟ بسبب الخطيئات المتتالية المتعاقبة .

قد يكون أيضاً في هذه لتخصيص العقوبة لأن فيها جانب {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ} (البقرة: من الآية٥٩) الذين ظلموا تخصيص أيضاً تأتي العقوبة شاملة. عندما نجد هنا تعداد النعم، النعم التي يجب على الإنسان أن يذكرها يتذكرها باستمرار تجدها نعمة هداية، نعم متعددة، نعم كثيرة، وكلها ذات قيمة وتذكرها مهم جداً.

{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (البقرة:٦٠) هذه نعمة كبيرة لأنه حجر حتى قالوا أنه كان يمكن ينقلونها معهم في مرحلة التيه، كان يمكن ينقلونها معهم وينفجر منها اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط من الأسباط عين؛ ليشربوا منها ويستغلونها، وليست عيناً واحدة بحيث يزدحمون عليها، هم اثنا عشر سبطاً ولكل سبط عين {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ} (البقرة: من الآية٦٠) أليست هذه نفسها أن تكون النعمة بالشكل الذي تتوفر وليست بالشكل الذي يزدحمون عليها ويختلفون عليها ويتضاربون عليها؟.

{كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٦٠) هناك مَنّ وسلوى وماء من حجر ينبع منها اثنا عشر عيناً {وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} (البقرة: من الآية٦٠ـ٦١) لاحظ الإهتمامات الكبيرة! هذه النفوس المنحطة تكون هكذا التي مثلاً عاشت وضعية يصبح مثلما قال الإمام علي عندما قال بأنه لن يكون كالبهيمة همها تقممها أليست تشبه هذه؟ الأشياء الكبيرة والنعم الكبيرة والمواقف الهامة والآيات العجيبة ليست في البال، يريدون بصل وكراث وعدس وأشياء من هذه، أعني اهتمامات هي تعتبر اهتمامات خاصة هي طبيعية لكن في أجواء معينة.

ثم إذا كانت اهتمامات وهي في نفس الوقت توحي بأنها اهتمامات لناس هم ناسين لأشياء كبيرة جداً، نعم كبيرة جداً يجب أن يكونوا مهتمين بتذكرها، مواقف كبيرة يجب أن يكونوا مهتمين بها، مسئولية يجب أن يكونوا مهتمين بها، فهذه الأشياء ليست ذات قيمة عندهم، لكن البصل والعدس والكراث والفول والقثاء وأشياء من هذه منحطة{لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} (البقرة: من الآية٦١) مع أنه قال لهم: ادخلوا المدينة ألم يقل لهم ادخلوا من أول فكلوا منها حيث شئتم رغداً؟ قالوا: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا} (المائدة: من الآية٢٤) لن ندخلها، لسنا مستعدين أن ندخلها أبداً، كان هنا يمكن يدخلونها يعتزون في نفس الوقت، أعداءهم يضربونهم وينهونهم، وفي نفس الوقت يأكلون رغداً كما قال: {فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً} (البقرة: من الآية٥٨) يعني: أنها أرض خصبة في نفس الوقت.

وصلوا هناك فقالوا في الأخير: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}(البقرة: من الآية٦١) مثلما قالوا: {لَنْ نَدْخُلَهَا} سابقاً، كان المفروض أن يكون عندكم اهتمام بالقضية التي يمكن أن توفر لكم أشياء كثيرة منها أن تأكلوا حيث شئتم رغداً، أعني: أصبحت القضية الكبيرة عندهم هي هذه والتي كانت محط اهتمام عندهم قالوا أبداً لن نصبر على طعام واحد! أي كم قد مضى من الوقت ونحن بدون بصل وكراث وحبحب وأشياء من هذه .

لماذا قالوا في مصر: {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}(الأعراف: من الآية١٢٩) ؟ لم يعد هناك لن ، لن هذه لها مواضع لن نصبر على هذه الحالة السيئة، لن نصبر على هذه الوضعية، القهر والإذلال ، ألم يكن لن محلها في مصر كان المفروض أن يقولوا: لن نتراجع عن دخول هذه القرية وإن كانوا عمالقة وإن كانوا كيفما كانوا، جاءت لن الموقف الصارم أمام البصل!!

نأخذ نحن منها دروس من هذه؛ لأنها عبرة كلها لنا لأن بني إسرائيل هم نموذج لنا؛ لأنهم مروا بحالة قد تكون متكاملة تعطي دروسا وافية هكذا قد يصل الناس، أحياناً قد تراهم متحمسين ولا يرضون أن يتقابضوا أمام قضية بسيطة [أبداً أما هذه فلسنا مستعدين أن نتراجع عنها] .

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}(البقرة: من الآية٦١) قد لا يكون معناها أنهم ينتقلون ويبدو أنهم لم ينتقلوا مثلما تقول: انزلوا أو [سوِّقوا] أو سافروا مناطق أخرى{مِصْراً} : يعني أرض فيها ناس، وعندهم الأشياء هذه، ما كأنها مصر نفس البلد المعروف يقولون: أن مصراً معناه أيَّ مصر، والمصر البلد الذي فيه مجتمع يعيش وعندهم الأشياء هذه يختلف عن البدو .

{فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ} (البقرة: من الآية٦١) مجمل الأشياء هذه التي حصلت منهم، أي أنهم ليسوا متذكرين النعمة التي هم فيها، يتذكرون كيف أنها نعم من ذلك النوع الذي ليس طبيعياً ؛ ولهذا يقول: {نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}(البقرة: من الآية٤٠) حجر ينبع منها اثنا عشر عيناً، منٌّ ينزل عليهم كل يوم ويظللون بالغمام، طائر السلوى يتوفر لهم بكميات كبيرة، أليست هذه أشياء غريبة؟ أي هي كانت بالشكل الذي يجب أن يقدروها ويكونوا في نفس الوقت شاكرين لله ومتذكرين إحسان الله إليهم فيكونون منشدين إلى الله؛ لأن من قيمة النعم هذه أنها تشدك إلى الله .

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}(البقرة: من الآية٦١) . هنا عندما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ما كأنه باعتبار هذا الموقف الواحد هذه الحالة الواحدة قضية {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}(البقرة: من الآية٦١)} يعدد أشياء وقد لا يكون تعدادها مثلاً مبني على ترتيب تاريخي معين قد يكون مثلاً هذا الترتيب فيما يتعلق بواقع النعم ترتيبها باعتبار آخر وليس باعتبار ترتيب تاريخي، في الأخير كانوا على هذا النحو فضربت عليهم الذلة والمسكنة .

إذاً تجد كيف تكون أحياناً جنس العقوبة كأن مجمل تلك النعم هي أخرجتهم من ماذا؟ من وضعية ذلة ومسكنة ألم تخرجهم من هذه الوضعية وضعية آل فرعون؟ أن أنجاهم من آل فرعون، أعني يكون لديهم وضعية أخرى أمة تكون قوية وعزيزة وأمة متمكنة ومستقرة ليست مستعمرة ولا مستعبدة ولا مضطهدة لكن لم يكن لها قيمة لديهم فرض عليهم عقوبة من نفس النوعية التي كانت سابقاً في واقعها أو في أثرها النفسي{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ}(البقرة: من الآية٦١)} ألم يكونوا يعيشون حالة ذلة ومسكنة في مصر في ظل آل فرعون؟ في القرآن الكريم يوجد عدة مؤشرات بأنه أحياناً ـ وهذه قضية خطيرة ـ أحياناً قد تكون العقوبة من نوعية الشيء الذي أنت كنت متضايقاً منه أو كنت تخاف منه أو كنت تكرهه فيعرض عليك ما يعتبر نقلة منه، تجد في القرآن الكريم عندما ذكر أناساً: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا}(البقرة: من الآية٢٤٣) تجد أيضاً بالنسبة للمتخلفين كيف أنهم أحياناً عندما يكونون هم متخلفين أي: أنهم خائفون على أنفسهم

لا يريدون أن يصلوا إلى موقف قد يموتون، محافظين على أعمارهم على حياتهم، أنه قد تكون القضية بالنسبة لهم أن تقصف أعمارهم {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب:١٦) هنا كانوا في وضعية سيئة وضعية ذلة ومسكنة عرض عليهم نعم كثيرة ومواقف كبيرة جداً تبناها موسى هي تعتبر كان جزءا رئيسيا من رسالته، من مهمته، ألم يقل لفرعون: {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} (الشعراء:١٧)؟ جزء رئيسي أو مهمة رئيسية من مهام رسالته، لم يكن لهذه الأشياء قيمة عندهم يؤدي إلى ماذا؟ فيأتي بعقوبة عليهم من نفس تلك العقوبة السيئة، أي تلك الحالة السيئة التي كانوا فيها في أثرها النفسي، ذلة ومسكنة .

{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٦١) أعني: هي تتصورها مسيرة، مسيرة كان يمكن أنها ستأتي نتيجتها في الأخير عزة ورفعة وتمكين ورضوان من الله سبحانه وتعالى ، هم تراجعوا، تراجع ، ألم يكن هنا تراجع، رجعوا بغضب من الله لا أحد يتصور هنا أنهم رجعوا من مكان إلى مكان ، كلمة: {باءوا} قد يكون معناها: عادوا أو رجعوا لا يسمى رجعوا من هذا المكان إلى هذا المكان بغضب، تصورها مسيرة معينة هي كانت ستصل إلى نتائج إيجابية وهامة، تراجعوا، أليس التراجع تتصور له مسافة كذا؟، رجعوا رجوعاً وهم متلبسون بغضب من الله.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٦١) نعمه التي هي في نفس الوقت آيات، آياته التي هي في نفس الوقت نعم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (البقرة: من الآية٦١) ما هناك أي مبرر حتى ماذا نسميه؟ لو لم يكن صحيحاً، مبرر دعائي، أعني: مبرر مقبول دعائياً، إنما هكذا باطل، باطل ليس معه حتى أي مبرر يكون مقبولاً حتى عند البسطاء من الناس ، أليس من الممكن أحياناً يأتي تضليل مقبول نوعاً ما باعتبار حالة معينة أو يقدم بشكل معين أو دعاية مقبولة نوعاً ما لو كانت باطلاً؟ أما هنا فلا يوجد أي مبرر على الإطلاق، ليس معناه أنه يمكن أن يكون هناك قتل نبي بحق، ما هناك نبي سيقتل بحق إلا أن معناه أنه يبين لك كيف وصلوا هم في أن هذه الأشياء ما لها قيمة عندهم ، النعم هذه والآيات هذه والأنبياء الذين هم منهم يقودونهم إلى ما فيه شرف ورفعة لهم وأنبياء يعلمون أنهم أنبياء من عند الله، وليس أنهم مكذبون ؛ لأنهم لم يعرفوا أنه نبي، قد عرفوا أنه نبي، ويتآمرون عليه ويقتلونه .

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) أحياناً قد تأتي الحالات هذه نتيجة عصيان متكرر وعصيان لا يأتي معه نهي عنه. جاء في آيات أخرى بأنهم ما كانوا يتناهون عن منكر فعلوه، المعاصي عندما تتابع على مختلف أنواعها فأحياناً قد تصل بمجتمع معين أو فئة إلى حالات من هذه: ارتكاب معاصي كبيرة بجرأة ، لم يعد هذا المجتمع يتحاشى من شيء {كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ} (المائدة: من الآية٧٩) مثلما قال في آية أخرى بلغ الحال إلى أن أصبحوا هكذا: {يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (البقرة: من الآية٦١) .

هذه القضية حقيقية أنه قد يكون أحيانا إذا هناك مجتمع يكون الناس فيه يمارسون المعاصي بمختلف أنواعها ولا هناك نهي ولا استنكار تأتي قضية هي كبيرة من الكبائر قد ينطلقون فيها، تلك الفئة بدون مبالاة وبدون خوف وبدون خوف من أنه قد يكون هذا الشيء قد يثير الناس أو قد يؤدي إلى استنكار الناس ، لا، قد هم متعودين؛ لأنه مجتمع يعمل واحد ما يريد لا أحد يستنكر عليه ولا أحد سيقول له شيئاً، تكون أشياء أو تكون حالة قد تكون هذه في المجتمع ترشحه لأن يعمل جرائم كبيرة من هذا النوع بغير حق.

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) الإعتداء: التجاوز، إعتداء تجاوز متعمد عن علم بهدي الله لحدود الله لأوامر الله ونواهيه .

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٦٢) أن تأتي هذه الآية بعد الكلام المتكرر عن فئة من الناس حتى أنه تبدو القضية وكأنه موقف شخصي، حتى لا يحصل هذا الشعور وكأنه موقف شخصي من هذا الجنس، لا. {ذَلِكَ

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) وإلا فالقضية في أصلها وواقعها: أن القضية ليست قومية ولا مواقف من فئات لكونها الفئة الفلانية أو اسمها كذا، لا.

موضوع رحمة الله مفتوح {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) من اتجه هذا الإتجاه سواء كان أصله من الذين هادوا أو من النصارى أو من الصابئين أو من أي فئة كان {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} ماذا نفهم من الآية هذه في خلاصتها؟ أن تعرف أن هذا الحديث ما كأنه حديث عن جنس من البشر يكونون هكذا كموقف شخصي منهم بل هم لو استقاموا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هذه الحالة هامة جداً بالنسبة للمؤمنين قضية هامة جداً، أحياناً عندما تتحول القضية عندك إلى شخصية يكون لها آثار سلبية في موقفك، آثار سلبية في قراراتك فعلاً .

هناك عبارة جميلة رأيتها في [فيلم] ولم أرها لحد الآن في أي مصدر من المصادر عن مالك الأشتر قال: [إن علياً علمني كيف أقاتل العدو دون أن أحقد عليه] أليست هكذا العبارة؟ أي المجال بالشكل الذي أنت موقفك من الآخر ليس موقفاً شخصياً بما تعنيه الكلمة؛ إنما لما هو عليه.

عندما تكون على هذا النحو وأنت أيضاً تحمل في نفس الوقت حرصاً على أن يهتدي معناه هنا أن الموضوع عندك مقبول بأنه يتحول، إذا أصبحت القضية عندك موقفاً شخصياً تأتي أحياناً ولو قد أراد أن يتحول أن تصده تصبح أنت تعمل عكس ما أنت تتحرك فيه تصبح صادّا عن سبيل الله عندما تنطلق انطلاقة شخصية؛ ولهذا ترى من الأشياء العجيبة في مسيرة أنبياء الله كيف كانت، كيف كان يقول لهم قومهم أنه لازم يعودون في ملتهم يرجعون معهم! يقولون: لا يمكن أبداً، إلا أن يشاء الله، أليسوا يقولون العبارة هذه؟ يعني: أنا ممكن أعود في هذا لكن بالشكل الذي يشاء الله... ليس معناه موقفاً شخصياً منها موقفاً شخصياً، لا، القضية هكذا: المسألة الله لا يريد أبداً لو شاء هو ممكن أدخل معكم في هذا، هذا أيضاً يعطي جاذبية بالنسبة للطرف الآخر.

الموقف الشخصي أحياناً تتبنى مواقف شخصية بحتة تتحول المسألة إلى صراع شخصي لم يعد صراعا من أجل دين الله من أجل ما ذلك الشخص، الطرف عليه، هنا يقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} (البقرة: من الآية٦٢) أليس هنا يسردهم في مقام واحد هؤلاء الذين قد أصبحوا محسوبين على هذا الدين يعني ماذا؟ يؤمنون بالله وبرسوله وبالقرآن قد أصبحوا هكذا، {وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) ليس معناها مع ماذا؟ مع كفره بالقرآن وكفره بالرسول؛ لأن هذه لا تتأتى أي هي لا تحصل، ما هي حاصل عندما تفهم ماذا يعني الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر الإيمان بالله ما هو؛ لأن الإيمان بالله ليس مجرد عقيدة فقط الإيمان بالله ليس فقط مجرد عقيدة، من إيمانك بالله أن تؤمن بأنه هو إلهك وملكك وربك أنك عبد له تسلم نفسك له تطيعه هو يريد منك أن تكون كذا، هذا الإيمان.

أما نفس إيمان بالله كإله هو حاصل عندهم من قبل، الإيمان بالله كإله حاصل عندهم وعند المشركين الإيمان بالله إله وربا هكذا مجرد اعتقاد معين، لكن، لا. ترى كيف الإيمان بالله يأتي في القرآن الكريم وكلها عملية، أن أكون مؤمناً بالله مقتضى إيماني بالله أن أكون مسلماً له بمعنى أني مؤمن بأنه إلهي وربي وملكي وسيدي، في نفس الوقت أسلم لأمره وهذا هو ماذا؟ الإيمان الصحيح والإيمان الذي لا يقبل إلا هو، هذا الإيمان .

عندما يقول: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) هل يمكن تتصور إلى أن معناها لم أعد بحاجة أن أؤمن بمحمد ولا أؤمن بالقرآن؟ في أول الآيات هو قال: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) ألم يقل لهم هكذا؟ ليس معناه بأن الله سبحانه وتعالى هو يريد إذا قد اليهودي يعمل أعمالاً صالحة والنصراني يعمل أعمالاً صالحة والمجوسي والصابئي ، أهم شيء أن يكون الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع ، لا. بعضهم يقولون هكذا: [المطلوب فقط هو أن تكون أنت عضواً صالحاً في المجتمع اليهودي يهودي والنصراني نصراني من عمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟] لا. ليست القضية بهذا الشكل ولا يصح أن تفهمها بالشكل هذا وأنت تجد الآيات الكثيرة والخطاب الموجه لهم هم في [سورة البقرة] و[سورة آل عمران] وفي [سورة النساء] يؤمنون هم بما

أنزل{وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) {وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) كيف قدم الإيمان به؟ ألم يجعل الإيمان برسوله والإيمان بكتابه جزء من الإيمان به؟.

{فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: من الآية٦٢) لكن يستفاد منها هذا المعنى السابق الذي ذكرنا لأنه جاءت بعد كلام هنا: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ} (البقرة: من الآية٦١) ليس معناه أنه في الأخير يقول واحد: [اترك هؤلاء]! يصبح له موقفاً شخصياً لا. قضايا ليست شخصية على الإطلاق، في صراعك مع أعداء الله يجب أن لا تجعله صراعا شخصيا قاتله على أرقى مستوى، قاتله وتكون من أولي بأس شديد في الله ولله، وتتمنى أنه لو يهتدي ومقبول لو يهتدي، هذه قضية أعني: في التربية القرآنية يصل الإنسان إلى هذه: يكون شديداً على أعداء الله وفي نفس الوقت لا ينطلق من مواقف شخصية لديه هو، وفي نفس الوقت مقبول إذا أراد أن يسلم حيّاه الله يسلم ويؤمن طبيعي، هذه القضية هامة من الناحية التربوية، هي خلاف الذي يطرحونه [القبول بالآخر] يريدون القبول بالآخر على ما هو عليه! أبداً لا تقبل هذا الآخر على ما هو عليه أبداً، تقف في وجهه تحاربه تتصارع معه لكن إذا رجع، إذا دخل فيما أنت فيه وآمن بهذا القرآن وبالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وأصبح من المسلمين، هنا قد له ما لك وعليه ما عليك.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:٦٣) لاحظ هنا استكمال للموضوع السابق، ألم تأت أخبار أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يأتيه بعض الناس وفود من بعض المشركين، كان يأتيه وفد يستقبلهم؟ مثلاً شخص أو شخصين أو مجموعة يأتون يريدون أن يعرفوا هذا الموضوع هل يقول: هؤلاء مشركين يبعدهم عنه يخرجهم لأنهم مشركون؟! لا ، عارف مهمته، هو مهمته ماذا؟ هو أن هؤلاء جاءوا يفدون على أساس أنهم يريدون أن يعرفوا، ما زالوا مشركين، البعض منهم يصل وهو لا يزال مشركاً لا يسلم إلا بعد أن يتحدث معه ويفهمه ويوجهه، يستقبلهم بالشكل الذي هو طبيعي فيما بين الناس عند العرب أعني: كالقضايا المعروفة مثل المعروف والكرم والأشياء المعروفة في تقاليد العرب، يستقبلهم ويتحدث معهم لا يظهر في نفس الوقت أنه كاره وغاضب وزاعل منهم هم، هم كأشخاص طبيعي ويوجههم لكن هؤلاء الذين يوجههم إذا لم يرضوا يقبلوا سيقاتلهم على أعلى مستوى، وبأشد قتال يقاتلهم، يستقبلهم ويفهمهم ويوجههم ليسلموا؛ لهذا نقول: أن الناس لابد أن يكونوا يفهمون كيف الرؤية من العدو كيفما كان العدو، عدو من الداخل من داخل صفوف الناس عدو بشكل مشرك أو يهودي أو نصراني .

التربية القرآنية هي تجعله على أعلى مستوى في مواقفه من العدو{أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} (الاسراء: من الآية٥) {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآية١٢) كن غاضباً عليهم كارهاً لهم شديد الحنق عليهم لكن لماذا؟ لما هم عليه، لا يسمح لنفسه أن تترسخ القضية لديه حتى تصبح موقفاً شخصياً أو حالة نفسية شخصية، هذا في الأخير يكون لها سلبيات كبيرة منها هذه: أنه أحياناً لم يعد لديك رغبة أن يصلح قد أنت كاره له هو، هو شخصياً لم يعد لديك رغبة أن يصلح نهائياً ولا لديك رغبة أن يهتدي ولو قد أراد أن يهتدي فإنك ستحاول تعرقله حتى لا يهتدي وفي الأخير ستكون تصد أنت عن سبيل الله، فعلاً هذه قد تصل وتصل أحياناً قبل أن يكون الناس أمام يهود أو نصارى أو كفار آخرين أحياناً في مواقف داخلية فيما بين الناس، وهذه من أهم الإيجابيات فيما يتعلق بنفسيات المؤمنين بالنسبة للطرف الآخر يرون المؤمنين أناساً أقوياء وشديدين لكن في نفس الوقت يرى بأنه بإمكانه أن يدخل فيما هم فيه ويصبح طبيعيا وعاديا، له ما لهم وعليه ما عليهم لا يرى حاجزاً ما قد قام حاجز من مواقف شخصية عندما تكون القضية على هذا النحو، هذه تجعل الناس ملتزمين هم مثلاً بمبادئ المواقف من الطرف الآخر .

ألم يقل هناك: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: من الآية٨) ؟ في نفس الوقت في حالة القتال مثلاً في حالة المواجهة يمكن للمؤمنين أن يكونوا ملتزمين بمبادئ القتال وفيّين في مواثيقهم إذا دخلوا في مواثيق في هدنة وفيّين لا يحصل منهم نكث، في نفس الوقت يلتزمون بالآداب مثلا لا

يقتلون شيبة لا يقتلون طفلاً، أليس هكذا كان يحصل في توجيهات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) للمسلمين؟ سيقاتل الرجل في ذلك الميدان قتالاً شرساً لكن بالنسبة لامرأته وطفله لا يمكن يقتلهم، أبوه الشيبة الكبير الذي هو هناك لن يقتله ، المواقف الشخصية العداوة الشخصية تريد أن تقتله وتقتل أباه وتقتل أمه وأولاده وأي شيء له علاقة به.

إذاً تحافظ على أن يبقى الناس ملتزمين هم بآداب الصراع مع الآخر يكون هناك قيم لا يتجاوزها الناس يكون هناك قيم يوجههم إليها لا يتجاوزونها، هي لها إيجابية لا تعتبر قيودا ولو ظهر في الصورة وكأنها قيود! لا. الله يقول ويوجه نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} (الأنفال: من الآية٥٨) **لا تسلك طريقتهم أعني: خداع وغدر، تنبذ إليهم إذا أنت تلمس أنهم يريدون أن يخدعوك قل: الآن انتهى ما بيننا أنتم حصل منكم كذا وكذا، إذاً انتهى [الوجه أبيض] مثلما يقول الناس لم يعد بيننا شيء { فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ}** (الأنفال: من الآية٥٨) **هنا قال: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ}** (الأنفال: من الآية٦٢).

ولهذا القضية أساسية أن يفهم الناس بأن ليسوا هم، هم فقط يعملون ويتحركون ، هناك مبادئ يلتزمون بها في ميدان المواجهة مع العدو ولو بدت وكأنها ثقيلة وكأنها قيود، وكأن العدو قد يستغلها لا. بعض المبادئ لازم تقف عليها لا يمكن أنك تخاف أن العدو قد يمثل له إيجابية أو يستغله، الله يقول: {فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} (الأنفال: من الآية٦٢) **وفي آية أخرى يقول: {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}** (الأنفال: من الآية٧١) **يكون عندهم استغلال للوضعية، يخادعونك، لا. في الأخير ترجع عليهم هم فيكون المؤمنون استطاعوا بأن يحافظوا على مبدئية مواقفهم وهي قضية مهمة بالنسبة للطرف الآخر .**

من الأشياء التي تشد الناس إلى المؤمنين عندما يكونون أولي بأس شديد وعندما يكونون في نفس الوقت أوفياء مبدئيين الطرف الآخر يرى ضربات شديدة يراجع حساباته فيجد أمامه أمة ذات قيم ومبادئ وملتزمة تمثل نموذجاً عالياً عنده، يقول: إذاً لماذا أتحمل ضربات من هذا النوع على لا شيء وهي أمة عظيمة على هذا النحو فيكون هو قريب أن يدخل معهم ، لاحظ كيف تربية القرآن تأتي بالشكل الذي يكون لها إيجابية، حتى الشدة ، أليس هو يقول: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (الفتح: من الآية٢٩) **أشداء على الكفار ألست تتصور بأن معناه يقابلون من هناك بشدة {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}** (الأنفال: من الآية١٢) **يقول: إذاً فمعناه سيزيدون أكثر ويتشددون أكثر، وأن يكونوا أولي بأس شديد فمعناه أن الآخر سيكون أيضاً زيادة.**

هي تبدو توجيهات لا أحد يستطيع أن يوجه أمة من الأمم بهذه التوجيهات إلا ويحصل في الجانب الآخر سلبيات، أن يقول لأصحابه أن يكونوا أولي بأس شديد وقتاكين وأشياء من هذه إلا وتكون تربية تؤدي إلى أن الطرف الآخر يشتد أكثر ويقاوم أكثر، إلا التوجيهات الإلهية وتربية القرآن فتأتي على هذا النحو وتجدها في المقابل بالشكل الذي لها آثار إيجابية في الطرف الآخر، مما يمثل إيجابية في مقابلة الشدة في الموقف في ميدان القتال: المبدئية والوفاء، الآخر يعود يراجع حساباته ويرى أنه لماذا؟! في الأخير يقيِّم مجتمعه ويقيِّم هذا المجتمع يقيِّم ما لديه من مبادئ وقيم يتلقى من أجلها ضربات شديدة وما الآخرون عليه، وفي الأخير يصبح موضوع القوة والشدة شيء يجذب الآخر فعلاً، في الأخير قد عنده رغبة أن يكون مع أمة على هذا النحو: قوية في مواقفها ثابتة في مواقفها مبدئية وفية ، قيم ، صدق ، أمانة ..إلى آخره.

تكون جذابة نفس هذه بينما الضعف في داخل المؤمنين يشكل خطورة ، الضعف أخيراً يعكس ما هم عليه ضعفهم في مواقفهم في نفس الوقت عدم مبدئيتهم والتزامهم يوجد حنقا عند الطرف الآخر بشكل كبير وفعلاً يظهر بأنه يأتي تخلي من جهة الله ؛ ولهذا يقول: أنتم عليكم أن تلتزموا بهذه المبادئ حتى لو بدت عندك بأنها قد تكون فرصة للعدو يستغلها .

هنا يقول: ما يزال الله هناك فوق الجميع {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال: من الآية٧١) **{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}** (الأنفال:٦٢) **لم يكن يأتي عند المسلمين الأوائل أعني بناءً على ما كان يقدم لهم من تربية وتوجيه يكون فيهم قسوة على الكافرين والمشركين من رسول الله (صلوات**

الله عليه وعلى آله) في حديثه ومن القرآن الكريم وفي نفس الوقت متى ما جاء مشركون طبيعي أن يروهم يدخلون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) واستقبلهم وجلس معهم يتحدث، هل كانوا يستغربون يقولون:[هؤلاء مشركين ألم تكن تقل عنهم أنهم أعداء الله وأنهم وأنهم كيف تتركهم يدخلون إلى عندك وهذا أنت جالس معهم تستقبلهم وبعضهم تفرش له عبايتك أو تبعد الفراش من تحتك وتفرشه لهم] هل كان يحصل الحالة هذه؟ لا. كانوا يقولون: حيّا الله مَن جاء، ويستقبلونهم يسلمون، يسلمون ما لم فيمكن يعودون إلى أماكنهم وقد عندهم وفاء بقضية بأنه لا يمكن أن يضربوه في نفس الوقت ـ لكن غداً ممكن يقاتلونه بشراسة في الميدان هذه تعتبر مبدأية عالية فعلاً .

إذاً عندما يكون الناس يواجهون يهوداً ونصارى وكلام عن يهود ونصارى ما يدري الناس إلا وجاء يهود يريدون أن يعرفوا ما الذي مع واحد؟ ما هي أطروحته؟ على أساس أنهم ماذا؟ ،أنهم يريدون أن يتفهموا ليهتدوا هل يمكن يقولون: [هه! والله يهود قالوا أنهم عند فلان! إذاً لماذا نحارب اليهود ونلعن اليهود والآن قد هم هؤلاء عنده] إنك لاحظ كيف كان يذهب مشركون كفار يذهبون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم ما زالوا مشركين بعضهم ما زالوا مشركين فعلاً يستقبلهم ويوجههم بعضهم يهتدي وبعضهم لا يهتدي، يتركه يرجع مع أن الأسلوب هو نفس الأسلوب في قضية تربوية ذات قيمة وذات ماذا؟ تترفع بالناس عن الحالة النفسية الشخصية التي تعتبر خطيرة ولها سلبيات كبيرة .

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}(البقرة: من الآية٦٣) هذه كلها وإذ ، وإذ.. أليست تذكيرا بأشياء متعددة ومتنوعة {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}(البقرة: من الآية٦٣) ميثاقه بأن تأخذوا ما آتيناكم بقوة، رفع فوقهم الطور، جبل، تهديد لهم بهذا الجبل {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ}(البقرة: من الآية٦٣) ما هو الذي آتاهم {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣) لاحظ هنا محور القضية كلها هنا هو آتاهم الكتاب والحكمة والنبوة وفضلهم على العالمين، وآتاهم أعطاهم أشياء كثيرة، القضية كانت تتمثل بأن تأخذوا ما آتيناكم بقوة تستمسكوا به تتبعوه تلتزموا به وتتحركوا على أساسه، ما هو الذي حصل؟ أليس نتيجة أنهم لم يأخذوا ما آتاهم بقوة؟ فحصل عصيان واعتداء وكفر بآيات الله وقتل للأنبياء بغير حق، حصل كل هذا تعتبر ماذا؟ نتيجة عدم أخذهم للكتاب بقوة وقعوا في ضلال كبير في ثقافتهم وأخطاء كبيرة جداً نتيجة هذه.

إذاً فهكذا أي: أمة أعطيت نعمة كهذه النعمة الكبيرة ونعمة القرآن علينا أعظم من نعمة التوراة على بني إسرائيل فعلاً؛ لأن القرآن هو في قيمته يبدو أوسع وأشمل وإن كان كل كتاب من الله يكون متكاملاً في مرحلته في موضوعه متكامل ، والقرآن الكريم هو رسالة وكتاب للبشر على طول التاريخ هذا الذي قد يكون من أوسع مراحل الدنيا هذه جعله الله مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}(المائدة: من الآية٤٨) هو المرجع هو الأساس هذا القرآن هو مهيمن على الكتب السابقة، اعمل بهذا أنت في نفس الوقت على أحسن طريقة ، لا تقل باقي ذلك هو يساوي هذا أو نعمل بذلك مع هذا ، هذا يعتبر هو المهيمن على كل تلك الكتب السابقة.

{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (البقرة:٦٣-٦٤) نفس الحالة ؛ لأن الله رفع الطور فوقهم، قالوا: سجدوا سجدة وهم ينظرون إلى الجبل بعين.. قالوا: هم الآن يسجدون على شق من وجوههم! يسجدون وهم يرقبون الجبل كانوا خائفين فسجدوا بهذا الشكل، وبعد ذلك عفا عنهم {فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(البقرة: من الآية٦٤) جبل ، خطير جداً يهبط عليهم .

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}(البقرة:٦٥-٦٦) لاحظ هذه أحياناً تمثل جانب من النعمة فيما تعطيه من تذكير للآخرين أنه فئة معينة تعتدي بزيادة وتنهى عما هي عليه فيحصل لها عقوبات تكون نكالاً لما بين يديها وما خلفها لماذا؟ تكون موعظة للمتقين، أليس هذا جانب آخر من النعم ؟ فعلى الناس أنه عندما يكونون يشاهدون مواقف يشاهدون

أحداثاً تذكرك، تذكر فهو وقت أن تعتبر وتتذكر وتتعظ ؛ لأنه هناك قدمت المسألة على هذا النحو: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً} (البقرة: من الآية٦٦) أي: ضربة شديدة؛ لأنه حصل يبدو بالنسبة لهؤلاء عقوبة فضيعة، لأنه حصل أن مسخوا، حصل مسخ لهؤلاء: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (البقرة: من الآية٦٥) أليست هذه قضية مخيفة؟ أفضل للإنسان يقتل ويتقطع ولا أن يرى نفسه وقد تحول إلى قرد أو خنزير هذه قضية رهيبة .

إذاً النعمة في هذا الجانب أنها تمثل موعظة للمتقين ، إذا أنت ترى أحداثاً كبيرة من حولك هنا وهنا حاول أن تفهم أسبابها تفهم لماذا إذاً؟ على أساس أنك تعرف أن الله هو المدبر لشؤون السماوات والأرض وأنه عدل وأنه رحيم وأنه حكيم وأنه في نفس الوقت جبار منتقم وبطشه شديد تتعظ وما تزال الأمور هناك قبل أن تكون أنت عظة وعبرة للآخرين {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة:٦٦) لأنك عندما تلحظ تعداد هذه النعم والتذكير بها هو بالشكل الذي يعطي وعياً متكاملاً في عدة أشياء في عدة جوانب نفس هذا الوعي الذي تعطيه النعم المتعددة الآيات المتعددة المواقف المتعددة ؛ لأن كل موعظة أو كل حدث أو كل آية يأتي فيها تميز في أن تعطي شيئاً وأخرى تعطي شيئاً آخر وهكذا يترافق من الكل رؤية متكاملة صحيحة ووعي متكامل صحيح، لكن القضية كلها تقوم على بداية هي ماذا؟ التذكر، والتذكر لها كنعم من الله، لا تتذكر أنت جدارتك.

لذلك قلنا: بني إسرائيل هم فعلاً قد يكونون وصلوا في بعض مراحلهم مما أنساهم أن يتذكروا عندما قد صاروا يعتبرون الأشياء أنها لكونهم جديرين بها وكأنه ليس للباري فضل هم جديرين بهذا ومستحقين لهذه ومن حقهم أن يحصل لهم هذا، هذه قد تكون حصلت، هذه غلطة كبيرة جداً لا أحد يعتبر جدارته هو هو.. إن الكل هو فضل من الله كل شيء هو يعتبر فضلا من الله سبحانه وتعالى لا يوجد ما يسمى استحقاقات وجدارة بما تعنيه الكلمة أبداً، إن الله قدم الأشياء كلها حتى عندما يكتب أنه سيجعل هذا جزاءً لهذا، لا تعتبره جدارة وحقا ، هو فضل من الله من البداية؛ ولهذا يذكر عن الجنة أنه يعد بها المتقين المؤمنين وجزاء بما كنتم تعملون، ويذكر بأنها ماذا؟ رحمة منه وفضل.

إذاً هذه هي حالة خطيرة بني إسرائيل قد يكونون ربما في البداية ما قد ترسخت عندهم الثقافة الخاصة التي تقوم على تمجيدهم هم، تمجيد أنفسهم هم، في البداية كان هناك عوامل أخرى هي الحالة النفسية التي كانت نتيجة الإستضعاف في مصر وقد يكون ـ مثلاً ـ مرحلة أخرى وصلوا إليها من خلال أنهم يعتبرون نعم الله المتتابعة عليهم وتثقيف مغلوط لديهم إلى أن وصلوا إلى حد أنهم صاروا يتصورون أنها لجدارة لديهم، ينطلقون متعنتين [وهذا من حقنا من حقنا أن يعطينا حجرا يخرج منه اثنا عشر عين ماء ومن حقنا...] هذه غلطة كبيرة جداً، فالإنسان المؤمن لا يعتبر أن على الله حقا بالنسبة له ولا مسألة جدارة ، يعتبر القضايا كلها يتعامل معها كفضل من الله ورحمة، ما هناك استحقاقات بالنسبة للإنسان على الله استحقاق بما تعنيه الكلمة كالحقوق أمام بعضنا بعض، هذه الحالة هي تكون غلطة كبيرة جداً تخليك لا تعد تقيّم النعمة كنعمة من الله قد صرت تقيّم نفسك أنت كجهة أو شخص جدير بهذه الأشياء، وليس المفروض هكذا.

المفروض أنه كلما عظمت النعم يعظم الله عندك وليس أن تعظم أنت أمام نفسك ، يعظم الله عندك وتتذكر نعمه وتتذكر أيضاً ما يمكن أن تصل إليه المسألة عندما يكونون يرون أنفسهم بأنهم جديرون بهذه؛ لأن الله اصطفاهم ولأنهم ذرية إبراهيم ولأن، ولأن... ، أليس الله في الأخير ضرب عليهم الذلة والمسكنة ولعنهم؟ إذاً معنى هذا أن الإنسان مهما كان ـ مثلاً ـ أهل البيت عندما يقولون: الله اصطفاهم وأورثهم الكتاب أن هذه القضية لا تعتبرها جدارة عندما تكون أنت إنسانا متعبدا وترى نعم لله عليك، لا تكن أنت ترجع إلى نفسك أنت تعتبرها جدارة {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} (النمل: من الآية٤٠) كما قال سليمان هو عندما وصل العرش إلى عنده بسرعة رهيبة عرش بلقيس {قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} (النمل: من الآية٤٠) هذا التمكين هذا الملك هذه النعمة العظيمة من فضل ربي {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (النمل: من الآية٤٠) أن تكون أنت مستغرقا في ذهنيتك مع الله وفي أن تشكر لا أن تكفر ، أن تعظّم الله لا أن تعظم نفسك تعتبر ما أنت عليه نعمة من نعم الله، في نفس الوقت أنه إذا أنت هديت لقضية

فعلاً يترتب عليها بفضل الله ورحمته نتائج طيبة على هذا النحو اعتبرها هي في نفسها الذي أنت عليه نعمة من نعم الله ؛ ولهذا هنا يعددها كلها نعم: الكتاب والفرقان عده نعمة لبني إسرائيل.
{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة:٥٣) يجعلها نعمة، بنوا إسرائيل أخطأوا في الأخير عندما أصبحت ثقافتهم ثقافة انزوائية تتركز بشكل كبير على تمجيد لهم إلى أن ترسخ عندهم وكأن الله عليه أن يسير وفق ما يريدون وينفذ ما يخططون، هذه القضية لا يصح لأحد سواء كان من أهل البيت أو كان من أولياء الله من أي جنس كان من أي فئة كان، أن يكون على حذر من هذه، يكون على حذر من هذه فعلاً، تعتبر ما أنت عليه من هدى هو في حد ذاته نعمة، ثم ما يأتي مثلاً من ثماره اعتبرها نعمة، ما تلمسه من جانب الله سبحانه وتعالى عليك في كل أحوالك تعتبره نعمة تذكرها وتشكر الله عليها .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

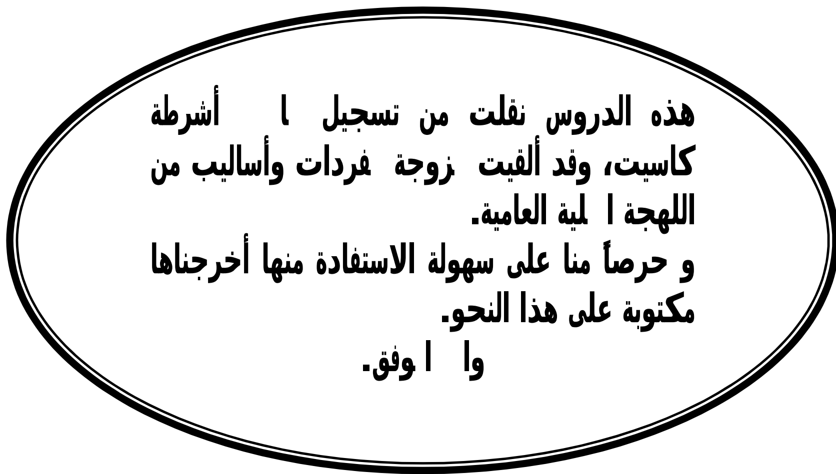
من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

من الآية (٦٧) إلى الآية (١٠٣)
[الدرس الخامس]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ٥ /رمضان ١٤٢٤هـ
الموافق :٢٩ /١٠/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

كل الآيات التي سمعناها أيضاً تتحدث عن بني إسرائيل، والموضوع يبدو من سياق الآيات هو بني إسرائيل. واقعهم بشكل عام وأكثر ما يبرز في نفس الآيات، أول الآيات التي سمعناها قبل من عند قول الله تعالى: { يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}(البقرة: من الآية٤٠) **تضمنت نعما هي: نعمة هداية، ونعمة الهداية هي تنعكس في نفسيات الناس، في سلوكهم، في رؤاهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم. تكون حكيمة في بنيتهم الاجتماعية بشكل عام، كمجتمع قوي، ومجتمع حكيم، ومجتمع يشكل نموذجاً ينعكس في كل مواقفه وتصرفاته هدى الله .**

من ضمن الآيات السابقة {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣). **في البداية، أو تكون ربما في مراحل متقدمة كان يظهر مثلاً كيف يحصل فيما يكون مجرد مخالفة، ثم يحصل توجيه لموسى ويحصل آية إلهية مثل: رفع الطور فوقهم فيذعنون ويرجعون، تمادوا في هذا الموضوع: كفر بنعم الله سبحانه وتعالى، عدم تقدير لها بالشكل المطلوب، عدم التزام وتوجه واهتداء بنفس الهدى، فهنا برز في نفسياتهم، في سلوكهم، في مواقفهم أشياء غريبة جداً فيما تضمنته الآيات هذه، أي يلمس الإنسان ـ على أساس أن قصص القرآن ـ وهو فعلاً قضية بهذا الشكل ـ أنه قصص ليكون عبرة ـ كيف كان هدى الله متكاملاً، وكيف كان الناس الذين لم يقدروا هذا الهدى حق قدره، ولم يتفاعلوا معه ولم يستجيبوا. كيف كانت النتيجة بالنسبة لهم في واقعهم ؟! حتى أنه في الآيات هذه عرض فيما يتعلق بنفسياتهم في الأخير، بنفسياتهم، فأول عبرة: أن تفهم بأنه الإنسان هو من جهة نفسه، هو الذي يؤدي بنفسه إلى أن يصل إلى هذه الحالة السيئة. لا يوجد تقصير من جهة الله على الإطلاق ولا من جهة أنبيائه على الإطلاق .**

العبرة الثانية: أن يحذر الناس، أن يحذروا لأنه أحياناً قد يكون التمادي في التنكر لهدى الله أو عدم الإهتمام به، عدم التقدير له، يؤدي في الأخير إلى وضعية سيئة جداً، و أعتقد أن المسلمين يعيشون فيها بكل معانيها.

من القيمة الهامة للهدى الذي أنزل إليهم وجاء به موسى كتاب وفرقان وأساس الهدى وتربية للمجتمع يقول لهم أنه كان الكتاب والفرقان مرتبطاً بموسى، موسى يمثل العَلَم لهم يمثل: معلم، وقائد، مربي، موجه. هم يتفهمون وينطلقون على أساس توجيهاته بدون أخذ ورد. ما حصلت هذه. لاحظ كيف كان موقفهم في قضية واحدة، في قضية [البقرة]؟! هدى الله لا يصنع أناساً على هذه النوعية أبداً أعني: أنه يتضح لك كيف يحصل الخلل لأن الله سبحانه وتعالى يقول بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهي نفس المسيرة، ونفس الطريقة الواحدة التي عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد، وعند عيسى، وعند موسى، وعند إبراهيم، أنهم يهدون الناس، ويعلمونهم الحكمة، ويبنونهم مجتمعاً متماسكاً متوحداً كلمته واحدة، موقفه واحد، انطلاقته واحدة. حصل خلل كبير جداً لديهم! هذه الظاهرة السيئة عندما قال لهم موسى في قضية هم بحاجة إلى أن يكتشفوا من هو الذي ارتكبها، قتيل قتل في ظروف غامضة جداً وأصبحوا هم يتدافعون المسألة، [هم قتلوه آل فلان أو ربما آل فلان]: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا}(البقرة: من الآية٧٢) **كل واحد يدفع عنه ويتهم طرفاً آخر .**

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}(البقرة: من الآية٦٧) . **أسلوب الأنبياء تجد كيف الأنبياء أشخاصاً حكماء، هم حكماء يعرف نفسيات أصحابه، وكيف وصلت الحالة بهم! كان يكفي من موسى أن يقول لو أنهم كانوا قد وصلوا إلى مستوى[جيد] دع عنك [ممتاز] جيد، أنه كان يكفيهم من موسى نفسه توجيه معين أن يقول لهم موسى: اذبحوا بقرة فيتحركون، هو يعرف كيف واقعهم وكيف نفسياتهم { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ} أمر إلهي مباشر{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}**(البقرة: من الآية٦٧) .

أساس تربية الأمم أنه لا يأتي بنبي بعد نبي على طول تاريخ البشرية، قد يكون مرحلة فيها نبي يمكن أن يقول: {إِنَّ اللّهَ} لأمة من الأمم، في مرحلة لا يوجد نبي، والأمة مترببة على الحالة هذه تحتاج إلى شخص يقول: إن الله يأمركم في موقف معين، هذا لا يتم، الأمة تتربى بطريقة تصل فيها إلى أن يكفيها توجيهات مباشرة من جهة الأنبياء أنفسهم، ثم من جهة ورثة الأنبياء.

أيضاً يكفيهم بأنه، ليست مسألة يكفيهم، أعني: يكونون هم تربوا هم تربية وفهموا القضية على هذا النحو فيكفيهم أوامر من الجهة التي يعرفون بأنها جهة هدى، لا، هنا احتاجوا: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} (البقرة: من الآية٦٧) **كيف كان الجواب؟ {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً}** (البقرة: من الآية٦٧). **ماذا يعني نذبح بقرة؟! ماذا يعني بقرة؟!.**

إذاً هنا لم تكفهم الفترة الطويلة تلك أن يعرفوا أن موسى رجل حكيم! الشخص الحكيم لا يأمر بأشياء ليست حكيمة لا يأمر إلا بأشياء حكيمة، ومن ورائها حكمة، ولغاية مهمة، وإن بدت في الصورة وكأنها تصرف غير طبيعي مع أنه هنا لم يكن تصرفاً غير طبيعي، تشبه نفسية الذين قال عنهم في أول السورة: {إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً} (البقرة: من الآية٢٦) **{أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً} ماذا يعني نذبح بقرة! أليسوا يذبحون بقراً، ربما كل يوم يذبحون بقراً لكن لا، استغراب! هذا أول خلل، ماذا يعني أول خلل؟ ظاهرة من مظاهر الخلل لديهم، في أنهم لم يهتدوا بهدي الله.**

كان الشيء الصحيح لمجرد أن يريد منهم أن يذبحوا بقرة، أن يأمرهم موسى نفسه مباشرة: [اذبحوا بقرة] وبدون أخذ ورد، يتجهون إلى بقرة يذبحونها ، لأن الأمر واضح في القضية. فعندما يقول: بقرة يعني: أيَّ بقرة، معناه: أيّ بقرة، لكن لا. {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (البقرة: من الآية٦٧) **لا يمكن أتخذكم هزواً لا يمكن أعمل أوامر! مع أنه هنا يقول لهم: {إِنَّ اللّهَ} معناها: أيتخذنا الله هزوا! أليس معناها هكذا في الأخير؟ ما كفاهم بأنه قال: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ} لاحظ كيف هذا وحده من المظاهر السيئة، عندما يكون المجتمع، أو أمة من الأمم تهتدي بهدي الله الذي يوجد حكمة لدى الناس، ورؤية حكيمة، وفهم ومواقف مبادرة، لا يوجد فيها أخذ ورد، قالوا بعدما قال لهم: {بَقَرَةً} أليس كلمة بقرة تعني: أي بقرة، مثلما تقول لشخص: نحن نريد أن تبحث لنا عن [كبش] عندنا ضيف، نريد تبحث لنا عن [كبش] أليس سيعرف أي واحد، أن المطلوب أن يبحث عن كبش أيّ كبش؟ ليس بحاجة أن يقول: ما لونه، ما هو، ومن أي نوع، وأشياء من هذه .**

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} (البقرة: من الآية٦٨) **قد قال: بقرة من البداية، {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ}** (البقرة: من الآية٦٨) **ليست مسنة، ولا هي فتيّة، متوسطة {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}** (البقرة: من الآية٦٨) **أليس هذا أمراً آخر؟ بعد أول سؤال أعطاهم مميزات معينة: بقرة متوسطة في السن {فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ}** (البقرة: من الآية٦٨). **{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}** (البقرة: من الآية٦٩) **ما لونها؟ نحن نعيش الحالة هذه، لا نضحك على بني إسرائيل لوحدهم حقيقة لأنه نعيش نحن المسلمين والزيدية نحن بالذات الذين نقول: أننا الطائفة المحقة والمتمسكين بأهل البيت، وبالثقلين كعنوان لدينا، قضية البقرة ما تزال موجودة، نأخذ عبرة من هذه، ونأخذ دروساً من هذه .**

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} (البقرة: من الآية٦٩) **من البداية {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}** (البقرة: من الآية٦٩) **يكفيهم أن يسألوه هو شخصياً لأن ربهم قد اختاره لهم هادياً ومرشداً ومعلماً وموجهاً. هنا ألست ترى وتلحظ أن موسى نفسه لا يقدرونه حق تقديره هو كرسول من عند الله؟ فتكون القضية هذه انعكاس لتقديرك لما يأتي من عند الله عندما تعرف بأن الله لن يختار شخصاً إلا وهو بالشكل الذي فعلاً مؤهل لأن يقوم بالدور على أكمل وجه .**

{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} (البقرة: من الآية٦٨) **{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}** (البقرة: من الآية٦٩)**! عادة البقر لا تكون ملونة بشكل كبير، عادة البقر تختلف عن بعض الحيوانات الأخرى، ترى البقر والغنم في الغالب لا يكون القطيع الواحد، هذه حمراء، وهذه صفراء، وهذه بيضاء وهذه خضراء، وهذه غبراء وهذه.. لا، الغالب أنها**

تكون متقاربة اللون لا يوجد هنا في واقع القضية ما يكون مبرراً لأن يتساءلوا يقولون مثلاً: قطيع البقر، أو السوق فيه بقر لكن هذه حمراء وهذه صفراء وهذه بيضاء ألوان متميزة، تبدي على سوق من البقر أو قطيع من البقر تجدها متقاربة يكون إذا هناك لون متميز يكون نادراً وشاذاً، إذاً لا يوجد ما يوجب اشتباه على الإطلاق.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ} (البقرة: من الآية٦٩) من البداية {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ} (البقرة: من الآية٦٩) ألم يقل هناك: {بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} (البقرة: من الآية٦٨) وهنا أيضاً: {إِنَّهُ يَقُولُ} لم يعد موسى إلا مثل [المظهر]. لاحظ ذلك الذي يأتي في السوق واحد يظهر، يبلغ الناس نيابة عن شخص، يقف ويتكلم [يقول لكم الشيخ فلان على أن كذا كذا..] والشيخ يتكلم من هناك، وهو يأتي يكلم الناس بما قال له الشيخ.

أساس المسألة أعني: لاحظ أن هنا خللاً كبيراً جداً لأن الأمم تربى في عصور الأنبياء بالشكل الذي لما بعد الأنبياء أيضاً، لما بعده، لا تحتاج إلى أن يكون أمامها نبي يوحى إليه، فضلاً عن أن تكون مع وجود النبي تحتاج إلى أوامر إلهية مباشرة في لون بقرة، سن بقرة تشخيص بقرة! فالنبي لا يأتي لعصره فقط. لا . النبي يربي أمة، ويرشد أمة، ويثقف أمة لتكون مستبصرة و حكيمة قابلة لأن تستمر في دورها وتتقبل قيادات هي امتداد له، للنبي؛ لأن الأنبياء يموتون. أمة مثل هذه معناه تريد لها نبياً باستمرار وعلى اتصال مباشر!.

{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} (البقرة: من الآية٦٩) هنا يبين لنا نسبة لونها: هل صفراء وردية، أو صفراء فاقعة، أو صفراء طبيعية، لأن اللون الواحد كأنه أيضاً درجات. {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة: من الآية٦٩) ألم يبين هنا جواب موسى في الدرجة هذه؟ حاول أنه يقدم لهم، يشخص القضية بشكل كامل {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة: من الآية٦٩) لم ينفع {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٧٠) هم بقر هم، في الواقع، عندما يصبح الناس بقراً تكون الأمور متشابهة عليهم، والأمور معماة عليهم ولا يفهمون ولا يسمعون ولا يفقهون.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} (البقرة:٧٠) نحن على استعداد أن نلتزم بيّن لنا هذه المرة فقط! يعني: عسى إن شاء الله نحصّل البقرة هذه المطلوبة! هو من البداية المطلوب بقرة أيّ بقرة يذهبون من السوق يأخذونها أو من عند أي فلاح من أطرف بيت ويذبحونها.

{وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ} عسى أننا سنجد البقرة المطلوبة ونذبحها. {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ} (البقرة: من الآية٧١) بقرة، لم يسنوا عليها، ولا استخدموها في حراثة الأرض {مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا} (البقرة: من الآية٧١) ليس فيها عيوب ولا فيها خلط من الألوان ـ كما يقولون ـ {لا شِيَةَ فِيهَا} ليس فيها عيوب، وفي نفس الوقت لا يوجد فيها ألوان أخرى ، على لون واحد . هنا أليست البقرة بدت نادرة أكثر؟ كلما زاد السؤال كلما جاءت القضية بشكل نادر أكثر .

هذا مؤشر، مؤشر خطير بالنسبة للناس، إذا مثلاً موقف معين لم ينطلقوا فيه قد يبلون بأصعب منه، ما انطلقوا، قد يعاقبون بأن يقحموا في أصعب منه، وهكذا.

في موضوع الجهاد يوجد مثل لهذا: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) لم يرضوا يتحركوا أن يقاتلوا أناساً عاديين مثلهم تخلفوا جبنوا ما كان الموضوع بالنسبة لهم؟ أعني ماذا كانت النتيجة بالنسبة لهم، للمخلفين؟ أن يُقحموا بطريقة لا بد منها واحدة من اثنتين: {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا} (الفتح: من الآية١٦) أليس هذا أمراً صارماً؟ ليس لديكم مجال من أن تطيعوا وتتجهوا فعلاً لقتالهم وقد هم {أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} وهم كانوا يهربون من أناس عاديين {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الفتح: من الآية١٦) بينما العكس متى ما اتجه الناس في قضية، في موقف، هي تبدو سهلة فليفهموا بأنه عندما ينطلقون في هذا السهل يكون بالشكل الذي يسهل العسير فيما بعد، يأتي تدخل إلهي تكون انطلاقتهم في هذا الموضع يعينهم على ما هو صعب فلا يبقى حتى ولا صعب بالشكل الطبيعي، انطلاقتهم في تلك القضية التي

تبدو سهلة تساعدهم على أن تبقى القضايا الأخرى تكون أسهل من واقعها أسهل من واقعها فعلاً .
{قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ} (البقرة: من الآية٧١) وهو حق من أول كلمة قال لهم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} (البقرة: من الآية٦٧) ألم تكن حقاً كافياً ؟ {الْآنَ} يعني: من الآن جئت أنت بالحق ! سوف يعتبرون أنفسهم أيضاً أنهم عباقرة وأذكياء، كيف أنهم استطاعوا أن يستخرجوا من موسى تشخيصاً كاملاً للحق! والآن هو رأى الحق، الآن عرف الحق الآن، وأعطانا الحق. {الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} (البقرة: من الآية٧١) لو يوجد لديهم مجال حول البقرة لوضعوا المزيد من التساؤلات لكن قد انتهت التساؤلات لم يعد لديهم شيء، وإلا باعتبار طبيعتهم لو أنهم وجدوا شيئاً لوضعوا المزيد، وربما أن بعضهم يفكرون في نفس الوقت ماذا يمكن أن يقدم من تساؤل حول البقرة المطلوبة! {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } (البقرة: من الآية٧١) {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة:٧٢) {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة:٧٣).
ثم إنهم في الأخير اشتروا البقرة هذه كما يذكر المفسرون اشتروها وبثمن غالٍ جداً، وهذا الشيء المحتمل، الشيء المحتمل: أنه فعلاً لا يحصلون عليها إلا بثمن غالٍ، ولأنه كلما ظهر التساؤل من جانبهم كلما قدمت البقرة تبدو نادرة، نادرة صاحبها يرى في الأخير ما كأنه يوجد سوى هذه البقرة، ربما قد يصلون إلى بقرة لا يوجد غيرها ويتحكمون كيفما يريدون فيها.
ذبحوها وكأن الهدف من الموضوع ليس معناه من أجل أن يأكلوها، لا. القضية: هناك قتيل في وسطهم، وقد تدارؤا فيه وقريبه يتهم آخرين فالموضوع كيف يعملون؟.
إذاً المسألة هذه فيها عبرة كبيرة بالنسبة لنا، وتعطي طمأنة بالنسبة لصراع الناس مع بني إسرائيل، في مجال صراع الناس مع بني إسرائيل. لاحظ كيف القضية: كان بالإمكان أن يأتي وحي من جهة الله سبحانه وتعالى يخبر بالقاتل من هو ولا يقول بقرة ولا شيء، ألم يكن بالإمكان هذا؟ لكن القضية هنا يوجد شخص واحد مقتول، الشخص الذي قتله دبر لأن يقتله في ظروف غامضة، أي كانت خطة محكمة محاطة بسرية تامة.
تجد هنا الآية توحي: بأن الله سبحانه وتعالى يهيئ أن يكون هناك ما يكشف من الواقع لا يكون هناك حاجة إلى وحي إلهي مباشر في نفس كشف القضية. إذاً هنا ذبحوا البقرة، وضربوه بشريحة من هذه البقرة، قالوا: إن هذا المقتول قام فعلاً وأخبر بقاتله، يأتي بعدها: {وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة: من الآية٧٢) .
بنوا إسرائيل وصلوا إلى حالة بالنسبة لنفسياتهم، أصبحت نفوسهم سيئة فعلاً. حصل لديهم خبث، حصل لديهم نظرة سيئة بالنسبة لباقي البشر، ونظرة سيئة بالنسبة لله! لهذا حكى الله عنهم في مواضع أخرى في القرآن الكريم كيف كان فيهم جرأة على الله: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} (المائدة: من الآية٦٤) {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} (آل عمران: من الآية١٨١). ألم يحكِ الله هكذا عنهم؟ هم في واقعهم لا يزال لديهم نوع ذكاء، وخبث وجرأة في التخطيط، هم عندما يجتمع لهم عداوة للناس، للبشر، كراهية، قلة خوف من الله، ينظرون إلى الله وكأنه واحدٌ منهم لا بد أن يتأقلم معهم، وينفذ الخطط التي يعملونها! وقدرة على التخطيط هذا معناه: أنهم سيضرون بالبشر بشكل رهيب، فكأنها سنة إلهية بالنسبة لهم: لا يتوفر لهم التخطيط بالشكل المحكم تماماً بحيث لا ينكشف {وَاللَّهُ مُخْرِجٌ} بعبارة اسم الفاعل التي تعني وكأنه سنة لديهم: أن يخرج ما تكتمونه {وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} .
عندما تنظر والقضية هنا تبدو قضية محدودة يعني: هناك شخص واحد قتل، وخطة دبرت في ظروف كانت ناجحة هذه الخطة، و كان ضحيتها شخص واحد قتل.
إذا كانت هذه المسألة كلها لكشف ما كتموا ولكشف هذه الخطة فافهم بأنه تقريباً بالأولى أن تكون سنة إلهية: أن يكشف للمتأملين، للمتوسمين، للمتفهمين، للمهتمين، أن يكشف الخطط التي قد تكون ضحاياها شعوب، ضحاياها العشرات من الناس، المئات من الناس، ضحاياها دين، ضحاياها مقدسات، ضحاياها أشياء كثيرة جداً، قضية ملموسة هذه، ملموسة فعلاً على أرض الواقع في زماننا هذا فضلاً عن غيره .
قضية التفجيرات في أمريكا هذه خطة خبيثة جداً، ولابد أنها صيغت في ظروف دقيقة، لأنهم بحاجة قصوى إلى أن تكون سرية تماماً، سرية تماماً، لأنها خطة لو تنكشف داخل أمريكا لكانت خللاً كبيراً عليهم هم، داخل أمريكا

نفسها فضلاً عن بقية العالم، خطة محكمة ليبنى عليها مبرر وذريعة لضرب الشعوب الأخرى، واجتياح الشعوب الأخرى، واحتلالها تحت عنوان: [إرهاب، مكافحة إرهاب]!، تنفذ الخطة هذه. تجد كيف أحيطت بهذه: { وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} من البداية أعني: عندما يكونون هم مخططين تماماً لا بد أن تبقى ثغرات تفضح، لا بد أن تبقى ثغرات تفضح لكن تفضحهم أمام من؟ أمام من هم عارفين لهم من نفس القرآن، أمام من يعرفون ويتأملون ولديهم اهتمام أن يعرفوا، تهمُّهُ القضية أن يعرف، أما لذي ليس عنده اهتمام سيكون هو ضحية للتضليل، ولو هناك مؤشرات تكشف.

تهاوى البرج بطريقة يدل أن هناك تفجيرات داخلية، تضرب الطائرة هناك في برج رفيع في طابق رفيع وترى تفجيرات من أسفل! هذا ليس طبيعياً أن يكون بفعل الطائرة فيهوي ذلك البرج بكل طوابقه، كم طوابق فيه تهوي تراها أمامك وهي نازل وهي ما زالت سليمة هي يعني: أن هناك من تحت تفجيرات، رجال الإطفاء ـ يقولون عنهم ـ الذين ذهبوا إلى الموقع يسمعون تفجيرات داخلية.

كل مرة وظهر شيء يكشف، يكشف ما يكتمون في هذه الخطة الخبيثة حتى فعلاً قالوا: إنه أصبح تقريباً عند العرب أذكر مرة في استبيان يتحدثون عنه في مقابلة أنه تقريباً ربما قد يكون ٩٠٪ يعرفون أن هذه القضية كانت مدبرة داخلياً. كتبت عنها الصحف، فضحوا، في الأخير فضحوا، يفضحون على يد [كاتب فرنسي] من بعد فترة، يفضحون بعد شهر تقريباً بأن يحصل حادث مشابه وهو حادث طبيعي لم يعد هناك ترتيبات من داخل، طائرة في [إيطاليا] تصطدم ببرج أصغر من البرج ذلك نفسه وما أدت إلى سقوطه، ولا سقوط الذي جنبه، طائرة صدمت في طابق أثرت على طابق أو طابقين، ومحله ما تأثر المبنى، ما بالك أن يتأثر المبنى المجاور له!

هناك برجين أو هي ثلاثة تهاوت كلها بطائرة! لو أن الطائرات المدنية تستطيع أن تعمل هذا العمل وتترك هذا الأثر، وخزان من الوقود يترك هذا الأثر لما احتاجوا بأن يصنعوا قنابل نووية ولا صواريخ ولا شيء يكفي طائرة تصدم بها في أي مدينة وتفجر المدينة طائرتين ثلاث تحطم لك واشنطن بكلها! لا. {وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}. فالناس عندما يكونون متأملين سيتلمسون الأشياء التي تفضحهم في مخططاتهم .

العملية هذه توحي بأنه قضية فضح، أو قضية أن يكون هناك ما يدل، أو ما يكشف نوعاً مّا مخططهم لا يحتاج إلى أن يكون من الأنواع الغامضة، الغامضة، المسألة هنا في كشف العملية كانت بقرة يضربونه ببعضها أليس هذا شيء سهل؟ يعني: أن الله سبحانه وتعالى لرحمته بعباده يهيئ أن يفضح هؤلاء بأشياء تبدو طبيعية، وعادية، بل قد ترى في ملابسات الحادث نفسه هو، في شكلية الحادث هو يكون يحمل ما يفضح أنه مدبر داخلياً، أنه مدبر من جهتهم هم، أي لم يحتج هنا قضية نادرة يبحثون مثلاً عن [مرارة نمر] تكون على نوع معين، ولون معين متى يمكن أن يتصيدوا لهم [نمر] ومتى سيحصلون على ذلك النوع المطلوب، هنا قضية قريبة التناول. أي أن الله سبحانه وتعالى يفضح ويخرج ما يكتمون بأشياء لا تحتاج تكون معقدة لا تحتاج ربما إلى تحقيقات دقيقة جداً، وخبراء في التحقيق، حتى يطلعوا لك النتيجة .

حصل هذا في السفينة التي فجرت في [عدن] رتبوها خطة من أجل أن يلصقوا باليمن بأن هناك فيه إرهاب وإرهابيين، إذاً نحن بحاجة إلى أن ندخل ونكافح الإرهابيين هؤلاء! أي أن نحتل.

التفجير نفسه نسيوا هم أنه قد يكون التفجير عندما يكون من داخل ستفتح فتحة خارج ألم ينسوا؟ هذه القضية أليست بديهية؟ لكن لا. إذا الله في الموضوع الله يقول: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} (يوسف: من الآية٢١) ليس هناك أحد يمكن أن يكون ذكياً أمام الله سبحانه وتعالى على الإطلاق، في الأخير يفضحه بشكل يبدو غبياً في تخطيطه، فعلاً يبدو وكأنه غبي! مع أنهم ليسوا أغبياء، هم في موضوع التخطيط ليسوا أغبياء، فقط إن الله يفضح ويخرج ما يكتمون .

انفجار السفينة، كان انفجار فتحة الحديد إلى خارج، ولكن أحياناً قد يكون هناك أناس بقر من خارج حقيقة تجد اليمنيين أنفسهم بعدما قالوا: بأن هذه كلها تدل على أن التفجير داخلي. جاء الأمريكيون بفرقة تحقيق جاهزة مجهزين كيف يحققون، وكيف يطلعون تقارير عن نتيجة التحقيق قالوا: هذا عمل إرهابي من خارج ! في

الأخير ألم يظهر مسئولون يمنيون يقولون: نعم عمل إرهابي! أما هؤلاء صحيح يطلعون بقراً، حقيقة.
إن الذي لا يفهم المؤشرات التي تكشف مخططات بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى كما لو كان قد تكفل فعلاً بأن يكون فيها ما يفضحها ثم يأتي يوافق معهم، هذا هو الذي يعتبر بقرة لبني إسرائيل. في الأخير لا تدري إلا وقد هم يقولون فعلاً: هذا عمل إرهابي، يعني: إرهابي إنطلق من بلادنا! وينزلون تقريراً من [رئاسة الوزراء] يدونون فيه الأشياء التي يزعمون أنها أحداث إرهابية منها تصوير للسفينة هذه، في نفس الصورة، في الكتاب نفسه، ترى أنت أن الفتحة إلى خارج كيف سيحصل هذا؟ فتحة إلى خارج إلا إذا كان التفجير من داخل. قالوا: عمل إرهابي!. ماذا يعني هذا؟ يعني أن هؤلاء أناس لا يبالون، لا يبالون بهذا الشعب نفسه، بأن يسمحوا أن تمرر ذريعة معينة للأمريكيين هي الذريعة الرئيسية والمبرر الرئيسي لأن يتدخلوا في شأن هذا البلد وأن يحتلوه وأن يتدخلوا في مناهجه ويتدخلوا في إخفاء نسبة كبيرة من القرآن الكريم، فيوافقون معهم .
أي أنهم هنا لو كانوا مخلصين لدينهم، لو كان فيهم رحمة لشعبهم، لو كانوا مخلصين لوطنهم، لم يوافقوا أبداً في القضية هذه التي هم عارفين بأنها تقدم كذريعة، لقالوا: أبداً هذا تفجير من داخل، فلماذا؟ يأتي ليقول: نعم عمل إرهابي، وسلّمنا..!! يسلّم للأمريكيين وهي كذبة واضحة فعلاً، لكن قد يكون بعضهم جملاً لبني إسرائيل أو بقرة لبني إسرائيل، حقيقة .
{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة:٧٣) **لعلكم تعقلون، لعلكم تفقهون بأن الله سيخرج كل ما تكتمون وكل ما تتآمرون به. {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}** (البقرة: من الآية٧٤) **بعد هذه الحادثة التي كانت هي في حد ذاتها آية من آيات الله..آية من آيات الله على أقل تقدير توجد عندهم نموذجاً لقضية البعث يوم القيامة {كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى}** (البقرة: من الآية٧٣) **فيتذكر؛ لأن هذه كانت ـ قضية اليوم الآخر ـ من القضايا الأولى التي حذر منها بني إسرائيل، منها في الآيات الأولى قوله: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}** (البقرة:٤٨) **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}** (البقرة: من الآية٧٤) **هذا يكون أثراً طبيعياً من الآثار السيئة التي تكون عند الناس سواء أفراد أو مجتمع أو أمة بكلها، إذا ما هناك استجابة لله سبحانه وتعالى، وعمل بهديه، وتفاعل مع ما يُهْدَوْنَ إليه، فيكون البديل قسوة في القلوب، تقسوا متى ما قسا القلب فإنه لا يعد يتأثر بالمواعظ، ولا يستجيب، وتكون قسوة القلب ينتج عنها هذه التصرفات الخاطئة ، وتلاحظ كيف هي في الأخير أشياء رهيبة جداً.**
الشيء الطبيعي: أن الإنسان بعدما يشاهد آية من آيات الله أو يسمع شيئاً من هدى الله أن يتأثر قلبه ويلين قلبه {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد:١٦) **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ}** (البقرة: من الآية٧٤) **هناك من الحجارة بعضها ينفع، القلب القاسي لم يعد يقدم شيئاً، لم يعد ينفع بشيء، لم يعد كله إلا خلل، لم يعد ما ينتج عنه إلا ضر.**
{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ} (البقرة: من الآية٧٤) **أيضاً جعل الحجارة أفضل من تلك القلوب القاسية؛ لأن الحجارة بعضها تسقط وتهبط من خشية الله، يمكن أن الحجر الصماء هذه الصخرة الصماء الصلبة القاسية ممكن تلين وتخشع لله وتهبط من خشية الله، وأيضاً بعضها يتفجر منها الماء ما زال ينفع، لكن القلوب القاسية لم تعد تنفع بشيء أبداً، لم تعد إلا ضر، فهي ليست بالشكل الذي تقبل شيئاً فيخشع أصحابها ولا تكون تصرفاتهم وما يأتي من جانبهم بالشكل الذي ينفع الأمة .**
{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: من الآية٧٤) **هذا فيه نوع تهديد لبني إسرائيل {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} عما تخططون، وعما تتآمرون، وعما تدبرون وعما .. إلى آخره ، لها علاقة بالموضوع الأول كلما تعملونه فليس الله بغافل عنه، فما وجدتموه في قضية البقرة ستجدونه في أي قضية أخرى تدبرونها .**

بعد أن نقل الصورة هذه التي تبدو فقط صفحة واحدة من صفحات كثيرة من الصفحات التي تكشف واقعهم ونفسياتهم وما وصلوا إليه يأتي الخطاب للمؤمنين: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} (البقرة: من الآية٧٥) هؤلاء الذين ترونهم كيف كانوا مع آيات الله، مع نعم الله، كيف أصبحوا في واقعهم، وكيف أصبحت تصرفاتهم، وكيف انتهوا إلى هذه النتيجة السيئة: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٧٥) يعرفون أنه كلام الله على لسان موسى، أو على لسان أي نبي من أنبياء الله{ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} (البقرة: من الآية٧٥) فهموه أنه من عند الله، فهموا معناه ويحرفونه عندما يقدمونه للآخرين، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٧٥) أليست هذه جرأة شديدة جداً ؟ ليست قضية طبيعية أبداً، فهل هؤلاء فيهم طمع تطمع فيهم أنه يمكن أن يؤمن لك، ويستجيب لك، ويقبل منك، يؤمن لك، يسلّم لك، ويؤمن بما أنت تريد أن يؤمن به؟!.

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (البقرة:٧٦) {أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} (البقرة:٧٧) بعد ما أكد بقوله أنها قضية مستبعدة، على أقل تقدير ليست قضية تطمع فيها، والمسألة تكون أن تؤدي شيئاً كمسئولية، هذا شيء تؤديه كمسئولية، أن تبين، أن تدعو. لكن قد تأتي قضية أخرى، هي: قضية الطمع في الطرف الآخر أنه قد يستجيب، وقد يؤمن لك، وقد يتقبل منك.

الموضوع الأول ضروري عمله، الدعوة، التبيين لأي طرف مهما كان وإن لم يكن فيه طمع، وهذا أسلوب قرآني. أليس هو هناك يقول لهم: أن يؤمنوا، يدعوهم إلى أن يؤمنوا؟ موضوع أن تطمع أحياناً يكون الطمع في طرف معين بأنه سيستجيب ما زال يعتبر شيئاً يشكل أملاً وتتفاعل أكثر . هؤلاء بنوا إسرائيل ليس هنا مطمع فيهم أنهم سيؤمنون لكن لا بد أن تدعوا وأن تبينوا لهم.

أحياناً إذا كان يوجد طمع ينعكس في مواقف الإنسان، في تصرفاته أشياء يتجنبها أي: هو معروف أن تكون طامعاً في جهة يكون ما يزال معك فيها أمل ستقول: [يا أخي ما هو وقت ليس بالطريقة هذه ما زال هناك أمل عسى أنهم] هذه في الأخير تنعكس في ماذا؟ في رؤية معينة حول تصرفاتك أنت في مواجهتهم. إذا كنت أنت فاهماً هؤلاء ليس هناك طمع أن يؤمنوا، لا يوجد طمع فيهم أن يؤمنوا، لكن أدع وبين بالطريقة العادية والطبيعية، ولكن لا يوجد مطمع بالنسبة لبني إسرائيل. حتى عندما يأتون يبحثون عن موضوع سلام من بني إسرائيل، عندما يكون عندهم أنهم يحصلون على سلام من عندهم في الصراع مع إسرائيل ومع أمريكا، لديهم طمع عسى أنهم سيقبلون، عسى أنهم سيلتزمون باتفاقية معينة بيننا وبينهم، عسى أن...لا، هذه تقطع الأمل.

وفعلاً قدم في آيات أخرى بأنه أصبحت هذه لديهم سلوكا معروفا: نقض المواثيق. {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٠٠) لا يوجد فيهم مطمع . إذاً فلا تثق، لا تكن بالشكل الذي يحصل عادة عندما تكون طامعاً في جهة ينعكس أثرها على تصرفاتك معهم ولا تكون بالشكل الذي تثق بهم هم، أو تأمل من ورائهم أن يتقبلوا منك شيئاً، لا يوجد فيهم طمع، لا تثق بمعاهدات معهم.

ولهذا لاحظ: هو حصل فعلاً في الإسلام معاهدات، ومواثيق حصل مثلاً في مراحل في صدر الإسلام، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مثلاً اتفاقيات معينة أو صلح معين على أن لا يعملوا كذا وأن لا يتآمروا وأن لا.. لكن القضية مرتبة، هناك فارق كبير جداً ما بين المواثيق والهدن والصلح الذي كان يتم في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)وبين ما يحصل بينهم وبين العرب الآن، هناك فارق كبير.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف طبيعة هؤلاء الناس سيعمل معهم معاهدة، هدنة معينة، لكنه مجهز نفسه عندما ينقضون سيضربهم ليس المعنى أنه عندما يدخل معهم في صلح أنه واثق بهم. لا، هذه قضية أخرى، قضية أن واقع بني إسرائيل هم على هذا النحو: إذا واحد تأمل بأنه كيف كان هناك تعامل متميز معهم في تاريخ الإسلام في الصدر الأول ليس على أساس أنه مُقرٌ لهم على ما هم عليه، ولا من منطلق أنه يثق فيهم عندما يدخل معهم في صلح ، أو معاهدة ، أو هدنة ، أو أي شيء من هذه أبداً ، إنما هذه في نفس الوقت تجعلهم أمام واحدة من اثنتين : إما أن يكونوا أناساً يتقبلون ويندمجون في المجتمع المسلم ويذوبون فيه ويسلمون ، أو

متى ما ظهر منهم النقض الذي هو الشيء الطبيعي عندهم ، فيكون معناه أنهم فتحوا على أنفسهم الثغرة لِيُضْرَبُوا.

العرب الآن يدخلون معهم في مواثيق ومعاهدات ويكون عنده أنهم صادقين لم يعد يحسب أي حساب، هو ليس في موقع مجهز لنفسه متى ما نكثوا يضربهم فتراهم في الأخير يصيحون، يصيحون ويقولون: [هذا يضر بعملية السلام ، هذا أثر على عملية السلام هذا مؤثر على المعاهدات والإتفاقيات] وفي الأخير قالوا: [خارطة الطريق وسيؤثر على خارطة الطريق، هذا يؤدي إلى إخماد خارطة الطريق إلى إبطال خارطة الطريق] وأشياء من هذه!! لعب بهم بنو إسرائيل لعبة فعلاً، لعبوا بالعرب لعبة رهيبة، يدخل معهم في معاهدات وعنده أنهم صادقين ثم في الأخير تنعكس على مواقفهم.

لاحظ قوله: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} (البقرة: من الآية٧٥) **هذا الطرف الغبي، الطرف الغبي فعلاً الذي لا يعرف بني إسرائيل متى صار عنده أمل قد أصبح يسمع من بني إسرائيل، هم مكّارون، هم مضللون يصدقهم عندما يقولون: [أنه احتمال ندخل معكم في هدنة واتفاقيات سلام ومواثيق ويهمنا أن يكون هناك سلام وتعايش سلمي] فيعود هذا على أصحابه الذين يجاهدون ويقاتلون ليقول لهم: اقعدوا، اسكتوا] ويقوم بضربهم لأن لديه طمع، هنا أليس طامعاً؟ هو طامع في بني إسرائيل أنه سيدخل هو وإياهم في ماذا؟ في اتفاقيات سلام، ويستقر، ولا يوجد حاجة لقتالهم! في الأخير يقسو على أصحابه على الذين يجاهدون، وفعلاً هذا حصل في فلسطين بشكل عجيب، [السلطة الفلسطينية] يخادعها الإسرائيليون وظنوا فعلاً أنه سيدخل معهم في سلام، وتنتهي القضية! إذاً أولئك الذين هم مزعجون [حماس والجهاد] وتلك الحركات المجاهدة؛ ثم يرجعون عليهم بقسوة، ويعيقون أعمالهم، ويقتلون منهم، ويسجنونهم ويسلمونهم للإسرائيليين في بعض الحالات! لأنه قد أصبح لديه طمع أنهم سيصدقون!.**

لا، القضية هنا لا يكون لديك طمع فيهم على الإطلاق، أن يبني الناس أنفسهم على أساس معرفتهم لبني إسرائيل، يمكن متى ما جاءت مرحلة معينة رأوا هم، هذا الطرف، ليس على حسب إملاءات بني إسرائيل: أنه يأتي هدنة، يأتي صلح ويكون هو مجهز نفسه بالشكل الذي يعرف أنه احتمال ١٠٠٪ أنهم ينكثون لكن اتركهم ينكثون لتضربهم، لأنه متى ما نكثوا عهداً، متى ما نقضوا ميثاقاً أصبح مبرراً واقعياً ومبرراً إعلامياً، ومبرراً منطقياً أن يُضْرَبُوا .

الآن هؤلاء الذين يحاولون يمسكون الأشخاص الذين يرفعون التكبير في المساجد [الموت لأمريكا والموت لإسرائيل] أليس هذا تصرفاً قد يكون ظاهر فيه واحدة من هذه الحالات؟ يعني ماذا؟ طمع أنه إذا سكّتنا هؤلاء وتركنا للأمريكيين كذا، وقبلنا لهم هذا المطلب، وقبلنا هذا المطلب ووافقنا على هذه الحاجة التي يريدونها أنه يعني في الأخير ماذا ؟ سنسلم شرهم ونهدأ ! رجعوا على أصحابهم يمسكونهم! أليست نفس الطبيعة؟ طبيعة [عرفات] طبيعة [السلطة الفلسطينية] .

الله يقول للمسلمين: لا يكن لديكم طمع فيهم، في أنهم يؤمنون لكم، في أن يفوا معكم، في أن يكونوا ملتزمين بأي ميثاق أو عهد يقوم بينكم وبينهم، في أن يقدروا لكم شيئاً تعملونه أنتم لهم على أساس يرضون عنكم، قال الله في آية أخرى {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) **لاحظ لو أن لديهم رؤية قرآنية لعرفوا كيف يتصرفون من البداية مع اليهود، لكن لا يوجد رؤية قرآنية لذلك تراهم في الأخير يكون تصرفهم قوي مع الحركات المجاهدة لليهود، الواعية، الفاهمة لنفسية اليهود وطبيعتهم .**

لاحظ القصة العجيبة التي تبين لك أنه الناس الذين يكونون جريئين إلى الدرجة هذه: أن يحرفوا كلام الله سيحرفون أي شيء تقدمه إليهم؛ ألم يحصل هذا في قضية العراق عندما قدم ملفاً كاملاً عن أسلحته وعن برامجه التسليحية، ألم يقوموا بخطفه هم؟ اختطفوه وفعلاً غيروا فيه حتى أصبح ظاهراً بأنهم غيروا فيه فعلاً قبل أن يوزعوه لدول أخرى، ويعيدوه إلى [مجلس الأمن] أو إلى [الجمعية العامة للأمم المتحدة] غيروا فيه.

الإيرانيون سلكوا نفس الطريقة أي قدموا هم أيضاً تقارير قدموا أشياء عن برامجهم إلى [الوكالة الدولية] واحد من الأمريكيين يتكلم قبل أسبوع قال : قدموا بعض، أي: الإيرانيين قدموا بعض، أي: أن هناك مطالب، لا

تنتهي هذه المطالب .

أولئك يتصرفون معهم على أساس أن عندهم أمل، أو عندهم طمع: أن يؤمنوا لهم! هؤلاء أناس ليس فيهم مطمع أن يؤمنوا لكم على الإطلاق .

إذاً، العنوان هذا، أو القضية هذه تحتها تصرفات كثيرة جداً، إما تصرفات خطأ ـ عندما لا تكون فاهم بأن الله قال عنهم، بأن ليس فيهم مطمع أن يؤمنوا لكم ـ أو تصرفات إيجابية عندما تكون واثقاً بهذه: أن هذه طبيعة لديهم ثابتة، فإذا كانوا يحرفون كلام الله سيحرفون كلامك، كلام أي دولة، كلام أي حزب {مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} (البقرة: من الآية٧٥) **ليس تحريفاً على أساس أنهم إنما يتحدثون بما فهموه، يتحدثون بما فهموه فتكون النتيجة في الأخير ماذا؟ أنهم لم يعرفوا الموضوع فعبروا عنه خطأ، لا. إن القضية من أصلها أنهم هم ينطلقون متعمدين للتحريف.**

{ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٧٥) **تجد في هذه أيضاً مظهراً سيئاً من مظاهر عدم الاهتداء بهدي الله، ألم يتضح هناك قضية في مواقفهم من خلال البقرة، ومن خلال ما سيأتي من آيات أخرى، من خلال موقفهم أيضاً مع آيات الله التي هي هدى، وكيف أنه قد يقسو قلب الإنسان حتى يصبح لديه جرأة بدل أن يستفيد من كلام الله، ويهتدي به، ويخشع قلبه، ينطلق لتحريفه تحريفاً واضحاً أي من بعد ما عقله وهو يعلم!. هذا أثر سيء جداً من آثار عدم تقبل الهدى من البداية .**

انطلقوا بدل أن يكونوا دعاة إلى الإيمان، مؤمنين حقيقة، ودعاة إلى الإيمان الحقيقي، ويؤمنون بما يأتي من عند الله سبحانه وتعالى؛ أصبح الإيمان لديهم وسيلة خداع وتضليل: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٧٦) **من أي معرفة، من أي شيء معين، قد يكون فيه ما يمثل شهادة للمسلمين بأن هذا الدين، وهذا الكتاب، وهذا الرسول هو حق. قد يكون هذا الشيء في كتبهم مثلاً أو سمعوا من بعض علمائهم أو بعض أحبارهم .**

{لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ} (البقرة: من الآية٧٦) **لاحظ كيف نظرتهم لله: خداع مع الله في نفس الوقت! يعني: فعلاً أنتم قد تقدمون للمسلمين شيئاً يعتبر فعلاً شاهداً من داخل كتبهم، أو على ألسنة بعض أحبارهم: أن هذا نبي حق، ويكون في الأخير حجة للمسلمين يوم القيامة عند ربكم! {لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}** (البقرة: ٧٦ ـ٧٧). **لأن هذه قضية فيها سر، فيها إظهار إيمان ويسرون أنها عملية خداع وتضليل، يسرون إلى آخرين بأنه: أنتم لا تتحدثوا عن هذا، وهذا، وهذا، أمام المسلمين. الله سبحانه وتعالى يقول: {أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}** (البقرة:٧٧) **.**

تجد فعلاً على الرغم من حرصهم الكبير جداً على أن لا يكون لديهم لا في كتب تاريخ، ولا في كتب دينية لديهم أي مؤشر يعتبر مبشراً بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وشهادة بأنه النبي المذكور في كتبهم. ما استطاعوا أن ينسفوا هذه تماماً، بقي، بقي أشياء كثيرة داخل كتبهم بعد تحريفها، {أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}** (البقرة:٧٧). **فلن يستطيعوا أبداً أن يصلوا إلى درجة أن لا يبقى أي مؤشر على نبوة محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بل تجد أنهم هم، وعندما تقول هم أي : الجيل الذي كانوا في أيام رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن الله حكى عنهم: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}** (البقرة: من الآية١٤٦) **من أين هذا؟ أليس معناه أن هناك يوجد في كتبهم، ما زال هناك في كتبهم، في تراثهم أشياء ما تزال علامات .**

أحياناً الأشياء هذه قد تكون في وضعية وهذا شيء عجيب بل تجده فيما كان من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **داخل الأمة هذه يصبح هذا الشيء محاطا بقضية بحيث أنه لم يعد بالإمكان إزاحته على الإطلاق، إما أن يكونوا قد اعتمدوا على تأويل معين، أحياناً بعض التأويلات تشكل حماية لنص معين، بعض التأويلات يكون أصحابها معتمدين عليها، لكن متى ما ظهر الواقع الحقيقي لذلك الشيء فإنه سيغلب كل التأويلات، وإذا به يظهر أكثر انسجاماً مع النص مع المؤشر لم يعد هناك انسجاماً بينه وبين ما قد أولوه به. وهذه القضية عجيبة، لتبقى الحجة قائمة .**

تلاحظ مثلاً لدينا كأمثلة على هذه[حديث الغدير] أليس حديث الغدير يلامس أخطر قضية لدى الآخرين في كونه نصاً في موضوع ولاية الإمام علي عليه السلام؟ أي : أنه الولي للأمة من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). أعني هو من الأشياء التي لديهم حرص شديد على أن يزيحوه نهائياً، فلا يبقى له أي ذكر، ولا يبقى له أي وجود في أي مرجع من مراجعهم، ولا أي تداول في الأجيال المتعاقبة.

قد يكون شيء معين، تأويل معين لديهم أنه قال يعني:[من كنت محبه فهذا محبه] اعتمدوا على التأويل هذا، ألم يعتمدوا عليه؟ هذه شكلت حماية، تشكل حماية للنص، أعني: أن بعض التأويلات التي يعتمد عليها أصحابها يكون أحياناً فيها مؤشر تدخل إلهي لحفظ النص، هذا النص لم يعد بالإمكان أبداً أن يزيحوه، لأن القضية هامة، وحجج الله سبحانه وتعالى وآياته فواصل في القضية .

هذا التأويل يمكن أن ينسف، ليس بالشكل الذي يمكن أن يثبت أمام دراسة الحادثة، حادثة الغدير، وقضية الغدير، أبداً لا يمكن، لهذا يتبخر أمام واقع القضية .

كذلك ما كان عند بني إسرائيل من أشياء موجودة في كتب:[العهد القديم] التي يسمونها أو في كتب:[العهد الجديد] في نفس الوقت قد يكون لديهم تأويل معين. وهذه يذكرها أحد الكتاب المسيحيين الذين أسلموا بعد قال: [يكون هناك نص معين وعندهم يوجد تأويل سائد في أوساطهم، تأويل سائد لديهم] يأتي ما يكشف هذا الواقع هنا ويبين أنه هو حقيقة هذا النص، لا يمكن أن يكون هذا هو الواقع الذي ينسجم معه الشيء هذا الذي يؤولونه به نهائياً. الله سبحانه وتعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون، وكيف سيكون موقفهم من المؤشر الفلاني، من الدليل الفلاني، لا يسمح أبداً في القضايا التي تعتبر أساسية وهامة أن يزيحوها.

معك مثلاً فيما يتعلق بالأمة هذه [حديث الثقلين] حديث ثابت تجده في مراجع الحديث عند الكل، ويصححه المحدثون، أو منهم منشغلون بالتصحيح والتضعيف جيلاً بعد جيل [حديث الغدير]،[حديث المنزلة] أحاديث قد تكون مثلاً على أقل معدل اعتبرها عشرة أحاديث، لكن هذه الأحاديث هي تعتبر: قواعد عامة، أشياء أساسية، فواصل في القضية، هذه ما استطاعوا أبداً أن يزيحوها، ممكن أحاديث أخرى فرعية يستطيع يقول: هذا نفسه حديث ضعيف فيه فلان وهو أحاديثه منكرة، أو هو يعتبر كذا يتكلمون عليه، لكن أحاديث تمثل حجة تمثل آيات، تعتبر قواعد عامة، تعتبر أشياء أساسية لا يمكن أبداً أن يزيحوها، أبداً، ومتى ما تداولوها هم أثناء التدريس فإنه يقدم ذلك التأويل: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) أي: من كنت أحبه فهذا علي يحبه !. فإذا هو يدرس أحداً في مدرسة، أو في مسجد أو في أي شيء يقدم هذا المعنى عندما يلقى الحديث! سِلم الحديث، سِلم.

هناك بيتان من الشعر للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة تقريباً:

نقول لكم هاتوا لنا الشهد صافياً	وقولوا لنا هذا أجاجٌ وعلقمُ
سنشربه والحمد لله صافياً	ونترك ما قلتم وبالاً عليكم

سنتقبله ونفهم القضية على حقيقتها، ونترك أقوالكم تلك على جنب. هذا يؤكد تماماً عندما يقول الله سبحانه وتعالى في آيات أخرى: بأنهم{يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}(البقرة: من الآية١٤٦)، أنه ما يزال في تراثهم، في كتبهم نصوص كشف الواقع أن هذا هو النبي الذي تنطبق عليه تماماً. وهذا ليس معناه أنهم تاركين لها فارغة هناك تأويلات، لكن الحقيقة انكشفت ، نسفت التأويلات الأخرى بدت الحقيقة منسجمة تماماً كواقع لنفس النص الذي لديهم بالشكل الذي أصبحوا يعرفون محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه نبي كما يعرفون أبناءهم.

قد يكون الكثير من العرب ما وصل إلى الدرجة هذه: يعرف النبي كما يعرف ابنه تماماً، لأنه قد يكون الكثير منهم ليس مستحضراً للمسألة هذه، عرف أنه نبي، لكن هذه تعني ماذا؟ أنها معرفة بالشكل الذي لا يوجد معها أي ريب، ولاشك، فكان موقفهم منه موقف عناد موقف تمرد واضح .

{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}(البقرة:٧٨) هذا بالنسبة للأتباع الذين هم أتباع لأحبارهم. {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ

مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة:٧٩). تجد أن الآيات هذه الشيء البارز فيها مظاهر سيئة على مستوى المجتمع، وعلى مستوى المثقفين فيهم ، الفئة المتعلمة وحملة العلم لديهم .

الأمة نفسها في ظل وضعية يقدم لها هدى الله سبحانه وتعالى، لا تبقى المسألة عندهم مجرد أماني وظنون، يعطون بينات واضحات لا يقبل منهم إلا التسليم لله سبحانه و تعالى، وهو الشيء المفروض أمام هذه البينات. يتخلصون عن القضية هذه مع علمهم أن الله هو رب العالمين، وأنه يجب التسليم له، وأن ما أنزله هو أنزله لعباده جميعاً؛ لأنه ربهم جميعاً ليكون هدى لهم جميعاً، وعبادته هي حق عليهم جميعاً أن يعبدوه.. خلصوا إلى أن {قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٩١) انتقل إلى أن يفضحهم هم في تعاملهم على ما هم عليه مع ما يدّعون أنهم يؤمنون به، ماذا بقي في الأخير ؟ نسف لما اعتبروه مبرراً .

لاحظ هنا في القرآن الكريم يأتي في مقابل أشياء من هذا القبيل تعتبر دعايات، أو مقولات، بعضها تكون تشكل خطورة تكون قابلة للتعميم بشكل كبير فمتى ما وجه لفضحها بطريقة دقيقة فيجب على أن الناس أن يكونوا هم متفهمين القضايا التي تشكل خطورة في تعميمها، أن تكون أنت عندك قدرة على فضحها وبهذا الأسلوب. لاحظ كيف كان هذا الأسلوب، وهي قضية منهجية ليس معناه: أنك تنطلق في نفس الموضوع مثلاً الله يقول هنا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٩١) .

هل استمر الحديث معهم في موضوع، [لكن الله هو كذا، ومحمد هو كذا، والأدلة قد قامت على محمد، وقد ثبت على أنه من عند الله] وأشياء من هذه! إنطلق إلى فضحها من خلال معاملتهم مع ماذا؟ مع ما يدعون أنهم مؤمنون به. هنا نقول: إيمانكم رأينا ماذا تجلى عنه: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩٣).

هناك دعايات أخرى تأتي داخل القرآن الكريم يحكيها عن آخرين، قد تكون أحياناً ليبين لك بأنهم فكروا أن يقولوا هكذا، وأحياناً قد يعرض عنها يعرض عنها بأي اعتبار كان.

إذاً هذه تلمس بأنها مقولة ساروا عليها ، ورسخوها فعلاً داخل اليهود. نحن كنا نسمع عن اليهود هنا في اليمن مثلما قلنا سابقاً بأنهم يقولون : [نبيكم محمد نبي لكم، والقرآن كتابكم، ونحن معنا الذي أنزل علينا لوحدنا]، وأنهم أوصلوا في الأخير ـ لخطورة المسألة ـ أوصلوا المسلمين إلى أن ينظروا إليهم فعلاً كأناس هم أصحاب دين، وأصحاب كتاب، وأصحاب نبي لهم ، وهذا لنا! أليست هذه خطيرة ؟ إنبنى عليها في الأخير، في العصر هذا، بعد أن قدموهم وهم مساوين لنا، قدموهم [معهم نبي، ونحن معنا نبي، معهم كتاب، ونحن معنا كتاب، هم أهل دين، ونحن أهل دين]، ألم يقدموا بهذا الشكل؟ إذاً نؤمن بهم على هذا النحو!.

هذا أثر من آثار المقولة هذه التي رتبوها هم من البداية، ثم في الأخير قبول بهم ، قبول بهم ! مع أنك تجد القرآن لا يقبل بهم إلا بأن يؤمنوا على هذا النحو الذي قدم، قضية يؤمن بها الناس جميعاً، وهم ليسوا استثناء من الناس، لا هم ، ولا النصارى. وفي الأخير قدم الموضوع عملياً بأنه: تثقف نحن لنقبل بهم ، تتسامح معهم، وهم يتآمرون! نقبل بهم وهم يرفضوننا، تتسامح معهم وهم يحاربوننا، نقبلهم وهم رافضون! وفي الأخير ماذا؟ نقبلهم أن يتحكموا في تثقيفنا نحن، وأن يحتلوا بلادنا نحن، وهم في نفس الوقت لا نحاول أن نقول لهم: إذاً تعالوا لتؤمنوا بما أنزل علينا بأنه من عند الله. لأن عبارة: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} ليس فيها إقرار بأن ما أنزل على المسلمين، على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه من عند الله.

لاحظ أليست هذه المغالطة موجودة الآن داخل وسائلنا التثقيفية وبعض علماء من علمائنا، ومثقفين، الذين يكونون في اتجاه الأنظمة الحاكمة الذين يحاولون بأي طريقة أن يقوا أنفسهم شر أمريكا إذا بالإمكان أن تقبل؟ يحاولون يثقفوننا بهذا الشكل:[كلها ديانات سماوية واحدة] كما يقولون .

إذاً هل بإمكانكم أن تأخذوا من اليهود اعترافاً بأن القرآن هو من عند الله؟ وبأن محمداً هو نبي من عند الله ؟ وأن الإسلام هو دين من الديانات السماوية؟ هم لا يفكرون في هذا! فقط أصحابنا الذين يحاولون أن يفرضوا علينا القبول بالآخر، والإعتراف بأنه صاحب ديانة مستقلة، لها شرعيتها، وهي مقبولة. لا يفكرون بأنه: إذاً إجعلوهم يعترفون بالإسلام بأنه دين سماوي، يعترفون بالقرآن بأنه نزل من عند الله، ويعترفون بمحمد (صلوات الله عليه

وعلى آله) أنه رسول من عند الله! لا يعملون هذه أبداً .
فلما كانت هذه المقولة هي مظنة أن تترك أثراً كبيراً سيئاً كان التقديم لها هنا بالشكل الذي أيضاً يفضحها، ويعلم الناس كيف يواجهون مثلها. هذا يؤكد لك فعلاً أن القرآن الكريم هو نزل من عند من يعلم السر في السموات والأرض الأشياء التي قد تكون مؤثرة يعطيها اهتماماً كبيراً هنا في كيف تفضح، لم تهتم القضية [بالجدل المنطقي] الذي يسمونه، أن تنطلق للبرهنة على أن هذا من عند الله ، وقد قال عنهم بأنهم عارفون أنه من عند الله، فقط تفضحهم في هذا، أتركها تظهر بأنهم كاذبون فيها من خلال تعاملهم على طول تاريخهم مع أنبيائهم وما كان ينزله الله عليهم. أليست القضية انتهت إلى فضح لهم ؟{قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩٣) .
تجد أثراً آخر في موضوع النفسية أعني الفارق الكبير بين ما يتركه الإيمان الصحيح الهدى من الله ، من طمأنينة لدى الإنسان بحيث يصبح في موضوع الموت، مستهينا بقضية الموت؛ لأنه لا يمثل الموت عنده قضية، يعرف هو على طريق هدى، وعلى طريق حق، الجنة هذه هي غايته. أعني: أن الإنسان يصل إذا كان متفهماً يصل إلى معرفة بأن الطريقة التي هو عليها هي الطريقة التي رسمت لتكون غايتها الجنة، هي الطريقة التي يحظى في السير عليها برضوان الله.
هذه الحالة لا يمكن أن تحصل مع أطراف أخرى مهما حاولوا أن يضفوا على طريقتهم من طمأنينة، أو على نفسياتهم لا يمكن، يحصل حالة من القلق تفضحهم على الرغم من أنهم يدعون أن الدار الآخرة لهم: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى} (البقرة: من الآية١١١). اليهود يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً!{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ} (البقرة: من الآية٩٤) كما تدعون أنتم، فالشيء الطبيعي كيف تكونون؟ فالشيء الطبيعي أن لا يكون الموت يشكّل عندكم قضية {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: من الآية٩٤). هذا يوجه إلى ما يفضحهم وأن هذا الإفتراء ناتج عما تعيشه نفسياتهم من القلق وعدم الطمأنينة{فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: من الآية٩٤) .
أسوء من هذه العقيدة، ما حصل عند طوائف من المسلمين أن الرسول سيشفع لأهل الكبائر يوم القيامة وافتروا في ذلك حديث:[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] . أمّنوا بها السلاطين، أمّنوا بها الخلفاء، أمّنوا بها الزعماء فتصرفوا مع عباد الله تصرفات قاسية جداً ظلمت الأمة، ظلمت الأجيال من هذه الأمة على طول تاريخها بسبب عقيدة مثل هذه.[فأنت إعمل ما تريد وإذا أنت تريد أن تحظى بشفاعة وتطمئن نفسك شيئاً ما فقم ببناء مسجد مثلاً أو أي عمل معين] تجد كانوا يقتلون المسلمين ويقتلون أولياء الله ويقتلون الآمرين بالقسط من الناس، ويبني مسجداً!. من أيام بني أمية علماء السوء ، علماء السوء يكونون قريبين لهم يُؤَمّنونهم ، ويُطمئنونهم، [وهذا حديث صحيح ورواه فلان، ورواه فلان ، وعقيدة ثابتة]، ويحاول أن يبحث عن إطلاق آيات معينة، ويحاول أن يجعلها شواهد على هذا، يطمئنه على أساس أن ينطلق في طاعة الله؟ أو ماذا؟ ليستمر على أعماله الإجرامية، فيقتل الناس، وينهب أموالهم، ويصادر حقوقهم على أساس أنهم قد قالوا له:[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] .
إذاً لاحظ كيف ينتج عن هذا !. هذه حالة نفسية ، يحصل حالة من القلق، ينتج عنها تحريف ، بحث عن أشياء يتشبث بها، تقدم في الأخير عقيدة، تستخدم في الأخير لضرب الأمة، لاستمرار من يعتقدونها في أعمالهم الإجرامية ضد الأمة، في أعمالهم هم، في تحريف كتب الله، في ظلم عباد الله.. في الإجرام بشكل عام ، ومن أين نتج أن يقولوا هذه: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ} (البقرة: من الآية٨٠) لأنهم عارفون أنهم يرتكبون أشياء هي رهيبة، عندما يكونون يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.
كل واحد في الأخير يفكر ولو لم يكن إلا عندما يريد أن ينام عندما يكون منفرداً بنفسه ويفكر، لأن هذه قضية ليست سهلة، ينطلق يحاول من هنا، ومن هنا، ينظر كيف يقدم موضوع جهنم، والخلود في جهنم، أو ليس هناك خلود؟{وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ} (البقرة: من الآية٨٠) ويطلع له أشياء يتشبث بها واهية لا يعتمد عليها.

الإنسان ليس بحاجة إلى هذه لتكن جهنم خلود لا خروج منها. الله قدم للناس طريقة سهلة تقيهم من دخولها نهائياً. أي: هي أيضاً حماقة كبيرة: أن تسير في أعمال هي في الأخير ستجعلك من أهل النار، ولو أسبوعاً واحداً لو لم يكن إلا أسبوعاً واحداً.

وقالوا: أنهم يقولون: [سبعة أيام] سيجلسون في جهنم أو [أربعين يوماً] على عقيدتهم. لكن ساعة واحدة ليست سهلة في جنهم، يوماً واحداً، أسبوعاً، يعتبر حماقة كبيرة منك أنك تعمل أعمالاً تسجن بها، وتعذب بها في جهنم يوماً واحداً، ليس هناك حاجة للطريقة هذه: أن أبحث لأي شيء من هذا القبيل يؤمنني من ماذا؟ من أن أعمل جرائم ، وفي نفس الوقت لن أتعذب إلا عدة أيام في جهنم .

الله سبحانه وتعالى قدم للناس طريقة يسيرون عليها لا يدخلون جهنم، ولا يسمعون حسيس جنهم نهائياً، لكن هكذا المضللون. فتعرف أن الكثير من العقائد الضالة يكون منشؤها حالات نفسية عند أصحابها، يحاول يُؤمِن نفسه قليلاً قليلاً، ويقدمونها للناس كعقائد باطلة. تطور المسلمون فاقوهم فعلاً في هذه! هنا يقول لك: {أياماً معدودة} أصحابنا من المسلمين قالوا: ولا يوماً واحداً! من ساحة المحشر يجرهم بأيديهم ويشفع للمجرمين، وقد ارتكبوا كبائر الإجرام، ويدخلهم الجنة! أليس هؤلاء فاقوا اليهود في هذه العقيدة؟.

والنصارى عملوا نفس القصة [تحب المسيح وتؤمن به وسوف يدخلك جنة أبيه] وقالوا أيضاً هم: [إن الباري ضحى بابنه، ضحى بابنه تكفيراً لخطيئات الناس] تخطئ كيفما تريد، الله قد ضحى بابنه من أجلك لترتكب الخطايا كما تريد! أما هؤلاء فظهروا أحمق، أحمق من اليهود، ومن المسلمين الذين يعتقدون العقيدة هذه، ليس هناك أحد يضحي بابنه لأجل الآخرين ليبقوا على إجرامهم وخطيئاتهم! يمكن أن يعف عنهم دون أن يقتل ابنه؟ أليس هذا ممكناً؟ يتركهم يخطئون! ضلوا فيها ضلالاً متعدداً، يجعلون المسيح ابناً لله، وأن الله هو الذي قتل ابنه، وضحى بابنه من أجل أن يسلم الذين يحبونه مع بقائهم على الخطيئة! ليس معناه : وهم يتبعونه، وهم يتبعونه أي : ما كأنه جاء برسالة.

أي نبي يأتي برسالة يكون المطلوب هو أن يتبعها الناس لا يحتاج إلى أن يكون عيسى رسولا نهائياً يكون عنده شريعة يقدمها للناس، وهدى يقدمه للناس ليسيروا عليه، ليسلموا العقوبة من الله في الدنيا وفي الآخرة، بل يأتي إليه يتجه يذبحه ليبقوا على ما هم عليه؛ إذا قد آمنوا فقط بأنه ابن الله على ما يقولون، وأنه يؤمن بالمسيح، وأنه ابن لله، ويسير على ما هو عليه من خطأ، من خطأ، من فساد.

هؤلاء لماذا يقدمون للناس ثقافة؟. إذاً نقول لهم جميعاً: أنه لا بأس اعتبرونا مخطئين، نحن مؤمنين بالمسيح، ألسنا مؤمنون بالمسيح؟ عندنا أخطاء. إذاً لماذا لا تطبقون العقيدة هذه علينا، وتسلمونا أذيتكم وشركم ، وأنتم تحاولون أن تفرضوا علينا ثقافتكم! إذا كانت ثقافتنا هذه خطأ فأنتم هؤلاء قد قلتم: أن الله قد ضحى بابنه تكفيراً لخطيئات المؤمنين به، نحن مؤمنون بالمسيح بأنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى .

نقول للآخرين من اليهود نفس الشيء، نقول للآخرين من داخل المسلمين ماذا تريدون منّا في الأخير؟ تأتون توعظوننا وتعلموننا وترشدوننا من أجل ماذا؟ غاية ما هناك أننا نرتكب كبائر، نحن مؤمنون بما أنتم مؤمنون به، بعناوين الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ألسنا مؤمنين بهذه؟.

إذاً غاية ما هناك أننا على ما نحن عليه حتى عندما نعتقد أن أبا بكر ليس خليفة، حتى عندما نغضب على أبي بكر، أو نتكلم على أي شخص من هؤلاء، اعتبرها كبيرة ، عندما تطفح المسألة اعتبرها كبيرة عندك، أنتم هؤلاء قلتم: إن رسول الله سيشفع لأهل الكبائر.

إذاً، أليسوا هم يسدون على أنفسهم الطريق؟ أي: أنهم يغلقون على أنفسهم، لم يعد لهم أي مبرر أن يحاولوا أن يفرضوا علينا أي شيء من عندهم نهائياً لا يهود، ولا نصارى، ولا طوائف من داخل المسلمين .

{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} (البقرة: من الآية٨١) **بلى، غلط، ليست المسألة على هذا النحو، {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً}** (البقرة: من الآية٨١) **مَن، من أي جهة كان ، وأي واحد من أي مكان جَمَّع، ما هناك توبة، ما هناك رجوع إلى الله. فالخطيئات بهذا التعبير كأنها أعداء تتجمع عليه، فتحيطه من كل جهة حتى توقعه في الهاوية؟{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ**

خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:٨١) **أليس هذا جواباً واضحاً؟ يقطع كل هذه الأماني التي لديهم، أصحاب هذه العقائد الباطلة؟ سواء عند يهود، أو عند نصارى، أو عند طوائف أخرى من المسلمين.**

{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:٨١)، **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة:٨٢) **إذاً القضية مبتوتة تماماً بالنسبة للجنة، وبالنسبة للنار، قضية مبتوتة.**

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} (البقرة: من الآية٨٣) **لاحظ توليهم كيف هو في الأشياء الكبيرة، القضايا الهامة، وفي الأشياء الأخرى حتى الأخلاقيات، حتى الكلمة الطيبة، القول الإحسان {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} هكذا يصبح الإنسان في الأخير تقريباً لم يعد لديه شيء إيجابي يعطيه، ولم يعد لديه شيئاً هاماً يتبناه، ويركز عليه، ويقدمه.**

تولي من أول ما يسمعون كلام الله، تولي وهم يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله، تولي وهم يقدمون عقائد باطلة تُؤمِّن المجرمين، تولي في ميدان التعامل مع الناس على هذا النحو: العبادة لله سبحانه وتعالى، الإحسان إلى الوالدين وإلى ذوي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسنى، وهذه من بديهيات الدين، هذه تعتبر من بديهيات الدين، من الأشياء التي هي أعني في دين الله سبحانه وتعالى بشكل عام وأشياء لا تمثل صعوبة في الواقع لا تمثل صعوبة: قول الإحسان، الإحسان للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين والقول الطيب للناس، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة.

{ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} (البقرة: من الآية٨٣) **لماذا؟ كلها اعتبرها نتائج لعدم الإهتداء بهدي الله، تجاوز، عدم تقدير لهذه النعمة العظيمة، حتى في الأخير يصبحون هكذا في واقعهم كل شيء صاروا معرضين ويعملون بالمقلوب في أي مجال هم فيه، وإذا ما يزال لديهم أشياء يحتاجون أن يقدموها فإنما هي في الواقع يكون معها أهداف أخرى لأنه مقامه يفرض عليه، موعظ ـ مثلاً ـ موعظ : لاحظ كيف مقامهم يفرض عليهم، وأهداف أخرى لديهم مثلاً ولاءات معينة، مقامات معينة، سياسة معينة لم يتعاملوا مع الناس على قضية أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) سيشفع لأهل الكبائر ويسكتون وفي الأخير، يقولون:[إذاً لم يعد هناك حاجة أننا نتعب أنفسنا ونرشد] لا.**

سيأتي يثرثر عليك في المحراب حث على الصلاة .. الصلاة .. الصلاة .. الصلاة ماذا يريد من ورائها؟! يجمِّع الناس إلى المسجد ليضلل عليهم ليكسبهم إلى صفِّه، ليخدم جهة معينة، أو يصنع له كياناً معيناً، أليس الموضوع يبدو وكأنه برّ، وكأنه عمل صالح؟. لا، القضية أصبحت في الواقع لم يعد هناك حاجة لهذا لا عند يهود، ولا عند نصارى، ولا عند مسلمين يعتقدون هذه العقيدة! لم تعد المسألة إلا مجرد وظيفة، مجرد عمل، لأنه عندما يقولون: هو رجل دين أمامهم [مطوّع] أو عالم، أو من الأحبار، أو من الرهبان ، سيحتاج أن يكون معه ممارسات معينة تكون من الدين يقول لهم يصلون، يوعظهم بأشياء من هذه، لا هي من النوع الثقيل، وليست انطلاقته في الواقع إذا كان هو يتذكر العقيدة هذه التي لديه لم تعد انطلاقة مبررة. ماذا بقي هناك من مشكلة أمام هذه؟ إذا قد عند اليهود: بأن الناس لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، أما النصارى فسيدخله جنة أبيه ـ كما يقولون ـ والمسلمون لو عملت جرائم كبيرة كيفما كانت أيضاً سيشفع له رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .

إذاً ليس هناك فائدة أنك توجههم للأشياء هذه بكلها لأن رؤيتهم هم الدينية، رؤيتهم الدينية، هي مبنية على قضية جنة ونار، فلا تتعب نفسك ولا تعمل لك هيئة أمر بمعروف ونهي عن منكر، وميزانية خاصة لها، ولا مطوعين بمرتبات، ومرشدين بمرتبات يتحركون ويسيرون، ولا تتعب نفسك في مطبوعات وكتب معينة تعلم الناس كيف يعتقدون وكيف يعملون، هذا كله قد صار عبثاً.

لو أن المسألة هكذا في دين الله فلن يكون هناك حاجة إلى أشياء كثيرة من هذه، لو أن الرؤية الدينية كلها تقوم على مسألة جنة ونار، وأن القضية هناك شيء معين يعتبر مُؤمِّن للناس على الرغم مما هم عليه فلن يبقى أي

حاجة إلى تعليمات أخرى نهائياً لأن كل الذي يقدمه لك على أساس : أنك تـدخل الجنـة، وتـسلم النـار، ألـيس هكذا؟.

إذاً، قد حسم الموضوع من البداية، لو أنا تارك للصلاة وتارك للصيام على ما تقولون فليس ذلـك يمثـل مـشكلة سأدخل الجنة إذا قد آمنت بهذا العنوان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، هـذا هـو البطاقة، بطاقة دخول الجنة لم تعد تحتاج إلى أي شيء آخر غيره.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْـتُمْ تَـشْهَدُونَ ثُـمَّ أَنْـتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ} (البقرة:٨٤ـ ٨٥) **أليست هذه مخالفات واضحة لما هم مقـرّون به وشاهدون على إقرارهم به ؟{تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَـوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُـونَ}** (البقرة: من الآية٨٥) **يتحولـون في الأخـير علـى مـستوى التفاصيل، متى ما انحرف الناس عن هدى الله، تحولوا في الأخير في تصرفاتهم إلى ماذا؟ إلى ما يكون في الواقـع مبني على إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض، إيمان ببعض الكتاب عندما يكون إيماناً بأشياء لا تـشكل خطـورات معينة، أو لها اعتبارات وتعطي قيمة معينة، وكفر ببعض.**

هنا لاحظ لأن هناك حالة تجعل الإنسان تكون تصرفاته هكذا! هل في الواقع يوجد هناك في دين الله ما يـشكل إحراجات تجعلك تتصرف بهذه الطريقة الخاطئة؟ لا، لكن هنا عندما تفسد النفوس ، عندما يتمادى النـاس في الإعراض عن هدي الله، تصبح النتائج بهذا الشكل تصبح دائماً بهذا الشكل .

لاحظ كيف أخيراً يتحدث عنها في نهايتها، من البداية تكون تصرفات الإنسان كلها وبال عليه ، وبـال عليـه مـن أول ما قال: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ} (البقرة: من الآية٧٩) **ثم تحدث عنهم بأنهم: {يَكْتُبُونَ الْكِتَـابَ بِأَيْـدِيهِمْ ثُـمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٧٩) **{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ}** (البقرة: من الآية٧٩) **ثم يقول: {فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَـتْ أَيْـدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}** (البقرة: من الآيـة٧٩) **ودائماً يأتي بعدها بالشكل الذي يبين بأنه تصبح نتائج أعمالك كلها وبالاً عليك، وشراً عليك، وخزياً، وفي الآخرة عذاب {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَيَـوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**(البقرة: من الآية٨٥). **بينما كان السير على هـدي الله، والله قد جعل هداه يسراً ولم يجعل في هداه حرجاً، وتكون كل نتائجه طيبة لك، وخيراً لك، وجـزاءاً حـسناً لـك في الدنيا وفي الآخرة.**

ما الذي قدم في الموضوع هنا حيث جاء بعده: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} (البقرة: مـن الآيـة٨٥). **أليـست قضية معينة تبدو عادية في قضية أسرى؟ وتظاهر على آخرين، وهو محرم عليهم أن يظـاهروا علـيهم، محـرم عليهم أن يخرجوهم، لكن يعملون هذه، ومتى ما أصبحوا أسرى سلموا فدية لإطلاقهم! هنا ظهر فيها ماذا؟ إيمـان ببعض الكتاب، وكفر ببعض، يترتب على هذا التهديد الخطير{فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ}** (البقرة: من الآية٨٥). **فكيف في القضايا الكبيرة، هذه القضية هي قـضية اعتبرها من القضايا الطبيعية أو العادية، هذا التعامل مع أسرى برز فيه مظهر مـن مظـاهر مـاذا؟ إيمـان بـبعض الكتاب وكفر ببعض. فكيف عندما يكون الناس في واقعهم مؤمنين ببعض الكتاب وكافرين ببعض في قـضايا هامـة جداً، قضايا العمل لإعلاء كلمة الله، قضايا جهـاد في سـبيل الله ، قـضايا مواجهـة لأعـداء الله ، قـضية توحـد كلمتهم أليست هذه قضايا كبيرة جداً؟!.**

فهذه تعتبر مما يبين للناس أن المسألة خطيرة جداً، إذا قدمت لك هذه العقوبـة الخطـيرة في قـضية تبـدو مـن القضايا العادية، موضوع أسرى ، فكيف بالقضايا الكبيرة؟.

عندما يعرض الناس عن هدي الله في الأخير تصبح هذه النظرة قائمة ، يصبح يشعر بحرج ، يشعر بالدين هذا عبارة عن جبال أمامه فيحاول يتخلص من هذا، ويحاول ينطلق في هذه، عسى هذه الانطلاقة تكفـر عنـه تركـه للجانب الآخر مع أن الدين ما قدم بهذا الشكل. الله يقول: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة: مـن الآيـة٦)

{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة: من الآية١٨٥) .
فدين الله، هدى الله هو بالشكل الذي يمكن للناس أن ينطلقوا عليه بسهولة، ليست قضية يحتاجون أن يتهربوا منها حتى يظهر منهم مظاهر أو عمل أو سلوكيات من هذا النوع، إيمان ببعض وكفر ببعض. للأسف هذه قد تكون ظاهرة في تعاملنا مع القرآن الكريم! إذا كانوا هم، بنوا إسرائيل ـ والله اصطفاهم ـ وتعاملهم قام على هذا النحو مع التوراة، وقدم مثلاً هو من القضايا العادية، موضوع الأسرى، فكيف بالقرآن العظيم، القرآن هذا الكتاب الهام الذي هو مهيمن على كتب الله ـ كلها ـ السابقة، كيف عندما يكون تصرفات الناس، أو تعاملهم مع القرآن هو بالشكل الذي فيه إيمان ببعض وكفر ببعض. أي: رفض للعمل به في بعض آخر، وكان هذا البعض من القضايا الهامة والكبيرة في القرآن. أليست هذه تعتبر حالة خطيرة جداً على المسلمين؟.
معنى هذا أنه يجب على الإنسان أن يفهم ، ويوطّن نفسه على أن ينطلق بأن يعمل بكتاب الله، وأنه لا تشكل حرجاً في الواقع خاصة في الانطلاقة الجماعية عندما يصبح مجتمعاً ستكون هذه القضية تسهل على الناس بشكل كبير ولهذا قال الله: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة: من الآية٢) قد يكون هناك نوع صعوبة إلتزام في وسط فاسد، مجتمع سيء، مجتمع فاسد، يبدو أن الإلتزام فيه نوع صعوبة، لكن هنا الله يقول للناس: يهاجرون إلى مناطق أخرى. أما إذا استطاع الناس أن يكونوا بشكل مجتمع فيتجهوا للإيمان بكتاب الله والعمل به فستظهر الأشياء يسر بالنسبة لهم ، بالنسبة لهم ؛ لأن الجو نفسه يصبح جواً مؤلفاً من مجتمع، الناس فيه يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ويشدون بعضهم بعضاً، المظاهر الأخرى التي هي مخالفة لكتاب الله ، مظاهر فساد، مظاهر المخالفة لكتاب الله تكون شبه معدومة، فسيكون هو بيئة صالحة، الدين فيه سهل أكثر ، ينشأ جيل في وسط يساعد على أن ينشأ نشأة صالحة .
إذاً فنأخذ عبرة من هذه أنه إذا كان المسألة خطيرة إلى هذه الدرجة: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (البقرة: من الآية٨٥) } كلمة خزي معناها: ذلة، عذاب، مختلف الأنواع، كلمة شاملة مثل كلمة: مرض في قوله الله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (البقرة: من الآية١٠) الخزي يعني: عذاب مخزي، حالة مخزية، وضعية مخزية وكم أصناف الأشياء التي يصبح الناس معها في وضعية تعتبر عذاب مخزي: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة:٨٦) هكذا أخيراً تأتي النتيجة .
أيضاً يبدل الهدى بأثمان قليلة كما يقول في الآية: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (التوبة: من الآية٩) استبدال للآخرة بالدنيا، يعني: تكون كلها تصرفات بالمقلوب، تصرفات كلها سيئة ، ووبال كلها، تمثل خسارة فادحة، تعتبر خسارة فادحة.
{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة:٨٦) عندما تستبدل بدين الله مصالح معينة، أنت هنا اشتريت بآيات الله ثمناً قليلاً أو استبدلت بهدى الله أشياء أخرى باطلة معناه أنك تخليت عن نصيبك في الجنة، تخليت عن الجنة، تخليت عن رضوان الله! أليست هذه خسارة كبيرة؟! أي: نتيجة استبدالهم بدين الله ثمناً قليلاً، مصالح معينة هو أنهم جعلوا هذه الدنيا التي سيعيشون فيها في وضعية مخزية بديلا عن الجنة التي هي مقامات عالية، ونعيم عالي ورضوان من الله أكبر {فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}.
كيف مواقفهم أيضاً مع الرسل الذين يأتونهم كمجددين ، هل تفترض أنهم عاشوا هذه الفترة مع نبي من الأنبياء كانوا بهذا الشكل؟. لا. أيضاً ظهر من مساوئهم كيف يتعاملون مع الأنبياء الذين يأتونهم من بعد، ومهمة النبي هو: أن يهديهم من جديد، ويعيدهم من جديد إلى طريق الصواب، وإلى السير على هدى الله. وهذا أيضاً مما يبين أن الله سبحانه وتعالى يقيم حججه بشكل كامل، وهي مظهر من مظاهر رحمته. يقول لك على الرغم مما تراهم على هذا النحو السيء فليس هناك تقصير من جانب الله ، هو آتا موسى الكتاب الذي فيه هدى لهم ، وأيضاً أتبعه برسل من بعده: {وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} (البقرة: من الآية٨٧) لم

يعودوا يستفيدون حتى ولا من الرسل الجدد الذين يأتون في مرحلة هم أحوج ما يكونون إلى الإهتداء بهديهم ، وإلى الإصغاء لتوجيهاتهم. لكن لا، وصل بهم الحال إلى أنه إذا جاء رسول لا يتأقلم معهم، يقتلونـه، أو يكـذبون به، ويموت ولا يكون قد أثر فيهم بأي أثر .

{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} (البقرة: من الآية٨٧) فريقاً مـن الرسل تكذبونهم، وفريقاً تصل بكم الحال إلى أن تقتلوهم مثلما قال سابقاً: {وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} (النساء: من الآية١٥٥) وصلت سخريتهم من منطق الهدى على ألسن الأنبياء منهم ، وعلى لـسان رسـول الله (صـلوات الله عليـه وعلـى آلـه) أن يقولـوا في الأخـير: نحـن قلوبنـا هـذه مغطـاة لا يـدخل كلامـك إليهـا، لا تتقبل. {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} (فصلت: من الآية٥) في آية أخرى يحكـي عـن المـشركين: قلوبنـا هـي مغطاة وآذاننا لا تسمعك فيها وقر: {قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} (فصلت: من الآية٥) يعني: مغطاة مخبية {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ} (البقرة:٨٨).

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة:٨٩) هذه الحالات لا تتصورها خاصة ببني إسرائيل، الإنـسان إذا لم ينتبه لنفسه من البداية لا يتوقع بأنه ربما في مرحلة أخرى سيهتدي أو ربما شخص آخـر سـيهتدي بـه أو.. من الأشياء هذه، متى ما ضل الإنسان فقد تأتي أشياء جديدة وفيها هدى له لا يتقبل ، يأتي هداة آخرون لا يعد يتقبل .

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ} (البقرة: من الآية٨٩) ألم يكن الموقف من هذا الكتاب المصدق لما معهم من هذا النبي الذي جاء بهذا الكتاب نفس الموقف الذي كان منهم مع أنبيائهم؟ هذا يعطيك أيـضاً بأنـه عنـدما تجدهم كافرين برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ما كانت القـضية فقـط مجـرد ردة فعـل، لمـاذا لم يكـن منهم، لماذا لم يكن من بني إسرائيل؟ لا، هذا هو امتداد لما كانوا عليه حتى مع أنبياء مـنهم، رسـل مـنهم{فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ} (المائدة: من الآية٧٠).

ما القضية أنه لو كان جاء محمد من بني إسرائيل أنهم كان سيسلمّون، لا. هؤلاء مع رسل منهم مـستكبرون، أعـني قد عندهم قضية ثابتة أبرز ما تكون هذه الحالة، هذه القضية يجب أن نركز عليها، من هم الذين يكونون على هذا النحو بشكل بارز؟ هم واجهة المجتمع الذي هو على هذا النحو، منهم؟ أحبارهم، ورهبانهم، الطبقـة المثقفـة فيهم، عمّار الكنائس، أصحاب المكتبات من تـراثهم هم الذين يكونون على هذا النحو! العامة يكونـون تبـع فقـط هم لا يعرفون، هم تبع لهم .

{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ} (البقرة: من الآيـة٨٧) من الذي يعرف بأن هذا الرسـول يـأتي بمـا لا تهـواه نفسه؟ كثير من عامة الناس الذين ما يزالون على فطرتهم، أو قـريبين من فطرتهم، ما يأتي بـه الرسـل يكـون بالشكل الذي يمكن يكون مقبولاً لـديهم بشكل كبير ، لكـن تنطلـق الفئـة الأخـرى، الطبقـة الأخـرى المثقفـة، الأحبار، الرهبان، العلماء، هم ينطلقون يضللون على هذا المجتمع بشكل كبير ، ويقفون في وجهه هـم. {فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} (البقرة: من الآية٨٧) {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ} (البقرة: من الآية٨٩) ويعرفـون أنه مصدق لما معهم{وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} (البقرة: من الآية٨٩).

لاحظ يوجد آيتان في خلال ورقة جاءت بهذا الشكل الذي يبدو مـن خلالهـا الإنـدماج الكامـل مـا بـين الكتـاب والرسول، الوحدة، وحدة ما بين القرآن ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هنا يقول: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٨٩) ـ وبعده ـ {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} (البقرة: من الآيـة٨٩) ـ يـستفتحون بمن ؟ بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ الآية الأخرى فيها: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} (البقرة: من الآيـة١٠١) ألم يأت هنا بالكتاب ؟ بعد ذكر الرسـول جـاء هنا بالكتاب وبعده موقف بالرسول، الكتاب والرسول شيء واحد، وحدة لا تتجزأ .

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ} أعني وهم في نفس الوقت هو جاء في مرحلة كانوا قبل يقولون للعرب عندما يدخلون معهم في صراع: [سيأتي نبي وسنقاتلكم معه ونحن منتظرين ذلك النبي نقاتلكم معه] يستنصرون به على الذين كفروا عندما يأتي{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٨٩) **إذاً أليس النبي جاء في مرحلة هم بحاجة إليه، أعني: هم يرون في هذا النبي الذي يأتي مخلص منتظرين لشخص هم يعتبرونه مخلصاً من وضعية ، هم كانوا متى ما هزموا أمام الآخرين يقولون: عندما يأتي هذا النبي .**

أي: أن عندهم الفكرة هذه هم يعرفون من البداية أن موضوع الخلاص يأتي على أيدي أعلام يصطفيهم الله، هذه ثقافة ثابتة عندهم، لكن هناك خلل عندهم في ثقافتهم، في منهجيتهم، أصبحت بهذا الشكل{جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} (البقرة: من الآية٨٩) **وكان المفروض أن يكونوا هم أول مؤمن به، ألم يقل هناك: {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ}** (البقرة: من الآية٤١) **{فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}** (البقرة: من الآية٨٩).

إذاً عندما نقول نحن: [اللعنة على اليهود] أليس اليهود على هذه الحالة؟ أليسوا كافرين بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ أليسوا مستمرين على ما كان عليه سلفهم الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ؟ هم كافرين ، فلعنة الله على الكافرين .**

لأن الخطورة في المسألة، أي أنت قد تلخص القضية في الأخير هي ثقافة تكوّنت، تبلورت ـ كما يقول البعض ـ تكونت تبلورت حتى أصبحت بهذا الشكل، بشكل تشكل عوائق كبيرة؛ لأن الثقافة هي تصنع نفوساً، الثقافة هي تقوم عليها الإنطلاقة، إنطلاقة الناس، مواقف الناس، تصبح هي مقاييس معينة حتى لم يعد يوجد بذرات من هدى الله تجعل النفس فيها نوع تسليم لله ، يأتي الشيء الذي قد صار معروفاً تماماً يعرفونه وهم بحاجة إليه من قبل أن يأتي ثم ماذا؟ يكفرون{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٨٩)**. هل تستطيع أن تتصور أي مبرر منطقي لهم بأن يكفروا به؟ لا يوجد حتى ولا هذه أن يقول واحد: ربما لو كان جاء محمد من بني إسرائيل لكانوا آمنوا ومستبعد أن يكفروا، وينتشر الإسلام. هنا قدم لك المسألة بأنهم: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}** (البقرة: من الآية٨٧)**. جاءكم رسول منكم{وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}.**

{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} (البقرة: من الآية٩٠) **لاحظ كيف النتيجة تأتي في الأخير: استبدال عن مستقبلك، عن الجنة مثلما ذكر هناك في الآية الأولى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ}** (البقرة: من الآية٨٦)**. في الأخير هو يعني: بيع نفس، يعني: بعت أنت نفسك تماماً بالخسارة، بالسوء، بالعاقبة السيئة، بالخزي، بجهنم، ليس هناك خسارة أكبر من هذه، ولا [دبور] أشد من هذا.**

{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً} (البقرة: من الآية٩٠) **بغياً، بدوافع بغي. لا يأتي البغي إلا في مقابل ماذا؟ بينات واضحة، طرق واضحة، تسهيلات بأن يستجيبوا، وتكون في الأخير إنطلاقة كلها بغي، عداوة، تطلّب لماذا؟ للكفر، وللخروج على هذا الشيء ورفضه: {أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** (البقرة: من الآية٩٠) **تصبح مجرد مقولة.**

ومع هذا تجد أنه مع هذا أي هي في الواقع لا تقول: [أنه فعلاً كانوا ممكن أناساً طيبين كان بالإمكان أن يستجيبوا لو أنه جاء الرسول منهم] لا ، بيّن بأنه حتى ولو جاء الرسول منهم أنه هكذا أسلوبهم لكنها مقولة قدموها، وقد يكون في داخلهم ولأنهم قد هيئوا لها بثقافة إنزوائية تقوم على تمجيدهم هم كفئة من الناس ، وأنه: [إذاً كيف ينزل الله فضله على آخرين ؟! كيف يعطي هذا الفضل العظيم آخرين؟!] يعرفون أن النبوة فضل عظيم، والدين فضل عظيم [فكيف ينزله على آخرين ولا ينزله علينا!] هذا لا يصح معه أن تقول أن هذا منطق واقعي ، مقولة داخلهم يوجد في ثقافتهم ما يجعل عامتهم قابلين أن يعمم هذا في وسطهم [لو كان جاء منا كان يمكن نتقبل]. {أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} (البقرة: من الآية٩٠)**، مع أن القضية إذا كانوا مسلمين لله، يجب أن تسلّم لله، ولا يكون بشروط أن يبعث النبي منا، أن يبعث منهم، من بني إسرائيل.إذا هم**

مؤمنين بالله، عارفين بأنهم عبيد لله، فيجب أن يسلموا، الحكم هو لله، الأمر هو لله، الإختيار هو إلى الله، الإصطفاء هو إلى الله سبحانه وتعالى .

{فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} (البقرة: من الآية٩٠) **غضب متراكم يعني: أشياء يعرفها هنا تمثل خسارة رهيبة، تصرفات كلها خاطئة، عواقب سيئة. ضرب أمثلة تهديداً لهم من نتائج ما هم فيه، كيف هذا يمثل بيع لآخرتهم، بيع لأنفسهم؛ قضية تؤدي إلى أن يتراكم الغضب عليهم، غضب على غضب {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}** (البقرة: من الآية٩٠) **. ونحن باستمرار نقول في القضية هذه مثلاً عندما نمر بكلمة غضب، كلمة رحمة، كلمة حب، أتركها على أصلها في مشاعرك{ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} ألست هنا تتصور تهويلا للمسألة؟ تهويلا للمسألة فعلاً.**

{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} أحياناً في كلمة: {عَذَابٌ مُهِينٌ} في بعض العبارات يأتي بكلمة عذاب، لا يكون بالشكل الذي يبين لك بأن معناه : عذاب جهنم ، هي عذاب بشكل عام من الدنيا إلى الآخرة ، عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة ذكر في آيات أخرى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} (الأعراف: من الآية١٦٧) **أليست هذه واحدة ؟ يكون عذاب مهين، مهين، ماذا يعني مهين ؟ يعني يجعلك تحتقر نفسك عذاب يحقرك. لاحظ الأعمال التي تأتي من جانب [حزب الله] و[حركة حماس] و [الجهاد] والحركات المجاهدة، إسرائيل ترى نفسها كبيرة، ومؤثرة، ويأتي هؤلاء يزعجونها إزعاجاً يجعلونها تبدو صغيرة ! يُقَزِمُونَها أمام الآخرين! أليس هذا عذابا مهينا ؟! مهين، هذا مهين.**

أعني: قد يأتي مثلاً هزيمة مع طرف هو ند باعتبار طاقاته، باعتبار قوته، قد لا يكون مهين، أحياناً يكون طبيعي في الصراع، أنه جهة مع جهة هناك تكافؤ كبير هذا طبيعي، الحرب سجال{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (آل عمران: من الآية١٤٠) **. لكن هذا كبير جداً، وفي المقابل ، هذا ضعيف جداً، ووسائل تعتبر بدائية بالنسبة لما معه هو، ويزعجونهم إزعاجاً رهيباً يقلقونهم ويبرهنون أمام العالم بأنه: إسرائيل هذه ممكن أن تضرب، إهانة، عذاب مهين. هذا مظهر من مظاهر عذاب مهين، وفي الأخير جهنم، أما جهنم فالله قد جعلها عذاباً مهيناً لكل من دخلها، وقد يكون هناك عذاب مهين لهم خاص، نعوذ بالله .**

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} (البقرة: من الآية٩١) **هناك قال: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ} يعني غضب من الله {عَلَى غَضَبٍ} غضب شديد من الله، نعوذ بالله من غضبه، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية٩١) **أعني: لاحظ الخسارة العجيبة في انصرافهم عن هدي الله وعمل هذه السيئات، هم ومن يكونون على هذا النحو فالنتيجة: غضب على غضب . بينما يذكر فيمن يسيرون على هديه تكون النتائج ماذا؟ رحمة، وحب من جهة الله سبحانه وتعالى، ورعاية، وتكريم، ورضوان .**

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٩١) **هذه مقولة جديدة ظهرت عندهم، وهذه هي نتيجة ماذا؟ نتيجة حالة هم فيها، هذه الحالة التي هم عليها بحسب ثقافتهم السائدة ورؤيتهم، ونفسياتهم، لم يعد يوجد لديهم تقبل أن يقبلوا هذا الدين، هو يفكر كيف يجعل على أقل تقدير يجعل الموضوع ذلك في دائرة هناك، ويجعل نفسه في دائرة مستقلة، يخفف موضوع اللوم عليه على الأقل هذه سادت في أوساط اليهود، حتى يبدو أنها وصلت إلى عوامهم، كان بعضهم هنا في اليمن يقولون لك: [هذا هو نبيكم، محمد نبيكم، نبي العرب، ونحن نبينا موسى] .**

في آية أخرى يبين: أن هذا من التفريق بين الله ورسله ومن الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض، وقال عنهم: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً} (النساء: من الآية١٥١) **. أي: أن من يكونون معرضين عن هدي الله، فكل مرة يطلّعون لهم مقولة، وتكون مقولات متعددة ما بين ما هو دعاية مضادة، وما بين ما هو عقيدة سيئة، وما بين شيء يعتبر في الصورة مبرر لهم في انزوائهم وبقائهم على ما هم عليه، هذه واحدة منها ليكون في الصورة مبرراً داخلياً وأمام المجتمعات: أنهم أصبحوا هم أمة لوحدهم هم على ما هم عليه! ترسخت هذه عند المسلمين في الأخير، حيث صاروا يعتبرون كأنهم أمة يبقون على ما هم عليه، ومعهم أنبياؤهم، ودينهم ، وديانات سماوية وهم لهم دينهم ، ونحن**

لنا ديننا، وقد هناك نظرة إليهم كإقرار لهم على ما هم عليه! مع أنها مقولة طلعوها هم لأن موقفهم بدا غير مبرر ، موقفهم بدا مخزيا حاولوا يستخدمونها كمبرر حتى لا يلومهم الناس، ويعذرونهم [هم لهم دينهم ومعهم نبيهم وأنتم هذا نبيكم وهذا كتابكم]. عمموا هذه ، ترسخت في أوساط المسلمين وهي مجرد مقولة تبريرية .

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} (البقرة: من الآية٩١) **الله وهو رب العالمين جميعاً ينطلقون بأن يتشبثوا بهذه {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}** (البقرة: من الآية٩١) **حتى ولو كان ذلك الشيء الآخر هو أنزل من عند الله {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ}** (البقرة: من الآية٩١). **هذا الشيء الذي يكفرون به وهو القرآن الكريم {وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ}** (البقرة: من الآية٩١). **أي: هو يكشف الواقع الذي لديهم، الأشياء التي تعتبر مؤشرات على ما هو حق . تجلت هنا أي: صدقت على هذا وهو يصدقها إضافة إلى أنه يصدق ما هناك من حق لأنه دين واحد، والدين الواحد يوجد أشياء تكون أساسية فيه يصدق الدين فيها بعضه بعضاً.**

في موضوع آخر التي تسمى: الشرعة {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (المائدة: من الآية٤٨) **كشرعة معينة لمجتمع معين، أو لأمة في عصر معين لكن متى ما جاء أيضاً نبي آخر يجب أن يسيروا على الشرعة التي يقدمها، لا تقدم في الأخير بأنها ديانات متعددة لأنه يوجد هناك مثلاً شرعة محددة في أحكام شرعية معينة، في جيل معين، في عصر معين، هذه تكون داخل الدين لأمة واحدة، قد تكون القضية الحكم فيها بالنسبة لك كذا باعتبار وضعيتك، وأنا بالنسبة لوضعيتي التي تختلف مع وضعيتك في اعتبارات معينة الحكم فيها كذا، ما يقال: هذا دين، وهذا دين! لا. إنما يكون الحكم من أساسه قائما على تأقلمه مع اعتبارات متعددة.**

هذا يختلف عن موضوع الذي يسمى تفرق في الدين، التفرق: أنه يأتي بالحكم متعدد مع وحدة الاعتبارات، والوضعية وضعية واحدة، واعتبارات واحدة فيقول: الحكم فيها كذا، الثاني قال: لا، الحكم فيها كذا، والثالث قال: لا، الحكم فيها كذا، هذا تفرق .

{قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩١) **لاحظ ما أجمل هذه في تعريف الناس كيف يفضحون الآخر فيما قد ظن بأنه مبرر، يسكت الآخرين، أنتم قلتم {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}** (البقرة: من الآية٩١) **لكن أنتم كنا نراكم في أنبياء منكم وينزل عليكم بواسطتهم كتب وتكفرون بهم وتقتلونهم {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (البقرة: من الآية٩١) . **إذاً فهذا إنما هو مظهر من مظاهر كفركم، أعني: هي دعاية اختلقوها أو مبرر اختلقوه وهو يمثل في نفس الوقت مظهر من مظاهر كفرهم عندما يقولون: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}. أنتم غير صادقين ، أنتم لا تؤمنون ولا حتى بما أنزل عليكم ، تقتلون أنبياء الله .**

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة:٩٢-٩٣) **هنا ضرب أمثلة ، أو جلى عدة أشياء تبين بأنهم هكذا في تعاملهم الكفري مع أشياء من داخلهم بواسطة أنبيائهم ، و كتب تنزل على أنبيائهم إليهم . هنا يوجد فارق في الموضوع... لاحظ في موضوع الطور هناك ذكر الطور سابقاً عندما رفعه فوقهم، هناك كان مازالوا في مرحلة يبدو مصبوغة بجهالة، ويكون هناك قابلية أحياناً إذا جاء شيء يحاولون يتراجعون، لكن هنا أصبحوا إلى درجة أن يقولوا: [سمعنا وعصينا]، تمادوا .**

{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} (البقرة: من الآية٩٣). **لهذا نقول : هي محور القضية ، وكل هذه الأشياء التي تعتبر سيئة مما عرضت عنهم ، وكل هذه الخسارات الكبيرة التي وقعوا فيها نتيجة أنهم لم يأخذوا ما آتاهم الله بقوة . كذلك الآخرون المسلمون أنفسهم عندما لا نأخذ كتاب الله بقوة نصل إلى أسوأ مما وصلوا إليه.**

{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} (البقرة: من الآية٩٣). **بعد ذلك يأتي أيضاً من النتائج الغريبة قضية يعشقونها ، يعشقها الناس نتيجة خروجهم عن هدي الله ، قضية باطلة ، ثم**

تحاط بهالة معينة، فتصبح في الأخير قضية أساسية، ويتشبثون بها ، ويشربونها شرباً {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} (البقرة: من الآية٩٣) حب العجل {بِكُفْرِهِمْ} (البقرة: من الآية٩٣) يكون هذا نتيجة لكفر، أحياناً الكفر يقدم بشكل ثقافة، ثقافة مزخرفة تجعلك تعشق شيئاً وهو باطل في واقعه يصبح عندك يمثل قاعدة من قواعد الدين وأساساً أو ركناً من أركان الدين ، وهو في الواقع باطل .

من أين أشربوا؟ عادة الباطل يحاط بهالة من الزخرفة، ويكون الأول يشرب الآخر، والعلماء يشربون العامة، عندما يحيطونهم بكلام كثير، وهالة، إلى حد أنهم يقولون عندما تشك: كفر . تجد داخل مثلاً [الإثنا عشرية] في مسألة المهدي المنتظر بأنه ولد في عام [٢٥٥هـجرية] ومن ذلك اليوم إلى الآن موجود كإمام موجود فهذه ماذا؟ أحاطوها بهالة رهيبة ، هالة أعني: كلام مزخرف ، وأحاديث ومقولات ، وتفريعات ، وقواعد، لّما قدمت المسألة أن تشك فيها كفر ، لم تعد تجرؤ تشك! فالعالم منهم يكون عالماً متبحراً وكبيراً، ويتعمّر زمناً كثيراً وتتوفر له وسائل كثيرة لأن يطلع على أشياء كثيرة، لم يعد يجرؤ يشك فيها تقدم كمسلّمة من المسلّمات وهذه من الأشياء السيئة أن الإنسان إذا ما تقبل هو فيصبح يعشق الحق ، يعشق الأشياء الصحيحة، ينجذب لها ، سينجذب لخرافات وباطل وأشياء سيئة .

ما هو العجل هذا؟ لم يشربوا في قلوبهم حب موسى؛ وكم الفرق بين موسى وبين العجل بالنسبة لهم ألم يكن الشيء الطبيعي أن يشربوا في قلوبهم حب موسى؟ أن يشربوا في قلوبهم حب الله ، حب هداه؟ الإنسان لا بد أن يعشق شيئاً، إذا ما تريد أن تعشق شيئاً صحيحاً ستعشق باطلاً .

{قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩٣). هذا إيمانكم رأيناه فعندما تقولون هناك سابقاً: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٩١) رأيناه ، انظروا إيمانكم هو هكذا، ما أسوأ هذا الإيمان الذي تتمسكون به، إيمانكم أسوأ ما يأمركم به {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} (البقرة: من الآية٩٣) في مقابل {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية٩٣). تصبحون عاشقين للعجل ، وحادثة العجل ، وأساطير حول العجل ، وكان الشيء الطبيعي ماذا؟ توحيد الله ، وحب الله ، وحب نبيّه ، وحب هداه ، تكونون عاشقين له.

ما هو هذا الإيمان ! هذا إيمان سخيف إيمان ينتج عنه {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} وتشبث بعجل ، وعشق لعجل ، بل من العجيب أنه فيما يتعلق بهذا العجل في بعض كتبهم جعلوا هارون أنه هو الذي صنعه! السامري لم يدخلوه في الموضوع في بعض كتبهم في [العهد القديم] حقهم ، هجوم على هارون أنه هو الذي صنع العجل هو !.

قد تقدم حادثة العجل بعد باعتبارها نبي من الأنبياء صنّعها ، وهي هناك أساطير ، هذه هامة جداً من الناحية المنهجية: أن تعرف كيف تواجه الطرف الآخر ـ الذي عنده أنه قد فكر وقدر وقدم حاجة و عنده أنه سيفحمك، سوف يصنع لنفسه مبرراً كاملاً ، قد فكروا أن أحسن طريقة أن يقولوا: هذا نبيكم وكتابكم ونحن نؤمن بما أنزل علينا ـ في كيف تقدم المسألة من البداية .

{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (البقرة ٩٤ـ ٩٦) يقول: أبداً، يتمنى أن يتعمر ألف سنة لأنه يعرف أن المستقبل بالنسبة له مُظلم ، مُظلم لأن الطريقة التي هو عليها هي طريقة ظلام مهما حاول أن يُصبغ عليها مبررات، وأشياء من هذه. { فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أي: قل لهم: {إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ؛ لأن معنى هذا أنتم تعرفون ونحن نعرف جميعاً أن الدار الآخرة أفضل من الدار الدنيا هذه، فعندما تدعون أن قد معكم ضمانة عليها وأنكم تسيرون إليها ، إذاً فالوجود في الحياة الدنيا هذه هو يعتبر خسارة بالنسبة لكم ، والموت يعتبر مفتاح الدخول إلى ذلك العالم الراقي ، إلى عالم الجنة التي تدعون اختصاصكم بها .

{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (البقرة:٩٥). عليم بالظالمين بالشكل الذي يفضح ما هم عليه ، أحياناً كثير من الدعاوى قد تنسى أنك كيف تواجهها ، أو كيف تفضحها ، خاصة إذا حصل عند الإنسان

وفق القواعد المنطقية في الإستدلال والجدل والحوار الذي معناه: مقارعة في اتجاه واحد ، ونقطة واحدة. فأحيانا تكون منصرفاً عن الموضوع ، عن موضوع دعاواهم أنهم مختصون بالدار الآخرة وأشياء من هذه قد يغنيك عن الجدل في القضية هذه [لا أبداً لستم مختصين ولو كنتم مختصين لكانت الأدلة كذا كذا ...] أخذ ورد ، قل: إذاً تمنوا الموت إن كنتم صادقين ، وسيبين من خلال حالتهم بأن كل ما يدعونه أنهم غير واثقين منه ، كل ما يدعونه لأنفسهم من اختصاصات ، وطريقتهم طريقة غايتها الجنة هذه باختصاص عند اليهود بأنه فقط هم سيدخلون الجنة، هم، لن يدخل ولا النصارى، والنصارى هم فقط. إذاً فهذا يفضحهم تجعل منه هو من واقعه ما يفضحه .

ثم يبين لك أنت كيف يصل الإنسان في نفسيته، لأنه ظهر هنا بمظاهر متعددة ، في اعتقادات، وسلوكيات ، ومواقف من الأنبياء مواقف مما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله.) ثم يبين لك أثر الضلال في حالة نفسية داخله، حاله نفسية، خائفين من الموت ولهذا يزعجهم جداً [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] . لا يريد أن يسمع كلمة موت نهائياً.

عندما رأوا الموت في العراق بمعدل أربعة ، خمسة كل يوم إنهارت معنوياتهم وانزعجوا هناك. الموت يشكل بالنسبة لهم قضية مزعجة جداً لأنهم غير واثقين بما وراءه نهائياً لهذا عندما قال الإمام علي (عليه السلام): ((والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)) طمأنينة هذه، يأتي الموت، يريد يتقدم، يريد يتأخر متى ما أراد هنا طريقة صحيحة فليكن ما كان .

{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدا} هذه فضيحة مؤكدة من البداية لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم، {يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} (الفرقان: من الآية٦)، ويعلم أن هؤلاء هم بهذا الشكل {لَنْ يَتَمَنَّوْه} ألم يكن باستطاعتهم أن يتمنوه ليفضحوه، أبداً لن يتمنوه ، وهم يتمنون أن يكون لديهم ماذا؟ ما يفضحون هذا الذي يعتبرون أنه غير صحيح ، أو يدعون أنه ليس حقاً، القرآن مثلاً ونبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذه قضية خطيرة لولا أنها من عند الله، لن يستطيع أحد أن يقول هذا أبداً، لن يجرؤ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن يقول: { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدا} لماذا؟ لأن معناه أنك تعطي الطرف الآخر تعلق مصداقيتك كلها بشيء خطير ربما يعملونه تفتضح، أليست قضية سهلة؟ أنه يمكن أي طرف يتمنى الموت ، لكن لما كان من عند الله، هو يعلم .

إذاً، فهذه من المؤكدات أن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى لا يوجد أي ريب على الإطلاق مثلما قال في أول السورة{لا رَيْبَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢). لاحظ كيف أنه من مظاهر أنه {لا رَيْبَ فِيهِ} أنه من عند الله ، هذه النقطة الحساسة والتي لن يجرؤ أحد على الإطلاق أن يقولها أن يتحدى الطرف الأخر بها، ترتب كل مصداقيتك على حاجة بسيطة [مثل الشعرة] ربما يقولونها ! تقول: إذاً تمنوا الموت، ما رأينا شيئاً. انهار كل ما عندك من شيء، أبداً {وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (الجمعة:٧). عليم بنفسياتهم وشخّص للناس نفسياتهم ، عليم بكيف تفضحهم، عليم بكيف تبطل كثيراً من ادعاءاتهم ومقولاتهم .

{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} (البقرة: من الآية٩٦) لأنه لا يتوقع شيئاً بعد الحياة هذه ، هو يريد يبقى هنا {أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} أي : جزء من الحياة، يتشبث بحياة حتى لو قد صار يهودياً على عصاه ولو قد صار في وضع مزري، لا يحب أبداً أن يموت ، وأحرص من الذين أشركوا ، أحرص منهم على الحياة.

{يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} (البقرة: من الآية٩٦). إذاً هذه هي تمثل نقطة ضعف بالنسبة لهم، كبيرة جداً. فمن نعم الله تعالى على الناس أنه عندما يكون أعداؤهم يسميهم : كافرين، وضالين، ولا يفقهون ، وطبع على قلوبهم ، ولعنهم، وغضب عليهم ، وضرب عليهم ذلة، ومسكنة، ويخبر عنهم بأنهم حريصون جداً جداً على الحياة. ماذا يعني هذا ؟ نقاط ضعف لديهم؛ لأن هذه كلها في الأخير تقوم عليها تصرفاتهم، قريبون جداً إلى الإنهيار في معنوياتهم، خوّافون جداً، جبناء جداً.

نحن لا نقيمهم على أساس هذا الشيء الذي عرض القرآن الكريم! هو كلام من عند الله سبحانه وتعالى، وهو

بالشكل الذي فعلاً يبين لك نقاط ضعف، ورغم هذا ما يزال المسلمون يرونهم أقوياء، ويرونهم كباراً ،ويرونهم كتلاً من الصلب .

{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} (البقرة: من الآية٩٦) **كلمة: تجدنهم، تظهر من سلوكياتهم وليس فقط قضية غيبية سترى، وستجد أنت أثناء الصراع معهم وتعاملهم في الحياة هذه ما يبين لك أنهم أحرص الناس، كل الناس حتى من المشركين، أحرص من المشركين على حياة {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ}** (البقرة: من الآية٩٦). **معنى هذا: أنها ليست قضية فقط نفسية ، بل تظهر في واقعهم، تظهر في صراعهم، ظهر لنا في موضوع العراق عندما ظهر قتل يومياً كيف انهارت معنوياتهم، كيف بدت أمريكا هناك منزعجة جداً ، يطالبون بإعادة الجنود، والجنود صاروا يتهربون على تركيا، وعلى سوريا.**

يقولون في بعض الصحف: أنه الآن سوق في العراق التهريب مثل الذي كان يهربونهم إلى السعودية من المغتربين، سوق للتهريب، يهربونهم الذين هم عارفون . يهربونهم من صحاري[شغالين] يهربون الجنود، تبخرت كل مطامعه تلك ، ولو أنه عارف العراق أنه ملان بترول، تبخرت، القضية فيها موت [الله كريم] لم يعد يريد شيئاً، لا بترول ولا شيء.

{يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ} (البقرة: من الآية٩٦) **العاقبة السيئة مرصودة لو يتعمر ألف سنة {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ}** (البقرة: ٩٦-٩٧) **لاحظ إلى أين وصلت الآثار السيئة لإعراضهم عن هدي الله؟ ألم يصيروا في مشاكل حتى مع الملائكة، وعداوة لرسل الله والآن عداوة مع الملائكة.**

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (البقرة:٩٧) **تجد كيف التوجيه القرآني يختلف عن السياسة العربية الآن، السياسة العربية الآن للأسف متى ما قال أحد هناك في الغرب [الإسلام هذا إنما هو دين فرض بالقوة وبالسيف ، الإسلام هذا يولد العنف والإرهاب] جاءوا هنا ليقولوا: [اتركوا يا جماعة اتركوا كلمة جهاد ولا تتحدثوا بها سيقولون هنا كذا .. كذا شوهنا ديننا] هذه تعتبر حالة غباء .**

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ} (البقرة: من الآية٩٧) **هل قال الله: [إذاً سنكلف ميكائيل أو إسرافيل بدل جبريل!]؟ قل لهم جبريل هو هو الذي تعادونه، هو الذي نزله على قلبك لا تتأقلم معهم ، لا تتأقلم معهم، تتجاوب معهم على أساس ربما ، ربما إذا تركنا هذه يمكن ينسجموا هناك معنا ، لا . هذه حاصلة عند العرب للأسف ، هذه حاصلة!.**

عندما تجد كتابة عن أحد اليهود هناك يعمل لتشويه الإسلام رجعوا هم وقالوا لنا: [أتركوا شوهتم لا تتحدث عن الجهاد ، سيقولون متشددين ، وإرهابيين ، وتبرهنوا على أن الإسلام فعلاً على ما يقولون دين فرض نفسه بالسيف وبالقوة] . وينسون، ينسون أن يواجهوهم أن يقولون: لا. أنتم تبينون أنفسكم بالشكل المعاكس لما توبخوننا به ، أنتم في نفس الوقت تفرضون ثقافتكم بالقوة، ثقافة من عندكم. أما هذا هو دين من عند الله يفرض على عباده جميعاً ، أنتم الآن في البر وفي البحر قواعد عسكرية ومتجهين لفرض ثقافتكم بالقوة. عندما تقول ، قل فلم تفرضون ثقافتكم بالقوة؟ الأسلوب الذي يوجهك القرآن إليه .

إذا ما هناك توجه قرآني ستأتي الأشياء عبارة عن ماذا؟ هزيمة نفسية ، انعكاس لهزيمة ، قالوا : كذا، نحاول نترك هنا حتى أنهم لا يقولون... ! قل عندما يقول لك: الإسلام فرض بالقوة، لتكفي نفسك مؤونة الأخذ والرد حول أن الإسلام والجهاد هو كذا في الإسلام، وأشياء من هذه ، قل : فلم تفرضون أنتم ثقافتكم بقوة الصواريخ والطائرات والغواصات وغيرها من قواعدكم العسكرية؟! إذاً، ثقافتكم هكذا. فهل باستطاعته أن يلومك، أو باستطاعته يوبّخ دينك؟ هذه الطريقة أفضل، وليس أن ترجع إلى الناس لتقول لهم : اتركوا كلمة جهاد، لا أحد يدعوا إلى الجهاد، ولا أحد يربي مجتمعاً يبدو متشدداً في التزامه بهذا الدين وشديداً على أعداء الله، لا. لأجل أن لا يقولوا.

في موضوع جبريل في نفس السياق الأول: {مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ} (البقرة: من الآية٩٧) هم عادوا جبريل ، قالوا: هم قالوا: من الذي ينزل القرآن عليه؟ قالوا: جبريل . قالوا: إذاً جبريل هذا عدو لنا . لو أن عند رسول الله حاشية وهو من نوعية العرب الآن لقال: والله لم يرضوا بجبريل، أرسل واحد ثاني يقول: إسرافيل ، قالوا: إسرافيل هو عمل كذا. ماذا قاله له؟ ـ لأنهم عادة هم فئة لا تنتهي مطالبهم ـ قل لهم: {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٩٧) هو الذي جاء به مباشرة، وليس حتى أن جبريل فقط هو واحد من الوسائط من جبريل إلى ملك آخر ، بل هو نفسه الذي يأتي به إلى عندك، على قلبك .

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} (البقرة: من الآية٩٧) وجبريل نفسه هو لا يتصرف من جهة نفسه ، هو من عند الله . ليعود إلى قضية هي أساسية عند البشر جميعاً ، هي قضية هامة ، أي : يجب أن لا تنسى الأشياء التي تعتبر تشكل إلتقاء، لأنه متى ما عاندوا يبدون أكثر فضيحة ، وتكون الحجة عليهم أظهر {فَإِنَّهُ نَزَّلَه} جبريل هو الذي نزل القرآن {عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}، إذاً، فإذا هو بإذن الله فيجب أن تقبلوه حتى ولو كان أنتم تعتبرونه عدواً.

{مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} (البقرة: من الآية٩٧) وكلمة مصدقاً لما بين يديه ، كل ما يقول بأنه: {مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، هو ـ عادة ـ موجود عندهم . أي: ما معناه: أمة أخرى ، العرب لم يكن بين أيديهم شيء هل كان بين يدي العرب شيء؟ أو بين يدي الهنود أو الصينيين أو كذا ؟ تكون الحجة قائمة عليهم أكثر ، لأن الذي يحكى عنه ما بين يديه: التوراة والإنجيل. أليست من الكتب التي أنزلت على أنبياء منهم؟ وأنزلت ليهتدوا بها وليهدوهم بها؟ قل: فيجب أن تكونوا اقرب أنتم.

لأن العربي نفسه جاء لينسف ما بين يديه. ألم يكن بين يديه أصنام ، وخرافات، وأشياء من هذه ؟ وتقاليد جاهلية معينة ؟ نسفها ، أما أنتم فما بين أيديكم ـ ليس معناه ما بين أيديهم مما هو محرف ـ ما بين يديه هو ما كان قبله مما هو من عند الله: التوارة ، والإنجيل التي أنزلت على موسى، وعيسى من عند الله ، والزبور الذي أنزل على داوود ، أي : في داخل بني إسرائيل نزلت ، أليست نزلت داخل بني إسرائيل؟ فكان المفروض أن يكونوا هم أول من يؤمن فعلاً آمن العرب مع أن هذا الدين جاء لينسف منه إلهه بكله ، يعتبره إله، وكثير من تقاليد جاهلية، وخرافات لديه ثقافة وعبودية، وتوجه كامل نسفه، ألم ينسف عندهم هذه ؟ .

{فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩٧) لكل المؤمنين ، ولكل من آمن، فجبريل عندما نزل بهذا الكتاب من عند الله لم ينزله بالشكل الذي ماذا ؟ هو فقط حق فئة خاصة ، أو يراعي أن يكون هدى وبشرى لمجتمع معين ، أو جنس معين من البشر ، هو نزل للكل {هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (البقرة: من الآية٩٧) من أي فئة كانوا هؤلاء المؤمنين .

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة:٩٨) ما الذي جنوا من وراء هذه؟ أنه سيؤقلم القضية على حسب ما يريدون؟ لا. سيكون هو عدوهم ويقارنون بين أنفسهم وبين الله ، أليسوا هم الآن دخلوا في حالة عداوة مع الله؟ أعداء لملائكته، وكتبه، ورسله، إذاً هو عدوهم، وبالتأكيد هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده، وبيده مصيرهم، حياتهم وموتهم ومصيرهم في الدنيا وفي الآخرة .

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} (البقرة:٩٩) خارجون عن الطريقة، هو بين كيف كان خروجهم ومظاهر خروجهم ، وفي الآيات هذه أعطى نماذج لمظاهر فسقهم أي لخروجهم عن الخط الإلهي، عن الهدى الإلهي. {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً} (البقرة: من الآية١٠٠) مع أن الذي أنزله الله هو آيات بينات، أي: لو نظروا إليها مجرداً عن هذه الأشياء ، أي لم تكن القضية فقط مربوطة بمجرد أنه نزلها جبريل، بل هي في نفسها آيات بينات، تدل على الحق، وترشد للحق، نزلها من نزلها .

{ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (البقرة:٩٩-١٠٠) هذا مظهر أيضاً من مظاهر انحرافهم عن هدي الله كيف أصبحوا! لم يعد يوجد عندهم أي

وفاء، ولا التزام، ولا إنسانية كما يقولون: {كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٠٠) هذه ظاهرة فيهم الآن بشكل عجيب في [إسرائيل] التي تمثل دولة لهم الآن يدخل [الليكود] في معاهدات وجاء[حزب العمل] عندما يأخذ الحكومة ينقضها، أحياناً نفس الحزب هو يدخل في معاهدات ثم ينقضها هو .

{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٠١) كيف كانت النتيجة أيضاً في تعاملهم مع كتبهم؟ في الأخير أدى إلى أن ينبذوا ما في كتبهم مما هو شاهد بنبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) تركوها وراء ظهورهم . لاحظ الضلال كيف يكون خطيراً جداً ، كيف يجعلك مع كل شيء حتى مع ما هو محترم عندك في الأخير وإذا قد أنت تتعامل معه تعاملاً سيئاً .

كتاب الله الذي هو القرآن يرونه أمامهم آيات بينات ، ثم كتبهم، لأنه أحياناً عبارة كتاب تأتي جنس، جنس الكتاب فهم قد نبذوا التوراة والإنجيل من قبل، ونبذوا ما فيها مما ظهر شاهداً لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعرفوا من خلاله أن هذا نبي فعلاً وهذا هو كتاب من عند الله {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٠١) وهم يعلمون أن هذا هو من عند الله، ويعلمون أن هذا مصدق لما في كتبهم من أشياء كان هذا مصداق لها، فنبذوا كتب الله السابقة، وكتاب الله هذا الجديد القرآن الكريم في ماضيهم عندما وصل ضلالهم فعلاً، وهي النتيجة التي يصل إليها أي مجتمع ينبذون كتاب الله ولا تدري إلا وقد هم يلاحقون أشياء ثانية ليس منها شيء.

{نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٠١) هذه هي قضية مستمرة عندهم من زمان، تجد أنهم كيف كانوا يتجهون إلى ماذا؟ {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} (البقرة: من الآية١٠٢) قد صاروا يلاحقون خرافات، [وعزايم]، وطلاسم وأشياء من هذه! وكتاب الله هو أهم، هو أهم بكثير، وفيه ما لا يحتاج إلى مثل تلك الأشياء.

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ} كم الفارق بين الذي يأتي من عند الشياطين، وتزخرفه الشياطين، وبين كتب الله سبحانه وتعالى؟ بين هذا القرآن الذي نزله جبريل، وهم يقولون: جبريل، أبداً! هم هؤلاء يقبلون من شياطين! هم معادون لجبريل ولا يريدون القرآن ، القرآن لا نؤمن به لأن جبريل هو الذي نزله، أنتم هناك سابقاً تتبعون ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من عهد سليمان وفي عهده .

{وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} (البقرة: من الآية١٠٢) متبعين سحراً جاءت به الشياطين وتاركين كتب الله التي أتت بها ملائكة الله! أليست هذه نتيجة سيئة من نتائج الضلال؟ ومظهر سيء من مظاهر الضلال هكذا قد ظهر فينا هذا عندما أعرضنا عن كتاب الله أصبحنا نتتبع ما يتلوه الآخرون من الضالين، ويقدمونه باسم أنه وسيلة لأن تعرف دين الله، و يقدمونه على أنه هدى من هدى الله{مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} (البقرة: من الآية١٠٢). وأيضاً {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ} (البقرة: من الآية١٠٢) بالنسبة للموضوع الأول قال فيه: { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}. الشياطين يعلمون الناس السحر، قد تكون الجوانب التي هي في الواقع ما فيها فائدة استخدام سيء لعلوم معينة .

{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ} أي: واتبعوا ما كان ينزل على الملكين ببابل هاروت وماروت{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ} (البقرة: من الآية١٠٢) هذه القضية، قضية الملكين، هي من القضايا التي حصلت أقوال كثيرة حولها، حول كيف ؟ هل كانوا ملائكة فعلاً، أو سموا ملائكة ، لما كان يرى الناس فيهم من مقام رفيع شبيه بقول المصريات: {مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} (يوسف: من الآية٣١) بالنسبة ليوسف .

هل هم ملائكة كانوا في السماء وهبطوا إلى الأرض ؟ المهم، أخذ ورد في القضية بشكل كبير، يبدو من هذا: أنهم ما كانوا أناساً سيئين ، أعني: لو فرضنا وهم أناس، أو كانوا ملائكة نزلوا بعلوم ، علوم للبشر، هذه العلوم هي كأي علم آخر شأنها شأن المعادن هذه. أليس الحديد يمكن أن يستخدم في الجانب الخير وفي الجانب السيئ؟ العلوم

مثلاً علوم الذرة ـ التي يقولون ـ يستخدمونها في الجانب الخير وفي الجانب السيئ. وهكذا تقريباً كل العلوم ، كأن هؤلاء جاؤوا بعلوم .

عندما يلاحظ الإنسان مراحل من التاريخ السابقة في فترة [سليمان] في فترة ربما [فراعنة قدامى] في مرحلة يبدو في الدنيا هذه كان يوجد تسخير لأشياء نتيجة علوم قائمة، تسخير لأشياء نتيجة علوم قائم فوق طاقات الإنسان، [المصريون] حصل عندهم [الأهرام] هنا في اليمن مظاهر أخرى، عند سليمان، كذلك [عرش بلقيس] يصل إلى عند سليمان في طرفة عين! فكأنه مهارة، كان لديهم علوم، لكن الإنسان أحياناً لا يقدر بعض الأشياء لا يقدرها في الأخير يتجهون إلى الجانب السيئ فيها ، ويبحثون بعد ماذا؟ بعد العلوم التي يستغلونها في ماذا؟ فيما يفرقون به بين المرء وزوجه.

مع أن هؤلاء يبدو أنهما كانا يقولان لمن يعلمونهم: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ}(البقرة: من الآية١٠٢). أعني: لاحظ المساواة بين هذه والمساواة بين سليمان عندما قال: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}(البقرة: من الآية١٠٢) أولئك كانوا شياطين على عهد سليمان يعلمون أشخاصاً آخرين السحر، قضية ليست من عند سليمان، هؤلاء شياطين كافرون يعلمون الناس السحر، استخدام يضر بالناس وخدع وأشياء ليس لها قيمة.

سليمان لم يكن كافراً، أيضاً ما كان يعلمه الملكان هؤلاء، وهؤلاء أيضاً كانوا على هذا النحو: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}(البقرة: من الآية١٠٢) عندما يعلمون أحداً يقولان هذا شيء يمكن يستخدم في جوانب الخير والشر فلا تكفر باستخدامه في جانب الشر. {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}(البقرة: من الآية١٠٢). هذه تساوي قوله لسليمان {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}(البقرة: من الآية١٠٢).

{فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}(البقرة: من الآية١٠٢) هم استخدموه في هذا الجانب في التفريق بين المرء وزوجه. {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية١٠٢) هذه من الخسارة . لاحظ أيضاً من الخسارة الكبيرة عندما لا يسير الناس على هدي الله أنهم يضيعون العلوم التي تبني حضارة بالنسبة لهم ، التي تبني الحياة بالنسبة لهم، التي تمكنهم من تسخير كثير من مظاهر هذه الحياة من المخلوقات، من الأسرار العجيبة في هذا الكون ، في جوانب عمارة الدنيا في جوانب الخير، بناء حضارة ـ كما يقولون ـ فعلاً تجد هذه حصلت عند المسلمين ! كان القرآن بالشكل الذي فعلاً يهدي هذه الأمة لو اهتدت به إلى أن تصل إلى علوم أرقى مما وصل إليه الغربيون.

وفي نفس الوقت يقدمونها خيراً للأمة وللبشرية في الوقت الذي قدمها الغربيون في الأخير شراً ، شراً للبشرية نتيجة ماذا؟ عدم الإهتداء بهدي الله لا يوجد عندهم اهتمامات أخرى، يريد يتعلم أشياء أخرى من أجل إذا تزوج أحد بامرأة هو يحبها أو [لعبة] يفرق بينهم حتى يتزوجها، أو ذلك هو غاضب عليه يحاول يعمل أشياء تضره ، يخلق بينه كراهية هو وزوجته[لعبة] هذه، لأنه هكذا الانصراف عن هدي الله هو الذي يحطم الحضارات في الأخير ، هو الذي يجعل الإنسان على الرغم من عظم ما يقدم إليه من علوم، ينظر إليها نظرة لا تكون ذات قيمة، وفي نفس الوقت إذا يريد يسخرها، يسخر منها الشيء الذي يلبي مطالب معينة وحاجات معينة هي تافهة .

الملكان قد يكونا فعلاً جاءا بعلوم هامة ، أليس الله قال عن وزير سليمان عندما قال: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}(النمل: من الآية٤٠) هذه قضية علمية فيها تسخير لأشياء في هذا الكون، أليس هذا يعتبر جانباً إيجابياً هاماً؟ تنسى هذه الأشياء التي هي هامة، تنسى و تترك لأنها نفوس قد فسدت ، نفوس لم يعد عندها اهتمامات كبيرة ، لم يعد عندها نظرات واسعة، لم يعد عندها أي شيء مما يمكن أن يعطيه هدي الله ، فضاعت هذه العلوم الهامة جداً وأصبحوا يركزون على جانب [الطلاسم] للتفريق بين المرء وزوجه ، ومازالت فيهم إلى الآن ألم يكن البعض يذهب[يعزّم] من عند اليهود، يذهب يبحث له عن [عزايم] من عند اليهود؟ هذا يؤكد أنه فعلاً أن هدى الله هو الطريق الصحيح إلى بناء الحضارات، إلى الحصول على المعارف الواسعة التي يبني الإنسان بها الحياة على أرقى مستوى، وعلى أ ساس هدي الله. نفس الشيء حصل لنا تركنا

القرآن واتبعنا ما يتلوه الذين تركوه من زمان.
على حسب ما نفهم بأنهما ما كانا سيئين هذان الملكان ولم يكونا يعلمان السحر ، أو يقولا: لا تكفر ليدفعوك إلى أن تكفر. أبداً. قارن بينهما وبين قوله لسليمان: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} هذا الإستخدام السيئ قد حذر منه هؤلاء الملكان كيفما كانت المسألة، أعني: ليست قضية أن نعرف هل كانوا ملائكة فعلاً، وهذا ليس مستبعداً أن يكونوا ملائكة فعلاً، نزلا ولم يكن معناه : أنهم ما زالوا مثلاً مستمرين هم قد يكونا علما فئة معينة، أو أشخاصاً معينين ويؤدونه بنفس الدور ، ويقولون: لا تكفر ، سواء كانا مازالا موجودين أو غير موجودين وقد حَمّلَ المُهمة أشخاص آخرون .
قد تكون العبرة التي يريد الله منها: أن ترى كيف وصل الناس الذين أعرضوا عن هدي الله ، وكفروا بنعم الله كيف وصل بهم التعامل مع علوم هامة ؟ وكيف أصبحت اهتماماتهم بالشكل الذي أضاع تلك العلوم ؟ اهتمامات لا قيمة لها للتفريق بين المرء وزوجه! بينما الشخص ذلك الذي كان عنده اهتمام كبير: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (النمل: من الآية٤٠) **قضية ما قد استطاع الناس أن يفسروها إلى الآن كيف أمكن؟ مع أنهم يقولون: أن السرعة على هذا النحو قد تؤدي إلى أن الجسم الفلاني يحترق فكيف كانت المسألة ؟ إن الله هو مصدر العلم، والعلم من عنده وهو يقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً}** (الاسراء: من الآية٨٥) .
والكون فيه أسرار كثيرة جداً ومعظم الأشياء الآن القائمة، عندما ترى الصورة في التلفزيون وهي تنقل لك [البث] من [لندن] مثلاً أو من أقصى منطقة في الدنيا هذه أليس هو عبارة عن استخدام لأشياء في الكون ؟ أشياء لا يستطيعون أن يشخصوها ويعرفون ما هي، يسمونه: [أثير] ، أنت تعمل مثلاً في جهاز [البث] أنه يجعل موجات مثلاً مكهربة ، ممغنطة على نحو معين فتنطلق بهذه السرعة إلى [الأقمار] ثم تنزل إلى جهاز الإستقبال هنا ، هل هي مشيئة من عندهم نافذة؟ أو إستخدام وسائل؟ استخدام أسرار ، استغلال أسرار، استغلال أشياء الله أودعها في هذا المحيط في هذا الكون وبشكل عجيب.
مثلاً، قد تلاحظ ممكن [التلفزيون] يبث في نفس الوقت ست محطات في شاشة واحدة تكون كلها تراها أمامك ولو لم يكن بإمكانك أن تفتح واحدة وهي تمر عن طريق سلك واحد! [خطوط الإنترنت] الذي يستخدمونه الآن الإنترنت [الألياف الضوئية] التي يسمونها هي أشياء دقيقة جداً يمر منها الأشياء المتعددة في نفس الوقت الواحد! تظهر في جهاز هذا كذا، وجهاز هذا كذا ، وجهاز هذا كذا، وهي في نفس الوقت خط واحد لا تتغالط في الهواء لا الصور ولا الحروف مع زحمة البث، الأصوات والصور صوت وصورة تزدحم بشكل رهيب ويجلس [الواو] واواً حتى يصل عندك من هناك سواء مكتوب أو منطوق يمر بواوات أخرى أشياء عجيبة؟!.
كيف جهاز البث وجهاز الإستقبال ما هما؟ أليسا عبارة عن استعمال لوسائل، دوائر كهربائية معينة ، أشبه شيء[بالأوفاق] تلك التي يعملونها أوفاق وحروف وأشياء من هذه وتترك أثراً معيناً ؟ لاحظ جهاز[التلفزيون] أو[الراديو] عندما تنظر إلى مخططاته أشبه شيء[بالطلاسم] فيه دوائر كهربائية معينة ، وقطع معينة فيها سلك مشدود على شيء ، وفيها قطعة معدن أخرى، وفيها تراب معين وفيها ملح ، فيها أشياء من هذه ، كهرباء تمشي فيها تطلع لك هذه الأشياء.
ربما كان مع الأولين أشياء هي تعتبر مقومات هامة للحضارة ولهذا قال عن ذي القرنين: {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً} (الكهف: من الآية٨٤) **كان لديه وسائل استطاع أن يرحل إلى الشرق والغرب ، إلى شرق المعمورة هذه ، وغرب المعمورة هذه، وبطريقة كان هو في نفس الوقت شخصاً نافذاً مثلما تقول ومعروف في الشرق، ومعروف في الوسط في الشمال عند الذين بنى عندهم سداً ومعروف في الغرب؟ بمعنى أنها ليست فقط قد تكون رحلة واحدة. أسباب معينة لا أدري ماذا كان يوجد، لكن هكذا الإنسان في الأخير ينطلق يحطم حضاراته التي قد يكون منشؤها من عند الله بشكل معين، علوم معينة، علم من الكتاب ، أو علوم هندسية يدمرها لأنه يصل في استخدامها إلى أنه يصبح لديه اهتمامات غير صحيحة؟!.**
مثل الأمريكيين الآن وتوجههم هم واليهود، كيف توجههم؟ استغلال هذا العلم بكله، هذه النتائج المهمة جداً من

أعمال المبدعين والمخترعين ربما كان بعضهم يسهرون كثيراً ، وبعضهم يكون ضحية تجربته متجهين لاستغلالها بالشكل الذي يحطمها فعلاً، ويؤدي إلى تحطيمها وخسارة كثير من العلوم سواء بأن يقال: إذاً هذا الشيء لا يستخدم نهائياً أليسوا متجهين إلى موضوع[الذرة] و[المفاعلات] بأنه هذا لا يستخدم نهائياً! فيؤدي في الأخير إلى هذا، لأنهم لا يسيرون على هدي الله ويستفيدون من العلوم ، وتتسع معارفهم بشكل صحيح ويعمرون الحياة، لأن عمارة الحياة قضية هي غاية من استخلاف الإنسان؛ لأنه من خلال عمارتها تتجلى، تتجلى قدره الله، وحكمته، وتدبيره، وعلمه، ورحمته، وملكه وألوهيته ، إلى آخره.

متجهون إلى تحطيم الحضارة، تحطيم العلوم مثلما حطموها هم من قبل ، هم حطموا هم وأضاعوا العلوم السابقة، وهم الآن بتصرفاتهم متجهين وبالشكل الذي تضيع الحضارة القائمة نفسها! هذه تمثل شاهداً، لأنه أحياناً يحصل عند البعض نظرة بأنه: نترك الدين هذا ونتجه لنلحق بركاب الآخرين! الآخرون الآن هم يضربون لك مثلاً ، وماضيهم ضربه مثلاً أضاعوا علوماً في الماضي هامة، عرض في القرآن مظهراً من مظاهر استخدامها الإيجابي: قضية إيصال عرش بلقيس إلى فلسطين في لحظة، وترى في واقع الحياة لا يزال آثار لتلك العلوم، أهرام مصر وغيرها من الأشياء التي ما استطاعوا يفسرونها إلى حد الآن تفسيراً مقبولاً أبداً.

تراهم الآن متجهين لضرب العلوم لتعرف بأن هؤلاء قدموا من أنفسهم مثلاً أنه أي بيئة قد يحصل فيها علوم على هذا النحو هي تفتقر إلى هدى الله لتحفظ هذا العلم نفسه، لتحفظ هذه العلوم، ولتتوجه هذه العلوم إلى بناء الحياة، وإلى بناء الإنسان بشكل صحيح، وأنهم هم يبرهنون على أنهم لافتقادهم هدى الله متجهون لضرب العلوم هم، وإنهاء الحياة هم ، ثم يستأنفون من جديد!.

كم قد يقتل من الخبراء عندما تأتي حروب؟ عندما تأتي حروب كم يقتل من خبراء، وعلماء، وتدمر مصانع ومعامل وأشياء كثيرة هي تعيق الأمة، تعيقها. عندما تبدأ تستأنف من جديد معناه أشبه شيء بالعودة من مرحلة ما فوق الصفر، إذا كانت بلد ما زال معها خبرات سابقة.

إذاً فهذا يؤكد بأنه ليست المسألة على هذا النحو حتى نقول: إذاً ماذا عمل لنا ديننا ؟ نقول: افهم الآن هذا القرآن الكريم كيف أنك ترى الآخرين أنهم بحاجة إليه وأنهم متجهون إلى أن يحطموا أنفسهم ويحطموا العلم، ويحولوا العلم إلى إضرار بالناس ، وضرب للبشر يبرهنون على أنه لا بد من أن يترافق مع العلم هدى الله ليحتضن العلم ، لينمي العلم ، ويوسعه ، ويجعل له قيمة.

إذاً لا تفسر هذه بأنه هم كانوا أشخاصاً سيئين ويعلّمون الناس السحر، هذا بعيد فعلاً، لأن هذه أشياء تبرهن من القرآن الكريم فيما حكاه الله أن الآثار باقية، أنه قد كان علوم سابقة بواسطتها يستطيع الإنسان أن يسخر أشياء كثيرة هي فوق طاقته بالشكل الذي ما استطاع العلماء والخبراء الآن أن يفسروها أن يفسروا كيف تم نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين{أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}(النمل: من الآية٤٠) **هذا الإرتداد الطبيعي للعين، أليست العين تجلس تطرف دائماً كل قليل وطرفت؟ إحسب لها كم ثواني حتى تطرف بشكل طبيعي، سرعة هائلة جداً ، كم المسافة ما بين اليمن وفلسطين؟ قد يكون أكثر من ألفين كيلو قد يكون أكثر.**

{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ}(البقرة: من الآية١٠٢) **لماذا أصبحوا هكذا يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم؟ من أين منشؤها ؟ منشؤها الإعراض عن هدي الله من البداية.**

{وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}(البقرة: من الآية١٠٢) **إذاً من جعل هذا بدلاً عن الهدى ما بقي له في الآخرة من نصيب{وَلَقَدْ عَلِمُوا} وأنت تراهم كيف الواحد منهم يود لو يعمر ألف سنة، هو يعرف مصير مظلم.**

{وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(البقرة: من الآية١٠٢) **هذا ثمن أنفسهم باعوا أنفسهم بأسوأ مصير وأسوأ عاقبة.**

{وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(البقرة:١٠٣) **وقد تكون من المثوبة أن يهتدوا إلى علوم هامة لا يكونون ماذا؟ بهذا الشكل الذي عندهم أن يتعلموا ما يضرهم ولا ينفعهم . المثوبة فيما يتعلق**

بالثواب.
والثواب عادة عندما ترى القرآن الكريم لا يخصه فقط بموضوع الآخرة ، يذكر ثواباً من الدنيا ، ويذكر ثواب الآخرة باعتباره أرقى ثواب هادئ ومستقر ، أليست الجنة عبارة عن جزاء؟، كل شيء فيها متوفر تلقائياً ليس فيها حتى أن تحتاج إلى عمل وخبرات وأشياء، كل شيء يأتيك إلى عندك ، وكل شيء جاهز.
لكن في الدنيا تأتي أشياء كثيرة منها ـ وهذه القضية ملموسة من خلال القرآن الكريم ـ أنه يهدي إلى قضايا تدفع بالإنسان إلى أن تتوسع معارفه وينال العلوم المتعددة، وتتطور بالنسبة للمجتمع الذي يسير على هدي الله، يتطور هو فتتسع حاجته إلى علوم متعددة فيحصل على علوم كثيرة جداً، العمل فيها وتوظيفها وتنائجها كلها تمثل طاعة، تمثل طاعة.
لأنه فعلاً في الأخير الإنسان عندما يسير على هدي الله وأمة تسير على هدي الله تتحول كل أعمالها باعتبار الغايات والمقاصد كلها تكون خيّرة ، ونتائج خيّرة، تتحول كلها إلى ماذا ؟ إلى طاعة إلى عبادة. {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٠٣) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

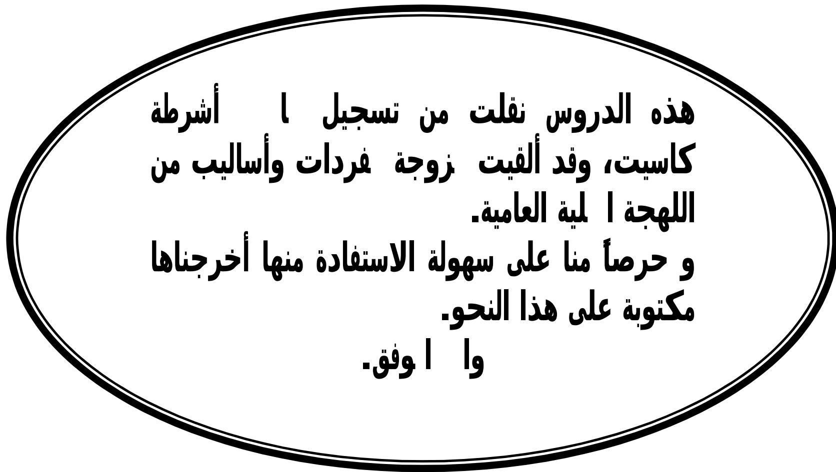
من الآية (١٠٤) إلى الآية (١١٤)
[الدرس السادس]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ٦ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٣٠/١٠/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

ما تناولته الآيات السابقة التي سمعناها بالأمس حول بني إسرائيل قدمت فعلاً صورة فضيعة جداً في مختلف المجالات عمن لا يهتدون بهدي الله عمن يعرضون عن هدي الله، وكانت فعلاً صورة مقززة، صورة تشمئز منها النفوس، وكيف أن الأمة عندما تعرض عن هدي الله تخسر خسارات كبيرة جداً، وتجلب الخسارات أيضاً على الأمم الأخرى .

من آخر ما تناولت الآيات التي سمعنا بالأمس: اعتراض بني إسرائيل على أن يكون جبريل هو الذي نزل هذا القرآن من عند الله، وذكر بأنهم ـ بما هو محط سخرية لأطروحتهم هذه، أو عن أطروحتهم هذه ـ أنهم كانوا وما زالوا يتبعون ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان في عهده ، إذاً فكيف يقبل منك أنك لا تريد جبريل وأنت تتبع ما تتلوه الشياطين !.

ذكر أيضاً قضية ما تزال ظاهرة فيهم إلى حد الآن: كيف أنه على أيديهم، وبسبب انحطاطهم الذي فقدوا به الإهتمام بالقضايا الكبيرة، الإهتمام بعمارة الدنيا على أساس هدي الله، هذا الإنحطاط الذي تصل إليه النفوس المعرضة عن هدي الله عندما تصبح لا تقدر للشيء مهما كان مهماً أي قيمة، حضارة معينة كانت يبدو ـ والله أعلم ـ كانت حضارة راقية ـ كما قلنا ـ من مظاهرها ما كان عليه نبي الله سليمان ،وما كان عليه منهم من المقربين لديه من حاشيته، ومن كبار دولته: أنه يبدو أنه كان هناك في ذلك العصر علوم راقية، وتبدو مظاهرها ـ كما قلنا بالأمس ـ ما تزال في مصر، وقد يكون من مظاهرها ما هو في اليمن أيضاً، أشياء عندما تتأمل فيها ترى بأنها بعيدة أن تكون من عمل الإنسان بطاقته الطبيعية، وخبراته الطبيعية، أنه يبدو أنه كان هناك علوم تسخر بها أشياء كثيرة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تعتبر أسباباً لإنتاج أشياء لا ينالها الإنسان هو بطاقاته المحدودة .

من أبرز ما حصل في تلك الحضارة، ومن مظاهر ذلك العلم ما حكاه الله سبحانه وتعالى في قصة [عرش بلقيس] كيف أن الذي عنده علم من الكتاب قال: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (النمل: من الآية٤٠) قضية علمية هذه ليس معناها أنه مسألة دعاء معين، فيما يبدو ـ والله أعلم ـ ليست القضية قضية دعاء ؛ عنده علم من الكتاب، تسخير أشياء معينة كما قلنا بأن مجمل ما يتحرك فيه الإنسان مهما تطورت العلوم لا تخرج عن مجرد استخدام لأسباب طبيعية الله سبحانه وتعالى هو الذي جعلها في هذا الكون، محيط هذه الأرض، في السماوات والأرض وما بينهما ، لكن لاحظ كيف اليهود عندما انحطوا انحطاطاً رهيباً جداً كان الذي يهمهم من تلك العلوم، ومن تلك الحضارة الهامة: هو أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! فأضاعوا العلوم الأخرى، أضاعوا علوماً ابتنت عليها حضارة لهم هم في عهد سليمان كلها في الأخير تلاشت ، خلاصة ما تبقى لديهم هي [علوم الشعوذة] ـ مثلما يقولون ـ وما زال هذا لديهم إلى الآن.

إذاً وجدناهم بسبب أنهم لم يهتدوا بهدي الله حطموا حضارة قائمة، وأضاعوا علوماً هامة جداً ، هذه الحالة ما تزال قائمة فيهم إلى الآن ما تزال إلى الآن الفكرة التي ما يزالون عليها هي تلك التي حكاها عنهم كانت كل هدفهم من علوم معينة: يفرقون بين المرء وزوجه. الآن العلوم الحديثة، هذه الحضارة الحديثة هذه أيضاً معرضة للنكسة على أيديهم هم فعلاً، الآن بعد الثورة الصناعية، وبعد ازدهار العلم حاولوا أن يتغلغلوا في داخل البلدان التي ازدهرت مثل: بريطانيا، في فرنسا، في أمريكا، أمريكا بالذات قد تكون أمريكا من أبرز البلدان الآن في مجال العلوم بل سمعنا في الفترة القريبة: بأنها ربما قد تكون تجاوزت أوروبا بما يساوي أربعين سنة، بالنسبة لأمريكا .

الحضارة، العلم الذي عليه أمريكا، وبلدان أوروبا، والعالم كله معرض أيضاً للإنهيار على أيديهم، هم لديهم اهتمامات معينة اهتمامات هي أيضاً لا يبالون من أجلها أن يتحطم كل شيء فينطلقون بنفس الفكرة: التفريق تجدهم مثلاً الآن يفرقون بين الإنسان ودينه، بين الإنسان وربه، بين المسلم وكتابه ،يفرقون بين الأمم،

يجزؤونها، يفرقون ما بين الحاكم وشعبه ، أليست سياسة بارزة الآن؟ قضية بارزة الآن: موضوع التفريق ما بين الدولة والشعب، بغض النظر أن تكون دولة مستقيمة، أو دولة غير مستقيمة أعني: سياستهم بالنسبة لإيران كسياستهم بالنسبة للسعودية تماماً مع الفارق الكبير ما بين النظام في السعودية والنظام في إيران ، التفريق ما بين الشعب والحاكم.

يسوقون العالم الآن يسوقون تلك البلدان التي امتلكت حضارة عالية، واحتضنت علوماً مهمة يسوقونها إلى ماذا؟ إلى حالة قد تؤدي فعلاً إلى خسارة علمية رهيبة، إلى خسارة حضارية رهيبة. هم يرون بأنه ليس بإمكانهم أن يحكموا العالم ـ لديهم مطمع معين: أن يسيطروا على العالم ـ إلا بعد أن يدخلوا العالم في صراعات رهيبة جداً بالطبع تكون في نتيجتها ضرب مصالح ، المفاعلات، المعامل، الخبراء، علماء ،مدارس، جامعات كلها تضرب ، إذاً فهم كانوا وراء تحطيم الحضارات السابقة، وضياع العلوم السابقة والآن هم في الطريق لنفس ما عملوه في الماضي كما قلنا بالأمس بأن هذه تدل، مجمل ما قدمه الله سبحانه وتعالى، وما ذكره عن بني إسرائيل، بما فيها النقطة هذه: أن أي أمة تصل في علومها إلى درجة عالية هي معرضة للتلاشي بسبب ماذا؟ أنها ليست مهتدية بهدي الله ، أن هدى الله سبحانه وتعالى هو من أهم الضمانات لبقاء العلوم الهامة ، من أهم الضمانات التي تبنى عليها الحضارات وتدوم وتستمر .

إذاً فما نراه اليوم بالنسبة لليهود ليس جديداً في الواقع، وكثير من المحللين يذكرون بأنه الآن أمريكا هي معرضة للإنهيار هي، بخبراتها العالية، بعلومها، بكل ما عندها معرضة للإنهيار على يد من؟ على يد اليهود فضلاً عن باقي الأمم ؛ ولهذا ترى كيف أصبح الكثير يضجون منهم الآن، العالم الآن يضج من اليهود، في مؤتمر القمة الإسلامية سمعنا الوزير الماليزي عندما تحدث عن اليهود، وحصل تأييد له من أطراف كثيرة ؛ضجة من المناطق التي لليهود نفوذ فيها وهيمنة مباشرة عليها كثير من الكتابات حتى كتابات هنا في اليمن أذكر في بحث جميل في مجلة من مجلات الجيش يذكر خطورة السياسة الإسرائيلية وخطط اليهود على أمريكا نفسها، تؤدي إلى تحطيم أمريكا نفسها .

إذاً مثلما قلنا بالأمس لا يتصور الإنسان... لأنه ربما قد يكون من حسن حظنا نحن في الزمن هذا أن رأينا البلدان التي احتضنت العلم: هي معرضة للانهيار وبالشكل الذي ترى فعلاً بأن تلك الأمم كانت بحاجة إلى هدي الله، تهتدي بهدي الله: فيما يتعلق بنظامها السياسي، فيما يتعلق باقتصادها، فيما يتعلق بحركتها بشكل عام ، فهذا مثل مهم جداً نستطيع نحن عندما نتحدث مع الآخرين، أو نسمع من آخرين ممن يحاولون أن يعتبروا هذا الدين، أو يعتبروا الدين بشكل عام يؤدي إلى تخلف الشعوب والأمم وإلى التأخر ،والمفروض نترك هذه الأشياء، ونلحق بركاب الآخرين! أنت لاحظ الآخرين إذا لديك فكرة وفهم ، الآخرون معرضون لنكسة رهيبة، وخسارة للبشرية فيما لديهم من علوم، ما السبب في ذلك؟ بالتأكيد هم كانوا بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة بالنسبة لهذه الحضارة، وهذه العلوم هو ماذا؟ هو هدي الله .

إذاً فهذا يعطينا ثقة بأن هدي الله سبحانه وتعالى المتمثل في القرآن الكريم، دينه المتمثل في الإسلام بشكل عام هو من أهم ما تحتاج إليه البشرية بشكل عام لتستقيم في كل شؤونها، وليبقى ثابتاً ومتنامياً ومثمراً ،أي شيء تتوصل إليه من العلوم مثلما توصلت إليه الآن ، وربما قد يكون في علم الله وما تدل عليه أيضاً الآية هذه السابقة وما تدل عليه قصة: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (النمل: من الآية٤٠) أنه قد نكون ربما ما نزال متأخرين بالنسبة لعلوم سابقة ضاعت، الآن العلم الحديث لم يستطع إلى الآن أن يفسر كيف تمت عملية نقل [عرش بلقيس] إلى فلسطين، من اليمن إلى فلسطين لم يستطيعوا أن يفسروا تفسيراً مقبولاً ومنطقياً ومعقولاً فيما يتعلق ببناء [الأهرام] في مصر ما تزال هاتان القضيتان لغزاً علمياً فعلاً ، معنى هذا أن الله عندما قال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الاسراء: من الآية٨٥) ذلك العلم بكله الذي وصل إلى الدرجة هذه استخدام أشياء أخرى يتم بسببها التوصل إلى أشياء ما تزال لحد الآن لغزاً ، فالعلم الحديث الآن هو ما يزال فعلاً قليلا ما يزال قليلا بالنسبة لعلوم ضاعت سابقاً وما يزال الكل قليلا مما آتاه الله سبحانه وتعالى{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلاً}(الاسراء: من الآية٨٥) **هذه كانت مشكلة وما تزال مشكلة فعلاً ويتم التلبيس بها على كثير من الناس في قضية التحضر والحضارة والعلوم يتصورون بأن معناه نترك هذه الأشياء ونلحق بالآخرين! لاحظ الآخرين الآن العلوم الراقية كيف أصبحت معرضة للإنهيار على يد من؟ من حكى الله هنا في القرآن بأنه طبع على قلوبهم ممن قالوا عن أنفسهم بأن قلوبهم غلف ، إذاً ألم تكن تلك الحضارة أو تلك العلوم بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة لبقائها يشكل ضمانة لأن تبقى مستمرة تنتج إنتاج خير للناس ؟ الآن البشر كلهم يصيحون بأنه احتمال تحصل حروب رهيبة يعني كلهم الآن يصيحون من نتاج العلم أليس من نتاج العلم وما توصل إليه الآخرون في علومهم؟ أصبح الآن يمثل شراً كبيراً من الذي جعل المسألة بهذا الشكل؟ هم هؤلاء أهل الكتاب اليهود بالذات الذين كانوا على هذا النحو .**

إذاً فمعنى هذه لو يفهم الكل بما فيهم الأمريكيون أنفسهم بما فيهم الأوروبيون بأن اليهود يشكلون خطورة على البشرية بكلها الخطورة على البشر جميعاً على اختلاف دياناتهم على اختلاف جنسياتهم وبلدانهم .

بداية الآيات التي سمعناها الليلة هي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(البقرة:١٠٤) **هذه الآية من أهم الشواهد على: أن كتاب الله حكيم ، حكيم ،وأن هذا القرآن هو من عند الله قضية ليس فيها شك ، فعندما يتأمل الإنسان يزداد إيمانه يزداد يقينه بهذه القضية: أن القرآن كتاب أحكمت آياته بالشكل الذي لا يمكن على الإطلاق ولا حتى في وضع آياته في داخل هذه السور أن تكون من رؤى أي مخلوق آخر لا ملك ولا نبي ولا أي شخص آخر.**

ما علاقة{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا}(البقرة:١٠٤) **بالموضوع السابق ألا يبدو بأنه توجيه جديد؟ الآن نحن مقبلون على آيات سمعناها معظم ما فيها: توجيه للمؤمنين أليس هكذا؟ توجيه للناس هو اتجه هذا الإتجاه اتجهت هذه الآيات هذا الإتجاه بعدما أعطى صورة كاملة عن من؟ عن أمة لم تهتدِ بهدي الله كيف وصلت إلى أحط مستوى وإلى أسوء نفسية .**

إذاً هذا الموضوع عندما تعرض حياة أو تاريخ أمة على هذا النحو هي تخلق لديك حالة من ماذا؟ من التسليم لله، وحالة من ماذا؟ من التقبل لما يأتي من عند الله ، من أخطر الأشياء على الناس من أخطر الأشياء على الناس تلك القضايا التي تبدوا عادية لكنها ذات أهمية كبيرة جداً ؛فأن تأتي هذه الآيات التوجيه لقضية هي تبدو عادية قد يكون أي إنسان معرض لأن لا يهتم بها ويراها توجيهاً في موضوع يبدو وكأنه غير مهم جداً فلا يبالي به لكن له أهميته الكبيرة، فبعد أن يكون الإنسان قد استعرض الصورة السابقة وحصل لديه قناعة وإيمان بأن الإنسان لا بد أن يلتزم حرفياً بهدي الله ويسلم لله إذاً سيكون عنده استعداد أن يتقبل ولو تلك الأشياء التي قد تكون محط تساؤل لديه أو قد لا يشعر بأهميتها وفي الأخير لا يبالي بها .

من بداية السورة ذكرنا الله بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}(البقرة: من الآية٢٦) **عندما يضرب لك مثلاً ببعوضة مثلاً ماذا يعني بعوضة، بعوضة؟ ماذا قيمة أن يضرب مثلاً ببعوضة؟ هو لن يضرب مثلاً ببعوضة أو بذبابة أو بعنكبوتة إلا لأهمية القضية بالنسبة لك عندك صورة مسبقة عن النتائج السيئة يجب أن تخاف وعندما تكون خائفاً معناه لم يبق أمامك إلا أن تسلّم لله وأن تهتم بكل ما يأتي من عند الله حتى ولو بدت القضية عادية.**

{لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا}(البقرة: من الآية١٠٤) **كلمة بدل كلمة ماذا تعني هذه؟ أليس قد يقول واحد ماذا تعني؟ قد يقول واحد ماذا تعني هذه؟ ماذا يعني: أن لا نتكلم بكلمة: {رَاعِنَا} نحن أهل المدينة وهي كلمة نقولها نحن ونتحدث بها نحن وأسلافنا من قبل{رَاعِنَا} ونحن لا نقولها بنية سيئة إذا كان يوجد يهودي هناك أو اثنين أو مجموعة يهود يستخدمونها بمعنى سيء نحن نستخدمها بماذا؟ استخداماً عادياً أليس هذا شيء قد يكون مظنة أن يأتي عند الكثير؟ إذاً فموضع أن يؤتى بالقضايا التي هي دقيقة معرضة لأن لا يشعر الكثير بأهميتها وهي في نفس الوقت هامة جداً أن تأتي في سياق كهذا .**

فالموضوع عندما نقول: ننظر إلى موضوع السورة فليس معناه تسلسل الموضوع نفسه قد يكون الموضوع هو الشخصية هو الإنسان قد يكون موضوع السورة هو أن يكون عندك ماذا؟ يكون عندك دائرة أمامك هي دائرة اليهود ودائرة المؤمنين ودائرة البشر هذا هو الموضوع ؛ لهذا قد ترى في مجمل هذه الآيات التي سمعناها أليست مواضيع متفرقة سمعناها؟ لكن تبدوا هي تشكل نموذجاً من عدة مجالات من عدة مجالات وقضايا هامة تقدم هنا على أساس أن عندك من خلال ما قدم لك عن بني إسرائيل ما يجعلك تتقبل، هي قضايا مهمة جداً في سياق الموضوع الذي هو أنت الموضوع الذي هو الإنسان بشكل عام المؤمنون بما فيهم اليهود ؛لهذا ترى فيها خلطاً أيضاً في الحديث عن اليهود داخلها.

تعطينا مجمل الآيات هذه: فكرة عن المنهج الذي يجب أن نسير عليه في تقديم التاريخ مجمل ما حكى عن بني إسرائيل كان عبارة عن سرد تاريخي أليس سرداً تاريخياً؟ لم يسرده على نفس الطريقة التي يكتب المؤرخون التاريخ بها ولم يقدمها على نفس الطريقة التي يقدم المؤرخون التاريخ عليها. بعد ما أعطى نبذة تاريخية عن تلك الأمة بالشكل الذي تعطي عبرة بدأ يوجه بناءً على ماذا؟ أنه قد قدم لك ما هو عبرة بالنسبة لك وعندما نقول بالنسبة لك أعني بالنسبة للمسلمين بشكل عام، المؤمنين بشكل عام إذاً فهو محط أن يقدم لك قضايا وإن كانت متعددة هي قضايا هامة جداً.

تجد في باقي الآيات حديثاً عن التسليم لله، التسليم لله هو أساساً الذي ينبع من التفريط فيه الإعراضُ عن هدي الله إذا لم تكن النفوس مسلّمة لله سبحانه وتعالى فستكون معرضة عن هديه إذا أعرضت عن هديه سترى كيف سيكون مصيرها؟.

إذاً ما هي الأهمية في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة:١٠٤) أعطاك صورة عن أمة أنظر كيف أصبحت هي في نفسياتها، أصبحت نفوسا خبيثة أصبحت تضيّع قضايا هامة جداً وأشياء هامة جداً بالنسبة للبشر ألم يأت بها بعد الحديث عن تعاملهم مع علوم؟ {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} (البقرة: من الآية١٠٢) ثم قال: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} (البقرة: من الآية١٠٢) في عصر سليمان كانت هناك علوم كان هناك علوم عند وزراء عند أشخاص آخرين عنده هو كانوا ينصرفون عنها ويسيرون يبحثون عند الشياطين يتركون ذلك الشخص الذي قال: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (النمل: من الآية٤٠) ويذهبون يبحثون بعد شياطين يعلمونهم السحر كيف يفرقون به بين المرء وزوجه !.

إذاً هذه الأمة خطيرة جداً معنى مجمل الموضوع: أمة خطيرة جداً أو طائفة من البشر الذين هم اليهود خطيرون جداً ولا يزالون يعملون بنفس النفسية هذه التي قدمناها لكم في هذه الآيات بنفس النفسية وبنفس الروحية، إذاً فيجب أن تكونوا حذرين جداً ودقيقين جداً في التعامل معهم وتعطوا لكل قضية أهميتها في الصراع معهم.

هذه الآية تتحدث ـ كما يقولون ـ بأنه كان اليهود يستخدمون كلمة: {رَاعِنَا} التي هي كلمة عربية مفردة عربية معناها العربي معروف : أمهلنا أو أنظرنا يستخدمونها بمعنى سيئ لديهم سيئ في النفوس بمعنى: شرير أو من الرعونة التي تعني: السفه والحماقة والطيش أي كلمة معناها في النفس داخل وليس في إطلاقها، معناها عند اليهودي سب للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، إذاً هنا قضية يهودية ما زالت في الأعماق داخل اليهودي تعتبر ماذا؟ يحارب بها النبي وهي ما زالت في داخله لم تظهر على لسانه لم تتحرك بشكل موقف ما زالت في الأعماق يجب أن تكونوا دقيقين في التعامل مع هذه الطائفة ليس فقط ما يبرز من اليهود بل ما لا يزال في أعماق أنفسهم نوايا لديهم.

{لا تَقُولُوا رَاعِنَا} (البقرة: من الآية١٠٤) توقفوا عن استخدام هذه الكلمة تماماً، عندما يتوقف العرب عن استخدام تلك الكلمة بشكل عام ـ اتركوها نهائياً لماذا؟ـ ليقفل المجال على اليهودي فلا يعد بإمكانه أن يستخدمها ، إذاً ألم يكن هذا موقفاً أمام نوايا وقدم التوجيه به توجيها حاسما بعده{وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) واسمعوا ويكفيكم أن تسمعوا وقد سمعتم كيف كان الذين لا يستجيبون لهدي الله ولا يقيّمون الأشياء التي تقدم إليهم ، لا تكونوا كبني

إسرائيل تقولون: ما هي الفائدة؟ ماذا لها من فائدة ما هي القيمة لهذه ؟ نحن لا نستخدمها غلط؟ لا ، اسمعوا، التزموا {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(البقرة: من الآية١٠٤) **وللرافضين للكافرين نفس اليهود الذين لا زالوا يستخدمون نوايا سيئة وللرافضين منكم الذين لا يسمعون، اسمعوا {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} منكم ومنهم ، هذه تعطي ــ مع أنها تبدو في الصورة قضية عادية ـ لكن تعطي منهجاً مهماً جداً في الصراع مع اليهود ، أي هي ترسخ عند المسلمين حالة على مستوى عالي من اليقظة والحذر والانتباه واتخاذ موقف أمام أي شيء من اليهود وإن كان ما يزال نية في أعماق أنفسهم .**

من أين أوتي العرب؟ من أين أوتي المسلمون حتى أصبح اليهود هم الذين يدوسونهم الآن من أين؟ لم يحملوا هذه الروحية التي تعطيها هذه الآية: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا}(البقرة: من الآية١٠٤) **لم يعد لديهم اهتمام حتى بما يشاهدونه بما يلمسونه بما يحسونه من اليهود لم يعد لديهم اهتمام أن يعملوا ضدهم شيئاً ، إذاً ألم يفقدوا روحية فقدوا تربية وجهت إليها هذه الآية؟ إذا ترى بأنها قضية هامة وهذا ـ مثلما قلنا سابقاً ــ من الأشياء الصعبة بالنسبة للناس القضايا التي هي في واقعها هامة جداً جداً جداً ولكن أمامهم طبيعية جداً هذا الذي يعتبر موقفاً محرجاً جداً ؛ لهذا كانت هذه الآية في مقدمة الآيات التي لتوجيه المسلمين بعد تقديم العبرة الشاملة من خلال ما ذكره عن بني إسرائيل .**

النفسية هذه التي أضاعت معنى: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا}(البقرة: من الآية١٠٤) **هي نفس النفسية الموجودة الآن عندما نقول: [نرفع شعار يا جماعة ، الشعار كلمة عادية بسيطة تقولها في مسجدك في مسجدك الذي تصلي فيه الجمعة] يردون عليك: [ما هي الفائدة منها ماذا يعني أن نرفع شعاراً؟] مع أنه مسلّم بصحة مفرداتها يقول لك: [صحيح الله أكبر وحقيقة أمريكا ملعونة والموت لأمريكا] وسيقول لك أيضاً: [أمريكا ملعونة وإسرائيل ملعونة واليهود ملعونون والنصر للإسلام لكن ماذا هناك من فائدة؟ ماذا له من قيمة؟ هل هي ستؤثر على أمريكا هناك؟ هل، وهل، وهل ..!] تلك النفسية السابقة لأنه هذه بداية توجيه إلهي تربوي للمسلمين ليكونوا بمعزل عن روحية بني إسرائيل روحية البقرة نفسية البقرة: ما هي ، ما لونها ، إن البقر تشابه علينا ، الآن جئت بالحق ، الآن ..! لا ، إن الإسلام إن القرآن الكريم قام على أساس أن يقدم للمسلمين تربية ، تربية على مستوى عالٍ جداً يستبقون بها الأحداث يستبقون بها الأحداث فلا يكونون عرضة لأن يضربوا ضربات متكررة حتى يصحوا ومتى ما صحى وجد نفسه في وضعية لا يتمكن أن يعمل شيئاً.**

عندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا}(البقرة: من الآية١٠٤) **لماذا لا يأتي الخطاب لليهود؟ يا أيها اليهود اسكتوا أو اتركوا استخدام هذه الكلمة؟ ((لأن مفتاح أن يضرك العدو ، أن يهينك العدو ، أن يهزمك العدو هو من عندك أنت)) ذلك عدو يهودي نصراني كيفما كان إذا كنت مستقيماً تسير على هدي الله على كتاب الله فلن يضرك العدو وستهزمه مهما كان {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً}**(الفتح:٢٢) .

هذه القضية في القرآن مؤكدة هنا توجه الخطاب إلى المؤمنين كلهم ، الإمام علي بن أبي طالب ملزم هو أن يترك كلمة: {رَاعِنَا}وهل يمكن أن الإمام عليا سيستخدم كلمة: {رَاعِنَا} في المعنى اليهودي الذي يستخدمه اليهود؟ لا ، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يقفل المجال على اليهود فلا يتمكنون أن ينطقوا بهذه الكلمة أي تحبط مؤامرتهم ـ اعتبرها أحبطت مؤامرتهم ـ إلا بأن تقفلوا أنتم هذا المجال من عندكم وإن كنتم لا تستخدمونها بنفس المعنى الذي يستخدمه اليهود ، ((إقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين)).

ولهذا حاولنا نقدم هذه الآية فيما يتعلق بالجانب الأمني ، الجانب الأمني عندما نقول: [نفتشك] أنت الأخ الصديق الموثوق به بنسبة ١٠٠٪ نفتشك أو نقول تكون متيقظاً تكون منتبهاً كل الإجراءات التي هي تمثل إقفال مجال يجب أن تكون أنت أول من يعملها ، المسألة هي إقفال مجالات إقفال منافذ.

عندما نقول:نترك [المصافحة] ونحن إخوة وكل واحد يجب أن يقبّل الآخر كم مرات أليس هذا إقفال مجال؟ إقفال مجالات ؛ لأنه سيأتي يهود أو عملاء يهود ونمط المصافحة لدينا بالشكل الخطير وفي الأخير الزيدية

هؤلاء يكفيهم عشرة، عشرين وكفاهم سوف ينهونهم مع تمكنهم من استخدام أشياء دقيقة جداً نحن لا نستطيع حتى أن نكتشفها ولا أن نعرف كيف نقاومها، إقفل المجالات على الأقل عندما يأتي أحد يقول لك: لكن يا خبير أنا أخ وصديق أعرف فلان أو نحن أصحاب يعني هو شاك فيَّا ؟ لا، ليس شاكاً فيك هل كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يشك في الإمام علي عندما يقول له : أسكت عن استخدام كلمة: {رَاعِنَا} لا، أو يشك في الآخرين ربما قد لا يكون هناك ولا مسلم واحد ولا مسلم واحد إلا إذا هم منافقون من تلك النوعية السيئة سيستخدمونها بالمعنى اليهودي ، لكن اسكت يا علي ، اسكت يا أبا ذر، المقداد، سلمان، عمار، كلكم اسكتوا، وفاطمة فلتسكت، والكل فليسكتوا عن استخدام كلمة: {رَاعِنَا} .

إذاً فهذه القضية هامة: إقفال المجالات يأتي من عند الناس هم، هم، المخلصون الصادقون المؤمنون بالقضية التي هم فيها لم يكن هناك مجال أن يقول الإمام علي مثلاً: لكن أنا سأستخدمها وليس عندي نية سيئة والله المستعان لماذا توقفني؟ هل يعني أن لديك شك فيّ؟ ما حصل هذا هم فاهمون خاصة عندما تعطيهم صورة رهيبة جداً .

هذه الآية تعتبر شهادة فيما يتعلق بالمقاطعة الإقتصادية ألم يحصل هنا مقاطعة للكلمة؟ قاطع المسلمون في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمة ؛ لأن استخدامها يمثل ماذا؟ دعماً لليهود ، إذاً فأنت قاطع بضائعهم؛ لأن بضائعهم تشكل دعماً مادياً كبيراً لهم وتفتح عليك مجال لأن تتقبل كل ما يريدون أن يوصلوه إلى بدنك إلى جسمك من سموم أو من أشياء لتعقيمك حتى لا تعد تنجب أو تورث عندك أمراضاً مستعصية أشياء كثيرة جداً مع تقدمهم العلمي يعتبرون خطيرين جداً ، سيطرتهم على الشركات التي تعتبر متطورة في صناعات أشياء خطيرة من المواد السامة عناصر كثيرة تستخدم قد أصبحوا يستخدمون عناصر تؤثر نفسياً تقتل عندك الإهتمام تصبح إنساناً بارداً لا تهتم ولا تبالي.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة:١٠٤) **ثم يعود بالحديث إلى أهل الكتاب أنفسهم{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا}** (البقرة: من الآية١٠٥) **أنتم أمام جهة خطورتها هكذا{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ}** (البقرة: من الآية١٠٥) **يأتي بالمشركين بعد الذين كفروا من أهل الكتاب فيما يتعلق بقلة خطورتهم فعلاً{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** (البقرة:١٠٥) **ما يودون أبداً ليس عندهم ود أن ينزل عليكم أي خير من جهة الله ، وأعظم خير هو هذا الهدى فتتناول هذه العبارة أي خير أي خير من جانبهم هم أو من أي طرف آخر .**

إذا كانوا لا يودون أن ينزل على الناس أي خير من جهة الله فبالأولى من عندهم هم .

هذه الآية هامة جداً جاءت بشكل قاطع وبشكل مطلق أمام النفسية اليهودية التي هي خطيرة جداً وهذه سنة إلهية فيما يتعلق بهداه للناس، هداه يقدم بالشكل الذي الإنسان المتفهم الذي يعرف عمق الأشياء تشبع نفسيته وثوابت معروفة للعامة من الناس الذين ليس عنده مثلاً ذكاء ليس عنده فهم بالشكل المطلوب أقل ما يمكن أن يعرف أن أهل الكتاب لا يودون أي خير لنا أليست هذه واحدة من الأشياء التي سيعرفها الواحد من الناس ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟، وهذه قضية أساسية وثابتة من الثوابت تحصن الناس لم يجعل الباري سبحانه وتعالى قضية وعي الأشياء وفهم الأشياء، الأشياء التي تعتبر من هدى الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي تحتاج إلى مفكرين وفلاسفة وباحثين متعمقين ليكتشفوها، يعطي هدى على هذا النحو ويعطي هدى يشكل قواعد عامة وأسساً ويعرفها كل الناس أي إنسان سيفهم من هذه الآية: بأن الذين كفروا من أهل الكتاب ـ ولا يوجد الآن في زماننا مؤمنين من أهل الكتاب وطيبين من أهل الكتاب هم هم أولئك وأسوأ ربما من السابقين ـ أنهم لا يودون أن ينزل علينا أي خير من أي جهة .

هذه تعطي رؤية فيما يتعلق بالأشياء التي تأتي من جانبهم هم نراهم يقدمون مساعدات أليس هذا يحصل؟ يعملون مشاريع خدمية؟ يجب أن ترجع إلى هذه كقاعدة لتعرف كيف تتعامل مع ما يقدمونه وكيف تتمسك بالشيء الذي هم يريدون من خلال تقديم هذه الخدمات أن ينسفوه من نفسيتك أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك بأنهم لا يريدون لنا أي خير أنهم لا يودون لنا أي خير على الإطلاق لكن هناك مشاريع بملايين الدولارات

الإنسان البسيط يجب أن يفهم وسيرى بأم عينيه حقيقة ما يقدمونه إنما هو عبارة عن طُعم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم من أجل ماذا؟ من أجل يحتلونهم ويجتاحون بلدانهم وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت بأكثر مما قدم لك ، أما إذا أنت تراه قدم مدارس مثلاً مدارس أليس هو يلحقها بالمنهج حقه؟ إذاً المدارس حق من في الأخير؟ حقه هو ؟ المدرسة هي لصالح من هو متحكم في المنهج ويكون معناه في الأخير أننا نقدم لهم الشكر ونصفق لهم ونعتبرهم متجملين فينا وإذا المدارس في الواقع فقط نقدم لهم ونعطيهم ولاءنا ونعطيهم أيضاً أبناءنا يعلمونهم كما يريدون .

إذاً ما هذه تطلع في الأخير قضية وهمية؟ ممكن يعطون لنا مثلاً مستشفيات يعطون مراكز صحية يعطون مستوصفات لكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عملياً ، إضافة إلى أنه من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم هذه النظرة الإيجابية هي تجعل الناس يغمضون أعينهم أمام ما يحيكونه من مؤامرات وما يسيرون من أجل الوصول إليه وهو أن يهيمنوا عليهم ، أليست هذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلا وهم واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافا مضاعفة يستلمونها هم.

إذاً عندما يأتي مشروع مستشفى كم فيه مثلاً؟ عشرات الأسرة وخدمات عالية وأطباء مهتمين وممرضين مهتمين يدخل مريض من قرية يهتمون به بشكل كبير سيقول: [هؤلاء ناس طيبين هؤلاء ناس ملائكة ، الأمريكيين هؤلاء ناس طيبين باهرين..] سيرجع القرية وعندما تقول أنت: هؤلاء ناس خطيرون هؤلاء ناس يجب أن نقف في مواجهتهم سيقول لك: [ماذا؟ مواجهتهم ! ولا أمك ستعمل لك مثل تلك الممرضة ولا أبوك سيعمل لك مثل ذلك الطبيب] قد يقول: [رضي الله عنهم اسكتوا] وإلاّ قد يصلي عليهم .

الخطورة هنا المكسب الكبير للأمريكيين عندما يقدمون المساعدات هي في هذه النظرة التي يخلقونها من خلال مساعداتهم هم لا يقدمون شيئاً بمشاعر إنسانية بشعور بحق عليهم كدول متقدمة أن يعطوا دولاً فقيرة ويساعدونها من منطلق إنساني لا يوجد عندهم هذه على الإطلاق ، إذاً فلما كانت هذه القضية هي نفسها قضية دقيقة وما تزال تعتبر دقيقة أمامنا وأمام الكثير عندما يكون الكثير منا لا يعرفون كيف تتم عملية خداع العدو مع أن هذه قدمها القرآن الكريم في قصة آدم مع الشيطان كيف الشيطان؟ ألم يقدم له أشياء تعتبر خير بالنسبة له ويحاول يحمله على أن يأكل من الشجرة ؛ لأنه عارف إذا أكل من الشجرة سيخرج من الجنة عاريا ، ولا يتركون له حتى السروال حقه فعلاً حاول{قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى}(طه: من الآية١٢٠) ألم يقدم نفسه حريصاً وهو يتردد عليه؟ حريص، حريص أنه يريد لآدم أن يصل به إلى الخلد وملك لا يبلى ويقسم بالله بأنه من الناصحين له هو وزوجته حواء.

أليسوا يقولون هكذا؟، بالطريقة هذه:[نريد نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد ...] هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل ، ففي [سورة البقرة] قرأنا في آيات سابقة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا}(البقرة: من الآية ٨-٩) ويقول بعد: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}(البقرة:١١) يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يقدم على أساس يتقمص ثوباً يشكل جاذبية عندك خير لك نصيحة لك أليس هو يقدم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله ، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين ، أليس الله قال في آية أخرى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}(النساء: من الآية٤٥).

إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ}(البقرة: من الآية١٠٥) يعمل مشاريع يعمل ما يريد لكن موقفي هو موقفي منه الموقف القرآني يكون موقفك منه الموقف القرآني استفد مما يقدم من خدمات وابق في تعاملك معه التعامل القرآني اتركه في الأخير سواء أراد أن يعتبر نفسه متجملاً أو يندم المهم أن يروا في الناس بأن ما قدموه ـ وهو بالتأكيد إن ما قدموه عبارة عن طعم كما يقدم الصياد للسمكة قطعة لحم ـ يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة لن يقول لك في الأخير : إذا لم يقبل عندكم نحن نريد وجه الله الباري سيكتب أجرنا، هم ليسوا حول هذه يعرفون أن هذه الأمة لا تخدع

بما يقدم لها أبداً وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر التي عندها أن الصياد ذلك فاعل خير نزل لها قطعة لحم أنه جاء من البيت قاصدا وقد ترك شغله وعمله ليقدم للسمكة قطعة لحم وهي لا تدري السمكة أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك ، إذاً ألم يستفد أكثر مما قدم؟ الصياد ألم يستفد أكثر مما قد ؟، كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل حقيقة قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين كيلو أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها .

وعندما يكونون على هذا النحو والناس لديهم ثقة بالله سبحانه وتعالى ولديهم توكل على الله فلن يستطيعوا أن يحولوا بينهم وبين ما يريد الله أن يحصلوا عليه من خير{وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}(البقرة: من الآية١٠٥) هذا الهدى هو خيرات الدنيا هو نعيم الآخرة على الرغم مما لديهم من حقد مما لديهم من ود أن لا يكون هناك أي خير للآخرين فلن يستطيعوا أن يحولوا بين الناس وبين الخير الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهم وبين الخير الذي سيحصلون عليه يعطيهم الله من خلال تمسكهم بهديه.

هذه الآية على أساس أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم هدى بالشكل الذي يجعل الإنسان يجعل المجتمع الأمة التي تسير عليه لا يصبح ضحية لا للتضليل ولا للخداع ولن يقع في إشكالية لن يوقعه العدو في مشكلة لا يستطيع أبداً عندما يقول الله: {مَا يَوَدُّ} أليس هذا يعني بأنه عندما يتمكن من لديه هذه الروحية سيعمل على أن لا يصيبك أي خير .

برزت هذه يعني عندما تستعرض ما يقدمونه من مساعدات تستعرض أشياء أخرى لا يريدون لهذه الأمة للعرب مثلاً المسلمين بشكل عام أن يحصلوا على خبرات علمية عالية، عندما أصبح العراق لديه نسبة لا بأس بها علماء وخبراء أنا أعتقد قد تكون هذه أيضاً من الأهداف الرئيسية لديهم في ضرب العراق نفسه لم يأتوا على أساس أنهم يزيحون [صدام]كنظام طاغي أوحكم طاغوتي من أول ما كانوا يسألون عنه العلماء العراقيين الخبراء وفتشوا الكليات وفتشوا المعامل وفتشوا حتى المساجد ويحرصون على أن يحصلوا على قوائم لعلماء .

أمس رأيت في إحدى الصحف تحدث بأن العلماء العراقيين يتعرضون لخطورة شديدة ،يريدون أن لا تحصل هذه الأمة على خبرات عالية لا تصبح دول مصنعة مع أنها تمتلك ثروات هائلة تبقى سوق استهلاكية وتبقى الثروات الرهيبة الكبيرة جداً التي تربض عليها هذه الشعوب تكون كلها مصلحتها لهم للغربيين ، وإلا فبلدان مثل السعودية هي كانت مؤهلة باعتبار ثرواتها أن تصل إلى مثل اليابان وليس فقط مثل كوريا، دول الخليج كذلك رؤوس الأموال الهائلة ، العراق كذلك كل شعوب هذه المنطقة كان المفترض أن تكون هي أرقى بكثير مما وصلت إليه أمريكا يحاولون، يحاولون أن لا تنشأ كفاءات علمية ، إذا ما حصل أحد على خبرة معينة يحاولون أن يحتووه هم وإلا دبروا حاله ، كم حصل من اغتيالات لخبراء وعلماء .

إذاً هم ما يودون على الإطلاق أن يحصل لهذه الأمة خير ولا أن تحصل على خير ولا أن تنهض وما يزال المغفلون منا يأتون ليقولوا نلحق بركاب الغرب ، الغرب هو يركلك، هؤلاء لا يريدون أن تلحق بهم يحاولون أن يدمروا أي خبرة تصل إليها ، إبنِ نفسك هنا أنت واعرف كيف تبني نفسك متى ما بنوا أنفسهم كأمة تتجرد تماماً عن التبعية تتحرر تماماً عن التبعية يصبح قرارهم بأيديهم يستطيعون أن يحصلوا على خبرات لا سيما وأن الخبرات الآن قد أصبحت منتشرة وليست فقط حكراً على بلدان معينة حتى يستطيع اليهود أن يحولوا بين الناس وبين الحصول عليها؟ استطاعت إيران أن تأخذ خبرات من الصين ومن كوريا ومن بلدان أخرى .

إذاً فما القضية أنك تريد أن تلحق بل هو يريد أن تفوق، تفوق الآخرين ، إبنِ نفسك هنا يبني الناس أنفسهم وأن يعرفوا أن أولئك لا يودون أي خير لهم عندما تعمل منح دراسية هناك وفي علوم هذه العلوم الهامة نوابغ من الطلاب برزوا يحاولون يحتوونهم هناك عندهم يشتغلون عندهم كم هناك آلاف من الخبراء والعلماء العرب والمسلمون في كندا وفي أمريكا وفي بلدان أخرى لأنه لا يوجد هنا حكومات تحتضن الكفاءات لا يوجد هنا حكام حريصون جداً على الأمة هذه أن يبنوها !.

قالوا كان اليابانيون يرسلون طلاباً منحاً دراسية إذا رسب الطالب يعدمونه إذا رسب يعدمونه! يرسلونه من اليابان ويعطونه اهتماماً كبيراً جداً لا يسير إلا وقد صار معبأ يشعر بالمسئولية أنه يعود ليبني وطنه: [أنت

تدرس الآن في بلدٍ هم أعداؤك هم الذين دمروا حضارتنا هم الذين ضربونا بأرقى ما توصلوا إليه يجب أن تبذل جهودك] ويختارون طلاباً نوابغ ويعطونهم إمكانيات كبيرة ويدرسونهم في أرقى المراكز العلمية يعودون؛ فاقوا الأمريكيين ألم يفوقوهم تكنولوجياً؟ فعلاً فاقوهم وهم الذين كانوا قد دمروا في [الحرب العالمية الثانية] لماذا؟ لأن هناك أمة هناك قيادات تهتم بالناس تهتم ببناء شعوبها .

إذاً فهذه الآية تعطينا رؤية تجعل الناس ، تجعل كل إنسان حذراً فعلاً أمام تضليل أهل الكتاب وهم الآن يستخدمون طريقة الخداع للشعوب بأنهم يريدون أن يبنوها ويريدون أن يساعدوها ويريدون أن يقدموا لها خدمات وأشياء من هذه، كلها خداع وتضليل ؛ لهذا ربطت المسألة يعني وعي لدى الإنسان يجب عليه أن يكون معتقداً له عقيدة ؛ لأن الله قدم المسألة إخباراً من عنده إخبار من عنده أنت كإنسان مسلم يجب عليك أن تعتقد صدق الله فيما أخبر به يجب علي أن أكون معتقداً: أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ما يودون أن ينزل علينا أي خير ، فهذه قاعدة تعطي وعياً ، قاعدة دائمة وثابتة وقريبة التناول لكل إنسان ، وتشكل حصانة أمام خداعهم وتضليلهم .

نلاحظ من خلال واقعنا الآن ومن خلال الآية هذه الكريمة كيف كانت الخسارة الكبيرة ربما كنا نحن الجيل هذا من المسلمين ضحية، ضحية عدم اهتمام الأولين بهذا القرآن بأن ينظروا من خلاله إلى الواقع مع أن الإمام علياً قال كلمة، الإمام علي في زمانه قال كلمة جميلة جداً تعطي اهتماما كبيرا بالقرآن بأن يكون هو المقياس للإنسان وهو يقيِّم الواقع وينظر إلى المستقبل إلى الماضي والحاضر والمستقبل من خلاله: ((كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به)) ، البعض منا الآن يقول مثلاً: ما هو وقت أن يكون للناس عمل يقوم على أساس مواجهة توجه أهل الكتاب ضد هذه الأمة ضد المسلمين ضد دينهم أوطانهم ثرواتهم مقدساتهم قد يقول بعضهم: [ما هو وقت أو ليس الآن وقت!] الآية هذه هي كانت تفرض على من كان قبلنا بأربعمائة سنة أو من كان قبلنا بخمسمائة سنة أنهم عندما يرون بدايات مؤشرات النهوض في أوروبا أن يكونوا مهتمين جداً ببناء الإنسان المسلم بأن لا يتجاوزهم الإنسان الغربي الذين معظم الناس هناك هم من أهل الكتاب أن لا يتجاوزوهم.

لأن هذه الآية تقول لك أو تعطيك في الأخير معرفة بأنه فعلاً بأن أولئك عندما ينهضون وهم لا يودون لي أي خير ماذا سيعملون؟ سيتجهون بكل ما لديهم من شر ؛ لأن معنى هذا هم أعداء ، الذي لا يود لك أي خير هو عدو لك ، العدو ما هو الشيء الذي يريد أن يعمله بك هو الشر هو الضر أن يحولوا بينك وبين أي خير يمكن أن تناله ، فكان من واجب من قبلنا بخمسمائة سنة أول ما بدأت مؤشرات النهوض الصناعي في أوروبا كانت أشياء بسيطة من قبل أن تكتشف أمريكا ، أليس المسلمون الآن يعانون من أمريكا ونحن كنا نمتلك دولة نحن [الزيود] قبل أن تكتشف أمريكا ، والكتاب هذا بين أيدينا من قبل أن تكتشف أمريكا كقارة ويتوافد إليها الأوربيون ويبتنون ويصبحون الآن يشكلون هذه الخطورة الكبيرة .

الآية هذه تعطي نظرة مستقبلية إذا أنت تفهم القرآن وأنت تمتلك دولة أن تحاول وبأي طريقة أن تحصل على خبرات حتى لا يتجاوزك أولئك الذين لا يودون لك ولا لكل إنسان في هذه الأمة أي خير ، أولئك الذين سيستخدمون قوتهم لضربك أنت، عندما انشغل الناس بعلوم أخرى وهو يريد أن يستنبط يريد يستنبط من القرآن ما هو الإستنباط ؟! لماذا لم تستنبط من قبل لتعرف كيف تتعامل مع واقعك وكيف تعمل ضمانات لمستقبل هذه الأمة فتحاول أن تمتلك ما امتلكه الآخرون وبأي طريقة تحصل عليها.

كم استمروا فيما يذكر البعض كم استمر الإسرائيليون يحاولون أن يحصلوا على نموذج من الطائرة الروسية أول ما صنعوها [ميج٢١] ويقتلون أول طيار عراقي وثاني طيار عراقي وثالث طيار استطاعوا بمبالغ كبيرة وإغراءات كبيرة يشجعونه على أن يهرب بطائرة إلى داخل إسرائيل ليعرفوا مكونات الطائرة هذه وكيف يصنعون مثلها أو نماذج تفوقها ، ما هم عملوا بكل وسيلة؟

إذاً فلنقل: الذين قطعوا أوقاتهم فعلاً وهو ضائع بين كتب من أجل يريد يستنبط، يستنبط يعرف ماذا يطلع من القرآن من حكم شرعي في قضية حول: هل الأذن من الرأس أو ليست من الرأس أو أي أشياء من هذه ، هذا ضياع فعلاً أدى إلى ضياع الأمة حقيقة يعني ما نقول: إن الإسلام ما جاء إلا بعدما نهضت أوروبا وبعدما نهضت أمريكا

نحن [الزيود] سابقون لهم كدولة ، و[الإثناعشريين] سابقون لهم كمرجعية تمتلك أموالا كبيرة الأخماس تتجمع عند المراجع مبالغ هائلة جداً والمراجع ماذا يعملون بها؟ يدرس فقه ويخرج مدرسين فقه وأصول فقه وفلسفة وأشياء من هذه! وكان باستطاعتهم هم بكثير من الأموال تلك أن يبحثوا من الشباب الذين هم نوابغ أذكياء يعطونهم منح دراسية يقيمون مدارس علمية وهم يعتبرون أنفسهم مراجع ماذا يعني؟ أي مراجع دين.

إذا أنت مرجع دين يعني تكون فاهماً للقرآن الكريم لو كنت فاهماً للقرآن الكريم لحاولت أن تستغل كثيراً من تلك الأموال وما زلت في فسحة وما تزال في وقت تبني مدارس علمية أو ترسل طلاباً من النوابغ وتصرف عليهم أضعاف ما تصرفه على حوزة كاملة يأتون بعلوم من هذه لماذا؟ لأنها علوم تعطي تمكينا لمن؟ لمن هي بأيديهم ما تدري إلا وهم مقبلون عليك ما الذي حصل ؟ الآن النجف من يحكمه من؟ الأمريكيون أسبانيون أوكرانيون وفيهم [آيات الله، حجة الله] وأشياء من هذه عناوين من هذه .

ما الذي جعل الأمريكيين والبريطانيين والأسبانيين يصلون إلى أن يضربوا هذه الأمة ويهيمنوا عليها ويستعبدوها ويصلوا إلى داخل النجف وكربلاء إلا ماذا؟ عدم فهم لمراجع دين عند الإثناعشرية وعدم فهم عندنا لأئمة حكموا لهذا القرآن، آية واضحة هذه إذا عندك فهم إذا ما زلت سليم الفهم ، إذا أنت تعرف بأن القرآن هو هدى للناس وتعرف أن من الهدى فيما يتعلق بالأشياء هذه ، لا أن يكون كل ما تستنبطه من القرآن حول قضايا العبادات والمعاملات المعروفة ، تبنى أمم أو تحطم أمم بسبب الإعتماد على القرآن أو الإعراض عنه.عندما لم يهتموا لا سنة ولا شيعة بطوائفهم لا أصحابنا الزيود وهم حكموا على مدى ألف سنة ولا اثناعشرية وهم مرجعية دينية وأخماس تتجمع إليهم بأعداد هائلة مبالغ كبيرة على مدى أيضاً ألف سنة تاريخ النجف كمرجعية في النجف قد تكون ربما ألف سنة .

إذاً فنقول لأنفسنا ونقول للآخرين: هو وقت من قبل أربعمائة سنة. الذي يقول لك: ما هو وقت أن تقولوا: [الله أكبر..] أو تحاولوا تعدوا أنفسكم لأن لا تكونوا ضحية هؤلاء الأعداء الذين أخبر القرآن عنهم أنهم لا يودون لنا أي خير .

إذاً ألم تكن خسارة كبيرة جداً عندما لم نعمل بالقرآن ألم نصبح نحن الضحية نحن الجيل هذا نفسه؟ أصبحنا الضحية أصبحت الأمة الجيل هذا من الأمة هو الضحية لتقصير السابقين لانحراف ثقافة السابقين في معظمها في معظمها فعلاً سنة وشيعة تتمثل كلها في ماذا؟في أنهم ابتعدوا عن القرآن .

إذاً نحن أمام وضعية: ما بقي لا دين ولا أمة وأمة متخلفة، أمة منحطة، أمة ضعيفة، أمة يتحكم فيها اليهود يحكمهم اليهود ، الشيء الغريب الذي لا يزال الآن غريباً في العراق نفسه العلماء العراقيون المراجع الذين عندهم مبالغ كبيرة جداً الأخماس التي منها أخماس أرباح التجارة صاحب الدكان يكون لديه صندوق في دكانه إذا باع خصلة بخمسمائة ريال معه فيها ربح مائة ريال خُمُس المائة هذه يطرحها في الصندوق ، خمسة آلاف ألف ربح يطرح خُمُس الألف هناك خمس الربح من كل سلعة يبيعها تتجمع أموال كثيرة جداً .

أذكر في كتاب ذكر قبل سنين بأنه الأخماس التي من سوق بغداد تكفي للهاشميين جميعاً ، أخماس سوق بغداد للشيعة فضلاً عن أسواق أخرى في العراق فضلاً عن أسواق أخرى في الخليج فضلاً عن أسواق أخرى في داخل إيران ، إذاً لماذا لم يحصل عند هؤلاء اهتمام بعدما رأوا أن هناك ملاحقة لعلماء عراقيين يحاولون بأي طريقة ولو يصرف على الشخص الواحد مليون دولار أنها سهلة في محاولة أن يهربه من أيدي هؤلاء إلى أي بلد آخر يكون في مأمن فيه؟ لا يوجد شيء من هذا ، وما زال يقول: نعم للحوزة، نعم للحوزة ، والحوزة التي أضاعتك، أضاعتك في الماضي وتراها الآن أمام أعداد كبيرة من العلماء العراقيين بعدما تهاوى النظام أصبحوا ضائعين ، يحاولون بأي طريقة يحصلون عليهم حتى يؤمنوا مستقبلهم ولو يصرفوا على الواحد منهم مليون دولار إنه سهل يهربونهم إلى بلدان أخرى ما يجعلونهم عرضة للمخابرات الإسرائيلية : هذا يقومون باحتوائه ويشغلونه عندهم ، وهذا يغتالونه ، أليست هذه خسارة؟

لابد أن نعرف أيضاً بالنسبة لنا: أن واقع الناس تقريباً وصل إلى ما وصل إليه اليهود في خسارتهم التي عرضها الله في القرآن الكريم بسبب أنهم أعرضوا عن قوله: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} (البقرة: من الآية٦٣) ما أخذنا ما آتانا الله بقوة فأصبحت النتيجة هي النتيجة السيئة.

نعم كما قلنا سابقاً بالنسبة للموضوع: الآيات هذه عندما تراها تناولت أشياء وتبدو وكأنها آيات متفرقة ، لا، الموضوع هنا موضوع ذهني موضوع الإنسان المسلم المجتمع المسلم بشكل عام.

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة:١٠٦-١٠٧) هذه أيضاً الآية تتناول وبشكل تركز عليه موضوع: التسليم لله سبحانه وتعالى ، التسليم له قد عندك درس من الذين لم يسلّموا له كيف وصلوا؟ هذه الآية، موضوع النسخ هل هناك نسخ في القرآن أو ما هناك نسخ هل يجوز النسخ أيضاً بالأحاديث أو ما يصح؟ موضوع النسخ هو من القضايا التي فيها أخذ ورد كثير ، هناك من الناس من يقول: لا يوجد نسخ نهائياً داخل القرآن، لا يوجد آيات منسوخة نهائياً ، وهناك من هم مُفرطون في موضوع النسخ ، وقدموه كقضية اجتهادية ورؤية اجتهادية فتناولوا الكثير من الآيات الهامة قالوا: هذه منسوخة ، وهذه منسوخة ، وهذه منسوخة .

من أخطر ما تناولوه في موضوع النسخ: قضية نسخ آيات في الإنفاق في سبيل الله ، جعلوها منسوخة بآية الزكاة، والإنفاق في سبيل الله هي قضية أساسية للعمل لإعلاء كلمة الله، وعمود الجهاد في سبيل الله هو: الإنفاق في سبيل الله ، يأتي يقول لك: منسوخة نسختها آية الزكاة !

النسخ الذي قد نقرأه أو نسمع به من دعاوى نسخ في القرآن الكريم كلها اجتهادية كلها اجتهادات ، الإمام [القاسم بن إبراهيم] عنده رؤية بالنسبة لموضوع النسخ على أساس أن كلمة: [نسخ] هي كلمة عربية كلمة عربية هي تعني في اللغة إزالة الشيء تماماً أو نقل صورته: نَسَخَ ورقةً، ونَسَخَ كتاباً أي: نقل صورته إلى أوراق أخرى نَسَخَ عليه ، وما تزال تستعمل بهذا المعنى عندنا ، قال: [إذاً النسخ باعتبار الكلمة هذه عربية ـ معناها ـ ما هناك نسخ في القرآن الكريم] ، إذاً عندما نقول: آية منسوخة يعني: آية غير موجودة، ليست موجودة، آية منسوخة أي: آية أزيلت تماماً ، معناها هكذا. إذاً أمامك آيات قرآنية لا يمكن أن تقول: هي منسوخة وهي موجودة؛ معنى منسوخة أي: مزالة تماماً.

الكلام حول النسخ هو على أساس النظرة الفقهية البحتة ، يبحث داخل هذا القرآن العظيم الواسع الذي هو أوسع من شئون الحياة هذه كلها يسميها حكماً شرعياً في موضوع عبادات معاملات دائرة محدودة جداً بالنسبة لباقي ما تناوله القرآن ، فقدر هذه الآية باعتبار فيها ـ بحسب إطلاق لفظها ـ فيها صيغة تفيد أمراً أو صيغة تفيد نهياً إذاً طلّع له حكماً شرعياً في الأخير يقول :المقصود من الآية هذه، أو كل ما يتوجه إليه نظره في الآية هذه هو موضوع الحكم الشرعي هذا الذي كان الدليل عليه مفردة في الآية جاءت بشكل أمر بصيغة أمر أو بصيغة نهي قال: منسوخة ، هذا الحكم منسوخ ، لا يقولون حتى: الحكم منسوخ، في الأخير يقول: الآية ، والآية لا يرى فيها إلا موضوع ذلك الحكم ، فعنده ما دام إن قد الآية الأخرى يبدو الحكم ذلك فيها بشكل آخر قال: الآية منسوخة، منسوخة، وآية منسوخة، وآية منسوخة بهذه العبارة! وهي عبارة غلط أن يقال: آية منسوخة ، قل: حكم منسوخ ، عندما تتجاوز، قل: حكم منسوخ أكثر ما يمكن أن تقوله إذا كان بالإمكان أن يكون صحيحاً .

إذاً في الأخير ظَهَر تساؤل معين: الآية القرآنية هذه بعد نسخ الحكم ماذا بقي لها من معنى أن تبقى؟ قالوا ما تزال القيمة في وجودها أنها تصبح للتعبد فقط ، تتلى للتعبد، للتعبد بتلاوتها وإلا فقد صارت في الواقع قد هي فاضي لم يعد فيها شيء لم يبق فيها حكم قد صارت فاضي الآية! هذه أي: نفس الكلام حول النسخ بهذا الشكل يرد عليه قول الله تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) كلها محكمة لا يوجد فيها آيات قد صارت فاضي ، الإمام علي يقول في القرآن هذا: ((بحر لا يدرك قعره)) الله يقول: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (الكهف:١٠٩) يأتي ليقول لك: آيات فاضي ! وطلعوا كتباً

معينة في [الناسخ والمنسوخ] هذه الآية منسوخة، وهذه منسوخة وهذه منسوخة ؛ ولأنها قضية اجتهادية فعلاً تراهم مختلفين في دعاوى النسخ ، هذا يقول: هذه منسوخة، والثاني قال: لا، ليست منسوخة ، هذا يدعي: أن هذه الآية منسوخة، والآخر قال: لا، ليست منسوخة .

أنت عندما تنظر بالنظرة الأساسية فيما تناولتها السورة هذه، قضية: إن الدين هو واحد لا يصح كلمة: ديانات؛ ولهذا نحن نقول: خطأ كبير استخدام كلمة: ديانات! لا يوجد ما يسمى ديانات ، هو دين واحد الدين عند الله واحد، داخل مسيرة الدين هذا قد يكون هناك في مرحلة معينة أشياء مشرَّعة في مرحلة أخرى لا تكون مشرَّعة ، هذه تأتي في إطار ماذا؟ التوجيه للناس بأن يسلّموا: أن الحكم هو لله، الأمر هو لله، الهدى، التشريع هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى فليسلّموا. إذا كان مثلاً في شريعة موسى أشياء شرعت، في أيام عيسى حصل تغيير في نفس الأشياء السابقة أشياء كانت محرمة لاعتبارات معينة أحلت ، أشياء كانت حلال لاعتبارات معينة حرمت أو أتى مثل هذا في شريعة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بالنسبة لما كان في شريعة موسى وما كان في شريعة عيسى ، فافهم بأن الله عندما يحصل شيء من هذا النحو لا يكون تغييراً إلى ماذا؟ إلى الأدنى ، فإذا نسخ شيئا من شريعة سابقة فسيأتي بما هو مثله أو أحسن منه بالنسبة لأصحاب الشريعة الحاضرة.

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية١٠٦) **لاحظ لها علاقة بهذا الموضوع موضوع التسليم ؛ لأن اليهود عندهم فكرة بأنه: أبداً دينهم ولا يصح أن يكون هناك أي تغيير فإذا هناك في الإسلام تشريع جديد يقولون: أبداً نحن لا يجوز هذا ويطلعون شبهاً أخرى ، نحن نقول: بلى يجوز في شريعة الله أن تنظروا إلى الدين واحد هو دين واحد{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}** (آل عمران: من الآية١٩) **مسيرة واحدة أمة من الأمم قد يكون يشرّع لها شيئاً معيناً ،في موضوع التشريع، التشريع جانب من الدين ، التشريع جانب من الهدى فقط قد يكون تشريع لأمة معينة على هذا النحو، أمة أخرى.. ، ولهذا حكى الله عن عيسى وهو يقول لبني إسرائيل: {وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}** (آل عمران: من الآية٥٠) **وهنا بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** (الأعراف: من الآية١٥٧) **لأن بني إسرائيل بسبب عنادهم شرعت أشياء ألزموا بها هي نوع من ماذا؟ من العقوبة، حرم عليهم كثيراً من الطيبات يعتبر حراماً فعلاً بسبب ماذا؟ بسبب عصيان بسبب مخالفات بسبب عناد حرم عليهم ؛ ولهذا جاء في الدعاء الذي هو عبارة عن دعاء حكاه الله عن المؤمنين بشكل عام: {رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ}** (البقرة: من الآية٢٨٦) **لأنه فعلاً حصل في تاريخ بني إسرائيل أن شرعت أشياء تشريعها مثلاً يعتبر من ماذا؟ من العقوبة عليهم ؛ فحرمت عليهم كثيرا من الطيبات بسبب عصيانهم.**

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} (البقرة: من الآية ١٠٦ــ١٠٧) **الله له ملك السموات والأرض ؛ فهو ملك الناس ويشرع كما يريد وهو العالم بمصالح عباده هو على كل شيء قدير وله ملك السموات والأرض فأنت عليك أن تسلّم له .**

إذاً فيبدو أن الموضوع قد يكون فعلاً{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ}بالشكل الذي داخل التشريع الإلهي المسيرة الواحدة الطويلة. هي نظرة غير صحيحة أن نحمل مفهوم النسخ على ما يقدم هنا لنا [في أصول الفقه] ثم تأتي إلى القرآن وتنظر إلى آيات القرآن من خلال تلك المفاهيم التي حصلت عليها من خلال قواعد أصول الفقه ؛ لأنه في الأخير يطلع منه أخطاء كبيرة جداً ، [آيات منسوخة] أن يقول: إنها منسوخة يعطل العمل بها عند الناس ألم يصبح الإنفاق في سبيل الله قضية غريبة عند الناس؟ الإنفاق في مجال إعلاء كلمة الله أصبح غائباً عند الناس بسبب الذي يقول: منسوخة، منسوخة.

تلاحظ هنا: أنه يقدم أشياء تبدو متعددة هي ليست متباينة عندما ترى أن الموضوع هو ماذا؟ ما يستخلص من عبرة من خلال ما قدم مما قدمه وعرضه عن بني إسرائيل وكيف آلت إليه حالتهم بسبب إعراضهم عن هدي الله وبسبب عدم التسليم لله ، فعندما تكون مسيرة المسلمين في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي كانت في واقعها بهذا الشكل يكونون ملزمين أحياناً أن يعملوا عملاً معيناً وأشياء معينة ثم في مرحلة أخرى يقول:

يكفي، ثم في مرحلة يأتي.. حصلت هذه في مسيرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يقول: لماذا كل فترة ومعك كلام، كل فترة ومعك كلام، كل فترة ومعك كلام، هو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى هو مشرع عن الله سبحانه وتعالى يأتي بِشِرعة يسلم الناس له بل هذه تحصل ليس على أساس النظرة بالنسبة للنص تحصل في مسيرة الناس على أيدي من هم قائمين مقام أنبيائه.

تحصل هذه فعلاً عندما تنظر إلى واقع الناس مثلاً نحن قرأنا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا} (البقرة: من الآية١٠٤) هذه الآية ألم يعمل بها في مرحلة معينة وبهذا التهديد الشديد؟ من بعد لن تجد أحد الفقهاء يقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يستعمل كلمة: {رَاعِنَا} في هذا العصر هل أحد يقول هذه؟ ما الذي نسخها بمفهوم النسخ الذي قدمه أصول الفقه؟ يوجد شيء نسخها؟ لا يوجد.

هناك نسبة كبيرة من التشريعات تكون على هذا النحو وغالباً ما تكون في المجالات العملية في مسيرة الأمة العملية أو لاعتبارات ووضعيات معينة ليست هي مهمة أي شخص هي مهمة أنبياء الله ومهمة ورثة كتبة ، كلمة{لا تَقُولُوا رَاعِنَا}كم استفدنا منها كثيراً هذه الآية جداً في العصر هذا: من الناحية الأمنية، من ناحية الدفع في مجال مواجهة بني إسرائيل، فيما يتعلق بالمقاطعة الإقتصادية، ألم تعطنا هدى كثيراً؟ مع أنها آية عملياً باعتبار أنها نهي عن: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا} عندما تقرأها من أولها إلى آخرها البارز فيها{لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) أليست هذه ما يزال داخلها هدى كثير جداً جداً في قضايا هامة جداً؟

إذاً هي شغالة الآية هذه إذا كان في مرحلة معينة{لا تَقُولُوا رَاعِنَا} انتهى الموضوع ومقتضاه أن يتركوا{رَاعِنَا} الآية باقية. أليس النسخ حصل هنا في الواقع، في الميدان؟ انتهت الإعتبارات والمقتضيات والوضعية التي عليهم أن لا يستخدموا: {رَاعِنَا} فيها عندما انتهت طبيعي استخدام كلمة: {رَاعِنَا}. {رَاعِنَا} شغالة لو تصل بمضمونها، بمضمونها، تأخذ من كلمة: {رَاعِنَا} منهجية كاملة مثلما حاولنا أن نأخذ منها، ألم تتحدث عنه في ماذا؟ تصبح من أهم الأشياء على أهمية المقاطعة الإقتصادية، إذاً أليست آية شغالة؟{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) {وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٤) ليست آية فاضية لا يوجد{رَاعِنَا} قد هي فاضي! تعطي، تعطي مفاهيم هامة، وتعطي هدىً واسعاً جداً.

الدين وفق الرؤية الفقهية المبنية على ماذا؟ على قواعد أصول الفقه ما الذي تنتج في الأخير؟ رصات كبيرة جداً من كتب الفقه وتراها غير مواكبة للحياة في الأخير فعلاً يقولون: هذا الزمن قد هو بحاجة إلى فقه جديد صار بحاجة فقه! وتلك الرصات الكثيرة؟ الفارق بينها وبين القرآن الكريم من خلال النظرة التشريعية النظرة التشريعية، الفقهاء كل واحد وطلع من القرآن الحاصل ما عاد معه شيء ، وتجد معهم ما زال يوجد فرضيات أقوال كثيرة وفرضيات فيها وما تزال قاصرة عن مواكبة الحياة بل في نفس العصور التي كان فيها فقهاء كثيرون وكتّاب للفقه كثيرون: مفرّعون، مخرّجون كان في مجال إقامة الدين العمل هذا الذي هو ميدان، ميدان الدين، موضوع إقامة الدين، وإقامة الدين ميدانه الأمة والحياة ما تدري واصطدم أحد من أهل البيت عندما يتحرك بكثير من المسائل الفقهية ما تقول أنه بالشكل الذي قد صار أشياء جاهزة أمامك ما عليك إلا أن تشتغل بل تجد مطبات.

تجد القرآن الكريم يبدو ـ هم عندما يحاولون أن يستخلصوا الآيات التي تتناول أحكاما شرعية يطلعون خمسمائة آية من أكثر من ستة آلاف آية ـ القرآن الكريم نفسه مواكب تماماً لكل الأزمنة يستوعب الحياة بأكملها لكن لو تأتي تنظر إليه وفق الرؤية الفقهية النابعة من اعتماد قواعد أصول الفقه ماذا سيطلع؟ لن ترى فيه سوى خمسمائة آية، خمسمائة آية فقط! تأتي قضايا كبيرة تريد أن تعرف كيف تعمل فيها لا يوجد ؛ الخمسمائة آية هي تناولت مواضيع معينة تعتبر محدودة جداً مع أن الله يقول في موضوع الدين: {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} (التوبة: من الآية١٢٢) فقه الدين ليس فقه الخمس المائة آية فقط ، فقه الهدى هذا الواسع فقه الهدى الواسع فقه الدين الواسع .

الصياغة الفقهية ـ إذا صحت العبارة ـ في القرآن الكريم تختلف كثيراً عن الصياغة الفقهية في كتب الفقه بل إن الكثير من المشاكل التي طرأت الآن مثلاً في قضايا المرأة وأصبح اليهود يستغلونها كثير منها نتيجة عبارات فقهاء ومحدثين ومفسرين يأتون بعبارات غير لائقة استخدمها الأعداء.

تأتي إلى القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته يستوعب ـ لكن وفق الرؤية هذه ـ كمثال{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(البقرة:١٠٤) فمثلاً ستطلع منها توجيهات هامة فيما يتعلق بالجوانب الأمنية بالنسبة للمسلمين ،فيما يتعلق بالإهتمام في مواجهة هؤلاء الأعداء الخطيرين، فيما يتعلق بالمقاطعة الإقتصادية ولم تستوفِ ما فيها الله أعلم كم بالإمكان أن تعطي لنا ولغيرنا وكم كان بالإمكان أن تعطي لمن قبلنا. هناك التدوين الفقهي لا يعد بالإمكان تقولب النص تقولبه لأنه يوجد فارق كبير جداً في التعبير فارق كبير جداً تجد أنك لو تأتي تحاول تنقل المسائل الفقهية من داخل القرآن ستجدها قليلة: صلاة، صيام، زكاة، حج، نكاح، طلاق، ربا، بيع وشراء، تجارة، أيمان، قصاص، ستطلع ملزمة بحسب العناوين الفقهية لكنه كتاب يستوعب الحياة كلها ويغطي كل القضايا في أي عصر كان وباتجاه واحد باتجاه واحد يعني في إطار مسيرة واحدة ليس المعنى أنه هو يتأقلم هو يتأقلم مع الأشخاص يتأقلم مع الناس يتأقلم مع القضايا أبداً ،

أعني: عندما نأخذ من هذه الآية أهمية المقاطعة الإقتصادية هل هي تتنافى مع{لا تَقُولُوا رَاعِنَا}(البقرة: من الآية١٠٤) أصبحت إتجاهاً مغايراً ؟ لا، هي منسجمة من حيث مضمونها وهو يقول لك:{لا تَقُولُوا رَاعِنَا}وعندما تقول: إذاً هذه تؤكد أهمية المقاطعة الإقتصادية تراها في سياق واحد تخدم الموقف الواحد بدون تناقض بدون اختلاف ، هكذا القرآن الكريم سعته هي على هذا النحو ما معناها سعة ماذا؟ قولبة، تأقلم، أبداً هذا كمثال ليس سعة قولبة وتأقلم أبداً.

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}(البقرة: من الآية١٠٨) لاحظ أليست الآيات كلها توجه في معظمها توجيه للمسلمين جاء على أساس أن لديهم عبرة مما عرضه من تاريخ بني إسرائيل ، القضية هي ماذا؟ يجب أن تفهموا من مجملها أعني: كأن الآية تقول: أن تفهموا من مجملها على الأقل تأخذوا منها هذه العبرة أن تكون العبرة منها: التسليم المطلق لله ، إذاً لم يعد هناك تساؤلات أخذ ورد وسؤال وتساؤلات{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}(البقرة: من الآية١٠٨) عندما يقول لكم تعملون كذا اعملوا ، يقول لكم إلى هنا ويكفي، يكفي انطلقوا في موضوع آخر انطلقوا وهكذا.

{وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْأِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}(البقرة: من الآية١٠٨) يعني أن هذه الروحية تؤدي في الأخير إلى كفر ، الروحية هذه لوحة من روحية بني إسرائيل في موقفهم من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ستنتهي المسألة إلى ماذا؟ إلى رفض أنه ما هي الفائدة من هذا؟ في الأخير ما تعقل الفائدة يقول: إذاً لا يوجد حاجة لهذا ، ما هي الفائدة من{رَاعِنَا} أننا نتركها وهي كلمة آباؤنا وأجدادنا يستخدمونها ونحن لا نستخدمها بسوء نية إذاً لن نتركها أبداً ، الحالة هذه، الروحية هذه تؤدي إلى ماذا؟ إلى كفر: رفض لهدى الله ولتوجيهات رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(البقرة:١٠٩) الآية هذه نفسها قد ترى فيها علاقة بين{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا}(البقرة: من الآية١٠٦) لأن التوجيه بالإلتزام وترك التساؤلات مثلما كان يحصل من بني إسرائيل مع موسى لأنه في مستقبل معين قد يأتي تصرف آخر مع بني إسرائيل قد لا تفهم النسخ داخل النصوص ، الواقع لا يوجد نسخ داخل النصوص، هناك في مواردها باعتبارات المواضيع في الساحة هناك مرحلة معينة سيعفون ويصفحون حتى يأتي الله بأمره ولله أمر سيفتح عليهم ثغرة إذا لم يستجيبوا سيتآمرون فيضربون فعندما يكونون يضربونهم لا يأتي منكم تساؤلات: لماذا أما الآن تقول: نقاتلهم وقبل هذا كنت تقول: فاعفوا عنهم واصفحوا؟! هذا لا يوجد فيه نسخ هو عمل بالنصوص، بالنصوص هذه التي تواكب كل الإعتبارات والوضعيات والمتعددة الإعتبارات.

{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً} (البقرة: من الآية١٠٩) وهناك قال قبل: ما يودون لكم أي خير أليست هذه واحدة؟ وهنا يودون أن يردونا كفاراً .أن تأتي في هذه الآية بعد التأكيد، التأكيد في ماذا؟ في إلغاء روحية التساؤل ، يعني ماذا؟ يعني: أن النفسية هذه نفسية التساؤل التردد هي قد تكون ثغرة من ثغرات بني إسرائيل فعلاً قد يكون من أمثلتها حاصلة نقول: نقاطع بضائع الأمريكيين ، يقولون: كيف نقاطع والله يقول: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} (المائدة: من الآية٥)؟ أليست هذه من التساؤلات؟ وسيقتنع ويستمر يشتري من طعامهم ويستمر يورد كل ما عنده إلى جيوبهم ، وكل ما تقدم قضية يكون مليئاً بالتساؤلات ما تدري في الأخير وإذا هو أو أولاده هو باعتبار موقفه وأولاده قد حولهم إلى كفار .

فعلاً الروحية هذه معناه أنها خطيرة، خطيرة جداً على الناس في زمن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أو في أي زمن هم فيه في حالة صراع مع أعداء الله وخاصة أعداء من هذا النوع من أهل الكتاب ، تأتي هذه الحالة من الحالات التي تعتبر منفذاً للشبه ؛ لأن الكثير من الشبه تكون مصبوغة بتساؤلات تساؤلات إذا عندك روحية التساؤلات فذلك يجعله يقدم لك شبهة ثم يجعلك تتساءل وكأنها الفكرة أو القضية الثابتة لديك ويجب أن تكون أنت المستوعب لكل شيء وعارف لعمق كل قضية ولأبعاد كل قضية ، المسألة الهامة هي تبتني على التسليم لهدى الله التسليم لهدى الله هذه قضية أساسية ، إذا ما هناك تسليم سيحصل ماذا؟ تساؤل إذا هناك تساؤلات تكون القضية في الأخير ماذا؟ هو قدم لنا مثلاً من أول الآيات التساؤلات حق بني إسرائيل: ما لونها ، ما هي ، ما لونها ، وأشياء من هذه ، أليست تساؤلات؟ هذه الروحية أصبحت عندهم كانت من العوامل الهامة أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من ضلال حتى سماهم كافرين وفي الأخير لعنهم وسماهم كافرين .

هل ـ عندما يقول لا يوجد تساؤلات ـ أن الدين هذا نفسه يريد يترك الإنسان لا يكون فاهم شيء؟ هدى الله هو بالشكل الذي يعطيك المعارف الكاملة الوافية بشكل لتشبع، لتشبع فعلاً هدى الله يقدم بالطريقة التي يكون المطلوب منك هو: أن تتفهم، تفتح ذهنيتك تفتح مسامعك وتتفهم ويقدم إليك بشكل واسع جداً بحيث لا يبقى قضية تساؤل ، أنت لو تأتي إلى تساؤلات قيلت فعلاً سواء في أيام بني إسرائيل أو في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تجدها كانت من الأشياء البديهية ، ما معناها أنك ستترك غوامض، غوامض ما انتبه لها الله ولا رسوله ولا كتابه تأتي أنت تقول: والله هذه كيف الحل فيها أو كيف كذا يبدو أنهم نسيوا ، أبداً.

بنو إسرائيل بعدما قال الله لهم على لسان نبيه موسى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} (البقرة: من الآية٦٧) أليس الله يعلم بأسنانها ما بين فتيّة وما بين متوسطة وما بين مُسنة ما الله يعلم بهذا؟ فعندما يقولون: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٧٠) أي أنهم يقدمون تساؤلاً عن قضية ليست غائبة عن الله سبحانه وتعالى ولا حتى عن نبيه موسى هو يعلم أن البقر إما أنها متعددة الألوان أو متقاربة متشابهة ، هذه قضايا معلومة فعندما يقول لك: بقرة هو قالها بعد وهو يعلم بأنها متعددة وأنها متشابهة وأنها..وأنها..إلى آخره، هو هذا أنهى القضية بالنسبة لهم إلى أنه يعلم ببقرة قد تكون هي الوحيدة{صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} (البقرة: من الآية٦٩) لا يسنون عليها ولا يحرثون عليها وسنها متوسط قد تكون بقرة واحدة في الأخير ما هذا عبرة لهم بأنه يعلم كل شيء؟ إذاً فعندما يقول: بقرة ليس معناه أنه ناسي أن البقر تتشابه وأن البقر فيها فتيّة وفيها مسنة وفيها شيء يحرثون عليها ويسنون وبعضها جالس لا يحرثون عليها ولا يسنون.

تطلع التساؤلات في الغالب تساؤلات في الأشياء التي لا تعتبر غرائب أن الله في هداه ناسي لها وأنه لم يشملها ، ما معنى المسألة هنا بأن هدى الله سيجعل الناس بالشكل الذي لا أحد يفهم شيئاً يقولون: اسكت لا تتساءل لا تقدم سؤالاً لا تستفسر أي: ابقَ مقفل فمك أي تبقى ثور ، ليست القضية بالشكل هذا من البداية الله يقول لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): إن المهمة الرئيسية لديه يعلمهم، يعلمهم أليس معناها يعلمهم ؟ الكتاب والحكمة ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ما معنى هذا يعطيهم معارف واسعة عندما يكون يعلمهم، يعلمهم ماذا؟ هدى الله الذي قال عنه الإمام علي: ((بحر لا يدرك قعره)) ما معنى هذا أنه سيعلمك معارف واسعة جداً؟ فلماذا ما زلت مشغولاً بأن تقدم تساؤلات هي بديهيات؟

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} (البقرة: من الآية١٠٨) **لاحظ الأسئلة حقتهم . حصل أيضاً أمثلة من داخل الأمة هذه تساؤلات مع النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}** (البقرة: من الآية١٨٩) **قضية هذه معقدة وقضية من الغوامض!! وكأنها من القضايا المعقدة والغوامض{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} اعتبر هذا التساؤل لا قيمة له {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}** (البقرة: من الآية١٨٩) **بل عرض في مواضع أخرى بالنسبة لبني إسرائيل روحية التساؤل الذي يدل على أنهم ناس أصبحوا أعني وصلوا إلى حالة من الفراغ ليس لديهم شغل ولا عمل إلا تساؤل وانشغال بقضايا تعتبر هامشية جاء بها في [سورة الكهف] بتعبير فيه نوع من السخرية {سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}** (الكهف: من الآية٢٢) **أخذ ورد وحوارات ونقاش على هل كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم أو خمسة وسادسهم كلبهم هل هذه قضية هامة؟! ليست هامة .**

هكذا الناس أيضاً إذا انصرفوا عن هدي الله تصبح علومهم علوماً كثيرة وكتباً كثيرة لكن قضايا هامشية لا قيمة لها في معظمها وأوقات طويلة تضيع ، وأعمار تضيع ، ومواهب تضيع فعلاً . عندما تقرأ في التاريخ عن أشخاص كان لديهم مواهب عالية في الحفظ مثلاً في الذكاء ما الذي أضاع مواهبه؟ تراه منشغلاً بقضايا هامشية ، ينطلقون ليفكروا بأنه: ما هي الطريقة من أجل يعرف الشخص دين الله ، والله قد قدم الطريقة كاملة ويقول: اتبعوا، الموضوع جاهز وصراط مستقيم جاهز. كم يأخذ فن [أصول الفقه] من أوقات الناس ومن مواهبهم ومن أعمارهم ومن أموالهم؟ معناه: أن دين الله هو لتوعية الناس وتبصير الناس يعطي الناس نوراً وبصيرة ومعرفة ووعياً وفهماً بشكل لا يصل إليه أي إنسان مهما كان ذكياً هو من خلال نفسه أبداً ، فعندما يقول: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١٢٩) **أنت ارجع إلى الكتاب {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}** (الأنعام: من الآية٣٨) **{وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}** (الأنعام: من الآية١٥٤) **{تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ}** (النحل: من الآية٨٩) **((بحر لا يدرك قعره))**

إذاً هل هذا تجهيل؟ عندما يقول: أنت المهمة بالنسبة لك حتى تكون تعرف وتزداد معرفة تتوسع معارفك هو أن تستمع، تستمع ، هذه أيضاً من الرحمة الإلهية: أن يقدم للإنسان ما يجعل معارفه واسعة ما يجعله حكيماً في رؤاه في تصرفاته في مواقفه في تقييمه بطريقة سهلة أيضاً ، تذكّر فقط، تفهّم، اصغ، استمع، وفقط ، أليست هذه أقرب طريقة؟ لا حاجة بك أن تتساءل تساؤلات قد تتساءل في قضية هي من البديهيات أن تكون معروفة لديك أو قضية هامشية. أيُّ قضية هامة هدى الله يصل إليها وطريقته في المعرفة ـ مثلما نقول أكثر من مرة ـ طريقة راقية جداً أنه ربط المعرفة بالعمل ، ربط المعرفة بالعمل ، إذاً اتجه اتجاهاً عملياً وستستفيد المعارف الكبيرة جداً جداً من خلال هدي الله .

هنا يذكّر بخطورة أخرى من مخاطر بني إسرائيل بالنسبة للأمة بالنسبة للمسلمين: {وَدَّ كَثِيرٌ} (البقرة: من الآية١٠٩) **الود معناه: الرغبة والميل إلى هذا الشيء رغبة بميل{لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً}** (البقرة: من الآية١٠٩) **قد أنتم مؤمنين وعاد عندهم رغبة شديدة وميل إلى أن يردوكم كفاراً {حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}** (البقرة: من الآية١٠٩) **يعرفون قيمة الدين وأهمية الدين وما يقدمه للناس فحسدوا الناس على هذا حسداً من عند أنفسهم{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}** (البقرة: من الآية١٠٩) **يعني: أنهم في حركتهم لا ينطلقون على أساس أن هناك باطلاً يريدون أن يحاربوه وأن يقدموا حقاً من لديهم بل هم يفضحون أنفسهم في هذا الموضوع ، أليسوا هم يقدمون أشياء باطلة في محاربة هذا الشيء باطلة هي باطلة في كتبهم هي باطلة في شريعتهم؟**

أليسوا يعملون على نشر الفساد الأخلاقي؟ هل هذا عمل أناس يسعون لإزاحة باطل والإتيان بحق ، أبداً عمل أناس حاسدين وحاقدين ويعتبرون ما أمامهم هو حق، ما لديهم أبداً أي وسيلة ليحاربوا إلا وهي وسيلة باطلة فيستخدمون وسائل هم يعرفون بأنها باطلة حتى في شريعتهم: المخدرات ونشرها الفساد في الأرض بنشر الأمراض الفساد بمختلف الوسائل الفساد الأخلاقي بإفساد الإنسان إبعاده عن الله أن يصلوا به إلى الشرك أن يطلع مشرك أو يطلع ملحد بل قالوا: هم كانوا وراء الشيوعية هم الفلسفة التي تجعل الإنسان ملحدا منكرا لله منبعها من عندهم هم ، هل هذا من شريعتهم؟ هل هذا هو من الحق الذي لديهم في مقاومة الباطل الآخر؟! لا .

إذاً فهذا يبين فعلاً أن ما لديهم من ميل لمواجهة هذا الدين هذا القرآن الكريم إنما هو ماذا؟ بدافع الحسد من بعد ما تبين لهم الحق ، وكلمة حق تبيين الحق قد يكون على أقل تقدير لكبارهم مثقفيهم أحبارهم هم الذين يحركون الناس . يعطيك هذا مثلاً واضحاً: أن ليس لديهم دوافع حق لأنك تراهم يشغلون باطلاً وهم يعلمون أنه باطل في مواجهة هذا الشيء الذي عندك ، هل هذا عمل من يسعى لأن ينشر حقاً أو عمل من يعمل لمواجهة باطل؟ أبداً هذا عمل من يعمل لمواجهة حق لا يمتلك إلا باطلاً لا يمتلك إلا وسائل باطلة.

هذه الآية أيضاً جاءت بالشكل الذي ماذا؟ فيها إطلاق أن هذه رغبة مستمرة لديهم وأن الوقت الذي يتحركون فيه بشكل أكبر هو على حسب إمكانياتهم ، كلما تمكنوا كلما اتجهوا إلى ماذا؟ لتنفيذ هذا الشيء الذي يرغبون فيه وهو أن يردوكم كفاراً. في العصر هذا ماذا يعملون؟ ألم تصبح قضية واضحة: محاولتهم أن يردوا الناس كفاراً من بعد إيمانهم ، ألم يتجهوا إلى أن يهيمنوا على التثقيف وفرضوا فرضيات معينة في مجال التثقيف إزاحة كثير من آيات القرآن الكريم هذا يشهد لك بأن الرغبة ما تزال قائمة لديهم من يوم ما نزل القرآن إلى الآن وإلى نهاية آخر يهودي : أن هذه رغبة قائمة لديهم: أنهم يودون أن يردونا كفاراً بدافع الحسد من عند أنفسهم .

تعطينا هذه وعياً وبنفس الطريقة الأولى ، الآية الأولى، للإنسان الفاهم والواسع الفهم وللإنسان العادي البسيط التفكير أن يفهم: أن الله يقول: إن هؤلاء أهل الكتاب يودون أن يردونا بعد إيماننا كفاراً ، أنت واثق بالله ومصدق لله؟ إذاً امسك على هذا ، أليس كل واحد يفهم هذه ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟ يفهم هذه: أن الله يقول لكل واحد منا: أن هؤلاء الأعداء من أهل الكتاب هم يودون أن يردوكم كفاراً من بعد إيمانكم إذاً فكونوا على حذر منهم تبتعد عن ثقافتهم ابتعد عن تضليلهم لا تصدقهم بشيء لا تصغ إلى شيء من عندهم لا تقبل أي تثقيف من لديهم نهائياً.

{حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة: من الآية١٠٩) **البواعث هي لديهم هم ليس على أساس أن هناك تعاملا سيئا من جانب آخرين يوجد تعامل سيء من جانب المسلمين ، بل وقع في التاريخ ما يعتبر شاهداً عليهم هم، هم عاشوا مثلاً هنا في اليمن كمثال فضلاً عن البلاد الإسلامية بشكل عام عاشوا فعلاً في البلدان الإسلامية وضعية كمواطنين مثل بقية الناس يأمنون على أنفسهم وعلى أموالهم ويتحرك كمواطن في أي بلد هو فيها في ظل الدولة الإسلامية هنا في اليمن على مدى تاريخ طويل قد يكون أكثر من ألف سنة أيضاً عاشوا في وضعية طبيعية فلماذا نراهم الآن يتوجهون بروح عدائية شديدة بحقد وتغيض ورغبة في ماذا؟ في أن يجعلوا الناس كفاراً وأن يهيمنوا على كل قدراتهم وأن يدوسوهم إلى أن يحطوهم إلى أحط مستوى دوافع من عند أنفسهم من عندهم هم.**

هذه ترد على أي واحد منا عندما يقول: اترك العمل ضدهم لا تثيرهم علينا.. لا تقولوا كذا أو كذا.. ستثيرونهم علينا.. أليس الله يقول لك: {مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة: من الآية١٠٩) **هم أنفسهم شغالين ، لو تعاملك معهم حسن لو أنت تعاملهم تعاملاً حسناً هم يعملون أثبت الواقع فعلاً هذه: السعوديون كيف تعاملهم مع الأمريكيين؟ أليس تعاملاً جيداً على مدى ستين سنة؟ والآن كيف توجههم ضدهم مع تجاوبهم لطلباتهم المتعددة حتى أزاحوا أئمة مساجد وخطباء مساجد يقولون أكثر من ألف شخص أزاحوهم! هل عملوا شيئاً يثيرهم أم أنه من هناك من عند أنفسهم؟ إذاً فلنفهم نحن: أن ما المعنى أن عملك هو الذي سيثير الآخرين أبداً بل سكوتك هو الذي سيطمئنهم أما الإستثارة هي موجودة هناك عندهم عند أنفسهم في داخل أنفسهم لو أنت صديق لهم لو أنت عميل لهم فعندهم الدوافع الكاملة بأن يردوك كافراً بعد إيمانك، لأن يردوك تابعاً لهم أشبه شيء بالحذاء وليس في الواقع كمثلهم ولك مالهم وعليك ما عليهم أبداً.**

معنى هذا تعتبر من أسوء الأشياء لأنه حين يقول: نحن نريد نيهود الناس يكونون يهوداً ولا لهم ما لنا ولا عليهم ما علينا ، لاحظ كيف هم في القرآن كيف قدمهم ألم يقدم لهم صورة بشعة جداً؟ أفضع نفسية وأفضع واقع قدمه لهم ، أعني: أن عملهم يعتبر حرباً لك حتى لو كان تحت عنوان أنهم مستعدون أن يكون لك ما لهم وعليك ما عليهم ومع هذا ماذا؟ أبداً هم ليسوا مستعدين أن يكون لك ما لهم وعليك ما عليهم أبداً! يكون ما معك لهم وما معهم عليك.

{حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة: من الآية١٠٩) لو لم يكن هناك أي بواعث أخرى من عندكم نهائياً ولن يثنيهم عما عند أنفسهم أي تعامل جيد من عندكم .

هذه الآية ترد الآن على الذين يقدمون أطروحات أخرى: [كونوا معتدلين ومتسامحين تتجنب الأشياء التي تثير الآخرين علينا] أليسوا يقولون هكذا؟ وبعضهم يكونون علماء يكون ـ كما يزعم ـ عالماً بكتاب الله وعالماً بسنة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه الآية ترد عليه. أي: أنت توجّه على أساس أن الآخرين طيبين أنهم ليس لديهم دوافع ضدنا إلا إذا حصل من عندنا شيء يثيرهم ، قالوا: [يكفي يا جماعة، اعتدال ، تسامح ، وسطية ، اسكتوا] الذين يمسّكون الناس في المسجد في [الجامع الكبير] هم ليسوا فاهمين الآية هذه [يكفي اسكتوا حتى لا تثيرهم علينا.!]. هم مستثارون ـ كما قلنا في محاضرة سابقة ـ هم مستثارون علينا من أصلهم مستثارون علينا من أصلهم هم يلفقون هم راحوا يفجرون السفينة حقتهم في ساحل عدن من أجل ماذا؟ من أجل يلصقون بنا تهمة معينة: أن هناك إرهاباً وإرهابيين! وهذا العمل هو ضد الإرهابيين! وهو عمل مفضوح .

إذاً فالآية هذه هامة جداً جداً في موضوع: أنها تعطي وعياً، تعرف نفسيات أهل الكتاب ؛ في الأخير يترتب عليها مواقف كثيرة ويترتب على الجهل بها أخطاء كبيرة جداً ، في فلسطين عندهم أن [حركة حماس] هي التي تثير إسرائيل [وحركة الجهاد] هي التي تثير إسرائيل مع أنهم قد قدموا براهين من عندهم، هم عملوا هدنة وتوقفوا عن العمليات الإستشهادية تقريباً أربعة أشهر فلم تتوقف إسرائيل، خلالها اتجهت لاغتيال قاداتهم والشخصيات البارزة فيهم . هل انسحبت إسرائيل خلال الهدنة خلال استعدادهم أن لا يقوموا بأي عملية وتنسحب؟ ما انسحبت .

إذاً {مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} ، لا فهمت الحكومات العربية ، ولا فهمت السلطة الفلسطينية نفسها ، في الأخير يرجعون علينا نحن ، أنه من عندنا نحن ، يا أخي لا، الله يقول: {مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة: من الآية١٠٩) لأن الكلمات هذه: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} (البقرة: من الآية١٠٩) الآية الأولى وهذه الآية {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}أي: هذا الود تحته من الناحية العملية أساليب كثيرة جداً أساليب كثيرة جداً، أعني ممكن تعتبر الإحتلال واحدة من وسائل أن يردوا الناس كفاراً، إذاً كيف نحاول أن نسيطر على ثقافتهم فنحولهم إلى{كُفَّاراً} لا بد أن نكون مهيمنين عليهم ، إذاً محتلين، أفضل طريقة: أن نكون ضاغطين ومحتلين أن نصيغهم كفاراً كما نريد.. ما معناها ودّ هناك، وميل هناك محله، وفي نفس الوقت مجرد أمنيات . هذه الأمنية متى ما اتجهت الفئة التي تحملها هذه الرغبة سترى قائمة طويلة عريضة جداً من الأعمال ،أي انظر كمثال عندما يقول: العمل لإعلاء كلمة الله أي أن يكون الناس يودون أن يكون البشر مؤمنين، تعال انظر إلى كم ستكون أمامك قائمة طويلة عريضة جداً من الأعمال ، أليست ستكون أعمالاً طويلة عريضة جداً؟ تحت عنوان: أن الناس يودون أن يردوا البشر مؤمنين بعد كفرهم ، ضع خطة لتنفيذ هذه كيف ستكون؟ واسعة جداً وأعمال واسعة جداً ،الجهاد سيظهر واحدة منها فقط واحدة منها الجهاد المسلح يكون واحدة من هذه .

إذاً هذه الآية نفسها هي التي تجعلنا نحمّل السابقين المسئولية السابقين من المسلمين الذين عاصروا بداية نهضة أوروبا وبداية نهضة أمريكا أم أنه ما كان يوجد مسلمون في الساحة هذه؟ ما كان يوجد زيود ولا اثناعشرية ولا شوافع ولا مالكيين ولا أحد ، ألم يكونوا هم حاكمين في المنطقة هذه؟ حاكمين زيود ، وحاكمين سنية هناك .

الآية هذه كانت تنبه، تنبه من كانوا في ذلك العصر عندما يرون مؤشرات النهضة هناك: أن هؤلاء عندما يتمكنون سيتجهون إلينا ليردونا كفاراً بعد إيماننا ، إذاً فيجب أن لا نتركهم هم ليتفوقوا ، نحاول نحصل على علوم أكثر ونبني أنفسنا أكثر لأن لا يأتي يوم من الأيام يكونون أقوى منا فيفرضون ما يودون أن يوصلونا إليه ، عندما يقول البعض: عيب لا تتكلموا في السابقين ، نقول: بلى نحملهم المسئولية الكبيرة ، السابقين من قريب والسابقين من فوق من أيام [السقيفة] إلى الآن من أيام السقيفة إلى الآن فعلاً.

هنا يتجلى ـ أيضاً ـ فساد الآخرين ككل لم يكونوا بالشكل الذي يكتشف لنا هذه الآية ، لم يكن بالشكل الذي يجعل أولئك المثقفين بهذه الثقافة التي فيها نسبة كبيرة من الأخطاء يهتمون بالأمة لأن هذا شيء معلوم أن مثل

هذه الآية وأنت في زمن معين تفرض عليك أن تحسب حساب مستقبل الأمة وأنت ترى الآخرين يزداد نهوضهم لاتتركهم ينهضون ؛ لأنهم عندما نهضوا نهضوا مثلاً ألم يأتِ من عندهم هم تغيير نمط الصراع فيما بين البشر كان بالسيف تحول إلى ماذا؟ إلى قذائف وإلى إطلاق نار ، من أين بدأ هذا؟ إذاً ما هم حولوا هم وسيلة الصراع، آلية القتال على أيديهم ؟ معلوم بأنه عندما يتفوقون عليك في آلية القتال من هناك ما تحسب حساب أن لا تسمح لهم أن يتفوقوا مثل ما هي عندهم الآن ، هذه الروحية عندهم الآن وللأسف ومن قبل الآن أن لا يسمحوا لهذه الأمة أن تنهض أن لا يسمحوا لها أن تمتلك قدرات ؛ لأنهم يقولون قد تضرب إذا تفوق علينا هؤلاء سيفرضون علينا إسلامهم ؛ لأنهم يودون أن يردونا مسلمين بعد اليهودة وبعد النصرنة .

ألم يكن اليهود والنصارى أكثر وعياً من داخل كثير ممن حكموا وثقفوا داخل المسلمين ؛ لأن الشيء الطبيعي أن تكون خسارتنا أكثر من خسارة أهل الكتاب ؛ لأن القرآن الكريم هو أوسع وأهم من التوراة التي رأينا ما حصل عليهم بسبب أنهم لم يأخذوها بقوة ، لم نأخذ القرآن بقوة وإذا بالأمور بشكل آخر الآن برز أمامنا ليس فقط أنها حصلت من الآن لديهم بل تجد سياستهم أمام الأمة هذه من بداية هذا العصر عصر النهضة أن لا تحصل هذه الأمة على إمكانيات أن لا تحصل على قدرات أبداً ومتى ما تمكنوا متى ما أتيحت لهم الفرصة اتجهوا ، أليسوا الآن اتجهوا ليردونا كفاراً بعد إيماننا ، ومتى اكتشفت بلادهم؟ هل هي اكتشفت قبل أن يكون هناك إسلام ومسلمين؟ قبل أربعمائة سنة فقط ، أمريكا هذه التي أهلها متجهون بالأسلحة الرهيبة وملئوا الدنيا قواعد عسكرية وإمكانيات هائلة أليست إنما اكتشفت قبل أربعمائة سنة؟

إذاً لاحظ كيف الخسارة الكبيرة جداً ؛ ولهذا نحن نقول: إن مشكلتنا هي في الأساس ثقافية ، المشكلة بالنسبة لنا كمسلمين هي ثقافية ثقافة مغلوطة رهيبة جداً صرفتنا عن كتاب الله وجعلتنا غير طبيعيين ولم نعد نحن تقريباً ولا مثل الناس الطبيعيين لم نعد نحن على فطرتنا أبداً ، فتجد هذا الواقع يكشف فعلاً أحط مستوى وصلنا إليه، مع أن لدينا ما كان يجعل هذه الأمة في أعلى مستوى على الأمم كلها فتأتي الآية هناك: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (البقرة: من الآية١٤٣) **كيف قدموا الوسطية الآن؟ أي أن هذا أيضاً استمرار في نفس التثقيف الخاطئ ، الوسطية الآن: أن لا تحرك ساكناً أمام هذا العدو أن لا تنبه على خطورة هذا العدو ، أن لا يستعد الناس لمواجهة هذا العدو ، أن لا يعود الناس إلى دينهم على ما هو عليه ويتثقفون بثقافته ويتخلقون بأخلاقه ويتجهون اتجاهه وينظرون بنظرته ..[لا تكن متشدد ..اجعل نفسك وسطياً !!].**

الوسطي من هو عندهم؟ الذي يكون قابلاً أن يكسروه من وسط ظهره فعلاً ..اجعلوا أنفسكم أمة قابلة أن تكسر من وسط ظهرها فلا تقوم لها قائمة ، أي: تحمل روح التسامح والقبول بالآخر ..[لماذا أنت متشدد هكذا على اليهود وعلى النصارى وتوجه الناس أن يكونوا منتبهين لهم ..ليكن عندك تقبل للآخر..!] والآخر: اليهودي والنصراني! والله قد رفضهم.

بل وصلت المسألة إلى حالة رهيبة جداً أن يقدموا القرآن بين أيديهم هم ، وهذا شيء مزعج جداً ، القرآن الذي جعل الله هؤلاء الناس قائمين عليه وقائمين به.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) **هي خطاب للعرب في المقدمة وفي مقدمتهم أهل البيت وفي الأخير وإذا بالعرب أنفسهم يريدون أن يسلموا القرآن لبني إسرائيل يؤقلموه كما يريدون يخفون ما يريدون ويسترون على ما يريدون ويمنعون الناس عن قراءة ما يريدون في المساجد والمدارس وغيره بل في صحيفة من الصحف يقول عن العراق: ـ أعتقد صحيفة ـ [الشموع] الحاكم الأمريكي في العراق منع أئمة المساجد عن قراءة الآيات التي تتحدث عن الجهاد في الصلاة.!**

لاحظ الأمة هذه ، ألم تصل إلى أن تسلم كتابها لبني إسرائيل والله يقول هنا كيف عملوا مع كتبه كيف كانوا يحرفون كتبه كيف كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما يسمعونه ويعقلونه ، ونأتي لنقدم لهم القرآن..؟! هنا قد أصبحوا يوجهون أوامر بأن: لا تقرؤوا الآيات الفلانية، لا تطرحوا في المنهج الآيات الفلانية، الخطيب لا يتحدث بالآيات الفلانية ، ولا إمام المسجد ، ولا أحد...!! أوامر من الحاكم الأمريكي بأن: لا يقرؤون آيات

الجهاد في الصلاة نهائياً ، وبالتأكيد ولا في المنهج وتصبح جريمة يعاقب عليها الحاكم الأمريكي عندما يسمعون شخصاً يقرأ آيات الجهاد في أي مكان من الأمكنة ومنافقون عرب يرفعون بأي شخص يسمعونه يقرأ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) .

معنى هذا سيحصل في العرب من ممكن فعلاً يصلون إلى هذه ، بل وجدنا أشخاصاً هنا كم يحاولون من داخلنا يرفعون إلى محافظ أو إلى مدير أمن أو أي جهة حكومية هناك أناس يقولون: [الله أكبر الموت لأمريكا والموت لإسرائيل] يرفعون شعاراً هم هؤلاء عاقبهم ! أمة فعلاً قد صارت مكسورة من وسط ظهرها حقيقة ، إذا ما عادت إلى القرآن لم تعد إلا مثل الحمار عندما يكسر ظهره فلم يعد يعمل شيئاً لم يعد قادراً أن يحملوا عليه ولا أمكن يقتلوه ولم يعد له أي فائدة .

هذه الآية هي تنبه الناس أن يكونوا حذرين جداً من حالة {كُفَّاراً}، أعني: يجب أن يفهموا خطورة معنى قوله تعالى: {كُفَّاراً} ارجع إلى القرآن الكريم كيف الكافرون وكيف قدم الصورة عن الكافرين وضلالهم في الدنيا ، مصيرهم في الدنيا ، مصيرهم في الآخرة ، وكيف لعن الكافرين ، ليست كلمة: {كُفَّاراً} كلمة عادية ، ليست بسيطة ، بل اعتبرها أخطر قضية عليك وعلى أولادك وعلى مجتمعك أن يكونوا عرضة لأن يردهم اليهود كفاراً بعد إيمانهم ،من مظاهر هذه أو من صفات أو من حالة الكافرين: أن الله لعنهم، ما الله قال: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً} (الأحزاب:٦٤) .

لهذا نحن نقول: عندما نلعن اليهود ، اليهود هم متجهون إلى أن يحولونا إلى كفار ، فإما أن نلعنهم وإلا فسيحولوننا هم إلى ملعونين عند الله ، إذاً أليس الأفضل نلعنهم من قبل ومن خلال لعننا لهم سنكون نلعنهم كما لعنهم الله ونحصن أنفسنا من ماذا؟ من أن يحولونا إلى كفار إذا لم تلعنهم سيحولوك إلى كافر يلعنك الله {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً} (الأحزاب:٦٤) .

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) **من الأشياء المضحكة الآن أن يكون البعض يقول: إن الله قال: إن الناس يعفون ويصفحون ! كلمة عفو وصفح عادة لا تأتي إلا في مقام القدرة على المؤاخذة ، ما يقال للمقهور للمظلوم للمستضعف للعاجز: اعف واصفح، أبداً ، استعمالها عند العرب استعمالها عند الناس ما يقولون للعاجز عن المؤاخذة: اعف واصفح، أبداً، إنما تقال لمن؟ لمن لديهم قدرة على أن يؤاخذوا من لديه قدرة على أن يضرب الآخر يقال: لا يا رجل اعف عنه واصفح إلى وقت آخر ، هل العرب الآن في مقام أنه يقال لهم: اعفوا عن اليهود واصفحوا؟! أبداً.**

في حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **في بناء الأمة في صراعه مع آخرين صراعه مع آخرين ما كان يحصل من جانب اليهود كان اليهود لا يشكلون خطورة بالنسبة للميدان ، وكانت المواجهة معظمها ميدانية في أيام رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هناك قُبُل عربية هناك قريش وقُبُل أخرى شديدين في المواجهة ، أعداء ميدان، نزول ميداني ، اليهود لا يجرءون وإنما فقط من بعيد من بعيد ، هؤلاء لا تنشغل بهم الآن ، هذا العدو الذي في الساحة الآن، والآخرين حتى يأتي الله بأمره ستلف عليهم فيما بعد .**

لم يكن العفو أو الصفح بمعنى: أما أنتم فأنتم أهل ديانة فلن نكلمكم وأنتم وأنتم..! لا. معناه: اعرض عن الموضوع هذا وليس الآن وقت أن تؤاخذ بالنسبة لهم، في الساحة أعداء ميدانيين يشكلون خطورة عندما تحقق انتصاراً على هؤلاء ستلحق هؤلاء ، وفعلاً عندما تأتي إلى قراءة سيرة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **تجد: أن ضربه لليهود كان بعد اتضاح خيانة من جانبهم ومؤامرات وضربهم على هامش حركته ، على هامش حركته في بناء الأمة ومواجهة العدو الآخر.**

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) **يأذن ، فهي حركة هي مسيرة وليست قضية أحكام شرعية كما يقال: ناسخ منسوخ، ليست قضية أحكام ، قضية مسيرة ؛ لأن هذا الدين هو دين حركة دين مسيرة دين عمل: أنت هنا لا تنشغل بهؤلاء وإن كان لديك قدرة أن تضربهم اتركهم هناك، ابدأ بهؤلاء حتى يأتي الله بأمره، أمر الله سيأتي**

في الوقت الذي يمكن يضربهم ، عندما ضربهم هل حصل أي ردة فعل من أي طرف آخر ضده؟ لأنها كانت وضعية حكيمة ، ضربهم في الوقت المناسب ، وضربهم في الوقت الذي ماذا؟ قد حصل بالنسبة لهم وهم أهل كتاب ما يجعلهم يعرفون: بأن هذا الدين حق وما يظهر من خلاله تمردهم وعنادهم ومحاربتهم فكانوا هم برزوا في الصورة من اتجهوا ضده وتآمروا ضربهم في الأخير.

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية١٠٩) **لن يفوته شيء {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ}** (الأنفال:٥٩) **هو على كل شيء قدير ، هذه القضية ما كانت خاصة باليهود كان بعض القبل أو بعض الجهات العربية الأخرى يسكت عنهم أو يصفح أو يعفو فترة ويتجه .**

العمل يكون فيه أولويات ، العمل باعتبار المرحلة باعتبار وضعية زمنية معينة يكون فيه أولويات ولا يقوم الإسلام على أساس أنه يؤمن جوانب أخرى ، أحياناً تكون عملية لا أخلاقية يؤمنهم أو يدخل معهم في معاهدات ومصالحات ومتى ما تمكن نقضها وضربهم ، هذه لا تحصل أبداً ولا حصلت وكان للطرف الآخر موقف لا نقول: إنه قد أمنهم وأنهم مقرين على ما هم عليه وأنهم لا يصل إليهم شيء منه وأشياء من هذه ! ليس منشغلاً بهؤلاء هو يبدأ هنا يشتغل ؛ لأن مسيرة العمل تكون مسيرة يجب أن تكون حكيمة في أولوياتها ، حكيمة في قراراتها ، أي: لم تكن حتى قضية خاصة باليهود هذه في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:١١٠) **هذه سبق توجيه بها ، أهمية الصلاة وأهمية الزكاة كنماذج تمثل مجالا عباديا هاما في موضوع ذكر الله ، مجالا عباديا هاما في موضوع ماذا؟ الإنفاق في سبيله وبذل المال في سبيله ، هذه الآية هي شبيهة بآية أخرى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}** (النساء: من الآية٧٧) **هنا يطمئن المسلمين باعتبار: هنا توجد مسيرة، مسيرة هدى صحيحة ؛ لأنه أحياناً يأتي التقييم بالنسبة للناس بأنه فرصة لو تبدأ هنا أو هنا.. يقول : لا، استقيموا على ما أنتم عليه، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، استقيموا على ما يقدم إليكم من توجيهات وعبادات وأشياء من هذه حتى يأتي الله بأمره ، أمر الله ما يتلخص في موضوع وحي إلهي ينزل، من أمر الله وضعيات ، وضعيات وتغيير وتهيئة مجالات وأشياء من هذه في موضوع تدبير الله، أمر الله هو في تدبيره كما هو في وحيه وتشريعه تماما.**

{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: من الآية٧٧) **لا تقولوا: نحن عندما نعف عنهم هذه المرة ونسكت سيكون مشجعاً لهم علينا ، لا، على أساس ماذا؟ أن هناك أولويات ليس معناه مجرد صبر على ما يحصل من لديهم من أذية؟ لا. معناه هناك أولويات أنتم استمروا على ما أنتم عليه وفي الميدان الذي أنتم فيه: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}** (النساء: من الآية٧٧) **يعني ماذا؟ أنتم لا يكن عندكم أنه إذا لم نهتم بهذه القضية الآن أو لم نستغل الفرصة هذه الآن وأشياء من هذه ستضيع الفرصة أو سيستفحل أمر هذا الطرف أو أشياء من هذه.. لا، توجهوا وامشوا على ما بين أيديكم ، استقيموا على ما بين أيديكم مما قدم إليكم من الدين ومن التوجيهات وغيره .**

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} (النساء: من الآية٧٧) **عندما يقول: كفوا أيديكم ، أو اعفوا واصفحوا لا يوجد في المقام ما يسمى: أحكام شرعية بالنسبة للطرف الآخر أنه بمعنى لا يجوز ، المعنى: فاعفوا واصفحوا أنه لا يجوز أن تؤاخذوهم باعتبارهم هم، وضعيتهم هم وما هم عليه لا يجوز لأحد يكلمهم! لا ، بالنسبة لكم مسيرة بالنسبة لكم مرحلة لها أولوياتها وما هناك شيء سيفوت معناها ما هناك شيء سيفوت {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (البقرة: من الآية١٠٩) **كما قال.**

{قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: من الآية٧٧) **كأن فيهم تنطط: لا بد من كذا.. {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ}** (النساء: من الآية٧٧) **كيف قالوا؟ عندما كتب عليهم القتال {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ}** (النساء: من الآية٧٧) **قد فيهم خشوع وخضوع لكن بالمقلوب {لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ}** (النساء: من الآية٧٧) **يدعون وبالعبارات الرقيقة هذه {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ**

لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء: من الآية٧٧) ربما قد تحصل حالة كهذه للمتنطعين الذين يسمون بهذا ، أي ما تكون مسيرتهم مسيرة على أساس من هدى الله والتي تكون الأولويات فيها مبنية على حكمة دقيقة تراهم متنطعين هؤلاء ربما قد يأتي لهم موقف ثم يقولون بعد: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) لكن إذا المسيرة تسير بشكل صحيح لن يصلوا إلى حالة كهذه ، إذا المسيرة تمشي بشكل صحيح لا يكون فيها مما يعتبر ماذا؟ صدم لتنطعهم ، لأن هذه الحالة تكون مزعجة بالنسبة للقيادات بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أشخاص هناك قد أنفسهم مليئة بالشجاعة والرجولة فقط مساكين لهم!

أحياناً هذه الحالة تربك القيادة في اتخاذ قرارات حكيمة قد يكونون هم لا يفهمون الوضعية ما هو المناسب وما هو الأنسب ومتى وأين ، إذاً هؤلاء سيكونون مزعجين قد يورطون أي قيادة تسير بعدهم .

لكن يمشون هم بشكل صحيح :صل وصم ولا شأن لك باعتبار أولئك الذين أنت تركز عليهم الآن وامش في الإتجاه على حسب الأولويات وامش على ما أنت عليه وما يقدم لك من الدين، يعني هنا مقام: لا شأن لك، للمتنطعين يقول: لا شأن لك بمعنى: لا شأن لك أمام النقطة هذه ليس القرار فيها إليك وليس تحديد الأولويات فيها إليك احتفظ بشجاعتك هذه ، اتركها توظف في مجالاتها. عندما تسير الأمة على هذا لن يمروا بحالة لن يمروا بحالة يصدمون فيها فيحصل تراجع نفسي وبعد ذلك في الأخير يقولون: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} (النساء: من الآية٧٧) .

لكن المتنطعين قد يصلون إلى حالة مثل هذه بمعنى ماذا؟ يأتي التوجيه على أساس الطاعة ، على أساس الفهم، على أساس الوعي يوجد أولويات ، ألست في بعض الأحيان قد تكون الأولوية لديك مرتبطة بتقييم وضعية في محيط مثلاً البلاد التي أنت فيها المنطقة التي أنت فيها قد تكون الأولويات محسوبة بحساب هي أوسع من دائرة منطقتك ، فعلاً مثلاً تجد في الوقت الذي كان المسلمون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة يعذبون وفيهم ناس أبطال ممكن يقاتلون يعذبون وآخرين يهجرون يذهب إلى الحبشة منهم أعداد كبيرة بالعشرات وكان بإمكان هؤلاء أن يقاتلوا لكن لا، ليس الآن ليس باعتبار أنه لا يجوز بالنسبة للطرف الآخر ، لا.

إذاً عندما تنظر إلى وضعيتهم وأولويات فيها لا تحسبها بحساب محيط مكة أو حتى الجزيرة لوحدها ، لا،هناك تدبير إلهي واسع موضوع ما بين الروم والفرس .

بل أحياناً قد يبدو بأنه يتحكم الشيء هذا بحسب إرادة الله سبحانه وتعالى في نسبة الأعداد في نسبة الإقبال فعلاً قد تكون مرحلة معينة ليس مناسب فيها أن يكون الإقبال كبيرا من ناحية مصلحة العمل نفسه قد تحصل هذه لو كان الإقبال كبير مثلاً بناء على ماذا؟على أنه يوجد أشياء أخرى هناك اعتبارات أخرى محيط آخر قد يكون بالشكل الذي يعتبر ماذا؟ مثيراً جداً لكن لا،اصبروا تحملوا ، بعضهم يكون عليه صخرة وهو في رمضاء مكة فوق الرمضاء وفي حرارة الشمس الشديدة يصبرون، هنا يصبرون ،لكن العمل الإلهي هناك في محيط العالم بكله بل عندما تتأمل أن الترتيبات تكون ربما من قبل ولادة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن قبل أن يبعث هو (صلوات الله عليه وعلى آله) ترتيبات بشأن العالم .

إذاً فموضوع الأولويات أحياناً لا تقاس بمقاييس محيطك حتى ولو رأيت أن بالإمكان أن طرفا معينا تمسحه ربما لا ، ما القضية بالشكل هذا لاعتبارات أخرى هي أوسع من محيطك ، عندما يقول لهم هنا: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) واترك شجاعتك ورجلتك وكل شيء وفق أمر الله هذا أجمل شيء وأحسن شيء وأفضل شيء تحرك وفق أمر الله لا تأتي تتنطط في وقت ومتى ما جاء أمر الله: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) وهي وقت الفرصة كان في الواقع عندها تقول: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) وعندما يقول: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} (البقرة: من الآية١٠٩) ليسوا مثلنا أعني: جالسون في المساجد ليس لهم دخل من شيء أي: عند جانب معين لا تنشغلوا بهم وهم في

حركة يرون أنفسهم في مواجهة آخرين مواجهة مشركين مواجهة قتال ، ما باستطاعتهم أن يقاتلوا في نفس الوقت اليهود؟ لا، ما هو وقت حتى يأتي الله بأمره{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:١١٠) .

يعود الحديث إلى موضوع أهل الكتاب اليهود والنصارى{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى} (البقرة: من الآية١١١) أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كانوا هوداً ، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً{تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} (البقرة: من الآية١١١) مجرد أماني ومجرد أكاذيب متشاجرين على الجنة وما هم حولها كلهم{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: من الآية١١١) على هذا الإدعاء كيف يستطيعون أن يقدموا برهاناً في الحالة هذه وواقعهم على هذا النحو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى؟ هم يعلمون بأنهم قتلوا الأنبياء وكانوا يكذبون ويحرفون، كيف يستطيع أن يدعي اختصاصه بالجنة بل كيف يستطيع أن يدعي بأنه من أهل الجنة؟! ما بالك بالإختصاص: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا والآخر لن يدخل إلا من كان نصرانيا .

هنا يقدم المسألة أيضاً بما يتنافى مع ما هو أساسي في الآيات هذه: أن دين الله لا يكون قومية ليس قومية ، ليس ـ فقط ـ دينا لقومية أو لعنصرية أو لفئة معينة ، دين الله هو يتسع للجميع ، هم كيف أصبحوا؟ أصبحوا منزويين على أنفسهم بل سموا الدين باسم قوميتهم هم أصبحت اليهودية تعني دينا عندهم سموا الدين باسمهم وجعلوها قومية، وجعلوا دين الله شريعة عيسى أيضاً قومية ؛ لأن كلمة يهود وكلمة نصارى هي: قوميات جعلوها ديانات هذه هي من السلبيات ومن السيئات هي في حد ذاتها مما تظهر بأنهم أصبحوا يقدمون الدين على خلاف ما أنزله الله على الإطلاق ، هو أنزله للبشر جميعاً ، وجعل اسمه عنواناً لا يرتبط بقومية على الإطلاق [إسلام] والإنسان الذي هو يدين بدينه يعني: أسلم وجهه لله{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١١٢) الدين ليس دينا ينبغي أن يسمى ويطلق عليه عبارات قومية عبارات عنصر معين يهودية نصرانية ، لا يصح أن تسمي الإسلام عربية أعني: هم بالنسبة للدين سموه كما لو جئنا نسمي الإسلام عربية .

دين الله يحمل عنواناً هو فوق الأشياء هذه بكلها ويستوعب الأشياء كلها مفتوح، لماذا؟ لأنه أحياناً العنصرية القومية تشكل عوائق أمام الآخرين ؛ لأنه في الأخير يترافق معها يترافق معها ماذا؟ تثقيف عنصري تثقيف قومي ، والآخر هناك من عنده شكل كل طرف أسوارا على أنفسهم فلم تعد هناك إمكانية لأن يكون الدين بالشكل الذي يدخل فيه القوميات الأخرى ، فهذه من مساوئهم الكبيرة.

{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} (البقرة: من الآية١١١-١١٢) لاحظ كيف العبارة رفعها تماماً عن موضوع ماذا؟ القوميات{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١١٢) فليكن من داخل مجتمع اليهود أو مجتمع النصارى أو مجتمع العرب أو الفرس أو الأفارقة أو من أي منطقة كان{مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: من الآية١١٢) أليس هذا ردا عليهم ويبين خطأهم في كيف مزقوا الدين وحولوه إلى قوميات وعنصريات ثم الجنة صاروا يتنازعون عليها مثلما تقول: قد آل فلان وآل فلان متنازعون ولم تعد المنازعة عليها تحت عنوان مثلاً دين قد صار نزاعاً بين اليهود والنصارى مثلما تقول: بين العرب والفرس على الجنة ، ليست القضية بالشكل هذا ، الجنة الله جعلها على هذا النحو{مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} (البقرة: من الآية١١٢) كلمة أسلم وجهه: أخضع نفسه، عبَّد نفسه ، من كان على هذا النحو سيكون قابلاً لأن يسير على هدي الله ويأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه ويتوجه بتوجيهاته يقبل ، هم لو أنهم على هذا النحو: مسلمون وجوههم لله لقبلوا لكن لا، أطروا أنفسهم بأطر قومية ؛ ولهذا جاء في سياق الآيات الكلام عن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً وكان مسلماً وأوصى أولاده بالإسلام ودعا الله أن يجعله وأولاده مسلمين ويعقوب كذلك .تراها أيضاً كيف كانت قضية تحدث عنها بشكل كبير موضوع الإسلام لله .

إذاً نفهم من هذه: أن القضية هامة جداً جداً يعني: قضية تقديم الدين ، لاحظ الآن عندما تنظر إلى الأمريكيين أنفسهم من العوائق الكبيرة أمامهم أنهم قدموا أنفسهم للعرب كأمريكيين أمريكا كدولة كأمة مستقلة لم يعد بالإمكان مثلاً أن يقدموا أنفسهم بحيث يكونون قابلين أن العربي إذا ما كان على ما يريدون فهو منهم أو

أي بلد يدخلونه سيعتبر أهل هذا البلد هو منا له مالنا وعليه ما علينا ، أبداً يدخل الأمريكي وهو يريد من بلدك أن ينهب ثرواته لشركاته هو، شركات أمريكية أن يفرض نفسه كأمريكي أي كعنصر معين وبلد معين وفئة معينة من الناس .

الإسلام عندما كان يفتح بلدانا كيف يكون أهلها؟ لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ألم يكن هو بالشكل هذا؟ الآن تراها عندما قدم الأمريكيون أنفسهم بعنوان قومي أمريكا ؛شكلت عائقا كبيرا أمامهم أليس العراقيون يطالبونهم يخرجون؟ هل كانت الشعوب التي كان يفتحها المسلمون يطالبونهم بأن يخرجوا منها؟ لا،لأنه لا يرى أن هناك فئة احتلته احتلالا بحسب منطق الإسلام العام أبداً مسلمين يعني: لنا ما لهم وعليهم ما علينا غاية ما هناك اتسعت الدائرة فقط ،لا يأتي كطرف آخر ينهب ثرواتك هناك مثل لو كان ملكاً له يذهب به إلى هناك ، الأمريكيون الآن أليسوا الآن يظهرون يريدون نهب ثرواتهم لمن؟ للإنسان الأمريكي .

إذاً فالمسلمون هم يحملون عنواناً هاماً جداً ـ من إيجابياته الهامة إزالة عوائق كثيرة تخلق عند الشعوب وتخلق في النفوس ، فيما إذا ما قدم الموضوع بعناوين قومية أو عنصرية ـ إسلام، فإذا دخل المسلمون بلداً غاية ما هناك ماذا؟ لن يجد أهل ذلك البلد أن هؤلاء جاءوا يحتلوننا جاءوا ينهبوننا جاءوا... أبداً، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ثرواتهم لهم ثرواتنا أيضاً لهم ثروات الكل لبعضهم بعض ، هل يستطيع الأمريكي أن يعتبر العراقي: له الحقوق التي يتمتع بها الأمريكي؟ أبداً ، لو تأتي انتخابات في أمريكا سيشركون العراقيين فيها؟ هل يعتبرون أنهم شركاء في الجنسية الأمريكية؟ أبداً ، إذاً ترى هذه بأنها شكلت عائقاً كبيراً جداً أمام الأمريكيين على الرغم من قوتهم الكبيرة وتمكنهم الكبير .

لاحظ أحياناً الأمريكيون يتهربون من عبارة: القوات الأمريكية أو الجيش الأمريكي يأتون بعبارة التحالف باعتبار أنه عنوان عائم شيئاً ما كأنهم لمسوا هذه لمسوا من البعض الإشكالية هذه فحاولوا يأتون إلى عنوان يعتبر عائماً نوعاً ما لا يعد يمثل إشكالية معنى التحالف، قوة معينة لم يخرج عن إطار قومية نهائياً ؛ لهذا كان مهماً جداً هذا العنوان بالنسبة لدين الله الذي هو لعبادة جميعاً أن يحمل العنوان الذي يمثل الإسلام له الإسلام ، تجد كلمة إسلام لا تعني قومية معينة لا تعني عنصرا معينا لا تعني لونا معينا أبداً .

إذاً عندما تأتي مثلاً ترجع إلى موضوع: أن القرآن عربي، الرسول عربي، يقول عن العرب: {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} فما المعنى انطلاقات قومية أبداً ، معناه ماذا؟ النهوض بمسئولية هذه المسئولية كلها لتصل بهذا العنوان، وهو: الإسلام لله، ليس المعنى: أن العرب أنفسهم هم يتحركون ليحتلوا هم كعرب بلدان الآخرين وامتيازاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين وشركاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين لا يوجد ، هي مسئولية أن ينهضوا بها هم.إذاً عندما تكون القضية مبنية على أساس أن هذا فعلاً هو دين للعالمين جميعاً ويهدي للتي هي أقوم ، العالم يحتاج إلى لغة واحدة لغة عالمية فأن يربط هذا الكتاب الذي هو للناس جميعاً بأرقى لغة والله يعلم بأنها أرقى لغة وأفضل لغة يعني: ربطهم بلغة عالمية ما معناها ربطهم بقومية أبداً .

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} (البقرة: من الآية١١٣) لاحظ كيف الإشكالية ظهرت أي أنه عندما يتأطر الدين بأطر قومية سيصبح محط ماذا؟ اختلاف بين قوميات ، عندما يتأطر بأطر قومية أول شيء يتنازعون على الجنة فادعى أولئك أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، وادعى أولئك بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، أيضاً وفيما بينهم{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} (البقرة: من الآية١١٣) إذاً لو فهمت القضية لديهم وقدموها إسلام لله ، إسلام لله نلتقي عليه جميعاً نلتقي عليه جميعاً لما وجدت أي إشكالية أعني: هذه هي من سلبيات تأطير الدين بأطر قومية ما يترك عنوانه العنوان الإلهي: إسلام.

{وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١١٣) هذا الذي فيه عنوان الدين كيف هو؟ ليس عنوان يهودية ولا عنوان نصرانية ؛ لهذا نقول: يجب أن نفهم بأنه من المغالطات الكبيرة عندهم عندما يقدمون اليهودية هي ديانة

سماوية النصرانية ديانة سماوية ! أبداً، اليهودية قومية ، فإذا هم سموا الدين باسمها فلا يمكن أن يكون هو الدين السماوي أبداً ، الدين السماوي هو واحد: إسلام لله .

{وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١١٣) الذي فيه ما يحسم هذا الإختلاف يحسمه. الإمام زيد يقول في الآية هذه: ((بأن الله عجبنا من بني إسرائيل فقال: {وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١١٣) أي: وهم يتلون الكتاب الذي هم متفقون عليه)) يعني: التوراة ؛ لأنها كانت محط اتفاق ما بين اليهود والنصارى أي: في الواقع هي مازالت محط اتفاق وهم يتلون التوراة ويتلون الإنجيل وفيها ما يحسم الخلاف !

يؤكد هذا بأن الكتاب الإلهي هو بالشكل الذي يحسم الخلاف تماماً بين الناس لكن أحياناً متى ما أطروا الدين بأطر معينة أحياناً متى ما نزلت ثقافة معينة تعطي مفاهيم مغلوطة في تناول الدين في الأخير يصبح الكتاب بالشكل الذي لم يعد يحسم الموضوع فيما بينهم ، لأن كل واحد قد صار يتناوله لا يتناولونه على أساس ليحسم موضوع الخلاف ، أعني: لم يعودوا يعتبرون الإشكالية الرئيسية هي: كونهم مختلفين .

هذا حاصل عند المسلمين الآن ، أليس القرآن قائم بين أيدينا؟ القرآن موجود وكلهم يقولون: إن القرآن هو مرجع هو المرجع ، لكن الإشكالية أنهم يختلفون على مسألة معينة أو موقف معين وكل واحد يحاول يرجع ليعطف القرآن على رؤيته ، والآخر مثله ، والآخر مثله دخلوا القرآن وخرجوا مختلفين ! لو اعتبر أن الإشكالية الأساسية كوننا مختلفين أي: ما دام أنه ظهر ونحن مختلفون إذاً فلنرجع إلى ما يحسم موضوع الإختلاف من حيث هو ، أي نرجع إلى ما يحسم الإشكالية وهو كوننا مختلفين وليس إشكالية المسألة فقط التي نحن مختلفون فيها كل واحد يرجع ويحاول يطلع القرآن ويؤوله على ما يسند رأيه هذا قال أبداً وهذا قال أبداً وهذا قال أبداً ، وكل واحد تمسك برأيه ، وقد دخلوا القرآن وخرجوا وقد طبقوا ما يقولون بأن القرآن يمثل حلا للإختلاف ، لكن كيف قدموه؟ بواسطة الطريقة هذه!

الرجوع الحقيقي: أن المسألة من أولها هو ظاهرة الإختلاف، ظاهرة الإختلاف يجب أن تحسم أي أنه لا بد أن هذا الكتاب يهدي إلى طريقة لا اختلاف فيها لا نختلف إذا سرنا عليها ، عندما يرجع إلى الكتاب على هذا النحو فعلاً ستحل الإشكالية التي هي الإختلاف من أصله في المسيرة كلها في المسائل كلها.

{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (البقرة: من الآية١١٣) الحكم في الإختلاف شيء البيان الذي يحول دون الإختلاف قد حصل ، ليس معناه بأن الله أرجأ المسألة تماماً إلى يوم القيامة ، الحكم الذي يترتب عليه الجزاء ، أما نفس التبيين للطريقة التي تحسم الخلاف ولا يختلف الناس إذا ساروا عليها فهي بينات عليها قائمة بينات وليس فقط غوامض ، إذاً عندما يصل المسلمون إلى الحالة هذه ماذا يقال عنهم؟ لا يعلمون. المسلمون طوائف ، ما كل طائفة هي تعتبر الطائفة الأخرى تقريباً ليست على شيء ونحن جميعاً نتلوا الكتاب؟ وعندما يقول: {وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١١٣) يعني: أنه لو كان هناك فكرة صحيحة في عملية الرجوع إليه فإن من ظاهره من خلال ظاهره، تلاوته وليس فقط التعمق في أعماقه من خلال تلاوته هناك آيات بينات تحسم الموضوع من أصله تماماً ويرجع الناس كلهم إلى الطريقة التي إذا ساروا عليها لا يختلفون في كل المسائل نهائياً.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة:١١٤) أليست هذه القضية تبدو متعددة يعني بالنسبة للآيات هذه تتناول أشياء يبدو وكأنه لا انسجام فيما بينها ، لو تحاول أن تربطها هي فيما بينها ربما قد لا يظهر انسجام ، لكن انظر إلى الموضوع من أساسه من ابتداء العرض الشامل عن أهل الكتاب في حالة الصراع الطائفي قد يصل إلى ماذا؟ إلى أن كل طرف يمنع الطرف الآخر من مساجد الله التي هي لله وللمسلمين لله وفي الأخير تمنع من أن يذكر فيها اسمه ، وقد يكون ربما مثلاً النصارى واليهود كل طائفة أصبحت بهذا الشكل ، ثم هم عندما أصبحوا طوائف أصبحوا بهذا الشكل .

وصل المسلمون إلى هذه الحالة وصل المسلمون إلى هذه الحالة أيضاً ؛ لهذا قد يكون كحالة مما يمكن أن تكون من ماذا؟ من آثار الصراع الطائفي الذي من أسبابه تقزيم الدين وتأطيره في أطر قومية ، ومن أسبابه الرئيسية الإعراض عن الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى بحيث لا يحصل أي خلاف من هذا وقد تؤدي فعلاً بطرف إلى أن يمنع الطرف الآخر من مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وبالتأكيد يوجد طرف مبطل، بالتأكيد هناك طرف مبطل في القضية في منعه قد يكون منعا ـ مثلاً ـ حقا وقد يكون باطلا بالتأكيد في حالات كهذه يوجد طرف عملية منعه هذه تعتبر ماذا؟ من أشد أنواع الظلم.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} (البقرة: من الآية١١٤) لأنه في الأخير ستأتي مفاهيم خاطئة حول كثير من شعائر الدين كل فئة مثلاً تقدم دوراً للمسجد أو سابقاً للكنيسة أو للمعبد بالشكل الذي يعتبر الطرف الآخر لم يعد يصبح له أن يعمل هذا العمل في هذا المكان أو أن يدخل هو في هذا المكان ، أعني: اعتبر هذه بشكل عام من مظاهر الناس عندما ينصرفون عن هدي الله كيف يصبحون متشاجرين على الجنة ثم في الأخير متشاجرين على مساجد الله بالعنوان العام لمساجد الله بيوت الله للعبادة ، قد تؤدي المسألة إلى أن يكون هناك طرف وهو في القضية هذه يعتبر موقفه من أظلم المواقف{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١١٤) يكون به من أظلم عباد الله ، من أظلم الناس.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة:١١٤) فبعد أن يبين دور المساجد مساجد الله وأهم مساجد الله هو المسجد الحرام ، وهذه الظاهرة حصلت بالنسبة للمشركين في عملهم مع المسلمين أيضاً حصلت بالنسبة لليهود من جانب آخر قد تأتي أيضاً في موضوع آخر سيأتي الحديث عن مسجد الله الذي أصبح في الأخير قبلة والذي أسسه إبراهيم ، إبراهيم هو الذي أسسه والذي يحاول اليهود والنصارى أن يتنافسوا على أولويتهم به كيف انتهت المسألة بالنسبة لهم؟ أخيراً لم يعودوا يتخذونه قبلة ، من أين جاءت هذه؟ أشياء كثيرة قد يكون منها ومن أبرزها موقفهم السلبي من إسماعيل وبني إسماعيل ، كان إسماعيل وبنوا إسماعيل هم هؤلاء في المنطقة هذه وفي محيط المسجد الحرام ومكة ، وفعلاً تجد أنه كان هناك نظرة لديهم وتعصب شديد ضد إسماعيل وبني إسماعيل ، محاولة غمر لهم وتهميش لهم .

هنا عملية المنع ليس معناه المنع المطلق تماماً إنما المنع من أن يؤدى في مساجد الله الدور الذي هي من أجله بنيت وأقيمت وشرعت{أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} (البقرة: من الآية١١٤) يذكر فيها اسمه {وَسَعَى فِي خَرَابِهَا} (البقرة: من الآية١١٤) خرابها العبادي للهدف أو الغرض الذي من أجله شرعت ، أما عندما تحرّف المساجد ويحرّف دور المسجد نفسه وتحاول أن تعيد للمسجد حيويته وتفهم بالدور الرئيسي للمسجد والدور الشامل للمسجد والآخرين يقولون: لماذا ، أو لم يعودوا يحضرون المسجد ما يعتبر من هذا القبيل من الظلم يجب أن يفهم من البداية الدور المهم والأساسي للمسجد وبعدها نحن كلنا نقول: من منع مساجد الله أن يؤدى فيها هذا الدور الذي من أجله بنيت على هذا النحو ولهذه الغاية فهو ظالم ومن أظلم عباد الله .

إذاً هذه قد تكون خطيرة بالنسبة للناس الذين يحاولون يمنعون من يرفعون شعاراً في المساجد في وضعية نحن بحاجة إلى المساجد فيها في تقديم هذا العمل وباعتبار السيطرة الواسعة على الشوارع أصبحت الشوارع نفسها خاضعة للأحكام العرفية لحالات الطوارئ لقوانين متعددة ، معك المسجد يمثل آخر معقل أول معقل وآخر معقل للمسلمين أول وآخر معقل لهم ، إذا جئت تريد تخرج الشارع، الشارع مليء بالقوانين ، الشارع مليء بالثغرات ، أن يدخل الكثير من عملاء أمريكا في صفوف الناس فيشوهونهم، هم يرفعون شعارات معادية لأمريكا وإسرائيل فيشوهونهم بتكسير سيارات ونهب محلات وتكسير لوحات السيارات ولوحات الدكاكين وأشياء من هذه حتى يجعلوا الناس في الشارع يلعنونهم هم ، تكون أنت تلعن أمريكا وإذا الناس يلعنونك .

عندنا في اليمن جعلوا الشوارع فيما يتعلق بالمظاهرات ممنوع إلا بأن تستأذن وأن تبين الشعار الذي تريده ما هو وفي نفس الوقت من أين تبدأ وأين تنتهي ومن الذي ينظم المظاهرة... هذا القانون قدم والوضعية بالنسبة

لهم بالشكل الذي لا يستطيعون أن يسمحوا لنا أن نخرج الشارع وإلا فقد قلنا لهم: هاتوا لنا إذناً، ومستعدين نخرج الشارع في صنعاء ، نحن شعارنا: [الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام.] أعطوا لنا ترخيصاً ونحن نخرج الشارع ، لن يجرؤ أن يعمل لك ترخيصاً ؛ قد قيدوا أنفسهم هم .

إذاً فما دام أنه يرى نفسه قد أحبط وخرج الشارع من يده فعلاً أصبحت الهيمنة الفعلية للأمريكي على الشارع إذا لم يعد باستطاعتك أنت وأنت وزير داخلية أو أمين عاصمة لم يعد بإمكانك حتى ولو أنت ترى أمريكا عدوة لك وتريد أن تزيلك وتزيل النظام التي أنت منه أن تسمح بشعار يرفع في الشارع ، إذاً فلم تعد إلا مجرد هيكل وصورة ، قد الهيمنة في الحقيقة للأمريكي ، هل تستطيع أن تعطي ترخيصا أن نرفع الشعار بشكل مظاهرة كل يوم جمعة في الشارع؟ فاعطنا ترخيصا هذا شعارنا نبدأ من المكان الفلاني وننتهي في المكان الفلاني ومظاهرة سلمية على أرقى درجات السلمية ، فقط أسلمونا المشاغبين من داخلكم ، أي: حاولوا تؤمنونها أن لا يكون هناك من يخترقها من المخابرات الأمريكية وعملاء أمريكيين يحاولون يشوهونها . لكنه لم يعد يجرؤ .

نحن نقول: نتحدى ونطلب من وزير الداخلية أو من أمين العاصمة يعطينا ترخيص بأن تأتي مظاهرات كل جمعة لهؤلاء الناس يرفعون فيها الشعار هذا ؛ لأنه لا بد في إعطاء الترخيص أن يعرف ما هو الشعار ، قد خدعوهم الأمريكيون أو ناس لهم علاقة بالأمريكيين وتحت عنوان: [تنظيم مظاهرات] يكون بالشكل الذي يمنع ويحول دون مظاهرات مضادة ومعادية لأمريكا وإسرائيل ، عندما يمنعون الناس أن يرفعوا شعاراً هو الذي ينسجم مع شرط رئيسي ذكره الله في الآية {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} (التوبة: من الآية١٨) **أخبرني ما هي النقطة الآن في المساجد الذي يمثل عمارها فيها وبإقامتها قول الله تعالى: {وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ}** (التوبة: من الآية١٨) **الآن بالنسبة لما هم عليه في المساجد هو يعرف يمكن أن يصلي ويؤذن ويخطب يحاول يؤقلمها كلها بالشكل الذي يظهر أنه يخشى غير الله فقدم الصلاة ميتة وقدم الأذان ميتا والخطبة ميتة والجمعة ميتة والناس يخرجون من عنده أموات بمعنى كما قال الله: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}** (الأنعام: من الآية١٢٢) **يخرج من عندهم إلى ظلام ميتين لا يوجد معهم نور يمشون به في الحياة هذه وفي وسط البشر بشكل عام .**

إذاً معنى هذه بأن المساجد من دورها أو شيء قد يكون فيها بالشكل الذي قد يكون فيه إثارة لآخرين ، فيجب أن يكون عمارها ممن لا يخشون إلا الله ؛ لأن منبر المسجد مهم جداً منبر المسجد يجب أن يكون بيد من لا يخشون إلا الله ؛ لأنه هو الذي يستطيع أن يوجه الناس ويعطيهم نوراً يمشون به في الناس ، أما إذا كان منبرا عليه هيمنة معينة ، الخطيب يخشى، أصحاب الصف الأول والذين هم ملازمون للمسجد يخشون، الذي بنى المسجد يخشى في الأخير يقولون للخطيب: اسكت، ويقولون لإمام المسجد: اسكت، وإذا ما جاء الأمريكي لا تقروا آيات جهاد ولا تقروا آيات حول بني إسرائيل! سيقولون: مستعدون، اسكت، اسكت.. ويصبح في الأخير المسجد مسجدا أمريكيا ، يصبح في الأخير ساحة لمن يخشون غير الله والله يريد منه أن يكون بالشكل الذي يكون عماره، ومن يخطبون فيه ومن يؤمون الناس فيه ومن يأذن يكونون ممن لا يخشى إلا الله .

لأنه سيصبح المسجد هاما جداً ؛ لأنه أين يمكن أن تتحرك؟ هل المدرسة بيدك؟ هل الشارع بيدك؟ هل الإدارات الحكومية بيدك؟ هل لجنة المناهج بيدك؟ لا. معك المسجد لأن الله قد سماها بيوتا له مساجد الله ليست مساجد أحد هي مساجده هو يجب أن ينطلق منها نوره هو وبالتأكيد والشيء الطبيعي بأن ما يحصل في المساجد على أصلها وعلى دورها الحقيقي أن يكون بالشكل الذي يثير الآخرين ، يثير أعداء الله ، شيء مؤكد .

فإن كان العمار بالشكل الذي يخافون من الآخرين جعلوها لا شيء ، وإن كانوا بالشكل الذي لا يخشون إلا الله جعلوا منها منابر نور وجعلوا منها أماكن تصنع عند الناس حرية وتعطي الناس هدى وتعطيهم حركة فيكون معناها ميدان نزول هدي الله وربطها الله به كما ربط الكعبة به وسماها هناك جعلها بيتا له وجعل لها دوراً معيناً على مستوى الناس جميعاً على مستوى البشر جميعاً عباده الموحدين جميعاً المسجد جعله له {مَسَاجِدَ اللَّهِ}

(البقرة: من الآية١١٤) .

إذاً عندما يأتي عمل معين يكون بالشكل الذي يثير آخرين ويتجلى خشية لغير الله داخل المساجد في الأخير يتضح لك أن كثيراً منها بني لغير الله ما بناه لله ؛ لأنك عندما تبنيه لله تحاول وتعمل على أن يكون يقدم منه نور الله بالشكل الكامل . يأتي تاجر من التجار يبني مسجداً ثم يقول: يكفي سيؤاخذونني سيؤثر على مصالحي.. لكن أنت، أنت بنيته باسم لله وعملت له حزاماً وآيات قرآنية فيه ومنارة والله أكبر وأن المساجد لله بعضها أيضاً يكتبون فيها{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} (الجن: من الآية١٨) دورك أنك بنيت المسجد لله عندما يقولون: لماذا؟ قل: أنا لم يعد لي أي تدخل ، أنا بنيته لله هو لله يقدم منه دين الله .

فإذاً هي قضية هامة فهم دور المسجد على أساس الآية هذه: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} (التوبة: من الآية١٨) هذه صفة هامة تجعل للصلاة وللأذان وللخطبة حيوية تتقدم على أصلها ويكون لها فاعليتها ويكون لها أثرها. إذاً فهم الجديرون بأن يمنعوا من مساجد الله عندما قال الله هنا: {أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ} (البقرة: من الآية١١٤) الجديرون بأن يمنعوا من المساجد هم الذين يحولون دون أن يذكر فيها اسمه ، وهذا عنوان عام وعنوان واسع أن يذكر فيها اسمه {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} مسألة ذكر اسمه ليس فقط مجرد أن أحد يقول: الله أكبر ، وإنما: الله أكبر بفاعلية فعلاً ؛

ولهذا انظر الفارق أليسوا يقولون: الله أكبر المصلون؟ عندما يقول الشباب: [الله أكبر..]هل يوجد زيادة على ما يقولونه هم: الله أكبر؟ فلماذا ينطلقون بقوة عليهم ويمسكونهم ويسجنونهم؟ هذه مواقف تنطلق من إعطاء النفس حيوية على أساس إعطاء ماذا؟ ذكر الله حيوية ، الله أكبر هذه معناها هام جداً جداً يعني إذا كنت فعلاً اعرف معنى اسم الله الذي أذكره به فهو يعطيني انطلاقة هامة لا أخشى غيره ، فعندما أقول: [الله أكبر] هو أكبر من أمريكا وأكبر من إسرائيل أكبر من أي طرف آخر ، إذاً فأنطلق لأرفع شعاراً ضدهم وأقول: الموت لهم [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] ، ما هذه من قيمة ذكر الله بمعناه الحقيقي ، أي إعطاء ذكره إعطاء اسمه فاعلية ، والتعامل معها بإيجابية بحيوية ، وإلا فهناك كثير من الناس من يقولون: {آمنا} هكذا مجرد الكلام{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) مجرد الكلام لا يكفي لوحده ، لا بد أن يكون بالشكل الذي يعطي فاعلية يعطي أثرا منسجما مع مضمون الإسم الإلهي: [الله أكبر] التي هي من أبرز الكلام في المسجد يدعى بها إلى الصلاة ..الله أكبر الله أكبر في أول الأذان ، وتفتتح بها الصلاة، وتتكرر داخل الصلاة ، مضمون هذا الإسم يجب أن يكون بالشكل الذي إذا أنت ترفعه إذا أنت ترفعه وتعمل على رفعه فيجب أن يكون بالشكل الذي يترك مضمونه أثراً لديك يتمثل في مواقف تنطلق فيها وإلا فسيبقى مجرد كلام مثل كلمة المشركين:[الله] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) لكن هل انطلقوا على مضمون هذه ليوحدوه ويتركوا الآلهة الأخرى؟ لا.

{أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة: من الآية١١٤) وقد يكونون فعلاً من يسمحون لأنفسهم إلى أنه لكونه يخشى غير الله يصبح خوّافاً دائماً ، عندما يأتي يقدم خطبة ينتبه لا يقول كلمة يمكن تثير الآخرين يكون هو خائفاً باستمرار خائفاً وينبغي أن لا يدخلوها إلا خائفين{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} (البقرة: من الآية١١٤) وهذه حالة خطيرة جداً ؛ ولهذا في بعض الروايات إنه قال :((في آخر الزمان يكون عمار المساجد وفقهاء الأمة من شرار عباد الله.)) رواية عن الإمام علي ؛ لأنه في الأخير يظهر لك منهم أنهم يجعلون المساجد أمريكية أعني: يخشون غير الله فيها وهو يقول : عمارها يجب أن يكونوا ممن لا يخشون إلا الله ، وهذه القضية ليست سهلة في الأخير يترتب عليها عملياً مواقف كثيرة إذا كانوا يخشون غير الله سيؤقلم الخطبة على ما يريد غير الله ، الصلاة على ما يريد غير الله ، تقديم القرآن على ما يريد غير الله ، تعليم الناس من فوق المنبر على ما يريد غير الله وهكذا ، وفي الأخير وإذا بالقضية تطلع خطيرة ؛ لأنه تصبح في الأخير الصلاة ذهنيته وهو يصلي يؤم الناس ، ذهنيته وهو يخطب وهو يعلّم كلها تكون نابعة من أن يؤقلم الموضوع مع الطرف الآخر الذي يخشى منه ، أي تصبح الصلاة في الأخير لغير الله ، الأذان لغير الله ، المسجد

لغير الله بكله ؛ لأنها عبارة هامة: {مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ} مساجد الله {أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}، لا يمكن تبقى مساجد لله إلا إذا كان عمارها ممن لا يخشون غير الله ، هذه قضية أكيدة ، لن تبقى المساجد لله ويرفع فيها اسمه إلا إذا كان عمارها ممن لا يخشون إلا الله .

فهي قضية تبدو خطيرة وقضية تبدو واقعية عندما يقول عنهم: إنهم سيكونون من شرار عباد الله ؛ لأنك لاحظ أليست الأمة الآن في مواجهة أشر أعداء الله؟ أليست المساجد من أهم المنابر للدفع بالناس إلى مواجهة هؤلاء الذين هم أشر أعداء الله وأعداء دينه وأعداء عباده؟ إذاً عندما يصبح عمارها يحولون دون هذا العمل الذي هو ماذا؟ عندما يعطلون دورها لكونهم يخشون من هو أشر خلق الله يطلعون فعلاً من شرار خلق الله أو أشر خلق الله حقيقة ، عندما يقول: في آخر الزمان آخر الزمان توافق مع ماذا؟ مع بروز أشر خلق الله، ومن يحولون دون عمل هو في مواجهة أشر خلق الله يعتبرون هم من شرار خلق الله .

تناول في العبارة هذه الفقهاء وعمار المساجد يعني المتعلمين أو العلماء وعمار المساجد ، وإلا قد يكون مثلاً في تاريخ الأمة المساجد فعلاً حرفت لكن ما هو اختصاص آخر الزمان، آخر الزمان أليس هذا هو الزمن الوحيد الذي برز فيه اليهود على أعلى مستوى وأصبحوا هم يتحكمون ويسيِّرون الدول الكبرى؟ إذاً برز شرار عباد الله أو أشر أعداء الله.

المساجد لها دور هام جداً في مسألة تقديم دين الله وحث الناس على أن يتحركوا في سبيل الله وتبصير الناس وتذكيرهم بمسئوليتهم في مواجهة أعداء الله وتذكيرهم بأن دينهم يمثل حلاً يلجئون إليه ويتمسكون به ، ما هو المسجد؟ هو المسجد الذي يلتقي فيه الناس تلقائياً ومربوط بعبادات يسير الناس إليها ، فعندما يقفل هذا المجال فهو يعني ماذا؟ قضية خطيرة ترى الشارع مملوكا والمدرسة مملوكة والساحة مملوكة ووسائل الإعلام مملوكة والصحف مراقبة ومؤسسات الدولة كذلك مملوكة كل شيء مملوك ، لم يبق إلا المسجد الذي هو لله ، فيجب أن يبقى لله .

إذاً لم تعد هذه المنابر لله بسبب من؟ من أين ظهر؟ من قبل عمَّارها يؤكد لك بأن هذا الحديث فعلاً في وقته وأنهم فعلاً من أشر خلق الله ومن أشر عباد الله ؛ لأنهم يحولون دون أن تكون المساجد منابر ينطلق الناس منها لتبصير بعضهم بعض بمسئوليتهم أمام الله ليواجهون شر وأشر أعدائه وهم اليهود ؛ لأن أعداء الله هم يتفاوتون في الشر وفي الخبث يتفاوتون أناس أشر من ناس وناس أكفر من ناس وناس أخبث من ناس ، ألم يقل عنهم: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} (البقرة: من الآية٩٠) **وقال في آية أخرى: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً}** (النساء: من الآية١٥١) **وهكذا تجد أنه كفرهم مركز ، الغضب عليهم الشر عندهم كلها مركزة تركيز ، أعني هي مضاعف قمة الشر قمة الخبث قمة العداوة.**

لهذا يقول عنهم: إنهم يودون أن يردوا الناس كفاراً ، وهم يعرفون ماذا يعني كافر بالله ، أليس معناه عداوة ظاهرة لله سبحانه وتعالى؟ وإلاَّ فالمفروض أنهم يفرحون أن العرب هؤلاء تحولوا من عبادة أصنام إلى عبادة الله ، فأصبحوا يوحدون الله وهم يدَّعون لأنفسهم بأنهم موحدون لله ، أليس المفروض أنهم يفرحون؟ لكن لا، ليكونوا كفاراً بالله وكفاراً بدين الله ما هو معنى هذا؟ عداوة لله سبحانه وتعالى هو يعني هذا أنهم يودون أن يكون الناس كافرين بالله، ولا يكونون موحدين بالله ما دام القضية ليست على هواهم وعلى ما يريدون هم .

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

من الآية (١١٥) إلى الآية (١٤٥)

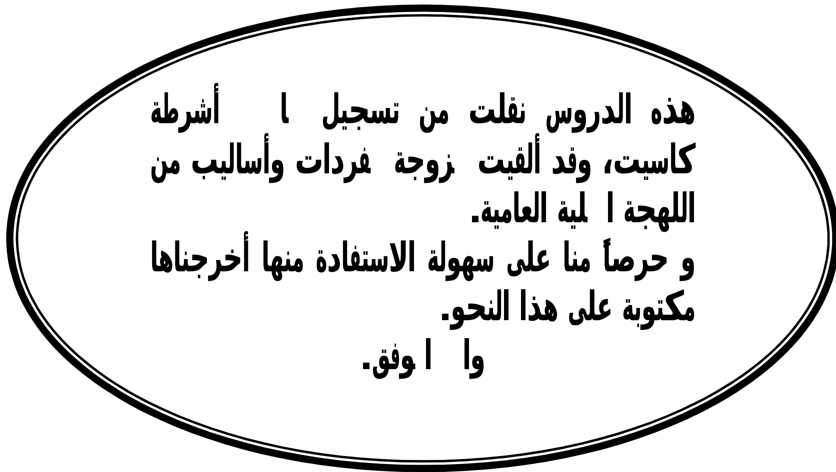
[الدرس السابع]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ٧ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٢٠٠٣/١١/١م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين . اللهم اهدنا، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

في هذه الآيات نرى مجموعة من المواضيع الهامة، سواء مما حكاه الله عن بني إسرائيل، أو ما أثنى به على نفسه سبحانه وتعالى، كذلك ما حكاه عن آخرين، وتعتبر طلبات لا قيمة لها، وعن مهمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كبشير ونذير، وعن موقف اليهود والنصارى بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في المقدمة، وبالنسبة للمسلمين بشكل عام، وكيف ينبغي أن يكون الذين يؤتيهم الله كتابه، ثم تذكير أيضاً متجدد لبني إسرائيل، ثم كلام عن إبراهيم في موضع مهم جداً، وعن الإبتلاءات التي مر بها، وتأهيله للمقام الرفيع، وللنهوض بالمسئولية التي حمّله الله سبحانه وتعالى إياها، كلام عن الكعبة المشرفة والبيت الحرام، توضيح لنفسية إبراهيم، واهتماماته ومشاعره، ثم اتجه إلى الحديث عن بني إسرائيل، ثم التوجيه بطي صفحة الماضي بالنسبة لبني إسرائيل {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة:١٣٤) **.**

ادعاءات جديدة لبني إسرائيل : {كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى} (البقرة: من الآية١٣٥) **وكيف هو الجواب المناسب أمام هذه المقولة أو ما يشابهها، حديث عن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وقيمة هذا التحويل، إعطاء رؤية بالنسبة لأهل الكتاب وكأنهم قد وصلوا ـ وقد يكون هذا للتغليب يعني معظمهم ـ إلى حالة قد يكونون معها بعيدين جداً على ما هم عليه أن يقبلوا أي آية يأتي بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .**

توجيه للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أن لا يصغي إليهم في أي مطلب يكون في الأخير متبعاً لأهواء مقابل الدين، من خلال هذه الآيات مواضيع هامة جداً، ومتعددة، ويجب أن ننظر إليها عندما تكون متعددة ـ كما قلنا بالأمس ـ حتى تعرف إنسجام المواضيع مع بعضها بعض، وتعرف السياق المترابط، وأن تنظر إلى القضية من أصلها وفي الدائرة التي يدور حولها هذا الكلام المتعدد المواضيع.

تجد من عظمة القرآن الكريم والقضية العجيبة فيه ـ رغم أنه مجلد واحد، كتاب واحد ـ يغطي الحياة كتاب هو للسموات والأرض، وللدنيا والآخرة، والصفحة الواحدة فيه كم تجد فيها من علوم، ولهذا الإمام علي يتحدث عن انبهاره هو بالقرآن فيذكر بأنه [بحر لا يدرك قعره وعيون لا ينضبها الماتحون ولا يشبع منه العلماء ولا يخلَق على كثرة الترداد].

لا تجد هذه في أي كتابات أخرى لأي إنسان مهما كان مهما كانت قدراته البلاغية، ومهما كانت سعة تجاربه في الحياة أن يصل إلى ما يداني هذا المستوى، قد يكون كمثل ـ بالنسبة للبشر ـ أعلى الإمام علي (صلوات الله عليه) بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما تأتي إلى فقرات من كلامه تجد فيه فعلاً من هذا الزخم في المعلومات ؛ لكن ذلك إنما هو أثر للقرآن الكريم، أثر من آثار القرآن الكريم في نفسية الإمام علي، في شخصيته، أثر من آثار الإهتداء به في مظاهر الحياة، وقد تجد تلك الحالة التي كان يتمتع بها الإمام علي، والصفة الهامة مفقودة عند الكثير منا على الرغم من توفر الكتابات ما أعتقد أن الإمام علياً كان لديه مكتبة، ولا دولاب واحد يكون فيه مجموعة كتب، وتجده شخصاً لديه معلومات واسعة جداً، ولديه رؤية تقييمية للحياة وللناس بشكل عجيب .

هذه الحالة مفقودة لدينا ونحن من لدينا مكتبات : علوم في السياسة، والإجتماع، والإقتصاد، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير .....،وكم ؟! صفر، لا نملك شيئاً حقيقة، لا نملك شيئاً، ليس لدينا ما يصح أن يقال له شيء بالنسبة لما ينبغي أن يكون الناس عليه، ولهذا كانت خسارة كبيرة جداً جاءت هذه الآية تنص عليها عندما قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (البقرة:١٢١) **العبارة هذه {فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} .**

المشكلة مثلما ـ نحن نقول دائماً ـ تغيير معاني المفردات القرآنية، أو المصطلحات القرآنية تغيرت معانيها، وأصبحت لدينا معاني أخرى مثل كلمة : يكفر، وكافرين، ترسخت لدينا بمعنى : الجاحدين بالله، الجاحدين بالله دائماً، كلما رأى كلمة: كافرين، أي: جاحدين بالله !

الكفر دائرة واسعة، ودرجات متفاوتة، وأكثر ما يعنيه في مقامات كثيرة: [الرفض]، الرفض الصريح، أو الرفض الواقعي، الرفض الواقعي الذي يمكن أن يترافق مع مقولات إيمانية: [نحن نؤمن بأن هذا القرآن عظيم وهدى للعالمين] هذه قضية قد لا يشك فيها إنسان مسلم ؛ لكن واقعاً ـ بسبب أشياء كثيرة ـ أصبحنا وكأننا كافرين به: رافضين له.

لهذا كانت خسارة كبيرة جداً على الأمة، قلنا بالأمس حول آيتين فقط تحدثت عن أهل الكتاب أنها كانت كفيلة، لو كان هناك اهتمام بالقرآن، ورؤية قرآنية، وتأثر بالقرآن، ونظرة قرآنية صحيحة لكان تلك الآيتان لوحدهما، بمفردهما كفيلة ببناء الأمة، وكفيلة بأن تكون هذه الأمة أرقى مما وصل إليه الآخرون: عندما حكى الله عن بني إسرائيل بأنهم ما يودون لنا أي خير، وعندما قال عنهم في آية أخرى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً} (البقرة: من الآية١٠٩) لأنه هنا شخّص لك أمة من الأمم، توجهها إلى هذه الأمة الأخرى، الأمة المسلمة، كانت هاتان الآيتان تكفي في الماضي ـ كما قلنا بالأمس ـ أن تجعل من يفهمون القرآن الكريم، من يعرفون هدى القرآن الكريم كفيلة ببناء هذه الأمة بحيث لا تصل إلى ما وصلت إليه الآن من هذه الحالة السيئة، الخسارة الكبيرة، خسارة كبيرة فعلاً .

ومن هذا نعرف أيضاً شمولية القرآن الكريم عندما يقول الله فيه: {تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} (النحل: من الآية٨٩) وأنه تبيان لكل شيء ليس معناه أن يذكر لك تفاصيل المسألة الفلانية، أعني علماً من العلوم مثلاً : قوانين في الفيزياء، أو أشياء معينة مثل: الهندسة، أو أي شيء من الأشياء هذه يأتي بهاهي ويذكرها، ويعمل لك قائمة للمعادن وخواصها، وأشياء من هذه، لا، هو يعطي الناس توجهاً معيناً، هذا التوجه هو كفيل بالوصول إلى هذه الأشياء.

كان هاتان الآيتان كفيلة لو أن أحداً من أسلافنا ممن كانوا في وضعية أحسن مما نحن فيه باعتبار الضغط العالمي، ما كان يوجد بهذا الشكل الذي نحن نعاني منه من قبل الأعداء كان هذا التشخيص لأهل الكتاب يكفي بأنهم يتجهون لبناء أنفسهم، من بديهيات هذا التوجه: أن يحاولوا أن يهتموا بالجانب العلمي، بالجانب العلمي باعتباره قضية من القضايا الهامة في بناء الأمة فحينها سيصلون إلى علوم كثيرة في مختلف الأشياء التي وصل إليها أخيراً بنوا إسرائيل، أو أهل الكتاب بشكل عام من اليهود والنصارى .

عندما يقول البعض عن القرآن الكريم: [القرآن كتاب باهر وسلام الله عليه يجلس مكانه لكن نحن نريد علوماً أخرى] !هذا هو مفتاح العلوم بكلها؛ لأنه في نفس الوقت الذي يعطي التوجهات، والمسئوليات التي هي كفيلة بأن تتوسع نظرتك لكل ما حولك، وتعمل على تطوير قدرات هذه الأمة أعطى مؤشرات أيضاً فيما يتعلق بكل ما هو محيط بالناس مما في السموات وما في الأرض، أنه مسخر لك: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجاثية: من الآية١٣) ومعنى التسخير العبارة هي توحي بأن الأشياء هذه قابلة لأن نستخدمها، وعندما تنظر إليها على سعتها الكبيرة جداً عندما يقول: {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} أليست قائمة طويلة عريضة جداً من الأصناف، والأنواع المتعددة من المخلوقات بدءاً من الكواكب، والشمس، والقمر، والهواء، ومختلف المعادن، والنباتات، وكل العناصر الموجودة في هذا العالم، كل مفردات ما في السموات، وما في الأرض، أنها مسخرة.

تعني هذه : أن حياة الإنسان مرتبطة بهذه الأشياء، وأن هذه الأشياء قابلة؛ لأنه ذكر مثلاً فيما يتعلق بحيوانات معينة: أنه ذللها، وسخرها، كيف تجدها قابلة لك أن تستخدمها للأغراض المتعددة كالإبل، والبقر، والخيل، والبغال، والحمير، ومختلف الحيوانات المذللة، وتجدها قابلة لمختلف الأغراض، وبيّن في آيات أخرى كيف تكون الأشياء المسخرة قابلة للإستخدام المتعدد ذكر: تركبون، وتأكلون، وتستخدمون من جلودها بيوتاً، ومن أصوافها، ومن أوبارها، وأشعارها أثاثاً لكم ومتاعاً إلى حين، فعندما يقول: إنه سخر لنا ما في السموات وما في الأرض بعدما أعطى توجها من هذا النوع الذي يجعل الإنسان يتوجه فيرى نفسه في سبيل بناء الأمة بحاجة إلى

كل ما لديه من أشياء، أن هذه تعطي أملاً كبيراً جداً: أن بالإمكان تطويع الأشياء الكثيرة للأغراض المتعددة. هذه اكتشفت أخيراً، الشمس ألم يستطيعوا أن يحولوها إلى طاقة كهربائية ؟ واحدة من الإستخدامات التي برزت: أن يحولوا أشعة الشمس عبر وسائل معينة إلى طاقة كهربائية، بل تتحول هذه إلى وقود هام للمراكب الفضائية، ولكثير من الأقمار الصناعية هذه التي تحتاج إلى الوقود صفائح معينة تحول أشعة الشمس إلى كهرباء، إلى وقود تشتغل عليه هذه المركبات والأقمار .

إذاً أليس هذا من التسخير؟ الشمس التي بيننا وبينها ـ كما يقولون ـ ملايين الأميال أو عشرات الملايين من الأميال تجدها قابلة لأن تسخرها لأشياء متعددة الأغراض، وأن يكون لها دور في استخدام أشعتها في مجالات ليس بإمكانك أن تستخدم أشياء أخرى بديلة عنها، من الذي يستطيع أن يوفر مثلاً طاقة معينة للمركبات الفضائية التي تأخذ فترة طويلة؟ أين يمكن تعبئتها بترول أو أشياء أخرى؟ لكن الشمس طاقة مستمرة يومياً أمكن أن تحول بهذا الشكل فأغنت عن طاقات أخرى لا يمكن لو أن المسألة مرتبطة بطاقات هي في الأرض هنا بترول أو الطاقات التي يسمونها طاقة نووية وقود نووي أو نحوه لكانت المسألة صعبة، أي لكان هذا يشكل عائقاً دون إمكانية مركبات فضائية وأقمار صناعية ونحوها، متى يمكن أن تذهب تجدد لها الوقود هذا ؟لهذا كانت الطاقة الشمسية واحدة من استخداماتها استخدمت في مجالات هامة جداً في إعطاء معلومات وفي إمكانية التواصل فيما بين الناس عبر وسائل الإتصالات والبث الإذاعي والتلفزيوني وغيره .

إذاً هو كتاب علمي على أرقى مستوى لكن لمن يفهم، {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} فعلاً، هذا الذي حصل بالنسبة للأمة هذه، كان واقعهم نظرة انحطت جداً بالنسبة للقرآن الكريم إلى الآن قد تلمسها مثلما نقول أكثر من مرة إن هناك من يقول: فقط ! فيرى أن القرآن غير كافي إذا قلنا يكفي هذا، العلوم الأخرى لا يوجد حاجة لها، هي شكلت عوائق بيننا وبين القرآن الكريم، هي جعلت أعمارنا معرضة للضياع، وأجيالنا معرضة للضياع، المواهب المتعددة معرضة للضياع، الأمة بشكل عام معرضة للضياع، نهتم بالقرآن هو الذي يعطي الناس المعارف الواسعة جداً، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويعطيهم التوجهات، والمسئوليات التي هي كفيلة بأن يتوسعوا في معارفهم.

بالأمس من الآيات الأخيرة في الموضوع {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} (البقرة: من الآية١١٤) جاء بعدها {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:١١٥) ليفهم الإنسان المؤمن بأنه ليس هناك فقط وجهة معينة فإذا توجه بالدعاء إليها يمكن أن الباري يسمعه ويستجيب له لكن إذا توجه كذا أو كذا يمكن أنه لا يسمعه ! أينما تولوا فثم وجه الله {إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} قد يؤخذ منها إذا وصلت الحالة بأنه مساجد معينة لم يعد بالإمكان أن تتحول إلى مساجد لله فالأرض قد جعلها الله مسجداً كما في الحديث عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) .

إذاً ليس معناه أنهم غلقوا عليك باباً وحيداً إلى الله مكاناً وحيداً فيما بينك وبين الله، أينما تولوا فثم وجه الله إن باستطاعتك أن تبني مسجداً بنيت مسجداً لله ما لم ففي أي مكان، كلها مساجد لله هذه مهمة جداً من الناحية العملية في مقام الأولويات؛ لأن مما يهدي إليه القرآن الكريم موضوع الأولويات في أعمال الناس: هذا الموضوع أهم من هذا، وتختلف الأولويات باختلاف الأزمنة باختلاف نوعية الصراع الذي الناس فيه باختلاف وضعية الجيل الذي أنت تعيش فيه، فإذا كانت القضية تتطلب أن يبذلوا الكل جهوداً كبيرة في مقام نصر الله في مجال مواجهة أعداء الله الذين لديهم وسائل متعددة إذاً لا يوجد هنا أولوية لبناء مسجد، قد يكون بناء المسجد مثلاً يؤدي إلى بذل أموال طائلة جداً ليست الصلاة في أن تكون مقبولة مرتبطة بالمسجد بل قد يكون مصلون في المسجد ولو كان في المسجد الحرام لا تقبل صلاتهم ولو كان في المسجد الحرام، الذي يصلي في الصحراء وبتوجه صحيح في عمل في سبيل الله تكون صلاته مقبولة .

هذه القضية ملموسة كثير من الناس يأتي إليهم فلوس من تجار من فاعلي خير ولا يدري ماذا يعملها فيه ولا يدري في أي شيء يضعها فيه وكأن الأمة ليست بحاجة إلى أن تعمل أي شيء ولا كأن هناك مجالات مفتوحة من مجالات

العمل في سبيل الله وفي الأخير يضعها في مسجد، أحياناً يكلف حزام المسجد لوحده مأتي ألف أو أكثر حزام المسجد، تلك الزخرفة ما بالك بخسارة بنائه، ما بالك بالمنارة ما بالك بدورات المياه والأشياء الكثيرة تطلع التكلفة في الأخير خمسة ملايين عشرة ملايين بل أحياناً قد تطلع إلى سبعين مليون أو أكثر في بعض الأماكن .

{وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}(البقرة: من الآية١١٥)اهتم بالقضايا الأولية الأساسية إذا هناك مسجد صليت فيه، ليس هناك إمكانية لمسجد صل في أي مكان، ووجه عملك، ووجه قدراتك في المجال الهام، بناء المسجد يمكن أن تلحقه متى ما أمكن، متى ما أمكن؛ لأنه ليس التوجه لله منحصراً في المسجد، ولا قبول الصلاة منحصراً في المسجد حتى نقول: إذاً نبدأ أول شيء نبني مسجداً من أجل يمكننا أن نصلي نبدأ نبني مسجداً من أجل يمكننا أن نتوجه إلى الله، نبدأ نبني مسجداً من أجل يمكننا من داخله أن ندعو الله؛ لأنه من خارج المسجد لا يمكن يسمع، أو يعرف أين نحن ! المساجد ليست عبارة عن كمرات تصوير الباري لا يرى إلا من كان داخل المسجد ولا يسمع إلا من كان داخل المسجد !

المساجد هامة، هي هامة والصلاة فيها هامة لكن في مقام الأولويات ووفق سلم الأولويات قد يكون هناك في مرحلة معينة ما هو أهم منها فالحاصل يكفي، تجد كم هي المساجد التي يقوم المسلمون ببنائها في المدينة الواحدة حتى أصبحت في الأخير وسيلة تفرقة ! مع أن من الأدوار الهامة للمساجد هي: أن تكون مكان التقاء للناس لأهل القرية الواحدة لأهل المدينة الواحدة، تكون محط التقاء واجتماع تساعد على موضوع التعارف والتآلف فيما بينهم وتبادل المعلومات والتذكير لبعضهم بعض والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، لّما اختلفت الرؤية كل واحد غضب بنى له مسجداً، والآخر قال: صجّة بنى له مسجداً، الثاني قال : يريد عند بيته لأجل يكون عند بيته مسجد نعمة عندما يكون قريباً، بنى مسجداً لا تدري والمدينة الواحدة فيها عشرات المساجد، وهي بالشكل الذي يكفيها مسجد واحد، يكفيها مسجد واحد فقط .

{إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} أينما تولوا بوجوهكم بدعائكم بضمائركم بمشاعركم بوجدانكم {فثم وجه الله إن الله واسع عليم }رأينا واحداً من المساجد في صنعاء بناه واحد من التجار أصحاب الخير منارة واحدة المنارة التابعة له الصومعة كلفت سبعة ملايين ريال لا أدري كم يمكن أن يكلف المسجد ! المنارة وحدها سبعة ملايين ريال السبعة الملايين هذه تعمل عملاً كبيراً جداً في هذا المجال، في مجال توجيه الناس نحو دين الله، نحو القرآن الكريم، وتثقيفهم بالقرآن، والعمل في مواجهة العدو، وإعداد كثير من وسائل القوة في مواجهة العدو، نحن نرى مبالغ زهيدة جداً تأتي في هذا المجال الذي نعمل فيه وتعمل أعمالاً كبيرة جداً، مبالغ بسيطة كيف السبعة الملايين، تلك المنارة ماذا ستعمل المنارة؟ ممكن الأمريكي يدخل منها، ويستخدمها القناصة الأمريكيون لضرب المسلمين هنا وهنا، لكن عندما تبني إنساناً على أساس القرآن أليس هو الذي سيقنص الأمريكي؟ هل بإمكان المنارة في يوم من الأيام أن تصبح صاروخاً وتنطلق وتدمر مدينة من مدن الكفر؟ لا، منارة مفتوحة ممكن يصعد فيها اليهودي والأمريكي؛ لأنك لم تبن إنساناً، لم تبن منارات، المنارة الحقيقية: هو الإنسان الذي تبنيه على أساس القرآن ويبتني ويبني نفسه بهدى الله وتوفيقه على أساس القرآن .

لهذا عندما توجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى المدينة، وبنى المسجد هناك لم يحاول أن يكون المسجد الذي يبنيه على أرقى مستوى فيما يتعلق بالفن المعماري، فيما يتعلق بالزخرفة مع أنه كان الفن المعماري معروف، معروف من زمان، وليس قضية وكأنه لم يبتكرها إلا المتأخرون، آثار اليونانيين تشهد على موضوع ما وصلوا إليه في الفنون المعمارية، دولة فارس، والروم، كانت قضية الفن المعماري معروفة حتى عند اليمنيين سابقاً، أنظر آثار عرش بلقيس الأعمدة تلك كيف هي بشكل دقيق، ومزخرفة، منحوتة نحت الزخرفة التي فيها.

بنى المسجد من لبن، وسقفه بخشب النخل، وأعمدة من النخل، وسعف النخل، وأصبح لهذا المسجد فاعلية هامة ؛ هنا يوجد أهمية فيما يتعلق ببناء مسجد في المدينة من أول مرحلة، يبين أهمية المسجد كمنطلق، وأن المسجد المهم: هو الذي يكون له فاعلية، وانطلاقة منه عملية؛ ترك المسجد الحرام هذا المسجد الهام جداً عندما لم يتمكن أن يجعل لهذا المسجد دوره، ويجعله على أصله لله في أجوائه في العبادات فيه ؛ خرج من هذا

المسجد العظيم، وتوجه هناك، وبنى هو مسجداً، وأصبح لهذا المسجد أيضاً فضل عظيم، وإن كان دون قيمة المسجد الحرام في الوضعية الصحيحة، أصبح له فضل عظيم ذلك المسجد الذي بني من اللِّبِن وجريد النخل لا يوجد فيه زخرفة، ولا يوجد فيه شيء .

هذا المسجد نفسه الآن أصبح واسع البناء، ومزخرف ومنارات ومُنار بالكهرباء، وأجهزة صوتية ضخمة جداً، ومفروش بفراش راقي جداً، وأشياء كثيرة، كيف دوره الآن ؟ لا شيء ! المسجد الحرام كيف دوره الآن؟ لا شيء! إذاً فالإنسان نفسه، عندما يبنى الإنسان نفسه هو الذي يجعل للأشياء هذه حيويتها، ويجعل لهذا المسجد قيمته، أو هو الذي قد يميت المسجد، وإن كان المسجد الحرام نفسه. فالمسجد الذي بناه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان فيه الذي بناه، والذي يتحرك فيه ومنه هو إنسان عظيم اهتدى بالقرآن الكريم، وهداه الله سبحانه وتعالى كان لذلك المسجد أثر كبير على مستوى الرسالة أينما وصلت الرسالة، كان انطلاقتها الأولى هو المسجد الذي بناه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قد لا تساوي تكاليف ذلك المسجد مقارنة بالتكاليف التي عليها المسجد الآن، مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قد لا تساوي تكلفة عمود واحد، عمود واحد من الأعمدة التي داخله !

إذاً ففي موضوع الأولويات قد يكون الشيء هاما في مرحلة، هاما في مرحلة، في مرحلة أخرى يجب أن تبدأ بشيء آخر، هذا الشيء الهام إذا كان في مرحلة لم يعد يعطي أهمية، ولا تمكنت أنت أن تعطيه أهميته، وحيويته فانطلق إلى غيره، اعمل غيره إذا كنت متمكناً أن تعمل غيره ما لم فالأرض مسجداً وطهوراً، مسجد كلها من المحيط إلى المحيط، مسجد أليس أكبر مسجد؟ أكبر مسجد الله قد بناه أكبر مسجد وهو هذه الأرض .

اتجه الحديث إلى بني إسرائيل ليبين أيضاً ما وصلوا إليه فيما يتعلق بالمعتقدات، والمقولات والرؤى رؤى كفرية {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً} (البقرة: من الآية١١٦) على الرغم من النبوات والكتب والهدى وورثة الكتب داخلهم وورثة الأنبياء والهدى العظيم، لما تركوه ونبذوه وراء ظهورهم ؛ ظهرت أشياء من هذه المقولات الباطلة {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً} جعلوا المسيح ابناً لله، ثم ترقوا في المسألة إلى أن جعلوه جزءاً من الإله ! ما قيمة أن يجعلوا لله ولداً، وما هي الحاجة التي تقتضي أن يكون لله ولد؟ لا يوجد، أنت تفرح إذا معك ولد يقوم بأعمال لك، ومهام وأشياء من هذه، الله ليس بهذا الشكل سبحانه وتعالى، بل له ما في السموات وما في الأرض، ليس هناك حاجة لاتخاذ ولد، ولا يجوز عليه سبحانه وتعالى هو كما قال عن نفسه: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} (الاخلاص:٣) ولا بحاجة إلى أولاد ليشدوا من أزره، مع أحدنا أولاد إذا أحد يريد يعتدي عليه يكون معه مجموعة أولاد يقومون بالدفاع عنه، لا، كل من في السموات ومن في الأرض له قانتون: خاضعون، الخضوع التكويني الخضوع فيما يتعلق بتدبير الله، ما هناك أحد يستطيع أن يخرج عن قدرة الله، عن إرادة الله أبداً، يستطيع أن يتغلب، الكل بما هم عليه خاضعون لله، خاضعون له، الجن، والإنس، وكل ما في السموات وما في الأرض .

هذه من الأشياء الغريبة جداً، كتب الله، ورسل الله الذين هم دعاة إلى توحيد الله، وتعظيم الله وإجلاله وتقديسه وتنزيهه لا تدري إلا وقد مع من يدَّعوا بأنهم: أتباع لتلك الكتب، وأولئك الرسل، وإذا قد معهم عقائد كفرية صريحة، شرك، وكفر صريح ! {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً}! هل تلك النبوة، وتلك الرسالة هي بالشكل الذي يمكن أن يصل بالإنسان إلى مقولات كهذه؟ أبداً، تجد كيف يصل الإنسان عندما يعرض عن هدي الله إلى أن تطلع عنده أشياء هي سيئة جداً، ولو تأمل أدنى تأمل لرأى بأنها باطلة، لا شك في بطلانها ؛ هذا مثل من أمثلة الضلال الشديد الذي يصل إليه الإنسان في مختلف المجالات بما فيها المجالات العقائدية المتعلقة بتوحيد الله سبحانه وتعالى! هل هناك حاجة لولد أن يكون مثلاً بشكل سكرتير، أو يستلم الرسائل من عنده ويوصلها! {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية١١٥) لا يحتاج أن يقول: سلمها إلى ولدي إذا معك رسالة، أو يقول لابنه: يستمع ما يقول الناس ويسجل دعواتهم، وأشياء من هذه، هذه كلها لا يوجد حاجة على الإطلاق، قبل أن تقول: لا يجوز، هي قضية لا تصح، ولا يجوز، في نفس الوقت ما هناك حاجة على الإطلاق

إلى هذه هو سبحانه وتعالى كما قال: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} كما يقول: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(البقرة: من الآية١١٦-١١٧)**هو مبدعهما .**

هذا فيه رد على النصارى أنفسهم من جهة ما هي الحاجة التي يمكن أن تجعل الله يتخذ ولداً؟ هو هذا الذي ابتدع السموات والأرض قبل أن تجعلوا له ولداً، لو كان هناك حاجة إلى ولد كان ممكن قبل يعينه في موضوع إنشاء السموات والأرض، هذا البنيان الهائل الكبير الواسع {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}(غافر: من الآية٥٧) **هو مبتدعهما، لأنها قضية معلومة: أن النصارى ادعو هذه بعد، من بعد المسيح يقولون: ربما بمأتي سنة تقريباً بدأ مسألة وأطروحة [ابن الله] وأنه ولد لله، هو سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض، هو الذي ابتدعهما، أي أنشأهما، فطرهما، وليس فقط أنه كان هناك آثار مبنى ثم جاء يصلحه، أو أخذ خريطة من طرف معين وقام ينشئ على أساسها !**

ابتدعهما، هو شيّئ الأشياء هو، هو سن القوانين هو، هذا معنى الإبتداع، بديع السموات والأرض، أبدعهما، وجعلهما خلقاً بديعاً {وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(البقرة: من الآية١١٧) **ما هنا حاجة لولد على الإطلاق هو سبحانه وتعالى قدرته، وقنوت الأشياء له، خضوع الأشياء له، ونفوذ إرادته ومشيئته متى ما أراد قضاء أمر {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، أي لا يوجد حاجة إلى معين لا ولد ولا غيره ليكون بشكل معين له أبداً .**

إذاً هذه الآيات هي نفسها توضح فيما يتعلق بأن تنظر إلى أن القضية هذه غير مقبولة بكل الإعتبارات: من حيث أنه لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، ومن حيث أنه ما هناك حاجة، والحكيم لا يعمل الشيء الذي لا يحتاج إليه. إذاً تجد هذه هي تنسف موضوع أن يكون هناك حاجة لولد عندما يقول: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(البقرة:من الآية١١٦-١١٧) **على الرغم من وضوح آيات الله سبحانه وتعالى، آيات الله في هذا الكون والآيات التي ينزلها على أنبيائه، وعلى الرغم من وضوح الآيات التي يقدمها أنبياؤه تكون هي بالشكل الذي لايعد يبقى هناك أي تساؤل أو أي حاجة إلى بحث عن آيات أخرى؛ هدى الله واضح، هدى الله كافٍ وفوق الكفاية في كل المجالات وأمام كل التساؤلات .**

لكن يحصل كما حكى في هذه الآية: {وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}(البقرة: من الآية١١٨)**لا يعلمون {لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ}**(البقرة: من الآية١١٨) **هل هناك قصور فيما قدم من جهة الله حتى نقول إن هناك حاجة إلى أنه أنا أريد أن يكلمني أنا مباشرة، أو نريد آية ؟! كلام الله هي كتبه ينطق بها رسله وورثة كتبه، أليس الله يقول عن القرآن الكريم بأنه كلامه {حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ}**(التوبة: من الآية٦) **يسميه كلامه؟! هذا المطلب الذي يعني: هلاّ أو ألا {يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} إنما يأتي من جهة الذين لا يعلمون، لا يعلمون لوضوح ذلك الهدى، وتعدد الآيات البينات التي لم يعد يبقى بعدها حاجة إلى ماذا؟ إلى طرح اقتراح أن يكون هناك آيات أخرى .**

قد تأتي هذه أيضاً في مقام عدم التقدير، وروح الكبرياء مثلما حكى في آية أخرى عمن قالوا: (لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ}(الأنعام: من الآية١٢٤) **ومن قال عنهم: {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً}**(المدثر:٥٢) **أنه لماذا اختص ذلك الشخص من بين الناس أن يصطفيه نبياً ؟!الغالب إلى أنه يكون الأنبياء بالنسبة لوضعيتهم المادية بالشكل الذي يكون عندهم، قد يرى الواحد منهم بأنه لو كان هو... إذاً فلماذا لا يؤتى مثلما أوتي رسل الله! لماذا يختص ذلك وحده ونحن يكلمنا! إذا كان كلم موسى فيكلمنا! وهكذا إذا كان اصطفى ذلك الرسول، ونحن لماذا لا يعطينا مثلما أعطى رسله؟! هي كلها نابعة عن أنهم لا يعلمون، لا يعلمون بأنه عندما يصطفي رسولا أن دور الرسول هو مرتبط بهم هم، كل ما يؤتى الرسول هو سينصب إليكم أنتم، الهدى، البينات، كل جهد الأنبياء، كل جهدهم، كل كلامهم، كل عملهم هو كله في سبيل الناس، في سبيل هداية الناس، في سبيل إخراجهم من الظلمات إلى النور، في سبيل تعليمهم، وتزكيتهم .**

هذا هو مظهر من مظاهر تكريم الله للإنسان بشكل عام، من مظاهر تكريم الله للإنسان بشكل عام أن يصطفي أول شيء: لأهمية هداه، وسعة هداه، وعظمة هداه، ولقيمة هذا الإنسان، الله خلق الإنسان وكرمه فعلاً، من

تكريمه: أن يصطفي له على أرقى مستوى من يكونون هداة له بمعنى من يكونون أقدر، أقدر من أي أحد منهم لإيصال هداه إليهم . إذاً فأنت ترى في الأخير بأنه الرسول كله لك، إذاً ماذا بقي {لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} أو {حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} الرسول كله هو قد آتاكم، أليس هو يقول: جاءكم، أتتكم ؟ إذاً قد أعطاك الرسول، ذلك كله هو من أجل هدايتك وتعليمك وتزكيتك، فماذا تريد بعد هذا ؟ تريد أنت شخصياً فالقضية ليست مرتبطة بك شخصياً، هو هدى يكون موجهاً لأمة، لبناء أمة، هدى لا يكون على مستوى فردي فقط، يكون عنده: إذاً لماذا لا يعطيني مثل ذلك، ويكفي أن يؤتيك أنت على أساس ماذا؟ لك لوحدك، هذا لا يمكن لا يحصل ليست هذه سنة الله بكلها في الهداية.

هدى الله يأتي للناس جميعاً لماذا؟ لأدوار كثيرة مترابطة ومتعلقة بهم جميعاً ولهذا يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران: من الآية١٠٣) لأن الكثير من مجالات التطبيق لهدى الله سبحانه وتعالى تكون هي مرتبطة بالأمة كأمة، المسئوليات الكثيرة في دين الله مرتبطة بالأمة كأمة لا يمكن أن ينهض بها الفرد الواحد منهم، مسئولية ينهض بها الكل فيصبح الكل وكأنهم شخص واحد في النهوض بتلك المسئولية ؛ ولهذا قال {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(آل عمران: من الآية١٠٤) ما معنى القضية: بأنه اختص ذلك الشخص له هو هو، واصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأنزل عليه الكتاب وكأنها كلها له [ونحن لماذا لا يعطينا مثله] ليست القضية بهذا الشكل، هو كل ما أعطاه هو للناس، لهدى الناس، وتعليم الناس، وتزكيتهم .

هذه القضية هامة جداً يجب أن نفهمها، قضية هامة جداً يجب أن نفهمها بأنه لا تكن عندك مشاعر بأنه لماذا لا نعطى مثلما أعطي فلان، نعطى مثله، لأن المسألة على هذا النحو: أن الله أعطاك ذلك بكله، أعطى الأمة أنبياءه، وأعطى الأمة كتبه عن طريق أنبيائه، أعطى الأمة ورثة أنبيائه، إذاً لم يعد هناك أي شيء إلا مشاعر الذين لا يعلمون، لا يعلمون، لا يعلمون.

{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ}(البقرة: من الآية١١٨) الذين لا يعلمون من الأولين ومن الآخرين هكذا تأتي اقتراحات من هذا النوع التي لا قيمة لها، ولا واقعها غائب {لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} قد كلمك الله بكتابه، وعلى لسان نبيه ما الله يقول: {وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم} يقول في القرآن الكريم بأنه أنزله إلينا، إلى الناس، هو كلامه إلى الناس بواسطة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله). {أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} هذه آيات عظيمة جداً، آيات عظيمة جداً. هذه الإقتراحات ما هناك حاجة لها في الآيات هذه ما يكفي، مايكفي الإنسان أن يكون موقناً وليس يعلم فقط أن يكون موقناً. {قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(البقرة: من الآية١١٨) تصل بهم إلى درجة اليقين، وليس فقط لقوم يعلمون لمجرد أن يعلموا، يعلم وتصل به إلى درجة اليقين.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً} (البقرة: من الآية١١٩)هذه هي سنة الله سبحانه وتعالى وليس أنه استجابة لمقترحات الآخرين: {لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} هكذا قد عمل الله سبحانه وتعالى الشيء الذي فيه فوق الكفاية {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} (البقرة:١١٩) أنت هذه هي مهمتك: بشير ونذير، وأولئك الذين لا يهتدون سيصبحون من أصحاب الجحيم ولست المسئول عنهم لماذا ما جعلتهم مهتدين، مهمتك أنك بشير ونذير وتبذل كل ما لديك من قدرات، وتبين على أرقى مستوى فالآخرون الذين ماذا؟ لا يؤمنون، لا يستجيبون، ويكونون من أصحاب الجحيم لن نقول في الأخير: أنت تتحمل مسئوليتهم، مثلما لا تقول لمعلم معين: لاحظ الطلاب الذين رسبوا في الفصل أنت تتحمل مسئوليتهم، قد تتحمل مسئولية إذا كان هناك تقصير من جانبك، لكن عندما يقول في هذه الآية: {وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}هي تؤكد بأن عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو بالشكل الذي لا يعد يبق عليه أي مسئولية على الإطلاق بالنسبة للآخرين الذين لم يهتدوا، أي أنه قد بين على أكمل درجة من التبيين، وأوضح على أعلى درجة من الإيضاح لهذا فلم يبق عليه أي مسئولية، وإلا قد تكون هناك مسئوليات حقيقية سيأتي بعد يتحدث عن المسئوليات فيما

يتعلق بمن يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة:١٥٩) أليس يوجد مسئولية كبيرة نتيجة أنهم كتموا، فضّل كثير من الناس؟ أو أشخاص تقدم إليهم هداية فيضلوا أنت لا تتحمل مسئوليتهم .

هذه الآية تؤكد لك بأنه بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لا صلة له على الإطلاق بما هو ضلال من بعده على الإطلاق، ولا تترتب عليه أي مسئولية بالنسبة للناس الذين ضلوا فكفروا وأصبحوا من أصحاب الجحيم أبداً، بمعنى ماذا؟ أنه لا علاقة لـه بالإضلال على الإطلاق، بمعنى أنه جاء بالتبيين الكامل، الكامل الذي لا يحصل على الإطلاق بسبب تقصير من عنده إنما يضلون عن علم؛ ولهذا يأتي في آيات أخرى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} (الشورى: من الآية١٤) ولهذا قال الله في آية أخرى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٩) لا علاقة لك بهم، ولا صلة لهم بك نهائياً، الآية تكشف اهتمام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأساه وتألمه على أولئك الذين لا يهتدون، يهتم حتى في الأخير يقول الله لـه: أنت ليس عليك مسئولية، لكن هو مهتم جداً، هو رحيم جداً بالبشر جميعاً، ويحزن ويأسف لماذا لم يستجيبوا، لماذا لم يهتدوا لأنه يعلم عظمة هذا الدين الذي يقدمه للناس، ويعلم خطورة عدم الإستجابة بالنسبة لهم في الدنيا وفي الآخرة .

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) أحياناً قد يكون عند الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) اهتمام كبير بشكل أنه كيف يعمل يرضى عنه الآخرون عسى أن يستجيبوا، هذه حالة تحصل عند الناس يكون الواحد يحاول أنه كيف يسترضي الآخرين من أجل إذا كانوا راضين عنه ربما يهتدون، الآية تكشف بأنه كان مهتماً جداً فيما يتعلق أيضاً باليهود، فيما يتعلق بالنصارى أنه حريص على هدايتهم متأسف جداً لماذا لم يهتدوا، قد يصل الإنسان الكثير الإهتمام الكبير الإهتمام، الحريص جداً على أن يهتدي الآخرون، قد يصل إلى محاولة أنه كيف يرضى عنه الآخرون، وقد تحصل أخطاء في هذا الموضوع هنا يقول لـه: هذه فئة لن ترضى عنك أبداً باعتبار واقعها وما هي عليه لن ترضى عنك أنت، وعندما يقول: {لَنْ تَرْضَى عَنْكَ} فبالأولى لن ترضى عنا نحن لماذا؟ لأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) باعتبار أخلاقه، حرصه، سلامة نفسيته، تعامله الحسن، وده بأن يهتدي الكل، رحمته بالكل أليس هذا الإنسان هو أقرب إلى أن يرضى عنه أي طرف من الأطراف ؟ أنت على الرغم مما أنت عليه من الأخلاق الكريمة العالية العظيمة وما فيك ما يمكن أن ينفر منك بل فيك ما يجعل الآخرين يرضون عنك لكن هؤلاء هم فئة مختصة بماذا؟ بحالة غريبة جداً هم لن يرضوا عنك أبداً .

إذاً من منا فيه الجاذبية التي في رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي كانت أدعى لأن يرضوا عنه من أي واحد منا؟ إذاً فنحن لن يرضوا عنا نهائياً، فإذا كان هناك من يمكن أن يرضوا عنه فهو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لعلو أخلاقه وطيب نفسه ورحمته وحرصه على هداية الجميع ولا يحمل روحا عدائية شخصية على الإطلاق، عداء شخصي على الإطلاق .

هذه الآية هامة جداً، ولهذا تجد بعض الآيات، الإعراض عنها يجعل الناس يرتكبون أخطاء رهيبة جداً في سياستهم، في ممارستهم، في أعمالهم، هذه متجلية في ممارسات الحاكمين في البلاد العربية والإسلامية بشكل عام، محاولين كيف أن يرضى عنهم اليهود، يحسن علاقاته ويحمد الله أن هناك علاقات طيبة ثنائية ما بيننا وبين أمريكا، أو أشياء من هذه ! بل يصلون إلى حالة أن يسترضوهم مثلما عملوا في القمة العربية في بيروت، قدمت أشياء سيئة جداً، قد هم مستعدون حتى بأن يتضمنوا بأمن إسرائيل فقط تطلق أراضي[٦٧]التي يقولون عنها التي احتلتها [عام ٦٧] يطلقونها للفلسطينيين ومستعدين نقيم علاقات معها، ومستعدين حتى نحافظ على أمنها! ما رضيوا، ما رضيوا أبداً .

إذاً هذه نفسها عندما نقول: يجب أن ننظر في موضوع القرآن الكريم، والإهتداء به فيما إذا دخلنا مع طرف آخر في حوار عندما يقول: إذاً ما الدليل على أن القرآن يمكن أن يكون لـه إيجابية؟ متى حكم القرآن حتى

تستطيعوا أن تقولوا بأنه قدم نموذجاً على أعلى مستوى؟ نقول: الآن الحياة كلها شاهدة لهذا القرآن، الله يقول في القرآن أنكم: لن ترضوا عنا، وأنتم تشهدون على أن هذه حقيقة لا شك فيها، ووجدنا بأنكم عندما لم ترضوا عنا، ولستم أبداً يمكن أن ترضوا عنا؛ نجد كيف تصرفاتكم معنا بالنسبة لكم أنتم، بالنسبة لليهود والنصارى، بالنسبة للداخل، الحاكمين، المثقفين الذين يرون أن نحاول أن نحسن علاقاتنا، نحاول أن لا نعمل أشياء مثيرة للطرف الآخر نحاول ماذا؟ أن نسترضي الآخر، أي أن نكسب رضاهم نقول: وجدنا كيف كان تعاملكم بالشكل الذي ضرب الأمة هذه وأنتم تبحثون أن يرضوا عنكم فلم يرضوا عنكم !

إذاً أنتم عملتم بالجانب الآخر مما نبه عليه القرآن فكان واقعكم شاهداً لا شك فيه على ماذا؟ على سوء عدم العمل بالقرآن، وهذا هو أبرز الأمثلة في أنه شيء لـه قيمة أن تكون قيمته متجلية في الإتجاهين، وقد تعطي قيمته وتبرهن على عظم قيمته بروز اتجاه واحد، أي إذا قلنا مثلاً بأنه الذي برز أمام هذه الآية الكريمة هو: أنهم فعلاً وجدناهم عملياً لم يرضوا عنا، ووجدنا من يبحث عن رضائهم لم يحصل على رضائهم، ووجد نا بأنه عندما يقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ} فعندما تبحث عن رضاهم معناه سيحصل هناك قائمة من الأخطاء، في رؤيتك، في سلوكياتك، في تعاملك مع الناس، هذا الذي حصل، ألم يصلوا إلى درجة أن يقبلوا أن يغير الأمريكيون المناهج، وهم يقولون في نفس الوقت أنهم يريدون أن كثيراً من القرآن يخفى! لا يعد يقرأ! أليس هذا بحثا عن رضاهم ؟ فلم يرضوا عنهم، ألم يسرِّحوا أعداداً كبيرة من الخطباء بالمئات في السعودية من أجل أن ترضى عنهم أمريكا فلم ترض عنهم، نقول: إذاً صدق الله العظيم هذا شاهد واضح، ثم تأتي تقول لي: متى حكم القرآن فقدم نموذجاً ؟ نقول: الكل يشهد بأنه على أعلى مستوى، القرآن الكريم .

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} ملتهم لأنه أي شيء أنت عليه يعتبر ملة بالنسبة لك، أي شيء أنت عليه، توجهك الثقافي، سلوكياتك، الشيء الذي يقوم عليه التعامل فيما بينك وبين الآخرين هو يسمى ملة، أنت هل يقبل اليهود والنصارى منك ويرضون عنك وأنت تبرهن لهم بأنك على دين إبراهيم، لا، بأن رسالتك هي امتداد لرسالة موسى وعيسى وأن كلكم رسل من عند الله وديانة واحدة من عند الله؟ لا، ملتهم هم، التي قال عنها في الأخير سماها أهواء، هذا شيء مهم بالنسبة لنا أن نفهم أن ما بين يدي بني إسرائيل مما هو الآن عبارة عن ملة لديهم باسم يهودية، أو باسم نصرانية هو ماذا؟ مجموعة من الأهواء ؛ ولهذا قال: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) **عندما يقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} سمى ملتهم بعد بمجموعة أهواء كأنه قال : ولئن اتبعت ملتهم، قال عن الملة نفسها {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} هو قد نبه في آيات كثيرة أخرى شخّص من خلالها واقع ما لدى بني إسرائيل، ما لدى اليهود، والنصارى عندما قال: {وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}** (المائدة: من الآية٧٧) **{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}** (البقرة: من الآية١٢٠) **لأنه أحياناً قد ينطلق الإنسان بواقع حرص سواء تحت عنوان حرص على الدين، على أن يكسب الآخرين، أو حرص على مصلحة وطنية، من أجل لا يحصل شر على أبناء وطنه مثلاً فيقدمون أشياء معينة هي أهواء من جانبهم، فيحاول أن يسترضيهم بتقبلها، أن يسترضيهم بتقبلها.**

إذاً سيكون في نفس الواقع كأنه غير مؤمن بهذه القضية القاطعة: أنهم لن يرضوا عنك، في الأخير ستخسر، وفي الأخير على الرغم مما أنت عليه أنت، وهذا مثل بالنسبة للآخرين، إذا كان يقول عن نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) **: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ}** (البقرة: من الآية١٢٠) **لأنه في الواقع هذا، اتباع أهوائهم يؤدي بك إلى تجاوز ما جاءك من العلم من جهة الله سبحانه وتعالى من العلم الذي هو هدى، ومن العلم بواقعهم هم، وأنهم لن يرضوا عنك ستكون خاسراً، وفي الأخير مالك من الله أي طرف آخر بديل عن الله معناه: أن الله سيتخلى عنك، وفي الأخير لن تجد لك أي ولي ولا نصير {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ} مما سيأتيك من جانبه من عقوبة، وليس هناك أي طرف آخر تقول: يمكن أن يكون بديلاً لك فيكون ولياً ونصيراً، لا ليدفع عنك من الله، ولا ليكون بالشكل الذي تعتمد عليه في مجال اتباع أهوائهم .**

إذاً فإذا كان مثل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لو حصل منه ما هو اتباع لأهوائهم فسيعرض نفسه لخطورة بالغة جداً، والآية توحي بأنه سيأتي شيء من جهة الله، أعني: شيء من جهة الله هو يضرب، يضربه، وفي الأخير لا يكون له لا ولي ولا نصير في أن يدفع عنه ما يأتي من جهة الله.إذا كان الرسول نفسه هكذا لو حصل منه فكيف بالناس، فكيف بالآخرين ؟ أليس مقام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عند الله أعظم من مقام مجموع هذه الأمة بكلها ؟.

إذاً فهذا التهديد خطير جداً لو يتأمله الناس، لو يتفهمه الحكام، لو يتفهمه الكثير من المثقفين، الكثير من زعماء الأحزاب؛ لأنها تؤدي إلى خطورة بالغة جداً لأن الله قد قطع هنا المسألة: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى} (البقرة: من الآية١٢٠) إذاً أعلمك، أليس هنا قد أعلمك ؟ لأن هذا علم جاءك من عند الله بالنسبة لهذه القضية، لم يبق محاولات : أن تجري وراء أهوائهم على أساس أن تبحث في استرضاء حتى ولو كان عندك حسن نية، سواء بالنسبة للدين أن تكسبهم ليدينوا بما أنت عليه، أو من أجل مصلحة لأمة معينة، أو مصلحة وطنية كما يتشدقون بها الآن الكثير من الحكام: أنه فقط من أجل الحفاظ على المصلحة العامة للوطن .

{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة: من الآية١٢٠) لا يوجد ولي ولا نصير يدفع عنك سواء فيما يأتي عليك من الله سبحانه وتعالى كعقوبات إلهية، ولا فيما يأتي من جانب العدو نفسه من شر، لا يوجد ولي ولا نصير معهم إلا أن يرجعوا إلى الله ويدينوا بقطع، يقطعوا قطعاً بأن هذه قضية لا شك فيها، ويبنوا كل أمورهم، كل تعاملهم مع الآخر على أساس {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) هذه فيها تهديد خطير جداً لأنه عندما يكونون هم متوجهين لفرض أشياء علينا، ثم يقولون: تتقبلها، ثم أيضاً يترافق معها ترويج إعلامي[إننا هدفنا نحرركم ونبني أوطانكم، ونعمل كذا....] بل البعض يقولون: انظروا كيف أصبحت اليابان، وكيف أصبحت ألمانيا؟ أليست هذه الدول قد احتلت من قبل الأمريكيين، ثم انظروا كيف أصبحت؟

هذه أولاً: قضية خداع، ليست أمريكا هي التي بنت اليابان، اليابانيون أنفسهم هم، قالوا: إن الإقطاعيين في اليابان، الذين كانوا يمتلكون رؤوس أموال كبيرة تنازلوا عن نسب كبيرة جداً من أموالهم لتمويل النهضة العلمية من جديد، والنهضة الصناعية من جديد، هم تنازلوا عن ممتلكاتهم، وصلت اليابان إلى تحطيم بشكل رهيب، كذلك ألمانيا، ليس الأمريكيون هم الذين نهضوا بألمانيا، ولا الذين نهضوا باليابان أبداً.

هذه هي تقطع أي تفكير من هذا النوع بأنه: سهل تتقبلهم، هم هؤلاء يقدمون خدمات، ومشاريع وربما يفكون عنا الطغيان، وربما تتحسن وضعيتنا، وربما، وربما، وأشياء من هذه!الله يقول هنا: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة: من الآية١٢٠) هذا تهديد ستضرب، ستضرب الأمة هذه، أولاً: إن هؤلاء الأعداء ليس لديهم نية على الإطلاق، ليس لديهم نية أن يرتقوا بالشعوب، لو كانت النية هذه حاصلة لديهم لكانت السعودية، ودول الخليج على أرقى مستوى فيما يتعلق بنهضة علمية، وصناعية، لكن لا، هم لا يأتون ليبنوا الأمم إنما يأتون ليمتصوا دماء الشعوب كما عبر عنهم الكثير، في مقدمتهم [الإمام الخميني] سماهم: مصاصي دماء الشعوب.

ثم هذه القضية خطيرة تيئّس الناس تماماً، فلا يقبلون أي ترويج دعائي لتقبل أمريكا وإسرائيل ومن يدور في فلكهم على الإطلاق لأن معناها تهديد إلهي {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} إذا أنت تجد أنه يهدد النبي، فالتهديد لك وللأمة هذه بالأولى، بمعنى أنها قضية خطيرة لن يداهن فيها ويجامل فيها نبيه الذي اصطفاه وأكمله وهو يعرف بحسن نواياه، لن يتبع أهواءهم هكذا اعتباطاً، قد يكون مع حسن نية: إما من أجل نسلم شرهم مثلاً، أو من أجل عسى أن يصلحوا، أو من أجل أشياء من هذه .

إذاً ليس هناك أحد يحمل نفس النوايا الحسنة التي يحملها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أبداً، ومع هذا لو انطلق ليتبع أهواءهم، هم لا يمتلكون إلا أهواء، لا يمتلكون إلا أهواء، هل يمتلكون حقاً ؟ هل يمتلكون

ديناً حقاً؟ لا، وبالتأكيد لا يوجد مقابل الدين الحق، ومقابل الحق إلا أهواء، كلها أهواء، إذاً ستضرب الأمة عندما تتبع أهواء هؤلاء، وقد ضربت لحد الآن والله أعلم إلى أي مجال ستصل الضربة .

لاحظ علاقة الآيات التالية في الموضوع هذا نفسه {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) فعندما يقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى} (البقرة: من الآية١٢٠) أليس هذا من الكتاب الذي تتلوه؟ وتتلوه أنت يا محمد ؟ لأنه أول ما أنزل عليك، وأنت أول رجل أوتيته، يجب أن تكون مؤمناً به إيماناً قاطعاً {أولئك يؤمنون به وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (البقرة: من الآية١٢١) ستخسر .

البعض يفسر {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) معناها : يتبعونه حق اتباعه، هذا هو واحد من مصاديق تلاوته حق تلاوته، أن يتلوه حق تلاوته، كيف حق تلاوته؟ بتدبر بتأمل من منطلق رؤية واسعة كما قال الإمام القاسم: ((يجب أن تنظروا إلى القرآن ككتاب هداية)) كتاب هداية، وأنت تعرف سعة الهداية، وتعرف سعة هذا القرآن، وأنت تقرؤه وتتلوه من خلال مزج ما بين القرآن وما بين الواقع، مزج ما بين القرآن وما بين الحياة بشكل عام، وما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وأنت تقرؤه، هذه تلاوته حق تلاوته، ليس معنى تلاوته حق تلاوته قلقلة الحروف والغنة، وأشياء من هذه !

إذاً فمن واجب من أوتوا الكتاب: أن يتلوه حق تلاوته، وفي نفس الوقت يكونون مؤمنين به، والإيمان به إيمان تصديق، وإيمان عملي، يقطعون بالحقائق التي يقدمها، بالأخبار التي يتضمنها مثل هذه : {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) وكثير من أمثال هذه.

{أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) هذه توحي: بأن تلاوة القرآن حق تلاوته فعلاً تدفع إلى الإيمان به {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} لكن لم يتلَ حق تلاوته، تلي من الناحية الفنية، أن يكون الشخص الذي أنت تتلوه عنده يراعي الغنة [هل أنت مديت، جعلت الغنة بمقدار حركتين هنا، هل المد بمقدار أربع حركات، أو ست حركات ؟ هل أنت قرحت حرف القلقلة ؟] بعد ذلك يقول: باهر، ممتاز، يعطيك جائزة؛ أنك حصلت على درجة عالية في تلاوته !

لاحظ هذه الآيات عندما نقرؤها بهذا الشكل أعني: على هذه الطريقة نفسها، أليست تعطي القرآن في أنفسنا مكانة كبيرة جداً؟ وتجده كتابا يلامس القضايا، ويلامس الواقع فعلاً، وتجد فيه فعلاً، تجد فيه أيضاً المصاديق في واقع الحياة، في كل الإتجاهات، في الخارج، وفي الداخل، داخل الأمة الإسلامية، وخارج الأمة هذه. قد يكون من نعمة الله علينا: أن نكون في ظرف مليء بالأمثلة، واقع تستطيع أن تمثل من خلاله لكل شيء، تستطيع أن تقدم برهنة من خلاله فيجعلك تلمس القرآن وإذا هو كتاب حياة على طول يتجدد بتجدد الحياة، لا يكون عبارة بأنه حاولنا نأخذ ما بقي من القرآن، هو كتاب للحياة كلها، في كل جيل يخاطبهم هم، وفي كل جيل وكأنه نزل لهم، في كل جيل، هذا معنى حيويته، ليس معنى حيويته بأنه: طويل عمر لكن قد صار شيبة لم نعد نلحق منه إلا [عايل فكرة] قد صار شيبة، وقد أصبح ينسى أشياء كثيرة ! ما زال حياً لكن باقي حياة فقط، شيبة عمره طويل باقي حياة يمكن تسأله، وطلع لك [عايل فكرة] وأحياناً يغلط فيها، وتحاول تتأكد منه ! حيويته هذه حيوية فتوة في كل المراحل.

{يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:١٢٢) من رحمة الله الواسعة، والنظرة الواقعية بالنسبة للناس ككل، وهي النظرة التي يجب أن تكون عند من يهتدون بكتاب الله، في نفس الوقت الذي عرض فيه كثيراً من ماضي بني إسرائيل، الماضي المأساوي، الماضي الموحش، التاريخ الأسود في معظمه، عسى أن يكون هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل في أيام تنزله تنزل هذا القرآن، أن يكون هذا قد ترك أثراً لديهم، فيذكرهم من جديد: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} يذكرهم من جديد: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (البقرة:١٢٣).

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}(البقرة: من الآية١٢٤) **الكلام عن إبراهيم، إبراهيم باعتباره الشخص الذي يلتقي عليه الكل في تعظيمه، والذي يدعي كل من اليهود والنصارى بأنهم أولى به، قال في آية أخرى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا}**(آل عمران: من الآية٦٨) **إذاً سيعرض فيما يتعلق بنبي الله إبراهيم لهذا الإعتبار، باعتبارها قضية مساعدة إذا كان بنوا إسرائيل سيتذكرون فضل الله ونعمته عليهم، ويذكرون أن هذا هو أبوهم الأول، وهذا مما يدفعك إلى نوع تذكر: أن يذكر لك تاريخ جدك الأعلى الفاضل الذي كان على هذا النحو؛ لتقارن من خلال عرض نفسيته، عرض اهتماماته، عرض رؤيته هو الدينية بالنسبة للدين، رؤيته بالنسبة للأمة، اهتمامه بالأجيال من بعده لتقارن بين وضعيته وبين وضعيتك أنت عسى أن تهتدي.**

هذه قضية الناس يستخدمونها يقولون: [لاحظ أبوك كانه كذا وكذا، جدك كانه كذا كذا كذا...] ألست تعرض عليه كثيراً من القيم الفاضلة التي كان يتحلى بها جده؟ من أجل يتبعه من خلال المقارنة بين واقعه وواقع جده عسى أن يرجع إلى ماكان عليه جده.

نبي الله إبراهيم قُدم في القرآن بشكل رائع جداً: نبي من أعظم الأنبياء فعلاً ابتلاه الله سبحانه وتعالى بكلمات، كلمات يعني: قضايا نحن لا نعرفها ما هي بالتحديد، قد يكون منها مثلاً تلك الرؤيا التي رأى فيها :أنه يذبح ابنه، قضايا يتبين من خلالها سمو نفسيته، وطهر نفسيته، وتسليمه لله، وجدارته بهذا المقام الرفيع الذي آتاه الله فيما بعد: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً}(البقرة: من الآية١٢٤) **هذه الكلمات ليست كما يقول البعض :[هي حلق العانة، ونتف الإبط، وقص الشارب ...]وأشياء من هذه! ليست هي ابتلاءات تكشف واقع الشخص، ومدى جدارته بتحمل مسئولية معينة، والوصول إلى مقام معين [نتف الإبط، وقص الشارب، وحلق العانة، وقص الأظافير....]إلى آخره.**

{فَأَتَمَّهُنَّ} نجح في الإمتحان {فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً}(البقرة: من الآية١٢٤) **هذا المقام الرفيع، وما يزال إماما للأنبياء، وإماما للبشر، وكل يدعي بأنه يأتم به من البشر جميعاً ممن لديهم عناوين دين {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} ليست فقط مجرد منصب، مؤهلاته هو، ما يزال يوحي، من خلال حركته، من خلال نفسيته، من خلال مواقفه يأتم به الناس، يأتمون به، يقتدون به ؛ ولهذا إن الله سبحانه وتعالى في آية أخرى ألم يذكر فيما يتعلق بالبراءة من الكافرين أنه قال: أنه يجب أن يتأسوا بإبراهيم، والذين معه {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}**(الممتحنة: من الآية٤) **نبي الله إبراهيم مع سلسلة الأنبياء من قبله، ومن بعده قدموا في آية ليقول لرسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله): **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**(الأنعام: من الآية٩٠) **قدم له هذه القائمة الطويلة، وفي نفس الوقت حركتهم في تبليغ الرسالة، وأهم نماذج فيها، يستلهم منها، يستوحي منها، يأخذ منها ما يساعده في مجال حركته في تبليغ الرسالة .**

نبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى، وعيسى، وكل الأنبياء هم ما يزالون يعطون من خلال ما عرضه الله من حركتهم، من أعمالهم، من مواقفهم، فيها ما يستلهم الإنسان منها الأشياء العظيمة، في مجال العمل، في مجال الحركة، في مجال الإخلاص لله، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى .

{قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}(البقرة: من الآية١٢٤) **نبي الله إبراهيم وهو يعرف عظمة دين الله سبحانه وتعالى هو يعرف أنها سنة إلهية لا بد أن يكون للناس أئمة يهتدون بهم {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}**(البقرة: من الآية١٢٤) **أي: واجعل من ذريتي، نبي الله إبراهيم يعرف أن المسألة هنا ليست مسألة منصب متوارث، منصب متوارث، أو مؤهلات فردية، أنها :قضية هي مختصة بالله، هو الذي يجعل، هو قال هناك: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً}**(البقرة: من الآية١٢٤) **هل قال: [إذاً ما دام قد جعلني للناس إماماً إذاً قد الجهال الكبير الكبير سوف يتحولون أئمة؟] هو يعلم أنها قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى، وليست عبارة عن إعطاء منصب بقرار: أن هذا ولي العهد، فيكون هو الملك من بعد، أو أن هذا هو الإمام من بعد بمجرد قرار!**

إن الله هو الذي يجعل هنا قال: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} (البقرة: من الآية١٢٤) أي: واجعل ياإلهي من ذريتي أئمة للناس {قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٢٤) لاحظ خطورة المسألة هنا من خلال مقت الله سبحانه وتعالى للظالمين، وكيف يجب أن يكونوا بعيدين كل البعد عن ولاية أمر الناس، عن أن يقدموا أنفسهم كهداة للناس، أو قادة للناس، ما هنا برزت أول عبارة قبل أن يقول تمام؟لم يعد يظهر إلا في مضمونها إقرار أنه سيجعل من ذريته أئمة، في مضمون العبارة هذه التي تكشف أهمية كبيرة عن ماذا؟ عن خطورة الظالمين، وعن بعدهم أنه يجب أن يكونوا بعيدين على مسافات شاسعة جداً عن ماذا؟ عن أن يكونوا أئمة للناس .

أيضاً قال مما يؤكد أن المسألة هي اختصاص إلهي: عهدي، {لا يَنَالُ عَهْدِي} (البقرة: من الآية١٢٤) ألم يسمه عهده ؟ أي لن يعهد إليهم، ولن يعهد إليهم ليس معناه: فقط أن لا يعطي قراراً، قضية أن يعهد هي الإعطاء، وفي نفس الوقت اصطفاء، في نفس الوقت بناء لأن قوله: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} (البقرة: من الآية١٢٤) مثلما قلنا سابقاً ليست بمعنى قرار فقط، تأهيل لهذا الرجل أن يكون بالشكل الذي لا يزال يأتم به الأجيال جيلاً بعد جيل، ولا يزال يأتم به، ويستوحي منه، ويستلهم من مواقفه، وحركته، ومشاعره الأنبياء من بعده بما فيهم أعظم الأنبياء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً} (البقرة: من الآية١٢٥) لاحظ هنا قضايا كبيرة تقدم في الموضوع إبراهيم كإمام للناس، يعتبر شيء يمثل ركناً، ركن في ماذا؟ في سلسلة الدين، أو ركن في موضوع الهداية يقتدي به الناس بما فيهم الأنبياء (صلوات الله عليهم) دوره هو أشبه بدور البيت، سيأتي في البيت أيضاً هناك فيما يتعلق بالبشر كبشر من داخل البشر، وهنا فيما يتعلق بماذا؟ بالبيت الحرام مأوى يأوي إليه الناس، يثوب إليه الناس، يرجعون بطريقة متجددة .

هذه تعني عندما يقول: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} (البقرة: من الآية١٢٤) أن محور القضية هنا الإمامة {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} بمعنى: أن البشر يحتاجون إلى نوعية من الهداة على هذا النحو، أنهم يعتبرون قطباً بالنسبة للبشر كما يكون البيت نفسه، البيت له دور والإمام له دور. هذا فيه رد كامل فيما يتعلق بمفهوم ولاية الأمر الذي قدم حتى عندنا في كتبنا في كتب [الزيدية] قدم بشكل بعيد عن موضوع الهداية، خاصة في الأجيال المتأخرة، تقريباً في الثمانمائة سنة المتأخرة نتيجة [أصول الفقه] و[علم الكلام] وهذه الأشياء، جردوا المسألة من أهم قضية مرتبطة بها وهي ماذا؟ هداية الناس، هداية الناس، أعني: تربية الناس، وتوجيه الناس، وتوعية الناس، تثقيف الناس، بناء الأمة، القضية المهمة جداً جداً!.

جعلوا ولاية الأمر عبارة عن ماذا؟ عن رئاسة عامة، رئاسة عامة، منصب هناك: يجيش جيوش، ويستلم زكاة، ويعين ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم الحدود على من زنا، أو سرق، ويقيم القصاص، وانتهى الموضوع! القضية هامة جداً، دوره قطب بالنسبة للبشر قارن بينه، وبين الكعبة أعني: في الدور العام، في الدور الهام، في سعة الدور، في سعة دوره.

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً} (البقرة: من الآية١٢٥) يثوبون إليها، يلتقون إليها، هي بيت سميت بيت الله، معلما من معالم دينه، من معالم توحيده، من معالم ربوبيته، وألوهيته، نفس الكعبة يثوب إليها الناس بطريقة مستمرة، يعودون إليها، يعودون إليها؛ لأن ثاب إلى الشيء بمعنى: رجع، فكأن الناس وهم دائماً يعودون إلى الكعبة، يعودون إلى الكعبة باستمرار، هذا معنى يثوبون إليها .

لها قيمة هامة جداً فيما تعطيه من معاني، فيما تعطيه من مشاعر، فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، الإنسان عندما يكون قريباً من الكعبة يشعر وكأنه قريب في أجواء تجعله قريباً من الله، في أجواء تراها دينية، ترى مشاعر الناس هناك كلها مشاعر دينية، مشاعر توجه إلى الله، كل واحد يشعر وكأنه قد وصل إلى المكان الذي قد هو قريب من الله جداً. يثوبون إليها التقاؤهم المتكرر هو وسيلة من وسائل بث الهدى والوعي فيما بينهم بطريقة مستمرة .

لهذا كان الحج مهماً جداً، وما يزال الأعداء من اليهود والنصارى ينظرون إليه كقضية خطيرة جداً أي: أن هذه الأمة ما تزال تمتلك نقطة تمثل قوة بالنسبة لها، وإيجابية كبيرة بالنسبة لها، وعامل من عوامل إمكانية توحدها، إمكانية نقل المفهوم الواحد فيما بينها، تعميم المفهوم الواحد، والرؤية الواحدة فيما بينها، اطلاع البعض منهم على ما يعاني البعض الآخر، من خلال التقاءاتهم، لهذا عملوا من زمان على تفريغ الحج عن محتواه، تفريغ الحج عما يمكن أن يعطيه من إيجابيات بالنسبة للأمة وبعدما ظهر [الإمام الخميني] وحاول أن يستغل الحج لتذكير المسلمين، وكان يصدر بياناً في الحج، ويوزع لأنه من هنا تنطلق الأشياء إلى مختلف بقاع الأرض أي: تمثل مؤتمراً هاماً جداً لا يستطيع أي طرف أن يمول كمثله كل سنة؛ لأنها جاءت قضية عبادية ينطلق فيها الناس هم، كل إنسان يذهب هو بتمويل نفسه فيلتقي الملايين هناك، أي دولة تستطيع أن تمول ولو مليون كل سنة أن يجتمعوا هناك؟ لا تستطيع أي دولة .

وهذه واحدة من الأشياء التي تلمسها أنها في تشريعات الله سبحانه وتعالى قضايا هامة، وتجدها بالشكل الذي ليست مكلفة، ليست مجهدة، بهذه الطريقة التوزيعية، طريقة: الإنسان هو يتحمل مسئولية، ومتى ما استطاع أن يحج حج، يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ينتج لك في الأخير مجتمع كبير، أمة كبيرة تلتقي في ميدان الجهاد، تلتقي في ساحات البيت الحرام، لا أحد يستطيع أن يمول تلك الأعداد، وتجد الموضوع بالنسبة لهم غير مجهد، غير مرهق، غير مثقل لأنه ماذا؟ ثقل توزع، توزع وأصبح بالنسبة لكل واحد في الأخير لا يشكل عبئاً بالنسبة له، لكن المجموع لو كان على حساب جهة واحدة لكان ـ فعلاً ـ يمثل عبئاً كبيراً جداً، يطلع لك في الأخير أرقام هائلة .

لهذا نقول: إن هذه رؤية فيما يتعلق بالمجاهدين، أو نقول: بالجيش، الجيش في الإسلام كيف هو؟ هل هو جيش نظامي يمول من أموال الأمة فتنفق الملايين بل المليارات في سبيله وفي الأخير تراه لا يقدم شيئاً ؟! أم أنه جعل المسئولية: أنه كل إنسان يعتبر جنديا، ينطلق هو، وبأمواله، ومتى ما حصل قدرات معينة تمول تمويلاً إضافياً، أو تمول من ليسوا مستطيعين على الإطلاق، في الأخير ترى أمة يتحول الناس فيها كلهم إلى جنود، فيرى العدو أن أمامه ملايين البشر كلهم جنود.

من الذي يستطيع أن يؤلف جيشاً من مليون جندي نظامي ؟ يعتبر رقماً مكلفاً جداً، وباهظ التكاليف جداً، ويصل ضرره على الناس بشكل كبير أعني: بفارق ملموس، يصل ضرر الإنفاق، عندما تتولى مثلاً دولة، تتولى تكوين جيش نظامي، وتنفق عليه من الأموال العامة للمسلمين، سترى الضرر يلحق عليهم، وترى الثقل يصل إلى كل شخص منهم بالشكل الذي لا يحصل مع انطلاقتهم على حساب أنفسهم، أليس هذا شيئاً غريباً فعلاً ؟ شيء غريب فعلاً: أنه لماذا نفترض أنه قد يكون مليون جندي يكلفون مثلاً تمويلهم للتحرك في اتجاه معين، أو في ظرف معين مثلاً مليار دولار إذاً مثلاً سيكلف مليار دولار فلتنفق الدولة المسلمة من نفس المال العام مليار دولار في النفقة، لو تنفق هذا المبلغ ستجد أنه مثلاً سيلحق أضراراً بالأمة من الناحية الإقتصادية، سواء فيما يتعلق بغلاء معيشة، أو بأي اعتبار معين، أو فقد خدمات هامة جداً بالشكل الذي تعتبر شديدة الوطأة عليهم هم أكثر من ذلك المليار الذي هو متوزع هو من داخل أموالهم الخاصة هم .

فالحج تراه مهماً جداً، وجعل على هذا النحو: الإنطلاقة من جهة كل إنسان هو على أساس الشعور بالمسئولية، وأن هذه فريضة يؤديها، ويمول نفسه هو فيجتمع لك في الحج ثلاثة ملايين ـ مثلاً ـ كم تكلفتهم الباهضة لو كان على حساب جهة معينة ؟ لا أحد يستطيع أن يمولهم .

هذه المقومات الأساسية الهامة للأمة التي عبرت عنها هاتان الآيتان: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً}(البقرة: من الآية١٢٤) **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ}**(البقرة: من الآية١٢٥) **عندما لم تعد القضية على هذا النحو في الأمة ما الذي حصل؟ ضاعت الأمة فلم يعد البيت، ولم يعد الحج بالشكل الذي يعطي الإيجابية، ولم يعد لدى الأمة قيادة واحدة على هذا النحو: القيادة التي هي ماذا؟ امتداد لقيادة إبراهيم، وقيادة محمد (صلوات الله عليهما).**

لديك الآن [٥٧ قائداً] ماذا عمل هؤلاء أمام مجموعة من اليهود؟ لا شيء، و[٥٧ قائداً] تحتهم كم؟ مليار وثلاثمائة مليون مسلم، وتحتهم ثروات هائلة جداً، وتحت أقدامهم منطقة استراتيجية هامة جداً، وتراهم لا

شيء، لا يجرؤون بكلمة واحدة إلا القليل منهم، وعندما يتكلم القليل منهم يكون الآخرون بالشكل الذي ربما مستحيل عندهم أن يستجيبوا لكلمته، وأن تنطلق إلى مواقف عملية جادة، لايوجد.
إذاً فقدت الأمة شيئين هامين جداً تعتبر من أهم المقومات لبناء الأمة، وأن تكون أمة لها فاعليتها، أمة مؤثرة في حركتها، أمة لا يمكن أن تصل إلى الوضعية التي وصلت فيها الآن.
{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً}(البقرة: من الآية١٢٥) **في نفس الوقت أمناً لا يجوز لأحد أن يعمل أي شر بالآخرين في محيط ذلك البيت نهائياً ؛ لهذا كان دخول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى مكة بطريقة حكيمة يتفادى معها أي إضرار بشخص حتى من الكافرين داخل مكة حتى من أعدائهم وهم لا يزالون أعداء كافرين داخل مكة. فتح مكة ما أظن أنه حصل فيه أي حادث على الإطلاق نهائياً ترتيبات دقيقة جداً حقق من خلالها فتحاً لمكة، وانكسار شوكة الكفر نهائياً مع الحفاظ على حرمة البيت الحرام، وعلى هذه القاعدة الإلهية: أنه جعله مثابة للناس وأمناً .**
ولهذا كان جريمة كبيرة جداً: عندما قتلوا العشرات من المسلمين في [عام ١٤٠٧هـ] السعوديون وقع منهم تلك المجزرة الرهيبة جداً قتل فيها أكثر من أربعمائة شخص والله قد حرم قتل صيد حمامة جعل لها حرمة، حرم صيدها، وهؤلاء قتلوا أربعمائة؛ ولهذا ترى من بعد ما عاد قامت لهم قائمة الدولة السعودية ما عاد قام لها قائمة فعلاً؛ لأن الله قال: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(الحج: من الآية٢٥) **تدهورت دولتهم من ذلك اليوم إلى الآن، ولا تتوقع لها أن تنهض، لا تتوقع لها أن تنهض على الإطلاق إلى الأفضل إنما انحطاط إلى أن تتلاشى، وتنتهي بخزي، وعذاب أليم، عذاب نفسي والله أعلم ماذا سيكون من أنواع العذاب .**
قضية ليست محط اجتهادات، ولا تأويلات على الإطلاق عندما انطلقوا مجموعة من جمعية العلماء، أو لجنة كبار العلماء، وقالوا بعد تلك الجريمة الكبيرة: إن الدولة السعودية لم تقم إلا بما وجب عليها! لاحظ الآن كيف هم أخزوا هم، تراهم الآن أصبحوا في وضعية ـ تقريباً ـ سيطر على مشاعرهم: أن يتأقلموا مع الكافرين، أن يتأقلموا مع اليهود والنصارى وما تمليه أمريكا عليهم .
البيت جعله الله مثابة للناس لا يجوز لأي طرف أن يتحكم فيه بما يحول دون أن يصلوا إليه، بل واجبه أن يقدم خدمات، وليس أن يحول لا بفرضيات معينة، أعني أن المفترض أن البيت الحرام في الحج إليه، واعتماره يكون له طرق سالكة لا تتوقف لا على [جوازات]، ولا على أي ترتيبات من هذه الأشياء التي يعملونها، إلا فقط الجوانب الأمنية التي تعني: خدمة، خدمة: تفتيش لا بأس تفتيش، مراقبة الحجاج يعني هؤلاء من منطقة كذا، وهؤلاء الحجاج من منطقة كذا، إحصائية من أجل ماذا؟ لتقديم خدمة أمنية .
عندما يكون هناك مبالغ تؤخذ سواء في البلد الذي أنت تحج منه، أو من نفس الدولة التي تهيمن على هذا البيت الحرام، وعلى المشاعر المقدسة، تطلع لك تكلفة الحج في الأخير بحوالي [٥٠٠٠ ريال] هنا وأنت في أقرب منطقة إلى البيت الحرام، كيف ستكون التكاليف بالنسبة لمسلمين آخرين من بلدان أخرى من الهند من الصين من بلدان أخرى كم ستكون تكاليفهم؟
إذاً فهذه جريمة في نفس الوقت المفترض أنه لا يترتب لأن الله جعله للناس، مثابة للناس، لا يجوز لأي جهة أن تهيمن عليه، وإنما تعتبر خادمة له، ولمن يحج إليه، وكان المشركون، كان المشركون يتنافسون على خدمة الحجاج، وكان البعض منهم يعدون الشراب، وأناس منهم يعدون الطعام يفتّون للحجاج مع اللحم، الخبز مع اللحم، مع غيره، يطعمونهم، يتنافسون على خدمتهم، وهؤلاء يقولون: ضيوف الرحمن، ويختلسونك وأنت ما زلت هنا تقطع [جواز] وأنت ما زلت تقطع جوازا هنا محسوب حوالي [٥٠٠ ريال] محولة هناك لمكتب الوكلاء الموحد سعوديون، وتدخل والأشياء ترتفع أسعارها، يرفعون أسعار الأشياء أسعار الشقق السكنية، أسعار المواصلات، السيارات، أسعار المأكولات المواد الغذائية، أسعار كل شيء ترتفع وتضّاعف بنسبة هائلة، لا يتركون الوضعية على أقل تقدير يتر كون الوضعية وضعية طبيعية .
إحدى المرات في مكة استأجرنا [شقة] بأربعة آلاف تقريباً وخمسمائة ستة أيام، نسأل واحد مستأجر قال هو مستأجر الشهر بسبعمائة ريال، الشهر بسبعمائة ريال لماذا حجاج بيت الله تستغلونهم بهذا الشكل ستة أيام

بأربعة آلاف وخمسمائة ريال؟ بينما الشهر بسبعمائة ريال في الأوضاع العادية، يجب عندما يقول الله سبحانه وتعالى {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا} (البقرة: من الآية١٢٥).

يجب أن تكون حركة من يرون لأنفسهم أن هناك حقوقاً معينة، أو اعتبارات معينة أن يكونوا قائمين على ما يتعلق بالمشاعر المقدسة أن يكون كل عملهم في هذا الإطار، أعني :فيما يسهل أن يكون مثابة للناس وأمناً فيثوبون إليه، فيما يسهل عملية أن يثوبوا إليه، أن يترددوا عليه ليحجوا ويعتمروا، أليست تقتضي أشياء كثيرة وتسهيلات يترك طريقا سالكة هناك [خط] إذا هو يريد أن يقفل على مدن أخرى حتى لا يدخلها أحد، يترك خطاً سالكاً لمكة والمدينة والمشاعر المقدسة ما تربطه بأي شيء، حتى لو تريد تعمل عليه [شبك] اعمل على بلادك شبك إذا أنت تريد تهيمن عليها، اعمل عليها شبك حتى لو تريد أن تسقفه، اتركه خطا سالكاً ولا يكون مرتبطاً بأي رسميات على الإطلاق، جوازات معينة، أشياء معينة. لم يكن بهذا الشكل مئات القرون في تاريخ الأمة هذه، كان يحج من يحج، ويحج الناس بتكاليف بسيطة جداً .

{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (البقرة: من الآية١٢٥) **أمر من الله لما لهذا من أثر نفسي، ولما لهذا من ربط تاريخي، ربط روحي، هذه قضية هامة، استشعار وحدة المسيرة الإلهية، وأن تبقى آثار من آثار إبراهيم، مقام إبراهيم لا يزال باقياً تصلي بالقرب من ذلك المكان، يربط مشاعرك بإبراهيم، هذا يلهم فيما يتعلق بماذا؟ بالإقتداء، فيما يتعلق بالسلوك؛ لأن قضية الآثار، الآثار الدينية التي تمثل معلما من معالم مسيرة الدين يكون لها أثرها الروحي في الناس .**

هذا يبين أهمية الآثار، المعالم الدينية فيما تتركه من أثر في النفوس، والأعداء يفهمون هذه؛ لهذا حاولوا في كثير من الآثار الدينية، في مكة والمدينة أن يجردوها تماماً من أي شكلية يجعلها توحي بهذا الشكل، مسجد معين يحولونه، ويغيرونه إلى نمط جديد من البناء فلا تعد ترى فيه أي أثر إلا أنه بني في عام ألف وأربعمائة وكذا! أعني قبل عشر سنين ثمان سنين لم تعد الآثار الإسلامية باقية .

كان المفروض حتى مسجد رسول الله (صلوات الله وعلى آله) **يحافظون عليه بشكليته، يحافظون على نمط المدينة بشكليتها يعملون لهم عمراناً خارج محيط هذه، ويجعلونها منطقة غير قابلة إلا فقط للترميم على نفس النمط، كما يعملون هم بماذا؟ بآثارهم هم، آل سعود، قصر [الديرة] في الرياض تراه يملجونه بطين، ويتركون بابه على ما هو عليه، بنفس النمط الذي هو عليه من يوم أن اقتحمه[عبد العزيز]،لأن عبد العزيز اقتحمه وقتل الأمير الذي كان فيه .**

تلاحظ كيف كانت فعلاً قضية تؤكد: بأن الأشياء التي تعتبر من الأساسيات في معتقدات الوهابية: نسف الإلتفاتة الدينية لآثار إسلامية، أو معالم دينية، قالوا: شرك! أن هذه فعلاً عندما تقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب، وتنظر فعلاً إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء الذين يحاولون أن يزيلوا الأشياء التي هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الديني إلى بداية حركتة في الإسلام [شرك شرك، شرك] كلها يحاولون أن يغيروا معالمها مهما أمكن، يغيرون معالمها تماماً، ولا يتركونك ترى الكثير منها ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس، فراغاً روحياً ينسف ذلك التأثر الذي ماذا؟ له قيمة إيجابية، وتربطك بتاريخك الديني .

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، أليس الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث؛ ولهذا عندهم قضية هامة موضوع التراث، لكن التراث الجاهلي يهتمون به أما التراث الديني يحاربونه، كلهم يحاربونه، كلهم يحاربونه، الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نسف معالم الدين، وآثار الدين ! حتى أنهم حاولوا في مرحلة من مراحل حركتهم الوهابيين أن يدمروا قبة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **!**

يحاولون في ترتيبات بناء المسجد، وزيارة قبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن تكون بالشكل الذي لا تتمكن أن تراه، أو تستحضر في ذهنيتك: أن هناك داخل هذا المبنى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فقط ممر واحد، وممر ضيق، ومجموعة من المطاوعة، والجنود يدفعونك: [هيا، تحرك !] باب واحد تدخل من**

باب، وتخرج من باب بسرعة [هيا بسرعة] لا يتركونك تلتفت لشيء، لا يتركونك تبقى تستحضر في ذهنيتك، تعود إلى ما قبل ألف وأربعمائة سنة أبداً! ألم يكن بالإمكان أن تكون الزيارة ممرين ؟ كان بالإمكان أن تكون ممرين، لكن لا، ممر واحد فقط وبسرعة هيا! محراب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يضعون فيه مجموعة كراسي، يملؤونه بالكراسي لا يتركونك تجلس فيه، أو تصلي فيه كل هذه الأشياء [بدعة، شرك، هيا، لاتلمس شيئاً]عندما تلمس شيئاً يبدو وكأنك تلمس شيئاً يعود بذهنيتك إلى قرون من تاريخ الأمة هذه يقول لك: ممنوع! وبطريقة وقحة، بعض المطاوعة يركلون الناس بأقدامهم، يركلونهم فعلاً، يدفعونهم، ويركلون بعضهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنه حاول أن يلمس قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقبِّلها! لكن اذهب لتقبِّل جنب الأمير لا يوجد مانع، قبِّل جنبه، قبِّل يده وهو حتى لا يبادلك التقبيل يبقى واقفاً وهم يقومون بتقبيله في جنبه، أو يقبلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا! لكن هناك، لا، ممنوع!

لاحظ مثلاً من الناحية العملية! ولهذا قلنا: إنه يجب ممن يرون أنفسهم قائمين بشئون البيت الحرام أن تكون كل أعمالهم بالشكل الذي تسهل عملية أن يثوب الناس إلى هذا البيت، وأن يكون مكاناً آمناً، مكاناً آمناً تأمن فيه على أموالك، وتأمن فيه على نفسك، تأمن فيه على وضعيتك، لا تكون هناك ولا تدري كيف، أنت تريد مثلاً تنام فأمامك مباني الغرفة ـ مثلاً ـ بخمسمائة ريال سعودي أو بأكثر خلال أيام معدودة، حتى الإجار يرفعونه بشكل كبير، يستغلون هذا المكان الذي هو للناس جميعاً ويبنون فيه مباني شاهقة، وفيها مئات الغرف، ويؤجروها بأغلى الأثمان، أليس هذا استغلالاً لما قد جعله الله للناس جميعاً، المهمة هذه قال الله عنها: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (البقرة: من الآية١٢٥) **أن يكونوا خادمين لهذا البيت، نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل أنبياء من أعظم أنبياء الله، مهمتهم رعاية هذا البيت، وتسهيل مهمة الطواف، والركوع والسجود، أي أن يكون هذا البيت بالشكل الذي يستطيع الناس أن ينالوه وبخدمات تتوفر لهم حتى يثوبوا إليه، ويقوموا بتفاصيل عبادية تؤدى نحوه.**

{ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} وهو الذي قال له في آية أخرى {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} (الحج: من الآية٢٧) **أليس هؤلاء الناس وهم يتجهون إلى البيت الحرام، ويطوفون حوله، ويصلون حوله، يجعل من مهامه الرئيسية: أن يكون خادما لهؤلاء، يحاول أن يكون خادماً لهذا البيت بالشكل الذي يسهل عملية العبادة عند هذا البيت، وأن يحج إليه الناس، ويثوبوا إليه.**

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِنا} (البقرة: من الآية١٢٦) **لأنه يعرف أن يكون هذا المكان هو مثابة للناس أن الجانب الأمني مهم، الجانب الأمني سواء من الجهة التي تعتبر نفسها قائمة عليه، أو فيما بين الناس أنفسهم، عندما تلقى من اعتدى عليك، عندما تلقى قاتل ابنك، أو قاتل أبيك، أو أي شخص ليس محلاً أبداً أن تنتقم فيه من أحد {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** (البقرة: من الآية١٢٦) **كيف اهتمام الأنبياء أنفسهم، اهتمام الأنبياء بما هو من معالم دين الله، واهتمامهم أيضاً فيما يتعلق بالناس، وبالذات الناس القريبين من هذا البيت الحرام لئلا يصبحون أناساً يستغلون الوافدين إليه، وفر لهؤلاء، أرزقهم، وليس فقط سيدعو لهؤلاء فقط؛ لأنه عندما يكون المحيطون لهذا البيت، ومن هم في طريق الوصول إلى هذا البيت الحرام رزقهم متوفر قد يشكل هذا أمناً بالنسبة للناس، أمناً من السطو على ممتلكاتهم، وأمناً من استغلالهم، استغلالهم في أقواتهم، استغلالهم في توفير المسكن والطعام والشراب لهم، لكن عنده كراهة شديدة بالنسبة للكافرين بالنسبة للظالمين {مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** (البقرة: من الآية١٢٦) .

لاحظ من الناحية الأمنية أنه حتى ولو هم أناس عاصون في ذلك المحيط قد يهيئ الله أرزاقهم رعاية لمن؟ رعاية لمن يفدون إلى هذا البيت؛ ليكون فيما يتعلق بالجانب الأمني يتوفر للناس أمن، ولكن اتركهم يعتبر متاع بالنسبة لهم قليل { ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} .

إذاً فهذه ترد على من يقدر بأنه أولئك الناس هم على حق بحجة أنه لاحظ كيف الباري مدهم! كان يمد قريشاً {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} وهم مشركون لكن على هذه القاعدة: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً} (البقرة: من الآية١٢٦) **ممكن حتى ويتوفر له رزقه لكن وسيؤاخذ مؤاخذة شديدة، لماذا يوفر له رزقه؟ لأنه عسى أن يكون في توفير رزقه مأمن من أن يسطو على الآخرين، ويستغل الآخرين الذين يثوبون إلى هذا البيت، ويتجهون إلى العبادة التي هي مرتبطة بأدائها على نحو معين عند ذلك البيت، ليس معناه أنه عندما أعطاهم أنهم أهل الحق، وأنه قد اعتبرهم أهل الحق؛ لأن الباري قد أعطاهم بترول، وأعطاهم، وأعطاهم، وأشياء من هذه ! لا، ستكون هذه مسئولية كبيرة جداً، وخطورة بالغة جداً عليهم عندما يتوفر لهم الرزق؛ ومن الإعتبارات الهامة في توفيره من أجل الآخرين، ثم تراهم يستغلون الآخرين، أي يتوفر لهم الرزق هناك بالشكل الذي يستطيعون أن يقدموا تسهيلات كبيرة جداً للحجاج، وليس أن يأخذوا منك خمسمائة ريال سعودي مقابل استخدام [الزفلت] استخدام الخطوط!**

إذاً ما هي الأشياء هناك التي تأخذهامجاناً ؟ هل هناك شيء؟ لا يوجد، بل تأخذ بأغلى الأثمان، أحياناً يصل نقل الحجاج من منى إلى مكة بخمسين ريال سعودي فوق شبك الباصات، وهي بريالين في الوضعية العادية، في غير الحج بريالين فقط، تنقل من منى إلى مكة بريالين فقط قالوا .

{وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية ١٢٦-١٢٨) **هنا يقدم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية، واهتمام عالي، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب إلى الله بكل عمل ممكن ينالونه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده وبإخلاص لله {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} لاحظ كيف فيما يتعلق بالمسئولية أليس شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فرأوا أن الكثير مما حصل لهم بحيث أن فيهم أنبياء وورثة كتب، وأشياء من هذه، ونعم وأشياء وكأنها جدارة، هم جديرون، هم جديرون، فليس لله فضل!**

هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحظ أليس هنا ذائبا في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسيا موضوع [إذاً والله شرف عظيم حظيت به] وناسي أنه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه، ذائب في الله، وفي العمل الصالح الذي يرضي الله {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} هم يعرفون أهمية البيت الحرام كمعلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة، يتوجه إليها عباد الله الموحدون {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا ألست تلمس أنه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرقاً لمشاعر: أنه نبي، أنه عظيم، أنه جدير بهذا؟ لا توجد هذه، كل ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلّماً نفسه تماماً لله، يخضع نفسه لله، ويستغرق كل ذهنيته كل تفكيره الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في معرفة الله، وفي حب الله، التسليم لله.

{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) **حريص أنهم يجمعون معهم كما أمكن، وبالذات ذريتهم لأن الشيء بالنسبة لك يؤلمك جداً: أن يكون ابنك، أو ابن ابنك، ذريتك ينشئون نشأة كافرين بالله، أليس هذا يؤلمك أكثر بكثير، يؤلمك جداً، إذاً فهم حريصون بالنسبة لذريتهم أن ينشئوا على نفس الطريقة، أمة مسلمة لك، لا يوجد مسألة: يهودة ونصرنة، وعناوين قومية من هذه، كل العنوان لديهم: مسلِمَين لك، أمة مسلمة لك، ألم يتحدث هناك عن بني إسرائيل سابقاً: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}** (البقرة: من الآية١١٣) **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى}** (البقرة: من الآية١١١) **يقدم القضية الهامة هي: التسليم لله، التسليم لله هذا هو العنوان الرئيسي لدينه.**

{وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا} (البقرة: من الآية١٢٨) أوضح لنا مناسكنا التي نؤديها، نتعبد لك بها {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٨) لاحظ هذه المشاعر الهامة جداً والتي يجب أن يكون عليها أي إنسان مؤمن {وَتُبْ عَلَيْنَا} وهم ماذا يعملون؟ كثير من الناس يقولون: الله غفور رحيم وهم يعملون معاصي! هذا يقول: {وَتُبْ عَلَيْنَا} وهو يرفع قواعد البيت الحرام في عبادة من أرقى العبادات، يقيم معلماً من معالم دين الله في الأرض للناس جميعاً يقول: {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٨) القرآن هنا يقدم لك حتى مشاعر أنبيائه، وأوليائه.

بعضهم يقول: القرآن ما أحد يعرف ماذا يأخذ منه، أو يقول: فقط! أمام القرآن ! يشخّص لك الناس، يشخص لك الأمم، يشخص لك مشاعر، وليس فقط يقدم لك سيرته، يقدم سيرته، أو عبارات من عنده يقولها في مقامات معينة هي بالشكل الذي تشخص لك مشاعر هذا الإنسان العظيم، أو تشخص لك مشاعر الإنسان السيء مثلما تقدم عن بني إسرائيل الذين قال عنهم سابقاً: {وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} (البقرة: من الآية١١٨).

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة:١٢٩) هو قال هناك: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) {وَابْعَثْ فِيهِمْ} في ذريتنا هذه {رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٩) هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفا بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علّم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} (محمد: من الآية٧) أن يدعوه، لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى .

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟

فيما يتعلق به هو ألم يقل: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} (البقرة: من الآية١٢٤) فقضية رسول، أن يبعث رسول هنا، أو رسول لزمان معين ليست قضية فقط خاضعة لموضوع الدعوة قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى. إذاً فقد يكون إبراهيم فعلاً على علم بأن الله سيبعث من ذريته في مكة في ذلك المكان رسولاً منهم: يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، لكن يدعو مع ذلك يدعو، وهو يدعو هو يعتبر هذه نعمة عظيمة جداً، أليست تعتبر نعمة عظيمة جداً؟ يعتبرها منحة إلهية جليلة، ويبقى في نفس الوقت مرتبطاً بالله، مشاعره مرتبطة بالله في إنجاز وعده ؛ تعطي الإنسان المؤمن فيما يتعلق بذريته اهتماماً أن يكون حريصاً على أن يكون ذريته على هذا النحو: ينشئون نشأة مرتبطين بالله، مسلمين لله، علومهم على هذا النحو: يتعلمون كتاب الله، والحكمة التي تضمنها كتاب الله، ويزكون أنفسهم على أساس هدي الله.

فالكثير من الناس لا يلحظ هذه، كثير من الناس يكون فارحاً بولده ماذا سيجمع ويوفر، ماذا سيعود به من غربته أو كسبه ؟ لا، لاحظ هذا الجانب المهم عند إبراهيم: أن تكون ذريته على هذا النحو: مسلمة لله، وأن تحظى ذريته بذلك الرجل العظيم الذي يعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها.

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} (البقرة: من الآية١٣٠) هذه ملة إبراهيم ليست تلك الملة التي سيأتي في الآية بعد: {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} (البقرة: من الآية١٣٥) هذه ملة إبراهيم، هذه

طريقته، هذه مشاعره، هذا أثر الملة التي يسير عليها، فكيف قدم إبراهيم نموذجاً عالياً، نموذجاً عالياً في ماذا؟ في موضوع هداية الله، تظهر من خلاله الآثار لهدى الله عندما يسير الإنسان على هدى الله، وكيف تكون مشاعر الإنسان الذي يهتدي بهدي الله، كيف تكون اهتماماته، كيف تكون آماله، كيف تكون نفسيته في توجهه إلى الله .

هذه روحية هامة جداً: عندما يكون الناس منطلقين في أعمال صالحة: {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٨) **لا يكون عند الواحد أن له الفضل فيَمنّ على الله أبداً، أن يمُنّ على الله فيعتبر القضية هي قضية جدارة، لا، يجب أن تكون ذائباً في القضية أعني: في توجهك إلى الله سبحانه وتعالى ناسياً لموضوع نفسيتك تماماً؛ لأن هذه هي آية هامة أن يقول: {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} وهم يرفعون قواعد بيت الله الحرام .**

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (البقرة:١٣٠) **إذاً فملة من اصطفاه الله سبحانه وتعالى هي الملة الصحيحة؛ لأنها هي الملة التي رسمها الله له أن يسير عليها {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}** (البقرة:١٣٠ـ١٣١) **أخضع نفسه تماماً أخضعها تماماً لله سبحانه وتعالى .**

{ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} أليس هنا تجاوب؟ بعكس ما عليه بنو إسرائيل ذريّته من بعده عندما انصرفوا عن هداه، عن الملة التي كان عليها، والهدى الذي كان على يده في المقدمة وبدايته من على يده، وهم قالوا أمام البقرة: {أتتخذنا هزواً؟} هنا قال له: {أَسْلِمْ} هل قال لماذا؟ ألست مسلماً؟ ألست مسلماً من قبل سنين؟ {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ليس فيها أخذ ورد يقول: لماذا هل أنت شاك في إسلامي أو تتخذني هزواً أو ما قد اقتنعت بعد بأني مسلم قد أنا هذا نبي! لا، ليس مثلما قالوا هناك عندما قال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً} (البقرة: من الآية٦٧) **والمقام أن يقولوا أهلاً ومرحباً يذهبون يبحثون ليذبحوا بقرة، أطرف بقرة. إبراهيم قال: {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} عندما يقول لك شخص: اتق الله، أو أخلص لله، مهما كنت متقياً لله، ومخلصاً، فلا تتفاجأ، وتقول: يعني عندك بأني سفيه أو عندك أني كذا .. لا، قل: إن شاء الله، الله يوفقنا أن نكون مخلصين له، وأحسن الله إليك أنك قلت لي أن أكون متقياً ومخلصاً .**

{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} (البقرة: من الآية١٣٢) **أيضاً وصى بها يعقوب بنيه، هذه المسألة هذه القضية الهامة، قضية الإسلام لله، التسليم لله، الإلتزام الكامل بهدي الله{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} أيضاً وصى بها بنيه، أي قضية ذات اهتمام كبير لديهم يوصي كل واحد منهم أولاده بها ذريته {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (البقرة: من الآية١٣٢) **مسلمون لله يعني كونوا حريصين على الإلتزام بهذا الدين {اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ} إذا كان هناك في الدنيا ثقافات أخرى وديانات أخرى، وخرافات أخرى .**

إذاً هذه نعمة عظيمة من الله عليكم: أن يصطفيكم، أن تكونوا حَمَلة دينه وأن يصطفي لكم هذا الدين، أن تدينوا به له، وتدينوا به مع بعضكم بعض، تتعاملون فيما بينكم على أساسه. الدين هذا محوره: هو التسليم لله، إذا ما هناك تسليم للنفس لله سبحانه وتعالى تظهر أشياء كثيرة جداً تعتبر كفراً بكثير من هذا الدين رفضاً لهذا الدين، أعني: محور قابلية الدين هو التسليم لله، القضية الأساسية فيه تساعدك على أن تكون ملتزماً بهذا الدين، وتتقبله، وتتأثر، وتستنير بنوره، وتهتدي بهديه، وتستبصر ببصائره: أن تسلم نفسك لله؛ ولهذا يقول: {فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (البقرة: من الآية١٣٢) **أي احرص طول حياتك؛ لأن قضية {لاَ تَمُوتُنَّ} أنت لا تدري متى ستموت يحتمل غداً يحتمل بعد غد يحتمل في هذا الشهر يحتمل في الشهر الثاني يحتمل ... اجعل القضية حريص على أن تكون مسلماً دائماً نفسك لله ويكون معناه ماذا؟ في حياتك كلها.**

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} (البقرة: من الآية١٣٣) **حريص على الوصية هذه وتأكيدها حتى في لحظة احتضاره {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**

وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (البقرة: من الآية١٣٣) **أليس معناه: أن أسلافهم كانوا على هذا النحو؟ هذا نموذج آخر من داخل بني إسرائيل يبين لك كيف وصل بنوا إسرائيل، وأن الذي أوصلهم إلى الحالة السيئة: هو إعراضهم عن هذه المسيرة العظيمة التي بدأت بإبراهيم فيما يتعلق ببني إسرائيل ومن بعد من بعد نبي الله إبراهيم، أن هؤلاء عندما كانوا مهتدين بهدي الله، وحريصين على هدي الله حتى لمن بعدهم، لم يصبحوا مضلين لمن في عصرهم، ومضلين لمن بعدهم .**

هو قدم لنا أن القضية في بني إسرائيل أصبحت على هذا النحو: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ} (البقرة: من الآية٧٨) **هذا الجيل الذي معهم، وأصبحوا هم متبعين لأهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، أي متقدمون أضلوا متأخرين، أضلوا الأجيال التي تعيش معهم، وأضلوا من بعدهم ! هؤلاء هداة لمن كانوا معهم، ويحرصون على هداية من بعدهم أيضاً، وقضية رئيسية لديهم: التوجيه بعبوديتهم لله، وإسلامهم لله {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} هدى وهو في حالة الإحتضار.**

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة:١٣٤) **إذاً عرض عرضاً كاملاً بالنسبة لبني إسرائيل هذه النماذج المهمة منهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، كذلك الجيل الذين أقروا والتزموا عندما قالوا: {نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** (البقرة: من الآية١٣٣)، **وذلك النموذج الذي قدموه على طول تاريخهم النموذج السيء، إذاً تلك أمة كلهم أمة مضت، أنتم الآن مستقبلون مرحلة جديدة، مرحلة نبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا الكتاب القرآن الذي ينزل إليه، إذاً فما كان هناك من أعمال، أعمال حسنة لهؤلاء العظماء لن ينالكم منها شيء، ذلك الضلال الذي امتد على طول تاريخكم إلى الآن يكفي استأنفوا، استأنفوا الحياة من جديد، استفيدوا من هذه الفرصة العظيمة، أمامكم نبي جديد، وكتاب جديد هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) افصلوا ذهنيتكم عن الموضوع هذا تقولون: تتمسك بما كان عليه آباؤنا، فقد ظهر كيف كنتم في الأخير، مجموع ما لديكم: أهواء، عندما نقارن بين ما لديكم وبين ما لدى الآباء الأولين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق يوجد فارق كبير جداً.**

إذاً فليس مبرراً لكم أن تقولوا: نحن متمسكون بأولئك، أولئك أنتم بعيدون عنهم، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فيما كانوا عليه أنتم بعيدون عنهم، وأولئك أيضاً انتهوا اكتشف لكم ضلال ما كنتم عليه، وضلال ما كانوا عليه الأسلاف الآخرون، الخط الآخر من أسلافكم استأنفوا المسيرة من الآن .

إذاً هذه المسألة إنما تقال لبني إسرائيل على أساس أنهم مستقبلون لمرحلة جديدة. نحن هل يقال مثلاً بالنسبة لنا ونحن في وضعية عندما نقول: إنه يجب أن نعرف، ونحن نقيّم واقعنا بحيث نعرف من أين أتينا ما السبب الذي جعلنا نصل إلى هذه الحالة السيئة؟ فوجدنا المشكلة بدأت من هناك، بدأت من بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من داخل جيل الصحابة، ثم يقولون بعد: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} وما يزال آثار تلك الأمة إلى الآن شغّالين فيها، ويدعون إليها، ويربون على أساسها، ويثقفون الناس على أساسها! هذا ليس مقاماً لهذه أن تقول لي: {تِلْكَ أُمَّةٌ} وأنت امتداد لتلك الأمة، وأنت ما زلت تمثل امتداداً لتلك الأمة، لكن تعال نغير الوضعية تماماً وسنقول: {تِلْكَ أُمَّةٌ} أما أن تقول لي: {تِلْكَ أُمَّةٌ} وما زلت تتحرك بنفس ما كانوا عليه من أخطاء، وأنت تمثل امتداداً لأولئك الذين ضلوا بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم تقول لي: لا أتكلم عنهم، ولا أقيّم الوضعية التي كانت بدايتها أخطاؤهم ومخالفاتهم، هذا منطق غير صحيح ولا تنسجم الآية هذه معه، لاحظ ماذا تعني الآية هذه؟ {تِلْكَ أُمَّةٌ} أي أنتم مستقبلون مرحلة جديدة ادخلوا فيها {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة: من الآية١٣٤)

{وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى} (البقرة: من الآية١٣٥) **انظر الفارق الكبير إبراهيم يقول: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ}** (البقرة: من الآية١٢٨) **إبراهيم وإسماعيل، ويطلقون هذا الإسم على ذريتهم {وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}** (البقرة: من الآية١٢٨) **يوصون أولادهم بأن يكونوا مسلمين لله. وهؤلاء قدموا عنواناً جديداً من داخلهم: كونوا هوداً، والنصارى**

قالوا: كونوا نصارى تهتدوا ! إذاً أليست هذه مخالفة واضحة، هذا العنوان مختلف تماماً، عنوان للدين مختلف تماماً، أي وصلت المخالفة إلى درجة المخالفة في الدين بكله، في عنوانه بكله؛ كونوا هوداً، قال أولئك: كونوا نصارى!

{قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} وتلك الملة قد شرحناها كيف كانت إسلام، إسلام {فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} وآباؤكم أعطوا هذا العهد عندما قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك، وأبوكم الأول الذي اسمه إسرائيل وهو يعقوب لم يفارق أولاده إلا بعد أن أقروا أمامه في اللحظة الأخيرة أن يكونوا مسلمين، وهؤلاء قد معهم عناوين أخرى: كونوا هوداً، كونوا نصارى! {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (البقرة: من الآية١٣٥) **أي وصلت الحالة فيهم إلى الشرك داخل اليهود، وداخل النصارى.**

{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ} (البقرة: من الآية١٣٦) **خطاب للمسلمين قد يكون بشكل رئيسي خطاب للمسلمين {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا}** (البقرة: من الآية١٣٦) **يعني القرآن الكريم {وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ}** (البقرة: من الآية١٣٦) **إذاً أليست هذه أفضل طريقة؟ أعني أحجموهم، هوداً أو نصارى؟ لا، هذا العنوان كله شامل، ماذا بقي بإمكانه أن يقول لك من بعد اليهودي والنصراني؟ ماذا يستطيع أن يقول لك بعد؟.**

{آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} وهو القرآن، وهذا هو التسليم لله، هذا هو الإسلام، وهذه هي ملة إبراهيم: {بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (البقرة: من الآية١٣٦) .

هذه الإجابة تفحم الطرف الآخر، هذه هي الإجابة الصحيحة، وتتكرر في مقامات كثيرة، لا يبقى الناس فاضين في ذهنيتهم لا يعرفون كيف القضية فيقال لهم: ديانات سماوية، اليهودية ديانة سماوية، النصرانية ديانة سماوية، الإسلام ديانة سماوية.. هذه كلها ديانات، لا. هذه هي القضية الأساسية: نحن مسلمون ليس فيه اعتراف بيهودية، إعتراف بنصرانية، على هذا النحو تكون القضية ليست قضية اعتراف بيهودية، اعتراف بنصرانية قل: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وما أنزلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} (العنكبوت: من الآية٤٦) **لأنك بهذه تشهد على أنهم هم مفصولون عن المسيرة هذه حتى في عنوان الدين، عنوان الدين من بدايته إسلام لله، والإسلام لله مقتضاه: تقبل ما جاء به أنبياء الله، والتسليم لله: بأن ندين في أي جيل بما يريد أن ندين به؛ لأن الدين هو له، الدين هو لله سبحانه وتعالى .**

نقول: إذاً لا يوجد ديانات سماوية، وخطر كبير عندما يكون هناك من يعممه: اليهودية، النصرانية ديانات سماوية، والإسلام، كلها ديانات سماوية، وكلها نعترف بها وكلها كذا.. هذه مشت في أوساط المسلمين للأسف، وخطيرة جداً هذه يقبلونها خطيرة جداً، ولما كانت خطيرة الله يعلّم المسلمين كيف يقولون؛ لأن اليهود قالوا: كونوا هوداً، النصارى قالوا: كونوا نصارى، هذا نموذج لما يمكن أن يقولوه، فإذا كان لا ينفق في زمن من الأزمنة أن يقولوا للناس: كونوا هوداً، قد يقولون شيئاً آخر يقولون: هذه ديانة سماوية، وهذه ديانة سماوية، اعترفوا بها مع الديانة التي أنتم عليها، ويعممونها بطريقة أخرى.

قل أمام كل ما هو من هذا النوع من المقولات : {قُولُوا} خطاب للمسلمين بشكل عام {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ} (البقرة: من الآية١٣٦) **أي إيمان بالرسل وإيمان بالكتب، نحن مؤمنون بالتوراة، ومؤمنون بالإنجيل، ومؤمنون بالزبور، ومؤمنون بصحف إبراهيم، ومؤمنون بكتب لا نعلم ما هي أسماؤها مما أنزل على أنبياء آخرين، هذا هو الإيمان الحقيقي، لكن أؤمن باليهودة، وأؤمن بالنصرنة هذه عناوين أخرى لا علاقة لها بدين الله، ديانة هي: مجموعة أهواء، مجموعة ضلالات، انحرافات عن ملة إبراهيم، عن التسليم لله، خروج عن الميثاق الذي أعطاه أسلافهم لله والذي أخذ أجدادهم على أبنائهم أن يكونوا مسلمين لله، ويأتي ليقول لك: ديانة سماوية!**

نحن نقول: لا نعترف بأن اليهودية ديانة سماوية، لا نعترف بأن النصرانية ديانة سماوية، نحن نؤمن بما أنـزل على موسى، وما أنزل على عيسى، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى آخره.

تجد المسألة هنا من البداية كيف أصبح موقفهم من إسماعيل وذرية إسماعيل فعلاً في كتـبهم، لـيس لإسماعيـل ولا لذريته أي ذكر إلا بالسخرية في كتب بنـي إسـرائيل ! هنـا قالـوا: {نَعْبُـدُ إِلَهَـكَ وَإِلَـهَ آبَائِـكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} (البقرة: من الآية١٣٣) **إسماعيل هو الإبن الأكبر لإبراهيم، وإبراهيم وإسماعيل هما الشخصان اللذان أسسا البيت الحرام، رفعوا قواعده، أليسوا هنا أخذوا عهداً، وداخل العهد إسماعيل مع إسحاق ؟ إسماعيـل مـع إبراهيم وإسحاق ؟ وصل بهم الحال إلى أن تنكروا لإسماعيل وذرية إسماعيل تماماً، وما كـأنهم وجـدوا، ولا كـأن لهم ثقل، ولا كأنهم شيء، ولا كأن لهم صلة بإبراهيم .**

تجد كيف فرقوا بين أنبياء الله، ثم فرقوا هم داخلهم! هنا مسيرة واحدة، وأسرة واحـدة: إبـراهيم إسماعيـل إسحاق يعقوب، أليست هذه أسرة واحدة؟ يهمشون إسماعيل ويركزون يعقوب ! هناك إسماعيـل ومقابلـه إسـحاق لكونه في الطريق فقط إلى إبراهيم، وإلا فالإهتمام لديهم بيعقوب، هم قدموها عنصرية، قدموها قومية بشكل بغيظ جداً.

{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِـهِ} (البقـرة: مـن الآيـة١٣٧) **ألم يعلّـم المـسلمين هنـا كيـف يقولـون: {لا نُفَـرِّقُ بَـيْنَ أَحَـدٍ مِنْهُمْ}** (البقرة: من الآية١٣٦) **كلهم أنبياء الله، كلهم رسله، والكتب التي أنزلت عليهم، دون أن تلحظ ما بين يدي بـني إسرائيل ؛ما بين أيديهم محرف، وضلالات، لا يعني أن ما بين أيديهم هو ما أنـزل، في داخلـه قـد يكـون، لكـن العبارة الصحيحة: ما أنزل عليهم، ما أنزل عليهم من جهة الله، وما أنزل عليهم ليس معناه ما بين أيـديكم الآن، وقبل الآن مما هو مجموعة تحريفات وضلالات.**

إذاً فالموقف هنا واضح {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} (البقرة: من الآيـة١٣٧) **بما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل.. إلى آخره، وأن يكونوا مسلمين كما أنتم فقد اهتدوا {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ}** (البقرة: من الآيـة١٣٧) **قضية واضحة عناد وشقاق ؛ لأن ما تـدعوهم إليه هو ملة إبراهيم، هو ملـة إسماعيـل وإسـحاق ويعقـوب والأسباط، وهذا الدين الذي هو امتداد من قبل إبراهيم، هذا موقف ليس فيه اعتراف بـالآخر هـل فيـه قبـول للآخر ؟ لا. {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} إقبلهم {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَا} فقفوا منهم الموقف الذي يفرضه عليكم دينكم منهم، الموقف منهم {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية١٣٧) **عندما يصبحون مشاققين لن يكون من جانبهم إلا ماذا؟ عناد، ومؤامرات، وحرب، وأشياء من هذه.**

{فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة: من الآيـة١٣٧) **لاحظ أنه لا بد أن يكون الموقف صريح على هذا النحو، لا يكن هنـاك أقلمـة، تـأقلم، امتـداد لقولـه هنـاك: {وَلَـنْ تَرْضَـى عَنْـكَ الْيَهُـودُ وَلا النَّـصَارَى حَتَّـى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُمْ}** (البقرة: من الآيـة١٢٠) **هنا يقول: كيف يكون الموقف فيما يتعلق بالقضية من أساسها، علاقتنا بهم تحـت عنـوان دين، أو غير دين عندما يقولون لك: كونوا هوداً، كونوا نصارى ! قل: لا، هذا موقفنـا: نحـن نـؤمن علـى هـذا النحو: ونحن لـه مسلمون، لا يوجد اعتراف بكم على الإطلاق، القضية إن اهتديتم إلى ما نحـن عليـه، آمنـتم بما أنزل إلينا، وأنزل إليكم، فقد اهتديتم، وإن توليتم فأنتم مشاققون، لا تحسب حـسابات أنـك تحـاول أن تسترضيهم بأي عبارات مثل الذي يحاول المـسلمون الآن [كلـها ديانـات سماويـة واحـدة]، أليـست هـذه عمليـة استرضاء على أساس خوف من أي شيء كان، لا يبرر هذا الخوف أن تصل بك المـسألة إلى هـذا التنـازل، إلى هـذا العنوان المشين، إلى هذا التسليم المشين، لا. يكون موقفك صريح {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِـهِ}** (البقـرة: مـن الآيـة١٣٧) **فإن آمنتم بما نحن مؤمنون به هو هذا العنوان الكبير {بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَـا وَمَـا أُنْـزِلَ إِلَـى إِبْـرَاهِيمَ}** (البقـرة: من الآية١٣٦) **إلى آخره وبعنوان مسلمون {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** (البقرة: من الآية ١٣٦) **فـإن آمنـتم بمـا نحـن مؤمنـون بـه فقـد اهتديتم، ونقبلكم كمسلمين وإلا فأنتم تعتبرون مشاققين، يشاققون كيفما يشاققون موقفنا مـنهم هـو: الموقـف القرآني الذي صرح في الأخير {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**

﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:٢٩) أليس هذا موقفاً صريحاً.

إذاً فهذا هو ينسف هذه الحالة السيئة، وهذه المحاولة السيئة التي يطرحها، بل ربما قد صارت مطروحة في المناهج، في مناهج أبناء المسلمين: القبول بهم كيهود، القبول بالنصارى كنصارى وباعتبارها يهودة ونصرنة، ديانات سماوية ! أليس هذا موقفا صريحا هنا حتى لو كنتَ تخاف ما تخاف من ورائهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: من الآية١٣٧) لا يخفى عليه شيء من مؤامراتهم، لا ما يسرونه ولا ما يعلنونه.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية١٣٨) هذه هي صبغة الله [التعميد] يعرف بأن هذا هو إنسان مسلم لله، هي هذه، ليست الصبغة التي يعملها النصارى، يغمسون أولادهم في ماء معيَّن، مصبوغ بصبغة معينة على أساس هذا قد صار نصرانياً بمعنى: أنه قد صار من الناس المتدينين بدين الله! هذه هي صبغة الله، هذه التوجيهات، هذا العنوان، هذه المقولة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة: من الآية١٣٧) قبلها ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية١٣٦) هذه هي صبغة الله، يدخل ضمن صبغة الله .

لاحظ الموقف منهم لم يأت بكلمة صبغة الله بعد قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أيضاً جاء بعدها بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: من الآية١٣٧) أي يكون موقفكم منهم على هذا النحو، إذاً فهذه هي صبغة الله عقيدة وموقف .

هنا سئل السيد من أحد الحاضرين : فسيكفيكهم الله، أليست توحي بأنه سيحصل معهم صراع؟ أجاب : هذا معلوم؛ ولهذا أنه جاء في القرآن الكريم توجيهات الله في كيف يتعامل الناس معهم، وفي كيف يكونون منتبهين لهم، وحريصين، وحذرين، ومتجهين عملياً في مواجهتهم إلى درجة المقاتلة.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وعد بالتأييد، وعد بالنصر، وعد بفضح مؤامراتهم، وأشياء كثيرة تمثل الكفاية من الله، أشياء تأتي تنطلق أنت فيها، وما يعمله الله من خلال انطلاقتك. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة:١٣٨) هذه لدينا هي الصبغة التي يتبين من خلالها أن الإنسان هو مسلم لله، هو على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكل أنبياء الله إلى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه هي صبغة الله ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ليست الأشياء التي تعتبرونها عندكم: أن فلان قد دخل في النصرانية، أن فلان دخل في اليهودية، عناوين معينة، أو أشياء معينة صبغة مثلما هو عند النصارى يغمسونه في ماء يسمونه [ماء المعمودية] عمدوه مثلما تقول : قد صار معمداً، نصراني، نصراني.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة:١٣٩) ليس هناك أي مبرر في المجادلة في الله لكن هم وصلوا في ضلالهم إلى المجادلة في الله، في موضوع الألوهية، قد أصبح الكثير من النصارى على هذا النحو: مجادلة فيما يتعلق بالله، ليسوا مؤمنين بوحدانية الله، يحتاجون يجعلون الله مجموعة من ثلاثة أشياء: عيسى، والروح القدس، والله، المجموع الله، المجموع إله .

إذاً فهنا الحجة واضحة لدى المسلمين، وقدمت القضية بالشكل الذي يعتبر موقف اليهود والنصارى في مقام المحاجة ضعيفا جداً بدءاً من الله، والملة التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق الدين بعنوانه، مسيرة الدين هدى الله كلها بالشكل الذي يمتلك المسلمون فيها الحجة التي تخرس أي طرف يعاندهم من اليهود أو النصارى .

قد يكون أحياناً أسلوب ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٣٩) تتقدم القضية من جانب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن جانب المسلمين بالشكل الواضح تماماً فلا تبقى منشغلاً على طول، على طول بمحاجتهم، بلدادتهم، بنقاشهم في كثير من التفصيلات، تتيه معهم ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ (البقرة: من الآية١٣٩) لا تعني: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ إقرار على ما هم عليه على الإطلاق، لا تعني هذا، ولا تعني: نحن أمة

لوحدنا، وأنتم أمة لوحدكم، نحن ندين بهذا، وأنتم تدينون بذلك، لنا أعمالنا هنا، وأنتم لكم أعمالكم هناك.

{لَنَا أَعْمَالُنَا} من ضمن أعمالنا المواقف التي وجه إليها القرآن الكريم معهم، وموقف القرآن الكريم قام على أساس لا مجال ـ لو أنه طبق القرآن الكريم، ولو أن المسلمين جسدوه ومثلوه ـ ترى ما هناك مجال أمام اليهود من أن يذوبوا في المجتمع المسلم فيسلموا، أو أن يحصل من جانبهم أشياء تعتبر نقضا، تعتبر مخالفات فيضربوا.

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ}(البقرة: من الآية١٤٠) **انظر كيف بدأ المسألة بعد وضوح المسألة فيما هو دين الله، الحديث عن الله، وعن إبراهيم وإسماعيل إلى آخره. إذاً فكيف بإمكانكم أن تحاجونا في الله، القضية واضحة. ثم جاء ليتحدث عن ماذا؟ عن إبراهيم وإسماعيل، المسألة بدأت من فوق، من عند الله وتحت، هذه توحي فعلاً: بأن القضية الأساسية، والهامة جداً: معرفة الله، معرفة الله أساس لصحة المعارف الأخرى، أساس فيما يتعلق حتى بمقام المحاججة مع طرف آخر، أحياناً إذا هناك نسيان للموضوع: أن المسألة كلها تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى، وتنتهي إليه قد يتجادلون إلى تحت، ولا ينتهون إلى شيء نهائياً، هنا يبدأ الموضوع من فوق، ورؤية صحيحة فيما يتعلق بمعرفة الله تكون مساعدة على ماذا؟ كمقاييس تنزل، وأشياء يلتقي عليها الناس في بقية القضايا التفصيلية.**

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}(البقرة: من الآية١٤٠) **لأن الله قد قدم القضية هو قال هناك : بأنهم كانوا مسلمين لله، وما كانوا يهوداً، وما كانوا نصارى؛ باعتبار اليهودية لديهم أصبحت تعني ماذا؟ دين. سموا الدين يهودية، سموا الدين نصرانية. {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}**(البقرة: من الآية١٤٠) **والله قد أخبر عنهم كيف كانوا، كانوا مسلمين له.**

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(البقرة: من الآية١٤٠) **لأنه في كتبهم ما يدل على كيف كان إبراهيم في واقعه، وهنا شهادة جاء بها القرآن الكريم بالنسبة لآبائهم الأولين عندما قال: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**(البقرة:١٣٣) **إذاً فما في كتبهم من أشياء هي تبين: أن هذا كان واقع سلفهم، يعتبر شهادة قائمة لديهم في كتبهم، فهي امتداد لما حكاه الله عن أولئك، وما قالوه هم عندما استوثقهم أبوهم يعقوب {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** (البقرة: من الآية١٤٠).

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(البقرة:١٣٤) **هي نفس المعنى السابق تقول: يكفي حكينا هذه على هذا النحو إذاً عودوا واستأنفوا المسيرة من جديد في ظل نبوة جديدة، وكتاب جديد، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، والقرآن الكريم.**

أليس في هذا كفاية ما يجعلهم أن يستأنفوا المسيرة؟ لكن لا {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}(البقرة: من الآية١٤٢) **يستمرون في نفس الشقاق، والعناد والتساؤلات ..إلى آخره، ناسين هذا التوضيح الهام لتاريخهم، لتاريخ آبائهم الأولين، والأنبياء منهم.**

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}(البقرة: من الآية١٤٢) **أليست هذه قضايا ثانوية أخرى، والموضوع هنا موضوع دين، ومسيرة دين، وكله تابع لموضوع التسليم لله، فيتوجهون إلى هذه القبلة، ألا يعرفون في الدين: بأن الله سبحانه وتعالى هو المشرع، هو الذي يهدي، هو الذي يشرع لعباده، وله الحكم، وله الأمر، يشرع كيفما أراد فالواجب التسليم له، وقدم لهم صورة كاملة عن آبائهم أنهم كانوا مسلمين له.**

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}(البقرة: من الآية١٤٢) **عندما كانوا متجهين إلى بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى، ثم توجهوا إلى الكعبة، وكأنها حصلت هذه القضية ـ كما في الروايات ـ أنه توجه إلى الكعبة، ثم توجه إلى المسجد الأقصى، ثم توجه من بعد إلى الكعبة كيفما كانت المسألة أعني: هل كانت المسألة تتعلق بالتحول من الكعبة إلى المسجد الأقصى، أو من المسجد الأقصى إلى الكعبة، أنه في الموضوع تحول**

بأمر الله، وبإذن الله، مقتضى التسليم لله سبحانه وتعالى الذي جاء بكلام كثير حوله قابلية هذه، وهي قضية ليست جديدة في الدين، ليست قضية جديدة في تشريع الله سبحانه وتعالى .

{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة: من الآية١٤٢) فهو مالك المشرق والمغرب مالك السموات والأرض يهدي من يشاء لأن يتوجه كذا أو كذا، وما يهدي إليه هو هداه {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ما معناه أنه هدى الناس إلى ما هو دونه، أو وجههم إلى ما يعتبر دون وأقل، أو يعتبر انحطاطاً أبداً {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} .

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) هذا صار خطاباً لمن؟ للمسلمين، خطاب بالذات للعرب، خطاب للعرب أنفسهم من البداية، وخطاب موجه بشكل رئيسي لقريش، دائرة الأسر التي تلتقي مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالجد الأقرب يشملهم اسم : قريش .المسألة عبارة عن دوائر: دائرة قريش، داخلها دائرة بني هاشم، داخلها دائرة أقارب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد دائرة قريش دائرة العرب.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا} (البقرة: من الآية١٤٣) هذه الآية هامة، جداً والكلام حولها بتحريف لمعناها، وتقديمها بشكل يخلق قابلية أن يجرد الأمة عن شهادتها قد {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} كلمة وسطاً لا تعني: عدول، أو تعني ..في آيات أخرى تبين ماذا يعني، أوسط في اللغة العربية، أوسط تعني: أفضل، تعني، أمة من أوسط الأمم، من أفضل الأمم، مهيئة لأن تحمل هذه الرسالة، وتكون في نفس الوقت شاهدة على الناس، الشهادة هنا ليس فقط في موضوع أنهم يشهدون يوم القيامة بأنه قد جاء نبي وبلغ، الشهادة بتجسيدهم للدين، وقيم هذا الدين، وتمثيلهم لهذا الدين .

هذا دين عظيم جداً تتجلى من خلال وسط معين من الناس أمة معينة، تتجلى قيمه ومثله ومبادئه بشكل جذاب جداً؛ ليكون شاهداً على عظمة هذا الدين أمام الآخرين فينجذب إليه، وتقوم الحجة على الآخرين به؛ لأن الكثير قد يقولون: مجرد نظرية، وأي نظرية لم يشهد لها الواقع في حياة الناس، لأن هذا هو المحك، هو المحك واقع الحياة، واقع الأمة، روحية الأمة، نفسية الأمة، أفرادها الذين يحملون هذه النظرية، يتجلى من خلالهم ماذا؟ مدى إيجابية هذه النظرية، أو سلبيتها بالنسبة للدين. هذه القضية لم يغفلها، موضوع أنه لا بد من دائرة تمثل قيم هذا الدين، ويتجسد فيها هذا الدين فتمثل بهذا شهادة على الناس بعظمة هذا الدين، فتتقدم نموذجاً على أرقى مستوى {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (البقرة: من الآية١٤٣) أي تكون عملية متبادلة عندما تعرف عظمة هذا الدين، كلما عرفت عظمته، كلما وجدت في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وفي حركته شهادة أيضاً على عظمة هذا الدين نفسه.

دائماً تفسر هذه فيما أعرف بأنه: الشهادة على الآخرين، الشهادة على الأمم بأنه قد وصلتهم الدعوة، أو وصلهم البيان، أو وصلهم أخبار النبوة ! وهذه هي المهمة هنا، وهي نفس القضية الأساسية أنه: التأهيل، الإصطفاء، هي مسئولية {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ليس عبارة عن وسام هكذا، أي: أنهم يقدمونها وكأنها عبارة عن وسام، لا، المهمة هنا المسئولية {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} تحت هذه الكلمة أشياء كثيرة جداً {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} الإلتزام بهذا الدين، الإهتمام بهذا الدين، تجسيد قيمه، الجهاد في سبيل إعلاء كلمته ؛ لأنه أيضاً يحصل من خلال هذه أن يكون الناس محطاً للتأييد الإلهي أن يتلمس جانب هذه الأمة أشياء هي فعلاً تشهد بأن هذه الأمة على صراط مستقيم، وأن هذا الدين الذي تدين به هو دين عظيم، فهذه قضية هامة جداً: أنه لا بد من إناء، لا بد من محيط ليكون محطاً للتأييد الإلهي .

هذه القضية معروفة حتى فيما يتعلق بالرزق أليس الإنسان يحتاج يعمل له [جربة] يجمع لها تراب حتى يمكن يعمل فيها زرع ؟ أليس الواحد يحتاج يعمل للمطر الذي ينزل من السماء يعمل له مشرب يجمعه حتى يجري إلى هناك ؟ لا بد من دائرة، لا بد من محيط مكون من أمة، من مجاميع المؤمنين ينطلقون انطلاقة صحيحة، يعتبرون محطاً للتأييد الإلهي، التأييد الإلهي لا يأتي مبعثر: مؤمن هناك، ومؤمن هناك، وواحد هناك، وواحد هناك ! سترى كل واحد يصيح مكانه فقط، لكن إذا كانوا عبارة عن محيط واحد، هنا سيكونون محطاً للتأييد

الإلهي، يتجمع التأييد الإلهي مثلما ماذا؟ تأتي تجمع لك مشرب تصلحه من هناك يلتقي القطرات التي تنـزل من السماء حتى تصب في [جربتك] يحصل فيها زرع وتثمر .

ليست الوسطية معناها: بين اليهودية والنصرانية، بين التشدد واللين يسمونه: اعتدال، وسطية، لا، ليست بهذا الشكل؛ لأنك عندما تلحظ إلى كيف يجب أن تكون هذه الأمة التي قال: إنها أمة وسطاً في مجال أن تقوم بالمهمة التي تجسد ماذا؟ الشهادة على الناس معناها: أمة يجب أن تكون متوحدة، أن تكون قوية، أن تكون أفرادها أولي بأس شديد، بإخلاص لله عالي، بالإلتزام بهذا الدين، أشداء على الكفار، أعزاء على الكافرين ؛ هذا معنى أمة وسطاً، كيف قال عنهم هناك: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} (الفتح: من الآية٢٩) **أليس الذين معه هنا على أساس أنهم أمة وسطاً ؟ إن القرآن ورسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هم يربون الأمة الوسط كيف تكون لتكون شاهدة على الناس، ألم يربهم على مستوى أن يكونوا أقوياء {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}؟** (الفتح: من الآية٢٩) **هذه الأمة الوسط هي التي قال لها: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}** (التوبة:٢٩) **هذه وسطية، هو الذي يقول لهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}** (الأنفال:١٥) **هذه وسطية الإسلام، أو الأمة الوسط غالباً تكون هكذا: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}** (الأنفال: من الآية١٢) **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ}** (التوبة: من الآية١١١) **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٢٠٧) .

هذه هي الأمة الوسط، ليست الأمة الوسط أن يقال: أمة ليست حول أن تكون شديدة على الكافرين، ليست شديدة على أعداء الله، ليست شديدة في ذات الله، قوية في ذات الله، في تجسيد دينه، في العمل لإعلاء كلمته، هذه لا يصح أن يقال لها أمة وسطاً، هذه أمة منحطة، تسمى أمة منحطة، ليست أمة وسطاً، كلمة وسطاً {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) **أي أن الله عندما اختار أن يكون هذا الرسول منهم فهو جعلهم، ما معنى جعلهم؟ مسألة [جعل] هذه قد لا تعتبرها مرتبطة بعشر سنين، أو بعشرين سنة أحياناً قد تكون قروناً من الزمن، عملية قرون من الزمن، رعاية إلهية حفاظ إلهي على أشياء معينة بحيث أن يكونوا مهيئين لأن ينهضوا بهذه الرسالة، أن يكونوا صالحين لأن يكونوا جنوداً لها، من قبل البعثة، من قبل ربما أن يولد جد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ثم أثناء المسيرة في التربية التي تقدم لهم، في التوجيه الذي يقدم لهم، القيادة التي تقدم لهم .**

الأمة الوسطية يجب أن تكون قيادتها عالية على هذا النحو الذي يحكيه الله في القرآن الكريم ستأتي الآية بعد بالنسبة للأمة الوسط كيف قيادتها هنا: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (البقرة: من الآية١٥١) **أليست هذه قيادة على مستوى عالي من القوة في ذات الله، من القوة في مواجهة أعداء الله؟ هذه الأمة الوسط، وقيادات الأمة الوسط، ومنهج الأمة الوسط هو هذا القرآن الكريم، عندما يأتي أناس يحملون علماً، باسم علم، ويحرفون كتاب الله كما حرف بنوا إسرائيل كتبهم، ويحرفون المعنى: [لا، الوسطية: الإعتدال، الوسطية تعني ماذا؟ أسلوب لا يكون فيه شدة، ولا مهاجمة للآخرين، ولا استعداد لمواجهة الآخرين ولا..ولا..ولا...!] أليس هذا يعتبر سخافة؟ يعتبر هذا كفر بالنعمة العظيمة هذه التي هي القرآن الكريم، التي تبني الأمة الوسط.**

نقول بكل تأكيد: إن الأمة الوسط هي الأمة التي يبنيها القرآن، الأمة الوسط هي الأمة التي تبتني على أساس القرآن، وتتبنى المواقف التي يهدي إليها القرآن، هذه هي الأمة الوسط. ماذا يعني الوسط؟ أفضل، أمة أفضل، أمة تكون ماذا؟ تكون مؤهلة لأن تقوم بهذا الدور {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٤٣) **من الشهادة على الناس، أن يكونوا أولي بأس شديد، وأن تكون أولي بأس شديد يعني أنت مؤمن بالقضية التي أنت فيها، أنت تغضب لها، أنت منشد إليها، وهي قضية في حد ذاتها جذابة جداً ؛ لأن هذا شيء عجيب جداً لا يمكن أن يحظى أي منهج آخر بهذه الحالة التي تبدو وكأنها مجموعة من النقائض، أو من المتناقضات أن يقول لهم: كونوا أشداء**

على الكفار، كونوا أولي بأس شديد، اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، في مسيرة دين هـو للكـل إلا لأن هذا الدين هو عظيم يجعل لهذه الظاهرة نفسها جاذبية لهذا الدين نفسه ؛ لأنه عندما أرى هناك أمة قوية جداً، متماسكة جداً هي تشكل أملاً عندي، ومنهجيتها صحيحة، إذاً أنا عنـدما أقـارن بـين وضـعيتين، ومجـتمعين وبينهم سأرى هذه الأمة أنجذب إليها، أمة تشد الإنسان، أمة تقف مع الإنسان .

أحياناً قد تكون من الأشياء التي لا تجعل لأمة معينة أي قيمة عندما ماذا؟ لا تكون هي ذات فاعليـة في مواجهـة أطراف أخرى حتى ولو هي أمة مؤمنة أنها بهذه الطريقة وحدها تفقد جاذبية الدين الذي تـدين بـه، الطريقـة التي هي عليها: [هؤلاء أناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، لا يمثلون شدة ظهر في شيء، لاحظ كيف هم ضعاف أمام أي عدو آخر] عندما يظهر هؤلاء أقوياء، أشداء، أمة قوية أي يعتـز أي شـخص ينتمـي إليهـا يـشعر بعـزة يشعر برفعة يشعر بقوة .

لهذا كانت هذه الخصلة نفسها التي الآن يحاولون...، إضافة إلى أنها قد ضـاعت في وسـط الأمـة، أشـداء علـى الكافرين، أن يكونوا أعزاء على الكافرين، قد ضاعت، ومع هذا يحاولون أن يقدموها كثقافة يـدينون بها أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أي شدة، ولا قوة على أعداء الله، لم يكف انحـراف عملـي، وإنما يقدمون انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويفهمونه بشكل خطأ، ويعتقدون أن هـذا هـو معنـى {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) هكذا ينتهي الضلال إلى أن يقدم الضلال العملي، الإنحـراف العملـي يحـاط بماذا؟ بعقيدة أنه دين تـدين بـه، هذا تحريف خطـير جـداً لآيـات الله، تحريـف في المعنـى، في المضمون، في تقديم هام بهذا الشكل السيء!

نقول: نحن فعلاً أمة وسطاً ونتمنى أن نكون أمة وسطاً، والأمة الوسط هـي: الـتي تبـتني علـى أسـاس القـرآن، ومواقفها قرآن، هي الأمة التي قال الله {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) أنه يجعلها، وهذه طريقـة من طرق أن يكون هناك أمة وسطاً، القرآن الكريم، وليس الوسط معناها بين شيئين، بين اليهودية والنـصرانية، اعتدال ليس يهودياً ولا نصرانياً، لديه ملعقة يهودة وملعقة نصرنة وقليل إسلام فوقها خلطة!

هذه قضية نركز عليها في مسألة هذا الموضوع نقول: فعلاً نحن أمة وسطاً لكن نعتقد أن الأمة الوسط: هـي الأمـة التي تنطلق على أساس القرآن، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا، يقول أبـداً. إذاً الأمـة الوسـط أليـست الأمـة التي تسير على هدي القرآن، وتبتني على أساس القرآن؟ إذاً فلنكون أمة وسطاً يجب أن نسير على هدي القرآن.

إذا أنت تقدم لي شيئاً آخر هذه وسطية ثانية ليست هذه الوسطية التي قدمها القرآن، أنت تـريد أمة تكسر مـن وسط ظهرها حقيقة، وسطية يكسروها من وسطها، لا تـريد أمـة وسـطية علـى هـذا النحـو، علـى هـذا المفهـوم القرآني ! فنحن نريد أن يكون الله هو الذي يجعلنا أمة وسطاً وليس أنت، والقضية هي بهـذا الـشكل: أن نفهـم جميعاً أن الأمة الوسط ـ إذا كنا نريد أن نكون أمة وسطاً ـ أن نكون على هذا النحـو: أن يجعلنـا الله هـو، ولـيس الآخرون الذين يجعلوننا أمة وسطاً، الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، أو في كتابات معينة، أو على المنابر، لأنهم يحاولون أن يجعلوا المسلمين أمة وسطاً بمعنى آخر، أمة منحطة، أمة لا يخـاف منهـا عـدو، ولا يهـاب منهـا عدو، ولا تمثل حماية لأي شيء، لا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لأوطانها، ولا لأعراضها، ولا لأنفسها .

{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} (البقرة: من الآية١٤٣) هذه سـنة إلهية، سنة الإبتلاءات على هذا النحو، وقد تكـون الإبـتلاءات لـيس معناهـا: أن القـضية شـديدة في وطأتهـا عليك، أمراض خطيرة مثلاً، أو أشياء مؤلمة جداً، قد تكون عملية معينة: تحول من هنا إلى هنا، فالنفوس المـسلمة لله ستقول: أسلمت لرب العالمين كما قال إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (البقرة:١٣١) {مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} (البقرة: من الآية١٤٣) فيتبين من هو الذي يتبع الرسول، والرسول هو أول شخص، وأعظـم شـخص مسلم لله ؛ ولذا تحول هو أن يصلي إلى المسجد الأقصى إلى القدس وهو الشخص الذي تـرى فيـه أعظـم شـخص يرى لهذا البيت ولهذا المسجد الحرام حرمته، وعظيم في نفسه سلّم لله، وتوجه إلى هناك.

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} (البقرة: من الآية١٤٤) **قال الله توجه إلى الكعبة هذا هو التسليم لله فمن يتبع الرسول يكون مسلماً لله، هل هناك أشخاص آخرون منهم هم أكثر انشداداً إلى موضوع المسجد الحرام ؟ أبداً رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أهم شخص، أو نقول: الشخص الذي مكانة البيت الحرام في نفسه أعظم من مكانته في نفس أي شخص آخر .**

{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} (البقرة: من الآية١٤٣) **في الأخير تبدو القضايا التي تبدو عادية كبيرة على الناس الذين ليسوا مسلمين لله كبيرة ليس لأنها من أصلها كبيرة هي للمسلمين، هنا قال: {إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّه} هي ليست كبيرة على الذين هدى الله ومسلّمين لله، عملية مقبولة تماماً، لا يوجد أي حرج في النفس أمامها، الذين ليسوا مسلّمين لله تكون كبيرة على أنفسهم، وهذه من الأشياء التي تجعل الإنسان الذي يسير على هدي الله، ويسلّم لله هي ماذا؟ حالة طمأنينة، مطمئن البال، والدين كله يسر أمامه، الأطراف الأخرى تصبح الأشياء عنده كلها كبيرة {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}** (البقرة: من الآية٤٥) **كما قال سابقاً .**

{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّه} (البقرة: من الآية١٤٣) **تجد الخاشعين ومن هدى الله لا يوجد أشياء كبيرة عليهم كلها ينطلقون فيها بتسليم أنفسهم لله ليس هناك أي حرج {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** (البقرة: من الآية١٤٣) **عندما يقولون: كيف سنعمل بصلاتنا يوم كنا نصلي إلى القبلة الأولى؟ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ}** (البقرة: من الآية١٤٣) **المؤمنون يكونون مسلمين له لا يضيع شيئاً من أعمالهم الصالحة.**

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (البقرة:١٤٤) **إن الأساس الذي جعلهم يحاربون قدسية الكعبة إلى الآن ـ وهم قالوا إنهم يقترحون أنها تضرب بقنبلة نووية تنسفها تحولها إلى بحيرة مكانها ـ موقفهم من ماذا؟ من إسماعيل وذرية إسماعيل ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من ذرية إسماعيل، فهم هنا كارهون، متبعون أهواء شيء معين جعلهم قدموا الدين عصبية لأنفسهم حتى أصبحوا يمجدون أنفسهم هم كذرية ليعقوب، وينسفون إسماعيل، وهو عمهم، نبي من أنبياء الله ممن تعهد أسلافهم بأن يسيروا على ما كان عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإلا فالقضية هذه حق من حيث هي أن الله سبحانه وتعالى هو مالك أمر الناس والذي له الأمر، له الحكم في عباده، وفي دينه، تحصل هذه، يشرع هذه، ثم يقول للناس اتجهوا كذا، ليست قضية غريبة في الدين، ليست قضية من حيث هي يقولون: باطلة ؛ لأن عملية كهذه من حيث هي حق باعتبار أن الله هو له ملك السموات والأرض، وهو الذي له الحكم والأمر في عباده، لأنهم يعلمون أن إبراهيم هو الذي أقامها، وأنها قبلة لإبراهيم نفسه من البداية من قبل هي القبلة الأساسية، هي الكعبة فقط، هم الذين صلحوا لهم قبلة أخرى على طريقة [حتى لو بنيت مسجداً فلن أصلي فيه] كرهوا إسماعيل وأبناء إسماعيل وكلما يحيط بإسماعيل وأبنائه، وإسماعيل هو الشخص الذي هاجر به أبوه إلى تلك المنطقة، إلى مكة، وهو شريكه في بناء البيت لكن بنوه ليكون ماذا؟ قبلة، هم الذين انحرفوا هم، مع أنه في تراثهم، في بقايا لديهم ما يعرفون بأن هذا هو حق .**

{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} كل عملية الإنصراف، عملية: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} (البقرة: من الآية١٤٢) **استنكار لهذه، تشنيع على المسلمين بهذه، قضية هي ناشئة عن أعمال سيئة لديهم، وأهواء ترسخت لديهم، وأعمال في حد ذاتها باطلة يؤاخذون عليها، ليس الله بغافل عنها.**

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (البقرة: من الآية١٤٥) **هنا يتجلى في الموضوع هنا فيما هو كمنهج للناس وتربية، أن يكون الناس عندهم تسليم لله مهما قال الآخرون، مهما كان لديهم من احتمالات: أنه سيحصل أشياء كبيرة عليهم من آخرين، التسليم لله، السير على هديه، وليكن ما كان هناك قال سابقاً: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية١٣٧) **أليس هنا موقف هنا يوجه بالتوجيه إلى المسجد الحرام ويقول فيها في الأخير: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ**

ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} (البقرة: من الآية١٥٠) **لأن هذه الحالة مثلما تقول مجموع الآيات هنا يترسخ مسألة التسليم لله، لا تعطي أي احتمالات أخرى قيمة بالشكل الذي يجعلك تؤقلم مسيرتك من أجلها، لديك فكرة التسليم لله، وأي احتمالات أخرى سيكفيكها ؛ لأن هذه الحالة هي التي تجعل كثيراً من الناس ـ كونه يخشى يوماً معيناً، يخشى حملات دعائية معينة، يخاف من سجن، يخاف من اعتداءات، يخاف أشياء كذا ـ يحاول يؤقلم مسيرته وإذا هو قد أصبح يقسّم الدين، يجامل هذا، ويجامل ذلك، يرضي هذا، ويرضي هذا ! وضاع، يضيع تسليمه لله، ويضيع في الأخير دين الله ؛ لأنه في الأخير هل رأيت لدى بني إسرائيل شيئاً من دين الله؟ ضيعوه، ضيعوه، وأصبح مجموع ما لديهم في غالبه، مجموع أهواء، وضلالات .**

تجد في تاريخهم هم تعرضوا لحالات من هذه، لم ينطلقوا على ماذا؟ أن يكونوا مستقيمين في مسألة التسليم لله، ومتمسكين بهذه القضية: التسليم لله، والسير على هديه مهما كان الثمن، عندما كان يحكمهم أناس من الرومان، كان ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ! وإذا قد هناك بيع وشراء في الدين {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (التوبة: من الآية٩) **معناه فقدوا التسليم التي هي قضية أساسية فأصبحوا في الأخير يقسمون الدين، يرضون هذا، ويوزعون لهذا، ويبيعون من هذا إلى أن ضاع في أوساطهم والبديل هو ماذا؟ ضلالات، وخسارة، في الأخير خسارات كبيرة، خسارات في الدنيا، وخسارة في الآخرة.**

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (البقرة: من الآية١٤٥) **أبداً على ما هم عليه {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ}** (البقرة: من الآية١٤٥) **يقول: [إذاً أحسن كذا من أجل أن تكون كذا يمكن ربما يقربوا قليلاً ويلينوا قليلاً، تتفق نحن وإياهم !]وعناوين من هذه، في المقابل عندما لا تلتزم أنت على هذه الوجهة التي رسمت لك، أن تتجه إلى هذه القبلة على الرغم من أن أهل الكتاب لهم موقف، موقف حدي من قضية القبلة هذه إلى درجة أنك لو أتيتهم بكل آية ما تبعوك في أن يتوجهوا إلى هذه القبلة، ما هناك برزت المسألة وكأنه: إذاً دخلنا في موضوع يجعلنا أكثر بعداً منهم، فكرة الناس الذين لديهم فكرة لفلفة، ومحاولة تألف، وأشياء من هذه، فيعتبر إذاً هذه تتنافى مع ما ينبغي أن نحرص عليه من أن نكون قريبين ونكون... هذه المسألة أبعدتنا كثيراً ؛ لأنه وجه إلى قبلة، أهل الكتاب لو جئتهم بكل آية ما تبعوها، ألم يظهر التوجه إلى هذه القبلة يشكل بعداً كبيراً ؟.**

ليست مشكلة هذه، لا تعتبرها مشكلة أبداً، ولو حاولت أن تتصرف على هذا من أجل أنك تحاول: أن تكون كلمتنا وحدة نحن وإياهم وتتألفهم ستكون قد اتبعت أهواءهم وستكون إذاً من الظالمين، ستخسر مثلما قال سابقاً: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة:١٢٠) **هذه القضية هي تعود إلى مسألة: التسليم، وهي القضية الهامة التي يحتاج إليها كل إنسان، ولا تقم المواقف القوية إلا بتسليم، ولا يفلح الناس إلا بالتسليم لله، إذا ما عرفوا إلا وقد طغى عليهم روحية التأقلم، التنازلات، روحية استرضاء الآخرين في الأخير يذوبون، ويتلاشون ويخسرون .**

هذه القضية هي تقوم على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى أنه: هو ملك الناس، مدبر شئون هذا الكون. لو تعتقد أنه يمكن أن تمشي معهم بالشكل الذي يجعلك قريباً منهم، استرضاء لهم، وعلى أساس أنك تجذبهم إلى هذا الدين، وليس في ذهنك أنه ما الذي يمكن أن يحصل من محذور الله يمكن يطلع شيئاً يجعلك خاسراً مثلما قال هناك: {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة: من الآية١٢٠) **أي أنه لا يظن أحد بأنه: إذاً سيقع في مشكلة كبيرة جداً، افهم بأن الله هو مدبر شئون السموات والأرض يمكن أن يكفيك الإحتمالات التي تراها كبيرة {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية١٣٧) .

أو ترى بأنه عندما تتأقلم معهم من أجل تسلم الإشكاليات هذه، وترى بأنك تحاول أن تسلمها لن تسلمها لن تسلم منها ستأتي عليك بأسلوب آخر، أو من أبواب أخرى وتكون بالشكل الذي لا تجد ولياً ولا نصيرا تضرب {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٤٥) **عندما ينسى الإنسان**

مسألة: التسليم لله، وقضية التسليم لله هي تكون في موضوع الحركة، في موضوع المنهجية، موضوع الدعوة، منهجية الدعوة، منهجية الحركة، في المواقف العملية، ستتقدم تنازلات في موضوع المنهج تكون في الأخير مقابل اتباع أهواء، والنتيجة ماذا؟ خسارة .

إذاً هذه هي ظاهرة قائمة عند الناس فعلاً تجد بعضهم عندما يأتي يتبنى مدرسة علمية، أو يتبنى إرشاداً لكن ويحاول يؤقلم الإرشاد بالشكل الذي لا يثير آخرين، يحاول يجعل مدرسته بالشكل الذي على أساسه أنه بزعمه محافظ على الدين، ومحافظ على الإرشاد، ومحافظ على التعليم، وعلى المذهب، يحاول لا ينطلق من مركزه، أو من مدرسته شعار ـ مثلاً ـ [الله أكبر...] قد يؤدي إلى أن الآخرين يستثارون وفي الأخير ربما يغلقونه مثلاً، أو ربما قد يؤدي إلى أنهم يتركون معاونتنا، أو أحتاج أتشرد من هنا، ويضيع هؤلاء الطلاب ! هذه تعتبر نظرات قاصرة، وضيقة، وعاقبتها دائماً خسارة، تكون خسارة دائماً، أي أن هذه الحالة قائمة ؛ لهذا قلنا: التركيز على موضوع التسليم، وكلما وجدت أمامك من احتمالات تبدو صعبة تذكر بأنك لست من سيحمل الجبال هذه، أو ستحمل المشاق الكبيرة ؛ لأن الله هو المدبر لشئون السموات والأرض هو الذي يعمل المتغيرات .

إلى هنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

من الآية (١٤٦) إلى الآية (١٨٦)

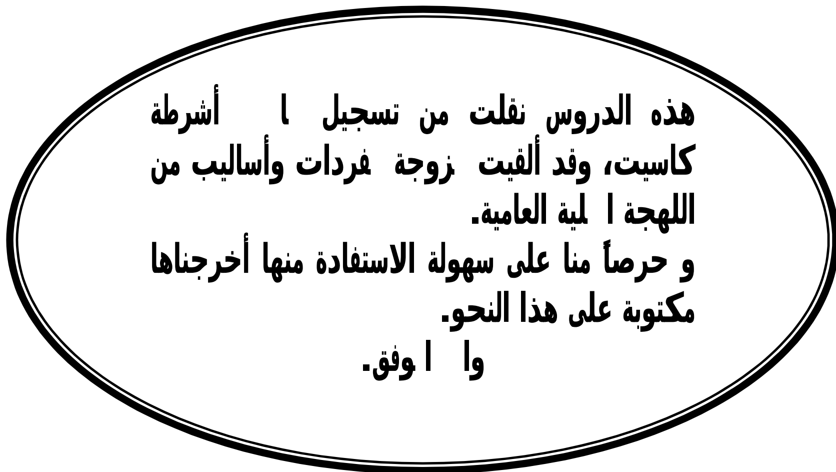
[الدرس الثامن]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٨ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ٢/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.

و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

في هذه الآيات مواضيع متعددة وكلها في سياق واحد ويبرز فيها: الأسلوب الحكيم في مقدمات التشريع، الأسلوب الذي يمهد، يمهد لقابلية التشريع. قد نكون نحن المسلمين باعتبار الكثير من الأشياء التشريعية قد ألفناها، شهر رمضان نحن قد ألفنا أن نصومه، شرعية القصاص قد أصبحت مألوفة، المواريث قد أصبحت مألوفة. قد ربما بالنسبة للجيل الأول تكون أشياء تبدو صعبة من البداية، فالقرآن الكريم الذي قال الله فيه إنه: {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت: من الآية٤٢) إنه: كتاب حكيم، { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } (هود: من الآية١) ، تتجلى الحكمة في منهجيته في التشريع، كما تتجلى الحكمة في منهجيته في الهداية .

أول الآية التي سمعناها قول الله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٤٦) تأتي كثيراً عبارة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} وتراها في مقامات الحديث عنها إيجابي كما قال في الآية السابقة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) ويقول في آية أخرى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (البقرة: من الآية١٤٥) وهنا يقول: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} .

من البداية في أول [سورة البقرة] هناك ما يوحي بأنه الناس ـ عادة ـ هم يكونون فئات متعددة ونوعيات متعددة، المتقون فئات متعددة وفئات متفاوتة، الكافرون فئات متفاوتة، من الكافرين نوعية قال عنهم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (البقرة:٦) فهنا جاء بعبارة: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} وتأتي في آيات كثيرة عبارة: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} وهناك من الذين كفروا من أصبحوا على هذا النحو، وهناك من أسلموا فيما بعد.

عبارة: {آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} تجد مثلاً هي تشبه تماماً: {أَنْزَلَ الْكِتَابَ} أو{أنزلنا إليهم الكتاب} يقول أحياناً: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} (النحل: من الآية٨٩) و{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ} (النساء: من الآية١٧٤) { وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} (العنكبوت: من الآية٤٦) عبارة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} قد تكون في مواضع تعني فئة معينة من أهل الكتاب هم كانوا أشبه ما يكون بورثة للكتاب يكون عندهم نوع من المعرفة عندهم نوع من الخشية، عندهم نوع من التسليم، هؤلاء قد يكونون في الواقع وربما كلهم أسلموا من كانوا من هذه الفئة الذين قد تنطبق عليهم الآية السابقة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) أعني: هذه الآية تصدق{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} آتيناهم إتيان وراثة، وآتيناهم الكتاب بالنسبة للدائرة الأخرى بمعنى الكتاب في متناولهم وأوتوه، وتصل العبارة بمعنى الإيتاء إلى مستوى البشر عموماً كما قال عن القرآن: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية٣٢) وهناك في آيات أخرى يقول فيها بأنه أنزله إلى الناس.

فالمسألة يجب أن نفهمها على هذا النحو فيما أعتقد نفهمها على هذا النحو، لا تفهم دائماً عبارة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}كلها تحكي نفسية واحدة ونموذجاً واحداً تماماً ، قد تكون في مقام معين تكشف لك فئة معينة، فئة معينة من داخل من أوتوا الكتاب، بالنسبة لنا كمسلمين بالنسبة للبشر عموماً يقال لهم: بأنهم أوتوا الكتاب، آتاهم الله الكتاب يعني: أنزله إليهم مثلما قال: {أُنْزِلَ عَلَيْنَا}، {أُنْزِلَ إِلَيْنَا}، أليس الكتاب القرآن الكريم أنزل على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو أنزل عليه أنزل عليه كهدى للناس؟ في الأخير تعني أنزل إلى الناس، هنا فريق من أهل الكتاب يعرفونه أي: يعرفون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كما يعرفون أبناءهم.

قلنا هذه هي شاهد في نفس الوقت: أن هناك في تراثهم ما يزال بقايا تتضمن العلامات للنبي الذي سيبعث في آخر الزمان وهو رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لأنه من أين لهم أن يعرفوه بهذه الدرجة كما يعرفون أبناءهم؟ لأن هذه معناها معرفة قوية معرفة لا شك فيها، أليس الإنسان يعرف ابنه؟ تعرف ابنك معرفة قوية لو ترى كم أطفال تعرف ابنك من بينهم بأن هذا هو ابنك، ثم هم أيضاً من خلال فهمهم لشخصية الرسل عادة كيف يكونون، سلوكياتهم أساليبهم مضامين دعوتهم الكتاب الذي يأتي إليهم عادة كيف يكون أسلوبه مضامينه خطابه للبشر، هي قضية متميزة تماماً هي قضية متميزة، كتب الله هي متميزة عن أي كتب أخرى، لا يحصل لديك لبس إذا كنت فاهماً لا يحصل لديك لبس بأن هذا الكتاب ربما يكون من شخص آخر على الإطلاق .

فمن مجموع هذه الأشياء تكون النتيجة لديهم: أنهم{يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٤٦) ممن أوتوا الكتاب وممن يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين لم يتوفقوا لأن يهتدوا {لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٤٦) أليست هذه قضية رهيبة جداً بالنسبة لمن هم يعرفون الحق ويكتمونه؛ لأن الضحية في الأخير يكون من؟ الأمة البشر الناس المساكين ؛ لأن الناس عادة يعلقون آمالاً كبيرة على علمائهم؛ لأنهم هم من جانبهم يعرفون الحق ويسيرون وراءهم على أساس أن ما يدعون إليه هو الحق، فعندما يكون هناك من عرفوا الكتاب وعرفوا الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم يكتمونه معنى هذا أنهم سيجعلون الكثير ممن هم محط ثقة لديهم يسلكون سلوكهم في التنكر لهذا النبي والتنكر لهذا الكتاب فيبقون كافرين ضالين.

وهذا هو الواقع بالنسبة لأهل الكتاب إلى الآن، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم لا يعني ذلك بأنه كل واحد من أهل الكتاب، علماؤهم مثقفوهم الذين هم يطلعون على الكتب التي تحكي النبوات وكيف سلوك الأنبياء، ويسطر كثيراً من تاريخ الأنبياء وكيف تكون دعوتهم في العادة، هؤلاء يعرفون لكن يضللون على الباقين والباقون يمشون وراءهم.

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧) فعندما يقول هناك: { وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٤٦) لا يستطيع أحد في الأخير أن يقفل باب الحق تماماً على البشر، الحق هو من الله، والله سبحانه وتعالى هو لديه سنن: إذا رفض هؤلاء هيأ أولئك، إذا كتم هذا هيأ آخر؛ لأنه رحيم بعباده إنما ليبين سوء عمل من يكتمون الحق كيف أنها جريمة كبيرة. الحق هو بكل ما تعنيه الكلمة وفي كل القضايا في مجال الهداية، التشريع، الحق في كل قضية من قضايا الناس في كل شأن من شئونهم هو من الله وهو من اختصاص الله سبحانه وتعالى.

هذه الآية تعطي الإنسان قاعدة يجب أن يفهمها كل واحد منا وكل واحد من الناس: هو أنه باعتبار أن الحق هو مطلب للناس جميعاً وكل من يتحركون هم يحاولون ـ مهما قدموا من ضلال ـ أن يقولوا إنهم يقدمون حقا، فحتى لا يكون هناك لبس، لبس لدى أي إنسان منا أن يفهم: أن مصدر الحق هو الله، فليكن همه أن يعرف الطريقة التي من خلالها يعرف الحق الذي هو من جهة الله؛ لأن المسألة ليس فيها لبس، حتى قضية الحق ليس فيها لبس حتى وإن وجدنا هنا أنه يذكر: أن هناك من يكتمون الحق وهناك من يضللون وهناك من يخادعون وهناك من يردون وأشياء كثيرة، لكن بين كل هذه الأشياء السيئة لا يضيع الحق؛ لأن الحق هو من الله والحق هو نور هو النور الذي ذكره في كثير من الآيات الأخرى وهو من جهة الله، إنما ليبقى البشر ليبقى كل إنسان مؤمن بهذه القضية: أن مصدر الحق هو من الله، وعندما تعود إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو مصدر الحق تجد أنه يقول عن نفسه أنه هو رحيم بعباده رؤوف رحيم يهدي يرشد يهيء هو الخالق، إذا كان هناك من كتم الحق سيخلق، يخلق غيره ويجعله هادياً إلى الحق الذي من عنده، وفي الأخير تحصل طمأنينة عند الناس؛ لأن الكثير من الناس يقولون: قد ضاعت القضية لم يعد أحد يدري أين الحق ولم نعد عارفين أين الحق قد الناس طوائف وكل واحد يقول هو على الحق وكل واحد يقول أنه يدعو إلى الحق وكل واحد كذا.. اختبصت...!.

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) فاعرف ربك لتعرف طريق الحق وستجد في الأخير لا تشكل كل الأشياء الأخرى عوائق أمام معرفة الحق وطريق الحق ومواقف الحق، أبداً؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يسمح ـ لأنه رحيم ـ بأن

يأتي بالحق ثم يضيعونه ما بين كاتم وما بين متحرك بالتضليل وما بين مخادع وفي الأخير يقول: قد جينا لكم بحق لكن أصحابكم هم الذين ضيعوه ادخلوا جهنم .لا، الله سبحانه وتعالى رحيم يهيء للناس، فقط المشكلة عادة تكون من عند الناس ؛ لذلك تجد القرآن الكريم يركز على موضوع الناس؛ لأنهم الميدان الحقيقي للرسالات ميدان الكتب الإلهية، ميدان الحق هم هؤلاء، عامة الناس وليس فقط قضية العلماء أو التركيز على موضوع العلماء فقط، أو الطبقة المثقفة فقط، بل القضية كلها تنصب إلى موضوع الناس، ولهذا في الأخير لا يشترط أنه يجب أن يكون هناك في الناس ـ مثلاً نصفهم علماء أو أن يكون ٩٠٪ منهم علماء حتى يتبين لهم الحق حتى يمكنوا أن يعرفوا الحق! شخص واحد يكفي البشرية جميعاً لأن يكون هادياً للحق ومعلماً للحق ومبيناً للحق، شخص واحد .

إذاً فهذه هي نفسها هي مما تبين لنا بأن القضية الأساسية هم الناس فشخص واحد يكفي شخص واحد يأتي معلم للحق، عادة يحصل أناس يتعلمون، أليس ممكناً أن يحصل هكذا، أعني: تلقائياً تقريباً في تاريخ البشر تأتي فئة من الناس تتعلم فيصبحون علماء وبمجرد أن يصيروا علماء يتحملون مسئولية كبيرة، يتحملون مسئولية كبيرة هي ماذا؟ هي أن يبينوا للناس الحق، هي مسئولية تصل إلى تقريباً كل شخص: أن الحق، وذلك الحق ـ الحق الذي هو من الله سبحانه وتعالى ليس الحق الذي استنبطه فلان أو باجتهاداته أو رؤاه وسماه حقاً ثم تقوم تتحرك به الحق ـ من يعرفه تصبح مسئولية عليه أن يبينه؛ لهذا ترى هذا الدور دور تنزل من عند الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من عند أنبياء الله، ثم من هم ورثة للكتاب، ثم من تعلمون، ثم من عرفوا من الناس إلى درجة ماذا؟ أنه يقول بعبارات عامة: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر: من الآية٣) .

المسئوليات بشكل أساسي تكون على العلماء بشكل أساسي تكون على العلماء ولكن وفي نفس الوقت من يعرفون الحق، ومعنى يعرفون الحق، ليس هو فقط: قالوا لك، واحد قال لك إنه حق، تكون القضية مرتبطة بهذه القاعدة: أن تعرف أنه الحق الذي من الله ومتى ما عرف الإنسان سنة الله في الهداية، الطريق، طريق الحق من عند الله إلى عند الناس، وهي طريقة سهلة ليست معقدة ليست طريقة معقدة، حينئذٍ يصبح من واجب الناس جميعاً أن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر على الحق، عندما تكون موصيا بالحق لا تعني العبارة فقط أن تقول:الحق، الحق، يجب أن نتبع الحق فقط! قد يكون في موقف معين الحق فيها هو أن تقول: كان يجب أن نكون كذا، كذا يجب أن تعمل كذا ، يجب أن نعمل كذا.

والحق مسألة واضحة، قضية عملية، أو موقف أو أي شيء من هذه الأشياء التفصيلية هذا ممكن بالنسبة للناس في إطار الإلتزام بهذه القاعدة الإلهية يعني ماذا؟ في أن نعرف الحق من مصدر الحق والطريق التي يصل عنها الحق التي رسمها الله التي رسمها الله هو، وعندما يقول: الحق، لا تفهم القضية عائمة، الحق كموقف، افهم بأنه أيضاً هو الذي يبين الطريقة الحق الطريقة التي تعتبر طريقة الحق، طريقة وصول الحق؛ لأن كلمة حق أحياناً قد تتناول ما هو قضية بخصوصها، مسألة معينة، أو موقفا معينا، مقولة معينة مثلاً ونفس الأسلوب ونفس المنهج ونفس الطريق التي عبرها يصل هذا الشيء.

الذين قالوا إن الحق بالنسبة لكل إنسان هو: أن يتعلم ثم ما ترجح لديه وغلب في ظنه هو الحق بالنسبة له! فليعلّم آخرين أو يمكن الآخرين أن يأخذوا منه ويقتدوا به، ألم يقدم حقاً حسب رأيه؟ على أساس أن تلك الطريقة التي قال عنها أنها طريقة معتمدة أنها حق! لكن لا، تبين أن هذه طريقة فيها كثير من الأخطاء كثير من الضلال كثير من البعد عن الحق، كلمة: الحق تتناول أيضاً أن الله سبحانه وتعالى عندما يقول: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) **أيضاً هو الذي يرسم طريقه، هو الذي يرسم سبيل الحق من بين كل السبل من بين كل الطرق التي تقدم، من بين كل المنهجيات التي تقدم، هو سبحانه الذي يبين الحق هو، ويبين طريقته فمتى ما تناولت الحق وتبين لك الحق وعرفت شيئاً من الحق عبر هذه الطريق بيِّن وتوصي الآخرين به وتوصي الآخرين بالصبر عليه .**

{الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الناس، والحق الذي يعني دينه بشكل عام دينه بكل ما تناوله وبكل ما رسمه من مناهج وأساليب هذا الحق هو نفسه الذي ذكر بأنه فطر الناس على قابليته بل تقريباً جاء بالعبارة التي تعني وكأن الدين هو الفطرة {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم: من الآية٣٠) ألم يذكر دينه هنا: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} إذاً فمعنى هذا بأن الله سبحانه وتعالى بين لنا بأن هذا الإنسان، هذا الإنسان هو مفطور على أن يعرف الحق مفطور على أن يقبل الحق، ونجد البشر كلهم تقريباً غالبيتهم العظمى كلهم فطرهم أنهم يريدون الحق إنما تختلف العناوين لديهم وتختلف مسميات ما هو حق لديهم، فمن يعتبر أن الحق في النظام السياسي هي: الديمقراطية يزخرفها للناس.

تجد الناس يقولون: نريد حقاً من يقدم للناس بأن التعددية وأن حرية التعبير المتعدد والأشياء هذه هي حقوق هي حق هي حق، ترى الناس عندما يتحركون: نريد حقاً نناهض نناضل نقاوم من أجل الحق بل وأحياناً يقتل كثير من الناس من أجل الديمقراطية على أساس أنها حق، والحق كل إنسان يعتبر أن الحق هو مطلب له.

إذاً فالقضية الأساسية: أن يعرف الناس: أن مصدر الحق هو الله، أن نعرف نحن ـ وهي قضية هامة وضاعت تقريباً بسبب ثقافات أخرى ـ أن الناس كل الناس مفطورون على قابلية الحق، وأن الأرض هذه هي مكان يمكن أن ينبت فيها الحق ويستقر فيها الحق عكس ما تقدم المسألة: بأن الناس لا يقبلون الحق والناس لا يعجبهم الحق والناس كارهون للحق والناس كذا.... كذا... كذا... إلى آخره ، لا. الفطرة الحقيقية لدى الإنسان أنه يقبل الحق، قد تتدنس فطرته، قد تتدنس فطرته حتى يصير إلى مستوى أن يصبح كارهاً للحق .

وهذه القضية هامة؛ لأنه أحياناً قد يبعد الكثير من الناس من العلماء أنه قد ترسخ لديهم فكرة: أن الناس لا يقبلون الحق ومن يتحرك من أجل الحق لن ينجح وأهل الحق لا ينتصرون وأهل الحق يكونون مستضعفين وأهل الحق لا يصلح لهم شيء...! هذه المقولة نعرفها سائدة ومؤثرة تأثيرا سلبيا كبيرا أعني: تنتهي المسألة في الأخير بالنسبة لك في علاقتك مع الله إذا لم تكن تفهم القضية على أصلها تصبح عقيدتك ورؤيتك إلى الله تتنافى مع جلاله، مع عظمته، مع رحمته، مع حكمته، مع علمه، مع قدرته عندما يقول: {الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) .

هي مسألة يترتب عليها أشياء كثيرة جداً أن تكون السنن الكونية التي رسمها في هذا الكون منسجمة مع الحق أن تكون فطرة الإنسان الذي هو محط هذا الحق أن يلتزم به أن يتحرك على أساسه أن يدعو إليه أن تقوم معاملاته على أساسه أن يكون مفطوراً على قابلية الحق .

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧) الوقفة عند هذه الآية هامة جداً نتأمل المسألة بشكل جيد لأنه فعلاً سبب ضياع الحق في أوساطنا وفي أوساط الناس؛ أننا لم نفهم الحق ولم نفهم سنة الله في موضوع الحق ولهذا تجد مفاهيم أخرى جعلت الحق يبدو ثقيلاً أمامنا؛ لأننا لم نفهم سنة الله التي فيها كثير من التسهيلات من أجل إقامة الحق من أجل بيان الحق من أجل طريق الحق كما قلنا سابقاً: أن الفكرة التي جعلت الكثير يقول: بأن الناس يبدو هم لا يقبلون الحق ولا يعجبهم الحق وكارهون للحق الحق ثقيل على الناس وأشياء من هذه! ومتى ما جاءت مواقف حق وإذا كل واحد يتصور بأن معناه يحمل جبلاً فوق رأسه ثم ترى الناس فعلاً في الأخير لم يعودوا يتحركون للحق لا كثير ممن يعلمونه ويعرفونه ولا الكثير من الأتباع! هذه في حد ذاتها، تعطي أملا كبيرا للناس.

ثم لاحظ كيف كان تعامل الناس لأن الله عندما قال: {وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٦ـ١٤٧) أي يجب أن تفهم بأن باب الحق لا يمكن أن يوصد، إذا كان هناك من يكتمه فإن الله سيهيء من يبينه؛ لأن الحق هو منه وهو من له ما في السموات والأرض وهو الغالب على أمره وهو الخالق هو المدبر لا يمكن تقول: انتهى الحق، نَفِد، لم يعد هنا شيء قد كملوا انتهى الدوام..! ليست القضية بهذا الشكل.

تجد في موضوع إقامة الحق والذي جاء فيها آيات: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) مجمل الثلاث الأشياء هذه تعني ماذا؟ حق تعني حق وفي آية أخرى: {يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَاراً لِلَّهِ} (الصف: من الآية١٤) **ما معنى النصر لله؟ أليس معناه التحرك لإقامة الحق العمل لإعلاء كلمته؟ وكلمته هي الحق {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}** (البقرة: من الآية١٤٧) .

إذاً فيجب أن تفهم أنه لما كان الحق هو من الله وهو الملك وهو الإله وهو القدير على كل شيء وهو العليم بكل شيء أنه في نفس الوقت يعطي التسهيلات الكثيرة التي تجعل الناس يتمكنون من إقامة الحق لا يمكن أن يكون واقعنا أن ننظر إلى الله وكأنه دون ما يعمل الزعماء من البشر عندما يأتي رئيس أو وزير عدل يعين قاضي في منطقة أليس هو يعطيه سيارة ويعطيه أيضاً مرتَّب ويعطيه اعتمادا آخر من أجل ماذا؟ من أجل يتمكن من أن يقوم بعمله يقضي بين الناس دون أن يحتاج إلى أخذ رشوة من هنا أو هنا أو يكون هناك ما يشغله عن هذه المهمة عندما يعين موظفاً في مكتب أليس هو من يوفر له الطاولة والكرسي والأقلام والأوراق وسكرتير يجمع عنده الأوراق ويقدم المواضيع والسجلات ودواليب وأشياء متعددة وغرفة معينة قد تكون مكيفة قد تكون منارة بشكل جيد ، أليست هذه سنة عند الناس؟ أليست هذه فطرة عند الناس، الله سبحانه وتعالى عندما يقول للناس هكذا تجد أن الطريقة هي نفس الطريقة هذه، أن الله يعمل التسهيلات الكثيرة ؛ ولهذا قال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}** (محمد: من الآية٧) **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}** (الأنفال:١٢) .

هذه قضية هامة يجب أن نستشعرها جميعاً وكل واحد منا أن يفهم: أن الحق هو من الله وأن تعرف الله تعرف الله وتعرف سنته سبحانه وتعالى فيما يقدم لمن يتحركون في إقامة الحق، إذاً هذه تقريباً ضاعت من أوساطنا كتثقيف كتعريف قد أصبح الناس عندما نقول: نريد أن نتحرك في مواجهة أعداء الله كل واحد يرى المسألة جبلاً [من الذي يستطيع!] إلى أن تصل المسألة أحياناً عند الكثير إلى أن يسخر ممن يتحركون من أجل الحق وفي سبيل إقامة الحق.

وعندما تتحرك لإقامة الحق فاعرف بأن: الحق هو من ربك وربك هو الغالب على أمره وهو على كل شيء قدير هو الذي يقول عن هذا الإنسان أنه ضعيف: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٢٨) **{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً}** (الأنفال: من الآية٦٦) **هل يمكن للقوي العزيز أن يحمِّل الضعيف هذا العمل الكبير ثم لا يتحرك ليعمل شيئاً؟ لا يمكن هذا على الإطلاق، وواقعاً في تاريخ البشر أنبياء الله أولياء الله الذين تحركوا من أجل الحق يذكر في القرآن الكريم ما عمل لهم تأييده لهم نصره لهم.**

إذاً فهذه القضية يجب أن نفهمها جميعاً عندما يقول: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) **فافهم بأنه في كل قضية هناك حق هو الحق الذي من عند الله ففي وضعية كهذه الناس يقولون فعلاً مواجهة أعداء الله هي حق أليست هكذا؟ لكن ناسين في نفس الوقت! في الأخير يتساءلون حول الأسلوب وحول الطريقة وحول الوقت وحول مع من وكيف، أليست هذه؟ افهم بأن الله هو يعلم هو قد رسم في نفس الوقت الطريقة في أن تقوم بالحق والأسلوب الحق والمنهج الحق والقيادة الحق والطريقة الحق وهكذا، هو لا يقول تحركوا للحق ويتركها غامضة إن الله يهدي، والحق معناه: الشيء الثابت في القضية، في الموقف، الشيء الصحيح، الصواب، الموقف الصحيح، القضية الصحيحة، الأسلوب الصحيح، الحالة التي تعتبر صوابا، وهكذا الحق يقابله ماذا؟ يقابله ضلال أخطاء باطل.**

حينما ينصرف الإنسان بذهنه على الإطلاق في كل قضية يتحرك فيها في سبيل الحق لا تدري وإذا هو قد أصبح يحول ذهنه إلى هذه الجهة أو هذه الجهة يبحث كيف يعرف أسلوب حق وكيف الطريقة إلى الحق، من هنا أو من هنا. لا. يجب أن تفهم أنك في حالة البحث لمعرفة الحق الذي تسير عليه لتقوم بالحق أن تفهم بأن عليك أن تلجأ إلى الله فإنه قد رسم الطريقة الحق، أعني: أنه يقدم هذا الموضوع باستقلالية تامة؛ ولهذا سماه صراطاً مستقيماً، وسماه سبيلاً {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: من الآية١٥٣) **جعل القضية جاهزة طريقة مستقيمة وواضحة لست بحاجة إلى أن تتلفت كذا أو كذا أو تستعين بهذا أو بهذا أو بأي طريقة أخرى على الإطلاق.**

الحق هو من ربك وسيهدي للحق في كل قضية في أساليبك في منهجيتك في طريقتك؛ لأن الله سبحانه وتعالى في الأخير قدم القضية بالشكل الذي تبدو سهلة ليست حتى مرهقة ذهنياً ليست حتى مرهقة لـذهنك ولا تجعلك تتخبط، لكن افهم الطريقة الحق الأساسية.

حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحركة الذين كانوا معه ألم تكن حركة حق؟ هل كانوا هم كل واحد منهم ملان اضطرابات وترددات [وكيف نسوي، وكيف نعمل و.. و] وأشياء من هذه؟ لا. قال الله لهم: اتبعوه، أطيعوه، هو نفسه سيعرف الحق وأسلوب الحق وطريقة الحق ويتبعونه وهو في نفس الوقت يبين لهم الحق ويسير بهم مسيرة الحق وإلى غايات الحق، وهكذا.

جاء في القضية الأولى بأنه أن يكون الإنسان مطمئنا أنه إذا كان هناك من يكتم الحق أن الله سيهيء من يبين الحق ويهدي إلى الحق، هذه القضية هامة يجب أن نفهمها؛ لأنه أحياناً قد تبدو حالة من يبين الحق هي الحالة الشاذة يعتبرونه الحالة الشاذة! يقول لك: العلماء الباقون لا يقولون هكذا، أو فلان، وفلان، وفلان من العلماء لا يتكلمون لماذا إما فلان! عندما تنظر هذه النظرة {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٦-١٤٧) **قل ـ وقد أنت عارف لربك الرحيم ـ إذاً لا يمكن أن يترك الناس هكذا يأتي من يغلق باب الحق، سيهيء من يبين الحق حينها تتقبل أنت المسألة عندما تجد أحدا من الناس يبين الحق لن تعتبرها حالة شاذة، الكثير يعتبرها حالة شاذة ؛ لأنه لا يعرف هذه السنة الإلهية هنا، هنا فريق يكتمون، لكن هو في نفس الوقت يهيء من يبين الحق، وعندما ترجع إلى الكاتمين وتقول: هؤلاء هم الأصل لماذا فلان هو لوحده ويتحرك لوحده ويعمل له طريقا لوحده.... وأشياء من هذه، معناه أنك لست فاهماً لهذه وتكون أنت مع من يكتمون الحق وسترى في الأخير ما سيقول عنهم ، قضية خطيرة جداً معظم الآيات التي ستأتي حول موضوع من يكتم الحق وأتباعهم وكيف ستكون طريقتهم ومصيرهم.**

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة: من الآية١٤٨) **بعد ما ذكر أهل الكتاب: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ}** (البقرة: من الآية١٤٥) **الإنسان من حيث هو لا يخلو عن وجهة يولي توجهه ووجهه إليها، لكن أنتم هذه هي الوجهة الصحيحة اتجهوا إلى شطر المسجد الحرام فيما يتعلق به كقبلة اتجهوا إلى هذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة، فلم يبق إلا أن تستبقوا الخيرات أن تستبقوا أنتم إلى هذه الوجهة هو من الإستباق إلى الخيرات داخل هذه الوجهة استبقوا الخيرات، لا تعني هذه إقرار شرعية التوجهات المتعددة أو من جعلوا لأنفسهم قبلة.**

{وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} (البقرة: من الآية١٤٥) **اليهود لهم قبلة والنصارى لهم قبلة ليس معناه إقرار لهذه معناه هكذا الناس وهذه هي القضية الحقيقية بالنسبة للإنسان لا يخلو من وجهة {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (البقرة:١٤٨) **الله أعلم بمعنى هذه في واقع الحياة ماذا تعني: {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً} إذا قلنا: قد تكون معناها: بأن مرد الجميع كلهم إلى الله في يوم القيامة، هذا شيء واضح لكن يبدو من ظاهر الآية أنه شيء مرتبط بظاهر الحياة نحن لا نعلمه، الله يعلمه.**

{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة:١٤٩) **هذا أمر يخص النبي نفسه في المقدمة توجه أنت حيث ما كنت بانصرافك إلى تلك القبلة المسجد الحرام. المسجد الحرام يبدو هو أوسع من مسألة الكعبة، الكعبة نفسها هي في المسجد الحرام البيت الحرام هو في ماذا؟ هو في المسجد الحرام والمسجد الحرام هو كله قبلة، وعندما يتجه الإنسان إلى المسجد الحرام هو بالتالي يتوجه إلى الكعبة. {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}** (البقرة: من الآية١٤٩) **التوجه في صلاتك إلى المسجد الحرام هو الحق والحق هو من ربك كما تقدم {فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}** (البقرة: من الآية١٤٧) .

{وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} (البقرة: من الآية١٤٤) **في أي موقع كنتم في الدنيا في هذه الأرض {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}** (البقرة: من الآية١٥٠) **لأنه قد**

يكون في نفس الوقت مع وجود أهل الكتاب وهم مختلطين ومندمجين في المجتمع، قد يكون البعض فيما لو بقيت القبلة هي نفس القبلة التي توجه إليها في البداية القدس، قد يقولون بأنه رأيتم أننا على حق أنتم هؤلاء احتجتم أن تتوجهوا إلى القبلة التي نحن نتوجه إليها لو أننا على باطل لما أمرتم أن تتوجهوا إلى القبلة التي نحن نتوجه إليها.

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ}(البقرة: من الآية١٥٠) **هناك قد قال في الآية الأولى بأنهم يعرفون بأن هذا هو الحق من عندك وفعلاً قدمها بسرد تاريخي من هو الذي بنى الكعبة ورفع قواعدها؟ هو إبراهيم وإسماعيل وأن الله جعلها من ذلك الزمن قبلة للناس يتوجهون إليها، فأهل الكتاب هم الذين شذوا، دوافع معينة هم الذين شذوا وتوجهوا وجهة أخرى، أصبح لليهود قبلة معينة وأصبح للنصارى قبلة معينة أخرى.**

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ}(البقرة: من الآية١٥٠) **سواء كان من الذين أوتوا الكتاب أو من غيرهم {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}**(البقرة: من الآية١٥٠) **هذه قضية هامة؛ لأنه حتى هنا، موضوع التشريعات هنا تأتي بالشكل الذي تبدو صارمة، فيجب أن تكونوا مستقيمين وتسيروا على ما وجهتم إليه حتى لو بدا لكم أنه قد يثير آخرين عليكم أو قد تصدر من داخلهم مقولات ضدكم أو أشياء من هذه.**

هذه النقطة تكون عندما لا يزال المجتمع خليطا، أعني: هو في الأخير انتهى الناس بالنسبة لأهل الكتاب أصبحوا متميزين هناك، وضعيتنا الآن أليست وضعية متميزة عن وضعية أهل الكتاب؟ أثناء تنزل القرآن الكريم كانوا لا يزالون خليطاً في المجتمع فقد يأتي من داخلهم مقولات متعددة، يجب أن لا تخشوهم على الإطلاق، والتسليم لله سبحانه وتعالى، هذا هو الشيء الأساسي هذه هي قاعدته، لا يمكن أن تكون مسلّما لله وتبقى مستقيماً في تسليمك لله ومستقيماً على هدي الله وملتزماً إلا إذا كنت على هذا النحو: لا تخشى إلا الله.

{فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ}(المائدة: من الآية٤٤) **متى ما اتجه الإنسان إلى أن يصغي لأن يخشى من غير الله فبالتأكيد ينحني، أخيراً يؤقلم عمله وتوجهه ومواقفه بالشكل الذي لا يثير من يخشاهم، يجعله بالشكل الذي تحكمه في تصرفاته كلها الخوف من ذلك الطرف الآخر.**

{فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة: من الآية١٥٠) **ولا تتم نعمة الله على الإنسان أن يكون هو فعلاً في سلوكه بالشكل الذي توفرت له النعمة وتمت عليه النعمة إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله ولا يهتدي فعلاً إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله ؛ لأن من يخشون غير الله تقدم نعمة من التي تعني نعم هداية تقدم آيات فيها هدى توجيهات فيها هدى لن يقبلها، ليس ميداناً لها؛ لأنها تصطدم بخشيته من غير الله، هذه القضية واضحة في الناس .**

إذاً الخشية عندما يكون الإنسان يخشى غير الله، هي حالة تبين بأنك جاهل لله وجاهل باليوم الآخر، من الذي لديه ما يمكن أن تخافه مثل جهنم؟ هل أحد لديه مثل جهنم من البشر تخاف منه؟ أبداً ، هل أحد لديه مثل الجنة فترغب فيما لديه؟ تعدل عن الله سبحانه وتعالى فتصبح تخشى غير الله وترغب في غير الله، كلها يكون منشؤها الجهل، الجهل بالله الجهل بدينه، الجهل باليوم الآخر الجهل بالسنة الإلهية في موضوع الحق.

الإستقامة وراءها الله، الحق وراءه الله، عندما يكون الناس يسيرون على الحق فالله يؤيدهم، هو ينصرهم، هو يعينهم هو يثبتهم هو يعطيهم نوراً، أليس الله يقول في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ}(الحديد: من الآية٢٨) **ويجعل لكم نوراً تمشون به {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً}**(الأنفال: من الآية٢٩)**؟ يجب على الإنسان أن يستحي فعلاً أن يستحي من أن يكون يخشى غير الله لأن معناه أنك تجعل غير الله وكأنه أكبر من الله، وكأن ما لديه مما تخافه منه أعظم وأشد عليك مما لدى الله؛ لهذا الله سبحانه وتعالى جعل الأشياء لديه على أرقى مستوى جهنم أشد، أشد عذاب والجنة أعلى، أعلى نعيم مادي ورضوانه أكبر من ذلك النعيم المادي التي هي الجنة .**

إذاً تراجع حساباتك، متى ما كنت تخشى آخرين تخشى من ـ مثلاً ـ أمريكا الكبيرة في الأرض هذه أليس لديها الأسلحة الكثيرة ولديها الإمكانات الكثيرة؟ هل يمكن أن تعتبر ما لديها يساوي يوما واحداً في جهنم؟ أبداً ، فهل

تخاف ما لدى أمريكا عندما لا تكون إلا أنت، وأمريكا كلها متوجهة بكل ما تملك من أسلحة لتصبها عليك أنت وحدك؟ يجب أن لا تخشاها لأن ما لدى الله من عذاب شديد هو أشد بكثير، بكثير لا يساوي ما لدى الآخرين يوما واحدا في جهنم ولا ساعة واحدة في جهنم.

يجب أن نفهم خطورة المسألة: أن الناس لا يهتدون وأنهم يضعون عقبة كبيرة جداً أمام اهتدائهم عندما يكونون يخشون غير الله {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٥٠) **لا تظن بأنك عندما تتوقف في موقف معين لأنك تخشى طرفا آخر أنك ربحت أنك أمنت جانبه، يجب أن تفهم بأنك خاسر، ومن خسارتك الكبيرة هو أنك وضعت نفسك في مشكلة كبيرة أنك وضعت عائقا كبيرا جداً أمام أن تهتدي، ثم انظر أين تنتهي بك هداية الله سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة كيف نهايتها ، في الدنيا عزة وسعادة ورفعة وقوة وطمأنينة، وفي الآخرة الأمن يوم القيامة والجنة ورضوان من الله أكبر، عقبة تجعلها أمام نفسك تشكل عائقاً كبيراً أمامك تصبح بالشكل الذي لا تعد محطا لأن تهتدي، وكل هدى يريد الآخرون أن يصلوا به إليك هناك عقبة تصطدم ولهذا بعضهم يقول: [والله صحيح لكن...] أليس بعضهم يقول هكذا؟ أليس هنا يبين لك العقبة أمامه [صحيح والله هذا العمل باهر وأنه حق لكن يا خبير معنا أعداء الله والدولة كذا والمدير فَسْل والمحافظ فَسْل] وأشياء من هذه .**

إذاً هذه الحالة أمامك لو تعرف أنها خسارة كبيرة جداً لأنك لم تعد تهتدي نهائياً، وفي الأخير لا تدري إلا وأنت يوم القيامة مع من تخاف منهم وتخشى منهم ، وسيأتي في الأخير كيف الحكاية وكيف المصير بالنسبة لك في الآيات الأخرى تكون معهم في جهنم تكاد أن تأكل أناملك من الحسرة يوم القيامة {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} (الفرقان: من الآية٢٧) **من شدة الحسرة والندامة {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}** (الفرقان: من الآية٢٧) **هذه سبيل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاب الله ، ما يهدي إليه كتاب الله هو السبيل الذي سار عليه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو السبيل الذي دعا إليه، هو رسالته التي هي ممتدة للبشر جميعاً إلى آخر أيام الدنيا.**

{وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} (البقرة: من الآية١٥١ــ١٥٢) **هذه من النعمة الكبيرة جداً على الناس، نعمة القرآن الكريم، نعمة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ}** (البقرة: من الآية١٥١) **إلى أن قال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي}** (البقرة: من الآية١٥٢) **هذه النعمة الكبيرة {وَلا تَكْفُرُونِ}** (البقرة: من الآية١٥٢) **أي لا تكفروا بهذه النعمة الكبيرة فتكونون كافرين بي.**

لكن هذه واحدة من العوائق الكبيرة {فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: من الآية٤٤) **فلن تعد تتم نعمة عليك ولن تعد تدرك النعمة الكبيرة وهي نعمة القرآن الكريم ونعمة الرسول ولن تتعلم ولن تتزكى ولا تعطي حكمة ولا شيء وفي الأخير تكون كافرا بهذه النعمة العظيمة، كافرا بالله ، بما قدمه الله سبحانه وتعالى إلى الناس وهي النعمة الكبيرة هذه .**

بعد أن ذكر الكثير من تاريخ بني إسرائيل، وكيف وصل بهم الضلال، وكيف آلت حالتهم إلى تلك الحالة السيئة، حتى في نفسياتهم فقدوا الطمأنينة، وأصبحوا في حالة قلق، يخاف، يخاف من ذكر الموت {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} (البقرة: من الآية٩٦) **ضياع ، غضب إلهي ، ذلة ، مسكنة ، أشياء رهيبة جداً .**

إذاً يجب أن تفهم عظم نعمة الهداية ، نعمة أن الله أرسل رسولا هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وأنزل عليه هذا الكتاب وهو هذا القرآن نعمة كبيرة جداً لأنه ما يزال بين أيدينا وما نزال كلنا متفقين عليه، كل المسلمين متفقون عليه ، هي نعمة كبيرة لا يساويها نعمة ، لا يساويها نعمة من كل النعيم {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (البقرة: من الآية١٥٢) **نفس القضية التي ذكّر بها بني إسرائيل {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}** (البقرة:٤٧) **هنا يذكّر المسلمين بأن يذكروا هذه النعمة العظيمة ، وإذا لم تقدر**

هذه النعمة العظيمة سيكون موقفك في الأخير موقف بني إسرائيل منها ، من نعمة الكتب ، من نعمة الرسل التي أنزلت إليهم ، وبعثوا فيهم ، وفي الأخير سيكون مصيرك مصيرهم. ألم يصل الناس إلى أسوء مصير؟ وصلنا إلى أسوء مما وصل إليه أهل الكتاب فعلاً ، فتجدهم هم الآن من يتجهون لقهرنا ، وإذلالنا ، والتحكم في شئوننا، واحتلال بلداننا ، ونهب ثرواتنا، وتغيير ديننا في نفوسنا؛ لأننا ضيعنا نعمة كبيرة هي أكبر من النعم التي أوتيها بنوا إسرائيل. فعلاً هذا القرآن هو أكبر وأشمل وأعظم من الكتب الإلهية السابقة؛ لأن الله جعله مهيمناً على كل كتبه السابقة.

يجب أن تُفهم المسألة أن قضية الرسالة قضية الهداية معناها تقديم ما هو في الواقع ـ إذا صحت العبارة ـ خدمات جليلة للناس، يعلمهم، يعلمهم علماً صحيحاً علماً واسعاً علماً يصيرون به حكماء ، الكتاب والحكمة ، الحكمة كما نقول في أكثر من مقام هي لا تعني هنا: [السنة] كما يقول المفسرون أبداً ليعلمهم كيف يكونون حكماء في رؤاهم ، في سلوكياتهم ، في مواقفهم ، الحكمة هي الآن عندما افتقدها المسلمون عندما افتقدها العرب، هل تجد مواقف حكيمة الآن في مواجهة هذا الخطر الكبير الذي يتجه على هذه الأمة، أين المواقف الحكيمة؟ هل هناك مواقف حكيمة؟ هل يوجد رؤى حكيمة؟ هل هناك أساليب حكيمة؟ لا شيء ، مفقودة ، الحكمة هي من الله {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} (البقرة: من الآية٢٦٩) الحكمة هي جانب من الحق نفسه، لهذا يقول هناك {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) والحكمة تعني: المواقف الحق، وهي في نفس الوقت تعتبر حكيمة أي هو الموقف الصحيح المناسب، فالموقف الصحيح المناسب هو حق وهو حكمة في نفس الوقت، موقف حكيم من هذه القضية الفلانية أسلوب حكيم في هذا المجال الفلاني طريقة حكيمة في هذا التوجه الفلاني وهكذا.

{وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٥١) يعلمكم ما لا يمكن أن تصلوا إليه ولا إلى معرفته من النور والحكمة وتزكو أنفسكم وتتسع معارفكم وتسمو أنفسكم وتكون مواقفكم ورؤاكم ومنطقكم كلها حكيمة.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة:١٥٣) هذه واحدة من مظاهر {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أن تفهم بأنه عندما يوجهك لموقف حق، يبين لك قضية حق هو في نفس الوقت يقدم لك ما يعينك على أن تقوم بهذا الحق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} (البقرة:من الآية ١٥٣) لاحظ كيف أنه عندما أمرنا في [سورة الفاتحة] أن نقول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:٥) هو في الوقت الذي يبين لنا كيف نعبده هو يمثل عوناً لمن يتجهون في عبادته فنعبده ونستعين به في أداء عبادته أن نعبده معناه: الحق، نقوم بالحق الذي أنزله على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) الحق هذا العنوان الواسع الشامل.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٣-١٥٤) لو تأتي إلى مسألة: أن تقتل في سبيل الله تجدها في الأخير تعتبر من الحكمة بالنسبة لك ومن الخير الكبير بالنسبة لك لأنه عندما ترى أنه في الأخير أنت ستموت، أليس كل إنسان سيموت، أليس من الأفضل لي أليس من الحكمة أن استثمر موتي أنت ستموت، ستموت أليس هذا موقفاً حكيماً؟ ليست قضية تعتبر مصيبة لأنه ما هو الجديد في القضية؟ هل هناك جديد في الموضوع؟ هل القتل في سبيل الله شيء أكثر من الموت؟ أو الإنسان إذا لم يقتل في سبيل الله فلن يموت؟ سيموت ولا تدري في نفس الوقت متى ستموت، إذاً فالموقف الحكيم والخير الكبير عندما تقتل في سبيل الله تعتبر أنت استثمرت موتك الذي لا بد منه ثم تكون في الواقع أفضل لك من أن تموت فتكون في عالم اللا شيء إلى يوم القيامة تكون أحياء، أحياء.

ويبدو أن الشهداء يبقون أحياء من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة فيصبحون أحياء فعلاً ، ففي آيات أخرى عندما يقول الله عن أحداث القيامة: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} (الزمر: من الآية٦٨) تبين أن هناك فئة أو شيئا من مخلوقاته حية لا تتأثر بتلك الأشياء مع أن الشهيد يموت اسما، اسما هكذا أنت تراه لكن في الواقع يصبح حياً فقط ألقى [بذلة] خلع البذلة التي عليه ذلك [البودي] الذي له هذا الهيكل وأصبح حياً {عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: من الآية١٦٩) لم يعد هناك موت بالنسبة لهم {لا

يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (الدخان:٥٦) **تأمل في كثير من الآيات التي تتحدث عن أحداث القيامة فيها حالة استثناء {إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}** (الزمر: من الآية٦٨).

هذه القضية قد تبدو في أول وهلة وكأنها كبيرة لكن قدم لها، وهذا أسلوب من أساليب التوجيه الإلهي والإرشاد الإلهي والتشريع الإلهي من المقدمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٣ـ١٥٤) **لاحظ كيف يأت الكثير منها بأسلوب استعراضي ما جاءت عبارة: اقتلوا، اقتلوا في سبيل الله، لا. يبين لك هنا القضية موقع هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله حتى تصبح أنت متشوقا؛ لها إيجابية فيما يتعلق في نفس أي إنسان أكثر من أن يقال: اقتلوا أو يجب أن تقتلوا في سبيل الله وستكونون أحياء {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ}** (البقرة: من الآية١٥٤) **لا. هذا مقام رفيع لا تسموهم أمواتا، لا يصح أن تقولوا: مات فلان ، إنهم أحياء بكل ما تعنيه الكلمة، ولكن لا تشعرون.**

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة:١٥٥) **لاحظ ما أجمل موقع هذه الآية بعد أن يجعلك بالشكل الذي تشتاق إلى أن تقتل في سبيل الله! هل ستبدو ثقيلة عليك أن تمر بأي شيء من هذه الأشياء المتعددة بعد: خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو نقص في الأنفس؟ أنت مشتاق أن تقتل في سبيل الله هل هي مشكلة بالنسبة لك، جوع خوف نقص من الثمرات وأشياء من هذه، ستبدو أمامك هينة إذا كنت قد فهمت النقطة الأولى والمقام الرفيع لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل الله ثم هذه تبدو بأنها قد تمر بالناس على حسب إرادة الله سبحانه وتعالى ، هذه القضية لا نعلم كيف هل يمكن مع جيل معين أو في سنة معينة أو متى بالتحديد إنما يبدو أنها مشجعة باعتبارها ترويض ربما عندما تكون المسألة باعتبارها ترويض قد يكون الناس فيما إذا أخلصوا لله وتوجهوا إلى الله وعزموا على أن يضحوا في سبيله، ولو قتلوا في سبيله وأن يتحركوا في سبيل الله ولو قتلوا ربما، ربما ـ والله أعلم ـ قد تكون هذه الحالة بالشكل الذي قد لا تعد تحصل ابتلاءات من هذا النوع إلا ما كان في نفس الوقت ـ وهذه تبدو سنة إلهية ـ ابتلاءات في المقام العملي تكون إيجابية كبيرة في نفس العمل الذي أنت فيه تخدم القضية التي أنت تتحرك فيها .**

أليس لدينا الآن[١٥٠] سجينا من أجل الشعار؟ تبين من خلال سجنهم إيجابيات كبيرة جداً جداً، لهذه المسيرة ولهذا العمل وفضح كبير للأمريكيين ولغيرهم بشكل لم يكن بالإمكان أن نحصل عليه ولا أن تصل القضية إليه لولا هذه الحالة التي مر بها كثير من الشباب فأصبح منهم حوالي[١٥٠]سجينا، أليست تبدو في الصورة قضية ابتلاء؟ لكن الإبتلاءات في المجال العملي كلها تصبح إيجابية، إيجابية كلها إلا في حالة واحدة ما كان نتيجة تقصير من الناس تفريط من الناس هذه تكون تأديبا يحصل تأديب.

في مراحل الصراع مع أعداء الله يحصل حالة خوف، أليست طبيعية في الصراع عند البشر كبشر يحصل خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات أليست هذه تحصل؟ لكن المؤمنين أنفسهم عندما يمرون بأشياء من هذه تعطيهم تجلدا تعطيهم صبرا، وعندما تكون هي من جهة الله سبحانه وتعالى تكون إيجابية أيضاً في نفس الوقت إيجابية، فيجب هنا أن تصبر، تصبر لتنجح في هذا الإبتلاء الإلهي الذي يعطيك في نفس الوقت تجلدا؛ لأن ما يمكن أن يحصل عليك وأنت في مواجهة العدو كمجتمع وكأفراد هي هذه: حالة خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة: من الآية١٥٥) **بشر الصابرين، هذه الآية هذه العبارة تتكرر في القرآن الكريم بشكل كبير بأن الناس عندما يصبرون في سبيل الله فهناك بشارة هم موعودون بها هناك فرج إلهي {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا}** (الصف: من الآية١٣) **بعد ما ذكر الجنة والمغفرة وتكفير السيئات {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}** (الصف: من الآية١٣) **عادة الصبر الإلهي أن يصبر الإنسان في سبيل الله هو الصبر الوحيد الذي يأتي بعده فرج وإذا لم تصبر في سبيل الله فستصبر على قهر أعدائك على ظلمهم لك على استعبادهم لك على هتك عرضك، ويكون هذا الصبر لا لله ولا في سبيله ولا نهاية له وليس بعده فرج لا يحصل بعده فرج أبداً.**

إذاً فالأفضل للإنسان هي نفس القضية الأولى أنت ستموت، أفضل لك أن تحاول أن تعمل في مجال لتحصل فيه أن تستشهد في سبيل الله وإلا ستموت، أليس هذا أفضل من أن تموت أفضل لك أن تصبر في سبيل الله من أن تصبر على الذلة والإهانة والقهر والعبودية والإستذلال وتسلط الأعداء، أفضل لي أن أسير أنا ويكون الأعداء هم الذين يصيحون مني، الذي أضرِب أفضل من أن أكون أنا الذي أضرَب والذي أقهر وأذل وأصيح أنا وكل أسرتي وكل الناس من حولي، أليس هذا أفضل لك تصبر في طريق أنت فيها الذي تضرب وتؤلم الآخر وتغيض الآخر وتهزم الآخر؟ ولا أن تكون أنت الذي ماذا؟ الآخر العدو هو الذي يقتحم عليك بيتك هو الذي ينتهك عرضك هو الذي ينهب أموالك هو الذي يذلك ويقهرك ، نحن نرى صورا من هذه موجودة في العراق وفي فلسطين مؤسفة جداً.

إذاً هل هناك جديد بالنسبة لك عندما تصبر في سبيل الله أو أنه أفضل، أفضل أن تصبر في سبيل الله هو الصبر الذي هو في مقام عزة ورفعة والآخر يصيح منك، وإلا ستصبر في وقت أنت الذي تصيح فقط والعدو لا يصيح منك أنت الذي تصيح أنت بيتك دمروه نهبوه دخلوا يربطونك أمام زوجتك ويقودونك إلى السجن ويعذبونك يهود أعداء من أشد الأعداء ، ألست أنت الذي تصيح لوحدك؟ وأنت تصبر في سبيل الله أنت تجعل الآخرين يصيحون منك، إذاً ما معناه بأنه لا بد أن نمشي في سبيل الله ونصبر أننا إذا لم نكن على هذا النحو سنعيش في حالة استقرار وسعادة ولا هو حاصل علينا شيء؟ لا. ستجد أن هذه الحالة أفضل، أفضل بكثير في وقتها وفي غايتها وفي نتيجتها.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(البقرة:١٥٥-١٥٦) هذه الخلاصة هي هذه، نحن لله فشيء في سبيله ليس هو مشكلة علينا في سبيله نحن له ونحن سننتهي في مسيرتنا بأن نرجع إليه، هذه العبارة جميلة جداً و ترسخ في ذهنيتك بأنك مملوك لله وأنت له وسترجع إليه، إذاً لم يكن هناك جديد بالنسبة لك نهائياً، أن تقول إن الآخرين أوقعوك في قضية هم يمكن أن يميتوك إذا تحركت في سبيل الله، معناه إذا ما تحركت ستخلّد، وأنهم سيعذبونك، لكن إذا أنت لم تتحرك في سبيل الله فلن ينالك شيء؟ لا. إذاً فنحن لله ونحن راجعون إليه فما يأتي ونحن في سبيله هو مما يجعل له أثره الكبير في مقام الرجوع إليه ويوم نرجع إليه.

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (البقرة:١٥٧) لاحظ العبارة هنا أن تأتي العبارة هذه بشكل صلوات، صلوات تعني الرعاية التي هي رعاية لمن هم في أداء مسئولية، رعاية تسهل لهم النهوض بمسئوليتهم مثل كلمة: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) عندما نؤمر أن نصلي على محمد وعلى آل محمد نحن ندعو الله أن يمنحهم ما يهيء لهم النهوض بمسئوليتهم فيمنحهم من الرفعة والعزة والتمكين ما يمكنهم من أن ينهضوا بالمسئولية الملقاة على كواهلهم {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ}الصلوات هي تفيد الرعاية يمنحهم مجدا يمنحهم رفعة يمنحهم عزة ، تختلف كلمة صلوات عن أي شيء آخر ، ورحمة يرحمهم في مسيرتهم، ورحمة الله مظاهرها كثيرة جداً في حياة الناس.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} هم المهتدون لسبيل الحق، هم المهتدون للطريقة الصحيحة هم المهتدون إلى ما يؤدي إلى الغايات العظيمة في الدنيا والغاية العظيمة في الآخرة وهي ماذا؟ الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن الناس يتساهلون يكون يتذكر الإنسان يتذكر دائماً لا يخاف، واحدة مما يجعل الإنسان يخاف عندما لا ينظر إلا إلى اتجاه واحد يكون عنده أن هذه الطريقة مليئة بالمشاكل والمصائب والسجون وأشياء من هذه وقد يقتل واحد ، لكنّ تذكر الطريقة الثانية تذكر أنك قد تعاني معاناة شديدة ليست في سبيل الله ولا وراءها أي غاية جميلة بالنسبة لك، إذاً يجب أن تتذكر هذه الحالة ليعرف الإنسان أو ليصل إلى مسألة: أن لا يخشى إلا الله هذه نفسها من العوامل المساعدة على أن تقف موقف الحق على أن تكون حالتك النفسية حالة حق وصواب ، ألم يقل هناك {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أليس من الحق ومن الصواب أن تكون على هذا النحو؟: أن لا تخشى غير الله .

لاحظ كيف قدم لك المسألة هنا بالشكل العظيم جداً، يدفع بك في الأخير إلى أن ترى فعلاً أنها قضية أفضل لي أن لا أخشى إلا الله؛ لأني عندما أقتل سأقتل في سبيل الله سأكون حيًّا، حيًّا في الجنة تتنعم من بعد ما تفارق

اللحظة الأولى لتلقى الحياة هذه، أليست هذه الطريقة نفسها من عند {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٥٤) إلى قوله في الأخير: { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٥٧) تجعلك بالشكل الذي تشجعك على أن تكون لديك حالة الحق وهو أن لا تخشى إلا الله { فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: من الآية٤٤) تبين لك السنة الإلهية بأن الله عندما يوجه إلى حق عندما يأمر بحق هو يعمل الأشياء الكثيرة التي تسهل عليك الوصول إلى ذلك الحق ، فعندما يكون مطلوب منك، وهي قضية أساسية وقضية هامة أن يكون الإنسان هكذا لا يخشى إلا الله فانظر كيف عمل هنا بشكل يجعلك فعلاً لا تعد ترى بأنه صحيح أن تخشى غير الله وأنه خطأ أن تخشى غير الله؛ لأنه ما هي غاية أن يعمل بي غير الله؟ هو أن أقتل ، أليس هكذا؟ هو أن يحصل نقص من جانبه علي أموال ثمرات يحصل شي من الخوف أشياء من هذه كلها هذه فيما يتعلق بالقتل، بعده حياة في مقام رفيع أو تقع أشياء من هذه وراءها {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ }.إذاً عندما يرجع واحد في الأخير يخشى غير الله يعتبر نفسه مخطئا هو في حالة غلط هو في حالة خطأ هو في حالة [دبور] كما نقول نحن، دبور .

كما ذكر سابقاً البيت الحرام وعمارة إبراهيم له ذكر هنا أيضاً: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة:١٥٨) هنا تأتي قضية الحديث عن البيت والحديث عن هذه المشاعر في إطار الأشياء هذه فيما يتعلق بموضوع الهداية فيما يتعلق بموضوع الصراع مع الآخرين فيما يتعلق بموضوع التسليم لله، تجد أنها قضية لها إيجابيتها في ماذا؟ في تعزيز هذه الأشياء في تعزيز أن تهتدي بهدى الله بأن تسلم نفسك لله بأن تكون قويا في مواجهة أعداء الله.

تجد أن لها علاقة فيما يتعلق بالطرف الآخر فعندما تكون هذه لها أثر إيجابي بالنسبة للمسلمين: البيت الحرام، وهذه المشاعر المقدسة وتشريع الطواف بين الصفا والمروة وغيرها من المشاعر المقدسة حول البيت الحرام أنها قضية تمثل نقطة قوة بالنسبة للمسلمين لها إيجابية كبيرة بالنسبة للمسلمين في موضوع الصراع مع الآخرين ؛ لهذا تجد الآخرين يتوجهون بجدية ضد الحج والسيطرة على الحج وأن يعملوا بأي طريقة للحيلولة بين المسلمين بأن يتوقفوا عن الحج أو أن يأتوا بأعداد قليلة جداً وبدأوا فيما يتعلق بماذا؟ بالتقصيد أعني كل بلد لا يحج منه إلا ما يساوي واحد في الألف مع أن الله سبحانه وتعالى جعل مكة بالشكل الذي يتسع لأي عدد يحج من الناس.

يذكر أحد المؤرخين [دحلان] في كتاب [تاريخ الحرمين] عن قضية يشاهدونها هم بالنسبة لمكة عندما ننظر إلى مكة مع عدم وجود الحجاج وادي يبدو ضيقا والجبال محيطة به من هنا وهنا لكن وقت الحج قال: يدخل من كل بلد إسلامي وكانوا يسافرون على الدواب على الإبل على الدواب ما قد هناك شيء وسائل مثل هذا الزمن يجتمعون من كل بلد في ذلك الوادي في ذلك المكان لا يمتلي لا يمتلي نهائياً وهم يأتون بأعداد كبيرة جداً ، هذه آية من آيات الله أن يكون ذلك المكان بالشكل الذي يستوعب الناس مهما تكاثروا فيه.

قضية غير صحيحة عندما يقولون: يقصّدون الناس على أساس لا يكون هناك زحمة ، هذا غير صحيح الله عندما يقول لنبيه إبراهيم: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} (الحج: من الآية٢٧) أذن في الناس بالحج ، والله يعلم بالنسبة للناس إذاً فليحج كمّا يحج من الناس هو يعلم بالمكان أنه يستوعب لأنه هو الذي قال: { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} وجعل الحج في وادي ومليء جبال، لم يذهب يبحث لصعيد صحراء سيناء أو صعيد مصر أو صحراء أفريقيا أو أي منطقة أخرى ، أليس يعلم سبحانه وتعالى بأنه هو الذي جعل ذلك المكان محاطا بالكثير من الجبال ليجتمع الناس كمّا اجتمعوا سيتسع لهم المكان الأشياء التي يبدو أمامنا فيها زحمة قد تكون نتيجة من قلة وعي لدى بعض الحجاج ولقلة خدمات فيما يتعلق بتنظيم الحجاج وهي أماكن محددة هي أماكن سيحصل فيها زحمة لو لم يحج إلا مائة ألف وهي عند الجمرات عند الجمرة الأولى جمرة العقبة يوم النحر يوم العيد الزحمة هناك تراها ليس لأنه حج ثلاثة ملايين شخص زحمة قد تراهم مزدحمين وهم قد يكونون خمسة آلاف على الأكثر الحجاج المزدحمين قد يكونون خمسة آلاف .

إذاً ليست المشكلة أن هناك ثلاثة ملايين، مكان يزدحمون فيه نتيجة عدم وعي نتيجة قلة رحمة بين المسلمين أنفسهم يأتي أناس يتجمعون ويتكتلون قد يصلون إلى حدود خمسين شخصا أحياناً ثلاثين شخصا عشرين شخصا وشكلوا زحمة وضروا الذين قبلهم وليس هو من أصله، الإشكالية لديهم هم وليس من أجل كثرة العدد، إذا كان الزحمة قد تحصل بحضور ألفين في ذلك المكان لا يؤدي إلى أن تقول يجب أن نقلل عدد الحجاج وكل بلد لا يحج منه إلا عدد معين ثم يرفعون تكاليف الحج هذه خطة يبدو أمريكية ترويض للناس أن يتقبلوا تقليص وتقليل عدد الحجاج من كل بلد عدد معين ويكون عدداً قابلاً للتخفيض وكل سنة يخفضون أكثر وكل سنة يفتعلون شيئاً فيما يتعلق بالكعبة يقولون: قد حصل وباء أو حصل كذا من كثرة الإزدحام ، إذاً قللوا العدد قللوا العدد حتى يصبح الحج قضية لا تعد محط اهتمام عند المسلمين أو في الأخير يوقفوه.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة:١٥٩) **بعدما عرض علينا عرضا كاملا النتائج السيئة التي تحصل على الناس بسبب إعراضهم عن هدى الله وانصرافهم عن هدى الله وتضليل من يكتمون الحق لهم، وكيف تكون الجناية الكبيرة من جانب من يكتمون الحق بالنسبة للناس، أي لا تتوقع في مسألة كتم الحق أنه فقط جانب يكتم وفقط إنه سيقدم شيئاً آخر سيقدم باطلاً ويقدم ضلالاً مقابل الحق الذي كتمه لا يكونون ساكتين فقط، أنت عندما تقعد وأنت عالم ولا تريد أن تتحرك في سبيل الله هل تظن بأنك ستسكت وتجلس؟. لا. على أساس أنت تتصور بأنه ربما الآخرون يظنون بأنك محرض ستنطلق من عندك عبارات بأنه: لا يجوز، ما هناك فائدة، هذا لا يصح، ولا يوجد لزوم، وماذا يمكن أن تعملوا، وليس الواجب كذا،... وفتاوى على هذا الأساس، أو لأن الناس قد يلومونك مثلاً إنه: لماذا لا تتحرك في هذا الموضوع؟.**

فتقعد وفي المقابل تقدم أشياء تكون في الصورة مبررا لقعودك وسكوتك عما يجب أن تقوله ، ألست هنا أنت ستقدم أشياء تصبغها بصبغة شرعية ودينية؟ تقول: [أساساً ما قد وجب ، ما هو يلزمنا وإلا لما قصرنا، مستعدين أو ما الناس راضين يتحركوا ولا الناس راضين يسمعوا والناس كذا...] يرد اللوم على الناس: [والناس.. والناس هم كذا..!] تعود من عنده وقد عندك نظرة سيئة للناس وقد عندك مفاهيم مغلوطة بالنسبة للبشر وبالنسبة للحياة هذه [وانظروا كيف علي بن أبي طالب قام وقتل والإمام الحسن قام وقتلوه والحسين قام وقتلوه وزيد قام وقتل والدنيا هكذا لا يصلح فيها شيء والناس سيتعبون فقط بدون فائدة والحق ضعيف وأهل الحق لا ينتصرون وهم هكذا ضعاف..] وتذهب من عنده وقد أنت محطم، أو بخطبة معينة تكون على هذا النحو. ويكون هو يكتم وفي نفس الوقت ينزل أشياء باطلة؛ لهذا يجعل الناس ضحية يجعلهم ضحية فعلاً .

فلأهمية الهدى ولخطورة الإنصراف عن هدى الله بالنسبة للبشر جميعاً بالنسبة لكل إنسان بالنسبة لأي أمة من الأمم ولأن من يمكن أن يبين الحق للناس هم من يحملون العلم، أصبحت قضية كتم الحق كبيرة من الكبائر الخطيرة جداً على صاحبها {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ} (البقرة: من الآية١٥٩) **هذه القضية خطيرة { وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}** (البقرة: من الآية١٥٩) **كل من يلعن عدوا لله كل من يلعن إنسانا شريرا كل من يلعن الخبثاء يكون هو محطا لهذه اللعنة، ثم قد تصل المسألة فعلا إلى لعن حقيقي عندما يجد الناس بأن أولئك أضاعوهم عند ما يجد الناس بأن أولئك لم يعلموهم لم يكلموهم لم يبينوا لهم لم يحركوهم لم يقودوهم لم يوجهوهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من حالة شديدة فيعتبرونهم بأنهم ملعونين فعلاً قد يلعنونهم فعلا؛ لأن الله أنزل البينات والهدى للناس، ألم يقل هكذا: {مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ}؟ بينّا الهدى وبينّا البينات التي الناس بحاجة إلى معرفتها في حياتهم هنا، وفيما يتعلق بمصيرهم في الآخرة بيناه للناس أي أن المقصود هو كل الناس هؤلاء جماهير البشر ليس الهدى فقط للعالم لوحده يكون عنده أنه قد أخذ نصيبه ويتفق الباقون! إنما لديك هو للناس ما لديك من هدى هو للناس يجب أن تبينه للناس وأن تقدمه للناس وإلا فأنت ستهلك أنت ولو أنت عارف للحق ستهلك أنت.**

لاحظوا المسئولية في القضية هذه: أن الواجب بالنسبة لمن لديه معرفة بالبينات العلماء الذين لديهم معرفة بالبينات والهدى هو: أن يبينوها هي للناس، لا تأتي تسأله ويأتي يقدم لك مجبر طويل عريض من نفسه هو فيكون في الواقع يطلّع لك مشاعر ضعفه ورؤاه الخاطئة والمغلوطة عن الواقع تأتي إلى عنده فيقول:[نحن ضعاف ولا بأيدينا شيء والدنيا غير جيدة والناس قد هم غير جيدين وهؤلاء بعد الكبار ولا معنا شيء والإنسان يحاول في الفتنة يكون ينام فالمؤمن نئومة أو (كابن اللبون)] وهو لا يدري إذا صحت هذه العبارة عن الإمام علي كيف كان موردها وأمام من يقولها، إذاً هذا في الحالة هذه لا يبين لك البينات يبين لك حالته.

يجب أن نفهم نحن أن يفهم عامة الناس عندما تسأل أي عالم تقول: أنا أريد تبين لي البينات اترك نفسك هناك اترك نفسيتك مشاعرك ورؤيتك داخل في بطنك بين لي هدى وبينات الله وكتاب الله، ما هو الموقف المطلوب وما هو الموقف الذي تتناوله بينات الله أمام قضية كهذه؟ سيقول: لك صحيح أما بالنسبة لبينات الله، الله قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ } (الصف: من الآية١٤) { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) وأن ينفق الناسُ في سبيل الله وأن يجاهدوا في سبيل إعلاء كلمته وأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم وأن.. وأن.. وأن.. يجب أن يقدم للناس البينات ولو يقرأها فقط؛ لأن الله يجعل البينات بالشكل الذي يمكن من خلال قراءتها من خلال تلاوتها على الناس أن يفهموا المسئولية من ورائها والموقف المطلوب منها من خلال أن يسمعوها، لكن الإشكالية هي هنا: أن بعضهم يقدم لك حالته هو ونفسيته هو وخرج واحد وعنده قد كان عند عالم قد سمع العالم!

أنت سمعت أنت إنساناً ضعيفا والإنسان أي إنسان هو ضعيف ولو أن الله سبحانه وتعالى ترك القضية أن يبينوا هم مشاعرهم ورؤاهم ستكون ضعيفة لكن مسئوليتك أنت أن تبين للناس كتاب الله وهدى الله لو أنت ضعيف كيفما أنت، هذه مسئوليتك كما تؤكد الآية هذه وفي آية أخرى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ } (آل عمران: من الآية١٨٧) أي الكتاب وليس نفوسكم ورؤاكم أنتم الخاصة التي هي رؤى ضعف، حالته ضعيفة، و نفسيته ضعيفة فيكون ما يقدمه لديك عبارة عن ماذا؟ رؤى ضعيفة ومواقف ضعيفة وتوجيهات ضعيفة كلها تنتهي بك إلى أن تقعد! لا، التركيز على أن يبينوه هو، هو.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ } تجد نفس التركيز في الآية الأخرى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ} (آل عمران: من الآية١٨٧) أي الكتاب وليس مشاعرك التي في بطنك وضعفك .

إذاً عندما واحد يذهب يسأل، أي واحد منا يجب أن يفهم: أنا أريد أن تبين لي أنت كعالم بينات الله وهداه والمواقف المطلوبة من المؤمنين في قضية كهذه . أليس سيقدم لك آيات وسترى ما يقدمه لك من الآيات تختلف تماماً عن رؤاه الشخصية التي هي انعكاس لضعف نفسه وخطأ رؤيته بالنسبة للواقع وتقييمه بالنسبة للواقع.

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} (البقرة: من الآية١٦٠)لاحظ كيف هنا التوبة يبين للناس يقول: [إحنا حتى كلامنا السابق عندما كنا نقول ما كان يلزم ولا، ولا هي كانت غلطة]يبين للناس يحملهم على أن يتحركوا يبين البينات والهدى {فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٦٠) هذه واحدة مما يبين لك أهمية هدى الله وخطورة من يكتمونه على أنفسهم وعلى الأمة، ثم موضوع هدى الله بالشكل الذي عندما يكون هناك معاندين كما تحكي الآية الأخرى.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ } (البقرة: من الآية١٦١) مثلما تقول لم يعد معهم عذر هدى كامل بينات كاملة وضوح كامل بلاغ مبين {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (البقرة: من الآية١٦١) لأنه لم يعد هناك أي شيء يعتبر مبرراً لهم أو يكون لهم حجة على الله بمعنى من كفر بعد هذه البينات والهدى التي تعطي بصيرة، ومن كتم هذه البينات والهدى يستحق هذه اللعنة الشاملة والخطيرة { أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } .

إذاً فيجب في المقدمة أن نفهم أن دور العالم هو: أن يبين وأن احترامي للعالم واقتدائي بالعالم هو أنه يبين وليس فقط لأنه سيدي فلان هكذا أو سيدنا فلان وذهنيتي فيها شخصيته تلك بزيه المعروف.. لا. يجب أن تعرف

مهمته، ومهمته: أن تعرف ما هي بالتحديد، يبين هدى الله يبين كتاب الله وأنه إذا لم يبين كتاب الله فإنه يشكل خطورة كبيرة على الأمة وليس فقط على نفسه؛ لهذا [الإمام زيد] جاء برسالة هامة جداً موجهة للعلماء لأن العالم إذا كتم البينات ولم يبين للناس فهو يمثل خطورة كبيرة جداً على البشر؛لأنه أحيانا قد يصرفك إذا ما زال هناك من يبين آيات الله هناك، قد يقول لك:[اتركه ذا عندك مشعب وذا عندك معه تطانين ومعه كذا... وذا عندك سيدي فلان وسيدي فلان وسيدنا فلان والحاج فلان هم ذولا ساكتين ما يعملوا كذا..] أليس هو سيحاول يصرفك؛ لأنهم يعملون ـ مثلما حكى عن أهل الكتاب ـ تضليلاً على الناس... يشتغل ليصرفهم عنه، يعمل ليصرفهم عنه، مع أنه قد تقول في واقع المسألة أحيانا أنه قد يكفي من جانب العالم عندما يكون هو يرى من يتحرك لنصرة دين الله أن يعتبر أن ذلك يعمل عملا صالحا، فإذا أحد جاء يسأله يقول لهم: [تحركوا هناك اذهبوا مع أولئك والله يعينكم نحن لا نستطيع نحن ضعاف ولا لدينا خبرة ولا لدينا تدبير ولا خبرة ولا، ولا،] أو [قد أنا شيبة لم يعد باستطاعتي أتحرك وهذا عمل باهر...] .

يؤيد، يوجه الناس يتحركون مع من يتحرك ، هذه طريقة قد يكون بها أدى مسئوليته قد يكون بها فعلاً أدى مسئوليته وليس يحاول أن يثبط لأنه أحياناً ـ وهذه هي من نعمة الله على الناس بما فيهم العلماء ـ إذا كان هناك أحد من أعلام دين الله يتحرك هناك قد تتخفف المسئولية بالنسبة للعالم ، فهذه نعمة كبيرة ؛ لأنه من قبل من واجبه هو أن يتحرك ويبين، يبين، يبين.

إذا كان هناك من يقوم باللازم هنا سترى الموضوع بالنسبة لهم تخفيفاً تقريباً باعتبار سنّه باعتبار حالته باعتبار مكانته الإجتماعية ما يعرف كثيراً باعتبار قدراته وخبرته وأشياء كثيرة، لكن يستطيع يقول: اذهبوا هناك تحركوا هناك اذهبوا مع فلان تحركوا مع فلان، وهكذا، أليس هو هنا سيرتاح فعلاً إذا جاء أحد يسأله أو تحدث مع الناس أو طلب منه أحد من الناس أن يقول كلمة سيقولها، واستطاع ان يقي نفسه كثيراً من الأشياء التي يخافها؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقدم موضوع نصر دينه بالشكل الذي يمكن أن يشتغل فيه الناس جميعاً في مختلف الحالات التي هم فيها، إذا قد أصبح شيبة وهو عالم بكتاب الله فمسئوليته كبيرة جداً، تتلخص مسئوليته في الأخير بأنه يقول للناس: [اذهبوا هناك مع ذلك وقد هو يتحرك وجربوا أنتم وإياه وعسى الله يعينكم] كان هناك علماء بالنسبة لنا يقولون هذه ويعملون هذه فعلاً، كان بعضهم يعتذر أن ما لديه خبرة ونحن معك والله يعينك وشجعوا لنا الآخرين، كسيدي [إبراهيم الشهاري] رحمه الله وسيدي [محمد حسين شريف]رحمه الله وآخرين بالشكل هذا، يعتبر نفسه هنا بأنه قد هو في نفس الخط في نفس الإتجاه قد خرج عن المسئولية الخطيرة هذه، تلك المسئولية التي تعتبر خطيرة في حالة عندما لا يكون هناك من يتحرك، هي تعتبر أكبر وأخطر، عندما لا يكون هناك من يتحرك، هناك من يبين، تكون كبيرة، أي: تتناوله عيناً يعتبر كل واحد مسئولا.

هنا تجد الخطورة الكبيرة في مجرد كتم الحق، أما إذا ترافق معه تضليل أيضاً، أما هذه فتعتبر حالة رهيبة جداً جداً، ماذا بقي وراء أن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون على مجرد كتم أن يكتموا البينات والهدى ما يبينوها للناس، أما عندما يكتم ويقدم باطلاً ويقدم تضليلاً ويقدم ما يثبط الناس وما يقعد الناس وما يجعلهم ضحية لأعدائهم وأعداء دينهم، أما هذه فهي جريمة على جريمة قد تكون مثلما قال سابقاً: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} (البقرة: من الآية٩٠) **كما قال في بني إسرائيل، نعوذ بالله.**

تجد في المقابل أي عندما يكون كتم الحق جريمة كبيرة، فعندما لا يتحرك الناس للحق تعتبر جريمة كبيرة، عندما لا يتحرك الناس للحق بعدما يبين لهم الحق ويرشدون إلى طريق الحق وأساليب الحق فإنها تعتبر أنهم أوتوا حق ومعرفة حق ووقفوا، جمدوا، فتكون المسألة فعلاً شبيهة بموقف العالم الذي يكتم الحق؛ لأن معناه تجمد الحق، سواء تجمد وهو ما زال عند العالم أو تجمد في الساحة عند الناس، لم يرضوا أن ينطلقوا فيه لم يتحركوا فيه بأنفسهم وأموالهم وبأن يرشدوا بعضهم بعضاً، ويوصوا بعضهم بعضاً به وبالصبر عليه كما قال الله: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر: من الآية٣) **؛لأنه في الأخير افترض عالم من العلماء أو علماء انطلقوا**

ليبينوا الحق أليست تلك حالة أخرى يمكن أن يتجمد فيها الحق ولا يكون له أثر، أن يبينوا للناس الحق ولا يتحركون تكون هذه مثل معرفة العالم للحق وما يبين.

العالم يبين الحق والناس ينهضون بالحق يمتثلون به ويتواصون به وينهضون به وإلا قد تكون المسألة واحدة في العقوبة؛ لأنه في الأخير يتعسر التبيين إذا ما هناك من جانب الناس توجه ونهوض بالحق وأن يفهموا كما قلنا سابقاً أن الله عندما يقول هناك يتحركون في سبيله وينهضون بالحق ويتواصون بالحق وأساليب حق أنه يكون معهم يؤيدهم يثبتهم، هم ليسوا لوحدهم فقط يعملون في الساحة، إن الله هو مدبر شئون السموات والأرض.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (البقرة:١٦١) هذه قد تتناول الناس الذين يقدم لهم الحق فيرفضونه أليسوا سواء في اللعنة؟ قال فيمن يكتم الحق: {أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} وكفروا: رفضوا الحق، لم يعملوا به بعد ما وجهوا إليه {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (البقرة: من الآية١٦١) .

الحق يحتاج إلى من يبينه ومن يبين لهم الحق أن ينهضوا به، هي مرحلتين لا بد منها لا بد منها، إذا لم يبين العالم الحق ولم يتحرك الناس ما كأن لذلك البيان أي جدوى ولا فائدة، بقي الحق ضائعاً، إذا كان هناك أمة يمكن أن تنهض بالحق وتجمد العالم لم يبين الحق سيبقى الحق ضائعاً، الحق في أن يكون هو سائد وأن ينهض يحتاج إلى قضيتين: من يبينه، وأمة تتحرك به وأناس مؤمنون يلتزمون به ويسيرون في سبيله وينهضون به.

وقلنا: من الأخطاء الكبيرة أن نفهم كلمة كفروا معناها: جحدوا بالله، جحدوا بالله، كلما تراها، الكفر يتناول الرفض، الله يقول: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية٩٧) ماذا يعني؟ كفر: رفض هذا التوجيه، لم يحج وهو يستطيع، أليس معناه هنا رفض؟ سماه كافراً هناك كفروا: رفضوا، رفضوا، هذا مما يتناول الكافرين من حيث هم كافرين لم يتقبلوا الهدى من البداية مع أن الهدى واضح والبينات واضحة هذا شيء .

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ومن كفروا بهذا الحق قدم إليهم فرفضوا أن ينهضوا به وأن يتحركوا على أساسه ويستشعروا مسئوليتهم في أدائه كذلك يعتبرون كافرين، والكفر عنوان واسع ودرجات متفاوتة وأحكامه متعددة. {وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} (البقرة:١٦٢)

ثم قال تعالى أيضاً في آية أخرى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة:١٦٤) أنت ترى الآن في مجمل هذه الأشياء التي حكاها مظاهر تدبير إلهي فيما يتعلق بالأشياء في هذا الكون في موضوع الخلق اختلاف الليل والنهار، أليس هو عمل، تدبير، فيها آيات لقوم يعقلون: أي يفهمون أن من يدبر شؤون العالم على هذا النحو هو الذي يشرع هو الذي يهدي، هذا جانب من تدبيره: اختلاف ليل ونهار وبحر يسخره لتجري فيه الفلك وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها وما بث فيها من كل دابة ما يأتي من نزول المطر من ثمار تصريف الرياح: تقليبها مرة في الشمال ومرة في الجنوب حركتها المتنوعة والمتقلبة حركة السحاب، أليس كل هذه الأشياء كلها حركة تدبير؟.

أن تفهم بأن من يحرك العالم على هذا النحو ومدبر شؤون العالم على هذا النحو، أن تفهم أن الجانب المهم جانب الهداية والتشريع للناس منهجاً يسيرون عليه نظاماً يلتزمون به، أنه يعتبر جانبا مهما من التدبير الإلهي .

هل يمكن أن يقوم بهذا التدبير فيما يتعلق بمظاهر السموات والأرض، ثم يهمل القضايا الهامة جداً؟ هذه في الأخير تصبح وكأن ليس لها قيمة في الأخير إذا لم يترافق معها: أن البشر يسيرون ويلتزمون بالتدبير الإلهي الآخر وهو: تدبير الهداية الذي يتمثل في كتبه ورسله، وإلا ستصبح الأشياء هذه وكأنها ليست بشيء في الأخير، أي: أن تفهم بأن ذلك مجال لا يمكن أن يهمل على الإطلاق، مجال الهداية مجال الدين الذي هو نظام للإنسان

في هذه الحياة يسير عليه لا يمكن أن يهمل، إذا أنت تجد بأن هذه الحركة دءوبة مستمرة فكذلك دينه وهداه مستمر في حركة مستمرة لا يحصل تجمد.

ثقافة الكثير من المسلمين، بل الثقافة السائدة في الأخير انتهت إلى أن تعتبر الدين وكأنه تجمد بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعرفة الحق ومواقف الحق ومسيرة الحق وأعلام حق كأنها كلها تبخرت؛ ولهذا قالوا في الأخير: كل واحد يقوم يبحث هو يقرأ؛ ليرى هو ماذا يمكن أن يطلّع هو من استنباطات وترجيحات من بين مختلف الأقوال والطوائف والفئات! لا. إن من يحرك العالم الحركة المستمرة.. وترى أن الجانب الآخر يمثل أهمية كبرى بالنسبة للإنسان كأهمية هذه الأشياء وأكثر، أليس هذا التصريف مما له علاقة بحياة الإنسان مما يمثل رعاية للإنسان: اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر وتحريك السحاب والرياح والفلك السفن التي تجري في البحر، أليست هي كلها في الأخير غاياتها رعاية للإنسان ومن أجل الإنسان؟ أليس الإنسان بحاجة إليها مستمرا؟ كذلك الدين، حركة الهداية، لا يمكن أن تتوقف، وهي الجانب المهم، أهم من هذه بالنسبة للإنسان، أهم من هذه بالنسبة للإنسانن وحاجة الإنسان إليها.

إذاً معنى هذا: أن الدين لا يمكن يتوقف وموضوع الحق وموضوع أعلام حق وحركة للحق والدين هي بالشكل المستمر إلى يوم الدين؛ لأن الله حي قيوم فهو القيوم فيما يتعلق بالأشياء هذه وقيوم فيما يتعلق بهداه ودينه ففي هذه آيات لقوم يعقلون: يفهمون، فعندما يكون، وأعتقد أنها قد تكون الحالة السائدة كما تحدثنا عنها في موضوع سابق وفي وقت سابق، غلطة كبيرة أن تكون أنت ترى الأشياء هذه المختلفة في هذا العالم وهذه الحركة الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والمطر والسحاب والرياح والثمار المختلفة المتعددة، أليست هذه حركة إلهية عجيبة؟ فكيف تتصور أن الباري أهمل الجانب الآخر، والذي يمثل رعاية هامة بالنسبة لك، يمثل حاجة ضرورية بالنسبة لك، وهو جانب الحق، جانب الهدى إلى الحق، المسيرة على هداه!

لا يمكن على الإطلاق أن تكون مسيرة، تجمدت مسيرة توقفت، مسيرة ترك الناس كل واحد يتخبط هو يبحث من عنده، كل واحد يدور للحق، فتفرقوا وتمزقوا وأصبحوا طوائف، لا يصح؛ لأنه في الأخير معناه ماذا؟ وكأن الله سبحانه وتعالى أصبح وكأنه فقط مدير أعمال بالنسبة لنا: ينـزل مطرا وأشياء من هذه، ونحن نأتي نشرع ونأتي نحن نتحكم في شئون عباده، هذا باسم ملك، وهذا باسم سلطان، وهذا باسم خليفة، وهذا باسم أمير، وهذا باسم كذا.

الجانب المهم هذا نفسه هو من الجوانب المهمة الأساسية في تدبير الله لشئون عباده لشئون السموات والأرض؛ لأنه متى ما حصل خلل في الجانب الآخر.. قال هناك في آية أخرى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) **أليست أيدي الناس بحاجة إلى هدى يقوّمها في حركتها حتى لا يكون كسبها بهذا الشكل الذي يفسد في هذه، يفسد في مظاهر الحياة في البر والبحر{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}.**

إذاً فمدبر شئون السموات والأرض مدبر شئون العالم هو سبحانه أيضاً مدبر شئون الهداية والتشريع ومسيرة الدين ومسيرة الحق، هو هو سبحانه وتعالى هو هنا قال في المقدمة: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (البقرة: من الآية١٦٣) **يتحدث بعد عن الآخرين الذين يجعلونهم آلهة هم من النوعية الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى يقول للناس: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} لا تطلع سيدي فلان إله وسيدنا فلان إله والحبر الفلاني والراهب الفلاني آلهة {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** (البقرة:١٦٣) .

هو الذي يدبر شئون العالم من خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والجانب المهم جانب تدبير الهداية ثم يقول بعد: {وَمِنَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٦٥) **مع هذا والتأكيد من جانبه لأنه هوهو الذي يمتلك وله الحق ويختص بهذا الجانب، وأبرز مثال للناس هو تدبيره الظاهر في ماذا في مظاهر هذا الكون اختلاف الليل والنهار، ألسنا نعرفه، هذه الأشياء كلها متحركة، والأشياء كلها ملموسة للإنسان، وأشياء كلها لحياة الإنسان علاقة هامة بهذه، هي تمثل رعاية بالنسبة له ومع هذا {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً}** (البقرة: من الآية١٦٥) **لا نقول:**

دائماً: أصناماً،أصناماً؛ لأن القضية تبدو بشكل أكبر فيما يتعلق بالجانب الآخر أنداداً هنا يكتمون حقاً ويقدمون ضلالاً ويتعلق بهم الناس فكأنهم جعلوهم آلهة وجعلوهم أنداداً لله!

لاحظ المسيرة؛ لأن الله يقول بعد يتحدث عن موضوع التابعين والمتبوعين: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٦٥) لا أعتقد أن الإنسان قد يصل فيما يتعلق بحب حجر، حجر، لكن ممكن يحصل فيما يتعلق بأصنام من البشر عندما يكون العلامة الفلاني أو الكاهن الفلاني أو الراهب الفلاني أو المتعبد الفلاني ويأتي ترويج من سلطة معينة تروج له فيصلون إلى مستوى أن يحبوهم كحب الناس لله، أو كما يجب أن يكون حب المؤمنين لله، فجعلوهم أنداداً، أي أمثالاً وكأنهم آلهة الله هكذا يقول في هداه، والحق من عنده وكيف هي المسيرة التي يسير عليها عباده وأولئك قدموا أنفسهم كأنداد واتخذهم الناس أنداداً، جعلوهم عندما أصبحوا يحلون لهم ما حرم الله فيحلونه ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه، يهدونهم إلى سبل أخرى ليست سبيل الله فيسيرون وراءهم يضللونهم فيسيرون وراء تضليلهم فجعلوهم وكأنهم آلهة أنداداً لله.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٦٥) لأن الإنسان المؤمن سيرى في جانب الله سبحانه وتعالى ما يجعله يحب الله فعلاً ويعظم حبه لله إذا كان هناك أنداداً يقدمون للبشر من داخل البشر ويحاطون حالة إعلامية ودعائية وشيخ الإسلام، وحبر الأمة، وعناوين من هذه ومفتي الجمهورية، أو مرجع الأمة، أو المرجع الأعلى، أو آية الله العظمى، أليست تأتي عناوين من هذه؟ يجعلونهم، يحبونهم، لكن في الواقع الإنسان الذي هو متجه إلى الله يؤمن وينظر إلى الله سبحانه وتعالى ولعظمة هداه وإلى نعمه العظمة وإلى رعايته الشاملة سيكون أشد حباً لله ومن هو أشد حباً لله سيكون أشد في مواقفه من مواقف الآخرين الذين يصيرون بعد، من جعلوهم أنداداً لله.

هنا تناولت الآية هذه: الأتباع ألم يتناول هناك من يكتمون؟ عادة الأتباع وهم تأتي من لديهم أخطاء كبيرة لأنهم ينسون أشياء أساسية قد يكون من أسباب أن ينسوها من جعلوهم أنداداً ومن ضللوهم لكن لو يرجعون إلى ظاهر آيات الله في القرآن الكريم إلى مجرد تلاوته بتأمل لعرفوا من خلاله أشياء كثيرة تعتبر أساساً لك تستطيع أن تميز نوعاً ما أطروحات تقدم لك من هنا أو من هنا في مجملها إذا أنت تنظر إلى الأساسيات تستطيع.

معنى هذا: أن هناك خطورة أخرى بالنسبة للأتباع {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} (البقرة:١٦٥) أو {وَلَوْ تَرَى} خطاب لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولمن يرى ذلك الموقف الرهيب جداً وهؤلاء الظالمون ممن جعلوا أنداداً وممن جعلوا من أنفسهم أنداداً ممن يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ويضللون عباد الله، ومن أتباعهم {إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} سيتحسر عندما كان في الدنيا يؤقلم وضعيته ودينه لأنه يخشى غير الله يرى جهنم وإذا جهنم أشد من تلك التجارب النووية التي كنا نراها في الدنيا وتدخل في قلوبنا الرعب فنخشى أولئك ولا نخشى الله، نؤقلم خطاباتنا في المساجد ونؤقلم عملنا وحركتنا بالشكل الذي تحكمه خشيتنا منهم، ولا نخشى من الله، فيرى جهنم وإذا هي أعظم مما لدى الأمريكيين سيرى جهنم وإذا هي أعظم من التفجيرات النووية الهائلة والقنابل الشديدة الإحراق والواسعة الإحراق.

{أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} هذا تهديد لأنه عادة منشأ كتم الحق كتم ما أنزل الله من البينات والهدى يكون وراءه دوافع وراءه رغبات وراء الرغبة خشية في غالبها من غير الله خشية ولو من فقر أعني: [أنا إذا لم أتجه على أساس أن أؤقلم ديني وأؤقلم أطروحاتي وتوجيهاتي للناس كعالم دين بالشكل الذي أحصل من الآخر على أكياس فلوس...] في صنعاء شاهدنا بعض العلماء يدخلون إلى بيوتهم أكياس نقود كيس شوال، بعض القضاة كيس شوال، إلى بيته هنا يقول: [ربما إذا لم يسر على الطريقة هذه فقد يحبسونه قد يتبهذل قد يضيع تلك الأشياء والحالة التي هو فيها] أليس هنا يخشى من غير، الله كلها منشؤها دائماً الخشية من غير الله حتى وأنت ترغب أن يدفعك خشية من أن لا تحصل على هذا الشيء الذي ترغب خشية أخرى ولو من ماذا؟ من تصور حالة سيئة قد تلحقك إذا لم تأخذ ما رغبوك فيه تتأقلم معهم.

إذاً هنا سيجد كل من يخشى غير الله: أن القوة الحقيقية التي كان يجب أن يخشى منها لله جميعاً عندما يعرضون على جهنم ويشاهدون جهنم يوم القيامة، أعني حالة يهولها بشكل رهيب جداً {وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي الحالة الرهيبة والحسرة والندامة الشديدة جداً وهم يرون العذاب وحينها شاهدوا أنه فعلاً أن القوة التي كان يجب أن نخاف منها هي قوة الله {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} وكل ما كنا نخشى من وقوعه في الدنيا كانت لا تمثل شيئاً بالنسبة لهذا المظهر الرهيب لهذه القوة الرهيبة قوى البطش قوة العذاب{وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} .

تجد هنا بالنسبة للأتباع الذي لا يبالي ولا يهتم يتبع من سمع ترويج لشخصيته من التلفزيون من الإذاعة من الصحف وأحيط بهالة إعلامية فمضى وراءه أو أعطوه لقبا كبيرا من الألقاب التي يعطونها عادة للعلماء فيسير وراءهم أو زعماء؛ لأنه أحياناً توجه الناس يكون: الذين هم متدينون يرمز لهم شخصيات علمائية. قوميون يرمز لهم شخصيات قومية. أناس هكذا لفيف من الناس يكونون قابلين لأشخاص يرمزون لهم هم شر ودعاة إلى النار تصبح أنت بالشكل الذي تجعل مواقفك مواقفهم وبعدهم وكل ما جاء من عندهم تعجب به وتصبح رؤيتك رؤيتهم يمكن أن يكون هناك أنداد لله متعددون بالنسبة للناس القوميون معهم أنداد والناس الذين هم هكذا لفيف ليس قومياً ولا دينياً ... فهو مع من رمزوا له في التلفزيون والإذاعة، وإذا به في الأخير يجعله نداً والآخر المتدين قد جعل لنفسه نداً هناك ممكن تشمل هذه كلها.

هنا تجد الحالة السيئة، عندما يجدون العذاب الشديد، جهنم لها زفير وشهيق وهي أمامهم ؛ لأن جهنم تُبَرَّز يوم القيامة، تبرز وتظهر أمام الناس، هناك الحسرات الشديدة{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا} (البقرة: من الآية١٦٦) **هؤلاء الأنداد الذين كانوا يجعلونهم في الدنيا أنداداً لله يسيرون وراءهم ويرفضون هدى الله يسيرون وراءهم ويتركون طريقة الله، يتبرؤن منهم، أليست هذه حسرة شديدة؟ يتبرأ منك في أخطر موقف، وفي أحرج لحظة، وأنت كنت في الدنيا مجند توجهك وفكرك وأموالك وحركتك ولسانك له، بعده مروِّج له ومروِّج لطريقته وتركض خلفه يتبرأ منك في أشد موقف وفي أحرج موقف، أليست هذه حسرة شديدة {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا}** (البقرة: من الآية١٦٦) **من الأتباع {وَرَأَوُا الْعَذَابَ}** (البقرة: من الآية١٦٦) **كلهم الذين اتَّبعوا والذين اتُّبِعوا أي المتبوعين الكبار والأتباع{وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}** (البقرة: من الآية١٦٦) **لم يعد هناك فيما بينهم أي علاقات يذهب واحد يؤمِّن الآخر، ويعمل شيئاً للآخر ينجيه، ولا معهم أي سبب آخر، لا شفاعات ولا أي شيء آخر نهائياً، أسباب النجاة كلها مقطوعة، أليست هذه حالة رهيبة؟ نعوذ بالله.**

{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} (البقرة: من الآية١٦٧) **هذه من مظاهر الحسرات الشديدة وتغيضهم الشديد على من كانوا يجعلونهم في الدنيا أنداداً لله يحبونهم كحب الله، كحب المؤمنين العاديين لله؛ لأن المؤمن يجب أن يكون أشد حباً لله .**

{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} لو يمكن أن نرجع إلى الدنيا مرة ثانية نتبرأ منكم كما تبرأتم منا، هذه من الحسرات الشديدة والتغيض الشديد على الكبار المتبوعين {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا} الأتباع الجماهير الذين يتأثرون بالخطابات الرنانة والحملات الدعائية والترويج {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} ليت لنا رجعة أخرى إلى الدنيا {فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا} (البقرة: من الآية١٦٧) **من أول ما يصلون إلى الدنيا [أنت ملعون اذهب هناك لم نعد نحن بعدك ولا لنا علاقة بك ولا...] أليسوا سيقولون هكذا؟**

إذاً فالناس الآن هنا في الدنيا، تحاول أن تتبرأ ممن يمكن أن يكونوا أنداداً لله عندما تتبعهم أعني: الكبار الذين هم في الواقع على غير صراط الله، كل من هو كبير على غير صراط الله، الناس يحولونه إلى ند لله عندما يسيرون وراءه ولا يسيرون في صراط الله. ولأن من يسيرون على صراط الله لا تحصل هذه الحالة على الإطلاق مهما كانوا كباراً أمامهم، لماذا؟ لأن من يسيرون على صراط الله لا يقدمون أنفسهم كأنداد لله هو يقود إلى الله يدعو الناس إلى الله أن يتبعوا هداه؛ ليهديهم إلى الله، أما الطرف الآخر عادة هم يأتون إلى عنده فقط، يسمعون توجيهاته هو فقط، إذاً وماذا بقي وراءك؟ هو لا يهديك إلى الله .

قد تحصل هذه من عالم دين وهو في نفس الوقت يبدو أمام الناس أنه ممن هم في طريق هدى الله، لكن متى ما انطلق، لا يبين آيات الله، في الأخير يبين نفسيته، يجعل الناس يصلون إلى عنده فقط! هدى الله هو مسيرة، مسيرة لو كان على هدى الله لكان في مسيرة في حركة.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}(الأنعام: من الآية٩٠) **ألم يجعلها مسيرة واحدة في هذه الحياة، مسيرة متحركة؟ إذاً فالعالم في الأخير الذي لا يدعو الناس إلى الله، ولا يهديهم بهدى الله، وإنما يقدم لهم رؤاه التي تعكس ضعفه، وقلة فهمه للواقع وقلة فهمه لمسئوليته هو، ثم في الأخير يريد أن يعملوا بتوجيهاته هو هو، وأن يوصلوا إلى عنده هو فقط ويجلسون مثله هو ، أليس هو هنا وقّفهم عنده؟ كذلك الأنداد الآخرين يعظمونه هو هو فقط إلى حد أنه أصبح يقدم رمزاً لأي عنوان يحمله، وإلى عنده فقط!**

إن كل النوعيات هذه ممن ليسوا على صراط الله هم من يصبح في الأخير نداً لله ، أما الآخرون ممن هم في صراط الله تجد مثلاً بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يأمرنا بأن نعظمه ونجله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأن نصلي عليه كلما ذكر؟ لكن هل القضية تنتهي عنده هو؟ هو برز في الصورة داعياً إلى الله أليس هكذا؟ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ}(الأحزاب: من الآية٤٦) **لا يوجد وقفة ندية هنا نهائياً، مهما عظم الشخص تعظمه تكبره تجله وهي كلها في المسيرة إلى الله، لا يحصل فيها ندية نهائياً.**

هذه القضية يجب أن نفهمها فهما كاملا موضوع: التبعية ـ التي تسمى ـ ؛ لأن البعض يكون عنده أن المسألة سواء إذا قلت: اتبع فلان، يكون عنده [يعني لم يعد هناك إلا كلامه وسنحتاج نسير بعده؟!] أنت ستنتهي إلى حالة من هذه مع هذا أو مع هذا، فإما أن تكون الحالة التي أنت عليها متبعاً لمن هم في طريق الله، فهي حركة لا يوجد فيها ندية نهائياً مهما عظم عندك، أو أن تكون تابعاً لمن هم في الواقع يصبحون أنداداً، أنت تجعلهم، ما هناك أحد هو في واقعه يصبح نداً، أنت تجعلهم أنداداً لله، عندما تسير في طريقهم وهي غير طريق الله ، تعمل بتوجيهاتهم وهي التوجيهات التي لا تهدي إلى الله، وهكذا، فالمسألة ليست سواء.

{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ} (البقرة: من الآية١٦٧) **قبل دخول النار وفي النار لا يزال يتعذب عذاب النار وعذاب الحسرات، العذاب النفسي مع عذاب الحريق، { كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ} نعوذ بالله {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}**(البقرة: من الآية١٦٧) **لأنه كان معهم مخرج في الدنيا أن لا يدخلوا النار ، وكان معهم فرصة أن يتبرءوا ممن هم أنداداً لله هنا في الدنيا وما تزال تنفع البراءة والتبرؤ منهم .**

إذاً نفهم من هذه الخطورة الكبيرة عندما لا يقدر الناس هدى الله حق قدره ، عندما لا يعتبرونه نعمة كبيرة ، عندما لا يوطنون أنفسهم على الإلتزام به، تصبح الحالة هكذا، هذه الحالات السيئة الرهيبة أمام من يجعلون أنفسهم كهداة وهم في الواقع يكتمون، أمام من يكتمون هدى الله، أمام من يصرفون الناس عن طريق الله، وأمام التابعين أنفسهم، أليست هذه تعتبر حالة سيئة جداً؟.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً}(البقرة: من الآية١٦٨) **عندما تسمع هنا كلاما عن هدى الله وأهمية هدى الله، لا يكن عندك أن الله يريد منك أن لا تأكل، لا يريد مني أن آكل أكلاً جيداً، لا يريد أن يكون معي فراش جيد، لا يريد أن يكون معي حاجة جيدة، لا يريد.. لا يريد.. تجد دين الله هام جداً ، وفي نفس الوقت لا يوجد شيء هناك يحول بينك وبين أن تحصل على طيبات من هذه الطيبات التي أحلها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}**(البقرة: من الآية١٦٨) **بل وعد هو سبحانه وتعالى الناس إذا ساروا على هديه ساروا على صراطه المستقيم أن يوفر أشياء كثيرة مما هي طيبات {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** (لأعراف: من الآية٩٦) **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}**(الطلاق: من الآية٣) .

{وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}(البقرة: من الآية١٦٨) **تسيرون بعده، بعد خطواته الشيطان هو عدو مبين ـ ويجب أن تتخذه عدواًـ مبين ظاهر العداوة صريحا في عداوته لكم، وكل عمله معكم كله منطلق من**

عداوته لكم، أي كل عمله بالشكل الذي فيه هلاككم، فيه خزيكم {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (فاطر: من الآية٦) {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ} (البقرة: من الآية١٦٩) الشيطان عدو لله سبحانه وتعالى عدو لبني آدم عداوة شديدة مجانب تماماً لطريق الله لا يمتلك إلا شراً لا يمتلك إلا سوءاً ، ليس لديه إلا سوء وفحشاء، ليس لديه إلا ضلال {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ} كل ما يأمركم به هو سوء، حتى أحياناً عندما يوسوس لك حالة معينة، يقول لك هو: صلِّ وصم ولا تتدخل في شيء، ألا يمكن أن الشيطان يوسوس بهذه؟ لكن أمره لك، عملية أمره لك، عملية وسوسته لك، هو يوسوس لك بسوء وإن كان يبدو في الصورة وكأنه يقول لك: صلِّ ؛ لأنه هل سيقول لك صلِّ فقط؟ يصرفك عن قضية لا تصبح صلاتك مقبولة وأنت تارك لها.

قد يقولون أحياناً الشيطان قد يوسوس لواحد بحاجة هي من الدين! إذا كانت هذه هو يعرف أنها لا تعطي قيمتها، الشيطان يعرف، هذه ستقعدك عن العملية الهامة عن العمل الهام الذي لا يحول بينك وبين أن تؤدي هذه العبادة .

هل العمل في سبيل الله يحول بينك وبين أن تصلي؟ أبداً لا يحول بينك وبين أن تصلي، عندما يأتي الشيطان يقول لك: صلِّ فقط ولا تتدخل في شيء من بيتك إلى مسجدك ولا دخل لك واهتم بأعمالك وأشغالك، إنه هنا يأمرك بسوء، أي يأمرك بما هو في الأخير وبال عليك وشر عليك، لما يجعل صلاتك هذه لا قيمة لها عند الله، لما يجعلك في الأخير عاصيا لله وأنت تقعد عن عمل هو سنام دينه، الجهاد في سبيله هو ذروة الدين.

إذاً عندما يقول لك تصلي فما المعنى أنه يأمرك لأنه حريص على أنك تصلي ويعجبه أنك تصلي وتتعبد لله! لا، هو يصرفك عن قضية هامة يكون مثلاً كما يقولون: رمى عصفورين بحجر، أول شيء عارف أن صلاتك لم يعد لها قيمة، وثاني شيء صرفك عن أن تنطلق في ذلك العمل الذي هو هام جداً في إقامة دين الله، ولك أنت شخصياً هو العمل الذي يجعل لصلاتك قيمة وله قيمة، للعمل نفسه تكسب أجراً منه ومن صلاتك .

{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة:١٦٩) هذه الحالة التي قد تحصل لمن يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى يكون البديل لديه هو: أن يقول على الله ما لا يعلم ، والأتباع المغفلين يصبحون يقولون على الله ما لا يعلمون ، يقولون: [نحن بعدهم هم أولائك من أولياء الله، الله أمرنا نتبعهم] ، وتكون هذه ماذا؟ من قول الله {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} متى ما انصرف الناس عن طريقة هدى الله في الأخير يظهر مقولات كثيرة تنسب إلى الله وليست من الله وليس لله أي علاقة بها، في الأخير: تقولون على الله ما لا تعلمون، فتكون النتيجة افتراءً على الله سبحانه وتعالى نعوذ بالله .

عندما يقول البعض: لو لم يكونوا على حق والباري راضي عليهم لما كانوا في نعمة وخير، عندما يرى السعودية مثلاً أو يرى الكويت، أليست هذه من القول على الله بما لا يعلم؟ أمس قرأنا هذه حول قول الله تعالى {قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (البقرة: من الآية١٢٦) .

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} (البقرة: من الآية١٧٠) إذاً أليست هذه واحدة من مظاهر الندية هذه؟ قد تتخذ أباك نداً لله [ونحن ماشين بعد هذه الطريقة التي كان عليها الوالد وكان رجَّال باهر ومحترم ولن نسير في غير طريقه] {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} لأن أباك هو نفسه ملزم بأن يتبع ما أنزل الله ، أن يتبع ما أنزل الله هو، فعندما يقولون: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} وآباؤهم ليسوا على هدى الله، أليسوا هم قد جعلوا آباءهم أنداداً لله؟

{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٧٠) أما عندما يكون آباؤك على طريقة حق وهدى فهو فخر لك وشرف عظيم لك مثلما قال نبي الله يوسف: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} (يوسف: من الآية٣٨) {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} (يوسف: من الآية٣٨) {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} (الحج: من الآية٧٨) {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} الأب إذا كان على طريقة هدى وحق فهو شرف لك وتذكر بطريقته أيضاً ، أعني: هو موضع أن يقال لك: امش على طريقته، أبوك كان كذا وكذا، كان إنساناً مؤمناً طيباً مهتدياً، كان إنسانا قويا في سبيل الله ، كان

إنسانا يتحرك في سبيل الله، كان إنسانا بعيدا عن مجالسة المضللين والسفهان ، أليس هنا تذكير؟ تقدم في الآيات الأولى أن الله وهو يذكر موقع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب تذكير لهم لبني إسرائيل وبني إسماعيل وللناس الذين لهم علاقة بإبراهيم وهو يذكر تاريخ هذا الأب العظيم وأولئك الآباء العظماء: إسماعيل وإسحاق ويعقوب. في مقام التوجيه كمنهج. لاحظ كيف جاءت الآية بأسلوب جميل جداً وغير مثير يبدو غير مثير؛ لأنها قضية حساسة لم يأت يقول لهم اتركوا آباءكم لا تسيروا بعدهم! أليست هذه آية تعتبر منهجاً في التوجيه هناك؟

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً} (البقرة: من الآية١٦٨) لتعرف التوجيه الإلهي والتشريع الإلهي أنه طبيعي، لا يمكن أنه أنت ستعيش في حالة شقاء وتحرم كثير من طيبات هذه الحياة فلا تأكل لحماً ولا رزاً ولا [خضرة] ولا أي حاجة وإنما فقط [قرص يابس] مع الملح مثلاً، ليست بالشكل هذا، كذلك يقول: {وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة: من الآية١٦٨) ثم يقول بعدها بعبارة أخرى: {وَمِنَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٦٥) قد مهد لها من البداية من عند{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً} (البقرة: من الآية١٦٥) تصل المسألة إلى هنا قد أنت قريب في ذهنيتك أنه عندما ترى والدك يصرفك عن طريقة حق هنا قدمت القضية بشكل هام جداً ومؤثر جداً على نفسيتك يكون أكثر من ماذا؟ مما تثيره حساسية التسلسل في النسب أو العاطفة الأبوية أو عاطفة القرابة قد صار عندك قدرة على أنك فعلاً لا تسير بعد والدك إذا كان لا يسير على هدى الله وهو يصرفك عن هدى الله ، قدمها بطريقة عرضية {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة:١٧٠)

إذاً ماذا سأفهم منها ويفهم كل واحد بأن لا أسير وراء أبي إذا كانت توجيهاته تصرفني عما أنزل الله ، أليست هكذا لو تقدم العبارة؟ من أول يوم بهذا الشكل ستكون مثيرة وحساسة ، إذاً هذا من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالتوجيه للناس ، أي هذه طريقة من طرق{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧) أن يوجهك توجيه حق ، لاحظ كيف يقدمه بطريقة سهلة عليك أن تصل إليها وهو أن تبتعد عن أبيك أو عمك أو أمك إذا كانت طريقتها ليست طريقة حق .

لو قال: لا تتبعوا آباءكم فإن آباءكم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، أليست هذه ستكون مثيرة؟ أسلوب حكيم جداً ورائع جداً ومؤثر ، فيجب أن نفهم هذا الأسلوب في ماذا؟ في عملنا نحن هذا مع الناس كيف تقدم الشيء، كيف تمهد للشيء بتعبيرك بأسلوبك.

{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ} (البقرة:١٧١) حالتهم كهذه أمام هدى الله الواضح البين المتكرر في أمثلته {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} (الاسراء: من الآية٨٩) {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} (الروم: من الآية٥٨) فحال أولئك الذين لا يهتدون ولا يسمعون، كمن ينعق، يعني: يدعو أو ينادي بصوت عالي إنساناً لا يسمع نهائياً {إلا دعاءً ونداءً} مجرد دعاء ومجرد نداء لا تقريباً يفقه ما يفقه ما يتضمنه هذا الدعاء وهذا النداء {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (البقرة:١٧٢) نفس الأسلوب الجميل لأنه سيأتي بعده بقائمة ماذا؟ محرمات يأتي بعبارة في موضوع سرد محرمات بعبارة تقليلية: إنما حرم عليكم كذا كذا ، يأتي بعبارة واسعة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً} (البقرة: من الآية١٦٨) بعدها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} (البقرة: من الآية١٧٣)

أليس هنا العبارة تقليلية يعني هذا أسلوب رائع جداً {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٧٣) لاحظ الفارق الكبير بين الأسلوب القرآني وبين أسلوب [كتب الفقه] ، يأتي مثلاً يسرد لك من هناك يقول: اتركوا آباءكم، آباؤكم لا هم مهتدين ولا هم كذا ، لا تأكل لحم كذا ، وابتعد عن كذا ،

وابتعد عن كذا ، واترك كذا ، وإذا أنت ترى بأنه في الأخير وكأنه يعطلك من كل شيء نترك آباءنا ونبتعد عن كل شيء من مظاهر الحياة هذه ،يكون لديه قائمة! لم يقدم بهذا السرد يأتي بعبارة واسعة{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} (البقرة: من الآية١٧٢) واسعة جداً ، نسبة المحرمات هي قليلة جداً في القائمة التي أحلها الله وأباحها للناس من الطيبات واسعة جداً ، لكن لاحظ كيف أنه مهم جداً أن يأتي بهذا الأسلوب هنا ؛ لأنه سيكون البديل قائمة من المنهيات والممنوعات: ولا ، ولا ، ولا ، ولا. في الأخير يتصور الواحد بأن هذا الدين حمل ، [لاحظ كم فيه من لاءات ، لا تقرب كذا ولا ، ولا ...إلى آخره] يمزجها ؛ ولهذا الفارق كبير جداً بين أن تتناول آيات في موضوع معين تفرزها عن القرآن خارج على طريقة الفهارس الموضوعية ، إذا أراد أحد يستخلص موضوعاً هناك بمفرده لا، فالآيات هناك لوحدها تفقد أنت أشياء كثيرة هامة جداً عندما ترجع لها في مواضعها.

يقول: لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير كم نسبة هذه من قائمة الطيبات طيبات ما رزقناكم؟ أليست كثيرة؟ أليس هنا أنت ستقبل كما تقبل في موضوع الهداية بذلك الأسلوب؟{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} ألم يأتِ به هنا بأسلوب يجعلك أنت تفهم بأنه غالط هذا أي أنا غالط إذا عملت مثله.

مثل الأسلوب الآخر في ماذا؟ في التضحية في سبيله{وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٤) قدم لك موضوعاً هاماً جداً هناك تتشوق أنت إليه ، فلو جاء من هناك اقتلوا أنفسكم وستكونون أحياءً بالعبارات التي هي عبارات جافة على طريقة كتب الفقه أو على طريقة المقننين في القوانين قوانين جافة ، هذا أسلوب رحيم ؛ لأن الله يقول في القرآن الكريم من أوله ما كل سورة تبدأ بـ{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}؟ إن من رحمته أنه يجعلك تصل إلى الشيء بسهولة ، يقرب لك المسألة ، يدفعك إليها وتتقبلها بسهولة ، أي فيها مراعاة حتى لا يصدمك بقضية كذا تنفر منها ، يحاول يقربك إلى الموضوع بسهولة ، هنا تناول الموضوع ، ألم يتناول هنا موضوع الهدى في مجال التوجيه فيما يتعلق بالأتباع وفيما يتعلق بالهدى بشكل عام والجانب التشريعي من الدين في المحرمات يتعلق بالمأكولات هنا يقول لك المسألة واحدة بالنسبة للدين منظومة واحدة مترابطة هناك إذا كان هناك في المقام الأول{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} (البقرة: من الآية١٥٩) هداية الناس هنا أيضاً في الجانب التشريعي خطير جداً الكتم بعدما قال:{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} (البقرة: من الآية١٧٣) ثم قال بعد:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (البقرة: من الآية١٧٤) أكثر ما تعني كلمة: كتاب هي تأتي بمعنى من المكتوب أي من المفروض المحتوم ، كلمة مفروض ومحتوم في مقام التشريع تكون هكذا، حرم هذه لا تقربها، أي: كتب أنها محرمة ، فرض هذا كتب شرعية أدائه وكتب عليك أن تؤديه.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} هي أيضاً قضية معرضة للخطورة، إذا أنت تهدي بالتوجيهات وقد تكون مواقف حساسة ، أعني يكون التبيين فيها قد يدفع الكثير من الناس لأن يخشوا غير الله فيكتموا، كذلك في مجال التشريع تناول شيءٍ، مشروعات محرمات وممنوعات هنا قد تكون هي أيضاً مجال قد يكتم الإنسان مقابل ماذا؟ أشياء ترغب من هناك، التعامل بـ[الربا] قائم يحاول يجعل القضية يسوغها بأي طريقة ؛ لأنه يأتي له أشياء، فلوس من الجهة الفلانية فلم يعد يهاجم الموضوع نفسه[الربا] أو أي شيء من هذه، أعني أنها قضية أيضاً هي معرضة للكتم، والمسئولية كبيرة فيها أيضاً بشكل كبير مثلما قال بعد: {أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: من الآية١٧٤) نعوذ بالله.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى} (البقرة: من الآية١٧٥) استبدلوا بالهدى الذي لديهم وقدم لهم ضلالة واستبدلوا العذاب بالمغفرة، أي استبدلوا المغفرة بالعذاب، أي جعلوا العذاب بديلاً عن المغفرة التي كان يمكن أن تحصل لهم ؛ لأنهم هناك لم يصبروا على أن ينطقوا بالحق ويصدعوا بالحق ويقولوا: هذه القضية محرمة، هذه

القضية محرمة، المحرمات خطيرة جداً موضوع: الربا محرم من المحرمات الرهيبة جداً، محرم يعني: محرمات أخرى في مجال المأكولات: ميتة ودم ولحم خنزير وأشياء من هذه التي هي محرمات، قد يكون أحياناً قد يكتمها في وضعية لا يستطيع الإنسان أن يفهم متى ربما قد تكون الوضعية تدفع عالما من العلماء إلى أن يسكت عن تحريم لحم الخنزير، قد تصل المسألة إلى هذه في إطار التعايش السلمي والتقارب والقبول بالآخر وأشياء من هذه، يكون قد هناك جزر خنازير! قبول بالآخر، للآخر، وإذا بالمسلمين قد هم يتلذذون بها وهكذا ، وتلك ـ مثلاً ـ السلطة القائمة أو شركة معينة تعطي مبالغ كبيرة يبحث لمسوغات نوعاً ما .

العالم يكون خطير يستطيع يعمل أشياء، أعني يجعل القضية عند الناس إما مثلاً: إنما كانت في وضعية معينة، أما عندما نكون في وضعية يجب أن نتقبل بالآخر فسهل، أشياء تعتبر مما يجعلنا نعيش كبشر وأشياء من هذه...قد يعملون هذا، لكن هنا تحريم بات! إذاً هنا هو لم يصبر على أن يصدع بالحق لم يصبر على أن يفوته أشياء مما كان ثمناً لسكوته عن الحق في تبيين هذا المحرم {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}(البقرة: من الآية١٧٥) }ألم يكن أفضل له أن يصبر لو سجن وهو يصدع بالحق، ولو فاته رشاوى كبيرة من شركة أو من سلطة مقابل أن يكتم الحق في قضية محرمة قد أصبح الناس يستخدمونها؟ كان أفضل له يصبر، ولا يصبر على النار وهو في قعر جهنم {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} .

{ذَلِكَ}(البقرة: من الآية١٧٦) هذا التهديد الكبير وهذا التبيين العظيم{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}(البقرة: من الآية١٧٦) والناس يحتاجون إلى الحق، والحق هام جداً، فمن يمتلك الحق يجب أن يصدع به ويبينه للناس، والحق الحياة هي ميدانه، وليس فقط يبقى عبارة عن كلمات مكتوبة في داخل الصفحات{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}(البقرة: من الآية١٧٦) والحق ميدانه هنا ، الناس، النفوس، واقع الحياة ، إذاً لا يمكن عندما تكتمه يعني أنت تحول بينه وبين أن ينزل إلى واقع الحياة إلى الناس.

ما جاء الكتاب فقط ليقرأ الحق داخله، القرآن ملان حق وبحر هدى وبحر حق ، لكن سيجلس هذا البحر مشبّك عليه إذا نحن نقرأه داخله، داخله على طول على طول ، لا. الله نزل الكتاب بالحق نزله من السماء إلى الأرض ؛ لينزل هذا الحق من داخل هذه الآيات إلى واقع الحياة، إلى النفوس وإلى واقع حياة الناس في تعاملهم الشامل .

{وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}(البقرة: من الآية١٧٦) شقاق يبعدهم عن الله شقاق لله بعيد ، وليس من الشقاق الذي يمكن أنه يلتفت وينتبه فيرجع يكون قريبا، شقاق يجعله بمنأى، بمنأى عن الله بعيد جداً عن الله وعن مغفرة الله وعن هدى الله .

لاحظ هنا الآية هذه شبيهة بالآية الأخرى تلك الآية الهامة التي جعلت المهمة الرئيسية هي: إقامة الدين عندما قال الله سبحانه وتعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}(الشورى: من الآية١٣) التفرق في الدين هو الذي يحول دون إقامته، أين إقامته؟ هو كتابة آياته بخط جميل أو بشكل لوحات؟! أو إقامته في النفوس في واقع حياة الناس الشاملة، هنا إقامة الكتاب.

الإختلاف في الكتاب يحول دون إقامة الكتاب ، نفس القضية تماماً {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ} عندما يختلفون في الكتاب، حالوا دون نزول الحق عملياً وواقعاً من داخل الكتاب إلى النفوس وإلى الناس؛ لأن الحق الله جعله بهذا الشكل يوجد وسائل تجعله قائماً في الناس، من أخطر ما يحول دون إقامة الدين ودون إنزال الحق إنزالاً عملياً يزاح الباطل ويكون الحق هو الذي يحل محله مما يحول دونه: الإختلاف ، هناك قال:{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} وهنا قال:{وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} يضيّع الحق يضيعه ويحول دون إقامة الدين ، وإقامة الدين معناه إنزال الحق بفاعلية في الساحة ، يكون هو السائد هو السائد في الناس ، هو الذي يحكم شؤون الناس في كل المجالات ، هو الذي تبنى عليه نفوسهم ، هو الذي تبنى عليه مواقفهم ورؤاهم .

فعندما يسير الناس على طريقة تقدم كمنهج ومن يسيرون عليها تؤدي بهم إلى الإختلاف مهما كانوا ولو كانوا مخلصين يختلفون ، معناه بأن كلما يؤدي إلى اختلاف هو بعيد عن الله وهو يعتبر من قائمة ما يجعل الناس في

شقاق بعيد، لاحظ هنا التوجيه العملي بعدما تحدث عن القبلة{فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} (البقرة: من الآية١٤٤) فول وجهك شطره ألم تتكرر؟ إذاً هذه القضايا هامة فقط يجب أن تفهم أن الدين عملي وأن الدين منظومة متكاملة مترابطة.

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا} (البقرة: من الآية١٧٧) مجرد أن تولوا{وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ} (البقرة: من الآية١٧٧) وقت المواجهة مع العدو{أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٧٧) إذاً لم يعد هناك من بيتك إلى مسجدك، ليس لها مكان في دين الله نهائياً، نهائياً، هنا يقول رغم التأكيد على التوجه إلى القبلة إلى الكعبة: {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} شطره ألم تأت كثيراً؟ لتفهم أنه لا يكون دين الله يقدم شيئا يكون على حساب شيء آخر ، الدين هو كله عملي والدين منظومة متكاملة يجب أن تتحرك فيها كلها، ألم يقدم هنا قائمة؟ قائمة طويلة عريضة، تشكل نماذج متعددة في موضوع البرهنة على أن الدين عمل مترابط وأشياء كثيرة مترابطة.

فالذي يكون عنده إنه سيذهب يعتمر يخسر قدر ثلاثة آلاف ريال سعودي يذهب يعتمر نافلة هكذا، يجب أن يفهم ما هو البر ويفهم أولويات وقوائم الأولويات في قائمة البر ، يكون عنده أنه سيعتمر ولا دخل له من شيء وعاد إلى بيته ولا دخل له من شيء وهكذا سينتظر حتى يأتي رجب وذهب يعتمر وعندما يأتي رمضان سيذهب يعتمر وفقط، وهنا في البلاد قاعد لا يتحرك في سبيل الله لا يأمر بمعروف لا ينهى عن منكر لا يبين ما أنزل الله من الكتاب، لا يصدع بالحق، ليس له موقف من أعداء الله ، هنا يقول: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} إلى آخر القائمة هذه الطويلة التي فيها{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} في الإيمان وصدقوا في ماذا؟ في فهمهم للدين وفي سيرهم على هذا الهدى وفي هذا الطريق الذي هو صراط الله المستقيم{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} (البقرة: من الآية١٧٨) ولاحظ كيف هذه الآية نفسها في موضع القصاص تأتي بعد الآية الأولى التي فيها: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ} عندما نقيم قصاصا على شخص لأنه قتل آخر ظلماً وعدواناً معناه أن يقتل، أليست هكذا؟ قضية أن يقتل شخص ليست قضية بعيدة عن الذهنية عن{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ} حين احتدام الصراع والقتال مع العدو أليست قتالا؟ أليست قضية قريبة جداً في ذهنك آخر ما في ذهنك هنا{وَحِينَ الْبَأْسِ}ما هو البأس؟ قتال، القصاص ماذا يعني؟ أن يقتل أليست قضية طبيعية تجعلها قضية مقبولة، إقامة هذا الحكم، أن يقتص من القاتل المتعمد ظلماً وعدواناً .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} (البقرة: من الآية١٧٨) حصل عفو من جانب أولياء المقتول عن القاتل العفو عن القصاص على أساس أن هناك دية{فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية١٧٨) في أداء الدية{وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية١٧٨) من الجانبين اتباع بالمعروف في محاولة أخذ الدية، والطرف الآخر يؤدي بإحسان لا يكون فيها مماطلة{ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} (البقرة: من الآية١٧٨) أن يفتح هذا الموضوع أمام الناس، باب العفو، أنه يجوز للولي أن يعفو عن القاتل.

{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ} (البقرة: من الآية١٧٨) عندما تعفو عن القاتل وتقبل الدية ثم تعتدي هذه جريمة كبيرة{فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: من الآية١٧٨) أن يحصل اعتداء ممن قد عفوا عنه، ونزلت المسألة إلى دية يماطل في الدية لم يعد يريد يدفع دية، وبالذات من توجه إلى القاتل الذي قد عفا عنه وقبل منه الدية فقتله يعتبر ظلما وعدوانا، يعتبر اعتداء ، فله عذاب أليم.

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (البقرة: من الآية١٧٩) **أنه عندما يعرف الإنسان الذي يقتل أنه سيُقتص منه سيتوقف عن ارتكاب الجريمة هذه فيبقى حياً هو وبقي الطرف الآخر حياً، إذاً في تشريع القصاص الذي يبدو في الصورة وكأنه إعدام شخص: حياة ، لأنه أنت لم تقبل أن يبقى حياً إذاً فتلحق به تموتون جميعاً إلا أن يعفو عنك، إذا كان يعرف بأنه سيقتل لن يمد يده لقتله ظلما وعدوانا، وبالتالي سيحيون جميعاً.**

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:١٧٩) **لاحظ هذه العقوبة نفسها التي الآن يأتي أخذ ورد حول تشريعها، بعضهم يعتبرونها تشريعاً قاسياً، وبعض الدول ألغت عقوبة الإعدام باعتبار أنها عقوبة بشعة! فكان هذا الشيء مما شجع عصابات على القتل تقتل ؛ لأنه حتى لو عنده إنه سيسجن ربما السجن قد يكون عنده أمل أنه يخرج منّه أو يأتي انقلاب أو يتغير نظام أو يعفو أو أي شيء يحصل ، فهنا عندما يقول: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} يؤكد على أهمية الإلتزام بإقامة هذه العقوبة على القاتلين ، تكون عقوبة قائمة لا يقبل إلغاؤها نهائياً، لأن إلغاءها يشجع الناس أن يقتلوا بعضهم بعضا، يشجع المجرمين على أن يقتلوا، لم يعد خائفا أنه سيقتص منه ويقتل.**

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}من تفهمون لبّ الأشياء خلاصتها أهميتها قيمتها؛ لأن هذه في الصورة تبدو وكأنه، هم يقولون: أحياناً بأنه يكفي لماذا شخص قد فقدناه لماذا أيضاً نفقد الثاني؟ يقولون هكذا ، لكن لبّ الموضوع الذي فهمناه من خلال تشريع هذه العقوبة، لا. أنه هذه العقوبة هي التي ستجعل الشخصين حيين التي ستجعلهم جميعاً حيين، وأنت قولك بأنه لا نلحقه الثاني فقط حياة لواحد وأن تضمن حياته أي أنت تشجعه أن يرتكب أكثر من جريمة فـ{لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} يحصل تقوى من الإعتداء على بعضكم بعض تتقون ما يحصل كنتيجة لعدم إقامة هذه العقوبة .

يحاول الغربيون بأن يجعلوا هذه من الأشياء التي يجب أن تلغى من قوانين البلدان حتى في البلاد العربية، يحاولون أنه لا تقام عقوبة الإعدام! نقول: لا. الله سبحانه وتعالى هو العالم بمصالح عباده وهو الرحيم بعباده، وهذه القضية فعلاً جريمة كبيرة ، كيف نوقف هذه العقوبة بأن يذوق هذا ما ذاق ذلك ، إلا أن يعفوا هم، الأولياء يعفوا هم فهناك الدية.

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية١٨٠) **هنا أمامنا تشريعين : أحدهما يتعلق بعقوبة الإعدام ، وتشريع يتعلق بماذا؟ بالمواريث أعني بالجانب المالي والجانب البدني ، هذا الموضع أفضل موضع بعد الآية الأولى التي جاء فيها بقائمة منها فيما يتعلق بالجانب المالي{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}** (البقرة: من الآية١٧٧) **أليس هنا يبين لك أن المال فيه حقوق؟ وفيه حقوق حتى تتناول البعيدين عن قرابتك: اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، هنا يأتي بما يتعلق بتشريع الميراث ، قضية قريبة قد تكون قريبة باعتبار ماذا؟ هل باعتبار الميت نفسه؟ باعتبار البعض ؛ لأنه كان عند العرب يقولون: أن الإبن الأكبر هو الذي في الأخير يحتوي المال والآخرين لا يعطيهم شيئا كان عندهم هذه، أنه بعض من القرابة قد يكون الإبن الأكبر ، أو إذا هناك أحد مثله عنيف يحتاج يلحق معه والباقي من القرابة لا يأخذون شيئاً.**

إذاً هذه أليس فيها نوع ثقل عليهم أن يرى بأنه ملزم أن يتقيد بنصيب محدد ، وأن الباقين من الأقارب لهم حق، تسهّل المسألة الآية الأولى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} يكون قد عندك قابلية بأنك لا بأس ستعطي آخرين من الورثة ومقبول أن يكون للباقي ممن لم نكن متعودين على أن نعطيهم شيئا أن يكون لهم أنصبة ثابتة ، هذا من يسر التشريع من اليسر الإلهي في عملية التشريع ليكون مقبولاً.

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:١٨٠) **يكون توزيعها بالمعروف فيما بينهم باعتبار الأقربية حقاً على المتقين{فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ}** (البقرة: من الآية١٨٢) **بين**

الموصى له وبين الباقي من الورثة {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} (البقرة: من الآية١٨٢) إذا لمس، فهنا كلمة وصية، فإذا لمس بأن الموصي هنا حاول أن تكون الوصية بشكل يجحف بالآخرين، خاف يعني: فمن خاف من موصٍ، خاف المتوسط في القضية، الداخل في الموضوع من المؤمنين، العدول أن لمس أنه فعلاً الوصية فيها ما يبدو أنه تعمد إجحاف بطرف من الورثة فأصلح بين الموصى له وبقية الورثة فلا إثم عليه {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة: من الآية١٨٢) .

هنا في الآية، هذه الآية من الآيات التي يسمونها: منسوخة، نسختها آية المواريث التي قال فيها: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (النساء: من الآية١١) إلى آخر آية المواريث ، لا، هذه ليست عملية نسخ؟ {كُتِبَ عَلَيْكُم....... الْوَصِيَّةُ} تتقدم العبارة بشكل مجمل، والوصية هنا هي من جهة الله وهو هناك بيّنها، فالآية هنا لها قيمة هامة جداً في عملية بداية التشريع ، وقابلية التشريع ما سيأتي بعد تفصيلاً، لا تنظر إلى أنه نقول: كان الميت هو الذي يوصي يقول لفلان كذا، وفلان كذا، وفلان كذا كان هذا الواجب ثم نسخ؟! الواجب في الموضوع هو: {الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} ، الوصية أساساً هي من الله، فهذه وصية الله هو أوجب عليكم الوصية ثم هو بيّن الوصية من جانبه هو، يوصيكم هو{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} إلى آخر الآية، ليس هناك نسخ، هذه الآية لها دور هام جداً، تلك الآية تتناول تبيين تنفيذي لموضوع الوصية.

أيضاً في هذه قد تتناول موضوع الوصية لمن من الأقارب لم يحدد لهم هناك نصيبا معينا أو وصية لما هو قد يعتبر زيادة على نصيب معين لهم، في كيف يكون التعامل مع الوصية هذه إذا لمس أنها ليس فيها ما يجحف بالآخرين أو لمس الوسيط أن فيها {جَنَفاً} كما قال: ميل عن القسط، ميل عن العدل، فيها إضرار يعني تعمد إضرار بآخرين، فأصلح بينهم، ولهذا قال في آخر آية المواريث: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} (النساء: من الآية١٢) أليست الوصية ما تزال قائمة هنا؟ تناول بالتحديد في الآية الأخرى وصية بعبارة: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ} وبيّن أنصبة معينة و يوجد بقية من الورثة التي هي محط اختلاف بين الفقهاء، مشكلة هذه! آية المواريث تناولت عددا معينا من الأقارب بقي أقارب آخرين، حصل اختلاف ممن يسمون: عصبات، ومن بعضهم يعتبرونهم سهاميين.

الآية هذه أوسع ـ أعني: كرؤية تشريعية ـ أوسع من موضوع الرؤية الفقهية باعتبار الوضعيات المتعددة للبشر باعتبار مجتمعات أخرى باعتبار... يبدو فيها نوع من الفسحة فيها نوع من الفسحة بحسب ما يرى من هو فعلاً وارث للكتاب فعلاً. أعني هذه القضية هذه الآية نفسها هناك في القرآن يقول في موضوع الآيات المحكمات: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} (آل عمران: من الآية٧) أم الكتاب هي المرجع فيه، كلمة كتاب قد تتناول أحياناً أمّ المفروضات أي: الأسس في التشريع، هذا أساس هام، وعندما يقولون: أنها آية منسوخة، هذه غلطة ؛ لأن هذه آية محكمة، آية محكمة تعطي أساسا تشريعيا للميراث من حيث هو في دائرة: الوالدين والأقربين، هناك الوصية الوصية في الآية الأخرى في ماذا؟ أولادكم، أليست هكذا؟ لهذا حصل عند البعض من الناس مقولة بأنه ربما قد تكون القضية هذه لا تقفل المجال أمام أن يكون هناك ترتيبات معينة بحسب وضعية معينة لمجتمعات معينة فيما يتعلق بمجتمعات معينة.

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} (البقرة: من الآية١٨٠) هذه قضية أساسية {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ} (النساء: من الآية١١) إلى آخر الآية.

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ} أليست هكذا العبارة يخاطب من؟ أليس يخاطب مجتمعاً معيناً وبيئة معينة، هنا يجب الإلتزام بهذه، بوصية الله يجب الإلتزام بها لكن إذا حصل مثلاً مجتمعات معينة أعني: التركيبة الإجتماعية فيها وضعية المرأة فيها وضعية البنين فيها تختلف كثيراً عن الوضعية التي عليها العرب مثلاً قد يكون في الموضوع نوع إثارة أو مشقة كبيرة فيما لو طبق تشريع تفصيلي في مجتمع، أو على مجتمع، طبق في مجتمع آخر ولو في بداية الموضوع.

آية محكمة هذه ليست منسوخة، آية محكمة ليست منسوخة نهائياً هي قضية ملموسة داخل القرآن الكريم في قضية سعة القرآن، هذه هي سعة القرآن ليشمل كل المجتمعات البشرية، تحاول تأتي إلى رؤى فقهية معينة يأتي يعتبر إلى موضوع المفردة لوحدها دون ملاحظة الإعتبارات المحيطة التي توحي بها نصوص الآية يعني ماذا؟ وكأنه يشرع لمجتمع واحد فقط! لكن أنت عندما ترى في المقدمة بالنسبة للعرب قيل لهم في البداية تكون على هذا النحو: وصية للوالدين والأقربين، قد يوزعها هكذا وأعطى لهذا كذا هي خطوة أولى، أليست خطوة أولى تعتبر؟ يتمرن عليها أفراد الأسرة الأقارب الذين كان البعض منهم يحتكر المال كله فأوجب على الأب في البداية أنه يوزع: فلان كذا، فلان كذا، فلان كذا، تمرين على مسألة ماذا؟ تصل في الأخير إلى أنصبة محددة: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} وأشياء من هذه، تكون مقبولة في حالة معينة بعد مرور بمرحلة من هذه في وضعية مجتمع معين، ألم تمر هذه على العرب أنفسهم؟.

وعندما تأتي إلى بلدان أخرى مثلاً وضعية المجتمعات تختلف كثيراً قد يكون هناك مثلاً مألوف في المجتمع مألوف مسيرة معينة فيما يتعلق بتوزيع المال، أتركها قضية مفتوحة قد يكون مناسب أن تعمل بالآية هذه على هذا النحو: للوالدين والأقربين، أليست هكذا؟ هل هنا شيء أنصبة محددة؟ تصل فيما بعد إلى أن تنقلهم إلى للذكر مثل حظ الأنثيين، وهكذا، إذهب إلى بلدان أوربا تقول: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} والمرأة هناك متعودة على ثقافة عقود من الزمن والمساواة بالرجل ما الذي سيحصل؟ أليست ثورة ستحصل من جانب المرأة ويستغلها من يعاندون، أنك تريد أن تنزل المرأة من نصيب كنصيب الرجل إلى أن يكون للرجل ضعف مالها.

الإلتزامات الأسرية هناك في مجتمعهم قد تكون تقريباً شبه متساوية بين الرجل والمرأة بينما الإلتزامات في المجتمع العربي كيف تكون؟ قائمة على الرجل أليست هكذا؟ فإذا تركت القضية للأب إذا حصل نوع من السخط يحصل على الأب حتى يتعود المجتمع قليلاً، قليلاً في الأخير يقال: هكذا يكون، قد هناك قابلية فالأفضل أن يكون هناك ردة فعل على شخص وليست ردة فعل على الدين فيقال: الدين هذا قاسي وتثور المرأة على الدين أتركها تغضب على أبيها، أبوها يمكنه يقول لها: [لازم، هذا عدل، لازم وأخوك نحن قد قلنا عليه كذا، كذا...] إلتزامات معينة هي في الواقع هكذا في الآية لأنها جاءت بصيغة لا تعني: أن الذكر من حيث هو له مثلما للمرأة مرتين ملحوظ فيها ولهذا قال: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} مثل حظ الأنثيين لم يقل مثلاً للأنثى نصف ما للذكر، أليس الفارق كبيراً؟ أن لا تلمس المرأة الذي يسمونها بالدونية بالنسبة للمرأة، ما تلمس الذي يسمى الدونية لم يقل: للمرأة نصف ما للذكر{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} يأتي بعبارة حظ توحي: بأنه هناك التزامات معينة، تجد فعلاً فيما يتعلق بالأسر وتركيبة المجتمع والتزامات كثيرة فيما يتعلق بالدين قائمة على الرجل. أليست هكذا؟ فهنا للذكر مثل حظ الأنثيين قضية ثابتة، هذه العبارة أفضل بكثير وأبعد عن أي حساسية لدى الأنثى.

إذا كنا نقول: مجتمعاتنا ليس فيها حساسية يجب أن تلحظ أن هذا الدين هو للمجتمعات كلها هناك مجتمعات المرأة ركزوها فيها بشكل كبير حتى تصبح عبارات معينة ذات حساسية كبيرة، أن تكون ذات حساسية كبيرة بالنسبة للمرأة يجب أن تفهم هنا بأن التوجه التشريعي قائم على أن تقدم الأشياء، أن تكون مقبولة ليس فيها حساسية بالنسبة للرجل، أليست بالنسبة للرجل هذه التشريعات كلها؟ بل التوجيهات التي هي هداية في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} (البقرة: من الآية١٧٠) **على ما تكلمنا سابقاً.**

إذاً فما يزال في دين الله في القرآن الكريم الأسلوب الذي ليس فقط يستوعب التشريع بل يستوعب الأساليب التي تنزل، تجعل التشريع مقبولا دون حساسيات دون إثارات تجعل كثيراً من الأعداء يستغلون هذا الطرف ، تأتي إلى أوربا تقول تنزل المرأة إلى النصف من أول يوم، والمرأة في أوربا كيف هي الآن، كيف هي؟ أصبح الرجال هناك يطالبون بالحقوق والمساواة ـ كما يقولون ـ هناك جمعيات تطالب بالمساواة بالمرأة في أوربا، والمرأة هناك متدخلة في كثير من الشئون السياسية ولها رؤية ثقافية ، ويعني أنت أمام ما قد يكون في واقعه باعتبار

الذهنية باعتبار الوضع الإجتماعي يساوي العربي هنا في المنطقة هذه، ذهنية المرأة هناك وضعيتها قد تكون مساوية لوضعية الرجل هنا في المنطقة العربية.

هذا هو دين للناس جميعاً وأفضل، أفضل ـ مثلما تقول ـ قائمة التزامات هي القائمة التي تناولها القرآن الكريم يعني: أفضل تركيبة اجتماعية هي التي تكون فيها القضية على هذا النحو: أن الإلتزامات الأكثر على الرجل باعتبار دوره ، والمرأة لها التزامات معينة وبالتالي كيف تعمل أن تصل بالمجتمع إلى الحالة هذه؟ قليلاً، قليلاً معك الآيات الأخرى التي وجدتها تعاملت بمراعاة هذا الإعتبار في الوسط العربي نفسه، عندما تذهب تعملها تشكل ثورة في مجتمع آخر، اشتغل بالآيات الأساسية إذا رأيت بأنه.. وليست قضية: إذا رأى أيٌّ واحد يعني: كي نفهم ، نفهم بأن القرآن الكريم هو كتاب الفقه الذي يسع الحياة كلها وهو الذي لديه أساليب تستوعب أن تنزل تشريعاته إلى الرقم النهائي{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ} بدون إثارة.

ألم يوصل العرب إلى الحالة هذه؟ الذين كانوا لا يعطون الرجل الصغير فضلاً عن المرأة! ما كان يعطي الأخ الأكبر إخوته الصغار فضلاً عن المرأة بل كانت المرأة نفسها جزء من الميراث يرث زوجة أبيه التي ليست أمه ، ألم يوصلهم إلى الحالة هذه في الأخير{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} ؟ فباعتبار أن القرآن هو للدنيا جميعاً وأنه تكون تشريعاته على اعتبارات متعددة ولديه مثالية في الأخير، هي هذه المثالية في الأخير أعني قضية ستصل بالمجتمعات إليها تكون التركيبة الإجتماعية الرجل هو الذي يتحمل المسئوليات الكبيرة والتي يترتب عليها عادة التزامات مالية كثيرة ، فهو إذاً بالشكل الذي له حق أو نقول من العدالة ومن القسط أن يكون له مثل حظ الأنثيين.

المرأة هناك إذا أعطيتها تركيبة إسلامية بطريقة متأنية ستقبل لأنها لم تعد ترى نفسها بأنها عليها التزامات كبيرة، سترى في الأخير فعلاً أنها قضية فيها عدالة عندما يقول: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} بناءً على الإلتزامات التي على الرجل، أليست هكذا؟ ستجد المرأة نفسها لا تنفق على أولادها لا تنفق على نفسها هي، وهي كزوجة لا تنفق على نفسها وهي كأم لأولاد، أم لأولادها هي والرجل، لا تلزم بأن تنفق عليهم، دور الرجل في الحياة أمامه التزامات كثيرة فيما يتعلق بالدين، فيما يتعلق بقضايا الحياة أكثر من المرأة، ستجد في الأخير بأنه دائماً قضية المال هو ينظر إليه نظرة عامة في المجتمع ، أعني أنت عندما تحاول أن تقدم مثلاً للقضية ستجد بأنه لو تعمل بناءً على أن الإلتزامات قائمة على هذا النحو لكانت القضية تبدو ليس فيها شيء من العدالة.

عندما تأتي تفترض أسرتين مثلاً أسرة فيها أربعة أولاد وأربع بنات وأسرة فيها أربعة أولاد وأربع بنات الأربع بنات هنا تزوجن بالأربعة الذي هنا والأربع التي هنا تزوجن بالأربعة الذي هنا ما الذي سيحصل؟ أليس القضية أربعة وأربعة مجموع الأولاد كم؟ ثمانية، أليس هو هكذا؟ والبنات ثمان ، عندما تأتي تقول لكل واحد من الذكور والإناث أنصبة مستوية كيف ستطلع المسألة؟ سيقول الأولاد الثمانية: كيف تعطوهم مثلنا تماماً ونحن في الوقت نفسه ملزمون بأن ننفق عليهن وعلى أولادهن؟ أليس هذا متنافي مع القسط، على أساس ماذا؟ الإلتزامات هذه.

يأتي من يقول: إن هذه الآية منسوخة، منسوخة، منسوخة، أحياناً، في نفس الآية هنا جاءت على هذا النحو ضمن وضعية معينة قد تكون الوضعية هذه قائمة في مجتمع آخر، أعني قد لا تكون في المجتمع المسلم هذه لم تعد موجودة في المجتمع المسلم في البلاد العربية والأمة الإسلامية، لكن يكون هناك مجتمعات أخرى ظروف مرت بها خلقت وضعية معينة للتركيبة الإجتماعية وللإلتزامات والمسئوليات، ولوضع المرأة هناك تجد هناك وضعية إذا أنت ترى أن القرآن راعى وضعية هنا في بداية تشريع التوزيع، تشريع توزيع المال، إذاً هو نفس القرآن الذي سيراعي الوضعية هناك في البداية لتنتقل بالمجتمع إلى مجتمع{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} بعدما تعطي تركيبة اجتماعية معينة، التزامات معينة، هنا الرجال قد أصبحوا هم يجاهدون، ويقال لهم: ينفقون في سبيل الله وقد

هناك أسرى وهناك مهاجرون وهناك التزامات كثيرة عليهم، أليست هكذا؟ وخطوة كبيرة استطاع أن ينقل الرجل إليها على الرغم من وجود الإلتزامات هذه إلى أنه يعطي المرأة وكان لا يعطي الرجل الأصغر.

القضية هذه كلها ليست مسألة تقديرية مثلاً لأي شخص، أبداً، ولا هي مسألة فتوى، يأتي واحد يعمل للناس فتوى في أوربا كمسلمين، لا. هي قضية لا بد فيها من توجه، أعني يكون هناك دين يتحرك أمة تتحرك قادرة على تغيير تركيبة المجتمع وليست فقط مجرد فتاوى، تعطي فتاوى للأوربيين تقول: تبدو وضعية المرأة كذا.. فتأتي تعطي فتوى ، لا. هذا لا يصح، عندما تلحظ أن التشريع هو يكون مترافقا مع حركة الدين وإقامة الدين وبناء المجتمع على منهج هذا القرآن وليست حالة فتوى تفتي في أوربا أو في الصين أو في اليابان، أو في... حالة من يتحركون بهذا الدين هناك ، يلاحظون وضعية أخرى، القائم، القائم على الأمة الذي يتحرك بالأمة لإقامة دين الله وارث الكتاب؛ لأن هذه مهمته وليس مهمة كفتوى، هي مهمة كحركة، معناه يستطيع في الأخير أنه كيف ينزل آية هنا هناك، وهو في إطار تغيير تركيبة المجتمع وفق الرؤية القرآنية ؛ لأن القرآن له رؤية اجتماعية في تركيبة الأسرة والمجتمع وفي توزيع المهام والمسئوليات والإلتزامات فتنزل مقابل ماذا؟ إنزال المواريث بهذا الشكل تكون المرأة قابلة وبدون حساسية وبدون إثارة، كما راعى الرجل حتى يكون قابلاً هنا أن يعطي آخرين قد تكون وضعية تراعى فيها المرأة هناك حتى تكون قابلة لأن تتنازل عن نصف ما لديها وهي ترى التزامات متعددة على الرجل أكثر منها.

لكن في الإنطلاقة الإجتهادية تكون إطلاق فتاوى، أليست هكذا؟ لا. ما تزال الأشياء مرتبطة بحركة دين بحركة أمة تقيم الدين في المجتمعات وليست قضية اجتهادات وفتاوى ، إنما من فائدتها أن نفهم استيعاب القرآن للحياة بكلها إعطاءه إعتبارات للوضعيات المتعددة بالتنقل بها إلى أن تصل إلى وضعية معينة. نفس الشيء الذي حصل في آية المسح في الوضوء، ألم يحصل فيها [خبصة] كبيرة هي نفسها؟ {وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} (المائدة: من الآية٦) **؟ أليس بعضهم يقولون: مسح والبعض غسل؟ فالذين يقولون: مسح قال: {وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ} معطوفة عليها، قال أولئك: لا، قال الله { فَاغْسِلُوا }** (المائدة: من الآية٦) **هي معطوف على واغسلوا ألم تحصل هكذا؟.**

كيف يمكن يجعل الباري آية تثير اختلاف وهو يعلّم إجراءات معينة في الوضوء لكن متى ما ترسخت عند الإنسان أن الدين هذا مليء غوامض وإشكاليات حتى في القضايا الصغيرة يكون عنده في القضايا الكبيرة يتصور بأنها ستكون مظلمة؟ لا. لأن الفارق في ماذا؟ في الرؤية التشريعية، في الرؤية الفقهية التي قدمها القرآن، والرؤية الفقهية والتشريعية التي قدمها[أصول الفقه]الفارق كبير؛ ولهذا برزت رصات من كتب الفقه لا تستوعب ولا حتى المنطقة التي هي فيها ما بالك أن تستوعب العالم، لو تحاول تطبق كتب الفقه في العالم، ما تمشي، لكن القرآن يمكن العمل به، القرآن يمكن تطبيقه ويصل بالناس إلى بنية واحدة ووضعية واحدة .

{أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} (البقرة: من الآية١٨٥) **هذه أيضاً من الآيات التي حصل فيها اختلاف حتى افترضت أن هناك كان تشريع صيام معين ثم انتقل إلى صيام رمضان، لاحظ أسلوب الآية هذه لا يخرج عن نفس الأسلوب السابق في موضوع التمهيد للذهنية ، لأن بعضه قد لا يكون تمهيدا فيما يتعلق بنقله في واقع الحياة، التمهيد في الذهنية لقبول المسألة في البداية: {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ}** (البقرة: من الآية١٥٤) **أليست هذه واحدة؟.(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** (البقرة: من الآية١٥٥) **أليست كذلك؟ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}** (البقرة: من الآية١٧٠). **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ}** (البقرة: من الآية١٧٣) **أليس هذا تمهيدا للتقبل، قد يكون بعض ما نسميه تمهيدا للتقبل لا يكون مرتبطا بنقلة اجتماعية لكن المواريث مرتبط بنقلة في المجتمع نفسه.**

هنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} (البقرة: من الآية١٨٣) قد تقدم قبله حديث عن الصبر عن كذا أسلوب معين في مجال التمهيد لقبول المسألة ذهنياً لو يقول: يا أيها الذين كتب عليكم الصيام شهر رمضان من أول يوم لكان ثقيلاً على النفس، لكن لا. لاحظ كيف هي تساق بعبارات أحكام تفصيلية قبل أن يذكر الرقم الذي هو شهر، أول شيء أيام معدودات مقبولة، أليست مقبولة ذهنياً أيام معدودات؟ يبين أحكاما تفصيلية حتى يبين أن الصيام هذا ليس مرهقاً {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} (البقرة: من الآية١٨٤) أي عندما يصوم لا يصوم إلا بجهد جهيد لأن التشريع هو دون الطاقة {يُطِيقُونَهُ} أي يصوم لكن بإجهاد بجهد جهيد لنفسه باعتبار وضعية البدن، وليس باعتبار أعمال إضافية أن تجهد نفسك بأعمال أخرى باعتبار وضعيتك أنت بنيتك الجسمية فهنا يقول: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} يعني الصيام هذا ليس مرهقاً لازم تصوم حتى وإن كنت لا تطيق إلا بمشقة، يطيقونه: يعني بإمكانهم أن يصوموا لكن بصعوبة بالغة بالنسبة له، فبإمكانه يفطر ويكفّر.

هنا مقبول بعدها أن يقول: شهر رمضان أليس هو مقبولاً؟ لو يأتي من البداية كتب عليكم الصيام شهر، قبل أن يبين كيف الصيام وكيف الإستثناءات بالنسبة له أنه: إذا كان واحد مسافر أو مريض أو لا يستطيع إلا بصعوبة بالغة أن يصوم باعتبار الحالة التي هو فيها فيمكن أن يفطر ويكفر عن كل يوم إطعام مسكين ويأتي بقضية تشمل هذه يكون وفق القاعدة الإلهية في ماذا؟ في تسهيل تقديم التشريع، هذه قضية أساسية ، قاعدة أساسية.

لا أعتقد أنه صحيح أنه كان هناك صيام أيام معينة ثم بعدها يصومون، قال لهم: {شَهْرُ رَمَضَانَ} لا أعتقد، هذا موضوع روايات أخرى، الآية سياق واحد، من {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} لاحظ التمهيد التشريعي هنا: {كَمَا كُتِبَ} وليست قضية أنتم مختصون بها ما دام قد صاموا أناس قبلنا، إذاً باستطاعتنا أن نصوم {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٨٣) فيه فوائد بالنسبة لكم كثيرة تجعلكم متقين {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) أياما معدودات يمكن تكون عشرا يمكن تكون ثلاثين، يمكن تكون أربعين، أليست هكذا؟ ويمكن تكون خمسة أيام معدودات، لا يدري أحد كم هي، تبدو القضية مسهلة.

{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) قبل أن يقول بالرقم {شَهْرُ رَمَضَانَ} شهر من أول يوم، قبل أن يأتي بهذه الأشياء يكون فيه نوع من الصعوبة، صعوبة القابلية في الإنسجام في الذهنية لا تكون أنت ترى القرآن والتشريع الإلهي أمامك أرقاما كبيرة، أرقاما مجهدة في مقامات كثيرة متعددة؛ لأن التشريع تناول أشياء كثيرة جداً الأطعمة والأشربة المنكوحات الملبوسات الأعمال البدنية كالصيام، جانب مالي إنفاق وأشياء من هذه، لكن تلاحظ كيف، وهذه من حكمة القرآن أنه جاء في المجتمع العربي، ألم يستطع أن ينقلهم إلى قابليته؟ بينما الأسلوب الفقهي الذي قدّم أصبح بالشكل الذي لم يعد بالإمكان إنزاله في كثير من أسلوبه، أسلوب جاف أسلوب بعيد عن أن يكون له قابلية هذا أسلوب راقي جداً ولا يخرج عن القاعدة الإلهية: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة: من الآية٦)

حتى في عملية تقبل الدين وهو يوجه التشريع أمكن أن يشرع في مختلف المجالات وقبله العرب، أليس هذا يعتبر من المعجزة لهذا الدين؟ أن يقبله العرب هم، وهم ليسو شعباً متحضراً وهم أناس قاسين وجافين وبدائيين في الجزيرة العربية كانوا هكذا وقبلوه، وقبلوا الأشياء العالية فيه، الجهاد نفسه ألم ينطلقوا يجاهدون؟.

{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) إذاً ما هنا الصيام قد أصبح سهلاً افترض أنه يطلع أربعين يوماً وقد أصبح هكذا {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} (البقرة: من الآية١٨٤) في موضوع الإطعام {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٨٤) يكون فيه فوائد هامة قد يكون من الناحية الصحية ربما ينفع قد يجهدك يومين ثلاثة أو خمسة أيام لكن يكون له أثر فيما يتعلق بصحة بدنك، التي جعلت الصيام في الأيام الأولى مرهقة نوعا ما {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} والصيام بشكل عام هو خير لكم مع أنه قال

هناك: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ} هنا مناسب يقول: {خَيْرٌ لَكُمْ} إذاً قد أنت تحب أن تعرف كمّا هو وتصوم {شَهْرُ رَمَضَانَ} (البقرة: من الآية١٨٥)

كذلك يتحدث عن شهر رمضان أيضاً بالمناسبة المهمة التي تجعلك تتقبل أن تصوم هذا الشهر هو ماذا؟ أنه {الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: من الآية١٨٥) إذاً نصوم مناسبة عظيمة وتكريم لهذا القرآن، إذاً فالصيام جاء على هذا النحو، ما هناك قضية صيام يوم معين، عاشوراء، ثم تنقل إلى كذا هذا فيه روايات أخرى.

ولا يحتاج إلى تقديرات متعددة، معناها لا يطيقونه، ومعناها كذا... يطيق صيامه، لكن يطيق بأقصى جهد لديه، مسموح له أن يفطر باعتبار وضعيته [وليس باعتبار أعماله يأتي واحد يجمع له أعمال صعبة في رمضان في الأخير يقول: لم نعد نطيق، لا.] يفطر ويكفّر ويقول: بعدها في نفس الوقت ـ لاحظ التسهيلات من قبل ومن بعد ـ {شَهْرُ رَمَضَانَ} فيثني على هذا الشهر يشوقك إلى أن تصومه {الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} يبين أن هذا الشهر جدير بأن يصام وأن يكون محطة للعبادة الهامة؛ لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن والصيام له علاقة بأعظم شيء أنت تقدسه وهو القرآن الكريم، مما جاء من عند الله.

{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) إذاً أليس الصيام سهلا جداً هنا:ـ شهر ـ بالأسلوب هذا الرائع العالي فعلاً.

يتحدث عن الصيام وعن هذا الشهر شهر رمضان أنه محط للسؤال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} (البقرة: من الآية١٨٦) وهذه في محلها أيضاً ذكر أن الباري يقدم مثلما قال هناك: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} (البقرة: من الآية٥٧) يأتي هنا يبرز في الصورة بأنه أيضاً أنتم قد عرض عليكم موسم معين هو من أفضل المواسم للدعاء {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} (البقرة: من الآية١٨٦) يستجيبون لي عندما أهديهم وأشرع لهم في كل ما قدم {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) فليؤمنوا بي لعلهم يرشدون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

من الآية (١٨٥) إلى الآية (٢١٤)

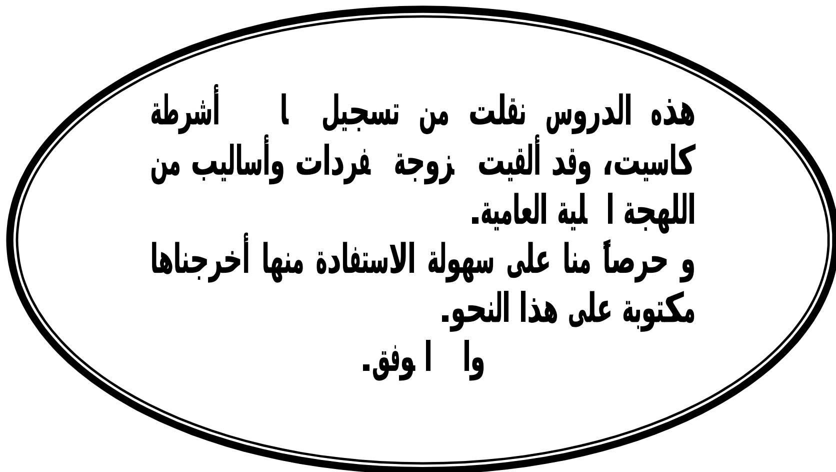
[الدرس التاسع]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ٩ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٣/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في الآيات التي ذكر الله فيها تشريع الصيام ذكر بالنسبة لشهر رمضان أنه الشهر {الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: من الآية١٨٥) **ويدل على عظمة القرآن الكريم وأهميته أن يكون الشهر الذي أنزل فيه هو موضع عبادة، هي تعتبر ركناً من أركان الإسلام وهي الصيام.**

بمناسبة نزول القرآن في شهر رمضان أصبح شهر رمضان شهراً مقدساً وشهراً عظيماً وهذه الأهمية، أهمية القرآن الكريم هي تتمثل في أهمية وعظمة البينات والهدى التي هي مضامين، وهي الغاية من إنزاله، والبينات والهدى هي في الأخير لمن ؟ للناس. فيدل على الحاجة الماسة، الحاجة الملحة بالنسبة للناس، حاجتهم إلى هذه البينات، وهذا الهدى. أن تكون الفريضة التي فرضت في هذا الشهر العظيم هي الصيام، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، يدل على أن هناك علاقة ما بين الصيام، وما بين القرآن الكريم من حيث أن ما في القرآن الكريم من البينات والهدى، أن الالتزام بهذه البينات والهدى، أن القيام بالدين على أساس هذا القرآن العظيم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وترويض لنفسه على الصبر، وعلى التحمل.

فالصيام له أثره في هذا المجال، في مجال ترويض النفس. لأنك في أثناء نهار شهر رمضان تكبح شهوات نفسك، وتعود نفسك الصبر، والتجلد، والتحمل، تعود نفسك أنك أنت الذي تسيطر عليها، أنك الذي تسيطر عليها.

فمن المهم جداً بالنسبة لنا عندما نصوم في شهر رمضان، عندما نصوم أن يستشعر الإنسان هذه الغاية من شرعية الصيام، يستشعر أنه يتجلد، ويتصبر، ويتحمل، ليعلم نفسه، يعلمها أنه هو الذي سيسيطر عليها بناءاً على توجيهات الله، بينات الله، هدى الله. تعود نفسك أنت الذي تقهرها، وتخضعها لهدى الله وبيناته. لا يكون شهر رمضان ندخل إلى هذا الشهر بعفوية، ونخرج دون أن نحسس أنفسنا بأننا قد قهرناها، من خلال نهار شهر رمضان، عندما نحس بالجوع، عندما نحس بالعطش نقول: لا. أليست هذه عملية تسلط على النفس؟ نوع من الترويض للنفس؟ وللجسم بكله على الصبر؟.

لأنه هكذا بالنسبة للقرآن الكريم، بالنسبة لبينات الله وهداه، يحتاج من الإنسان إلى أنه يخضع نفسه في مجال الاستجابة لها، والالتزام بها، والقيام بها، وهي تعتبر فترة قصيرة بالنسبة للسنة، شهر واحد من السنة، كلها تعتبر فترة قصيرة. ولهذا شرع أيضاً على سبيل التطوع صيام أيام أخرى، كصيام الست الصبر، وصيام الثلاث البيض من كل شهر، إضافة إلى أن الصيام كما يذكر الأطباء: أنه له فوائد كبيرة من الناحية الصحية. ومعنى هذا: بأن دين الله يتناول بناء الإنسان من كل جهة، أن في تشريعات الله ما الهدف منها أو من أهدافها: الجانب الصحي بالنسبة لجسم الإنسان، والجسم الصحيح، والجسم السليم، أو نقول: الصحة، وسلامة الجسم هي أيضاً هامة في مجال الالتزام بهدى الله، في مجال العمل في سبيل الله، في إقامة دين الله. هذه تساعدنا على فهم: أن مسألة المرض، أنه لا يصح أن نقول دائماً: المرض، كل مرض ننسبه إلى الله، ونحن نرى في تشريعاته ما هي ذات أهمية كبرى في مجال صحة الجسم.

نحن نرى في تشريعاته ما هي بحاجة للنهوض بها إلى أجسام صحيحة وسليمة، كالجهاد في سبيل الله، هذه متنافية مع أن نقول: أن الله هو الذي يصب الأمراض صباً على الناس، أو الإنسان المؤمن، علامة أنك مؤمن عندما يصب الله عليك الأمراض، والمصائب صباً صباً كما في بعض الروايات. ولهذا تجد أن كثيراً من الأشياء الموجودة في هذه الأرض من النباتات، والمعادن، وحتى الشمس والهواء، يكون لها أثر كبير. أعني: تعتبر أدوية، نسبة كبيرة جداً من الموجودات في محيط الإنسان فيها أدوية، هي نفسها تدل على أنه مراد للإنسان أن يكون جسمه سليماً، أن يكون صحيح البدن.

لأن كثيراً من المسئوليات في دين الله تحتاج إلى هذا الشيء، إلى صحة الجسم، إذا كان الجسم منهك تتأثر أيضاً في الغالب. أعني بالنسبة لغالب الناس، تتأثر حتى اهتمامات الإنسان، تقصر نظرته، يكون قريباً من الملل

والضجر. إذا كان جسمه سليماً كانت ذهنيته صافية، متفتحة. وفي نفس الوقت تعتبر صحة الجسم نعمة كبيرة على الإنسان، نعمة كبيرة. ويجب أن يعرف أي إنسان منا بأنه، أي نعمة هو فيها بما فيها نعمة الجسم، نعمة صحة البدن، أنه يترافق معها مسئولية. إذا كنت ذكياً، إذا كان لديك حافظة قوية، إذا كان جسمك سليماً فهي تعتبر نعماً يجب أن توظفها في سبيل الله. ودين الله سبحانه وتعالى، والعمل في سبيل إعلاء كلمته مجال واسع جداً يستوعب كل القدرات، ويستوعب كل المواهب، وهذا من النعمة الكبيرة على الإنسان: أن يكون متمكناً من أن يوظف كل طاقاته في مجال تعتبر عائداته كلها له في الدنيا وفي الآخرة، أليست هذه نعمة كبيرة ؟.

إذا لم يتذكر الإنسان هذه النعمة قد يحصل العكس، إذا كان ذكياً، إذا كان عنده نفس طموحة، وذكاء في نفس الوقت، هي حالة إيجابية، إذا وظفها في هذا المجال، إذا لم يوظفها في هذا المجال، إذاً أصبح معرضاً قد يتحول ذكاؤه إلى شر عليه، وعلى الناس، قد يتحول إلى منافق، وغالباً ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، في الغالب ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، أما الغبي المسكين هو لا يستطيع بأن يكون عنده خبرة في مجال الذكاء والتضليل أو الخداع، أو أشياء من هذه. لكن الغبي يكون ضحية هذا، متى ما أصبح الذكي منافقاً كان الغبي نفسه عُرضة لأن يضل، لكن بالنسبة لمن نقول: غبي هو في الواقع إنسان قابل لأن تتطور معارفه، وتتفتح ذهنيته، أن يعطيه الله نوراً فيتحول إلى إنسان فاهم، إلى إنسان ذكي.

إذا توجه، ومسألة التوجه هي قضية يعرفها كل إنسان، الذكي من الناس، والبسيط في ذكائه يستطيع أن يفهم، أن يكون مخلصاً لله، أن يكون مستجيباً لله، أن يلتزم بهدي الله، حينها سيحصل على ما وعد الله به من كان على هذا النحو {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩) {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) بنوا إسرائيل عندهم نوع من الذكاء، باقي المؤهلات، باقي مؤهلات، وراثة الكتاب، عندهم نوع من الذكاء، لكن لاحظ كيف أصبحوا يمثلون شراً كبيراً على البشر، وعلى أنفسهم في المقدمة، عندما لم يوظفوا ذكاءُهم في الاستجابة لله، وفي العمل في سبيل الله.

العمل في سبيل الله هو بالشكل الذي تزداد أنت فهماً، ومعرفة، وذكاء، وفطنة أعني: ليست عملية تقول: أنها تستنفد طاقاتي. هذه من الأشياء العجيبة في دين الله قد تكون كثيرٌ من الأعمال مثلاً، كثيرٌ من المهام، تستنفد طاقاتك، أما العمل في سبيل الله فهو بالشكل الذي تتنمى معه، وتنموا معه مواهبك، طاقاتك فعلاً. أليست هذه نعمة أيضاً كبيرة ؟ نعمة أخرى كبيرة جداً. لهذا قال في الأخير: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} (البقرة: من الآية١٨٥) تعظمونه، وتكبرونه، وتجلونه، وتقدسونه على هدايته لكم، على ما هداكم إليه. هذه تعني: بأن الإنسان كلما وجد شيئاً من هدى الله، يجب أن يستحضر في ذهنيته: أن يكبر الله على ما هداه إليه، مهما بدت القضية كبيرة أمامك، يحاول كل إنسان أن ينسف من ذهنيته استثقال أي شيء، لا.النظرة الصحيحة هو في مقابل ما يبدوا وكأنه شاق، ما يبدو وكأنه صعب، ما يبدو وكأن النفس تحس بنوع من العنا في سبيل أدائه، يجب أن تلحظ بأنه من النوع الذي يجب أن تكبر الله على ما هداك إليه.

{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥). ليس هناك في دين الله، ليس هناك في ما هدى الله الناس إليه، ما هو خارج عن هذه القاعدة، وعن ما يجب أن تنظر إليه على هذا النحو، ما هي القضية التي يمكن أن تجعلها مصيبة ؟ كل تشريع من تشريعات الله، كلما هدى الله الناس إليه هو كله من هذا النوع، من النوع الذي يجب أن تكبر الله على أن هداك إليه، وتشكره يعني هذا في الأخير: أنه نعمة كبيرة عليك، نعمة كبيرة عليك. أليس الصيام يبدو وكأنه يريد أن نجوع ونظمأ طول النهار ؟ فتنظر إليه بأنه يعني: قضية مصيبة علينا ؟ لا. يجب أن تكبر الله على ما هداك إليه، أن شرع لك هذه الفريضة لأنه عندما يشرع شيئاً لك، ويشرع لعباده، فكل ما يشرعه لهم، كلما يهديهم إليه، كلما هو نعمة كبيرة جداً عليهم، نعمة عظيمة جداً عليهم .

الصيام له أثر فيما يتعلق بصفاء وجدان الإنسان، وذهنيته، ويحس الإنسان في شهر رمضان، أليس الناس يحسون وكأنهم أقرب إلى الله من أي وقت آخر ؟ هذه فرصةً للدعاء، تلاحظ كيف أن الصيام مهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم، القرآن الكريم مهم فيما يتعلق بمعرفة الله حتى يجعلك تشعر بالقرب من الله سبحانه وتعالى.

إذاً فمن الإيجابيات الكبيرة له: أن تلمس في نفسيتك صفاء لذهنك، مشاعرك مشاعر دين، مشاعر قرب من الله، أن تدعو الله سبحانه وتعالى{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} (البقرة: من الآية١٨٦). **هذه من النعم العظيمة لا يحتاج الإنسان أولاً يبحث عن جهاز اتصال، يبحث كم الرقم التابع للسماء الفلانية، أو تحتاج إلى أن تصعد إلى أعلى قمة من الجبال تدعوه. أينما كنت، وفي أي وضعية كنت، فهو قريب منك. هذه من الأشياء التي ينفرد بها المؤمنون، ينفرد بها المؤمنون عندما يكونون بالشكل الذي ينقطعون عن تولي أي طرف آخر إلا تولي الله سبحانه وتعالى، ومن أمر بتوليهم في سبيل توليه، أو كمظاهر لتوليه لأن الناس يتولون من هو قريب منهم، من ليس هناك حجاب فيما بينه وبينهم، من يسمعهم في أي مكان كانوا، وفي أي وضعية كانوا {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** (البقرة: من الآية١٨٦). **كل داع وليس نقول: القبيلة الفلانية .. يتجمعون، ويكلفون واحداً لأنه سنحتاج لذلك نتجمع كلنا لأنه لو أن كل واحد يدعو من عنده، وكل واحد يدعو بحاجته، وكل واحد يدعو بكذا، ربما تختلط. الله سبحانه وتعالى هو عليم، وحكيم لا تلتبس عليه الأصوات.**

{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (البقرة: من الآية١٨٦). **أي داع، وكل داع بمفرده. عندما ترى الناس في عرفات، هذه من الآيات العجيبة، وهي من مظاهر سعة علم الله، والناس في عرفات يدعون، كل واحد يدعو بلهجات متعددة، وبلغات متعددة، وأصوات مختلفة، وكل واحد يدعو ! لو تسجل مجموع أصواتهم لما عرفت أنت ربما كلمة واحدة تميزها تسمع ضجة فقط. {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** (البقرة: من الآية١٨٦) **هذا تذكير للإنسان كإنسان، الفرد الواحد من الناس، أن يعرف بأن بإمكانه أن يدعو الله وهو قريب منه، لا يحتاج لأن يتجمع مائة شخص ثم نقول: نريد نكلف واحداً يمثلنا من أجل يدعو لنا، فإذا دعونا كلنا فإنه لن يسمعنا، لا.**

{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} (البقرة: من الآية١٨٦). **هذا الأساس في إستجابة الدعوة، وهي قضية منطقية، أعني قضية طبيعية، هي الحق، أنك تريد من الله أن يستجيب لكل ما تدعوه به، وأنت في نفس الوقت لا تستجيب له ! هذه ليست قضية صحيحة. {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي}** (البقرة: من الآية١٨٦) **فيما دعانا إليه نستجيب له، ومما دعانا إليه، أن ندعوه. الدعاء هام، الدعاء يجعل مشاعرك قريبة من الله، الدعاء يعبر عن أن نفسيتك في حالة مستمرة في الالتجاء إلى الله، والتوكل على الله، والاستعانة بالله.**

الإنسان الذي يذهل عن موضوع الدعاء معنى هذه بأنه ماذا ؟ مسيطر على مشاعره نسيان الله، عندما تكون ذاهلاً عن الدعاء لله ألست بطبيعة الحال في كثير مما يمر بك ستتلفت يمين وشمال وإلى الناس، وإلى الناس كيفما كانوا، وتكون حريصاً على أن تقضي حاجتك ولو على يد إنسان لا يقضي حاجتك إلا بما يقابلها من دينك؟. فعندما يكون الإنسان منقطعاً إلى الله، ويدعو الله باستمرار، وكلما مر به من ظروف، كلما مر به من مهام، في كل أمر من أموره، في كل قضية من قضاياه دائم الالتجاء إلى الله، هذه نفسها تمثل حالة من الاستغناء عن أطراف ربما قد يكون رجوعك إليهم فيه إذلال لك، وفيه بيع لدينك، وفيه دخول في باطل.

{فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} (البقرة: من الآية١٨٦) **مسألة الإيمان بالله كما نقول أكثر من مرة: الناس جميعاً مؤمنون بالله، مؤمنون بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله، وأن الذي خلقنا هو الله، وأن الذي يدبر شئوننا هو الله، لكن يوجد هنا مطلب في الآية هذه، وآيات أخرى، تذكير بأن المطلوب إيمان حقيقي، وإيمان واعي.**

أنت عندما يقول الله سبحانه وتعالى لك: أن تؤمن به، أن تؤمن ماذا ؟ يعني أنه إلهنا. وما يترتب على هذه القضية من أشياء كبيرة في علاقتك به، وفي علاقتك بالحياة هذه كلها، أنه الإله، أنه الملك، أنه رحيم، أنه عزيز، أنه قوي، كلما تعني أسماؤه الحسنى، إيمان عملي، إيمان واعي. هذا الإيمان الذي يجعلك بشكل تنقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وتنطلق بقوة في هذه الحياة، عندما يدعوك إلى أن تنصره كما قال سبحانه وتعالى في آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ } (الصف: من الآية١٤). **أليست هذه دعوة من جهة الله يريد منا أن نستجيب**

له فيها ؟ هي قضية، قضية الاستجابة متوقفة على نسبة الإيمان لدي ولديك، الإيمان به. فإذا كنت مؤمناً حقيقة بالله سبحانه وتعالى، بأنه هو ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وهو الغالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، وهو القوي، وهو العزيز.

الإيمان الواعي سيجعلك تنطلق، تنطلق في سبيله، لأنك تعرف أنه دعاك من هو أقوى من كل قوي، وأعز من كل عزيز، وأكبر من كل كبير، ومن هو غالب على أمره، والقاهر فوق عباده. هنا علاقة هامة جداً، وعلاقة متينة بين الاستجابة والإيمان به. الاستجابة متوقفة على الإيمان به.

إذا كان هناك ضعف في موضوع معرفة الله سبحانه وتعالى، جهل بالله فيما تعنيه أسماؤه الحسنى، فيما يعنيه إيماننا به، هذا يؤثر على الاستجابة لاشك في ذلك، يؤثر على الاستجابة. كلنا نقرأ، وكلنا نؤمن بقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤). **هل هناك أحد ينكر هذه الآية ؟ لكن لماذا لاتصل الإستجابة ! لأن هناك ضعفاً في موضوع الإيمان به ولهذا قال: { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}** (البقرة: من الآية١٨٦) **لاحظ هنا كلها إيجابيات، كلها أشياء هامة جداً، الغاية من ورائها كلها للناس.**

الصيام، هناك قال فيه: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. ويقول فيه: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) **يذكر بأنه نعمة كبيرة عليك، والاستجابة له، والإيمان به لعل الناس يرشدون {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}. هل هناك شيء يعود على الله من كل هذه ؟ لا . حتى ولا الإيمان به سبحانه وتعالى لا تكون الغاية منه، أو ليست نتيجة هي أن الله سيستفيد من ذلك. يعظم سلطانه، أو أشياء من هذه ! هو غني عن عباده، الله هو غني عن عباده جميعاً. الأمر بالاستجابة هنا مطلقة {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} أي كل ما دعانا إليه نستجيب له فيه، الاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} لأن كلمة: {يَرْشُدُونَ} كلمة واسعة، في كل حركتهم في الحياة، في حركتهم في سبيل إقامة دين الله، في كل أمورهم، رشد في الدنيا، للدنيا وللآخرة.**

لا تأتي الاستجابة الجزئية إلا بسبب ضعف في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولهذا قد يعدل الكثير من الناس مستعد أن يصلي، لأن الصلاة لا تمثل خطورة بالنسبة له، و ربما لو وصل الحالة أن تصبح الصلاة خطيرة لتجنب الصلاة ويقول: يصلي على الحالة وبأي طريقة ! وهكذا ! القضايا الأخرى التي يراها وكأنها تبدوا صعبة سببها ضعف، أو عدم فهم لما يجب أن تكون عليه في نظرتك أمام كل ما تهدى إليه، وكلما تدعي إليه الآية {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) .

يجب أن تفرح، ولاحظ الناس الذين هم فاهمون فعلاً القضية هذه كيف قال الإمام علي في موضوع الجهاد الذي يعتبره الناس مشكلة ومصيبة وحمل قال: ((أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة لله لخاصة أوليائه)) أليس معنى هذه بأنه شيء عظيم جداً ؟ فعندما لا تكون هذه النظرة موجودة عند الإنسان ستكون القضية معكوسة عنده، مشكلة، ومصيبة. عندما يكون إيمانه ضعيفاً بالله تكون استجابته جزئية لأن معناه: أنه ليس واعياً بما يترتب عليه إيمانه: بان الله قوي عزيز .

ألم يقل الله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠). **عنده [والله أما هذا لا نستطيع ولا جهدنا.. نحاول نستجيب في الأشياء التي تبدوا سهلة] لكن الله سبحانه وتعالى كما نقول أكثر من مرة قلنا: يجب على كل واحد أن يفهم أنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، لا يمكن أحكم على شيء، لا يمكن يعمل مثلما يقولون: [يدخل الجنة بحيلة] يتحيل ودخل الجنة ! الجنة معها مقارب، لكن ليس فيها حيل، يقول واحد: [يمكن يجمع له حسنات من أطراف] هذه التي ليس فيها خطورة، ولا فيها بذل لأنفس، ولا لمال، ولا خوف، ولا ..هناك ربط قبولها بالأعمال الأخرى، تكون أنت صفر في الأخير، لا يوجد معك شيء.**

هنا أمكن لواحد يتحيل على الباري ؟ أمكن أن يكون ذكياً أمام الله ؟ لا . وإلا ستكون حيلة كبيرة. يقول: [لا نستطيع، سنحاول، المهم الجنة، سنحاول نجمع لنا حسنات من هنا، ونتوكل، ونترك أولئك يجاهدون هم ويتعبون، وسنلتقي في الجنة، ويكونون قد تعبوا ونحن دخلنا ولا لقينا أي عناء، ولا لقينا أي تعب] ألا تكون هذه حيلة كبيرة ؟ لا يمكن.

توطين النفس على الاستجابة لله، وعمل الإنسان، واهتمامه بأن يعرف الله معرفة واسعة قضية أساسية في أن يكون راشداً، سواء أنت كنت عالماً، أو كنت متعلماً، أو كنت من عامة الناس. فمن يتجه لإرشاد الناس وهو بهذه الحالة: الاستجابة الجزئية، فليتأكد بأنه لا يصح أن يسمي نفسه مرشداً، ولا يصح أن يسميه الناس مرشداً. فعلاً هذا ليس مرشداً، هو يرشد إلى أشياء لن تنفق ! هل هذا مرشد؟ هو يرشدك في الأخير إلى أشياء لن تنفق له إلا بالأخرى، هو في نفسه لا يسترشد، لا يهتدي، وإنما فقط يمكن أن يسمي نفسه مرشداً، يسمي نفسه عالماً، يسمي نفسه معلماً، الآخرون كذلك يسمونه ! لكن هنا{فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}(البقرة: من الآية١٨٦) **فتكون مرشداً حقيقة عندما ترشد، وتسترشد حقيقة، عندما تسمع مرشداً، عندما تسمع شيئاً من هدى الله هنا ستستفيد .**

ثم يذكر سبحانه وتعالى فيما يتعلق بموضوع الصيام: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(البقرة:١٨٧) .

هذه القضية يجب أن نأخذ منها عبرة، أن نأخذ منها مثلاً فعندما تجد الموضوع هو موضوع صيام. وهذا الصيام كان فيه قضية على أساس: أنه مازال الصيام متوارث، لأن الصيام هو مشروع في دين الله للأمم السابقة{كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة: من الآية١٨٣) **فهنا مظهر من مظاهر رحمة الله .**

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ} لأنه {كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ}. في المسالة أمام صيام، يجب أن نأخذ من هذا بأنه أمام ما هو أشد صعوبة من الصيام، أن رعاية الله تكون أكثر، أن رعاية الله للناس تكون أكثر فعلاً. لأنه هو سبحانه وتعالى الذي شرَّع الصيام، والذي شرع الجهاد. فعندما تجد بأنه أحل للصائمين في ليل رمضان ما كانت على أساس الصيام من الأول ممنوعة، أليس هذا نوع تسهيل ؟ أليس هذا نوع تسهيل له علاقة بماذا ؟ بعملية الصيام تبدوا سهلة، ليكون أداؤها سهلاً، فيبدوا صيام شهر رمضان قضية سهلة، أن يعرف الناس: أن الله سبحانه وتعالى هو يعرف حاجات الإنسان، يعرف متطلبات حياة الإنسان، فعندما يقول لعباده: أن يكونوا أنصاراً له، أليس الكثير منا يأتي يقدم قائمة طويلة عريضة! [لكن إحنا وما معنا وكيف يعمل واحد وأموال واحد يصعب عليه مفارقتها وقد يحصل وقد وقد] وأشياء من هذه.

هذه أشياء الله يعلمها، هو يعلمها من قبلنا، وهذه أمثلة بأنه يعمل أشياء كثيرة، هي تسهيلات في سبيل أن يؤدي الناس ما دعاهم إليه، وما أمرهم به، وقضية يشهد الواقع لها، قضية يجب أن نؤمن بها، ويشهد الواقع لها، وفيها وعود إلهية،{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ}(الأنفال: من الآية٢٦) **أليس الله يعلم حاجات الإنسان؟ يعلم أنه مخلوق يحتاج إلى أن يأكل ويشرب، يعلم أنه مخلوق ضعيف، يحتاج إلى عون في مجال أن يؤدي ما أمره به، هذه سنة إلهية .**

إذاً تجدها في الصيام على هذا النحو، وهكذا في بقية الأشياء بما فيها العنوان الكبير الذي يبدوا كبيراً أمام الناس، الجهاد في سبيل الله .

يقول أيضاً: {وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}. لا تكون القضية فقط هكذا. بل ينبغي أن تكون أنت تريد: أن يرزقك الله أولاداً، وقضية الاهتمام بأن يكون للإنسان أولاد، هي قضية موجودة في القرآن الكريم، نبي الله إبراهيم قال: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}(البقرة: من الآية١٢٤) **{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}**(البقرة: من الآية١٢٨). **نبي الله زكرياء دعا الله أن يرزقه ذرية طيبة، لأن الأولاد عندما يكونون صالحين نعمة كبيرة على الإنسان، ولأنك في قضية تفرح بأي واحد، فكأنك تتمنى أن معك عشرة في سبيل أن تعمل في سبيل الله، وتعمل في إعلاء كلمة الله. أليس الواحد منا يتمنى أن يكون معه أكبر عدد ممكن .**

إذاً فإن الله قد جعل سُنة، سُنة التوالد هذه، سُنة التناسل يمكن أن يكون منك أنت خمسة، ستة، عشرة رجال، وأنت تفرح بواحد من هنا، وواحد من هنا. فإذا الإنسان لديه اهتمام بدين الله، سيكون بالشكل الذي يفرح، يفرح بأن يكون له أولاد، وعلى أقل تقدير سيكون أولادك يتوجهون لك، إذا كان هناك آخرين لا يتوجهون لك إلا بصعوبة حتى يصلح لك واحد، ربما خمسة، ستة أولاد يصلح لك ولو أكثرهم على الأقل، أليست أنعماً كبيرة؟.

كان العرب في أيام الصراع القبلي فيما بينهم حريصين جداً على الأولاد متى ما جاء له ولد يبشرونه [ويهنيك الفارس] لأن واحد يعتبر مكسباً كبيراً، ماذا في ذهنيته ؟ عندما يصارع قبيلة أخرى وعندما يغزوا قبيلة أخرى. فالإنسان الذي لديه اهتمام بدين الله، وعنده روح جهادية يفرح بأن يكون له أولاد، فتكون القضية مسيطرة على مشاعره وهو يباشر أهله، يباشر زوجته أنه يطلب ما كتب الله، ما سهل الله، وما يسر من أولاد .

{وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} . لا يحصل التضايق من الأولاد، لا يريد واحد أولاد إلا عندما لا يكون هناك اهتمام في نفسه بدين الله وإلا ما هو الولد بالنسبة لك؟ فارس أليس فارساً؟ مجاهداً في سبيل الله؟ أليس المفروض أن تفرح؟ ولهذا أبيح للناس أن يتزوج الواحد بأربع عسى يجيء لك من أربع خمسة عشر رجلاً يجاهدون في سبيل الله، يعبدون الله، مكسب كبير لك أنت.

عندما قال نبي الله إبراهيم: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨). إجعلنا، وهما إثنان، يتمنى أن يكون هناك مسلمون لله كثير، لحبه لله، يتمنى أن يكون هناك عُبّاد كثيرون لله، وعاملون كثيرون في سبيل الله، وفيما يرضي الله، تجد أنت مثلاً تحب شخصاً معه عمل معين، ألست ترغب أن تبحث عن أحد معك في مجال يرضي الشخص الذي أنت تحبه ؟ الإنسان الذي يحب الله، الذي يهتم بدين الله، تكون روحيته هكذا، يفرح أن يكون له أولاد، ولا يصدق واحد المحاولات التي يطرحونها لتقليل النسل، هذه عملية المقصود منها تقليل نسل المسلمين، تَبَيّن في نفس الوقت أهمية مثل هذه الآية بالنسبة للمسلمين{وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}، أليس الآخرون يريدون أن يضربوا، يقطعوا ما كتب الله لنا ؟ لأنه إذا قل النسل أمكن أن يقضوا على الحاصلين بأعمال كثيرة حتى يصبحوا أقلية، لكن قضية النسل هذه قضية عندهم مزعجة، وموضوع النسل لا يكون عندك أنه مثلاً في هذا الشهر قد يأتي مثلاً زوجتك تبدأ تحمل في الشهر الفلاني، في الشهر الذي أنت فيه، يمكن بعد خمسة عشر سنة! أحيانا قضايا الصراع يجلس الناس يتصارعون ثلاثين سنة، خمسة عشر سنة ما تدري إلا وهذا رجال وفي نفس الميدان.

الآن الفلسطينيون كم صراعهم ؟ كم من السنين صراعهم مع إسرائيل ؟ أليس الآن الذين هم يقاتلون ربما هم أبناءُ أبناء الذي شاهدوا دخول اليهود هؤلاء العصابات اليهودية أبناء أبنائهم أحفادهم خمسون سنة من الصراع . عندما يقولون: هذا يشكل مشكلة، تغذيتهم وتربيتهم وأشياء من هذا، لا. المشكلة كلها من عند القائمين على الناس، من عند من يحكمون الناس، هم الذين يكونون بشكل يجعل الفساد ينتشر فتقل البركات، تكون خططهم الاقتصادية فاشلة، ليس عندهم اهتمام بالناس، ليس عندهم خبرة في رعاية الناس، لاتربوياً، ولا غذائياً، وإلا فالله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض واسعة، جعلها واسعة، ثم إنه بالنسبة للشعوب، بالنسبة للأمم، غير صحيح بأنه إذا ازدحم الناس، أصبح شعب من الشعوب عدده عشرين مليون بأنه سيكون شعباً ضعيفاً .لا. بل يقولون فيما يتعلق بالنمو الإقتصادي: أن الشعوب الكبيرة تصبح هي سوق، هي سوق لنفسها، سوق استهلاكية هي، إذا أنت شعب صغير مثلاً عدده مليون أو مليونين ونصف، وعندك قدرات رأس مالية، عند أفراد فيه رؤوس أموال كبيرة، يُصنّع قليلاً واكتفى السوق التابع له، يحتاج يحاول كيف يبحث عن أسواق أخرى، لكن لاحظ [الصين] مثلاً مما ساعد الصين على نهوضها ما هو ؟ سوق عالمية في نفس البلد، مليار وزيادة يعني: سوق استهلاكية كاملة، تنهض الشركات، وتنهض المصانع، وتنهض رؤوس الأموال، وتحرك رؤوس الأموال بشكل كبير.

إذاً هذه خطة غربية بالنسبة لنا، بالنسبة للعرب بالتحديد، بالنسبة للمسلمين بشكل عام. ولهذا يحاولون يشجعون على تحديد النسل، ويوزعون أدوية، ووسائل كثيرة لتحديد النسل ليقطعوا نسلنا، أرضنا هنا اليمن نفسها ما زال هناك محافظات فاضية، يوجد بلدان كثيرة فاضية، ليس هناك محافظة أهلها قد صاروا ملان أرضها،

هناك شيء ؟ ليس هنا قبيلة تقول: أن سكانها قد أخذوا مساحتها كاملة. حالات نادرة جداً في كل محافظة مايزال هناك فساح، وما يزال هناك مناطق واسعة يتسع الشعب الواحد مثل هذا، ربما يتسع لمائتين مليون فما بالك عندما نقول: عشرين مليون هذه أزمة ! نحن مستقبلون أزمة رهيبة ! قد تؤدي إلى ما يسمونه: هبوطاً في النمو الإقتصادي، وإلى أزمات اقتصادية ! هذا غير صحيح. تجد أزمات اقتصادية مع شعوب قد لا يشكل سكانه إلا نسبة بسيطة مقارنة بمساحته ومعهم أزمة، ليس الأزمة تعني: أنها قد امتلأت بلادهم ناس، والمساحة كلها قد أصبحت كلها ملان ناس، لم يعودوا يعرفون أين يزرعون، ولم يعودون يعرفون أين يربون مواشي، ولم يعودون يعرفون أين يعملون مصانع، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مدارس. لا . ثم إن مسألة النمو الإقتصادي هي قضية ليست كلها مرتبطة بالأرض فقط، أيضاً هي مرتبطة بعلاقة الناس مع الله{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأعراف:٩٦).

ولو لم يكونوا إلا سكاناً قليلاً، وبلادهم واسعة جداً، تجد عندهم أزمات اقتصادية، تجد عندهم مجاعات، تجد عندهم سوء تغذية، تجد عندهم حالة سيئة. مسألة التربية ليس معناه: أن الإنسان نفسه هو سيحتاج إلى أن يجلس مع أولاده كل يوم، ويعمل له فصلاً دراسياً في البيت فلا يتمكن أن يذهب [يترزق الله] ولا يقوم بأي عمل .

موضوع الهداية في دين الله تكون غالباً لها طرق كثيرة جداً، يمكن لواحد أن يهدي قبيلة كبارهم وصغارهم، يوجه وليس فقط إذا كثر أولادك تقوم تعمل لك فصلاً دراسياً، يوجد أشياء معينة توجيهية تحرص على أن يقرءوا القرآن، تتابع عملية تربيتهم، وإلا فقضية التربية هي أساساً ليست متروكة على هذا النحو لكل أب لأن الله يعلم أن الكثير من الآباء لا يكون عندهم قدرة، أو سيربي تربية غلط، هي قضية منوطة بالقائمين على حياة الناس. أليس هناك مدارس ؟ ويمكن أن يكون هناك مدارس ؟ لكن لاحظ المدارس الخلل فيها فيما يتعلق بالمنهج، وفيما يتعلق بكثير من المعلمين، فعندما تلمس فساداً في الشباب، في كثير من الشباب، في كثير من الكبار الذي هم خريجي مدارس خطأ في التربية، من القائمين على التربية.

ليس أن القضية أن هناك زحمة، هناك زحمة سكان ! لا. الأخطاء في مجال التربية تكون آثارها سيئة ولو كانوا بمعدل عشرة طلاب في الفصل الواحد، و ليس فقط خمسة وعشرون، ولو بمعدل عشرة طلاب وهي تربية سيئة سيطلع هؤلاء تكون عناصر تفسد في الغالب، سواء مسك عملاً إدارياً، أو في أي مجال هو فيه، تربيته تربية فاسدة في معظم ما يقدم إليه، أما ونحن أيضاً فاتحون المجال بأن يأتي اليهود يربون الناس، فهذا [أطم] وهي أيضاً أسوء وهذا من أين جاءت من أين ؟ من القائمين على الناس، هو همه أن يسلم منصبه، أن تسلم رؤوس أمواله، أن تسلم مصالحه، ولو ضحى بالناس، وبدين الله، و بكتابه.

قضية ملموسة تجد الكثير من حكام العرب قابل لأن ينزل أي شيء تأتي [أمريكا] تريد أن تفرضه سينفذه من أجل يسلم منصبه ويسلم مقامه ! أليس عندهم شعوب كبيرة ملايين، لو ربوهم تربية جيدة لاعتزوا هم، ولهابت أمريكا أن تحاول أن تمارس أي ضغط على أي شعب من الشعوب.

فيما يتعلق بالنمو الإقتصادي أيضاً قلنا سابقاً أنه يشكل الشعب الكبير سوقاً استهلاكية لمنتجاته هو، يساعد على النمو الإقتصادي. اليد العاملة أيضاً، حتى أنهم يقولون عن بعض البلدان في أوربا: أنها ربما قد تكون بعد فترة من السنين تنهار اقتصادياً، وهي من البلدان الراقية صناعياً بسبب ماذا ؟ قلة اليد العاملة، بسبب تحديد النسل، لاحظ في إسرائيل هل هناك تحديد للنسل ؟ أو هم يبحثون أيضاً، يبحثون عن اليهود من خارج يجمعونهم هناك لماذا ؟ لأن عندهم اهتمام، عنده طموح كبير بأن يهيمن على العالم، فهو يحتاج إلى الواحد، يحتاج إلى الشخص الواحد. والعرب والمسلمون بشكل عام أعداد كبيرة جداً جداً، وإذا قد هم متذمرون من كثرتهم، والحكام أنفسهم صاروا يقولون: مشكلة، أنتم تشكلون زحمة! لكن لماذا لم تشكل زحمتنا انهيار لاقتصادك أنت ؟ أليس لديهم أموال كبيرة جداً ؟ وعندهم بنايات فخمة جداً، وعندهم رؤوس أموال كبيرة جداً في الخارج حتى أنه لا يوظفها هنا لو أنهم يوظفونها هنا في داخل البلاد كان ذلك يشكل نعمة، فقط عندما يأتون يقولون لنا: أنتم عندما تكونون في أزمة اقتصادية ـ في الواقع سببها هم ـ يقولون لنا: سببها أنتم، قد أنتم

كثير، زحمة مزدحمون هناك! لكن لماذا أما أنت؟ أنك توفر الأموال الهائلة جداً وتطفح عندك وتصدرها للخارج أرصدة في البنوك.

إذاً قضية تحديد النسل ليست قضية صحيحة أن يتسابق الناس إليها نهائياً إلا في حالة واحدة عندما تكون المرأة نفسها حالتها الصحية تستدعي بأنها تتوقف عن الحمل وإلا فالباري سبحانه وتعالى جعل مسألة الحمل والولادة قضية مقبولة عند المرأة وفي طاقتها، قضية مقبولة فقط يكون هناك حرص على صحتها، على صحة المرأة نفسها عندما يكون واحد زوجته صحتها جيدة ويحاول يوقفها حتى لا تنجب على أساس أن عنده [لا نريد أولاد .. لا نريد أولاد]. هو في نفس الوقت يكشف أن ما عنده اهتمام. عندما تكون أنت معلماً ألست تفرح بواحد من الناس؟ تفرح بواحد من الطلاب. بواحد ؟ إذاً يمكن أن يكون منك واحد، إثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة إلى عشرة. أليست نعمة يتوجهون لك، ويتربون على يدك، والباري هو المتضمن برزق الناس إذا التجاء الناس إليه، وتوكلوا عليه هو يوفر أرزاقهم{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}(الطلاق: ٢ـ٣). {ومن يتق الله} هي مثل: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي}. ما هناك التقوى، نص تقوى، وربع تقوى، وربع استجابة ! هذه لا تنفق .

تجد سهولة التشريع فيما يتعلق برسم حدود الله، عندما يقول هنا: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}(البقرة: من الآية١٨٧). هذه علامة واضحة لكل الناس، لكل الناس في عبارة واحدة. {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}(البقرة: من الآية١٨٧). ألم ينته تحديد بداية الصيام وانتهائه بكل سهولة، وبأسلوب يعرفه الناس. عندما نقول: نريد الناس يقروا، هو هذا المقرأ لكل الناس هي هذه الآية هو هذا المقرأ، هذا هو التعليم، وليس أن تقول: لازم الكتاب الفلاني الذي هو هناك ملان مسائل كثيرة لما تضيع الحدود الحقيقة .

الله جعل الأشياء بالشكل الذي يستطيع الناس أن يفهموها ويميزوها، الناس يعرفون الليل، هل يوجد أحد لا يعرف الليل ؟ ويعرفون الفجر عندما يطلع الفجر{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}. نور الفجر مع بقايا الليل. لهذا قال في الأخير: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(البقرة: من الآية١٨٧). لأن التقوى أن يكونوا متقين يحتاجون إلى بيان فلتكن الحدود بينة فبينها ليتمكنوا من أن يتقوه، يكونون متقين، قد تكون بعض الروايات غير صحيحة عندما يقولون: [أنه واحد من الناس عمل له خيط أبيض وخيط أسود]. والقرآن عربي والناس عرب وفاهمين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم قال: [فنزلت: من الفجر] هذا ليس أسلوباً صحيحاً، ينزل لك ربع آية أو فقرة من آية، وهو هنا يقول كسنة لديه سبحانه وتعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(البقرة: من الآية١٨٧) كيف يقول: خيط أبيض وخيط أسود تجلس تراقب خيوطك حتى يظهر لك الخيط الأبيض ؟ أليست هذه قضية صعبة ودقيقة ؟ تحتاج أولاً تجلس آخر الليل وتعمل لك اثنين خيوط وتراقب متى يتميز لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى قال لهم: {مِنَ الْفَجْرِ} وهنا اتضح لهم أن ذلك الخيط المعترض خيط الفجر الذي هو خيط أبيض مع بقايا الليل التي تبدوا وكأنها خيط أسود!.

عبارة [كذلك] هي توحي بسنة: أنه هكذا سنة الله، أنه يبين آياته للناس لعلهم يتمكنون وبسهولة من معرفة حدوده، فيكونون متقين له. لن تجلس قضية عويصة على الناس أنه متى نفطر بالتحديد، وأخذ، ورد، وأناس معهم روايات عند غروب الشمس عندما يسقط القرص أفطر، عندما تغرب أفطر لا. هنا يقول: {إِلَى اللَّيْلِ}. والليل معروف في آيات أخرى هناك يبين أن الليل هو ظلام أليس هو ظلام ؟ الليل يتميز عن النهار تماماً{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ}(يّس:٣٧).

ثم يقول سبحانه وتعالى: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}(البقرة: من الآية١٨٨). هنا تجد تشريعات متعددة، وتوجيهات متعددة بعد أن قدم هناك بتركيز كبير على موضوع: التسليم لله تعالى، التسليم لله الذي معناه في الأخير: تقبل هداه، والإلتزام بهديه. لأن هديه هو واسع يتناول مختلف الأشياء، فكما أنه هنا يشرع الصيام، هناك في جانب التقاضي فيما بين الناس، التقاضي في الأشياء التي يختلفون فيها، ينهاهم من

ماذا ؟ ينهاهم من الرشوة. أنت إدلِ بشهائدك إذا معك شهائد، إدلِ بشهائدك، إدلِ ببصائرك، إدلِ بدعواك، أو إجابتك، لكن لا تدلِ بأموال، ولهذا أسماها: ولا تدلوا. لأنها بدل عن الشهادة التي تدلي بها بدل عن الدعوى، بدل عن وثائق معينة تعطي فلوس والحاكم سوف يدبر القضية، يحاول يجعل الحق لك. فإذا كان الحاكم نفسه، نفس الحكام عندما يكون الحاكم قابلاً لأن يرتشي، أن تعرف أنه نفسك أنت تتجاوز حدود الله، وتظلم نفسك أنت. قضية ينهى عنها الحاكم وينهى عنها الناس المتقاضون.

{وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} (البقرة: من الآية١٨٨) فعندما أحاول عن طريق الرشوة أن أحصل على مال آخر فأنا أكلت ماله بالباطل، وهي في الواقع كثير من العبارات في القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع المال: أن المال له دور، دور اجتماعي، المال هو مال الناس في الواقع، أعني: في حركة المال التي رسمها الله سبحانه وتعالى هي في الواقع تجعل المال وكأنه للكل. لهذا ربط مسئوليات كثيرة بأصحاب رؤوس الأموال.

أليس هناك شرع الزكاة، أوجب عليهم الزكاة، أوجب عليهم الإنفاق في سبيله، حرم عليهم أن يكنزوا أموالهم؟ وأوجب عليهم أن يحركوها. المال يجب أن يكون في دورة مستمرة، في حركة. إذا عندك رصيد من الأموال تتركها تتراكم أموال هناك شغلها عندما تشغلها أنت تثمرها، وتشغل آخرين يعيشون معك فيها. هذه قضية هامة، ولهذا يأتي في كثير من الآيات بعبارة أموالكم. {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} (البقرة: من الآية١٨٨) لأن حركة المال هي بالشكل الذي في الأخير يبدوا وكأنه مال للأمة. نأخذ من هذه أهمية ما يسمى بالمال العام، الثروات، الواردات العامة، أنها هامة جداً جداً في مسألة تحسين معيشة الناس، هامة جداً لأن النظرة الخاصة بالنسبة للمال ليست نظرة صحيحة من الناحية الإقتصادية، لا ينمو اقتصادك أنت، لا ينمو مالك أنت سواء بشكل تجارة، أو بشكل زراعة إلا في إطار الحركة العامة للمال.

إذا سلم المال العام أمكن أن يكون هناك قدرة شرائية، وقدرة في مجال ماذا ؟ حركة الناس، في تجارتهم وزراعتهم، فتنهض رؤوس الأموال، تنهض الأموال، وتكثر الأموال. إذا هناك اختلاس للأموال العامة تأتي كثير من الأعباء، تضاف على الأموال الخاصة، تضعف قدرة الناس الشرائية، وفي الأخير لا تدري وصاحب الدكان عاطل عن العمل لا يوجد بيع وشراء، ذلك المزارع زرع وسقى وتعب وحصد، أو جنى ثمار مزرعته، وصل وإذا السوق كساد، لأنه يحصل كثيرٌ من الأعباء، ولهذا هم يعملون جُرع التي يسمونها [جرع اقتصادية].

أليست أعباء على الناس أنفسهم ؟ كان المفروض الجُرع الإقتصادية تكون على المسئولين الكبار هم الذين عندهم رؤوس أموال كبيرة، هم الذين يتقشفون قليلاً، يخفضون من قليل، وليس أن يضيفوا. إذا هناك ديون على بعض البلدان تراه في الأخير يتحول في الأخير إلى زيادة في الأسعار ثم لا تدري إلا والحاجة قد فيها زيادة مائة ريال، لا تدري وقد فيها مائتين ريال، لا تدري إلا وقد فيها زيادة بنسبة ١٠٠٪ أو أكثر.

أليست في الأخير تضعف قدرة الناس الشرائية ويصبحون في عذاب من الغلاء ؟ لأن هناك تلاعب بالأموال العامة وإلا فالأموال العامة نفسها، وإردات أي بلد وهذا من الأشياء الغريبة جداً في البلاد العربية بالذات، تجد بلداناً فيها ثروات هائلة جداً وعليها ديون كثيرة جداً ! عليها ديون كثيرة بالمليارات بمليارات الدولارات كيف ثرواتنا ؟ ليست بالشكل الذي يمكن أن يكفي حاجاتنا؟ لا يوجد ناس يعرفون كيف يخططون حتى يستطيع أي شعب بأن ينهض بنفسه دون أن يتحمل ديون مليارات الدولارات، اليمن نفسه يقولون عليه حوالي ثمانية مليارات دولار دين ! العراق كان عليه ما يقارب أربعين مليار دولار ! وعنده احتياطي نفط كبير جداً، عنده ثروات كبيرة جداً!.

يوجد خلل بالنظام بشكل عام، في النظام الإداري، في التوظيف، يوجد خلل في التخطيط، خلل في استغلال الخيرات، خلل كبير في التعامل مع الله، ولهذا تجد الناس ثرواتهم لم تعد تشكل شيئاً . ألم نصبح نحن عالة تقريباً في مأكلنا، في ملبسنا على الآخرين ؟! حتى في البلدان التي لديها ثروات هامة أصبحت عالة على الآخرين! مأكلنا، ملبسنا، أدويتنا، الوسائل الضرورية والكمالية كلها من عند الآخرين من الخارج. ومع هذا تجد ديوناً كبيرة ! وثرواتنا أين ؟ الثروة البحرية بالنسبة لليمن لوحده ؟ ثروة البحر تكفي اليمن وحدها، الثروة

الهائلة في البحر، ساحل طويل عريض حوالي ألفين كيلو، البحر الأحمر، والبحر العربي فضلاً عن البترول والمعادن، وواردات كبيرة .

في مجال التقاضي قد يكون طبيعي الناس يختلفون، اختلاف، إلتباس، مثلاً أنت تعتقد أن هذا لك والآخر يقول: ليس لك إنه له. هذا طبيعي أن يتقاضى الناس ويتحاكموا على هذا النحو: الالتزام بأن لا أحد يقدم رشوة، أما أن تأتي أنت تحاول أن تدعي، وتظن بأنه فرصة عندما تسمع بأن فلان ليس معه [بصيرة] على تلك الحاجة التي هو ثابت عليها، فتحاول بأي طريقة أن تأخذ أمواله، وأنت تعلم بأنها على أقل تقدير، بأنها ليست لك سواء تعلم أنها له أو ليست له، أنت تعلم أنها ليست لك، فهنا لا يجوز، لا يجوز أن تحاول بخبرتك وذكائك لأن قد عندك خبرة من خلال أنك كنت وكيلاً. تشارع وقد عندك خبرة كيف تقدم دعاوي وبصائر وأشياء من هذه، هذا لا يجوز أبداً .

البعض عندما يعرف أن من الحق له أنه ليس لديه خبرة، قد يشاجره، يدفع به هذا إلى أن يبحث لشهائد ولو كانت زوراً، أو أحياناً يحلف يميناً فاجرة ! هذه خسارة كبيرة، وهذه من الكبائر شهادة الزور، واليمين الفاجرة. يتقاضى الناس بسهولة، يتشاجرون بسهولة، وهم إخوان، ويقتنعون من أول يوم ادعى وجوب، وقدم ما عنده ما ثبت له شيء اقتنع، الله لن يربط رزقك بتلك الخصلة، أو يربط حياتك بها، أو يربط عزتك بها، أو يربط كل أموالك بها، ربما لو كان في واقع الحال أنت مظلوم فيها أن الله قد يعوضك.

أحياناً بعضنا قد يغلطون في موضوع التقاضي، يتحول إلى عداوة بين الأسرة وبين المتشاجرين أنفسهم، ثم بين أولادهم وبين أقاربهم وفي الأخير لا تدري إلا وقد هناك عدوات بأكثر من القضية، تكون القضية لم تعد شيئاً في الذهنية، قد برز أشياء كثيرة وقد هناك كلام، وقد هناك اتهامات، يصبحون أعداء، قلوبهم مليئة بالعداوة والبغضاء لبعضهم البعض.

الرشوة هي تفسد الحكام، خطورتها قد تفسد الحكام. إذا الحاكم لا يأخذ شيئاً لا من عندك، ولا من عند ذاك ما هو الذي سيدفعه أنه يحاول يحكم حكماً باطلاً ؟ أليست المسألة هنا ستدفعه إلى أنه يحاول يحكم بما رآه من وجه الحق ؟ لكن إذا قد هناك رشوة تفسده، وخاصة إذا لديه زوجة في البيت تريد عندما سمعت أنهم قد عينوه حاكماً في مديرية كذا قد معها طلبات، قد هي تريد أثاث، قد هي تريد أن يشتري لهم سيارة جديدة، وقد هي تريد يبني لهم طابق فوق البيت، أو قد هي تريد بيتاً جديداً يكون مثل بيت آل فلان، ويكون مع الحاكم ضغط داخلي من السهل معه أن يفسد ولو بدا في الصورة بأنه ملتزم لكن رأى مبالغ من خمسين ألف، مائة ألف، لا تدري وقد أفسدوه نهائياً، ضغط من داخل بيته، وقلة إيمان في نفسه وعمل المتشاجرين، رشاوى{لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٨٨) .

يأتي شيء آخر فيما يتعلق ـ هذا مع سعة الموضوع هنا، تشريعات متعددة، توجيهات متعددة، كلها في قائمة: توجيهات الله ـ توجيهات تربوية، بالنسبة للناس في موضوع الأسئلة، والتساؤلات وأشياء من هذه قضايا قد تكون لست بحاجة إلى أن تسأل عنها في قضايا عامة، قد تصل إليها من خلال القرآن الكريم مثلاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا} (المائدة: من الآية١٠١) .

{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩). **أليس هذا سؤالاً جديداً ؟ هل هي قضية هامة بالنسبة للأهلة ؟ أي لماذا الهلال هكذا معقوفاً ؟ ولماذا كل شهر معه هلال معقوف ؟ هم عارفون فيما يتعلق بالفائدة من الهلال هو أنه ماذا ؟ مواقيت للناس في بداية الشهر، قضية معروفة عندهم. السؤال عن: لماذا الهلال بهذا الشكل ؟ هذه قضية ليس الناس بحاجة إليها. في نفس الوقت القرآن الكريم ورسول الله صلوات الله عليه وعلى آله فيما هي قضية هامة هو سيتحدث عنها، يقبلون الحاصل، يتفهمون الحاصل [وكثر الله خيرهم] بدل البحث عن أشياء أخرى.**

{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩) **كيف كانت الإجابة ؟ ألم ينصرف عن الإجابة التي يريدونها هم ؟{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}** (البقرة: من الآية١٨٩) **هدى الله سبحانه وتعالى يقدم بالشكل الذي يكون واسعاً جداً المطلوب**

هو: أن تتفهم، ولأنه قضية معينة، قد تكون في مرحلة معينة، في وقت معين ليست هامة، متى ما أصبحت هامة سيأتي بيانها، سيبينها. التساؤلات عندما يعود الإنسان نفسيته على التساؤلات، لا. عود نفسك على أن تتفهم أكثر، وتصغي أكثر، وتسمع أكثر.

لاحظ كيف الآيات تختتم كثيراً منها بكلمة{تعقلون. تفقهون. تذكرون. تبصرون. تسمعون} هكذا لا يوجد [لعلكم تسألون، لعلكم تتساءلون]، لا يوجد [لعلكم تناقشون، لعلكم تجادلون]. لأن الله سبحانه وتعالى أعطى هدى واسعاً، والإنسان إذا لم يعود نفسه على هذه الحالة، على أن يعقل، يفقه، يفهم، يصغي، يكون البديل عن هذا روحية تساؤل، روحية تساؤل، فتكون هذه في الأخير بالشكل الذي تضرب نفسيتك، سيجهل أشياء كثيرة هي هامة وهو باحث بعد تساؤلات هي لا تشكل قضية في الواقع، مثلاً لاحظ عندما تأتي إلى ما حصل ممن تساءلوا {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}؟(البقرة: من الآية١٨٩) **لو أنهم ركزوا بشكل كبير [يوم الغدير] عندما قال لهم: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) فرفضوا أي شخص يحاول أن يقفز على ولاية أمر الأمة غير من عينة الرسول لأنهم فاهمون، فاهمون أهمية الموضوع، متعودون من قبل على أن يركزوا على ماذا ؟ أن يتفهموا، يصغوا، يعقلوا، يتذكروا. لجنبوا الأمة الحالة السيئة التي وصلت فيها، والضلال الكبير بدلاً عن السؤال عن الأهلة ! نسألهم لماذا لم تفهموا بالشكل المطلوب ؟ وتستقيموا وتثبتوا على التوجيه الذي قدم لكم على أعلى مستوى عندما عاد رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله من الحج ؟.**

قضية ثابتة ومعروفة عند الناس صعد من فوق أقتاب الإبل ويرفع يد الإمام علي وبعد خطبة طويلة:((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)). هذه هي القضية الهامة التي لو فهموها، أهم من أن يعرف الهلال لماذا هو معقوف ؟ أليسوا هنا جعلوا الأمة معقوفة ؟ ضعفت الأمة، ضعفت، ضعفت إلى أن تحولت مثل الهلال المعقوف، كان المفروض أن يتفهموا بدلاً من أن يشغلوا ذهنيتهم عن الأهلة. ولأن من المعلوم أن هداة الناس يكونون هم حريصين على الناس أكثر من أنفسهم، حريصين على أن يتفهموا أكثر، وأن يعرفوا أكثر، وأن يستبصروا أكثر، أكثر من أنفسهم هم، لأنه ما هي الإشكالية التي حصلت عند بني إسرائيل ؟ ألم يكن هناك هدى بالشكل الذي يغطي كل الأشياء التي في أذهانهم، الخلل جاء من عندهم هم، روحية التساؤلات [ما لونها] وأشياء من هذه، ضيعتهم في الأخير، تساؤلات حتى عن أصحاب الكهف، كم هم؟ هل ثلاثة ورابعهم كلبهم، أو خمسة وسادسهم كلبهم وهكذا؟!.

الإنسان يعود نفسه بعد أن يفهم أعني: يجب أن تفهم أنت منهجية المعرفة، لا تعتقد أن المعرفة معناها أنه في يوم واحد، أو في شهر واحد، شهر واحد يجب أن تعرف كل شيء، هذه هي منهجية غير صحيحة حتى ولو من الناحية العلمية السائدة الآن في الدنيا: أن أهم مصدر في المعرفة هو ما يسمى بالبحث العلمي أن المعرفة تأتي ضمن مسيرة، ضمن حركة، تأتي المعرفة بهذا الشكل، فعندما تتسع دائرة مهام الناس، تتسع ماذا ؟ شعورهم بأنهم بحاجة إلى هذا، وبحاجة إلى معرفة هذا، فيكونون أقرب إلى أن يعرفوه، وتكون معرفتهم هذه بالشكل الذي يستطيعون أن يستفيدوا من خلال معرفتهم له، فتنموا معرفتهم في نفس الوقت، أما مجرد أنك تريد تعرف كل شيء، كل شيء في شهر واحد هذا لا يحصل، ولا للأنبياء أنفسهم لماذا ؟ لأنه ليست هذه الطريقة الطبيعية للمعرفة.

هنا في البلدان العربية قد يكون مثلاً في بعض المناهج أو حتى كتب في المكتبات تتحدث معك عن القمر، وعن الفضاء، وعن الأشياء هذه، لكن أنت تقرؤها ما الذي تستفيد منها في الأخير ؟ بينما الآخرون هي نتائج من بحثهم العلمي، من معارفهم العملية، أليست هي نتيجة أعمال ؟ أو فقط مجرد نظريات هناك ؟ ما الذي أوصلهم إلى أن يصلوا إلى الحالة هذه ؟ إنهم يفكرون إلى أن يسافروا إلى الكواكب وإلى القمر؟ مهام عملية مهام عملية تتوسع دائرة مهامهم، شؤونهم كدولة، قضايا الصراع مع الآخرين، تطورهم العلمي هنا جعلهم يفكرون عملياً في أنهم يستخدمون أشياء أخرى، أو يستفيدون من أشياء أخرى. فعندما يطلعون إلى الفضاء، لا يطلعون إلى الفضاء مجرد رحلة فقط، لأجل يعرفون القمر، هل هي مكوراً أو هي تضيء هي، أو هي تضيء من هناك! مهام عملية، بحث. ولهذا يقول البعض: بأن أول فكرة لديهم في أن يطلعوا الفضاء كان منشؤها أثناء الصراع بينهم وبين

[الإتحاد السوفيتي] ودول أخرى أنه إذا بالإمكان أن تكون منصة لإطلاق الصواريخ إلى الأرض. هذا أول دافع أليس دافعاً عملياً ؟

إذاً فهذه قضية أساسية في المعرفة، ومتى ما جاء الشيء في وقته، متى ما جاء الشيء ممتزج بروح عملية، وتحرك عملي، يكون بالشكل الذي يفيد معارف هو، إذا كان مجرد نظرية سيبقى مجرد نظرية لا تستطيع أن تتوسع فيها حتى أنت عندما تقرأ هنا عن الفضاء، وعن صعود الأمريكيين، أو السوفيت إلى المريخ، وإلى القمر هل تستطيع أن تزيد في النظرية هذه؟ أو تنتظر فقط ما يأتي من جانبهم من خلال ماذا؟ من خلال اكتشافاتهم هم التي هي عملية، أليست عملية؟ تنظر فيها ولا تستطيع تزيد، ولا أطروحة واحدة تقرأ، وتتجادل أنت والآخرون فقط، جدل وأخذ ورد وترديد، لن تستطيع أن تزيد ولا تنقص لماذا؟ لأنه هذا الموضوع أنت بعيد عنه ليس لك علاقة به، ليس لك علاقة عملية به أعنى: ما أنت في واقعك، في حركتك بالشكل الذي تتحرك فيه، بالشكل الذي تعرف أنت من خلال عملك، ولا تنتظر فقط ما سيأتي من عند الآخرين، عندما يرحلون مرة ثانية، ومرة ثالثة وهكذا .

العبارة هنا تبدوا مقدمة، وفيها نوع ما يسمى: الإستخفاف بالقضية هذه . {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩) يعني: ليس هي قضية في الواقع، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩). القاعدة من أساسها لا تعني: بأن الله لا يريد للناس أن يعلموا، إنما كيف يعرفون أن يعرفوا، أن يتعلموا كيف يتعلمون، أن يعرفوا أن للمعرفة منهجية، أن تكون مرتبطة بحركتهم العملية، تتوسع معارفهم، وتتوسع مهامهم، تستوعب ربما أكثر مما استوعبه الآخرون، ألم تصل معارفهم إلى أن يستفيدوا من الشمس، يستفيدوا منها ويحولوها إلى طاقة تغذي المركبات الفضائية والأقمار وتغذي حتى المنازل الطاقة الكهربائية حولوا الأشعة نفسها إلى طاقة تغذي المركبات الفضائية والأقمار بالطاقة الكهربائية ، الأشعة نفسها حولوها إلى طاقة كهربائية، هم يتساءلون عن أشياء، هم في الواقع ليسوا في حاجة إليها، وهم في الواقع لديهم ممارسات غريبة منها: أنهم عندما يعودون من الحج يأتون بيوتهم من فوق، لا أدري من أين جاءت لهم هذه؟! أعني: كيف منشأها؟ لا يدخل من الباب، ما كان من المفروض على الأقل إذا كان سيسأل يسأل هل ندخل من الباب؟ هل الدخول من الباب لا يمثل أي مشكلة أو ندخل من فوق البيت ؟ وليس عن الأهلة، وهم ما زالوا يدخلون من فوق البيت عندما يعودون من الحج.

{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} (البقرة: من الآية١٨٩) هنا يبين كمنهجية للناس أي: أنت مرشد، أو معلم، أو حتى مناظر، أو في حوار مع الآخرين، لا يكن معناه أن موقفك أنه يسأل وأنت تجاوب على كل قضية بالتحديد، ومقارعة التي يسمونها: مقارعة الحجة بالحجة كذا. لا. قد يكون الموضوع، لا. إصرفه ليست قضية. هل كانت الإجابة من جانب رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله: أن يأتي إلى الأهلة، كيف يصل الهلال إلى أن يصبح هلال، أو أنصرف عن الموضوع إلى ما هو عملي، وإلى ما هم بحاجة إلى معرفته، مواقيت للناس والحج، وهم عارفون له من قبل {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} (البقرة: من الآية١٨٩). أليست هذه معناها عملية صرف؟ انصراف عن أسئلة من هذا النوع .

{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (البقرة: من الآية١٨٩) ربما عندهم أنها مندوبة، أو أشياء من هذه. {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} (البقرة: من الآية١٨٩) عندما تعود من الحج ادخل من الباب. لاحظ هنا فيها أدب في موضوع التساؤلات، يرشد الناس إلى الطريقة الصحيحة للمعرفة، وقد تكون الآية هذه لها علاقة أخرى باعتبار أيضاً موجهة من الناحية السلوكية أنه غير طبيعي أنك تأتي البيت من فوق، ادخل من الباب {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} (البقرة: من الآية١٨٩) تجد الاستفادة مما تعني هذه، تأتي المعرفة، والمعارف، والهدى من أبوابها. لأن كل شيء له باب، أليس الرسول صلوات الله عليه وعلى آله مثل نفسه، وعلمه بمدينة، وجعل باب هذه المدينة هو من؟ علي ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها)) حتى أصبحت مسألة الأبواب عناوين، أليست عناوين داخل الكتب؟ [بابٌ] يعني: باب للدخول إلى معرفة ما داخل الصفحات هذه.

كل شيء له باب، فالمعرفة من حيث هي لها أبواب، أي: أن الله فيما هدانا إليه، هدانا إلى أن نعرف المنهجية الصحيحة للحصول على المعرفة، عندما تأتي للقضية من أساسها بالنسبة لهدى الله أنها ماذا؟ هدى الله ليس مجرد نظريات، ولا حتى مجرد فتاوى، إنما هو ماذا؟ حركة حياة، هدى عملي، هدى حركة، الآخرون ترسخت عندهم القضية هذه أكثر منا بكثير حتى أصبحت مسألة أن يكون هناك حرب فرصه عندهم، فرصة لأن يعرفوا كثيراً من الخبرات، ويجربوا كثيراً من الأسلحة، ويعرفوا الذي يمكن أن يطوروه، ويعرفوا نجاح ما قد ابتكروه، ويعرفوا خبرات عالية عندهم، فرصة لماذا؟ لأن الميدان العملي هو المصدر الحقيقي والصحيح، لإعطاء المعارف. أليس هؤلاء يخافون من الحرب؟ بينما الآخرون يقولون؛ عندهم فيما يتعلق بالحرب أنها فرصة للحصول على كثير من الخبرات في المجال العسكري، وفي مجال الآليات والأسلحة في الحرب.

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة:١٩٠) . **من نعمة الله على الناس ألا يكونوا في حالة فراغ يحول بينهم وبين المعرفة، يكونوا منشغلين بقضايا هامشية، الناس يقدم لهم قضية كبيرة قضية كبيرة في عنوانها: القتال في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله ، العمل لإعلاء كلمة الله، هذه قضية مهمة جداً في مجال المعرفة، في مجال معرفة الله بالذات، هامة جداً، في مجال المعرفة في كثير من الأشياء التي يجب أن يعملها الناس فتبنى الحياة بكلها، لا يعيش في حالة فراغ. إذا عاش الإنسان في حالة فراغ يكون في الأخير يكون بالشكل هذا: أسئلة هامشية اهتمام بقضايا لا تمثل شيئاً. إذا حمل الناس اهتماما كبيراً، وقضية كبيرة، استغرقت ذهنياتهم ، استغرقت اهتمامهم، فترفعوا عن الأشياء التي لا تفيد في نفس الوقت، الأشياء الهامشية في الأسئلة، أو في الاهتمامات.**

عندما يكون الناس عندهم اهتمام فيما يتعلق بالعمل في سبيل الله ستجد آثر هذه عليهم، هم فيما يتعلق بقضاياهم الخاصة، فإذا حصل نزاع فيما بينهم يكونون قريبين إلى أن يحلوا مشكلتهم بسرعة. فإذا الناس في حالة فراغ، ليس عندهم أي اهتمام، سيجلسون يتشاجرون بعضهم عشر سنين وهم متشاجرون، طالع ونازل، أو كل يوم، أو كل أسبوع إلى المحكمة سنين، ومستعد يشاجر عمره، قضية قد تكون في الأخير لا تساوي ما يضيعه من وقت، الذي يشاجر عليه، لماذا؟ لأنه فارغ. فعندما يكون الناس فارغين يحدث في الواقع أنه يحصل فيما بينهم كثير من الخلاف والشقاق، فإذا بدت مشكلة، جلست مشكلة سنين، وتترك آثارها السيئة في وسطهم، تمزق صفهم، تفسد ذات بينهم. إذا هناك اهتمام بقضية كبيرة تبعد الناس عن الأشياء هذه التي تفسد ذات البين، وفي نفس الوقت إذا ما طرأت مشكلة يكونون قريبين لحلها، لأنهم مشغولون لا يريد أن تشغلهم القضية هذه، يقنع منك بيمين فقط، أو من أول جلسة، من أول جلسة أنت قدمت ما عندك، وهو قدم ما عنده، وحكم بينكم الحاكم، ومع السلامة، وتسيرون سواء في القضية الهامة التي هي مسئولية عليكم جميعاً.

في نفس الوقت، في حالة الفراغ، تكون حالة يترسخ فيها الجهل في الناس، مواهبهم تسخر كلها للأشياء الهامشية، ذكي، وعنده قدرة، وعنده منطق لكن وسخره كله، ووظف كل مواهبه هذه على قطعة بسيطة من الأرض، أو على مشرب، وظف كل ذكائه، وموهبته، وقدرته البيانية. أليست هذه تعتبر خسارة؟!. لاحظ الآية هنا {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية١٩٠) **أنت متجه للقتال في سبيل الله، وتحمل القضية هذه الكبيرة، كبيرة في الذهنية لأن الإنسان بحاجة إلى قضية تملأ ذهنيته، هي قضية إيجابية كبيرة، وأعني: لها أثرها الكبير فيما يتعلق بحياته في الدنيا، وفي الآخرة يحصل على رضوان الله، يحصل على الجنة التي هي أرقى نعيم، هو بحاجة إلى قضية من هذا النوع، وهي في واقعها العملي ـ بتأييد الله، بالتسهيلات التي تأتي من جهة الله، بالاستعانة بالله ـ تمشي.**

إن هذه من الأشياء الدقيقة جداً في مجال هدى الله، تبدو قضية تملأ ذهنيتك، أنت بحاجة إلى هذا، والأمة بحاجة إلى هذا، وتصبح أنفسهم كبيرة، أصحاب اهتمامات كبيرة، وتصبح طاقاتهم كلها فاعلة، ولها أثرها، ميدان كبير يُشغلونها فيه، ووراءها إيجابيات كبيرة جداً، وراءها خير لهم في الدنيا وفي الآخرة، كما سيأتي بعد في موضوع الجهاد. {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(التوبة: من الآية٤١) . **ولم يتركها في المجال العملي كبيرة كما هي في**

الواقع الذهني لأنه يقول سبحانه وتعالى: {وَلَيَنصُرَنَّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠)، {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} (محمد: من الآية٣٥) . يحصل تأييد. فهذه لها علاقة بالموضوع، أن ترفع الإنسان عن حالة التساؤلات، والتذكير على قضايا يستحسنها هي هامشية أنه يأتي البيت من فوقه، لا يأتيه من الباب. ينقل إلى قضايا يجعل اهتمامه كبيراً، وتجعله بعيداً عن الحالات هذه الهامشية، والقضايا الهامشية في تساؤلاتهم أو في سلوكياتهم .

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة:١٩٠) فمما تعنيه كلمة اعتداء هنا: فيما يتعلق بالأشهر الحرم، ولذا جاء بعدها الحديث عن الأشهر الحرم المعروف عند العرب مسألة: أنه اعتدى أي ماذا؟ تجاوز، أو انتهك حرمة الشهر الحرام.

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} هذه قضية هامة، وقضية مؤكد عليها في القرآن الكريم بشكل كبير: أن يكون الناس كلما يدخلون في صراع أن يدخلوا فيه على أساس هدي الله، وليكن في سبيله، على الطريقة التي رسمها، ومن أجله، وله. هذه قضية هامة حتى فيما يتعلق بالدفاع عن الأوطان، تحدثنا سابقاً عنها: أنها قضية يجب أن تكون هي القضية الرئيسية عندك حتى وأنت تدافع عن بيتك، أن القضية الأساسية أن يكون الناس مقاتلين في سبيل الله، إذا كانوا في سبيل الله، يكون تحرير أوطانهم قضية ثانوية، أي: تتحقق تلقائياً، تتحقق تلقائياً صيانة أعراضهم، صيانة ممتلكاتهم تحقق تلقائياً، لكن متى ما عكسوا المسألة: يقاتل من أجل الوطن، بالعبارة هذه، وهو المنطق الذي استمر عليه العرب فترة طويلة، ترسيخ الوطنية، والقومية، والعناوين هذه، في الأخير خسروا فعلاً، ما حققت لهم شيئاً، ولا استطاعوا أن يحققوا شيئاً في مواجهة العدو بهذه العناوين [لن نسمح بأن يحتل، سنعمل على أن نحرر كل شبر في الأرض المحتلة].

والتربية للجيش تربية وطنية بحتة: من أجل الوطن، من أجل الوطن، من أجل الوطن، هذه بدت المسألة بأنها ليس لها قيمة في الواقع، وجدنا ممن يهتفون بها هم هم ممن يبيعون الأوطان فعلاً، ممن يبيعون الأوطان. الناس الذين يتجهون في سبيل الله، ومن أجل الله، هم الناس الذين تعتبر الأوطان غالية لديهم، وتعتبر الأعراض عزيزة لديهم، وتعتبر الممتلكات هامة لديهم، فعندما ينطلقون في سبيل الله لا يعني: بأنهم لا يبالون بالوطن، أو أنها على حساب الوطن، أو على حساب الأعراض، أو حساب الناس أبداً.

هذا توجيه إلهي، لأن الله جعل دينه للناس، للناس، فعندما يقاتلون في سبيله، أنت في نفس الوقت تكون مستعداً أن تضحي بنفسك ومالك، فهل يمكن أن تصل إلى هذه الحالة من أجل التربة ومن أجل الآخرين؟ خاصة عندما يصل الناس في العلاقة فيما بينهم إلى هذه الدرجة التي الناس عليها.

لاحظ الناس وهم في الأسواق، لاحظ الناس وهم في حركتهم، هل تلمس احتراماً متبادلا بينهم؟ هل تلمس بأنه هذا فعلاً ممكن أن يصل إلى درجة أن يضحي بنفسه، وماله من أجل ذلك؟ أبداً. فسدت العلاقات فيما بين الناس، فأصبحوا في حالة لم يعد أحد يهتم بالآخرين، ولا يعطف على الآخر ولا يبالي بالآخر، فغير متوقع أن يأتي أحد من الناس يضحي، وهو يحمل هذا العنوان فقط: وطن. بمعنى أنه ماذا؟ إنه يضحي من أجلك ومن أجل التربة. أليس البعض يحلف يمين فاجرة من أجل التربة حتى لا يترك الآخر يأخذها، صاحبه !، هل سيضحي بدمه من أجل تربة الآخر؟ لا ترتقي هذه القضية بالناس أبداً إلى درجة أن يضحوا بأنفسهم، وأموالهم تضحية حقيقة، لا تصل إلى الدرجة هذه.

لكن متى ما انطلقوا في سبيل الله هذه هي القضية الهامة، تعتبرها تستحق أن تضحي بمالك، وتضحي بنفسك من أجل الله، وعلى طريقه في نفس الوقت، طريقه التي رسمها في مجال الصراع مع الآخر، وهي الطريقة الوحيدة التي يكون الله مع الناس إذا ما ساروا عليها. والمقصد الوحيد الذي يكون الله مع الناس، إذا ما توجهوا إليه أن يكون من أجل الله ولله. فهؤلاء سيكونون هم من سيحررون الأوطان، ومن يصونون الأعراض، ويصونون الممتلكات هم، أما الآخرون فيكون بعضهم وهو في المعسكرات، وطنية.. وطنية.. وطنية، وقد صار في موضع قيادة يأتي الأمريكيون يشترونه شراء، وفي الأخير يبيع الأمة والوطن!، هذا يحصل.

وجه المسلمين أن لا يكون عندهم اعتداء، أن يراعوا حرمات الشهر الحرام، لكن لم تكن حرمة الشهر الحرام بالشكل الذي يفسح للآخر أن يعتدي عليك، وأنت تسكت، لا. {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية١٩٤) **. هذه تعتبر دليل على أن الله سبحانه وتعالى في تشريعه لا يجعل شيئاً يحول دون القيام بالشيء الآخر، لا يحصل تصادم، يجعل هذا شهراً حراماً، وحرام. الطرف الآخر الذي لا يحترم الحرمات لا يقدر الحرمات، ينتهكها وأنت تكون ملزم بأن لا ترد، أليست هي تعتبر فرصة له لأن يضربك، وينهيك وينهي دينك؟ لا.**

{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} أعطاك فسحة بأن تواجهه، وأن تقاتله، {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} (البقرة: من الآية١٩١) **حتى وإن كان في الشهر الحرام، عندما يكونون هم المعتدين، هم المقاتلين، ويريدون أن يستغلوها فرصة، بأنهم سينتهكون الحرمات، وعندهم أنكم أناس ملتزمين، أحياناً يكون العدو يعرف، يعرف بأن ذلك الطرف ملتزم، ومتدين، ولا يمكن أن يحصل من جانبه ردة فعل، لن يواجهه.**

كان المشركون في جوار بيت الله الحرام يعذبون المسلمين ليفتنوهم عن دينهم، يعذبونهم ليحملوه على أن يكفر بدين الله، هي أشد من القتل. فعندما يقولون: لماذا أنتم تنتهكون الحرمات؟ لأنه هكذا يحصل، لماذا؟ ألست متديناً! وتنتهك الحرمة ؟! أنت انتهكت أنت ما هو أشد من القتل، انتهكت حرمة المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، أنت، بما هو أشد من القتل .

{وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية١٩١) **هذه تؤكد على أن حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية، ليس صحيحاً عندما يقول لك أحد من الناس: منسوخة .. منسوخة، أبداً قضية أساسية، وكأنها في مسيرة الدين بكلها، لهذا حكى الله في آية أخرى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}** (التوبة: من الآية٣٦) **. أربعة أشهر حرم هي: رجب ، والقعدة، والحجة، ومحرم. لأن هذه جعلها الله للناس بحيث لا تخرب الأرض نفسها، ويتفادى الناس تماماً فيما بينهم حروباً على طول.. على طول، أربعة أشهر يجب أن يتوقف الناس فيها، هذه الأربعة مرتبطة أيضاً فيما يتعلق ببيت الله الحرام، وعملية الحج، حج الناس، عودتهم من الحج. هي قضية معروفة عند البشر من قبل الإسلام، لكن يأتي من بعد الإسلام أناس يقولون: منسوخة! بعض الفقهاء الذين يبحثون، أو المفسرون يأتي يقول لك: إن رسول الله قاتل فيها. عندما يقاتل هو على هذا الأساس لأنهم قاتلوه، لأنهم قاتلوه سيقاتلهم ولو في الشهر الحرام، ولو عند المسجد الحرام ،وهم يقاتلوكم فيه .**

لاحظ حرمة المسجد الحرام كبيرة جداً، وحرمة الشهر الحرام عظيمة، لكن إذا كان الطرف الآخر يريد أن يستغلها، لا. قاتله أنت وهو الذي يتحمل المسئولية، هو الذي انتهك هو حرمة الشهر الحرام، والمكان الحرام، عندما قال: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} (البقرة: من الآية١٩١) **عندما تكونون حُجاجاً، وأتوا يقاتلونكم فيه، هنا ترد: {فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** (البقرة: من الآية١٩١ـ ١٩٣) **. أي من حيث المبدأ يجب أن تكونوا فاهمين أن تعدوا أنفسكم لقتالهم حتى لا تكون فتنة، فيتمادوا في طريقتهم السابقة في أن يفتنوا الناس عن دين الله، {وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}** (البقرة: من الآية١٩٣) **. هذه هي عامة، ليست مرتبطة بمكان محدد، توجيه المسلمين بشكل عام: أن يقاتلوا الآخرين، لأنه عادة الآخرون هم يعدون أنفسهم، ويتحركون لقتال المسلمين.**

{حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٣) **. لاحظ هنا كيف يؤكد فيما يتعلق بالغاية، فيما يتعلق بتوجهك أنت، وأنت تقاتل، أنه من أجل ألا يتمكن هؤلاء، ويصدون الناس عن دين الله وفتنتهم، وفي نفس الوقت ليكون الدين لله، نفس العبارة السابقة في سبيل الله تشبهها.**

{فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٩٣) **. فلا يحصل منكم اعتداء إلا على من ظلموا بأن قاتلوا في الشهر الحرام، أو قاتلوكم عند المسجد الحرام فاقتلوهم.**

{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (البقرة:١٩٤) **كأن هذه لا تعني: بأنه مرتبطة بشهر معين، فإذا قاتلوكم في رجب، وأنت لم تتمكن أن تقاتلهم في رجب، وأنت تتمكن أن تقاتلهم في القعدة، أو تقاتل في شهر من الأشهر الحرم، {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}** (البقرة:١٩٤). **اتقوا الله لا يحصل من جانبكم اعتداء، انتهاك من جانبكم أنتم ابتداً، وليس هناك ما يوجب له، أن تنتهكوا حرمة الشهر الحرام، وحرمة المسجد الحرام، يجب أن تتقوا الله، وتتقوا أيضاً: تكونوا على حالة تقوى وحذر من الآخر، من يستغل فرصة كهذه، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.**

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥). **هذا الكلام السابق أليس حول الجهاد؟ وحول القتال؟ شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل، التمويل من أين يأتي ؟ هل وجه المسلمين إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى؟ وأن يتجهوا للفرس، أو إلى الروم، أو إلى أي دولة أخرى تساندهم؟ لا. ينطلقون هم، فالمقاتلون أنفسهم، المجتمع المسلم هو يمول نفسه، وهذه القضية هامة جداً، لا يقوم الدين إلا بها، لا يقوم الدين إلا على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقاً من داخل نفس الذين هم يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع المسلم نفسه، الموجه إليه هذه المسئولية، بأن يقاتل في سبيل الله، لأنه يحصل استقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله، ولا تكون مدينة لأي طرف آخر نهائياً، لأن أي طرف آخر لا يقدم شيئاً إلا بثمنه، ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية، بالنسبة للمجتمع المسلم، وللأمة عندما تبني على هذا الأساس، تصبح أمة هي واثقة بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، فتستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعداءها.**

لكن إذا كانت القضية: أنهم هم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج، لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك.. في مصلحته أن يساعدك، لأن له موقفاً من الطرف الذي أنت تقاتله، لكن هنا لها أثر سلبي كبير، فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين، المجتمع بكله، سيعتبرون الانتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا تقوم على أساس أنك أنت تكون متوجها إلى الله دائماً.. دائماً. ولهذا عندما تنفق، أنت تنفق في سبيل الله، من أجل الله، وتقاتل من أجل الله، وتتلمس النصر الذي هو من عند الله، فتكون مرتبطاً بالله، لا تأتي في الأخير تجعل سبب النصر، وفضيلة الانتصارات بسبب الطرف الآخر الذي هو دولة أخرى، أو جهة أخرى.

هنا لو يحصل موقف آخر ربما تتلفت من الذي يمكن أن يساعدك، ولو على حساب أن تقدم تنازلات من دينك، يأتي حالة أنت لا تجد فيها طرف يمكن أن يساعدك، تنهزم من أول يوم، مثلما حصل للعرب الآن، تلفتوا الآن، بحثوا عن روسياً، فرنسا، الصين، لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي سابقاً، استسلموا من أول يوم!. ألم يستسلموا من أول يوم؟ هذه عملية تربوية هامة جداً جداً: أن دين الله بنى الأمة بناءاً، استقلالية تكون هي معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، وتطور هي قدراتها، انتصاراتها تحسب لها، وتراها أنها من الله، وليس من الطرف الآخر الذي يساندها.

أمة على هذا النحو تستطيع باستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، ولا تكون مدينة لأي طرف في نفس الوقت، من إيجابيات هذه التربية: أنها لا تصبح مدينة لطرف آخر . لأن الدين هو مهمة عالمية، فهل من الناحية الأخلاقية، هل هو مقبول أن تأخذ من الفرس مساعدات، لأنك تقاتل الروم، وأنت تعرف أن هذا الدين يجب أن يدين به الفرس، ويجب أن تدعوهم إليه فتقاتلهم متى ما اتجهوا ليصدوا عنه، سيكون معناه في الأخير: بأنه هذا الدين يمكن أن يخادع، تقول لطرف من الأطراف، يساعدك، ويعينك حتى تنتهي، وتفرغ من قتال الطرف الآخر، وفي الأخير ترجع عليه عندما تكون قوياً.

هذه ليست من أخلاق الدين، وليست قضية أخلاقية، ولا من الناحية الإنسانية. فلئلا تكون الأمة مدينة لأي طرف آخر يجب أن يصل هذا الدين إليه، ستصل إليه. أن يرى الآخر: أن هذه هي نفسها تستطيع أن تواجه، مواقفها قوية، فعندما تصل إليه أنت، لن ينظر إذا ما لديك طرف آخر سيقيم الوضعية، فإذا ما هناك طرف آخر يساعدك سيكون متجرئا عليك، يعرف أنها أمة معتمدة على نفسها، وهي التي انتصرت على ذلك الطرف، وانتصرت على الطرف الآخر. فبالتأكيد سيكون هناك فيما يتعلق بهذا الطرف الذي تصل إليه أنت بالدين؟ يحاول أنه لا يتجرأ عليك في نفس الوقت، ولا ينظر للأمة نظرة أنها في وضعية مستضعفة لأنه ليس هناك طرف آخر يساندها.

فهي حالة مهمة جداً جداً، ولهذا قلنا: أنه يجب أن يكون الناس في عملهم هذا، مهما كان عملاً بسيطاً.. مهما كان عملاً بسيطاً، يجب أن لا نتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدى الله، أنه يجب أن نتحرك على أساسه ، لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أي طرف على الإطلاق، لا طرف داخلي ولا خارجي، ولأن الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا في سبيل الله، أن الله يجعل فيها بركة.. يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشدون إلى الله، وتعظم علاقتهم بالله، لأن الجهاد نفسه هو يعتبر من أهم الأشياء في مقام معرفة الله، لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، وبحاجة إلى نصر، وبحاجة إلى تأييد، وبحاجة إلى عون، وبحاجة إلى كذا.. يكونون دائمي الالتجاء إلى الله، وهم يتلمسون في الميدان السند الإلهي، والدعم الإلهي، والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله، هذه الحالة تنسف تماماً إذا ما كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى، إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى.

{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥) **لأهمية الإنفاق في سبيل الله لتمويل العمل في مجال إعلاء كلمة الله،مواجهة أعداء الله، إذا لم ينطلق الناس فيه، معناه: أنهم في الأخير سيلقون بأيديهم إلى التهلكة، تلك الأيدي التي تمسك لا تنفق، هي كأنها تمسك نفسها، وترمي بنفسها إلى التهلكة، إما أن تترك يدك تنفق في سبيل الله، وإلا فهذه اليد نفسها هي التي ستهلكك، ولهذا قال: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** (البقرة: من الآية١٩٥).

إما أن تلقي أنت أموالك في سبيل الله..أو ستلقى أنت أو الأمة هذه ستلقى بيدها إلى التهلكة، تهلك إذا لم تنفق، تضرب حركتها، تضعف مواجهتها، يتغلب عليها الأعداء، فيهلكونها قبل الهلكة التي تأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، أشياء كثيرة في الدنيا، والهلكة في الآخرة، هل يمكن لأحد أن لا يعتبر آيات هامة كهذه؟، آيات تعتبر أساسية، في التوجيه، وتتناول مواضيع هامة جداً: الجهاد هام جداً، والجهاد يحتاج إلى تمويل، عندما يأتي أحد يقول: منسوخة!. هنا لا يمكن على الإطلاق، ولا هو مقبول، هذه رؤية قاصرة جداً أن يقول لك: منسوخة .

الإنفاق في سبيل الله جعله الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يمكن للناس أن يعملوه في كل الظروف، لأنه هناك أيضاً من جهة الله، هو يعمل أشياء كثيرة. لا نقول: نحن ليس لدينا أشياء كثيرة حتى ننفق، ليس رأس مال كل واحد منا مليون دولار حتى ينفق! ينفق كل واحد بقدر استطاعته، وعملية مستمرة، ثم أنه يوجهه إلى قضية هي هامة جداً، بأن تكون موجهة إلى الناس جميعاً.. إلى الناس جميعاً، ليست مسئولية طرف معين، إلى الناس جميعاً عندما يكون كل إنسان ينفق بقدر طاقته، تجتمع مبالغ كبيرة، ويبارك الباري فيها بزيادة مما يمكن أن تعملها في واقعها.

لو أن تمويل الجهاد قضية تعتمد على طرف معين تعتبر منهكة.. منهكة للأمة نفسها، ثم أن هذه القضية نفسها هي أيضاً تجعل الإنسان عنده اهتمام، اهتمام مستمر يرى نفسه مسئولاً، ومعنياً بالقضايا. الآن أليس الكثير من الشعوب يكون عندهم الجيش هناك؟ الجيش! الذهنية هذه مسيطرة أن هناك جيش، وأيضاً البعض يقول: أن هناك جيشاً وأن هناك دولة. هذه القضية تجعل الآخرين مجردين عن الشعور بالمسئولية، وعن الاهتمام. الإسلام بنى الإنسان على أساس: أن يكون صاحب اهتمام بالقضايا الكبيرة، ومشارك فيها، ومشارك فيها، مشارك بيده، مشارك بنفسه، مشارك بماله، يكون في نفس الوقت شريكاً في النتائج، يلمس الناس هم، ترتفع معنوياتهم، عندما يحققون انتصارات هم.

فإذا كانت جهة معنية ومعينة [لحالها] هي فقط، تذبل الاهتمامات عند الآخرين، وينسون حتى تصبح لديهم حالة لم يعد لديهم شعور بمسئولية. فيكونون هم معرضين للهزيمة. فإذا ما هزمت تلك الجهة المعينة هزمت البلاد بكلها.

لهذا يأتي الخطاب موجه للمسلمين، أليس الخطاب موجه للمسلمين ؟ {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ}، {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ}، {كُونُوا أَنْصَاراً لله} وهذه القضية هامة من الناحية التربوية بالنسبة للأمة، فيما يتعلق بواقع الأمة في بناءها، بنائها النفسي، بالطريقة هذه يصبح الناس، يصبح الإنسان المؤمن صاحب نفس كبيرة، صاحب اهتمامات كبيرة، يرى نفسه في الصراع الكبير مع الأعداء مهما كان كبيراً، لا تكون نفسيته معرضة للتضاؤل والتلاشي، فالإنسان الذي لا يعطى قضايا كبيرة تكون نفسيته معرضة للاضمحلال والتلاشي، فيصبح لا يمثل أي رقم في الحياة، لا يمثل أي دور في الحياة، لكن هنا قضايا تجعلك دور في الحياة، لك فاعلية في الحياة، ونفسك تكبر، ومعنوياتك تكبر، واهتماماتك تكبر.

لاحظ هنا في قضية الحج، وقضية البيت الحرام، والمشاعر كيف هي مفرقة داخل آيات الجهاد، أليست موجودة من أول ما ذكر البيت، {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} (البقرة: من الآية١٢٧)**، ثم ذكر {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية١٥٨)**، ثم ذكر هنا الحج {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}** (البقرة: من الآية١٩٦)**. لأن هذه لها علاقة ببناء الأمة، لها علاقة بمواقفها من أعدائها، لها أثرها الكبير في تعزيز وحدة الأمة، تمثل ملتقى للبشر، للمؤمنين جميعاً، تعتبر منطلقاً للتوعية فيما بينهم، ووصول أي توجيهات من ذلك المكان، إلى أي بقعة من بقاع الدنيا التي فيها مسلمين .**

ثم أمر بتمام الحج والعمرة، متى ما اتجهت إلى العمرة، وابتدأت في أعمال العمرة، فيجب أن تتمها، متى ما بدأت في أعمال الحج التي تبدأ بالإحرام، فيجب أن تتمه، إذا حصل إحصار منعك من أن تتم الحج فهناك الهدي. نفس الشيء فيما يتعلق بأهمية الحج، أن له أهمية كبيرة، الأعداء يركزون عليه بشكل كبير، كما قلنا أكثر من مرة كما أذكر: أن الإمام الخميني قال من قبل: أنهم يخططون للسيطرة على الحج، أمريكا وإسرائيل يخططون للسيطرة على الحج، وهي قضية معروفة الآن، نسمع المؤامرات الرهيبة، ومحاولة تمحل الذرائع كما يسمونها، فيما يتعلق بالسعودية، وفيما يتعلق بدول المنطقة، وشعوب المنطقة كلها.

يبين تشريعات الحج بطريقة قريبة ليس فيها [فنقله] كثيرة، لأن كثيراً من مسائل الحج من الأشياء التي تعددت فيها الأقوال حتى أصبح الحج دقيقاً جداً، وخطيراً جداً، أدنى شيء ولزمك دم.. لزمك دم! وهكذا ذكر تفاصيل الحج وبعد قال: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} (البقرة: من الآية١٩٧)**. وهناك قال: {واذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ}** (البقرة: من الآية٢٠٣) **التأكيد على أن الحج أشهر معلومات قضية هامة يجب أن يتشبث بها المسلمون، لا يأتي العدو في يوم من الأيام مع استجابة الأنظمة الحاكمة للمسلمين، ويقدم من لديه رؤى: أنه يوزع الحج على أشهر، اليمنيون يحجون في شهر كذا، والإيرانيون في شهر كذا، أو الأفارقة في شهر كذا، والآسيويون في شهر كذا، ويوزعونهم ويقولون: المقصود واحد. إذا المقصود واحد يطوف ويذهب يرمي، هي هذه حاصلة، لا. {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} لا يصح إلا فيها..لا يصح إلا فيها. لأنه لو يجزأ الحج بالنسبة لوقته، معناه: تبطل الغاية العظيمة من وراء تشريعه: يمثل ملتقاً واحداً للمسلمين في وقت واحد، وأيام معدودة معينة، الأيام المعدودات: هي أيام منى، أيام التشريق .**

لأهمية الحج فيما يتعلق بالناس يحظر عليهم أشياء كثيرة مما قد تثير شقاق فيما بينهم، الكلام السيء، الكلام الذي يعتبر رفث، الرفث بأنواعه، الرفث سواء كان بكلام سيء، أو بالتلفت للنساء الحاجّات، هذا كله يدخل ضمن الرفث. {وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (البقرة: من الآية١٩٧)**، ولا جدال ممنوع الجدال في الحج، إلا إذا كان هناك حوار متبادل، طرح قضايا معينة، أو توجيه للناس، تذكيرهم بما يجب أن يعملوه، تذكيرهم بخطورة العدو الذي يتوجه ضدهم، وأشياء من هذه، تذكير الناس بالله، ذكر لله، يتجنبون الأشياء التي تثير الشقاق فيما بينهم، الجدال، الكلام البذيء، سواء الحجاج من بلد واحد، وهم في سيارة واحدة أو مع أي حجاج آخرين، مع أي حجاج**

آخرين مهما كانوا من طوائف أخرى، لا تدخل معهم في جدال، حاول أن لا تدخل في جدال نهائياً لو حاول هو، ذكره بأن هذا المكان ليس مقام جدال. شخص آخر جاءت منه كلمة بذيئة، ذكّره، تقول له: لو أننا في البلاد يمكن أن أجوب عليك لكن هذا المقام ليس مقام كذا، استح من الله، اتق الله، لتبقى الأجواء فيما بين الحجاج من أي بلد كانوا، وحتى من أي طوائف كانوا، تبقى أجواء صالحة للتفاهم فيما بينهم، لتذكير بعضهم بعض بالقضايا التي يجب أن يهتموا بها جميعاً.

يؤكد على موضوع ذكر الله في كل مناسك الحج، في كل المواقع، في كل المناسك، في عرفات، في مزدلفة، عند البيت الحرام، في نفس الأيام، ذكر الذكر عند المشعر الحرام بالنسبة للأماكن، أماكن: أي إشارة إلى الأماكن، أن تذكر الله بالنسبة للأماكن، وذكر بالنسبة للأيام،{وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ}. يعني: تكون حريصاً على أنك تكثر من ذكر الله في تلك الأمكنة، وفي تلك الأيام.

يذكر بالنسبة لطلبات الناس، أو نفسيات لدى البعض:{فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}(البقرة: من الآية٢٠٠). مشغول بطلبات في الدنيا، وماله في الآخر من نصيب {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(البقرة:٢٠١ــ ٢٠٢) هذه قضية هامة، تذكير للإنسان بأن تكون نظرته شاملة، شاملة للدنيا، لهذه الحياة، وللحياة الأخرى، أن تكون كلها محط اهتمام لديك، كما كانت هي، لأن الله جعل دينه بهذا الشكل حسنة للدنيا والآخرة، نفس دينه جعله للدنيا والآخرة.

أن يكون الإنسان وهو يدعو الله سبحانه وتعالى، يكون على هذا النحو، أعني: ينظر لهذه الحياة، وللحياة الأخرى كلها، لا يكون ممن ينظر لهذه الحياة فقط، أو ينظر نظرة قاصرة لهذه الحياة، وليس في ذهنيته الحياة الأخرى، أحياناً متى ما ساء فهم هذه الحياة يؤثر جداً على الحياة الأخرى، سوء الفهم للحياة هذه يؤثر فعلاً على ما يمكن أن يجعلك ناجيا في الحياة الأخرى، أعني: لاحظ كمثال في هذه عندما تكون نظرتك للحياة هذه بأن هذه الحياة،[الله خلق الدنيا على هذا النحو ، ولا يصلح فيها حق، وعلى الإنسان] يحاول كيف يقدم لنفسه مبررات، لا يعمل في سبيله، [وأهل الحق لا ينتصرون على أهل الباطل، وأهل الباطل يكونون دائماً منتصرين، وهم كذا، وهم كذا]، أليست هذه نظرة مغلوطة للحياة هذه؟ تجعلك في الأخير لا تتحرك في سبيل الله، ألست هنا أثرت على حياتك الأخرى؟ سوء الفهم لواقع الحياة هذه، لواقع الأرض هذه، ولسنن الحياة هذه، يؤثر بالتأكيد على مستقبلك في الحياة الأخرى، لماذا تجد الكثير من الناس لا يتحركون في سبيل الله ؟ بسبب ماذا؟ نظرة مغلوطة إلى الحياة هذه، وكيف جعلها الله عليه،[لا يوجد فيها مكان، ليس فيها مكان للحق، وهذه النفوس، نفوس الناس التي خلقها الله ليس فيها مكان للحق.

إذاً مادام ما هناك مكان للحق أجلس في بيتي] فقط!. فقعد عن العمل في سبيل الله الذي ستتوقف عليه نجاته في الآخرة. فتعطي الإنسان توجيها بأن يكون فاهماً، فاهماً للحياة الدنيا، وفاهماً للآخرة، ومهتم بالحياة الدنيا هذه والحياة الآخرة، لأنها حياة واحدة في الواقع، هي حياة واحدة في الواقع، ليس الموت إلا عبارة عن فاصل مثل ما يأتي فاصل في النشرة، أليس يأتي فاصل وبعده يكمل النشرة؟ هي .. هي ، هي حياة واحدة، وأنت ستكون في الآخرة بنفس المشاعر، تبعث أنت .. أنت، لا تفهم بأنك قد صرت بشكل آخر، أو كأنه حلم .

يكون الناس{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} لم يأتِ ليقول على أساس أنه يقدم النموذج الصحيح، ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. مثل ما يأتي التوجيه من عند الكثير من الناس يقول: [الدنيا .. الدنيا. لا تهتهم بالدنيا، اهتم بالآخرة]، ويقدم لك الآخرة فقط، الآخرة مرتبطة بالدنيا هذه، فتكون نظرة صحيحة لهذه الحياة الدنيا، ونظرة صحيحة للآخرة، وتطلب من الله الحسنة في هذه الدنيا، وفي الآخرة، {أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا}(البقرة: من الآية٢٠٢) أن الله يؤتيهم في الدنيا هذه نصيباً مما كسبوا، وفي الآخرة، عملك إجعل منه هنا وهناك، نصيب هنا في الحياة الدنيا، ونصيب في الآخرة، لأنه أين النصيب الباقي عندما يقول:{ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا} هل يمكن أن تعتبره نصيباً، يعني: في الآخرة، فالنصيب الثاني

أين؟ وإلا تعتبره نصيب فقط، يوجد نصيب ثاني. النصيب معناه: القسط من الشيء. {نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا} ما كسبوه يستفيدون منه في الدنيا وفي الآخرة.

{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(البقرة: من الآية٢٠٢) **وحتى في الدنيا يحصل حساب، محاسبة ـ ولو لم يكن كما في الآخرة حساباً شخصياً، أو حساباً جماعياً ـ حساب واقعي ، أعمال الناس يحاسبون عليها، يذوقون وبال أمرهم، كما قال في آية أخرى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً}**(الطلاق: من الآية٨)، **{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} {فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}**(الطلاق:٨ـ٩). **هنا في الدنيا قبل الآخرة ليفهم الناس، بأنه إنما كسبوه، يحصل نصيب منه هنا، أعمال سيئة يحصل من عواقبه السيئة في الدنيا قبل الآخرة.**

هدى الله سبحانه وتعالى يتناول التقييم للناس، التشخيص للناس لأن هذه قضية هامة، قضية أن يعرفك على الناس كيف هم، بدأ في هاتين الآيتين أن هناك من الناس من يقول: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا}(البقرة: من الآية٢٠١) **وهناك فئة: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً}**(البقرة: من الآية٢٠١). **ألست أمام صنفين من الناس؟.**

يقول أيضاً: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}(البقرة:٢٠٤) **في نفس الوقت من ألد الأعداء، ومن ألد الناس خصومة، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ}**(البقرة:٢٠٥). **نحن الآن أمام ناس من النوعية هذه.. ناس من النوعية هذه. {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أليسوا هم يقولون لنا: بأنهم يريدون أن يحرروا ، يحرروا الناس، ويعملون المناهج التعليمية بشكل أفضل، ويعملون على ترقية الشعوب ،ويعملون ... عبارات براقة.**

{وَإِذَا تَوَلَّى}(البقرة: من الآية٢٠٥) **ـ متى ما اتجه عملياً، كلامه كلام براق بهذا الشكل ـ لكن في المجال العملي، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ}**(البقرة:٢٠٥). **هنا قال: {ومن الناس} بشكل عام لتكون عارفاً أنت: أن الناس هم أنواع، ـ قد يكون منهم سواء في الداخل أو في الخارج ـ من هم على هذا النحو، لا يكون عندك النظرة التي حصلت لآدم، عنده كيف ممكن مخلوق من مخلوقات الله يحلف يميناً فاجرة، ويقسم بالله: أنه من الناصحين! أليس هو كلاماً أعجبه؟ لأنه يستبعد أن الشخص يأتي ليقسم بالله، لأن الله عظيم في نفس آدم.**

كانت هذه أول عملية خداع من{مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} يقسم بالله: أنه من الناصحين، لكن وعمله فساد، تحصل هذه من جهة الأعداء، وتحصل أيضاً في الداخل، يعني: أن الإنسان المؤمن الذي يهتدي بهدى الله يجب أن يكون واعياً، وأن يكون ذكياً، وفاهماً، لا ينخدع بشعارات، لا ينخدع بكلام زائف، لا ينخدع بكلام مزخرف، يجب أن يعرف: هل هذه الجهة مظنة أن يكون واقعها كما تقول؟ هذا من الأسس في هذه، هل ممكن أن يكون هذا؟ هل من المحتمل أن يكون هذا يكون واقعه مطابقاً لما يقوله؟ أما إذا قد مر في حياته بتجارب كبيرة، ووجدناه شريراً فيها، وفي كل مرة يخدعنا بكلام معسول، وكل مرة نقول عسى أنه سيهتدي، عسى أما الآن أنه سيصلح، معناه أنك تجعل نفسك ميدان للخداع باستمرار .

هذه تهدي الناس إلى أن يكون لديهم قدرة في التقييم، قدرة في التقييم للآخرين، ومن الأشياء الأساسية في هدى الله سبحانه وتعالى هو: أنه يعطي الناس بصيرة يستطيعون أن يقيموا، فيعرفوا الصادق من الكاذب، يعرفوا من قد يمكن أن تكون أفعاله متوافقة مع أقواله الجذابة، يعرفون من قد يمكن أن يكون مخادعاً بكلامه المعسول، وأفعاله كلها شر، لأن هذه قضية أساسية في مقام الهدى، وأن تعرف أنه عندما يقول:{وَمِنَ النَّاسِ} هذه قاعدة في تشريع الله، في هدي الله، لا يأتي بأشياء فقط يقول لك يوجد كذا فقط. تأتي إلى القرآن الكريم تجد داخله كثيراً من الآيات التي تحكي ما يشخص في الأخير لك هذه الفئة، وهذه الفئة، وتعرف النفسيات تماماً حتى بمؤشرات لها. لا يقول:{وَمِنَ النَّاسِ} ويتركها مبهمة، مجملة، أول شيء يعطيك فكرة: أن

هذه قضية واقعية يحصل في الناس نوعيات من هذه، وفي نفس الوقت داخل سور القرآن الكريم آياته، الأشياء الكثيرة التي تشخص، هنا لاحظ كيف تحدث عن المنافقين، وشخص نفسياتهم، وأعمالهم، وأقوالهم، ووسائل خداعهم في داخل آيات القرآن الكريم في كثير من السور.

هنا أيضاً فيها: {وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} أليست هذه عبارة خطيرة؟ يشبه القسم الذي أقسم به إبليس لآدم خدعه، {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}(الأعراف:٢١). وهو في نفس الوقت {ألد الخصام} لك، ألد الخصام للأمة، أعني: خصم من ألد الخصوم .

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} أينما وصلت يده في الأرض، أينما وصلت يده {لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} هذه القضية الآن معروفة، من خلال ما نراه من أعمال الأمريكيين والإسرائيليين، ومحاولتهم لإهلاك الحرث والنسل، إهلاك النسل، عملية التشجيع على الحد من النسل، ووسائل كثيرة يعملونها ليحصل عقم عند الكثير من الرجال سواء في أحزمة، أو في أجهزة طبية، أو في أي شيء من الأشياء هذه، أو داخل المواد الغذائية، أليس هذا إهلاك للنسل؟ وإهلاك للحرث أيضاً فيما يتعلق بمواد كثيرة يشكون منها. قالوا في مصر، قالوا: حصلت هذه في مصر! تصبح الأرض نفسها معطلة، لم تعد صالحة للزراعة، لم تعد تصلح للزراعة، وإهلاك للحرث : تدمير للزراعة.

أليسوا في فلسطين يدمرون الزراعات، يدمرون المزارع، وتدمير للزراعة من جهة أخرى إذا هناك شعب ينتج كاليمن ينتج [بُنْ] يحاولون أن يدمروا هذه الزراعة التي تعتبر مصدر هام لكثير من الناس بطريقة، يحاولون أن يصدروا [بُنْ] مدعوم.. مدعوم، أعني يبيعونه ولو بأقل من سعر الشراء حتى يضربوا الناتج المحلي، هذه عملوها حتى في قضية الدجاج، مزارع الدجاج، أعني ترى البلاد العربية، ترى هنا في اليمن، لم يعد يصلح أن يتربى فيه دجاج!، لازم تأكل دجاج مستورد من البرازيل، أو دجاج فرنسي!.

إهلاك الحرث والنسل يكون أحياناً على ما نلمس، يكون بالطرق هذه المتعددة. يحاولون فعلاً أن يهلكوا حرث الناس هذا، فلا يعتبر منتج، لا نعد نشكل بالنسبة لهم شيء، ويريدون أن نصبح في الأخير مجرد مستهلكين، وما خسره في عملية إهلاك حرثك، عندما يحاول أن يصدر لك كميات مدعومة تراها رخيصة، أرخص من الناتج المحلي، في الأخير عندما يعطل زراعتك أنت، سيستعيد ما خسره بأضعاف مضاعفة، سيرفع السعر قليلاً قليلاً، في وقت قد أنت محتاج إليه! هذه سياسة عندهم ثابتة، للأسف لا يوجد هناك رعاية من نفس الحكومات القائمة، تشجيع للمزارعين، تشجيع للناتج المحلي، تسهيلات كبيرة حتى يمكن للمزارع أنه ينتج، ويبيع برخص، ومازال مستفيداً ما يغطي تكلفته، ووقته، ما يساوي وقته، وتكلفة الإنفاق على المزروعات في حراثة الأرض حتى يحصل ثمرته، ويسوقها، لا توجد رعاية بهذا الشكل. لماذا؟ لأنه يكون بعض الشركات الأجنبية، و بعض الدول الأجنبية تعمل رشاوى كبيرة .. رشاوى كبيرة لمسئولين معينين، وحاول يضرب هو، يساعد في ضرب الناتج المحلي، ويستورد منتجات من البلدان الأخرى، في الأخير: زراعة التفاح، زراعة هذه الحمضيات بشكل عام، زراعة البُن، زراعة أشياء كثيرة، تكون معرضة للتلاشي ليبقى الناس في الأخير سوق استهلاكية، ولا حتى الخضرة، أو الفاكهة لا تعد تحصلها من بلادك .

إذاً تلاحظ من هذه أنك تقارن ما بين الأقوال، والأفعال كوسيلة من وسائل أن تعرف الطرف الآخر، لا تخدع بكلامه المعسول دون أن تنظر إلى فعله، إذا أنت تنظر إلى أفعاله تجد أفعاله على هذا النحو، ستعرف بأنه إنما يخادع بكلامه، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} هذه نوعية سيئة، لكن في نفس الوقت أنت يجب أن تنظر إلى أعماله لتعرف من خلالها: أنه شرير، وأن كل ما يقوله لك من كلام معسول، إنما هو عملية خداع .

{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ}(البقرة: من الآية٢٠٦) . يأنف أن يتقي الله، يأنف أن يرجع عن هذا الفساد، أن يتحول عما هو عليه من فساد، يأنف {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}(البقرة: من الآية٢٠٦).

{ومن الناس} نوعية أخرى تجد كيف النوعيات متفاوتة بشكل كبير، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة:٢٠٧) يبيع نفسه من الله، ابتغاء مرضاة الله، فيجب أن تفهم: أن النوعية هذه هي النوعية التي تصلح في الأرض، هي هذه. وليس فقط المسألة: أنه نفهم النوعية السابقة، هذه النوعية تكون منصرفة بعيدة عن الله، بعيدة عن هدى الله، غارقة في ذاتيتها، تتحول إلى مفسدة في الأرض، النوعية الأخرى المتجهة إلى الله، المهتدية بهدي الله، هي النوعية المصلحة في الأرض، ولصلاحها في الأرض هذا من قمة الصلاح في الأرض أن يكون مستعداً أن يبيع نفسه من الله، عندما تبيع نفسك من الله، في مواجهة من ؟ هل هناك بيع للنفس من الله في مواجهة مصلحين؟ أو في مواجهة مفسدين؟ مفسدين. عندما يكون هناك نوعية من الناس بهذا الشكل يبيعون أنفسهم من الله، في مواجهة مفسدين، معناه: أنهم يحولون دون الإفساد أن يعم عباد الله، فهم المصلحون في الأرض هم. إذاً هؤلاء هم الوطنيون، هم الوطنيون حقيقة .

يتجلى للناس من خلال هذه كيف تكون النتيجة بالنسبة للالتزام بهدى الله أو الإعراض عنه، الإعراض عنه، يطلع نوعية من تلك السيئة التي قال عنه: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} (البقرة: من الآية٢٠٥). ومن يستقيمون على هدى الله يكونون نوعية من هذه النوعية الأخرى، لأن الجهاد في سبيل الله هو في الواقع من أعلى الخدمات للأمة، لأن الجهاد في سبيل الله إنما يكون جهاداً لمفسدين من النوعية هذه، والمفسدون من النوعية هذه عندما يقول: {يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} حرث ونسل من؟ حرثه هو ونسله هو؟ أو حرث ونسل الآخرين؟ أليس حرث ونسل الآخرين؟ فالجهاد لهؤلاء عندما يكون على هذا النحو، أليس في الواقع لصرف هذه النوعية عن أن تهلك حرث ونسل الآخرين، من إيجابياته الهامة: أن هؤلاء هم المصلحون في الأرض حقيقة، ولا قدم لك هنا مسألة أقوال براقة لديهم.

بالنسبة للنوعية الثانية هذه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ} هل هذا النوع لديه كلام براق مخادع؟ وأيضاً لم يقدم لك قضية ومن الناس من يقول كذا وكذا، وهو في نفس الوقت كذا، حتى ولو كلاماً جميلاً، وواقعياً، لأنه عادة النوعية هذه تكون مخلصة لله عملياً، فاعلة، لا تحتاج أن تعرض نفسها بشكل براق، بحيث يقولون: نحن ونحن ..إلى آخره. لا تحتاج إلى هذا، متى ما باع نفسه من الله، هذا جانب عملي هام، والإيجابية هنا في موضوع العمل، {يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ } .

{وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة:٢٠٧) رؤوف بعباده بما فيهم هؤلاء الذي شروا أنفسهم من الله، ورؤوف بعباده جميعاً أن يهيئ من النوعية هذه حتى لا ينفرد بهم المهلكون للحرث والنسل، والمخادعون بالكلام المعسول .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة: من الآية٢٠٨). الدخول في الإسلام، التسليم لله، التسليم لله كافة. هنا لاحظ النماذج التي قدمت لمن يكونون مُسَلِّمِين لله، أو غير مُسَلِّمِين لله. فالتسليم لله، الإسلام لله، هو السلام الحقيقي لعباد الله .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة: من الآية٢٠٨) ليس معناه: ادخلوا في السلام الذي يدعوكم إليه الآخرون.. سلام أمريكي، ثم يأتي من يقول لنا: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة: من الآية٢٠٨) هذا التسليم لله، وما هو سلام حقيقي، وهو القائم على التسليم لله، هذا الإسلام. أليس الله سمى دينه الإسلام؟ هي كلها مشتقة من عبارة تسليم، والتسليم في الأخير سلام، ألم يسم الجنة دار السلام. فالسلام الحقيقي يأتي نتيجة وثمرة من ثمار التسليم الحقيقي لله سبحانه وتعالى، لأن الله هو السلام، وسمى دينه: الإسلام، وسمى الجنة: دار السلام .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} (البقرة: من الآية٢٠٨) وأنتم ستجدون سلماً من النوعية هذه الأخرى، المخادعة. الإنسان بحاجة إلى أن يكون في موقف، يسلم من التضليل، يسلم من الخداع. لأنه إذا مشى التضليل عليك، ومشى الخداع عليك، تصبح أنت ضحيته، يصبح المجتمع الذي هو قابل للتضليل، وقابل للخداع، يصبح هو ضحية .

إذاً فدين الله، وهدى الله، هو سلامة للناس من التضليل ومن الخداع، ومن كل ما يجعلهم في الأخير ضحية، وضحية ما لها قيمة، ضحية يكون بعدها جهنم، خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة .

{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}(البقرة: من الآية٢٠٨) كل ما قد يصل بك إلى أن تتأثر بالنوعية هذه المخادعة، المضللة، هي كلها من وساوس الشيطان، وخطواته تنبهر بخطاباته البراقة، تنبهر بوعوده البراقة، تنبهر بقوة معينة هو عليها، وعندك أنه هو الذي يشكل هو سلام.

الآن لو يأتي عرض عسكري في أي بلد عربي، هل يوجد أحد من الناس ربما قد يعجب به، ويعتبر أن هؤلاء ناس يستطيعون أن يعملوا كذا؟، الآن افتضحوا بعد قضية العراق، وعندما وجدناهم هم يتسابقون إلى ود أمريكا وإسرائيل، معناه أن الجيوش التي لديهم، والقوة التي لديهم أصبحت لا تشكل شيئاً، لا تعد تشكل حماية، قد يكون العراقيون مثلاً ربما كانوا سابقاً عندما تعرض صواريخ أنتجها العراق، يعتبرون أنفسهم جيشاً قوياً يظهر بعروض عسكرية، يتركز شعر الواحد منهم وعنده أن هؤلاء سيستطيعون أن يصدوا أي قوة تهاجمهم، وفي الأخير كيف كانت؟ لا شيء في الأخير، شكلت لا شيء، تهاوى الجيش، وتهاوت القوة، ودمرها العدو قبل الدخول في الحرب .

إذاً لا تتبعوا خطوات الشيطان فهو عدو مبين، هو لا يوجهك أبداً إلا حيث يكون فيه هلاكك، قد يوجهك إلى أن تعجب بطرف معين لأن في إعجابك به، ينفق تضليله عليك، تكون في الأخير ضحية. لاحظ كيف كان قصة موسى، وفرعون قصة عجيبة، وجذابة جداً، وبين في الأخير كيف كانت النتيجة عندما استطاع فرعون أنه يخدع قومه بمظاهر الملك، والأساور. الذهب، وبالنيل كأنه هو الذي صنعه، وموسى يبدو إنساناً فقيراً معه عصا، قد يكون عنده أن هذا لا يمكن يشكل شيئاً، موسى لا يمكن يشكل للأمة سلامة، أو يهديها سبيل الرشاد، ولكن فرعون عندما قال: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}(غافر: من الآية٢٩).

أليس هذا كلام من هذا النوع الجذاب؟ يلاحظون شكليات معينة هو عليها، وعندهم (هذا الذي يهدينا سبيل الرشاد، أما ذلك، موسى لا يستطيع يعمل شيئاً، هو فقير ليس معه إلا عصا!) ،وفي الأخير كيف كانت النتيجة؟ ألم يصل موسى بقومه، ومن ساروا معه إلى أن يهتدوا، فينجو ؟. ينشق لهم البحر. ويخرجون، وفرعون وصل وأوصل قومه إلى أعماق البحر يغرقون في البحر. ولهذا قال الله فيما بعد: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}(طـه:٧٩) لماذا انخدعوا بأساور من ذهب ؟ ماذا سيعمل لي أن معه سوار في معصمه ذهب براق؟، هذا سيهديني سبيل الرشاد؟ أو أن معه كرسياً ومطعماً بالأحجار، وبالفصوص، وبالأشياء الجميلة، ومزخرفاً، هذا الذي سيهدينا سبيل الرشاد؟.

أحياناً تكون العروض العسكرية قد تعتقد بأن هذا الجيش يمكن أن يشكل حماية للأمة، ترى صواريخ تعرض، ترى دبابات، لكن في الواقع كشف، وهذا من النعمة علينا حتى يعرف الناس: أنه يجب أن يعتمدوا على الله، ويعدوا هم ما يستطيعون من قوة، يتجهون هم، الجيوش لم تعد تشكل محط أمل حتى عند الحاكمين أنفسهم!، الشيطان أحيانا، والشياطين قد يجعلون شعرك يتركز وأنت تشاهد عروضاً معينة، أو تشاهد خطاباً معيناً، أو تشاهد أشياء من هذه تقول: [هذا والله الذي هو أسد الله سيهزم أبوهم هؤلاء لاحظ ماذا معهم؟] عندما يرى صواريخ من تلك فوق ناقلة أو نحوه .

{فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(البقرة:٢٠٩) أليس هنا ينهى الناس وينبههم: لا تتبعوا خطوات الشيطان، ادخلوا في السلم كافة، فيما يشكل سلامة لكم من هؤلاء الذين هم مخادعون، ومضللون، وفي نفس الوقت متى ما اتجهوا عملياً يفسدون في الأرض، يسعى معناه: يتحرك، يتحرك بقوة ليفسد في الأرض، فالسعي: هو الحركة التي تكون زيادة على الحركة الطبيعية.

{فَإِنْ زَلَلْتُمْ} سمى اتباع خطوات الشيطان ليس معناه: خطوات رزينة، وخطوات ثابتة، معناها: انزلاقه. أحياناً قد تسير على طريق تعتبر خطواتك فيها خطوات ثابتة. أليس في الأدعية: وثبت أقدامنا؟ أدعية المؤمنين؟ هنا تزل قدمك، هنا خطوات الشيطان تعني: مزالق خطيرة. ليس معناه أنك ستضع قدمك مكان قدمه، وهي قدم ثابتة، بمعنى: أن الله يرسم للناس الطريق التي تكون أقدامهم ثابتة عليها، إذا كان هناك خطوات الشيطان تمثل انزلاقات، فهو يهدي الناس إلى أن تكون خطواتهم بعد خطواته ثبات، واستقامة، ولهذا قالوا: {رَبَّنَا أَفْرِغْ

عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠). **ألم يكونوا بعد شخص، بعد طالوت شخص خطاه ثابتة، تخطوا خطوات، وتكون الخطوات ثابتة، خطوات الشيطان كلها مزالق تزل قدمك.**

{فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} (البقرة: من الآية٢٠٩) **البينات توضح لك أن هذه الخطى تزل قدمك إذا مشيت عليها، وهناك طريق الخطى الثابتة، تريد تكون خطاك ثابتة؟ إمش هناك {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (البقرة: من الآية٢٠٩). **هو غني عنكم، ولن تعجزوه، ولن تفوتوه بعد وضوح البينات، وكثرتها. أعني: تجد الآن نحن نقرأ الآن سورة واحدة، أليست سورة واحدة من القرآن،** (سورة البقرة) **كم تجد فيها من زحمة هدى! كم تجد فيها من أمثلة متعددة! كم تجد فيها من أشياء كثيرة جداً! ماذا بقي بعد هذه ؟**

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} (البقرة: من الآية٢١٠). **يعني أمر الله وعذابه. أي: يقدم هدى على أعلى مستوى، وبيان على أكمل بيان، ووضوح، وبلاغ تام، ماذا تنتظرون بعد؟ {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ }** (البقرة: من الآية٢١٠) **عذاب يأتيهم أمره {والملائكة} والملائكة يكونون أيضاً من جنود الله الذين يكون لهم دور في مسألة عذاب الأمم، {وَقُضِيَ الْأَمْرُ}** (البقرة: من الآية٢١٠). **يُقضى عليهم أمره، {قضي الأمر} متى ما بدأت مؤشرات العذاب بسبب انصراف الناس عن هدى الله، اعتبر الموضوع قضي الأمر. {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}** (البقرة: من الآية٢١٠).

لاحظ هذه الآية ما أهمها وكثير من الآيات في المواقف الهامة يأتي بعبارة: {إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} (هود: من الآية١٢٣) **أو {إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}** (الشورى: من الآية٥٣) **أو {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}** (البقرة: من الآية٢١٠) **هذه تعطي للإنسان دفعة بأنه يسير على هدى الله، وأن يعرف أنه ليس هناك مقابل لهدى الله، إلا أن يأتي أمر الله: العذاب، والخزي، والعقوبات. ألم يقل هناك: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}** (التوبة: من الآية٢٤) **بالنسبة لمن يقعدون عن الجهاد، وتكون أموالهم، وتجارتهم، وبيوتهم، ونساؤهم، وأولادهم أحب إليهم من الله ورسوله، {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} يعني: لم يبق بعد هذا الهدى الشامل والوضوح الذي تراه مليء برحمة الله، مليئاً بالرحمة، حقيقة، لم يبق إلا ماذا؟ الهلاك.**

فيفهم الناس بأنه يجب أن يستقيموا، وأن الله هو الذي إليه ترجع الأمور، هو الذي يغير الأشياء، هو غالب على أمره، لا أحد يستطيع حتى ولا الأعداء أنهم يعملون شيئاً في الدنيا، هم على كيفهم، ويكونون مغالبين لله، لا تحصل هذه أبداً، فلا يكن مما يصرفك عن أن تسير على هدى الله، أن ترى أموراً كبيرة هناك تشكل خطورة عليك، الأمور كلها ترجع إلى الله، الله سيجعلها يوم من الأيام لا تمثل شيئاً، بل قد ترى في يوم من الأيام، وإذا فيها أن يجعلها الله بالشكل الذي يخدم القضية التي أنت فيها. وحتى عندما تنصرف عن هدي الله سبحانه وتعالى، وعندك أنك تجد طمأنينة، ولن يحصل عليك شيء، قد صرت تتأقلم مع الجهة التي تمثل خطورة! لا . إليه ترجع الأمور، يمكن يطلع هذه الجهة التي أنت مطمئن إليها، يجعلها تشكل خطورة عليك، وتضربك هي.

من هو الآن الذي هو متجهة لضرب العرب، من؟ من كانوا يتسابقون على ودها، وصداقتها، وخدمتها: أمريكا! أليست هكذا؟ لأن عنده أنه إذا قد أصبح من الموالين لأمريكا فلا عليه خوف من أي جهة أخرى .

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} فممكن يجعل هذا نفسه، وهذه قد تكون من أشد أنواع العذاب، حسرة أن ترى من كنت تتسابق إلى وده، ويبدوا أنه صديق حميم، وأشياء من هذه، وأنت تصادقه من أجل تأمن من أي خطورة أخرى، وإذا به هو منبع الخطورة! لا يوجد ملجأ غيره، لا يوجد ملجأ آخر منه أمامك. {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} في الاتجاهين: من يحاول أنه يدبر نفسه، وأن يكون بعيداً عن هدي الله على أساس أنه مطمئن، يتأقلم مع جهة هي تشكل خطورة، وزالت الخطورة، لا. من يريد أن يتجه على هدي الله ويرى أموراً كبيرة أمامه وعنده، لا.

{إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} يمكن هذه كلها تلك التي تراها عقبات، وجبال كبيرة، تتهاوى، تصبح لا شيء. معنى هذا: أنه تهديد، أعني: لا تعتقد أن الله يترك القضية هكذا، إما أن يسير الناس على هديه، وإلا فما بقي إلا أن ينتظروا عذابه، وعقوباته في الدنيا و في الآخرة .

{سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ}(البقرة: من الآية٢١١) اسألهم، وأنظر حالتهم كيف أصبحوا؟ ليتجه الناس عندما يأتي بهداه، ويهدد بأنه: إذا لم يسيروا على هداه ستأتي هذه العواقب السيئة، إذا كنت قد قرأت، ورأيت ما وصل إليه بنوا إسرائيل، وما وصلوا فيه من أشياء سيئة جداً، هناك، كان هناك آيات كثيرة، وهدى كثير تمثل نعمة .

{سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(البقرة:٢١١) هنا في السابق تحدث عن قضية كالقضية هذه، ثم رد ذهنيتك إلى أمة أصبح واقعها هكذا آيات بينات، {سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} لو ساروا عليها هي تمثل نعمة، لو ساروا عليها، واهتدوا بها، ثم كانوا على هذا النحو، فأصبح واقعهم على هذا النحو السيئ في حياتهم، في تاريخهم!، هذا مثل من واقع البشر يقدمه. إذاً هذه هي سُنة إلهية: من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته، ينتظر ماذا؟ نقمة. {فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} .

{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(البقرة:٢١٢) هذه الأشياء التي تخدع الناس، تقدم في البداية، أن يذكر فئتين من الناس: الفئة الأولى هي هذه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ}(البقرة:٢٠٤-٢٠٥).

والفئة الثانية هي: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}(البقرة:٢٠٧) هؤلاء ليس لديهم كلام براق، مخادع، كالنوعية الأولى، الذي قد تتصور نتيجة لو عوده البراقة، أن بيده مستقبل الحياة، وبيده عمارة الحياة، وبيده تحرير الشعوب، وبيده كذا، وفي الأخير تكون لا تشكل شيئاً، تجعلك تسخر من الجانب الآخر، تنشد إلى الجانب الذي لديه مظاهر، فتنخدع بمظاهره، ويصبح لقوله التضليلي، والمخادع أثر في نفسك، وأنت تنظر إلى مظاهره، تجعلك تسخر من الذين آمنوا، ترى ليس عندهم إمكانيات، ترى ليس لديهم قوة مثل الطرف الآخر، نفس قضية موسى وفرعون. فقط يسخرون منهم، لأن هذه الحالة عند الإنسان إذا لم يكن فاهماً لقضية الدنيا هذه، كيف أنه بالإمكان أن يحصل لطرف آخر أموال؟ ويحصل لديه إمكانيات أخرى، ثم انظر كيف تكون عاقبته هو؟ يكون عندك نظرة واقعية بالنسبة لمظاهر هذه الحياة، فلا تكون المظاهر نفسها بالشكل الذي يخدعك، وأنت ترى بأن تلك المظاهر هي في يد ليست يداً أمينة.

هل كان ذلك العرش الذي عليه فرعون، والأساور من ذهب، {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ}(الزخرف: من الآية٥١) ألم يقل لهم هكذا؟ كان يقول لهم هكذا، خدعهم بمظاهره، زينت لدى الآخرين بمعنى: أن الطرف الآخر يحاول يقدم ما لديه من أشياء، ومظاهر، يزين لك أنت أن تنخدع بتضليله، وتسير بعده، تصبح في الأخير تسخر ممن هم في الواقع سبيل للنجاة، سبيل للهداية، وعلى أيديهم تتحقق الهداية والنجاة، {وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(البقرة: من الآية٢١٢).

حتى لو لم يحصل في معادلات الدنيا هذه، الحياة هذه أن يرى الكافرون والمؤمنين فوقهم في هذه الحياة، هنا قد يكون ولو جيل منهم، جيل منهم لا يدرك الشيء هذا، فيوم القيامة سيرونهم فوقهم مثلما قال في آية أخرى، ألم يذكر عن المؤمنين أنهم: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(المطففين:٣٤-٣٦) قد تكون هذه النفسية هي نفسية عند الطغاة أنفسهم، عند الكافرين بالله، يكونون هم يزين لديهم ما هم عليه، ويدفعهم إلى السخرية من المؤمنين، فتكون مظاهر حياتهم بالشكل الذي تحول بينهم وبين أن يهتدوا، فتكون النتيجة لهم خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

قد يرون الذين آمنوا فوقهم في الدنيا، وإذا لم يحصل لدى البعض منهم ففي القيامة، في الموقف الخطير جداً، والحرج جداً، لأن مواقف الآخرة أشد من مواقف الدنيا، لأنها مواقف حاسمة ـ ومتفاوتة جداً، {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ

دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} (الاسراء: من الآية٢١) في الاتجاهين. فسخريتهم من الذين آمنوا، تجعلهم لا يقبلون أن يهتدوا في الأخير، بأن هذه من الآثار السلبية لمظاهر الحياة عند فئة من الناس هم على هذا النحو، هي تحجبهم عن الهداية، لأنه قد ألف في نفسه أن يقيم كل شيء على أساس الزخرفة والمظاهر، إذا ما عندك مظاهر حياة كمثله، ولهذا فرعون لم يرض أن يستجيب لموسى، هل رضي أن يؤمن؟ {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ} (الزخرف:٥٢) أليست مظاهر الحياة لديه صرفته عن أن يستجيب لموسى؟ لأنه يلاحظ أنه لا يملك شيئاً، {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ}، يقول لقومه {أَمْ أَنَا خَيْرٌ}.

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} (البقرة: من الآية٢١٣). هذا يؤكد في الأخير حاجة البشر إلى كتب الله ورسله، حاجة البشر إلى هداية الله، حتى ولو كانوا ما يزالون مجتمعاً واحداً. يقال في تفسيرها: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله، حتى وإن كانوا أمة واحدة هم يحتاجون، الإنسان كإنسان، المجتمع المتكون من البشر، ولو كانوا أمة واحدة، هم عبارة عن طوائف، أو عبارة عن شعوب وكذا، هم يحتاجون إلى أنبياء الله ورسله وكتبه، ولأنه تطرأ فيما بينهم في تعاملهم الفردي مع بعضهم بعض، تطرأ كثير من الاختلافات.

إذاً فبالأولى أن يكون البشر بحاجة إلى كتب الله ورسله، في حالة اختلافهم هم، فيصبحون طوائف وأمم، ويصبحون خطوطاً مجانبة للحق، لأنه حتى داخل الأمة الواحدة المحقة التي هي تسير على الصراط المستقيم، تحصل اختلافات عادية بين الأفراد في مواضيع المعاملات، والنكاح، والطلاق، أو أشياء من هذه، يختلفون فيها، ألم يحصل مثل هذه الحالة في أيام رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله ؟ حصل في نفس المجتمع أشياء من هذه، كانوا يتشاجرون ويختلفون، لكن وتحسم القضايا بسرعة. ليس معناه بأن البشر عندما يكونون أمة واحدة هم كبشر، واعتماد على فهمهم وذكائهم، أنهم قد أصبحوا يستطيعون أن يرسموا لأنفسهم طريقة، فلا يحتاجون إلى كتب ولا رسل، البشر يحتاجون إلى هدى الله.

أي لو وصلت الأمة إلى أن تصبح أمة واحدة فهي ما تزال بحاجة ماسة إلى هدى الله المستمر دائماً، هدى الله المستمر دائماً داخلها، وإلى هذا الهدى الشامل لأن هناك كثير من الأشياء تطرأ داخل يحتاج إلى حل، خلافات تطرأ واسعة كلما اتسعت الأمور قد تحصل.

فبالأولى عندما يصبح البشر مختلفين وتصبح هناك سبل غير سبيل الله، وتصبح هناك طرق متعددة فلا يمكن أن يحل هذا الاختلاف، ولا يمكن أن يجعل الناس أمة واحدة إلا ما هو من عند الله، هدى الله الذي يأتي عبر هذه الطريقة.

{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} (البقرة: من الآية٢١٣) لأنه عادة اختلاف الناس يأتي فيه محظورات، عندما يصبحون في واقع، هو واقع أن يبشر، وأن ينذر، يكون البشر هم في واقع أن يبشروا، وأن ينذروا، {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢١٣). إذاً حصلت هذه.

{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} (البقرة: من الآية٢١٣). فالكتاب نفسه جاء ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، لكن المشكلة أنه ماذا؟ حصل اختلاف فيه.. اختلاف فيه، يعني في الكتاب. {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} (البقرة: من الآية١٧٦) . كما تقدم في الآية السابقة {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ} (البقرة: من الآية٢١٣) أي في الكتاب، {إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} (البقرة: من الآية٢١٣) .

لاحظ أن هذه تعطيك صورة ثابتة عمن يختلفون في كتب الله ، ويختلفون في دينه من بعد رسله، يكون هذا منشؤها، ليس منشؤها نفس الكتب هي التي توجد اختلاف، لأن كتب الله هي تنزل لتحسم الاختلاف بين الناس في القضايا الكبيرة والصغيرة، تجعلهم أمة واحدة، ويبقون أمة واحدة، وأي شيء يطرأ داخلها، هذا يحسمه

باستمرار، ومع هذا يأتي من الناس من يختلفون فيه، فعندما يحصل اختلاف فيه منشؤه هو هذا {بَغْياً بَيْنَهُمْ} {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ} أي في الكتاب {إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ}. يعني: قيل لهم قوموا به، خذوه بقوة، تمسكوا به، التزموا به، وعلى أساس أنهم أوتوه للآخرين، يقدمونه للآخرين، فاختلفوا فيه، فضربوا بقية البشر، {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} أي: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات تحذرهم من الاختلاف، وخطورة الاختلاف، وترسم الطريق التي يسيرون عليها، فلا يختلفون.

أي: نفهم من هذه أن أي اختلاف في أي أمة من الأمم بعد أنبيائها لا يكون منشؤه أبداً قصور في البينات والهدى، أو تقصير من أنبياء الله على الإطلاق، نفهم فيما يتعلق بالمختلفين بعد رسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله البعض يحاول يتأول يقول: يمكن أنهم ما علموا من قول رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله ((فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)) أنه نص على أنه خليفة بعده، ما علموا، ما عرفوا!. عندما تجد اختلافاً بعد نبي من أنبياء الله، تأكد بأن الطرف المخالف هو يخالف عن علم، هذه قاعدة هنا ثابتة، وتكررت في أكثر من آية مخالفين عن علم، لم يعد هناك مجال أن تتأول له على الإطلاق، ليس مجالاً أن تتأول له، ثم يأتي من بعد من يسيرون من بعد على ما قد رسم كامتداد لذلك الضلال الذي كان نتيجة للاختلاف الذي طرأ، لأن الاختلاف عادة يكون ماذا؟ خروج من طريق الحق إلى ضلال .

فالطرف الذي كان على هذا النحو هو يقدم ضلالاً، وفي الأخير قد يكون في الأجيال المتعاقبة، من ينظرون إليهم أنهم ساروا على تلك الطريقة، واعتقدوا أنها مسيرة مستقيمة.

{وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}(البقرة: من الآية٢١٣). إعتداء ، إعتداء هكذا صريح، ومخالفة صريحة، {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ}(البقرة: من الآية٢١٣) لأنه في أثناء الاختلاف في الدين يصل الإختلاف إلى الاختلاف في الكتاب، أي فيما يتناول الكتاب. ألست تجد اختلافاً في التفسير ؟ هو هذا، اختلاف حتى في التعامل مع الآيات، يعتبر هذه منسوخة، وليست منسوخة. يقدم تفسيرها بشكل آخر. فهناك يحصل التباس، يحصل عملية لبس في أوساط الناس من خلال عمل هؤلاء الذين خالفوا بغياً، نتيجة البغي، وبدوافع البغي.

{فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}(البقرة: من الآية٢١٣). كأن هذه سنة: أن الله يهدي، يهدي إلى الحق، الذي إضاعة الذين خالفوا، وقدموا ضلالاً، وسموه حقاً، وبدا أمام الناس وإذا هذه القضية قد التبست!، أن الله يهدي {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} أن تؤمن الإيمان الواعي، الإيمان الواعي، أن تعرف أن لله سنة في هدايته، أنه رحيم لا يترك أحداً يضيع الحق تماماً، لهذا عندما نقول نحن فيما يتعلق بالماضي: عندما ترجع تجد أنه حاصل كان في مسيرة الزيدية، هذه، دع عنك باقي الأمة، كان يأتي أشخاص، كان يأتي أشخاص ينبهون، إنما لم يحكموا حتى نسميهم أئمة بعضهم، وبعضهم حكم، ثم جاء من بعدهم آخرون، فعمموا شيئاً، فجئنا نحن نتشبث به. هذه طريقة ثانية، لم يعد بالإمكان يأتي يخرجك مما أنت عليه، ومتشبث به، إفهم الطريقة، إذا فهمت الطريقة الصحيحة ستجد لها أعلاماً في مسيرة البشر، وإن كانت أدوار، قد تكون أدوار محدودة للبعض أو أدوار متفاوتة، لكن هذه لا تحصل بأن يضيع الحق تماماً، لكن الناس هم في الأخير يضيعون الحق هم، لا يرضون إلا أن يتشبثوا بتلك الطريقة، ويبقوا عليها .

نحن الآن نحاول نقول في موضوع معينة، هي تعتبر خطيرة جداً في صرف الناس عن القرآن، ألم تنزل أقوال واضحة في الموضوع هذا؟ وترى تشبث في نفس الوقت، أليس هناك تشبث عند طرف آخر يتشبث لا يرضى يترك هذه الطريقة، وهي طريقة ضلال، لا يأتي الباري ينزل يدك أنت، يخلص يدك بالقوة، ويدخلك في الحق بالقوة، لا تحصل هذه. لأن هذه الطريقة كان يعجز بعض الأنبياء، ألم يكن بعض الأنبياء يدعو؟ يدعو حتى يقتنع بعدم استجابتهم، وفي الأخير يأتي عذاب على أمته، يبين بياناً كاملاً واضحاً ولم يبق لديهم إلا عناد بحت، يضربون في الأخير، ليس معناه: أن الله يسمح أن القضية تُعتم تماماً على البشر.

{فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة: من الآية٢١٣). لاحظ كيف الإنسان بحاجة يقدم لك أنه يهدي هدى متكرراً، يهدي للناس ما يبين طريقهم، ويُنزل الكتب تهدي، ثم يأتي ناس يحملونها فيختلفون!، ألم يحصل هنا مشكلة؟ ألم يحصل ضلال؟ أيضاً، يهدي هناك، يهدي ليبين للناس الحق الذي اختلفوا فيه مَن أوتوا الكتاب، معناه: أن هدى الله لا ينقطع أبداً عن الناس، لأن هداه هدى رحيم، هدى رحيم بعباده، لا يقول: يكفي قد نزلنا كتاب، ورسول وفقط. متى ما اختلفوا في الكتاب، وحصل لبس، وحصل تضليل، هو أيضاً يهدي، لكن من يهدي؟ {الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} (البقرة: من الآية٢١٣) أليس هذا مظهر عظيم من مظاهر رحمته بعباده؟ فعلاً لا يقول: يكفي [في ستين داهية]. أيضاً يهدي ويوفق {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة: من الآية٢١٣).

وتجد نفس الطريقة في سنن الله في الهداية، ألسنا نلمس من البداية أن الله يأتي بطريقة مسهلة جداً، وحتى في المرحلة هذه الأخرى التي تعتبر مرحلة خطيرة، هي مرحلة لبس، وقد المنطق ديني، صار المنطق كله ديني، وكله حول الكتاب والسنة، أليس هذا يحصل؟ أيضاً يقدم بطريقة سهلة.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة:٢١٤) هذا مظهر آخر من مظاهر عمل الله في الميدان العملي، هدى الله فيما يتعلق في مقام لبس الحق بالباطل، يهدي أليس هذا شيء؟ وفي الميدان العملي يكون هناك أيضاً يهدي، ويفرج، ويأتي بالفرج في المراحل الصعبة، وأن يكون الفَرَج، قيمة الفَرَج العظيم هو في المراحل الصعبة. كثير مما تحصل من هذه يمس الناس بأساء، وضراء، وزلزلة، لأن من قد حكى عنهم من قبل النوعية الأخرى، {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} (البقرة: من الآية٢٠٥).

وهؤلاء الذين يختلفون في الكتاب بعد ما يؤتوه فيعملون ضلالاً، ثم ينشأ من الضلال أشياء أخرى تجعل الحياة مليئة بالأشواك فعلاً، يجعل أشياء كثيرة، مطبات كبيرة، ليس معنى هذا أنه يصبغها هي، لازم من يجاهدون في سبيله يصب عليهم بأساء، وضراء، وأشياء من هذه! لا. هو يعطي الإنسان دفعة قوية من البداية، أي: يشجعك أن تكون مستبسلاً في سبيله، وقدم نماذج هامة حكى عنهم بأنهم أحياء لا يصح أن تقولوا: أموات، شهداء، ثم أثنى على من سماهم في الآية الأخرى ألم يقل عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٠٧).

الروحية هذه تجعلك تتحمل، وتتجاوز كل الصعوبات هذه، وتجد أن المسيرة تنتهي مهما كانت تبدو صعبة، تنتهي إلى ماذا؟ إلى أن يأتي نصر من الله، والنصر من الله معناه ماذا؟ فرج. أليس معناه فرج، وتمكين، وقوة؟ {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة:٢١٤).

عندما يكون الناس في مرحلة أصبحت فيها حالات من هذه فالمسئولية هي أن تعمل على إعلاء كلمة الله، وتجاهد في سبيل الله، ولو كان هناك مطبات من هذه، أولاً أنَّه يأتي تأييد من جهة الله، تجعل الكثير من هذه المطبات لا يكون لها أثرها الكبير، ولو تترك على ما هي عليه، لأثرها الواقعي، لكانت مرهقة، لكن يأتي تأييد من الله، يأتي عون من الله، وإن كان ما يزال يبقى لها آثار، لكن لاحظ أنه في حالة أن تتعود على الصبر، وفي حالة أن تعرف قيمة الصبر، وتعرف قيمة العمل الذي أنت فيه، تكون معنوياتك مرتفعة، وتعتبر نفسك في نعمة توجد عندك حالة من التحمل لما يأتي، فليكن ما كان، أتركه ينتهي إلى قتل في سبيل الله. أليس سيعتبرها فضيلة، البأساء، والضراء، كلها أليست دون القتل؟ أليست دون القتل على الأقل؟

إذا أنت توطن نفسك وتفهم بأنه حتى أن تقتل في سبيل الله هو نعمة كبيرة، وشرف عظيم، وفضل كبير لك، ودرجة رفيعة.

إذاً فالبأساء، والضراء، فلتكن كيفما كانت سنتحملها. إذا كان الناس على هذا النحو، معناه: يكون عندهم قابلية، وتوطين لنفوسهم على أن يتحملوا بأساء، وضراء. والبأساء، والضراء، فيما قد يمس الإنسان باعتبار أمواله،

وباعتبار بدنه، أحياناً قد تصل المسألة إلى هذه الدرجة {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ}(البقرة: من الآية٢١٤) **زلزلة، أحداث، وغربلة، وبلبلة، وأشياء حتى وهم منطلقون على أساس هم مؤمنون برسول الله، لكن يتساءلون تساءل {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ}؟**(البقرة: من الآية٢١٤) **ظروف حرجة. {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}**(البقرة: من الآية٢١٤). **كأن معنى العبارة {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}** (البقرة: من الآية٢١٤) **أنه يأتي الفرج الإلهي، يأتي النصر الإلهي.**

لاحظ قيمة هذه أن تقدم الأمثلة على أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن أوليائه، عن المجاهدين في سبيله، في المرحلة الحرجة.. في المرحلة الحرجة، أليس المرحلة الحرجة، والظروف الحرجة هي التي تجعلك أحوج ما يكون إلى الفرج؟ إلى النصر؟ أعني هي المرحلة الحرجة فعلاً. إذاً ليس معناها: بأنه وباقي المسيرة من قبل قد لا يحصل شيء، يأتي.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد كيف قال عن معركة بدر، ذكر أنه أنزل المطر ليثبت أقدامهم، وذكر تأييد ملائكة، وذكر أشياء كثيرة، لأن هذه لها قيمة فيما يتعلق بالثقة، ثقة الإنسان بالله تكون ثقتك به بأنه لا يتخلى حتى في الظروف الحرجة، فارق كبير لو أن المسألة تقدم أمثلة في بدايات الأشياء، أو في القضايا السهلة قد تقول: لكن كيف لو وصلت المسألة إلى كذا؟. أو قد ترى مثلاً بأنه لم يمر بك ما يسمى فرج، أو ما يسمى تأييد، في مرحلة معينة، وقد أنت في تلك المرحلة الصعبة يكون عندك أنه قد تخلى منك، كأنه قد تخلى عنك، لا. تكون ثقتك بالله بأنه لا يتخلى عنك، وتقدم الأمثلة لترسيخ الثقة بهذه الأمثلة التي تعني: المرحلة الحرجة، لهذا قدمت فيما يتعلق بيوسف في موقفه الحرج جداً مع امرأة العزيز، وهنا في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع مع الآخر، ليخلق عندك ثقة بأن الله لا يتخلى في الظروف الصعبة، وهي القضية الهامة. أليست هي القضية الهامة؟ الظروف الصعبة، أما أشياء من قبل يمكن قد لا تشكل خطورة لا يكون لها وقع كبير على أنفسنا.

هناك مثال لهذا حتى نعرف قيمة هذه، قد تجد كثيراً من الناس الذين نسميهم على حسب الشيء المعروف عندنا مؤمنين، وعبّاد. أليس هو يأتي يذكر لك قصص كثيرة عن سفرته عندما يحج، أو يسافر، أن الباري هيأ، ووفق، وسهل، وأشياء من هذه؟.

عندما تقول له: نجاهد في سبيل الله، لم تعد هذه الفكرة!، قد عنده فكرة أنه لن يحصل فرج في هذه القضايا الكبيرة، وهو يحكي لك هو أنه تسهيلات حصلت له في سفره، أو في قضية معينة، في تزويج ابنه، أو في بناء بيته، أو في أشياء من هذه. [سهل الله ، ووفق الله ، وهيأ الباري ، والباري جيد ولا يتخلى عن أحد] وأشياء من هذه. لكن اعرض عليه موقفاً صعباً، يقول: لا. إذاً ألا يوجد فارق هنا؟ فأن تقدم الأمثلة التي ترسخ ثقتك بالله في القضايا الحرجة، تعطيك ثقة من هنا وكذا إلى أول، من النقطة الحرجة ويكون ما قبلها بالأولى، وما قبلها، لأنه أهم شيء عندك هي الحالة الحرجة، الحالة الخطيرة.

إلى هنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

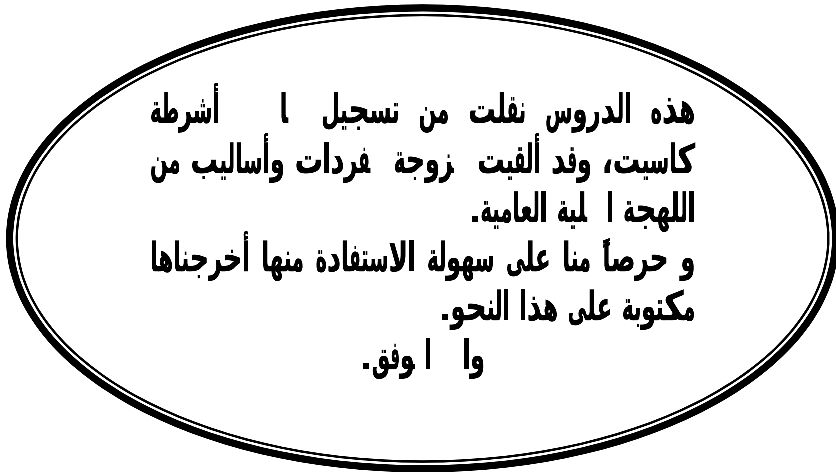
من الآية (٢١٥) إلى الآية (٢٥٢)
[الدرس العاشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٤/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة


هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

لبيان عظمة القرآن الكريم، وأهميته، أقسم الله في آية، هي ـ حقيقة ـ تدل بشكل لا يكاد أن يتصور الإنسان مقدار عظمة القرآن، من خلال تلك الآية نفسها عندما قال الله سبحانه وتعالى: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إنه لقرآن كريم} (الواقعة ٧٥ :٧٦). **أليس هذا قسماً عظيماً؟ أقسم به عظيم سبحانه وتعالى وهو الله، ومع القسم جاء بالتأكيد، القسم مؤكد، والعبارة مؤكدة، كلها تؤكد عظمة القرآن الكريم، وأنه كريم فعلاً، كريم في أصله، فيما يهدي إليه، يهدي إلى مكارم الأخلاق، يهدي إلى الأشياء التي تعتبر كريمة، الكريم يقابل المنحط، ويقابل سفاسف الأشياء، ويقابل الهامشيات، وكريم من جهة أخرى فيما يعطيه كما تقول: [فلان كريم]، ممكن أن تقول: كريم باعتبار أصله، ونفسيته..نفسيته، في نفسه كريم، وباعتبار جوده.**

فالقرآن الكريم هو كريم بما تعنيه الكلمة، وهو كريم بهذا المعنى أيضاً: أنه يعطي.. يعطي الأشياء الكثيرة جداً. ما نزال في سورة واحدة منه [سورة البقرة]، وما نزال لم نكمل هذه السورة، ونجد كم يعطينا هذا القرآن الكريم، وكم لا يزال فيه! هو: ((بحر لا يدرك قعره)) كما قال الإمام علي عليه السلام؛ إنما يريد نفوساً كريمة.

أيضاً النفوس الكريمة هي التي تتقبل الأشياء الكريمة، ومما كان وراء شقاء بني إسرائيل ـ كما قلنا في درس سابق ـ ربما وضعية معينة جعلت أنفسهم منكسرة، ومنحطة حتى أصبحت لا تُقدر الأشياء حق قدرها، فقدوا النفوس الكريمة، تلك النفوس التي تكرم الأشياء الكريمة، وتقدرها حق قدرها.

الإنسان يجب أن يعمل على أن تزكو نفسه، تكون نفساً كريمة، فإذا ما زكت النفس، وأصبحت نفساً كريمة، كان للأشياء العظيمة، الكريمة أهميتها عنده.

نجد في ترتيب آيات القرآن الكريم الشيء العجيب، والشيء المهم في نفس الوقت، تارة يتحدث عن الجهاد، وتارة يتحدث عن الإنفاق، وتارة يتحدث عن أشياء في مجال الهداية، توجيهات تربوية معينة، وأحياناً يتناول تشريعات معينه فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بأشياء نهى عنها، كشرب الخمر، وغير ذلك.

هذه تعطي نظرة هامة جداً وهو: أن التشريع مترابط، أن الأشياء لها علاقة ببعضها بعض، كل تشريعات الله سبحانه وتعالى، ما كانت تشريعات على هذا النحو تتعلق بمعاملات فيما بين الناس، أو تتعلق بقضايا النكاح، أو الطلاق، وكل المنهيات عنها وكل ما كانت توجيهات كلها مترابطة، وكل واحدة منها لها أثر فيما يتعلق بالمجموع.

لهذا كان القرآن على أرقى مستوى وكل آية في مكانها عندما تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وإلى الموضوع بشكل عام، الذي جاءت في سياقه ترى لها أهميتها بشكل كبير.

فهذا الأسلوب القرآني فيما يتعلق بالجانب الفقهي، الجانب الفقهي بالمصطلح المعروف [الفقه] الذي يعني: عبادات، ومعاملات، أسلوبه هو أفضل أسلوب من أسلوب الفصل بين الأشياء، لأنه فيما بعد أصبح الفقه في حد ذاته عبارة عن فن مستقل تقدم فيه مسائل فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات مسرودة سرداً قانونياً، صياغة أشبه شيء بالصياغة القانونية. لكن الأسلوب القرآني يُلحظ بأنه هناك شيء هام جداً هي نفسية الإنسان، نفسية الإنسان، ولهذا قلنا: أنه من معجزة القرآن الكريم، أنه استطاع أن يجعل العرب يتقبلون هذا التشريع، وهم أمة من البداية ليست أمة متحضرة، وليست أمة تألف أشياء تعتبر حدوداً وضوابطاً وتقنيناً من هذا النوع، ما كانوا آلفين لهذه، وهي عملية كبيرة في الواقع، تعني: نقلة من حالة اللاإلتزام بشيء تقريباً، مجتمع ليس آلف لأن يكون لديه ضوابط وحدود، وأشياء معينة أشياء ـ ما تسمى ـ قانونية، ثم ينقل نقلة إلى مرحلة إلتزام بحدود وضوابط، وتشريعات محددة، أن هذه تعتبر معجزة ـ حقيقة ـ للقرآن.

لكن أنظر إلى الأسلوب الذي قدم فيه القرآن تلك التشريعات، لم يقدمها بمعزل عن مشاعر الإنسان نفسه عن الأسلوب الذي يلامس نفسية الإنسان حتى يتقبل تلك التشريعات بمختلف أنواعها، تجدهم مثلاً فيما يتعلق

بالمواريث نقلة حصلت لديهم لم تكن مألوفة ، فيما يتعلق بطعامهم ، بشرابهم ، مثلاً الخمر، الخمر كان شيئاً يألفونه، والخمر هو مادة متى ما أدمن الإنسان عليها يعتبر الإنتقال إلى أن يتركها قضية فيها نوع من الصعوبة، ومع هذا استطاع القرآن الكريم أن يجعل العرب يصلون إلى هذه المرحلة، إلى مرحلة الإلتزام ! كيف؟ هل لمجرد تقديم الأشياء، ولمجرد فقط الوعيد على الأشياء؟ ما نزال نحن المتأخرين، هناك وعيد على الأشياء لكن لم نستطع أن نجعل الأشياء ذات أهمية في نفوسنا، ونلتزم بها.

تجد كثيراً من العرب في بلادهم ـ مثلاً ـ الخمر منتشر بشكل كبير، أشياء أخرى تعتبر تعدي لحدود الله، منتشرة بشكل كبير ! على الرغم من انتشار القرآن الكريم ! لكن لما عزل أسلوب القرآن، عزل القرآن أصلاً جانباً، وأصبح كتاباً يتلى لمجرد التلاوة تقريباً ، وقدمت الأشياء الأخرى هي البديل عنه، وهي التي تقدم للناس ، سواء بشكل تفسير ، أو بشكل أحاديث، أو بشكل كتب متخصصة للمسائل التي هي مسائل عبادات، ومعاملات، والأشياء المنهي عنها، والأشياء المحرمة، والأشياء المباحة. أعداد كبيرة من المجلدات لم تستطع أن تصنع ما صنع القرآن بالعرب في تلك المرحلة ! لأنه نقلهم نقلة كبيرة جداً.

هنا تجد هذا الدمج ما بين مختلف الأشياء داخل آيات القرآن الكريم تبين لك: أن هذا القرآن الكريم ـ إذا صحت العبارة ـ أخرج على أرقى مستوى، ليس الإخراج الصحيح هو: أن يكون هناك في الموضوع الفلاني باب مستقل، وفصل، ثم باب يختص بموضوع الصلاة، باب يختص بموضوع النكاح، باب يختص بموضوع الطلاق، وهكذا كما أصبح معروفاً، وكما قدم على أنه إخراج جيد، وهو الإخراج الجيد؟ من الناحية الفنية بالنسبة لشكل الكتاب ممكن، لكن بالنسبة للنفوس، بالنسبة للنفوس الإخراج الجيد، الإخراج الراقي هو هذا الإخراج القرآني الذي قدم الأشياء مدموجة مع بعضها بعض .

نجد هنا في البداية من أول الآيات التي سمعناها قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} (البقرة: من الآية٢١٥) موضوع الأسئلة، بعض الأسئلة قد تكون وجيهة، ولكن بعض الأسئلة قد تكون مستعجلة أيضاً، لأنه في مسيرة التشريع يجب أن يفهم المجتمع بأن من هو على يديه يتم التشريع هو يعرف. أي: أن الأشياء منظورة أمام الله سبحانه وتعالى، كل الأشياء منظورة أمام الله، وهو يعلم بكل شيء، والرسول الذي أنزل إليه الكتاب هو إنسان حكيم، ويفهم المجتمع يفهم تركيبة المجتمع ، ويفهم أن هناك يتامى وهناك أقارب وهناك كذا..و.. وأشياء كثيرة جداً يفهمها .

أحياناً قد تكون القضية التي يراعيها التشريع هو: أن قضية معينة مسكوت عنها فلا يبدو من جانبه ما هو إقرار، ولا يرى بأنه مناسب أن ينزل شيئاً في نفس الوقت يكون تغييراً، فأحياناً أسئلة توجد حرجاً أن يسكت وكأنه أقرّ تلك الحالة القائمة، أو أن ينزل شيئاً وقد يكون إنزاله في غير وقته فهنا عندما قال: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} (البقرة: من الآية٢١٥). هم قد سمعوا موضوع الإنفاق ، والحث على الإنفاق ماذا ننفق؟. يعني: هل من أموالنا هذه؟ أو يعني: من العفو من أموالنا، أو الفائض من أموالنا، وأي نوع من الأموال ننفق؟.

وجههم بطريقة جميلة هي في نفسها ترويض في عملية الإنفاق، وكل شيء يحتاج إلى ترويض بالنسبة للنفس، تحتاج أنت أن تروض نفسك وتحتاج أنت إلى أن تروض أولادك أيضاً. يبدأ الترويض فيما يتعلق بجانب معين هو: الأقارب، الوالدين، والأقربين، قضية ليست صعبة جداً بالنسبة لك أن تنفق للأقربين، كذلك أشياء كانت معروفة عند العرب باعتبارهم أمة لديهم نفوس جيدة فيما يتعلق بالكرم، فيما يتعلق بفعل المعروف كانوا معروفين بهذا، بالسخاء، وبالكرم، هناك مثلاً اليتامى والمساكين، وابن السبيل.

ثم يبين أهمية هذه، هذه الفئات من المجتمع مهما كان الناس في أحلك ظروفهم فيها يجب أن لا ينسوا، لأنه متى ما نسي هذه الفئات، أقاربك محتاجون، والداك محتاجان، أو هناك يتامى، ومساكين، وابن سبيل مسافرون يحتاجون ، يعطيهم الناس حتى وإن كانوا في مراحل جهاد تتطلب أكبر نسبة من أموالهم؛ لأن هنا في الموضوع أنك تعطي شيئاً هو من اهتمامات الدين في نفس الوقت، أو تعطي لفئة، الدين هو يهتم بها في نفس الوقت، ثم مشاعرهم لا يكون هناك في المجتمع فئة تتحول إلى معادية لنفس الخط لأنها ترى أن الأموال كلها تستنزف في هذا مهما كان عظيماً .

الحاجات الخاصة تترك أثرها في النفس، مهما كان عظيماً، قد يحصل لديهم عقدة [كل ما قلنا قالوا مشغولين نحن نريد في مجال كذا في مجال كذا.. على طول على طول.] أن تنفق في سبيل الله مجال هام جداً لكن في نفس الوقت لاحظ أن لا توجد في المجتمع فئة تصبح معادية لهذا التوجه باعتبار أنها تراه يستغرق كل شيء، متى ما تحول فقراء، أو مساكين، أو أيتام، أو كذا..إلى ناس لديهم هذه النظرة، أو أقارب لك لديهم هذه النظرة ستنطلق من أفواههم كلمات فيها نوع من التثبيط، فيها نوع من العتاب، فيها نوع من الغضب، فملحوظ في مجال بناء الأمة بشكل عام هذه الأشياء،لا تكن حريصاً أنك تبني خارج، وأنت تخلخل داخل.

فهذه القضية هامة في أنها تعود الإنسان على أن ينفق، تروض نفسه على أن يعطي، وفي نفس الوقت فئات لا تنسى. نقول لهذه الفئات، مثلاً في مرحلة معينة: يكفيكم أنه مقدار معين مثلما قال الإمام الهادي، أذكر أن الإمام الهادي قال في مرحلة معينة كانت حرجة جداً: أن يصبر الفقراء، يصبروا فترة وإنشاء الله عندما تنكشف القضية التي هو فيها محرج فيها في موضوع جهاد على أساس، مثلاً غزوة معينة، أو فترة محدودة، لكن هنا ما الذي عمل الإمام الهادي؟ حاول أن يخاطب الفقراء، فالفقير عندما تخاطبه المسكين عندما تخاطبه تقول: [نحن نهتم بكم جداً، ونحن فعلاً نتألم لحاجتكم، لكن ظرف معين تفهمون بأننا نحاول نحن أن نصبر، وأن نخفف من نفقاتنا الخاصة، أنتم كذلك وإنشاء الله عندما تتحسن الوضعية، أو يخرج الناس من إشكالية معينة نحاول نعطي أكثر، أو نعطي الشيء المعتاد].

كلمة طيبة، يفهمون بأنهم محط اهتمام لدى الناس، ويفهم بأنها قضية ليست قضية ثابتة على طول. أي: أن هناك شيء قدم ليصرف المجتمع، ليصرف المتعاونين، المحسنين عن أن يقدموا لهم فيعتبر أنها ستكون طريقة على طول، وأنه قد صار هناك توجيهاً يقوم على أنه يصرف الناس في مجال إنفاقهم، وعطائهم إلى شيء معين، يصرفهم عنهم، وبطريقة يفهمونها وكأنها حالة ثابتة، وحالة دائمة!.

عندما يقول الناس ، وهذه القضية هامة ، إذا واحد ـ مثلاً ـ متعود على أن هناك فقراء معينين يعطيهم، يذكرهم هو: [أننا في مرحلة لا تكن أنت منتظر بأنه يعني: تريد يتوفر لك [لحمة] كل يوم، وتريد مصاريف كثيرة، وتريد..وتريد.. خفف قليلاً، وإنشاء الله عندما يفتح الباري علينا أكثر، أو عندما تتحسن وضعية الناس نعطي، نحن نحاول نقلل نحن في نفقاتنا ـ يقول له هكذا ـ ونحن لا ننساكم ونحن].. هذه قضية هامة، وقضية ملموسة فعلاً في المجتمع، ملموسة.

أيضاً أن يفهم الفقير نفسه، والمسكين نفسه، وابن السبيل نفسه بأنهم ناس هم عليهم مسئولية أيضاً عندما تكون أنت فقيراً ليس لديك أموال، يأتيك مساعدات من الناس حاول وأنت أيضاً أن تقدم بمقدار ما تستطيع أن تقدمه، أن تعوّد نفسك أنت على العطاء في سبيل الله، وتعرف بأنك لا تخرج من المخاطبين في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، أو في قوله: {وَأَنْفِقُوا} وفي كل ما فيه أمر إلهي يوجه للناس جميعاً، ويلحظ أيضاً وضعية كل إنسان بمفرده.

هنا لم يأت الجواب عن ماذا ينفقون، أجاب عن محط الإنفاق، وبطريقة جميلة جداً يعني: طريقة فيها ما يكشف نوعاً من الإهتمام بالفئة هذه، وهذا الشيء مهم؛لأنه في خلال آيات الجهاد ذكر الإنفاق في سبيل الله، ألم يذكر في نفس السورة هذه الإنفاق في سبيل الله؟{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(البقرة: من الآية١٩٥) **ويأتي بعد آيات يذكر فيها الثواب الكبير جداً للإنفاق في سبيل الله فهنا قد يترسخ في ذهنية الإنسان توجه معين ينسيه فئة في المجتمع، هي فئة من؟ الأقارب، وفئة اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.**

هل ذكر هنا سبيل الله؟ ما ذكرها هنا، هذا عملية تكامل ، أو موضوع قدم فيه توجيه متكامل أن تنفق في سبيل الله، وتهتم بالإنفاق في سبيل الله، ولا يكون على حساب بنسبة كبيرة، نفسيات وحالة الفئة هذه من الأقارب وغيرهم الذين حكاهم في الآية، اليتامى والمساكين، وابن السبيل. هذه الآية بالنسبة للفقراء، بالنسبة للفئة هذه ، أليست هي في حد ذاتها ترى أن الله يهتم بهم ؟ ـ إذا صحت العبارة ـ ما نملك إلا هذه، يهتم بهم، أو نقول: القرآن الكريم يعطي حالتهم اهتماماً، ويجعلهم محط اهتمام لدى الناس عندما يقول: {قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢١٥) **لايضيع أجر الإنسان، ويضاعف أجره .**

هناك في آية أخرى بعد: {وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ} ماذا ينفقون؟ {قُلِ الْعَفْوَ} (البقرة: من الآية٢١٩). **أي لستم هنا موجهين بأن تنفق كل ما لديك، كما قال الله هناك في آية أخرى لرسول الله** (صلوات الله وعلى آله) **{وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء:٢٩). **يعني: لا تبسط وفي الأخير تحس بحرج بالنسبة لك، بالنسبة لأسرتك، بالنسبة لأشياء يكون فيها إلتزامات مالية عليك، بالنسبة لضيوف معينين، بالنسبة لابن السبيل، بالنسبة لأشياء كثيرة تكون{فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء: من الآية٢٩) **يعني: كأن المطلوب أساساً، المطلوب أساساً هو: الإنفاق، أن الإنسان ينفق. والعفو يعني: الشيء الذي لا يؤدي إخراجه إلى إجحاف إجحاف بك أنت، والموضوع مفتوح، موضوع الخير، لكن هنا في الشيء المطلوب ولو أن الناس، لاحظوا لو أن الناس يعطون من هذا، من العفو أنه سيأتي شيء كثير جداً في سبيل الله من العفو نفسه. والعفو معناه: ما يقابل ـ تقريباً ـ الضروري، شيء زائد على الضروري، شيء إنفاقك منه لا يوجد إجحافاً بالإنسان على الحالة تلك التي حكاها في الآية الأخرى: {فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً}** (الاسراء: من الآية٢٩) .

بعد هذه الآية التي ذكر فيها الإنفاق، وذكر فئة معينة في المجتمع، ولم يذكر سبيل الله هنا، ألم يأت بعدها بآية: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) **.؟**

لاحظ أن موضوع القتال، موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة جداً، وتريد نظرة متكاملة لكل محيط هذا العنوان العظيم: الجهاد في سبيل الله، القتال في سبيل الله بما فيها مراعاة نفسية هذه الفئة .

عندما تكون أنت إنساناً مؤمناً ، ومجاهداً ، وتنفق ، وعندك والداك، وعندك أسرتك، فتكون أنت تصل في وضعيتهم إلى حالة منهكة جداً ، أليس الذي سيحصل في نفوسهم هو تضايق من العملية هذه، من التوجه الذي أنت فيه؟ إذا أنت تحاول تراعي مشاعرهم أو تحاول توفر لهم ـ بحسب الوضعية، وبحسب الشيء الضروري ـ توفر لهم ، وتذكرهم بأننا الآن في مرحلة لا بد أن تكون نفقاتنا محدودة، لا بد أن تتقشف نوعاً ما من أجل نوفر أن ننفق في سبيل الله و...سيحصل من الوالدين، سيحصل من الأقربين عبارات تشجيع.

لكن قد تتحرك هنا ويكون أبوك ، وأمك، وأقاربك الذين هم عالة عليك يقولون: [ذلك الإنسان لم يعد يهتم بنا ، ومتخبط هناك ، ويعد فلان ويقول له كذا، وأعطاه حقنا ، ولم يعد يوصل لنا منه شيء ولا..ولا.] كلام كثير، والمطلوب بالنسبة للمجتمع في حالة مواجهة مع العدو أن تسوده حالة الرضا ، لأنه عادة العدو يعمل استبيان، واستقراء لوضعية المجتمع، فإذا لمس أنه هنا في الأسرة هذه ، وفي الأسرة تلك، وفي الأسرة الثانية ، في القرية هذه، والقرية تلك وهكذا..كلام من هذا النوع هنا سيظهر ماذا؟ عدم رضا عند نسبة كبيرة من المجتمع بالموضوع الذي يتحرك فيه المجاهدون من أبنائهم، تعتبر حالة فيها ما يسُر العدو نفسه.

لكن إذا عمل جولة ـ خاصة أمام أعداء كهؤلاء، بنو إسرائيل هم يهتمون جداً بموضوع الإحصائيات والإستبيان ، ومحاولة الاستقراء لوضعية المجتمع، ونفسية الناس ـ فإذا لم يسمع في المجتمع، عبارات من هذه التي قد يكون من أسبابها ماذا؟ إهمال، من أجل أنك تنفق في سبيل الله ، ويكون يسمع، كلما يسمع كلام تشجيع ما هناك أي خلخلة، هنا يرى المجتمع هذا كله مجاهداً.

لأنه يعتبر في موضوع الجهاد في سبيل الله ، القتال بشكل عام ـ وهي قضية معروفة عند الأمم ـ أن الشعب نفسه، أن المجتمع نفسه هو يشكل سنداً كبيراً جداً، إذا كان هو راضي بالوضعية، راضي بالمواجهة، ويشجع على المواجهة معنى هذا: أن أمام العدو بحر لا ينفد من ماذا؟ ممن يرفدون المجاهدين، ممن يعملون على رفع معنوياتهم، ممن يساعدونهم.

يعتبر فعلاً من أهم الأشياء، قضية معروفة ـ تقريباً ـ عند الأمم كلها، قضية الشعب، ومساندة المجتمع نفسه .

إذاً فهذه القضية هامة، قضية هامة. والله سبحانه وتعالى يجعل توجيهه، وتربيته حتى في موضوع الأشياء الهامة جداً أن لا تكون على حساب أيضاً بنسبة ١٠٠٪ أشياء مهمة. أحياناً قد تكون هذه الأشياء التي تعتبر

مهمة، أو حتى أشياء شبه عادية التقصير فيها في الأخير يوجد خللاً في القضية الهامة .
هذا الذي ذكرناه أليست قضية معروفة فعلاً؟ لو يعمل اليهود استبيان للمجتمع وسمعوا في كل قرية هنا الناس يقولون: [أولادنا كذا ولم يعودوا يهتمون بنا ولم يعودوا يشتغلون معنا ولم يعودوا كذا وقد خذلوه آل فلان].
أليست هذه تطمع العدو؟ تطمع العدو أنه يواصل ضرباته للمجتمع هذا لماذا؟ لأنه يعرف أنه مجتمع قريب من الخلخلة، وقريب من الهزيمة النفسية، والهزيمة العسكرية أيضاً .
{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) لكم باعتبار رؤيتكم، ونفسياتكم، وفهمكم للأشياء، وإلا فالواقع، لو أن الإنسان يتأمل يتذكر بشكل جيد لرأى بأنه ليس القتال بالشكل الذي تكرهه. عندما تنظر إلى قضية واحدة هو أنه: أن كل إنسان سيموت، أليست هذه قضية معروفة؟ كل إنسان سيموت، وكل إنسان يلاقي في هذه الحياة أشياء تتعبه، ويعاني منها. أليست هذه قضية معروفة؟ إذاً فالقتال ما هو؟ غاية ما هناك أن تقتل، ألست ستموت وإن لم تقتل؟ أليس الأفضل لك أن تستثمر موتك فتقتل في سبيل الله؟ أفضل من أن تموت فلا يحسب لك موتك شيء؟.
إذا أنت مثلاً تخاف من الموت كموت، فالله جعل من يقتل في سبيله حياً أي: أن الشهداء هم لا يموتون فعلاً، تراها في الأخير قضية لو يتأملها الإنسان حتى وإن كان ضعيف نفس، وإن كان يتخوف من الموت، إذا أنت تخاف من الموت حاول أن تقتل في سبيل الله شهيداً؛ لأنه بالعملية هذه أنت قهرت الموت فعلاً، ولم يكن الموت بالنسبة لك إلا نقلة قد تكون ربما [ثواني] قد تكون [دقائق] وتنتقل إلى حياة أبدية في نعيم ، وفرح ، واستبشار، ورزق كما ذكر الله في آية أخرى ولهذا لم يقل{وهو كره} لم يقل: {وَهُوَ كُرْهٌ} هذه قضية هامة أن كل ما أمرنا الله به ، كل تشريعات الله ما فيها كره هي، هي. قد يكون المحيط الذي نحن فيه هو الذي يجعل القضية ونحن نتحرك فيها، فيها نوع من الكره، لكن هناك في دين الله ، في هدي الله ما يعطيك دفعة كبيرة إلى أن تتجاوز كلما تراها كرهاً ، كلما تراها صعوبات وأنت تقوم بالعمل الذي أمرك الله أن تتحرك فيه فقط أنتم {كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) لأن الإنسان لا يعلم الغيب والإنسان وكثير من الناس تكون نظرته محدودة، نظرته قاصرة ومحدودة {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) ربما قد تكرهون شيئاً هو في الواقع هو خير لكم، وأنتم تحبون الخير، وهو معلوم أن الإنسان نفسه في حياته يعمل أشياء فيها كره له عندما يكون فاهماً أن وراءها خيراً .
أعمال الناس، أليس هناك أعمال شاقة؟ في تجارتهم، في زراعتهم، في أشياء كثيرة من أعمالهم، يذهب يتغرب ويعمل من الفجر إلى المغرب [بنّاء أو مليّس أو خلطة، أو أشياء من هذه، أو يحفر في الأرض] هو عارف أن هذا كره، وهذا عمل ثقيل لكن متمسك به يجمع له فلوساً ويعود إلى البلاد ويجلس فترة ويأخذ بعض أشياء هو يرى بأنه بحاجة إليها ، أو كانت نفسه تطمح إليها ، أليس هذا يجعله وهو يعرف أن وراء التعب هذا خير أليست معنوياته ستكون مرتفعة؟ ويذهب يبحث هو لمن يتعب معه، أليس هناك حراج للعمال؟ حراج للعمال ماذا معناه في الأخير؟ مجموعة ناس يبحثون عمن يتعبون معهم، أليست هكذا؟ لأنه يعرف أن وراء التعب خيراً له .
إذاً هذه قضية تقيس عليها ومن منطلق ثقتك بالله سبحانه وتعالى عندما يقول لك: لو كان في هذا كره لك لكن فيه خير لك، فثق به فعلاً، عليك أن تقيس المسألة على الأشياء التي هي معروفة في حياتك أنت تُكره نفسك على أعمال معينة لأن وراءها خيراً لك.
{وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦) قد تحب أن لا تتحرك، أن لا تعمل، أن لا تنطلق تقاتل في سبيل الله ويكون في الأخير موقفك هذا شر لك. ويمكن من خلال ما نشاهده في التلفزيون أن نأخذ عبرة، تجد الأمريكيين في العراق يقتحمون كثيراً من البيوت، تجدهم ينتهكون الأعراض، وينهبون الأموال، ويدمرون، ويهينون كرامة الناس، يربطون كثيراً منهم أمام عوائلهم! أليس هذا شراً ؟ أليس من الأسهل للإنسان أن يقتل؟ ولا أن يصل به الأمر إلى الحالة هذه، أن يقتحموا بيته لماذا؟ لأنه في الماضي كان يغلق بيته على نفسه، ويجلس [وما له حاجة] يقول: [ماله حاجة] أليس هنا، أحب الحالة هذه؟ وإذا بها في الأخير شر له، يأتي العدو يركل

بقدمه باب بيته، فيقلعه، نحن نشاهدهم بالطريقة هذه، ولهذا قلنا: هذه فيها عبرة حتى بالنسبة للأبواب، هذا كان إنساناً يغلق بيته على نفسه [وماله حاجة] يأتي من يركل باب بيته، ويدخل في الليل يدخل إلى وسط العائلة، ويربطونهم أمام عوائلهم، أليس هذا شراً؟.

إذاً، فمعنى هذا: أن الآية هذه أن كل ما يأمرنا الله به، كلما يدعونا إلى أن نعمله هو خير لنا بما فيه القتال الذي عند الناس أنها قضية صعبة، وأنها قضية شر، يسمونها مشاكل، ولا نريد مشاكل!.

أليس الناس يقولون هكذا؟ إنه يجب أن تعرف من أين مفتاح المشاكل التي تسمى مشاكل، والتي هي شر؟ يكون أحياناً مفتاحها ـ وهذه قضية أكيدة ـ عندما تقعد، عندما تتخلف، عندما لا تتحمل مسئوليتك أمام الله تنطلق مجاهداً في سبيله، وتقاتل في سبيله أنت فتحت على نفسك باب شر كبير، وشر، إهانة، خزي، ذلة يصل إلى القتل، يصل إلى قتل الأسرة، يصل إلى تدمير البيت، يصل إلى جرف المزرعة نفسها، وفي الأخير لا تجد وراءها شيئاً، لن يكون وراءها {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: من الآية١٦٩). **لا يوجد شيء، أو أن وراءها جنة؟ شر بحت ، ووراءها ـ والله أعلم ـ الشر الدائم ، وهو جهنم .**

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} (البقرة: من الآية٢١٦) **لأنه خير لكم، ولأن العملية في الأخير لا تعتبر شيئا أكثر من أنه قدم لك أن تستثمر موتك، وأن تكتب حياً من بعد أن تفارق الحياة هذه، وهي حياة واحدة، هي حياة واحدة هذه مقدمتها، مقدمة الحياة الطويلة جداً التي لا انتهاء لها، الحياة الآخرة، إما أن تجعلها مقدمة جميلة تنتقل إلى حياة في نعيم وشرف، خلود لا ينقطع، أو إلى سوء المصير ـ ونعوذ بالله ـ إلى جهنم .**

فتجد هذه القضية في القرآن الكريم ـ تقريباً ـ بأنه يبين للناس كلما يأمرهم به، كله هو خير، خير.. خير كله لهم من كل الجهتين. كلمة خير هي كلمة عامة، كلمة عامة تشمل كل ما هو خير. {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦) **ولهذا قال هناك: {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ}** (البقرة: من الآية٢١٦) **لأنه أحياناً يكون عند الإنسان ما دام ما هو شر عليه هو هو، شر على آخرين، أو شر بالنسبة للدين، الباري هو المسئول عن دينه [نصر دينه وإلا فلا !] لا. القتال في سبيل الله هو خير لك ، وقعودك عنه هو شر لك أنت، شر لك أنت، هذه هي نظرة قائمة عند الناس يكون عند واحد أنه [قالوا نقاتل في سبيل الله من أجل دين الله] أليس هو يراه شيئاً هناك، منه وكذاك ، شيئاً آخر !. لا، هي قضية تلامسك أنت بخيرها أو شرها، خير لكم، أو شر لكم إذا لم تقاتلوا في سبيل الله .**

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦) **فإذا كان عندك ثقة بالله أنه أعلم منك، وأنت تثق بأنه عالم الغيب والشهادة وأنت تثق بأنه لا يريد لك إلا الخير في الدنيا والآخرة، فيجب أن يكون مسيطراً على مشاعرك: أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون لأنه أحياناً يظهر كثير من الناس ينسى أن الله هو أعلم منه، يكون قد قاس المسألة وطلعت عنده شراً فجلس، لا يريد شراً ! الله يقول: لا. ربما ما تراه أمامك كره لك، وتظن أن وراءه شر لك. لا، قد يكون عاقبته خير لك، والعكس بالعكس .**

إذاً، يجب أن ينطلق الإنسان من قاعدة: أن الله في كل ما يأمرنا به، في ما يوجهنا إليه من ورائه خير لنا، خير لنا، وأنه يعلم ونحن لا نعلم{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢١٦).

في الوقت الذي يحث المسلمين على أن يكونوا مقاتلين في سبيل الله، وبشكل كبير في القرآن الكريم يضع حدوداً، يضع آداباً معينة، يضع مبادئ في موضوع القتال. ليس معناه أن يتحولوا إلى وحوش، فلا يراعون أي مبدأ، ولا أي أخلاق، ولا حرمة أي شيء من الحرمات. هنا يقول: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} (البقرة: من الآية٢١٧) **القتال فيه يعتبر انتهاك لحرمته وهي كبيرة عند الله{وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٢١٧) **الذي تعملونه أنتم، صدكم عن سبيل الله، وانتهاككم أنتم لحرمة المسجد الحرام، وصد عن المسجد الحرام ـ لأن الأشهر الحرم لها علاقة بموضوع زيارة المسجد الحرام بشكل حج أو عمرة ـ وإخراج أهله منه، الذين هم أولى به منكم أكبر عند الله .**

لكن الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي يجعل حرمة هذه الأشهر الحرم كبيرة، ويجعل حرمة المسجد الحرام حرمة عظيمة، فيما إذا انطلق الطرف الآخر ليقاتل المؤمنين معتدياً هو فيجوز لهم أن يقاتلوه {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ

عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} (البقرة: من الآية١٩١). **هناك قال: {وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** (البقرة: من الآية١٩٤).

إذاً هناك حرمات معينة، هناك ضوابط معينة، هناك مبادئ معينة في موضوع القتال، ولكنها ليست بالشكل الذي تمثل قيوداً تعتبر فرصة للطرف الآخر أن يضرب المؤمنين، يجب أن يراعي المؤمنون حرمتها، لكن متى اعتدى العدو فليعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليهم{وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} (البقرة: من الآية٢١٧) **فتنتهم للمسلمين، عندما كانوا يعذبونهم ليصرفوهم عن دينهم، ولو لم يكونوا يصلون ببعضهم إلى القتل، لكنها تعتبر أشد من القتل حتى وإن لم تصل إلى القتل .**

ثم قال سبحانه وتعالى فيما يتعلق بنوايا الكافرين وغير الكافرين من أهل الكتاب: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧) **لاحظ هذا الشيء العجيب أعني فيما بين الجهتين، جهة المؤمنين، وجهة الكافرين، أن الكافرين لا يقاتلون المؤمنين على أساس أن هؤلاء ناس معتدين، ومتوحشين وجبابرة، وأشياء من هذه، يخافون منهم على نفوسهم وأموالهم، وأعراضهم، لا . يقاتلونهم ليردوهم عن دينهم ! أعني: هذه هي في الواقع شهادة وهي قضية من القضايا العجيبة! أن الطرف الآخر هو لا يخاف من المؤمنين، لكن المؤمنين الذين يلتزمون فعلاً، يلتزمون بالتوجيهات الإلهية فيما يتعلق بموضوع الصراع مع الآخر، القتال مع الآخر. لا يكونون خائفين من المؤمنين أنهم سيعتدون عليهم، ولا خائفين على أعراضهم، ولا خائفين على أموالهم، ولا خائفين على شيء. وإنما ينطلقون فقط: {يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}** (البقرة: من الآية٢١٧) **{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة: من الآية٢١٧).

لا يكون الإنسان عنده [لا نريد هذا الدين، ما دام أني قد أكون ضحية هذا الدين]، ليست قضية سهله دينك معناه: حياتك، معناه: سعادتك، معناه: الدرجات الرفيعة لك، معناه: الجنة بكل ما تعنيه الكلمة .

{وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٧) **يجعلونكم تكفرون بدينكم، {إِنِ اسْتَطَاعُوا}** (البقرة: من الآية٢١٧) **{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ}** (البقرة: من الآية٢١٧) **لأن هذه حالة، وقد تكون حالة تحصل عند الكثير من الناس [أنه ما دام أنه قد يؤدي ونحن نقاتل من أجل هذا الدين، إلى أنه سوف أصبح ضحية هذا الدين فسنرتد معهم نسلم أذيتهم] لا. لأن هذه هي الخسارة الكبيرة. لهذا جاء بالتهديد بعده لتعرف أن الشيء الذي يجعلك تخاف منهم فترتد من أجل هذا الشيء الذي تخاف من قبلهم ، أن هناك النار، وهي أشد، هي أشد بكثير مما يمكن أن تخافه من عند أي جهة من الناس، أي عدو كان.**

{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: من الآية٢١٧) **الآية هذه توحي بأنه حتى أنت ستفقد قيمة إرتدادك، لن يكون ذو قيمة. أي لن يكون فيه ما يشكل وقاية لك لأن الأعمال يكون لها أثر في الدنيا، وفي الآخرة، قد تعمل عملاً معيناً وأنت تريد من وراءه شيئاً معيناً لا يتحقق هذا الشيء، عندما يكون ثمنه هو دينك ، أبداً، سيحبط، سيحبط هدفك أنت من وراء ارتدادك عن دينك، وتأقلمك مع العدو من أجل أنك ستسلم منه، لن تسلم منه، سيتسلط عليك !.**

وهذه قضية ملموسة لمن يتأمل الآن في واقع العرب يجدها واضحة، ألم تحبط كل أعمالهم مع أمريكا؟ من أجل استرضاء أمريكا أن لا يحصل شيء من جانبها عليهم؟ وإذا بها هي تتجه لضربهم عندما يقول: [حبطت] يعني: أن يكون العمل محبطاً أي: ليس ذو جدوى لا يمثل شيئاً، ولا يحقق الغرض، لا يتحقق الغرض من وراء القيام به، ولذا الإحباط في الدنيا موجود بالنسبة للأعمال{فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} (البقرة: من الآية٢١٧) **الأعمال إذا كان معه أعمال صالحة من قبل، وفي نفس الوقت هذا العمل بالذات لم يجعل الله لإرتداده قيمة، ولن يتحقق له ما أراده من وراء إرتداده.**

هذه قضية ملموسة، أليس بعض الدول قتلت عدداً كبيراً من الحجاج استرضاءً لأمريكا من أجل الشعار ؟ لأنه مزعج لأمريكا، والآن أصبحت أمريكا تشكل شيئاً مقلقاً جداً بالنسبة لهم، يخافون منها، ومتجهة لإزالتهم، متجهة

لإزالتهم حقيقة .

{وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: من الآية٢١٧). **إذاً، هذه هي الخسارة الحقيقة، وهذا يعطي الإنسان ثقة بدينه، وحرصاً على دينه، أن لا يتراجع ولو كان ضحيته هو، عندما تكون أنت ضحية من أجل دينك، أنت هنا تكون شهيداً عند الله، وتفوز بالجنة، وعندما تبيع دينك ستكون النتيجة كما ذكرنا سابقاً، والنتيجة هذه السيئة {وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة: من الآية٢١٧). **أي عدو يمتلك مثلما يساوي يوما واحدا في جهنم؟ هل أحد من الأعداء يمتلك هذا؟ لا.**

عندما يخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم هذه هي لديهم دائماً {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧) **في المقابل يجب أن تكونوا معدين أنفسكم دائماً ، تكونوا معدين أنفسكم دائماً، لهذا نقول: أنه فيما يتعلق بالتوعية الجهادية، فيما يتعلق بتوجيه الإنسان على أساس القرآن، أن يكون لديه روح جهادية، ليست قضية جديدة، أو قضية غريبة أو قضية فقط ترتبط بوقت من الأوقات، إنها تربية قرآنية دائمة يجب أن يكون المسلمون عليها دائماً، دائماً في أي وضعية كانوا، وفي ظل أي دولة كانوا، في ظل دولة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يجب أن تكون عندك روح جهادية عالية، في ظل دولة الإمام علي، في ظل أي وضعية كانت، أنها روح دائماً يجب أن تكون موجودة لدى كل فرد في الأمة، لأن الأمة هذه لها أعداء، والأعداء الله أخبر عنهم هكذا {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}** (البقرة: من الآية٢١٧).

أعني: هو يلامس القضية الخطيرة لديك، هو من أجل أن ترتدّ عن دينك، لم يبق أمامك إلا أن تكون مستعداً دائماً ..دائماً، ولديك روح جهادية عالية دائماً ، وإلا قد تؤدي النتيجة في الأخير إلا أنه يتغلب عليك العدو، وقد يذلك ويقهرك ويردك عن دينك فعلاً، أو يرد آخرين عن دينهم بسبب تخاذلك أنت.

أي: أننا عندما نتحدث مع الناس في الوقت هذا لا يعتبر أنه موضوع جديد، إن كان الدين مثلما كنا من قبل وكذاك، أو مثلما كنا عليه في سنين معينة ألفناها لا يوجد أي كلام حول موضوع جهاد إلا نادراً؟! إن تلك الحالة هي الحالة الشاذة ، لكن الحالة الصحيحة هي هذه: التوجيه للمسلمين دائماً أن يكونوا مستعدين ، وعندهم روح جهادية، وعندهم إيمان قوي بالله، وعندهم معرفة للعدو أنه دائماً يحمل هذه الروح العدائية التي تلامس أخطر قضية لديه، وهي قضية الدين .

لو أن العدو مثلاً معه مطلب معين قد ربما يقولون: معه مطلب معين لا بأس أعطوه! لكن لا تحصل، العدو نفسه هو يتجه إلى القضية الرئيسية عندك هو سيجعلك بين خيارين: إما أن تكون من أصحاب النار، أو تكون كما قال بعد: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة:٢١٨).

بعد موضوع الجهاد يأتي بآية حول الخمر والميسر: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة:٢١٩).

لاحظ أن هدى الله سبحانه وتعالى يقدم للإنسان بالشكل الذي يجعل نفسه زاكية، إنساناً قادراً، أعني: ذهنيته متوقدة ، قادرٌ على أن يعقل، وأن يتفكر، وأن يكون إنساناً متزناً .

الخمر يضرب هذه الحالة، يضرب هذا الأثر الذي يراد أن يكون في نفسية الإنسان من خلال هدى الله. الخمر يؤثر على نفسية الإنسان، على عقليته، على ذهنيته، يؤثر على اتزانه، على حلمه، على الحكمة لديه، لأن السير على هدى الله يعطي الإنسان حكمة .

الخمر ينسف الحكمة تماماً ، ينسف الإتزان، يصبح إنساناً لا شيء في الأخير لا يصبح لك قيمة، لا يعود لك قيمة.

إذاً فتحريمه قضية مهمة، قضية أساسية، يبقى الإنسان مستقيماً على هدى الله فيصل إلى المستوى الذي يتأثر، أو الذي يظهر من خلال تصرفاته، وتفكيره، وآرائه، ومفاهيمه حكمة هذا الهدى الذي جاء من عند الله، آيات

الله من قيمتها {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة: من الآية٢١٩) هل الخمر سيتركك تتفكر؟ الخمر لا يتركك تتفكر في شيء، تكون إنساناً تتخبط بكلامك، وتصرفاتك، وتفكيرك يكون تفكير سفاهة.

{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} (البقرة: من الآية٢٢٠) هذه دائرة التفكر، والتذكر، في موضوع الدنيا والآخرة .

ثم ذكر موضوع اليتامى، هنا تجد كيف أن تشريع الله، أن هدى الله يقدم اهتماماً بمختلف القضايا، وبشكل واسع، يتحدث عن الخمر، يتحدث عن اليتامى، يتحدث عن نكاح المشركات، وإنكاح المشركين فينهى عنها، ويبين الحكمة، أو الأثر الطيب من وراء تحريم نكاح المشركة، أو إنكاح المشرك، {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (البقرة: من الآية٢٢١).

لاحظ هنا يبين الأشياء التي لها أثر في أن تبقى، ويبقى المجتمع ميداناً صالحاً لتقبل هدى الله، لأن هدى الله هو يدعو الناس إلى الجنة، وهدى الله يبني نفسيات الناس وذهنيتهم، فيكونون قادرين على التفكر، ويكونون حكماء، فالخمر يضرب موضوع التفكر .

والمشركون ، أن تزوج مشركاً سيدعو قريبتك وأولادها إلى النار، أو تتزوج بمشركة ستشتغل داخل المجتمع داعية إلى النار. أليس هذا متضاداً مع ما يدعو إليه هدى الله، لذلك تجد الأشياء التي تشكل صيانة للمجتمع بأن لا يكون بعيداً عما يراد له من خلال ما يقدم له من هدى الله ، فحرم الأشياء التي تشكل خللاً ، لأنه كيف يمكن أن يكون هدى الله يدعو الناس إلى الجنة، ويبيح في نفس الوقت نكاح المشركات، وتكون تدخل في كل أسرة داعية إلى النار ! أليس هذا خللاً يعتبر؟ يعتبر تناقضاً! لا. فكان من الحكمة هو: أن يحرم هذا، أن لا يكون في كل بيت داعية إلى النار، لأن الله يدعو عباده إلى الجنة فيبعدهم عن الدعاة إلى النار .

يذكر قضايا أخرى فيما يتعلق بالتعامل مع النساء، يذكر قضية أخرى فيها تأديب للناس عندما يغضب الإنسان مثلاً، لا يكون كلما يغضب [وقد الباري في طرف فمه على ما قالوا] ، {وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية٢٢٤). عندما يقول: قد حلفت، ممكن تغضب لكن لا يدفعك وبسرعة إلى أن تحلف أن لا تدّخل في الموضوع الفلاني، تحلف بالله ما تحاول أن تصلح بين فلان وزوجته، أو بين فلان وفلان.

فيما يتعلق بموضوع [الإيلاء]من النساء، الذي يقسم على نفسه بأن لا يقرب زوجته، أن لا يقربها، له أربعة أشهر بعدها إما أن يفي فيرجع إليها، أو يطلق .

كذلك موضوع المطلقات، والطلاق هنا قدم بضوابط هامة يجب على الناس أن يراعوها فعلاً بالنسبة للطلاق، لا يجعل الإنسان الطلاق أيضاً قضية عندما يغضب، وعندما ينفعل يطلق فيكون هو سريع في هذا. لا. الطلاق له ضوابط، والطلاق يتم بطريقة أيضاً فيها مراعاة لمشاعر المرأة نفسها، ولهذا أوجب المتاع ، أو المتعة .

المرأة التي تطلقها يجب عليك أن تعطيها تمتعها بشيء، تعطيها مثلاً بذلة، أو تعطيها شيء من أثاث البيت الذي كان موجوداً لا تتم عملية الطلاق وكأنها طرد، تطرد إمرأة وقد جلست معها سنين، وتمثل سكناً لك ولباساً لك، كما قال الله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: من الآية١٨٧). ثم في يوم من الأيام تطردها .

الطلاق لا يمثل بالنسبة للمرأة عملية طرد، هو يمثل عملية إنفصال، عندما تكون الحالة غير قابلة للبقاء مع بعض، لم يعد هناك وضعية منسجمة فيما بينهم، عملية انفصال باحترام، انفصال بهدوء، انفصال لا يجرح مشاعر المرأة نفسها، ولهذا ذكر فيما يتعلق بالطلاق {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ} أول شيء في البداية قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية٢٢٨) {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩) لا تصبح المرأة محط تلاعب للرجل، لا يكن هناك نهاية للطلاق، يكن يطلق ثم يتراجع، وجلس فترة وطلق وتراجع، وطلق وتراجع، لا. يوجد فقط مرتان الذي يمكن فيها مراجعة، المرة الثالثة لا تعد تحل له حتى تنكح زوجاً غيره .

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩). الآية توحي بأن المفترض أن يكون الطلاق على هذا النحو ـ يوجد حالة أخرى هي تعتبر حالة نادرة ـ أعني: أن يكون الطلاق على هذا النحو الذي يمكن فيها مراجعة، أعنى ما زالت تعتبر في ملكه ـ على ما نقول ـ حال العدة في الطلاق الرجعي يمكن للإنسان

يتراجعها ، فالطلاق عندما يكون على هذا النحو ، العدة هي أشهر معينة، قروء معينة، ثلاث حيضات، فأثنائها . .أثناء العدة هذه إلى قرب نهايتها، له أن يمسكها لكن إمساك بمعروف، وليس إمساك مضاررة، أو تسريح بإحسان، يترك العدة تنتهي، وتسريح لها بإحسان. لاحظ هنا كيف العبارة {أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩). **يعني: ليس الطلاق يمثل عملية طرد للمرأة وقهر لنفسيتها.**

{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٢٢٩). **يريد واحد يسترجع المهر، أو يريد يسترجع بعض الذي خسره في وليمة العرس{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **أو شيئاً اشتريته أنت لها وهي في بيتك، شيء من كسوتها، أو شيء من حليها، أو أشياء من هذه باعتبار لها أو شيء تجعله لها.**

{إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} (البقرة: من الآية٢٢٩). **عندما تصبح المسألة عملية إفتداء من جانب المرأة بأن تتخلص من هذا الرجل الذي عشرته سيئة، أصبحت كارهة له فلا بأس، لكن ما تعني المسألة: أنه بالنسبة للرجل يعتبر حلالاً، قد صار حلالاً له، إلا أن المسألة تجوز بالنسبة للمرأة وإلا فالمفترض أنه يتقيد بالطريقة الأولى {وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ}** (البقرة: من الآية٢٢٩) **في عملية هي ليتحقق الإنفصال فيما بينهم .**

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩) **فهو يذكر فيما يتعلق بالطلاق ، فيما يتعلق بالعدة ، فيما يتعلق بالعشرة يسميها حدوداً لا يجوز للناس أن يعتدوها، ولا أن يسير الناس وراء عبارات الفقهاء في كثير من التفريعات التي لا تكون منسجمة مع القرآن الكريم، الأساس هو القرآن .**

{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩) **يعني: ما ينبغي للإنسان أن يطلق زوجته إلا على الطريقة هذه، يطلقها الطلاق الشرعي، تكون مستقبلة لعدتها يعني: يطلقها في طهر لا وطئ فيه، لا يكون قد جامعها، إذا قد أراد أن يطلقها، يطلقها في وضعية يكون القرار من عنده قراراً في وضعية طبيعية لا يكون حالة غضب، أو أشياء من هذه.**

أن يترك الناس العادة هذه، هذه العادة أصبحت شبه سائدة بين الناس أن يأخذ الذي يسمونه: [مرجوع، مرجوع] هكذا على طول. هذه الطريقة ليست صحيحة وأحياناً قد تكون من الأشياء التي تؤدي إلى ارتفاع المهر، ارتفاع المهر عندما يكون الولي هو الذي يأخذ المهر هو، وإذا المرأة تُظلم لا يحصل لها شيء من المهر، وتبقى في بيت الزوج سنين، وفي الأخير يطلقها ، ويحتاج الزوج يسترد، لا يتسلم لها مهر، ولا تعطى شيئاً، لا يصل إلى يديها شيء، تطرد من البيت حتى أنه لا تأتي المتعة هذه، المتعة قد نسيها الناس بسبب بعض التفريعات الفقهية .

{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢٤١) **بعدما ذكر المطلقات، وأنواع المطلقات يأتي في الأخير بهذه الآية{حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}** (البقرة: من الآية٢٤١). **متعة معناها: أن تعطيها شيئاً، تمتعها بشيء، حتى لا تبدو العملية وكأنها عملية طرد، عملية نفي، يعطيها بذلة، أو يعطيها مبلغاً من الفلوس.{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ}** (البقرة: من الآية٢٣٠) **بعدما قال هناك: {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٢٣٠). **أي تنظم عشرتهم فيما بينهم{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** (البقرة: من الآية٢٢٨) **{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (البقرة: من الآية٢٣٠). **يفهمونها، وفي نفس الوقت يعلمون أهميتها، ويعلمون أثرها فيما يتعلق بالمجتمع، فيما يتعلق بالأسر.**

في موضوع الطلاق يأتي بكثير من الآيات هذه، هنا يقول: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩). **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (البقرة: من الآية٢٣٠). **وبعد يقول: {وَلا**

تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً} (البقرة: من الآية٢٣١). لأنها قضايا مؤكدة. وضوابط يجب الإلتـزام بهـا {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللّهَ} (البقرة: من الآية٢٣١). كم يوجد من تأكيدات في هذه!.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٣١). عندما يحصل طلاق للمرأة قاربت في انتهاء العدة {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} (البقرة: من الآية٢٣١) أشرفت على نهاية العدة، يبين لك القضية هنا داخلها {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (البقرة: من الآية٢٣١). أليست هذه الآيات توحي بأن الطلاق يجب بأن يكون رجعياً؟ أو ينبغي أن يكون رجعياً؟ على هذا النحو: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا} (البقرة: من الآية٢٣١). لاحظ أهمية التوجيهات الإلهية هذه، ولأن القرآن نزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، وأن كل قضية يكون لها علاقة بموضوع الدين بشكل عام .

موضوع الطلاق مثلاً أليس يأتي أحياناً من بعض المجتمعات، خاصة المجتمعات الغربية محاولة أنه لماذا المرأة لا يكون لها الحق في أن تطلق؟ هذا عندما يفهم الطلاق عملية نفي، عملية طرد ، أما عندما يتم الطلاق على هذه الطريقة الصحيحة، الطريقة القرآنية فمعنى هذا بأنه لا تعتبر مشكلة: أن يكون من جهة الرجل العبارات التي تعني ماذا؟ إصدار الطلاق لأنه يتم في أجواء بإحسان، بمعروف، ورعاية ومتعة، {وَمَتِّعُوهُنَّ} (البقرة: من الآية٢٣٦). مثلما قال في الآية الأخرى أعني: لا حظ بأن هذه القضية تبدو أنها قضية سهلة، عملية انفصال زوجين، إمرأة ورجل أليست تبدو وكأنها قضية عادية؟ قضية لها علاقة بالدين، عندما تقدم بطريقة غير صحيحة، وعندما تكون عبارات المفرعين من الفقهاء تقدم جافة، ويلاحظ لك فقط العقود، ما هي العبارات التي يتم بها الطلاق؟! ولم يعودوا يلاحظون أشياء من هذه التي هي هامة جداً، أعني: من أهميتها في الزمن هذا بالذات أنه عندما يكون الناس فاهمين، الرجل والمرأة فاهمان أن الطلاق يجب أن يتم على هذه الطريقة، وأن يتم في أجواء فيها معروف وإحسان، معنى هذا أنه لا يعتبر الطلاق عملية تستخدم للتشنيع على هذا الحكم الإلهي في دين الله ، في الإسلام .

الغربيون يشنعون بها، يعتبرون وكأنه لماذا الرجل له حق أنه يصدر عبارة وتنفصل المرأة، طردها وهي لا تمتلك شيئاً . لا. لاحظ هذه الأجواء كلها تجعل عملية الطلاق طبيعية جداً، لا تعد تعتبر عملية طرد، عملية نفي ، أن تصدر الكلمة من الرجل لا تعد تمثل شيئاً اختص بها الرجل دون المرأة في الواقع اختص به وكأن له حق أن يطردها وليس لها حق أن تطرده. هذه القضية هامة، ولهذا أكدها من أول الآيات {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩).

ثم يذكر بعد: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (البقرة: من الآية٢٣١) فإن تراجعتها فلا تتراجعها من أجل أنك تضاررها، بل على أساس أنك تتعامل معها تعاملاً جيداً وتعاشرها عشرة جيدة، {أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (البقرة: من الآية٢٣١). فعندما يقول: {وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً} (البقرة: من الآية٢٣١). {وتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا} . أي أن هذه تبين لك أنها قضية هامة، والقضايا الهامة معناها: أنه يكون لها علاقة بأشياء أخرى كثيرة، أعني فعلاً الآن تلاحظ عملية الطلاق من الأشياء التي يشنعون بها على هذا الدين لماذا أنه في الإسلام طلاق؟ عندما فهموا الطلاق وكأنها عملية طرد .

{وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ} (البقرة: من الآية٢٣١) تصرفات حكيمة هذه، تصرفات حكيمة وجه الناس إليها في عملية انفصال الرجل والمرأة، {يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٣١) أعني: أليس هذا تأكيداً هاماً ؟ يدل على أن المسألة هذه لها علاقة بأشياء كثيرة؟ فنرى في زماننا هذا وإذا لها علاقة بموضوع الدين بكله أن تقديمها بالشكل غير المناسب ، جعل الآخرين يستخدمونها دعاية يشنعون بها على الإسلام، مع أنها قضية هامة أن يكون بإمكان الزوجين عندما

يرون بأنه لم يعد هناك رغبة لبعضهم بعض، ولم يعد هناك إمكانية لعشرة جيدة فيما بينهم فهناك عملية انفصال فهي تعتبر رحمة، تعتبر نعمة من الله أنه يسمح بهذا. لكن يجب أن تتم في أجواء من هذه التي ذكرها: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩).

{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ} (البقرة: من الآية٢٣٢). جعل الله سبحانه وتعالى تشريعه، هداه من أجل أن يكون الناس زاكين وطاهرين، فمثلاً الشخص الذي طلق قريبتك سواءً أثناء العدة يريد أن يتراجعها، أو قد انتهت العدة ويريد أن يعود إليها بعقد جديد لا تمنع من هذا، إذا كان هناك احتمال أنه يتم الزواج فيما بينهما بطريقة أصبحوا راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض {فَلا تَعْضُلُوهُنَّ} (البقرة: من الآية٢٣٢).

لا تمنعوهن، هذا أزكى لكم وأطهر: أشرف حتى لعرضك، أليس الإنسان حريصاً على عرضه؟ هذا أزكى لكم وأطهر، أبعد من الظلم، أن تظلمها وهي راغبة أن تعود إلى زوجها، ولو قد انتهت العدة ما دامت هي راغبة وهو راغب، إذاً تعقد بها من جديد ويعودون، وتعود إلى بيته.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٣٢). قد تكون كثير من حالات الطلاق التي تتم في وضعية معينة بعد انتهاء العدة، أو أثناء مرور فترة من العدة كل واحد من الزوجين يراجع حساباته وندموا.. فلا يبق الأولياء يشكلون عائقاً، هذه القضية هامة فما دامت هي راغبة أن ترجع، ويكونون راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض فليتعاون الإنسان إلى أن يعيدهم، إلا إذا كان هذا الإنسان سيئاً، بمعنى: أن خروجها منه كان فرصة تتخلص منه.

إذا هناك رغبة متبادلة فيما بينها وبينه {فَلا تَعْضُلُوهُنَّ}. {إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٣٢). لا يحصل عندك التي يسمونها [كبرة] فيكون هذا مستكبراً فلا يعود يرضى. لا، عادي اتركها ترجع له، وتعقد بها، وترجع له.

يأتي الحديث عن إرضاع الأولاد، وهكذا يمشي الموضوع أعني: خلاصة ما نفهم من هذه: أن دين الله يهتم بالقضايا كلها الكبيرة والصغيرة، وأنه دين شامل يعالج كل مناحي الحياة، وكلما الناس يتحركون فيه، سواء كان في مجال قتال في سبيل الله، أو في علاقاتهم الخاصة فيما بينهم، علاقة الأسرة فيما بينها، وعلاقتهم مع بعضهم بعض، يمشي الموضوع في الآيات هذه بكلها في قضايا الطلاق، والعدة، وعدة الوفاة.

ثم يذكر سبحانه وتعالى موضوعاً جديداً موضوع الصلاة. لاحظ أليس هو هنا ينتقل الموضوع من جهاد إلى إنفاق، إلى موضوع نكاح وطلاق، ثم إلى جوانب أخرى، إلى موضوع الصلاة {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢٣٨ ـ ٢٣٩).

الصلاة هامة جداً تجد لها ذكراً متكرراً في القرآن الكريم، في مواضيع كثيرة وكأنها عبادة لها علاقة بمختلف الأشياء أي تساعد الناس على أن يحافظوا على حدود الله، تجد موضوع النكاح والطلاق، وأشياء من هذه، أليست في كلام فيما نسميه حدوداً لا يتعدونها؟ ترى الصلاة لها علاقة تقريباً بكل الأشياء، وكأن الحفاظ عليها فعلاً يساعد على أن تحافظ على حدود الله، لأن الصلاة من أهم الأشياء فيها تذكّر الله، ذكر الله وتذكّره، إذا أنت متذكّر لله يدفعك ذكره وتذكّره إلى أن تحافظ على حدوده في كل المجالات.

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى} الصلاة الوسطى يقال عنها: أنها صلاة الجمعة بالنسبة للأيام، وأنها صلاة الظهر بالنسبة لعدد الصلوات.

{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} (البقرة:٢٣٨). حتى تتم الصلاة بتوجه لله هذه القضية في موضوع أن تكون العبادات، عندما تؤدي عبادة من العبادات كلها تتوجه بها [لله] لله جاءت في مختلف العبادات، قتال في سبيل الله، في الصلاة يقول لك: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} خاشعين متذللين، أي تعرف بأنك في الصلاة تؤدي عبادة تتوجه بها إلى الله، أي في مقام كما يقال: بين يدي الله، تناجي الله، وكما هو الحال بالنسبة لتشريع الله سبحانه وتعالى أنه يراعي كل

الاعتبارات.

{فَإِنْ خِفْتُمْ}. عندما تريد أن تؤدي الصلاة على ما شرعت عليه تماماً قد تؤدي إلى أنه تعرضك لخوف أي قد تؤدي بك إلى خطورة كبيرة، فصلِّ على الوضعية هذه{ فإن خفتم فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً} (البقرة:٢٣٨). إذا أنت خائف، وأنت في وقت الصلاة صلِّ على الحالة لا تعتبر تارك للصلاة نهائياً، يخرج وقتها وينتهي وأنت لم تصلِّ، صلِّ ولو أنت في السيارة ماشي، أو أنت في ميدان مواجهة مثلما يصلون بما يسمونها: [المسايفة] يصلي وهو يقاتل، يذكر الله، وبما تحصل من قرآن، وتسبيح، وتكبير، ويكفي.

وما كأنها تختص، {فَإِنْ خِفْتُمْ}. بشكل عام وليس فقط فإن خفتم مثلاً وأنت في ميدان المواجهة مع عدو، مع كفار، مع يهود، مع نصارى، مع مجرمين، في سبيل الله، أعني في ميدان القتال. عندما تكون أنت خائفاً وأنت في سيارتك هناك ناس مثلاً يطاردونك يريدون أن يقتلوك ويأخذوا سيارتك وأنت ترى الوقت، وأنت بين خيارين إما أن توقف وتصلي لحقوا بك، أو أنك ماذا؟ لا تصلي نهائياً، وذهب الوقت، صل وأنت سائق وسائر{فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً}؛لأن الله يقول: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: من الآية٧٨). فإذا كنت خائفاً تصبح بين خيارين في واقعك، أن تؤدي الصلاة بهذا الشكل: تكبر، وتقرأ، وتركع، وتسجد إلى آخر الركعات التي تستلزم مكاناً معيناً وتأخذ وقتاً في مكان معين. أليست الصلاة وقفة؟ إذا كانت الوقفة هذه تشكل خطورة عليك صلِّ وأنت إما راجلاً أعني: تمشي، أو راكباً.

{فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٣٩). فتؤدي الصلاة بالشكل الكامل الذي شرعت عليه من قيام وركوع وسجود باعتبارها وقفة في موضع واحد .

ثم قال تعالى بعد أن ذكر الموضوع بالنسبة للمرأة التي يتوفى عنها زوجها، والآيتان هذه من الآيات التي واحدة يسمونها ناسخة، وواحدة يسمونها منسوخة ! والإشكالية فيها أيضاً يعتبرون أنه كيف كانت الآية الناسخة متقدمة والمنسوخة متأخرة! والشيء الطبيعي فيما يسمونه ناسخاً ومنسوخاً: أن المنسوخ يكون هو المتأخر.

لا، كل آية هي تذكر قضية خاصة، كل آية تذكر قضية خاصة. الآية الأولى في موضوع: العدة، أن المرأة عندما يتوفى عنها زوجها ملزمة بأن تتربص بنفسها، أي تمسك نفسها، وتنظر نفسها لا تتزوج أربعة أشهر وعشرا .

الآية هذه تتحدث عن حق للمرأة نفسها، أن تبقى في بيت الزوج سنة كاملة، أن تبقى إذا أحبت سنة كاملة. كل قضية لوحدها أعني: لها أن تبقى في بيته، أن تستنفق من أمواله، من تركته، أن تسكن في نفس البيت متاعاً كما قال: {متاعاً}. هنا سماها متاعاً {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} (البقرة: من الآية٢٤٠). هذا موضوع ثاني: متاعاً إلى الحول غير إخراج، ليست حول موضوع العدة، العدة هناك في الآية السابقة .

{فَإِنْ خَرَجْنَ} (البقرة: من الآية٢٤٠). إذا أرادت أن تخرج هي سواء ما زالت أثناء العدة تعتد في بيت أهلها مثلاً، أو بعد انتهاء العدة فلا بأس، أما الحق فلها الحق أن تبقى، أن تبقى، وهذه قضية هامة .

قد يتوفى الإنسان، وتكون زوجته يقال لها : مع السلامة مثلاً، خاصة إذا لم يكن معها أولاد في البيت، أو ليس معها إلا ولداً واحداً، ويكونون هم يريدون: هيّا تخرج، لا. تبقى سنة، أثناء سنة يمكن تفكر في كيف تكون وضعيتها في المستقبل، أثناء السنة، ولهذا سماها متاعاً، متاعاً حتى يتهيأ لها نقلة جديدة إما أن تستقر في نفس البيت أو ترجع إلى بيت أهلها وتكون وضعية مستقرة في بيت أهلها، أو يكون هناك بيت مستقل، أو يكون بإمكانها تتزوج .

ثم قال تعالى: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢٤١). يجب أن الناس يتنبهون لهذا جميعاً ، فإذا طلق واحد إمرأة مهما كان حنقه عليها يحاول أن يقدم لها شيئاً، يقدم لها بذلة مثلاً، ملابس، أو يقدم لها فلوساً أو أي شيء يعتبر [تطيابة] لنفسها {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة:٢٤٢) .

ثم قال تعالى في موضوع الجهاد، يحكي قصة فيمن جبنوا، وخرجوا من ديارهم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ} (البقرة: من الآية٢٤٣). وهم ألوف ! خرجوا من ديارهم، الله أعلم في أي أمة، يقول البعض: بأنه كان

هؤلاء من بني إسرائيل{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} (البقرة: من الآية٢٤٣). قد تكون هذه أحياهم هم ليأخذوا عبرة من هذه، أو أحيا تلك الأمة مثلاً جيلاً من بعدهم{إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية٢٤٣). وهذه لها علاقة بالآية السابقة: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} (البقرة: من الآية٢١٦).

لاحظ هؤلاء أليسوا وقعوا في مصيبة؟ هم خائفون من الموت، وقعوا في الموت. بل هذه تبدو أنها قضية لها علاقة بالناس الذين يتراجعون عن القتال في سبيل الله بدافع الخوف، والحرص على الحياة، يعرّضون أعمارهم لأن تتقصف سريعاً ! هذه آية من الآيات.

وآية أخرى: {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ} (الأحزاب: من الآية١٦). {وإذاً} لاحظ هنا {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب: من الآية١٦). ليست قضية سهلة هذه أعني: أنت عندما تكون حريصاً على حياتك ، وعندك ما زال عمرك ثلاثين، أو أربعين، أو عشرين، أو خمسة وعشرين، يكون عندك أنك عندما تنطلق في قتال أنك ستخسر ما تبقى من عمرك، ربما تقتل، وما زال متبقي من عمرك مثلاً، ما زال عندك أمل ربما أربعين سنة، ربما لا.

هذه الآيات هي بمعنى ماذا؟ تلك ، عملية التحيل على الله، لذا نقول دائماً: أنه يجب على الإنسان أن يفهم بأنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، أنت عندما تجبن، وتخاف من أجل أنك حريص على حياتك تتقصف حياتك {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب: من الآية١٦). قد تموت بعد سنة، أو سنتين أي: تخسر فعلاً ربما لو انطلقت تقاتل في سبيل الله قد لا تقتل، إن قتلت كانت شهادة، وحياة أطول من الحياة التي أنت حريص عليها، أليست أطول؟ نقلك إلى حياة حتى فيها فارق كبير جداً لأن الشهيد يعيش حالة طمأنينة وهو في حياته ، يعلم أنه قد صار في موضع آمن، أنه في موضع آمن في الحياة بعد أن يتحول إلى حي.

ويبدو أن الشهيد لا يموت نهائياً، قد صارت هي الموتة الواحدة، حتى ولا يوم القيامة مع زلزلة الأشياء لأنه في آيات أخرى يقول الله فيها: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} (الزمر: من الآية٦٨). إلا من شاء الله هنا في عملية استثناء، فكأن هؤلاء الشهداء هم فعلاً يذهبون إلى الجنة، الجسم ذلك عبارة عن [بذلة] خلعها فقط .

إذاً فإذا أنت حريص على حياتك، من خلال القتال في سبيل الله لو قتلت أنت ستدخل إلى الحياة الأبدية بسرعة أفضل من أن تحرص على عدد من السنين، هي في ذهنيتك، وأنت لا تستطيع أن تضمن نفسك لا تستطيع أن تضمن بأنك ستعمر إلى سن ثمانين، أو خمسة وسبعين سنة .

هذه الآيات نفسها هي تدل على أنه قد تتقصف فعلاً{وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} (الأحزاب: من الآية١٦). لأن هؤلاء ربما قد يكونون رأوا أن القتال كره لهم تركوا ديارهم وخرجوا، أليسوا هم وقعوا في شر؟{فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}. لهذا الإمام علي له كلمة معروفة عنه قال: ((بقية السيف أبقى ولدا وأنمى عدداً)). إذاً فهذه هي قضية خطيرة جداً يجب أن تتنبه لها أي: عندما تتذكر بشكل كامل تجد بأنه تعتبر خاسراً عندما تجبن عن القتال في سبيل الله، وأنك تعرض نفسك لأن يقصف عمرك فتخسر الحياة الأولى والحياة الأخرى.

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٤٤). لاحظ كم تكرر في سورة واحدة موضوع القتال في سبيل الله لأنها قضية هامة جداً، ثم التأكيد على أن يكون{فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في سبيل الله هذه قضية يجب أن يكون الناس متأكدين منها، أن تكون نواياهم كلها وهم ينطلقون، أنه في سبيل الله، ومعنى في سبيل الله: أن يكون توجهك أنه لله، واستجابة لله، وفي سبيله، في نفس الطريق التي رسمها لأن تقاتل فيها، نفس الطريق التي رسمها أن تسير عليها وأنت تقاتل هي تعني: الموضوعين، هذه قضية هامة.

ثم بين من الناحية العملية الإيجابية الكبيرة لمن انطلقوا مقاتلين في سبيل الله، ثم قال بعد هذه: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٤٤). هو يسمعك ويعلم بنواياك، ولا يغفل عن أحد.

لأهمية الإنفاق جاءت الآية بشكل آخر قال في آية سابقة: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥). لأهمية الإنفاق هنا قدمه بعبارة لا تقل أهمية عن العبارة الأولى، وعبارة توحي أيضاً بخطورة في التهاون بهذا الموضوع: الإنفاق في سبيل الله ، هنا قال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (البقرة:٢٤٥). بعدما ذكر القتال قدم المسألة وكأنه هو يستقرض ! هذه توحي بأهمية الموضوع ذلك بشكل رهيب جداً، عندما يأتي الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة التي قد يقولها أي واحد منا عندما يحتاج إلى قرضة من الآخرين [من الذي عنده لي ألف ريال قرضة] أليس الواحد منا يقول هكذا ؟.

لأن القتال في سبيل الله يحتاج إلى تمويل، يحتاج إلى إنفاق وأن الله سيعتبر ما يقدمه الإنسان وكأنه قرض له، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة، يرد عليك بأكثر مما أعطيت بأضعاف كثيرة إضافة إلى الأجر المرصود لك في الآخرة. هذه الآية نفسها توحي بأنه بعد أن يستقرض الله عباده ليمولوا موضوعاً هو خير لهم فيحصل إهمال، ويحصل إمساك للأيدي أن بعدها غضبة، يأتي بعدها غضبة شديدة من الله، لأن هذه العبارة تعتبر ـ لكن لا يمكن أحياناً نعبر فيما يتعلق بالله ببعض العبارات ـ معناه: عندما آتي أنا أمارس هذا الموضوع أنني حطيت نفسيتي أمامك أقول عندك [من الذي سيقرضني ألف ريال؟] أليس هذا مثل قولك عندما تدخل مجلساً وتقول: [يا جماعة من الذي عنده لي ألف ريال أحاسب فلان] صاحب سيارة مثلاً، أو أي شيء، أليست حالة وما كأن في المجلس شخص معين أنت معتمد عليه أن يقدم لك هو، أو تأخذ من جيبه ؟ كيف ستكون أنت عندما تخرج من مجلس وقد قلت هذه العبارة التي تعتبر ـ نوعاً ما ـ فيها حط لنفسيتك. أليس فيها حط لنفسيتك؟ ستقول: [في هذا المجلس فيه كم ناس ولا واحد منهم أقرضني] ألست تعتبرهم أناساً سيئين، ستعتبرهم أناساً لا يعتمد عليهم .

الله عندما يأتي بالعبارة هذه قد توحي بغضب شديد بعدها إذا ما هناك إنطلاقة من الناس أن ينفقوا في سبيله، قد استقرضهم وهو غني لكن يبين من خلال هذه أهمية الموضوع ، وأنه عندما لم تعد تثق به في قرضة! معناها في الأخير أي: لم نعد نثق بالله في قرضة، لم نعد نتعامل معه كما نتعامل مع أي واحد منا عندما يأتي شخص يستقرض منك ألست قد تعطيه قرضة؟ الله يقول اعتبرها عندي قرضة، أليس هكذا يقول؟ ولن يرد لك نفس المبلغ سيرد لك بأضعاف مضاعفة. إذاً ماذا وراء هذه؟ وراءها كما نقول نحن في تعبيرنا: [قلبت وجه خطيرة]. حقيقة، وراءها غضب شديد لأن معناه: أنه لم يعد أحد يثق بالباري، ولا أنه يقرضه مائة ريال ما معنى هذا؟ بأنه كفر بالله، وما لله في أنفسنا أي شعور بإجلال، أو عظمة ، أو حب، أو إكبار له.

وهو سبحانه وتعالى عندما يستقرض هو الذي يقبض ويبسط عندما تقبض يدك يمكن يقبض عليك فعلاً أشياء كثيرة، وعندما تبسط سيرد لك أضعافاً مضاعفة، هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وإليه ترجعون في الأخير، فإن قبضت سيقبض عليك أشياء هامة جداً، أليست خسارة كبيرة أن يقبض عليك الجنة ؟ فلا يدخلك الجنة، وتسير إلى النار، تساق إلى النار{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فيثيبك عندما تنفق في سبيله .

هنا يلاحظ الإنسان أهمية الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيله بأنها قضيتان مرتبطتان، بل قدمها في آيات أخرى سماها جهاداً كلها{وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} (التوبة: من الآية٢٠). ألم يجعلها عملية واحدة جهاداً بالمال وبالنفس، جعل الإنفاق في سبيله عبارة عن جهاد، وجعل مقومات الجهاد هي هذه. جهاد بالنفس وبالمال.

بعد أن قال: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٤). ضرب لنا مثلاً رائعاً من بني إسرائيل {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٦). من يأتي لاحتلال أرضك يجب أن تتوجه لقتاله في سبيل الله، وأن تتوجه في سبيل الله أي: إرفع بنيتك ، وارفع برأسك إلى الله لا تنزل تحت تقول: [من أجل الوطن، من أجل تربة الوطن] هذه نكسة، هذه النكسة خطيرة، إنتكس العرب عندما نكسوا نواياهم [منزل]، فالإنسان يرفع بنيته إلى الله، يرفع بمقصده إلى الله، ويتوجه إلى الله ليرفعه .

لاحظ كيف ضرب مثلاً رائعاً جداً، وكلاماً هاماً جداً في الموضوع: من انطلقوا يقاتلون في سبيله، مع أنهم لم يبقوا في الأخير إلا قليل من قليل{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً} قائداً {نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٤٦). هذه القضية معروفة عند بني إسرائيل، ولاحظ كيف هم خبثاء جداً يعرفون، ونحن نقول أكثر من مرة هم يحاربوننا، وعندهم معرفة بالسنن الدينية، بالسنن الإلهية، يجب أن نكون حذرين، ونكون واعين، من أين جاءت لنا الوطنية، والقومية من أين؟ من عندهم صدروها من أجل ننكس رؤوسنا [منزل] لينكسونا منزل. أليس العرب في الأخير انتهوا إلى أن دسوا رؤوسهم في التراب، لأنهم يقولون: [وطنية، وطنية، من أجل الوطن، وتربة الوطن] إلى أن دسوا رؤوسهم في الوطن، أعني: في التربة. يأتي العدو يدوسهم وقد دسوا رؤوسهم، لكن يرفع الناس رؤوسهم إلى الله، تحمى أوطانهم فعلاً، وتصان أوطانهم.

بنو إسرائيل فاهمون في ثقافتهم هذه أعني: الآية تحكي بأنه في تلك المرحلة فاهمين بأنه يجب أن يتوجهوا ليقاتلوا في سبيل الله، مع أن الدافع لديهم هو ماذا؟ أنهم قد أخرجوا من ديارهم، وأبنائهم، أليس هذا الدفاع الذي يسمى الدفاع عن وطن؟ انتقام من عدو أخرجنا من ديارنا، وأبنائنا. أليس دفاعاً عن وطن؟ لكن لو قالوا: وطن، نقاتل من أجل الوطن، لن يرد النبي عليهم ، ولن يحصل لهم شيء. معنى هذا أنها قضية مؤكدة لديهم أنه في الوقت الذي هم يحسون فيه بأنهم مضطهدون، ومقهورون من جانب عدو أخرجهم من ديارهم، وأبنائهم ، عليهم أن ينطلقوا في سبيل الله .

لاحظ الآن عندما انطلق الناس في هذا الموضوع هذا [الشعار] الذي يبدو عملاً سهلاً أزعجهم جداً لأنه عمل ديني، ولأنه في سبيل الله .

قال السفير الأمريكي: [إن بلاده لا تريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني] ما هو العداء الديني؟ يعني: لا نريد أن تتحولوا في مواجهتنا تحت عنوان: في سبيل الله. هم عارفون بأنهم سيهزمون في الأخير هم، يعنون: أنه اعملوا لكم عناوين أخرى قولوا: قتالاً من أجل الوطن، أو دفاعاً عن الوطن، أو بعبارات من هذه!.

هذه العبارة لا تجد لها في القرآن الكريم فيما أعتقد موقع على الإطلاق إلا مرة واحدة خوطب بها من؟ خوطب بها منافقون لم يخاطب بها مؤمنون. {قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا}(آل عمران: من الآية١٦٧). إذا ما زال عندكم حرص على أعراضكم، وعلى بيوتكم، وعلى ممتلكاتكم {أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ}(آل عمران: من الآية١٦٧). ما خوطب بها المؤمنون أبداً. المؤمنون يوجهون دائماً، المسلمون بشكل عام أن يتحركوا في سبيل الله وليعرفوا أنها لا تتحرر أوطانهم أبداً بعناوين أخرى إلا إذا انطلقوا في سبيل الله، أين البلد الذي قد تحرر من بداية الاستعمار الأول إلى الآن ؟ هناك بلد تحرر فعلاً بما تعنيه الكلمة وأصبح مستقلاً؟ لا.

بعد الاستعمار الأول خرج المحتل وأبقى أقدامه، أبقى عملاءه، وبعده ماذا؟ يأتي ضغوط أمريكية، واحتلال ونفوذ أمريكي في كل المجالات وأصبح من يحكم الناس صاروا هم عبارة عن أشخاص عاملين مع السفير الأمريكي.

أعني: طول الفترة هذه. ما تحرر الناس من المحتل أبداً لأنه ما رفع هذا الشعار الهام، ما توجهوا هذا التوجه الهام{فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.

ثم انظر أهمية أن يتوجه الناس هذا التوجه: في سبيل الله ، عندما قال هنا في الأخير:{قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا}(البقرة: من الآية٢٤٦). ربما عندما ترون القتال أن لا تقاتلوا{قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا}(البقرة: من الآية٢٤٦). أليسوا هنا يذكرون الدافع إلى أن يقاتلوا أنهم يريدون أن تحرر أوطانهم، وأن ينتقموا من عدوهم ؟ لكن وفاهمين كلهم ، الملأ منهم على ما نقول: وجهاؤهم، وكبارهم الذين توجهوا إلى نبيهم وقالوا يبعث لهم ملكاً .

هم الآن لا يريدون منا أن نتوجه إلى كتاب الله ورسوله لنعرف كيف نواجههم، ومع من نواجه، تعرف أن هذه القضية عندهم معروفة؟.

الله ضرب لنا مثلاً منهم هم، أي: عندما نقول: نحن الآن متوجهون ضدكم في سبيل الله، في سبيل الله إذا ما هناك لدينا نبي قائم موجود نبينا هو نبي للزمان كله والكتاب لا يزال موجوداً لنعرف من خلال كتاب الله، من خلال سنة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتوجيهاته وحركته، كيف يجب أن يكون مقصدنا في مواجهتهم ومع من؟ وتحت أي عنوان يكون ؟ نحن عندما نعمل هذا نحن إنما عملنا مثلكم سابقاً، لماذا عندما يقول لك: [لا نريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني] أليسوا هنا انطلقوا بعداء ديني عندما قالوا: {نقاتل في سبيل الله}؟. نقول: نحن فقط نعمل مثلكم فقط نريد نقاتلكم في سبيل الله، ونحاربكم في سبيل الله، ونتحرك في سبيل الله.

أعني: هم فاهمون، سهل الآن [سبهم] لاحظ لو ترفع شعار سب في المسجد لن يقولوا شيئاً، لكن شعار ديني، خطير، أن يكون في المسجد له أثر عليهم أكثر من أن يكون في الشارع لأن معناه: عمل ديني، ولهذا عندما يرون من هؤلاء الذين يسجنون يقولون: القرآن الذي دفعنا [نكبر...]. قضية هذه جداً تؤثر عليهم، معناه: أنتم أناس متوجهون في سبيل الله، وهم لا يخافون إلا من العناوين هذه، ممن يسيرون في سبيل الله وبصدق، وعلى توجه كتاب الله.

تريد ترفع شعارات أخرى؟ تريد تسبهم ؟ سبهم، أليسوا في المظاهرات يسبونهم فيها؟ يسبون [شارون، وبوش] لا يبالون بهذه؟ أو ترفع شعار وطنية لا ينزعجون منك ولا ينزعجون عندما ترفع شعار وطنية [حركة كذا لتحرير الوطن] أو [حركة كذا للدفاع عن الوطن]. هذه عارفين أنهم فاشلين يعتبرونهم فاشلين .

{قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٤٦). **ألم تتكرر مرتين من عندهم؟ أعني: يعرفون أهمية هذه {وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ}**(البقرة: من الآية٢٤٦). **هذه أول مجموعة منهم خرجوا ، الأغلبية {تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ}**(البقرة: من الآية٢٤٦). **ثم انظر القليل هذا{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}**(البقرة: من الآية٢٤٦).

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً}(البقرة: من الآية٢٤٧). **أنتم قلتم: نريد ملكاً ،أي قائداً يقودنا. لاحظ في موضوع القيادة هم يركزون جداً في موضوع القيادة، لازم قيادة تكون مختارة بطريقة إلهية، وليس تحت أي قيادة. هم يعرفون سبيل الله، هو طريق من القيادة، والمنهج والطريقة التي ترسم فيها، أو يسير الناس عليها ،وهم يتحركون في سبيله، والهدف هو هو من أجله، من أجل الله، وفي سبيله .**

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ}(البقرة: من الآية٢٤٧). **ليس من الأشخاص الذين هم ينتظرون أنه قد يكون ربما ذلك، أو ذاك، أو ذاك.. جاء شخص ليسوا متوقعين أن يكون هو ..هو {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ}**(البقرة: من الآية٢٤٧). **هؤلاء الملأ، والكلام من البداية مع الملأ، الملأ: يعني كبار الوجهاء، وكبار الناس. أي: ربما يكونون منتظرين أنه سيقول: أنت يا فلان، أو أنت. ألستم أنتم قلتم أنكم تريدون من جهة النبي نفسه، هو أن يبعث؟ إذاً فالله هو أعلم بمن يصلح للقيادة، أليس هو أعلم؟ قالوا هنا: {وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ}**(البقرة: من الآية٢٤٧). **ليس لديه فلوس كثيرة. لاحظ هذه نظرة ثانية في تقييم مؤهلات القيادة، ما لديه فلوس.**

{قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}(البقرة: من الآية٢٤٧). **لكن ليس معناه الإصطفاء عليهم، اصطفاه على الملأ هؤلاء الذين قد يكون عند كل واحد منهم يتصور أنه سيعيّن قائداً من عند الله .**

{قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ}. ثم لاحظ {اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ} أي: اصطفاه عليكم لكم، أليس عليكم لكم في الواقع؟ لاحظ كيف انتهت الطريقة بشكل عجيب؟{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} في تأهيله لقيادتهم {وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة: من الآية٢٤٧). **فإذا البشر يريدون أن يتحركوا على هداه، وفي سبيله هي هذه ، يريدون هم عناوين ثانية، يتفقون هم وأنفسهم، عناوين أخرى وقادة آخرين هم يختارونهم وفق مواصفات أخرى، ونظرة أخرى من عندهم، هذا موضوع ثاني، يتفقون هم وأنفسهم والنتيجة**

هم سيرونها في الأخير.
أما إذا أنتم تريدون طريق الله فهي هذه، الله يقول: {وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٤٧). لا يقدرّون أنه لم يعد مع الله مجال إلا واحداً منهم، الملأ عندما يكونون اثنا عشر أو كمَّا كانوا من كبارهم عندهم أن ما هناك غيرهم {وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٤٧). يطلع واحد من هناك لماذا؟ لأنه من أجلهم هم، ولمصلحتهم هم، وحتى تكون العملية ناجحة وينتصرون في الأخير.
لاحظ في موضوع المال ليس مقياساً، كثير من أصحاب رؤوس الأموال يشكل المال لديه مصدر خوف، مصدر خوف، لا ينطلق عندما يقول: [لماذا لا تريدون واحد عنده مال]؟ كثير من أصحاب رؤوس الأموال يجعله ماله يخاف، بعضهم إذا هو يدعم مركزاً من المراكز أحياناً بـ[رز أو بزاليا] أو بأشياء من هذه، يريد يفرض عليهم أن لا يرفعوا شعاراً من أجل أن لا يقولوا أنه يدعم مركزاً وفيه ناس يرفعون شعاراً لا يؤثرون على مصالحه، هل هذه النوعية ستقود أمة؟ كثير منهم يكونون بهذا الشكل خوافين .
{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (البقرة:٢٤٨). فيكون فيه طمأنينة لأنفسهم.
إذاً تحركوا بعد ، القليل ألم يقل: {تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً} (البقرة: من الآية٢٤٦). بعد ذلك تحرك القليل هؤلاء، وهم آلاف. أي لا يزالون كثيراً الذين تحركوا كما في بعض التفاسير وليسوا إلا قليلاً ممن قعدوا، أي احسب عشرات الآلاف جلسوا {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ} (البقرة: من الآية٢٤٩). تحرك باتجاه ميدان المعركة مع العدو، هذا القائد اصطفاه الله. لاحظ كيف ترتيباته القيادية {قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً} (البقرة: من الآية٢٤٩).
لاحظ القليل لم يخرج منهم إلا قليل، أعني: هو نفس طالوت قائد يعرف مجتمعه، ويعرف المواجهة مع العدو تتطلب أناساً ثابتين، وأنه عندما يكون هناك أكثرية، هو يعرف أنهم قد ينهزمون فيشكلون هزيمة منكرة، تكون العاقبة سيئة أسوأ مما هم فيه، هو قائد ثابت لأنه لاحظ ترتيبات العدو هناك هي مبنية على أساس عشرات الآلاف من بني إسرائيل، لأنهم ذهبوا كبار بني إسرائيل أي: المجتمع كله معناه، أليس العدو هناك سيهيئ نفسه لأن يكون بالشكل الذي يواجه مجتمع بني إسرائيل؟ وإذا بنوا إسرائيل أول أكثرية منهم تنفصل، ثم ثاني أكثرية منهم تنفصل، بقي القليل في مواجهة جيش هو في إعداده وعدده مرتب نفسه لمواجهة عشرات الآلاف.
لكنه قائد ثابت، قائد ليس عنده تراجع بعدما رأى أول أكثرية، ثم بعدما شربوا من النهر، لم يبق إلا عدد قليل، يقولون بأنهم فقط ثلاث مائة شخص وقليل! وهناك جالوت، الملك نفسه، أن يقود الملك المعركة يعني: معركة هامة وعندما يخرج الملك يعني: يخرج بكامل ما لديه من عدة، وعتاد، وجنود. هنا هذا القائد ما تراجع يقول: [إذاً ما دام قد رجع الكثير وأمامنا العدو كثير إذاً سنعود] لا. إتجه.
{فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} (البقرة: من الآية٢٤٩). والآخرين ظهروا أنهم ليسوا مؤمنين في الأخير، ألم يظهروا أنهم ليسوا مؤمنين؟ الذين تراجعوا من البداية، والذين تراجعوا عندما شربوا من النهر.
{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ } جاوز النهر{هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} (البقرة: من الآية٢٤٩). لأنه قد القضية كبيرة أمامهم، والمؤمنون عادة يتفاوتون في درجات الإيمان، يتفاوتون لكن هذه نوعية قد هم يعتبرون راقين جداً، هم قالوا العبارة هذه لكن في الأخير عندما قال الآخرون منهم الذين حكى عنهم هنا: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٩). مستشعرين لقاء الله، ويعرفون أهمية العمل أنهم في سبيله، وأنه لا بد أن يموتوا إذا لم يقتلوا سيموتون.
{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٩). هم ذكروهم هنا بقضية ثابتة في التاريخ {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً} (البقرة: من الآية٢٤٩). أي لا تقاس المسألة بالأرقام،

بحيث لا بد أن يكون عددنا كعددهم، أو يكون عتادنا بالكامل كعتادهم {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٤٩). إذاً اتجهوا ألم يكفهم كلمة؟ كفاهم كلمة واتجهوا.

{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} (البقرة: من الآية٢٥٠). من برز الآن؟ قليل من قليل من قليل! أليسوا الذين برزوا الآن أمام الملك وجنوده ؟ {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة:٢٥٠). إنقطاع إلى الله بمشاعرهم، بنفسياتهم، وثقة بأن الله مع الصابرين. هذه تمثل وعياً إيمانياً.

لاحظ الإنسان يجب مهما كان مؤمناً يعرف بأنه إنسان يجب أن يكون مستمداً قوته من الله، لا تركن على مجرد إيمانك أنك عندك طاقة من الصبر، أنت ..أنت..استفرغ الصبر من الله {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً} (البقرة: من الآية٢٥٠). مثلما تقول: [صب صبوب علينا صبراً] {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠) {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٥١).

كيف كانت النتيجة؟ {فَهَزَمُوهُمْ}. هزموا جالوت وجنوده بإذن الله{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ} (البقرة: من الآية٢٥١). وداوود هو واحد من الجنود في ظل قيادة طالوت كانت قضية عجيبة هذه، قضية عجيبة، وتعطي الناس أملاً كبيراً فيما إذا كانوا صادقين مع الله، أنه قد يأتي النصر في الظروف الحرجة هذه، بالشكل الذي يخزي العدو ويخزي المتراجعين في وقت واحد، كيف ستكون نفسيات الناس الذين رجعوا من البداية؟{تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ}.

الناس الآلاف الذين رجعوا من عند النهر بعدما شربوا، ورجعوا، وإذا أمكن واحد من الجنود أن يقتل جالوت الملك نفسه! وقالوا بأنه قتله بحجر، رماه بحجر قتله فانهزم جنوده {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ} (البقرة: من الآية٢٥١). أليست هذه تعتبر خزي للمتراجعين! أليس هذا يعتبر خزياً بالنسبة للعدو نفسه؟ يعتبر مثلا أعلى في أهمية أن يكون الناس متوجهين في سبيل الله، لأن هذا هو مثل لهذه من البداية. وتجد كيف كلامهم كله، أليس هو كله مرتبطاً بالله؟. لا يوجد فيه أي عبارة حول موضوع الوطن نهائياً.

عندما تراجع الكثير منهم بعد النهر، وناس منهم قالوا: {لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} (البقرة: من الآية٢٤٩).

كيف كان خطاب الآخرين ؟ أليس خطاباً إيمانياً يذكرهم بالله، وبسنة إلهية معروفة في تاريخ البشر {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٤٩). لا يوجد كلام أخر.

تلاحظ هنا مواقف الدعاء، ومواطن الدعاء متى تكون؟! في ميدان المواجهة، في الميدان العملي، أن تدعو الله، كيف كان دعاؤهم هنا؟ أليس دعاءً لأنفسهم هم؟ أعني: القصة هذه تكشف لك مشاعر هؤلاء وثقافتهم، ومفاهيمهم الدينية، نفس القصة هذه هم دعوا الله بالنسبة لأنفسهم: أن يفرغ عليهم صبراً، وأن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، هل قالوا: اللهم دمرهم؟ يقول: طالوت إذاً ما دام أنه لم يبق إلا نحن، ونحن عدد قليل سندعو عليهم من على شاطئ النهر: اللهم دمرهم، اللهم أهلكهم !. برزوا ومع المواجهة دعوا لأنفسهم؛ لأنهم يعرفون في سنة الله سبحانه وتعالى أنه إذا ما كان المقاتلون في سبيله مستبصرين، وثابتين، أن موضوع العدو محسوم أنه يهزم. وذكر بهذه في أكثر من آية في القرآن.

من العجيب أنه قام لبني إسرائيل بعد العملية هذه ـ لاحظ كيف قليل من قليل من قليل ممن كانوا ثابتين، وفي سبيل الله، وقيادة سبيل الله ، لا بد أن تكون قيادة سبيل الله مساوية لهذا العنوان الكبير، تكون مساوية لهذا العنوان الكبير، أعني: قيادة اصطفاها الله، قيادة مصطفاة من جهة الله ـ بعد هذه ينتهي جالوت ودولته بكلها. وتقوم لبني إسرائيل أهم مملكة في تاريخهم بسبب هؤلاء العدد القليل.

ألم يقل الله عن داود: {وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} (البقرة: من الآية٢٥١)؟ وملك بشكل واسع ، وسليمان ملك لا ينبغي لأحد من بعده، كيف كان بداية هذا الملك من أين؟ ألم يحصل لهم تمكين لهم في الأرض؟ وحصل ضربة للعدو قاضية؟ وحصل ملك لا ينبغي لأحد من بعد أعني: مملكة واسعة، ومملكة عظيمة لبني إسرائيل على يد من؟ على يد هذه الفئة القليلة الصادقة، الصابرة التي انطلقت في سبيل الله .

هذه القضية هامة، أن يكون أرقى ما وصل إليه بنو إسرائيل تتحقق على أيدي هؤلاء {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:٢٥١). سنة إلهية، التدافع، عندما يكون على المسلمين أن يقاتلوا أعداء الله، لأن هذا العمل يعتبر في إطار البشر بشكل عام يدخل ضمن سنة التدافع لأن معناه ضرب للمفسدين، أحياناً داخل المفسدين هم لا يسمح لطرف من الأطراف أن يصل إلى درجة عالية من طغيانه وفساده، يهيئ طرفاً آخر يضربه حتى ولو كان منهم، لأن الله ذو فضل على العالمين، وهو رب العالمين جميعاً. بمعنى: أنه لا يتمادى الفساد بشكل رهيب، وهذا لا يحقق بالنسبة لجانب من يمثلون جنود الله فعندما يقعدون، لو حصل هذا التضارب بين هذا و هذا لا يحصل فرج إلا إذا كانوا هم في سبيل الله ، ومتجهين للعمل في سبيل الله ، تتحول الأشياء كلها بالشكل الذي يكون فيه سند لهم، وفتح مجالات أمامهم.

هذه القصة هامة جداً فيما يتعلق بالمقصد كيف يجب أن يكون في وضعيتنا هذه، في مواجهة بني إسرائيل؟ نقول: نحن نعمل مثلكم الآن تماماً، رجعنا إلى كتابنا ونبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نقاتل في سبيل الله و{ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٦). أليست نفس العملية؟ لا يمكن يقولون : أبداً. أن توجهونا إلى أشياء أخرى.. نحن فاهمون [إعمل لك عناوين ثانية، شكل لك حزب تنظيم سياسي، إعمل لك عناوين وطنية، إعمل لك جبهة تحرير كذا، أو جبهة الدفاع عن كذا..] لا. يجب أن نفهم ، هذا درس من داخل بني إسرائيل أنفسهم الذين الناس الآن في مواجهة معهم .

ثم انظر ماذا يمكن أن يعمل الذين يتشدقون بوطنية؟ أليسوا هم تراجعوا ! الوطنيون أولئك هم هناك؟ الذين قالوا: {وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} (البقرة: من الآية٢٤٦). تراجعوا فلم يقاتلوا لا في سبيل ديارهم، ولا في سبيل أبنائهم، عندما لم ينطلقوا في سبيل الله، وقالوا في سبيل الله ولم ينطلقوا بصدق، تراجعوا لكن الخلاصة منهم حققوا نتيجة هامة لم تتحقق لبني إسرائيل في تاريخهم ! ولا لأحد إلى الآن ما قد تحقق في تاريخ البشر مثل دولة سليمان ، وملك سليمان فكان مفتاحه هذا العدد القليل الذين انطلقوا بصدق في سبيل الله .

هذا القائد يعتبر قائداً عظيماً جداً أعني: قائداً شجاعاً بشكل غير طبيعي ـ فعلاًـ طالوت ، أنه بعدما ينفصل أول جزء من بني إسرائيل ، ثم ثاني أغلبية كبيرة عندما شربوا من النهر، وينطلق ليواجه هذا الملك بجنوده، بعتاده، بكل طاقاته، وبعدد قليل أليست هذه تعتبر شجاعة عالية؟ وناس عندهم شجاعة عالية، وعندهم صبر، وعندهم ثقة بالله، لأن شجاعتك أحياناً إذا ما هي مرتبطة بالله، الشجاعة تعتبر قوة لكن هي ستكون محدودة إذا لم تكن مرتبطة بالله، ودرس لكل المتراجعين، لكل الناس الذين يبدون حكماء أما هم، فهم أذكياء! أما أولئك فهم يريدون أن يورطوا أنفسهم، هؤلاء الذين شربوا من النهر أليسوا يعتبرون أولئك أنهم مغفلين؟ عندما يريدون أن يذهبوا لمواجهتهم، وهم ليسوا إلا قدر ثلاث مائة فيعتبرونهم مغفلين ليس لديهم حكمة! فتأتي النتيجة بالشكل الذي تخزيهم هم.

هذه تحكي وكأنها سنة إلهية لمن يتراجعون، وهم يسخرون من الآخرين وعندهم أنهم مغفلين، لأنهم يريدون أن يواجهوا دولة كبيرة وأشياء من هذه، تأتي انتصارات بشكل تخزيهم هم، يرون أنفسهم صغاراً، يرون كل أرائهم تلك التي يعتبرونها حكيمة أنها سخيفة. هذا من أول عذاب للقاعدين حينما يرى نفسه صغيراً جداً، يرى أراءه التي كان يعتبرها حكيمة، واتزان، ورؤية صحيحة أنها كلها كانت أراء لا تمثل شيئاً، وأنها كانت خطأً.

من شجاعتهم هنا أنهم برزوا لم يقولوا: إذا لم يبق إلا نحن إذاً نتخذ مواقع تحصينية كجبهة، لا. برزوا الميدان ألم يبرزوا؟ {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} (البقرة: من الآية٢٥٠). يعني: ناس هؤلاء عجيبون فعلاً ، ولهذا قدموا مثل أعلى في الموضوع هذا لبيان سنة إلهية، ولبيان قيمة أن ينطلق الناس لله، وفي سبيله، وأن يفهموا أنه عندما ينطلقون للجهاد من أجل الله، وفي سبيله يجب أن يكون هو الذي يختار قيادة ، الله هو الذي يصطفي قيادة .

إذاً هذه القصة تبين لنا أهمية{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ} (البقرة: من الآية١٩٠). أعني: لا يستجيب الإنسان لأي

عناوين أخرى نهائياً، أترك الآخرين يتفاعلون كيفما يتفاعلون ، وترى عروضاً عسكرية من أجل الوطن، ويقبل بعضهم الوطن، أليس بعضهم يقبل الوطن؟ هذه ما منها شيء. كيف يمكن أن الله يقف معك، ويعينك، وأنت تؤثر التربة عليه! لا يصح هذا. أما هذا القتال في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، هو في الأخير هو خير لكم، الخير أليس من الخير صيانة الأوطان والأعراض، والأموال، والممتلكات؟ أليست من الخير الذي يريده الناس؟ ألم تحقق هنا لبني إسرائيل.؟ وتحقق لهم ملك عظيم؟.

فمن أهمية هذه أن الله في القرآن الكريم يزيح كلما يمكن أن تراه عقبات كبيرة أمامك فلا تكترث عندما تجد عدواً كبيراً ، وتجد كثيراً من الناس يتراجعون هذه لا تحسب لها حساب نهائياً .

أليست هذه الصورة كانت بهذا الشكل هنا؟ تراجع الكثير وعدو كبير أمامهم، وهم قليل لكن كيف كانت النتيجة؟ نتيجة هامة لم تحقق ربما لو برز معهم الآلاف الذين تراجعوا من على النهر أنهم لأدوا إلى هزيمة منكرة . هذه القضية هامة في وعي الناس، وفي وعيهم أن يكونوا أولي بأس شديد. يجب أن تفهم بأن هؤلاء أناس يعرفون بأن الله هو يعمل أكثر مما يمكن أن يعملوه، ألم يقل هنا: {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٤٩). وفي نفس الوقت لم يكن عندهم اكتراث بمن تراجعوا ولا اكتراث بالعدو، وهو الملك بكله بكامل جيشه.

العادة إذا كان الملك هو الذي يخرج يكون الجيش أكثر، ويكون العتاد أكثر من لو كان مجرد قائد آخر وأن المعركة رئيسية ومعركة فاصلة بمعنى: أنه كان معداً لنفسه لمجتمع بني إسرائيل وللآلاف منهم، لأنه قد هؤلاء كبارهم ذهبوا هم وليس فقط أفراد منهم وهذه هي من الأشياء التي تجعل الكثير من الناس يتراجعون.

يلاحظ الناس يتخاذلون ويرى العدو كبيراً وأخيراً يقول: [ونحن ماذا نعمل ماذا يمكن أن نعمل ماذا نستطيع أن نعمل]؟ أليس هذا مثل يبين لك ؟ لا. أن هذه الفكرة خطأ لو أنك تكترث بمن تراجعوا وتكترث بحجم العدو، إعرف بأنك تتحرك مع الله سبحانه وتعالى، وهو مع الصابرين. فاصبر، واعتمد عليه، وانطلق في سبيله، وستكون النتيجة بهذا الشكل، بهذا الشكل العجيب أعني: قضية من أغرب ما حصل في التاريخ، هذه القضية، قضية طالوت وجنوده .

هنا يحكي عن طالوت والقليل عندما قال: {وَالَّذِينَ مَعَهُ}. هي عبارة تفيد التقليل{مَعَهُ} هي عبارة توحي فعلاً بأنهم قليل، أنهم برزوا، أليس البعض يقول: [فكّة] متى ما جاءوا، هو في الأخير في بيته سيترك بندقه وسوف يستلمهم عندما يصلوا إلى الباب.! هذه ليست صحيحة، أولياء الله يكونون بهذا الشكل: موطن نفسه أن يبرز هو، أما إذا هم سيصلون عند باب بيتك لا تصدق أنك سوف تتوفق، وأنت متخاذل من البداية، أنك سوف تتوفق أن يكون لك موقف قد أنت عارف أنك لو قتلت أحداً فسوف يقتلونك، وسوف يدوسون البيت قد أحسن لك أن تسلم البندق ، وأحسن لك أن تتسلم في الأخير سيحدث هكذا.. لا تتوفق عندما يقول البعض: لا ، وأنه سيجلس في البيت!. إفهم بأن المؤمنين هكذا يجب أن يكون عندهم روحية أن يبرزوا هم {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} (البقرة: من الآية٢٥٠).

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (البقرة:٢٥٢). لاحظ هذه حقائق حقيقية، حق لا شك فيها. {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}. والمرسلون أليس لديهم مهام من النوعية هذه؟ المرسلون يكون مرسل ليقيم دين الله مثلما قال لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كواحد من المرسلين ألم يقل في آية آخرى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية٨٤).

حرض المؤمنين وذكر المؤمنين بمثل هذه. ورسول الله أليس هو رسول للناس جميعاً إلى آخر أيام الدنيا؟ وفي حركته فعلاً في حركة رسول الله (صلوات الله وعلى آله) أمثلة من هذه ، ما حصل في يوم بدر شبيه بهذه تماماً، ما حصل في يوم بدر عندما برز المؤمنون وهم قليل، وما زال فيهم نوع ربما أشد من ذلك أعني: أما هؤلاء نوعية متميزة بشكل عام {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٢٣).

لكن موضوع القيادة تبدو تكون قضية هامة، قضية رئيسية في موضوع القتال في سبيل الله أنها قضية هامة وفي يوم بدر حقق انتصاراً كبيراً، وكسرت شوكة الكفر، وقريش خرجوا كما قال الله عنهم: {بَطَراً وَرِئَاءَ

النَّاسِ} (الأنفال: من الآية٤٧). **يعني: غير مكترثين بتلك القلة، وغير مكترثين برسول الله ومن معه، وعندهم قوة، وعندهم شجاعة حصل مثلما حصل{فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ}** (البقرة: من الآية٢٥١).

عندما يقول: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} (البقرة: من الآية٢٥٢). **يعني: أن الناس يثقون، أن نثق جميعاً في هذه لأن الله هو ما يزال حياً قيوماً، أليس الله سبحانه وتعالى ما يزال حياً قيوماً هو الذي دعاه بنو إسرائيل قبل الله أعلم، قبل كم، آلاف من السنين حدثت القصة هذه؟ هو ما يزال حياً قيوماً، هل يمكن أننا نقول: أنه قد ضعف ملكه، أو قل جنوده، أو يتخلى عن أوليائه ؟ لا يمكن هذا .**

الله يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه، ويجعلنا من المستنيرين بكتابه، ومن المستبصرين بهداه.

إلى هنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة البقرة

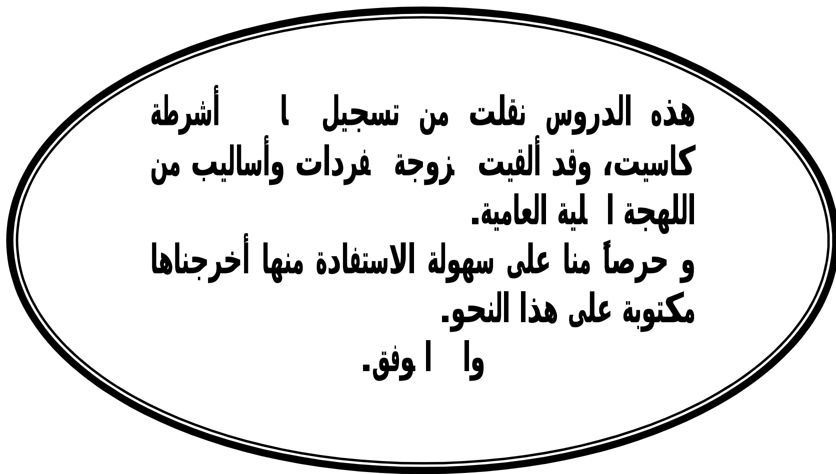
من الآية (٢٥٢) إلى الآية (٢٧٤)
[الدرس الحادي عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١١ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٥/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
في هذه الآيات التي سمعناها عدة مواضيع هامة، تبين من خلالها سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، أو سعة ما هو هدى لهم. عندما تتأمل تجد أن هدى الله قدم بالشكل الذي يمكن أن تكون معظم أجهزة جسمك معظم جوارحك كلها تشتغل في طاعته، وأن تكون كل ما لديك من الأشياء مثلاً: مال، المال الذي هو شيء أساسي من ضروريات الحياة، أن يكون هو أيضاً محط لأن يكون فيه خير لك، ويتضاعف بسببه الأجر لك، وتزكو بسببه نفسك، تثبت به نفسك .
هذا من رحمة الله الواسعة التي يجب أن نشكر الله سبحانه وتعالى عليها فننطلق أمام كل قضية وجهنا إليها من تلك النظرة التي سبق الحديث عنها: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥). **فمن نعمة الله في المقدمة نعمة الآيات، ونعمة الرسل{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية ٢٥٢ـ ٢٥٣) **أي: من كلمه الله{وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }** (البقرة: من الآية٢٥٣) **سنة إلهية تقتضيها سعة مجالات الحياة، وسعة شئون هذه الحياة، والأوضاع المختلفة في هذه الحياة، فيما يتعلق بالتفاضل، وتبين الآية بأن التفاضل هنا كان بشكل مهمة ـ كما نقول أكثر من مرة ـ عندما يقول سبحانه وتعالى: {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ}** (البقرة: من الآية٢٥٣) **موسى الذي نعلم من خلال القرآن الكريم ، الذي نعلم بأن الله ذكر أنه كلمه، هو موسى .**
مسألة التفضيل في أي شيء ليست قضية اعتباطية أبداً، كلها تقوم على أساس الحكمة ولها علاقة بالمهمة، والمسئولية المنوطة بالشخص. عندما نأتي إلى نبي الله موسى نجد كانت مهمته صعبة جداً، حقيقة ، صعبة بالشكل الذي يكاد الإنسان يعتقد بأنه كلف بالمستحيل. هو خرج من مصر خائفاً يترقب وإذا به يكلف ويؤمر بأن ينطلق إلى فرعون نفسه ليقول له: أن يؤمن بالله رب العالمين ، ويدعوه إلى عبادة الله، وهو الذي يجعل نفسه رباً، يجعل نفسه رباً، سلطة قوية وشعب سامع مطيع لتلك السلطة، وسلطة بلغت ربما أقصى درجات الطغيان في التكبر والعناد. في حالة كهذه يحتاج الإنسان إلى تثبيت، إلى أعلى درجات التثبيت وطمأنة إلى أعلى درجات الطمأنة.
فالله سبحانه وتعالى يذكر بالنسبة لرسله أنهم من الناس، هم من البشر يهديهم الله، يثبتهم الله، يؤيدهم الله. وقد تكون المهمة أمام نبي من الأنبياء بالشكل الذي تتطلب أنه يثبت على أعلى درجات التثبيت، فموسى عندما يتجه إلى مصر هل سيتجه وأصحابه عبارة عن ناس مثلاً [قُبُل] قوية داخل المجتمع؟.
بنو إسرائيل مستضعفون ، ومهمته أن يحرر بني إسرائيل من طغيان فرعون ، وأن يدعو فرعون وهامان وجنودهما إلى أن يتركوا الطغيان الذي هم فيه، ويعبدوا الله ويؤمنوا به هو كرسول ويتبعوه ويطيعوه. أضف إلى ذلك أنه شخص قتل رجلاً منهم، هو مدين ومطلوب بمجرد أن يصل إلى مصر. إذاً فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أن يصل به إلى أعلى درجات الطمأنة، أن يكلمه، عندما يسمع موسى كلام الله أليس سيطمئن بشكل قوي وبشكل كبير؟ {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} (النساء: من الآية١٦٤) .
عندما يقول: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} ثم يبين أثناء هذه الآية شيئاً مما فُضل به بعضهم على بعض تجدها قضية منوطة بمهامهم، منوطة بمسئولياتهم ، ثم إن أدوار الرسل تكون مختلفة ومهامهم مختلفة والمجتمعات التي يرسلون إليها ويبعثون فيها أيضاً مختلفة متفاوتة .
فموسى كان إنساناً يحتاج إلى طمأنة من أعلى درجات الطمأنة والتثبيت لنفسيته؛ لأنها مهمة صعبة جداً، لأنه لا هو إنسان يعتمد على قوم ـ وهم أمة مستضعفة داخل مصر ـ ولا هو سيرسل إلى شعب هكذا بتركيبته القبلية مثلما كان يرسل أنبياء آخرون، مثل: نوح، وغيره ، بل دولة هناك، دولة قوية وطاغوتيه ومهيمنة على شعبها

بشكل رهيب جداً ومهمة معناها: مهمة، عمل إ نقلاب كامل بدأ من الملك ممن يـدعي أنـه رب ، مـن الربوبيـة إلى العبودية لله أليست نقلات كبيرة ؟

{وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} (البقرة: من الآية٢٥٣). **عيسى كان أمامه مجتمع، مجتمع بني إسرائيل مجتمـع مليء بالخلخلة، مليء بالأطروحات المتعددة، مليء بالأشياء والتشكيكات، والأشياء الكثيرة كان يحتاج بينات، بينات أي مثلما تقول: [زخم بينات] لأنه مجتمع معقد وإن لم يكن مرهقاً من ناحية طغيان، ومظاهر ملك فيها طغيـان كما كان مجتمع فرعون ، لكن مجتمع مليء مشاكل وإشكاليات واختلافات وانحرفات ثقافية.**

{وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة: من الآية٢٥٣) **قد يكون هذا مثلاً جبريل، أو ملك من ملائكة الله فيه تأييـد لـه؛لأنها أيضاً عملية مرهقة، عملية صعبة فعلاً، فيها صعوبة يحتاج إلى طمأنـة مستمرة، وتأييـد.بالنـسبة لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **محمد يوجد أخبار بأن الله أرفق به ملكاً من ملائكته من بداية نشأته .**

فعندما نعرف مسألة التفضيل، بأنها تكون على هذا النحو: ليس هناك تفـضيل إلا وهـو يقـوم علـى مـسئولية، وتناط به مسئولية قاعدة عامة فيما نفهم أنها تكون كلها على هذا النحو. وإذا فهمنا التفضيل على هـذا النحـو فسيفهم الناس بأنه في الأخير القضية تعود بالشكل الذي فيه منفعة للناس، منفعة للناس هم ، لـصالحهم هـم، لهذا نقول: أنها قضية مرتبطة حتى بجانب الصحة، بجانب الذكاء، بجانب المواهب، بجانب المال، أن تكـون ممـن فضلك الله بنسبة من المال أكثر من الآخرين تأ كد بأن هناك مسئوليات، وحقوقاً منوطة بهذا التفضيل.

لأنه يحصل اشكاليات عند البعض، اشكالية ممن هم يرون أنفسهم حضوا بفضل يقولون:[نحن فضلنا الله عليكم ونحن أوجب الله عليكم محبتنا ، ونحن ، ونحن ...] بطريقة جافة. والآخرون كـأنهم ينظـرون إلى أنـه:[لماذا فضل الله الآخرين ؟ لماذا ..لماذا ؟ لماذا أما نحن ... ؟] مفهوم مغلوط عند الطرفين، لأنه من تكريم الله للإنسان ، من تفضيل الله للإنسان الذي قال عنه: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (الاسراء:٧٠).

ألم يقل هنا: بني آدم تكريم وتفضيل، من التكـريم لـك ، مـن التكـريم للإنـسان ، مـن التفـضيل للإنـسان أن يصطفى له من يهديه أن يقدم له هدى بالشكل الذي يليق بتكريمه، بالشكل الذي يليـق بتفـضيله علـى كـثير ممن خلق الله من المخلوقات الأخرى. فعندما نرى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **شخصاً كرمه الله وفضله واصطفاه تجد أنه في الأخير يقول بأنه أرسله على هذا النحو العظيم للعالمين ، رحمة للعالمين. إذاً أليس في هـذا تكريماً لنا؟ تكريم للناس أن يكون من يهديهم ، من يقودهم ، من يرشدهم، من يعلمهم شخصاً يصطفى، شخـصاً يختار لهذه المهمة التي هي تكريم وتفضيل في حد ذاتها .**

هنا لم يعد اشكالية على الإطلاق لأنه عندما أرى شيئاً معيناً فيه تفضيل يعني: أنه تفضيل لـي أن يكـون علـى هذا النحو، بمعنى: أنه عندما تجد القرآن الكريم، أليس الله وصفه بأنه عظيم وكـريم، وحكـيم ونـور وهـدى وشفا؟ في الأخير ماذا يقول عنه؟ للناس، أليس هو للناس؟ أليس هذا من التكريم للناس: أن ينزل الله لهم كتاباً على هذا النحو كتاباً عظيماً، كتاباً كريماً ، كتاباً حكيماً ؟ وأن يرسل لهم رسولاً عظيماً وحكيماً ورحيماً؟

فإذا كان الناس مثلاً يريدون أن يقارنوا بحيث نعرف الشيء الذي هو يعبر عن تكريم لنا كناس الذي يعـبر عـن تفضيل لنا كناس على كثير ممن خلق الله من مخلوقاته الأخرى فقارن بين مـن يـصطفيهم الله للنـاس وبـين مـن يفرضون أنفسهم على الناس؟ لاحظ كيف يكون الذين يفرضون أنفسهم على الناس سـواءً أن يفرضـوا أنفـسهم كحكام، أو يفرضوا أنفسهم كمثقفين، أو بأي طريقة كانت! هل يكون في ممارساتهم ما يعبر عن أنهم ينظـرون إلى الإنسان كمخلوق مكرم ومفضل؟ لا. يمتهنونه ، يحتقرونه فعلاً ، فهل يريد الناس من النوعية هذه من أجل أن لا أقول أن هناك من هو يبدوا أفضل مني؟! إن ذلك الذي هو أفضل مني هو لي بكلـه لأكـون أنـا فاضـلاً لأن كـل مـا يمتلك من مواهب، كلما يمتلك من مؤهلات، وكمالات هي ليرتقي بي إلى أعلى مستوى ممكن أن أصل إليه.

أليس الله قال بالنسبة للنبي: (صلوات الله عليه وعلى آله) **{وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَيُـزَكِّيهِمْ}** (البقـرة: من الآية١٢٩) **أليس هذا يرفعهم؟ أليس هو هنا سخر كل كمالاته ومؤهلاته وأخلاقه ليرتقي بالنـاس إلى أعلـى مـستوى**

يمكن أن يصلوا إليه هذه هي السنة الإلهية، وهذه هي السنة التي يصيح منها الكثير من الناس ! أعني: كأن الشيء الذي يريده الناس هو أنه، لا، نريد من النوعية الأخرى التي تتعامل معنا بامتهان واحتقار وانحطاط هذه مقبولة !!

قد تكون المسئولية مشتركة بالنسبة للموضوع هذا، بالنسبة للخطأ، أو لسوء الفهم الذي حصل في المسألة، ما بين من يقولون: بأن الله فضلهم، وما بين الآخرين، طرح من هنا بشكل ليس على هذا النحو القرآني، ومن الآخرين، أو قد يكون فعلاً أوجد مشاعر عند الآخرين وكأن الله ميز آخرين هكذا اعتباطاً، وأحطّ آخرين .! تنسى النقطة المهمة وهي أن نقول: سلمنا فضلك الله ، لكن فضلك لمن؟ لنا وأنت منوط بك مسئولية هي تجعلك كلك لنا، مثلما قال عن رسوله، ومثلما قال عن كتابه.

أليس هذا أعلى شيء قدمه؟ هذا مظهر من مظاهر التكريم الذي ينسجم مع فطرة الناس، أنت عندما تكون مكرماً لشخص ألست ستنتقي له أفضل ما يمكن لديك؟ تنتقي له مثلاً لتعبر عن تكريمك له، أو ستبحث عن أسوء ما عندك له؟ أنت تعبر عن تكريمك لآخرين أو لشخص معين أو لمجموعة معينة من خلال أنك تختار لهم أحسن ما عندك إذا أنت تريد أن تضيّفهم مثلاً، وهكذا .

في الآيات السابقة من [سورة البقرة] وعلى أساس أن [سورة البقرة] ليست هي أول سورة نزلت وإن كنا نراها في أول المصحف بالنسبة لموقعها عندما يقول: {تِلْكَ الرُّسُلُ} تلك حصيلة أعمال الرسل والهدى الذي جاء به الرسل فيما حكاه عن بني إسرائيل أليس أدوار رسل داخل بني إسرائيل؟

تجد كيف كانت المسألة أعني: كيف كان الهدى على هذا النحو العظيم جداً ، من أين جاء الهدى؟ أليس على أيدي الرسل ومن خلال الكتب التي تنزل إليهم؟ ومع هذا تجد الإختلاف في الغالب يطرأ بعد أن يفارق أي رسول أمته بسرعة على الرغم من أنهم رسل على مستوى عالي، ويكون الرسول في اصطفائه، في اختياره بالشكل الذي باعتبار المجتمع الذي يتحرك فيه وبعث فيه، وباعتبار مهمته لا يكون فيه نقص عن أن يقوم بالدور المنوط به باعتبار مستوى المجتمع الذي بعث فيه والغاية التي يريد أن يصل بهذا المجتمع إليها، ولا تقصير فيما يأتي من عند الله سبحانه وتعالى من كتب .

ومع هذا تجد كيف يحصل بعد هؤلاء الرسل العظماء، وبعد تلك الكتب التي تعتبر بينات وهدى وموعظة ونور، ومتكاملة، متكاملة أعني: لا تقول أن منشأ الإختلاف هو: أنه موضوع من المواضيع نسي، نسي ذلك الموضوع الذي لم يتناول بالتركيز عليه مما كان له أثر أن نتج عنه إختلاف ومخالفة من خالفوا ! لا. من خالفوا في كل ما قدم من حديث عن المخالفة هي تكون دائماً عن علم، بغي، وتعمد، وتعدي لحدود الله.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} (البقرة: من الآية٢٥٣) **قد يحصل اختلاف إلى درجة الإقتتال وهذا حصل بعد موت الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **محمد وحصل بعد ـ تقريباً ـ كأنه في أغلب الرسالات حصل{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ}** (البقرة: من الآية٢٥٣) **أي أنهم اقتتلوا .**

الإقتتال بالتأكيد يكون بعد اختلاف، وفئة تخالف فئة تخرج عن الطريق المستقيم، وتبغي وتعتدي{مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (البقرة: من الآية٢٥٣). **ما معنى البينات هنا؟ هل هي بينات تجعلهم يختلفون؟ أو بينات بالشكل الذي توضح لهم الطريقة التي لو ساروا عليها ما اختلفوا ولا اقتتلوا؟ {وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا} على الرغم من الرسل العظماء ، الحكماء، الكاملين في أداء مهمتهم، الناصحين لأممهم، من بعد البينات العظيمة التي تأتي على أيديهم {وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ}** (البقرة: من الآية٢٥٣). **فالنتيجة في الأخير تصبح هكذا.**

أيضاً لاحظوا كلمة: [كفر] موجودة كثيراً في القرآن الكريم داخل صف من؟ المسلمين ، داخل صف أتباع الأنبياء تجدها تتكرر كثيراً الكلمة هذه، عندما تفهم بأن معناها كفروا: رفضوا، رفضوا تلك البينات ورفضوا ذلك العلم فانطلقوا باغين متعمدين ليخالفوا! هذه القضية هامة جداً يؤكد عليها الله سبحانه وتعالى في القرآن، أن يفهم الناس أن الإختلاف لا يكون سببه ولا منبعه شيء من جهة الله ، تقصير في بيناته، أو قصور في تبليغ رسله على الإطلاق، منشؤها فئات أخرى.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}(البقرة: من الآية٢٥٣). **هذه القضية يكون منشؤها عند البعض من معتقدات غير لائقة بالله سبحانه وتعالى، وكأنه شاء ذلك منهم! شاءه مشيئة نافذة أي هو أراد لهم أن يختلفوا أراد لهم أن يقتتلوا! البعض يقولون في الأخير هكذا! هذه قضية غير صحيحة. في الجانب الآخر يأتي أيضاً تأويل فيه نوع من التعسف أنه كيف نحاول أن نجعل{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا}**(البقرة: من الآية٢٥٣) **بالشكل الذي تكون لائقة بتنزيه الله سبحانه وتعالى! لكن عندما نعرف قضية هامة: الغاية من خلق الإنسان هنا في الأرض، واستخلافه في الأرض هي غاية مهمة، غاية نهايتها الشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى ـ كما تحدثنا في درس سابق ـ الشهادة بكمال الله، الشهادة بقدسية الله، بجلاله، بعظمته، بحكمته، بعلمه، برحمته، بكل ما تعنيه أسماؤه الحسنى.**

لأنه بعد أن يأتي برسل على هذا المستوى العالي، ويأتي ببينات على هذا المستوى العالي، فانظر أنت في الأخير كيف ستكون نتيجة من يخالفونه، وكيف سيكون الآخرون ممن هم لا يهتمون بما يقدم إليهم من هدى، وبينات على أيدي هؤلاء الرسل، ومن داخل هذه الكتب الإلهية، كيف سيكون واقع من يخالفون هدي الله؟ أليس هذا في حد ذاته مما يعطينا شهادة على عظمة هدى الله؟ على عظمة رحمة الله؟ على حاجة الناس كل الناس إلى أن يتلقوا بإصغاء واهتمام لما يأتي من عند الله؟ وإلا ستكون النتيجة هكذا؟.

إذاً فالموضوع شهادة، ولهذا نقول: أن الإنسان يكون دوره هنا، أعني: المجتمع البشري، المجتمع البشري رغماً عنه، رغماً عنه ولو حصل على يده ما حصل من مخالفات فإن كل ما يعمله هو يشهد، تلك الأخطاء التي يعملها، ذلك الضلال الذي هو فيه يشهد بعظمة هدى الله، لأنه[وبضدها تتميز الأشياء] هذه قضية واضحة.

ولهذا نحن نقول أكثر من مرة: يجب أن ننظر إلى القضيتين مع بعض، أن تعرف أن الجانب السلبي هو يمثل شهادة أيضاً، شهادة بطريقة أخرى، أي: أنظر عندما لا يسير الناس على هدى الله كيف سيكونون؟ عادة يكونون مختلفين، أو الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة قليل في المجتمع، قليل، لكن هذا القليل يواجه ساحة من الكثير الذين ما كانوا يهتمون بالشكل المطلوب، عندما يقدم لهم هدى الله، ولهذا نحذر دائماً من قضية: [القضية معروفة الموضوع معروف] وأنها قضية يجب أن تنسف من أذهاننا، دائماً تكون مهتماً مفتحاً وإلا ستكون ضحية أنت للآخرين، النوعية، هذه وسيكون الضحية، هؤلاء البسطاء هم يقاتلون فيما بينهم، ويجعلونهم محرقة لأهوائهم، محرقة لضلالهم، محرقة لبغيهم وتعديهم.

الذين يتجهون إلى المخالفة المتعمدة يكونون نوعية من البشر قليل، وقد قال لنا في القرآن بأن هناك نوعية من الناس نوعية لا ينفع فيه شيء ولا يسمع لشيء، ولا يتجه لشيء، هذه النوعية ستبقى غير مؤثرة إذا ما كان الباقون ـ الذين ليس لهم الدوافع ـ مهتمين بالشكل المطلوب عندما يقدم لهم هدى الله، دوافع البغي والتعدي ليست قائمة عند الكثير من الناس هذه، لكن هم ـ عادة ـ يصبحون ضحية بساطتهم عندما كان يقدم لهم هدى الله على يد أنبيائه ومن داخل كتبه، وعلى أرقى مستوى، ثم لا يصغون بالشكل المطلوب، ويلتزمون حرفياً، ويقدرون القضية حق قدرها، ويهتمون بها اهتماماً كبيراً بمعنى: أنه هكذا قدم الله هداه ونبه الناس على أنه يجب أن يتفاعلوا بإيجابية مع هداه وإلا فليجربوا أنفسهم وليذوقوا وبال إهمالهم، وبساطتهم، وعدم تفاعلهم.

لاحظ كيف تنتهي المسألة؟ هذه قضية بهذا الشكل لا نحتاج نقول: نربطها بعقيدة سيئة بالنسبة لله تتنافى مع قدسيته وجلاله، ولسنا بحاجة إلى تمحلات من ذلك النوع على أساس أنه فيما يتعلق بقضية:[الأفعال] أي: أن الله هو الذي حرك أيديهم ليقتتلوا بعضهم بعض! ليست المسألة هذه.

لاحظ موقف أمير المؤمنين لتعرف كيف المسألة، موقف الإمام علي عندما يقول البعض: لماذا لم يتحرك الإمام علي ويذهب يقاتلهم ولو ضحى بنفسه، لو لم يكن إلا هو وأولاده؟ لا، إنك لاحظ هذا المجتمع قدم له هدى الله على أرقى مستوى، ومن الهدى الذي قدم له على أرقى مستوى أن قال لهم: تمسكوا بهذا الشخص [علي] وهم يعرفون علياً من أول يوم في الإسلام، يعرفون علياً في معارك الإسلام، يعرفونه في كل المواطن، يعرفون مدى اهتمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) به لم يقل: ((من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)) في مجلس معين، أو في زاوية من زوايا المسجد، أو لأربعة أو لخمسة، في يوم ظاهر شاهر ـ كما يقول الناس ـ ويوم شمس مشرقة،

أعني: نور واضح ، حتى لا يقولون: كان هناك ضباب لم ندر ، ولا رأينا من هو الذي رفعه ، شمس واضحة ، وصحراء بينة ، لا يوجد فيها إلا أشجاراً معدودة التي وقف تحتها حتى لا يقولون: [كان هناك شجرة ما عرفنا والله من هو الذي قام معه، كان قدامي شجرة سدر، أو طلحة ، أو أي شيء من هذا].

أليست صحراء واضحة؟ وشمس محرقة؟ أي نور واضح، لا ضباب ولا أشجار ، ولا صخرات ، ولا مطبات، ولا شيء أمامهم ، قضية واضحة ، ثم ترص له أقتاب الإبل يعني: أن هناك جمع ، أن يكون هناك عدد كبير من أقتاب الإبل ترص له، أليس هذا يعني شهادة: بأن هناك أناس كثير حاضرين لا يمكن أقتاب إبل إلا والإبل كثيرة ، ولا إبل كثيرة إلا ويوجد ناس؟ أليس هذا شيء معلوم ؟ ثم يصعد ولا يطلع هو لوحده ، وهم يعرفونه ، ويعرفون صوته ، ويصعد معه بالإمام علي.

لاحظ كيف يقدم بلاغ الأنبياء حتى نعرف خطأ كل من يحاول يقدم تأويلات لمن يختلفون بعد الأنبياء، أنك في نفس الوقت تحاول تنزه أشخاصاً ، وتلحق بالله ما هو نقص، تلحق بالله النقص، وتلحق بأنبيائه النقص من أجل أن تنزه أشخاصاً هم خالفوا متعمدين.

يطلع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، ويخطب ما هي أول كلمة يقولها؟ لأن هذه قضية هامة، حتى لا يقولون: لم نكن منتبهين، يخطب حتى يكونوا هم مستقرين ، وهادئين ، وساكتين ، ويأتي بالكلمة ويمهد لها بشكل يربطها بالله.

لهذا نقول في حديث الغدير: حتى نحن نقدمه بشكل مختزل [قال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه]! لا. يجب أن تنظر إلى الموضوع من أصله ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين)) هذا تسلسل مثلما قال النبي في بني إسرائيل: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً} (البقرة: من الآية٢٤٧) ((إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا ـ هذا ـ عليٌ مولاه)) ، هل هناك أوضح من هذه؟ لا يوجد أوضح من هذه. ذلك المجتمع الذي سمع الكلام هذا هل أحد يستطيع أن يفرض عليه موقفاً آخر؟ هل كان لدى أبو بكر وعمر مثلاً ، وتلك المجموعة ما يفرضونه أمام هذا البيان؟

إذاً موقف الإمام علي هو نفس موقف الآيات القرآنية هذه، من بعد ما يكون هذا المجتمع سمع كل شيء ، وفهم كل شيء، وذكرهم أيضاً هو، وذكّرتهم الزهراء هي أيضاً، وذكّرهم العوّام، وذكّرهم آخرون، لم يرضوا. إذاً فليجربوا أنفسهم . هذه سنة إلهية ، هذه سنة إلهية داخل الأمم ، الناس إذا لم يستجيبوا لهدى الله فليجربوا أنفسهم ، وسيذوقون العواقب السيئة نتيجة تقصيرهم ونتيجة مخالفتهم .

ألم يقم الإمام علي بكل ما لديه من وسائل؟ حتى في الجانب العسكري قال هو: ((فطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء)). الكثير بسطاء أثر عليهم آخرون؟ ونحن نقول أكثر من مرة: يجب أن نفهم الأمور على هذا النحو لا نقع في الإحراجات التي وقع فيها الآخرون ما بين مقدس للصحابة على الرغم مما هم عليه ، وما بين من له موقف سلبي تماماً يعتبر بأنهم كفروا بما تعنيه الكلمة. نقول: لا، يوجد حالة أخرى ، حالة أخرى هي حالة البساطة ، حالة أللا مبالاة ، التي يمكن أن تحصل مع إيمانك بالقضية ، مع إيمانك بالقضية.

كل الناس كانوا مؤمنين بأن الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) قال هكذا لعلي سلام الله عليه في [يوم الغدير] ويعرفون ما قال سابقاً ، لكن لم يعطوا القضية الأهمية اللائقة بها ، كانوا ضحية للآخرين عندما ضلوا، وقلنا أكثر من مره: التضليل عادة في مواقف معينة ، لا يلامس القضية الأساسية لديك فيدفعك إلى أن تكفر بها، هذه لا تحصل. هل إبليس ذهب إلى آدم ليقول له: أكفر بمسألة النهي عن أكل الشجرة؟. هل قال له هكذا؟ لا. [مجابر ثانية والموضوع هناك]. هل قدموا لهم أن يكفروا بما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لعلي؟ قدموا أسلوباً آخر [علي قد قتل أناساً وعليٌ كذا، وهناك أناس آخرون ويمكن نجربهم والمقصود واحد ورسول الله همه واحد ، وهؤلاء الناس تعرفونهم كانوا قريبين من رسول الله] وأشياء من هذه تجعلك تتقبل المسألة التي تعتبر مخالفة ، ولا يطلب منك الكفر بما سمعته من النبي ، وهذه من أخطر الأشياء ، من أخطر أساليب الضلال هذه الطريقة.

لم يرضوا يسمعوا ولا يتفهموا!.الإمام علي تركهم يجربون ، جربوا أبا بكر ، عمر، عثمان، وفي الأخير ذاقوا هم وبال أمرهم ، وأهينوا، الأنصار أولاً ، الذين اجتمعوا في السقيفة ! ألم يكن المفروض لأولئك أن يجتمعوا مع علي؟ لا أن يجتمعوا هناك لوحدهم ، ويأتمروا لوحدهم على أساس أنه ربما لا تتم المسألة لعلي! لأنه إجلسوا أنتم معه تتم، عندما يكونون مثلاً ولو ثلاثين شخصاً، ولو خمسين شخصاً يذهبون إليه، لا أن يقولوا: [ربما لا تتم المسألة أحسن أن نكون قد انتبهنا لأنفسنا حتى لا يأتي آخرون يمسكون بزمام الأمور فيظلموننا] ما نفعتهم هذه، ظلموا ، وأهينوا في أيام أبي بكر، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية، ويزيد اجتاح المدينة إجتياحاً رهيباً جداً قتل حوالي سبع مائة شخص أو أكثر منهم ، وانتهك أعراضهم ودمر بيوتهم ، قضية رهيبة جداً حصلت لهم ، أي: هذه القضية قائمة في دين الله ، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلونه وإلا فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي ، والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة.

و{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ} كما سيأتي بعد{قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}(البقرة: من الآية٢٥٦) **إذا ما تريد تستقيم ستذوق أنت العواقب السيئة للغي، للضلال.**

الله سبحانه وتعالى في المشيئة يستطيع أنه يوقفهم ، أليس هو يستطيع أن يجمد أيديهم ؟ لكن قد قدم لهم ما كان يجعل أيديهم بناءة ، وأيدي خيرية ، وليست أيدي تتحول إلى خلق قتال بعد أنبياء الله بسبب مشاققتهم ، وخلافهم وبغيهم ، أعني: العبرة في هذا هو أننا نحن ننظر ، وكل الناس ينظرون هكذا تكون عاقبة من يخالفون هدى الله ، وتكون هي في حد ذاتها فيها هدى للناس.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا}(البقرة: من الآية٢٥٣) **لتبقى القضية من واقع الحال ، من واقع حياة الأمم شاهداً ، أو قضية يهتدون، يهتدون هم يفهمون ، البسطاء ، الكثير الذين لا يهتمون ، يفهمون أنهم سيكونون ضحية للمضلين الذين هم ـ عادة ـ قليل ، من يخالفون بغياً ، عادة يكونون قليلاً ، مثلاً بعد رسول الله {صلوات الله عليه وعلى آله} مجموعة معينة لو توقفت عن بغيها، ومخالفتها المتعمدة ، أولئك البسطاء كان يمكن أن يسيروا على ما قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يوم الغدير ، والإمام علي يحكمهم ، وليس هناك أي مانع ، ولن يشاققوا ولا شيء ، هذه كان يمكن أن تحصل ، لكن بساطتهم ، ولهذا أجابوا على الزهراء قالوا: [خشينا الفتنة ، أو نخشى الفتنة] ! أي: قد جاء كلام كثير، [وقوفنا مع الإمام علي سيؤدي إلى اقتتال ، وقد وقف مع أبو بكر ألت فلان وألت فلان وعليٌ أنتم عارفين ربما الناس الذين يكونون معه قد يكونون قليل ربما يجتمعون مع الآخرين ويؤدي إلى اقتتال وعدو من خارج و..و ..] إلى آخره ، أعني بهذه الطريقة يجعلونهم يقولون: خشينا الفتنة. قالت لهم الزهراء: {أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}**(التوبة: من الآية٤٩) **هذه هي الفتنة .**

فهذه فيها هدى لنا، هدى للناس أن يفهموا، هكذا؛ ولهذا كانت قضية خطيرة جداً على من اختلفوا بعد آخر الأنبياء، وبعدما ذكر لهم ما حصل بعد الأنبياء الكثير، ألم تكن بالشكل الذي تفرض عليهم أن يكونوا منتبهين بشكل كبير يسطر ما حصل بعد الأنبياء السابقين ، ثم ما حصل بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) . أليست بالشكل الذي تفرض على الناس أن يتنبهوا من بعد ، يتنبهوا فعلاً ، فإذا ما كانوا أمام القرآن أعني: أن يكونوا حريصين على الإهتداء بشكل جاد ، وإلا سيكونون ضحية للتضليل.

إذا كان أولئك الذين تعاملوا مع كلام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، مع شخصه ـ وهو الذي يحدثهم هو ، والقرآن يتنزل عليهم ـ ببساطة ، لأنهم مؤمنون برسول الله ، والآيات [وصدق الله العظيم ، وباهر ، والقضية معروفة ، ومسلّمين] لكن ليس هناك شيء تفكر ، ليس هناك تركيز، ليس هناك التزام حرفي، فاعرف بأنه سيحصل حتى بالأولى بعد آخرين لأنه ليس هناك أحد في الأمة سيكون مثل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا حوله ، بعد رسول الله ، وبعد الإمام علي ، وبعد الحسن والحسين . ليس هناك أحد ترى بأنه سيكون مثل واحد منهم أبداً. لكن يجب أن نلحظ ماذا؟ كل هذه الأمثلة لأنها تمثل أيضاً ، تعطينا وعياً ، تعطينا بصيرة ، تراهم اختلفوا بعد أنبيائهم نتيجة بساطة هؤلاء ، وتعمد ، وعدوانية ، وبغي فئة معينة. إذاً فيجب أن نحذر فلا نكون بسطاء ، ولا نسمح لأولئك المخالفين ، والمعاندين أن يكون لهم كلمة تسمع .

لهذا أنا أستبعد مسألة: أن الإمام عليا كان يقول: [حقي وتراثي] وأشياء من هذه ! لا أعتقد أن هذه صحيحة مسألة: حقي ، حقه الشخصي ، وعبارة قالوها عنه:[والله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن الظلم إلا عليَّ]. هذه عبارة غير صحيحةً ، بعيدة جداً، أعني: هذه عبارة من لا يعرف ولاية أمر الأمة وأهميتها. كيف يمكن لإنسان يعرف أهمية ولاية أمر الأمة بالنسبة لاستقامة الأمة ويكون ما يزال معتقد أنها ستسلم أمور المسلمين ! هل سلمت أمور المسلمين من ذلك اليوم إلى اليوم ؟! ما سلمت .

إذاً ففي المسألة دروس هامة ، ولولا أن فيها دروساً هامة جداً ، وعبرة للناس ، تمثل في حد ذاتها هدى للناس كأمثلة واقعية ، من الواقع ، من الأمثلة السلبية ، يكون هناك نماذج تقدم هدى: طالوت ، والمؤمنون معه، أليست هذه نوعية، والنوع الآخر أيضاً ، نماذج ، تعرف أنت خطورة الجانب السلبي عندما تعرض عن هدى الله.

فعندما يأتي البعض يقولون: إذاً الإمام علي ما دام أنه ما قاتلهم، إذاً فمعناه : وكأنه رضي بهم ! لا، هي هذه السنة، هي هذه ، يحاول أن يبين لهم، وقد بين لهم الرسول على أكمل طريقة، هل ما يزال يحتمل أن رسول الله قصر ؟ فيحتاج الإمام علي يتكلم؟ كل ما يأتي من الإمام علي هو زيادة خير فقط؛ لأن الفترة قريبة ما بين يوم الغدير ، وبين يوم موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والناس هؤلاء هم الذين عاصروا النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ويعرفون علياً تماماً حتى ولو لم يتكلم ، لو لم يتكلم ، أما عندما يكون قد تكلم ، وبين والزهراء تكلمت ، وآخرون تكلموا هذا كله يعتبر زيادة من عندهم، وإلا فكان ما قد حصل من عند النبي فيه الكفاية؛ لأنه نفس الجيل ، نفس الأشخاص ، والقضية قريبة أعني: ما قد طالت الفترة من يوم الغدير إلى موت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) .

في الأخير يقولون: إذاً هو عندما لم يقاتلهم فكأنه أقرهم على هذا ! لا، لا يوجد مسألة إقرار ، إن المسألة أنه بين المسالة وإذا نفس المجتمع ذلك نفسه ما أعطى القضية أهميتها ! إذاً فانطلقوا جربوا أنفسكم ، وانظروا كيف.

وهذه القضية أساسية في موضوع هدى الله ، هل تجد الإمام علياً مثلاً أيام حكمه ألم يكن باستطاعته أن يمارس حكم معاوية وطريقة معاوية ، وطريقة الحكام من بعده؟ ألم يكن باستطاعته ؟ أي واحد منا يستطيع أن يحكم الأمة على طريقة الحكام هؤلاء ، وبكل بساطة ، تقمع هذا ، وتوزع أموال المسلمين لهذا وهذا ! يستطيع الإنسان لكن ،لا، المسألة قائمة على أساس أن يكون هناك وعي عند الناس هم؛ لأن القضية مرتبطة بهم هم ، أن يكونوا واعين أنهم عندما يستجيبون ، وعندما يهتدون بهدي الله سيصل بهم إلى أعلى مستوى ، وإذا ما خالفوا سيذوقون هم وبال أمرهم أعني: لن تكون القضية عادية أنه فقط خالفوا ، وعاندوا ، وعاشوا حالة اللا مبالاة ، وعدم الإهتمام ، ومشت الأمور طبيعية ، سيضربون؛ لأنها لم تقدم ولاية الأمر في الإسلام بالشكل الذي يحس الإنسان بحالة من الكبت ، أو القهر ، أو ضعة النفس، مثلما يحصل في ظل حكام الطاغوت ، ما تحصل هذه على الإطلاق.

ألم يكن الإمام علي ـ وهو في الكوفة ـ بالشكل الذي بعضهم يتعاملون معه كأي شخص آخر؟ لكن يأتي معاوية ، أو آخرون ، وإذا كل واحد يشعر بأنه هناك ، ضعة ، تحطيم للنفوس ، نسف للتكريم للإنسان لأن الله جعل ولاية أمر عباده بالشكل الذي يكون لائقاً مع تكريمهم ، فإذا كانوا كرماء فليسيروا على هديه وإلا فليسوا كرماء سيدوسهم الآخرون ، سيحكمهم من يليق بمثلهم .

ولهذا كان أثر معروف ما أدري هل حديث معين ، أو أثر ، المهم أنه مقولة واقعية: [كيفما تكونوا يولى عليكم] أنتم كرماء لن تقبلوا إلا كرماء ، أنتم ما عندكم اهتمام بالجانب هذا ، أي نفوس منحطة ، لا تبالي ، سيأتي لكم من نوعكم {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً} (الأنعام: من الآية١٢٩) هذه القضية ثابتة، وإلا فالإمام علي كان يستطيع أن يحكم العالم كله بطريقة معاوية ولا أحد يتجرأ أن يخالفه ، ولا أحد يجرؤ أن يخرج عن صفه؛ لكن يكون فيها ماذا ؟ خوف عند كل واحد حتى لا أحد يوشي به عند السلطان ، لا يأتي أحد يلفق عليه قضية ، لا يقدّر ربما أنه متآمر عليه ، فيمسحه ، أشياء من هذه .

يعيش الناس نفوساً منحطة ، النفوس المنحطة في الأخير لا تعود جديرة بأن تنهض بالمسئولية ، لهذا لاحظ الآن الشعوب العربية الآن كيف واقعها ؟ أليست شعوباً ضرب تكريمها ، ضربت كرامتها من قِبل حكامها حتى في

الأخير لم يعد موجود عندهم عزة نفس، ولا كرامة بأن يكونوا مستعدين أن يواجهوا العدو الآخر مهما كان سوءه أبداً ؟ نفوس قد روضت على الإذلال والإهانة، والإحتقار حتى أصبحت لا تعد تبالي يحكمها من يحكمها.

فالتربية الإسلامية هي بالشكل الذي يجعل الأمة ، يحمل الناس فيها نفوساً رفيعة ، يشعرون بطمأنينة ، يشعرون بتكريم ، لا يخاف على نفسه ، لا يخاف من مجرد كلمة تقال عليه ، لا يوجد قتل على التهمة ، والظنة كما يعمل الآخرون ، لأن النفوس الرفيعة هذه تكون هي الجديرة بأن تكون ماذا؟ تواجه الأعداء الخارجيين ، وترفض أي طغيان يريد أن يتحكم عليها ، ويفرض نفسه عليها .

إذاً فنحن ننظر إلى الآيات هذه من منظار ما فيها من هدي ، تجد نظائر لها مثلاً ما يسمى بأخطاء لأنبياء في مجال عملهم مثلما حصل في [سورة عبس] مما حكاه الله عن نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست أشياء الله سبحانه وتعالى يستطيع من قبل أن يوجهه أنه لا يجلس مع أولئك ، وأن لا يعمل... بحيث لا يحصل منه الخطأ؟ أليس هذا ممكناً ؟ تترك المسألة لأن فيها درساً هاماً جداً ، تمثل هدى عظيماً جداً للناس ، لنفس النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وللناس من بعده ، لمن يكونون هداة ، وللكل يعرفون بأن دين الله يجب أن يدخل الناس فيه من باب واحد هو باب العبودية لله ، ليس هناك دخول من فوق ومحاولة أقلمة للدين مع الكبار هؤلاء ، وإملاءات معينة من أجل أنهم يدخلون في الإسلام.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(البقرة:٢٥٤). أمر للناس بالإنفاق بشكل عام ، وستأتي أكثر الآيات التي سمعناها الليلة تتناول موضوع الإنفاق بشكل كبير بمعنى: أن الإنسان عندما ينفق هو إنما ينفق مما رزقه الله ، لماذا تبخل بالشي الذي لم يبخل به الله عليك ؟ عندما يقول لك: تنفق فأنت لا تنفق من الشيء الذي أنت أبدعه وفطره وخلقه ، هو مما رزقك الله ، وعندما تنفق مما رزقك هو أيضاً لمصلحتك أنت، لما فيها ليوم القيامة لأنه كلما تنفقه هنا أنت بحاجة إليه في يوم القيامة ، يوم القيامة لا يوجد فيه بيع وشراء ، لا يوجد فيه أي محاولة كسب أشياء .

{لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ}. من المخاللة ، من الصداقة ، أو الصحبة {وَلا شَفَاعَةٌ} لا أحد يشفع لأحد إلا لمن ارتضى {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. الكافرون بهدى الله ، بتوجيهاته، فهم الظالمون لأنفسهم ، هم الظالمون أعني: لا يكون ظلم الإنسان حتى محصور في دائرة نفسه ، ظلمك لنفسك في الأخير له علاقة كبيرة بالظلم للآخرين.

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}(البقرة:٢٥٥). هذه آية الكرسي من أهم الآيات في القرآن، من أهم الآيات في كونها آية تمجيد لله سبحانه وتعالى ، وآية تحكي عن سعة علمه فيما يتعلق بالدنيا هذه، وفيما يتعلق بالآخرة ، وأنه قيوم السموات والأرض ، هو الإله الذي لا إله إلا هو سبحانه وتعالى ، هو الحي القيوم لا تأخذه سِنَةٌ، سِنَة يقولون: أنها أول النوم [الهقادة] ويسمونه: نعاس. {وَلا نَوْمٌ} يغط في النوم، لأنه قيوم السموات والأرض.

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}. بمعنى: أنه عندما يخبر بموضوع الشفاعة ، هو تقدم في موضوع الشفاعة في الآية السابقة ، وتجد مثلاً الآية هذه لها علاقة بالآية الأولى فيما يتعلق بالناس الذين يختلفون بعد الأنبيا. عادة الإختلاف بعد الأنبياء يكون بشكل مقلق للطرف هذا الذي يخالف فيحاول أن يقدم معتقدات معينة غالباً ما تكون بالشكل الذي يؤمن الناس من ماذا؟ من عذاب الله .

موضوع شفاعات أليست هذه حصلت في الرسالات من بعد الأنبياء عند اليهود؟ تقدم ما قال الله عنهم: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً}(البقرة: من الآية٨٠). والنصارى أيضاً حصل عندهم بأن المسيح يدخلهم الجنة ، أما هو فقد شفع من الآن ذبحه كفارة لخطيئات الناس ! يخطي واحد كيفما أراد فليس عليه شيء وهو يحب المسيح.!

لاحظ كل هذه يعني: أن قضية جهنم قضية مزعجة، وأن يظل الناس خائفين من جهنم يكونون بشكل أعني: بعيدين عن الاستجابة لأطراف أخرى في أشياء قد تبدوا في مرحلة من المراحل ، أو في موقف من المواقف، أو على أيدي أحد من الناس أنها قضايا خطيرة تؤدي بأصحابها إلى النار فيكونون قد أمنوا ، هناك شفاعات ! هذه حصلت بعد موسى ، وحصلت بعد عيسى داخل أهل الكتاب كلهم ، وحصلت بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، ألم تقدم هذه القضية: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]

إذاً أنت لاحظ هنا يقول لك في موضوع المال، وأمام أمر بطاعة: {أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} (البقرة: من الآية٢٥٤). أنتم عندما لا تنفقون مما رزقناكم تقدمون على الله خاسرين ليس هناك شفاعة، ليس هناك بيع ولا خلة ولا شفاعة؟ فإذا كان ينفي الشفاعة هنا هل يمكن أن تفترضها صحيحة فيما يتعلق بالمخالفات للأنبياء؟ هل يمكن أن تفترضها صحيحة في القضايا الكبيرة التي فيها اختلاف بعد الأنبياء واقتتال وتقديم ضلال؟ لا يمكن . هنا ينفيها في موضوع أعني: هو وجه إلى عمل معين ويقول لك: أنت بحاجة إليه؛ لأنه ليس هناك شفاعة فكيف يمكن أن يُؤمِّن مجرمين ويقول لهم: أن هناك شفاعة؟

فيقول في آية الكرسي: بأن الله وحده الإله ، فليس موسى إله ، وليس عيسى إله، وليس محمد إله، وليس أحد من الناس يمكن أن يكون له نفوذ في ذلك اليوم ، هو وحده الإله ، وهو قيوم السموات والأرض وفي نفس الوقت، في اليوم الآخر هو يعلم ذلك اليوم ، هو الذي يأتي بذلك اليوم ، في الموعد الذي حدده هو، وهو الذي يبعث عباده ، يبعث الناس، وهو الذي يحشرهم ، وهو الذي يحاسبهم ليس هناك نفوذ لأحد من خلقه على الإطلاق كائناً من كان{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، وكلمة: {بِإِذْنِهِ} ستعرف بأنه بعيد أن يشفع للمجرمين عندما ترى أنه يقول لمن لا ينفقون في سبيل الله : أنهم لن يجدوا شفاعة ، فكيف من يكونون على هذا النحو الذي يحصل من بعد الأنبياء ، وعلى طول مراحل ـ تقريباً ـ التاريخ: جرائم كبيرة ، إنتهاك للأعراض، قتل، سفك للدماء، تحريف للدين، جرائم كبيرة فكيف يمكن أن تقبل [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]؟.

أليس الله يقول: بأنه ليس هناك شفاعة على الإطلاق؟ هو يعلم هو ما معنى أنه يخبر عن يوم قد تأتي فيه ترتيبات آخرين يرتبون هذا اليوم، أو الذين دعوا إليه هم آخرون فتكون القضية احتمالات ربما تأتي شفاعة ، لا، هو ، هو يعلم بأنه لا يمكن أبداً لأنه هو الذي يقوم بشئون ذلك اليوم هو سبحانه وتعالى{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}(غافر: من الآية١٦).

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}(البقرة: من الآية٢٥٥)**يؤكد إحاطة علمه بحيث لا يبقى أي احتمالات بأنه ربما يكون هناك شفاعة ، أو ربما تقبل مغالطة معينة ، نرتب مسألة معينة فقد تنفق هناك، هو يعلم بدينه الحق، ويعلم بالضلال، ويعلم بالضالين، ويعلم بالمهتدين، ويعلم بأنه لا أحد يشفع لهؤلاء على الإطلاق، وأنه لا تتم شفاعة هناك إلا بإذنه، وهو يعلم لمن سيأذن ، أليس الله هو سيعلم لمن سيأذن؟**

{وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}(البقرة: من الآية٢٥٥)**. إذاً العلم هو من عنده{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً}**(الاسراء: من الآية٨٥).

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}. الكرسي هنا: بمعنى العلم ، وقد تختلف مسميات العلم ، قد تكون مثلاً عندك علم لكن علمك عبارة عن معلومات ، أو تكون أنت عندك علم بالشكل الذي يجعلك أنت مصدر معلومات ، مصدر علم مثلما يقولون: [فلان كرسي الزيدية] ألم تكن هذه عبارة معروفة ؟ ماذا يعني ؟ هذا عنده علم ، وهذا عنده علم ، وهذا عنده علم لكن علم هذا ، عنده علم يعتبر ماذا؟ مصدر علم يؤتي علم ، منبع علم.

فالله سبحانه وتعالى{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ} علمه الذي هو على هذا النحو ليس مجرد معلومات من الآخرين لأنه هو الذي يؤتي العلم هو ، هو الذي يمنح العلم هو ، فعلمه كرسي، كرسي بما تعنيه الكلمة.

{وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}، {وَلا يَؤُودُهُ}: لا يشق عليه، ولا يثقله أبداً{حِفْظُهُمَا}: حفظ السموات والأرض، وحفظ ما في السموات وما في الأرض، وحفظ أعمال الناس. هذا يبين بأنه الإله وحده، وأنه الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، ويعلم هو الذي يعلم بأنه لا يؤتي الشفاعة أبداً؛ لأن مسألة{مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ} هي قضية داخل آية الكرسي رئيسية ، تقرير موضوع الشفاعة{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} بهذه العبارة يعني: هو الإله وحده ، إذاً فمن ذلك الذي يمكن أن يشفع لأحد إلا بإذنه ، وعلاقتها بما قبلها من الآيات هامة، علاقة هذه الآية السابقة في موضوع الشفاعة{يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ}(البقرة: من الآية٢٥٤) في موضوع إنفاق هل سيأمل المجرم بشفاعة؟ وهنا لا يأمل الذي لم يقدم طاعة معينة فينفق من أمواله .

ولأنه سبحانه وتعالى هو العليم الذي وسع كرسيه السموات والأرض، وهو يعلم السر والنجوى ، ويعلم الغيب والشهادة، وقال في تنزيل القرآن: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفرقان: من الآية٦) .

قال فيما بعد في موضوع الدين: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:٢٥٦). هذه قضية مناسب جداً أننا نتفهم حولها لأنها من الآيات التي يشتغلون فيها الآن، يحاولون يهدؤوننا أن نترك ظلم الغربيين، وأن نشفق بهم! وكأننا نحن من قواعدنا العسكرية في صحاريهم، وفي براريهم ، وفي مدنهم ، وفي بحارهم فنسمع من يقول:[{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} لا إكراه، الله قال: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} . دعوة يا أخي فقط وافق الآخر وإلا فيكفي، كل واحد على ما هو عليه والباري سيحاسبهم كلهم ، كل واحد سيحاسب لوحده] بطريقة يراد منها عندما يقدمونه على هذا المنطق يراد منه أن الإنسان لا يكون لديه أي مشاعر تدفعه لأن يكون له موقف قوي في مواجهة أعداء الله.

أعني: هم يتحدثون فعلاً حول هذه الآية! ليس الآن وقت الحديث عنها على الإطلاق لأنه لو كنا نحن المتجهين لنكره الغربيين على الإسلام كان ممكن أن يتحدثوا حول الآية هذه ، أما والأمريكيون هم ، والإسرائيليون هم المتجهون لفرض ثقافتهم علينا ، لاحتلال أوطاننا ، لمحاربة ديننا فليوجهوا الآية إليهم يقولون لهم: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} . فكيف تكرهون في ثقافتكم أنتم ؟ كيف تفرضونها على الآخرين والله يقول: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} كسنة ثابتة في دينه كله ، لا يقوم على أساس الإكراه ، يقوم على أساس التبيين ، وقد تحدث ، أليس هذا تبيين واضح؟ كم أعطانا من تبيين خلال هذه السورة الواحدة من القرآن؟ كم أعطى من تبيين خلال الحديث عن بني إسرائيل أي: أن الله سبحانه وتعالى لأنه العليم لا يعجزه أن ما لديه معلومات وإنما فقط هكذا عملية قسر ، لا، يجعل دينه قائماً على أساس التبيين، والتبيين الوافي، التبيين الكامل ...

الآية هذه تحكي قاعدة عامة ، أو تحكي سنة ، عبارة {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} هي تحكي قاعدة عامة ،أو سنة إلهية في الموضوع، في الدين، وكيف المسألة، ليس معناها كما يقدم بالشكل الذي يجعلك تقر الآخر على ما هو عليه . هؤلاء هم في نفس الوقت يقدمون تفسيرهم بالشكل الذي يشهد بأنهم مخالفون لأنبياء الله، وكتبه ، وللقرآن الكريم بالذات الذي في هذه الآية.

يجب أن نفهم في المقدمة الدين عندما يقول: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } نفهم الدين ما هو أساساً، أليس في الدين إقامة العدل؟ أليس في الدين أن يكون الناس قوامين بالقسط ، أليس الدين عبارة عن إصلاح للأرض التي هي لله؟ أليس الدين هو من جهة الله سبحانه وتعالى؟ منهج وهدى ليسير عليه عباده الذين خلقهم هو في الأرض التي خلقها هو .

بالنسبة للزمان الذي نحن فيه يوجد شواهد كثيرة على الآخرين، على الآخرين بحيث تستطيع أن تقنعهم أمام أي محاولة لتحريف معاني القرآن الكريم . معلوم الآن في مجال التقنيين ، في مجال أعني: فيما عليه الدول عندما تكون في دولة معينة أن نظامها ، قانونها أنت ملزم به كما الآخرون ملزمون به يجري عليك أحكام ، قوانين، ودستور تلك الدولة، أليس هذا حاصلاً؟ إذاً الأرض هذه لمن هي ؟ أليست لله؟ هي لله ، ومن هو الملك ؟ هو الله ، وهذه هي دستوره وقوانينه بتعبيرهم .

إذاً أليس شيئاً طبيعياً والناس كلهم متفقون عليه: أنه من كان على هذه الأرض تجري عليه أحكام الملك الذي هو ملك هذه الأرض فيخضع لقوانينه. فلماذا البشر متسالمون فيما بينهم بالطريقة هذه: أنه في الإقليم المعين ، في البلد المعين ، من دخل هذا البلد تجري عليه قوانينه وأنت في بريطانيا ، أو أنت في أمريكا ،أو أنت حتى داخل

إسرائيل! يجري عليك قوانين الدولة التي أنت فوق تربة أرضها، أما قانون الله ، أما شريعة الله ، أما نظام الله لا !؟ ليس معه مكان ، لم يجعلوا له مكان في الأرض نهائياً ، ولا أحد ملزم به ، ولا أحد تجري عليه قوانينه !

إذاً هذه القضية معروفة لديهم ، قضية متسالم بها عالمياً ـ تقريباً ـ إذا كان يوجد مثلاً فيما يتعلق بالقوانين باقي قوانين في التعامل العالمي يوجد هناك قوانين أخرى ، وقرارات أخرى من جمعية الأمم المتحدة يسمونه القانون الدولي.

إذاً أليس القانون الدولي في الأخير يجرونه على الناس ،الذين يتحركون في هذا العالم في مجال التنقل مثلاً ، التبادل التجاري فيما بين الناس، والتبادل الدبلوماسي فيما بين الدول ، وأشياء من هذه؟ أليس هناك قوانين دولية؟ لاحظ كيف عملوا قوانين إقليمية ، وقوانين دولية فتجرى في آخرها على الناس جميعاً ومن الذي صنعها؟ عبيد الله ، من دون إذن الله ، لكن قانونه هو ليس له مكان ، أليسوا هم يكرهون ؟ أليس لديهم سجون؟ ويعاقبون من خالف القانون باعتبار أنه تجري عليه أحكام قانونهم في أي بلد أنت، بل تطور الأمريكيون إلى درجة أنه ليس فقط قوانينها داخل بلادها فقط، بل وحتى خارج أنه من عمل شيئاً يمس مصالح للأمريكيين يحاكم هناك ، ألم يسحبوا كثيراً ممن يسمونهم بتنظيم القاعدة إلى هناك؟ ويتدخلون في التحقيق مع أي ناس يتهمونهم بأنهم ارتكبوا أشياء ضد مصالحهم كما يقولون ؟ أليسوا يعملون الآن مكاتب تحقيقات في معظم الدول بما فيها اليمن؟ هذه قضية .

القضية الثانية: أنه معلوم الآن وواضح أنهم يتجهون لفرض ثقافتهم عن طريق ماذا؟ عن طريق قوتهم العسكرية، عن طريق ضغوطهم المتنوعة: اقتصادية ، سياسية ، عسكرية وغيرها ، أليست هذه قضية ملموسة؟.

إذاً فهم هم يمارسون هذا الشيء فهل يمكن أن يقبل من جانبهم هم؟ أن يقولوا: لا، لا إكراه! وهم هم يمارسون الإكراه فيما هو دون الدين ، فيما هو دينهم هم، فيما هو ثقافتهم هم، هل يقبل منهم أن يقولوا: لا إكراه في الدين ؟ وهو يكرهك على ثقافته تقبل ثقافته، وتتخلى عن الدين ، ألم يصلوا إلى درجة إبعاد الناس عن الدين؟ إكراههم على إبعادهم عن الدين؟

إذاً كان يكفي في مواجهة هؤلاء الذين يبرزون أحياناً في التلفزيون أن ينبهوهم ويقولون: ليس هذا مقام أن يقدموا الآية هذه لهم، لكن يقدموها لنا أعني: ليس هو مقام أن يقدموها لنا في مواجهة ما يأتي من جانبهم ، بل يقولون: أنتم تعملون هذه الأشياء حتى لو فرضنا والدين كما تقولون: بأننا نكره الناس عليه، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه يقوم على القهر ، وأشياء من هذه، فأنتم ماذا تفعلون الآن؟ أليسوا يفعلون هذه الأشياء؟ يجب أن يفهم الناس هذا بأن ما يعملونه هم يعطي كامل التبرير لأن تعمل ولو بلغ عملك إلى أن تعمل ما عملوا معك ، أليست سنة عملوها هم ؟ أعني: لم يبق لهم منطق مقبول حتى لو وصل الناس إلى أن يعملوا معهم كما عملوا هم معنا.

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} قضية حقيقة في موضوع أنه ليس هناك في دين الله أنه قائم على موضوع الإكراه ، هو قائم على موضوع التبيين ، موضوع التبيين ، لكن ليس المعنى أن تأخذ موضوع التبيين بمعنى فإن قبل فلا بأس وإن لم يقبل فمع السلامة ! لا، وإنما بمعنى لن أكرهك على قبول الدين لكن للدين موقف منك إذا رفضت، الدين يقدم نفسه بأنه الإصلاح لعباد الله ، والإصلاح لأرضه، هذه واحدة ، الدين فيه أشياء فيه قيام بالقسط، فيه قيام بالعدل، أنت إذا لم تقبل هذا الدين في الأخير تعتبر عنصراً فاسداً ، عنصراً فاسداً إذاً للدين موقف منك ، له موقف منك باعتبارك عنصراً فاسداً ، وليس المعنى أنه يلاحقك [لازم تؤمن، لازم، لازم...] يبين لك ، يبين ، يبين ، وعندما لا تقبل مثل هذا الهدى العظيم، مثل هذه البينات الواضحة ، مثل هذه التي يقدمها بأنها خير لك أنت ، إذاً فأنت عبارة عن عنصر إفساد ، عن عنصر لا يصلح بقاؤك هنا في ظاهر الأرض يجب أن تبقى تحت لأن الله قال: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) **إذاً فالموقف منه بأنه يزاح .**

أول شيء لا يجوز أن تقف أمام هذا الدين ، هذه قاعدة عامة ، لا يجوز لأي طرف ، وليس لأي طرف حق أن يصد عن تبيين هذا الدين في أي بقعة من بقاع الأرض، فإذا ما تحرك ليصد فليواجه ، الذي لا يقبل هذا الدين

نهائياً، على الرغم من وضوحه ، وأنه هدى ، وأنه بناء للنفوس لتكون نفوساً صالحة، أليس يشهد على نفسه بأنه في الأخير عنصرٌ فاسد، وعنصر ضال؟ وأنه سيمثل أعني هو يمثل الجانب الذي يظهر صورة هنا مقتمة عنه، من خلال الحديث عن بني إسرائيل ؟ من خلال الحديث عن الكافرين ، أليس ينسب إليهم الفساد في الأرض، ينسب إليهم إهلاك الحرث والنسل، ينسب إليهم كل شر في هذه الأرض؟

إذاً فتزاح ، وعندما يزيحك فهو هنا لا يكرهك على الدين ، لا يوجد إكراه على الدين ، لا يوجد إكراه على الدين ، لكن ممكن يحميك أنت عندما تدين بهذا الدين. لهذا عندما يقول: [أمرت أن أقاتل الناس...] لأن دين الله دين عملي أي: من مهمة الذين يدينون بدين الله إذا ـ فعلاً ـ كانوا صالحين ، وبشكل صحيح ،لا أن يستخدم الدين وسيلة لضرب عباد الله ، من كانوا على هذا الدين فيعرفون أن من مسئوليتهم تطهير الأرض من الفاسدين. وإذا الأمريكيون أنفسهم يقولون: أننا فاسدون ، وأنه هناك محور الشر ، أليسوا هم يقولون: محور الشر، ويقولون هم: هؤلاء الناس أشرار يجب أن يزاحوا وأن تطهر الأرض منهم، أليسوا يقدمون هذا؟.

الدين هو عملية تطهير للنفوس ، وتطهير للأرض من الفساد ، ومن الفاسدين ، ليس معناه أنه لازم تؤمن بهذا الدين لازم تسلم رغماً عنك ، رغماً عنك أبداً .عساك ما تسلم ، لكن لهذا الدين موقف منك تزاح؛ لأن من مهمة الدين تطهير الأرض من الفساد .

تجد أن هذه المهمة ـ فعلاً ـ في معارك النبوة ، في معركة بدر ماذا حكى الله عن قريش؟ أخرجهم إلى المجزرة، إلى حيث ينحرون ، أخرجهم إلى حيث ينحرون، ومهمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن معه أن يطهروا هؤلاء {لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ} (آل عمران:١٢٧) هذه مهمة أساسية بالنسبة لمن يدينون بدين الله، أن الدين هو لتطهير النفوس وتطهير الأرض ، تطهيرها من الخرافات، تطهيرها من الفاسدين ، تطهير النفوس أولاً من الفساد.

إذاً فمسألة إكراه لا يوجد إكراه هنا ، في الواقع ما هناك إكراه نهائياً . فعندما يقول: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله] معناه إلا أن يقولوا: هو يبين للناس ، ويوضح للناس ، فعندما لا ينفع هذا التبيين ، ولا ينفع هذا التوضيح فهذه هي تعتبر عناصر شريرة .

فالأمريكيون هل يمكن أن ينقدوا الناس، أو ينقدوا الدين في الرؤية هذه؟ وهم يقولون هم ورفعوا شعاراً قالوا: إيران والعراق وكوريا محور الشر ، وكل من حولهم شر يجب أن تطهر الأرض منهم .

وعندهم فكرة أنه يجب أن تطهر الأرض من هؤلاء المسلمين ، بل كل الأمم الأخرى التي لا تسمع وتطيع لهم ، وتقبل ثقافتهم ، وتقبل القيم الأمريكية ـ كما يقولون ـ [هؤلاء شريرون تطهر الأرض منهم ليأتي المسيح كما يعتقدون ولا يوجد أحد شرير أمامه ، أبعدناهم] هذه عقيدتهم.

إذاً فالمسألة على هذا النحو أعني: جانب منها نفهم أن{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} أي عمل الناس أساساً يجب أن يكون قائماً على التبيين ، لكن ويعرفوا الدين ، أن يعرفوا أن من مهمة الدين أن يكونوا يحسبون ألف حساب لمواقف الآخرين منه لأنه ـ عادة ـ أهل الباطل يجتمعون للصد عن الدين ، ومواجهة من يحمل الدين قبل أن يفكر المسلمون أنفسهم أن يعدوا أنفسهم ، قضية تحصل هذه ليس فيها شك ، ثم إن الدين هو دين عملي ، وليس ديناً يقدم هكذا مبتذلاً بحيث: [إن كنت تريد هذا وإلا فلا بأس إجلس وعلى ما أنت عليه ويكفي!] هذا دين من ملك الناس هم عبيده ، والأرض هي ملكه ، هو الذي خلقهم ، وليس فقط تسلط عليهم ،هو الذي خلقها وخلقهم هو .

فإذا كان الآخرون يفرضون هم قوانينهم ، ودساتيرهم ، ويلزمون من كان داخل الإقليم الذي تحكمه دولة معينة أن تجرى عليه أحكام ذلك القانون ولو فيه موت، إعدامات ، فيه سجن ، فيه مصادرة أموال. أليست هذه القضية معروفة .

فلماذا أما دين الله لا تكون هذه مهمته وإنما يقدم [طَلبة]: [لاحظ هذا دين باهر، تريد تستجيب وإلا مع السلامة ، تريد تسير معي يا فلان وإلا مع السلامة]، لا، قدمه له لكن يجب أن يكون من يقدمونه فاهمين له ، وفعلاً لو قدم الدين بالقرآن لقبله الناس؛ لأن الدين هنا يقدم نفسه رحمة للعالمين ، ونصيحة ، ويعطي أهمية كبرى لموضوع التبيين، ويعطي مسئولية كبيرة على من يتحركون أن يكونوا نموذجاً يسهل على الآخرين قابلية

الدين هذا عندما يرون من خلالهم: أمة مستقيمة ، أمة فيها الأمانة ، والوفاء ، والصدق ، والأخوة، والمحبة والألفة ، والتعاون وكل القيم ، هذه القيم هي قيم فطرية عند الناس ينجذب إليها الناس.
هي نعمة كبيرة على الناس أنهم وصلوا هم ، ألم يعملوا كل شيء ، عملوا إكراه في الثقافة ، عملوا فرض قوانينهم على كل من كان داخل البلاد المعينة ، أليست هذه القضية موجودة ؟ فكرة تطهير الأرض من الأشرار ممن ليسوا على ثقافتهم أليست قضية قائمة؟ إذاً ما بقي لديهم أي منطق مقبول عندما يحاولون أن يهاجموا الإسلام، ولا بقي منطق مقبول لأحد من الناس أن يحاول أن يؤقلم الدين وفق دعاياتهم هم، دعايات الغربيين.
هنا قل لهم: أنتم تعملون هذه سكتهم، أنتم تعملون هذه ، فإذا فرضنا الدين أنه على ما تقولون إذاً فهو على ما تريدون ، وهو لا يعمل إلا بنفس الطريقة التي تعملونها ، فلماذا يكون من يقوم بهذا الدين يعتبرون سيئين أما أنتم وأنتم تمارسون هذه الأعمال تعتبر خير، وتحرير ، وحرية وتطهير للأرض؟! يعتبرونه تطهيراً للأرض من الفساد!.
في داخل الدين ، في أحكامه التشريعية ، أليس فيها أشياء يكره الإنسان عليها ؟ إذا قتل نفساً محرمة سيكره على أن يقتل ، إذا أحد أخذ مال أحد أليس من الحق أن يكره على أن يرده؟ وهكذا لأن الأحكام الشرعية ليس معناها: بأنه فقط على رغبات الناس{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يعني: على كيفهم ! ليست المسألة بهذا الشكل ، لم يقم الدين على أساس الإكراه ، من حيث المبدأ هو يقوم على التبيين ، والتبيين هو هذا واضح كتب، بينات، ورسل مبينين ومبلغين ، أليست هذه القضية واضحة؟ .
لكن إعرف مهمة الدين ترى في الأخير بأنه ليس فيه إكراه للآخرين ، لم يعجبك الدين إذاً مع السلامة، لكن لم يعد بقاؤك صالحاً، هذه قضية حقيقية ، والأمريكيون عليها، وعندهم أنه لا يصلح بقاؤنا ، وعندهم أن العرب هؤلاء أمة لا تصلح أن تبقى ! لا يصلح يبقون، تطهر الأرض منهم لأنهم ليس لديهم قابلية للقيم الأمريكية ، والثقافة الأمريكية ، والتأقلم مع أطروحات الغرب.
{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٣) وفي آية أخرى{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (الأنفال: من الآية٣٩) . إذاً إذا ما عندك قابلية أن تجرى عليك أحكام هذا الدين أخرج، أخرج من الدولة هذه، من دولته لأن الأرض هي لله ، وهذا دين الله ، وهذا نظامه. أين سيذهب؟ أليسوا يعملون هذه؟ إذا ما لديك قابلية سيجرون عليك أحكاماً رغماً عنك ، ثم ينفوك في الأخير ، ينفوك.
القاعدة الثانية: بأنه من يصدون عن دين الله ليس هناك مبرر على الإطلاق لأي طرف أن يصد عن دين الله ، فليدخل مثلاً الإسلام إلى أي البلدان بشكل دعوة، لكن دعوة هي امتداد لأمة، بناء أمة ، أما دعوة بتلك الطريقة المعروفة فما نفقت في البلاد العربية ، داخل المسلمين ، ما عملت شيئاً هنا داخلهم ، لكن كحركة دين على أساس الدين ، وتكامل الدين ، كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، ألم يكن يرسل رسائل إلى ملوك آخرين ، يرسل رسائل إلى أن يسلموا ، يرسل مبلغين ، يرسل رسلاً برسائل إلى شعوب أخرى ، يعرف أن مهمته أن يدعو هؤلاء إلى الدين ، ويجب أن يصل الدين إلى هناك، ولن يدخل لن يدخلوا، يكون الموقف من عند الآخرين هم ، من عند الطواغيت ، من عند المفسدين هم الذين لا يريدون أن يخضعوا لقانون الله ، لا يريدون أن يخضعوا لأحكام الله، وهم عبيد الله، وفوق أرضه داخل دولته، هم الذين يحاولون يجمعون الآخرين، ويصدون عنه، ويواجهون عندما يحصل قتال وإلا كان طبيعي أن يدخل هذا الدين إلى الشعوب وتقبله، وتدين به، وتقبل أحكامه، هم ليسوا بحاجة إلى سيف، ليسوا بحاجة إلى سيف.
لكن هم الذين يجعلون الجانب الديني بأنه يأخذ احتياطاته لأنهم في الأخير هم يقفون صادين عنه، ولأنهم يبقون هم على ما هم عليه من فساد ، وإضلال ومحاربة، ففي الدين من أساسياته أعني: الأخذ بعين الإعتبار لهذه القضية ، لأنها قضية ثابتة عند الآخرين ، هم يعدون أنفسهم لمواجهته للصد عن دين الله، لرفض دين الله ، ففي دين الله مواقف ثابتة من هؤلاء خارج موضوع الإكراه .
هل يقال أنه إكراه للدين ؟ عساك لا تقبل الدين في الأخير ، أعني: أنه لن يؤاخذك على أساس أنه مرغم لك بالدين ، سيؤاخذك على أنك ماذا؟ ليس لديك قابلية أبداً أن تقبل ما يجعلك عنصراً صالحاً في هذه الأرض،

وخاضعاً لإلهك ، وخالقك ، وملكك ، وهو الله سبحانه وتعالى . إذاً فلتخرج من أرضه ، ليس هناك مكان يخرج من أرضه أين يذهب؟ ليس أمامه إلا أن يدين وإلا تحت، هي هذه في الواقع .

لهذا تجد أنه فعلاً في حركة الرسالة ـ كما قلنا سابقاً ـ حصلت من هذه ، أعني: أن من مهمة الدين هو تطهير الأرض من الفساد، والمفسدين هذه القضية أساسية ، فإن قبلوا هم هذا الدين ، وطهروا أنفسهم فلا بأس مالم فهناك مواقف لا بد منها، وتلقائياً سيحصل من جانبهم هم قبل الآخرين تلقائياً .

هذه الآية لا يصح أن تقدم على أساس أنه ما بقي توعية جهادية مثلما يعمل الآخرون [والموضوع موضوع دعوة]! لا، إن هذا الدين يعطي اعتباراً لكل الاحتمالات، ويربيك على أساس أسوأ الاحتمالات أمام حركة هذا الدين فتكون معداً لنفسك للجهاد، وأن تتحرك في أن يصل هذا الدين إلى أي بقعة في العالم ، إن قبلوا بالطريقة العادية فلا بأس ، عندما يصدون ، عندما يرفضون تماماً فيبقون على ضلالهم ، وعلى كفرهم ، على الرغم من التبيين فهناك مواقف لابد منها ، وإلا معناه في الأخير: بأن هذا الدين الذي هو دين الله معناه: أنه لا يصح أن يتعامل معه كأي قانون من قوانين البشر في هذه الأرض. وهل يرضى الناس أن يكون دين الله غير مقبول أن يتعامل معه كقانون من قوانين البشر التي يضعونها هم ؟.

الناس شاهدون على أنفسهم ولهذا نقول أكثر من مرة أن الناس يعملون في الدنيا هذه في سلوكياتهم ، في أنظمتهم ، في أعمالهم ما هو شاهد عليهم ، ما هو شاهد عليهم . فلأنها قضية ثابتة بالنسبة للطرف الآخر ، أنه عادة يتحرك ، ويصد ، ويعد نفسه للمواجهة ، كان الجهاد أساس من أساسيات الإسلام كحالة ثابتة ، وحالة تربوية من البداية ، وليس فقط حالة طارئة استثنائية متى ما....! ، مثلما يقول البعض، يقولون: أن الأساس هو الدعوة، دعوة، دعوة، فإذا ظهر عدو فلا بأس يمكن ، قلنا : لكن إنك لاحظ على أساس أن هناك شيئاً ـ مثلما تقول ـ أصبح مؤكداً ، أصبح مؤكداً: أن الطرف الآخر يقف أمام دين الله ، أن مسألة أن يكون قادراً على مواجهة ذلك العدو ، وقادراً على حمل هذه الرسالة هو أنه لا بد من تربية جهادية، وحركة جهادية، وهي قضية واسعة جداً من زمان ، وليس فقط إذا.... أي: أن تدعو عشرين سنة فإذا ظهر في سنة واحد وعشرين عدو ففي تلك السنة تحاول تربيهم تربية جهادية! هي مسألة تربوية من أول سنة وليس من سنة واحد وعشرين ، من أول سنة، مسألة تربوية هذه ، ولهذا تجد الحديث عن الجهاد ، والإنفاق داخل آيات القرآن بشكل واسع .

فعندما يقول: إنما فقط دعوة دعوة فإذا.... في الأخير تأتي هذه إذا.... ، وإذا ليس هناك بنيان نهائياً أليس هذا الذي يحصل؟ أين هي الحركات الإسلامية الآن في البلاد الإسلامية أين دورها؟ وبعضها لها في مجال الدعوة خمسين سنة ، وبعضها ثلاثين سنة ! حكموا قوميون ، وبعثيون ، وعلمانيون ، وما زالوا داعين، داعين! ظهر عليهم اليهود وإذا ما هناك لديهم أي بناء، أين بناؤهم ؟ لا يوجد؛ لأنها دعوة ، دعوة وأساليب دعوة ، وأخلاق دعوة فقط، ليس هناك بناء صحيح لأمة تحمل هذا الدين ، وتوضح هذا الدين للآخرين بشكل جذاب من خلال سلوكياتها ، من خلال بنائها كأمة ، وفي نفس الوقت تكون قادرة على موقف مع أعداء الدين ، عندما يواجهون ، واجهنا الآن اليهود وإذا بالحركات الإسلامية تضيع ! أين هي الآن؟ والدعاة ضاعوا! قد هذا بعضهم يفتي ويقول لك: [لا يجوز لعنهم]! ألم تظهر فتاوى من هذا النوع ؟ أو [لا يجوز تكفيرهم] ! يعني: إصدار أحكام تكفيرية.

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}(البقرة: من الآية٢٥٦) **أي أن الله بيّن للناس بيّن حتى أصبح الرشد واضحاً والغي واضحاً.**

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٥٦)**. لاحظ هذا أليس موقفاً عملياً ؟ لم يقل هنا: {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} فمن أراد يسترشد فلا بأس ، وإن ما أراد فمع السلامة . لا، هنا موقف عملي: أن تكفر بالطاغوت، والكفر بالطاغوت يترتب عليه مواقف، ليست قضية تعني مجرد من داخل، البعض يقول من داخل! لا، إنك تجد الإيمان بالله عملياً ، كذلك الكفر بالطاغوت قضية عملية كلها مواقف .**

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا} (البقرة: من الآية٢٥٦) **التي لا يمكن تخونك هذه ، تنتقض، أو تنفصل [تقتطع] {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. لاحظ هنا بعد الآية هذه أليس هو سيأتي بمواقف عملية؟**

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} (البقرة: من الآية٢٥٧) **فكيف لا يكون في دين الله موقف من هؤلاء الذي يخرجون الناس من النور إلى الظلمات!.**

لاحظ المقدمة يوجد قضيتين : في قضية الخمر ، والقضية الأولى : نكاح المشركة ، هل يكون هذا الدين دعوة إلى الجنة، إلى الجنة، وفي الأخير يكون في تشريعيه ما يسمح بدعاة إلى النار يدخلون إلى كل أسرة ؟! حرم نكاح المشركة . هذا الهدى أليس بالشكل الذي يجعل الإنسان زاكياً، وذهنه صافياً ، وحكيماً في تصرفاته ، في تفكيره، في أرائه؟ هل يمكن يبيح الخمر ليشرب؟ وهو الذي يحطم كل هذه الأشياء داخل الإنسان؟ حرم الخمر.

عندما يكون هذا الدين هو نور ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، هل سيسمح بأن لا يكون هناك موقف ممن يخرجون الناس من النور إلى الظلمات؟ لا يصح هذا.

بعد أن قال: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} (البقرة: من الآية٢٥٦) **قضية أساسية لا يستقيم إيمانك وتؤمن بالله إلا بأن تكفر بالطاغوت ، قدمت على [فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت] أليست هكذا الآية ترتيبها؟ {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} ثم يبين بأنه بالنسبة للمؤمنين بالله عمليين وعندما يقول: {اللَّهُ وَلِيُّ} أنت إذا ما عندك روح عملية، لا تبدو في وضعية تحتاج إلى ولي، ولهذا الله قال في آية الولاية: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}** (المائدة:٥٦) **أعني: ما هي الولاية هنا؟ الولاية: أن تعتمد عليه لأنك تسير على ما يقتضيه إيمانك به وعلى هداه ، وتواجه أعدائه ، فأنت تحتاج إلى هذا الولي سبحانه وتعالى لينصرك، ليؤيدك ، ليعينك ويخرجك من الظلمات إلى النور في مواقفك، وهو جاء بعد بمواقف متعددة كنموذج من مظاهر إخراج الناس من الظلمات إلى النور .**

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: من الآية٢٥٧). **إذاً فقد تبين الرشد من الغي، وتبين كلما يمكن أن يقدمه كل طرف ، طرف الرشد الذي على رأسه الله سبحانه وتعالى ، وطرف الغي الذي يمثله وعلى رأسه الطواغيت. لاحظ ما يؤدي إليه هذا الإتجاه وهذا الإتجاه{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}** (البقرة: من الآية٢٥٧). **أين ينتهي الخط الأول؟ إلى الجنة. الخط الآخر ينتهي إلى ماذا؟{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.**

إذاً تعتبر جريمة كبيرة فيما أعتقد، عندما يتأمل الإنسان هذه الآية ، وما يعمل الآخرون في تقديمه من تفسير، وتحريف للآية هذه العظيمة وما قبلها وما بعدها، وما لها علاقة به داخل آيات القرآن{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يحاولون يبردون أعصاب الناس، ويهدئونهم من أن يكون لهم موقف أمام أعداء الله ، أمام الطواغيت الذين هذا عملهم: يخرجون الناس من النور إلى الظلمات، معناه أنك تجد النور مصدره الوحيد هو الله ، أليس معناه أن الطواغيت يكونون أعداء لله يخرجون الناس من نور الله إلى ظلماتهم هم؟ ليس هناك نور آخر ، مسألة النور الذي يخرج الطواغيت الناس منه هو نور الله {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (النور: من الآية٣٥). **ليس هناك مصدر للنور آخر غير الله سبحانه وتعالى.**

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} (البقرة: من الآية٢٥٨) **لاحظ كيف تكون ولاية الله في المجال العملي أعني: وهذا شيء طبيعي عند الناس إذا لم تكن أنت مؤمناً بهذا الشكل الذي تشعر بأن الله وليك أنت بحاجة إلى أن تتولاه، ما صح إيمانك ، عندما يشعر الإنسان بأنه ليس في حالة وكأنه يحتاج إلى الله يمثل بالنسبة له ناصراً ومؤيداً ومعيناً ما صح إيمانه.**

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} (البقرة: من الآية٢٥٨) **أليس هذا طاغوتاً ؟ يحاول يقدم نفسه وكأنه إله، كيف سيكون عمله مع الناس؟ أليس هو سيخرجهم مما يجب أن يكونوا عليه من عبادة الله وحده، إلى عبادته فيكون قد أخرجهم إلى الظلمات؟.**
{قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} (البقرة: من الآية٢٥٨). **أليست هذه إنارة لإبراهيم في الحجة مع هذا الطاغية ؟.**
إذاً هناك أمامنا عدة أمثلة هامة جداً في مسألة {يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}. فتكون حكيماً في مواقفك ، لأن الحكمة هي نور ، حكيم في كل موقف ، سواءً كان موقف محاجة مع آخرين ، أو حتى في حالة ارتياب معين ، أو تساؤل معين يحصل لديك وأنت متولي لله ، يحصل من جهة الله ما يدفعك فيخرجك من هذا الظلام الذي داخل نفسك إلى نوره فتأتي في قصة {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} (البقرة: من الآية٢٥٩).
من الحكمة في هذا، في موقف إبراهيم كيف كان بالشكل الذي أفحمه جعله كما قال: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} (البقرة: من الآية٢٥٨). **ألم يفحمه؟ قال: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}** (البقرة: من الآية٢٥٨). **لأن الطغاة لا يمتلكون إلا ظلاماً ، والظلام هل يمكن أن يتفوق على النور؟ هل يمكن أن يغطي النور؟ أو النور هو الذي يزيح الظلام؟ ليس لديه إلا ظلام هو في نفسه ، وفي أطروحاته.**
فإذا كان الإنسان متولياً لله يخرجه من الظلمات إلى النور ، قد تكون الظلمات في حالة كهذه عندما لا يكون ردك حكيماً، عندما لا يكون موقفك حكيماً ، عندما لا يكون لديك جرأة فتعطى نوراً هنا، النور هنا موقف حكيم ، رد حكيم، وقوة في طرح الرد.
لم يأت على الطريقة التي عند المتكلمين ولهذا نحن نقول في القرآن الكريم : ينبهنا إلى موضوع القضايا التي تطرح أمامك فيها ما يمكن أن ترد عليها هكذا مباشرة ، وفيها ما تنتقل بالرد إلى أسلوب آخر ، وفيها ما يكون إعراضاً تماماً، ليست القضية الأساسية بأ نه على كل قضية قبالها على طول ، على طول ، يجب أن تقيم القضايا أولاً ، وتقيم الأطروحات أولاً .
هذا الأسلوب في القرآن الكريم هام جداً . لاحظ في أسلوب المتكلمين عندما انطلقوا أمام كل أطروحة معينة ، أطروحة معينة يقاومها هي، هي ، وفي الأخير قدموا لنا منهجاً فيما يتعلق مع الزنادقة ، الذين يسمون زنادقة ، أو ملحدين ، بعدما قدموا كيف واقع الإنسان بالنسبة لمعرفة الله ، ثم على أساس أن هناك ملحدين ، وزنادقة ، أول خلل بأنهم ما فهموا أن المسألة في الإسلام ليست فقط مجرد دعوة. .مجرد دعوة. هو منهج حركي، منهج حركي. هناك فئات في المجتمع هي لا تقدم إلا الشيء الذي يتنافى مع فطرة الناس، ولن ينفق أمام الناس إلا إذا كانت الساحة خالية، هذه الفئة يمكن ماذا أن يكون عملك في الساحة بالشكل الذي يهمشها تماماً، لا هي في حد ذاتها ممكن أن تقبل شيئاً لأنها قد خرجت هي عن الفطرة ، لم تعد تقبل مثلاً أطروحات معينة لأن الملحد أو الزنديق الذي يسمونه يحاول يتنكر لمعرفته لله ، يتنكر لله ، هذا إنسان يقاوم فطرة لديه هو ، يقاوم فطرة لديه هو، فهل بالإمكان يقبلك وهو لم يعد قابلاً لنفسه هو ، لم يعد قابلاً لفطرته هو ، فهل يمكن أن يقبلك ؟ قد أصبح يقدم الأشياء بطريقة فلسفية وشبه يلفقها.
النوعية هذه ممكن بأساليب في أن تبهتهم بها ، واشتغل في الساحة تتجاوزهم، اجعلهم يضيعون هناك.
لا، قدمت المسألة يوجد واحد زنديق هناك يشغلوننا به ، ويشغلون الأمة به ، وينزلون شبهه وأطروحاته، وأخذ ورد ليس هناك أثر ، يوجد أشياء أعني: هناك فئات من أعداء الدين ممن يقدمون أطروحات معينة ، هم في خلال العمل يتلاشون ، ويصبحون لا شيء فلا يبقى لهم ذكر ، لا لهم ولا لأطروحاتهم بطريقة تلقائية لم يعد هناك ميدان لهم لأن الشيء الذي يتنافى مع الإيمان الذي هو موجود عند كل إنسان ، إيمان بالله سبحانه وتعالى يكون مقاوماً للفطرة ، يحتاج إلى أطروحات تشكيكية وعمل مستمر عندما مثلاً لا يتمكن أن يكون له ميدان يكون هناك عمل إسلامي في الساحة ، عمل متكامل وليس مجرد فقط نقاش مع ذلك وتقدم ما قلت له ، وقال .. وقال . ما قال هو، وما رديت عليه !.

سلك المعتزلة والمتكلمون بشكل عام الطريقة هذه، وتجدهم فعلاً [حنبوا] أمام شبه معينة كان منشؤها أسلوبهم الخاطئ في التعامل مع هؤلاء، وإذا في الأخير لا جعلوا الزنادقة يسلمون ولا سلم الناس منهم .

هنا كان جواب إبراهيم عندما ادعى هذا الملك: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} . لم يأت يناقشه في مسألة أنه كيف تستطيع أن تحيي ، وكيف ، وكيف... إلى آخره، {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} (البقرة: من الآية٢٥٨). **طلعها من غربي {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} . عرف أنه عاجز وأنه كذاب في دعوته الربوبية.**

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} (البقرة: من الآية٢٥٩) **أليس فيها عملية استبعاد يعني كيف ستتم المسألة هذه ، ولاحظوا الناس عادة في بعض المراحل يكون هناك أخذ ورد ونقاش كثير، وتساؤلات وجدل حول نقطة معينة تكون أحياناً بالشكل الذي توجد لديك حالة من الريبة فيما لو.... ، لاحظ مثلاً تحصل داخل المسلمين الآن تجد علماءً كباراً لكن قضايا معينة هي في الواقع ليس لها أساس من الصحة تجده يتهيب أن يخرج منها ، ولها أثر في نفسه ، تجد كُتّاباً كباراً من [الاثنا عشرية] وعلماء مراجع كبار[آية الله كذا] ، ومؤمن بمسألة أن المهدي موجود من [عام ٢٥٥ هجرية] إلى الآن ، وإلى الله أعلم ، إلى أي وقت ، قضية مستبعدة جداً أن يكون هذا إمام وحجة يجلس غائب الفترة الطويلة هذه وهو حجة الله على عباده! لكن الأخذ والرد والثقافة التي نشأ وهي تردد في البيت ، في المدرسة ، في المسجد ، في المناسبات ، في التجمعات، في كذا، جعلته يتأثر بهذه.**

هنا عندما تكون مسألة البعث مما حصل فيها من أخذ ورد وجد الكثير حصل عنده بادرة من هذه ، خاطرة معينة يعني: كيف تتم عملية إعادة هذه؟ أليس هنا حصل ماذا نسميها؟ أعني : خاطرة ظلامية، لكن هذا الإنسان يبدو هو من المؤمنين ، لكن الإنسان المؤمن يحتاج إلى هداية مستمرة ، إلى رعاية مستمرة فيكون بينك وبين الله في علاقتك به أسس ثابتة تساعدك على أن يرعاك في اللحظات التي تبدو خطيرة بالنسبة لك.

هنا أعطاه مثلاً من نفسه {فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} (البقرة: من الآية٢٥٩). **ثم قال بعد: {أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (البقرة: من الآية٢٥٩). **ويبدو أنه في وضعية منفرد هو لوحده ، لاحظ هنا فقط هو وحماره وأكله وشرابه ، وصل منطقة، قرية وهي خاوية على عروشها ، أعني: لا يوجد هناك سكان ولا شيء {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} كيف يمكن هذا ! مات هو مائة عام، وبعد المائة عام يبعثه الله ويقول: {قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ}** (البقرة: من الآية٢٥٩) **خلال الفترة هذه لم يتغير لتعرف أن الأشياء لا تكون على أساس أنها حتميات داخلها ، لاحظ مثلاً هذه القرية، سكانها فنوا والذي قد يكون الفناء أحياناً بطريقة أنه جسم الإنسان قابل للنمو ثم الإنهيار، أليس هكذا؟ قليلاً قليلاً ليست هذه قضية بمعنى أنها شيء حتمي وثابت .**

الله جعل القضية على هذا النحو هو ، ثم قد يكون عندك كيف يمكن أن تعود المسألة !! لاحظ طعامك وشرابك ما تأثر بينما الحمار تأثر، أليس الحمار تحول إلى تراب؟ أليس الحمار انتهى؟ بينما الطعام والشراب لم يتغير.

أعني: القضية هي خاطره مثلاً في نفسيته موضوع الطعام والشراب {لَمْ يَتَسَنَّهْ} لتعرف أن القضايا الله هو الذي سن السنن ، وقنن القوانين ، وموضوع الهرم هو شيء يطرأ من جهة الله جعل الأجسام على هذا النحو ، وجعل الأشياء على هذا النحو ، سواء الإنسان أو الأشجار ، النباتات ، أو هذا الحجم الكبير ، هذا الجرم الكبير الأرض ، وهذه الكواكب كلها ، أليست كلها تتلاشى ؟ تنتهي في الأخير.

{وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ} (البقرة: من الآية٢٥٩) **قصته عندما يسطرها الله سبحانه وتعالى وهو هو عندما يخبر الناس.**

{وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا} (البقرة: من الآية٢٥٩). **بمعنى: نقيمها، أو {نَنشُرُهَا} بمعنى: الإحياء. النشر كأن معناه : عملية الإحياء ، والنشز كأن معناه: إقامتها {وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} أي: رأى الحمار أمامه يتركب تلقائياً ، عظامه تتركب وتكسى لحماً ، وينهق ،جاهز ، أليست عملية أمامه؟**

لاحظ هذا مظهر من مظاهر رعاية الله سبحانه وتعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة: من الآية٢٥٧) .

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} ما كأن المسألة هنا فيها خاطرة شك ؟ شك في المسألة لم يشك في إيمانه بالله أي نوع خاطرة سيئة ، خاطرة ظلامية {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية٢٥٩) **أليس هو هنا خرج من ظلمات إلى نور؟**

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى} (البقرة: من الآية٢٦٠) **هذه العملية دون بالنسبة لقصة الذي مر على قرية ، هو مؤمن بالقضية فقط يريد هو أن يرتقي إيمانه إلى حالة يقينية مشاهدة {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} كما قال، يعني: المسألة عنده تختلف عن مسألة الشخص الأول{أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} . هنا قال: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** (البقرة: من الآية٢٦٠) **الإستقرار الإيماني، وهذه قضية مهمة، أعني: قضية أن الإنسان يكون حريصاً على زيادة وعيه وإيمانه ، وحشر كلما يستطيع أن يجد من شواهد للقضية الإيمانية ، ليصل إلى مستوى عالي مسألة هامة جداً .**

لاحظ كيف ارتقى نبي الله إبراهيم بروحيته هو ، روحيته ، كيف كانت مواقفه قوية ، من روحيته ، هو حريص على أن يرتقي إلى الدرجات العالية في الإيمان . هنا ليس لديه شك في المسألة كقضية إيمانية أنه يعلم بأن الله هو يحي الموتى، لكن يرغب هو أن يحصل أيضاً على شيء راقي جداً في موضوع الإيمان، ليطمئن قلبه؛ لأنه أحياناً في بعض الأشياء القضية الإيمانية المجردة هكذا، ما هناك معها شواهد معينة، تكون معرضة للتساؤلات، معرضة للكثير من الدقدقة للشك عليها ، كثير من القضايا، قضايا تكون بعضها من هذا النوع.

{قَالَ بَلَى} أنا مؤمن {ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً} (البقرة: من الآية٢٦٠).

هذه القضية تختلف عن قضية الأول، الأول جعل منه هو مثل في{أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} هناك حالة معينة يريد نوراً كثيراً يمسحها تماماً، لكن هنا: {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} وتجد فيها مثلاً على أنه ـ تقريباً ـ ولو نسميه ظلاماً خفيفاً، خفيفاً جداً أن الله يزيحه.

هناك ظلام يكون ظلاماً دامساً أحياناً ، وظلاماً خفيفاً مثل ظلام وقت المغرب أليس هو ظلام خفيف؟ ليكون قلبه كله مشرق ، قلبه كله نور ، لم يعد فيه أي شيء ولهذا قال: {لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} .

ليست مسألة يقول واحد قد عنده شك أو شكوك ، أو أن عنده كفر ، أو أشياء من هذه . لا، إن القضية الأساسية أن تعرف أن كل مخلوق ملائكة ، أنبياء، إنس، جن ، كلهم بحاجة إلى هدى الله ، وأن الله هو الذي يهدي ، أنه هو الذي يهدي، وليست المسألة وكأن الإنسان [تماتيك] يخرج ، يكون هناك أشياء ثابتة لديه هنا يقول: { بَلَى} أولم تؤمن بأني أحيي الموتى{قَالَ بَلَى} أنا مؤمن، فقط لديه رغبة أن يزداد هدى ، ويزداد نوراً ، ولا يكون هناك أي مجال نهائياً لأي خواطر سيئة.

{قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً} (البقرة: من الآية٢٦٠). **لاحظ طريقة القرآن الكريم في ماذا؟ في تقديم الحادثة ما أجملها هنا عندما يقول: {ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً} أليس هذا واضحاً أن معناها : أنه سيذبحها ، ويقطعها ، ويخلطها ، ويفرقها ، إجمعها إليك{ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً} . لم يتناول الأشياء التي هي معروفة أي: منطقة الفراغ هنا معروفة{ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً}** (البقرة: من الآية٢٦٠). **هنا قال: {أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}، {ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً} ستعود إليك، وتعود هي، هي ، نفس الطيور تلك التي أنت أمسكت بها ، وجمعتها ، وذبحتها ، وقطعتها ، وخلطتها ، ووزعتها.**

{وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(البقرة: من الآية٢٦٠). وموضوع البعث له علاقة بعزته بأنه قادر لا يعجزه شيء معنى أنه عزيز: أنه قادر لا يعجزه شيء ، وقضية مرتبطة بالحكمة أن يكون هناك يوم آخر وبعث يعتبر يوم للجزاء على الأعمال بالشكل النهائي .

إذاً هذا مثل في مسألة النور عندما يكون هناك متولين لله، أنه ينير لهم . تجد أيضاً من النور مسألة أشياء معينة يشجع ، يشجع الأشياء التي هي هدى ، أليس هذا إدخال لك في موضوع الهدى، تقبله ؟ فتكون ماذا؟ مستنيراً كتشجيع مثلاً بإغراءات كبيرة .

لاحظ في موضوع الإنفاق {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٦١) الإنفاق في سبيل الله قضية هامة، فمن رعاية الله لعباده أنه يريد أن يدخلهم إلى هداه إلى نوره بأي طريقة تأتي عملية الإغراءات الكبيرة ، التشجيع الكبير بماذا؟ بمضاعفة الأجر {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:٢٦١) هذا مثل من أمثلة أن الله يخرجهم من الظلمات إلى النور.

فعملية التشريع التي تدفعك إلى أن تقوم بهذا الشيء الذي وجهك الله إليه هي عملية إدخال للناس إلى نوره، مظهر من مظاهر رحمته، فهي في نفس الوقت تبين أهمية الإنفاق في سبيل الله ، تلاحظ ما أذكر في القرآن في أشياء أخرى إغراءات أعني: في عبادات أخرى بهذا الشكل إلى سبع مائة ضعف{وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} أيضاً ما يزال هناك يبدو فعلاً أن هذا وكأنه الحد الأدنى ـ مثلما يقولون ـ الحد الأدنى أن هذا مثل، ويعطي مثلاً لشيء حي وملموس {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ}. موضوع التمثيل قضية واضحة أعني: أهميتها في القرآن مما يؤكد للناس بأن موضوع المعرفة أن تكون أنت كثير التأمل لما حولك ، لأن الأشياء كلها من حولك تعطي معرفة.

ألم يقدم هنا من خلال النبتة الفلانية مثلاً للقمح ؟[وقد يكون هذا القمح نفس البر] أليست قضية هناك تعتبر مثلاً واضحاً ؟ قدم منها معلومة معينة ، يقرب إليك فهم عملية تضعيف الأجر؟ ألم يعط هنا معرفة؟ النبتة التي كانت حبة واحدة تحولت إلى سبع شتلات ،وفي كل واحدة سنبلة فيها مائة حبة ، أليست مثلاً واضحاً تعطي معرفة؟ لهذا الشخص الأول أعطى معرفة ،[عزير] يقولون : أنه عزير ، الله أعلم من هو. حماره وهو يتركب أمامه ، وطعامه وشرابه .

نبي الله إبراهيم من خلال تلك العملية أعني: من خلال الأشياء من حول الإنسان ، ليست المعرفة مرتبطة بموضوع كتاب، الكتاب هو وسيلة من وسائل توثيق المعرفة ، إذا كانت صحيحة يعطي معرفة ، أما إذا كانت خطأ فيعطي جهلاً ، والواقع من مظاهر الحياة هذه ، وتغيرات في الحياة تعطي معارف واسعة جداً.

هل يوجد تشجيع أرقى من هذا؟ أن يكون الله وعد من ينفق في سبيله يضاعفه له إلى سبع مائة ضعف؟ فعندما يبخل الإنسان مع أنه قال في الآية الأولى : {أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ}(البقرة: من الآية٢٥٤). فعندما يبخل الإنسان فيحرم نفسه هذا الأجر المضاعف ، وهو في الواقع مما رزقه الله هو مدين لله من البداية لأن ما لديه من رزق هو من الله ، فهل يبخل على نفسه بما هو من الله أيضاً ، ويبخل في أن يستجيب لله بأن ينفق مما أعطاه الله ؟ أليس هذا يعتبر عملية أعني: متنافية تماماً عن موضوع الإنصاف والأخلاق؟ هذا جحود يعتبر .

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً}(البقرة: من الآية٢٦٢). حتى عندما تتجه للإنفاق في سبيل الله هناك آداب وقضايا هامة تجعل إنفاقك بهذا الشكل الذي يكون له قيمته، يجب أن لا تتبع ما أنفقت مناً ولا أذى [نحن قد أعطينا وأعطينا ، ونحن أعطينا] وأشياء من هذه،لا، {لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}(البقرة: من الآية٢٦٢).

{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً} أليس هنا اللاشيء بالنسبة للمال؟ إذا لم يأت منك صدقة إلا وتتبعها أذىً فافهم بأنه: الله كريم ، الله غني منها ، أن تنفق في سبيله ، وأن تتبع ما أنفقته مناً أو أذى ، كلمة طيبة منك فقط ، ومغفرة من الجا نب الآخر.

أحياناً يأتي التمنن كلام: [نحن أعطينا...] وأحياناً أذى ، التدخل في الموضوع بالشكل الذي مثلاً يريد يفرض رأيه في القضية لأنه أنفق فيها يريد أن يفرض رأيه ، يريد يمشي رأيه ، يريد يستغلها لأغراض معينة لديه، يحصل أذى . كلمة: {أَذىً} تختلف مظاهرها باختلاف القضايا التي يكون الناس فيها.

فقضية الإنفاق في سبيل الله في موضوع مثلاً الإنفاق لتمويل العمل لإعلاء كلمة الله يجب أن يكون الإنسان يريد بذلك وجه الله ولهذا جاء بأمثلة بعد لهذا ، وأن تفهم بأنه أنك أعطيت ما معناه أنك تتبع عطاءك : لازم رؤاك أن تقبل ، وأراؤك أن تمشي ،وتدخلاتك في كل قضية ، لا. أحياناً أعني هذه القضية تؤدي إلى خلخلة في الموضوع فتكون ضرباً لسبيل الله ، وليس فقط ضرباً لعطائك ، تخسر عطاءك ، وضرب للمسيرة نفسها .

أو أن تكون بالنسبة لأشخاص فالعطاء يكون المفروض أنه يكون بالشكل الذي يكون لائقاً بتكريم الطرف الآخر لا يكون فيه امتهان له، ولا استغلال له ولا أي شيء من هذه ، يكون فيه نوع من الأذى .

فالمغفرة مثلاً بأنه طرف آخر ربما قد أعرف بأنه فيما لو أعطى قد يتبع عطاءه مناً وأذى ، ويتدخل في القضية التي أنت تتبناها ، أو مشروعاً أنت تتبناه ، مدرسة دينية مثلاً ، أو مشروع ، مصلحة عامة ، أو أشياء . هذه القضية معروفة فلا تطلب منه شيئاً ، ولا تحاول تأخذ منه شيئاً ، تغفر له في الموضوع من جانبك . قد تكون هذه لها علاقة {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ} من هذا الطرف الذي يراد له أن يعطي لكن يتبع مناً أو أذىً فيكفي منه هذا ، ما معنى هذا؟ معناه أنه قد خسر في نفس الوقت ، هنا لا يكون هناك إلحاح ، مغفرة ، أترك هؤلاء لا تحاول تلح عليه يعطي ، أو تطلبه يعطي، أو تعرض له بأن يعطي، كأنك غافرٌ له ، القضية لأنه مثلاً سيتبع ما أعطى مناً وأذىً.

لهذا نحن نقول في موضوع مدارس مثلاً أو مساجد أو أي مشاريع عامة: النوعية هذه من الناس لا تحاول تقبل منهم شيئاً ، ولا تلمح نهائياً ، ولا تطلب في مقام دعوة عامة هم موجودين فيه فيقدمون، أحياناً قد يقدم ألف ريال ، أو ألفين ريال ، أو حتى عشرة ألف ريال ثم تتمنى بأنه يسكت وتعطيه عشرين ألف بدلها ، يتدخل في كل قضية ، في ذلك المسجد أو المدرسة أو مشروع عام يتدخل فيه لأنه قد أعطى ألف ريال ، مناً وأذى ، وفرض نفوذ وأشياء من هذه.

الإنسان يتجنب هذا لا يفرح ويقول : لا بأس نحاول نأخذ من هذا ، لأنه في الأخير تحصل على أذية دائمة . واجهه قل: يا أخي هذا الألف الذي دفعته ومع السلامة لا تشغلنا ، يمكن لا يرضى يقبله ، ويصير في الأخير مشكله ، فالناس يجب أن يحذروا هذه، إنفاق في سبيل الله ، أو إنفاق في مواضيع ، مشاريع ، مصالح عامة ، أو مسجد أو مدرسة أو أي مشروع آخر تجنب الآخرين إجعلهم لا شيء.

كأن الآية {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ} (البقرة: من الآية٢٦٣) **ليس مقام مغفرة من جانب الذي لا يعطي شيئاً أن يقال : غفر، قول معروف من هنا ، ومغفرة من هنا يعني: أنه هنا يقول أنه كلمة طيبة أفضل من أن تعطي ثم تتبع ما أعطيت مناً أو أذى ، إذا طلعت منه كلمة طيبة [كيف رأيك يا حاج أليس هذا عمل باهر] قال : [إلا عز الله باهر وعمل جيد والله يعينكم] ويكفي، لا تقول له: تعاون، لا، مغفرة ، أو يحاول يقول لك:[ليس لدي شئ الآن لكن إنشاء الله] لا يكون حتى ولا تعريض إذا واحد يعرف لأنه تحنب الدين أحياناً تحنب دين الله مع أشخاص إن أعطوا مبالغ معينة حتى ولو كانت مبالغ كبيرة لا تفرح أبداً.**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ } (البقرة: من الآية٢٦٤) **صخرة عليها تراب{فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً}** (البقرة: من الآية٢٦٤) **ذهب التراب من فوقه صخرة ملساء{لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}** (البقرة: من الآية٢٦٤) **لم يبق له أي أثر نهائياً ، لم يبق له أي أثر، عطاؤه الذي هو على هذا النحو{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}** (البقرة: من الآية٢٦٤).

موضوع المال هنا قضية هامة قدمها أعني: بأنها وسيلة من وسائل تزكية النفس ، وسائل إقامة الدين ، وسائل حسن العلاقة فيما بين فئات المجتمع ، لكن يجب أن يكون على هذا النحو وإلا ستكون النتيجة عكسية بالنسبة لك ، وبالنسبة لأثرها في واقع الحياة .

لهذا جاءت العبارة مؤكدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} (البقرة: من الآية٢٦٤) وكأن هذا قد يبطل صدقتك ولو بعد فترة لو أعطيت في حالة أنت أعطيت لله ثم تتمنن بعد سنة ، بعد سنتين قد يبطل صدقتك هذه {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية٢٦٤) فيكون حالكم شبيه بمن هو على هذا النحو ، بمن ينفق رئاء ، فتجد أن هذا الشيء الذي أعطاك لا يمثل شيئاً بالنسبة له {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ} (البقرة: من الآية٢٦٤) ـ مطر ـ {فَتَرَكَهُ صَلْداً} (البقرة: من الآية٢٦٤).

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٦٥) وأنت تعرف أنه بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يمكن، هو جهة لا يمكن أنك تتمنن عليه بشيء، ابتغاء مرضاته، هدف رئيسي يتوجه إليه الإنسان بذهنيته وهو يعطي. {وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة: من الآية٢٦٥) لأن للعطاء على هذا النحو أثر كبير في تثبيت النفس ، والإستقامة ، والإيمان ، تزكية النفس تزكيتها وكأن المال كما لو أنه برهن، أشبه شيء ببرهنة على أنك مصدق بالله، مستجيب لله برهنة على صحة إيمانك ، برهنة على تصديقك بوعد الله سبحانه وتعالى: بأنه يضاعف الأجر، وأنه يخلف على من أنفق بأضعاف مضاعفة،تزكية للنفس يكون له اثر كبير في نفسك عندما تعطي، وأنت تريد بعطائك وجه الله ، ابتغاء مرضاته .

لاحظ كيف المثل الجميل هنا: {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} (البقرة: من الآية٢٦٥) كم الفارق بين المثل هذا، والمثل الأول صخرة صماء عليها قليل تراب جاء مطر نفسه.

{كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} بمكان مرتفع قليلاً أي: جنة خصبة بما تعنيه الكلمة {أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} (البقرة: من الآية٢٦٥) آتت آكلها ضعفين يعني: مدبول ثمرتها خصبة، يبين هنا أثرها الهام {فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ} (البقرة: من الآية٢٦٥) وحتى عندما يصيبها طل تعطي ثمرها.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة: من الآية٢٦٥) إذاً أين أفضل للإنسان أن تكون نفقته من النوع الأول ، أو أن تكون على هذا النوع ؟ أليس هذا نوع أعني: مثلين متضادين تماماً ، صخرة عليها قليل تراب جاء مطر نسفها ؛ هنا جنة بربوة فجاء المطر جعلها تؤتي ثمرها ضعفين ، حتى لو ما جاء مطر قوي لو لم يكن إلا طل [رشيش] كما نسميه يجعلها تثمر .

هذا المثل لأثر الصدقة، لأثر العطاء عندما يكون على هذا النحو بالنسبة لنفس الإنسان، وبالنسبة لواقع الحياة في الأموال، لهذا عندما نقول: الناس يجب أن يعتمدوا على الله ،وعلى أنفسهم في أن يكونوا هم بجهودهم مهما كانت بسيطة ينفقون في سبيل الله ، أن الله يجعل لها بركة ، ويجعل لها أثراً. {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} (البقرة: من الآية٢٦٦) هذا مثل عندما يأتي شيء ينسف تماماً ما قدمته من منٍّ وأذىً لينسف تماماً ما قدمته.

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} (البقرة: من الآية٢٦٦) ـ شيبة ضعيف ـ {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ} (البقرة: من الآية٢٦٦).

إذاً أليس هذا في أمس الحاجة إلى جنته هذه وثمارها لأنك في أمس الحاجة إلى أن يبقى لك أثر ما تقدمه ، عندما تقدمه على الشكل الصحيح فأنت تنسف أثراً لشيء أنت في أمس الحاجة إلى ذلك الأثر. {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} (البقرة: من الآية٢٦٦) وأنت شيبه ، وأولادك ضعفاء، وليس معك إلا هي أليست تعتبر كارثة كبيرة عليك؟ لأنك في أمس الحاجة إليها؟.

{فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة: من الآية٢٦٦). يوطن الإنسان نفسه على أنه عندما ينفق، ينفق ابتغاء وجه الله ، ينفق ابتغاء مرضات الله . فهنا توجيه يبين كيف يكون إنفاق الإنسان، وتحذير كامل بضرب أمثلة واضحة لما ينسف عطاءك عندما يكون مصحوباً بمَنٍّ أو أذىً .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} (البقرة: من الآية٢٦٧). بعد أن قدم المثل الجميل لأثر الإنفاق فتخير لنفسك أنت ،

تخير لنفسك فلا تنفق الشيء الذي لن تقبله أنت ، تنفق الشيء الذي هو مقبول فيما بين الناس. {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ} يعني: لن تأخذوه أنتم إلا على جهة الحياء، {تُغْمِضُوا فِيهِ} تأخذه وليس له قيمة عندك فتلقيه في مكان آخر فقط على جهة التغاضي عنه، تقبله على جهة الحياء كذا تقبله لكن أنت تعتبره ليس شيئاً .

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (البقرة: من الآية٢٦٧) . **عندما يحث الناس على الإنفاق هو غني حميد، لكن لأن الإنفاق، لأن المال نفسه له علاقة كبيرة فيما يتعلق بنفسية الإنسان وإلا فالله هو غني عن الصلاة، وغني عن الصيام ، وغني عن الإنفاق ، عن إنفاق الإنسان لكن الإنفاق له أثر نفسي ، له أثر نفسي كبير ، له أثر إجتماعي كبير ، له أثر فيما يتعلق بالعلاقة فيما بينك وبين الله، أليس الله يقول: {وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} ؟ محك إيماني يعتبر المال أن يكون مرتبطاً به مسئوليات من هذه ، والحث على الإنفاق منه يعتبر محكاً إيمانياً بعدما ذكر أنه سيضاعف للإنسان ما أعطاه، وسيخلف عليه بأضعاف مضاعفة، ويكسب له أجراً كبيراً .**

فهنا عندما لا يكون عندك ثقة ما الذي سيفضحك، فاثبت به أنه ليس لك ثقة عالية بالله؟ أليس هو جانب المال؟. المال أصبح محكاً إيمانياً فيما بينك وبين الله ، وله أثره في نفسك ، أثره في الناس، أثره في العمل الذي تتحرك فيه ، فليس فقيراً سبحانه وتعالى، وليس عاجزاً عن أن لا يكون هناك أي دعوة لشخص أن يقدم شيئاً، يستطيع أن ينزل مطراً دولارات ، أليس هو يستطيع سبحانه وتعالى؟ أغلى عملة ينزل منها بشكل مطر، أليس هو يستطيع ؟ أو صخرات من ذهب ، أو أشياء من هذه .

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} (البقرة: من الآية٢٦٨) **لاحظ الشيطان كيف يذكره في مواطن متعددة، ألم يذكره سابقاً أكثر من مرة؟ لتعرف ، وليعرف كل إنسان بأن الشيطان في كل مجال هداية، في كل مجال تدعى إليه من قبل الله سبحانه وتعالى يظهر يشتغل قبل قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}** (البقرة: من الآية١٦٨). **وهنا وهو يتحدث عن الجانب المالي: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} الشيطان سيظهر معك وكأنه ناصح لك [لا تضيع حقك لديك البيت مليء وأنت كذا تصرف حقك هم فقط سيلعبون به] يظهر وكأنه شبيه ناصح لك يخوفك من الفقر [لا تصرف حقك وفي الأخير لن يعطوك شيئاً ولا أحد سينفعك ولن يعطيك أحد من أولئك ولا مائة ريال قرضة أترك لا دخل لك] . وبعض الشيبات يمثل شيطان حقيقة ، بعض الناس يمثل في مسألة المال منطق شيطان.**

بعدما قال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (البقرة: من الآية٢٦٧) **فعندما تنفقون يفي بما وعدكم به من الأجر ، ومضاعفة ما يخلف به عليكم .**

{وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ} (البقرة:٢٦٨) **أقبح حالة ، الفحشاء بمعنى: المنكر السيء مثلما قال هناك: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ}** (البقرة: من الآية١٦٩)**، هنا يقدم الفحشاء: البخل ، أن تبخل فلا تعطي سُمّيت فحشاء .**

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٦٨) . **إذاً فهنا انتهت القضية إلى أنه أنت أمام ، إمّا أن تطيع الشيطان الذي يعدك الفقر ، ويخوفك من الفقر فينتهي الموضوع إلى أنه يأمرك بفحشاء ، أو أن تستجيب لله الذي {يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً} . فتعتبر حماقة ،ويعتبر موقفاً فاحشاً في سوءه أن تستجيب للشيطان ، ولا تستجيب لله. لأنه هنا قال الشيطان يعدكم كذا {وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً}** (البقرة: من الآية٢٦٨) **بالإضافة إلى أن الفارق أن الشيطان سيأتي يوسوس ، أما الله فقد قدم آيات واضحة، ووعوداً واضحة، وأمثلة واضحة، فأن يستجيب الإنسان لوسوسة من شيطان ، ويترك وعوداً صريحة يسمعها من الله ، فهذا يعتبر فحشاء فعلاً، مواقف فاحشة في سوئها. الفحشاء : الشيء الذي هو منكر في فضاعته يعني: منكر فضيع .**

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} (البقرة: من الآية٢٦٩) **أليس هذا إرشاداً إلى مواقف حكيمة؟ وإلى تصرفات حكيمة ؟. {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} فعندما تجد آخرين لا ينطلقون على هذا الأساس أولئك أشخاص ليس لديهم حكمة، خاسرين {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} الحكمة بشكل عام قضية هامة جداً، و**

قضية مطلوبة ـ تقريباً ـ في كل إنسان بدءاً من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يكون حكيماً ، القرآن نفسه حكيم، من يعلّم الناس يجب أن يكون حكيماً، من يهدي الناس يجب أن يكون حكيماً، والناس أنفسهم يُعَلّمُون ليكونوا حكماء، ليكونوا حكماء {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (البقرة: من الآية١٢٩) فالحكمة تجعل الإنسان في مواقفه ، في رؤاه ، في تصرفاته، في أقواله ، في أفعاله كلها حكيمة. يقابل الحكمة لا يقابلها إلى أخطاء ، وتصرفات خاطئة، حماقة ، أراء قَلِب، خسارات بعد كل موقف هو فيه ، بعد كل رأي هو فيه.

{وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: من الآية٢٦٩). هنا فيما يتعلق بالجانب المالي أعني: بالنسبة لمن يتحرك كموجه للناس ، كموجه للناس لمن يتحرك ليقدم للناس عملاً يتحركون فيه .

تلحظ هنا في موضوع المال أنه موضوع حساس، موضوع المال حساس أي عندما تجد هنا الوعود العظيمة من جهة الله ، والتشجيع الكبير المتكرر ، أن تعرف أن المال له وقع في النفوس ، فلا تحاول في عملك أن تكون بالشكل الذي يبدوا مرهقاً للناس بحيث تكون طلباتي منهم ـ تقريباً ـ في مشاريع عملية وإن كانت في سبيل الله ، طلباتي منهم بالشكل الذي ربما قد يكون أكثر مما أقدمه لهم من وعي ، من هدى، هنا قد تؤدي المسألة في الأخير إلى نوع من التذمر ، نوع من التهرب ، وربما كما قال في آية أخرى: {وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} (محمد:٣٧).

فيجب على الإنسان أن يفهم: بأن موضوع المال موضوع حساس ، مهما كان الإنسان خيِّر ، ربما الأشياء متكررة عليه، المتكررة قد تؤدي في الأخير ولو في حالة غضب معين، ولو في حالة أن يحصل له خسارة في تجارة معينة ، فيحصل يقدح في نفسه أشياء ، والقوادح في النفس هو هذا ذكرها فيما يتعلق بناس كبار ، ألم يذكر هناك بالنسبة لنبي الله إبراهيم ؟{قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} (البقرة: من الآية٢٦٠). أيضاً الشخص الآخر أيضاً من أولياء الله عندما قال: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} (البقرة: من الآية٢٥٩).

الله قال في الأخير: {وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} (محمد: من الآية٣٦) كل أموالكم وأسئلة مجحفة، {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا} ألم يأت هنا بخطاب عام ؟{فَيُحْفِكُمْ} بعدكم، بعدكم هكذا {تَبْخَلُوا} {وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} فيطلع كلاماً سيئاً حول موضوع المال ، [إنما ضيعوا حقنا ، لا يوجد شيء ولا رأينا شيء ولا، ولا ..] في الأخير لا تدري وقد تحول هو إلى محارب للشيء الذي كان ينفق في سبيله.

فيجب أن نتحدث مع الناس بشكل عام، أعني: هذه القضية قرآنية أساسية: أن تخاطب الناس بشكل عام، وتحثهم على الإنفاق في سبيل الله ، تحثهم على الإنفاق في مختلف مجالات البر، لأن القرآن الكريم تناول المواضيع كلها، وتقدم كل ما شجع الله الناس به في القرآن الكريم ،وتترك الناس على حسب اهتمامهم ومستوى إيمانهم وطاقاتهم ، هذه قضية ، حتى لو عندك مثلاً عشرة أشخاص ، عشرين شخصاً ، عندك في المدينة الفلانية ، أو في الجبل الفلاني، أو في المنطقة الفلانية كذا أشخاص يجب أن تخاطب الآخرين ، وأن تذكر الآخرين بأنها مسئولية ، وأنها قضية يدعى إليها كل إنسان ، وأنها إيجابية بشكل كبير ، لأنه يستطيع الناس أن ينهضوا بأشياء كثيرة وبدون أن يحس أي طرف بثقل، أو يحس بأنه أرهق، أو يحس بأنه وكأنه هو الذي يتحمل الأعباء بمفرده، أو مجموعة لوحدها مهما كانوا خيرين .

يجب أن يكون الطرف الآخر أنا أو أنت أعني : رحماء ، رحماء بقدر الإمكان، فتتقدم مشاريعك العملية بالشكل الذي تراعي فيه حساسية المال في النفوس، وبالشكل الذي لا يبدو مرهقاً للناس، وتركز بشكل كبير في توعيتك في تبيينك وتبين أهمية القضية التي أنت فيها، أهمية العمل الذي أنت فيه ، أهمية الأطروحة الفلانية التي أنت تتبناها فبمقدار اهتمامهم سيقدمون.

فيجب أن يكون من الأشياء التي نعتمد عليها في موضوع هداية الناس ، وتذكير الناس فلا تكون ممن يتحاشى أن تذكر بأن الله سبحانه وتعالى ربط بالمال مسئوليات متعددة ، وجعل المال محكاً إيمانياً كبيراً ، وجعل المال أيضاً وسيلة من وسائل أن يتنمى نفس المال في نفسه أن يتنمى لك ، وأن يكون وراءه أجر كبير في الدنيا وفي الآخرة .

لا يكون واحد مستحي ، فقط يقدم له عبادات معينة لا يكون فيها عبادات مالية على أساس أنه لا يقول: بأن قد معه طلبات مالية !.

قدم دين الله بشكل متكامل ، لأنه أحياناً قد تقدم للناس عبادات معينة من التي ليس فيها طلبات، هنا أنت تقدم الدين ناقصاً، بالشكل الذي لا ينفعهم هم ، لا يستحي الإنسان أن يتحدث عن الإنفاق في سبيل الله ، وبهذا الأسلوب الخطابي العام، وفي نفس الوقت بهذا الأسلوب الذي يرفق بكثير من ماذا؟ من التشجيع والدفع بالناس إلى أن ينفقوا في سبيل الله، ولا يكون عملك في نفس الوقت مليء بالمشاريع المالية.

ناس هم بدأوا يتوجهون هكذا، تقول: [مسجد، نبني مسجداً نريد مكرفون قوي، ثم نريد كذا .. ثم نريد كذا..] لا،يكون عندك فهم ، قائمة أولويات ـ مثلما تحدثنا سابقاً ـ أولويات أساسية ، وتراعي مشاعر الناس ، والوضعية التي لا يزالون فيها ، تذكرهم ، وقليلاً قليلاً ، وتعطي ، وأن الله يقبل من الإنسان وإن كان مبلغاً زهيداً ، فقط لازم تعرف بأنك تتعامل مع الله ، أنت ستعطي بمقدار اهتمامك وإيمانك، وإذا بخلت أنت تبخل عن نفسك {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ}(محمد: من الآية٣٨) **كما قال .**

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} موضوع المال موضوع يجب أن يكون فيه تصرفات حكيمة في توجيه الناس ، في تقديم المشاريع العملية للناس، بأن تكون أعمالك بالشكل الذي تبعد أي حساسية من النفوس، ولهذا نقول أكثر من مرة: العمل الذي نحن فيه ، فيه مجالات اشتغل أنت بمالك حتى لا يأتي بعد أيام وتقول : لا ندري أين ذهبت أموالنا؟ أو هم فقط سيأكلونها، أو يكون هناك منفذ لآخرين مخربين من الذين هم منافقون يثبطون الناس عن الإنفاق ، لا تعط شيئاً ، أنت اشتغل بحقك أنت ، أمامك ملازم معينة ، أمامك شعارات معينة إشتغل أنت بفلوسك في هذا الموضوع ، أمامك أشخاص معينين من الذين هم مرشدون ومعلمون موّل شخصاً أنت لينتقل إلى منطقة في سيارتك ،أو بفلوسك ، إشتغل أنت .

قضية ملموسة بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **يبدو أنه فعلاً في قضية جمع الأموال لتمويل سرية معينة ، أو غزوة معينة كان يكون خارج هناك يجمعها لا يكون في بيته لأن هذا منفذ للآخرين يقولون: [لاحظوا كم قد أدخلوا إلى بيته ، لاحظوا كم قد أدخلوا] وعندما يخرج لو أخرج الذي عنده ونصف من حقه زيادة سيقولون أولئك [هذا فقط قد لا يكون إلا النصف مما قد أدخلوا إلى بيته ، وما زال الباقي مراكم هناك] هذا لأنه كان حكيماً ولذا قال: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ} يتحدث في الآية هذه عن موضوع الحكمة في وسط الحديث عن الجانب المالي لنعرف بأنه موضوع يجب أن يكون التصرفات فيه حكيمة ، ومع الناس حكيمة، والمشاريع تكون على أساس معرفتك بالجانب المالي أيضاً حكيمة .**

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}(البقرة: من الآية٢٦٩). **ولأنه على يد من يؤتى الحكمة يكون هناك خير كثير، أعمال تكون مثمرة ، حركة تكون مثمرة. وإذا ما هناك حكمة في الأخير لا تدري إلا وقد هم يصيحون منه، من أساليبه يكون فيها منفذاً أعني: أنه يجب أن تفهم بأنه ليس فقط القضية أنني أتحدث مع الناس عن موضوع مالي، يكون عندك نظرة عامة بما فيها الطرف الآخر الذي يكون هناك يتربص لأي منفذ يعمل دعاية مضادة ، دعاية تثبط، تراعي كل الإعتبارات هذه هي الحكمة، وإلا قد تكون مخلصاً وأميناً فعلاً لكن تنسى جوانب من الحكمة تكون فيها ثغرة للطرف الآخر يعمل دعايات: [هذا فقط يجمع لنفسه وليس إلا كذا وليس إلا .. ..] إلى آخره.**

ولأن المال جانب حساس يُكون التشكيك تقريباً يؤثر فعلاً، يؤثر في الناس التشكيك أحياناً إذا ما هناك تصرفات حكيمة قد يكون هناك مطالب مالية بالشكل الذي يصد الناس عن الحضور مثلاً في مجالس معينة، أو مناسبات معينة، مثلاً إذا تعود الناس على أنه في مجلس يُقدمون لهم تعاون في سبيل الله أو أشياء من هذه. معنى هذا ماذا؟ يكون الشخص الذي لو لم يكن إلا أن ما لديه فلوس يستحي أن يسير، أو أناس ما قد بلغوا درجة مناسبة يكون مستعداً أن يقدم ولو شيئاً بسيطاً ، فيكون بالشكل الذي ينصرفون ، فلا يحضرون في مناسبات عامة.ولهذا ليس مناسباً أن تطرح قضايا مالية في مجالس عامة ، أو في مناسبات عامة ، تحدث في المناسبات العامة فيما يتعلق

بأهمية الإنفاق ، وتقدم للناس المشاريع العملية التي ينفقون فيها ، ولا تحاول أن تطلب في نفس الوقت من الناس شيئاً .

هذه القضية ثابتة لأنه أحياناً قد تحرج كثيراً من الناس الجيدين ، يستحي أن يذهب عندما لا يكون معه فلوس، يستحي أن يأتي، [ربما يدعون لشيء وليس عندي فلوس فأبدوا وكأني إنسان لا يريد أن ينفق] يتألم فعلاً لأنه غير متمكن يعطي ، ويستحي أن يبدو أمام الناس وكأنه إنسان لا يريد أن يقدم شيئاً في الأخير يجلس في بيته ، ولا يحضر. فلا يكون موضوع الإنفاق ، أو موضوع دعوات المال بالشكل الذي يعيق الناس عن الهدى ، وهو يقدم هذا الموضوع لتمويل الهدى، ولأن يهتدي الناس ويقيمون دين الله .

{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(البقرة: من الآية٢٦٩). هناك في موضوع الإنفاق أعني: إفترض ناس قدموا تبرعات ، أو غنائم حصلت ثم يأتي إنفاق لطرف معين، يكون هناك في بعض الأوقات أولويات معينة لديه، فإذا الناس من البداية الإنسان المؤمن يرسخ في نفسيته: بأن الإيمان هو عطاء .

لهذا يأتي الحديث كثيراً في مسألة بأنه {بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}. تترسخ هذه النفسية عندك فتروض نفسك على مسألة: أن الإيمان هو أخذ وعطاء، ويهمك هو ماذا؟ أخذ أجر من الله وما سيأتي من شيء يخلفه الله سبحانه وتعالى عليك عندما يأتي إنفاق أموال لا تكون حساسة عندك .

في بعض المواقف في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) على الرغم مما كان يعمل ، ويوجه الناس ، والقرآن يتنزل عليه ، أحياناً ، ولأنه كانوا آلفين مسألة جمع أموال، ويغزون بعضهم بعض وأشياء من هذه، أحياناً يصير عندهم حساسية عندما يعطي من الغنائم أطرافاً معينين .

في موضوع الحكمة لاحظ فيما يتعلق بالتأليف ـ ربما تأتي بعد الآية ـ ونتحدث قليلاً حول حديث الحكمة، وارتباطها بالجانب المالي ما يسمى : تأليف . يعتقد البعض أن التأليف معناه : من أجل ذلك يترسخ الإيمان في نفسه ، ويؤمن بفلوس ليست بالشكل هذا، أبداً .

التأليف عندما تنظر إلى المرحلة التي كان فيها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فبدأ يتألف متى حصلت؟ بعد الفتح تقريباً بعد الفتح بدأ يتألف ، هنا الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، الفتح يمثل انتصاراً كبيراً، ويعتبر قهراً لطرف ، أليس هو يعتبر قهراً لطرف؟ يعتبر في نفس الوقت حكيم في هذا الموضوع أعني نظرته واسعة هو رأى الفتح يمثل انتصاراً كبيراً ويعتبر قهراً لطرف ، أليس يعتبر قهراً لطرف ؟ يعتبر في نفس الوقت مما قد يثير أطرافاً أخرى، فيكون العدو الخارجي يتوقع كيف ستكون الجزيرة هذه بعد الفتح؟ كيف سيكون زعماء عشائر وأطراف أخرى ، وقد رأى سلطان محمد قد صار كبيراً وقد صار يشكل خطورة مثلاً ؟ قضية هامة جداً أن تهدأ الجزيرة فتبدو الساحة أمام الطرف الآخر ساحة هادئة .

فعندما أعطى أشخاصاً معينين من الغنائم حصلت أعتقد في [حنين] غنائم أخرى للتأليف ليس من أجل أنه : يؤمنون بفلوس، أبداً. هنا لتستقر وضعية في ظرف معين ، ورؤية لديه، رؤية بعيدة، ونفس المرحلة ما كانت هي مرحلة متأخرة؟ هي مرحلة أنه يعطي مؤشرات ، ويتجه إلى أطراف أخرى خارجية ، الوضعية الداخلية مهمة فزعماء عشائر معينين يمكن يسكّته مبلغ يسكت فلا يبدو مشاققاً ، لا يبدو كذا .. قد يمثل مثلاً موطئ قدم للعدو الخارجي الذي قد رأى بأن محمداً كبر في الجزيرة، يشكل خطورة. العدو الخارجي يمكن يبحث عن موطئ قدم له، سكت أولئك، يعطي هذا ، ويعطي هذا ، ويعطي هذا .. والمؤمنون الذين هم مجاهدون لم يعطهم شيئاً، أو أعطاهم أشياء بسيطة جداً.

فهنا هي مبنية على رؤيته العامة للخارج، وليس فقط لتألف أشخاصاً ليؤمنوا، ليس هناك إيمان بفلوس، في دين الله ليس هناك أنه يقدم يعطيك فلوس من أجل أن تؤمن! موقف حكيم في نفس الوقت ، أن لا يظهر بأنه من أجل هذا ، في نفس الوقت أن لا يبدو وكأنه من أجل أنهم لا يكون عندهم شقاق فيستغلهم طرف آخر، والطرف الآخر ينهزم نفسياً عندما يرى وضعيته استقامت في الجزيرة ، وهدأت من بعد الفتح ، لا يمكن يقول: [نريد من أجل لا . ولا .] أو حتى يوحي ، قد يكون ماذا؟ قدم ففهمت المسألة بأنه معناها: يتألف قلوبهم أو بمعنى : يستقرون في إيمانهم، ويسكتون ، ويجلسون مؤمنين هكذا ..

فهنا تعرف فيما يتعلق بالمال، في مجال أخذه، أو في مجال إنفاقه يجب أن يكون هناك حكمة، وأن تعرف أنه مؤثر تأثيراً كبيراً .

المال له دور كبير جداً حتى فيما يتعلق بالعدو الخارجي، عادة العدو الخارجي يبحث دائماً الوضعية الداخلية دائماً ، أول ما يفكر في تقييم الوضع الداخلي لك . أعطاهم عطايا كبيرة جداً بعض كبار الشخصيات، وزعماء العشائر في تلك المرحلة أعطاهم عطايا كبيرة جداً ، ومؤمنون بقيوا بغير شيء من الذين قاتلوا، لكن ما كان هؤلاء المؤمنون في الأخير قد تكون أنفسهم هي الضحية؟ لو أنهم يفكرون في المسألة على هذا النحو: يريد يلحق له مثلاً ناقة ، و عنزاً ، وفروة ، وأشياء من هذه، وبقي شخصيات معينة تشاقق، تمثل موطئ قدم للعدو، وتعطي صورة قلقة عن الجزيرة فيهجم العدو وفي الأخير تصعب الحالة، على هؤلاء المؤمنين مقابل الشاة والناقة وفروة وجَمة ، وأشياء من هذه أليس هذا أفضل لهم ؟ الشاة [أطرف]، وناقة [أطرف]، وأشياء من هذه .

{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}(البقرة:٢٧٠) **ليؤكد للإنسان بحيث أنه لا يكون ما يزال عنده رغبة بأنه يرائي ، أو نحو ذلك ، إذا كان متوجهاً ويبتغي مرضات الله فيعرف بأن الله يعلم ما قدم، وليكن هذا الشيء الذي يشجعك على أن تعطي أي: أنك لا تريد يعرف الناس أنك أعطيت، قد يكون في مقامات معينة إذا كان عطاؤك يعتبر تشجيعاً مثلاً يقول البعض، مقامات محدودة .**

{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ} أي نفقة قلّت أو كثرت {أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} (البقرة: من الآية٢٧٠) **{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ}**(البقرة: من الآية٢٧١) **لاحظ هذه الآيات ، كلها حول موضوع الإنفاق كيف يجب أن يكون ؟ مجموعة ضوابط ، مجموعة آداب بالنسبة لهم ليكون له فاعليته ،ويكون له أثره.**

{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ} جيدة {وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(البقرة: من الآية٢٧١) **أي: موضوع الإخفاء يبدو أفضل{وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} وسيأتي خير يكون في مقامات يعني: جنس الخير، وفي مقامات بمعنى أفضل يعني مثل ما تقول: [أخيَر] لأنه ليس هنا إشتقاق بهذا الشكل في اللغة [أخيَر] خير يعني: مثلما تقول: أحسن من الصورة الأولى في العطاء ، ويكون العطاء على هذا النحو مما يكفر به السيئات على قراءة: {وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ} أي يأتي العطاء على هذا النحو يكون من أسبابه، أو يكون سبب من أسبابه أن تكفر سيئاتكم .**

لا أعتقد بصحة قراءة: {وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ} من الذي يمكن أن يكفر السيئات؟ هو الله الذي يكفر السيئات . تلحظ المقام هنا أنه يتحدث عن نوعية من الإعطاء، أو عن حالة تعطي عليها فأن يكون التشريع مرتبطاً بالحالة قضية مهمة أعني يتوفر أمرين: أن ينشد في ذهنيتك الأثر لهذا العطاء على هذا النحو، وأنت في نفس الوقت تؤمن بأنه من يعمل الأثر هو الله ، فتكون مثلاً قراءة: {وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ} الأقرب للسياق نفسه.

موضوع القراءة يكون بعضها اجتهادات، قراءات قد تكون اجتهادات، وقالوا روايات. لكن القرآن الكريم هو أعلى من مسألة أن يحصل فيه اضطرابات في القراءة، هو يضبط نفسه بنفسه، في موضوع القراءة هو يضبط نفسه بنفسه، فهو يبرهن من داخله بشكل عام على القراءة الصحيحة في ماذا؟ في آية من الآيات التي فيها قراءتين أو ثلاث لأنه لم يكن تكتب مثلاً الكلمات مشكولة ، أعني : بحركات ، ونقط؛ لهذا تجد أن القرآن الكريم يمثل مجموعه ضمانة لنصوصه، لنصوصه كيف تُقرأ يمثل ضمانة لها حتى لو لم يكن هناك حركات ولا نقط، لأنه ما جاء النقط للحروف والحركات إلا متأخراً بهذا الشكل الواسع .

لاحظ كيف العبارة هنا يكون هناك نوع من البعد ـ تقريباً ـ في النص عندما يقول: {وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} مرحلة إنتقال من الخطاب إلى الغيبة لأن{وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ} أليس معناها : ونكفر عنكم نحن؟ ثم يقول: {وَاللَّهُ} كلمة: والله ، يعني: أن يأتي انتقال من الخطاب إلى الغيبة يكون لها مقامات مناسبة {وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} .

{لَيسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ }(البقرة: من الآية٢٧٢) لاحظ الأشياء التي تشجع الإنفاق أليست تأتي من قبل ومن بعد وأثناء الكلام؟ جاء من أول الآية {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ}(البقرة: من الآية٢٦١).

{لَيسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} نفس الهدى بأن يقدم للناس بينات الله ، ويقدم البلاغ الكامل على أكمل وجه، أليست قضية منوطة به وعليه أن يقوم بها ؟ لكن في أن يترك الأثر في النفوس شيء آخر ، وهذا في الجانب المالي قضية قد تكون أعني يظهر فيها هذا: أنك قد تتحدث مع الناس ، وتشجع ، وتأتي بكلام كثير فتلمس بأنه فيه ناس استجابوا، وكثير لم يستجيبوا فيقول: لماذا، إفهم بأنه تلك قضية أخرى ، أنت عليك أن تبين ، وتوضح ، ويكون أسلوبك على هذا النحو ، وتقدم هذا الهدى المتكامل{وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} .

قضية الجانب المالي أعني : قضية حركة الناس عادة ليفهم الإنسان أنها تكون مضبوطة بضوابط من عند الله ، خارجة عن إرادتك أحياناً لو تعطى مثلاً أموالاً كثيرة في مرحلة قد تكون غير مناسبة قد تكون مشاريعك كبيرة في مرحلة غير مناسبة. أي أنه موضوع لا يصدك عندما تكون أنت تبين للناس .. تبين للناس ، وتحثهم على الإنفاق ،وتبين لهم الأشياء هذه التي تعتبر مشجعة ، وجدت هناك ناس لم يرضوا يتجاوبوا فلا تقل: [إذاً يكفي أتركهم هؤلاء لا تتكلم معهم] يجب أن تواصل التبيين .

{وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}(البقرة: من الآية٢١٣) وهناك أشياء أخرى ، ترتيبات أخرى كثيرة لأنه قد يكون أحياناً هنا بالقطارة لكن هناك تدبير آخر بكميات كبيرة في تدبير الله ،لأن جانب المال أليس عبارة عن آلية ، عن وسيلة في إطار حركة معينة ؟ لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يلحظ جوانب العمل الذي هو فيه، الذي هو جزء من تدبير الله سبحانه وتعالى قد يكون أحياناً أن يكون بالقطارة من يستجيبون لك ، أو من يعطون ومرحلة لا تدري وحصل كثير، ومرحلة .. أشياء، لا تقعدك عن أن توجه الناس باستمرار، وتحثهم حتى على مسألة السبق إلى الفضيلة ، السبق إلى الفضيلة مثلما قال في موضوع الإنفاق أنه حتى بالنسبة وقد الإنسان سيعطي لكن في مراحل معينة{لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا}(الحديد: من الآية١٠) .

وفي نفس الوقت عندما تكون أنت تحث الناس على الإنفاق ، وتراهم لا يتجاوبون بالشكل المطلوب [تقوم تتلفت] تبحث من أين يمكن تحصل على مال؟ إما أن يكون الناس أنفسهم القائمين على عمل معين يتحملون قروضاً كثيرة في الأخير تؤثر على عملهم في نفس الوقت وأنت قد عليك دين لذلك، ولذلك، ولذلك .. لم يعد بإمكانك أن تخلصهم في الوقت الذي تبدو بالشكل الذي تحط من قيمتك وبالتالي قيمة ما توجه، وقيمة حركتك ، أو تبحث عن أطراف أخرى دولية أو حزبية قد تساعدك في عملك، فتدخل في أخطاء كبيرة .

يجب أن توجه، أن تهدي، استجاب من استجاب ، ومن لا يستجيب لا يكون بالشكل الذي يصدك عن أن تواصل التبيين ، أو بالشكل الذي يدفعك إلى أن تبحث عن أطراف من هنا ، أو هنا، أو أن تتحمل أنت مبالغ مجهدة، مبالغ منهكة جداً ، قروض كبيرة أنت ومن معك، حرِّضْ. {وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}(البقرة: من الآية٢١٣) وهو أبصر بعباده.

{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ}(البقرة: من الآية٢٧٢) بعد الحث الكثير على الإنفاق بعدما قدم {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ} بالعبارة هذه التي تعني مائة في المائة: كل ما تنفقونه هو لكم . هذه العبارات التي تبين أثر المال، أو دور المال هو دور عام ، دور عام في الواقع. يعني في الوقت الذي ما تنفقه الله يخلفه عليك، فكأنك قمت بعملية تبادل تجاري مع الله رده عليك بأضعاف مضاعفة . أثره هو لكم {لأَنفُسِكُمْ} .

{وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ}(البقرة: من الآية٢٧٢) لأن المال يكون له أثر في الأخير هو لك ، لك، لك كشخص أنت الذي تنفق، ولكم، للمجمع كله أثره يكون له أثر إجتماعي، وأثر شخصي فيما يتعلق بك أنت، {وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ} قدمها بشكل أشبه شيء بقضية محسومة إخبارية يعني : ينبغي ألا يكون عطاؤكم إلا على النحو: ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله .جاء هذا في أكثر من موضوع أن يقول: لا تنفقوا إلا وأنتم تبتغون وجه الله، هذا أسلوب وأسلوب راقي أعني : يجعلها قضية، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك إنفاق إلا على هذا النحو، وأنكم يجب أن تكونوا على هذا النحو وأنتم تنفقون.

{وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ}(البقرة: من الآية٢٧٢) **لاحظ التأكيدات هنا كيف هي تجعل الإنفاق هاماً جداً{مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ}**(البقرة: من الآية٢٧٢) **وأنتم تنفقون{ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}**(البقرة: من الآية٢٧٢) **لا تنقصون شيئاً ، ولا تبخسون شيئاً مما وعدتم به. فالكثير من الناس على الرغم من هذه لا ينطلقون أليس هذا وعداً إلهياً؟{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ}**(البقرة: من الآية٢٧٢) **تعطوه وافياً ، وأضعافاً مضاعفة كما وعد في آية أخرى.**

يذكر فئة معينة من الفئات التي هي محط للاهتمام بالإنفاق:{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}(البقرة: من الآية٢٧٣). **لأنه بالنسبة للعمل في سبيل الله أحياناً يكون وضعية الناس فيه مختلفة ، هناك من يصبح بالشكل الذي يسيطر على كل وضعيته بحيث أنه لا يتمكن أنه يلحق أشياء مما يلحقه الناس من أعمال خاصة ، هذه فئة ، ولهذا قال:{أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} باعتبار الدور الذي هم فيه. ويوجد ناس يمكن يكون في فسحة يستطيع أنه يعمل في سبيل الله وأيضاً يمكن يلحق له أعمال معينة لأنه أدوار الناس تكون مختلفة ومتعددة.**

{لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}(البقرة: من الآية٢٧٣) **ليس عندهم أبداً أي تعريض أنهم بحاجة إلى مال، أو أي تعريض في وضعيته وكأنه فقير ، {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ} لحالهم {أَغْنِيَاءَ} من تعففهم {تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ} تحتاج تظهر أثر الحالة عليهم، وعلى مثلاً أسرتهم.{تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً }**(البقرة: من الآية٢٧٣) **ليس لديهم إلحاح نهائياً .**

أحياناً قد تكون عبارة كهذه ، وهو قد سبقها في عبارة:{مِنَ التَّعَفُّفِ} والتعفف ـ عادة ـ يتنافى مع السؤال، قد يأتي سؤال بأسلوب آخر مثلاً قرضة أو سلف أليس هذا قد يحصل ؟ لا يحصل من جانبهم السؤال الآخر يكون فقط أنهم لا يسألون الناس بإلحاح وإلا فإنهم يسألون. الذي يسأل فإنه لا يعتبر متعففاً ، الذي يسأل الناس يسألهم، أي السؤال يعني : [الطلبة] ليس قضية القرضة ، أو السلف، وأشياء من هذه .

أحياناً تكون تعريضاً بآخرين ، تعريضاً بناس من غير الفئة هذه الذين فيهم إلحاح في سؤالهم للناس.{وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(البقرة: من الآية٢٧٣) **أي تلاحظ هنا كما أعطي اهتمام بفئة من المجتمع سابقاً : {فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}**(البقرة: من الآية٢١٥) **هنا يذكر أيضاً فئة معينة.**

تجد كل الفئات هذه التي يركز عليها يكون لها علاقة بموضوع العمل في سبيل الله، لها علاقة بموضوع بناء المجتمع بالشكل الذي يكون قادراً على النهوض بمسئوليته في إعلاء كلمة الله ، والإلتزام بدين الله في الموضوع هذا نفسه، لاحظ كيف يكون الإنفاق التعبير عنه مفتوح؟ ولا يوجد يبدو هنا تركيز على أنه مورد معين ومنه ينطلق التوزيع لأنه أحياناً مثلاً أشخاص هم يتحركون لا تستطيع أن تعرف حالتهم.

فالقضية ينبه لها الناس فمن هم حولهم يستطيعون أن يكونوا عارفين لحالتهم يعطونهم مباشرة، ليس من الضروري أن تصل أولاً إلى جهة معينة ثم توزع منها بشكل مرتبات، أو بشكل هبات ، أو بشكل مساعدات شهرية، لا. القضية هنا تلحظ أنه هكذا أن الناس يحثون على الإنفاق وأن يتلمسوا وضعية بعضهم بعض، يتلمسوا من يرونهم يعملون في سبيل الله .

مثلاً قد يكونون من الفئة هذه، هنا يأتي الخطاب للناس{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ} بعدما جاء الخطاب عام أي يلحظ الإنسان بأنه ليست قضية لا بد أن يكون الناس عليها في موضوع أن يكون هناك جهة معينة تنصبّ إليها الأموال، ومنها تنطلق المساعدات لمن يعملون وللفقراء. . لا، هذه يحصل معها غياب في الذهنية لشخصيات

كثيرة لأن الإنسان أي إنسان لا يستطيع أن يعلم الغيب، قد يكون أناس متعففون أو بعيدون عنك فلا تستطيع تعرف وضعيتهم، أو تكون أنت مثلاً لك أولويات أخرى تأخذ نسبة كبيرة ، يكون الناس هم أنفسهم في ساحة المجتمع المسلم يكونون هم يتلمسون الفقراء في قريتهم، في بلادهم أينما هم ، هذه تشكل ضمانة أفضل.

فعندما يأتي التوجيه على هذا النحو يقدم أمام الناس الإنفاق في سبيل الله، الإنفاق لفئات المجتمع: يتامى، مساكين، ابن السبيل، هنا فقراء أحصروا في سبيل الله. أليس هنا تجد أمامك عدة أشياء أنت المنفق، أنت تستطيع أن توزع .. توزع نوعاً ما ، وتلحظ ذلك الفقير هل ربما هو شخص يعتمد فقط على عطاءاتك أو أيضاً يأتي آخرون ، تكون عارفاً بأنه أيضاً يأتي آخرون تعرف أنهم فعلاً أنهم يساعدونه تعطيه نصف مساعداتك مثلاً، أو تعرف وضعيته في حالة معينة قد لا يحتاج إلى أنك تعطيه في ذلك الأسبوع ، أو في ذلك الشهر بخصوصة لأنك تعرف وضعيته ، وأمامك قائمة الإنفاق في سبيل الله ، وفئات أخرى .

فالتوجيه على هذا النحو ، وأن يكون الناس هم على هذا النحو أفضل .

فعندما نقول: كل تبرعاتنا تنصبّ إلى جهة معينة ويكون مع الناس وزارة مالية، أو معهم خزانة ، وهناك يؤتى منها الفقراء، ويقدم للفقراء ، ويقدم للعاملين، هذه من الناحية التربوية ليست جيدة، من الناحية التربوية ليست جيدة بالنسبة للناس نهائياً، لأن أذهانهم تنشد إلى جهة فيكون عنده أنه يعمل وقد هو منتظر لمرتب معين، تترسخ في ذهنيته مسألة الأخذ، وهنا الإنسان يربى على الأخذ والعطاء فلا يكون هناك جهة معينة هكذا.

ولأنه فعلاً تحصل غلطة، لاحظ الآن قد تلاحظ أن الدولة بأكملها معها وزارة مالية، ومعها أرصدة كبيرة ، ومعها، ومعها .. وتجد الكثير ممن يعيش على الضمان الإجتماعي هذا، معظم ما يأتي إليهم مساعدات من الخارج عندما يكون الإنسان نفسه بشكل ليس لديه اهتمام بالآخرين، أو حتى عنده الاهتمام قد لا يصل في ذهنيته إلى استيعاب أن يعرف حالة كل الناس ، فالذي يعرف حالة الناس هم بعضهم بعض، أهل القرية هم يعرفون وضعية الفقير بينهم ، أهل أي منطقة كانوا هم يستطيعون أن يقيموا حالة بعضهم بعض .

لهذا لا يوجد هنا توجيه بأن الأموال تصب إلى بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الذي يتحرك بين الفقراء ويعطي. نحن قلنا في حديث أثناء اجتماع الجمعية ـ وهذه تعتبر ميزة للجمعية هذه ـ : أن تحث الناس ، من العمل الكبير أن تحث الناس على عمل أعمال البر، والإنفاق في مجالات البر هذه ، والاهتمام بالفقراء ، والمرضى ، والمتزوجين ، والمساكين ، وبالطريقة هذه أفضل بكثير من أن تقدم أولاً إلى صندوق معين ثم تخرج ـ هذه تكون لها سلبيات ـ مثلما تعمل جمعيات أخرى.

هذا أسلوب القرآن في موضوع أن يكون هناك مجتمع متكافل. في الأخير ترى هذا الموضوع فيما يتعلق بحقوق الجوار، وكيف يكون الناس منتبهين لبعضهم بعض ، هنا توفر أشياء كثيرة ، لو نقول مثلاً يتعلق بشخص معين ، أو شكلت لجنة معينة نقول : إذاً كل من يريد يتبرع لفقراء، أو عاملين في سبيل الله يأتي بها إلى هنا ، وتقوم هنا تعمل لك كشف سيطلع لك عمل كبير، وتضيع كثير من الجهود، ويحصل فيه كثير من الأخطاء.

إذاً فالطريقة هذه طريقة هامة جداً ، الناس هم الأعرف بالفقراء، والمساكين، وسبيل الله، وكل من قدم هنا ، ألم يقدم أشياء متكاملة؟ تنظر إليها نظرة عامة هذه ، من أول [سورة البقرة]إلى آخرها، وكل ما ذكره في سور أخرى ، وهنا يوفر الناس جهداً كبيراً، وعملاً كبيراً ، وقوائم كثيرة ، وزعل كثير [وما أعطونا وآخر المعاش ، وآخر، و كذا...] أشياء من هذه تضيع الوقت ، تضيع كثير من الجهود.

{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(البقرة: من الآية٢٧٣) **لاحظ الأوامر تأتي هكذا موجهة تنفقون ، أليس الإنفاق هو حالة العطاء؟ من البداية {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ}**(البقرة: الآية٢٧٠ـ ٢٧١) **أليست تتحدث عن الشخص نفسه عن كل فرد مسلم؟ تبدوها {وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا} أليس هكذا؟ لا يوجد حديث عن جهة معينة يجب أن تستقبل، وأن تقدم إليها ثم هي تقوم بالمهمة لأنه هذا أفضل من كل جهة، وبكل الاعتبارات {وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ} ثم يقول: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ثم يقول: {وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}**(البقرة: من الآية٢٧٢) **{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**

{فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(البقرة: من الآية٢١٥) **وهكذا كلام بالشكل الذي يدل على أنه يحث الناس هم أن يقدموا هم وللجهات هذه هي، ولم يقل تمر أولاً على أي جهة.**

فالإنفاق في سبيل الله أنت تعطيه في مجاله، والإنفاق إلى الفقير في مجاله، والإنفاق إلى المسكين واليتيم .. إلى آخره.

ثم إن المال له أثر فيما يتعلق بنظرة الناس إلى بعضهم بعض، أعني: عندما يكون الفقير أنت تعطيه أنت ، أنت غني عندك سعة من المال تعطي أنت فقراء، تعطيهم بالطريقة المؤدبة ، بالطريقة التي فيها حفاظ على كرامتهم، وعلى نفسياتهم، ومشاعرهم، هنا تتحسن العلاقة فيما بين الفقراء ، والأغنياء، فلا يحصل عندهم حسد، ولا يحصل عندهم تغيض، ولا يحصل عندهم [حمس]، ولا يحصل عندهم مثلاً تفكير بأن يسطوا على أموالك ، أو على [قاتك] أو على [بِنّك] أو على أي شيء من هذه، أو يفرحون عندما يأتي لك كارثة قد يمثلون عوناً لك.

أعني: فيما يتعلق ببناء النفوس، فيما يتعلق بالألفة فيما بين الناس، هذه القضية لا تتحقق عندما أكون أنا أسلم كل التبرعات إلى جهة معينة ، وهي التي تقدمها ، قد تكون نظرة الناس إلى الآخرين نظرة يمكن تكون سلبية عندما يكونون هم يرون هم ـ ولهذا أن الله جعل الزكاة من عين المال .. جعل الزكاة من عين المال ـ لأن الفقير عندما يرى أموال [بن] ويرى أموال [قات] ورأى أموال [ذرة] ورأى أموال هو سيعتبرها حقنا جميعاً لأنه يعتبر أنه شريك في هذه، يوجد [قات] جيد هو عارف أنه سيأخذ منه سيكون له منه، [بن] عارف سيعطى منه، [قمح] سيعطى منه، ولهذا كانت الزكاة من عين المال لأن له أثراً نفسياً هاماً جداً، وهذا الأثر له أهميته في بناء المجتمع المسلم بحيث يكون متكافلاً ، ونفوساً متآلفة .

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}(البقرة:٢٧٤) **وهذا أيضاً وعد هام جداً ، وشيء مشجع بشكل كبير، تجد كم داخله من تشجيع في موضوع المال ، فلنأخذ منه المنهجية التي ذكرناها سابقاً، تعرف أن هذه القضية هامة جداً، يجب أن تكون تصرفاتك حكيمة.**

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه وأن يؤتينا الحكمة كما قال: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}(البقرة: من الآية٢٦٩) .

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

آخر سورة البقرة

أول سورة آل عمران

من الآية (٢٧٥) من سورة البقرة

إلى الآية (٣٢) من سورة آل عمران

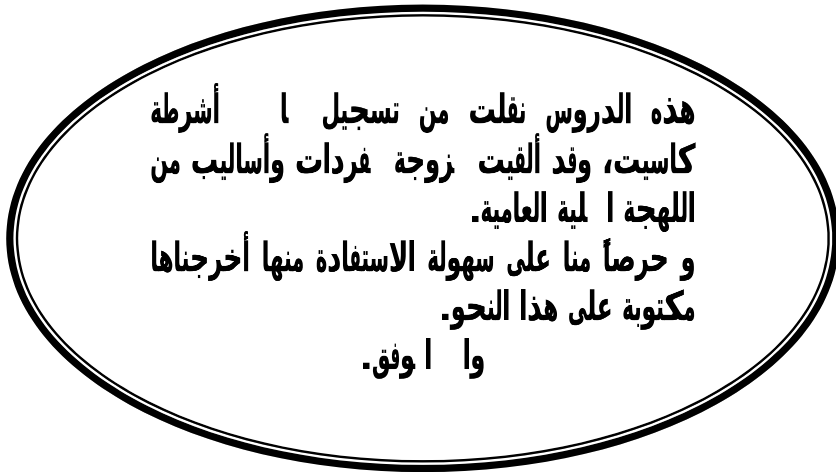
[الدرس الثاني عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٦ /١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألفيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.

و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
عندما يتأمل الإنسان بالنسبة للقرآن الكريم يجد ـ فعلاًـ أنه كتاب شامل ، يتميز عن أي كتاب آخر مما تبذل الأعمار والأوقات والجهود في سبيلها. هنا يتناول القرآن الكريم كل شيء ، كل شيء ، فتجد فيه التذكير بالله سبحانه وتعالى ، والتذكير باليوم الآخر ، تجد فيه الإرشادات في كافة المجالات ، تجد فيه التشريعات في كل المجالات ، تجد فيه الترغيب والترهيب على أعلى مستوى ، تجد فيه الحديث عن معرفة الله على أعلى مستوى ، تجد فيه كل الإرشادات على أعلى مستوى كما قال الله فيه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية).
فعندما يكون هناك اهتمام بالقرآن الكريم ، إجلال للقرآن الكريم ، إيمان بأنه ـ فعلاًـ كتاب شامل يستفيد الإنسان منه في كل شيء ،لم يجعله الله سبحانه كتاباً معقداً غامضاً على الرغم من أنه ((بحر لا يدرك قعره)) يستفيد كل إنسان منه ولو من خلال أن يسمع تلاوته، عندما نسمع التلاوة ألسنا نستفيد أشياء كثيرة ونفهم أشياء كثيرة من خلال تلاوته ؟ ما نفهمه من خلال التلاوة شيء كثير وهام جداً، إضافة إلى ما يمكن أن نفهمه أيضاً بطريقة أخرى زيادة تبيين للآيات نفسها، لهذا وصف الله آياته بأنها: آيات بينات ، فيها بيان يكفي ، يكفي من مجرد تلاوته ، وما يحصل من خلال السماع لتلاوته يكون ـ أيضاً ـ أسساً لفهم أكثر ، وتقبل أكثر لما يأتي من تبيين من داخل آياته ، ومن عمقه كما قال الإمام علي (عليه السلام) عنه: ((إنه بحر لا يدرك قعره)).
نحن نذكر دائماً بأن كلما نقوم به هو عملية إستيحاء من خلال آيات الله من خلال آيات القرآن الكريم لا يعني أن ما نقدمه هو كل ما يمكن أن تعطيه الآيات ! لو نجلس مع القرآن الكريم كل شهر ، كل شهر وكل ما انتهينا منه عدنا إليه لما نفدت فوائده ، لما نفدت إرشاداته وهداياته !.
وكما نذكر أكثر من مرة: بأن القرآن يكون بهذا الشكل بالنسبة لمن؟ لمن يفهمونه بأنه كتاب حركة ، كتاب حياة، كتاب عمل ، كتاب عمل حتى فيما يتعلق بما نسميه: [فقه] بما نسميه أحكاماً معينة ، تجد بأنه لا يكون حديثه أشبه شيء يكون عبارة عن إصدار فتوى في الموضوع ، بل هو فقه يعطي الحكم في القضية ، ويبين الطريقة لتغيير القضية في كيف يعمل الناس ليغيروا المنكر المعين .
مثلاً نجد في موضوع: الربا ، والربا من أكبر الجرائم ، وأكبر الكبائر عند الله ، ومن أكثر الممارسات التي يعملها كثير من الناس ، ومن أكثرها ضراً على عباد الله، الربا ، بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى ما فيه إشادة بالإنفاق في سبيله ، وما وعد به المنفقين في سبيله، إلى أن انتهى إلى قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٢٧٤) **هناك أيضاً ممارسة أخرى فيما يتعلق بالجانب المالي تعتبر مضيعة جداً، وتعتبر من أشد الأشياء ضراً على الناس على الأمة في حياتهم لنفهم كيف أنه يمكن بالنسبة للمال أولاً: أنه مرتبط بالنسبة للناس مما يجعل للمال قيمته وأثره الكبير في حياة الناس وأن نفس المال هذا من خلال ممارسة معينة يصبح شراً على الناس.**
{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (البقرة: من الآية٢٧٥) **الربا: عندما تقرض قرضاً وتشترط بأنه عندما يسددك يعطيك ـ مثلاً ـ زيادة سواء كانت زيادة بنسبة معينة بنسبة ٢٪ أو ٥٪ أو ١٠٪ كيفما كانت المهم هناك زيادة هذا يسمى: ربا وهذا كان هو الربا السائد الربا السائد عند العرب في ذلك الزمان ، واليهود هم من المشهورين بالتعامل بالربا وتعميم الربا ، اليهود أنفسهم.**
الربا يكشف عن حالة جشع رهيبة عند الإنسان الذي يمارس هذه الجريمة الكبيرة عند المرابي أعني عملية تتنافى تماماً مع الأخلاق ، تتنافى تماماً مع ما يجب أن تكون عليه في تعاملك مع الآخر، مع المحتاج يكشف عن جشع رهيب ، عن نفسية لم يبق لديها أي ذرة مما يسمى بإنسانية ، أو بأخلاق كريمة ، لا رحمة لا عاطفة ولا

شفقة، همه المال ، ونفسه ذائبة في المال ، وإذا أعطى شيئاً لا يعطيك من أجل أنه يريد أن يقدم إليك معروفاً ، أو يريد يعطيك بدافع عاطفة ، بدافع رحمة ، بدافع أنه يريد أجر من الله سبحانه وتعالى ، يعطيك ويريد مقابل ما يعطيك زيادة !.

للأسف هذا الربا مما هو منتشر في الدنيا بشكل رهيب ، وداخل البلاد الإسلامية حتى أصبح ـ تقريباً ـ تعاملاً شبه طبيعي وكأنه لا يمثل أي منكر من المنكرات، وكأنه ليس فيه أي ضر من الأضرار .

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ } (البقرة: من الآية٢٧٥) يعني يوم القيامة عندما يبعثون، يبعث فيتخبط وهو يساق إلى المحشر كالمصروع {إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (البقرة: من الآية٢٧٥) ولا يبعد أن تكون هذه حالة تصل بالإنسان الذي يسيطر الجشع والطمع على نفسه فتراه غير متزن ، يصبح إنساناً غير طبيعي ، غير متزن .

لو تتابع حركات بعض التجار ، ورجال الأعمال ـ كما يسمونهم ـ تراهم وكأنهم غير متزنين ، كالمصروعين، كالسكارى ! ما هناك اتزان لديهم ، يقوم من بين فراشه، يقوم من محل عمله، يقوم من أي مقام هو فيه ذهنيته مستغرقة ، مستغرقة تماماً بموضوع المال ، ومتابعة مسيرة حركة المال ما بين ربح وخسارة ، وحسابات في ذهنيته طويلة عريضة تجعله إنساناً غير متزن وغير طبيعي !.

لهذا ليس بعيداً إذا واحد تأمل ـ فعلاًـ وتابع حركات كبار رجال الأعمال ـ كما يقولون ـ أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والمرابين يكونون بهذا الشكل؛ لأن الطمع في المال، الجشع الكبير في المال يفقد الإنسان اتزانه وحركته الطبيعية وتصرفاته الطبيعية ! إذا أنت تتابع أحياناً يظهر الناس الذين يكونون في [البورصات] ـ كما يسمونها ـ ترى كيف !حركاتهم مرة تلفون من هنا ، ومرة تلفون من هنا ، ومرة من هنا ، ومرة يمسك هذا ، يقدمون له قهوة يقدمون له أكل تجده مثل المصروع !

بالنسبة للإسلام هو فيه توازن ينفرد به فعلاً ، فيما يتعلق بموضوع المال لا تجد أنه في الإسلام هناك حد معين لا يجوز أن يتجاوزه رأس مالك ، بالإمكان ، والتوجيهات في القرآن الكريم أن يكون الإنسان ممن يملك رؤوس أموال كبيرة جداً لكن وتجده ـ في نفس الوقت ـ متزناً ، وطبيعياً ، ويحب فعل الخير ، وبعيداً عن كل هذه الأشياء ، أعني هذا الشيء الذي حرمه الله سبحانه وتعالى ما معناه أنه سيحد من تنمية رأس مالك أبداً ممكن أن يملك أي إنسان من المسلمين أموالاً كبيرة ، لكن عليه أن يعرف كيف تكون نظرته للمال ، وما هي المسئوليات والحقوق المرتبطة بهذا المال ، وأن يظل دائماً متذكراً لنعمة الله .

وضرب الله مثلاً من أرقى الأمثلة بمن ملكوا من مظاهر الدنيا ، والأموال ما لم يملكه أحد ، نبي الله [سليمان] تجد كيف كانت تصرفاته ، كيف كانت حركته ، كيف كانت حتى حركة جنوده {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (النمل:١٧) كان يملك أموالاً رهيبة ، ويمتلك ملكاً ما توفر لأحد من بعده على الإطلاق إلى الآن ، ليست سيطرة فقط على الإنس ، أيضاً على الجن ، وعلى الطير ، وكثير من المعادن سخرت له ، لكن تجد كيف هو شخصية متزنة ، شخصية هادئة ، شخصية حكيمة ، يمتلك هذا الملك الرهيب وترى كيف يحاسب على النملة الواحدة لا تدوسها قدمه ! أليس هذا إنساناً متزناً ، إنساناً ثابتاً ؟ المرابون يدوسون الناس ، يدوسون اقتصاد البلد ، يتخبط ـ كما قال الله ـ .

قلنا هذا المثل من أعلى الأمثلة للشخصية غير المتزنة ، للشخصية الفاقدة للحكمة وللإتزان وللحركات الطبيعية ، سليمان على الرغم من ذلك المظهر المهيب بعد أن سمع كلام النملة ماذا قال؟ {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ} (النمل: من الآية١٩) لأن الإنسان المؤمن مهما امتلك من الدنيا سيظل دائماً يرى بأن هناك ما هو أرقى وأفضل هو: أن يعمل صالحاً ليحصل من خلاله على رضا الله، وليدخله الله بعمله الصالح في عباده الصالحين {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل: من الآية١٩) أصحاب النفوس الجشعة، المرابون لم يعد يتذكر في ذهنيته أن هناك شيئاً يعتبر أرقى من المال ، أو شيئاً هو أعظم من المال ، أو أهم من المال أبداً ، أليس هنا نبي الله سليمان لديه نظرة بأن هناك ما هو أعظم من كل ما أوتي هو ماذا؟ {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ} (النمل: من الآية١٩) بحيث يجند كل ما لديه من مظاهر

الملك ، وكل ما بحوزته من الأموال الكثيرة جداً في أن ماذا؟ في أن يعمل بها أعمالاً صالحة؛ لأن العمل الصالح في ذهنيته، في نفسيته هو الشيء المسيطر على مشاعره، وهو الشيء الذي يراه أعظم وأهم من كل ما لديه من مظاهر الدنيا هذه .

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (البقرة: من الآية٢٧٥) هل هذه قضية حقيقية أو أنها ـ كما يقال ـ مسايرة لذهنية عربية ؛ لأنهم يعتقدون أن من هو مصروع أنه مسه الشيطان ، أن تلك الحالة هي من مس الشيطان ! القرآن ـ عادة ـ لا يساير ، هذه قاعدة ، لا يساير، في حالة معينة عندما يصبح الشيء ، يصبح إطلاق لفظة معينة عليه [علَمٌ] عليه ، اسم له بالتغليب لا يلحظ مسألة الإشتقاق ، أو لا تلحظ الفكرة التي انتزعت منها الكلمة مثل كلمة : مجنون ، مثلاً ، كلمة : مجنون قد تكون في الأصل ـ مثلاً ـ على أنه مسه جن ، الذي نسميه مجنوناً أنه مسه جن فأصبح على هذه الحالة التي نسميها جنوناً ، لكن أصبحت العبارة هكذا [مجنون ،مجنون] حتى أصبحت اسماً للإنسان الذي يعاني من هذه الحالة التي تسمى جنوناً ، هنا تصبح القضية باعتبارها اسم طبيعي أن تقال .

هنا في هذه قد لا يبعد أن يكون هناك شيء حقيقي يأتي من جانب الشيطان مس كما حكى الله عن نبيه [أيوب] {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} (ص: من الآية٤١) أو أن تكون هذه عند العرب تمثيل لحالة معينة أصبحت تتكرر لديهم حتى أصبحت وكأنها اسم ، ليس هناك مسايرة أعني ليس هناك مسايرة نقول : توهم عند الذهنية الجاهلية لقضية معينة فيأتي القرآن الكريم يسايرها ! لا ، هذه لا تحصل فظاهر العبارة هذه أنه لا يبعد فعلاً أن يكون هناك من جانب الشيطان مس ، من جانب الشيطان يصل بالإنسان منا إلى حالة كهذه أو أن تكون المسألة أصبحت مشابهة تماماً كلمة : مجنون.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا} (البقرة: من الآية٢٧٥) لأنهم جشعين في المال وطماعين ، ولم يعد عنده أي شيء سوى المال متى ما قدم إليه نهي عما هو عليه قال هي نفس المسألة {الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا}أي لا يبقى أي قيمة لتوجيهات الله سبحانه وتعالى ولا لأي نهي ينطلق هو ليرد [لا،المسألة واحدة البيع مثل الربا] {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا} تلك العقوبة ، وتلك الحالة التي يصلون إليها ، وهذه حالة بالنسبة للمال : أن المال عندما لا يسير الإنسان فيه على ما وجه الله الناس إليه في جانب التعامل مع المال يصبح المال نفسه عذاباً لك يضرب نفسيتك ، يضرب حكمتك ، يضرب اتزانك بل يشوه من شكلك ! بعض أصحاب رؤوس الأموال تراهم لم يعودوا أناساً طبيعيين ، ولم يبق لهم ثقل إلا عند الجشعين من أمثالهم فقط ، يتحول إلى عذاب فتلك الحالة التي هم فيها هي بأنهم رفضوا وقابلوا نهي الله عن الربا وتحريمه له بمقولة أخرى أنه: {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا} (البقرة: من الآية٢٧٥) لكن يجب أن يفهموا بأن الله هو الذي له الحكم ، وله الأمر ، هو الذي يعلم بالأشياء ، ويعلم بالفارق ما بين البيع : التجارة الطبيعية ، وما بين الربا {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا} (البقرة: من الآية٢٧٥) هو الذي أحل البيع، إذاً هو الذي حرم الربا. فتحرك بالنسبة للمال على هذا النحو الذي أحله وابتعد عما حرمه.

{فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: من الآية٢٧٥) تهديد عظيم على هذا التعامل السيء : الربا ، الإعراض عما يجب أن يكونوا عليه في قابلية نهي الله عن الربا.

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} (البقرة: من الآية٢٧٦) تقدم في الآيات الأولى مثال : أن الله يربي الصدقات ، أي ينميها ويكثرها ، ويجعل لها أثراً كبيراً في نفسك ، وفي أجرك ، وأثرها في واقع الحياة عندما قال هناك {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:٢٦٥) {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} (البقرة:٢٧٦) إذاً سمى المرابين أنهم أصحاب النار ، وأنما هم عليه سيمحقه ، وأنهم كما قال هنا: {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }كافرين ، آثمين.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (البقرة: من الآية٢٧٧ـ ٢٧٩) إذاً أليست هذه ناحية عملية؟ هناك بين {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا} (البقرة: من الآية٢٧٥) حرم الربا ، هل انتهت المسألة إلى هذه، أو أن هناك موقفاً عملياً؟ {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا} (البقرة: من الآية٢٧٦) هذه واحدة إضافة إلى هذه: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (البقرة: من الآية٢٧٩) .

إذاً هذا هو الفقه الحقيقي ، هذا هو الفقه المتكامل ، ليس فقط إصدار فتاوى في القضايا: بأن هذا حرام وهذا محرم ، وهذا منهي عنه وفقط ! يجب أن نفقه، أن نعرف الفقه العملي لتغيير هذه الأشياء ، المحرمات وإزالتها {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} فإن لم تذروا ما بقي من الربا ، وتقتنعوا برأس المال فقط {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} هذا إعلام ، إشعار !

إذاً فهناك حالة من الحرب قائمة فيما بينكم من جانب ، والله سبحانه وتعالى ورسوله من جانب آخر{فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} وبكل تأكيد عندما يكون الله هو حرب لك ، ورسوله حرب لك أنك أنت المهزوم ، والخاسر . حرب من جهة الله، وهي عندما يتأمل الإنسان واقع البشر الآن فعلاً تلمس أن هناك حرباً ،حرباً إلهية للناس ؛ لأن تعاملهم في الغالب ، في أكثر الدنيا هذه قائم على الربا ! فتجد حالات من الغلاء الرهيب ،حالات من الكساد التجاري عند الدول المصنعة ، عند الدول الغنية ! غلاء شديد ، وكساد لكثير من التجارات ، لكثير من الصناعات بشكل رهيب !

الحرب من جانب رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) شيء آخر ، الإشارة إلى أن الحرب من جهة الله حرب من جهة من يكونون معنيين بإقامة الدين ، وهناك بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان هناك إجراءات معينة يتخذها هو فيما يتعلق بالمرابين عندما لا يمتنعون ، وفعلاً أعلن ((أن كل ربا تحت قدمي هاتين)) ألم يعلن؟ وألغاه تماماً ، صادره أليس هذا حرباً ؟ أعلن مصادرته لكل النسب الزائدة على رأس المال إذاً فهل كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مجرد مفتي ؟ أو كان يعمل ؟ ينهى ويعمل وليس فقط يصدر فتاوى ، الفتاوى كثيرة وأحياناً الكتب الفقهية التي نقرأها في موضوع الربا كثيرة ، قد تقرأها في مسجد وما بينك وبين البنك الذي يتعامل بالربا إلا أمتار ، هذا المبنى الطويل العريض يتعاملون فيه بالربا وتخرج الأموال منه إلى كل جيب مصبوغة بالربا، فيكون حتى من يدرس نفسه قد يكون في جيبه فلوس قد يكون قيمة الكتاب ، قد يكون قيمة فراش المسجد ، قد تكون كلها مصبوغة بربا ! ويكون في نفس الوقت يدرس عن أنواع الربا وأصنافه ، ويبين فضاعته ((لدرهم من ربا أشد عند الله من أربع وثلاثين زنية)) نعوذ بالله !

{وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٧٩) لا تظلمون الآخرين فتأخذون زيادة على ما أعطيتموهم كقرض ، ولا تبخسوا أنتم من حقكم شيئاً ، لا تنقصوا من رؤوس أموالكم شيئاً {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} (البقرة: من الآية٢٨٠) إذا كان الطرف الذي عليه دين في حالة إعسار فيجب إنظاره إلى حالة يسر {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٨٠) فيعتبر هذه هي حالة تصدق الإنظار حالة تصدق، مقابل فضاعة الربا جعل الله على القرض أجراً كبيراً، عندما يقرض الإنسان إنساناً آخر يقرضه لأنه محتاج ، أو تقرضه على أساس أنه يعمل له رأس مال ويتجه ليبيع ويشتري ، فجعل القرض كل يوم صدقة ليشجع الناس على الإبتعاد عن الربا، فالنفوس المؤمنة ، النفوس التي تطمع في أجر الله وثوابه ، وتطمع فعلاً في أن يكثر أموالهم بطريقة أكثر وأحسن من أن يكثرها عن طريق الربا كما قال هناك: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} (البقرة: من الآية٢٧٦)

{وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٨٠) وخير لكم حتى فيما يتعلق برأس المال ، حتى فيما يتعلق برؤوس أموالكم ، أن الحلال ، أن التعامل في المال بعيداً عن الربا ، بعيداً عن المعاملات المنهي عنها سبب هام جداً من أسباب تنميته وتكثيره . إذاً فأفضل للإنسان أن يكثر ماله بطريقة حلال ويترافق معها أن تنمو

أيضاً، يتضاعف أجره عند الله ، ولا أن ينمو المال ويبدو أمامه مجرد أرقام ولكنها ممحوقة الله سبحانه وتعالى ، هو بكل شيء عليم ، هو على كل شيء قدير ، يستطيع بطريقة معينة أن يبقى المال مجرد أرقام أمامك ويمحقها، تعيش في حالة تكون أشبه شيء بحالة الفقير ، كوارث معينة تخفض الأرقام هذه التي أنت تعمل على تجميعها من الربا !.

عندما تلاحظ في الآيات هذه التشنيع الكبير على الربا، هذا مما يعتبر من أبرز الأدلة على أن دين الله سبحانه وتعالى يتناول كل شيء ، ودينه وتشريعه في هذا الدين يمثل رعاية للناس ، رعاية؛ لأن الربا فيه أضرار اقتصادية كبيرة ، ويؤدي إلى خلق تباين فيما بين النفوس، متى يمكن أن تقدر لهذا الشخص ما قدمه لك وأنت تعرف أنه يريد من وراء ما قدمه لك أرقاماً إضافية يعطيك مثلاً : مائة ألف ، ولازم أن تعطي في كل سنة ١٠٪ زيادة ، ثم يأتي بعد فترة وإذا قد المائة ألف تتحول إلى ثلاثمائة ألف كيف ستكون مشاعرك أنت نحوه ؟!

فالربا خطير جداً ، لأن المال له دور كبير ، وقدم على أساس أن يكون له دور كبير فيما يتعلق بصلاح النفوس ، فيما يتعلق ببناء المجتمع من أناس متآلفين ، رحماء فيما بينهم ، يعطف بعضهم على بعض. فالربا نفسه يحطم النفوس ، يحطم العلاقات فيما بين الناس ، أليس هناك فارق عندما يأتي شخص يقرضك قرضة ولا يريد منك إلا ما قدمه لك فقط وفي موعده، فإذا جاء موعده وأنت معسر أعطاك أجلاً آخر، أو قسَّط لك على آجال متعددة ، أو شخص يعطيك مبلغ مثله مرتين ويريد منك زيادة ٥٪ أو ١٠٪ في كل سنة على ما أعطاك كيف ستكون مشاعرك أنت نحو هذا ونحو ذاك؟ أليس الفارق كبيراً جداً؟.

ولهذا في الأخير يتحول المجتمع كما يقولون إلى: فئتين ، فئة أصحاب رؤوس الأموال المفصولين عن المجتمع تماماً لا رحمة ولا عاطفة ولا يلحظ في نفسه ما يسمى فعل خير أبداً ، وطبقة المجتمع هذه الفقيرة المغلوبة أيضاً ترى نفسها في وضعية تتمنى أن تتحطم تلك الأموال ، وأن تتهدم تلك البنايات ، وأن تتفجر تلك المصانع ، وأشياء من هذه ! أليس هذا يوجد تبايناً فيما بين النفوس؟ لأن العلاقة الحسنة فيما بين الناس وما بين أصحاب رؤوس الأموال وما بين الفقراء وأصحاب الحالات المتوسطة قضية هامة جداً في تنمية المجتمع ، في نمائه من الناحية الإقتصادية ، قضية هامة ، وفي نفس الوقت في بقائه مجتمعاً قادراً على أن ينهض بمسئولياته في مختلف القضايا : في مجال إعلاء كلمة الله ، في مواجهة أعداء الله.

فتحريم الربا والتهديد للمرابين وإعلان الحرب أليس في هذا ما يدل على أن هذا الدين يهتم جداً بالناس ، أنه رعاية للناس ، أنه رحمة للناس؟ أي هل موضوع الربا هذا فيه ضر على الله سبحانه وتعالى؟ لا ، لكن فيه إضرار بالناس ، والله جعل كتابه رحمة للعالمين ، وجعل رسوله رحمة للعالمين ، فدينه كله بكتابه ورسوله وكل ما يهدي إليه رحمة للعالمين في كل المجالات بما فيها الجانب الإقتصادي ، جانب المعيشة ، جانب المال، لم يقل: [هذه دنيا[هل هنا مسألة: [هي دنيا] ؟ يعلن حرباً شديدة على المرابين .

والربا هو في موضوع المال، أليس موضوع دنيا؟ لأن فيه إضرار بالآخرين، لم يقل للآخرين: [اصبروا وما عليكم شيء وما هي إلا دنيا] يجب أن يتوقفوا، ولهذا قام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأعلن بأن ((كل ربا تحت قدمي هاتين)) كما قال، وأول ربا يضع ربا العباس بن عبد المطلب عمه؛ لأنهم كانوا يتعاملون سابقاً في الجاهلية بالربا، ألغاه وصادره قد صار مصادراً .

عندما تجد هنا في موضوع الربا فيما يتعلق بالتعامل فيما بين الشعوب نفسها ، شعب من الشعوب يقترض مبالغ وتكون على هذا النحو فيها ربا فلا تدري إلا وقد المبالغ التي هي الربا وحده ، الزيادات قد صارت أكثر من المبلغ الأصلي ، من المبلغ الرئيسي الذي استلمه أو حول له بشكل مواد أخرى ، لم يعد يستطيع الناس يتخلصون منه ! الآن معظم الشعوب العربية مليئة بالديون، ترى ما يمثله رأس المال الحقيقي ، المبلغ الحقيقي لم يعد يعتبر إلا ربما نصف أو أقل من النصف ! صارت الزيادة تلك الأرقام الكبيرة التي تطلع مليارات الدولارات كلها ربا كلها الزيادات التي في كل سنة، نسب معينة.

{وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (البقرة:٢٨١) **هذا تذكير باليوم الآخر سيلقى جزاءً حاصلاً معظم آيات بقية [سورة البقرة]حول موضوع المال فيما يتعلق بالتعامل معه وكيف أثر المال .**

يذكر أيضاً في التعامل فيما بين الناس ، في التداين أنه يجب أن يكون هناك إشهاد وأن يكون هناك كتابة ، والكتابة تكون كتابة صحيحة ، كتابة بالنطق ، نطق الشخص المدين: [أنا فلان عليّ لفلان مبلغ كذا، كذا، وشهادة فلان وفلان] وهكذا ، تجد هذه القضية فيما يتعلق بكثير من المعاملات المالية الضوابط فيها؛ لتحافظ على أن يكون الناس بعيدين عن الشقاق والإختلاف والعداوة والبغضاء فيما بينهم ، سواء فيما يتعلق بالتعامل مع المال ، أو فيما يتعلق بالتعامل فيما بينهم ، تعامل مالي .

التداين يجب أن يكون هناك كتابة وأن يكون هناك إشهاد ، من قيمة الكتابة إنها تكون أقوى من الشهادة بعد فترة فيما لو حصل نوع اختلاف أو شيء وقرأ عليك المكتوب أنت تذكرت أنت كشاهد، فإذا لم تعد سوى قضية هكذا في الذهنية لم يعد هناك كتابة قد تكون شهادات الشهود مختلفة، أو لم يعد يذكر واحد الشهادة بشكل كامل ، فلأجل أن لا تضيع الحقوق ، حقوق الناس ، ولأن لا يتحول التعامل فيما بينهم وسيلة للخلاف والشقاق ، ولأن التعامل المالي فيما بين الناس قضية ضرورية يجب أن يكون هناك ضوابط ، وضع الضوابط، وهذا هو هدى الله سبحانه وتعالى يتناول كل قضية، ولهذا قال: {وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ} (البقرة: من الآية٢٨٢) **بعد ما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ}** (البقرة: من الآية٢٨٢) .

ثم يقول بعد: {وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا} (البقرة: من الآية٢٨٢) **أقرب إلى أن لا ترتابوا فيحصل إضرار وشك في بعضكم بعض سواء شك في القضية كيف حقيقتها أو شك في بعضكم بعض [بأن هذا يريد يأخذ مالي أو يريد يضيّع حقي] وأشياء من هذه ، إلا في حالة واحدة : في حالة الحركة التجارية المتبادلة ، البيع الناجز ، المعاطاة في القضايا اليومية ، مثلما يعمل أصحاب الدكاكين وغيرها ما تحتاج إلى أنه [فلان باع من فلان حق حليب أو حق سمن] وأشياء من هذه ، ما تحتاج لهذه ، هي هذه: {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ}** (البقرة: من الآية٢٨٢) **يكون هناك إشهاد ، يكون هناك تبايع في حضور يكون التبايع فيما بين الناس في أجواء فيها آخرون ، هذه تكون حاصل في الغالب فيما يتعلق بالدكاكين والأسواق .**

ونهى عن المضاررة للكتّاب وللشهداء ، نهى عن كتم الشهادة ، إذا لم يكن هناك إمكانية للكتابة فليكن هناك رهن، في موضوع الرهن يجب أن تعرف بأنه عبارة عن أمانة، إذا لم يكن هناك رهن فهناك ائتمان فيما بينكم {فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ} (البقرة: من الآية٢٨٣) **المفروض في هذه التوجيهات الهامة ـ لأن الله قال فيها: {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** (البقرة: من الآية٢٨٢) **ـ أن تراعى من جانب الناس في كل أعمالهم التجارية ، في كل أعمالهم المالية [الكتابة والإشهاد] إلا فيما يتعلق بحركة السلع المتبادلة ، السلع المتبادلة في التجارة {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ}** (البقرة: من الآية٢٨٢) **وأدنى شيء أن يكون في ظل حضور آخرين واحد أو اثنين أو أكثر من أجل الإشهاد يكون هناك حضور.**

كتم الشهادة جعله جريمة كبيرة {وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ} (البقرة: من الآية٢٨٣) **لأن كتم الشهادة يؤدي إلى ضياع الحقوق، وكتم الشهادة يؤدي إلى ضياع الحقوق بشكل تبقى النفوس متباينة ، ويبقى الإختلاف قائم فيما بين الناس فلا يجوز للإنسان أن يكتم الشهادة {وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ}** (البقرة: من الآية٢٨٣) **قد تدنس قلبك كتم الشهادة تدنس قلبك ، يتحول إلى قلب آثم ، مظلم ، مسوَّد ، يقسوا .لهذا كتم الشهادة هنا في الآية هذه يبين أنها لها أثراً سيئاً جداً فيما يتعلق بقلبك بدلاً من أن يكون قلباً مستنيراً ، قلباً صالحاً يتحول إلى قلب آثم ، لأن الشهادة هي عمل من أعمال القلوب ، شيء تتذكره أنت ، شيء محفوظ لديك.**

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (البقرة: من الآية٢٨٤) يبين سبحانه وتعالى في كثير من الآيات بعد كل عدة توجيهات على اختلاف أنواعها يبين بأنه : هو له ما في السموات وما في الأرض فهو الذي له الحق أن يهدي الناس، وأن يشرع للناس ، وأن يرسم طريقة التعامل فيما بين الناس، ونفس التعامل هذا الذي يوجههم إلى أن يكونوا عليه فيما يتعلق بالمال ليفهموا أنه يوجههم إلى تعامل حسن فيما هو من عنده هو ، فالمال هذا كله هو له، إذاً فيجب عليك أن تراعي هذا التعامل؛ لأن هذه التوجيهات هي تأتي من جهة من له ما في السموات وما في الأرض لا تقول:[هذا حقي ماله دخل أنه يملي علي إملاءات أخرى ويشرع لي أشياء هذا هو حقي وهذا أنا الذي خلقته وأنا الذي أبدعته] لا ، كل ما في أيدي الناس هو من الله وهو له {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} (البقرة: من الآية٢٨٤) ما زال تابعاً الموضوع كتم الشهادة ، فيما يتعلق بالكتابة والشهادة .

{فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية٢٨٤) وهذا هو التشريع المتكامل الذي يكون فيه ثواب وعقاب ، ويرسم طريقة معينة، يرسم تعاملاً معيناً، يوجه إلى أشياء معينة ثم يأتي يبين ما وراءها ، وراء ألإلتزام بها ، ما يعطي من ثواب في الدنيا وفي الآخرة ، ويبين ما يترتب على المخالفة من عقاب في الدنيا وفي الآخرة ، لأنه هو الملك ، هو ملك الناس ، وكل ما في السموات وما في الأرض هو له ، ولأن هذا هو الشيء الطبيعي ، والشيء الذي لا بد منه أن يكون هناك ثواب وعقاب وراء كل منهج يقدم من جهته سبحانه وتعالى ، ليست قضايا طوعية هكذا قضايا طوعية ، لا بد من التزام ، وقضية الثواب والعقاب هي قضية فطرية عند البشر ، وقضية الكل متسالمين عليها ، قضية ما فيها شك ، لا يوجد أي دولة تعمل دستوراً ، وتعمل قوانين إلا وتلحظ فيه باباً خاصاً بالعقوبات ، باباً للعقوبات لأنها قضية لا بد منها في موضوع أن يكون هناك التزام بتلك الأشياء التي ترسم وتقنن.

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} (البقرة: من الآية٢٨٥) تنتهي المسألة كلها إلى الإيمان ، إيمان بالله سبحانه وتعالى . إذا كان عندك إيمان بالله سبحانه وتعالى هو الذي يدفعك إلى أن تعمل بتوجيهاته ، تعمل بهداه . تلتزم تخاف من عقوبات مخالفتك ، ترغب إليه فيما وعد من ثواب ، الإلتزام بما هدى إليه ، وليبين بأنه بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الرجل الكبير لا يوجد أحد فوق قانون الله ، كثير من القوانين في الدنيا هذه يكون الكبار يرون أنفسهم فوقها، المسئولين الكبار يرون أنفسهم فوقها ، القوانين كلها فقط لهؤلاء الناس أما هو فيمكنه يتجاوزها !، لكن لا ، دين الله تشريع الله تجد الكبار فيه ـ وأكبر الكبار فيما يتعلق بالبشر هم الأنبياء ـ مؤمنين هم ، ملتزمين هم، وهذه قيمة كبيرة جداً فيما يتعلق بهذا النظام ، بهذا التشريع الذي رسمه الله سبحانه وتعالى كيف أنه يلزم الكل بما فيهم ، في مقدمتهم الأنبياء ، رسله.

وهذه هامة جداً فيما يتعلق بأفراد الناس لأنه أنت عندما تكون في بلد معين فيه تقنين أن القانون فقط يمشي عليك أما الكبار،لا، ما يمشي عليهم ! أليست هذه القضية تغيظك وتجعلك تنفر من هذا التقنين وتعتبر أن هذا فقط يعني شيء لا قيمة له وتعتبره نوعاً من الظلم لك؟ لكن لا ، شريعة الله سبحانه وتعالى ، تشريع الله يكون النبي على هذا النحو ملزم أن يؤمن به، الرجل الذي جاء به والذي دعا إليه والذي بلغه للناس ، رسله.

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة:٢٨٥) يعني: كل من الرسول والمؤمنين مؤمنون على هذا النحو ، الإيمان الكامل ، الإيمان بعنوانه الواسع : بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله . مسألة الإيمان بكتبه ورسله السابقين قضية هامة، هي فيها إقرار بأن الله سبحانه وتعالى هو الملك ، والإله للناس [وليس فقط من الآن بدأ يشرع ! من قبل ألف وأربعمائة وكم سنين بدأ ينزل كتاب وبدأ يرسل رسول!] لا ، هذه هي سنته ، هو ملك للناس ، وإله الناس من يوم ما استخلف الناس على هذه الأرض هو الذي يشرع لهم فهي إقرار بملكه

بألوهيته لكل عباده ، وعلى كل عباده من الماضين والحاضرين وممن سيأتي. [لا نفرق بين أحد من رسله] كما فرق الكثير ، أو أهل الكتاب ـ تقريباً ـ يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

هذه الآية فيها ـ إذا صحت العبارة ـ تعليم كيف يجب أن يكون الإيمان ، وكيف مشاعر المؤمنين ، وكيف دعاء المؤمنين ، وكيف توجههم ، هم هكذا بدءاً من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} سمعنا وأطعنا تقبلنا ومستعدين أن نلتزم بما شرعته لنا ،بما وجهتنا إليه. {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة: من الآية٢٨٥) نحن نطلب غفرانك{غُفْرَانَكَ رَبَّنَا} فاغفر لنا ما قد يحصل من تجاوزات بعد أن قلنا : سمعنا وأطعنا ، فاغفر لنا{وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} ، نحن نؤمن ونستشعر ما نؤمن به من أن إليك مصيرنا .

{لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: من الآية٢٨٦) فكل تشريعه وكل هدايته سبحانه وتعالى لا تكون من الأشياء التي تعتبر حتى إلى أقصى طاقة لديك ، شيء تستطيع أن تقوم به لكن يبدو مرهقاً جداً بالنسبة لك . لا ، كل تشريعاته ، كل هداياته كلها تكون في داخل دائرة الوسع ، بمعنى بأن ما قد كلف به كلفنا أن ننهض به ، أن نلتزم به ، أن نسير عليه هو مما في وسعنا أن نعمله وكل نفس {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} (البقرة: من الآية٢٨٦) وقدمت هذه بشكل إقراري ، إقرار من جانب المؤمنين قدمت العبارات ، يعني هكذا ينبغي أن يكون المؤمنون ، ويقول المؤمنون ، فتكون نظرتهم إلى ما شرعه الله سبحانه وتعالى أول شيء : سمع وطاعة، ثم اعتبار بأنه فعلاً ليس فيه ما يجهدنا ، وليس فيه ما ينهك قوانا ، هو ما يزال في وسعنا.

{لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} (البقرة: من الآية٢٨٦) أيضاً لديهم معرفة فيما يتعلق بآثار المخالفة التي تحصل من جانبهم . تجد في تاريخ بني إسرائيل كان بسبب مخالفات معينة ، بسبب نقض الميثاق ، بسبب تعدي منهم ، بسبب عصيان يحصل من لديهم بعد ما تكرر النهي والتبيين لهم ، تأتي تشريعات فيها قسوة بالنسبة لهم: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} (النساء:١٦٠) .

فإذا كانت المسألة بالنسبة لنا لم يعد هناك وحي نقول بأنه سيأتي تشريعات قاسية ، تأتي التزامات واقعية قاسية، تكون في واقعها قاسية من النوع الذي حكاه الله عن المخلفين من الأعراب {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) أليس هذا فيه إلزام وفيه نوع من القسوة عليهم عندما تخلفوا عن القتال مع الباقين قتال الحاصلين الحاصل من الأعداء ؟ قد يكون بعضهم عاديين تكون العقوبة أن يلزموا على هذا النحو {سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} (الفتح: من الآية١٦) .

إذاً أليست هذه واحدة من الأشياء القاسية {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) على طول {فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الفتح: من الآية١٦) فالقضية هذه لم يغلق ملفها أعني لا يتصور بأنه ما دام ما لم يعد هناك وحي يأتي من جهة الله ، ونبي من جهة الله يشرع تشريعات لكل زمان فتأتي أشياء تبدو قاسية ، الله هو حي قيوم وفي نفس الوقت قد تطرأ أشياء تمثل قسوة في حالة الناس أعني بسبب تفريطهم ، بسبب عدم التزامهم ، عدم اهتمامهم ، قد تحصل أشياء في واقع حياتهم يؤاخذون على التفريط بها ، وتبدو في نفس الوقت فيها مما يعتبر وضعية صعبة.

{رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً} (البقرة: من الآية٢٨٦) والإصر: العبئ الذي يأصرك يعني: ما تستطيع تنهض به إلا بجهد جهيد { كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (البقرة: من الآية٢٨٦) هي قريب من موضوع الإصر{وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٨٦) لاحظ هنا المؤمنين لديهم شعور بمسئولية أمام الكافرين بدين الله ، أمام أعداء الله، موقف عملي ، هم يدعون الله أن ينصرهم وأنت مولانا نلتجئ إليك ونعتصم بك ونستعين بك ونتوجه بطاعتنا لك ونطلب منك أن تعفو وتغفر وترحم ..إلى آخره، وبما فيها أن تنصرنا على القوم الكافرين . مثل هذه

الأدعية هي أدعية هامة جداً يحاول الإنسان يتعود على أنه في قنوت الصلاة في قنوت الفجر ، وقنوت الوتر تكون أدعيته مجموعة من الأدعية الهامة داخل القرآن الكريم .

[سورة آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (البقرة: من الآية٢٥٥) **تتكرر كثيراً العبارات هذه في القرآن الكريم: بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الذي لا إله إلا هو الذي يأله إليه الناس وهو الحي القيوم كما قال في آية الكرسي {لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}** (البقرة: من الآية٢٥٥) **هو قيوم السموات والأرض ، هو الحي الذي لا يموت ، والقيوم بشئون عباده ، القيوم بتدبير شئون السموات والأرض وما فيهما وما بينهما{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}** (آل عمران: من الآية٣) **هذا مظهر من مظاهر قيوميته أن ينزل منهجاً ، وينزل كتاباً فيه هدى للناس ، فيه تشريع للناس بالحق ، لأنه الإله لأنه إله الناس ، لأنه الحي القيوم ، هو الملك فنزل عليك الكتاب .**

يأتي الحديث في موضوع تنزيل الكتاب بعد آيات كثيرة أحياناً بعد {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (فصلت:٢) **وأحياناً بعد آيات كهذه ، بعد حي قيوم، وكثيراً تجد بأنه من منطلق أنه رحيم، أنه رحمن رحيم ينزل هذا الكتاب ، نزّل هذا الكتاب لأنه الإله والحي القيوم، نزل هذا الكتاب ، الكتاب هذا له أهمية يعتبر مظهراً من مظاهر رحمته ، هذه الهداية ، هذا التشريع ، إنزال الكتاب بما فيه من هدى وتشريع للناس مظهر من مظاهر رحمته ، مما تقتضيه حكمته ، مما يعتبر مظهراً من مظاهر قيوميته ، مما يعتبر ممارسة ـ إن صحت العبارة ـ أو تدبيراً من تدبيره لشئون خلقه باعتباره ملكهم ، وإلههم ، وهكذا ، فتنزيله بالحق ، ونزل بالحق كما قال في آية أخرى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}** (الاسراء: من الآية١٠٥) **.**

{مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية٣،٤) **إنزاله لهذا الكتاب هو في إطار السنة الإلهية التي هي ماذا؟ تقتضيها قيوميته سبحانه وتعالى إنه الإله الحي القيوم فنزل من قبل التوراة ، والإنجيل ، وكتباً أخرى ، وبعث من قبلك رسلاً آخرين. فليس بقضية جديدة أن يقول الناس [لماذا نحن يبدو أن هناك التزامات معينة وتشريع معين] وكأنه ليس هناك شيء من قبل!. لا ، هذه سنة الله من أول ما أنزل آدم إلى الجنة وقال له أن يسكن هو وزوجته فيها يأتي توجيهات من لديه يعلمه ويعلم الناس جميعاً من بعده ، بنيه ، لأن الإنسان لا يترك في هذه الدنيا دون أن يكون هناك توجيه من الله هدى من الله تشريع من الله سبحانه وتعالى.**

{وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}(آل عمران: من الآية٣،٤) **ما يعتبر فرقان بين الحق والباطل يشمل القرآن الكريم ، وفي آيات أخرى سمى التوراة فرقانا {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}** (آل عمران: من الآية٤) **لأنه نزله بالحق هدى للناس وفرقاناً بين الحق والباطل ، فمن يكفر بآيات الله التي جعلها على هذا النحو ، وهي كل آياته سبحانه وتعالى فهناك وعيد{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} وكلمة عذاب شديد عندما تطلق تشمل العذاب الذي يأتي في الدنيا وفي الآخرة {وَاللَّهُ عَزِيزٌ }لا أحد يستطيع أن يمنع نفسه منه ، لا يمكن أن يلتجئ إلى طرف آخر يمثل منعة له من الله أبداً ، يستطيع أن يعذب من يكفر بآياته ، من يرفض آياته ، من يعارضها ، من يخالفها {ذُو انْتِقَامٍ}هو دائماً ينتقم، أي هو رحمن رحيم رؤوف رحيم لكنه شديد العقاب {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}** (الحجر:٤٩ ـ٥٠) **{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ}** (غافر: من الآية٣) **أليست هكذا؟ .**

قال سبحانه وتعالى عن نفسه: {إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ} (آل عمران:٥) **ليكن كل إنسان ـ عندما يكون كافراً بآيات الله ، عندما ينطلق في أعماله مخالفاً لهدى الله سبحانه وتعالى ـ فاهماً أنه لا يخفى على الله شيء من عمله ، إضافة إلى أنه لا يخفى عليه شيء مما له علاقة ، وتقريباً كل شيء له علاقة بهداه**

الذي تضمنته آياته، والذي جاء به رسله؛ لأنه عندما يشرع سبحانه وتعالى لا يشرع شيئاً وهو ناسي بأنه ربما التشريع هذا هناك في واقع الحياة ما يمكن أن يحول بينه وبين أن يمشي كسنن ثابتة هو شرع سبحانه وتعالى ، هو الذي هدى ، هو الذي نزل الكتاب ، وهو الذي خلق الأرض ، وخلق السموات ، وخلق الإنسان ، ورسم قوانين ، وفطر الإنسان على الفطرة التي هو عليها ، ورسم قوانين هذا الكون على ما هي عليه .

فعندما يأمر الناس أن يكونوا أنصاراً له ، أليس الأمر جاء قبل ألف وأربعمائة سنة قبل أن يكون هناك أمريكا ؟ فعندما يقول: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠) **هو لا يخفى عليه بأنه سيأتي بعد أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ، فوعده وعده.**

{إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (آل عمران:٥ ـ٦) **كما قال في آية أخرى: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** (الملك:١٤).

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ} هو الذي خلقكم ، هو الذي يعلم بكل شيء ، فعندما ينزل الكتاب ، إنزال كتابه، ما في كتابه من هدى ، ما وجه الناس إليه ، هو من منطلق أنه يعلم ، يعلم كيف يهدي ، يعلم كيف يرشد، ويعلم الوسائل التي تجعل لهذا الإرشاد أثره ، يعلم الطرق التي يقوم بها دينه وهداه ، يعلم كل ما يمكن أن يحدث في هذه الأرض.

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} (آل عمران:٧ـ٨) **هذا من قول الراسخين في العلم حكاه الله عنهم إلى قال عنهم: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}** (آل عمران:٩) **قال هناك في البداية: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}** (آل عمران: من الآية٣) **ثم قال بالنسبة لهذا الكتاب {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}** (آل عمران: من الآية٧) **أصله ومرجعه.**

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (آل عمران: من الآية٧) **موضوع المحكم والمتشابه في القرآن قضية تعددت الأقوال فيها بشكل كبير إلى الآن لا يوجد استقرار لقول فعلاً يطمئن أنه تفسير حقيقي لمعنى [محكم ومتشابه] وبالذات المتشابه لدرجة أن بعضهم قال: الآية هذه بكلها متشابهة! لشدة ما حصل من أقوال متعددة حولها. كل الأقوال التي تأتي في هذا الموضوع بعضها تكون منطلقة من فهم معين متأثر بثقافة من قولك ورأيك في القضية ، مصبوغ بالثقافة التي تثقفتها من أشياء أخرى .**

لكن لاحظ في المقدمة عندما قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} (آل عمران: من الآية ٥ ـ٦) **التصوير الدقيق المحكم داخل الأرحام بالنسبة للإنسان ظلام {فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ}** (الزمر: من الآية٦) **أليس هذا يعني عمق هناك ؟ تصوير دقيق لهذا الإنسان الذي يعتبر من أرقى المخلوقات في تكوينه في الظلام الدامس { ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ }ظلمة الرحم وظلمة البطن [الحشا] وظلمة الجسم ، فالذي صورنا في الأرحام في ذلك الظلام يمكن أن يكون في كتابه في أعماقه هناك ما هو هدى راقي جداً ، هناك فيما يبدو عمق ، الإمام علي (ع) قال:((القرآن بحر لا يدرك قعره)) البحر أليس من تحت ظلمات هناك؟ ظلام البحر يكون هناك مسافة معينة فيها معرض للشمس ومن تحت هناك ظلمات ، فالقرآن الكريم نفسه... ، لأنه هناك مقولة وهي للأسف مقولة تعكس نوعاً من الجهل لكن جهل يبدو يدفع بالإنسان إلى حالة غرور فاختلفوا حول موضوع {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** (آل عمران: من الآية٧) **المتشابه ، والإمام علي يقول: وما يعلم تأويله إلا الله، الإمام القاسم بن إبراهيم ، ويبدو كذلك الإمام الهادي : فعلاً هناك متشابه ما يعلم تأويله إلا الله .**

الإمام القاسم بن إبراهيم يقول : بأنه فعلاً مما اختص الله بعلمه لكن قد يطلع عليه من يشاء من عباده ، ممن اصطفاهم من عباده .آخرين منا ، من المتأخرين بعدما دخلت ثقافة الآخرين لدينا قالوا كيف؟! يعني ما يمكن

إلا أن يكون الإنسان بالشكل الذي يعرف كل القرآن هكذا: [لأننا خوطبنا بـه كيف نخاطب] يعني وبالنظرة الفردية هذه ، أنا مخاطب به ، وأنت مخاطب ، وهذا مخاطب ، كل واحد مخاطب به وكأنه خطاب فردي فإذا أنت مخاطب به فمعناه ماذا؟ لا بد أن تكون أنت فاهم لكله لكل ما فيه تماماً [ولا يمكن أن تخاطب بما لا تفهمه] !.

هذه قضية غير صحيحة لأنها مبنية على هذه ، مبنية على رؤية معينة قاصرة لموضوع التشريع لموضوع الهدى بكله هل هو خطاب فردي خطاب لك لوحدك ، خطاب لهذا لوحده ، خطاب لهذا ، وكل واحد إذاً ما دام وهو مخاطب إذاً سيفهمه هو ولا بد أن يفهمه ! هذه سادت عندنا ، سادت لدينا ، ما أدري بالنسبة لطوائف أخرى فأصبحت الآية يأتون يقرؤونها {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} (آل عمران: من الآية٧) أضافوا والراسخون في العلم ويكون الوقوف على {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }وتبدأ الآية استئناف {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ ..} يعني: حال قولهم آمنا..إلى آخره .

ما أوضحوا لنا المتشابه ما هو إلا بطريقة غير مقنعة ، غير منسجمة مع كلمة تشابه ، الذي نعرف بالنسبة للغة العربية ، وداخل القرآن الكريم أن كلمة تشابه تعني: تماثل ، كلمة: تشابه تعني : التماثل، فإذا حصل اشتباه هناك فمعناه أن التشابه بين الشيئين ، وعلى أساس أنه مطلوب واحد منهم أوجد لدي لبساً سمي اشتباه ، اشتباه سمي اللبس الناشئ عن التماثل بحيث لم نعرف بالتحديد أين المطلوب منهم مثلما قال بنو إسرائيل، ألم يقولوا: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٧٠) ؟ هم جعلوا الخطاب وكأنه يريد بقرة معينة لكن البقرة المعينة هذه يوجد بقر متشابهات لا ندري أين هي منهن بالذات فحصل لنا اشتباه بسبب تشابه أي تماثل التماثل عادة لا يأتي إلا بين شيئين فأكثر ، هل يوجد اشتباه في الشيء الواحد لوحده؟ تماثل في الشيء الواحد لوحده ! لا يوجد التشابه عادة إنما يأتي بين شيئين فأكثر .

هنا قال: {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (آل عمران: من الآية٧) أخر يعني وآيات أخر متشابهات ، من خلال كلمة متشابهات يعني متماثلات في شيء ، وهذا التماثل له تأويل له واقع وحقيقة يؤول إليها يختص الله بعلمها. الذين في قلوبهم زيغ قد يحاولون من خلال هذا التشابه أن يطلعوا منه ما يعتبر مثلاً شبه معينة لفتنة الناس عن دينهم لطرح شبه معينة يفتنون الناس عن دينهم ؛ ولهذا قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} (آل عمران: من الآية٧) تطلب لمعرفة مآله ، حقيقته، هو قال: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ} (آل عمران: من الآية٧) أي الحقيقة التي يؤول إليها ، الذي هذا التشابه يوحي به ما يعلمه {إِلَّا اللَّهُ}(آل عمران: من الآية٧).

{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}(آل عمران: من الآية٧) أولي العلم الثابتون أقدامهم في العلم ، الذين لديهم حكمة مع العلم ، ولديهم فهم لأنفسهم ، وفهم لهدى الله ، ومعرفة بالله سبحانه وتعالى {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} (آل عمران: من الآية٧) مسلمين بالمسألة لم نعرف ما وراء هذا التشابه ، ونحن مؤمنون بأن كله من عند الله ، هذه الآية وهذه الآية التي تبدو متشابهة كلها من عند الله.

على التفسير الآخر جعلوا {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} (آل عمران: من الآية٧) أي كل من المحكم والمتشابه المحكم! لا يوجد لبس حوله لا يوجد اختلاف حول موضوع محكم ، ولا بالنسبة للآخرين الذين في قلوبهم زيغ لا يبحثون حول المحكم هم هناك حول ماذا؟ الآيات المتشابهة ، فالراسخون في العلم أثنى عليهم بهذه : أنهم مقرين بأنه من عند الله {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} وأنهم في نفس الوقت يعتبرون تلك الحالة المحاولة للآخرين تنبئ عن زيغ في قلوبهم {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} (آل عمران: من الآية٧) هم في حالة خطيرة على أصحابها هنا يدعون الله {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } (آل عمران: من الآية٨) فنصبح كأولئك الذين قد زاغت قلوبهم وأصبحوا يتطلبون ما يفتنون به الناس عن دينهم وما يتمحلون به من أجل محاولة أن يعرفوا تأويله مع أن تأويله ما يعرفه إلا أنت {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران:٨) ولديهم خوف من الله {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (آل عمران:٩) هؤلاء هم الراسخون في العلم ، يجب أن نفهمها بالطريقة

هذه وفي كلام الإمام علي بنفس الطريقة هذه: أن الراسخين في العلم هم هؤلاء {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} (آل عمران: من الآية٧) .
فالتأويل هنا زيادة على المعنى اللغوي للكلمة قد تكون الكلمة هذه ، الآية هذه تعرف معناها بالنسبة لها هي باعتبار مفرداتها ، والآية الأخرى كذلك تعرف معناها باعتبار مفرداتها لكن التشابه القائم هنا الذي قد يكون وراءه ما يشير إليه قضية ثانية ، قضية ثانية ، التشابه القائم بين آيتين .
أحياناً تأتي كلمة: كتاب ، كلمة: كتاب ، وتعني بالذات أو بشكل رئيسي أي: الأشياء المكتوبة ، أي التشريع مثلما قال: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} (البقرة: من الآية١٨٣) {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ} (البقرة: من الآية١٨٠) المكتوب يعني : المحتوم ، المفروض ، التشريعات المحتومة ، المواقف المحتومة ، وأشياء من هذه ، أحياناً يكون كلمة كتاب داخل القرآن تعني هذه بشكل رئيسي.
إذاً فما القضية على ما تقدم ، تقدم بأنه يأتون إلى آية معينة ويسمونها متشابهة ، آية واحدة قالوا: هي من المتشابهات باعتبار أن معناها في اللغة في مفردة من مفرداتها يحتمل كم أوجه وأن هناك واحد من معانيها وجه باطل لا يصح أن تحمل عليه أن نقول: إنه هو المراد وتحمل عليه الآية {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} (آل عمران: من الآية٧) فيبحثون عن هذا المعنى ويطلعونه مثل الآيات التي فيها مثلاً {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (المائدة: من الآية٦٤) ألم يجعلوا هذه الآية من المتشابهات؟ والتشابه فيها يعني أن فيها معاني تحمل كلمة: [يد] على اليد الجارحة ، وعلى القدرة ، وعلى النعمة ولا يمكن أن يكون المراد بها اليد الجارحة ، والذين في قلوبهم زيغ يصلون إلى هذا المعنى ويقولون إنه هو المراد !.
هذا الموضوع ليس هو المقصود بالتشابه ، ليست هي الآيات المتشابهة هذه أعني: ما التشابه فيما أعتقد أنه آية واحدة يقال لها متشابهة ؛ لأنه هنا يذكر بالنسبة للتأويل الذي يوحي به ويشير إليه التشابه القائم بين آيتين أو أكثر أنه شيء حق أنه حق وليس باطلاً ، هذا المعنى عندما يقول: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} (آل عمران: من الآية٧) ليس معناه أن هناك داخل آية معينة معنىً باطلاً وهؤلاء يأتون يحاولون يطلعونه ويقولون: الآية تعني: كذا، وأنه معنى موجود داخل الآية! هذا لا يصح في أي آية من هذه الآيات.
مثل {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} (الرحمن: من الآية٢٧) ومثل {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (القمر: من الآية١٤) هي وفق الإستعمال العربي وأنت تعرف الإستعمال العربي أيضاً باعتباره كلام يأتي من عند الله ؛ لأنه في لغة العرب أسلوب الخطاب عند العرب معروف ، أسلوب الخطاب من عند الملك ، أسلوب الخطاب من عند الوالي ، أسلوب الخطاب من عند شخص له مكانة يكون له أسلوب ، الخطاب من عند الملك، الخطاب من عند والي يكون له أسلوب عندما يكون القرآن عربي هو عربي أن تعرف أنه وفق أساليب العرب ، وتلحظ في نفس الوقت وفق أساليب العرب كخطاب من عند الله من عند الملك فلا يمكن أن يكون في هذه الآية ، في موقعها ، في سياقها ذلك المعنى الذي يحاول الآخرون أن يقولوا إنه معنى مما تدل عليه الآية.
مثلاً {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (المائدة: من الآية٦٤) يقولون له أيدي ، وله أعضاء بمعنى أيدي أعضاء، ألم يقولوا هكذا هذا المعنى ليس موجوداً من أصله داخل الكلمة ، ولا هو بالشكل الذي يأتي الذين في قلوبهم زيغ يبحثون له ، هم من هناك جاءوا به ، من خارج ، إنما فقط يحاولون يعطفون الآية عليه ، أما هنا فيوجد شيء قائم داخل من خلال التشابه يوحي التشابه بشيء يوحي التماثل هذا بشيء ، بمآل يعني: إشارة إلى قضية هي في الخارج أعني عندما يقول: تأويله أي : مآله ، ما يؤول إليه ، الحقيقة التي يؤول إليها، الواقع التي يؤول إليها أي: يصير إليها ، أي يرجع إليها فهو يشير إليها أو موجود من خلال التشابه له هناك حقيقة في الخارج حقيقة ماذا؟ يؤول إليها لا يعلمها إلا الله وهي موجودة ، أليست موجودة في الداخل؟ هنا نفس التشابه.
تجدها كلها عندما يقدمون لنا الآيات التي يسمونها آيات متشابهة ليست آيات متشابهة على الإطلاق لأن المعنى الذي يقوله الآخرون يطلعون تجسيماً لله ، أو رؤية لله ، وأشياء من هذه ، هي ليست من داخلها على الإطلاق ،

ليست موجودة في الداخل ، في الأخير يلحظ أن التشابه هنا معناه: اشتباه بسبب أن المفردة هذه تعني كذا ، وتعني كذا ، وتعني كذا ، عدة معاني متعددة واحد منها باطل أن يكون مراداً هنا .

إذاً لا يمكن أن تكون هذه المفردة وهي هنا تدل على هذا المعنى الباطل على الإطلاق ؛ لأن الله يقول في القرآن الكريم {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ} (فصلت: من الآية٤٢) فلا يمكن أن تكون في آية من آياته ما تحمل معنىً باطلاً فيكون الذين في قلوبهم زيغ يحاولون يطلعون ذلك المعنى باعتبار الآية تحتمله هذا ليس بالشكل هذا هذه القضية على الإطلاق يسردون لنا الآيات هذه على أساس أنها آيات متشابهة، آيات متشابهة، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة:٢٢-٢٣) قالوا: آية متشابهة ! وأولئك قالوا: لا ، آية محكمة ، والآية الأخرى {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} (الأنعام: من الآية١٠٣)قالوا: آية محكمة ، قال أولئك: لا، هي التي هي متشابهة ، وتلك محكمة !.

اختلفوا فيما هو محكم ومتشابه ، واختلفوا في معنى المتشابه ، وقدم بهذا الشكل الذي هو بعيد عن ما تعنيه كلمة تشابه؛ لأن كلمة {وَأُخَرُ} يعني: آيات أخر متشابهات ، هذه الكلمة أليست تعني أنه يوجد تماثل قائم فيما بينها ؟ التماثل هذا من وراءه شيء لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى؟ المحكم فيما يتعلق مثلاً بأسس قواعد رئيسية أساسية، مثلاً نلاحظ هناك في مسيرة التشريع مسيرة التشريع باعتبار القرآن الكريم يواكب الحياة كلها إلى آخر أيام الدنيا في مجال التشريع يكون هناك أسس، حتى لاحظ عند الناس في الدنيا هنا تكون النصوص الدستورية تختلف عن النصوص التقنينية يعتبرون في الدستور النصوص الدستورية يعتبرونها أسساً يجب أن يقوم عليها التقنين، ويكون الدستور قابلاً للإستمرار أكثر من التقنين يكون التقنين مثلاً على حسب رؤية المقننين، يكون التقنين بالشكل الذي يجب أن يكون منسجماً مع الدستور فإذا قام تقنين في مرحلة معينة مراعاة لنص دستوري معين في مرحلة أخرى قد يأتي ولهذا ألسنا نجدهم يغيرون على أساس قد تكون نصوصاً أخرى أيضاً من نصوص الدستور في الدستور يقولون: [باب كذا مادة كذا رقم كذا بنص كذا] .

إذاً هذا قابل لماذا؟ لأن يغطي نوعاً من التغيير في التقنين وما زال وفقاً للدستور ففي مجال التشريع يكون هناك آيات على هذا النحو تلك الآية التي قال الله فيها: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:١٨٠)أليست هذه آية تعطي أساساً ثابتاً وقاعدة عامة أنه لا بد أن يكون هناك في توزيع المال أن ينال الوالدين والأقربين هذه قضية أساسية قام على أساسها تفريع وتشريع معين هناك {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (النساء: من الآية١١) لا نقول الآية هذه منسوخة!.

الآية هذه تعتبر قاعدة تشريعية، قاعدة تشريعية قد تأتي وضعية معينة لشعوب أخرى يصل إليها الدين تجد أنه عندما بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مشى مرحلة ما تناول موضوع توزيع المال ألم يمش فترة ثم بعد تأتي هذه الآية لتعطي قاعدة بضرورة توزيع المال ولم تتناول أنصبة معينة إذاً هذا شيء نقلة أخرى حدد فيها المال تلك النقلة اعتبرها ماذا؟ مبنية على هذا الأصل وتفريع على هذا الأصل، هو أن يكون هناك للوالدين والأقربين بالمعروف فهذه ما يقال لها منسوخة ، الآية محكمة.

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ}(آل عمران: من الآية٧) قالها في مجال التشريع لأن نظرة القرآن فيما يتعلق بالتشريع واسعة جداً وتختلف عن الأسس التي يقوم عليها التفريع وفق قواعد أصول الفقه فرق كبير جداً، فالقرآن يستوعب كل المراحل بدون أن يكون المعنى أنه هو يتأقلم تأتي عملية النقلة بالمجتمع إلى أن يصل إلى الوضعية المطلوبة ما هذه حصلت في المجتمع العربي عندما بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فالآيات المحكمات باتفاق أنهم يعتبرونها آيات تعتبر متى ما حصل لبس يرجع إليها، وأنها تنفي ما يراد أن تحمل عليه الذي يسمونها آية متشابهة بمعنى باطل فتنفيه، يعني الآخرين قالوا: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة:٢٣) أي أنها تراه قالوا تلك الآية المحكمة {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} (الأنعام: من الآية١٠٣) هي تنفي هذا المعنى الذي قلتم ، هذا شيء آخر ، شيء آخر ؛ لأن الآية هذه بنفسها لا يمكن أن تحمل في هذا المقام على الرؤية على الإطلاق، نفس

التعبير فيها وسياقها لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤية ، سياق الآية عندما يقول: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} (القيامة:٢٢) من النضارة {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} (القيامة:٢٣ـ٢٥) قابل حالتين بحالتين ؛ لأن كلمة {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} تبين لك أن {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } تأمل وترجو أنها إلى خير وإلى رحمة ، بينما الوجوه الأخرى باسرة لهذا لم يقل : عيون ، لا يوجد شيء في اللغة العربية ، وجوه ناظرة ! يقولون: عيون ناظرة إذا أرادوا الرؤية، لا يقولون: وجوه، بل عيون.

لكن الوجوه هذه باعتبار الوجه هو شاشة يتبين من خلالها عبوسك ، وبسرك ، ونضارتك ، وخوفك ، ورجاك ، يتبين في وجه الإنسان فالوجوه المؤمنة تجد فيها حالة متفتحة من النضارة ؛ لأنها تأمل ترى المبشرات ، يجعلها تأمل بماذا؟ بما يأتي من جهة الله ، من رحمة فتدخل الجنة .

ووجوه أخرى باسرة لماذا؟ يقابل {نَاضِرَةٌ} يقابل تلك الوجوه التي هي ترجو ، يقابلها ماذا؟ {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} منتظرين خائفين من فاقرة ، من طامة تكسر فقار الظهر ـ كما يقولون ـ يعني من مصيبة كبيرة تقع عليهم متى يقاد إلى جهنم {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} .إذاً فالآية هذه من أصلها لا يمكن أن يكون فيها مأخذ لمسألة الرؤية على الإطلاق .

فيما يتعلق بالآيات المحكمة قد تكون قضية يمكن أن ترد إلى أكثر من آية، قضية معينة ينظر من أجلها إلى أكثر من آية فتعطي رؤية في كيف يكون التعامل فيها .

عندما يقولون: [لازم تعرف محكم ومتشابه لازم واحد يقرأ ليعرف!] ما عرفوا من قرؤوا محكم ومتشابه حقيقة ما قدموا لنا موضوع [محكم ومتشابه] بالشكل الذي تعرف بأن القضية عرفت وتجاوزوا من عرفوا من السابقين ، الإمام علي قال: وما يعلم تأويله إلا الله: المتشابه ، الإمام القاسم قال هكذا ، وأظن الإمام زيد والإمام الهادي. ونحن قلنا: [أبداً نستطيع لازم نعرف كيف ، هذا خطاب لي وخطاب لك ولازم كل واحد يعرف هو!] ماذا نسميه؟ غرور هذا .

لهذا نقول أكثر من مرة: لحد الآن ما عندي أنا شخصياً مثال واضح أقدمه عن آيات متشابهة أقول الآيات المتشابهة هذه الآية وهذه الآية وهذه الآية لكن أحياناً من خلال من في قلوبهم زيغ ، من خلال من في قلوبهم زيغ يحاول يعمل كيف يقدم شبهاً معينة ، وتشكيكاً معيناً قد ربما هم قد يعلمونا ما هي التي تبدو آيات متشابهة من خلال وهو يبحث كيف يحاول يطلّع شيئاً يكون فيه ردة للناس عن دينهم ، صد لهم عن دينهم والذين في قلوبهم زيغ من داخل المسلمين وليس فقط من خارج قد يكون من داخل.

{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عمران: من الآية٧) هنا لم تعد تقدم هذه على أنها ما زالت من بقية كلام الراسخين في العلم ، عندما تأتي تقرأ في بعض الكتب فعلاً لم تعد تقدم {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران: من الآية٨) أنهم ناس مقرين أنهم ما يعلمون تأويله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} (آل عمران: من الآية٧) وهم يخافون مما رأوه عند آخرين ممن في قلوبهم زيغ يحاولون أن يطلعون تشبيهات معينة، أو شكوكاً معينة ابتغاء الفتنة ، هم يدعون الله أن يبعدهم عن الحالة هذه {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} (آل عمران: من الآية٨) خائفين من الله ؛ لأن هذه ليست قضية سهلة، معنى هذا أن الناس يلعبون بآيات الله ويتخذونها هزواً ، ويؤقلمونها على ما يريدون هم ، يطلعون منها تشبيهاً للناس وتشكيكاً للناس ، وصداً لهم عن الحق هذا معنى الفتنة ، يفتنونهم عن دينهم .

وهم يخافون الله {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (آل عمران:٩) ما هي قضية أنه لا بد أن كل واحد يكون عارفاً للمحكم والمتشابه ، إذا عرفنا سنة الله في الهداية كيف هي ، وليس على أساس [أن كل واحد هو لازم يشتغل ويبحث لازم يعرف: خاص وعام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه ..إلى آخره] ولهذا تجد كم أقوال فيما يتعلق بالخصوص والعموم ، وكيف التعامل فيه ، والناسخ والمنسوخ ، كم فيه من أقوال ! وكم يوجد من اختلاف فيه ، ثم كذلك المحكم والمتشابه كم يوجد من أقوال مختلفين فيها إلى الآن ويقولون لك [لازم تعرف!] مع أنهم ما قد قرروا شيئاً واضحاً يكون منطقياً وصحيحاً في هذا كله ! كيف يمكن الشيء الذي ما قد

ثبت أن يكون آلية صحيحة ؟! هو في نفسه مختلفين فيه هو داخل الفئة الواحدة وليس فقط إنما هو اختلاف بين طوائف تجد ، أحياناً في موضوع محكم ومتشابه أكثر من تفسير داخلنا نحن ،داخل الزيدية .

فعندما تكون القضية كما قال الله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} (آل عمران: من الآية٣) ثم قال من بعد: {إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ} (آل عمران:٥) ثم ترى في الأخير الموضوع وهو مجلد واحد كتاب واحد، الهدى الذي فيه ، التشريعات التي فيه، يسع الحياة بكلها ! لو تأتي إلى مجرد معاني مفرداته سينتهي عليك في ملزمة واحدة ، معاني مفرداته باعتبار اللغة أليست هناك ستخرج كتيباً صغيراً؟ أو شخص يفسره قد يخرج بكم ما يريد من مجلدات لكنه واسع جداً جداً .

هذه من الأشياء التي فيه عندما يكون هناك آيات محكمات في مجال التشريع ، في مجالات كثيرة جداً ما تزال تعطي ، تعتبر قواعد وأسساً ينطلق منها ويقوم عليها أي رؤية ، أي موقف ، أي حكم معين في قضية ، تكون أشياء لها علاقة بماذا؟ بمواردها ، لها علاقة بوضعية ، لها علاقة باعتبارات متعددة ، ليست قضية ، أعني نظرية بحتة ! مبنية على ماذا؟ على شيء في الواقع ، في واقع الحياة ،شيء في واقع الحياة ، اعتبارات متعددة، وضعيات متعددة . لهذا كان القرآن واسعاً جداً يشرع للحياة كلها إلى نهاية الحياة وهو مجلد واحد .

الإمام القاسم قال في هذا: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} (آل عمران: من الآية٧) ((وإن الله قد يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء من معانيه)) أي المتشابه .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} (آل عمران:١٠).

كلما يتحدث عن الهدى يتحدث عن أشياء أخرى قد تمثل موانع مثلاً أو تبين لأصحابها فتكون بالشكل الذي يصرفهم عن هدى الله . يتناول هذا في مقام التهديد : هذه لن تغني عنكم من الله إذا لم تستجيبوا لهدى الله، وواقفين على ما أنتم عليه ، تائهين فيما أنتم عليه ، مشغولين بأموالكم وأولادكم ، لن تدفع عنكم من الله العقوبة التي كانت بسبب أنكم أعرضتم عن الهدى وانصرفتم عنه { لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} (آل عمران:من الآية١٠) .

هذه المسألة هامة فيما يتعلق بالجانب العملي للناس ؛ لأن الكثير من إطلاقات الآيات الكريمة لا تكون معناها دائماً الآخرة فقط ، الآخرة ، الآخرة ، الآخرة... أنه كثير من أموالهم ، كثير من أولادهم ، كثير من إ مكانياتهم الكبيرة لن تغني عنهم ، لن تمثل وقاية متى ما أراد الله أن يضربوا على أيدي أوليائه ، لن تمثل منعة بالنسبة لهم متى ما أراد الله أن يضربوا {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ} أي لن تدفع عنكم الشيء الذي أراد الله أن ينالكم بسبب انصرافكم عن هديه ،بسبب طغيانكم بسبب تجبركم ، وحتى هنا في الدنيا ، حتى هنا في الدنيا قبل الآخرة ؛ ولهذا قال بعد: { وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} (آل عمران:من الآية١٠) لن تدفع عنهم في الدنيا ؛ لأن الكثير منا يرى مثلاً طرفاً آخر ، يراه عندهم جيش كثير ، وعندهم أموال كثيرة ، وعندهم إمكانيات كبيرة، فيكون عنده ما هو الذي يمكن أن نعمل! لكن أنت عندما تسير على هدى الله ، وعلى دين الله ، ألم نقل بالأمس إنه يجب أن نفهم دين الله ؟ أن من مهمة أولياء الله في دينه أن يتم على أيديهم تطهير أرضه .

وهذه القضية أساسية فآخرين تجد مثلاً عندما تكون أنت تسير على هدى الله وقد أراد الله أن يكون الناس على هذا النحو: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} (التوبة: من الآية١٤) أليس هذا شيء جاء من جهة الله، من الله؟ إذاً فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم ، لن تغني عنهم إمكانياتهم الكبيرة ، ولا جيوشهم الكثيرة ! أليست الجيوش تتألف من أولادهم ؟ سواء على مستوى الفرد أو على مستوى دولة ، ومجتمع الكافرين سواء كان على مستوى فرد وعنده أموال وعنده أولاد وعنده... بشكل ما يظهر وكأنه محتاج إلى شيء أو كانوا مجتمعاً ؛ لأنه عادة الجيش الذي يتألف منه مثلاً الناس، الذي يتألف منهم جيش دولة معينة، ما هم يكونون من أبناء تلك الدولة، على حسب قوانينهم ، ولو منح ما يسمونها جنسية؟.

وهذه كلها تجدها قضية في القرآن الكريم بشكل كبير أنه هدى الله هو بالشكل الذي لا يمكن أن يكون هناك أمامه عوائق في واقع الحياة أبداً والمهام المنوطة بأوليائه هي أيضاً تكون بهذا الشكل ؛ ولهذا قلنا في حديث

سابق إنه عندما يأتي بعض الناس يفهم موضوع: [الإمام علي] عندما يقولون: [تولى فقام فلان وفلان وفلانة واتجمعوا أهل كذا وعارضوه وقاتلوه ثم قام وقاتلوه ثم قام وقاتلوه..] أنه أحياناً قد يكون هذا من دور الإمام علي المنوط به: أن تضرب على يديه هذه الفئات التي كفرت بهدى الله، أعرضت عنه وعارضته ، من أدواره ؛ ولهذا قال: إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أمره بقتال ((الناكثين والقاسطين والمارقين)) أنه سيقاتل على تأويل القرآن كما قاتل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) على تنزيله .

هنا قال: {قَاتِلُوهُمْ} هذا دور من أدواركم بالنسبة للمفسدين في الأرض بالنسبة للكافرين بهدى الله {يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} (التوبة: من الآية١٤) ما يعني هذا أنه منوط بكم الدور المنوط بكم سيكون الطرف الآخر بهذا الشكل الذي ماذا؟ لا تغني عنه أمواله ولا أولاده أليس هذا يعني أن الله يفتح المجال؟ لا يمكن يقول: {قَاتِلُوهُمْ} ويترك الآخرين عبارة عن كتل من الصلب إلا ويكونون هم بالنسبة لواقعهم {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ} لن تدفع عنهم ما هو من جهة الله، وما هو من الله يصدق على ما هو على أيدي جنوده سواء كانوا جنود من أوليائه أو جنود من ملائكته أو جنود من... {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفتح: من الآية٧) ولذا جاء بعدها: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (آل عمران:١٢) .

أليست قضية ستغلبون أي لن تنفعكم أموالكم ولا أولادكم لن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم ؟ أليس هنا ستغلبون ؟ في مواجهة من؟ أليست في مواجهة جنوده من المؤمنين مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في بدر وفي غيرها ؟ ما هم غلبوا؟.

إذاً هذه حالة ثابتة داخل القرآن الكريم تنسف كثيراً من الأشياء التي تأتي داخل نفس كل واحد ينظر للطرف الآخر وكأنه [من الذي يستطيع] لا ، اعرف هذه سنة إلهية فقط اشتغل أنت في سبيله ، سر أنت على هداه فتصبح أنت جندياً من جنوده يضرب بك أعداءه ، وعندما يضرب بك أعداءه سيكون أعداؤه بهذا الشكل: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ} (آل عمران: من الآية١٠)أو تقصر أنت يضربك بأعدائه ولا تغني عنك أنت لا أموالك ولا أولادك . ألسنا وجدنا آخرين في البلاد العربية حصل لهم هذه؟ ممن كانوا طواغيت ومتجبرين ما أغنت عنه لا جيوشه ولا أسلحته ولا أمواله!.

فالمسألة شبه متقاربة ، أو متماثلة في الخطاب ، أولياء الله يتحركون ويتم على أيديهم ضرب أعدائه ، لكن أولياءه بالمعنى المطلوب ، من يسيرون على كتابه وليس فقط عناوين معينة [سبيل الله!] وأشياء من هذه ليست صدقاً ، أو من هم محسوبون على دينه وهم معنيون بأن يتحركوا فيرفضون يضربون هم ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم ، مثلما حكى في الآية الأخرى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة:٢٤) لا تعد تغني عنكم هذه كلها، تضربوا .

أعني: فالمسألة بالنسبة للناس إما أن يحاولوا أن يكونوا هم أولياء لله فيتم على أيديهم ضرب أعدائه، أو يقعدون فيتم ضربهم على يد أعدائه أليس الله قال هناك في بني إسرائيل: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٢) في نفس السياق الذي يقول للناس: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران: من الآية١٠٣) اعتصموا بحبل الله أنتم، ما لم قد يعطي حبلاً لأولئك فيضربونكم أنتم سبب ، أسباب، هي عبارة عن سبب ، اعتصموا بحبل الله سبب بينكم وبينه ليؤيدكم لينصركم ليرفعكم عن الوضعية السيئة التي أنتم فيها لتصبحوا جنوداً له تضربون آخرين ما لم فقد يمكن الآخرين يعطيهم حبلاً من عنده ومن عند الناس فيضربونكم .

لا يوجد حالة فراغ ، لا يوجد منطقة فراغ في دين الله على الإطلاق إنما فقط تسير على هديه فتكون أنت من جنوده {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} (التوبة: من الآية١٤) ولهذا كانت معروفة عند المسلمين الأوائل {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ

أَوْ بِأَيْدِينَا} (التوبة: من الآية٥٢) كلمة: {أَوْ بِأَيْدِينَا} هي تعكس ثقافة ، معرفة ، قدمت لديهم من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه هكذا هي سنة ومن دوركم أنتم كأولياء لله أن يضرب أعداؤه على أيديكم.

معناه أن القضية ثابتة أعني: مسألة تثقيفية ، إما أن يكون الناس بهذا الشكل وإلا فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ، هل يوجد حالة وسط؟ لا يوجد حالة وسط ، منطقة فراغ ، يقول: [لا مع الله ولا مع أعدائه ولا جندي من جنود الله ولا جندي من جنود أعدائه] لا يوجد حالة هكذا .

ضرب مثلاً لمن كان لديهم أموال وأولاد وملك وكثير من مظاهر الحياة: { كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (آل عمران:١٢) سيأتي مثلما قال سابقاً: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠) يأتي شيء من جهة الله تغلب {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ} أي لا تدفع عنكم لا أموالكم ولا أولادكم لا تعد تنفع بشيء ، لا تعد تعمل شيئاً ، لا تعد تشكل وقاية بالنسبة لكم .

إذاً أليست الآية هذه تعطي أملاً بالنسبة للمؤمنين بالنسبة للناس الذين يسيرون على هدي الله ؟ فعلاً تعطي أملاً أن يفهموا بأنه مهما كان لدى الآخرين من أموال وأولاد وعتاد وجيش وأشياء من هذه أن تعرف أنهم هم ، هم في حالة تجعل لله موقفاً منهم فلتكن من جنوده ليضربهم عندما قال هنا: {أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا} (التوبة: من الآية٥٢) هذه الثقافة التي حكى الله عن من كان تترسخ في ذهنيتهم{بِأَيْدِينَا} لم تعد هي موجودة ! نسفت في أوساطنا ، نسفت تماماً ، ونسف بأنه يبتنى عليها أنه إذا كان أنت جندياً من جنود ، أمة من الأمم أصبحت جنوداً لله ليضرب بهم أعداءه بأن الأعداء لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم !.

قد يقول هؤلاء: [لاحظ هؤلاء كيف أمريكا ما تستطيع ، إسرائيل ، ذاعندك كل الناس يخافونها كل الدول تخاف منها!] ناسين لهذه السنة الإلهية التي يذكرها في الآيات هذه ، يأتي مثلما تقول بمثل من الأمثلة في هذا الموضوع {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (آل عمران:١٢) خسارتين كبيرتين تغلبون في الدنيا ، وتساقون في الآخرة إلى جهنم ، وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} (آل عمران: من الآية١٣) تدل على أنكم ستغلبون تدل على أنكم لن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم تدلكم على أن الله غالب على أمره تدل على أنكم لا تعجزون الله {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} (آل عمران: من الآية١٣) يعني: والفئة الأخرى كافرة {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} (آل عمران: من الآية١٣) هذه واحدة من مظاهر ماذا؟ أن يترك في نفس الفئة الأخرى حالة من الهزيمة ، أن يكونوا يرون الفئة المؤمنة عددهم أمامهم مثل عددهم مرتين فيحصل لديهم خوف أن هؤلاء كثيرون وهم في الواقع ليسوا إلا مثل نصف ما يشاهدونهم ؛ لأن الله على كل شيء قدير {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} أو {تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} مثلهم مرتين في رأي العين ليس في الواقع هم مثلاً ألف يرونهم وكأنهم ألفين أليس هذا سيوجد لديهم هزيمة نفسية؟ واحدة مما لها تأثير كبير في نفوسهم ، إضافة إلى الرعب من جهة الله، إضافة إلى الملائكة أشياء كثيرة .

إذاً أليست هذه آية على أنهم سيغلبون؟ وأنهم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً؟ وإن كانوا يرون المؤمنين في ذهنيتهم ويسمعون عنهم ما يزالون قليلاً يرونهم وكأنهم كثيراً مثلهم مرتين ! هذه حصلت في مقام آخر يبين في [سورة الأنفال] في عملية أن يحصل التحام ؛ لأن الله قد أراد أن يحصل هذا في بدر المشركون يرون المسلمين قليلاً ، والمسلمون يرون المشركين قليلاً ! وكل طرف أصبح يرى أن هؤلاء ليسوا إلا قليلاً ! تواجهوا وكأنه أثناء المعركة بعد الإلتحام صاروا يرونهم كثيراً مثلهم مرتين {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ} (الأنفال: من الآية٤٣)أليست هذه واحدة من مظاهر التأييد الإلهي أن يبدو الأعداء أمامك قليلاً ، وأن تبدو أمامهم كثيراً {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً} (الأنفال: من الآية٤٤) ليتواجهوا ؛ لأنه قد أراد أن يضرب أولئك على يد أوليائه ، خرجوا وهم كثير وإذا بهم قد صاروا

يرونهم قليلاً ، أعني: أليست هذه وحدة مما تنسف القيمة لديهم بأن يروا أمام المسلمين كثيراً ، هنا ألف يرون كثيراً ، ثم يرون أنفسهم قليلاً ، ثم هذا الألف يرونه قليلاً !قد يرونهم وكأنهم ثلاثمائة أمامهم !

إذاً ألم يتبخر عندهم القضية التي هم يعتبرونها تمثل نقطة قوة لديهم توجد هزيمة نفسية في طرف المسلمين عندما يرونهم كثيراً ؟ يريكموهم قليلاً ، ونفس المشركين يرون أولئك قليلاً فيلتحموا {وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ} (آل عمران: من الآية١٣) **لاحظ موضوع { بِنَصْرِهِ} ترتيبات كثيرة تحصل لها علاقة برفع معنويات الطرف المؤمن وعلاقة بهزيمة نفسية تلحقها في نفس الطرف الكافر المعادي لله قال {وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ} يعني هذا مثل ماذا؟ من أمثلة التأييد الإلهي ، التأييد معناه : تقوية ، تقوية ، يعطي جانبكم قوة.**

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} (آل عمران: من الآية١٣) **من كل الأطراف عبرة لمن قدم لهم هذا المثل عندما قال: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ}** (آل عمران: من الآية١٣)**أي فاعتبروا بهذه إذا كنتم من أولي الأبصار ، وعبرة للمؤمنين أنفسهم بأن لا تكترثوا بمواجهة أعداء الله ، إن هذا عبرة أن الله سيجعل كل ما لديهم من الأشياء لا تمثل وقاية منك فيكون ما عندك أشياء ذات أثر كبير في صف أعداء الله ، تؤثر تأثيراً كبيراً جداً.**

لهذا تجد كل ما يحصل عند الناس من مفاهيم مغلوطة تجعلهم يجسلون ، وتجعلهم يكترثون ، منسوفة في القرآن تماماً ، لا ترى حالة واحدة يمكن أن تعتبرها مبرراً إلا وهي منسوفة هنا ، سواء موضوع أنك خائف من مجاعة ، خائف على أموالك ، خائف على كذا .. كلها تناولها القرآن الكريم ، كل القائمة الطويلة العريضة التي تطلع عند الناس فتقعدهم عن العمل في سبيل الله ، والجهاد لأعدائه كلها منسوفة هنا تماماً .

يبين للمؤمنين كيف يكون تأييده، كيف يكون نصره ، يعطيهم أملاً بأنه الجانب الآخر الذي ترونه كبيراً تتهاوى قوته فيصبح لا تغني عنه قوته هذه شيئاً لا قوة الأموال ، ولا قوة الأولاد.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} (آل عمران: من الآية١٣-١٤) **الناس بشكل عام هنا وهنا مما قد يجعل الإنسان بعيداً عن أن يكون لديه عبرة ،أن يكون صاحب بصيرة ، يعتبر بما يقدم إليه من آيات الله جانب الكافرين وأعداء الله بشكل عام ، وجانب المؤمنين فمتى ما تزينت لديك الأشياء هذه صرفتك عن أن تعتبر ، أن تستبصر فتعتبر بما ذكره الله من آيات كثيرة تبين لك كيف يجب أن تكون نظرتك إلى المال كيف يجب أن تكون ثقتك به ، وكيف يجب أن يكون شعورك بالمسئولية ، وكيف تكون نظرتك إلى أعداء الله.**

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ }عملية تزيين تأتي أما هي في واقعها فهي طبيعية هي من متاع الحياة الدنيا لكن يأتي... لاحظ ما هو يأتي بعض الناس يزين لك يقول لك : [لاحظ أنت ذا عندك في خير ونعمة ومعك بيت باهر ومعك أموال إنما فقط ستكلف على نفسك وتخسر الأشياء هذه] أليست مسألة تزيين ؟ يشدك إلى ما أنت عليه ، إلى ما عندك من الأشياء.

{ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (آل عمران: من الآية١٤)**كل هذه التي تبدو بأرقام كبيرة بما فيها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة مهما كانت هي تمثل متاعاً لهذه الحياة ، هذه الحياة هي قصيرة بالنسبة للحياة الآخرة {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** (آل عمران: من الآية١٤) **يجب أن تكون نظرتك مهما كان لديك وإن كان عندك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، القنطار يقولون عنه : ما يملئ جلد ثور من الذهب ، هذا القنطار ما يملئ جلد ثور ، قد يكون أكثر من [طن] من الذهب ، يجب أن تعرف أن ما عند الله هو أبقى وأهم وأدوم {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** (آل عمران: من الآية١٤) **حسن المرجع.**

{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٥) **لاحظ هذه قضية من القضايا التي تقعد الناس مثلاً قضية: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ} قد تقعدهم مثلاً حالة افترضها على هذا النحو: قناطير مقنطرة من الذهب والفضة {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ} من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ، والحرث والأراضي والمزارع ، وأشياء من هذه يجب أن تلحظ أنه مهما كان عندك من هذا الشيء أن تحرص على ذلك الخير**

العظيم الذي هو خير مما عندك {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} (آل عمران: من الآية١٥) أفضل من النساء ألم يقل: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران:١٤) {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: من الآية١٥) معنى هذا بأنه يمكن أن يكون عند الإنسان أي شيء لكن يجب عليه أن يفهم بأن كل ما يملكه في هذه الدنيا وإن كانت الدنيا بكلها إنما عند الله هو خير من هذه الدنيا بكلها ، أي لا يعد يشكل ما لديك عائق ، ولا يكون بالشكل الذي يجب أن تتخلى منه بمعنى [إذاً تدمر ذهبك وفضتك وتحرقها] لا ، أن تكون عندك هذه النظرة، النظرة الصحيحة : هو أنما عند الله هو خير مما في الدنيا هذه بكلها .

أيضاً تلاحظ بأنه مسألة ـ لأن الله يعلم بالنسبة للإنسان أنه يحب الخير بحكم طبيعته كما قال في آية أخرى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} (العاديات:٨)ـ القعود قد يكون خيراً لكن معروف عنك كإنسان بأنك تحب الخير والعادة أن الإنسان يحب الخير الأكثر ، والخير الأدوم أكثر من الخير الذي هو دون ولا يدوم ، أليست هذه أيضاً قضية؟ إذاً فهناك ما هو خير من هذا يجب أن لا يقعدك هذا فتخسر ، ستكون خاسراً متى ما حصلت النظرة هذه ، وهي نظرة قريبة من ذهنية الإنسان فعلاً ، نظرة قريبة من ذهنيتك إذا أنت إنسان تعقل وتفهم ، وتؤمن بالله ، وتثق بالله ، وتطلع على ما عرضه في هذه في آيات القرآن الكريم من كلام عن الآخرة ، عن الجنة ، وعن رضوانه ، أليست هذه أفضل من كل هذه الدنيا ؟ إذاً لاحظ كيف خسارة الإنسان عندما يقعد.

هذه الآية تعني: بأنه لا ينبغي لك أن تؤثر هذه الأشياء على ما هو خير أفضل منها ، وأدوم منها ، وأرقى منها فكيف حالتك عندما يقعدك لا شيء ؟ مثلنا ، لا شيء ، من الذي معه كيلو من الذهب ما بالك قنطاراً من الذهب؟ يقعد الناس لا شيء ! بيوت غير جيدة، ولا يوجد ذهب ، ولا فضة ، ولا خيل ، ولا نسوان مثلما قال هناك: {وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} (آل عمران: من الآية١٥) ماذا معه؟ قد يكون معه قطعة أرض عوجاء فيها [سربين ، ثلاثة قات]لم يعد مستعداً أبداً أن يفلتها ! مع أنه في الأخير ما تنتهي المسألة بأنه يقال لك: تخلى عن هذه لكن اعرف ..

لاحظ نظرة نبي الله سليمان كيف كانت دنيا هائلة جداً ، مع هذه إنسان مرتبط ، في ذهنيته يعرف رضوان الله أهم من هذه كلها {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (النمل: من الآية٤٠) ألم يقل هكذا؟ لا يوجد إنشداداً إلا الجهل ، الجهل الذي يجعل الإنسان ينشد أعني : الجهل بالله ، الجهل بكتابه ، الجهل بما وعد به ، الجهل بما هو خير لك ، أعني : نحن جاهلون بما هو خير لنا فينشد إلى دنيا ليست شيئاً ! أعني: لا ينبغي أن تنشد إليها فتؤثرها وتقعدك وإن كانت على هذا النحو : نساء وبنين وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ـ من أرقى الخيل معلّمة، معنى مسومة : معلّمة ـ والأنعام والحرث {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران: من الآية١٤)

ثم يقول: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٥) من كل هذا بكله ، ليست الآية تعني هجوماً على الدنيا ، هل فيها ما يعني هجوماً على الدنيا؟ لا ، المشكلة هنا في الداخل ، المشكلة عند الإنسان عندما لا يتفهم، لا يعقل ، لا يعرف ، متى ما فهم ستكون هذه وإن كان يملك هذه كلها خير له ، ويأتي من ورائها الخير العظيم له في الآخرة ، ما يقال تتخلى منها ، هل قال تتخلى منها؟ نوضفها في الخير العظيم في الدنيا والخير العظيم الذي هو أرقى خير في الآخرة ، الجنة ورضوان من الله {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: من الآية١٥) هو بصير عندما تؤثر مثل هذه أو دونها يحولها إلى عذاب لك ، يجعلها خسارة لك ، هو بصير بعباده بعدما قال {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} (آل عمران: من الآية١٥) لاحظ موضوع خالدين ، فيجب أن تقارن حتى لو الجنة دون هذه الحالة ، لو هي دون وهي دائمة لا تنقطع أنها أفضل أعني: لو أنت تقارن بين حالتك أنت في الدنيا أليس الكثير من الناس قد يكون راضياً بوضعيته هكذا ؟ حتى لو لم تكن الجنة إلا مثل ما معك في الدنيا وهو دائم أنه أفضل مما معك ما بالك عندما يكون موضع سوط فيها أفضل من الدنيا هذه بكلها.

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: من الآية١٥) **فالذين اتقوا من هم؟ {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}** (آل عمران: من الآية١٦) **منشدين إلى الله ومزين لهم الإيمان بالله ، الأعمال الصالحة ، العمل في سبيل الله ليسوا من الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين ...الخ ، منشدين إلى الله {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** (آل عمران:١٦-١٧) **هذه صفات هامة جداً {الصَّابِرِينَ} صابرون ويعرفون الصبر عندما يكون لله وفي سبيله يعتبر عملاً صالحاً ، ويعتبر الوسيلة الصحيحة للفرج ، هم صابرون في سبيله ، هم يعملون ، صبر عملي وليس صبراً لظلم وقهر واستعباد {والصَّادِقِينَ} الصادقين في إيمانهم ، الصادقين في مواقفهم ، الصادقين في فهمهم لدينهم ؛ ولهذا قال في آية سابقة ، عندما قال في [سورة البقرة]: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا}** (البقرة:١٧٧) **إذاً لاحظ الصادقين هنا {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** (البقرة: من الآية١٧٧) **الصابرون ، والصادقون في أقوالهم في وعودهم كلما تتناوله كلمة صدق.**

{وَالْقَانِتِينَ} الخاضعين لله والخاشعين لله {وَالْمُنْفِقِينَ} في سبيل الله وفي كل ما وجههم الله أن ينفقوا فيه {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} ليس عندهم غرور ، الأسحار : آخر الليل الوقت القريب من وقت الفجر يعني في الحالة هذه التي تكون عند الكثير من العباد ، عند الكثير من المؤمنين يعتبر نفسه عندما يقوم وقت السحر يتركع يكون قد عنده [أنه من أولياء الله والجنة مفتحة له] لا ، المؤمنون يكونون مستغفرين في الأوقات التي قد تكون عادة ينشأ منها إذا ما هناك وعي وفهم حالة غرور فيكون قد عنده ماذا؟ [أنه يتمنى الباري إن قد مات يدخله الجنة] لا ، هؤلاء مستغفرون في الأوقات التي هي أوقات يحصل فيها غرور عند آخرين عند جهلة العباد .

فهو هنا عدد أشياء ألم يعدد أشياء هذه هامة جداً ؟ وهذه الأشياء هي في متناول الإنسان إذا رجع إلى الله واستعان بالله ، ليست الجنة متوقفة على أنك لا بد أن يكون عندك خيل ، وعندك نساء ، وبنين ، وقناطير مقنطرة من ذهب وفضة ، وخيل مسومة ،وأنعام وحرث ..إلى آخره، لا ، هذه قائمة أخرى لو لم يكن عندك شيء من هذه ، قائمة أخرى ، ألم يعدد هنا قائمة أخرى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران:١٧) **يحصل هؤلاء على ما هو خير مما لدى هؤلاء ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ..إلى آخره .**

إذاً عندما ترى أصحاب الثروات الكبيرة مثلاً فتكون أنت متحسراً لماذا أما أنت؟ تجد أن بإمكانك أن تحصل على أفضل مما هم فيه من خلال القائمة هذه ، وهي قائمة في متناولك أن تعملها ، أن تستعين بالله وتكون من المؤمنين الذين يقولون {رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران: من الآية١٦-١٧) **ألست ستحصل من خلال هذه على أحسن مما لدى الآخرين؟ تحصل من خلالها على رضوان الله وجنته بأرقى مما عند من زين لهم هذه المظاهر التي عددها في الآية السابقة.**

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (آل عمران:١٨) **شهد الله سبحانه وتعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو ، وأنه القائم بالقسط في تشريعه ، في هدايته ، في تدبيره لشئون خلقه، والملائكة شهدوا بهذه الوحدانية لله ، وأنه قائم بالقسط ، وأولوا العلم:ـ أصحاب المعرفة الحقيقية ـ وهم يشهدون بأنه القائم بالقسط في تشريعه ، في هدايته ، في تدبيره لكل شئون خلقه.**

يبدو أن كلمة:[قسط] تفسر دائماً بمعنى: العدل ، والقسط قد يكون أوسع من العدل ، قد يكون عدلاً باعتبار ما يقابله ، وباعتبار قد يكون العدل فيما بين قضيتين ، أي لا تجور في قضية لها طرفين إعدل . القسط فيما

يقوم عليه التدبير ، والتشريع ، والهداية بشكل عام ، قائم على القسط أي على أفضل ما يكون على أحسن ما يكون ، العدل قد يكون واحداً من ماذا؟ من مظاهر القسط أو من ممارسات القسط.

{لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }هذا من القسط ، أليس هذا واحداً من الأشياء التي تعتبر من القسط؟ لأنه عندما يكون ناس في الدنيا هذه ما حصلوا على أموال ما حصلوا على مظاهر من هذه : قناطير مقنطرة ، وأشياء من هذه ، أليست هذه يكون لها أسبابها بالنسبة للحياة هنا؟ يكون لها أسبابها ، فـ{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} (العنكبوت: من الآية٦٢) لكن أمام الطرف الآخر ما يجعلهم يحصلون على أفضل مما عند الآخرين ، عندما يكونون : متقين صابرين صادقين قانتين منفقين مستغفرين بالأسحار .

إذاً أليس هذا مجالاً أيضاً مفتوحاً أمامك لتحصل على أفضل مما لدى الآخرين؟ هنا باعتبار الأرقام الكبيرة لأن ما معنى هذا أيضاً لأنه عندما يقول: {لِلَّذِيْنَ اتَّقَوا} هو أيضاً قال في آيات أخرى أنه يأتي من عنده بالنسبة للحياة هذه بركات ويبسط الرزق ونعم كثيرة {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} (المائدة: من الآية٦٦ ألم يقل هكذا؟ {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية٩٦) {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} (الطلاق: من الآية٢-٣) هنا فتح أمامهم الطريقة التي يمكن أن يحصلوا عليها ومن خلالها على أفضل مما لدى الآخرين حتى هنا في الدنيا ، وأن تلك الأرقام ستتحول في الأخير إلى وسيلة تعذيب نفسي لك عندما تكون أنت تمتلكها وأنت لا تسير فيها على هدى الله {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (التوبة: من الآية٥٥) أليست هذه واحدة؟ .

إذاً ستحصل على أفضل مما حصل عليه هؤلاء هنا في الدنيا وفي الآخرة الجنة الرضا من الله الذي هو من الدنيا إلى الآخرة هذا أهم مكسب للإنسان رضوان الله أعظم من الجنة لأنه في ظل رضوان الله سبحانه وتعالى من هنا من الدنيا عندما يرضا عنك من الدنيا يحصل أشياء كثيرة لك تأييد ونصر ورحمة ولطف ورعاية ، الجنة واحدة من ماذا؟ من مظاهر رضوان الله عن أوليائه واحدة من هذه ؛ ولذا قال في آية أخرى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} (التوبة: من الآية٧٢).

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) فعندما تكون مثلاً السنة في هذه الحياة أن يكون هناك {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} (العنكبوت: من الآية٦٢) كلمة يبسط : زيادة{يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} ، ثم قد يقول الكثير من الناس: [لماذا إما هم؟ لماذا إما نحن؟ لماذا أولئك؟ ونحن] وأشياء من هذه ! الله هو القائم بالقسط ، والحياة هي حياة واحدة، يجب أن تفهم بأنها حياة واحدة بالنسبة لك من الدنيا هذه إلى الآخرة فقط يوجد فاصل في الوسط ـ مثلما قلنا بالأمس ـ مثل فاصل النشرة فقط، مسألة الموت إلى أن يأتي البعث مثل الفاصل الذي في النشرة ، وإلا فهي حياة واحدة ، والله هنا قد فتح أمام الناس هذا الباب الواسع الذي يجعلهم يحصلون على أفضل وأدوم وأحسن مما لدى الآخرين في الدنيا والآخرة ، وهذا الباب فاتح فتحه الله بشكل عام للرجال والنساء ، للرجل والمرأة.

{الَّذِيْنَ اتَّقَوْا} تشمل الرجل والمرأة ، صابرين ، وصادقين ، وقانتين ، ومنفقين ، ومستغفرين بالأسحار المرأة التي يلقنها الغربيون أنها هنا تصارع وتناضل من أجل تحصل على حقوقها ! يسمونها أيضاً حقوقاً يعني: أنها تتوظف ، وتملك وزارة ، أو وكيلة وزارة ، وأشياء من هذه ! يعني: هي تنظر إلى ما لدى الرجل هذا الذي هو رجل منحط في الواقع ، رجل ـ مثلاًـ يلعب بالأموال العامة ، ويدير الأشياء إدارة سيئة ، هي تريد تمسك مكانه لتعمل مثله ! يوجد باب آخر للتنافس في الخير الكبير ، والقرب من الله ، وأن يحظى الرجل ، أو المرأة برضوان الله.

الباب هذا هو الباب الواسع ، والباب الهام لأن تحصل على أرقى الأشياء ، القرب من الله من المقامات المعنوية رضوان الله يعتبر قرباً من الله ، هذا الذي هو يعتبر أهم من أي قرب عند أي طرف آخر في الدنيا هذه ، وأهم

مما يمكن أن يعطيك منصب معين في الدنيا ، القرب من الله ، والجنة هذه النعيم العظيم أعلى نعيم أعلى نعيم ممكن أن يتصوره الإنسان ، أو لا يبلغ به إلى أن يتصوره ويتخيله كيف هو .

إذاً لماذا المرأة تحاول أنها وهي تجد ـ مثلاً ـ أناساً في مواقع قيادية ، وزير ، وكيل وزارة ، مدير مكتب ، مسئول كذا، وهي تعرف بأن هؤلاء يديرون هذه الأشياء بطريقة سيئة ، وأن الكثير منهم لا يراعون الأمة في شيء،ويظلمون عباد الله ، وينهبون الأموال العامة ، ويديرون الأشياء إدارة سيئة ، وهي منافسة أنها تمسك مكانة على ما هو عليه تريد مكانه ! إذاً فهذا جهل ، أن يزين لها في الدنيا ، يزين لها هنا هذه الأشياء !

إذا نظرنا للموضوع سنجد بأنه مسألة تزيين ، ويكون لهذا التزيين أثره السلبي عندما تكون ناسية ما هو أفضل منه ، وتنسى إنما هو أفضل منه وأرقى منه هناك باب مفتوح أمامك لتصل إليه ، تنافس هنا ، هذا محل المنافسة هنا ؛ ولهذا قال في آية أخرى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين: من الآية٢٦) .

إذاً إذا تريد أن تناضل كما تقول ؟ تناضل على أن تزيح هؤلاء الذين يظلمون الناس ، ويحكمون بالباطل وينهبون الأموال العامة ، ويفسدون في الأرض ، وليس أن تكون متسابقة على أنه فقط تمسك موقعه وتكون مثله وأسوأ ، وفي الأخير تعتبر أنها حصلت على حقوقها ، وحصلت على كذا ! هذا الباب هو باب هام للتنافس إلى ما هو أفضل [تقوى الله] وهذه النوعية من البشر عندما يكونون على هذا النحو هم الناس الذين يصلحون في الأرض من الناس سواء من الرجال أو النساء عندما يكونون مؤمنين متقين .

قلنا في هذا الموضوع : بأنه غلطة كبيرة عندما يسمونها حقوقاً ! أليسوا يسمون المسئوليات هذه حقوقاً ؟ يلقنها الغربيون ، اليهود بأنها يجب أن تناضل من أجل أن تصل إلى حقوقها ، يعني أن تملك وزارة ، المسئولية ، الوظيفة العامة يعتبرونها حقاً ! وهذه هي غلطة كبيرة ؛ لأن القضية الأساسية أنه لا يقال لهذه حقوقاً ، هذه مسئوليات ، والمسئوليات يراعى بالنهوض بها من لديهم أهلية للقيام بها ، والموضوع بشكل عام هي عبارة عن مهمة ومسئولية واحدة منوطة بالرجل والمرأة ، بالإنسان بشكل عام ، بني آدم بشكل عام لهم مسئولية واحدة وتتعدد وتختلف أدوارهم في أداء المسئولية الواحدة ، ليسوا عبارة عن عالمين ، عالم رجال ، وعالم نساء ! بل عالم الإنسان، والقرآن الكريم يركز على هذا ، أنهم عبارة عن عالم واحد ، عبارة عن بناء واحد ، عبارة عن أمة واحدة لا يمكن للمرأة أن تعتبر نفسها عالماً لوحدها ، والرجل يعتبر نفسه عالماً لوحده ، ولا يمكن أن يحصل الرجل على خير إلا وينال المرأة ، ولا يظلم الرجل إلا وتظلم المرأة ، والعكس. أليس النساء يصحن أنهن مضيعات تريد تناضل من أجل حقوقها ؟ أليس الرجال مظلومون هم ؟

إذاً فالتي تعتبر أن الظلم نالها إنما هو في إطار الظلم العام للرجال والنساء ، وليست القضية أما الرجال فهم مرتاحون ، بل هم مظلومون ، حتى الكبار الآن ، حتى الدول الآن قد هي مظلومة ، قد هم يصيحون هم ، إذاً المسألة أن تعرف الأشياء ، أنه لا يوجد ما يسمى حقوقاً ، في الواقع هي مسئولية من البداية ، مسئوليات كلها تأتي الحقوق تتحقق تلقائياً من خلال أن ينهض الناس ، كل الناس بمسئولياتهم ، الرجل والمرأة وبأدوارهم للرجل دور وللمرأة دور ، وداخل الرجال أدوار متعددة ، وداخل النساء أدوار متعددة .

هل هو يزيد المرأة المناصب والأشياء هذه؟ مثل هذه ، مثل النساء والبنين والقناطير المقنطرة ، ثم يقال لها [أنت مظلومة والمجتمع هذا لا يراعي المرأة لماذا لا يعطيها وزارة..] قلنا : لسنا راضين عن الوضعية هذه بكلها . عندما تناضل المرأة لتحصل على منصب معين تنهب أموالاً ، وتستغل المنصب مثلما يستغله الرجل ، إذاً هي نفسها منحطة ، أعني : هذه هي نفسية الرجل السيء ، هذه المرأة السيئة التي تقابل الرجل السيئ .

لا، إنه يجب أن تنظر إلى أنه كيف يجب أن تكون الأشياء ، وما هي المسئولية المنوطة بالناس بشكل عام وأنها مسئوليات كلها ، مسئوليات من عند أكبر واحد إلى عند أصغر واحد ، ولهذا حتى فيما يتعلق بتصرفك في مالك متى ما حصل تصرف غير طبيعي ما هو يأتي حجر؟ لماذا؟ لأن تصرفك في مالك هو في الواقع ليس هو ممارسة حقوق ،هي مسئوليات تنتهي في الأخير مسئوليات ،ما نسميه حقوقاً حتى في أموالنا الخاصة في ممتلكاتنا هي في الواقع مسئولية ؛ ولهذا يحجر عليك ، توقف ، لأنك أصبحت تتصرف بما تحت يدك تصرفاً غير طبيعي أي تصرفاً عن ما يجب أن تكون عليه من المسئولية المنوطة بك التي تحكم تصرفك فيه فكلها مسئوليات لكن لا ،

يسمونها: [حقوق، حقوق، حقوق ...إلى آخره] لهذا يجب أن نحاربها لأنها كلها تسمى: مسئوليات من أعلى رجل إلى آخر إنسان في المجتمع .

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ} (آل عمران: من الآية١٩) **وهذا عنوان لدين الله ، الدين عند الله هو الإسلام له وما ذكر سابقاً عن المتقين ، وما وعدهم به من النعيم العظيم ، والرضوان منه أليس هو يعكس ما لديهم من تسليم في أنفسهم لله عندما قال {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** (آل عمران:١٧) **؟ هذه قدمت في الأخير ناس مسّلمين أنفسهم لله ، ناس خاضعين لله ، هذا هو الدين ، التسليم لله يجعلك تدين بما قدمه لك ، وتلتزم بما فرضه عليك ، بما دعاك إليه ، بما أمرك به ، التسليم لله ، والتسليم لله هي قضية عملية ، لاحظ المسلمين لله ، صابرين ،صادقين ، قانتين ، منفقين ، مستغفرين ، كلها أليست قضية عملية ؟**

{وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} (آل عمران: من الآية١٩) **لم يكن هناك تسليم لله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ} أي : التسليم له ، الإسلام له أي : التسليم له ، الخضوع له ، قابلية ما وجهه به وما هداه إليه وشرعه له . تلحظ كيف يأتي من النفوس التي ليست مسّلمة لله { بَغْياً بَيْنَهُم} بعدما بين البيان الكامل {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ} هذه تجدها ـ مثلما قلنا بالأمس ـ من الآيات تأتي كلما يذكر هذه ، وكلها قضية هامة ، يعني يكون لديك نظرة بأنه لا يأتي الإختلاف بسبب قصور في بينات الله ، أو تقصير في أنبيائه أبداً إنما يأتي هكذا وقد علموا لكن اختلفوا بغياً بينهم ، والبغي هو في المقدمة يتنافى مع التسليم لله ، وفي نفس الوقت اعتداء على الطرف الآخر فهنا يحصل اختلاف.**

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (آل عمران: من الآية١٩) **ألم يأت في الآية هذه {يَكْفُرْ} بعد ما ذكر أهل الكتاب وبعد ما ذكر دين ؟ معناه : الرفض لما يجب أن يكون الإنسان من الإلتزام به مسلماً لله ، وتحول إلى باغٍ ، تحول إلى مخالف ، سماه كافراً بمعنى: رافض { فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} هذا أيضاً في الدنيا وفي الآخرة ، أعني لا يكن في ذهنيتك أبداً العناوين هذه ، أو إطلاقات الوعيد كلها فقط في الآخرة ! وفي الدنيا يحصل ، في الدنيا ، وفي الآخرة على أعلى مستوى من النعيم أو العقاب .**

{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} (آل عمران: من الآية٢٠) **جادلوك حول موضوع دين ،حول موضوع أشياء من هذه بعد ما قال هناك {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ}** (آل عمران:من الآية١٩) **أنا أسلمت وجهي لله ومن اتبعني إما يكون معناها : ومن اتبعني أسلموا وجوههم لله ، أو أنا مسلم وجهي لله وأمامي من اتبعني مثلما قال في آية أخرى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}** (يوسف: من الآية١٠٨)**أي ما أنا وراء أن أبحث عن أرقام ألفلفها وأداهنكم وأجاملكم يكفيني من اتبعني ، من اتبعني أنا أنظر إليه أنا مسلم وجهي لله ومن اتبعني ، قد يكون بعيداً أن يكون ومن اتبعني معناها : مسّلمين وجوههم لله لأنها قضية داخلية هذه هل تستطيع أن تقول أنت إلا عن نفسك ، إذا صدقت مع نفسك ؟ هل يمكن أن تقولها عن الآخرين ؟! تقول: والآخرين هم مسّلمين وجوههم لله ! قضية ثانية.**

فهذه فيها ما يوجد عند الإنسان بأنه في موضوع المحاجة لن يدخل معهم في مداهنة أو تنازلات أو أشياء من هذه ، إن كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين لله وتتبعوني ـ كما قال في آية أخرى ـ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمران: من الآية٣١) **أما أنا فماذا؟ سأمشي على الطريقة هذه ، أنا مسلم نفسي لله ومكتفي بمن اتبعني . لأنه أحياناً قد يأتي مثلاً ـ إذا ما زال عندك نظرة أنك تريد تلف الآخرين وتلفلف لك ناس ـ لا يوجد فكرة من البداية تكون ثابتة ، تكون لديك رؤية ثابتة ، فهنا قد تغلط ، تحاول تداهن تحاول تقدم تنازلات في موضوع الحجاج ، في موضوع الحوار ، في موضوع مفاوضات ، وأشياء من هذه ، وإن كانوا كثيراً أولئك، وإن كانوا كبار شخصيات ، من الذين يكون وراءهم كثير قدم لهم الموضوع بأنه موضوع تسليم لله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ}** (آل عمران : من الآية١٩) **أنا وأنت وأي واحد أن نكون مسلمين لله ليس المقصود أنك تسلم لي أنا ، أنا في**

المقدمة وأي إنسان يجب أن نكون مسلمين لله لأن الدين عند الله هو الإسلام ومع السلامة إذا .....يكفيني من اتبعني .

{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال: من الآية٦٢) هل يعطي نظرة إلى من اتبعه ؟ فإن كان من سيتبعه على الطريقة هذه : إسلام لله ، ويسير بنفس المسيرة ، ويكون كباقي الناس في المسيرة باعتبارهم مسلمين لله من أكبر رجل فيهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فمرحباً به مالم فيجلس هناك حتى يأتي أمر الله .

{فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ} (آل عمران: من الآية٢٠) الأميين : اسم يطلق على من يقابل أهل الكتاب يعني كان العرب يقال لهم ، والأمم الأخرى التي ليست من أهل الكتاب يقال لهم : أميون ، أي : الأمم التي تقابل من يقال لهم أهل الكتاب : أهل التوراة والإنجيل ، يسمون أهل الكتاب {أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: من الآية٢٠) عبارة أءسلمتم؟ هي تكشف بأنه هناك تبيين ، هناك عملية تبيين وبلاغ أن يقول: أسلمتم الآن بعد البلاغ والتبيين؟ وما قدم إليكم؟ ما قد هو وقت أن تسلموا؟ أي أن معناه: ما قد هو وقت أن تسلموا؟ {أَأَسْلَمْتُمْ} لأن هذا استفهام.

{فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا} لاحظ الآية هذه لا يوجد فيها [ديانة سماوية أخرى واتركهم وتعايش سلمي وننظر إليهم نظرة مثلما ننظر إلى الباقي ، وهي كلها ثلاث ديانات سماوية] مثلما يقولون أليسوا يقولون هكذا؟! لا ، هذا موقف {فَإِنْ أَسْلَمُوا}والإسلام لله هو: قبول هذا الدين الذي هو امتداد لدينه من يوم استخلف آدم فإن اسلموا لله ، وآمنوا بما جاء به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله، وبهذا القرآن {فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ}،يعني: ليست القضية أنهم إذا تولوا إذاً كيف تحاول أن تعمل استرضاءات ، أو تنازلات ، أو تلفيقات ، أو ترضى بشيء معين مقابل شروط معينة ، لا .

{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}كلهم. هذه عندما يقول: { وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} أي أن الطرف الآخر هذا نفسه الذي يتولى قد يأتي في يوم من الأيام شيء من جانبه يجعله عرضة لأن يضرب إذا هناك مؤمنون فاهمون لدورهم ، إذا ما يزال يوجد عند الناس إيمان بالشكل الذي كان حاصلاً عند الأولين كرؤية لديهم من خلال ما كان يقدم لهم من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من الذين حكى الله عنهم {وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا } (التوبة: من الآية٥٢) هذه سنة إلهية أخرى بالنسبة للمعارضين .

لهذا نقول أكثر من مرة في موضوع أهل الكتاب : ليس معناه إقرار لهم على ما هم عليه عندما قيل مثلاً [يحصل مصالحة معينة أو هدنة وعهد يأتي من لديهم بأن لا يدعوا إلى ما هم عليه وأن لا يتآمروا على الإسلام وأن ، وأن....] شروط من هذه هم نفوسهم إما أن يكونوا بالشكل الذي يذوبون في المجتمع فيسلمون وإلا سيحتاج يطلع من عندهم شيء ، سيحتاجون ينقضون العهد ، سيحتاجون يخالفون فيضربون ، والله بصير بعباده يعني أنت لا تعتبر [إذاً معنا هذا ستبقى هناك أمة أمامنا أعداء وهم كذا.. نحاول كيف نعمل من أجل نسلم شرهم !] ليست هكذا أنت ومن اتبعك أسلم وجهك لله ، ويكون عندك رؤية اقتناع بمن اتبعك ، وأنت أفهم بأن عليك البلاغ ، والبلاغ ماذا معناه؟ ليس كما يقال (دعوة) الآن مجرد دعوة! البلاغ هنا : دعوة وتربية ، وبناء أمة ، والآخرين الله بصير بهم سيأتي في يوم من الأيام يعملون شيئاً ، يخالفون فيضربون ماذا حصل بالنسبة لليهود الذين كانوا عند المدينة وفي خيبر وفي...؟ جاء من عندهم أشياء اتجه ضربهم.

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} هنا في الدنيا ، وفي الآخرة سريع الحساب ، يحاسبهم هنا في الدنيا وفي الآخرة وكثير منها نقول: ليست قضية صحيحة الذي يقول معناها [في الآخرة ، في الآخرة ، في الآخرة هناك!] لأنه أحياناً في الأخير تضرب الآخرة عندنا ، أعني: لا نعد نسير في طريق الآخرة إذا ما صحت نظرتنا الدينية ودور الدين هنا ، هنا في الحياة هذه ، ومسئوليات من يقومون بهذا الدين في الحياة هذه فيكونون هم يحوِّلون على الآخرة ، سيقدمون على الآخرة وهي بشكل آخر ، قد يقدمون على الآخرة وهم مصيرهم جهنم ، لا بد أن الإنسان يعرف هنا وقلنا هذا أثناء قول الله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ} (البقرة:٢٠١) إذا ما أنت عارف {وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ماذا تعنيه هنا؟ سيكبر أمامك أنه [ما زال باقي هناك كثير ، أمة هناك معارضين ، ومشاقين] فتأتي رؤى أخرى :كيف نحاول نسترضيهم ، أو ندخل في مصالحات معهم! ويكون فيها تقديم تنازلات ، مفاوضات يكون فيها تقديم تنازلات مذلة ، يكون فيها فضح للناس ، وفضح للدين ، كما يحصل الآن ، كالمفاوضات التي تتم الآن بين العرب وبين اليهود أعني بشكل مخزي أليست تحصل بشكل مخزي؟ ليسوا متذكرين {وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} استقيموا لأن معنى {فَقُلْ أَسْلَمْتُ} (آل عمران: من الآية٢٠) معناه استقامة ، وثبات ، وأنت عليك البلاغ ، أنت وأنت في دورك مبلغ وتهدي ، وتربي ، وتعلم ، وتبني ، أنت جزء من التدبير الإلهي الذي يشمله {وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} .

هذه قضية هامة إذا عند الإنسان معرفة بالآية هذه وكثير من نظائرها في القرآن تكون مساعدة على الإسلام لله، على الإستقامة ، وأن يبقى الناس مسلمين لله ، وأن يبقوا في مواقف صحيحة وليس كما يحصل لا تدري إلا وهم قد صاروا يوزعون الدين تنازلات ، ويقسمونه وفق رؤية أنه: [نحاول نتفادى أشياء كثيرة من كذا] لاحظ موقف الإيرانيين الآن فيما يتعلق بالطاقة النووية هو موقف ليس بالشكل اللائق أبداً ما بالك أما العرب قدهم أولئك في مفاوضاتهم ، في مبادراتهم كلها تقوم على نظرة ناسين لهذه السنن الإلهية داخل القرآن .

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ} (آل عمران: من الآية٢١) لأنه قد بدأ يتحدث ، أو يذكر بني إسرائيل وما حصل من جانبهم {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} (آل عمران:٢١-٢٢) موضوع الإحباط للأعمال نحن نقول أن إحباط الأعمال في الدنيا ، وفي الآخرة ، يكون نتائجها هنا سيئة ، يكون النتائج سيئة هنا في الدنيا عندما يأتي يعرض ما كانوا عليه بعد ما أمره أن يسلم {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} (آل عمران: من الآية٢٠) هي شبيه بالآية السابقة {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة:٧٥) .

فلا يكن عندك طمع بالنسبة لهؤلاء أن يسلموا لك وقد كانوا على هذا النحو:{يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }(آل عمران:من الآية ٢١) يعني أنها قضية هامة يجب أن تعرف أنت الطرف الآخر حتى تفهم بأنه ليس بالشكل الذي تطمع فيه فيكون طمعك فيه بالشكل الذي يجعلك تقدم تنازلات تتنافى مع ما يجب أن تكون عليه من التسليم لله ، واقتناع بمن هم متبعون لك في طريق التسليم لله أعني هذه القضية قد يحصل فيها أخطاء كبيرة ، هذه قضية هامة أن تعرف الطرف الآخر .

ثم عندما يقول: {وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} وتجد أن هؤلاء تاريخهم على هذا النحو ، وواقعهم على هذا النحو : إنهم من المستوجبين ، والمستحقين لعذاب اليم ، فقد يكون هذا العذاب الأليم في الدنيا وفي الآخرة ، في الدنيا وفي الآخرة ، وقد يكون مما يصل إليه الموضوع أو تصل إليه القضية لا تكترث بهؤلاء ربما في يوم من الأيام يضربون هم على يدك لأنه عندما يقدم لك عددك بأنه على هذا النحو فهو عدو بمعنى ماذا؟ لم يعد يحظى بتأييد ما هو عليه يعتبر نقطة ضعف كبيرة فيه جداً قد تجعله ضحية على يدك أنت فتضربه أنت لأنه قال هنا{فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }(آل عمران:من الآية ٢١) أليست هنا آية مطلقة عذاب أليم ؟

يقول: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} (آل عمران: من الآية٢٢) ومعنى أن تكون أعمالهم حابطة في الدنيا أي: نتائجها سيئة ، ما كان سيئاً قد هو ذاك سيئة نتائجه ، وما كان من أجل أنهم يحصلون على نتائج طيبة من بعده وهم يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ، وهم يكفرون بآيات الله ، ويقتلون أنبياء الله ، ويرفضون التسليم لله ، أيضاً لن تكون النتائج بالشكل الذي يطمعون فيها ويطمحون إليها، {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ولهم وما لهم من ناصرين} (آل عمران:الآية٢٢) أليس هذا يعطيك نظرة تجعلك بعيداً عن أن تقدم تنازلات معهم تنازلات لهم ؟

{فَإِنْ حَاجُّوكَ} هي شبيهة بموضوع مفاوضات ، أو حوار ، أو جدل فأنت عندما تكون في حوار مع أطراف من هذا النوع ماضيهم أسود على هذا النحو ، على هذا النحو في موضوع جدال ، أو حوار ، أو مفاوضات يجب أن يكون عندك هذه النظرة فتعرف أن هذا الطرف في واقعه هو واقع فيه نقاط ضعف كبيرة بالنسبة له لا يجوز أن أراه كبيراً فيكون بالشكل الذي يدفعني إلى أن أقدم تنازلات في تفاوضي معه في الأخير تكون أنت من قدم دينك وقدم الأمة بسبب رؤية مغلوطة إلى الطرف الآخر.

فتعتبر قاعدة هامة في موضوع التفاوض مع الآخرين ، أو الحوار ، أو الجدل هذه منسية أليست منسية عند العرب ؟ على الرغم من مرور سنين طويلة أعني يبدوا لا يوجد التفات للقرآن ولا يوم واحد على الرغم من صراع ، مع اليهود مع تقريباً الغربيين بشكل عام ، وتجدهم في عمي ، في ضلال لا يهتدون بشيء نهائياً لا يبدو أنه يوجد التفاته ولا يوم واحد للقرآن ، أن يهتدوا به ! أليس هنا يعطي رؤى صحيحة في كيف يكون موقفك من الآخر ؟ وأن هذه الرؤية هي هامة جداً، جداً في ماذا؟ أن تبقى مستقيماً لله ومستقيماً مع اتباعك {أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} (آل عمران من الآية٢٠) أي ألم يؤد بهم إلى أن قدهم مستعجلين إلى أن يضحوا بأتباعهم؛ لأنه ليس فيهم من يمكن أن يكونوا مسلمين لله ، ومن اتبعهم ، ضحوا بدين الله ، ومضحين حتى بأتباعهم ، ومتحاورون ، ومقدمون مبادرات ، وتنازلات لليهود .

فهذه تعطي الناس أملاً أن يعرفوا أعداءهم أنهم هكذا ، وأعداؤهم عندما يكونون على هذا النحو هذه نقطة ضعف فيهم كبيرة تجعلهم عرضة لأن يضربوا ، بأن يذلوا ، بأن يخزوا هم مستوجبون عذاباً ، مستوجبون خزياً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، أليست هذه نقطة ضعف كبيرة جداً ؟ وعندك أنت كل نقاط القوة إذا فهمتها ، وسرت على هدى الله ، ووثقت بالله ، إنما تكون القضية صعبة لو أنك تتحرك في مواجهة مؤمنين ، أولياء لله ، هذه هي القضية الصعبة ، أعني: هم الآن عندما يتحركون هي قضية يبدو أنها ملموسة فلذا يحاولون يبعدوننا عن الدين ، هم يعرفون أنه فيما لو تحرك الناس على أساس دين الله ، على أساس هذا القرآن الكريم أنهم سيدخلون في صعوبة كبيرة جداً معهم ، يهزمون أمامهم، ولهذا يحاولون يبعدوننا عن الدين؛ لأن معناه سيدخلون في ماذا؟ في حرب مع ناس الله معهم وهذه القضية كبيرة جداً .

ولاحظ كيف هم ينطلقون ، ونحن كل مقومات العمل ، وكل نقاط القوة في جانبنا كمؤمنين عندما ننطلق على القرآن أن واقعهم هكذا ، فواقعهم مليء بنقاط الضعف الكبيرة لا نفكر في هذه نحاول كيف نسترضيهم ! نراهم أقوياء ، نحاول كيف تسترضيهم ، كيف نضحي بالدين وبالأمة من أجلهم ! أليس هذا الذي يحصل على أيدي كثير من الحكام ؟

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (آل عمران:٢٣ــ٢٤) يعدد في الآيات هذه كثير آمن الأشياء التي تصرف الإنسان عن هدى الله ، ألم يقل: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } إلى آخره...؟ أليست هذه واحدة منها؟ ذكر عن أهل الكتاب أيضاً باعتبار ما كان يحصل على أيديهم كفر بآيات الله ،وقتل النبيين ، ثم ذكر كيف أنهم وهو يقدم لهم كتاباً من عند الله هم اسمهم أهل كتاب ، وهم معترفون هم، ويقولون على أنفسهم أنهم أهل الكتاب ما كان يجب أن يكونوا هم أقرب وأول من يؤمن بالكتاب الذي من عند الله؟ تجدهم أبعد الناس عن الإيمان بكتاب الله واتباع كتاب الله لماذا؟ لأنه لم يعد إلا مجرد عنوان لديهم قد حصل خلل كبير !

فمن الخلل الكبير بالنسبة لأي أمة معتقدات باطلة تقدم لديهم فتشجعهم على أن يعارضوا ، وعلى أن يكفروا بآيات الله ، ويعارضوا هدى الله { ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ} (آل عمران:٢٣ــ٢٤) الذي شجعهم على المعارضة قد نسف عندهم موضوع الخوف من النار ، الخوف من الله ، والخوف من الوعيد الذي يؤدي في الأخير

إلى ماذا؟ إلى خوف من عذابه ، خوف من جهنم . فالعقائد الباطلة معناه أن لها دخلاً كبيراً جداً في صرف الناس عن هدى الله ، وفي أن يكون لديهم جرأة على أن يعارضوا هدى الله ، يعارضوا ما أنزله الله.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} أعني كأنه يريد ذلك بسبب أنهم هكذا لديهم عقيدة على هذا النحو جعلت الخوف من النار قد نسف {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} (آل عمران: من الآية٢٤) **ولهذا دائماً نقول أن العقائد الباطلة يكون لها دخل كبير في صرف الناس عن هدى الله {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}** (آل عمران: من الآية٢٤) **يخدعون أنفسهم بهذا يقولون {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} وينطلقون يخالفون ويعارضون وهم يعرفون أنه من عند الله ، وهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى أن يكونوا عارفين الكتب التي تأتي من عند الله لكن هكذا تصنع العقائد الباطلة التي افتراها أسلافهم.**

{وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} هنا يقول الوالد في تفسير هذه الآية : معناها : وغرهم في دينهم ما كان يفتري أسلافهم ، الأجيال السابقة منهم يقول : لأن الإنسان هو لا يمكن أن يفتري شيئاً ثم يغتر به هو وهو يعرف بأنه كذب لا يغتر بشيء هو الذي افتراه ، افتراه أسلافهم وقدمت لديهم كعقيدة ، وعقيدة لم يعد فيها نقاش تعتبر خدعة لهم ، وتنظر كيف يكون أثرها في مواجهة هدى الله ، وما أنزله الله معارضة مخالفة يبين بأنهم مغرورون بالعقيدة هذه.

{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} (آل عمران: من الآية٢٥) **لم يعد هناك إلا أياماً معدودة {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}** (آل عمران: من الآية٢٥) **مثلما قال في آية سابقة {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة:٨١).

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران:٢٦) **هذه هي تشبه الآيات السابقة التي تذكر الإنسان دائماً ، وتذكر أي فئة من البشر بما فيهم أهل الكتاب بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له ملك السموات والأرض هو الذي له ما في السموات وما في الأرض ، هو الذي يشرع لعباده ، هو الذي يهدي فيجب عليهم أن يكونوا مسلمين له ، ومسلّمين لأمره ، ويقبلون كل ما جاء من عنده.**

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} مع أنه كان بنوا إسرائيل هم ممن آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة ، أورثهم الكتاب ، وأتاهم ملكاً عظيماً كما في آيات أخرى ، الله هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، هذه القضية بالنسبة لبني إسرائيل ليأخذوا منها عبرة لأنه ما قد معهم تحجر على الدين بأنه لهم ويجب أن يكون النبوات فيهم ، ويجب أن يكون كل شيء فيهم ، ويسيروا أيضاً على مزاجهم فلا يلتزموا ! الملك هو لله ، وهو الذي يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء.

في الموضوع الآخر أيضاً لها علاقة بما بعدها أن يكون الناس لايرون أنه وضعية معينة الدنيا عليها [هناك دولة كبيرة ، وهناك تركيبة معينة في العالم] وكأنه لا يمكن أن يتغير فيدفعهم إلى أن يتولوا أعداءه يجب أن تفهم بأن الله هو مالك الملك يمكن ينزع الملك عن هؤلاء ، ويمكن أن يعطي الملك لآخرين فهو الذي يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ولهذا جاء بعدها: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: من الآية٢٨).

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦) **قل هذه ليفهم الناس كلهم بما فيهم بنوا إسرائيل ، وكل المؤمنين ، فبنوا إسرائيل يعرفون بأن الملك هو لله يجب عليهم أن يسلموا لله فيدينوا بما أنزل عليهم ، وعلى الآخرين لأجل لا يحصل لديهم رؤى فيها نوع من التنازلات تدفعهم إلى تولي أعداء الله {قُلِ اللَّهُمَّ} أنت يا الله {مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ} عندما ترى أنت طرفاً معيناً في حالة عزة وقوة ومنعة إفهم أنه {وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} مالك الملك ، كل ما تعنيه كلمة ملك ، ملك السموات والأرض وما فيهما ، ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم كله هو ملك الله.**

{وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران:٢٦ـ٢٧) أليس هنا يعمل عملية مزج بين التدبيرين ، التدبير في مجال التشريع الهداية الملك العزة الذلة أشياء من هذه ، وتدبير شأن العالم بماذا؟ باختلاف الليل والنهار { تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ }.

أليست هذه حالات متقلبة؟ إذاً القادر على أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويحي الميت ويميت الحي وأشياء من هذه لا يمكن يترك الجانب الآخر مهملاً يعني تدبير إلهي واحد ، هذا جاء في آية سابقة في [سورة البقرة] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا....} (البقرة: من الآية١٦٤) إلى آخر الآية ، لنفهم جميعاً بأن المسألة يجب أن تفهم بأنه هكذا لا يمكن أن يكون هناك إغفال للجانب الآخر الذي هو جانب النظام في الحياة ، جانب الهداية في الحياة جانب التشريع ، جانب عزة ، وذلة ، وإيتاء ملك ، ونزع ملك ، وأشياء من هذه ، هذا تدبير لا ينفصل عن التدبير الآخر ، هو مدبر شئون هذا العالم تدبيراً تكوينياً ـ كما يقولون ـ وفق تدبير ماذا؟ تدبير الهداية ، تدبير الهداية ، والتدبير التكويني .

{لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: من الآية٢٨) أعطاهم صورة عامة عن ماذا؟ عن واقع الحياة فلا يدفعك ملك هناك تراه وكأنه لا يمكن أن يتحطم ، ولا عزة هناك أو طرف يبدو وكأنه في حالة منعة، يمكن يأتي يوم من الأيام يذل ، ولا رزق هناك فيدفعك إلى أن تتولى بسبب هذه الأشياء ، الله هو ينـزع الملك ممن يشاء ، هو يذل من يشاء ، هو يرزق من يشاء بغير حساب . إذاً ماذا بقي هناك من شيء يدفعك إلى أن تتولى طرفاً آخر من هؤلاء؟ التولي قد يكون سببه هذه : لكون ذلك في موقع ملك وعزة ومال أليست هكذا؟ ويشكل منعة ، يجب أن تكون متولياً لله الذي بيده هذه الأشياء، فذلك الملك الذي قد يدفعك إلى توليه ستراه في يوم من الأيام يتهاوى ، ويؤتي آخرين عزة لطرف ، وذلة ترى نفسك فيها أو أنت في حالة ترى نفسك مستضعفاً ستتهاوى تلك العزة.

{وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ} يذل من كانوا أعزاء أمامك ويعز من تراهم أذلاء أمامك {وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران : من الآية٢٧ـ٢٨) لا يجوز هذا ولا يصح وغلطة كبيرة؛ لأنه قد نسف لك كل الأشياء التي قد تجعلك أن تتولى بسبب أنك تراه أمامك ملك وعزة ومال {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} (آل عمران: من الآية٢٨) القضية خطيرة جداً، يعني كأنه ليس بينه وبين الله أي شيء وما كأنه مؤمن بالله نهائياً{فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} لم يعد هناك أوضح من الآية هذه في نفيه تماماً وفصله عن كل شيء فلا إيمان ، ولا شيء، ما بقي بينه وبين الله شيء على الإطلاق مثلما قال بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٩) .

{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (آل عمران: من الآية٢٨) العدو الذي هناك يعني منسوف تماماً لكن أن يحصل تَقِيَّة ـ كما يقال ـ أن تتقوا منهم تقاة ، هذه الحالة نفسها ليست حالة مطلوبة يكون للإنسان فيها تقديم وتقدير عناوين معينة، وتفاصيل معينة ، هذه حالة تقدر في وقتها ، وعندما تكون القضية ليست على حساب دين ولا على حساب أمة، لا تكون على حساب الدين ، ولا على حساب الأمة أبداً ، وليست قضية شخصية بل تقدم بقدرها ، بتقديرها ، لأن التقيَّة هي حالة استثنائية خاصة ليست قاعدة عامة أبداً لأنها لو هي قاعدة عامة لكانت على حساب الجهاد ، وحساب العمل بكله ، هي حالة استثنائية طارئة لها ملابساتها ،لها وضعها الخاص ،لها اعتبارات كثيرة بحيث لا تكون بالشكل الذي يحصل من ورائها ظلم للأمة ، أو ظلم لدين الله ولهذا كانت قضية تحتاج إلى تقييم كبير جاء بعدها تحذير {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨)

لا تكن أنت مفكر في نفسك أن تعمل بالتقيَّة: [يجوز لنا أننا نسكت لأجل نسلم شرهم!] تحاول تغطي على عيونك عند المواقع التي يتبين لك من خلالها بأن السكوت لم يعد ينفع ! أليس هذا هو الواقع بالنسبة لتعامل الأمريكيين والصليبيين الآن مع المسلمين؟ لم يعد ينفع صداقة ، ولا عمالة ، ولا سكوت عندما يأتي البعض يعتقد بأنه ما يزال بإمكانه أن يعمل شيئاً معيناً ويقول لك: {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً}،أول شيء أن معناه: أن يكون شيئاً على هذا النحو السابق ، وفي نفس الوقت اتجاه عملي وليس على حساب أمة ودين الأمة على حساب أن يصل الناس إلى الموقف الطبيعي من هؤلاء الأعداء ، وفي نفس الوقت أن يكون له أثر إيجابي.

الآن هل أحد يستطيع أن يقدم لنا شيئاً معيناً يقول: هذا يقينا من الأمريكيين والإسرائيليين؟ لا السكوت يقي ولا العمالة أصبحت تقي ولا الصداقة أصبحت تقي الناس منهم أبداً ، أليست قضية واضحة إنما فقط قد يكون البعض ربما ممن هم يحكمون الناس ، ويأتي من علماء السوء ، أو العلماء قد لا يسمون علماء حقيقة يقول : إنه يجوز {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً} ثم لا تدري إلا وقد صار هو يقدم شعبه ، ويقدم القرآن [اعملوا كيفما تريدون وغيروا المناهج كيفما تريدون والقرآن اخفوا ما تريدون وابعدوا ما تريدون] معهم تَقِيَّة [يجوز له يجوز له] هنا يكون ماذا؟ يقدم الدين ، ويقدم شعبه من أجل تحتفظ له مصالحه هو مصالحه الشخصية هو ، منصبه هو ثم ترى في الأخير لا تشكل هذه وقاية ، أصبحت هذه لا تعد تشكل وقاية له على الإطلاق .

في نفس الوقت هي لا تجوز على الإطلاق بهذا المعنى ، بهذه الطريقة لا يصح على الإطلاق [لا يعد أحد يتحدث عن الجهاد ، واتركوهم يغيرون المناهج ، مستعدين نغير المناهج على ما يريدون!] على زعم أننا نتقي منهم تقاة ! نتقي منهم تقاة، [تقيَّة ، تقيَّة ، تقيَّة]، ترى حتى [الإثنا عشرية] الذين هم معروفون بالتقيَّة لم تعد تنفع التقيَّة حقتهم نهائياً مع الأمريكيين يطلعون في التلفزيون وقالوا: [لا يجوز في ديننا أننا نصنع أسلحة نووية ونضرب بها الآخرين لا يجوز في الشريعة] ما صدقوهم وهم يصدرون فتاوى بهذا الشكل!

مسألة التقيَّة: ليست قضية مزاجية ، ولا قضية شخصية في تقييمها ، وقضية دقيقة وخطيرة جداً ولهذا بعدها الله يقول {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨) **عندما تكون قد صرت تخدم العدو ، تشتغل له على حساب الدين ، وحساب الأمة على أساس أنها تقيَّة قد أنت ماذا؟ تشتغل لهم ، تعمل لهم ! ليست التقية بهذا الشكل نهائياً .**

{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} (آل عمران: من الآية٢٨) **{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}** (الطارق:٩) **قد تقول في الدنيا هنا [حفاظاً على مصلحة الشعب حفاظاً على ماذا؟ لنقي الشعب ضربة كانت محتملة] وأشياء من هذه! أليسوا يقولون هكذا؟ لا ، {وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} أول شيء لا يكون فعلاً ، الحاكمون أعتقد كلهم الآن لا يوجد شخص منهم هو يستطيع أن يفسر معنى التقيَّة ، والتقيَّة التي يجوز له أن يعملها ، إذا معه حاشية من علماء سوء يكون معناه في الأخير يقي نفسه ، ومنصبه ، ومصلحته على أساس أنها تنفع مع أنها لا تنفع فيكون يقدم الدين ، والأمة ، ويشتغل للأعداء ! أليس هنا يضحي بالأمة ، وبالدين ؟ أين التقية هذه التي يمكن أن تكون جائزة ؟ تقية تضحي بالأمة ، والدين وأنت يجب أن تضحي بنفسك ومالك من أجل الدين ومن أجل الأمة!**

هذه أول شيء أنها قضية دقيقة فيجب أن يكون هناك تحذير يعني هناك تحذير رهيب جداً {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨ـ٣٠) **أليس هذا مرة ثانية {وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ}** (آل عمران: من الآية٣٠)

وبعضهم يقول: [تقيَّة نسكت لأجل نسلم شرهم] ليست الأمور بالشكل هذا يجب أن تعرف أنها مسألة دقيقة من الذي يقدرها؟ ليست قضية مزاجية لأي شخص التقية هذه ، حالة استثنائية وقتية طارئة تحتاج إلى تقييم دقيق جداً يراعي كل الإعتبارات اعتبار الأمة والدين ولا يكون فيها ذرة من الهوى من أجله شخصياً ويضحي بالأمة والدين كم لها من ضوابط كثيرة ومن العجيب أن البعض من الناس المتعلمين ومن الناس العاديون يقولون: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (آل عمران: من الآية٢٨) **[يسكت واحد ويترك أي عمل] .**

أما هذه فليست تقية أول شيء أنت غالط لم تعد تمثل تقاة بمعنى أنك ستسلم شرهم على الإطلاق تأمل هم الآن لا تجد منهم الآن خصلة يمكن أن تقي الناس شرهم إلا أن يجاهدوا ، لم يعد من حل إلا هذه أن يرجعوا إلى الله ،ويتمسكوا بكتاب الله ، ويجاهدوهم في سبيل الله ، هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمثل وقاية .

هنا كيف الآية تذكر موضوع النفس التي يأتي تطانين من داخل ، يصنفها من داخل نفسه وقال:[قد هي تقية] ما هو ذكر في الآيات هذه كلها صدور ونفس {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَه} (آل عمران: من الآية٢٨) {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ} (آل عمران: من الآية٢٩) {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً} (آل عمران: من الآية٣٠) وبعد يقول {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَه} (آل عمران: من الآية٣٠) تلك المساحة وليس أن تطلّع لك تطانين أخرى وفي الأخير تقول للناس: [من أجل المصلحة العامة ومن أجل الوطن ومن أجل أن نتقي ضربة كانت محتملة] وأشياء من هذه .

لاحظ هناك تقدم قبلها تلك الآيات السابقة: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ} (آل عمران: من الآية٢٠) ثم يبين له الطرف الآخر إذاً فالشيء الطبيعي أمام طرف من هذا النوع هو أن تنطلق لتضرب لأنه معرض للضربة أساساً، أليس معرضاً للضربة؟ هو طاغي ، هو كافر ، هو محارب لله ورسوله ، ماضيه وحاضره كله سيء ، وليس أن تحاول تفكر كيف تتقي تقاة ، وتقدم لي تقيّة ليست تقيّة على الإطلاق ، ستكون هي خدمة للعدو !لهذا جاء من بعد عندما قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران:٢٢)أليس هنا يقدم لك نقاط ضعف فيهم؟ تفكر كيف تواجههم كيف تضربهم .

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} (آل عمران: من الآية٣١) اليهود كانوا يقولون: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} (المائدة: من الآية١٨) قال: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ} (آل عمران: من الآية٣١ـ٣٢) لأن الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بدينه لا يقوم على أساس قومية أو عنصرية معينة ، وقد أصبح له موقف من جنس معين! موقف من ناس باعتبار ما هم عليه سيئين إذا كنتم ستتبعون كما قال هناك { فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } يحببكم {وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }تصبحون مثل بقية عباد الله وأوليائه ، تتخلون عما أنتم عليه .

أي ليس لهذا الدين ، ولهذا القرآن موقف من جنس معين وإنما باعتبار ما عليه أيُّ ناس كانوا وإن كانوا من [قريش] وإن كانوا من [آل محمد] باعتبار ما هم عليه.

{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:٣٢) واضحة هذه هنا يقول لهم: {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} يقول له أيضاً: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} ليست كلمة فقط هكذا ، لا يحب الكافرين ، وراءها أشياء كثيرة ، ماذا سيعمل بالكافرين هؤلاء الذين لا يحبهم؟ كيف سيعمل بهم؟ ألم يتحدّث سابقاً ؟ {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران:٢٢) كم لها من أشياء أعني كلها مواقف في الأخير يبتني عليها مواقف كثيرة .إلى هنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله .

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

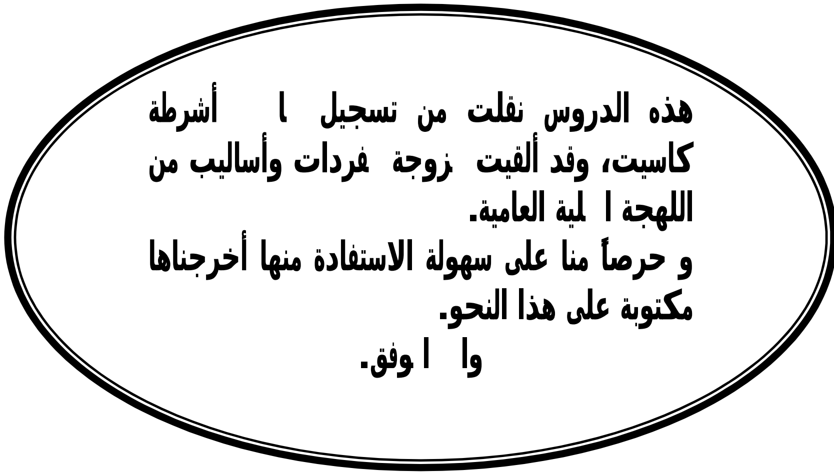
من الآية (٣٣) إلى الآية (٩١)
[الدرس الثالث عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق: ٧/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

من البداية سمعنا بالأمس الآيات السابقة من قول الله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران: الآية٢٦) إلى قوله تعالى: {.. قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (آل عمران: الآيات من ٣١ ـ ٣٤) .

تقرر هذه الآيات كلها وكثير من أمثالها في القرآن الكريم مما قد سبق ، وبقية السور أعني: هي تؤكد وتقرر قضية: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده ، هو الذي خلق الخلق ، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير فهو يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، فدور الناس أو تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله سبحانه وتعالى{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ} تدّعون أنكم تحبون الله{فَاتَّبِعُونِي} هذا مؤشر وعلامة للتسليم لله سبحانه وتعالى، وليس كل واحد من عنده من هنا ومن هنا فاتبعوني ليحببكم الله .

الله قد جعل علامة التسليم له ومصداقية حبه أن يتبعوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم قال بعد: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} (آل عمران: من الآية ٣٢) اتباع طاعة قد يكون الإتباع فيه نوع من الشعور بالقسرية بالكراهية بنوع من الثقل على النفس، لكن يجب أن يكون على هذا النحو: الإتباع لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) اتباع طاعة {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} (آل عمران: من الآية ٣٢) هذا الرسول وإن لم يكن منكم، وإن لم يكن من بني إسرائيل ، الله هو الذي له الحكم والأمر في عباده ، يجب أن تسلموا له والقضية لم تخرج عن السنة الإلهية في موضوع الإصطفاء، في موضوع الإصطفاء {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ..} (آل عمران: من الآية ٣٣) إلى آخر الآية ، ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من آل إبراهيم اصطفاء ذرية بعضها من بعض ، فهذا الرسول الذي أمرتم بطاعته والذي جعلت طاعته علامة لمحبتكم إن كنتم صادقين في دعواكم الحب لله هو نفسه أصطفي واختير ؛ لأن هذه هي سنة إلهية {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران: الآية ٣٣) فهو اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكون رسولاً للعالمين .

هنا لاحظ في مسألة الإصطفاء كيف يأتي بالشكل الذي نحاول دائماً أن نتحدث به لنفهمه جميعاً قضية [الدوائر] اصطفى آدم ونوحاً ، اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ، أليس آل عمران من آل إبراهيم ؟ في الداخل؟ آل عمران أسرة عيسى ، وسيأتي الحديث بالنسبة لمريم بنت عمران ونذر والدتها ، اصطفى آل إبراهيم كدائرة يصطفي من داخلهم أنبياء ، ويصطفي من داخلهم ورثة للكتاب لمن يصطفيه على هذا النحو دور ، وللدائرة هذه دور هام جداً ودور هذا ودور هذا كله يتوقف على مدى التمسك بالكتاب ، ويأتي التأكيد للكل أن يتمسكوا بالكتاب . اصطفاهم لحمل مسئولية : إقامة دين الله ، أن يكونوا هم من يحرصون على أن يجسدوا قيم الدين ويمثلوه في سلوكياتهم في واقعهم في مجتمعهم حتى تظهر قيمة هذا الدين أمام الآخرين لينجذبوا إليه وتظهر عظمته في نفس الوقت كشهادة على أنه على أرقى مستوى وأن البشر لا يستطيعون على الإطلاق مهما حاولوا أن يقننوا لأنفسهم أو يضعوا مناهج ثقافية لأنفسهم لا يستطيعون أبداً أن يرتقوا إلى جزء مما يمكن أن يتحقق على طريق الإلتزام بهدى الله سبحانه وتعالى .

وكما نؤكد دائماً بأنه هكذا مسألة الإصطفاء ، التفضيل هي كلها مسئوليات ومن اصطُفي سواء اصطفاء شخصي أو اصطفاء على مستوى دائرة معينة تجد الخطاب لهم دائماً أن يتمسكوا بالكتاب ، يقول لرسول الله صلوات الله

عليه وعلى آله {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الزخرف: من الآية ٤٣) {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (هود: من الآية ١١٢) {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (الشورى: من الآية: ١٥) ويقول للكل: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} (البقرة: من الآية ٦٣).

تجد هنا على الرغم مما ذكر داخل بني إسرائيل الصفحات السوداء القاتمة فعلاً في تاريخهم تجد كان هناك ـ سواء على مستوى أفراد أو أسر أحياناً قد يكونون قليلاً وأحياناً قد يكونون كثيراً ـ نماذج عالية. في قصة طالوت وجدنا نماذج عالية تلك المجاميع التي بقيت معه الذين يقول المفسرون: بأنهم ربما لا يتجاوزون ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصاً قد كانوا نماذج عالية من داخل بني إسرائيل، آل عمران أسرة متميزة داخل بني إسرائيل داخل آل إبراهيم هذه لها قيمتها بالنسبة للناحية العقائدية من ناحية الأمل بأنه تلك الدائرة التي اصطفيت كما قال هنا: [آل إبراهيم] مهما وجدت داخلها من أشياء مهما وجدت لن تعدم داخلها من يكونون هداة كما قال الإمام زيد بن علي (صلوات الله عليه): ((إن في أهل بيتي المخطئ والمصيب إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم)) وهذا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى ويزيح من ذهنية أي شخص مسألة التصنيفات عندما يقول: [لاحظ كيف فيهم وفيهم وفيهم كيف يمكن يأمرنا باتباعهم] أو أشياء من هذه أليس البعض يقولون هكذا؟ [فيهم وفيهم وفيهم كيف نتبعهم وهم كذا وكذا] هو قال في آية أخرى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}(فاطر: من الآية ٣٢).

ألسنا نجد هنا في داخل بني إسرائيل شخصيات عالية على مستوى هداة وأتباع على درجة عالية من الإلتزام والمعرفة والحكمة والرؤية؟ لأن ما عرض علينا في قصة طالوت وجنوده تجد فئة متميزة بقوة إيمانها تجد عندها أيضاً رؤية صحيحة فهماً صحيحاً، هذه تعطي الإنسان أملاً بأنه مهما كانت مهما وصلت الحالة ما يزال ذلك الإصطفاء الإلهي قائماً، وكما قال الإمام زيد ((إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم)).

لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة تعني ميل إلى جانبهم نوع من الميل إلى جانبهم على أساس أنه أنت لديك ميل إلى هذه الدائرة وأنت في نفس الوقت تعرف كيف سنة الله داخل هذه الدائرة وكيف تتعامل مع هذه الدائرة مع دائرة أهل البيت، وهي نفسها القضية التي كان عليها بنوا إسرائيل أي عندما يأتي في هذه الآية بكلمة: [اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم] وكل ما تقدم من أشياء تلك الصور القاتمة جداً أليست من داخل ناس من آل إبراهيم؟ ما يزال الإصطفاء قائماً في تلك المرحلة التاريخية الطويلة ولم يكن مثلاً ما هناك من صفحات سوداء بالشكل الذي يقفل الباب أمام أن يكون من داخلهم هداة وأن يكون داخلهم أسر متميزة وأتباع متميزون وشخصيات متميزة.

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً} (آل عمران: من الآية ٣٥) أليست هذه امرأة متميزة؟ أعني: عندها حب لله، إخلاص لله، عبودية، تعتبر مثلاً في التسليم لله سبحانه وتعالى فهي تريد أن تنذر لله بما في بطنها ليكون ماذا؟ ما في بطنها أي مولود ـ هي كانت تعتقد أنه كان يمكن أن يكون رجلاً ـ أن يكون منقطعاً للعبادة ويختص بخدمة بيت المقدس ـ كما يقول المفسرون ـ أي لخدمة محل عبادتهم لا أدري هل كان الهيكل أو بيت المقدس بشكل عام المهم أنها نذرت نذراً أن يتفرغ لجانب خدمة بيت الله ويتفرغ للعبادة لله هذا المولود.

عندما يكون الكثير من الناس يفرح إذا وجد زوجته حاملاً عسى يكون ولداً سينفعه أو الأم تفرح أن تكون بنتاً تنفعها في أعمال المطبخ وفي تنظيف البيت وبقر وأشياء من هذه، هذه الإمرأة نذرت أن هذا المولود سيكون مختصاً بالعبادة لله لا تكلفه بأي شيء لا تأمل من ورائه أي شيء أعني أن يقوم بأعمال معينة لها، خدمة معينة لها نهائياً، هذه تعتبر نموذجاً للناس وللنساء بشكل خاص، عندما يكون الناس في مرحلة جهاد في سبيل الله وتجد كثيراً من النساء يكون معها كثير من الأولاد، أليس المفروض أن يكون عندها هذا التوجه: في سبيل الله؟ بأن تجعل منهم ثلاثة أو تجعل منهم أربعة في سبيل الله، يبقون يتحركون في سبيل الله، فليسجنوا وليقتلوا وليحصل ما حصل.

هذه امرأة من داخل بني إسرائيل ونحن قلنا أكثر من مرة: بأنه يجب أن نستحي نحن من كانوا من أهل البيت أو من كانوا عرباً أو من كانوا مسلمين بشكل عام يجب أن نستحي بأن لا يكون بنوا إسرائيل متفوقين علينا دائماً في

كل شيء في مظاهر الصبر في المظاهر العبادية، كانوا متفوقين ثم في مظاهر الظلم والإضطهاد أيضاً متفوقين عندما يكونون هم قد أخذوا دور آل فرعو، فيجب أن يكون لدينا ذلك الدور المتميز الذي كان داخلهم يتمثل في أفراد وفي أسر معينة في مصر ووجهوا باضطهاد شديد تقتيل للأبناء ذبح للأبناء وصبروا فكانت العاقبة لصالحهم وكانت النتيجة لصالحهم {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} (الأعراف : من الآية ١٣٧) وقبلها {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا} (الأعراف: من الآية١٣٧) صبروا على اضطهاد شديد؛ ولأنه دائماً في الصبر في سبيل الله يكون الحكم الإلهي لصالح الصابرين من أجله وفي سبيله؛ ولهذا قال الله: {وبشر الصابرين} (البقرة : من الآية ١٥٥).

على المستوى الفردي هذه المرأة نفسها نذرت ما في بطنها لله وربما كان عندها احتمال بأنه ذكر كان المولود أنثى أيضاً فليكن ، وفت بنذرها وفت بنفس النذر مع أنك تجد أن المرأة قد تكون باعتبار دور الأنثى بالنسبة للأنثى يكون هاماً يكون هناك حاجات تحتاج المرأة إلى ابنتها أن تعينها فيها قد لا يقوم به الإبن أشياء كثيرة ومع هذا وفت بالنذر .

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} (آل عمران : من الآية ٣٦) يعني هذا في قولها هي: إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى {وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ} (آل عمران : من الآية ٣٦) أي عابدة ؛ لأن معنى مريم: العابدة منقطعة للعبادة {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (آل عمران : من الآية ٣٦) لأن لا يكون له مدخل عليها لتكون خالصة تماماً لعبادتك لأن تعبدك لا يحصل أي مدخل للشيطان عليها على الإطلاق {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً} (آل عمران : من الآية ٣٧) تقبلها الله وعندما تقبلها رعاها ـ لأن أبوها كان قد توفي أبو مريم عمران ـ كفّلها زكرياء ويقولون: إن زكرياء هو زوج خالتها، زكرياء والد يحيى بن زكرياء {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً} (آل عمران : من الآية ٣٧) ليس من داخل أسرته رزق يأتيها من عند الله كما قال عنها عندما سئلت {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران : من الآية ٣٧) يعني هذه حالة نادرة أليست تعتبر حالة نادرة؟ {هُنَالِكَ} زكرياء أعجب بمولود من هذا النوع فطمع هو في ذرية طيبة {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} (آل عمران : الآية ٣٨) .

لاحظ كيف الحالة هذه؟ حرص عند امرأة عمران وحرص عند زكرياء فيما يتعلق بالذرية الطيبة لأنها نعمة كبيرة، أولاً هي قضية ، هي الشيء الذي يجب أن تكون عليه إذا كنت محباً لله فأنت تحب أن يكون هناك من يعبد الله وتحب أن يكون منك من يعبد الله لا يوجد [تحديد نسل] نهائياً ، القضية الصحيحة هو: أن يكون الإنسان همه ذرية طيبة فليكونوا عشرين أو ثلاثين كمًا كانوا .

{فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٣٩) قالوا إنه بمعنى ماذا؟ أنه مصدق بعيسى {بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ} معناه عيسى {وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران : من الآية ٣٩) .

إذاً استجاب الله دعاءه بأن يعطيه ذرية طيبة {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (آل عمران : الآية ٤٠) قد صار كبيراً في السن قد يكون عمره تقريباً تسعين وزوجته كذلك كبيرة في السن وفي نفس الوقت عقيم امرأة عاقر أي : عقيم لا تلد لم تلد وهي في شبابها فما بالك عندما تصير كبيرة في السن {قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (آل عمران : من الآية ٤٠) . لاحظ هذه القضية مجمل الموضوع فيه مظهر من مظاهر اصطفاء الله، أن الله هو الذي يصطفي وعندما يصطفي لا يصطفي على أساس اعتبارات معينة من عند البشر يملونها عليه سبحانه وتعالى ، بل هو يصطفي .

داخل بني إسرائيل وهو يريد أن يكون هناك نبي من بني إسرائيل وهو عيسى يأتي اصطفاء لوالدته أولاً، ألم يصطفِ مريم {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} (آل عمران : الآية ٤٢) ولأن عيسى سيأتي بشكل خارق للعادة في وجوده في ولادته قضية خارقة للعادة الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده لا يأتي بشيء يكون مفاجئاً لهم تماماً بحيث يكون مما قد يسهم في ماذا؟ في نفورهم، تأتي أشياء كلها قائمة من الأشياء المخالفة للعادة ، أولاً : الرزق نفسه الذي كان يأتي لمريم أليس مخالفاً للعادة ؟ كان يأتيها ـ كما يقال ـ يأتيها طعام فواكه في غير وقتها .

لاحظ كيف المسيرة زكرياء نفسه يأتي له ولد بشكل غير طبيعي، أعني الشيء الطبيعي في مسيرة الحياة أنه من بلغوا السن هذا لا يأتي لهم أولاد امرأة عقيمة وعجوز وهو أيضاً هو قد صار شيبة فيأتي لهم ولد فلم تأتِ قضية ولادة عيسى بالشكل الذي هو غير طبيعي أي من غير أب إلا وقد هناك تمهيد في الذهنية تمهيد في الساحة بما سبق من ماذا؟ من أشياء هي خارقة للعادة بدءاً من رزق مريم ثم ولادة يحيى بن زكرياء حتى نفس الآية هذه {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} (آل عمران : الآية ٤١) قالوا كان لا يستطيع أن يتكلم إلا فقط بذكر الله!

أليست هذه الآية حتى خارقة للعادة ؟ خارقة للعادة نفس الآية التي أعطيت لزكرياء كآية بأن هذا المولود في الطريق أنه قد استجيبت دعوته والمولود هو في الطريق للخروج إلى النور ، أن لا يستطيع أن يتكلم مع الناس أبداً إلا إشارات لكن يستطيع أن يذكر الله فقط، أليست هذه أيضاً ظاهرة مخالفة للعادة ؟ خارقة للعادة ؟

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} (آل عمران : الآية ٤٢) هذا مظهر من مظاهر أن الحكم لله أن الإختيار لله أن الإصطفاء قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى ، وكم هناك في بني إسرائيل من نساء وكم هناك من رجال وكم هناك من علماء في الكنايس والمعابد وكم هناك من كبارات وموجودين كانوا لكن لن يكون أحد منهم أباً لعيسى فضلاً عن أن يكون هو نبياً أليست هذه قضية ؟ فإذا هم يجدون بأنه لماذا اصطُفي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نقول : هكذا تم الإصطفاء داخلكم على هذا النحو ألم يتم الإصطفاء داخلهم على هذا النحو؟

موضوع الإصطفاء نفسه أعني : أنك تلمس أسرة متميزة نفس الأسرة متميزة آل عمران هذه الأسرة التي من ذرية آل إبراهيم التي منها مريم ابنت عمران نفس الأسرة تلك متميزة أعني الأجواء داخلها صالحة للإصطفاء الفردي مريم لتكون أماً لنبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الإصطفاء لا تكون قضية مجهولة بالنسبة للمصطفين لا تكون قضية مجهولة، لذلك نحن نستبعد دائماً أن يكون الوحي نزل إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بتلك الصورة المفاجئة ـ مثلما يقولون ـ لا تكون القضية مجهولة أبداً لاحظ موسى بن عمران (صلوات الله عليه) ألم تُشْعَر أمه؟ {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (القصص : من الآية ٧) .

هل موسى مثلاً لم يكن يعرف بمهمته لا يعرف بأنه قد يكون منوطاً به دور هام جداً إلى أن تفاجئة النبوة في ذلك المكان ؟! ذلك بداية القيام بالمهمة ، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كذلك من قبل ولادته؛ لأن مسألة الإصطفاء تكون قضية يكون هناك تمهيد لها واسع وكبير، لا تأتي هكذا مفاجئة يظهر نبي ما يكون هناك تمهيد ، يكون هناك حتى على مستوى الوضعية على مستوى وضعية المحيط محيطه بكله وضعية الأسرة نفسها هنا يقول: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ} أليسوا يشعرون بهذا؟ {وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} .

{يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ} (آل عمران : من الآية ٤٣) اخضعي {وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (آل عمران : من الآية ٤٣) لاحظ هنا في دورها دور عجيب ما كأنه وجهت بأن تبقى في بيتها ، تخرج وتبدو في نفس الوقت امرأة متميزة معروفة في المجتمع تركع مع الراكعين تشترك مع الناس في الصلاة ؛ لأن القضية هامة جداً تكون معروفة بتميزها معروفة بطهارتها معروفة بمؤهلاتها كاملاً أن يأتي عيسى من امرأة معروفة في المجتمع {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} (آل عمران : الآية ٤٤) وهم يتنافسون على من يكفلها على من يقوم بها .

نلحظ أيضاً في القضية هذه في مجمل القصّة هذه زكرياء ويحيى بن زكرياء ومريم وعيسى : أن الإصطفاء قد يكون أحياناً يكون اصطفاء لأدوار معينة يحيى بن زكرياء نفسه نبي ، ومصطفى اصطفاه الله له مهمة معينة له دور معين ، أعني تنتهي المسألة بأنه يجب على الناس أن يكونوا مسلّمين لأمر الله هذه قضية ، مسلّمين لأمر الله لا يضعون هم شروطاً أمام الله حدوداً لتدبير الله مثلما حصل من بعد في ثقافتنا أي تجد هنا يحيى بن زكرياء وتجد مريم وتجد زكرياء وعيسى أسرتين متقاربة وفي نفس الوقت هناك نبي ومصدق بنبي سيأتي هذا النبي له دور وهذا النبي له دور أوسع .

{إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران : الآية ٤٥) بالنسبة لمريم أن تُشعَر بأنها مصطفاة ومطهرة هذه قضية أن ترى أمامها هي حالات من الأشياء التي هي خارقة للعادة ومخالفة للشيء الطبيعي فيما يتعلق بالرزق الذي كان يأتيها لا تكون القضية مفاجئة لها بشكل كبير هي ، أن تحمل وتلد وهي في نفس الوقت ليست مزوجة ولا كما قالت {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} (آل عمران : من الآية ٤٧) . {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران : الآية ٤٦) يكلم الناس في المهد بعد أن تلد به هو كلمها وعندما أخذته إلى قومها أيضاً كلم القوم هو ثم يكلمهم كهلاً في دور النبوة حمل الرسالة والتبليغ {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} (آل عمران : من الآية ٤٧) استفسار عن كيف سيحصل هذا {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} (آل عمران :من الآية ٤٧ ـ ٤٩) هذا استفسار في مهمته في مهمة عيسى { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} (آل عمران : الآية ٤٨) هل عيسى بمعنى أنه يذهب يدرس؟! يدرس في الكنيسة حتى يتعلم؟ لا ، لأنه ماذا؟ قد هناك خلل ، ثقافة غلط.

عندما يقول: {وَيُعَلِّمُهُ} شيء من عنده هو سبحانه وتعالى { الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} إلى بني إسرائيل في المقدمة لينهضوا معه بدور الرسالة العام التي هي رسالة للعالمين كما قال إبراهيم في دعوته : {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} (البقرة : من الآية ١٢٩) هل معناه أنه يريد رسولاً لأولاده فقط؟ لا ، إبعث فيهم رسولاً منهم ويكونون هم مع هذا الرسول من ينهضون بالرسالة للناس جميعاً .

لاحظ هنا في قضية {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ} قد يكون الكتاب أحياناً ـ مع ذكر التوراة والإنجيل ـ المكتوب أي : المفروض المحتوم أشياء يعني هناك خلل حتى فيما يتعلق بكثير من القضايا المكتوبة الفقهية مثلاً خلل في فهم التوراة أما الإنجيل فهو جاء على يده ، وفي مسألة {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ} يعني ويعلمه الله {الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}.

لاحظ كيف مثلاً عند [الزيدية] في موضوع : [ولاية الأمر] أليسوا هم يقولون: أن يكون عالماً ، أن يكون عالماً معناه : يقرأ يقرأ عند أولئك الذين هم مليئون بالغلط حتى يمتلي مقرى ثم يطلع إمام وطلع إمام قلب حقيقة ، في الأخير يطلع إمام بعضهم لا يمكن تسميه هادياً على الإطلاق أن يكون هادياً إلى الله .

لهذا نحن نقول قضية الثقافة الثقافة هذه: أن نعرف كيف هي سنة الله داخل القرآن نفسه من داخل القرآن نفسه نعرف كيف سنة الله بالنسبة للأعلام وللهداة، ليست قضية تخضع لمقاييس البشر وشروطهم، لاحظ هنا في عيسى يقول: ويعلمه الكتاب ويعلمه التوراة، والتوراة أليست موجودة من قبل عيسى؟ وأليس الكنايس مليئة ولديهم مفسرون توراة وشرّاح توراة ومدرسون توراة ؟ هنا يحتاج إلى تعليم من جهة الله سبحانه وتعالى، أو ليس بإمكانه أن يعلّم؟ أليس الله يستطيع أن يعلّم هو سبحانه وتعالى ؟ هو يقول لنبيه { وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً } (طه : من الآية ١١٤) هل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تخرج من مدرسة معينة؟ فيما يتعلق بعيسى مثل أكثر في

القضية أعني بعث من وسط أمة لديها ماذا؟ مثلما تقول: تجمعات علمائية فقهية دينية ومعابد وأشياء من هذه وسط ديني هنا يحتاج هذا الإنسان هو نفسه إلى أن يعلم من جهة الله . بل قضية كانت معروفة عند أهل البيت السابقين الذي يقرأ مثلاً للإمام القاسم بن إبراهيم أو الإمام الهادي أو الإمام زيد بن علي أو الإمام علي في فقرات داخل [نهج البلاغة] تجدها قضية معروفة لديهم ، وعند المتأخرين جعلوها شروطاً هم يقدمونها وتقنين من عندهم هم كيف تكون المسألة إلى أن طلع نماذج خطأ إلى أن أصبحت الساحة بالشكل الذي لا تقبل نماذج صحيحة وفق المقاييس الإلهية التي ذكرها في القرآن [هل قرأت أصول فقه ؟ هل قرأت علم كلام ؟ مادم أنك لم تقرأهما إذاً لست عالماً لا تصلح لشي إذاً] أليست هذه واحدة ؟

{وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٤٩) آيات تشهد بنبوته يلاحظ أن تكون الآية على هذا النحو ؛ لأنه قد هناك خلل عندهم هم حتى في موضوع فهم الآيات ؛ لأنه قد يكون هناك مقولات كثيرة لديهم تجعل الكثير مما هي آيات تفلسف كظواهر يمكن أن تكون طبيعية فكان بالنسبة لهم قد أصبحوا محتاجين إلى آية من هذا النوع آية هذه من الأشياء الخارقة بشكل رهيب يصلّح من التراب صورة طائر ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله، أليست هذه آية عجيبة جداً ؟ ويقول لبني إسرائيل {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ} أليس هو يتحدث مع بني إسرائيل ؟ وبنوا إسرائيل أليسوا مجتمعاً لديه ثقافة دينية وموروث ديني ؟

{وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٤٩) لاحظ هنا يقول: بإذن الله ، بإذن الله، قضية يركز عيسى من البداية من أول ما تكلم عندما وضعته أمه ألم يقل: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} يعني عندما كلم قومه {قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} (مريم : ٢٩ ـ ٣٠) أول عبارة يقولها هذه لها علاقة بماذا؟ تكون عندما يأتي أناس يؤلهونه ويعتبرونه إلهاً يكونون هم مفترين عليه ولم يكن بسبب أنه لم يأت من جانبه وهو جاء في وضعية غير طبيعية فلم يأت من جانبه ما يمكن ماذا؟ أن يبعد أي افتراء من هذا النوع ، أول كلمة قالها {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} ثم هنا يقول: {بِإِذْنِ اللَّهِ} {بِإِذْنِ اللَّهِ} {فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ} {وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} .

{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران : من الآية ٤٩) آيات من الآيات الخارقة بشكل رهيب جداً أمام مجتمع عنده موروث ديني ويعرف موضوع نبوات وكتب إلهية وأشياء من هذه أي لتعرف أحياناً كيف أنه تصل بالناس الثقافة الخاطئة فيصبحون في وضعية أبعد من الأمم البدائية أبعد من الأمم الكفرية لو بعث إلى أمة كافرة قد لا يحتاج إلى آيات من هذا النوع !

لو بعث إلى أمة كافرة نهائياً لا تعرف شيئاً من قبل ربما لما احتاج إلى آيات من هذا النوع الذي احتاج إليها مع بني إسرائيل وأيضاً فيها {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} خلق وإحياء موتى وعلم غيب إذا كان سينفع فيهم لهذا فعلاً يعرف الإنسان من خلال هذا كيف تكون الآثار الرهيبة السيئة للثقافة الخاطئة للمفاهيم المغلوطة .

{وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ} (آل عمران : من الآية ٥٠) مصدقاً لما بين يدي من التوراة {وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} (آل عمران : من الآية ٥٠) إذاً هذه كلها مقومات ومشجعة لأن يؤمنوا به ومع هذا لم يحصل ! لم يحصل إلا قليل ممن آمنوا به {وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} من الأشياء التي حرمت في السابق مما كانت حرمت عليهم لأسباب تعنت من جانبهم وعناد كما قال الله تعالى في آية أخرى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} (النساء : من الآية ١٦٠).

{وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} (آل عمران : من الآية ٥٠ ـ ٥٢) بعد هذه الآيات العجيبة ! أليست تبدوا علم غيب؟ الله علمه أن يعلم ما يدخرونه في بيوتهم وما يأكلونه؟ هذه الآيات الثلاث العجيبة . ثم إنه الإيمان به أيضاً لن يكون معناه كفر بالتوراة وفي نفس الوقت سيحل لهم بعض الذي حرم عليهم ومع هذا { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} (آل عمران : من

الآية ٥٢) **لم تنفع الآيات هذه عند كثير منهم لم يستنفعوا بها {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ}** (آل عمران : من الآية ٥٢) **هو يريد إذاً الخلاصة يريد صفوة الناس حتى يعرف كم معه مؤمنين صادقين {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** (آل عمران : من الآية ٥٢) **أليس هنا العنوان مسلمون والدين الإلهي كله دين الله عنوانه إسلام ..**

ثم يأتي في نص كلام الحواريين أنفسهم ما يعتبر أيضاً تكذيباً لكل الإفتراءات التي جاءت من بعد من داخل النصارى، الإيمان بعيسى كان على هذا النحو: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٥٢) **أي مسلمون لله {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ}** (آل عمران : من الآية ٥٣) **{رَبَّنَا} أليست خطاباً؟ دعاء لله سبحانه وتعالى {آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ}** (آل عمران : من الآية ٥٣) **بما أنزلته على أنبيائك بما فيه بما أنزلته على عيسى . {وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ} رسولك الذي هو عيسى {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** (آل عمران : من الآية ٥٣) .

اختلفت المسألة بالنسبة للنصارى من بعد يقدمون عيسى ويجعلونه إلهاً يجعلونه إلهاً ناسين بأن عيسى ولد في فترة معينة ! هم يذكرون هم عندما يتحدثون عن عمر الدنيا وعن الإنسان هذا كم له في الدنيا أليسوا يذكرون آلاف السنين. وأحياناً أرقاماً أكبر من آلاف السنين أي أن هذا هو العنوان الإيماني في كل المراحل، وفي أيام موسى{آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ}(آل عمران : من الآية ٥٣) **وفي أيام عيسى {آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ}** (آل عمران: من الآية ٥٣) **أليست شهادة لله وشهادة برسالة من أرسله ؟ في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نفس الشيء أن يشهدوا بوحدانية الله ويشهدوا برسالة رسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه حتى العنوان الديني أو تقول: بطاقة الدخول في الدين هي واحدة في كل مراحل التاريخ شهادة: إيمان بالله وإيمان برسوله وما أنزل على رسوله إيمان بأن أولئك هم رسل ، هم رسل من عند الله ليس فيهم أحد يمكن تسميه إله أو يجعلونه إلهاً .**

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (آل عمران : من الآية ٥٤) **الطرف الآخر بعد الآيات الكثيرة بعد الآيات الخارقة وهم أساساً هم مجتمع عنده موروث ديني يعرف موضوع الرسل وكتب إلهية وأشياء من هذه أليست قضية تعتبر نادرة بالنسبة لهم . كفروا وتحولوا إلى مكر يمكرون مؤامرات كيف يحبطون عمل هذا كيف ينهونه تآمروا في الأخير إلى أن يقتلوه تآمروا فعلاً أن يقتلوا عيسى .**

{ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} (آل عمران : من الآية ٥٥) **لاحظ في موضوع تقديم قصة عيسى هنا من البداية أعني مثل ما تقول صورة من صور الإصطفاء الإلهي وفي نفس الوقت يبين لك واقع قضية على أساس النصارى هؤلاء إذا هم يريدون أن يعودوا أن يفهموا بأنه هكذا كان واقع المسألة كان واقع قصة عيسى هي على هذا النحو أنه وُلِدَ من امرأة اصطفاها الله سبحانه وتعالى يأتي بقصة ولادته ثم يأتي بكيف كان الإيمان به على لسان الحواريين: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }** (آل عمران : من الآية ٥٣) **أنه إنسان الله قال له إنه سيتوفاه.**

لاحظ هذه القضية نفسها هو معروف أن الإنسان سيموت لكن هذه لها أثر {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} أي سأميتك ليعرفوا أنه بشر مثل ما قال هو أول كلمة : أنه عبد لله {إِنِّي عَبْدُاللَّهِ} ألم يقل من أول ما {قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} (مريم : من الآية ٢٩) **يعني أنه في هدى الله سبحانه وتعالى يأتي تبيين يأتي أشياء بالشكل الذي تكون مبطلة لما يمكن أن يحصل؛ لأن الله هو عالم الغيب والشهادة فما يمكن أن يحصل من ادعاءات يكون قد سبَّق لتلك الأمة ما يعتبر ماذا؟ ما يعتبر مبعداً لها عن ذلك الخطأ الذي يمكن أن تقع فيه وشاهداً على بطلان ما وقعت فيه وأنها مفترية على الله.**

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ } (آل عمران : من الآية ٥٥) **والتوفي الله قال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}**(الزمر : من الآية ٤٢) **يعني سأميتك {ورافعك إلي} مثلما نقول: إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لحقت روحه بالرفيق الأعلى ألسنا نقول هكذا؟**

{وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} (آل عمران : من الآية ٥٥) **أليس هناك قال عنهم: { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** (آل عمران : من الآية ٥٤) **من مكرهم أنهم يريدون لهذا أن لا يظهر لأنه قال هناك{فاتقوا الله وأطيعونِ}** (آل عمران : من الآية ٥٠) **وهذا يعطيك مؤشراً بأن المكر هذا جاء من داخل الشخصيات الكبيرة وجهاء القوم وكبارهم حتى من الناحية الدينية{ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** (آل عمران : من الآية ٥٤) .

فكفروا به يذهبون يتآمرون عليه كيف يمسحونه من الوجود فكان مما هو نقيض ما هو يمثل دافع بالنسبة لهم وهم يمكرون أن يجعل من اتبعوه فوقهم دائماً إلى يوم القيامة وبعنوان {اتَّبَعُوكَ} المؤمنون بك مثلما نقول في كلمات أحياناً في كلمة [اتّباع] أحياناً كلمة [إيمان]، [أهل الكتاب] تأتي أحياناً متعددة مثلما نقول الآن، المسلمون: أتباع رسول الله أليس هكذا؟ أليست عبارة صحيحة؟ المسلمون الآن في العالم هم أتباع محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **أتباعه بهذا المعنى العام: المؤمنون برسالته ويحسبون أنفسهم منتمين إليه مؤمنين به وضمن الملة التي هو عليها هذا، بمعنى أتباع هنا بالمعنى العام في إطلاق اللفظة بالشكل العام وعندما تعود إلى الكثير منهم تجد أنهم غير متبعين بالشكل المطلوب يكون التوجيه في الداخل أننا نتبعه حقيقة أليست هكذا ؟ لكن الوضعية هذه باعتبار الإنتماء الهوية هذه يصح أن يقال فيها أتباع محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله).

لهذا تجد أن هذه ظاهرة فيما يتعلق باليهود إلى الآن لأن الفئة الآن الكافرة بعيسى من هي؟ اليهود . المسلمون مؤمنون به أنه عبد الله ورسوله والنصارى كذلك مؤمنون به كرسول بنفس ذلك المسيح عيسى ابن مريم ولو حصل عندهم اعتقادات باطلة لكنهم يعتبرون أنفسهم أتباعه أليست هكذا ؟ تجدهم الآن اليهود على الرغم مما وصلوا إليه وسيطرتهم على وسائل الإعلام، على الإقتصاد على أشياء كثيرة لم يستطيعوا أن يظهروا هم هم دون أن يكونوا محتاجين للآخر والآخر يرونه من فوقهم. إسرائيل دولة هنا ظهرت في المنطقة تجدها حياتها متوقفة على مساندة أمريكا وأمريكا تساندها مع أنهم مؤثرين داخل أمريكا لكن لا بد أن يكون تحت لا بد أن يكون تحت مهما كان إلى يوم القيامة مهما بقي هؤلاء إلى يوم القيامة سيظلون تحت .

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } (آل عمران : من الآية ٥٥ ـ ٥٧) **{فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}** (آل عمران: من الآية٥٦) **أليست هناك آيات كثيرة تتكرر في القرآن! في موضوع [الوعد والوعيد] في موضوع العقوبة ؟ هذه قضية نُسيت تقريباً أعني من تثقيفنا وطرحنا للناس وتعليمنا، نُسيت هذه القضية التركيز عليها، أن هناك عقوبات في الدنيا {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }** (آل عمران : من الآية ٥٧) .

{ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } (آل عمران : من الآية ٥٨) **ذلك ما نقصه عليك نتلوه عليك من الآيات هي تعتبر آيات بالنسبة للنبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لأن الله قال بالنسبة له: { وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ }** (هود : من الآية ١٢٠) **يعني أن نفس الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يستفيد من هذه الأشياء يستفيد هو من هذه الآيات التي هي ماذا؟ قصص من تاريخ الأنبياء السابقين .**

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ } (آل عمران : من الآية ٥٩) **عندما حصل استبعاد [كيف يمكن يوجد وليس لديه أب] ذلك أول واحد آدم أليس بدون أب ؟ فليست قضية نقول : لا يمكن تكون معقولة هو مثله كمثل آدم.**

كذلك بالنسبة للآية الأخرى لها علاقة فعلا وهي الآية نفسها التي يعطاها أنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائراً ليست قبله بيضة ولا ديك ولا شيء أليست شاهداً بالنسبة له هو أعني معجزة متناسبة مع الإيمان بإمكانية أن يوجد دون أن يكون هناك أب له وفق التسلسل المعروف في النسب وفق الطريقة المعروفة في التوالد .

إذاً هذه هي فعلاً فائدة كبيرة أن نعرف العلاقة ما بين المعجزة التي أوتيها وما بين وضعيته هو والحالة التي وجد عليها{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} (آل عمران : من الآية ٥٩ ـ ٦٠) الحق في كل قضية بما فيها الحق في موضوع هذا القصص الذي تتلوه عليك من الآيات لهذا إذا كان هناك أي قصص آخر يأتي من عند الآخرين لا تعتمد عليه الله أعلم بالحق وتجد بأنه يأتي في موضوع القصص بأشياء هي هامة في مجال العبرة وقد تستطيع من خلال ما قدم أنك تبحث عن الصورة الكاملة للقضية فتكون مساعدة على إعطاء تشخيص للمجتمع تشخيص للحالة تشخيص للوضعية من خلال ما قدم .

{ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ} (آل عمران : من الآيـة ٦٠) في شأن عيسى { مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ} (آل عمران : من الآية ٦١) هذا هو العلم الذي جاءك { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } (آل عمران : من الآيـة ٥٩) وما تقدم وما تضمنته أيضاً آيات أخرى في موضوع عيسى قصته وقصة أمه {فمن حاجك فيه} (آل عمران : من الآية ٦١) جادلك يحاجك { مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } (آل عمران : من الآية ٦١) يجمع كل واحد منا أعز ما لديه بالنسبة لأسرته أقرب الناس إليه يجمعهم من أجل يضرب هو وكل ما حوله وأعز الناس إليه أقرب الناس إليه .

هنا في هذا الموضوع لاحظ أننا نستطيع أن نأخذ صورة متكاملة من داخل القرآن الكريم في موضوع الأشياء التي فيها محاججة أطروحات من الآخرين جدل من الآخرين شبه من الآخرين فيها ما يأتي رد مباشر فيها ما يأتي رد بشكل آخر بأسلوب آخر فيها ما يكون هناك سكوت وفيها ما يكون على هذا النحو { فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ } (آل عمران : من الآيـة ٦١) فيها ماذا؟ فيها مباهلة أنتم طرف ونحن طرف نبتهل إلى الله بالدعاء أن يجعل لعنته على الكاذبين .

{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ } (آل عمران : من الآيـة ٦٢) لأن النصارى قد أصبح عندهم قصص أخرى كثيرة عندهم قصص أخرى محرفة عندهم عقائد طلعوها محرفة حتى جعلوا عيسى إلهاً ! من العجيب أنك تجد مما يشهد بالتحريف هذا موضوع القرآن الكريم ولهذا أن الله قال فيه مهيمنا على الكتب السابقة [مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه] أنه يجب أن تنظر إلى الكتب السابقة من خلال القرآن الكريم لتعرف حتى أنه حصل تحريف تعرف أنه حصل تحريف فعلاً وأن ما بين أيديهم ما به كتاب تقول : هذا الكتاب الذي أنزل من عند الله. مجموع كتابات مخلوطة فقرات من هنا وفقرات من عندهم ما تجد في داخل الأناجيل الموجودة الآن مثلاً عبارات : أنه عبد الله أنه رسول الله وعبد الله وأشياء من هذه! نسفت في الغالب أعني منسوفة مع أن الشيء الطبيعي أن تكون قضية متكررة داخل الإنجيل الذي نزل على عيسى أن تكون قضية متكررة لماذا؟ لأن أول عبارة قالها عندما تكلم {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} نسفوها هذه نهائياً لا يوجد حديث : أنه عبد الله، عبد الله وأشياء من هذه فهذا نفسه يشهد بأنه وقع تحريف من لديهم فعلاً أنه وقع من لديهم تحريف { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ } (آل عمران : من الآية ٦٢) فتعتمد هذا في نظرتك إلى ما قدموه وهناك سيظهر لك الخلل.

{ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ} (آل عمران : من الآيـة ٦٢) هذا رد عليهم عندما يجعلون عيسى إلهاً هم يسمونه الرب وتسمع في إذاعاتهم وفي أخبارهم تجده هو السائد داخل النصارى بشكل عام الظاهرة المنتشرة فيهم هذه : جعلوا عيسى رباً وهو عبد لله والله يقول: { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (آل عمران : من الآية ٦٢ـ ٦٣) يعني: يكون هكذا موقفك أن تفهم أن الحق هو من ربك فلا تمتري يكون عندك أي اضطراب أو شك في ما قدم إليك أو حكايات يقدمونها من عندهم فتجد عندك إيمان بشيء مما فيها وهو مختلف عما قدم إليك. ثم فليكن موقفك معهم على هذا النحو مباهلة ولهذا روي في قضية مشهورة أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جاء بعلي وفاطمة والحسن والحسين، عندما وفد إليه نصارى نجران وحصل محاججة قال: فلنتباهل { فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } (آل عمران : من الآيـة ٦١) ثم تراجعوا هم خافوا أن يباهلوا

عارفين بأنها قد تكون العقوبة عليهم هم تنزل اللعنة عليهم. وتجد أنه بالنسبة للقصص الحق والقصص الحق الذي ليس فيه ما يمكن أن يؤدي إلى أن يُقَدَّمْ عيسى إلهاً أو رباً كما عند النصارى أي أن القصص الآخر الباطل الذي لديهم يكون قصص بالشكل الذي يسوغ ما قدموه من أنه ماذا؟ من أنه رباً فجعلوه رباً نفس القصص يكون مؤثراً، ثم إنهم قالوا أيضاً بعض الكتّاب المسيحيين الذي كان في الأصل مسيحياً، عندما أسلم قال: بأنه لم تأت هذه إلا متأخرة ربما من بعد المسيح تقريباً بمأتي سنة أو نحوها، طرحوا هذه الأطروحة وجعلوه رباً، لم تأت إلا متأخرة .

{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (آل عمران : الآية ٦٣) لا تكترث بتوليهم لاحظ هذا الموضوع يتكرر داخل القرآن الكريم بشكل عجيب ومؤكد أعني مواقف ثابتة لا يجرك حرصك أو يجرك مثلاً أشياء أخرى إلى أنك تحاول تقدم تنازلات أو أشياء من هذه عندما يحصل حجاج من الآخرين أو يحصل عروض من آخرين ، لا . قضايا يجب أن تكون ثابتاً عليها { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (آل عمران : الآية ٦٣) .

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا} (آل عمران : من الآية ٦٤) هذه دعوة إيمان هلموا آمنوا بهذه { تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ} (آل عمران : من الآية ٦٤) هذه الكلمة نفسها هي الكلمة التي قال الله هناك: { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ } (الزخرف : الآية ٢٨) قضية هي واحدة داخل دين الله أي ما لدينا ليس شيئاً خارجاً عن دين الله الذي أنتم تعرفونه {إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} أليست هذه الأشياء أصول معروفة لديهم في الدين ؟ وهناك شواهد عليها في ما لديهم في تراثهم شواهد على هذه؟ النصارى الآن لا يعتبرون أنفسهم مشركين هم ولا يعتبرون أنفسهم كافرين بالله . اليهود كذلك لا يعتبرون أنفسهم أنهم كافرين ومشركين بالله هم عندهم المشركون الفئة الأخرى المعروفة المشركين الذين هم ماذا؟ يعبدون أصناماً .

تمثل هذه فيما يتعلق بما يسمونه: [الحوار]. تمثل هذه : أسساً ، ضوابط للحوار أي هذه تمثل قواعد مشتركة هي في نفسها تعتبر مقاييس يتم على أساسها بيان ما هناك من أخطاء عندما يقول:{ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}(آل عمران : من الآية ٦٤) وقبلها { أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً } (آل عمران : من الآية ٦٤) أليست هذه تعتبر قواعد تعتبر مقياسا هي عندما يقول {وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً} أنتم عندما تقولون في المسيح [كذا كذا كذا] إذاً هذا يتنافى مع القاعدة هذه، أعني هذا يعتبر شركاً، إذاً يجب أن تتخلوا عنها مع أن هذه الأشياء يؤمنون بها جملة عبادة لله ، أن الشرك محرم في دين الله يؤمنون بهذه وكذلك أن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله وهذه أشياء سائدة داخلهم كما قال عنهم في آية أخرى:{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} (التوبة : من الآية ٣١) .

أعني فيما لو قام حوار بينك وبينهم تعتبر هذه قواعد تمثل ضابطاً لأن أي حوار بين أطراف لا بد أن يكون هناك قواسم مشتركة ـ التي يسمونها ـ يكون هناك قواعد قضايا يلتقي عليها الكل يعتبرونها ماذا؟ منطلقاً لحوارهم.

القضية من البداية تبدو دعوة إيمانية {تَعَالَوْا} ما هناك نحن سنأتيكم هكذا . كيف موقف العرب الآن؟ أعني هذه تمثل ثقة أن الإنسان الذي هو فعلاً يسير على دين الله يجب أن يكون واثقاً بما هو فيه وما هو عليه، تعالوا أنتم، عندما تكون بمعنى داعي تدعو إلى دين الله، تدعو إليك، يسيرون إلى الأشياء هذه التي أنت تؤمن بها وتسير عليها لا أن تكون أنت تحاول تؤقلم نفسك مع الآخرين تكون قد أنت تسير بعدهم وتحاول تزيل من الدين الأشياء التي قد تكون تزعلهم مثلما يعمل العرب الآن ! أبعدوا الجهاد، وقدموا تفسيراً لقول الله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة : من الآية ٢٥٦) { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } (البقرة : من الآية ١٤٣) وأشياء كثيرة.[قدموا الدين بالشكل الذي يمكننا أن ننسجم مع أولئك !].

لا ، هذه الدعوة هي {تَعَالَوْا} ، تعالوا، هذه قضية هامة في مسألة أنك تبدو أنت أمام الآخر واثقاً بما أنت عليه قضية أساسية في قابلية ما أنت عليه من ،الدين أن تبدو واثقاً بما أنت عليه، قضية هامة، الاهتزاز يطمع الطرف الآخر، أي طرف آخر لا يعد يجعلك في وضعية ينجذب إليك، لا ينجذب إليك، فقط يحاول يملي أكثر يسحبك إليه ويجردك من كثير من الأشياء التي لا يريدها حتى تصبح في الأخير تابعاً له .

[ليس صحة ما الإنسان عليه يتوقف على أن يكون مقبولاً عند الآخرين] هذه قاعدة هامة، نحن داخلنا فيما يتعلق بموضوع أنهم يحاولون أن يحتجوا على السنية على آخرين وهكذا أخذ ورد إلى أن وصلنا نحن متى ما لدينا شيء يبدو أنه ليس موجوداً عند الطرف الآخر يبدو وكأنه غير صحيح ! أو إذا هناك شيء، رفض الآخرون أن يؤمنوا به رجعنا نحن نكاد أن نتخلى عنه !. أن تكون مؤمناً بالشيء يجب أن تكون واثقاً من نفسك بأنه صحيح وأنه أنت في موضع الثقة بما أنت عليه وتعطي ثقة تبدوا أمام الآخرين، يعني قضية ظاهرة، يظهر للآخر أنك واثق بما أنت عليه {قُلْ تَعَالَوْا} أليس هذا كلام الواثق من نفسه {قُلْ تَعَالَوْا} كلام الواثق من نفسه بصحة ما هو عليه .

{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) لاحظ هذه هي مواقف ثابتة، هذه قضية هامة جداً وليس إذا تولوا فابحث كيف تقول: [مستعد ابعدوا هذه اسكتوا من هذه سنتقدم بنداً آخر غير هذا] مثلاً [إذا لم يعجبكم] {وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } (آل عمران : من الآية ٦٤) نقول: [إذاً سنقدم عنواناً آخر !] لا، {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) حتى لو لم تقبلوا أنتم بالنسبة لكم .

هذه المواقف الثابتة هامة جداً، ولاحظ ما كان أحوج الناس إليها في المرحلة هذه ما كان أحوج العرب إليها في هذه المرحلة، أن يتعلموا من القرآن كيف تكون مواقفهم ثابتة وكيف يكون تعاملهم مع الآخرين مع اليهود والنصارى، الآن يقدمون مبادرة لم تعجبهم وقدموا مبادرة أسوء، وهكذا إلى تحت، وصل الأمر الذي انتهت إليه القضية إلى أن قد هناك املاءات من جانب اليهود والنصارى هم على المسلمين، [ابعدوا هذه الآيات أبعدوا هذه الآيات من القرآن دخلوا هذه في المناهج اجعلوا المنهج بالشكل هذا غيِّر الحكومة حقك بالشكل هذا اجعل فلان هنا وفلان هناك] أليس هذا يحصل؟ لأنه لم يحصل عند المسلمين موقف ثابت.

{ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) ماذا يعني هذا؟ هل استكمل ما يعتبره الآخرون [دعوة حوار]؟ هل استكمل القضية معهم ؟ هناك ثلاثة أشياء إذا أنتم تريدون نحن ندعوكم إلى أن تأتوا وهي قضية معروفة عندنا وعندكم ولو تحاورنا أليست هذه ثوابت ؟ لم يرضوا يقبلوا مع السلامة، اشهدوا أنتم أننا مسلمون، هذا أيضاً يعطي ثقة بما نحن عليه من كلمة: [تعالوا] وعندما نقول في الأخير {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٦٤) لم يقل: [إذاً هذا البند إذا لم يعجبهم قدم بنداً ثانياً تنازل قليلاً قليلاً] ما حصلت هذه؟

هذه الدعوة أهم بكثير مما قدمه [خاتمي] التي يسمونها دعوة: [حوار الحضارات] لأنه هنا في نفس الآيات هذه ليس فيها إقرار أنهم على شيء حقيقة، فهم هناك شيء متكامل يؤمن باستقلاليته ويؤمن بكذا، إنما نحاول كيف يكون تعاملنا مع بعضنا بعض، كيف تكون حركتنا مع بعضنا بعض، في هذه الحياة مثل مسألة: [حوار الحضارات]، يدعوهم إلى ما هو عليه، وهذه المقاييس التي قدمها ألم يقدمها مما عنده هو؟ إنما باعتبار أن لديهم في كتبهم ما يعتبر إيماناً بهذه، فتعتبر شاهداً عليهم، أي ما جاء الإلتقاء أنه ينتقي أشياء من داخل ما لديهم ، من عنده، أليس هذا توجيهاً من الله ؟ هذا توجيه من الله {قُلْ... تَعَالَوْا} { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا} (آل عمران : من الآية ٦٤) .

ألم يأت هذا من عند الله؟ البنود هذه جاءت من عند الله { تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٦٤) لو أتوا إلى هذه واعتبروها مقاييس هم كيف ستنتهي القضية بالنسبة لهم، هل سيبقون هناك حضارة أخرى أو سيكونون مسلمين؟ يبين لك أن المطلوب أن يكونوا مسلمين عندما قال بعد: { اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) أما نحن فنحن مسلمون ليس

موضوع [حوار حضارات] أن يردهم إلى الإسلام لله، إلى الحضارة الصحيحة الوحيدة، الحضارة الصحيحة الواحدة التي تبني الإنسان وتبني الحياة هي هذه : الإسلام لله .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ } (آل عمران : الآية ٦٥) **في موضوع إبراهيم كل منهم يريد أن يدعي أنه أولى به ! اليهود عندهم :أن إبراهيم يهودي والنصارى يقولون : إن إبراهيم نصراني كيف هذا وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ! واليهودية قد قدموها برؤية أخرى هي ماذا؟ من بعد إنزال التوراة، من بعد إنزال التوراة بل وصلوا إلى حالة أعلى من هذه يقولون عنهم: إن كل واحد منهم يعتقد أن الله يهودي ! أنهم هم عندهم أن الله على كيفهم مثلهم مثل أي [حاخام] منهم .**

{أفلا تعقلون هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ } (آل عمران : من الآية ٦٦) **في موضوع عيسى مثلاً في موضوعات من هذه لكن أنه يأتي ليحاجج في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل ودعاوى يهودية ونصرانية إلا من بعد بكثير يرد عليهم بقوله { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** (آل عمران : من الآية ٦٦ ـ ٦٧) .

لاحظ هنا ظاهرة من مظاهر التلاعب بالدين يقولون للناس: كونوا هوداً أو نصارى يسحبون من هنا من تحت ويريدون الآخرين يحاولون يؤقلمونهم معهم إبراهيم هو كان يهودياً ! وأنتم تيهودوا ! الأسلوب هذا غلط كله لأن الموضوع هو إسلام لله { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ } (آل عمران : ١٩) **فقال لهم: إبراهيم كان مسلماً وجاء بكلام من كلام إبراهيم {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ}** (البقرة : من الآية ١٢٨) **يعقوب عندما أوصى أولاده قال { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }** (البقرة : من الآية ١٣٢) **وهنا أيضاً جاء بكلمة {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ} .**

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (آل عمران : الآية ٦٧) **إذاً هذه تعتبر مثلاً بالنسبة للناس أعني بالنسبة للمسلمين أنفسهم المسلمون أنفسهم عندما أصبحوا طوائف لديها عناوين داخلية؟ السني يريد يحول الشيعي سني والشيعي حريص أن يحول السني إلى شيعي، وداخل السنية الشافعي يريد يحول الحنفي شافعي والحنفي يريد يحول الشافعي حنفي، وأشياء من هذه، الإثناعشري يعمل يريد يحول الزيدي إثناعشري أليست هذه تحصل؟ هذه أساليب ليست صحيحة، الصحيح أنه كيف نعود إلى العنوان الرئيسي العنوان الأصلي: الإسلام لله{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ}**(آل عمران : من الآية ١٩) **هذا العنوان الذي يجب أن نحمله جميعاً وهذا العنوان الذي مقوماته يلتقي عليها المسلمون فعلاً هذا العنوان، فنرجع إلى كتاب الله لنكون مسلمين نبعد عناوين من هذه العناوين الخاصة التي كل واحد قد ثقف ثقافة تجعله أنه ينظر نظرة مشمئزة إلى الآخر أليست هذه قد حصلت ؟ بغض النظر عن محق أو مبطل داخلها .**

ما يزال هناك طريقة هي التي علمنا القرآن الكريم أنها هي أقرب إلى أن نلتقي عليها تعالوا إلى ماذا؟ إلى العنوان الرئيسي، أن نكون مسلمين لله، حتى عندما يعرض علينا قصة بني إسرائيل هذه القصص الطويلة العريضة ليس فقط أنه ننظر كيف كانوا [الله أكبر عليهم كيف كانوا وأشياء من هذه] لا ، نحن نأخذ عبرة منها نأخذ عبرة نحن في واقعنا حتى في مسألة كيف يمكن أن يلتقي الناس ليست قضية تقول : المسلمون وصلوا إلى حالة مستحيل أن يكون هناك ما يمثل عامل يمكن أن يلتقوا حوله ؟ هو موجود ولكنه لم ينزل لم ينزل العنوان الرئيسي وما هو يعتبر ماذا؟ فعلاً شبيه بتلك الآية السابقة {كلمة سواء بيننا}(آل عمران : من الآية٦٤) **.أليس القرآن هو كلمة سواء بيننا ؟ إذاً فلنعد إلى القرآن ونحمل اسم إسلام لله هذا الإسم الذي سمانا الله به وسمانا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحمل الإسم هو وسمانا إبراهيم من قبل آلاف السنيين.**

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا نأتي لنقول: [هل كان شيعي أو سني أو حنفي أو مالكي أو شافعي أو جعفري أو زيدي]أو أشياء من هذه شبيهة بهذه . لاحظ الناس عندما يأتون يؤطرون الدين في عناوين أخرى في الأخير تنتهي المسالة إلى ادعاءات، أليس الآخرون يدعون أن السلف الصالح هم كانوا على ما هم عليه عندما يقول لك: [نحن على ما عليه السلف الصالح] يعني : هو يدعي أن السلف الصالح كانوا على ما هو عليه والسلف الصالح عندهم [ما أنا عليه أنا وأصحابي] أليس بعضهم يقولون هكذا ؟ يجعلون السلف الصالح رسول

الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إذاً فرسول الله هو كان سنياً ! لم يأتِ عنوان سنية أو عنوان شيعة كطائفة بهذا المعنى ، تشيع كاعتقاد كمبدأ ، لم يقدم كطائفة ، كاعتقاد ومبدأ لا يختص بطائفة معينة ، يجب أن يكون الناس متشيعين في الإمام علي أي : شيعة له أتباعاً له؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعله ولياً للمؤمنين من بعده أليس هذا في [حديث الغدير]؟ وحديث الغدير لدينا ولديهم ؟ .

لا يأتي مثلاً في موضوع محاولة الإلتقاء أنه هذا شيعي يحاول يسحبهم إليه وذلك سني يحاول يسحبهم إليه وأشياء من هذه ! يكون بعنوان : الكلمة السواء التي بين الجميع وهي : القرآن الكريم، وإعطائه الأولوية المطلقة والحاكمية المطلقة القرآن؛ لأن القرآن هو حاكم على ما قدموه هم من السنة أليس [حديث العرض] ينص على هذا ؟ ((فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله)) لأن كتاب الله هو المرجع نرجع إليه هو الكلمة السواء عندما تقول لي : وسنته ! السنة التي ـ كما قال الإمام الهادي ـ السنة المعلومة لدى الجميع باعتبارها أيضاً تمثل ماذا؟ قواعد عامة وتمثل ماذا؟ قواسم مشتركة يمكن أننا نعتبرها مقاييس للحوار وقواعد ننطلق منها للحوار هذا فيما لو ... وإلا فالمسألة أساساً لا تقدم إلى هذا، وهذا من مظاهر رحمة الله بعباده أنه لا يعلق الفرج عنهم بما هو شبيه بالمستحيلات أو بما قد جعلوه وكأنه مستحيل، هل تستطيع أنت أن تحول الشيعة إلى سنية أو السنية إلى شيعة ؟ هل أحد يستطيع الآن ؟ لا يستطيع وخاصة، أنهم أيضاً يقدمونها قضية حساسة جداً يستغلها العدو .

الطريق الذي يمكن أن يكون طريقاً صحيحاً لا يرتبط بهذا لا يقوم على أساس محاولة التقريب لأجعل الشيعي سني أو السني شيعي، منهج قائم هنا حركة على أساس القرآن الكريم تترفع عن كل العناوين الخاصة وتعطي أولوية للقرآن الكريم وتسير على هديه وتتحرك في الساحة هذه، دائرة قابلة للتوسع لأن كل طرف لا يعتبر أنك تقدم الشيء الذي هو قد ثقف على أساس النفور منه نهائياً، وعندما يراك أيضاً بأنك تقيّم ما لديك ولديه بنظرة واحدة على أساس القرآن وليس أنك تحاول تؤقلم القرآن على ما لديك من تراث ثقافي وما لديك من ماذا؟ من مرجعيات سواء شخصية أو مرجعيات من الكتب .

على الطريقة التي نسير عليها ، الطريقة التي نسير عليها، ألسنا ننقد ما لدينا وما لدى الآخرين؟ هل يستطيع أحد من السنية يقول: إنه هذه نظرة متعصبة ؟ قل له: لا ، نحن نظرتنا إلى أنه يجب علينا جميعاً أن نرجع إلى القرآن الكريم ونقيّم ما لدينا جميعاً ولدينا أخطاء، كلنا لدينا كلنا أخطاء شيعة وسنة زيدية واثناعشرية السنة بمختلف طوائفهم لدينا أخطاء كلها ناشئة أننا ابتعدنا عن القرآن الكريم، إذاً فلنرجع إليه.

ولا يوجد هناك أنك تحاول أن تؤقلم القرآن معك وتقول للسني يتحول إلى عنوان آخر إنما نرجع إلى ماذا؟ مسلمين لله هذا العنوان الرئيسي نرجع إلى أن نحمل عنوان مسلمين، والناس ربما في المرحلة هذه أحوج ما يكونون إلى أن يحملوا هذا العنوان وحده فعلاً في المرحلة هذه بالذات في موضوع صراع عالمي، أليس هناك صراع عالمي الآن ؟ لأن هذا هو العنوان الهام الذي يجعل هذا الدين مقبولاً عند الآخرين عند البشر جميعاً لا يؤطر بأطر قومية بأطر عرقية معينة بأطر إقليمية نهائياً؛ لأن كلمة إسلام كلمة عامة بمعنى: إسلام لله والبشر لديهم معرفة بالله سبحانه وتعالى .

لاحظوا في الآية هذه عندما قال: { فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية٦٤) ألم يقل هكذا بعدما دعاهم اشهدوا بأنا مسلمون ؟ وهم جالسون مشغولين كل واحد يحاول يرد الناس يقول اليهود : كونوا هوداً إبراهيم كان يهودياً ! قال أولئك : كونوا نصارى إبراهيم كان نصرانياً ! الجنة لن يدخلها إلا من كان يهودياً والنصارى يقولون هناك : لن يدخلها إلا من كان نصرانياً ! أليست بهذا الشكل ؟ قد صار هناك عمل غريب جداً ، وهم يدعون إلى أن يكونوا مسلمين .

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً} مسلماً { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ }(آل عمران : الآية٦٧، ٦٨) وهذه فيها تعريض بالنسبة لليهود والنصارى وبالنسبة لأي فئة أخرى . لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً كان مسلماً . وفيها تعريض أيضاً بأنه ممكن أن تعني العبارة هذه فيها إيحاء

بالنسبة لواقع اليهود وواقع النصارى أن هناك نوعاً من الشرك بشهادة أول الآية { وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } (آل عمران : من الآية ٦٤) ولما حكاه في مقامات أخرى .

{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (آل عمران : الآية٦٨) والذين آمنوا بهذا النبي وبما أنزل إليه والله ولي المؤمنين لاحظ هنا القضية إبراهيم ثم فوق إبراهيم إلى الله هي هنا ولاية الله هي هنا . لا يكون اليهودي عنده أنه ولي الله والنصراني عنده أنه ولي الله .

{ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ } (آل عمران : من الآية ٦٩) وهذه من الأشياء العجيبة بعدما يذكر آيات هامة جداً وآيات خوارق بالنسبة لهم لا يرضى يؤمن الكثير منهم يجلسون شغّالين هناك مكر يذكر عنهم { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } (آل عمران : الآية٥٤) ثم محاولة بالنسبة للآخرين كيف يضلونهم . ألم يكن قبول الآيات تلك ألم يكن الإيمان بالشكل الذي يجعلهم يتحركون في أوساط الناس ليكونوا مؤمنين؟ ألم يكن هذا خير لهم وخير للبشر؟ بدل أن يكونوا متحركين ليضلوهم ؟.

{ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٩) هذه الآية نفسها من الآيات الهامة ولهذا نقول: إنها تعتبر نعمة على الناس أن يكون أعداؤهم هم أعداء لله أن يكون أعداؤهم بما يعملونه هم يستوجبون عذاب الله في الدنيا والآخرة أن يكون ما يعملونه هو ضلال والضلال في الأخير هو ماذا؟ ضلال لأنفسهم أعني ما يعملونه من محاولة إضلالكم هو ضلال لهم فطريقتهم هذه التي يتحركون فيها قد يكون لديهم رؤية بأنه مستقبل زاهر بالنسبة لهم ونتائج طيبة ويلمسون في الداخل أعني : في قضايا جزئية وكأنها كلها صالحة أليس هكذا؟ لكن قد تكون في الأخير فعلاً لضياعهم.

{وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ} (آل عمران : من الآية ٦٩) وكلمة ضلال في معناها العام في القرآن وبمعناها اللغوي ماذا؟ الضياع أن تضيع أمة عندما تضلل ثقافياً يؤدي إلى ضياعها عندما تكون حركتها قائمة على أساس تضليل يؤدي إلى ضياعها . هذا أيضاً حاصل بالنسبة للمسلمين عندما حصل مثلاً ضلال ألم تكن عاقبة الضلال ضياع لنا ؟ لأنه هكذا . وإذا بنا في الأخير أمة ضائعة أليس هذا هو الحاصل بالنسبة للعرب الآن ؟ وبالنسبة للحكومات والشعوب في الغالب هكذا .

{ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٩) إذاً فمعنى هذا أنه يعطي الناس أملاً في مواجهتهم مع اليهود والنصارى لأن حركتهم حركة إضلال حقيقة ليس فيها شك عندما يقول: { وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ } (آل عمران : من الآية ٦٩) معناه : هم سيضيّعون أنفسهم في الأخير يعطي الناس أملاً ، أملاً كبيراً جداً لأن هذا شيء من جهة الله يبين وكأنها سنة وتجدها فعلاً أن من يسيرون على ضلال ينتهي بهم الضلال إلى ضياع أنفسهم .

عندما ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم ولديهم أشياء كثيرة فيها أشياء كثيرة من الضلال وصلت الأمة هذه إلى حالة الضياع في عصر قد يكون من أزهى عصور الدنيا أليست حالة ضياع التي الأمة فيها الآن؟! إذاً فهي سنة تشمل الكل والنص هنا فيما يتعلق بأهل الكتاب {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٩) عندما يقول: وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون معناه أن الله هو يدبر ولهذا قال هناك: { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (آل عمران : الآية ٥٤) .

فكلما تحركوا بشكل أكبر كلما كانوا يسيرون إلى ماذا إلى ضياع أنفسهم في الأخير بعد أدوار معينة قد تكون منوطة بحركتهم : ضرب فئات كثيرة من الناس وضرب حكومات وضرب متخاذلين...هذه سنة إلهية{ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} (الحج : من الآية٤٠) لكن في الأخير لن تكون الأمور كما يخططون لها وستكون كما يريد سيضلون يعني: سيضيعون هم ! لكن لا تكون هذه بالشكل الذي يمكن يقول واحد: سننتظر حتى يضلوا ويضيعوا ! ستضيع أنت لأنك في حالة ضلال في نفس الوقت لأنه أنت ملزم أن تتحرك في مواجهتهم أن تعمل لإعلاء كلمة الله، إذا وقفت وقعت في ضلال. { وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (آل عمران : من الآية ٦٩) ستضل معهم .

هذه الآية هي واحدة من الآيات التي يجب أن تكون بالشكل الذي تعطينا نظرة ثابتة لدينا وقضية مفهومة عند أي واحد أن تعرف بأن الله قال: إن هناك طائفة من أهل الكتاب يودون لو يضلونكم . موضوع الطائفة لا يكون متعلقاً بأرقام معينة مثلاً قد تقول: الشوافع طائفة الإثناعشرية طائفة قد يكون الشيعة طائفة قد يكونون ملايين ليس معناه : إذاً فأمامك فئة معينة فقط من داخل هؤلاء فئة معينة ، قد تكون هذه الطائفة هي التي تمسك بمفاصل الإقتصاد والإعلام والسياسة والحكومات في البلاد الغربية.

أليسوا هم يحاولون أن يوظفوا الآخرين ؟ حتى لو لم يكن عند الآخرين مشاعر ود من هذه إلا متى ما ثقفوا وشجعوا على أن ينطلقوا : بأن أعمالهم عظيمة وأشياء من هذه يوجد عندهم ود أنه قد تكون الطائفة هذه طائفة تحرك ملايين طائفة تحرك إمكانيات كبيرة . إذاً فإن لديهم ود أي : رغبة وميل يمثل لديهم أمنية أن يضلوكم . لا يكون أحد متوقع من جانبهم هدى أو صلاح أو حرية أو أي شيء من هذه الأشياء التي يقدمونها أبداً هم لن يقدموا إلا ضلال ولا يريدون لنا نحن إلا ضلال.

فعندما يكون لديهم هذه الرغبة وهذا الميل الذي يمثل لديهم أمنية فمعنى هذا ماذا؟ عندما يجدون أنفسهم متمكنين ينفّذون ، يعملون أليس هذا الشيء الذي هو حاصل الآن؟ عندما صار لديهم إمكانيات ولديهم نفوذ سياسي وقوة عسكرية كبيرة وقوة اقتصادية كبيرة اتجهوا لتنفيذ ما هو أمنية لديهم، أن يضلوكم، كلمة: يضلوكم تعني : الضياع بكل ما تعنيه الكلمة في كل مجالات الحياة، لا يكون معناه فقط أنه يحول عقيدتك، هذه واحدة من الأشياء . يضلونكم يريدون أن يجعلوكم أمة ضائعة أمة لا تمثل شيئاً .

إذاً الله قد شخّص لنا في القرآن الكريم بشكل كبير بحيث أن ما يأتي من لديهم ليس هناك شيء يمكن تسميه جديداً بنسبة ١٠٠٪ لم يتعرض له القرآن كلما يمكن أن يعملوا ويفكروا فيه، شخّص نفوسهم بحيث لا يبقى إلا تفاصيل فقط تفاصيل في إطار خطة معينة، الخطة المعينة نابعة من فكرة معينة، عندما تعرف الفكرة والتوجه ستعرف علاقة الأسلوب بالفكرة، فترى بأن القرآن الكريم عندما يهدي إلى ما لديهم من رغبة ، هو جاء بتفاصيل فيما يتعلق بالضلال لديهم وسيأتي بعد في الآيات هذه كيف طرقهم في التضليل كيف طرقهم في الخداع؛ لأنه هدى متكامل في القضية هذه، لأنها قضية هامة فعندما يقول: {لو يضلونكم} (آل عمران : من الآية٦٩) والله هناك يقول: { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة : من الآية ٢٥٧) إذاً فلا بد، وهذا الشيء الذي وقع فعلاً من خلال القرآن الكريم، قد بين ما يجعل الناس بمنأى عن إضلال أهل الكتاب لهم، وأعطى هذا مؤشراً يساعد الناس في مجال مواجهتهم، أن ما يتحركون فيه من إضلال لكم إي: إضاعة لكم هو في الأخير سيكون لإضاعة أنفسهم { وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (آل عمران : من الآية٦٩) .

يعني فهنا أعطاك من خلال حركتهم ما يعتبر ماذا؟ أملاً وأنت تتحرك ضدهم أنك أنت تعمل والله من عنده وهم من عندهم إلى ماذا؟ لأن يصلوا إلى حالة الضلال ، الضياع فيصبحون لا شيء . ضلالهم أليس معناه في الأخير أنه تلاشي كياناتهم الكبيرة؛ لأن الضلال معناه : ضياع أمة ضياع أمة عندما ماذا؟ تفقد مقومات القوة لديها .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (آل عمران : الآية٧٠) عندما يقول: {لم تكفرون بآيات} هو تحدث كثيراً أعني ذكر كثيراً حول كفرهم بآيات الله إذاً فلا تتوقع أنهم سيقدمون لك شيئاً يعتبر إيماناً بآيات الله ودعوة إلى اهتداء بآيات الله أبداً وهذا فيه عتاب لهم كيف أن يكونوا هكذا أن يكفروا بآيات الله {وأنتم تشهدون} (آل عمران : الآية ٧٠) وأنتم تعلمون انتم تعلمون آيات الله وتعلمون رسل الله فكيف تكفرون ما ينبغي لمثلكم أن يكون كافراً وهو يعرف {وأنتم تشهدون} (آل عمران : الآية٧٠) تشهدون آيات شهدوها أيام عيسى.

ألم يقل هناك: { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي } (المائدة : من الآية ١١٠) وهنا قال في نفس هذه الآيات: { أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ } (آل عمران : من الآية٤٩) آيات يشاهدونها ومع هذا يكفرون بها ، آيات يشاهدونها في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يكفرون بها، آيات وما تزال قائمة يشاهدونها إلى الآن، ومع هذا لا يزالون كافرين، فهي تمثل آية من آيات الله { وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (آل عمران : من الآية٥٥) هل يستطيع اليهود أن يظهروا

يهوداً فيحكمون أمريكا مثلاً أو بريطانيا أو أي دولة أخرى يحكمونها كيهود داخل بلدان النصارى مهما بلغ نفوذهم لا بد أن يكون فوقهم نصراني مهما كان الأمر !.

أليست هذه تعتبر آية؟ تعتبر آية فعلاً آية هامة آية لنا ولهم ، آية لنا نعرف أن آيات الله كما قال الله سبحانه وتعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت : من الآية٥٣) نفوذهم كبير في أمريكا ولم يستطيعوا أن يحكموها علناً فيكونون فوق منهم محسوبون كأتباع لعيسى .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (آل عمران : الآية٧١) من أسوء الأشياء التي وصلوا إليها ويصل إليها أي ناس يبتعدون عن هدى الله أن يكون عملهم إضلال ، عملهم لبس الحق بالباطل وكان المفترض أن يكونوا هداة ويبينوا الحق للناس أليست هذه تعتبر خسارة على الإنسان ؟ بدل أن يكون هادياً إلى الله وهادياً لعباد الله إلى الحق ومبيناً للحق وإذا به ماذا؟ وظيفته أن يلبّس الحق بالباطل { لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران : من الآية٧١) هذه جريمة كبيرة ، وهذه تدل على خبث شديد جداً في النفوس التي تكون بهذا الشكل.

لبس الحق بالباطل هو ماذا؟ اعتبره [الإستراتيجية] التي يقوم عليها التضليل قضية أساسية في التضليل لبس الحق بالباطل عندما يقول مثلاً [تحرير] أليس هذا يبدوا عنوان حق لكن هناك باطل ، تلبيس لما يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى هكذا لبس الحق بالباطل يكون الضحية من ؟ عامة الناس البسطاء من الناس .

{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا }(آل عمران : من الآية٧٢) لاحظ الآن مثلاً من أمثلة التضليل من أمثلة لبس الحق بالباطل كيف يعملون خداعاً وتضليلاً رهيباً { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}(آل عمران : من الآية٧٢) أي قالوا للآخرين: { آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا }(آل عمران : من الآية٧٢) على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وعلى المسلمين معه {آمنوا بالذي} (آل عمران : من الآية٧٢) بهذا الدين يعني { وَجْهَ النَّهَارِ} (آل عمران : من الآية٧٢) أول النهار إلى ظهر { وَاكْفُرُوا آخِرَهُ } (آل عمران : من الآية٧٢) { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (آل عمران : من الآية ٧٢) .

يريدون أن يجعلوا الآخرين ممن قد أسلموا يكفرون يقولون [ربما أننا غالطين عندما أسلمنا لاحظ هؤلاء أسلموا يعني لم يكن لديهم تعصب أو أشياء من هذه اسلموا وبالتأكيد أنهم لم يرجعوا إلا لأنهم عارفين أن هذا الإسلام غير صحيح] { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }(آل عمران : من الآية٧٢) أليس هذا خداعاً؟ فعندما يقدم الخداع على هذا النحو تعتبر أنت أمامك موقف ، أسلوب من أساليب الخداع قد يكون في زماننا منطق فيه { آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا } (آل عمران : من الآية٧٢) قد يكون في زمنٍ أخر عبارات أخرى ، عبارات أخرى، لكن لاحظ كيف كان الإسلام في نظامه وفي مجال بنائه للأمة حكيم بشكل رهيب، أليس هناك تفكير في موضوع كيف يردون الناس واختراقات يعملونها ؟ في الأخير تفشل لأن بناءهُ البنية التنظيمية داخل الإسلام بالشكل الذي لا يمكن أن يخترق ، أبداً.

يتآمرون يعملون كيف ما يريدون يقدم يهودي يسلم سيجلس هناك في الشارع يمكن يخدع آخرين من البسطاء لكنه لا يصل إلى أن يضرب أمة إلى موقع قرار في ظل المسيرة الصحيحة التي تسير على ماذا؟ على البناء أومثل ما تقل: الرؤية الإسلامية الصحيحة في عملية بناء الأمة وهيكلية بناء الأمة .

{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ } (آل عمران : من الآية٧٢) آخر النهار {لعلهم يرجعون} (آل عمران : من الآية٧٢) {ولا تؤمنوا} (آل عمران : من الآية٧٣) من صدق، يعني هذه عملية خداع {وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ}(آل عمران : من الآية ٧٣) الله رد عليهم { قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } (آل عمران : من الآية٧٣) فيجب أن يكون الناس جميعاً مسلمين لله ويسيرون على هداه لستم الذين تتحكمون في هدى الله وتقدمونه على ما تريدون أنتم { أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ } (آل عمران : من الآية٧٣) قبلها قال: { وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ }(آل عمران : من الآية٧٣) {أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم}(آل عمران : من الآية٧٣) كأن هذا ما زال من كلامهم مثل ما قال في آية أخرى { أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ }(البقرة : من الآية٧٦) هذه شبيهة بها { أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ } (آل عمران : من الآية٧٣) هنا يبين داخل مقولتهم رد بعد أول

فقرة ورد بعد ثاني فقرة {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } (آل عمران : من الآية٧٣) فالهدى هدى الله والفضل هو بيد الله يؤتيه من يشاء فهو الذي آتى محمداً صلوات الله عليه وعلى آله وآتى من آمنوا به هو بيده كما أعطاكم سابقاً ليس هناك تحجر على ما بيده سبحانه وتعالى من جهة الناس وبيده يؤتيه من يشاء .

{وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } (آل عمران : من الآية٧٣، ٧٤) وهنا يقرر أن الأمور بيده وأن له الحكم وله الأمر هو سبحانه وتعالى وهو الذي يأتي بالهدى هو والفضل هو بيده والرحمة هي منه { يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ واسع عليم } (آل عمران : من الآية٧٤) هنا هو يرفع القضية عن مقاييس شخصية أو مقاييس قومية معينة ، لا . القضية هكذا أنه الأمور بيد الله يجب التسليم له والنظرة إلى الأشياء باعتبار ما فيها من مظاهر أنها من عند الله فقط هذا الدور هنا، أعني فعندما يقول: { قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } (آل عمران : من الآية٧٣) هناك العلامات على أنه من عند الله استجيبوا له اتركوا مقاييس من عندكم : { وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ } (آل عمران : من الآية٧٣) علامات أن هذا هو من فضل الله أن هذا موضع رحمة الله؛ لأن الإنسان عندما يكون مسلماً لله ومؤمناً بأن هذه الأشياء كلها يختص بها الله وهي بيده فيجب عليه فقط أن يعرف بأنها من عند الله، أعني مهمته تتمثل بأنه فقط يريد أن يعرف أنها من عند الله ويسلم لله سبحانه وتعالى.

{ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (آل عمران : من الآية٧٣) لاحظ هنا أنه يأتي بالعبارة التي تعني : أن الأمور بيد الله وأنه يجب أن يكون هناك تسليم لله سبحانه وتعالى أليست هذه تأتي في مقابل ما يقدم كقومية معينة أو مقاييس بشرية معينة ؟ كلها ماذا؟ لا . يجب أن يترسخ في مقابلها تسليم لله هذه القضية يحتاج إليها المسلمون لنفوسهم .

هذه القضية يحتاج إليها المسلمون تجدها منهجاً أو شبيهاً بالمنهج في كل مقامات هي ماذا؟ منطلقاتها طائفية منطلقاتها قومية منطلقاتها مقاييس بشرية ينفيها بأنه {الدين عند الله الإسلام} يأتي بحديث التسليم لله ، التسليم لله في مقابل هذه أن الأمور بيد الله ، الهدى هدى الله ، الرحمة بيده يختص بها من يشاء ، الفضل بيده يؤتيه من يشاء ، أليست كلها تعني عبارات التسليم لله ؟ أعني : لم يأتِ الموضوع على أساس أنه تجد أمامك فئة معينة فتحاول تؤقلم نفسك معهم أو ماذا؟ أو تعمل لقاءات [أنت تتنازل من هناك وأنا أتنازل من هنا ونعمل توليفة معينة] أبداً هو يشخّص ما لديه منطلقات فئوية التي ـ يسمونها ـ لا. القضية التي يجب أن نسير عليها نحن جميعاً هي : التسليم لله لأن هذا نفسه له إيجابية هامة وليس فقط موضوع عبادة فقط له إيجابية هامة في موضوع التقاء الناس لأنه أنت تقدم ما لديك هو هدى الله والتسليم لله ليس هناك عناوين أخرى على الإطلاق وهو يرى نفسه هناك يقدم أشياء من عنده ومقاييس من عنده . هدى الله يكون بالشكل الذي فيه ما يحجه فيه ما يجعل موقفه ضعيفاً عناده يكون في الأخير بالشكل الذي يهيئ له أن يضرب ما هذا سبق في الآية السابقة {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} (آل عمران : الآية ٦٣) ؟

كثير جاء في آيات كثيرة التهديد أعني هذه تعطي الناس ، هذه كقاعدة عامة إذا انطلقت أنت كفئة ناسياً أن الموضوع على هذا النحو لا تدري إلا وقد أنت تقدم توليفة معينة تنازلات من هنا وتنازلات من هناك ونحاول نقدم أشياء مشتركة أشياء لا تصح أن تكون هدى ولا يمكن أن تكون حتى قابلة للدوام لا تكون قابلة للدوام لأنك ما تزال تتمنى في واقعك أن تكون الأمور أحسن من تلك وذلك في واقعه يتمنى أن تكون القضية أحسن مما هناك مما قد قدم على أساس أنه رؤية مشتركة نسير عليها جميعاً فموضوع التسليم لله يكون هو بالشكل الذي يكون الناس أقرب إلى أن يلتقوا عليه إذا كان هناك من يقدمه .

لاحظ لما كانت هذه القضية هامة في مواجهة الدعوات التي من هذا النوع الدعوات القومية الفئوية العناوين التي تصبح عناوين قومية تجعل الدين عناوين قومية يأتي بالرد داخلها ألم يرد داخلها قال هناك { وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ} (آل عمران : من الآية ٧٣) { قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } (آل عمران : من الآية ٧٣) أليس هذا رداً إلى كيف يكون هناك تسليم ؟ { أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} (آل عمران : من الآية ٧٣) يعني فضل ما هذا فضل؟ { قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (آل عمران : من الآية ٧٣ ـ ٧٤) .

{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً } (آل عمران : من الآية ٧٥) فهذه قضية أساسية يعني أنه هذا القرآن الكريم ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست هذه الدعوة هي دعوة تسليم لله ؟ يجب أن تكون هي أيضاً متجلية في موقفك من الآخرين في موقفك من الآخرين ليست مواقفك من الآخرين مواقف شخصية مواقف قومية مواقف إقليمية وأشياء من هذه أبداً هنا بعد الحديث الكثير عن أهل الكتاب ألسنا نجد داخله دعوة لهم أن يؤمنوا ؟ نجد داخله آيات تقول أنهم إذا آمنوا سيكونون مثل بقية الناس والله غفور رحيم .

يذكر هنا بأنه فيهم ناس ما يزالون جيدين سابقاً يعني في تاريخهم يحكي ولو من أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } (آل عمران : من الآية ٧٥) ألم يقدم هنا نوعية ما يزال لديها قيم معينة موضوع الأمانة هناك أفراد لديهم أمانة أنك لو أمنته على قنطار لأدى الأمانة يؤده إليك قنطار من الذهب { وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً }(آل عمران : من الآية ٧٥) متابع بعده أو تكون بالشكل الذي يعتبرك قضية ضاغطة عليه وإلا ممكن يضيع دينارك .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا } (آل عمران : من الآية ٧٥) هنا يبين أيضاً أثر العقائد الضالة كيف أنها تؤدي في الأخير إلى ماذا؟ عقائد يستحل بها أموال الآخرين { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ } (آل عمران : من الآية ٧٥) ليس علينا حرج وليس علينا جناح بأن نأخذ حقهم ! فقط إذا أنت تتابع بعد حقك وتخرجه منه وإلا فلديه مذهب أنه حلال

.

فيها أيضاً أن يفهم الناس ـ لأن هذه من الإشكاليات ـ الكثير من الناس يكون عندهم أن الهدى والضلال أنه في مجال عقائد هناك ! لا ، إنه في الأخير يصل إليك إلى أموالك أنت وإلى نفسك أنت وإلى عرضك أنت لاحظ كيف انتهى الضلال ضلال وصل إلى أين ؟ إلى أن قد معهم عقائد تستحل أموالك أليس هذا ضراً كبيراً وصل إلى أموالك ؟ يفهم الناس أن الهدى هو بناء لهم لأنفسهم ولحياتهم وتنمية حتى لأموالهم وسلامة لأموالهم وحقوقهم وأعراضهم بينما الضلال في الأخير ينتهي إلى ماذا؟ استباحة للأعراض والأموال والدماء فهذه فيها تذكير للناس لأنه المشكلة الكبيرة جداً أن لا تكون كلمة ضلال تخيفهم يكون عندهم أن الضلال أن ذلك قال كذا وذلك قال كذا والحق أنه هكذا هناك في الهواء ! لا ، الضلال ينزل الأرض يوصل إلى حقوقك إلى أموالك إلى دمك فإما أن يكون هناك هدى يصونه ويرعاه ويحافظ عليه أو ضلال يستبيحه ليهتم الناس وليستشعروا خطورة الضلال عندما يكونون فاهمين أن الضلال له علاقة يصل إلى أضرار في كل شيء له علاقة بهم أموالهم أعراضهم نفوسهم .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ } (آل عمران : من الآية ٧٥) {قالوا} قد هي مسألة ! [مسألةٌ]، مذهب قد عملوه { لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران : من الآية ٧٥) هذه من الأشياء الغريبة جداً فيهم { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران : من الآية ٧٥) إذاً فهو سيحاول كيف يتحيل بأن يأخذ مالك ثم قد عنده فتوى لنفسه بأنه حلال إلا إذا أنت بعده تريد تخرج حقك بالقوة منه .

{ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (آل عمران : من الآية ٧٦) إلاّ هناك سبيل وهناك مؤاخذة فالذين ليس عليهم سبيل هم من؟ { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ } الأمانة هي عهد عندما يأتمنك إنسان يجب أن تؤدي إليه ما ائتمنك عليه {وَاتَّقَى} عقوبة الخيانة وعقوبة المسائل هذه التي تؤدي في الأخير إلى استحلال لأموال الناس .

الآن لاحظ أليسوا يتحيلون لما في البنوك الغربية بعدة دعاوى أنه مثلاً أنت تدعم منظمات إرهابية يجمد أموالك يحاولون أو قد عملوا فعلاً قانون فيه مصادرة أن يصادروا الأموال وقرأنا في صحيفة أنه في موضوع (القات) القات أن معهم توجه إليه بأنه يبدو أنه يمول ،الإرهاب ! نشرته صحيفة [الشموع] حول تمويل الإرهاب عناوين من هذه يحاولون مثلاً ينهون أموال الناس بعناوين معينة إما أن يكون هناك استحلال لما لديهم أو استحلال لضربها واستباحة لماذا؟ لإنهائها وضربها! .

تلاحظ هنا في المسألة هذه أنهم هم يعتبرون أنفسهم أنهم أهل كتاب أهل دين والأميين ناس يعتبرونهم مشركين ألم يكن العرب بالشكل هذا أعني ظاهرة الشرك منتشرة لديهم؟ لكن لا ، في مجال التعامل على هذا النحو يأتمنك أحد مهما كان لا يجوز أنك تأخذ حقه ولهذا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يذكروا أنه عندما هاجر كان عنده ودائع؟ هل كانت ودائع للمسلمين تلك التي معه؟! ودائع آخرين لأنه شخص يثقون به ويعرفون نشأته بينهم إنسان أمين هل عمل له فتوى أنه يأخذها ويذهب إلى المدينة أبداً .أن يأتمنك إنسان مهما كان على شيء من أمواله تؤديها إليه .

{ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} (آل عمران : من الآية ٧٧) وكأنه فيما عهد الله إليهم فيما يتعلق بحقوق الآخرين بأموالهم ولهذا قال { بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ} (آل عمران : من الآية ٧٧) بما عهد الله إليهم في تشريعه الذي شرعه لهم فيما يتعلق بحقوق الآخرين لكن اشتروا بآيات الله بما عهد الله إليهم ثمناً قليلاً { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٧٧) يستبدلون بعهد الله الذي عهد به إليهم وأيمانهم ثمناً قليلاً {أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} (آل عمران : من الآية ٧٧) لا نصيب لهم ولا حظّ لهم في الآخرة { وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران : من الآية ٧٧) نعوذ بالله .

إذاً فهذه النوعية التي يحاولون الآن أن يكون الناس سمحين معهم ويقبلونهم ولا يعملون أشياء تنفرهم هي هذه أليست هذه ؟ أوصاف فعلاً تجعل الإنسان يشمئز أوصاف مقززة جداً بالنسبة للنظرة إليهم . وكيف نظرة الله إليهم؟ { وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران : من الآية ٧٧) هذه النوعية التي يريدون ماذا؟ أن نقبلهم عندما يقولون: [القبول بالآخر وكان رسول الله كذا وكان المسلمون كذا] وكلام كثير يأتي حول اعتدال وتسامح ووسطية وأشياء من هذه ! يحرفون الدين من أجل نقبل هذه النوعية السيئة !

{ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ} (آل عمران : من الآية ٧٨) لبس الحق بالباطل وتحريف لكتب الله وتحريف متعدد الأنواع يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . وهنا يلوون في إطار حديث أو كذا يدخلونها وكأنها من كلام الله { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} (آل عمران : من الآية ٧٨) عندما تسمعهم يقرؤون التي يسمونها: [إصحاحات] من الإنجيل يقرأها ويلحنها وهي بينها طامات كبيرة من عندهم هم وهو يلحنها مع باقي الذي يوجد من بواقي الإنجيل { لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ} يقدمها على نمط تقديمه لشيء من الكتاب { لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران : الآية ٧٨) .

لاحظ كم تكررت هذه عنهم: وهم يعلمون ، وهم يعلمون ، وهم يعلمون! أي: أن تعرف أن هذه نوعية يجب أن تكون حذراً جداً في التعامل معها يجب أن تكون حريصاً على أن تواجهها فعلاً وليس تحاول أنك تتأقلم معها وتحاول أن تمهد قابلية لها في أوساط الأمة . وردت كثيراً كلمة: وهم يعلمون { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: الآية ٧٥) {لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (آل عمران : من الآية ٧٠) { لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران : من الآية ٧١) أليست هكذا { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران : من الآية ٧٨) يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله يعني: يكذبون في مسائل يقدمونها ليستحلوا بها أموال الآخرين يكذبون فيها وهم يعلمون ، ينسبونها إلى الله وإلى دينه وهم يعلمون بأنها كذب ويحرفون كتبه بألسنتهم وبدعاوى أعني: أثناء حديثه بها يقدمها على نمط تقديمه لأشياء هي من كتب الله ليخدعك لتحسب أنها في الكتاب وما هي منه وأيضاً يدعي أنها من عند الله وليست من عند الله { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران : من الآية ٧٨) .إذاً فهل يمكن أن تكون هذه فئة تطمئن إليها تثق بمعاهدات بينك وبينها بمواثيق بينك وبينها ؟ لا يمكن أبداً .

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٧٩) **أنه لا يحصل لمن أوتوا فعلاً لا يحصل هذا منهم ولا ينبغي لمن أوتوا الكتاب أن يكون هذا حاصلاً منهم . على ما قلنا سابقاً في موضوع أهل الكتاب وأوتوا كتاب ، أنها تكون أحياناً بالمعنى الخاص وأحياناً بالمعنى العام مثل : أنزل إلينا وأنزل إليكم ، فمن آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا تحصل هذه من عنده لا يحصل هذا على الإطلاق من عندهم من لديهم كتاب وأورثوا كتاب يجب أن يكونوا على هذا النحو ما ينبغي أن يكونوا بشكل آخر أن يكونوا هكذا { ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ }** (آل عمران : من الآية ٧٩) .

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (آل عمران : من الآية ٧٩) **ربانيين : دعاة إلى الله ، دعاة إلى الرب أنتم في أنفسكم ودعوتكم للآخرين كلها إلى الله وليس أن يجعل عباد الله عبيداً له من دون الله ، هو يختلف المنهج : إما أن تكون دعوتهم إلى الله ربانيين فيقدمون ما يأتي من عند الله . ومن يكون دعوتهم إلى أن يجعلوا الناس عبيداً لهم من دون الله يقدمون ما هو من عند أنفسهم لأن ما هو من عند الله لا يمكن أن يكون بهذا الشكل عندما تدعو بما هو من عند الله وتعلم الناس بما هو من عند الله لن يكون بالشكل الذي يجعلهم عباداً لك من دون الله على الإطلاق .**

لهذا نحن نقول : إنه بعيد عندما يقولون : إن هناك أشخاصاً ألّهوا الإمام علياً وادعوا ألوهيته وحرقهم على أساس أنهم أشخاص معجبين به ! هذا غير صحيح إذا كانوا ممن يسمعون كلامه لأن ما يقدمه الإمام علي هو بالشكل الذي يجعلهم عبيداً لله كما وجدنا من كانوا مختصين به كعمار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم ألم يكن بالإمكان أن يؤلهه هؤلاء لو كانت المسألة صحيحة ؟ لكن ما يقدمه الإمام علي هو عمل إنسان رباني أي يدعو الناس إلى الرب إلى الله سبحانه وتعالى ليكونوا عبيداً له فلا يمكن أن تحصل هذه الظاهرة عند أناس معجبين به ويسمعون كلامه إلا أن تكون بطريقة أخرى ثانية محرفة، أعني ناس لم يسمعوه وليسوا حوله ولا يعرفونه وقدم لهم تحريف فهذه قد حصلت داخل النصارى فقدم المسيح رباً من دون الله، ألم يحصل هذا بتحريف ؟ لكن من كانوا معاصرين للمسيح ويسمعونه كيف قالوا ؟ { آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } (آل عمران : من الآية ٥٢ ـ ٥٣) .

أليس هذا كلام يعني عبودية لله ؟ فمعنى هذا بأن من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا تحصل هذه من عنده على الإطلاق فعندما يأتي النصارى يعملون كذباً لأنه فعلاً عملوا عبارات قدموها على لسان المسيح بالشكل الذي وكأنه يدعوهم إلى عبوديته أو يقدم نفسه رباً هذه لا تحصل على الإطلاق {مَا كَانَ} لا يحصل هذا على الإطلاق ولكن هكذا يكون عمله معهم وقوله لهم وتوجيهه لهم : أن يكونوا ربانيين ويجب على من أوتوا كتاب بمعنى أن لديهم كتاب الله أوتوا الكتاب أوتوا الحكمة من جهة الله سبحانه وتعالى لأن الكتاب هو فيه حكمة يجب أن يكونوا على هذا النحو لا ينبغي لهم أن يكونوا خارجين عن هذا لأنه حصل في داخل اليهود والنصارى باسم أنهم حملة كتاب أحبارهم ورهبانهم يقدمون أنفسهم ليجعلوا الآخرين عبيداً لهم من دون الله لهذا قال عنهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } (التوبة : من الآية ٣١) .

{ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } (آل عمران : من الآية ٧٩) **يجب أن تكونوا ربانيين تدعون إلى الله { بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ }** (آل عمران : من الآية ٧٩) **تدرسون الكتاب وتطلعون عليه تتلونه { وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً}** (آل عمران : من الآية ٨٠) **لا تحصل هذه ما كان لبشر أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولا أن يقول عباداً لآخرين من ملائكة أو نبيين على الإطلاق فعندما تجد دعاوى أخرى فاعرف بأن لا علاقة لها على الإطلاق بأنبياء الله مثل دعاوى النصارى : بأن المسيح رب. أنه لا يأتي من عنده أبداً أول كلمة يقولها: { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ }** (مريم : من الآية ٣٠) **لاحظ العبارة هذه { وَجَعَلَنِي نَبِيّاً }** (مريم : من الآية ٣٠) **أليست هذه كلها عبارات تعني أنه عبد لله ورسول من عند الله الله هو الذي آتاه الكتاب هو الذي جعله نبياً هل يمكن للمسيح أن يجعل نفسه رباً والله هو الذي جعله نبياً ؟ فالنوعية هذه لا يحصل من عندهم أبداً الأشياء التي تجعل الناس عباداً لهم من دون الله أو أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .**

{ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٨٠) **لا يحصل هذا تطمئن هذه أعني مما يستفاد منها بالنسبة لأهل الكتاب بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما يقول لهم اتبعوني { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }** (آل عمران : من الآية ٣١) **وعندما يقول هناك: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ }** (آل عمران : من الآية ٣٢) **لأنه قد يكون في ذهنيتهم أن المسألة تنافس على مقامات هذه تحصل عند الناس منافسة على مقام أنه يريد أن يجعل الناس عبيداً له ويريد أشياء من هذه ! لا، هذه النوعية لا يمكن أبداً أن يدعوا الناس إلى أن يكونوا عبيداً له من دون الله ولا أن يكونوا عبيداً لآخرين على الإطلاق أن يكونوا عبيداً له أو عبيداً لآخرين على الإطلاق . هذه تحصل حتى داخل المسلمين أنفسهم؛ لأنه أحياناً متى ما حصل ثقافة معينة فيبدو وكأنه حركة الناس كلها منافسة على مقامات ويكون كل واحد يريد أن يكبر نفسه فيأتي أحد مثلاً هو يهدي إلى الله فينظرون إليه نفس النظرة أنه فقط يريد أن يكبّر نفسه يجمع له أتباعاً ويجمع له أصحاب مثلما هم ! وفق النظرة القائمة لديهم؛ لأن بعض الناس يكون عندة نظرة مغلوطة بالنسبة لواقع الحياة هذه، وأحياناً يصبغونها بصبغة شرعية، أحياناً يصبغونها بصبغة دينية، بأنه يجمع له أصحاب هو هو وقد هي تعتبر عبادة لهم أنهم ماذا؟ يعظمونه ويجلونه ويقدسونه وهو هناك ! يقول لهم : لا ، هو لن يكون عمله كعملكم؛ لأنه لا يمكن أن يدعو الناس لأن يكونوا عبيداً إلا لله، لا أن يعبدوه هو، ولا أن يعبدوا أنبياء ولا أن يعبدوا ملائكة ولا يعبدون إلا الله .**

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } (آل عمران : الآية ٨١) **. لاحظ أن الأنبياء السابقين يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا فيما إذا جاء نبي أن يؤمنوا بالأنبياء الذين سيأتون والأنبياء المتأخرين يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بالأنبياء الذين قد مضوا، وهذه هي طريقة من أوتوا الكتاب والحكم كما قال الله، أعني: هذه النوعية لا يمكن أن يحصل من جانبها ما يعبّد الناس لها بل تراها هي يؤخذ عليها الميثاق أن تؤمن بمن لم يأت بعد: {لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} أن يكون عندهم إيمان بأنهم مستعدون أن يؤمنوا بذلك الذي لم يأت بعد، لإن جاء نبي من جهة الله أن يؤمنوا به وينصرونه، أي أن يكونوا أتباعاً له فهل هؤلاء يمكن أن يكون عندهم نفسية أنه ماذا؟ أنه يجرجر الناس له ليكونوا عبيداً له من دون الله ؟! بل فيها ما يكشف أهمية الإيمان بوحدة المسيرة الدينية أنها مسيرة واحدة السابق يؤمن بمن سيأتي ومن يأتي يؤمن بالسابق .**

أي أن هذه لها أثر مهم فيما يتعلق بحركة الناس فيما يتعلق بإيمان الناس يجب أن يكون عندهم هذه النظرة ولهذا أوجب على المؤمنين فيما تقدم في أكثر من آية أن يقولوا ماذا؟ [آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم] ويأتي بقائمة من الأنبياء يذكر أننا آمنا بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إلى آخر القائمة من الأنبياء { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} (البقرة : من الآية ٢٨٥) .

قضية مؤكدة لأنها في نفس الوقت هي لها علاقة بالإيمان بملك الله بألوهية الله وأن الله هو ملك الناس وملك السموات والأرض وما فيها وما بينها هو الذي فطرها ثم ماذا؟ هو ملكها وإلهها على طول هذا التاريخ الطويل القرون المتعاقبة ليس معناه فقط من الآن بدء يبعث رسولاً وينزل كتاباً وإلا فهو كان مهملاً للبشر على طول التاريخ أبداً .

الإصر هنا : كأنه الثقل أي كأنه ميثاق فيما لو أخلوا به يحصل عقوبة معينة مثلما يأتي واحد يقول: [هو ملتزم بكذا وكذا وأنه إذا خالف فهو متحمل كذا وكذا] أليست هذه تحصل عند أخذ المواثيق ؟ .

{ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران : من الآية ٨١ ـ ٨٢) **هنا يقول البعض في تفسيرها : إن معناه إن الأنبياء هم أخذوا من أتباعهم لئن جاءهم رسول ! هذه القضية تتوفر من خلال المسألة من أساسها أنه عندما يكون النبي نفسه ملزم لئن جاء رسول ليؤمنن به وحصلت هذه**

يحيى بن زكرياء نبي عندما بعث عيسى آمن به مثلما يقولون : إنهم كانوا فعلاً متعاصرين في زمن واحد آمن به فهذه ليست فقط نقول إنما الأنبياء هم أخذوا على أتباعهم أن يكونوا مستعدين أن يؤمنوا بمن أتى من الأنبياء هذه القضية مفروغ منها وثابتة ويحصل الإيمان بها على درجة أعلى أن ترى أن النبي نفسه ملزم بهذه فبالأولى غيره أليس بالأولى غيره من الاتباع ، لاحظ كيف أخذ الميثاق هنا بعبارات { أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا } (آل عمران : من الآية ٨١) أعني ميثاق دقيق في عملية أخذه منهم .

إذاً فنفس اليهودي والنصراني ليعرف بأنه بالنسبة لموسى وعيسى أنهم ضمن الميثاق هذا أنهم لو لحقوا محمداً صلوات الله عليه وعلى آله أو بعث محمد في عصر أي واحد منهم أنه مأخوذ عليه الميثاق أن يؤمن به وينصره عندما تعرف بأن نبيك نفسه لو لحق هذا النبي الذي تدعى إلى الإيمان به لآمن به هو ونصره فكيف تتمرد أنت .

إذاً فهذا أبلغ أنه فعلاً ميثاق النبيين ليس معناه الأنبياء أخذوا ميثاق الأتباع هناك قراءة {لَمَا آتَيْنَاكُمْ} وكأن النبيين هم قالوا للأتباع لما آتيناكم من الكتاب والحكمة أنه الله أخذ ميثاقهم لما آتاهم وعلى أساس أنه آتاهم كتاب وحكمة. ولها علاقة بالآية السابقة فيما يتعلق بأن هذا لا يحصل على الإطلاق أن تكون هذه الفئة تتخذ الناس عبيداً لها من دون الله بل تراهم أخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بمن لم يحصل بعد فيما لو جاء أن يكونوا أنصاراً له وأتباعاً له يؤمنون به وينصرونه .

فعندما يقول النصارى لنا [ألستم مؤمنون بموسى وعيسى؟ إذاً أنتم مؤمنون بموسى وعيسى كأنبياء ونحن لسنا مؤمنين بمحمد] قد حصل جواب في هذا من آخرين بأنه نحن ما عرفنا موسى وعيسى إلا من خلال محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) . ثم حقيقة [موسى وعيسى] لكن انظر إلى موسى وعيسى أخذ عليهم ميثاق هم أنت يجب عليك أن تؤمن بمحمد؛ لأن نفس نبيك الذي تدعي بأنك من أتباعه وأنك تنتمي إليه هو نفسه مأخوذ عليه ميثاق أنه لو عاش إلى زمن محمد لآمن به ونصره ليس معناه بأنه تقول [إذاً فعلاً هو أننا ملتقون على موسى وعيسى] موسى وعيسى ملزمون بأن يؤمنوا بمحمد قبل أن يأتي وأنه لو أتى وأحد منهم عاصره أو عاش إلى زمنه لكان واجباً عليه أن يؤمن به وينصره.

إذاً فأنت يجب عليك أن تؤمن به وتنصره ليس معك عذر أبداً هذه قضية قد يحتاج إليها الناس لأنهم يقدمون هذه كمسألة يقولون: [نحن متفقون على كذا ومختلفين، نحن متفقون على أن موسى وعيسى أنبياء ومختلفين معكم على أن محمداً نبي، إذاً فلنكن جميعاً على ما نحن متفقون عليه ونترك ما نحن مختلفون فيه] شبهة يحاولون أن يقدموها. النصارى هم يقدمون موضوع موسى وعيسى أما اليهود فهم فقط يقدمون موضوع موسى لأنهم كافرون بعيسى .

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران : الآية ٨٢) فمما جعل البعض يستبعد أن تكون خطاباً للأنبياء لأن فيها هكذا { فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ما معنا هذا إلحاق بالأنبياء أنهم فاسقون {فَمَنْ تَوَلَّى} وهم ليسوا متولين ولم يتولوا لم يعرضوا هذا تأكيد للمسألة ألم تأت عبارة أكثر من هذا{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} (الزمر : من الآية ٦٥).

{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ } (آل عمران : من الآية ٨٣) إذاً فهذا دين الله ، الدين الواحد المترابط هكذا السابق يؤمن باللاحق واللاحق يؤمن بالسابق مسيرة واحدة ، أعني يقفل مجال التجزئة ولهذا يقول {لَا نُفَرِّقُ} يقفل مجال التجزئة في المسيرة الدينية في الأخير يقول: [هذا لنا وذلك لكم وهذا لآل فلان] ثم يكون المطلوب أن كل واحد يؤمن بما عند الآخر فقط نصارى هناك ويهود هناك ومسلمين هناك، يقال للمسلمين فقط هم يكونون بالشكل هذا يقدمون القضية للمسلمين .

{ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (آل عمران : من الآية ٨٣) دين الله الذي هو الإسلام أفغيره يبغون يطلبون { وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِنهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (آل عمران : الآية ٨٤) لا يأتي كل نبي ويكون معه جزء من الدين يختص به حتى تحصل هناك تفرقة أبداً لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : الآية ٨٥) غير الإسلام لله الذي قدم في الآية السابقة كثير من مظاهره وسيأتي بعد كثير من ما يعتبر من مظاهر الإسلام لله بل في حركة منهم يعتبرون مسلمين لله ودعاة للناس أن يكونوا مسلمين لله أنه قدمها أيضاً شخصها بشكل متميز {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٧٩) إلى آخر الآية ، فعلى أساس وحدة الدين أنها مسيرة واحدة من عند الله وعنوان الدين هو الإسلام: هو الإسلام لله الذي البشر كلهم ملزمون أن يدينوا به ويكونوا عليه يسلّمون أنفسهم لله ويقبلون ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى وما دعاهم إلى أن يدينوا به ويلتزموا به ولهذا قدم عليها مثلما نقول: [إعلان عقائدي] هو ماذا؟ هو مترتب على ما قدمه من نظرة إلى الدين كدين واحد ومسيرة واحدة.

{قُلْ} بناء على هذا كله وفي مواجهة من يجزؤون ويفرقون بين الله ورسله ويفرقون بين الرسل { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ ـ أي لله سبحانه وتعالى ـ مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٨٤) . { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : الآية ٨٥) يقدمون اليهودية ديناً لا تقبل ، يقدمون النصرانية ديناً لا تقبل التجزئة تلك [هذا حقنا وهذا حقكم وهذا نبيكم!] مثلما قال سابقاً عنهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ } (البقرة : من الآية ٩١) .

أيضاً هذه تشمل حتى داخل المسلمين {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً} وهم طوائف متعددة عندما يكون كل واحد يتمسك بما هو عليه يجب أن يرجع الجميع إلى ما هو فعلاً يمثل إسلاماً لله إسلاماً لله لأن ما يعتبر خارجاً عن هذا هو في الواقع يمكن يسمى ديناً باعتبار أنه شيء أصبحوا يدينون به بعضهم بعض وأعطوه عنوان دين ، كلمة دين تشمل ما هو دين من عند الله ، وما هو من عند غيره بالنسبة لكلمة دين يقال لها دين حق ودين باطل دين من عند الله ودين من عند آخرين بمعنى منهج قام عليه التعامل فيما بينهم وتثقفوا به وأصبحوا يدينون به سواء يدينون به لله، أو يدينون به بعضهم بعض، يتعاملون على أساسه مع الله، أو يتعاملون على أساسه مع بعضهم بعض، يسمى دين لكن { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : الآية ٨٥) .

لأن معنى هذا حالة خطيرة عندما يكون مثلاً كثير من الطوائف هي في الواقع برمجت وضعيتها وقدم لها أشياء لم تعد تمثل الإسلام لله بما تعنيه الكلمة لن يقبل منها معناه في الأخير لن يقبل منها وهو في الآخرة من الخاسرين فما بالك ما عند اليهود والنصارى وصابئين وبوذيين وطوائف أخرى كم يا طوائف في الدنيا هذه ! {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : الآية ٨٥) .

{ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ } (آل عمران : من الآية ٨٦) هذا في الأخير يصبح هو البديل متى ما خرج الناس عن الإسلام لله عن دينه الذي دعاهم إلى أن يدينوا به هداه الذي دعاهم إلى أن يهتدوا به تشريعه الذي نزله ليلتزموا به متى ما حصل خروج عنه يكون معناه ما هو البديل هنا؟ كفر بعد إيمان { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (آل عمران : الآية ٨٦) .

هذه من الآيات الخطيرة بالنسبة للبشر جميعاً يهود ونصارى بل وطوائف من داخل المسلمين أنفسهم لهذا نقول: إنها قضية غريبة نندهش منها فعلاً تجد في القرآن آيات واضحة وصريحة تمثل هدى ولا يهتدون بها لأنه يوجد هناك طريقة يوجد هناك برنامج معين قد قدم أنه هو الدين يكون في الأخير يعتبر كفراً بالدين الحقيقي لا يعد يحصل هدى .

{كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ } (آل عمران : من الآية ٨٦) لذلك لم نعد نهتدي بالقرآن لماذا لا نهتدي بالقرآن وهو بلغتنا وآياته واضحة فيها هدى فعلاً ؟ كلهم سنة وشيعة كلنا حقيقة سنة وشيعة يوجد أخطاء تجد أن في القرآن آيات صريحة واضحة تمثل هدى لكن لم يعد الناس طبيعيين صاروا مبرمجين على أساس ثقافة أخرى تقدم هي بديل عما يجب أن يكون عليه مما يعتبر تسليم لله يمكن تحصل مع إيمانه وشهادته بأن الرسول حق ومع إيمانه بأن القرآن حق ولا يعد يهتدي لأن إيمانك بالله تعرف أنه في الأخير هو المختص بالهدى ، هو المختص برسم طريقة الهدى أنت واجبك أن تكون مُسلماً لله أن تكون تعرف بأنه يقول لك هذا صراط مستقيم ، هذا سبيل ، هناك طرق انتبه لا تكن كذا أو كذا .

أليست هذه القضية قدمت في القرآن ؟ أي أن هذا فرع على إيماني بالله إيمانك بالله يقوم عليه هذا الشيء: أن تعرف أن الدين من عنده الهدى من عنده الطريقة من عنده وفي الأخير ، تسلّم أن تعرف بأن الرسول نفسه هو في نفس الطريقة لا يمكن أن تقدمه رقماً آخر هناك ، ألم يقدموا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) رقماً ثانياً هناك؟ ولهذا مثلاً يقولون عندما يقدمون حديثاً حتى وإن بدا معارضاً ومخالفاً للقرآن يقولون : لا بد أن نقبله رسول الله قاله !.

ألم يقدموه هناك؟ تجد هناك إيمان بالله وإيمان بالرسول لكن ما يقتضيه هذا الإيمان من تسليم ومن رؤية صحيحة إلى الرسول نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه رجل قرآني أنه ضمن المسيرة هذه ليس رقماً آخر ولهذا قلنا في الآيات السابقة [1] أنه جاء في آيتين مما تؤكد مزج ما بين الكتاب والرسول في الحديث عن بني إسرائيل {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } (البقرة : من الآية ٨٩) ذكر كتاباً وجاء بكلام هو يعبر عن موقفهم مع النبي كانوا يقولون للمشركين إنه سيكون هناك نبي نقاتلكم معه ، وننتصر عليكم معه ، ثم يذكر في مقام آخر الرسول ويذكر الكتاب بعدها بعدة آيات[2] في سياق واحد يذكر في البداية الرسول ثم يذكر الكتاب بعده.

{ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (آل عمران : الآية ٨٦) هذه الآية خطيرة جداً {وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} لكن حصل شيء آخر يمكن تكون مسألة الكفر لأن الكفر ما يكون معناه إعلان تمرد هكذا يمكن كفر مفلسف تعرفون هذه ؟ كفر مفلسف أعني يكون في إطار ثقافة معينة يقدم وكأنه دين ، يقدم في الأخير دين لله .

إذاً هذه الآية تنسف أي تساؤلات قد تحصل عند أحد منا بأنه [كيف يا خبير ممكن يكون جيل معين أو ناس على مدى قرون معينة أو أشخاص يبدو كبار سواء داخل هؤلاء أو داخل هؤلاء كيف] لا ، إنه متى ما حصل غلطة من البداية تتنافى مع ما يقتضيه التسليم لله فيمكن أن يكون هناك إيمان في الصورة هكذا وشهادة بأن الرسول حق وبينات ولا يهتدي ، بمعنى أنه يجب أن يتبنى الناس هذه القضية أعني أن أهم قضية هو التسليم لله معرفة الله سبحانه وتعالى ، ونعرف ما يترتب على معرفته بالنسبة لنا كيف نكون مسلمين له أو ماذا يعني التسليم له ، ومظاهر التسليم له وإلا في الأخير قد يكون الإنسان يدين بغير الإسلام بغير الإسلام لله .

{ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ } (آل عمران : الآية ٨٧ ـ ٨٨) لاحظ هذه اللعنة ألم تسبق مع فئة من يكتمون آيات الله مما يعتبر مظهر من مظاهر عدم التسليم لله فيتحرك وفق ما أمره الله ، أن يؤدي المسئولية التي حمّله الله أن يؤديها { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ } (البقرة : من الآية ١٥٩) إذاً كيف كان هنا يجب أن تكون إذا

---

١ ـ ذكره في الدرس الخامس من رمضان عند الآية ٨٩ من سورة البقرة .

٢ ـ هي قول الله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (البقرة:١٠١).

كنت مسلماً لله كيف ؟ أن تبين هذه البينات التي أنزلها الله في الكتاب الذي أنت تدعي بأنك تعلمه تبينها للناس هنا حصل ماذا؟ شيء يخالف التسليم.

{أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} هنا يقول: { أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} لعنة مستمرة إلى جهنم لاحظ كيف عبر بجهنم عن اللعنة { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } نفس النهاية التي انتهت بها الآية السابقة .

إذاً فعندما يقدم من هم حملة لكتاب الله يقدم أشياء أخرى أعني يكتم ثم يقدم أشياء أخرى أليس هو يقدمها باسم دين ؟ مبررات معينة أشياء معينة مقولات أخرى تقدم باسم دين وينظر إليها الناس وكأنها رؤية دينية في القضية! هنا صار يقدم غير ما يجب أن يكون عليه وهو ماذا؟ الإسلام لله، والإسلام معناه: التسليم له والتسليم له: أن تخضع له وتقبل أنت في هذا الموقع مسئوليتك هكذا: أن تسلّم، تؤدي مسئوليتك، تنهض بمسئوليتك أنت عالم بكتاب الله، كتاب الله هو بينات وهدى للناس عليك، أن تبينه وعليك أن تبيّنه وفق الرؤية التي قدمها في مسألة التبيين، لا تأتِ أنت تفسره على كيفك وتؤقلم القرآن على كيفك أنت، هذا هو التسليم لله.

هنا يحصل كتم ثم يقدمون أشياء أخرى؛ لأنه هكذا تحصل المسألة لا أحد يخرج عن حق إلا ويقدم ضلالاً ولا أحد يكتم حقاً إلا وفي نفس الوقت يقدم بديلاً هو ضلال، هذا البديل عادة يقدم بعنوان دين وإذا قد صار هناك لم يعد يمثل الإسلام لله ، أليس معناه خروج عن الإسلام لله، عن التسليم لله ؟ لأن الإسلام معناه : التسليم لله، فتجد كيف كانت نهاية الآية هنا تماماً كنهاية الآية السابقة التي قال فيها: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة : الآية ١٥٩ ـ ١٦٠) .

أليست نهايتهم هكذا؟ نفس النهاية {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (آل عمران : الآية ٨٧ ـ ٨٩) كلها عبارة عن مظهر من مظاهر عدم التسليم لله .

من القضايا الأساسية في التسليم لله أن تعرف السنة الإلهية في موضوع الدين في موضوع الهدى تقبُّل الدين تناول الدين عن أي طريقة ومن أين أن تقبلها وتسير عليها لأنه هنا في القرآن رسمها تماماً رسم الطريقة عندما يقول واحد (نحن مستعدون نعمل بكتاب الله وسنة رسوله) أليسوا يقولون هكذا؟ دعاوى ملان الساحة [كتاب الله وسنة رسوله] لكن وكل واحد يريد هو من عنده هو وعلى حسب ما طلع في رأسه وترجيحاته ! فهنا لا يكون هناك تسليم بالقضية الأساسية أن الله هو ملك الناس وتعرف ماذا يعني ملك؟ أليس هو هنا يقدم في القرآن أن هذا هو جانب فقط من جوانب تدبيره لشئون خلقه؟ الجانب التشريعي جانب الهداية جانب النظام هذا الذي يقدم التوجيهات فهو يقدمها عبارة عن ماذا؟ جانب واحد فقط من جانب تدبيره لشئونه.

أليس هناك ذكر{ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} (آل عمران : من الآية ٢٧) بعدما قال سابقاً: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران : من الآية ٢٦) هذا جانب أساسي جانب أساسي هو مختص به هل قضية أن يولج الليل في النهار ويخرج الميت من الحي ، ويخرج الحي من الميت قضية يحتاج آخرين فيها باجتهاداتهم وأشياء من هذه ؟ هو يتولاها هو هو رسم السنة فيها هو سبحانه وتعالى السنة في تدبيره التكويني له سنة أيضاً في تدبيره التشريعي تدبير الهداية لأنه قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل : الآية ٧) ألم يقل هكذا؟ {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} (النحل : من الآية ٩) قضية يختص بها، فمن أول الغلطات أنه لا يحصل تسليم بهذه، هذه تكون من أول الغلطات الكبيرة .

لاحظ أول ما حصل داخل المسلمين بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يحصل تسليم بنفس الطريقة هذه عندما قال لهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) وقال ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) ألم يأمرهم أن يتمسكوا بعلي؟ ليسيروا وفق السنة الإلهية في الدين في الهداية في التشريع هنا هذه طريقتها رفضوا التسليم فلم يأت بعده إلا ماذا؟ تقديم أشياء أخرى لا تعد تمثل دين الله ولا يعد السير عليها يقبل ويعتبر إسلام لله مثلما قال: { فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران : من الآية ٨٥) .

يقدم هدى الله بالنسبة للناس لمن يفهم عمق أشياء ويفهم بعد أشياء أبعاد معينة عمق معين وفي نفس الوقت يقال للآخرين البسطاء يخاطبهم أن يلتزموا أعني عبارة يلتزموا يطيعوا ، يتبعوا قضية معروفة عند الكل بما فيهم البسطاء فعندما يقول لهم جميعاً "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" هم عرب يعرفون تماماً ماذا يريد ويعرفون تماماً ما هي المهمة المنوطة بهذا الشخص وقال: [علي] وهناك في القرآن الكريم آيات كثيرة {فَاتَّبِعُوهُ} { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } (النساء: من الآية ٨٠) وهكذا أنه يجب عليهم أن لا يعتمدوا على أي رؤية من لديهم بعدما قضى الله ورسوله { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } (الأحزاب : من الآية ٣٦) .

ألم يقل هكذا ؟ وفي الأخير أنك تلاحظ لم يقدم الدين على أساس أنه فقط فيما إذا فهمت أنت شخصياً كل أبعاده لأن هناك قضايا لا يفهم أبعادها حتى ولا النبي نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا من خلال مسيرته لا يمكن للإنسان أن يحيط لكن هناك قضايا أساسية ثوابت : هي أن تطيعه أليست قضية الطاعة معروفة؟ يعرفها الذكي والغبي يعرفها الإنسان الذي ذهنه متفتح أكثر والإنسان العادي ؟ أن معنى اتبعوه : أطيعوه ، لا تخالفوه هو قال كذا "علي" أليست القضية معروفة؟ إذاً السبب أنهم يحصل لديهم مثلاً حالة من البساطة لا يحصل اهتمام بالقضية من البداية أعني في التعامل مع النبي نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) في ماذا؟ في إعطاء أهمية لما يأتي من عنده كانوا ضحية للتضليل التضليل قدم بطريقة أخرى جعلهم يرتكبون مخالفة هم يعرفون بأنها مخالفة.

أعني: لا أحد سيقول بأنهم وهم اختاروا غير علي أو بايعوا لغير علي أنهم لم يخالفوا ما قاله الرسول بالنسبة لعلي، لكن في الأخير يقدم بأنه ليس مخالفة في المقصد وفي الهدف العام وفي الغاية التي يريدها النبي! في الأخير يأتي هكذا ، عندما يأمر الناس بالإلتزام أن لا يخالفوه معناه : أن القضية لا تخضع لتصنيفاتهم الداخلية على أساس أنهم [نحن قدمنا هذا لكن سنلتقي معه في الهدف وهذا هو هدفه] لأن هذا الباب باب خطير لا تدري في الأخير إلا وقد أنت تقدم بدائل يكون هناك قائمة بدائل، بدائل، بدائل وعلى أساس أنها نفس الشيء وتحقق نفس الغرض ونفس الهدف! لما كان هناك حاجة إلى دين ولا من كان هناك حاجة إلى توجيهات حديَّة بهذا الشكل لو هذا الباب مسموح أن يفتح والتصنيفات داخلةُ على أساس أنها تحقق نفس الغرض نفس الهدف نفس الشيء وأيضاً لا تكون حقيقية .

وفعلاً قد يكون فيهم أشخاص لا يعرفون أبعاد المسألة أبعادها لكن قل حتى الإمام علي نفسه أو حتى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يكون هناك أشياء يؤمر بها { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (هود: من الآية ١١٢) لا يعطى ـ مثلاً ـ شروح بما يمكن أن تؤدي إليه المسألة إلى آخر شيء لكن قد أصبح يعرف أنها أشياء هامة كلها وأشياء لها أهمية ، أشياء يجب الإلتزام بها وفي المسيرة أحياناً تظهر من خلال مسيرته أهمية ذلك الشيء .

لو تلاحظ أنه الآن ظهر بعض من أهمية بعض الآيات التي نزلت قبل ألف واربعمائة سنة أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن التأكيدات التي جاءت في ذلك الزمن البعيد توحي بأن هذا قد يكون ثغرة إذا لم يهتموا بها ويلتزموا بها أنها ستكون فيها ثغرة تعتبر ماذا؟ مادة إعلامية للعدو يشتغل بها ضد الدين وتشويهه مثلما حصل في موضوع الطلاق الذي تحدثنا عنه قبل البارح ومثلاً موضوع التعاون كما قلنا أكثر من مرة كيف حث على التعاون وجعله صفة من صفات المتقين وإذا أنت ترى فعلاً بأنه من الخلل الكبير الذي قد يجعل الناس ضحية بأن

يفرض عليهم ثقافة الآخرين عندما ضاع التعاون فيما بينهم لو هناك تعاون فيما بينهم لاستطاعوا أن يبنوا لهم مدارس ومدرسين وكليات وجامعات ويعملون لهم كل شيء ولا يحتاجون إلى أن يكونوا مرتبطين بمؤسسة معينة تأتي الإملاءات الأمريكية من داخلها.

لو هناك روح تعاون لاستطاع المسلمون يكون هناك مدارس خاصة ومعلمين منهم ولم تكن المناهج بهذا الشكل في الأخير ترى أن الإهمال في تجسيد موضوع التعاون يؤدي في الأخير إلى ماذا؟ إلى ثغرة كبيرة على الأمة في دينها وهكذا أعني: بعضها الآن ولهذا قال الله: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (فصلت : من الآية ٥٣) والله أعلم أين يوجد آيات سيكشفها زمن من بعدنا يكشف أهمية توجيه معين فيها .

فلأن الدين على هذا النحو يكون هناك قضايا أساسية أنت افهم أن الأمور هامة جداً مهما بدت عندك بسيطة لاحظ داخل الطلاق كم تحدث يضع منهجية معينة للطلاق بحيث أنه يتم في أجواء طبيعية ومعروف متبادل إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ألم يأت داخلها تأكيدات كثيرة نهاهم فيها أن لا يتخذوا آيات الله هزواً لا يكون هناك تهاون بهذه التوجيهات ؟ لو حصل التزام بهذا الشكل وقدم الطلاق من خلال القرآن ورؤية القرآن لما كان في الموضوع ثغرة على الإسلام يستغلها الأعداء .

لو قدم الطلاق من خلال عبارات الفقهاء في معظمها لكان هو عملية نفي عملية طرد للمرأة هناك ، لا معروف ولا إحسان ولا متعة ولا يتم في أجواء طبيعية يغضب عليها وطلقها وذهبت من بيته وأيضاً يلحق ما قد أعطاها وأشياء من هذه ظهر في الأخير وكأنه ماذا؟ المرأة هذه ما عندها حق كهذا الحق الذي عند الرجل ! لو قدم على الأساس القرآني لكان أشبه شيء بعملية البيع والشراء تماماً أنت عندما تأتي تأخذ حق واحد هكذا ألا يقال بأنها قضية منكرة؟ لكن يتم في أجواء من طيبة نفس يعتبر طبيعي مع أن عقد البيع يأتي من طرف واحد، أليس عقد البيع يأتي من طرف واحد الخروج للقضية من ملكية إلى ملكية أخرى أليست تتم عن طريق شخص واحد هو أعطى هذا؟ أعني يتم في أجواء جعلته طبيعية، فعندما لم يجعلوا الطلاق على هذا النحو ظهر فيه صورة غير لائقة استغله الآخرون.

ولهذا نحن نقول إنه يبدو أن القرآن الشيء الأساسي أنه كان هو المطلوب أن يكون هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض هو وحدهُ الكتاب الذي يتحرك في الأرض في كل المجالات ترغيب وترهيب وفقه وغيره هو كتاب يسع الحياة كلها ولأنه هو عباراته بعيدة عن أي مدخل لأنه { أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان : من الآية ٦) قضية هامة فعندما يقول إنه للناس تجد أن القضية ملحوظة أنه ممكن أن يكون فعلاً للناس إذا مشى هو يمشي هو في مقدمة المسلمين أما أن يأتوا في الأخير يقدموا أشياءهم من عندهم في الأخير ترى كم يجمع الأعداء من داخل تراث المسلمين الآخر كتب عباراتها غير لائقة في معظمها كم يقدمون من شبه على الإسلام نفسه يشتغلون بها ضد المسلمين .

الآية هذه جاءت قاطعة في البداية { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران : الآية ٨٥) بعدما تكلم عن ما تعنيه كلمة إسلام التسليم عندما قال هناك: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٨٤) أليس عندما قال: {وَنَحْنُ لَهُ} هو مسلم من قبل أن يقول العبارة هذه، بمعنى الهوية هذه، مسلمون له: خاضعون له، وهكذا من بداية الآية ولهذا قال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران : الآية ٨٥) .

إن هذه الظاهرة قد تحصل داخل محيط الدين نفسه داخل دائرة الدين قد تحصل، أعني أن يكون هناك مظاهر تسمى دين هي متنافية مع التسليم لله { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أولئك جزاؤهم . .} (آل عمران : الآية ٨٦ - ٨٧) إلى آخر الآية.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } (آل عمران : الآية ٩٠) لاحظ هنا ثم ازدادوا كفراً عندما يقول: كفروا، كلمة كفر ، كفر يجب أن نفهمها في مجالات كثيرة تعني: الرفض، الرفض الذي يتنافى مع التسليم لله أليست هذه قضية؟ لم تقدم الآية وكأنه كفروا بعد إيمانهم وما يزال هناك إمكان

أن يكون الناس كفروا بعد إيمانهم وتقبل توبتهم لو نجعل كلمة كفروا بمعنى: جحدوا بالله، أليست هكذا؟ هل هناك جاحد بالله تقبل توبته؟ لا يوجد {كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} (آل عمران : من الآية ٩٠) . فهي تبين لك أنه شيء في داخل محيط ودائرة الدين أشياء تظهر متنافية مع التسليم لله هي رفض لما قدمه الله لعباده أن يدينوا به ويسلموا به فسمي كفراً بمعنى: رفضاً ولهذا قال: {لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} لو تسميه كفراً بالمعنى الذي قدم هكذا دائماً جحود بالله جحود بالله لا يوجد قضية أنه يقال هناك كافر يمكن يتوب الله عليه وكافر لا يتوب الله عليه بمعنى جاحد بالله الجاحد بالله لا يوجد هناك توبة نهائياً أليست هكذا؟ {وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} (آل عمران: من الآية٩٠) .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران : الآية ٩١) نعوذ بالله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا مسلمين له مهتدين بهديه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦ / ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

من الآية (٩٢) إلى الآية (١١٦)

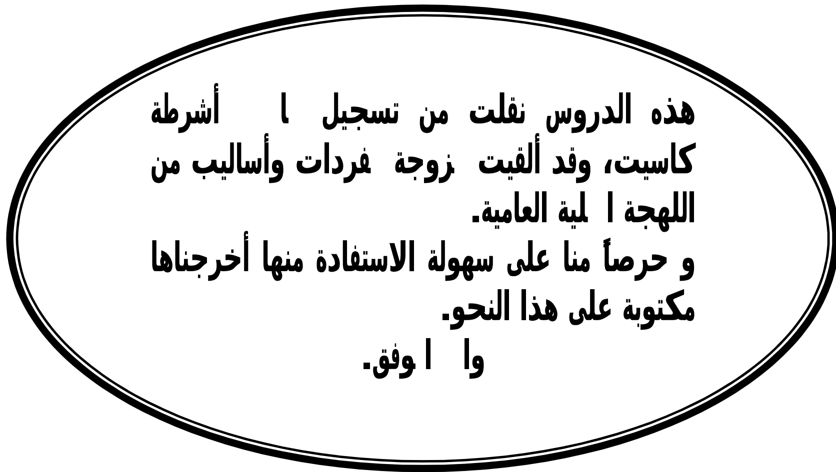
[الدرس الرابع عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٢٠٠٣/١١/٨م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألفيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.

و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

ينبغي أن يكون كل واحد منا يفتح ذهنه بالنسبة للماضي من الآيات التي قد سمعنا لا يعتبر أن كل آيات يكون لها موضوع مستقل عما قبلها، هو سياق واحد كله، ففي الآيات السابقة سواء ما سمعناه في [سورة البقرة] أو في [سورة آل عمران] تركز بشكل كبير على موضوع التسليم لله سبحانه وتعالى. هذه هي لب القضية، أساس الدين: التسليم لله. أن يكون الإنسان موطناً نفسه فعلاً أن يكون مسلماً لله ومطيعاً لله. وقد جاء في القرآن الكريم، حشد حشداً هائلاً جداً مما هو من قصص الماضين ما يتجلى من خلاله أهمية التسليم أو خطورة عدم التسليم كما سيأتي بعد من خلال الآيات التي تناولت الحديث عن معركة بدر، وعن معركة أحد كيف كان خطورة عدم التسليم خطورة كبيرة؛ لأن التسليم لله سبحانه وتعالى إضافة إلى كونه حالة نفسية عند الإنسان هو حالة أيضاً في الواقع يتجلى من خلال طاعة واتباع وانقياد وتوجه وفق ما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله .

هنا في موضوع الإنفاق أول الآيات التي سمعناها: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} (آل عمران : من الآية ٩٢) **بعد الحديث الكثير والتشجيع الكبير على الإنفاق نبه الناس بأنه كما قال سابقاً: {وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ}** (البقرة : من الآية ٢٧٢) **أليس هو هكذا..؟ إذاً فـ{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، ما ينبغي للإنسان يبحث عن الشيء الذي لم يعد يعجبه ولم يعد يريده وليس له قيمة عنده وينفقه..يأتي التوجيه على هذا النحو بعد الكلام الكثير حول أهمية الإنفاق والتشجيع الكبير على الإنفاق من خلال مضاعفة الأجر ومن خلال الوعد بأنه سيخلف، يعني: هذا باعتباره كأسلوب بأن يقال للناس بأنه يجب أو ينبغي أن تنفقوا مما تحبون .**

لو تأتي وتقول لإنسان من البداية: انفق مما تحب، قد تكون قضية فيها ثقل على نفسه لكن بعد حديث كثير وواسع على أهمية الإنفاق وأثره والوعود العظيمة بمضاعفة الأجر وبأنه سيخلف على من أنفقوا كان مناسباً جداً أن يأتي بالتوجيه حول أنه {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (آل عمران الآية: ٩٢) **الله يعلم مثلاً بالشيء الذي تنفقه لا يمكن مغالطة في الموضوع، أن تقول هو مما أحب وهو في الواقع ليس مما تحب، ولأنه الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان الذي يعرف أهمية الإنفاق وهذه الفضيلة العظيمة هو أن لا يتراجع عن أن ينفق مما يحب، ومما يحب ليست تعني: أحب ما لديك، مما هو محبوب لديك {وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}** (البقرة من الآية ٢٦٧) **إذا ما قبلته أنت إلا على تغاضي .**

هذا توجيه هام بالنسبة للإنسان المؤمن الذي يريد من خلال ما ينفق أن ينال البر وأنه ينفق ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى .

في آية هنا أيضاً لها علاقة بموضوع بني إسرائيل قول الله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلّاً لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (آل عمران : الآية ٩٣) **يبين بأنه حصل فيما بعد تحريم على بني إسرائيل لأشياء هي مما كانت حلالاً سابقاً كعقوبة عليهم . يبين هنا كيف كان التعامل من جهة بني إسرائيل مع التوراة وهذه فيها ما يكشف بأنهم كانوا يخفون التوراة وينطلقون هم بديلاً عن التوراة، ما يقدمونه هم، ما يفسرونه هم، ما يكتبونه هم؛ لهذا قال: {قل فأتوا بالتوراة}** (آل عمران من الآية : ٩٣) **هاتوها، أليست هذه فيها ـ مثلما تقول ـ أشبه شيء بتحدي؟ هاتوا التوراة{فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** (آل عمران من الآية : ٩٣) **فيذكرون محرمات معينة حول موضوع محرمات وما محرمات دعاوى هي مخالفة للواقع ومخالفة لما هو في التوراة مكتوب. إذاً فهي كانت قضية ثابتة لديهم أو تعامل قائم لديهم: إخفاء التوراة، كما قال الله عنهم في آية أخرى: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً}** (الأنعام من الآية : ٩١) **وتخفون كثيراً لهذا لا نعرف الآن أن هناك التوراة ما تزال موجودة ما نعرفه من خلال ما يسمونه: [العهد القديم] تجد أنه ليس التوراة .**

يوجد داخله مما يمكن أن يكون من التوراة، أما أن يكون هو التوراة التي أنزلت على موسى هذا غير صحيح

ولهذا يغلط البعض عندما يتحدث عن كتب [العهد القديم] ويسميها التوراة، من كُتّاب مسلمين، أو بعض العلماء المسلمين أنفسهم يقولون: التوراة ، والتوراة . لا ، هذه كتب ثانية يسمونها: [كتب العهد القديم] على أساس أن مجموعة منها هي التوراة والباقي كتب أخرى مما أنزلت على أنبياء آخرين مجموعة، عدد كبير لكن كلها فيها لعبة، كلها فيها لعبة مكشوفة، بل داخلها نصوص فعلاً من بعض أنبيائهم يصرحون فيها وهم يخاطبونهم بأنهم يحرفون، بأنهم يحرفون الكتب، يعني: شهادة من داخل الكتب على بني إسرائيل من بعض أنبيائهم لا أذكر بالتحديد من هو، أنهم يحرفون الكتب وأن أقلام الكتبة حرفت كتب الله.

فيمكن في مثل هذه{قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ}(آل عمران من الآية : ٩٣) فيما إذا كان لا يزال هناك بقايا نسخ نادرة أو فيما هو داخل الحاصل لديهم ما يزال هناك نصوص قد تكون في قضية معينة ما تزال قائمة فيها نصوص تشهد على كذبهم فيما يقدمونه لكن ربما قد يكون الأظهر بأنه التوراة بهذا الإسم ، بهذا الإسم إنما تطلق على كتاب الله الذي نزله دون زيادة ولا نقصان لا يعد ممكناً أن يسمي كتباً كتبوها من عندهم وحرفوا فيها أن يسميها التوراة!! إذاً فيما نعرف الآن لا يوجد توراة . يوجد كتب عهد قديم ليست هي التوراة ، فيها فقرات من التوراة فقط فربما في ذلك العصر أن يكون عند بعض منهم من التوراة ، خاصة وأن اليهود الذين كانوا في الجزيرة كانوا بمنأى عن كثير من الهجوم الذي كان يحصل على بني إسرائيل هناك في بلاد الشام، في فلسطين كان يأتي هجوم عليهم، أعني: في حالات كثيرة أحياناً من قِبل البابليين وأحياناً من قِبل المصريين ، وأحياناً من قبل الفلسطينيين الذين هم الآن اسمهم الفلسطينيون، ربما تعاملوا مع التوراة على هذه الطريقة : إخفاء، إخفاء حتى ضاعت، ولهذا يحتمل أنه قد يكون هناك نسخ نادرة من التوراة موجودة في ذلك العصر مع اليهود الذين في الجزيرة الذين كانوا بمنأى عن ما كان يحصل من حروب ونهب، وكان يأتي أحياناً إحراق لكتبهم على أيدي البابليين أو المصريين .

وممكن أيضاً في ما يتعلق بالآية هذه أن يكون فيها ما يفضحهم بأنه لم يعد هناك شيء توراة{قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(آل عمران من الآية : ٩٣) أنه يوجد توراة ، وما يزال عندكم التوراة ، وأشياء من هذه. وهذا محتمل أيضاً فيكون الواقع إن ما هناك شيء في الصورة ، لا يوجد شيء مما يبدونها هي نفس التوراة. إما لأنها قد أصبحت مفقودة تماماً ويكون في هذا ما يفضحهم، أو يكونوا متكتمين عليها، نادرة ومتكتمين عليها تماماً ففيها فضيحة لهم بأي اعتبار من الإعتبارات هذه.

{فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(آل عمران : الآية ٩٤ ، ٩٥) ما أخبر الله به هو الصدق هو قال: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ}(آل عمران : من الآية ٩٣) أليس هذا من جهة الله ؟! عندما يقولون كلاماً آخر هنا أرشد إلى أن يوقفهم على ما يبين كذبهم {فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(آل عمران : من الآية ٩٣) فإذا لم يأتوا بشيء ، قل : صدق الله. فُضِحوا فعلاً . ثبت بأنه لو كان عندهم ما يشهد من التوراة نفسها على صحة ما قالوه هم في موضوع حول ما كان محرماً وما كان حلالاً من طعام على إسرائيل أومن بعد إسرائيل أنه ماذا؟ لجاؤا بالتوراة.. لأبدوها.

في نفس الوقت يقول لهم: {فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(آل عمران : من الآية ٩٥) قد تبين بأن ما عندكم صدق عندكم دعاوى لا برهان عليها من كتب الله من التوراة .! إذاً فاتركوا الطريقة هذه ، والتشبث بالكذب والتشبث بالتحريف والخرافات وعودوا إلى دين الله الذي هو ملة إبراهيم . يعني فيها استغلال أن يدعوهم، استغلال فرصة .. هذه قضية عملية ففي الوقت الذي ترى طرفاً آخر مثلاً بهت كما قال الله بالنسبة لخصم إبراهيم{فَبُهِتَ} يعني: تجلا، تجلا كذبه ، تجلا خطوه تجلا ضلاله حاول أن تستغل في نفس الوقت ، أن تدعوه، قل: أذاً فارجع إلى الصواب، ارجع إلى كذا.

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران : الآية ٩٦) . هذا أيضاً شيء آخر فيما يتعلق بالبيت الحرام والحج تجد كيف هو؟ يتجزأ الحديث عنه داخل الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل وتتحدث

عن الجهاد والإنفاق وعن دور هذه الأمة ، وتحدث عنها ، أعني ذكرها كثيراً في خلال آيات كثيرة تحدثت عن بني إسرائيل وعن الجهاد في [سورة البقرة] في أكثر من موضع وهنا في [سورة آل عمران].

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران : الآية ٩٦) **قد يكون لدى اليهود دعاوى أخرى مثلاً بالنسبة لشيء يتعلق بالقدس أو بيوت عبادة في القدس أو غيره ...يبين أول بيت وضع للناس ليكون قبلة للناس ليكون له الدور الذي أراد الله أن يكون له كما ذكره في أكثر من آية هو ذلك البيت الذي ببكة ..بكة كأنها اسم نفس الموقع الذي فيه البيت الحرام، الذي فيه الكعبة، أعني: وكأنه اسم لذلك الموقع من مكة، بكة {مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}**(آل عمران : من الآية ٩٦) **فيه بركة . ومن بركته أنه يترك أثراً في النفس عندما تشاهد البيت الحرام .. عندما يصل الواحد إلى داخل المسجد ويطل على الكعبة تجد حالة أخرى بالنسبة لنفسيتك ومشاعرك. أجواء دينية تلمس وكأنك في وضعية قريب من الله .. أعني: لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن الحالة التي تعتريه أثناء مشاهدته للكعبة{وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}**(آل عمران : من الآية ٩٦) **من خلال المهام التي لهذا البيت التي ذكرها في أكثر من آية.**

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ}(البقرة : من الآية ١٢٥)**أليست هذه واحدة {وَأَمْناً}**(البقرة : من الآية ١٢٥) **فمجموع ماله من أثر هذا البيت يشمله كلمة: {وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}**(آل عمران : من الآية ٩٦) **{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً}**(آل عمران : من الآية ٩٧) **لاحظ هنا الإنسجام الكامل بين دور البيت الحرام ودور القرآن الكريم ودور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذه كلها {هُدىً لِلْعَالَمِينَ}وفي القرآن يقول أيضاً أنه للناس، للناس، والناس تعني: للعالمين جميعاً، البشر، كذلك يقول عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه أرسله رحمة للعالمين.**

ربما قد يكون هناك أشياء أخرى من الناحية العلمية لا نعرفها مما يمكن أن يكون للبيت أثر فيه تعطي هدىً فيه سواء فيما يتعلق بأشياء جغرافية أو ما يتعلق بأشياء علمية أخرى قد يكون للبيت أثر فيها . مما يقال أن موضع البيت الحرام هو يمثل نصف المعمورة تماماً النقطة التي تعتبر قلب المعمورة قلب الكرة الأرضية وبالذات قد يكون المعمورة منها . ربما لو كانت المسألة فيما يتعلق بما يسمى: بـ[خطوط الطول والعرض] بالنسبة للكرة الأرضية لو كانت المسألة تمت على أيدي المسلمين لربما كان موقع الكعبة موقع البيت الحرام هو نقطة البداية بدل أن يعملوا[قرنتش] هذه المنطقة حول لندن، قد تكون الكعبة نفسها كانت هي المكان الذي يصلح أن يكون بداية لرسم خطوط الطول والعرض، لكن الآخرين هم الذين تولوا كل شيء في الأخير .

كلمة{وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران : من الآية ٩٦) **كما يقول الله عن القرآن الكريم هدى قد تكون تهدي لأشياء كثيرة كثيرة مما قد تجلى للناس ومما يمكن أن يتجلى ولو لم يكن إلا مثل ما يذكر البعض من المؤرخين بأنه ملحوظ بالنسبة لموقع البيت الحرام ومكة بشكل عام على الرغم من أنه يبدوا مكاناً ضيقاً ومكاناً الجبال محيطة به وادي ضيق لكن يستوعب كل من يفدون إليه فليكونوا كمّا كانوا . إذاً ما هذا فيه آية من آيات الله؟ آية من آيات الله ملحوظة هذه، لاحظ حتى على الرغم من مضايقة السعوديين لمساحات مكة يستغلونها في بنايات شاهقة ويؤجرونها بأغلى الأثمان ما تزال تتسع ملايين، ملايين الناس تتسع لهم مكة وتتسع لهم تلك المشاعر وما تزال ترى أنه يوجد مجال!**

كلمة: {وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران : من الآية ٩٦) **تبدوا مسألة واسعة واسعة ليست فقط مثل ما يقولون: هدىً للمسلمين مثلاً أو هدى لسكان الجزيرة أو .. {لِلْعَالَمِينَ} بالعبارة هذه، بل ربما قد تتجاوز العبارة هذه تتجاوز عالم البشر، عوالم أخرى . ومن أغرب ما ذكره صاحب [تاريخ الحرمين](دحلان) يحكي قصة بأنه ناس شاهدوا في وقت لم يكن يوجد عند الكعبة ناس في زمان قديم شاهدوا جملاً يتجه إلى الكعبة حاولوا يمنعونه ما رضي ويتجه ويطوف أربعة عشر شوطاً حول الكعبة ثم يقف عند مقام إبراهيم عند الملتزم الذي يسمونه قريب من الملتزم ورأوه ودموعه تسيل يبكي ثم سقط ومات، وكانوا يشاهدون أيضاً [ضِباً] من تلك الغزلان في وقت لا يوجد أحد يعني يكون الناس قليلاً جداً تدخل إلى هناك إلى عند الكعبة وتحاول تتحيَّن فرصة إلى أن تدخل إلى عند الكعبة الغزلان هذه .**

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} (آل عمران : من الآية ٩٧) مقام إبراهيم ما يزال واضحاً وعندما يقول: {فِيهِ} أي يبدوا أن كان المكان اللائق بالنسبة لمقام إبراهيم أن يكون ملتصقاً بالكعبة لأنه قالوا فعلاً كانت تلك الحجر التي فيها أثر لأقدامه أنها حجر كان مثلما تقول: [سقالة] مثلما يقولون الآن ـ عندنا ـ يطلع من فوقها وهو يبني ، يبني من فوقها يستعملها فظهر فيها آثار أقدامه وهو يستعمل نفس هذه الحجر لكن فصلوها لأنه عندما يقول: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} (آل عمران : من الآية ٩٧) أليس هو يتحدث عن البيت؟

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (آل عمران : الآية ٩٦ ، ٩٧) هنا ذكر فيما يتعلق بكان آمناً {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} وفي آية أخرى أيضاً يذكر بأنه: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً} (البقرة : من الآية ١٢٥) بمعنى من يلوذ بالبيت من يكون بجوار البيت يعتبر آمناً لا أحد على الإطلاق يتعدى عليه مهما كان بينه وبينه من عداوة . تجد هذه القضية يتجلى فيها رحمة الله سبحانه وتعالى أن يكون هناك أماكن آمنة للناس وأن تكون تلك المواقع آمنة ما تزال في نفس الوقت يمكن أن تكون مواقع تجارية يمكن للناس أن يذهبوا إليها فيأخذوا أغراضهم ويأخذوا كل حاجياتهم، يجعل أماكن آمنة ويجعل أزمنة آمنة، ألم يجعل الأشهر الحرم أربعة أشهر في السنة يجعلها لا يجوز القتال فيها إلا في ظروف أن يحصل اعتداء من طرف ممن لا يراعون أي شيء من حرمات الله؟ إذاً هنا أزمنة يكون فيها أمن وأماكن يكون فيها أمن ؛ لأن البشر بحاجة إلى هذا بحيث لا يكون هناك صراع بينهم لا ينتهي صراع لا ينتهي ولا له حد لا باعتبار زمن ولا باعتبار موقع، أن يكون هناك بالنسبة للأمكنة وبالنسبة للأزمنة يجعلها أزمنة آمنة ومكاناً آمناً.

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} (آل عمران : من الآية ٩٧) يجعله حقاً له سبحانه وتعالى ولله على الناس حج هذا البيت وجعل هذا البيت مباركاً وهدى للعالمين ومثابة للناس وأمناً، حج البيت الحج المعروف ثم أيضاً العمرة التي تعتبر مفتوحة في باقي السنة {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ} (آل عمران : من الآية ٩٧) عندما يكون مستطيعاً للحج إلى البيت، أذكر أن بعض الأئمة يقول: بأنه حتى إذا لم يكن الإنسان مستطيعاً أن يحج وقد يكون مستطيعاً أن يعتمر فليعتمر لأنه ماذا؟ ما يزال يصدق عليه حَج البيت أو حِج البيت بالمعنى المصدري أي قصد البيت لكن هناك الحج الحج الرسمي الذي هو ماذا؟ أشهر معلومات وأيضاً أيام معدودات هذه الفريضة كحج لكن أنت قد لا تستطيع باعتبار ظروفك المادية أن تحج باعتبار ظروفك المادية فإنه إذا اتيح لك فرصة أن تعتمر فلتعتمر، العبارة هنا فيها عموم أو شمول أكثر من كلمة الحج في آيات أخرى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} (البقرة : من الآية ١٩٧) أليست هكذا؟ الحج قد أصبحت كلمة حج يعنى فريضة معينة معروفة مناسك معينة ومشاعر معينة هذا يقال له {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} هذا فريضة.

كلمة: حِج البيت قد تكون أوسع من كلمة الحج في الآيات الأخرى ولهذا قلت أنه فيما أعرف أن بعض الأئمة كان يقول بأنه فليعتمر إذا لم يكن مستطيعاً ـ مثلاً ـ أن يحج وتهيأ له أن يعتمر فليعتمر ومتى ما استطاع، متى ما استطاع بما تعنيه كلمة: {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} من استطاع إليه سبيلاً فليحج ولو قد اعتمر، كلمة من استطاع هي دون كلمة: من أطاق، يعني: يتمكن أن يحج باستطاعة، يعني: بوسع يستطيع بوسع هي ممكن، الإنسان قد يحج لكن بصعوبة بالغة فما يعتبر واجباً بالنسبة له هو إلا عندما يكون مستطيعاً كلمة: مستطيع هي دون كلمة يطيق، أي: أنك ممكن تحج بوسع، يعني: ليس فيه إرهاق لك، إرهاق شديد من الناحية المادية والبدنية .

يوجد تأكيد بالنسبة للحج كبير من رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) وترغيب كبير في موضوع الحج وفي وصية الإمام علي يوصي أولاده بأن لا يخلوا البيت الحرام أن لا يخلوا منهم بالنسبة لذريته أن لا يخلوا منهم وجاء فيها بعبارة ((فإنه إن ترك لم تناظروا)) يعني: كأنه وراءها عقوبة.

{وَمَنْ كَفَرَ} (آل عمران : من الآية ٩٧) رفض مع أن الله سبحانه وتعالى ما جعلها فريضة مثلاً فوق ما يستطيع الإنسان يعتبر

رافضاً{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} هو غني ليس بحاجة إلى أحد، كلمة: غني هي اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وتأتي في القرآن كثير في مقامات كثيرة وهي أيضاً ينبني عليها أشياء كثيرة يعني هي في الأخير توجد خوف عند الناس، أن يعرف الناس أنه إذا لم يستجيبوا فالله هو غني عنهم ممكن يهيء غيرهم، أعني مظاهرها كثيرة مثلما يقول: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ} (محمد : من الآية ٣٨) {مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة : من الآية ٥٤) هو غني بمعنى أنها فرصة للناس هم، ما معناه بأنهم سيلبون حاجة لله سبحانه وتعالى هو محتاج إليها، أبداً، إنَّ كل هداه لهم وكله فضل لهم وكله خير لهم أما هو فهو غني، هذه نفسها مما تجعل الإنسان دائم الخوف من الله والخضوع لله مهما كان ليعرف بأنه ليس في موقع يمكن أن يكون له منّة على الله على الإطلاق، هو غني عنه، بل تعتبر بأنها منّة من الله عليك أن هداك {بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} (الحجرات: من الآية ١٧) .

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} (آل عمران : الآية ٩٨) لاحظ هنا الكلام عن بني إسرائيل قبل الكلام عن الحج وبعده، قبل الكلام عن البيت وبعده، وهنا توثيق للموقع أليس توثيقاً هنا؟ يعني: هذه تشعر مثلما كان هناك توثيق للزمان زمن الفريضة الحج {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} (البقرة : من الآية ١٩٧) ويذكر هناك أياماً معدودات{وَاذْكُرُوا اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} (البقرة : من الآية ٢٠٣) وهنا توثيق للموقع نفسه، يعني لو جاء شيء مثلاً يضرب هذا البيت القائم يمكن إعادة بنائه لكن في نفس الموقع لا يقبل أي اقتراحات أخرى ما تقبل أي اقتراحات أخرى بأنه ممكن نعطي لكل شعب بيت مثلما قالوا: إنها فكرة حصلت عند [أبرهة] يريد يعمل للعرب هنا في صنعاء بيتاً أو يريد يحجون إلى الكنيسة. وفي أيام بني أمية في أيام عبد الملك بن مروان حاول أن يحج الناس إلى الصخرة التي هناك، وقالوا عمل مسجداً عليها أو قبة وقال يحجون هناك إلى الشام .

ومعنى هذا بأنه هذا الموقع وهذا البيت الحج والبيت هو محط مؤامرة من قبل بني إسرائيل وفعلاً لهم موقف منها من زمان من زمان وما زالوا مستضعفين ما بالك الآن وهم في زمن قوة أنه مما صرفهم عن البيت عداوتهم لإسماعيل وبني إسماعيل كارهين لذلك الموقع كارهين له لعدة اعتبارات وبالطبع عندما يكونون مستقوين عندما يكونون يرون أنفسهم أقوياء ونافذين يتآمرون والمؤامرة قائمة فعلاً مؤامرة بني إسرائيل لا تكون فقط بشكل تدمير موقع فقط بل أيضاً يحاولون أن يكون بالشكل الذي يصرف الناس، هنا جاء توثيق للزمن وتوثيق للمكان. وفريضة أن يحج الناس إليه في أي ظرف كان أن يحجوا إليه وأن هذا البيت والحج إليه واجتماع المسلمين حوله يمثل قوة بالنسبة لهم يمثل معلم من معالم القوة بالنسبة للمسلمين.

فعندما يتجه بنوا إسرائيل إلى المؤامرة على الحج على البيت لعدة اعتبارات لديهم: كراهية لهذا البيت كراهية لمن هم مرتبطين بهذا البيت من بني إسماعيل ولإسماعيل، كراهية لأثره الهام بالنسبة للمسلمين أنه يعتبر معلماً يبرهن أن هذه ما تزال أمة واحدة ما تزال أمة واحدة .

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} (آل عمران : الآية ٩٨) وقد ذكر سابقاً كيف كانوا يكفرون بآيات الله ويكفرون بآيات يعلمونها وآيات يشاهدونها وكانت قصتهم عندما كفروا بآيات جاءت على يد عيسى بن مريم قضية رهيبة جداً وغريبة جداً عندما يأتي يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وهم يشاهدونه يشاهدون كل تلك الآيات وهو يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ويكفرون بهذا قال هناك: {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (آل عمران : من الآية ٧٠) {لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (آل عمران: من الآية٧٠) وفي مقامات يقول: {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران : من الآية ٧١).

يبين هذا أهمية ما يسمى بمعالم تاريخية ،أو تراث معين هنا مقام إبراهيم أليس مقام إبراهيم يعني حجراً كان إبراهيم يصعد من فوقها وهو يبني الكعبة؟ أثر هذا تاريخي هام له أثره من الناحية التوثيقية ومن الناحية النفسية عندما تعرف بأنه هناك ما يزال أثر من آثار إبراهيم الذي رفع قواعد هذا البيت العظيم وأثر لوحدة

الدين؛ ولهذا أن الله قال في آية أخرى: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} (البقرة: من الآية ١٢٥) يحاول أن يصلي الناس عنده يتذكرون.
هنا تلحظ أنه لماذا الآخرون يحاولون يضربون كل الآثار والمعالم الإسلامية ويغيرون آثارها في نفس الوقت الذي يحاولون فيه أن يبقوا آثارهم على ما هي عليه تجد في مكة وفي المدينة كثير من الآثار غيروها هذه هي نفسها من الأشياء الرئيسية التي يتجه إليها اليهود، تغيير المعالم، أليسوا في فلسطين يصيح الفلسطينيون أن اليهود يتجهون إلى تهويد القدس، تهويد القدس يعني: ليس فقط تهويد نفوس يريد تهويد المنطقة معالم معينة يهودية ويطمس معالم إسلامية أو عربية فهي آية من آيات الله التي يعرفها بنوا إسرائيل لكنهم يكفرون بآيات الله.
{لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية ٧٠) ألم يقل هناك: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} (آل عمران: من الآية ٩٧) لكن دائماً هم هكذا الكثير منهم موطنين أنفسهم على أنهم يكفرون بآيات الله يشاهدونها أو يعلمونها وينطلقون على ما يخططون هم من جهة أنفسهم وعلى أهوائهم{وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} (آل عمران: من الآية ٩٨) توحي هذه بأنه لديهم نظرة سلبية نظرة عدائية بالنسبة للبيت الحرام والآيات هذه البينات التي فيه وللحج أنهم بالشكل الذي طبيعي أن يتآمروا يحصل لديهم مؤامرة لكن الله شهيد على ما يعملون هذه فيها تهديد لهم تهديد لهم مهما تآمروا سيجعل دائرة السوء عليهم يجعل مكرهم كما قال في آية أخرى: {وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (فاطر: من الآية ٤٣).
{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً} (آل عمران: من الآية ٩٩) تبغونها: أي تطلبون أنتم كلمة بغى. يعني: هو يطلب الشيء يبغيه. يعني: يطلبه، يعمل ليجعلها عوجاء وليس فقط بأنه لن يتدخل [من أراد يؤمن آمن والذي لا يريد فهو حر] ليست بهذا الشكل{تَبْغُونَهَا} (آل عمران: من الآية ٩٩) أي تبغون سبيل الله عوجاً أن تكون العوج بدل سبيله المستقيم{وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} (آل عمران: من الآية ٩٩) وكان أنتم من يجب أن تؤمنوا بالله وتسيروا على صراطه المستقيم وأن تدعوا إلى سبيله بدل أن تصدوا عنها؛ لأنكم ممن أوكل إليهم أن يكونوا شهداء يعني ماذا؟ أن يعملوا ليتجلى من خلال سلوكياتهم ومواقفهم عظمة الدين عظمة دين الله. هنا يذكر بالشكل الذي يدل على أنه فيما يعود إلى مسيرتهم بشكل عام من زمان هم يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً وهم في نفس الوقت شهداء يعني: من مهمتهم عندما كانوا ورثة للكتاب وكانوا هم يمثلون الدائرة التي تعتبر شهداء على الناس أن يحرصوا هم على الإيمان بالله وبرسله وبآياته ويدعوا إلى دينه ويمثلوا دينه في معاملاتهم ومواقفهم وسلوكهم ليكونوا شهداء على الناس.
{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (آل عمران: من الآية ٩٩) فما كان يظهر في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من صد عن سبيل الله ومحاولة أن تكون الطرق التي يسير الناس عليها عوجاء إنما هو امتداد لما هو سنة لديهم على طول تاريخهم.
إذاً بعد أن ذكر بأنهم هكذا يكفرون بآيات الله وأنهم يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها يبغونها عوجاً اتجه لتحذير المسلمين منهم{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران: الآية ١٠٠) هنا قال تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ينتج عنها الحالة هذه يحاولون في المؤمنين أن يردوهم كافرين؛ لأن السبيل المستقيم والصراط المستقيم هو الإيمان أن يبغوه عوجاً معناه ماذا؟ يردون الناس كافرين.
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران: الآية ١٠١) هذه الآية تعني أن آيات الله{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية ١٠١) فيها ما يجعلكم بعيدين كل البعد عن أن تكفروا تعتبر حالة غريبة وحالة سيئة جداً أن يحصل من جانبكم كفر وأنتم تتلى عليكم آيات الله ما معنى

الآية بأنه معناها ماذا؟ أن هذا لا يحصل منكم، إنما أنه فيما لو حصل منكم طاعة لهم وهم هكذا: يريدون أن يردوكم بعد إيمانكم كافرين، فإن كفركم هذا وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله تعتبر قضية كبيرة جداً وقضية غريبة جداً؛ لأن في آيات الله ما يجعل الإنسان بعيداً كل البعد عن أن يكفر عن أن يتأثر بأي تضليل أو خداع من جانب بني إسرائيل .

{وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران : من الآية ١٠١) هذه الآية مما تشهد بعظمة رسوله(صلوات الله عليه وعلى آله) عظمته وذكائه وفطنته وفهمه ومعرفته لليهود ومعرفته للناس ومعرفته لتضليلهم وخداعهم كيف يكون وقدرته على أن يبين للناس ما يجعلهم بعيدين عن الكفر . القضية هذه نفسها شاهدة بأنه الشيئين لا بد منهما وفق السنة الإلهية: كتاب الله الذي تمثل آياته، ورسوله كعلم [كتاب وعلم] فإن كان هناك رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يزال حياً وإلا فورثة الكتاب من بعده.

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران : من الآية ١٠١) بعد أن ذكر هناك بأن هذه الفئة بني إسرائيل هكذا هم يسعون، تبغونها، يعني: هو يفتش ويبحث ويعمل يطلب كيف يجعل السبل عوجاء ومعناها كيف يجعل المؤمنين كافرين، هذه تحتها ـ مثلما تقول ـ قائمة من الأعمال والمؤامرات الرهيبة عندما يكونون على هذا النحو: هم يبحثون ويطلبون أن تكون السبل عوجاء، ومعنى أن تكون السبل عوجاء أن يجعلوا الناس هم عُوجاً؛ لأنه في الأخير مسألة صراط أليس الله يذكر هناك بأنه الصراط ناس الصراط المستقيم يمثل عليه استقامة ناس يتجلى في استقامة ناس، خط يستقيم عليه السائرون عليه، سيجعل الناس هم يسيرون في الطريق العوجاء يكونون معوجين هم، أليس الكفر يعتبر حالة اعوجاج بالنسبة للإيمان؟ إذاً فمعناه أنهم عندما تكون القضية مرغوبة لديهم ومطلوبة لديهم ويتآمرون مؤامرات كثيرة من أجل أن يصلوا بالناس إلى الحالة هذه: يطوعونهم ليجعلوهم كافرين أنه يجب على الناس أن يكونوا يبحثون عن أي شيء يلتجئون، إليه ولن يجدوا إلا الله أن يبحثوا عمن يلتجئوا إليه وهو الله سبحانه وتعالى يعتصمون به، كلمة: يعتصم يعني: هي توحي بخطورة في نفسها، أنتم عند حالة خطيرة لا ينجيكم منها إلا الإعتصام بالله، والإعتصام بالله العودة إليه والإهتداء بهديه هذا الذي يعصم الناس من هذه الحالة الخطيرة.

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران : من الآية ١٠١) وإن الإعتصام اعتصام عملي، يعني، التجاء إلى الله ليهدينا إلى الصراط المستقيم الذي من خلاله نثبت على إيماننا ونستقيم ونعرف كيف نواجه أولئك الذين يبغوننا أن نعوج يبغون المسيرة أن تكون عوجاء وأن نكون عوجاً. فكلمة{فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(آل عمران : من الآية ١٠١) هي توحي بماذا؟ توحي بحركة، عمل، ليس الإلتجاء هنا فقط يتمثل أو يتجسد في أن تدعو [اللهم دمرهم اللهم اهلكهم فقط]. لا. الإعتصام بالله يتمثل في ماذا؟ في الإهتداء إلى صراط مستقيم{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ} (آل عمران : من الآية ١٠١) أي أن المسألة تقدم من البداية وكأنك أنت تستشعر الخطورة وتبحث عن جهة ترجع إليها توجهك كيف تعمل توجهك كيف تعمل وليس أن توجهها أنت لتعمل، يتجه إلى الدعاء أليس معنى هذا أنه ينطلق يقول للباري [أنت ..] يوجه الله هو الذي يعمل! لا، إنك أنت تعتصم بالله تتوجه إليه لتمتنع به وليوجهك هو كيف تعمل لتهتدي إلى الصراط المستقيم .

ودائماً كلمة:[هدى] وكلمة: [ضلال] كلها توحي بمسيرة، نفس الكلمتين هذه التي هي في القرآن الكريم واسعة الإستعمال، هدى وضلال معناها: طريق، مسيرة، حركة، ما تتصور أن الأمة هكذا راكدة أو أن الحياة راكدة{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ} (الإنشقاق : الآية ٦) الحياة هي حركة ومسيرة فإما أن تطلع إلى الصراط المستقيم وتمشي عليه فيقال هديت إلى كذا، عندما يقال: هديت أي: أنك أنت في طريق ماشي يوجهونك [من هنا تعال كذا] ما يقال: هدي للقاعد، ما يقال في اللغة إنما السائر مثلاً مسافر يسأل من أين؟ أنا أريد شخصاً أن يهديني إلى طريق كذا، أليس موسى قال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} (القصص : من الآية ٢٢) ما يقال للقاعد اهتدى أو هداه إلى كذا أبداً، يقال لمن هو في مسيره لمن هو سائر .

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (آل عمران : من الآية ١٠١) ليعمل الطريقة التي تنجيه من كل

مؤامراتهم وفي نفس الوقت يتفوق وليس فقط بشكل منعة بأنهم لن يصلوا إليه بل يستطيع هو مثلما جاء في مسيرة الآيات إلى آخرها أن يتغلب عليهم، أليس هذا الذي حصل في بداية الإسلام ؟ألم يضربوا وينتهوا في بداية الإسلام؟ فعلاً . فيحصل بهذا الشيء، الإعتصام بالله منعة من تضليلهم الثقافي من محاولات احتلالهم للأوطان من محاربتهم للدين من كل ما تعنيه كلمة عوج ، وهم عوج في كل شيء يقدمون ثقافة عوجاء وإعلام أعوج وكل مؤامراتهم كلها بالنسبة للناس إعوجاج .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران : الآية ١٠٢) **ما هي جاءت أيضاً أثناء الحديث عن بني إسرائيل؟ أنهم { إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** (آل عمران : من الآية ١٠٠) **لو لم يكن إلا فريق واحد فما بالك إذا قد هم متآمرين دول وليس فقط فريق واحد هذا معناه فريق واحد يشكل خطورة كبيرة جداً فما بالك وقد أصبحت دول تتآمر وليس فقط فريق واحد فهنا تنبيه للمؤمنين تذكير لهم بأنهم يجب عليهم أن يكونوا حذرين فيتقوا الله حق تقاته ويكونوا على حذر من بني إسرائيل من أهل الكتاب .**

{وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران : الآية ١٠٢) **معناها ماذا؟ حالة حذر على طول حالة حذر على طول ما تعتبرها حتى مرحلة فقط معينة لاحظ الآن نحن ألسنا نبدوا في الصورة وكأننا بدأنا نتحرك من سنتين مثلاً في موضوع تتحدث عن بني إسرائيل؟ هي من قبلنا، العمل من زمان عملهم وعندما لم يتقوا الذي قبلنا لم يتقوا الله حق تقاته لاحظ كيف كان الأثر السيء لبني إسرائيل كيف كان الأثر السيئ لأهل الكتاب على هذه الأمة عندما لم يتق الله الذين يحكمون الأمة هذه جيلاً بعد جيل، لاحظ كيف وصلت الحالة إلى أسوء ما يمكن أن تتصوره من حالة سيئة لأمة، حالة المسلمين اليوم**

جاءت تفسيرات لمثل هذه الآية بمعنى اتقوا الله حق تقاته بمعنى [أن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر] لا بأس هذا هو الشيء المطلوب من الإنسان بشكل عام لكن الآيات في إطار قضية هامة قضية معينة؛ ولهذا قلنا أنه حتى من الناحية البلاغية من الناحية البلاغية غير متناسب{وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} بعد كلمة: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} كيف يوجه مثلاً مؤمنين راقين في إيمانهم إلى أعلى درجات التقوى، ثم يقول: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران : الآية ١٠٢) **يعني: تحافظ على أقل تقدير تحافظ أنك لا تعود كافراً اتنبهوا، اتنبهوا هؤلاء قد يردونكم كافرين فاتقوا الله، كونوا حذرين الحذر التام وإلا فقد يردونكم كافرين بعد إيمانكم .**

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} (آل عمران : من الآية ١٠٣) **لاحظ عندما قال هناك سبحانه وتعالى {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** (آل عمران : من الآية ١٠١) **أليس هنا اتجه بتوجيهات عملية؟ توجيهات عملية، تحت كلمة: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} ينفخ فيك روح عملية ما هي هذه؟ {وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (آل عمران : من الآية) **ثم يبين هنا يوجه توجيهات كلها عملية{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا}** (آل عمران : من الآية ١٠٣) **اعتصموا بنفس المعنى السابق: اللياذ، والإلتجاء لتحصل المنعة تحصل منعة من شر هؤلاء وليستطيع الناس أن يكونوا متغلبين عليهم، اعتصموا، لوذوا بحبل الله واستمسكوا به جميعاً السبب الذي جعله سبباً لكم تمتسكون به ليمثل لكم ماذا؟ عصمة أي: منعة من شر هؤلاء ومن خبثهم ومؤامراتهم {جَمِيعاً}إذا بقي طرف لا يعتصم في الأخير يشتغل هو ضد الطرف المعتصم، خباث اليهود بشكل رهيب يشغلون آخرين من داخل الأمة .**

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران : من الآية ١٠٣) **هذه الآية نفسها وهذا الجزء من الآية فيه ثلاث عبارات كلها تعني ماذا؟ وحدة كلمة ووحدة اعتصام ما تعنيه كلمة{وَاعْتَصِمُوا}وما تعنيه كلمة{جَمِيعاً}والنهي عن التفرق{وَلا تَفَرَّقُوا}.**

تجد الآن كيف قضية هامة جداً موضوع: {وَلا تَفَرَّقُوا}المناهج عندما اتجهوا لمحاولة تغيير المناهج وبدأوا يغيرون المناهج أليس موقفاً يتطلب من الناس أن يكونوا جميعاً فيه؟ يعني في مواجهته موقفاً يتطلب موقفاً جماعياً منهم تجدها حالة في الأخير قضية تتناول المدارس في كل مكان في كل بلاد ما الذي يمكن أن يوقف هذه؟

موقف جماعي قد يأتي أهل بلد معين أو أهل قرية معينة يقولون: لا ، تجد المنهج حقهم شغال هناك في مناطق أخرى.

هكذا بشكل عام قضية وحدة المؤمنين قضية هي الأساس الذي يتمكنون به فعلاً من أن يكونوا معتصمين بحبل الله والإعتصام بحبل الله جميعاً معناه ماذا؟ وحدة دينية قوامها الإعتصام بحبله ليس معناه وحدة أي وحدة هذه هي الوحدة التي تمثل منجى وتمثل قوة بالنسبة للمؤمنين أن يكونوا ماذا؟ مجتمعين على الإعتصام بحبله وأن لا يتفرقوا ويفارقوا على الإطلاق هذا الأمر الإلهي الإعتصام بحبله .

الإعتصام بحبل الله قضية عملية عملية يعني حتى لو تأتي تفترض أنه حبل حقيقي مدلى ألن يكن معناه أن كل واحد يمسك بيده؟ حبل : معناه أنه قد جعل سبحانه وتعالى للناس سبباً يرفعهم يرتفعون به عن أن ينال منهم أهل الكتاب فيردوهم بعد إيمانهم كافرين ويضلونهم سواء السبيل، كم تحدث عنهم في آيات أخرى ما يريدون أن يكون الناس عليه كافرين ضالين لا ينالون أي خير من أظهر ما تعنيه كلمة حبله: القرآن الكريم بشكل أوضح من الآية السابقة التي قال فيها: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ}(آل عمران : من الآية ١٠١) **ألا يعني أن هنا حبل سبب يرفعكم عن أن تكونوا كافرين؟ فحبل الله هو السبب الذي جعله الله للمؤمنين يعتصمون به تراه في الأخير يتمثل في ماذا؟ يتمثل في توجيهات يتمثل في طريق يسير الناس عليه يتمثل في الأخير في هدى ليس معناه حبلا حقيقيا بالمعنى المحسوس لكن كلمة حبل تعني فيما تعنيه ماذا؟ انتشال من حالة خطيرة يريدون أن يوقعوكم فيها والوقوع معناه ماذا؟ سقوط إلى تحت إلى الحضيض فيمثل وحدة التوجه وحدة الطريقة وحدة الموقف وحدة الأمة.**

كلمة حبل أليست من المفردات التي لا يمكن أن تتصور فيها أكثر من شيء واحد؟ حبل يعني أوضح عبارة تعطيك التعبير عن وحدة المنهج والطريق والموقف والكلمة وأن الله هو يدلي حبلاً واحداً لا يوجد هناك حبال متعددة وكل واحد يمشي على مزاجه ويمسك بالحبل الذي يعجبه ليست هكذا هو وضع حبلاً واحداً هو دلى لعباده حبلاً واحداً يتمسكون به .

إذاً فالوحدة هنا معناها: وحدة دينية، وحدة تقوم على أساس الإعتصام بحبل الله أليست هي تعني في الأخير وحدة عملية؟ إذاً هذه قضية هامة؛ لأن الكثير يفهم أن موضوع الوحدة أن نكون متجمعين هكذا على شيء، نحن نصلي جميعاً في مسجد إذا أحد وجه توجيهاً البعض مثلاً غضب منه وقد هو يريد يخرج، قال الآخرون: [قد فرقتوا كلمتنا] لا. إن الذي يجب أن تجتمع عليه كلمتنا هو الإعتصام بحبل الله فإذا كان هناك توجيه هو توجيه بهذا تذكير بهذا بحبل الله الذي يجب أن نعتصم به التي تتجلى في الأخير بشكل مواقف اتجاهات ومواقف موقف واحد يسير الناس عليه فغضب آخرون هؤلاء اعتبرهم لا يريدون أن يتمسكوا بالحبل لا تأتي أنت تترك الحبل وتلحقهم أو تترك تذكير الناس بأن يعتصموا بما هو اعتصام بحبل الله في الواقع لأجل لا يخرج عليك من ا لمسجد صفان أو ثلاثة .

فالوحدة في الإسلام هي مبدأ وقاعدة هامة ويجب أن تعرف أن كل ما هو هام وكل شيء في القرآن هو يرسم طريقته كاملة يرسم طريقته ليست كلمة وحدة كلمة عائمة لا ندري كيف يريد على أي أساس تكون رسمها رسماً كاملاً ما هي الوحدة الدينية وكيف يجب أن يكون المسلمون ليكونوا متوحدين هذه الوحدة الدينية المطلوبة أعني ليست قضية متروكة للأمزجة متروكة للأطروحات المتعددة أن يقول نتوحد من منطلق [قومي] هذا عنوان أو نتوحد من منطلق [وطني] أو نتوحد من منطلق [قبلي] أو بأي عبارات من هذه، لا ، لا يمكن ولا يتم ولا تكون مجدية أي وحدة من هذه إلا إذا كانت وحدة قائمة على أساس الإعتصام بحبل الله .

الآية هنا أليست موجهة للمسلمين بشكل عام موجهة للمؤمنين ؟! عندما تجد في الأخير اتسعت دائرة المسلمين هل يمكن أن تقول بأن الآية هذه أصبح العمل بها غير ممكن قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً}(آل عمران : من الآية ١٠٣) **لكن لاحظنا إلا وقد المسألة غير ممكنة لم يعد ممكن ؟! أنك تأتي تجمع السنية والشيعة وطوائف السنة وطوائف الشيعة وتجمع المسلمين ليكونوا متوحدين . مفرقين الآن ممزقين ومفرقين كطوائف وليس فقط مفرقين في بلدان متعددة كطوائف كأحزاب .**

في السنة الإلهية الله قال في كتابه الكريم: {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} (الكهف : من الآية١) لا يوجد حاجة اصطدمت به فعطلته على الإطلاق الطريقة ما تزال قائمة أعني لو يقول واحد الآن [حقيقة أن المسلمين لو توحدوا العرب لو توحدوا ولو.. ولو..] ومن هذه الأشياء لكن أليست عند الكل تقريباً شبه مستحيلة؟ شبه مستحيلة . إذاً فهل القضية انتهت؟ لأن هذه أتت ضمن توجيه إلهي فيما يقعد الناس عن خطورة وشرور بني إسرائيل ومؤامراتهم التي منها أن يردوا الناس كافرين وقضية كافرين خطيرة جداً إذا أراد الواحد منا أن يعرف ماذا يريد لنا بنوا إسرائيل عندما يقول الله: {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران : من الآية١٠٠) تصفح في القرآن الكافرين تجد الكافرين كيف قدموا في القرآن أسوء حالة . الكافرين قدمهم في القرآن {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد : الآية٨) {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ} (محمد: من الآية١٢) {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ} (الأحزاب : من الآية٦٤) وآيات من هذا القبيل.

لهذا تجد صورة الكافرين مخيفة جداً لتعرف بأن من يسعى ويتحرك ويتآمر ليردك كافراً معناه أنه يريد أن يوقعك في أسوء حالة يمكن أن تتصورها ليست قضية سهلة إذاً فما يقدم من توجيهات في إطار إبعاد الناس عن هذه تعتبر كلها نقاط هامة وكلها قابلة التنفيذ ما فيها شيء في الأخير تعتبره أصبح مستحيلاً على الإطلاق لا يوجد فيها ما يمكن نقول:[حقيقة توجيه قيم لكن لم يعد ممكناً] ما في كتاب الله شيء من هذه إلا أن تكون أنت ما عندك توجه أنت فهناك قاعدة أخرى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ} (محمد : من الآية٣٨) .

إذاً ما هناك أبداً ما يجعل كتاب الله يصطدم بشيء فيعوج {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} (الكهف : من الآية١) إذا وجدت أن المسلمين كلهم ليسوا متوحدين، فليس المشروع هنا أنك تحاول تجمع السنة والشيعة وتوحد العرب، حاول [جمال الدين الأفغاني] حاول [الخميني] حاول [محمد عبده] حاول [البناء] حاول كثير ما تمت المسألة. الله رسم طريقة أنه عندما يقول للناس توحدوا هذا شيء، لكن وممكن يكون هناك فئة تتوحد وتنطلق على أساس كتابه وتمثل دائرة، هذه الدائرة قابلة أن تتوسع هي تجد هذه هي القاعدة التي جعلها الله سبحانه وتعالى من بداية وقوع اختلاف بين البشر{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة : من الآية٢١٣) إن الله يضع منهجاً كاملاً للتوحد لا يقدم فكرة مؤتمرات أو فكرة تلفيقات بين طوائف هو يضع منهجاً كاملاً يجتمع الناس حوله وتتوسع دائرتهم ويكون بالشكل الذي يكون الآخرون أقرب إلى ماذا؟ إلى الإجتماع حوله وإلى الإلتفاف حوله بأفضل من فكرة تلفيقات من هنا وهنا، هذه لا تتم عليها وحدة بما تعنيه الكلمة أبداً تكون وحدة هشة .

الله ينزل كتاباً ويصطفي علماً، يعني هنا: بدل أن نقول مؤتمرات ونحاول السنة والشيعة يتجمعون على أساس أنه أنتم يا سنة اسكتوا من كذا والشيعة يسكتون من كذا ونحاول جميعاً أن نكون كذا كذا، هنا أنت ستقدم شيئاً لا يرضى عنه بالكامل هذا، ولا يرضى عنه بالكامل الطرف الآخر، قضية أكيدة أنه في موضوع مثلاً تجميع سنة وشيعة وعلى أساس أن كل طرف يقدم تنازلات من عنده إنما يكون ناتجاً ليس بالشكل الذي يرضى عنه كاملاً الشيعي ولا بالشكل الذي يرضى عنه كاملاً السني؛ لأن هواية الشيعي أن يكون الناس شيعة جميعاً، وعلى رؤيته هو، وما يهواه السني أن يكون الناس كلهم سنّية على وجهته ومذهبه هو، إذاً سيكون تفاعل الطرفين مع ما قدم تفاعل غير حقيقي، أعني متدني؛ لأنه ليس الشيء الذي هم منشدّون إليه هو دون ما يريدون .

يأتي بديلاً عن كل التلفيقات منهج إلهي [كتاب]، أليس هذا هو فوق التلفيقات فوق، والأطراف كلها على سواء ملزمة بأن تؤمن به وتتبعه، هنا تكون أقرب فعلاً أقرب إلى الإلتقاء؛ لأن السني سيلتقيك هنا على أساس أنه مؤمن بالكتاب وليس مؤمناً بك أنت كشيعي، الشيعي سيؤمن بالكتاب ويتبعه وليس على أساس أنه استجاب للسني كلهم يتبعون قضية هي من فوقهم، هي فوقهم وهم ملزمون بها جميعاً وليست من عند طرف منهم الشيعي يدعو إلى أن يكونوا شيعة والسني يدعو إلى أن يكونوا سنة، أبداً .

{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة : من الآية٢١٣) إذاً أليس هنا قدم [المنهج والعلم] القيادة مشروع متكامل، مشروع متكامل؛ لأن من مقومات الوحدة بشكل صحيح هو ماذا؟ [منهج وقيادة] هل يمكن

تتصور أمة يقال توحدت ولا يكون توحدها على أساس [منهج وقيادة]، معروف حتى قَبَليَّاً يكتبون [قاعدة] يعني ماذا؟ منهج، أليست هكذا؟ ويختارون شخصاً كبيراً لهم معناه ماذا؟ قيادة.
الله يضع المنهج يختار هو المنهج ويختار هو القيادة التي ماذا؟ تتحرك على أساس ذلك المنهج وتهدي بذلك المنهج ويلزم الكل بأن يسيروا على هذا المنهج ويتبعوا تلك القيادة، هنا تتم المسألة تبدأ بدائرة وقابلة للتوسع وهو أفضل مشروع وحدوي فعلاً، أفضل مشروع وأرقى مشروع وحدوي، وقلنا في كلام سابق بأن الطريقة هذه هي أضمن لوحدة المسلمين على اختلاف طوائفهم؛ لأنه إذا كان المسلمون الآن مجمل ما لديهم يتعصبون لمسائل، فالطريقة هذه التي قدمت على يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أنزل عليه القرآن واختير هو نبي، وعندما تحرك والتفّت حوله دائرة، أصبح في الأخير ماذا؟ العربي من القبيلة الفلانية ومن القبيلة الأخرى ومن أي منطقة تركوا آلهة يعبدونها، أليست مسألة آلهة يعبدونها؟ أرقى من مسائل فقهية في تعصبك لها وفي إنشدادك لها، تركوا آلهة واجتمعوا هناك.**
إذاً فهذه القاعدة هي القاعدة المهمة، وهي الطريقة المهمة وطريقة ما تحتاج إلى مؤتمرات، فالتوجيه {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران : من الآية ١٠٣) **هو قائم واجب عليكم، وطريقة الإعتصام بحبله هو الذي يختص بها، هذا حبله القرآن الكريم ومن يختاره أن يكون علماً مع كتابه، هنا في الأخير تتحقق وحدة بين الناس وكل واحد لا يرى أنه تنازل لطرف آخر كل واحد يرى أنه تخلى والآخر تخلى ونفوس طيبة ويتفاعلون بإيجابية مع ماهم مؤمنين به بنسبة ١٠٠٪، لكن عندما يقدم تلفيقات يكون إيماناً ٥٠٪ أو أقل .**
لهذا نقول بأنه عندما نخطب نحن عندما نتحدث مع الناس لا تكون أنت تتحدث معهم دائماً ترسخ في ذهنيتهم ما يبدو أمامهم مستحيلاً [لو توحد العرب ولو توحد المسلمون] هذه مقولة يمكن تقولها لكن يجب أن تتحدث مع الناس بأن الله لم يجعل القضية مترتبة أو معلقة على ما هو مستحيل أمامنا، رسم طريقة فالذي يسير عليها من الناس تتسع دائرتهم تتسع كما بدأت هذه النقطة واتسعت، ألم تبدأ برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وعلي وخديجة؟ ثلاثة، ثم اتسعت الدائرة حتى أخذت الجزيرة ثم حتى تغلغلت إلى داخل بلدان أخرى، هل عمل رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **مؤتمرات بين العرب ومحاولة توحيد الأصنام؟ [بدل ما يكون صنم هؤلاء صغير، وصنم هؤلاء كبير، هؤلاء من الخشب هؤلاء حجر هؤلاء كذا] وتلفيقات وأشياء من هذه، لا، طريقة كلها جديدة.**
ولهذا قلنا أنه من معجزة هذا الدين أنه استطاع أن ينقل العرب تلك النقلة الرهيبة، النقلة من التشبث بآلهة يسمونها آلهة يعبدونها ويعتبرونها آلهة، يتخلون عنها ومن أمة فوضوية إلى أمة انتظمت فعلاً، ما هي انتظمت؟ ولو لم يكن إلا في فترة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **لكان شاهداً كفاية وفوق الكفاية أن يشهد بعظمة هذا الدين، استطاع أن يجعل أولئك العرب الذين كانوا يتقاتلون بما فيهم أهل المدينة التي هاجر إليها، كانوا فئتين متقاتلة هم كل فترة، وخرجوا إلى خارج المدينة يتقاتلون ولهذا قال هنا: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً}** (آل عمران : من الآية ١٠٣) **فعندما تقول [حقيقة الوحدة قضية لكن يوجد عداوات ويوجد ويوجد] فيجب أن تفهم بأنه أن نعتصم بحبل الله هو الذي سيوجد من جهة الله سبحانه وتعالى وسيأتي من جهته تدخل إلهي فيؤلف بين قلوب الناس وإن كانوا أعداء.**
إن هذا فيه توجيه هنا يجب أن نركز على النقطة هذه؛ لأنه كثير من الناس قد تلمسهم عندما تسمعه يقول لك [حقيقة هم أعداء والأمريكيين ملاعين واليهود ملاعين والنصارى كذلك لكن! العرب ما توحدوا] هو في الأخير يرى هنا العرب مشتتين فيتردد؛ لأنه في الذهنية أن القضية هي هكذا، إنما فقط إذا توحد العرب جميعاً إذا توحد المسلمون جميعاً فيمكن، يراها مستحيلة، وعزم يجلس، فرأى من يتحركون بأنهم ناس هؤلاء مغفلين يتحركون وهم قليل يتحركون و..! لا، لأن هذه هي البداية الصحيحة عملياً لتوحيد أمة تكون هي هناك بالشكل هذا المتكامل، لا يكون تلفيقات، لهذا نقول بالنسبة لنا ما هو ممكن أن يكون مؤثراً علينا مثلاً في مسيرتنا أن يكون الناس منتبهين تماماً، لا يأتي أي شيء بين سنة وشيعة وإلا ضاع كل شيء، ما المسألة معلقة على هذا فعندما نأتي نعتبر مثلاً بأنه لن ينجح المسلمون إلا إذا توحد سنة وشيعة، أليس هكذا؟ أو يجب أن يتوحد السنة

والشيعة ويجب أن لا يكون هناك أي طرف من هنا أو من هنا قد يكون من عنده ما يوجد خلاف بين سنة وشيعة هذا موضوع أنت هنا تعلق الفرج على المسلمين، تعلق مثلاً أن يكونوا منتصرين على أعدائهم، بما هي في الذهنية شبه مستحيلة أليس باستطاعة الآخرين أن يحرّكوا من داخل الشيعة، ويحرّكوا من داخل السنة؟ هل باستطاعتك أن تغلق هذا الباب؟ كيف تعلق المسألة على قضية أنت لست باستطاعتك أن تقفلها؟ هذا معناه أنه مستحيل، معناه في الأخير مستحيل.

لكن هذه القضية ليست معلقة على توحد سنة وشيعة، هو مطلب أن يتوحد الناس{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران : من الآية ١٠٣) لكن عملياً لو تقول: هي متعلقة على هذا، كان معنى هذا أن الآية هذه اصطدمت بواقع مستحيل، أليس المعنى هكذا؟ والله يقول في القرآن: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قيماً} (الكهف : الآية١) قيّماً ما يمكن شيء يصطدم به يجعله يعوج ويرتد على نفسه وفشل، أبداً، فقط الناس يفشلون هم، نفشل نحن أما نفس ما قدمه الله فهو قابل للتنفيذ، وفي الأخير ما تدري وتصبح مشكلة فيما بين الشيعة هم، وما بين السنية هم، يأتي الأمريكيون يحرّكون من داخل السنية سنيين يشاغبون ضد الشيعة، السني الذي هو حريص على أنهم يتوحدون [وضروري يتوحدون وإلا فما نستطيع نعمل شيئاً] وفي الأخير يتحرك ضد ذلك، وإذا بالسنية من داخلهم قد هم متصارعين إضافة إلى ما سيحصل من تأثر بما يشتغل به الآخر من داخل السنة أو من داخل الشيعة، يعني القضية لا يستطيع أحد أن يغلقها ما تستطيع تقفلها أبداً.

عندما ترتب المسألة على هذه، فمعنى هذا أن العدو عندما نقول: نحن لا نستطيع أبداً أن نقف موقفاً إيجابياً في مواجهته إلا إذا توحدنا كلنا سنة وشيعة، فيكون هو يركز على المسألة يركز على أن يوجد خلاف دائم بين سنة وشيعة ويثير من داخل شيعة ويثير من داخل سنة، فكل ما وجد إنسان مهما كان مخلصاً ومتفاعلاً أنهم ما رضيوا يتوحدون، كلما ماذا؟ حصل عنده إحباط وفي الأخير يجلس ويقول: [المسئولية على السنة والشيعة لم يرضوا يتوحدوا] .

هذه الطريقة فيها ما يطمّع العدو، أن تتقدم له بأنه ما يمكن أن تقف في مواجهته إلا إذا قد توحدت الفئتان اللتان بعيد أن تتوحد على ما هي عليه، فالمشروع الإلهي قابل للتنفيذ، و على القاعدة هذه القرآنية والتي عملها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي تحقق نصراً؛ لأن الوعود الإلهية ليست متعلقة على أن يتوحدوا سنة وشيعة، هذه الوعود الإلهية نزلت والمسلمون ربما أقل من سكان محافظة من المحافظات هذه في اليمن في عددهم، وعود إلهية بالنصر بالتأييد بأن يؤلف بين قلوبهم، لا يقول: إنما فقط إذا كان سيجتمع العرب جميعاً أو يتوحدوا سنة وشيعة سوف يؤيدهم بنصره، أما إذا هناك ناس آخرين سيتوحدون ويسيرون على كتابه فيقول لهم: لا، هو رحيم سبحانه وتعالى عندما يكون هناك مثلاً يوجد إلى حدود ألف ألفين مستعدين أن يتوحدوا على كتابه هل يمكن أن الله يقول لهم أبداً روحوا لكم، إنما فقط إذا توحدوا سنة وشيعة؟ أبداً، وعوده تصدق حتى على أقل منهم.

إذاً، فالطريقة القرآنية هي طريقة قابلة للتنفيذ وقابلة فعلاً بأن يتوحد حولها سنة وشيعة، لأنه ما الذي عند السني وما الذي عند الشيعي؟ أليست مسائل معينة، تشبثه بها قد يكون دون تشبث العربي السابق بإله؟ كلمة إله قضية ليست سهلة عنده، تركوا الآلهة وساروا بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ودانوا بتوحيد إله واحد وهو الله، إذاً فالدين الذي نزل على العرب وجعلهم يتركون آلهتهم ممكن يجعلهم يتركون مسائل معينة، سواء ولاءات لأشخاص أو مسائل فقهية أو مسائل من هذه هي اعتقادية، هي كلها دون ما كان عند العربي الأول باعتبار تشبثه بها، ولن يمس الإعتصام أو هذا المشروع القضايا الأساسية عند الكل، أليسوا مؤمنين بالله؟ ومؤمنين بأنه لا يجوز أن يكون له شريك؟ أليسوا مؤمنين بوجوب اتباع ما جاء من عنده؟ أليسوا مؤمنين بالقرآن ووحدة القرآن؟ وحدة نصّه ووجوده تعتبر نعمة كبيرة جداً، نعمة كبيرة أنه ما زال موجوداً القرآن الكريم والعرب والمسلمون جميعاً متفقون عليه، ليسوا مثل اليهود والنصارى كم معهم أناجيل النصارى! اليهود قد ضيعوا التوراة، والنصارى معهم كم أناجيل أربعة على الأقل الموجودة الآن تتداول بينهم، وكل إنجيل فيه خلاف

الإنجيل الثاني! أما العرب أما المسلمون فما زال معهم القرآن كلهم متفقون على الإيمان به كلهم متفقون على وجوب العمل به متفقون على الإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد، متفقون على قبلة واحدة ما يزال هناك عناوين يمكن أن تشكل اتفاقاً، يعني عندما يأتي أحد بمشروع على أساس القرآن هل سيكون في الأخير سيلامس قضايا أساسية لديهم يتخلون عنها؟ أليسوا متفقين كعناوين على صلاة زكاة حج صيام جهاد وحدة؟ متفقين على أنها كلها واجبات.

إذاً فالخلل هو من مسألة التقديم، مسألة من يقدم من يثق بأن الطريقة هذه قابلة ويعرف أنها ناجحة كما أنها نجحت في العرب الأولين فنقلتهم وتركوا آلهة، هؤلاء سيتركون ما هو دون الآلهة فعلاً، يجتمعون على الكتاب على طاعة الله وطاعة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لكن إذا قدم بطريقة صحيحة، أما يأتي واحد من داخل الشيعة يؤقلم القرآن معه ويريد يجعل السنة يتشيعون يعني يكونون مثله على رؤيته ومذهبه وطريقته أو واحد من داخل السنية يقول [فعلاً الكتاب لكن تعالوا الكتاب هذا تفسيره] ويؤقلمه معه ويقول للناس يتحولون إلى سنة، هذه لا تتم لازم القرآن يُقدّم بطريقة صحيحة، طريقة تنفي أي خطأ هنا أو هنا، طريقة تعطيه أولوية لا تؤقلمه أبداً لا وفق أشخاص مهما كان ولاؤك لهم، ولا وفق مذهب مهما ترسخ في ذهنك وتكرر في ذهنك الولاء له، لا، أن تجعل القرآن هو الأصل، هذه القاعدة المسلمون متفقون عليها، يعني حتى هذه هم متفقون ويقولون عن أئمة المذاهب أن كل واحد يقول اعطوا أولوية لكتاب الله وسنة رسوله، أليس كل واحد يقول هذه؟ يقولون عنهم إن كل واحد من أئمة المذاهب يقول: [إذا صح لكم عن رسول الله كذا فارموا بقولي عرض الحائط.]

إذاً أليس بالأولى فيما يتعلق بالقرآن، يعني ما أحد سيقول أن عنده عقيدة أنه سيتبع فلان وإن كان مخالفاً للقرآن هذه كعقيدة غير حاصلة وإن كانت واقعاً قائمة لكن كعقيدة هم متفقون على أن القرآن هو له الأولوية على أي شخص من أئمة المذاهب، هذه قاعدة حاصلة، هذه ما تزال نعمة إذاً فعندما يقولون:[مقومات التوحد متوفرة] لكن تكون الغلطة في الطريقة من البداية كيف تكون عندما يقول [إذاً نحن متفقون على صلاة وصيام وزكاة إذاً نحاول نؤقلم صلاتنا..] وكيف نؤقلم، يعني ماذا؟ لفلفة ولملمة وتلفيقات، لا ، إنّك شغل هذه العوامل التي تسميها عوامل توحّد، أن تعتبرها أرضية قابلة لماذا؟ لأن يسيروا على هذا الشيء الذي هم متفقون عليه فعلاً وهو القرآن الكريم، لا أن تنطلق في الأخير إلى هناك. إلى داخلهم وتعمل بينهم لملمة وتلفيقات وكل واحد ما يزال متمسكاً بما هو عليه.

لهذا، لاحظ كيف في القرآن الكريم تكررت كثيراً وهو يدعو اليهود إلى الإيمان، ألم يقل فيه: {مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (النساء : من الآية٤٧) **؟ لكن عندما قال: {مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ}** (النساء : من الآية٤٧) **على أساس أنها تعتبر أرضية تجعلكم قابلين للإيمان بهذا، ما معناه إذاً ما دام معكم شيء صحيح وهذا صحيح فتعالوا نعمل تلفيقاً ونعمل وثيقة مشتركة بين الطرفين، لا ، عندما يقول: {مصدقاً لما معكم}** (النساء : من الآية٤٧) **{وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ}** (آل عمران : من الآية٩٩) **ولهذا يقول: {وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ}** (آل عمران : من الآية٩٩) **أي هذه الحالة التي لديكم هذا لا يتنافى معها من حيث المبدأ فيجب عليكم أن تتجهوا للإيمان به، هذه طريقة أساسية في موضوع توحيد المسلمين أنك هكذا تدعوهم، ألسنا مؤمنين جميعاً بالقرآن؟ أليس كل واحد من أئمة مذاهبنا يقول بأن نرمي بكلامه عرض الحائط إذا كان مخالفاً لكتاب الله ورسوله؟ إذاً فتعالوا نعطي القرآن أولوية أليست هذه قضية قريبة؟.**

ثم من الناحية الأخرى لا تتمثل في موضوع مجرد حوار، يجب أن تكون هناك حركة قائمة على أساسه؛ لأنه لا تنتهي المسألة إلى مجرد دعوة ومجرد حوار ومجرد مناظرات ستنتهي إلى ـ تقريباً ـ لا شيء، يجب أن تكون بهذا الشكل، دعوة على هذا الأساس، وحركة قائمة على هذا الأساس؛ لأنه من خلال الحركة للأمة يحصل تأييد إلهي فيلمس في داخلها ما يجذب الآخرين إليها، هذه قضية أساسية في توحيد المسلمين ليست مجرد حوارات .

إذاً فالبعض عندما يقول :[نحاول أنه يبتعد الإنسان أنه لا يقدم حاجة تكون مثيرة لآخرين نكون نحاول نسكت عن بعض أشياء ونحاول، ونحاول من أجل تبقى كلمة المسلمين أو إذا ما يزال بالإمكان أن يتوحدوا] هذه طريقة

تلفيقية، هذه غلطة، إذا أحد من داخل أيِّ مذهب كان ينطلق مع الناس على أساس يجرهم إلى مذهبه هذا لن يحصل يبقى صراع دائم، لكن أن تأتي وتقول: القرآن الكريم هو الأساس ، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، فننقد ما عندنا جميعاً عندما تنقد ما عند الكل عندما تنقد هذه الأشياء باعتبار أنها تعيقهم عن اتباع القرآن الكريم وأنها وراء الحالة التي وصلنا إليها، هذه القضية ما تسمى مذهبية ما تسمى دعوة إلى طائفة معينة ما تسمى حركة من قبل مذهب يريد أن يدخل الآخرين فيه على ما هو عليه.

ألسنا ننقد الكل داخلنا نحن كزيدية وداخل الإثنا عشرية وداخل السنية بشكل عام؟ نحن نقول للجميع: يجب أن نعود جميعاً وعندنا أخطاء جميعاً لنعتصم بحبل الله جميعاً وليس كل واحد يصلح له حبل ويدعو الآخرين أن يعتصموا به؛ لأنها غلطة من الأساس هم طوائف وكل طائفة تعتبر نفسها معها حبل أو أن حبلها هو حبل الله والآخر يقول: أن حبله هو حبل الله، وهكذا، لا، نعود إلى حبل الله الذي نعرفه جميعاً ومتفقون على نصه وهو القرآن الكريم؛ لأن الله ذكر في كتبه أنها بالشكل الذي يمكن تُوحد بين ملتين عندما قال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة : من الآية١١٣) أليس معنى هذا أن في الكتاب ما يمكن أن يوحدهم؟ وهم هنا ملتين ويلعن بعضهم بعض ويكفر بعضهم بعض وهنا يقول: {وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة : من الآية١١٣) لأن الكتاب بالشكل الذي يمكن أن ينسف هذا الخلاف الذي بينهم ويجعل منهم أمة واحدة، أفلا يستطيع الكتاب نفسه أن يجمع المسلمين وهم ما يزالون ملة واحدة؟ إنما فقط مذاهب داخلها وما زال المجموع عبارة عن ماذا؟ ملة واحدة.

تلاحظ أنه في هداية الله سبحانه وتعالى، في توجيهاته هو يعلم ما يمكن أن يخطر عند الناس من أشياء تجعل ما دعا إليه وكأنه مستحيل{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران : من الآية١٠٣) قد يقول: [لكن كيف ونحن قد يكون هناك أعداء وعداوات ونفوس متباينة] هو هنا يذكرهم بأنه يتدخل متى ما اتجهتم بصدق إلى أن تعتصموا بحبله جميعاً فهو سيغير النفوس{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران : من الآية١٠٣) هذه تعني بأنه ما يمكن في موضوع الوحدة أن تشكل لجنة من هنا وهنا ويضعوا خطة ليلتقي عليها الكل؛ لأن القضية لازم أن تكون الخطة فيها هي الخطة التي يكون الله معها ويقرها هو، لماذا؟ لأن القضية تحتاج إلى تدخل إلهي، القضية تحتاج إلى تدخل إلهي بالنسبة للنفوس، كما قال هنا: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران : من الآية١٠٣) مجتمع مُتعادي هل هو قابل لأن يعتصم بحبل واحد، هل هو قابل؟ إذا حصل عنده توجه ونية وآمن من حيث المبدأ واتجه الله يتدخل فيؤلف بين القلوب، إذاً فلازم أن تكون خطة الوحدة أو الخارطة ـ لمن هم يقدمون خرائط ـ أن تكون ماذا؟ هي الخطة التي يكون الله معها، لأنها مسألة لازم من تدخل إلهي فيها .

{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٣)
وباعتبار آخر يذكّر المسلمين بأنه أهل الكتاب سيوقعونكم في خسارة لكل ما أوصلكم هدى الله إليه من النعمة العظيمة.

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} (آل عمران : من الآية١٠٣) .فلا تخسروا هذه النعمة، نعمة الهدى نعمة الإيمان، حتى أصبحتم على هذا النحو، فلا تخسروا هذه النعمة التي أنتم فيها، يعني فيها ما هو توجيه قبل أن يكون الناس على هذا النحو وفيها ما هو توجيه لهم وهم على هذا النحو؛ لأنه عندما يقول عن أهل الكتاب: {يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران : من الآية ١٠٠) ما معناها خسارة لكل ما أوصلكم هدى الله إليه؟ {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} (آل عمران : من الآية١٠٣) وهؤلاء يريدون أن يردوكم كافرين فتكونون في ماذا؟ ليس فقط على شفا حفرة بل في الدركات السفلى من جهنم{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٣) أليس هذا يوحي بطريقة عملية؟ اهتداء لحركة، اهتداء لمسيرة اهتداء لرؤية. هنا يبين الله لكم آياته نفس كلمة آيات تعني

بينات وأيضاً يبين البينات، أليس هذا من كمال الرحمة؟ ومن أعظم مظاهر رحمة الله بعباده؟ {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٣).

{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٤) اجعلوا من أنفسكم أمة على هذا النحو، أليس هذا توجيها عمليا، أوامر عملية؟ إذاً، ترى في الأخير أنه غير مقبول أن يأتي أحد من الناس يقول: [حقيقة أنه وضع سيء، ولكن يا ندّعا ويكفي] أوامر كلها عملية اهتداء {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٤) فعندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران : من الآية١٠٤) هل سيترك المسألة مبهمة، أو تترك لأمزجة الناس في كيف يكونون أمة؟ هذه قاعدة قرآنية كلما وجَّه به هو يرسم طريقته كاملة عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران : من الآية١٠٤) هو سيوجه إلى كيف يعمل الناس ليجعلوا من أنفسهم أمة .

من البداية قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} (آل عمران : من الآية١٠٣) أليس هذا التوجيه إلى المنهج الذي يسيرون عليه؟ وللمسئولية التي يتبنونها أو ينهضون بها ؟ ما معناه {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران : من الآية١٠٤) تتجمعون تكون الشوارع ملان والسوق ملان والـ .. لا، أمة مجتمعة على اعتصامها بحبل الله تنهض بمسئولية، هي هذه مسئولية كبيرة تشمل تقريباً كل شيء {يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران : من الآية١٠٤) هذه ثلاثة عناوين كبيرة تحتها تقريباً كامل المسئولية فيما يتعلق بدين الله وإقامة دين الله، إعلاء كلمة الله، مواجهة أعداء الله تتناول القضايا التربوية العملية كل شيء، الآية هنا عندما يقدم {يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} (آل عمران : من الآية١٠٤) معناه أمة كلما هو مسيطر على مشاعرها على نفسيتها أنها داعية إلى الخير، تدعو البشر جميعاً إلى الخير، هذه القاعدة أساسية لديها، يعني هنا لا يجعل تكتلات ـ كما يقال ـ تكتلات ذات مواقف إقليمية أو شخصية من أطراف أخرى أبداً، تكتل ديني الشيء الذي يريده للبشر جميعاً هو الخير فيدعون إلى الخير يدعون إلى الخير، والجهاد بكله هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أجل إقامة الخير {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران : من الآية١٠٤) .

عندما يقول: {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران : من الآية١٠٤) تجد أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مسئولية جماعية، أي القضية أو الواجب فيها هو مترتب على خطاب جماعي، فيما يتعلق بك أنت كفرد تتناول ما يمكن أن تلحقه يدك من أمر بمعروف ونهي عن منكر ما يمكن أن تلحقه، ما معناه فقط، أيضاً يجب أن يكون الناس أمة لأن هناك من المنكرات ما لا يستطيع شخص أن يغيره يحتاج إلى أمة وهناك من المعروف ما لا يستطيع شخص أن يأمر به ويقيمه.

ونفس العبارة يأمرون وينهون لا تتم إلا عندما يكون الناس أمة وإلا لكانت العبارة البديلة [يفتون] هنا لا يوجد هكذا فتوى [يفتون] بل قال يأمرون وينهون، ما معنى يأمرون وينهون؟ هم في موقع قوة، يأمر وينهى يعني ماذا؟ أشياء عملية أليست أشياء عملية هنا؟ ما يقال بأنه فلان أمر أو أنه نهى إلا إذا كان في موقع تنفيذي وإلا هو فقط يقال: قضى أو يقال أفتى، ليس معناه أمة تفتي فقط، بل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هذا توجيه عملي.

{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران : الآية١٠٥) لاحظ هذه الآيات كيف هي مليئة بالتوجيه بوحدة الكلمة أمة متوحدة ومعتصمة بحبل الله جميعاً، عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران : من الآية١٠٤) أليس هذا توجيهاً يشبه {جَمِيعاً} يأتي بعدها {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران : من الآية١٠٥) لأن مسئوليتكم كبيرة، ومسئولية لا تنهضون بها إلا إذا كنتم أمة، تجعلون من أنفسكم أمة أو تقول هي مسئولية تحتاج في النهوض بها إلى أمة، الأمة يطلق على قليل أو كثير يسمى أمة إذا قد هم مجموعة متحركة.

فالخطاب يتناول المسلمين جميعاً أنه يجب أن يكونوا هكذا كتوجيه، يجب أن يكونوا هكذا لكن عملياً لا يتوقف ـ

مثلما قلنا سابقاً ـ على أنه لا بد أن يجتمعوا كلهم جميعاً فيكونون هكذا .
{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} (آل عمران : من الآية١٠٥) لاحظ عندما عرض علينا تاريخ أولئك الذين تفرقوا واختلفوا كيف أصبحوا بدل أن ينهضوا بمسئوليتهم في أن يكونوا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كيف كانوا؟ أصبحوا شراً بلغوا إلى درجة: و يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ويكفرون بآيات الله ، ويضلون عباد الله، فالتحذير عن التفرق والإختلاف معناه أنها قضية هي التي تضرب هذه المسئولية الكبيرة، أن أي أمة تصبح متفرقة معناه أصبحت أمة عاجزة عن النهوض بمسئوليتها ولا يكون البديل عندها إلا ماذا؟ إلا ضلال، لا تعد تقدم إلا ضلالاً؛ فنهانا ونهى الناس بشكل عام أن نكون كأولئك {الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}البينات التي ترسم لهم طريقة واحدة يسيرون عليها فلا يتفرقون ولا يختلفون، بينات كيف يكون توحدهم، بينات بكل ما تعنيه كلمة بينات أي واضحات، هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم بينات، ماذا يعني عندما يحصل هذا الإختلاف والتفرق بعد البينات؟ أليس معناه تعمد ولهذا قال: {وَأُولَئِكَ} من يتفرقون ويختلفون من بعد ما جاءهم البينات{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} هو أيضاً أكبر من أليم {عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
كما قلنا سابقاً بأنها قاعدة قرآنية متى ما أمر بالتوحد فاعرف بأنه سيرسم طريقة التوحد، متى ما نهى عن التفرق فاعرف بأنه سيرسم الطريقة التي تبعد الناس عن التفرق، إذاً كيف عندما يأتي كثير من الناس يقولون [لكن التفرق ضروري الإختلاف ضروري وأنه ضروري نختلف] ماذا يعني هذا؟ يعني جهل بالله سبحانه وتعالى في المقدمة جهل بالله وكأنه يوجه توجيهات ما يعلم بأنها ستصطدم بالواقع! أليس هذا شأن القاصر الذي لا يعلم الغيب والشهادة؟.
عندما يقول: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} (آل عمران : من الآية١٠٥) بمعنى أنه قدم طريقة تجعل الناس الذين يسيرون عليها لا يتفرقون ولا يختلفون لا في كبيرة ولا في صغيرة على الإطلاق، لاحظ أنه يقول هناك: {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} فيبين بأنها سنة لديه أن من وجدناهم اختلفوا من قبل الأمم السابقة ما كانوا يختلفون لتقصير من جانب الله سبحانه وتعالى، إنما كانوا يختلفون متعمدين ويخالفون بغياً من عندهم عمد عدوان، مخالفة واضحة لبينات الله.
عندما ينهانا نحن الآية هذه موجهة إلى المسلمين بالذات ينهاهم عن التفرق والإختلاف، أن لا نكون كأولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، أليس معنى هذا بأنه بالتأكيد أن الله قد وضع بينات للناس للمسلمين أنفسهم توضح لهم الطريقة التي إذا ساروا عليها لا يختلفون ولا يتفرقون، ما الذي حصل؟ ولهذا نقول أننا نشتكي من ثقافة رهيبة جداً في أخطائها، هم محاولون كيف يسيرون على طريقة هم قد علموا قطعاً بأنها تؤدي إلى الإختلاف! طريقة [أصول الفقه] [وعلم الكلام] وهذه المناهج التي قدمت تؤدي إلى الإختلاف وجربت وأدت إلى الإختلاف وأصبح الإختلاف باباً من الأبواب التي تبحث فيها، أعني من المباحث التي أصبحت تتناوله كتب علم الكلام وكتب أصول الفقه نفس الإختلاف، وقدموا المسألة ضرورية يعني لازم اختلاف، ثم انطلقوا يحاولون كيف يجعلون الإختلاف مشروعاً أليست هذه طامّة ثانية؟ أي كان المفروض أنهم إذا عرفوا بأنهم عندما ساروا على منهجية معينة أدت بالسائرين عليها إلى الإختلاف، أن يحصل تقييم يقولون : [إذاً هذه طريقة غلط نحاول ننظر إذا كان هناك طريقة إذا سرنا عليها لا نختلف] بدل هذه اتجهوا إلى ماذا؟ إلى أن يحاولوا أن يضفوا على الإختلاف شرعية! أليست هذه تعتبر طامّة ثانية؟.
يقول لك: يجوز الإختلاف في كذا وكذا وكذا فقط، لا يجوز الإختلاف في ماذا؟ في الأصول ، مجرد عنوان وجدناهم مختلفين في الأصول والفروع، إذا كانوا متفقين على عنوان فهم يختلفون في تقديمه وفي النظرة إليه وفي تقييمه.
ألم يكن الشيء الطبيعي أنه من هذه الآية وحدها، هذه الآية وحدها تنسف كل المنهج الذي قدم للناس ورأوا هم، رأوا هم ورأينا جميعاً بأنه أدى إلى الإختلاف، هذه الآية نفسها، أليست تكفي؟ ألم يكن التصرف الطبيعي لو

كان ما يزال هناك اهتداء لو كان هناك اهتداء بهدى الله هو أن يعودوا إلى البينات ليبحثوا البينات هذه ما هي البينات؟ لأن الله عندما يقول: { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} وتوعدّ بعذاب عظيم إذاً فكان يجب أن تنصرف الذهنية كلها إلى البحث عن البينات هذه لأنها بالتأكيد بينات ترسم لنا طريقة لا نختلف عليها .

هل تجد مبحثاً في داخل كتب علم الكلام أو داخل كتب أصول الفقه عن البينات هذه ما هي؟ لا يوجد، أليس هذا يدل على ضلال رهيب جداً؟ ضلال رهيب جداً حصل داخل المسلمين بشكل عام عندما يبقون على المنهجية هذه؛ لأن هذه قضية قريبة وأنه عندما يقول: { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}أنه بالتأكيد هناك بينات بالنسبة لنا إذاً فلا نتفرق ولا نختلف ننظر ما هي البينات لنسير عليها جميعاً هذه ما حصلت، ما بحثت! انشغلوا بإضفاء شرعية على الإختلاف كيف يكون سائغاً بل كيف يجعلونه طبيعياً وكيف يجعلونه من ضروريات الحياة، وأنها قضية طبيعية عند الإنسان! لكن لاحظ لما تفرقوا واختلفوا ونبذوا البينات جانباً ألم يظهروا ضعافاً؟ أليس المسلمون ظهروا ضعافاً؟ ضعافاً بشكل مخزي في مواجهة بني إسرائيل في مواجهة أهل الكتاب الآن في الزمن هذا؟ ألم يصبح بعضهم قد صار يشغل علومه واجتهاداته لصالح اليهود من حيث يشعر أولا يشعر؟.

يبين لك أهمية أن لا يكون هناك تفرق ولا اختلاف في مواجهة بني إسرائيل بشكل رئيسي، وهي قضية لا بد منها أعني في مسيرة الدين أنه قدم بالشكل الذي لا يؤدي إلى تفرق ولا اختلاف، لكن التأكيد على هذه هو تأكيد بزيادة التأكيد بشكل رهيب جداً أعني تذكير بما هو قائم؛ لأن دين الله هو قدم على هذا النحو الذي ليس فيه تفرق ولا اختلاف، ومع هذا نبه المسلمين بأن لا يكونوا كأولئك، لم يعملوا بهذا التوجيه؛ تفرقوا واختلفوا فوجدناهم ضعافاً أمام بني إسرائيل، بل وصل الإختلاف والتفرق إلى درجة أن نسفت المسئولية، أعني ليست المسألة الآن أنك تقول أنهم فقط مختلفون في طرق مواجهة بني إسرائيل، أهل الكتاب، أن لديهم روحاً عملية إنما هي فقط طرق مختلفة ! عند كثير لا يوجد روح عملية نسفت المسئولية تماماً .

إذاً، عندما يقول البعض: إن الإختلاف هو طبيعي بالنسبة للإنسان، أليسوا يقولون هكذا؟ نقول: حقيقة أن الناس يختلفون لكن لأن الله يعلم هذا لم ينزل دينه إلى الناس يمزقونه، جعل دينه بشكل يكون نظاماً يلتقي حوله الناس فلا يختلفون ويتولى هو رسم المسيرة كاملة؛ ولهذا قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}(الليل:١٢) لو ينزل المسألة إلى بينهم سيختلفون وهذا الذي حصل، ألم يحصل؟ قدّم أي شيء بين الناس، قدّم دستوراً أو قدم قانوناً أو قدم فكرة معينة وقل تفضلوا واتركهم يبحثونها ويقدمون رؤى، أليسوا سيطلعونها مختلفة؟ فهذا يمثل في حد ذاته شاهداً على أنه لا يصح أن الله ينزل دينه هكذا للناس ويقول كل و احد يمشي على ما ترجح وعلى ما فهم لأنهم سيختلفون بالتأكيد.

فالقضية أصبحت معروفة عند البشر أنفسهم، وداخل الأنظمة الديمقراطية نفسها، أليسوا في الأنظمة الديمقراطية يقولون: حرية كلمة وحرية تعبير وحرية تعدد وأشياء من هذه؟ لكن هل يسمحون في الدستور أن يكون خاضعاً لأصحاب الآراء المتعددة والأحزاب المتعددة، أم أنه يكون نصوصاً واحدة، دستور واحد ونصوص واحدة، ومتى ما نزل قانون يجب أن يكون بنوداً واحدة، هل تركوا المسألة بأنه كل حزب يقدم دستوراً وكل حزب يقدم قانوناً؟ لا، أي أن القضية معروفة حتى عند البشر، لماذا لا تتركوننا وأنتم تقولون حرية الرأي والرأي الآخر وتعدّد وحرية الكلمة وحرية كذا .. لماذا لا تتركوننا كل واحد يصلح دستوراً على كيفه، كيف سيقولون؟ سيقولون: لا يمكن، لا يمكن أن يكون هناك نظام يترك لهذا الأسلوب؛ لأنه يعني في الأخير لا يحصل شيء لا يحصل نظام يمكن أن ينظم مسيرة أمة على الإطلاق.

إذاً، أليست هذه قضية معروفة حتى داخل الأنظمة التي تدعو إلى ماذا؟ إلى التعددية الحزبية وحرية كلمة ورأي ورأي آخر، أقفلوها، إلا في دين الله قالوا يجب أن تبقى مفتوحة، اجتهادات وترجيحات ورؤى وكل واحد على ما ترجّح لديه وعلى ما غلب في ظنه وعلى ما فهم هو، أليس معنى هذا أنه ينسف تماماً أن يكون الإسلام نظاماً؟ أليس معنى هذا يقطع الحبل هذا تماماً ويحوله إلى ستين حبلا؟ لا تصبح حتى حبال يمكن تتمسك بها بجزئه تماماً، في الأخير يعني لا تبتني أمة ولا نظام وهذا الذي حصل، أليس هذا الذي حصل عند المسلمين الآن؟ كيف وضعيتهم؟. لا الإسلام في الداخل بشكل واحد، ولا الأمة هذه بقيت متوحدة، كلهم كل واحد معه

حبل وكل واحد يمثل أمة لوحده. ليس معناه أنه إذا الإختلاف طبيعي بيننا، إذاً فنشتغل في الدين نحن، لأن معناه ماذا؟ سنجزأ الدين.

ألم تكن القضية هذه يجب أن ينظر إليها كشاهد على أنه لا يجوز أن يخضع الدين لآرائنا وأفهامنا وأهوائنا واجتهاداتنا وأنظارنا؟ لأنه سنختلف، سيختلفون وإن كان عندهم حسن نية، لأن البعض يقول: [إنما يخالفون عن هوى!] لكن هل تقول: كل المخالفين لك كلهم انطلقوا عن هوى وهم يعرفون الحق؟! هذه قضية غير صحيحة أن يكون واحد من الناس أو يكون مثلاً طائفة معينة عندها الحق هو الذي معها وتلك الرؤية التي هي تراها، والآخرون لماذا يخالفون؟ قال: [عن هوى ، عن هوى ، عن هوى كلهم!] ماذا معنى عن هوى؟ أي أنهم مخالفون للحق متعمدين وهم يعرفونه وإنما هوى! هذه قضية غير منطقية، لا، والآخرون هم مثلك يعتقد أنما لديه هو الحق ومقتنع به ويدين الله به ويبكي، يبكي من إخلاصه لله مثلما تبكي أنت إذا لديك أحد يبكي.

غير طبيعي عندما تقول: أن كل البشر هؤلاء داخل المسلمين هم يخالفون عن هوى، إذهب إلى الحج ترى الناس كيف هم ستراهم كمثلك، وكل واحد عنده أن طريقته هي دين الله وهو يتعبد لله بها، ليس أنه يخالف الحق وهو يعلم!.

تجد مما ينسف فكرة اجتهادات وترجيحات وآراء متعددة وأشياء من هذه، التأكيدات الإلهية على التسليم له هذه هي قاعدة هامة، إذا كان هناك معرفة بالله، لأنه كيف يمكن أن يقول للناس أن يكونوا مسلمين له، ولا يرسم الطريقة التي تمثل إسلامهم له هل سيتركها لأمزجتهم؟! التوجيهات التي رأيناها في [سورة البقرة] وفي [سورة آل عمران] وفي سور أخرى على أن يكون الناس مسلمين له، مسلمين {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران: من الآية١٩) **لا يمكن أن يقول لك هكذا، إلا وقد رسم الطريقة تماماً التي تسلم نفسك باتباعها، بالسير عليها، ولهذا سماه صراطاً مستقيماً، وسماه سبيلاً، ألم يسمه سبيلاً، وسماه صراطاً مستقيماً؟. لا يقول: مسلمين أن تكون مسلماً لله أن تسلّم لله وتسلّم نفسك لله ثم في الأخير كل واحد يتحرك من عنده يقدم رؤى ويقدم مناهج ويقدم أشياء، ويعتبر أنه لأجل يسلّم نفسه لله ويسير عليها، أليس معنى هذا بأنه سيعتبر تقصيراً من جانب الله لو أن المسألة بهذا الشكل؟ أبداً، لا يمكن أن يكون هناك تقصير من جانب الله؛ لأنه لا أحد يمكن أن يقول لك أن تكون مسلماً إلا وقد قدّم طريقة يمثل سيرك عليها التسليم له.**

إضافة إلى الحالة النفسية لديك، إخضاع نفسك هناك طريقة {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: من الآية٨٠) **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}** (الأنعام: من الآية١٥٣) **هنا معنى التسليم {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ} و {فَاتَّبِعُوهُ} أليس معنى التسليم؟ عندما يقول تسليم هنا، أليس فيه طاعة واتباع؟ أليس هناك فيه أشياء واضحة صراط وهناك رسول؟ ألم يجعل التسليم قضية عملية؟ أن يكون التسليم قضية عملية، يعني هناك منهج متكامل يمثل تسليمك لله أن تسير عليه.**

إذا ما فهمنا هذه سنغلط حتى في إخلاصنا لله، ألسنا نقول: ممكن أن تغلط وأنت مخلص؟ لأن أول فاتحة إخلاصك لله أن تسير على كتابه وإلا فأنت غير صادق أنت مخادع لنفسك أنت تشتغل بالمقلوب تخلص لله بباطل، أحياناً قد يكون عندك ضلال يكون عندك باطل، وعندك أنه من دين الله وتكون أنت تقدمه لله وتخلص له به، هذه قضية غريبة تقدم لله شيئاً هو كاره له ولا يريده وبإخلاص له.

فالإخلاص لله، الذي هو ماذا؟ يعني التسليم لله أو مظهر من مظاهر تسليم الإنسان نفسه لله يجب أن يكون معروفاً لدينا بأنه يتجسد في ماذا؟ أن يكون عندك فكرة أنك تتبع، تتبع كتاب الله ، تتبع هدى الله هذا يتمثل فيه إخلاصك لله.

كيف يمكن أن يقول أو يؤكد على أن يكون الناس مسلمين له؟ كيف نستطيع أن نوفق بينها وبين ما قدم في الأخير بأن الدين هكذا [لا يوجد هناك أدلة يقينية لا يوجد جهة نتبعها لا يوجد ولا، ولا إلى آخره معنا كتاب وسنة، لا يوجد جهة نقول بأنها هي قائمة على هذا إنما فقط كل واحد يقوم من عنده يبحث ويجتهد وهو ملزم بما أدى إليه نظرهُ وبحثه واطلاعه وترجيحاته!] هل يمكن أن توفق بين تأكيدات القرآن للتسليم وبين المقولة هذه، لأن معنى هذه أن هذا الموضوع ضائع، أليس معناه هكذا؟ لا يوجد طريقة واضحة، معناه لا يوجد طريقة

واضحة! فكيف يمكن أن الله يقول لك أن تسلم له ولا يوجد طريقة تسير عليها؟ لا يصح، هذا لا يمكن أن يصح عند البشر هم، يقول لك امشِ على الدستور تلتزم بالقانون ولم يعمل قانوناً، ممكن يقول لك هكذا؟ تلتزم بالقانون تكون مطيعاً ولا يوجد هناك قانون؟ أو يقول لك تكون مطيعاً ولا يقدم لك شيئاً يعبر عن ماذا؟ أن يكون عملك به طاعة له؟ لا يمكن هذا عند البشر، ما بالك عند الله سبحانه وتعالى.

وللأسف أنه إلى الآن ما نزال نتشبث بالطرق هذه التي تنطلق على أساس أن كل واحد يشتغل من عنده، بل بعضهم يقدمها كمقترح في حلّ لما يواجه المسلمين اليوم من جانب الأمريكيين والإسرائيليين يقول [لازم مزيد من الديمقراطية المزيد من الحرية، التي يسمونها حرية، القول والقول الآخر] يعني مزيد من التمزق، مزيد من الثرثرة، التي لا يبتني عليها شيء!.

وتجد الطريقة هذه، الله رسم من البداية عندما تحدث عن بني إسرائيل، ثم كيف يكون الناس في مواجهتهم، هي هذه طريقة واضحة{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}(آل عمران : من الآية١٠٥) قلنا نحن بحاجة إلى أصول دين، أصول فقه، تهتم بالبحث عن البينات هذه، هذا أصول الفقه الصدق، أصول الدين الصدق، أن يكون هناك أصول فقه وأصول دين يبحث هذه البينات التي إذا سار الناس عليها لا يختلفون ولا يتفرقون.

وكان هذا الوعيد الشديد ـ كما كررنا ـ الوعيد الشديد هذا: {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(آل عمران : من الآية١٠٥) كان المفروض أن يكون هو بالشكل الذي يدفع الناس من الذين من قبلنا جيل بعد جيل أن يدفعهم إلى أن يهتموا بالبحث عن البينات التي لا يفترق الناس ولا يختلفون إذا ساروا عليها، لكن الجهل بالله أو تقول النقص الكبير في معرفة الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى جهل بكتابه وجهل برسوله وجهل بدينه وجهل بدنياه وجهل بالآخرة وجهل بالإنسان نفسه وجهل بسنن الحياة هذه.

إن هذه من الأشياء التي تعتبر سيئة جداً، أن يجد المسلمون نهياً هنا عن التفرق والإختلاف ثم يحاولون كيف يشرعون ويجعلون الإختلاف مقبولاً، ويردون على الله بأنه: [الإختلاف طبيعي والإختلاف ضروري] أليس هذا يعني جهلاً بالله بشكل كبير؟ جهلا بأنه كما قال في آية أخرى: {قُلْ أَنْزَلَهُ}(الفرقان : من الآية٦) نزل هذا القرآن الذي فيه هذه الآية{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفرقان : من الآية٦) كيف يمكن أنه ينهى عن الإختلاف والتفرق ثم لا يرسم طريقة تبعد الناس عن الإختلاف والتفرق، هو الذي خلق الإنسان ثم ترد عليه وتقول: الإختلاف طبيعي بين الناس!.

تجد من يدعون إلى الإختلاف في النظام الديمقراطي تعددية حزبية وآراء متعددة، أليسوا يحتاجون أن يحسموا الموضوع فيما يتعلق بدستور وقانون؟ يحتاجون يحسمونه لأنهم عارفون أنه لا يمكن نقول تعددية وحرية في كل شيء بما فيها فيما هو نظام لأن معناه أن لا يكون هناك نظام يحكم الجميع، مثلاً قد نكون مجموعة أحزاب مجموعة شعب مليئ بالناس الذين اتجاهاتهم ورغباتهم وأهوائهم مختلفة، لا بد من نظام يحكم الجميع، أليسوا يعملون قانوناً للأحزاب نفسها ؟ دستوراً يقوم عليه التحزب بكله، ثم أيضاً يعملون قانوناً للأحزاب نفسها، يعني ماذا؟ يعتبر نظاماً، نظاماً واحداً، ويقدمونه بصيغة واحدة بحيث يكون ماذا؟ يعتبر منظماً لشئون الأحزاب هذه التي هي متعددة ومختلفة.

ثم ترى مثلاً مدينة معينة، ترى فيها أطباء ومهندسين ووزراء وعسكريين وإداريين وأصحاب مهن متعددة يعملون دستوراً على أساس أنه ينظم حياة هؤلاء ويجب أن يكون من جهة واحدة، وأن لا تخضع نصوصه لتفسيرات الناس ولا لآرائهم وترجيحاتهم، أعني هذا ملاحظ في النظام الديمقراطي فترى أنه كيف أوصل الناس الذين قدموا مناهج أخرى من داخل المسلمين أوصلوا الإسلام إلى أن جعلوه هناك أعني بشكل رهيب جداً، أعني لم يعد ولا مثل الديمقراطية، مفتوح هكذا ثغرات، فلا تبتني عليه أمة ولا يقوم عليه نظام على الإطلاق.

في الديمقراطية هم يحاولون بهذا: أنه فيما لو حصل اختلاف في فهم نص دستوري، فليس الموضوع يخضع لاجتهادات المختلفين، هناك محكمة دستورية فيها شعبة معينة تختص بتفسير نصوص الدستور، وهل يسمحون إلى

أنه في القوانين عندما يأتي قانون ينـزل من مجلس النـواب يـسمحون للقـانونيين والإقتـصاديين والمـثقفين أن يقدموا اجتهادات، وكل واحد ملزم بما أدى إليه نظره؟ وكل واحد يقلد بعده من قلـد؟! أعـني القـضية يعرفهـا الناس بأنها خطأ وقد أصبحت معروفة بأنها خطأ، بكل وسائل المعرفة وما نزال متشبثين بها في دين الله الذي هـو نظام للبشر جميعاً لتقوم عليه أمة واحدة !!

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران : ١٠٦) **بعد التبيين الكامل، بعد هذا الهدى الكامل، لم يبق إلا ماذا؟ بيـاض وجـوه وسـواد وجـوه، أعمال تسوّد الوجه أو أعمال تبيّض الوجه، مواقف تبيض الوجه أو مواقف تسود الوجه، المختلفون المتفرقون لا يطلع من عندهم إلا مواقف تسود الوجه، كيف مواقف الناس الآن العرب بشكل عـام، كيـف هـي في معظمهـا؟. مواقف تسود الوجه.**

تلاحظ أن هدى الله سبحانه وتعالى لا يقدم كقضية، وعلى كيفك وإلا فلا يوجد تبعات بعدها، يحـصل لهـا آثـار سيئة أو آثار إيجابية في الدنيا والآخرة بعد ما يوجه الناس كيف يكونون معتصمين به معتصمين بحبله متقين له ويكونون أمة على هذا النحو، يكونون مبتعدين تماماً عن التفرق والإختلاف يقول بعدها {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ} (آل عمران : من الآية١٠٦) **يعني هذا هدى يجب أن تسيروا عليه، بعده عقوبات رهيبة بعد التفريط فيه ونتيجـة التفـريط فيه عقوبات شديدة.**

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (آل عمران : من الآية١٠٦) **لاحظ معناها ماذا؟ من د اخل من؟ من داخل من قد أطلق عليهم اسم إيمان، وانتسبوا إلى مسمّى إيمان وإسلام.**

{أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (آل عمران : من الآية١٠٦) **ماذا يقال للمختلفين الـذين يؤصلون التفـرق والإختلاف يؤصلونه ويسوغونه بعد ما قال أن هناك بينات وبعد ما نهى عنه؟ ألـيس هـذا يـسمى رفضاً؟ يـسمى كفـراً بعـد إيمـان، حقيقة، هذا المعنى الذي نقوله دائماً أنه واسع داخل دائرة من هم منتمين إلى هذا الدين.**

{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (آل عمران : من الآية١٠٦) **لأن التفـريط في هـذا الهـدى قـد يجعـل الكثير في الأخير يعملون أعمالاً تسود الوجه، كفر بعد إيمان، أعمال تسود الوجه عندما يكون قد صار يـشتغل مع بني إسرائيل ألد أعداء الأمة أخبث أعداء البشرية، ثم تراه قد صار يشتغل معهم تحت أي عبارات أو تحـت أي مسميات، أليست هذه قضية ملموسة؟ قد صاروا يحاولون أي توجيه من أمريكا يمـشونه، منـاهج [مـستعدين نغير مناهج] زي معين [مستعدين زي معين] وهكذا! معناه بأنه أسوأ موقف، تنصرف عن هدى الله، ويوصلك هـذا الإنصراف إلى أنك تصبح تتبنى مواقف سيئة جداً، تسود وجهك.**

{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (آل عمران : من الآية١٠٦) **يقـال لهـم يـوم القيامـة: {أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ}** (آل عمران : من الآية ١٠٦ ، ١٠٧) **هؤلاء الذين ساروا على هدى الله ووثقوا بأن هدى الله شامل ووثقوا بأن توجيهاته كاملة وأنه يرسم الطريقة المتكاملة التي تـسمى صراطاً مستقيماً، تكون مواقفهم في الأخير مواقف تبيض وجوههم.**

{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران : الآية١٠٧) **سمى الجنة رحمـة، وفي رحمتـه من الدنيا إلى الآخرة، أي رحمة لا يخرجون عنها من الدنيا أما الآخرة فقد هي تلك الرحمة الأبدية.**

إذا واحد تأمل في مواقف الناس في الزمن هذا في مواجهة ما يحصل من جانب أمريكا وإسرائيل، ألسنا نجد فيهـا نحن مع قصور فهمنا كبشر أنها مواقف تسود الوجه عندما تسمع الأمريكي مُتجه، اليهود والنصارى متجهـون إلى أن يخفوا كتاب الله، كثيراً من آياته من مدارس ومساجد، وعندما تسمع أنـه في العـراق فعلاً، في العـراق قـالوا بأنه نفس الحاكم الأمريكي أصدر توجيهات إلى أئمة المساجد أن لا يقرؤوا الآيات الـتي فيهـا جهـاد في الـصلاة، معناه أنهم قد صاروا يتحكمون في هذا الموضوع ويوجهون الناس أن يخفوا كثيراً مـن آيـات الله ويتـأقلمون معهـا، أليست هذه مواقف تسود الوجه؟ مواقف سيئة جداً.

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران : الآية١٠٨) **هذه حقائق {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ}،**

ما هي مقترح من أي طرف آخر، من جهة الله سبحانه وتعالى، {بِالْحَقِّ} يعني: هي نفسها حق، وأن تتلى عليك هو حق وأن تنـزل إليك حق، قضية هامة، يعني مثلما تقول تقتضي حكمته أن يوجّه بهذه التوجيهات الهامة.

{وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران : من الآية١٠٨) **هذه التوجيهات الهامة من أول ما يقول لهم أن يعتصموا به يعتصموا بحبله، ويوجه كيف يكونون؛ لأنه لا يريد أن يظلم الناس، العالمين، ما بالك أولياؤه ما بالك من هم متجهون إلى أن يسيروا إلى الإلتزام بدينه {وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ}** (آل عمران : من الآية١٠٨) **معناه بأنه إذا لم يكن هناك تمسك بهذه سيظلمون، وهو يعلم أنهم سيظلمون ويعلم أنهم إذا لم يتمسكوا، إذا لم يسيروا على هديه سيظلمون؛ فلهذا هداهم لأن لا يظلموا، لأنه لا يريد أن يظلموا، لكن عندما تكون أنت لا تبالي، قد رغبتك أنت أن تظلم، فهناك الله يقول: الله غني عن العالمين، هذه قاعدة تراها في كل شيء يقدم لك هو لا يريد أن تظلم، هذا هدى لك بالشكل الذي يجعلك بعيداً عن أن تظلم إذا ما هناك توجه ولا هناك اهتداء فستظلم وسيعاقبك أيضاً هو من عنده {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}** (آل عمران : من الآية١٠٦) .

يقول بعد هذه الآية {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} (آل عمران : من الآية١٠٩) **لاحظ كيف تنسف أي تطانين من داخل قد تقعد الإنسان عندما قال هناك: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً}** (آل عمران : الآية١٠٣) **ذكر أنه يتدخل فيؤلف بين قلوبهم عندما يقول: [نحن أعداء ومفرقين كيف نعمل] ذكر أنه يتدخل. عندما تقول: [لكن الأعداء كبار وأقوياء وكثير وهم، وهم، .. إلى آخره] هو يقول لك الذي هدى الناس إلى هذه ولأنه لا يريد أن يظلموا أنه هو له ملك السموات والأرض {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}** (آل عمران : الآية١٠٩) **فإذا أنت ترى أمامك قائمة من الأمور وتراها بشكل كبير أمامك، تحول بينك وبين أن تتوجه تقول: [صحيح ، باهر] وهذا هو الذي هو حاصل عند الناس [صحيح وباهر لكن ..] أليسوا في الأخير يقولون: [لكن هناك يوجد أمور كبيرة أمريكا وإسرائيل والعرب كذا ..] يعمل لك قائمة أمور، أليسوا هكذا؟ وهنا يعمل وعداً للناس إذا ساروا على هداه بأنه إليه ترجع الأمور، كثير من الأشياء هذه هو يزيحها، ويعمل متغيرات كثيرة، فأنت عندما تتجه على هداه، هو إليه ترجع الأمور لا يكون أمامك شيء من هذه الأشياء هو الذي يغير، يغير في هذه الحياة{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}** (هود : من الآية ١٢٣) **كما قال في أكثر من آية هذه يكررها عدة مرات في القرآن، عندما تقعد عن هذا الهدى على أساس مراعاة لهذه الأمور وكأنك قد ارتضيت لنفسك طريقة تتأقلم بها مع هذه الأشياء الكبيرة أمامك لتسلم، فافهم، لا، {وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}** (فاطر : من الآية٤) **سيضربك بمن تحاول أن تتأقلم معهم لتسلم شرهم، مثلما هو حاصل عند العرب الآن، أمثلة كثيرة الآن نعمة أمثلة مَثّل حتى تشبع من واقع الأمة الآن.**

الذين يقولون [ما نستطيع ولا معنا، وهم كذا، وهم كذا معهم ومعهم ومعهم ونحن لا معنا ولا معنا] أليسوا يعملون قائمة أمور؟ أليست تقعدهم الفكرة هذه؟ ناسين للآية هذه{وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} (آل عمران : الآية١٠٩) **وكم كررها في القرآن.**

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} (آل عمران : الآية١١٠) **أن تختار هذه الأمة أن تكون هي التي ماذا؟ تحمل راية الإسلام من داخلها نبي الإسلام، ينـزل في وسطها القرآن الكريم، يكون هذا القرآن بِلُغَتِهَا، اختيرت لتقوم بهذه المهمة على أساس هذا الإعتبار، لا تقول أنه حصل غلطة أنه أوكل إلى هذه الأمة واتضح أنها ليست أهلاً !. لا ، في واقعها هي كانت تعتبر أحسن أمة مقارنة بأمم أخرى والإعتبارات تكون أشياء واسعة لا نستطيع أن نحيط بها ولا نعرف القليل منها، اعتبارات أن تكون هذه الأمة أحسن من تلك الأمة بأن تكون هي محطّ لأن تنهض بالرسالة أن يكون الناس منها هم جنود هذه الرسالة، لكن مهما كان أي خيِّر سواء على مستوى شخص أو على مستوى أمة مرتبط بأن يسير على الهدى الذي وجه به أو وجه إليه.**

المهم الذي يمكن أن نفهمه من الآية هذه {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران : الآية١١٠) **أنه من البداية عندما تختار هذه الأمة لهذه المهمة، معناه ماذا؟ مقارنة بأمم أخرى، هي أحسن أمة يوكل إليها هذه المهمة، يصطفى النبي منها وتحمل هي هذه الرسالة ويكون القرآن بلغتها .**

مثلما قال عن بني إسرائيل، ألم يقل: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الدخان : من الآية٣٢) **هو الذي يختار أمة، والإختيار مبني على أساس فليسيروا على هديه وليلتزموا بكتبه، حصل خلل عندهم، نبذهم، فهذه الأمة ما تزال إلى الآن تقول: [نحن خير أمة خير أمة ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً نحن خير أمة ...] الخيرية هنا مرتبطة بماذا؟ بمسئولية، بمهمة، وإلا فسيكون ما يقابلها انحطاط، ما يقابلها سقوط .**

يلاحظ واحد في التاريخ كم كانت خير أمة؟ فترة قصيرة قد تجدها فقط ربما أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **في حركتها كان لها أثر كبير وإنجازات كبيرة، ومن بعد حصل خلخلة رهيبة جداً .**

لكن قد تكون ما يزال هناك بقايا مقومات إذا هناك توجيه إليها واستغلال لها وتذكير للأمة، بأن ماذا؟ تستغل ما لديها من مقومات تجعلها فعلاً خير أمة أو تعود إلى أن تكون خير أمة، ألسنا نجد في الحديث عن بني إسرائيل أنه يتكلم كثيراً ثم يدعوهم ثم يقول أنه لا ينبغي أن تكونوا أول كافر به، حتى هناك في هذه الآية {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} (آل عمران : من الآية ١١٠) **وهنا يقول: {وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ}** (آل عمران : من الآية٩٩) **{لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}** (آل عمران : من الآية ٧٠) .

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران : من الآية ١١٠) **ثم يبين بأنها مسئولية عامة للناس، وأن مسئوليتهم هي مرتبطة بالناس جميعاً، هي الرسالة التي هي للعالمين، القرآن للعالمين، والرسول للعالمين، مهمة هذه الأمة هي ماذا؟ أن تتحرك بهذه الرسالة في العالمين في الناس {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}** (آل عمران : من الآية ١١٠) .

إذاً فقد اختار الأمة، وأعطاها التوجيهات الكاملة التي تجعلها فعلاً قادرة على النهوض بمسئوليتها، فحصل الخلل من داخلها، حصل خلل من داخلها بمعنى أنه في الأخير ما تقول بأنه ربما لو اختار الله أمة ثانية كان ربما تنجح القضية أو ربما هناك تقصير في كذا ... يختار، ويختار أفضل منهج، لكن تجد الناس أنفسهم هم يحصل خلخلة من عندهم هم، ويحصل ابتعاد من عندهم ويضيعون مسئوليتهم هم، ومع هذا لا يقول يكفي غلطت الأمة هذه ويكفي، ما يزال التوجيه قائماً وما تزال الإمكانيات للنهوض بالمسئولية قائمة يعني: ممكن ، أليس القرآن هو كتاب يعطي هدى في كل زمن؟ يعطي هدى في كل زمن يمكن للأمة أن تنهض به من جديد وتأخذ عبرة من ماضيها تأخذ عبرة من تاريخها، كيف تدنت كيف سقطت؛ لتعود لتنهض بشكل صحيح .

{تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران : من الآية ١١٠) **الآن لاحظ كيف تقدم مسئولية الأمة الآن؟ كيف توجه؟ توجه إلى أن تقبل بالآخر لا تعترض على منكره لا تقدم ما لديها من معروف، أي لا تعد تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، وتؤمن بالآخر أكثر من إيمانها بالله، وهذا من الأشياء الرهيبة جداً بسبب حكامها بسبب علماء سوء في داخلها .**

{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} (آل عمران : من الآية ١١٠) **بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يريد لكل الناس أن يؤمنوا، هذه القضية هامة جداً، سيأتي بعدها حديث عن أهل الكتاب بشكل آخر، بمعنى أنهم في نفس الوقت الذي ترى هذه الأمة بأنها خير أمة وأنها أوكل إليها هذه المهمة ونزل القرآن بلغتها والنبي منها الذي هو للعالمين جميعاً، أنها ما تزال قضية أن تلحظ فتنظر نفس النظرة القرآنية أنها تود أن يؤمن الآخرون كلهم ألم يقل هناك في البداية {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}** (آل عمران : من الآية ١٠٤) **يكون عندها نظرة خيِّرة عندها روح خيِّرة، أعني لا تعتبر نفسها وكأنها متكتلة تكتلاً إقليمياً تكتلاً شخصياً هي تقوم بمسئولية ومهمة هذه المهمة أساسها أن ترغب في أن يؤمن الكل.**

{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران : من الآية ١١٠) **يذكرنا أيضاً بأهل الكتاب، كما قال في سورة أخرى عندما ذكر فئات ممن مضوا من بعد نوح، ثم وجه المسلمين توجيهاً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}** (الحديد : من الآية٢٨ ،٢٩) **بعد ما قال من أيام نوح أنه أورثهم الكتاب والنبوة ثم يذكر ـ معنى الآيات ـ قليل يؤمنون وأكثرهم فاسقون في مرحلتين هو عددها هنا في [سورة الحديد] بشكل أعني بينها علاقة وبين هذه الآية، أي ليفهم**

الناس أن القضية، أن دورهم هو الدور النهائي فعليهم أن يحذروا أن لا يكونوا كالسابقين .
بعد ما قال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد : الآية٢٥) هذه المهمة الرئيسية للأمم {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد : الآية٢٦) لاحظ هنا قال: {فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد : من الآية ٢٦ ، ٢٧) لاحظ يبين إنما ذكر من الأمم [صحطت] على ما نقول؟ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} هذا تذكير للأمة هذه أنها تعرف مسئوليتها ودورها الهام، مثلما يقول [بقي أنتم] كأنه مثلما يقول: [بقي أنتم الذين أنزل إليكم هذا الكتاب وبعث منكم هذا الرسول] .
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} (الحديد : من الآية٢٨) لإلتزامكم، ولتقدموا أنفسكم مثلاً أعلى، يكون ماذا؟ في مقابل الذين كانوا ماذا؟ {وكثير منهم فاسقون} (الحديد : من الآية ٢٧) {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} (الحديد : من الآية ٢٨ ، ٢٩) حتى لا يأتي أهل الكتاب يقولون: [إذاً كل الأمم فاشلة وما أعطي لغيرنا من فضل هو لا يصلح له] يعني اثبتوا جدارتكم، معناها اثبتوا جدارتكم قدموا من أنفسكم شهداء على أن الله يختص برحمته من يشاء ويختص بفضله من يشاء، لا تجعلوا أهل الكتاب في الأخير يتشبثون بما هم عليه ويرون بأنه فعلاً نظرتهم وكأنها واقعية أنه لا يصلح للدين على الرغم مما حصل لديهم إلا هم، وأنه [لاحظوا الآخرين كيف جاء منهم نبوة وكتاب كيف وصل الحال فيهم]معنى هذا أن واقع الأمة خطير جداً مسئولية كبيرة جداً عليها لأنها تمثل شهادة ، تمثل شهادة هنا يقول أيضاً: {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران : من الآية ١١٠) انتبهوا أنتم أيضاً، أنتم خير أمة اختيرت لهذه المهمة، لا تطلع النتيجة على هذا النحو .
الآن أصبحت المسألة في الأخير إلى أنه مثلما نقول: [كنا أمة أو كانوا] أليس العرب الآن يقولون: [كنا وكنا ويوم كنا وصلنا إلى الصين ووصلنا إلى فرنسا ووصلنا إلى ...] .
{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً} (آل عمران : من الآية ١١١) عندما تكونون على هذا النحو وتهتدون بهدى الله وتجعلون من أنفسكم أمة تنطلق بهذه المسئولية على أساس هدى الله، فمهما كان الطرف الآخر ومهما كان لديهم من نوايا سيئة ومؤامرات كبيرة وإمكانيات هائلة {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران : الآية ١١١) أليس هذا قمة الهداية من جهة الله يعطي الناس توجيهاً ثم يرفقه بأنه وهو يعلم الغيب والشهادة وإليه ترجع الأمور إذا كنتم على هذا النحو، فهؤلاء مهما كانوا كباراً مهما كانت إمكانياتهم، ستكون النتيجة هكذا {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران : الآية ١١١) .
{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران: الآية ١١٢) هذه نقطة الضعف فيهم، لهذا نقول أنه من النعمة على الناس على المؤمنين، أن يكون أعداؤهم هم أعداء الله وهم ممن استوجبوا غضب الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وممن استوجبوا أن يعذبهم عذاباً شديداً وعذاباً أليماً، على اختلاف الآيات في هذا الموضوع، بمعنى أن هذا يمثل أملاً في حد ذاته لأنه عندما يكون عدوك هو عدو الله يكون معناه ماذا؟ نقاط الضعف فيه كثيرة نقاط الضعف لديه كبيرة جداً.
{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ١١٢) لاحظ هنا فيها قضية أعني في تشخيص نفسية بني إسرائيل أنه فيما يتعلق بالمواجهة بعد أن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة خوافين جداً من موضوع القتال،

هذا يعني ماذا في الأخير؟ ولهذا نقول أكثر من مرة: يجب أن نعرف نتلمس ما يعملون ونعرف بأن بإمكاننا أن نعمل أشياء كثيرة في مواجهتهم لأنهم في المقابل يركزون على الأشياء الأخرى على الحرب النفسية والحرب الثقافية الإقتصادية، أشياء كثيرة، الحرب الإعلامية يركزون على وسائل أخرى بحيث ماذا؟ لا يبدون على أمة من الأمم إلا وقد هي منهارة لأنهم خوافين جداً من موضوع القتال .

إذاً نحن بنظرتنا العربية مثلاً العرب قد يكونون فاهمين موضوع الصراع يعني ماذا؟ قتال، قتال، أليس هكذا؟ لكن يجب أن تفهم الطرف الآخر، العدو الذي يتحرك في مواجهتك، يتحرك عندما يكون من النوعية هذه فاعرف بأنه يشتغل بوسائل أخرى متعددة، هذه هي حالة ضعف كبيرة فيه معظم الوسائل التي يشتغل بها هي عنده وسائل رئيسية أساسية وهي في نفس الوقت بالشكل الذي يمكن للناس أن يواجهوها أن يتحركوا في مواجهتها لكن عندما تأتي عند الناس يقولون: [ما معنا ولا معنا] العربي دائماً ينظر إلى موضوع السلاح فقط سلاح سواء سيف أو سلاح تفجيرات فقط. يقول لك هناك: هذا العدو نفسه خواف من المسألة هذه، يشتغل معك بطرق ثانية إذا نجحت أنت معه في الطرق الثانية هذه في مواجهته لن يصل إليك بالسلاح إذا استطاع الناس أن يفشلوا أعماله الأساسية فلن يبدي عليهم نهائياً .

لو أنهم ناس عندهم جرأة لما أتعبوا أنفسهم في القضايا الأخرى، هم يعرفون بأنه من الناحية المادية فيما يتعلق بقدرات عسكرية بأنه لا يوجد توازن ما بين الناس وما بينهم يمتلكون أن يضربوا الناس من علوٍ شاهق ومن بعد مئات الأميال صواريخهم ومن أعماق البحار من الغواصات ومع هذا كله مع هذه الإمكانيات ليس لديهم جرأة مواجهة مسلحة هكذا يعتمدون بشكل أساسي على الطرق الأخرى، بحيث أنهم لا يبدون على أمة من الأمم أو شعب من الشعوب إلا وقد ضرب أساساً قد هو منتهي، قد هو منتهي] .

ولهذا تجدهم على الرغم من أسلحتهم المتفوقة ما يزال يخاف من البندق هذا السلاح الشخصي، أليسوا يطوفون الأسواق ليروا إذا فيها أسلحة؟ ويجلسون يحاولون كيف يلفقون تلفيقات لسحبها، يضيعونها، هذه الأسلحة البسيطة كم الفارق بين الطلقة طلقة رصاص وبين الصاروخ الذي لديهم؟ ما زال خائفاً لأنه لا يريد مواجهة مسلحة لاحظ كيف هم في العراق الآن؟ في العراق ألم يبدو بحالة يعني فيها ضعف كبير جداً، تأتي قذيفة معينة ضربت عليهم مدرعة أو ضربت ناقلة أو ضربت ...قتل مجموعة جنود اهتزت أمريكا هناك وتهتز معنويات الجنود في الداخل في العراق، فيتهربون على تركيا وعلى سوريا، لكن متى وصلوا إلى العراق متى ضربوه عسكرياً؟ بعد ضربات أخرى كثيرة ولهذا نحن نقول الناس يشتغلون بالوسائل هذه أشياء كثيرة في متناول الناس يعملونها إضافة إلى إعداد أنفسهم للمواجهة المسلحة لأن هذه قضية أساسية لا يأمن هذا العدو طرفك بأنك لا تواجهه معنى هذا يتجرأ عليك يعرف أنك مستعد بأن تواجهه بما لديك من سلاح مهما كان بسيطاً، وفي نفس الوقت يجب أن تشتغل بالطرق الأخرى الموضوع الثقافي موضوع الحرب النفسية، الحرب النفسية هي حرب واسعة وهم يركزون عليها بشكل كبير نحن نقول مثل موضوع شعار ومقاطعة اقتصادية وتوجيه للناس على هذا النحو يعتبر حرباً، يعتبر تحصين للأمة من ماذا؟ من حربهم الحقيقية .

لكن لاحظ من العجيب عندما لا يوجد رؤية بهذا الشكل وهي رؤية قرآنية يرشد إليها القرآن يقولون (ماذا نعمل؟!) وهم كل واحد يستطيع أن يعمل الكثير [ماذا نعمل؟] وسائل أن تعمل كثيرة، مطبوعات متوفرة أشرطة متوفرة الأموال بأموال الناس بإمكانياتهم الحاصلة يستطيعون أن يكون لهم حركة ثقافية كبيرة حركة دعائية ضد العدو كبيرة؛ لأنها أساس في القرآن فضح العدو وما هو عليه ونواياه كذلك مواقف شعارات الشعار يمثل حرباً نفسية بالنسبة لهم حرباً نفسية لأنهم عندما يضربون في العراق ورأوا الناس هنا ما سكتوا ما يزال الشعار [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] رأوا أن هؤلاء لم يتأثروا نفسياً هو ينهزم نفسياً، هو في المقابل أعني عندما يفجر هناك في الأخير ينظر هنا ينظر كم الذين قد خافوا؟ كيف سيظهر بأنك خفت منه؟ أن نفسيتك انهزمت؟ عندما يراك تراجعت رأى الناس يرفعون شعارات من قبل يضرب العراق ومن بعد أن ضرب العراق وأثناء ضربه وأثناء عمله الكبير الدعائي الإعلامي الذي هو يمثل ماذا؟ حرباً نفسية وجدهم لم يتراجعوا يحاول يسجن يحاول كذا ما تراجعوا، هي في حد ذاتها حرب نفسية كبيرة في مواجهتهم، وإبطال، إبطال لحرب نفسية من

عندهم.

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} (آل عمران: من الآية ١١٢) **متى يمكن يعطيهم حبلاً؟ معناه سبباً متى ما ترك الآخرون حبله ألم يقل هناك: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية ١٠٣) **هناك قدم حبلاً في المقدمة لأوليائه للناس للمسلمين {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية ١٠٣) **ما لم سيعطيهم حبلاً من جهته سنداً، وحبلاً من الناس يشتغلون الذين تركوا حبله وهم في الأخير يسقطون هم مع الذين تركوا حبله.**

لاحظ هذه ألم يذكر هنا كلمة حبل، بعد ما ذكر حبلاً سابقاً {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} تعتصمون بهذا الحبل ستنتهي المسألة إلى هذه{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران: من الآية ١١١) **[لأنهم كذا وكذا في واقعهم] ذلة ومسكنة وباؤا بغضب، إلى آخره {إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية ١٠٣) **يعطيهم سبباً معيناً {وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}** (آل عمران: من الآية ١٠٣) **أليس معهم حبل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ومن .. وحبل من داخل الأمة أيضاً يمدون لهم حبالاً من هنا من داخل حكومات العرب. فإذا تحرك الناس واعتصموا بحبله تقطع الحبال الأخرى معنى {ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران: من الآية ١١١) **لا يعد يبقى حبل على الإطلاق معهم؛ لأنه حتى بالنسبة للنصارى هم مكر وهون لديهم إذا جئنا إلى نفس اليهود النصارى مكر وهون لديهم، والنصارى اليهود مكروهون لديهم، وفي داخلهم عداوة وبغضاء فيما بينهم. ومن جهة الله يقطع كل الحبال{ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ }** (آل عمران: من الآية ١١١) **بهذه العبارة القاطعة.**

فعندما يلاحظ واحد مثلاً وجدناهم ينجحون في أشياء معينة، فلأن هؤلاء مفلتين لحبل الله{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفتح: من الآية ٤).

بنوا إسرائيل يقولون هم في تاريخهم، يوم كانوا وضعيتهم كوضعية المسلمين الآن، بالنسبة لرسالتهم كان يسلط عليهم من ألدّ أعدائهم لا تدري أحياناً المصريين وأحياناً الفلسطينيين وأحياناً البابليين.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٦١) **الله ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب منه وتقدم في سورة البقرة غضب على غضب لماذا؟ هل موقف شخصي من أولئك؟. لا؛ لأنهم كانوا هكذا: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** (البقرة: من الآية٦١) **فالعاصين والمعتدين الكافرين بآيات الله، من يحاربون من هم ورثة لأنبياء الله، معناه في الأخير ماذا؟ تضرب عليهم الذلة والمسكنة كمثلهم .! كما ضربت على أولئك.**

أي عندما يقول ذلك بأنهم كانوا كذا كذا إلى آخره، فلأن معناه من يكون على هذا النحو فهذا مصيره تضرب عليهم الذلة والمسكنة .

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} (آل عمران: الآية ١١٣ ـ ١١٥).

عندما يقول: {لَيْسُوا سَوَاءً} (آل عمران: من الآية ١١٣) **نجد كلما يأتي حديث كثير عنهم حديث كثير عنهم يرفع الإنسان أن يكون له موقف شخصي وعداوة شخصية لماذا؟ لأن هذه مؤثرة جداً في حركتك وأنت تعرف أن هذا الدين هو للناس جميعاً، ثم يؤثر جداً في موقفك عندما تنطلق انطلاقة شخصية، أعني عداوة شخصية، فأنت معرض أن لا تثبت فعلاً لأن الإنسان الذي ينطلق منهم كموقف شخصي، متى ما قدموا إحساناً هم من جانبهم سيمسحونه، ولا تدري إلا وقد هو ماذا؟ وقد هو موالي لهم، لماذا؟ لأنه ينطلق انطلاقة شخصية موقف شخصي عداوة شخصية، هذه نفسها لا تشكل ضمانة على الإطلاق للإستقامة والإستمرار لحمل هذه المسئولية ومواجهتهم، لأن من أساليبهم هم أن يحاولوا أن يقدموا أشياء خدمات معينة أو مساعدات معينة، فعندما يكون لك موقف شخصي منهم باعتبار شخصي وليس باعتبار موقف مسئولية إلهية دينية، معناه في الأخير تكون معرضاً لأنه بمجرد إحسان معين يأتي إليك ومسحوه من نفسك وانتهى، تبرد.**

ثم في نفس الوقت سيكون موقفك الشخصي على حساب رغبتك وحرصك أن يهتدي الناس جميعاً تصبح أنت صاداً عن سبيل الله عندما يكونون عندهم رغبة سواء أفراد منهم أو كيفما كانت عنده رغبة أن يعود إلى دين الله، لا يعد لديك أنت رغبة لم تعد تريد يدخل، لم تعد تريد إلا أن تضربه كيفما كان، ولهذا قضية هامة جداً هذه، قضية هامة جداً أن يكون موقف الناس من أعداء الله موقفاً دينياً، تكون نظرتهم إليهم وفق نظرة القرآن الكريم وإلا فلن ينجحوا سيكونون معرضين، وسيكونون صادين عن سبيل الله في حالات معينة، يلاحظ واحد الأشخاص الذين له موقف شخصي منهم بعضهم لا تعد رغبتك أن يهتدي قد رغبتك يبقى كما هو إذا قد هو يريد أن يهتدي، لم تعد تريد أن يهتدي لا تعد رغبتك أن يهتدي؛ لأن لك موقفاً شخصياً منه .. ثم هذا يعطي أيضاً تأكيداً بأن هذا الدين هو للعالمين جميعاً، فيترفع الناس عن النظرة الشخصية النظرة الإقليمية النظرة البشرية، حركة على أساس دين الله، وينظرون للناس على أساس النظرة القرآنية هذه التي تمثل الإستقامة، وتجعل فعلاً هذا الدين فعلاً ديناً عالمياً .

تأتي هذه في أكثر من مقام، الآية التي مررنا بها أنك ترى فيها دعوة لهم إلى الإيمان ترى فيها عرض كثيراً من الأشياء التي تشجعهم على الإيمان وترى فيها نظرة يأتي بصفحة أخرى، ألم يذكر صفحة مريم وعيسى وزكريا ويحيى وكل تلك التي قرأناها سابقاً؟ هنا يقول: {لَيْسُوا سَوَاءً} (آل عمران : من الآية ١١٣) فيهم ناس، كان فيهم ناس أما الآن لا يوجد مجال عندما يكون اليهودي على ما هو عليه تقول بأنه تنطبق عليه الآية هذه هل ممكن؟ وهو يعطي صورة كاملة عن بني إسرائيل، عن تاريخ بني إسرائيل أيام تنزل القرآن وما قبله يقول كان يوجد في داخلهم ناس على هذا النحو، لم يكونوا كلهم على ما ذكر كان الكثير منهم {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد : من الآية١٦) يعني كان هناك على هذا النحو .

من قيمتها هذه: أن تنظر إلى الناس هذه النظرة القرآنية تترفع عن الموقف الشخصي مهما كان لديك أعني ممكن تغضب تكون شديد الغضب، لأن القضية لا تتنافى مع الموقف على أعلى مستوى، يكون الناس أقوياء وغضبهم شديداً وأولي بأس شديد لكن وعندهم إمكانية أن يعود الآخر إلى دين الله فيصبح منهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، الآخر وأنت تقدم عليه بهذه الروحية بهذه القوة، يعرف أنه لا يوجد لديك على الإطلاق تأطير للقضية لأنك ماذا؟ تتحرك في إطار دين الله ما عندك تأطير لنفسك بحيث يعتبرك محتلاً ومستعمراً، الأمريكيون هم فشلوا لاحظ كيف كانت عقبة أمامهم لديهم الحركة على هذا النحو لكن ويحتاج يقدم نفسه أمريكي ومرتبط بإقليم معين هي ماذا؟ أمريكا، ليس باستطاعته أنه يجعل العراقي ينظر إليه كما ينظر إلى أي واحد من العراقيين وليست نظرته هو إلى العراقي كما ينظر إلى أي واحد من الأمريكيين، هل يستطيع الأمريكي في العراق أن يقول للعراقيين لكم مالنا وعليكم ما علينا؟ أبداً.

العراقي يراه إنساناً منطلقاً من هناك مؤطر نفسه بماذا؟ بنظرة إقليمية معينة وهو يريد أن يستغل ثرواتي لصالحه هناك هذه القضية تعتبر عقبة كبيرة أمام الأمريكيين، لا يستطيعون أن يدجّنوا الناس إلى درجة أنه يعتبرون أنفسهم كالأمريكيين سواء، أو هم ينظرون إلى الناس وكأنهم أمريكيين تماماً، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، لأن انطلاقتهم هي انطلاقة ماذا؟ إقليمية فئوية طائفية .

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران : من الآية ١١٣ ، ١١٤) تجد هنا بياناً للصالحين نحن نقول: أنه من الأشياء التي تحصل فيها غلط بالنسبة لنا معاني كثير من العناوين الدينية: متقين، مؤمنين، صالحين وأشياء من هذه، من خلال القرآن تعرف المتقين، من خلاله تعرف الصالحين هو قال في القرآن في آية أخرى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (الأنبياء : الآية ١٠٥) هل يريد الناس أن يكونوا صالحين فيكونوا من ورثة الدنيا والآخرة؟ يجب أن يعرفوا كيف هم الصالحون كما عرضهم القرآن لا أن تأتي أنت على ما أنت عليه من أخطاء ورؤى بعيدة عن القرآن ومفاهيم خاطئة تعتبر نفسك صالحاً ثم تقول في الأخير [لكن ما ورثنا الأرض إذاً فقد يراد بالأرض هنا أرض الجنة] ابعدوا الآية عن

أن تكون معناها هنا الأرض أي هذه الأرض؛ لأنه اعتبروا أنفسهم صالحين ورأوا أنفسهم ما ورثوا لا هم ولا أضرابهم، إذاً فالآية هي ثانية أليس هنا رد الآية وحولها على الآخرة؟.

هنا يذكر عن الصالحين في أكثر من مقام من الأسس عند الصالحين أن يكونوا مسّلمين لله، هذه قضية أساسية ألم يقل عن إبراهيم نفسه عندما قال: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية ١٢٨) **قال في مقام آخر: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}** (البقرة: من الآية ١٣١) **ألم يقل هكذا؟ ماذا قال عنه؟ {وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}** (النحل: من الآية ١٢٢) **من الصالحين، هكذا الصالحون، والصالح في الدنيا وفي الآخرة، لاحظ نبي الله سليمان كان عنده قضية أساسية، موضوع صالحين، صالحين، ألم يقل هناك: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}** (النمل: من الآية١٩) **وهنا يقول أيضاً: {وأولئك من الصالحين}** (آل عمران: من الآية١١٤) **بعد ما قال عنهم: {أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}** (آل عمران: من الآية ١١٣، ١١٤) **هذه نوعية {مِنَ الصَّالِحِينَ}.**

حصل أخطاء كبيرة، اعتبرنا أنفسنا أهل حق، واعتبرنا أنفسنا صالحين، ورأينا ما استطعنا أن نقيم حقاً ولا نرث أرضاً، ولا شيء فقلنا : [إذاً الحق ليس معه مكان والدنيا هي لأهل الباطل وأهل الحق دائماً يكونون ضعافاً لا يستطيعون أن ينجحوا في شيء] ما هم رجعوا على الأسس والقيم هناك يضربونها على أساس أن قد هو على حق! لا، إنه قيّم نفسك هنا اترك القرآن على أصله وأعرض نفسك، وأعرض ما لديك عليه، لا أن تحاول أن تؤقلمه هو ومصطلحاته معك وتنطلق تفسره تفسيراً آخر.

أما هو فيرد ويرفض أي تفسير يتنافى معه [نحن أهل حق لكن الحق هذا ما استقام، إذاً أهل الحق لا ينجحون في الدنيا نهائياً] قل هذه واحدة.

[صالحين صالحين لكن وجدنا صالحين لا ينجحون إذاً فالدنيا ليست مكاناً للصالحين فوراثة الأرض يعني أرض الجنة] أليست هذه كلها مبنية على نظرة أنه متمسك هو بمفهوم الحق لديه ما هو ويجعل ما لديه هو حق؟ بدل أن يقيّم نفسه على القرآن يحاول يرد القرآن لديه وينزل مفاهيم معارضة بشكل كامل للقرآن الكريم حتى أيضاً يضل الذي بعده!.

إلى هنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣/ ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة آل عمران

من الآية (١٦١) إلى آخر السورة

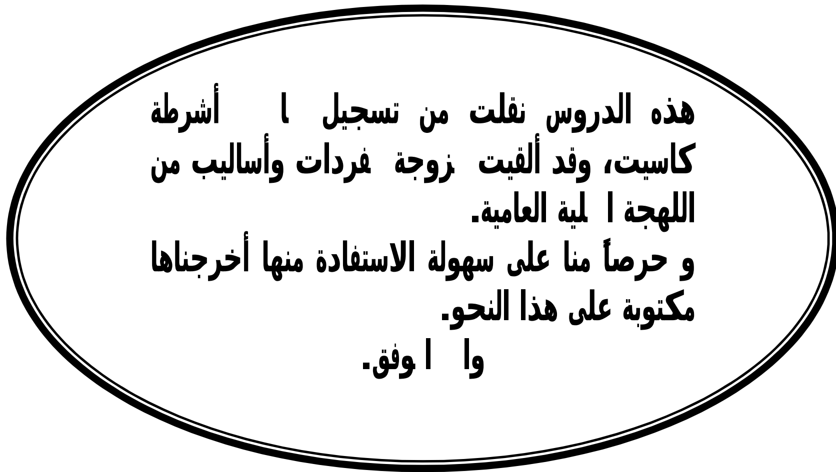
[الدرس السادس عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ١٠/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألفيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذه الآيات التي سمعناها فيها، أو معظمها، ما هو استكمال لغزوة [أحد] وتقديم ما فيها من دروس وعبر للمسلمين الذين كانوا في هذه الغزوة، ومن بعدهم، وتركزت على كثير من القضايا الهامة التي الناس بحاجة إلى فهمها، فيما يتعلق بالعمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعدائه، ما كان منها متعلق بقضية الثقة بالله سبحانه وتعالى، وما كان منها عبارة عن توجيهات هامة في مواجهة العدو وتوجيه كيف يجب أن يكون منطق الناس كيف يكون كلامهم ما هي الأشياء التي يبتعدون عنها تماماً، باعتبار الكلام فيها جزافاً أو باعتبار الكلام فيها مما يسر العدو ويرفع معنويات العدو فيؤثر تأثيراً سلبياً بالنسبة للمسلمين بالنسبة للمجاهدين .

نرى أيضاً في ضمن هذه الآيات فيها ما يشخص لنا شخصية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفعلاً ــ كما نقول ـ أن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معرفة سيرته معرفة شخصيته معرفة عظمته أو جوانب من عظمته، ما يمكن أن نعرفها بالنسبة له (صلوات الله عليه وعلى آله) وكذلك بالنسبة لأنبياء الله الآخرين، ونحن بحاجة ماسة إلى هذه القضية أيضاً، إلى معرفة الأنبياء وإلى معرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالذات معرفة كافية .

عرفنا كيف أنه كان قائداً لديه معرفة عالية ويعتمد عليه بشكل كبير في ميدان المواجهة {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} (آل عمران: من الآية١٢١) كذلك بالنسبة لنفسيته أخلاقه العالية سعة صدره التي تجعله يعرف كيف يتعامل مع الآخرين في الظروف الصعبة في الظروف التي عادة تؤدي إلى اختلاف بين الناس، اختلاف بين المجتمع اختلاف فيما بين القيادة والجنود {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:١٥٩) عندما نسمع توجيهات كهذه فيها ما هو حكاية عما هو عليه فعلاً {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (آل عمران: من الآية ١٥٩) أو نسمع توجيهات له وتراها ذات قيمة عالية وهامة جداً، خاصة في وضعية كهذه التي مر بها المسلمون بعد معركة أحد { فَاعْفُ عَنْهُمْ}(آل عمران:١٥٩) وتجد داخل الآيات التي تذكر أحداث معركة أحد وتلك الهزيمة، كم ظهر فيها من كلمات {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}(آل عمران: من الآية١٥٥) {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}(آل عمران: من الآية١٥٢) وهكذا فيوجه رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضاً بأن يعفو عنهم {فَاعْفُ عَنْهُم}(آل عمران:من الآية ١٥٩) العفو قد يكون التغاضي عن المؤاخذة التغاضي عن كثير من التأنيب والتوبيخ، العفو يختلف عن المغفرة ويكون له مجال خاص غير موضوع المغفرة، ولهذا يأتي في بعض الآيات يجمع بين العفو والمغفرة .

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} (آل عمران:من الآية ١٥٩) واستغفر لهم بأن تطلب من الله المغفرة لهم {وشاورهم في الأمر}(آل عمران:من الآية ١٥٩) لأنه في حالة كهذه عندما يتجه لأن يشاورهم هذه فيها نوع من الأنس، أعني يلمسون بأنه ما تزال نظرته إليهم جيدة وما يزال قريباً منهم، الإنسان الذي تتجه لمشاورته يعني ماذا؟ أن نفسك قريبة منه؛ لأنه ـ عادة ـ الهزيمة تترك أثراً كبيراً في النفوس خاصة، وهم عندما انهزموا في أحد تركوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في الميدان وكانت قضية كبيرة هذه، فكان هذا شيئاً طبيعياً أن يستحي كل شخص منهم ويخجل ويكون يحاول أن لا يراه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فإذا ما اتجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم وشاورهم وتحدث معهم يحسون بنوع من الأنس، فهذه لها أثر كبير في النفوس.

وعندما ينطلق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يتعامل على هذا النحو من منطلق معرفته للناس كبشر يعرف الناس كناس ويعرف الوضعية أنه ليس صحيحاً أو ليس أسلوباً صحيحاً أن يتجه إلى توبيخ ومقاطعة لهم ونفور منهم هذا سيزيد من ماذا؟ من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك تماماً وكل

إنسان هو وإن زل قد يكون قريباً إلا نوعيه منهم تحدث عنهم: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} (آل عمران: من الآية١٥٤) هذه نوعية ثانية لكن آخرين قد تكون أحياناً متى ما زلّ زلة كل واحد يعرف زلته، وكل واحد يكون لزلته أثر في نفسه وبالإمكان إذا ما تزال نفسيته صالحة يكون قابلاً لأن يوجه أكثر ويتفهم أكثر ويأخذ دروساً وعبراً مما حدث فيكون فيما بعد على مستوى أفضل.

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٥٩) أي يقول هنا في توجيهات {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٥٩) توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات .

إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد تكون في كتب السير تاريخاً يعرض فقط أحداثاً معينة مؤرخة ونكتب فيها أرقاماً معينة، لكن التحليل لشخصيته قضية ثانية، التحليل لمنطلقاته في عمله في تكتيكه العسكري في اختياره للقادة في اختياره للموقع وأشياء من هذه لا تتناولها معظم السير فعلاً، وهي قضية هامة، أي ليس المطلوب فقط من السير أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية وكم كان عدد المسلمين وكم كان عدد الكافرين وانتهى الموضوع، المطلوب أن نعرف كيف كان ـ بطريقة تحليلية ـ كيف كان تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف كان تخطيطه كيف كانت مشاعره كيف كان تقييمه كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين الكافرين الوضعية بشكل عام، وضعية العالم في ذلك الزمن بشكل عام حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة ويعطي عبرة وتعرف من خلاله النفسيات .

لاحظ هنا في معركة [أحد] كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} ()(آل عمران: من الآية١٦٧،١٦٦) وسابقاً يقول: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:١٤١) {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} (آل عمران: من الآية١٤٠) {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران: من الآية١٤٢)

وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأي واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته. إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً قائمة على معرفة خططاً واعية قائمة على معرفة تعرف أن هذا الإنسان كذا وهذا كذا وهذا كذا وتلك القبيلة كذا وسكان تلك القرية كذا وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا .

معرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية هامة ـ كما أسلفنا ـ في أن يعرف الناس فعلاً أنه نعمة عظيمة من الله ولهذا قال بعد: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية١٦٤) وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون . في نفس الوقت أيضاً لا يعتبر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير، ولكنه حكيم تكون الأشياء تسير وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، أعماله تسير وفق ترتيبات دقيقة وخطط محكمة ورؤى صحيحة ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة معجزات، معجزات إلى آخرها يقول الناس من بعد: [إذاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قد التحق بالله وما معنا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة، خارقة... إلى آخره، إذاً ما نستطيع نعمل شيئا] عندما تعرف بأنه كانت تلك الحركة تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليه ومن خلال القرآن الكريم، ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) .

أن تكون الأشياء تمشي على الطريقة هذه، معناه ماذا؟ أنها قابلة للإستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) موجوداً بينهم لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط نعرف أنه قائد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا.... إلى آخره،لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس وكيف كان أيضاً كيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء .

لأنه فعلاً الذي حصل أنه أبعد الأنبياء عن قائمة أن يكونوا أشخاصاً يستلهم الناس من عملهم ما يفيدهم في حركتهم في مجال العمل لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ترافقت عدة أشياء منها: روايات يتجلى من خلالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وكأنه إنسان عادي أو غبي وليس فقط عادي إنما لا يفهم شيئاً كما يحكون في غزوة [بدر] أعني: روايات فيما يتعلق بميدان الجهاد وحتى فيما يتعلق بحياته الخاصة وأشياء كثيرة قدموه وإذا فقط فلان يوجهه أنه يحجب نساءه وفلان يقول: لا، أحسن نكون هناك على النهر من أجل عندما نكون في مواجهة مع العدو نكون قريبين من الماء ونسبقهم إلى الماء! وأشياء من هذه يبدو شخصاً بسيطاً لا يعرف شيئاً! لا، هو كان شخصاً هاماً جداً حكيماً وقديراً ذكياً فاهماً، قائداً على أعلى مستوى للقيادة فعلاً، حتى أن الغربيين عندما حللوا شخصيته ومواقفه اعتبروه أنه أعظم قائد في التاريخ كما يحكى أنهم فعلاً اعتبروا أنجح وأعظم قائد في التاريخ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

وكيف كان على الرغم من كفاءته العالية يتوكل على الله {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران: من الآية١٥٩) **.**

فيما يتعلق بالمواجهة التي حصلت في يوم [أحد] وما قبلها وما بعدها، والعادة أنها قد تحصل غنائم يغنمون عندما ينتصرون على العدو، هنا يوجد طمأنة للمسلمين أن يفهموا بأن الشخص الذي يقودهم ليس إنساناً ممن يحاول {أن يَغلّ}.الغل معناه: الأخذ من الغنائم لنفسه بطريقة خفية، لهذا يقال بأنه كان هناك حالة معروفة يسمونها: [الصَفِيّ] من الغنائم بطريقة معروفة علناً، خصلة واحدة يأخذها على الرغم من أن أمر الغنائم إليه؛ لأن قضية الغنائم قضية المال قضية حساسة قضية مما يحصل فيها منفذ للشيطان ولأولياء الشيطان للتشكيك في موضوع المال، فهنا يطمئنهم بالنسبة له (صلوات الله عليه وعلى آله) وبالنسبة للأنبياء بشكل عام من قبله، أن أي نبي من الأنبياء لا يمكن ما ينبغي على الإطلاق، ولا يحصل من جانبه {أن يَغلّ}.

فيها فيما يتعلق بالمؤمنين أنفسهم بعد أن قال: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}(آل عمران: من الآية١٦١) **أن يعرفوا بأنه إذا كانت القضية خطيرة فيما لو وقعت من نبي من أنبياء الله فهي قضية خطيرة أن تحصل من أي إنسان أن يغل من الغنائم، يحاول أن يأخذ شيئاً خلسة يخبيه لنفسه من الغنائم فعندما تكون القضية على هذا النحو فعلاً{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ}**(آل عمران: من الآية١٦١) **لكن قيمتها من الناحية النفسية فيما يتعلق بالناس، الثقة، تعظم لديهم الثقة في هذا الشخص بحيث أنهم لا يكونون يرون أنفسهم في الأخير وكأنهم يقاتلون ويجمعون غنائم وهو يأخذ الجيد الجيد لنفسه ويخبيه يخفيه ويعود به إلى بيته، أليس هذا يؤدي إلى حالة من الوهن في النفوس؟ هم مطمئنون فهي قيادة ليست ممن يعطي للمال أي قيمة بحيث تصبح خائفاً بأنه قد يأخذ هذا أو هذا أو هذا لنفسه هذا على قراءة: { يَغُلّ } .**

{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٦٢) **حالة مقارنة عامة أن يقيّم المؤمنون أنفسهم في مقابلة الطرف الآخر الذي سخط الله عليه وهم أ عداؤه من الكافرين والمنافقين واليهود والنصارى { أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّه } يعتبر سواء، مستوياً مع من هو في الواقع قد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ليطمئن الإنسان ويطمئن المؤمنون بأنهم في طريق يحضون فيها برضوان الله، وأنه لن تكون الحالة مستوية كحالة يعني فيما بينهم وبين منهم ماذا؟ من باءوا بسخط من الله، يعني: في إطار تدبير الله سبحانه وتعالى، وهذا ما لمس أخيراً كيف انتهت المسألة فيما بعد، على الرغم من أنه حصل هزيمة في أحد لكن كيف انتهت**

القضية في الأخير؟ ألم يكونوا من اتبعوا رضوان الله هم الأعلون في الأخير؟ وتلاشى كل أولئك الذين باءوا بسخط من الله والذين كان لهم انتصارات في بعض المواقع منها أحد، لكن في الأخير لم يكونوا سواء أبداً، أولئك ضاعوا وتلاشوا وقهروا وغلبوا ومن اتبعوا رضوان الله كانوا هم الأعلون وتحقق لهم النصر الأخير، النصر النهائي في الصراع ألم يحصل هذا؟ على مستوى الجزيرة أولاً، دخلوا بعد فترة قصيرة مكة فاتحين وانتهى الموضوع تماماً بالنسبة للجزيرة، انتهى بقي حنين بعد الهزيمة التي حصلت في [حنين] حصل انتصارات المهم في الأخير انتهى أولئك الذين باءوا بسخط من الله وتلاشوا.

هذه مهمة، أن يعرف الإنسان بأنه في تدبير الله سبحانه وتعالى أن يعرف المؤمن أنه في تدبير الله لأن الله هو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو مدبر شؤون السموات والأرض من المهم أن يكونوا واثقين بأنه لن تكون الحالة مستوية لن تنتهي المسألة إلى أن يكون من باءوا بسخط من الله هم الأعلون على الإطلاق، بل تنتهي إلى هذه تعطي الناس طمأنة باعتبار لو حصل تقلبات أثناء حركتهم يكونون واثقين بأنهم في الأخير هم سينتصرون؛ لأن الآية هنا لا تذكر قضية حكم يقول لك: هل هم سواء الذين رضي الله عنهم والذين باءوا بسخطه؟ تقول : لا، يقوم عليها تدبير إلهي يقوم عليها طمأنة نفسية، وهم بحاجة إلى هذه بعد الهزيمة التي حصلت في أحد أن يفهموا بأن القضية لن تكون سواء، وستكون النهاية غير مستوية لن تكون في صالح من باءوا بسخط من الله على الإطلاق وكل الفئات ممن اتبع رضوان الله وممن باءوا بسخط من الله درجات نفس المؤمنين درجات متفاوتة الإنسان في نفسه يعيش في نفسه أحياناً حالات متفاوتة في نفسه هو ما بالك المجتمع بشكل عام المؤمنون متفاوتون فيما بينهم {هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (آل عمران:١٦٣) .

{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} (آل عمران:١٦٥، ١٦٦) إلى آخر الآيات هنا عندما تأتي الآية هذه متوسطة، بعدما حصل لديهم من آثار أعني بعد ما حصل في نفوسهم أثناء مواجهتهم للعدو من آثار على نفوسهم سلبية، كما ذكرها في كثير من الآيات أبرز كثيراً من الآثار التي حصلت وحصل جروح وحصل قتل وحصل أشياء كثيرة، عادة الناس إذا لم يكونوا واعين إذا لم يكونوا فاهمين بالشكل المطلوب قد تتجه كل مشاعرهم السيئة إلى القائد [أن هذا هو الأساس هذا الذي كلف لنا لكل هذه الأشياء لو ما هذا لما وقعنا فيما وقعنا فيه] وهكذا فهو هنا ينبه المؤمنين بأنه على الرغم مما حصل لكم حصل قتل حصل جراحات حصل آثار نفسية فيما يتعلق ببعد الهزيمة أشياء كثيرة يجب أن تكونوا متذكرين وذاكرين أن الله قد مَنّ عليكم بنعمة كبيرة جداً هو ذلك القائد الذي يقودكم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأن مهمته بالنسبة لكم هو أن يعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم مهمة عظيمة جداً، تهون معها كل المصائب التي نالتكم من قتل وجراحات وآثار نفسية بعد الهزيمة .

فيما يتعلق بالعدو دائماً العدو يحاول أن يوجد هوة فيما بين القائد والجنود فيما بين الأمة وقيادتها، بأن يحاول أن يوحي لتلك الأمة بأن [لاحظوا كيف دخلنا في مصائب ومشاكل وأشياء من هذه كلها بسبب فلان بسبب فلان] إلى آخره، ظهرت هذه في أيام [الإمام الخميني] هجمة إعلامية من قبل الإعلام الغربي والعربي أيضاً، وكان هناك محطات موجهة إلى داخل إيران باللغة الفارسية محطات إذاعية وتلفزيونية وغيرها من وسائل الإعلام موجهة إلى الشعب الإيراني ليقولوا لهم [لاحظوا كيف أصبحتم أصبحتم في عزلة عن العالم وأصبحتم في مشاكل مع العالم وأصبحتم في حروب وتدمر كثير من مدنكم كلها بسبب الخميني] وهكذا يوجدون هوة فيما بين القائد وما بين المجتمع وتذمر من هذا القائد و محاولة للتمرد عليه، أو محاولة رفض لتوجيهاته هذه تمثل ضربة رهيبة للأمة تمثل ضربة رهيبة للأمة هذه الحالة إذا استطاع العدو أن ينجح فيها ولهذا كانت مهمة جداً أن يذكّر المؤمنين لأنها قد تحصل مشاعر من هذه، بأن أعظم نعمة عليكم هو ذلك الرجل العظيم الذي مَنّ الله به عليكم {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (آل عمران:١٦٤) **وكانوا فعلاً من قبل في ضلال مبين، أمة تائهة، أمة ضائعة، أمة لا وزن لها.**

لهذا جاءت هذه الآية متوسطة يذكر قبلها ما حصل من قتل وجروح وآثار نفسية ويأتي أيضاً بعدها {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} (آل عمران: من الآية١٦٥) **بالنسبة للعدو يجب أن تنظروا إلى أنكم قد أثرتم في العدو هذه هي تعتبر حالة تساعدك على أن تتحمل العناء الذي أنت فيه أنه أيضاً العدو قد ناله كما نالنا أو أكثر سواء في تلك المعركة أو فيما سبق {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا}** (آل عمران: من الآية١٦٥) **بالنسبة للعدو قد ناله من جانبكم مثل ما حصل عليكم مرتين {قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا}** (آل عمران: من الآية١٦٥) **{أَنَّى هَذَا} خطيرة في الأخير يقولون: [من فلان] أليست هكذا؟ ولهذا جاء بالآية الأولى قبلها {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}** (آل عمران: من الآية١٦٤) **بحيث لا يعد هناك شيء أن يقولوا: [فلان] يتذكرون أنه نعمة عظيمة عليهم.**

{قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا} (آل عمران: من الآية١٦٥) **من أين أوتينا؟ ما السبب؟ كيف وقع علينا هذا الشيء؟ وكيف..؟ {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}** (آل عمران: من الآية١٦٥) **لأنكم أنتم تنازعتم فشلتم عصيتم الرسول تنازعتم في الأمر من بعد ما أراكم ما تحبون، هو من عند أنفسكم {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (آل عمران: من الآية١٦٥) **يعني السبب الرئيسي هو من عندكم السبب الرئيسي لما نالكم هو من عند أنفسكم؛ ليحذروا في المستقبل وليعرفوا بأنه إذا ما حصل من جانبهم أخطاء، والأخطاء متفاوتة، هناك أخطاء تحصل عليها عقوبات، وقد يكون هناك أخطاء يحصل تدارك إلهي كما قال سابقاً: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا}** (آل عمران: من الآية١٢٢) **لكن تلك الأخطاء في الميدان غير طبيعية أن يحصل من بعد ما أراكم ما تحبون يحصل فشل وتنازع في الأمر وعصيان في الميدان قضية خطيرة جداً ليست سهلة فحصل ما حصل نتيجة لهذه الأخطاء الرهيبة لكن الأساس هو من عند أنفسكم.**

{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٦٦) **هو أذن سبحانه وتعالى {فَبِإِذْنِ اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية١٦٦) **دون أن تقول:[كيف كان إذن الله كيف تمت؟ هل معناها علمه أو معناها دفعهم أو معناها أو معناها] بإذن الله والله سبحانه وتعالى هو من يحمد نفسه وينزه نفسه هو الذي ينزه نفسه بإذنه فعلاً يعني ما حصل أن يضربكم المشركون فتحصل تلك النتيجة السيئة الله أذن بهذا، درس لما حصل وعقوبة لما حصل ومع هذا يتدارك المسألة بشكل كبير {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}** (آل عمران: من الآية١٥٢) **{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}** (آل عمران: من الآية١٥٥) **وهكذا وعفو من جهة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) واستغفار حتى لا تمشي النتيجة إلى الشيء الطبيعي لها وإلا قد تكون آثارها سيئة فعلاً.**

{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران:١٦٦) **يتبين المؤمنون {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}** (آل عمران: من الآية١٦٧) **يظهر المنافقون أولئك {الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا}** (آل عمران: من الآية١٦٧، ١٦٨) **هؤلاء المنافقون نوعية سيئة جداً ما كفاهم أنهم قعدوا بعد أن قيل لهم قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا إذا عندكم حرية على الأقل أن تدافعوا {قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ}** (آل عمران: من الآية١٦٧) **وما سكتوا في الأخير ما يزال يأتي من عندهم {الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}** (آل عمران: من الآية١٦٨) **أليسوا في هذا يحاولون يظهرون بأنهم أشخاص حكماء ورؤيتهم حكيمة ويجعلون الآخرين يحزنون ويعتبرون أنفسهم وقعوا في غلطة كبيرة جداً، أنهم ما كانوا كأولئك المنافقين أو ما استمعوا لأولئك المنافقين؟ {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}.**

{قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (آل عمران: من الآية١٦٨) **لأنه عندما يقول: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}** (آل عمران:من الآية١٦٨) **أليس هنا يقدم المسألة وكأنها حتمية من أين له علم ذلك! إذا أنتم ترون بأن آراءكم نتائجها حتمية إلى الدرجة هذه {فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** (آل عمران: من الآية١٦٨) **في هذا المقام فقط الذي**

حصل كما قلنا أكثر من مرة {أَوِ ادْفَعُوا} (آل عمران: من الآية١٦٧) دافعوا عن وطنكم، دافعوا عن نفوسكم، لمن وجهت هذه؟ للمنافقين فقط أما المؤمنون فدائماً والمسلمون بشكل عام دائماً يقال لهم في سبيل الله.

المنافقون هم فئة متذبذبة عادة، متذبذبة وفئة لا تهدأ ومن العجيب أنهم يكونون أقرب إلى العدو، الذي ماذا؟ لو دخل بلدهم لاستباحها كلها، لا يعرف أين بيت المنافق وبيت المؤمن ولانتهك أعراضهم ونهب أموالهم، هل سيفرقون فيعرفون أين بيت المنافق؟ مع هذا يكون عنده ميل للعدو، هذا شيء سيء جداً، وغريب جداً من النفوس المنافقة، نفوس غريبة جداً، وضعيتها غريبة جداً {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} (آل عمران: من الآية١٦٧) .

إذاً فهمنا من غزوة [أحد] تَبَيّنَ منافقون، ووجه هجوماً على المنافقين؛ لأن المنافقين عندما تظهر لهم حركة، المفروض يكون هناك ما يقابلون به مما يحطم معنوياتهم، ويظهر الناس أمامهم بأنهم لا يتأثرون بمقولاتهم ولا يتأثرون بتضليلهم ولا يتأثرون بتثبيطهم؛ لهذا قال هنا: {قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (آل عمران: من الآية١٦٨) لأنه عادة في حالات كهذه ينشط المنافقون في حالات صراع، ينشط المنافقون أما عندما تكون الكفة تميل لصالح العدو فينشطون أكثر.

{وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران:من الآية ١٦٩ ـ ١٧١) كما قال سابقاً: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: من الآية١٦٦) تحدث عن المؤمنين، مؤمنين استشهدوا، ومؤمنين انطلقوا وهم جرحى ليلحقوا العدو، مؤمنين كان كلامهم كلاماً قوياً في مواجهة دعاية معينة: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران:١٧٣) .

في هذا يتبين عظمة الشهادة، وفضل الشهادة في سبيل الله، الذين قتلوا في سبيل الله؛ لأنهم في الواقع والمنافقون يقولون: {الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} (آل عمران: من الآية١٦٨) هؤلاء الذين تقولون ما قتلوا هم حظوا بفضل عظيم ومقام رفيع، درجة عالية .

{وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ} (آل عمران: من الآية١٦٩) هم أحياء ما يقال لهم أموات ولا تظن بأنهم ماتوا، هم أحياء بما تعنيه الكلمة عند ربهم، الله أعلم في أي مكان، في الجنة، أو في كوكب آخر الله أعلم أين، المهم أنهم في مكان، وبالطبع عندما يقول: {عِنْدَ رَبِّهِمْ} (آل عمران: من الآية١٦٩) أنه مكان رفيع، ومكان يعني قد تكون الجنة أو شيء كالجنة، إذا قلنا الجنة قد خلقت أو ما خلقت كما يقول البعض، {يُرْزَقُونَ} (آل عمران : من الآية١٦٩) على ما يبدو أنها حياة كاملة، حياة حقيقية، يرزقون ، {فَرِحِينَ} (آل عمران : من الآية١٧٠) {وَيَسْتَبْشِرُونَ} (آل عمران : من الآية١٧٠) أليست هذه عبارات تدل على الحياة الحقيقية؟ أيضاً مستبشرين بالنسبة لمن بعدهم من الناس المؤمنين الذين يجاهدون في نفس الطريق التي هم استشهدوا فيها أنهم ناس {أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (آل عمران : من الآية١٧٠) لا يُخاف عليهم ولا حزن عليهم من أي طرف كان، أنها طريقة فيما لو حصل على أحد منهم، فيما لو حدث أن يقتل، أنه ماذا؟ سيلحق بهم وينال هذه الدرجة العظيمة عندما يقتل في سبيل الله .

أن تكون هذه الآية في مقام بعد الحديث عن المنافقين {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} (آل عمران : من الآية ١٦٨) أليس فيها تفنيد لرؤيتهم هم؟ تفنيد لرؤيتهم؛ لأنه عندما تقول: [أنه مَا مِنْ قُتِلُوا] لكن لاحظ القتلى أين هم، إذاً فأنت عندما تعتبر أن رؤيتك صحيحة، وكان أفضل لهم أن لا يقتلوا معناه عندك أنت أن الأفضل لهم أن لا ينالوا هذه الدرجة الرفيعة، هذه الحياة الأبدية عند الله، يرزقون، فرحين، مستبشرين، إذاً معناه أنه لا قيمة لكلامه ويجب أن يواجه بمثل هذا في أي ظرف يكون الناس فيه يواجه المنافقون بكلام شبيه بهذا بما تضمنته هذه الآية وغيرها من الآيات عندما يقول: [أترك وليس لك دخل ما بلاّ، و...و... و... إلى آخره] تقول له في الأخير: فيما لو وقع عليَّ شيء من هذا، فيما لو قتلت في سبيل الله، أليست فضيلة عظيمة ودرجة عالية؟ إذاً

فأنت تحاول أن تحول بيني وبين ما هو فضل عظيم وبين ما هو حياة ليس فيه موت على الإطلاق إلا مجرد الإنتقال، الإنتقال فقط قد يكون لحظات.

فهل يمكن أن يكون ناصحاً أو يكون رأيه صحيحاً وصائباً من تكون توجيهاته تحول بين الإنسان وبين مقام رفيع وفضل عظيم؟ أبداً، لا يمكن أن يسمى ناصحاً وإن كان هو ناصح في نفس الوقت لكن منطقه ليس منطق الناصح ولا يعرف كيف ينصح، قد يصدر مثلاً من قريب لك يوجهك تترك وأشياء من هذه، لكن يجب أن تفهم بأن ما يقوله هو وإن كان من واقع النصيحة، لكنه في الواقع لا يعرف النصيحة، لو يعرف هذا الفضل العظيم ـ إذا كان ناصحاً لك ـ المفروض بأن يدفعك إلى أن تناله، أما إذا كان منافقاً توبخه توبيخاً.

{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: الآية ١٧١) **إذاً بدل الحياة حصل لهم حياة أفضل، وبدل هذه الحياة على الأرض حياة في عالم آخر أرقى وأفضل، ويكفي أن فيها الأمن يكفي الإنسان الأمن أن يعرف بأن مصيره أصبح مصيراً مضموناً، أنه من أهل الجنة ولا خوف عليه ولا حزن هذه في حد ذاتها تعتبر نعمة كبيرة جداً؛ لأن الإنسان في الأرض هنا يكون قلقاً يعني ما يعرف كيف قد تكون نهايته، ما عنده ضمانة مؤكدة تماماً، بأنه إلى الجنة وإن كان في طريقها، لا يعرف كيف تكون النهاية بالنسبة له، أما الشهيد فهو حيّ وقد عرف أنه من أهل الجنة وفي نفس الوقت هو في جنة، الجنة الحقيقية، أو جنة أخرى، لم يعد هناك موت بالنسبة له، ولم يعد هناك قلق بالنسبة له على الإطلاق هذه الحالة لوحدها تعتبر نعمة كبيرة جداً أنه قد أمن عذاب الله قد أمن جهنم، قد أمن من سوء الحساب قد أصبح يقطع بأنه من أهل الجنة .**

{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} (آل عمران: الآية١٧٢) **يبدو أن هذه فئة من المؤمنين لحقوا بالمشركين بعد الهزيمة هذه وبعد الجراحات .**

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران: الآية ١٧٣) **ما تزال تابع لقوله:** {وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا..} (آل عمران: من الآية١٧١ ، ١٧٢) **إلى آخر الآية** {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران: الآية ١٧٣) **تجد هذه لها أثر هام جداً فيما يتعلق بالجانب النفسي وفي جانب الحرب النفسية فيما يتعلق بالعدو بعد الجراحات بعد الهزيمة، يلحقون بالعدو حتى لا يفرح بأنه انتصر.**

في نفس الوقت عندما يحصل أي عبارات، عبارات فيها إرجاف فيها تخويف جوابهم جواب الثابتين، هنا سيلمس العدو بأن أمامه أمة ثابتة مؤمنين ثابتين، لا يؤثر فيهم الإرجاف لا يؤثر فيهم التخويف {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً} (آل عمران: من الآية ١٧٣) **ثقة بالله** {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ} (آل عمران: من الآية ١٧٣) **الله كافينا، سنلتجئ إليه ونعتصم به ونسير على هديه ونتولاه** {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران: من الآية ١٧٣) **ليس هناك أحد يمكن أن يكون كمثله نكل إليه أمورنا، نعم الوكيل الله سبحانه وتعالى نكل إليه أمورنا وسنتحرك وليكن ما كان، هذه عبارة عملية ما معناها [نحن سنجلس والباري سيقوم باللازم]! أي سنتحرك ونواجه معتمدين على الله، والله ذكر في آيات كثيرة حثاً للناس أن يعتمدوا عليه أن يتوكلوا عليه وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله حسيباً هنا يقول :** {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران: من الآية ١٧٣) .

{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} (آل عمران: الآية ١٧٤) **فلاحظ كيف تكون النتائج كلها طيبة بالنسبة للمؤمنين، إن قتل في سبيل الله فتلك الحياة عند الله رزق وفرح واستبشار إلى آخره، أو كانوا لا يزالون في حالة المواجهة فهم ثابتون، لاحظ الثبات يتمثل أيضاً في كلام، يعني: أن يكون الناس دقيقين في منطقهم لا يظهر من جانبهم على الإطلاق أي عبارات جزع، بل كلها عبارات قوة كلها عبارات ثبات، كلها عبارات التجاء إلى الله سبحانه وتعالى وتكون النتائج طيبة**{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} (آل عمران: الآية ١٧٤) **من أخطر ما يكون على الناس هي تلك الأخطاء، أما كون العدو كبيراً، أو كون العدو قد حشد، أو كونهم قليلا، أو أشياء من هذه لم تقدم هنا بأنها بالشكل الذي يقعد الناس، أو أنها خطيرة بالشكل الذي قد يقعدهم، لا ، الخطورة كلها تتمثل في تصرفات تأتي**

من عندهم: عصيان، مخالفة، تنازع في الأمر، عبارات يقولونها تنبئ عن ضعف، تشد نفسية العدو، ترفع من معنوية العدو، هذه هي الخطيرة.

{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ} (آل عمران : الآية ١٧٥) التخويف هو مما يركز الشيطان على محاولة تعميمه وإثارته في أوساط المجتمع لكن عادة الشيطان لا يستطيع أن يكون مؤثراً فيوجد تخويفاً التخويف الذي قد يحصل معه التفكير بالتراجع أو هبوط في المعنويات وضعف في النفسية إنما يكون مَن؟ أولياؤه يتأثرون، أولياؤه، أولياؤه في الأخير يشتغلون مع الآخرين{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}(آل عمران : من الآية١٧٥) لأنه لا يستجيب للشيطان ولا يتأثر بالشيطان إلا أولياؤه، أما المؤمنون فالله قال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ} (النحل : الآية ٩٩) .

هذه نوعية من المؤمنين الذين لا يتأثرون: {الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران : من الآية ١٧٣) هل حصل عندهم حالة خوف؟ لا ، {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ} (آل عمران : من الآية ١٧٣) مع أن حالة الخوف تؤدي إلى هبوط في الإيمان أن يزدادوا إيماناً؛ لأنه ليس لديهم تخوف من أن يدخلوا في مواجهة مهما كان العدو عندما يحصل خوف يحصل اضطراب يحصل هبوط في موضوع الإيمان كما قال سابقاً: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّوْنَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} (آل عمران : من الآية١٥٤) {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوْهُمْ} (آل عمران : من الآية١٧٥) فلا تخافوا أولياءه؛ لأن كل من هم في مواجهتكم إنما هم أولياء للشيطان، الله قد قال: {فَقَاتِلُوْا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيْفاً} (النساء : من الآية٧٦) وأنتم وليكم الله والله هو قوي عزيز هو القوي العزيز .

{فَلاَ تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ} (آل عمران : من الآية١٧٥) عندما تخافوهم فيحصل تراجع يحصل قعود يحصل تخلف معناه أن هذه الحالة قد تجعل الناس مستحقين لعقوبة من الله فيجب على الناس أن يخافوا الله هو، لا يخافون من أولياء الشيطان لا يخافون من دعاياتهم، لا يخافون من إرجافهم، لا يخافون من عبارات أنهم قد حشدوا وأنهم، وأنهم إلى آخره، يجب أن نخاف من الله وحده{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ} (آل عمران : من الآية١٧٥) .

مما قيل في تفسيرها أيضاً: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} (آل عمران : من الآية١٧٥) أي يُخوفكم أولياءه يخوفكم من أوليائه حتى لو كانت القضية قد تحصل باعتبار المؤمنين قد يكونون أصحاب نفوس متفاوتة وقد يحصل مثلاً عند كثير منهم أن يتأثروا لكن لما كان المقام هنا مقام الحديث عن مؤمنين، أليس مقام حديث عن مؤمنين؟ لا يتناسب أن تأتي العبارة بهذا الشكل {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} على الإطلاق لأن الله يقول في آية أخرى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ} (النحل : الآية٩٩) .

فالشيطان هو يخوف أولياءه الذين يتأثرون به حتى لو كانوا من داخل المجتمع المؤمن، وهذا هو الشيء الطبيعي أنه من داخل المجتمع المؤمن، سواء كانوا منافقين أو ناس في قلوبهم مرض أو ناس ضعيفي إيمان ضعيفي نفوس هذا قد يحصل، لكن لكونهم يشملهم اسم مؤمنين، لا يمكن في التعبير أن يكون هناك قال: {لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوْا} (النحل : الآية٩٩) ثم يقول هنا، يخوف الذين آمنوا؛ لأن معنى يخوفهم أي يوقعهم في حالة من الخوف يعني هنا أصبح له تأثير عليهم وكأنه ماذا؟ أصبح له سلطان ولهذا جاء بعد: {فَلاَ تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ} (آل عمران : من الآية١٧٥) فلا تخافوهم، أي فلا تخافوا مَنْ؟ أولياء الشيطان؛ لأن الشيطان عندما يخوف أناساً هم في الواقع عندما يؤثر فيهم هم ناس عندهم ثغرة خطيرة جداً ليسوا بمستوى المؤمنين الذين ماذا؟ ليس له سلطان عليهم.

التخويف الذي يأتي لهؤلاء هو يخوفهم ممن أيضاً ؟ من أولياء له آخرين يخوف أولياء له من أولياء آخرين وسيشتغل هؤلاء الأولياء الصغار داخل المجتمع المسلم لتخويف مؤمنين، فيجب أن يكون المؤمنون الآخرون الصادقون على هذا النحو: {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ} (آل عمران : من الآية ١٧٣) وتحذير للكل {فَلاَ تَخَافُوْهُمْ} (آل عمران : من الآية١٧٥) لأن الشيطان لا يأتي إلى ناس يخوفهم من ناس مؤمنين يخوف مؤمنين من

مؤمنين سيخوف مؤمنين باعتبار الإنتماء لكن في إيمانهم ضعف أمكن للشيطان أن ينفذ إلى أنفسهم فيخوفهم ممن؟ من أوليائه من الكافرين من أعداء الله، هم أولياء الشيطان .

ينطلقون في الأخير إلى أن يقوموا بعملية تخويف التخويف يشبه هذه: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران : من الآية١٧٣) **[قد هم متجمعين قد معهم كذا قد هم يريدون كذا] تخويف في المجتمع، وهذه القضية يجب أن تحارب بعبارات تبلغ الطرف الآخر وبعبارات يكون فيها تبكيت لهؤلاء ولهذا جاء في آية أخرى: {لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا}** (الأحزاب : من الآية٦٠ ، ٦١) **ملعونين؛ لأنهم يقومون بعمل قد يترك أثراً عند بعض من الناس{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً}** (الأحزاب : الآية٦١) **.**

من واجب المؤمن نفسه عندما يقوم بعملية مقارنة مع أنها غير لائقة بالمؤمن حتى يقارن بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ومن الذي يجب أن يكون هو الأقوى، أولياء الله المعتمدين على الله القوي العزيز المتوكلين عليه الموعودين بنصره وتأييده أم أولياء الشيطان الذين نفس الشيطان ليس ناصحاً لهم {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِنْكُمْ} الشيطان نفسه ليس ناصحاً لأوليائه، الشيطان ضعيف وأولياؤه ضعاف {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء : من الآية٧٦) **أولياء الشيطان مهما كثروا هم في دائرة الضعف ومهما عظم ولاؤهم للشيطان معناه ماذا؟ كلما اشتد ضعفهم كلما كانوا أكثر ولاءً للشيطان كلما كانوا أكثر ضعفاً .**

تجد هنا في مجمل الآيات هذه كم فيها من توجيهات وهي تبدوا أمام حادثة واحدة، أليست حادثة واحدة؟ يوم واحد كم أمامنا من توجيهات كثيرة؟ إذاً نعرف أنه هكذا بالنسبة للمؤمنين أنه يجب أن يكونوا هم حركيين في موضوع التوجيه أعني لا يتركون أبداً لأي طرف أن يترك تأثيراً في داخل صفهم أبداً سواء إعلام، بطريقة وسائل الإعلام المعروفة أو عن طريق أشخاص من الداخل. يكون هناك من لديهم إجابات تبين قوتهم تبين أنهم لا يخافون تبين أنهم ثابتون، وفي نفس الوقت تكون بالشكل الذي تحطم نفسيات هؤلاء، وتبكيت لهم، عندما يكونون ما يزالون محسوبين من صف الناس تقول له: [اسكت لا يجوز لك أن تقول بهذا الكلام نهائياً أنت واحد من الناس كيف تقوم بعملية تخويف] لأنه الشيء الطبيعي أنه عندما يكون العدو هناك مجهز للناس أن الناس ينطلقون لماذا؟ ليعدوا كل ما يملكون من قوة ويشجع بعضهم بعضاً، هذا هو التصرف الصحيح وليس أن يكون العدو يحشد قوة كبيرة في مواجهة المجتمع وفي نفس الوقت يأتي أشخاص من داخلهم يخلخلون الناس أليس معناه أنهم هنا يجهزون المجتمع لأن يضرب؟

التصرف الطبيعي التصرف الطبيعي هو ماذا؟ هو أن يشدوا بعضهم بعض، هو أن يكونوا مستعدين هو أن يشجعوا بعضهم بعض؛ لأنه تصبح هذه الحالة ضرورية كلما ظهر وكان العدو أكثر أعداداً وأكثر حشداً، إذا كان أكثر أعداداً وأكثر حشداً فيجب أن يكون الناس أكثر تشجيعاً لبعضهم بعض وأكثر إعداداً وأكثر ثباتاً وأكثر قوة، لهذا كان عملاً سيئاً جداً في الآية هذه عندما قال: {مَلْعُونِيْنَ أَيْنَمَا ثُقِفُوْا} (الأحزاب : من الآية٦١)**؛ لأن تصرفهم تصرف خطير جداً وتصرف شاذ بشكل رهيب جداً، حينما يكون العدو يحشد وأنت تزيد الطين بلة، تحاول أن تخلخل المجتمع ليكون ضعيفاً في مواجهتهم .**

الآيات هنا تبين بأنه الأطراف الأخرى المعادية تشتغل، الشيطان، أولياؤه المنافقون، العدو نفسه من جهته يشتغلون باستمرار، تلاحظ كيف أنها تربية عالية جداً التربية القرآنية تربية عالية جداً، أنه حتى لو حصلت هزيمة يوجه المجتمع يوجه مجتمع المؤمنين الذين عانوا من هزيمة معينة إلى كيف يكونون بهذا الشكل الذي يجعل هزيمتهم وكأنه ليس لها أثر ويجعل العدو هو الذي ينهزم نفسياً، قضية هامة وهذا مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى وشمول هديه للناس يهدي في كل الظروف يهدي وهم متجهون إلى الميدان يهدي في نفس الميدان يهدي عندما ينتصرون ويهدي فيما لو انهزموا كيف يجب أن يكونوا .

{وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}(آل عمران : من الآية١٧٦) **؛ لأن هذه إما قد تكون من الآثار التي تكون مترتبة على هزيمة لجانب من المؤمنين أشخاص معينين ممن كانوا منافقين أو مضطربين وكان فيهم ميل إلى الكفر**

ومسارعة إلى الكفر {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران: من الآية١٧٦) **فلا يحزنك النوعية هذه، لاحظ أنك قد ترى ناساً قد هم متجهون مثلاً ذهبوا إلى الكافرين وعندما يكونون يتحركون في الساحة، فهنا توجيهات بأنه كيف يواجههم، وكيف يواجههم الناس بشكل عام .**

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران: الآية١٧٧) **والمنافقون يكونون دائماً خاسرين، فعندما يرى أن الجانب الآخر انتصر في معركة معينة فعنده أنه قد صارت كفتهم راجحة واتجه إليهم، في الأخير كيف أصبحت القضية، ألم يتلاشَ الكافرون وتلاشى اليهود؟ الذين كان يقول بعض المنافقين لهم {لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ}** (الحشر: من الآية١١) **يبين المنافقين أن ما عندهم رؤية، ما عندهم معرفة، ما عندهم نفوس مستقرة، كل قراراتهم فاشلة وكل النتائج بالنسبة لهم تكون خاسرة.**

لاحظ هنا كيف شمول الموضوع، كيف يتناول كل الفئات: مؤمنين ثابتين يثني عليهم، مؤمنين حصل عندهم نوع من خوف كيف كانت رعاية الله بالنسبة لهم، منافقين يبكتهم ويتوعدهم بالعذاب الأليم في هذه الآية الطرف الآخر الكافر نفسه كذلك فهنا يقدم منهجاً بأن تعرف بأنه في حالة الصراع تظهر حالات كهذه في حالة أن يحصل انهزام من طرف المؤمنين تحصل حالات كهذه، تكون أنت عارفاً كيف تتخاطب مع كل فئة فالعدو يأتي من جانبك عبارات تظهر بأنك لم تتأثر، وأنك ما تزال مستعداً للمواجهة، بل على أعلى مستوى لاحظ كيف المثل الأعلى الذي ضربه من خلال المؤمنين السابقين، الرِّبيون الذين قال عنهم مع أنبياء سابقين كيف قالوا؟ {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (آل عمران: الآية١٤٧) **ثبتنا بأن ننتصر عليهم على الرغم مما أصابهم . المنافقون نفس الشيء يقال لهم بأن قراراتهم نتائجها خاسرة آراؤهم فاشلة ويتجلى في نفس المجتمع بأنه ليس هناك تأثير ولا أثر لعملهم، ولكل ما يقولونه من عبارات تخلخل الناس .**

{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (آل عمران: من الآية١٧٨) **ألم يتكلم عن المنافقين؟ ثم تكلم عن الكافرين، كلها بعبارات ماذا ؟ فيها ما يبين أنهم خاسرون وأن لا يفرحوا بما رأوا أنفسهم عليه ويتوعدهم بالعذاب الأليم وبالعذاب المهين في الآخرة بل قد يكون أشمل. {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ليست فقط تنصرف إلى موضوع جهنم ومن الدنيا أيضاً ومن الدنيا يحصل في الدنيا عذاب أليم ويحصل في الآخرة ذلك العذاب الذي هو أشد ألماً.**

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} (آل عمران: من الآية١٧٩) **إذاً أليس في هذه ما يبين أن هناك قيمة كبيرة من خلال ما حصل ؟ أي أنه فيما لو حصل هزيمة معينة تحاول تترفع عن آثارها السلبية على نفسيتك وتحاول أن تبحث عن ما فيها من ماذا؟ من آثار إيجابية قد لا تحصل إلا في أجواء كهذه قد لا تحصل إلا في أجواء كهذه في أجواء الإنتصار لا تحصل ، يكونون كلهم مدعين أنهم مخلصون وكلهم مؤمنون وكلهم صادقون وكلهم ثابتون وكلهم في نفس الإتجاه وإلى آخره حالة الهزيمة يكون فيها أشياء تتجلى من خلالها لا تتجلى في أي وضعية أخرى في الغالب كما قال سابقاً: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}** (آل عمران: من الآية١٦٦ ، ١٦٧) .

هنا يبين وكأنها سنة إلهية {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} (آل عمران: من الآية١٧٩) **لأنه يحصل ماذا؟ هنا عملية خداع وكأنهم يخادعون الله ويخادعون الذين آمنوا، تأتي مواقف معينة يظهرون فيها {حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ}** (آل عمران: من الآية١٧٩) **هذا بالنسبة للمؤمنين كعنوان بشكل عام؛ لأنه عندما يكون أعني بالنسبة للإنسان من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله اعتبروه أسلم وقد دخل مع المؤمنين، ما هكذا يحصل؟ فمجتمع المؤمنين أي المجتمع الذي هويته هذه ومنتمي إلى هذا الإتجاه الإيماني قد يكون في الداخل على هذا النحو: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}** (آل عمران: من الآية١٧٩) **قد يدخل ناس**

خبثاء، أو يخبثون من بعد وإيجابياتها هامة إيجابياتها بالنسبة لهم هم الفئة هذه الخبيثة يظهر من جانبهم أشياء يحصل تبكيت لهم، يحصل توبيخ لهم، يحصل حذر عند المؤمنين الصادقين منهم، وللمستقبل في المسيرة يكونون عارفين تماماً من خلال التمييز عارفين تماماً من يعتمد عليه ومن لا يعتمد عليه.

هذا توجيه إلى أنه كيف يستفيد الناس من خلال الإيجابيات قدم كثيراً من الأشياء قد تعتبر إيجابيات، بأنك تعتبرها دروساً لا تحصل إلا في حالة كهذه، مثل ما الطبيب نفسه أليس هو يستفيد أثناء العمل من المرضى عندما يأتي عنده أمراض يستفيد معرفة للأسباب وللأمراض كيف تتطور وكيف تكون أسبابها وكيف تنتهي إليه.

{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} (آل عمران: من الآية١٧٩) **ليكون الإنسان عارفاً لذلك الشخص الفلاني هو طيب والشخص الفلاني خبيث {وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ}** (آل عمران: من الآية١٧٩) **قد يجتبي من رسله من يطلعه على الغيب فيعرف الأشخاص، لكن الأحداث نفسها هي تساعد على تميز الخبيث من الطيب، وهذه لها إيجابية هامة جداً لأنه بالنسبة للمجتمع من خلال أحداث معينة يتبين منهم الخبثاء فيهم فيكونون هناك معروفين فلا يعودون يتأثرون بهم، هو يعرف الطرف الذي مثلاً يقوم بتوجيه الناس، وقيادتهم، يعرف هو في نفس الوقت كيف يكون توجيهه بالشكل الذي يبعد الناس عن أن يكونوا كأولئك أو أن يتأثروا بمثل تلك النوعية، وهذه نفسها قد تجدها في الإسلام بشكل عام، وقائم على أساس أنه غير قابل للإختراق، فمن اخترقوا في الصورة لأنهم قالوا: [لا إله إلا الله محمد رسول الله] ودخل، ما كان ممكن أي واحد يقولها؟ هناك حالة سيتبين فيها ويتميز الخبيث من الطيب، إذاً فلن يكون في موقع قرار حتى يكون مؤثراً، وهو في الساحة من خلال أحداث معينة سيتغربل الناس فيعرفون أن ذلك خبيث فيكونون أبعد ما يكون عن التأثر به.**

{وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (آل عمران: من الآية١٧٩)

إن حصل إخبار من جانب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عن أشخاص معينين فيجب أن تؤمن؛ لأنه قد يخبرنا عن أشخاص كيف ستكون نهايتهم أو كيف سيكون واقعهم أو كيف واقعهم في نفس الوقت، فيجب أن يكون إيمان بهذا وإن بدا لك وكأن ذلك الشخص بعيد في نفس الحالة الراهنة في واقعه الآن.

يتناول هنا أيضاً جهة من بخلوا بالإنفاق في سبيل الله، ويبين أهمية الإنفاق في سبيل الله، هاجم المنافقين والكافرين أيضاً الذين بخلوا بالإنفاق في سبيل الله، ما أنفقوا في سبيل الله ويبين أهمية الإنفاق في سبيل الله وأنها قضية هامة جداً {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم}(آل عمران: من الآية ١٨٠) **وأن بخلهم كان هو خير لهم {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** (آل عمران: من الآية ١٨٠) **هو الذي سيرث الكل فيجعل ما بخلوا به من الأموال ـ كما يقال ـ طوق من نار أو أطواق من نار يطوقون بها يوم القيامة؛ لأنه في حالة هزيمة معينة وهناك أشخاص مثلاً ما أنفقوا سيقولون: [رأيتم لو أنفقنا كانت ستضيع أموالنا وتكون بدون فائدة هم هؤلاء انهزموا] لا، إن عليهم أن ينفقوا وما عليهم من النتائج كيف ستكون، ينفقون.**

لاحظ كيف جعل من هذه الغزوة مدرسة متكاملة من تلك المعركة معركة [أحد] كم حولها من معلومات من توجيهات من أشياء عجيبة وواسعة.

{لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ}(آل عمران: من الآية ١٨١) **رجع الكلام إلى بني إسرائيل {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ}**(آل عمران: من الآية ١٨٢، ١٨٣) **عندما يقولون: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}** (آل عمران: من الآية ١٨١) **اليهود، قالوا: هم من قالوا هذه، هذه عبارة سيئة جداً وتكشف جرأتهم على الله، عندهم جرأة على الله عندما يقولون: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}** (آل عمران: من الآية ١٨١) **{الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** (آل عمران: الآية١٨٣) **هذا من الجواب الذي**

يفضح، وإن لم يكن جواباً على نفس الموضوع بحيث يتجه ليقول: [إذاً رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو معه أشياء كذا ومعه، ومعه... إلى آخره] .

يفضحهم أولاً: {قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ}(آل عمران : من الآية١٨٣) يأتون بقربان، وتأكله النار، وقتلتموهم {فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ }(المائدة : من الآية٧٠) فلم قتلتموهم وقد جاءوا بما قلتم إن الله عهد به إليكم ؟!.

{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}(فاطر : الآية٢٥) لاحظ في هذه الآيات أول شيء فيما يتعلق بقولهم: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}(آل عمران : من الآية١٨١) هذه الحالة حكاها عن من؟ عن ناس سيئين حتى يكون الناس المؤمنون بعيدين عن أي خواطر تكون قريبة من هذه المقولة باعتبار أن الناس يعرفون اليهود ويعرفون واقع اليهود وإنما هم قالوا هذه، فيكون الناس بعيدين عن أي خواطر تكون قريبة من هذه المقولة، عندما يجدون أنفسهم مثلاً يعملون في سبيل الله يجدون أنفسهم فقراء يجدون إمكانياتهم قليلة ويجدون في نفس الوقت الأعداء الآخرين معهم إمكانيات هائلة، أو يجدون هنا حثاً كثيراً، حثاً بالغاً على الإنفاق أن ينفق الناس هناك قدم بالنسبة لقضية المال وحث الناس على أن ينفقوا هو فتح لباب من الفضل من مضاعفة الأجر، بحيث يمكن للإنسان أن يستغل ولهذا قدم المسألة بشكل عام تستغل حياتك، تستغل موتك، تستغل مالك، تستغل كلامك، تستغل كل شيء في سبيل أن تكون نتائجه طيبة بالنسبة لك، فضل عظيم وأجر عظيم من الله سبحانه وتعالى.

ثم إن المال له أثره النفسي بالنسبة للإنسان له أثر نفسي كبير وأثر فيما بين الناس بشكل عام، فعندما يأمر الناس بأن ينفقوا في سبيله، ليس معناه بأنه بخيل أو أنه ليس مستعداً أن يعطيهم شيئاً أو ليس عنده شيء، إنما فقط هم يقومون بنفوسهم! أولاً هو يقول للناس بأن ما عندكم هو منه إذاً فهل يمكن أن تقول هنا بكلمة فقير أو بخيل مثلما قال اليهود؟! لأن ما عندك هو لله {وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}(الحديد : من الآية٧) ولهذا قال سابقاً: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ }(آل عمران : من الآية١٨٠) كيف يمكن أن تسميه فقيراً أو تسميه بخيلاً وكل ما عندك هو من عنده، قليل أو كثير، وما يدعوك إلى أن تنفقه إنما يدعوك إلى أن تنفق جزءاً مما أعطاك هو، هذا معناه أنه مهم جداً ولهذا قدم الآية هذه قبل قول اليهود ألم يقل في البداية: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ}(آل عمران : من الآية١٨٠) آتاهم الله { مِن فَضْلِهِ}(آل عمران : من الآية١٨٠) بعدما يقول اليهود: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}(آل عمران : من الآية١٨١) كلمة: {وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}(آل عمران : من الآية١٨١) ناسين أن ما لديهم هو من عند الله كله.

إذاً فهل هناك مجال أن تقول: بأنك غني والله فقير أو أنك تعطي والله بخيل وكل ما عندك هو من الله ؟ فقضية الإنفاق في سبيل الله الإنفاق للمال هو من الفضل العظيم على الإنسان أن يجعل الله أمامه مما آتاه هو، هو الذي أعطاك المال وفي نفس الوقت أن يكون بإمكانيتك أن تستغل هذا المال لأن تحصل على فضل عظيم ودرجات عالية من الله، أليست هذه تعتبر نعمة من أساسها؟ ثم نعمة داخل نعم أو تقول نعم كثيرة وفضل كبير داخل هذه النعمة التي أساسها كلها من الله، هذا فيما يتعلق بجانب المال.

فيما يتعلق بالجانب الآخر جانب دعوة، جانب عمل {فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ} (آل عمران : من الآية١٨٤) عندما تكون أنت تتحرك وتجد آخرين لم يرضوا يقبلوا، لم يؤمنوا سواء من اليهود أو من غيرهم، لا يحصل عندك إحباط أبداً أو يحصل عندك تراجع فهناك رسل من قبلك قد كذبهم آخرون مع أنهم جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير.

هذه القضية يحتاج إليها الناس الذين يتحركون في الدعوة في أوساط الناس، هذه قضية ملحوظة بعضهم يحاول يعمل ورأى ما استجاب له أهل القرية الفلانية أو ما استجاب الناس الفلانيين أشخاص معينين وفي الأخير لا تراه هو إلا وقد صار يضعف، وقد هو يريد يترك العمل ويتراجع ولم يعد له شأن به، وعنده أن هذا الموضوع لن ينجح ولا هو قائم هذا العمل ولا ناجح .

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (آل عمران : من الآية١٨٥) جاء بالكلمة هذه بعد الكلام عن اليهود، اليهود عندهم حساسية من الموت بشكل رهيب تجد حتى كتبهم أو اليهود والنصارى بشكل عام حتى كتبهم كتب [العهد القديم والعهد الجديد] لا يوجد فيها حديث عن الآخرة تقريباً لا يوجد نادر جداً لا يوجد حديث عن الموت والآخرة عندهم حساسية منه لا يسمع كلمة موت نهائياً هنا جاء في هذا الموضوع { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} (آل عمران : من الآية١٨٥) أيضاً في موضع آخر تجد أكثر ما وردت كلمة موت في مقامات إما بعد الحديث عن الكافرين أو بعد الحديث عن اليهود وغالباً ما يأتي الكلام عبارة عن ماذا؟ عن إشعار بمصير معين، ولهذا ما يأتي حتى الحديث عن الموت عبارة عن وسيلة تخويف أبداً إلا أن معناه بداية مرحلة أخرى، ويتحدث عن الآخرة .

{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (آل عمران : من الآي ١٨٥) لا يخوف من مسألة الموت نهائياً يذكر بأنه عبارة عن قضية الإنسان سيصل إليها لكن المسألة الخطيرة جداً هي قضية الآخرة، تجدها في أكثر ما ورد ما أذكر أنه قد جاء بكلمة موت لوحدها على طريقة التخويف أبداً بنفس الموت وإنما بما بعد الموت {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} (السجدة : من الآية(١١) جاءت بعد الكلام عن الكافرين {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة : الآية(١١) هذا الإنتقال تجده بسرعة تقريباً في كل الآيات التي يرد فيها حديث عن الموت.

هنا يبين بالنسبة للناس بشكل عام بعد الحديث عن الجهاد وعن قتلى في سبيل الله وعن جرحى وأشياء من هذه، بأن يفهم كل إنسان بأنه سيموت، لتعرف بعد بأنه نعمة عظيمة كبيرة عليك أن يفتح لك باب جهاد في سبيل الله فتستغل موتك، تستثمر موتك فتحظى بالشهادة، وإلا كل واحد سيموت وإذا أنت ستموت لا شك، فأين أفضل لك تموت هكذا، أو يكون موتك له فائدة بالنسبة لك، أليس أفضل للإنسان أن يكون موته يكون فيه فضل عظيم ودرجة رفيعة له؟ بل يقهر الموت نفسه؛ لأن الشهيد عندما يقول الله: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ} (البقرة : من الآية ١٥٤) لا تسموهم أمواتاً، وليسوا بأموات إنما هي نقله بسرعة أليس هؤلاء استطاعوا أن يقهروا الموت وأن لا يكونوا أمواتاً؟.

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً } (آل عمران : من الآية١٨٥، ١٨٦) في مسيرتكم العملية ستسمعون من هذه الأطراف أذىً كثيراً، لكن تجد دائماً أنه يقدم هذا الطرف بأنه خاسر، لكن إذا كان الطرف المؤمن على هذا النحو {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} (آل عمران : من الآية١٨٦) في هذه الآية وفي آيات أخرى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (آل عمران : من الآية١٨٦) من عزم الأمور أعني هذه هي الخطة العملية الصحيحة مثلما قال سابقاً: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} (آل عمران : من الآية١٢٠) فمن عزم الأمور هو أن يكون موقفك أو تكون خطتك بالشكل الذي يجعل العدو لا يضرك كيده، وتجعله لا يعد يضرك أذاه، وإن دخل معك في قتال سيكون هو الخاسر{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} (آل عمران : من الآية١٨٦) تحدثنا عن موضوع الصبر والتقوى سابقاً، معنى الصبر في مقام عملي وتقوى بكل ما تعني كلمة الإتقاء عملياً، هذا هو الحزم هذا هو عزم الأمور الذي تجعل النتائج بالنسبة للعدو خسارة كلها، فكيده لا يعد يضرك أذاه، لا يعد يضرك، ألم يقدمها هكذا؟ الأذى لا يعد يضر، الكيد لا يعد يضر، أن يدخل معك في مواجهة.

{وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران : من الآية١١١) إذاً فليس من عزم الأمور من يرون أنفسهم بأنهم حكماء فيقعدون، يقعد ولا يتحرك ولا يوطن نفسه على عمل ويتهرب من المسئولية، هذا لا يعتبر إنساناً حازماً ولا حكيماً هنا يذكر عزم الأمور والصبر والتقوى العملي، مواجهة مع صبر وتقوى .

إذاً هنا يبين بأن الناس المؤمنين عندما يكونون متجهين في سبيل الله، والعمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعداء الله، يتناول كل القضايا بحيث يرون أنفسهم لم يعد هناك شيء من جانب العدو جديد يبدو أننا سنخاف أن يكون مؤثراً علينا ونحن في عمل صبر وتقوى نهائياً.

{وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (آل عمران : من الآية١٨٦) **لأن بعض الناس يكون فهمه أنه إذا قد هو مؤمن لا يعد يريد أن يسمع كلمة، ولم يعد يريد يكون معه أعداء، وقد هو مؤمن وعنده أن له الفضل أنه آمن فالباري عليه أن يزيل كل شيء من قبله! يوجد ملائكة بالملايين ومخلوقات أخرى {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}** (الجمعة : من الآية١) **{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}** (الرعد : من الآية١٥) **لا يكن عندك بأن الباري ينظر إليك أنه فرصة أنك قد آمنت وأن عليه أن يبعد كل شيء فلن تسمع كلمة قاسية من أحد، ولا أذية ولا مؤامرة ولا شيء قد تحصل هذه لكن هناك طريقة تجعل كلما يحصل لا يضرك، ولا يكون له أثره السلبي عليك وهي هذه: صبر وتقوى اهتداء بهدي الله، وإذا لم يحصل هذا سيكون كل شيء يترك آثاره السيئة عليك يقاتلونك يقهرونك، يكيدونك ينجحون في كيدهم، أذية، يوقعون بك الأذية إذا ما هناك صبر وتقوى.**

تلاحظ أنه هنا قدم كل الأشياء التي تكون محتملة من جانب العدو أنها في الأخير لن يكون لها أثرها السيء على الناس إذا كانوا عاملين في سبيل الله، وبصبر وتقوى، هذا يعتبر تقريراً هاماً ممن يعلم الغيب والشهادة ممن إليه ترجع الأمور، ممن هو غالب على أمره وهذه القضية لها أهمية كبيرة في مجال عمل الناس عندما يقول: [اسكت يمكن يعملوا كذا وسيعملون كذا وبا، وبا.. إلى آخره] هنا يقول لك سيحصل هذا من غير أن يقول: [با وبا .. إلى آخره] هم نفوسهم سيعملون هذه.

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً} (آل عمران : من الآية١٨٦) **إذاً تكون قضية معروفة عندك أنهم سيعملون سيمكرون، كما قال سابقاً وسيكيدون وسيتآمرون وسيعملون كل ما بإمكانهم أن يعملوه، عندما يأتي واحد يقول: [اسكت حتى لا يعملون كذا كذا حتى لا نثيرهم علينا] وأشياء من هذه يقدم لك القضية بأنها قضية محسومة هم يعملون هذه وسيعملون هذه، الشيء الذي يهمك إذا كنت حكيماً هو: ما هو الشيء الذي يجعل كلما يدبرونه وكلما يعملونه لا يترك أثره علينا؟ هو الإيمان والصبر والتقوى، أليست هذه هي الطريقة الصحيحة؟.**

تجد القرآن هنا أليس هو يحاول، أعني كلما تقرأ آيات منه تجد كيف يبين أشياء في نفوس الناس فكأنه كلما تطلع عندهم أقوال من هذا النوع تكون ماذا؟ قرارات غلط قرارات خطأ مفاهيم خطأ، أليس هو يبين لنا أن الكثير مما نسمعه يعتبر خطأ [اسكتوا لا تعملوا كذا وكذا أو ربما يعملوا كذا كذا..... إلى آخره] لاحظ كيف أهمية القرآن الكريم عندما قال الله: { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (آل عمران : الآية١٣٨) **يبين لك العدو ويبين لك مجتمعك ويبين لك نفسيتك ويبين لك نفوس الناس وقت الإنتصار وكيف تكون نفسياتهم وقت الهزيمة وكيف تتعامل مع كل الأطراف كيف تتعامل مع نفسك مع العدو مع أصحابك وقت الإنتصار ووقت الهزيمة، وأنت تدفعهم إلى العمل، وهم في حالة تراجع، كلها في إطار معركة واحدة قدمها و كم قدم في إطار قضية واحدة في معركة أحد.**

هنا هل بقي مكان للذي يقول لك: [يترك الناس العمل حتى لا يقال أنهم يعملون كذا]؟ هنا يقول لك: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} (آل عمران : من الآية١٨٦) **تشمل اليهود والنصارى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً }** (آل عمران : من الآية١٨٦) **لو لم تعمل شيئاً لوأنت جالس ستسمع أذية كثيرة.**

إذاً فالطريقة الصحيحة هو العمل بصبر وتقوى، هذا هو عزم الأمور {وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (آل عمران : من الآية١٨٦) **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ}** (آل عمران : من الآية١٨٧) **هذه قضية هامة جداً في حالة المؤمنين مثلاً في مواجهة عدو هنا يبرز أهمية كبرى لتبيين من لديهم علم الكتاب يبينون للناس ويوجهونهم ويفهمونهم ويرفعون من معنوياتهم؛ لأنها كلها تحتاج إلى توجيه، الناس يحتاجون إلى توجيه والمراحل هذه مراحل الصراع مع العدو هي من أهم المراحل أو من أكثر المراحل يكون الناس فيها بحاجة إلى توجيه لماذا؟ لأنه يكون في الغالب يكون فيها قضايا جديدة هي قد لا تأتي أثناء حديثك مع الناس حول الصلاة حول زكاة حول أشياء من هذه حول طهارة وحول عبادات أخرى، يكون هناك أشياء كثيرة تظهر .**

لاحظ كم قد ظهر! ما قد ظهر أشياء كثيرة جداً في هذه المرحلة من بعد توجه الأمريكيين؟ كم ظهر في الساحة من أشياء كم ظهر من خلال نزول [الشعار] من كلام كثير من الناس، مفاهيم مغلوطة تبين لك أن هناك حاجة ماسة إلى تبيين واسع، معناه تكون الجريمة كبيرة لمن يعرفون كتاب الله فلا يبينون.

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} (آل عمران : من الآية١٨٧) **كيف كان الموقف سيئاً فعلاً في المرحلة هذه والأمة في مواجهة ألد أعدائها اليهود والنصارى، وقضية واضحة لم تعد مؤامرات من تحت القضية واضحة يرون الشعوب كل فترة شعب يحتلونه وساكتين من أوتوا الكتاب ساكتين ولا شيء، معظمهم، سواء داخل الشيعة أو داخل السنية في اليمن وفي غير اليمن، وهي أهم مرحلة الناس بحاجة فيها إلى تبيين العلماء لكتاب الله .**

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ}(آل عمران: من الآية١٨٧) **يعني: أخذ عليهم ميثاقاً أخذ عليهم عهداً أن يبينوا{وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}، {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ}** (آل عمران: من الآية١٨٧) **المجتمع بكله؛ لأن الصراع مع أعداء الله لا تكون قضية تختص بفئة معينة، تصل إلى كل بيت في المجتمع، قد الناس جميعاً يحتاجون هم تبيين .**

{وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} (آل عمران: من الآية١٨٧) **وبعضهم ينبذونه وراء ظهورهم ويقدمون أشياء تدجّن الأمة وتضعف الأمة أمام العدو، أليسوا يتجهون الآن في التلفزيون مقابلات حول [قبول بالآخر] و [الوسطية] و [الإعتدال] بشكل معناه ماذا؟ أن لا يتحرك الناس ولا يعملون شيئاً، ويتركون هذا الإنسان يتجه، الذي خضع لليهود، يتجهون يعملون ما يريدون، أعني: هذه النتيجة في الأخير بمعنى: [لا تكونوا متحركين أو مستعدين للجهاد أو معدين لكل ما عندكم من قوة أو تحاولون أن توجهوا بعضكم بعض كيف يكون عندكم اهتمام وروح جهادية، لا، كونوا معتدلين ولينين ولا يكون هناك تشدد!] كما يقال، وأشياء من هذه.إذا كان هنا يقول عمن كتموه إنها جريمة كبيرة فكيف من يكتم ثم يبين خطأ؟ جريمتان كبيرتان .**

فتلاحظ كيف القرآن يتناول كل ما له علاقة بالقضية وهذا الشيء لا يمكن يصل إليه فكر الإنسان فيكون محيطاً بكل ملابسات القضية لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى لهذا إنها نعمة كبيرة جداً علينا أن يكون القرآن موجوداً نعمة كبيرة جداً؛ لأنه لا يستطيع الإنسان هو مهما كانت خبرته السياسية والعسكرية أن يصل إلى أن يعرف محيط القضية بكلها وكل ملابساتها ألم يتحدث هنا حتى عن الربا ؟ من يفهم بأنه قد يكون للربا علاقة في ضعضعة الأمة عن أن تكون بمستوى مواجهة عدوها وهكذا .

فالآية هذه تعطي تحذيراً للناس يعني: أن نفهم أن منطق القرآن الكريم وتوجهه أنه في حالة أن تكون الأمة في مواجهة وتواجه بقضية خطيرة وبعدوٍ خطير إنها مرحلة يجب أن يكون العلماء فيهم يتحركون لتبيين كتاب الله، وكيف سيكون تبيين كتاب الله في قضية كهذه، هل هو فيما يقعد الناس أو يحركهم ؟ فيما يحركهم هذا شيء معلوم ولهذا عندما تجد علماء ساكتين معنى هذا أنه لا تعتبر أنه الموقف الصحيح والطبيعي بالنسبة لهم، نكون جميعاً كعامة الناس يكونون عارفين كيف هو الموقف الطبيعي والمسئولية الهامة في وضعية كهذه بالنسبة للعلماء هو أن يتكلموا أن يبينوا للناس كتاب الله ليشدوهم ليجعلوهم على مستوى عالي من الإستعداد لمواجهة هذا العدو. فعندما يكتم العلماء ترجع إلى عامة الناس وكأنها قضية إما لم يعد معها مخرج نهائياً ما بقي إلا استسلام أو أنها قضية ما للدين موقف فيها نهائياً فكيف ما انتهت القضية تنتهي .

يعتبر خطأً كبيراً من بعض الناس عندما يكون عنده أنه يبحث للقاعدين الساكتين يبحث للذين هم ساكتون ويقول: [سأسير بعدهم] هذا خطأ يجب أن تفهم مسئوليات الناس بكل فئاتهم في حالات الصراع في حالات المواجهة في حالات احتمال خطورة كبيرة على الأمة يجب أن تفهم أنت كمسلم مسئولية العالم ولهذا [الإمام زيد] عمل تلك الرسالة ليذكر الناس أن يفهموا مسئولية العالم، ويذكر العالم هو أن يفهم مسئوليته.

{لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران:١٨٨) **هذه قد تكون حالة تشمل كثيراً من فئات الناس كما نقول أكثر من مرة بأنه بالنسبة**

للقرآن قد لا يفهم الناس أشياء كثيرة إلا في حالة حركتهم، أنت قد تجد كثيراً من القاعدين ـ سواء كانوا علماء أو وجهاء أو ناس آخرين ـ يكون عندهم أن ما أتوه ، قعودهم هو الصواب وفرحين، فرحين بقرارهم بأن يسكتوا وأن يقعدوا وأن لا يتعرضوا لقضية كذا، قد تحصل مثلاً أيضاً داخل العاملين أنفسهم بأن يكون هناك ناس ماذا؟ يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا هناك ادعاءات: [سوينا وأنا سويت وأنا عملت ..إلى آخره] كل واحد يحب أن يحمد بما لم يفعل مع أن المطلوب من الإنسان لا يبحث أن يحمد بما يفعل من جهة الآخرين .

وهذه قضية ملموسة أن البعض من الناس عندما لا ينطلقون يبينون كتاب الله للناس يكون عنده أنه القرار الصحيح والموقف الحكيم والرؤية الحكيمة، وأنه بهذه الطريقة يحافظ على المذهب [من أجل لا نكون نحن نثير الآخرين] أو ربما يلحقه شي فيضرب الإسلام؛ لأنه هو يعتبر نفسه الإسلام وبعض الأشياء قد لا يتجلى للإنسان إلا من خلال حركة الناس حتى يتبين نماذج تصدق عليهم {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} (آل عمران : من الآية) لأنها توحي أن هذه حالة قد تكون حاصلة داخل مجتمع في حالة صراع على هذا النحو يأتي، سواء من يعتبر موقفه صحيحاً أو يتمدح بشيء ما عمله، أو أشياء من هذه، أما نفس سرور الإنسان بعمل صالح يعمله هذا شيء طبيعي، المؤمن نفسه هو يسر إذا عمل عملاً صالحاً لكن يسر بأنه ماذا؟ عمل عملاً يرضي الله ما معناه أنه ماذا؟ يسر بأنه قد عمل عملاً صالحاً يمكنه من أن يتدخل في قضايا، أو من أجل يعمل كذا مثل بعضهم عندما يأتي قد يعاونك في مدرسة أو في مسجد أو في مشروع عام من أجل أنه في الأخير يؤذيك ويتدخل في كل شئونه .

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران:١٨٩) هذه تتحدث عمن بخلوا عمن قالوا إن الله فقير وهم أغنياء عن من يكتمون كتاب الله عن فئات كثيرة هو ملك السموات والأرض وهو مدبر الأمر يعمل البدائل بالنسبة لمن بخلوا { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ} (محمد: من الآية٣٨) بالنسبة للبخل{وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ } (محمد: من الآية٣٨) بالنسبة لمن يكتمون كتاب الله يهيء من يبينون كتاب الله وهكذا هو ملك ولا يوقف تدبيره أحد من هذه الفئات التي تبدو وكأنها قد أغلقت الأبواب : باب الجهاد، باب الإنفاق، باب التبيين للناس، أليست أبواباً تبدو أوصدت ؟!

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران:١٨٩) ثم كل الوعود والتهديد الذي جاء كثيراً تجد الآيات في آخرها {عَذَابٌ أَلِيمٌ} {عَذَابٌ مُهِينٌ} {عَذَابٌ شَدِيدٌ} تعرف أنه على كل شيء قدير سيوقع هؤلاء فيما توعدهم به سيقع عليهم العذاب الشديد العذاب الأليم العذاب المهين ؛ لأنه على كل شيء قدير .

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (آل عمران:١٩٠) فالله له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء قدير ستلمس من خلال هذه المخلوقات مظاهر قدرته مظاهر تدبيره في الآيات هذه إلى آخرها، يبين كيف يكون المؤمنون وكيف تفكير المؤمنين، وكيف مشاعرهم وكيف نظرتهم وكيف يستفيدون من خلال تأملهم في خلق السموات والأرض{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (آل عمران:١٩٠) .

جاء سابقاً في آية: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦) ألم يقل بعدها ويبيّن أيضاً قائمة من مظاهر تدبيره التكويني {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} (آل عمران: من الآية٢٧) ؟.

أولو الألباب سيفهمون بأنه هذا التدبير في الكون اختلاف الليل والنهار وفي المخلوقات؛ ليفهموا بأن التدبير الآخر أيضاً قائم في موضوع الهداية وموضوع المؤاخذة هذه، التدبير الذي يسمونه التشريعي أو تدبير الهداية أنه أيضاً قائم، ففي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب آيات فيما تعطيها هي في موضوع معرفة الله، ومن معرفة الله أن يعرفوا بأنه المدبر لشئون هذا الكون هذا التدبير التكويني الذي نلمسه اختلاف ليل ونهار وأشياء من هذه أنه لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر التدبير الآخر تدبير ماذا؟ نظام للحياة تدبير الهداية وكله في إطار ماذا؟ ملك يعني كله مما يشمله ملك أو كله مما يعتبر من صلاحيات ومهام الملك.

فالنظرة إلى السموات والأرض في خلقها واختلاف الليل والنهار فيها إلى آخر ما فيها من أشياء تكوينية إنزال المطر وإنبات الأشجار والثمر وأشياء واسعة جداً .

إن النظرة إليها على هذا النحو هي التي تعطي معارف واسعة جداً لكن النظرة إليها على هذا النحو ضربت من جانب المتكلمين قدمت المسألة وكأنها تنظر في هذه الأشياء من أجل تعرف أن هناك [الله] هنا يقول لك إن هؤلاء مؤمنين بالله مؤمنين بالله وهكذا نظرتهم إلى خلق السموات والأرض وما فيها فتلك النظرة السابقة أنك تبحث عن الله من خلال [أن هذه محدثة فثبت أن لها محدث إذاً هناك محدث لهذا العالم فقلنا: هو الله] وباحثين عن الله باحثين له تنتهي أعمارهم وهم باحثون عن الله ! الله غرز معرفته في نفوس الناس فيجب أن ينظروا هذه النظرة الإيجابية التي تعطيهم معارف واسعة فيما يتعلق بمعرفته هو وليس على أساس باحثين ليثبتوا أن هناك [الله]! هو موجود لكن تلمسوا هنا مظاهر حكمته مظاهر تدبيره ولتقارنوا لتعرفوا أن من هو المدبر لهذا العالم على هذا النحو لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر التدبير الذي الإنسان بحاجة إليه، أليس الإنسان بحاجة إلى اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر بحاجة إلى البر بحاجة إلى البحر بحاجة إلى كل ما ذكره في القرآن من مظاهر هذا الخلق وبحاجة أيضاً إلى التدبير الآخر الذي هو هدايته كيف تكون نفسيتك كيف يكون تعاملك، هدايته بالمعنى العام هذا جانب آخر .

وهي قضية أساسية حتى عند ملوك الدنيا عند الزعماء في الأرض ألا يكون هناك لديه وزارة اقتصاد وتجارة وزارة زراعة وزارة تربية وتعليم وثقافة ماذا يعني هذا؟ هل يوجد أحد يأتي يحكم الناس ويلحظ فقط بأنه يهتم بموضوع زراعة واقتصاد فقط أو أنه أيضاً يعمل وزارة تربية وتعليم ؟ ماذا هدفه من هذا؟ وزارة اقتصاد وتجارة وزراعة ماذا هدفه؟ أليست تتعلق بالجوانب الأخرى المادية، تربية وتعليم ثقافة وإعلام ما هي مهمتها ؟ في الجانب الآخر فيما يتعلق بنفسية الإنسان في الجانب التربوي؟ كيف تكون رؤيته؟ كيف تكون نفسيته؟ كيف تكون ثقافته؟ كيف يكون توجهه؟.

هذه قضية هامة وواسعة في القرآن أن يعرف الإنسان ويقطع بأن الله لا يترك الناس سداً وأنه مغفل لهذا الجانب الآخر جانب الهداية جانب التشريع جانب نظام الحياة التدبير في هذا الجانب مهم التدبير للناس أن يهديهم إلى ما يكونون به بعيدين عن أن يظلموا تقدم في الآيات السابقة ألم يقل: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران:١٠٨) وكما أنه يعمل الأشياء الأخرى التي فيها الناس بحاجة إليه اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر والشمس والقمر والأشياء هذه كلها هم بحاجة إلى التوجيه الذي يجعلهم بعيدين عن أن يظلموا فكما أنه يعمل هذه هو يعمل الجانب الآخر لكن الناس هم الذين يرفضون فيصبحون كالأنعام، همه فقط يأكل أعني : ينزل مطر وزرع ويأكل فقط، ما يلحظ الجانب الآخر يأتي الظلم يلحق نفسياتهم ويلحق مادياتهم .

لهذا يقدم موضوع التفكر عند ناس مؤمنين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم هل هؤلاء يبحثون عن [الله] ليثبتوا أن هناك: [الله] فيثبتون وجوده أو هم عارفون له، هم عارفون لله، لكن هم يستفيدون من خلال تفكيرهم وتأملهم في هذا الخلق يستفيدون معارف واسعة جداً وكلها مظاهر لمعرفة الله كي يتجلى تدبيره يتجلى حكمته علمه رحمته قدرته إلى آخره، لهذا نقول: إن كتب علم الكلام ضربت الناس ضربة رهيبة جداً فعلاً في مجال معرفة الله، في الأخير عندما ترى شمساً وقمراً ونجوماً وسماءً وأرضاً وكلها ويكون في ذهنك [أنها محدثة فثبت أن لها محدث وهو:[الله] يثبتون أن هناك [الله] فقط، هذه تكفيك من مخلوق واحد من مخلوق واحد فقط أنت نفسك أو شجرة أو أي دابة من الدواب تكفيك العملية هذه، فلماذا الأشياء واسعة جداً؟ ومظاهر تدبير الله واسعة جداً في هذا العالم، لها أهمية تعطي معارف واسعة جداً جداً وليست لتثبت أن هناك [الله] هؤلاء مؤمنون عارفون لله ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض على أساس ماذا؟ هل يثبتون أن هناك [الله]؟ هم مؤمنون بوجوده إنهم يعرفونه ويؤمنون به لكن ماذا؟ فوائد كثيرة أخرى .

هذا التوجيه الصحيح إلى كيف تكون نظرة الناس إلى هذه المخلوقات وكيف يتفكرون في خلق السموات والأرض وهذا موضوع له علاقة هامة جداً بموضوع الجهاد في سبيل الله العمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعداء الله إذا

أنت ناسي للتدبير الإلهي تكون معرضاً للضعف إذا أنت ناسي أن الله هو ملك السموات والأرض وله ما في السموات والأرض وهو مدبر الأمر وإليه يرجع الأمر كله في الأخير تكون النتيجة ضعف، إذا أنت عارف لهذا ستنطلق وأنت عارف بأنك عبارة عن جزئ من هذا التدبير الإلهي داخل هذا العالم .

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}(آل عمران: من الآية١٩١) **في كل الحالات {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً}**(آل عمران: من الآية١٩١) (آل عمران: من الآية١٩١) **وليس [ربنا ثبت لنا أنك موجود] كانت النتيجة هي هذه من خلال تفكرهم {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً}**(آل عمران: من الآية١٩١) **إذاً فلا مكان للباطل داخل ما خلقت وهو قال في آية أخرى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}**(الدخان: من الآية ٣٨ ، ٣٩) **{سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**(آل عمران: من الآية١٩١) **لاحظ النتيجة هذه كيف بدايتها ونهايتها رؤية واسعة جداً من خلال ما لمسوا، لمسوا هنا أشياء كثيرة هي من مظاهر تدبيره وهدايته؛ لأن في نفس الخلق أعني: في تدبيره ما يعتبر هداية للناس يعرفون في الأخير بأنه لا يوجد هزل ولا لعبة، هذا حق وأنه ملك تدبير ملك ينتهون في نفوسهم إلى ماذا؟ إلى أنه فعلاً هناك عواقب سيئة جداً؛ لأنه واضح كل الوضوح واضح كل الوضوح طريق الحق أن الله هو الملك هو المدبر هو الهادي هو كذا .**

فعندما تكون الأشياء على هذا النحو واضحة جداً، جداً معناه أنه في الأخير وراءها عقوبة عندما يعرفون أنه ملك وهذا تدبير ملك ويعرفون أنه في تدبير الملك لازم يكون هناك ثواب وعقاب فبقدر ما ترى التبيين ، التبيين الرهيب في كل شيء من خلال آياته في كتبه وآياته في هذا الكون يكون معناه أنه من أعرض عنك عن هداك من لم يطيعك تكون عاقبته رهيبة جداً هي النار {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}(آل عمران: من الآية١٩١) **يذكر بداية ونهاية {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً}**(آل عمران: من الآية١٩١) **كم تحت هذه من معاني تدل على أشياء كثيرة تدل على حكمتك وتدبيرك وهدايتك ورحمتك إلى آخره، إذاً وراءها عذاب شديد، هو قال في آيات أخرى في [سورة البقرة] بعد ما ذكر البيان الكافي، ذكر الذين كفروا أن لهم نار جهنم ما أذكر نص الآية، يعني: يبين بأنه بعد هذا الهدى البين من خلال ما عرضه بواسطة كتبه ورسله وما ذكره من خلقه من تفاصيل مخلوقاته في هذه السموات والأرض أن الكافرين يستحقون أن يعاقبوا ذلك العقاب الشديد .**

كيف النظرة الآن؟ لاحظ أليس هؤلاء أناس نظروا في خلق السموات والأرض النتيجة طلعت عندهم ماذا؟ نتيجة عملية يعني: هم سيجدون هناك المظاهر الكثيرة التي تدل على أن إليه يرجع الأمر كله هو مدبر شؤون هذا العالم هناك مصاديق لوعده فيجب أن نتحرك فالقعود مع كل هذه التي يظهر من خلالها أنه الملك الحي القيوم المدبر لشؤون السموات والأرض يعني ماذا؟ عقوبة كبيرة .

النظرة الأخرى نظروا في خلق السموات والأرض على طريقة المتكلمين فطلعت [هذه الأرض ما هي إلا للباطل وأن أهل الحق مساكين لا ينجحون ويجلسون وليس لهم دخل وفي الأخير يدخلون الجنة] المؤمنون هنا قالوا : {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} لأنه عندما يرى النوعية الأخرى أصحاب النظرة الأخرى أنهم مضطهدون ومظلومون ومستضعفون ومبهذلون وفي حالة شقاء قالوا: [هي هكذا ا لدنيا وهكذا يكون المؤمنون إذاً بعدها الجنة بالتأكيد] لا يلحظون سنن الله في هذه الحياة فيعرفون أن هذه الحالة قد تكون عقوبة لتقصير من عندهم عقوبة على تقصير لديهم، والتقصير في العمل في سبيل الله دليل على أنهم معرضون عن هدى الله فكانت الحياة بالنسبة لهم هكذا، إذاً لا يتوقعون بعدها جنة، يتوقعون بعدها نار؛ لأن الله قال في آية صريحة: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً [هنا في الدنيا] وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(طه: من الآية ١٢٣، ١٢٤) **.**

عندما يكون الناس في معيشة ضنكا يجب أن يفهموا بأنها حالة يجب عليهم أن يقيّموا أنفسهم ليعرفوا ربما لديهم تقصير هم في حالة إعراض عن هدي الله في حالة تقصير عن العمل لما أمرهم الله أن يعملوه وبتوجيهاته فتحصل هذه الحالة السيئة .

هنا،لا . القائم عند كثير من الناس أنه هكذا حال الدنيا، وهذه علامة أن الناس مؤمنون عندما يكونون مهانين مبهذلين مستضعفين، في معيشة ضنكا !. ألم يرتب على المعيشة الضنكا أن يحشر أعمى؟ لأنه مؤشر خطير مؤشر خطير عندما تكون الأمة في وضعية مثلما الأمة الآن في معيشة ضنكا، أليس العرب الآن في معيشة ضنكا بكل ما تعنيه كلمة الضنك؟ إذاً معناه هذا مؤشر خطير قد تكون العاقبة سيئة {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: من الآية١٢٤) **لأنه لا يأتي الضنك هنا في المعيشة إلا نتيجة عمى عن هدى الله فعندما قال الله: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً}** (طه: من الآية١٢٤) **لأنه قد هداه فما أبصر، هدى عباده، هدى الناس فما أبصروا فعاشوا معيشة ضنكا هنا، أيضاً هم سيحشرون عمياً فلن يعيشوا عيشة طيبة هناك في الآخرة بل في معيشة ضنكا إلى معيشة أقبح وأسوء .**

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} (آل عمران:من الآية١٩٢) **يستحق بعدما لمسناه من خلال تأملاتنا في مظاهر هذه الحياة وما لمسناه من مظاهر تقديرك وحكمتك وعلمك ورحمتك وأنك إليه ترجع الأمور وأنك على كل شيء قدير وأنك صادق الوعد { مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه}** (آل عمران:من الآية١٩٢) **هو يستحق {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ}** (آل عمران: من الآية١٩٢ ، ١٩٣) .

ألم يدفعهم هذا التفكر في خلق السموات والأرض إلى العمل؟ لأنه تفكر مبني على رؤية عملية ورؤية صحيحة نظرة صحيحة للحياة هذه، للسموات والأرض{ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} (آل عمران: من الآية١٩٣ ، ١٩٤) **كيف كانوا من خلال تفكرهم في خلق السموات والأرض؟ حصل عندهم علم يقين بأن الله قادر على أن ينجز ما وعد به الذي ليس عنده النظرة هذه في خلق السموات والأرض يقرأ الآيات التي فيها وعود إلهية وما يحصل عنده إيمان بأن الله سينجز ما وعد به، هم هنا حصل عندهم إيمان بهذه فدعوا الله بأن ينجز لهم ما وعدهم على لسان رسله أن ينجزه أن يعطيهم{إِنَّنَا} أليست هذه تدل على أنها قضية مؤمنين بها، مؤمنين أنها قضية واقعية أنه وعد وأنه سيفي بما وعد به هم يستنجزون ما وعد به أن يؤتيهم .**

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (آل عمران:١٩٤) **أليسوا هناك قالوا {إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا}** (آل عمران: الآية١٩٣) **فالإيمان إيمان عملي هم يريدون نصراً يريدون تأييداً إلهياً وعندهم إيمان بهذا فقالوا: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} في الدنيا {وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}** (آل عمران: من الآية١٩٤) **هنا في الدنيا {عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}أليس حديثاً عن الحياة هذه إلى الحياة الآخرة {إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}** (آل عمران:١٩٤ ، ١٩٥) .

فهنا أكد وعده، ألم يؤكد الوعد للذكر والأنثى؟ معنى هذا أن الباب مفتوح للرجال والنساء والقرآن الكريم يقدم موضوع الرجال والنساء عبارة عن عالم واحد وجنس واحد وأمة واحدة ليس على ما يقدمه الآخرون يحاولون أن يجعلوا النساء عالم لوحدهن والرجال عالماً لوحدهم [فيجب على النساء أن يناضلن يقاومن الرجال من أجل تأخذ حقوقها] من أجل قضايا تافهة، هنا يبين في هذا المجالات الهامة التي أمام الرجل والمرأة هذه المجالات الهامة التي تحصل عليها المرأة كما يحصل الرجل على درجات رفيعة هي هذه المجالات الإيمانية {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى } (آل عمران: ١٩٥) **ولم يقل هنا {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} الباب مفتوح للكل وكل واحد بقدر إيمانه وعمله ذكر أو أنثى{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ }** (آل عمران: ١٩٥) **أمة واحدة ومسئولية واحدة والنتائج واحدة وهذا هو الواقع .**

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} (آل عمران: من الآية١٩٥) **لاحظ هنا أن يذكر الوعد العظيم يذكر الجنة ألم يذكر الجنة هنا؟ لأن هؤلاء من خلال تفكرهم ومقارنتهم ما بين الحياة هذه والحياة**

الآخرة، بالطبع لديهم موضوع الجنة أرقى وأعظم وأهم مطلب لديهم فيما يتحقق في الدنيا هـذه، هنـاك آيـات أخرى تبين أن هؤلاء ليس معناه بأنه فقط سيعطيهم ما ذكر في الآخرة أما الدنيا، لا ، لكن هـذه فئـة مـن خـلال ذكرها لله وتفكرها يهمها موضوع الآخرة أليسوا هناك في دعائهم قالوا: {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران: من الآية١٩١) وهنا {وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (آل عمران: من الآية١٩٤) هي القضية الهامة وهو الواقع واقعاً من يتفكـر ويتأمل ويقارن ما بين هذه الحياة والحياة الآخرة سيجد بأن الحياة الآخرة هي المطلب المهم وأنهـا الـشيء الـذي يجب أن يكون أمنيتك ولو كان عندك الدنيا هذه بكلها، لاحظ نبي الله سليمان على الرغم مما عنـده مـن ملـك عظيم كيف دعا الله {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} عنـده ملـك لا ينبغـي لأحد من بعده .

هذه الآيات هي تبين كيف يتفكر الإنسان وكيف من يتفكرون وفق رؤية صحيحة كيـف تكـون النتـائج عنـدهم وكيف تكون رؤيتهم ومفهومهم في الأخير {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُـمَّ مَـأْوَاهُمْ جَهَـنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (آل عمران: ١٩٦، ١٩٧) هذه أيضاً لها علاقة بموضوع الصراع فيما بـين المـؤمنين والكـافرين والكـافرون عندهم إمكانيات كبيرة وأيضاً عندهم أراضي واسعة وشعوب واسعة وتوجد حالة نفسية غير طبيعيـة، لا يغرنـك هذا لا يخدعك تخدع بهذا فيكون لك نظرة أخرى أو موقف آخر، متاع قليل كل ما عندهم متاع قليل.

في آيات أخرى يقول: {أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} (الانبياء: من الآية٤٤) مهمـا تـرى لديهم من مظاهر كبيرة وتمكن في الملك يأتي متغيرات يصبح لا شيء مثل ما قال سابقاً: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦) { مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُـمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (آل عمران:١٩٧) لأنه أحياناً الإنسان قد تستقر عنده في ذهنيته وفق نظرة معينة إلى ما عليه الكافرون يكون عنده أنه هكذا الحياة قد هي هكذا على طول، مثلاً أمريكا دائم أمريكا وأوروبا علـى طـول عنده هكذا ، لا . يحصل متغيرات يحصل في الأخير تراها شبيهة بما تـسمع بـه عـن مـاذا؟ عـن الأمـم الماضـية والدول الماضية ألم يكن هناك دول مثلاً الدولة العثمانية مهيمنين على أكثر البلاد هـذه، النـاس ربمـا في ذلـك العصر عندهم أنها ستبقى الدولة العثمانية إلى يوم القيامة، تغيرت أصبحت لا شيء أصبحت قـصة مـن قـصص التاريخ .

هذه تكون مؤثرة في موضوع الجهاد في موضوع العمل في سبيل الله النظرة هذه لا يكن عندك أن الدنيا قد هـي هكذا على ما هي مرسومة الآن أمامك، معناه أن نجاهد في سبيل الله يعني [معنى أعداء كبار وإمكانيـات كـبيرة!] لا، {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيل} (آل عمران: من الآية١٩٦ ، ١٩٧) تتغير هذه الأشياء .

{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَـا نُـزُلاً مِـنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} (آل عمران:من الآيـة ١٩٧ ، ١٩٨) وبالمقارنة بينما لدى الكافرين يجب أن تفهم أنك في الطريق التي ستكون النتيجة بعدها ماذا؟ هذه الجنة العظيمة التي لا يساوي شيئاً ما لدى الكـافرين مهمـا كـان وإن كانت هذه الأرض كلها لا تساوي شيئاً من هذه الأشياء هذه لا تساوي كما في الحديث موضع سوط في الجنة .

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْـدَ اللَّـهِ خَيْـرٌ لِلْأَبْرَارِ} (آل عمران: الآية ١٩٨) إكرام ضيافة نزلاً بمعنى إكرام وضيافة لهؤلاء المؤمنين المتقين .

فعلى هذا لا يعد يكبر عند الإنسان أن يرى ما عند الآخرين ويرى نفسه لماذا إما هو! سـيرى عنـدما يكـون علـى الطريق الصحيح طريق الجنة ما عند الله خير مما عند هؤلاء إضافة إلى أنه في مسألة التغيير أن لا يكن عندك أن هذه الوضعية مستقرة أيضاً أن لا يكون عندك حالة قد ترى نفسك في الأخير حقيراً أمامهم أو ضعيفاً أمـامهم لا ، اعتبر نفسك أن لديك ما هو أفضل منهم هو ماذا؟ هذا الذي وعد به الله سبحانه وتعالى {جَنَّاتٌ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} .

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (آل عمران:١٩٩) تقدم الحديث عن أهل الكتاب وكثير من الآيات التي تذكر وتجدها كثيراً بأنها توحي بأنه فعلاً سيكون صراع الناس مع أهل الكتاب، الأمة هذه صراعها بشكل رئيسي مع أهل الكتاب في تاريخهم، هنا يبين كيف هؤلاء الناس كيف نفوسهم، ثم يبين كيف تكون نظرة الناس إليهم عندما يقول هنا: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ..} إلى آخره (آل عمران:من الآية ١٩٩) تشبه الآية الأولى: {لَيْسُوا سَوَاءً} (آل عمران: من الآية١١٣) لأنه أثرها قيمتها بالنسبة للإنسان من الناحية النفسية هو أن يكون موقفك كله من الآخر: من أجل الله وفي سبيل الله ليس موقفاً شخصياً، هذا هو أفضل وأضمن.

فعندما يكون قد سبق في السورة هذه آيات تتحدث عن بني إسرائيل هي هذه: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية١٨٧) يأتي بما هو شبيه بالآية السابقة: {لَيْسُوا سَوَاءً} (آل عمران: من الآية١١٣) أن هناك أيضاً: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّه} (آل عمران: من الآية١٩٩) .

هذه لا تعطي الذي يسمونه: النظرة الأخرى ، القبول بالآخر ، لا ، وإنما لصحة موقفك أنت لأن الموقف الشخصي ـ مثلما قلنا سابقاً ـ ليس مضموناً أبداً أن يكون موقفك شخصياً من الآخرين، إنما لأنهم أعداء لله، لأن العداء الشخصي ليس مضموناً؛ لأنه بمجرد أن يقدموا لك مصالح معينة سيضرب هذا العداء؛ لأن الإنسان يتأثر بالإحسان لكن عندما يكون موقفك موقفاً دينياً لن يتغير موقفك وفي نفس الوقت ستبقى ثابتاً ومستقيماً ولو قدموا لك مصالح شخصية، لو بنوا عند بيتك مستشفى لا تتأثر؛لأنه ليست القضية شخصية. أو أحدٌ منهم يصلح، أحد منهم يستجيب يكون قريباً، أليس هذا في منطق الإسلام بأن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فله مالنا وعليه ما علينا، من أسلم .

{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} (البقرة: من الآية١٣٧) إذا الموقف لديكم من أجل الله ليس موقفاً شخصياً ستكون أنت قابلاً مثلما قلنا بالأمس عندما يهتدي يأتي حيّاه الله لو هناك نظرة شخصية تعزز حتى تصبح عندك نظرة للآخر فلا تعد تريد يصلح نهائياً فتصده أنت عن سبيل الله فهي قضية هامة جداً{لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية١٩٩) لأنه هناك ذكر { وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} (آل عمران: من الآية١٨٧) .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} (آل عمران: من الآية٢٠٠) تأكيد على موضوع الصبر ، الصبر هنا يعده عملاً، نفس الصبر يعتبره عملاً {وَرَابِطُوا} (آل عمران: من الآية٢٠٠) استمرار الثبات { وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (آل عمران: من الآية٢٠٠) هنا يؤكد موضوع الصبر والتقوى تأكيد لما سبق وبخلاصة، هنا يعطيك خلاصة الموضوع في كل ما تقدم{اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} (آل عمران: من الآية٢٠٠) بكل ما تعنيه كلمة تفلحون في الدنيا والآخرة . نسأل الله أن يجعلنا منهم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣/ ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة النساء

من الآية: (١) إلى الآية (٤٢)

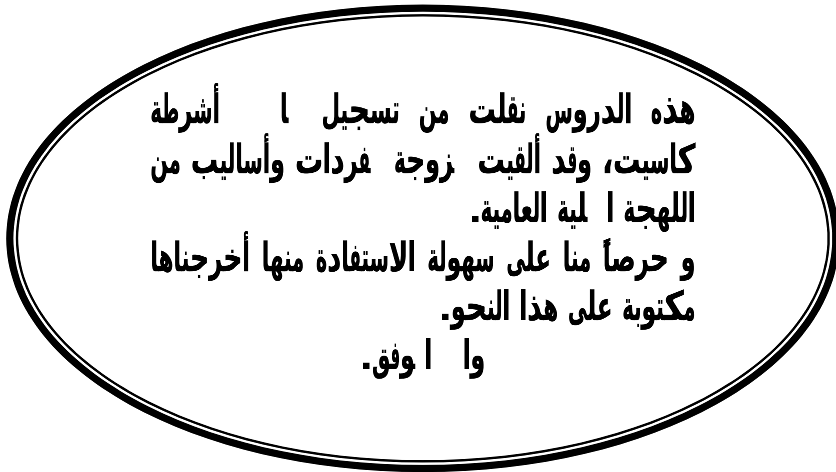
[الدرس السابع عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ : ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق : ٢٠٠٣/١١/١١م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذه السورة المباركة عنوانها، اسمها: سورة النساء [لا يوجد هناك سورة اسمها: سورة الرجال!].

في هذه السورة كثير من التوجيهات والأوامر المؤكدة المرفقة بالتهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يخالف هذه الحدود التي رسمها، ومعظمها تتعلق بالنساء في مجالات متعددة، سواء في موضوع النكاح، وموضوع الطلاق، وموضوع الميراث، والمعاشرة بين الرجل وزوجته، مرفقة بإعطاء صورة عن واقع الإنسان بشكل عام، وتذكيراً للرجل بأن الرجل والمرأة هم أصلاً جنس واحد ومن نفس واحدة، من نفس واحدة. هذه القضية ملموسة في كثير من آيات القرآن الكريم، في موضوع الرجل والمرأة: أنهم عبارة عن نوع واحد من مخلوقات الله، جنس واحد اسمه: الإنسان، اسمه: بنو آدم، قضية مؤكدة أعني: أن تترسخ في الذهنية هذه الرؤية في ثقافة الناس في أنفسهم هم: هم عبارة عن مخلوق واحد، جنس واحد بكل ما تعنيه الكلمة.

الله سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن يعلم ما سيأتي في المستقبل على أيدي كثير من أعدائه، وبالذات اليهود ماذا سيعملون وكيف سيقدمون القضايا.

هو ذكر عن اليهود في [سورة البقرة] توجههم للتفريق، لديهم سياسة التفريق، كان يهمهم من العلوم الهامة في عصر سليمان هو: أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! ذكر عنهم أيضاً: أنهم يفرقون بين الله ورسله وأنهم يفرقون بين رسله. عندهم سياسة التفريق هذه قائمة إلى الآن وبرزت بشكل كبير في هذا العصر بما فيها هذه: التركيز لديهم على التفريق فيما بين الرجل والمرأة باعتبار هذا جنس وعالم لوحده، وهذا جنس وعالم لوحده؛ ليثيروا هذا العالم على هذا العالم الآخر وليحسسوا هذا العالم، عالم المرأة ـ كما يحاولون ـ أنه مستضعف ومضطهد وحقوقه يضيعها عالم الرجل. التفريق هذه سياسة لديهم يفرقون بين الإنسان وبين الله بلغت المسألة حتى مع عملائهم وأصدقائهم من الحكام أن يعملوا على التفريق بينهم وبين شعوبهم، أليست سياسة قائمة إلى الآن؟.

لخطورة القضية هذه: أن يترسخ لدى الرجل أنه عالم لوحده ولدى المرأة أنها عالم لوحدها وما سيترتب على هذا من سلبيات كبيرة ومن حالة صراع فيما بين الرجل والمرأة؛ أكد الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية الوحدة القائمة فيما بين الرجل والمرأة: أنهم من نفس واحدة وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى يخلق آدم أولاً، ثم يخلق منه حواء زوجته، لم تخلق بطريقة أخرى مثلاً: أن يخلقها هناك كما خلق آدم من طين من صلصال، فإذا سويتها ونفخت فيها من روحي، لا يوجد، خلق آدم ثم جعل منه زوجته، العبارة هذه توحي ليس فقط أنه جعل من جنسه، منه فعلاً ؛ لأنه ليس هناك أي معلومات أخرى بأن حواء خلقت لوحدها بطريقة أخرى أبداً، بل خلق منها زوجها، جعل منها زوجها أي: جعل من هذه النفس التي هي آدم زوجها.

في الفطرة فيما بين بني آدم الله جعل الرجل سكنا للمرأة وجعل المرأة سكنا للرجل، جعلها لباسا للرجل وجعل الرجل لباسا لها: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: من الآية١٨٧)**، مهمتهم الأساسية هي كلها هي مهمة واحدة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}** (البقرة: من الآية٣٠) **أليس الله قال هكذا في القرآن الكريم؟ دورهم، مسئوليتهم في هذه الأرض واحدة، مهمتهم واحدة، هذا الإنسان ـ ولهذا جاء في القرآن الخطاب بلفظ ناس: {يا أيها الناس}، {يا أيها الناس}، هي تشمل الرجل والمرأة بعبارة واحدة اسمهم: ناس، كلهم اسمهم: بنو آدم، ـ مسئولية واحدة، ومهمة واحدة الآثار الطيبة أو النتائج السيئة كلها تأتي واحدة لا تتصور بأنه بالإمكان أن يكون الرجل يعيش في ظل وضعية صحيحة إلا وتكون المرأة كمثله، أو أن يكون في وضعية مضطهدة ستكون المرأة كمثله في مسيرة الحياة، لا تستطيع أن تتصور أنه يمكن أن يكون للرجل وضعية مستقلة عن المرأة أو للمرأة وضعية مستقلة عن الرجل في مسيرة الحياة على الإطلاق، كلها مسيرة واحدة، وكلهم كيان واحد، تختلف فقط**

الأدوار في إطار النهوض بهذه المسئولية التي هي ملقاة على بني آدم بشكل عام، تختلف الأدوار ليس فقط فيما بين الرجل والمرأة بل فيما بين الرجال أنفسهم وفيما بين النساء أنفسهن وكلمة: {خَلِيفَةً} يظهر من خلالها أنها مسئولية.

إذاً فالدور الرئيسي للإنسان بشقيه أو بجزئيه فعلاً المترابطين: الرجل والمرأة هي ماذا؟ مسئولية بكل ما تعنيه الكلمة أوسع حتى من مسألة النظام الإداري أو المؤسسات الإدارية لأي دولة من الدول، الحياة بكلها مسئولية، المهام بكلها تسمى: مسئوليات.

كانت الغلطة الكبيرة عندما اتجهوا إلى المرأة، اليهود اتجهوا إلى المرأة ليحسسوها بأنها تفقد الكثير من حقوقها وأطلقوا على كل هذه المسئوليات اسم: حقوق، الوظيفة العامة، الأعمال الإدارية، كلها سموها حقوقاً، رئيس، رئيس وزراء، أو وزير معين، أو وكيل وزارة أو مدير أو نائب أو أي شيء من هذه سموها حقوقا، وهذه غلطة كبيرة يجب أن نقاومها، هذه لا تسمى: حقوقا، هذه تسمى: مسئوليات، والمسئولية عادة يجب على الرجل والمرأة جميعا أن يعملوا من أجل أن تكون المسئوليات في المؤهلين لها، ليست المسئولية عبارة عن حق فيقال: الرجل له حق كذا، أما المرأة فليس لها حق ثم يقال للمرأة: يجب عليها أن تناضل من أجل أن تحصل على حقوقها فتكون شريكة مع الرجل في الإدارة في المنصب الفلاني .. إلى آخره! لا، هذه غلطة من البداية. نقول: لا، هذه هي مسئوليات هذه هي مسئولية يجب أن نبحث داخل الرجال أنفسهم عن المؤهل في أي عمل كان.

ولأن القضية كلها مسئولية، نفس الاستخلاف هو مسئولية، أن الإنسان حتى فيما يتعلق بممتلكاته الخاصة فيما يتعلق بأسرته متى ما كانت تصرفاته متجاوزة أمكن أن يُحْجَر عليه هذه القضية معلومة، وفي أموالك الخاصة أنت ما يقال بأن هذا حقي أعمل به ما أريد، لو يجد الناس شخصا يريد أن يحرق عملة من العملات الورقية أو يتلف شيئا من أمواله هكذا لوجب عليهم أن يمنعوه، لوجب على الحاكم أن يحجر عليه، أو وجدوه يسرف في نفقاته بشكل كبير فيلحق أضراراً بأولاده، وبأسرته، بل يبدو من خلال تعامله أنه تعامل غير طبيعي مع موضوع المال بشكل عام أن يحجر عليه، أن يوقفوه، أليس هذا يعني: أنها مسئوليات.

فهم اتجهوا إلى مسألة: التفريق ليستغلوا المرأة وليقدموا أنفسهم وكأنهم همهم إقامة القسط والعدل وأن تعطى المرأة حقوقها! لاحظ كيف الطريقة كيف قدموها، كان بإمكانهم هم كرجال أن يقوموا بالعملية دون إشعار للمرأة ومحاولة إثارة المرأة نفسها؛ هل إثارة المرأة نفسها في أي مجتمع يمكّنها من أن تصل لنيل حقوقها ـ كما يقولون ـ؟ لا. عندما يأتي الأمريكيون في أي بلد يقولون بأنهم يريدون المرأة أن تأخذ حقوقها! لم يتجهوا هم إلى الرجل في أي شعب ليضغطوا عليه ليؤدي حقوق المرأة، لكن يتجهون بشكل كبير إلى إثارة المرأة، إثارة المرأة نفسها وهم يعلمون أن هذه المرأة في أي شعب من الشعوب لا تستطيع هي، هل هي تمتلك سلطة؟ هل تمتلك قدرات على أن تنال الحقوق التي رسخوا في ذهنيتها أنها حقوق؟ هذا لا يحصل، ما الذي يحصل في الأخير ؟ ما النتيجة في الأخير؟ هي قضية تعقيد، أن يعقدوا المرأة على الرجل وأن تكون المرأة قريبة من التأثر بهم؛ لأنها تراهم وكأنهم مهتمون بقضيتها.

لكن تجدهم في نفس الوقت ـ لأنهم كاذبون في كل ما يدعون أنه حقوق ـ أن الرجال أنفسهم، أليس العالم، أليس الناس مظلومين بسببهم؟ حقوق الناس بكل ما تعنيه الكلمة حسب ما يقدمونها حقوق العرب، حقوق حكومات وحقوق شعوب، كلها هم ينتهكونها هم، يضيعون حقوق الناس هم، تعاملهم أليسوا دائما يقولون: إن من الحقوق التي يعملون لأن ينالها كل إنسان هو الحق في حرية التعبير، الحق في الرأي والرأي الآخر وأشياء من هذه؟ لماذا لا يتعاملون مع من يرفعون شعاراً في المساجد وهم على مدى سنة كاملة يوجهون بسجنهم؟ أليسوا كذابين أن يقولوا أنهم يريدون حقوقا؟ هم ينتهكون حقوق الكل وليست المرأة ذات قضية لديهم أنهم مهتمون بحقوق معينة لديها إنما المهم هو: التفريق بين الناس، التفريق بين الناس مهما أمكن التجزئة، أي شيء ممكن تجزءته يجزئونه، إذا أمكن تجزءة الأسرة الواحدة يجزئونها، ولأن الأسرة الواحدة تتكون عادة من رجال ونساء سيجزئون الأسرة الواحدة لو يمكنهم أن يجزئوك أنت إلى جهتين تحارب بعضها البعض لعملوا هذه!!.

إذا كانوا صادقين في مسألة حقوق، هناك حق أنتم دائما تفخرون بأنكم تحافظون عليه هو حق التعبير، لماذا لا تتركون للرجال حق أن يعبروا عن مشاعرهم عن رؤاهم عن مواقفهم عندما يرددون [شعاراً] في المساجد؟ عندما يسجنونهم أليسوا يشهدون على أنفسهم بأنهم كاذبون في أنهم يريدون أن يعطوا كل ذي حق حقه؟

إذاً فلا الرجل ولا المرأة، ليسوا وراء إعطاء أحد حقه، هم وراء أن يأخذوا حقوق الكل، إنما لا يتمكنون أن يأخذوا حقوق الكل إلا بعد سياسة التفريق هذه وتجزئة المجتمع وتفريق ما بين الحاكم والشعب وما بين الرجل والمرأة، التفريق بكل ما تعنيه الكلمة، سياسة أثبتها القرآن الكريم أنها قائمة لديهم منذ أن حكى عنهم أنهم يفرقون بين المرء وزوجه أعني: منذ قرون كثيرة.

إذاً فهذه السورة تقدم لنا كيف يكون منطقنا نحن، وما الذي نرسخه نحن في المجتمع في مواجهة ما يقدم، فعلا لا تواجه إدعاءاتهم التي منها تسمية هذه الأشياء حقوقاً، لا تواجه بعبارة أخرى بأن القضية ليست حقوقا بل هي مسئوليات، وأنها ليست مسئوليات هي لجهة باعتبار أنه جنس مستقل هي مسئولية في إطار المسئولية العامة التي الرجل يقوم بدوره والمرأة تقوم بدورها، الرجال متفاوتون في أدوارهم، والنساء متفاوتات في أدوارهن وهكذا والنتيجة في الأخير ماذا؟ النهوض بمسئولية واحدة وتتائج واحدة تعود على الطرفين في الدنيا والآخرة، تعود على بني آدم بشكل عام بشقيه بشقي الإنسان: الرجل، والمرأة. كذلك في مواجهة ترسيخهم هذه القضية ترسيخ: أن المرأة عالم لوحدها، يجب أن نأخذ درسا مهما من هذه السورة وغيرها.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} (النساء: من الآية١) نحن نقول: بأن كل مفردة في القرآن الكريم في نفس الوقت الذي تقدم تشريعاً معيناً هي ترسم منهجاً معيناً في نفس الوقت{الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} فعندما يعرف الناس جميعا أنهم مخلوقون من نفس واحدة كان بإمكان الرجل نفسه أن يتنازل عن نصيبه؛ لأن العرب كان الكثير منهم أو كان الشيء السائد لديهم: أن لا يعطوا المرأة ميراثا.

يحسسهم بأن المرأة هي جزء منك وأنتم كلكم من نفس واحدة؛ ولهذا قال بعد: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً} (النساء:٧).

فليعرف الإنسان الذي هو ماذا؟ الجزء من هذا الإنسان وهو الرجل أن يعرف أن المرأة هي جزء منه فلا يعتبر نفسه وكأنه يتعامل مع طرف آخر مع عالم آخر وهنا يعرف أنه عندما يقدم من أمواله عندما يسمح عندما يقبل أن يكون هناك جزء من المال يتجه للمرأة فلا يعتقد بأنه مال من عالم اتجه إلى عالم آخر، وهنا يقدم حتى نفس المال قضية المال أنه: أموالكم، حتى قضية المال يقدمها أمام المجتمع باعتباره مالا عاما واحدا يعني: ماذا؟ نتيجته في الأخير، لديك أنت أموال خاصة ولدي أموال خاصة وكل واحد لديه أموال خاصة، هذه مُقَرةٌ، لكن في نفس الوقت يحسس الناس أنه في حركة المال دور المال بشكل عام هو بالشكل الذي يستفيد منه الجميع فهو أموالكم جميعا بهذا الاعتبار.

ولأن القضية هامة يصدرها بعبارة: {اتَّقُوا رَبَّكُمُ} اتقوا ربكم، معناه: هذه توجيهات وراءها عقوبات وراءها وعيد ليست مجرد مقترحات إذا أعجبكم أن تأخذوها فلا بأس وإلا فمع السلامة؛ مقترحات كهذه لا تكون لها قيمة، الله هو ملك سبحانه وتعالى هو إله الناس هو ربهم هو الذي خلقهم فكل حدوده، كل تشريعاته، كل توجيهاته وراءها عقوبات في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

كثيرا ما يظهر أنه في مقامات معينة، في قضايا معينة تبدو أعني: بشكل تعطى أهمية كبيرة جداً تلحظ بأنه أهميتها أهمية الإلتزام فيها الوعيد الشديد على عدم الإلتزام فيها هو: أنه باعتبار أنها ظلم في نفس الوقت والظلم قبيح والظلم فضيع والظلم له آثاره السيئة فيما بين الناس، وفي نفس الوقت كثير من القضايا هذه من هذه القضايا يكون لها أثر سلبي؛ لأنها يشكل التقصير فيها، عدم الإلتزام بها يشكل في الأخير منفذاً لأعداء الإسلام، منفذاً لأعداء الإسلام يدخلون منه يحاربون الدين، وليحاربوا الأمة لتجزئتها؛ لهذا كانت إساءة كبيرة فعلا من جهة الناس إلى دينهم وإساءة إلى أنفسهم، إساءة إلى أنفسهم أنه عندما لا يكون هناك إلتزام بمثل هذه

التوجيهات العظيمة في مجال التعامل مع بعضهم بعض: الرجال، والنساء؛ كان في الأخير، شكلت ثغرة للأعداء أن يدخلوا من خلالها لمحاربة الرجل والمرأة!.

ومن العجيب عندما ذكر لنا بعض الإخوان أمس: أنهم في التعريف بالمجتمع بأنه [يتكون من أسرة] قالوا: لا، أن يقال: [يتكون من الآباء والأمهات]؛ لأن كلمة أسرة ما تزال تعطي ماذا؟ عنوانا واحدا [الأسرة] قالوا: لا؛ لأنهم يريدون التجزءة بهذا الشكل تقول: المجتمع يتكون من رجال ونساء، والمرأة ـ في الأخير ـ يقولون: هي نصف المجتمع بمعنى ماذا؟ هي عالم يمثل نصف السكان معنا نحن الرجال في هذه الأرض، لكن الله يقدم المسألة على هذا النحو: أنهم نفس واحدة وخلقوا من نفس واحدة ومسئولياتهم واحدة، بل تجد في المجالات الهامة في مجالات القرب من الله سبحانه وتعالى في مجالات الأعمال الصالحة لنيل الدرجات العظيمة عند الله فتح الباب بشكل واحد مثلما قرأنا في الآية السابقة في آخر [سورة آل عمران] عندما قال الله فيها: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}من ذكر أو أنثى{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} (آل عمران: من الآية١٩٥)، فعندما يحصل تقصير في هذه القضايا الهامة التي يكون التقصير فيها في الأخير يشكل منفذاً لأعداء الإسلام لمحاربة الدين معنى هذا أنها تصبح الجريمة جريمتين: جريمة ظلم الأنثى، وجريمة إعطاء العدو، عدو الإسلام مادة يحارب بها الدين .

وهكذا هي وضعية الناس بشكل عام: الذكر والأنثى في دين الله كله وفي كتب الله لكن تجدهم ممن ظلم المرأة ـ وهم الآن يتشدقون بمسألة أنهم يعملون على أن تحصل المرأة على حقوقها ـ هم من أول من ظلم المرأة اليهود والنصارى هم من أول من ظلم المرأة ورسخ نظرة سيئة للمرأة بل اعتبروها شريرة واعتبروها شيطانة بدءاً من حواء وأن حواء هي التي كانت وراء أن يرتكب آدم الخطيئة، هكذا يقولون! فالقضية هذه ليست أيضاً جديدة في دين الله سبحانه وتعالى في كل مراحل التاريخ، أما بالنسبة لرسالة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهي من قبل أن يكون لهم أي كيان على هذا النحو وفي الوقت الذي كانوا يظلمون المرأة فعلا يظلمونها، وما يزالون يظلمونها إلى الآن، منذ ألف وأربعمائة سنة وأكثر تجد كيف تقدم قضية المرأة في القرآن الكريم بشكل هام جدا وقضية يرتبط بها تثقيف أيضا بالشكل الذي يجعل الرجل ينظر إلى المرأة كجزء منه وينظر إلى المال الذي يتنازل عنه ليعطيها بأنه مال من جزء إلى جزء لكيان واحد.

نجد هنا الفارق الكبير بين أسلوب القرآن الكريم في التعبير عن القضايا هذه وبين الأساليب الأخرى التي يستخدمها مفسرون، محدثون، فقهاء، موعظون، ومعظم ما حصل أو ما ساعد على أن يكون هناك منافذ لأعداء الإسلام هي: عبارات هؤلاء وليست عبارات القرآن، عبارات القرآن عظيمة جداً، وواسعة جداً، وتراعي مشاعر الناس بشكل عام بني آدم بشكل عام: الذكر والأنثى.

فالمسئولية الكبيرة هي على الناس وليست على الإسلام لكن للأسف أن الناس هم لا يلتزمون بتوجيهات الله ثم يأتي الأعداء فيقولون: إن دينكم هكذا، ثم يحمِّل الناس أخطاءهم دينهم! هذه تعتبر جريمة متعددة أنه عندما نرى وضعيتنا سيئة بسبب ابتعادنا عن دين الله بسبب ابتعادنا عن كتاب الله ثم يقال لنا: هذا هو الدين الذي جعلكم على هذا النحو فنقول: [صحيح هو الدين] فنكفر بالدين تتنكر للدين، يكون معناه ماذا؟ نظلم الدين مرتين: عندما لا نلتزم به، ثم عندما نحمِّله أخطاءنا.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (النساء: من الآية١) {مِنْهَا} {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً} (النساء: من الآية١) إذاً أليست نقطة البداية واحدة، نفس واحدة؟ {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} (النساء: من الآية١) وأنتم تعرفونه إلى درجة أنه يسأل بعضكم بعضا به: [أنشدك الله كذا] [أسألك بالله كذا كذا] يقولون هكذا في تفسيرها، بمعنى أنه أنتم تعرفون الله إلى هذه الدرجة التي أنتم تسّاءلون به، يسأل بعضكم بعضا أيّ مطلب كان، وفي نفس الوقت{وَالْأَرْحَامَ} (النساء: من الآية١) يعني: واتقوا الأرحام، اتقوا ظلمها اتقوا ظلم الأرحام، هذه شبيهة بالآية الأخرى التي قال فيها تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} (الاسراء: من الآية٢٣) ألم يقرن هنا التوجيه بالإحسان إلى الوالدين بماذا؟ بالأمر الحتمي بعبادته؟ هنا أمر

الناس أن يتقوه وأن يتقوا ظلم الأرحام{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(النساء: من الآية١) فاتقوه وخافوا أي مخالفة تأتي منكم لما وجهكم إليه فهو رقيب لا ينسى ولا يغفل .

كلمة الأرحام تشمل النساء والرجال تشمل الذكر والأنثى كلمة الأرحام، وقد يكون الناس قد يندفع الكثير منهم إلى ظلم الأرحام عندما يكون هذا الرحم ضعيفا إما يتيما أو امرأة، مثل: يتيم أو امرأة ولا يخاف من ردة الفعل، يندفع كثير إلى ظلمهم هذه تعتبر من أفضع الجرائم ومن أقبحها ومن أدلها على خبث النفسية؛ لأن اليتيم قد يكون ابن أخيك قد يكون أخوك، قد يكون أخوك أو قد يكون ابنا لأخيك قد يكون ابن عمك قد يكون ابن بنتك... وهكذا، سواء الأيتام من الذكور أو الإناث، فاليتيم هو بحاجة إلى رعاية وليس أنك تنطلق لتظلمه وهو في أمس الحاجة إلى العاطفة والرعاية.

{وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ}(النساء: من الآية٢) الخبيث من أموالكم بالطيب من أموالهم لأنك ترى أنه لا يوجد عليك رقابة الله قال هناك: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}.

{وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ}(النساء: من الآية٢) تضمون أموالهم إلى أموالكم على طريقة ماذا؟ الأكل أعني: الاحتساب لها تجعلها وكأنها مالك تتصرف فيها وكأنها مالك.

{إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}(النساء: من الآية٢) إثماً، وكلمة: {حُوباً} كأنها تعني: إثما فظيعاً وإثماً لجرائم دنيئة في نفس الوقت يعني: هي انحطاط كبير؛ لأن الإثم هو يأتي على جرائم كثيرة على الجرائم كلها على المعاصي كلها، لكن المعاصي في واقعها تختلف حتى في تقييم الناس، هناك معاصي تعتبر ممارستها دناءة وحقارة، ومعاصي تعتبر جريمة تختلف عن هذه وهكذا.

إذاً اليتامى بشكل عام، يتامى النساء هي أيضا مظنة أن تظلم عندما يتزوج بها قد يظلمها لأنه ليس لها ولي يدافع عنها. {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى}(النساء: من الآية٣) إلى درجة أن يقول لهم: أنه إذاً لا تتزوج باليتيمة، اليتيمة هذه الصغيرة المرأة التي قد تظلمها لا تتزوج بها من البداية امتنع على أساس أن لا يحصل من جانبك ظلم لها فيما إذا كنت تخاف، عندك احتمال ربما لأنك عارف طبيعتك وعارف نفسيتك ولو تتزوج بمرأة هي على هذا النحو أنك قد تظلمها، من البداية لا يجوز لك، من البداية على أساس عندك احتمال أنك ستظلمها، {وَإِنْ خِفْتُمْ} وإن خفتم ليس معناها: تيقنتم. {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} فتوجهوا إلى النساء الكبار والنساء التي لسن يتامى وبإمكانك أن تتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع .

{فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا}(النساء: من الآية٣) عندما تتزوج بأكثر من واحدة وأنتم تخافون أن لا تعدلوا {فَوَاحِدَةً}(النساء: من الآية٣) فيكفيكم واحدة أو فالأنسب أو الأفضل دائما ما تنظر الأشياء بماذا؟ على طريقة يجوز أو ما يجوز في غالب التوجيهات في غالبها، هنا أباح للإنسان أن يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع هذه قضية لكن إذا خاف بأنه قد لا يعدل فيما بين النساء فالأفضل له واحدة. {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}(النساء: من الآية٣) مثلما سيأتي بعد الزواج من فتياتكم المؤمنات أو [التَّسرِّي] يسمونه: التسري عندما ينكح الرجل أمته التي هي ملك له.

{ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا}(النساء: من الآية٣)، بعضهم يفسرها بمعنى أن لا تعولوا: أن لا يحصل لكم عائلة كثيرة أن لا يحصل لكم أولادا كثيرين! معنى العول هو ماذا؟ أن تميلوا إلى غير الحق إلى غير الصواب و{أَدْنَى} معناه: أقرب، أقرب إلى أن لا تعولوا. لاحظ أنه في الوقت الذي أجاز للإنسان أن يتزوج إلى أربع ما جعلها قضية مفتوحة ربطها بأن يعدلوا، والعدل ذكر أسسه هنا في القرآن، العدل ذكر أسسه في القرآن سواء أمام الواحدة أو أمام أكثر من واحدة: المعاشرة بالمعروف {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}(النساء: من الآية١٩) ذكر أيضا في آية أخرى: {فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ}(النساء: من الآية١٢٩). وقد تختلف القضية باختلاف وضعيات الناس .

إذاً القضية هذه نفسها: تعدد الزوجات أليست من القضايا التي يثيرونها؟ وهي من أغرب القضايا أن يكونوا يستنكرون تعدد الزوجات وطبيعي تعدد القحاب، تعدد الخليلات، والعشيقات!. أليسوا يعتبرون أناسا فضيعين؟

يعني: لا يتزوج الإنسان بأربع زوجات يحصنهن يقوم بحقوقهن برعايتهن، لكن طبيعي عندهم أن يكون له ولو عشرين عشيقة.

قضية التعدد هي أصون للمرأة نفسها، نلاحظ مثلا في قضية الرجال أليس الصراع عندما يحصل صراع أليس ضحاياه يكونون رجالا في الأغلب في المعارك في الحروب أليس ضحاياها يكونون رجالا في الأغلب؟ إذاً فالمرأة بدل أن تتحول إلى طريقة أخرى يكون فيها انحطاط لها يكون فيها معصية لله سبحانه وتعالى يكون فيها إساءة إلى أبنائها، يكون أمامها إمكانية أن تتزوج عندما يكون زوجها قتل في المعركة بإمكانها بعد أن تتزوج، وهم قالوا فعلا: في كثير من الشعوب بعد الحروب في الشعوب التي لا يسمحون أن يكون هناك تعدد زوجات في الأخير يظهر الفساد الأخلاقي بشكل كبير، بل بعض النساء تصل الحالة بها إلى أنها تضطر إلى أن تبيع عرضها من أجل أن توفر لنفسها حاجتها ولليتامى حاجتهم، لأولادها.

أيضا يقال بأنه بالنسبة للناس بشكل عام: أن نسبة النساء يكون أكثر، نسبة النساء من حيث العدد أكثر من الرجال ثم المرأة نفسها المرأة نفسها عندها قابلية؛ لأن الله عندما يشرع شيئا يوجد هناك في الفطرة ما يكون ممكنا تقبله، تجد كثيراً من الناس عندهم نساء متعددات في بيت واحد يصبحن في نفس الوقت يألفن بعضهن بعضا وطبيعي يأكلن سويا ويشربن القهوة سويا ويتحدثن سويا ويسمرن سويا بشكل طبيعي، بل يؤلم المرأة نفسها يؤلمها أن ترى زوجها يحاول وراء واحدة بطريقة غير شرعية تتألم، لو يتزوج يكون طبيعيا، يغضبها أكثر لو يبحث عن عشيقة، لكن قضية أن تكون زوجة وإن كان يحصل ألم، قد يحصل ألم في البداية ثم في الأخير تألف ويصبح طبيعيا عندها.

أيضا القضية بالنسبة للناس الرجل هو معرض للتلاشي من خلال الحروب من خلال الأشياء الكثيرة فعندما يسمح له بأن يتزوج بأكثر من واحدة يمكن أن ينجب كثيراً، ينجب رجالا ونساء وخاصة بالنسبة للمسلمين، بالنسبة للمسلمين ومع أيضا تطور وسائل الحرب، أسلحة دمار شامل أسلحة فتاكة قد تبيد أمة من الأمم بسرعة معسكرات أو تبيد قواعد عسكرية يكون الضحايا أحيانا عندما يكون هناك تركيز على الجيش والجيش عادة يكون من الرجال فستكون الإبادة فيهم بشكل كبير. يذكرون عن بعض الشعوب العربية بعد الحرب مع إسرائيل كان عندهم الفكرة هذه كقضية يشيعونها في المجتمع: واحدة فقط، واحدة، وبعد الحرب عندما حصل قتلى كثير وإذا بظاهرة الفساد الأخلاقي منتشرة بشكل كبير في المجتمع.

إذاً أنت تلاحظ أنهم دائما كما قال الله عنهم بني إسرائيل: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) لا يركزون على قضية إلا وهي بالشكل الذي تضل الناس: تضيعهم؛ لأن المجتمع عندما يحصل فيه قتلى كثير ويوجد نساء وضعيتها قد تفرض عليها أن تتزوج أو مازال عندها رغبة أن تتزوج، ممكن أن تتزوج؛ فبقي المجتمع أخلاقه، قيمه، وضعيته سليمة، لكن إذا ما هناك تزوج على هذا النحو فمن قبل أن يحصل كوارث يحصل فساد أخلاقي؛ لأن نسبة النساء أكثر من الرجال وفي نفس الوقت يحصل ضعف في المجتمع يحصل خلخلة للقيم وللإيمان ولزكاء النفوس فيصبح المجتمع قابلا لأن يضرب على يد الأعداء عندما يصبح مجتمعا مخلخلا وسيئا وفاسداً بعيداً عن الله سبحانه وتعالى وهذا من أخطر القضايا انتشاره في المجتمع، قضايا الفساد الأخلاقي من أسرعها بعد الحروب في المجتمعات. يذكرون ذلك عن الشعوب في أوربا، بل عن شعوب عربية بعد الحرب مع إسرائيل.

إذاً ذكر هنا قضية المال: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} (النساء: من الآية٢) وذكر فيما يتعلق بالنكاح، ذكر أيضا موضوع المهر: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} (النساء: من الآية٤) عبارة عن عطية ليس عبارة عن ثمن ليس عبارة عن قيمة، عبارة عن عطية للمرأة وهذا أمر إلهي عام للناس جميعا، وهذا أيضا مما يفرطون فيه في بعض الشعوب بما فيها اليمن في معظم المناطق تفريط في موضوع المهر الرجل ينظر إلى بنته أو أخته وكأنها عبارة عن سلعة، بعضهم الذين لا يفهمون دين الله، ولا يتوجهون بتوجيه الله في الأخير يزايد يلاحظ من سيدفع أكثر فيها يزوجها به ويستلم المهر ويتصرف به!. والله يقول: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} عطية، ويقدم بسهولة لهن، لا يكون

فيه أخذ ورد ومتابعة وتعب وجفاء حتى يخرج المهر من عندك، ولأهمية هذه أمر الرسول نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) أمره أن يؤتي نساءه أجورهن يعني: مهورهن، إذاً فهذا أمر أساسي: الإيتاء أولاً، الإيتاء.

{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ}(النساء: من الآية٤) **بعد أن تكون قد آتيتها{طِبْنَ} أي: طابت نفوسهن عن أن تتنازل عن بعضه عن شيء منه{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً}**(النساء: من الآية٤) **بطيبة نفس لكن بعد الإيتاء؛ لأن نفس الإنسان قبل الإيتاء وبعده تختلف، عندما يكون ما قد وصل إلى يدها شيء وتأخذه عليها وفي الأخير تحاول أن تتسامح منها ستقول: [مسموح] قد هي آيسة! لكن بعد أن يصل المال إلى يدها وبدون أن تطلبها شيئا فيما لو كان هي سواء بالنسبة إلى قريب من أقاربها أو بالنسبة لزوجها{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً} لكن قدم في البداية: {آتُوا} ألم يقدم في البداية هذه؟ والإيتاء ماذا معناه؟ أليس معناه إيصال المال؟ عندما يقول: آتوا الزكاة: إعطاءها، إيصال المال إليها إيصال المهر لها.**

هذا أيضا هو من تكريم المرأة بالذات؛ لأن المرأة نفسها أليست بحاجة إلى أن تتزوج كحاجة الرجل إلى الزواج؟ نفس الحاجة واحدة ونفس الرغبات واحدة حتى فيما يتعلق بالأولاد لكن هنا الرجل أيضا يعطي للمرأة مهراً، عطية.

{وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَابْتَلُوا الْيَتَامَى}(النساء: من الآية٦) **السفهاء بشكل عام من أولادكم أو يتامى آخرين ما قد بلغوا سن الرشد أو من مواليكم. {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}**(النساء: من الآية٥) **، أموالهم هم أموال أقارب لك، لك يد عليهم باعتبار وضعيتهم تصرفاتهم تصرفات سفهاء تصرفات طيش تصرفات من لا يقدّر للمال قيمته ولا يحسن التصرف فيه.**

{وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}(النساء: من الآية٥)**، على أساس لا يعتقد بأنك تحاول تأكل أمواله إنما تحافظ على ماله وتصون ماله؛ لأنه أوجب على القريب أن يصون مال الآخر، السفيه سواء يتيم من أقاربه أو حتى ولو قد صار كبيراً وتصرفاته ليست تصرفات صحيحة، بعض الإخوة ولو مثلا قد صار كبيراً لكن قد أصبح يعتبر نفسه عالة عليك، وفي نفس الوقت لديه أموال، يجب أن تتعامل في أمواله بالطريقة هذه: لا تطلقها له فيلعب بها بهذا الشكل: تصرفات غير صحيحة وفي نفس الوقت لا يبدو وكأنك استغليت وضعيته لتأكل أمواله{وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً} ، أعط له كفايته منها، وقل له قولا معروفا: [إنما فقط حرصا عليك ومن أجلك وأنت قد يجي لك أولاد ويكبرون، وأنت قد بعت حقك وضيعته في أشياء...] يحصل حتى على بعض الكبار بعض الإخوة الكبار يكونون بهذا الشكل: تكون تصرفاته غير صحيحة وغير طبيعية ولديه زوجة وينجب أولاداً ويبيع أمواله ويلعب بها في تخازين وفي أشياء من هذه أو دورات لا يحسب حساب أولاده! هنا تحاول عندما يكون لك يد عليه أن تحول بينه وبين تصرفات من هذا النوع مع قول معروف.**

{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى}(النساء: من الآية٦) **اختبروهم حتى تعرفوا إذا كانت تصرفاتهم تصرفات سفهاء أو تصرفات ناس راشدين أعني: بحيث يمكن تطلق له أمواله وتصرفاته فيها تصرفات صحيحة. {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا}**(النساء: من الآية٦) **يبدو أن هذه كانت ظاهرة قائمة ليست قيداً{إِسْرَافاً وَبِدَاراً} ، يبدو أنها كانت ظاهرة وظاهرة ممقوتة جدا وكأنك تبادر إلى أنه تسابق تأكل أمواله وتلعب بـ[بصايره] وأشياء من هذه قبل أن يكبر، وهذه تعتبر من أسوأ الأشياء التي يعملها الإنسان من المعاصي، مثلا قد يموت أخوه ومعه أولاد صغار، بعضهم يكونون جشعين ونفوسا قاسية نعوذ بالله وقلوب قاسية في الأخير يحاول يتجه إلى [البصاير] يخبي بعضها ويحاول يصلّح مبايع معينة ويحاول يصلّح قسمة وأشياء من هذه يكبرون وبـ[صايرهم] ثانية وقد يكون أبوهم ربما كان يعمل أكثر منه وقد يكون له مثلا إسهام في دخل وجمع الأموال أكثر من الأخ هذا الذي ما يزال حيا؛ لهذا قال هناك في الآية: {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}**(النساء: من الآية٢) **{وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ} تحاول التغيير في [البصاير] وقد سبق قسمة بينك وبين**

أخيك ثم تبدل [البصاير والتعايون] وتجعل لك المكان الذي دخل في قسم أخيك وهي مكان جيدة وتكتب هذه بدلها، الخبيث بالطيب بشكل عام بأي طريقة كان.

لاحظ هنا التعبير في وحدة أثر المال بشكل عام للمجتمع بشكل عام{وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ}، مع أن التوجيه يتناول الملكية الخاصة يعني ماذا؟ أموالهم المملوكة لهم، المال بشكل عام يجب أن يكون محط رعاية من المجتمع بشكل عام داخل الأسرة الواحدة وداخل المجتمع بكله مع بقاء الملكية الخاصة، لكن يكون هناك نصيحة من البعض لبعض عندما يرى أناس في قرية واحداً من الناس هكذا ينطلق يبيع أمواله بطريقة ليس مضطراً إليها يبيعها يبيعها ومعه أولاد قد يكون بعضهم ما زالوا صغاراً فيمكن أنهم يحاولون تبليغ الحاكم يحجر عليه ويمكن يحاولون أن يعملوا [تدريك] للمشترين. أو يحصل عنده مرض نفسي فترة معينة وقد صار يبيع كذلك يعملون [حجراً عليه، وتدريكا] للمشترين أنفسهم.

{وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ}(النساء: من الآية٦) **من كان غنيا بماله الخاص فليستعفف يعف عن أن يأكل شيئا من أموال اليتامى المقدار المعروف أما المقدار غير المعروف فقد ذاك تحريمه{وَمَنْ كَانَ فَقِيراً}**(النساء: من الآية٦) **ويقوم بهذه المسئولية: صيانة أموال اليتيم، تنمية أمواله، الحفاظ عليها{فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}**(النساء: من الآية٦) **قضية المعروف قضية معروفة عند الناس في المجتمعات .{فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً}**(النساء: من الآية٦)، **أيضاً هذه قضية أخرى أحيانا قد يأتي بعض الأيتام مثلا يكبر ويأتي آخرون من الذين ليس فيهم خير فيقولون له: [كان مع أبيك وكان وكان] حتى لو كان عمه قد قام برعايته وصيانة أمواله على أرقى مستوى فيحاولون أن يدخلوا في نفسه [كان وكان وكان] يعقدونه؛ ليخلقوا بينه عداوة هو وأقاربه هو وعمه أو أخوه الكبير فليكن هناك إشهاد:{فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} في سن الرشد، وأن يكون هناك ابتلاء في قرب مرحلة أن يبلغوا سن النكاح{حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ}**(النساء: من الآية٦) **أصبح قد هو بحاجة إلى إن يتزوج، وأن يتزوج معناه أنه سيكوّن أسرة ويحتاج إلى أمواله هو يقوم بها{فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً}**(النساء: من الآية٦) **على الطرفين كلهم .**

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ}(النساء: من الآية٧) **وهذا عبارة عن إعلان، أشبه شيء بالإعلان يعني: قرار معلن حتى في صيغته أو في عبارات الآية أشبه شيئ بإعلان{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ}**(النساء: من الآية٧) **ولم يكتف بهذه، ألم يكن من الناحية اللغوية يكفي؟ لكن فيها زيادة تأكيد{مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}**(النساء: من الآية٧) ، **هذا قد هو إعلان واضح إعلان مؤكد إعلان مفصل، حكم لم يعد وراءه إلا التهديد الذي سيأتي بعد آية المواريث:{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}**(النساء: من الآية١٣) **يأتي بهذا بعد أن قرر :أن على الرجل أن يعرف بأنه هو والمرأة خلقوا من نفس واحدة وأساسهم نفس واحدة.**

{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}(النساء: من الآية٨)، **قد يكون هذا مثلا أولوا قربى لكن قد يكونون بعيدين عن دائرة من لهم أنصبة من القرابة واليتامى من غير من لهم مواريث، معنى هذه حتى الآخرين إذا حضروا القسمة فليعطوا، {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} أيّ شيء لو ما أعطاه من نفس عين ما نسميه الأراضي مثلا أو بيوت، أي شيء من المنقولات مثلا{فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}**(النساء: من الآية٨) **لم يحدد نوعا معينا أن يعطوه{وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}**(النساء: من الآية٨) .

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} (النساء:٩) **فيجب أن ترعى الآخرين من الأيتام؛ لأنك أنت أليس هذا شيء يؤلمك فيما لو يتوفاك الله ووراءك ذرية ضعفاء أن الشيء الذي يهمك أنت في حالة احتضارك في حالة حضور الموت هو: وضعية أولادك؟ أليس البعض يوصي بأولاده؟ يقول ما زالوا صغاراً وما زالوا كذا، يوصي بهم. إذاً فيجب أن تتعامل مع أولاد الآخرين بنفس الروحية هذه، مع أولاد أخيك، مع أولاد ابن عمك، بل بشكل عام اليتامى، في آيات أخرى يذكر اليتامى بشكل عام أن يكونوا محط رعاية عند الجميع، الجميع يرعونهم .**

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ} والشيء الطبيعي أنهم يخافون عليهم{فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} تقدم هناك بالنسبة لأولي القربى واليتامى بالنسبة لليتامى: {وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً} (النساء: من الآية٥) ألم يقل: قولا معروفا؟ لاحظ هنا الرعاية فيما يتعلق بالحفاظ على أموالهم وصياناتها وبالكلمة الطيبة أيضاً؛ لأن اليتيم تكون نفسه منكسرة يحتاج إلى الكلمة الطيبة. {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً} (النساء: من الآية١٠) نعوذ بالله {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} (النساء: من الآية١٠) .

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء:١١) .

هذه وصية تفصيلية ذكر في [سورة البقرة] وصية إجمالية: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية١٨٠).

لاحظ هنا تأتي العبارة بنفس الصيغة: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ} أليست نفس الوصية الإلهية؟ هناك وصية بالشكل العام وهنا وصية مبينة.

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}، العبارة هذه عبارة دقيقة، لاحظ لم تأت العبارة بلفظ: للمرأة كنصف ما للرجل، لم تأت بهذا الشكل: للمرأة كنصف ما للرجل، هذه العبارة ما تزال أنسب{ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} وسيأتي في آيات أخرى يبين أن هناك التزامات بالنسبة للذكر، من أول الإلتزامات أمام الأنثى: أنه هو الذي يعطيها المهر هو الذي يقوم بالإنفاق عليها هو الذي يوفر لها السكن والطعام والدواء والفراش والأثاث، أليس هذا هو الشيء الذي يتكفل به الرجل؟ إضافة إلى التزامات أخرى فيما يتعلق بقضايا خارج محيط بيته كثيرة تكون مرتبطة بالرجل أكثر من الأنثى، إضافة إلى أنها جاءت بالعبارة هذه هي أرقى من كلمة: رجل وامرأة{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} لماذا؟ لأنها ما تزال توحي بماذا؟ بالكيان الواحد والجنس الواحد يعني: الإنسان هو ماذا؟ عبارة عن كيان مؤلف من ذكر وأنثى.

ثم لاحظ كيف كان الأكثر ممن ذكرهم هنا في آية المواريث هنا: نساء، الكثير من المذكورين داخل الآية هذه من الأنثى هذا يوحي بماذا؟ ـ ولهذا فعلا سميت: [سورة النساء] ـ يوحي بتركيز كبير على أن يبتعد الذكر عن ظلم المرأة وأن يعرف أن أصلهم من نفس واحدة وأن للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون.

{فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً} أليس هؤلاء كلهم نساء؟{وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} أبويه: أمه وأبوه، {مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}، سبحانه وتعالى.

لاحظ هنا التأكيد على مسألة: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} تكررت في كل تفصيل المواريث: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} عندما تتكرر معناه: أن القضية هامة جداً، أن لا تقسم التركة، أن لا تقسم على الورثة إلا بعد إخراج الوصية والدين، من بعد إخراج الوصية والدين فلا يحصل حتى ما قد هو مألوف عند الكثير من الناس: تقسيم الدين على الورثة، توزيعه على الورثة في الأخير يتقسمونه [أنت عليك كذا وفلان عليه كذا والآخر عليه كذا]، قد تحصل مماطلة من بعض الورثة يكون في الأخير ضياع لحقوق آخرين، أن يكونوا مثلا تجملوا في هذا الإنسان ودينوه وأسلفوه ثم تضيع حقوقهم عن طريق بعض الورثة! يبقى حقوق الآخرين ثابتة وتعطى أولوية وتقدم على قسمتها على الوارثين{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}، وهكذا.

فمراعاة الأشياء هذه تعتبر قضية هامة أعني: محاولة المخالفة فيها وعلى أساس أن كل واحد سوف يلتزم يسلّم وأن همك وأنت تقسم بأنه الدين سيتكفلون به وكل واحد يتفق هو مع نفسه! بهذه الطريقة، لا ؛ لأنه قد يحصل من ورائها ضياع لحقوق الآخرين، وتبقى ذمة الميت متحمل للدين.

{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} (النساء: من الآية١٢)، **ما قد هذه ثالث واحدة؟ ثالث كلمة.**

{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ} (النساء: من الآية١٢) ، **أربع مرات يكررها معنى هذا: أنه يجب على الناس أن يلتزموا فعلا، أن يعطوا الدَّين والوصية الأولوية على تقسيم الميراث، وأن لا يوزع الدين على الورثة وكل واحد سيتحمل نصيبه على الإطلاق.**

القضية هذه أيضا مما يحاول أن يثيرها أعداء الإسلام: أنه لماذا لم يكن للمرأة إلا كنصف ما للرجل ؟. لكن هذه من ناحية العدل والقسط على أساس تركيبة المجتمع وعلى أساس دور الرجل والمرأة هذا هو العدل وهذا هو القسط؛ والعدل والقسط ينظر له ليس على أساس أنهم قد جعلوهم جنسا، وجنسا، جعلوهم عالما، وعالما. القسط والعدل بين الناس يكون على أساس رؤية عامة وإعطاء اعتبارات متعددة فيما يتعلق بدور الذكر ودور الأنثى في الحياة أنه ماذا؟ يعتبر قسطا يعتبر عدلا هذا.

إذاً هنا قائمة بالنسبة للورثة، ألم يذكر قائمة بأصناف الورثة؟ لا أدري إذا ما يزال هناك آية أخرى تتحدث عن وارثين آخرين ما أذكر، هذه هي الآية التي تضمنت أصناف الوارثين هل يوجد آية أخرى؟ في آخر [سورة النساء] في الكلالة حول الكلالة. ثم ترى من بعد كم حصل من إختلاف من وراء الآية هذه، مما وراء من ذكروا! كيف يقول الإنسان؟ يقول الإنسان بأنه كان هناك تقصير؟ تقصير في التبيين! وما يزال هناك أطراف أخرى مستحقة أنصبة ثابتة ومفروضة ولم يذكرها؟ وعندما لم يذكرها هل تركها للإختلافات وتركها للرؤى المتعددة؟ لا يصح هذا أن نقول: إنه بقي أيضا! ما يزال هناك ناس آخرون ما ذكرهم فتكون القضية متروكة للرؤى والإجتهادات؟ ليست بهذا الشكل، بل يظهر هنا أنه يوجد من المال نفسه لم يذكر بعضه هنا.

جاءت اختلافات كثيرة حول: الجد والجدة، والعصبات وإعطاء أولوية للعصبات وحول الإسقاط، والحجب، والعول والأشياء هذه اختلاف كثير حصل في موضوع المواريث من أكثر ما حصل فيها اختلاف موضوع المواريث.

إذاً بالتأكيد أن المسألة ليس معناه: أن هناك تقصيراً، وأنه بقي آخرون وترك موضوعهم للإجتهادات والرؤى والقياسات وأشياء من هذه أبداً.

الآية واضحة، وإنما الموضوع بشكل عام ما يزال للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **دخل فيه ثم تصرفاته في نفس الموضوع تصرفاته هو ولهذا في بعض الروايات عن الإمام علي أنه قال بالنسبة للجد: ((إنما رضخ له رضيخة أو أعطاه عطية)) أثناء الاختلافات في موضوع الجد وأشياء من هذه، معناه: الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن يقوم مقامه موضوع أو ما وراء هذه متروكة لهم .**

ولأنها قضية قد يكون بعضها مثلا قد لا يكون له إيجابية أن يكون هناك، تعطى ـ مثل ما يسمى ـ حكماً ثابتاً على طول، يكون هناك ما يزال لمن يقوم مقام الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) **مجال فيه في توزيع بقية المال داخل محيط المتوفى داخل محيطه من بعد هؤلاء.**

ولهذا تصبح المسألة في الأخير: أن يكون هناك مذاهب متعددة ومختلفة فيما يتعلق بتوزيع المال تبقى إشكالية. الإثنا عشرية عندهم فقه آخر فيما يتعلق بالمواريث، اختلاف أيضا فيما بين السنية وفيما بين الزيدية وما بين السنية والإثنا عشرية اختلاف في موضوع الوارثين بشكل كبير! لو تركت المسألة على أصلها معنى هذا لا يحصل اختلاف لا يحصل اختلاف، هم يختلفون في المسألة كأحكام فقهية لا يكون الاختلاف على أساس اعتبارات .

لأنه لاحظ داخل دائرة القرابة بالنسبة للمجتمعات وداخل مثلما تقول الإلتزامات داخل الأسرة الواحد قد تكون مختلفة في بعض الأزمنة مختلفة في بعض المجتمعات يكون هناك مجال؛ لأن الموضوع الذي يحكم المسألة موضوع ماذا؟ القسط من بداية الآيات هناك يقول: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨)، قائما بالقسط، أحيانا قد يكون إعطاء مسألة معينة حكما ثابتا على طول وهي تراها مما لم يقدم لها حكم، لم يقدم لها حكم على نفس الطريقة من منظار فقهي دون إعطاء اعتبارات أخرى واقعية باعتبار وضعية المجتمع باعتبار تركيبة المجتمع أشياء كثيرة في الأخير، يكون أحيانا متنافياً مع القسط يطلع متنافياً مع القسط.

موضوع الكلالة أيضاً: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً} (النساء: من الآية١٢)، يقولون: الكلالة: الذي ليس له والد ولا ولد يعني منقطع بالنسبة لقرابته القريبة قرابته مثلما تقول من داخل أسرته من داخل عصبته ولهذا لا يعدون الأخوة من الأم وكأنهم ماذا؟ يتنافون مع إطلاق اسم الكلالة عليهم، أليس الأخوة من الأم يعتبرون قرابة؟ باعتبار القرابة يعتبرون قرابة؛ لأنه قد يكون الأخوة من الأم على رجل آخر من أسرة أخرى لذلك يقول: لا والد له ولا ولد.

{وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} (النساء: من الآية١٢) ، هؤلاء الأخوة من الأم، الأخوة من الأم فعلاً {فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} (النساء: من الآية١٢)، إذاً هنا ألم يبق ثلثان في المال؟ على أساس كلالة؟ {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} (النساء: من الآية١٣) هذا يعود إلى الكل من بداية {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} (النساء: من الآية١) كل التوجيهات هذه وكل الأحكام هذه تعتبر حدوداً لا تتجاوز {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} (النساء: من الآية١٣) إذاً هل هنا يوجد رأي لرسوله هنا فيما ذكر؟ التحديد ألم يأت من جهة الله، يوصيكم الله؟، وفي آخر الآية يذكر رسوله، والحدود هنا تتناول هذا الموضوع، أليس هذا يعني: أنه بقي لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) دور في باقي دائرة الورثة وبقية المال وأشياء من هذه؟ على أساس القسط، والقسط تكون اعتباراته أحيانا متعددة تكون الوضعيات مختلفة تكون المجتمعات مختلفة، أشياء كثيرة.

أحياناً قد تجد ـ مثلا ـ رجلا ومعه أموال ومعه ابنته تقوم بشئونه ابنته أو قريبة له أخرى ومعه هناك ابن عم لا يبالي به ولا يحسب له حساب ومنتظر متى سيموت ومات وقد هذا عجَّال، عجَّال على أنه يسير لأنه قد صار محسوبا من الورثة: عصبة، قد قام الفقهاء يحسبونها من زمان على أساس أنه قد ذكر قربى، نعم هو يذكر قربى أو الأقربين لكن هناك مجال معين لمن يعرف القسط لمن يعرف العدل لا أن تحسم هكذا من أول شيء وفي الأخير لا تدري وتلك التي كانت قائمة بشئونه قد يكون لها في الأكثر ـ وأيضا تظلم ـ قد يكون لها في الأكثر كمثل ذلك الذي كان لا يبالي به ولا يحسب له حساب ولا يهتم به وعجال يموت .

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ألم يذكر رسوله؟ {يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ، لأنه معلوم أن كل ما يبدو أنه ما يزال هناك مجال لأنه من فضول الفقهاء يلاحظ ما يزال هناك! قال هناك الأقربين إذاً ما يزال هناك قرابة لم يذكرهم يحاول يقدمهم منهم! حتى يحسم الموضوع من أول يوم بالنسبة لهم! مال هناك لم يذكر، نفس الشيء يحاول يحسم الموضوع فيه من أول يوم! ويختلفون فيما بينهم على أساس القياسات كل واحد يقيس على اعتبارات معينة باعتبار القرب.. طلع اختلاف في الأمة!.

إن القضية هذه ليست متروكة للناس بالشكل هذا، إن القضية هكذا: الله سبحانه وتعالى ورسوله وهذا كتابه ورسوله، من بعد رسوله القائم مقام رسوله، ليست قضية دعاوى، الوارث فعلا لكتاب الله الذي يعرف كيف يقيم القسط ، والقسط موضوع له علاقة بالمال له علاقة بموضوع المال له علاقة.. أعني: اعتباراته متعددة اعتباراته متنوعة مختلفة؛ ولهذا أحيانا ترى بأنه يعطى أشخاص شيئا من المال وهو لا يستحق أن تعطيه ولا ريالا واحدا، فعلا بعضهم لا يستحق أن يعطى شيئا منه ولا هو مذكور هنا إنما دخلوه هم الفقهاء من زمان على أساس حسم الموضوع وفي الأخير ترى لا يوجد قسط في الموضوع لا يظهر فيه قسط عندما يقال: القسط ، لأن

القسط هو العنوان العام، هناك آيات محكمات هي أساس لإعطاء نظرة قسط وأساس لأن يبقى القرآن يسع الحياة هذه كلها على أساس القسط.

الله أليس هو الذي يخلق الأقارب هو؟ أليس من الممكن أن يعمل قائمة هنا مثلما عملوها؟ أعني: ما ذكروه ما أضافوه تقريبا مثل هذه القائمة أو أكثر ما أضافوه هم من أسماء أخرى وحسموها نهائيا! لأن معنى حدود: أنه أثبت حداً هذه قضية {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} (النساء: من الآية٧) وذكر قائمة وهو يعلم أليس هو يعلم سبحانه وتعالى؟ أو يقولون: [أنه ما قرأ الفرائض!] هو الذي خلق بقية الناس الذين هم في الأخير يدخلونهم بأحكام مبتوتة من البداية واختلفوا فيهم.

لهذا الإمام علي استنكر في موضوع الفتوى عندما قال بعبارة: ((أم أنزل الله دينا ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه))، هناك لاحظ من ذكر في الموضوع هذا من ؟ من ذكرهم أعني بالتحديد؟ أليسوا أقرب القرابة؟ أقرب القرابة الذين عادة لديهم عاطفة بالنسبة للمتوفى هذه قضية ثابتة، قضية ثابتة هذه أعني: من ذكر هنا؟ ذكر أبناء وذكر أبوين وذكر الزوجين، الآباء والأبناء والأزواج والأخوة.

أطراف أخرى أحيانا قد لا يكون عندها العاطفة هذه بل قد يحاول بأي طريقة أنك تتوفى ألم تحصل هذه في بني إسرائيل؟ هؤلاء الذين لهم أنصبة مفروضة واضحة من البعيد بالنسبة لأحد منهم أن يحاول أن ماذا؟ أن يدبر ذلك وخاصة إذا كان يرى أن معه أموالا كثيرة يحاول يدبره يموت بتسميم أو بأي طريقة أليست مستبعدة داخل القائمة هذه؟ مستبعدة؛ لأن هذه قد تشكل خطورة وقد تكون داخل مثلما تقول عندما يكون هناك أشخاص لديهم أموال كثيرة معك أموال كثيرة وليس معك ورثة من هذا النوع مثلا ومعك ابن عم أو معك ورثة لكن ما يزال بالشكل الذي وفق الترتيبات الفقهية ما يزال ابن العم هناك يعتبر وارثا، أحيانا ما هو قد يدفعه بأنه يدبر حالك وقد حصلت هذه في بني إسرائيل .

لكن إذا كانت القضية عائمة هو لا يدري هل سيقضي له بشيء أو لا يقضي له بشيء هكذا موكولة إلى القائم مقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ليس القائم هنا مقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعني: سلطة تنفيذية يأتي أي واحد يدعي أنه قائم مقامه، لا، من يعرف كتاب الله من يعرف عباد الله وكتابه ويعرف مقاصد هذا التشريع. فهو لا يدري هل سيقضي له بشيء أو لا يقضي له بشيء. عندما يكون رأس ماله خمسون مليون دولار وابن عمك هناك معه أو واحد هناك بعيد وليس معه شيء ما هو قد يحاول بأي طريقة بل قد تحصل هذه من أجل يموت بسرعة حتى لا يموت وما قد جاء له عندما يرى أنه قد يكون له عندما تموت قد يحصل له خمسة وعشرون مليون دولار أليست هذه حالة خطيرة؟. لكن قضية عائمة لا يدري هل قد يقضى له أو ما يقضى له بشيء لا تشكل هذه خطورة قد يحصل له وقد لا يحصل له.

يرى واحد أناسا هم أحيانا لا يهتمون بذلك الشخص يمرض ويلاقي مشاكل كبيرة لا يهتم به بعضهم ولا يسافر به، عجال يريد أنه يموت إلى أن يموت وجاؤا يقدمون لك قائمة فتوى قد هم متقصين على كل حاجة يقاصون حتى على الفراش حتى على الأشياء التي لا ينبغي أن أحدا يأخذها نهائيا يقاصي عليها في الأخير يظهر بعد!.

لأجل لا يحصل إهمال لأن القائمة التي ذكرت هنا من النوعية التي عادة لا يحصل من جانبهم إهمال لا يحصل من جانبهم ماذا؟ يعجبه إذا قد أنت مريض عسى أنك ستموت وقد هو يحسب كم سيلحقه من بعدك وأشياء من هذه من القائمة هذه لا تحصل فالله هو حكيم سبحانه وتعالى وهو رحيم بعباده هل يمكن يفرض في مالك فرضا ثابتا على طول على حسب ما قدمه الفقهاء فيصبح هذا بالشكل الذي يشكل خطورة عليك أنت وعلى وارثين آخرين؟ إذا رأى بأنه لو لم يكن معك ذلك الولد إنما فقط بنت سيحصل على كم ملايين فكأن ذلك الولد [بين عيونه] وبقاؤك يصبح وكأن يوم من حياتك خسارة عليه هل يحصل هذا في تشريع الله؟ هذه بعيدة.

غالباً عاطفة الأخوة، الأبوة، الزوجية، البنوة ما يحصل معها تفكير من هذا وأنه عادة المحيط الأقرب للإنسان وهم هؤلاء يفرض لهم من البداية فرضا ثابتا هم عادة محيط به وفي نفس الوقت ليس هناك مظنة والله هو يعلم بالناس ما هناك مظنة أن يحصل بالنسبة للدائرة هذه حتى لا يصبح مالك شراً عليك، أليس هو هناك يهدد آخرين لماذا لا يعطون حقوقا لآخرين؟ هل يمكن أن يجعل مالك نفسه بالشكل الذي يهدد حياتك بكلها أو يهدد

حياة ابنك الوحيد عندما يكون معك ابن وبنت ومعك واحد هناك من ضمن القرابة لكن بعيد ـ لأن الله يعلم بعباده ويعلم بجشع الكثير منهم في المال ـ فهو يرى بأنه ما دام ذلك الولد فإنه لن يلحق له شيئا، هذه حالة خطيرة هذه، أليست خطيرة؟ أنه ما دام الولد فهو ساقط لن يلحق له شيئا، لكن إذا ما هناك إلا بنت فسيلحق له، فيكون قد أصبح النصيب الذي قد جعلوه مفروضاً له وثابتاً يشكل خطورة عليك وعلى إبنك.

الله يقول في المال: {الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}(النساء: من الآية٥) ماذا معنى قِيَاماً؟ تقوم به حياتكم أليست تقوم به حياتكم؟ هل يمكن أن يجعل المال ويفرض فيه فروضا بالشكل الذي تهدد حياتك؟ لأنه حكيم{وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}(النساء: من الآية٥) لأنه قوام حياة الإنسان المال يحتاج إليه، أليس الإنسان يحتاج يعيش؟ يحتاج وكل حاجاته مرتبطة بأمواله وهي قوام حياته.

الفقهاء يطلعون في الأخير ـ مثلما نقول ـ مشطبين تشطيبات ويجمّعون وكأنه نسي أشياء وترك أشياء تركها للآخرين، للمشرعين كل واحد من عنده، واختلافات فيما بينهم وأشياء رهيبة.

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}(النساء: من الآية١٣) هنا {يُدْخِلْهُ} أفضل من قراءة: {ندخله} الموضع هذا بالذات قراءة: {يُدْخِلْهُ} أنسب فعلا وهي أيضا قراءة ثابتة{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} (النساء:١٤) .

إذاً قد لا يبعد أن يعتبر من التعدي لحدود الله: أن ينطلق الآخرون هم ويقدمون إضافات، أليسوا هم هنا حصل من جانبهم تعدي وتجاوزات، يقدمون إضافات ثابتة على طول، وفي كل الوضعيات، ولكل المجتمعات ولكل القرون، فقد تكون من التعدي لحدود الله، ألم يسمها حدوداً؟ حددها أليست الإضافات من عند هذا وإضافات من عند ذلك معناها وكأنه ماذا؟ يضيف إلى أشياء يعتبر تجاوزاً؟ لو أضاف أحد في الصلاة ركعة واحدة ألا يعتبر أنه تعدى لحدود الله؟ مثلا عندما تكون أربع ركعات، جعلها أربع ركعات، يأتي واحد يضيف ركعة أو ركعتين يفرضها على الناس أليس سيعتبر متعديا لحدوده؟.

ولأنها قضية هامة، القضايا هذه كلها ما ذكره من البداية هامة باعتبار قد يحصل فيها ظلم، وهامة قد يأتي من خلال التقصير فيها منفذ للأعداء في محاربة الدين، وتشويه الدين، يأتي بهذا الوعيد الشديد إضافة إلى الوعد بالجنة لمن يلتزم بحدود الله .

إذاً آية المواريث هذه لا تسمى أنها قد هي ناسخة لآية: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}(البقرة: من الآية١٨٠) لا تعتبر ناسخة، القرآن هو كتاب للحياة ولوضعيات متعددة ووضعيات لأمم مختلفة، تلاحظ بأنه وضعية العرب نفوسهم ألم تجتز مرحلة أعني: بعد بعثة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مرحلة لم يتناول فيها قضية توزيع المال؟ مرحلة كم سنين ما تناول فيها موضوع توزيع المال، ـ لا يعني ماذا؟ بأنه مقر لتلك الحالة القائمة لديهم ـ، ثم يأتي بطريقة يقربهم إلى ماذا؟ إلى أن تكون نفوسهم تقبل أن يعطوا آخرين من المال، ثم يأتي ويحدد أنصبة معينة، أليست هذه تراها مراحل؟ مرحلة لم يتناول فيها الموضوع نهائياً، هذه [سورة النساء] من السور المدنية هم يعتبرونها من السور المدنية مرحلة من بعد بعثة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ونزول القرآن لم يتناول فيها موضوع الميراث، ثم تناول على ذلك النحو، ثم تناول على هذا النحو.

إذاً هذا التشريع ألم يقم على مراعاة وضعية معينة لمجتمع واحد؟ وعندما يقول الله بأن هذا الدين للعالمين وترى عالمين آخرين ترى مجتمعات أخرى لها وضعيات أخرى تركيبتها الإجتماعية أخرى التزاماتها أخرى، وتأتي من أول يوم لا تعطي أيّ مراعاة للموضوع في المسيرة العملية، المسيرة العملية ليست قضية فتاوى، المسيرة العملية معنى هذا ماذا؟ أن القرآن وكأنه لا يصلح للعالمين، تشكل عوائق أنت، هو للعالمين وعندما يقول الله بأنه للعالمين ودينه للناس جميعا، أنه أيضا لا يجعله بالشكل الذي يكون فيه عوائق من البداية تحول دون أن يتقبل مجتمع من المجتمعات لهذا الدين، فالذي راعى وضعية عرب ما يزال قائما وقابلا لأن تراعى في المسيرة العملية

وضعية أمم أخرى، حتى تنتقل بها إلى النقلة الأخيرة وهي ماذا؟ أشياء ثابتة في محيط معين وأشياء تبقى عائمة.

إذاً فهذا التشريع هو بالشكل الذي يقوم على المراعاة لوضعية معينة لكل المجتمعات، كيف يتعامل معها لأنه هكذا رأيناه تعامل مع العرب مع مجتمع صغير من البداية هكذا حتى أوصلهم إلى هذه النقلة.

الآية الأخرى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً} (النساء:١٦) ، **وهذه قالوا: منسوخة!! عند البعض وإلا فالبعض يقول: إنها ليست منسوخة هي ما تزال تعني جريمة معينة بخلاف ما يحصل من الرجل مع المرأة، هذه تعني: شيئا آخر، وقالوا بأنه بعيد أن يقول: { أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً} ويكون السبيل هو الجلد أو الرجم؛ لأن هذا لا يسمى سبيلا هذا نفسه لا يسمى سبيلا عندما قالوا:[قد جعل الله لهن سبيلا...] في حديث:((فالمحصن كذا، والبكر كذا..)) يعني: جلد أو رجم. لا، هذه تعني: جريمة أخرى وتلك جريمة ثانية: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا..}** (النور:٢) **إلى آخر الآية.**

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء:١٧) **هنا التأكيد على: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}؛ لأن المعصية يكون لها أثر سيء في حياة الناس في حياة الإنسان هو وفي حياة المجتمع، المعصية يكون لها أثر سيء أن يكون الإنسان سريع التوبة، بمعنى أنه يكون عازما على أنه لا يعد يمارس المعصية التي ارتكبها كيفما كانت سواء كانت تتعلق بمواريث أو أشياء أخرى هذا معناه توجيه: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}، {فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ}** (النساء: من الآية١٨) **لهذا؛ لأن المعصية لا يزال لها أثر سيء بالنسبة لك، نفسيتك وبالنسبة للمجتمع، ليست فقط قضية فيما بينك وبين الله، المطلوب من البداية بأنك تقلع عن المعصية هذه وترجع إلى الله وتتوب إليه تحافظ على طهارة نفسك وتنسف أثر المعصية التي لها آثار كبيرة في المجتمع.**

{وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (النساء: من الآية١٨) **أيضاً في موضوع النساء من جديد فيما يبدو أنه كان سائدا في ذلك العصر قالوا: كان إذا مات الرجل وعنده نساء متزوج بنساء كثير يأتي من يرث من ورثته يرث امرأة أبيه ميراثا هكذا، كأي شيء من أثاث البيت، أو كأي شيء من الموروثات الأخرى غصباً عنها.**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً} (النساء: من الآية١٩) **كَرهًا: ليست قيداً، يبدو ليس قيداً؛ لأن بعض الأشياء هي تذكر حالة سائدة، أو حالة تكون غالبة في المجتمع فتكون تشنيعاً للقضية ما تقدم بشكل قيد، فتكون الآية في هذا الموضوع: أن معناه الذي كان يحصل عند العرب أنه كان يرث زوجة أبيه أو ربما زوجة أحد من أقاربه هكذا مع الميراث.**

{وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ} (النساء: من الآية١٩) **هذا توجيه عام بالنسبة لميراث الزوجة، لا يجوز أن يرث المرأة كأي شيء من الموروثات الأخرى والعضل معناه: المنع، {لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً}** (النساء: من الآية١٩) ، **أي فالآية تتناول موضوع المرأة بشكل عام في أنه لا تكونوا على هذا النحو: ترثوا النساء كرها، فيما يتعلق أيضاً بقضية المرأة كزوجة؛ لأن العضل هنا كأنه منعها عن شيء حتى يضطرها إلى أن يذهب{بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ} أما أن قد يكون مثلاً المهر عندما مثلا يطلقها، ثم عندما يقرب أجل انتهاء العدة يتراجعها، أليس هنا كأنه يوقفها عن أن تسرّح سراحا جميلاً، حتى يضطرها إلى أن تفتدي نفسها، العضل يعتبرونه بشكل عام هو المنع، فيأتي أحيانا أن تمنع قريبتك أن لا تتزوج زوجها الأول الذي طلقها وانتهت العدة، أن لا ترجع له أو أن ترجع إليه في العدة.**

{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} يفسرون الفاحشة هنا بمعنى ماذا؟ النشوز. يفسرون أن معناها: النشوز !الله أعلم، المهم في الآية هذه أنه لا يحصل ظلم للمرأة حتى تضطر أن تفتدي نفسها، تفتدي نفسها بشيء من مالها مثلا قد يكون هو مهرها، قد يكون شيء آخر مما قد آتاها الرجل.
{فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً}(النساء: من الآية١٩) لا أدري من أين جاء تسمية النشوز بفاحشة، أن يسمى فاحشة؛ لأنه حتى عند العرب قضية الفاحشة معناها: المنكر الممقوت الذي يعتبر بشع مثلما كانوا يسمون الزنا يعتبر عندهم فاحشة، الزنا فاحشة؛ لأنه ذكر في آية أخرى موضوع النشوز: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}(النساء: من الآية٣٤).

الله أعلم بمعناها الآية هذه هل يمكن يقال :الفاحشة بأن المرأة فيما لو ارتكبت جريمة فهنا لا يبقيها الرجل وليأخذ ما قد أعطاها، مهرها، يطلقها ولو كان الطلاق بأنه يأخذ عوضاً عليه المهر وقد يكون في هذا نوع من العقوبة للمرأة وبالنسبة للرجل ما يكون خسر المرأة وما قدمه، في قضية من عندها هي، وقضية ضيعة تستدعي أن يسرحها ولو بدون شيء. كلمة: {فَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} تأتي في مقامات كثيرة وتبدو أنها جريمة الزنا؛ لأنهم يروون المرأة التي جاءت إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقالت إنها قد كرهت زوجها عندما قالت: أنها تكره الكفر في الإسلام فقال: هل أنت مستعدة أن تردي عليه حديقته؟ قالت: مستعدة. لم يعتبرها أنها ارتكبت فاحشة، وهذا نشوز، أليس هذا يعتبر نشوزاً؟ على حسب اصطلاحات الفقهاء تعتبر نشوزاً، لم يعتبر أنها ارتكبت فاحشة، هي قالت: إنها لم تعد تريده نهائياً [لا أنا ولا ثابت] قالت، لا تستطيع أن يجمعهم فراش واحد.

{وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً}(النساء: من الآية٢٠) ، القضية عندك فقط أنك تريد أن تبدلها فتحاول أنك تطلقها لأجل يأتي لك مرجوع من أجل تتزوج بفلانة، هذه الطريقة غير مقبولة {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} (النساء:٢٠). لو قد أعطيتها قنطاراً من الذهب قالوا: إن القنطار يطلق على قنطار من الذهب في الغالب، {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء:٢١) ، متى يحصل الميثاق المغلظ هذا؟ هل أنه يأتي عهد فيما بين الرجل والمرأة؟ لا، لكن يبدو نفس العقد القائم فيما بين الرجل والمرأة عقد النكاح أنه عبارة عن ميثاق أن يكون هناك معاشرة بالمعروف وتعامل بالمعروف؛ لأن قضية المعروف تراها أثناء المعاشرة ومع الطلاق وبعد الطلاق.

أيضاً وقد يكون عملياً أن تكون المرأة كما قال الله هنا: {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} تسلّم نفسها لزوجها، تبذل نفسها لزوجها أليس هذا يعني: لا يعد يصح فكأنه عمليا كما لو كان ميثاقا؛ لأنه لاحظ أنه في آيات أخرى أنه اعتبره ميثاقا من جانب المؤمنين عندما تكون وضعيتهم أنهم قد قبلوا حتى لو لم يقولوا: سمعنا وأطعنا، هل أحد يتذكر أن يقول: سمعنا وأطعنا حتى يكون هناك ميثاق عليه من الله {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} (المائدة: من الآية٧) واقعك، قبولك لهذا الشيء قد صار يعتبر موثقاً، لا يوجد أشياء أخرى غير العقد، هل هناك في النكاح إجراءات غير العقد؟ لا يوجد شيء لكن العقد بما يترتب عليه هو كميثاق، أن تكون المرأة نفسها، بذلها لنفسها لزوجها أشبه شيء بالميثاق ولهذا قال: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} تبقى معك كم سنين على هذا النحو: وقد أفضى بعضكم إلى بعض ثم تقول: تريد تطلقها، قد أنت تريد تبدلها [هاتوا آخر ريال دفعت!] هنا: {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً}.

ولاحظ على الرغم من فضاعة القضية هذه هي تبدو شبه سائدة عند أكثر الناس، يطلق لكن يريد حقه [يدفعون لي حقي وأنا أطلق] أليس هكذا بعضهم يقول؟ وقد مكثت معه كم سنين، وقد معه عليها أولاد، وقد أفضى بعضهم إلى بعض وأخذن منهم ميثاقا غليظا، وقد تكون هي المظلومة وما يزال يقول: [يدفعون لي حقي

وأنا أطلق] وأيضا يعتبر نفسه بهذا منصفاً أنه غير متعنت، منصف وحقاني!! [أعطوني حقي وسأطلق مثلما دخلنا نخرج]!!

لهذا عندما يكون الناس في مجتمع لا يرضون أبداً؛ لأن بعض الناس يقبل أيّ وعظ إلا وعظ يتنازل فيه عن فلوس، مال لا يقبلون هذه، وعِّظ بكل ما تريد إلا قضية مال، كثير من الناس، من واجب الرجل هو ـ لا بأس إذا كان الولي هو نفسه يأخذ المبلغ إلحقه منه ولو تريد تخلص ظهره ـ لكن المرأة ينبغي أنك تعطيها مبلغاً من عندك عند الطلاق على الأقل، إذا أنت لن تعطيها مبلغا وهي ما زالت في بيتك، فعندما تطلقها أعطها مبلغا لا تكون أنت لا تعطيها شيء، ووليها أخذ المهر، فهنا عندما يكون الذي يأخذ منك هو الولي، الولي نفسه لا يسلمه للمرأة إلحقه منه، لكن أنت يجب أن تسلم للمرأة، تعطيها مهراً، وإذا كانت القضية على هذا النحو: المرأة هي التي يسلم إليها المهر فلو كان قنطاراً ـ كما قال الله ـ لا ينبغي لواحد أن يلحقه أبداً.

أعني: ما معنى هذا بأنه التعامل على هذا الأساس مع الأولياء الذين يأخذون المهور ويأكلونها، في الأخير يقول: لا تلحق منه شيئا؛ لأنه هم لا يسلمونها للنساء في الغالب، هم لا يعطون النساء شيئا، يمكن لواحد مثلا أنه يأخذ المبلغ من الولي الذي قد هو معروف، معروف أنهم لا يعطون النساء، أما أن يكون معروفا أن الولي يستلمه ويعطيه للمرأة أو يشتري به ذهب لها كمهر لها، فيعتبر هذا أنه قد صار لها، لاحظ كيف قال في الآية: {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً} (النساء: من الآية٢٠)، آتيتم إحداهن معناه للمرأة بأن يسلّم للمرأة{فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} (النساء: من الآية٢٠)، إذا كان الولي لا يعطي المرأة شيئا الحقه منه، لكن وأعط المرأة أنت، حتى عندما تطلقها إذا أنت لن تعطيها وهي في بيتك يعطيها واحد من عنده، عندما يعرف بأن الولي لا يعطيها فالأنسب أنه هو يعطي لها مهراً يعني: لو عادها في بيته أن الإنسان يعطيها ولو ما زالت في بيته أما أن تنتهي المسألة على هذا النحو: الولي الذي أكل المهر لم يعطها شيئا، وهو لم يعطها شيئا نهائيا، معناه طلقها ولم يحصل لها شيء بعد هذا: {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً}.

{وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (النساء: من الآية٢٢) الماضي بالنسبة لما كانوا في الجاهلية عليه أي ما كان منكم في الماضي وإلا فقالوا فعلا: أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قام بإجراءات معينة عمليات فصل لبعض هذا بالنسبة للنساء {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً} (النساء: من الآية٢٢).

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ} (النساء: من الآية٢٣) وهذه قائمة جديدة بالنسبة للمحرمات في النكاح{وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} (النساء: من الآية٢٣) هذه إبنة زوجتك من رجل آخر تسمى: ربيبة{اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} (النساء: من الآية٢٣)، هذه زوجة الابن من أصلابكم قالوا: استثناء لما كان معروفا عند العرب كانوا يسمون الموالي أبناء موضوع التبني: فلان ابن فلان وهو ليس ابنه إنما فقط غلامه، يعتبرونه وكأنه إبن، أبنائكم الحقيقيين، عندما يطلق ابنك امرأته ابنك من صلبك لا يجوز لك أن تتزوجها.

لاحظ قضية المحرمات هنا تشبه تماما قضية المال، مراعاة اعتبارات معينة، لو أنه يجوز للإنسان مثلا أنه يتزوج بامرأة ابنه بعدما يطلقها هنا قد يحصل حالات تعتبر شاقة، مثلا أن المرأة تعود من جديد إلى نفس البيت مع الأب وقد كانت مع الإبن أليست هذه تعتبر حالة غير طبيعية؟{ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (النساء: من الآية٢٣) ، الأختان عندما يكونان ضرتين قضية فيها صعوبة عليهما، تؤدي إلى حالة من قطيعة الرحم فيما بينهما{إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} (النساء: من الآية٢٣) فيما قد وقع منكم في الماضي عندما يقول: {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} في الماضي قبل نزول هذه الآيات {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ} (النساء: من الآية٢٤) ، المزوجات من النساء{إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (النساء: من الآية٢٤) ، يقولون: إلا ما يحصل على سبيل السبي من نساء كافرين، أو نساء كافرين يلحقن بالمؤمنين مثلما ذكر في آيات من [سورة الممتحنة] يجوز لهم أن يتزوجوا بهن.

{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} (النساء: من الآية٢٤) ، أي: هذا الذي كتبه الله {وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} (النساء: من الآية٢٤) لاحظ عبارة: {وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} ألم يحصل حتى بعد القائمة هذه عملية ملحقات ، لحق لحق؟ أيضاً حصل بعدها ملاحيق كثيرة {كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} إذا ما يزال هناك تساؤلات معناه: القضية على المسيرة الدينية مثلما قلنا سابقا تكون القضية كلها على المسيرة الدينية في دين الله{وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} (النساء: من الآية٢٤) ولأن في بعض التعبيرات داخل الآية هذه يعتبرونها تشمل المعني بها مثل كلمة: أم، قد تكون لأكثر من درجة مثلا أمهاتكم في ماذا؟{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} أي: تشمل الجدات يقال لهن أمهات، أي تشمل بنصها الجدات، ما يقال بأنه لم يذكر الجدات هنا، بناتكم تشمل بنات الإبن وبنات البنت، تشملها، أعني لغة عند العرب في لغتهم.

{وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} (النساء: من الآية٢٥) هذه آية واحدة كلها من أولها إلى آخرها آية واحدة لأن بعض الطوائف يوقفون هنا عند: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} والسياق هو سياق النكاح؛ لأنه لاحظ فيما بعد عندما قال: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} يعني: الحرائر{فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ} من الإماء تتزوج بأمة{وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ، ألم يأت بكلمة: {وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} مثلما قال سابقا: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} هذا على التأكيد فيما يتعلق بموضوع المهر مثلما قال سابقا: {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} (النساء:٢١) وقبلها يقول: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} (النساء: من الآية٤) أي: تعرف بأنك عندما تعطيها المهر ما كأنها قضية هكذا... قال: افهم أنك تستمتع بها{فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} يعني: مهورهن، والكلام كله في موضوع النكاح والنكاح السائد المعروف عند المسلمين هو هذا النكاح الذي نسميه نكاحا ثابتا، لو أن قضية المتعة قضية ثابتة لكانت مشتهرة في المجتمع في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعده لكانت مشتهرة في المجتمع فيما بين المسلمين ولم تكن فقط في حالة واحدة كما يذكر الإثناعشرية، يقولون: بأنه قد ثبت تشريعها ولم يثبت نسخها! قلنا: إنه أحيانا تكون عملية التشريع تكون مقيدة في وقتها، ولولا أنها مقيدة بظرف معين ووضعية معينة في وقتها، وأنها تشريع ثابت وتشريع مطلق لكانت سائدة في المجتمع، ولما حصلت العبارات على هذا النحو: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} يعني: الحرائر المؤمنات، فلا مانع أنه من فتياتكم المؤمنات، أليس معناه النكاح الثابت؟ الذي يسمى: النكاح الدائم؟

لاحظ كيف جاء العدول كتخفيف لأنه بعد يقول: إن الله يريد أن يخفف عنكم فيما إذا ما استطاع أن يتزوج من الحرائر؛ لأنها قضية هي الأولى لأن الله يقول في القرآن: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) فعندما تتزوج بأمة هي مملوكة لشخص آخر هنا يقوم عليك أحكام معينة بالنسبة لأولادك فلا بأس أن تعدل إلى الأمة، ألم يكن سيذكر العدول إلى الاستمتاع المؤقت؟ الاستمتاع المؤقت الذي يمكن يكون مع حرائر أخرى أليس من الممكن أن يكون مع حرائر استمتاع مؤقت؟ على ما يقولون: المتعة عند الإثناعشرية؟ لم يعدل إلى هذه إلى موضوع استمتاع مؤقت الذي كان يمكن أن يكون حاصلا مع حرائر، لا،{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} ، أن يذكر كلمة أجر معناه المهر أعني: القضية هنا واضحة في النكاح تماما من عند{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} إذاً هم يعتبرون هذه؛ لأن تلك هي نفسها في سياق المحرمات نكاحهن، أليس هنا الموضوع موضوع نكاح هنا قال: {فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ

أَهْلِهِنَّ} ؛ لأن الإنسان إذا معه أمة له لو لم يستطع أن يتزوج بامرأة من الحرائر فيمكن له تسرِّي ـ كما يسمونه ـ يعني: يمكن أن يطأها وإذا جاء له أولاد عليها تعتبر مثلما يقولون: أم ولد لم يعد له أن يبيعها تتحرر بعدما يموت تصبح حرة ((أعتقها ولدها)) كما يقولون، هذه القضية مقدمة على أساس أن ما عندك أمة أنت، ولا عندك استطاعة أن تتزوج من حرائر، من امرأة حرة، فيمكن تتزوج بأمة يعني: الأمة هنا لواحد آخر عندما يقول: {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} هم لا يقولون في المتعة أن تكون بإذن أهلهن مع الحرائر، هم لا يقولون هم أن المتعة تكون بإذن أهلها، فيما بينك وبينها، اتفق أنت وإياها على وقت معين، شهر، شهرين، أسبوع كمّا أمكن وكل شيء بحقه في الشهر حقه أكثر من أسبوع! هنا يقول: {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ}، الإماء نفوسهن وهي أمة {وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} (النساء: من الآية٢٥) **المطلوب من النكاح هو: الإحصان أن يتحصن الرجل وتتحصن المرأة.**

{مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} (النساء: من الآية٢٥) **أخِلّاء، أو على ما يسميها الغربيون: عشيق أو عشيقة على ما قال هنا: {وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} قالوا: كانت هذه حاصلة عند العرب في بعض القبل أو في بعض القرى، كان يحصل، يكون مع المرأة أيضاً عشيق آخر. إذاً فالزواج المطلوب منه أعني: من أهدافه ومن مقاصده: التحصين، التحصين أي: إعفافها عن الآخرين، فهنا تلاحظ أنه كان حركة الإماء في المجتمع تختلف عن حركة الحرائر، فقد يكون الإماء مثلا البعض أقرب إلى أن تكون مثلا معرضة لآخرين، هنا تلاحظ في موضوع الأمة أيضاً، كما تلاحظ بالنسبة للحرة أن تكون محصنة عفيفة، يلاحظ في موضوع الأمة أيضاً أن تكون عفيفة {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} هل المتعة يمكن أن يقال فيها إحصان على هذا النحو؟ أم أنها فتح الشهية لآخرين؟ أعني: أنت تستمتع بها شهراً وقد هي منتظر من بعد الشهر منتظر لزبون جديد وهكذا، وأنت كذلك منتظر لزبونة جديدة!**

هنا يقول: محصنات، محصنين، ألم يقل هكذا: محصنين؟ إحصان يعني: أن تكون أنت تحصنها وهي تتحصن بك ماذا يعني التحصين؟ يعني: إعفافها عن الآخرين: هذا زوجها، لا يحصل هذا في نفسية المرأة وعند الرجل إلا من خلال الزواج الثابت، هل بالإمكان أن تقول: محصنين مع عملية اتفاق أسبوع أو أسبوعين بينك وبينها؟ هل تسمى أنك محصن؟ لا، هي منتظر لواحد ثاني بعد الأسبوعين وعندما ـ كما يقولون ـ: تجلس طهراً واحداً يسمونها: [استبراء] بحيضة واحدة.

ثم الشيء الواضح بأنها لم تكن شائعة في المجتمع، لو أن النكاح قدم بشقيه: النكاح الثابت على هذا النحو، ونكاح آخر، نكاح المتعة ـ كما يقولون ـ لكان سائداً في المجتمع لكان سائداً في مجتمع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وفي المجتمع العربي.**

يقولون: إن المسلمين عملوها في غزوة معينة مع سبي..! قد يكون مثلاً على طريقة أنه قسمهم ؛ لأن ما كلمة: استمتعوا بمعنى: إعطاء ـ مثلما تقول ـ حكم شرعي، الذي يسمونه حكما شرعياً، أي تقديم نكاح جديد، قد يكون وزع المسبيات بينهم. أليس يمكن تقسيم السبي؟ الخلاصة في الموضوع ليس في الآية هذه دليل على ما يسمى: نكاح المتعة عند الاثناعشرية، إنما محاولة تمحل التي يسمونها أو تعسف، أن يستوحوا منها، من قوله: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ} فما استمتعتم؛ لأن المتعة، كلمة متعة كلمة عربية تعني: الاستمتاع بالشيء، حتى الدنيا {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (آل عمران: من الآية١٨٥) ، **كم كلمة متعة! وفي الحج متعة، أليس فيه متعة؟ {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ}** (البقرة: من الآية١٩٦) .

{فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} (النساء: من الآية٢٥) ، **هذا بالنسبة لماذا؟ من فتياتكم المؤمنات، الإماء {فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ}** (النساء: من الآية٢٥)، **أن يبقى بغير زوجة فاضطر إلى أن يتزوج بأمة هي لشخص آخر ما زالت في نفس الوقت أيضا تقوم بأعمال مع مالكها يعني: عند الضرورة، ويجب عند الضرورة أيضاً أن يراعي**

هذه: {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} {وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ}(النساء: من الآية٢٥)، إذاً أين موقع المتعة هنا؟ أليس هنا يوجه إلى حالة تعتبر حالة اضطرارية والصبر عنها أفضل؟ لو كانت المتعة ممكنة فما هناك صبر هنا لم يستطع أن يتزوج بإمرأة زواجا ثابتا ذهب يتمتع بأي امرأة، هنا يوجد{وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ} العدول عن نكاح الحرائر لكونك لا تستطيع طولا، أي: غنى، لست متمكناً، فتعدل إلى هذه، ولكن الصبر عن هذه عن أن تتزوج بأمة {خَيْرٌ لَكُمْ} ألم يكن هنا موقع المتعة لو هناك أساس لها؟ لكان هنا موقعها؛ لأن معناه ما هناك مكان لكلمة: {وَأَنْ تَصْبِرُوا} المتعة يعتبرونها أشبه شيء برخصة.

فعندما يكون مثلا امرأة لا تتمكن أن تتزوج بآخر فيجيزون أن تتمتع وتبقى على أولادها! أليست قضية هذه أعني ما هناك في الموضوع ما يسمى صبراً، هنا قدم في عملية النكاح ما يوحي بأنه نكاح ثابت الذي يحصل فيه إحصان، ثم إذا ما استطاع أن يتزوج بامرأة حرة، ليس المعنى امرأة صاحبة رأس مال أو مقام اجتماعي كبير أو أشياء من هذه، حرة من الحرائر، فليعدل إلى أمة{وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ}، ألم يكن هذا محل أن يقول: فليتمتعوا بأخريات بحقه؟ كان هنا مكانها ولم يكن هنا توجيه، وتوجيه نكاح أيضاً أليس توجيه نكاح ثابت مع الإماء؟ عندما يقول: {وَأَنْ تَصْبِرُوا}، يعني: لا تتزوجون على هذه الطريقة{ خَيْرٌ لَكُمْ} ولو أن تصوموا.

فهم يأخذون جزءاً من الآية: { فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ }(النساء: من الآية٢٤) على اعتبار أنهم يأخذون كلمة متعة وكأنها تعني مصطلحاً شرعياً! هذه مفردة لغوية تراها مع الزوجات تراها مع متاع الدنيا تراها في العمرة تراها في كل شيء يسمى استمتاعاً، وليست عبارة عن مصطلح شرعي لحكم معين، ليست عبارة عن مصطلح.

عبارة عن حالة يذكر الدنيا متاع والعمرة يتمتع بها إلى الحج. يأخذون ذلك المقطع فقط وهي آية واحدة، قال هناك: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ} آية واحدة ليست [العشارة] توقف الآية وقد هذه إجراءات ثانية جديدة وتلك إجراءات سابقة جديدة .

{وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (النساء:٢٦) السنة التي شرعها لمن قبلنا وعلى أحسن طريقة، النكاح هو مما تناول الله تشريعه في كل الأمم الماضية، كما في الأمم الماضية، هل تلحظ يوجد هناك متعة؟ لا نسمع أن هناك متعة، ليست معروفة المتعة هذه، متعة النساء ليست معروفة أعتقد في الديانات السابقة بكلها، في الرسالات بكلها السابقة.

يوجد هنا تذكير للرجل بأن الذي يعطيه كمهر لها يعرف بأنه يتمتع بها يعني: أنه لم يرم بفلوسه من الطاقة على ما يقولون، يعرف إنما فرض على الرجل أن يقدمه مهرا للمرأة هناك سماه في البداية: {نِحْلَةً} والقرآن يراعي مشاعر الكل مشاعر الذكر والأنثى فأن يقدم المهر نحلة لا تعتبر المرأة وكأنه قيمتها، ثم كلمة: [أجر] هي لا تعني: استئجار من حق الاستئجار الذي يعني ماذا؟ مثلما تأتي بشخص يعمل لك عملا تعطيه أجره كلمة أجر تعني: الشيء المقابل، شيء مقابل شيء، أليس الله يذكر أجراً فيما يتعلق بالأعمال الصالحة عليها أجر يسميه؟ ليست كلمة أجر تعني: الاستئجار، ثم هنا تعرف أنت كرجل وإن أعطيت مبلغا قد ذكر هناك: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً}(النساء: من الآية٢٠) ولو مبلغا كبيراً تتذكر أنت بأنك تستمتع بها{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً}(النساء: من الآية٢٤) هي بهذا الشكل يعني: معناها مهر، المهر يثبت عندما يحصل استمتاع وإلا فإذا حصل مهر مسمى ولم يحصل دخول ولا استمتاع فله حكم آخر أليس له حكم آخر؟ { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}(البقرة: من الآية٢٣٧) أي: كاعتبار للمرأة قد سميت لها شيئا ربما تكون أنت قد عزفت عن الزواج بها لأي اعتبار كان فالنصف اتركه لها أشبه شيء بالمتاع الذي ذكر.

{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}(البقرة: من الآية٢٤١) هنا لزوم المهر، لزومه، يقدمه هنا بالشكل الكامل{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} أنه يعتبر فريضة وفريضة لماذا؟ لأنه يحصل دخول بالمرأة يحصل استمتاع بالمرأة يعتبر ثابتاً ليس فيه شك إعطاؤها المهر ولم يتحدث هنا عن نصف ولا شيء{أُجُورَهُنَّ} المهر إذا كان قد سمَّا مهرا ولم

يأت دخول فعندما لا يحصل دخول بالمرأة ولا خلوه بالمرأة معناه ماذا؟ أنه لم يحصل استمتاع { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ } (البقرة: من الآية٢٣٧).

الأصل أنه نفس الآية هذه لا أعتقد أن فيها دلالة على موضوع: المتعة التي يتحدث عنها الإمامية نهائياً، أول شيء أن كلمة استمتاع، وكلمة استمتعتم لا تعني: مصطلحاً تشريعياً، ليست مصطلحاً، هي كلمة عربية تعني: التمتع بالشيء، التمتع به، والإنسان مستمتع بزوجته دائما أليس هكذا؟ أعني: في النكاح الثابت أليس يقال: أن الإنسان مستمتع بزوجته، لغة تصدق على هذا، يسمى استمتاع بها مثلما تستمتع بأموالك تستمتع بأثاث بيتك{لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ} (آل عمران: من الآية١٩٧) كلمة متاع استمتعتم مفردة لغوية معناها هذه: الاستفادة التي تحصل من الشيء، هم قدموها وكأنها مصطلح شرعي جديد تساوي كلمة: نكاح كمصطلح شرعي جديد، لكن لاحظ أنه جاء بكلمة: {فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} بعد قوله: {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (النساء: من الآية٢٥) .

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (النساء:٢٦)، ثم لاحظ فيما يتعلق بموضوع الفطرة أن الله قال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم: من الآية٣٠) يقولون حتى في مجتمع الاثنا عشرية المرأة بشكل عام ما عندها قابلية للمتعة بهذه الطريقة، عندها قابلية أنها تستقر، نكاح، زواج ثابت، تستقر، لهذا المتعة لا تمارس إلا في ماذا؟ نساء معينات أما التوجه الرئيسي لدى المرأة فهو النكاح الثابت؛ لأن المرأة تعرف بأنها شبابها زهرة شبابها تحاول أنها ماذا؟ تمكن نفسها للمستقبل، تحافظ على نفسها، تحافظ على تحصين نفسها، تحاول تتزوج وما زالت في الفترة المقبول الزواج بها لتستقر، زواج تستقر به حياتها على طول، هذا الشيء الذي المرأة مفطورة عليه، هي تريد بيتاً تستقر فيه، هي تعرف أن تبقى في بيت أهلها لا تكون مقبولة دائما في بيت أهلها، لا تدري وتزوج أخوتها بنساء، ولا تدري وحصل أسرة غير الأسرة داخلها، فتكون هي تريد تستقر، وأولاد، وبيت، وزوج تتعامل معه طول حياتها، هذا الشيء الذي هو ملموس يقولون: عند النساء هناك في إيران وفي العراق وفي لبنان وفي المجتمع الاثنا عشري نفسه لا تأتي المتعة إلا حالات أخرى.

والقضية هذه يتعصبون لها بشكل كبير، أصبحت عندهم وكأنها أصل من أوصول الدين، المتعة. لكن لو فرضنا بأن القضية على ما قالوا: أن عمر قال: [متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة النكاح ومتعة الحج] من يثبت لنا أنها كانت على عهد رسول الله؟ أليست ستكون سائدة وهناك أرامل، وهناك مهاجرون، لكانت سائدة على الأقل، لو لم تكن مشتهرة اشتهار النكاح الثابت، لكانت معروفة وليس فقط من لديه هذه لو هي قضية معروفة، أليس الزيدية نفوسهم هم من الشيعة، أليسوا من الشيعة؟ هل نقول: إنهم مشوا بعد عمر، أنهم حرموا المتعة لأجل عمر، إذا فرضنا أن الآخرين فقط من أجل عمر؟ لما كان الاثنا عشرية فقط هم المنفردون بالقول بإباحة المتعة وتشريعها كنكاح، لاحظ [حي على خير العمل] ألم يحذفها عمر؟ هل تركها الزيدية لأن عمر تركها؟ هل الزيدية مركزين على عمر، وعلى أن يسيروا بعد عمر ؟ لا .

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً} (النساء:٢٧) . فهذا هو ميدان لمن يتبعون الشهوات لإمالة الناس عن سنن الله عما سنه الله لعباده سواء من يحاول أن يمنع تعدد الزوجات، أليس هذا يؤدي إلى انتشار ظاهرة الخليلات والعشيقات والعشيقين وأشياء من هذه؟ مثلما هي موجودة لديهم، إضافة إلى أشياء أخرى. {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً} (النساء:٢٨) هو يعلم بالإنسان يعلم بغرائزه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} (النساء:٢٩) ، أليس نفس التعبير: أموالكم، أنفسكم؛ ليترسخ في ذهنية الناس أنهم عبارة عن نفس واحدة، عن أمة واحدة، لا يوجد انفصال، لا يكون كل واحد يعتبر نفسه عالما لوحده، أو المرأة تعتبر نفسها عالما لوحدها، والرجل عالما لوحده.

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} (النساء:٣٠) . أنت تلحظ هنا أنه لا يوجد مكان للشفاعة لأهل الكبائر، أليس هو يذكر هنا قضية أكل الأموال بالباطل ويخاطب من؟ يخاطب المؤمنين أليس هو يخاطب المؤمنين في هذه؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} (النساء: من الآية٢٨ـ ٣١) وليس أن ترتكبوا كبائر ما تنهون عنه {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} (النساء: من الآية٣١) التي تحصل، اللمم، كما قال في آية أخرى: {إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} (النجم: من الآية٣٢) ، {نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً} (النساء: من الآية٣١) وهناك رتبوا: أن يدخلهم مدخلا كريما على ارتكاب الكبائر! عندما يقول لك: [وشفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] ما معنى هذا؟ أليس معناه يشفع لهم، يدخلون الجنة؟ أليس دخول الجنة يعتبر مدخلا كريما؟ رتبوه على ارتكاب {كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} هذا ليس معقولاً، مخالفة صريحة للقرآن، {إِنْ تَجْتَنِبُوا} وليس إن ترتكبوا { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً} .

{وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} (النساء: من الآية٣٢) لأنه يأتي بالنسبة للمال يوجد تفاضل قائم، وقد يكون ما حصل لكثير من الناس باعتبار كسبهم، فيكون كل واحد يتمنى ما لدى الآخر، أو يحاول أن يحصل على ما لدى الآخر{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} (النساء: من الآية٣٢) عندما ترى امرأة تربي لها بقر وغنم ودجاج وأشياء من هذه، وجمعت مالاً، الرجل كذلك يتجر أو يزرع، جمع مالاً وأنت هناك تتمنى ما لدى هذا أو هذا باعتبار ماذا؟ أن ما لديك مثله! سواء من جانب الرجل بالنسبة للمرأة أو من جانب المرأة بالنسبة للرجل، أو داخل الذكر والأنثى، أعني: رجال يتمنون شيئا عند رجال، أو نساء يتمنين شيئا عند نساء.

{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} (النساء: من الآية٣٢) لأنه هكذا في الغالب يكون ما يحصل عند الناس من تفاضل في الأموال معظمه يكون نتيجة كسب، معظمه كسب أعني: عمل لا يأتي الكسلان يتمنى ما عند ذلك الذي يعمل والله قد فتح الباب{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} وكل واحد يعمل.

{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} (النساء: من الآية٣٣) هذه قد يكون فيما يتعلق بالمكاتبين عندما تعتق مملوكاً لك. {وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} (النور: من الآية٣٣) هذا في آية أخرى فيما يتعلق بالمكاتبين، كذلك في موضوع حلف قائم: {عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} حلف قائم وعادة ما تكون الأحلاف يكون هناك علاقة بالجانب المالي أعني: التزامات مالية، يوفي بهذه، يوفي بالإلتزامات المالية؛ لأنه عادة الأحلاف قد تكون متعلقة أيضا بالجوانب المالية.

{فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً} (النساء: من الآية٣٣)، هم كانوا في مرحلة بداية الإسلام وعند العرب قضية معروفة وسائدة قضية الأحلاف والتحالفات، هي كانت قائمة من قبل الإسلام وحتى بعد الإسلام حصل تحالف، التحالف عادة يحصل فيه التزامات مالية ونفسية، أعني: موقف يلاحظ واحد كيف الناس عندما يعملون [قاعدة] أليس من الضروري أن يلحظوا الجانب المالي يقولون: [على أن ريالهم واحد وغرمهم واحد] وعبارات من هذه.

أعني: ليس الموضوع كله فقط موضوع مواريث، مواريث، الموضوع موضوع مال هنا أمامك في [سورة النساء] موضوع مال، ذكر مواريث، وذكر تجارة، وذكر أيضاً أن لا يحصل تمني من بعض لما فضل الله بعضكم على بعض، التزامات مالية أخرى بالنسبة للمكاتبين عندما تعتق مملوكا لك{وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} لا تقوم تعتقه هكذا وتفلته، أعطه شيئا يقوم بحياته حتى يرتب أوضاعه، التزامات مالية أخرى مبنية على عقود وعقود قائمة في أشياء هي حق وأشياء صحيحة يكون هناك وفاء بها. {مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} لأن العبد يكون ضمن الأشياء المملوكات.

{فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً} هذه يعتبرونها منسوخة على أساس ميراث، على أساس موضوع ميراث تجد السياق ليس فقط كله ميراث، جاء حديث عن المال فيما يتعلق بالميراث فيما يتعلق بالمهور، المهور عندما تدفع، فيما يتعلق بالطلاق أن لا تأخذ مالا وقد{آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً} أليست هذه فيها أشياء كثيرة فيما يتعلق بالجانب المالي؟ أي الموضوع هنا هو موضوع المال ليس الكلام كله ميراث، ميراث هل المهر له علاقة بالميراث؟.

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ} (النساء: من الآية٣٤) لاحظ العبارات هنا أليست عبارات حكيمة فعلاً؟{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} لا تتناول القضية هذه باعتبار يترسخ في الذهنية موضوع جنس، جنس أفضل من جنس، ليس بهذا الشكل أعني: لا تأتي العبارة بالشكل الذي يرسخ في الذهنية هذا الشيء: جنس أفضل من جنس أو عالم أفضل من عالم ليست بهذا الشكل. إنه هنا فيما يتعلق بقضايا،{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ} (النساء: من الآية٣٤) ألم يذكر هنا الإلتزامات المالية؟ عندما يقول هناك: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} (النساء: من الآية١١) يكون هناك التزامات مالية بالنسبة للرجل ، قال في آية أخرى: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} (البقرة: من الآية٢٢٨) من حيث التكوين لكن لا يترسخ في الذهنية: أن المرأة ترى نفسها عالما هناك، والرجل عالما هناك، الرجال لهم درجة على النساء لكن ترى أنه منوط بهم مهام ومسئوليات والمرأة منوط بها مهام ومسئوليات، وكلها في إطار المهمة الواحدة والمسئولية الواحدة.

{فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ} خاضعات للأشياء التي هي من جهة الله سبحانه وتعالى قابلات مطيعات خاضعات لله خاشعات ، إذاً فالمرأة التي تحاول تتنكر وكأن الإسلام اهتضمها وأشياء من هذه لا تعتبر قانتة، أول شيء هي فاهمة غلط، فاهمة للموضوع من أساسه غلط، متأثرة بدعاية الآخرين، الأعداء، فيما بين الرجل والمرأة يجب أن تكون هكذا: {حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ} تحفظ زوجها تحفظ عرضه وماله.

{وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} (النساء: من الآية٣٤) نقول: هذه القضية فيما يتعلق بتأديب المرأة ليست جديدة، أليس هناك مشروع أشياء كثيرة تأديبية للرجل نفسه؟ هناك تأديب للرجل في مقامات كثيرة، لا يقال بأنه قضية تختص بالمرأة وكأنه فقط المرأة، أن يضربها. فعندما يأتي بهذا بعد ما ذكر وسيذكر في آيات أخرى كيف يجب أن يكون التعامل{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (النساء: من الآية١٩) ولأن بعض النساء كما يقولون في إحصائيات بعض النساء فعلاً تكون في وضعية قلقة هكذا، وقد تكون ليس لديها مثلا عندما تحاول أن تنشز ليس مبنياً على قرار صحيح لديها، ليس هناك معاشرة سيئة وليس لديها كراهية للزوج حقيقية، إنما قد يكون تأثراً مثلا بكلام شياطين أو أشياء من هذه، فربما قد يكون للضرب ـ ضرب تأديب وليس ضربا شديداً ـ قد يكون له أثر، ثم يأتي في مرحلة أخيرة.

{فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} أطعنكم في الشيء الذي عليهن كحق عليهن في موضوع المعاشرة، أعني: الحقوق التي تترتب عليها باعتبار المعاشرة القائمة بالمعروف فيما بين الزوجين، كان أبرزها هنا فيما يتعلق بجانب نفسها، ليس المعنى أنها إذا لم ترض أن تربي لك بقرة أو تربي لك ثور أو شيء تضربها ، لا.

{فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً} تبحث عن أي طريقة ثغرة لتعتدي عليها{إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} (النساء: من الآية٣٤) فإذا الإنسان يرى نفسه ويبدو أنه قاهر بالنسبة لزوجته فيعرف أن الله هناك أعلى منه وأكبر منه.

{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} (النساء: من الآية٣٥) هنا موضوع الضرب ممكن يقوم به الزوج مثلا، ممكن يقوم به أحد الأولياء {وَاضْرِبُوهُنَّ} لكن عندما تكون القضية لاعتبارات صحيحة لا يكون نشوزها لأنها كاره له فعلا وفيه ما يجعلها تكرهه، أو لأنه يظلمها أو لأي اعتبارات قد تكون صحيحة إنما فقط يغصبها واحد غصبا، يلاحظ واحد نفسه الرجل هو أليس الواحد قد يطلق المرأة إذا قد كرهها قد يطلقها{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ

أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً} (النساء:٣٥) حث على الإصلاح عندما يحصل شقاق بين الزوجين {حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا}.
{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (النساء: من الآية٣٦) الجار ذي القربى يقولون: الجار الذي بينك وبينه قرابة، أو ليس بينك وبينه قرابة لكن جار قريب باعتبار سكنكم باعتبار مقامكم، والصاحب، أعني: هذه حقوق، حقوق تراعى بين الناس عندما يكونون مصطحبين في سفر، الجيران في المقدمة، الجيران من قرابة واحدة أو جيران حتى لو لم يكونوا من قرابة، أو أصحاب في سفر وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم تشمل الموالي الإماء وتشمل كثيرا مما يملك الإنسان من الحيوانات.
{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} (النساء: من الآية٣٦)، قد يكون الخيلاء والافتخار مما يدفع بالإنسان إلى أنه لا يراعي حقوق جار ولا حقوق مسافر ولا ابن سبيل {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} (النساء:٣٧)، ما ينافي للحقوق هذه حقوق أيضاً مالية سيظهر حقوق مالية وبذل معروف، وبذل المعروف قد يتناول أيضا بذل مال، فالبخل قد يجعل الإنسان بعيدا عن مراعاة حقوق الجار سواء من قرابة أو قريب باعتبار السكن، ومراعاة المعروف مع الصاحب في السفر ومع ما ملكت أيمانكم، أي: البخل نفسه هو من الكبائر التي تجر إلى كبائر أو تجعل الإنسان بعيدا عن الإلتزام بتوجيهات هامة جدا.
{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} لاحظ كيف للمال أدوار هامة جدا ويترتب عليه حقوق كثيرة وقضايا كثيرة ترتبط به {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ} هذه فئات كثيرة وظاهرة في المجتمع والشيء الطبيعي أنه فيما يتعلق بالإحسان وبذل المعروف يرجع للجانب المالي فالبخل قد يجعلك بعيدا عن أن تعمل بالتوجيهات هذه التي تتناول فئات متعددة.
{وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} حتى لا أحد ينقد عليه {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً}.
{وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} (النساء: من الآية٣٨) يدور الموضوع كله بشكل عام حول موضوع مال، أخذ مساحة كبيرة في السورة هذه {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} (النساء: من الآية٣٨)، فالبخل يعتبر جريمة، وكذلك الرياء، الإنفاق رياء {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً} (النساء: من الآية٣٨) نعوذ بالله، لأن الشيطان قد يدفعك فيما يتعلق بالمال أن تبخل في المقام الصحيح، وأن ترائي في مقام آخر تنفق رياءً أو تبخل {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} (النساء: من الآية٣٩) في الأخير عندما يقول للناس أن ينفقوا يقول: مما رزقهم هو {وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} (النساء: من الآية٤٠) لا تعتقد بأنه ظلمك، أمرك أن تعطي من مالك لليتامى والمساكين والجار ذي القربى، وأن تعطي المرأة ميراثها أن تعطيها مهرها، فتعتبر أنه قد ظلمك، إنه كله له {مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} لا يعتبر ظلماً، هذا قسط هذا عدل وله آثاره الهامة باعتبار الناس، حياة الناس وكل واحد يحتاج لا يستطيع أحد يضمن نفسيته أنه على وضعية قد لا يكون في يوم من الأيام كأي فئة من هذه الفئات الأخرى، ممكن تكون ابن سبيل ممكن تكون جارا لآخرين لا يكن عند واحد أنه ستبقى وضعيته على ما هي عليه، لو يحصل أوضاع وأصبح الناس يخافون، واحتاج واحد ينتقل إلى مكان آخر ألم يصبح جارا عند آخرين؟ أصبح بحاجة إلى حقوق قائمة، قد يسافر ويصبح ابن سبيل قد يصحب أحدا وهكذا.
{إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً} (النساء:٤٠ -٤١) . لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لمعرفته بدين الله وعظمته وحكمة هذا التشريع وشمول هدايته، يعتبر شاهداً؛ لأنه وهو نفسه يقدم الأشياء هذه للناس يقدمها بأهمية ويعرف أهميتها، أعني: يلمسون من خلال تعامله مع القضايا هذه وتقديمها أنها أشياء ذات أهمية لديه

هم يعرفونه شخصيا أنه إنسان حكيم وإنسان رزين وإنسان ذكي وفاهم وإنسان متكامل أن يظهر شيء ذو أهمية عند إنسان هو على هذا النحو، هو يشهد فعلا بأهمية ذلك الشيء، فهو شاهد في الحياة وشاهد في الآخرة أنه قد بـلّغ، وبلّغ على أكمل وجه، وأعطى لكل القضايا أهميتها هو لا يبلغ الأشياء ببرودة؛ لأنه أحيانا قد تميت موضوعا هامّا بأسلوبك، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يختاره الله ليكون نبيا ليست متوقفة على أنه فقط سيصدق، بمعنى ماذا؟ بمعنى أنه لا يكذب على الله، لا، القضية أوسع من هذا بكثير، هناك صادقين كثير غيره، أليس هناك صادقون؟ وأوصى الناس أن يكونوا صادقين، وأوجب على الناس أن يكونوا صادقين؟ لكن، لا. القضية أوسع من هذا هو يعرف دين الله ويعرف كيف يقدمه ويعرف أهميته يعرف كيف يتعامل مع الناس في تقديم هذا الدين يعرف عظمته بشكل قد لا يصل إليها ذهن أي واحد منا في معرفة عظمة دين الله.

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ} (النساء: من الآية٤١ ـ٤٢) ، **أنه لو أمكن أن يفتدي بالأرض أو أن يكونوا هم والأرض سواء أن يبقى ترابا يبقى كشيء من الأرض في قراءة: {لو تَسَّوى} .**

{لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً} (النساء: من الآية٤٢) **بمعنى أنه عندما لا يكون هناك استجابة لله واستجابة لرسوله والذي قدم دينه على أكمل وجه وأبلغ بيان وأوضح صورة، أنه لم يعد وراءه إلا ماذا؟ خسارة وندم وحسرة كبيرة، يتمنى العاصي للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه لو يملك الأرض كلها أن الأرض له ويمكن أن تقبل ليفتدي بها من عذاب جهنم، أو يتمنى أنه لم يبعث على الإطلاق وأنه بقي من ضمن الأرض.**

إلى هنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة النساء

من الآية (٤٢) إلى الآية (١١٦)

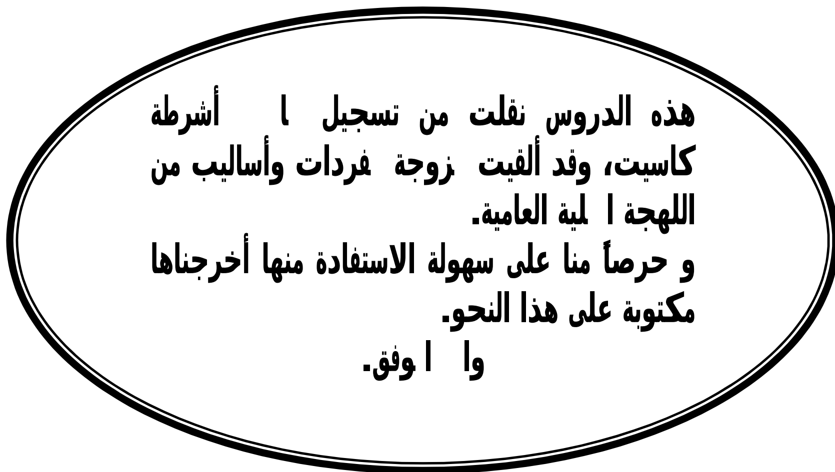
[الدرس الثامن عشر]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٢/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألفيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

في هذه الآيات كلام كثير حول اليهود، وحول أهل الكتاب بشكل عام، وحول المنافقين أيضاً. وبشكل عام كل هذه الآيات من أول ما سمعناه من [سورة البقرة] وإلى الآن تجد فيها التوجيه إلى أن يكون الإنسان مركزاً على أن يتفهم، أن يتفهم ما يقدم إليه . ووجدنا الصلاة أيضاً في مقامات كثيرة يأتي ذكرها سواء بشكل المحافظة عليها وإقامتها، وهنا يأتي ذكر الصلاة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} (النساء: من الآية٤٣)؛ لأن الصلاة عبادة مقصود فيها ومن غاياتها أن يبقى الإنسان متذكراً فيكون في الصلاة يعلم ما يقول عندما يكبر ، عندما يقرأ القرآن، عندما يسبح، إذا أدى الإنسان الصلاة وهو لا يعلم ما يقول لن يكون لها أثر في نفسه ، أو يصلي بعد إمام للصلاة ولا يدري ما هي السورة التي قرأها الإمام .

الصلاة ذكر الله غايتها والشيء المهم فيها في قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} (طه: من الآية١٤) لذكري، لذكر الله ولتتذكر الله لتكون ذاكراً في نفسك ومشاعرك، ذاكراً لله سبحانه وتعالى، وذكر الله هو الأساس بشكل عام لتقبل هداه وتفهم هداه والإلتزام بهداه . هو هنا ينبه المؤمنين على أن يكون الإنسان حريصاً وهو يصلي أن يعلم ما يقول ويتفهم ما يقول؛ ليحصل مما يقوله ـ وكلما يقوله بالطبع هو من ذكر الله سواء من القرآن أو التكبير أو التسبيح كله ـ ذكر لله يتذكر الله.

والصلاة لها دور كبير؛ ولهذا تجدها تذكر في مقامات متعددة يذكر طائفة من التشريعات ثم يذكر الصلاة؛ لأن المحافظة على الصلاة والغاية التي تتركها الصلاة في نفس الإنسان وهو ذكر الله قضية أساسية للحفاظ على بقية الأشياء . اختلفوا في موضوع: سكارى، هل سكارى من السكر، أو سكارى بمعنى: نائمين أو منعسين ، المهم كيف ما كانت أن خلاصة الموضوع هو: أن يكون الإنسان عندما يدخل في الصلاة مركزاً على أن يعلم ما يقول، هذا هو المهم.

الصلاة عبادة لها أثر كبير في تطهير نفسية الإنسان؛ فيجب أن يكون الإنسان عندما يؤديها على طهارة، طهارة من الجنابة وطهارة من غيرها بالنسبة لفرجه وبدنه ولهذا قال بعد: {وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} (النساء: من الآية٤٣) قضاء الحاجة الذي نسميه، {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} (النساء: من الآية٤٣) وهذا من تخفيف الله لعباده، تخفيف الله على الناس إذا لم يجد ماء فليتيمم، وعندما يقول: يتيمم لم يقل يتيمم بشيء هو نادر، {صَعِيداً طَيِّباً} التراب، والتراب هو أكثر موجود في الأرض التراب {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً} (النساء: من الآية٤٣) .

إذاً هنا فيما يتعلق بالصلاة مع الحديث عن أشياء هي مقدمات للصلاة، الطهارة سواء بالماء أو بالتراب، يركز أولاً على تذكير الناس كيف يجب أن يكونوا في الصلاة عندما يقول: {حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} (النساء: من الآية٤٣) نلاحظ هكذا فقه القرآن، فقه القرآن فقه شامل يقدم القضية من شتى جوانبها لا يكون همه فقط هو: أن يذكر الأحكام فيها ويذكر السنن والمندوبات والهيئات وأشياء من هذه! يذكر المهم الرئيسي فيها: {حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} (النساء: من الآية٤٣) سواء عندما تكون أنت من تقرأ عندما تكون تصلي فرادى أو تصلي في الصلاة السرية أو كأن تكون في صلاة جماعة ويكون إمام هو الذي يقرأ، الإنسان يستمع ليعلم ما يقول، ما يقول هو أو ما يقول إمام الصلاة. عندما يقول: {حَتَّى تَعْلَمُوا}؛ لأنه أحياناً الإنسان يسمع ولا يعلم، أحياناً يقرأ ولا يعلم، لا يدري أحياناً إلا وهو في {وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة: من الآية٧) ، وأحياناً يسمع الإمام ولا يدري ما هي السورة التي قرأها.

{تَعْلَمُوا} تعلموا، معنى تعلموا: تركز بذهنك وتوجه بذهنك، تعلم ما تقول أنت، أو ما يقول إمام الصلاة؛ لأن كل أذكار الصلاة هامة الصلاة عندما تقرأ فيها القرآن يجب عندما تقرأ القرآن أن تكون تعلم ما تقول عندما تسبح عندما تكبر كلها أذكار عظيمة أذكار هامة لها فوائد عظيمة جداً .

تجد الصلاة مع أنها في نفس الوقت عبادة يعبر فيها الإنسان عن خضوعه لله وهو يركع وهو يسجد، عن خضوعه لله، هذا شيء رئيسي فيها، من أجمل ما في الصلاة عندما تركع، وعندما تسجد، السجود هو علامة من أبرز علامات الخضوع، الخضوع الذي يؤدي إلى خضوع عملي الخضوع الذي هو التسليم الداخلي والخضوع العملي عندما تسجد؛ ولهذا كان أنسب ما يسجد الإنسان عليه أن يسجد على الأرض مباشرة أو أن يسجد على شيء له علاقة بالأرض وهذا فقهياً هو الذي يعتبره الكل ما بين واجب وبعضهم يعتبره هو أفضل .

لها إيحاءات كثيرة جداً، الصلاة، ومهمة جداً أعني: في الوقت الذي هي تعبير عن خضوعك لله هي قد تعطي صورة عن حالة الإنسان بشكل عام، في الحياة تأتي أحداث يكون فيها قائم، تأتي أحداث تركّعه، تأتي أحداث أحياناً تخضعه، وفي كل حالاته. بل تجد الصلاة حركاتها تقريباً من كل الحركات فيها ما هو قيام وركوع وسجود وجلسة معينة التي يتم بها الإعتدال فتكون مما تتذكر بأنه في كل حالاتك في كل ما يمر بك يجب أن تتذكر بأنك يجب أن تكون مرتبطاً بالله، وأنت في حالة الركوع تسبح للعظيم، لم يكن الله هو الذي يركعك للآخرين، فسبحان الله أن يكون هو الذي يركّعني للآخرين، ولكن أنا الذي قد أركّع نفسي، فأنزهه وأعتبر أنه هو العظيم الذي يجب أن أتوجه إليه ليرفعني من هذه الحالة .

لاحظ نبي الله يونس عندما ابتلعه الحوت وهو في بطن الحوت، أليست هذه كانت حالة صعبة جداً؟ أول ما انطلق أن ينـزه الله أن يكون هو الذي أوقعه في هذه هكذا، إنما من جهته هو. أنت عندما تعمل أعمالا قد يكون نتيجتها أن تعاقب بما يركعك بما يخضعك ويوقعك في مشكلة، في حالة السجود الإنسان يسبح الله: [سبحان الله الأعلى]، أليس الإنسان يسبح الأعلى؟ تتذكر أن هناك أعلى، مهما كانت وضعيتك، وأينما وصلت، وأينما أوصلك الزمن ـ إذا صحت العبارة ـ أو أوصل الناس تقصيرهم وتفريطهم، يجب أن يسبحوا الله وأنه الأعلى الذي يريد أن يكون أولياؤه أعلون يريد لأوليائه أن يكونوا أعلون، كما قال: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} (محمد: من الآية٣٥) تسبح الله وترجع إلى الأعلى تنـزهه وتتذكر بأنه هو الأعلى الذي يجب أن تخضع له فلا تخضع لآخرين تسجد له ولا تسجد لآخرين .

هي هامة جداً وأذكارها هامة جداً وإيحاءاتها كثيرة جداً، ولاحظ أهمية التسبيح فيها فتجد التسبيح والتكبير بشكل واسع داخلها، إضافة إلى ما يقرأ فيها من القرآن في الركعتين الأولتين، في الركعتين الآخرتين فعلاً الأفضل هو التسبيح؛ ليكون الإنسان قد سبح الله في قيامه وركوعه وسجوده.

إذا كنا نحاول أن نعلم ما نقول عندما نصلي ونعلم ما نفعل ونحن نصلي، عندما أركع عندما أسجد عندما أعتدل عندما أقوم فسيكون للصلاة أثر كبير في نفس الإنسان، الصلاة توحي للإنسان بأنه ما يزال هناك أمل أمامه مهما أوقعته الظروف في أي وضعية كانت، أليس الناس أحياناً يقولون: [ركعه الزمن أو أخضعه كذا] هناك أمل في العظيم الكبير الأعلى وسيرفع الإنسان من أي وضعية يصل إليها عندما يرجع إليه ، ومقدمة الرجوع إليه أن تسبحه أولاً، أن تنـزهه عن أن يكون هو هكذا في تدبيره ـ مثلما تقول ـ اعتباطاً، الذي أوصلك إلى هذه الحالة أو أوصل الناس إلى هذه الحالة، تسبحه، أنت الذي أوصلت نفسك وهو هنا يعطيك أملا أن ترجع إليه وسيرفعك.

ألم تكن أول كلمة، أو من أول الكلمات التي قالها نبي الله يونس وهو في بطن الحوت: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي} أنا وليس أنت{كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الانبياء: من الآية٨٧) ؟ فالتسبيح في حد ذاته داخل الصلاة إذا كان الإنسان يعلم ما يقول فهو فعلاً يعطي صورة حقيقية بالنسبة لهذه الحياة ويعطي نظرة حقيقية إلى واقع هذه الحياة.

أنت لا تعتبر أنما يكون الناس فيه، وضعية سيئة هم فيها أنه الله، الله هو الذي جعل هذا، وهذه هي سنة من سننه طبع الحياة عليها هكذا! هذا غير صحيح، أليس هنا ينـزه؟ ولاحظ أنبياء الله ألم ينـزه يونس اللهَ من البداية؟ أي ليس هذا عبارة عن سنة من سننك سواء تحت عنوان: ابتلاءات مثلما يقولون: [إذا أحب الله المؤمن صب عليه البلاء صباً]! أبداً لها أسباب ولهذا جاء بعد: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} (النساء: من الآية٧٩) **بل آية قاطعة قبلها: {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} باعتبار أسباب من عندكم {فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً}** (النساء: من الآية٧٨).

ثم يوجه الخطاب إلى النبي نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) **بأن ما أصابك من سيئة فمن نفسك، أي: البداية من عندك، الخطأ من عندك، الغلطة بدأت من عندك، السبب الرئيسي من عندك، يأتي هذا عقوبة، أو يأتي بأي شكل كان، لكن منشأ القضية وأساسها وأسبابها من عندك، فعندما تفهم العكس، تفهم بأنه هكذا: الله هو الذي جعل هذه الحالة، تركيع المؤمنين تركيع المسلمين إخضاعهم لأعدائهم إضعافهم تجهيلهم، هو هو الذي جعل هذه كسنة مثلما يقدمها البعض كدليل على أنك على الحق عندما تكون راكعاً على هذا النحو: أنت مستضعف ومقهور وذليل وغريب في هذه الحياة، إذاً نقول: هذا هو علامة أنك على الحق!. في المقدمة أن تسبح الله ثم ترجع أنت إلى نفسك فتقيِّم واقعك فتستغفر الله وتعرف أن الله هو يريد لعباده أن يكونوا هم الأعلون.**

هذه الآية فيما يتعلق بمقدمات الصلاة، فيما يتعلق بالطهارة تعطي أساساً في التشريع أنه قائم على التخفيف، لم يجد ماءً فليتيمم بالتراب صعيداً طيباً، مع أن الصلاة عظيمة، أليست عظيمة؟ هل قال: إذا لم يجد ماءً فليبحث عن ماء ورد أو عن أي ماء يكون؛ لأن التراب لا يليق أو أشياء من هذه؟ لا، {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} (النساء: من الآية٤٣) **التراب، عندما يوجه إلى أن يتيمم الإنسان عندما لا يجد ماءً معنى هذا أن له أثراً تطهيرياً، له أثر في التطهير.**

ثم تجد الأشياء في موضوع إقامة عباداته إقامة دينه تجد أن مقدماتها هو يجعلها عادة مما هي متوفرة أو سهلة التناول، تجد الصلاة تقيس عليها حتى الجهاد نفسه، مقدمات الصلاة أن يكون هناك طهارة، الطهارة أليست من شيئين من أكثر الأشياء توفراً: الماء، والتراب؟ أليس الماء من أكثر الأشياء توفراً في الأرض والتراب من أكثر الأشياء توفراً في الأرض؟ فمع أهمية الصلاة، وأهمية أن تقيم الصلاة وأن تحافظ على الصلاة وأن تؤديها على هذا النحو: تعلم ما تقول، تأتي مقدمات لها والدخول في أدائها، في إقامتها، في أداء هذه العبادة الهامة، تراها مقدمات سهلة التناول ماء أو تراباً. ما هو الشيء الذي ربطه الله بحالات نادرة جداً تبحث عنها مثلاً زئبق أحمر أو أشياء نادرة جداً أو [بيضة ديك] هل هناك شيء من هذه في دين الله؟ تجدها كلها يقدمها عبارة عن عبادات هامة، ويجعل وسائلها مما بالإمكان أن يتناوله الناس.

تلاحظ في موضوع الجهاد، موضوع إقامة الدين ألم يقل هناك: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} (الحديد: من الآية٢٥) **؟ ترى الحديد من أكثر الأشياء توفراً في الأرض بالقياس إلى المعادن الأخرى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ}** (الحديد: من الآية٢٥) **. فعندما يقول: {كُونُوا أَنْصَاراً لِلَّهِ}** (الصف: من الآية١٤) **ثم يكون المطلوب في أن تحقق نصراً لله هو أن تبحث عن زئبق أحمر، أو تبحث عن أشياء نادرة جداً جداً، قال هنا: الحديد، والحديد ملان الأرض، وهكذا تقيس عليه الأشياء الأخرى.**

هذه نفسها تنسف المفاهيم المغلوطة حول المقدمات لأداء الأوامر الإلهية، العبادات بكلها، لاحظ في الجهاد أليسوا يقدمون لك قائمة من النادرات [ما معنا .. ولا جهدنا .. ولا .. ولا ..] إلى آخره ؟ أشياء كثيرة ، لكن الله يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (الأنفال: من الآية٦٠) **ما استطعتم من قوة: ما كان في متناولك، أنت معك لسان عندك قدرة تتكلم تكلم، والكلام، الإعلام، المنطق يعتبر وسيلة هامة جداً من وسائل القوة ، أنت عندك إمكانية أن تقاطع امتنع، لا تشتري. هل هي قضية صعبة أنك لا تشتري بضاعة أمريكية أو إسرائيلية؟ الحديد متوفر**

وفي الغالب تكون المعارك تراها ليست متوقفة على نوع واحد بل أرقى ما وصل إليه الإنسان لحد الآن هي: الأسلحة الذرية، جُمّدت ما هي جمدت هناك؟ حصل تسابق إلى أن أدى في الأخير إلى تجميدها مكانها .

ترى المعارك تكون المعركة فيها الطائرة والدبابة وفيها المدفع وفيها البندق وفيها الخنجر أيضاً، أليس الجندي يحتاج الخنجر؟ فقل له: إذاً فأمامك الحديد، بحسب قدراتك وطور قدراتك أن تحصل على ما حصلت منه وهو كثير أعني: لاحظ هنا المقارنة بين نصر الله في إقامة دينه أن يجعل الوسيلة من الأشياء المتوفرة بشكل كبير في الأرض {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} كما هنا في الصلاة يجعل مقدمة من مقدمات إقامتها شيء متوفر في الأرض وهو الماء والتراب؛ لتكون عندك نظرة عامة، هكذا: بأن الله سبحانه وتعالى الذي يقول: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: من الآية٧٨) أن هذه سنة من سننه يجعل أشياء متوفرة، إنما قد يكون الإنسان هو هو الذي يجهل نفسه هو الذي يعلق الأمور بالمستحيلات يعمل له قائمة من المستحيلات ويعلق الأمور بها ، وإلا فالأشياء متوفرة وفيها مجال لأن تطور خبراتك فيها، وتحصل على أسلحة متطورة من خلالها كما عمل الآخرون .

ثم لاحظ بساطة التشريع بساطته؛ ليلمس الإنسان الفارق بين تخريجات الفقهاء وتفريعاتهم وعباراتهم وبين أسلوب القرآن الكريم ولا يمكن أن تعتبر بحال بأن ذلك الأسلوب هو ضروري، تفصيلي، تفصيلي، بل تراهم عندما انشغلوا به أضاعوا الأشياء الهامة، كم ذكر في هذه الآية! آية واحدة ذكر فيها كيف تكون الصلاة وذكر الطهارة من الجنابة وذكر وأنت في حالة سفر وذكر وسائل الطهارة ماءً أو ترابا وبعبارة: {فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} (النساء٤٣)أليست سريعة هذه؟ وانتهى الموضوع. لم يحتج إلى أن يقول: باب التيمم، بابٌ ، وبابٌ تراه هناك، وأبواب أبواب كل واحد منها يخرج الناس مخرج ! هذه الأبواب الحقيقية، هي هذه، هي أبواب يدخل الناس فيها وتغلقت لا يستطيع العدو إذا جاء يركلها، يبقون عاجزين حولها.

هو يترك المجال في حالات كثيرة كهذه للوضع الطبيعي للإنسان والفهم الطبيعي له {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} (المائدة: من الآية٦) كل واحد يعرف وجهه، لا نحتاج نضع له حدوداً من شرق ومن غرب ومن جنوب وشمال، كل واحد عارف لوجهه وكل واحد عارف ليديه وكل واحد عارف للمسح ما هو، أليست قضية قريبة؟ تحاول تعطي رؤية منهجية أيضاً تعطي رؤية منهجية للناس للمعلمين للمرشدين يكونون هكذا هذا هو الأسلوب الصحيح وهو الأسلوب الذي بإمكانك على أساسه أن تقدم للناس الأشياء الكثيرة وهذا هو أسلوب القرآن يتحدث عن الجهاد والصلاة والصيام والزكاة والإنفاق والنكاح والطلاق كله في سورة واحدة وبسهولة يستوعبه الناس ويعرفه الناس.

عندما يقول لك: [أولاً اقرأ] تعال وأنت تقرأ باب بعد باب، فصل بعد فصل وترجيحات وأقوال وتفريعات وأشياء، كتاب تجلس فيه أربع سنين وما زال ما قد طابت نفسك، ما زال هناك بحور، باقي بحور وليس فقط هذا أو أشياء من هذه! هنا أنت تجد فعلاً بأنه عندما لم تؤخذ منهجية تعليم الناس من خلال القرآن الكريم أنه فعلاً حصل ضياع للأمة وضياع للأعمار وضياع للأجيال ضياع للناس، وهذا منشؤها: أنه ينسى الإنسان أن الله أعلم منه، هذه واحدة من المصائب فعلاً .

يجب أن تعرف أولاً: بأن الله سيحاسبنا على كتابه، إذاً سنعمل بكتابه سواء كان قليلا أو كثيراً، سواء زائداً أو ناقصاً، لكن لا، هم يقولون: لا بد نزيد تفصيلات و...ولا تدري ومعك هناك عمل أربع سنين في كتاب واحد، أربع سنين تقضيها. أعني: أن هذا الأسلوب نعرف منه كيف تكون منهجيتنا التعليمية عندما ننطلق نعلم، ولاحظ كيف قدم بطريقة يمكنك أن تخاطب الناس بها، ما هو لازم أن يكون مع كل واحد كتاب حتى يكون طالبا والطالب هو فقط من لديه حقيبة مليئة بالكتب، هو طالب علم عندما يكون جالساً هنا يستمع إليك إذا أنت تقدم العلم بمنهجية صحيحة ستفيد الناس سيعرفون أشياء كثيرة بسرعة. تجد كيف ظهرت عبارات: [اتركوا الناس أولاً يقروا.. اتركونا أولاً نقرأ..!] ، عندما نتحدث عن موضوع الجهاد مثلاً، عن موضوع مواجهة أعداء الله، [أولاً يبدع الناس يقروا..!].

إذاً عندما تقول لي: أولاً يقروا..! ضع لنا فترة محدودة، لكن سيتركه إلى أن يكمل هذا الكتاب وقال له: بقي.. وبقي.. وبقي.. في فن واحد، مثلاً: في الفقه بقي.. وبقي.. وبقي.. وشيَّب وما قد عمل شيئاً لا قد صحت الأشياء عنده ولا قدم للأمة شيئاً !! هنا في القرآن يقدمها كلها ، أليس هو يقدمها كلها؟ وبشكل واسع جداً يقدم ما يعتبر له علاقة بالجانب الأخلاقي بالنسبة للإنسان، ويقدم له أيضاً ما يعتبر تقييما لأعدائه كيف هم، تقييما للمجتمعات كيف هي، ويقدم له الأمم الماضية، ويعطي صورة عن المستقبل، ويقدم له الحياة هذه، ويقدم له الآخرة، ويقدم له كل شيء في سياق واحد، كلها تراها في كتاب واحد قد يكفي الإنسان وهو يتفهمه، عندما يستعرضه يتلوه كم سيجلس واحد يتلوه؟ شهراً تقريباً وهو يتلوه تلاوة عادية أليس سيتلوه في شهر؟ كم سيفهم منه؟ أشياء كثيرة !.

ما جاء في القرآن الكريم:[أولاً نقرأ] ما ظهرت [أولاً نقرأ..أولاً نقرأ] إلا عندما أصبحت الأشياء مطولة وأشياء مرهقة أشياء فعلاً تضيع عمرك، تضيع عمرك بكل ما تعنيه الكلمة وفي الأخير تضيع الأمة [أولاً .. وأولاً.. وأولاً..] حتى القرآن يقولون:[أولاً .. وأولاً.. أولاً تقرأ أصول فقه وتقرأ كذا، كذا..] وفي الأخير تبدي على القرآن الله أعلم متى سيكون!.

لاحظ الذين يسلكون الطريقة هذه لم يبدوا على القرآن إلا وقد أصبحوا أشخاصاً آخرين لم يعودوا على فطرتهم قد أصبح ينظر للقرآن من فوق وينظر إليه نظرة يحاول يحول القرآن على رؤيته التي قد هي حاصلة عنده من الأشياء التي قد قضى فيها سنين، عندما تقول له: أن هذا غلط، عنده أنه قد ضيع عمره فيها وقد هي غلط !؟ ضروري يشغلها قد قرأ كم سنين لم يعد مستعداً أن يضيعها قد أصبح مصمماً على أن يشتغل بها؛ لأن عنده أنه سيعتبر نفسه أنه قد تبخر علمه، قد هو فاضي، عندما تقول له: يكفي من هذه، أو لا نعتمد على هذه ونعتمد على القرآن .

لاحظ قال: {وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} (النساء: من الآية٤٣) **أليس الغسل معروفا؟ عندما يغتسل الإنسان يغتسل، معروف يغتسل، إذاً انتهى باب الفقه، ألم ينته؟.**

يتحدث عن اليهود: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ} (النساء: من الآية٤٤) **الذين يقولون الآن: [لا، ما هو وقت هؤلاء، ليس وقت الآن، أولاً.. أولاً..] هو هذا القرآن تكلم عن هذا الموضوع وانتقل إلى هذا الموضوع وأمامك في دقيقة واحدة أو أقل، صلاة وغسل ووضوء أو تيمم وبعدها: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ}؛ لأن الناس بحاجة إلى هذه كلها يعرف الصلاة ويعرف الطهارة ويعرف اليهود والنصارى ويعرف كل شيء وهذه أفضل طريقة للناس أن يعرفوا، وهو أسلوب القرآن الكريم، والقرآن بالذات أن يخاطب به الناس هم .**

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ} يعني: قد أوتوا نصيباً من الكتاب ومع هذا تجدهم {يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ} يبيع الكتاب ويشتري به ضلالة، يستبدل ضلالة، إن هذه في حد ذاتها من مثارات الغرابة والعجب منهم؛ لأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب وكان المفروض أن هذا الكتاب يترك أثره الطيب فيهم لكن لا. تجدهم نفسيات أخرى وتعامل مع الكتاب تعاملا آخر حتى أصبحوا يشترون به ضلالا ومن يشتري ضلالاً لن يصدر منه إلا ضلال.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) **من هم هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب؟ أليسوا هم اليهود والنصارى؟ هذه ترد على من يقولون: هم أهل ديانات سماوية! يقول لك: هم أهل كتاب لكن لاحظ كيف طريقتهم، هم أهل كتاب لكن هكذا تعاملهم مع الكتاب اشتروا به ثمناً قليلاً استبدلوا به ضلالا، ثم تحركوا ليصدروا ضلالا {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}** (النساء: من الآية٤٤) **يعني: أن تنظر إليهم؛ بأنهم وإن كانوا أهل كتاب أن لديهم ضلالا ولن يعطوا الناس إلا ضلالا ويريدون أن يضل الناس في كل سبيل {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا**

السَّبِيلَ} سبيل الحق في مجال هدى الله، في المجال الثقافي، في سبيل عزتكم، سبيل نموكم الإقتصادي، سبيل تطوركم، سبيل وحدة كلمتكم، كل السبل الصحيحة. يريدون أن نضل كذا، نضل وننصرف إلى ما هو ضلال إلى ما هو ضياع .

فيجب أن نفهم هذه كقاعدة: أنهم يريدون، والإنسان الذي يريد شيئاً عندما يتمكن من تنفيذه ينفذه، ما هذا شيء حاصل؟ عندما تراهم متمكنين إعلامياً مادياً متمكنين سياسياً نافذين فافهم بأن كل ما سيعملونه هو: أن يعملوا ما يريدونه وهو ماذا؟ أن تضلوا السبيل، كلمة ضلال مثلما قلنا: يجب أن نفهمها على معناها اللغوي على معناها العربي نترك المصطلحات الأخرى، الضلال معناه: الضياع ، انظر إلى ما يريد الله أن يكون الناس عليه وإلى ما يريد لهم من خلال القرآن الكريم تجد أنه يريد لهم أن يكونوا هم الأعلون وهم الأعزاء، هم الأقوياء هم..يعني: في كل مجال ، الهدى له علاقة بكل المجالات التي هي خير للإنسان ، فالضلال معناه: ضياع هذه كلها، الضياع في كل مجال من مجالات الخير للناس عندما يقدم مشاريع معينة يجب أن تنظر إليها على هذا النحو: أنه يريد أن تضل السبيل الصحيح في النظرة إليها وفي التعامل معها عندما يقدم لك مشروعا على أساس تقول:[هذا فاعل خير وناس طيبين وهم والله أحسن مننا وهم كذا ، كذا..] إلى آخره، هنا ضليت السبيل سبيل ماذا؟ سبيل أن تنظر إليه هذه النظرة الحقيقية النظرة التي هو عليها لتعرف واقعه ولتعرف كيف تتعامل معه على أساس واقعه .

فيمكن أن يضلك سواء بكلمة جميلة أو بشيء يقدمه بخدمات يقدمها وهو يعلم ويحسب حسابات ؛ لأنهم بخلاء يجب أن نعرف أنهم بخلاء والبخيل لا يقدم شيئا إلا وقد حسب ألف حساب لعائداته عليه، لا تتصور أنهم أمة عندهم روح الكرم مثل العرب، العرب معروفون بالكرم بالسخاء كقضية ثابتة لديهم أو عند معظمهم ، أما اليهود فهم بخلاء، هم بخلاء فعلاً والبخيل لا يقدم شيئاً إلا وقد حسب ألف حساب لا يكون عطاؤه على أساس أنه كريم وسخي، وكيفما كان سواء استفاد أو لم يستفد؛ لأنه هنا يعتقد أنه ذكي.

نحن قلنا في الآية السابقة: أن واجب المؤمنين أن يشعروهم هم أنهم أذكياء، أننا أذكياء، وأننا نعرف واقعهم ؛ لأنه يعتبر نفسه ذكيا من كل الجهات قدم مشروعا هو عارف، المشروع هذا سنخدعهم به، ونخليهم ينظرون إلينا نظرة جيدة ويمكن لنا نحتل بلادهم ونهيمن على ثرواتهم وسنأخذ أضعاف أضعاف مثل هذا المشروع، بل سنستغل هذا المشروع لنا نحن لصالحنا سواء كان مشروعا صحيا أو مشروعا تربويا وفي الأخير نكون قد خدعناهم ولم نخسر شيئاً، أليس هذا ذكاء؟ أليس ذكاء صدر من عندهم؟ ولهذا قلنا: أنهم ربما قد يكونون يضحكون فعلاً بعد كل خطط يعملونها ويجدونها نجحت ويلمسون أن الناس تأثروا بها، أنهم سيضحكون، ويعتبرون أنفسهم أذكياء يعتبرون أنفسهم نوابغ يعتبرون أنفسهم محنكين .

فوجّه المسلمين أن يشعروهم بما يحبط كل هذه الأشياء في أنفسهم بما يجعلهم ينهزمون نفسياً بما يحسسهم أن الآخرين ما خُدعوا بهم وأنهم يعرفون واقعهم، على الرغم من كل ما عملوا وكل ما حاولوا أن يعملوه للناس .

{وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} أيَّ حالة عندما يقول كلمة تراها جميلة وتبدو أنها جميلة وجذابة أو عندما يعمل شيئاً يبدو وكأنه خدمة إنسانية، افهم ـ القضية مرتبطة بإيمان الإنسان بالله وثقته به أنه هو الذي يعلمهم ويعلم نفسياتهم ويعلم أهدافهم ـ أنهم يريدون أن تضل السبيل الصحيح ، وكلمة: السبيل هنا كلمة عامة، مثل كلمة: الكتاب التي تأتي في بعض المواضع أي: الجنس، أي: السبيل، سبيل الخير، سبيل الحق وهو متعدد باعتبار الحالات أعني: ما هو السبيل الصحيح في موقفي من القضية الفلانية؟ ما هو السبيل الصحيح في مجال التثقيف؟ ما هو السبيل الصحيح في مجال التنمية الإقتصادية؟ ما هو السبيل الصحيح في مجال بناء الأمة وتوحيدها؟ أليس هنا يظهر سبيل، سبيل ؟.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}(النساء: من الآية٤٥) **وهذه من النعمة الكبيرة على الناس إذا كنا نفهم وإذا كانت مداركنا محدودة والوسائل التي من خلالها نعلم ما لدى الآخرين محدودة لا يوجد عندنا أجهزة مخابرات دقيقة حتى**

نعرف ماذا يريدون وماذا يهدفون إليه وماذا.. وماذا.. أشياء مكلفة، الله سبحانه وتعالى يقول: هو يأتي يقدم المسألة على هذا النحو، فقط تتذكر وتفهم، ويقدمها بعبارات يفهمها الذكي ويفهمها الإنسان العادي: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) أمسك بهذه أمام أي عمل تراه من جانبهم أمام أي كلام يقدم من جانبهم هم أو من يشتغلون متأثرين بهم؛ لأنه أحياناً يخدعون أناساً ثم في الأخير يشتغلون هم، يشتغلون هم لصالحهم!، فلأن الضلال قد يأتي أحياناً بطرق جذابة وخادعة وقد يحصل عند الإنسان تردد [كيف هؤلاء يريدون نعاديهم وهم هؤلاء قد بنوا مستشفى خمسين سريراً أو أكثر وخدمات عظيمة!] الله يقول: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} (النساء:من الآية٤٥) .

وفي موضوع الضلال قدم للناس في القرآن الكريم كيف يكون الضلال، أن الضلال عادة يحتاج يتقمص ثوب النصيحة والخير والحق وأشياء من هذه أليس هذا شيئاً واضحاً في القرآن تحدث عنه أكثر من مرة؟ وأنه قضية هامة جداً: أن نعرف كيف يتم الضلال حتى لا تبدو القضية عندك توجد لديك ارتيابا واضطرابا عندما تراهم يقدمون مشروعاً معيناً أو كلاما يبدو أنه كلام جميل، أنت اعرف هكذا الضلال يعمل، ما هناك أحد غبي من المضلين يقول: أنا أريد أهلكك أنا أريد أدمرك أنا أريد في هذا المشروع أن أخدعك من أجل أحتل بلادك، هل يمكن أن يقول هكذا؟ لا يمكن هذا، بل سيقول: خدمة إنسانية وتعاون مع المجتمع وتنمية المجتمع وأشياء من هذه، الله يقول: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} (النساء: من الآية٤٥) إذاً فلنثق به هو أعلم بهم وهو قدم لنا ما يريدون، وهذا من أدق الأشياء من أدق الأشياء أن يقدم لك ما يريدون عندما يقول: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) أعتبره تقريراً شاملاً عن هذا العدو تقريراً شاملاً بمعنى أن كل تحركاته ستكون بأن يضيّع هذه الأمة بأن يضيّع الناس يجعل الأمة منحطة أمة متلاشية أمة متخلفة أمة لا تقوم لها قائمة .

تجد من الصعب في مجال مراقبة الأعداء لبعضهم بعض يمكن يتحرك تحركا معينا ويقول: هو لا يريد كذا، هذه حصلت أثناء نشوب الحرب الباردة ما بين [الإتحاد السوفيتي] و[الغرب وأمريكا] فيكون أهم شيء لدى المخابرات أن يعرفوا ماذا يريد. هنا الله أعطانا التقرير الرئيسي أو القضية الرئيسية في الموضوع: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) فليتحرك كيفما يريد اعرف بأن كل حركته ستكون في مجال أن يضل الناس، لست بحاجة أن تحاول أن تعرف موضوع أساليبه إلا لتعرف في الصورة كيف تجيب عليه كيف ترد عليه كيف تواجهه، أما أن تنظر إليه أنه يمكن أن يتحرك تحركا خيريا، أو تحركا لا يحمل معه نوايا سيئة هذه القضية قد هي محسومة {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) بمعنى أنه أيّ تحرك تراه لديك وهو حتى يطور بلاده وهو يطور آلياته، افهم بأنه في الأخير سيتجه إليك ويضيّعك.

هو أعطانا في هذا التقرير أو القضية الهامة التي يبحث عنها الآخرون، المخابرات ضد بعضهم بعض في الصراع ما بين الدول يخسرون الكثير من الأشياء من أجل هذا من أجل أن يعرف ماذا يريدون ولا يرى أمامه إلا أشياء يقيّم عليها، تكهنات فقط واحتمالات أنهم يريدون كذا، احتمالات أنهم يريدون كذا بعد ما يسرد قائمة معينة من المعلومات أو تحركات معينة، فيحاول أن يستخلص منها أنهم ربما يريدون كذا، وهنا الله قال لنا: {وَيُرِيدُونَ} من البداية {أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً} (النساء:٤٤-٤٥) .

لاحظ كيف هنا يقدم معلومات وافية وفي نفس الوقت يقول: يجب على الناس أن يعتمدوا عليه وأن يلتجئوا إليه وأن يهتدوا بهديه وأن يتولوه وينتصروا به {وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} (النساء: من الآية٤٦) {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} (النساء: من الآية٤٥) {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} (النساء: من الآية٤٦) ، فلأهمية الموضوع هذا مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى أن يبادر إلى أن يشعر الناس بأنه هو وليهم فلينتصروا به وكفى به ولياً وكفى به نصيراً، يأتي بها داخل الكلام نفسه ما بين كلمة أعدائكم، ومن الذين هادوا، أليس أصلها هكذا الكلمة؟ {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} أن تأتي في هذا المقام للأهمية وفي نفس الوقت أن تعلم أنه ولي وناصر من

الأعداء الذين هو يعلمهم وهو ولي وناصر يكفيكهم إذا سار الناس على هديه وتولوه وانتصروا به واعتصموا به.

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً}(النساء: من الآية٤٥) **لا تبحثوا عن غيره، هنا عندما يقدم لك وليا وكافيا فلتتجهوا إليه لستم بحاجة إلى أن تتجهوا إلى أي أطراف أخرى، أن تبحثوا عن الصين أو تبحثوا عن روسيا أو تبحثوا عن أي جهة، مثلما يعمل العرب الآن، اتجهوا إليه واكتفوا به ولياً لكم وناصراً لكم {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ .... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}**(النساء: من الآية٤٦) .

عندما يقول: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} يقول لك هذا العدو ـ وفعلاً هم يعتمدون على مسألة التحريف للحقائق ـ يقول لك أنه يريد المصلحة لبلدك وهو يريد نهب ثرواتها {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} وقس عليه تحريف الأشياء عن حقائقها تحريف أمامك يقدم شيئاً وواقعه شيء آخر في مقاصده يقدم لك كلاما معسولا وواقعه يريد لك الضلال يريد لك الشر .

ثم عندما تجد بأنهم هكذا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وترى هكذا تعاملهم مع الله سبحانه وتعالى، يجب أن تفهم بأن من هكذا تعاملهم مع الله فلا يمكن أن يراعي معك أي شيء، لا يمكن أن يراعي معك أي عهد ولا ميثاق ولا ينظر إليك نظرة جيدة ؛ لأنه هكذا نظرتهم إلى الله، هل يمكن أن يستحي من الإنسان وهو لا يستحي من الله؟ هل يمكن أن يلتزم مع الإنسان وهو لا يلتزم مع الله؟ هل يمكن أن يلتزم بميثاق مع الناس وهو لا يلتزم بميثاق الله؟

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ}(النساء: من الآية٤٦) **أيضاً يقولون للنبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **الذي قد عرفوه كما يعرفون أبناءهم: {وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} [لا سمعت] مثلما نقول دعوة عليه يعني: [اسمع صنجوا أذانك] مثلما نقول، ألسنا نقول هكذا في عباراتنا ؟**

{وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ}(النساء: من الآية٤٦) **استخدام كلمة: راعنا وهي كلمة عربية مفردة عربية معناها معروف معناها: أمهلنا أو انظرنا ، يحاول يطلع لها معناً سيئاً من عنده، يستخدمها مصحوبة بهذا المعنى السيء، وهذا مما يدل على أنه هكذا عداوتهم، يحاول بأي طريقة حتى كلمة إذا يمكن يحولها عن معناها الطبيعي تصبح كلمة سب سيستخدمها بمعناها السيء ما بالك باستخدام أشياء أخرى، شيء ممكن يستخدمه مهما كان يبدو بسيطاً ، كلمة يحولها بمعنى سيء سيستخدمها.**

{لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ} يلوون ألسنتهم على طريقة: يحرفون على طريقة التحريف،{وَطَعْناً فِي الدِّينِ} الطعن في النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما يستخدمون معه مفردة كهذه وهو يوجه وهو يهدي، يعتبر طعنا في الدين ، فعندما تسمع منهم كلاما الآن ضد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **إعتقد بأنه هو طعن في الدين؛ لأنه ليس موقفهم من النبي إلا لهذا الدين الذي جاء به، هل لهم موقف آخر منه إلا لأنه رسول لله ولأنه أنزل عليه كتاب الله ولأنه دعاهم إلى أن يؤمنوا به؟ هم كما قال هنا: {وَطَعْناً فِي الدِّينِ} .**

{وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً}(النساء: من الآية٤٦) **إما إيماناً جزئياً، أو إيماناً عند القليل منهم، يؤمن قليل منهم، وهذا ما وقع، المؤمنون منهم قليل بالنسبة لمن بقوا على خبثهم ويهودتهم، هم قليل .**

هنا يوضح كيف أن عداوتهم ليست عداوة تعتبرها قد تكون في حالة معينة أو في ظرف معين أو...عداوة لديهم ثابتة وعداوة متجهة إلى الناس ؛ لأنهم يدينون بهذا الدين ؛ لأنهم يريدون للناس أن يضلوا كما قال في آية أخرى: {حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}(البقرة: من الآية١٠٩) **فهذا يعطي الناس أن يكون لديهم موقف ثابت من أهل الكتاب، موقف ثابت أعني: يقوم على هذه الرؤية: أنهم يحملون نفوساً عدائية يحملون حقداً يحملون غيضاً شديداً يحملون غلاً، وليس فقط لشيء معين جاء من عندك ؛ لأنك مسلم لا يفرع فيك منهم**

إلا أن تكون ـ كما يريدون هم ـ ضالاً تضل السبيل هنا سيرتاحون، أو تريد أن يرضوا عنك، تترك ملتك تترك هذا الدين وتتبع ملتهم، وما هي ملتهم؟ يصبح الإنسان من هذه النوعية، أليس هذا أسوء شيء؟ إن الله قدم صوره عنهم عن واقعهم عن أعمالهم عن مقاصدهم عن نظرتهم إلى البشر بالشكل الذي لا يمكن للإنسان على الإطلاق حتى لو لم يكن صاحب دين نهائياً لو لم يحمل ديناً أن يكون كمثلهم ، يجب أن لا تقبل على الإطلاق حتى لو ما هناك دين نهائياً ؛ لأن هذه نوعية سيئة جداً يعمل الإنسان على أن يترفع بنفسه ويربأ بنفسه عن أن يكون كمثلهم .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} (النساء:٤٧) **لاحظ هنا كيف الموقف منهم وفي شرح ما هم عليه وفي توجيه المؤمنين كيف ينظرون إليهم، لا ينسى موضوع دعوتهم، دعوتهم إلى أن يؤمنوا بهذا الكتاب ويؤمنوا بالرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وفيها تهديد هنا: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ}** (النساء: من الآية٤٧) **أصحاب السبت كأنهم الذين اعتدوا في السبت جعل منهم قردة وخنازير، وهذا معنى اللعنة، يعني: أن اللعنة من جهة الله تعني ماذا؟ إيقاع عقوبة إيقاع خزي على من يقضي بأن يلعنهم وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وغالب على أمره {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} يستطيع أن ينفذ ما هدد به وتوعد .**

معنى هذا: أن الناس مهما كانوا في مواجهتهم لا بد أن يرفقوا في عملهم دعوة لهم دعوة لهم وتهديداً لما هددهم الله به ترفق دعوة لهم وتهديداً بما هددهم الله به، وشيء أساسي في الدعوة أن تقول لهم: هذا القرآن فاطلعوا عليه، أساسي في الدعوة، نفس القرآن الكريم في حد ذاته أن يقال لهم: اطلعوا عليه تدبروا آياته تأملوه يعتبر في حد ذاته دعوة لهم ودعوة شاملة. تكون هذه القضية هامة، يعتقد الناس ـ خاصة من هم في هذا الإتجاه ـ ما بدوا في الصورة بوسائل يمكننا أن ندعوهم ونوجه خطابات إليهم ولا نذكرهم على نفس هذه الطريقة القرآنية، لا يوجد لدينا لا قنوات فضائية ولا إذاعات ولا مجلات ولا صحف ولا شيء، لكن وجود القرآن وهو منتشر وبإمكانهم أن يطلعوا عليه يعتبر في حد ذاته دعوة كاملة .

وهذه القضية هي أيضاً مثلما قلنا سابقاً عند قول الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً} (آل عمران: من الآية١١٣) **إنه تذكر الناس بموقفهم الرئيسي، وهو: أنهم من أجل الله وفي سبيل الله وأنصار لدينه فلا يطغى في مشاعرهم مواقف معينة دون ماذا؟ أن يذكروا بمهمتهم الرئيسية . هذه لها أثر حتى عند العدو نفسه لها أثر عند العدو نفسه، أن موقفك هو هذا الموقف: أنك تريد منه أن يؤمن وأنت تدعوه إلى أن يؤمن ومتى ما آمن فله ما لك وعليه ما عليك، ولا تتم هذه إلا إذا كانت حركة الناس دينية وفي سبيل الله وعلى أساس كتابه، وإلا تحت عناوين أخرى لا تستطيع، مثلاً تحت عنوان: وطنية أو قومية، لا تستطيع أن تقول لليهود: أن كونوا عرباً أو كونوا يمنيين هل تستطيع؟ وقضية ليست مقبولة، لكن هنا عندما يكون العمل في سبيل الله وعمل لإعلاء كلمته ونصره فيمكن أن تسلك نفس الطريقة هذه، فيكون موقفك هو هذا الموقف في نفسيتك: أنك أن تتحرك من أجل الله وفي سبيله مهما كنت قوياً عليهم فأنت أيضاً تدعوهم إلى أن يؤمنوا بالله وبرسوله وبكتابه.**

{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (النساء: من الآية٤٨) **هذه الآية ما يزال لها أيضاً ارتباط بموضوع اليهود بموضوع أهل الكتاب، ليست آية لوحدها، يأتي واحد يأخذها لوحدها، لاحظ عندما واحد يتأمل في القرآن الكريم تجد فيه بأن الناس يختلفون في مواقفهم، حتى داخل الصف الكافر نفسه هناك قال: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ}** (آل عمران: من الآية ١٢٨ــ١٢٩) **عندما ذكر عن اليهود {وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ}** (النساء: من الآية٤٦) **؛لأن لديهم أشياء هي لا تغفر فهو يذكرهم بمعنى ماذا؟ لا يغتفر لهم فيهدوا؛ لأن هذا موضوع آخر داخل الآخرين،**

قضية ثانية النفوس تختلف المواقف تختلف والرؤى تختلف، وقد يكون ناس من الكفار يمكن أن يهديهم الله ليسلموا وأناس لا يمكن أن يهتدي على الإطلاق، لا يوفق على الإطلاق إلى أن يستجيب للهدى فيسلم .

فاليهود لديهم أشياء شركية متشبثين بها ومصبوغة بصبغة دينية ، هذه قضية خطيرة من أخطر الأشياء، عندما تكون الأشياء سيئة معتقدات ثقافة وتصبغ بصبغة دينية وتنسب إلى الله، هنا تشكل عائقا خطيراً جداً لا يتزحزح، في الغالب ما يتزحزح .

فعندما توعدهم: {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (النساء: من الآية ٤٧ـ٤٨) **هنا حصل خلاف فيما بين العدلية والمجبرة الذين عندهم عقيدة: أن الله يغفر كل شيء فقط لا تكون مشركاً بالله! افهم، يجب أن تفهم سياق الآية، يجب أن تفهم نظائرها في القرآن يجب أن تعرف التوبة كيف هي آيات كثيرة جداً، {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}** (النساء: من الآية٤٨) **معناه: سيلعنهم كما لعن أصحاب السبت، وهكذا كانوا، لعنهم، {وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً}** (النساء: من الآية٤٦) **هكذا ماذا؟ {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}** (النساء: من الآية٤٨) **لديهم اعتقادات شركية مصبوغة بصبغة دينية متشبثين بها ويكون لها هذا الأثر الذي لا يمكن بسببه أن يهتدوا ولا يتوفقوا .**

حصل آيات شبيهة بهذه مع الكافرين {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} (الأنفال: من الآية٣٨) **؛لأنه في قضايا يمكن يغفر، نفس الموضوع لا يعاقب على نفس القضية تلك التي قد انتهى عنها {وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}** (الأنفال: من الآية٣٨) **ما معنى المغفرة؟ المغفرة هي قد تكون على قضية معينة، بل داخل أمة معينة لو لم يكونوا قد أسلموا غفرت لهم فلم يعاقبوا عليها، لم يعاقبوا عليها ، ليس معنى المغفرة هنا: مغفرة الذنوب كلها داخل إطار المسلمين في الأخير تطلع النتيجة بأن كل معصية يعملها الإنسان مغفورة وكل الكبائر مغفورة إلا أن يشرك به!! هذه عقيدة غير صحيحة؛ لأن الشرك بكله إنما كان كبيرة ؛ لأنه يمثل صداً عن أن تلتزم بهدى الله ودينه ، الشرك بكله إنما كان كبيرة لأنه في الأخير يجعل الإنسان بعيدا عن ما هو من جهة الله عن أن يقبل هدى الله أن يتقبله، هنا اعتبر كبيرة. كيف تقدم الشرك فقط بأنك إذا لم تكن مشركا فكل الذنوب تغفر لك بمعنى ماذا؟ أنك إذا أنت غير مشرك فلك أن لا تلتزم بشيء! أليس معناه هكذا؟! إنما كان الشرك كبيرة لأنه يحول بين الإنسان وبين أن يلتزم بما هو من عند الله.**

{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء:٤٨ـ٤٩) **تقدم من خلال آيات كثيرة داخل القرآن الكريم: أن الإنسان يجب أن يكون دائم الرجوع إلى الله والإلتجاء إلى الله، ويعترف بالتقصير وبالنقص أمام ما ينبغي لله سبحانه وتعالى، ويرجو دائماً، يكون راجياً لله يقول :[إن شاء الله أنه يوفقنا وأن يغفر لنا وأن نكون طيبين وأن نكون مؤمنين وأن نكون صالحين...] وهكذا .**

{بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء: من الآية٤٩) **هذا مما يمكن أن نفهمه: أن الإنسان لا ينفرد بنفسه فيصبح يعتبر نفسه قد وصل إلى مستوى: أنْ ما يحول بينه وبين دخول الجنة إلا أن تقوم القيامة فقط وتفتح له أبواب السماء وأبواب الجنة! يجب أن يكون يستشعر بأنه ماذا؟ بأنه مقصر أمام الله وأنه بحاجة إلى رعاية الله وبحاجة إلى توفيق الله.**

اليهود كانوا هم يزكون أنفسهم مثلما قالوا هناك: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} (المائدة: من الآية١٨) **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى}** (البقرة: من الآية١١١) **وأشياء من هذه، يحكمون لأنفسهم بهذه، وتكون بالشكل الذي ماذا؟ في مواجهة هدى الله في مواجهة نبي الله وكتاب الله، {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}** (النساء: من الآية٤٩) **فيجب أن تقبل ما يأتي من جانبه؛ لأنه هو الذي هو تزكية لك .**

{انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً} (النساء:٥٠) عندما يقول: {انظُرْ} في موضوع يتعلق باليهود ؛ لأن معناه قد علم أشياء كثيرة من جانبهم مما يحكمون بها لأنفسهم بأنهم زاكون وأنهم مهتدون وأنهم.. وأنهم.. إلى آخر ما يدعون لأنفسهم، وفي نفس الوقت يستخدمونها في مواجهة ما هو من عند الله ، والله هو الذي يزكي عباده، هي هذه الطريق، فيهديهم، فمن اهتدى قد يوفقه.

فكلما يدعونه في الأخير يكون افتراءً على الله عندما يقولون: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} (المائدة: من الآية١٨) أليس هذا افتراءً على الله؟ ولهذا قال هنا: {قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم} (المائدة: من الآية١٨) رد عليهم: بأنه ليست القضية بهذا الشكل {بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} (المائدة: من الآية١٨) .

{انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ} (النساء: من الآية٥٠) وفي أعمالهم أشياء كثيرة مما يقدمونها من المعتقدات، عندما يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله، عندما يحرفون كلام الله، أشياء كثيرة تعتبر في الأخير افتراءً على الله، {وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً} (النساء: من الآية٥٠) أي من أكبر الجرائم: الإفتراء على الله، نعوذ بالله .

قد يكون هناك حالات مشابهة لهذه في داخل المسلمين، أحياناً تأتي قائمة من الأشياء يرتبها بعض الناس وفي الأخير يقول لك: لا، نحن سائرون على هذه الطريقة، في مواجهة أن تقول له: نعود إلى كتاب الله ونقيِّم أنفسنا ونقيِّم ما لدينا على أساس كتاب الله يقول: أبداً نحن متمسكون بالسلف الصالح ونحن على ما عليه السلف الصالح، وأولئك قالوا: نحن على ما عليه أهل البيت، وهذا هو تراث أهل البيت، وعلوم أهل البيت، وهكذا... عندما تقول: يجب أن نرجع إلى كتاب الله ونعطيه أولوية مطلقة ونهتدي به، ونقيِّم ما لدينا على أساسه ونستفيد من هذه الأحداث التي نحن نعاصرها ونستفيد من التاريخ أيضاً، نعرف كيف كانت النتائج السيئة بسبب أن هذه بعيدة عن كتاب الله، هذه الأشياء التي نحن نتشبث بها .

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} (النساء: من الآية٥٠) لاحظ هذه الآية، مثلما قلنا سابقاً عندما يقول: {الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ} وتعرف كتب الله من خلال معرفتك بالقرآن نفسه؛ لأن كتب الله تكون هدى ورحمة وبيان وموعظة ونور وشفاء ومع هذا تجد كيف أصبحوا؛ لأنهم ابتعدوا عنها وحرفوها وسلكوا طريقة أخرى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} (النساء: من الآية٥٠) أليست كتب الله مما يهدي الناس ليبتعدوا عن الجبت والطاغوت؟ وبدل أن يؤمنوا بكتاب الله ويؤمنوا برسوله، يؤمنون بالجبت والطاغوت؛ لأنه هكذا طريقتهم: {يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ} (النساء: من الآية٤٤) كما قال في الآية السابقة .

ما عندهم إيمان فيما يسمى بالعدل وقيم عدالة وأشياء من هذه التي يرفعونها شعارات، تجد أنهم يرفعون الشعارات هذه وهم في نفس الوقت يتدخلون في شؤون الشعوب هذه ويضعون عليها حكاماً طواغيت، هم؛ لأنه قضية عنده عادية، مؤمنون بالجبت والطاغوت ويعمل طواغيت، من أجل ماذا؟ تتحقق له أهدافه، فمَنهم مؤمنون بالجبت والطاغوت لا يمكن أن يبحثوا عن عدل للناس وأنظمة عادلة للناس ونظام عادل للناس على الإطلاق، ولا أشخاص عادلين، هذه قضية مثلما قال عنهم سابقاً: {يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ} (النساء: من الآية٤٤) من هو مشتري للضلالة لا يمكن أن يكون يريد للناس الحق والصواب وهو نفسه يبحث عن الضلال بحثاً، هو فقط سيقدم ضلالاً، وهنا سيقدم جبت وطاغوت سواء داخلي أو خارجي .

{وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً} (النساء: من الآية٥٠) لاحظ كيف العبارة هذه سيئة جداً ؛ لأن هذه الكلمة قالوها للمشركين عندما سألهم الكافرون: من أهدى نحن أم محمد؟ كانوا يحاولون يستثيرونهم على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: بل أنتم أهدى! وهم يعرفون هم، بأن هؤلاء مشركون يعبدون أصناماً ويعرفون بأنهم ضالون وأن محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أهدى منهم، لو لم يكن إلا في هذه النقطة: في توحيده لله، ومع هذا يقولون للمشركين: أنتم أهدى من محمد ، أليس هذا إيماناً بالجبت والطاغوت؟.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ} (النساء: من الآية٥٢) ؛ لأنها قضية كبيرة هذه {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً} (النساء:٥٢) من يلعنه الله من ينـزل عليه لعنته فلن تجد له نصيراً، وفعلاً ألم يضربوا من قالوا هذه؟ اليهود ضربوا في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم ومن قالوا بأنهم أهدى من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هذه تكشف لنا بأنهم لا يراعون أيَّ شيء ، يعني: عندهم قاعدة يسمونها: [الغاية تبرر الوسيلة] عنده هدف معين سيسلك أي طريقة كيفما كانت ولو بأن يقول لمشركين هو يعرف أنهم ضالين ومشركين ولو بأن يقول: أنتم أهدى من محمد ،أليس هذا يعني: بأنهم لا يراعون أي قيم على الإطلاق؟ لا يراعون أي قيم ولا مبادئ ولا أي شيء في سبيل تحقيق أهدافهم، من يكونون على هذا النحو لا تتوقع منهم أن يقدموا قيم جيدة أن يأتوا ببدائل جيدة على الإطلاق .

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً} (النساء:٥٣) بخلاء هم دائماً، وعندما يكون لهم نصيب من الملك، لو حصل لديهم سيطرة، لو حصل لهم دولة لن يعطوا الآخرين شيئاً منها .

هذه ظهرت في تعاملهم مع الفلسطينيين، كم قد لعبوا بالفلسطينيين يوعدونهم بأنهم سيعطونهم حكماً ذاتياً ودولة مستقلة وسلطة فلسطينية وهي كذب، إذاً {لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرا} والنقير: كأنه الحبة التي تكون في طرف عجمة التمر، النواة، تلك الحبة الصغيرة، أقل قليل لا يعطونه، هذا واضح في تعاملهم مع الفلسطينيين ، أليست قضية الآن واضحة أمام الناس؟ كم مضى عليهم وهم متفاوضون معهم ومتوهون لهم ومماطلون لهم؟ سنين وهم موعدون لهم مثلما تقول بماذا؟ بـ[خبز الشمس] لم يعطوهم شيئاً، لو أنهم يرجعون إلى القرآن الكريم لعرفوا بأن هؤلاء لا يمكن أن يعطونا شيئاً من جهة أنفسهم، إلا بأن نأخذ نحن حقنا، لأن نحرر أوطاننا منهم وعندما لا تقوم رؤية الناس على هذا الأساس سيأتي أشياء عملية سيئة .

عندما كانت [منظمة التحرير الفلسطينية] عندها بأنه يمكن أن يحصلوا على دولة وسلطة هم والكثير من المثقفين في فلسطين أصبحوا ينظرون إلى من يجاهدون نظرة بأنهم أناس مغفلون أعاقوا طريق السلام أعاقوا إقامة دولة فلسطينية أعاقوا أن تتحقق لنا سلطة فلسطينية مستقلة، وفي الأخير يعملون ضد أصحابهم بعنف وقسوة يخطؤنهم وعندهم: غلط العمليات هذه التي تعملونها، والمواجهة المسلحة غلط، أنتم تعيقون عملية إقامة دولة فلسطينية من جانب الإسرائيليين، يمنحوننا على أساس التفاوض وأخذ ورد! أعني: لا تكون المسألة أن واحد غلط فقط؛ لأن الغلط في الأخير يقوم عليه أعمال كثيرة خطأ .

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً} (النساء:٥٤) يعني: هذه النفسية السابقة التي قال عنها: يؤمنون بالجبت والطاغوت ويشترون الضلالة ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، هؤلاء هم هكذا: لو أن الملك لهم لن يؤتوا الناس نقيراً، بل هم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ} بمعنى: بل هم يحسدون الناس{عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (النساء: من الآية٥٤) لأن هذا الدين القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعتبر نعمة كبيرة جداً؛ ولهذا الله يذكّر الناس بالقرآن بأنه نعمة كبيرة ويذكرهم بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه نعمة كبيرة {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: من الآية١٦٤) .

وأهل الكتاب هم يعرفون في تاريخهم قيمة الدين، قيمته، قيمة الحق، كيف أنه يبني أمة تكون على أرقى مستوى تكون أقوى أمة، أصبحوا حاسدين، هم ما أصبحوا حاسدين إلا لأن الناس أوتوا شيئا صحيحا أوتوا شيئا يعتبر بالنسبة لهم نعمة كبيرة، وفي نفس الوقت لماذا لم يكن النبي منهم ـ كما يقولون ـ لماذا لم يأتِ النبي منهم، هذا المقولة هم يقولونها، لكن قد جاء أنبياء منهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. هنا يقدم المسألة: الملك، الفضل هو بيد الله وقد أعطاهم من قبل وهم الذين تخلوا وهم الذين أصبحوا يتعاملون مع أنبياء الله بالتكذيب والقتل ويتعاملون مع كتب الله بالتحريف ويشترون بها الضلالة ويشترون بها ثمناً قليلاً، فالفضل هو

لله هو بيد الله والملك هو لله والأمر والحكم هو لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً} (النساء:٥٤ـ٥٥)
عندما يقول: {فقد آتينا} يعني: أن الملك له والأمر والنهي والحكم له.
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء:٥٦) لاحظ هنا كيف يتكرر الوعيد من جهة الله سبحانه بالنسبة للكافرين، منافقين، فاسقين داخل الآيات التي فيها بيان وفيها دعوة لهم إلى الهدى وفيها شرح لواقعهم وضلالهم أيضاً يأتي بالوعيد، أعني: هذه قضية هامة، لا يكون فقط حديث عن أن الآخر موقفه ضلال وضلال إلى آخره.. بل تذكّر أيضاً بعاقبة الضلال الذي هو عليه، هذه لها أثر نفسي كبير{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً} (النساء: من الآية٥٦) وهنا صرح بعبارة: {كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا} مثلما قال هناك: {فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ} (النساء: من الآية٥٥) لأن الصدّ عنه كفر بآيات الله .
{سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} نعوذ بالله {لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} (النساء: من الآية٥٦ـ٥٧) لاحظ قيمة الترغيب، مع أن يأتي ترهيب على هذا النحو الكبير يأتي بترغيب؛ لأنه هنا يكون للترغيب موقعه في النفس بعد أن يذكر بأن الكافرين هكذا عذابهم: {سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} (النساء: من الآية٥٦) يأتي بعدها بما وعد به المؤمنين، هنا سيكون من خلال المقارنة ما بين ما وُعِد به الكافرون وما وعد به المؤمنون يصبح للوعد الإلهي الذي هو الجنة أثر كبير في نفسك وقيمة تتجلى من خلال المقارنة{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} (النساء:٥٧) .
ودائماً يذكر عندما يأتي بالحديث عن الجنة وعن المؤمنين وما وعدوا به يذكر أشياء أحياناً يذكر مساكن، أحياناً يذكر أزواجا أحياناً متكئين على الأرائك، بعبارات كثيرة، قد يكون هنا مسألة: أزواج مطهرة، أن اليهود الذين ذكر الله بأنهم أعداء، وأعداء يعملون كل شيء في سبيل أن يحققوا أهدافهم، أنهم قد لا يتحاشوا أن يستخدموا بناتهم ونساءهم، مثلما يحصل، وهذا ما يحصل منهم مع عملائهم، يحصل إغراءات بما فيها النساء. هي تحذير للناس المؤمنين وأن يفهم الإنسان بأنه أن يقدم لك اليهود [قحبة] من القحاب قد تكون تشتغل معك وتشتغل مع غيرك، ليست طاهرة وليست شيء بالنسبة لنساء الجنة، أن يكون حريصاً أن يواجههم وأن يبتعد عن ضلالهم ويبتعد عن خداعهم ويبتعد عن إغراءاتهم مهما كانت، وهناك الثواب العظيم عند الله جنات تجري من تحتها الأنهار ولهم فيها أزواج مطهرة، لا فيها [إيدز] ولا هي [قحبة] وكل مرة مع عميل، حور عين ، كما وصف في كثير من الآيات {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} (الصافات:٤٩) كأنهن الياقوت والمرجان{لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} (النساء: من الآية٥٧) .
إذا كان قد يوفر لك غرفة في فندق، عندما يقرأ واحد عن العملاء يحصل لهم أحياناً، يستأجرون له شقة في فندق راقي ويعطونه قحبة من القحاب وهنا يشعر وكأنه في ظل ظليل! لا، تجد هناك جهنم؛ لأنك عندما تكون على هذا النحو معناه أنك كافر بآيات الله، الآيات التي تبين لك هذه الفئة في ضلالها فيما تريده للبشر، في خبثها في تعاملها مع الله وتعاملها مع عباده، هنا سيكون مصيرك مثلما قال: {سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً} (النساء: من الآية٥٦)
ماذا يعني: نصليهم؟ مقابل أي فراش من الذي يمكن يعطونك ترتاح به، نصليهم يعني: مباشرة تسحب على الجمر لا يوجد أي وقاية بينك وبينها، هذا معنى الصلي مثلما تقول: يشتوي، نصليهم مباشرة على الجمر.

{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}(النساء: من الآية٥٦) وأنك عندما تواجههم وعندما تكون مؤمنا بآيات الله يحصل هذا الوعد الإلهي العظيم: {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً} يعني: قيمة الحديث عن الجنة والنار وعن الوعيد الإلهي والوعد الإلهي عن الترغيب والترهيب وهذه الأشياء التي هي أرقى شيء في ماذا؟ في مجال النعيم وأشد شيء في مجال العذاب والفضح، كلها بيد الله، فيكون الإنسان خائفا فلا ينجذب لا لترهيب ولا لترغيب من الآخرين؛ لأن ما لدى الآخرين من ترغيب لا يساوي هذا ولا يدانيها وما لديهم من ترهيب لا يقارب مما لدى الله سبحانه وتعالى؛ لأن من قالوا للكافرين: {هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً}(النساء: من الآية٥٠) وآمنوا بالجبت والطاغوت، سيقدمون بناتهم ، عندهم، الغاية تبرر الوسيلة وهذا حاصل في تعاملهم يصدرون قحاب مليئات بالإيدز، مثلما قالوا: يعملون مع المصريين لعملائهم وللشباب!، هناك في الجنة أزواج مطهرة ليس فيها أمراض ولا فيها من هذه الأمراض الخطيرة ولا هي مثل النساء هؤلاء، نساء العملاء التي تكون كل مرة مع واحد، {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}(الصافات: من الآية٤٨) ليس أمامها إلا أنت ولا تنظر إلا إليك.

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً}(النساء:٥٨) هذا توجيه بشكل عام بالنسبة للأمانة بشكل عام، والأمانة قضية هامة جداً، الأمانة تكون قائمة فيما بين الناس أداء الأمانة، التعامل بالأمانة. {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} هذا شيء عظيم يعظكم الله به، نِعمَ ما يعظكم به {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} سيعلم من يحكم بغير العدل ويعلم من يخون الأمانة ويتعامل على غير الأمانة .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء:٥٩) أحسن مئالاً، أحسن عاقبة، أحسن واقعاً هنا في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، لاحظ هنا في الصورة هذه التي فيها كثير من التوجيهات كثير من التشريعات فيها أمر متكرر بطاعة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بشكل كبير في [سورة النساء] كم تجد من الآيات: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}؛ لأن الكثير من هذه التشريعات والكثير من التوجيهات هنا عملية، للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) دور فيها كبير في المجال التنفيذي في المجال التوجيهي في أشياء كثيرة جداً في مجال التبيين، هنا يأمر بطاعته وطاعة رسوله {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} .

ثم تلاحظ هنا، عندما يقولون: أن دور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو مبين، ويقدمون لك كلمة: يبين وكأنه يبين، أن يقول، أن يفسر، يقول لك: الصلاة هي خمس والفجر ركعتين والظهر أربع والعصر أربع، إلى آخره.. يوجد هنا أشياء كثيرة أخرى أشياء كثيرة جداً في موضوع أن ينفذها؛ لأن هناك توجيهات هي تعتبر توجيهات عامة توجيهات عامة في إنزالها على تفصيلاتها ومواردها، قضية يقوم بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أو من يقوم مقامه ولهذا قال: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}(النساء: من الآية٥٩) .

لكن ليست قضية تنفيذية بحتة، قد تجد أن الكثير من القوانين قد هي هناك واضحة عبارة عن مواد واضحة هم لا يقومون بها، ولا يطبقونها وهي قضايا واضحة سواء فقهية أو قانونية، أما هنا قضية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأن يفهم القضية ويفهم الواقع ويعرف علاقة هذا الواقع بهذا التوجيه القرآني في هذا المقام أو هذا المقام قضية دقيقة، أعني: ليست فقط مجرد تنفيذ أشياء قد هي موجودة حرفياً بالتفصيل، وهذا مثلما قلنا بالأمس أنه فعلا عندما تقرأ القرآن الكريم تجد أنه بهذا الشكل: أن دين الله سبحانه وتعالى عبارة عن مسيرة شاملة وواسعة تستوعب الحياة كلها خصوصاً فيما يشكل ضمانة، أن يكون هذا الدين على هذا النحو ويكون إنزاله تعبيرا عن ماذا؟ عن إقامة قسط عن الحكم بين الناس بالعدل، عن تربية الناس على أساس ما يريد الله أن يكونوا عليه، أنها قضية تحتاج إلى من؟ إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن يقوم مقامه، من يقومون مقامه قضية أوسع بكثير من مسألة سلطة تنفيذية ـ التي يسمونها ـ سلطة تنفيذية سواء ما هو

معروف الآن في أنظمة الدول أو ما قدم حتى داخل كتب الفقه بالنسبة لولاية الأمر، جعلوا ولاية الأمر معناها ماذا؟ مجرد سلطة تنفيذية، السلطة التنفيذية معناها: الأشياء التي حددت هناك، قد صارت مقننة واضحة مفصلة بنودها واضحة.

لا، هنا قضية أوسع من هذه بكثير؛ فلهذا أمر بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منكم، أولي الأمر ليست قضية دعوة كل واحد يدعي أنه هو من أولي الأمر، أولي الأمر قضية هنا مرتبطة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، الرسول مرتبط بالله سبحانه وتعالى، وقضية لا تأتي عن طريق انتخابات ولا عن طريق شورى ولا عن أي طريق مما يقدم... قضية الله هو الذي يتولاها هو، هو الذي اصطفى الرسول، هو الذي سيصطفي هو أولي أمر، لم تترك القضية لكل واحد يدعي، معك خمسين حاكم في البلاد الإسلامية أو سبعة وخمسين حاكماً، وكل واحد يأخذ هذه الآية له، وتجدهم سواء كانوا فرادى أو مجتمعين لا يقيمون أي أمر، هل أقاموا أمر الأمة الآن؟ مع أن لديهم سلطة، لديهم جنود لديهم عتاد عسكري لديهم إمكانيات كبيرة، لكن ليست القضية تنتهي عند هذه، من يعرف كيف يعمل من يعرف كيف ينـزل هذا القرآن في واقع الأمة من يبني الأمة على أساس هدى الله في القرآن الكريم.

تجد كل واحد يدعي أنه تجب طاعته على أساس: {وَأُولِي الْأَمْرِ} لكن وجدناهم لا يقيمون الأشياء الواضحة ولا أعطوا الناس شيئاً لا وهم مجتمعون في القمم، قمة عربية، أو قمة إسلامية، ولا وهم فرادى، كل واحد في بلاده، هذا من التلاعب بكتاب الله حقيقةً، من التلاعب بكتاب الله، يكفيهم [لا يكون واحد راكب على جملين] يكفيهم الشرعية التي يدعونها، أليسوا هم يدعون شرعية ديمقراطية أو شرعية وراثة حكم مثلما في البلدان الديمقراطية أو بلدان أخرى، سلطنات أو ملكية، لا، أيضاً يريد يجعل لنفسه شرعية دينية وشرعية ديمقراطية!، إذا أنت تريد شرعية دينية فالشرعية الدينية لا تأتي وفق رؤيتي ولا وفق رؤيتك، ارجع إلى القرآن، نرجع إلى القرآن؛ ولهذا قال بعد: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} (النساء: من الآية٥٩) **إذا كنا متنازعين فيما هي الشرعية الدينية ومن هو الذي يقال له: [ولي أمر] على أساس دين الله فيكون امتداداً لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فنرجع إلى القرآن وإلا فيكفيك الشرعية الديمقراطية.**

يجب أن نعرف أن الذي يشكل ضمانة للدين أن يسير بشكل صحيح، يحتاج إلى ورثة لكتاب الله وأن لا تتحطم الأشياء وينـزل الدين بشكل [مقلوب] ويوجه الناس به توجيها تضليليا، والعجيب أنهم ما زالوا يحاولون يدعون هذه، أو يحاولون حث الناس على طاعة ولي الأمر مع أنهم يعرفون هم أن أمريكا الآن هي المتسلطة وهي النافذة مثلما قلنا سابقاً، قلنا: إنزال القضية هذه الآن، ومع أنه معلوم في الأنظمة العربية القائمة أنها غير محتاجة إلى ما يسمى بشرعية دينية، هي لا تقوم على هذه، أليست قائمة على أساس ديمقراطية أو وراثة ملك؟ فلماذا الآن يوجد حركة حول طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر الآن؟ ما قد احتاجها بعضهم من سنين إلا لأنها مرحلة، الأمريكيون يقدمون أنفسهم عبارة عن محررين وأنهم يزيحون الظلم ويزيحون الطغيان ويزيحون الجبروت، ما هكذا يعملون؟ فيحاولون أن يشغلوا الناس بأنه هكذا الدين؟ وكل حاكم من حكامكم الذين أنتم تكرهونهم وهم يظلمونكم وهم كذا، دينكم يأمركم بأن تطيعوهم، من أجل أن تقبل الأمريكي وتكفر بدينك أنت عندما يقدم لك دينك بأنه يأمرك بطاعة إنسان أنت تعتبره ظالما ويظلمك، والأمريكي يقدم نفسه لك عبارة عن محرر لك من الظلم والطغيان، كيف سيكون موقفك أنت؟ ألست ستعتبر الأمريكي وستعتبر الأطروحات الأمريكية أفضل من الإسلام؟!

هذا هو الهدف من إنزالها الآن، مثلما قلنا من يوم ما بدأوا ينـزلون ملازم من وزارة الأوقاف والإرشاد على أساس تعليم للخطباء والمرشدين، قلنا: هؤلاء ليسوا بحاجة إلى المنطق هذا، وهذا المنطق لا يقبله حتى الأمريكيون أنفسهم لا يقبله حتى الأوروبيون، لا يقبله لا يهودي ولا نصراني، أن يقول: أن تطيع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن نهب مالك، هل هذا مقبول في الديمقراطية؟! هل هو مقبول عند أي أمة من الأمم؟ ليس مقبولاً، فلماذا

ينـزلونه باسم الدين؟! ليشوّهوا الدين بهذا ..أطع الحاكم وإن قصم ظهرك [سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي..] هكذا يروون عن رسول الله كذبا عليه[لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أطع الأمير وإن قصم ظهرك!!]، وهناك يقومون بمظاهرات ويعملون ثورات إذا كان الحاكم على هذا النحو.

إذاً فهذه عملية تشويه من جانب اليهود أنفسهم من جانب الأمريكيين ليشوهوا الدين حتى يرى الناس أن الأمريكيين أفضل، ومن يتأمل القضية واضحة، أليسوا يقدمون تحريراً، إزالة الأنظمة الطاغوتية؟ ما هكذا يقولون؟ ويقدمون لك منطقا آخر [أطع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن.. وإن..] إلى آخره ، هل هذا مقبول ديمقراطياً؟ ليس مقبولاً ديمقراطياً، معلوم أنه ليس مقبولاً في الديمقراطية فهل يقبل في دين الله؟ إذا كان البشر أنفسهم لا يقبلون هم أن يشرعوا هذا الشيء، فيأتي نظام يوجب على الشعب أن يطيعه وإن قصم ظهره وإن أخذ ماله، فكيف نجيزه على الله؟! لا يوجد في أي نظام يجيز هذا ويقول للناس: أن عليهم أن يؤمنوا ويسمعوا ويطيعوا، وإن كان تعامله على هذا النحو، أعني: أن البشر أنفسهم يترفعون عن هذه في أنظمتهم في تقنينهم، أما من كذبوا على الله فيجيزون ذلك على الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال في آية سابقاً: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً}(النساء:٥٠) .

إذاً فالآية هذه هي من الآيات التي يظلمونها فعلاً والتي يقدمون لها معاني تعتبر افتراءً على الله وفي نفس الوقت الآن هم يقدمونها بالشكل الذي ماذا؟ تجعلك تتقبل الأمريكي! أولي الأمر أنفسهم الذين يسمون أنفسهم أولي الأمر، عندما اجتمعوا في ماليزيا واجتمعوا قبل في الدوحة واجتمعوا في بيروت واجتمعوا في أماكن أخرى هل عملوا شيئاً للأمة، هل قدموا شيئاً؟ ولا شيء، لأنه لم يعد لهم أمر هم، نحن قلنا في ملزمة سابقة في [الثقافة القرآنية] الله قال هنا: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}(النساء: من الآية٥٩) نتحدى أي واحد أنه يستطيع أن يبرهن أنه ما يزال من الأمة هذه فعلاً، يمثل الأمة هذه ويقف الموقف الذي تريده الأمة هذه، ويتحرك الحركة التي تكون لصالح الأمة هذه، كلهم الآن إملاءات أمريكية ما بين من يدعي بأنها ضغوط أو عمالة، أليسوا كلهم هناك؟ إذاً لم تعد موجودة كلمة: {مِنْكُم} لم تعد صادقة عليهم كلهم، حقيقة{مِنْكُم} هذه كان تستعمل أيام الخلفاء العباسيين والأمويين وكانت تنفق على الناس؛ لأن الحاكم كان ما يزال منهم ويرونه منهم لم يكن مثل الحاكم الآن، أما الآن فلم يعد هناك ولا {مِنْكُم} لا هي صادقة كلمة: {أُولِي الْأَمْرِ} ولا صادقة{مِنْكُم} لم يعد يأتي حتى على الأقل يشرح للناس واقعه، حتى يقول: هذه ضغوط وأنتم تفهمون الأمور هي هكذا تمشي علينا ونحاول جميعاً كيف نجعل مخرج، تأتي ضغوط أمريكية تأتي إملاءات أمريكية يقدمها للناس باعتبارها ماذا؟ سياسة حكيمة! ما هكذا يحصل، سياسة حكيمة وخطط هامة وأشياء من هذه؟.

إذاً لم تعد كلمة: {مِنْكُم} موجودة، لم تعد صادقة عليهم جميعاً؛ لأنه لو ...أعني: هنا في كلمة: {وَأُولِي الْأَمْرِ} عندما ترى هذه السورة مليئة بالتشريعات، مليئة بالتوجيهات، مليئة بأشياء هامة جداً، وأنت ترى من يدعون بأنهم أولي أمر لا يعملون بظاهر القرآن بالنص الصريح فيه ما بالك بأن يعرف من داخله كيف يسيّر الأمة، وهنا جاء بآيات كثيرة حول موضوع بني إسرائيل، يبين كيف هم، تجد مواقفهم الآن مواقف من لا يقرأ هذه الآية يقول عن بني إسرائيل: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً}(النساء:٥٣) يذكر أيضاً بأنهم يريدون أن تضلوا السبيل يذكر أشياء كثيرة تجد مواقفهم معهم مواقف من لا يعطي لهذه الآيات قيمتها وهي صريحة، مع أن الآية هذه هنا توحي إضافة إلى صريح القرآن الكريم فيما يتعلق بعمقه فيما يتعلق بفهمه فيما يتعلق بالإهتداء بأشياء كثيرة داخله لإنزالها على الأمة لتربية الأمة على أساسها لبناء الأمة على أساسها .

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ}(النساء: من الآية٥٩) لأن هدى الله يقوم على أساس أن لا يكون هناك اختلاف، نظام لا يكون هناك اختلاف نهائياً {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ} طرأ تنازع {فِي شَيْءٍ} فمن أول وهلة ردوا الموضوع إلى الله ورسوله، أقفلوا

الباب تماماً {فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ} (النساء: من الآية٥٩) يعني: ردوا أمره ردوا شأنه {إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (النساء: من الآية٥٩) أي: لستم بحاجة إلى أن تتنازعوا في شيء، لكن لو طرأ تنازع فردوا القضية بكلها إلى الله والرسول؛ لأن الحكم له سبحانه وتعالى، وتجد أنه يهدي وبالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أعني: ليست القضية على ما تقدم بمعنى أن أرد أنا عندما نختلف أنا وأنت في شيء نأتي نرده إلى الكتاب ونرده إلى السنة، أليس هكذا يقدم الموضوع، الرد إلى الكتاب؟ ثم آتي أنا أطلع الكتاب وأحاول أؤقلم الكتاب معي، وأنت من عندك كذلك والآخر من عنده كذلك، فيما يتعلق بالكتاب، وفيما يتعلق بالسنة، ما هكذا يعملون؟ وكلهم يدعون أنهم يعملون هذه، وما يزال الإختلاف قائماً؟! لأن عملية الرد ليست على هذا النحو الذي يقدمونه هم، كل واحد من عنده، وكل واحد يدعي أنه يرد إلى الله والرسول، يرد إلى الكتاب والسنة، والإختلاف قائم ؛ لأن هذه قدمت بأنها وسيلة تحسم الإختلاف تماماً فلو أن الطريقة التي يعملونها في الرد على مدى القرون هذه لو أن الطريقة الصحيحة هي التي يقومون بها لما كان هناك اختلاف.

ألم يقدمها هنا على أساس أنها تحسم الخلاف؟ فلماذا نجدهم مختلفين مع دعاوى أنهم يردون إلى الله والرسول؟ إلا أن عملية الرد ليست صحيحة وليست على الأساس الصحيح؛ ولهذا جاءت العبارة بشكل توحي بالتقليل، وكقضية فيما لو حصل تنازع اتركوا الموضوع بكله لله والرسول، ويأتي توكيد على هذه القضية بقوله: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (النساء: من الآية٥٩) تؤمنون بالله وتعرفون أن الله بكل شيء عليم وأنه حيٌّ قيوم وأنه لا يأتي من جانبه تقصير على الإطلاق في موضوع الهداية وتخافون منه، والإيمان باليوم الآخر. {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (النساء: من الآية٥٩) أحسن عاقبة من أن تظلوا متنازعين ومختلفين .

هل الآية هذه مفهومة؟ لأنها من الآيات التي يشتغلون فيها، هذه الآيات التي يأتي فيها شغل، وتلمس يداً يهودية في الموضوع مثل: {أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) ومثل: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة: من الآية٢٥٦) ومثل: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) أليسوا شغالين في هذه؟ وتجد أن هنا ما يبين أن الدين قائم على أساس أمة واحدة وقيادة واحدة، عندما يقول: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} (النساء: من الآية٥٩) فعندما تأتي إلى سبعة وخمسين زعيماً سبعة وخمسين زعيماً وكل واحد يريد يشغل الآية هذه له، وجاء واحد ثاني يعمل انقلاب عليه وضربه وسماه طاغية وعدو الله، إلى آخره.. وقاموا يشغلون الآية له، وهكذا، أليس هذا تلاعب بالدين؟ مع أن الإسلام قدّم على أساس أن تكون هذه الأمة أمة واحدة.

ثم عندما تتأمل أيضاً الدعاوى عندما يكون كل زعيم يدعي في بلاده أو يدّعون له سواء مثقفون أو علماء يدعون له أليسوا في نفس الوقت يشكون من التفرق؟ إذاً إذا كان الله هو الذي أوجب على كل شعب أن يطيع الشخص الذي يحكمه، والكل يشهدون بأن هذا تفرق وأنه سبب لضعف الأمة، هل يمكن أن يكون هذا من دين الله؟ بأن تجد كل زعيم يقول العرب يجب أن يتوحدوا، وبعضهم قال: المفروض أن يكون هناك زعيم عربي واحد، ونحن مستعدون نتنازل لواحد من الزعماء مستعدون نتنازل له؟ ألم يقل هكذا؟ إذاً فمثل هذا ينقض دعوى كل شخص في بلاده، أعني: الذي ينتهي في الأخير إلى أن الله أوجب على سبعة وخمسين قُطر أن يطيعوا كل واحد منهم الواحد الذي عندهم، وهكذا، يطلع لك سبعة وخمسين شخصاً، وإذا بالسبعة والخمسين كل واحد يشكي من التفرق الذي هم عليه وكأن الله هو الذي شرع التفرق الذي هم عليه وأمر الناس أن يطيعوهم على التفرق الذي هم عليه، وهم كلهم يصيحون من التفرق شعوب وزعماء، أليس هذا يعتبر ـ لو أنه صحيح ـ لاعتبر اختلاف في شرع الله، واعتبر تدبير غير حكيم لو أنه من عند الله؟.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً} (النساء:٦٠-٦١) هذا شامل لمن يدعون من اليهود الذين يقولون آمنا

وللمنافقين؛ لأنه يتبين كذبهم في أشياء كثيرة، منها هذا الشيء: التحاكم إلى الله ورسوله الرضا بحكم الله التسليم بحكم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وما يقضي به فيما بينهم.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا} (النساء: من الآية٦٠) سماه زعماً أعني: ليست قضية حقيقية، لكن هم يقولون هكذا، وهم يعرفون أن مقتضى الإيمان بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أن يكونوا كافرين بالجبت والطاغوت، لا يقول أنه مؤمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ويذهب إلى الطواغيت إلى الجبت والطاغوت يتحاكم إليهم، إلى الطاغوت {وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ} يبعدون الآخرين عنك، ويبتعدون عنك {يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً} (النساء:٦١ـ٦٢) لأنه هكذا المنافقون في الأخير، أيماناً بأنهم لم يريدوا إلا الإحسان ولم يريدوا إلا التوفيق بين المتخاصمين وأشياء من هذه، أن هذا من مظاهر أنهم غير صادقين فيما يدعونه من أنهم مؤمنون بك، مؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، هذه القضية تكشف ابتعادهم عن حكمك، ابتعادهم عنك، وبحثهم عن الطاغوت يتحاكمون إليه.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} (النساء: من الآية٦٣) هو يعلم ما في قلوبهم ويبين لنا الأشياء التي تكشف ما في قلوبهم، أو الكثير مما في قلوبهم {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} (النساء: الآية٦٣ـ٦٤) هذه القضية أساسية {لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} فيكون حكمه هو الذي يسلم له الناس، بل هو الذي يتولى الحكم فيما بين الناس، هو الذي يبين للناس، هو الذي يرشد الناس {لِيُطَاعَ} بما تعنيه الكلمة، بكل ما تعنيه الكلمة، وليس عبارة عن خطيب وموعظ فقط! ليطاع فيما أمر ونهى وفيما قضى ب. {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} (النساء: من الآية٦٤) فعلاً قد ظلموا أنفسهم بهذا الشيء عندما يتحاكمون إلى الطاغوت ويصدون عنك لكن بالإمكان إذا هم يريدون أن يغفر الله لهم أن يرجعوا إليك.

{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} (النساء:٦٥) وإلا فلا يعتبرون مؤمنين، تعتبر فقط مجرد دعوى وزعم كما قال سابقاً، هذه تؤكد: أن مسيرة الدين هي مسيرة عملية، وأن الأمر كله لله، الأمر كله لله لا يكون يقدّم موضوع الرسل وموضوع الهدى وكأنهم فقط يوعظون والآخرين الذين يكونون هم في السلطة التنفيذية يحكمون! لا، هي مهمة واحدة يقدمها، مهمة واحدة، هذه النظرية التي يسمونها: [فصل الدين عن الدولة] نظرية العلمانيين: [هناك موعظين مرشدين ومدرسين وهناك حكام آخرين ولا علاقة للدين بالحياة] البعض يحاول يقدم الآيات: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} (الغاشية:٢١ـ٢٢) {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ} (المائدة: من الآية٩٩) يقدمها على هذا النحو! لكن لا، الآية أن تكون على هذا النحو لها أثر كبير في مقامها، لا تعني: بأنه عبارة عن موعظ فقط، وعبارة عن مرشد فقط، [ومن حكم يحكم] ومن تولى الأمر يتولى، لا. فهذه ترد على من يحاول أن يقدم مفهوما خاطئا حول الآيات الأخرى؛ لأن الله يقول في أكثر من آية {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} (النساء: من الآية٥٩) ويقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} (النساء: من الآية٦٤) ويأتي بالآية هذه في إطار قضية ماذا؟ التحاكم، التقاضي، الرجوع إليه.

{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ} (النساء: من الآية٦٥) من داخل لا يكون في نفسه يعتبر أن النبي ظلمه أو تجاوز عليه في الحكم، قال: لا يكون في أنفسهم حرج

{وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}(النساء: من الآية٦٥) **يعني: قبول في الواقع في نفس ما يقضي به في القضية وتسليم من الداخل، تسليم من داخل وخارج .**

{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً}(النساء:٦٦) **لأنه قد تكون هذه القضية ربما قريبة من الأشياء التي قد تكون التوبة فيها قتل النفس، مثلما حصل عند بني إسرائيل، يعني: الله تجاوز عنهم إذاً فليقبلوا ما يوعظون به {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً}**(النساء: من الآية٦٦) **لأنه كيف يكون عندك تقدير واحتمال أن النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ممكن يقضي بباطل ممكن يظلمك في حكم يحكم به{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} تحت كلمة: وعظ، أليست تقدم عندنا عبارة عن الأشياء التي تتحدث فيها، والتي لها علاقة بالدين بشكل عام، هنا يسميه وعظا، هذا هو الوعظ الإلهي مثلما ذكر عن لقمان عندما قال لولده: {وَهُوَ يَعِظُهُ}**(لقمان: من الآية١٣) **موعظة، كيف الموعظة هناك؟ قال له: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}**(لقمان: من الآية١٧) .

كلمة: موعظة، قد أصبحت عندنا، قد تغير مفهومها، الوعظ: الحديث عن موضوع الجنة والنار، وهكذا الجنة كذا كذا، والنار كذا كذا، وأوامر عامة، توجيهات عامة هكذا، هذه موعظة يسمونها!. هذا الوعظ الإلهي؛ ولهذا قال في القرآن بكله أنه موعظة: {وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ}(آل عمران: من الآية١٣٨) .

{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً}(النساء: من الآية٦٦) **تثبيتاً لأنفسهم وتثبيتا للإيمان في أنفسهم {وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ}**(النساء: من الآية٦٧-٦٩) **لاحظ كم هنا من كلمة طاعة رسول، طاعة رسول، يعني: موضوع [سورة النساء] موضوع تجد فيه أشياء كثيرة كثير منها في إنزالها على الواقع ومعرفة علاقة الواقع بها مرتبطة بالرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} (النساء:٦٩) **هؤلاء هم الرفقاء الصالحون الذين يجب أن يتجه إليهم المنافقون، ويتخلون عن اليهود ، المنافقون تكون أنفسهم قريبة لليهود، أفضل لهم أن يؤمنوا ويرجعوا إلى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ويستغفروا ويفعلوا ما يوعظون به؛ ليكون رفقاؤهم هؤلاء، وليس رفقاء من أولئك السيئين، هؤلاء الرفقاء الصالحون، الإنسان الذي يسير على هدى الله يكون رفقاؤه هؤلاء، إذا ابتعد الإنسان عن دين الله يكون رفقاؤه من الشيطان وتحت كمّن مجرم.**

{ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً}(النساء:٧٠) **هذا فضل عظيم على الإنسان أن يكون في طريق تكون غايتها أن يكون رفيق لهؤلاء العظماء: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً}(النساء:٧١) **قدّم في الآيات السابقة: أن هناك أعداء، ألم يقدم أن هناك أعداء؟ {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}**(النساء: من الآية٤٥) **وذكر ما يريد هؤلاء الأعداء، وذكر أنفسهم كيف هي {خُذُوا حِذْرَكُمْ} لكن حذركم هنا كيف هو؟ عمل {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ} انفروا تحركوا ثبات: مجموعات {أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً} هذا توجيه بشكل عام أمام الأعداء: كافرين، أو يهود، أو نصارى، لم تأت هنا{خُذُوا حِذْرَكُمْ} على ما يقدم من كثير من الناس: {خُذُوا حِذْرَكُمْ} معناه: [اجلس ولا دخل لك في شيء وابتعد عن الأشياء هذه واقعد من بيتك إلى مسجدك أو من بيتك إلى شغلك وعملك] ، أليسوا هكذا يقولون؟ {خُذُوا حِذْرَكُمْ}، أخذ الحذر هنا ـ على أساس أن العدوّ لا يضرك، العدو لا يقهرك ولا يظلمك ولا يستعبدك ـ هو: أن تتحركوا في مواجهته{فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ} كلمة: انفروا تعني ماذا؟ المسارعة، هناك يوجد أيضاً كلمة**

أخرى: {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} (النساء: من الآية٧٢) الناس يجب أن يكونوا حذرين ويكونوا على جاهزية قابلة لأن ينطلقوا في مواقفهم بسرعة.

{فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} (النساء: من الآية ٧١ـ٧٢) يتثاقل ويثبط آخرين، ويتثاقل بآخرين {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً} (النساء: من الآية٧٢) لاحظ القرآن الكريم أن الله يشخص فيه الناس، وفئات الناس، تقريباً كل نفسية قد يكون عليها أحد من الناس يشخصها هنا في القرآن .

{وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} على الرغم من التوجيه الذي يذكر فيه بأنه هذا هو أخذ الحذر، ما هو معنى أخذ الحذر؟ أن لا يقهرك العدو ويظلمك . .إلى آخره، والتوجيه بالمسارعة {فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً} (النساء: من الآية٧١) هناك في المقابل نفسيات أخرى أشخاص آخرين يبطئون، هم يتباطؤن ويتثاقلون ويحاولون في الآخرين أن يتباطؤا ويتثاقلوا {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} (النساء: من الآية٧٢) وقد يعتبر أن موقفه حكيم، وأنه كان الرؤية الصحيحة {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً} (النساء: من الآية٧٢) إذاً كان رأيا حكيما، واتضح له أن رؤيته كانت في محلها !.

{وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} (النساء:٧٣) وما الذي يمنعك أن تكون معهم؟ ألم يكن بإمكانه أن يتحرك معهم أن يميل إلى جانبهم؟ باب أن يميل إلى جانبهم ويتحرك معهم مفتوح {كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} (النساء: من الآية٧٣) يحصل لديه ندم {يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٣) هنا يقدم خاسراً في ماذا؟ في الموضوع بكل اعتباراته من عندهم الفكرة هذه: التباطئ والتثاقل؛ لأنه هنا عندما يقول: {قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً} (النساء: من الآية٧٢) أليس هو يعتبر نفسه وكأنه ناجح، وكأنه موقف صحيح؟ أنظر الآيات الأخرى التي تهدد من يكون على هذا النحو تجده خاسرا في موقفه هذا، وعندما يحصل نصر ويحصل فتح ويحصل كما قال هنا: {فَضْلٌ مِّنَ اللّهِ} (النساء: من الآية٧٣) أيضاً يرى نفسه خاسراً {يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٣) .

الموقف الصحيح موقف من يتحركون في سبيل الله، مثلما سيأتي في آخر الآية عندما قال: {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٤) هذا هو الموقف الذي أنت تعتبر فيه ناجحا، في كل الحالات، سواء حصل غلبة على العدو فقد هو ذلك نصر وفتح، أو قتلت في سبيل الله، ألم يقدم هنا القضية من الجهتين؟ كما قدم قضية النوعية الأولى: مبطئين من الجهتين، هم خاسرون في الجهتين. {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} (النساء: من الآية٧٤) فلا يلتفتون للآخرين، المبطئين، ولا الذي يقدم نفسه في الأخير في موقف من المواقف بأنه [لاحظوا قد قلنا لكم إن كان الرأي كذا وأحسن كذا. .] وأشياء من هذه، هذه قد تحصل عندما يأتي أمر على هذا النحو: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} فيها مما يعني ماذا؟ لا تلتفوا للنوعية هذه، وفي الأخير يقدم نفسه أحياناً وكأنه حكيم؛ لأنه لم يصبه في نفس الموقف ذلك بالذات شيء، هذا تراه فيما بعد يأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا .

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} (النساء: من الآية٧٤) لأنها كلها حياة والحياة الآخرة هي أعظم من الحياة الدنيا {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٤) فهو يوجه إلى ما هو خير للإنسان سواء تحقق فتح على يده أو قتل في سبيل الله .

{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً} (النساء:٧٥) حث آخر، كم هنا؟ في

ثلاث آيات: {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً} (النساء: من الآية٧١) ، {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} (النساء: من الآية٧٤) ، {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} في سبيل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً} (النساء:٧٥) .

وهكذا يجب أن يكون المستضعفون، يعني: أنهم مستضعفون عارفون لوضعيتهم غير راضين لوضعيتهم يتمنون أن لديهم ما يُمَكّنَهُمْ من أن يعملوا في مواجهة الوضع الذي هم فيه؛ لهذا قال عنهم: {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً} (النساء:٧٥) ليسوا مستضعفين من الذين ليس لهم دخل ، لاحظ هنا الفارق حتى يعرف الناس يقيِّمون أنفسهم كمستضعفين، مستضعفون لا يبالون بالوضع الذي هم فيه ولا يعتبرون أنفسهم مستائين من الوضع الذي هم فيه ويتمنون أن لو عندهم ماذا؟ وليّ ونصير يتحركون معه، الذين هم على هذا النحو: ليس لهم دخل، هؤلاء قد يكونون ممن يُضربون، لكن المستضعفين الذين هم مظنة أن ينقذوا أو نقول يهمُّ كتاب الله أمرهم هم هؤلاء المستضعفين، من النوعية هذه: {الَّذِينَ يَقُولُونَ} وليسوا المستضعفين من النوعية الذين بعضهم يعارض عملك لمصلحة العدو، معارضته كلها لصالح العدو الذي ماذا؟ يستضعفه ويقهره ومتجه لإهانته وهتك عرضه! لأن هذه الآية هي تعني في مجملها، تكشف لك مشاعرهم ورؤيتهم، تذمرهم من الوضعية التي هم فيها، معرفتهم بالجهة التي تشكل إنقاذاً لهم ومخرجاً من الوضعية السيئة التي هم فيها ، هؤلاء المستضعفون الذين هم موعودون بالإنقاذ ويأمر المؤمنين الذين هم في وضعية أخرى أن يعملوا لتحرير هؤلاء يعملوا لتحريرهم وإنقاذهم.

أما المستضعفون الآخرون فإنهم يكونون هم الضحية ؛ لأنهم هم يصبحون في الأخير، موقفهم، هم ميدان للتضليل، هم ميدان للخداع، ويأتي من جانبهم أشياء كثيرة تعتبر سنداً للعدو، هؤلاء يُداسون، ويضيعون ويسلط الله عليهم .

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} (النساء: من الآية٧٦) .إذاً هذا فاصل في الموضوع؛ ليثبت إلى أنه هكذا المؤمنون يجب أن يكونوا مقاتلين في سبيل الله، والكافرون هم عادة يكونون مقاتلين في سبيل الطاغوت، فيعطي أملاً للمؤمنين ـ وهم يقاتلون في سبيل الله ـ بأن الله هو الولي والنصير، وكفى به وليا وكفى به نصيرا وهو القدير وهو القوي العزيز ... إلى آخر الوعود التي ذكرها في كتابه، والكافرون مهما كانوا ومهما بلغت قوتهم فيهم نقطة ضعف كبيرة جداً: كونهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، وكونهم أولياء للشيطان{فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦) .

فتجد هذا الشيء في أكثر من آية مثلما قلنا سابقاً يقدم صورة عن العدو؛ ليبين لك بأنه في حالة ضعف ولديه نقطة ضعف كبيرة جداً، كل نقاط القوة لديك وهي: كونك في سبيل الله، وكونك معتمداً على الله، ومتوكلاً على الله، ومنتصراً بالله، هذه إيجابية كبيرة، الطرف الآخر هذه نقاط ضعف كبيرة فيه، تُمكّنك من أن تتغلب عليه وتقهره؛ ولهذا قال بعد: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} (النساء: من الآية٧٦) بمعنى أن كونهم يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني ماذا؟ نقطة ضعف كبيرة جداً لديهم تهيؤهم لأن يُهزموا ويُقهروا، قال بعد: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦) أليس هذا تشخيصا للعدو؟ يشخص للناس المؤمنين كيف سيكون العدو ونفسيته وواقعه.

كل هذه الأشياء تقابل بمنطق آخر [هم كذا ومعهم كذا ومعهم.. ومعهم.. ومعهم.. ونحن ليس لدينا.. ولا لدينا..] وينسى أنه يقدم حتى قضية الله، يعني: يعتبر نفسه في حالة ضعف لا يمتلك أي قوة لم يعد يقدم الله القوة التي لا تقهر نهائياً، يقول لك: [ليس لدينا.. ولا لدينا.. ولا.. ولا..] في الأخير ضروري نجلس، وكيفما كانت الأمور.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) قد فيهم خشوع الآن {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} (النساء: من الآية٧٧) كم الفارق بين المنطق هذا ومنطق الآخرين: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠) !؟{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} (النساء:٧٧-٧٨) إذا أنت تصبح هكذا تخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية وقد فيك دعاء بخشوع ولكن مقلوب يعني: أنت خائف من الموت، افهم بأن قضية الموت ستأتيك عندما تقول ستقعد أو أنت راغب أن تقعد {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} (النساء: من الآية٧٨) .

القضية هنا هي تقدم نموذجاً عالياً جداً، موضوع التوجيهات في القرآن الكريم تقدم إنساناً، نموذجاً عالياً جداً، قوياً لكن في نفس الوقت متزن وحكيم، ليسوا من النوعية الذين فيهم تَنَطُّط وعندما يكتب القتال قد فيهم خشوع ثاني، وخشية من الناس أشد من خشيته من الله؛ لأن هذه هي تعتبر حالة غير صحيحة، عندما يكون هناك أناس عندهم:[هيّا...] قد يؤثرون على قيادتهم فتدخل في مواقف غير حكيمة؛ لأنه ملاحظ مع أن يكونوا أشداء وأن يكونوا أولي بأس شديد، وأن يكونوا مستبسلين مضحين راغبين في الشهادة في سبيل الله يجب أن يكونوا أيضاً متزنين، وفي نفس الوقت طاعة، هنا فقط يحاولون الإمساك بهم {قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (النساء: من الآية٧٧) لا. أبداً!. فإذا جاء وقت الصدق لم يعد فيه ذلك التنطط وإذا به قد لديه كلام ثاني وقد صار يخشى الناس أشد من خشيته لله.

هذه نفسية عجيبة لا تحصل أبداً إلا عند المؤمنين الذين يسيرون على كتاب الله وهديه أقوياء أشداء لا يتهيب من المواجهة، لكن وكل شيء في وقته وكل موقف بما يتطلبه، ليسوا متنططين بحيث يزعجون قيادتهم تدخل في مواقف قد تكون تضر بهم لا تخدم القضية التي هم فيها، ولا هم ممن عندما يأتي مواقف كبيرة يكون قد عندهم خشية من الناس أشد من خشية الله، هذه النوعية عالية أعني: أن القرآن يبني الإنسان بناء صحيحاً متكاملاً، ثم لاحظ هنا في الأخير كشف المسألة بأنها في الواقع خوف من الموت، أليس هكذا خوف من الموت؟ بعدما قال هناك سابقاً: {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء: من الآية٧٤) وأنت لا بد أن تموت أنت تريد أن تقعد لأنك خائف من الموت لا تريد أن تموت ستموت {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} (النساء: من الآية٧٨) فأفضل لك أن تموت في سبيل الله أن لا تخاف من موضوع الموت أن لا يقعدك الخوف من الموت ؛ لأن قعودك لن ينجيك من الموت فإذا كان لا بد من الموت فالأفضل أن تموت في سبيل الله بل أن تطلب أن تموت في سبيل الله.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} (النساء: من الآية٧٨) قد المقاييس لديهم مخبوصة، ونظرتهم لم تعد صحيحة {لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} (النساء: من الآية٧٧) وهنا: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} أنت السبب، أنت الذي فتحت علينا المشاكل، ومقلب علينا بالمشاكل!{قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (النساء: من الآية٧٨) الحسنة وهذه السيئة التي تصيحون منها كلها من عند الله، وأصلها أساسها وأسبابها الأولى من عندكم. {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} (النساء: من الآية٧٨) لأنهم لو كانوا يفقهون حديثاً لكانت نظرتهم أخرى وكانت رؤيتهم أخرى وكانت نفسياتهم نفسيات عالية ؛ أما هذه فنفسية ضعيفة نفسية يبدو وكأنها لا تسمع شيئاً ولا تفقه أي حديث من هذا الحديث العظيم الذي هو توجيه للناس ليبنوا أنفسهم على أساسه، و يربوا أنفسهم على أساسه يكونون مستبصرين مستنيرين على أساسه .

{فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً}(النساء: من الآية٧٨) **هذه فيها سخرية منهم؛ لأن هذه القضية ليست سهلة {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ}**(النساء: من الآية٧٨) **وهم في الواقع هم أسباب رئيسية تؤدي إلى أنه يحصل عليهم مشاكل أو يحصل ما يسمونه سيئة أسبابها الرئيسية من عندهم، هذه عبارة عجيبة: {فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً}**(النساء: من الآية٧٨) .

{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}(النساء: من الآية٧٩) **مثلما قال في آية أخرى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}**(الشورى:٣٠) **{فَمِنْ نَفْسِكَ} يعني: أسبابها الأولى من عندك وكلمة سيئة وحسنة شاملة وواسعة، فعندما يخاطب نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) على هذا النحو هو ليفهم الناس كلهم فعندما يقول: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}**(النساء: من الآية٧٩) **إذاً فالكل يفهمون أن ما أصابهم من سيئة فهي من جهة أنفسهم، والسيئة ليست دائماً تفسر بما يعتبر في مقاييسنا شرا ويسمى سيئة، أحياناً قد يكون شيء يبدو وكأنه سيئة لكن هو في الواقع حسنة، تتميز المسألة، هي تكون واضحة فالذي هو فقط كأنه يبدو في الصورة شيء من الأشياء التي هي صعبة لكن هو في الواقع ليس سيئاً له أثر إيجابي، بعض الأشياء تكون سيئة بكل ما تعنيه الكلمة لا يوجد وراءها أي إيجابيات إلا إذا حاولوا يأخذون دروسا وعبرا منها ليعودوا إلى الوضعية الصحيحة حتى لا يصابوا بمثل هذه، هذا ممكن، أما أشياء أخرى تكون أحياناً تبدو وكأنها سيئة لكن هي لها إيجابيات كبيرة وهامة في الموضوع الذي الناس فيه.**

{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً}(النساء: من الآية٧٩) **بعد ما قال: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}**(النساء: من الآية٧٩) **وأنت رسول{وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً}**(النساء: من الآية٧٩) **شهيد على عباده جميعاً على الرسل وعلى المؤمنين وعلى كل مخلوقاته{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** (النساء: من الآية٨٠) **كلمة: رسول ذكرت كثيراً جداً في السورة هذه{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً}**(النساء:٨٠) **هذه آية قاطعة تجعل طاعة الرسول طاعة لله؛ لأن الرسول يسير فيما هو طاعة لله ويهدي إلى الله ويبلغ عن الله، وتلاحظ هذه في الأخير تبين للإنسان كيف ما يسمى: ولاية الله، أو سلطان الله، الله سبحانه وتعالى أليس ملك السموات والأرض؟ ملك السموات والأرض أنه يجعل من عباده، فرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولايته امتداد لولاية الله أو تجسيد لولاية الله على عباده عندما قال: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}**(النساء: من الآية٨٠).

عندما يقول لك مثلاً الرئيس: إذا أنت تطيع المحافظ فاعتبر طاعتك للمحافظ طاعة لي أليس هو يعتبر المحافظ امتداداً لسلطته؟ أعني: فيعرف الناس بأن ليس معناه أن الله ملك السموات والأرض ثم في الأخير لا تدري كيف يمكن أن يكون هناك امتداد لملكه وسلطانه في هذا الجانب: تعامل مع عباده في موضوع دينه في هدايته ولاية أمر عباده، ليست قضية مفصولة، حتى نقول إذاً إن الله في دينه ترك القضية إلى الناس إما يتشاورون فيما بينهم أو ينتخبون من أرادوا أو أشياء من هذه، وكأنهم متروكون هم يدبرون أنفسهم على كيفهم وعلى ما يحبون، هنا يوضح كيف أنه يختار بشراً من عباده ويكون امتداداً لولايته امتداداً لسلطانه مثلما يأتي{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}(النحل: من الآية٦٠) **رئيس أو ملك ويعين أميرا على منطقة معينة أليس هو الذي يعينه، أو محافظ، هو يعتبره امتداداً لسلطانه؟.**

أي ليست المسألة أنها تقدم أرقام أخرى، إنه في إطار واحد عندما يقول: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) **ليس المعنى أنه يقدم أرقاماً أخرى، لا، هي مسيرة واحدة هي تجسيد وتطبيق وتمثيل لماذا؟ لولايته سبحانه وتعالى؛ لأنه ملكهم ملك مباشر وليس فقط مجرد حكم نحكم له بأنه ملك لكن ليس له نفوذ وليس له أي طريقة يمكن أن تجسد امتداد ملكه امتداد ولايته على عباده هنا يقول: {مَنْ يُطِعِ**

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: من الآية٨٠) **ليس لأن الرسول ندّ ! إن الرسول نفسه في عمله فيما يقوم به هو منفذ ما هو من عند الله سبحانه وتعالى فهو امتداد لولاية الله بالنسبة لعباده.**

أن يأتي في هذا المقام: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} بعدما ذكر الفئات هذه في موضوع الحكم، القضاء الذي يقضي به فيما بينهم، الفئة هذه التي تتراجع عندما يكتب القتال وإذا أصابهم مصيبة قالوا: هي من عندك وأشياء من هذه يقول: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} كلمة، أعني: مثلما تقول قد تكون أبلغ من{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} (النساء: من الآية٥٩) **أبلغ أعني: لم يعط أي اعتبار لكل تلك المشاعر الذي تعتبر شاذة لديهم، لا بد أن يطيعوه، وطاعته هي طاعة لله، وليس أن يقولوا ـ عندما تصيبهم مصيبة ـ: هذه من عندك ويريدون أن يذهبوا من عندك، [هو فقط يريد يقلب علينا بالمشاكل ولولا هو لما حصلت علينا المصائب هذه] وأشياء من هذه لذلك جاء بعدها: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}** (النساء: من الآية٨٠) .

ولأن الله سبحانه وتعالى ـ عندما تجد في القرآن الكريم ـ يبين رحمته ومظاهر رحمته، يختار نوعية عالية أي هل الرسول رجل اعتباطي عبيط هكذا لا يبالي بالناس، ولا يرحم الناس وليس حريصاً على الناس وأشياء من هذه فكأنه يأمرهم بطاعة إنسان أحمق أعوج مثل صدام حسين؟ لا. {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: من الآية٨٠) **والرسول اختاره شخص على أرقى مستوى ويسير بهدى الله.**

{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} (النساء: من الآية٨١) **مجرد قول: {فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}** (النساء: من الآية٨١) **بعد أن يكون قد قال لهم وأمرهم يقولون: طاعة، لكن وبعد ذلك يقولون رأيا ثانيا وشوراً ثانيا{بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}** (النساء: من الآية٨١) **في مقامات يأتي بعبارة: اعرض عنهم، وفي مقام يقول: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}** (النساء: من الآية٦٣) **المقامات هي تختلف والوضعيات تختلف والموقف الذي هم فيه مع عدو من الأعداء يختلف. هنا يعطي الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ما يطمأنه بأن هؤلاء لا يضعفون جانبك لن يضعفوا جانبك قال هنا: {وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً}** (النساء: من الآية٨٠) **{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}** (النساء: من الآية٨١) **وسيهيأ منهم أفضل منهم، ويهيأ بدايل عنهم .**

{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} (النساء: من الآية٨٢) **عندما تكون نفسيتهم على هذا النحو، يبدو وكأنها ماذا؟ مظهر من مظاهر عدم تدبرهم للقرآن؛ لأن القرآن فيه ما يهدي الناس فتكون رؤيتهم صحيحة ونفسياتهم صحيحة ويعرفون قيمة الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعرفون أهمية هدى الله .**

{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} (النساء:٨٢) **هذه الآية من الآيات العظيمة في القرآن نفسه تجد على سعة المواضيع التي تناولها واسع جداً جداً، وتجد ليس فيه اختلاف على الإطلاق ولا من النوع الذي يكون اختلاف على مسافات بعيدة، قد تكون القضيتان يبدو وكأنهما متفقتان أمامك وبعد كم مسافة، لكن تختلف في أثرها هناك على بعد، هذه لا وجود لها في القرآن على الإطلاق، وفي القرآن ما يدلهم على أنه من عند الله والرسول أمامهم يعرفون أنه رسول الله، فلماذا هم على هذا النحو؟ يحكي عنهم ما تعتبر نفسياتهم وكأنهم لا يفقهون حديثاً، ألم يقل هكذا عنهم؟ {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}** (النساء: من الآية٨٢) **ليفقهوا، أليست هذه دعوة حتى لمن هم نفوس مريضة، أو منافقون {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} أن يتدبروه؟ ليس معناه يأتي ليفسره تفسيرا هذا موضوع ثاني اقرأه بتأمل تجد وهو يتحدث عن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعطي لهذا الرجل قيمة عظيمة وإنه إنسان حكيم وأنه يسير بهدى الله حينها ترجع إلى نفسك تقول: إذاً سأطيعه، أطيعه ؛ لأن الله لا يمكن أن يصطفيه ويختاره ويكون بالشكل الذي يكون أحمقاً؛ لأن الله رحيم وحكيم وعليم لا يمكن أن يختار لنا شخصا أحمقا، فهنا سينطلق، لكن إذا ما هناك تدبّر فستكون نفسية الإنسان هناك بعيدة.**

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} (النساء: من الآية٨٢) **تجد اختلافا كثيراً في كتاب يتناول موضوعاً واحداً مما يكتبه الناس، وهو يتناول موضوعاً واحداً، ما بالك عندما يكون هناك كتاب يتناول مواضيع الحياة بكلها، يقدم لك الحياة بكلها حتى ماضيها، كتاب عن الحياة هذه، والحياة الآخرة، عن الماضي والحاضر والمستقبل، واسع جداً جداً، ومع هذا لا ترى فيه اختلافاً على الإطلاق، والإختلاف لا يتوقف فقط على المخالفة في النص؛ لأن عندنا قاعدة أساسها حديث من رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) ((ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما خالف كتاب الله فليس مني)) ليس المخالفة معناها فقط المخالفة النصية الواضحة، هذا شيء، تأتي مخالفة هناك على بعد؛ ولهذا قضية العرض على القرآن قد يكون كثير من الناس ليس بإمكانه إلا أن يعرض ما يعتبر واضحاً في الصورة مثل حديث: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] و[من قال لا إله إلا الله دخل الجنة] وأشياء من هذه قريبة أمامك، ترى نصها معارضا للنصوص الواضحة أمامك، أحياناً تكون قضايا لا تظهر بأنها مخالفة للقرآن إلا على عمق، على بُعد، بعد ما تعرف أن القرآن الكريم هو كتاب عميق، في نفس الوقت تجد بأن ليس هناك اختلاف داخله، إلى أعمق عمق إلى قعره ـ مثلما يقولون ـ إذا يوجد قعر هناك لا يوجد اختلاف في هذه كلها.**

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو مبلغ عن الله وهادي على أساس كتاب الله، لا يمكن أن يأتي من عنده توجيه للناس وهو بالشكل الذي يخالف القرآن حتى على هذا البعد وعلى هذا العمق لا يمكن على الإطلاق، لاحظ في كثير من كتب الترغيب والترهيب هناك روايات هم يقولون عنها بأنها باهر وعادية تصلح الناس وستجعلهم بعيدين عن المعصية، وأشياء من هذه، لا يلمسون بأنها تخالف القرآن هناك، وبعضها قريب ليس على بعد كم أمتار في العمق، بعضها فعلاً تكون قريبة إذا هناك تأمل لظهرت مخالفة للقرآن.

عندما تعرف ميدان القرآن، ميدان القرآن: الإنسان، والحياة. هذه الميادين فإذا كان هناك توجيه معين فاعرف بأن القرآن نفسه هو له رؤية، هو يريد أن يبني الإنسان على نحو معين، نفسيته يبنيها على نحو معين، فله مقاصد وأهداف بالنسبة لنفسيات الناس أعني: عنده منهج تربوي ، إذاً فعندما يكون هذا الذي هو رواية وتراها مخالفة هناك، أعني: تعطي أثرا في النفس آخر يتبين أنه مخالف لما يريده القرآن، هذا يعتبر مخالفا وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يكون صحيحا عنه كتوجيه عام، إما أنه قد لا يكون صحيحاً نهائياً أو قد يكون صحيحاً لكن قد يكون في قضية محدودة، أو أمام شخص معين، في حالة معينة فقط، مثل ذلك الذي قال له: عظني يا رسول الله ، قال: ((لا تغضب)) ألم يقل له هكذا: ((لا تغضب)). وقال لواحد بعد أن شكا عنده موضوع والديه أو أحدهم قال: ((ارجع ففيهما فجاهد)) هذا خطاب خاص.

وعندما يقول هذا، هو يعرف الشخص هذا ويعرف طبيعته عندما يقول له: ((لا تغضب)). وهذا الشخص هو يعرف وضعيته ويعرف وضعية والديه عندما يقول له: ((ارجع ففيهما فجاهد)) وإذا بهم في الأخير قد هم يريدون: ارجع ففيهما فجاهد، وأبوه صحيح ومعه أولاد كثيرون غيره، وعنده أنه يجاهد لأنه يجلس عند أبيه أو عند أمه! لا يمكن هذا. هذه أيضاً هي تعتبر مقياسا هاما جداً ودقيقا يختلف عن مقاييس أصول الفقه في موضوع التفريع والتشريع الذي يسمونه تفريعات وقضايا مستجدات وأشياء من هذه، أحياناً قد تنطلق تفرع على قضية معينة ولا تدري وتكون النتيجة أنك تطلّع هناك حكماً وإذا هو مخالف لقضية أساسية في القرآن؛ ولهذا كان يظهر في حركة أهل البيت في الماضي كان يظهر فيهم أعلام ويتحركون ولا تدري واشتغلت تلك المسائل التي قد طلعها المفرعون، قد صارت مطبات أمام إقامة دين الله، تفهم أنه في دين الله لا يمكن يأتي تشريع أبداً يبدو متناقضاً أو معارضاً أو يشكل عائقا أمام تشريع آخر على الإطلاق، وإلا لكان هذا ماذا؟ مظهر من مظاهر الإختلاف.

ليس الإختلاف فقط في موضوع ما فيه اختلاف في نصه بل في مضامينه في رؤاه، فيما يتركه هناك في النفوس، لا يحصل اختلاف على الإطلاق، يقول لك تأتي تقرأ مجموعة من قواعد أصول الفقه ثم تنطلق تفرع وتشرع، في

الأخير يضعون مطبات كبيرة. تجد القرآن يتحرك في أكثر من اتجاه وبشكل عجيب أي تراه في منطقه يراعي أن الله رحيم، مبني على أن الله رحيم وعلى أن الله حكيم وعلى أن الله بكل شيء عليم، وعلى أن الله غالب على أمره، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق الإنسان ولهذا قال: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} (الملك: من الآية١٤) **{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (الفرقان: من الآية٦) **وأنه غني تجده في كل مضامينه كلها، لا تجد وكأن قضية معينة تبدو تختلف مع أنه رحيم، أو قضية معينة يظهر فيها تتنافى مع أنه حكيم أو مع أنه غني أو مع أنه يعلم الغيب والشهادة، لا يوجد كلها مصاديق يصدق بعضه بعضا، كما قال الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) في حديث روي عنه، يقدم القضايا بشكل لا يمكن أن تصل إليها ذهنية أحد.**

كم ذكر من أشياء كثيرة جدا حول [معركة أحد] وكيف يأتي يتعرض لموضوع المعركة هذه، كم قدم من دروس وأحاط بالقضية من كل جوانبها، لا يستطيع خبراء عسكريون ولا قانونيون ولا سياسيون على الإطلاق أن يصلوا إلى شيء من هذا؛ ولهذا قال عنه: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الاسراء:٨٨) **ولو كانوا متعاونين كلهم لا يستطيعون؛ لهذا كانت خسارة كبيرة جداً على الأمة أن تبتعد عن القرآن يعطيها نور يعطيها معرفة يعطيها علم يحصل عندها شبه إحاطة بالقضايا من خلاله بالشكل الذي لا يمكن أن تحصل عليه من أي كلية أو أي جامعة على الإطلاق أو من أي جهة من الجهات مهما كانت خبراتها.**

لاحظ الأمريكيين وهم متجهون إلى احتلال الناس، احتلال البلدان أليسوا يبدأون يدرسون قضايا ويضعون خططاً ويفكرون، وخطط بعضها تستمر سنين يدرسونها ويطورونها ويعدلونها وأشياء من هذه، وما تدري واكتشف عندهم أخطاء كبيرة تعيقهم في مسيرتهم أخطاء كبيرة جداً؛ لأنها كانت قضايا ليسوا محيطين بها ولن يستطيعوا أن يحيطوا بها من كل جهة، لاحظ كيف هم الآن هناك في العراق محرجين إن حاولوا أن يكون هناك أمن معنى هذا لازم حكومة، يعني يقوم في العراق دولة وهم لا يريدون هذا، وإن جاء قلاقل داخلها بهذا الشكل فسيكون معناه برهنة على أنهم لم يحققوا للناس ما يدعون أنهم يريدون تحقيقه من تغيير أنظمة ويكون هناك وضع مستتب وأمن مستقر إلى غيره، وضعية الآن محرجة فعلاً لا يحبون حصول أمن ؛ لأنه سيأتي طلبات دستور وحكومة وانتخابات وأشياء من هذه وهم معهم نوايا أخرى، وأن يكون بهذا الشكل وضع مقلق جداً لهم ؛ لهذا يحاولون كيف يصرفون الأشياء يحرفونها يقول لك: بقايا نظام ويقول: هناك أناس دخيلين من سوريا ومن السعودية، من أفراد آخرين؛ لأن لا يحصل عند الشعوب الأخرى فكرة تحول دون قابلية أمريكا لتحررهم كما تقول، معناه أمريكا بعدها وضع قلق على طول لا يكون هناك استقرار أمني، الناس سيفهمون هذه، يحاولون يوحون للناس، لا، هذا ليس من جهة العراقيين هذا من جهة الآخرين دول تتدخل، أليسوا يحاولون يركزون على هذه؟ ولن يحاولوا أن يكون هناك أمن ؛ لأنه إحراج لهم .

إذاً فتحركوا بكل قواتهم بعد التخطيط وبعد هذه الأشياء وإذا هم في وضعية حرجة، فيحاولون أن يحملوا المسئولية أطراف أخرى، أن إيران تتدخل أن السعودية تتدخل وسوريا وتنظيم القاعدة وبقايا النظام السابق، في الأخير يعملون مع الشعوب الأخرى بهذه الحجة: أنهم يتدخلون لا يريدون للعراق أن يكون هناك مستقراً، أعني: أنهم أمة يقيمون أعمالهم على أساس تخطيط وتنظير، معهم منظرين سياسيين معهم مخططين مهندسين يسمونهم في السياسة ومعهم خبراء ومعلومات كثيرة عن المجتمعات عن الدول عن النفسيات لكن تراهم يخفقون ، لا يمكن لأمة أن يحصل لها على الإطلاق لا خبرات ولا خبراء ولا أي شيء يكون مقاربا للقرآن هذا على الإطلاق ، إنه خسارة كبيرة أن تكون الأمة هذه تراها في وضعية سيئة ووضعية جهل مفرط، والقرآن بين أيديهم.

{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً} (النساء:٨٣) **هذا فيما يتعلق بالإشاعات، بالأخبار يمثل ضابطا مهما وتوجيها مهما بالنسبة للمسلمين؛ لأن قضية الأخبار، إشاعتها قد يكون لها**

آثار سيئة في أوساط الناس توجد بلبلة وتوجد ضعفا، فالمفروض أنه في مواجهة أي أمر من الأمن أو الخوف، هي القضية بمعنى إشاعة؛ لأنه كل القضايا تكون متعلقة بجانب أمن أو خوف أن لا يشيعوه أن لا يذيعوه، {أَذَاعُوا بِهِ} مثلما تعمل القنوات الفضائية والصحفيون، أيّ خبر يكون همه أنه يستبق إليه ويعلنه قُبَل ، هذه غلطة كبيرة جداً .

{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}(النساء: من الآية٨٣) فيعرفون أن هذا الخبر قد يكون مجرد شائعة، كيف يقابلها، أو هذا الخبر يوحي بشيء حقيقي كيف الموقف المناسب منه وهكذا؛ لأن الأخبار يكون بعضها التي يسمونها تسريبات بعضها يكون تسريبات وراءها شيء، توحي بشيء، هنا قال: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}(النساء: من الآية٨٣) هي توحي بشيء ، فكيف الموقف المناسب منه كيف يعمل خبر آخر يقاومه أو كيف يعمل عملا معينا يقاوم ذلك الشيء الذي حاول الأعداء من خلال تسريبهم أن يوصلوه إلى الناس ليعرفوا كيف سيكون موقفهم منه، أو ينقل لك قضية، التحليلات، أن يتعود الناس على التحليلات والمجابر والأخذ والرد في القضايا، ليست قضية صحيحة أبداً ؛ لأنه أيضاً الأعداء أنفسهم هم يحاولون يستبينون استبياناً كيف رؤى الناس وكيف مفاهيمهم وكيف يمكن أن ينفق عليهم التضليل هل يمكن نؤقلم رؤاهم على ما نريد ونصنع الرأي نحن لهم في القضايا؟.

والعجيب أنه يحصل عند الناس الطبيعة هذه، في الوقت الذي لا يوجد عندهم نية عملية، ليس لديهم نية عملية إلا مجرد كلام هكذا، هذا ممنوع سواء عند الناس نية عملية أو ليس عندهم توجه عملي، ممنوع، لا يعتبر أسلوباً صحيحاً على الإطلاق، وخاصة في المرحلة هذه، هذه مرحلة خطيرة جداً في موضوع الأخبار والتسريبات التي يأتون بها، لهذا يكون الناس أذكياء ولديهم قدرة على كشفها وعلى أن يتخذوا الموقف المناسب أمام العدو بعد تسريب معين، وإلا فقد تكون بعض الشائعات وراءها احتلال، وراءها سفك لدمائهم وراءها تدمير لبيوتهم، ليست قضية سهلة.

هذه ظهرت في العراق، الأشياء هذه، مثل بعض الشائعات التي يعملها الأمريكيون عندما ينطلق الآخرون يرددونها، في الأخير تفتح عليهم باب شر، عندما كانوا يضربونهم وقالوا: بقايا النظام السابق! قالوا: بقايا النظام السابق، على حسب ما يقدّم الأمريكيون، وضربوهم مرة ثانية، وهكذا.. المشكلة أنه في البلاد العربية فيما يتعلق بالإعلام لا ينطلقون على هذا الأساس، الذين يكونون صحفيين كثير منهم كثير من القنوات الفضائية لا يكون لديها موقف معين مبني على رؤية معينة، فقد تكون بعض الأخبار غير مناسب أن تنشره نهائياً، لكن قد عندهم هواية أنه لازم أي خبر ينشرونه، فتجدها لم تقدم شيئاً للأمة ، ماذا قدموا من شيء؟ ماذا تركوا من أثر للناس؟ هل حصل توعية من خلال ما قدموه، توعية للناس، يعطي رؤية واحدة وموقفاً واحداً؟ لم يحصل شيء.

هذا يدل على أهمية الأخبار، أنه يجب أن تردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، وإذا ما هناك التزام بالطريقة هذه فقد تكون منفذاً للشيطان قد تكون منفذاً لاتّباع الشيطان، فمن رحمة الله أن يوجه الناس إلى توجيه يبعدهم عن اتّباع الشيطان. {وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}(النساء: من الآية٨٣) وهذا من فضله: أن يوجههم كيف يتعاملون مع الخبر مع الشائعات، سواء من صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون أو كيفما كانت.

{وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً}(النساء:٨٣ ـ٨٤) ولاحظ كلما يذكر قضية هي عادة من الأشياء التي تشكل وهناً داخل المجتمع، ألم يذكر هنا عن أشخاص مواقفهم، منطقهم، لكن هنا يعطي أملا وتثبيتا للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كذلك للمؤمنين أن يظلوا مستقيمين وثابتين؛ لأن هذه الأشياء في الأخير عندما تكون من أطراف هي تعتبر ليست منهم، فمن هو منكم من هو من الناس من هو مؤمن سيلتزم، هذه لن تضر في الأخير إذا كانوا ثابتين أي: ليس المعنى أن الإستقامة والثبات أن تكون ثابتاً ومستقيماً

لكن إذا ما هناك شيء، لا عدو ولا كلام ولا شائعات ولا شيء. استقم وكن ثابتاً، ويأتي هذا التأييد من الله سبحانه وتعالى وإن كان هناك أشياء.

وهذه قضية هامة؛ لأنه كثير من الناس متى ما رأى الوضع، أناس لا ينطلقون وأناس مخذّلون وأناس كذا وأناس يتحركون مع العدو.. إلى آخره اعتبر أنها قضية لم يعد بالإمكان أن يتحرك فيها شيء، أنها وضعية لا يمكن يستقيم فيها عمل ولا ينجح الناس أبداً أن يعملوا في دين الله فيها؛ لهذا قال له: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (النساء: من الآية٨٤) وعسى من جهة الله هي وعد{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} (النساء: من الآية٨٤) قال سابقاً بعدما قال عنهم: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} (النساء: من الآية٨١) كيف قال بعد؟ {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} (النساء: من الآية٨١) أليست تلك حالة تعتبر خطيرة؟ أليس المطلوب في مواقف الناس أنه طاعة، وطاعة حقيقية، لكن قد يحصل أناس آخرون يبيتون خلاف ما تقول، ألست ستعتبر هذه حالة من الوهن داخل المجتمع الذي أنت فيه؟ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّه يعني: لا تتراجع لا يحصل عندك تراجع عندما ترى مظاهر من هذه التي تعتبر خلخلة .

هذه قضية ملموسة فعلاً في الناس إذا نظر واحد ورأى [عارضوا من هنا، وأناس من هناك، وضجة وأشياء من هذه قال يا أخي لن يتم شيء]، أليس سيقول هكذا في الأخير؟ لاحظ الآيات هذه كيف مسيرتها كيف سياقها {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} (النساء: من الآية٨١) هنا يأتي في موضوع الخبر أو ما قد يترك الخبر والشائعات من أثر فيقعد ناس ويتخلف ناس {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} (النساء: من الآية٨٤) لو لم يبق إلا أنت {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ} (النساء: من الآية٨٤) فإذا كان هناك ضعف وقد تعتقد بأن هذا الضعف يمثل نقطة قوة عند الآخر، الله على كل شيء قدير قد يوجد هناك ضعفاً في جانب العدو بالشكل الذي لا يعتبر هذا إيجابية ونقطة قوة بالنسبة للعدو، الضعف الذي حصل عندك {وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} (النساء: من الآية٨٤).

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة النساء

من الآية (١٣٥) إلى آخر السورة

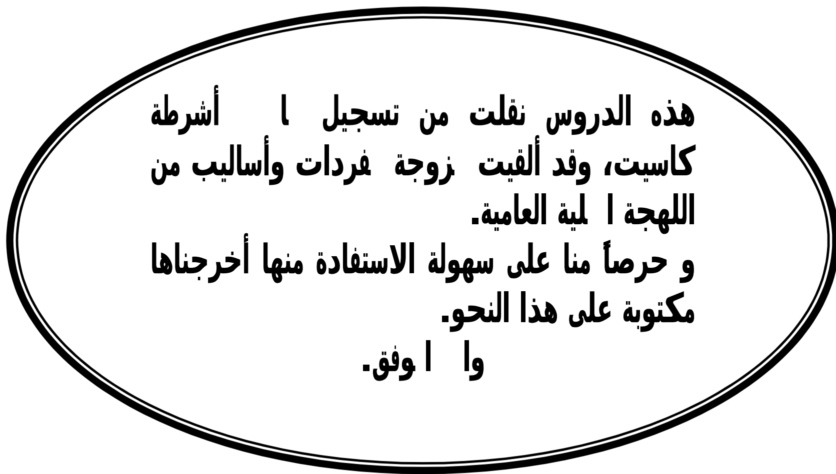
[الدرس العشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٤/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألفيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.

و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

هذه السورة ـ كما قلنا بالأمس ـ من أعظم سور القرآن الكريم، مليئة بالتوجيهات، مليئة بالتشريعات، وتناول فيها مختلف القضايا من داخل الأسرة إلى داخل صفوف الأعداء: مشركين، يهود، نصارى كيفما كانوا؛ ولأن دين الله سبحانه وتعالى هو دين يعتبر عملياً، دين عملي ليس فقط مجرد توجيهات؛ لأن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) قائماً بالقسط ليس فقط أن تقول: مفتياً أو مخبراً، {قَائِماً بِالْقِسْطِ} لأن هذا الدين هو دين للحياة فيجب أن تكون مسيرة الحياة قائمة على أساس توجيهاته وتشريعاته وهدايته؛ ولأن المؤمنين هم جنود الله، المؤمنون هم جنود الله ومعنى أنهم مؤمنون: أنهم مؤمنون بالله، مؤمنون بهداه، بتشريعاته، مؤمنون بما يريد أن يكونوا عليه، ما يريد منهم وكيف يفهمون هذا الدين أنه دين عملي فكما قال عن نفسه سبحانه: أنه قائم بالقسط كذلك أمر المؤمنين أن يكونوا أيضاً قائمين بالقسط: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) قوامين: تعملون لإقامة القسط، القسط عبارة شاملة: إنزال كل شيء في مكانه قد تكون هذه العبارة أشمل من كلمة عدل، أشمل من كلمة عدل، وإن كانت تفسر في كثير من المواضع هي تفسر بأن معنى القسط هو: العدل.

فهذا يعتبر أمراً صريحاً وأمراً يقدم في غاية الأهمية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) فيجب على المؤمنين في البداية: أن يفهموا بأن الطرف ـ في هذه الأرض ـ المعني بإقامة القسط هم المؤمنون لا يكونون منتظرين أن هناك أطرافاً أخرى هي التي تقوم بالقسط، منتظرين لأمريكا لتقيم القسط، أو منتظرين لإسرائيل، أو لأوربا، أو لأي أطراف أخرى !! إقامة القسط مسئولية ملقاة على عاتق المؤمنين والتفريط فيها يؤدي إلى عواقب سيئة جداً على المؤمنين .

{شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} (النساء: من الآية١٣٥) فإن إقامة القسط على أيدي المؤمنين هو يمثل شهادة لله سبحانه وتعالى بأنه قائم بالقسط قال سابقاً: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ} (آل عمران: من الآية١٨) لأن إقامة المؤمنين للقسط إنما يعني ماذا؟ إنزال تشريعه، تطبيق تشريعه، تطبيق توجيهاته، تطبيق هداه؛ ليتجلى في واقع الحياة ليتجلى فعلاً القسط وأن الله قائم بالقسط، وأن تدبيره وتشريعه وهداه كله إقامة للقسط، وكله قسط وإلا فقد يعطي الناس صورة أخرى عن الله وعن دينه وللأسف كما هو حاصل، المسلمون الآن أصبح واقعهم بالشكل الذي يستغله أعداء الدين للهجوم على الإسلام بل أصبحوا إلى درجة أن يعملوا داخل المسلمين أنفسهم لإبعادهم عن هذا الدين، بأن هذا الدين هو هكذا، أن يجعلوا واقع الناس وما المسلمون عليه اليوم يمثل الدين [ولاحظوا كيف هذا الدين...] .

هذا يتنافى منافاة بشكل واضح مع ما يريد الله ويريد للمؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ليكونوا شهداء، شهداء بالقسط الذي هو من عنده شهداء لله، شهداء لدينه، شهداء لرسوله، وأن لا يتوانوا في إقامة القسط في القضايا الكبيرة والصغيرة؛ لأن الموضوع يمثل شهادة{وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أن تقبل أنت أن يؤخذ منك الحق وأن تعطي الحق وتقبل أنت إقامة القسط على نفسك، إقامة الحق على نفسك، {أَوِ}على{الْوَالِدَيْنِ} أحد من والديك{وَالْأَقْرَبِينَ} لا يحصل أي تقصير في هذا ؛ لأنه في الأخير التقصير في هذا يعطي صورة سيئة، يقدم صورة سيئة عن دين الله وبالتالي يجعل الآخرين بدل أن يتأثروا بهذا الدين وينجذبوا لهذا الدين يرون صورة سيئة من خلال أعمال الناس وهم يبتعدون عن القسط فيبتعدوا عن الدين، ثم يتجهون أيضاً لمحاربة هذا الدين وللدعاية والتشويه لهذا الدين.

سواء كان الإنسان أو الوالدين أو الأقربين{غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً} يجب أن يقام القسط عليهم لا يقال: الغني استح منه، أو يقال للفقير: هذا مسكين{فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا} هو أولى بعباده والكل هم عباد له وكل الناس هم ملك له فهو أولى بهم منكم، هو أولى بهم منكم فإن كان هناك رحمة فهو أرحم، كان هناك عقوبة هو أولى ليس أحد من الناس أولى بنفسه من الله فضلاً عن أن يكون أولى بقريبه أو والده أو ولده أو صاحبه من الله، فالله هو أولى بالناس جميعاً فيجب أن تطبق أحكامه على الناس جميعاً.

{فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} يميل بكم إلى أن لا تعدلوا{وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} وهذه هي تهديد في نفس الوقت خبير بأعمالكم كلها خبير بموقفك أنه منطلق من هوى أو عاطفة لقريب أو غني أو أي شيء في هذه لماذا؟ لأن القضية كبيرة، إقامة قسط، شهادة لله.

هي تفسر هنا عادة بمعنى: أداء الشهادة [أشهد لله إن كذا.. كذا..] ولو على نفسك أو والديك.. إلى آخره..! أداء الشهادة أداء الشهادة هو لإقامة القسط، أداء الشهادة عندما تكون شهادة حق هي واحدة من القضايا التي يعتبر أداؤها إقامة للقسط لكن ما تعنيه الآية بشكل أكثر هو: أن يفهم الناس أنهم بإقامة القسط يمثلون شهادة لله أنه قائم بالقسط. عندما يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} بالتأكيد أنه أمر أن يعملوا ويوفروا كل ما لا بد منه في أن يكونوا قوامين بالقسط وقد وجه في آيات أخرى كثيرة: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(آل عمران:١٠٤) وجه الطريقة بشكل متكامل؛ لأنه سبحانه وتعالى عندما يوجه لا تكون القضايا هكذا مفتوحة، يبين للناس كيف تكون طريقهم من أجل أن يكونوا بالشكل الذي يمكنهم من إقامة القسط، داخل آيات القرآن الكريم يتطلب إقامة القسط: وحدة الكلمة، يتطلب إقامة القسط: الإخلاص لله، الإلتزام بهدي الله، العمل بكتابه، الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله ـ كما سيأتي بعد ـ الإيمان باليوم الآخر وفي نفس الوقت في مجال أن يكونوا قوامين بالقسط هو وعد سبحانه وتعالى أنه سيؤيد الناس ويعين الناس{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ}(هود: من الآية١٢٣) {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}(آل عمران: من الآية١٠٩) {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ}(آل عمران: من الآية١٦٠) {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد: من الآية٧) وهكذا آيات كثيرة.

في مجال إقامة القسط هناك قضايا باستطاعة الإنسان كفرد أن يتناولها شهادة مثلاً لديه شهادة حق، أمر بمعروف في متناوله، نهي عن منكر، النصيحة، كثير من القضايا التي بإمكانك أن تتناولها أنت كفرد تناولها ولا يغير هذا أن تكون أيضاً في إطار أمة كما أمر الله {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(آل عمران: من الآية١٠٤) فإقامة القسط بشكل كامل يحتاج إلى أن تكون هناك أمة تسير على هديه تلتزم بشرعه تبني نفسها على أساس هديه تبني نفسها، والقرآن الكريم يقدم للناس الطريقة التي على أساسها تبنى الأمة التي يأمرهم بأن يكونوا عليها{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(النساء: من الآية١٣٦) القضية هامة في أن ينطلق الناس ليقيموا القسط ؛ لأنها شهادة لله سبحانه وتعالى بأنه قائم بالقسط ؛ ولأن لها أثرها الكبير في بقية عباد الله أن ينجذبوا إلى هذا الدين {آمِنُوا} ألم يخاطبهم هنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}؟ هنا يوجد شيء أنتم كمؤمنين تعتبرون أنفسكم مؤمنين ومحسوبين على هذا الدين الذي هو إسلام ومسلمون ومؤمنون لكن يجب هنا تفاعل بشكل جدي اهتمام توجه عملي وإيمان إيمان بكل ما تعنيه الكلمة يبدأ من ترسيخ الثقة بالله سبحانه وتعالى إيمان يجعل الإنسان يعرف أن دينه هام جداً وأن كل قضية في هذا الدين هامة ويعطي كل قضية أهميتها لا يكون إيماناً هكذا مع تخاذل وحالة لا مبالاة وابتعاد! لا، إيمان بما تعنيه الكلمة.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(النساء: من الآية١٣٦) شبيهة بالآية التي في سورة أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ}(الحديد:٢٨ ـ٢٩) **أي عندما تنطلقون لتقيموا القسط ولإقامة القسط يجب أن تكونوا مؤمنين على هذا النحو: إيماناً عملياً باهتمام برؤية صحيحة واضحة وصحيحة فإنكم ستحصلون على شيئين أولاً: الإلتزام الديني العمل الديني الذي يكتب الله عليه الأجر الكبير للإنسان ثانياً: باعتباره يقدم شهادة لله عندما يقول: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} كفل لكونكم ملتزمين ، وكفل لأنكم تقدمون شهادة لله .**

إذاً أليست هذه تعتبر قضية هامة للمؤمنين أن يحصلوا على أجرهم مرتين خاصة في زمن كهذا في زمن كهذا يحصل حملات دعائية مشوهة لهذا الدين أنه إلى درجة لا يصلح نظام للحياة ماذا يعني لا يصلح نظام للحياة؟ أي ليس قسطاً ولا عدلاً ولا فيه شيء ولا يمثل شيئاً ولا يصلح أن تقوم عليه الحياة لا يبني أمة لا يبني حياة لا يبني شيئاً نهائياً حملات دعائية أثرت ربما على الملايين في البلدان الأخرى وداخل البلاد الإسلامية نفسها حتى أصبحت النظرة إلى الإسلام نظرة وكأنه لا يمثل شيئاً حتى في هذه الفترة التي فيها الناس يبحثون عن أي مخرج وعن أي حل مما يواجههم من الأمريكيين والإسرائيليين والمؤامرة الكبيرة هذه جداً ليس هناك التفاتة إلى الدين بالشكل المطلوب ؛ لأنه أصبح لديهم وكأنه لا يمثل حلاً .

لأن إقامة القسط أمام القضايا الكبيرة عندما تجد هناك: أن الله وجه كيف أن يقام القسط في داخل الأسرة الواحدة الآيات التي قبل هذه الآية حتى لا يحصل هناك ظلم على شخص واحد لتبقى مهما أمكن تبقى بنية الأسرة على ما هي عليه لا تتفكك الأسرة فلا يكون هناك ظلم على أشخاص، أشخاص فقط داخل الأسرة وأن لا تتفكك بنية هذه الأسرة إلا في الوقت كما قال في الأخير: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ}(النساء: من الآية١٣٠)

إذاً أليس هذا الدين بالشكل الذي يرعى الأمة؟ الدين الذي تراه يهتم بأسرة واحدة كيف لا يهتم بأمة كيف لا يهتم بالبشر جميعاً وهو يقدم لنا صورة عن الأعداء أليس هو يقدم لنا صورة عن الأعداء بأنهم لا يتوانون عن استغلال أبسط الأشياء؟ ألم يذكر عن اليهود بأنهم لا يتوانون عن استغلال كلمة: راعنا؟ وعن الشيطان بأنه لا يتوانى عن استغلال بأن يأمر الإنسان بأن يقطع أذن نعجة أو ناقة أو بقرة ما دام فيها ضلال فلن يتوانى عن شيء؟ ألن يكون الشيطان نشيطا في القضايا الكبيرة التي تعتبر ضلالاً كبيراً؟

فعندما تجد أن الله سبحانه وتعالى يهتم بالفرد الواحد يهتم بالأسرة الواحدة وأن لا يظلم شخص واحد داخل هذه الأسرة فكيف لا يكون ضمن إقامته للقسط وتوجيهاته لإقامة القسط أن لا يكون دينه بالشكل الذي يشكل حماية للأمة أن لا تظلم! قال هذا صريحاً في آية: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ}(آل عمران: من الآية١٠٨) **وعندما يقول: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} ليس فقط مجرد أمنية مثلما يتمنى واحد منا: [أتمنى أن لا يظلم الناس لكن ماذا أعمل؟] أما هو عندما يقول: لا يريد، فإنه يقدم للناس ما يجعلهم فعلاً بعيدين عن أن يظلموا يقدم للأمة ما يجعلها بعيدة عن أن تظلم لكن لاحظ لما أصبحت النظرة إلى الإسلام إلى درجة وكأنه لم يعد يمثل حلاً على الرغم من متابعتنا للقضية هذه: بداية تحرك أمريكا وإسرائيل لأفغانستان إلى اليوم أليسوا في العراق؟ تحليلات ومحاورات ونقاشات في التلفزيون لا تلمس بأنه يقدم الإسلام ولو كحل من الحلول، أكثر الأشياء تكون كلاماً آخر إما بأن على الحكومات هذه أن تقيم إصلاحات معينة أو مزيد من الديمقراطية أو أشياء أخرى ليس هناك توجه إلى أن الله قد جعل دينه هذا بما يعتبر حماية للأمة!**

ولهذا تجد أن القضية على هذا النحو كلما يذكر في دينه وهو يأمر الناس أن يتحركوا وهو يأمر الناس أن يقاتلوا أن يجاهدوا لا يذكر بأنه دفاع عن دينه ؛ لأنه يعلم بأن دينه هو الذي فيه دفاع عن الناس وحماية للأمة وحماية للناس من الأسرة إلى العالمين كلهم كما قال: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} إذاً فالتفريط في مرحلة كهذه يعتبر جريمة ربما مرتين أو أكثر ؛ لأن معناه ستقدم برهاناً للعدو فعلاً الذي يقدم الدين هذا بأنه لا يصلح أن يكون نظاماً للحياة ولا يمثل للبشرية أي شيء وليس فيه أي حل لمشاكلها لا على مستوى الأسرة ولا على مستوى الشعب الواحد ولا على مستوى الأمة ويكون المسلمون بتفريطهم وابتعادهم عن تفهم دينهم يقدمون شهادة للعدو، والله هنا يريد ويوجب عليهم أن يقدموا شهادة له أليست القضية كبيراً جداً؟ فعندما يتحرك الناس على أساس دينه وتكون حركتهم دائماً أن يحسبوا كل شيء من إيجابيات عملهم أنه بسبب انطلاقتهم على أساس دينه

على أساس كتابه ما يهدي إليه كتابه ما يهدي إليه الله سبحانه وتعالى لا تكون بطريقة أنه حزب أو تنظيم أو كيان مثلما يأتي الآخرون قيادات عبقرية سياسيون محنكون خبراء على خبرات عالية وأشياء من هذه، لا، أن ينطلق الناس وكل ما لديهم من خبرات كلما يتحقق على أيديهم من إيجابيات يقدمونه بأنه للإلتزام بكتاب الله للسير على هدي الله بالطريقة هذه فعلاً يحصل الناس على أجرهم مرتين، كم قد تكون للمرة الواحدة عندما يقول: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} ليس المعنى أنه فقط بالملعقة الله هو كريم، الكفل كم قد يكون الكفل؟!

وفي نفس الوقت يبشر الناس بقضية هامة هم يحتاجون إليها في إقامتهم القسط في نصرهم لله في إقامة دينه: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) ترى الآخرين يتخبطون في الظلام وفعلاً نراهم يتخبطون في الظلام حتى منهم في أمس الحاجة إلى أي حل يجعلهم بمعزل عن هذا الخطر الكبير خطر أمريكا وإسرائيل تجدهم يتخبطون في الظلام ويجلبون المشاكل على أنفسهم! فعندما ينطلق الناس على أساس دين الله في ظرف كهذا يعني في الأخير: أن الله سبحانه وتعالى يجعل لهم نوراً يمشون به في حركتهم.

سياق الآية هذه باعتبار ما قبلها من الآيات وما سيأتي بعدها شبيه بما قبل الآية هذه التي قرأناها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} (الحديد:٢٨) هذه أليست هذه تعتبر أشياء عظيمة جداً؟ عظيمة جداً وتتجلى عظمتها في نفس الوقت عندما يقول: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} الحياة مليئة بالظلمات والدنيا مليئة بأمم متخبطة سواء الظالم والمظلوم متخبطين من يخطط لاحتلال العالم ومن يخطط كيف يدفع عن نفسه هذا الخطر الكبير أليس الناس بحاجة إلى نور؟ وعندما يقول: نور ليس معناه: كشاف بطاريته ضعيفة أو شمعة! نور والنور يكون بمقدار الظلام، الظلام العام لازم نور كشافات كبيرة فعلاً والله سبحانه وتعالى سيهدي الناس معنى هذا أنه سيهديهم وينير طريقهم عندما يستشعرون أهمية عملهم أنهم سيقدمون شهادة لله.

فيجب على الناس علينا جميعاً أن نعتبرها فعلاً ـ أن يكون عند الناس توجه إلى أن يهتدوا بكتاب الله وأن يعملوا على أساس كتاب الله في وضعية كهذه ـ أن يعتبروها نعمة كبيرة جداً، والمتخاذلون والمبتعدون فعلاً تعتبر خسارة كبيرة جداً عليهم مرحلة حساسة جداً وسائل الدعاية فيها ضد الإسلام وضد نبي الإسلام وضد القرآن نفسه ألم يصلوا إلى درجة أنهم يريدون أن يفرضوا رؤاهم هم فيما يتعلق بالقرآن فيخفوا الكثير منه؟ قد أخفوا الكثير من الكتاب الذي أنزل على موسى وهو الكتاب الذي يعتزون بأنه نزل عليهم فكيف لا يتجهون إلى إخفاء الكثير من القرآن كيف لا يتجهون إلى إخفاء القرآن بنفسه ضيعوا التوراة كيف لا يضيعون القرآن .

عندما يكون الناس قاعدين متخاذلين معناه أنها خسارة كبيرة جداً عليهم في مرحلة كهذه فبمقدار ما يكون العمل عظيما جداً وفضلا كبيرا جداً بمقدار ما يكون التخلي عنه جريمة كبيرة جداً ولهذا كانت عبارات جميلة من الشباب الذين يسجنونهم عندما يقولون لهم: ما هو الذي يجعلكم تكبرون وتسيرون وأنتم عارفون بأنكم ستسجنون؟! يقولون: القرآن. هذه العبارة هامة جداً. لاحظ العبارة كيف توحي بهذا من أكبر قضية إلى أصغر قضية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} (النساء: من الآية١٣٥) يعتبرها آخر العملية يعني: من أصغر القضايا من أكبر القضايا إلى أصغر القضايا يكون فيها إقامة للقسط.

أمام أوامر كهذه أليس الكثير من الناس يقولون: [صحيح لكن ما معنا ولا إحنا ولا جهدنا ولا بأيدينا..] أليس الله يعلم بأنه سيقول الناس هكذا؟ أليس هو يعلم سبحانه وتعالى بأن الإنسان هو خلقه ضعيفاً؟ لكن لم يترك المسألة على هذا النحو، قطع كل العلل، قدم سبحانه وتعالى نفسه بأنه سيكون هو عوناً للناس وينصر الناس ويؤيدهم وقدم أمثلة كثيرة جداً لمظاهر تأييده للسابقين من البشر لمن انطلقوا لإقامة القسط لمن استجابوا له.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ} (النساء: من الآية١٣٦) كل واحد منا يجب أن يعرف بأن عليه أن يؤمن، يؤمن إيماناً صادقاً نحن مؤمنون ولا أحد يقول بأنه ليس مؤمناً اسأل أي واحد سيقول بأنه مؤمن ويعتبر نفسه مؤمناً ولن يرضى أحد أن يقول بأنه فاسق نهائياً أيُّ واحد من الناس؟ لكن آمنوا، آمنوا إيماناً صادقاً، فعندما يُقرأ القرآن الكريم وتجد فيه هذا الهدى العظيم تجد فيه الوعود الإلهية تجد فيه

البيان، البيان الذي يعتبر في حد ذاته من أعظم التأييد الإلهي، البيان عن واقع العدو ألم يبين للناس واقع أعدائهم من داخل أنفسهم من وهم يتآمرون في داخل أنفسهم إلى النتيجة النهائية بالنسبة لهم؟.
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} (النساء: من الآية١٣٦) **لأن مهمة الكتاب هو أنه يرسخ إيمانك، إيمانك الواسع بالله سبحانه وتعالى{وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} ألسنا مؤمنين بالله وكتابه ورسوله، لكن هنا يقول: آمنوا إيماناً صادقاً به وبالكتاب الذي نزل على رسوله هذا القرآن والكتاب الذي نزّل من قبل يكون مؤمنا بأن الله قائم بالقسط على طول تاريخ البشر وقائم بالقسط من قبل أن يستخلف بني آدم على الأرض{وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} الكتاب هنا: جنس الكتاب الذي يشمل كل الكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه من الماضين{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً}** (النساء: من الآية١٣٦) **ضياع، ضياع إلى النهاية بكل ما تعنيه الكلمة لاحظ هنا وهذا من الشواهد لمعنى كلمة: ضل، كلمة: ضل في اللغة تعني: الضياع، والضياع يعني: أن تضيع الأمة في كل المجالات التي كان يمكن أن تحصل عليها لو اهتدت بهدى الله.**

تجدها مجالات الحياة كلها، كلمة: ضل في اللغة تعني: هذه، لا تعني في اللغة العربية ضل يعني: كفر، ضل يعني: نافق، لا، الكفر يقال له ضلال، النفاق يقال له: ضلال، الفسق يقال له: ضلال، ارتكاب المعصية يقال لها: ضلال أليست هذه الأعمال كلها ضياع؟ ضياع للإنسان لحياته في هذه الدنيا في الحياة الدنيا وفي الآخرة يضيع عنه كلما كان سيحصل عليه من أشياء عظيمة جداً لو سار على هدى الله لأنه غير ممكن أن تأتي كلمة: ضلال هنا بعد قوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ} لو كانت كلمة ضلال تعني كفراً لكان معنى الآية: ومن يكفر بالله فقد كفر كفراً بعيداً ! وهذا لا يستقيم. كلمة: ضل قدمت أعني: في التعريفات الإصطلاحية لها تعني: هذا، ثم أصبحت وإذا هي مرتبطة فقط بالقضايا العقائدية ضل يعني: كفر، ضل معناها: نافق أي فسق فقط !! يجب أن يعرف الناس أن الضلال معناه: الضياع ولهذا يذكر في القرآن الكريم الخسارة أليس الله يذكر الخسارة بالنسبة للإنسان خاسرين ضائعين تائهين ويذكر الضلال حتى في جهنم: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} (القمر:٤٧-٤٨) **أليس هذا ضياعاً.**

عندما يقول الله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}أليست هذه الآية تعني: أن جانب المؤمنين هم فقط من سيكونون قوامين بالقسط معنى هذا أن يكون موقفك أنت من أعداء الله بأنه لا يمكن مهما كانت دعاياتهم جذابة أنهم يريدون إقامة قسط أبداً أنه لا يمكن أن يقوم القسط على أيديهم، لو أن القسط كان يمكن أن يقوم على أيدي الكافرين لكانت الدنيا الآن كلها قسطا وكلها عدلا، أليست القوة في أيدي الكافرين؟ أليست وسائل الإعلام بأيدي الكافرين؟ والأموال الضخمة والإمكانيات الكبيرة بأيديهم؟ هل هناك قسط؟ أو هناك ظلم؟ ظلم داخل كل الشعوب وفي كل الدنيا . إذاً فليفهم الناس ونفهم جميعاً بأنه فقط فئة واحدة التي يمكن أن تقيم قسط الله امتداداً لأمر الله وشهادة لله.

من ناحية الوعي معناه: إذاً عندما يقول لك: نحن نريد أن نكون محررين ونقيم ونؤدي حقوقاً ونعطي الآخرين حقوقهم وحقوق مرأة وأشياء من هذه أليست ادعاءات قسط؟ أبداً لن يقيموا قسطاً أبداً، ولو كانوا قوامين بالقسط لكانت الدنيا كلها قسطاً وعدلاً .

إذاً فالمنافقون عادة هم فئة لا يهتمون على الإطلاق لا بدين الله ولا بعباد الله {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} وكان الواجب عليهم أن يتخذوا المؤمنين أولياء لأن المؤمنين دائما ينشدون إلى بعضهم بعض{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: من الآية٧١) **يكونون عبارة عن أمة واحدة وكتلة واحدة ليكونوا قوامين بالقسط {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ}** (النساء: من الآية١٣٩) **أيبتغون عند الكافرين العزة لا يمكن على الإطلاق {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً}** (النساء: من الآية١٣٩) **لو حصل على شيء مؤقت فهي قضية وهمية فقط وهميات خياليات العزة هي لله جميعاً**

وبيده جميعاً {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} (آل عمران: من الآية٢٦) يكون المنافق عنده أنه مخطط تخطيطا حكيما أنه سيعتز هو ويحاول بعد كافرين يتولاهم ولا يدري إلا وانهار الكافرون وإذا به خاسراً هذا حصل للمنافقين في بداية الإسلام متشبثين بكافرين وبيهود ومحاولين وفي الأخير أنهار الكافرون واليهود وإذا هم خاسرون، كما قلنا أكثر من مرة: القرآن يقدم فئة المنافقين فئة خاسرة بل أخسر الفئات على الإطلاق فئة خاسرة في هذه الدنيا وفي الآخرة؛ لأنه فعلاً لا المؤمنون يعتبرونهم منهم ولا الكافرون يعتبرونهم منهم نهائياً لا المؤمن يثق فيه ولا الكافر يثق فيه .

{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} (النساء: من الآية١٤٠) أي: نزل الله، هذا قد يكون تابعا لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} (النساء: من الآية١٣٦) {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً} (النساء:١٤٠) إذا سمعتهم آيات الله يكفر بها من المنافقين أو من قبل أعداء آخرين فلا تقعدوا معهم وقد يكون في الغالب من قبل منافقين، قد يكونون هم باعتبار المجتمعات ؛ لأنه عادة تكون فئة المنافقين فئة داخل المجتمع المؤمن داخل مجتمع المسلمين لكن يحصل منهم خوض في آيات الله وتقديمها بشكل غلط وتمحلات وبما هو في الأخير يعتبر كفر {فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} (النساء: من الآية١٤٠) هذا أضعف الإيمان بالنسبة لك لا تقعد معهم؛ لأن المنافقين عادة إنما يتحركون ويحاولون أن يحصل كفر واستهزاء وأشياء من هذه للتأثير على الآخرين أما هم فيما بينهم فقد صاروا منافقين جاهزين {فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} يفوت عليهم الهدف الذي يريدونه وهو ماذا؟ أن يحاولوا أن يؤثروا عليك نفسياً ويوجدوا لديك ارتباكاً معيناً يجعلك في الأخير ممن مرة يؤمن ومرة يكفر مرة إيمان ومرة كفر وفي الأخير ثم ازدادوا كفراً .

أحياناً فعلاً قد تصل المسألة حتى من حيث لا يشعر كثير من الناس أنه قد يأتي مثلاً والناس يتحركون ويوجه بعضهم بعضاً أو فئة معينة تتحرك توجه الناس كيف يجب أن يكون إيمانهم بالله فيأتي الآخرون يقدمون الآيات بشكل آخر هو في واقعه كفر بآيات الله ألسنا نسمع بمثل هذه من أجهزة الإعلام؟ يتناولون آيات داخل القرآن آيات داخله يقدمونها بشكل آخر: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) واحدة من الآيات التي يشتغلون حولها، {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة: من الآية٢٥٦) {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} (المائدة: من الآية١٣) آيات يختارونها يقدمون رؤية عنها هي تعتبر كفراً بآيات الله؛ ليجعلوا الناس في الأخير بعيدين عن أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله.

وقد يحصل ما هو استهزاء بها ولو عن طريق الإستهزاء بمن يتحركون على أساسها عندما يأتي أناس منطلقون من قول الله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: من الآية٧) سيكونون محط سخرية كأنهم يسخرون بالآية نفسها أي كأنهم يقولون: أنتم راكنين على هذه الآية وأمثالها!! أليس هذا استهزاء بكتاب الله؟ {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) يقولون: هم راكنون على الآية هذه عندهم أنه سيحصل لهم، ويحصل..! هذا استهزاء.

فيجب أن يكون الإنسان بعيداً عن أي فئة تنطلق هذه الإنطلاقة بمعنى: أن الكفر بآيات الله ليس فقط أنه سيأتي ليقول: إن هذه ليست صحيحة ؛ لأن المنافق دائماً يكون عمله عملاً يحاول أن يؤثر فسيحاول أن يعمل بطريقة أخرى أن يقدم لك الآية بشكل خاطئ يقدم تفسيرها يحرف معناها بشكل آخر . النفاق أيضاً هو يشبه الضلال، الضلال يأتي ضلال مثلاً في زمن معين هو ناتج عن أهواء وبغي وحسد ثم يمشي الآخرون على هذا الضلال ابتغاء وجه الله هذا يحصل، والنفاق أيضاً كذلك، ثم في الأخير يقدم وكأنه هو العمل الذي فيه صيانة الأمة والإبتعاد بالأمة عن الشر الكبير فيشتغل آخرون وفق رؤية كهذه ، وقد لا يكون هو في نفسه من فئة المنافقين الذين هم مذبذبين ـ الله أعلم بالنفوس ـ لأن هذا محتمل فعلاً أن يأتي إنسان يبرز في التلفزيون أو يبرز في صحيفة أو في إذاعة يتحدث واسمه عالم شخص قد لا تتهمه بأنه منافق ـ الله أعلم بالنفوس ـ لكن قد يكون يشتغل فيما هو في الواقع نفاق، كما أنه يحصل عمل بضلال مع حسن نية وإخلاص .

إذاً النفاق عندما يقدم في القرآن الكريم كيف تكون آثاره هنا بعدما ذكر: {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} أليس معنى هذا توجيها عمليا يجعل الناس يفكرون عملياً كيف يتحركون ليكونوا قوامين بالقسط ، النفاق كيف سيكون أثره أن يجعل الناس يقعدون فلا يتحركون ولا يهتمون، هذا شأن المنافق ، وقد يكون هناك نفاق بمعنى أصل القضية نفاق وإن كان أحد من الناس يقدمها بحسن نية وإخلاص عندما ترى خلاصة ما يقدم أنه يقعد الناس ولا يهتمون، ويجلسون، و[ليس لهم دخل] يمكن يحصل نفاق لله، يمكن، ويمكن ضلال لله فعلاً عندما يكون واحد لا ينتبه .

ولهذا الله سبحانه وتعالى يقدم المنافق باعتبار شخصيته ويقدم الأثر الذي يؤدي إليه النفاق، النفاق من حيث هو كما يذكر الضلال وماذا ستكون نتيجته ويذكر المضلين لتعرف المضل ولتعرف المنافق ولتعرف الضلال وإن قدم من جهة بحسن نية ولتعرف النفاق ما هو وإن قدم من جهة بحسن نية ، أما عندما ترى أنه قد صار ضالاً، مضل وضلال، ومنافق ونفاق تستطيع أن تعرف منافق ونفاق مع بعض أو تعرف النفاق وتعرف الضلال لوحده.

المنافقون يحتاجون هم يصبغون نفاقهم بعناوين شأن المضلين؛ لأن النفاق هو وجه من أوجه الضلال أو صنف من صنوف الضلال يحتاجون يقدمون مبررات أنهم مصلحون{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} (البقرة:١١) **نحن محافظون على المصالح العامة وهكذا، الإنسان لا يعرف الضلال من حيث هو، لا يعرف النفاق من حيث هو بحيث تعرف النفاق عادة تكون نتيجته هكذا، فأحياناً قد ترى شخصية فعلاً قد لا تحتمل فيها هي أنها تتحرك حركة نفاق أو حركة إضلال لكن هو نفسه ممن قد خدعوا قد خدع هو ، فهنا عندما تنظر إليه تقول غير ممكن مثل هذا أنه يقدم نفاقاً أو أن يكون منافقاً أو أن يكون مضلاً قد تتأثر، ممكن يبقى محترما لديك لكن وتعرف ما يقدمه وتقيّمه على أساس هدى أو ضلال أو نفاق وستعرف فتكون بعيداً في نفس الوقت عن ماذا؟ عن أن تتأثر نفسياً فتتقبل ما يقدمه وهو في الواقع ضلال وهو في الواقع عملية نفاق باعتبار أنه شخص محترم عندك وكبير ولا يمكن أن يكون منافقاً.**

هذه قد تحصل ولهذا يأتي يقدم النور، النور من خلال القرآن الكريم عندما يقول: {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) **وعندما يقول عن القرآن بأنه نور ينير لك كل شيء كل الزوايا كل الزوايا التي قد يكون فيها شيء من الضلال يعني: يمكن أن تقول هذا إنسان محترم في الأخير تنطلق إلى المحترم هذا تقول له في الأخير: يا أخي خلاصة ما تقدمه أن الناس يقعدون ولا يعملون شيئاً هل القرآن هذا منطقه أن الناس يقعدون ولا يقدمون شيئاً؟!، تذكره هو إذا كان لا يزال عندك محترماً وما زلت تعتبره إنساناً عظيماً تذكره هو تقول له: هذا الكلام لا ينبغي وأنت كذا، كذا.. وإنسان مثلك عليه أن يوجه توجيها قرآنيا وفق ما قدم الله القرآن عليه.**

هذه ستنسف ما يحصل للكثير من الناس:[لكن ممكن يكون سيدي فلان أو سيدنا فلان أو المسؤول الفلاني أو الكاتب الفلاني على كذا..!؟] أليست هذه تحصل؟.

إذاً هذه ستنسفها ممكن يبقى الشخص عندك محترما إذا هو عندك محترم توجهه تقدم له نصيحة؛ لأن كل إنسان بحاجة إلى نصيحة وفي نفس الوقت تكون بعيداً عن التأثر بما قدم؛ لأنه في الواقع يؤدي إلى ماذا؟ إلى أن يخلق أثراً في الناس يخالف ما يريد الله أن يخلقه القرآن في أنفسهم من أثر. تجد هذه كلها التي ذكرناها الآن لها علاقة بموضوع: إقامة القسط أو تحول دون إقامة قسط أن يكون الإنسان مسمعاني لكل من تحدث ويتأثر لا يستنير من البداية ، بداية الإستنارة أن تعزم أنت من داخل نفسك تسليم لله وأنك تريد الهدى الذي تتحرك على أساسه وأن تكون فاهماً أن هدى الله هو عمل وحركة وليس برؤية.

{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} (النساء: من الآية١٤٠) **قد تتأثرون بهم فتكونون في الأخير بعيدين عن أن تكونوا قوامين بالقسط{حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ}** (النساء: من الآية١٤٠) **سيكون الحكم بالنسبة لك كحكمهم ومصيرك مصيرهم {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ}** (النساء: من الآية١٤٠) **هو بين كيف أن تكون مثلهم أنظر مصيرهم{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}** (النساء: من الآية١٤٠) **يقدم نفسية المنافقين ، ومن الغريب أن المنافقين يكونون في الوسط المسلم ومصيرهم هو مصير المسلمين**

وليس مصير الكافرين في الواقع فهو في الواقع يتآمر على نفسه في إطار أنه يتآمر على المجتمع الـذي هـو فيـه بيته أمواله أولاده مصالحه أقاربه أصحابه في نفس المجتمع فيكون متآمراً على نفسه في إطار تآمره على المسلمين فهو يتربص أي يعجبه ويتمنى ويهوى أن يأتي لهم ضربة ولو هو بينهم يأتي لهم شيء ولو كـان بيـنهم{الَّـذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ}(النساء: من الآيـة١٤١) ليس لديهم توجه عملي، تـرقب فقط، عنده أنه مـسك الحكمة ومسك العصا من وسطها مثلما يقولون ، النفاق الآن يسمونه: يمسك العصا من وسطها، هو نفاق هذا.

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ}(النساء: من الآيـة١٤١) نحـن معكـم ونحـن مـنكم ومؤيدين لكم وقد سمعتم يوم قلنا كذا وأشياء من هذه{وَإِنْ كَـانَ لِلْكَـافِرِينَ نَـصِيبٌ}(النـساء: مـن الآيـة١٤١) كـأنهم لا يحصل لهم فتح، قد يحصل نصيب في إطار {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}(آل عمران: من الآية١٤٠) ولأسباب من جهـة المؤمنين أنفسهم{قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(النساء: من الآيـة١٤١)أليس هـو الآن يحـاول أو مثلمـا يسمونه بعبارتنا [يتملق] يتملق للمؤمنين عندما يحققون فتحاً يحققون انتـصاراً: {أَلَـمْ نَكُـنْ مَعَكُـمْ}؟ وإن كـان للكافرين نصيب: {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

لاحظ المنافقين فئة كل الفئات لا تعدها منها أليس هذا خاسر؟{فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَـلَ اللَّـهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}(النساء: من الآية١٤١)لاحظ هنا أنه دائماً في أكثر من مقام في القرآن عندما يذكر يـذكّر الناس ويوجه الناس بالقيام بشيء عظيم{قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}(النـساء: مـن الآيـة١٣٥) {وَلْـتَكُنْ مِـنْكُمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُونَ إِلَـى الْخَيْرِ}(آل عمران: من الآيـة١٠٤) أو أشياء من هذه سوف يقدم قائمة من الأشياء التي هي تمثل عوائق، بعدما تحدث عـن منافقين وتحدث عن حالات قد تحـصل كيـف يبعـد النـاس عنهـا يقـول في الأخـير: وأنـتم مـستقيمون وأنـتم مستقيمون وثابتون مؤمنون وقد ذكر هنا كيف يجب أن يكون المؤمنون هنا الكلام حول المؤمنين من النوعيـة الـتي ماذا؟{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(النـساء: مـن الآيـة١٣٦) إلى آخـره.. فهـؤلاء مهمـا كانت المؤامرات مهما كان أعمال المنافقين وبالطبع هو يوجه كيف يكون موقف الناس من المنافقين لكنـه لا يـسمح بأن يصل الإنسان إلى حالة الإحباط:[منافقين شغالين وأعداء حصل منهم كذا والدنيا مخبوص، ولم يعـد وقـت] أليس هكذا يحصل وتكون النتيجة:[نسكت..] ننتظر حتى يأتي وقت مناسب لا يكون فيه أعداء ولا منافقين ولا يكون فيه ناس عندما تكون الدنيا فاضي لم يعد فيها أحد وفي ذلك الوقت يمكن أن يقوم يجاهد في سبيل الله!! من هو الذي سيجاهده؟!.

على الرغم من كل هذا الأشياء التي قد تراها أمامك عوائق أو مؤامرات خطـيرة إذا النـاس مـستقيمين وثـابتين ومؤمنين هذا الإيمان الداخلي العملي{ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} أيَّ سبيل نهائياً، معنى هذا بأنه لا يحصل سبيل على المؤمنين إلا من جهة المؤمنين هم من يفتحون على أنفسهم هم منافذ، لكن كيـف الفتّـاح هذا؟ تجد أن القرآن يقدم فتّاح مشاكل عندما يحصل تفريط ويحصل ضعف إيمـان، عنـدما لا يتجهـون عملياً، وليس على أساس ما يقدم الآن، الآن تقدم القضية بالعكس تتحرك معناه أنت تفتح مشاكل. لا، فتّاح المشاكل من خلال القرآن: هو أن يقعد الناس ولا يتحركون هو أن لا يكونوا بالشكل الذي يعتبرون مؤمنين صـادقين، فعنـدما يكونون مؤمنين صادقين ويعملون ما بوسعهم ومتجهين ليعدوا كل ما يستطيعوا من قوة معنى هذا لن يحـصل علـى الإطلاق أن يتمكن الكافرون منهم{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً}.

نحن الآن نرى لهم سبيل، خطين مثل الخطوط السريعة أليست موجودة هذه الآن؟ لأنه لا يوجد النوعيـة هـذه: المؤمنون، المؤمنون لم يعد الناس مؤمنين بما تعنيه الكلمة هم مبتعدون عن الله بـل عـن الثقـة لا يوجـد حتـى الثقة لا بالله ولا بكتابه ولا بدينه إلى درجة أنه يمكن يمثل حل أو يتحرك على أساسـه ولـو لم يكـن إلا علـى أساس أنه إذا حصل شيء نكون في سبيل الله فـلا يمـوت واحـد [دون أن يـستثمر موتـه في سـبيل الله]لم تعـد موجودة حتى الفكرة هذه على طريقة:[إذا أنت ستموت يوم السبت فقد يوم الجمعة أفضل لك] لم تعد موجـودة

ولا الفكرة هذه مع أن القرآن يقدم المشاريع كلها إيمانية وتوجيهات للمؤمنين مشاريع ناجحة مشاريع كبيرة مشاريع نصر .

لهذا نحن نقول: إن علينا أن نتحرك بكل ما في وسعنا ونعمل كلما نرى أنه مؤثر على العدو نعمل في سبيل الله لنحقق إيماناً لدينا عندما نرجع إلى كتاب الله نقرأه ونتأمله لنعرف دينه ونعرفه سبحانه وتعالى من خلال كتابه بالشكل الذي نصل إلى درجة {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} ونعمل ما بوسعنا؛ لأنه هكذا من واجب المؤمنين وإن كان عملاً يبدو بسيطاً مثل شعار يرفعه يقاطع بضائع توجيهات للناس أن يعودوا إلى دين الله .

فإذا تحقق للناس اسم إيمان والله يعلم أن الإيمان درجات والإمكانيات في إطار عمل المؤمنين متفاوتة قد لا يكون بعضها متوفراً لكن عندما يكونون يعملون بطاقتهم وينطلقون بجدية هنا تحقق لهم اسم إيمان لن يجعل الله للكافرين عليهم سبيلاً، عندما يقعد الناس وهم يرون عملاً بسيطاً لكنه عمل مؤثر يقول لك: ماذا سيعمل بأمريكا؟ تقول له: ماذا سيعمل بي أنا أمام الله، هذه القضية في المقدمة يحقق لدي اسم إيمان متى ما تحقق لدي اسم إيمان ورآني الله مؤمناً فلن يجعل للكافر الذي تقول:[إن معه، ومعه] لن يجعل له سبيلاً على من كانوا مؤمنين وإن كانت قدراتهم محدودة إذا قد صار هو يتحرك بطاقته وليس لديه فكرة تملص ومحاولة الهرب من المسئولية يؤدي فعلاً العمل في كل ما هو في متناوله يعمله، لكن لا تكن القضية عشوائية، رؤية واحدة توجه واحد ؛ لأنه هناك يأتي خطاب {كُونُوا} ليس المعنى كل واحد من عنده وكل واحد وفق رؤيته ؛ لأنه معلوم أن هذا لا يمكن به إقامة قسط، آراء متعددة خطب متعددة مواقف متعددة لا يحصل على الإطلاق إقامة [قبيلة] فضلاً عن إقامة قسط بكل ما تعنيه الكلمة هذه وبشمولها وسعتها.

عندما يقول لك: الشعار هذا ماذا يمكن أن يعمل بأمريكا؟! فقل: قد ظهر لنا بأنه مؤثر جداً على الأمريكيين وظهر أن باستطاعتنا أن نعمل ضدهم حتى بكلمات نرددها مثلما قلنا الليلة: عندما ترى حادثاً معيناً فقل: أمريكا وإسرائيل ، قضية هامة عندما ترى سحب أسلحة قل هذا وراءه أمريكا وإسرائيل ، كلمات أحياناً تكون الكلمة لها أثر كبير جداً، أعني: يحتاج الأمريكيون أنه حتى يجعلون لهم مبرراً هو عبارة عن كلمة يحتاجون أن يقوموا بأعمال كبيرة ويقتلوا أناساً منهم، أنت هي كلمة مجاناً تقدم لك، وأمامنا قد تقولها مجاناً لست بحاجة أن تفتعل أي شيء حتى تقدم كلمة قل: أمريكا وإسرائيل.

بهذه الأعمال يحقق الناس لأنفسهم أن يكونوا مؤمنين وفعلاً الله يقول في آية أخرى بالنسبة للمؤمنين الأوائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} (المائدة: من الآية١١) قوم آخرون كانوا أقوى منكم {فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} (المائدة: من الآية١١) لماذا؟ لأنهم مؤمنون {فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} هذه آية مهمة {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ} بهذه العبارة المؤكدة {لِلْكَافِرِينَ} لاحظ عبارة كافرين هنا هي تشمل كل فئات الكافرين: كافرين مشركين كافرين منافقين كافرين يهود كافرين نصارى كافرين بآيات الله بأي نمط وبأي نوع كان لن يجعل لهم سبيلاً على المؤمنين، لكن إذا كانوا فاهمين الإيمان ومستقيمين وإلا قد تفتح عليهم السبل من كل مكان، هذا مما يعطي طمأنة للناس للمؤمنين ومما يزيح كل المقولات التي تصبح عند الكثير عبارة عن مبررات بأن يقعدوا [يوجد ناس متآمرين وناس قالوا كذا وناس مخذلين وناس، وناس، إذاً لن يصلح شيء!] تقول في الأخير: مهما كانت الأمور لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً تحرك ألم يقدم المنافقين هنا فئة من الكافرين؟ لن يجعل لهم سبيلاً عليكم على الإطلاق تحركوا وسيتحقق لكم ما وعد الله والأمور بيد الله وكما يريد هو سبحانه وتعالى.

اتجه أيضاً لإيضاح النقاط نقاط الضعف وهذا أسلوب قرآني هام جداً ومن أهم الإيجابيات بالنسبة للعدو أنه يبين لك نقاط الضعف فيه حتى تعتبره في الأخير أنه فئة يواجه بقوة كبيرة وراءه لضربه، الآن أليس الناس في الدنيا هذه عندما ترى دولة معينة أو ترى شعباً معيناً هو عدو لك وترى دولة أخرى متجهة لضربه ألست تعتبر أنه في حالة ضعف؟ في حالة ضعف وقد تتشجع تعمل ضده لأنه في حالة ضعف هنا يقول لنا بالنسبة للمنافقين: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (النساء: من الآية١٤٢) إذاً لا تكترث بموضوع المنافقين بأنهم قد يعيقون تماماً، تعامل معهم تحرك في مواجهة ما يقولونه وفق ما وجه إليه الله ولا يحصل عندك أي احتمال بأن

هذه الفئة قد تنجح ويكون لها سبيل على المؤمنين أبداً لماذا؟ عندهم نقطة ضعف كبيرة جداً هم في مواجهة قوة تضربهم هم يخادعون الله وهو خادعهم فمن يكون الله يخادعه، يمكر به ـ كما يقول ـ ويكيد له ، أليس هنا يعتبر في موقف ضعيف؟ هذا أسلوب من أهم أساليب القرآن التي تعطي الناس أملا أنه يبين كل نقاط الضعف لدى الطرف المعادي.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلَّا قَلِيلاً} (النساء:١٤٢) نفسية مذبذبة نفسية غير مستقرة{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} (النساء: من الآية١٤٣) فلا إن جاء للكافر نصيب يكون محسوباً معهم في النصيب، ولا إن جاء للمؤمنين فتح يكون محسوباً معهم في الفتح يحاول يتطفل هنا وهنا: {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} (النساء: من الآية١٤١) عندما يأتي للمؤمنين فتح، ويقولون للكافرين: {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية١٤١) .

إذاً هم فئة ضالة ضائعة خاسرة{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} (النساء:١٤٣) لن تجد له سبيلاً ليهتدي إليه على الإطلاق، إذاً فالمنافقون هم فئة ضالة فئة أضلها الله أضاعها لن تجد لها سبيلاً ولن يكون لها سبيلاً تنفذ منه إلى المؤمنين فتعيقهم وتضرهم إذا كانوا مؤمنين بمعنى الكلمة لن تجد هذه الفئة أيّ سبيل لهدايتها إلى أيّ هدف من أهدافها، سبيل تهتدي به إلى أي هدف من أهدافها على الإطلاق{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: من الآية١٤٤) هنا بين كيف النتيجة عندما قال: هكذا شأن المنافقين هم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين هو بيّن كيف تكون نتيجة تصرفاتهم ومواقفهم: خاسرون ضالون لن تجد لهم سبيلاً، سبيلاً يهتدي به على الإطلاق .

هذه تهدم أيضاً الأشياء التي يطمح إليها المنافق يحاول يعمل كذا من أجل يتحقق له كذا كرر في القرآن في آيات أخرى مررنا بها أنه فعلاً كلما لديهم من طموحات وآمال لن تتحقق أبداً ، فيجب أن يحذر المؤمنون أن يتخذوا الكافرين أولياء تحت أي غطاء كان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً} (النساء:١٤٤) أليس هذا تهديداً رهيباً جداً؟ ستفتحون على أنفسكم المشاكل هي هنا فتّاح المشاكل إذاً فيجب فعلا أن نفهم.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} (النساء:١٤٦) اعتصموا بالله مقابل أن يتولوا الكافرين هم يريدون عزة يريدون منعة يريدون وقاية من الشر فليعتصموا بالله . {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا} بدل ما أفسدوا بنفاقهم أو أفسدوا بتوليهم وإن كان تحت رؤى أو دعاوى مصلحة{وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} معناه أنه هكذا يجب أن يكون المؤمنون عندما يقول: {فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} هل يكون هؤلاء المؤمنين من النوع الذين يقولون: [ليس لهم دخل؟!] هؤلاء ليسوا مؤمنين. المؤمنون يكونون هكذا: تائبين، مصلحين، معتصمين بالله، مخلصين دينهم لله{وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً}المنافقون في الدرك الأسفل من النار وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً في المقابل. هذا التحذير الهام جداً الذي يتناول أشياء في الدنيا في هذه الحياة ويتناول أيضاً الحديث عن العقوبات في الآخرة جهنم نعوذ بالله.

الله يقول: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} (النساء: من الآية١٤٧) أي أن الله ليس هو الذي يبحث كيف يقلب المصايب عليكم مثلما يقول هناك: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً} وعندما يقول في الأخير: {فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (النساء: من الآية١٤٥) ليس معناه أن الله يبحث لمبرر كيف يعذبكم وكيف يسلط عليكم لكن أنتم الذين تفتحون على أنفسكم بما يبدو وكأنه إرادة من جانبكم وكأنكم تريدون أن يوقع الله بكم ما يحذركم منه ، هنا أيضاً يأتي يحذر الناس ويبين لهم ماذا سيحصل عندما يبتعدوا عنه وعن دينه ؛ لأنه رحيم ليس عدواً وهو غني عنكم{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً} (النساء:١٤٧) .

إذاً فمن عندكم أنتم ما يقيكم عذابه أما من عنده هو فهو لا يأتي يتمحل كما تعمل أمريكا ، أليست أمريكا تبحث هي كيف تصل إلى احتلال الناس وتعذيبهم وإهانتهم هم يحاولون هم يختلقون أشياء ويلصقونها بأي شعب، لا. الله ليست طريقته هكذا، يبين للناس كيف الطريقة التي هي إذا ساروا عليها يكونون مفلحين وناجين وأعزاء وأقوياء.. إلى آخره، تكون النتيجة جيدة بالنسبة لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويبين لهم أيضاً عندما يخالفون كيف ستكون العقوبة عندما يقول إنها تأتي من عندهم هم من عندكم أنتم أنتم أما الله فهو لا يبحث عن مبررات كيف يعذبكم هذا العذاب في الدنيا أو العذاب في الآخرة أنتم الذين تعملون ما يجعله يقضي بعذابكم . كلمة: {بِعَذَابِكُمْ} تشمل هنا ما يأتي في الدنيا وما يأتي في الآخرة مثلما قلنا التهديد السابق كله حول أشياء في الدنيا وفي الآخرة .

{لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً}(النساء:١٤٩) يأتي في كثير من المقامات عندما يبدو الموضوع فيه سخونة فيه توعية ساخنة التزام في النفسية نفس أن هناك قيم يجب أن تكون ملتزما بها قيم يجب أن تكون ملتزماً بها ولهذا يذكر إقامة القسط: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}(النساء: من الآية١٣٥) ويذكر كيف يجب أن يكونوا إضافة إلى آيات أخرى، ويذكر أيضاً فئات هي تعمل لكن يجب أن يفهم الناس بأن الإسلام وهو يبني الناس أن يكونوا أقوياء وأشداء وأولي بأس شديد كما قال في آيات أخرى أن هناك قيم يجب أن يكونوا ملتزمين بها والإلتزام بها لا يمثل عائقاً أمامهم لا يمثل عائقاً أمامهم سواء كان فيما يتعلق بأقوالهم أو أعمالهم {لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}(النساء: من الآية١٤٨) فليكن قولك قولا سديدا مع كل الأطراف القول الذي يدعوهم إلى الله هدى ليهتدوا يبين لهم خطأ ما هم عليه، ولك في حالة إذا أنت مظلوم أن تجهر بكلام هو مما يسوء الطرف الظالم ، لكن يجب أن يكون كلاماً حقيقياً أن يكون كلاماً حقيقياً لا يكن فيه بهتان لا يكن فيه زور لا يكن فيه كذب كلام حقيقي كلام مثلما قال في الآية السابقة بالنسبة للمنافقين: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}(النساء: من الآية٦٣) قولاً مؤثراً قولاً يلهب داخله، هذا يأتي حتى بعبارات ولو لم تكن بعبارات مما يسمى: سباً مثلاً يكون بعبارات عادية قولاً بليغاً.

{لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ} إذا ظلم فلا بأس لكن يأتي بعد: {إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً} لكن متى يمكن أن يكون الإنسان يعفو؟ في حالة الإقتدار لكن عندما تكون أنت أمام جهة هي تظلمك وتظلم الأمة جميعاً وتهاجم دينك وتهاجم نبيك وتهاجم كتابك تتجرأ حتى على الله سبحانه وتعالى وأنت في الطرف الآخر لست في جهة قوة باعتبار إمكانيات هذه الحياة حتى ماذا؟ يكونون تحت رحمتك فتعفو عنه أو تقابله بكلام سيء هنا لك أن تجهر بالكلام الذي يسوءه ويكون في إطار عملي لا يكون فقط مسألة تشفي إطار عملي عندما يقول هناك: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} ليست قضية تشفي لأن الإنسان المؤمن عليه أن ينطلق ويكون الشيء الذي يسيطر على مشاعره هو العمل لله وفي سبيله بمقدار ما يكون كلامه بليغاً له أثر في نفسية هذا العدو وله أثر إيجابي في ماذا؟ في المجال العملي لك أن تقوله.

من الكلام الذي يسوء اليهود والنصارى ويخافون منه كلمة: الموت [الموت لأمريكا] لا يحب أن يسمع كلمة موت نهائياً نهائياً [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] ولهذا قال الله هناك في الآية: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}(آل عمران: من الآية١١٩) قل موتوا بغيظكم وذكرهم هو سبحانه وتعالى بالموت في آيات سابقة قرأناها: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}(آل عمران: من الآية١٨٥) جاءت بعد الكلام عن بني إسرائيل مع أنها لا تعتبر كلمة سيئة لكن هي بالنسبة لهم تسوءهم أن يسمعوها، وعندما تنطلق يجب أن تنطلق في إطار عملي إطار عملي ليست مجرد كلمة تشفي هكذا، كلمة لها تأثيرها كلمة تنطلق من جهة هي تعمل لتقف في وجوههم على أساس كتاب الله، وبإذن الله، فهذا العمل في نفس الوقت له إيجابية كبيرة جداً شعار: [الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام] كلمات هامة ولها أثر في نفس الوقت أثر كبير أمام أشياء كثيرة في نفسياتهم من المؤامرات والخطط والخبث وتسد أمامهم منافذ كثيرة من التي يحاولون أن يستغلوها.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً}(النساء:١٥١ -١٥٠) هذا بعدما يقول للناس أن يكونوا قوامين بالقسط كلمة واسعة وعمل كبير وواسع جداً، ليس معناه أن يقولوا في الأخير ماذا نعمل هنا يقولون سمعنا وأطعنا لكن ماذا نعمل؟ يشرح لك ميادين عملك، يشرح لك كل الفئات التي يجب أن تقاومها لأن مقاومتك لها إزالة فساد مقاومتك لها في إطار إقامة قسط وإقامة قسط في نفس الوقت{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} ماذا نعمل؟ يقول لك هنا: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ} أليست راجعة إلى بني إسرائيل يتحدث عنهم، ودائماً يذكر العدو بما يشخصه فتراه سيئاً جداً وبما يثبت فيه نقاط الضعف، هذه تحصل في آيات سابقة يتحدث هنا عن هؤلاء يقول في الأخير: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً}(النساء: من الآية١٥١) لتراهم على واقعهم سيئين جداً.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} أين هذه بارزة في من؟ في بني إسرائيل في أهل الكتاب: اليهود والنصارى{وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} منهجاً ثانياً وفق أهواء وفق مصالح معينة ووفق ما يشفي غليلهم وعداوتهم للبشر وعداوتهم بالذات للمسلمين للمؤمنين{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً}(النساء:١٥١) إذاً ففي مجال{لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}(النساء: من الآية١٤٨) هنا يفتح لك المجال أمام أعداء من هذا النوع أنت قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً عندما تكون المصلحة العملية في إطار إقامة قسط وتطبيق توجيهات الله [أنت قل...] أليس هنا جاء بكلام يعتبر فعلاً سيئا بالنسبة لهم يكشف سوءهم.

{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} بعضهم يقول: أليس الله يقول: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ}(الأنعام: من الآية١٠٨) فلا أحد يسبهم؟ لا. هذا توجيه؛ لأنه قد يكون مثلاً بعض الناس ينطلق هو بعبارات ليست جيدة ليس لها قيمة عملية بل قد تكون مثيرة مثلاً بالنسبة لأطراف معينة يقول لهم: اسكتوا أنتم هو سيتولى الموضوع، أليس الله ذكر في القرآن الكريم الكلام الكثير الذي فيه سب للمشركين وسب للآلهة لأن هذا هو المنطق الحكيم الذي يكشف واقعهم وليس مثلما يعمل البعض عندما يخرجون في المظاهرات يسب شارون، يسب بوش ، أليس هكذا بعضهم يعملون؟ هذا لا ينفع .

في الإطار العملي يجب أن يكون كلاماً بليغاً كلاماً حكيماً وكلاماً مؤثراً، يسكت أطراف لا يعرفون كيف يتكلمون، هذا الكلام الذي يقوله الناس والذي هو كشعار يرفع، شعار يرفع لو يرفع بدلاً عنه عبارات سب لما كانت مزعجة لليهود لما كانت مزعجة لأمريكا وإسرائيل ، يأتي أشخاص يسبون بوش ويسبون شارون هكذا صراحة هل أمسكوا بهم في المظاهرات؟ كان في المظاهرات يحاولون بعد الذين يرفعون شعارات يعلمونهم حتى يمسكون بهم بعد يعلّمون في ملابسهم بأخطاط، كان بعض المخابرات يمسكون بهم لا يحاولون فيمن يسب بوش بنفسه بعضهم يسب بوش بنفسه لا يمسكونه ولا يعتبرونها قضية، عارفين هذا الكلام أهوج لا قيمة له عملية، وهم سياسيون كل شيء عندهم يصنف باعتبار أثره على مؤامراتهم وعلى خططهم وعلى سياستهم ليس عندهم عيب ولا شوعة ولا شيء نهائياً .

لاحظ هنا بعد قول الله سبحانه: {لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ} كثير من الناس ينبغي أن يسكتوا يأتي بكلام سيء وليس له قيمة عملية ؛ لأنه هناك في قول الله تعالى: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}(النساء: من الآية٦٣) من الذي يعرف أن ينتقي قولاً بليغاً ، القول البليغ من أمثلته: {مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}(آل عمران: من الآية١١٩) هذا من أمثلته لماذا؟ لأن هذا معناه هم هؤلاء عارفون نوايانا من داخل لم ينفع خداعنا لهم: {آمَنَّا} {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}(آل عمران: من الآية١١٩) لأن القول البليغ هو الذي يجعل الطرف الذي يقوله يبين لك أنه يعرف واقعك يوجد عندك هزيمة نفسية يوجد عندك إحباط في حركتك أنت ، لاحظ عندما قال الله: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} كيف كان القول البليغ بالنسبة لهؤلاء: {مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} من أخبره أن هناك غيظاً فأن يعرف أنك عارف أن داخله غيض شديد فتقول: موتوا بغيظكم يعني: أنك فضحته أمام نفسه

وبينت له بأنك تعرف واقعه وتعرف حقيقته وأنه لا ينفعه خداعه معك وتضليله لا يؤثر عليك ، أليس هذا من القول البليغ فعلاً بالنسبة لليهود؟

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً} (النساء: من الآية١٥٠ـ١٥١) مهما أظهروا أنفسهم وأنت ارجع إلى الكافرين في القرآن لتعرف كيف تكون أعمالهم وكيف تفكيرهم وكيف رؤيتهم وكيف خططهم وكيف مصيرهم وكيف خسارتهم في الدنيا وكيف خسارتهم في الآخرة {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} (النساء: من الآية١٥١) في الدنيا وفي الآخرة ، يعني: الله يحسسهم في أنفسهم أن يعلموا بأنه يعلم بواقعهم وأنه معد لهم عذاباً مهيناً، وعذاب مهين عندما تأتي كلمة: عذاب في كثير من الآيات المطلقة لا تأتي فقط تقصرها على عذاب الآخرة قد تكون شاملة فعلاً لعذاب في الدنيا وعذاب الآخرة هو قال في آية أخرى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} (الأعراف: من الآية١٦٧) أليس هنا في الدنيا؛ لأنهم هم من تصدق عليهم هذه فيما يتعلق بالتفريق بين الله ورسله، والتفريق بين رسله، يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويقدمون هم من عندهم شيئاً على هواهم وعلى ما يحقق أهدافهم ومصالح معينة هذا يعني: أنهم خاسرون ، أليس هذا يعني: أنهم خاسرون؟

أن تأخذ من هذه الآية أن تعرف هكذا يكون أعداؤك هم أعداء لله وهكذا واقعهم، هم في حالة ضعف وفيهم نقاط ضعف خطيرة وهم في نفس الوقت هم أعداء لله والله لا يمزح مع أعدائه هو يخادعهم يمكر بهم يكيد لهم يضربهم.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} على طريقة يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما يفعل بنو إسرائيل{أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} هكذا يرفع معنويات المؤمنين من خلال تقديم واقعهم وواقع أعدائهم ويعرفون هم أنهم في مقام عظيم وأنهم موعودون بفضل عظيم من الله. فعندما ينظر واحد إلى الفئتين هذه أين الفئة التي تعتبر جانبها قويا ألم يقدم أمامنا هنا فئتين؟{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} (النساء:١٥٠ـ١٥١) هذا طرف. {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} (النساء:١٥٢) من الطرف الذي يعتبر في واقعه أقوى؟ أليس طرف المؤمنين؟ فلماذا يأتي المؤمنون يعتبرون أنفسهم أنهم ضعاف وهو هنا يقدم من خلال المقارنة أن يعرفوا موقعهم أنه موقع قوة ؛ ولذلك قال في آية أخرى: {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} (محمد: من الآية٣٥) .

وهذه هي التي يجب أن تحكم ثقافة الناس في الحديث عن المؤمنين؛ لأن البعض يتجه إلى أن يقدم صورة عن المؤمنين أنهم [مستضعفون ومساكين ويرحموا الله ولازم يتحمل واحد ويصبر وهي دنيا] وإذا أنت قد أصبحت ترى بأنه هكذا يجب أن يكون المؤمنون! يقدم من خلالهم مقارنة ليعرف المؤمنون موقعهم أنهم الأعلون بكل المقاييس ويقول هنا: {أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ} يذكر في آيات أخرى أجراً في الدنيا إضافة إلى الأجر في الآخرة إضافة إلى ما وعدهم به من تأييد أيضاً أجر ، أليس الناس الآن بحاجة فقط إلى التأييد سيحصل تأييد وأمن وأجر في نفس الوقت في الدنيا وفي الآخرة .

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ} (النساء: من الآية١٥٣) هذا في إطار تشخيص نفسياتهم ورؤاهم وكيف هم ، وهذه لها قيمة كبيرة جداً في مجال معرفة مواجهتهم والتعامل معهم في إطار المواجهة تكون عندك صورة واضحة عنهم فترى هذه الصورة بالشكل الذي تقطع عندك أي أمل أو طمع فيهم يجعلك تثق بهم نهائياً أو أنهم سيكتفون منك بشيء معين يبحثون عن المستحيلات يتمحلونها، انظر كيف تعاملهم في فلسطين تعامل يعلقون القضايا على ما تعتبر أشبه شيء بالمستحيل{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ} وهذا

الكتاب واضح وقد عرفوه كما يعرفون أبناءهم وعرفوا رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) هكذا وعرفوا بأن هذا منزل من عند الله ، هم يعرفون الكتب السماوية كيف تكون عادة والمواضيع التي تتناولها ومنطقها ، ومع هذا يريدون أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، أليس هذا من المطالب التي تعني ماذا؟ أنه كلما تحاول ترضيهم في موقف لن يرضوا عنك سيبحثون عن مطلب آخر، سياستهم الآن قائمة على هذا، عندما تقول: لا بأس نمشيهم في هذه من أجل عسى.. لا تدري وقدم لك مطلباً ثانياً ومطلباً ثالثاً لو لم ير إلا مطلباً مستحيلاً سيقدمه.

{أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ} يرونه وهو ينزل{فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ}(النساء: من الآية١٥٣) هذا مواساة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يبين هكذا طبيعتهم وتمحلاتهم بعدما يكونون قد تبين لهم الهدى وآيات واضحة أمامهم جلية{فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً}(النساء: من الآية١٥٣) إذا طلبوا منك كتاباً من السماء هم هكذا{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ}(النساء: من الآية١٥٣) هل تقول بأنهم يريدون كتاباً من السماء من أجل بينات من أجل يهتدون جاءت لهم آية بينة أخذتهم الصاعقة وأحياهم وتراهم هناك يتخذون العجل من بعدما جاءتهم البينات، لو نزل كتاباً من السماء سيستمرون على تلك الطبيعة.

هذه لها قيمة في معرفتهم أعني: العرب كانوا بحاجة ماسة إلى معرفتهم من خلال القرآن فعلاً يعرف أنهم أناس عندهم طلبات متعددة ولا يقف ولا يسكت ، بعض الناس يقولون: نسكت، يتصورون لو نسكت من هذا الشعار عندهم ما هناك أي إشكالية نسكت وهم هؤلاء يقدمون طلبات أثناء ونحن نرفع شعار، أليسوا يريدون أن يغيروا المناهج ولهم موقف من القرآن بأنه لا تقرأ آيات منه يتحكمون في مناهج التربية، ونحن نرفع شعار، هل تتصور بأنه عندما تسكت سيسكتون سيقدم طلبات ثانية، قدم لهم السعوديون تنازلا قالوا عن أكثر من ألف خطيب أبعدوهم، لم يسكتوا عنهم قدموا طلبات، إعرف أنه هكذا طبيعتهم طلبات، طلبات وإن لم يجد إلا المستحيل يطلبه وفي الأخير يقف منك موقفاً أنك لماذا لا تقدم له المستحيل.

{ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ}(النساء: من الآية١٥٣) أيضاً في ذلك الزمن ولم يهتدوا {وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً}(النساء: من الآية١٥٣) سلطاناً واضحاً بينات واضحة ولم تنفع معهم {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء:١٥٤) مثلما تقول: فلم ينفع. إذاً معناه بالنسبة للمسلمين ليس أن الله يقدر، الله يقول هناك هو غني عن عباده وهو يعاقب الكل ، ما قيمة هذا؟ هل الله يشكي أمامنا منهم؟ لا. هو القدير هو الغني هو القاهر لكن يبين لنا بأنه هكذا واقعهم، جبل قد رفعه فوقهم جبل الطور {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}(البقرة: من الآية٦٣) أعاد الجبل سجدوا ذلك الوقت وأعاد الجبل وعادوا لذلك المطلب حقهم، بمعنى: أن الناس يعرفون كيف هذه الفئة، أنت في حالة الصراع معهم لا تدخل معهم في مفاوضات يتوهوك في المفاوضات.

لاحظ الآن كيف يعملون مع حزب الله، طمعوا حزب الله ودفعوه يتكلم بأنه سيطلق الأسرى اللبنانيين والفلسطينيين وأردنيين وعرب آخرين ولم يحصل شيء إلى الآن وفي الأخير لاحظ كم لهم شهور وأخذ ورد، فلان نحن لسنا مستعدين أن نطلقه، عندما سمعوا نصر الله يقول: سمير القنطار أول القائمة، قالوا: سنطلق اللبنانيين إلا سمير! هم لم يخدعوا فعلا العرب ويلعبوا بالعرب إلا لأنه لم يحاول العرب أن يفهموا عنهم صورة كاملة، لا يمكن أن تحصل على صورة كاملة عنهم يبين لك ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وأعماق نفسياتهم إلا من خلال القرآن؛ لأنه يذكر مواقف ثابتة أمامهم، مواقف ثابتة يعني: اعتبرها قضية مستحيلة: أن تعتقد بأنه تتوقف عن شيء أو تستجيب لمطلب معين منهم وسيسكتون، يقدمون طلبات، طلبات على طول، على طول يبحثون عن المستحيل، عندما تقول: مستعد، مستعد، هنا يقدمون طلبات، داخل الدول العربية وهم يقولون: مستعدين، مستعدين، مستعدين ولم ينفع نهائياً .

لاحظ كيف السرد هنا السرد في هذه الآية سرداً لقضايا كثيرة كأنها مثل ما يقول واحد في الأخير: ولم تنفع فيهم؛ لتعرفوا كيف هم {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء:١٥٤) فلم ينفع معهم إلا ماذا؟ لعن {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} (النساء: من الآية١٥٥) قالوا: نحن لا نفهم ماذا تقول، هم قالوا لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله): {قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} إلى أن قال بعد: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} (النساء:١٥٦ ـ١٦٠) هكذا يبين ما حصل عليهم من عقوبات سرد أشياء كثيرة تخلل أثناءها كلام عن المسيح جاء لحد الآن في هذه: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} (النساء: من الآية١٥١) وفي آية سابقة: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} (المائدة: من الآية١٣) إذاً {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} .

وأحياناً يكون أسلوب القرآن أن يوكلك على ما قد عرفت عمّا أعطاك من صورة، عما حصل عليهم فيما يتعلق بأنفسهم وواقع حياتهم وعقوبات كثيرة أتت لهم في الدنيا وعقوبات وعدوا بها في الآخرة؛ لأنهم هكذا: ينقضون ميثاقهم ويكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ويقولون في مواجهة البينات التي تدخل إلى أعماق القلوب يقولون: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ} هم هكذا جريئين، نحن قتلنا عيسى بن مريم رسول الله، يعني: وقد تبين لهم أنه رسول الله {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً} (النساء:١٥٧) فقط يظنون ظناً ليس لديهم يقين بأنهم قتلوه ومع هذا يقدمون المسألة وكأنها ماذا؟ وكأنها قضية يقينية مسلّمة من المسلمات موضوع الصليب أليسوا يتعلقون الصليب ويعتبرونه أنه قتل؟ {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء:١٥٨) لأنه فعلاً لم يقتلوه، وكلمة: رفعه ليس معناها: أنه بـ[الونش] هكذا بجسمه إلى السماء! مثلما يقولون: لحق بالرفيق الأعلى عندما يموت الإنسان، لحق بالرفيق الأعلى؛ لأنه في آية أخرى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (آل عمران: من الآية٥٥) متوفيك ورافعك {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء:١٥٨) .

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} (النساء:١٥٩) لاحظ هذه الآية من الآيات التي يحصل اختلاف كبير حول تفسيرها {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} يقدمون معناها: أن ما هناك من أهل الكتاب أحد إلا وسيؤمن به قبل موته، وطلعت إشكالية في: قبل موته ، هل معناها: قبل موت المسيح أو موته أي موت أحد من أهل الكتاب، في الأخير قالوا: إن معناها: ربما كل واحد من أهل الكتاب، الكافرين بعيسى أنه سيراه قبل موته يتشخص له قبل موته ويؤمن به، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً.

ويبدو هذا التفسير أنه فعلاً أشياء تقديرية، وتمحُّل، الحسين بن القاسم يفسرها بأنه قد تكون العبارة هذه: {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} هي عبارة مستقبل وتعني الماضي وأن هذا أسلوب عربي، بمعنى: أن من كان من أهل الكتاب مع وجود المسيح أن من كانوا مؤمنين به قبل موته فسيكون شهيداً عليهم على من كان يعرفهم ومن كان معاصراً لهم، هذه في آية أخرى في آخر [سورة المائدة] فيها ما يقرر هذا: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (المائدة: من الآية١١٦) أليس هذا حصل من بعد؟ {قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ

الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ} (المائدة: من الآية١١٧) ألم يتكلم هنا عن فترة بقائه في أولئك الناس الذين كان معاصراً لهم؟ {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المائدة: من الآية١١٧) معنى هذا بأن شهادة عيسى فعلاً ستكون على أولئك الذين كان معاصراً لهم آمنوا به وشهد أنهم آمنوا به لا يعلم بما حصل من بعد ولم أقل لهم أنا هذا الشيء الذي ظهر من بعد؛ لأن أول عبارة قالها: أنه عبد الله {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} (مريم: من الآية٣٠) أول ما نطق بها بعدما أتت به أمه إلى قومه .

البعض يجعل من الآية هذه أن المعنى: أن المسيح سينزل في آخر الزمان! بمعنى أن ما من أهل الكتاب أحد إلا وسيؤمن به في آخر الزمان عندما ينزل وسيؤمنون جميعاً ! هذا التفسير ينقض القرآن نفسه لأنه يبين القرآن بأنه يبدو سيظل يهود ونصارى إلى يوم القيامة سيبقون ولو بقايا بعد حروب تحصل أو بعد أناس يسلمون منهم مثلما قال هنا في نفس الآية: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} (آل عمران: من الآية٥٥) هذه العقيدة انتشرت وبالذات في أوساط السنية والإثناعشرية: أن المسيح سيعود في آخر الزمان وسينزل من السماء ويتجه ويؤمن به النصارى ويجعل النصارى كلهم يسلمون، لكن هذه لا يوجد لها ما يطمئن الإنسان على أن يقول بها فعلاً ويعتبرها صحيحة؛ لأنه بالنسبة للنصارى هل هم يعرفون شخص عيسى عندما يأتي؟ وبالنسبة لليهود هل يمكن أنهم سيفرحون عندما يرونه وسيؤمنون به وهم كفروا به ذلك الزمان؟ بعدما أراهم بينات رهيبة جداً واضحة جداً وهو يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله وينبئهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرونه ذلك اليوم ولم تنفع فيهم.

هل هو شخص يعرفونه عندما يأتي أو سيكون نبياً من جديد؟ الله يقول: {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (الأحزاب: من الآية٤٠) لا يوجد نبي من بعده على الإطلاق، هم منتظرون، المسيحيون أنه سيرجع منتظرون أنه سيرجع وهي قضية لفقوها هم من بعد واليهود منتظرون مخلّصاً أيضاً يظهر وفي الأخير لا تدري إلا وقد اشتركت العقيدة اشتركوا فيها هم وكثير من المسلمين، مسألة نزول المسيح، اليهود هم على رؤيتهم فيه، والنصارى يعرفونه باسم أنه المسيح ذلك سيعود، والإثناعشرية والسنية كذلك عندهم سيعود هو والمهدي، ويعملون أشياء ويفتحون القدس ويتجهون إلى بلدان أوربا ويجعلونهم يسلمون، كل المسيحيين يسلمون عندما ينزل عيسى!.

إن كانت نبوة جديدة فهذا غير ممكن، كنبوة جديدة يحتاج إلى معجزات ويحتاج، ويحتاج.. وإن كان مسألة دعوة فالواقع أنه يكفي القرآن الكريم؛ لأن الله قد جعله بالشكل الذي تتجلى مصاديقه في هذه الحياة ، أعني: هو عصر رسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يقل في القرآن الكريم: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت: من الآية٥٣) ؟ فكل الشواهد التي تأتي من خلال اكتشافات علمية ومن خلال حركة الحياة هذه، هي كلها بالشكل الذي تشهد لهذا الكتاب، هل يوجد هناك مثلما تقول: إنه يشهد لما في الأناجيل؟ أول شيء الإنجيل ضائع، الأناجيل الموجودة يأتي الواقع يكذب ما فيها، في كثير مما فيها، هو عصر الشهادة للقرآن الشهادة لرسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

ليس معناه بأنه لا يوجد دلائل على الإطلاق من واقع الحياة تجعل الإسلام هذه الرسالة التي جاء بها محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الظاهر في هذه الحياة، هو الظاهر فيه من خلال الآيات الكثيرة إلا أن يأتي بعيسى بن مريم ينزل من جديد وكأنها نبوة من جديد، هذه القضية بعيدة أعني: خلاصتها الأشياء كلها بإرادة الله لكن لا يوجد بين أيدينا ما يمكن أن نعتبرها عقيدة صحيحة فعلاً، هذه الخلاصة كل ما يقال حولها ليس بالشكل الذي يطمئن الإنسان بأنها عقيدة صحيحة أنه سينزل نهائياً، منها هذه الآية التي في [سورة المائدة]: {أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ} (المائدة: من الآية١١٦) أليس هذا الكلام من بعد فقال: {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} (المائدة: من الآية١١٧) هناك قال: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (آل عمران: من الآية٥٥) أليس هنا يبين بأن هناك مسيرة من بعده، من بعد توفيه له؟ {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني: أن هناك مسيرة في الحياة من بعده

طويلة، هو لا يحكي بأنه أيضاً من جديد قد بعثه؛ لأن الكلام هذا الله يقول عنه: أنه سيقول لعيسى يوم القيامة، يوم القيامة سيقوله.

تجد كل الإكتشافات الآن ليس فيها شهادة لشيء موجود لديهم من عند عيسى، اكتشافات أعني: انظر الأناجيل هل الإكتشافات العلمية هل حركة هذه الحياة تمثل شهادة لما في الأناجيل الموجودة؟ لا، تجد فيها أشياء أثبت الواقع بأنها غير صحيحة ومكذوبة، كل ما يأتي من شواهد كلها شواهد للقرآن، حتى في حركة الأمم هذه الصراع تجده أيضاً يشهد لهذا القرآن والذين يدّعون بأنه سيعود يجعلون الآية هذه بأنها تعني: أنه سيعود وسيؤمنون به، لكن لاحظ العبارة هنا: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} معناها: ما من أحد من أهل الكتاب، أليس معناها هكذا؟ إذاً هذا ضعيف جداً مع الآيات الأخرى بل قد نقول فعلاً بالنسبة لعبارة{إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} الفهم الإجمالي لهذه الآية بشهادة الآيات الأخرى أن من كانوا من أهل الكتاب كانوا مؤمنين به في حياته {مَا دُمْتُ فِيهِمْ} (المائدة: من الآية١١٧) {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} (النساء: من الآية١٥٩) على أولئك الذين آمنوا به كمؤمنين، وسيشهد بالنسبة للآخرين بأنهم ماذا؟ جاؤوا بشيء ولم يأت به عندما يقول: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (المائدة: من الآية١١٦) فهو أدلى بشهادة الآن يحكيها، الله سيقول يوم القيامة شهادة بأن ما قدموه بعد من عقيدة باطلة جعلوه هو وأمه إلهين من دون الله، أنها قضية لم يقلها وإنني {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ} (المائدة: من الآية١١٧) أليست هذه شهادة على المؤمنين في عصره من كانوا مؤمنين، ويشهد بكذب من بعدهم ممن افتروا على الله وجعلوه هو وأمه إلهين؛ لأنه لم يقل هذه ولم يعلمهم هذا، أنت {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} (المائدة: من الآية١١٦) أليس هكذا قال له: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} (المائدة: من الآية١١٧).

فهو يشهد بكذبهم من بعد، هل هناك حاجة إلى أن يظهر أيضاً من جديد حتى يكون شاهداً، شاهداً عليهم، قد شهد بأن ما افتروه إنما ادعوه، أنه إله من دون الله، أنه لا أصل له، إذاً فيكون هذا نفسه مما في الآية هذه مما قد يكون أسلوباً من أساليب اللغة؛ لهذا نقول: اللغة العربية القرآن الكريم يمثل مرجعاً مهماً في توثيق أساليبها في توثيق أساليب اللغة، وعادة استعمالات الناس فيما يتعلق بأساليب اللغة بعضها لا يصل إليها الناس في استعمالهم اليومي، قد يصل مثلاً الأدباء والشعراء إلى استخدام الأساليب أكثر مما يستخدم الناس العاديين، لاحظ حتى في المفردات نفسها كم نسبة المفردات التي نستخدمها من اللغة؟ نسبة محدودة، الأديب الشاعر يستخدم مفردات أكثر كذلك أساليب من أساليب اللغة فيما يتعلق بالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والغيبة والخطاب وأشياء من هذه، والتنقل بين هذه أسلوب معروف قد يكون بعض الأساليب مثلاً غير ظاهر لكن قد يكون [من الأساليب التي كانت مستخدمة عند العرب وخاصة الأدباء والشعراء] فكيف بهذا الكتاب الذي هو للعالمين.

اللغة تتقدم على سعتها وأكثر ما يضمن التوثيق لسعة اللغة توثيق أساليب اللغة نفسها، نحن قلنا أيضاً في الحروف المقطعة [أ، ل، م]إلى آخره.. أنها أيضاً يستفاد منها توثيق هجاء الحرف العربي؛ لأن الله قد أراد أن تكون هذه اللغة هي اللغة العالمية؛ لأن الله جعل رسالة هذا القرآن عالمية، واصطفى للعالم لغة عالمية، هي أقوم لغة، أن يصطفيها الله سبحانه وتعالى ليس معناه أنه اختيار قومي أبداً، القرآن كما قال الله عنه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) ومما هدى إليه أن تكون اللغة العالمية هي اللغة العربية، أليس الآخرون بعد ما اتسع العالم وبعد ما اتسعت عوامل التواصل فيما بينهم احتاجوا إلى لغة عالمية؟ قدموا اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، يعني أن العالم هو بحاجة إلى لغة عالمية واحدة، فهذا اختيار من الله، أن تكون هي اللغة العربية معناه إذاً فبالنسبة للقرآن الذي فيه هدى من الطبيعي أن يكون متضمناً ما يعتبر توثيقاً لأساليب هذه اللغة ولهجاء نسبة كبيرة من أحرفها .

فكلام الإمام الحسين بن القاسم عندما يقول: إن الكلام هذا من الأساليب التي في اللغة، هو إنسان ملم باللغة، الإمام الحسين بن القاسم العياني ومعه تفسير لكن ليس متكاملاً تفسير لغوي، أعني: إنسان عنده سعة في موضوع

اللغة وأساليب اللغة ومفردات اللغة، يذكر هنا بأنه تأتي العبارة بشكل مستقبل وهي ماذا؟ تعني الماضي بالنسبة لنا هي حكاية بالنسبة للماضي، لكن وتجد بالنسبة لواقع واقع وجود عيسى ألست تجدها حالة مستقبلية؟ لأن معناها من كانوا يؤمنون به أو من سيؤمن به كان يؤمن به، ستراه حالة مستقبلية أثناء فترة عيسى، يعني: أن من أهل الكتاب منهم مؤمنون به، الكل من آمن به أو كل من سيؤمن به إنما سيؤمن به في حياته ويكون شهيداً عليه كمؤمن به في حياته، الآن لو ترجع إلى فترة عيسى ستراها فترة مستقبلية وهنا يحكي مثلما تقول لا يحكي مجرد قضية يحكي ما كان يحصل داخل تلك المرحلة، ما كان يحدث داخل تلك المرحلة، أي لو أنت في عصر عيسى أنت ستقول: كل واحد سيؤمن بعيسى سيؤمن به، ألست ستقول هكذا؟ وممن يؤمن به سيكون شهيداً عليه في حياته، أعني: على من آمن به في حياته.

وليس المعنى أنه سيؤمن به كل أهل الكتاب، هذه بعيدة، والقرآن الكريم يبين في آيات أخرى ما يستوحى منها بأنه سيبقى بقايا يهود ونصارى، بل ربما تبقى معتقدات من هذه لديهم وإن كانوا قد يكونون في ظرف من الظروف لظهور الإسلام قد يكونون فئة قليلة، فهنا قال: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (المائدة: من الآية١١٦) **أي أنه سيقولها يوم القيامة وأن القضية ستستمر في المسيحية إلى الله أعلم، ولو أسلم منهم من أسلم قد يبقى منهم من يبقى، ويبقى على العقيدة التي لديهم.**

إذاً فالخلاصة في موضوع عيسى هو هذا أنه وهي ليست قضية سائدة عند الزيدية قد تكون دخلت متأخرة في بعض الفنون المتأخرة وكأنها تسربت هي سائدة عند نسبة كبيرة من السنية، بل وفي السنية أيضاً رأيت في إحدى المرات رسالة لأحد المصريين في مجلة [التقريب بين المذاهب] استبعد ذلك فيها، كلام له تقريباً حوالي صفحتين في إطار حديث آخر بيّن استبعاد أن يعود المسيح فعلاً لكن السائد هكذا أنهم يعتقدون أنه سيعود المسيح داخل النصارى وداخل نسبة كبيرة من المسلمين بما فيهم الإثناء عشرية، نحن نقول ما هناك ما يدل على هذا، الله على كل شيء قدير لكن ليس هناك ما يدل على هذا نهائياً، وما دام ما هناك ما يدل عليها، ويجعل الإنسان يطمئن إليها فلا يصح أن تصبح عقيدة يعتقدها الناس على الإطلاق، بل يوجد ما يدل على بعدها أن تكون قضية فعلاً، حقيقية.

{فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} (النساء:١٦٠) **هذه الآية هي عائدة على الكلام الأول {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}** (النساء: من الآية١٥٥) **ثم {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} هذا الظلم الذي ذكر تفصيلاته بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وأشياء كثيرة ذكر مما وقع عليهم من العقوبات: {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} إذاً، عندما يكون الناس يسلكون طريقة بني إسرائيل ـ وإن لم يكن هناك تحريم لا يوجد هناك وحي حتى يأتي تحريم ـ قد ترفع طيبات نهائياً، هل يوجد [سمن بلدي مع الناس وعسل بلدي وبر بلدي وأشياء من هذه] كثير من الطيبات قد رفعت.**

{فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}(النساء: من الآية١٦١) **لاحظ كم يحكي عنهم من أشياء سيئة؟! {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}** (النساء: من الآية١٦١) **لصدهم عن سبيل الله يعني: معناه أنهم يعملون دائماً في هذا الموضوع: صد عن سبيل الله أيام الأنبياء منهم وأيام نبوة محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في عصره ومن بعده إلى اليوم الصد عن سبيل الله مثلما قال هناك: {تَبْغُونَهَا عِوَجاً}** (آل عمران: من الآية٩٩) **صَدّ، أي: دفع الناس وإبعادهم عن سبيل الله يوقعهم في سبل ضلال أخرى {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ}**(النساء: من الآية١٦٢) **وهو يذكر مسيرة تعود إلى عمق تاريخهم عندما يقول: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}** (النساء: من الآية١٥٥) **وبكذا.. أليس هو يعود إلى عمق تاريخهم؟ لكن يبين أنه كان هناك أيضاً يوجد نوعيات جيدة في تاريخهم، مثلما قال سابقاً: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}** (آل عمران:١١٣) **ثم هنا أيضاً قال: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**

مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} (النساء: من الآية١٦٢) هؤلاء أسلموا {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً} (النساء: من الآية١٦٢) .

أنت تجد هذه الطريقة موجودة في القرآن كلما يذكر أشياء عن أهل الكتاب وعن اليهود أشياء كثيرة ثم يأتي بنوعيات جيدة منهم، ماذا يعني هذا؟ مثلما قلنا سابقاً من قيمته في كيف يكون موقف الناس منهم، لا تتحول القضية إلى شخصية لديك، موقف في سبيل الله ومن أجل الله وعلى أساس دينه هذا مهم جداً، أيضاً ماذا؟ أن يفهم الناس أن هذه الرسالة عالمية بما فيهم اليهود هم والنصارى، أن يفهموا أن هذا الدين ليس ديناً قومياً ليس ديناً يختص بالعرب أو يختص بجنس أبيض أو أحمر أو أسود، هو دين عالمي للعالمين جميعاً ومنطقه منطق قسط وعدل مع الناس جميعاً، فليس لديه موقفا شخصياً من اليهود، إنما لما هم عليه، فلو اتجهوا وآمنوا فسيكون موقفه منهم كما كان موقفه من المؤمنين الذين حكاهم هاهنا: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:١٦٢) وإن كان يهودياً سابقاً، وإن كان نصرانياً سابقاً وإن كان ما كان سابقاً .

هذه القضية هامة جداً بالنسبة للمسلمين؛ لأنها تقاوم الفكرة التي حصلت عند بني إسرائيل في تأطير الدين في إطار قومي، فسموا دين الله يهودية وسموا دين الله نصرانية، ألم يحصل هذا؟ تبين من خلال الآيات السابقة ما ظهر من سلبيات ومواقف خاطئة لديهم على أساس هذا التأطير القومي للدين حتى جعلوا عنوانه عنوان قومية، فالمسلمون يترفعون عن هذه تماماً ، الدين عند الله هو الإسلام، اليهودية لا تعني عنوانا لدين سماوي على الإطلاق، النصرانية لا تعني اسما لدين سماوي على الإطلاق، دين الله اسمه الإسلام، دين الله هو للناس جميعاً ولا يقوم على أساس مواقف شخصية من أي جنس من عباد الله، من البشر جميعاً، في أي مكان كانوا.

لها أثر تربوي هام وقضية هامة جداً يقوم عليها مواقف كثيرة وتشكل ضمانة هامة جداً لموقف ثابت منهم؛ لأنه إذا أصبح مثلاً من خلال هذا السرد الذي يبينهم أنهم فئة سيئة أليسوا سيئين؟ لكن لو تتحول المسألة عندك إلى عداء شخصي سيضرب هذا العداء في يوم من الأيام على أيديهم، عندما يقدمون مصالح معينة والإنسان يتأثر بالإحسان لكن عندما يكون موقفك موقفاً دينياً ثابتا ليس موقفاً شخصياً وغضباً شخصياً وعداوة شخصية هكذا، عندما يكون موقفك على أساس أنهم هكذا، فلو قدم لك إحسانا كمّا قدم لن يتغير موقفك ولن تتأثر بما يقدم من مصالح معينة في بلادك، مهما قدم من مصالح هو على هذا النحو، هذه المصالح هي في قائمة عمله السيء.

إذا ما كنت فاهماً، وأنت تنطلق من عداوة شخصية، العداوة الشخصية مهما كانت العداوة الشخصية ستمسح بأي مشروع خدمي، وفي الأخير لا تدري إلا وقد أنت تترضى عليهم لو لم يقدموا لك إلا كرسياً لمدرسة سوف تترضى عليهم هنا ليس لدينا موقفاً شخصياً منهم القضية التي أمامنا جميعاً نحن وهم ما هي؟ أن نؤمن بدين الله ونسلم لله، أليست هذه القضية ثابتة؟ وهم عندنا كما قال في آية أخرى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} (البقرة: من الآية١٣٧) أليس الإسلام على هذا النحو: أن من دخله أصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم؟ وأن لا يصبح مثلاً الموقف الديني أن يؤطر في إطار شخصي منهم وموقف شخصي. لا ، يجب أن تمسح المواقف الشخصية تماماً، عندما تمسح من نفسك الموقف الشخصي يصبح غضبك عليهم، قوتك في مواجهتهم كلها من منطلق ماذا؟ من منطلق دين، وليس من منطلق شخصي، هنا فيما لو اتجه أحد منهم وأصبح لديه قابلية أن يُسلم، إن كان قد ترسخ عندك موقف شخصي قد تحاول أن تصده عن الدين؛ لأنك تريد أن تضربه، وإذا كان موقفك ديني فهو لا يحول أن تكون قوياً وأولي بأس شديد، وغضب شديد عليهم، لكن لن يجعلك تصد من يمكن أن يؤمن منهم، أو يستجيب للإيمان منهم.

ثم أنت لا تكون مواقفك في الأخير، لا تؤطر الدين في إطار قومي، عندما يأتي بهذا التوجيه معناه إبعاد الناس عن أن يؤطروا الدين في إطار قومي؛ لأن هذا في حد ذاته يشكل عائقاً كبيراً أمام الأمم الأخرى، أمام الناس؛ لأنه دين للعالمين فيجب أن ينظر الناس إليه جميعاً بأنه لهم وأنه ليس ديناً يختص بفئة معينة ولا بجنس معين ولا بعرق معين ولا بمنطقة معينة فينجذبون إليه، أيضاً فيه بأنه مهما قدم الموضوع يجب أن يرفق بأسلوب دعوة

يدعوهم مثلما يأتي في آيات أخرى، قلنا في هذا الموضوع نفس القرآن يعتبر دعوة كاملة بالإضافة إلى ما يمكن أن يعمله الناس في مجال دعوة لهم، لكن نفس القرآن قد هو يعتبر دعوة، وهو منتشر، وما يمتلك الناس وسائل يمكن أن تصل إليهم، لكن يجب أن لا يغفل هذا الموضوع ولو في المستقبل أمام الناس؛ لأنه إذا أطر الناس الدين هنا في إطار قومي أعطى الطغاة هناك عندهم والمضللين منطقاً آخر يشد الناس إلى أن القضية قضية أمة في مواجهة أمة أو حضارة في مواجهة حضارة ـ كما يقولون ـ أو جنس في مواجهة جنس عندما يكون الخطاب: لا. خطاب هو دين هذا الدين العظيم والراقي هو للناس جميعاً يمكن أن يدخلوه ويسع الكل.

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ} (النساء: من الآية١٦٣) فلست بدعاً من الرسل كما قال: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ} (الاحقاف: من الآية٩) الوحي الذي إليك هو كما أوحى الله إلى إبراهيم وإسماعيل إلى آخر الآية، بل هناك من كلّمه الله من أنبيائه يعني: فهل بأن تكون نبياً يوحى إليك قضية يستنكرها بنوا إسرائيل؟ هم يعرفون مسألة الوحي وأن الله يوحي إلى أنبيائه بل أن الله كلم موسى، أليس التكليم يعتبر أبلغ من موضوع الوحي؟ {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} (النساء: من الآية١٦٤) هذه سنة إلهية {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} (النساء: من الآية١٦٥) هذه سنة إلهية؛ لأنه رحيم بعباده يقدم لهم ما فيه هدى ما هو بشارة وإنذار، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل بعد الآيات البينات بعد البلاغ المبين{وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء: من الآية١٦٥) .

{لَّكِنِ اللّهُ} (النساء: من الآية١٦٦) وإن أنكروا هم رسالتك وجحدوها مع أنها ليست غريبة، وهم يعرفون هم أن هذه سنة إلهية، أن هناك رسلا يوحى إليهم بل هناك من كلمه وهو نبي الله موسى فلا تكترث الله يشهد{لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ} (النساء: من الآية١٦٦) أنه من عنده وأنك رسول له.

هذه قضية هامة من الناحية التربوية، ومن ناحية مجال الدعوة أيضاً، أحياناً بعض الناس يحرج نفسه حتى لا يكاد يرى عظمة ما لديه إلا إذا آمن به الآخرون واقتنعوا به لا، يجب أن تكون واثقاً بما أنت عليه والآخرون حتى لو جحدوا كلهم لا يهزك في ثقتك بما أنت عليه.

{لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً} (النساء: ١٦٦ ـ ١٦٩) يعني: في الوقت الذي أنت مثلاً ما رأيت الطرف الآخر اقتنع بما لديك وآمن بما عندك، لا تهتز ثقتك بما عندك، ولتكن رؤيتك إليهم بأنهم على هذا النحو: صادّين، هم قد ضلوا ضلالاً بعيداً وعاقبتهم هكذا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} وطريق جهنم هي طريق ضلال: ضياع هنا في الدنيا وفي الآخرة، هذه القضية هامة بالنسبة للناس، أحياناً عندما مثلاً لا ترى الآخرين يقتنعون بما أنت عليه، في الأخير تصنف ما لديهم فتراهم وكأنهم لديهم نقاط قوة وكأنهم إذاً ربما مسيرتهم هي المسيرة التي ستكون فاعلة في الحياة وأنت ستضيع؛ لأنهم ما قبلوا إذاً ما قبلوا ولديهم كلما قد يجعل مسيرتهم يهتدون فيها إلى نجاحات ! في الأخير تتراجع.

هنا يقدم صورة هامة جداً في أن الطرف الآخر وإن لم يقتنع، اعرف بأنه طرف سيتلاشى يتلاشى في مسيرته ليس لديه نجاحات لن يحقق نجاحات؛ ولهذا يقول: {لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} وطريق جهنم تراها هي طريق خسارة في الحياة هذه قبل الآخرة؛ لأنك لو تلاحظ كيف كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان إنساناً قوياً مهما قيّم واقعه والناس من حوله قليل وإمكانياتهم قليل، كان لديه روح قوية وروح طموحة جداً، لماذا؟ لأنه يؤمن بالواقع على هذا النحو الذي قدمه الله له، أنه عندما يرسل رسالة إلى ملك الفرس وقالوا إنه مزقها، يرسل رسالة إلى ملك الروم، استخف به ملك الفرس كسرى، استخف به، [كيف تجرأ أن يرسل إليه برسالة ويقدم نفسه عليه؟!] كأنه قال هكذا، افرض مثلاً لم يأت لك جوابات إيجابية وهو هنا قد تناول أمتين كبيرتين جداً؛ لأنه يعرف هؤلاء سيتلاشون، هل تراجع؟ أو يقول كيف

رسالتي عالمية وأمامي هذه العوائق الكبيرة: دولة الروم ودولة الفرس! وبعد أن يرسل إليهم برسالة استخفوا، استخفوا لكن موقفه موقف الواثق من نفسه ويعرف واقعهم على ما قدمه الله له.

لو كان مثلاً قيّم المسألة بشكل آخر مثلما يحصل عند الكثير من الناس الآن ومن قبل الآن هو يرى بأنه رسالة عالمية لكن كيف، كيف تعمل وفي الأخير يقول: إذاً ليس الآن وقت سننتظر إلى أن تنهار تلك الدولة أو تلك الدولة هنا أعطاه واقعهم{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً} هذه خسارة هم خاسرون هم سيخسرون وهو عارف، هو فاهم أن الخسارة من هنا يعني: من الدنيا هذه. وهذه قضية فعلاً خسرناها في ثقافتنا: أن نفهم أن الخسارة هي من هنا بالنسبة للأعداء، يقولون:[في جهنم، جهنم، جهنم هناك لكن هنا ماذا نعمل ولا يوجد معنا كذا..] وإذا بنا قد أصبحنا منتظرين نحن وإياهم، عندنا أنهم سيدخلون إلى جهنم ونحن سنذهب إلى الجنة!.

هي هكذا الرؤية، هذه الرؤية لا تترك الناس يعملون في الدنيا شيئاً؛ لأنه قدم هذا العدو بالشكل الذي كله قوة كله صخرات كله جدار صلب، هم لم يعرفوا الواقع على ما يقدمه الله: أنهم سيخسرون سيضلون سيضيعون هنا، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان فاهما للدين حقيقة وليس على أساس ما قدمه الآخرون، ثم يقولون: أنهم مقتدون به! هم ليسوا مقتدين به، بعيدون جداً عن الإقتداء به، ولا في رؤيته، لا يعرفون رؤيته للحياة وللواقع وللإنسان ولهذا الدين بكله.{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً}؛ لأنهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً ولن يهتدوا طريقاً، طريق فلاح ونجاح إلى آخره، إذاً سيراهم بأنهم سيتهاوون ألم يعمل فعلاً وهيأ الناس في عصره إلى أن يكونوا بالشكل الذي يحطمون تلك الدول؟ حطموا دولة فارس وحطموا دولة الروم، وفعلاً رأيناها تحطمت، ألم تتحطم على يده؟

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ}(النساء: من الآية١٧٠) فهذا هو الحق وهذا الذي يعطي رؤية حق ويكشف الواقع، الحق بالنسبة لمن يكونون مؤمنين، وبالنسبة لمن يكونون متخاذلين وبالنسبة لأعداء الله الآخرين{يَا أَيُّهَا النَّاسُ} هذا خطاب للكل؛ لأنه قدم هنا الحق بالنسبة لكل فئات الناس، يذكر المؤمنين وكيف سيكونون ومصيرهم، والمنافقين وكيف هم ومصيرهم، والكافرين وكيف هم ومصيرهم، واليهود والنصارى وكيف هم ومصيرهم، هذا هو الحق الذي لا يتخلف وكل واحد يعرف مصيره {فَآمِنُوا خَيْراً}(النساء: من الآية١٧٠) بالنسبة للمؤمنين، آمنوا، كما قال في بداية الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(النساء: من الآية١٣٦) إلى آخر الآية، وبالنسبة للآخرين يعرفون أنما قاله عنهم هو واقع لا يتخلف.

أليسوا هم سيرون واقعاً سيئاً؟ تهديد وضلال وأنهم سيكونون في ضلال وخسارة وعذاب مهين وأشياء من هذه الأفضل للجميع كلهم الناس جميعاً أن ماذا؟ أن يؤمنوا{فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}(النساء: من الآية١٧٠) هو غني عنكم وسيوقع كل ما حكاه عنكم، سيوقعه بكم كلما حكاه من تهديد ووعيد سيوقعه وهو غني وهو غني عنكم، له ما في السموات وما في الأرض{فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}(النساء: من الآية١٧١) كلام كثير حول أهل الكتاب؛ لأنهم هم من يجلسون يحركون، أعني: الصدّ عن سبيل الله، الآن أليسوا أهل الكتاب من يحركون الدنيا الآن ومؤامرات وخبث وأشياء؟ أليسوا أهل الكتاب الذين يتصدرون فيها، القضية هذه؟ يتصدرون لها{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}(النساء: من الآية١٧١)؛ لأنه هناك قدم بالنسبة لهم وعيداً حاسماً فيما يتعلق بالآيات السابقة: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً} فهنا عندما غلوا في دينه، في موضوع ولائهم لعيسى مثلاً أو إيمانهم بعيسى، وصلت المسألة إلى درجة أن يقولوا: إله، ويجعلوا الله ثالث ثلاثة!! هذه لن تدفع عنهم العقوبة التي وعدهم الله بها{لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ} وليس إلهاً هو رسول الله{وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِنْهُ} (النساء: من الآية١٧١) **هو الذي نفخ في مريم هذه الروح كما يقول عن بقية عباده{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}** (الحجر: من الآية٢٩) **{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ}** (السجدة: من الآية٩) **في أكثر من آية يذكر نفخ الروح .**

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} (آل عمران: من الآية١٧٩) **ومنهم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) خاتم رسله وخاتم أنبيائه{وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ}** (النساء: من الآية١٧١) **هذه قدموها كعقيدة دينية لديهم في موضوع المسيح أنه الله، عبارة عن ثلاثة: الله، المسيح، وروح القدس{انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}** (النساء: من الآية١٧١) **هذه دعوة لهم إلى أن ينتهوا عمّا هم عليه، وبعد ما هدد سابقاً وليعرفوا بأنه لا يمكن أن يكون في هذا ما يشكل وقاية لهم مما توعدهم به، وأن عليهم أن يوحدوا الله.**

المسيح الذي يجعلونه إلهاً هو نفسه لن يستنكف أن يكون عبداً لله، فلماذا أنتم تستنكفون أن تجعلوه عبداً لله وهو نفسه لن يستنكف؟!{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} (النساء:١٧٣) **.**

حتى ما يزعمونه هم: إذا قد أنت تحب المسيح ـ هم يعتقدون هكذا يكفي ـ إذا قد صار يحب المسيح فسيدخله المسيح جنة أبيه، قالوا: إن الله ضحى بابنه تكفيراً لخطيئات المؤمنين به، عقيدة هذه رهيبة جداً سيئة ليست معقولة على الإطلاق، يقول: {وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} (النساء: من الآية١٧٤) **هذه البراهين أليست واضحة جداً؟ وأشياء متكررة مثلما قال في آية أخرى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}** (الروم: من الآية٥٨) **لا تكون فقط عبارة عن خطفة أو خطفة كلمة، هدى براهين متكررة براهين معززة بالأمثلة براهين واضحة جداً .**

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} (النساء: من الآية١٧٤) **في مختلف القضايا {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً}** (النساء: من الآية١٧٤) **القرآن الكريم هذا أيضاً يوجه إلى الناس، بعد ما قد ذكر الناس بمختلف فئاتهم بأن هذا القرآن هو للناس وعندما تعلم بأنه للناس يعني: أن الله جعل الأمور بالشكل الذي يجعله فعلاً ممكن أن يكون للناس، مثلما قال في آية أخرى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}** (التوبة: من الآية٣٣) **يقول إن الله سبحانه وتعالى لقدرته وهو ملك السموات والأرض وله ما في السموات وما في الأرض وهو الغالب على أمره إلى آخر ما ذكره عن نفسه، لا تكون القضية لديه مجرد أمنية، إنه يرسم الطريق بالشكل الذي يجعله فعلاً للناس ويشمل الناس وأنها قضية ستتحقق فعلاً عندما يقول: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}** (التوبة: من الآية٣٣) **.**

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ} (النساء:١٧٤ ـ ١٧٥) **لا بد من الإعتصام به وإلا فلا يوجد رحمة نهائياً{فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} ومن الفضل أن يكونوا ممن يأتي بهم بديلاً عن من يقعدون عن من ارتدوا مثلما قال في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ}** (المائدة:٥٤) **ألم يقل هكذا؟{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} يمنحهم فضل ، هنالك قال: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} طريق واضحة وطريق ثابت .**

ثم ذكر فيما يتعلق بالمواريث: {يَسْتَفْتُونَكَ} (النساء: من الآية١٧٦) **مثلما نقول في أكثر من مقام: استفتاءات؛ لأن المفروض والشيء الطبيعي أن من يأتي بالبيان على هذا النحو، بيان بشكل متكرر وشامل هل ستحتاج تقدم سؤالاً في قضية، كيف الكلالة؟ هنا يقدم القضايا الواضحة، لكن يستفتونك؛ ولهذا غالباً ما تأتي الإجابة في هذه**

الإستفتاءات بشكل غير معروف ليس فيه جواب عليهم؛ لأنها قضية يجب أن تعرفها من المقدمة؛ لأنه بالنسبة لله ما القضايا تحتاج إلى استفتاءات: ما هو رأي الله؟ أو تقول: ماذا في موضوع كذا؟ يتناول كل القضايا، كيف يمكن أن ينسى قضية كهذه؟ لأن روح الإستفتاءات وهذه النظرة هي تنبي عن ماذا؟ عن قلة معرفة بالله سبحانه وتعالى وعن قلة معرفة بالنمط الذي يقدم عليه هداه، أنه يجعلك بالشكل الذي تثق أن كل قضية سيتناولها وإن لم تستفتِ.

إذاً رسول الله موجود لديهم والقرآن يتنزل وهو على هذا النحو فلا يوجد داعي للإستفتاءات، ولاحظ هنا الجواب: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}(النساء: من الآية١٧٦) إن المطلوب أن يفهموا منك ويركزوا على أن يصغوا ويتفهموا ويتوجهوا وكل شيء سيأتيهم وكل شيء في وقته، لكن عندما يأتي شخص في رأسه: كيف حكم الكلالة؟ وهو يسمع رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) يقول أشياء كثيرة وهو ينتظر حتى يكمل من أجل أن يسأله، أليس هذا معناه أنه لن يسمع شيئاً؟ معناه: لا يكن عندك روح تساؤلات ؛ لأن روح التساؤل تكون على حساب روح الإصغاء والتفهم.

{قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ}(النساء: من الآية١٧٦) هنا يبين وبدون استفتاءات{أَن تَضِلُّواْ} لأن لا تضلوا {وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(النساء: من الآية١٧٦) بكل شيء عليم، لا تقول: ربما أنه لا يدري بالكلالة وكيف حكمها وأشياء من هذه.

هذه الإجابة: {أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ}، أخت ممكن تكون أخت من أب، وأخت من أم، وأخت من أم وأب ، أليست هكذا ممكن؟ إنما في الأخير على أساس أن الكلالة هنا والكلالة هناك أخذوا منها أن هناك معناها: الإخوة لأم، وهنا معناها: الإخوة من أب، أو من أم وأب، أليسوا أيضاً احتاجوا...؟ ما قدمت القضية هنا؛ ليفهم الناس مثل طريقة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(البقرة: من الآية١٨٩) حتى ما يأتي الجواب بالشكل الذي تقول: يكفي وضحها، أما الآن الحمد لله، الآن جئت بالحق ، هنا يرفع الناس عن حالة بني إسرائيل ونفسياتهم أسئلة، أسئلة، أسئلة، ثم في الأخير يقول: الآن جئت بالحق.

{إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} امرؤ تشمل رجلاً وامرأة {هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} ولد يشمل ذكر وأنثى أليست هكذا؟ {وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} هنا يمكن يقول: لكن احتمال يكون كذا ويكون... ربما قد تكون: أخت من أم وأب، أو أخت من أب، لم يوضحها؛ لأنه يجب أن تفهم بأن الله بكل شيء عليم وسيقدم الأشياء واضحة بطريقته هو سبحانه وتعالى؛ لأنه أحياناً قد يكون لو يأتي جواب واضح لكان معناه: لاحظوا لو لم يسأل.. فيكون معناها: الآن جئت بالحق، وإذا كل واحد قد في نفسه حاجة بسيطة تشغل ذهنه منتظر، منتظر حتى يكمل رسول الله الكلام.

إذاً فهذا الكلام الهام الذي يكشف بأنه لا يمكن أن يغفل شيئاً مما الناس بحاجة إلى معرفته وينزل في واقع حياتهم إلا ويأتي به هو من عنده؛ لأنه قال هنا: {يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(النساء: من الآية١٧٦) بما فيها الكلالة، هنا ليس باستطاعته أن يقول: الآن جئت بالحق؛ لأنه جاء الجواب بالشكل الذي بقي فيها، ولا يدري كيف، أليست بالشكل هذا؟ وفعلاً فقهياً هي بالشكل هذا فقط في الأخير جمعوا من هنا، وجمعوا من هناك، من الكلالة هنا ـ قد ذكر الكلالة سابقاً ـ قالوا: إذاً يمكن هنا الإخوة من أم وأب أو لأب، وهناك الإخوة من الأم.

ومعناه: أنه يترفع الناس عن هذا بشكل عام، أعني: هذه كتربية قرآنية، تربية قرآنية تقوم على أساس أن هدى الله واسع ويقدم ببراهين واضحة جداً، كما قال سابقاً: برهان ونور مبين وأشياء واضحة جداً، يكون الشيء الذي يهم الإنسان وهو يستمع لهذه البراهين والبينات الشاملة التي تبين ـ إذا صحت العبارة ـ اهتماما كبيراً جداً في هذا الهدى، يتناول كل شيء، أن تصغي، تصغي؛ لأنه إذا لم يحصل إصغاء في الأخير يأتي غلطات كبيرة جداً.

لن تكون مشكلة كبيرة إذا لم تكن عارفا لحكم الكلالة، الكلالة قضية نادرة في الحياة أولاً، في المجتمعات تكـون قضية نادرة ألا تكون نادرة أساساً؟ ليس معه لا أولاد ولا والدين تكون نادرة .

إذاً أن تشغل نفسك بقضية قد تكون نادرة في الحياة وهي قضية هامشية وتكون على حساب أن تتفهم القـضايا الهامة ستضل في القضايا الهامة وتضيع ولن ينفعك معرفـة تفـصيل شـيء هامـشي أو جزئـي في إطـار ضـياعك للأشياء الهامة وأنت مركز على روح التساؤل وتبتعد عن روح التفهم والإصغاء والإهتمام.

الله يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٦/ ٩ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

من أول السورة إلى الآية (٢٦)

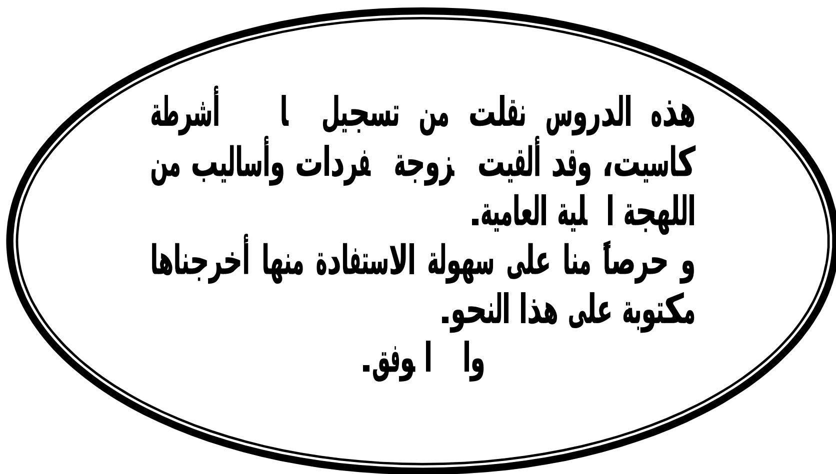
[الدرس الحادي والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٥/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت زوجة فردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.

و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

اللهم اهدنا، وتقبل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم .

بالأمس انتهينا من [سورة النساء] هذه السورة التي عنوانها: [سورة النساء]، وفعلاً إذا تأمل الإنسان يجد سورة هامة جداً، فيها توجيهات كثيرة، تتناول مختلف القضايا، فيما يتعلق بإقامة القسط، فيما يتعلق بالجهاد، فيما يتعلق بالجوانب الأمنية، فيما يتعلق بقيمة هدى الله، وأهميته، فيما يتعلق بطاعة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

وكان من الآيات الأخيرة فيها هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} (النساء: ١٧٤-١٧٥) هذه الآية هي تعطي خلاصة للسورة، يفهم منها بأن الله سبحانه وتعالى يريد لعباده المؤمنين ـ ذكوراً وإناثاً ـ أن يكونوا على مستوى عالي من الذكاء، من الحكمة، من الفهم، من النباهة؛ لأن هذا نور، ووعد إلهي بالهداية إلى صراط مستقيم، أي: أن الله سبحانه وتعالى يريد للنساء ـ ناهيك عن الرجال ـ أن يكنَّ على هذه الدرجة العالية من الذكاء، والنباهة، والفطنة، والحكمة، والرؤية الصحيحة، والاهتمامات الكبيرة، كما يريد ذلك للرجال.

الإنسان المؤمن يجب فعلاً أن يكون مستنيراً، وأن يكون مهتماً، ولكن ربما أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى درجة أن يهتدي بهدى الله، أو يستنير. وكما قلنا في جلسة سابقة حول قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} (الأنفال من الآية: ٢٤) والآية الأخرى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: ١٨٦) أن الإنسان يحتاج إلى أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، كل واحد منا حتى نستفيد، حتى يهدينا الله، حتى نستنير، أن يتوجه كل واحد منا بنفسه إلى الله سبحانه وتعالى، ويقطع، ويعزم مع الله، ويستعين بالله، ويرجو الله أن يعينه بأن يكون مهتدياً بهديه، بمعنى: أن يعزم فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى أنه سيسير على هدى الله، وأنه مسلِّم نفسه لله، وأنه موطِّن نفسه للاستجابة لله، وإلا إذا جلس الإنسان هكذا لا يقطع بهذا الشكل مع الله سبحانه وتعالى، وفعلاً، كما قلنا أكثر من مرة في أجواء من الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، من الاستعانة بالله، إذا لم تحصل هذه ربما لو سمعنا أشياء كثيرة، لو لدينا دروس، لو قرأ القرآن علينا عدة مرات ربما لا يترك أثراً في نفوسنا بالشكل المطلوب، هذا بقية فعلاً لما تناولته [سورة النساء] وما يمكن أن نفهمه إجمالا من سورة النساء .

نحن الآن مع سورة أخرى، والقرآن كله اتجاهه واحد، وتتناول سوره مختلف المواضيع، لم يأت على طريقة التبويب لكل موضوع باب خاص؛ لأن المواضيع مترابطة، والقضايا مترابطة، والإنسان بحاجة إلى معرفة شاملة في مختلف القضايا، وقد يكون من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن على هذا النحو، ولما يعلم بأن كل إنسان من عباده بحاجة إلى أن تقدم له هذه المعارف جملة، وليكون بالشكل الذي لا يمكن لأي جهة أن تتحكم فيه، أو تفصل الناس عن أبواب معينة أو أجزاء معينة منه، أو فصول معينة منه، لو كان مفصلاً، يعني ـ مثلا ـ لو أن القرآن جاء: [باب التوحيد] بعده[باب الصلاة] [باب الطهارة] باب بعد باب بعد باب إلى أن يصل [باب الجهاد] لربما كان هذا الباب مما تمنع قراءة سوره، أو مما لا يسمح بطباعته، فيأتي هذا القرآن العظيم هكذا مدمج .

ولهذا نحن في مرحلة فعلا ونقول من زمان بأنه يجب علينا أن نتمسك بالقرآن وليعمل ما يريد الآخرون أن يعملوا لن يضرونا ما دمنا متمسكين بالقرآن، ولن ينقصوا علينا شيئا يعتبر خسارة علينا في ثقافتنا أو في إيماننا على الإطلاق، والقرآن هو بالشكل الذي يتهيب الكل فعلاً أن يتناولوه بطريقة قاسية ، أن يجمعوه مثلا ويحرقوه، لكن لن يتناولوه ـ مثلما قلنا سابقا ـ إلا عن طريقنا نحن، أن يفصلونا عنه، وأن تحرف معانيه أمامنا من قبل ناس منا نحن، أما هم فكانوا يتهيبون أمام الكتب التي تنزل عليهم أن يمسوها هي، نفس الكتاب الذي

أنزل على موسى ، نفس الكتاب الذي أنزل على عيسى أن يمسوه هو بتحريف، كانوا يتركونه على جنب، تبدونها، كما قال الله عنهم، وتخفون كثيرا {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} (الأنعام من الآية: ٩١) وسيأتي من خلال هذه الآية حديث حول، ما كنتم تخفون من الكتاب، لكن ممكن أن نُضرَب نحن بأن نفصل نحن عن القرآن عن طريقنا نحن، من داخل أبناء الأمة هذه، سواء ممن هم يتحركون برغبة أو برهبة، بغباء أو بطمع للحصول على مصالح معينة، وهكذا، ارتباطنا بالقرآن، ارتباطنا بالقرآن يشكل فعلا سلاحا هاما جداً للمسلمين، سلاحا هاما جداً للمؤمنين، ارتباطهم به، أن يقولوا مثلا في موضوع الخطابة: اعملوا ما تريدون، فنحن لن نخطب إلا بالقرآن، هل يمكن أي جهة تقول: [لا، ولا القرآن] لا يمكن؛ لأن له مكانة في نفوس الناس، وأي جهة تقول: [أبداً، ولا القرآن]؟! أبعدوا ما تريدون، ولا تتعبوا أنفسكم بأنكم تبحثون عن خطباء وكتب معينة، ومراجع معينة وأشياء من هذه، مستعدين ما نقدم ولا خطبة واحدة إلا من القرآن، والقرآن لا يمكن أن نسمح لأحد أن يقف أمامه ليسكتنا عنه على الإطلاق.

هذه القضية لا بد منها، لا يمكن لهم أن يقولوا: [لا بأس القرآن لكن الفصل الأخير منه، باب الجهاد فقط مثلا أو الجزء المختص بتاريخ بني إسرائيل منه فقط]. وأنت تقرأ [سورة البقرة] ترى فيها بني إسرائيل، وجهاد، وصلاة، وإنفاق، وصيام، ونكاح، وطلاق، وأشياء من هذه .. إلى آخره، تدخل [سورة آل عمران] نفس الشيء تدخل [سورة النساء] ، [المائدة] وهكذا القرآن حكيم بكل ما تعنيه الكلمة، {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ} (فصلت: من الآية٤٢) ليس معهم مدخل عليه على الإطلاق، إنما تحصل مداخل علينا نحن، على الإنسان نفسه؛ ولهذا كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعتبر القرآن سلاحاً، سلاحاً فعلاً، حتى في قضايا كثيرة لا تعتقد بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يقرأ كتب بني إسرائيل، أو يحاول يرد عليهم من داخل كتبهم، وأشياء من هذه، من القرآن، وسيأتي آيات مما سمعناها حول هذا الموضوع، فالقرآن يعتبر عصمة، ويعتبر سلاحاً، وهو مبارك، والتوجيهات منه مباركة، الاعتصام به قضية مقبولة عند المسلمين جميعا، كل المسلمين، ممكن أن يقولوا: [لا، أما القرآن لسنا مستعدين] إلا إذا كان مثلا في بعض بلدان، أو في وضعية معينة عن طريق علماء سوء، فعلا أو خطباء سوء، أو أمة غير واعية لا تفهم وضعية الحكومات الآن، فمتى ما جاء شيء من جهة الوزارة الفلانية قالوا: [قانون، دولة، أوامر دولة] .

يجب أن يفهم الناس ـ كما نقول أكثر من مرة ـ نفهم الوضعية الآن بشكل عام، الدول الآن مقهورة، الدول الآن مغلوبة على أمرها، الدول الآن ممكن أن يأتي من جانبها أي شيء حتى وإن كان الكثير منهم لا يريد ذلك، فلم يبق إلا أن يكون الناس هم من يقولون: لا، أي شيء يلمسون فيه يداً أمريكية، يلمسون فيه خططاً يهودية صهيونية، نصرانية، يقولون: لا، لا يمكن، ويعمل الناس في نفس الوقت الأشياء التي يمكن أن تعيق ما يمكن أن يفكروا فيه من أشياء تبعد الناس عن القرآن، أو تكون أشياء تؤدي في الأخير إلى التحكم في مساجد المسلمين، أو مدارسهم، أو مناسباتهم، أو كيفما كان .

[سورة المائدة] قد سمعنا منها آيات، وتجد فيها حديثاً في نفس الوقت عن بني إسرائيل، إضافة إلى أحكام أخرى فيما يتعلق بمأكولات، ومشروبات، ونكاح، وأشياء من هذه، لماذا يأتي هذا الموضوع متكرراً؟؛ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يكون ذهنه مستحضراً للأشياء هذه كلها؛ لأنها مترابطة، فلا يكون ذهنك متجهاً إلى ما يسمى: [فقه] وأنت ناسي قضايا الأعداء، هذا الذي حصل بالنسبة لنا كمسلمين فعلا، عندما فصلت الأشياء وقدمت فنون، الفقه اعتبر هناك كتب مستقلة لوحده، وكتب أصبحت طويلة عريضة، مجلدات بمئات المجلدات، وإذا قد الإنسان منشغل فيها، وذهنه يسيطر عليه أقوال أصحابها، والترجيحات داخلها، ونسي القضايا الأخرى، هنا يذكر لك قضية فقهية على ما نفهم في الزمن هذا، أو حسب مصطلحاتنا، وهو في نفس الوقت يأتي لك بحديث يذكر لك أعداء، منافقين، يهود، نصارى، مشركين، أو بعنوان آخر أهل الكتاب مثلا، من كل الفئات؛ ليبقى الإنسان هكذا ذهنه، ذهنه يستوعب، وذهنه واسع، ومداركه واسعة، لا يجلس ذهنه فقط مشغولاً بموضوع معين.

هذه قضية لمست فعلاً، منهم من يتحول إلى نحوي بحت وغارق في النحو ووجوه النحو وأشياء من هذه، ومنهم من يتحول إلى فقيه مستغرق ذهنه ومسيطر على مشاعره وكل تفكيره قضايا أحكام شرعية فقهية، وناسين قضايا

أخرى هامة جداً، هي أساس في أن يكون لهذه اللغة التي أنت تسهر على أن تعرف أحكام مفرداتها، سواء باعتبار الصيغة، أو باعتبار النطق، أو هذا الفقه الذي أنت تسهر لمعرفة أحكامه، قد تصبح في الأخير تموت بين يديك، إذا كنت تجهل القضايا الأخرى، قضايا إقامة الدين؛ لأن الفقه معناه: أن يفقه الناس هذا الدين، هذا هو الفقه، كتاب الفقه هو القرآن، كتاب الفقه بكل ما تعنيه الكلمة، وبمعناها العربي القرآني يعني: فهم الدين بشكل عام، بدءا من معرفة الله سبحانه وتعالى، لا يعتقد واحد بأنه هنا يحصل تكرير لمجرد التكرير، التكرير له أهمية كبيرة في تأثيره في النفس، وأهمية من الناحية التربوية، أن تجلس أنت تستعرض، مشاعرك مليئة بهذه المعلومات التي تراها مترابطة، واهتمامك بها يكون اهتماما بها جميعا، وليس ببعضها دون بعض، يكون اهتمامك بها أيضاً على أساس أولويات، على حسب ما تتركه تربية القرآن من أثر في نفسية الإنسان في النظر إلى القضايا، هذه هامة، وهذه أهم، هذه هامة اليوم وغدًا هي أهم، وهكذا.

في بداية هذه السورة يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} (المائدة من الآية: ١) التزامات على المؤمنين، وتراها التزامات سواء فيما يتعلق بتعاملهم العام، أو التزامات حتى مع العدو، فيما يحصل مثلا من مواثيق أو عقود يجب أن يكون هناك وفاء بها، لكن ويجب من البداية أن تقوم العقود على أسس صحيحة، وإذا كانت عقوداً بمعنى مواثيق فيما بين مؤمنين وأعداء من أهل الكتاب، أو ممن كانوا أعداء، فهنا يجب أن ينظر أولاً إلى الطرف الذي يمثل المؤمنين، وأن يكون على مستوى عالي من المعرفة، هل هو مناسب أن يكون هناك ميثاق معين، وأن يكون هذا الميثاق مثلا مؤقتا، ثم متى ما حصل مواثيق فيجب الوفاء بها.

العهود فيما بين الناس، أيُّ التزامات تلتزم بها أنت يجب أن تفي بها، إذا رأيت بأنك محرج مثلا، حصل حرج معين فحاول أن تستقيل من الطرف الآخر، لا تحاول أن تخلف العهود، أو تنقض العقد من عندك أنت، حاول أنت من جانبك أن تقول: [يا خبير الالتزام الفلاني أصبح كذا وكذا ما رأيك لو...؟ يأتي تعديل فيه ممكن] فيما لو تلمس من طرف آخر في مواثيق مثلا فيما بين المسلمين وأعدائهم، تلمس من جانبهم أنهم ربما يفكرون في نقضه، أنت لا تقول: إذًا هم يفكرون في النقض أنا سأنقض، أنبذ إليهم على سواء، أعلن بأنه أنتم يبدو أنكم متجهين لنقض المواثيق إذًا انتهى، إذا لم تعودوا تريدون التزاما، إذاً [فالوجه أبيض] كما يقول الناس، انبذ إليهم على سواء، تريد قضية فيما بينك وبينهم تكون معروفة وتكون معلنة . الوفاء قضية هامة جدًا فيما بين المؤمنين مع بعضهم بعض، ووفق التزامات صحيحة يدخلون فيها .

{أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (المائدة: ١) بهيمة الأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم ، الأنعام هي هذه الثلاثة الأجناس، هي التي يطلق عليها الأنعام، ويعرف بغلبة الاستعمال إطلاق هذا الاسم عليها . هناك أشياء كثيرة من الحيوانات أبيح اصطيادها، وأبيح أكلها، خارج هذه الأجناس الثلاثة، وبالنسبة للصيد لا يصح والإنسان مُحْرِم أن يصطاد، نهائيا، التأكيد بالنسبة لهذه القضية أن لا يكون هناك اصطياد من جانب المحرمين للحيوانات التي عادة هي حلال في غير وقت الإحرام هو يوحي بأهمية كبرى لحرمة البيت الحرام، وما جاور البيت الحرام، نفس تلك المنطقة، وحرمة الفريضة التي تدخل فيها، سواء حج أو عمرة بدءاً من إحرامك .

ثم ربما نفس هذه المخلوقات قد يكون لها دور معين فيما يتعلق بالبيت الحرام، وكما يجد الإنسان أثناء الحج، أليس الناس يرون الحمام بين الحجاج ولا تنفر منهم؟ قد يكون عندها فهم هي، قد يكون هذا البيت ـ كما قال الله ـ: {وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية ٩٦) ، قد يكون لعوالم كثيرة غير الإنسان، غير الأنس، وغير الجن، قد يكون لمخلوقات أخرى، منها هذه المخلوقات، فإذا وجدنا بأنه لا يصح أن تصطاد صيداً ولو أرنبة أو حمامة، فما أعظم حرمة الإنسان المسلم في ذلك الوقت، وقت العمرة، ووقت الحج وأنت محرم ولو من الميقات ، ثم في تلك المساحة كلها، البيت الحرام وما جاورها، أن حرمة الإنسان، عندما تجد أنه لم يبح للناس أن يصطادوا حمامة، فيسفك دم حمامة، فكيف بدم إنسان.

{إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} هو رب العالمين جميعا، وهو ربنا جميعا، هو يحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل فيقال له لماذا؟ لا يجوز لي أن أصطاد في الوقت هذا، ويجوز لي أن أصطاد بعد ..لا.. الحكم هو لله .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ} (المائدة من الآية: ٢) كل ما جعله الله معالم لدينه {وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ} (المائدة من الآية: ٢) يعني: لا تستحلوا حرمتها، لا تنتهكوا حرمتها {وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ} لاحظ على الرغم من التأكيدات الكثيرة حول الشهر الحرام، تجد بعض الفقهاء يقولون: منسوخة حرمة الأشهر هذه، وأنت تجدها في عدة آيات، مما يؤكد بطلان قولهم، حرمة الأشهر الحرم حرمة قائمة {وَلاَ الْهَدْيَ} الذي يقدمه الحجاج أو المعتمرون {وَلاَ الْقَلآئِدَ} (المائدة من الآية: ٢) التي تقلد بها الهدي، تصبح لها حرمة يعني: تترك في الهدي إلى أن يصل مَحِلَّه، ثم يتصدق بها على الفقراء مع الهدي، كانوا يضعون قلادة للهدي ليميزه عن بقية الأشياء التي هي مركوبة في السفر، تبين أن هذا هدي، مثلا بعير، أو أي شيء من الأنعام {وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} (المائدة من الآية: ٢) قاصدين البيت الحرام، لا يجوز أن تنتهكوا حرماتهم {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ} (المائدة من الآية: ٢) لاحظ هذه القضية نرى مثيلاً لها في الآيات السابقة، في السور الماضية، أن الإنسان يترفع تماماً عن العداء الشخصي، عن الغضب الشخصي {لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ} لا يحملكم عداوة آخرين أغاضوكم {أَن تَعْتَدُواْ} فتنتهكوا الحرمات هذه، إنما أجاز فيما لو حصل منهم في نفس الوقت، في نفس الشهر، أو حتى في نفس المكان اعتداء من جانب أعداء المسلمين، يحصل اعتداء هو انتهاك لحرمة هذا الشهر فقد أجاز الله للمسلمين أن يردوا {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} (البقرة من الآية: ١٩٤) .

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة من الآية: ٢) في حالة كهذه، في أجواء قد يأتي من جانب، أو قد يلمس الناس في داخلهم من يتحرك بغضب ويبدو ماذا؟ موقف شخصي، أن لا يستثير الآخرين فيستثاروا له، بل يجب ماذا؟ أن يتعاونوا جميعا على البر والتقوى، ومهما كان يهدئونه، يقولون: هذا لا يمكن، مثلا، قد تحصل هذه، قد يحصل من داخل الناس من مثلا لا يمسك أعصابه فيستثار غضبا ، غضبا هكذا ، يبدو وكأنه موقف شخصي، لا، يجب أن يكون الناس من أجل أن يلتزموا، من أجل أن يراعوا الحرم، من أجل أن لا ينتهكوا الحرمات، أن يتعاونوا فيما بينهم على تهدئة بعضهم بعض، لا أن يسمحوا بأن يستثار الناس من قبل من قد يكون أعصابهم تستثار، ويبدو وكأنه موقف شخص .

{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى} عبارة شاملة هذه، عبارة شاملة؛ لأن التقوى بأن يكون الناس متقين يحتاج إلى تعاون، قد يأتي التعاون مثلا في مجال معين من باب التواصي، من باب أن يردوا عليه أن [ما هو وقت، ولا يمكن] وأشياء من هذه، أو ما القضية إليك أنت، أو لأي اعتبار كان، أو يكون أن الناس بحاجة دائما إلى تعاون فيما بينهم؛ ليصبحوا متقين، وتكون أعمالهم أعمال بر. {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، أحيانا الاستفزازات قد تؤدي إلى أن طرفا معينا يستثار ولا تدري واستثيروا آخرين معه وانطلقوا، وقد تكون القضية تعاون فيما بينهم على إثم وعدوان، فهذا منهي عنه .

{وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة من الآية: ٢) صدَّر السورة هذه بضرورة إلتزام الناس بأن يفوا بالعقود فيما بينهم، فبالأولى ما هو من جهة الله إلزاما لهم {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ} (المائدة من الآية: ٧) هذا يعتبر ميثاقاً من جهة الله، إذا أنت ترى بأن الله سبحانه وتعالى يلزم الناس فيما بينهم بالوفاء بالعهود القائمة فيما بينهم، فبالأولى يجب أن يلتزموا بالعهود التي تقدم من عنده التي تعتبر ميثاقا من جهته سبحانه وتعالى عهداً من جهته سبحانه وتعالى عهد به إلى الناس .

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} (المائدة من الآية: ٣) هنا يبين

سبحانه وتعالى مجموعة من الأشياء التي تعتبر محرمة على الناس أن يأكلوها، سواء كانت من الأنعام المعروفة، أو مما أحل وأباح أكله من الصيد، الحيوانات الأخرى التي أباح اصطيادها وأكلها . {الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ} معروفة، الميتة من أي حيوان من الحيوانات هذه، والدم، أكله، وقالوا: كان عند بعض العرب، كانوا يشربون الدم ، {وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} الخنزير ، {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ} ما كان يذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه، باسم كذا.. ويعلن شيئا آخر.

{وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ} المنخنقة التي تختنق ، والموقوذة التي تضرب مثلا في رأسها، أو في غيره فتموت بالضرب ، والمتردية التي تسقط ، والنطيحة كذلك التي ينطحها حيوان آخر فتموت {إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} مثلا ما لحقتم ذكاته فلا مانع من أكله {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} مثلا يأكل السبع ويبقي شيئا يعتبر محرماً {إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} مثلاً ما لحقتم ذكاته من هذه الاشياء التي يمكن أن تلحق ذكاتها، أن يذكى وهو ما يزال حياً ، {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} هناك }مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ} وإن لم يكن على نصب، أن يرفع عليه اسم غير اسم الله، أو يذبح على النصب، والنصب كان عندهم الأصنام، أو ما يسمى المناشح، أو أشياء من هذه .

{وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ} كان العرب عندهم عادة: معهم [أقداح] معينة إذا يريد أن يسافر، أو يدخل في قضية، يحاول.. أشبه شيء بـ[الفال]، ينظر هل أنه يدخل في الموضوع أو لا يدخل، هل يسافر أو لا يسافر، هذا أيضاً مما نهى الله عنه؛ لأن الناس أمروا بأن يتوكلوا على الله، وأن يهتدوا بهدي الله، وأن يسيروا في الأرض يبتغون من فضل الله ،{ذَلِكُمْ فِسْقٌ} خروج عن طريق الله وسنته.

{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} (المائدة من الآية: ٢) **لا تخشوا من جانبهم بأنهم قد يعملون حملات دعائية مؤثرة، مثلما كان يحصل سابقا عندما يقولون: كيف نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله، كانوا يقولون هكذا، عندما كان يقول المسلمون: الميتة حرام لا تؤكل، قالوا: كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله! من هذا الشيء، ميتة قد حرمها الله، انتهى، {إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}** (المائدة: من الآية١)، **{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} اعتبروا بأن هذا الدين قائم، قائم، هذا معنى يئسوا، في البداية قد يكون عندهم أمل، ويكونون نشيطين أن يعارضوا، ويعملوا دعايات، ويحاربوه، وأشياء من هذه، لكن عندما واصل المسلمون بقيادة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عمل، عمل حتى أصبح الإسلام قضية مسلّمة، ومفروغ منها، وانتهى الموضوع، ينسوا أنه ما يزال باستطاعتهم أن يمحوا هذا الدين، أو يعيقوا هذا الدين، أو يؤثروا على أحد، في الأخير يسكتون وييئسون، أعني: يئسوا من أن باستطاعتهم أن يعيقوه، أو يمحوه، لكن سيبقى لديهم دوافع محاربته مثلما قال في آية أخرى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ}** (البقرة من الآية: ٢١٧).

[سورة المائدة] يقال بأنها من آخر السور نزولاً؛ لهذا تجد فيها كلمة: [اليوم] ، اليوم تحكي وضعية معينة في أكثر من آية، {فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} وهذه القضية أساسية في أن يلتزم الإنسان المؤمن، في أن يستقيم، يحتاج إلى أن يكون على هذا النحو، أن يخشى الله ولا يخشى غيره؛ لأنه متى ما حصل لديك خشية من غير الله أثرت عليك فيما يتعلق بالتزاماتك أمام الله سبحانه وتعالى، والالتزام بما وجهك إليه، وبما فرضه عليك، فعندما تخشى آخرين في الأخير تحاول أن تستجيب لهم، وبالطبع يكون على حساب استجابتك لله .

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} (المائدة من الآية: ٢) **هذا أشبه شيء بإعلان {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} هذه الآية روي بأنها نزلت بعد إعلان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولاية الإمام علي، وكلها جاءت في نفس السورة هذه، إنما لماذا لم تأت هناك؟ هذا أسلوب ربما قد مررنا بأمثلة له، عندما تجد هناك قضايا تبدو صغيرة وهي محط اهتمام، أليس هنا قضية مأكولات؟ تجدها محط اهتمام في هذا الدين، وتشريع دقيق، والتزامات تقوم على هذا التشريع ، هدى**

في هذه القضايا الصغيرة ، تعرف أن هذا الدين الذي يهدي الناس على هذا النحو الشامل، ولا يهمل القضايا الصغيرة، هل يمكن أن يهمل قضية كبيرة؟ هل يمكن؟.

إذًا موقع الآية هنا فعلاً مؤثر جدًا أن تكون هذه الآية هنا {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} في الأخير ترى ما هي الأشياء التي ذكرت هنا؟ {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ..} إلى آخرها، هذا يعني ماذا؟ أن هذا من دين الله ، تجد أن دين الله هو شامل، كامل، فهل يمكن أن تأتي، أو أن تقبل أنت ـ إذا كنت تفهم الدين على هذا النحو ـ أن قضية كبيرة قد يقوم عليها موت الأمة إذا ضاعت، {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} ألا يمكن أن يحرم على الناس ما قد يميتهم كأمة؟ هل يمكن أن يهمل قضية تقوم عليها حياة الأمة؟ لا يمكن هذا ، ولاية الأمر ، من يخلف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولاية أمر الأمة، قيادة الأمة قضية هامة جدًا جدًا، إذا لم تكن على هذا النحو القرآني تموت الأمة، كيف يحرم عليك ميتة ولا يحرم على الأمة ما قد يميتها؟!.

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} الدين يعتبر لهذا الاسم ديناً ، ويعتبر نعمة إلهية ، ويعتبر الالتزام به، تعتبر إقامته تسليماً لله سبحانه وتعالى، فدينه هذا هو الإسلام، أي هو طريق التسليم له سبحانه وتعالى، هو الذي بالتزامك به ، باهتدائك به ، بتطبيقك له تعتبر مسلّما لله، ومستسلما أمام الله سبحانه وتعالى.

{فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة من الآية: ٢) هو راجع إلى ما قبل { فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..} إلى آخرها، {فَمَنِ اضْطُرَّ}راجع إلى قوله تعالى: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} وما قبلها {الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ} إلى آخر المحرمات، فمن اضطر إلى أن يتناول شيئًا من هذه، لكن في حالة هو مشرف فعلا على الموت لا يجد غيرها على الإطلاق فاضطر إلى أن يتناول شيئا منها ليسد به رمقه، {مَخْمَصَةٍ} يعني مجاعة {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ} يميل لارتكاب إثم {فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} .

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} (المائدة من الآية: ٤) إلى آخره ، ما قد سبق أن قال لهم : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ} (المائدة من الآية: ٣) أحيانا تكون الأسئلة غير مناسبة فعلاً، يعني: قد يكون وضعية معينة في مسيرة التشريع غير مناسب أن يسألوا نهائيا، قد تكون وضعية غير مناسب بالنسبة للناس أن يتناول فيها ما يمكن أن يحرمه بعد، أن يحرمه الآن، قد يكون مسكوت عن قضية معينة، عن أشياء معينة، قد يكون مسكوت عنها، لكن متى ما حصل سؤال أصبح هنا الموضوع إحراج، إما أن يقول: هي كذا، أو أن يسكت فيأخذوا منها وكأنه أقرها؛ ولهذا تأتي بعض الأسئلة يجيب عنها جوابات أخرى .

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} قد ذكر ما حرم هنا، فإن جاء بقائمة أخرى بالمحرمات فلا بأس وإلا قد تكون هناك قاعدة بأنه أشياء تعتبر خبيثة، والأشياء الخبيثة هي تؤثر بالنسبة لنفسية الإنسان، حتى الأشياء التي قد يكون شكلها بشع، نفس الإنسان متى ما كانت نفسًا زاكية، وعالية، يرتقي ذوقها أيضاً معها، يرتقي ذوقك، وتجد مقياسا لهذه من الأشياء التي أحلها الله سبحانه وتعالى وهي طيبات تجدها جميلة، وتجدها لائقة في أشكالها، سواء فيما يتعلق بالحيوانات، أو فيما يتعلق بالفواكه. تجد الآخرين يأكلون أشياء فضيعة مثل [الجمبري] ذلك الحيوان البشع، والسمك الآخر، ثعابين وأشياء من هذه يأكلونها! نفوسهم منحطة، ذوقهم منحط فعلاً، ذوقهم منحط، حتى تلمس مثلا انحطاط ذوقهم حتى فيما يتعلق بالصناعات، فالصناعات السابقة كانت أجمل، كلما تقدموا تراهم يميلون إلى الأشياء الفضيعة، إلى الدمى الفضيعة وكألعاب حتى للأطفال، الدمى الفضيعة، أليست الدمى كلها فضيعة، وأفلام كرتون كلها أشكال فضيعة، كذلك هكذا أصبح عندهم انحطاط في ذوقهم.

لاحظ أنه كيف كان فيما يتعلق بالفن الإسلامي، كيف كان الفن الإسلامي بعد ظهور الإسلام كان جميلاً جدًا سواء الفن المعماري، أو فن الرسم، أو فن الخط، أو أشياء من هذه كان راقياً؛ لأنه متى ما سمت نفسية الإنسان سمى ذوقه أيضاً، ومتى ما انحطت نفسيته انحط ذوقه أيضاً. يعملون الضفادع محشي في بريطانيا وفي غيرها، ضفادع

يصدرونها لهم من مصر ومن غيرها! أليست هذه أشكال فضيعة؟ يعمل الضفدعة محشي، يحشيها رز وخضار، أشكال فضيعة، وثعابين وكلاب مثلما يحصل في الفلبين!!.

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ} (المائدة من الآية: ٤) **وأحل لكم أيضاً بأن تعلّموا من الجوارح مثل الكلاب، أو بعض الحيوانات، مثل الباز، أو أشياء من هذه التي يمكن أن تتعلم إلى درجة أن تمسك عليكم، تمسك فريسة معينة وتأتي بها إليك، أما أن تهجم عليها وتأكل فهي قد أصبحت مثلما {أَكَلَ السَّبُعُ} إن لحقت ذكاته فلا بأس وإلا فلا تأكل من الباقي {مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ}، {فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} لأن هذا معنى التعليم، أن تعلمه إلى درجة أن يعرف بأنك تزجره لينطلق للفريسة ويأتي بها إليك، أما فقط ينطلق قد يكون من أول يوم ما تحتاج تعلمه، كلب مثلا رأى أرنبة تقول له يلحقها، قد يلحقها يصطادها من أول يوم، لكن لا، التعليم هو يكون على هذا النحو، يصل إلى درجة أنه يعرف أنك تزجره للصيد، وأن يفهم أنك تريد منه أن يأتي به إليك .**

{تُعَلِّمُونَهُنَّ} أليس هذا يدل على أن هذه الحيوانات تدرك؟ تدرك فعلاً، قابلة أن تتعلم، لكن عندما لم يتعلم الإنسان هو، لم يتعلم الإنسان هو فعلاً، جاء المعتزلة وقالوا لنا: أن هذه ليس معها عقول، يقولون هكذا فقط، نحن لدينا عقول أما هي فليس معها عقول فهي لا تدرك، إنما فقط هي غرائز لديها ولا تدري ماذا تعمل ! {تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ} .

{فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (المائدة من الآية: ٤) **قد يكون مثلا ذِكر اسم الله عليه عند إطلاقه ـ كما يقولون ـ عند إطلاق الكلب مثلاً للصيد، وعندما يأتي به أذكر اسم الله عليه، عندما تذبحه، عندما تأكل منه.**

{وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} أليس هنا أوامر بتقواه؟ هذه حدود لا يتعداها الإنسان {وَاتَّقُواْ اللّهَ} فلا يكون معك كلب تعلّمه قليلاً على أساس أنه قد صار يلحق الفريسة ويذهب هناك يربض عليها ويأكل منها وتلحق تأكل الباقي وهو لم يمسك عليك، أيضاً فيما يتعلق بالأشياء السابقة من عندما قال عنهم: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ} ألم يلفت أنظارهم في الأخير إلى مسألة الالتزام؟ {وَاتَّقُواْ اللّهَ} اتقوا الله، أي: كونوا ملتزمين؛ لأن التقوى التي تعني الالتزام والحذر من المخالفة تحتاج إلى ماذا؟ إلى اهتمام من جانبك وأنت تتلقى التوجيهات هذه، بمعنى أنه أحيانا ـ مثلما كنا نقول بالأمس ـ أن لا يربي الإنسان نفسيته على موضوع التساؤلات؛ لأنه قد يحضر في مقام معين مثلا وعنده في رأسه قضية يريد أن يسأل عنها تشغله طول الجلسة، منتظر متى ستكمل حديثك حتى يقدم سؤاله، لم يعد يهتم أن يصغي، فهذا قد يؤدي إلى خلل في ماذا؟ في أنه ما يتفهم وبالتالي نقص في تقواه؛ لأنك إذا لم تفهم أهمية الشيء، لن يكون عندك اهتمام بأن تلتزم به، وبالتالي معناه أنك لا تكون متقياً.

هل أجاب هنا على {مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ}؟! أجاب عليها؟ لأنهم عندما يكونون سائلين قد يكونون سائلين عن قائمة: ما هو الذي أحل لهم ؟! يقول: أحل كذا، وأحل، وأحل .. إلى آخره {قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} والطيبات هي التي أحلها، ليس الطيبات كل ما قد يطيب لك أنت؛ لأنه أحيانا أنت قد تهبط نفسيتك، فيصبح شيء هو في الواقع خبيث يصبح طيباً عندك مثلما ترى آخرين؛ لأن الله يذكر عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أنه يحل لهم الطيبات، إذاً فالطيب هو الذي قد أحله، ليس الطيبات قضية مزاج . مثلا الكلاب التي يأكلونها في جنوب آسيا، والذين يأكلون أشياء أخرى، وتألف في المطاعم، وبين الناس، وتصبح عادي إلى أن يصير عندك عادي وهو خبيث في الواقع، يعني: ما قد أحله لكم هو الطيبات {أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} يعني: أن الطيبات ليست قضية مزاجية، إن الله هو الذي يعلم بما هو طيب وما هو خبيث، فما قد أحله هو الطيبات، وما حرمه هو خبيث .**

{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ

وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (المائدة: ٥) إذًا هـذه الآيـة تـصدرت بقـول الله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} بمعنى أنه عندما يحل شيئا آخر لا تعتقد بأنه يحـل طيبـات ويحـل أحيانـا بعـض خبائث، لا، كل ما يحله هو طيبات، يطيب لك أن تتناوله، كلمة: {الْيَوْمَ} هي تعني وضـعية، وضـعية، وقـضية الوضعية أعني: قد تأتي وضعيات أحيانا تعتبر أشياء فيها مباح تناولها أو عملها، وضـعيات معينـة؛ لهـذا مثلمـا نقول: أننا عندما نقرأ القرآن سنعرف أسس التشريع، ليست قضية قواعد أصول فقه على الإطلاق، التعامل مـع مجرد المفردة هكذا ليطّلع منها حكما ثابتا على طول، أو يطلع منها لا شيء، وضعيات لها أحكامها {الْيَوْمَ} تعـني وضعية أمة، وضعية مسلمين، يعني وضعية كوضعية رسول الله (صلوات الله عليـه وعلـى آلـه) ومجتمعـه عنـدما نزلت [المائدة] كيف كانت تلك الوضعية؟ ألم يكونوا هم الأعلون، وضعية متمكنين ، وضعية أمة قائمة ، وضعية أمة قد قهرت أعداءها فعلاً؟ إذًا وضعية كهذه لها أحكامها الخاصة .

هذا أولى من أن نحاول مثلا أن نأتي إلى أشياء معينة تخريجات، أو تأويلات، أو أشياء أخرى، لا، {الْيَوْمَ}، وعند العرب يسمون اليوم مرحلة ، تاريخ، يسمى يوم عندهم، قد يسمون مثلا قتال بين قبيلة وقبيلة استمر كم أشهر يسمونه يوم، يطلقون عليه كلمة: يوم ، هذا أولى أعتقد، هذا أحسن، وإلا يكون بعيداً عن بـاقي الآيـة، بـاقي الآية خطيرة، عندما قال الله فيها: {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِـرِينَ}؛ لأنـه في وضعية معينة تكون الأمة فيها قد لا يكون هناك مانع، لكن وضـعية كوضـعية رسـول الله (صـلوات الله عليـه وعلى آله) ويكون تقدير الوضعية يعود إلى من؟ إلى رسول الله (صلوات الله عليـه وعلـى آلـه)، أو إلى فعـلا مـن يكون قائما مقامه بكل ما تعنيه الكلمة، في تقدير الوضعية، فهنا قد يكون فعلا ومثلمـا تـصرح الآيـة: }وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّـذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَـابَ} أيضا كلمة: {الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ} قضية ثانية، قد تكون فعلاً أخص من أهل الكتاب، كلمة: {أُوتُـواْ الْكِتَـابَ}، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو في غزوة من الغزوات أو في حصار معين استصفى [صـفية] وبـسرعة وكأنها لم تسلم إلا بعد أن استصفاها.

إذًا في وضعية كهذه عندما يقول: {الْيَوْمَ} أي في وضـعية كهـذه ممكـن، وتقـدير الوضـعية إلى مـن؟ لأن أهـل الكتاب فيهم طوائف كثيرة قد تكون طائفة منهم مشركة يصدق عليهم {وَلاَ تَنكِحُـواْ الْمُـشْرِكَاتِ حَتَّـى يُـؤْمِنَّ} (البقرة من الآية: ٢٢١) وهكذا وقد يكون طائفة من أهل الكتاب ما يزالون ملتزمين مثلا، وقالوا فعلا كان يوجد، ولا ندري إلى حد الآن هل يوجد منهم أو لا، كان يوجد من أهل الكتاب طائفة ليسوا مشركين، لا يقولون بـأن المـسيح مـثلا ابن الله، ولا يقولون أنه ثالث ثلاثة، وكذلك من نفس اليهود، لكن في وضعية فقط كهذه.

فكلمة: {الْيَوْمَ} هي تعتبر ضابطاً لما وراءها كلها، لسنا بحاجة إلى إصدار أحكام مطلقة ولا إقفـال مجـالات، قـد يكون في وضعية معينة فعلاً يصبح أهل الكتاب قد أصبحوا ليس لهم كيان نهائياً، ولم يعـد لـديهم أمـل نهائيـا، كعبارة: {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} (المائدة من الآية: ٣) ألم يقل: {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَـرُواْ مِـن دِيـنِكُمْ} ومجتمع يقدم نموذجاً عن الإسلام جذاباً، هنا ربما قد يكـون احتـواء يـؤدي إلى مـاذا؟ إلى ذوبـان هـؤلاء، هـذه الفئة، في وضعية كهذه وكوضعية {الْيَوْمَ} في [سورة المائدة] قد تكون وضعية تؤدي في الأخير إلى ذوبان بقايـا من هؤلاء لكن منهم؟ الذين أوتوا الكتاب واعتقد قد يكون فيها نوع تمييز يختلـف عـن عبـارة: أهـل الكتـاب، وقلنا سابقا في ليلة سابقة بأنه يأتي في القرآن كلمة: أهل الكتاب، وأوتـوا الكتـاب، وهـي متعـددة؛ لأنـه عـادة المؤمنون فئات، أهل الكتاب فئات، الكفار فئات، المنافقين فئات.

أما في وضعية كوضعية المسلمين ربما على طول التاريخ هذا، لا نقول أنه الآن فقط، على طول تاريخ الأمـة مـن بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من يوم ما تولى أبو بكـر وعمـر فاعتبرهـا وضـعية لم تعـد وضـعية {الْيَوْمَ} كان قد الكبير نفسه ـ كما يحكون ـ كان يؤثر عليه كعب الأحبار، وصديق حميم له! وهناك يترك الإمام علياً، يترك الإمام علياً هناك، وصديق حميم لكعب الأحبار! هذا عمر.

إذًا ما هناك حاجة إلى الاختلاف في هذه القضية، أو قالوا أحد من أهل البيت أجاز، قالوا آخر نفى، قد يكون مثلا روي عن الإمام زيد كلام شبيه بهذا لكن النقل أحيانا، واعتقد يكون النقل ـ وهذا مؤسف فعلا ـ يكون غلط، قد يكون الإمام زيد قال في أجواء كهذه: لا مانع {الْيَوْمَ} {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}، أحل لكم الطيبات أيضاً فيها اعتبار مثلا ظروف معينة يكون الناس في مراحل جهاد معناه: لا تكون مرحلة أن تبحث عن طيبات، تبحث عما طاب من الطعام وما طاب من الأثاث وما طاب من الشراب وما طاب من الملبس وأشياء من هذه، لكن في وضعية قد تكون مستقرة نوعاً ما، يصبح شيئاً طبيعياً بالنسبة لك، ثم إن لها أثراً أيضاً فيما بعدها، ما يقال بأنه أحل طيبات ثم جاء بقائمة أخرى تعتبر خبائث، فكأنه أحل طيبات وأيضاً يحل بعض خبائث ، يكون استكمال، أو ربط للقضية .

{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ} المحصنات ماذا يسمونها؟ العفيفات من المؤمنات {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} هنا جاء إشكالية حول المحصنات، فعلا المحصنة تطلق وتعني أكثر من معنى بحسب السياق الذي هي فيه ، السياق الذي هي فيه يحدد معناها ، المحصنة قد تأتي بمعنى العفيفة ، بمعنى المؤمنة، بمعنى الحرة ، وبمعنى أيضاً المتزوجة، يأتي من تفسيرها أن معناها {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} بأنه عندما تسلم فلا مانع، لا بأس عندما تسلم وإنما كلمة: {أُوتُواْ الْكِتَابَ} تطلق على أن معناها أصلها من أهل الكتاب، والمحصنات الذين أصلهم من أهل الكتاب، يعني: والمؤمنات الذين أصلهم من أهل الكتاب!.

هذا يحتاج إلى أن نعرف أنه فعلاً هل كان يحصل تحرج عندما تسلم امرأة من أهل الكتاب، هل كان يحصل تحرج عندما تصبح مؤمنة، وهل يتبادر إلى الذهن أن يحصل تحرج وهم لم يتحرجوا ممن كانت مشركة ثم آمنت؟! اعتقد قد تكون هذه فرضية تحتاج إلى أنه فعلا نعرف هل كان فعلا يحصل تحرج؟ وما منشأ التحرج، من أين نشأ التحرج عن امرأة آمنت من أهل الكتاب، ثم تأتي الآية وتعني أنه أحل لكم، أحل لكم أنكم ماذا؟ تتزوجون بهذه المرأة التي قد أسلمت وآمنت {مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} .

هنا نستطيع أن نوفق فعلا بين ما روي عن الإمام زيد وبين ما روي عن الإمام الهادي، الإمام الهادي كان يعرف الوضعية التي هو فيها، الإمام الهادي إمام بما تعنيه الكلمة ويعرف الوضعيات وأحيانا قد لا يطلق، قد لا يطلق في بعض الأشياء. الإمام زيد قد يكون أطلق على أساس أن يقدم رؤية قرآنية في الموضوع، رؤية قرآنية في الموضوع فعلاً.

إذًا فلا يقال هنا: أن هناك اختلافا؛ لأنه في وضعية كهذه فعلاً غير صحيح لا طعام الذين أوتوا الكتاب، ولا نساء أهل الكتاب، تتزوج منهم في وضعية كوضعيتنا هذه، بل الوضعية هذه على طول إلى أيام أبي بكر، حتى في أيام الإمام علي ، لم تستقر الوضعية حتى نرى مثل وضعية {الْيَوْمَ} متى جاءت كلمة{الْيَوْمَ}؟ بعد ظهور الإسلام ، وبعد ضرب الآخرين، وبعد تلاشي الآخرين، وبعد هدى كثير يجعل الأمة هذه تفهم كثيراً ، وتعرف كثيراً وأشياء كثيرة، وقيادة عالية، والقيادة لها دورها الكبير في تقدير الوضعية، وتصنيف الفئات من داخل الذين أوتوا الكتاب {الْيَوْمَ} لا مانع، لكن في وضعية كوضعيتنا وما سبقها ليست وضعية {الْيَوْمَ}؛ لأن أهل الكتاب يستخدمون نساءهم الآن؛ لأن لديهم كيان قائم، والمسلمون هم المستضعفون.

المسلمون الآن أمة مستضعفة وممزقة وجاهلة بدينها حتى ، جاهلة بدينها، يمكن أن تأتي امرأة من أهل الكتاب يتزوج بها أحد وهي في الواقع عميلة؛ لأن هناك كياناً يعمل، هناك دول قائمة لهم وحريصون جدًا على تذويب هذه الأمة، فلو أن الزواج مفتوح لأدى إلى ماذا؟ إلى تغلغل نسائهم إلى كل بيت، الكثير جاهلون بالإسلام، قد يؤثرون على الكثير أن يتنصرنوا، أو يتيهودوا فعلاً، يؤثرون على الكثير أن تكون علاقاتهم جيدة مع كيان قائم لهم، أي ليست وضعية أن يذوب فيها أهل الكتاب ، ليست وضعية أمة مسلمة قائمة متفانية، وضعيتها وضعية {الْيَوْمَ} ففي هذه الصورة لن تقبل لأن يذوب أهل الكتاب فيها، بل قد يذوبون المسلمين هم .

طعامهم كذلك؛ لأنه لاحظ الإنسان عندما يكون لديه كيان، أو ما يزال لديه طموح أن يقيم كياناً، قد يسعى إلى أن يستخدم أشياء كثيرة تؤثر على المسلمين عن طريق الطعام، وعن طريق النساء، تسميم معين، أشياء معينة، وهذه المرحلة التي نحن فيها مرحلة خطيرة جداً، استخدام أطعمتهم، لذلك نحن نقول عندما يأتي البعض يأتي بهذه الآية في موضوع المقاطعة، مقاطعة بضائعهم، قال إن الله يقول: {أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} قلنا: نحن بحاجة إلى فقه قرآني، بحاجة إلى أن نعرف القرآن؛ لأن الذي يقول هذا لا يعطي معنى لكلمة {الْيَوْمَ} ، {الْيَوْمَ} هي تحكي لك وضعية هامة جداً، وضعية من الذي يستطيع يشخصها إلا من يفهم كتاب الله ، في الأخير يقول لك: لا، نقول: لا، نحن في وضعية ممكن يدسون في كثير من الأغذية، حبوب وغيرها، وأدوية، سموم، مواد أخرى تؤدي إلى أمراض فتاكة، مواد أخرى تؤدي مثلا إلى تغيير في ميول الإنسان ونفسيته، ويحصل عنده حالة لامبالاة، وفتور وأشياء من هذه، قد عندهم خبرات عالية، ويستخدمون خبرات عالية، ولديهم شركات غنية، ولديهم كيان قائم، ويعرفون وضعيتنا أنها وضعية منهارة. أعني: هم عندهم أمل الآن أن باستطاعتهم أن يقضوا على الأمة هذه نهائيا.

إذًا في وضعية كهذه لا يصح لأحد من الفقهاء يقول: {أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} نهائيا على أساس ماذا؟ على أساس {الْيَوْمَ} الذي هنا يقدم لك وضعية معينة؛ لأنه أيضاً من الناحية الأخرى لاحظ أنه في وضعية كهذه يجب أن تحتاط حتى ولو تمظهرت بالإيمان، أنه لم يعد يشكل ... على أساس أنهم يقولون: إلا إذا آمنت ، أليسوا يقولون هكذا؟ إلا إذا آمنت، لا، يلاحظ الوضعية؛ لأنه ممكن، بل معلوم أنهم قد يعملون هذا، تتمظهر واحدة منهم بالإسلام، وتدخل فيه، إذا كان مثلا يمكن يكون هناك هدف غير التأثير الثقافي إلى داخل أسرة معينة؛ لتنقل مثلا معلومات، تكون عبارة عن جاسوسة، أو لتقوم بمهمة خطيرة، مثلا دس سم، أو أشياء من هذه، ألا يمكن أن تتمظهر بالإسلام؟ نحن في وضعية ربما قد تصل الحالة إلى أنه ممن هن مسلمات، من بعض الأسر، أو من بعض القبل، أو من بعض الفئات، ما بالك بيهودية تظهر الإسلام .

إذاً فعندما يقول: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ} الذي يقول على أساس رؤية ثابتة على طول معناه: التي ما زالت يهودية، أما إذا قد أسلمت فجائز، أليس هو سيقول لك: فجايز؟ ليس فاهماً، لا، ما القضية تحتاج إلى هذا، إنها قضية توحي برؤية {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} اليوم توحي بماذا؟ توحي بتقييم لوضعية ولتعرف أن الآخرين إذا لم يعد لديه أمل في إقامة كيان له، وليس هناك كيان قائم له إذًا لن يفكر أن يحاول أن يعمل سم أو يحاول يعمل أشياء أخرى، قابل لأن يذوب، خاصة إذا وجد هناك مجتمعاً مسلماً متميزاً جذاباً يمثل الإسلام ، لكن ما دام هناك فكرة لإقامة كيان لهم ، وما دام هناك كيانات قائمة لهم ودول فهي خطيرة حتى لو أظهرت الإسلام .

لهذا لاحظ الرؤية القرآنية لا تترتب عليها إشكالات نهائيا، يمكنك هنا بدون أن يترتب إشكالات . لكن غير الرؤية القرآنية تجد الفقهاء في الأخير بعضهم يقول: الإمام زيد قال كذا، وفلان قال ، الإمام الهادي قال كذا، وتجد الطوائف الأخرى أما هم فمفتوح الموضوع لديهم، أليس مفتوحا لديهم؟ هذه حماقة فعلاً ، قضية خطيرة جدًا تفتح الشر على المسلمين، والكثير من الأسر الإسلامية قد تتحول إلى نصرانية وإذا قد أنت أمك يهودية، وخالك إسرائيلي، هل يمكن أن تتحرك ضد إسرائيل وخالك إسرائيلي من هذا الكيان القائم؟ لا.

لاحظ أين جاءت هذه الآية في [سورة المائدة] وسورة المائدة نزلت وهم في الوضعية المستقيمة المستقرة بالنسبة لظهور الإسلام، وضرب الفئات الأخرى، أيضاً في نفس الوقت؛ لأن معناها هي مربوطة بقضية تقييم أليست هكذا؟ مسألة التقييم قضية واسعة، وقضية دقيقة، هي متروكة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قد يكون حتى في نفس الوقت ، في نفس الوقت أحد من الناس قد يقول له: لا، لا يتزوج من أهل الكتاب، أحد من الناس ـ مثلا ـ قد يقول له: لا، إذا قد عنده رغبة أن يتزوج منهم، يقول له: لا .

إذًا لا يأتي خلل في النقل، افهموا هذه، لا يكون الناس هكذا، لا بد أن يكون الناس عارفين للنقل، أن الآية على {الْيَوْمَ} تحكي وضعية معينة، في وضعية كوضعية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عند نزول المائدة، كقضية موكولة إليه أو إلى من يقوم مقامه في تقدير تلك الوضعية .

لا تقولوا في الأخير: سيدي فلان قال كذا، بعض الناس يختصر الكلام، وفعلاً يقول السيد حميدان: أنه يأتي نقل كثير خطأ على الأئمة فعلاً، من الأشياء التي قد تبدو وكأنها مختلفة، بعضها نتيجة النقل، وقضية ملموسة أن بعضهم يختصر العبارة: فلان قال كذا، وبسهولة! لا يحاول أن يكون دقيقاً، نحن نقول: بأن الله يعلمنا أن نكون دقيقين في منطقنا، أن نكون أذكياء، أن نكون فاهمين؛ ولهذا يسميه هدى ونوراً، فأحيانا قد يأتي إنسان قد يضل أمة بسبب نقل خاطئ ، نقل خاطئ عن الإمام زيد، أو عن الإمام الهادي، أو عن أي شخص آخر، في الأخير يقدم النقل الخاطئ المنقوص، يقدم عقيدة في الأخيرة، ثم لا تدري إلا وقد هناك تأرجح، إما أنهم قد صاروا يقيّمون الإمام الفلاني مخالف لصريح القرآن ، أو قد صاروا يقيّمون الإمام الفلاني مخالف للإمام الآخر ، وهكذا بسبب عبارة نقصها الناقل .

إذاً في وضعية كهذه نقول: حتى لو أظهرت الإسلام ، في وضعية كهذه حتى لو أظهرت اليهودية أو النصرانية الإسلام فيجب أن يكون الناس بعيدين عنها، إلا في تقديرات معينة، وقد أظهرت إيمانا، ألسنا ندعو إلى مقاطعة منتجاتهم؟ ندعو إلى مقاطعة منتجاتهم، ولا نعتبر أنه مقبول أن يقول أحد لكن الله يقول: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} لأنه لا يعرف {الْيَوْمَ} ماذا تعني .

ومثلما نقول: نحن لا نتربى على أساس فتاوى يكون كل واحد ينطلق كمفتي إنما فعلا على أساس أنك قد تجد حرجا عندما تقرأ للإمام الهادي، قد تقرأ القرآن، وتقرأ عن الإمام الهادي، يجب أن تعرف منطلق الإمام الهادي، وعلى أساس أنك تعتبره أنه رجل قرآني، قد يكون هناك نوع من الخطأ في النقل عنه، أو يكون قدم القضية لاعتبار معين لديه؛ لأنه يعرف أن مسألة {الْيَوْمَ} قضية تعني اعتبارات كثيرة ، والإمام زيد كذلك، الإمام زيد ألم ينقلها؟.

لهذا نقول: نحن بحاجة إلى أن نفهم القرآن ، وفهم على هذا النحو لا يؤثر سلباً، فهم على هذا النحو الذي قدمنا لا يؤثر سلبا، أول شيء سيجعلك تطمأن بأنه ـ أعني: قضية الإمام الهادي عندما منع أنه ـ فعلا وضعية يجب أن يمتنع الناس فيها عن نكاح الكتابيات، وعن تناول طعامهم، والإمام زيد عندما قال هكذا أن معناه أن الإمام زيد لا بد أنه انطلق من منطلق على نحو ما ذكرناه، على منطلق {الْيَوْمَ} أي: أنه في ظل وضعية معينة على نحو ما كان عليه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في وقت نزول المائدة، يعني: آخر مرحلة، مرحلة الاستقرار وظهور الإسلام في تلك المرحلة ، وقيادة على ذلك النحو، وهي قضية ما يزال له فيها تقديرات أيضاً (صلوات الله عليه وعلى آله) في نفس الوقت .

ثم أيضاً أن العبارة صريحة هنا في القرآن عندما يقول: {وَالْمُحْصَنَاتُ} وهنا هي قضية أساسية؛ لأنك تقرأ في القرآن الله يقول فيه: {كِتَابٍ مُّبِينٍ} أليس هكذا؟ بينات، مبين، مبين، لكن إذا انطلقت برؤية وفق رؤية الفقهاء الذين ينطلقون على أساس قواعد أصول الفقه فلا تدري في الأخير إلا وقد عندك فكرة ، وكأنه صريح القرآن ما زال يحتاج شيئا آخر ، صريح القرآن واضح تماماً هنا، ولا غبار عليه، لكن الخلل من عند {الْيَوْمَ} متى يحكي اليوم؟ أليس يوم نزول المائدة، يوم نزول الآية هذه؟ وعلى من نزلت، وفي أي وضعية نزلت، بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هل نزلت في مكة، أو نزلت في المدينة؟ هل نزلت في أول الفترة، أو في آخرها؟ إذًا فالآية صريحة، ولا إشكال عليها، ولا نحتاج نقول: المحصنات تعني: كذا ، وتمحلات؛ لأن معناه في الأخير أنك تُعطَى رؤية أنت وكأنها تفسح لك المجال أمام عبارات صريحة في القرآن لتقول: ما يزال فيها أخذ ورد! هذا قد يكون متنافي مع مسألة بيان، ونحن نقول: أن الله لا يأتي ببيان فيه لبس على الإطلاق ، إنما يأتي فقط الالتباس على أساس الرؤية الفقهية، الرؤية التشريعية التي هي نتيجة ثقافة أخرى، أما الرؤية التشريعية وفق ما يقدمه القرآن ـ أي: أن تفهم أسس التشريع هنا على الرؤية التي يعطيك القرآن إياها لتفهم ـ تجد ما

هناك إشكال، ولا يأتي من جهة الله لبس عندما يقول: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} فيكون معناها: إذا قد آمنت ! قد هناك {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ} ما قد هي هناك حاصل، والمحصنات من المؤمنات ؟! .

إذًا فعلا اليهود وصلوا في تلك المرحلة إلى حالة كيانات منهارة، ألم تنهار كياناتهم تمامًا؟ خيبر، وبني قريضة، وبني النضير ، ولم يعد هناك لديهم طموح، بالنسبة لليهود، اليهود هم كانوا في حالة عداء مع الرومان يعني: لم يكونوا حتى يعتبرون دولة الرومان سندًا لهم، لا، بل عندما انتصر الفرس على الروم فرح اليهود، قالوا أنهم فرحوا، بل قالوا أنهم اشتروا من الفرس عدداً من الأسرى، ربما قد يكون اليهود شمال الجزيرة، اشتروا منهم عددًا كبيرًا من الأسرى وهم نصارى، اشتروهم وذبحوهم من شدة عداوتهم لهم .

فـ{الْيَوْمَ} هنا هي القاعدة الأساسية لما بعدها، فهنا القضية واضحة، لكن ليس معناها انطلاقة فردية، كل شخص. تجد الصلاة مثلها، مثلا الصلاة ألسنا وجدنا لها في القرآن عدة صور باعتبار الوضعيات؟ تجد لها صورة تصلي وأنت فوق الخيل مقاتل، أليست هذه صورة من صور الصلاة، وأنت تصلي وأنت مسافر ركعتين ، وأنت تصلي صلاة الخوف تقسمها نصفين، وهكذا . {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (المائدة٦) **أليس هذا الباب واضحاً؟ ـ على ما يقول الفقهاء ـ واضح، الوضوء انتهى . إذا تفقهت بفقه القرآن ستجده فقهاً واسعاً، وفقهاً يسع الحياة كلها، وفقهاً يستوعب العالمين جميعاً، أن تقول: أولاً نقرأ، نقرأ، نقرأ، وأمامك كتب لا تنجح، أقوال آخرين، تضيع عمرك بين أقوال متعددة، [قال فلان، وقال فلان، وقال فلان، والأرجح كذا، والراجح كذا، واستدل فلان بكذا...] تضيع وقتك في موضوع واحد من موضوعات الدين مليء باللبس والالتباسات، ويسيطر على ذهنك، ومشاعرك، واهتماماتك، هذه غلطة كبيرة، تجد كيف أسلوب القرآن الكريم، يقدم قضايا أخرى، مسألة معينة تتعلق بنكاح، أو طلاق، أو حج، أو وضوء، أو أشياء من هذه، ويحركك في المجالات الأخرى؛ ليكون اهتمام الإنسان بالدين بهذا الشكل، اهتماماً متكاملاً؛ لأنه مترابط فعلاً؛ ولأنه عندما تجد أنه فعلاً في التشريع لا يشرع شيئا يكون بالشكل الذي يقف أمام تشريع آخر يعيقه، معنى هذا بأنه قد يمكن أن يكون الإهتمام بمجال بالشكل الذي يعيق مجالات أخرى.**

هذه منهجية قرآنية يجب أن نستفيد منها في ثقافتنا، أنك إذا جئت إلى الدين تهتم بفن واحد، بفقه مثلاً، قسموه لك إلى أشياء متجزئة كثيرة، وتغرق داخل الفقه، فكأنك اهتميت بمجال معين، وأهملت المجالات الأخرى، كان على حساب أن يكون لهذه المجالات الأخرى اهتمام في نفسك، وتهتم بها، معنى هذا في الأخير ماذا؟ أن منهجيتك هنا خاطئة هي تخالف منهجية القرآن؛ لأنك قدمت مجالاً الاهتمام به طغى على الاهتمام بكل المجالات الأخرى، ترى في الأخير بأنك لم تعد تقوم بهذه الأشياء التي أنت تهتم بها.

الآن أليسوا يقرؤون فقه، نقرأ فقه، أحكام ربا، وأحكام أشياء كثيرة، ولا يستطيع يغير في واقع الحياة قضية واحدة أليس هذا حاصل؟ إذًا أليس هذا فقه مضروب؟ فقه لم يعد له قيمة في الواقع لماذا؟ لأنه لم يعد معمولا به، عندما يقريك الربا، وأبواب الربا، وأصناف الربا، والبنوك عنده كلها تشتغل بالربا، وهو يأكل ربا، لا يوجد أحد منا قد لا يكون أكله مصبوغا بالربا؛ لأن كل ما عندنا هي كلها تأتي من البنوك عملة، أو مواد غذائية، هي تأتي عن طريق شركات تتعامل مع البنوك، مصبوغ بالربا، ألم يرو أنه في آخر الزمان أنه قد يكون أندر الأشياء أخ مؤمن ، ودرهم حلال، أندر الأشياء.

جالس يبين أحكام الربا، والربا حرام، ودرهم من ربا مثل أربعة وثلاثين زنية.. وإلى آخره، لكن وفرّغ اهتمامه، وعمره في هذا الموضوع، وترك المجالات الأخرى التي كان لو بقي اهتمام بها لضربت الربا في واقع الحياة، لا

يكون هناك ربا. وهذه هي منهجية قرآنية، القرآن ليس فقط كتاب فتاوى، كتاب عمل، كتاب عمل، يعطيك فقه المسألة وفقه إقامتها، كيف تعرف أحكام الله، وكيف تعرف إقامة أحكام الله في واقع الحياة .

وهم يشهدون هم الذين قد ترسخ لديهم ، وهي قضية فعلا راسخة من قرون، أليسوا يقولون أولا نقرأ؟! عندما يتحدث أحد عن أمريكا وإسرائيل، وتوعية جهادية، وأشياء من هذه، قالوا: أولاً نقري الناس، إذًا لاحظ أليس هو هنا يشهد بأنها قد قدمت الأشياء بشكل أن مجالات تحول دون الاهتمام بمجالات أخرى، بالمجالات الكبيرة، أليست هذه شهادة تحصل من كلام كل من يقول لك: أولا نقرأ؟ إذًا فالمنهجية الثقافية فعلاً قدمت، من حيث المنهجية ـ خلي عنك المادة الثقافية ـ غلط، منهج القرآن ليس فيه أولاً، أليس القرآن يأتي بها كلها ؟يأتي بها كلها، يأتي بالجهاد بعد ذكر الوضوء، بعد ذكر الصلاة، بعد ذكر الزكاة، كلها مع بعض .

لاحظ هنا أليست الاستفسارات معظمها يأتي بطريقة توحي بسخرية من السائلين {يَسْأَلُونَكَ} وقال في آخر [سورة النساء]: {يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (النساء من الآية: ١٧٦) **يريدون أن يتعاملوا معه كمفتي، ما رأيك في كذا؟ قد تقول لو أنت مفتي: رأيي بان كذا حرام، والربا حرام، لكن حبر على ورق، لا يوجد ما يمكن أن يجعل هذا الحرام يتغير، لا يوجد، يعني: الفقه الذي يبني أمة تغير هذه المحرمات ضائع، ليس وقته، أولا نقرأ، لماذا أولاً نقرأ؟ هذا أهم ما يمكن أن نبدأ نقرأه، القرآن، يعلمنا كيف يجب أن تكون منهجيتنا الثقافية حتى نتفادى الخسارة التي وقعنا فيها فعلا بسبب المنهجية الثقافية خلي عنك المادة الثقافية ما يوجد فيها من غلط .**

{وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (المائدة٧) **قبول الإنسان بالإسلام، دخوله في الإسلام، إيمانه بالله وبرسوله وبكتابه يعني ماذا؟ التزام {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} تعني ماذا؟ ميثاق فيما بين الناس وبين الله، فليحذر الناس أن يخالفوا {وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} .**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ} (المائدة من الآية: ٨) **أليس هذا بعد باب الوضوء؟ بعد ذكر الوضوء وبعد ذكر الأحكام السابقة؟ أما الآن فربما قد يكون الكثير من المدن تأتي إليها ميتات من الخارج، لحم من الصين، ولحم من البرازيل، ولحم من كل مكان؛ لأنه عندما يحرم الميتة وليس هناك من يقوم بالقسط، سيعرف الناس بأن الميتة حرام وترى الناس يأكلونها! معلبات تأتي، لحم من الصين، ومن بلدان أخرى؛ لأنه عندما أضعنا الدين أضعنا أنفسنا حتى أصبحنا أمة وكأنه غير ممكن أن تزرع بلداننا، وان تربي حيوانات، وأن نكتفي بأن نأكل مما نربيه من حيوانات، وأن نأكل من مزروعاتنا، يستورد اللحم من استراليا، لحم من استراليا ومن الصين ومن البرازيل ومن فرنسا، من البلدان الأخرى ما كأن اليمن أو السعودية أو أي إقليم من الأقاليم هذه يصلح لأن تربى فيه بقرة أو دجاجة!!.**

لهذا كان مهما جداً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء من الآية: ١٣٥) **{قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ}** (المائدة من الآية: ٨) **هناك سابقا كيف جاءت الآية؟ {كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّهِ}** (النساء من الآية: ١٣٥) **هنا {قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ}** (المائدة من الآية: ٨) **أن تكون الآية على هذا النحو لها علاقة بما بعدها فيما نفهم .**

{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة: من الآية٨) **يؤكد ما يأتي في الآيات الأخرى دائماً: في سبيل الله، في سبيل الله ، في سبيل الله ؛ ليبعد الإنسان عن ماذا؟ العداوة الشخصية، هذه التي تعنيه كلمة شنآن {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} يجب أن تكونوا قوامين لله، من أجله وفي سبيله، شهداء {شُهَدَاءَ لِلّهِ} بالقسط، شهداء بالقسط لله، هنا لله، في المقدمة قوامين لله، يعني: في سبيله ليبعدنا عن ماذا؟ عن أي مشاعر شخصية في عداواتنا للآخرين، ألم يركز هنا على أن يقول: لله في المقدمة، قوامين لله، من أجله {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} ابتعدوا عن ماذا؟ عن أشياء شخصية تحملكم، عن مواقف شخصية لديكم حتى وإن كان من الطرف الآخر ما هو مثير يجب أن يكون الموقف كله في**

إطار لله، معناه هو نفس المعنى الأول {قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ} (النساء من الآية: ١٣٥) إنما هنا تذكير بسرعة في قضية لله، لله ، ليبعدنا عن هذه، عن عداوات شخصية، عن موقف شخصي، وأشياء من هذه .
أعتقد أنه قد يكون ـ مثلما نقول ـ هضم للآية عندما يأتون دائماً يربطونها بالشهادة، أي: معناها أن تشهد لله في قضية معينة، هذه واحدة، نوع أو مظهر من مظاهر إقامة القسط، أن تؤدي الشهادة، لكن المسئولية كبيرة، القسط معناه: الدين بكله في الأخير، إقامة دين الله ، إقامة دين الله هو ما تعنيه كلمة إقامة القسط، إنما ليكن من أجل الله وفي سبيل الله، ولتفهم بأن القضية أيضاً أنها شهادة بأن هذا قسط، وأن الله هو قائم بالقسط؛ لأنك تطبق أحكامه ، تطبق توجيهاته، تعمل بهداه .
{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} لاحظ أليست آية واحدة ؟ آية واحدة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ماذا يعني كلمة تقوى؟ تقوى الله يعني: هذا أقرب لك إلى أن تكون ملتزماً فعلا أنت، واقرب للتقوى ولو بالنسبة للطرف الآخر، قضية هامة جدًا جدًا، أن يكون المسلمون بالشكل الذي يقدمون نموذجا صادقا عن دينهم للتأثير على الآخرين، عندما يتأثر الآخرون ستراهم وأنت متجه إليهم سيرحبون بك، الست تجد الآن العرب يرحبون بأمريكا كشعوب على أساس قد عندها أنها ستأتي لتقيم حرية وعدل، وهم يعيشون في ظل وضعية سيئة، ما قد عند معظمهم ـ تقريباً ـ شبه ترحيب؟ .
فافهم بأنك عندما تقدم الإسلام، وتلتزم به أنت ستكفي الأمة هذه أشياء كثيرة جداً من العناء في سبيل المواجهة مع الآخرين، تتجه إلى الآخرين ويكونون متقبلين لك؛ لأنه ليس هناك قسط في الدنيا إلا عندك أنت، عندما تبرز الأمة كنموذج فعلاً يقدم نموذجا صادقا عن الإسلام، وإقامة القسط، وهم يعيشون في ظل وضع متخلف من الناحية النفسية، من الناحية الروحية، وفي ظل وضع ـ أيضاً ـ قهر، في حالة صراع، حتى عندما يقول لك: ديمقراطية، هي صراع أساسا أليست صراعاً بين فئات وأحزاب؟ وفعلا هي صراع يصبح ضحيته ملايين الملايين من ماذا؟ من أموال الناس، ومن جهودهم، وعداوات كبيرة تأتي بينهم .
فهو يمثل، إقامة القسط ـ بالنسب للناس ـ يمثل وقاية أي: ستقبل على أمة ترحب بك، إنما فقط عندما لا يسافر أحد الغرب ربما، أو مثلا لا نرى في التلفزيون إلا أشياء تمثل نموذج فقط ، هناك فقراء ومضطهدين بشكل كبير داخل أمريكا وداخل أوربا وداخل البلدان كلها، هؤلاء عندما يجدون أمة تكون محط أمل لهم، هم من سيكونون في الأخير سنداً لتلك الحكومات الطاغية لديهم، أو لا يكون عندهم أي رغبة أن يتفاعلوا مع حكوماتهم، ويرحبون بالمسلمين، أليس هنا ستكون الحرب سهلة؟ فعلا تصبح سهلة مثلما الأمريكيون يطمحون بأن الدخول إلى المنطقة سيكون سهلاً ؛ لأن الشعوب ترحب بهم، عندهم الفكرة هذه، لكن ناقصة جداً عما قدمه الإسلام، ولهذا عندما يقول: {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ} هنا أيضاً أمر آخر بالتقوى بكل ما تعنيه الكلمة، وفي نفس الوقت {وَاتَّقُواْ اللّهَ} لا تُخلّوا، هنا يوجد قضية هامة يقدمها باهتمام كبير {وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} هو خبير بأثره، خبير بأهميته، وخبير بأعمالكم عندما تقصرون، حينما تصبحون بعيدين عن التقوى، قد يضربون فعلاً.
يعني موضوع إقامة القسط خاصة في كثير من القضايا التي تقدم الإسلام هذا نفسه نموذجًا عظيمًا وراقيا عند الأمم الأخرى، بل نحن الآن بحاجة داخل المسلمين خلي عنك خارج فعلاً، الناس بحاجة إلى أن يقدموا الإسلام بشكل جذاب فعلا داخل المسلمين أنفسهم، خلي عنك الغربيين، أو الشرقيين .
إذًا لاحظ أن المسألة هامة جدًا جدًا، بعد الكلام عن الوضوء، أليست قضية كبيرة جدًا؟ هذا هو المنهج الصحيح، هناك أبواب باب بعد باب، وفقه على طول هناك، هناك، يضيعون عمرك، ويضيعون اهتماماتك، وتصبح رؤيتك قاصرة تماماً.
{وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (المائدة: ٩) أليس هذا شبيه بتلك المسألة {كِفْلَيْنِ} مغفرة وأجر عظيم؟ هذه من الأشياء التي لا يستطيع أحد أن يصل إليها على الإطلاق من أي أنظمة

أخرى، من أي ثقافات أخرى، أن يقدم تربية للإنسان على هذا النحو الذي يقدمه القرآن نهائيا، لا يستطيع على الإطلاق، يقدم لك تربية تكون قوياً شديداً، أعزة على الكافرين إلى الدرجة التي تجعل قوتك محط جاذبية للآخرين، أي ليست قوتك وشدة بأسك وفتكك بالشكل الذي يثير الآخر عليك، ما تحصل بهذا، قدمها بطريقة متكاملة عجيبة جداً، هنا يأتي وفاء، التزام بالمبادئ في الصراع مع الآخر، وشدة بأس .

فالأمة التي تكون على هذا النحو ستتقدم بهذا الدين، وبهذا القسط الذي هو من عند الله شهادة للآخرين ينجذبون، حينئذ سيرى الطرف الآخر أمامه أمة وفية، ملتزمة، مبدئية، قوية جدًا، تشكل أملاً، هو لن يقول: أمة ليست شيئا، وضعيفة. لماذا الآن الكثير من العرب قد يكونون ينظرون إلى أمريكا كأمل تحررهم من حكومات عانوا منها، أليس هذا حاصل على ما كنا نسمع فعلاً داخل عراقيين أو سوريين أو سعوديين لماذا؟ لأنهم يعتبرون أمريكا قوية، يقول: فعلاً قوية تضرب ولو فيها عدوان لكن عندهم إذا قد هي ستخلصهم، أليسوا هنا قد صاروا يعتبرونها محط أمل لكونها قوية؟ إذًا هنا قوة، القوة في الإسلام قدمت لها جاذبيتها، القوة عند أمة ملتزمة وفية، قيم عالية، وفي نفس الوقت تشكل أملاً لتحرير الآخرين من الظلم، من الاضطهاد في أي بلد من البلدان، في الأخير سينجذبون إليها، سينجذبون إليها حتى ربما قد يكون من هم في الميدان، وهذا حصل عند العرب أنفسهم ، ألم يحصل؟ في الأخير يراجع حساباته هو ، لماذا هو يدخل في عناء كبير مع أمة هي على هذا النحو فتاكة جدًا.

لاحظ كيف في معركة بدر الله يقول لهم : {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال من الآية: ١٢)

وعندما أخذوا منهم أسرى ما كان ينبغي {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ} (الأنفال من الآية: ٦٧)

الطرف الآخر في الأخير يراجع حساباته هو لماذا يدخل في مواجهة قوية شرسة مع ناس هم أمة ملتزمة، أمة وفية أمة هكذا يعرف عنها صورة جميلة جدًا، ويرجع إلى مجتمعه ويرجع إلى معتقداته وإذا هي كلها ليست بالشكل الذي تجعله يضحي من أجلها، في الأخير ينجذب إليهم .

هنا تكون قوة المسلمين بالشكل الذي تقدم أملاً للآخرين، وفي نفس الوقت حتى منهم في الميدان سيراجع حساباته، من هم الذين أسلموا بعد في الجزيرة؟ منهم؟ أليسوا هم الذين كانوا يصارعون في الميدان فعلا في بدر وفي أحد، هم الذين أسلموا في الأخير، هو يريد يقاتل، وهو يرى ناس أقوياء، لاحظ الروم أنفسهم ألم يتراجعوا في تبوك؟ حركة، حركة ناس يبدو شديدين، وعندهم قيادة عالية جدًا، وكان قد سبق في [مؤتة] قتال فيما بين الروم بين المسلمين ولم يكن المسلمون تقريبا إلا ثلاثة آلاف أو أقل، لكن هناك قيادة، عندهم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وبعده عبد الله بن رواحة، حصل قتال قوي جداً، هنا راجع الروم حساباتهم، ألم يراجعوا حساباتهم؟ قرروا أن لا يدخلوا في مواجهة.

هكذا تجد بشكل عام تربية القرآن، كيف يقول للناس أن يكونوا قوامين بالقسط، ويربيهم كيف يكونون في مواجهة الآخرين وكل ما يقدم صورة عن الآخرين دائما يرجع إلى مسألة: لا تتأثر نفسيتك أنت، يكون لك مواقف شخصية، اترك عداءك لله؛ لأن هذه القضية خطيرة جدا، خطير جدا في مجال إقامة القسط، المواقف الشخصية، وستفقدك جاذبية تقيك الصراع، تقيك فعلاً، جاذبية عند الآخر تقيك أن يكون منشداً وقوياً في صراعك؛ ولهذا ربطها دائما في سبيل الله، في سبيل الله، ولله، شهداء لله، وهكذا، لو تنطلق بعنوان وطنية ألست ستفقد كل هذه العناوين الهامة؟ لأنك عندما تقول من منطلق قومية عربية مثلا، أو قومية يمنية، أو قومية مصرية، أو نحوها، هل يمكن أنك تشد الآخرين إلى أن يكونوا يمنيين؟ هل يمكن أن تدعوهم إلى أن يكونوا يمنيين؟ أو يكونوا مصريين؟ هنا يأتي في بعض الآيات، أليس هو يأتي ـ أيضاً ـ بدعوة، دعوة لهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله، وبالكتاب الذي أنزل على رسوله، أليس هو يأتي أيضا بدعوة للآخرين أنفسهم؟ هل يمكن وأنت عنوانك وطنية معينة، قومية معينة أن تقدم أشياء من هذه؟ تفقد أشياء كثيرة جدا قد يكون في مقدمتها التأييد الإلهي بكله ، الآخر يراك أنك قومية تواجه قومية، جنس يواجه جنس، لون يواجه لون، إقليم يواجه إقليم، هناك سينشد ، سينشد هناك، ويقاتل باعتبار أنك يمكن تريد أن تحتله، لكن هنا القرآن يذوِّب هذه المسألة تماما، مسألة الإقليمية، مسألة القومية، مسألة وطنية، يجعلها كلها لله، والإسلام هو لله،

وقابل للكل، وهو جذّاب فعلا عند الكل فيما لو قدم، وحصل من يكونون فعلا شهداء لله، كما في الآية هذه، يقدمونه بجاذبية عالية .

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (المائدة: ١٠) **ولاحظ في نفس الوقت أنه يقدم للمسلمين أنه يجب أن يكون عندهم التزامات بمبادئ معينة في صراعهم، تبدأ من داخل أنفسهم، أن لا يكون عندهم تصور بأن هذا قد يتيح للعدو فرصاً، وأنه قد يؤدي إلى ضياع فرص، وأشياء من هذه، أبداً لا تحصل هذه، الله هو رقيب على الجميع، لا تتصور بأنه شيء أمرك الله به يعتبر إضاعة فرصة لك، والأفضل أن تكون هكذا [متلون متقلب] تغدر وتمكر وتخون؛ من أجل تتمكن من عدوك، في الأخير لا تنجح، فعلاً لا تنجح بالطريقة هذه، ولو رأيت أنك نجحت في مرة أو مرتين، فعندما تلتزم فعلا بالمبدئية التي قدمها القرآن الكريم، حتى لو عندك يمكن أنه ربما قد يكون هذا بالشكل الذي يتيح فرصة للآخر، أبدًا لا يحصل هذا {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}** (الأنفال: ٦٢) **ألم يقل هكذا في آية أخرى؟. {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}** (الأنفال من الآية: ٧١) .

هذا لن يحصل، الشيء الذي قد يكون في الصراع، وقد مر في الحديث حول الأشهر لحرم أو {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ} (البقرة من الآية:١٩٤) **هذا أيضاً تعتبره دليلاً على أنه عندما يكون هناك التزامات معينة ـ لكن عندما تكون قائمة على أسس صحيحة ـ وأنت في ميدان المواجهة، فئات لا تقتلها، أصحاب سن معين مثلا لا تقتلهم، أشياء معينة لا تقربها، لا تقل: إذًا ماذا بقي لي! فلا نستطيع أن نضرب العدو نهائيا ، وقد يتمكن العدو من أن يعمل كذا، أحسن نضربه بطريقة معينة؛ من أجل لا يتمكن .**

إفهم بأن التزامك بمبادئ الدين في ميدان المواجهة لن يضيعك الله أبدًا {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}، {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ} ماذا يعني؟ هو سيكفيك لا تخف ، لا تخف إلا من ماذا؟ من أن لا تلتزم بهذه المبادئ في ميدان المواجهة؛ لأنها مبادئ مهمة ، مهمة في التأثير في نفسية العدو، قد تكون أخطاء مثلا عندما يكون الطرف الذي يمثل المؤمنين ليس طرفا بمستوى أن يكون جديراً بأن يمثلهم فعلا في موضوع مثلا إما دخول في هدنة، أو ميثاق، أو أي شيء معين ، أما هذا فيجلب فعلا شراً، مثلما كان تعمل إسرائيل مع العرب، أليسوا يتقاتلون فترة ثم يدخلون في هدنة؛ لأن مسألة الهدنة، مسألة ميثاق، هذه الأشياء تقيَّم ، وتقيم على اعتبارات متعددة، ومن جهة خاصة جديرة بأن تمثل المسلمين فعلاً عندما لم يكونوا جديرين بتمثيل الأمة هذه، أصبحت تلك الهدن كلها لصالح العدو فعلا، هنا يلمح إلى هذه، وكما هو أسلوب القرآن الكريم، قد لا يكرر الشيء دائما، دائما بطريقة موسعة، يشير لك إلى الموضوع.

هو يقول هنا: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (المائدة: ١٠) **هنا يقول لك الطرف الآخر الذي قد تفكر أمامه عندما يقول لك: {لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} ثم تجلس تفكر في الطرف الآخر، هو قول لك: الطرف الآخر أمامنا، ننظر إليه، نراقبه، هم أصحاب الجحيم، أصحاب الجحيم يعني ماذا؟ هم خاسرين هنا، إذا ذكر لك بأنهم من أصحاب الجحيم فاعرف بأن تدبيره معهم هنا تدبير يقوم على أن لا ينجحوا، على أن يخسروا .**

ثم جاء بمثال واضح {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} (المائدة من الآية: ١١) **فلا تقول: نحن عندما نلتزم قد نعطي فرصة للعدو، وقد..وقد يتمكن ثم ..إلى آخره، الله يقول هنا: {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} من حيث لا تشعرون، وفي وقت ما قد دخلتم في التزامات قائمة على أساس توجيهه مع آخرين، فإذا هو كف أيديهم عنكم من حيث لا تشعرون ألن يكف أيديهم عنكم؟ ألن يكونوا هم الخاسرين ، ألن يحبط كيدهم عندما يفكرون أن يستغلوا فرصة معينة؟ ، بل ربما قد يدفعون إلى أن يظهروا في الصورة ناقضين مثلا، مثلما تعامل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معهم؟ ما كان أحيانا ما تدري ونقضوا هم من هناك، ينبذ إليهم على سواء ويضربهم، لكن العرب عندما كانوا يدخلون في هدن، كانوا يدخلون في هدنة لم تقم على أساس تقييم صحيح، ثم في نفس الوقت لا**

يهتمون ببناء أنفسهم كما يهتم العدو ببناء نفسه، ينخدعون به وهو شغال يبني نفسه وبدا عليهم من جديد وضربهم، ولا قيادات جديرة فعلا بكثير من الأشياء هذه التي وعد الله بها المؤمنين ، لأنه قد يكون بعضهم لا يختلفون فعلا عن قيادات العدو، هل هذا محط تأييد إلهي؟ وبعضهم لا يختلف عن شارون.

لاحظ كيف الآية هذه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} لأن تذكر نعم الله لها أثر مستمر، وأثر هام في كل الظروف، وفي كل الوضعيات {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} لكن المؤمنون بما تعنيه الكلمة، والمؤمنون الذين بنيانهم بنيان صحيح، على أساس قرآني، تجد الآية هذه أيضاً فيما يتعلق بنسف كثير من المفاهيم التي تقعد الناس، أو الرؤى القاصرة التي تؤدي بالناس إلى أن يقعدوا، أنها كلها ناتجة عن ضعف ثقة بالله سبحانه وتعالى، هو هنا يقول للمؤمنين: {إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} ؛ لأن الله هو مسيطر ورقيب ومهيمن على كل الناس، على نفوس وقلوب أوليائه وجنده، ونفوس أعدائه.

وفي الوقت الذي يقدم وعوداً عندما يقول: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} (الحج من الآية: ٤٠) **يقدم أمثلة عملية وقعت فعلا {هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} هذه تنسف الشعور الذي هو حاصل عند الناس، نقول: العدو.. قال العدو إذا كذا.. فيمكن يضربنا، لا تعملوا كذا، لأنه يمكن يضربنا ضربة قاضية!!.**

لا، إذا الناس يتحركون على أساس دين الله، على أساس هدي الله ، ويثقون بالله وثوقا عمليا، ويبتنون على أساس قرآني، فهذه هي سنة الله أن ينصر أولياءه، وأن يكف أشياء كثيرة من جانب العدو قد لا يكون في طاقتك أنت، ولا إمكانياتك ـ سواء معدات عسكرية، أو إمكانيات أخرى ـ أن تدفعه، هو يكف يده عنك {وَاتَّقُوا اللَّهَ} لا يكون من عند الإنسان تقصير يقصر، يتراجع، يقعد؛ لأنه يرى العدو كبيراً، ربما يحصل، وربما يضربنا، وأحسن نحافظ على أنفسنا، أحسن نتحول إلى دعوة، دعوة هكذا نحافظ على الدين بشكل دعوة، لا ننطلق بهذا الشكل فيضربونا فيقضوا على الإسلام، هذه رؤى قاصرة كلها، الله يقول: {وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} .

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ} (المائدة: ١٢) **وسيأتي كلام من بعد عن بني إسرائيل، يقدم هنا بأن ما وقعوا فيه لم يكن بسبب تقصير من جهته سبحانه وتعالى، بل المسألة وصلت إلى درجة أن يأخذ ميثاقا عليهم، والتزاما بما عهد به إليهم، ووعد من جانبه سبحانه وتعالى.. إلى أن قال في الأخير: {لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ} ثم يبين بأن أعداءه، أعداء أوليائه ـ مثلما تقول ـ معلومون لديه، يعلمهم، وفي نفس الوقت هم في موقع أن يعاقبهم مثلما جاء بعد: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** (المائدة: ١٣) .

هذه فيها عبرة لنا، عبرة للناس، المسلمين بشكل عام بأن عليهم أن يأخذوا بهدي الله بقوة كما قال مع بني إسرائيل {خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ} (الأعراف من الآية: ١٧١) **؛ لأن ما أخذه على بني إسرائيل هو أخذه على الناس، وإلا فقد تكون النتيجة هكذا، هم عندما نقضوا ميثاقهم كما قال: {لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} لم يعودوا يتأثرون بشيء مما يسمعونه مهما فهموا، مهما تبينوا، مهما تجلى لهم ؛ لأنه عندما يوجه الناس إلى أن يكونوا ملتزمين ـ في صراعهم مع الآخر ـ بالمبادئ التي وجههم إليها، مبادئ قرآنية، وليست أفكار أخرى، أو مبادئ يأخذونها من عند آخرين، أو من داخل مواثيق أخرى يصنعها آخرون، مبادئ قرآنية، أنه أيضاً هو يعلم الآخرين تماماً، يعرف بأنهم هكذا: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} لاحظ هنا تلمس الفارق الكبير بين موضوع: فاعف**

عنهم، واصفح سابقاً، وبين ما يقدم، المرحلة التي الناس فيها ليست مرحلة: فاعف عنهم واصفح، قد لا يقال إلا للقوي يعف عن طرف آخر، للقوي، ولا يقال للقوي وعلى أساس أنه يترك الموضوع، هو يتحرك، يبني أمة، يواجه أعداء شرسين في نفس المرحلة أكثر من هؤلاء شراسة في الميدان، معناه: لا ينشغل بهؤلاء سيلحقهم معه .

ثم تجد في نفس الوقت، وهذا من عظمة الإسلام، وأنه لا يستطيع على الإطلاق أعداؤه أن يؤثروا على الناس إذا كانوا ملتزمين به ألم يقل: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} هل أدى عفوه وصفحه عنهم إلى أنهم تمكنوا وضربوه؟ لا، لم يحصل أليس كذلك ؟ لأن من تبنى فاعف واصفح قائد على مستوى عالي جدًا، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لا يأتي مثل الآن يقدم لك وسطية، وعفو وصفح، وأشياء من هذه على أساس: اسكت واجلس، ولا حركة أمامهم.

كلمة: فاعف واصفح، فاعف عنهم واصفح ليس معناها اتركهم ولا تتعرض لهم ولا شيء، قد يكون أمام قضية واحدة، أمام قضايا معينة، وهو في مسيرة عملية، مواجه أعداء شرسين في الميدان، من كان ينزل إليهم في الميدان في أكثر تلك الفترة؟ ألم يكونوا هم المشركون ، اليهود كانوا يتآمرون، وهكذا لا يجرؤون أن يبرزوا في الميدان.

هذه الآية أيضاً من الآيات التي يحرف معناها الآن، عندما يقول: {فَاعْفُ} أليس هذا خطاب للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) {وَاصْفَحْ} هو يعرف، هذا المنطق ليس منطقاً مبنياً على قواعد [أصول فقه] منطق مبني على تقييم وضعية، هو يفهم هذا الطرف نفسه، بني إسرائيل في تلك المرحلة، ويفهم بأنه يواجه عدواً أكبر منهم، عدواً أخطر منهم في نفس الوقت؛ لاعتبارات أخرى، هم خطيرون في موضوع المؤامرات، وأشياء من هذه، لكن كان في تلك المرحلة الذي يمثل خطورة واقعية، والذي يجعل لمؤامرات بني إسرائيل فاعلية هم الطرف الآخر، المشركون، وهؤلاء لحقهم على الطريق فعلاً، عندما برز من عندهم أشياء، خيانات برزت من عندهم لحقهم وضربهم، وتجد أن ضربتهم فعلا كانت على هامش حركته ، على هامش حركته، ومواجهته للآخرين .

هنا قد صاروا يخاطبون الناس: [فاعفوا]، وهي هنا {فَاعْفُ} موجهة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) صاحب القرار في القضية والعارف للوضع، وعارف للناس، وعارف أنها لا تعني ـ مثلما يقدمونها الآن ـ اسكت منهم، ولا تتكلم معهم، وأقبلهم إلى آخر ما يقدم الآن، مرحلة معينة {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} ويمكن تلحقهم بعد، لا تنشغل بهم عن قضايا هي أهم، عن عدو هو أخطر في نفس الوقت، بحسب تلك الوضعية، ونوعية الصراع في ذلك الزمن، أما الآن فإنه يقدم للناس يعفوا ويصفحوا ويقبلوا، ولا يعملوا أي شيء نهائيا! أول شيء أن هذه الكلمة لا يصح أن تقال للعرب الآن، ما يقال: أعف إلا للقوي، ما يقال للمسكين المظلوم: أعف عن فلان، إنما يقال لمن هو مقتدر: أعف واصفح، هل العرب الآن في وضعية قوة والآخرين هم المستضعفون وإنما يأتي من عندهم مؤامرات بسيطة وأذية معينة نقول نعف عنهم، لا يمثلون شيئا ممكن تلحقونهم من بعد؟ لا، معناه اعف عن هؤلاء الظالمين، الطغاة، المتجهين للأمة هذه لطمسها تماما، هذا من تحريف الكلم عن مواضعه .

ثم تجد فعلا بالنسبة لبني إسرائيل حصل عفو، حصل صفح في مراحل، وكانوا في نفس الوقت لا يقدرون هذا للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أنه شخص يثقون به، إنسان مبدئي وملتزم، ليس إنساناً عدوانياً ـ كما يقولون ـ إنساناً متوحشاً ، هو إنسان صاحب قيم ومبادئ، وحريص عليهم أن يهتدوا، وهم يعرفون هذا عنه، ومع هذا لم يقدروا لعفوه وصفحه قدره، يذهبون يتآمرون عليه، عندما تآمروا عليه في الأخير استطاع أن يضربهم نهائيا، وفعلاً ليس هناك أي مبرر لديهم على الإطلاق أن يقولوا: ظلمهم، أو يقولوا اعتدى عليهم، أبداً، هم الذين لم يقدروا عفوه ولا صفحه، وتآمروا عليه، ونصروا أعداءه إلى درجة أنهم قالوا لهم: أنتم أهدى من محمد، وهم مشركون، ويعرفون أنهم كاذبون ومفترون على الله عندما يقولون لهم هذا القول، مثلما تقدم في الآيات السابقة.

فإذا وجدت بأنه لم ينفع معهم عفو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وصفحه، لن ينفع معهم ما يقدم الناس من تنازلات، إذا لم ينفع عفوه عنهم وهم في وقت مستضعفين، لا يمثلون قوة كبيرة، هل يمكن أن ينفع أمامهم الآن تنازلات وهم قوة جبارة؟ الآن هل يمكن يقبل؟ لا يقبل.

ثم من يتحدثون مع الناس على أساس أن يعفوا ويصفحوا ويعتدلوا ويقبلوا ووسطية وأشياء من هذه، هل ترى لديهم عمل آخر لبناء الأمة فيبدو أمامك وكأنها مرحلة فقط، وتعامل مع مرحلة بشكل معين، وسنضربهم من بعد، هل يعملون هذه؟ أبداً ولا حركة، يعني: نحن فاهمون الأشياء التي يتطلبها الصراع الآن مع اليهود، قلنا إننا لا نلمس في الساحة على الإطلاق أي عمل تقول بأن هذا فعلاً يؤشر على أن هناك بناء من جانب هذه الدولة، أو هذه، داخل البلاد العربية لتبني أمتها، وتبني شعبها، وجيشها؛ لتضرب ذلك العدو، ربما قد يكون سوريا باعتبارها دولة ما تزال في حالة حرب مع إسرائيل، حصل بناء عسكري من أيام حافظ الأسد، ولا ندري كيف واقعها الآن، لكن هنا مثلا في اليمن هل نلمس شيئا، يلمس واحد مراكز تدريب مثلاً، يدرب الشباب؟ هل تلمس اهتماماً بالزراعة؟ هل تلمس اهتماماً بالاقتصاد بشكل عام؟ هل تلمس مثلا حركة هناك من قبل المرشدين لتوجيه الناس إلى أن يكونوا مستعدين للجهاد، فنقول: إنما فقط الإعلام يقول هكذا: وسطية، وأشياء من هذه ، وهم شغالين من تحت، هذا لا يوجد! يعني: أنه منطق من يثقف الأمة أن لا يكون لها موقف نهائيا، تقبل بهذا العدو أن يدوسها، وينهبها.

بل تجد أن هناك تضليلاً للناس باسم كتاب الله، هذه جريمة كبيرة عند الله، قد يكون لها اثر كبير في أن يسلط عليهم لهذه في حد ذاتها، خلي عنك الأشياء الأخرى ، هنا يبين بأنهم أمة ما عندها التزامات، لم يفوا مع الله سبحانه وتعالى، لم يفوا معه، ألم يقل هنا: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً} (المائدة من الآية: ١٢) كأنهم كفلاء، أو ملتزمين، أو قد يكون بعضهم ملتزمين على من ورائهم، أخذ ميثاقاً، ولكن لم يلتزموا، فلعنهم . معنى هذا في الأخير ماذا؟ ألم يقل: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} هل المعنى هؤلاء ناس هم هكذا سيئون، وهم، وهم .. إلى آخره، لكن لا تنشغل بهم، ولا تعد نفسك لمواجهتهم في يوم من الأيام، ولا .. ولا .. إلى آخره ، لن يكون هذا توجيهاً حكيماً، بل على الرغم من هذا وهم في تلك المرحلة منظورين، أعني: هم تحت المراقبة، وتحت التقييم، ويتعامل معهم بحذر، ومنشغل بعدو أخطر منهم في الساحة، وهم في وضعية متى ما حصل منهم أي مؤامرة ظهرت سيضربهم، وهذا الذي حصل.

هم ليسوا على الإطلاق في أي زمن من الأزمنة إلى درجة أن تثق بمواثيق معهم على الإطلاق، كان من واجب العرب، لو أن إسرائيل هي التي تقدم طلبات، ومبادرات شبيهة بالتي يقدمها العرب أن لا يثقوا بهم، وأن يكونوا معدين أنفسهم في يوم من الأيام أن يضربوهم ما بالك إذا كان العكس هم الذين يقدمون مبادرات، تنازلات، استسلام، وهي في نفس الوقت ترفض، ولا يعدون أنفسهم لمواجهتهم .

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} (المائدة من الآية: ١٤) إذًا فكل هذه الأطراف هي في وضعية فيها ـ مثلما نقول أكثر من مرة عندما نمر بآيات من هذا النوع ـ نقاط ضعف خطيرة ، هؤلاء ملعونين لعنهم الله {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ} واللعنة عليهم معناها ماذا؟ لها آثارها السيئة بالنسبة لهم، وبالنسبة لهؤلاء، وقد تكون تعود إلى الكل {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء} يعني وهم أيضا لم يحصل منهم التزام، {فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} أليست هذه نقطة ضعف فيهم كبيرة؟.

{وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} وهذه هي القضية الخطيرة؛ لأنه في الدنيا هذه مهما حصل من مؤاخذة، من معاقبة، مهما حصل من أشياء، ليست شيئا بالنسبة للأشياء المرصودة في الآخرة {وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}.

{فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} ماذا تعني هذه؟ أليست توحي بأنه سيبقى منهم ناس إلى يوم القيامة، الأحاديث التي تقول: أن المسيح سينزل، وسيسلم كل النصارى غير صحيحة؛ لأنه هنا معناه.. في عدة آيات تبين بأنه سيبقى منهم حتى في ظهور الإسلام، سيبقون لكن بشكل غير ظاهرين أقليات هكذا، أو في بلدان لا يعتبرون ظاهرين مثلما هم ظاهرين الآن، ولا حول الآن، {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ} هذه ما تزال قائمة فعلا، وتجد لها آثارها فعلا الآن، نقول ربما تخفيف ما كان يمكن أن يحصل منهم فعلا لو أنهم متآلفين ، لكن يتحرك حزب والحزب الآخر يحاول ينقده، ويحاول يقدم سياسته خطأ، من أجل أنه يفوز في الانتخابات بدلا عنه، عندما يقتل أمريكيون، الحزب الآخر يحاول أن يستثير أهالي القتلى، والحزب الحاكم يحاول يتفادى أن لا يحصل قتلى لأن هذا سيؤثر عليه، ماذا حصل في الأخير؟ نقطة ضعف كبيرة بالنسبة لهم هذه، لو أنت في مواجهة أمة وليست بالشكل هذا لكانت خطيرة جداً .

ومع هذا تجد حكومات العرب نفسها حكوماتهم الذين يوجد معهم أموال، أموال هائلة جداً، وليس السبب أنهم ممن يتورعون أن لا يدخل في محظور، أو يدخل في شبهة، ألم يكن المفروض عندما يعرفون بأن هذه أمة ـ بالنسبة لليهود والنصارى ـ داخلهم عداوات وبغضاء، أن بإمكانهم أن يتغلغلوا داخلهم، يشترون منهم أناساً بأموالهم، ويحركونهم ضد آخرين، ألم يكن هذا بالإمكان؟ أعني: أنهم ما استطاعوا أن يشتغلوا حتى بأموالهم!!.

تجد الآخرين هم، بنوا إسرائيل، من اليهود والنصارى هم الذين يتغلغلون داخل المسلمين! لا نقول: لأن هؤلاء هم مبدئيون، وإلا فهي قضية قد تكون غير صحيحة على ما يمكن أنه يفكر فيها كثير من حكام العرب الآن، لكن لم يصلوا ولا حتى إلى الدرجة هذه: أن يشتغلوا بأموالهم، يوجد داخل أمريكا [لوبي] يسمونه: [لوبي صهيوني] اليهود عارفون بأن بإمكانهم أن يتغلغلوا داخل الإدارة الأمريكية، وداخل المجتمع الأمريكي، هل يوجد لوبي إسلامي، أو لوبي عربي ـ مثلما يقولون ـ يحاول أن يصل هناك إلى درجة التأثير في القرار الأمريكي؟ لا يوجد، وإنما يأكلون أموالهم هكذا.. ويضربونهم في نفس الوقت، ثروات هنا يستنزفونها، والأرصدة التي هناك، مبالغ كبيرة جداً.. يعني: أنهم ما استطاعوا يشتغلون ضدهم، لا باسم دين، ولا حتى وفق ما يعمل الناس الذين لا يوجد عندهم التزامات في حالة الصراع نهائيا!! .

يقولون: في إسرائيل نفسها أنه يمكن يهود، يأتي أحد من الفلسطينيين الذين يحاولون الدخول ليفجروا أماكن معينة يستطيع أن يعطي بعض اليهود مبلغاً ويدخّل له هذه العبوة الناسفة من نقاط معينة بفلوس، ليس بينهم ألفة حتى تقول: هذا مجتمع متآلف، لكن خذيلة بكل المقاييس ، خذل حكام العرب بكل المقاييس من كل جهة .

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } (المائدة: ١٥) **إلى آخر الآيات، هنا في بداية الآية يبين لنا أن أهل الكتاب فعلا كان عندهم الطريقة هذه: يخفون أشياء كثيرة من الكتاب، عندما يقول: {قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ} رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لم يطّلع على التوراة والإنجيل، إنما من خلال القرآن هذا نفسه؛ لأنه هنا هذا القرآن نفسه يقدم أشياء كثيرة مما هي عند بني إسرائيل، قد حرفوها، أو أخفوها، يبينها، ويظهرها، ويفضحهم في نفس الوقت، فهذه تعتبر ـ إذا كانوا يفهمون وما زال ممكن أن ينفع فيهم آية ـ تعتبر آية من الآيات لديهم، أنه إنسان لم يقرأ كتبهم، لم يقرأ، لا يستطيع أن يقرأ خطاً عربياً ما بالك بخط عبراني، وفعلاً لم يتجه إلى هذه الطريقة، وفي نفس الوقت يأتي على يديه ـ من خلال هذا الكتاب العظيم ـ ما يكشف حقائق هم يعرفونها، أليس في هذا ما يدل ـ إذا ممكن أن تنفع فيهم الآيات ـ أن هذا من عند الله؛ ليعودوا إلى الله سبحانه وتعالى، ويؤمنوا به؟ .**

{يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} هناك كثير ما قد تعرض لها {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} وهم يعرفون هم الكتب السماوية، والكتب الإلهية كيف تكون، كيف يكون أسلوبها، ومنطقها، والقضايا التي تتناولها {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ} (المائدة من الآية: ١٦) **إذا كنتم تفكرون في السلام، للبشر جميعاً هو يهدي الناس إلى سبل السلام، لكن كل من سار على هذه الطريقة، من اتبعوا رضوان الله {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** (المائدة: ١٦) .

على الرغم من أن الآية هذه تبدو موجهة إلى أهل الكتاب، أليست هكذا؟ تجد نفس العرب لم يلتفتوا إليها، وكان المفروض أما بالنسبة للعرب، بالنسبة لمن هم مؤمنون، أنها قضية ثابتة لديهم: أن القرآن الكريم هو الذي

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وهم يبحثون عن السلام من كم سنين، أليسوا يبحثون عن السلام؟ لكن بطريقة خاطئة يبحثون عن السلام عند العدو، يقدمون تنازلات، يقدمون استسلامات، ويقدمون أشياء مذلة تذلهم وتذل شعوبهم، وفي الوقت الذي يخاطب بني إسرائيل بأن هذا الكتاب هو من يجب أن تعودوا إليه لتهتدوا إلى سبل السلام، ولأن السلام هو مطلب عادة للبشر، إذا أنت ترى مثلا حكومة معينة مثل حكومة إسرائيل مثلا تجد أنه قد يكون هناك مواطنين عاديين يكونون مهتمين بأشيائهم اليومية يتمنون أن لا يحصل حروب ولا شيء، لكن الساسة نفوسهم عارفون أنه لازم تكون الوضعية على هذا النحو.

إذًا هو يخاطبهم على أساس أن القرآن يخاطب البشر جميعًا، لا يخاطب فقط الفئات الحاكمة، يخاطب البشر جميعا، بل يعطي أهمية للشعوب بأنها التي هي مظنة أن تستجيب، واستجابتها مؤثرة، والتأثير عليها مؤثر أيضاً، يقول لهم هذا نفسه، يعودون هم إلى هذا القرآن؛ ليحصلوا على السلام. تجد العرب بالمقلوب، يذهبون هم إلى بني إسرائيل يبحثون عن السلام في الوقت الذي هم أعداء واضحة عداوتهم، ويبحثون هناك عندهم عن السلام، ويتركون الكتاب، مع أن أهل الكتاب هم دعوا إلى هذا القرآن ليؤمنوا به، ويهتدوا به، ليهتدوا إلى سبل السلام . ومعنى هذا بأنه فيما يتعلق بالمؤمنين وبأعدائهم من بني إسرائيل بأن السلام كله يقوم على أساس هذا، نحن نريد سلاما، وأنتم تريدون سلاما، تعالوا إلى هذا {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ} هذا سيحقق لنا سلاما نحن وإياكم وبدون تلاعب، وبدون تعب، نرجع إليه، جميعا، ونؤمن به جميعا، وننطلق على أساس هداه جميعا؛ ليتحقق السلام .

{وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} في هذا طريقة من الناحية المنهجية، يعرف الإنسان أن أشياء كهذه هي مطالب عادة للبشر، كيفما كانوا أعني: الآن في نفوسنا أليس عندنا صورة مثلا عن أمريكا وعن أوربا هي الصورة التي نراها، صورة الحكومات، أليس هكذا؟ حكومات تسوق الشعوب نفسها، قد تكون تسوقها بضغط، أو تسوقها بإغراءات، وبإعلام مضلل، حول موضوع سلام، ونور وهدى بالنسبة لهم، أعني: يقدمون كل الأشياء لديهم، يعتمدون جدًا على وسائل الإعلام؛ للتضليل على الناس، والتضليل يتم على هذه الطريقة، أن السياسة التي تتبناها حكومة إسرائيل، أو حكومة أمريكا، أو أي دولة أخرى أنه من أجل تحقيق السلام للشعب الفلاني الأمريكي أو..هم يقولون هكذا: محاربة الإرهاب هنا تحقيق سلام للأمريكيين، وأمن وحفاظ على مصالح أمريكا، وأشياء من هذه يعني: طريقة تعتبر هدى، يزعمون أنهم يهدون إلى طريقة هي في مصلحة الناس، وخير للناس .

إذًا هذا مطلب أساسا، هو مطلب للبشر جميعا، ولأن أكبر نسبة من البشر هم عادة مواطنون من الذين يسمونهم مواطنون عاديون يهمهم سلام، يهمهم هدى، يهمهم حق، مطالب لديهم أساسية، معنى هذا بأنه عندما يوجه هذا الخطاب إليهم هو يخاطب فطرة لدى شعوب هم ما يزالون أناساً، تقول له بأن ما عندك هو سلام، وعندك نور، وعندك هدى إلى صراط مستقيم؛ لأن الذي يضلل هناك هو يستخدم طريقة كهذه كعناوين وتحتها ضلال، تحتها ضياع لهم كشعوب، قل لهم: السلام هو هذا، أن نتبع جميعا كتاب الله، ونؤمن بالقرآن، ونؤمن جميعا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وندخل في السلم كافة، وتحقق السلام، ويتحقق للناس خروجاً من الظلمات إلى النور، ويهتدون إلى صراط مستقيم في كل حياتهم هذه .

لاحظوا هذه الدعوة ما أعلاها، أليست تعتبر عالية جدًا؟ هل يمكن أحد من العرب أن يقوم بها الآن؟ أو حتى مجموعة الدول العربية في قمة معينة؟ هل يمكن أن يخاطبوا بهذه؟ في وقت لديهم إمكانيات هائلة من الناحية المادية، لديهم جيوش كثيرة، لديهم عتاد عسكري كبير، لديهم منطقة واحدة، موقعها الجغرافي واحد، وشعوب متقاربة مختلطة، ومع هذا لا يجرؤن على أن يخاطبوا بني إسرائيل بما خاطبهم به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) في ذلك الزمن، عندما يخاطبهم فإنه خطاب ممتد وليس فقط يخاطب مجموعة يهود في ضواحي المدينة، خطاب لأهل الكتاب بشكل عام؛ لأنه جاء الكلام هذا تناوله بعد الحديث عن اليهود، والحديث عن النصارى، وكان النصارى أكثر ما يكون تواجدهم ربما في شمال الجزيرة، أو في داخل بلاد الروم التي كانت تسمى ذلك الزمن بلاد الروم، أليست دعوة جاءت من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي لم يكن يمتلك ربما

كقدرات محافظ من محافظي اليمن ما بالك بدولة، قدرات محافظ واعتماد محافظة ومعسكرات محافظة، وأشياء من هذه، ودعوة على مستوى عالي أنه إذا تريدون السلام فتعالوا إلى هنا، هذا هو السلام، وهذا هو الذي يخرجكم من الظلمات إلى النور، وبه تهتدون إلى صراط مستقيم .

والقرآن الكريم في رؤيته للسلام تختلف عن رؤية العرب تماما التي تقوم عليها مبادراتهم للسلام، رؤيته بناء أمة روح جهادية، هنا يصبح العدو نفسه إذا كان يريد سلاما يتحقق يعود إلى هذا الدين سيتحقق له السلام أعني: أليس هو هنا يقول: {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ}؟ كيف يذكر عمن اتبعوا رضوانه؟ أليس هو يذكر {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ} (البقرة من الآية: ٢٠٧) {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ} (البقرة من الآية: ٢٦٥) يذكر الإنفاق في سبيل الله، وبناء أمة، جهاد، توعية لبناء أمة.

الطرف الآخر،نفس الأمريكيين هم عندهم الفكرة هذه بأنك لا تحصل على السلام إلا عندما تبني نفسك، وتصل إلى مواقع قوة، فعندما تدخل في مفاوضات لن تكون أنت بالشكل الذي تهضم في المفاوضات هذه، أو الطرف الآخر هو الذي سيستسلم أمامك ويتحقق لك السلام، أليس هذا عندهم الآن؟ هم عندهم الآن أن القوة هي التي ستحقق لهم السلام . موقف العرب الآن هو موقف استسلام، وضعف وذلة، ودائماً يقدمون مبادرات سلام وهم في حالة ضعف ما قبلت. الأمة بأمس الحاجة إلى أن تعود للرؤية القرآنية، وخاصة أن هناك توجهاً إلى أنه يزاح هذا الجنس البشري من المنطقة هذه، يزاحون، مثلما أزاحوا الهنود الحمر في أمريكا .

{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة: ١٧) يبين لك هذا الطرف نفسه سواء عندما يدعو مثلا يقول:الإسلام دين السماحة، أليسوا يقولون: الإسلام دين السماحة الآن، ودين السلام، ودين التسامح، وشريعة سمحة، أليس هكذا؟ لكن كلها يقدمونها على أساس وكأن هذا الإسلام يجيز الاستسلام، ويجيز القبول بالآخر على ما هو عليه لماذا؟ لأنه لا يوجد عندهم نظرة بالنسبة للطرف الآخر، وفق النظرة التي تكررت في القرآن، وموجودة بشكل كبير، يعطيك صورة عن الطرف الآخر أنه مغضوب عليه ، أنه مضروب، أنه في وضعية سيئة.

أنت عندما يقول لك هنا موضوع سلام، لا يكون عندك رؤية مغلوطة، إفهم هذه هي دعوة إلى السلام أليست هذه هي دعوة إلى السلام؟ لكن على أساس ماذا؟ أن تتبع رضوان الله جميعا، أن تتبع هذا الهدى، وهذا النور لنهتدي به إلى سبل السلام جميعا، أليست هذه هي دعوة السلام في الإسلام؟ وفي نفس الوقت لا تأتي لتأخذ منها ما تضفي به شرعية على مبادراتهم، وهي مبادرات استسلام، وعلى منطق هو منطق استسلام؛ لأنك ترى العدو ذلك كبيراً، هنا يبين لك العدو دائما يبينه أنه في وضعية سيئة، وضعية ضعف، هو مضروب لكونه عدواً لله، لكن لأن الله لم يعد في الذهنية عند العرب، وعند زعمائهم، لا يتذكرون بأنها نقطة ضعف في ذلك الطرف كونه عدواً لله؛ لأن الله قوة جبارة، ومن هم أعداء له هو يضربهم، ويكيد لهم ليضربهم، وسيخذلهم أمام أوليائه، لا يحسبون هذه على الإطلاق!! مع أنها من الناحية السياسية في هذه الحياة قضية معمول بها لديهم، إذا هناك مثلا دولة معادي لدولة أخرى، ووجدت دولة أخرى أكبر منها قامت تعادي تلك الدولة التي تعاديها، أليست هي تعتبرها نقطة قوة لها لتستغلها فتضربها مثلا المهم هي ترى أنها في واقع ضعف يمكنها من أن تضربها مثلا مع تلك الدولة الكبرى، أو على الأقل تضطهدها بأي طريقة كانت.

الله منسوف عندهم تماماً، لم يعد في الذهنية يشكل قوة في مواجهة أعدائهم، فنرى أعداءنا في موقع ضعف؛ لأنهم في مواجهة قوة جبارة لا تقهر هو الله، هذه منسوفة في الذهنية، مع أنه هنا في القرآن يعرضها دائما بشكل متكرر.

{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة: ١٧) .

هذا بالنسبة لمن؟ للنصارى أليست هكذا؟ يذكر أيضا اليهود {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (المائدة: ١٨) **ألم يذكر الآن أعداء الأمة الرئيسيين أنهم هكذا في واقع ضعف؟ وذكر أنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء قدير وأن إليه المصير، ومع هذا لم ينفع في العرب! مثلما ترى في بني إسرائيل لم ينفع ، لم ينفع، يأتي بصورة عن بني إسرائيل بما فيها أنه لم ينفع معهم لا أنبياء ولا آيات ولا غيرها .. ونفس الشيء أصبح العرب فعلا وبالذات معظم الحكومات التي تحكمهم، بهذا الشكل ، بل ربما تصل الحالة هذه إلى حملة الدين نفسه ما بالك بالآخرين . {وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.**

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} (المائدة من الآية: ١٩) **هنا يخلط بين التهديد، والتذكير بسوء ما هم عليه، وفضاعة ما يقولونه على الله سبحانه وتعالى، يفترون عليه، ثم أيضاً يأتي بآيات فيها دعوة لهم أن يعودوا إلى الحق، هذه قضية أساسية في منهج الناس، في التعامل معهم، أحيانا قد ترى بأنه هنا يتحدث عن بني إسرائيل، بل يدعوهم إلى أن يعودوا إلى السلام، فتأخذ منها بأنه إذًا هو يفتح لنا الباب أننا نتسالم معهم، ونتقارب معهم، وأشياء من هذه..لا..إن القضية هنا تقوم على أساس أن عندك مسئولية، وعندك مهمة كبيرة أنك تدعوهم إليك، تدعوهم إلى الطريقة التي أنت عليها، لا أن تلحقهم، و[هنا قد سمح لنا أننا ندخل في سلام معهم، وأشياء من هذه.. وبعدهم] في الأخير يقدم قبولاً لكل ما يملونه عليه من شروط، هنا في الأخير يعطيك تذكيراً أو يذكرك بماذا؟ بموقعك، يذكر الأمة هذه بموقعها، بالموقف الذي يجب أن تكون عليه، أنك تدعوهم، هم الذين يأتون إلى هنا ليتبعوا ما نحن عليه، يتبعون الهدى الذي نحن عليه .**

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة: ١٩) **لاحظ هل هذا المنطق هو الآن قائم؟ منطق أن يبقى الناس متذكرين لموقعهم أنه موقع مسئولية، أن يقولوا للآخرين: أنتم تعالوا إلى ما نحن عليه، هل ما يزال هذا المنطق قائماً ؟ لا يوجد، هم يأخذون من الآيات سبل السلام، والإسلام هو دين السلام والتسامح وأشياء من هذه؛ ليلحقوهم هناك، ويقبلوا ما يملون عليهم من شروط ناسين هذه المهمة تماما التي تذكرك بأنك هنا أنت صاحب مهمة ومسئولية وموقع ثابت، ادعوهم هم يرجعون إليك، وإلى ما أنت عليه، هذه نسفت تماما.**

تجدها متكررة مع أن الناس لديهم ممارسة من هذا النوع، دعوة، وفي نفس الوقت لها أهميتها بأن تتذكر موقعك، تتذكر كيف يجب أن يكون تعاملك معهم، أنك أنت تدعوهم إلى أن يسيروا إليك، ويؤمنوا بما أنت عليه كما قال في آية سابقة: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ} (البقرة من الآية: ١٣٧) **ولاحظ كيف خواتم الآيات هذه: {وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}** (المائدة من الآية: ١٨) **وفي آخر الآية الثانية {وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (المائدة من الآية: ١٩) **هذه لم يعد يلتفت إليها بشكل تعطي ثقة، عندما تقيم كل مواقف الناس في مواجهة بني إسرائيل اليوم أعني: الحكومات، وكثير من المثقفين، والأحزاب كلها هذه ما كأن الله شيء، ما كأنه موجود، ولا كأن له أثر في الذهنية نهائيا، أنه ملك السموات والأرض، وله ملك السموات والأرض، معنى ملك ليس فقط أن أصلها له وقد صار مغلوبا على أمره! هو الذي يدبر شئونها، هو المدبر لشئونها، وهو على كل شيء قدير .**

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا

مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ} (المائدة من الآية: ٢٠-٢٢) **أليس هنا يبين لنا أيضاً واقعهم، ضعفهم، على الرغم من أنهم تحت قيادة عالية موسى، فهل لديهم في قياداتهم قيادة عالية كموسى؟ لا يوجد عندهم {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ} هنا يستوحى من هذه بأنهم هم نفوس ضعيفة، سواء الجيل الأول منهم؛ لما كانوا عليه من ظلم واضطهاد وأشياء من هذه، وأجيال متأخرة لانصرافهم عن هدى الله حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكان يأتي منهم من كان لا يزال مستقيما، يأتي منهم مواقف قوية، الفئات التي هي مستقيمة منهم مثلما قال في آية سابقة: {لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}** (النساء من الآية: ١٦٢) **لو أن النوعية تلك موجودة لكانوا مؤمنين .**

إذًا فالنوعية القوية منهم ليست موجودة، لديهم فئة تكون قوية فعلاً غير موجودة، أما النوعية القوية، أو الفئة القوية تلك التي كانت مستقيمة، لو أنها لا تزال، أو هناك من يمكن أن يكون منها لكانوا مسلمين من أول يوم؛ إذاً فلم يبق إلا فئات واقعهم ضعف على هذا النحو، ضعيف {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} (المائدة: ٢٢) **أليس هذا رأي عندهم اعتبروه حكيما؟ كأن لهم الفضل أيضاً أن يدخلوا {فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} مستعدين ندخل وقد خرجوا منها! معناه [إبشر بنا] ندخل إذا لم يعد فيها أحد ! ليعرف واحد فعلا أنه قد يكون هكذا واقع الناس إذا كانوا مبتعدين عن هدى الله، وفعلا هناك حالة قائمة لدينا من هذه لو نأتي نقيمها، أعني هناك فكرة بالنسبة للعمل معناها في الأخير أنه إذا لم يعد هناك أعداء فمستعدين نجاهد في سبيل الله، إذا لم يعد خائفا فمستعد يتحرك في سبيل الله، أليست هكذا بنفس الطريقة{فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} ويبدو أن هذا القرار حصل من عند الأغلبية الساحقة فيهم فعلا ما بقي إلا موسى وهارون ورجلان قدما هذا المقترح الجميل: {قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ}** (المائدة: من الآية٢٣) **يخافون العواقب ويخافون الله {أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ}**(المائدة: من الآية٢٣) **قدموا لهم خطة {ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** (المائدة: ٢٣) **هذه نوعية ممتازة هذه لكن لم يكونا إلا رجلين فقط .**

هذه ذكرناها سابقا في حديث يكون فيها إجابة على من يأتي يقول لك: [لكن بقي فلان وفلان وفلان لا يقولون هكذا، ولم يتحركوا] لاحظ هنا بني إسرائيل أليس قد يكون فيهم عباد في الفترة هذه؟ لديهم علماء بما قد حصل من علم علماء وعباد وإذا هم مع أصحاب القرار الآخر الذين قالوا: {إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} {قَالَ رَجُلاَنِ} ألم يثن هنا على موقف رجلين واعتبرها خطة حكيمة؟ هل التفت إلى باقي عباد وعلماء آخرين من بني إسرائيل؟ إذا أنت هنا تحسب علماء وعباد هم بالتأكيد في الصف الثاني، صف قرار الرفض {فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} .

{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا} (المائدة من الآية: ٢٤) **ماذا يعني هذا؟ جبن إلى آخر درجة، ومن العجيب أنهم يقولون هكذا مع أن قائدهم موسى، ويعرفون موسى كيف كانت قوته في مصر في مواجهة الفراعنة عند فرعون وهامان وجنودهم منطقه قوي يدخل عليهم إلى قصورهم ويعظهم ويبين لهم آيات الله ويدعوهم إلى عبادة الله، إنسان قوي والقائد يكون عليه عمد كبير جدًا {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا}** (المائدة من الآية: ٢٤) **هذه عبارة سيئة {فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** (المائدة من الآية: ٢٤) **هذا رفض نهائي، إذهب أنت وربك قاتلا!.**

هكذا تجد الناس الذي لا يذكرون نعمة الله، ألم يذكرهم في البداية بنعمة الله عليهم، فممكن أن تقيس الأمور على بعضها بعض بالنسبة لنعم الله فلا تتصور بأنه فقط سيقدم لك خبزاً وماء وأشياء من هذه وينسى التأييد في القضايا الهامة الأخرى، هم لم يحصل عندهم تذكر لنعمة الله فيحبوا الله ويستجيبوا لله ويضحوا في سبيله، مع أن العبارة التي قالها موسى هنا عندما يقول: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ

لَكُمْ} (المائدة: من الآية٢١) أليست تعطي مؤشراً بأنهم سيغلبون؛ لأن معنى كتب لهم أنهم سيأخذونها إذًا معناه أنهم سيقهرون الآخرين، أليس هذا شيء واضح؟ .

إذاً نحن المسلمون معنا من هذا النوع، آيات كثيرة لكن نفسية بني إسرائيل {لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا} ووصلنا فعلا إلى [اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا] جالس يعتزل ويقول: اللهم دمرهم، دمرهم، اعمل كذا.. أما أنا فلست مستعداً ولا حتى أسجن في سبيلك ليلة، أليس الكثير من الناس وصلوا إلى هذه، يكون عنده ستة أولاد أو أكثر وهو غير مستعد أن يترك واحدا منهم يذهب يرفع شعاراً من أجل ربما يسجن، ربما.. لكن أقرب أننا من فوق المنابر نقول: اللهم، اللهم ..أو من داخل بيته، أو من زاوية مسجده. قضية لا تلمس لها اثر في القرآن هذه، هذه الطريقة؛ لأن معناها إذهب أنت أما نحن ولا كلمة ولا ريال ولا موقف، أليست تشبه كلمة بني إسرائيل؟ لكن لاحظ كيف كانت العقوبة سيئة جدا عليهم.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة: ٢٥) لم يعد يمتلك إلا نفسه وأخاه ممكن يطيعه أما الآخرون رفضوا، والرجلين أولئك الذين قدما المقترح، ويمكن أنهم وهم ربما قدهم مجملّين والله أعلم {لا أَمْلِكُ} هو قال لم يعد يملك إلا نفسه وأخاه فقد يكونون مؤيدين ربما قد يكونون كل واحد قد يرجع إلى ماذا؟ إلى السبط الذي هو منه، لكن يتمنون أن الناس يستجيبون لموسى وأشياء من هذه .

عبارة موسى عندما يقول: {رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} ألم يسمهم فاسقين هنا؟ خرجوا عن طريقة الله عن صراط الله {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} (المائدة من الآية: ٢٦) لاحظ على خسارة كبيرة أرض كتبت لهم، وكان بالإمكان أن يدخلوها فعلا، وعبارة موسى توحي بهذا، لكن قد يكون عندهم رؤية نقول نحاول أن نكون بعيدين عنها وهي: رؤية وكأن لك الفضل أنت، عندما يقول لهم: {كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ} قد يكون عندهم إذًا من أجل سواد عيوننا، إذًا يخرجهم ونحن مستعدون أن ندخل! لا، إنك يجب تعتبرها كلها فضلاً من الله، أي نعمة أنت فيها، اعتبرها فضلاً من الله، ويجب أن تشكر الله عليها، وأن تثق بالله وتحبه؛ لأنه أسدى إليك نعمة كبيرة .

الأرض المقدسة هنا لم يفصلّها، ذكر في آية أخرى ما يوحي بأنها قرية، ذكر هنا الأرض المقدسة مبهمة، لكن مفسرين مسلمين جاؤوا ليقولوا: هي بلاد الشام! أليس هذا من الأخطاء الكبيرة، يقول لك: بلاد الشام، من أين علم؟ الله يقول هنا أرضاً مقدسة، لا أحد يدري بالتحديد ما هي، وأنت تأتي تعطيهم مساحة، بلاد الشام والتي تعني ماذا؟ فلسطين ولبنان ومعظم ما يسمى بلاد الشام، فعلاً بعض المفسرين يأتي يفسرها هكذا، قد يكون يعتمد على إسرائيليات، على ناس من بني إسرائيل يفسرونها ، ونفس الآية توحي عندما قال: {ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ} إنها مدينة فعلاً، الأرض المقدسة إنها منطقة محدودة عندما قال: {ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} أليست هذه توحي بأنها قرية؟ كيف يأتي مفسر ويجعلها بلاد الشام؟! .

إذًا فكانت العقوبة عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة {فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة من الآية: ٢٦) معناه أن نبي الله موسى يتألم، لكن هنا لا تأس عليهم هم يستحقون هذه ..

إلى هنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ٢ / ١١ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٢٢/ ١١ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

من الآية(٢٧) إلى الآية (٥٧)

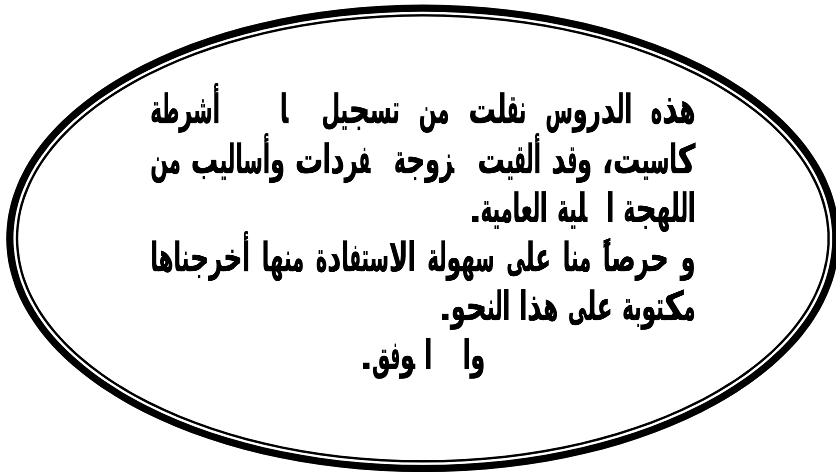
[الدرس الثاني والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٦/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

في أول [سورة البقرة] قرأنا قول الله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة: ٢) الفقرة الأولى من هذه الآية وهي قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} إشارة إلى عظمة هذا الكتاب، وبُعده، بعده الشاسع عن أن يكون محطاً للارتياب {لاَ رَيْبَ فِيهِ} ليس فيه ريب على الإطلاق في كل ما تناوله، أيّ ريب كان، لا مكان له في القرآن، ولا منفذ له إلى القرآن على الإطلاق. من خلال تأمل الإنسان أثناء التلاوة، عندما يتأمل آيات القرآن الكريم سيجد فعلا بأنه بعيد كل البعد عن أن يكون فيه منفذ لريب أيّ ريب كان، يعني: القرآن يشهد فعلاً؛ ولهذا كان أعظم معجزة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يشهد بنفسه أنه من عند الله، بأسلوبه، بمواضيعه الشاملة، بهداه المتميز. أنت تلمس بأنه فعلا من يشرع في هذا القرآن، من يهدي في هذا القرآن هو بالتأكيد من خلق الإنسان، قضية لا شك فيها، أنه من خلق السموات والأرض، أنه من يعلم الغيب والشهادة، وهو الله سبحانه وتعالى لا شك في ذلك .

عندما يتأمل الإنسان سواء بالنسبة للآيات التي تتناول قضايا معينة مثل تشريع القصاص، أو الحدود، أو غير ذلك من العبادات والمعاملات، وفيما يتعلق بالتوجيهات، أو فيما يتعلق بتشخيص الإنسان كإنسان، وتشخيص الإنسان المؤمن المتقي، وتشخيص أهل الكتاب، وتشخيص المنافقين، والكافرين، وهكذا عندما تلتفت إلى واقع الحياة تجد أن القضية كما شخصها فعلاً، وفي كل العصور، في هذا الزمن الذي بيننا وبين نزول القرآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة تجده يشخص على أرقى مستوى، وأدق تشخيص لهذا الواقع الذي نحن فيه، يشخص أهل الكتاب، بني إسرائيل، اليهود والنصارى هؤلاء، ويشخص المنافقين، ويشخص الوضعية بشكل وكأنه نزل في هذه المرحلة فعلاً، لا يمكن لأحد على الإطلاق أن يكتب على هذا النحو، يتجاوز الزمن كتابته، بل رأينا الزمن تجاوز تفسيرات المفسرين أنفسهم، المفسرين للقرآن نفسه تجاوزهم الزمن، وتجاوزهم القرآن، تجاوز هو والزمن تفسيراتهم له هو، فما بالك أن تكون كتابة يصيغها أحد من الناس؛ لهذا يعتبر نعمة كبيرة جداً علينا، ونعمة كبيرة على الناس جميعا، على البشرية كلها .

في هذه الآيات قرأنا قصة ربما قد تكون قدمت في كتب بني إسرائيل بشكل مختلف؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ} (المائدة من الآية: ٢٧) القصة الحقيقية والواقعية لتلك القضية التي حدثت بين ابني آدم ويبدو فعلاً أنهم ابني آدم المباشرين وليس فقط قضية نسبة، أبناؤه فعلا. أن تأتي الآية بهذا الشكل: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ} لأنه عندما يتلو عليهم ما هو الحق، وفي كثير من القضايا التاريخية تستطيع عندما تقدم لك قصة مشوهة، ويقدم لك الجانب الحقيقي فيها، تستطيع أن تتلمس فعلاً إذا عندك رؤية تاريخية، ومعرفة بطبيعة الأحداث في العادة، وبطبيعة البشر، فتكون هذه آية لبني إسرائيل تشدهم إلى الإيمان بهذا القرآن الكريم، والاهتداء بهديه . {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ} عليهم، القضية هذه لها علاقة بهم أيضاً من جهة أخرى سيأتي فيما بعد .

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ} (المائدة من الآية ٢٧) كان في الأزمنة الماضية يأتي قربان بشكل ذبائح وأشياء أخرى، فالإنسان الذي يُتقبل منه القربان قد تنزل نار مثلاً تأخذه تحرقه، أو أي شيء من هذا، المهم علامة بارزة تحصل، تبين أنك أنت تُقبل قربانك من الله، قرباناً لله {فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ} (المائدة من الآية ٢٧) غضب لماذا لم يُتقبل منه قربانه. القضية ليست من عندي أنا، المسألة تعرفها ونعرفها جميعا {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة من الآية ٢٧) عندما تقدم قربانك فلا يتقبل منك فراجع أنت نفسك، وحاسب نفسك، وعد إلى الله؛ لتكون من المتقين، فيتقبل قربانك، وليس أن ترجع علي أنا.

{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ} (المائدة من الآية: ٢٨) **ممكن أن يبسط يده بشكل دفاع لكن لن أبسط إليك يدي لأقتلك {إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} فهذه النوعية بعيد عن ارتكاب مثل هذه الجريمة، {إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ}** (المائدة من الآية: ٢٩) **تنتهي القضية وتعود أنت خاسر، إثمي وإثمك، إثمك الذي قد وجدت أنت، ورأيت أن الله لم يتقبل منك، وإثم قتلي {فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ}** (المائدة من الآية: ٢٩) **{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ}** (المائدة من الآية: ٣٠) **سهلت له، ربما تلفت فرأى أنه من السهل أن يقتله؛ لأنه اغتاظ منه أن يتقبل قربانه وهو لم يتقبل منه! مع أن المسألة هنا ليست بيد أخيه، يعني ليس لديه حق له على الإطلاق، حتى لو قال ماذا يمكن أن أعمل لك، هل يمكن أن يعمل له شيئاً؟ لا يمكن أن يعمل له شيئاً.**

{فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ} (المائدة من الآية: ٣٠-٣١) **ربما مثلا لم يكن قد مات أحد منهم من قبل، أو ربما كان هؤلاء الأخوين مثلا مع آخرين منهم في بلد آخر لم يكن قد مات منهم أحد، وإن كان قد مات ممن انفصلوا عنهم، والله أعلم، هذه تدل على أنه فعلاً لم يكن قد عرف هو هذه السنة الإلهية بدفن الموتى من بني آدم، لكن تكريماً للإنسان بشكل عام، وتكريما لأخيه هذا، بعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، ولا يستحق إلا غراباً، الغراب هو عند العرب، هو عند الناس طائر مشئوم كانوا يتشاءمون به، ويذكرونه في الشعر العربي كطائر يتشاءمون به هو والبوم .**

{فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (المائدة٣١) **أول خسارته هذه: أصبح من النادمين .**

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} (المائدة من الآية: ٣٢) **إذاً نحن أمام درس فيما يتعلق بعقوبة الإعدام، عقوبة الإعدام فعلا في هذا العصر بالذات، ولذلك كانت قضية من زمان هناك حملة فعلاً، حملة مثلما تقول: شبه دولية، حول محاولة إلغاء عقوبة الإعدام، تلغى تماماً باعتبارها وكأنها عقوبة بشعة! وعادة يحاولون يزينون هذه المسألة، مسألة إلغاء عقوبة الإعدام بأنه بدلاً أن نكون قد فقدنا واحداً لماذا أيضا نفقد الآخر؟ فإذا قد فقدنا واحد مع السلامة فلا نفقد الآخر أيضاً!..لا، الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ويبين للناس أنه حكيم ، ويبين أن هناك حاجة ماسة، حفاظاً على حياة الناس، إذا كانت عقوبة الإعدام عندما تحاول أن تلغيها من أجل الحفاظ على حياة واحد، الله قدم الحل الذي يمثل الحفاظ على الحياة بأوسع مما قدمت، حياة الاثنين، إذا أنت تريد حياة واحد من خلال إلغائك للعقوبة، فالله قدم من خلال هذه العقوبة ما يضمن حياة اثنين .**

ثم إذا كان مثلا قد تقول: بأن إلغاء هذه العقوبة هو وجيه؛ لأنه فعلا قد تكون حالات القتل إنما هي عادة تحصل عند الغضب، أو اختلاف، أو أشياء من هذه، فيحصل من فلان أن يقتل فلاناً ، هنا بين الله سبحانه وتعالى في هذه القصة، وبين من خلال أجواء هذه القصة أنه ممكن، أن هناك نوعية من الناس سيقتل بدون أي مبرر على الإطلاق، لاحظ هنا يذكر أخاه الآخر كيف كان عند ما قال له: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} (المائدة: ٢٨) **والذي دفعه إلى القتل لم يكن من جهة أخيه أيَّ شيء يدفعه إلى أن يقتله على الإطلاق، قضية ثانية هذه، قدم قربانا فلم يتقبل منه، فعاد ليقتل إنساناً لا علاقة له بالموضوع على الإطلاق، ولم يأت من جانبه أي شيء يعتبر دافعاً له أن يقتله، يعني: أن هناك فعلاً نوعية من الناس هم على هذا النحو.**

الله فيما يتعلق بأن تحسب حساب حالات أخرى جعل في هذه القضية عقوبة إعدام، قصاص، أو دية إذا قبل الأولياء، ويمكن أحيانا في بعض القضايا يمكن أن الأولياء أحيانا هم فعلاً يعرفون، ويقبلون دية في بعض الأحداث التي قد تكون فعلاً شبه بالي، أخي مثلاً، أو صاحبي فعلاً بلى آخر بنفسه، فلم يكن أمامه بدٌ من أن يقتله مثلاً، أليس هذا قد يسمى بالي معين؟ هناك يوجد مجال فيما يتعلق بالعفو أو الدية .

إذًا فأمام العقوبة هذه جعل ما يضمن فعلاً الحياة للناس، ولتعرف أن هذه العقوبة عادة على أساس أن الكثير فعلاً من النوعية هذه، هي نوعية مما يخشاها البشر، فيجب أن يكون هناك عقوبة؛ لتندفع وترتدع هذه النوعية من الناس، أما النوع الآخر وهم من؟ المتقين فهم لا يمثلون خطورة على الآخرين على الإطلاق؛ لأنه هنا قال: {مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} بمعنى: أن هذه النوعية من الناس، الناس الطيبين، الناس المتقين، لا يشكلون خطورة على البشر على الإطلاق. إذًا فأنت عندما تدافع عن تنفيذ عقوبة الإعدام، تعمل على إلغائها بشكل قانون، كما يعملون في هذا الزمن، فمعناه أنك تفسح المجال أمام من؟ أمام مجرمين، أنت تفسح المجال أمام مجرمين، ليس معنى ذلك أنك ستفك إشكالية أمام ناس صالحين وأبرار وطيبين..لا.

هناك جانب آخر الدية، وقضية تعود إلى نفسية أولياء المقتول، وأجواء القضية، وفعلا قد يكون كثير من القضايا مثلما هو معروف، بعض القضايا قد يرى الأولياء بأنها فعلا مناسب أن يعفوا نهائيا، بعضهم يعفو نهائيا، ولا حتى دية، وبعضهم قد يقبل دية، وبعضهم قد يقبل شيئا معينا مقابل تكاليف الحادثة.

هذا أول شيء: أن هناك حاجة ماسة إلى إقامة هذا الحكم الإلهي، وهو القصاص؛ لأن هناك فعلا نوعية من البشر على هذا النحو، أن يقال لبني إسرائيل أنفسهم: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} سترى أن بني إسرائيل هم، أنفسهم، هم يحملون نفسية هذا الشخص الذي قتل أخاه دون مبرر، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، أليس هذا شيء واضح؟ بغير حق. إذًا فعندما تراهم أنت الآن يعملون حملات كثيرة من أجل إلغاء عقوبة الإعدام إنما من أجل أن يفسحوا لأنفسهم أن يجرموا ويرتكبوا الجريمة هذه، كما رأينا الأمريكيين حاولوا بشكل كبير على أن لا يحاكم جنودهم في محكمة الجزاء الدولية، فعلا لا يشملهم أحكام نهائيا؛ باعتبارهم وكأنهم أناس صالحون، وأناس أبرار، وإنما محررون ويضربون الطغاة.. وأشياء من هذه! لا، إذا لم تكن هذه العقوبة قائمة فإنما يفسح المجال للمجرمين فعلا، ومنهم ـ فعلاً ـ من هذه النوعية؟ هم الكثير من بني إسرائيل، الكثير من بني إسرائيل، لأنك تجد فعلا برزت فيهم هذه القضية بشكل كامل، القتل بدون حق وقتل من؟ قتل مجرمين أو قتل من؟ قتل أنبياء !.

وفي نفس الوقت فساد في الأرض، ألم يحك عنهم هذه؟ {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٦٤) **هذه القضية معروفة عنهم والبشر الآن يصيحون من فسادهم، أليس رئيس الوزراء الماليزي في مؤتمر القمة الإسلامية تحدث عن فساد اليهود، وضج منهم، وحصل تأييد كثير؛ لأن الناس يعرفون هذه الآن في العالم تقريباً أصبحت القضية واضحة، خاصة من بعد الأحداث هذه الأخيرة، الأحداث التي يسمونها: أحداث أحد عشر سبتمبر .**

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ} القضية قد تكون على هذا النحو {كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} وهناك قدم عقوبة ارتكاب هذه الجريمة بالنسبة لبني إسرائيل بالذات تمثل رادعا لهم، أن يجعلها كبيرة جداً، جداً بهذا الشكل الذي {أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً} ؛ لأنهم بحاجة إلى أن تغلظ أمامهم هذه الجريمة؛ لأنهم أناس يقتلون بغير حق، يقتلون الأنبياء بغير حق، وسيقتلون من أصحابهم داخل كنائس، أو معابد بغير حق، من أجل مصلحة سياسية، من أجل يقوم عليها دعاية معينة لهم، تخدمهم سياسيا . إذاً فعلاً هذه النوعية هم بحاجة إلى أن تغلظ الجريمة أمامهم بشكل كبير جداً، جداً أكثر ربما من أي نوع آخر من الناس، أيّ فئة من الناس الآخرين .

{عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} ليدفعهم أيضاً إلى الحافظ على حياة الآخرين، وأرواح الآخرين، أن يقدم لهم هذا الفضل العظيم لماذا؟ ليبعدهم مهما أمكن، ومع هذا ترى بأنه لم يجدِ معهم . إذًا فعندما ينادون هم بإلغاء عقوبة الإعدام نقول: لا..هي ضرورية لكم أنتم بالذات؛ لأنكم أنتم الذين تشكلون خطورة على البشر، لا تعتبر انتهاك لحقوق الإنسان ..لا. وإنما تعتبر رادعاً وزاجراً لمن يتجه لسفك دماء بني الإنسان .

سبق في خطاب للمسلمين كتشريع مباشر لهذه الأمة: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: ١٧٩) **لأنه يبدو فعلا أن بني إسرائيل فضيعين جداً بالنسبة لنفسياتهم، جرأتهم فيما لو تمكنوا؛ ولهذا كما**

نقول أكثر من مرة، من خلال ما نفهم من كتاب الله، نلاحظ كم حصل من تخفيف في واقعهم: ذلة، ومسكنة، وغضب إلهي، وعداوة وبغضاء فيما بينهم، وتهويل للجريمة على هذا النحو عندما يقول: كتبنا عليهم على هذا النحو، ومع هذا لا يزال البشر يصيحون منهم الآن! كيف لو أنهم ما زالوا في أجواء طبيعية، لا يوجد لا ذلة ولا مسكنة ولا عداوة ولا بغضاء ولا، ولا.. كيف سيكونون؟ رهيبين، عندهم جرأة، عندهم استخفاف، ويبدو فعلا أنها قضية لديهم ترسخت بشكل ثقافة، النظرة إلى الآخرين من البشر إلى درجة أنه كما يعرف عنهم، ويقال عنهم، أنهم لا يعتبرون الباقي من الناس أناساً بما تعنيه الكلمة، إنما هم حيوانات أخرى، مخلوق آخر؛ ولهذا يحاولون وعن طريق أبحاث معينة يطلعون أن اصل هذا الإنسان قرد، أو شيء من هذا، يعتبرونه مخلوقاً ثانياً، خلق فقط لخدمتهم، وإنما خلق على شكلهم لينسجم معهم في خدمتهم!!

إذاً هم لا يقيمون لهذا الإنسان أيّ وزن على الإطلاق، لا يقيمون له أيّ وزن حتى منهم، لاحظ لجرأتهم حتى منهم، على مستوى أنبياء؛ لذلك عندما نسمع أحداثاً كهذه، مثلما حصل في [تركيا] لا تستبعد على الإطلاق ، البعض من الناس استبعدوا بأنه كيف يمكن أن الأمريكيين يقتلون أصحابهم في حادث [نيويورك] أو يقتلون مثلما حصل في معبد اليهود في تركيا، هؤلاء أناس ما كأنهم يقرؤون القرآن، أليس الله يذكر عنهم في أكثر من آية أنهم يقتلون الأنبياء؟ وهم أنبياء منهم، بغير حق، فكيف لا يقتل من أجل مصلحة سياسية كبيرة، وهو يعتبر أنه سيترتب عليها مصالح مادية، وسياسية كبيرة جداً؟! سيدمر ولو مليون شخص، لا يبالي، منهم، ما بالك من الآخرين . إذًا فهل تتوقع لناس من هذا النوع أن يكونوا متجهين لتحرير الآخرين، أو للحفاظ على أمن الشعوب الأخرى، شعوب عربية إسلامية، شعوب أخرى؟ أبداً، فهم مخادعون، مضللون، كذابون، هكذا قدمهم الله في القرآن الكريم؛ ليكون الناس منهم على حذر .

{وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ} فمن هنا نفهم معنى أن يقول: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} لأن بني إسرائيل سيحصل منهم مثل ذلك، فنفسياتهم كنفسيات ذلك الذي قتل أخاه بدون حق هكذا.. {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ} . {وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} (المائدة من الآية: ٣٢) **وهذه من البينات الهامة جدًا أن يقال لهم: أن من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ، يبتعدون عن هذه الجريمة الكبيرة التي هم قريبون منها، وليوقعوا هذه العقوبة، عقوبة الإعدام عليه؛ لأنه ارتكب جريمة كبيرة جداً، فكأنه قتل الناس جميعاً، هل ما زال بالإمكان أن تقول أمام هذه: أن نحاول أن نلغي العقوبة هذه، من أجل الحفاظ على حياته، وهو في الواقع كأنه قتل الناس جميعا؟ .**

عندما قال في الآية: {مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ} يأتي أيضا {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة: ٣٣) **فلتعرف أن هذه الأحكام ضرورية جدًا للبشر، لحياة الناس، حياتهم هم، ولممتلكاتهم، وأعراضهم، فيأتي هذا الحكم الإلهي من القصاص؛ لأن هناك حاجة ماسة إلى هذا الحكم، والله هو الذي يعلم، وهو الذي له الحكم، وله الأمر في عباده كما قال سابقا: {إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا}** (النساء من الآية: ١٣٥) **هو أولى بعباده، فبالنسبة للقتل هناك حكم القاتل، وهنا أيضاً الذين يسعون في الأرض فساداً.**

الإفساد في الأرض لا يتوقف فقط على موضوع مثلا الإفساد الثقافي فقط، الإفساد في الأرض، ممتلكات الناس، أموال الناس، إهلاك الحرث والنسل، كما قال الله، ألم يقل هناك: {وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (المائدة من الآية: ٦٤) **{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ}** (البقرة: ٢٠٥) **هناك شخّص لنا الفساد، أي: أن من الفساد الذي هذا حكمه، هذا الفساد الذي يقوم به فعلا بنوا إسرائيل، فعلى الرغم مما قال بالنسبة لعقوبة القصاص: أنهم أحوج من تقام عليه هم، يعني: هم أحق فئة تقام عليهم هذه العقوبة، وأحوج فئة لأن تقام عليهم هذه العقوبة؛ ليرتدعوا عن قتل الناس؛ لأنهم جريئين، كذلك موضوع الإفساد {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ} لأن الله سبحانه وتعالى يريد الإصلاح لعباده، وصلاح أرضه لعباده، ورسوله**

(صلوات الله عليه وعلى آله) كذلك يريد للناس أن يكون هناك في حياتهم استقرار، حفاظا على أنفسهم، حفاظا على دمائهم، على أموالهم، على ممتلكاتهم، حفاظًا على واقع الحياة هذه ليكون بعيداً عن الفساد.

تجد الفساد الكبير يأتي من عندهم حتى فيما يتعلق بالبيئة؛ لأنهم أناس جشعون، ولا قيمة للبشر لديهم، هم يمتلكون كثيراً من الشركات الكبرى التي تتولى الصناعات الثقيلة، وصناعات كيماوية، وصناعات تكون نفاياتها تترك آثاراً سيئة جداً في التربة، وفي الإنسان، لا يحسبون حساباً للناس نهائياً، إلا إذا كان هناك شعب يراقب، ويعرف، ويضج متى ما عرف أن هناك حاويات فيها نفايات معينة، لأنهم أحيانا يصدرونها إلى بلدان فقيرة كهذه، رشاوى معينة لمسئولين معينين يعطونهم فيقبل أن تسكب نفايات كهذه في بلاده، أيضاً تحصل من صناعاتهم الكبيرة فيما يتعلق بالطاقة التي يستخدمونها لا يبالون أن تكون بالشكل الذي يفسد الجو، يفسد الأرض والجو وليس فقط الأرض، ولا يبالون بهذه. {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ} أن تأتي العبارة على هذا النحو: يحاربون الله، مع أن القضية هي تتعلق بمن؟ بالناس ما كأنها هنا تكشف لنا ـ إن صحت العبارة ـ اهتماماً، أو أن القضية محط عناية إلهية كبرى، قضية الناس، ومصلحة الناس، واستقامة حياتهم، لتكون حياة صالحة، فكأن من حارب الناس ليفسد في الأرض على هذا النحو إنما هو محارب لله ورسوله، مثلما قال في الربا، ألم يقل: {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ} (البقرة من الآية: ٢٧٩).

القضية على هذا النحو، ليس هناك حاجة إلى أنك تربطها بما يتعلق بمجرد دعوة، أن هذه حتى لو جاءت من ناس هم أنفسهم مسلمون، ومعتقداتهم طبيعية، لكن يتحرك، إفساد في الأرض على هذا النحو الذي عرف عن بني إسرائيل، فعلا أنه يعتبر في موقف هو محارب لله ورسوله، لا تقتصر على الإطلاق الآية هذه على ما قدم في سبب نزولها، من يسمى [متقطعين] المتقطعون هم فئة، هم نوعية، وقد يكونون من أقل الأنواع التي تشملها الآية هذه، هناك مفسدون عالميون، هناك إفساد عالمي، ليس معنى المسألة بأنه، عندما يقولون: محارب لله ورسوله، يربطونها وكأنها عبارة عن صد عن دينه على أساس فكرة: أن الدين هذا كأنه لا علاقة له بحياة الإنسان، ومصالح الإنسان، لا، بل المسألة على هذا النحو، القضية هامة جداً عند الله ورسوله - إن صحت عبارة هامة ـ على ما نملك من عبارات، بمعنى أنه يجعل من يفسد في أرضه، ويفسد على عباده، يعتبر محارباً له ولرسوله.

أليس هذا يعتبر أعلى مثل لاهتمام الدين بالإنسان، بحياة الإنسان، بمصالح الإنسان؟ لكن دائماً يتناولها الفقهاء والمفسرون حول الذين يقولون أنهم سبب نزولها : أناس خرجوا إلى منطقة، وقد أعطاهم رسول الله إبلاً، ثم في الأخير قتلوا الراعي، واتقطعوا... إلى آخره، ثم يبحثون في أحكامهم[فإن كان قد قَتَل، قُتِل، وإن كان لم يقتل.. وإن كان.. وإن كان ...] ويتركون أمامك هذه النقطة، يجب أن تقرأها في موضعها، هنا، تقرأها في موضعها، في إطار وكأنه يقدم قضايا عالمية، وينبئ عن خطورة عالمية، لا تربطها فقط بمثال معين، وأبحاث فقهية حول حكم المتقطعين، فيما إذا كان قد قتل، أو ما قتل، وأشياء من هذه، لا، هناك مفسدون عالميون، المفسدون العالميون هؤلاء، أو إقليميون، أو وطنيون، أو كيفما كانوا، مفسدون في الأرض، يعتبرون حرباً لله ورسوله.

فيما يتعلق بتصنيف الموقف منهم، هي قضية أيضاً ليست قضية مفتوحة لكل إنسان ينطلق فيها. لا. إن القرآن كله مبني من أوله إلى آخره، مبني على أن هناك دولة قرآنية، أن هناك أمة قرآنية، تقيم القسط، هي المعنية هي بتقييم القضية، وفي نفس الوقت بإجراء الحكم الإلهي، والذي قد يكون واحد من ثلاثة، أو ثلاثة، أو اثنين، مثلا عندما يقول: {أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} (المائدة: من الآية٣٣) هكذا من البداية، وإن لم يكونوا قد قتلوا؛ لأنك لاحظ عندما يقول بعد: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة: ٣٤) أما من قد قتل فعلا هناك حكمه، سواء كان ممن هو متقطع أو غير متقطع، من قد قتل، أو قد أخذ مالا، أو قد ظلم إنسانا، أو جرحه بجرح معين، يجرى عليه الحكم، لكن

هم يربطون القضية: {أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ} على أساس أنهم قد ارتكبوا، ودائما يربطون المسألة بهذه، بالمتقطعين فقط، متقطعين .لا. أمامك المفسدون العالميون.

أولئك هم فئة من المفسدين في الأرض، نوعية منهم، المتقطعون الذين يتقطعون للناس، وينهبون أموالهم، هذا فساد في الأرض؛ لأنه يؤدي إلى ماذا؟ يؤدي إلى أن الناس لا يعودون يستطيعون أن يتحركوا في التجارة، في السفر، في الحركة من بلد إلى بلد، عندما يصبحون متقطعين، ويخيفون الناس، ويأخذون أموالهم، هؤلاء ممن يجرى عليهم الحكم لماذا؟ لأنهم مفسدون في الأرض . يبين بأنه هكذا حكم الله سبحانه وتعالى، وسنته في المجرمين، أن يكون هناك عقاب من الدنيا إلى الآخرة، من هذه الحياة: {ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} (المائدة من الآية: ٣٤) رجعوا وسلموا أنفسهم، وتابوا إلى الله {مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} من قبل أن تقبضوا عليهم، أما الشخص الذي عندما تقبض عليه بعد ذلك يتوب فتعتبر المسألة هذه حيلة، فتقيّم في حينها، أيضاً تقيّم بعض القضايا في حينها، أحيانا قد يكون هناك بعض أشخاص ممن يقال لهم: مغرر بهم، بعض أشخاص قد يكونون مغرر بهم، قد يكون جديداً في القضية، ولا هو فعلا عنده... زين له الآخرون، قد يكون هذا مظنة فعلا أن تكون هذه أول وآخر قضية يعملها، تقدر بقدرها، وتقيم في وقتها.

{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة: ٣٤) هذه قضية لا تخضع للاجتهادات، والرؤى الخاصة، أو الرؤى الطائفية والمذهبية بين الناس، أن يعتبر أحد من الناس أن الآخرين قد صاروا يعتبرون من المفسدين في الأرض؛ لأنه مخالف لمذهبه، هذا شيء آخر يُقيّم في حينه، إذا كانت دعوته هي تؤدي إلى فساد في الأرض فعلا، عادة الإفساد في الأرض إنما يأتي على يد الإنسان، هذا عام، فإذا كان ما يعمله هو فعلا يؤدي إلى أن يصبح الإنسان مفسداً في الأرض، فيمكن أن تكون القضية شاملة، أن يصبح مفسدا في الأرض، ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار {فِي الْأَرْضِ} ليس معناه: واقفين في الأرض، كل الناس في الأرض المفسدين والمصلحين، أليسوا كلهم في الأرض؟ لكن الفساد الذي يؤثر فعلا على حركة الحياة هذه، واستقامة الحياة هذه وصلاحها، فيما يتعلق بحرث ونسل، وحركة تجارة، وأشياء من هذه، تشمله الآية.

فإن كان ما تعنيه كلمة: فساد، ومفسد، قد تتناول حتى من عنده رؤية ثقافية خطأ، أليست تعتبر فساداً؟ لكن أحيانا لا تؤدي إلى ماذا؟ إلى إخراج مثلا من يعتنقونها فيتحولون إلى مفسدين في الأرض، مفسدين، فاسد، هذا يسمى فاسد، المنافق أليس يسمى مفسداً؟ يسمى مفسداً.

إذاً لم يأت الحكم هنا بالنسبة للمنافق على هذا النحو، هناك في آيات أخرى؛ لنعرف أنه فعلا القضية هنا مرتبطة بماذا؟ بالإفساد في الأرض، يعني: بحركة الحياة هذه على الوجه الصحيح، تستقيم معايش الناس، ويأمن الناس ، وتستقر حياتهم، معنى هذا بأن من يتجهون ليسعوا في الأرض فساداً أنهم محاربون لله ورسوله، عندما يكون هناك أناس متقطعون، وعنده أنه متفود، ولا كأنه يعمل شيئا، وكأنه يعتبر أنه فقط على أناس .. لا، أنت هنا في مقام تعتبر محاربا لله ورسوله، فيجب أن تفهم بأنك عندما تكون في موقع أنت فيه حرب لله ورسوله ستكون أنت المغلوب، سواء على مستوى متقطع، أو أمة، أو دولة مفسدة في الأرض، أنك ستنتهي إلى أن تغلب، من الذي يمكن أن يدخل في حرب مع الله ثم في الأخير يحصل تعادل؟ لا يمكن على الإطلاق، متى ما ذكر بأنه فعلاً {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ} وهنا {يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ} معناها سيغلبون في الأخير، وكما يذكرون فعلاً بأنه كثير ممن كانوا يتقطعون انتهت حياتهم فعلا بطريقة سيئة ممن كانوا يتقطعون، ولم يتوبوا، ولم يرجعوا، أنهم فعلا انتهت حياتهم إلى مصائب حصلت لهم، انتهوا، كثير منهم. كذلك الأمم المفسدة، كذلك الفئات المفسدة توقع لها فعلا عندما تعتبر محاربة لله ورسوله، توقع لها فعلا أن تنتهي وتهزم وتضرب .

عندما يقول البعض: [الإسلام لا علاقة له بالحياة] هذا أبرز مثال يدل على أن أموال الناس، وممتلكاتهم، أمنهم، استقرار حياتهم، مصالحهم، محط اهتمام كبير جداً، جداً في الإسلام، هنا يعتبر المفسدين في الأرض حربا لله ورسوله يعني: ما كأنه يعتبرهم محاربين للناس، هذه قد لا تحصل مثلا في داخل الناس أنفسهم إلا عند

الناس الذين هم يهتمون بك جداً، ويعتبرون أن نفسك أغلى من نفوسهم، وأموالك أغلى من أموالهم، عندما يقول: لاحظ، اعتداؤك على فلان يعني اعتداء علي، أليس هذا قمة المصداقية بين الناس، أو الوفاء مع بعضهم بعض، أو وده لك، واهتمامه بك أن يقول : لاحظ، محاربتك له اعتبرها حربا لي أنا ، لا تحصل بين الناس ـ أحيانا ـ إلى الدرجة هذه، الذين بينهم صُحَب وبينهم مواقف يوقفون مع بعضهم بعض إلا أنه يعتبر أن من حاربك فسنحاربه جميعا، هنا يقول: اعتبروا أنفسكم محاربين لله ورسوله، من حارب الناس، وحارب أرض الناس هؤلاء، يفسد فيها، من أفسد فيعتبر حرباً لله ورسوله .

لاحظ كيف تأتي العقوبة هنا بشكل ليكونوا عبرة للآخرين، ولتبين فضاعة هذه الجريمة التي عملوها، الفساد في الأرض {أَن يُقَتَّلُواْ}فيها أيضا أكثر من أن يقتلوا }يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ} فيمشي على رجل ويد، فلا يعد إلا نصف؛ ليكون عبرة {أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ} تكون عقوبة خزي، فيها خزي لهم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: ٣٥) يأتي بالجهاد، الجهاد هو أساسي في ماذا؟ في إصلاح الأرض، في إصلاح الأمة، في إصلاح حياة الناس؛ ولهذا سما الله المجاهدين محسنين وفعلا بأعمالهم يقدمون إحسانا للبشر الآخرين، مجاهدون في شعب معين ماذا يعني في الأخير ؟ أليس هذا يعني أنهم يحولون دون احتلاله، دون نهب أموال الناس، دون هتك أعراضهم، دون تدمير بيوتهم، دون... ماذا يعني هذا؟ ألا يعني: مصلحين؟ أليس هؤلاء يجاهدون، وتكون النتيجة إصلاح لحياة الناس؟ لكن الأمور الآن معكوسة، المفسدون العالميون الذين هذا حكمهم {أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ} يحاولون أن يتوددوا إليهم بأي طريقة، يتوبون إليهم هم وليس {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} هم يرجعون إليهم، ويفسحون المجال أمامهم ليفسدوا، بأن يقولوا: لا يتحدث أحد عن موضوع الجهاد، في خطبة، أو في آيات يقرأها، أو أن يوعي الناس توعية جهادية، لا، اترك المجال مفتوحا للمفسدين أن يقتلوا الناس، ويصلبوهم، ويقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويدمروا بيوتهم، ويهلكوا حرثهم، ونسلهم!

أليس هذا هو العمى؟ هذا هو الشقاء، وهذا هو الجريمة الكبيرة، أن يكون حكم الله فيهم هو هذا فيأتي الآخرون يحاولون أن يجعلوا الحكم بأن يفسح المجال أمامهم ليفسدوا في الأرض، وقال عن بني إسرائيل في آيات أخرى: {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية٦٤) وبإسراف مثلما قال سابقا: {ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } (المائدة من الآية: ٣٢) فساد، سعي، يسعون إلى الفساد وبإسراف وليس فساداً أحيانا، أو بمقدار محدود، أو في جانب دون جانب، بكل ما تعنيه كلمة فساد، يصلون إلى النسل، أن لا ينجب الناس من جديد، يكفي، الذي يفكر بأن لا تنجب نهائيا أليس معناه بأنه يفكر بأن يزيل هذا الجنس من أمامه؛ لأن المسألة تكون صعبة عليه، أنه كلما حاول أن يميت أناسا بأي طريقة، كلما أنجبوا، أنجبوا على طول، يقطع النسل أولاً، وفي الأخير يحاول يدبر الموجودين، أليست هذه فكرة فساد في الأرض رهيبة، وجرأة؟ كما حكى الله عن ابن آدم الأول؛ ولذلك قال: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} عندهم جرأة على مستوى البشر .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ} هذه المقدمة { اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ} ابحثوا أنتم ، ابحث أنت، واطلب أنت ما يقربك إلى الله؛ فيأتي بكلمة: {وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ} هل يمكن أن يأتي بكلمة: وجاهدوا دون أن تكون هذه تعني: أن هذا من أعظم القرب عند الله، وأعظم الوسائل عنده . إذاً ليس أن تبتغوا، وتطلبوا أن لا تدخلوا في جهاد مهما كان بسيطا، ولو كان حاصلاً، أو آخرين يبتغون أن لا يوجَّه الناس، ولا يربى الناس تربية قرآنية؛ ليكون عندهم روح جهادية! هو نفسه لا يبتغي هذه الوسيلة، وفي نفس الوقت يحاول في الآخرين أن لا يكون في أنفسهم أيُّ شعور بمسئولية لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله.

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} بكل ما تعنيه كلمة فلاح، فلا يكون هناك مفسدون في الأرض على هذا النحو، ولا يكون هناك ما يجعل الفساد يقعد الناس عن دين الله الذي من أبرز اهتماماته ما يتعلق بالحفاظ على كرامة الناس، واستقرار الحياة، استقرارها لتعتبر حياة أمن وسلم وخير، وهذا الذي وعد الله، ألم يعد بهذا؟ إذاً فلأن هناك أناسا من

البشر على هذا النحو: مفسدون، فيجب أن يكون الجهاد قائما. ولن تدخل في موضوع الجهاد ـ إذا أنت تجاهد على أساس القرآن ـ لن تدخل مع أمة هي مصلحة في الأرض؛ لأن الصلاح يتمثل في الأخير في ماذا؟ في الاهتداء بهدي الله، أليس الله يذكر لنا في أكثر من آية {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ} أوتوا نصيبا فلم يهتدوا به، فأصبحوا هكذا، أصبحوا مفسدين.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة: ٣٦) **جاء في آية مماثلة لهذا في الحديث عن بني إسرائيل الآية التي يقول فيها: {وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}** (البقرة من الآية: ٤٨) **ذكر فيها ما يتعلق بالطرف الآخر الذي يجب على الناس أن يجاهدوه؛ لأنه هنا عندما يقول لك: جاهد في سبيل الله ، من خلال أن يبين لك الفئات الأخرى تكون عارفا بفطرتك، وبمشاهدتك، وباستقرائك للتاريخ ولواقعك أن الجهاد في الإسلام إنما هو لفئات كهذه، يعني أنت لن تقع في حرج أن الجهاد هنا الذي يأمر الإسلام الناس به أنه جهاد طيبين وخيرين ومصلحين في الأرض، أبداً، مفسدين في الأرض، كافرين، مخالفين لهدي الله، وأشياء من هذه، وهو نفس الأسلوب السابق الذي تحدثنا عنه كثيراً أن يطمأنك بالنسبة للطرف الآخر أنه ماذا؟ محط غضب إلهي، فهو في موقع ضعف.**

وقد يفهم منها أن الناس الذين يرفضون، أن الإنسان قد يرفض من أجل أنه يريد حفاظا على مصالحه، أو على شيء في الأرض معين، مظاهر حياة، أو بيته، أو أشياء من هذه، أليس هو قد يرفض الجهاد من أجل هذه؟ هو لا يعرف عواقب المسألة، أنك عندما ترفض تعتبر عاصيا لله سبحانه وتعالى، ومن أجل شيء بسيط من هذه الدنيا، يوم القيمة تتمنى أن هذه الأرض كلها لك لتفدي نفسك بها ولا تقبل منك على الإطلاق. {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ} لتمنوا أن يفتدوا به بديلا عن أن يدخلوا النار . إذًا أليس الأسلم لك، والأفضل لتعيش سعيداً في هذه الحياة، ومعززاً مكرماً في هذه الحياة، وفي الآخرة الجنة، ولو أدى الموضوع إلى أن تضحي بنصف الأرض هذه، ولو بنصفها هنا وما زلت هنا في الأرض، لو أدى الموضوع إلى أن تضحي بنصف هذه الأرض وهي لك لكنت رابحاً، وكنت مفلحاً.

إذاً هم خاسرون بكل المقاييس، الذين يحاولون أن يتراجعوا عن الجهاد من أجل أشياء معينة، مصلحة لا تساوي شيئا، لا تعتبر نصف مديرية هو فيها، قد لا تعتبر نصف قرية هو فيها، فتكون النتيجة في الأخير أنه يتمنى أن تكون له الأرض ذهباً ـ مثلما جاء في آية أخرى ـ ذهباً، وسيسلمها إذا كان سيقبل الله، أو يقبل زبانية جهنم يأخذونها منه ولا يدخل النار، أليست هنا ستصبح لا شيء عنده، ويتمنى أن يقبلوها منه؟

إذًا معنى ذلك أنك تسارع أن تفدي نفسك هنا في الأرض، وأنت مازلت في هذه الحياة، تفدي نفسك من غضب الله، وسترى الله على ما وعد في كثير من الآيات، ألم يعد بأن الإنسان كلما يقدمه في سبيله سيخلفه عليه؟ الله لا يقبل على الإطلاق أن يكون أحد خاسراً معه نهائيا، حتى لو خسرت روحك سيجعلك حياً وبسرعة، لا يوجد هناك خسارة نهائيا؛ ولهذا يقول: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وبكل ما تعنيه الكلمة في كل المجالات .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} (المائدة: ٣٦ـ٣٧) **لاحظ هنا العلاقة فعلا؛ ولذلك نحن نقول أكثر من مرة: بأن القرآن يلامس مشاعر الإنسان، يعني: ناس قاعدين، لا يريدون أن يجاهدوا، وترى عنده مشاعر معينة، يريد أن يقيم فيما لديه من الأرض، وهي ليست شيئا، ويريد أن لا يخرج منها، وفي نفس الوقت لا يبالي أن تكون العاقبة كيفما كانت، أليست هذه كلها تشكل عوائق عند الناس؟ يأتي بكلام يزيح مثل هذا الشعور بحيث أنك تعرف نفسك بأنك خاسر، ستكون خاسراً، وفعلاً عندما يراجع الإنسان نفسه فيرى بأنه قاعد من أجل بيت ومزرعة ودكان وأشياء من هذه، ويريد أن لا أحد يزعجه، يريد إقامة، ولا أحد يزعجه نهائيا، المزعجين سيأتونك، إنما الجهاد لتضرب أولئك المزعجين الذين يريدون أن يقيموا بدلا عنك في أرضك، وفي ممتلكاتك. فعندما يرى نفسه في الأخير بأنه سيصل إلى حالة أن يقيم في عذاب، هذا العذاب شديد يتمنى أنه يملك ما في الأرض ومثله معه ليفدي نفسه به، هذه تعتبر خسارة كبيرة.**

أن تأتي الآية على هذا النحو؛ لتنسف عند الإنسان أيَّ مشاعر تشده إلى ماذا؟ إلى قطعة أرض، مزرعة وفيها غرف وأشياء من هذه، ورآها جميلة، أو حديقة معينة، أو دكاكين، أو كيفما كانت، وإن كانت مملكة ليست بشيء، لأن الجهاد مهم جداً، فيأتي بهذه الآية التي فيها أمر مؤكد، ويلفت الانتباه إلى أهمية القضية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ} (المائدة:٣٥) أن تأتي بعد الحديث عن المفسدين في الأرض، ألم يأت بعد الحديث عن المفسدين في الأرض؟ أن الجهاد لا بديل عنه؛ لأن لا يكون هناك فساد في الأرض. عندما يكون واحد هنا في الدنيا يريد يخرج لكن ينظر إلى مزرعته وبيته وأموره، وجلس، إذاً سيأتي له هذه الحالة {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا} أليس في الأخير يقيم، يحاول يخرج من بيته، ثم في الأخير يعجبه يقيم، في النار ستحاول تخرج ولا يتركونك تخرج، {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} بدل يوم كنت تحاول الإقامة ولا تعتبر ذلك مشكلة .

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} (المائدة من الآية: ٣٨) أليس الجهاد جاء هنا متوسطاً للحديث حول الفساد في الأرض على هذا النحو؟ بما فيها ماذا؟ {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} السارق هنا هل هو يسرق ديناً، أو أنه يسرق حق الناس؛ لأن الدين هو لرعاية الناس، وحماية الناس . {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (المائدة: ٣٨) إذًا هو يقدم للناس قائمة بعد أن قال لهم: {كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء من الآية: ١٣٥) {كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ} (المائدة من الآية:٨) هذه هي مهام أمة أن تكون قائمة بالقسط، محاربة لمفسدين في الأرض، جهاد في سبيل الله، إقامة لحدود الله .

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} وهذا مما يحاولون أن يحاربوها، عقوبة السرق؛ لأنه فعلا المفسد يعتبر أن هذه القضية فضيعة؛ لأنه لا يريد أحداً أن يقتله، ولا يريد أحداً أن يقطع يده؛ لأنهم سرق كبار، فيحاول ماذا؟ أنه أيّ شيء يشكل خطورة عليه يزيحه، وكما هي عادتهم تحت عناوين أخرى،مثلاً [بشعة، بشعة] ليس أبشع من أخذ أموال الناس، هذه هي البشاعة، يأتي واحد مثلا يشتغل فترة طويلة، ويبيع أشياء من ممتلكاته، واشترى له سيارة، وقد عزم على أن يترزق الله عليها، جاء السرق وأخذوها عليه، أليست هذه حالة سيئة جدًا؟ كيف ستكون نفسيته؟ ستكون نفسيته منهارة، هذه هي البشاعة، أما السارق فعلا الذي عندما نأتي نقف في الموضوع، هنا أمامك شخص مرتاح جداً، أنه قد أخذ سيارة ذلك، وذلك الشخص في حالة سيئة، محطم نفسياً، يعود إلى البيت، لا يستطيع أن ينام، ولا يستطيع أن يأكل، ولا يعد يهنأ بشيء. إذًا نقول: لا، لا، اترك ذلك يموت بقهره، وهذا السارق نحافظ عليه، ولا تقطع يده أبداً!! أليس معناه أننا نضيف له سروراً إلى سروره ؟ ينطلق أكثر يسرق، ما بالك بالسرق الكبار.

هنا يقول أيضاً في هذا الحكم، يبين للناس أن هذه الفئة من الناس فعلا موقع ظلم للآخرين، ظلم شديد، يلاحظ واحد نفسه هو، أحيانا بعض المرضى يجمع له فلوس، ويطلب معونة من الناس، ويبيع من ممتلكاته، وسافر بلدة معينة، أو دخل العاصمة، يريد يتعالج، وفلوسه في جيبه، وهو لا يعرف إجراءات معينة، تحويلات بنكية، وأشياء من هذه، وجاء شخص وأخذها من جيبه، أو لقيه اثنان وأخذوها عليه من جيبه، وهو مريض يريد يتعالج بها، والسارق قد يكون صحيح الجسم مثل [الثور] إنما فقط سيأخذها، ويلعب بها، هذا أيضاً لا يقام الحد عليه! لا تقطع يده، يموت ذلك المريض الذي باع حقه [واتعون] وبذل ماء وجهه من أجل أنه يذهب يتعالج، لا عليه يموت، نحافظ على السارق هذا!! هم فعلا كل فكرتهم ـ لأنهم مفسدون ـ حريصون جدًا على أن لا تكون هناك عقوبات لمفسدين، والقرآن يقدم هنا أنه فعلا من تتوجه إليهم هذه العقوبات هم مفسدون، وهم المفسدون، هم يدافعون عن إنزال عقوبات، وإقامة حدود على مفسدين. إذًا هذا نفسه مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض، أليس هذا مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض؟.

المفسدون في الأرض ـ مثلما تقول ـ الآن مثقفين، قانونيين، يحاول على أن لا يلحقه القانون، أن لا يلحقه الشرع؛ ليتمكن من أن يرتكب جريمة، ويفسد، ويأخذ أموال الناس، وما هناك أي شيء يخافه نهائيا، عقوبات في الحياة ضرورية، لأن الكثير منهم أصحاب نفوس خبيثة، لا يخاف الله، مثلما ذكر في قصة ابني آدم، واحد نفسه خبيثة

هو لا يذكر الله، ولا يخاف الله، يعني: ناسي لله، لا تتوقع إنسانا يعرف الله ولا يخافه، يعرفه حق المعرفة ثم لا يخافه، لكن ناسي لله تماما{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ} مطيع لنفسه ، نفوس خبيثة، أن يقول واحد: [يكفي، وسيأتي لهم عقوبة هناك] هذه سنة إلهية، عقوبة هنا، عقوبة هنا في هذه الحياة تأتي حتى لغير هؤلاء، هناك عقوبات كثيرة جداً.

إذًا لا بد أن تنزل عقوبة بهؤلاء، ويكون هناك أمامهم عقوبات يخافون منها؛ لأن لا يرتكبوا مثل هذه الجرائم؛ لأنهم ليسوا نوعية يمكن أن تخاف الله رب العالمين، فتقول: أن هؤلاء هم يخافون الله لن تحصل منهم جريمة كهذه، لاحظ كيف يحاولون أن يحاربوا عقوبة الإعدام، وأن لا تقام حدود كهذه، كحدود السرقة، وشرب الخمر، وارتكاب الفاحشة، وكل ما كان محط حد من حدود الله، بل يزينون الجريمة الكبيرة هذه: احتلال الشعوب، أخذ شعب بكله إلى جيبه، فتأتي الحكومات العربية التي هي تدين بهذا القرآن، وتؤمن به، كثير منها يحاولون أن لا ينفذون هذه العقوبات من أجل الغرب أن يرضى، من أجل أمريكا أن ترضى، من أجل أن لا نبدوا بصورة بشعة أمام الغرب، فيبدو وكأن ديننا هذا دين بشع!! ..لا. لاحظ أنه هنا قدم أن هذه الجرائم هي جرائم بشعة، وإنما يرتكبها مفسدون في الأرض، لا يخافون الله، يجب أن تكون هناك عقوبات تردعهم؛ لأن البشاعة هي أن تترك المجرمين طليقي الأيدي، لا يخافون أي شيء هنا، وفي نفس الوقت، لا يخافون الله رب العالمين، يحاولون فعلا لا ينفذون هذه لا ينفذون العقوبات هذه من أجل أن ترضى أمريكا، والآن وصل الموضوع إلى ماذا؟ لأن يحاولوا يسترضونها إلى درجة إلغاء هذه الحدود الإلهية الهامة مثل قطع يد السارق! أليست أمريكا الآن متجهة لقطعهم من نصف ظهورهم؟ فعلاً .

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ} (المائدة: من الآية٣٨) كما قال هناك في عقوبة القصاص {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (البقرة من الآية: ١٧٩) لأنه فعلا قطع يد السارق هي نكال لما بين يديها وما خلفها، لن يجرؤ أحد أن يسرق، وهو يعرف أنها ستقطع يده، فتتحول يده إلى ما يشبه قطعة من الخشب . ولمصلحة من أن يكون هذا نكالا من الله؟ أليس لمصلحة الإنسان؟ ليأمن الناس على أموالهم.

{جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فهو عندما يشرع هذه العقوبة هنا في الحياة ليس على أساس الحقوا السارق؛ لأنه سيفلت من أيدينا ، هو عزيز لا أحد يستطيع أن يمتنع منه، لكن من أجل الناس هنا، من أجلهم هنا، في هذه الحياة، وهو حكيم يعلم أن في تشريع حدود كهذه مصلحة لعباده، وصلاح في أرضه، لم يشرع هذا الحد على أساس أنه لن يستطيع أن يلحق بالسَّرق، وأنه الحقوهم؛ لأنني لا أستطيع ألحقهم! لا، هو عزيز، وهو حكيم . وللسارق أيضاً يتذكر بأنه إذا رأى أنه أمكن أن يسرق، ولا أمكن أن تصل إليه، تصل القضية إلى عدم إقامة الحد عليه، لأي الاعتبارات كان يعرف بأنه لن يفلت من يد الله، لن يفلت من يد الله أبداً .

{فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (المائدة: ٣٩) هذه دعوة لهم أن يتحولوا عن أخذ أموال الناس، وعن الفساد في الأرض أن يتوبوا إلى الله . {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} (المائدة من الآية: ٤٠) هذا هو ملكه، هذا تدبيره، أحكامه، تشريعه؛ لأنه هو الملك، هو الملك بكل ما تعنيه الكلمة، وليس المعنى أنه عمل انقلاب على آخر، هو الذي خلق هذه الأرض، وخلق السماء، وخلق ما فيهما، وخلق هذا الإنسان، وهو الذي له ملك السموات والأرض، فمن ملكه سبحانه وتعالى أنه: {يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة من الآية: ٤٠) أي هو المدبر لشئون خلقه؛ لأنه ملك، وهذا يعطينا ـ مثلما تقول ـ جانب من معرفة الله التي نقول دائما: نحن بحاجة إليها، أن نعرف أن الله ملك، وليس أن نكون مشغولين دائما بمعرفة [أنه لا يشبهه شيء] انتهى الموضوع، لكن يجب أن نفهم كلما تعنيه هذه العبارة، أنه هو الملك، فهو الذي له الحق أن يشرع، لو أصبحت هذه المعرفة قائمة في نفوس الناس لكانوا دائما مصرِّين على إقامة شرع الله .

لقلنا أبدًا الذي له الحق أن يشرع لنا، وله الحق أن تقوم أحكامه علينا هو ملكنا، لسنا فارغين بدون سلطة، بدون ملك، الله هو ملكنا، لكن البشر لم يعودوا يلتفتون إلى الله وكأنه ملك، يقومون هم من جهة أنفسهم يعملون

سلطة، ويعملون قوانين ويعملون كل شيء بعيدة عن أن تكون امتدادا لملك الله سبحانه وتعالى، لكن هو ملك يدبر في نفس الوقت، عندما لا يستمعون يضربهم، عزيز حكيم، على كل شيء قدير.

لكن تلاحظ أن هناك مظهراً فعلا ملموس بالنسبة للمسلمين أنفسهم، بالنسبة لكل طائفة هي تدعي بأنها محقة بما فيها نحن الزيود، ألسنا ندعي أننا الطائفة المحقة، إذاً هنا الناس كمسلمين تتكرر هذه الكلمة كثيرًا في القرآن {لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} لكن لم تعد تقدم ضمن معرفة الله سبحانه وتعالى ، فأصبحنا وإذا نحن نشعر بفراغ، فراغ سلطة، وفراغ قانوني، ألم يصبح الناس هكذا، المسلمون؟ فجاء الغربيون وعبئوا هذا الفراغ عن طريق دساتير، قوانين، ومستشارين قانونيين من هناك ليعبئوا هذا الفراغ، والناس هنا في هذه الحياة كل واحد من عنده بشطارته، من يعمل انقلاب عسكري وأصبح يمثل سلطة، أو سلطة مثلا تكون هناك وراثة أو كيفما كان الأمر، المهم ناسين أن الله هو ملك السموات والأرض، حتى نقول: نحن لسنا نعيش حالة فراغ، أحكام الله موجودة يجب أن تطبق ، شرع الله يجب أن يطبق، إذًا لسنا بحاجة إلى أطراف أخرى أن تشرع لنا.

أما أن تصل المسألة إلى محاولة أن يكون ما يأتي من تشريع من جهة الناس، يكون أيضا بالشكل الذي يقدم شرع الله خطأ فهذه أيضا جريمة ثانية كبيرة، الله يقول: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} (المائدة من الآية: ٤٠) بمعنى ماذا؟ إعلم، إعلم، إعلموا أن الله له ملك السموات والأرض حتى تروا بأنه أولى بكم، وتعرفون أيضاً كيف ملكه فيكم، ملك الله لعباده ملك رحمة ليس ملك تسلط وقهر وطغيان وجبروت كما هو ملك البشر.

هذا من الأشياء الغريبة أنهم ملاحقين وراءك حتى لا يطلع في نفسك تشبيه لله، وهذه نحن نقول: هي قضية بعيدة عن الذهنية، مضمون أن لا يحصل تشبيه إذا ترك الناس على فطرتهم، ويقدم لهم القرآن، ما يحصل تشبيه في النفوس لله نهائيا [معرفة الله: أن لا يشبهه شيء، أن لا يشبهه شيء على طول على طول] والآخرين من هناك: [أن معه وجه ومعه يدين..] وناسين قضايا هامة جدًا في معرفته، أن نعرف أنه الملك، إذا ما ترسخت هذه القضية عند الناس، عند عباده أنه ملكهم كانوا قريبين بأن يطبق شرعه عليهم، ولا يقبلون أيّ شرع آخر يطبق عليهم غير شرعه، ولا أحد فعلا يستطيع أن يحول دون ملكه، لكنهم يسلكون بهم طرقا أخرى، الدول التي تحاول فعلا أن لا يقطعوا يد السارق؛ لأن الكثير منهم سرق، وعادة، هذه عادة لا يحاول أن يحارب إقامة حدود كهذه إلا من هم ممكن أن يرتكبوا، ومتجهين لارتكابها، من أجل أن لا تطاله يد القانون كما يقولون .

إذاً عندما حاولوا أن لا تقام هذه الحدود من أجل الغرب، أليسوا ناسين لملك السماوات والأرض؟ إذاً تجد في الأخير أليست يد الغرب الآن متجهة لقطعهم، هم من ضمن تدبيره هو ملك، وليس أن الله في الأخير يُنفى كما يحصل لملك في هذه الدنيا، أو زعيم عملوا انقلابا عليه ونفوه، قد صار هناك في أي بلد آخر، في بريطانيا، أو في فرنسا ! لا، إذا أرادوا أن يطبقوا أحكامه وإلا طبق هو أحكامه، هو مدبر يومياً {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} (الرحمن من الآية: ٢٩) {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } (السجدة: ٥) من تدبيره في الأرض نفسها ما بالك باقي العالم، من تدبيره في اليوم الواحد ما يساوي ألف سنة في هذه الأرض ماذا يعني؟ تدبير مُلك، وهو واضح فعلا الآن تدبيره تدبير مُلك واضح، أليسوا الآن يحاولون بأي طريقة يسترضون اليد الأمريكية التي تريد أن تقطعهم، ولم يعد ينفع هذا نهائيا؛ لأنهم كل عملهم في الماضي ساهرون من أجل أن ترضى عنهم أمريكا، ويكفرون بشرع الله من أجل ماذا؟ أن يسترضوا الآخرين ويأخذوا منهم شرائع أخرى غير شرائع الله.

تأتي الآية هنا: {أَلَمْ تَعْلَمْ} أليست هنا موجهة بصورة أولية إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هكذا هو يشرع، وهكذا سبحانه وتعالى هو يدبر، وهو العزيز الحكيم، ألم تعلم أنه ملك السموات والأرض؟ بمعنى: أن هذه القضية قد تغيب عن ذهنية الناس، وان محاولة ترسيخها في الذهنية قضية هامة؛ لهذا نحن نقول: أن معرفة الله لا تحصل على الإطلاق إلا من خلال القرآن، أما معارف أخرى من داخل كتب علم الكلام فهي معرفة أحيانا تتناول الأشياء التي لا وجود لها، أشياء لا وجود لها إطلاقاً، قضية التشبيه لن يحصل في ذهنك تشبيه

لله، إلا أن يقدم لك بشكل عقائدي، وترسم صورة، ويحاولون أن يدخلوها في ذهنك غصبا عنك كما يعمل الآخرون، لكن في وضعيتك الطبيعية لا مجال للتشبيه نهائيا، نحن من هنا مشغولون بهذه، والآخرون من هناك مشغولون بأن الله له وجه ويدين، ويجب أن تؤمن بأن له وجه ويدين، إلى أن صرنا لم نعد نعرف وجوهنا من خلف رؤوسنا في هذا العالم لماذا؟ لأننا لم نعرف أنه ملك، أنه الإله فنعرف ما تعنيه هذه الكلمة .

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً} (المائدة من الآية: ٤١) إلى آخر الآية. لاحظ بني إسرائيل فيما يتعلق بتشريعات من هذه دائما يحتاجون أن يكون لهم [شور وقول] فيها، لا يحزنك هؤلاء، لا تهتم بهم، وتعني بشكل أساسي: أن الناس كل الناس في مجال تطبيق شرع الله يجب أن لا يراعوا الآخرين، والذين هم هؤلاء، وهذا الذي حصل، ألم ينطلقوا في الابتعاد عن تطبيق شرع الله، والالتزام به من أجل الآخرين؛ لأنهم أصبحوا يحزنهم أن يستاء الآخرون من أن نطبق شرع الله هنا، نحن نريد أن لا يحزنوا، هنا يقدم في البداية توجيها للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) لا تهتم بهم، لا تحزن، لا يحزنك أمرهم أنهم يستاءون، أو أي شيء من هذه، أو يقولوا ما قالوا في مواجهة أنك تطبق شرع الله، وتعلن شرع الله ما هو.

إذًا أليس المسلمون بحاجة إلى هذه التربية، وهم فعلا إنما اتجهوا للقضاء على الكثير من حدود الله وشرعه من أجل أن لا يستاء الآخرون؛ لأنه يحزنهم أن يستاء الآخرون، يريدون أن يرضوا عنهم، من اليهود والنصارى، أو منافقين، لأنه فعلا من الذي سيستاء؟ الجهات المفسدة فقط، من إقامة أحكام الله من الذي سيستاء من إقامة جهاد؟ مَنهم؟ المفسدون، مَن الذي سيستاء من إقامة حدود الله، إقامة شرعه، من؟ المفسد؛ لأنه يعرف أن معناه إقامته عليه، أليسوا هم هكذا يتجهون أن لا يكون هناك حديث عن الجهاد؛ لأنهم يعرفون أن الجهاد معناه أن يجاهدهم الناس، متأكد من هذا؛ ولهذا يحاولون أن يعمموا داخل وسائل الإعلام في كل البلدان، محاولة أن يكون هناك توجيهات أخرى: وسطية، ولا تشدد، وأشياء من هذه، عارفين أنهم هم المفسدون، الأحكام تقام عليهم، والجهاد يعني: جهادهم، إقامة الحدود يعني: إقامتها عليهم .

فلا يحزنك هؤلاء {الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ} (المائدة من الآية: ٤١) يقول واحد أنه إذا حاولنا أن نقيم الحدود فهذا قد يؤدي إلى أن الطرف الفلاني لا يرتاح فيؤدي إلى أن يضر بالمصلحة الوطنية، أو عناوين من هذه، لا تحسب لهم حساباً، لا ناس من داخل، ولا من خارج، فلا يحزنك أمرهم {مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ} لأن الفئتين هذه {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ} (المائدة من الآية: ٤١) معهم آخرين، هم ينطلقون بتوجيهاتهم، فلا يحزنك أمرهم بأنك تعتبر وكأنهم من صفك، وكأنك تريد أن تسترضيهم بشيء معين، اعرف من البداية أنهم مرتبطون بآخرين لم يأتوك {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} (البقرة من الآية: ١٤) كما يقول في آية أخرى .

ودائما عندما يأتي الحديث عن بني إسرائيل بعد أشياء كثيرة سواء ما كانت بشكل تشريعات معينة، أو تبيين إلهي، هدى إلهي، يأتي بحديث عن بني إسرائيل؛ لأنه فعلا قدمهم في البداية أنهم يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، وتراهم هكذا تصرفاتهم قلب أمام كل قضية، حتى هنا في موضوع إقامة حدود الله، إقامة شرع الله، ألم يأت بالحديث فيما بعد عنهم؟ بشكل يوحي وكأن هؤلاء هم من سيحاولون أن يعملوا على أن لا تقام حدود الله، فيأتي بالحديث عنهم وبشكل أن لا تحسب لهم حسابا، لا يحزنك هؤلاء.

ثم تجد أنهم عندما ينطلقون بحملات دعائية، وقد يعملون ضغوطات معينة في محاولة أن لا تقام كثير من حدود الله وأحكام دينه، هل على أساس أن لديهم رؤية هم، رؤية هي أفضل، أو رؤية مساوية، أو منطلقين حتى انطلاق، منطلقين من نظرة تعني: نظرة إصلاح بما تعنيه الكلمة إنما هم يغلطون؟ لا.. هم في واقعهم

شريرون، في واقعهم منزوون على أنفسهم، يقيسون الأشياء بمقياس مصالحهم، لا يهمهم باقي البشر، لا يهمهم الإصلاح في الأرض على الإطلاق .
{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ} (المائدة من الآية: ٤١) **هنا يعرض منطلقاتهم، وأهدافهم، وما يأخذون ويردون فيه، هل هو شيء يتناول مصلحة الناس؟ يهتم بمصلحة الناس؟. لا، {إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}** (المائدة من الآية: ٤١) **هي قلوب فاسدة ، قلوب خبيثة القلوب الفاسدة الخبيثة لا يمكن أن تنظر للبشرية بنظرة رحمة ولا برعاية مصلحة للبشر على الإطلاق {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** (المائدة من الآية: ٤١) **وكما هي نفس الطريقة لا تكترث بهؤلاء، ولا تقل أيضاً ـ ربما ـ أن لديهم نظرة، هذا الذي يحصل الآن للأسف، يحاولون أن يسكتوا عن حدود الله هنا في الدول العربية، في كثير من الدول الإسلامية يسكتون هناك، يوقفونها، ويستصدرون قوانين وبنظرة وكأنهم هم عندهم خبرة، عندهم رؤية، وعندهم، وعندهم... وفي نفس الوقت خائفين منهم، ألم يقفل الموضوع هنا تماما، يبين لك أن هؤلاء في واقعهم عندما تراهم معارضين ليسوا منطلقين من رؤية صحيحة، ولا منطلقين من رؤية إيجابية للبشر أبداً، هكذا هم ناس قلوبهم نجسة، نفوسهم خبيثة، ولا تخاف جانبهم أبداً؛ لأن الله قد حكى بأنهم أعداء، أعداء له، ولا يكون أعداؤه هناك وهو ساكت عنهم! هذه لا تحصل، الله لا يسكت عن أعدائه على الإطلاق، يكون معه أعداء إنما منتظر لا ندري متى سيضربهم، هو دائما يدبر أشياء كثيرة إنما لا نعرف نحن، كثير من الأشياء التي تكون ضراً عليهم ونراها وكأنها نعمة وخير وأشياء من هذه بالنسبة لهم.**
فيقول هنا لا تخف جانبهم، ونحن بحاجة إلى هذا أما رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **فهو لا يخاف جانبهم، هم {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ألم يعرض هنا رؤية صحيحة؟ فعلا أنه ظهرت هذه حتى أصبح البعض يقدم رؤية الغرب، ورؤية اليهود والنصارى مقابل ما شرعه الله من إقامة حدود وقصاص بأنها رؤية إيجابية ورؤية صحيحة ورؤية منسجمة مع حقوق إنسان وأشياء من هذه . أي ينظرون إليهم عندما يقدمون قوانين وكأنهم ساهرين على مصلحة البشر، عندما ينظّرون، ويقدمون رؤى وكأنهم أصحاب نفوس طاهرة. أليسوا هكذا ينظرون إليهم؟ إضافة إلى خوف منهم، هنا نسفها هؤلاء لا نفوس طاهرة، لا يهتمون بمصلحة البشر، ولا تخف جانبهم فالله قد قضى بأن يكون لهم خزي في الدنيا، وفي الآخرة عذاب عظيم .**
{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} فهل هؤلاء ممكن أن يقيموا حدود الله، أو يحرصوا على أن تقام عقوبات للمفسدين؟ هم أنفسهم {أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} للحرام. إذاً بين لك واقعهم أنهم عندما يحاربون إقامة مثل هذه الحدود إنما لأجل أن لا تقام على أمثالهم، وعلى أوليائهم وأصدقائهم لماذا؟ لأنهم أكالون للسحت، والسحت مختلف، السحت قليل أو كثير، {أَكَّالُونَ} هم لا يأكلون أحيانا فقط، بل طريقتهم يبحثون عن السحت ويأكلونه، أي: لا يراعون أي شيء، يقولون: [الحلال ما حل في الجيب] حرام، حلال، كيفما كان .
{فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (المائدة من الآية: ٤٢) **قضية متروكة للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فيما بينهم؛ لأنه من زمان عرفت القضية هذه عند بني إسرائيل، في موضوع الحدود، خففوها، وعملوا لها أشياء أخرى، من زمان؛ لأنهم عارفون أنفسهم مفسدين، وأكالين للسحت، يحاولون في كثير من الحدود بأنها تلغى وتخفف، أو تقدم أشياء أخرى بديلاً عنها.**
عندما يحصل من بعضهم على بعض جريمة مثلا، هنا سيتبين إيجابية الحكم الإسلامي هنا، والحكم في أصل كتبهم التي أنزلها الله، فقد يرى بأنه أن لا يجري فيما بينهم هناك عندما قال: {فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} لأنه لاحظ الآن الأشخاص الذين يحاولون مثلا يروجون بأنه ـ كمثل بعض المثقفين ـ أن لا يكون هناك حدود وأشياء من هذه، لو أن أحداً يأتي يأخذ سيارته ماذا سيقول؟ ليس فقط تقطع يده، سيقول: لا، هذا

يستحق أن يحرق، وليس فقط أن تقطع يده، أو ينفى من الأرض، أليس هو هنا يحس بالألم؟ تقول له: لا،لا، هذه عقوبة متنافية مع حقوق الإنسان، أو مع الحضارة وأشياء من هذه، لا يقبل منك هذه، وقد كان يقولها؛ لأنه أحس هو بالألم .

{فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} (المائدة:٤١ ـ ٤٣) **مع أن هذا قد لا يحصل، أو من الغريب، وهو غريب باعتبار أنه في التوراة حكم الله فعلا فيما يتعلق بنفوس وأموال سيأتي بعد حول القصاص أيضا: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ}** (المائدة: من الآية٤٥) **إلى آخره، لكن عندما تكون القضايا قد بدلت، ثم يصيح الطرف المعتدى عليه، وهو يعرف الإسلام في حدوده، في أحكامه، يحاول في الطرف الآخر، مع أنه قد يكون هذا من قبل ليس حول أحكام الله، ولا حول أن يلتزم بما في كتاب الله إذا ما زال موجوداً، إذا لم يكونوا قد ضيعوا ما في كتاب الله، التوراة عندهم بأنها ماذا؟ أحكام قائمة، بمعنى أنهم قد لا يحكمونك؛ لأنهم هم رافضون لحكم التوراة التي نزلت على نبي منهم، وعليهم، موجهة إليهم. فهل سيكون لديهم رغبة أن يأتوا يبحثون عن حكم القرآن؟ لكن قد يحصل فعلا عندما يكون طرف منهم، مثل هذا يأتي عليهم جريمة معينة، وعقوبتها بشكل لا يعد يشفي غليله، لا يعتبرها بأنها فعلا كفاية، يحاول أن يرجع إلى حكم الإسلام من أجل إيقاع الحد على هذا الذي ظلمه؛ ولهذا تلاحظ فعلا بأنهم يرجعون إلى حكم الله، يبحثون عنه، ألم يرجع صدام إلى حكم الله، رجع إلى إعلان جهاد؟ هم يرجعون في الأخير .**

{وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ} وفعلا على ما قلنا سابقا لو يأت شخص مثلا يحاول كمثقف يحمل ثقافة الغرب، ويقدم منطقا كهذا حول عقوبة الإعدام، وإقامة حدود وأشياء من هذه، وتقع عليه قضية في قريبه، أو قضية في ماله لبحث عن ما هو الحكم؟ يقطعونه من النصف وليس أن يقطعوا يده فقط. الآن ألست تراهم يحاولون عندما تأتي أمريكا تدخل، ويحس بخطورة فعلا تريد أمريكا تنفيه من الأرض، سيرجع في ذلك الوقت إلى آيات الجهاد، ويبحث إذا هناك [مكبرين] ويبحث إذا هناك أحد يتكلم على أمريكا، وجهاد، والله أكبر يعملها في العلم، وأشياء من هذه . {وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} ليسوا بمؤمنين حتى ولو رجعوا، يعني: لو رجعوا عند حادثة معينة، في قضية معينة فهو رجوع من هذا النوع. هذه قالوا وقعت كمثال فيما يتعلق بالمرأة من خلال واحد كان يروج فيما يتعلق بحرية المرأة، وخروج المرأة، وعدم الحجاب للمرأة فقالوا أن شخصا ذهب ودعا زوجة هذا الذي يروج لتخرج معه يتفسحوا، فغضب هذا الرجل، فقال: لماذا تغضب؟ ألست تقول هكذا، حرية المرأة، وخروج المرأة، وعدم الحجاب للمرأة، وهذه حقوق المرأة، وما هناك مانع؟!

{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} (المائدة من الآية: ٤٤) **وهذه هي سنة الله سبحانه وتعالى، أن كتبه تكون هدى ونور، وفيها تتناول التشريع، ما يتعلق بحياة الناس، والتعامل فيما بينهم، عقوبات على الجرائم، تتناول مختلف شؤون الحياة بما في ذلك الدفاع عن قيمهم . وأنها تأتي على هذا النحو؛ ليقوم حكم الله عليها، ويقيم حكم الله بها كل الفئات النبيون والربانيون والأحبار .**

{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ} ولن يحكم بحكم الله، ولا يهتدي بهدي الله إلا المسلمين لله كالنبيين {الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} أي هي مسئولية منوطة بهم، يعني: هم محملون بها، أن يحكموا بحكم الله . {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}(المائدة من الآية: ٤٤). **عندما تكون مرفقة بتوجيهات على هذا النحو، وأمروا بأن يحكموا بها، وأن لا يخشوا الناس، وأن يخشوه، وأن لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا، وأن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، أي: هذه قضية في موضوع التوراة، وسيأتي في موضوع الإنجيل بما يشابهها.**

وهذه كما أوردها الإمام زيد في رسالته إلى العلماء يقول: أن العلماء لا مبرر لهم على الإطلاق، ولا عذر لهم عن أن يبينوا للناس كتاب الله، ويتحركوا على هذا النحو لإقامة دين الله، هذا معنى كلامه؛ لأن الله قال هنا: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً} أنه لا يجوز أن يقعدهم لا رغبة ولا رهبة من أي طرف آخر{فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} أليس هذا خوفاً؟{وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً} هذا استبدال يعني ماذا؟رغبة، يحصل على أشياء. {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} لاحظ هذا فيما يتعلق بإقامة القسط والله قال سابقا: {كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ} (المائدة من الآية:٨) وفي آية سابقة قبلها {قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ} (النساء من الآية: ١٣٥) فإقامة القسط على هذا النحو، إقامة بكل ما تعنيه الكلمة، حكم بالشيء، إقامته، وليس مجرد فتاوى. هنا يقول: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} أن يحكم بغير ما أنزل الله، وأن القضية هنا أن الله ما أنزله هو لأن يحكم به، والحكم به يعني: ماذا؟ فاعليته، وإقامته. هو فعلا نفس منطق الآية، يشهد ما حكاه الله عن بني إسرائيل، وتشمل أيضا ـ كما قال الإمام زيد في معنى كلامه لا أذكره بالتحديد ـ أن الله قدم بني إسرائيل كنموذج تأخذ الأمة هذه دروسا منها، مما حصل لبني إسرائيل .

{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المائدة: ٤٥) فهم عندما يتجهون لمحاولة إلغاء الحدود، القصاص، معناه: هم في نفس الوقت يحاربون ما هو في كتبهم، وما أنزل الله عليهم، وأمرهم أن يحكموا به.

{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (المائدة: ٤٦-٤٧) أعني: كأن معنى الآية: أنه قفينا، وعملنا هكذا.. وقلنا: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ} يعني: هذه سنة إلهية، وأنه عندما يأتي بهدى، يأتي بتشريع، يكون مرفقاً؛ لأنه ليست سنته عبارة عن فتاوى، يرفق بالتأكيد على الحكم به، على إقامته، على الالتزام به، على الجهاد في سبيله.

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (المائدة من الآية: ٤٨) أي: وأنت عندما تقيم حكم الله ليست قضية جديدة، الله هكذا سنة في دينه، أنه يجعل للأمم، ولكل أمة شرعة ومنهاجاً في إطار دينه، في إطار حركة دينه، الدين الواحد؛ ولهذا يقرر من البداية أنه قال لهم في موضوع القصاص: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} أليست هذه واحدة؟ موضوع هذه الأشياء الثانية القصاص سواء النفس بالنفس والعين بالعين.. إلى آخره، التأكيد بأن يقيموا حكم الله، أنه هكذا سنة الله، يعني: ما أنت ستأتي بشيء يبدو وكأنه جديد، أن تكون هناك شرعة تمت على يدك يقال لك أن تحكم بها، وأن تقيمها، الله قد جعل في مسيرة الدين لكل الأمم شرعة ومنهاجا، يعني ليست الآية هنا تعني: تقسيم أشياء، أو تقول: تقسيم ديانات ثلاث، وهناك يقول: {فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} هل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يرجع إلى التوراة، أو إلى الإنجيل، لم يعرف عنه على الإطلاق أنه ربما اطلع عليها، أو لمسها، أو دخل بيتا من بيوتهم ـ مثلما يسمونها ـ بيوت، مدارسهم، أو أشياء من هذه. أمامه القرآن، القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب، فما هو صحيح هو هنا، فأن يحكم به يعني: أنت تقيم شرعة ومنهاجا هي ليست جديدة، ليست غريبة، حتى عندما يأتي أحد من بني إسرائيل ومعهم أشياء أخرى كما هو الواقع، تبديل لأحكام الله، أو يستنكرونه، لا قبول لاستنكارهم، هم يعرفون بأنه في كل مسيرة الدين لكل الأمم شرعة ومنهاجا، وأن هذه هي القضية التي هي ماذا؟ قابل باعتبار العصور أن يكون فيها أحكام ليست في الأمة السابقة.

أن يأتي مثلا في رسالة عيسى ما هو أحكام جديدة بالنسبة لما كان في رسالة موسى، أن يأتي في رسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أحكام جديدة بالنسبة لما كان في رسالة عيسى، هكذا في هذا الجانب؛ لأنه دين

واحد، مسيرة واحدة، ولا يمكن أن نفهم القضية هذه إلا على أساس فهمنا للدين بشكل عام، لا تفهم الدين يعني: الفقه، لا تفهم الدين وكأنه الفقه، ورؤية فقهية، هذه التي أمام الناس، ويسمونها دينا، ويسمونها شرع الله، وحكم الله، ودين الله، وهدى الله، في تلك، هذه تعتبر شرعة في إطار حركة الدين الإلهي، إذا أنت تراها في الكتاب العظيم هنا فيما يتناولها بصورة معلنة، وبصورة صريحة، قد يكون ـ كما يقولون ـ خمسمائة آية، من أكثر من ستة آلاف آية، أليست هنا شرعة؟ أشبه شيء بشرعة النهر، أليست الشرعة جانب من النهر مفتوح يغترفون منها؟ جانب معين مفتوح للأمم حتى ما يزال بالنسبة للمسلمين، وفي حركة الحياة يأتي التشريع بشكل يراعي اعتبارات متعددة، يراعي أزمنة متعددة، ليس على أساس تأقلم معها، في كيف إنزاله عليها، هذه هي شرعة، هذه الشرعة التي هي ماذا؟ شرعة ومنهاج حياة، في التعامل، في الآداب، في أشياء من هذه قائمة بين الناس، الله جعل لكل منكم شرعة ومنهاجا، ولو أراد الله لجعل الناس أمة واحدة، على طريقة واحدة في مسيرة حياتهم، في المجال التشريعي، يكون ما حرم على إبراهيم إلى الآن حرام، وحلال من ذلك اليوم إلى آخر أيام الدنيا، على نمط واحد.

هو يستطيع أن يجعل هذه بمعنى: أن تكون القضية على هذا النحو {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} ألم يقل هكذا بعد؟ {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} لأن الله هو الذي يعلم بمصالح عباده، هو الذي يعلم بالحياة، يعلم بهذا الزمن، فيجعل تشريعه بالشكل الذي فعلا يكون قابلا لإقامة القسط في مختلف تعامل الناس، وفي آدابهم على طول الحياة، دون أن يكون معناه أنه فرضية من جانب الإنسان، ليست فرضية من جانب الإنسان نفسه، هذه رحمة من جهة الله أن يجعله على هذا النحو، وبالشكل الذي تكون طريقة واحدة، لا يحصل فيها اختلاف، طريقة واحدة.

لاحظ الشرعة السابقة في أيام عيسى، هي شرعة إلى أن يأتي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب أن تسير الحياة على الشرعة التي فتحت في مسيرة الدين أثناء رسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى آخر أيام الحياة، أي: لا تكترث بهم عندما ينقدون موضوعا، مثلما هو حاصل الآن، أليسوا الآن هم الذين ينقدوننا دائماً في موضوع الحدود، في موضوع كثير من التشريعات، من المواريث، إلى الحدود، إلى القصاص، إلى أشياء كثيرة ينقدونها. يقال لهم: الله قد جعل لكم شرعة ومنهاجا لكم قبلنا في أيام عيسى، وشرعة ومنهاجا في أيام من قبله من الأنبياء، وشرعة ومنهاجا في أيام موسى، في مسيرة الدين الإلهي، يعني: هل هذه هي قضية غريبة؟ ليست قضية غريبة؛ ولهذا برهن هنا، ألم يأت يذكر ما جعل من شرعة في داخل هذا الدين، في رسالة موسى، ورسالة عيسى، يذكر عن التوراة، ويذكر عن الإنجيل يعني: هذه توحي بأنهم فعلا هم من يعارضون، وهم من يذوبون الأحكام، ويلعبون بالأحكام، ويهاجمون بالتشنيع لأحكام أخرى .

إذاً من الأشياء الهامة أن نفهم ـ كما ذكرنا في الآية السابقة ـ أنهم عندما يكونون على هذا النحو إنما هو تلاعب من جهتهم، ناس خبثاء، هم يخرجون من زمان عن الشرعة التي جعلها الله لهم، وفي نفس الوقت هم يعرفون، وليس المعنى أنها قضية غريبة في ديننا يقولون لماذا في دينكم كذا ؟ في دين الله في شريعة الله في رسالاته، عند الرسل: موسى وعيسى وكل رسله، يعني: هذه تعتبر منهجا في الرد عليهم، في الحوار معهم، حوار أو رد أو كيفما كان الموضوع، بأنه يجب أن تقررهم؛ ليتبين في الأخير أنهم هم الشاذون في مسيرة الدين، هم وليس نحن، وليس ما في شرعتنا نحن، أنهم هم الشاذون، هل هو جديد أن يكون هناك شرعة ومنهاجا في هذه الرسالة؟ ليس جديداً، يقال لهم: ليس جديداً أنتم حصل لكم هكذا فلماذا تستنكرون؟. هذا الموضوع جاء نظيره في أشياء أخرى: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ} (الأحقاف من الآية:٩) **فهذه الشرعة ليست بدعة من ماذا؟ من شِرَع الله في مسيرة الحياة، ومسيرة دينه الواحد .**

{وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} (المائدة من الآية: ٤٨) **في مسيرة البشر طريقة واحدة، لكن هو يعلم فهو رحيم، هو يعلم بمسيرة الحياة قد يكون مثلا شرع سابقا أشياء ـ وكما قال سابقا ـ فيها ماذا؟ نوع من العقوبات، أشياء كثيرة فيأتي دينه فيه شرع على هذا النحو، شرع لكل زمان، لكل رسالة أشياء معينة، ألم يقل نبي الله عيسى: {وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}** (آل عمران من الآية: ٥٠) **يخاطب بني إسرائيل، هذه جانب، الشرعة، تفهم حركة الدين،**

هذه شرعة من النهر، من البحر الإلهي، الدين، لا تفهم الدين موضوع شرعة، شرعة اعتبرها فتحة في دين الله، مثلما ترى خمسمائة آية من ستة آلاف وزيادة من الآيات، ألست هنا تراها فتحة فيما يتعلق بالتشريع، تكون آداب وتعامل فيما بين الناس .

{وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم} فيتبين بلاؤه لديكم، مثلما قال في بني إسرائيل، ألم يقل: {وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ} (البقرة من الآية: ٥٠) ثم قال بعد: {وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} (البقرة من الآية: ٤٩) ليس الابتلاء يعني مصائب، مصيبة، مصيبة، مصيبة.. إلى آخره، أن يكون أحيانا بمعنى نعمة، يبلوكم بها، بمعنى يتبين عملكم فيها، ويتبين تعاملكم معها، فهي نعمة، وفي نفس الوقت محط ابتلاء لكم يتبين من هو الذي يعطي قيمة لهدى الله، ويسير على نهجه، ويتمسك، ومن الذي يعتبر شاذاً في هذه الحياة، ومن هو المؤمن، ومن هو الفاسد، ومن هو المصلح إلى آخره . إذًا فهذه هي تعطينا منهجاً في مواجهة الحملة الدعائية من بني إسرائيل ضد كثير من التشريعات في هذا الدين، نفس هذا الموضوع .

{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} (المائدة من الآية: ٤٩) هم ليس لديهم إلا أهواء، ما بين أيديهم كتابات هي مليئة بالأهواء، أو مقترحات يكون عندهم عندما يقولون في شريعتنا كذا.. كذا.. لا يعتمد عليهم، لا يُعتمد على كتابات بين أيديهم، ولا يعتمد عليهم عندما يقولون؛ لأنه قد أصبحت الأشياء، قد طغى عليها موضوع الهوى والتلاعب والتحريف والتضليل .

{وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} (المائدة من الآية: ٤٩) يقولون لماذا؟ كيف هذا؟ في شريعتنا كذا.. كذا.. أو يحاولون أن يقدموا له كتابا معينا يقولون هذا. لا تركن عليها هذه كلها قد صارت محط أهواء وتلاعب.

{وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} أليسوا الآن يفتنون الأمة عن كثير مما أنزل الله إليها {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} (المائدة من الآية: ٤٩) تولوا، لا تكترث بهم، لا تبال بهم فتقعد عن أن تحكم بحكم الله، وبما أنزل الله إليك، اعرف أن من يتولون هم سقطوا في مستنقع، وأصبحوا ضعافا، محطاً لعقوبة إلهية عليهم. هذا الأسلوب تراه هاما جدًا في القرآن، هذا الموضوع، ترى غيابه في الذهنية كارثة، مثل للأمة كارثة الآن، أن تفهم كيف يصنف لك العدو على أساس لا تكترث به، لا تكترث به دائما، دائما، أمام مختلف القضايا، ودائما يقدم في الصورة بنوا إسرائيل بشكل واسع، قدمهم أمامنا في كل مجال، أمام الجهاد، أمام مختلف توجيهات الله، أمام تشريعات الله، أمام كل شيء، حتى أمام تحويل القبلة، ألم يقدمهم في كل شيء؟.

{فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: من الآية٤٤) هناك في موضوع القبلة؛ لأن هذه القضية هامة جدًا، لا يجعلك تتراجع عن أن تقيم حكم الله إلا إذا أنت تكترث بالعدو، أليس هذا الذي هو حاصل الآن عند العرب؟ فلهذا كان هذا الموضوع هنا هاما جدًا، التركيز عليه، كلما يذكرهم، أو يذكر آخرين، منافقين، أو كافرين، يبين لك كيف هم، أنهم سيضربون، وهم في أضعف وضعية هم، لا تكترث بهم؛ لأنك إذا اكترثت ستتأقلم معهم، وتحاول أن تغير حكم الله، وأشياء من هذه مثلما هو حاصل الآن عند العرب .

{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} (المائدة من الآية: ٤٩) هنا قد تقول: [لكن هم كثير وسنحتاج نبحث كيف، ونحن لسنا إلا قليل..] هم هكذا، كثير من الناس فاسقون. ثم يتناول بالتبكيت والسخرية منهم: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} (المائدة من الآية: ٥٠) ما أنزلناه إليك هو حكم الله، ألم يقل هناك: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ} (المائدة من الآية: ٤٩) لم يعد هناك ما يقابل ما أنزل الله إلا ماذا؟ حكم الجاهلية، جاهلية، سواء جاهلية من داخل جاهلية شرك، أو جاهلية يهوده ونصرنه، هم حولوا الدين إلى جاهلية فعلاً . {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (المائدة: ٥٠) لأن الله هو ملك الناس، وهو الذي يعلم بالإنسان، ويعلم بهذه الحياة فحكمه هو الحكم الذي هو أحسن حكم .

عندما يرجع واحد إلى الآيات السابقة ألم تتناول مواضيع متعددة؟ وداخلها يبرز بني إسرائيل وهم يريدون أن يلعبوا في كل موضوع، تناول مواضيع متعددة، موضوع جهاد ، إقامة القسط بكل ما تعنيه القضية بما فيها القضايا التشريعية هذه إلى عند الحدود، وتراهم فعلا في كل مجال هم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله فيه، {تَبْغُونَهَا عِوَجاً} (آل عمران: من الآية٩٩) **في كل نقطة إلى عند والسارق والسارقة، قد صار سارقا ومع هذا يبرزون مدافعين عنه، قاتل مجرم يبرزون مدافعين عنه! أليس هذا الذي حصل؟.**

يأتي بعد تحذير للناس: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء} (المائدة من الآية: ٥١) **لاحظ ما أفضع الناس عندما يتجهون ليتخذوهم أولياء بعد هذه الصورة السوداء التي قدمت لهم، والتي لا تختص بمجال دون مجال، بل في كل شيء، يلعبون في كل شيء، وأينما كانت سبيل الله يبغونها عوجا، أينما هو صلاح في الأرض يبغونه فساداً، وبعد أن بين أيضًا بأنهم تحت مراقبته، وغضبه وسخطه، لا تكترث بهم، سواء كانوا قليلا أو كثيراً، سواء كانوا أقوياء أو ضعافاً، لا تكترث بهم، هم في مرحلة ضعف، هم في وضعية ضعف .**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة من الآيـة: ٥١) **فيجب أن تكونوا بعيدين عنهم؛ لأنك عندما تنظر إلى الصورة القاتمة عن اليهود، وتنظر إلى الصورة القاتمة عن النصارى تجد أنه إنما ينبغي لمثلهم هم أن يتولوا بعضهم بعض لماذا؟ لأنهم تشابهت قلوبهم، أعمالهم، أهدافهم، نواياهم، نفوسهم، في معظم ما هو بينهم مشترك وإن كانوا متعادين؛ لهذا تجدهم أليسوا الآن ينسقون مع بعضهم بعض ويتحركون؟ إسرائيل مع أمريكا ومع دول أربا. يجب أن تكونوا أنتم المؤمنون بعضكم أولياء بعض، واليهود هم هكذا لا ينبغي أن تتولوهم، إنما يتولاهم من هو مثلهم إما يهود يهوداً، أو نصارى نصارى، أو نصارى ليهود، أو كيفما كانوا. { وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} ثم انظر إليهم في الصورة التي قدمها كيف هي، أليست صورة فضيعة؟ {إن الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (المائدة من الآيـة: ٥١) **عندما تراهم في الأخير قدمهم ظالمين لعباد الله، ظالمين للبشرية، ظالمين لأنفسهم وللبشر، من يتولاهم يصبح شريكا في ظلمهم، يصبح ظالما مع الظالمين {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.**

عندما تتولاهم لأي اعتبارات، لمصلحة معينة، أو خوف، أو كيفما كان، لن تهتدي إلى ما تريد من وراء توليك لهم، هذه القضية هامة، يبدو فعلا أن الله لا يسمح أن يحصل، أن تتولاهم من أجل مناصب، أو من أجل مال، أو من أجل تأمن، أو أشياء من هذه، لا يتحقق هذا، لا يتحقق، إذا تحقق لك في مرحلة لتتمكن فيها، لتُضرَب في الوقت الحرج، وفي أشد مرحلة يكون وقع الضربة عليك فيها شديداً، أين أفضل لك أن تضرب وأنت فقير، وقع الضرب عليك في نفسك وأنت فقير معك غرفتين، أو وأنت صاحب ممتلكات، وبنايات فخمة؟ هنا أليست الضربة ستكون أشد على نفسك؟ الله يعتبرها عذاباً ـ كما قال في آية أخرى ـ يعني الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ولا يمكن لأحد أن يكون ذكيا أمامه على الإطلاق كما نكرر دائما، عندما يكون عند واحد أنه سيحاول أن يتولاهم من أجل، ومن أجل، ومن أجل، هنا يقطع الطريق، لن يتحقق، ولو تحقق في الصورة إنما ليكون عذابا لك في الوقت الذي يعتبر اشد نكاية عليك .

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} (المائدة من الآية: ٥٢) **وهذا من الأشياء المؤسفة جدًا أنه بعد هذا البيان العظيم، وهذا الكتاب العظيم، وبعد ما أعطى من صورة واضحة، قدم صورة واضحة جدًا عن بني إسرائيل ويكون ما يزال هناك ناس يريدون أن يتولوهم!! هم بالطبع ليسوا طبيعيين، أي ليسوا سليمين، لن يتولاهم إلا أناس في قلوبهم مرض، ومعنى في قلوبهم مرض، لم ينطبع هذا الدين، هذا الكتاب، وهذا الهدى، وهذا النور، ما انطبع عليها، لم تمتلئ نورًا، ولا اهتدت، قلوب مريضة، أما قلوب مهتدية فلا يمكن أن تتولاهم على الإطلاق .**

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} مع أنهم بالشكل الذي يجب أن تسارع في الابتعاد عنهم، وليس أن تسارع فيهم، أن تسارع في الابتعاد عنهم؛ لأنهم هكذا قدمهم بشكل فضيع جدًا في نفوسهم، أهدافهم، تفكيرهم، نواياهم، أعمالهم كلها . {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} وكلمة مرض واسعة المعنى، أهم شيء فيها قلوب لم ينطبع فيها هدى الله، ولم تستنر بنور الله، ولم تستبصر ببصائر الله، هي قلوب مريضة، فليكن فيما

بعد يظهر إما بشكل نفاق، أو بشكل جبن، أو بشكل بحث عن مصالح، أو بشكل ـ التي يسمونها ـ مزايدات حزبية، أو كيفما كانت، المهم أن هناك مرضاً، أما ناس سليمين لا يتولونهم على الإطلاق، يبتعدون عنهم . إذًا فمعناه مريض يتولى مرضى، ألم يقدمهم مرضى، هم، بنوا إسرائيل؟.

{يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} يسارع فيهم، مثلما تقول: في الله، أشبه شيء مثلما تقول: يعمل في الله، أو يحب في الله، يسارع فيهم، يحاول في الشيء الذي فيه ماذا؟ فيه استرضاء لهم، أو الشيء الذي ربما يظهر لهم منه فيعتبرون أنه قدم خدمة لهم فيأمن شرهم، أو كيفما كان، المهم مسارعة إليهم بالشكل الذي يريدون، أنت عندما يقال لك: أنت تحب في الله أي: أنت تحب إنساناً الحب الذي يريد الله منك أن يكون قائما بينك وبينه، فهم مسارعون بالشكل الذي يريد بنوا إسرائيل، يسارعون فيهم أي يسارعوا إليهم بالشكل الذي يريدونه هم، وإذا لم يكن عنده معرفة أنهم يريدون فالقلوب المريضة هي تتشابه، {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}(البقرة: من الآية١١٨) ألم يقل هكذا؟ ثم ولا تدري في الأخير وإذا أنت أهدافك أهداف السفير الأمريكي تماماً ولست تدري إذا لم ينتبه واحد!.

لأن هذا الهدى هو قدم بالشكل الذي يجعل قلوب الناس مستنيرة وسليمة، القلوب المستنيرة المهتدية السليمة المستبصرة لا يمكن على الإطلاق أن تكون متشابهة مع القلوب المريضة، لكن القلوب المريضة يمكن تتشابه مع بعض، {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} ذلك من هناك يحاول أن يسكت الناس بأي طريقة حتى لا يرفعوا شعارًا في المسجد، وذلك الذي داخل المسجد، وإذا هو مثله محاول أنهم يسكتون ويتوقفون! ألم يبرز في الشاشة وإذا هم تشابهت قلوبهم؟ ذلك مريض من النوعية التي قال: {بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا} (النساء من الآية: ١٥٥) ونفوس خبيثة {أولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} (المائدة من الآية: ٤١) وأنت لأن قلبك مريض يعني: من يكون على هذا النحو قلبه مريض، أصبح عملك عمله ومشابهاً له، وبالطبع لا يتحرك هؤلاء الذين يعارضون إلا وقدهم عارفين أن أمريكا شغالة؛ ولهذا يكون خائفا، معظمهم، لو نقول ـ مثلا ـ: [الموت لهولندا] هل أحد سيصيح في المسجد؟ لا، لن يعارضنا أحد، لو تقول: [الموت للعرب] أو تلعن العرب، هل سيعارضك أحد من هذه النوعية؟

إذًا فيها خوف، إما خوف، أو رغبة، المهم مرض، وهو يعرف في نفس الوقت أنك تقول: أمريكا، وهو يعرف أن أمريكا هي تتحرك وأن أمريكا أصبحت مهيمنة، وأن أمريكا بالشكل الذي يخاف منها، أو يرغب إليها، كيفما كان الأمر، قل: [الموت للسويد] لن يستثار، ولن يقول لماذا؟ ولن يرفع بك بلاغًا إلى أي جهة نهائيا، ولن يبادر الأمن السياسي إلى إلقاء القبض عليك، تقول: [الموت للعرب] تقول: [الموت لليمن] لن يغضب أحد عليك . إذًا فهذا معناه ماذا؟ أنه فعلا مرض، هناك مرض، المرض نحن نقول فيه، على أساس نحاول أنه مثلما قالوا نتأول مهما أمكن للموضوع إلا أنه بالطبع مرض واسع جدًا المرض، فليكن جهلا بدين الله، جهلا بأعداء الله، جهلا بما ينبغي أن يكون عليه باعتباره مسلم، وهذا مرض، أليس مرضا؟ لكن نحن نعتبر لا بأس إذا تأولنا لك مرضك بالمرض الذي يذهب واحد يتعالج منه وممكن يشفى، فقد يكون جهلا، وقد يكون غير فاهم، وقد يكون..، وقد يكون..، وإلا فقد هو فاهم أن أمريكا موجودة، وأن هذا الشيء يغضب أمريكا .

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} لم يقل مثلا: المواطنين الذين في قلوبهم مرض، أو الحكام الذين في قلوبهم مرض؛ لأن مرض القلوب يمكن أن يكون من عند أكبر مسئول إلى أصغر مواطن . {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} ليكون في الأخير ممن يرتد عن دينه والمفروض أن يسارع ليكون ممن قال الله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} (المائدة من الآية: ٥٤) نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم .

هذا من الخسارة الرهيبة للطرف الآخر أن يكونوا فريقا آراؤهم ورؤاهم التي تجعلهم يتقهقرون ويرتدون على أعقابهم فينقلبوا خاسرين. خسارة أن لا يكون الإنسان من النوعية هذه فعلا، أن لا يكون من هذه النوعية، نوعية من وعد الله بأنه سيأتي بهم {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} فمعنى هذا بأنه عندما ترى لبني إسرائيل حركة على هذا النحو، أنه يجب أن تسارع إلى أن يجعلك الله من هذه النوعية التي وعد بأنه سيأتي

بها، لا أن تسارع فيهم، نخشى أن تصيبنا دائرة، [ويمكن، ويمكن، وأحسن لواحد كذا.. ولا..] لا، لأن هذه خسارة، والواجب هو أن تسارع إلى الله عسى أن يكتبك واحداً من هؤلاء الذين وعد بأنه سيأتي بهم .

ولأن لا يصاب الناس مهما كانوا قليلا، أو مهما كانوا يرون العدو كبيراً، ويرون التراجع الكبير، لا يصابون بإحباط. عندما ترى العرب تقهقروا، ترى المسلمين تراجعوا، ترى قممهم تعلن تراجعهم، أليس القمم العربية، والقمم الإسلامية كلها يبدو منها التقهقر والرجوع؟ ليس فيها منطق جهاد، ليس فيها منطق مواجهة في أي ميدان من الميادين على الإطلاق، إذًا ما هنا تحقق ارتداد بكل ما تعنيه الكلمة في هذا الإطار، تأتي إلى الشعوب نفسها وإذا الكثير ليسوا حول الموضوع نهائيا، وهم يرون أمريكا، ويسمعون ما تريد أمريكا، وتكتب صحف، ويرون في التلفزيون والإذاعات، وكل شيء، ولا يبالي، ولا يوجد عنده فكرة، والكثير عنده فكرة أنه ماذا؟ يترك ولا يتدخل من أجل أنه يسلم!! نزل لهم أوراق تعلن بأن الأمريكيين يتجهون لتغيير المناهج بما فيها القرآن الكريم، لا يتحرك، أليس هذا من المتراجعين؟ يعني ماذا؟ وقت تحقيق الوعد الإلهي، أليس وقت تحقيقه؟ لأنه قال: {مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ} (المائدة من الآية: ٥٤) بالفاء التي تعني التعقيب مباشرة بدون مهلة، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وإن كان المرتدون ملايين أو عشرات الملايين .

هذه الآية أيضا تعطي الناس منهجا في كيف يجب أن يكون تثقيفهم لأنفسهم، وكيف يجب أن نوجه الآخرين ، وكيف كان يجب أن توجه وسائل الإعلام لو ما يزال هناك توفيق، أنك تربي الناس، توجه الناس كيف يكونون محبين لله هذه واحدة؛ ليحبهم، أليست هذه قضية أساسية، ونقطة هامة جدًا؟ لأنه هنا ذكر نوعية ينطلقون في مواجهة بني إسرائيل بديلا عن أولئك المرتدين من داخل المسلمين، من منطلقات أساسية، لا تتأثر بالمصلحة على الإطلاق، لا تتأثر بالإغراءات، لا تتأثر بالتخويف، لا تتأثر بالدعايات، لا تتأثر باللوم، ينطلقون من منطلق حب لله، لا يبحث عن فتاوى [هل قد هذا يلزم أو ما يلزم] حب لله، سواء هو لازم أو لا، المهم أنه شيء يعتبر عملاً صالحاً، ويحبه الله، ومن يحب الله هو يسارع إلى العمل الصالح، وإن لم يكن قد وجب، أما هذا فربما قد وجب ربما مئات المرات وليس أن تقول: هل قد وجب أو لم يجب.

النوعية هذه الذين ينطلقون من منطلق حب لله لا يتأثر بمصالح أمريكية أو إسرائيلية أو كيفما كانت، في بلاده، عند بيته، له شخصيا، لا يتأثر؛ لأن موقفه منهم موقف ثابت وليس موقفا شخصيا، وسيعرف أنما يقدمونه إنما هو خداع، سيعرف أنما يقدمونه إنما هو خداع وتضليل؛ ليحبهم بدلا من أن يحب الله، ولن يحبوه، أما الله فإنك ستحبه، وهو يحب في المقدمة هو، أما بنوا إسرائيل قدمهم بشكل آخر: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} (آل عمران من الآية: ١١٩) .

إذًا فهذه نوعية راقية جدًا، وأنها قضية منهجية فعلا، كيف يمكن للناس أن يحبوا الله؟ لمعرفته وفق ما يقدم القرآن وليس وفق ما تقدمه كتب علم الكلام على الإطلاق، هذه قضية، قد تكره الله فعلاً، إذا اعتمدت على تلك الكتب؛ ولهذا يقولون: أن الكثير فيهم يكونون قساة قلوب، ويتأقلم كثير منهم مع أي سلطة تحكم، وينتظرون للهبات منها، والجوائز والعطايا! هذه قضية أساسية، ولهذا نقول من البداية أن هذا القرآن يدل على أنه من عند الله يشهد هو، في هذا العصر أليس الأمريكيون يحاولون أن يقدموا خدمات، ويحاولون مثلا يضللون بأنهم يريدون مصلحة الناس من أجل يحبهم الناس، ومن أجل يقبلون احتلالهم، ونهب ثرواتهم، أليست هذه قضية معروفة؟ اعتمادهم على تقديم خدمات هي مزيفة في الواقع .

إذًا الإنسان الذي ينطلق من منطلقات شخصية، عداوة شخصية، أو حتى وطنية، أو قومية، ليس مضمونا أن يثبت في مواجهة مصالحهم، ووجدنا في المرحلة هذه من كانوا يتشدقون بالقومية أليسوا هم من أصبح الكثير منهم من سقطوا في أحضان أمريكا؟ فعلاً، عندما تأتي إغراءات كثيرة، لأنه ماذا؟ قد تكون دول عندها إغراءات كثيرة لكن المؤمن هنا سيعرف بأنها قيمة الله، وقيمة نفسه، وقيمة دينه، وقيمة الجنة، أليس هو سيعرف هذا؟ ليس مستعداً على الإطلاق مهما قدموا من إغراءات. الحب لله يشكل ضمانة ضرورية، يعني: كأنه يكشف بأنه فعلا في مرحلة كهذه يحتاج الناس في مواجهة بني إسرائيل إلى أن يكونوا محبين لله، وإلا فقد يستفتي، قال لك: [ما يلزم] تقول: نريد كذا.. قال:[بل اترك الأمريكي يقدم لنا مصلحة]، وجلس، ألم يجلس؟ بقي ماذا؟ لا

يتحرك إلا من ينطلق من الحب لله؛ لأنه ليس وراء [يلزم أو ما يلزم أو هذا قد وجب يا سيدي فلان أو ما وجب] وليس وراء: [إنهم يريدون أن يقدموا لنا مصلحة] بل أصبحوا إلى درجة أن يقول آخرون لنا، الذين يأكلون مصالحنا، الذين هم من داخل بلادنا، يقول: [من أجل مصلحة] والمصلحة ستأتي له هو، أي: قد صارت المسألة إلى أنه يباع الدين، ويباع الوطن من أجل مصلحة آخرين! أما هذا فقد صار يعتبر من أسوء الأشياء، تعتبر خسارة كبيرة جدًا أن تبيع دينك بمصلحة لك شخصية مهما كانت، أما أن تبيع دينك ووطنك من أجل مصلحة آخرين فستكون أشقى الأشقياء .

أيضا هؤلاء الأعداء لديهم فيما يتعلق بأنواع الصراع، يركزون على أشياء كثيرة يحركونها، تلويم عن طريق مثلا تثقيف، عن طريق دعاية، عن طريق ترغيب، وعن طريق ترهيب، حتى ينطلق اللوم ضد من يتحركون من كل جهة، من يلومك باعتبار أن عملك مخالف للمصلحة الوطنية، يضر بالمصلحة الوطنية، ومن يلومك باعتبار عملك يقضي على المذهب، ومن يلومك باعتبار عملك لا يجوز في المسجد، ومن يلومك باعتبار أنه خائف عليك، ومن يلومك باعتبار أن عملك يسد عليه مصلحة وقد هو مجهز لنفسه ليبيع في الأخير نفسه وهو يعتبر عملك يحول دون أن ينفق بثمن جيِّد، ومن.. ومن.. كم! .

إذًا معناه لا بد من أمة، من أناس لا يخافون لومة لائم، سواء عالم، أو زعيم، أو مسئول، أو أب أو أم، أو كيفما كان، إذا كان وعيه، إيمانه لم يرتق إلى الدرجة هذه قد يأتي لوم وطأطأ برأسه وجلس، يصطرع، يدخل في قائمة المرتدين. هنا لا يوجد مجال على الإطلاق في مرحلة كهذه، وبمنطق الآيات هذه إلا أن تكون واحداً من: إما مرتدين، أو ممن يأتي الله بهم . إذًا عندما لا تكن ممن يأتي الله بهم فأين موقعك؟ معناه موقع الساكتين، موقع الجالسين، أو ربما موقع المعارضين؛ لأنه ذكر عن البديل: يجاهدون، الذين يجاهدون يعتبرون ماذا؟ لأن هذا هو قطب الآية هنا، من يرتد قابل ما يساوي الارتداد بكلمة ماذا؟ يجاهدون، كلمة: يرتد، ليس معناها: ارتداد كفر، كلمة ارتداد، كلمة كفر، أشياء هي واسعة، ليس معنى ارتداد هنا يعني: كفراً، وقد يصلون بالناس فعلا إلى درجة الكفر، قد يجعلون الناس يكفرون بالدين نهائيا خلي عنك الكفر بأنواعه الكثيرة، كم قد أوقعوا إلى الآن!.

إذًا فكلمة: يرتد، معناه أنه في الواقع تراجعهم عن جهاد هؤلاء يعتبر ارتداداً؛ ولهذا ذكر البديل بعبارة ماذا؟ يجاهدون، لو لم يكن المعنى هكذا لم يقابل يرتد بكلمة يجاهدون؟ سيقول: يسلمون مثلا، أو يؤمنون لو أن المسألة معناها هناك ارتداد أي: خروج عن الملة، وقد يحصل خروج عن الملة، آيات أخرى تتناوله .

إذاً فأن يكون الإنسان على هذا النحو، وأن يكون توجيه الناس على هذا النحو: حب لله، هذه واحدة من القضايا الأساسية بأنه لا يؤثر فيه لوم لائم؛ لأن ذلك الذي قد يفتيك بأنه ما قد وجب أنت تعرف بأن هذا عمل يحبه الله [عساه لا يجب] هل ستتراجع؟ واحد هناك يريد أن يقدم لك مصلحة، أنت تحب الله لا يمكن أنك تؤثر على الله أي مصلحة، واحد من أقاربك مهما كان عزيزا عليك، أنت تحب الله أكثر من نفسك خلي عنك أن تحبه أكثر من واحد آخر. أليست هذه قضية هامة؟ تجد أيضاً في نفس أن يكون الله يحب الإنسان استعرض القرآن في موضوع الرحمة تجد أنه أرحم بالإنسان من أي قريب تطيعه؛ لأنك تحبه؛ ولأنه يحبك فتعدل عما يجب أن تكون عليه، تجاهد في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم، هذه واحدة من الضمانات، قضية الحب لله، الحب لله تأتي عن طريق المعرفة الواسعة القرآنية .

{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} متواضعين بالنسبة للمؤمنين، وأقوياء بالنسبة للكافرين، من يرتدون هم يكونون بالعكس: أعزة على المؤمنين، أذلة على الكافرين، حقيقة، أمام المؤمن يبادر إليه يكمم فمه حتى لا يقول: [الله أكبر] وبقوة وصرامة! أليست هذه واحدة؟ وأمام الكافر يقول له: هذا عمل إرهابي في بلادك، وهو يعرف أنه كاذب فيقول: نعم، يطأطأ رأسه ويقول: نعم عمل إرهابي! لم يعد يدفع عن بلاده تهمة فضلا عن أن يدفع عن بلاده حرباً، لا يعد يدفع تهمة هي أساس في الاعتداء على بلاده، أليست هذه قمة الخضوع، الذلة للكافرين، وعزة على مؤمنين، مؤمنين يعرف بأنهم من الناحية السياسية لا يؤثرون عليه على الإطلاق، بل لو سلك طريقتهم لنجي هو، أي سلطة حاكمة لو تسلك هذه الطريقة لكانت ناجية، لكن من يضمن

أنه ما يزال هناك توفيق أن يهتدوا بهدى الله، ويسيروا على كتابه. ووجدنا آخرين، ألم نجد آخرين كانوا يتنمرون على من يسمونهم بـ[الشباب] يتنمرون عليهم، وشدة عليهم، وفتاوى، وارتداد، وأشياء من هذه، وإذا بهم في وقت بروز الكافرين يصدر بعضهم بياناً للمرشدين بأنه لا تسبوا أحدًا وإن كان كافراً!! أليس هذا ماذا؟ أمام الكافرين ولا كلمة، وهو من كان يكفّر بعضهم، أو يحكم بارتداد علماء؛ لأنهم ماذا؟ لأنهم مؤيدون لمؤيد للشباب، شدة بشكل رهيب، وإذا هي تلاشت بطريقة غريبة أمام الأمريكيين؛ لأنه قد أصبح يرى أنه ربما قد يصل هذا الموضوع إلى عنده .

يعني: أن هذه القضية معناها: أن الله لا يحدد فئة معينة، يحتاج الإنسان إلى أن يشرح نفسه هو كائنا من كان؛ لأن القضية إما أن تكون ممن يأتي الله بهم، وإما أن تكون ممن يرتد، ومن يرتد سيظهر منه مواقف المرتدين بما فيها الذلة أمام الكافرين، هذه واحدة، أو تكون هذه الفئة التي وعد الله بها، فيظهر بأنك لا تؤثر أي طرف مهما كان، ومهما كان لومه، ولو يصدر بيانا يوقع عليه مائة عالم، لن تتأثر به نهائيا؛ لأنك واعي وفاهم.

{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} إذًا فأين أفضل لك أن تكون ممن يحب من قال عنهم: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} أليست هذه خسارة أول شيء؟ أما هنا فيقول: {يُحِبُّهُمْ} في المقدمة . {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} لماذا لم يقل: يقاتلون هنا؟ نقول فعلاً: أن الآية تتحدث عن هذا الزمن؛ لأن القرآن هو للناس وللحياة كلها، الجهاد يعبر عن حالة الصراع، وسعة الصراع وميدانه أوسع من كلمة: يقاتلون، أي سيتحرك في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، ويقتضي العمل بإيجابية أن يكون مؤثراً على العدو فيتحرك فيه، بذل الجهد، سواء في موضوع ثقافي ، اقتصادي ، عسكري ، سياسي ، إعلامي ، في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، حرب نفسية، والحرب النفسية من أبرز مظاهر الصراع في هذا الزمن، الحرب النفسية؛ ولهذا يقول: يجاهدون في سبيل الله، يعني: يبذلون جهدًا في كل المجالات، وفعلاً ترى بأنه الفئة السابقة: {مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ} في خسارتهم تبرز أشياء هي سهلة جدًا وهي جهاد فلا يعد يتوفق أن يصل إليها، شعار يرفعه، أو بضاعة أمريكية وإسرائيلية يقاطعها، لا يعملها، يشتري قمحاً أمريكيا وهناك قمح آخر أمامه! أليست هذه خسارة، يتوقف أن يرفع شعارًا في مسجده، لا يحتاج يخسر من أجله ولا ريالا واحدًا، أليست هذه تعتبر خسارة؟ منتظر أن معنى يجاهدون: يقاتلون [متى ما قاتلوا]!

هذه من الأشياء الغريبة التي نقول هي أشياء مؤسفة فعلا بالنسبة للعرب أنه لم نفهم أنواع الصراع من داخل القرآن، والقرآن أعطى فعلا، نحن قرأنا في قصة معركة أحد كيف التركيز على الجانب النفسي والمعنوي، بمعنى أن الصراع لا يكون أمامك فقط مجرد سيف، هذه واحدة من وسائل الصراع التي يجب أن تكون نصب عينيك، لكن تعرف أن الصراع يتناول مختلف الأشياء النفسية والمعنوية، فالقرآن علمنا من قبل، لكن لا بد من القرآن حتى نعرف كيف الجهاد، ونعرف كيف عادة يحصل الصراع بين البشر، يقول لك: ننتظر حتى يأتي قتال!

نقول: إن هؤلاء الأعداء هم يركزون على قضايا نستطيع أن نواجهها إذا مشت سيقاتلون، وسيضربون، إذا لم تمش لهم لن يضربوا، ولن يصلوا إلى الناس، كيف تقول: أنك منتظر، منتظر.. في الأخير متى ما حصل ستقول: أنا لا أملك إلا بندق ماذا سيعمل هذا البندق! الشيء المحتمل أن هذا النوع لن يتوفق، أن الكثير قد لا يتوفقون فعلا، الإنسان الذي هو يعتبر مجاهداً يجب أن يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً، وأعتقد فعلا رفع الشعار، والمقاطعة الاقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلاً، بل قد يكون هذا الجهاد اشد على الأمريكيين مما لو كنا عصابات تتلقى لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا: أن أثره عليهم أشد من هذا، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأي مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائيا، لم يستطيعوا أن يوقفوه بأي طريقة أبداً، ولا استطاعوا أن يلصقوا به شيئا يعتبر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة.

هذا هو الجهاد، والإنسان المسلم المؤمن يكون أمام عينه {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} (الأنفال من الآية: ٦٠) قد تكون قوة معنوية هي بيدك تؤثر جدًا على العدو يجب أن تستخدمها، حرب نفسية، هو يستخدم حربا نفسية هو، العدو الذي يمتلك أفتك الأسلحة يرى بأنه ليس مستغنيا بل مضطراً إلى أن يسلك الوسائل الأخرى في الحرب، الحرب الثقافية، الإعلامية، الحرب النفسية، أليس هذا شيئا واضحاً؟ فكيف أصبحنا لم نعد نفهم حتى الصراع ما هو، أصبحنا لم نعد نفهم الجهاد ما هو! بالتأكيد المجاهدون ليس عندهم فكرة.. ـ لأن البعض يحاول يقدم تفسيراً لمعنى الجهاد أن الجهاد بالكلمة هو الجهاد وفقط أو آخر يقول: الجهاد بالسيف هو الجهاد فقط! ـ لا، الجهاد {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) هنا قدم كل قوة بما فيها القوة المعنوية {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}.

الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يعتبر الموقف من العدو نفسه إلا موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقا؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تقدم نفسها نموذجا فعلا في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة، وتنسى موضوع إعداد القوة، قوة السلاح؛ لأنك ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها، القضايا النفسية، والمعنوية، والتربوية، والثقافية.. إلى آخره، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا.

{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أليس هنا ألغى موضوع: قومية، وطنية، تربة وطن، حجار وطن، وأشياء من هذه، لن يكون لها فاعلية على الإطلاق، لن يكون لها فاعلية، هم ينطلقون يجاهدون في سبيل الله، من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، يوجد سبل كثيرة تحمل عنوان: الجهاد، وهي سبل عوجاء، أما كلمة: جهاد في سبيل الله ـ ويمكن أي واحد يدعيها ـ هنا يبين لك سبيله، طريقه، هي طريق هو رسمها هو للمجاهدين من أجله أن يسيروا عليها في جهادهم.

مثلما قلنا سابقا: أنه تجلى من خلال قصة طالوت وجنوده، تلك النوعية التي انطلقت في سبيل الله، هي فعلا التي تحمي الأوطان والأعراض، أليست هي التي ستحمي الأوطان والأعراض؟ أما من يرفعون عبارات: وطنية، وقومية، أحيانا هم من يبيعون الأوطان والأعراض هم، أو حتى لو كان مخلصًا ستكون القضية قابلة للثغرات، يأتي العدو يدعم جهة معينة، وترفع شعارات قومية متفوقة على شعاراتك، وترى وكأنها تضرب العدو ضربات رهيبة، مثلما عملوا لاحتواء الثورات في القرن الماضي، آخر مثال لها [أرتيريا] تحرك المجاهدون المسلمون مساكين مقاتلين خلال فترة طويلة، رآهم الصهاينة وإذا هم ربما سينجحون، ربما تقوم دولة مسلمة، وعناوين ـ هم ليسوا فاهمين هذه: أهمية الارتباط بسبيل الله ـ من أجل الوطن، تحرير الوطن، إخراج المحتل، وأشياء من هذه.. جاء [أفورقي] هو ومجموعته، ومنظمته، وإذا هم وطنيون أكثر منهم، وإذا هم أيضا لديهم إمكانيات يستطيعون أن يضربوا، وإذا هم فرحوا بهم، فرحوا، نعمة أنه قد صار معنا ناس، وفي الأخير وإذا هو ماذا؟ نوعية ثانية، وإذا المجاهدون المساكين الذين قتل كثير منهم، ودمرت بيوتهم وأموالهم، وإذا بهم قد صاروا معارضة هناك، وإذا أرتيريا صارت بلداً مرتبطا بإسرائيل!

لكن في سبيل الله لا يمكن على الإطلاق أن تزيف المسيرة، لا يمكن لأحد أن يزيفها إلا إذا فهمنا أن سبيل الله مجرد عنوان، سبيل الله يعني: من أجله، لا ترفع شعارا آخر على الإطلاق، سبيل الله، تجاهدون في سبيل الله، وتفهم سبيله وفق الطريقة التي رسمها هو، أين رسمها ؟ في القرآن، أليست في القرآن مرسومة؟ هذه هي الطريقة التي لا يمكن أن تخترق، ويخترقها مزيفون، ولو رفعوا عناوين: جهاد في سبيل الله، لا يمكن على الإطلاق، وإلا فالمرحلة خطيرة جداً، مرحلة قد يزيف لك الأمريكيون حركة معينة ويقولون: في سبيل الله، وجهاد في سبيل الله، وقد عملوا هذه في الماضي، ألم يعملوها؟.

لهذا يجب أن يكون هناك وعي تام، وإلا فقد تتحرك وأنت لا تدري، وباسم في سبيل الله عندما ترى منظمة أخرى أكثر فاعلية، وتحمل جهاداً في سبيل الله عنوانا، ثم تبدو في الأخير وإذا هي وهمية تتحرك متى ما أرادت أمريكا، وتجلس متى ما أرادت، في الأخير تراها إنما كانت [فخ] من أجل ماذا؟ من أجل تذوب كل الانفعالات ضد أمريكا في ماذا؟ في بؤرة لا تشكل خطورة عليها نهائيا، ثم في الأخير يظهر وإذا أولئك المجاهدون يتبخرون لا يوجد هناك شيء، ولا ترى بعد إلا أمريكا في وطنك، أو إسرائيل.

هذه القضية هامة، الآية تعطينا منهجا متكاملا متكامل في كيف نكون نحن، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، يحاول واحد يتعامل مع الله، يدعوه، وفي نفس الوقت كيف يكون توجيهنا للناس، لا نستخدم عبارات: وطن على الإطلاق، ونحن قلنا في هذه سابقا، عند آية طالوت وجنوده قلنا: إن الله ضرب مثلا لنا من داخل بني إسرائيل، عندما يقولون الآن: لا نريد عداء دينياً، نقول: أنتم وجدناكم في مرحلة كنتم مستضعفين، وقد أخرجتم من دياركم، وأبنائكم اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، أليس هكذا؟ فنحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن.

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة{وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ}؟ إذا كان مستبصراً بالقرآن، مستنيراً بنور القرآن، مستبصراً ببصائر القرآن، مهتدياً بهديه، وإلا فسيقعده اللوم في أي مرحلة من المراحل، لوم عالم، أو لوم قريب، أو لوم بعيد، أو لوم سلطة، أو لوم من أي جهة كان. تجد هذه النوعية فعلا عندما ينظر واحد إلى المرحلة هذه، هذه النوعية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه بني إسرائيل بفاعلية، ويمكن تهزم فعلا بني إسرائيل، هذه الفئة؛ لأنه قدم نوعية هي التي يجب أن تتوفر فيها الصفات الضرورية، والتي تجعل كل مؤامراتهم، وشعاراتهم، وعناوينهم، وخداعهم تتبخر عندما تصطدم بهذه النوعية، غيرها سيتبخرون هم أمام بني إسرائيل فعلاً.

وهنا يبين بأن هذه القضية بالشكل الذي تجعل الآخرين يحسون بأنهم في خسارة، المرتدين عن الجهاد، عندما يأتي بعد فيقول: {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} (المائدة من الآية: ٥٤) هذا فضل من الله الذي تتهرب منه، وتحاول أنك تعمل لك أشياء، وتلفق أشياء حتى لا يلزم، أو تتمسك بأشياء معينة، أو تخاف.. أنت تبعد نفسك عن الفضل، تبعد نفسك عن فضل عظيم، فكأنك تثبت بأنك غير جدير بذلك الفضل، لأن الله قال: {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ}.

تلاحظ هنا أنه تبدو الآية فعلاً توحي بأنه قد تصل الأمة إلى حالة لا يعد يبقى لديها مقومات بناء نوعية كهذه، إنما من جهة الله هو فعلا، لا في تراثها، ولا في منطقها، وفعلا هل هذا موجود؟ لو تعود إلى تراثنا، تراثنا نحن الفئة أهل الحق التي نقول دائما: هم أهل الحق، سيكون هذا التراث بالشكل الذي يقعدك، وما الذي معك عندما تقرأ؟ معك أصول فقه، علم كلام، كتب ترغيب وترهيب، تفسير آخرين، أشياء من هذه تقعدك، ورأيناها أقعدت من؟ أقعدت من حملوها، وأقعدت من اتبعوها، أليست هذه القضية واضحة؟ ما بالك بما لدى الآخرين فعلا. إن هذه نوعية لا تبنى إلا من جهة الله {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة من الآية: ٥٤).

إلى هنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ٢/ ١١ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٢٢/ ١١ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

من الآية(٥٥)إلى آخر السورة

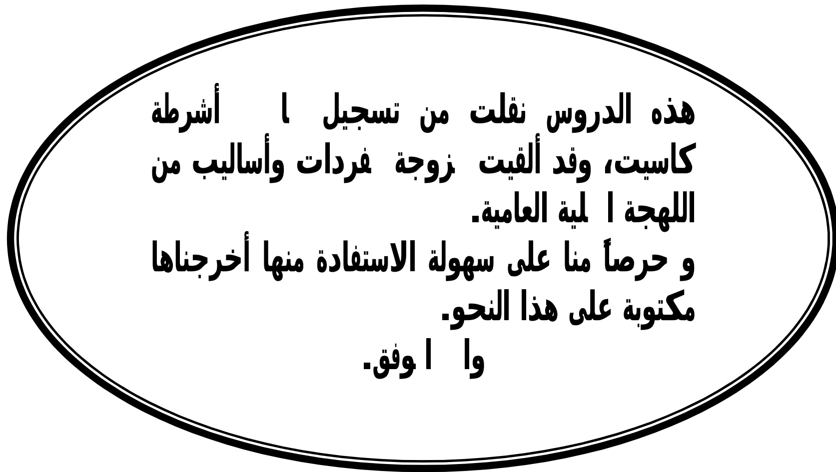
[الدرس الثالث والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٧/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

بعد أن جاء النهي المؤكد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين: أن لا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، وبعد أن أوضح خسارة من يسارعون فيهم، والسبب الذي يدفعهم إلى المسارعة أنه نتيجة مرض في قلوبهم، وبين ما يعطي أملاً للمؤمنين: أن الله سبحانه وتعالى سيستبدل بمن ارتدوا عن دينه، سيستبدل بهم غيرهم، من وصفهم بأوصاف عظيمة، هذه الأوصاف العظيمة ليست بمعزل عن هذه الآية: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ} (المائدة: من الآية ٥٥) بالإضافة إلى كونها توجيها للمؤمنين بشكل عام أنه لا يجوز أن تتخذوا اليهود والنصارى أولياء {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ} الذي يجب أن تتولوه فقط {اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية ٥٥) .

وليكم الذي تعتصمون به، وتلجئون إليه ، وتستنصرون به الله سبحانه وتعالى، هو من يجب أن تتولوه، وتكونوا معه وتتبعوه، وتطيعوه. {وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} الآية هنا تبين بأن ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض التي تتجلى على يد نبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه إنما هي امتداد لولايته سبحانه وتعالى ، امتداد لولايته، امتداد لسلطانه ، لهذا جاءت بعبارة واحدة {وَلِيُّكُمُ} ولم تأت بعبارة الجمع فيقول: أولياؤكم مثلا. {وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}؛ لأنها ولاية واحدة، ولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي امتداد لولاية الله، ولاية الإمام علي هي امتداد لولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، باعتبار الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن بعده الإمام علي امتداد لسلطان الله هنا في الأرض .

هنا يعطينا فهماً بالنسبة للولاية في الإسلام، عندما نقول: السلطة في الإسلام كيف هي؟ عندما تعود إلى القرآن الكريم ترى في سور كثيرة، في آيات كثيرة، وعندما تعود أيضاً إلى واقع الحياة، تتأمل في السموات والأرض وما بينهما من خلق الله تجد أن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية رحمة، ولاية رعاية، ولاية تربية، ليست مجرد سلطة هكذا، سلطة قاسية، أوامر ونواهي فقط ، ولاية رحمة بكل ما تعنيه الكلمة. عندما تأتي إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وتتعرف عليه من خلال القرآن الكريم ، ومن خلال ما نعلمه من سيرته (صلوات الله عليه وعلى آله) تجد أيضا أنه كان يجسد هذه الولاية {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) . عندما تأتي إلى ولاية الإمام علي نفس الشيء .

إذًا فهذا هو مفهوم الولاية في الإسلام، وهذه هي مهام الولاية في الإسلام، ليست فقط سلطة تنفيذية، سلطة أوامر ونواهي جافة، وتجبر وتسلط وقهر، وأشياء من هذه.. أبداً ؛ لأنه فعلا يحصل تساؤلات كثيرة حول النظام السياسي في الإسلام، أو حول السلطة السياسية في الإسلام، وأشياء من هذه، هو أساسا السؤال من أصله غير صحيح؛ لأنه في واقع الناس ليس هناك فصل ما بين سياسة، واقتصاد، واجتماع، وثقافة، وتربية، ورعاية، وأشياء من هذه، ليس هناك فصل فيما بينها. من أين جاء ترسيخ السلطة وكأنها فقط ما نسميها: سلطة سياسية فقط، سلطة تنفيذية لأوامر ونواهي وتسلط فقط؟! .

إنما جاءت عندما برز في الحياة هذه النوعية فعلا، وعندما كان من يتزعمون البشر في مختلف مراحل التاريخ من النوعية التي لا تمتلك أي رؤية أخرى، ولا قدرة أخرى فيما يتعلق بالرعاية، والتربية، والتثقيف وغيرها، لا يمتلكون شيئا، لا يمتلك إلا القهر والسلطة، أمر ونهي وسجن وقتل ونفي ومصادرة، وأشياء من هذه ، هذا عمل يستطيع أي واحد يعمله ، أليس أي واحد يستطيع أن يعمله؟ لا يحتاج حتى إلى حنكة سياسية ـ كما يقولون ـ، معاوية استطاع أن يحكم الأمة عشرين سنة، ومعاوية لم يكن يمثل شيئا؛ لأنك بالطريقة هذه تستطيع أن تحكم العالم، هذا بوش نفسه أليس متجها إلى أن يحكم العالم؟ وهو عندما تتأمل منطقه، ملامحه،

حركاته تجد أنه إنسان غير طبيعي، وغير متزن، لكن ما أيسر السلطة، وما أسهلها عندما تكون على هذا النحو: أو أمر ونواهي، الذي يقول لك: تمام، لا بأس، تعطيه كيفما أردت دون أن تلحظ حقوق الآخرين، والذي يرفض، سجن وقتل ونفي، وأشياء من هذه .

إذًا الولاية في الإسلام، السلطة في الإسلام هي أرقى بكثير مما عليه واقع البشر، أرقى بكثير في مهام من يلي أمر الأمة. تجد أنه عندما تتأمل ولاية الله سبحانه وتعالى لشئون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هي امتداد لولاية الله، يجب أن يكون عنده رحمة، يجب أن يكون عارفا كيف يربي الأمة، يجب أن يكون عارفا كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جداً، جداً.

تجد هذه ألم تكن هي أبرز الأشياء بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والإمام علي؟ ما الذي كان بارزا بالنسبة لشخصيتهم كأولياء لأمر الأمة؟ هل كان البارز موضوع التسلط والقهر، أو هذا الجانب الآخر، جانب الرعاية والتعليم والتزكية؟ {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}(البقرة من الآية: ١٢٩) جانب تربيتهم؛ لينشئوا أمة على مستوى عالي، هذه المهمة هي التي كانت بارزة في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ممارساته وسلوكه مع الناس الذين هو أولى بهم من أنفسهم {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}(الأحزاب: من الآية: ٦) ولهذا قال الله عنه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}(التوبة من الآية: ١٢٨) يعز عليه ويؤلمه أي مشقة تلحقكم، هذه صفة هامة جداً {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي مشقة تلحقكم {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} بكل ما تعنيه الكلمة، حريص عليكم بأن تنشؤا أمة مستقيمة، بأن تكونوا أمة قوية، بأن تنشؤا رجالا حكماء، أصحاب نفوس زاكية، أصحاب نفوس عالية، حريص أن لا يلحقكم أي ضر مهما كان {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} .

إذاً عندما ترجع تتصفح القرآن الكريم بالنسبة لله سبحانه وتعالى أليس هذا ظاهراً، وليس فقط نقول: ملموس ، ظاهر من خلال القرآن الكريم مظاهر رحمته ، رأفته ، رعايته ، أنه فعلا بالنسبة لعباده هم محط عناية كبيرة جداً تساوي {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} ما نمتلك عبارة بالنسبة لله نقول: هكذا، لكن مثلما قرأنا في الآية السابقة {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المائدة من الآية: ٣٣) وكثير من الآيات غيرها، هذه الجوانب الهامة جداً هي الجوانب التي يحتاج إليها الناس، وهذه هي الجوانب التي لا يمكن أطرف الناس أن يعملها، أما الجانب الآخر فبإمكان أي شخص يفوز بانتخابات، أو بانقلاب عسكري، أو عن طريق وراثة، أو بأي طريقة كان فيصل إلى الحكم، ويمارس الحكم، ويجلس ولو أربعين سنة، ولكن هل تجد له أثراً في تربية الأمة، رعايتها، تنشئتها، بناءها بناء صحيحا، لا تجد إلا العكس.

إذاً فقبل أن نتساءل عن ما هو النظام السياسي في الإسلام كنظام هيكلية الدولة، اسأل عن مهام الدولة في الإسلام، مهام السلطة في الإسلام ما هي ؟ هي هذه، وليس فقط: هل هو شخص واحد، أو مؤسسات؟ هل عن طريق انتخابات، أو عن طريق اختيار، أو عن طريق شورى أو..أو ..إلى آخره ، في المقدمة ما هي مهام الدولة في الإسلام؟

الإمام علي (صلوات الله عليه) هل كان إنسانا ضعيفا نفسيا؟ لم يكن ضعيفا نفسيا على الإطلاق، كان قويا، كان بإمكانه أن يخضع أهل العراق، ويخضع الجزيرة هذه، ويخضع كل البلاد الإسلامية، ويدير الأمور بشكل أقسى مما عمل معاوية، أليس هو يستطيع أن يعمل هذه؟ لكن اقرأ ما الذي ترك معاوية، وما الذي ترك الإمام علي، عندما تقرأ في نهج البلاغة تجد كيف ترك حتى فيما يتعلق بالوعي السياسي للناس، ترك تراثا هاما جداً، مثل عهده إلى مالك الأشتر، تجد نصوص خطبه وتوجيهاته ـ مع أنه قد يكون فقط قليل، ما وصل إلينا في نهج البلاغة قليل ـ كيف هو فعلا عمل الإنسان الذي يفهم السلطة في الإسلام ما هي، يفهم الدين من حيث هو بالنسبة للإنسان ما هو دوره، أن الله كرم الإنسان {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء من الآية: ٧٠) فيجب أن يكون الحكم للناس بالشكل الذي يسمو بهم، يكون متناسبا مع تكريم الله لهم، وليس بالشكل الذي يحطهم، ويقهرهم، ويذل نفسياتهم؛ ولهذا أصبح جانب كبير من المسئولية على نفس الأمة، على نفس الناس؛ لأن القضية هنا إضافة إلى

خبرة إدارية، وخبرة تربوية، وتوجيهية بالنسبة لمن يلي أمرها لازم بالنسبة لها هي أن يكون لديها وعي، هو أن تعرف بأن من الأفضل لك أن تعيش في سلطة فيها مثل الإمام علي (صلوات الله عليه) لا تخاف أنه يمكن أن يظلمك، لا تخاف أنه بمجرد وشاية معينة إليه يمكن أن يسجنك، أو يقتلك، لا تخاف أن جواسيسه بعدك أينما ذهبت، لا تلمس أي خوف في نفسك، ولا أي شعور بقهر وإذلال ممن يحكمك ، أليس هذا الذي يتناسب مع كرامة الإنسان؟.

يجب أن تكون فاهما أن على الإنسان نفسه أن يكون واعيا وفاهما ؛ لأنه فعلا المسألة، أو تقول نصف الموضوع هو يتوقف على الناس؛ ولهذا كان الإمام علي والرسول من قبله (صلوات الله عليه وعلى آله) يوجهون الناس يوجهونهم على أساس يفهمون هم، ينطلقون هم، يتحركون هم، لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا من النوعية التي لا تتحرك إلا إذا سيقت بالعصا، لا تتأدب إلا إذا ضربت بالأسواط .

الإمام علي تعب جداً في هذا الموضوع، وكان باستطاعته أن يمارس السلطة، واحد من جماعته وليس هو ، واحد من جماعته باستطاعته أن يمارس السلطة بأرقى مما عمل معاوية ، لكن معاوية ما الذي ترك ؟ ما الذي سمعنا عن سلطته عن إدارته لشئون الأمة ؟ وماذا عمل ؟ سمعنا بقهر ، بإذلال ، بتدمير ، بسفك للدماء ، بتضليل رهيب للأمة ، تحريف لقيم الدين ، إذلال للأمة ، ومن أخطر الأشياء على الأمة أن تذل بواسطة من يحكمها، لكن الأمة إذا لم تكن واعية، إذا لم تكن واعية فعلا، تكون هي التي تعبر عن نفسها بأنها ليست جديرة إلا بمن يسوقها بالعصا، ويذلها ويقهرها .

الإمام علي أوكل المسألة إلى الواقع بعد أن فهمهم، وبين لهم، ووضح لهم، ووجههم، وحذرهم من العواقب، ما قبلوا، ولم يرضوا أن يتحركوا، ويتفاعلوا بالشكل المطلوب، ذاقوا العاقبة من بعد، ألم يذوقوا الأمرين عندما تسلط عليهم بنوا أمية من بعد؟ معاوية ومن بعده يزيد ومن بعده بنوا أمية واحد بعد واحد. الأمة هذه مسئوليتها كبيرة ، الهدى الذي قدم إليها مهمته بالنسبة لبناء النفسية مهمة عالية جداً، يصل بالنفس إلى مستوى عالي جداً، مهمتها في حركة هذا الدين لإيصاله إلى الأمم الأخرى، تحتاج إلى أن تربى على هذا النوع، تحمل نفوسا كبيرة، نفوسا كريمة، نفوسا عزيزة، نفوسا أبية، لا يكون قد أذلها، وحطها القهر، قهر التسلط .

لاحظ الآن عندما حكم العرب الكثير من حكامهم، الكثير منهم بسياسة القهر والتسلط، أنت هنا ضربت الأمة، لم تعد هذه الأمة صالحة لأن تدافع عن نفسها ، ألفت القهر، ألفت الإذلال ، ضعفت نفوسها، انهارت معنوياتها؛ لهذا يكون هناك أثر سيء جداً، جداً للتسلط على الناس؛ لأنه يؤدي إلى قهر أنفسهم فيضعفون في مواجهة العدو، ويضعفون عن حمل الرسالة العظيمة هذه التي أوكلت إليهم.

هذه القضية من أهم الأشياء، حتى نعرف هل للإسلام رؤية سياسية ـ كما يقولون ـ هل الإسلام فيه ولاية أمر، أو ليس فيه شيء؟ كيف نظرة الإسلام إلى هذه القضايا التي يتكالب عليها الناس، ويتسابق عليها الانتهازيون؟ لا يمكن أن تفهم القضية إلا أن تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى فتعرف وهو يقول عن نفسه بأنه الملك، ألم يقل بأنه ملك؟ انظر إلى كيف ملكه هو، كيف ملكه، هل هو ملك تسلط وقهر وجبروت، أو ملك رعاية وتربية؟ وفي الأخير ـ فعلاً ـ لمن لا ينفع معهم أي شيء يضربهم ، أليس هذا الذي نلمسه في القرآن بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟ .

انظر إلى ولاية الله سبحانه وتعالى لأمر عباده، واعرف أن ولايته هنا عن طريق رسوله، أو الذين آمنوا، إنما هي امتداد لولايته، ويجب إذا لم تكن على هذا النحو، فليست امتدادا لولايته، إذا لم يكن من يلي أمر الأمة يتعامل مع الناس بالشكل الذي يلمسه من خلال مظاهر ملك الله، مظاهر ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، معنى هذا ماذا؟ أنه لا يعتبر امتداداً لولاية الله أبداً، هو مفصول عن الله، وسيترك آثاراً سيئة في نفوس الناس، وفي واقع الحياة .حصل الخطأ الكبير حتى عندنا نحن الزيدية، عند الزيود، ما بالك بالآخرين الذين جعلوها جائزة، من قفز على كتف، وعلى كاهل هذه الأمة تجب طاعته، وإن قصم ظهرها، وإن لعب بأموالها، وإن داسها، تجب طاعته! أيضاً قدموا عندهم الفكرة هذه: ما هي ولاية الأمر؟ قالوا في الأخير هي: [رئاسة عامة] يجيش جيوشًا، ويعين ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم حدودًا، ويستلم زكاة، وانتهى الموضوع .

القضية أوسع من هذا بكثير، وإذا لم نفهم المسألة على هذا النحو، معنى هذا أننا جاهلون فعلا بالله، وجاهلون بمثل هذه الآية نفسها {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ} وليكم، أليست بعبارة مفردة {اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ} أي بالتأكيد أن ولاية رسوله وولاية الذين آمنوا ـ الذي هو الإمام علي ومن كان كمثل الإمام علي ـ تعتبر امتداداً لولاية الله، هنا ستعرف أهمية ولاية الأمر في الإسلام بالنسبة للأمة، وأهميتها بالنسبة للدين، وأهميتها بالنسبة لإقامة الدين، ليست القضية هل يجوز أن يكون من هؤلاء، أو هل يجوز أن يكون بشورى، أو يكون بانتخابات، أو أن يقفز بانقلاب عسكري، أو بأي طريقة كانت، ليست القضية حول هذا، هل يكون واحدًا، أو عشرة، أو عشرين أو .. إن الإسلام لديه رؤية ـ إذا صحت العبارة ـ أن يحكم الأمة بكلها ، البشر بكلهم، قدم رؤية أرقى رؤية لحكم العالم بكله فضلا عن إقليم من الأقاليم .

عندما يقول البعض: أبو بكر ماذا فيه من عيب؟ أليس البعض يقول هكذا؟ أبو بكر هو هذا سير جيشا إلى الشام، وقاتلوا كذا، وأشياء من هذه، هذه كلها تكون نتيجة قصور في فهم ولاية الأمر في الإسلام ما هي، بالنسبة للأمة، أو بالنسبة للدين بكله ما هي، تراها قضية واسعة جداً، جداً؟ لا يستطيع مثل أبي بكر، ولا مثل عمر، ولا مثل عثمان أن ينجح فيها على الإطلاق، لا يستطيع حتى وإن حاول أن يُخلص ،ليست قضية تعود إلى أنه مخلص أو غير مخلص، وإن أخلص، وقد أوضح الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)) للناس وضرب مثلا يبين للناس بأن هؤلاء غير جديرين بقيادة الأمة عندما ولاهم في خيبر، أعطى الراية في يوم من الأيام أبا بكر رجع منهزما أمام اليهود ، أعطى الراية عمر فرجع منهزما أيضاً من جديد أمام اليهود.

ثم تعود إلى هذا الدين وإذا هو يعطي هذه الأمة مهمة عالمية وكبيرة جداً، جداً حركة جهاد في العالم، إيصال هذا الدين إلى كل أنحاء العالم، أليس هذا بالتأكيد يتطلب قيادة عالية؟ فالذي انهزم أمام اليهود، وليس قبيلة عربية، ربما لو كانت قبيلة عربية الأمر أهون، لأن القبل العربية أقوياء، لكن اليهود هم أذلة، انهزم أمامهم، هذا يعطي مؤشراً واضحا بأن مثل هذا ليس جديراً بقيادة أمة مجاهدة، وتربى على أساس أن تكون مجاهدة، وتحمل هذه الرسالة إلى العالم كله . نحن نعتبر بأنه تراجع الدين، وتراجعت الأمة تراجعاً كبيراً جداً، جداً من أيام أبي بكر إلى الآن .

لكن إذا أنت فاهم فقط أن ولاية الأمر فقط تعني: واحد يرتكز يجيش جيوشاً، أيّ واحد يستطيع يجيش جيوشا، ويعين محافظين، ويزيل محافظين، أو أمراء، أو ولاة، على حسب منطق السلطة في أي زمن كان ، أليس باستطاعة أي واحد، وباستطاعة أي واحد يقسم الأموال لهذا، وهذا، وهذا ، باستطاعة أي واحد أنه يحاول يسترضي كبار العشائر، يعطيهم أمولا كبيرة، والباقين في ستين داهية، أليس باستطاعة أي واحد يعمل هذه؟ أليست هذه مظاهر تتنافى مع ولاية الله؟.

إذًا فبالتأكيد أنه ليست قضية الولاية قضية فقط نختلف حول: هل واحد أو اثنين أو أن يكون واحد فقط، أو يكون هناك مؤسسات، أو تكون الطريقة هكذا، أو تكون الطريقة هكذا، حول ما يسمى نظام، أو هيكلية، حول المهام ما هي أولاً.

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(المائدة: ٥٥) **في كثير من المواضع يأتي بالكلام عن الصلاة والزكاة وكأنهما نموذج للمجالين الرئيسين في العبادة ـ مثلما يقولون ـ عبادة روحية ، وعبادة بدنية مالية. هذه الآية المشهور فيها أنها نزلت في الإمام علي (صلوات الله عليه) عندما تصدق بخاتمه وهو راكع، ومثلما قلنا في درس سابق: أن هذا فعلا يعطي مؤشراً هاماً جداً، الإمام علي عندما دخل فقير يسأل ولم يعطه أحد أشر إليه بخاتمه ليأخذه .**

إذاً قضية الخاتم أليست تبدو قضية بسيطة؟ لكن ماذا تدل عليه ؟ تدل على نفسية ثانية، نفسية تهتم بالناس، أليس هذا مؤشرا كبيرا؟ نفسية رحيمة، ونفسية تهتم بالناس، وليس يهتم كيف يأخذ حق الناس، يهتم بالناس، فأعطاه الخاتم، معناه: أن الأمة إذا لم تكن على هذا النحو: تتولى الله ورسوله وتتولى الذين آمنوا ستنهار، وفعلا قد تصبح فيما بين واحد من اثنين: إما أن تكون متولية لليهود والنصارى، أو متولية للذين آمنوا، فعلاً أن المسألة تصل إلى هذا أعني: لا تلحظ في كثير مما يقدم في القرآن في أجواء تبدو وكأنها أجواء مقارنة إلا

ومعنى هذا أنه إذا ما حصل تقصير هنا سيكون الطرف الآخر هو البديل، إذا حصل تقصير في تولينا لله ورسوله والذين آمنوا سيكون اليهود والنصارى هم البديل ، أليس هذا واقع الآن ؟ واقع .
هذه الآية هي نزلت في الإمام علي فعلاً، وقلنا في درس سابق: بأن الآية هي نفسها تشهد، وتدل على أنها نزلت في قضية خاصة، بداية نزولها قوله: {يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} لا يمكن أن نفسر راكعون بمعنى: مصلون، إذ كيف يمكن يقيمون الصلاة وهم مصلون، ويؤتون الزكاة وهم مصلون، هذا لا يصح في التعبير العادي فضلا عن القرآن الذي أحكمت آياته، ولم يأت فيما نعرف كلمة: راكعون بمعنى: خاضعون، يأتي بكلمة: ساجد ، ساجدين، أو قانتين، هذا الذي نعرفه من خلال القرآن، فالآية نفسها هي فعلا تدل على أنها نزلت في قضية، في واقعة خاصة، لشخص خاص، في بداية نزولها، وما تزال، ولنعرف مثلا لماذا أنه تأتي مثل هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل، ويظهر من خلال الواقع: أن الأمة بحاجة إلى تولي الله ورسوله، وتولي المؤمنين في المقدمة الإمام علي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .
أن هذه القضية لا بد منها حتى تهتدي بالقرآن، وحتى تكون بعيدة جدا عن أي محاولة قد تكون بها قريبة من تولي اليهود والنصارى، وحتى تكون بشكل أخير على مستوى عالي، تعتبر حزب الله، وحزب الله كما قال :{هُمُ الْغَالِبُونَ} كما قال بعد في آخر الآية أنهم هم الغالبون؛ لأن الإمام علياً ، وهذا هو منطق الإمام الهادي هو يعتقد أن ولاية الإمام علي هي قضية واجبة على المسلمين، قد تكون القضية مختصة بالإمام علي أساساً، قد يكون بعده أئمة متأخرين قد لا تكون تعرفهم، قد لا تكون مسئولاً أمام الله بأنك لماذا لم تعرفهم، وتتولاهم بالتحديد، الإنسان يتولى المؤمنين بشكل عام ، بشكل عام يتولى أولياء الله، ويدين الله بولايته لأوليائه، وحبه لأوليائه، لكن الإمام علياً هنا يشكل ضمانة، ويشكل نموذجاً يقدم، قدم كنموذج لكيف يجب أن تكون ولاية الأمة من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى نهاية التاريخ .
الإمام علي نفسه قدم لهذه الأمة نموذجاً فمن يكون متوليا للإمام علي فعلا سيرى ولاية الأمر في الإسلام أنه يجب أن يكون من يلي أمر الأمة يتحلى بقيم، بروحية شبيهة بما لدى الإمام علي، أليس هذا حاصلا لدى الشيعة؟ ألم تبق عند الشيعة هذه الرؤية؟ بقيت هذه الرؤية عند الشيعة لماذا؟ لأنهم متولين للإمام علي، من يكون متوليا للإمام علي يكون في نفس الوقت يدين ويعتقد ـ لأن هذا معنى ولايته ـ أن هذا الدين لم يترك القضية فراغ، ولم يتناول موضوع ولاية أمر الأمة، أن الإمام علياً، هو أول شخص من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، عينه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعني ماذا؟ أنك تدين بأنه ليس هناك فراغ على الإطلاق، وأن رسول الله مات وترك الأمة هكذا تبحث لها لمن ترى، أو من قفز فوق كاهلها فحياه الله .
تتجلى الصفات المعاكسة الآن، أليست تتجلى في واقع الأمة الآن عند من يلي أمر الأمة هذه؟ وعلى الرغم من أهمية هذا الزمن، وكثرة الإمكانيات فيه، والوسائل التي كانت تؤهلهم لأن يبنوا الأمة، لو كان هناك رحمة، وهناك رعاية، وهناك حرص، وهناك من هذه المواصفات العالية، ألن يكون واقع الأمة بشكل يختلف عما هي عليه الآن؟ إذاً ما الذي فقدت الأمة في من يلوا أمرها الآن على اختلاف بلدانهم؟ ما الذي فقدته؟ ألم تفقد صفات في هؤلاء؟ ألم تفقد صفات هي مرتبطة بالأمة هذه، مرتبطة بهذا الدين؟ هذا الذي فقدتها، لما كانوا فاقدين لها فقدتها الأمة، أصبحت الأمة في وضعية سيئة جدا، أليس هذا الذي هو معروف الآن؟ .
كما قلنا سابقا بالنسبة لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...}(المائدة: ٥٤) إلى آخر الآية، ألم يأت بصفات في هؤلاء؟ ثم يأتي بعدها: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ}(المائدة: ٥٥) بالتأكيد يجب أن يكون هؤلاء متولين لله ورسوله وللذين آمنوا والإمام علي في مقدمة الذين آمنوا بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية أساسية، وإلا فلن يهتدوا بالقرآن، ولن يحملوا تلك المقومات، والصفات الهامة . ولاحظوا أن القضايا كلها عملية في الإسلام، والولاية ليست فقط أن تحب له كما تحب لنفسك، وتكره له كما تكره لها، يجب على الأمة أن تتولى، المؤمنون يجب أن يتولوا الله ورسوله والذين آمنوا؛ لأن مهمتهم كبيرة، والخطورة عليهم كبيرة، متى ما

تولوا الله ورسوله والذين آمنوا أصبحوا حزب الله؛ ولهذا قال بعد: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}(المائدة: ٥٦) **يعني: فهؤلاء سيكونون حزب الله، وحزب الله هو الغالب لا شك في ذلك .**

أليس هذا يعني: بأنها قضية ضرورية بالنسبة للناس، بأن يكونوا غالبين في مواجهة هذا العدو الذي يشكل خطورة كبيرة عليهم؟ أليس الناس كلهم بحاجة إلى مثل هذه الآيات؟ هم الآن في حاجة إلى من ينقذهم من هذا العدو ما بالك بأن يغلبوا ، كل العرب الآن حكوماتهم وشعوبهم، الأمة هذه كلها، المسلمون بحاجة الآن إلى من ينقذهم من أمريكا، تجلس محلها، وهم يجلسون محلهم! بينما هنا تجد في القرآن الكريم أنه يقدم ما يجعلهم إلى درجة أن يكونوا غالبين لهؤلاء الأعداء.إذاً أليست تعتبر خسارة كبيرة: أن لا يعودوا إلى القرآن الكريم، وأن لا يكونوا على ما يهدي إليه؟! عندما يقول واحد: أنه لماذا لم يذكر علياً؟! أليس البعض يقول هكذا؟ لماذا لم يذكره باسمه؟ القضية ليست بهذا الشكل، القرآن يقدم أسساً، مبادئ، مقاييس، مواصفات هي فوق مجرد اسم، فوق مجرد اسم، عندما يكون هذا الدين هو لهذه الحياة إلى آخر أيام الدنيا فهل معناه لازم أن يقدم قائمة بالأسماء: فلان بن فلان، وفلان بن فلان.. إلى آخره، ثم لا تدري إلا وكل واحد يسمي ابنه بذلك الاسم ، ألم يحصل هذا عندما يقولون: أن المهدي سيكون اسمه: محمد بن عبد الله؟ جاء الكثير ليسموا أولادهم محمد بن عبد الله، محمد بن عبد الله على أساس ربما يكون المهدي ، وهكذا.

إن القضية الأساسية هي: أن يبين كيف يجب أن يكون من يلي أمر الأمة، كيف يجب أن يكون، ثم إن المسألة هي أعلى من مجرد أن يكون اسمه فلان، أو فلان، هذه قضية مرتبطة بالله هو الذي يختار ويصطفي ويؤهل هو ، لا يعطي قائمة معينة من الأسماء، هنا القضية متميزة في القرآن أدق من الأسماء فعلاً، القضية وفق رؤية القرآن متميزة أدق من الاسم، أما الاسم فممكن يطلعون لك عشرات الأسماء، وكل واحد يدعي بأنه هو فلان يقدم لك قائمة: فلان بن فلان، وفلان بن فلان، ألم يحصل ادعاءات للمهدوية على طول التاريخ هذا؟ من جاء واسمه محمد بن عبد الله قال : المهدي ، وهكذا، وتكون الأمة منتظرة للاسم، منتظرين الإسم، أن يكون اسمه كذا، فيكون هذا متحرك بالاسم هذا، وذلك من هناك متحرك هو بالاسم هذا، قال ذلك : أنه المهدي ، وذلك قال: لا بل هو ، قال: أنا أسمي: محمد بن عبد الله، قال ذلك : وأنا اسمي: محمد بن عبد الله، أو أحمد عبد الله أو .. أسماء، أحمد، أو محمد كما يقولون !!.

لا، المسألة قدمت بأدق من التسمية، مبدأ التكامل، وأن القضية مرتبطة بأن تعرف الله في المقدمة، تعرفه هو سبحانه وتعالى، ثم تعرف كيف ولايته التي هي عن طريق أحد ممن يصطفيهم من أنبيائه، ورسله، أو من أوليائه، كيف ستكون ولايتهم، وكيف يجب أن تكون ولايتهم، أنها امتداد لولايته، فتجد في القرآن تشخيص ، تشخيص بأدق من الاسم، أدق من الاسم، هذه قضية تقدم للأمة كتثقيف، تثقف بالرؤية القرآنية، وستميز المسألة بأدق من التسمية ، ولهذا نحن نقول: غير صحيح عندما يقول الإثناعشرية: واحد، فلان ابن فلان، وواحد، فلان ابن فلان، قدموهم مسلسل، نجح عليهم المسلسل في نصف القرن الثالث إلى مائتين وخمسة وخمسين، في الأخير [يحنبوا] إلى الآن على مدى أكثر من ألف ومائة سنة .

أن يذكر الاسم مثلا أليس الناس سيكونون بعد الاسم، منتظرين للاسم، وسيحصل تزييف عن طريق الأسماء، لكن هنا في القرآن قدمت المسألة فيما يتعلق بولاية الأمر، وفي منهم الذين يمكن أن يخلفوا رسول الله في أمته، قدمت بالشكل الذي لا يحصل التباس فيها على الإطلاق، ولا يحصل اختلاف؛ ولهذا كان الإمام الهادي يقول: (لن يشتبه اثنان) نهائيا عندما قالوا: [فإن كان ذلك عالم والثاني عالم وهذا كذا] في الأخير قال: (هذه مجاراة وإلا لن يلتبس اثنان في المسألة) لكن يكون تميزاً واضحاً، اختياراً إلهياً، اصطفاء إلهيا، وليست مسألة تأهيلية، كل واحد من عنده، بالاسم، أو بالتأهيل، أو بشهادة جامعية، أو بشهادة أزهر، وأشياء من هذه، فيكونون متنافسين على من الأعلم، من الأورع، من الأزهد، من الأكبر من الأصغر وهكذا.

لاحظ كيف ضرب مثلاً لبني إسرائيل أنفسهم، ومثل للأمة كلها، أليس عيسى بن مريم بعدما ولدته أمه ذهبت به إلى قومها طفلا بين يديها، طفلا، والكنائس مليئة بالحاخامات حقهم، وربما كل واحد منهم عنده أنه لو ينزل وحي من السماء لما نزل إلا عليه، والثاني مثله، وهكذا ، يأتي طفل تقدمه أمه: أن هذا هو الذي سيكون رسولا،

سيكون رسولا، وينتظرون حتى يكلم الناس كهلا، كلمهم في المهد بقي طفلا إلى أن أصبح شابا، ثم أوحي إليه بتبليغ الرسالة، والنهوض بالرسالة .

ومع هذا وتطبيقا لمثل هذه الآية التي ستأتي بعد،ألم يعلن بالاسم، وهل أفادهم الاسم بعد أن أعلنه يوم الغدير ((فهذا علي مولاه)) ألم يقل هكذا (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ : ((فمن كنت مولاه فهذا..)) بالإشارة ، أليس تعيينا وهو ممسك له بيده ((علي)) ألم يذكره باسمه ((مولاه))، وفي الأخير يطلعوا بدلا عنه واحد اسمه: أبو بكر! ألم يطلعوا شخصا آخر باسم آخر؟ لأنهم لو فهموا المسألة بالشكل المطلوب ، لو كانوا يتفهمون فعلاً، لو كانوا يتفهمون، ولذلك نقول: التفهم زيادة على مجرد قضية الإيمان، ويجب أن نفهم هذه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ} (النساء من الآية: ١٣٦) أليس هذا إيمان داخل إيمان؟ لو كانوا متفهمين بالشكل المطلوب للمسألة بكلها، ولو عرفوا مسئوليتهم في الالتزام أمام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لما قبلوا غير علي على الإطلاق؛ لأن مواصفاته واضحة، كماله معروف، وبالتعيين أيضاً. فعندما يقول لك: لماذا لم يذكره هنا في القرآن، ذكره بأدق من الاسم، ثم انظر أنت هل نفع الاسم معهم؟! إذا لم ينفع الاسم مع أولئك الذين كانوا تلاميذ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هل سينفع الاسم من بعدهم؟.

ولأن القضية هي بيد الله ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ أن موضوع إقامة دين الله ، موضوع قيادة الأمة، وتربيتها لتكون على مستوى عالي في النهوض بمسئوليتها، أنها قضية تختص بالله، وأنها القضية التي لا يمكن للناس أن يختلفوا فيها إذا فهموها؛ لأن بقاءها بيد الله يشكل ضمانة للأمة، تبعدهم عن التزييف، تبعدهم عن الادعاءات الكثيرة، تبعدهم عن التضليل، تبعدهم عن القهر والتسلط والإذلال، تبقى القضية بيد الله، وهذه هي سنة الله، أنه هو الذي يصطفي ويختار {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} (القصص من الآية: ٦٨) {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر من الآية: ٣٢) .

ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائنا من كان، سواء من داخل أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار هذه الديولة في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟.

مثلما قلنا سابقا في درس ربما قد يكون من أول الدروس في الموضوع، في [يوم القدس العالمي] اعتقد بأنه فعلا أن القرآن يقدم القضية بالنسبة للأمة هذه أمام أعدائها، أمام هذا الخطر الكبير الذي يدهمها الآن لا مخرج لها على الإطلاق إلا العودة إلى هذه الآيات، إلى هذا القرآن ، التولي لله ورسوله والذين آمنوا، وفي مقدمة المؤمنين علي بين أبي طالب، قضية أساسية ...

في الأخير قدمت ولاية الأمر بشكل آخر فلم تعد تعني إلا السلطة التنفيذية، حتى أصبحت المسألة بأنه إذاً لم يعد معناها إلا ما يسمونه احتكار، أو استبداد، أو بأي عبارة، عندما قدمت ولاية الأمر بالشكل الذي يمكن أن يكون من أهل البيت أو من غير أهل البيت، ألم تقدم هكذا؟ وإذا لم يبرز موضوع أن يكون من أهل البيت إلا قضية شكلية، الآخرون رأوا بأنها ليست منطقية هذه، فقط أن يكون من هؤلاء لمجرد السلطة التنفيذية ....

{قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة من الآية: ١٢٤) وإن كان من ذريته، وإن كان من آل إبراهيم، أو من آل محمد، لا ولاية له على الإطلاق، ولا يصح أن يعهد الله إليه نهائيا؛ لأنها قضية هامة جدًا، وواسعة جداً، وليست بالشكل الذي يقول الإمامية: هيمنة على ذرات الكون، ويجب أن يعلم الغيب .. لا، على النحو القرآني، من يخلف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب أن يكون على هذا الأساس على النحو القرآني تماماً .

يأتي بالآية هذه، ألم يأت بها ثم يذكر في نهايتها: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: ٥٦) في إطار الحديث عن بني إسرائيل من قبل الآية ومن بعدها .

إذًا أليس هذا يعتبر من أبرز مظاهر رحمة الله بعباده؟ لكن هم الذين يظلمون أنفسهم هم، يعني: لا يزال أمام العرب، أمام المسلمين الآن أن يبحثوا كيف يسلمون شر هذا العدو الكبير ، أليس لديهم هنا ما يجعلهم غالبين على العدو؟ لهذا قال بعد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً} (المائدة من الآية: ٥٧) إذا كان لدينكم قيمة لديكم فهؤلاء هم يتخذونه هزؤا ولعبا، هل ينبغي أن تتخذوهم أولياء؟! { مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ} (المائدة من الآية: ٥٧) لا تتخذوهم أولياء {وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (المائدة من الآية: ٥٧) أليس هذا تحذيراً من جديد بمعنى: أن الإنسان في أي مرحلة من هذه المراحل التي يبدو أمامه شيء كبير، وأمامه أشياء خطيرة.

يجب في البداية أن يلتفت إلى الله أولاً يتق الله، إذا نسي الله نسي نفسه، هذه القضية أساسية: أن الله ربط فيما يتعلق بالناس مصلحتهم وخيرهم، وعزتهم، واستقامتهم به؛ ولهذا قال: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (الحشر: ١٩) متى ما نسيت الله نسيت الموقف المناسب مع هذا العدو، ولا تدري إلا وقد أنت تتولاه، وتعمل لصالحه، وعلى أساس أنك تريد أن تسلم شره، ولن تسلم شره؛ ولهذا قال هنا: {وَاتَّقُواْ اللّهَ} يجب أن تكون هذه في المقدمة، أن نلتفت إلى الله سبحانه وتعالى، ونتقيه؛ لأننا إذا لم نتقيه سننسى أنفسنا، إذا لم نتقيه سندخل في مواقف يكون هو من يضربنا ضربة شديدة، لا تعتبر ضربة العدو شيئا بالنسبة لضربته، أي: فيجب أن نخافه هو، وأن نتقي ما يمكن أن يحصل من جانبه، إذا عدلنا عما وجهنا إليه، لا أن نتقي العدو، ونشغل أنفسنا ونخشى العدو ونحاول نسترضي العدو، وفي الأخير نرى أنه لا ينفع معه أي شيء .

هذه الحالة أعتقد إذا واحد تأمل ـ وعلى أساس كثير مما يبلغنا من مواقف الناس ـ أنها قضية منسية، تقوى الله في موضوع الحالة التي الناس فيها الآن في مواجهة الخطر الأمريكي والإسرائيلي، ترى الناس كل واحد في الأخير يحاول هو كيف يتقيه، وينسى أن يتقي الله، لكن عندما تتقي الله سيبين لك ما يشكل وقاية لك من ذلك العدو، إذا نسيت الله ستنسى نفسك، وتدخل في مواقف لا تشكل لك وقاية، لا من الله ولا من العدو.

هم هكذا عندما يقول الله عنهم أنهم يتخذون ديننا هزؤا ولعبا يقول: {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} (المائدة: ٥٨) فكيف تتولوا هؤلاء، وهم لا قيمة لهذا الدين لديهم، لا قيمة للقيم الفاضلة لديهم، لا قيمة للإنسان عندهم .

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} (المائدة: ٥٩) لاحظ على أساس الرؤية الدينية هذه من القضايا كلها، بما فيها تحديد الموقف من هذا العدو الذي يعني في الأخير أنه دعوة لهذا العدو أن يتجه إلى هذا الدين، فهو من الله الذي نعرفه نحن وأنتم، ونؤمن به نحن وأنتم، إذًا فماذا تنقمون علينا؟ ليس هناك شيء تنقموه علينا إلا أن آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم، فهل هذا شيء يدفعكم إلى أن يكون موقفكم منا على هذا النحو السيء، هل أنتم في مواجهة حالة سيئة من جهتنا أم أن الواقع أنكم أنتم سيئين؟ أنتم السيئون؛ ولهذا قال: {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} .

{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ} (المائدة: ٦٠) من ذلك أنك قد تعود إلى من يتولى هؤلاء لأي اعتبارات، يريد مثلا أن يحصل على مصالح، أو يأمن شراً معيناً من جانبهم، فيتولاهم، وبالنسبة لأهل الكتاب هم عندما يكونون رافضين معناه: أن القضية متضحة أن ما لدينا معناه: إيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، إذاً فأي شيء يدفعكم إلى أن تنطلقوا إلى أن تعادونا؟ مثلما قال في آيات أخرى يكون هناك دوافع بعضها دوافع مصلحية على طريقة {اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (التوبة: ٩) هذا عندهم قضية ثابتة، فيقول: المثوبة التي هي الشر من كل ما أنتم تريدونه من وراء تولي، أو من وراء إعراض من جانب بني

إسرائيل، أو تولي من داخلنا {مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} (المائدة من الآية: ٦٠) هذا فيما يتعلق ببني إسرائيل أنه حصل منهم مسخ، لكن المسخ داخل هذه الأمة إن لم يحصل حقيقي ـ بل هناك روايات أنه قد يحصل ـ فقد يكون مسخا معنويا للنفوس من داخل، تكون نفوس قردة ولو ما زال الغلاف غلاف إنسان.

هذا جاء تهديد لبني إسرائيل، تهديد لبني إسرائيل عندما يكونون دائما يعرضون، ويصدون، ومعظم ما يحصل لديهم هو ماذا ؟ قضايا مصلحية، أحيانا يحصل الصد مثلا من كبار الحاخامات حقهم، الأحبار والرهبان؛ لأن القضية قد قدمت بشكل وراءها مصالح كثيرة من العامة، هو يتصور بأنه أن يتجه إلى هذا الدين معناه يفقد كل تلك المصالح التي تربط العامة به على أساس ما هم عليه هو وهم، ما هم عليه، تلك الثقافة، وذلك الدين، فيكون عنده أنه سيخسر مصالح كثيرة، ومقاما معنويا .

{وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ} (المائدة: ٦١) بمعنى: أن هذه دعوة لهم إلى الإيمان بشيء هم لا يجهلونه في الواقع، ولا يستطيعون أن يعتبروه باطلا؛ ولهذا قد ضلوا ضلالا بعيدا، وضلوا ضلالا كبيراً، يتحولون إلى ماذا؟ إلى التضليل، لا يتحولون إلى الإيمان، إلى التضليل، وبهذه الطريقة المخادعة، {وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ} يخرجون من عنده كما دخلوا، كفر { وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ} .

{وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (المائدة: ٦٢-٦٣) هذه الآية رجعت إلى عمق تاريخهم، تاريخ بني إسرائيل. عندما يكون هناك تضليل، عندما يكون هناك معاصي، والطرف الذي المفروض أن يكون هو من يتحرك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصبح المسألة في الأخير سلوكا ثابتا عند المجتمع {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} هذه القاعدة الجماهيرية، وهذه النتيجة السيئة عندما كان أحبارهم ورهبانهم ضالين، وكانوا هم أنفسهم يأكلون سحتا، نفس كبارهم، يأكلون أموال الناس بالباطل، كما قال في آية أخرى، فترى كيف تكون النتيجة أن يكون مراجع الناس مهتدين، أو يكون مراجع الناس ضالين، إذا كان مراجع الناس ضالين في الأخير يتحولون هم إلى ضلال مثلما قال بالنسبة لهؤلاء: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (المائدة: ٦٢) .

من الذي أضاعهم ؟ الربانيون والأحبار كما قال الله: {لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (المائدة: ٦٣) هؤلاء الربانيون والأحبار، لبئس ما كانوا يصنعون عندما كانوا لا ينهون الآخرين عن الإثم والعدوان، وأكل السحت . هنا يبين كيف هم في تعاملهم مع دين الله، وتعاملهم مع عباد الله إلى هذه الدرجة التي يتركون الناس يضلون مثلما قال: {يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ}.

تجدهم أيضا جريئين في منطقهم أمام الله سبحانه وتعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}(المائدة من الآية : ٦٤) الآن في سياق الآيات أليست حول تبيين واقعهم، وضلالهم، وخبث نفوسهم، وجرأتهم على كتب الله ورسله وعباده؟ وأيضاً جرأتهم في منطقهم على الله، وافترائهم على الله سبحانه وتعالى، هذا هو سياق الآية، معناه هنا ماذا؟ أنهم اتهموا الله بالبخل {يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ} وفي اللغة العربية معناها: التعبير عن البخل، ليس المعنى فلان مربوطة يده إلى عنقه، عندما يقول: فلان يده مغلولة، أو فلان يده ناشف، أو يابس، أو أشياء من هذه ، هذه الأشياء التي تستعمل في اللغة العربية بشكل عام، أعني: مجمل العبارة تعني: هكذا، مجمل {يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ} تعني: هو بخيل، مثلما قالوا في آية أخرى: {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء} (آل عمران من الآية: ١٨١) ، إذاً يبين كما هي سنته في التبيين لهم، أمام كل ادعاءاتهم يبين

لهم: لا، لأنه سبحانه وتعالى هو كريم، وسخي، وجواد، بعبارة عامة بمجمل قوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} .

إذًا سياق الآية واضح هو يتحدث عن بني إسرائيل، يبين كيف موقفهم من كتب الله ورسله ومن عباده، وموضوع الهداية في موقفهم من سبيل الله، وكيف هم دائما يحاولون أن يصدوا عن سبيله، ويجعلوها عوجاً كما قال في آية أخرى: {تَبْغُونَهَا عِوَجاً} (آل عمران من الآية: ٩٩) ليس المقام الآن مقام أخذ ورد إلى حول كيفية الله، هل هو كذا أو كذا ، المقام في هذا الموضوع يعطي موضوعا آخر. هذا التعبير اللغوي ما يزال عند الناس إلى اليوم ، ألسنا نقول: [فلان يده ناشف] ؟ لا يريدون أن يده يابس ، هل هناك أحد يفهم هذا؟ يعرفون معناها كناية عن البخل، [فلان يده خضراء] ألسنا نقول: يده خضراء؟ يعني: كريم، لا يوجد أحد عندما تقول له: يده خضراء يتبادر إلى ذهن السامع أن معناها: يد خضراء، يد، هذه اليد، مع أن معه يد، أليس الإنسان معه يد؟ لا يتبادر إلى الذهن أن اليد عندما نقول له: يده خضراء أن هذه اليد نفس هذا العضو أخضر، يتبادر إلى ذهنك مجمل العبارة، مجمل العبارة ماذا؟ أنه سخي، عندما يقولون: [فلان لسانه طويل] في سياق كلام حول بذاءة، وأشياء من هذه ، هل يتبادر إلى ذهنك أن لسانه إلى فوق صدره، أو يتبادر إلى ذهنه هو نفس السامع عندما تقول: أنت يا فلان لسانك طويل، يتبادر إلى ذهنه أنه بذيء أي: لا يتحكم في منطقه، ينال الناس بلسانه، بمنطقه .

{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (المائدة من الآية: ٦٤) لاحظ هذه القضية نقولها دائما: هذا أسلوب قرآني واضح، وتجلى في هذا العصر بالنسبة لنا ـ لا نعرف قبلنا هل كان يتجلى لهم في عصورهم ـ تجلى فعلاً أهمية أن يعرف واقع هذا العدو حتى يكون الناس بعيدين عن التولي له، وحتى يكون الناس في نفس الوقت أقوياء عليه، وحتى يكونوا مستبصرين فيعودوا إلى من توليه يعطيهم غلبة على هذا العدو، وأنه دائماً يبين هذا الطرف، أليس هو يبينه دائماً؟ يبين واقعه بأنه في واقع يعتبر ضعيفا، واقع ضعف لما هو عليه من خبث ولهذا قال: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء} أليس هو هنا يبين لنا نقطة ضعف فيهم كبيرة، إذاً فكيف تنطلق إلى توليهم، أو تفكر إلى درجة أنك تنفذ مخططاتهم، وأنت ما زلت تقول: هم فعلاً أعداء الله، وشياطين، ومجرمين، لكن نحن نريد أن نسلم شرهم .

إن نسيان هذه القضية تعتبر من الأشياء الخطيرة جداً عند الناس اليوم، سواء حكاماً، أو شعوباً، أنهم دائماً يرون الطرف الآخر قوياً، وهم اليهود خباث، هم يعرفون كيف يؤثرون نفسياً، يعرضون طائراتهم، ويعرضون حاملات الطائرات، ويعرضون أساطيلهم البحرية، ويعرضون أشياء من هذه، فينهار عندما يرآهم هكذا، رجع في الأخير عندما رآهم أقوياء، ورآهم عبارة عن جدار من الصلب، أليس هكذا يراهم؟ في الأخير أين يتجه؟ يتجه إلى توليهم، وقبول ما يريدون أن ينفذه وهو ما زال في نفس الوقت يلعنهم.

لاحظ كيف أنها قضية هامة جداً، والقرآن عندما يركز على موضوع فعلا تجد أنه هام جداً، جداً، تذكره، واستشعاره في نفوس الناس، فدائماً كلما مررنا تقريباً بآيات من أول سورة قرأناها [سورة البقرة] ألسنا نجد هذا الأسلوب يمشي معنا؟ كلما يذكر تولي الكافرين، أو ما قد يدفع الناس إلى توليهم، يبين واقعهم؛ لتعرف أنهم ضعاف، أنهم ليسوا بالشكل الذي تفكر بأن تتولاهم، وهم إلى درجة أن تتولاهم، وتنفذ مخططاتهم، فأول شيء هم جريؤون على الله، أليست هذه قضية.. فعلاً أنظر ماذا قال الله بالنسبة لهم: أنه ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وأنه كما لو تكفل بإحباط مؤامراتهم أن ينجحوا بالشكل الذي يريدون {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ} ماذا يريد الناس بعد هذا؟ كيف يفكرون في توليهم وقد قال: {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ} ثم يأتي بعض الناس ليقول: [نحن حاولنا كذا حتى نقي البلد ضربة محتملة] أليس هكذا؟! لا، لا تعتبر أنك وقيت بلادك على الإطلاق وأنت ما زلت تنظر إليهم هذه النظرة أبداً، سيسلطهم الباري عليك حتى لو لم يكن في بالهم سيسلطهم عليك .

هل تعتقد بأن كل شيء يخططون له، وكل شيء يفكرون فيه، أنه سينفذ إلى أن يحقق ما يريدون، هـذه {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ} سيجعلهم وقودها، ويجعل آخرين ممن يتولونهم، ويتخاذلون أمامهم أيضاً ممن يضربون فيها، ولن يحققوا الغاية المرادة من وراء إشعال الحروب، وهـذه فعلا تبين أن عنـدهم الفكرة هـذه، وملموس في سياستهم على طول العصر هذا الذي نعرف عنه، محاولة إثارة حروب، إثارة مشاكل، قضية لديهم أساسية، يعتقدون بأنه لا يمكن أن يسيطروا على العالم إلا بهذه الطريقة، يضربون هـذا البلـد بهـذا البلـد، ويثيرون الحروب بين هذا البلد، وهذا البلد وهكذا، إضافة إلى أنهم أيضاً يستفيدون اقتصادياً؛ لأن عنـدهم شركات كبيرة من التي تصنع مختلف الآليات، آليات الحرب سواء سلاح، أو أشياء تقنية أخرى .

{وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً} ماذا قال سابقا عمن يفسدون في الأرض؟ ألم يعتبرهم حرباً لله ورسوله؟ أليس هـذا يعني: بأنهم أيضاً في حرب مع الله؟ إذًا قدمهم للناس، وشخصهم أمام الناس بأنهم في أضعف حالة، ولكن عنـدما تكون أنت من يشخص لك هذا العدو أمامك فلا تثق بالله، ولا تكاد تصدقه ـ فعلا ما كأن النـاس يصدقون الله نهائياً ـ ما كأننا نصدقه، وناسين له تماماً، هنا يصبح الناس في الأخير أسوء منهم فعلا، يصبحون أسـوء منهم في واقعهم.

{وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً} هو قال هناك: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة من الآية: ٣٣) اعتبرهم محاربين لله ولرسوله، ثم أن يقول: {وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} أن تفهـم مـاذا وراءها عندما يقول: لا يحبهم، يعني: لا يحبهم فقط؟ يعمل لضربهم، لكن عندما ترى أن مجمل الموضوع بالنسبة لبني إسرائيل، ما هو السبب الرئيسي الذي أوصلهم إلى هذه الحالة هو أنهم ماذا؟ أنهم لم يؤمنوا بآيـات الله، أليست هذه؟ لم يلتزموا بهدى الله، فكانوا على هذا النحو. إذًا الآخرين المسلمون أنفسهم عندما لا يهتـدون بهـدي الله قد يصلون إلى ما وصل إليه بنو إسرائيل، أو إلى أسوء ، قد يصلون إلى أسوء مما وصل إليه بنو إسرائيل أسـوء ، قد يصلون إلى أسوء مما وصل إليه بنو إسرائيل.

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (المائدة: ٦٥) نفس الأسلوب السابق أليس هذا؟ يعني كلما يذكر عنهم أشياء سيئة يكون معنى هذا ماذا؟ إيحاء، أليس معنى هـذا أن الموضوع هو خطاب للناس، وأن يفهموا أعني: ليحصل لديهم رؤية، ويحصل لـديهم فهـم، ويحصل لـديهم ثقـة بـالله، ويحصل لديهم معرفة بالعدو أليس هذا شيء؟ .

المسألة أيضا لما كانت على هذا النحو: خطاب للنفوس ، ولتكون النفوس لديها هذه الرؤية، ولديها هذا الموقـف، يحاول أيضاً أن لا تصل الحالة عندك أنت على أساس أنك متفهم؛ لأن هذا الكلام يقدم لأمة تتفهم، فلا تصبح المسألة عندك عداوة شخصية، ولا تنس أن مهمتك دعوة الآخرين، وأن تكون محبـاً، وتحرص علـى أن يهتـدي الآخرون كائنا من كان مثلما قلنا سابقا حول هذه النقطة تكلمنا كثيراً حول أهميتها؛ لأن مما يبين لنا فعلاً أن الخطاب القرآني جاد يعني: أنه يقدم كخطاب لأنفس تفهم، يعطيها رؤية لتنطلق؛ لهذا يقول: لكن لا نريـد أن يكون عداؤك لهم عداء شخصيا، مثلا قد يكون ما يستوحى من هذه، أن يظل عداؤك لهم عـداء مـن أجـل الله، وتلتزم بحركتك في مواجهتهم في هذا السبيل الذي رسمه؛ ولهذا قال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (المائدة: ٦٥). {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} (المائدة من الآية: ٦٦) كذلك أهل القرآن، أليس هـذا بالتأكيد، أهل القـرآن لـو أقاموا القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . إذاً هذه العبارة ما ذا تعـني؟ عبارة تحكي استقراراً أليس معناها استقراراً؟ استقرار للأمة، لا تحصل هذه الحالة إلا في وضعية استقرار، استقرار مـاذا؟ استقرار سياسي، واقتصادي، وثقافي معناها؛ لأن عبارة {لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} هي تدل على الأشياء الأساسية، بأن تحصل حالة كهذه أي: سيكون هناك استقرار سياسي، سيكون هناك استقرار اقتصادي، سيكون هناك مجتمع آمن مطمئن . {مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ} (المائدة من الآية: ٦٦) منهم أمة، قد تكـون محـدودة، يحكـي

في تاريخهم، مقتصدة، يقولون: المقتصد هو فوق الظالم لنفسه، يعني: هو الذي يؤدي الواجبات، وكثير منهم ساء ما يعملون.

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة: ٦٧) هذه الآية أين هي؟ أليست في [سورة المائدة] وقد بلغ الرسالات؟ ألم يكن قد بلغ الرسالات بكلها؟ في هذه المرحلة قد عرف التوحيد لله، وعرفت العبادات، وعرف الجهاد، وعرفت تقريباً معظم الأشياء.

هذه الآية نزلت.. يعني: المشهور فيما يتعلق بها أنها نزلت في شأن ولاية الإمام علي في [يوم الغدير] كما روى الإمام الهادي، فلما نزلت لم يستجز أن يتقدم خطوة على موقع نزولها؛ لأن عبارتها هنا عبارة هامة، عبارة قوية {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} إن لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك، قضية معينة فكأنك لم تعمل شيئاً، فكأنك لم تبلغ شيئاً، أليس هذا يدل على أنها قضية هامة جداً.

الآية هذه نفسها توضح لنا القضية ما هي؟ القرآن كتاب أحكمت آياته، من نفس الآيات تعرف أنها قضية لن تكون إلا القضية التي عادة الناس يتنافسون فيها، وتطلع إليها نفوس الكثير من الانتهازيين ـ على ما يسمونهم ـ قضية ولاية الأمر، بلغ التوحيد، أليس التوحيد لله أكبر قضية؟ بلغه، إذًا بالتأكيد ليست هذه قضية التوحيد هنا {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} ألم يقل: والله يعصمك من الناس؟ {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} بلغ الصلاة، هل ما يزال يحتاج بالنسبة لتبليغ الصلاة إلى عبارات كهذه؟ بلغ الصيام، بلغ الزكاة، الحج، الجهاد، المواريث، الأحكام المتعددة في مختلف القضايا بلغها.

إذًا ما هي القضية المهمة التي يبدو وكأن الرسالة بكلها مرتبطة بها؟ يعني: إذا لم تكن قائمة فإن الرسالة هذه بكلها لا فاعلية لها، تفرغ من مضمونها، أن الرسالة بكلها تفرغ من مضمونها، عندما يقول: {وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} ما هنا فكأنك لم تبلغ؟ أي: معناه أن ما بلغته يفرغ من معناه فكأنه لا معنى له، هذا يعني: أن ولاية أمر الأمة على أساس القرآن الكريم، ولاية أمر الأمة تشكل ضمانة أساسية لمسيرة الدين، واستقامة الدين، استقامة الدين، واستقامة الحياة بكلها، ما هي القضية الخطيرة التي نرى بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بحاجة إلى أن يقال له: {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} بلغ التوحيد وفي ظروف قاسية، وكان يحتاج في نفس الوقت إلى حراسة وهو في مكة، وهو أيضاً في المدينة كان يحتاج إلى حراسة، بلغ كل الأشياء، لا نعلم بأن هناك قضية يبدو كان يتخوف من تبليغها، أو قضية قد يرى بأنها حساسة أن تبلغ على نحو حاسم تماماً يعني: يقفل المجالات تماما أمام كل الموسوسين، والمتطلعين للاستيلاء على السلطة، على الخلافة من بعده.

في هذه المرحلة هل كان هناك كافرون يخشاهم؟ هو لم يخشاهم وهو بينهم في مكة، لم يكن يخشاهم وهو في بداية مرحلة المدينة. نزول [سورة المائدة] كان قد أسلمت الجزيرة هذه، بعد الفتح، أسلمت اليمن، وأسلمت الجزيرة، وخصوصا المنطقة هذه، أين هم الكافرون الذين قال بأنه: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} هل يمكن من النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يتخوف عن تبليغ شيء خوفا من الكافرين؟ واضح ماذا قال في مكة عندما عرضت عليه قريش أشياء كثيرة، ألم يقل: ((لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)) أليس هذا موقفا قوياً؟ ألم يتآمروا عليه في نفس الوقت؟ تآمروا عليه {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ} (الأنفال من الآية: ٣٠).

إذًا في قضية ولاية الأمر بالتأكيد؛ لأن القضية حساسة، وتجلى من بعد موته (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست هي التي تجلى فيها لعبة، حصل أخذ ورد واجتماعات، وخلاف وشقاق، وأشياء من هذه، لم يختلفوا على صلاة، ولا على توحيد، ولا على زكاة، ولا حج، ولا شيء، الم يكن أول ما اختلفوا عليه هذه القضية؟ قضية الولاية.

أن يقال للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يبلغها على هذا النحو أليس هذا يدل أن القضية بالغة الأهمية، أنها قضية بالغة الأهمية، وأنه إذا لم يبلغ، ويعلن فيكون الناس عارفين جميعاً، يبلّغ في الحج قبل أن يفترق الناس إلى بلدانهم، فكأنه فرغ هذه الرسالة من محتواها، ولم يبق للدين معناه، ولن يكون لهذا الدين أثره في الحياة إذا لم تبلغ هذه.

قد يكون الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فعلا هو يعلم بالقضية، وعمل في البداية أشياء كثيرة، تبين للناس أن الإمام عليا هو الشخص الذي يؤهله من بعده، لم يكن يؤمر عليه أحداً، أحاديث كان يقولها مرة هنا ومرة هنا بالنسبة للإمام علي، لكن بقي الإعلان النهائي بشكل صريح على الأمة، ربما كان يفكر ما هو الأسلوب الأنسب؟ كيف يعمل، وأشياء من هذه، ليس إلى درجة أن يضعف، هو إنسان قوي، وإنسان لا يخشى أحداً إلا الله، لكن أحيانا قد يكون يتخوف في أشياء كيف تكون الطريقة المناسبة التي يمكن أن يبلغ الناس، ويفهموا ولا يكون هناك أي احتمالات أخرى، وهنا يأتي البلاغ من جهة الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة الهامة: أن عليك أن تبلغ {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} أليس هذا يوحي بأنه كان بالإمكان أن يتعرض لاغتيال، أو لاعتداء فعلا؟ من أين، من الكافرين أو من أين؟ من داخل! {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} الرافضين لما تبلغه ، الرافضين لهذه القضية، لن يهتدوا إلى أن يضروك ، لن يهتدوا، وفعلا لم يهتدوا، لم يتوفقوا. إن قلنا أن الكافرين معناها: المشركين، فلا يوجد هناك مشركين في تلك الفترة، لا يوجد أحد، أسلموا كلهم.

فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بلغها على أكمل صورة أعني: فهذا يبين لنا، عندما نقول: لازم أن نعرف شخصيته (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف كان هو في نفسه؛ لان ما قدم لنا بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أنه إنسان صادق، أليست هكذا؟ وأهم شيء بالنسبة للنبوة أنه إنسان صادق، والمعجزة تشهد على أنه إنسان صادق، وصادق ..الخ، أبو ذر صادق، وعلي صادق، وعمار صادق، وناس كثيرون هم صادقون أما نفس الصدق، لكن الشخص الذي يفهم القضية، وكيف يتعامل معها بما يليق بأهميتها، هي القضية الهامة جداً، والواسعة جداً، لاحظ كيف بلغ هذه القضية على أعلى مستوى، ألم يبلغها على أعلى مستوى؟ أوقف الناس جميعا، ومن تقدموا أرسل إليهم أن يرجعوا، وانتظر للمتأخرين، وفي وقت حرارة الشمس، وقت شمس حتى لا يقولون: لم يروه، هناك ضباب أو نحوه، شمس يقول أحد الرواة : [وإن أحدنا ليضع رداءه تحت قدميه وفوق رأسه] من حرارة الشمس وحرارة الرمضاء، يدل على ماذا؟ قضية هامة سيبلغهم، يوقفهم هنا في هذا المكان الذي ليس فيه ولا شجرة أو حجر، حتى لا يقولون: أنهم لم يروا النبي، فقط سمرات ثلاث التي وقف تحتها [طلح] من هذه أو [قرض] يسمونه، وقف تحتها ورصوا له أقتاب الإبل ، أقتاب الإبل أليست تشهد بأنه بمحضر ناس؟ ما هناك أقتاب إبل إلا وهناك ناس كثير، ويطلع من فوق أقتاب الإبل، ويأخذ الإمام علياً معه، ويرفع يده بعد خطبة طويلة ويقول: ((إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)) أليس هذا أعلى طريقة للتبليغ؛ لأن القضية هامة جدًا، لاحظ أن المسألة كان هناك تآمر حولها، ولعبة، فعلى الرغم من حدة لهجة هذه الآية ـ إذا صحت العبارة ـ والاهتمام الكبير من جانب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في تبليغ ولاية الإمام علي تآمروا من جديد، وشاققوا، وفعلا ركزوا شخصا آخر، أليس هذا الذي حصل؟ لكن ما الذي بقي أن نفهم نحن، إذا لم نفهم أهمية ولاية الأمر في الإسلام فسنقول في الأخير : [ما هناك مشكلة وأبو بكر كان رجل باهر، وفلان كان باهر والمهم واحد] وأشياء من هذه، وهكذا من جاء باهر، باهر ولا تدري في الأخير إلا وقد أنت تحت [بوش] ثم في الأخير يقولون لك: وبوش باهر، أليست هكذا؟ .

أهمية ولاية الأمر في الإسلام أنها تشكل ضمانة لاستقامة الدين، وحيوية الدين، متى ما كان الدين قائماً، والدين حياً، تكون الأمة قائمة وحية، الأمة مربوطة بهذا الدين. إذًا فهي قضية هامة جداً، ليست قضية كيفما كان إذا لم تكن حاصلة، تصبح كثير من تشريعات الدين تستغل استغلالاً سيئا بما فيها المساجد، بما فيها الصلاة، بما فيها منابر المساجد، بما فيها الحج، بما فيها الزكاة، بما فيها منطق القرآن، تقديم القرآن نفسه، فهي تشكل ضمانة ضرورية جدًا جدًا، لاستقامة الدين، ليس مثلما يقول الاثنا عشرية، عندما يقولون: إمام ثاني عشر غائب، غائب وحجة على عباد الله وهو غائب، لا يفهمون هم أهمية، وقيمة، وغاية ولاية الأمر في

الإسلام، كيف تقول لي: ولي أمر للأمة، وحجة على الأمة وغائب مائة سنة، بعد مائة سنة، طلع لك إلى الآن ألف ومائة سنة، ولاية الأمر تشكل ضمانة، ضمانة دائمة، استقامة للدين، فتصبح الصلاة لها فاعليتها ، المساجد لها فاعليتها، منابرها لها فاعليتها، الحج له فاعليته، الزكاة لها فاعليتها، القرآن له حيوته، وهكذا، إذا ما هناك شيء يموت الدين، وتموت الأمة، مثلما هو حاصل الآن وهناك [٥٧] ولي أمر، أليس هناك [٥٧] واحد الآن على هذه الأمة؟ وميتين هم والشعوب هذه، مثلما قال رئيس الوزراء الماليزي، كانت كلمته فعلا كلمة مؤثرة، كيف مليار وثلاثمائة مليون مسلم، ويزعجهم حفنة من اليهود، يخاطب الذين يزعجون الناس دائما عن طريق الخطباء، أن يدعوا الناس إلى وجوب طاعة ولي الأمر، لم يجرؤا أن يطلعوا أمر في قمة [منظمة المؤتمر الإسلامي] ولا أمر واحد يكون فيه قسوة، أو فيه ما يكون بالشكل الذي يردع أمريكا وإسرائيل، هل طلعوا أمراً واحداً؟! لهذا نرى الأمة ميتة، السبعة والخمسين، والمليار وثلاثمائة مليون مسلم، بل يقولون: هم أكثر إلى حوالي خمسمائة.

نحن نقول: أننا في مرحلة يجب أن نفهم ديننا، حتى لا نأتي في الأخير ليقول لنا اليهود : [دينكم هذا لا يقدم أي حل وليس عنده أي رؤية، وهذا الدين لا يصلح] فنقول: والله صحيح، [الحقوا بركابنا لتتحضروا، اتركوا هذا الدين لم يعمل لكم شيئا] نقول: والله صحيح . يجب أن نفهم ديننا؛ لأنه أول واجب علينا أن نفهمه بشكل صحيح من الناحية الإعتقادية أمام الله، أن ننزه الله أنه لم يكن عنده تقصير، وأن تشريعه لائق بجلاله، وعظمته، وملكه، وحكمته، وقدسيته. هذه قضية أساسية: أن نُفهم، حتى نعرف أننا أُتينا من جهة أننا أعرضنا عن ديننا، فنضرب ونحن نقول مثلما قال يونس: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء من الآية: ٨٧) **لا أن نقول في الأخير: الدين هذا هو ضلال، الدين هذا هو الذي ضيعنا، الدين هذا هو الذي لم يقدم لنا أي حل .**

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}(المائدة من الآية: ٦٨) **ورجع الموضوع إلى أهل الكتاب ، ألم يرجع الكلام كله إلى أهل الكتاب؟ أهل الكتاب ـ مثلما نقول ـ القرآن الكريم يوحي بأن هؤلاء سيكونون هم الأعداء الرئيسين، والتاريخيين لهذه الأمة، وأن هذه الأمة لا ملجأ لها على الإطلاق إلا أن تعود إلى الطريقة هذه التي هداها الله إليها، تعود إلى الله، وتعتصم بحبله.**

فعندما يكون الشعوب يسبون زعماءهم، أليس الشعوب الآن يسبون زعماءهم؟ إذاً لأنها قضية خطيرة ـ يعني: الآن هم يسبون زعماءهم، وأنهم ما عملوا شيئا، عندما تفتح أي تلفزيون في مقابلة من هذه التي تحصل من القنوات في برامج معينة، حول وضع الأمة هذه، ـ هنا يجيب القرآن نفسه، يبين انه لم يأت من جانب الله تقصير، هو يعلم أن الأمة لن يستقيم أمرها، ولن تكون قوية، ولا تستطيع أن تغلب عدوها إلا إذا كانت على هذا النحو، وأنه قد رسم هو الطريق التي يجب أن يكون عليه من يلي أمرها، وأنه أعطى ولاية أمرها أهمية بالغة، أليس هكذا؟ في مقابل ما يقدم، أن الإسلام ترك الأمة على حالها، ويختارون من يريدون، ويعملون كيفما يريدون، ويتشاورون، وينتخبون، وأشياء من هذه، أليس معناه في الأخير وكأنه هذا الدين هو ضيعنا؛ لأنه لم يبين لنا طريقة واضحة. قضية ولاية الأمر التي تعني قيادتهم أعطيت اهتماما ربما أكثر من أي قضية في عملية تبليغها، بالشكل الذي يوحي بأهميتها لديه. إذاً فأنتم أُتيتم أنتم من جهة أنفسكم، وليس من جهة الله بتقصير من عنده .

جاء من قبل {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} (المائدة من الآية: ٦٦) **أليست هذه واحدة؟ وهذه بعدها {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}** (المائدة من الآية: ٦٨) **والذين ليسوا على شيء كيف يكونون عليه؟ ضلال ، ضلال {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ} لستم على شيء إيجابي وحق وصواب {حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}إذًا فهذه الأمة لو أنها أقامت القرآن لأكلت من فوقها ومن تحت أرجلها] وليست شيء، وليست على شيء حتى تقيم القرآن. {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }** (المائدة من الآية: ٦٨).

يأتي المفسرون يمرون بسرعة من على هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} (المائدة من الآية: ٦٧) يعني دينه {وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ}وإن لم تبلغ فكأنك لم تبلغ دينه {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} أي: يمنعك {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ودخل في الآية الثانية!!

هنا يقدم القضية هذه لأهميتها ، ما هو الذي يجعلهم يمرون من عليها بسرعة؟ أليس لأن أبو بكر فوق جنبه؟ إذا أبو بكر فوق جنبك، وعمر فوق الجنب الثاني، لن تبصر القرآن، حقيقة، تصل عند قضايا هامة جدًا مثل آية الولاية السابقة، ومثل هذه الآية.. يعني من ابرز الآيات التي قدمت بشكل هام، وأعطيت أهمية كبيرة هناك: {وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (المائدة: ٥٦) وهنا تقدم بهذا المعنى الذي سمعناه، بشكل هام جدًا، وفي الأخير يمشي حالها؛ لأنه ـ يقولون ـ أنها نزلت في علي، وفي شأن ولاية علي، وهو لا يريد أن يكون علي فوق أبو بكر، ولم يعد هناك وساع معه لعلي؛ لأنه قد واحد على الجنب الأيمن، والثاني على الجنب الأيسر، لا يدري أين يضع علياً.

إذًا هم يشغلون أنفسهم بالدفاع عن أشخاص مضوا وضيعوا أنفسهم، وضيعوا الأمة في حاضرها الآن، وضيعوا الدين؛ لأنه سيكون موقفهم ضعيفا من الناحية الدينية في مقام الحجاج للآخرين، أنت عندما تورط نفسك في قضية باطلة فعلا يكون موقفك ضعيفاً دائماً، وتسيء إلى دينك، تسيء إلى دينك، ويكون في الأخير ثمن تولي أبي بكر وعمر وعثمان، ثمن توليهم الأمة، والدين، والرِّجال نفسه، ودنياه وآخرته، أليست هذه خسارة؟!.

لا. اترك القرآن على أصله، اترك كل قضية على أصلها ، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) نقول: قال: ((هذا علي مولاه)) لماذا تحاول تقول: لا. أبو بكر؟ لكان رسول الله سيقول ((فهذا أبو بكر مولاه)) ألن يقول هكذا؟ .

عندما يقول : ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) كان ممكن يقول: وأبو بكر بابها، ونؤمن بهذا، ألم يكن هذا ممكنا؟! عندما يقول: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) ألم يكن من الممكن أن يقول: أبو بكر؟ فلماذا دائماً، دائماً يحاولون أن يقحموا أبا بكر في المكان الذي وضع الله فيه علياً، ووضع فيه رسوله علياً؟!. ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)) ألم يقل هكذا؟ وهم يروون الأحاديث هم باسم علي، يعني: فيها لفظ علي، علي، علي ..الخ، يقولون: لا، يحاولون أن يغطوا عليها من أجل أن لا يلزم أن يكون خيراً من أبي بكر، من أجل أن لا يلزم أن يكون أفضل من أبي بكر! هذه لو كانت صحيحة لعملها رسول الله بدون أن تتعب نفسك، لكان سيضع أبا بكر محل علي دائماً في كل واحدة من هذه الروايات التي أنتم تروونها، لكان قال: ((أبو بكر مع الحق والحق مع أبي بكر)) ولما قال: ((علي)) ألم يقل: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) لكان بالإمكان أن يقول: ((أبو بكر مع القرآن والقرآن مع أبي بكر)) أو يقول: ((عمر مع القرآن والقرآن مع عمر)) هذا موقف محرج فعلا، ويوقعهم في إحراجات، وأيضاً ربما مع الهجمة الثقافية من قبل اليهود تراهم في مواقف سيئة، وضعيفة فعلاً، يعني: سيصبحون في مواقف ضعيفة وسيئة في مواجهة الشبه التي تأتي من جانب اليهود ضد الإسلام، بكل تفاصيله.

فعندما يقول البعض: بأنه لماذا نذكر الماضين؟ قلنا نحن نذكر الماضين، ونحاول أن ننقد الوضعية بشكل عام، بشكل تقييم؛ لأن هذا واجبنا، ويجب علينا جميعا بأن نقيم وضعيتنا فننظر ما الذي أدى بالأمة هذه إلى أن تصل إلى ما وصلت إليه، سواء من داخل أهل البيت، أو من غيرهم، وفعلا تناولنا هذا، ألم نتناوله من داخل أهل البيت، من الزيدية، والاثنا عشرية، وغيرهم، ومن داخل السنية، أنه قدم ضلال رهيب جداً أوصلنا إلى هذه الحالة. ليس المعنى أننا فقط ننقد أبا بكر وعمر، نحن ننقد آخرين من داخلنا نحن، من داخل أئمة الزيدية، ومن داخل خط أهل البيت لماذا؟ لأنه لا يجوز أن تضع واحد على جنبك الأيمن، والآخر على جنبك الثاني، وواحد فوق رأسك، وواحد على صدرك، ثم تكون كلما تبدي على القرآن تنظر أولاً هل سيتناسب معهم أو تغطي عليه وتمشي.

يجب أن يعطى القرآن أولوية مطلقة، وما هو معلوم عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، معلوم عنه قضية الغدير، معلومة عند المسلمين في مراجعهم التاريخية والحديثة، قضية معروفة، معروف أنه قال: ((علي مع الحق والحق مع علي)) ، ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) ، ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)) هذه من القضايا المعلومة عند الأمة، ما هو الذي جعلها لا قيمة لها؟! سواء آيات قرآنية، أو كلام معلوم من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه قد أحرج نفسه بأشخاص، هؤلاء الأشخاص لا يستطيع أن يمشيك يوم القيمة نهائيا.

يجب أن تنزه الله؛ لأن القضية في الأخير هي تنتهي إلى أنك تضحي بقدسية الله وجلاله وعظمته من أجل الحفاظ على أشخاص سواء أبو بكر وعمر أو غيرهم، من أجل أنك تحاول تحافظ على نزاهتهم، وأنهم كانوا، وكانوا ، القضية ـ مثلما نقول ـ كل قضية تنتهي إلى الله، عندما تراها بأنها في الأخير تتنافى مع قدسية الله وجلاله وحكمته ورحمته وملكه وربوبيته وألوهيته، معنى هذا أنك تورط نفسك، وتتخذ آخرين أندادًا من دون الله، ولذلك كانت ولاية الإمام علي ضرورية بالنسبة للناس؛ لأنها ماذا؟ تزيح من فوق جنبك آخرين، تخليك تبصر؛ ولأن علياً هو الشخص الذي لا يحرجك مع القرآن، أو مع الرسول، منسجم مع القرآن، ومنسجم مع الرسول، لست بحاجة إلى أن تهبط القرآن، بل أن الآخرين يهبطون الله سبحانه وتعالى حتى يتأقلم مع أبي بكر وعمر وعثمان، أو رسوله حتى يتأقلم مع هؤلاء الثلاثة، أو كتابه، هبطوا الدين بكله من اجل يتأقلم معهم، فيتمكنوا أن يلبسوه، كان ضحية.

ليست المسألة انتهت إلى أنه أبو بكر قفز مكان علي، أي شخص مكان شخص، معناه ماذا؟ هبوط للدين، وحرِّف الدين، وتضليل حتى أوصل الأمة إلى الحالة هذه، ليست المسألة أنه شخص مكان شخص فقط، وأننا فريق علي، وأولئك فريق أبو بكر، وكأننا في نادي رياضي، كل واحد يشجع فريقاً، لا، القضية كانت خطيرة جدًا، الإمام علي شخص متكامل لا تحتاج أن تهبط الدين حتى يمكن يلبسه، لكن الآخرين عندما تحاول أن تطلعه إلى هذا المقام لا يطلع لك، هو لا يمكن يطلع لك، لازم أنت تنزل الدين إلى أن يصير على مقاسه، متى ما نزّلت الدين حتى يكون على مقاسه أصبح غير لائق بالله، ولا برسوله، ولا بكتابه، وتهبط الأمة فعلاً.

لذلك لا يجوز للناس أن تكون عندهم هذه الحالة، أمام أي أشخاص كانوا، سواء من الصحابة أو من أهل البيت، أو من باقي الأمة كيفما كانوا؛ لأنك تجد في المقدمة إذا قلنا الصحابة لهم فضل؛ لأنهم صحبوا رسول الله، أليست هذه واحدة؟! وأهل البيت لهم فضل؛ لأنهم ذرية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ترجع إلى رسول الله الكبير وإذا هو إنسان ملزم بأن يستقيم كما أمر، وأنه لو عصى الله لعذبه، ملزم بأن يتبع ما أوحي إليه، أليس النبي يقدم ما أوحي إليه قضية يجب أن يلتزم بها؟ أو أنه يهبط ما يوحى إليه ليكون على وفق أهوائه؟ لا، يجب أن يكون هو ملتزماً، ومستقيماً، وفعلاً كان ملتزما بما أوحي إليه، ومستقيما.

إذًا فمن نقول بأنه فضل لأنه صحبه، أو لأنه من ذريته، أو نرى أنفسنا في تعاملنا معه، هذا الذي فضل لكونه كذا ترى بأننا قد أصبحنا نطلعه فوق القرآن، وفوق الرسول بكله، يعني ماذا؟ يعني: أننا هبطناه، يعني: أن هذا شخص منحط، عندما ترى نفسك أنك بحاجة إلى أن تهبط الدين حتى يتقايس مع فلان، اعرف هذا فلان هو هابط هو، فإن أمكن ترفعه فلا بأس، إذا أمكن ترفعه مثل الأريل، يرتفع وإلا فاتركه محله، واترك الدين عظيم محله كائنا من كان.

الآن يواجهوننا بمنطق يشبه منطق السنية داخلنا [فلان أو فلان] وأحيانا بعبارة: [العلماء، أو فلان من أئمة أهل البيت] أو بعبارات من هذه، نقول هذه قاعدة عامة، قاعدة عامة سواء كانوا من أهل البيت، أو من الصحابة، أو من باقي الأمة، أي شخص نرى بأننا بحاجة إلى أن نهبط الدين فنرى أنفسنا ونحن نحافظ على نزاهته في الوقت الذي يكون على حساب قدسية الله، أن هذه قضية تعتبر من باب اتخاذ أنداد من دون الله، ليست قضية سهلة.

عندما نرى أي إنسان إن أمكن أن يكون منسجما مع الدين إذًا فساير وإن أدى إلى أن يهبط الموضوع، وأنت تدافع عنه فلا، معلوم ، معلوم أنهم وهم يدافعون أحاديث صحيحة لديهم؛ لأن فيها (علي) ويغطون عليها، ويحاولون

أن يتأولوها بشكل لا يلزم أن يكون علي أفضل من أبي بكر! ماذا يعني هذا؟ ألا يعني: أن أبا بكر نازل، لو أنه كان يمكن يركب عليه هذا الموضوع وهو على مقاسه، أن يكون هو، اسمه بدل اسم علي في أي حديث من هذه الأحاديث الصحيحة المعلومة الهامة، وليست فقط فضائل هامشية، فضائل أساسية .

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (المائدة: ٦٩) **يعني: موقف هذا الدين من الآخرين ليس موقفا طائفيا، أو قوميا أو شخصيا، هو دعوة للكل إلى أن يدخلوا فيه، ومن دخل فيه ـ وإن كان من الذين هادوا والصائبين أو النصارى من أي فئة كان ـ سيصبح حكمه حكم المؤمنين {فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.**

ولاحظ الأشياء التي تتكرر في القرآن من البداية كيف أنها تحاول وكأنها تزيح من نفسيتك شيئا قد ربما يترسخ فيكون في الواقع غير إيجابي بالنسبة للقضية بكلها؛ لأنه قدم الحديث عن بني إسرائيل أنهم فعلاً أطروا الدين في إطار قومي، وشخصي، وعرقي، أليس هكذا؟ وسموه باسمهم هم، يهودية، ألم يسموا الدين باسمهم؟ وسموا النصارى الدين باسمهم، نصرانية؟ والدين عند الله الإسلام.

ثم تأتي هذه القضية أساسية وهامة في موضوع إقامة الدين، إقامة الدين هو: أن تقدمه بعنوانه العام، وأن تكون حركة الناس فيه، وفي سبيله على أساس ماذا؟ على أساس رؤيته العامة هذه وليس وفق ماذا؟ رؤية شخصية، أو موقف شخصي، يعني: أن لا يغلط المسلمون كما غلط بنو إسرائيل فيؤطروه في أطر قومية، أو مناطقية .

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ} (المائدة: ٧٠) **رسل منهم من بني إسرائيل {وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ}** (المائدة من الآية: ٧١) **وهذه حالة يبدو قائمة عند الكثير من الناس، عنده أنه يمكن أن ينصرف عن هدي الله، وعن بيناته، ويعتقد [أن ما هناك خلة] {وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}** (المائدة: ٧١) **انتهت المسألة إلى ماذا؟ {وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}** (التوبة من الآية: ٩٣) **فعموا وصموا الكثير منهم، ومتى ما عمي الناس وصموا.. لاحظ كيف يقدم لك هؤلاء؟ قضية خطيرة جداً، لا يعد يهتدي الإنسان للصواب، ولا يعد لشيء من هدى الله قيمة لديه، وإن كان يفهم، انتهى الموضوع {عَمُواْ وَصَمُّواْ} تاب عليهم عسى أن .. لم ينفع {عَمُواْ وَصَمُّواْ} في الأخير قال بعد عندما قالوا {قُلُوبُنَا غُلْفٌ}: {بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }** (النساء من الآية: ١٥٥) .

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} (المائدة من الآية: ٧٢) **مع أن المسيح ركز على موضوع توحيد الله، وتذكير الناس بأن يعبدوا الله { رَبِّي وَرَبَّكُمْ} ألم يقل: ربي وربكم ؟ {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}** (المائدة من الآية: ٧٢) **ومع هذا قالوا: {ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ} ألم يقولوا: ثالث ثلاثة؟ اعتبرهم كافرين {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ}** (المائدة من الآية: ٧٣) **لا يصح، ولا يمكن، وليس واقعا نهائيا، أن يكون هناك آلهة متعددين، ليس هناك إلا إله واحد هو الله . {وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** (المائدة من الآية: ٧٣) **الذين لا ينتهون، رافضين لهذا التوجيه فلا ينتهون ليمسنهم عذاب أليم .**

{أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة: ٧٤) **لأنها قضية كبيرة يجب عليهم أن يتوبوا، يرجعوا إلى الله، ويطلبوا منه المغفرة {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ}** (المائدة من الآية: ٧٥) **يعني: هم بشر {انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ}** (المائدة من الآية: ٧٥) **هم أناس كانوا يأكلون الطعام، ألستم تعرفون بأن من يأكل الطعام مثلكم هم ناس؟ فلماذا تجعلونهم آلهة؟. {ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}** (المائدة من الآية: ٧٥) **مع هذا البيان الواضح كيف يصرفون هناك فينصرفون بعيداً في إصرارهم على دعواهم {إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}، ويجعلونه إلها، ويجعلون أمه كذلك.**

{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ} (المائدة من الآية:٧٦-٧٧) فكانوا يعظمون المسيح، ويحبون المسيح إلى درجة أن جعلوه ربا! أليس هذا غلواً، هذا من الغلو. {وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} (المائدة من الآية: ٧٧) هذه المعتقدات التي تعتقدونها هي ضلال؛ لأنه بين لهم ماذا قال المسيح، أن المسيح قال: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ} (المائدة من الآية: ٧٢) إذًا فما حصل هو نتيجة أهواء من متأخرين من بعد ممن ضلوا، لكن لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، ومعنى هذا بأن الإنسان عندما يكون على ضلال، وإن كان بينه وبين من هو منبع هذا الضلال آلآف السنين لا يقول: ما دام قد له ـ مثلا ـ ألف سنة بينه وبين ذلك الذي بدأت هذه العقيدة من عنده، ألف سنة، أو ألفين سنة، أو ثلاثة آلآف، فقد صارت حقًا! لا يتحول الباطل إلى حق مع مرور الزمن، أو يتحول الضلال إلى هدى مع مرور الزمن .

{وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} (المائدة من الآية: ٧٧) هذا خطاب للمسلمين، كما هو خطاب لبني إسرائيل تماما بأن على الناس أن لا يتبعوا أهواء من ضلوا من قبل وإن كان بيننا وبينهم مئات السنين، يَبِيْن أن هذا الشيء هوى، يَبِيْن بأنه ضلال، من خلال عندما تعرف الهدى، عندما تعرف بينات الله، وتعرف الهدى الذي من عند الله، ستعرف بأن الشيء الآخر هو ضلال، ولأنه هنا يبين الضلال ما هو، ومنابع الضلال كيف تكون.

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} (المائدة: ٧٨) تجد هذا الكلام كله أليس هو يتحدث عن أمة ذكر في آيات أخرى بأنه اصطفاهم واختارهم على العالمين، بمعنى أنه ماذا؟ عندما ينصرفون عن هدى الله، عندما يتبعون أهواءهم، ويتبعون من ضلوا منهم، تنتهي المسألة إلى هذه، إلى خزي، إلى ذلة،إلى مسكنة، إلى لعن {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} ليس لكون اسمهم بني إسرائيل؛ لأنهم عصوا، واعتدوا، كذلك من يعصي ويعتدي .

{كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (المائدة: ٧٩) هذا يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعندما ترى المسألة على هذا النحو، يكون قد حصل مثلا من خلال فلسفة معينة قدمتها بالشكل الذي يضيعها داخل بني إسرائيل، وداخلنا، خطاب القرآن فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل أساسي أنه يجب على المؤمنين أن يكونوا أمة، عندما يكونون أمة، كتلة واحدة متوحدة تستطيع أن تغير منكرات، وتستطيع أن تقيم معروفا، وأن تأمر بالمعروف، لكن قدم الموضوع بشكل ماذا؟ فردي: أنه يجب أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا كان، وإذا.. وإذا.. وإذا.. !! وإذا كان سيحصل عليك كذا، خائف من ضر يلحقك، وخائف على كذا، أو تظن بأنه لا يؤثر، فهنا لم يعد عليك شيء! لم يقدم كخطاب أنه يجب أن يكون الناس امة كما قال الله: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} (آل عمران من الآية: ١٠٤) ألم تُضَيَّع قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لم يبق إلى الأشياء التي هي بسيطة جدًا، لا يوجد فيها خوف نهائيا، المنكرات الكبيرة والمتوسطة والكبيرة جدًا أصبحت لا أحد ينهى عنها؛ لأن كل واحد قد خوطب خطاباً فردياً، ووجه إليه الموضوع توجيهاً فردياً، ورأى بأنه هو لا يستطيع، فلم يعد يلزمه، وكل واحد مثله من باقي الناس، من باقي أفراد الأمة، أو علمائهم!.

فعندما تقدم فلسفة معينة، أو منطق معين يؤدي بالمسألة هذه إلى أن تضيع، فهنا يصح في الأخير أن يقال: {لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ} بأي اعتبار كان، معناه أنك جئت تخاطب الناس خطابا يجعل هذه القضية ضائعة، يضيعها من أوساط الناس نهائيا، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي قضية أساسية لا بد من أمة، ويجعل الناس أنفسهم أمة بكل ما تعنيه الكلمة، وفي نفس الوقت يتناول الإنسان كفرد، كل ما بإمكانه أن يتناوله من القضايا التي هي واضح أنها معروف، وواضح أنها منكرات في محيطه، يضاف إلى كونه واحدًا من أمة يتحرك لتغيير المنكرات؛ لأن كثيرا من المنكرات لا تستطيع أنت لوحدك، مع الآخرين تستطيع أن تغيرها .

{لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (المائدة من الآية: ٧٩) **كما قال سابقا: {لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}** (المائدة من الآية: ٦٣) **لاحظ كيف غابت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطهم نتيجة ثقافة تضليلية، قال هنا: {وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ} ثقافة تضليلية أدت في الأخير إلى غياب مبادئ هامة في الدين، وضرورية بالنسبة للأمة، تنتهي المسألة إلى أشياء كبيرة هي هنا: {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}** (المائدة من الآية: ٨٠) **أليست المسألة انتهت إلى هذه؟ {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}** (المائدة من الآية: ٨٠) **هذه قضايا غير قابلة للابتعاد عنها لأي فلسفة مهما كانت، أي فنقلة، وأقوال، وتحليلات، وفلسفات تجعل هذه القضايا على هذا النحو؛ لأنه إذا ما هناك أمر بالمعروف، قد تصل الأمة إلى أن تتولى بما في مقدمتهم علماؤها، يتولون الذين كفروا، متى تصل بك الحالة إلى أن تتولى الكافرين؟ عندما يكونوا هم في وضعية أقوى، وأنت في وضعية مستضعف، أليس هكذا؟ وعندما تكون المسألة عندك قد قدمت بشكل أنه قد صار يجوز لك، ولا يلزمك هنا، ويجوز لك هناك، هذا يعني: تولي.**

الآن لاحظ لا يوجد أمر بمعروف، من أهم المعروف مثلاً: الجهاد في سبيل الله، أن يعد الناس أنفسهم، وأن يعدوا كل ما يستطيعون من قوة لمواجهة أعداء الله، أليس الناس ساكتون عن هذا المعروف؟ تكون النتيجة في الأخير ماذا؟ أن يتولوا الذين كفروا، سيقول فيما بعد: [أمانة باهر، أما الحاكم هذا الذي نصبوه لنا باهر، وليس مثل الحاكم الأول] وهكذا يصبح الناس في وضعية ـ لغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ يصبحون إلى درجة أن يتولوا الذين كفروا .

{تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} (المائدة: ٨٠) **هذا ـ نعوذ بالله ـ من أخطر الأشياء {أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ} هنا في الدنيا، وفي الآخرة، والسخط يعني: وراءه خزي وعذاب وأشياء شديدة نعوذ بالله . {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء}** (المائدة من الآية: ٨١) **بأي نبي من أنبيائه، لو كانوا يؤمنون ما اتخذوهم أولياء، ولما وصلت بهم الحال إلى أن يتخذوهم أولياء، {وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}** (المائدة من الآية: ٨١) **خارجون عن هذا النهج الذي رسمه الله لهم، عن هذه الطريقة التي رسمها لهم .**

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ} (المائدة من الآية: ٨٢) **هنا يوجد تركيز على قضية؛ لأنه أحيانا عندما ترى طرفا آخر، موقفه منك متشدد، ويقدم أشياء من لديه، يقدم قوانين، أو باسم رؤى، أو أفكار، أو أشياء من هذه، ولا يرضى أن يقبل ما لديك، أحيانا إذا ما عندك معرفة بواقعه، ومنطلقاته، ودوافعه، قد يحصل عندك اضطراب، فتظن أنه فعلا قد يكون عنده رؤية أخرى، فتنتظر ما يقدم؛ ولهذا دائما هنا في القرآن الكريم يبين لك الطرف الآخر: لأنه هكذا في واقعه، ليس إلى مستوى ـ على الإطلاق ـ أن يقدم أي شيء جميل، أن يقدم أي شيء جيد، أبداً، ما قد تراه يقدمه جيد، وراءه سوء، فهنا يقول: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ} .**

فعندما نراهم معادين لنا بشدة، لا نرجع إلى أنفسنا ـ وهذا الذي يحصل أعني: من النعمة علينا ربما في هذا العصر عندما نقرأ القرآن نجد الأمثلة متوفرة بشكل كبير أمامنا ـ متى ما رأيناهم معادين لنا، جاء الكثير منا، من داخلنا، يعود علينا نحن، [اسكتوا، أنتم ستؤثرون علينا بأننا نتشوه أمام الغرب] لماذا؟ لأنه ينظر إليهم وكأنهم إيجابيين، وكأن منطلقاتهم صحيحة، وكأن رؤاهم تنطلق من نفوس طاهرة، وقلوب طاهرة. هنا القرآن يبين واقعهم، يبين واقعهم حتى انك لا تضعف أنت، أو تضعف ثقتك بما أنت عليه، وفي الأخير تحاول أن تتنصل من أشياء من لديك، أليس هذا الذي يحصل الآن في الأمة؟ فاعرف بأنهم هم لما كانوا على هذا النحو؛ لأنهم سيئون هم؛ لأنه هكذا منطلقاتهم، ودوافعهم، ونفسياتهم، بالشكل الذي يقدمهم سيئين أمام ما كان من داخلهم هم، من أنبيائهم، وكتب تنزل عليهم، بينها بشكل واضح.

تجد ألم يكن الناس بحاجة إلى هذه الرؤية؟ لأنك عندما تلمس متى ما قالوا هناك: [الإسلام هذا دين العنف لم ينتشر إلا بالسيف] يعود صاحبنا علينا [اسكتوا ولا كلمة عن الجهاد ولا كلمة عن كذا شوهنا الإسلام أمام

أولئك] أليسوا في الأخير يقولون هكذا: [اتركونا نقدم صورة جميلة عن الإسلام أمام الغرب]؟ وعلى من يرجع؟ هو لا يرجع بالطريقة التي تجعله فعلا يقدم صورة جميلة عن الإسلام في الداخل وأمام الغرب، لا ، وإنما يحاول أن يبعد الأشياء الجميلة في الإسلام، الأشياء الهامة التي تجعل هذه الأمة تقدم بشكل جميل أمام الآخرين !.

فعندما يشرح كثيراً عن نفسياتهم، عن أهدافهم، عن توجهاتهم، هم ليسوا إلى درجة أنك تراجع نفسك على الإطلاق أمام أي مطلب من لديهم، أو دعاية من لديهم، تراجع نفسك فتقول: [أمانة عندنا غلط] وأنت تسير على طريقة صحيحة، راجع نفسك عندما ترى بأنهم يستغلون أشياء هي أخطاء حقيقية، تنسفها قبل أن يستغلوها لتشويه الإسلام، هذه أبعدها أنت، أشياء سيئة حقيقة، لكن ما كونهم ينقدونها؛ لأنهم جيدون في كل ما ينقدون، ليس المعنى أنهم جيدون ، هم سيئون، لكن هم سيئون، إذا كان لدي شيء هو سيء، ولن يكون هناك شيء من داخل الإسلام سيء نهائيا، لا يوجد داخل الإسلام ما يمكن أن يستغل فيشوهه، ويقدمه سيئاً، إنما ما يقدم من جهة المسلمين أنفسهم على طول المرحلة هذه، مئات السنين، كثير من المعتقدات، والرؤى، وحسبوها على الإسلام، وهي بعيدة عن الإسلام، هي مشوهة للإسلام في داخلنا ما بالك أن تكون مشوهة أمام الآخرين .

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً} (المائدة من الآية: ٨٢) **أقرب الفئتين، هنا يجب أن نلحظ مسألة: أقربهم، هناك أشد عداوة، وهنا أقرب ، اقرب الناس هؤلاء مودة للذين آمنوا، ميلا إليهم، ميلا ممكن يحدث استجابة لهم ويميلون إليهم** {الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} **يعني: فئة معينة داخلهم، ولا أدري هل ما يزال هناك من هذه الفئة، أو ليس هناك أحد داخل النصارى فئة هي تبدو ملتزمة؟ هنا يذكر تاريخها، فكان منهم من أدركوا الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فآمنوا.** {الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} **ماذا تعني العبارة هذه؟ هنا يقدمهم بشكل عندهم رؤية صحيحة عن الإسلام، عن الدين، نحن نصارى أي: معناه نحن أنصار لهذا الدين مثلما قال سابقا:** {مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ} (آل عمران من الآية: ٥٢) **ليسوا فئة تتقدم الدين وتعطيه هوية قومية تسميه باسمها هي،** {إِنَّا نَصَارَى} **هذه فئة لا نعلم عنها شيئا الآن.**

{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (المائدة: ٨١ ـ ٨٣) **لاحظ: آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، أي: كأنهم امتداد لمن قالوا: نحن أنصار الله، فعندهم الرؤية هذه: نحن مؤمنون بك، ونحب أن تكتبنا مع الشاهدين، ما معنى الشاهدين؟ مثلما قلنا سابقا: أنصار لدينك، نجسد دينك، نمثله بشكل نقدم شهادة لعظمته.**

{وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ} (المائدة: ٨٤) **وهذه رؤية صحيحة عندهم، هاتين العبارتين تشخص واقعهم، ناس عندهم حرص كبير على أن يعملوا أعمالا صالحة ، لم نعد نحن بالشكل هذا! للأسف لم يعد السائد في أوساط المسلمين هذه الرؤية، في ثقافتهم، في حركتهم، هو: أننا نريد أن نعمل عملا صالحا، تجد الكثير محاولين فتاوى، هل قد وجب ، هل قد لزم ! هؤلاء لديهم الرؤية هذه التي حكاها الله عن سليمان عندما قال:** {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل من الآية: ١٩) .

{وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ} (المائدة من الآية: ٨٤) **هذا معنى أنهم لا يستكبرون: مسلمين أنفسهم لله، فعندما جاءهم الحق قبلوه بكل بساطة، هي هذه الفئة، ولا نعلم بأحد من هذه الفئة، لو حصّل الناس هذه الفئة لكانت سريعة الإيمان، لكن هم قدموا أنفسهم متميزين عن الباقي من البداية** {الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} **أليست هذه تعني أنهم فئة لا يعتبرون أنفسهم كالباقين، ولا تحت العنوان العام بكل ما تحته من مفاهيم باطلة، وضلال، فقدموا أنفسهم وكأنهم فئة أخرى من داخل هذه الطائفة الكبيرة .**

{فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ} (المائدة: ٨٥) **هذه الآية لا تعني أن تقول في المقابل النصارى، تأتي تأخذها وتقول: النصارى أقرب الناس مودة، قد يكون النصارى الطبيعيين ، قد يكونون أقل من اليهود عداوة، وليس المعنى أنهم يودوننا، ولذلك تجد ما عملوا في الأندلس، ما عملوا في بلدان أخرى، ما يعملونه اليوم أشياء سيئة جدًا، أليسوا هم الآن يتحركون هم واليهود بشكل واحد؟**

قدمهم في القرآن وكأنهم اتجاه واحد [أهل الكتاب، أهل الكتاب] ويقدم أحيانا تفاصيل تبين أن المراد اليهود، وتفاصيل تبين أن المراد النصارى، بعده يأتي بحديث عن رؤيتهم العامة بالنسبة للناس .

إذًا فالنصارى بشكل عام قد يكونون بوضعهم الطبيعي أقل عداوة من اليهود، أما أن تقول: أن لديهم ـ أيضاً ـ مودة، ولديهم ميل، لا، النصارى بشكل عام، هنا يقدم لك طائفة معينة متميزة ميزت نفسها هي: {الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} يحكي عن داخلهم بأن من كان منهم قسيسين آمنوا وأسلموا في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

إذًا من قيمة هذه هي تبين أيضاً بأن دين الله سبحانه وتعالى، وهداه، هو بالشكل الذي يترك أثراً كبيرًا عند من يحبون أن يتأثروا، ويستجيبوا، مثلا نوعيات كهذه متميزة، ألم يقدم هذه داخل بني إسرائيل؟ حتى داخل اليهود، ألم يقدم نماذج عالية؟ هذه هي في نفسها تقدم شهادة على أن الآخرين فيما هم عليه من ضلال وخبث إنما كان بسبب أنفسهم هم، عنادهم هم، انصرافهم هم، أما دين الله من يقبله، ويهتدي به، لاحظ كيف نماذجه التي يقدمها .

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} (المائدة٨٦ ـ٨٨)

نهاهم في البداية بالنسبة لأهل الكتاب {لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ} (المائدة من الآية: ٧٧) مثلما قال هناك لأجل المسلمون لا يصلون إلى أن يغلوا في أي شيء من تفاصيل دينهم، لا يحصل غلو، فكأنك متشدد بزيادة في موضوع معين، فتتجاوز الحد، فإذا تجاوز الإنسان الحد إنما هو يدخل فقط في ضلال، لا يوجد من الحق وكذاك إلا ضلال.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ} ولو تحت اسم آخر، أو تحت ترويض آخر، أو فلسفة أخرى. {وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} لا تتجاوزوا حدوده، {وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} هنا تجد بأن الدين قدم مسئولية كبيرة، ألم يقدم مسئولية كبيرة وعملية بشكل واسع؟ ليست بالشكل الذي تحول دون أن تأكل من الطيبات؛ لأنه لا يقدم الموضوع وكأنك لازم تضحي بطيباتك، وتضحي بكل شيء، يعني: لا تقرب هذا ولا تقرب هذا ولا ..ولا..ولا من أجل أنك تقوم بهذه المهمة، مهمة بإمكان الناس أن يقوموا بها بالشكل الطبيعي، إنما يكون بالشكل الذي يتجاوزون الصعوبات التي هم فيها في مسيرتهم العملية، فإن حصل طيبات أكلوا، ما حصل طيبات مشوا، مثلما كان يعمل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والإمام علي، إن جاء لحم أكل، وإن لم يأت إلا ملح أكل في ملح، وإن جاء شعير ولبن أكل شعير ولبن .

بمعنى لا يقدم التقشف بأنه جانب مهم من الدين، هذه حصلت ، حصل قدم وكأنه جانب مهم من الدين، أن تتقشف، وأن تبتعد عن الطيبات، ويقدم لك [كان الإمام علي يأكل شعير وملح وكان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يضع على بطنه الحجر وكان ..وكان ..وكان..] فأنت عندما تبعد نفسك عن الأشياء هذه تبقى مؤمنا ضعيفا، لا تستطيع أن تعمل شيئا، وتعتقد بأنك قد أصبحت من أولياء الله، وأنت ترى نفسك في ضعف شديد، قد اصفر لونك.لا.. رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يأكل لحما، ويتحرك، هذا هو العمل الصحيح، تتحرك وتقهر كل الصعوبات التي أمامك، سيقاتل وإن كان جائعا، وإن لم يكن ما يمسك بطنه ليشده إلا حجر يضعها، وليس أنه كان يتعبد لله بالجوع، وباستطاعته أن يأكل لحما، أو تمرا، أو أي شيء آخر أمامه، في متناوله، لا تحصل هذه.

جاؤا يقدمون لنا في تراجمهم هذه، ويصبح الدين أن يكون الإنسان بهذا الشكل، يترك كذا، ويترك كذا، وكان الإمام الفلاني، وكان رسول الله، وكان الإمام.. والإمام.. وفلان المتعبد. لكن لا، يجب أن يفهموا أنه على هذا النحو، لا تعتقد أن الإمام عليا كان يتعبد لله بأكل الشعير والملح، يتعبد لله بالحركة ولو أدى الأمر إلى أنه لا يلقى إلى ملح وشعير سيأكل ملحا وشعيرًا، أو يضع على بطنه حجراً، ولكن متى ما وجد أكلا طيبا سيأكل، فلا يكون الإنسان منشغلاً يدلل نفسه دائماً همه أنه يحصل طيبات، ولا يكون بالشكل الذي ينقلب على عقبيه، إذا حصل شيء من الشدائد، يعمل إلى الإمام، وستنتهي المسألة إلى أن يتجاوزوا الشدائد، يعمل، لقي طيبات أكل، لقي

فراش جيد رقد عليه، لقي بطحاء فوق البطحاء، لقي صخرة فوقها، يلقى شعيراً يأكله، يلقى براً يأكل، لا يربط نفسه بطيبات، يشغل نفسه بروتين معين من الغداء والتخازين والأشياء هذه، ولا يحاول أن يتعبد إلى الله بأشياء قد تكون داخله ضمن هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ} عندما تحمل نفسك على الامتناع وكأنه تعبد، وهذا الذي قدم الزهد هذا! ألم يقدم على هذا النحو؟ معنى التحريم هو منع نفسك وإن لم يكن حكما {إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} (آل عمران من الآية: ٩٣) منع نفسه من أشياء يمنعها ويعتبر أنه قد صار متعبدًا لله بالامتناع عنها، من أجل ماذا؟ من أجل أنه قد صار يعتبرها دينا في حد ذاتها .

الإمام علي أجاب على من قال: كيف يستطيع أن يقاتل وهو على هذا النحو، إذا كنت أنت تروض نفسك ترويضاً في إطار أن تكون متجلدًا، تتحمل العمل، هذا هو الذي يعتبر عبادة، أن تحاول أن تصبر نفسك على أي شيء، لا تعود نفسك على فراش وثير، ولا على مآكل طيبة، تأكل أي شيء، لا تهتم؛ لتروض نفسك على أن تتحمل أن تعمل في أي مرحلة كانت، فلا بأس، أما أن تكون متعبدًا بنفس هذا العمل لوحده، أن تبتعد عن الطيبات لتقدم وأنت زاهد في الدنيا، وممن هجروا الدنيا، وأولياء الله هم على هذا النحو، وبعدها الجنة، فربما تكون في الواقع ممن يعتدي، أي: يتجاوز، يحصل التجاوز على هذا النحو: تمنع نفسك من أشياء، ثم في الأخير وإذا أنت تتعبد لله بها، وتصبح هي في حد ذاتها عبادة أمامك، وتضعف عن العبادات الأخرى، ولست حولها، ليست ذهنيتك حولها، تكون فقط ترى هذه، وقد صارت هذه هي العبادة الهامة، الزهد في الدنيا، لو لم يجاهد واحد، أليس هذا هو الاعتداء {وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(المائدة من الآية: ٨٧) التجاوز .

{وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} (المائدة من الآية: ٨٨) هنا يبين أيضًا فيما يتعلق بأعداء الأمة، وأنهم قد يكونون بني إسرائيل، وهذا الذي وقع، أعداء يأتون للأمة من كل مجال يمكن أن ينفذوا إليه، أن مواجهتم قد لا تصل إلى الحالة هذه، يقدر الإنسان بأن الجهاد في سبيل الله ومواجهة أعداء الله يعني: ستقفل مجالات الرزق، كثير كان يعتقد هذه، عندما بدأنا نرفع شعارًا يكون عنده أنهم سيقطعون [البر] علينا، ألم يكن البعض يقولون هكذا؟ طلعوا إلى الأسواق براً آخر، ألم يطلع بر آخر إلى الأسواق؟ لا يقدر الإنسان أنه إذا تحرك في سبيل الله، أو أمام أعداء من هذا النوع الذين هم أعداء، يعملون بكل وسيلة بما فيها الحرب الاقتصادية، أو وسائل كثيرة، أنك عندما تواجههم سيتمكنون من أن يقطعوا رزقك، بل ربما لا يقطعون الطيبات، بل قد تأتي الطيبات عندما تواجههم فعلاً من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن الطيبات هي من عنده، أمطار ينزلها، وبركات ينزلها، وتحصل طيبات للناس.

{وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} جاهدوا وكلوا {وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} (المائدة من الآية: ٨٨) أليس هذا من الأشياء العجيبة الآية هذه أن يقول: {وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} وبعدها يقول: {وَاتَّقُواْ اللّهَ} هل المعنى أن تتقيه أن تأكل من الطيبات؟!... كل وجاهد، والله قد قدم في القرآن عندما قال: {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} قدم بأن العاملين معه لا يخسرون على الإطلاق، إذا ظهرت خسارة فتكون شكلية صورية فقط، يأتي بعدها ما هو أفضل منها بأضعاف؛ ولهذا قال: {وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} اتقوه، لا تعتدوا تحت أي عنوان كان، واتقوه، لا تقعدوا تحت أي خوف من ماذا؟ أن لا يحصل رزق، أو لا تحصل طيبات، أو أشياء من هذه.

لاحظ بعض الناس هنا هم في مقام أن يقال لهم: واتقوا الله، عندما يأتي يريد يأكل براً أمريكيا؛ لأن لونه أبيض، يوجد فيه قليل بياض فهو غير مستعد أن يضحي بقليل لون قد يكون هذا اللون الفارق بينه وبين بر آخر متوفر في السوق وأرخص منه أرقام قليلة جدًا، فهو غير مستعد، يريد الطيبات، هذه هي الحالة السيئة، لا يريد أن يضحي بلون بر مع وجود بر آخر، في سبيل أن يؤثر على العدو، ويقاطعه اقتصاديا، ويكون عاملا في سبيل الله، {كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً} وسيوفر لك شيئا آخر، لو تنازلت عن لون في هذا البر، قد يجعل في البر الآخر بركة، وقيمة غذائية لك أحسن من مجرد اللون؛ لأن لون القرص ماذا يعمل لك، هل لون القرص يعطي قيمة غذائية؟ قد يكون لونه معه سموم في الواقع، وقد يكون بر آخر، ما يزال يزرع زراعة طبيعية، وهو

أرخص، يكون لونه أسود، قد يكون له قيمة غذائية أفضل، وبعيد عن خبرة تجعله مسمماً، يؤدي إلى أمراض شديدة.

إذًا فالإنسان بحاجة إلى أن يتقي الله حول قضية الأكل من الطيبات، ليس معنى الآية كلوا غصبا، كلوا حلالاً طيباً غصبا، القضية هكذا: اتق الله هنا وهنا، اتق الله أن تحول الطيبات دون أن تعمل في سبيله، واتق الله أن تتعبد بالتقشف، وأنت تمتنع من الطيبات فتعتدي، تصبح من المعتدين، تتعبد بعبادة وهمية، وتكون عبادتك هذه على حساب العبادات الحقيقية، مثلما يقدم موضوع الزهد .

{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} (المائدة من الآية: ٨٩) إلى آخر موضوع الأيمان وكفاراتها، أيضاً تحريم الخمر والميسر، والأنصاب والأزلام، مثلما يظهر هكذا أسلوب القرآن الكريم يتناول مختلف القضايا، أليس هو يتناول مختلف القضايا؟ يتحدث عن العدو، يتحدث عن مواجهته، ويشخصه ويتحدث عن القضايا الكبيرة {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} (المائدة من الآية: ٦٧) ويتحدث عن تحريم الخمر، ويتحدث عن الكفارات للأيمان، وهكذا، هذا ماذا؟ تشريع متكامل، وفي أول السورة ، في آية {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} (المائدة من الآية: ٣) تجد هنا، تلمس كمال هذا الدين، يتناول القضايا الكبيرة والصغيرة، ويقدمها بشكل لا يكون الاهتمام ببعضها على حساب الشيء الآخر منها أبدًا، يقدمها بشكل لا يكون هذا يعيق قيام هذا .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: ٩٠) وهدى الله أليس يقدم للناس على أساس أن يكونوا مفلحين، وأنه فقط من جهة الله؛ ولهذا قال في آيات أخرى: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧) أما الآخرون فهم لا يقدمون إلا أشياء سيئة، ضلال ورجس {فَاجْتَنِبُوهُ}؛ لأن هذا هو من الشيطان، والشيطان لا يملك إلا رجسا وضلالا وخبثا، يجعلكم بمنأى وبمعزل عن تأثير هذا الهدى عليكم في نفسياتكم، وفي واقعكم.

{إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ} الميسر كأنها عملية القمار المعروفة، الأنصاب الأوثان، الأصنام، والأزلام القداح التي كانوا يستهمون بها، يسافر أو لا يسافر، يذهب أو لا يذهب {رِجْسٌ} قذرة، رجس للنفوس، يقذر النفوس متى ما تقذرت النفوس أصبحت لا تقدم إلا ـ أيضاً ـ رجساً {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .

{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ} (المائدة من الآية: ٩١) ليس لأن الشيطان هو يريد أنك ترتاح أن تشرب مشروبا قد يكون طعمه حالي، أو أشياء من هذه، أنه يريد ذلك، يبحث كيف ترتاح، لا، هو لديه أهدافا أخرى ثانية، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر؛ لأنها تؤدي أيضًا إلى عداوة بين من يشربون، أنهم يتشاتمون، ويتضاربون، وأيضاً الميسر عندما يتقامشون، القماش هذا يؤدي أيضًا إلى عداوات في النفوس، ماذا يعني هذا؟ ألا يعني: أن دين الله يقدم على أساس بناء النفوس، وبناء المجتمع بناء متآلفاً يجعل من هذا المجتمع أمة متوحدة متآلفة، بعيدة عن كل ما يثير العداوة والبغضاء فيما بينها، وهل من أجل أن يكونوا متفقين فقط، أو على أساس ماذا؟ مسئولية، ومهام ينطلقون فيها، ليس الهدف اتفقوا وسكتة، لا، يجب أن يكونوا أمة؛ لأنه هناك قال: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} (آل عمران من الآية: ١٠٤) فلاحظ أنه عندما يقول: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ} انه يتجه إلى الأشياء التي تبين لك كيف بناء الأمة، أنه من جهته يعمل، يبعد ما يحول دون بناء أمة، ومنها هذه: الخمر والميسر، تجد الآخرين لا ينشطون في هذه؛ لأنهم الغاية لديهم هي الغاية الشيطانية تماما، {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} أليسوا يشجعون على نشر الخمر والمخدرات، ومحلات القمار، يريدون أن يحصلوا على مكاسب مالية، وأيضاً يخلخلون الأمة هذه، هذا يسكر هنا، وهذا يسكر هنا، واجتمعوا وهم سكارى، فهل يمكن في هذه الحالة أن يناقشوا قضية هامة؟ لا يمكن، هل عندما تقول له: أعداء الله هؤلاء الغربيون متجهون علينا، وهم مفسدون، سيقولون: [سبرت، هذا الذي نريد] مفسدون ينشرون الخمر، ويعملون دور للقمار، ليست هذه مشكلة عنده، هل سيحصل مشكلة عنده؟

ترى كيف أن القرآن هو متجه ليبني الأمة بناء صحيحاً، أمة نفوس أفرادها نفوس زاكية، تطلع أمة زاكية، أمة حكيمة، وقوية.

{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} (المائدة من الآية: ٩١) يصدكم عن ذكر الله؛ لأن الإنسان إذا هو متذكر لله يكون قريباً بأن يخافه، ويتقيه، ويهتدي بهداه، ويثق به، وعن الصلاة، الصلاة كعبادة لها أهميتها في ماذا؟ في ذكر الله، الإنسان المفروض أن يكون في حالة دائمة من ذكر الله سبحانه وتعالى، والصلاة شرعت لتكون عبادة لازم يؤديها؛ ليكون هناك في حالة يكون قريباً من ذكر الله، وهو يذكر الله، يقرأ كتابه، ويكبره، ويسبحه، سيكون ذاكراً له.

إذاً فقضية ذكر الله عند الشيطان قضية خطيرة، يركز على إبعاد الإنسان عنها، أن يصبح ناسياً لله، ويعيش في حياته اليومية هكذا دائماً ناسياً لله، إذا كان ناسيا لله فسيتمكن أن يعمل به ما يريد.

{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ} (المائدة من الآية: ٩٢) كثير مما قدم قضايا فيها الرسول، أليس يذكر فيها الرسول في الموضوع لماذا؟ لأن القضية هكذا، الدين يقدم دين ليقام، إقامته هنا ألا تكون على يد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وأمة تقيم الدين معه؟، {وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} (المائدة من الآية: ٩٢) هذا تهديد، ليس المعنى أنه يقدم لك في الصورة: إذًا فمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إنما هو عبارة عن موعظ، معناه: أطيعوه، أليس أطيعوه معناه أنه إنسان يأمر وينهى ويعمل؟ يجب أن يطيعوه، إذا تولوا معناه: الله من بعد ، الرسول بالنسبة إليه سبحانه وتعالى ـ إنما هو مبلغ ـ هو سيعاقب.

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (المائدة: ٩٣) هذه كأنها فيما مضى، أو كأنهم سألوه كيف بالنسبة لإخواننا ـ مثلما روي ـ الذين ماتوا وهم كانوا شاربين، والله أعلم، قد تكون صحيحة. أو لا، يبدو من البداية بالنسبة لتربية المسلمين أن الإنسان الذي كان يتوجه فعلا، يكون بعيدًا عن القضية هذه، من كانوا يتوجهون لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويعرفون قيمة هذا الهدى، ويلتزمون، يكونون بعيدين قبل أن يأتي عبارة فيها تحريم، فيها نص تحريم.

لأنه لم تكن تربيته على هذا الأساس: أن ينتظروا لفعل أمر يأتي بصيغة [افعل] لم يقرؤوا [أصول فقه] هم، لكن القضية تكون أحيانا مسكوت عنها، هم أنفسهم يرون أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يشرب الخمر، ولا الأشخاص المقربين منه، وهل في أجواء حركته ما يمكن أن يلمسوا منه رغبة إلى أن يشربوا الخمر فيها؟ أبداً، لا يوجد؛ قد يكون هناك حالة قائمة بالنسبة للمجتمع، هناك ناس أسلموا لكن ما زالوا مستمرين على الحالة الأولة في الأخير قيل لهم: {فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} وتقدم بهذه الطريقة التي فعلا تدفعهم إلى الانتهاء إذا كانوا مؤمنين، بمعنى أنه كان الشيء الطبيعي لهم أن يتوقفوا، وهم يعرفون مسيرة هذا الهدى؛ لأنه يقول: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} (البقرة من الآية: ١٢٩) أي إنسان يسمع الآية هذه يعرف أن الخمر تتنافى مع الحكمة، مع التعليم، والحكمة، وتزكية النفس ، أليس هو يعرف هذه؟ وفي نفس الوقت لا يرى أن هناك أي مؤشر على إباحته فيما يقدم إليه من هدى الله، ولا في الأجواء التي كان يعيش فيها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن هناك ما يؤشر على أنها طبيعية عنده أبدًا.

هذه: {فِيمَا طَعِمُواْ}، فيما قد وقع منهم، مثلما يأتي في كثير من الآيات الأخرى: {عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف} لكن في المستقبل {إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ} وإلا فقد يؤاخذ على أنه سكير، وقاطع صلاة مثلا، أو شيء من المعاصي الأخرى.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ} (المائدة من الآية: ٩٤) ابتلاء إلهي {لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} (المائدة من الآية: ٩٤) عندما تلقى مثلا صيدًا سمينًا، وليس هناك إلا أنت، وقد يمر من عندك، وأنت محرم، أو في الحرم وقد يمر من عندك، ولا هناك أحد ستستحي منه، أو سينهاك عنه، تحاول تمسكه وتذبحه، ويحصل عليه غداء دسم، قد يأتي ابتلاءات من هذا النوع مثلما حصل لبني إسرائيل، قد يأتي ـ مثلا

ـ صيد يمر من عند واحد قريب، هذا ابتلاء فعلا فيه مشاق، التي يسمونها مشاقاً، يتميز، وهي عملية تربوية في الواقع، أنك متى ما أمسكت نفسك هنا تعطى هدى، ويزداد إيمانك، وفعلا يستنير قلبك، مع أن القضية سهلة، هل هو حمل ثقيل أن يمر من عندك صيد غزالة مثلا، أو أي صيد سمين؟ .

{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ} (المائدة من الآية: ٩٤) **بعدما عرف النهي من الله سبحانه وتعالى واعتدى {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (المائدة من الآية: ٩٤) **هذه هل هي تأتي قضية مماحكة ـ على ما يسمونها ـ يجعل غزالة سمينة تمر من عندك ليقهرك، لا، {لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} فيتجلى في نفسيتك أنك تخاف الله، والإنسان بحاجة إلى الحالة هذه، وقد تأتي الابتلاءات أشياء عادية، ليست الابتلاءات معناها أحمال ثقيلة، قد يكون الابتلاء قضية بسيطة جداً في واقعها، لكن تتعامل معها بما يدل على أنك تخاف الله، فيحصل لها أثر كبير في نفسيتك، يعني: هي قضايا تربوية في الواقع، لها أثرها، أو مثلاً تعرض فتكون معرضاً لعقوبة .**

قد يكون في مجال الجهاد، في مجال مواجهة أعداء الإسلام تحصل قضايا، قضايا هي ابتلاء للناس فعلاً بأشياء سهلة، وسمينة في نفس الوقت، يعني: لها اثر كبير مثل الصيد، فقد يمر من عندك غزالة سمينة، أو حمار وحشي سمين، أو بقرة وحشية، أو أشياء من هذه، قد يأتي في حياة الناس، وهم في مواجهة عدو تمر بهم قضايا هي فعلا سهلة بإمكانهم أن يتناولوها، هنا بعكس موضوع الصيد، أليس الصيد قد تتناوله؛ لأنك لا تخاف؟ لكن هنا بأنك لا تعملها وباستطاعتك أن تعملها، وهي مهمة ومعروضة عليك، عرضت عليك، فهذا يدل على ماذا؟ على أنك لا تخاف الله، ألم يقل هناك: {وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} بعد الحديث عن بني إسرائيل؟ أولاً أن يطلع في بالك: اتق الله، ومعنى أن تكون على هذا النحو، أن الله لا يغفل شيئاً، وكل قضية له توجيه فيها، وحكم فيها.

كيف يتبادر إلى أذهاننا أن قضية كبيرة كهذه قد يكون قد أغلفها أولا يمكن أن يهدي إلى شيء فيها، وهنا هو يبين لنا قضايا بسيطة مثل قضية يمين، يبين كيف الكفارة فيها، إذا واحد حنث، بين هناك تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، أليس هو يبين قضايا عادية من هذه؟ فهل يمكن القضايا الكبيرة هذه أن تتصور بأنه ليس لله دخل فيها، أو ممكن أن يكون بالشكل الذي يهدي فيها إلى شيء فتنصرف عن أن تتقيه، أنه يجب أن تعرف أن هناك لله توجيهات، وأوامر ونواهي، وتعليمات واسعة جداً فيها، فيجب أن تلتفت من البداية ، كما أنك ستلتفت إلى الله فتتقيه أمام صيد مثلا يمر من عندك، أو أمام مثلا شيء من هذه الأشياء التي هي تكون محرمات، لحوم محرمة مستوردة، هل أنت قد تخاف الله مثلاً ما تأكل؟ معناه أنت أمام قضية لله حكم فيها، لله توجيه فيها، أليست هكذا؟ .

أما القضية الكبيرة فتكون ناسياً لله فيها، وكأنه ليس له توجيهات، ولا تعليمات، ولا حكم فيها، لا يصح هذا على الإطلاق، معناه: أنه يجب أن يكون ذهنك دائما مرتبطاً بالله، وأن تعرف أن له توجيهات، وتعليمات، وأوامر ونواهي في كل قضية، بالذات القضايا الكبيرة، وأوسع تعليمات، وأوسع توجيهات، وأوامر ونواهي، وأشد خطورة، وأعظم فضل عند الالتزام في القضايا الكبيرة، فكيف لا ينصرف ذهني فأكون متقيا لله، لا ينصرف ذهني إلى الله فأتقيه. للأسف أن هذه قضية ملموسة عند الناس، يقول لك: أمريكا إسرائيل، وحالة خطيرة، لكن ناسي لله ، ولا يتصور أن عليه مسئولية هو فيتقي الله فيها .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} (المائدة من الآية: ٩٥) **إلى آخر الآية، يعني: مما نأخذ منها بشكل عام من التفاصيل هذه أن تلمس إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وكيف أن هذا الدين كامل ، ومتكامل من القضايا الكبيرة إلى اصغر القضايا، وفي مختلف المجالات، في كل الشئون ، وهنا تهديدات، أليس هنا تهديدات على صيد؟ {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، فإذا هناك عدو كبير يريد يصطاد الأمة والإسلام ، ألا يعتبر السكوت عنه، والتخاذل أمامه، ألا يكون الناس مهددين بعذاب أليم؟ أنت ترى هنا تهديداً ووعيداً في قضية صيد، فكيف بالقضايا الكبيرة؟! .**

ثم يذكر أيضًا: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ} (المائدة من الآية: ٩٦) أنه هكذا ما تقفل المجالات تماما متى ما تبدو وكأنك منعت عن شيء فالله يفتح موضوعاً آخر، حرم صيد البر، أحل لهم صيد البحر وهم محرمون، هذا يأتي في مقدمة الحديث عن الكعبة، يذكر هنا مقدمات محاطة بماذا؟ وأنت متجه إلى الكعبة، لا تقرب هذا الصيد، لا تعتد كذا، يعني: المسألة أنت في حالة متجه إلى مقام عظيم، إلى الكعبة، فعندما ترى تهديدًا هنا، ووعيداً في قضايا صيد يعني ماذا؟ وهي تعتبر من الأشياء التي في محيط الكعبة، وفي أجواء المسير إلى الكعبة لحجها، واعتمارها، أليست هكذا؟ فيأتي بعدها: {جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ} (المائدة من الآية: ٩٧) تقوم بها حياتهم، وإقامة لدينهم، ولا تتصور بأنه يمكن إقامة حياة بدون إقامة دين لأي مجتمع حتى ولا الغربيون أنفسهم، هل تظن بأن حياتهم الآن مستقيمة؟ ليست مستقيمة.

{جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ} ألم يذكر هنا الأمن؟ ذكر الأمن سابقا في آيات فيما يتعلق بالبيت الحرام، وفيما يتعلق بالشهر الحرام، يكون هناك أمن، البشر في الصراع فيما بينهم بحاجة إلى مكان آمن، وبحاجة إلى وقت آمن، زمن يكون آمنا تقوم به حياتهم، لا يتهالكون على طول في كل مكان، وفي كل زمان، {وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ} أيضاً، من قيام للناس؛ لأن الهدي يأكل منه كثير من الحجاج، والمعتمرون، ومن القلائد يستفيدون منها قد يكون بعضها كان يتعودون أن يجعلوها نعالاً، يستفيدون منها، وتجد فعلا في الحج كم يحتاج الناس من أحذية! أليست الأحذية هناك تكون مطلوبة بشكل كبير؟ قياماً للناس حتى القلادة هذه ملحوظة؛ لأنها في إطار قيامًا للناس، هل يمكن من يلحظ القلادة لإقامة حياة الناس يهمل القضايا الكبيرة؟ لا يمكن، فعندما يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} (المائدة من الآية: ٦٧) أليست هذه قضية هامة؟ قضية هامة في مجال ماذا؟ في مجال قياما للناس ، قياما للأمة، إقامة للدين الذي على أساسه تقوم الأمة .

{ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} (المائدة من الآية: ٩٧) لا يغفل لا صغيرة ولا كبيرة مما يشكل قياماً للناس {وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، {اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة: ٩٨) فهو ملك، وهذا يتكرر في القرآن بهذا الأسلوب أنه ملك السموات والأرض وليس ملك فقط يوعظ، ملك يثيب ويعاقب . {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ} (المائدة من الآية: ٩٩) هذه عبارة تهديد يعني: الله هو المتكفل بهذه، يثيب، ويعاقب هو عندما يجعل الرسول كما قال سابقا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ} (النساء من الآية: ٦٤) وهذه من الأشياء التي تبين لك كيف أن القرآن لم يقدم بديلا عن الله، والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يكن بديلا عن الله ، الرسول في حركته، والقرآن في حركته يشد إلى الله فتلمس أن الله هو الملك، هو الإله، هو الرب، هو يهدي إلى الله، يقول هنا: {ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} (المائدة من الآية: ٩٧) يعني: هو ملك الناس، ملك السماوات والأرض وما فيها، وهو بكل شيء عليم، يثيب، ويعاقب، فهو أرسل رسوله مبلغا عنه، فهو الذي يثيب، ويعاقب هو، الله سبحانه وتعالى، ورسوله يهدي إليه، أليس هو يهدي إليه، ويعمل بهداه؟ فكل ما يعمله، وكل ما يدعو إليه، كل ما يتحرك فيه هو يشد الناس إلى الله .

{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ} ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كانت حركته على هذا النحو، يعني: حركته بالشكل الذي يملئ نفوس الآخرين توجهاً إلى الله، عبادة لله، لا يكون بالشكل الذي يكون مثلا يلمس نفسه بأنه مثلا ذكي، وعبقري، وقدير، فيحاول أن يشدهم له، له، مثلما يعمل الآخرون، الطواغيت ، الله يقول هناك: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ} (آل عمران من الآية: ٧٩) هذه طريقته، عندما تقرأ الآية هذه {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ} فاعرفها هي منهج تبين لك كيف كانت حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ولهذا نقول: أن القرآن أهم مصدر لمعرفة سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وشخصيته، في الآية السابقة: {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} (المائدة من الآية: ٩٢) كيف الصورة هنا: لكي لا تعتقدوا أنكم ـ مثلاً ـ أمامكم محمد، فقط محمد،

ما كأنه يبعده من أمامهم، ويبرز هو سبحانه وتعالى في الصورة؟ هي نفس القضية هنا، حركة رسول الله تكون على هذا النحو: يوجه الناس بالشكل الذي يجعل ما يملئ مشاعرهم هو ماذا؟ التوجه إلى الله، واستشعار رقابة الله، وملكه، وألوهيته..الخ.

كذلك الإمام علي، ولذلك نستبعد جدًا أن يكون هناك أناس ألهوه ـ كما يقولون ـ إذا كانوا يجلسون عنده، ويسمعونه، لا يمكن أن يحصل عندك أن تؤلهه؛ لأنه يشدك إلى ماذا؟ إلى العبودية لله، ولا هو يقدم لك مؤهلاته بالشكل الذي يجعلك أن تعجب به وتعتقد أنه قد صار إلها، لا يحصل هذا على الإطلاق. الآخرين الطواغيت الذين يجعلون الناس يتخذونهم أندادًا من دون الله، هنا يشد الناس إلى نفسه فقط لم يعد يرى منه وفوق شيئاً، إلى عنده فقط، إلى أن يصبح رمزاً، أو أي عبارة من هذه، وعَلَم، وفقط لم يعد منه وفوق شيء.

بعضهم يفهمون هذه الآية بمعنى: الرسول عليه يبلغ، يبلغ، ثم يقول في الأخير: الدين هو فقط اهتماماته أنك تبين فقط {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} (الغاشية:٢٢) أليسوا يقدمونها هكذا؟! لا، إنها بهذا الشكل: هو في المقدمة يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ} (النساء من الآية: ٦٤) وهنا قال بعبارة واضحة: {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ} أطيعوا الرسول، متكررة، لكن ليفهموا بأن الله هو ملك، ملك حاضر، شهيد، رقيب، مثلما يقول لك: ابعد منهم، ذكر إنما أنت مذكر وانتهت مهمتك، عليَّ المسألة {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً} (المدثر: ١١) {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} (الغاشية: ٢٥) ونظائرها في القرآن كثيرة بهذا الشكل، ليس معناها: أنك تقول: إذًا فالنبي كانت مهمته هو أن يوعظ فأنت تتعلم على أساس تطلع أيضاً موعظ فقط و{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ}(المائدة: من الآية٩٩)، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} يعني: لا دخل لك بهم، ولا تفرض نفسك عليهم، ولا أشياء من هذه، يقدمونها بهذا الشكل! أليس الله يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} (الأحزاب من الآية: ٦) أليس هكذا؟ أليست الآية واضحة؟ يعني: يجب أن يطيعوه، ويتبعوه، هو أولى بك من نفسك، ليس هناك فوق هذا، بمعنى تطيعه وتتبعه. {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} (المائدة من الآية: ٩٩) ماذا وراء هذه أنه هو سيؤاخذ، هو شديد العقاب.

{قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: ١٠٠) بشكل عام لا يعجبك كثرة الخبيث سواء كان أناساً، أو مالاً، أو كيفما كان، لا يحصل عندك أن تعجب بهذا. هذه تعتبر قاعدة عامة، ولها علاقة بكل القضايا، لها علاقة بكل القضايا هذه، لاحظ في آية سابقة: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} (آل عمران من الآية: ١٧٩) أليست هذه واحدة؟ قد يكون في التمييز أنه ناس ينفصلون هكذا، أو ناس يذهبون هكذا، أليس بهذا الشكل؟ قد يكون الإنسان بطبيعته يعجبه يرى كثيراً كثيراً.. لا، لتكن مركزاً على الطيب وأنت تحول الكثير هذا إلى طيب، وتكون توجيهاتك أن تحول الناس إلى طيبين بما تعنيه الكلمة، لكن لا تعتقد أن المسألة متروكة ـ عندما يقول: لا يستوي الخبيث والطيب ـ سيميز الخبيث من الطيب، هذه سنة إلهية، وتأتي بعضها من داخل الابتلاءات، هذا خرج من هنا، وهذا خرج من هنا.

وقد تقدم أحيانا؛ لأنه لاحظ هنا توجيهات مثل: {اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (المائدة: ٩٨) {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} (المائدة من الآية: ٩٩) قد تأتي مواقف مثلا أمام فئة من الناس، يأتي آخر ممن هو حريص على أنه [الناس جميعاً]، ونريد الكل، وأشياء من هذه، فيقول: [لا تتجفى في هؤلاء لا يروحوا من يدينا، لا كذا.. ولا..] الى آخره.. لا، القضية أنه عندما يتبين أن هناك خبثاً، إن كان باستطاعتك أن تصلحه مالم لا عليك {قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} إذا كان هذا خبثاً، إذًا مع السلامة لا تأس عليهم، ولا تأسف {وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} فلا ينفع، الخبيث لا يقدم شيئا.

{فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يأتي في أسلوب القرآن، أحيانا يأتي شيء أشبه شيء بقاعدة عامة، وتراها لها علاقة بكل ما سبقها من قضايا، الناس أليس فيهم خبيث وطيب؟ المأكولات أليس فيها خبيث وطيب؟ الأموال أليس فيها خبيث وطيب؟ النفوس أليس فيها خبيث وطيب؟ كم! تراه في كل شيء .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ} (المائدة:١٠١ـ ١٠٢) كل شيء له وقت؛ لأنه إن نزل القرآن وهو يتناول قضية معينة، ثم تستفهم استفهاماً عملياً باعتبار القضية لها علاقة بك، مثلا نقول: إذًا كيف؟ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ} (البقرة٢٢٠) بعد تحريم أموالهم، لكن كيف يمكن نعمل مع اليتيم؟ هل نفصل ماله تماما أو يمكن نجلس مع بعض؟ بعبارة تشبه هذه، لا بأس، وإلا فالأفضل في مسيرة التشريع بأن لا يكون هناك تساؤلات؛ لأنه يكون هناك قضايا مسكوت عنها ليست مُقرَّة، إنما ليس الآن وقت تناولها، لماذا ؟ لأن الدين هذا دين عملي، ومسيرة عملية، وقد تأتي عندما تسأل يشكل سؤالك إحراجاً في القضية، عندما لا يأتي جواب يفهم الآخرون بأن ذلك الموضوع معناه مقر، فيقال: الإسلام أقر كذا، وهو لم يقره، أو ينزل مثلا، ويقول بالحكم فيها، ويكون الواقع ما قد تأهل الناس لأن ينطلقوا فيها عملياً .

{قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ} (المائدة: ١٠٢) ربما لو تأخروا لما أصبحوا كافرين، لكانوا قد صاروا متقبلين لها، هذا مما يؤكد أن الدين هو ماذا؟ مسيرة عملية، ليس الدين فتاوى فقط، تشريعات وكتابة، دين عملي، مسيرة من البداية كلها مسيرة عملية .

{مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} (المائدة: ١٠٣) هنا ينزه نفسه سبحانه وتعالى عن أن ينسب إليه هذه الأشياء مع أنها تبدو قضايا عادية ، أليست تبدو عادية باعتبار تأثيرها في المجتمع، البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فيما يتعلق بالدواب هذه: الإبل والضان، أما مثلا يحرمون أذنها، أو يشقون أذنها، أو أشياء من هذه.. أو يسيبها، فلا تعد تمنع من ماء، ولا من مرعى، ولا يحمل عليها، ولا.. هذه هل لها أثر اجتماعي في الناس؟ لها أثر سلبي؟ لا، لكن هي قضايا غير حكيمة فالله ينزه نفسه عن هذه باعتبارها ماذا؟ أشياء ليست حكيمة، وأشياء تافهة إعتبرها تافهة، لا يقوم عليها شيء. إذاً فمن يتنزه عن هذه فهو منزه عن الأشياء التي تنسب إليه وما أكثرها، تنسب إليه وهي تضر في نفس الوقت بالأمة وبالدين فهو منزه عنها.

{وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} (المائدة من الآية:١٠٣ـ ١٠٤) مع أنه قد يكون مما وجدوا عليه آباءهم أشياء مما لا قيمة لها فتكون متشبثا بأشياء لا قيمة لها نهائيا، وتترك أشياء هامة، أو أن تكون أشياء في الواقع هي سيئة، باطل وضلال، تتشبث به في مقابل الهدى، هذا الهدى هو عظيم جدًا، وله قيمة كبيرة، ماذا عمل آباؤكم؟ بحيرة وسائبة ووصيلة وحام، أليست هذه ؟ فهو مستعد أن يتمسك بهذه ولا يسير وراء هذا الهدى العظيم، أليس هذا يعتبر من الأشياء التي تبين كيف أن النفوس تنحط حتى لا تعد تعرف قيمة ما له قيمة في الواقع. {قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} فسوف يسيرون خلفهم .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} (المائدة من الآية: ١٠٥) هذه من الآيات ـ أيضاً ـ التي يحصل فيها [ما عليك شيء لا يضركم من ضل، اترك] ، معناها هكذا! لكن ماذا قرأنا من البداية؟ نحن الآن أمام أربع سور من القرآن، كيف تقدم المسألة؟ أن يتحرك الناس على أساس هدى الله، وكل الأطراف الأخرى، كل ما عملت لن تضرك في الأخير ، لكن إذا كنت تتحرك على هدى الله، أليس هناك: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ } (آل عمران: ١١١) {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} (آل عمران من الآية: ١٢٠) {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (آل عمران من الآية: ١٨٦) بين لنا كل الفئات هذه، فئات أهل الكتاب ، فئات المشركين ، المنافقين، كل فئات أعداء الله، مهما كانت عليه، مهما كانت قوتها، مهما كان تآمرها، إذا اهتديتم لن يضروكم على الإطلاق هؤلاء لن يعيقوكم، ولن ينالوا منكم، هذه القضية التي تعنيها

الآية، هذه الآية عظيمة جداً، آية تشكل قاعدة صريحة {لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} لكن نحن قلنا: أن كلمة هدى قد ضُربت، نفسها، وكلمة ضلال قد ضُربت، يعني: إذا قد أنا معتقد بأن الله لا يرى فلا يضرني ذلك الذي يعتقد بأن الله يرى، ويعملون ما يريدون، أليس معناها هكذا تقدم المسألة؟! المسألة أنه إذا كنتم تسيرون على هدى الله، وهدى الله يتناول القضايا العقائدية، والعملية، وكل شيء، بل العقائدية، هي عملية كلها إذا اهتديتم بهدي الله، وسرتم على هدى الله لن يضركم الآخرون، والآخرون إنما يكونون ضالين ، أيضاً يقدم من يسيرون على هديه أنهم هم الوحيدون المهتدون ، يقدم كل الفئات الأخرى ضالة؛ لأنه فعلا الحق هو سبيل واحد، وطريق واحد، فمن يقابلون الحق، من يعتبرون هناك أطرافا أخرى معناه: أنهم في ضلال، سواء ضلال بنسبة (٥٠٪) أو (١٠٠٪) أو كيفما كان .

{إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (المائدة من الآية: ١٠٥) **هذا أيضًا تهديد لأن تترسخ هذه القاعدة في النفوس، وقدم في الأخير بعدما قدم لك صورة عن الهدى، عن وعوده، عن أعدائه، عن موقفهم الضعيف أمامك، وفي الأخير قال: الخلاصة {لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} إذًا فلتترسخ هذه في ذهنية كل واحد، ويعرف {إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} .**

الآية الثانية: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} (المائدة من الآية: ١٠٦) **قالوا أن عمر قال هي من أشد الآيات هذه، خربطة فيها، الشهادات . {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} لا يوجد غيرهم وأنتم في سفر {إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ} وأنت تريد أن توصي فلتشهد شهيدين سواء عدل إن كان هناك، أو آخرآن من الحاصل {أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ} .**

والكلام فيها فيما يتعلق بهذا الشخص، وفيما يتعلق بالذين ما زالوا في البلاد، بالناس الذين هم وراءه، تحبسونهما أي فتؤدى هذه الشهادة إذا حصل ارتياب تحبسونهما، يعني: الشهيدين من بعد الصلاة فيقسمان بالله {إِنِ ارْتَبْتُمْ} في الشهادة حول موضوع الوصية، أو حول موضوع ما كان لديه من رأس مال، أو أي شيء من هذا {لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً} أي يقولون هكذا، فيقسمان بالله، إن ارتبتم {فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ} ويذكر القضية كيف كانت، {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً} (المائدة من الآية: ١٠٧) **أي كانت شهادتهم بشكل يبدو الواقع بخلافها، حصل شيء، عثر يعني: ماذا؟ اكتشف وعلم إذًا فللطرف هذا ماذا؟ أن يقدم شهادته الحقيقية التي تفضح الذين ماذا؟ عثر على أنهما استحقا إثما.**

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّاإِثْماً} أي الشاهدين {فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا} وكلمة عثر تعني: فيمن عثروا، وفيمن شهد ما عثروا عليه، أليست هكذا؟ من عثروا أي اكتشفوا شيئا بطريقة معلومة {يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا} لأجل أن لا تضيع الحقوق {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً} معناه أن القضية بخلاف ما قدموها في شهادتهم، فلهؤلاء أن يقيموا الشهادة على هذا النحو {فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ} ممن القضية استحقاق عليهم بسبب شهادة الأولين، وعثروا على خلاف الواقع، على خلاف ما كانت الشهادة الأولى، فهم الأوليان بأن يعلنوا كيف الواقع، يقومان مقامهما {فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ} الأولى {فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } .

هذه هي من القضايا التي قد تكون نادرة أي نفس العملية هذه هي نادرة في مسيرة الإجراءات القضائية، في واقع الناس أليس المعنى هنا بأنه وكأن من يشهدون ويدلون بالشهادة هم المستحق عليهم؟ لكن القضية يبدو فعلا فيها ما يكشف بطلان الشهادة السابقة ، هنا تختلف مع ما يقال شهادة لنفسه ، أليست تبدو شهادة لنفسه؟ هنا يقول: {الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ} من الذين استحق عليهم؟ طرف كانت القضية، الشهادة السابقة تعني: استحقاق عليه، يعني: اعتبر النقص عليه، أو أشياء من هذه، عثر، ومعنى هذا أن الشهادة هذه تعني ماذا؟ أن هناك طرفا ثالثا، أليس معناه: أن هناك طرفاً ثالثاً في القضية هذه مثلا القاضي أو ولي الأمر أو كيفما كان، هو طرف ثالث

في الموضوع، يستطيع أن يعرف القضية. وأحيانا فعلا هذه القضية قد تكون نادرة مثلا شخص سافر ومات، ولم يكن معه إلا اثنين، وشهدوا أن القضية كذا كذا، ثم تأتي قرائن، أحيانا قد تكون هناك قرائن من خلال كلامه قبل السفر، أو من خلال أشياء لا تزال، لا أحد يستطيع يعرف بالتفصيل تؤدي إلى كشف الحقيقة بخلاف ما شهدوا به، إذاً فهل يضيع الحق؟ هنا يبدو وكأن من هم المعنيين بالقضية ما يقال هم شهود لأنفسهم، هذه تعتبر شهادة لنفسك، هي قضية تخضع أيضاً لتقييم الطرف الثالث، يعني من؟ القاضي أو ولي أمر يعرف.

فعندما يعرفون بأنه هكذا الإجراءات أنها تعطي حقاً للمستحق عليه فيما إذا عثر على أن الشهادة كانت بخلاف الواقع، فهي أدنى بأن يأتوا بالشهادة على وجهها، على أساس أن الطرفين مما يقولونه قسم؟ أليس قسما؟ {فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} هذه عبارات هامة، يعني: خطيرة العقوبة بعدها. {ذَلِكَ} هذا الإجراء {أَدْنَى} أقرب {أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} (المائدة: من الآية١٠٨) عندما تكون خائفاً من أنك تفضح {أَوْ يَخَافُواْ أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} (المائدة: من الآية١٠٨) خاصة إذا هو فاهم بأن للطرف الآخر ـ فيما لو اكتشف الحقيقة ـ هذا الإجراء سيؤدي الشهادة على أصلها .....

[بقية السورة يتناول موضوع عيسى] {يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} (المائدة: من الآية١٠٩) كيف كانت نسبة الإجابة، وهكذا هي تقريبا تتناول بشكل واسع موضوع عيسى بن مريم، وأنه نبي الله عيسى بن مريم هو رسول من عند الله، رسول من عنده، وكيف أنه قال: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} (المائدة: ١١١) وما قال للحواريين بالنسبة للمائدة؛ لأنه أيضاً في قضية المائدة عندما طلبوها ما يدل على أنهم هكذا: مؤمنين بأن عيسى إنما هو رسول، والله هو ربنا، ورب عيسى .

{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} ألم يقولوا هكذا؟ {أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (المائدة: ١١٢) ففيها تقرير، وشهادة واسعة بأنه مما سيحصل في الآخرة، وما قد حصل في الدنيا، من طلب نزول المائدة هذه إلى ما ذكره من القضايا الأخرى بعدها {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} يتناول قضية رئيسية حول قضية الشرك به فجعلوه إلها بعدما قامت البينات في حياته بمنطقه هو، وأنه كان هو يعتقد أنه رسول فقط من عند الله، وأن الله هو ربه، والحواريون الذين هم خلص أصحابه هم الآن من قُدِموا، الذين يسمونهم رسل، وأصحاب أناجيل داخلها الشرك هذا، سموهم رسل أي: هم صفوة المسيحية، أو صفوة النصارى، وإن كان بعضهم في عصر عيسى، عاصروا عيسى، وعاشوا بعده! لا، إن واقع الحواريين الصفوة أنهم كانوا يرون عيسى عبداً لله، وأن الله هو رب عيسى وربهم .

{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ} بعدها {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} (المائدة من الآية: ١١٦) إلى آخر الآية فيقرر بأن ما اعتقده النصارى من أنه رب، ثم قالوا: ثالث ثلاثة، أو بأي اعتقاد جعلوه إلها، أنها قضية كبيرة جداً، كفر شرك بالله، وأن عيسى يشهد عليهم بأنهم مشركون، هذا هو خلاصة معنى بقية السورة. في آخرها: {لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة: ١٢٠) .

إلى هنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا/ الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود/ النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ٢ / ١١ / ١٤٢٧هـ
الموافق ٢٢/ ١١ /٢٠٠٦م

من هدي القرآن الكريم

سورة الأنعام

من الآية (٣٩) إلى الآية (١٠٢)

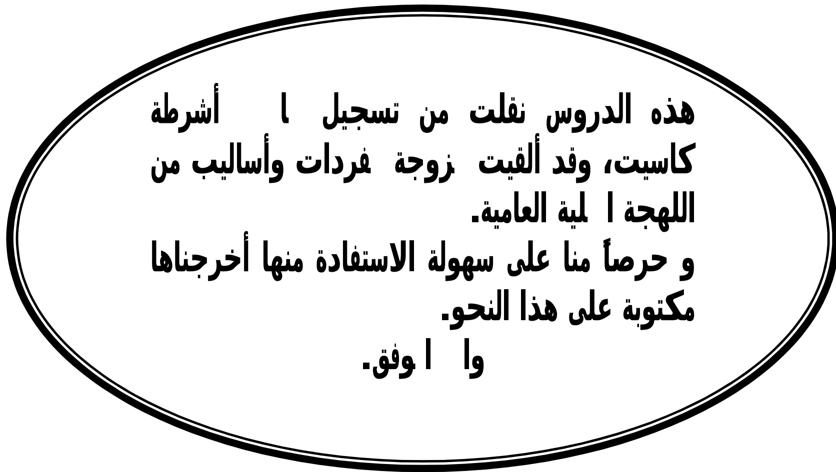
[الدرس الخامس والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ١٩/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

هذه السورة من أعظم سور القرآن الكريم، ومن خلال أسلوبها يتبين كيف هي شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) موجودة فيها بشكل ظاهر، توجيهات كثيرة إليه هو، توجيهات كثيرة، وفعلاً هي نزلت في مرحلة عمله لهداية الناس، وتبليغ الرسالة، ومن هذا نستفيد أن قضية التأهيل، قضية المعرفة، ليست أولاً تجهيز بنسبة مائة في المائة ثم انطلاقة، المعرفة مرتبطة بالحركة، بحركة الإنسان في الحياة، وهناك أسس ينطلق منها، وفي مسيرته يحتاج إلى مواصلة، ومتابعة في مسيرة عمله إلى ما يهتدي به، بهذا الأسلوب تكون المعرفة لها قيمة، تكون المعرفة ليست فقط مجرد ترف فكري ـ كما يقولون ـ أو مجرد تنظير، أو مجرد جدل، أو نقاش، أو أشياء من هذه، مسيرة عملية يترافق معها توجيهات، يأتي من خلال الوضعية هذه معرفة عالية.

نلاحظ نحن متى ما وصلنا إلى عند آية معينة، وكما نقول في القرآن الكريم: فعلاً لا يستطيع الإنسان أن يستوعب ـ ولا حتى ما قدمناه لا نعتبره شيئا مما يمكن أن يعطيه القرآن ـ إلا شيئا بسيطاً، آية معينة قد يكون مثلاً ما نستطيع أن نفهمها الآن لكن ربما بعد مرحلة في حركة الناس في الحياة، ومرورهم بأشياء كثيرة من خلال مفردات الحياة تعطي هذه الآيات شيئاً.

هنا أسلوب آخر فيما يتعلق بتقديم وحدانية الله سبحانه وتعالى في النفوس، أن يذكّر هؤلاء الناس بقضية هم يلمسونها، أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، وأنهم في واقعهم لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً، وأنهم في حركتهم في الحياة يمرون بأحداث يرون فيها بأنهم ما كشف عنهم، ما نجاهم من ضر، أو من كارثة إلا الله سبحانه وتعالى؛ ليقرر أن الإنسان محتاج إلى الله سبحانه وتعالى. إذاً فلماذا وهو يرى أن تلك الأشياء التي جعلها آلهة لا تعمل شيئا لا لنفسها، ولا لمن يدعوها ويعبدها؟، فلماذا يشرك بالله سبحانه وتعالى؟ مع أن الإنسان في واقعه، في حركته في هذه الحياة هو بحاجة إلى أن يأله إلى الله، يرجع إلى الله دائماً في كل أعماله، في كل أموره، وأنه بالنسبة له كمخلوق على هذا النحو لا يمكن لأي شيء آخر أن يأله إليه فيلبي حاجته على الإطلاق، أي: ليس هناك من يمكن أن يأله إليه الناس فيجدونه فعلاً في منتهى طلبهم إلا الله، كما سمَّا نفسه {الصَّمَد} سبحانه وتعالى، قالوا إن معناها: الذي هو منتهى غاية مطلب السائلين، يعني: ممكن مثلاً نحتاج إلى حاجة ممكن أنت تقدم خدمة فيها، لكن الإنسان في حياته يمر بأشياء تتجاوز كلما حوله، فيرى أن هذا ما ينفع فيها، والثاني ما ينفع فيها، وذلك ما ينفع، والكبير الثاني ما ينفع، وهكذا يحتاج إلى الله سبحانه وتعالى .

هنا يقرر هذه المسألة في نفوسهم: أن الإنسان يعتبر عندما يجعل مع الله شركاء، عندما يجعل مع الله أنداداً أنه يحط نفسه، وليعرف أن هؤلاء في واقعهم هم لا يمثلون شيئاً بالنسبة له، وأنه في حياته يحتاج دائماً لأشياء كثيرة تتجاوز كل أولئك، فلا يبقى أمامه إلا الله سبحانه وتعالى.

{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ} (الأنعام:٤٠) **هل يمكن لهذه الآلهة التي تجعلونها آلهة، أو من تجعلونهم أنداداً من دون الله، هل يمكن أن يعملوا لكم شيئاً، أو يدفعوا عنكم شيئاً؟ لا ، هنا يقر الإنسان بأنه في واقعه يشهد أنه مملوك لله، أنه عبد لله، أنه محتاج إلى الله، أنه لا يدفع أحد على الإطلاق شيئاً أراد الله أن يوقعه به، {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ} القيامة، فهل تستطيعون أن تدفعوها، أو يستطيع أحد ممن تدعونهم من دون الله أن يدفعوها؟ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** (الأنعام: من الآية:٤٠) **بأنهم آلهة. {بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ}** (الأنعام:٤١) **بل معلوم أنكم لن تدعوا إلا إياه، وهذا واقع، هم يشهدون به في حياتهم، متى ما تحركوا في البحر، وحصل عاصف من الريح، عرف بأنه عندما يدعو هذا الصنم لا ينفع، فهناك حاجة لا يمكن أن يوجه طلب قضائها إلا إلى الله سبحانه وتعالى.**

{بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} (الأنعام:٤١) ومنها هذه الحالة التي قد تمر بالإنسان، أحيانا قد يمرض الإنسان مرضا شديداً فيرجع إلى الله، حتى وإن كان عنده مثلا قضية تساؤلات، أو استفسارات، أو أشياء من هذه، متى ما حصل فيه مرض شديد ينسى كل تلك الحالات، بل ينسى الإنسان أي ثقافة تقدم إليه إلحادية، متى ما وقع في أمر من الأمور المخيفة، مثلما يذكرون عن أحد الرواد الروس، أنه في حالة انفجرت السفينة، أو لا أدري ما الذي حصل، وأنه مما أخذ من تسجيلاته أنه دعا الله، وهو ممن قد ثقفوا بثقافة إلحادية، ولا يحب أن يسمع الله، دعا الله.

فبعد أن قررهم على أنهم هكذا واقعهم: محتاجون، وضعاف، لا يستطيعون أن يدفعوا شيئاً ـ لا هم، ولا من يدعونهم من دون الله ـ عن أنفسهم على الإطلاق، يذكر بأنه احتمال يحصل كهذا، وقد حصل في الماضي، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} (الأنعام:٤٢) لم يستطيعوا أن يدفعوا، آل فرعون ذكر أنه أرسل عليهم مجموعة أشياء، جراد وقمّل وضفادع ودم، ولم يستطع فرعون ولا جنوده، ولم يستطع أن يقدم شيئاً، أن يعمل شيئاً، جراد وقمل وضفادع، أشياء بسيطة، رجعوا إلى موسى {قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ} (الأعراف: من الآية١٣٤).

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} البأساء والضراء معناها: المصائب فيما يتعلق بالأجسام، وفيما يتعلق بالممتلكات، شدائد، {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} ، عسى أن يتذكروا من خلال ما أصابهم فيرجعون إلى الله .

{فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} (الأنعام:٤٣) هلاّ إذ جاءهم بأس الله تضرعوا إلى الله، ورجعوا إليه؛لأنه اكتشف لهم بأنه ما استطاعت آلهتهم أن تدفع، ولا يستطيعون هم أن يدفعوا، شيء يعلمون أنه من جهة الله، أشياء محدودة ليس العذاب الذي يأتي، عذاب التنكيل، {فَلَوْلا} يعني: لو أنهم تضرعوا عندما جاءهم هذا البأس {وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:٤٣) متى ما قست قلوب الناس لا تعد تنفع معهم الآيات مهما كانت .

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (الأنعام:٤٤) في هذا يتبين لنا سنة إلهية، الناس بحاجة إلى معرفتها بشكل واسع، هنا تحسنت أحوالهم، وبدا لهم وكأن الأمور صلحت، وكأنه لم يعد عليهم شيء {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} ، خيرات: أموال، وأشياء من هذه، لكن ليست إلا ماذا؟ في طريق أن تكون الضربة عليهم شديدة . {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} هنا يتأكد الإنسان بأنه فقط النعم التي يجب أن ترتاح لها، وتطمأن إليها، النعم التي هي من الله سبحانه وتعالى؛ لاستقامة الناس على طريقته، أما نعم أخرى فاعتبر ما هي إلا ماذا؟ وسيلة من وسائل العذاب فعلاً، وهذا ـ مثلما نقول ـ إنه فعلاً تقطع على الكثير من الناس، لأنه فعلاً للأسف الكثير من الناس عندهم هذه القضية يعني: من السهل أن يميل عن الحق، يميل عن مواقف حق، يمشي بعد الباطل مع أهل الباطل؛ لأجل يحصل على مصالح، وحصل له بيت، حصل له كذا، حصل له أشياء، وعنده صلحت له الأمور {وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} (المائدة: من الآية٧١) مثلما قال سابقاً .

لا، لا يمكن في عدل الله سبحانه وتعالى ـ على ما يتبين من خلال الكثير من الآيات في القرآن الكريم ـ أن يترك الآخرين وكأنهم متنعمين ومرتاحين، وهناك بالنسبة لأوليائه يقول لهم أن يضحوا بأنفسهم وأموالهم، وإن لحقهم بأساء وضراء فلا يبالوا، فهل سيترك الآخرين أن يتنعموا، يتركهم يتنعموا؟ لا، هي على هذه الطريقة، وهي تعتبر فترة قصيرة، والإنسان بطبيعته عندما تمر به مثلاً ثلاثين سنة من عمره في أعلى نعيم يتصوره في هذه الحياة، هو يعتبره حلم، أليس حلماً؟ هل الإنسان يتذكر الماضي، نعم في الماضي؟ لا، تصبح وكأنها حلم، تكون الضربة عليه شديدة جدا مثلما قال في آية أخرى: {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة:٥٥).

هنا تكون المسألة قد هي عبارة عن ماذا؟ عن ما يسمى استدراج، أو إمداد، تصبح أنت يقسو قلبك، وتبتعد عن الهدى أكثر، وعندك [ما هناك خلة، وها أنت هذا ما أصابك شيء بسبب أنك ما مشيت بعد طريقة حق، ما لحقك شيء، وهي هذه أمورك سابر، وأمورك مستقيمة] بل قد تحاول تقول لآخرين: [تعال معنا، لاحظ معنا أشياء والدنيا سابرة، لا تمشي مع ذولا عندك الصعاليك، ما معهم شيء] هنا أليس الإنسان يبتعد عن الهدى، ويتمادى في غيه؟ في الأخير لتكون الضربة شديدة عليه.

وفعلاً متى ما كان لدى الإنسان ممتلكات تكون الضربة شديدة جداً عليه، إذا أنت فقير ليس بيدك شيء تكون المسألة طبيعية عندك، مثل حالتنا الآن، هل أحد منا متألم مثلا أنه انقلبت عليه قاطرة؟ الآن هل يوجد أحد؟ لا يوجد. لو أنه كان لديك قاطرة، وانقلبت عليك القاطرة، كيف ستكون أنت الآن؟ ستكون في حالة، لا يهنيك القات، ولا تعرف ماذا يقول الناس، وفي حالة سيئة، وتبحث كيف إذا بالإمكان أن يحصل لك من أي جهة مساعدات أو.... المهم ألم شديد، أليس الألم سيكون شديداً؟ الآن لا يوجد .

هي هكذا، الإنسان قد يدخل في مواقف باطلة، وقد يستجيب لأهل الباطل، وقد تعرض عليه إغراءات، وفجأة ما عرفت إلا وقد استطاع أن يبني له بيتاً، ولا عرفت إلا وقد اشترى له سيارة، وما تدري إلا وقد معه كذا، وما تدري بعد ويضربه الباري ضربة شديدة، يرى نفسه كلما كان معه وإذا هو ليس إلا كمثل من يجمع الفحم حوله؛ ليكون الإحتراق كبيراً، ليكون الإحتراق من حوله، احتراق النار شديد ، يلتهب بشكل أشد .

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} هو غني، ثم في الأخير يرى نفسه بأنه سيفوت عليه كذا، وسيفوت عليه كذا، وسيفوت عليه كذا، وسيفوت ويفوت، ويعدد، ويكون هو يتعذب أمام كل قضية لوحدها.

الآن حسب تصورنا كيف ستكون الآن نفسيات كثير من الحكام العرب، والمسئولين الكبار، والتجار الكبار الآن في المرحلة هذه؟ كيف سيكونون؟ أصحاب المناصب الكبيرة، والممتلكات الكبيرة، والأشياء الكثيرة.... عندما يتذكر أن أمريكا متجهة عليهم، وأمريكا هذه لم يعد هناك من يردعها، وفي الأخير يتذكر منصبه، ويتذكر أنه في يوم من الأيام قد يكون إما يقتلونه، أو يصبح منفياً في أي بلد آخر، مطرود من بلده، أو يرى نفسه أن القصور التي هو فيها يمكن أن يفارقها، السيارة التي يركبها يرى بأنه ممكن يفارقها، حدائقه، مزارعه، وإذا هو يرى كل ما الإنسان يعتبره نعمة قد صار يراه، وينظر إليه بشكل يتألم، يتألم كلما رأى شيئا تألم؛ لأنه سيفارقه .

وتحصل أمثلة في الحياة، لاحظ صدام كيف كانت قصته قصة غريبة، قصة رهيبة جداً، يصل الأمريكيون والبريطانيون إلى داخل قصوره، ويعبثون بها وبأثاثها، ويحطمون صوره، ويحرقونها، المهم قضية نعوذ بالله أصبحت حتى الصورة التي كان يحاول يعممها في كل مكان، أصبحت وسيلة لتعذيبه، خزي، أصبحت الصورة نفسها، لأن صدام فعلاً عندما زرنا العراق عنده اهتمام بقضية صوره، في كل مكان حتى في بعض الصحاري خارج في الطرق ما بين المدن يكون هناك صورة موجودة لوحدها مثل أكبر جدار، ومعها مولد كهرباء لوحدها، وشبك من هناك محيط بها لوحدها، وكشافات! المهم كم يمكن أن تكلف الصورة لوحدها، وفي الأخير ترى ألماً، تتحول تلك الصور نفسها إلى وسيلة خزي له؟ هكذا تكون العواقب، لأنه هكذا بالنسبة للقرآن الكريم قطع كل المجالات أمام الناس جميعاً، أمام من يفكر تفكيرات أخرى، يجب أن يفهم بأنها كلها خسارة؛ لأنه قدم كل شيء هو عدول عن هداه هو خسارة لا شك فيها كيفما كنت أنك ستخسر. {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} وأشد الأسى والحزن الذي يأتيك في حالة فرح، فرح بما أوتي [قد الأمور سابر] {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}، مفلسون، آيسون، {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام:٤٥).

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ} (الأنعام:٤٦)، أنكم حتى فيما هو داخل أجسامكم، في تركيبتكم أنك محتاج إلى الله فيها، وأنك لا تستطيع أن تدفعه لو أرد أن يأخذها، هذا يعني بأنه ماذا؟، أنه النافذ أمره حتى إلى ما هو مودع في جسمك {سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} (الأنعام:٤٦) يقدم هذه بأنها آيات، آيات مؤثرة، أدلة ــ إذا صحت العبارة ـ أدلة ، آيات مؤثرة فعلاً، هذه كلها لا تقدم آيات في علم الكلام، على طريقة الاستدلال لمعرفة الله!.

هنا يحسس الإنسان بأنه كل شيء بيده، كل شيء معه، كل شيء فيه لا يملكه، لو أراد الله أن يأخذه منه لا يستطيع يدفعه عنه، إذاً فليقر بأنه ملك لله، وأنه عبد لله، وليعرف بأن تلك الآلهة التي يدعونها، وأولئك الأنداد الذين يدعونهم ليسوا جديرين بأن يدعوهم، ولا يعبدوهم، ولا يعملوا لهم شيئا. {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} (الأنعام:٤٦) نقلبها، نلون الآيات ونشكلها وننوعها، ثم هم مع هذا، على الرغم من هذه الآيات {يَصْدِفُونَ}، ينصرفون، يبتعدون.

{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ} (الأنعام:٤٧) يعني: هل أحد يستطيع أن يدفع، أو آلهتكم تدفع، أو من تتخذونهم أنداداً، وتجعلونهم أكبر من الله في أنفسكم، هل تدفع؟ لا يمكن، وعندما يأتي عذاب الله فيهلك به من هلك إنما يهلكون وهم ظالمون.

فإذا كانوا في نفس الوقت عندما يتحدث معهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أو أي أحد من الدعاة إلى الله يظلون وكأنهم أمام ذلك الشخص، وماذا يملك ذلك الشخص، يقول: أولئك الرسل الذين قد تكونون تستخفون بهم، أو عندكم بأنه لا تخاف منه هو، يجب أن تفهم إنما هم مبشرون ومنذرون، أما من يملك العقاب والثواب، ويملك أن يؤاخذكم هو الله، أليس هنا يذكرهم به سبحانه وتعالى، هذه نقطة هامة جداً، نقطة هامة جداً وأساسية في الدعوة إلى الله، أن لا تقدم نفسك أنت بحيث يرى الناس وكأنك أنت الذي تدعو ... وفي نفس الوقت يرون أنك لست بالشكل الذي يخافون منك، ويرونك بأنك لا تملك الشيء الذي يمكن أن يضرهم، أو ينفعهم، قد يكونون مستخفين بك. يجب أن تملأ مشاعر الناس، وأنفس الناس بالخوف من الله، تقول: هذه من الله، هدى الله، تذكرهم بالله، تخوفهم بالله، وهكذا.

{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} (الأنعام:٤٨) هذه الآيات الهامة التي يأخذها البعض بفهم آخر، يقول: معنى مهمة الإنسان، وحتى الرسل أنفسهم إنما فقط يبلغون، ويدعون، إن استجابوا فلا بأس وإلا لستُ عليهم بمسيطر. تتأمل كيف تأتي في مقامات هامة جداً؛ لأن هذا هو الشيء الطبيعي الذي يحصل، أليس الفراعنة، أليس المصريون استخفوا بموسى؟ عندما ينظرون إلى موسى فيجدونه إنساناً فقيراً بعصاته، عندهم هذا لا يملك شيئا. إستخفهم فرعون بمظاهر فرأوا بأنه هو يملك.. وهذه تجدها مترسخة في ذهنية الناس، يعني: لم تقدم لهم معرفة الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي تكون مشاعرهم كلها مليئة بالخوف منه، باستشعار رقابته، يكون عنده ذلك الطرف هو يخاف منه، وهذا الذي يتحدث هنا لا يخاف منه، حاول يمشي بعد ذلك الذي هو خائف منه أنه سيعاقبه.

هنا يقول: الرسل الذين ترونهم يدعونكم هم مبشرون ومنذرون فعلاً، هو لا يملك يعاقبك لكن وراءهم الله، يذكرهم بالله، يخاطب هو المشركين. يقول: تنصرفون من أجل أنكم تفهمون أن هؤلاء الناس وكأنهم لا يملكون شيئا تخافون منه، وكأنه يقول: أنا وراءهم أنا، أنا الذي أعاقب ، أنا الذي .. مثلما ذكر هنا بأنهم لا يستطيعون أن يردوا أي شيء يأتي من جهته على الإطلاق .

{فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الأنعام: من الآية٤٨) هذا تهديد مبطن ـ مثلما يقولون ـ يعني: الذي لا يؤمن فسيقع فيما يخاف منه، وفي أسوء ما يخاف منه مثلما جاء بعد: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأنعام:٤٩) إذاً أليس هنا يوضح لنا تماماً المغزى، أو نقول: الغاية من وراء {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}؟، لأنهم عندما يكونون يسمعون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يعرفون أنه يقدم هدى الله، والله بعد هداه، هو الملك، هو المهيمن، يعلم ما يسرون، وما يعلنون، وما يكسبون، وما يعملون، وفي الأخير سيضربهم ولا أحد يستطيع أن يدفع عنهم .

هي قضية أساسية فيمن يدعو الناس إلى هذا الدين، أن يدعوهم إلى الله، أن يرسخ في أنفسهم معرفة الله، والخوف من الله، دائما يكون الغالب على مشاعرهم أن يدعوهم إلى الله يخوفهم بالله، وإلا فقد يقارن بينك وبين أطرف مدير ناحية، من أصغر واحد إلى أكبر واحد في الدنيا هذه مثلاً بوش، أليس هو سيقارن بينك وبين أمريكا؟ لاحظ الذين يقارنون بيننا وبين أمريكا أليسوا يهاجمون من يرفع شعار؟ لأنه يتصور هذه الجهة لا يخاف

منها، لكن الآخرين يخاف منهم، هنا أليس هناك حاجة ماسة إلى هذا الأسلوب القرآني، أن يقول لهم: القضية لا تعتقدوا بأن الذي أمامكم محمد، أو موسى، أو عيسى، أو فلان، وأنتم ترونه فقيراً، وليس لديه جنود، ولا معه أمن، ولا معه أشياء من هذه، لا، ذكّرهم بأنه هو رقيب على كل شيء، وهو الذي سيعاقب ويثيب من رجع إليه.

يحتاجها الناس أنفسهم، المؤمنون يحتاجونها أن تترسخ لديهم الفكرة هذه، عندما ترى الآخرين يتجرءون عليك لا يحصل عندك شعور بأنك فعلاً ضعيف، وأنهم انفردوا بك، أبداً، أنت جندي من جنود الله، عندما يأتي جندي من طرف الدولة، وحصل عليه اعتداء أليس هو سيكون متذكراً بأنه من دولة، وأن الرئيس بعده، والجيش بعده؟ أليس هو يتصور هكذا؟ هذا الذي يجب أن يترسخ عندك، وإلا فقد يحصل عندك حالة من الغربة، وحالة من الضعف: أن أولئك فعلاً انفردوا بنا، ولا هم يخافون منا، وفي الأخير تحاول إذا ما عندك فهم تبحث عن شيء تجعلهم يخافون منك، تبحث عن أي دولة تساندك، هذه التي يقع فيها بعض الأحزاب، حزب معين مثلاً معارض، وقد أصبح إلى درجة أنه معادي لحزب حاكم، يريد في يوم من الأيام يرى نفسه قد صار متمكناً؛ ليهبط هذا الحزب، ويضربه، ويزيح رموزه، ويزيح قياداته من الساحة فلينسق مع أمريكا، وليتفق مع أمريكا؛ من أجل أن يحصل على قوة كهذه، ونفوذ كهذا! أليس هكذا يحصل؟ لأن الله غائب في أذهانهم.

هناك الكثير من الناس عندما تقول: انطلق في هذا الموضوع سيطرح عليك هذه الفكرة: [ما معنا ولا، ولا .. .] أليسوا يقولون هكذا؟ وإلا خلاصة الموضوع أننا نريد أن تتجند مع ملك السموات والأرض فقط، نحن جنود. ناسين لهذه، لكن لو يأتي مثلاً وقالوا: الجهة الفلانية لازم ترفع هذا الشعار وإلا [سينفّذون] عليك، مثلا يأتي له أمر ولو من مدير ناحية سيقول: الله أكبر، الموت لأمريكا ... الخ. ولو يقولون: سبع مرات سيرفعه سبع مرات لماذا؟ لأنه هنا قد صار خائفاً من هذا، لو لم يكن مؤمناً بالقضية سيرفع الشعار، إذا قد هو يأتي له أمر ولو من أطرف عسكري.

كلها الإشكالية هنا أن الناس يكونون ناسين لله أنه قوة، وأنه وراء كتابه وأنبيائه؛ ولهذا لاحظ كيف وجه سبحانه وتعالى رسوله إلى أن يقول: أنا شخصياً {لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ} (الأنعام:٥٠) يعني أنا شخصياً لست بالشكل الذي يهددكم أنا، إذا أنتم تنظرون إليَّ كإنسان ليس لديه سلطة، ولا جنود، ولا جبروت مثلما يكون مترسخاً في نفوس الناس؛ لأنه مترسخ في أنفسهم [الأبّهة] هذه، جهة معينة، وعندها أمن، وعندها سجون وعندها كذا ستضرب، هذه هي التي يمكن أن ينقاد لها، ويراها جديرة بأن تدعو إلى شيء ولو كان باطلاً سيمشي معها.

يقول: لا، {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} (الأنعام:٥٠) معناه ماذا؟ {أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} (الكهف: من الآية١١٠) مثلما جاء في آية أخرى، {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأنعام:٥٠) معناه ماذا؟ أنا فقط جندي من جنود الله أوحى الله إليَّ أن أبلغكم هذا القرآن، أن أنذركم بهذا القرآن {وَمَن بَلَغَ} (الأنعام: من الآية١٩) كما قال في آية سابقة، أليس هذا نفسه ما يزال في نفس الإطار، أي: لاحظ كيف تقدم القضية من جهة الله سبحانه وتعالى كأسلوب، في الآية السابقة: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} (الأنعام: من الآية٤٨)، ثم يوجه نبيه أن يكون هذا أسلوب يسلكه هو، أن يقول هكذا للناس: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} أليس معنى هذا أنه يقرر في أنفسهم[الله] الذي أوحى إليَّ هو وراء ما أوحى، يثيب ويعاقب؟.

فمن لا يكون على هذا النحو يعتبر أعمى فعلاً، أعمى وسيعتمي في أموره، ونحن نراهم فعلاً، الكثير ممن يعتمون كيف يتخبطون، الذين يمسكون من يرفع الشعار في الجامع هم في عمى، ومنطلقون من هذه الإنطلاقة، هم يرون أن الجهة التي ترفع الشعار لا تمثل شيئاً يخافون منه، والجهة التي يسترضونها بأبناء بلادهم، بإخوتهم، هي الجهة التي يخافون منها، أمريكا، هنا يقارنون بيننا وبين أمريكا، أليست هكذا؟ ناسين أن يقارنوا بين أمريكا وبين الله، ويعتبرون أن هؤلاء جنود من جنود الله، الذين يمسكونهم ربما بعدهم الله، في يوم من الأيام سوف

يضربهم، ويضربهم بالأمريكيين أنفسهم، أو بالقاعدة، أو بأي جهة، الله يقول: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر: من الآية٢) هذه القضية هامة جداً، يجب أن تتقرر، وأن تترسخ في نفوس الناس.

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ} (الأنعام:٥٠) بعد ما ذكّرهم سابقاً، بأنه لاحظوا أنتم لو أراد الله أن يأخذ سمعكم وأبصاركم هل تستطيعون أن تدفعوا؟ لو أراد أن ينزل عليكم عذاباً كما قال هناك: {إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً} كما قال سابقاً، يعني: بعدما قررهم بأنهم شيء يجب أن يعرفوا بأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا، إذاً فافهموا بأن وراء الرسل الله الذي أنتم تعرفون بأنكم لا تستطيعون أن تدفعوا شيئاً يأتي من جهته، هم مبشرون ومنذرون، والعقاب بيده سبحانه وتعالى.

وهنا ذكر فيما يتعلق بالحياة هذه، وأيضاً التخويف بالآخرة {وَأَنْذِرْ بِهِ} (الأنعام:٥١) بهذا القرآن {وَأَنْذِرْ بِهِ} لاحظوا كيف حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كلها حول القرآن {وَأَنْذِرْ بِهِ}، {وَذَكِّرْ بِهِ}، {يَهْدِي بِهِ} (المائدة: من الآية١٦) وهكذا. {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الأنعام:٥١) كما أنهم يجدون أنفسهم هنا في الدنيا أنهم فعلاً عندما يأتي شيء من جهة الله لا يعد يبقى لهم من دونه لا ولي ولا شفيع، أيضاً يبقى الآخرة هي أشد عندما يرون جهنم، ويرون أنه لم يبق لا ولي ولا شفيع من دون الله، لا من يتخذونهم آلهة، ولا من يتخذونهم أنداداً من دون الله.

لأنه إذا كان العرب السابقين يتخذون أصناماً من دون الله، حجر، أو خشبة، أو أي شيء من هذه، صنم يسميه إله، أيضاً يوجد باب آخر موجود: الأنداد من دون الله، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً} (البقرة: من الآية١٦٥) عندما تكون هناك معارضة، وقد تكون معارضة من أشخاص وجهاء، ومن أشخاص من قُبُل هامة، وأشياء من هذه، وهم نوعية مثلاً بالنسبة للذين عندهم يرونهم مستضعفين، وليسوا إلى درجة أن يجلسوا معهم، [أطردهم من عندك ونحن سنسلم!] هنا قد ربما يقول واحد: إذاً بدل ما يكون عندي ناس ضعاف مساكين لن يستطيعوا أن يعملوا شيئاً، إنما فقط حالوا دون وصول الآخرين الذين سيسلمون وسينفعون..، أليس أي واحد سيقول هكذا؟ لا، ليست القضية بهذا الشكل.

وهنا تلمس أيضاً كيف تكريم الله للإنسان فعلاً، تكريمه للناس جميعاً، وتكريمه قائم على أساس من يتبع هداه، هنا يقول: هؤلاء الذين عندك لا تطردهم على الإطلاق، لو كان سيسلم مائة زعيم من زعماء القبائل، يسلمون ويتجهون إلى عندك فقط يقولون: لكن نحن نريد أن لا يكون عندك ناس من النوعية هذه، الذين حولك؛ لأن هؤلاء ما يصلحوا نهائياً، ما يصلحوا أن يدخلوا في هذا الإسلام نهائياً، الإسلام لا يجعل نفوس من يدخلون فيه على هذا النحو، هذه نفوس جاهلة.

{وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنعام:٥٢) وهذه حصلت، ويبدو أنها كانت في معظم مراحل تاريخ الأنبياء، يسارع إلى الإسلام كثير من الناس المستضعفين، والآخرون يقولون: هؤلاء أراذلنا اتبعوك، ناس نحن لسنا مستعدين أن نجلس معهم أبداً، يعني: لسنا إلى درجة أن نجلس معهم، نجلس معك في مجلس هم فيه، ناسين أنه هو يجلس معهم! أليسوا ناسين بأنه يجلس معهم هو وهو أشرف منهم وأعظم منهم، يجلس معهم، لاحظ كيف جاء بالأعمى في [سورة عبس] يأتي يقوده [ليخربط] الإجتماع الذي كان مع مجموعة من وجهاء قريش.

هذه قضية هامة جداً، والإنسان إذا لم يكن عارفاً كيف يقيّم الناس، وعلى أي أساس، ويعرف أن هذا دين الله، وأنه باب واحد يدخل منه الناس جميعاً، وأن من واجب من يدخل ـ وإن كان كبير عشيرة، أو زعيم أو كيفما كان ـ أن الإسلام يجعله بالشكل الذي يعطف على هؤلاء، وليس أن يطردهم، أليست هذه تربية القرآن في آيات أخرى؟ بالنسبة للمساكين، الأيتام، الفقراء، وهؤلاء يريدون أن يطردهم، لا يصلح يجلسوا في مجلس وهم فيه!.

البعض من الدعاة، أو من أصحاب مدارس معينة، يكون عنده أنه يريد يحافظ على المذهب، أو يريد يحافظ على كذا يكون عنده فعلاً لا يريده، يمكن يبعد هذا إذا كان سيستجيب له فلان وفلان فقط يـشرطون عليـه بأنـه لا نريد الصعاليك يجلسون عندك، قد يقول لهم: هيا، يذهبوا من عنده.

بما أنها قضية ملموسة أن الإنسان إذا كان في حركة معينة، وهو يرى بأنه يبدو من معه هم مجموعـة مستـضعفين وناس حتى بعضهم قد يبدو أنهم أغبياء، وأشياء من هذه، لا يحصل عندك فكرة بأنه [لو يـدخلوا آل فـلان لـو يدخل فلان وفلان وفلان] فتكون أنت تعتبر حركتك بأنها لا تمثل شيئاً ؛ لأن ما فيها فلان وفلان وفلان، من علماء وزعماء عشائر، ومثقفين، وتجار، وشخصيات، وأشياء من هذه؛ إن القضية تكون بالعكس قد تـرى كثيراً ممـن هـم على هذا النحو تـراهم أكثر الناس تخوفاً؛ لأن عنده منصب، مقام معين، أو مـال ـ هـذه القـضية ملموسـة ـ لـيس مستعداً أن يتحرك معك في مجال ربما يؤثر على منصبه، أو يؤثر على مصالحه، إذاً هذا لا ينفع، سينفع أولئـك الذين هم صعاليك ليس معه ما يخاف عليه، أليس هذا سينفع أكثر .

ثم تجد بأن هذا حصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يوجد في قريش شخـصيات عبـاقرة وصناديد ووجهاء في المجتمع، وأشياء من هذه، لم يستضعف نفسه؛ لأن الذي عنده من الموالي وشخصيات بسيطة من الطبقة المستضعفة في المجتمع، هؤلاء ـ لأن الله هو الذي يبني النفوس هو ـ الله سيجعلهم عباقرة، ويجعلهم مقتدرين، ويجعلهم أقوياء، وهذا حصل، والآخرون يتهمشون، يصبحون لا شيء.

هذه قضية أساسية لا تحتقر أحداً، ولا تحتقر وضعيتك، ومن معك على أساس ما معك فلان وفلان وفـلان وفـلان، وفعلاً كان أولئك المستضعفون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كـان بعـضهم ممـن جـثم علـى صـدور الصناديد والعباقرة والوجهاء يوم بدر، ممن جثم على صدره، ورأينا من بعد هؤلاء المستـضعفين كيـف أصـبحوا ولاة في مناطق في داخل بلاد فارس وغيرها، وبعضهم ربما كان يمر من عنده فلا يتنازل أن ينظر إليه، لا يعتـبره شيء نهائياً.

يثق الناس بالله أنه هو الذي يبني النفوس، متى ما اتجه الإنسان بإخلاص إليه، لا تستـضعف نفـسك أنـت، أيّ واحد لا يستضعف نفسه، أو يستضعف جهة هو فيها، يتحرك على أساس أنه لو كان معنا.. . لا معنا سيدي فـلان، ولا القاضي فلان، ولا الشيخ فلان، ولا فلان، ولا المسئول الفلاني، ولا معنا صـحفيين، ولا محللـين اسـتراتيجيين، ولا.. . من هذه الألقاب، أبداً، يثق الناس بأن الله سيعطيهم نوراً مثلما وعد عندما قال: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّـهَ يَجْعَـلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩)، ولأن الإسلام يتسع للجميع، يتسع للجميع فعـلاً، حتـى في مجـال العمـل لـه، مجـال العمل لإعلاء كلمة الله يتسع للجميع؛ لأنه عمل واسع جداً، ويتسع لكل الفئات، إنما من يكون قائماً على موضوع إقامة دين، يجب أن يكون فاهماً بالشكل الذي يستطيع أن يعطي الآخرين، يبين لهم بأن هذا الـدين هـو رحمـة من الله، ونعمة، يتسع للكل، أنت قد تكون من طبقة مستضعفة معينة، قد لا تكون فعـلاً إلى درجـة أنـك تنـزل الميدان تقاتل، لكن باستطاعتك تقدم خدمات كثيرة في سـبيل الله، أليـست هـذه القـضية واضـحة؟ والأقويـاء باستطاعتهم أن يواجهوا، عمل واسع جداً، يتسع للأبطال، ويتـسع للأقويـاء، ويتـسع للـذين هـم أخـف مـنهم، والذين من بعدهم، وللكل، وهذا من النعمة على الناس، ومن مظاهر تكريم الله للإنسان؛ لأن الله قـال: {وَلَقَـدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الاسراء: من الآية٧٠).

فإذا واحد فاهم هو يستطيع يشغّل الناس جميعاً للدين، لا يحصل عنده يقول: [إما ذولاك أتركهم ماذا سيفعلون للدين! ذولاك الذين يكبرون، هم ملان المسجد لكن لو يأتي شيء ما ثبت إلا القليل] قلنا: يـشتغلون هكـذا الآن ويكفي [فَكَّه]، ربما يهيئ الله من هؤلاء الناس، ويهيئ من غيرهم، كل قضية سيهيأ لهـا أهلـها، كـان رسـول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحشد الناس معه، ويحشد أشخاصاً هو يعرف ليسوا صناديد مواجهة لكن هـو عمـل طريقة جديدة في الحرب صف، يصف أصحابه من هناك إلى هناك، ورآهم العدو هناك أمة، هذا الشخص يشكل رقما، أليس هو يشكل رقماً هناك، إلى آخره.

في مواجهة أهل الكتاب بالذات، لاحظ كيف؛ لأنهم هم الله ضرب عليهم ذلة ومسكنة، هم يخافون من الجمهرة هذه، مزعجة لهم جداً، حشد لهم ثلاثين ألفاً، كم بين الثلاثين ألف هؤلاء؟ هل كلهم صناديد؟ بل كان هناك ظاهرة عامة عليهم أنهم في حالة انكسار نفوس؛ خارجين يواجهون دولة كبيرة، مثلما تقول الآن: قبيلة معينة يتجهون لمواجهة أمريكا، لكن سمع العدو أولئك ثلاثين ألفاً ! لأن العدو نفسه، لا تعتقد بأنهم صناديد كلهم، وهم هكذا تجد بينهم أبطال، وبينهم كثير..، وإذا هناك أبطال الباري سيملأ قلوبهم رعباً، وأولئك فيهم رعب من بيوتهم، وسمعوا ثلاثين ألفاً خرج بهم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثلاثين ألفاً يعني هؤلاء يمكن أنهم شرسين كلهم، اتخذوا قراراً بأنهم يتراجعون، ولا يواجهون .

ومجال واسع لك شخصياً، لك شخصياً، أنك تبذل أكبر جهد في سبيل الإسلام ممكن لدرجة أن تواجه مواجهة مسلحة، وتقاتل في سبيل الله، وتستبسل وتضحي، هذا ممكن، أليس مفتوحاً؟ لا يكون هذا الباب محصوراً فقط على فئة، باسم أي فئة، ممكن إذا عنده روح استبسالية حيّاه الله وإلا... فهو عارف (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يعرف كيف، ولكل فئة، ولكل طبقة، ولكل قبيلة، ولكل شخص المجال الذي يستطيع يتحرك فيه.

هذا مما يؤكد أنها تكون أسهل للناس من ناحية المسئولية، إذا هم في وضعية إقامة دين، ولديهم من يقيم الدين برؤية صحيحة، أن المسئوليات تخف على كثير من الناس، بينما إذا ما هناك أحد يكونون مسئولين جميعاً، لأنه ممكن مثلاً أهل مدينة معينة، أو أشخاص معينين، أو شخص معين هو يعلم حالتهم، يعلم وضعيتهم ممكن يقول: [تمام أنتم اشتغلوا في مجال كذا] واعتبر عملهم كاف، عالم مثلاً، أو مجموعة علماء قد يكون مثلاً عندهم تخوف، أو قد هو يرى نفسه شيبة، أو أشياء من هذه متى إذا ما هناك أحد يعمل يكونون مسئولين جميعاً، إذا هناك من يقيم أمر الله يكون ماذا؟ باستطاعتهم أن يكونوا مؤيدين .

ما يزال مجال باب التأهيل مستمر، وفعلاً قد يكون بعض الطبقات لا تستطيع أن تعمل شيئاً في ظل وضعية معينة لكن في وضعية أخرى قد يكون لها دور فاعل، وهكذا.

فالإسلام يستوعب الأقوياء من أول يوم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الكل، ولهذا يأتي بخطاب: يا أيها الذين آمنوا، أليس يا أيها الذين آمنوا؟ لأن كل مؤمن يستطيع أن يشتغل، وكل مؤمن هو مدعوّ إلى ميدان يتسع له مع الآخرين كيفما كانت وضعيتهم، من ناحية التركيبة الإجتماعية، أو باعتبار البيئة الحاصلة، باعتبار الوضعية الحاصلة، لاحظ كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هكذا، يحرك المجتمع، نفس المجتمع، ذلك المجتمع على ما هو عليه، لا يوجد عنده فكرة أنه أولاً يدرسهم، يدرسهم، يدرسهم، يحمّيه، يحمّيه، يحمّيه، يحمّيه، وفي الأخير يفلته. لا، ناس يسلمون وقال: هيا يسرح معهم، يسرح معهم، يسلم أول يوم، وثاني يوم يسرح معهم، ولأن الله يتدخل في بناء النفوس، هذه القضية أساسية، يرفع معنويات الناس، يشد قلوبهم، يربط على قلوبهم، ينير أفكارهم فيصبح الذين كانوا يرون أنفسهم أغبياء في الأخير يصلون إلى أن قد عندهم قدرة، عندهم قدرة في إدراك الأشياء، في فهم الأشياء، في تحليل الأشياء، رؤية الأشياء، وهكذا.

لهذا أنها تعتبر معجزة للإسلام نجاح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تعتبر معجزة في حد ذاتها، لاحظ عندما تتأمل القرآن كم فيه من أعداء يتحدث عنهم، أعداء صناديد، وأعداء مكارين، وأعداء متآمرين، من مشركين، من كل الفئات: مشركين، ويهود، ونصارى، ومنافقين، ومع هذا اجتاز الكل، ألم يكتسح الكل؟ وصدّر ما كان يعمل هؤلاء؛ ليبين لك بأنه هكذا الدين يعلو فعلاً، يعلو إذا هناك من يتحرك على أساسه، ألم يصدر في القرآن ماذا كان يقول الآخرون، أصحاب الدعايات، والمتآمرين، كلها صدرها هنا؛ لترى بأنه فعلاً معجزة أنه خرج من بين هؤلاء، واكتسحها، وهمش كل هذه الفئات: اليهود، والنصارى، والمشركين، والمنافقين، {وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (التوبة: من الآية٤٨).

معنى هذا أنه بإمكان أي إنسان ينفع الإسلام، وكلما تطورت قدراته سينفع أكثر، كلما ارتفعت معنوياته سينفع أكثر، وهكذا، هو لا يوقف المسألة على أنه أولاً يعمل له مدرسة خاصة هناك، [أولا يقريهم، يقريهم..] يقول:

[أولاً يقرأ يقرأ يقرأ إلى أن يصير ...] هو هذا نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله)، يُقرّبه الله في الميدان، أليس الله يقربه في الميدان؟ القرآن ينزل عليه وهو يشتغل.

فهي قضية أساسية: أن الإنسان لا يحتقر أحداً، وهو نفسه لا يحتقر نفسه، يكون عنده [ماذا يمكن نعمل للإسلام، ماذا سنعمل، وماذا بإمكاننا أن نعمل] هذه رؤية قد تأتي له من جهة الشيطان، إعرف بأن باستطاعتك أن تنفع الإسلام في الوقت الذي أنت فيه، وهذه القضية معروفة، نحن نرى أن الناس يستطيعون أن ينفعوا الإسلام ولو لم يكن إلا برفع شعار، أليست هذه القضية معلومة؟ في المسجد بين الناس مهما كان ضعفك، لو خوفك كيفما كان، ومع الجماعة بين الناس ما هم عارفين مَن، أليس هذا ممكناً؟.

ولهذا يحاولون، لاحظ كيف هم يحاولون، قالوا: [فقط يكون خارج المسجد، ويكون بعد كذا]، عارفين الذين هم خوّافين سيتركونه، لكن عندما يكون بعد الخطبتين في تلك الوقفة سيكبر الناس كلهم، وسيحسب أهل المسجد مكبرين، مثل حينما تدخل على هذا المجلس وهم مكبرين، هم لن يقولوا: أنت يا فلان، هل بالإمكان أن يطابقوا بالقلابات إلى عند المساجد ويقولوا: [هيا، أهل المسجد كلهم إلى السجن] هل هذا ممكن؟ لا، ولا ينتقوهم، يقولون: [من الذي كبر؟] كلهم كبروا، إذاً فأمكن لواحد يكبر ولو كان يرتعد من الخوف، أنه ممكن يكبر ولو كان يرتعد من الخوف.

{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} (الأنعام:٥٣) الله هو الذي يعلم، إن الله يعلم بالشاكرين المستجيبين، لا يبحث عن كبار الشخصيات، وكبار التجار من أول يوم؛ ولهذا يخاطب المؤمنين جميعاً، هو لا يقول: يا أيها الرئيس، يا أيها الوزراء، هل هو يخاطب بالشكل هذا؟ يا أيها القادة والضباط؟ يخاطب المؤمنين جميعاً، وهو أعلم بالشاكرين.

فالفئة هذه في الأخير يقولون: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، يعني: مثلما نقول: ليسوا جديرين بأن يمن عليهم، لو يريد أن ينصر دينه لبحث للناس الأقوياء الشجعان، يبحث عن ذلك الذي في الطائف، وذلك الذي في مكة، ألم يقولوا هكذا من البداية؟ {لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}(الزخرف: من الآية٣١) أنه لا بأس ذلك القوي إذاً يستجيب وسيظل قوياً؛ ولهذا تلاحظ كيف كان عمل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هل هو يحاول أن يحط أحداً من مقامه؟ لا، لم يكن يحاول أن يحط أحداً من مقامه، لكن أسلم وإلا ستنحط أنت، استجب وإلا فستنحط، وسترى من تقول: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، أنت ستراهم فوق، وهذا الذي حصل في تاريخ الإسلام، في بدايته، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

فهي فتنة للطرفين {فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، هذه واحدة بالنسبة للمستكبرين، أصحاب النفوس المتكبرة، وفتنة للناس أنفسهم الذين يرون أنفسهم أنهم من عامة الناس، من المواطنين ـ الذين يسمونهم ـ من [الرعويين، رعوي] على تعبير أهل صنعاء، أنهم هم يجب أن يكونوا واثقين بالله، ويعرفوا بأنهم معتزون بعزة الله؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى أولئك إذا لم يرضوا أن يستجيبوا، لسنا بحاجة إليهم.

ولهذا كان السبق، فضيلة عظيمة، السبق؛ لأنه قد يكون في معظم المراحل تبدأ الأشياء بناس مستضعفين فقراء، ناس يراهم الآخرون لا يملكون شيئاً، حتى من هم مؤمنون بقضيتهم لا يتفاعلون معهم، يكون عندهم [ماذا يمكن أن يعملوا؟!] أليسوا يقولون هكذا؟ [عمل باهر لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟!]، أليسوا بحاجة إلى أن يفهموا الآيات هذه، الله يقدم الموضوع بأنه هو وراء كتابه، وبعد هداه، هم يرونهم [ناس باهرين وشباب طيبين وباهرين لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟ ماذا سيعملون؟!] لكن إذا أنت فاهم، ادخل معهم، والثاني يدخل معهم، وحاولوا تدخلون معهم حتى يستطيعوا يعملوا شيئاً، لكن يقول: [هؤلاء ماذا يمكن أن يعملوا] وجلس هناك، جلس هناك خارج، وقد صار يعتبرهم أنهم لن يعملوا شيئاً، ولا هم ناجحين في شيء، وجلس هناك بعيداً عنهم، أليس هنا ستفوته فضيلة السبق؟ لأن السبق يقوم على أساس إيماني بحت، السبق عادة يقوم على أساس إيماني خالص، أما وقد صار الناس قوة جبارة، أما وأنت قد صرت تلمس نجاحات كبيرة تنطلق معهم، هذا هو طبيعي

بالنسبة لك ولغيرك، لكن في البداية يكون الناس في وضعية قد يكون الاحتمال، بل ربما يكون الكثير قاطعين بأنهم لن ينجحوا في أعمالهم، لا ينطلق إلا من هم ماذا؟ من يسمون: سبّاقين، وفي نفس الوقت لاعتبار إيماني بحت، ليس من أجل أننا قد أصبحنا قوة، أو من أجل أن قد معنا، أو من أجل قد يستطيعون، أو أشياء من هذه، لا، ثقة بالله، ويجب أن ننطلق على هذه الطريقة؛ لأن الله هكذا أراد منا أن ننطلق عليها.

وإذا خسر الإنسان مرحلة السبق، فلا تتعوض؛ لأن السبق هو مرتبط بمرحلة وقتية من الزمن، وقتية، أنت لا تستطيع أن تعيد عجلة التاريخ؛ ولهذا قال: {لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} (الحديد: من الآية١٠) ، قبل فتح مكة، {أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}، لكن لو تعمل ما تعمل لا تستطيع أن تعمل تلك النقلة، تلك مرحلة مرت. وهنا يؤكد في تربيته للناس على أن يكونوا سباقين ومسارعين، ثم يذكر فضيلة السابقين، {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (الواقعة:١٠ ـ ١١) .

الله سبحانه وتعالى هكذا يتعامل مع عباده {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}؛ لأن الله هداه هو يعتبره نعمة، ويعتبره فضلاً، فهؤلاء هم الجديرون بأن يعطوا هذا الفضل، وهذه النعمة؛ لأنهم سيشكرونها، وأنت ابقَ هناك، انتظر هناك، يتكبر يجلس هناك، ما هو متنازل لما ما يدري إلا وانحط إلى آخر درجة، وضاع، وتهمش تماماً.

كان يدخل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يأتي بعض الوفود، شخصيات، زعماء عشائر واحترمهم وقدرهم، وأسلم، وأعاده إلى منطقته، لا يقول له: ابعد عن مقامك، هل كان يقول له هكذا؟ لا . إذاً أليس هنا يحصل الإنسان على تكريم؟ تكريم في الدنيا وفي الآخرة، لكن متى ما تمسك يقول: أبداً... ما زال يراعي مقاماً معيناً عنده، في الأخير يهبط إلى الحضيض، ويتجاوزه الناس، ويتجاوزه الزمن، والتاريخ، ويعتبر خاسراً في الدنيا وفي الآخرة.

لاحظ كيف الرعاية الإلهية بالنسبة لهؤلاء المستضعفين الذين يحتقرهم الآخرون، يذكر الباري بأنهم محط عناية ورعاية إلهية، {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:٥٤) ، أليس هذا رفعاً لمعنوياتهم، التفاتة إلهية مباشرة إليهم مقابل إعراض الآخرين، وكبريائهم، والذين ينظرون إليهم بأنهم لا يمثلون شيئاً {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} ألم يأت بالتفاتة مباشرة إليهم؟ ويأمر رسوله هكذا أن يقول: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ}، إذا أنتم ترون الآخرين يحتقرونكم لا تظنوا أنه ربما فعلاً نحن في واقعنا محط احتقار حتى عند الله، لا، لاحظ هذا مما يدل على أنكم محط تكريم ورعاية إلهية.

{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} (الأنعام:٥٥) يبين الباري في القرآن كل شيء، يبين لك طريق المؤمنين، طريق الحق، وسبيل المجرمين، تشخيصهم في نفسياتهم، تشخيص رؤاهم، تشخيص أعمالهم .

{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ} (الأنعام:٥٦) أليست هذه السورة مليئة {قُلْ إِنِّي} {قُلْ لا} { قُلْ}، رعاية وحركة على طول وهم في ميدان المواجهة، في ميدان العمل [لم يبنِ له أولاً منزلة هناك ويجلس يهاجر ست عشر سنة وبالكاد ناصف...!]، لا، وهو شغال {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أليست السورة هنا نفسها تركز على هذا الجانب، جانب ترسيخ أن وراءه الله، أنه إنما يتبع ما يوحى إليه، هو مأمور هو أن يقول هكذا، ومنهي أن يقول: كذا كذا، ما قيمتها أنه يرسخ في أنفسهم الله سبحانه وتعالى؟ وقضية هامة من الناحية الواقعية باعتبار المرحلة التي هو فيها وباعتبار هكذا دائماً حتى لا يكونون ينظرون إليه هو هو، يشدهم إلى الله، يجلسون يخافون من الله، أو يرجعون إلى الله، لا عندي خزائن السموات والأرض فترجوا وتطمعوا عندي، ولا أعلم الغيب، أقول لكم إنه بعد فترة كذا سيحصل كذا، كذا، وهكذا يقول لهم: أنه هو منهي كما هم منهيين، يتوجه إليه النهي كما يتوجه إليهم النهي تماما: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} وليشعرهم بأنه على طريق لا يتزحزح عنها على الإطلاق.

{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} (الأنعام:٥٧)، من ربي، وليس بعبقريتي، بثقافتي، بفلسفتي، بحنكتي، أو أشياء من هذه، النوعية هذه تضيع {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} وأنا في طريقي هذه على بينات واضحة، وأعرف أين أنا، وأين أسير، من الله، {وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} قد هم عجالين أنه يأتيهم بآية عذاب، هكذا من حماقة الكثير من البشر في مراحل الأنبياء، في مراحل النبوة يقولون: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الأعراف: من الآية٧٠) . {مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} هذا شيء بيد الله، {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} فمتى ما أراد هو سيفصل بيني وبينكم، ويفتح بيني وبينكم .

ثم يذكّرهم بأن ما تستعجلونه بأنها حماقة عندما يطلبون هذا الشيء وبعجلة، لأنه لو جاء هذا الشيء لا يعد ينفعكم شيء، لا يعد ينفعكم إيمانكم {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} (الأنعام:٥٨) لأنه ما هو الشيء الذي يستعجلونه به؟ عذاب. عندما يخوفهم بأنه قد يأتي لهم عذاب يجتاحهم كما حصل لهم في الماضي قالوا: هيّا، هات! بل بعضهم قال: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} (الأنفال: من الآية٣٢) أليست هذه تعتبر حماقة؟ يقول: فاهدنا إليه وليس أن يقول: {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (الأنفال: من الآية٣٢) !.

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} (الأنعام:٥٩) بعدما قال هناك: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ} . {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} وهذه قضية علم الغيب من الأشياء العجيبة، الأشياء التي اختص بها الله سبحانه وتعالى، هي من الأشياء العجيبة جداً، علم الغيب، أنه يعلم ما سيقول المجرم في جهنم، ما سيقول، ويخبرهم الآن بأن المجرم سيقول كذا كذا في جهنم .

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} إحاطة علمه، هذه آية عجيبة؛ لهذا أنه يعتبر الإنسان خاسراً عندما يتولى غير الله، من هو الذي يمكن أن يكون على هذا النحو تتولاه من الناس، يكون محيطاً بكل شيء علماً.

{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} تلاحظ هنا كيف يقدم موضوع معرفته سبحانه وتعالى، أليس هنا يرسخ في نفسية الإنسان أن يكون مستشعراً أن الله لا يغيب عنه شيء، ويعلم كل شيء، ويعلم بما يسر ويعلن، ويعلم بكل ما يعمل؟ أليست هذه قضية هامة في اندفاع الإنسان نحو الإهتداء بهدى الله، والخوف من الله، والرغبة إليه؟. تتقدم معرفته داخل القرآن في ميدان عملي، معناه في إطار الحديث مع آخرين، والحديث مع آخرين يؤثر فيهم نفسياً؛ لينطلقوا، ليست مجرد أفكار تقدم، أو مجرد معلومات تقدم، مثلما يأتي عندما تفرد لوحدها، عندما تفرد لوحدها كفنٍ خاص، في الأخير تبحث كمعلومات، ومسائل نظرية، وأبحاث، وترى أمامك كله كلام ناس، كله هناك.

هنا تجد منهجاً آخر، أحيانا يذكر غيبه، أحياناً يذكر قدرته على كل شيء، أحياناً يذكر علمه بكل شيء، أحياناً يذكر ملكه، وأحياناً كذا، ويأتي بها خلال توجيهات عملية؛ لأن معرفته هي الأساس، هي المحرك في الواقع، إذا كنت تخاف الله، تعرفه معرفة في إطار توجيهات عملية، في إطار عمل، هنا تنطلق في هذا العمل، تمثل دفعة لك، تمثل انطلاقة معرفتك لله سبحانه وتعالى، وليس فقط مجرد الحصول على عقائد صحيحة، عقائد داخل! حركة، حتى معرفة الله تتقدم في إطار حركة وعمل، وليس فقط أقرأ كتاباً معيناً من أجل أحصل على عقائد صحيحة، وانتهى الموضوع، وأقول: الحمد لله قد اهتديت، وجلس، لا، ليست الأمور بالشكل هذا.

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} (الأنعام:٦٠) استرسال في هذا الأسلوب، يذكرهم بأنه هو المالك لهم، والمهيمن عليهم، ولا يستطيع أي إنسان على الإطلاق أن يرد أي شيء من جهة الله، لا يستطيع أن يفلت من يد الله على الإطلاق؛ ليقرر في أنفسهم عبوديتهم لله. {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ}النوم يعتبر استيفاء؛ لأنك عندما تنام أشبه شيء بالموت، لا تعد تصبح في حالة تملك لنفسك شيئاً، هنا تكون في قبضته، والنوم نفسه أليس هو يأتي للإنسان بطريقة لا

يستطيع على الإطلاق أن يحدد بدايتها؟ أو يكون معه مفتاح نوم يطفيه مثلما يطفي [اللمبة]، لا يدري واحد متى بدأ النوم، ولا يستطيع أثناء النوم أن يعمل لنفسه شيئاً.

{ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} يعني: في النهار، عندما يستيقظ الناس، ينامون في الليل ويستيقظون في النهار؛ ليقضى أجل، حتى يأتي الإستيفاء النهائي: الموت، {لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، فيبين هنا بأن الإنسان في قبضته، هنا في هذه الحياة، وسيرجع إليه لا يملك لنفسه أي ممانعة أن لا يبعث، سيبعث، وسيساق، وسيحاسب {ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وهكذا يذكرهم مع أنهم ما يزالون مشركين، أليس هذا الأسلوب من أساليب القرآن الواضحة التي ترد على المتكلمين، وتبين طريقة خطأهم، وأنها طريقة فعلاً فاشلة طريقتهم؟ هنا يذكر، يخوف مشركين لم يؤمنوا بعد بالآخرة يقول: أنتم سترجعون، وسيبعثكم، وسيحاسبكم، وسيدخلكم جهنم، وستقولون في جهنم كذا كذا.

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} (الأنعام:٦١) **فوق عباده جميعاً، {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}** (الأنعام:٦١ ـ ٦٢) **نحن الآن نقرأ أصول دين ـ على ما يقول الآخرون ـ لأن أصول الدين بمعناها الصحيح هنا، هم يسمون [علم الكلام] أصول دين، وهو اسم غلط، أساسا هو اسم غلط ـ على أساس أنه يتناول قضايا هي الأصل في الدين، لكن يتناولها بشكل يجعلها تقريباً وكأنها لا شيء، يكون خلاصة تأثير الإنسان به يبعده عن أصول الدين .**

هنا يأتي أحياناً بحديث عن الآخرة، وأحيانا حديث عن الدنيا، يبين من خلال أشياء معينة أنهم فعلاً يرون أنفسهم في الدنيا لا يملكون لأنفسهم شيئاً، ثم يقول: هكذا هناك في اليوم الآخر ستكونون بنفس الطريقة، وهنا كذلك لا تستطيعون أن تصرفوا عن أنفسكم أيّ عذاب يأتيكم من عند الله إذا لم تؤمنوا به.

{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأنعام:٦٣) **، وكأنكم تقولون، أو تقولون فعلاً: اللهم نجنا، وإذا أنجيتنا سنكون من الشاكرين لك، أليسوا هنا سيصلون إلى حالة لا يألهون إلى أي شيء آخر إلا إلى الله؟. {قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ}** (الأنعام:٦٤)، **هو الذي نجاكم، وهو الذي يمكن أن ينجيكم من هذه الأشياء التي أنتم تعرفون بأنكم تصل بكم القضية إلى أن تدعوه وحده {وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} أليست هذه حماقة؟.**

{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً} (الأنعام:٦٥) **، في هذه الحياة يجعلكم فيما بينكم تتضاربون، {وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}، بمعنى أنه مدبر لشئون السموات والأرض، ولو عندك أن هناك وضعية معينة وكأنها قد صارت مبرمجة على هذه الحالة! لا، هو يستطيع متى ما اقتضى تدبيره، أو غضب على ناس يأتي متغيرات جديدة، وإذا قد هذا يضرب هذا! وكانوا هم أصدقاء بالأمس.**

أليست أمريكا الآن متجهة لتضرب أصدقاءها؟ كان قد عندهم أن قد برمجوا الدنيا هم، قد برمجوها، علاقات مع أمريكا، وصداقة، ولم يعد هناك إلا أمريكا، وسيجلس يحكم، يحكم إلى أن يموت، ثم ولي العهد، أو ابنه أو أخوه أو.. يقول: لا، {هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً}، فرق تتناحر فيما بينها، {وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} يخاطب بهذا من؟ يخاطب المشركين؟ أليس المسلمون الآن، المؤمنون بحاجة إلى أن نعرف هذا؟.

هذا المنطق يقرر في أنفسهم: أن الله هو المالك لأمرهم، أن الله هو المدبر لشئون السموات والأرض، أنه هو القادر على أن يصنع المتغيرات، إما ينزل عذاباً من فوق، أو من تحت، أو يضرب الناس بعضهم ببعض، بحيث ماذا؟ لا يكونون خائفين إلا منه، ولا يألهون إلا إليه، ولا يرجون إلا إياه. {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} (الأنعام:٦٦)**، أليس هو الآن يردهم كذاك؟ الله هو. .**

{لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (الأنعام:٦٧) ، مثلما قال في الآية السابقة، لكل نبأ مستقر، مثلما يقول: قد يأتي في يوم من الأيام ويتجلى كل شيء، مثلما قال في الآية السابقة: {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الأنعام:٥)، ولكل نبأ مستقر: حين، أجل، وقت. الآن، ألم يتجل لنا قول الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠)؟ أليست واضحة عندما تتابع أخبار أمريكا وإسرائيل، وأخبار العرب معهم وتعاملهم؟ هذه واحدة من هذه، لكل نبأ مستقر، وتجد كم هناك من أشياء كثيرة جداً تتجلى في واقع الحياة شواهد لهذا القرآن الكريم .

وقد تأتي مثلاً مصاديق الأشياء، أو تأويل الأشياء، وتكون بشكل يعلم الناس، لكن تكون ضربتهم . العرب الآن قد تكون الحكومات نفسها فاهمة أن أمريكا متجهة لضربها، البعض يأتي منهم عبارات تدل على أنهم فعلاً قد هم متأكدين على أن قد هم رائحين رائحين، مضروبين مضروبين، إذاً لماذا لا يهتدون ويرجعون إلى الطريقة الصحيحة؟ ربما لم يعد ينفعهم، قد تأتي مرحلة متى ما أصبحت عقوبة فلا يمكن أن يهتدوا لمخرج على الإطلاق، فمتى ما اشتغل على نفسه، على نفسه، يسكّت إذا ما زال هناك ناس ممكن يتحركون في يوم من الأيام قد يشكلون حماية أو دفاع أو... [اسكتوا ولا كلمة] نغمض أعيننا حتى يأتي العدو!.

هذا أيضاً ـ مثلما قلنا سابقاً ـ كيف يوجه نظر الإنسان إلى كيف تكون نظرته في الحياة، تنظر إلى القرآن، وتنظر إلى الواقع، وهكذا تجد هنا ستحصل على المعارف الكثيرة فيما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى، فيما يتعلق بمعرفة سنن الحياة، بهذا الشكل تعرف الحياة، وتعرف الأمور، لكن النظرة الأخرى التي صرف المتكلمون أذهان الناس إليها، إلى القضية المفروغ منها، التي لا تحتاج إلى بحث ولا جدل، إثبات [أن الله موجود]، وهنا يبين في القرآن شهادات من داخل كل الأمم أنهم معترفون به، ومقرون به، ويشغلون فكرك حتى تكون منصرفاً تماماً عن أن تتأمل في واقع هذه الحياة، في المتغيرات فيها، وفيما أودع الله فيها من أشياء.

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأنعام:٦٨)، ينطلق، يبتعد عنهم، يخوضون في آيات الله يعني: أخذ ورد بطريقة استهزاء، وسخرية، وتكذيب، فهنا توجيه مُوجّه إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وإلى الناس جميعاً. {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الأنعام:٦٩) يبتعدون، أن يأتي التوجيه إليه هو أن يبتعد هو ليبتعد الآخرون؛ لأنه أحياناً قد يكون في الآخرين من لا يزالون بسطاء، قد يتأثرون من خلال أن يسمعوا تكذيباً، وخوضاً وسخرية؛ لأن بعض المضللين، والمكذبين يكون عندهم قدرة، قد مردوا، ومرنوا، قد عندهم خبرة في التكذيب، ومحاولات التأثير، يبتعدون. ولأن الإنسان يكون في مسيرة في موضوع الهدى، هنا يبتعد، قد يكون غيره ممكن أن يرسل إلى أولئك الناس، ويحاول يُبَكِّتَهُم، ويقررهم على خطأهم، ولو تسير أنت ربما تتأثر. إذاً فالقاعدة الرئيسية بأن يبتعدوا نهائياً .

من يخوضون في آيات الله أحيانا قد يكون الشيء الذي يشجعهم أن يخوضوا فيها بتكذيب أن يكون عندهم واحد أو اثنين من الطرف الآخر فيكونون حريصين على ماذا؟ أن يؤثروا عليه، إذا ما هناك أحد عندهم فلن ينطلقوا أن يخوضوا بتكذيب، وأشياء من هذه، يفوت عليهم فرصة، تضييع لعملهم، أليس هذا يعتبر تضييعاً لعملهم؟ أنه لا يجد من يشتغل معه، إنما فقط يكون فيما بينهم هم، فيما بينهم هم يخوضون، ويكذبون، ويستهزئون هم فيما بينهم، لكن هم لا تكون القضية عندهم، لا يرتاحون لها، يريدون أن يكون هناك واحد من الطرف الآخر من أجل يؤثرون عليه.

{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} (الأنعام:٧٠) أليس هنا بدأ بالتوجيه بان يعرض؟ {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ}.. إلى آخره؟. هذا على أساس ماذا؟ هناك مسيرة عملية، ومثلاً هو في مكة يتحرك يعمل يدعو يوجه يحاول، وأنت في مجتمع كهذا من الطبيعي أن ترى مظاهر سيئة، يرى حتى من هذه المظاهر: ناس يخوضون في آيات الله بالتكذيب،

فعندما يقول له: أعرض عنهم، هل على أساس أنه يعني: ((لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل))؟ يعني: يفهم القضية بمعنى أعرض عنهم ويكفي، واجلس في بيتك وليس لك دخل، أو أشياء من هذه؟ هو يعرض عنهم وهو يعمل، وسيأتي في يوم من الأيام يضرب هؤلاء الذين يستهزؤون بآيات الله، ويسخرون بها ويخوضون فيها على هذا النحو.

لم يقدم {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أن يأخذها بعض الناس معناها: [إبتعد ولا دخل لك]، أنت في مسيرة عملية، وهذا الشيء الطبيعي للإنسان، أيِّ إنسان كان، في أي مجتمع يصلح، أنه يرى مظاهر شاذة أمامه، قد يرى مظاهر شاذة، ما يصبح واجبه هنا أنه فقط يبتعد عنها باعتباره مؤمن، أن يبتعد عنها وما له دخل وأشياء من هذه، هذا شيء قد يكون مناسباً، لكن القضية الأساسية أنك تعرض وأنت في مجال عملي، أنت تستطيع تغير هذا في يوم من الأيام .

ويأتي التهديد: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ} هذا الدين العظيم الذي يقدم إليهم فيخوضوا فيصبح محط سخرية {لَعِباً وَلَهْواً} أو استبدلوا به ما هم عليه من لعب ولهو فلم يستجيبوا له.

{وَذَكِّرْ بِهِ} أي: ذكر بهذا الدين، ذكر بهذا القرآن، ذكر به الناس جميعاً {أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ} ليخاف كل إنسان أن يأتي في يوم من الأيام يصبح يسلم نفسه مقابل ما كسب من أعمال سيئة؛ لأن هذا معناه في الأخير: أن الإنسان يسلم نفسه تماماً {تُبْسَلَ} أي تسلم تماماً مقابل ما كسبت فتودع في جهنم {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ} إذا كانوا ربما في بعض الحالات، وقد يكون هو الشيء المتوقع، يجتمعون ليشربوا [وسكي] ويشربوا خمر، ويخوضوا في آيات الله، وسخرية من هذا {لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ} يذكرهم بدل وهو يشرب ويسخر، كيف سيكون مصيره حتى ما يقابل ذلك الشراب يشرب حميماً يقطع أمعاءه. وهذا من أساليب القرآن الكريم، أليس كل مرة يذكر شيئاً فيما يتعلق بالجنة، أو بالنار؟ مقامع من حديد، ومرة يقول: شراب، ومرة يقول: حسرات، ومرة يقول كذا ... أي الحالات التي أنت هنا في الدنيا تمر بها، هناك ما يقابلها.

{قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى} (الأنعام:٧١) **هذا أيضاً في إطار هذا أنه استنكار لما هم عليه، وبيان لأنه على طريقة واثق من صحتها إلى درجة أنه يقدم وكأنه لا يمكن، هل يمكن منا أن ندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا؟ أليس هنا يذكرهم في نفس الوقت، يذكرهم بأن ما يدعونه، ويعبدونه من دون الله، هو لا ينفعهم، ولا يضرهم، وفي نفس الوقت يبين أن رؤيته هي الصحيحة، وأن ما هو عليه من هدى الله هو الصحيح. وفيها سخرية بهم ، فيها سخرية هذه، أن من يخوضون في آيات الله هم الذين يعتبرون محط سخرية، وهم يدعون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر.**

{وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى}، يمثل حالتهم كيف هم، كشخص استهوته الشياطين، استمالته وأضلته، وله أصحاب حريصون عليه يدعونه إلى الهدى {ائْتِنَا} فحالة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، معهم هكذا هو يدعوهم إلى الهدى ويقول لهم: أوتوا إلى الهدى. {قُلْ}، لاحظ كم في هذه السورة من قل {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} فيما لو جاء أحد بعد أن قدم مثلا معيناً يقول: [لكن الهدى الذي معك ليس مثل هدى أولئك الذين يدعون صاحبهم إلى أنه يرجع إليه]. {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} وهو الهدى الذي أدعوكم إليه، {وَأُمِرْنَا} أنا وأنتم {لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام: من الآية٧١)، **فهنا تعليم للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، بشكل مكثف في السورة هذه، تعليم بشكل مكثف؛ ولهذا تلاحظ أنه عندما يلاحظ واحد في مخلوقات الله، ألست ترى مثلاً [المطوي حق الذرة] ألست ترى بأنه يكون ملان حب، مرصوص، كيف لا يمكن أن يكون كلامه مرصوص معاني، مرصوص مفاهيم، مرصوص قيم، وهو يرص لك [مطوي حب] تراه مليء بالحب.**

لاحظ دائما كيف يرجع إلى المسألة هذه يقررها دائماً في الذهنية، المسألة: هو من عند الله، من عند الله، نسلم لله، أنا نهيت كما تنهوا أنتم، وأنا مأمور كما أنتم مأمورين، وأشياء من هذه، قضية هامة في كل مجال، حتى في هذا الموضوع عندما يقدم مثلاً {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} إلى آخره. يقول: {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، أليس هنا يبرز في الصورة دائماً يقدم الله في الموضوع دائماً أمام كل قضية.

{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الأنعام:٧٢)، هنا الخطاب موجه للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، والمسلمين معه، وهو في نفس الوقت يعتبر عرضاً لهذه القضايا الدينية الإيمانية أمام الآخرين من عباده، {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ} لأنه لا يقال للمشرك نفسه يقيم الصلاة وهو لا يصلي، ولا هو حولها، لكن سيعرف الآخرون أن هذا الدين فيه صلاة، فيه زكاة، فيه كذا، فيه، فيه،......الخ. يعرض عرضا كاملاً لهذا الدين أمامهم، معظم قيمه بطريقة ليس فيه أوامر مباشرة لهم هم؛ لأنهم ليسوا محط أن يؤمروا هم مباشرة فيما يتعلق بالتفاصيل، أو ببعض التفاصيل مثل: صلاة، زكاة، أشياء من هذه.

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} (الأنعام:٧٣) أليس هنا يمزج أصول دين مع فقه مع دعوة مع .. وكلها في ميدان عملي، ولكل قضية منها أثرها في النفس. {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} في يوم القيامة {قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}، يذكرهم بالله سبحانه وتعالى بأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه خلقها بالحق، ولا يمكن لمن خلقها بالحق أن يترك من يلعب ويلهو فيها دون أن يؤاخذه، ودون أن يعاقبه. {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ} أليس هذا يعني بأنها بيئة صالحة للحق؟ لدينه وهو الحق، ولمن يتحركون من أجل دينه ليعمموا هذا الحق في أرضه؟ أما إذا تطورت الأشياء فمع تطور الأشياء فمعناه ماذا؟ فممكن يكون الحق هذا في السماء وفي الأرض؛ لأنك ترى الآن باطلاً في السماء، ممكن الآن باطل في السماء عن طريق القنوات الفضائية، والأقمار الصناعية التي تتجسس للأعداء، ومثل الطائرات، وكم فيها من المضيفات السيئات، ومن الخمور، ومن الأشياء هذه، الباطل الآن في الأرض وفي السماء.

معناه: أن الأرض والسماء هي أساساً صالحة للحق، إذا هناك من يعمل للحق، ويعرف كيف يقدم الحق، وكيف يتحرك للحق، أنها بيئة صالحة له، ما يقال بأنه [هكذا الدنيا هذه لا يصلح فيها حق ولا ينتصر فيها إلا أهل الباطل وأهل الحق يكونون مساكين...وإلى آخره] هذه رؤية خطأ. هنا يقول: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ}، لأن السنن التي فيها، السنن الكونية، كلها منسجمة بالشكل الذي تتلاءم مع الحق، لا يصطدم بها الحق؛ لأن الله حكيم لا يخلق شيئاً هناك، ثم يخلق حاجة هناك، ثم لا يدري من بعد وإذا تلك قد أثرت على تلك، وتلك صدمت تلك، لا يمكن هذا؛ لأنه حكيم يعلم كل شيء.

{قَوْلُهُ الْحَقُّ} لا يترك القضية هكذا، لكن في الأرض هذه، وفي المجال الذي ما بيننا وبين السماء نفسها قد هي مليئة بالباطل، عندما يكون خلق السموات والأرض بالحق، وقوله الحق، وهذا هو قوله، دينه، معناه بأنها قابلة لأن يسود دينه فيها.

{وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} في يوم القيامة سيكون له الملك وحده؛ ليقنعهم من أي أمل في شفيع، في ولي، في ند، في أصنام، في أشياء من هذه، في وجاهة، في مال، أو أولاد مثلما كان البعض يعتقد أن عنده وجاهة، وعنده أن الله مثل أي زعيم في الأرض، زعماء الأرض عادة يكونون حريصين على الوجهاء، ممكن يسجن ذلك، لكن الوجيه ذلك يكون عنده، لا، الذي عنده أموال وأولاد، يحاول يستدرجه، ويستميله، ويصفح عنه، وأشياء من هذه، فهنا يحصل عندهم ظن بأن المسألة قد تكون على هذا، لو فرض وهناك قيامة فنحن وجهاء، وهو لا يمكن يعذبنا مع أولئك الضعاف، سيحاول يستميلنا، ويدخلنا الجنة.

{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}، هو عالم الغيب والشهادة، عالم بأنه سيحصل يوم القيامة، وسيجازيهم، كما قال لهم هنا، ألم يقل لهم هنا؟ قوله الحق لا يتخلف، هو الملك، فلا يمكن أن أي

جهة تأتي تقول: يلغى يوم البعث، لم يعد هناك شيء يؤجل إلى كذا، هو الملك لا يتخلف قوله، هو {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}.

هنا يستعرض احتجاجاً لنبي الله إبراهيم على قومه، أسلوب من الأساليب مثلاً، هنا يذكرهم مباشرة، ويقول لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يقول لهم كذا وكذا .. إلى آخره. وهذا فيما سبق، ثم يعرض لهم في نفس الموضوع قصة حصلت، إبراهيم قال كذا كذا، إلى آخره، إبراهيم رجل يسمعون به، العرب يسمعون به، ويعرفونه، وهنا لاحظ هنا أليس هو سيأتي بقصة من قصص أنبياء الله؟ قصة تتعلق بنبي الله إبراهيم، لكن ماذا؟ في مجال عملي، فهو يقدمها هنا، تعطي عبرة، ويتذكر بها من يسمعها.

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الأنعام:٧٤)، إذاً إبراهيم موحد أليس معناه في الآية هذه أنه موحد؟ موحد، ويستنكر اتخاذ آلهة، ويستنكر حتى على أبيه خلي عنك باقي الناس. {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} (الأنعام:٧٥) إن الله سبحانه وتعالى كما يبين في أكثر من موضع هي سنته مع أنبيائه، يريهم ملكوت السموات والأرض؛ ليكونوا من الموقنين، فيما يتعلق بمعرفته سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بالطريقة التي يسيرون عليها، لاحظ كيف بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو قال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} (الاسراء: من الآية١) ألم يقل هكذا؟ كذلك في مقام آخر يقول: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} (النجم:١٨)، الأنبياء يحتاجون إلى آيات كثيرة في مسيرتهم، آيات كثيرة ليس على أساس أن يؤمن بوجود الله، أو ليوحد الله، القضية معروفة لديه، لا، الميدان واسع جداً، بحيث يعرف أن هناك هذه الطرق يقيناً أنها طرق ناجحة، يقيناً أنها آيات تترك أثرها، ونوعية من الناس لا تترك أثرها فيهم؛ لخلل من عندهم، وقد يكون الله طبع على قلوبهم، ـ كما تقدم ـ أليس هكذا يذكر؟ يقدم آياته هي آيات توجد في نفس الإنسان يقيناً، تصل إلى أعماق نفسه.

لاحظ الآن ما الذي نفقده نحن؟ ما الذي يفقده المسلمون؟ أليس اليقين بآيات الله؟ لسنا من الموقنين، يعني بشكل عام، يقول لنا القرآن لا يوجد يقين بأن القرآن يكفي، القرآن يكفي أمام مسلمين، أمام مختلف طوائف المسلمين، أمام مشركين، أمام يهود، أمام نصارى، أمام فلاسفة، أمام ملحدين، أمام زنادقة، أمام كل الفئات، هو يكفي، أليست هذه القضية تحتاج أن تصل إلى درجة اليقين فيها حتى تنطلق؟ لهذا لا بد أن يكون من الموقنين بالنسبة لله سبحانه وتعالى، وهناك عندما سأله: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى} (البقرة: من الآية٢٦٠) يأتي بقصة الطيور الأربعة ، مؤمن بالله، مؤمن بالآخرة، نبي يعمل، لكن لاحظ أنبياء الله هم أساساً بشر يحتاجون إلى هدى الله، يكونون نوعية قابلة، واثق بالله، يقبل من الله سبحانه وتعالى، وينطلق، ويثق بشكل عالي جداً.

الآن تجد مثلاً يوجد علماء، ومرشدين، ومعلمين، ودعاة، أليست هذه القضية حاصلة؟ وكتّاب، ومفكرين إسلاميين، وفلاسفة إسلاميين، لكن يفقدون ماذا؟ أنهم ليسوا من الموقنين بهذه الآيات، هذه الإشكالية الكبيرة.

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}، هل أنه ما قد رأى إبراهيم النجوم والشمس والقمر إلا تلك الليلة؟ ولهذا جاء بكلمة: كذلك، يعني: ضمن السنة الإلهية مع نبيه أنه هكذا، هكذا يريه ملكوت السموات والأرض، وليكون من الموقنين، لما أصبح من الموقنين قدم احتجاجاً قوياً جداً على قومه، قدم احتجاجاً قوياً، وفعلاً يلامس أهم قضية في موضوع تعلق الناس بالأصنام؛ ولهذا استطاع إبراهيم أن يجعلهم في الأخير يبهتون {فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ} (الانبياء:٦٤).

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} (الأنعام:٧٦) غرب الكوكب، قال: إذاً هذا ناقص، هذا قاصر، هذا مملوك، هذا مسير. إذاً هناك أكمل منه، هناك الذي يسيره، وهناك أكمل منه، حتى يقرر في نفوس قومه مسألة: أن الألوهية مرتبطة بالكمال، وأن هذه الأصنام التي يعبدونها هي قاصرة، هي قاصرة، وناقصة، أكمل منها النجم هذا، لاحظوا النجم هذا نفسه أصبح أيضاً ناقصاً، أكمل من النجم القمر، والقمر

كذلك، ثم الشمس في الأخير ماذا قال؟ {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي} (الأنعام:٧٧) ماذا تعني هذه؟ أليست تعني: أنه مؤمن برب، مؤمن بالله، هو قال هنا: {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي} كيف ممكن أنت تدور لربك وأنت تقول في نفس الوقت يهدني ربي {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} يعني: هذه نفسها قوله: {قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي} تدل على أنه مؤمن في نفس الوقت بالله، وأنه في نفس الوقت يقدم هذه القضية أمام قومه، أو مجموعات من قومه؛ ولهذا قال بعدها: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية٧٨).

{فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ} (الأنعام: من الآية٧٨) أكبر من القمر، أكبر من الكوكب {فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية٧٨) أليس هنا يتحدث مع قومه؟. {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:٧٩)، إذاً فهذا واحد من الاحتجاجات الهامة التي استخدمها نبي الله إبراهيم فيما يتعلق بإثبات وترسيخ ـ بطريقة عملية ـ أن الألوهية مرتبطة بالكمال المطلق، وأن هذه الآلهة هي ناقصة لا تعمل شيئاً، ليست جديرة بأن تعبد، ناقصة؛ لأنه عندما يكون الكوكب مسيراً، أليس معناه أن الذي سيره هو أكمل منه؟ فهو الجدير بأن يعبد، القمر ناقص، مسير، هو هذا مملوك ومسير هو، إذاً هناك أكمل منه هو الله، وهكذا بالنسبة للشمس .

وقضية الكمال هي مترسخة في فطرة الإنسان، الأولوية بالنسبة للكمال هي مترسخة في فطرة الناس، في حياتهم اليومية، خلي عنك أن تكون قضية نادرة، الإنسان يعطي أولوية للأكمل في أي شيء .

ليس المعنى أن إبراهيم لم يكن عارفاً لله، وأنه جلس يبحث، وفي الأخير التفت إلى السماء! هل يتصور أنه لا يعرف هو هذه الكواكب، افترض له في هذا العمر قد يكون له كم سنين، مثلا خمسة وأربعين سنة، أو نحوها، على أقل تقدير، يعني على مدى الأربعين السنة الماضية لم يكن عارفاً للكواكب والشمس والقمر أنها تطلع وتغرب؟! لكن هنا يذكر أنه في مقام معين مع قومه، وأنها ـ قضية الاعتماد على هذا الأسلوب الإلهي في محاججة الآخرين على آيات الله في محاججة الآخرين، أنها ـ قضية تحتاج إلى إيقان.

وهذه القضية ملموسة عندنا أنه لم يحصل إيقان بالطريقة هذه، أليس هذا معروفاً؟ إقرأ كتب علم الكلام تجد منهجيتها هناك ثانية، يبدو من خلال منطق البعض فيها وكأن هذه المنهجية في القرآن هنا ليست إلى درجة أن تزيح شبهة من نفس ملحد، أو على ما يقولون: كافر، ما بالك أن تخلق إيماناً في نفوسهم؛ لأنها لم تأت على طريقة أنه [إذاً فثبت أنها محدثة إذاً لها محدث]!! كان تكفي من خلال الكوكب، ما كانت تكفي من خلال الكوكب نفسه؟ لكن ألم يترقَّ هنا في الموضوع؟.

القضية حول ماذا؟ حول الألوهية، الناقص لا يستحق أن يعبد، من الكوكب إلى القمر إلى الشمس، أليس هذا تسلسلاً في درجات كمال؟ وليس حول حادث ومحدث، محدث ممكن يضرب لهم أمثلة من عندهم، من أي واحد منهم، يقول: أنت كنت قبل سنة كذا غير موجود، ثم وجدت، لا يحتاج يطلعهم إلى هناك، لكن بالنسبة لآلهتهم، الكوكب أكمل من الآلهة، أليس أكمل؟ معه مثلا خشبة، أو حجر، أو أشياء من هذه، ثم أكمل من الكوكب القمر، وأكمل من القمر الشمس، فيما عليه كل واحد منها، لا يقولوا: إن هذه من الإستدلالات، تدل على أن هذه هي الطريقة الصحيحة: دلالة الحادث على المحدث .

وعندما يقول إبراهيم: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} ، هم يعلمون هم من هو الذي فطر السموات والأرض، لكن تجد منطق نبي الله إبراهيم، وموسى، هم كانوا في ظل دولة أدعى الملك فيها الربوبية يكون هناك منع، لا أحد يذكر الله، أو يذكر اسم الله، تجد في منطق إبراهيم بالذات، ومنطق موسى، يأتي في عبارات كثيرة: ربي، أو ربنا، أو الذي خلق السموات والأرض، فطر السموات والأرض، هو يعلم أنهم يعرفونه؛ لأنه ماذا؟ لأنه قد هو يعتبر تعميماً على أن لا ينطق الإنسان باسم الله ـ على حسب لغتهم ـ لا يذكر اسم الله نهائياً؛ لأن الملك قد ادعى الربوبية، ولا يريد أن يذكر غيره، لا يذكر الله، وتكون الآلهة الأخرى باعتبارها

آلهة له يعني: يعبدونها وهو الرب الأكبر مثلما عند فرعون {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} (الأعراف: من الآية١٢٧) ما يزال معهم آلهة خاصة لكن إله فوق إله، وهذا الإله الأكبر، قد صار فرعون يعتبر نفسه الرب الأكبر .
إذاً هذا أسلوب من الأساليب الهامة بالنسبة لنبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى كان منطقهم بالشكل الذي لا يعيق الآخرين عن أن يستجيبوا لهم، لا يعيق الآخرين عن أن يسمعوا كلامهم، العبارة هذه المعممة مثل كلمة: الله ـ أو على أي مفردة تساويها في لغتهم، تكون هناك عبارات غيرها ـ لو أنه غير فاهم بأنه عندما يقول: فطر السموات والأرض لا يعرفون أنه الله لما أمكن أن يقول هذا، لكان سيصرح، منطقه مثل منطق موسى تماماً، ألم يذكر موسى عندما قال له فرعون: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: من الآية٢٣) قال: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} (الشعراء: من الآية٢٤) .
{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} كلمة: مشركين تشهد بأنهم كانوا يعرفون الله، ويعتبرون الأصنام آلهة مع الله، يشركونها في عبادة الله، في الحكم لها بالألوهية مع الله.
عندما تقول: {وَجَّهْتُ وَجْهِيَ} أي أخلصت وجهي، لن أتجه إلى هذه الآلهة الأخرى أبداً، {وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} .
{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} (الأنعام:٨٠)، مجادلة مثلا من جهة قومه، حاجوه يعني: جادلوه في موضوع الألوهية والتوحيد، هنا كان جوابه قوياً، ألم يكن جوابه قوياً وصريحاً؟ {أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ} لأنه في مقام أن يكون صريحاً، هم هم الذين يحاجون، {أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} بعيد جداً أن أستجيب لكم، أو أن أتأثر بمنطقكم، أليس معناه هكذا؟. هذا منطق يقعد المحاجين، تظهر نفسك قضية مسلمة عندك ليس فيها جدل، واثق منها تماماً، لكن وعلى الأسلوب هذا نفسه {وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ} هم ما زالوا يهددونه، سيأتي عليك كذا من الأصنام، وقد يحصل لك {وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً} هذا المنطق يأتي كثيراً من الأنبياء {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (الأنعام: من الآية١١١) {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي} لأنه هنا ينطلق عبداً لله، مسلّما نفسه لله، لا يخرجه حتى في منطقه {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي} شيء من جهته.
{وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} ولن يأتي شيء من جهة الأعداء لا يعلمه، من جهة أصنامكم هذه، أنا مخلص لله، ومهتدي بهدي الله، ومؤمن بالله وحده، وأعلم بأنه عليم بكل شيء، فلست خائفاً من هذه؛ لأنها لن يأتي شيء على الإطلاق من جانبها يكون ماذا؟ احتمال الله لم يعلم به، فأخاف أنه قد يحصل من جانبها شيء يضرني في وقت يكون الباري غير عالم، الله هو يعلم لا يخفى عليه شيء، إذا أتى شيء فلن يكون إلا بعلم الله فليكن ما كان .
{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ} (الأنعام:٨١) وفعلاً قدم هذا منطقاً قوياً جداً في الاحتجاج؛ لأنهم هم بالنسبة لهم عندما يذكّرهم بالله هم يعرفون أنه خلق السموات والأرض، هو الذي خلقنا، هو قادر على كذا هو ... هو إلى آخره. إذاً أنتم تخوفونني بهذه الأصنام التي تنحتونها أنتم، كيف تخوفونني بآلهتكم هذه {وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً} أنتم الذين يجب أن تخافوا أنكم أشركتم بالله، فأنتم في موقع من يجب أن يخاف عذابه، من يخاف عقوبته.
ولاحظ كيف قدمها نبي الله إبراهيم بأسلوب راقي، تجد أسلوباً الناس بحاجة إليه الآن، عندما يأتون يخوفونك من دولة، يخوفونك من أمريكا، يخوفونك من كذا، والقضية عندما تجد القرآن الكريم هم من يجب أن يخافوا هم؛ لأنهم هم الذين ابتعدوا عن الله، وهم الذين يعتبرون الآخرين وكأنهم أكبر من الله، وهم الذين جعلوا الآخرين وكأنهم أنداداً لله، فهم ماذا؟ الذين يجب أن يخافوا هم من الله، يعني هم مثلما قال الله في آية أخرى: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر: من الآية٣٦) .
إذاً فمن هو الذي يجب أن يخاف، الذي يتجه إليه الله فيضربه، أو حجر صماء، أو إنسان كيده ضعيف، أو إنسان هو نفسه الله قاهر فوقه، إنسان مغلوب على أمره، من الذي يجب أن يخاف، من؟ أليس هم الآخرون، هذا يحصل،

أليسوا الآن يخوفون الناس؟ فالناس بحاجة إلى أن يقولوا: وكيف أخاف ـ إذا صحت العبارة ـ يعني أجواء هذه العبارة التي حكاها الله عن إبراهيم، يخوفك[سيأتي عليك وبا.. وبا... وبا....] أليس هنا يقدم تخويفاً ممن؟ من الذين من دون الله، قل له: وأنت لاحظ في القرآن ماذا قال لك: سيأتي كذا [وبا... وبا... وبا.. الخ] من هو الذي يجب أن يخاف؟ هل الذي وراءه الله أو الذي وراءه إنسان ضعيف؟ الله قاهر فوقه، يستطيع يوقفه، ويحبط عمله وكيده.

بعد ذلك قال: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} من الذي يعتبر آمن في الواقع؟ وأحق أن يقال له آمن؟ {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} لهذا قلنا: إنه من الأسف أنه فعلاً [سورة الأنعام] هي نزلت إلى المشركين، وما نزال في أمس الحاجة إليها بعد ألف وأربعمائة سنة من وجود الإسلام، من وجود هذا القرآن! {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، تفهمون الأشياء برؤية من خلال المقارنة، {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ} (الأنعام:٨٢) **هم الموعودون بالأمن، هم الذين يستحقون أن يقال أنهم آمنون، {وَهُمْ مُهْتَدُونَ}.**

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} (الأنعام:٨٣) **حجة إلهية هذه، نلاحظ هنا في نفس رؤية إبراهيم لملكوت السموات والأرض كيف يأخذ منها وبهدى الله سبحانه وتعالى وسيلة لمحاجة قومه، لعرض براهين لقومه، ليس معناه الرؤية الخاصة له هو، هناك موضوع الطير، ألم يحكها هناك في موضوع آخر؟ لأنه هنا قدم لنا أمثلة هي ماذا؟ أمثلة احتجاج إبراهيم مع قومه، أمثلة عرض براهين فيما يتعلق بالألوهية مع قومه.**

هل هذا الموضوع على أساس أنه استدلال على أن هناك الله؟ داخل الآيات هذه تدلك فعلاً من أول آية {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الأنعام:٧٤) **أليس معناه موحد؟ هل يمكن أن تحمل الآيات من بعدها على أنه إنسان ما قد عرف الله، وأنه يريد أن يعرف الله، وأنه قدر أن الكوكب ربه، ثم انكشف له أنه غرب؟! أليس هذا منطق رجل، منطق إنسان قد صار رجلاً؟ هل هو لأول مرة يشاهد الكوكب؟ لأول مرة رأى الكوكب، واعتقد أنه رب ثم إنه بعد ذلك غرب، إذاً لا يصلح، والقمر هل هو أول مرة يراه في منتصف الشهر؟.**

لاحظ العبارات واضحة عندما قال: {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي}(الأنعام: من الآية٧٧) **وبعدها قال: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}** (الأنعام: من الآية٧٨) **ثم عندما حاجوه {أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} إذاً هو الذي قد هداني لكني أحاججكم، ولاحظ هنا ألم تتجل هداية الله له لمحاججتهم؟ {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} وهو من هدى الله، من هدى أن تملك أنت قدرة في الاحتجاج على الآخرين. هذا مما يعلمنا القرآن، الله يعلم الناس من خلال القرآن كيف يكون عندهم قدرة على محاججة الآخرين، وعلى الحديث مع الآخرين، وعلى الدعوة للآخرين .**

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} هنا يبين العلم نفسه الذي يرفع الدرجات، هناك في آية أخرى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}(المجادلة: من الآية١١) ، **دائماً الناس يقرؤونها في الإحتفالات إذا قد أمامهم أي شخص اسمه عالم، قرأ كذا كذا، {وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وهو لا يدري بأنهم هناك، [مَنَزّل] وأنزلوا الناس معهم، كثير منهم حقيقة.**

لاحظ الطريقة، العلم الصحيح الذي هو بهداية من الله، وهذا مظهر من مظاهره، ألم يقدم هنا مظهراً من مظاهره؟ {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا} أليست هذه الحجة هي من هدى الله؟ هو يأتي أيضاً بالكلام عن الهدى، في موضوع الهدى، والهدى من النوع الخاص {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} هذه تبين لنا منهم أولوا العلم الذين ماذا؟ {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} حكيم عليم، ويهدي من يشاء من عباده ليكون عنده حكمة وعلم .

لو يستخدم الناس المنطق هذا ستجد فعلاً أنه مؤثر في الآخرين، فلان يريد يخوفك من الناس عندما تقول له: انطلق معنا في موضوع كذا، وأمام أعداء الله فيقول لك: [لكن ولكن، وأحسن لك كذا] ويخوفك، أليس هو هنا يخوفك؟ تقول له: [كمّلت]، لكن لاحظ الله يقول في القرآن كذا، ناس لا يتحركون، لا يستجيبون، لا يعملون في

سبيل الله، موعودون بكذا كذا من الدنيا إلى الآخرة {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} هل يستطيع يقول لك، أبداً هذا الشيء يجب أن أخافه، وتخافه أنت أكثر مما تخاف الشيء الذي من جهة الله؟!. لا أحد يستطيع أن يقول لك، ولا حتى [بوش] نفسه، ولا حتى الرئيس الأمريكي نفسه.

كيف ستكون النتيجة بعد؟ سيرجع إلى نفسه هو، وسيجد أنه هو الذي ماذا؟ كما قال هنا: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، أنه هو الذي لا يعلم ما هو الخوف الذي يجب أن يتوقاه، أنك عندما تخاف الله ستأمن من جانبه، وسيؤمنك أيضاً من ضر الآخرين، مثلما هو منطق القرآن، ومثلما حصل لإبراهيم نفسه، جمعوا له حطب ملان المكان الذي قد أعدوه، وأحرقوه إلى حد أنهم لم يتمكنوا من إلقائه فيها إلا بالمنجنيق من شدة لهيب النار {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (الانبياء:٦٩)، طفيت! وإذا بإبراهيم بخير لم يصب بأي أذى! ألم يأمن حتى من النار التي قد تعبوا وهم مجمعين لها؟.

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ} (الأنعام:٨٤) لكن لاحظ نوعية الهداية هذه؛ لأنه بعض الأحيان عندما قالوا: يجوز قراءة كتب كذا وكذا في المسجد؛ لأنها كتب هداية، كتب أصول الفقه يجوز، وكتب علم الكلام يجوز؛ قالوا: لأنها كتب هداية، أين هي من الهدى؟ بعيدة من الهداية، هنا يبين الهداية كيف هي {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ}، أي: وهدينا من ذريته، ليس المقام مقام سرد نسله {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ} وممن هدينا من ذريته هذا النوع الخاص من الهداية، والهداية الخاصة وفق ما تتطلبه المرحلة التي هم فيها {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ} هنا لم يذكر إسماعيل، ألم يذكر إسماعيل في الأخير هناك؟ ليس في مقام تسلسل الأولاد فيقول: ومن ذريته فلان وفلان وفلان، يعدد أولاده وأولاد أولاده، ليس المقام لهذا، مقام الذين هداهم هذا النوع من الهداية، {دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً} (الأنعام: من الآية:٨٤ ـ ٨٦) لوط ليس من ذرية إبراهيم، لكن ليس المقام مقام سرد ذرية، يعني: هؤلاء الذين هداهم الله، إبراهيم ومن قبله نوح، وهدى من ذريته كذا وكذا، وهدى لوطاً {وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}(الأنعام: من الآية٨٦) .

{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ} (الأنعام: من الآية٨٧) أيضاً ممن هديناهم {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ} اجتبيناهم، الإجتباء: الإختيار، الإصطفاء. {وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ} (الأنعام: من الآية٨٨) هنا يؤشر إلى هدى معين، ويذكر لك الناس الذين قد هداهم بأسمائهم، وهدى من ذرياتهم، ومن آبائهم، وإخوانهم، وذرياتهم {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ} بالعبارة التي تعني ماذا؟ أنه هدى عظيم، أنه عظيم فعلاً {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:٨٨) .

هذا ليفهم الآخرون بأن قضية الشرك قضية خطيرة وفظيعة، هؤلاء العظماء لو أشركوا لحبط كل هذا الهدى الذي أعطيناهم؛ لتعرف أنت وأنت لست مثل واحد من هؤلاء ولا حولهم، وأنت أيضاً مشرك معناه: الشرك هنا طامة كبيرة عليك، هؤلاء معهم هذا الهدى العظيم، ولو حصل منهم شرك لحبط، فكيف بالمشرك الذي ليس معه هدى، ويعرف من يسمعون هذا بأنهم ليسوا كإبراهيم، ولا إسماعيل، ولا موسى، وهي أسماء معروفة، أسماء معروفة عند العرب هذه، أو معظمها معروف عند العرب، هذا لماذا؟ لتهويل الشرك أنه قضية خطيرة جداً؛ ليبتعدوا عنه؛ ليعرفوا أن هذه الأجيال، وكل الأنبياء وذرياتهم.. إلى آخره، ما كانوا مشركين، أن القضية حادثة، أنها ضلال حدث بالنسبة لهم، لم يكن آباؤهم، ولا كان هؤلاء الناس من أسلافهم مشركين .

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} (الأنعام:٨٩)، لأن الله يستبدل، إذا كفر بها ناس سيهيء ناس يؤمنون بها {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام:٩٠) هذا خطاب للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} هذه الأسماء التي أمامك نوح إبراهيم داود سليمان .. إلى آخرها، كلها هؤلاء الذين حظوا بهداية الله، وهداهم الله هذا الاهتداء من النوع الخاص؛ ليكونوا هداة {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} اعتبر نفسك في إطار هذه السلسلة العظيمة من أنبياء الله وأوليائه، اقتد بهداهم .

وهنا يتميز لنا القضية التي نقول دائما أننا نحتاج إلى معرفتها، موضوع الهدى ما هو؟ هل عندما يقول: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} يعني يبحث عن مسألة فقهية كيف كان يعمل فلان يتوضأ فيتوضأ مثله؟ أو يبحث عن موضوع أحكام شرعية؟ لا، مسيرة الهدى، مسيرته وحركته في هداية الناس، يستلهم من هؤلاء من تاريخهم، مما قصه من أخبارهم عليه، كما قال في آية أخرى: {وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}(هود: من الآية١٢٠) وفعلا فيهم أشياء كثيرة جداً يستلهم منها الناس، ويهتدي بها الناس، إبراهيم قدم في القرآن الكريم فتىً قوياً مستبصراً عنده ثبات، عنده قوة منطق بشكل فعلاً يعطي هدى، تحاول من خلال سيرته تستوحي أشياء هامة جداً، وعظيمة جداً.

يقول لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يهتدي {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} لأنها هي المسيرة الدينية، هي المسيرة الواحدة، وحركتهم في الحياة، وهم يهدون الآخرين إلى ما هداهم الله إليه، يتجلى من خلاله أشياء كثيرة، تهتدي بها، تعرف أساليب، وتعرف رؤى، وتعرف كيف تتصرف، ليست قضية فقهية، لا يجعل الموضوع الذي نسميه فقه، هذه تعني شرعه من دينه لأمة معينة، لجيل معين.

ولاحظ أنه كيف لم نهتد برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا عرفنا كيف كانت طريقته وهو يبلغ دين الله، وهو يتحرك لإقامة دين الله، ولا اهتدينا بمن وجه أن يهتدي بهداهم، قدمت طريقة أخرى بعيدة عن هداه وهدى من قبله؛ لهذا كانت الخسارة كبيرة جداً.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} وأن يوجه إليه الخطاب معناه أنك هنا استحضر أن الموضوع أيضاً ما يزال فيه ماذا؟ خطاب للآخرين، للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، المشركين يسمعون قائمة من هذه الأسماء التي يعرفونها، وأنهم لم يكونوا مشركين، ويسمعون أن الله يأمر نبيه محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يهتدي بهدى هؤلاء، إذاً ونحن لماذا لا نهتدي بهداهم، يقولون هكذا لأنفسهم، ونحن أيضاً لماذا لا نهتدي بهداهم، وأن محمدا (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو امتداد لهم .

إذاً فهي ليست طريقة وحيدة، أو طريقة جديدة، هو في نفس الطريقة هذه: الطريقة الإلهية، دين الله، ألم يذكرهم في مقامات أخرى بأن ما جاء به هو ملة أبيكم إبراهيم؛ لأنه ربما عندهم أن السابقين هكذا، كانوا على ما نحن عليه، وليس على ما جئت به أنت، أنت جئت بشيء جديد، أنت بدعاً من الرسل مثلما كانوا يقولون، يقول: لا، هو موجه أن يهتدي بهدى هؤلاء الذين قبله، وما قدمه أيضاً هو ملة إبراهيم، عندما تفهم الدين بشكل واسع، لا تقدر أن معناه: فقه، فقه، يعني: كيف يتوضأ بوضوئهم، أو كيف يصلي بصلاتهم، أو هذه الأشياء، هذه الأشياء ثانية، هي خاصة.

{قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} هذا الهدى العظيم الذي هو هدى أسلافكم الصالحين، وليس الآباء الآخرين الذين يقولون: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}(البقرة: من الآية١٧٠) ماذا عمل آباؤكم، يقص أذن نعجة، أو يسيِّب حاجة ويتمسك بها كشريعة، هؤلاء هم الآباء الذين يجب أن تسيروا بسيرتهم، وتهتدوا بهداهم، هذا الهدى العظيم الذي يقول فيه: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} وهو أيضاً يقدم لكم مجاناً، هو شيء عظيم جدا لكم، وفي نفس الوقت مجاناً. {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} فهو يذكر به العالمين، وهم من العالمين، فهم من يجب أن يكونوا في مقدمة من يهتدي بهذا الهدى. لاحظ القائمة هذه يأتي بأسماء لها علاقة ببني إسرائيل، وعلاقة بالعرب، ذكر إسماعيل، وذكر يعقوب، وذكر....

يأتي الحديث حول بني إسرائيل: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} (الأنعام:٩١) هذا الكلام موجه إلى بني إسرائيل {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} هذا يبين لك كيف يحاجهم، وقد مر كلام أيضاً في الآيات السابقة، في الآيات قبل هذه، كيف كان يحاج إبراهيم قومه.

{قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} أليست هذه تعتبر حجة واضحة عليهم؟ لأنهم يعتبرون أن هناك التوراة أنزلت على موسى، وهذه التوراة التي أنزلت على موسى هي نور وهدى للناس كما أن القرآن نور وهدى

للناس، ومع هذا يذكر كيف عملوا بهذه التوراة {تَجْعَلُونَهُ} أي: تجعلون هذا الكتاب الذي أنزل على موسى تجعلونه قراطيس، تفرغونه من مضمونه فلا تجعلون له قيمة في واقع نفوسكم، وفي واقع الحياة {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} تخفون كثيراً من هذا الكتاب.

إذاً هنا كشف لنا طريقة لديهم في التعامل مع كتاب من كتبهم، الكتاب الذي نزل على موسى الذي يعتبرون أنفسهم أنهم منتمين إليه، وأنه نبيهم، وأن التوراة الكتاب الذي أنزل عليه لهم، ألم يكشف هنا بأنهم هكذا تعاملهم مع التوراة؟ إذاً أليس من الطبيعي أن يخفوا من القرآن أكثر مما أخفوا من التوراة، أو أن يخفوه تماماً ـ إذا تمكنوا ـ أن يخفوه نهائياً.

معنى هذا بأنه عندما يكونون متجهين، والناس ليس لهم دخل، عندهم ليس لهم دخل، معنى هذا أنك سترى من عملوا بالتوراة هذا العمل سيعملون بالقرآن ما هو أسوأ من هذا العمل، وفعلاً في إسرائيل يذكرون عنهم بعض المساجد يدمرونها، أو بعض المساجد يقطّعون المصاحف فيها ويحرقونها، بل قالوا أحيانا أنهم يرتكبون الفاحشة بالفلسطينيات هكذا، [الاغتصاب] الذي يسمونه، ينتهكون الأعراض فوق المصاحف بعدما يمزقونها، أليس هذا معناه شدة حقد؟ حقد شديد جداً في أنفسهم على هذا القرآن؟ وهذا القرآن هو أنزل على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله). أليست المسئولية الأولى على العرب؟ عندما يرون بني إسرائيل متجهين هذا الإتجاه إلى تغيير المناهج، إلى الحديث عن القرآن، يريدون أن آيات منه لا تقرأ، وهنا يبين بأنه بالشكل الذي يجعلك تقطع بأنهم متجهين لإخفائه، وليس فقط يبدون بعضاً منه ويخفون الكثير .

إذا كان هذا مع التوراة أما القرآن سيخفونه تماماً، مهما أمكن، عندما يقول الناس: ما لهم دخل، هذه تعتبر جريمة كبيرة جداً على الناس، جريمة كبيرة يرتكبها الناس، جريمة على العرب بالذات، وعلى أهل البيت في المقدمة، أليسوا هم ورثة الكتاب؟ ورثة الكتاب، الله اصطفاهم ليكونوا ورثة لكتابه مثلما كان بنو إسرائيل، ثم نترك هذا القرآن يلعب به بنو إسرائيل والله قد أورثنا الكتاب بديلاً عنهم ثم نتركهم بعد ما لعبوا بكتبهم يتجهون إلى هذا الكتاب ليلعبوا به، هذه تعتبر جريمة كبيرة، هذه ليست بسيطة.

{وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ} على ما ذكر سابقاً في هدى الله، أن الله يعلم من الناس أنبياءه ومن يهديهم ما لا يمكن أن يعلموه هم، هذه القضية هامة، أحياناً يكون عندنا فكرة أنه لا، يريد واحد هو، يريد واحد هو شخصياً، يريد يكون يطالع ويقرى، ويرى هو، عنده أنه بالطريقة هذه سيحصل على المعارف، ويعرف الحق، ويعرف... وقد عنده عقل يعرف به كل شيء! لا، إن القضية في الواقع أن الشيء الذي يمكن أن تعلمه، ولا يمكن أن تعلمه إذا انفردت بنفسك، ولا عن طريق آخرين ممن هم على طريقتك، هو الشيء الذي يأتي من جهة الله؛ لأن هدى الله هو الذي يعلم الناس ما لا يمكن أن يعلموه هم، معناه أن الإنسان يسلّم نفسه لله، ويقبل هدى الله، إذا كان هو يريد أن يكون عنده علم، وعنده معرفة، وعنده نور، وعنده بصيرة، أن يسلم نفسه لله، يقبل هداه، ويعتبر نفسه مثلما يقول لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، ألم يقل: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه: من الآية١١٤) .

لاحظ كم هنا من تعليم للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)! ولنا من بعده، كم يوجد من تعليم هنا في مجال عمله، في مجال أن يقوم بمهمته! قال هناك: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} (النساء: من الآية١١٣)**، وهنا قال: {وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ} أن الله علّم بهداه الشيء الذي لم يعلموه هم، ولا آباؤهم، ومع هذا تعاملوا على هذا النحو: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} فلم يعد يأتي لهم إلا ضلال.**

فإذا كنا نريد المعرفة فعلاً، ونريد العلم، ونريد الحكمة، فأنه يجب أن نثق بهذه الطريقة، ونعرف كيف نأخذ الهدى وفق السنة الإلهية للهدى، هذه هي طريق المعرفة التي من خلالها يمكن أن تعرف ما لا يمكن أن تعلمه لو تتعمر ألف سنة من جهتك أنت .

ليس معناه فقط أنه علمك شيئاً ولم تكن تعلم به من قبل بمعنى أنه كان يمكن يأتي من أي جهة، علمك ما لم تكن تعلم، يعني: ما لم يكن بإمكانك أن تعلمه أنت بطريقتك الخاصة، وعن أي طريقة تبحث عنها إلا من جهة الله.

ولاحظ فعلاً انه كيف عندما انصرف المسلمون إلى علوم أخرى ضاعت علوم هامة جداً أمامهم من القرآن الكريم، علوم هامة جداً، ونحن معهم كلنا، طوائف المسلمين بشكل عام، هذا العلم سيضيع أمامنا على الرغم من أن الناس يجدون مشاكل، ويجدون قضايا، وكل واحد حريص أنه يعرف الدين، ويدين بكذا، ويقرِّي. إذاً ما هناك شيء لا يمكن أن يعلموه إلا من جهة الله سبحانه وتعالى، بواسطة كتابه؟.

{قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى...} إلى آخر الآية. {قُلِ اللَّهُ} هو أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس، وأنزل هذا القرآن نوراً وهدى للناس، هذه سنته، كيف تقولون: إنه ما نزل على بشر من شيء! أليست هذه كذبة واضحة منهم، أن يقولوا هذه؟ {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}، إستمر في عملك، في طريقتك، أتركهم . هل تركهم على أساس أنه ليس له دخل منهم؟ تكون أنت شغال وفي الأخير هم الذين سيتعرضون، أليسوا هم الذين تعرضوا له؟ لم يهتدوا، ولم يستقروا، وفي الأخير ضربهم .

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} (الأنعام:٩٢) يفيد بأنه أنزل هذا الكتاب، وأنه كتاب مبارك، عندما قالوا: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}، فلم يقدروا الله حق قدره؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الحق، وحكمته تقتضي أن ينزل؛ لأنه ملك الناس، وهو إلههم وربهم، أي: ينزل كتباً يهديهم بها. يذكر هنا الصلاة، هو يذكرها في مقامات متعددة، الصلاة تقريباً في كل مجال لها أثر. {وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً}(الأنعام: من الآية٩٣) هذا من الإفتراء على الله عندما يقولون: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}، {أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} (الأنعام:٩٣)، هذا كله افتراء على الله {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} هؤلاء كلهم ظالمون {وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.

إذاً لاحظ هنا كيف في الموضوع هذا، موضوع أمامه بنوا إسرائيل، في محاججة مع بني إسرائيل، وتهديد بوعيد لبني إسرائيل، إذاً برزت قضية فيها ماذا؟ افتراء على الله، وهذه كانت ماذا؟ موجودة عند بني إسرائيل .

{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} (الأنعام:٩٣ ـ ٩٤) ، ذكر أيضاً عن المشركين افتراءات، يعني: هنا أمام افتراء على الله، وأن يقولوا على الله غير الحق، يقولون على الله ما لا يعلمون، ذكر أيضاً بالنسبة للمشركين سابقاً: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ}(المائدة: من الآية١٠٣) إلى أن قال: {وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ}(المائدة: من الآية١٠٣).

فيأتي التهديد هنا في الأخير شامل لكل من يفترون على الله، ولا ينفعهم أي شيء {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} هنا لاحظ أنه في موضوع التخويف، أن تركز على أن تعرف الفئة التي تتحدث معها، ما هو أسلوبها؟ لتخوفها بعاقبة أسلوبها، وهذا في القرآن واسع جداً، أن يقدم الوعد والوعيد في هذا الإطار العملي، ويتناول في نفس صيغ العبارات بالشكل الذي ماذا؟ له علاقة بتلك الفئة التي يتهددها، التي توعدها بهذا العذاب، أهل الكتاب يفترون على الله، يأتي بوعيد يذكر فيه أنه سيقال لهم يوم القيامة: {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} هكذا بقية المواضيع .

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} (الأنعام: من الآية٩٥) يأتي ليعرض لنا أشياء من مظاهر قدرته، وملكه، وألوهيته، وربوبيته، معرفة، أليس هنا يأتي بآيات فيها معرفة بالله سبحانه وتعالى؟ {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (الأنعام:٩٥) فأنى تصرفون عنه، وتذهبون بعيداً عنه؛ لتعرفوا بأنه فعلاً، أنه هو الذي، هو {فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى}

{فَالِقُ الإِصْبَاحِ} (الأنعام:٩٦) الفجر عندما يظهر من بين ظلام الليل فكأنه ينفلق عنه الليل، {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (الأنعام:٩٦) .
هنا يبين أشياء كثيرة من ماذا؟ من انفلاق البذرة إلى الشمس والقمر، أليس هذا مظهراً من مظاهر ملكه وتدبيره؟ ليبين لنا ـ مثلما نقول وهذا أسلوب ظاهر في القرآن بشكل واضح ـ لتعرف أن من يدبر هذه الأشياء لا يمكن أن يغفل الأشياء الأخرى، أن من يدبر الشمس والقمر، ويعمل هذه الأشياء الأخرى من فلق البذور، وتظهر الأشجار منه، كما سيأتي في بقية الآيات، أنه لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر، جانب الهداية، جانب التنظيم، التشريع، المنهج، أي: أن هذه واحدة مما يستفاد من عرض هذه النعم، التذكير بها، ثم تعرف من خلالها كيف نعم الله على الناس، وتعرف من خلالها كيف أنه سبحانه وتعالى حي قيوم .
{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (الأنعام: من الآية٩٧) كما جعل لكم هذا القرآن لتهتدوا به في ظلمات الحياة، لاحظ كيف جاءت هذه العبارة من أول السورة، ألم يقل هناك: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} (الأنعام: من الآية١) ؟ لتعرف أن هذا الظلام الذي تراه لا يفكه إلا ماذا؟ النور الذي يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، هو الذي جعل الظلمات والنور، بل ذكّر الإنسان نفسه بأنه كان أول ما خلق في ظلمات، ثم أخرجه إلى النور؛ لتعرف من هذه الطريقة أنك بحاجة إلى من يخرجك من ظلمات الحياة إلى النور؛ لتهتدي بهذا الهدى.
{قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأنعام: من الآية٩٧) لاحظ هنا آيات كلها يعني: عدة فوائد، عدة أشياء تستفيد منها، ما يتعلق بإسباغ النعم من جهة الله، وما يتعلق بإحسان الله، قدرته، حكمته، أنه حي قيوم، أنه هو الملك، أنه الإله، ثم فيما يتعلق بالجانب الآخر؛ لأن القضية مترابطة، يجب أن تفهم: أن الظلمات هذه التي تراها في الليل لا يفكها إلا ماذا؟ إلا النور الذي يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، {فَالِقُ الإِصْبَاحِ} أنه لا يخرج الإنسان من ظلمات الحياة إلا النور الذي يأتي منه، هو قال هناك: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (النور: من الآية٣٥) وأيضاً بالنسبة لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يخرجهم من الظلمات إلى النور.
{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} (الأنعام:٩٨)، هو الذي أنشأكم وليس فقط أنه جاء وهناك ناس لا يدري من أوجدهم، هو الذي أنشأكم، وهو حكيم لا يمكن أن ينشأكم إلا لدور مهم، ولغاية مهمة، ولا يمكن أن يترككم سدى، ولا يترككم عبثاً، لازم أن يكون هناك منهج تسيرون عليه، هدى تهتدون به؛ لأن هذا تصرف ملك، وتصرفات الملك أنه ماذا؟ يبين المسيرة، ويعاقب، ويثيب.
{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} (الأنعام:٩٩) انظروا إلى ثمره إذا أثمر على أساس ماذا؟ لنثبت أن هناك الله؟!، انظر نظرة واقعية تجد كم ستعطيك هذه الأشياء من معارف هامة جداً، تجد كيف أن الله سبحانه وتعالى يبث الشيء الذي يعطي معرفة للإنسان به سبحانه وتعالى، بقدرته بعلمه، بحكمته، بملكه، بألوهيته، أشياء كثيرة يبثها.
بعضهم يأتي يتساءل داخل كتب علم الكلام بأنه كيف بالنسبة لهؤلاء الناس الذين ما قد قرءوا، وعرفوا كيف الاستدلال، كيف إيمانهم؟ هل هو صحيح أو ليس صحيحاً؟ وأخذ ورد حول النقطة هذه! لا يعرفون أن هذا الكون هو كتاب، تجد هنا مظاهر حكمته، وقدرته، نعمته، وملكه، وألوهيته، كلها، عندما يفلق البذرة، عندما ينبت الأشجار، عندما تتحرك الشمس والقمر والنجوم، عندما ترى الناس أنفسهم أمامك، كل الأشياء هذه، كلها آيات من آياته، انظر إليها تجد فيها ماذا؟ ما يجعل معرفتك بالله واسعة، تعرف حكمته، تعرف تدبيره.
وهذه القضية هامة، تجد كيف يذكر جانب من جانب التشريع والهداية، أليس هذا شيء؟ ثم يذكّر بالجانب الآخر من تدبيره، وهو حركة هذه الأشياء، والتفاصيل في الكون، إنزال المطر، وإنبات الأشجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والليل والنهار، أليست هذه القضية من أول ما بدأنا؟ من أول [سورة البقرة] قضية هامة جداً؛ لتعرف أنه لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنك ـ إذا أنت إنسان تفهم وتفقه ـ أن تعتقد أن الذي يعمل هذه الأشياء سيهمل هذا الجانب الآخر، الذي تراه هنا من هذه الأشياء هو وحده الذي يعملها، أن تعطي هذا الجانب للآخرين

أن يعملوه، جانب الهدى والتشريع! فكما أنه هو فالق الحب والنوى، وأنه هو الذي يحرك الشمس والقمر والأشياء هذه، هو أيضاً هو الذي يشرع، هو الذي يهدي هو.

الناس لم يعملوا بالطريقة هذه يقولون: يا الله لك الحمد، ولك الشكر، متى ما جاءهم مطر، والجانب الآخر التشريعي، والتقنيني نعطي الآخرين من الناس! أليس هذا يعتبر جريمة؟ هو قال هناك: {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} {لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}.

{انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} عندما يكون جاهزاً {إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فيؤمن مثلما ذكر المؤمنين في آخر [سورة آل عمران]، {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}(آل عمران: من الآية١٩١) ثم يأتي يسرد كيف هي رؤيتهم الإيمانية، ألم يقدم رؤية لديهم متكاملة إيمانية؟ هم ليسوا حول قضية: أن هناك الله، الله هو ثابت في الذهنية من غير لا يحتاج إلى استدلال على هذا.

في موضوع الثمر يلمس الإنسان في هذه الأشياء كلها، يلمس أنه محط وعناية ورعاية إلهية، أليس هذا شيئاً واضحاً؟ عندما ترجع إلى الجانب الآخر، الجانب المعنوي ـ إذا صحت العبارة ـ جانب أن تخشى من الذل، من القهر، من الظلم ، من الاستضعاف، من الأشياء هذه.

يجب أن تفهم بأن من رعى الناس هنا، من رعى الإنسان في هذا الجانب، جانب النعم، جانب الماديات هو أيضاً قد رسم المنهج الذي يمثل رعايته لهم في الجوانب الأخرى. لاحظ الثمر نفسه، أليس هو الذي يجعل الثمر بالشكل الذي يتلاءم مع ذوق الإنسان، ورائحة طيبة، وشكل جميل، وذوق جميل؟ أليس هذا مظهراً من مظاهر العناية؟ فيما يتعلق بقوته، وفيما يتعلق بالفاكهة.

إذاً فلنقل: هل يمكن للحكيم الذي هو ملك الناس أن يغفل رعايته للناس في الجانب الآخر؟ بحيث لا يظلمون، ولا يقهرون، ولا يضلون، ولا يستضعفون؟ هل يمكن أن يغفل هذه؟ قلنا: بأن هذه القضية فطرية عند الإنسان فعلاً، لا تجد أحداً في أي بيت من البيوت لا يرى نفسه بأنه مسئول عن أولاده فيما يتعلق بماذا؟ برعايتهم المادية، ورعايتهم المعنوية، أليس هذا معلوماً، يوفر لأولاده الأكل، واللباس، والسكن، والأشياء هذه، ومصاريف ويتعب لهم، وفي نفس الوقت يدافع عنهم إذا ظلموا، ويحاول يوجههم كيف يسيرون لا يظلمون. أليس هذا معلوماً؟ قضية فطرية عند الإنسان . نحن اعتبرنا بالنسبة الباري لا، وكأنه شغال في الجانب الآخر، والجانب الثاني مهمل له تماماً، جانب التشريع، جانب الهداية، جانب الرعاية في القضايا هذه الأخرى، ثم نبحث عند الآخرين، عند ناس يشرعون لنا، وعند ناس يحمونا، وناس نتولاهم على أساس يقونا الظلم، أو القهر.

هذه القضية هامة، تجدها هكذا في القرآن بشكل عجيب، أحياناً يأتي بصفحة، أو بمجموعة من الإرشادات، ثم يأتي بصفحة من مظاهر الكون، {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ}(الأنعام: من الآية٩٥) أليس معناها هكذا: أنه يجب أن تؤمن عندما يقول في الأخير: {إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، إذاً الله هو الذي يهدي، كما أنه وحده الذي يفلق الحبة، أليست هذه أشياء كلها يقدمها هو الذي يعملها وحده؟ إذاً فهذه الأشياء أيضاً الهدى لا يمكن أن تحصل عليه إلا من عنده هو . لكن في الأخير يأتي الإنسان هكذا: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ}(الأنعام: من الآية١٠٠) بعدما يرى هذه الأشياء أنها من الله هو، أنه يجب أن تؤمن، وأن تعلم أن الجانب الآخر أنه من عنده هو، هو الذي يهديك، هو الذي يشرِّع لك، هو الذي يوجهك، أنت محط عنايته ورعايته في الجانب الآخر، لا تضل، ولا تظلم، ولا تقهر.

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} ماذا سيعمل لك جني، {وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنعام:١٠٠) مع أنه وحده سبحانه وتعالى الذي عمل الأشياء هذه كلها، فالق الحب والنوى، وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسباناً......إلى آخر ما ذكر، وفي الأخير يقولون: بنين وبنات، وأشياء من هذه، هذا لا يمكن، ليس بحاجة إلى هذه على الإطلاق، ليس بحاجة إليها نهائياً.

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ} هو خلقهم، فكيف يجعلون له شركاء، هو الذي خلقهم، خلق الجن، وخلق هؤلاء الآخرين الذين يجعلون الآخرين شركاء له، {وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} نسبوا إليه، قالوا إن

معه بنين، مثل الملائكة يجعلونهم بنات الله، مثلما كان يعتقد بعضهم، والنصارى يجعلون المسيح يقولون: ابن الله، {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} تنزه، وتقدس {وَتَعَالَى} ترفع وسما عما يصفون.

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} (الأنعام: من الآية١٠١) هذه تشبه الآية الأولى التي مرت في: {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ} بعد أن قال في المسيح وأمه: {كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} (المائدة: من الآية٧٥) كانا يأكلان الطعام، ما تعرفون أن الذين يأكلون الطعام هم ناس؟ هنا يقول: أنتم تعرفون بأنه لا يمكن ولد إلا من صاحبة {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ}. {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} (الأنعام: من الآية١٠١ ـ ١٠٢) .

لاحظ كيف يبني على هذا الموضوع كله ما قدم من تعليمات في مجال الهداية، في مجال التشريع، في مجال التبيين، ثم فيما قدم من صفحة في هذا الكون، عن مظاهر هذا الكون، وبعد هذه الصفحة بالذات يقول: {ذَلِكُمُ} الذي هو فالق الحب والنوى وفالق الإصباح.. إلى آخره {هُوَ رَبُّكُمْ}(هود: من الآية٣٤) {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الأنعام:١٠٢) يجب أن تتجهوا بالعبادة إليه، وأنتم تعلمون أنه فالق الحب والنوى، وتعلمون أنه فالق الإصباح، وأنه الذي ينزل المطر والأشجار والأثمار. إلخ، يجب أن تألهوا إليه، وأن تعبدوه.

{هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} أيضاً لم يخلق الأشياء وتركها هكذا، هو على كل شيء وكيل، الشمس نفسها تتحرك في فلك معين، إلى أجل معين، هو وكيل في حركتها في السموات والأرض بكلها، يمسكها، الليل والنهار حركته، هو وكيل على هذه الأشياء، وكيل أيضاً بالنسبة للناس، وكيل فهو الذي يشرع لهم، وهو الذي يهديهم، وهو الرقيب على أعمالهم، يعني: لا يترك شيئاً، ويرمي به هناك، لا يخلق شيئا ويتركه على جنب؛ لأنه حكيم، لا يخلق أشياء تعتبر أشبه شيء بالقمامة، مثلما يعملون بالسيارات هناك التي لا قيمة لها، يخلق أشياء لها دور معين هو حسيب ووكيل عليها.

{لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٠٣) هنا ينزه سبحانه وتعالى ذاته عن أن تدرك بالأبصار، أيّ أبصار كانت، ويأتي بهذا في مقام تنزيه ذاته {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} (الأنعام: من الآية١٠٤) بصائر لست بحاجة إلى أن تقول: أنا أريد أن أراه، بصائر تعرف كل شيء بالنسبة لحكمته، وعلمه، وقدرته، وملكه.. إلى آخر ما يجب أن تعرفه كإله، وبصائر ليست متوقفة على أنك لازم تراه حتى تستبصر، قد جاءكم بصائر تهتدون بها .

{فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}(الأنعام: من الآية١٠٤) نفس الأسلوب السابق عندما يقول: {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لأن هذه العبارة على لسانه قل: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} (الأنعام:١٠٤)، أنا لا أثيب ولا أعاقب، أنا لا أمتلك هذا الثواب والعقاب، الذي يمتلكه هو الله سبحانه وتعالى، هو الذي هو حفيظ عليكم، ورقيب عليكم، وهو الذي سيثيب ويعاقب . إلى هنا. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٨ /رجب / ١٤٢٨هـ
الموافق ١/ ٨/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

سورة الأنعام

من الآية (١٠٣) إلى نهاية السورة

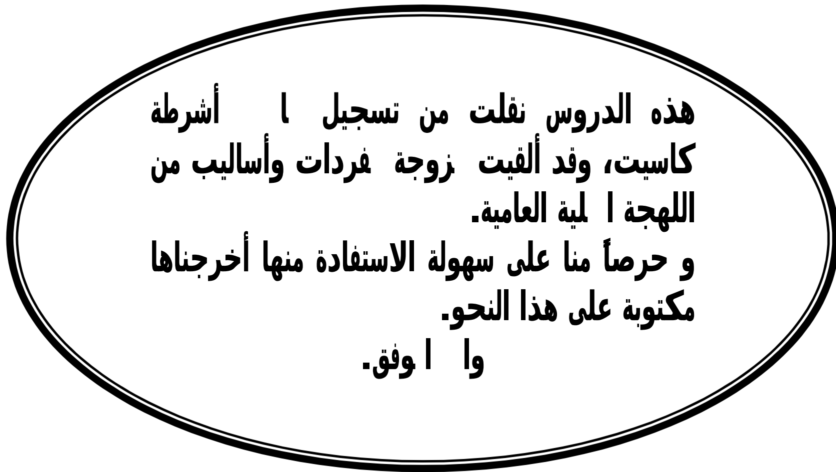
[الدرس السادس والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٠/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

من بداية السورة هذه، [سورة الأنعام] المباركة تعليمات كثيرة جداً، ومزدحمة، ونسبة كبيرة منها موجهة إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعبارة: قل أو نحوها، ويبدو من خلال هذه أن الله سبحانه وتعالى جعل آياته بينات إلى درجة أن الإنسان لا يحتاج إلى أن يقول: هو بحاجة إلى أن يرى الله كما قال بنو إسرائيل: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} (البقرة: من الآية٥٥)، فالناس لا يحتاجون إلى هذه، فيما يتعلق ببيناته، هي بينات واضحة جداً؛ ولهذا قال بعد {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} (الأنعام: من الآية١٠٣)، قال: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} (الأنعام: من الآية١٠٤).

فيما يتعلق بالنعم منه سبحانه وتعالى هو منعم على الناس بنعم كثيرة جداً جداً، وليسوا مع ذلك بحاجة إلى أن يروه، وليس هناك حاجة بالنسبة للإنسان حتى يستبصر، أو حتى يحصل على نعم من جهة الله سبحانه وتعالى أن يرى الله، يقفل هذا الموضوع بالنسبة للمسلمين، أن لا يكونوا كبني إسرائيل عندما خرجوا من مصر وهم يريدون إلهاً يرونه بأعينهم، ويطوفون عنده، إلهاً يرونه! القضية لا تحتاج إلى هذا على الإطلاق، لا بالنسبة لآيات الله، ولا بالنسبة لنعمه على الإنسان.

فآية: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:١٠٣) هي جاءت في هذا السياق، سياق توحيد الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بذاته، ثم التبيين للإنسان أنه ليس بحاجة إلى الرؤية هذه.

هذه تعتبر من العقيدة السائدة عند كثير من المسلمين، الرؤية، وأن الله سيُرى، وأشياء من هذه! فعلاً ليس هناك في القرآن الكريم ما يدل عليها على الإطلاق، بل هناك ما يدل على أنها لا تقع، عندما يبين في هذه السورة، هذه الآية في إطار الحديث عن البصائر للناس، وعن النعم للناس، الإنسان يجد هكذا، يجد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفلق البذرة، وهو الذي يفلق الإصباح ـ الصباح ـ، وهو الذي يسيِّر الشمس والقمر، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وهكذا، بدون حاجة إلى أن يتساءل أين الله، ويرى الله .

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} (الأنعام: من الآية١٠٥) يصرف الله الآيات، تتكرر هذه العبارة: {نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} في آيات كثيرة، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى في هدايته للناس؛ لأنه رحيم، ولأنه يعلم بخلقه هؤلاء، لا يكتفي في موضوع معين بآية واحدة، أو إشارة واحدة، أو إيحاء واحد، بل يصرِّف، يعني: يكرر الأشياء، ويقلبها على كل نوع، من توجيهات، إلى أمثلة، إلى ترغيب، إلى ترهيب، وهكذا.

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} بعد قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأنعام: ١٠٤ ـ ١٠٥) جاء في آية بعد كم آيات من هذه: {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} (الأنعام:١٥٦)، إذاً، أنت منهم، ووجدوك درست، يعني: أنت تتلو عليهم القرآن، تتلو عليهم كتاباً من جهة الله.

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:١٠٦)، أعرض عن أي تقولات من جانبهم، أعرض عن أي دعايات من جانبهم، أعرض عن أي مقترحات، أو أطروحات من جانبهم، معنى أن تعرض عنها: لا تعطيها قيمة، وسيكون موقفك منها موقفاً من ضمن المواقف المتعددة ـ كما سيأتي من خلال الآيات، وكما لاحظنا في الماضي ـ منها ما يجيب عنها، ومنها ما يجيب عنه بشكل آخر، ومنها ما يعرض عنها تماماً .

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} هذه من التوكيدات المتكررة في القرآن الكريم، والموجهة إلى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن عليه أن يستقيم في كل حركاته، في كل توجيهاته، في كل مواقفه مع الآخرين، على أساس ما يوحى إليه من الله، يعني هذا: أن ما يوحى إليه من جهة الله سبحانه وتعالى فيه الكفاية وفوق الكفاية، هو ليس بحاجة إلى أشياء أخرى .

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} (الأنعام:١٠٧) ولو شاء الله ما أشركوا، تتكرر العبارة هذه أيضاً في مقامات كثيرة، العبارة هذه مما يستفاد منها عندما يقول: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} (الأنعام: من الآية١١٢)، ولو شاء كذا، أن يتبين للإنسان أن الله سبحانه وتعالى ليس عاجزاً، يعني: هؤلاء الناس عندما ينزل لهم بينات كثيرة، ثم لا يهتدون، عندما تراهم يعبدون أصناماً أخرى، ليس معناه: أن هؤلاء أعجزوا الله، أي: نجحت قدرته وما استطاع على الإطلاق أن يعمل معهم شيئاً! هو يستطيع، هو قادر على أن يكفهم عن هذا بطريقة، أو بأخرى، من الطرق الأخرى النافذة، مثلاً يستطيع أن يفجر أصنامهم فيهم، يستطيع أن يحول بينهم وبين الوصول إلى الأماكن التي فيها أصنام، أليس قادراً على هذا؟.

يعني: خلاصة ما تعنيه هو: أن الله ليس بعاجز أمامهم عندما تراهم لا يقبلون هذا الهدى فيبدو وكأن الباري لم يعد يدري كيف يعمل معهم، هو على كل شيء قدير، اقتضت حكمته أن يكون هكذا بالنسبة لعباده: أن يوجههم، أن يرشدهم، أن يعلمهم بهذه الطريقة؛ لأن الطريقة الأخرى قد لا تكون ذات قيمة بالنسبة للإنسان، قد لا تكون ذات قيمة بالنسبة لدورك في هذه الحياة. الطريقة الأخرى مثلاً أنهم يريدون أن يتجهوا إلى الأصنام ولكن يحصل مثلا نوم، ينام، كل من فكر أن يتجه إلى صنم ينام، يمكن يطلع من خلال هذه تقولات أخرى مثلاً، بأنه أن الله يتعامل مع الإنسان تعامل تجبر، تعامل تسلط، ليس معناه: أن تلك القضية باطلة من حيث هي، أو أن هذه القضية حق من حيث هي، وإنما هكذا عمله كعمل الملوك الآخرين، الشيء الذي لا يعجبه لمجرد أنه لا يعجبه بغض النظر عن كونه حق في ذاته، أو باطل في ذاته، أنه هكذا يوقفك اعتباطاً.

يعني أنها قضية بالنسبة للإنسان، لو تتم على هذا النحو الذي يسمونه: القسري، لما كان ذا قيمة بالنسبة للإنسان نفسه، ولما كان ذا قيمة فيما يعطيه من تجليات، فيما يتعلق بماذا؟ بقيمة هدى الله سبحانه وتعالى، فتأتي بطريقة أخرى، فيأتي يقدم ويقول: إن هذا هو حق، هذا هو باطل، إذا سرتم على هذا الحق ستكون النتيجة بالنسبة لكم كذا كذا، كلها إيجابيات، عندما تسيرون على هذا الباطل ستكون النتيجة كذا كذا في الدنيا وفي الآخرة، كلها عذاب وخزي... إلى آخره .

هنا سيتجلى، أليس سيتجلى في واقع الحياة؟ وبالنسبة للآخرة بأن عملهم هذا هو عمل يعتبر باطلاً في نفسه، أنه يؤدي إلى هذه العقوبات السيئة، إلى هذه الحالة السيئة، إلى هذا الضلال، هذا يكفي، وهذا ذو قيمة بالنسبة للإنسان، فيما يتعلق بنفسيته؛ لأنه ممكن موضوع القسر أن تقسر دون أن تعرف لماذا، لا يترك أثراً في نفسك إلا أن الجهة تلك جهة متجبرة فقط، لكن أن تقتنع بالمسألة، أن يقال لك: هذا هو باطل، هذا يؤدي إلى كذا...، هذا ليس له أساس من الصحة أن تكون عليه، وسترى عواقبه كذا؛ ولهذا لاحظ في السورة هذه وهو يبين بالنسبة للآلهة هذه أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تعمل لهم شيئاً، وهي عاجزة وهي، وهي... إلخ، ليست ذات قيمة. هنا عندما تتركها تترك عبادتها، سيكون تركك لعبادتها ذو قيمة بالنسبة لنفسك، تسمو نفسك، تزكو نفسك، يعني: تعتبر مستبصراً، أفضل من الطرق الإعتباطية، القسرية.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}، هذه لا تعني على ما يقول الآخرون معناه: إذاً فقد شاء، إذاً فمن هو مشرك الله شاء أن يشرك! هذا معناه يعتبر تحريفاً للآية، لأن معناها: أن الله غني عن العالمين، وأنه لا يعجزه أن يردهم بطريقة أو بأخرى، لكن فيما يقدمه من آيات، فيما يقدمه من بينات، فيما يكشفه من بطلان ما هم عليه هو الطريقة الجيدة بالنسبة للإنسان، هو الطريقة الصحيحة التي يكتشف له من خلالها حق وباطل .

{وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:١٠٨)، هنا عندما تأتي الآية بهذا اللفظ: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} مع أننا وجدنا بالنسبة للقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تتكلم عن هذه الأصنام، بعبارات، من خلال ضرب أمثلة مثلاً بأنها أوهى من بيت العنكبوت، وبأنها لا تنفع ولا تضر، وبأنها لا تسمع ولا تبصر وأنها..وأنها.. بكلام كله سخرية بها، أليس سخرية؟ في إطار كونه تبيين. لكن لأنه قد يكون هناك ربما من الناس من تكون عباراتهم بالشكل المثير لآخرين، يتجنبون هم التعبير، يتركون القضية لله سبحانه وتعالى، ولرسوله (صلوات

الله عليه وعلى آله) في تبيين حالة هذه الأصنام؛ لأن الطرف الآخر هو يعتبره إلهاً، تأتي أنت بكلمة جارحة، غير لائقة، مثيرة، قد تجعله ينشد إلى هذا؛ لأنه عنده بالنسبة لنفسه، وهو تربى على هذا، إله لديه، ليس معناه أن لا تتعرضوا للأصنام نهائياً، إلا لأنه قد يحصل هذا، وهذا شيء معلوم في حياة الناس.

لذلك نقول في كثير من القضايا بأنه ليس مناسباً أن أي إنسان يتناول هذه القضية الفلانية، لأن كل شيء يحتاج إلى حكمة، وكل شيء له أسلوب، قد يكون طريقة شخص معين بالشكل الذي يجعل هذا الإنسان يتخلى عما هو عليه من ضلال، وقد تكون طريقة شخص آخر بشكل يجعله ينشدُّ إلى ما هو عليه من ضلال، والله هو رحيم بعباده، ويريد لعباده جميعاً أن يهتدوا، فمن واجب المؤمنين أن تكون لديهم هذه الروحية، أن يكونوا حريصين على أن يهتدي الآخرون، فلا تأتي من جانبهم عبارات مثيرة وبالإمكان أن تأتي عبارات أخرى وتؤدي نفس الغرض المطلوب، وبأفضل وأكمل، وتؤدي إلى نتيجة طيبة بأن يهتدي هذا الإنسان أو ذاك .

هذا بشكل عام، هناك نوعية من الناس، نوعية محدودة من الناس الذين قد يكون مناسباً أن يأتي لهم عبارات قاسية؛ لأنه فعلاً عندما يأتي شخص يسب صنماً لكن بطريقة مثيرة، مع أن العرب يعتبرون الله سبحانه وتعالى هو إله أقدس من الأصنام هذه التي لديهم، لكن من أجل ماذا؟ من أجل نفسه، يستثار فيسب الله؛ لأجل هذا الشخص بأسلوبه المثير، الغير حكيم، قد يؤدي إلى أنه يسب الله، فتكون أنت كأنك حملته على هذا بطريقتك غير الحكيمة.

هذا فيما يتعلق بالمؤمنين، يعتبر من التزيين لأعمالهم، فيما يتعلق بالمؤمنين، بالأمة المؤمنة، يعتبر من التزيين لأعمالهم بحيث تكون ذات قابلية عند الآخرين، {كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}(الأنعام: من الآية١٠٨) في توجيهات الله لكل أمة تنطلق على أساس كتابه، وتتبع رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) تزين لها الطريقة بحيث كما قال في آية أخرى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}(النحل: من الآية١٢٥) والحكمة عندما يقدم الشيء في قالب من الحكمة يقدم جميلاً، أليس هو يقدم جميلاً؟ في نفس الوقت يكون أمام الشخص الآخر، أمام الجهة الأخرى جميلاً، مزيناً، جذاباً، فيتجه إلى الهدى.

{ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} لا نستطيع أن نفهم، إذا قلنا: إن الآية هذه: {زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} بالنسبة للمشركين يوجد تزيين لعملهم بالنسبة لهم، كيف يمكن أن يجعل الصنم ذا جاذبية لديه، ومزين لديه، يجاهد فيه، من أجله! هو سيأتي بعد، وفي آيات أخرى: أن الشيطان يزين بالنسبة للآخرين، والأصنام أيضاً، من خلال أساطير معينة، من خلال كذا... يزين له بأن يقتل ابنه لأي اعتبار كان، كما سيأتي في آية أخرى .

من واجب الناس أن يتفهموا الأطراف الأخرى، مثلاً الناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم كانوا مجتمعاً أغلبيته مشركين، يعبدون الأصنام، وهذه الأصنام محاطة بأساطير، لا تعتقد بأن هناك شيء لا يكون محاطاً بهالة من الأساطير تجعله وكأنه حق، وكأنه صحيح، إضافة إلى أنه يصبح حالة سائدة في المجتمع، ومسلَّمة في المجتمع، تبدو وكأنها طبيعي، وكأنها قضية تسالم عليها الناس، وكأنها لم يعد فيها أي إشكال بأنها صواب! هنا النقلة إلى أن يكفروا بها، إلى أن يتخلوا عنها، تعتبر نقلة كبيرة هذه، تحتاج إلى تصرفات حكيمة.

كذلك الناس مثلاً، عندما نقول: نحن في عصر كهذا، يوجد ثقافة سائدة نعتبرها مليئة بالأخطاء، مليئة بالأغلاط، يجب أن تكون عباراتنا حكيمة، بالنسبة لمن هم على هذا.

هنا تجد في القرآن كيف يفرق بين موضوع مهاجمة الشرك كشرك، أليس هذا شيء؟ بالنسبة للناس كناس يتخذ أسلوباً حكيماً معهم، عندما نتحدث عن ثقافة معينة، نحن عادة لا نتحدث عن أشخاص، خاصة من الموجودين، نتحدث عن أشخاص بأعيانهم، نتحدث عن محط الإشكالية، وهو ما هو؟ ثقافة مغلوطة، كيف نحاول أن نخرج منها نحن، وكيف نعمل على توجيه الناس لأن يبتعدوا عنها، إذاً لا يكون أسلوبك مع الأشخاص أنفسهم، نفس الأسلوب في مهاجمة القضية من حيث هي؛ لأنه فعلاً تجد الناس منشدين إلى ما هم عليه، أليس هذا شيئاً معلوماً؟ منشدين إلى ما هم عليه، سواء كانوا داخل الشيعة أو داخل السنة، منشدين إلى ما هم عليه، ويعتبرون أنه مضى

عليه أعلام منهم، ومضى عليه عظماء منهم، والناس جميعاً على هذا، وقضية تبدو وكأنها ليست محط إشكال، فيحتاج الإنسان إلى أسلوب حكيم إذا دخل في حوار مع آخرين، أو وجد آخرين مثلاً تدخل مسجداً وفيه حلقة درس، معهم درس في أصول الفقه فلا تقول: [روحوا لكم أنتم وضلالكم هذا..] مثلاً، أو [اجلسوا تخيضعوا أنتم وضلالكم هذا....]، هنا تستثيره، لكن بطريقة وبأخرى تتحدث عن القرآن، وتذكر بما تعتبر أساسيات، وهي مقبولة عند الجميع، وهذا أسلوب ذكر في القرآن نفسه، تقول: كيف..! يعني بالنسبة لهذه الكتب كلها أليس القرآن الكريم هو يعتبر حاكماً عليها جميعاً، وله الأولوية عليها جميعاً؟ لا أحد سيقول لك: لا، قل: إذاً القرآن عندما نجد أي شيء فيه تكون هذه الأشياء مخالفة له، أي شيء سواء كان في كتب داخل التفسير، أو حديث، أو أصول فقه، أو علم كلام، أو أشياء من هذه، كتب ترغيب وترهيب، ألا يعتبر خطئاً، ويجب أن نرفضه عندما يكون مخالفاً للقرآن؟ سيقول أيٌّ واحد: نعم، وبالطريقة الحكيمة هذه، فيما إذا دخل أحد مع ناس في حوار.

ثم أيضاً تكون الأشياء مختلفة، لاحظوا، هناك فارق كبير، أحيانا قد يكون الكلام من هذا، قد لا يكون مثيراً كما لو كان الكلام من هذا، هل تلاحظون فارقاً في هذا؟. {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}، لكن ربما عندما يأتي شيء من جهة الله هو يقول عن الأصنام كذا، أو شيء من جهة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عن الأصنام كذا، أو يقول عن نفس الأشخاص مثلما سبق في آية فيها مقابلة سخرية بسخرية، عندما ذكر الذين يخوضون في آياتنا، وأشياء من هذه، بعدها قال: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا} (الأنعام:٧١)، أليست هذه العبارة تعني: أنتم في واقعكم هكذا؟ {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ}.

هذه القضية ملموسة، الإنسان يجب أن يعرف أنه ربما قضية ـ حتى لو كانت خطيرة في التعبير عنها ـ قد تكون من شخص بشكل لا تكون مثيرة، كما لو كانت من شخص آخر، فيجب أن نفهم نحن في عملنا هذا نفسه، الإنسان إذا كان مخلصاً لله، وهمه فعلاً هو أن يهتدي الناس، همه هو أن يعمم هذا التوجه، أنه وإن كان فاهماً أحيانا شيئاً معيناً يحاول أن يوكل القضية على آخرين، نحن نؤكد على هذا من زمان من البداية، نحن نعرف أننا تناولنا قضايا هي عند الآخرين قضايا ينشدون إليها، بل يعتبرونها ديناً.

إذاً فبدل أن يدخل أي واحد من الناس في مهاترة مع الآخرين، وقد يحاولون هم أن يستثيروه؛ ليدخلوا في مهاترة معه، ثم قد لا يقدم القضية بالشكل المطلوب، أو لأي اعتبار كان، أفضل عملياً هو أن يقول: القضية هذه روحوا عند فلان، هو الذي تناول هذا الموضوع، لاحظوا كتاباته، لاحظوا كلامه، اتفقوا أنتم وإياه .

هذه الطريقة من الناحية العملية ذات قيمة كبيرة، أولاً تجنب الناس الأخطاء؛ لأن النقل عادة يأتي فيه أخطاء؛ ولأنه لم تمر فترة طويلة بحيث أن القضية تكون قد اتضحت لكثير من الناس في كيف يعبر عن القضايا هذه مع الآخرين، وكيف يتناولها، وقد تتجمع أخطاء من هذا وهذا، وهذا، ولا تدري والساحة ملان أخطاء، هذه الأخطاء في الأخير تراها وإذا هي كل منطق الآخرين الذي ماذا؟ يعارضون هذا العمل: [هم يقولون كذا وكذا..]، يقدمون مجموعة الأخطاء التي أتت من عند هذا وهذا، وهذا، ويقدمونها صورة لهذا الموضوع بكله.

ثم في نفس الوقت يعتبر من ناحية ما يتعلق بالعدو نفسه، إذا لمس من الناس أنهم أمة منضبطة، أمة متقيدة، أمة لا تسير بطريقة عشوائية، لا يوجد عندها أسلوب الثرثرة، كل واحد من عنده، كل واحد يتناول القضية من عنده، ويغلط، والثاني يغلط، يجد أمة متقيدة، قضايا معينة يتركونها لجهة معينة، يوحي بأن هذه أمة مبنية بشكل صحيح، أمة كلمتها واحدة.

من الناحية العملية أنت ستؤثر في الآخر، أنت ربما تجره إلى موضوع قد يكون عندما يراجعه ربما يتأثر. هذا قلناه في البداية، عندما مررنا ـ في [سورة البقرة] ـ بقول الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} (البقرة: من الآية٢٣)، قلنا أنه هنا يدفعهم إلى أنهم يرجعون إلى القرآن، إذا اطلعوا على القرآن لن يخرج الإنسان من داخله مرتاباً نهائياً، يريد يبحث كيف يعمل في القرآن حتى يطلع سورة، لن يخرج من

القرآن إلا وقد صار هو مستقيماً، وإن كان عندك خبرة أنت، بعض المقامات بالنسبة لكثير من الأشخاص وإن كان عندك خبرة في الرد عليه، أو التبيين له ربما الأفضل أن ترده إلى الموضوع؛ لأنه عندما يقرأ هذه الأشياء ربما في الأخير سيرى مواضيع هامة أخرى، سيرى حديثا عن الأمريكيين، حديثاً عن الإسرائيليين، حديثاً قد يكون أوسع من القضية التي أنتما تخوضان فيها، موضوع أصول فقه مثلاً، سيقرأ أشياء أخرى، وسيرى هذه القضية داخلها مرتبطة بأشياء أخرى، وفي الأخير: إما يتحول ويستجيب، أو على الأقل يترك المعارضة ويسكت، يرى بأنه غير مناسب أن يدخل في هذا الموضوع، ويعارض ويشاقق. هذه الطريقة أفضل حتى وإن كان عندك خبرة أن تبين بالنسبة لأشخاص .

نلمس من خلال آيات في القرآن الكريم: أن القضية، موضوع التوجيه الإلهي في القرآن يعطي الإنسان أسساً منها أن يكون همه ليس أنه يبرز شخصيته، أو يبرز أنه قدير في منطقه، أو أنه استطاع أن يفحم فلاناً، أو استطاع أن يفضح فلاناً في جلسة، لا، عنده روح عملية كيف يهدي الناس، وفي نفس الوقت محب بالنسبة للآخرين أن يهتدوا، فعندما يرى أنه فعلاً، أو قيل له: أن لا يتناول هذه القضية، سوف لا يتناولها؛ لأنه يعلم بأنه أن لا يتناولها هو أفضل للموضوع، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ التي هي دين الله، أفضل للقضية التي هي ماذا؟ محاولة إبعاد الناس عن الضلال، ومحاولة إزاحة هذا الضلال من الساحة في داخل ثقافة الأمة هذه، يعني أنه سينضبط .

هذه القضية هامة: أن الإنسان يكون عنده رغبة فعلاً بأن القضية التي يتحرك فيها، أنها هي التي تنجح، هي التي تبرز، وليس شخصه هو الذي يبرز، هذا مثلما نقول: أنه حتى لو عندك قدرة أحياناً أن تبين، وقد يكون شخص معين الأفضل أن توكله على الموضوع تتركه يراجع أشياء ثانية، اتركه يطلع عليها، وأنت في المرة الثانية تسأله .

يجب أن يفرق الناس بالنسبة لنا عندما نتحدث عن القضية هذه، نحن نتحدث عنها فعلاً على أساس نبين، ونتلمس نحن جميعاً ـ من خلال قراءتنا للقرآن الكريم ـ الفارق بين ما يقدمه القرآن وما قدمته لنا هذه الأخطاء في ثقافتنا، هذه تؤدي بالإنسان فعلاً إلى أنه يعتبرها قضية رهيبة جداً، ضلال رهيب جداً ضرب الأمة ضربة شديدة جداً، هذا شيء. لكن، لا ما تدري إلا وقد أنت متحامل على أشخاص بأعيانهم، هكذا، [أنتم كذا، أو هم كذا] هذه ليست جيدة، إذا سمعنا فلاناً هو نفسه يتحدث، قد يضطر الإنسان أن يتحدث أحياناً، قد يضطر أن يتحدث، لا يحاول واحد يقلده في القضية هذه بالذات، في قضية أشخاص من الماضين، أو من الموجودين، لا نحاول نقلد فلاناً، لأنه يتكلم، أو سمعناه يتكلم فلنتكلم كمثله في تناول أشخاص، هذه قضية غير صحيحة، ولو لم يكن إلا في مرحلة معينة، أنت تريد أن تطلع الآخرين على ما قيل، حاول توزع ما نزل للتوزيع، وتخليهم يتفقون هم والذي جاء الكلام هذا من عنده .

بل من الناحية الأمنية أحياناً، افهموا هذه، من الناحية الأمنية أيضاً، أحيانا قد يكون كلمة من عندك في مسجد تجعل الآخرين، قسم شرطة، أو إدارة أمن، أو أي شخص آخر يأتي يمسكك ويذهب بك إلى السجن، شخص آخر ربما لا يحصل هذا، هل تفهمون هذه؟. إذاً فبطريقة أخرى مشّي الموضوع، توزيع، وزع، وما يكون التوزيع مكتوب لا أحد يدري من هو منه، الاسم موجود فوقه، إذا هناك أحد يريد يحمس، أو يعمل شيء هو ذاك فلان يتفقون هم وإياه .

هذه قضية ملموسة بالنسبة للقرآن الكريم، داخله، افهموا، افهموا هذه القضية أساسية، ربما لو حاولنا نتطرق إليها نجد فعلاً أنه قد يكون بالنسبة لأشخاص، قد لا يحصل شيء في الغالب، وإذا جاء الآخرون كل واحد عنده يريد أن يعمل مثل ذلك ربما يحصل لك أنت، وقد يكون فيها فائدة من جهة أن يبقى الناس مرتبطين بجهة واحدة، ويسيرون على توجيهات واحدة. وأنه كلما يقدمه القرآن الكريم من أشياء تجعلك مثلاً قد يكون عندك غضب شديد، وعندك عداوة شديدة مثلاً، لكن هناك شيء أساسي هو: أن تكون حريصاً على أن يهتدي الناس، كل الناس، هذه قاعدة، أنك حريص على أن يهتدي حتى اليهود، أليس هذا أسلوب نراه داخل القرآن .

إذاً فهذه القضية لا يجب أن تتحول الأشياء إلى شخصية، رأينا في القرآن كم حاول! يعني كم عمل فعلاً من أشياء داخل القرآن الكريم تبعد الموضوع أن يتحول إلى موقف شخصي، موقف شخصي، إلى آخره؛ لأن من سلبياته أنه قد يجعلك في حالة تصد عن سبيل الله فعلاً بمنطقك؛ لأنك قد أصبحت تعتبر القضية قد صارت قضية هناك ناس معينين لم يعودوا يصلحوا نهائياً، تحاول بعبارات قاسية، وأشياء من هذه، إلى درجة أنه قد يأتي الرد هكذا، يحدث سب لله مثلاً كما قال في الآية هذه.

اتبع الحكمة على أساس أنك تريد أن تنجح القضية هذه، وتعمل الطريقة التي يمكن أن يهتدي الآخرون، أو ينصرفوا بطريقة هكذا؛ ولهذا يقول أنهم هكذا يصدفون عن آيات الله بعد أن تأتي بطريقة حكيمة ومقبولة، لا تكن أنت الذي صدفه، أو صرفه بأسلوبك، إذا انصرف هو بأسلوبه بعد آيات تقدم إليه بشكل حكيم، وبتبيين حكيم، هذا الشيء الذي قد يضربه هو فعلاً، ولا يضرك أنت، لكن عندما يكون عملك أنت، أسلوبك أنت بالشكل الذي يصرف هذا، بعباراتك غير اللائقة، بأسلوبك الذي يبدو وكأنه قد أصبح قضية شخصية لديك، هنا قد تكون القضية مؤثرة عليك أنت، ويكون تأثيرها السلبي عليك أنت .

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:١٠٩) **. وهم يحاولون: لولا تأتينا آية، آية يريدون من الآيات التي كانت تأتي مثلا لعيسى بأن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، أو آية من الآيات القاهرة، يقسمون بأنهم سيؤمنون. هنا الله يقول: بأنه {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ} الله هو العالم بالناس، هنا يقول لهم: {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} لا يمكن، سواء تقسمون، أو لا تقسمون، ليست بيدي، والله هو العالم بعباده جميعاً، ومعلوم بأن الله رحيم، لو أن شيئا معيناً عندما يأتي قد يؤمنون، وبطريقة على وفق سنة الله في هدايته لعباده، أنه سيأتي بها، بل رأينا يأتي بأشياء كثيرة {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}، هل يوجد شيء أبلغ من هذا؟ {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}** (الروم: من الآية٥٨) .

هنا في عمل الناس، عندما يكون الناس يعملون على أساس دين الله؛ لإقامة دينه، قد تجد أطرافاً تقدم مقترحات، وتقسم بالله [أن لو تعملوا كذا أننا معكم] لا تشدك هذه، عندما يقترحون أولويات هم، يقترح رؤية معينة هو، يقول هذا: [لاحظ أقسم لك بالله لو أنتم على هذه الطريقة أننا معكم بقلب ورب.و... الخ]، لا.

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الأنعام:١١٠)، **إذاً هذه الآية من الآيات التي توضح لنا متى يكون ما يقول في آيات أخرى: {جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً}** (الكهف: من الآية٥٧) **{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}** (البقرة: من الآية٧) **طبع عليها، أشياء من هذه، {كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، ولأنه يقدم من أول مرة بطريقة كاملة وواضحة، إلى درجة أن يوصل الإيمان إلى داخل نفوسهم، أن يكونوا مؤمنين في واقعهم من داخل نفوسهم بأن هذه القضية هي حق وصدق، فمتى لم ينطلقوا على أساس ما قد قدم إليهم في المرة الأولى، نقلب أفئدتهم، وأبصارهم، ونذرهم في طغيانهم، فلا يهتدون نهائياً .**

{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ} (الأنعام:١١١)، **ألم يقولوا هناك: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}** (الأنعام: من الآية١٠٩) ؟
{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً} (الأنعام:١١١)، **مواجهة، عيانا {مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا}** (الأنعام:١١١) **إلا أن يشاء الله ـ كما يقول في آيات أخرى ـ إلا أن يشاء الله، معناه أنهم ليسوا معجزين هؤلاء، هذه القضية يجب أن نفهمها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، ولو افترضنا بأنه أدى كلما عنده من قدرة، وكلما بإمكانه أن يعمل من أشياء، وعجز في الإنسان هذا، ألن يكون عجزاً؟.**

إذاً هو سلك مع الإنسان هذه الطريقة، أن يهتدي على هذا النحو، إذا أراد يهتدي، إن اهتدى سيجازيه جزاء حسناً، وإن لم يهتد سيعاقبه، وعندما يكون معانداً إلى آخر درجة، ليس معناه بأنه أعجزه؛ لأنه يستطيع أن يهديه بطريقته الأخرى، بالطريقة التكوينية، بالطريقة القسرية، بأي طريقة أخرى، يستطيع، بمعنى أنهم لم يعجزوه. إذاً فقد تنطلق الأيمان هذه: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا}، قد

يكونون نوعية لو نزّل إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وحشر عليهم كل شيء قبلاً، مواجهة، عياناً ما كانوا ليؤمنوا.

إذاً فالقرآن الكريم، من خلاله نفهم بأن الإنسان هو يسير وفق التوجيه القرآني، وليس وفق ما يمليه عليه الآخرون، وليس وفق مقترحات الآخرين، ومقترحات أولويات من جانبهم. هذه القضية أساسية، امش على الطريقة هذه؛ لأن الآخرين قد يجرجرونك إلى أن تضيّع ما لديك، وتَضِيع أنت، وقد ترى من عندهم أحياناً حالات يبدو وكأنهم جادين [أقسم بالله لو أنكم كذا كذا من أننا لنكون معكم ولا نفارقكم ونكون في المقدمة]، هم في الواقع من هذا النوع، ستقول: تمام، معك، سوف يقول: لكن باقي أيضاً واحدة، وقدم لك خصلة ثانية، وهكذا، حتى تضيّع الذي لديك، وإذا بك قد صرت تمشي على هداه هو، الذي هو هوى وضلال، وتترك هدى الله!.

هذه القضية أساسية يحتاج إليها الناس، وكلما مشى الزمن، وكلما مشوا في أعمالهم يحتاجون إلى هذه الرؤية الثابتة وهي: أن نتعامل مع الآخرين، ونعمل في طريقنا هذا وفق ما يهدينا إليه الله، على أساس كتابه، دون أن نعطي الأولويات الأخرى، والاقتراحات من الأطراف الأخرى أي قيمة. إذا هناك أحد من داخل الناس هم يقدم رؤية معينة، وسيعرف إلى أي جهة يقدمها، وسيعرف على أي أساس يقدمها، أنه قدم رؤية إن قبلت فلا بأس، ما لم فهو مع الناس لن يخرج، لكن الآخرين يقدم لك رؤية هناك على أساس أنك إن مشيت عليها فسيقول لك إنه معك وليس صادقاً، إذا لم تمش عليها سيقول: [رأيتم أنكم لا تريدون أحداً يكون معكم فقط تريدون أن تفرقونا، فقط تريدون كذا وكذا] لا تصغ لهذه.

والقرآن الكريم يقدم أمثلة كثيرة لهذه الفئة من الناس التي على هذا الشكل، ثم ترى بأنه لم يعطهم اعتباراً، هل نزل لهم آية كما قالوا؟ بل كشف واقعهم كيف هم، بعد أن أقسموا بالله جهد أيمانهم، يعني بكل ما عنده من عبارات يمين، أيمان بالغة، أقصى ما يمكن أن يقول من يمين، وهو في الواقع غير صادق؛ لأنك تجد من العجيب أن الله لا يترك الناس هم، نفس المخلصين، نفس المؤمنين، نفس العاملين، لا يتركهم يسيرون على أمزجتهم، وعلى ما رأوه هم، وهم الذين عندهم إخلاص للقضية، وعندهم حسن نية، خلي عنك أن يتركك للآخرين يملون عليك هم، أليس هنا يقول لنبيه: قل كذا، قل كذا.. الخ.

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) **يعني: ما تركت القضية لشخصه هو، أن يمشي على مزاجه، وعلى ما رآه؛ لأن المهمة كبيرة جداً، وأدق من أن يحيط بها فهمك كإنسان. إذاً فكيف يمكن أن تخضع المسألة لاقتراحات الآخرين، ورؤى الآخرين الذين ليسوا في عملك، وليسوا حولك!.**

قد يقول الإنسان: لكن لماذا يأتي ناس من النوعية هذه في مواجهة الأنبياء؟ لماذا ما يهلك الباري أولاً الناس جميعاً الذين هم سيئون ثم يبعث نبياً؟! ماذا سيعمل النبي؟ ماذا بقي له من عمل؟!، إن الناس هم عباد لله كلهم، ومطلوب أن تقوم حجته عليهم جميعاً، من آمن ومن كفر، من اهتدى ومن ضل. فتجد المسألة بشكل آخر، تأتي العبارة بطريقة أخرى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} (الأنعام:١١٢) **وأعداء شغالين من الفئتين، من الجنسين: الجن والإنس، وشغالين، يوحي بعضهم إلى بعض في مواجهة هذا النبي، {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}**(الأنعام:١١٢).

كنا نسمع كثيراً عبارة: [معنا أعداء، ولا هو وقت شيء، ومعنا أعداء، وأعدانا كثيرين، وأعداءنا معهم قدرات كذا، ونحن ليس معنا شيء...] إلخ ! أليست هذه رؤية معناها بأن الناس مستعدون أن يعملوا إذا ما هناك أعداء؟ لكن الله هنا يقول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً}.

إذاً لاحظ أن الصراع نفسه، الصراع على أساس هدى الله يكون له إيجابيات كبيرة جداً، الأعداء الآخرون يكون عملهم دائماً يعطي شواهد لصحة ما عندك؛ لأنه بالنسبة للباطل، عندما يكون الباطل مجرد نظرية، ليس هناك من يجسده، من يمثله، لا تستطيع أن تتصور قبحه، لا تستطيع أن تتصور فضاعته، نفسك قد لا تحمل غيضاً، أو تحمل غضباً، أو تحمل قوة في مواجهته. متى ما تجلى، وعادة أهل الباطل هم يتحركون فيتجلى الباطل من

خلال مواقفهم، ويتجلى الحق بشكل أكبر في جانبك، من جانب ما يقدم من عندك يتجلى، فترى قبح الباطل كيف هو، وترى كيف ـ عادة ـ يكون أهل الباطل، وترى كيف ـ عادة ـ يكون منطق أهل الباطل، وتصرفاتهم، وكيف تكون نتائج أعمالهم، وكيف تكون عاقبتهم، وعاقبة من يسيرون معهم، وهكذا.

ليست المسألة معناها أنها تشكل عوائق، وقلنا بالأمس: بأن هذه من أهم الأشياء التي يمكن أن نستفيدها من خلال القرآن الكريم، مما يعطي الناس ثقة قوية بأن يسيروا على هدى الله، وسينجحون، عرض كل الأشياء من العوائق والمطبات التي تتصور أبسط شيء منها، أبسط عائق في الزمن هذا لا يعد يعمل شيئاً، ولا يعمل الكبير شيئاً، يعرض لك أن هناك أعداء: جن وإنس، ويتآمرون، ويكيدون، ومحاربين، ومتآمرين، من كل الفئات، جن وإنس، يهود، ونصارى، ومشركين، ومنافقين، ويستخدمون كل وسيلة، دعايات مضللة، تآمر، محاولة اغتيالات، محاولة تسميم، محاولة كذا... أشياء كثيرة جداً يتحركون فيها، ومع هذا نجح، ألم ينجح؟.

عندما تفترض أن هذا دين لكن هذا الدين لا يمكن يعمل شيئاً، ولا يمكن أن يكون له أثر إلا إذا ما هناك يهود، ولا نصارى، ولا منافقين، ولا كافرين، ولا أعداء. إذاً أن يكون الناس من نوعية الإمام علي، فتكون أنت مستعداً أنك تجاهد، ومستعد أنك تكون قوياً، تكون قوياً على من؟! وتجاهد من؟ في الأخير تجاهد من؟! إذاً معناه أنه هكذا، عندما تجد في واقع الحياة هكذا، أناس أعداء بمختلف أصنافهم يجب أن تفهم بأنك عندما تسير على هذا الكتاب، على هدى الله، ستتجاوز كل هذه الصعاب مهما كانت، فمن خلال الصراع، والصراع هو الذي يعتبرها في الحياة، أصبحت عادة مثلاً، أصبحت قضية ثابتة، نفس الصراع وإلا فما نفس مثلاً نقول: أحقية هذا الدين، لا تظهر إلا إذا كان هناك صراع، تظهر أحقيته إذا كان هناك من يتحرك على أساسه، أليس هذا يعني أن هذا الدين عظيم جداً؟ هو حق حتى وإن لم يكن هناك من يصارعه، تستقيم الحياة عليه على أفضل طريقة، وفي نفس الوقت حتى لو كان هناك من يصارع ستجده أيضاً يتجاوز الكل، ويظهر على الكل.

ليس معنى هذا بأن الله جعل لكل نبي عدواً يؤذيه، ويشغله، ويزعجه، ويقلقله من أجل يأتي له ثواب! ليست هكذا، لكن الصراع نفسه يفيد الإنسان كثيراً، ينمي خبراته، مواهبه، مداركه، تتجلى أمامه جاذبية الحق، وسوء الباطل.

ولاحظ الآن عندما نشاهد ما يعمل الأمريكيون، والإسرائيليون، ألست تجد كيف يكون الناس، أهل الباطل مضللين؟ وكيف تكون نتائج تضليلهم؟ كيف تكون ممارساتهم، كيف تكون سياستهم، مثلاً مستعد يفجر تفجيراً كبيراً، ويقتل أناساً من شعبه، من أجل الانتخابات المقبلة، أن لا تنحط شعبيته فيها، من أجل يجلب أصوات! أليس هذا الباطل واضح كيف هو؟ أنت تجد كيف يعملون بالعراق، وفلسطين، وأفغانسان، وكيف يعملون في بقية الشعوب، أليس الباطل يتجلى لك بشكل تعرف سوءه وخبثه؟ عندما ترجع إلى القرآن، وتفهم ما يريد الله للناس في هذه الحياة، سترى فعلاً بأنه شيء عظيم لو ساروا عليه، ولما كان لهذا الباطل وجود.

لكن لاحظ كل الأمثلة ستضرب إذا ما قدمت لها مفاهيم أخرى، هذا مثال هام جداً، عندما تقول: فعلاً هناك أعداء للأنبياء بما فيهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأعداء من مختلف الفئات، ومع هذا نجح! ألم يكن المفروض بأن نفهم؟ إذاً فهذه الطريقة طريقة يعتمد عليها، وأنها طريقة من يسير عليها سيجعل الآخرين يفشلون تماماً في مواجهته، ألم يكن هذا الشيء الذي يجب أن نفهمه؟ ويعطي دفعه للناس أن يتحركوا على أساس هدى الله؟ لكن قدموا لها معنى آخر معنى [أنه هكذا الدنيا، ابتلاءات يعمل له عدو يزعجه، يزعجه..، لأجله يأتي له ثواب]!! موتوا الموضوع تماماً، هل أصبح له قيمة من الناحية العملية؟!.

ولاحظ كيف في المقابل {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}، وكأنها قضية ليست محط افتراء، وعندك أنهم سيسدون الآفاق عليك، ويحبطون طريقتك، والعمل الذي أنت فيه، إشتغل، اتركهم، { فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} يعني: لن يضرك، لكن ماذا؟ إذا أنت مستقيم، عندما يقول له: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ}، لاحظ هنا العبارة هذه، وهي في مقامها مما يوحي لك بأنه فعلاً: هؤلاء الأعداء مهما كانوا لن يضروك، ولن يعيقوك، بل تستفيد من خلال الصراع معهم، ومعلوم في هذا العصر نفسه أن الأمريكيين يقولون: إنهم يحاولون أن تأتي حروب من أجل أن يستفيدوا، ويجربوا أسلحة جديدة لديهم، ويحصلوا على خبرات عسكرية، لا يمكن أن يحصلوا عليها نظرياً، أبداً، هي

هناك مجرد مثلاً تنظير، هم يريدون ميدانياً، ولا يريدون مناورات، المناورات تكون وهمية لا يستطيع أن يجعلها فاعلة، ويكسب خبرات حقيقية منها، فحروب حقيقية، حروب حقيقية إذاً سيجرب أسلحته، ويجرب خبراته التي لديه، ويفهم خبرات جديدة، ويعرف أشياء جديدة .

وما يأتي مثلاً من جانب عندما يقول: {شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} (الأنعام:١١٢-١١٣) ، فيكون هذا بدل أنهم لم يسيروا على هدى الله، يأتي لهم وحي شياطين جن وإنس، غرور، عندما ينصرفون عن الوحي الذي هو من الله إلى رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو هدى، هو حقيقة وحق، وليس غروراً، لم يعد معهم إلا أن يرجعوا للذين معهم شياطين الجن والإنس، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} (الأنعام:١١٣) ، ثم في الأخير يعملون أعمالاً على أساس ما قد ارتضوه من وحي الشياطين، فتكون كلها ضلال على ضلال، وكلها تؤدي إلى عواقب سيئة.

{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً} (الأنعام: من الآية١١٤) ، مقابل اقتراح آيات، أو مقابل اقتراح أولويات، أو أشياء من هذه، أشياء كثيرة، يقول: لا يمكن أن أميل إلى غير ما جاء من عند الله. {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً}، حكماً بيني وبينكم، ويفصل بيني وبينكم، {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (الأنعام: من الآية١١٤).

يجب أن نفهم بأنها قضايا هامة جداً، عندما تجد توجيهات للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، توجيهات تؤكد عليه أن يكون مستقيماً، أن لا يميل كذا أو كذا مهما وجد من اقتراحات، مهما سمع من أيمان بالغة، مهما قدمت من أشياء، لا يميل، قضية خطيرة لو مال، يمشي وإن كان ما كان أمامه من أعداء، وأشياء من هذه، يعرف بأنه سينجح، وهذا الذي حصل، أليس هو الذي حصل بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

بالنسبة لأهل الكتاب {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ} هذا القرآن {مُنَزَّلٌ} إليك {مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}، أنه حق في نفسه، وأنزل بالحق، ومتضمن للحق، {فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} فيما لديك، وفيما أنزل عليك، عندما ترى الآخرين ما آمنوا به، هذه قضية نقول دائماً: القرآن يركز على أن يرفع الناس من هذه الحالة، حالة أن لا تثق بما لديك إلا إذا قبله الآخرون، أو آمن به الآخرون، أو صدقوه، خاصة إذا الناس قد يكونون هم مظنة أن يصدقوا بما جئت به، مثل أهل كتاب، أو أهل علم أو أشياء من هذه. فعندما ترى بأنهم لم يرضوا يؤمنوا به، في الأخير تشك أنت فيما لديك فيضعف عملك، تضعف نفسيتك، تضعف مواقفك. هذه تكون غلطة كبيرة جداً. افهم بأنه قد يكون هناك آخرين لا يؤمنون به وهم يعلمون أنه حق.

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} (الأنعام: من الآية١١٥) أليس هو يعطي هنا أشياء أساسية؟ أشياء تعطي مواقف ثابتة، ورؤى ثابتة؟ وهذا من نعمة الله عليه (صلوات الله عليه وعلى آله)، كلمات تامة، لا يوجد قصور فيها على الإطلاق. {صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}، لن يأتي واقع يكشف أن هذه الكلمات لم تكن صحيحة، أو غير واقعية، أبداً، ولا أحد من الأطراف يستطيع أن يبدل كلمات الله. {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة: من الآية١٣٧) .

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (الأنعام: من الآية١١٦)، يعطيه هذه الرؤية الواضحة، لا تكن دائماً لا تنظر إلى ما لديك أنه ذو قيمة إلا إذا آمن به الآخرون، افهم، الآخرون، وهم عادة، خاصة إذا كانوا مجتمعاً واحداً، وهم كانوا عندما بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عبارة عن مجتمع واحد، بل اليهود كانوا ضمن المجتمع، يعني: لم يكونوا مجتمعاً متميزاً، كانوا ضمن المجتمع العربي في المنطقة. فهنا عادة يأتي اقتراحات، ويأتي رؤى، ويأتي أشياء كثيرة من داخل المشركين الذين ما يزالون هو وإياهم أصحاب، وما يزالون قبيلة واحدة، وأشياء من هذه، ومن داخل أهل الكتاب، يقدمون له رؤى، يقدمون له أشياء كثيرة .

فيعرف أنه لو أطاع أكثر الناس، وعلى أساس يقولون: تمام، ويريد يكسب أكثر الناس سيضلونك عن سبيل الله، فيصبح ما لديك أنت والأكثرية هذه لا يساوي شيئاً، كم المسلمون اليوم؟ أليسوا يقولون: إنهم مليار وحوالي ثلاث مائة مليون؟ أعداد كبيرة جداً، لكن أصبحت وضعيتهم وما يعمم في أوساطهم من ثقافة هي الفاعلة لديهم، لم تجعل لهم قيمة، عندما يقول واحد [نريد نفرح، نفرح، ونجمع، وتتجمع ـ وأشياء من هذه ـ ونوافق هذا، ونوافق ذاك، ونرضى باقتراحات ذاك، ونمشي بعد هذا، وهكذا حتى نكون عدداً كبيراً] . إذاً اجتمع لك آلاف، لكن أنت وإياهم على لا شيء، ضالين، إذا أنتم ضالين تصبحوا ليس لكم قيمة، لا تتركون أيَّ أثر في الحياة هذه، ولا يكون لكم قابلية عند الله لا في الدنيا هذه ولا في الآخرة .

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} (الأنعام:١١٦)، فيما هم عليه، وفيما يقدمونه لك من مقترحات، ورؤى، وأشياء من هذه، لا يمتلكون هدى نهائياً، ومعنى هذا: أنه في عملية مقايضة مثلاً، أنه عندما تأتي وهي عادة تحصل هذه، وهي حاصلة، هي أبرز حاجة الآن هذه الخصلة عند العرب، تقريباً كثير من علمائهم، ومرشديهم، ومعلميهم، حكوماتهم، هذه الخصلة، محاولين كيف أنه يسترضي الآخرين، ويطيعهم فيما يقدمون من أشياء، على أساس أنه يكسبهم، أو يسلم شرهم، أو بأي جهة كان، المهم أنه قد تأتي المسألة هذه عادة في إطار مقايضة.

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} لو اقترح عليك أكثر من في الأرض بأنه أنت اعمل كذا كذا، ونحن سنكون معك مثلاً، فقط تمشي على مقترحهم، وعلى ما قدموه لك، فتطيعهم فيه، يضلوك عن سبيل الله، فتكون ضالاً أنت وإياهم، معنى هذا أنه يريد أن يقطع الطريق تماماً، عندما يكون عندك حرص أن الناس كلهم [تلفلفهم] من أجل طمعك قد تحاول أن تسترضي هذا، وتطيع هذا فيما يقدم من رؤى ومقترحات، أكثر من في الأرض لو أنهم سيطيعونك كلهم، على أساس ما يقدمونه لك هم، سيضلونك عن سبيل الله، فتصبح ضالاً أنت وإياهم، إذاً فاقنع بالنسبة لقبيلة، أو قرية، أو حتى الجزيرة هذه بكلها، أن لا تفرح بالأرقام الكبيرة هذه على الإطلاق .

{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (الأنعام:١١٦)، تخرصات: كذب وافتراءات .. {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (الأنعام:١١٧) ، لأنه أحيانا قد تحصل عند الإنسان فكرة أنه يقول لهم: تمام، عسى أنهم سيهتدون، الله أعلم بمن سيهتدي، وبدون شروط، ولا إملاءات، وبمن هو سيضل لو تقبل كلما عنده من شروط، أليست هذه قضية حاسمة؛ لأن هذه ثغرات كبيرة في أعمال الناس، [نقبل، عسى عندما نقول له: تمام في هذه إنه سيهتدي] الله هو يعلم من البداية من هو الذي سيهتدي، ومن هو الذي سيظل ضالاً، لا يقبل نهائياً، نحن بحاجة إلى أن نفهم هذه الأشياء بجدية.

الناس إذا لم يفهموا هم على أساس واحد في الأخير يختلفون هم فيما بينهم، سيقولون: [أمانة أما هكذا جور، قد أنت متشدد بزيادة، هذه فقط اقبلها منهم، ومضمون ستراهم يستقيمون كلهم]، ثم يختلف الناس فيما بينهم؛ لأنك لاحظ هنا أنه تتقدم المسألة، وعلى أساس أن رسول الله وهو فعلاً هكذا، (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان حريص جداً على أن يهتدي الناس، وكل الناس، حريص على هداية الناس كلهم، لكن هذا الحرص يحتاج إلى رقابة شديدة وإلا فهو يعتبر واحدة من المنزلقات الخطيرة، لولا أنه رجل حكيم، وبتوجيه من الله، وبيَّن الباري كيف كان أحيانا يكاد يحصل له انزلاقة لولا رعاية الله، ليس على أساس أنه إنسان ينطلق على أساس ـ مثلاً ـ مطامع لديه، يقول: إذاً سيقبلون كلهم، وستكون أكبر واحد فيهم ملكا عليهم، أو يحصل لك مصالح، أو أشياء من هذه، أبداً، عنده روح واحدة، حرص على هداية الناس كل الناس .

إذاً فهذه الحالة على الرغم من أنها حالة ممتازة جداً، هي حالة تعتبر فضيلة عظيمة، لكن يجب أن تكون دقيقاً في التعامل مع الآخرين وإلا قد يحصل خطأ كبير، وأنت حريص على هداية الناس، قالوا: نريد كذا، ونريد كذا، ونحن مستعدون نؤمن بك! في الأخير قد صار يرى أنه ممكن أن يأخذ عدداً من البلدان قالوا قد هم مستعدين، إذاً لا بأس قبلنا، وهكذا، ولا تدري وقد ألفوا أن يقدموا هم أشياء، وباقي هذه، وهذه، وآخرين

قدموا قائمة فيها أيضاً زيادة على ما قالوا، قد رضيوا ذولاك أيضا نريد يرضى لنا في هذه يقبلها، ثم في الأخير عنده عسى لا بأس وفكّة من بعد سنحاول بعد ذلك نهديهم .

هنا يقول الطريقة هذه تلغى تماماً، {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) {وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}(الشورى: من الآية١٥) وعندك توجيهات معينة، يعتمد على الطريقة هذه لا يعتمد على ما يقدمه الآخرون حتى ولو من منطلق الحرص على هدايتهم، أو على أنهم عسى أنهم سيهتدون من بعد، هنا يقول: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ}، أليس هذا يوحي بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان لحرصه الشديد على هداية الناس أن هذه الحالة وإن لم يكن قد يحصل عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو شيء من المنزلقات هذه الخطيرة لكن تحصل عند الآخرين من بعده، نحن بحاجة نحن والذين قبلنا، والذي بعدنا، الناس بحاجة إلى الرؤية الثابتة هذه، وفعلاً نجد هنا في داخلنا، في داخل الزيدية خلي عنك في باقي الدنيا، من عندهم النظرة هذه: يحاول يتأقلم كذا، يحاول كذا، من أجل إما أن يحافظ على مشروعه الفلاني، مدرسة معينة معه، أو كونه خطيب مسجد، أو أشياء من هذه، أو من أجل يكسب الطرف الآخر، يكسبهم!! ولا يدري في الأخير إلا وقد هو يقصد الدين، يقدمه استرضاءات لهذا وهذا، وهو في الأخير يعتبر ضالاً {يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يقول له: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

ثم لاحظ من الأشياء العجيبة في الأخير يأتي في قضايا مثلاً هي قضايا مأكولات، ذبائح، أليس يأتي فيها: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}(الأنعام: من الآية١٢١) ، ثم بعد التوجيهات الهامة هذه يقول: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام:١١٩-١٢١) ما هي القضية هذه؟ قضية أكل من ذبيحة معينة، هنا يقول: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} فكيف بالقضايا الأخرى القضايا الهامة؟.

يؤكد بأن عليه أن يأكل فقط مما ذكر اسم الله عليه، لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، لا يقول في الأخير: سهل، ليست مشكلة، على أساس نجلس مع بعضنا، ونأكل معهم جميعاً، ونتحدث بعد الغداء، وربما يهتدون! يكون لديه موقفاً ثابتاً، لا يأكل أبداً من شيء لم يذكر اسم الله عليه، ولو أدى إلى أنه لا يعد يحصل اجتماع بينه وبين الذين قد هم مستعدون أن يعطوه ذبيحة لكنهم غير مستعدين أن يذكر اسم الله عليها، بمعنى ماذا؟ أن يكون ثابتاً، أليست هذه قضية تبدو عادية؟ قد تكون من الأشياء التي يمكن أن واحد يضحي بها؟ ما هي مشكلة يأكل واحد معهم ربما يهتدون ثم من بعد سنذكر اسم الله على ذبائحنا نحن وإياهم! لا ، الدين لا تقدمه أبداً تقصده؛ لأنك تدعو الناس إليه، لا، أن تقدمه لهم يعني هكذا تقصيد، استرضاءات.

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:١٢٢) ، لهذا يجب أن يفهم الفارق، ونفهم نحن جميعاً بأن الناس لديهم ما يعتبر نوراً، لديهم ما يعتبرون به أحياء؛ فيجب أن يلمسوا هم الفارق بينهم وبين الآخرين، فلا تحاول أن تقبل من الأموات، وتقبل ممن هم في الظلام أشياء يردونك بها إلى أن تكون كمثلهم، لأن هذه القضية تجدها في آيات كثيرة، موضوع المقارنة؛ ليعرف الناس، ليعرف المؤمنون أهمية ما هم عليه، أنها طريق ذات قيمة، أنها نور، أنها حياة، أنها صراط مستقيم، من أجل ماذا؟ يثقون، يجب أن تراجع نفسك من خلال المقارنة، يجعلك تنشد إلى ما أنت عليه، إذا انشديت إلى ما أنت عليه، ووثقت بما أنت عليه، واعتبرته نعمة كبيرة، لن تكون مستعداً أنك تبيعه وتعطيه تقصيدات للآخرين، مقابل استعطاف لهم أنهم يميلون معك .

قد مر مثل هذا في آيات سابقة، ذكرنا أن هذه قضية هامة تقدم للإنسان، والإنسان بحاجة إلى أن يستشعر هذا؛ لأنه أحيانا يذوب واحد في موضوع الآخرين، وهو يريد كيف يكسب الآخرين، وكيف يعمل بالآخرين، وكيف أنه لم يستجب الآخرون إلى أن أصبح هو ينسى الموضوع الذي هو عليه، وأهمية ما هو عليه، وقيمة ما هو عليه.

هذه القضية تحصل للإنسان إذا استرسل ذهنه في موضوع الآخرين، يجب أن يكون عندك التفاتة إلى أن تقيّم ما أنت عليه، هذا الهدى، وهذا النور؛ لتعرف ماذا؟ يشد موقفك أمام الآخرين، يعني: لو قدموا تنازلات، أو يريدون منك تقدم تنازلات، لا ترض أبداً. عندما يقول: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}، ألم يقدم في الأخير مقارنة فيما بينهم؟ أطعتموهم أنتم، ما بين المؤمنين، وما بين المشركين، هل ستقبلون، والواقع هكذا: أن هنا أموات في الظلمات، وهنا أحياء مستنيرين، أليس هذا يعتبر فارقاً كبيراً جداً، تطيعونهم تكونون كمثلهم، هم أموات، وفي الظلمات.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (الأنعام:١٢٣). أكابر مجرميها، وفي آية أخرى يذكر مترفين: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} (الاسراء:١٦) عادة يكون بسطاء الناس ينشدون إلى الوجهاء، أصحاب رؤوس الأموال، والكبار في مدينتهم، أو كبار مجتمعهم، حتى أنه يحاول أولاً يلاحظ هل أولئك سيقبلون هذا الدين؟ هل سيرضوا أن يستجيبوا له؟ وإلا فيقول: والله ما رضيوا، هو غير مستعد أن يسير معك إلا إذا قد رضي ذلك التاجر، وذلك الذي هو كبير في عينه! هنا يقول له: هؤلاء هم في الواقع هم شر على المجتمع، أنهم هم بداية الشر على المجتمع، لأنهم عادة هم من يكونون مكذبين؛ لأنهم يكونون أصحاب مصالح كبيرة، مترفين، أصحاب مصالح كبيرة، ولا يريدون أن يأتي شيء يخرجهم مما هم عليه، يعطي أشياء قد يعتبرونها قيوداً أمام لهو، ولعب، وترف، وأشياء من هذه، وأمام كسب الأموال بأي طريقة، أو بأخرى، وأمام استعباد الناس من خلال الأموال، فيعتبر أن هذه الفئة هي الفئة التي عادة تجلب الدمار على المجتمعات.

إذاً فأنت عندما تتعلق بنظرك إلى هؤلاء، أنت إذاً تعلق نظرك بمن هم أساس الدمار لك وللآخرين من أمثالك، التفت إلى ما قدم إليك؛ لأن القضية هي حاصلة عند الناس، في المجتمعات، وذكرها فيما يتعلق بمجتمع فرعون، من خلال المقارنة ما بين موسى وفرعون، هم يرون فرعون هناك! معنى هذا: أن الإنسان ينظر إلى الهدى من أين أتى، ولا يقيّم الهدى على أساس أن يكون معه أموال، وأن يكون ذو وجاهة كبيرة، وأن يكون عنده إمكانيات كبيرة، وأشياء من هذه، أبداً.

يفهم الناس أنه لا يأتي الشر على الناس إلا ويبدأ بسبب هؤلاء، وفعلاً هذه القضية ملحوظة، يكون المترفون هم في المدن العربية هذه، في المجتمعات العربية، المترفون هم من يتمكنون من أن يسيروا إلى الغرب، ويأتوا، ويحاولوا ينقلوا معهم تقاليد الغرب، وثقافة الغرب، ويحاول يعمم في المجتمع، في الشارع، في الحديقة، في الاجتماعات الحياة الغربية، من السفور والأشياء هذه، وهكذا، ويحرك المجتمع، يعمم فيه الفساد، يعمم فيه الجريمة، حتى في الأخير تكون القرية هذه، أو المدينة هذه، قد استحقت أن تدمر، أما الفقير فهو لا يستطيع يسافر إلى فرنسا، وإلى أمريكا، وإلى البلدان الأخرى، ويرجع وقد بناته لابسات قصير، وكاشفات، ويخرج هو وإياهم في الحديقة؛ لأن الفقير لا يكون حول هذا، لا يستطيع يأمن معيشته إلا غصبا، حياته اليومية .

وهنا يفهم الناس بأنه هكذا؛ لأنه عادة يجهل الناس من أين يأتي في العادة المشاكل عليهم ودمارهم، يكون عندهم ذلك فلان، أو فلان الذي يدعوهم إلى هدى؛ ليكونوا بعيدين عن غضب الله، بعيدين عن العقوبات التي تأتي من جهة الله، أو تأتي أيضاً عن طريق تسليط الآخرين عليهم، فهنا يقدم بأن مترفي المدن، أكابرها هم أساس دمار الأمة، أساس دمار البشر.

هنا يبين هذه الفئة بأنها عادة تكون فئة متكبرة، فئة لا تقبل، ويأتي بعبارات عنهم عندما يقول عنهم: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} (الأنعام:١٢٤) . وتجد هذه أيضاً لها قيمة من ناحية أخرى، أنك أنت وأنت في مسيرتك العملية لا تحتقر نفسك على أساس لماذا أنه ليس معك الشخص الكبير الفلاني، التاجر الكبير الفلاني، المسئول الفلاني، وأشياء من هذه، أن هؤلاء عادة هم هكذا، وفي الأخير يقدم لك عنهم كيف ستكون

عاقبتهم، {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ} أنت تراهم كباراً، وتستصغر نفسك، تستصغر منهم في طريقك، فأولئك هم الذين سيكونون صغاراً {صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}.

إذاً ألم يقطع في هذه الآية النظر إلى الشخصيات الكبيرة في المجتمعات، التي عادة تكون كبيرة، مترفة، مجرمة في نفس الوقت؟ لا تعلق أملك عليها، ولا تعلق قيمة الشيء الذي يقدم لك إليها على أساس أنها تقبل، هي عادة فئة لا تقبل، هي التي تجلب الدمار على المجتمعات، هي فئة مستكبرة، وهي فئة في الأخير سيصيبها صغار، وعذاب شديد؛ لأنه هكذا طريقتها: تمكر.

{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:١٢٥) **، وهنا قد قدم قبل الآيات هذه ما يجعل الإنسان يفصل نظرته عن الجهات التي هي فعلاً قد لا تهتدي؛ ليتجه إلى الهدى من بابه، بدون أن يرتبه عنده على أنه أولاً فلان يؤمن، أو فلان أولاً يستجيب، أو فلان يكون في الموضوع، هنا يقول: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} لا تترتب المسألة على أن فلان أولاً يؤمن، أو فلان أولاً يستجيب؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي من يشاء، {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} لله، تسليم نفسك، تسليم نفسك لله يكون ما فيه قيود ولا شروط نهائياً، تسلّم نفسك لله، لا يكون مترتباً على أنه أولاً يستجيب سيدي فلان، أو المسئول الفلاني، أو [زعطان]، أو [فلتان] من الكبار هؤلاء، هنا لا يوجد تسليم، ليس الإنسان مسلّم نفسه، هو مسلّم نفسه للآخرين، أنت مسلّم نفسك للآخرين.**

فبداية الهداية: أن يكون عندك انطلاقة تسليم نفسك لله دون قيد ولا شرط، ودون أن يكون فلان قد استجاب للموضوع، أو قد دخل فيه، أو ما زال خارج، نهائياً.

إن الله عندما يقول: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ} يبين طريقة تكون بها بالشكل الذي يمكن أن تعرض نفسك لهداية الله، أليس هو يبين هنا الطريقة؟ يفصلك عن أشياء كثيرة، شياطين الجن والإنس، وأشياء من هذه، ثم كبار الشخصيات، أكابر مجرميها كما في الآية: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا}، إذاً بقي ماذا؟ تتجه إلى الله، دون أن تعطي الموضوع أي اعتبارات أخرى تعلقه عليها، معناه أن الله يهدي إلى الطريقة التي بها تدخل باب الهداية ليشرح صدرك، هو لا يجعلها قضية للتبخيت هكذا بالحظ، أو لا تدري كيف، يبين للإنسان الطريقة كيف يعمل إذا هو يريد أن يهتدي فيهتدي، سيشرح الله صدره، ويهتدي فعلاً.

{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}، لأنه في الواقع نوعية معلق نفسه بالكبار هناك، يصعّد في السماء [أولاً يستجيب أولئك، أولاً يؤمن فلان، أولاً يسلم فلان، أولاً يدخل في الموضوع الفلاني فلان] فيكون هو معلق نفسه بشيء هو لا يعطيه حتى نسمة مستقيمة يرتاح بها، فيكون كأنه في السماء هناك خارج الغلاف الذي فيه الأكسجين، فيكون ضيّق، كلما تقدمه له ما رضي يستجيب له؛ لأن ذهنيته معلقة بأشياء أخرى.

هنا قد تكون الآية هذه تعالج مشكلة، هي مشكلة كبيرة في المجتمعات، وفعلاً هو ذكر قوم نوح، كانت هذه من المشاكل الكبيرة الأساسية لديهم التي أعاقتهم عن الإيمان، على الرغم من بقائه تسعمائة وخمسين سنة! متعلقين بالزعماء، زعماء العشائر، كبارهم، الملأ، [أولاً يؤمن، والبادي منه يسلم] وذلك لن يؤمن؛ لأنه يعتبر أن مقامه، ومصالحه متوقفة على أن يكون المجتمع على النحو الفلاني، وهم عادة يكون الكثير منهم هكذا، لا يبالي حتى بأصحابه، يكون همه مقامه، ومصالحه الخاصة، وهو يعرف بأن مصالحه الخاصة، بأنها لن تكون إلا ما داموا على تلك الطريقة، متمسكين بأصنام؛ ولهذا ذكر عنهم أنهم يقولون: {وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} (ص:٦) **، يقولون للمساكين: قاتلوا عن الآلهة! وعادة يكون الكثير منهم أذكياء، الكبار عادة يكونون فاهمين أن تلك الطريقة حق، لكن هو ليس حول حق، هو حول منصب معين، وحول مصالح معينة، من خلال المجتمع الذي هو فيه، يحركهم، قاتلوا على الأصنام هذه، كيف!. ولا همه الأصنام، همه أن**

يبقوا على الحالة التي هم عليها، وهو عليها معهم؛ ليبقى منصبه ومصالحه. بقي قوم نوح تسعمائة وخمسين سنة، إشكالية كبيرة جداً هذه.

والقرآن الكريم يتناول كل قضية تعتبر عوائق، يتناولها بتفصيل كامل، لاحظ كيف في موضوع الإرشاد في الفترة الماضية، ومراكز، وأشياء من هذه، ألم يبرز بعض المشايخ، الشيخ الذي هنا يوصي الشيخ الذي هناك، يقول: [انتبه عملوا عندك مركز، يعني: في الأخير أصحابك سيأخذونهم!] أليسوا يقولون لهم هكذا؟.

هم لا يفهمون بأن هذا الإسلام هو للناس جميعاً، أن بإمكانه هو وقبيلته يكونون في الموضوع، ويجلس شيخ وستكون قبيلته أفضل له، هو وإياهم مؤمنين، ملتزمين، على صراط الله، وليست المسألة أنه سيؤدي إلى ذلتهم، بل سيكونون أقوياء أفضل، سيكونون متعاونين معه أكثر، ويكونون منشدين إليه أكبر، لكن لا، يكونون مُعتّمين، فيأتي يقول لذلك: [انتبه سيأخذون أصحابك، قد أخذوا أصحابنا] لكن هو الذي عزل نفسه، يعزل نفسه هناك هو، وعنده أنه لا بد أن يجلس الناس على ما هم عليه، ولو كان الذي سيحصل لهم حق سهل يجلسون على باطل، أليس بإمكانه أن يدخل هو وإياهم في الحق؟ وانتهى الموضوع، ويجلس شيخ عليهم، وله مقام محترم عندهم، ويتعاونون معه، يقفون معه أحسن من قبل.

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً}(الأنعام: من الآية١٢٦) طريق واضحة، وتتسع لكل من يريدون أن يتحركوا عليها، ويدخلوا فيها. {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ}(الأنعام: من الآية١٢٦ ـ ١٢٧) وهذا قد يكون مثلا على اختلاف تركيبة المجتمعات، أو الأشياء التي هي مؤثرة في المجتمعات، قد يكون مجتمعاً معيناً ليس فيهم مثلاً زعماء قبائل، قد يكون فيهم زعامات مثقفة، مثلاً علماء، أو أحبار هناك، أو رهبان، أو أي عناوين من هذه، أو زعماء طوائف، المهم أن الكبار هؤلاء بعضهم يشكلون عائقاً، إذاً فمن واجب الصغار أنفسهم أن لا يعلقوا المسألة على الكبير هذا، يتجهون هم يرجعون إلى الكبير هذا، يقولون: أنت لازم تدخل في الموضوع، ادخل في الموضوع وأنت كبيرنا، وأنت معنا، وحياك الله، لا أن يسيروا هم يرفضوا ويقولوا: البادي منك، يفهمونه هم يقولون: [هذا دين الله لا يمكن لنا أن نطيعك، وتتخذك صنماً، تتخذك نداً لله، نطيعك، ونرفض دين الله، ادخل أنت في الموضوع، ونحن على ما نحن عليه، أليس من الممكن أن يكون هذا؟.

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً} هو صراط مستقيم، لا يحتاج إلى أنك تحاول [تدّارى] به هذا، أو هذا، أو [تدّارى] به كباراً، أو [تدّارى] به تجاراً، أو أشياء من هذه نهائياً، {مُسْتَقِيماً} امش عليه، وهو يؤدي إلى الغاية، يؤدي بك إلى الغاية، لا يستطيع أحد يوقف لك بالطريق نهائياً. أحياناً في ذهنية الإنسان قد يكون عنده أنه يحاول كذا، أو كذا من أجل أن لا يقفوا في الطريق، ويصطدم بهم! هذا صراط مستقيم، إمش، مستقيم يعني: واضح، والصراط المستقيم أليس يؤدي بك إلى غايته؟ امش عليه فقط، ولن يقف أحد في طريقك بشكل يعيقك أبداً. {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: من الآية١٢٦ ـ ١٢٧) هذا صراط مستقيم في الحياة هذه، ويؤدي بالناس إلى دار السلام.

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْأِنْسِ}(الأنعام: من الآية١٢٨) هنا يتجه يبين هذه بطريقة متكررة في القرآن، على وفق ما قال الله: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}(الكهف: من الآية٥٤)، {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} (الأنعام: من الآية١٠٥)، لاحظ كيف يأتي بشكل توجيهات مباشرة، أو بشكل توجيهات بواسطة قول للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبواسطة أن يذكر ما سيحصل في الآخرة، وهذا من تصريف الآيات ليذكر الإنسان.

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْأِنْسِ} أنتم أضليتم كثيراً من الإنس، {وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} (الأنعام: من الآية١٢٨) وكأنهم قد هم يريدون أن يقولوا: إلى هنا ويكفي، وسنرجع، وابشر بنا، ومستعدين لكذا، {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ} في نصف الكلام، انتهى لا يوجد فرصة.

{قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأنعام:١٢٩) **كيف يبين هنا أيضاً ما سيحصل لمن يضلون عن سبيل الله، إن الإنسان لا يظن بأنه سيجلس في منطقة فراغ، وهذه إشكالية أيضاً، إشكالية ملموسة عند الناس، في تاريخ البشر، وفي الحاضر، يكون عند واحد أنه إذا لم يستجب لهذه الطريقة أنه جالس هكذا في الوسط. لا، اعرف بأنك لم يبق لك عندما تعرض عن هذا الوحي الإلهي إلا وحي الشياطين بعضهم إلى بعض، فتتأثر بهم، عندما تعرض عن هذه الطريقة التي سيكون وليك فيها الله ورسوله وأوليائه، سيكون أولياؤك ظالمين مضلين تلقائياً، لا تعتقد أنه بالإمكان أن تعيش في حالة وسط؛ لأنه لا يوجد وسط أبداً {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ}** (يونس: من الآية٣٢)، **الله أو تكون مع الشيطان، وحي الله، أو وحي الشياطين، فتكون متولياً لله، أو متولياً لشياطين الجن والإنس، وللظالمين والمضلين.**

فالقضية هذه يجب أن يفهمها كل إنسان منا، لا يفهم بأنه سيجلس في حالة وسط أبداً، ولاحظ كيف أنك تلمس هذه القضية فعلاً، الإنسان إذا ابتعد، أليس هو سيقبل كلام ذلك الذي يأتي من هناك، حتى أحياناً لا يوجه الكلام إليه مباشرة ليقول له، يعرض عليه، لاحظ أولئك الذين هم كذا وكذا، أليسوا مدبرين، أليسوا كذا وكذا؟ يجلسون وليس لهم دخل، ويتركون كذا، سيقول: والله صحيح، أليس هنا صار يؤمن بما يوحي به شياطين إنس، أو عن طريق شياطين جن، الله أعلم كيف تتم القضية، صار يؤمن بها، ويستجيب لها من غير أن توجه إليه مباشرة، إنما فقط تعرض أمامه عرضاً.

هذا من مظاهر ما سيأتي في القرآن الكريم، أو من مصاديق ما يأتي في آيات مثل كلمة: يضل من يشاء، إذا لم تستجيب فتكون من أولياء الله سيجعل لك أولياء من الضالين، أولياء من الظالمين، ولا تحصل المسألة: أن الله يخرج مؤمن، ويدخله ضلال، يفصل ولي من أوليائه عنه، ويعطي ضالين يتولاهم، لا تحصل هذه أبداً، هم نوعية لا يصلح لهم إلا من النوعية هذه، ضالين، فلنجعل لهم أولياء ضالين، ويجلسوا [يقلعبوا] على أنفسهم، يجمعون سيئات على أنفسهم، وأشياء، فيحصل لهم عليها عقوبات بها في الدنيا وفي الآخرة .

هذه حالة هامة جداً إذا واحد تأمل في الناس هم بحاجة إلى أن يفهموها، يفهم الإنسان أنه لن يعيش في حالة وسط أبداً، وأنه إذا لم يهتد سيضل، يعرف أن القضية خطيرة، لماذا؟ لأن الهدى من جهة الله ـ مثلما نقول أكثر من مرة ـ عملية مبنية على ماذا؟ على أن الناس في طريق، وعلى أساس تربي أمة لتكون سباقة، أمة أو ناس قابلين لئن تزكوا نفوسهم، هؤلاء المتثاقلين المتبهطلين المتشرطين، هذه النوعية لا يصلح، يجلس هناك، قد يضلهم، يبعدهم؛ ليخاف الإنسان، يخافه، وهذا مظهر من مظاهر أن الله غني، هو رحيم، ترى كم يعمل من أشياء كثيرة، يصرف الآيات لعلهم يعقلون، لعلهم يفقهون، وأشياء كثيرة، ولا يريد أن يقبل سيضله إلى آخر درجة، لا يعد معه إلا أن يبقى في ضلال، ويكسب ضلال، ويدخل في ضلال، فيغرق ويهلك .

{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يكسبون، وإلا فالله لا يمكر لأوليائه أبداً، ولا يمكر للمهتدين، بل يرعاهم، فهو بما كانوا يكسبون، فلا يصلح لهم إلا النوعية هذه، وأن يعيشوا في وضعية كهذه.

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} (الأنعام: من الآية١٣٠) **هنا يذكر لهم ما سيقال لهم في الآخرة، {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا}** (الأنعام: من الآية١٣٠) **قد جاءت رسل، وجاءت آيات، وفعلاً كنا ضالين، وكنا كذا، مثلما حكى عنهم سابقاً، يريدون أن يفتحوا موضوع: {رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا}** (الأنعام: من الآية١٢٨) **وقطع الموضوع عليهم.**

{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} (الأنعام: من الآية١٣٠) **هنا، فتجد عندما غرتهم هذه الحياة، كيف سيكونون في الآخرة؟ فعلاً موقف من اغتر، بمعنى خدع، ضل، هنا أعطى صورة كاملة، {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}** (الأنعام:٤٤)، **ألم يقدم لك هنا صورة عن مظاهر الآخرين؟ حتى لا تنخدع بها.**

{وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} (الأنعام:١٣١) ، هذا التبيين، وما يقصه الرسل على البشر، ما يأتي من تبيين للناس، أن الله سبحانه وتعالى لا يهلك أناساً وهم غافلون، لا يهلكهم إلا من بعد، وقد بين لهم، وجاء لهم بيان كثير. بقي في حالة أن يكونوا معرضين، يعني: إذا تأمل واحد في واقع الحياة الآن تجد أن القضية تسير على سنة الله هو مع الناس، ولو لم يلتفتوا، يؤاخذهم بما هم عليه؛ لأنهم في واقعهم معرضين، عندما يكون القرآن بين أيديهم، أليس القرآن موجوداً؟ موجود عند المسلمين، وموجود عند البشر ربما في معظم الدنيا هذه، بالذات عند المسلمين .

في الأخير ترى وإذا الدنيا تسير، وإذا فيها عقوبات، عقوبات ظالمين، عقوبات فاسقين، عقوبات بعيدين عن هدى الله، وعقوبات مفترين على الله، وعقوبات معرضين عن هدي الله، دائماً هذه، يعني ماذا؟ لم تعد القضية أن نعتبر الحالة التي نحن عليها حالة طبيعية، وكأننا غير عارفين! أليس الناس فاهمين أن هناك قرآن؟ وبلغتهم، وهم يقرؤنه، ويسمعونه من الإذاعات، ويسمعونه من المسجلات، ويسمعونه من التلفزيونات.

إذاً هو يؤاخذ الناس على واقع القضية، على واقعهم هم، هم معرضون، فلكونهم معرضين، هم ضالون، هم كذا، هم كذا، تأتي عقوبات. ومع هذا يأتي عادة في سنة الله، يأتي تبيين بأشياء كثيرة. لاحظ الآن إلى درجة ربما قد يكون حتى من كانوا بعيدين عن الأشياء هذه، عن موضوع القرآن، وعن الإلتفات إليه، مثلاً كثير من حكام العرب، ألم تتجل لهم القضية، وضعيتهم الآن أنها وضعية خطيرة، وأمام عدو خطير، وأمام كذا، ورأوا آخرين ممن عانوا كيف رجعوا إلى الدين، وكيف رجعوا يحاولون أن يتحركوا باسم جهاد في سبيل الله، مثلما عمل صدام! إذاً أليس هناك أشياء تأتي تبين لهم؟ الآن اتضحت مثلاً مثلما نسمع حتى الليلة هذه، يوجد تساؤلات في أوساط الناس: من هو المستفيد عن التفجيرات هذه التي حصلت في تركيا؟ هناك سؤال بدا يظهر، يعني: أن قد الناس يشكون، أن الإسرائيليين، والأمريكيين هم فعلاً وراء هذه التفجيرات، فيكون إعراضاً واضحاً .

وقد يأتي من يذكر الناس هنا، أو هنا، وما يرضوا يفهموا، لاحظ عندما ننطلق نحن، ألم ننطلق على مدى سنتين، نحاول نذكر بالموضوع هذا؟ ماذا يعملون من هم بحاجة إلى التذكير هذا نفسه؟ مثلاً الدولة هذه القائمة عندنا، أليسوا بحاجة إلى هذا التذكير هم، أليسوا أول من سيضرب هم؟ ماذا يعملون؟ يحاولون يسكتون الناس، يحاولون يسكتونهم، ويحاولون يحبسونهم! أليست هذه أشياء غريبة؟.

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} (الأنعام:١٣١) لأنه رحيم، {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:١٣٢) لهم درجات بالنسبة للضالين، للمجرمين، وكل سيجعله في الدرجة التي يستحقها درجات جهنم .

{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} (الأنعام: من الآية١٣٣) ولاحظ هذه الآيات الأولى أليست آيات منطق غنى؟ {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} (الأنعام: من الآية١١٢) {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} (الأنعام: من الآية١٠٧) الخ.. يذكر بأنه ممكن يهلك قرى، ويهلك أمم، {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} هو غني، ورحيم، وهذه من الأشياء العجيبة، الإنسان الذي ليس رحيماً عندما يرى نفسه مستغنياً لا يبالي بالآخرين، فهو غني ورحيم، الآخرين يقدم لهم هدى، ويهديهم إلى طريق نجاة، ويبين لهم أهمية هذا الطريق، لم يرضوا، هو غني عنهم، يزيحهم من طريقه هناك، من صراطه المستقيم،ألم يقل: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأعراف: من الآية١٤٦)؟.

{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ} (الأنعام: من الآية١٣٣) ، فهو قادر على ذلك {كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} (الأنعام: من الآية١٣٣)، وقد أهلك أمماً من قبلكم، وجاء بكم أنتم من بعدهم {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ} (الأنعام: من الآية١٣٤) ، كلام قاطع، ما توعدون به لآت، حقيقة، لا يتخلف، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} (الأنعام: من الآية١٣٤) . فلاحظ هنا عندما يأتي عبارة كهذه: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ} فهو سبحانه وتعالى رحيم، أليس هناك وعود من جانبه بالنسبة للمؤمنين في الدنيا هذه، وفي الآخرة، الرحيم، القدير، ألا يكون إلى تحقيق ما وعد به مما هو رحمة أسرع من تحقيق ما وعد به من عقوبة؟ فعندما يقول هنا في مجال العقوبة وهو رحيم: {إِنَّ مَا

تُوعَدُونَ لَآتٍ} معناه في الأشياء التي هي رحمة لأوليائه بالتأكيد هي مثل حين تقرأها مرتين، إنما وعدتم به لآت.

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (الأنعام:١٣٥) **في الأخير عندما يكون هناك فئات من الناس ، هم مصرون على ما هم عليه، وعادة هم ينطلقون من نظرة وقتية لمظهر الحياة، يقول تمام: [أنا سأمشي في طريقتي، وأنتم خلاص إذا أنتم مصرين على هذا، وسيتبين في الأخير من تكون له عاقبة الدار ، العاقبة الحسنة] ألم يتبين في الأخير من كانت له عاقبة الدار؟ أليس الإسلام ظهر في المنطقة هذه، وفشل المشركون، وأصبحوا في الأخير عندما دخل عليهم إلى مكة، قد صاروا هناك بين يديه ((ما تظنون أني فاعل بكم، قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم)).**

هذه قضية هامة بالنسبة للناس عندما يكونون لا يفهمون، قل على أقل تقدير: راقبوا المستقبل، إذا ما يزال بالإمكان أنكم عسى تأخذون عبرة مما سيأتي من أحداث، لتعرفوا بأن رؤيتكم رؤية خاطئة، وأن طريقتكم طريقة عاقبتها سيئة؛ لتعودوا إلى الصراط المستقيم، وإلى الطريقة الصحيحة. ما يزال ممكن أن الإنسان يتحدث مع الآخرين، يقول لهم .

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} (الأنعام: من الآية١٣٦) **ثم بين بعد: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ}** (الأنعام: من الآية١٣٧) **ثم بعد: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ}** (الأنعام: من الآية١٣٨)، **تلاحظ هنا كيف أن الإنسان بفطرته، بتكوينه عنده النزعة هذه، النزعة التشريعية، التقنينية، سواء تقدم بشكل تقاليد، أو تقدم بشكل قوانين، سواء تقاليد لمجتمع قبلي، عشائري، أو بشكل قوانين لمجتمع دولة؛ لأنها قضية فطرية عند الإنسان.**

ثم لاحظ ماذا يقدم الإنسان هو متى ما قدم، يقدم أشياء تافهة، أشياء غريبة، أشياء لا قيمة لها، وأن الإنسان يجب عليه أن يفهم أن عليه أن يهتدي بهدى الله، وأن يلتزم بما شرَّعه الله له، أول شيء هو يعرف أن التشريع قضية ضرورية في الحياة؛ لهذا يجعلون مثلما قال: {هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ} أليس هؤلاء مشرعين من جهة أنفسهم تشريعات؟ وربما هم يضفون عليها شرعية، يحسبونها على الله، وكأنها من بقايا دين سابق مثلاً؛ ولهذا سماها في الأخير جعلها افتراء عليه، سواء افتراء عليه باعتبار أنهم يشرعونها، ويحسبونها على الله، أو أنهم يشرعون هم، وليس لهم أن يشرعوا، فمن يشرع فيتناول ما ليس له فهو مفتر على صاحب الحق الذي له الحق أن يشرِّع.

هذه من الأشياء الغريبة: أنه يُقَدِّم تشريع، هدى على مستوى راقي، ويبين لهم فيه من خلال تقديمه قيمته بالنسبة لهم، أثره في حياتهم، ثم ينصرفون عنه، ويذهبون ليشرعوا هم، أنها قضية بالنسبة للسابقين، وبالنسبة للمعاصرين، ينصرفون الآن عن القرآن، ويتجهون، يصيغون دساتير، وقوانين، ولوائح وأشياء من هذه، والآخرون كانوا يشرعون، وكل واحد يشرع على مستوى مجتمعه، والأشياء الحاصلة عنده، تشريعات هنا كانت على البقر والغنم والإبل، هذه لا نأكلها، وهذه نأكلها نحن والنسوان، وهذه للذكور وحدهم، وهذه سائبة، وهذه نقص أذنها ونتركها، تشريعات، أليست [تطانين]؟.

{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} ولاحظ كيف هناك أنها أشياء، تشريعات خطيرة، بعضها خطيرة، مثلاً لا تدري إلا وقد عنده فكرة أنه يقتل ابنه: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، {لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (الأنعام: من الآية١٣٧)، **مع أن دين الله يقدم ليحيا الإنسان، ويحيا أولاده، ويقال له: اطلب ذرية طيبة كمَّا تريد، وأنت تسير على هدى لست بحاجة إلى أن تقتل أحداً من أولادك، لأي اعتبار كان، لا خوف إملاق، ولا لأي شيء آخر، أليست هذه تشريعات خطيرة؟ أن الإنسان إذا انطلق هو ليشرع سيشرع أشياء خطيرة جداً عليه، ليس فقط على المجتمع، بل على داخل الأسرة نفسها.**

{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} (الأنعام:١٣٩) **تشريعات هذه لا قيمة لها، تشريعاتهم هم هو يقدمها على أساس أنه يقارن الإنسان بين تشريعات الله، وبين ما يقدم الآخرون، وأن يعرف الإنسان أنه هكذا بالنسبة للمجتمع هو يحتاج إلى تشريعات، وعند الناس فطرة تشريعات، فيجب عليهم أن يرجعوا إلى الله الذي له الحق أن يشرع لهم، وأن يفهم أيضاً من يتحركون لتطبيق شرع الله أنهم لن يأتوا بشيء منافي للفطرة، أن الناس بطبيعتهم يقبلون التشريع، هم هؤلاء قبلوا تشريعات خطأ، في الزمن هذا، وفي الزمن الأول.**

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: من الآية١٤٠)، **هذه بسبب تشريعات تحصل عندهم، وصلوا إلى درجة أن يقتلوا أولادهم، وهناك فيما يذكر نبي الله نوح وهو يتحدث مع قومه** {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} (نوح:١٠ ـ١٢)، **أليس هذا تشريعاً يعطيك أموالاً، وبنين، وجنات، وأنهاراً، من جهة الله، ليس تشريعاً ترجع على أولادك تقتلهم هكذا سفهاً، ما لها أي قيمة.**

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} (الأنعام: من الآية١٤٠) **يحرمون على أنفسهم أشياء ليس لتحريمها قيمة، ويأكلون أشياء هي التي كان يجب أن يمتنعوا عنها مثل أكل الميتة التي حرمها عليهم فيما بعد،** {افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (الأنعام: من الآية١٤٠)، **ثم لاحظ أيضاً بأنه كيف يبين، والتشريعات هذه في أي شيء هي، أليست في قضايا بسيطة؟ قضايا مأكولات، وهنا يبين بأنها قضية ليست طبيعية، ليست عادية، ليس للإنسان حق أن يشرع، ولا في أبسط الأشياء من جهة نفسه، الحق هو لله سبحانه وتعالى، فمن شرّع ـ وإن كانت قضايا بسيطة، وإن كانت قضايا قد تبدو غير مؤثرة بالنسبة للمجتمع، لكن هي سخيفة ـ يعتبر مفترياً على الله، أليس هنا يقول:** {افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ}؟.

{قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}؟ **فمعنى هذا ماذا؟ بأن الناس عندما يتجهون تحت اسم اجتهادات، وينزّلون تشريعات خلاف ما شرع الله، وينزلون توجيهات خلاف هدي الله سبحانه وتعالى، هذه جريمة كبيرة، هو افتراء على الله، ليست قضية سهلة، أنه إذا كان هنا لا يسكت عن أشياء، ويعتبرها افتراءات عليه، ويعتبرها جريمة أن يتناولوا التشريع فيها، ويحسبونها عليه سبحانه وتعالى، وهي قضايا مأكولات، أليست مأكولات هذه؟ فكيف بقضايا أمة!، كيف بالتشريع في الأشياء الأخرى؟ كيف بمفاهيم تنزلها غلط للناس، وتحسبها على دين الله، وتحسبها على الله، [أن الله هو الذي جعل الحياة كذا كذا، الله هو الذي شرع كذا كذا، هو الذي توجيهاته كذا كذا] أو تقدم آية قرآنية بشكل تقدم لها مفهوماً يضرب ما يريد الله منها في نفوس الناس، هذا افتراء في قضايا خطيرة، يعتبر جريمة كبيرة؛ لأن الإفتراء على الله يعتبر جريمة كبيرة حتى في القضايا هذه البسيطة قضايا مأكولات، وأنه هناك اعتبر هم فيما لو أطاعوهم عندما قال هناك:** {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} (الأنعام: من الآية١٢١) **في ماذا؟ أليس في قضايا ميتة، أكل الحيوان؟** {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية١٢١) ، **فكيف عندما تطيع في قضايا أكبر من المأكولات، تطيع ما يقدم لك من غير شرع الله، وغير هدى الله، هذا معناه بأنه شرك أعظم من هذا الشرك نفسه، بأنه أطاع ناس عندما يجادلونه في موضوع ميتة، ويقبل منهم ما قالوا، ويأكل معهم، ألم يطعهم؟.**

هذا يؤكد أنها قضية خطيرة جداً؛ لهذا نقول: بأنه غير صحيح أن الله يفتح هكذا الموضوع للناس، كل واحد يطنن من عنده، وكل واحد يشرع من عنده، ويوجه، ويقدم مفاهيم من عنده؛ لأن الله هو ملك الناس، إلههم، وربهم، هو الذي له الحق وحده أن يشرع، له الحق وحده أن يوجههم، أن ينزل إليهم هدى، أن يكون هداه هو الذي ينزل إليهم.

ثم لاحظ كيف تأتي الطريقة، أن يذكر أيضاً أشياء من مظاهر الحياة: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} (الأنعام: من الآية١٤١) **أليست هذه أشياء فيها مظهر من مظاهر تدبير الله، وملكه، وربوبيته، وتدبيره؟ إذاً فهو الذي له الحق أن يشرّع، هو الذي له الحق**

أن يشرِّع لعباده، وهو الذي له الحق أن يطاع، لا أن يطاع الآخرون، أن يطاع فيما يهدي إليه، فيما يشرع لعباده؛ لأنه هو ربهم، هو الذي يسبغ عليهم هذه النعم العظيمة. {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ}، لاحظ كيف يأتي سياق الآيات هذه في تعبيرها يشبه منطق تشريعهم: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا} (الأنعام: من الآية١٣٨)، أليس هذا تقليب، كذا وكذا؟ يقول الذي يقلب الأشياء، جنات معروشات، وغير معروشات، هو الذي له الحق أن يطاع فيما شرعه، والذي له الحق وحده أن يشرع .

وقد عندهم أنهم لديهم خبرة، وقد عندهم تفصيلات، هذا لا بأس، وهذا لا تقربه، وهذا إذا كان كذا فلا بأس، وإذا كان هكذا فلا، أليست هذه تعتبر [فنقلة]؟ وكأنه ذكي عارف بتفصيل الأشياء، وعارف بكذا، يقول: إعرف إن الله سبحانه وتعالى لاحظ كيف تدبيره، حتى وفق رؤيتك هذه: هذا كذا، وهذا كذا، كيف أنه مدبر، وعلى مختلف الصور تدبيره. {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ}، يعني: من الأشجار التي تحتاج إلى أشياء، عريش مثلاً من الخشب، أو أشجار أخرى تعتمد عليها مثل العنب، {وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} مثل النخيل، والرمان، وغيره من الأشياء التي تكون قائمة في نفسها.

{وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ}، منها شيء حالي، وشيء متوسط الحلاوة، وشيء كذا، وشيء كذا، أليس أولئك يقولون: كذا وكذا؛ لأنه أحيانا إذا في موضوع التشريع يكون الإنسان الذي يقدر أنه عنده قدرة للتفصيل ويأتي يقدم بنوداً معينة، تفصيلات: مادة واحد، إذا كان كذا كذا فليكن كذا، وإذا لم يكن ، فإن كان كذا وكذا فكذا. مادة اثنين....، وهكذا، ثم يعتبر أنها صياغة تشريعية راقية، أنه قد صار يستطيع أن يقدم فقرات مختلفة يقلبها كذا وكذا! هنا يقول له: انظر، الله هو يقدم الأشياء كذا وكذا؛ لتعرف أنه يدبر ويشرع، هذا كذا وهذا كذا، هو صاحب كذا وكذا هو وليس أنت .

{وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} (الأنعام: من الآية١٤١) كلوا، أليس هو يقول: كلوا؟ إذاً وفي شرعه: اتبعوا، ما تحتاج أولاً تقول: كذا، وتعمل كذا وكذا، {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأنعام: من الآية١٤١)، آتوا ما فرضه من حق فيه، وهذا يبدو أنه فعلاً هناك فرضية في الأموال {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (المعارج:٢٤ ـ ٢٥)، أو كالزكاة، الزكاة عندما يكون الناس في وضعية قد تكون مثلا جهة تأخذ الزكاة، ولا تعطي الفقراء شيئاً منها، يفهم الإنسان أنه بقي أن يعطي حقاً للفقراء{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}.

{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} أي أنه يكون واجباً في عين المال وقت حصاده، وهذه لها أهمية كبيرة تحدثنا عنها سابقا في موضوع المال، كيف أن هذه لها أثر كبير فيما يتعلق بالنفوس، أن الفقراء أنفسهم وهم يرون مختلف الجنات، ومختلف الزروع، سيكون هو نفسياً مرتاح بأنه سيحصل له من هذه الثمرة، ويحصل له من هذه الشجرة، ويحصل من هذه، فتكون نفسه طيبة، نفسه طيبة، تزيح ما يمكن أن يكون هناك من حالات نفسية قد تؤدي في الأخير إلى حسد، وإلى عداوة لأصحاب المزروعات، الأغنياء، هنا لن يدخل في نفسه شيء عليهم؛ لأنه إذا رأى [قات] ممتاز عارف أنه سيأتي له منه، إذاً هنيئا لهذا التاجر الذي معه أموال كثيرة، يرى زرعاً جيداً، يرى فواكه أخرى؛ ولهذا كان لها أهمية كبرى أن تخرج من عين المال، {يَوْمَ حَصَادِهِ} لا تخرج نقوداً، النقود موضوع آخر، ليس لها قيمتها في النفوس كقيمة أن يعرف الفقير أنه سيحصل من عين هذه الجنات، والثمار، من ثمار هذه الجنات، وثمار هذه المزارع. فهذا هو الصحيح الذي يجب أن يعمل به، لا يأتي واحد يعمل اجتهادات أخرى، وتفريعات أخرى، أنه يصح ويجوز، وأشياء من هذه، مفروض في عين المال يوم حصاده تخرجه.

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً} (الأنعام: من الآية١٤٢)، وهو الذي جعل لكم الأنعام حمولة، يحمل، ومنها ما يصلح أن يكون فراشاً لكم، أصوافها وجلودها. {كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الأنعام: من الآية١٤٢) هنا، ألم يقدم المسألة بأنه يجب أن تفهموا بأنه في تدبيره هذا ترون كيف أنه يقدم الشيء جاهزاً لكم،

فلا تحتاجون إلى كذا، أو تحتاج أنت تعمل لك سطل رنج أسود، وتسرح على العنب تطليه [بويه] سوداء، هل يحتاج واحد، أو يحتاج [بوية] حمراء للتفاح؟ أو يحتاج أشياء من هذه؟ يقدم لكم الأشياء جاهزة، كلوا.

إذاً في التشريعات يقدم الأشياء جاهزة، اتبعوا، لا تحتاج إلى تصنيفات كذا وكذا، يعرف واحد إذا رأى التقنين في مجلس النواب، وفي غيره، الصياغات كيف تكون، كذا وكذا، وإن كان كذا فكذا وإلا فكذا، أليست هي تكون بالشكل هذا؟. {كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ}، واتبعوا ما هداكم إليه الله، {وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} فيما قدم لكم من نعم، تعملون فيها تشريعات أخرى، ولا فيما هداكم إليه فتسيروا طريقة أخرى هي طريقة الشيطان {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}، الشيطان عدو مبين، يحاول أن يعمل أي شيء يضرك، وإن كان في أبسط الأشياء، يجعلك تلعب، وتقدم تشريعات في أشياء لا قيمة لها؛ لأنه يفرح بأي موقف تضل فيه، وإن كان بسيطاً، لو لم يطلع لك إلا سيئة واحدة، هو يعتبرها مكسباً كبيراً، عدو مبين: ظاهر العداوة، معنى هذا: أن الشيء الذي يعتبر خلافاً لهدى الله، وتشريعه، لم يعد إلا خطوات الشيطان، فإما أن تسير بعد ما رسمه الله لك، تسير بعده، وإلا فستسير بعد خطوات الشيطان تلقائياً، والشيطان يسير أين سيوصل؟.

لاحظ أنه كيف يقول: صراط مستقيم، يقدم دينه صراطاً مستقيماً، ويجعل له أعلاماً لهذا الدين، يقول لهم: اتبعوهم، أليس هو يقول بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فاتبعوه، لأنه يسير على الصراط هذا، ويؤدي إلى الغاية العظيمة هنا، في الحياة هذه، وإلى الجنة، رضوان الله وجنته، أليست هذه خطوات هامة؟ وإلا إذا لم تسر هنا فستسير بعد الشيطان، في طريقه، خطوة بعد خطوة، إلى جهنم، أليس هنا يقدم المسألة ما هناك حالة وسط؟ لا يوجد، فقط إما أن تسير هنا إلى الغاية العظيمة، أو تسير بعد خطوات الشيطان إلى جهنم.

يذكر أيضاً بالنسبة للأنعام هذه أنه هو خلقها ثمانية أزواج، وهو يعلم، من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين، وأشياء من هذه. إذاً فلا يحتاج منكم ـ ما حرم {آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ} ـ التقنينات حقتهم هذه، الصياغات، التعبيرات القانونية، هو يعلم، لكان سيحرم هو؛ لأنه هو الذي جعلها أزواجاً يعني: لاحظ هنا كيف القضية تسير فيما هو أشبه بالسخرية من حالتهم وهم يشرعون، هذا كذا وهذا كذا، وهذا إذا كان فلا بأس، وإن كان كذا فكذا، أليست هكذا؟ فهنا يقول: هو خلق الثمانية الأزواج، الأصناف، من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، جعل من كل زوج اثنين: ذكر وأنثى، وقد يكون من الصنف الواحد أيضاً أصناف كثيرة.

إذاً فلا يحتاج إلى تشطيبات من عندكم، تكملون، تقولون: هذا حرام، وهذا حلال، وهذا كذا، وهذا كذا؛ لأنه لاحظوا من البداية أن الذي خلقها أصنافاً ألم يكن باستطاعته أن يقول: الذكر هذا محرم، والأنثى هذه محرمة، ويعمل تصنيفات من هذه؟ لهذا يقول: {آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ} هل حصل تحريم من جانبه لهذا؟ {أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (الأنعام: من الآية١٤٣) **ليس من عنده تحريم لهذه، معنى هذا بأنه لو كان يريد أن يعمل تحريم لعمله هو؛ لأنه هو الذي صنفها، إذا عندكم تصنيفات هو الذي صنفها، فلا يحتاج إلى أن المصنفين يعملون [تشطيبات] بعده، يقولون: هذه حلال، وهذه حرام، وهذه كذا، وهذه كذا.**

هذه هي حالة كانت قائمة عند الجاهليين، وعند غيرهم من بعد، [يشطبون] بعد الباري، وتكميلات، أليس هنا يقدم الصورة أنه هكذا: هو الذي صنف الأشياء؟ هو الذي جعلها متعددة الأغراض، هو الذي كذا، هو الذي.. إلى آخره. فكان بإمكانه وهو الذي له الحق أن يشرع دون أن تأتوا أنتم لتشرعوا.

{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا} (الأنعام: من الآية١٤٤)**، عندما تقولون: إن الله هو الذي حرم هذا، هل الله وصاكم وكنتم شهداء على ما وصاكم به؟ هذا معناه ماذا؟ أنتم فقط تفترون على الله، {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ}** (الأنعام: من الآية١٤٤)**، لاحظ العبارة هذه، أليست عبارة خطيرة؟ وما هو الموضوع هنا؟ أليس موضوع مأكولات؟ كيف سيكون ظلم الإنسان الذي يضل الناس بغير علم في القضايا الكبيرة، في قضايا حياة الأمة، حركة الأمة بكلها. {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** (الأنعام: من الآية١٤٤) .

{قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً} (الأنعام: من الآية١٤٥)، **لاحظ العبارة هذه كيف هي فيها نوع من السخرية، وهم يشرعون من عندهم، ويقولون: إنها من عند الله، ثم يقول في العبارة الأولى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} أما أنا الذي عندي فلا يوجد إلا هذه المحرمات، من داخل هذه المأكولات المعهودة، في الحيوانات التي هي معهودة أن تؤكل عند الناس، كأنه يقول: أما الذي عندي فما وجدت فيه إلا هذا، ما كأن معناه سخرية منهم، وكأنهم يدعون أن عندهم تشريعات أخرى.**

{قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ}، وهذه هي الطريقة الصحيحة، ما عندي تفكيرات أنا من جهة نفسي أنا مثلكم، تصنيفات، أنا معتمد على ما يوحى إليّ من جهة الله، فأنا لا أجد فيما أوحي إلي من جهة الله سبحانه وتعالى الذي له الحق أن يشرع.

{قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} (الأنعام: من الآية١٤٥) **هذا معناه ماذا؟ على طاعم يطعمه، المطعومات المعروفة في المجتمع بمشركيه، ويهوده، ونصاراه، وسيأتي فيما يتعلق باليهود أيضاً، كان الخنزير من الحيوانات التي يأكلونها، وربما كان النصارى يحاولون يعممونه، إذا أمكن أن يعمموا أكل الخنزير بالنسبة للآخرين، مثلما يعملون اليوم، يحاولون هذا.**

بمعنى أن الآية ليست في مقام تقول: بأن معناها: ما سوى هذا فهو حلال، أيّ حيوان آخر، إلحظ الموضوع الذي الكلام حوله، الكلام حول ماذا هنا؟ حول المأكولات، وحول الأنعام، المأكولات المعروفة، وحول ميتة من الأنعام المعروفة، أو غير ميتة تذكى، يذكر عليها اسم الله، أو لا يذكر اسم الله عليها.

موضوع الكلام وسياقه كله حول ماذا؟ حول المأكولات، أو الحيوانات المعروفة التي تؤكل في الحياة اليومية عند الناس، وهنا يقابله ما عندهم هناك من رؤى أخرى، شيء يحرمونه، ويحللونه، في موضوع الأنعام: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} (الأنعام: من الآية١٣٨) **وأشياء أليست كلها حول موضوع الأنعام؟ {لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ}، في هذا الموضوع {مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ}** (الأنعام: من الآية١٤٥)، **معناه هكذا، {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً}** (الأنعام: من الآية١٤٥) **من هذه الأنعام، {أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً}** (الأنعام: من الآية١٤٥)، **أو ما كان على سبيل الفسق {أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** (الأنعام: من الآية١٤٥)، **يعني: ما ذبح وذكر اسم غير الله عليه.**

{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام: من الآية١٤٥)، **إلا أن يأكل ما يسد رمقه في حالة لا يجد إلا هذا، في حالة مشرف فيها على الهلاك، في حالة الإضطرار {غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}** (الأنعام:١٤٦).

لاحظ من العجيب كيف في النص هذا نفسه، في النص التحريمي، هناك مع اليهود، كيف فيه نوع من رؤيتهم التي كان قد صارت رؤية لديهم ملان [فنقلة] فقهية، وأشياء من هذه؛ لأن بعض الأشياء تكون تحريماً لطيبات، والتحريم نفسه يكون على سبيل العقوبة، فيأتي النص التحريم بالشكل الذي ماذا؟ يتعب هو وهو يبحث عن الشيء الذي هو محرم عليه، يكون فيه تعب أيضاً! هناك: {وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} قد يكون في الأخير حاجة معينة تطلع، لكن كل يهودي سيحتاج إلى أن يقلب، يرى، يتعرف على هذه؛ لأنهم لا يقبلون آيات واضحات، وبينات واضحات، لا يقبلون! إذا لم ينفع سيحرم طيبات أحلت لهم سابقاً بسبب تعديهم، وعصيانهم، وتمردهم على الله. هذا النص لاحظ أليس نصاً يختلف عن النصوص الأخرى، التي هي تقديم بينات، بينات، يقدم بينات، بينات واضحة إلى آخره. والنوعية التي لا تقبل البينات، هذه وملان [فنقلة]، يعطيهم بنفس الأسلوب.

لاحظ في موضوع عندما قال الله في القرآن: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} (البقرة: من الآية٢٦)، **بعضهم عندما يرجع إلى القرآن الكريم وفق النظرة هذه أوجه: يحتمل كذا، ويحتمل، ويحتمل.. وفي**

الأخير خرج عطل، يعني: عندما تفهم بأنه هكذا سنة الله بالنسبة لبيناته وهو يقدمها، يقدمها واضحة، يقول: صراط مستقيم، صراط مستقيم.....الخ، فعندما تأتي أنت تنظر بطريقة أخرى، بطريقة [الفنقلة] والتصنيفات هذه، يقدم لك المسألة لا تحتاج إلى فنقلة، وتفصيلات، وتصنيفات، واحتمالات، ووجوه، وأشياء من هذه، لا تحتاج إلى هذه، متى ما دخلت القرآن بالرؤية هذه ستخرج منه عطل، قد تحصل على ضلال، لن تستفيد من القرآن، فما بقي معك إلا ماذا؟ تقع في ضلال.

هنا اتركه يكون يذبح الجلبة، ويجلس يبحث أين هي؛ لأن الشحم ليس محرما كله {إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} يقلب، ويصلب، ويصنف ويبحث .. أليست هكذا؟ من لا يقبل هدى الله الواضح لا يكون معه في المقابل إلا من الأشياء هذه، وتصبح عنده حالة طبيعية، وتصبح لا شيء بالنسبة له، مثلما قال هناك: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً} (الأنعام: من الآية١٢٩) لم يعجبه أولياء مهتدين، حريصين عليه، رحيمين به، يهمهم أمره، يهمهم مصلحته، يهمهم سعادته، يجي له أولياء ظلمة على طبيعته.

{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}؛ لأنه حصل منهم بغي، حتى فيما يتعلق بالتعامل مع آيات الله، وهذه الظاهرة للأسف موجودة، حيث حصلت من بعد، من خلال رؤية أصول الفقه، الرؤية التصنيفية، البحث، الدوَّار، الأوجه المتعددة، الاحتمالات، وأشياء من هذه. بعض الطوائف يكون قد صار عنده رؤية في القضية الواحدة: [أنه يحتمل كذا، وهذا هو الأوجه، أو كذا، وهذا وجيه، أو كذا، وهذا هو الأشبه، أو كذا وهذا هو كذا] أربعة، خمسة، تطلبات يعني: قد هي حالة من التطلب، وكأن الله غير قادر على أن يبين طريقته لعباده!. {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ}، أن يحرم عليهم طيبات، وأن يكون النص التحريمي بالشكل الذي يحتاج يدوِّر داخل الجلبة، على الطبيعة التي لديهم؛ لأنهم ملان وجوه، وتصنيفات: [يحتمل هذا، ويحتمل هذا].

لاحظ العبارة الأولى، أليست واضحة؟ {قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ} ليس فيه من النص الثاني، البيان الطبيعي .

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} (الأنعام:١٤٧)، قد ذكر كثيراً فيما يتعلق بتكذيبهم، وجزاء تكذيبهم، هو رحيم، إن يشأ يرحمكم، إن أراد أن يرحمكم، أو أراد أن يعذبكم فهو سبحانه ذو رحمة واسعة، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين. {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} (الأنعام: من الآية١٤٨) لاحظ كم تقدم في السورة من عبارات، ولو شاء الله، ولو شاء ربك، ألم تتكرر؟ لتمهد لرؤية في هذا الموضوع نفسه، {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}.

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} (الأنعام: من الآية١٤٨) إن الله شاء هذا {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} (الأنعام: من الآية١٤٨)، فيما تقولونه: إن الله قد شاء هذا، ثم في الأخير يمشون عليه.

{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} (الأنعام: من الآية١٤٩) يعني: الله سبحانه وتعالى لم يشأ هذا؛ ولهذا أرسل رسلاً يبينون لكم بأن هذا باطل، هو لا يشاءه، ولا يرضاه. إذاً فبالطريقة هذه يأتي ماذا؟ بيان أن هذا باطل، وأن هذا لا يشاؤه الله، بهذه الطريقة، عن طريق البينات، عن طريق حجة بالغة، تتمثل في كتبه ورسله، ليست القضية مبنية على أنه إذا لم يمنعنا قسراً فقد شاءه، عندما يأتي بالعبارة هذه: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا}، ربما أنه سيأتي من خلال تلقين من عند أهل الكتاب، أو من عند أي طرف آخر، وإلا قد يكون بالنسبة للمشركين، بطبيعتهم البدائية، العادية لا يلحظون هذه؛ لأن القضية ليست ملحوظة، إذا جاءت من عند ناس يكون قد عندهم شبيه بأطروحات فلسفية، أو تمحلات، وتقولات عندما قال: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا}، هنا قد سبق بالمسألة من البداية، عندما يقول: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا}، يبدو أنهم ما قد قالوا فعلاً، ما قد قالوا إلى نفس وقت نزول الآية.

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}، يعني: نحن مشركون، وما منعنا بأن مثلاً يميتنا، أو يكف أيدينا بطريقة قسرية هكذا، ولكنه قد منع عن طريق الحجة البالغة، يرسل رسلاً، وينزل كتباً، ويبين لكم بأن هذا لا يشاءه، وأن هذا لا يرضاه، وأنه باطل.

{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنعام:١٤٩)، فهو سبحانه على كل شيء قدير، أنتم لا تعجزونه، فهو لو شاء لهداكم أجمعين، ولو شاء لمنعكم بالطريقة القسرية الأخرى. إذاً فمعنى هذا بأن الشيء الذي قد بين الله للناس بأنه باطل هو لا يشاؤه، لا تتعلق المسألة على أنه ما دام لم يمنع وهو قادر أن يمنع بالطريقة الأخرى القسرية إذاً فقد شاءه، هذه شبه قامت من بعد، استمرت من بعد، يقولون: [هو قادر على أن يجعل الكافرين مؤمنين، ولكن ما جعلهم مؤمنين، إذاً فقد شاء أن يبقوا على هذا] عقيدة جاءت عند البعض بأنه هكذا الكافرون، الله قد شاء منهم أن يكونوا كافرين، وشاء أن يكون المنافقون منافقين إلى آخره.

{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا} (الأنعام: من الآية١٥٠)، فيما يتعلق بالشرك هناك، وفي قولهم: {وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} يعني: حرمنا شيئاً، وكان باستطاعته أن يمنعنا لا نحرمه، إذاً نقول أيضاً: بأن القضية فيما يتعلق بالتحريم هي إليه، فكان يجب أولاً: أن يكون شيئاً من عنده حتى يصح أن تقولوا أنه قد شاء، هنا قال: {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا} إذا كان هو الذي حرمه إذاً يصح أن تقولوا: شاءه. {فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ} (الأنعام: من الآية١٥٠) أليس هنا تدارك للمسألة؟ أنك لا تربط قضيتك بالآخرين، في مصداقية ما تقدمه، ولو شهدوا، لا تشهد معهم.

{فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} (الأنعام: من الآية١٥٠-١٥١)، وهناك يذكر في الخطاب فيما ذكرناه سابقاً، فيما يتعلق بأهل الكتاب، وفيما يتعلق بالمشركين، وسيأتي سرد يشمل الكل. {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}إذا أنتم تريدون بدون أخذ ورد حول: الله حرم هذا، أو ما حرم هذا، القضية إذاً أننا متفقون على أن الله لا بد أن يكون هو الذي يحرم، إذاً فتعالوا أتل عليكم ما حرم ربكم.

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}، هذه طريقة هامة، من ناحية ماذا؟ فيما يتعلق بتعزيز ثقة الإنسان بالطريقة التي هو عليها، أنه ليس هو الذي يلحق بعد الآخرين، هو الذي يقول للآخرين: تعالوا، هذه هي الطريقة التي ماذا؟ رسمها الله لعباده جميعاً.

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام:١٥١)، أي إذا كنتم أنتم ستقولون: أن الله حرم هذا، أو لو شاء الله ما حرمنا هذا، قد بين لكم الآن قائمة تحريمات، أنتم تريدون أن تلتزموا، التزموا.

{وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام:١٥٢-١٥٣)، نأخذ من هذه شيئاً يعتبر سنة من سنن الله، وهي قضية واضحة في القرآن فعلاً: أن المسالة هناك لا تحتاج إلى أخذ ورد، ولا يوجد أشياء غامضة، لا نحتاج إلى أن نتجادل في ما هو الذي من عند الله؟ وما هو الذي كلفنا الله به؟ وما هو الحكم الشرعي في كذا، أو كذا؟ أن طريقة الله هي أن يبين، ألم يبين هنا؟ {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}، لا نترك القضية لكم أنتم تأخذون وتردون حولها، وتتجادلون حولها، أن الله حرم، أو شاء أن يحرم، أو ما شاء، أو اقتضى، أو أن هذا الحكم هو مفهوم الآية الفلانية، أو الحديث الفلاني، وأخذ ورد في الموضوع.

أن سنة الله: أنه هو الذي يبين هو، ما هنا جاء بعد الآية هذه السابقة في دعاواهم أن الله حرم، أو لو شاء الله ما حرم؟ {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}، هنا قدم قائمة محرمات، يعني: أن هذه هي سنة إلهية، ليس

الناس بحاجة إلى أن يختلفوا، ما الذي حرمه؟ ما الذي شرعه؟ ما الذي وجه إليه؟ وأشياء من هذه. هو يبين، لا يحتاج إلى استنباطات من عند الناس، ولا إلى تشريعات يستنبطونها هم ويحسبونها على الله، هو يبين طريقته هو، يبين صراطه هو، يبين سبيله هو، يبين شريعته هو، لا يوكل المسألة إلى الآخرين؛ لأنه سيأتي من جهة الناس من يحسبون أشياء على الله هي افتراء عليه.

في الأخير قالوا في داخل المسلمين بأنه قد علمنا بأن الله كلفنا، لاحظ لا توجد الرؤية هذه:إذاً نقول: فما دام أنه كلفنا بالتأكيد سيبين ما كلفنا به، لا توجد عندهم الفكرة هذه، في الأخير قالوا: الله كلفنا بالتأكيد، ولم يقم على ما كلفنا به أدلة تفيد العلم، فلم يبق إلا ظن، واعتماد أمارات وظن؟! إذاً فوجب أن يقبل هذه منا، ووجب علينا أن ينطلق كل إنسان على ما أدى إليه ظنه، ممن يتعلم، والآخر يقلد من ترجح له تقليده من هؤلاء!! أليست هذه الطريقة خطأ؟ يبنون المسألة على أن الله لم يبين، وهنا يقول للمشركين أنفسهم، أليس الموضوع هذا أمام مشركين، وأمام يهود، أهل الكتاب؟ أو دعاواهم في موضوع تشريعات، وتحريمات، وأشياء من هذه.{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إنه هو الذي يبين سبحانه وتعالى لعباده ما شرَّعه لهم، وما يريد منهم أن يسيروا عليه من هداه وتوجيهاته، {ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون}.

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}، لاحظوا هنا، أليس هو يبين: أن هذا صراطي مستقيماً، وأنا الذي سأتولى تبيينه، ورسمه، أليس معناه هكذا؟ بعدما يقول: {تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ}، هذا صراطه، وهذه هي سنته في تبيين صراطه، هذا سبيله الذي رسمه لعباده؛ ليسيروا عليه، ولا يتبعوا السبل الأخرى فتتفرق بهم عن سبيله.

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} مستقيماً، لا يحتاج إليكم، إلى استنباطات، ووجوه، وتشريعات، وآراء، وأشياء من هذه.{فَاتَّبِعُوهُ} لاحظ كيف هذه الكلمة متكررة في القرآن بشكل كبير، ولذلك نقول: إن ثقافة القرآن بالنسبة لنا هي إتباع؛ لأن الله رحيم، هو يرسم الطريق الواضح، لا يحتاج من جانب الناس إلى أي تصنيفات، ولا فنقلات، ولا تشريعات، ولا شيء، القضية جاهزة، صراط واضح يسيرون عليه، يتبعونه، أليس الإتباع معناه: أن هناك شيئاً جاهزاً؟ أليس الصراط معناه: أن هناك طريقاً، عندما يقول لك بهذه العبارة: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}، أليس المعنى تسيرون عليه، وتتبعوا ما رسم في هذا الطريق؟ {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}.

كلمة: {فَاتَّبِعُوهُ} في حد ذاتها تعني: أن الطريق واضح، لا يحتاج إلى من يأتي يشتغل بـ[فرسته]، ويمهد، وأشياء من هذه، والتشريعات هو من عنده يبينها، وهو من عنده يبين الهدى، فيتبعوا فقط، القضية جاهزة، يتبعون، ليس فيها: فابحثوا، أو فيها صنفوا، أو فنقلوا، أو استنبطوا، أو أشياء من هذه.

ضاعت قضية تثقيف الناس لأنفسهم وللأمة بأن المسألة هي ماذا؟ مسألة إتباع، قدموا القضية قضية ماذا؟ اجتهاد، أو تقليد! يسمونها: اجتهاد، أو تقليد، والمسألة ليست اجتهادات، ولا تقليدات، المسألة مسألة: إتباع، فهو الذي يرسم الطريق، وطريق بيِّن، فيتبع الناس كلهم، ليس هناك حاجة لأحد يأتي يستنبط، ويحتاج يطلّع أشياء من عنده أبداً. {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}، هناك سبل أخرى تقدم من الآخرين ، أي سبيل تسيرون عليها ستبعدكم عن سبيله، هي طريق تمشيك كذاك، كلما مشيت عليها، كلما ابتعدت عن الطريق الذي رسمه الله، الصراط المستقيم .

{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، إذا نحن نريد أن نتقيه فالقضية جاهزة، بمعنى: أن من يعدلون عنها، وهذا هو المنطق الذي اعتمدوا عليه في تبرير الاجتهادات، والترجيحات، أننا قد علمنا أننا كلفنا ولم تأت أدلة تفيد العلم على كل قضية، فما بقي إلا ماذا؟ أن كل من تعلم يحاول يستنبط، ويحاول يرجح، ويحاول يدوِّر هو، يبحث ويدور داخل القرآن، وداخل ما روي من أحاديث .

الطريقة تلك لا تؤدي إلى تقوى، لاحظ عندما تأتي عبارة عندما يقول: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، تقوى الله سبحانه وتعالى، وتقون أنفسكم من الشر الذي تسلمونه، لا يحصل عليكم إذا سرتم على صراطه.

ولاحظ الآن، هل الطريقة هذه شكلت وقاية بالنسبة للناس؟ الطريقة التي رسمت، طريقة كل واحد من عنده، يقوم يبحث ويدور، ويرجح، ويستنبط، ويطلع قول، والثاني طلع قول، وهذا اتبع هذا، وهذا اتبع هذا، هل شكلت وقاية في الأخير للأمة؟ لم تشكل وقاية! إن الله جعل دينه بالشكل الذي يشكل وقاية لمن يسيرون عليه، هنا في الحياة قبل الحياة الآخرة، ألم يقل هناك في آية أخرى: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٨)**، أي هذا الدين يشكل وقاية هنا من الشرور؛ ولهذا يقول في كثير من الآيات بالنسبة للأعداء الذين دائماً الناس يعرفون أن العدو إنما يفكر في أن يضرك، وأنت تفكر فيما يقيك شره، عندما يقول بعد: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً}** (آل عمران: من الآية١٢٠)**، {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران:١١١)**.أي: الطريقة الأخرى، السبل الأخرى لن تشكل لكم وقاية، لا في الدنيا هذه، ولا في الآخرة، من كل ما أنتم تحبون أن تقوا أنفسكم منه، وهذا واضح، أي: هذه الآية نفسها تقيّم لنا الحالة التي نحن عليها، والثقافة التي بين أيدينا، هل هي ثقافة في الأخير تجعل الأمة في وضعية تشكل وقاية لها من شرور أعدائها، أو أنها أخضعت الأمة، وجعلتها في حالة تعتبر لقمة سائغة لأعدائها، وهذا هو الواضح.**

هل كان الناس الذين كانوا في عصر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندهم رؤى، ومقترحات، وتشريعات، وأشياء من هذه؛ لأنه هو الذي يشرع للأولين، والآخرين، هذه قد تكون من الأشياء المهمة بالنسبة للناس المسلمين أن يؤمنوا بكتب الله كلها، ورسله، يتقرر في أنفسهم أنه هو الذي يهدي من قبلهم، الأمم الماضية، هو الذي أنزل إليها كتباً، وبعث إليها رسلاً، وهو المتكفل بهداية البشر من قبل أن تخلق أنت، فتاتي على أساس أنك تستنبط، وتقدم هدايات للناس، وتشريعات، {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}** (الأنعام:١٥٤) **من ذلك اليوم، من قبل.**

كما ظهر عند بني إسرائيل من أشياء، تحريمات، وتحليلات، هي مخالفة لما نزله على موسى، وتفصيلاً لكل شيء، بمعنى أنكم وقعتم في قضية لم تكونوا بحاجة إليها، ولم يكن هناك في شرعه تقصير، هو فصل كل شيء، أيام موسى بالنسبة لهم، لكن لم ينفع، كانوا يتركون الكتب هناك، وتقدم طريقة أخرى، ومنهجية أخرى، تجعل الناس هم الذين يتحركون، فيقدمون تصنيفات أخرى، وتحريم، وتحليل، وتشريعات ثانية.

بالنسبة للأمة هذه، بالنسبة لنا، كيف نرى أنفسنا أننا بحاجة إلى أن نقوم نشرع نحن، وعلى طول تاريخ المجتهدين يتحركون على أساس أصول الفقه، والله يقول لنا من قبل أن يبعث محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)**، من قبل، موسى، وإبراهيم، وكل الأنبياء، من نزل عليهم كتباً، نزل عليهم كتباً تفصيلاً لكل شيء، وهدى ورحمة، شاملة لموضوع التشريعات، وموضوع الهداية بكلها.**

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥) **الآية هذه بالنسبة لنا، بالنسبة للمسلمين يقول: {فَاتَّبِعُوهُ}، {وَاتَّقُوا} قد تشمل عبارة واتقوا: اتقوا أن تسلكوا الطريقة الأخرى، طريقة ما حصل عند بني إسرائيل، عندما أصبحوا هم يشرعون من عند أنفسهم، ويقدمون توجيهات أخرى مخالفة لهدي الله من عند أنفسهم مع أنه نزل عليهم كتاباً تفصيلاً لكل شيء! {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لم نسلك الطريقة هذه فرأينا أنفسنا...كيف واقع الأمة الآن؟ واقع أمة مرحومة أو واقع مغضوب عليها؟ قد يكون مغضوب عليها فعلاً، فهناك في البداية: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وهنا أيضاً يقول: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.**

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} (الأنعام: من الآية١٥٥) **أيضاً فيه بركة، استنباطاتكم ليس فيها بركة، وفعلاً هذا الذي حصل، ما حصل عند بني إسرائيل، من استنباطات، وأشياء من هذه، لم يكن فيها بركة، كان فيها ضلال يؤدي إلى ضلال، أما القرآن فهو مبارك {فَاتَّبِعُوهُ} التوجيه هو للكل، التوجيه لكل الناس، لبني إسرائيل، وللعرب جميعاً، وأن تكون الطريقة في التعامل معه طريقة إتباع، أليست هذه عبارة واضحة كلمة: إتبعوه؟ هل أحد يمكن أن يقول لك: اتبع إلا وقد قدم لك القضية جاهزة.**

عندما يأتي يقول لك: صحيح فاتبعوه، لكن ما فصل كذا، ولا تناول كذا، ولا قال كذا، ولا، ولا.. أنت لم تتبعه هنا، لأنه يقول لك له طريقة، وله ورثة، له ورثة وهم يعرفون كيف يتعاملون معه، وبين لك هو في داخله بقوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} (فاطر: من الآية٣٢) وبين لك هو بأسلوبه وهو يتنزل على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قل كذا، بيِّن كذا، أليس هذا توجيهاً إلى شخص واحد، لا أتصور بأنني متتبع للقرآن، إذا لم أكن مؤمناً بالطريقة هذه، في الأخير سيبدو القرآن أمامي ناقصاً [لم يبين كذا، ذكر الصلوات ولم يعددها، ذكر كذا ولم يبينه، ذكر كذا وما بينه] وهو يقول: {وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٤) إذاً له طريقة، ليس المعنى تفصيلاً لكل شيء، لكل من فتحه سيرى تفصيلات كل شيء.

أنت عندما تكون على هذا النحو أنت جاهل لقاعدة هامة القرآن يبتني عليها بكله، وأنه كتاب لبناء أمة، ليس كتاباً فردياً، كل واحد يريد أن يتناول منه الذي يريد ويمشي مع السلامة، هو كتاب قائم على أساس بناء أمة، تصور أنت كيف بناء الأمة، كيف يمكن بناء قبيلة واحدة؟ هل يمكن تتصورها بدون أن يكون هناك قيادة لها، دون أن يكون هناك مرجعية لها؟ هو مبني على هذه، في الأخير يقولون: [لا بأس القرآن، لكن وجدنا ما فيه كذا، ولا قال كذا، ولا فصل كذا] وهو يقول: {وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٤) في آيات أخرى يقول: {وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} (الاسراء: من الآية١٢)، لكن يأتي كل واحد يريد هو يعرف كل التفصيلات، أليس هذا جهلاً بالقرآن نفسه؟ عندما يقول: {فَاتَّبِعُوهُ}، أن تعرف كيف اتباعه، كيف اتباعه، أسس اتباعه، وسترى كل شيء واضحاً، وترى صراطاً مستقيماً.

إذا ما هناك رؤية على هذه ستراه ناقصاً، وترى الذي يقول عندما يقول: أيضاً الرسول مبيناً، ثم الرسول، ورأى أشياء ليست كاملة، رأى أشياء تحتاج إلى ترجيحات، ورأى أشياء تحتاج إلى كذا، أيضاً احتاجوا إلى استنباطات، وتفريعات، واجتهادات، وأشياء من هذه، وأخيراً ضاعت الأمة بكلها. أليس هو في الوقت الذي يقول: فاتبعوه يقول: اتبعوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} (النساء: من الآية٥٩)، أليس هو يقول هكذا، أليس هو يربط موضوع أن يكون القرآن تفصيلاً لكل شيء بالنسبة لهم مرتبطاً بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. وبعد أن مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: مات، لم يبق شيء إلا أن كل واحد يبحث هو! ورأى القرآن ليس فيه تفصيل لكل شيء، [إذاً نحتاج إلى كذا، ونحتاج] وبحثوا، وأخذ ورد إلى أن ضاع .

إذاً هل يمكن أن نجهل بأن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} (فاطر: من الآية٣٢) أنه يعلم أن أنبياءه سيموتون، وقال هو: أن الرسل سيموتون، ويموت الناس جميعاً، أنه هو يورث؛ لأنه كتاب ـ كما قلنا بالأمس ـ مع البعض، كتاب الله الحي القيوم، ليس كتاباً مثل الكتب الأخرى التي نقرأها، ونقول: قال رحمه الله تعالى، تحدثنا مع البعض حول هذا.

هذا كتاب الله، والله هو حي قيوم، فالقرآن نفسه في مسيرة القرآن هو ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه، على طول تاريخ الأمة هذه، إذاً قاموا يشتغلوا، لكن هل شكلوا وقاية أو رحمة؟ أبداً، الأمة الآن وضعيتها سيئة؛ لهذا لاحظ أنه يأتي توجيهات، ويأتي بعدها في: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} (الأنعام: من الآية١٥٩) متى لم يحصل إتباع، وبرؤية حقيقية، وصحيحة بهذا المعنى، معنى الإتباع، وهي قضايا بسيطة، نفس أسس الإتباع، أن تفهم أنه قرآن يحتاج إلى وارث علم بالنسبة للناس، يحتاجون هم إلى وارث له، متى ما توفر القرآن مع وارث له يمكن يمشي كل شيء، ويحصل تفصيلاً لكل شيء، ويتناول كل شيء.

أليس القرآن هو من عند الله؟ أليس الله هو الذي يخلق {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} (القصص: من الآية٦٨)، ما القضية أنه قد توقف المصنع حقه، لم يعد هناك مصنع إنما فقط ذلك الزمن وانتهى، هو يخلق رسل، وبعد الرسل يخلق ورثة للرسل، وورثة لكتبه.

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} (الأنعام: من الآية١٥٦)، حتى لا تقولون كلاماً كهذا، هذا كتاب قد نزل إليكم، {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى

طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا} بني إسرائيل نزل عليهم التوراة، نزل عليهم الإنجيل، نزل عليهم كتب أخرى، {وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} (الأنعام: من الآية١٥٦)، عن دراستهم لكتبهم، عن دراستهم لكتبهم لغافلين.

{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} (الأنعام: من الآية١٥٧)، إذاً فانطلقوا، فلم يبق لكم عذر أن تقولوا: {لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ}. {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا} (الأنعام: من الآية١٥٧)، كذب بآيات الله، وصدف عنها: انصرف وصرف عنها، {سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} (الأنعام: من الآية١٥٧)، والشيء المخيف في هذا أنه عبارات العذاب هي تأتي مطلقة في كثير من الآيات، بالشكل الذي يحتمل أنه هنا عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة، فهي آيات واضحة، وكتب واضحة، وبينات واضحة.

ما الذي بقي؟ عندما يأتي بقوله تعالى بعد: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} (الأنعام: من الآية١٥٨)، ماذا ينتظرون بعد هذا البيان الكامل؟ الشيء الذي هو إلى درجة أن يقول: فاتبعوه {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} ماذا ينتظرون بعد، ينتظرون أن تأتيهم ملائكة، أو يأتي الله، أو يرون الله كما قال بنو إسرائيل من قبل، أو يأتي بعض آيات ربك، الآيات التي تعتبر قاضية.

{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً} (الأنعام: من الآية١٥٨) بمعنى أن هذا هدى متكامل، وبينات واضحة، كاملة، وبلاغ مبين، لم تعد بحاجة إلى شيء آخر بعده، ماذا تنتظرون بعده؟ تنتظرون ملائكة تأتي، أو تنتظرون الله يأتي، أو تنتظرون آيات من الكوارث التي يضرب بها الأمم. {قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} (الأنعام: من الآية١٥٨) هذا تهديد مثل: و{تَرَبَّصُوا} (الطور: من الآية٣١) {فَانتَظِرُواْ} (الأعراف: من الآية٧١) إذا لم تكفك هذه الآيات فانتظر، لن يأتي ملائكة، ولن يأتي ربك، وقد تأتي بعض آيات ربك، مثلما قال سابقا: {سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ}.

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (الأنعام:١٥٩)، هنا يؤكد هذا بأنه يرسم طريقة واحدة، وطريقة واضحة، وأعلامها بينة، وبينات واضحة، وأن الناس إذا انطلقوا هم برؤية أخرى، لم يسيروا على هذا النحو الذي وجهوا إليه: إتباع، وسير على هذا الصراط المستقيم الواضح، لن يكون البديل إلا ماذا؟ إلا أن يتفرقوا، فيفرقوا الدين نفسه.

أن تأتي الآية بالشكل الذي تذكر ماضي؛ لأنه بالنسبة لهذه الرسالة نفسها، رسالة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ما قد ظهر شيء، ما قد ظهر تفريق من جانب المسلمين لهذا الدين، لكن معنى عندما يقول: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} سواء في الماضي، أو في المستقبل {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}، فبالنسبة للأولين لا علاقة لك بهم نهائياً، ألم يقل هناك في آية أخرى: {أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: من الآية٩٠)، عندما جاء بقائمة من الأنبياء، هؤلاء الذين تهتدي بهداهم، الآخرون الذين فرقوا دينهم لا علاقة لك بهم، ولا بينك وبينهم نهائياً.

إذاً تجد بأنهم أين موقعهم هم؛ لأنه هو (صلوات الله عليه وعلى آله) في ضمن المسيرة الطويلة هذه، مسيرة أنبياء الله، إلى إبراهيم، إلى نوح، إلى أول نبي من أنبيائه، أليس الآخرون هم الذين هم خارجون هناك، هم، {لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} لا علاقة لك بهم، كما لو قال: أنت بريء منهم، أو هم براء منك.

كذلك من فرقوا هذا الدين من بعده، أو يمكن نقول: أما بني إسرائيل إذا فرقوا دينهم فالقضية هي على هذا النحو: تهديد عظيم إلى درجة أن يقول: هؤلاء ما بينك وبينهم، وبالتأكيد عندما يقول: ما بينك وبينهم {لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} أنهم في اتجاه هناك، غايتهم غير غايتك، أليست هكذا؟ أين سيكون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أليس هو سيكون مع إبراهيم، ومع نوح، مع الأنبياء في رضوان الله وجنته؟ والآخرون الذين ليسوا منه، وليس منهم بالتأكيد لن يكون موقعهم معه، هم في مكان آخر. {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}، حتى لو قالوا: [وكل من رسول الله ملتمس ÷ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم] ويعني: إما شرب شروب، أو رشف من الديم، من الأمطار.

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً}، هذا للأسف حصل في الأمة هذه، ألم يحصل تفريق للدين حتى أصبحوا طوائف متعددة؟ هذا التفريق للدين، لا تتصور أن هناك طريقة أخرى يقال لها: تفريق للدين غير هذه، بنوا إسرائيل ما عملوا إلا هكذا، كيف عملوا حتى فرقوا دينهم، كيف عملوا؟ طوائف، وأقوال متعددة، وتوجهات متعددة، أليس هذا هو تفريق الدين؟.

{إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، يفعلون، يفعلونه هم، ومن جهتهم هم، لم يأت نتيجة لتقصير من جهة الله سبحانه وتعالى، لأنه سمَّا التكليف فعلهم هم، ومنشؤه من عندهم هم، ليس من عنده.

إذاً فهذا يبين لنا سوء الاختلاف والتفرق، لسنا بحاجة إلى أن نبحث كيف نجعله مشروعاً، ونجعله سائغاً ومقبولاً، وخطيرة هذه الآية جداً بالنسبة للمسلمين، وقد اتضح أنهم فرقوا دينهم فعلاً، عندما تأتي الآية بهذا الشكل: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} طوائف، فرق {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} لأن طريقته ثانية، طريقته طريقة تبني أمة واحدة، وطريقته أنه قدم منهجاً واضحاً، لا يحتاج إلى أن يأتي الناس بشيء من جهة أنفسهم، إنما يتبعونه، ويسيرون عليه، فهو جاهز إذا ساروا واتبعوه لا يتفرقون، لكن ينطلقون هم وكأنهم مكملين، على ما قال الإمام علي: ((أم كانوا شركاء لله في ملكه فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى))، أو بعبارة تشبه هذه، في نهج البلاغة جاء بها استنكاراً على من يأتون بأقوال متعددة في الفتوى .

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الأنعام: من الآية١٦٠-١٦١) **فمن يدعو أنهم مني وإلي، أو مغترفين مني، أو راشفين مني، فليعلموا بأن الله هو الذي يهدي، وليس اجتهادات حتى من عندي أنا، اجتهادات، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وهو نفس الصراط الذي دعاكم إلى أن تتبعوه، وتسيروا عليه.**

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:١٦١) **جواب للكل، للمختلفين من قبله، والمختلفين من بعده، ومثل الذي قال هناك: {ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} هم من جهة أنفسهم يقدمون أشياء تؤدي إلى تفرقهم، واختلافهم، أما هو فطريقته ليست على هذا النحو، طريقته أنها من عند الله سبحانه وتعالى، وليس من عند نفسه هو، من عند الله {إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً} مستقيم لا يحتاج إلى من يأتي [يرقِّد له، ويدخل طوب داخله، أو حجار، ويبعد حجراً، ويدخل حجراً أخرى] مستقيم .**

{مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام:١٦٢) **إذاً هنا إعلان تسليم؛ لأن القضية عادة تنتهي إلى التسليم لله، إذا هناك تسليم لله من جهة الناس يكونون قابلين للإتباع، ولا يحصل اختلاف، ولا تفرق، إذا لم يحصل تسليم يكون كل واحد يقدم نفسه، يريد أن يطلع نصف إله، أو ربع إله، من عنده يشرع .**

هذا أساس القضية: التسليم لله، إذا كان الناس مسلِّمين لله فهو سبحانه وتعالى هو قد جاء بالهدى، وصراط مستقيم، وبينات واضحة، يتبعونه، لا يحتاجون إلى أي شيء آخر يتعبون أنفسهم فيه، لا بحث، ولا استنباطات، ولا ترجيحات، ولا رؤى متعددة، ولا شيء.

{ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام:١٦٣) **المسلمين لله، {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا}** (الأنعام: من الآية١٦٤) **لأن من لا يقتنع بالمسألة هذه كأنه يعدل، يبحث عن أرباب آخرين، هذه القضية خطيرة، ألم يقل في بني إسرائيل: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}** (التوبة: من الآية٣١) **، {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}** (الأنعام: من الآية١٦٤) **، وهذه أيضاً فيها تنبيه خطير بالنسبة**

للناس، في الأجيال المتأخرة، عندما تحاول تقول: لازم نمشي على الطريقة هذه؛ لأنه لاحظ الذي قبلنا، والذي قبلنا كانوا، وكانوا.. ضروري نسير بعدهم، يقول لك: أنهم لن يحملوا أوزارك إذا أردت أن تنتبه أنت، ما تكسبه هو على نفسك أنت، هم سيكسبون أوزارهم، وأوزار من أوزار الذين يضلونهم بغير علم، كما جاء في آية أخرى، لكن ليس معناه أنك تقول: أما نحن فسنسير وإلى ذمتهم، ليست القضية بهذا الشكل، سنمشي بعدهم وإلى ذمتهم.

{وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا} لأن هذه تضرب شيئاً من الأشياء التي عند الناس تخلي الضلال يستمر، يكون عنده: نمشي بعدهم، ولسنا أحسن منهم، وهم كانوا أحسن منا، وهم كانوا أعرف، وكانوا، وكانوا.. قد نحن من [جيزاهم] وإلى ذمتهم، لا، أنت عندما تمشي على ضلال، أنت تكسب على نفسك، {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} لن يأخذوا أوزارك، قد يحملون من الأوزار باعتبار حصل ضلال على أيديهم، أو أضلوا عمداً.

{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (الأنعام: من الآية١٦٤)، **أليس معنى هذا أن الاختلاف نفسه محط تساؤل: لماذا تختلفون؟ لأنه قدم دينه بالشكل الذي لا يختلف الناس إذا ساروا عليه، وليسوا بحاجة إلى أن ينطلقوا هم ليعملوا تكميلات، وأشياء من هذه هي بالتأكيد مما يؤدي إلى اختلاف فيما بينهم .**

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ} (الأنعام: من الآية١٦٥)، **هو الذي استخلفكم، وهو الذي تكفل بأن ينزل هدى إليكم، لا يمكن يستخلفهم، ولا ينزل هدى ويكون في هداه الكفاية؛ لتقوموا بواجبكم، وتقوموا بدوركم في هذه الحياة.**

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:١٦٥) .

صدق الله العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٨ /رجب / ١٤٢٨هـ
الموافق ١/ ٢٠٠٧/٨م

من هدي القرآن الكريم

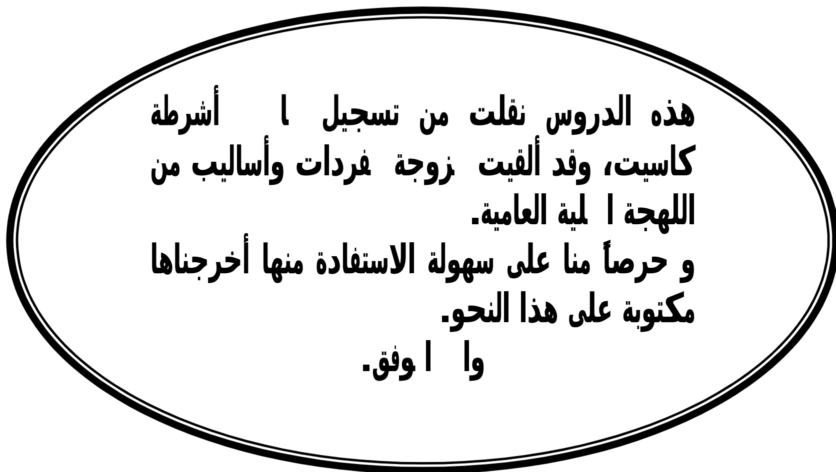
سورة الأعراف

من أول السورة إلى الآية (١٣٧)

[الدرس السابع والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٧رمضان ١٤٢٤هـ
الموافق ٢١/١١/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

في هذه السورة المباركة، [سورة الأعراف] ـ وهي من أطول السور في القرآن الكريم ـ مواضيع متعددة، وهامة، ومواضيع وكأنها تقدم سنناً، أو تبين سنناً إلهية.

تصدَّرت هذه السورة بأحرف مقطعة: [ألف، لام، ميم، صاد]، تقدم الحديث حول هذه في [سورة البقرة]، وكما يقول الإمام القاسم بن إبراهيم: بأن هذه السور التي تبدأ بأحرف على هذا النحو، أنها سور يكون فيها من مكنون العلم، يعني: من الأسرار التي عبر عنها بمكنون العلم .

في المقدمة يأتي الحديث عن هذا الكتاب العظيم: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} (الأعراف: من الآية٢)، وعندما يتصفح الإنسان سور هذا الكتاب العظيم يجد فعلاً أنه عظيم وحكيم، أنه اشتمل ـ كما قال الإمام علي فيما رواه عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ على أخبار الماضين، وأنباء الآتين من الناس: ((فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم)).

{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} (الأعراف: من الآية٢) لأن المهمة كبيرة، مهمة كبيرة؛ ولهذا في آية أخرى قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} (المزمل:٥) عظيم، مهمة كبيرة، ومهمة واسعة، ولكن لا يكن في صدرك حرج فتظن أننا كلفناك بالشيء الذي لا تطيق أن تنهض به؛ يأتي العون الإلهي، والتأييد الإلهي، والهداية المستمرة، والمتابعة المستمرة لحركتك في تبليغ هذا الكتاب، فلا تشعر بحرج منه، وهذا من الأشياء العجيبة، مما يدل أنه فعلاً، أن هذا الدين العظيم لم يأت بالشكل الذي يكون فيه حرج للناس، كما قال في آية أخرى: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة: من الآية٦) {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: من الآية٧٨) .

فإذا كانت هذه المهمة الكبيرة الواسعة التي توكل إلى شخص واحد هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفي نفس الوقت يقول: لن تكون في حرج، {فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ}، تشعر بثقل، تشعر وكأن هذا الموضوع فوق طاقتك.

فعندما نأتي نحن بعد، والكثير من قبلنا يحصل لديهم نظرة إلى بعض الأشياء في هذا الدين، بعض ما وجه لنا القرآن الكريم، وكأنها أشياء فيها حرج، وأشياء ثقيلة، وأشياء شاقة، وأشياء من هذه، وهي بالشكل الذي يوكل الخطاب فيها إلى أمة، لم يوكل الخطاب فيها إلى شخص معين، مثل موضوع الجهاد في سبيل الله، وأن يكونوا قوامين بالقسط، ألم يأت الخطاب لمجاميع من المؤمنين؟.ومع هذا الكثير يعتقد بأن هذه القضية فيها حرج، فيها مشقة، يبحث عن كيف يبرر لنفسه أن لا ينطلق في هذا الموضوع! مع أننا وجدنا بأنه فعلاً هذا الكتاب الواسع بكله، كتاب واسع جداً، ومهمة كبيرة جداً وُجِّه بالقيام بها، والنهوض بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، شخص واحد، ومع هذا يقول له: اطمئن، لا يحصل عندك حرج، {فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ}، بمعنى ماذا؟ أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤيد ويعين .

هذا من المفارقات العجيبة، ومما يدل على أنه حصل فعلاً لدينا فهم للدين بشكل آخر، ومن الأخطاء التي ربما رسخت هذا الشيء محاولة البعض لتعريف الدين بأنه: تكليف، ثم تعريف التكليف بأنه: تشريع، أو توجيه يتوخى فيه المشقة، من التعريفات التي حصلت: تكليف يتوخى فيه المشقة، المطلوب فيه أن يكون شاقاً؛ ليتبين ـ هكذا يقولون: ـ ليتبين من هو الذي سيتحمل هذه المشاق فيؤجر، وترتفع درجاته، ومن هو الذي يفشل فلا يتحمل هذه المشاق! هذا التعريف خاطئ بشكل رهيب جداً، وترك عند الناس نظرة إلى هذا الدين وإذا كأنه حمل ثقيل، وكأنه بعض منه، أو أجزاء منه تعتبر ثقيلة، وحرج النهوض بها، والتحرك في أدائها، مع أنه بكله وهو موجه إلى شخص واحد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول له: {فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ}.

{لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف: من الآية٢) هذه المهمة الرئيسية، وأحيانا تـأتي العبـارات مختلفـة في بعض الآيات، أحيانا يقول: {بَشِيراً وَنَذِيراً} (البقرة: من الآية١١٩) وأحيانا يأتي بشكل آخر.

هنا تجد في السورة أشياء كثيرة مما تعتبر نُذُر، عندما يسرد قصصاً بدءاً من آدم، ثم نوح، ومن بعد نوح، أليس هذا يعني أن السورة هذه مليئة بالإنذارات، والحديث عن جهنم، الحديث عما سيقول أهل النـار، ما سيقول المكذبون بآيات الله، والمستكبرون عنها، فهي مليئة بالإنذارات، والقرآن هذا هو نذير وبشير وهدى وتشريع، كل شيء داخله، كل شيء فيه.

تجد أن الموضوع كله يتمحور حول الكتاب، حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آلـه) مهمتـه تتمثـل في هـذا الكتاب، كتاب أنزل إليك تتحرك على أساس هذا الكتاب؛ لتنذر به، أليس هكذا الآية واضحة: {لِتُنذِرَ بِهِ}؟.

هذه للأسف مما غيبت في تاريخ المسلمين، وقدموا الإنذارات بطرق أخرى لم تترك أثراً إيجابياً، بل تركت آثـاراً سلبية مثلما نقول كثيراً حول ما تتضمنه كتب الترغيب والترهيب، أن مـن المهـام الرئيـسية للقـرآن الكـريم هـو الإنذار به، مهمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن ينذر الناس به، وهو من جهـة نفـسه إنـسان بليـغ، إنسان قدير على التحدث، لكن يجب أن يتحرك في إطار هذا القرآن، فينذر به؛ لأن القرآن هـو أبلـغ موعظـة؛ ولهذا قال الله فيه في آية أخرى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:٢١) .

حصل عدول عن القرآن الكريم في موضوع ما نسميه المواعظ، ترهيب وترغيب إلى كتب أخـرى مليئـة بحكايـات عملها ناس، مليئة بأحاديث لم يدققوا حتى في أسانيدها باعتراف أهل هذا الفن، أنهم يقولون أنهـم لا يتقـصون في أسانيد أحاديث الترغيب والترهيب على أساس أنها ستترك [أثر باهر]، ترغب الناس في طاعة الله، وتخوفهم من عذاب الله، ويحصل عند واحد خوف من أن يدخل في معصية، وأشياء من هـذه، لكـن قـدموا مفـاهيم أخـرى رهيبة جداً، نظرة إلى الدين قاصرة جداً، نظرة إلى الحياة هذه، نظرة إلى الحياة الآخرة، نظرة إلى الإنـسان، دوره في هذه الحياة، نظرة قاصرة جداً، ومتنافية مع ما يريد القرآن الكريم أن يتركه في نفوس الناس من أثر، بل قُدم من خلالها موضوع الخشية بشكل آخر، غير الخشية في القرآن .

في القرآن يتركز موضوع الخشية: أن الخشية من الله، من الله، فيأتي إلى آيات كثيرة جداً تتحـدث عـن معرفـة الله سبحانه وتعالى؛ ليعرفه الإنسان فيخشاه، في الوقت الذي يحبه ويجله ويقدسه ويعظمه. في كتب الترغيـب والترهيب قدم موضوع آخر هو الخشية من النار، وهناك فارق كبير في الموضوع، هناك فارق كبير جداً، أنـه ممكـن يحصل عندك خشية من النار من خلال هذا المنطق الذي يرسخ لديك موضوع النار، النار فقـط دون أن يقـدم في نفسك ما يجعلك تخشى الله هو؛ ولهذا جاء في آية أخرى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: من الآيـة٢٨) ، يعني: العارفين به، فيأتي موضوع النار بكله، موضوع آيات الوعد والوعيد، إنما هي جزء من موضوع معرفة الله، لتخشى الله باعتبار أنه هو الذي بيده الجنة، وبيده النار.

وعندما تكون أنت متوجه إلى الله سبحانه وتعالى، متوجه إليه، وتعرفه، ما تحصل القضية فقط مجـرد خـشية، بل يأتي أيضاً حب له، وتعظيم له، وحرص على رضاه؛ فيكون تعاملك معه، في الحالة هذه ستحصل تلقائياً علـى ما يقيك من النار، الإنسان بطبيعته إذا خُوف بشيء يخاف، إذا خوف بجهـنم، ولجانـب جهـنم دور كـبير جـداً في التخويف، لكن لم يقدم موضوع التخويف بجهنم مجرداً عن موضوع ربط الإنسان بـالله؛ ولهـذا قلنـا: إنـه ممـا تميز به القرآن الكريم أنه يقدم آيات الوعيد في إطار عملي، هـذه التوجيهـات العمليـة تـأتي مـن جهـة الله، ودائماً ترى السور فيها الكثير من الآيات التي تذكر ما يتعلق بـالله سـبحانه وتعـالى، ملكـه، ألوهيتـه، علمـه، قـدرتـه، أشياء من هذه، هي آيات في معرفته.

فمن الآثار لآيات الوعد والوعيد هو ماذا؟ أن تعرف الله أنه هذا هو الله الذي بيده الجنـة، بيـده النـار، بيـده الثواب، بيده العقاب؛ فتتوجه أنت إليه، فتبحث عن رضاه، ويعظم في نفسك، هنا ستسير بطريقة صحيحة، وهو الشيء الرئيسي في القرآن الكريم. ما قدمت آيات الترغيب والترهيب بمعزل عن آيات معرفة الله، وبمعزل عـن

التوجيهات العملية أبداً، كتب الترغيب والترهيب في الغالب تقدمها هكذا بصورة مستقلة، حديث حول الجنة، وحديث حول النار هناك، لا يأتي في إطار الحديث حول الله سبحانه وتعالى، فتتقدم ضمن معرفته؛ لأن من أسمائه سبحانه وتعالى ـ عندما نقرأ قول الله في سورة [الحشر]: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ـ ألم يذكر هنا الجبار؟ ـ الْمُتَكَبِّرُ} (الحشر: من الآية٢٢ ـ ٢٣) ـ من أسمائه: الجبار، مما يذكره سبحانه وتعالى أنه ينتقم، أنه يبطش {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج:١٢)، {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي} (الحجر: من الآية٥٠) هنا أليس هو يقدم جهنم حقه؟ {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} (الحجر:٥٠)؛ ليعظم في نفسك الله.

تخاف لعدة أشياء يقدمها، لكن يتوجه الخوف ممن؟ منه هو، تخشاه هو، هذه هي القاعدة الصحيحة؛ ولهذا نجد بأنه حصل من الأشياء التي تعتبر غريبة، في كتب الترغيب والترهيب ترفق بأشياء في مجال الترغيب حسنات بكميات كبيرة جداً، فترى أشياء هناك تخيفك، جهنم، وترى هناك كميات كبيرة من الحسنات، ترى بأنه يمكن أنك تمشي في هذه تجمِّعها وتصرف عنك جهنم، وإذا أنت ذهنك يدور بين النار، والنار هي خطيرة، وكل إنسان يخاف منها، وهناك كميات كبيرة حسنات من أعمال معينة، تكاد تكون في ذهنيتك مفصول عن الله، مع أن هذه الآية لاحظ{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، أليس هو هنا يذكر نفسه، يتحدث عن نفسه،{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}.

فالإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الأساسي، الإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الذي له إيجابية كبيرة جداً، ولا يحصل معه سلبيات؛ لأنه يشدك في نفس الوقت إلى الله سبحانه وتعالى . جاء بكلام كثير حول يوم القيامة لكن أليس هو يذكر فيه أنه الذي سيجمع الناس، سيحشر الناس، سينبئهم بما كانوا يعملون، أنه هو الذي سيجازي، أنه هو الذي سيدخل من أدخل الجنة، وسيدخل من أدخل النار، أليس هو ينسب الأشياء هذه كلها إليه؛ لأن لا تنظر إليها منفصلة عنه.

وموضوع واسع جداً في القرآن، موضوع الترغيب والترهيب، موضوع واسع جداً، لا نحتاج معه إلى الأشياء الأخرى، تصفية قلوب، وإرشاد قلوب، وأشياء من هذه، وعناوين أخرى، ما نحتاج إليها .

هذا الذي يُصفِّي القلوب حقيقة، القرآن، ويعرف الإنسان من خلاله كيف يكون توجهه، كيف تكون نظرته، كثير ممن قرؤوا كتب الترغيب والترهيب تراه ما عنده توجه أنه مثلاً يجاهد في سبيل الله؛ لأنه ماذا؟ قد هناك حسنات كثيرة، يغرف واحد كما يريد دون أن يحاول أن يدخل نفسه في موضوع فيه مصاعب، وفيه خوف، وفيه سجون، وربما فيه قتل .

إذاً هذه النظرة، وهذا الموقف موقف من؟ موقف من نفسيته فعلاً منفصلة عن الله، قدم له الموضوع مجرداً هناك لوحده، هناك نار، وهناك حسنات خذ لك كمّا تريد حسنات وستسير إلى الجنة، والنار تسلمها! لو أن الموضوع قدم على النحو الذي قدم في القرآن لكان الإنسان ـ وهو متوجه إلى الله سبحانه وتعالى ـ يحرص على أن يعمل الشيء الذي فيه رضاه مهما بدا شاقاً أمامه، فلماذا ـ مع أنهم قد قرؤوا أشياء كثيرة عن جهنم ـ لا يأتي لديه انطلاقة لأن يجاهد في سبيل الله ولو ضحى بنفسه، لا أعتقد أنه يوجد أحد ممن قرؤوا إلا وهم يقرؤون كتب ترغيب وترهيب بدءاً من [كنز الرشاد] و[وشرح كنز الرشاد] و[تصفية القلوب] وكتب أخرى.

إذاً فهذه القاعدة المهمة: أن الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ}، ثم يذكر بعد {لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}، وليكون ذكرى للمؤمنين، تنذر به وتذكّر به .

{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} (الأعراف: من الآية٣) وهذا تأكيد آخر، {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} (الأعراف:٣) ، عندما تكون كلمة أولياء في زمن نزول القرآن الكريم، كان يتمثل أولياء بشكل ظاهر مثلاً أصنام، يوجد هناك أولياء آخرين قدمهم أيضاً من البشر ممن كانوا يتخذونهم أولياء فيصدونهم عن سبيل الله، فكلمة أولياء تتناول من يتخذون الأصنام أولياء، وتتناول من يتخذون أناساً من

البشر أولياء، كيفما كانوا، أولياء من دونه، هناك فارق بين أولياء هم أولياء له، وفي طريقه؛ ليجعلوا الناس أولياء لله.

لكن هنا يكون هناك أولياء من دون الله، الأولياء الذين من دون الله هم يصرفونك عن الله، ويبعدونك عن الله، وقدم في هذه السورة وهو يعرض قصص الأمم الماضية: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} (الأعراف: من الآية٧٥)، كبار ووجهاء الناس، ترى كيف كانوا يبرزون صادين عن سبيل الله، والآخرون الجماهير قد اتخذوهم أولياء، فهنا أنذر الناس بدءاً من أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يحذروا أن يتبعوا من دون الله أولياء بعد أن عرض عليهم كيف كان مصير أولئك الناس الذين اتخذوا الملأ الذين استكبروا من قوم نوح، أو هود، أو صالح، أو أي واحد من الأنبياء الذين ذكرهم، كيف كانت عاقبتهم، وأنهم خسروا، أهلكهم الله وانتهوا بعقوبة شديدة.

{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ} هنا تقدم القضية في القرآن الكريم ـ مثلما نذكر أكثر من مرة ـ أنه في الواقع لا يوجد غير هذين الطريقين: إما أولياء لله، أو أولياء لمن هم من دونه، بدءاً من الشيطان، ألم يبدأ بالحديث عن الشيطان، الشيطان، ثم أولياء من كبار العشائر، ثم انظر كيف عاقبة من تولوهم . فالإنسان يكون مدققاً جداً في موضوع التولي، يعرف بأنه لا يخلو من واحدة من الحالتين: إما أن يكون متبعاً لأولياء هم أولياء لله، أو أولياء من دونه، {قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}.

{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} (الأعراف:٤) ، هذه بداية الموضوع، يتحدث بأنه كم قد حصل من إهلاك لأمم ماضية، تأتيهم العقوبة الرهيبة في وقت استراحتهم، في الليل، أو في وقت القيلولة، وهذا من أشد الأشياء عليك أن تأتيك العقوبة الشديدة في حالة ارتياح مثلما قال سابقاً: {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} (الأنعام: من الآية٤٤)، فهنا كذلك أنه عندما تنزل عقوبة الله سبحانه وتعالى يلاحظ الوقت؛ لأنه كما قال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج:١٢) تكون العقوبة شديدة، ويختار الوقت الذي يجعل العقوبة شديدة بزيادة على أن لو كانت في وقت آخر، ثم يبين بعد، سيبين بعد ما الذي أدى بهذه الأمم إلى أن تصل إلى هذا المصير السيء فتنزل عليها عقوبة شديدة في أوقات استراحتها .

{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} (الأعراف:٥) أما الله سبحانه وتعالى بشهادة من يهلكهم لا أحد يستطيع أن يقول بأن الله ظلمه، وسيتبين من خلال ما يعرضه من قصص الأمم السابقة كيف أنه كان يأتي الأنبياء بمنطق لطيف، وببينات واضحة، ويذكرهم بالعقوبة، ثم تأتي العقوبة، فعرفوا فعلاً {إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}، و هذا من عدالة الله سبحانه وتعالى ورحمته، أنه يقدم للناس الأشياء الكثيرة حتى يشهدوا هم على أنفسهم فيما يأتي عليهم من عقوبات في هذه الدنيا أنهم هم الظالمون، ثم بين كيف أنهم يشهدون على أنفسهم في الآخرة أيضاً أنهم كانوا كافرين .

{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} (الأعراف:٧) ، في يوم القيامة كما جاء في آخر سورة [المائدة]: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} (المائدة: من الآية١٠٩) سيسأل الله الرسل ويسأل المرسل إليهم، الأمم، {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ} على طول هذه المسيرة، مسيرة البشر، الإنس والجن في كيف كانت مواقفهم من دعوة أنبيائهم، {بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} لأنه شهيد على كل شيء ولا ينسى شيئاً.

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} (الأعراف:٩)، هنا الوزن المعنوي، الصالحون الذين استجابوا لدعوة رسل الله سيكون لهم وزن، لهم ثقل، ليس المعنى موازين مادية، يوزنون فلاناً، ويوزنون آخر، ويلاحظون الميزان أين سترجح كفته! هناك التقييم الحقيقي، ويتبين فعلاً من له وزن، من له ثقل، والآخرون: {فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً} (الكهف: من الآية١٠٥) ألم يقل هكذا عن الآخرين؟ الكافرين، والضالين .

ولاحظ عندما تأتي الآيات متنوعة في أسلوبها حول موضوع جهنم، أو موضوع الجنة، أو يعرض شيئاً من صور الحشر أن الموضوع ثقل معنوي، أو خفة معنوية، هذه من القضايا الرئيسية هنا في الحياة، وعندما يأتي يذكر الأمم الماضية فيها الملأ الذين استكبروا، أصحاب وجاهة، وثقل اجتماعي، هؤلاء سيكونون يوم القيامة خفيفين مثل الريشة ليس له وزن.

كذلك الأتباع أنفسهم عندما يريد يحافظ على أن يبقى له وزن ويبقى له ثقل، ويبقى له علاقة بالشخص الكبير هذا الذي يصد عن سبيل الله، هنا ينبه بأنه يجب على الإنسان أن يحرص كيف يكون له وزن يوم القيامة، ليست قضية الوزن هناك تبحث عن كيف يكون لك وزن وثقل اجتماعي ولو بالصد عن سبيل الله، يذكر في آيات أخرى بأنه سيكون للمؤمنين وزن في هذه الحياة وفي الآخرة.

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} (الأعراف:٨-١١). **يبدأ يسرد للبشر هذا القصص الهام الذي فيه عبر كثيرة جداً بدءاً من موضوع آدم وإبليس، وموضوع الملائكة.**

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (الأعراف:١٢) ، **لاحظ هنا هذه القصة ألم تأت شبه مختصرة في الموضوع هنا؛ لأنه قد يكون من الأشياء الرئيسية فيها موضوع الوزن، موضوع الثقل، الصورة هنا موضوع الثقل المعنوي الذي قد يكون في الواقع عندما لا يكون على أساس صحيح في الأخير يصبح لا شيء، إبليس هنا يعتبر لنفسه ثقلاً عندما قال له: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}، إذاً يعني ماذا؟ وزني ثقيل، أليس معناه هكذا؟ كيف أصبح هذا الوزن؟ أصبح لا شيء، {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}** (الأعراف:١٣)، **أليس هنا صغار، وعنده أن وزنه ثقيل أنه خلق من نار وآدم خلق من طين !.**

{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (الأعراف:١٤) ، **هذا مما يكشف عداوة إبليس لله، وبالذات لبني آدم {أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} على أساس هو يريد أن يشتغل، يريد يشتغل مع هؤلاء البشر؛ لأنه قد صار يعتبر بأن الذي أدى به إلى هذه الخسارة بعد المقام الذي كان هو فيه، أن المسئول عنه هو آدم، إذاً سيشتغل ضد آدم، وفعلاً ألم يشتغل ضدهم هو وزوجته وما قد هناك إلا هم؟ واشتغل ضد أولاده إلى يوم الوقت المعلوم، إلى يوم يبعثون .**

{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، أليس هذا يعني بأنه قد قُدِم أخبار كثيرة بالنسبة للملائكة، وممن قد اطلع على الموضوع إبليس، حول مسيرة البشر، وحول أنه سيكون هناك يوم قيامة، وحساب وجزاء؟. {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (الأعراف:١٦) **أبحث عن الطريق الذي أنت ترسمه... أليس هذا يعني عداوة لله وعداوة للإنسان؟ صراطك المستقيم الذي ترسمه أنت ليسيروا عليه سأقف فيه لأصدهم عنه، يعني أن هذا هو الموضوع الذي سيركز جهده عليه بالذات، صراطك المستقيم، ناس قد هم ضالين، فقط يحاول يحافظ على أن يجلسوا على ما هم عليه، ويحركهم، وأشياء من هذه، أنه سيبذل كل جهده في الصراط المستقيم؛ ليصد الناس عنه. عندما يقول العبارة هذه هو يعني ماذا؟ يعرف، يعرف هو كيف سيكون الحق والباطل؛ لأنه لو لم يكن عنده معرفة للحق والباطل لما عرف أن يصد الناس عن الحق .**

{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً} (الأعراف:١٨) **محتقر، مطرود، {لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ}** (الأعراف: من الآية١٨) ، **هذا مظهر من مظاهر غنى الله سبحانه وتعالى، هذا واحدة منها، ثم أيضاً بالنسبة للمؤمنين لن يكون له عليهم سلطان، وسيأتي بعد: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ}** (الأعراف: من الآية٢٧) **إذا أنت شرير، وأنت سيء، وأنت.. وأنت.. اشتغل بكيفك، واشتغل بجهدك، لن يتبعك إلا من هم جديرون باتباعك، من لا يصلح أن يكون لهم ولي إلا أنت، فعلاً لا يستطيع أن يصد عن دين الله مؤمنين، لا يستطيع، {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ**

آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (النحل:٩٩) ، وعرف هو الشيطان، ولهذا قال هناك في آية أخرى: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (الحجر:٤٠) .

إذاً موضوع الشيطان من المواضيع أيضاً التي فيها مفاهيم قد تكون غير صحيحة فعلاً، أنه لماذا الشيطان؟ لماذا الشيطان؟! هل تتصور بأن الإنسان هذا لولا الشيطان لكانوا ملائكة، برز من الإنس شياطين ألعن من الشيطان نفسه، ربما الشيطان يمكن أنه يتعلم منهم في بعض القضايا! ليس معناه أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان، ابتلاه بالشيطان، وجعل له الشيطان، خلقه يزعجه، ويصده عن سبيله، ويؤذيه... إلى آخره.. لا، أولاً هو قال هناك: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ، ثم نفس ما يقدمه إبليس، هل إبليس يقدم معجزات؟ هل هو يقدم بينات واضحات؟ هل هو مثلاً يقدم براهين تجذبك إلى طريقته؟ عندما تقارن بين ما يعمله إبليس وبين ما قدم من جهة الله سبحانه وتعالى، تجد هنا رسلاً على مستوى عالي من الطهارة، والحرص على هداية الناس، والمؤهلات التي تجعلهم قديرين على أن يبينوا للناس، وبينات إلهية متكررة واضحة، بينات على أيدي رسله، معجزات، وبينات داخل كتبه، كذلك تكون شبيهة بالمعجزات فعلاً، بينات واضحة بشكل كبير.

إذاً من الذي سينصرف هناك فيمشي في طريق الشيطان، مع أن الشيطان لا يرسل أنبياء بمعجزات، ولا معه براهين على صحة طريقته، إنما فقط يوسوس، إذاً {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} ، فيجعله رمزاً للأشرار، فمن انصرف عن طريقة الله ليعلم ابتداء بأنه سيكون وليه الشيطان.

يقدم الشيطان بأنه عدو، قد تكون هذه من الإيجابيات؛ لينشد الإنسان إلى طريقة الله، أن يقول لك: الطريقة الأخرى على رأسها عدوك، عدوّ لك، هذا العدو دائماً يشتغل من أجل إضلالك، من أجل أن يصل بك إلى أحط مستوى في هذه الحياة فتشقى، من أجل أن يصل بك إلى قعر جهنم، فعندما يرسخ في نفوس الناس أن هذا عدو كما قال في آية أخرى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً} (فاطر: من الآية٦)، على أساس أن هذه قد تصرفك فعلاً عن طريقة الشيطان؛ لأنك تعرف هذه الطريقة على رأسها الشيطان، والشيطان هو عدو، وهو خبيث، وكل ما يأمر به فحشاء ومنكر، كل ما يوجه به سوى، كله شر، ربما قد تنصرف عن طريقته لكراهيتك له، ولمعرفتك بأنه سيء، فأن يكون هناك على رأس طريق الشر، طريق الضلال، طريق الباطل، فهذه أيضاً تشكل إيجابية للإنسان هو، إذا اتخذ هذا عدواً ستدفعه عداوته له إلى أن يبتعد عن طريقه.

وهذه قضية ملحوظة بالنسبة للناس، الإنسان الذي يعادي شخصاً آخر يحاول أن لا يأتي إلى دكانه ليشتري منه، يحاول أن لا يركب في سيارته أحياناً، يحاول أي شي حتى لو كان مسجد، لو بنى مسجداً لا يصلي فيه؛ لأنه يكرهه، ولا يعجبه أي رأي من عنده، لو قدم رأياً سيذهب يعارض هو، حتى لو كان رأياً صحيحاً، لو كان رأياً صواباً، أليست هذه القضية معروفة؟ أن عداوتك لشخص معين تكون عادة بالشكل الذي يصرفك عن الطريقة التي يسير عليها؟ فمن إيجابية أن يكون الشيطان موجوداً هي هذه: أن يكون علَماً لطريق الباطل، ويقول للناس هو عدو، عدو مبين، ويعرض عداوته بصور متعددة داخل القرآن، بدءاً من أيام آدم ومن بعده، فإذا أنت تتخذه عدواً، وتعرف أنه عدو، ستبتعد عن إتباع خطواته، وتبتعد عن وساوسه، وترجع إلى طريقة الله سبحانه وتعالى.

الشيطان لا يكون معه سلطان، لا يأتي يقسر الواحد قسراً، يغصبه غصباً، على أساس أنه يمشي في طريقته، وسوسة، إذاً لا يؤثر الشيطان إلا في من؟ في من هم مبتعدون عن هدى الله، فيصبحون أولياء للشيطان، ويصبح الشيطان والشياطين من بعده أولياء لهم، {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} . يعني عندما تتأمل أن وجود الشيطان له إيجابية من هذه الناحية، الله هو رحيم بعباده، لو أن الشيطان بالشكل الذي لولا هو لكانوا صالحين، لكانوا شبيهين بالملائكة لما أوجده، لما أنظره. فنجد طريقة الله سبحانه وتعالى أنه يأتي بالأشياء الكثيرة التي فيها هدى للناس.

إذاً طريق الباطل تحتاج إلى أن يكون على رأسها شخص يقال هو عدو لي، ودائماً يعمل ليضلني هنا، ويدعوني لأكون من أصحاب النار. إذاً سأكرهه، أعاديه، وبالتالي سأبتعد عن طريقته، أليست هذه إيجابية في الموضوع؟ ليست القضية أن الله ابتلى الإنسان بالشيطان، ولولا الشيطان لكانوا سيصبحون باهرين، أبداً.

يبين الشيطان نفسه أنه يخسر دائماً، يخسر هو، لاحظ كم حاول في آدم وجلس يتردد عليهم، وغرور، وأيمان فاجرة، وفي الأخير ما الذي حصل؟ حصل نتيجة بأن خرجوا من الجنة، لكن غفر الله لهم، وتاب عليهم، ورعاهم، الشيطان ألم يخسر هنا؟ يخسر، بل قالوا إنه يصيح عندما يستغفر الإنسان، عندما تحصل مثلاً منك خطيئة وتستغفر الله؛ لأنه يرى بأنه قد تعب كثيراً وهو يحاول يدخلك في معصية، وفي الأخير لا يدري إلا وقد أنت تستغفر، وتتوب إلى الله، وذهبت كل جهوده تلك سدىً.

في بعض الأدعية بهذا المعنى أنه لولا الشيطان استمالهم عن طاعتك، وكذا.. لكانوا كذا.. وكذا.. هذه أعتقد بعيدة جداً لمن يتأمل القرآن الكريم بعيدة؛ لأنه هل معقول أن هذا الإنسان، أنه لولا الشيطان لكانوا سيصبحون ملائكة، لما خلق الله الشيطان، لما أنظر الشيطان نهائياً، لكن هناك إيجابية لوجوده، إيجابية لوجوده، ودائماً إذا أنت تفهم بأنه عدو ستبتعد، وهذه قضية فطرية عند الناس، أليست قضية فطرية؟ فطريق الحق يضع لها أعلاماً تحبهم وتتولاهم، يقدم لك كيف أنهم حريصون عليك، رحماء بك، ما هكذا قال عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة:١٢٨) **هذا علم لطريق الحق، أليس بالشكل الذي تحبه فتنجذب لطريقته؟ والشيطان هناك، نوعية سيئة، يقول لك: هو عدو مبين، يأمر بالسوء والفحشاء، وكله شر، ابتعد عنه تعرف أنه هكذا، يعني: يساعدك على الابتعاد عن طريقته.**

عندما تهّم بالدخول في معصية، وتعرف بأن الشيطان الذي يحاول يدفعك إليها، ويوسوس لك، أو على أقل تقدير أن الشيطان سيرتاح، وأنت تعادي الشيطان ستبتعد عنه، لا يمكن عمل حاجة تريح الشيطان الذي هو عدو، حتى لو لم يوسوس هو، لو لم يتدخل في القضية التي بخصوصها يوسوس لي وأنا أعرف بأنه سيرتاح جداً [ويكيِّف] عندما أعمل معصية وهو عدو مبين سأبتعد عنها؛ لأغيظه، لأن لا أدخل السرور على قلبه.

تلاحظ كيف أنه من الأشياء العجيبة: أن الله يقدم هداه بالشكل الذي لا يمكن لأحد أن يعيق عنه تماماً، إلا إذا هناك استجابة من جانب الناس هم لمن يعملون للصد عن سبيله، ويشكلون عوائق، إذا هناك استجابة هم من جهة أنفسهم، وإلا فلن يكون لأحد سلطان عليهم، لا الشيطان، لا الملأ الذين استكبروا، أي شيء آخر لا يمكن، ولا أعداء.

هذه الطريقة ناجحة، يمشي من يمشي عليها، ويشق طريقه، ويجعل كل الأعداء بدءاً من الشيطان، وكل الموسوسين، وكل المنافقين، وكل المزينين، كلهم يتهمشون، كلهم يخسرون، إلا إذا عندك استجابة أنت؛ ولهذا كان يهلك الأمم التي يذكر بأن الملأ الذين استكبروا وكانوا هم الذين ينطلقون ويصدون إذا الآخرين ماذا؟ يمشون معهم، يستجيبون لهم، الشيطان نفسه يستجيبون له، وإلا فهو ليس بالشكل الذي يستطيع أن يصد الناس، ولهذا قال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل:٩٩-١٠٠) .

إذاً هذا موضوع الشيطان هنا باختصار قال: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ....} إلى آخرها ،وكيف انتهى به الموضوع فأصبح لا وزن له، ولن يكون له وزن، لا هو ولا من اتبعه، وهنا قال: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ} لن أجعل لك وزن لا أنت ولا من اتبعك، وجهنم مكان الذين لا وزن لهم.

يأتي الكلام حول آدم: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} (الأعراف: من الآية١٩)، **شجرة واحدة لا تقربوها، {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}** (الأعراف: من الآية١٩) **هنا يبين لنا من أول شيء بأن الشيطان الذي أقسم بأنه سيتحرك ليغوي، أن الله لا يترك الناس دون أن يبين لهم أن الشيطان عدو، ويبين لهم كيف**

يعملون، كيف يسيرون، {وَ}قلنا{يَا آدَمُ} هذا معناها، {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}، أليس هذا بيان؟ لا يقول بأنه يترك الإنسان هناك لا يبين له، ولا يهديه، لا يوجهه، ولا يأمره، ولا ينهاه، فيأتي الشيطان إليه فيخدعه، وهو كان من قبل فاضي ليس معه أي توجيهات! هذه لا تحصل. الشيطان لا يستطيع، إلا إذا حصل ثغرة من عندك أنت؛ ليكون له مدخل عليك، ربما يضربك، ليس معناه أنه يأتي تقصير من جهة الله في موضوع التبيين، في موضوع التوجيه، فبسبب التقصير نفذ الشيطان إلى الناس.

نفس الآيتين هذه، آية: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}، وآية: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}، تقدمان لنا نموذجاً بأنه هكذا سنة الله سبحانه وتعالى، يبين كمال التبيين، الشيطان امتنع عن السجود بعد أن أمره هو: {إِذْ أَمَرْتُكَ}، آدم ارتكب الخطيئة هو، وزينها الشيطان له، بعد أن نهاه هو: {وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}.

لم يكن الخطأ الذي حصل من إبليس، وكذلك الخطأ الذي حصل من آدم، بسبب أنه حصل تقصير في تبيين الله، أو بسبب تقصير في هداه أبداً، هذه تضرب من يقولون: بأنه[نحن كُلفنا، ولم تأت أدلة تفيد العلم بما كلفنا به، فما بقي إلا نشتغل على ظنوننا]،لا توجد رؤية صحيحة! هذا يبين لك سنة الله مع عباده، مع خلقه، أنه يبين على أعلى مستوى، ويوضح بالشكل الذي لا يبقى للإنسان عذر، ولا للشيطان نفسه عذر{إِذْ أَمَرْتُكَ}، وفي آية أخرى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (ص: من الآية٧٥) **ألم يقل هكذا؟ في آية أخرى أيضاً ينبه آدم بـ{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}** (الأعراف: من الآية٢٢)، **لا تقربا هذه الشجرة، الشيطان قد يحاول أن يحملكم على أكلها ويخرجكم من الجنة هذه فتشقى، هو لكم عدو مبين، أليس هذا تبييناً كاملاً؟ تبيين كامل، هذه هي سنة الله في هداه، فمن أين جاءت بأنه [لا يوجد أدلة تفيد العلم ..] مع ما قد يكون ربما أرقى وسائل الهدى، أرقى، وأكمل، وأشمل، باعتبار سعة الحياة، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكتابه القرآن، ثم يأتي من بعد من يقول: [لا يوجد أدلة تفيد العلم، لا يوجد أدلة نعرف ماذا كلفنا به]! أليس هذا يعتبر جهلاً فضيعاً جداً بسنة الله سبحانه وتعالى في موضوع الهداية، أنه يبين على أعلى تبيين؟!.**

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} (الأعراف: من الآية٢٠) **قد هو عارف أنه إذا نجح ستحصل عاقبتهم كذا وكذا، وهم قد أُفهموا هم بأن الشيطان إذا غلبهم وأكلوا من الشجرة سيخرجون من الجنة، {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ}وسوس، وهناك تبيين واضح، لاحظ الفارق ما هناك فارق كبير؟ لأن الخلل يأتي من عند الإنسان هو، هناك خطاب إلهي واضح، وهناك: {فَوَسْوَسَ}، {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} وليس لأنه يريد لهما نتيجة طيبة، هو يريد أن يشقوا، هو عدو، قد عرف بأنهم فيما إذا أكلوا من الشجرة، سيطردون من الجنة، وتنزع عنهم ملابسهم، هو حريص على أن يوقع الإنسان في هذا، حتى لو ما عنده أنه قد يكون من ورائه أيضاً النار، من وراء ارتكاب هذه المعصية، لكن فائدة... هذا عدو مبين يحاول يشقيك بأي طريقة، ولو لم يكن إلا هنا، في الحياة هذه.**

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} (الأعراف:٢٠) **يعني: {إِلَّا} لأن لا {تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}.**

{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف:٢١) **هنا أيضاً قدم للناس من بعد آدم ـ بالنسبة لآدم مشت عليه الحيلة هذه ـ بأنه هكذا تضليل إبليس، وكل من في خط إبليس، يأتي بعناوين جذابة، يأتي تحت أغطية يبدو وكأنها نصيحة، وخير، ومصلحة، وفي الأخير{قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}، بعد أن كشف واقعه هو {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} واقعه هكذا ليس ناصحاً، ومع هذا يقسم لهم بأنه ناصح .**

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} (الأعراف: من الآية٢٢) **والموضوع هذا يدل على أنه تردد عليهم كثيراً، ما كأنه في حالة واحدة، عندما تتابع القصة هذه في أكثر من سورة، وكأنه تردد عليهم فترة وهو يحاول يخدعهم{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} دلاهم:**

قربهم إلى أن يرتكبوا هذه الخطيئة، بأشياء هي غرور، خداع، {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (الأعراف: من الآية٢٢) **أليس هذا تبييناً كاملاً؟ تبييناً واضحاً، بعبارات واضحة تماماً. وقعوا، وفعلاً وقعوا في الشقاء الذي حذرهم بأنهم إذا أكلوا من الشجرة سيقعون فيه، أخرجوا من الجنة، ونزعت عنهم ملابسهم، لم يبق لهم حتى ولا الملابس، {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ} يسترا سوءاتهما.**

هذا يبين بأن المعصية نفسها، المعصية هي تحط حياة الإنسان إلى درجة تبدو وليس لها وزن، تشقي الإنسان، المعصية ليس فقط قضية العقاب الأخروي عليها، بل في الحياة هنا، في الحياة هنا، أن لمعاصي الناس أثراً سيئاً فيما يتعلق بشقاء الحياة، كما يأتي في آية أخرى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤) .

{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الأعراف:٢٣)، **لاحظ هنا كيف وقعوا في الخطيئة، وتجلى لهم فعلاً بأنه جاء التقصير من عندهم، وهم الذين ظلموا أنفسهم، ليس عنده تقصير على الإطلاق، هذه تحكي سنة: أن الإنسان هو الذي يظلم نفسه، سيأتي في آيات أخرى يبين بأنهم هكذا، مثلما قال سابقاً بالنسبة للأمم: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}** (الأعراف:٥) **أما من جهة الله فلا يظلم أحداً، لا أمة، ولا فرد، هو غفور رحيم، هو عندما رجعوا إليه تاب عليهم .**

{قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} (الأعراف:٢٥) **هنا قدم نموذجاً، كيف أنه عندما خالف آدم وزوجته ما نهاهما الله عنه كيف أنهم وقعوا في ماذا؟ في انحطاط بالنسبة لحياتهم، هذه لها علاقة بموضوع أول السورة، الوزن، وزن مادي، ووزن معنوي، عندما كانوا في الجنة، أليس هذا يعتبر ثقلاً مادياً؟ {وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا}** (البقرة: من الآية٣٥) **ملابس متوفرة، وأكل متوفر، ونعيم متوفر، ارتكبوا الخطيئة، حصل هبوط في هذا الجانب، ألم يحصل هبوط؟ هبوط اقتصادي؟ أليسوا يعتبرون هذا؟ أليسوا يسمونها موازنة؟ ويسمونها هبوط وصعود اقتصادي؟ حصل هبوط، يخرجون إلى الوضع الآخر، للحياة هذه، ويكُدُّ، ويشتغل .**

ربما كانت هذه الجنة ليستقر فيها هو وزوجته حتى يتكاثروا، ويتفرعوا تلقائياً إلى باقي الأرض؛ لأنه هو وزوجته ما قد عندهم قدرة على أنهم يعملون، ويتحركون، تتوفر الأشياء هذه، وينجبون، ويفرخون في باقي الأرض، ما كأنها الجنة الحقيقية، الجنة الموعودة للمتقين، جنة في مكان من الدنيا، يستقرون فيها، وأصل مهمتهم ليس ليستقروا في تلك الجنة، مهمتهم استخلاف في هذه الأرض، لكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يهيئ لهم مكاناً، تتوفر حاجتهم فيه؛ لأنه ما قد وجد إلا هم، هو وزوجته، ما قد باستطاعتهم يعملون شيئاً، لكن حصل منه الخطيئة فخرج، يخرج [يلهم الله] يبحث كيف يعمل ليأكل، وكيف يزرع .

{قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ألم يقل للشيطان هناك: {اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً} (الأعراف: من الآية١٨) **؟ وآدم خرج من الجنة هذه، وسيكون بعضهم لبعض عدو، إبليس مع بني آدم سيكونون متعادين، {وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} إلى أجل محدود. {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} بالنسبة لبني آدم {وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} من نفس الأرض هذه، وكأنها هي التي ستكون ساحة، تكون ساحة هي للمحشر، نفس الأرض هذه، بعد أن تُعَدَّل، وتُسَوى، وتُبَدَّل بغير الوضعية هذه التي هي عليها.**

ماذا فهمنا هنا من موضوع إبليس؟ موضوع إبليس أليس من النوعية الذين يجعلهم الباري أولياء للذين لا يؤمنون؟ من النوعية هذه، إبليس والشياطين من الإنس بما فيهم كبار الشخصيات الذين قال عنهم: الملأ الذين استكبروا، الكبار من المجرمين، هم في واقعهم لا يكونون حريصين على مصلحة الناس، هذا أول قضية؛ لأنه لاحظ كيف قال عن إبليس بأنه يحاول يتردد على آدم وزوجته؛ {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا} (الأعراف:

من الآية٢٠) يعني ماذا؟ ليشقيهم، ليوقعهم في الشقاء، لكن منطقه يقدم بأنه ماذا؟ ناصح، وأنه يريد أن يكونا ملكين، وأن يكونا من الخالدين .

إذاً أنت ترجع إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي يقول للناس أن يتولوه هو، أنه سيكون رحيماً بهم، ورءوفاً بهم، وينعم عليهم، ويكرّمهم، وأشياء كثيرة، فلماذا يتخذ الإنسان الآخرين أولياء من دون الله؟ أليست بداية السورة؟ لماذا يتخذ الإنسان الآخرين أولياء وهم عادة ليسوا ناصحين؟ وبرزت هذه في كثير من مسيرات البشر، أنهم يقدمون أنفسهم ليتولاهم عامة الناس، من الكبار السيئين الذين هم في الواقع، وهم يصدون الناس عن سبيل الله إنما يحافظون على مصلحتهم هم، ويعرفون أن القضية هذه فيها هلاك هؤلاء، فليهلكوا، لا يبالي بأن يهلكوا.

تلاحظ هنا كيف ذكر موضوع الملابس، موضوع اللباس نفسه، أليس الشيطان حاول أنه يخلع عنهم ملابسهم؟ الله يقول: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ} (الأعراف: من الآية٢٦) وعندما يتولاه الناس يخلق لهم الأشياء الكثيرة التي منها يصنعون ملابسهم؛ ليواروا سوءاتهم، وأعداؤكم الذين قد يتخذونهم أولياء من دونه، يحاولون أن ينزعوا عنهم حتى ملابسهم، حتى يخلعوا ملابسهم من فوق أجسادهم، لكن لن تكون سوءاتكم مستورة إلا إذا هناك تقوى، لباس التقوى، آدم معه ملابس لكن ما حصل تقوى، تقيه مكر إبليس، فنسي ـ كما قال عنه في آية أخرى ـ نسي ما أكد عليه في موضوع أن الشيطان عدو، فلم تنفعه ملابسه، خلعت .

{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى} (الأعراف: من الآية٢٦) من الأشياء التي تعتبر كماليات {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} التقوى في الأخير تشكل لك مناعة من أشياء كثيرة، الأعداء دائماً هم يريدون أن يوقعوك فيها، التقوى مثلما قال الإمام علي: ((أنها حمت أولياء الله محارمه)).

{ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} (الأعراف: من الآية٢٧) بعدما ذكر ما عمل مع أبوينا {كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} (الأعراف: من الآية٢٧) يعني: هو عدو يحاول أن يفتنكم، يوقعكم فيما هو شقاء. {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} (الأعراف: من الآية٢٧) فكونوا على حذر منه، لا يكن عندك أن ما هناك شيطان؛ لأنك لا تراه، ربما أنها نعمة أن الإنسان لا يراه، وإلا من يكن واحد يرى زحمة شياطين عليه ويتأثر، مزدحمين عنده، لاحظ إذا تجمعوا عليه اثنين أو ثلاثة شياطين من الإنس، أليسوا يؤثرون؟ شياطين الإنس يؤثرون؛ لأنه يراهم، يراهم يزدحمون عليه، وهذا كلمه هنا، والثاني كلمه هنا، وأحيانا يكلمونه في مجلس واحد....

{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف:٢٨) كيف تقولون على الله هذا الكلام بعد أن قدم القضية بالنسبة لآدم، أليس الذي رعى آدم ونبه آدم من هذا العدو ثم بعد أن وقعت منه الخطيئة تاب عليه، كيف تقولون بأن الله هو الذي يأمركم بالفحشاء؟! هو الشيطان الذي قال عنه هكذا في آيات أخرى بأنه يأمركم بالسوء والفحشاء.

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} (الأعراف:٢٩)، أمر بالقسط، وأمركم بالتوجه لعبادته. {فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأعراف:٣٠) إذاً فهذا مما يبين فضاعة الضلال، أنك وأنت في الضلال معناه ماذا؟ أنك أصبحت ولياً للشيطان، وما أسوء أن يكون الإنسان وليه الشيطان؛ لأن هذه في حد ذاتها تعتبر عقوبة على الضلال نفسه، أن يكون الضلال الذي أنت فيه يجعلك ولياً للشيطان .

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف:٣١)، دائماً يذكر بالنسبة للدين بأنه لا يحول دون اللباس الجيد، دون الأكل من الطيبات، يعني: لا يأتي دينه على أساس أنه يحرم الناس من اللباس، فقط الضلال والشيطان الذي يحاول أن يحرم الناس منه، أما الله فيقول للناس هذا

الدين الذي تتجهون عليه هو أيضاً وسيلة من وسائل البركة والخير لكم، مثلما جاء في آية أخرى بعد أن ذكر ما حصل للأمم التي أعرضت عن هداه.
{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} إذاً أليس الله سبحانه هو الولي الذي يريد لعباده، بل وقّر لعباده هو حين قال في الآية السابقة: {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ}، هنا يقول: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} بينما العدو الآخر الشيطان وأوليائه يريدون للإنسان بأن يشقى، لا يحصل على ملابسه إلا غصباً، لا يحصل على أكله وشربه إلا بتعب شديد.
{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف:٣٢) فيجب أن نعلم بأن دين الله ليس معناه بأنه يكون نتيجته أن نحرم من الطيبات، وأن نحرم من اللباس، طيبات الملبس، والمأكل، والمشرب، وغيره.
إذاً ليس في الدين حرج، هل فيه حرج؟ هو قال في المقدمة: {فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} (الأعراف: من الآية٢) هنا يبين بأنه لا يؤدي هذا الدين إلى حرج أبداً، لا يؤدي إلى الحرج والشقاء إلا خطوات الشيطان عندما يسير الناس عليها، هذا أول مثل حصل لآدم .
{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} (الأعراف: من الآية٣٣) والفواحش هي تضر بحياة الناس، هي تؤثر على استقامة حياتهم{مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: من الآية٣٣) إذاً هذه القائمة هل هي قائمة تجعلك تنصرف عن من يدعوك إلى هذا الدين؟ الشيطان ـ يقول ـ هو عدو مبين، قال بالنسبة لمؤامرته على آدم وزوجته: أنه يريد أن يخرجهم من الجنة ويبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، بالنسبة لدين الله إنما حرم الأشياء التي تعتبر ضارة، تعتبر خللاً كبيراً في حياة الإنسان: {الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}. إذاً هل امتناعنا عن هذه الأشياء يعتبر حرجاً؟ أو أنها هي التي توقع البشر في حرج، هذه الأشياء: الفواحش والإثم والبغي.. إلى آخره .
{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} (الأعراف:٣٤) يجعل لها أجلاً، خلال فترة الأجل يقدم لها الهدى والبيان، وأشياء كثيرة جداً حتى ينتهي الأجل، {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ} ثم تضرب. وهذه آية هامة بالنسبة لأن يفهم الإنسان فيما يتعلق بمسيرة الحياة، أحياناً يسيطر على ذهنية الإنسان بأنه هذا طابع مستمر هكذا، لا، الأمم كلها لها أجل، ألسنا الآن نقرأ في التاريخ من خلال ما قدمه القرآن الكريم أمم وانتهت، ثم من بعد في تاريخ الإسلام أمم كانت إمبراطوريات قائمة ثم انتهت.
{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الأعراف:٣٥)، يقصون عليكم آياتي، ويجب أن تفهمها بأنها على وفق تلك السنة، وهو يبين لإبليس، ويبين لآدم وزوجته على أرقى مستوى{يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}[ليس فقط آيات غامضة، أو خطف، أو إذا صادف تلحق النبي وتبحث عنه أين هو في أي الغابات، ربما يطلُّ عليك من أي مكان ويعطيك كلمة ثم يضيع عليك] يأتون هم ويقصون عليكم آياتي، أليس هذا يعني: أن سنته تقوم على التبيين الكامل. إنما فقط عند الإثنا عشرية الذين سبرت المسألة لديهم، عندهم محمد بن الحسن أنه الإمام الثاني عشر ـ ويبدو أنه لم يوجد نهائياً ـ هو قرين القرآن، وهو يمثل عترة رسول الله، وهو الحجة على الناس، ولا تدري أين هو، ولا تستطيع تأخذ منه كلمة، أو تبحث عنه أين هو، نهائياً!.
لا، هذه سنة الله بالنسبة لرسله، وبالنسبة للهداة من عباده، عمل مباشر، يباشرون الناس مباشرة{يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (الأعراف:٣٦) يعني: الله يذكر بأنه هو، هو سبحانه وتعالى الذي يأتي من جانبه ما يبين للإنسان الطريقة التي يسير عليها في هذه الحياة: {إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}أليس

معنى هذا أنها قضية بيد الله هو، أطراف أخرى خارج عن هذه السنة لم يبق لهم إلا افتراء على الله، يأتي بعدها: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً}، إما افتراء بالشكل الذي يبدو وكأن الله قصر في التبليغ، أليس هنا يذكر بأنه يرسل رسلاً {يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}؟ وهذه للأسف حصلت داخل المسلمين! أو يبتعد عنهم فيقدم شيئاً من جانبه. إذاً فهو مفتري على الله، يبتعد عن الرسل، ويقدم أشياء هو للبشرية من عنده.

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} (الأعراف: من الآية٣٧) يبدو أنه نصيبهم مما قد كتب؛ لأنه هناك قال: {لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ} (يونس: من الآية٤٩)، فعندما تنطلق الأمة وهذه حصلت في داخل بني إسرائيل، وحصل بالنسبة للمسلمين أيضاً من بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) انطلقوا انطلاقة وكأن الله حصل من جانبه تقصير، أو نقص في موضوع البلاغ بالنسبة للناس، فانطلقوا هم.

إذاً هذا الشيء الذي انطلقوا فيه هو في الواقع يعتبر مبنياً على افتراء على الله، وصرحوا بالعبارة هذه، العبارة التي نقول عنها في كثير من الحالات نقول: لماذا نضطر أنه كل واحد يحاول أن يبحث ويعتمد على ظنه، وكل مجتهد يعتمد على ما غلب في ظنه وهو يبحث؟ لأنهم قالوا: غابت القضية، يعني رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مات فما بقي إلا هكذا، ما بقي وحي، ما بقي نبوة، لم يبق طريقة نهائياً، أليس معنى هذا افتراء على الله؟ مع أنه معلوم أن هذا الكتاب للناس إلى آخر أيام الدنيا، ورسول الله رسول للناس إلى آخر أيام الدنيا، أليس هذا معلوماً؟ عندما ينطلقون الانطلاقة هذه: كل واحد يشتغل من عنده وعلى أساس افتراء على الله بمعنى ماذا؟ أنه قصر في التبليغ، بل قالوا: بأنه ما جاءت أدلة تفيد العلم، وإنما فقط قد عرفنا أننا مكلفين، ولم ندر ماذا كلفنا به، فما بقي إلا كل واحد يقوم هو! حتى في الأخير وبعبارة تبدو فعلاً تدل على مشاعر سيئة نحو الله، في الأخير قالوا: إذاً فيجب على الله أن يقبل ما أدى إليه نظر أي واحد منا، قالوا بهذه العبارة: [مراد الله تابع لمراد المجتهد]؛ لأنه إذا كان لم يبق إلا ما غلب في ظننا الذي هو مبني على أمارات، وقرائن وأشياء من هذه، إذاً فما يصح أن الباري يعذبنا ولم يبين لنا هداه، فما بقي إلا أن يقبل ما وصل إليه ظن كل واحد منا!!.

ثم طلعت عبارة بأنه ما توصلت إليه أنت هو الواجب بالنسبة لك، هو الحق بالنسبة لك، لماذا؟ ما مع الباري إلا هكذا؛ لأنه لم يبين! هنا قدمها بأنها تعتبر افتراء على الله، الله يقدم من أول عملية مع آدم، ومع إبليس أنه يبين على أرقى مستوى، وهنا العبارة يقدمها على أرقى مستوى: {إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}، أليس هذا يعني بأنه سيقدم هداه بشكل واضح ؟.

ثم يأتي بعدها: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} (الأعراف: من الآية٣٨)، أيضاً أهل النار هم في أسوأ حالة، يكونون فيما بينهم دائماً متلاعنين، متشاتمين، وكل واحد يحمل الثاني المسئولية {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} إعطهم عذاباً أكثر منا {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ} (الأعراف: من الآية٣٨) هم لهم ضعف، وأنتم لكم ضعف لإتباعهم.

{وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} (الأعراف:٣٩)، فتلاحظ كأنه بالنسبة لأهل المحشر جميعاً، أن الله قد ذكر في آياته أنه سيبين للناس ما كانوا فيه يختلفون، فيعرفون بأنه إذاً أولئك الذين أضلونا ولو كانت أمة متقدمة. {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا} قد صاروا عارفين من خلال التبيين الذي حصل في المحشر، قد عندهم عداوة شديدة، وحقد عليهم، قد هم يريدوا أنه ماذا؟ يزيد لهم عذاباً؛ لأنهم أضلوهم، {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ}، أنتم من الذي قال لكم تمشون بعدهم، وهي تأتي آياتي بينات، كما قال هناك: {رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}. {وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ} بأن

حصل لكم تخفيف، أو حصل.. {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} الذين أضلوهم في الدنيا هذه أيضاً يوم القيامة يغيظونهم في داخل جهنم .

هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة التي فيها: {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} (الأعراف: من الآية٣٧) وهنا بين بأنه يبدو بشكل بشر، أو إنس وجن {رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا} (الأعراف: من الآية٣٨) يعني ليست القضية فقط قضية أصنام، ليست المسألة فقط مسألة أصنام، فيها مضلين من البشر، ومضلين من الجن، فهنا يبين بأن من يتخذونهم أولياء من دون الله هكذا سيوصلونهم إلى أسوأ موقع، بل في جهنم أيضاً يقولون لهم من هذه العبارات القاسية: {وَقَالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} (الأعراف:٣٩).

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} (الأعراف:٤٠) ، هذا للتيئيس ـ الذي يسموه ـ أو للتأييس، لا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط، بمعنى كيف؟ مثلما نقول: في [خذلة المريب] هل الجمل يمكن أن يدخل في [خذلة المريب]؟ لا يدخل الخيط إلا غصباً. {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} (الأعراف:٤١) نعوذ بالله، من فوقهم ومن تحتهم، النار تكون من فوقهم ومن تحتهم .

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (الأعراف: من الآية٤٢) ما الذي يجعل الإنسان ينصرف إلى أن يتخذ أولياء من دون الله، ويسير في طريق الشياطين؟ هل لأن الله يكلفه بما لا طاقة له به فانصرف، هنا يقول: الله لا يكلف الإنسان إلا وسعه، يعني: أن كل ما قدمه لنا من دينه هو في وسعنا أن نعمله .

سابقاً ـ قد تحدثنا حول آية مثل هذه، عندما يقول البعض: إن الله يقول: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: من الآية٢٨٦) هذا صحيح لكن لا يفهموها بالمقلوب، افهم بأن أمامك تكليفات على نفس العبارة هذه، أي أشياء مطلوب منك أن تسير عليها، وتلتزم بها، فكل ما رأيته هو مما في وسع الناس أن يعملوه، ما معناه عندما يأتون ينظرون إلى آيات هنا، إلى أوامر وتوجيهات، ثم يقيدونها بأن الله لا يكلف الإنسان إلا وسعه، ثم ينطلق هو فيرى أن ليس بوسعه هو، باعتبار آليات معينة، وأشياء معينة!

لا، إن الحقيقة ـ وهذه الآية واضح فيها ـ عندما يقول: {لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (الأنعام: من الآية١٥٢)، يعني: ما قدمناه للناس، ما ألزمنا به الناس، ما أمرناهم به، ما نهيناهم عنه، هو في وسعهم، هو في وسعهم، والسورة من أولها تذكر بأن هذه المهمة الكبيرة التي كلف بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أن ما هناك أحد منا قد نقول أن مهمته مثل مهمة النبي، أليست مهمة كبيرة؟ هي نفسها هذه المهمة الكبيرة، لم تكن بالشكل الذي توجد حرجاً في صدره، وهي ما تزال في وسعه. فنفهم الآية على أصلها، نقول: صحيح، إذاً فلننطلق منها فكل ما وجدنا الله أمرنا به، وجهنا إليه، نهانا عنه، أنه في وسعنا أن نلتزم به؛ لأنه لا يكلف إلا بما فيه وسعنا، الذي ليس فيه وسع نهائياً لا يكلف به من البداية، الذي ليس في وسع الناس لا يكلف به من البداية .

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} (الأعراف: من الآية٤٣) ما كأن الآية تعني: أن فيهم غل على بعضهم بعض، المؤمنون لا يقدمون بأنهم فئات في نفوسهم غل على بعضهم بعض، إلا إذا هي حالات نادرة جداً، غل من آثار الحياة هذه، غل من شقاء الحياة هذه التي كانوا يعيشون فيها، أليس المؤمنون قلوبهم مليئة غل، غلّهم الآخرون؟ ولهذا يذكر في القرآن: {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ}، {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} (التوبة: من الآية١٥) لأن هناك في الجنة ينزع الآثار من النفوس بعد الحياة هذه، والجنة ليس فيها أي غل، لا يوجد فيها أحد يقدم أشياء تغيظك نهائياً .

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} (الأعراف: من الآية٤٣) كيف العبارات هنا بالنسبة للمؤمنين؟ هنا يقدم المؤمنين نوعية واعية فاهمة، فهموا موضوع الهدى، موضوع طريق الجنة، أن طريق الجنة يبدأ من أين؟ من طريق التوجه إلى الله، وأنه هو الذي يمنح، يعني: أنك تركز أنت أن تكون متوجهاً إلى

الله وتسأله هو رضاه وجنته، تسأله هو أن ينجيك من سخطه وعذابه، أنه هو الذي يهديك إلى طريق جنته، ليست القضية مثلما تقدم بشكل آخر، منهجية أخرى أنت الذي تجمع لك للجنة على ما قد قالوا لك، وناسي الله هناك، لا يوجد التفات بالشكل الصحيح، ولهذا قدم حتى في الأعمال أن الإنسان يتوجه بها إلى الله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٠٧)، وهكذا في كثير من العبادات .

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} هدانا إلى هذه الغاية، {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} ماذا تعني العبارات هذه؟ إذاً فليكن توجه الإنسان إلى الله، أنه هو الذي يهديك، هو الذي يوفقك هو الذي يرشدك، ويرعاك، ويتوب عليك، ويغفر لك، وأشياء كثيرة.

{لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} (الأعراف: من الآية٤٣) ولاحظ كم الفارق بين عبارة: {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} عندما يقولها أهل الجنة وعندما يقول الآخرون: {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى} (غافر: من الآية٥٠) كما سيأتي بعد، أهل الجنة يقولون لأهل النار: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ} (الأعراف: من الآية٤٤) {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا} (الأنعام: من الآية٣٠). إذاً فأين أفضل أن تقول العبارة هذه وأنت في الجنة، أو أن يكون الإنسان في النار، أو يسحبون به إلى النار، نعوذ بالله؟.

هنا: {لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ} (الأعراف: من الآية٤٣) كأن هذا أيضاً من التكريم لأهل الجنة، يبين لهم قيمة عملهم: {أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأعراف: من الآية٤٣) لأن الله هكذا يجعل الإنسان يرتاح نفسياً فيرضى عن نفسه أنه عمل أعمالاً عظيمة، لكن هو في توجهه على النحو السابق: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} .

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً} (الأعراف: من الآية٤٥) هذا استكمال للعبارة، لا يبدو أنها مما يقوله من حكى الله بأنه سيؤذن فيقول: لعنة الله على الظالمين، لم يعد هناك سبيل يصدون عنها، وعوج إلى آخره، قد العُوج هناك، قد تجمعوا في جهنم .

يأتي هذا الأسلوب في القرآن الكريم استفساراً لعبارة معينة: من هم الظالمون؟ {الَّذِينَ يَصُدُّونَ} هنا في هذه الحياة {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ}، {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} (الأعراف: من الآية٤٦)، الله أعلم كيف قد تكون وسيلة النداء، ليس المعنى أن الجنة والنار متقاربة، يكون هناك وسائل اتصال.

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ} (الأعراف: من الآية٤٦) كأن هذا في ساحة الحشر. {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} (الأعراف: من الآية٤٦) هؤلاء الرجال كأنهم متميزون، الله أعلم ما هو الذي ميزهم يكونون هم على الأعراف، كأنها أماكن مشرفة يرون أهل النار ربما كأنهم يُمَيزون يحشرون هناك يتجمعون مثلما جاء في سورة [مريم]، ويرون الذين قد هم إلى النار والذين قدهم إلى الجنة. {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} رجال الأعراف، الذين على الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم، بعلامات معهم مميزة. {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}، أن سلام عليكم، أي السلام عليكم أنتم أهل الجنة.

هذا يبين بأنها حالة شديدة، نعوذ بالله من هذه الحالة، أن أهل الجنة يكون يطمع أنه قد دخل، لم يدخلوها بعد، وهم يطمعون أن يدخلوها، لو أن العبارة مثلاً: أن سلام عليكم أنتم أهل الجنة، أهل النار لن يدخلوها، أي لن يدخلوا الجنة، لا تخافوا أنهم سيدخلون الجنة معكم، لجاء بعبارة: لن يدخلوها، وليس لم يدخلوها.

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا} (الأعراف: من الآية٤٧) هؤلاء كأن الأشياء التي يعملونها طمأنة، أن سلام عليكم، يطمأنون المؤمنين؛ لأنه موقف مخيف جداً، فأولياء الله يأتي لهم طمأنة من جهة هؤلاء الناس الذين هم مشرفون على الأعراف. {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ} قد خافوا هم من شدة الهول، {قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأعراف: من الآية٤٧) نفس أصحاب الأعراف الذين يطمأنون أهل

الجنة عندما يرون أهل الجنة يقولون سلام عليكم، ويتجهون هناك فيرون حالة رهيبة {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

الإنسان يتصور الحالة هذه، كل إنسان يتصور الحالة هذه؛ لأن من سيحشرون بشر، وكل واحد سيحشر، وربما قد يكون هنا، أو هنا فينتبه وهو ما زال في الحياة هذه. الله يوفقنا جميعاً. هذا يدل على أنها قضية مخيفة جداً، أصحاب الأعراف قد هم ناس مطمئنين، قد هم يطمأنون الآخرين لكن هنا خافوا حقيقة.

{وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأعراف:٤٨)، **هنا ـ أيضاً ـ يبكتونهم في ساحة الحشر: {أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ}** (الأعراف: من الآية٤٩) **يذكرون الآخرين بمن قد هم مكتوبين إلى الجنة، قد هم من أهل الجنة، كأن هؤلاء الذين قد هم من أهل النار وأصحاب وجاهات كبيرة وعندهم أنه قد حصل حشر، وعندهم أنهم ربما سيدخلون الجنة؛ لأن الله في ذهنيتهم مثل أي زعيم في الدنيا هذه، أليس الزعماء هنا يجاملون أصحاب رؤوس الأموال، ووجهاء كبار وشخصيات؟ يجاملونهم لو تريد تشتكي به أو شيء، لا تقبل شكواك، لكن في الآخرة لا يوجد من هذه نهائياً، وكانوا هؤلاء المجرمون يستخفون بالمؤمنين، عندهم كيف هؤلاء! {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}** (الأنعام: من الآية٥٣) **كما قال في آية سابقة، كيف أن الجنة هذا النعيم العظيم الذي تقولون عنه أنها قد تكون للنوعيات هذه، بل ربما يأخذون فلان وفلان ويختارون الكبار من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الوجاهات، مقاييس مادية!**

فيقال لهؤلاء الكبار كما قال هنا: {مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} لاحظوا هؤلاء سيدخلون الجنة {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} (الأعراف: من الآية٤٩) **أن يقال لهم أمام أعين الآخرين، حسرات شديدة عليهم.**

{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً} (الأعراف: من الآية٥١) **مقاطعة في الآخرة، أليست هذه مقاطعة؟ لو لم يكن إلا فائض أي شيء، أفيضوا علينا من باقي أي شيء من عندكم، كأن هذا قد يكون في ساحة المحشر نفسه؛ لأن هناك آيات أخرى تبين أن المؤمنين يقدم لهم مأكولات ومشروبات، ويبدو معلبات في نفس ساحة المحشر، أشياء من الجنة معلبات يفجرونها تفجيراً، في آيات كثيرة، على الأرائك، في ساحة الحشر قبل أن يدخلوا الجنة.**

{قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} لأنه قال هناك: {خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (الأعراف: من الآية٣٢) **بالنسبة للطيبات. {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً}، عندما قدم لهم هذا الدين العظيم استبدلوه وجعلوه محط لهو ولعب، يسخرون به، ويخوضون ويستهزؤون بالمؤمنين، {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا}** (الأعراف: من الآية٥١) **يتركون من أي خير {كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}** (الأعراف: من الآية٥١) **ولجحودهم بآياتنا في الحياة هذه، في الدنيا.**

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ} (الأعراف: من الآية٥٢) **إذاً فهم عندما وقعوا في هذه الحالة السيئة، فهناك يطلبون ـ نفس كبار الشخصيات الذين كانوا هنا مترفين، ولا يلتفتون إلى المؤمنين ـ بأن يعطوهم فائض مما عندهم في الحياة هذه، يوم القيامة يسألوهم: {أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ}، أليست هذه حالة تعتبر سيئة جداً؟ إضافة إلى الأشياء المخيفة الأخرى، هل الذي أوقعهم في هذه الحالة هو تقصير من جهة الله سبحانه وتعالى؟ لم ترسم الطريقة التي تنجيهم من هذا؟! لا، بل المسألة تأتي على هذا النحو: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** (الأعراف:٥٢) **هم الذين أوقعوا أنفسهم في هذا المصير السيئ؛ لأنه قال هناك في الآية السابقة: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} تلك الآيات التي تأتي بشكل كتاب مفصل على علم، {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ} أي يتناول كل قضية بالتفصيل، {عَلَى عِلْمٍ} على علم بالإنسان، علم بالحياة، علم بما سيصل إليه الإنسان في المستقبل، علم بأنه إذا لم يسر على هذا النهج، وعلى هذه الآيات، سيكون مصيره سيئاً، علم بكل ما تناوله.**

وهذه الآية هامة جداً في موضوع المعرفة بالنسبة لنا، ومثلما نقول: القرآن لا يحتاج إلى تشطيبات على الإطلاق بعده، يجب أن يكون هو الحكم، ويُعطى الأولوية على كل شيء؛ لأن الله فصله على علم، فلست بحاجة إلى أن تقول: أما هذه فكأنها تحتاج إلى كذا كذا، فنحاول نزيل ما فيها من أشياء، في بعض آيات!، مفصل عن علم، ممن يحيط بكل شيء علما، ممن يعلم الغيب والشهادة، ممن يعلم السر في السموات والأرض.

إذاً أليست هذه كافية بأن يكون الإنسان واثقاً بهذا القرآن، يكون واثقاً بالقرآن بأنه مفصل على علم، لا تقل ما فيه كذا، أو ما فصل كذا، أو ما تناول كذا، أو ما زلنا بحاجة نطلع على كذا من أجل نحاول نعرفه، أو أشياء من هذه، لا يصح ؛ ولهذا نقول أكثر من مرة بأنه بلغت المسألة إلى درجة أنه يبدو وكأن الناس ينسون أن الله أعلم منهم، فيأتي إلى كثير من آيات القرآن بما فيها مثلاً آيات آدم، أليس الله ذكر عن آدم بأنه عصى، بأنه أكل من الشجرة هذه، أنه، أنه.. إلى آخره؟.

آيات مفصلة، وهامة جداً فيما تعطيه من عبرة لأولاده، فيكونون حذرين من أن يخدعهم الشيطان، وحذرين من أن يخالفوا هدي الله فيشقوا، فيأتي الآخرون فيكون مهتم بأنه يحاول ينزه آدم، لا يلزم أن يكون ارتكب المعصية عمداً، معصوم، فيحاول بأي طريقة يتأول لآدم، لا يقدم لك دروساً من هذه القصة، وهي تكررت في أكثر من سورة؛ لأنها قصة هامة جداً، تعطي درساً هاماً جداً، فيما يتعلق ببيان الله كيف أنه يأتي على أعلى مستوى، فيما يتعلق بالهدى، أن الله هو الذي يهدي، هو الذي يرسم الطريقة، ولا يأتي الشقاء والضلال إلا بمخالفة هداه، فهو أمر إبليس فخالف، تحول إلى شيطان مضل، نهى آدم فخالف، فشقي في حياته، أليس هذا واضحاً؟.

هناك أيضاً قضية أخرى، قضية الملائكة؛ لأنها قضية يكتشف من خلالها أشياء متعددة، كيف أن الناس بحاجة إلى هدى أن يسيروا عليه، ثم أن ينطلقوا على أساس ما يؤمنون به منه، الملائكة ألم يحصل عندهم تلك الحالة في أعماق نفوسهم؟ عندما قالوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (البقرة: من الآية٣٠)**، مشت المسألة حتى أراهم ما جعلهم في الأخير يعترفون فيقولون: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}** (البقرة: من الآية٣٢) **هي قصة هامة جداً هذه، تتناول أشياء عظيمة جداً، وبالنسبة للناس يفهمون أثر هدى الله بالنسبة لحياتهم، أثر مخالفته فيما يتعلق بحياتهم، أن يعرفوا من أين يبدأ شقاؤهم في الحياة، وضلالهم، أن كل الشقاء والضلال سببه الإبتعاد عن هدي الله، هذه تعطيها قصة آدم وحواء، وإبليس، والملائكة.**

يأتي المفسرون بعضهم مشغول منطلق على قاعدة هناك، موضوع عصمة، عصمة.. إلى آخره. فيكون مستعجل عندما يطّلع على قصة آدم يحاول بسرعة يمشّي حالها، ويتأول لآدم، [ربما أنه ما كان داري]، وأشياء من هذه، من أجل يخرج، يحافظ على آدم! آدم قد مات، وقد اجتباه الله، وتاب عليه وهداه وانتهى الموضوع، لماذا لا نحاول نأخذ منها العبرة لنا؟ نقدمها للأحياء؟ لا أن نحاول أن نحافظ على آدم وقد قال الله عنه: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طه:١٢٢) **انتهت المسألة، سواء عصى عمداً أو خطأً، المهم أن الله قد تاب عليه وانتهت القضية.**

هذه آية هامة جداً: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ}، هو الذي فصّله، لم يوكل المسألة إلى واحد آخر من ملائكته، أو من خلقه أنه صلح دستور لأهل الأرض، هو الذي فصله على علم. {هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، أما الذين ليسوا مؤمنين فهم لا يهتدون به، ولا يحصلون على الرحمة التي تأتي لمن اهتدى به.

كيف يبين بأنه هدى متكامل يأتي بعده بعبارة: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} (الأعراف: من الآية٥٣) **آيات كاملة، آيات مفصلة، أشياء واضحة، بينات شافية، فلم يبق إلا أنك تنتظر ما يؤول إليه، أو نقول: مآله، يعني: الحقيقة من ورائه، ومعظم هذه تأتي في الأخير الحقيقة من وراء من التزم به، الغاية الفلانية في الحياة هذه، وفي الآخرة، غاية إيجابية هامة، ومن أعرض عنه، مثلما قال في الآية الأخرى، ألم يرتب الغاية في الأخير؟ {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}** (طه:١٢٤) **هذا مآله.**

بالنسبة للآخرة: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} (الأعراف: من الآية٥٣) أي حقيقة ما أنبأ عنه بالنسبة لليوم الآخر: {يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} (الأعراف: من الآية٥٣) أي أنها بينات إلى درجة أنهم كانوا عارفين ما يقدمه الرسل إليهم، وكانوا يعارضون عن عمد، فيوم القيامة لا يوجد أحد سيقول: لو أن الرسل نبأونا بهذا، أبداً. يعني قد جاء النبأ الكامل، وجاء التفصيل الكامل، فهم يعترفون بأنه قد جاءت رسل ربنا بالحق، ويبحثون كيف إذا هناك مخرج، {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} (الأعراف: من الآية٥٣) لم يعد موجوداً لماذا لم يبين لنا الله؟ لماذا لم يرسل رسلاً يبينون لنا؟ إنما فقط يقولون: فعلاً قد بينوا بياناً كافياً، وهذا هو الحق الذي كانوا يحدثوننا به في الدنيا، ويبحثون عن مخارج أخرى إذا ممكن: شفعاء، أو إذا ممكن يطلبون أن يرجعوا إلى الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل، {قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الأعراف: من الآية٥٣) هذا مما يبين أهمية الكتاب، أنه لا يوجد بعده إلا مآله وتأويله، ماذا يمكن أن تنتظر من بعد هذه البينات؟ لهذا قال في آية أخرى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} (الجاثية: من الآية٦) وقال في آية سابقة قرأناها في سورة [الأنعام]: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} (الأنعام: من الآية١٥٨) فلم يبق أن تنتظر شيئاً بعد هذا الكتاب على الإطلاق؛ لأنها آيات وافية في كل ما تناولته، وهي تناولت الحياة هذه، والحياة الآخرة، كتاب للدنيا والآخرة. فهل يمكن أن يصح في مقابل هذه أن يقول الإنسان: إنه لا يكفي، وسنحتاج، وسنحتاج!.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً} (الأعراف: من الآية٥٤) ما تقدم من كلام معناه ماذا؟ جانب من تدبير الله في شئون مخلوقاته باعتباره هو الإله، الملك، هو ذكر هنا فيما يتعلق بجانب الهدى، هنا يقدم أيضاً صورة أخرى؛ لأنه هو ملك الناس، هو ربهم، هو الذي خلق السموات والأرض، وما خلقها هكذا وتركها، كذلك أنتم لم يخلقكم ويترككم، هو لا يخلق شيئاً ويتركه، لا يوجد أن الباري يخلق حاجة ويتركها، {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: من الآية٥٠) خلق السموات والأرض وهو يمسك السموات والأرض أن تزولا، وخلق كل ما فيهما وهو الذي يحرك كلما فيهما.

إذاً فيجب أن تفهم أنه هو المعني بموضوع ماذا؟ الهداية والتدبير، هذا التدبير التشريعي، الهداية والتدبير، وأنه الملك، كما تجد هذه الأشياء هي في قبضته، أنت في قبضته، هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي سيأتي باليوم الآخر، و[يخربط] هذه كلها، المخلوقات، السموات والأرض، ويأتي بعالم جديد، ويحشر الناس فيه، ويجازيهم على أعمالهم .

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الذي خلق ثم اتجه لتدبير ما خلق، وشئون ما خلق، أي هو الخالق والملك في نفس الوقت، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً} هو الذي يحرك الليل، وجعله على هذا النحو: الليل يتبع النهار، ويتحرك في اتجاه يطلب النهار {يَطْلُبُهُ حَثِيثاً} .

{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} (الأعراف: من الآية٥٤) هي كلها أليست تتحرك كلها؟ {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} (الأعراف: من الآية٥٤) هذا معنى خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش، {لَهُ الْخَلْقُ} هو الذي خلق، وله ما خلق، وله الأمر فيما خلق. هل يوجد هنا في الأرض مخلوقات لآخرين؟ لا يوجد. كل ما في السموات والأرض كلها من خلق الله .

{أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} هذه القضية يجب أن تترسخ عند الإنسان؛ لأنها قدمت بعبارة أشبه شيء بإعلان، لإعطائها اهتمام {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} هو الذي خلقكم، وهذا الخلق هو له، وهو الذي له الأمر فيه {تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (الأعراف:٥٥) اتجهوا لعبادته، اتجهوا لدعائه هو، دعاءه على سبيل التضرع، على جهة التضرع أمامه سبحانه وتعالى، ودعاء خفية، دعاءه على جهة السر، أو إذا كان على سبيل الذكر لله؛ لأنه أحياناً عبارة ادع تأتي بمعنى العبادة، وتشمل أحياناً الدعاء، تأتي عبادة

بعبارة دعاء، في مقامات، ولأن الدعاء عادة هو من الأشياء التي يستخدمها الناس لمن يعبدونه، حتى من يعبد صنماً إنه يدعوه .

{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} هل معنى معتدين متجاوزين إلى دعاء غيره؟ فبالنسبة للمشركين هم يتجاوزون إلى دعاء غيره، وبالنسبة للناس بشكل عام، إذا نظرنا إلى خطورة اتخاذ أولياء من دونه، في الأخير الإنسان يتعاون مع من اتخذهم أولياء من دون الله، أشبه شيء بأنداد لله، كل ما خطر في باله شيء يكون متجهاً إلى أنه يحاول مع ذلك الذي قد صار أمامه، قد اتخذه ولياً من دون الله. فيقر الناس، أليست الآية ليقر الناس؟ أن الله هو الخالق، هو الذي له الخلق، هو الذي له الأمر، فهو ربهم فليتجهوا لعبادته، وليقروا، وليرسخوا في أنفسهم أنهم عبيد له، ولا يعتدوا، هو لا يحب المعتدين.

{وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف:٥٦)، كل من يتعدون حدود الله، توجيهات الله، عبادة الله يتحولون إلى مفسدين في الأرض بعد إصلاحها من البداية؛ لأنها خلقت على أحسن شيء، ما خلقت مليئة بالفساد، {وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} .

{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الأعراف:٥٧) هنا يأتي بمظاهر من مظاهر تدبيره، من هذه الأشياء المخلوقات التي نحن نعرف حركتها، سحاب يطلع ويمطر ثم يتلاشى، أليست هذه قضية الناس يلمسونها؟ الرياح أيضاً يلمسونها عندما تتحرك، بعد أن كان الجو ساكنا، يعني حركة تعني ماذا؟ أنه هو الملك، هو الخالق، هو الحي القيوم .

ولاحظ كيف تأتي الآيات هذه كلها مرفقة مع اسمه، هذه قاعدة هامة، نعرف من خلالها منهجية القرآن في تقديم معرفة الله {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} إلى آخرها {وَهُوَ الَّذِي..} أليس الضمير يعود إلى الله؟. هذه الأشياء الإنسان يدرك بأنها مسخرة له، وأنها ضمن رعاية الله له، الإنسان في حياته يحتاج إلى هذه الأشياء: الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والمطر، أليس الإنسان يحتاج إلى هذه؟ ليعرف بأن الذي يرعاه في هذا الجانب لا يمكن أن يهمل في الجانب الآخر، جانب الهدى والتشريع، وأن تشريعه وهداه كله يمثل رعاية للإنسان، رعاية هذه تترسخ في ذهنية الإنسان، ليست قضية تكليفات يتوخى فيها المشقة؛ ليعرف من هو الذي سيعملها فيأتي له ثواب هناك! إنها هنا، هنا في الدنيا تعتبر رعاية، كما الأشياء الأخرى هذه رعاية، كما الشمس والقمر هي تعتبر نور من هذا الظلام المادي الذي نراه، فهداه نور، ألم يسمه نوراً؟ نور يخرج الإنسان من الظلمات، الظلمات الأخرى، ظلمات الجهل والضلال والظلم والقهر والشقاء في الحياة هذه .

وهذه القضية هامة ومتكررة في القرآن؛ ليفهم الإنسان من خلالها الدين هذا أنه لرعايته، أنه رعاية ربما قد تكون أكثر من هذه، أكثر من رعاية الأشياء الماديات، فالإنسان بحاجة إليه ماسة كحاجته الماسة إلى هذه الأشياء، إلى الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وإنزال المطر والرياح، والأشياء هذه كلها، هذه المظاهر التي يذكرها الله في كثير من الآيات .

فإذا عرفنا بأن دين الله رعاية، رعاية للإنسان هنا في الحياة هذه؛ ولهذا يقارنها بهذه الأشياء التي تعني أكثر من شيء، أن تستشعر بأنها نعم من جهة الله سبحانه وتعالى، فتعرف إحسان الله إليك، أن تعرف بأنها من مظاهر حكمته وقدرته وملكه وتدبيره، أن تعرف ما فيها من رعاية لك. هنا في الجانب الآخر وهو يقدمه لك هو يقدمه رعاية، أليس هو يذكر دينه بأنه رحمة؟ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الانبياء:١٠٧)، ويذكر القرآن بأنه رحمة، {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (فصلت:٢)، فإذا ارتبط في ذهنية الناس، ارتبط دين الله في ذهنيتنا بأنه رحمة لنا، ورعاية لنا، فنحن في أمس الحاجة إليه كحاجتنا الماسة إلى الشمس والقمر والنجوم والأمطار، وكل هذه التي يعددها علينا في كثير من الآيات، هنا سيعرف الإنسان بأنه لا بد أن يتحرك لهذا الدين وإلا سيشقى في حياته.

{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} هنا يذكر وسيذكر بعد أنه هو الذي أرسل نوح، ويرسل الرسل مبشرين، ويعطيهم رحمة من عنده، البينات التي تنزل. والعادة أن الناس عندما تأتي الرياح في مقدمة المطر يحاول الذي مثلاً يريد يحصل له شراب يصلّح [المشرب] حقه، ويحاول كل واحد حتى لا يأتي المطر ويذهب وما قد شربت أرضه، أليسوا يعتبرونه رحمة؟ فالمفروض أنه هكذا يكون الناس بالنسبة لدينه، أن نكون حريصين أننا نصلح المشارب، مشارب نفوسنا، نصلّحها حتى تستوعب أكثر نسبة من هداه.

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً} (الأعراف: من الآية٥٨) نجد هذه الصورة أيضاً بالنسبة للإنسان، هنا يقدم صورة متكاملة في الواقع، الأشياء هذه، مظاهر الحياة، وتجد فعلاً يكون هناك أرض لو يصب عليها كل يوم لا ينبت فيها شيء ما تخرج إلا نكدا، إذا خرج منها شيء يخرج لك [مطوي] فيه عشرين حبة أو نحوه، بحيث لا تعطي خسارة عمل الأرض، وهناك بلد طيب يخرج نباته بإذن ربه، كذلك الناس فيما يتعلق بهدى الله، يكون هناك من يستقبله فيصبح طيباً بما تعنيه الكلمة، ويفيد، يقدم شيئاً طيباً، ومنهم من لا يتأثر به، ويبقى خبيثاً هناك .

{كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ} (الأعراف: من الآية٥٨) هذه آية من آيات الله {نُصَرِّفُ الْآياتِ} نقدم أمثلة من الأشياء الملموسة المحسوسة أمامنا {لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} (الأعراف: من الآية٥٨) فنشكر الله على ما قدم لنا من هذه الآيات التي هي آيات ونعم في نفس الوقت، ونشكره على هداه .

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} (الأعراف: من الآية٥٩) هنا يبين بأنه هو الملك، هو الذي خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش: يدبر شئونها، وهو الذي خلق الإنسان، فهل يتصور بأنه خلقه وانتهى الموضوع، خلقه ولا بد أن يقدم له منهج يهتدي به في هذه الحياة، لا يترك شيء يخلقه ويتركه هناك أبداً، أصغر حيوان تراه هو أيضاً له هدى من جهة الله فيما يتعلق بحياته، كما حكى الله عن نبيه موسى: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: من الآية٥٠) .

ثم كما تجد بأنه يرسل الرياح بين يدي رحمته، والليل والنهار، يغشي الليل النهار، والشمس والقمر، وأشياء من هذه، يحرك في مجال آخر في مجال ماذا؟ مجال الهدى، مجال الدين، مجال التشريع الذي يمثل رعاية هامة للإنسان، يرسل رسلاً، {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأعراف:٥٩)، ثم تجد أيضاً كيف أسلوب أنبيائه، أليس هو يكون أسلوباً لطيفاً ورقيقاً، أسلوب يقدم من ناس حريصين جداً على إنقاذ الناس، ومحبين جداً للخير لهم، عبارات من خلال التي قدمها، عبارات لطيفة. لا يرسل رسلاً بحيث يوصل بصورة فضيعة يقول: [هيا جاوبوا] وأشياء من هذه، لا يوجد.

رسل يوعظونهم، يذكرونهم، ويوجهونهم، وبأخلاق عالية، ومنطق رقيق، وتلطف يوحي عن ماذا؟ عن أنهم رحمة فعلاً، هم أيضاً يعتبرون مظهراً من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى، وهو يستطيع سبحانه وتعالى، هو قدير أن ينزل ملائكة يأتون ويمسكون الشخص الذي عند الصنم ويضربون به الأرض، أليس هو يستطيع من أول يوم؟ ويقولون له: ابتعد عن هذه الأشياء، ويرمونه بعيداً عنه، ما هناك ملائكة يستطيعون يعملون هذه؟!. لكن بأسلوب عالي جداً، مما يعتبر مظهراً من مظاهر رحمته وتكريمه للإنسان. ثم لاحظ الإنسان هذا كيف يعمل، في الأخير يبحث عن أولئك الذين هم شياطين، الذين لا يقدمون شيئاً، ولا هم حريصون عليه، ولا رحيمين به، ولا يهمهم مصلحته فيتخذهم أولياء إلى أن يهلك هو وإياهم .

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} إلى قومه، إلى الكل، لا يأتي مثلاً أنه لا يعطي اعتبار إلا لكبار الشخصيات فقط، والآخرين لا يلتفت إليهم، إلى الكل، إلى قومه من زعمائهم ومواطنيهم، كانت تركيبتهم قبلية، زعماء عشائر.

{فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأعراف: من الآية٥٩)، أليس هذا منطق من هو يخاف عليهم، هو رحيم بهم؟.

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ} الكبار {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الأعراف: من الآية٦٠) ، أول السورة أليست {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} (الأعراف: من الآية٣) ؟ وهنا يبين لك كيف يعمل الأولياء الآخرون

ليتخذهم الناس أولياء لهم من دون الله، أولاً أن الله رحيم لا يتجه برسله فقط إلى الكبار، ثم مثلاً يرفضون فيذهب من عندهم، بحيث أن الآخرين قد يقولون: لو كان جاء إلى عندنا لكان ممكن نؤمن به، إنما فقط يرسل إلى عند الكبار، قد هو عارف أن الكبار لن يؤمنوا به، كان يرسلهم إلينا ويمكن نستجيب له! هو يرسل إلى القوم كلهم، يرسل إلى قومه.

{قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف:٦٢)، **أعلم من جهة الله ما لا تعلمونه أنتم، وأقدم ما أعرفه من جهة الله نصحاً لكم، {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ}** (الأعراف:٦٣) **هل تعتبر قضية غريبة، أو المفروض تنظرون إليها كنعمة {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ} أليس المفروض تعدون هذه نعمة؟ لا أن تعتبروها أنها قضية غريبة، إذاً فهذا ضلال مبين، وأنتم في ضلال مبين. {لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لاحظ أسلوب أنبياء الله، أليس نفس الأسلوب الإلهي في التبيين للناس؟ ولبيان العواقب فيما إذا استجابوا، {وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.**

{فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ} (الأعراف:٦٤) **هنا يقدم المسألة باختصار، تعطي صورة واضحة، من كانوا وراء صد أولئك القوم عن الاستجابة، وعندما تعلقوا بهم كيف أدى في الأخير إلى أن يضربوا معهم. هم اتخذوا أولياء عمين وعموا بعماهم. وهذا كان من الأشياء الرهيبة فيما يتعلق بقوم نوح، لاحظ كيف بقي معهم تسعمائة وخمسين سنة، وكان هؤلاء، زعماء العشائر، شكلوا عائقاً على طول المسيرة، ولأن القوم هؤلاء أنفسهم متمسكون بهم، متمسكون بهم، منتظرون لهم حتى يستجيبوا، وهم لن يستجيبوا.**

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً} (الأعراف: من الآية٦٥) **أي: وهكذا أرسلنا إلى عاد، وأرسل إليهم أخاهم هوداً، معناه شخص يعرفونه منهم، وبلغتهم يحدثهم، وناصح لهم، وحريص عليهم، {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** (الأعراف:٦٧) . **ثم لاحظ كيف يكون منطقهم أيضاً لطيفاً على الرغم من أنهم يواجهون بكلام قاسي، حرصا منه على أنه يجلس معهم، ويبين لهم، ويذكرهم، وينذرهم.**

{وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} (الأعراف: من الآية٧٠) **أليس هذا منطق السفاهة؟ بعد ما يأتيهم بآيات بينات، ويخوفهم بعذاب الله، ثم يقولون: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا}** (الأعراف: من الآية٧١) **في موضوع الأصنام {فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** (الأعراف: من الآية٧١) **تجعلونها شركاء لله، فاعرفوا بأنه لا يوجد أي سلطان أن الله جعلها شركاء له .**

{فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} (الأعراف:٧٢) **وهنا قدم صورة مختصرة عنهم، يبين كيف رحمته بالناس، كيف يرسل رسلاً منهم، وناصحين لهم، ويبينون لهم على أعلى مستوى، ثم يأتي الآخرون ويتعللون بأشياء لا تعتبر شيئاً مثل: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}** (الأعراف: من الآية٦٠) **{لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ}** (الأعراف: من الآية٦٦) **{أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ}** (الأعراف: من الآية٧٠) **ويتمسكون بهم، وفي الأخير يهلكون معهم .**

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (الأعراف: من الآية٧٣) ، **لاحظ الأنبياء، أليسوا كل واحد منهم يقول: اعبدوا الله؟ أليس هذا يعني بأن البشر يعرفون الله؟ لا أحد يجادلك في موضوع الله،**

يجادلونهم حول وحدانيته، أنه لماذا فقط إله واحد، وهؤلاء أيضاً آلهة، أو يجادلون بأنه ما صحت عندهم رسالته، هات لنا آيات .

أخيراً يتعنتون بعد كل شيء {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} معناه أن تلك مؤشرات {قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} (الأعراف: من الآية٧١) عندما يكونون قد أصبحوا إلى الدرجة هذه: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} يستعجلون العذاب. وهكذا بالنسبة لثمود مع صالح يذكر نفس الشيء، يذكّرهم بما حصل للأمة السابقة مثلما ذكّر هود قومه بما حصل لقوم نوح، يذكر صالح قومه بما حصل لقوم عاد. وهذه قضية هامة من الناحية المنهجية: تذكير الناس بما حصل للمكذبين السابقين، تذكير الناس بما حصل للمؤمنين السابقين، أشياء هنا في واقع الحياة هذه.

هنا يذكرهم بآلاء الله، بنعمه، ولاحظ كيف هم قد عرفوا ما حصل للأمم السابقة، قد عرفوا ما حصل لقوم عاد، كانوا يتخذون بيوتاً ينحتونها في الجبال، على أساس لو تأتي رياح كيفما تأتي لا تستطيع أن تقلع الجبل، ناسين أن الله عنده طرق كثيرة جداً!. كيف يقدم الأنبياء ناصحين بكل ما تعنيه الكلمة، يقدمون رسالتهم للكل، ويخاطبون الكل، وحريصين على هداية الكل، لا يجلس يتميز هو وأصحابه ولا يتحدث مع الباقين، ولا يقدم لهم أي نصيحة، لاحظ كيف قال عن صالح: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} بعدما أخذتهم الرجفة، {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف:٧٩) .

أو كأن هذه مثلما ذكر سابقاً عن هود عندما قال: {قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} (الأعراف: من الآية٧١) كأنه تولى عنهم عندما اتضحت مؤشرات نزول العذاب، تولى عنهم، أحياناً تأتي الآيات استرسالاً فيما حصل عليهم، عندما يقول: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} ليس معناه أنه خاطبهم بعدما أصبحوا جاثمين، إلا إذا هو على طريق أن يحكي حالة معينة، أو يسمعه الله أرواحهم إذا أمكن، إذا حصل لكن ما هناك ما يدل على هذا، فقد يكون تولى عنهم من البداية، ثم عندما بدت مؤشرات العذاب؛ لأنه إذا قلنا بأنه بعد نزول العذاب عليهم معناه أنه نزل العذاب وهو بينهم، ويبدو أن الشيء الطبيعي أن الأنبياء كانوا يخرجون متى ما حُكِم على أمته بعذاب، بعد ذلك يخرج، يخرج قبل ينزل عذاب، مثلما حصل لنوح: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} (الشعراء: من الآية١١٩). {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي} إذاً فكأنه خاطبهم وهم ما زالوا أحياء، وقد هو منصرف عنهم، {وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}.

كذلك يذكر عن لوط بالنسبة لقومه، وحرصه على قومه، ويذكر كذلك عن شعيب، وهنا يقدم القضية بالنسبة للرسالات أنها تتناول إصلاح الناس في مقابل أي فساد هم عليه، فساد أخلاقي، أو فساد تجاري، أو فساد ثقافي، أو أي شيء. شعيب يذكر مع قومه: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} (الأنعام: من الآية١٥٢) . عندما تقدم الرسالات بأنها على هذا النحو، فهو يقدم صورة بأن هدى الله يشمل كل شيء، ويقدم للإنسان هدى في كل مجالات حياته. كذلك بالنسبة لشعيب: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ} (الأعراف: من الآية٨٨) . ثم يذكر {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} (الأعراف:٩٣).

إذاً فنحن أمام سنة إلهية: أنه يرسل رسلاً، كما أنه يسخر الشمس والقمر، وأنه في موضوع الهداية هو الذي أرسل رسلاً، وأنزل كتباً؛ ليتناولوا هدى الناس، ويرفعوهم عن أي ضلال هم عليه كيفما كان، وفي أي مجال كان، وأنه يكون هناك عوائق موجودة في المجتمعات، من أبرزها في المجتمعات العشائرية: زعماء العشائر، الوجهاء، يشكلون إشكالية كبيرة؛ لأنه هكذا يكون حريصاً على مقامه، على منصبه، وعلى مصالح معينة قد هي مرتبطة بأن يبقى هو وقومه على تلك الحالة، فيشدهم إلى الضلال حتى يكون في الأخير نهايتهم بسبب تعلقهم به.

وهذا كله يؤكد أن الإنسان إذا اتخذ من دون الله أولياء سيهلكونه، ولا مجال للإنسان إذا أراد أن ينجو، وأراد أن يفلح، وأراد أن يفوز، لا مجال له إلا أن يتولى الله، {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} (الأعراف: من الآية٣).

ثم يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} (الأعراف: من الآية٩٤)، إضافة إلى البينات يأتي أيضاً أشياء، شدائد معينة في البداية، في بداية تكذيبهم؛ لعلهم يضرعون، عسى أن يرجعوا، وذكر بصورة بارزة فيما حصل لآل فرعون، فرعون وقومه، وإذا لم يضرعوا فمثلما قال في آية سابقة: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} (الأنعام: من الآية٤٤).

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا} (الأعراف: من الآية٩٥) فلم يبق إلا الحديث عنهم فقط [إن كان آباؤنا كذا، وحصل لهم سنة مجاعة ذلك اليوم، وحصل كذا وكذا] قد أصبحت قصص ماضية.

الآية هذه تشبه الآية السابقة، أنها سنة إلهية أنه يؤاخذهم بأشياء من البأساء والضراء لعلهم يضرعون، يرجعون إلى الله ويؤمنون بالآيات التي تتقدم لهم، متى لم يحصل منهم استجابة{فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً}. {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا}، لم يعد هناك آثار للبأساء والضراء السابقة، أو أصبحت شبه منسية، {وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (الأعراف: من الآية٩٥).

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا} الأمم هذه التي ذكر قصصها وغيرها. {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} (الأعراف:٩٧ـ ٩٩) . هذا يبين بأنه لو اتجه الناس إلى الإيمان بالله وتقواه واهتدوا بهداه أنهم سيحصلون على الخير الذي لا يعتبر استدراجاً، أما الخير الذي يأتي أحياناً في مرحلة بعدما كذبوا، ثم رأوا أنها صلحت لهم الدنيا، وعندهم أنه إذاً ليسوا بحاجة أن يتبعوا هذا، ولا يحاولون أن يتجهوا إلى هذا الذي يدعوهم إليه من الإيمان بآيات الله، مثل هذه الأشياء تكون استدراجاً، يؤخذوا بغتة في حالة فرحهم، وفي وقت بياتهم أو قائلون، فالنعم التي هي نعم ثابتة، ومباركة هي النعم التي تأتي بسبب إيمان الناس بآيات الله وتقواهم لله.

{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا} (الأعراف: من الآية١٠٠)، الأجيال المتأخرة التي قد عرفت ما حصل للماضين، أليس في هذا كفاية أن يجعلهم يهتدون إلى الطريق الصحيح، ويتجهون لهدى الله، ويخافون من الله، قد هي آيات واضحة، يبين لهم أنما حصل للأمم السابقة يمكن أن يحصل عليهم {أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} (الأعراف: من الآية١٠٠ـ١٠١)، الله قد أهلكهم وهو يعلم بأنه لم يعد واقعهم إيمان، كذبوا بآيات واضحة، أتى لهم بأشياء فيما يتعلق بحياتهم ... وصلوا إلى مرحلة: {وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}.

وبعض الأنبياء ذكروا، أحد الأنبياء في سياق آخر: {وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} (هود: من الآية٣٤) أحياناً بعد البينات الكافية، بعد الوضوح الكافي، بعد البلاغ المبين، ولا يستجيب الناس يطبع على قلوبهم، وعندما يطبع على قلوبهم فلا يأتي بعدها إلا نهاية سيئة، لهذا قال: {فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} لن يؤمنوا بسبب تكذيبهم السابق بما أمروا أن يؤمنوا به، {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٠١).

{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} (الأعراف:١٠٢)، هذا حصل فيما يتعلق بقوم فرعون، لما أعطوا عهداً {لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ} (الأعراف: من الآية١٣٤) يبين أن هذه عدالة الله سبحانه وتعالى، عدالته أن هؤلاء الناس هكذا تأتي لهم آيات واضحة، ورسل ناصحين، وبينات كافية، وفي الأخير لا يقبلون .

الله سبحانه وتعالى هو حي قيوم، يعرض هذه القصص للأمم المتعاقبة، بما فيها المسلمين في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ،الناس أيامه ومن بعدهم، وأنه لو قلنا بأنه قد لا تأتي المؤاخذة والعقاب بهذا الشكل الذي كان يحصل للأمم السابقة، هو قدم فيما قدم أن لديه أشياء متنوعة؛ لهذا قال في الآية هذه بعبارة

مجملة: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} بأسنا، قد يكون بشكل رجفة، أو يأتي بشكل نار، أو يأتي بشكل يمطر حجارة، أو بشكل غرق، وكم... أشياء كثيرة. {فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ} وهم يعلمون أنهم على طريقة سيئة {إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} إلا من نهايتهم سيخسرون فعلاً.

يتكرر في القرآن بشكل واضح في سور أخرى، نفس قصص هذه الأمم السابقة مع أنبيائها، هنا هي جاءت في السورة هذه بشكل موجز، ويبين فيها العائق الرئيسي الذي كان يكون موجوداً، هذا معناه ماذا؟ بالنسبة للناس يكونون فاهمين في من يتحركون في سبيل الله، في من يدعون إلى دين الله، أنه لا يركز دعوته على كبار الشخصيات؛ لأنه هنا يقول لك بأنه يرسل إلى القوم كلهم، إلى الناس جميعاً، وأنه على الرغم من تكذيب الآخرين هو يظل يواصل بينات، يظل يواصل دعوته لهم.

أيضاً أن يحذر الناس أنفسهم في تركيبتهم الاجتماعية أن لا تصل إلى الدرجة هذه؛ لأن العرب في تركيبتهم العشائرية هي قائمة على هذا النحو السابق في أيام نوح، فيجب أن يحذروا أن لا تصل الحالة بهم إلى هذه الدرجة، أن يتخذوا زعماءهم، سواء زعماء طوائف، أو زعماء عشائر، أو زعماء بلدان، يتخذونهم أولياء من دون الله؛ لأن هؤلاء لا يملكون لهم إلا ضلال، هذه النوعية من الأولياء، أولياء مجرمين، يقولون: [البادي منه يقبل]، لن يدخل في الموضوع إلا إذا قد [شيخه] سيدخل فيه، لن يدخل إلا إذا قد الزعيم الفلاني في مذهبه سيدخل فيه.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} (الأعراف: من الآية١٠٣) أليس هذا جانباً آخر؟ جانب إرسال رسل إلى شعوب تحكمها دولة، ويحكمها سلطان، تلك مجتمعات عشائرية، السابقة. {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا} (الأعراف: من الآية١٠٣) ومع هذا ما كانت تقتصر دعوة موسى على فرعون وملئه، لكن في التركيبة التي كان عليها المجتمع مرتبطين بالملك، توجه الأشياء إلى الملك رأساً، إضافة إلى أنها أشياء تتضح للباقين، كانت بينات موسى وآياته ودعوته بالشكل الذي يكون للآخرين، بل يظهر أنه يأتي تمهيد، أن يطلع الآخرون على دعوته، على ما يقدم من آيات، يبين هنا بأن هدى الله سبحانه وتعالى، البلاغ للناس الذي يأتي على الرغم من وجود العوائق، كيفما كانت العوائق، سواء كانت العوائق في إطار مجتمع عشائري، أو في مجتمع يحكمه دولة، أنه لا يكون بالشكل الذي يحول دون أن يعرف الناس، جماهير الناس.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ}، الملأ كبار الشخصيات في دولته، القادة والوزراء والوجهاء {فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ} (الأعراف:١٠٣-١٠٥)، أليست هذه تعتبر عبارة جريئة أمام فرعون؟ أمام فرعون الذي كان يلزم الآخرين إلى أن يجعلوه إلهاً، ويدينوا بأنه رب لهم، موسى يأتي ليواجهه بالعبارة هذه: {يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} لا يمكن أن أفتري عليه، لا يمكن أن أكذب عليه، ملزم بأن لا أقول عليه إلا الحق {قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الأعراف:١٠٦).

لاحظ هنا أليس موسى محاطاً بعناية إلهية؟ فرعون يتجه إلى أن يقول له: {إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا} فرعون لم تكن طريقته بهذا الشكل، طريقته قمعية، كان المفروض أن يقول: امسكوه، كيف تقول لي هكذا: يا فرعون إني رسول من رب العالمين، يأخذونه ويقتلونه، وليس فقط يسجنونه، فهذا مظهر من مظاهر أن الله غالب على أمره، وأن بإمكان الناس أن يعملوا بدينه إذا ساروا على طريقته في أي وضعية كانوا، في أي وضعية كانوا.

{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} (الأعراف:١٠٧) وعندما يقول له فرعون هكذا، أليس الشيء الطبيعي أن يلقيه في حضور آخرين من الملأ والحاشية وغيرهم {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} (الأعراف:١٠٩)، وهناك يبين كيف يقول الملأ من قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وغيرهم: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} و{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} وهؤلاء يقولون: {إِنَّ هَذَا

لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} (الأعراف:١١٠) **دعاية جاهزة يستثيرون بها الآخرين، قد أصبحت القضية واضحة محسومة، لم يبق إلا {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} بعد البينات هذه تتحول العصا إلى ثعبان مبين، ويده تتحول إلى أشبه شيء بالعمود الذي يضيء.**

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (الأعراف:١١١) **لاحظ كيف القرارات هنا، قراراتهم، أليسوا بالشكل الذي عادة يبطشون بالآخرين، هنا كيف أن الله يتدخل ضد الآخرين فيحمي أولياءه حتى يتمكنوا من تبليغ آياته، من تبليغ رسالاته، سواء في أيام نوح، هود، ثمود. هذا القرار حققهم: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} بالنسبة له هناك ألم يقل سابقاً له: {إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا} مع أن هذه ليست طريقته، هو جبار يفتك بالأطفال، فما بالك بهذا الشخص الذي أمامه، يقول له إنه رسول إليه من الله، كذلك ملأه قالوا: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} نخليهم، ونرسل في المدائن حاشرين، ونعمل اجتماعاً كبيراً ونرى ..... قصة السحرة وذلك الحشد الكبير.**

إذاً لاحظ أليس هذا القرار بالشكل الذي يجعل موسى يتمكن من أن يطلع أكبر نسبة من الناس على الآيات الإلهية هذه؟ وهو لا يملك وسيلة موسى؛ لأنه في ظل وضعية ضاغطة بالنسبة للمجتمع، فيأتي من داخلهم هم يتخذون قراراً يحشدون له الناس مثلما حصل مع إبراهيم سواء. {يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} (الأعراف:١١٣) **؛ لأنهم هناك سيتحركون بأعلى ما لديهم من خبرة في مجال السحر، قد وعدهم بأجر، ووعدهم بأن يكونوا من المقربين {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا}** (الأعراف: من الآية١١٤ـ ١١٦) **.**

ذكر في موضع آخر بالنسبة للقصة هذه، بأنهم حشدوا الناس حشداً كبيراً، {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} (الأعراف:١١٦) **ليخيل إلى الناس، وموسى منهم، أن عصيهم وحبالهم قد هي عبارة عن ثعابين تتحرك، {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ}** (الأعراف:١١٧ـ ١١٩) **، وكانت هذه آية واضحة لفرعون وملئه وللناس، قد يكونون ربما آلاف؛ لأنه هنا يبدو أنه استنفار عام من جانب الملك نفسه، قرار حكومي بأن يحضروا إلى هذا المهرجان، يعرض فيه سحر السحرة، ويعرض فيه سحر موسى، وعلى أساس أنهم سيفشلون موسى تماماً، ويفضحونه أمام الكل .**

{وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} (الأعراف:١٢٢) **وهذه من الأشياء العجيبة: أن السحرة أنفسهم يتوفقون للإيمان، فيها أيضاً آية بالنسبة للناس، لو ربما بقي السحرة ما آمنوا، لقالوا: إذاً فعلاً هو كان عنده قدرة سحرية، أو نحن كنا قصرنا في جانب معين، وممكن نلتقي في مهرجان آخر، لكن هم قد حشدوا كلما لديهم، فعرفوا بأن ما عند موسى ليست قضية سحر، قضية إلهية.**

{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} (الأعراف: من الآية١٢٣) **متى يمكن أن يأذن لهم؟! كيف يؤمنون له قبل أن يأذن {إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا}** (الأعراف: من الآية١٢٣) **، ولاحظ كيف عندهم تركيز على أنهم بسرعة يقدمون دعاية معينة هي استفزاز للمجتمع، إذاً أنتم كنتم أنتم وموسى قد تواطئتم على القصة هذه، ومكر {مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}** (الأعراف: من الآية١٢٣) **قالوا: كان فرعون يركز في مواجهة رسالة موسى، يعني يقول للمصريين: بأن موسى وبني إسرائيل يريدون أن يخرجونا كلنا من أرضنا، ويجلسون هم في الأرض، فيركزون على هذه، وهي قضية تبدو مثيرة بالنسبة للمجتمع، مع أن موسى نفسه لا يقول هذا، يقول: {فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ} أنا أريد أخرج أنا وبني إسرائيل، ألم يقل هناك في البداية أن أرسل معنا بني إسرائيل؟ {فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ} من البداية، يعني فالدعاية هذه التي كان يقدمها فرعون، أن هذا يريد أن يخرجكم من أرضكم، ليست صحيحة، موسى يقول من أول يوم بأنه هو الذي يريد أن يخرج هو وبني إسرائيل. هنا توعد السحرة، كان جوابهم بشكل عجيب، جواب من هم ثابتون، من هم مصرون على إيمانهم.**

ولاحظ بعد الآيات البينات كيف يأتي قرار الملأ، حاشيته من الوزراء، والقادة، وكبار الدولة: {وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} (الأعراف:١٢٧) اتخذوا قراراً قد عملوه سابقاً. {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف:١٢٨) هنا يبين كيف أنهم النوعية هذه ناس يقدمون أنفسهم وكأن الطرف الآخر الذين هم المصلحون في الواقع إنما يريدون إخراج الآخرين، يريدون الإفساد في الأرض بطريقة ليس هناك ما يدل عليها نهائياً. إذاً فعندما يصغي لهم الناس سيهلكونهم؛ لأن رسالة موسى ما كانت فقط إلى فرعون، إلى فرعون وإلى المجتمع بكله.

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (الأعراف:١٢٩)، أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، هنا يذكرهم موسى بأن نفس الأذية القائمة الآن عندما تصبروا ستنتهي إلى شيء عظيم جداً، {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}، هذا يبين بالنسبة لموسى أنه يعرف وضعية قومه، يعرف حالتهم، فبعد ما قالوا: {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}، هي عبارة قاسية هذه، نحن ملان مشاكل من قبل ومن بعد، عارف بحالتهم قال لهم {اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا} ويعطيهم أملاً {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ..}.

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الأعراف:١٣٠) كما قال سابقاً أنها سنة لديه أن يصيب الأمم ببأساء وضراء لعلهم يضرعون، كذلك بالنسبة لآل فرعون أرسل عليهم أشياء كثيرة، وبدوا على هذا النحو: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ} (الأعراف: من الآية١٣١) نحن جديرون بها {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} (الأعراف: من الآية١٣١) ما أصابهم هو من عند الله، وأساسه وسببه من عندهم. {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين} (الأعراف: من الآية١٣١) نعوذ بالله من الضلال كيف يصل، العبارة هذه سيئة جداً، اقنع لسنا مؤمنين بأي شيء تأتي به نهائياً، تعتبر خسارة كبيرة على أنفسهم.

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ} (الأعراف:١٣٤) وهذا عهد، هو قال سابقاً: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ} (الأعراف: من الآية١٠٢).

{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (الأعراف:١٣٦)، عندما تلحظ بالنسبة لجماهير الناس الذي جعلهم على هذا النحو، كونهم منشدين إلى ماذا؟ إلى كبار الدولة فرعون وملئه، أما بالنسبة للمجتمع إذا فهم المسألة وما يتعلق بهؤلاء الكبار الذين هم مضلون فممكن يؤمنون، ممكن يستجيبون، لكن خنقوا نفوسهم بماذا؟ عندما ربطوا أنفسهم بكبار العشائر، مثلما ذكر بالنسبة لقوم نوح، ومن يخنقون أنفسهم بالملك، وملئه: كبار رجال الدولة.

قد يكون من مظاهر هذه التي تحصل عند الناس، وقد تناولناها في آيات سابقة، المقارنة، فهم يرون مثلاً الملأ كبار الشخصيات في المجتمع ناس لهم ثقلهم، وناس عندهم إمكانياتهم، فيكون عندهم أن هذا ربما إذا اتبعوه فيمكن يقعون في إشكاليات كبيرة، أو ربما ما عنده ما ينجذبون إليه من الناحية المادية، باعتبار ما يتعلق بالمقام الاجتماعي، وما يتعلق بالإمكانيات، كذلك المصريين يقارنون ما بين موسى بما هو عليه، ليس لديه جنود، ما عنده ملك، ما عنده إمكانيات مادية، وما عليه فرعون! هنا يبين في هذه القصة الأولى مما ذكر من الأمم هذه كلها، من كان مجتمعا عشائرياً، أو مجتمع دولة، أن هؤلاء ينتهون بأتباعهم إلى الخسارة، يخسرون، ينزل عليهم العذاب، ويكونون هم في مقدمة من يهلك.

هذه الحالة ما زالت قائمة عندما تتمعن الناس، قائمة في الناس إلى الآن، المقارنة بين من يدعونهم إلى الهدى، يكون عندهم ماذا يمكن أن يقدم، مع أنه في القرآن يقدم بأن أولئك الذين كانوا يدعونهم إلى الهدى، إتضح بأنهم كانوا ينجون هم ومن آمن معهم، والآخرين الذين كانوا يعتبرون أنهم يشكلون حماية، يشكلون وقاية لمكاناتهم وممتلكاتهم أنهم الذين يؤدون بهم إلى الخسارة، ألم يتضح من خلال ما سرده من القصص هذه؟.

{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} (الأعراف:١٣٧)، هذه ترد في إطار الصور التي تقدمها هذه السورة نفسها، قضية أولياء من دون الله، كيف يكونون في الأخير خاسرين، هم الجماهير الذي يتبعونهم، {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ} من بني إسرائيل الذين عانوا فترة طويلة من هذا العذاب الأليم، تقتيل الأبناء، واستحياء النساء.

لاحظ موسى ذكّر بني إسرائيل لم يعطهم عبارة ـ يبدو ـ واضحة تماماً؛ لأنه مطلوب أن يبقى عند الإنسان ثقة بالله {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}، أليس هذا وقع في الأخير؟ فعلاً أورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها، وآل فرعون انتهوا، فرعون، وملئه، وكل هؤلاء، كبار الدولة، الذين كانت تقع منهم قرارت سيئة، الذين جعلوه يتخذ هذا القرار فيما بعد: {أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}، الله جعلهم في الأخير هم يهلكون ويورثهم أرضهم.

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا}. ولاحظ هنا مع أن الله أنقذهم من طغيان شديد، من طغيان قد يكون عند الكثير منهم، ما كان هناك أي بصيص أمل بأنه ينفك على الإطلاق، فيأتي بطريقة ما دخلوا حتى في مواجهة معهم، هم كانوا مساكين مستضعفين إلى آخر درجة، لم يدخلوا في مواجهة مع آل فرعون، لكن يقول لهم: اصبروا، يجلسون معه كقاعدة جماهيرية له، مؤمنون به، يصبرون، ولكل أمة أجل ،كما قال الله سابقاً، وأعطاهم أملاً كبيراً {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}.

الصبر أساسي، الصبر في طريق الله هو الأساس في ماذا؟ في أن يحصل للناس فرج، وهذه هي تعتبر مثالاً واضحاً، فرعون وواقع بني إسرائيل، طغيان في القمة، استضعاف إلى أحط مستوى، حركة لا يوجد معها أي آلية سوى عصا، أليست عصا من البداية؟ عصا من البداية، وتنتهي إلى أنه فعلاً هذا الإنسان الذي كان يراه الفراعنة والمصريون إنسانا فقيراً ولا بيده شيء، أنقذ قومه أمامهم وهم يرونهم، ورأوا أنفسهم في أعماق البحر.

يخلص الإنسان من هذه القصة كلها بأن الناس يتولون الله، كما قرأنا في سورة [المائدة]: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦)، عندما يقول: {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، قد بين في هذه، ألم يبين كيف من تولوه نجوا، ومن اتخذوا من دونه أولياء كانوا يرونهم كأنهم يشكلون حماية، يشكلون وقاية، يقدمون هدى، وأشياء من هذه، كما كان يقول فرعون لقومه، انتهوا، ضربوا وخسروا في الدنيا وفي الآخرة.

إذاً من الناحية المنهجية السورة هذه تقدم لنا منهجاً لمن يعملون، تقدم منهجاً على أن القضية الأساسية معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفته وشد الناس لتوليه، وتقديم المسألة بالنسبة للناس بأن ما هناك أي خيار أمامهم، أمام الناس جميعاً إلا إما أن تكون متولياً لله، أو متخذاً من دونه أولياء، هذه صورة لمن يتولون الله، وهذه الصورة البشعة لمن يتخذون من دونه أولياء كيفما كانوا بشكل أولياء؛ لأن هذه قضية بالنسبة للناس، هم بحاجة إليها، يُقدم ـ مثلاً ـ هذا قصص قرآني، ما لدى الناس من تاريخ الأمة هذه من أشياء تقدم على هذا النحو، تقدم للناس على هذا النحو، تقدم عبرة، ولاحظوا هنا العبرة أليست بالشكل الذي تدفع، تجعلهم يتجهون عملياً، يتجهون عملياً إلى ماذا؟ من يقرأ هذا القصص القرآني عن الأمم السابقة يتقرر في نفسيته بأن الطريق الصحيح الذي يشكل نجاة في الدنيا والآخرة هو تولي الله، أليس هو سيتجه إلى تولي الله؟.

التولي تجده في الأخير قضية عملية، أليس هو يمثل هناك الأثر النفسي للتاريخ إذا قدم على هذا النحو أنه يوجد دفعة عملية، يوجد عند الإنسان رؤية واضحة، ورؤية ثابتة، أن يكون مستقيماً، وما هناك إلا هذا المجال، لا ينحرف، إذا انحرف وقع في طريق الشيطان وأولياء الشيطان، وهم خاسرون على ما قدمهم هنا، وفي داخل الأمة أمثلة في تاريخنا، في تاريخ المسلمين، والآن يوجد أمثلة، أمثلة في الواقع، بل في العصر هذا نفسه أمامنا، فيما يعمل الأمريكيون، وفي مواقف الشعوب الأخرى، ومواقف الناس، تتجلى الخسارة فعلاً، عندما كانوا يتخذون آخرين أولياء، كيف أنهم لم يشكلوا لهم أي حماية، ورأوا أنفسهم أمام أعداء، سواء كانوا نفس العدو السابق مثلاً صدام بالنسبة للعراق وحزب البعث، ثم الأمريكيين من بعدهم يدوسونهم .

نفهم ـ أيضاً ـ بأنه غير صحيح أن هناك أي عائق على الإطلاق يحول بين الناس وبين أن يقدموا دين الله، هذا من أبلغ ما يمكن أن الإنسان يستفيده من رسالة موسى وهارون إلى فرعون وهامان وجنودهم، أنه يأتي رعاية إلهية، ولا يمكن لأي طرف حتى وإن لم تكن أنت تمتلك وسائل جمع الناس، ووسائل إعلامية، يأتي قرار من عند الطرف الآخر يكون بالشكل الذي يجعل موضوعك على أوسع دائرة من الناس يقدم، ربما مثل هذا الموضوع الذي نحن فيه، موضوع الشعار، أليسوا هنا يمسكونهم في الجامع الكبير، ويبدو أن ما هناك تناول صحفي له، ثم لا تدري ويحصل قد هناك بداية ناس يتحدثون عن أمريكا، قد هناك ميل لأمريكا، قد هناك تأثير كبير، وضغط كبير، قد هناك ناس يقولون: أمريكا يمكن تحرر! آخرين في الأخير يقولون: كيف يمكن أن تكون محرراً، وهم كانوا يمسكون من يرفعون شعاراً في المسجد، وهم كذا كذا، ثم لا تدري وقد هم يتحدثون، قد هي مادة إعلامية يحتاجون إليها، حتى ربما نفس الذين يقومون بالإمساك بهم من نفس الحزب الحاكم .

نحن لا نمتلك لا مجلة، ولا صحيفة، ولا قناة فضائية، ولا إذاعة، ولا شيء، لكن هنا يتهيأ أنه ينشر بطريقة، وربما يفتح الموضوع فيما بعد، ويقدم كبرهان على أن أمريكا لا يمكن أن تعطي الناس حرية، يقولون: لاحظوا هم كانوا يمسكوا المكبرين في المسجد، أليسوا هنا سيشيعون الموضوع؟ هذه حصلت في قصة إبراهيم، عندما اتخذوا قراراً بأن يجمعوا الناس لعلهم يشهدون، وهنا اتخذوا قراراً، نعرف أيضاً بأن الله غالب على أمره، ومهيمن على عباده، وينفذ إلى داخل نفوسهم؛ ليتخذوا قرارات بالشكل الذي يخدم قضية أوليائه.

لاحظ القرار السابق عندما قالوا: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} وهم في الواقع بشعين، لاحظ القرار الأخير: {أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}أليسوا هنا يحرضون؟{قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}، ما الذي جعلهم يتخذون سابقاً قرار {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} مع أنهم قد رأوا آيات، ربما عندهم معرفة بالنسبة للسحر، آيات واضحة أنها تعتبر حالة خطيرة، أنها مظنة أن يفضحوا فيها، لكن الباري هو ينفذ في قرارات الناس، سواء أوليائه، أو أعدائه.

والمشكلة أن الناس يعتبرون وكأن أعداءه يستطيعون أن يخططوا، ويدبروا ما يريدون، ويمكروا كما يريدون وأن كل شيء سينفذ لهم؛ لهذا في الأخير يكون عند كثير من الناس قرار بأنه لا نعمل شيئاً؛ لأنهم لديهم كذا وهم وهم، إلى آخره، نحن ننسى بأنه يقدم أمثلة بأنه ينفذ إلى داخل قاعاتهم التي يتآمرون فيها، ثم في الأخير يتخذون قرارات ثانية، ويقدمونها وكأنها قضية ينطلقون عليها سريعاً، ورؤية سياسية صحيحة، وهي في الواقع لصالح من يتحركون في سبيله.

أيضاً يأتي في موضوع المعجزات والآيات هذه، تكون بالطريقة التي تمهد السبيل لأن تصل رسالته إلى أكثر ناس، مثل معجزة موسى في موضوع العصا وتحولها إلى ثعبان، وأشياء من هذه، وفي المجتمع سحرة، حصلت الفكرة هذه: هذا الذي عندك سحر سنجمع السحرة كلهم ونعطيهم إغراءات كبيرة ونجمع الناس ونفضحك أمامهم، ألم يقولوا هكذا؟ إذاً بالنسبة لواقع الناس اليوم، بالنسبة لواقع الناس لا أعتقد يوجد طريقة الآن أجمل من تقديم القرآن ؛لأن واقع الأمة الآن هناك من يحاول يقول بأنه سيقدم حلولاً، من جهة الأعداء أنفسهم، أليسوا يحاولون أن يقدموا حلولاً، والساحة هنا ضائع فيها ما هو الحل، ما هو المخرج، أليس هذا هو الضائع؟ إذاً عندما يقدم القرآن أول شيء سيراه الناس فعلاً بأنه الشيء الذي لم تسر عليه الحياة لحد الآن في تاريخ الأمة هذه، ويجدون أنفسهم بأمس الحاجة إليه، كمخرج أمام العدو.

إذاً فالقضية التي هي مطلوب بالنسبة لنا جميعاً بأنه كيف نثق فعلاً بالمسألة على هذا النحو! نقول: كل ما بين أيدينا قد جرب، كل ما بين أيدينا من طرق أخرى قد جربت، وأخفقت، ولم تترك إلا آثاراً سيئة، كتب تفسير، وحديث، وأصول فقه، وعلم كلام، وكتب ترغيب وترهيب، والأشياء هذه كلها، مذاهب متعددة جربت، نظريات أخرى جربت، اشتراكية، علمانية، ليبرالية، رأسمالية، الأشياء هذه كلها جربت وأخفقت، أليست كلها جربت وأخفقت؟ إذاً قد نكون نحن ربما من أكثر الناس إمكانية أن نقدم القرآن للآخرين، أول شيء بالنسبة لنا ليس لدينا عوائق كبيرة، ليس لدينا عوائق كبيرة بحيث أنه مثلاً تجعلنا نؤقلم القرآن على أساس رؤى سابقة لدينا، أعتقد هذه قد تكون موجودة عند الآخرين تقريباً، عند الطوائف الأخرى إشكالية، لكن في حركة الحياة في المرحلة هذه، هناك ما يجعلهم يكتشف لهم ما هم عليه بأنه لم يعد يقدم حلاً، أما عندما يحصل مثلاً هجمة ثقافية، مليئة بالشبه، ربما قد تخليهم فعلاً يتنكرون لأشياء كثيرة، فيكون الشيء الوحيد المقبول هو القرآن، هو القرآن .

نحن قد تكون جريمة كبيرة بالنسبة لنا إذا لم نقتنع بالقرآن مِن صِدْق، والله أعلم كم بقي من عمر الدنيا، لا أحد يدري كم في أعمارنا، وكم في عمر الدنيا هذه بكلها، لماذا لا نحاول نتمسك بالقرآن من صدق، ولا نعتمد على أي تثقيف آخر سواه، مهما كان، وهنا ألم يقدم لنا بشكل لم يعد بعده إلا هل ينتظرون إلا أن يأتي الله أو الملائكة، أو يأتي بعض آيات ربك، هل ينتظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل.. يعني آيات كافية، ومعنى كافية، في كل ما تناولته.

هذه القضية يجب أن ننطلق منها بصدق، عندما يقول واحد: لكن بقي، وبقي...! لا يوجد، فقط أنت ما زلت مرجوجاً، أو يكون واحد فقط قد دخل برأس رجله، ورجل ما زالت متشبث بطريقة سابقة، فعندما نتحرك على هذا النحو فعلاً قد لا يكون ربما فيما أعرف في المنطقة العربية هذه نفسها لا يوجد ربما طائفة، ولا شعب عنده فرصة يتحرك على أساس القرآن مثلما عند الناس هنا في اليمن، فعلاً مقومات كثيرة ليست متوفرة في أي شعب آخر، فقد تكون خسارة كبيرة جداً علينا في المقدمة إذا ما تحركنا على أساس القرآن، إذا لم نقدم القرآن للناس، نقدمه على أعلى مستوى، أول شيء نلتزم نحن، عندما نقول: نقدم؛ لنعرف كيف هداه، ثم كيف نتحرك على أساسه ونحن نقدمه للآخرين، وتجد الآخرين فعلاً الآن لم تعد الديمقراطية جذابة لديهم، هل أحد ممكن يقاتل من أجل الديمقراطية الآن؟ من يمكن أن يقاتل من أجلها؟ ولا أحد، أعتقد لا جيش، ولا شعب في أي بلد عربي الآن، إتضح لنا أنهم قد مُلوا منها، بقي القرآن، والقرآن عندما يقدم قُبِل الإسلام نفسه، يُقْبل الإسلام؛ لأن الإسلام قد شوه حقيقة؛ ولهذا نقول: إنه شيء مؤسف أننا لا نسمع في وسائل الإعلام، لا تسمع أنهم يحاولون يقدمون حلولاً أخرى، وتحليلات كثيرة، لا يوجد تقديم بأن الإسلام يمثل حلاً! لا يوجد كلام حول القرآن نفسه!.

لو قال بعض: القرآن.. فسيقدمه بطريقته التي هو عليها، يقدمه وعنده رؤى أخرى يحكّمها على القرآن، وقدم القرآن لا شيء، لا يقدم للناس شيئاً.

خلال السور هذه التي قرأناها ألم نجد القرآن ممكن يعطي أشياء كثيرة جداً؟ الإنسان يفهم بأنه يمكن أن يكون هناك صراط مستقيم، تكون أشياء واضحة، تكون أشياء واضحة فعلاً، يوضح لك الأعداء، يوضح لك الطريقة الصحيحة، يوضح لك كيف يمكن يكون تأييد إلهي لمن يسيرون على هداه، يوضح لك بأنه غالب على أمره، بأن الله غالب على أمره، لا يمكن لأي جهة أن تعيق من يتحركون في سبيله مهما كان إلا أن يعيقوه هم، أن يعيقوا سبيله هم، فتأتي السنة الأخرى، يستبدل بهم غيرهم .

كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: أنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله، يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: {شُهَدَآءَ لِلَّهِ} (النساء: من الآية١٣٥) قضية شهداء أن هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم مننا زيود، وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن

الأمريكيين: أن معهم عناصر تتحرك، وتعمل استبيان للناس، يجب من يسيرون على القرآن أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها عشوائية، ولا كل واحد يمشي على هواه، ولا كل واحد [شوره من قرنه] مثلما نقول.

نحن نقول: هذه من الناحية العملية مهمة جداً، يعملون استبيان، نحن أمام فئة كلما وجدوا الناس أقوياء كلما ضعفوا هم أمامهم، كلما ضعفوا هم، لا تتصور أن الأمريكيين معناه عندما يرون الناس أقوياء، ومنضبطين، ومصرين على ما هم عليه، وعندهم صمود أنهم لن يضعفوا، لاحظ مظهر السجن هذا، كل أسبوع يعتبر إيجابي كبير بالنسبة للناس، في تأثيره على نفوس الأعداء، على الأمريكيين، والإسرائيليين أنفسهم، أمام أمة صامدة، ومثلما قلنا سابقاً: نحن في مرحلة يجب أن نقدم، وليس على أساس أنه عنوان حزب، أو عندنا قيادة محنكة، أو عندنا شخصيات محنكة، قرآن، هذا دين الله؛ لأنه هي القضية الغائبة، البلاد العربية ملان محنكين، وملان مفكرين، وقادة، لكن الشيء الغائب هو ماذا؟ أن يلمسوا أثر دين الله، أثر القرآن، وكيف يكون الناس الذين يهتدون بهداه، هذه القضية أساسية ننطلق فيها.

ولا تأتي الشهادة لله إلا عندما يكون الناس يتحركون في سبيله، وبطريقة معلنة، في سبيله، أننا نهتدي بهداه، نسير على كتابه، لاحظ كيف تكون النتائج؟ عندما يكون الناس بهذا الشكل يكونون محط تأييد إلهي، محط عون إلهي، وفعلاً الناس، الأمة هذه بأمس الحاجة إلى القرآن، لكن من يقدم لها القرآن؟ هذه المشكلة هنا، أنا لا أتصور أن هناك طائفة أخرى، افهموا هذه ـ على معرفتنا بالطوائف ـ ما أتصور أن هناك طائفة أخرى يمكن أن يأتي من داخلها ممن هو متمسك فعلاً بما هو سائد في طائفته، يقدم القرآن بشكل إيجابي، أحياناً بعض الطوائف لا يمكن شخص منها يجرؤ على أن ينقد نفسه، وينقد مجتمعه، وينقد طائفته، هذا نادر، بعضهم قد ينقد في مجال وما زال هو [مخربط] في مجال آخر، نحن لدينا إمكانية ننقد الآخرين جميعاً، ننقد ما كنا متشبثين به من أشياء اتضح بأنها مخالفة لكتاب الله داخلنا كزيدية، داخلنا كشيعة، مع الاثنى عشرية، مع طوائف السنة. مجتمعات أخرى، محمد حسين فضل الله نفسه عندما نقد أشياء معينة عملوا عليه ثورة ثقافية، وحملة دعائية رهيبة.

بعض الناس قد يكون فعلاً يتأثر، نحن قلنا من البداية يجب أننا نوطن أنفسنا على هذه، وأنها قضية أساسية فيمن قال الله عنهم: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: من الآية٥٤) **لأنه قال بعد: {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}** (المائدة: من الآية٥٤) **أنه لو يقولون ما يقولون، خليهم يعملون فتاوى، يعملون بيانات، يعملون ما يعملون، طريقة لن يتزحزح الناس منها نهائياً، وهذه هي طريقة القرآن نفسه، كيف قدم في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ كانوا يقولون: ساحر، كذاب، مجنون، مفتري على الله، أساطير الأولين، أشياء كثيرة جداً، ولم يبال بها، واتجه في طريقه ونجح.**

الاهتداء بالقرآن ـ كما نقول ـ يجب أن نقدمه للناس بالشكل الذي يعطيهم أملاً، يعني كيف رؤية الإسلام في بناء الأمة، هذه قضية، كيف رؤية القرآن في بناء الأمة، تبدأ مننا نحن، عندما نقدمه في أوساطنا، لا تبقى عبارة: [كتاب وسنة] مثلما هو سائد، أليس هو السائد في المجتمع [كتاب وسنة]؟ لكن قد هم عارفين أن كل واحد يرجع إلى الكتاب يأخذ منه الذي على كيفه وخرج ولم يقدم شيئاً، والآخرين مثله، قد ملوا الكلمة هذه، كيف تقدم رؤية يفهم الناس فعلاً بأنها رؤية بنّاءة للأمة، تمثل حلاً أمام الخطورة الكبيرة التي تواجههم.

القضية هي تحتاج إلى تسليم، مثلما ذكر الله في كثير من الآيات السابقة، ونحن ما قد قرأنا إلا إلى سورة [الأعراف] فقط، كم يوجد داخل كتاب الله بشكل كبير موضوع التسليم لله، والتسليم لله بمعنى أنه يخليك تنضبط، وتعرف كيف تسير على هداه، وإذا ما تزال عند نفس واحد هو يريد يقدم نفسه هو شخصياً، يريد.. يريد.. يريد يكون هو الذي يعرف هو، هو الذي لازم هو بطريقته، وأنه عبقري، وأنه.. وأنه، هذا الذي عانت منه الأمة إلى الآن، هذه الفكرة هي التي عانت منها الأمة إلى الآن، والدنيا ملان مجتهدين [ومفنقلين] وعباقرة، وما عملوا شيئاً، ولم يقدموا للأمة أي حل نهائياً.

قدم الموضوع أنه بالشكل الذي يعطي الناس معارف واسعة، ليس معناه أنه بشكل يجعل الأمة ناس جهلة، تعطيهم معارف واسعة، وحكمة، وتزكية للنفوس في إطار بناء صحيح، أليست هذه رؤية القرآن نفسه؟ فعلاً. فعندما يأتي واحد هو يرى أنه ما استطاع أن يقدم القرآن تماماً، ويفهم منه تماماً مثلاً، مثل فلان، أو فلان، يفهم بأن القضية ليست على أساس أنه هو لا قيمة له عند الله، أنه من أجلك، ومن أجل هذا، ومن أجل الآخرين الله يعمل الطريقة هذه، يصطفي نبي، اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ليكون على أعلى مستوى؛ ليقدم ما عنده من مؤهلات، وما عنده من علم ومعرفة كلها للناس، أليس هكذا؟.

نحن نقول: إن القضية أن نسلم أنفسنا لله، نحصل على المعرفة، على العلم، على نفوس زاكية، إذا برز الإنسان بنفسه سيخسر علماً كثيراً، ومعارف واسعة، ستفوتك معارف كثيرة جداً عندما تنفرد بنفسك؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وهو الذي يؤتي العلم هو، أنت تريد أنت من جهة نفسك تحصل على علم من جهة نفسك فيما يتعلق بموضوع الهداية والثقافة، بدل أن تخسر من هو محيط بكل شيء علماً ومن قال لنبيه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه: من الآية١١٤) أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان اصطفاه الله، وأكمله، ويعلمه بأن عليه أن يتوجه إلى الله؛ ليحصل على العلم من عنده هو {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}.

وأعتقد في هذا الكفاية لحد الآن ـ لأن الكثير ربما قد يسافرون الصباح ـ أنه قد اتضح لنا من خلال الذي قد قرأناه من القرآن، وهي سور محدودة من [البقرة] إلى أول سورة [الأعراف] وما يزال نسبة بسيطة من القرآن، ألم يتضح لنا عظمة القرآن؟ اتضح لنا فيها سعة ما يتناوله، اتضح لنا فيها أنه ملامس لواقع نفوس الناس، وحياة الناس، أنه كتاب حياة، اتضح لنا فيها بأنه لم يقدم كدستور مفصول عمن قدمه كما هو شأن الدساتير التي تصاغ في الدنيا، قد تقرأ أي دستور من الدساتير ولا تدري من هو الذي كتبه، من الذي صاغه! اعرف ما هناك ارتباط بشخصه، هو يقدم قوانين، مواد، مادة كذا، مادة كذا، إلى آخره.

القرآن ألم نلمس بأن فيه الله بشكل واسع؟ يعني: اسمه في داخله بشكل واسع، توجيهاته، وليس مشابهاً للدساتير والقوانين، ماذا يعني هذا؟ أن الذي أسماؤه داخل القرآن هو الحي القيوم، يعني: أن القرآن غير مفصول عنه على الإطلاق، غير مفصول عنه نهائياً، إذا فهمنا القضية هذه، وحاول الإنسان أن يدعو الله في بقية هذا الشهر، ندعو الله أن يهدينا، أن يبصرنا، أن يرشدنا بكتابه، أن يعيننا على أن نهتدي بكتابه، أن يعيننا على أن نقدم كتابه للآخرين يهتدون به، هذا هام جداً في بقية الشهر هذا؛ لأنه من أحسن الأوقات للدعاء، وليهتدي الإنسان هو نفسه. ونحن نقول: هي قضية أساسية فيما بينه وبين الله، يعني: إفهم بأن باستطاعتك أن تعمل هذه، ليس على أساس أنك منتظر ماذا يمكن أن يأتي من كلام، ثم بعد تنظر، هل تقطع مع الله فيما بينك وبينه، التزام بأن تسير على هداه، وتسلم نفسك له، هذه القضية بإمكان واحد يبدأها حتى من بعدما يسمع [الفاتحة].

إذا كان على هذا النحو يمكن فعلاً أن يحصل على هدى، ويهتدي، إذا جلس هكذا ما زال مرجح، ما زال منتظر يعين كيف ... لما ينجح الموضوع، في الأخير ربما ينجح الموضوع ولا يهتدي، ثم عندما ينجح القرآن، وقد قدم لك بطريقة هامة، ما هو الذي أنت ما زلت منتظراً أنك تهتدي به ولم يعد بإمكانك أن تهتدي به. ربما فعلاً قد لا يعد يهتدي الإنسان، تكون القضية من البداية يستطيع الإنسان بأنه يقطع مع الله، والتزام ويطلب منه أن يعينه، أنه سيهتدي بهداه، ويسير على كتابه، على ما هداه إليه كتابه. الله يوفقنا جميعا لما فيه رضاه ويعيننا على طاعته ويهدينا إلى الصراط المستقيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٨ /رجب / ١٤٢٨هـ
الموافق ١/ ٨ /٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

سورة الأعراف

من الآية (١٣٨) إلى الآية (١٦٢)

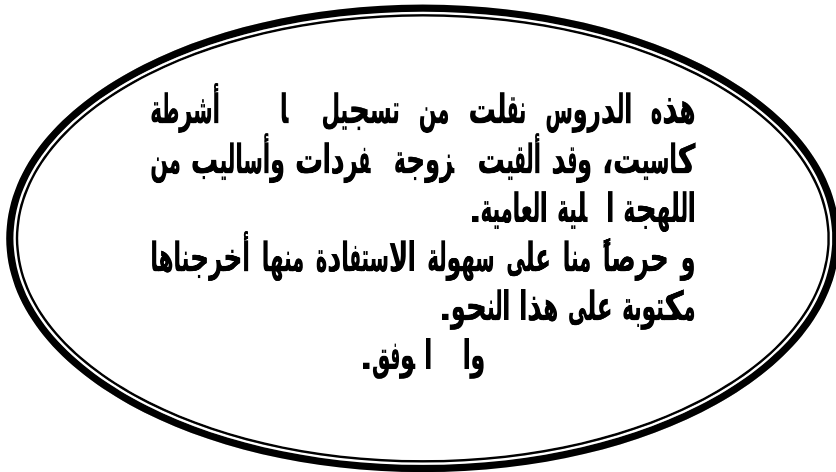
[الدرس الثامن والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٢/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

تدلنا هذه الآيات التي سمعناها، قول الله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ} (الأعراف: من الآية٢٠٤) فالإنسان إذا استمع إلى القرآن الكريم يجد أنه كتاب يفهم منه الكثير، أليس كذلك؟ يفهم منه الكثير وهو كما قال الله فيه: كتاب مبارك، أثره في النفوس أثر عظيم، أثره في النفوس مبارك، أثره في الحياة مبارك.

هذه الآية تعني: بأن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه الهدى الكامل، هذه الآية هي شبيهة بالآيات الأخرى التي تقول بالنسبة للقرآن الكريم: {فَاتَّبِعُوهُ} (الأنعام: من الآية١٥٥) هي تعني: أن هذا الكتاب شامل، وكامل، وآيات واضحات، وبينات واضحات، وبلاغ مبين. مطلوب من الإنسان أن يستمع، أن يتبع، كما نقول أكثر من مرة: أن هذه الآيات تعني: أن موضوع الهدى هو جاهز، هو جاهز، والإنسان عليه أن يستمع، وعليه أن يتبع. لكن هنا قال: {وَإِذَا قُرِئَ} والخلاف حول من يقرأ، مطلوب بالنسبة للإنسان هو عندما يقرأ، عندما يقرأ القرآن أن يتدبر، وأن يتذكر، كما قال الله في آيات أخرى. لكن بالنسبة للقرآن الكريم، موضوعه واسع جداً، أوسع مما يمكن أن تتناوله أنت فردياً، من أشياء تفهمها من ظاهر آياته. هناك كما هي سنة من سنن الله تعالى أنه ينزل كتبه إلى رسله، ثم بعد الرسل يورث كتبه من يصطفيه من عباده؛ ليتلوها على الناس، ليقرؤها على الناس.

الله قال عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} (النمل: من الآية٩٢) أي أن يتلو القرآن، مع أنه إنسان أمي، وهناك قراء آخرين من أصحابه، هم قراء للقرآن، ويعرفون القرآن، باعتباره بلغتهم العربية، لكن لازم أن يتلوه النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) عليهم، كثيراً من هذه الصيغ التي تأتي بعبارة: المبني لما لم يسم فاعله، مبني للمفعول ـ كما يقولون ـ قُرِئ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ} (الجمعة: من الآية٩) ، {وَإِذَا قُرِئَ} لا تعني بأن الفعل مبني للمجهول، نحن نقول: هذا من الصيغ النحوية التي تعتبر غير صحيحة أن يقال دائماً: مبني للمجهول، لا، مبني للمعلوم، إيكال على ما هو معلوم، وأنه سبحانه وتعالى يجعل من يقرأ، من يتلو، وفي موضوع الجمعة هو الذي يحدد كيف تكون الجمعة، وهو الذي يجعل من ينادي للجمعة. فإذا قال: {إِذَا نُودِيَ} ليس معناه أطرف مكبر، أو أطرف واحد يقرأ القرآن.

نحن نقول بالنسبة لتلاوة كثير من هؤلاء [الوهابيين]، تلاوتهم تشوه القرآن، ومثل هذه التلاوة التي نسمعها، تلاوة [المنشاوي] تلاوة جميلة، تلاوة شجية، يعني: كأنها تلامس معاني القرآن، تلاوة ليست بصوت غير مقبول، وليست مطولة. ونعمة كبيرة علينا، نعمة كبيرة في هذا الزمن أن يكون بإمكان الإنسان أن يستمع تلاوة القرآن بشكل جيد؛ لأنه قد يكون الكثير منا ليس لديهم أصوات جيدة، إذا قرأ القرآن سيشوهه. أعتقد أنه على أساس ما أعرف أنا، أنا نفسي عندما أستمع تلاوته يعجبني أحسن من لو تلوت أنا، أسمع تلاوته، وأتأمل على ضوء تلاوته، في موضوع الصوت هو يكفي، يقدمه بشكل جميل، وصوت شجي.

هكذا يتكرر في القرآن الكريم موضوع، نحن نقول في كثير من آيات الله: أن هذه القضية هامة داخل القرآن الكريم، أن الله يقول للناس: إن بيناته كاملة، وواضحة؛ فليتبعوا، وليستمعوا، ليست بحاجة إلى أن يبحثوا، يستنبطوا، يبحثون لهم عن آليات، ثم يستنبطون! ما معنى البحث والاستنباط، والأشياء داخله، ما هو المنطق الذي ساد فيما بعد في ثقافتنا العلمية؟ تقرأ من أجل تستطيع أن تستنبط! تقرأ أشياء أخرى ـ مثلاً ـ أصول فقه، من أجل أنك تستنبط! هنا يقول: الموضوع قدم بالشكل الذي لا يحتاج منك أي عناء سوى أن تتبع، تستمع وتتبع.

فهذه تعتبر قاعدة هامة، وكما هو واضح أيضاً داخل القرآن الكريم، وقد تحدثنا بالأمس حول بعض الآيات: أن هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، أنه يقدم هداه كاملاً، وبيِّن، يقول في القرآن الكريم: بأنه كتاب مبين،

يسمي فقراته هذه آيات بينات، يأتي الخطأ فقط من جانب أن لا يفهم الإنسان كيف موضوع الهدى من أساسه، هذا الهدى الذي قدم للبشر على أي أساس هو؛ ولهذا يأتي الخطأ أن كل واحد عنده أنه هو، هو، يفهم كل ما داخل هذا القرآن، والقضية من أساسها هي ليست بهذا الشكل، الله سبحانه وتعالى كما قال في آيات أخرى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} (السجدة: من الآية١٣)، و{لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً} (الرعد: من الآية٣١) وعبارات من هذه، لكن موضوع الهدى هذا هو قدم على أساس بناء أمة؛ ليكونوا جميعاً قوامين بالقسط.

عندما تتصور بناء أمة معناه: أن الإنسان، كل واحد يعتبر لبنة في بناء، لبنة في بناء، سيفهم من ظاهر القرآن الكريم أشياء كثيرة جداً تساعده على أن يلتزم، في نفس الوقت عليه أن يعرف أن مهمة البناء، بناء هذا الكيان، مهمة إقامة هذا الدين، عندما يكون الإنسان هو عبارة عن لبنة في بناء، لإقامة الدين معنى هذا أنها مهمة كبيرة جداً، فيجب أن تعرف بأن هناك مواضيع كثيرة أخرى هي مبنية على هذا الأساس، على أساس ماذا؟ أنها تقدم بالشكل الذي لا بد أن يكونوا أمة واحدة، أن يكونوا كياناً واحداً، أن يكونوا كتلة واحدة.

لأن الكثير من الهدى الذي في القرآن الكريم، عندما ينظر الإنسان فردياً هو، ألست قد ترى أشياء كثيرة جداً منه خارج دائرتك أنت؟ فعلاً، أي بالنظر إليك أنت كشخص، وأنت تفترض بتكليفك الخاص أنت، تقول صلاة ممكن صلاة أصلي مقبولة، صيام ممكن أؤدي الصيام هنا أستطيع من الصباح إلى الليل، ذكر الله ممكن أذكر الله، زكاة ممكن أؤدي، أشياء هذه محدودة، أليست تعتبر محدودة؟ لكن تجد المساحة الواسعة في الدين، تجدها قضية جماعية، خطاب جماعي، مهام جماعية، هذه المهام الجماعية عندما تأتي أنت بنظرتك الفردية إليها سترى بأن هذا مبني على أنه إذا كان هناك استطاعة، وفي الأخير تقول: أنا لست مستطيعاً، وهذا الذي حصل، الذي حصل عند الناس، عندما ترسخت النظرة الفردية، لم يبق لديهم ما يتناولوه إلا الأشياء الفردية، تراهم مصلين، وصائمين، وحاجين، ومزكين، ومتصدقين، الأشياء الأخرى وهي المساحة الواسعة يبدي عليها ورآها وقال: هذا يمكن كذا... مثل: {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤) {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} (النساء: من الآية١٣٥) {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج: من الآية٧٨) {قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٦٧) أليس هو يراها خطاباً لأمة، وبدا عليها.. و قال: [هذا فيما إذا كان واحد مستطيع، وليس باستطاعتي أنا، ورجع.. ورجع.. ورجع..].

لهذا ترى في الأخير أن الذي قعد عنه الناس يمثل نسبة كبيرة جداً من الدين، بسبب هذه النظرة الفردية، إلى درجة أن الأشياء الأخرى لم يعد لها قيمة في واقعنا، وكما نقول أكثر من مرة: بأن الله يذكّرنا بأن الأعمال هنا في الدنيا، تستطيع أن تعرف أن الأعمال مقبولة، ولها قيمة، أو أنها محبطة، يربط بين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، يقول هناك: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (العنكبوت: من الآية٢٧) فنظرنا إلينا وإذا نحن ملايين مصلين، وملايين يحجون، وملايين يصومون، وكم يشترون من مسابح يسبحون، أسواق تكون في المدينة، وفي مكة يشترونها في [الشوالات] مسابح، ولكن هذه الأمة رأينا واقعها بالشكل الذي يبدو أن كل هذه الأعمال قد فرغت من محتواها، ولم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقعها، إذا لم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقع الحياة فاعلم بأنها ليست ذات قيمة عند الله؛ لأنه هو الذي وعد أنه إذا كانت الأعمال متكاملة، ومقبولة، سيجعل لها أثرها هنا، وأثرها في الآخرة، فإذا لم نلمس لها أثرها هنا يعني ماذا؟ أنها ليست مقبولة، ليست أداء للدين كما أمر.

إذاً فتجد أنه فعلاً بسبب النظرة الفردية التي رسخها أصول الفقه، جعلت كل إنسان يبدي على الدين واختار الأشياء التي يمكن يأخذها، واعتزل له هناك، وبقية الأشياء يقول: [لا نستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ما يلزمنا] وأشياء من هذه.

إذاً فنفهم جميعاً أن النسبة الكبيرة من الدين هي خطابات جماعية لأمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة: من الآية١٠٤) وتجدها فعلاً بالشكل الذي لا يمكن لشخص أن يقوم بها، بمعنى أنه يجب أن تكون أنت ضمن أمة يتحركون في أداء هذه الأشياء التي لا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد، حينها ستقبل الأعمال الفردية منك، ستقبل الأعمال

الفردية من الناس، بل بدت القضية بشكل آخر، بشكل أنه حتى لو هناك خطايا، أو أشياء، أن الله سيغفرها لمن هم مجاهدون في سبيله، لمن هم متحركون لإقامة القسط، لمن هم يعملون على إعلاء كلمته.

بل رأينا تلك العبادات من أبرزها وأهمها الصلاة، ألم يجعلها بالشكل الذي كيفما أمكن وأنت في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله؟ لم يقل: توقفوا، اتركوهم هناك يعملون ما يريدون وابدءوا صلوا ركعات كاملة، بأذكارها كاملة، ولو يحصل ما يحصل! هو قال هناك: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً} (البقرة: من الآية٢٣٩)، هذه الصلاة التي هي كما نراها في القرآن في كثير من المواقع، وهي من أهم العبادات فعلاً لكن هذا مما يعتبر مثلاً واضحاً لنا، عندما تجد العبادة الهامة، وهي الصلاة في حالة العمل لإقامة الدين أديها على الحالة، إذا لم يمكنك أن تصلي وأنت على ظهر الفرس، كما كان في الماضي، أنت في ميدان الجهاد، حضر وقت الصلاة وأنت لا تتمكن فعلاً من أن تصلي أربع ركعات، أو ثلاث ركعات في الأرض فصل على الحالة، وأنت تقاتل، وكبر، واقرأ ما تيسر، وسبح، وهي صحيحة.

ماذا يعني هذا في الأخير؟ يعني بأنه لو قلنا: [لا، نترك هذا المجال، الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، ونصلي، نترك ما دام أنه قد يؤدي الموضوع إلى أنه لا يعد يلحق له إلا قراءة هكذا خطف، لا يتمكن حتى من أن يسجد، لم يعد هذا عمل صالح قد هذا قلة خير، اتركونا نتركع، وما لنا دخل!!] تركعنا سنين، أليس الناس متركعين سنين، ومبنين مساجد، ومليئة بالمصلين؟ وجدنا ليس لها قيمة.

كانت تلك الصلاة التي هي خطف فوق ظهور الخيل، وفي ميدان الجهاد رجالاً، أو ركباناً، تعتبر ذات قيمة كبيرة، وليس فيها لا سجود ولا ركوع، وإنما فقط الحاصل، ذات قيمة كبيرة أفضل من الركعات التي نصليها طويلة، وسجود، ويمتد واحد، ويسبح حتى يشبع، ويقوم ويقعد، ويضيف نوافل؛ لأن هذه ليس لها قيمة، والموضوع الآخر معطل، العمل لإعلاء كلمة الله.

فعندما نفهم فعلاً بأن الهدى هكذا من جهة الله سبحانه وتعالى، في خطاب، في مساحة واسعة من الخطاب جماعي، ومعلوم عند البشر بفطرتهم عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤)، {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ} (النساء: من الآية١٣٥) أليس معناه: أن يبنوا أنفسهم على أفضل طريقة، ككيان لأمة، ومعلوم عند البدو من البشر، عند البدائيين من البشر، كيف يجب أن يكونوا أمة، ومع هذا تناول القرآن الكريم تعليمات وافية، وخطة وافية، وكاملة في بناء أمة، من الناحية الهيكلية، ومن الناحية التربوية، قدمها بشكل كامل.

إذاً فلتفهم بأن موضوع الهدى هو مبني على هذا، غير طبيعي أن يقال بأن بالإمكان أن تتناول أنت كل شيء في القرآن؛ لأنك ترى معلوماً أمامك تراه أن كثيراً منها، وإن كنت مؤمناً بها لا تستطيع أن تقوم بها أنت؛ لأنها منوطة بالأمة، إذاً أنت من ضمن أمة يعنيَّ يجب أن يكون الموضوع مرتبطاً بمن؟ بمن هو على رأس تلك الأمة التي تبني نفسها على ما أمر الله في كتابه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ}و{كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}.

وجدنا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أن القرآن نزل بلغة العرب، وهم عرب، ونزل بلغتهم، ألم يكن موضوع الهداية، موضوع هدايتهم، تعليمهم، تزكيتهم، تربيتهم متوقفة على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هل أمكن أن يقول كل شخص منهم: هذا كتاب عربي، وبلغتي، وسوف آخذ منه، وأفهمه من غير هذا، ومن غير هذا؟ لا يمكن. إذاً فإذا لم يفهم هذا، أو هذا، أو هذا، لم يفهم من القرآن إلا أشياء معينة، وأشياء أخرى لم يفهمها فيرجع إلى نفسه، ويقول: يكفي، هذا القرآن هو هذا الذي قد فهمناه، فمنه ما فهمناه يمكن نؤديه، وأشياء فهمناها نتركها مكانها.

عندما انطلقوا فعلاً داخل، في مسيرتنا الثقافية قدموا فكرة: أن الله كيف يمكن يخاطب الإنسان بالقرآن ثم لا يفهمه، أليس هكذا؟ معنى هذا أن كل إنسان يستطيع أن يفهم القرآن كاملاً، هذه جاءت من عند المعتزلة. لكن لو تسأل أي واحد منهم، اتفقنا، هذا القرآن أمامك وأمامي، فهمنا منه، أو افترض أننا فهمناه. فهمنا منه أشياء يمكن أن أؤديها فردياً، كيف سيكون العمل بالنسبة للأشياء الكثيرة جداً التي داخله ونراها خطاباً جماعياً، ولا يمكن أن يؤديها إلا أمة؟.

إذاً فكيف الموضوع هنا؟ لمن هذا الموضوع موكول؟ أليس معناه أنه لا بد من أمة، الأمة أليس معناها أن تبنى بناء، وأن تربى تربية؟ إذاً نقول: لا بد أن تكون هذه القضية، إما أن تؤدي إلى أنه فعلاً فهمنا القرآن، لكن فهمنا أن ٧٠٪ منه يجلس على جنب، أليس هكذا؟ هذا يعتبر غلط، ألا يعتبر غلط؟ بالتأكيد، فهمنا أنه لا بد من أمة، وأن هذا القرآن في منطقه، في أسلوبه، كتاب عملي، وليس كتاباً يمكن تقرأه هكذا كما تقرأ كتاب مجموع فتاوى، أو مجموع قصص، أو أشياء من هذه، كتاب عملي.

نقول: إذاً هنا القرآن الكريم يخاطبنا، وأنا وأنت الأفراد الذين نقول أننا فهمنا القرآن يخاطبنا ضمن أمة، إذاً لا بد أن هناك طريقة لبناء الأمة، ولا بد أن يكون النسبة الكبيرة موكولة إلى من هو موكول إليه توجيه أمة، وتربية أمة؛ لبنائها بهذا الشكل على أساس القرآن .

القضية برزت بالنسبة لمن قالوا هذا الكلام بشكل واقعي، أصبح ملموساً، ورأيناهم فعلاً فشلوا، مثلاً كل واحد عنده أن بإمكانه أن يعرف القرآن، يفهم القرآن، إذاً أنت فهمت القرآن، وهذا فهم القرآن، وذلك فهم القرآن، لكن ماذا قدمتم بعد؟! الذين ادعوا أنهم فهموا القرآن، والإنسان يستطيع أن يفهم القرآن هو كاملاً! سلمنا أنت فهمته، لكن ماذا قدمتم بعد، تراهم صفوفاً مجتهدين، ممن يدعون أنهم يفهمون القرآن كاملاً، ماذا قدموا؟ هل قدموا القرآن؟ هل استطاعوا أن يقدموه؟ وهل استطاعوا أن يبنوا الأمة على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يهدوا الناس على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يبنوا أمة قائمة بالقسط؟ بل العكس الذي رأيناه فعلاً، قدموا مفاهيم مغلوطة، جعلت الناس يقعدون عن أن يكونوا قوامين بالقسط، ويتفرقون عن أن يكونوا أمة واحدة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أليس هذا الذي حصل؟.

إذاً فمسألة الهدى هي مبنية على أساس الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى من وراء هذا القرآن بالنسبة للناس، وكما نقول أكثر من مرة: أنه يجب أن تفهم عندما نسمع الله يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} أن تنظر إلى القرآن أنه كل توجيهاته، وكل أحكامه، وكل تعاليمه مبنية على بناء أمة، وخطاب لأمة، حتى في منطقه، في أسلوبه، أليس هو يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (الصف: من الآية١٤) أليس يخاطب أمة؟ عندما يخاطب أمة على هذا النحو ليس معناه أن كل واحد سيأخذ نصيبه من الأمر مثلما حصل بعد، الذي حصل بعد يأتي واحد يقرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤)، هو يعرف أنها خطاب جماعي، ويعتبر أن الجماعة تكون مكونة من أفراد هو واحد منهم، نظر لقسمه من كونوا ووجد بأنه ماذا؟ لا يستطيع أن يكون إذاً فما يلزم! هذا الذي حصل فعلاً؛ ولهذا تجد أنه كثير ممن قرءوا على أساس الثقافة هذه التي نشكو منها دائماً يعرفون أن هذه خطابات جماعية، لكن قد ترسخت لديه النظرة الفردية، وأصبح التكليف لديه يعني ماذا؟ تكليف فردي، الخطاب أن يأخذ ما يخصه من الموضوع، فإذا رأى نفسه بأنه لا يستطيع أن يقوم بنصيبه قال: [إذاً ما يلزم]! أليس هذا في الأخير أدى إلى تجميد القرآن الكريم؟.

أدى قراءة اللغة العربية نفسها، وهم قرءوا اللغة العربية، وفي اللغة العربية يعرف الإنسان الخطاب الجماعي، والخطاب الفردي، أليسوا يعتبرون أن واو الجماعة يعني خطاباً جماعياً {كُونُوا} {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} أما هذه فقد كلمة أمة تعني الجماعة بنفس الصيغة، ومع هذا كان للنظرة الفردية أثرها الكبير في أنه ينظر إلى الخطاب الجماعي، ويرى واحد نفسه واحداً من الجماعة، أخذ نصيبه، ورأى بأنه لا يستطيع، وتركها مكانها، والثاني مثله، وتركوا كل شيء مكانه.

الشيء الذي يجب أن يفهمه الإنسان أنه هكذا القضية: نحن كأفراد نفهم من القرآن أشياء كثيرة، ونفهم من القرآن أنه خطاب لنا جميعاً، وسنظل في إشكالية كيف نعمل حتى نكون بالشكل الذي نؤدي ما أوجب الله علينا في هذه الخطابات، وما وجهنا إليه، أليس هذا يعتبر سؤالاً؟ إذاً، فنعمة من الله؛ ولهذا قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢)، {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (القيامة:١٧) نعمة من الله أن يجعل وهي سنته من يبين لنا القرآن الباقي، إذاً فهل فات علينا شيء؟ هل يعتبر الإنسان أنه فات عليه شيء؟ إذاً نقول: بإمكاننا أن نفهم القرآن لكن بالطريقة هذه، ما نفهم على سبيل التذكر والتدبر، وما نفهم عن طريق قرناء القرآن، هنا سنعرف من القرآن الكثير، وسنعرف

كيف نبتني على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون قوامين بالقسط على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون أمة تدعو إلى الخير ـ إلى آخر الآية ـ على أساس القرآن.

أليست هذه هي الفكرة الصحيحة؟ هذه هي الفكرة الصحيحة. فالذين يقولون بالنظرة الفردية لا فهموا هم كل القرآن على ما يقولون، ووجدوا أمامهم أشياء كثيرة، في الأخير يتخلص منها، ويعزلها على جنب، وفاتهم ما كان يمكن أن يفهموه، وأن يكونوا عليه؛ لأن من قيمة القرآن بالنسبة لك أن يصلح واقع لديك، تبتني نفسك على أساسه، يبتني مجتمعك على أساسه، وهذا هو الهدف، هدف رئيسي للقرآن، ليس مجرد فقط أشياء، معلومات داخل أوراق، أن يكون له أثر هناك في واقع الحياة، فاتهم هذا الشيء تماماً، فاعتبر أنه فاتهم أكثر الدين، وأن هذه طريقة تؤدي بالإنسان إلى أن يفوته معرفة أكثر الدين، وإلى أن يفوته معرفة كيف يقدم للأمة ما يبنيها، كيف يقدم للأمة ما يعتبر فعلاً مبرراً لها أمام الله سبحانه وتعالى، وينجيها من غضبه في الدنيا وفي الآخرة.

هنا قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:٢٠٤)، ولأنها قضية هي تمشي في اتجاه واحد، وقلنا بهذا الكلام سابقاً، أن الله يقول: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} (القمر: من الآية١٧)، ما هذه واحدة؟ إذاً عندما نسمع آيات من القرآن الكريم، وبإنصات، وتدبّر، وتأمل ستعرف من ظاهرها الكثير، الشيء الذي يقدم لك من غيرك سيكون أيضاً كثير لكن ماذا؟ وفي نفس المجال، لن ترى شيئاً يقدم لك خلاف ظاهر الآيات الذي يحصل لديك بتذكرك الطبيعي، وتدبرك من ظاهر الآيات، معنى هذا يزداد الإنسان معرفة؛ ولهذا كان القرآن الكريم ينزل بلغة العرب، ويفهمون ما يفهمون، وأيضاً يأتي الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عنه: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١٢٩) .

التعليم من جهة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مهما كان واسعاً دائماً يكون في نفس الاتجاه، لن تقدم أشياء متناقضة، لن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن، مهما كانت القضية ذات عمق، فيعتبر ما يفهم الإنسان من ظاهر سماعه للتلاوة يعتبر ماذا؟ يعتبر أساساً يجعله يقبل ما يقدم له، ولن تكون القضية متباينة إلا إذا كان من يقدمون القرآن ليسوا من قرناء القرآن. عندما نقول: قرناء القرآن لا يعني فقط أن يكون أي واحد من أهل البيت؛ لأنه وإن كانوا من أهل البيت قد يكون الكثير منهم ليسوا قرناء قرآن، أن يكون هو بخصوصه، كل واحد يدعي أنه بخصوصه قرين قرآن، قرين قرآن.. إلى آخره.

إن الله كما قال في القرآن نفسه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية٣٢) أنه هو يورث، يورث من داخل بني إسرائيل، يورث من داخل آل محمد، ويعتبر مهمة آل محمد كدائرة ـ مثلما قلنا لكم سابقاً ـ مهمة أخرى في موضوع وراثة الكتاب. بنوا إسرائيل مهمتهم كدائرة مهمة أخرى أيضاً بالنسبة لكتب الله، ونحن نقول: إنها عبارة عن دوائر، وتبين من خلال الآية السابقة التي قال الله فيها: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليست هذه دائرة واسعة؟ {وَآلَ عِمْرَانَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليس آل عمران داخل؟ آل عمران: مريم وأمها وأبوها، تصطفى تلك الدائرة؛ ليأتي من داخلها علَم للأمة، وفي المقدمة بنوا إسرائيل، أليس هذا واضحاً في الموضوع؟.

لهذا يأتي الإنسان يسمع أحياناً أشياء ستراها متنافية مع ظاهر القرآن، متى ما جاء آخرون يقدمون، بعضهم يقدمونه بتحريف متعمد من أجل مثلاً تأقلم مع أهداف سلطة معينة، وبعضهم بسبب ماذا؟ بسبب انحراف ثقافي قائم لديه، يجعله ينظر نظرة معكوسة فيقدم الأشياء بشكل تبدو في الأخير متباينة مع ظاهر القرآن.

فلتكون القضية مضمونة بالنسبة للناس أنه بالنسبة للناس لا بد أن يقرؤوا القرآن، وأن يتلوا القرآن، وأن يتعودوا على تلاوة القرآن باستمرار، هذه قضية تعتبر أساسية في ماذا؟ في أنهم يفهمون أشياء كثيرة، وأساسية ؛ليعرفوا من هو الذي يمكن يقدم القرآن بشكل صحيح؛ لأنك عندما تكون هكذا ليس عندك فهم أنت، هذا الفهم الأول، تسمع واحد هناك يتكلم حول آية قد فعلاً يكون يقدمها بطريقة غلط، وتقبل، لو أنك إنسان كنت مثلاً متعود على تلاوة القرآن، وتفهُّمه، وتدبُّره، لعرفت أن هذا ربما معاكس لظاهر آيات سمعتها أنت، وتلوتها أنت.

هذه تشكل ضمانة بالنسبة للناس، وفي نفس الوقت فعلاً نقول سابقاً: بأنه بالنسبة للناس لا غنى لهم عن أن يستمعوا القرآن، لا غنى لهم عن أن يقرؤوا القرآن، أو يستمعوه على الأقل، إذا الإنسان ما هو قارئ، لا يستطيع أن يتلوه، أن يستمعه؛ لأن هذه القضية أساسية، وقضية أساسية في البركة، فالإنسان الذي يرشد الناس بالقرآن، سيكون لإرشاده بركة، الناس الذين يتعودون على تلاوة القرآن يحصل لهم بركة، إذا كانوا بعيدين عن القرآن، ومن يقدمه يقدم لهم أشياء بعيدة عن القرآن أصبحوا جميعاً في ضلال بعيد، ضلال مبين.

هنا في هذه الآيات، فيها كلام كثير حول بني إسرائيل، وفي الآيات السابقة عُرض فيها كيف يكون هدى الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه بالنسبة للأمم، تلك الأمم التي تنتهي المسالة فيها إلى ماذا؟ أن تكذب فتضرب، إذاً هذه قضية.

القضية الثانية: أمة تستجيب لكن يحصل داخلها أشياء كثيرة، تجد أيضاً كيف هدى الله داخل أمة تستجيب كعنوان، مثلما كان بنو إسرائيل بالنسبة لموسى، ومثلما العرب والمسلمون الآن بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كيف أيضاً يأتي الهدى داخل أمة من الأمم التي استجابت استجابة مبدئية ـ كما يقولون ـ؛ ليعرف الإنسان هنا قدرة الله سبحانه وتعالى، ورحمته الواسعة، قدرته العظيمة في أنه يقدم هدى لمختلف الفئات من البشر، منهم هناك مشركين ضالين، بشركهم، بعقائد باطلة، وتركيبتهم الاجتماعية على هذا النحو العشائري، أو تركيبتهم الاجتماعية تركيبة دولة مثل فرعون والمصريين في أيامه، كيف يكون هدى الله، يصل إلى الدرجة التي يتبين لهم فعلاً أن هذا هو الحق، وكيف تكون نهايتهم عندما يكذبون.

ثم تجد أيضاً كيف يكون هداه، ووعده ووعيده داخل أمة استجابت مبدئياً، بالنسبة للبشر ـ حتى يعرف الإنسان أن هذه قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى ـ بالنسبة للبشر قد تجد إنساناً مثلاً عنده قدرة قانونية ـ كما يقولون ـ قدرة في مجال التقنين، وصياغة التشريعات، لكن قدرته تكون في اتجاه واحد، لا يستطيع أن يصيغ لأمم متعددة، لفئات متباينة في تركيبتها الاجتماعية، قد تكون أيضاً متباينة باعتبار بيئتها، تركيبتها الاجتماعية، وبيئتها تخلق تبايناً أيضاً بالنسبة للنفوس. فتراه وهو يشرع، لكن يشرع وفق النظرية الديمقراطية مثلاً، لو يأتي إلى مجتمع آخر ليس حول الديمقراطية لا يستطيع أن يشرع له، لا يستطيع أن يقدم له توجيهات.

تجد الله سبحانه وتعالى هكذا؛ لأنه على كل شيء قدير، يقدم هداه بالشكل المتكامل لكل فئات البشر، وتجد في الأخير كيف ستكون عقوبة من يكذبون كأمة، مثلما حصل لقوم نوح، وعاد وثمود، والأمم السابقة، وكيف من يحصل من داخلهم التكذيب من داخل الأمة الفلانية، وتجد في نفس الوقت مظاهر رحمة الله هنا وهنا، مظاهر رحمته، جاء في الأسلوب السابق عن الأنبياء، وهو يحكي أسلوب الأنبياء أليس أسلوباً لطيفاً، وناس صدور فسيحة لديهم، صدورهم فسيحة، يقول لهم الآخرون: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ} (الأعراف: من الآية٦١) آخر يقول: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} (الأعراف:٦٧ـ ٦٨)، أليس هذا يعني أنه إنسان ناصح أمين، وصدره فسيح، يواجه حتى الكلام القاسي منهم، لا يجعله بالشكل الذي يجعله ينفر منهم، يواجهه بمنطق لين، هنا مظهر من مظاهر رحمة الله إلى آخر درجة.

تجد نفس الشيء بالنسبة للأمم داخلها، الأمم التي تستجيب مبدئياً، وكيف يأتي كثير من مظاهر رحمته داخلها، ومن أبرز الأشياء التي قدمت في الموضوع ما حصل مع بني إسرائيل؛ لتعرف هنا كيف هداه متكامل، ثم كيف رحمته واسعة كما قال: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (الأعراف: من الآية١٥٦) ثم في نفس الوقت كيف بطشه شديد، وانتقامه شديد.

ثم تعرف أيضاً بالنسبة لهداه أنه ليس فقط مجرد إيمان، بنوا إسرائيل آمنوا بموسى، وآمنوا بالتوراة، ولم يقل: يكفي؛ لأنها قضية عملية تقوم عليها الحياة، تبنى عليها النفوس، وتبنى عليها الأمة. ما كان عقابهم لمجرد أنهم ليسوا مؤمنين، أو لأنهم ليسوا مؤمنين بموسى أنه نبي، هم مؤمنون بأنه نبي، أو لأن التوراة، أنهم ليسوا مؤمنين بأنها من عند الله، هم مؤمنون بأنها من عند الله. كانت العقوبة لأنهم لم يلتزموا ؛لنعرف في

الأخير أن هدى الله سبحانه وتعالى يأتي من جانب ملك هو الله، يأتي من عنده باعتباره ملك، والملك معناه ماذا؟ يدبر ويوجه بالشكل الذي تقوم عليه حياة الناس، وتبنى عليه نفوسهم، ومجتمعاتهم، لم يأت عبارة عن خطبة مكتوبة من عند واحد في مسجد يوعظ فقط، فقط إنما يلقي موعظة، هذا خطاب من عند ملك السموات والأرض؛ ولهذا تأتي هذه العبارة داخل كلام كثير حول الهدى، حول تشريع في سور القرآن الكريم .

فهنا يذكر بني إسرائيل: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ} (الأعراف: من الآية١٣٨) ألم تكن هذه نعمة كبيرة جداً عليهم أن أنقذهم من آل فرعون؟ وبطريقة عجيبة، بطريقة باهرة من أبهر الأشياء، ومن أعجب الأشياء أن ينفلق لهم البحر فيصبح طريقاً يابساً ليس فيها حتى [خمج]، طريق يابس، ناشف، يمشون إلى الشاطئ الآخر. لكن لاحظ كيف كانوا: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: من الآية١٣٨) أليست هذه قضية غريبة، لكن تجد في نفس الوقت الشيء الذي يعتبر مهماً في الموضوع أنك تجد أنه فعلاً أن الذي يأتي من جانبه الهدى هو الذي خلق هذا الإنسان، هو الذي يعلم نفسيات هؤلاء الناس، ويرسل رسوله بشكل لديه معرفة أيضاً بنفسياتهم، هذه عبارة كبيرة، أليست عبارة كبيرة، لكن الله يعلم بواقعهم، يعلم ما ترك فيهم من أثر سيء، بقاؤهم في ظل هيمنة وقهر وجبروت فرعون وجنوده، وأن المسألة هي تأتي تدريجياً، هداية قليلاً قليلاً، وإلا فهذه القضية غريبة، واحد مثلاً ما عنده سعة صدر، ما عنده فهم بالناس، عندما يقولون: {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، بعدما خرجوا من البحر، أليست هذه آية تعتبر.. مثلما نقول: [يزغروا أو يندلوا الكبد]، لم يقل اذهبوا عني، قال: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف: من الآية١٣٨) ما رأيتم ما حصل؟! ومشى معهم، ألم يمش معهم؟ هل حصل له مؤاخذة على هذه؟ إنك إفهم بأنه بعدما عرف موسى منهم هذه القضية، وقالوا هذا، وقال: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} سيظل يتحدث معهم، ويبين لهم في الطريق، ولم تنزل عقوبة عليهم في هذه الحالة؛ لأنهم قالوا هكذا، ما زالت نفسياتهم هكذا، هم ما يزالون جاهلين، وما يزالوا أيضاً لديهم الآثار التي تركتها بيئة مصر في ظل حكم فرعون، وجبروته وطغيانه.

{قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} كان في مصر فرعون يعتبر نفسه الرب الأعلى، وما زال هناك آلهة، مع آل فلان إله، ومع كل منطقة إله، أو مع كل قرية، أو مدينة... لكن ويعتبرون أن الإله الكبير فرعون، قد يكون بنوا إسرائيل معتقدين بأن المسألة هي على هذا النحو: يعني الله هو الله، هم مؤمنون بالله، لكن ربما أيضاً يوجد آلهة هنا، والله هو الإله الكبير، أليس هذا ما يزال أثراً لديهم في نفوسهم؟ يعني عندهم صورة عن موضوع الألوهية أنها ـ مثلما تقول ـ حجة الإسلام، ثم آية الله، ثم آية الله العظمى.

{قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأعراف:١٣٩)، هذا من أول توجيه لهم، هؤلاء الذين ترونهم يعكفون على أصنام مدمر سينتهي يعني قضية يخسرون فيها، وهم خاسرون وهم على هذا النحو، وما يعملونه هو باطل، لا قيمة له، ولا أثر صالح له، ثم يقول لهم: {قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ} (الأعراف: من الآية١٤٠) لاحظ عباراته هنا أليست عبارات من يفهم بني إسرائيل ونفسياتهم؟.

تفهم أيضاً النبوة كيف هي، بعكس ما يقدم، أو بأوسع بكثير مما يقدم داخل كتب علم الكلام، تقدم المسألة وكأن الدور الهام بالنسبة للنبي هو: أن يكون صادقاً، إذا جاء وحي من عند الله لا يقدم بينه كذباً فقط، القضية أوسع من هذا بكثير، أما موضوع الصدق الله أمر عباده جميعاً أن يكونوا صادقين، وأثنى على الصادقين، وهناك صادقين، وذكر بأن من عباده صادقين من غير الأنبياء، لكن النبوة مهمة كبيرة جداً، وأشخاص على مستوى عالي جداً، لاحظ موسى هنا بعد العبارة القاسية، لكن هو يعرف قومه، يعرف المجتمع الذي كان فيه، وما قد يترك من آثار في نفوس هؤلاء أنهم أيضاً وهم كانوا في مصر كانوا في وضعية قاهرة، الوضعية القاهرة، الظلم هذا المتكرر يومياً، يكون طاغي على ذهنيتك، لا يفسح لك مجال أن تتأمل أشياء كثيرة، موسى كذلك لم يفسح له المجال أن يجلس مع بني إسرائيل يعطيهم توجيهات كثيرة، كثيرة؛ لهذا لم تنزل التوراة إلا بعد ما خرجوا من مصر، التوراة نفسها لم تنزل إلا بعدما خرجوا من مصر؛ لأن الوضعية هناك وضعية تقريباً الذهنية غير متفرغة فيها،

في ظل القهر الشديد للتأملات، وآيات وأشياء من هذه، وينسف أشياء كثيرة في ذهنياتهم، كانت الإيجابية الكبيرة لديهم ارتباطهم بموسى، كانت إيجابية كبيرة جداً.
تجد هنا صفة هامة جداً لدى موسى أليست زيادة على كونه صادقاً؟ هذه القضية أساسية جداً يأتي ليقول لهم: {قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الأعراف:١٤٠) أليس هذا توجيه؟ توجيه وفي نفس الوقت طبيعي، ليس توجيه غضب، جاء الغضب في مقام آخر، بعد مرحلة مشوا فيها، قد هناك توجيهات كثيرة فيما سيأتي بعد، لكن هنا: {قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً} ويذكرهم هم بالنعمة الكبيرة عليهم، {وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} ليشدهم إلى الله بأن يحسسهم بما هم يحسون به فعلاً من نعمة من جهة الله، أنه أنقذهم من آل فرعون، أنه تفضل عليهم بهذه النعمة الكبيرة، أنه اصطفاهم بشكل عام على بقية البشر أن يكون منهم الأنبياء، أن يكون فيهم الكتاب، والحكم، والنبوة، كما قال في آية أخرى وهو يتحدث معهم. يعني أسلوبه بأن يذكرهم بهذه قضية هامة، وهو فضلكم على العالمين.
إذاً الأصنام تلك التي هناك ما هي علاقتها بهم؟ أو أصنام من هذه النوعية تريدون أصناماً مثل هذه الأصنام التي رأيتم أناساً يعكفون عليها، ماذا قدمت لكم؟ وماذا يمكن أن تقدم لكم؟ الله وحده هو الذي فضلكم على العالمين؛ فاتجهوا إليه وحده، ما هناك آلهة غيره.
هنا يبين في القرآن الكريم، وبالذات في تاريخ بني إسرائيل؛ لأنه تاريخ طويل، وتاريخ مليء بالأحداث المتغايرة، والمتعددة. يذكر من نعمه عليهم هذا النبي الذي أرسله، الذي هو على هذا النحو في تعامله معهم، يذكرهم بنعمة كبيرة هي إرسال موسى إليهم، وأن يكون موسى على هذا النحو: إنسان يعرف تماماً كيف يتعامل معهم، إنسان حريص عليهم، رحيم بهم، قدير في التعامل معهم، يراعي وضعيتهم، هذه واحدة منها؛ لأنه هنا يأتي في سياق يذكّر بنعم، ويذكر بأحداث حصلت منهم ....
في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وخطاب يذكر ما حصل لبني إسرائيل في الماضي، ليس الكلام هنا يحكيه عن موسى، لكن الله أليس هو يذكر نعمة هنا؟ يذكّر بني إسرائيل بنعمة، يذكر أيضاً بنعمة، موسى في حد ذاته الذي هو على هذا النحو في أسلوبه الحكيم معكم، الذي يدل على أنه إنسان رحيم بكم، وناصح لكم، ويعرف نفسياتكم تماماً، أنه يعتبر نعمة في حد ذاته كبيرة؛ ولهذا أنتم قلتم بعدما خرجتم من البحر: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} ثم كيف كان منطقه معكم لما كنتم في وضعية تحتاجون إلى شخص يفهمكم تماماً، ويتحدث معكم بأسلوب من هو عارف بنفسياتكم وواقعكم، وما تركه فيكم بقاؤكم في مصر أجيال.
{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (الأعراف:١٤١)، فضل عظيم من جهته سبحانه وتعالى، ونعمة كبيرة، هنا يبين في هذه: أن يفهم الناس بأنه سبحانه وتعالى يجعل دينه لإنقاذ عباده من الظلم، من الطغيان، من الجبروت، من القهر والاستضعاف، من شقاء الحياة. أليس هذا كان يعتبر جانباً مهماً من رسالة موسى؟ {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} (طـه: من الآية٤٧) جانب كبير من رسالته هو أن يعمل على تحرير بني إسرائيل من الظلم، والعذاب الذي هم فيه.
وهذه قضية هامة بالنسبة للناس، وفعلاً حصل التوجيه لم يعد يحصل بهذا الشكل الذي يترسخ في ذهنية الناس، علاقة الدين بحياتهم، وأن دين الله جاء ومن مهامه الكبيرة لإنقاذهم، لئن لا يظلموا، ولا يستعبدوا، ولا يقهروا، ولا يذلوا، ولا يشقوا في حياتهم المادية، وأنها مهمة لا تتم إلا بهداه المتكامل، بما فيها الأعلام الذين يصطفيهم هو، لا تتم تلقائياً بالشكل الكامل، إنقاذ الأمة. لاحظ هنا أليس هو يذكر موسى؟ موسى كيف كان عمله في مصر، موسى رجل كما قال الله عنه: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طـه:٤١) اصطفاه لمهمة كبيرة، مهمة تحرير بني إسرائيل من استعباد فرعون وآل فرعون، ألم يكن إنساناً جديراً بهذه المهمة؟ وفعلاً أدى المهمة بجدارة وكفاءة عالية.
ثم تربيتهم ليصبحوا أمة شاهدة على الأمم في حملها للدين، وفي إيصال الدين إلى بقية الأمم، لكن لشقاء بني إسرائيل أربكوا الدين داخل قبل أن يخرج، هم أربكوه فعلاً بشكل كبير لما فهم عنهم في الأخير وكأنهم يعتبرون

هذا الدين كأنه مما يخصهم هم وحدهم، وأن النبوات لم تكن إلا لهم وحدهم، وأن الرسالات لم تكن إلا لهم وحدهم، وهذا غير صحيح، هو قال عن التوراة بأنها هدى ونور للناس، قال: للناس، إنما بنوا إسرائيل كان دورهم أن يكونوا الدائرة التي تجسد هذا الدين وقيمه؛ لتنتقل بين الآخرين، ولتجذب الآخرين إليها، أربكوا الدين داخلهم، ثم ترى في الأخير كيف كانت عاقبتهم .

القضية هذه تعتبر حساسة جداً عند موسى، ليست قضية سهلة، لمعرفته لله سبحانه وتعالى، وحرصه جداً على هداية الناس إلى الله، وتوحيد الله، وعبودية الله، أي: أنه يفرح بأي آية أنها ستشد الناس إلى الله، ثم من بعد عندما تأتي الآية الكبيرة، أكبر آية في مسيرتهم: انفلاق البحر، ويخرجون، بعد ذلك يقولون: {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}! أليس هذا الموقف جدير بأن ينفجر قلبه منهم؟ قضية عنده رهيبة جداً، لاحظ كيف كان موقفه عندما رجع من الجبل، وقد أصبحوا يعكفون على عجل، غضب لكن رجع على أخيه، ليس معه إلا أخوه يرجع عليه، {رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي} (المائدة: من الآية٢٥).

الحالة هذه حتى يفهم الإنسان أن المسألة فعلاً أن الله هو الذي اصطفى للناس دينه، وهو الذي يصطفي للناس من يحملون دينه، من يهدون بدينه عباده، ليست قضية تأهيلية على الإطلاق، موسى لاحظ كيف كان موقفه هنا، موقف يراعي واقعهم، وعارف لهم مع أنها قضية عنده تعتبر مؤلمة جداً، مؤلمة وكبيرة ومزعجة، لكن يمسك نفسه، ويعرف أنهم فعلاً ما يزال فيهم آثار ما كان هناك في مصر، والتركيبة الاجتماعية هناك، وبيئة الشرك والطغيان هناك في مصر، يخاطبهم بمنطق لين .

أليست هذه تعتبر نفسية عالية؟ يعني الله خلقه لهذه المهمة، مهمة كبيرة جداً، لا يستطيع أي إنسان أن يرتقي بنفسه إلى مستواها، لو ربي في أي مكان لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور الهام فينقذ بني إسرائيل، ثم يتعامل مع هذا الشعب المسكين، المظلوم، المقهور، ويتعامل معه طول حياته إلى أن مات على أرقى تعامل، لا يستطيع أحد إلا الله.

كما أنك تجد نفس الهدى لا يستطيع أحد أن يقدمه على هذا النحو إلا الله، كذلك من يقدمونه لعباده يجب أن يكونوا فقط ممن يصطفيهم الله، هو قال في القرآن: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية٧٥) أنه هو الذي يصطفي من داخل الملائكة لإيصال دينه، ويصطفي من داخل البشر رسلاً لإيصال دينه، ثم يذكر بعد ما ينتهي الرسل، وبعد ما تنتهي النبوات أنه يصطفي ورثة لدينه.

فالإنسان الذي يفهم دين الله سيعتبر هذه القضية أكيدة، قضية يقطع بها، تعرف نفس الدين، وسعته، ودقته، أنه بالشكل الذي مثلما قلنا سابقاً: من يتأمل دين الله يقطع بأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يؤهل نفسه، لو تخرج من أعلى جامعة في هذه الدنيا، أو من أعلى مركز تعليمي في هذه الدنيا، لو تكاتف كل أهل الدنيا على تربيته تربية خاصة، ما استطاعوا على الإطلاق أن يصلوا به إلى درجة أن يقوم بمهمة الدين هذا أبداً؛ لأنها قضية مرتبطة بالله، وهذا من مظاهرها، نفسية موسى هنا، وفي هذا المقام بالذات يظهر أن هذا إنسان الله اصطفاه، ويعرف تماماً كيف يتعامل مع كل الوضعيات .

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف:١٤٢) وهي فترة قصيرة، فترة ثلاثين ليلة زايد عشر، أربعين ليلة، لاحظ كيف نظرة الأنبياء إلى أممهم، هو يعرف بأنه لن يغيب عنهم إلا ثلاثين ليلة أو أربعين ليلة على الأكثر، يلاحظ من هو أرقى شخص، وأكمل شخص فيهم ليعينه بعده، {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} مع أنه قد انتقى أعلى شخص فيهم، وأيضاً يوجهه بالتوجيهات الهامة، أن تصلح، وأن لا تصغي للمفسدين.

فهل يمكن لمثل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يترك هذه الأمة عندما يموت ثم لا يرشدها إلى من تتبع، وموسى هنا لغياب ثلاثين ليلة، يعين بعده من يخلفه، لا يمكن من يعرف أنبياء الله أن يقبل هذه القضية، يقول: إنه ترك الأمة، ولم يعد له دخل منها؛ لأن الأنبياء ـ عادة ـ ناس مهتمين جداً بالبشر، مهتمين جداً

بأممهم، رحيمين جداً، يفهمون الأمور، يعني: ألا يفهم أي ملك من الملوك، ما بالك نبي من أنبياء الله بأنـه إذا لم يعين أحداً من بعده بأنهم سيختلفون، هذه قضية معروفة، فكيف يصمون أنبياء الله بـأنهم هكـذا: يغـادر واحـد منهم الدنيا ولا يعين أحداً، وهو يذكر هنا أنه لم يغادر موسى للميعاد هذا إلا ويعين أخاه.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في أطول رحلة بعيدة عن مركز دولته، ومجتمعه، لم يسر إلى تبـوك إلا وقد عين الإمام علياً بعده، لفترة قصيرة، وفي الأخير يقولون بعد: أنه مات ولم يوص أحداً، ولم يعين أحـداً، ولا شيء، لكن أبو بكر أما هو فلم يمت إلا وقد أوصى إلى عمر، ألـيس هـذا يعتـبر اسـتهانة بالأنبيـاء، جهـل كامـل بالأنبياء أنهم ناس يهتمون جداً بالأمة، ورحيمين بالأمة، ويعرفون الأمور، يعرفـون المواضـيع، يعرفـون القـضايا التي يمكن أن تؤدي إلى اختلاف فيما بين الناس، وليس كأنه ما صدق أن يموت ولـو هـم في سـتين داهيـة، أبـداً مهتمين بهم من بعد، خاصة مثل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو يعرف أنه رسول للعالمين، وآخر رسـول للعالمين إلى آخر أيام الدنيا، أنه رسول للكل، فعلاً تجد أنه عمل في ذلك الزمن ما يبين للناس في هذا الزمن، مـا له علاقة بالناس في هذا الزمن من بعد ألف وأربعمائة سنة.

ثم في الأخير نجد كثيراً من الأمة يؤمنون بهذا من أجل أبـو بكـر وعمـر، [رسـول الله لم يـستخلف]! حتـى لا يلزمهم.. لأنهم يعرفون أنه لم يستخلف أبا بكر، يفهمون بأنه لم يستخلف أبا بكر، لا أحد يدعي بأنه استخلف أبا بكر أبداً في ولاية أمر الأمة، فقط يقولون: إنهم في الأخير أجمعوا عليه، بايعوه، وأجمعوا عليه.

قلنا: لكن قولوا لنا الآن في موضوع النبي نفسه، النبي نفسه أنتم قـدمتموه بـشكل.. يعـني: إنـسان لا يهـتم بالأمة نهائياً، والله يقول له بعد أن يذكر له قصص الأنبيـاء الـسابقين: {أُولَئِكَ الَّـذِينَ هَـدَى اللَّـهُ فَبِهُـدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: من الآية٩٠) ، والرسول هو الذي نزلت عليه الآية هذه، وهذه الآية تبين بأنهم اختلفوا لغياب ثلاثـين ليلة، على الرغم من أنه قد اختار شخصاً على أعلى مستوى فيهم، رسول الله ألا يمكن أن يفهم هذه؟ والله يقول له: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} يطلعون الأنبياء أغبياء، أغبياء، أبو بكر يعتبر أذكى مـن أعظـم نبي منهم.

هذه تعتبر قضية سخيفة جداً، سواء تقولون: بايعوه من بعد، أجمعوا عليه، أو لم يجمعوا، المهم أن أكبر جريمة ارتكبتموها أن تقولوا: إن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) غادر هذه الحياة ولم يستخلف أحداً.

كان أجمل لكم أن تقولوا: إنه استخلف أبا بكر، كان أجمل لهم أن يقولوا: أنه استخلفه، وأنه أعلن ولايته، كـان ما يزال في هذا حفاظاً على مقام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، لكن لا يوجد، حريصين جداً علـى موضـوع خلافة أبي بكر، أنها تستقيم، ويضفون عليها شرعية، ولو أدوا برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آلـه) إلى أن يكون مخالفاً لسنة الله في عباده، ومخالف لسنن أنبياء الله الذين أمره بأن يهتدي بهم، وكأنه لم يقرأ القـرآن! قدموا النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الذي أنزل عليه القرآن وكأنه لا يعرف القرآن!.

أي واحد منا وهو يرى هنا أن الله يحكي عن موسى أنه غادر قومه ثلاثين ليلة وعشر، أربعين ليلـة، وهنـا يقـول وهو يوجه أخاه، ألم يستخلف أخاه، ثم بعد أيضاً اختلفوا وقد استخلف أخاه، أليس أي إنسان منا سيعرف أن هذه الحالة محتملة أن تحصل عند البشر، أن يختلفوا إذا لم تعين لهم أحداً؟ بل قد يختلفون ولو قـد عينـت لهـم، لكن عندما تكون قد عينت لهم يعتبر ماذا؟ يعتبر تقصير من جانبهم.

وهي نفس القضية، أن الله يرسل رسولاً إلى الناس، وينزل عليه كتاباً يبين لهم، ثم في نفس الوقت يعارضونه، أليس هذا يحصل؟ هل كان بالإمكان أن نقول: إذاً لم يكن هناك حاجة إلى نبي ما دام وهو يدري أنهم سيعارضـون، لا، يرسل رسولاً، وينزل كتاباً، وعندما يعارضون تكون المعارضة من جهتهم هم، المخالفة من عندهم هم .

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْـكَ} (الأعراف: من الآية١٤٣)، هنـا القـصة تعـرض وهنـاك تفاصيل لها في سور أخرى، ما الذي حمل موسى على أن يقول هكذا؟ أنه فعلاً مجموعة من قومه قالوا: {لَنْ نُـؤْمِنَ لَكَ} هؤلاء النقباء الذين اختارهم {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} (البقرة: من الآيـة٥٥)، مـبطلين نهائيـاً، قـالوا ضروري يدعو الله يرونه، هنا قال: حاضر، قام بالعملية هذه.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} (الأعراف: من الآية١٤٣)، هم قالوا: إن موسى لما سأل هو أنهم قالوا هم: أنهم لو سألوا هم يمكن ما يجيب إنما يسأل هو باعتباره أقرب شخص إلى الله فليسأل هو، {قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً} (الأعراف: من الآية١٤٣)، أغمي عليه، ويبدو أن الذين معه أنهم أيضاً ماتوا في نفس الوقت، ماتوا ولكن أحياهم الله من جديد، مجموعة النقباء الذين كانوا معه.

فالقضية هي تتقدم مثلما مر في سورة [الأنعام] بأن الله سبحانه وتعالى يأتي بالآيات البينات للناس لدرجة أن ما هناك حاجة إلى أن يروه، هذه قضية، أنه في جانب نعمه يعطيهم نعم كثيرة جداً بما فيها الجنة الموعودة للمؤمنين وبدون حاجة إلى أن يروه؛ لهذا جاء بآية: {لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} (الأنعام: من الآية١٠٣) في سياق تنزيه ذاته، وفي سياق بأن البشر ليسوا بحاجة إلى هذا، هو يعطيهم بصائر، وهو قال بعد في نفس الآية: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} (الأنعام: من الآية١٠٤)، يقولون: نريد أن نراه بالأبصار، يأتي لكم ببصائر وافية كافية، وما يكون هناك حاجة إلى أن يطلبوا أن يروا الله.

الآية هنا هي فوق ما يقولون: هل جاز، أو يجوز له أن يسأل؟ أو كيف جاز له أن يسأل، أو أشياء من هذه. موضوع الهداية أوسع من هذه الأشياء كلها، موسى يعرف قومه عاشوا في بيئة يعبدون أصناماً يرونها ويلمسونها ويبخرون لها، هكذا، هم يعرفون في نفس الوقت بأن الله إله إله ما قد رأوه، لكن يعتقدون ربما قد هم متجهون على طريقته وموحدين له فيمكن يرونه، القضية لا تقوم على أساس الجدل، حتى أننا نقول بالنسبة للمعتقدات هي تؤخذ من كلام الله، هي لا تقوم على أسس جدلية فلسفية، المعتقدات.

موسى نفسه ما قد حصل من جانبه هو فيما حكا الله عنه أنه في مرة من المرات فكر أنه يريد أن يرى الله، هذا وإن لم يذكر قومه معه، ذكر في مقام آخر القصة هي كانت على هذا النحو مع الناس الذين اضطروه إلى أنه يسأل الله أن يريهم، أن يروه جهرة، قال: تمام {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} لسنا بحاجة أن نقول: إذاً موسى ارتكب خطيئة، إذاً موسى ارتكب كذا، أو نتأول له أنه كيف عمل، وأشياء من هذه. هو يعرف قومه، ويعرف الله بأنه رحيم، ويعرف سنة الله أيضاً في الهداية.

قدم لنا في السور السابقة في سياق الكلام عن بني إسرائيل أنه يأتي أشياء الله عالم لوضعيتهم لا يؤاخذهم في حالة معينة، مثل الجبل ألم يرفعه فوقهم ورده مكانه، وفي مقامات أخرى يضربهم؛ لهذا يأتي في كثير منها: ثم عفونا عنكم من بعد ذلك، ثم عفونا عنكم، تتكرر.

الآخرون قالوا: لولا أنها جائزة لما سأل موسى الله الرؤية، لولا أنها جائزة أي ممكنة، ويجوز سؤالها وهي ممكنة لما سألها!. لا، نحن نقول: أن الذي جعل الأشياء على هذا النحو، مقاييس عملناها نحن [يجوز وما يجوز] أنظر إلى القضية قضية هداية، قضية تعامل نبي مع أمة وهو يفهم، قد يكون مثلاً يقول لهم: ما هناك حاجة إلى هذه، أو القضية واضحة، ولم يقل الله بأنه يمكن أن نراه، أو أشياء من هذه، لكن يصروا عليه فقال: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً}، يعني: إذاً لن تراني، أليس معناها لن تراني؟ لا أنت ولا هؤلاء القوم الذين قالوا لازم، {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}.

جعل لهم آية واضحة أمامهم يقنعون، جبل كبير ينهد، يصبح مستوي بالأرض، ونفس هذه الالتفاتة إلى الجبل من آيات الله، آيات الله، أمام الإنسان بالشكل الذي يرى الله ظاهراً أظهر من مخلوقاته كلها، لا يحتاج إلى أن يراه.

{فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٣) اعتبر نفسه بأنه حصل من جانبه شيء يجب أن يعود إلى الله، يرجع إلى الله، ويتوب إليه منه، {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}، أنا أول المؤمنين بك وبقولك: {لَنْ تَرَانِي}.

{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف:١٤٤) **اصطفيتك على الناس، مع أنه ذكر بالنسبة للناس من بني إسرائيل أنه اصطفاهم، ألم يذكر أنه اصطفاهم؟ فهو اصطفاه على بني إسرائيل، ومصطفى على الناس جميعاً، اصطفاه لهذه المهمة، وليختصه بهذه المهمة: {بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي} اختصيتك بأن أكلمك أنت، وقلنا في درس سابق: هذه القضية مهمة بالنسبة لموسى، موسى كانت مهمته صعبة جداً، أن يتحرك وهو إنسان لا قومه أقوياء، وفي نفس الوقت قد قتل واحداً من الفراعنة، قد خرج هارباً من مصر، ويعود رسولاً إلى فرعون وهامان وجنودهم، ويقول لهم: يؤمنون بالله، ويحاول ينقذ بني إسرائيل يخرجهم! هذه مهمة صعبة جداً، كبيرة.**

بقدر ما تكون المهمة كبيرة يكون ماذا؟ التأييد الإلهي، والأنس الإلهي كبيراً جداً، هناك حصل التكليم لله في جانب الطور، كلمه الله أي: أنه كلمه، لم يكن عن طريق وحي بواسطة ملك من ملائكته. {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ} ويسمى كله كلام من جهة الله، {إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} (الشورى: من الآية٥١) **ألم يبين هنا الموضوع كيف يكون، هنا كلم الله موسى بما تعنيه الكلمة، لكن ليس معناه أنه رآه، هو يقول: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}، ذكر في آية أخرى أن الكلام انطلق إلى موسى من الشجرة، من شجرة كانت قريبة منه.**

{فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ}، لاحظ هنا الرسالة هذه موجهة إليه هو أن يأخذها {وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} وكن من الشاكرين لأنها فضل عظيم من الله، أن اصطفاه، أنه يعتبر نعمة كبيرة عليه من جهة الله أنه اصطفاه، وجعل القيام بهذه المهمة على يده، وهذه المهمة عظيمة، وفضل عظيم، كبير على الناس جميعاً، يأتي على يديه. إذاً هو في وضعية يجب عليه أن يتذكر بأن يشكر الله على ما آتاه، هذه القضية ـ مثلما قلنا سابقاً في درس ـ أن الإنسان فيما يتعلق بدين الله كلما وُجِه إليك، يجب أن تشكر الله عليه، تعتبر أنه فضل، وإن بدت القضية وكأنها صعبة، أو شديدة، أشكر الله أنه وجه إليك أن تقوم بهذا العمل، مثلما قال بالنسبة للصيام، وهي نفس المسألة من أصلها، ألم يوجه موسى هنا بأن يشكره على أن أوكل إليه حمل هذه الرسالة؟ حمل هذا الدين، {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} يعني تذكر بأن هذا فضل عظيم.

وهذه القضية أساسية في أن الإنسان ينطلق، عندما قدم الدين بأنه حمل، لم يعد يتذكر الناس بأنه نعمة عظيمة جداً عليهم، حصل ماذا؟ حصل تراجع عن إقامة الدين، حصل قصور، بل انعدمت جاذبية الدين في أوساطهم.

عندما تتذكر بأنه نعمة كبيرة جداً عليك، تشكر الله عليها، أي أنه فضل، أن يأمرك بالجهاد، إذاً معناه فضل عظيم، أن تعيش في مرحلة قد يكون جهادك من أفضل الجهاد في الدنيا معناه فضل عظيم، أن يوجه إليك بأن يأمرك بأن تصوم، ألم يذكر في الصيام أيضاً، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) **هذا فضل عظيم، وهكذا قاعدة عامة، وثابتة: أن الرسالة بكلها، أنها بالنسبة للشخص الذي أوكل إليه أن يقوم بها تعتبر فضيلة عظيمة عليه، وهكذا قال لنبيه محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)**: {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}** (النساء: من الآية١١٣).

موسى سيتحرك ويعتبر بأنه في فضل عظيم من الله أن اختصه، يتفانى في الموضوع، لكن لو يأتي يحملها ويعتبرها حملاً شاقاً، وتكليفاً شاقاً لكانت قضية صعبة عليه، لن يكون لها جاذبية عندك إلا إذا أنت تعتبرها فضلاً عظيماً عليك.

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} (الأعراف: من الآية١٤٥)، **هذه سنة الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده في كل الأمم، يأتي بهدى متكامل، وبيان متكامل، عندما نقول مثلاً: إن القرآن هو أشمل، باعتبار مهمة القرآن، ليس معناه بأن الرسالات السابقة كانت ناقصة بالنسبة لزمانها أبداً، بل كل رسالة بالنسبة لزمانها كاملة، وقد تكون هذه الرسالة أوسع من الرسالات التي قبلها باعتبار ماذا؟ باعتبار محيطها، وباعتبار مدى فترتها، وإلا فكل رسالة تكون متكاملة.**

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ}(الأعراف: من الآية١٤٥) **فهنا الخطاب يأتي من جهة الله بالنسبة لكتبه؟ التركيز من عند الله سبحانه وتعالى دائماً يكون بالنسبة لكتبه، وفي المقدمة أنبيائه أن يقول لهم: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}**(البقرة: من الآية٦٣) **وهنا يقول لموسى: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} مثل ما قال لمحمد** (صلوات الله عليه وعلى آله): **{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ}**(الزخرف: من الآية٤٣) **ما معنى فخذها بقوة؟ لا يلتفت إلى شيء آخر، يعرف دائماً بأنه يتحرك على هذا الأساس، ويقوم به، تأخذها بقوة يعني: لا تلتفت إلى أي شيء آخر غيره، وبجدية تتحرك فيه؛ لتتقوم به بالشكل المتكامل. ما بقي هذا للقرآن فيما بعد، يقضي واحد أكثر وقته في كتب أخرى، والقرآن هناك.**

{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}(الأعراف: من الآية١٤٥)**، عندما يقول: بأحسنها ليس المعنى أن هناك أشياء غير جيدة فيها؛ لأنه عادة ما يقدم من جهة الأنبياء يكون في نفس الوقت يقدم بشكل له جاذبية، وهذا لمسناه في آيات سابقة، يقدمه في قالب يرونه حسناً أيضاً، فعندما يقدمه سيصبح أحسن، وكلما يقدمه لك في الموضوع يعتبر أحسن شيء فيه، وهذا أحسن شيء في هذا، وهذا أحسن شيء في هذا، ما هناك أشياء يمكن أن تقول: أنها ليست حسنة.**

وليس معنى بأحسنها، عندما يقول: بأحسنها، يعني: بمحكمها، والمتشابه مشكلة ثانية، يعني: أن كل شيء في موضوعه يعتبر أحسن شيء فيه، أحسن شيء في هذا، أحسن شيء في هذا، تابع المواضيع التي تناولها الدين وترى أن كلما يوجه في هذا المجال هو أحسن شيء، وأحسن توجيه.

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}(الاسراء: من الآية٩)**، فيعتبر هداه في هذه القضية أحسن هدى، يوجد فارق من الناحية الإيمانية، يوجد فارق كبير جداً، لاحظ هنا بالنسبة لموسى يقول له: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} موسى يرى أن القضية من أساسها: أن الله سبحانه وتعالى كل ما يقدمه هو شيء عظيم جداً، الآخرون يحتاجون أن يقدم لهم هذا الشيء بجاذبية، وتبيين ليكون شيئاً يعرفون بأنه أحسن شيء قدم إليهم، وهذه القضية تراها في القرآن، نفس الشيء بالنسبة لأمة محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)، **قال هناك في المقدمة: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**(الأعراف:١٤٤) **، سيعرف بأنه اصطفي لشيء عظيم جداً، أليس هو سيعرف، نوعية ينطلق إيمانياً، وإن لم يكن يعلم أثر الشيء في الواقع، أثره هناك.**

وهذه هي قضية أساسية، وأساس الهدى من الله هو على هذا النحو، الهدى المفترض بالنسبة للإنسان، وهذا موجود في القرآن هو: أن الإنسان ينطلق من واقع إيماني، وإن لم تكن هناك أمثلة أمامه، شاهد بأن هذا الشيء عظيم الذي قدم له، وإن لم يكن هناك شيء يجعله جذاباً، وإن لم يكن عارف الغايات منه؛ لأنه فعلاً في هدى الله تكون الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يعرف ما يمكن أن يترتب عليها من إيجابيات، وأشياء عظيمة من آثارها، الإنسان لا يعلم الغيب .

فالقضية الصحيحة ابتداءً الانطلاقة على أساس إيماني، أن توجيه الله عظيم، وأنها تترتب عليه الآثار العظيمة، وأن خروج الإنسان عنه سيخرج إلى ضلال، هذه هي الدرجة الأولى، لكن لاحظ كيف أنه أيضاً في مسيرة البشر هو يقدم لهم هدى من خلال حركتهم، أمثلة؛ ليفهموا من خلالها، وإلا فالشيء الطبيعي، والشيء الصحيح هو هذا، وهذا هو قيمة هدى الله، بمعنى أن هدى الله هو أساساً ليس بالشكل الذي يحتاج إلى شواهد عملية حتى نقول: إذاً هذه النظرية صحيحة، لأنه من أصله هو صحيح، وأنه بإمكان الإنسان أن يكتفي به إيمانياً وينطلق على أساسه، إذا كان الإنسان يعرف الله، ويعرف نفسه، يعرف الله بأنه ملك، ومدبر شئون السموات والأرض، ويعلم الغيب والشهادة، فهو يعلم بأن هذا أفضل شيء، أن آثاره ولو على المدى البعيد عظيمة، الإنسان قاصر لا يعلم الغيب، قد يكون أمامك توجيه معين لا تدري بأن هذا التوجيه قد يكون له علاقة بقضايا مهمة جداً بعد، أنت لا تعرف.

فهنا يتبين إذا كان إيمانك بالله قوياً يحصل تسليم، وتنطلق على أساسه، هذا إيمان الأنبياء، الأنبياء إيمانهم على هذا النحو بشكل متكامل، مؤمن بأنه عظيم، وأن آثاره ستكون عظيمة هذا الشيء وإن لم يعرف بالتحديد

كيف ستكون الآثار؛ ولأن الإنسان قاصر قدم الله له أيضاً أمثلة كثيرة من واقع حياته، ومن واقع حياة الأمم السابقة، الأمم السابقة لاحظ كيف عندما لم تسر على هدى الله كيف كانت عاقبتها، كيف كانت في واقعها في الحياة نفسها؟ ثم كيف كانت نهايتها أن ضربت نهائياً، فهنا قال: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} وبني إسرائيل قال: {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}، موسى سيعرف أنه يقدم الشيء على أحسن ما يمكن.

فنعرف من هذا أنها قضية ملحوظة بالنسبة لغالبية البشر، أصبحت سنة ثابتة بأنه يجب أن يُقدَّم لهم الدين بجاذبية، يعرفون عظمته، يعرفون أهميته، يعرفون يسره، يعرفون علاقته بحياتهم، يعرفون أنه حل لكل مشاكلهم. أليس سيحصل للدين جاذبية لديهم؟ في المقدمة يترسخ لديهم إيمان بالله، متى ما عظم إيمان الإنسان بالله في الأخير يعرف عظمة دينه، وحتى لو لم يعرف بالتفصيل الآثار التي تترتب على توجيه معين من دينه، عندما يكون هو عارفاً لله، وعارفاً لنفسه. هذه قضية أساسية أن يكون الإنسان عارفاً لنفسه بأنه لا يعلم الغيب، يكون الناس عادة إذا جاء توجيه معين، يحاول بذهنه أن يتجه به إلى المستقبل، ولم ير أنه يمكن أن يكون له آثار وترك العمل، ينسى بأنه لا يعلم الغيب.

مثلما قلنا سابقاً: أنه يظهر في هذا العصر آثار مهمة لتوجيهات يوم نزل القرآن في سورة [النساء] في موضوع المواريث، في مواضيع من هذه، كيف يأتي بتهديد عظيم فيها، يؤكد عليها بشكل كبير؛ لأنه يعلم ما سيترتب على التفريط فيها، متى جاء؟ قد يكون هذا التفريط آثاره حصلت في القرن هذا، عندما يحصل تفريط في المواريث، تفريط في التعامل الصحيح مع المرأة وفق توجيهات هذا الدين، أن القضية ستكون جريمة من جهة الإنسان أنه سيعطي الأعداء مادة دعائية ضد هذا الدين، جاءت التأكيدات هناك، هكذا تكون الأشياء، لا يستطيع الإنسان أن يعرف ما الذي يمكن أن يترتب على التوجيهات ـ مثلاً ـ من إيجابيات، وما الذي يمكن أن يترتب على التفريط فيه من سلبيات، وعقوبات بالتفصيل، كذا، كذا؛ لهذا تؤمن بالله وتثق بهداه، وتوجيهاته، وتعرف بأنه هو الذي يعلم الغيب والشهادة وحده.

ولاحظ هنا يقول للناس: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٩) **يقول للناس بأنه {أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (الفرقان: من الآية٦)**، وأنه عالم الغيب والشهادة، {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ}** (الأعراف: من الآية٥٢)**، لكن النسيان هذا يجعل الإنسان يتصرف وكأنه يعلم الغيب، فإذا ما رأى في الغيب ذلك شيئاً اعتبر هذا الموضوع ليس هاماً، يجب أن تعلم، وتترسخ في ذهنيتك، ليست قضية إيمانية فقط، كل واحد منا يؤمن بأنه لا يعلم الغيب، أليس كل واحد يؤمن بهذا؟ لكن يجب أن تكون فعلاً فاهماً معنى أنك لا تعلم الغيب، فعندما تنظر هكذا أمامك، ثم لا تجد شيئاً أمامك تفصيليات تعتبر آثار هامة لتوجيه معين من هدى الله، في الأخير تقول: لا يوجد شيء.**

هذا تصرف من يتصور نفسه بأنه يعلم الغيب، فلأنه يعلم بأنك لا تعلم الغيب وجهك من يعلم الغيب، إذاً فإذا كان هناك آثار إيجابية هو يعلمها هو، آثار سلبية على التفريط فيها فالله يعلمها هو، إذاً فالتوجيه مضمون، قد هو قائم عليه كل الإيجابيات، ويبعد عنك كل الآثار السيئة.

{وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} قد تكون هذه الآية: {سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} قد تقدم كيف أرانا دار الكافرين، قوم نوح، قوم عاد، قوم ثمود، قوم شعيب، وقوم لوط، وهذه النوعية. كلمة فاسقين، مثلاً فاسقين عن الطريقة التي رسمها لهم، عن التوجيه الذي جاء إليهم وهم من حيث المبدأ مؤمنين به، كيف في الأخير تصبح دارهم، كيف ستصبح في الأخير دارهم هم! ألسنا في الأخير فهمنا كيف أصبحت دار بني إسرائيل من خلال ما قدم عنهم من أشياء بسبب مخالفتهم لهداه؟ أصبحوا فاسقين، تبين من خلال هذا كيف أصبحت دار الفاسقين، كيف أصبحوا هم في واقعهم في الحياة، عاشوا كم سنين في التيه، وعاشوا عمرهم إلى الآن مضروب عليهم ذلة ومسكنة.

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأعراف: من الآية١٤٦) **لاحظ هنا كيف أن المسألة أن الله يقدم الأشياء برحمة، بلطف، بعناية، برعاية، ولكن في نفس الوقت يذكّر الإنسان بأنه غني عنه، فإن قبلوا**

هداه فهو الشيء الذي يعتبر عظيماً بالنسبة لهم، أما الله فلن يستفيد شيئاً من أن يهتدوا، يذكرهم بأنه غني عنهم، هذا هداه، هو على هذا النحو، هو حسن، هو عظيم، هؤلاء المتكبرون لا يفهمون أننا سنلاحقهم ملاحقة [وندّاراهم مداراة] لا، لسنا بحاجة إليهم، هو غني عنهم ، ففي البداية عندما يقول: {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}، ثم يقول: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ} أي أنه [لا يدّارى] الناس المعرضين، الذين يتخذون الشياطين أولياء من دون الله، ويتكبرون.

يبين أنه غني، ومن أسمائه تعالى: غني، تجد تدبيره قائم على أساس أنه غني. ولهذا أثر أيضاً بالنسبة لنفسية الإنسان، الإنسان إذا عرف بأن الطرف الآخر بحاجة إليه يحاول يتمرد، ويقول: هو سيرجع، هو سيلاحقني هو، يقول الناس هكذا فيما بينهم: هو محتاج إليَّ هو، هو الذي سيلاحقني، ويدفعه إلى أنه يتباطأ، ويتثاقل؛ لأنه عارف أنه بحاجة إليه. هذه القضية تمثل دافعاً بالنسبة للإنسان، عندما يفهم بأن الله غني عنه، قدم لك شيئاً عظيماً جداً، جداً، عظيم لك في حياتك هذه، وفي الآخرة.

إذاً انتبه بأنك تتفاعل بجدية مع هذا الشيء الذي قدم لك، وتأخذه بقوة، وتسير عليه في حياتك كلها، وإلا فهو غني عنك، سيضلك، ويبعدك، سيصرف عنك آياته، {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}، أليس هذا مظهراً من مظاهر غناه، ولها إيجابية أيضاً في قبول الهدى، لها إيجابية في قبول الهدى، ودائماً نقول: كل قضية الله يعطي شواهد عليها في واقع حياة الناس. أنت لاحظ عندما يتأمل الإنسان الشخص الذي يرى بأن فلاناً بحاجة إليه، أليس هو يحاول أنه يبدي تباطئاً، وتثاقلاً أحياناً، وأشياء من هذه؟.يقول: هو بحاجتي، هو سيرجع إلي، وأحياناً لو تكلم كلاماً قاسياً، وقالوا: يا خبير ذا عندك قد تختلف أنت وإياه.. سيقول: لا، لا، هو سيحتاجني.. ستراه هو سيرجع.

هنا قدمت المسألة على أساس أن يفهم الإنسان: أن الله ليس بحاجة إليه، وهذا أقرب إلى أن يندفع، لو عند الإنسان فهم أن الله بحاجة إليه كيف سيكون تمرده؟ هو هذا يتمرد مع غنى الله عنه! سيكون عنده: [أبداً، الباري سيلاحقني هو، خلّيه ولاحظ عندما يطّلع لي نبي لوحدي، يرسل لي نبي إلى رأسي، هو بحاجتي..] ألن يحصل تمرد بهذا الشكل؟ هنا يذّكر الإنسان أنه ينطلق، وإلا سيبعده، سيضله ويضيعه، في هذه الدنيا، وفي الآخرة، ولن يأتي على الله إثم بالتأكيد، ما يلحقه الباري إثم أبداً! هو حكيم، وهو رحيم؛ لأنهم قالوا: كيف أنه يمكن أن يضل أحداً؟ قلنا: أنظر أول شيء مَنهم الذين قال الباري أنه سيضلهم؟ وما معنى الضلال أولاً، وستعرف أن لها إيجابية كبيرة أن يعرف الإنسان أنه في حالة خطرة، إذا لم يقبل هدى الله سيضله الله، وسيصرف عنه آياته، المتكبر يعني: ليس جديراً بشيء، ولا يستحق شيئاً [يرح له]، أن هذه أقرب بالنسبة للإنسان إلى أن يحرص على هدى الله، أنه أقرب إلى أن يحرص على أن يهتدي بهدى الله إذا هو عارف أنه بعد هذا سيضيعه.

لا يحتاجون إلى أن يطلعوا المسألة كيف تصبح بالشكل الذي قد يلحق الباري إثم، أو يلحقه أشياء من هذه، معلوم بأن أفعاله حكمة، أنه حكيم، وعدل، وأنه لا يظلم، ولا يفعل قبيحاً، ولا يأمر بقبيح، لكن لا نستطيع أن نحيط به علماً، ما أوتينا من العلم إلا قليلاً، ألم يقل هكذا: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الاسراء: من الآية٨٥) ؟.

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} (الأعراف: من الآية١٤٦)، هذه النوعية سيصرفهم عن آياته، هذا أيضاً أبلغ في غناه عن هذه النوعية من الناس، عن العالمين جميعاً، أنه يصرفهم هم عن آياته، حتى لو هو يسمعها لا يعد يفقهها، ما يصرف آياته عنهم، بمعنى: أن الأنبياء يكونون هناك [متخبين]، إنما فقط يوجهون أناساً ويريد أن لا يبدي فلان ويسمع؛ لأن الله قد صرفه. اتركه يحضر، ولن يعد يفهم شيئاً، يطبع على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم.

وصفهم بصفات سيئة النوعية هذه: يتكبرون في الأرض بغير الحق، وهم عبيد لله، وتكبر الإنسان في الأرض بغير الحق عادة سيكون بالشكل الذي ماذا؟ يستضعف عباد الله، ويفسد في أرض الله؛ ولأن المتكبرين هكذا يرون سبيل الرشد لا يتخذونه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٦)، هكذا قد يصل الإنسان عندما يكون يكذّب بآيات الله، يفهم الإنسان بأن القضية أول الأشياء، ألم يقل هناك: {كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} (الأنعام: من الآية١١٠)، في آية سابقة؟...

اطلع على الخط، الصراط المستقيم، ما لم سترجع هناك تتخلف، المسيرة ماشي هم لن ينتظروك، هم لن [يتقصدوك] والله لن [يتقصدك] أو يقول: يتوقف القطار، ويعمل هناك مطب، أو يعمل [ما صوره] في الصراط المستقيم حتى يلحق فلان.. أبداً. فالإنسان إذا حصل من جانبه تكذيب في أول مرة، تثاقل، قد تصل به الحال إلى أن يضله الله، في الأخير يصبح هكذا: سبيل الحق ما يعجبه، يبحث بجدية عن سبيل الغي: {وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}، يعني: بسبب أنهم كانوا كذا وصلوا إلى هذه الحالة السيئة.

المسألة كلها مبني على التسليم لله، التسليم لله معناه: أن تكون عارفاً بأنك عبد لله، لا تتكبر على الإطلاق، وتقبل هدى الله، تقبل كل ما جاء من جهة الله سبحانه وتعالى، لا تتكبر.

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأعراف:١٤٧). تلاحظ كم يأت في القرآن الكريم كلام كثير حول: كذبوا بآياتنا، ومن يكذب بآياتنا، وكذبوا بآياتنا، كثيراً جداً، آياته معناها: كتبه، كتبه، دائماً آياته التي تأتي من عنده هو سبحانه وتعالى، آياته، آياته، آياتنا.. إلى آخره. فيجب علينا أن نفهم حتى نعرف أهمية القرآن نفسه، نفهم أن هذه سنة إلهية، أن الأشياء كلها تعتمد على كتب الله، فيما بينه وبين خلقه كتبه، والكتب تكون قضية هامة، يعني: كتبه تعطيك رؤية بالنسبة للحياة هذه كلها، القرآن هو يهدي بما تضمنه هو؛ ولأنه إرشادات هكذا إلى داخل النفوس، إلى واقع الحياة مما يهدي إليه أنه يعطيك صورة عن الحياة حتى تصبح الحياة هذه كلها عبارة عن كتاب واحد.

إذا أنا أريد أن أقرأ فالطريقة هذه هي أوسع طريقة للقراءة: أن يصبح هذا الكتاب العظيم أمامنا، والحياة هذه تصبح عبارة عن كتاب واحد كلها، أليس كتاباً أكبر من المجلدات المعروفة، صفحات كبيرة، كتاب كبير جداً السموات والأرض، الذين لم يحاولوا فعلاً أن يسيروا على هدي القرآن فيقرؤون هذا الكتاب، أصبحوا عمين عن آيات هذا الكتاب حقيقة، لم نعد ندري بقيمة ما فيه من آيات، ولا ندري بحقائق ما فيه من متغيرات، ولم نعد ندري بشيء أبداً، من يخبط في هذه الدنيا يخبط؛ لأننا قلنا الدنيا هي هكذا من أصلها ممحوقة!!.

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} فلا يصبح لها قيمة أبداً، {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، تجد هذه القضية ظاهرة حتى بالنسبة للأمم الأخرى هذه التي نعتبرها الآن في العصر هذا أمماً راقية، أليس عندهم أعمال كبيرة هم؟ لكن تكون الإشكالية الكبيرة في الغاية من العمل، في النهاية منه، يتحركون في الحياة هذه، ويبدعون، ويصنّعون، ولا تدري إلا وقد ضربوا أنفسهم، حصلت الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية، ضربوا أنفسهم حقيقة كبشر، أصبحوا أشبه شيء بالحيوانات، ضربوا الحياة نفسها، أفسدوا حتى البيئة هذه بكلها، اتجهوا إلى الفساد في الأرض.

في الفترة هذه ترى كيف بعدما حصل ازدهار من جديد، عودة من جديد، أعمال، بعد الحرب العالمية الثانية، الآن الدنيا أليست في اتجاه خطير جداً، في حالة انفجار، أن تكون كل أعمالهم، وكل رؤوس الأموال التي جمعوها، وكل صناعاتهم، وكل وسائل الحرب التي أبدعوا فيها، وطوروها، في الأخير تصبح ماذا؟ تحبط كلها، تعتبر ضربة لهم جميعاً، كم قتل في الحرب العالمية الأولى! وكم قتل في الحرب العالمية الثانية! كم دمرت من مدن، ومصانع، وكم قتل من ملايين الناس!!.

فهنا تأكيد بالنسبة للأعمال، لن يكون لها قيمة، ولن يكون لها غاية صحيحة إلا إذا كانت على أساس هدى الله، وإلا فلا تغتر بشكلية العمل، شكليته الآنية، الآن نقول فعلاً من يتأمل بالنسبة لأمريكا، أمريكا معرضة للانهيار، أمريكا في واقعها التي تعتبر الآن أرقى دولة، حركتها الآن حركة تعرضها للانهيار، وتضرب نفسها، وكذلك الآخرون. لا يغتر الإنسان بشكلية العمل الآني، قد قدم لنا في القرآن بأنه بالنسبة لمظاهر الحياة العادية عند الناس، أموال وبنايات، وأشياء من هذه.. لأنه أحيانا الله يفتح على الناس شيئاً من هذا{حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (الأنعام: من الآية٤٤)، هذه حالة الإحباط الرهيب، تتعب تتعب، وتشتغل، وتجمع، وفي الأخير قد أنت فارح بما أوتيت، تنتهي أنت وكل ما معك، وتكون الأمم أيضاً،الأمم هذه متفاوتة في هذا الشيء، بالنسبة للعقوبة الإلهية درجات، المؤاخذة الإلهية هي درجات.

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ} (الأعراف: من الآية١٤٨)، لاحظ هذه الأشياء الغريبة، يحتاجون يقومون بتجميع فضتهم من أجل يصنعون لهم إله! وهناك إله هو الذي صلحهم، وخلق السموات والأرض!.. أليست هذه تعتبر جهالة؟ لاحظ عندما يقول: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ}، احتاجوا يساهموا كلهم يصلحون لهم رباً، الحلي التي كانت معهم جمعوها.

{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٨) هنا يبين للإنسان كيف أنه فعلاً في موضوع هدى الله يحتاج إلى إصغاء، واهتمام، ويكون مبنياً على إيمان، والتزام، والذين لا يكونون بهذا الشكل يكونون عرضة لأي تضليل، قوم موسى، يعني ليسوا أناساً من مجاهيل أفريقيا، أو نحوها.. قوم موسى الذين حررهم وهم في مصر، حررهم مما كانوا فيه، وفلق الله لهم البحر، وآيات عجيبة يشاهدونها، ومع هذا ماذا؟ كانت عندهم قابلية أن يضلوا، هو قال: {وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} (طـه: من الآية٨٥) ألم يقل وأضلهم السامري؟. لاحظ هنا في القضية هذه ألم يحصل مؤاخذة لهم شديدة؟. يوم قالوا: {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً ..} عندما خرجوا من البحر كانت نفسياتهم ما زالت ثانية، وجههم موسى، وما حصل لهم شيء. هنا قاموا هم بتضليل السامري، وهم يعرفون بأن موسى ما زال حياً وإنما ذهب إلى الجبل، ذهب في ميعاد حدده الله له.

لهذا عندما يكون الإنسان غير مهتم، ولو كان في عصر مليء بالأنبياء، ولو كانت آيات الله تتنزل، ولو يشاهد عصا موسى تتحول إلى ثعبان، إذا لم تبن عليها قاعدة أساسية عندك: التزام، وفهم، ووعي، ستكون عرضة للتضليل، هؤلاء ناس ضُللوا وموسى ما زال حياً، وضللوا بعد أن قضى موسى معهم فترة طويلة في التبيين، وبعدما قد رأوا الآيات الكثيرة.

عندما يقول البعض: إنه كيف يمكن أن يكونوا ضلوا ناس من الصحابة بعد رسول الله! أليس هؤلاء صحابة ضلوا وما زال موسى حياً، إنما ذهب لفترة أربعين يوماً منهم، صحابة من داخل بني إسرائيل، من الذين اصطفاهم الله على العالمين، أمكن أن يضلوا مع وجود النبي، ثم تقول لي: كيف أنه يمكن أن يضل ناس من بعد النبي؟! أليس احتمال أن يضلوا بعد نبي أكثر من احتمال أن يضلوا في وقته؟ هذه الآيات نفسها كانت هي هامة جداً بالنسبة للصحابة أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يكون كل واحد منهم منتبهاً عندما يعرف أنه أمكن أن يضل ناس وما زال نبيهم موجوداً، وآيات قاهرة معه، عصا تتحول إلى ثعبان، يده تتحول إلى عمود من النور، وأمكن أن يضلوا، وقال لهم: إنه أضلهم السامري. هذه الآية ألم يقرأها الصحابة؟ لكن أي ناس كائنا من كان إذا لم يتفهموا، ويعوا، سيكونون عرضة للضلال.

فهي تعتبر حالة خطيرة في حد ذاتها، إذا ما هناك تفاعل بإيجابية مع هدى الله، قد يكون الناس في حالة، قد فعلاً يضلهم فعلاً، من يتأمل موقف الإمام علي في تلك الحالة يعرف المسألة ـ مثلما قلنا سابقاً ـ يعرف الإمام علياً، أشياء كثيرة من سنن الله، عندما لا يكون هناك اهتمام أثناء تقديمه، وهو يقدم على أرقى صورة، ويبين على أحسن تبيين، ويقدم على أجمل صورة، وأيضاً يعطى في نفس الوقت، يعطى الناس حتى وإن كانوا بسطاء أشياء واضحة للالتزام، واضحة مثل: اتبعوا، أطيعوا.. أليست عبارات واضحة؟.

لكن في الأخير، عندما لا يكون هناك اهتمام بالشكل المطلوب، هذه النوعية تكون عرضة لأن تضل، وأن تكون ضحية المضلين. قوم موسى أضلهم واحد، السامري، وجعلهم يعبدون عجلاً! ألا يمكن أن يأتي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من يضلهم، ويجعلهم يعملون خليفة آخر، قد أمكن شخص يجعلهم يعبدون إلهاً آخر.. أين أكبر؟ ألم يستطع أن يضلهم حتى يجعلوا لهم صنماً؟ إذاً بالتأكيد يستطيع أي شخص أن يضلهم فيتخذون لهم شخصاً آخر خليفة بدل ذلك الشخص الذي أعلنه على مرأى، ومسمع منهم. لكن إذا ما هناك اهتمام فهي في حد ذاتها حالة خطيرة.

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ} (طه: من الآية٨٥) فتنهم.

كل المسألة تتقدم على أساس أن الإنسان يتعامل بجدية مع ما يقدم من عند الله، وأن يتعامل بجدية مع ما قدم من عند الله هو بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة في حياته؛ لأن حالة اللامبالاة هذه معناها في حد ذاتها: أن ما لله قيمة عندك، وليس لهداه قيمة عندك، إنما فقط اتغصّاب! إذا لم يكن [إلا اتغصاب يغصبه] فلن يغصبه، سيجعله يضل.

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا} (الأعراف: من الآية١٤٩) بعدما رجع موسى، القصة مستكملة في موضع آخر، هنا يبين، يعني الصورة هذه واسعة، وفيها سرد كبير لحالات أمم، كيف يأتي الهدى إليها، والتبيين الإلهي لها، وكيف تكون عندما تعرض، ثم في مقامات أخرى تعرض فيها القصة بشكل آخر، بحسب الموضوع، تتقدم عبرة في الموضوع الذي تتناوله السورة.

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الأعراف:١٤٩) لاحظ هنا أليس معناه أنه يمكن ضلال مع بقاء الإيمان؟ يمكن ضلال مع بقاء الإيمان، وهم هناك جحدوا على هارون! قالوا: أبداً {لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} (طه: من الآية٩١).

{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} (الأعراف: من الآية١٥٠)، وإنما فقط أربعين ليلة! {وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} (الأعراف: من الآية١٥٠) غضب جداً، وطرح الألواح، لا أنه ألقاها وكسرها، ما هناك أي آية توحي بأنها تكسرت، ألقاها: طرحها، وحصل عنده غضب شديد، رجع على أخيه، أنه ربما حصل تقصير من عنده، أنهم كيف وصلوا إلى الحالة هذه!. {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأعراف: من الآية١٥٠)، هذا أخوه هارون، في آية أخرى قال: {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} (طه:٩٠-٩١)، يعني: أنه قد ذكرهم هو، ذكرهم لكنهم لم يرضوا يستجيبوا.

هنا لاحظ كيف كان موقف موسى؟ ألم يحصل عنده غضب شديد؟ ألقى الألواح، وجر رأس أخيه، وفي آية أخرى أنه أيضاً أخذ بلحيته: {لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي} (طه: من الآية٩٤)، أخذ بلحيته وبرأسه، لماذا حصل هذا؟ غضب جداً؛ لأن القضية مؤلمة جداً، هنا موقفه يختلف عن موقفه السابق بعد ما خرجوا من البحر؛ لأنه قد مرت مرحلة، قد سمعوا أشياء كثيرة، وقد وجه بأشياء كثيرة، وهذه كانت فترة قصيرة، وقد ترك أخاه هارون يخلفه فيهم؛ ولهذا كانت توبة قاسية بعد هذه، توبة قاسية: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (البقرة: من الآية٥٤) وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً، الذين عبدوا العجل، توجهوا إلى أن يقتل بعضهم بعضاً حتى تاب الله عليهم قبل أن يستكملوا قتل بعضهم بعض.

{قَالَ ابْنَ أُمَّ} كأنه ذكره بأمه يؤثر عليه، يعني كلام عاطفي، وبعدها يقول: {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} يعني: أنا قد عملت معهم، استضعفوني، لم يكن لكلامي وزن عندهم، ولا قبلوا مني بل كادوا يقتلونني، {فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ} من أين يوجد أعداء هنا! من أين؟ مصريين، أو من أين؟ أليس من داخل بني إسرائيل؟ قد هذا هارون معه أعداء، قد ظهر الأعداء، ولم يغب موسى إلا ثلاثين ليلة!. إذاً ألم يكن مع الإمام علي أعداء من داخل؟.

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأعراف:١٥١) هنا لاحظ كيف تكون نظرة الرسل والأنبياء، يستغفر الله من هذه، مع أن الآخرين هم الذين أخطئوا، أليسوا هم الذين أخطئوا؟ لكن يعرف ربما، ربما يكون هناك تقصير، أو ربما .. دائماً نظرتهم أنهم مقصرون، دائماً نظرتهم هكذا، ويدعون الله دائماً، يعني: لم ينس موضوع نفسه، وعنده أن أولئك هم الذين قصروا وهم الذين هم كذا... أما أنا فما عندي أي تقصير، استغفر الله، رب اغفر لي ولأخي؛ لأنه حصلت قضية رهيبة جداً يستغفر الله لأنه ربما يحصل شيء قد يكون بالشكل الذي يعمهم جميعاً {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (الأعراف: من الآية١٥٢) هنا موضوع الغضب والذلة، وكل الأشياء التي تأتي من جهة الله، لا يتصور واحد أنه هنا فقط يصدر حكماً، يقوم تدبيره بالنسبة لك على أساس أنه غاضب عليك، كيف يكون الإنسان عندما يكون غاضباً على شخص؟ كيف يكون تدبيره بالنسبة له؟ أليس سيكون بالشيء الذي يضره، نعوذ بالله، ستكون قضية خطيرة جداً، ليس معناها إصدار حكم.

ولهذا كان خطأ كبيراً عندما يقولون: الغضب من الله معناه: الحكم بالعقوبة وإيصالها في وقتها، أن يغضب على الإنسان والقضية متحركة، الحياة متحركة، وفي حياتك يعاملك معاملة من هو غاضب عليك، قضية خطيرة، ليس فقط يحكم عليك، ثم يردون الأشياء كلها ليوم القيامة؟! ذلك اليوم قد هو محل الغضب الإلهي الكبير، الآخرة. لكن لاحظ حتى من مظاهر الغضب على من غضب عليهم في يوم القيامة هم يحاسبون حساباً عسيراً، وتعذيب نفسي رهيب جداً في ساحة الحساب.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (الأعراف: من الآية١٥٢) فلاحظ العقوبات تأتي أيضاً في الدنيا هنا قبل الآخرة: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} (الأعراف: من الآية١٥٢) نعوذ بالله؛ لأن هذا من الافتراء الكبير على الله: أن يتخذوا عجلاً، ويجعلونه إلهاً، ويقول لهم السامري: {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى} (طه: من الآية٨٨) {وَكَذَلِكَ} أي وهكذا سنة الله مع المفترين: أن ينالهم غضب منه وذلة في الحياة الدنيا.

إذاً هذه القضية هي من أخطر القضايا، الافتراء على الله، لاحظ كيف جاء بعدها: {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأعراف:١٥٣)، فهذه قضية كبيرة جداً: الإفتراء على الله، والافتراء على الله تقدم أيضاً بأنه يمكن أن يكون في قضايا صغيرة، مثلما ذكر في البحيرة، والسائبة، وتلك الأشياء التي عملها الكافرون، {وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} (المائدة: من الآية١٠٣)، إذاً مثلما نقول: إن هناك طرقاً قد تجعل الإنسان يفتري على الله، تفتري على الله وأنت تقدم أشياء غلط، ثم تفتري عليه بعد أن تقدم الإختلاف، وتضفي عليه شرعية، وتقول: إن الله أجازه! ألم يحصل هذا؟.

{سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، لاحظ الناس أليسوا في حالة ذلة؟ الأمة الإسلامية هذه على الرغم من كثرة علمائها؛ لأن هناك طريقة قدمت بحيث أفسحت المجال بأن يسير عليها كثير، وهي طريقة فعلاً توقع الإنسان في افتراءات على الله بطبيعتها عندما تسير على تلك الطريقة، تسير عليها فلا تدري إلا وقد أنت مفتري على الله، لو لم يكن إلا عندما تقول ـ وهناك من يناقشك حول موضوع الاختلاف ـ فتقول: الاختلاف جائز، الاختلاف سائغ، أليس البعض يقولون هكذا؟ جائز في الفرعيات، جائز في كذا.. فقط في الأصول، وأشياء من هذه. هذا من الإفتراء على الله، وهذه في حد ذاتها وحدها كبيرة، غير ما يحصل من افتراء على الله في مجال تقديم آيات بشكل آخر، بخلاف ما أراد الله منها، استنباط أحكام خلاف ما شرع الله، توجيهات خلاف هدى الله،

كلها تصنف في قائمة الافتراء على الله؛ ولهذا ذلت الأمة هذه، وتبين أننا في وضعية فعلاً وضعية ذلة. عندما نجد من تحركوا، هؤلاء بنوا إسرائيل مضروب عليهم ذلة ومسكنة، وإذا هم يبدو علينا وهم أكبر، وما يزالون أعلى؛ لأنه حصل افتراءات رهيبة جداً داخل الأمة هذه، وباسم دين.

أي: أن هذه القضية أخطر من السيئات، أخطر من عمل السيئات الأخرى، التي هي معصية كبيرة وليس فيها افتراء على الله، الافتراء على الله أخطر؛ لأنه فعلاً في الأخير يقدم القضية أنها من جهة الله، ثم ترى وكأن الله لم يستطع يشرع، وكأنه لا يصلح أن يكون ملكاً ولا لشعب ما بالك أن يكون ملك السموات والأرض!.

هنا قدم الإسلام في الأخير وإذا هو بهذا الشكل: لا يصلح أن يكون نظاماً لشعب واحد على ما قدموه أخيراً، ويقدم مليء بأشياء كلها لو تعتبرها من عند الله؛ لأصبح الله غير حكيم، ولا يعلم الغيب والشهادة، ولا عظيم، ولا ملك، ولا شيء؛ لأنهم يقولون: كيف لو يحصل مستجدة، أو أي شيء ولا يستطيع أحد يستنبط ، يا أخي أن ترتكب الخطيئة، أو اعتبر هذا يرتكب أي غلطة، هي أسهل من غلطة قد ترتكبها أنت، وتقدمها افتراء على الله.

الافتراء على الله أشد، وأسوأ عاقبة، {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، ألا يوجد فارق هنا في الموضوع؟ أليست تبدو أشد، يحكم بذلة وغضب ينالهم، مع أن غضبه وذلته التي يحكم بها على أي أمة من الأمم في ظل تدبيره، ليس فقط إصدار حكم بأن قد وقع غضب على مدري من!، في تدبيره معهم يقوم على أساس غضبه.

ما هناك ما يعصم الناس عن أن يكونوا في طريق أن يرتكبوا سيئات، أو يفتروا على الله، يكون المتعلم منهم يرتكب سيئات، ويفتري على الله، أو إذا هو متدين تماماً يكون مفترياً على الله فقط، وهي الطامة؛ هنا أنت تراه ما هو سارق، ولا مأخذ عليك شيء حرام، حتى أنه لا يستمع لغناء، أو أشياء من هذه التي هي المعاصي أمام الناس، هو طيب، ولكن في نفس الوقت يفتري على الله، وأولئك قد هم هناك عاملين سيئات.

ليس هناك ما يعصم الناس من هذه إلا ماذا؟ أن نعرف كيف هدى الله، وتتمسك بكتابه، وهو يقدم لنا في القرآن بأنه يأمر أنبياءه في المقدمة أن يتمسكوا بكتبه.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ} (الأعراف: من الآية١٥٤)، **موسى يقدم في القرآن الكريم إنسان عنده نفس كبيرة، واهتمام عالي، وعنده معرفة بالله قوية، وارتباط بالله قوي، غضب هنا غضباً شديداً مع أن أخاه عارف بأنه نبي، وعزيز عنده، لكن حالة من الغضب رهيبة. {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ} هدأ من حدة غضبه {أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}** (الأعراف: من الآية١٥٤)، **معناه ماذا؟ الألواح ذات قيمة عنده، ذات قيمة، يعني: لاحظ هنا كيف هو هذا الإنسان عظيم بشكل يعرف واحد كيف نفسيات أنبياء الله، لاحظ لم يقل هنا: ما دام لي بينهم فترة طويلة، لا يوجد داعي للألواح، ولا لشيء، يحصل هذا منهم وإنما غبت عنهم فقط ثلاثين ليلة، ماذا يمكن تعمل الألواح هذه ونحن موعظون لهم من يوم ونحن ما زلنا في مصر، لا، أخذ الألواح ما تزال ذات قيمة عنده، ومتذكر مسئوليته هو: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ}** (الأعراف: من الآية١٤٥) .

هناك قال في البداية: {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٤)، **وبعدها يقول: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}** (الأعراف: من الآية١٤٥)، **يأخذ الألواح ويواصل عمله معهم، هم هؤلاء قد وصلوا إلى أحط مستوى، أنهم فارقوا حليهم، لا نقول: إنهم أخذوا حجراً، بل خسروا من أموالهم كثيراً حتى يصلحوا لهم صنم، ويعبدوه، أليس هذا الموقف يجعل أي واحد يقول: هؤلاء لن ينفع معهم لا قرآن ولا شيء، فضلاً عن الألواح، لا، أخذها ويستمر في عمله.**

موضوع الألواح عندما تذكر هنا، هو دائماً في تقديم القصص يكون هناك مفردة يذكرها معينة يذكرها، وترى هناك فراغ في مسيرة القصة ما ذكرها، بالتأكيد لو يأتي سرد تأريخي للعملية من تأخذ لها مجلد ربما، لكن هنا

يأخذ ما يعطيك صورة عن مناطق الفراغ في القصة، ومتى ما جاء بشيء يركز عليه يكون ذو قيمة في نفس الوقت، ذو قيمة.

هنا يذكر من البداية الألواح، وفي نفس الوقت يذكر كيف موقف موسى عندما غضب طرحها، وبعد عندما سكت عنه الغضب أخذها، يعني هذه تحتها مداليل كثيرة جداً، ليس إنساناً عنده يأس، ولا عنده شعور بإحباط، هو مستعد أن يواصل مسيرته وإن كان قد بلغوا إلى أحط مستوى، أصبحوا يعبدون صنماً، أليس الكثير يغضب عندما يرى أنهم ما قبلوا منه توجيهاً واحداً، يقول: [يا أخي اترك أبوهم هؤلاء ما يصلحوا لشيء].

معنى هذا أن الإنسان يتذكر مسئوليته هو بغض النظر عن الآخرين؛ لأنه بالنسبة له هل سيأثم موسى عندما يصبح قومه، يوم من الأيام أصبحوا يعبدون العجل، سيأثم؟ إذاً هو سيواصل مهمته، مهمته هنا: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}، الله هو العالم الذي يمكن أن يعملوا، واصل مسئوليته، واصل عمله على أساس مسئوليته التي أوكلت إليه.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}، أيضاً يوجد هنا في موضوع الألواح ما يدل على أن كتب الله تكون محط اهتمام، ورعاية عالية جداً، ليست على ما قدموه من بعد أن فلان من كتّاب الوحي، فلان كاتب الوحي، كأن المجموعة التي جاءت مع موسى نفس المجموعة تلك لم يكن أحد منهم جدير بأن يكتب {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}، أعطيت جاهزة، ألواح جاهزة لموسى، عندما كان ينزل الوحي على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هل كان يدعو معاوية، أو يدعو عبد الله بن أبي سرح، على ما قالوا أنه دعاه، ثم قال: له اكتب هكذا، قال قد كتبتها هكذا، قال: [سابر]!! هذا غير صحيح. يقول الطبري: كان فقط الإمام علي يكتب، إذا هناك آخرين يكتبون هناك لأنفسهم مثلاً عندما يسمع آية يكتب هو آية، لكن أما لتدوين الكتاب فهي قضية هامة، ولا يمكن أن يكتب من جاء.

الإمام علي هو الذي كان يكتب هو، قال الطبري صاحب الإمام الهادي، قال: أمناء الله على وحيه ثلاثة: جبريل ومحمد، وعلي، جبريل ينزل بالوحي إلى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومحمد يقرأه على علي ليكتبه.

هذا في جمع القرآن، وتدوين الكتاب، وهنا الألواح هذه نفسها أليست ألواح التوراة؟ يقول في القرآن بأنه مهيمن على كل كتبه السابقة ألم يقل عنه هذا؟ هل يمكن هذا الذي يوحيه ثم يأتي له بمعاوية، أو أمثاله يكتبونه؟ ألم يقرأ رسول الله القرآن على الأقل؟ على الأقل يعرفون أنه قرأ القرآن، على أقل تقدير، وأنه قرأه وهو إنسان ذكي وفاهم أن كتب الله محط عناية عالية، هنا قال: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}، في البداية: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} هنا يكشف لك بأنها محط اهتمام إلهي، الكتب الإلهية.

وعندما ترى الكتاب الذي هو مهيمن على كتبه السابقة كلها، معناه أنه محط اهتمام ورعاية أكثر، وأكبر، وكان رسول الله يفهم، يفهم ما القضية هكذا من جاء يكتب؛ لهذا هذه غير صحيحة، ولا يمكن أن تصح أن يكون عبد الله بن أبي سرح هو الذي كان يكتب، وأنه قال للرسول: أكتب الآية: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}؟(المؤمنون: من الآية١٤) **قال اكتبها [سابر]! ثم جاءت هكذا، هذا غير صحيح، كذلك من بعد أنه قالوا: كان يكلف معاوية يكتب، أو أمثاله يكتبون، هذا موسى قد اختار صفوة قومه، وجهاء بني إسرائيل، وهناك ما كأن واحداً منهم جدير بأن يكتب، تُكتب له، وتنزل إليه من السماء مكتوبة.**

ثم في الأخير قدموا هذا القرآن أنه فقط أبو بكر هيأه الله، وعمر، يجمعون القرآن، وإلا فرسول الله تركه مبعثر، وترك الأمة مبعثر كذلك لم يوجههم إلى شخص يتمسكون به من بعده، ولا على الأقل جمع لهم القرآن! إنما فقط أبو بكر هيأه الله أن يجّمع القرآن هو وعمر! وكان قد قتل الكثير من الذين كانوا حفظة القرآن، وأشياء من هذه، مع أن الله يسميه كتاباً، كتاباً ويقول: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (القيامة:١٧)، **ويذكر بأن أصله مجموع في السماء {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}** (الواقعة:٧٧ـ٧٩) ، **مطبوع في السماء،**

هل سيترك أبا بكر هو وعمر يجمعوه بعد ما مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ فهم هنا ينقصون من قدر رسول الله ومكانته في أهم قضايا لديه، القرآن، ومن تتمسك به الأمة من بعده، ومن يخلفه من بعده.

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} (الأعراف: من الآية١٥٥)، لاحظ هنا القرآن الكريم لا يأتي بأسلوب التدوين القصصي المعروف، لا يراعى التسلسل التاريخي في تقديم القصة، يراعى قيمة ما تعطيه، فقد يأتي بفقرة قبل فقرة، وهي في تسلسلها التاريخي متقدمة، ألم يذكر قضية الجبل، وميقاتنا؟ والميقات هو ذلك الميقات ثلاثين ليلة، وعشر ليالي، لكن في مواقع تذكير بنعمة، تذكير بدروس هامة جداً، يقدم الفقرات، ولا يراعي التسلسل التاريخي، يلاحظ كيف يعطي رؤية تاريخية أهم، أليس أهم شيء عند المؤرخ هو التسلسل التاريخي للحدث؟ ويحرص على أنه كيف يحاول أن يعرف تسلسل الحدث، تسلسله بالنسبة لأحداثه، ووقائعه فقط، والشيء الأساسي والأهم هو: أن يقدم التاريخ بشكل يعطي عبرة، أنها تعتبر قضية أهم بكثير من مراعات التسلسل التاريخي.

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} (الأعراف: من الآية١٥٦)، السبعين هم نفس الأشخاص الذين هم كانوا حاضرين وقالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} (البقرة: من الآية٥٥) {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} (الأعراف: من الآية١٤٣) ودك الجبل، ويسقطون هم، يموتون وأحياهم الله بعد ذلك.

هناك القضية فيما يتعلق بموسى كيف أنه فعلاً، وهي قضية واضحة عند الأنبياء جميعاً، يأسفون، ويتأثرون على قومهم؛ لأنهم حريصون جداً على الناس، حريصون على الناس، وفي نفس الوقت تأتي الحادثة هذه في مقام، اعتبره مقام عظيم جداً بالنسبة له، هذا الموعد مع الله، ويتلقى منه تلك الألواح، {لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} عندما قال: أتهلكنا، أتهلكنا بما فعله السفهاء، {بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}، وبسرعة يقول: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} تداركها تداركاً سريعاً.

{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} يؤمن بولايته عندما قال: {أَنْتَ وَلِيُّنَا} ويستغفر الله، يطلب من الله المغفرة، والرحمة، وفي نفس الوقت يقدم عبارات فيها تسليم لله، ولمشيئته، ولإرادته، {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا} مسلّمين لك، تدارك بسرعة بعد هذه الكلمة السابقة: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} فيها نوع.. لكن بسرعة تدارك.

في هذا درس الاعتماد على القواعد الإيمانية في الحالات الخطرة جداً؛ كأنه قال هذه بعد أن صحا؛ لأنه قال هناك في الآية السابقة: {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً} (الأعراف: من الآية١٤٣) وقال فيما حكى عنه سابقاً: {سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٣)، وحكى عنه هذه.

أليست حادثة رهيبة جداً، بدرت منه أثناءها كإنسان، كإنسان بدرت منه: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} لكن وبسرعة.. بسبب الإيمان المترسخ عنده يأتي بعبارات تسليم مطلق. الملائكة عندما قالوا ــ ويلاحظ واحد أن الناس والمخلوقات كلها أنها بحاجة إلى هدى الله ـ: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (البقرة: من الآية٣٠) لو أنهم تداركوا قولهم بأن قالوا: لكن أنت تعلم ما لا نعلم، وأنت العليم الحكيم، الم يكن أفضل؟. العبارة هذه: {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} استفسار معين، العبارات التي بعدها عبارات تسليم مطلق.

{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} كيف رؤيته هو في موضوع آثار الأعمال الصالحة، وأن

الحياة استقامتها هنا متوقفة على هدى الله {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ} يعني: هو ينظر بعيونه إلى الحياة هذه، والحياة الآخرة. وهذه هي نفس مهمة الدين أساساً هكذا، وإن كان في مقامات معينة، ولها أثر أيضاً من الناحية العملية هنا: أن يكون وراءك هناك في الآخرة نعيم أرقى بكثير، وعذاب أخطر من أي شيء في هذه الحياة، لها أثر كبير، لكن يجب أيضاً أن يكون هناك التفاتة للحياة هنا.

القضية من الناحية التربوية بالنسبة للناس قضية أساسية، تذكر الناس بأن دين الله إذا ساروا على هدى الله فالله يعطيهم هنا في الدنيا وفي الآخرة، الله قال عن الإنسان أنه ماذا؟{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}(القيامة:٢٠)، {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}(العاديات:٨) وهو يعلم بالإنسان هذا انه يعجبه الحاصل، عجّال بطبيعته،{تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ} (القيامة:٢١) يقدم لهم هنا في العاجلة أشياء كثيرة جداً، ويوعد في الآخرة ما هو أعظم بكثير.

{قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:١٥٦)، عندما يقول الله: إن رحمته وسعت كل شيء ترى مظاهر رحمته واسعة جداً، مظاهر رحمته واسعة جداً، وفي نفس الوقت هناك عذاب يصيب به من يشاء من عباده، وهو يذكر بالنسبة لمن يخالفون هداه ما سيحصل لهم. هنا جاء الخطاب لبني إسرائيل:{ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ}(الأعراف: من الآية١٥٧)، الخطاب للموجودين من بني إسرائيل، بالنسبة لنزول القرآن، ليس معناه أنه قال في ذلك الوقت فيما يبدو من الآيات هذه.

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الأعراف:١٥٧)، الآية هذه تؤكد بأن بني إسرائيل ملزمون بأن يؤمنوا برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويتبعوه.. مع آيات كثيرة في هذا السياق أن بني إسرائيل ليسوا حالة استثنائية عن البشر.

مع أنه قدم ما هم عليه مجموعة من الضلال، والافتراءات، والأهواء، والله أعلم ما هي الأشياء التي ما زالت تعتبر صحيحة مخفية، هي نادرة عندهم، هنا يعطي توثيقاً:{الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ} فعلاً مكتوباً عندهم، بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أنه سيبعث الله رسولاً كذا كذا.. يعطي علامات له، مثلما ذكر أن عيسى بشّر به على النحو الفلاني، ذكره في سورة أخرى:{وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}(الصف: من الآية٦) .

هذه القضية هم مؤمنون بها بأنها سنة، بأنها سنة إلهية؛ لأنه في كتبهم هم، وفي تاريخهم هم يعرفون بأن النبي المتأخر يبشر به النبي السابق، أنه في سلسلة النبوءات أن النبي الفلاني يبشر بأنه سيأتي بعده نبي، وهذا يبشر بمن يأتي بعده، وهؤلاء يبشرون بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

ما يقدمونه الآن على أساس أنه توراة أو إنجيل ترى ما تزال فيها عبارات ـ فعلاً ـ توحي بأنها لا يمكن تنطبق إلا على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، هناك كاتب مسيحي كتب كتاباً جميلاً في هذا الموضوع، أصله كان لاهوتي، صاحب فلسفة لاهوتية وأسلم بعد، جمّع كثيراً من الأشياء وجد بأنها لا تنطبق إلا على محمد بشهادة تاريخهم هم، وما زالت موجودة في كتبهم، قد يكونون حذفوا الأشياء الظاهرة مثل عبارات صريحة، وما يزال بعضها يقولون في كتب الأناجيل إنجيل يسمى إنجيل [برنابا] ما زال فيه ذكر رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والبشارة به بشكل كامل، يخفونه المسيحيون، ولا يعترفون به، إنجيل برنابا.

وتلك الكتب التي ما زالت وهي نفسها قد هي محرفة، وبقايا، وليست نفس التوراة، ولا نفس الإنجيل، لكن ما يزال هناك فقرات توحي بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله). هذه قضية نقول: من مظاهر أن الله غالب على أمره فعلاً، لا يستطيعون أن يخفوه نهائياً، لكن هم يركنون على التأويلات، مثلما حصل داخل الأمة هذه، أليس هناك أحاديث في علي، وعندهم نص الحديث يوحي أنه أفضل من أبي بكر، لكنهم أخيراً يركنون على تأويل

معين، وبقي النص، وقد هم راكنين على التأويل كلما وصلوا إليه وهم يقرؤونه ركنوا على ذلك التأويل المعين، أن معناه كذا، وبقي النص، احتفظ.

{يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ}(الأعراف: من الآية١٥٧) ، **وهم يعرفون أن هذه هي سنة الرسل، أن رسالة الرسل تكون هكذا: أمر بمعروف، ينهاهم عن المنكر، {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}إذاً ما الذي يحول بينهم وبين أن يؤمنوا به، {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ} يحل لهم طيبات كانت محرمة عليهم{وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} كان هناك تشريعات ملزمين بأن يؤدوها وإلا سيؤاخذون، وهي نفسها شرعت نوع من العقوبة عليهم، إصر وأغلال.**

{فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ}(الأعراف: من الآية١٥٧)، **مع أن الواجب عليهم أن يكونوا بالمستوى هذا، مع أن الواجب على بني إسرائيل أن يؤمنوا برسول الله محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)، **وأن يكونوا من أكثر الناس تعظيماً له ونصرة له، وإتباعاً له، وليس فقط مجرد اعتراف، بل هم ملزمون هم {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**(الأعراف: من الآية١٥٧)، **إذاً نفهم قضية أساسية، نحن بحاجة إلى هذا الفهم في المرحلة هذه؛ لأنهم الآن يقدمون لك هذا دين لوحده، وذلك دين لوحده، والإسلام أقرهم، هذا غير صحيح، لا يوجد إقرار، كيف إقرار وهو هنا يقول في أكثر من آية: أن عليهم أن يؤمنوا، ويوجب عليهم أن يؤمنوا، ويتبعوا هذا القرآن، والرسول محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)**!.**

يبين ما هم عليه: أنه مجموعة من الضلال، مجموعة من الأهواء، والتحريفات، هل يمكن يقرهم عليها، كيف يمكن يقرهم عليها، ولم يقرهم على ما يعتبر شريعة؟! لو كانت الأشياء ما تزال صحيحة لديهم لكانوا ملزمين أن يؤمنوا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، **يؤمنوا برسالته، ويتبعوه، لو كانت الأشياء كلها صحيحة عندهم، ما بالك ومجموع ما لديهم أهواء، وتحريفات، وضلال.**

لهذا لا يوجد إقرار، هي ليست مسألة إقرار أبداً، هي حالة تدخل ضمن مظاهر رحمة الله بالنسبة لعباده، مثلاً إذا افترضنا بالنسبة لبني إسرائيل هم ناس يعرفون الرسالة، ويعرفون عادة كيف تكون الكتب الإلهية، لكن داخلهم حصل تثقيف رهيب جداً، سيء جداً جعلهم ينزوون على أنفسهم بشكل كبير، هم يحتاجون إلى أن تتجلى الأشياء هذه هنا في واقع الحياة بشكل أكبر، تتجلى بشكل أكبر، وأمة تبرز تمثل في سلوكياتها، في مواقفها جاذبية؛ ولهذا جاء في آخر سورة [الحديد] هناك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}(الحديد: من الآية٢٩) .

حالة رهيبة داخلهم، تثقيف مغلوط بشكل رهيب، يحتاج إلى مرحلة، مع استمرار الدعوة لهم، مع بقائهم في ضمن مواثيق إذا لم يحصل التزام بها يضربون وراءها، كانوا يسمونهم معاهدين، في صدر الإسلام كانوا يسمون معاهدين، لا يسمون ذميين، هذه كلمة من عند الفقهاء من بعد، وهذه من الغلطات التي تحصل دائماً أينما ذهبت يكون هناك غلطات، هم يسمون معاهدين، على أساس أن الأمة هذه تتحرك في الموضوع، وهؤلاء دعوة مستمرة لهم، وهكذا مع الزمن قليلاً قليلاً، وإذا حصل من جانبهم شيء يضربون، فيكونون في واقعهم في حالة لا تخلو من أمرين: إما أن يذوبوا في هذا المجتمع المسلم ويسلموا، أو سيأتي من عندهم على طبيعتهم تلك فيضربون.

لا يوجد إقرار على الإطلاق إنما فقط عندما ابتعدت هذه الأمة نفسها، ابتعدت عن الدين، أصبحت أسوأ منهم في كثير من أبنائها، أصبحوا أكثر سوءاً من بني إسرائيل، بقيت المسألة، وفي الأخير قدموها في الفقه وكأنها قضية ثابتة على طول التاريخ، ليست ثابتة، ولا قدمت قابلة للبقاء حتى، ما قدمت قابلة للبقاء، تجدها بطبيعتها لا تخلو من حالتين، وكانت قابلة لئن تنتهي هذه ولو في القرن الأول: إما أن يذوبوا، وإما أن ينتهوا يضربوا، هل في هذا إقرار؟ لا يوجد فيه إقرار، إقرارهم على ما هم عليه، ويبقون يهوداً بشكل دائم، أبداً، لكن

حصل تفريط من جانب الأمة هذه، ضيعت الدين، وترسخت الأشياء هذه إلى اليوم، وكأن اليهود مقرين على ما هم عليه.

هنا في اليمن أسلم كثير من اليهود في مراحل التاريخ، مثلاً يأتي في مراحل حكم جيِّد، حكم جيد كان يسلم كثير منهم ، كانوا ينجذبون إلى الإسلام ويسلمون. أما الآن المسلمون وصلوا إلى حالة أسوأ منهم، قد هم طامعين هم أن يجذبوا الناس إليهم هم، يتبعونهم، ويثقفونهم كيفما يريدون.

فقه أهل الكتاب هو هنا في القرآن، كتب الفقه قدمت المسألة وكأنها عبارة عن قضية قد هي مستمرة وثابتة على طول التاريخ، قد هم هناك أهل كتاب، وهناك نصارى، ونبقى نتعامل معهم هكذا دائماً دائماً، ونسيوا كلمة معاهدين، معاهد، هم لا يبقون هكذا إلا ماذا؟ يدخلون في عهد، العهد هذا يكون عليه شروط: لا يدعون إلى ما هم عليه، ما يبنون كنائس غير ما لديهم من قبل، لا يدعوا إلى ممارساتهم هذه، لا يعملون أي شيء يخل بالقيم الإسلامية في المجتمع، وفي نفس الوقت يبقون باعتبار أعمالهم، مثلاً لا يظلمون، ولا أحد يأخذ حقوقهم، وأشياء من هذه.

هذه القضية إذا أحد منهم يريد مثلاً يتحرك ما هو سيحاول يلعب؟ يعمم خمراً مثلاً، أو يحاول يبني كنائس، أو يحاول يحارب الدين، هنا خالف العهد، فيضرب، بهذه الطريقة كان سينتهي اليهود في زمن قصير، إما ينتهون بأن يذوبوا في المجتمع المسلم ويسلموا، أو أن يضربوا.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} (الأعراف: من الآية١٥٨) ، أليست هذه تؤكد؛ ليفهم بنوا إسرائيل بأنه ليس محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نبي للعرب، وهم هناك لوحدهم، هو رسول إلى الناس جميعاً، بل قالوا: هم من زمان، واستمروا عليها إلى الآن، وعمموها في أوساط المسلمين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} (البقرة: من الآية٩١)، يقولون: محمد نبيكم، نبي العرب، ونحن نبينا فلان، أليس هذا من التفريق بين الله والرسل، والتفريق بين رسله؟ قال عنهم: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً} (النساء: من الآية١٥١) في سورة [النساء]، يفرقون بين الله ورسله، مثلما قال: {وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (النساء: من الآية١٥٠) يفرقون بين رسله، ويفرقون بين الله ورسله، قال عنهم في الأخير: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً}.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} إعلان صريح ليس فقط يستوحى من رسالته أنها رسالة عالمية، هذا إشعار للناس بتبليغ من الله، أن الله هو الذي يقول له أن يقول للناس بأنه رسول إليهم جميعاً، فإن كان بنو إسرائيل يعتبرون أنفسهم من الناس فهو رسول إليهم كما هو رسول إلينا.

ثم يبين أن الملك لله، والأمر لله: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (الأعراف: من الآية١٥٨)، أليس هذا خطاباً مخصصاً لبني إسرائيل؟. كلمة: [أمي] أليست تعني: بأنه كونه لا يكتب، ولا يقرأ، أو أمي بمعنى انه ليس من الفئة التي هم أهل الكتاب؛ لأن بني إسرائيل يسمون الآخرين أميين: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (آل عمران: من الآية٧٥) يسمون الآخرين أميين، النبي الأمي، فهو أمي فعلاً لا يكتب، ولا يقرأ، وليس صحيحاً ما يقوله آخرون من أنه كان يكتب، قالوا: كيف يمكن أن يكون نبي لا يكتب، والكتابة تعتبر فضيلة، تعتبر صفة كمالية، وأشياء من هذه، لكونه أمي هي صفة كمالية بالنسبة لدوره هو، تعتبر آية، لا تعتبر سلبية بالنسبة له، وفي القرآن ما يؤكد هذا، ومعروف في المجتمع بأنه لا يقرأ، ولا يكتب، الأعداء أنفسهم عندما كانوا يقولون عنه: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} (الفرقان:٥)، ماذا يعني هذا؟ يعني: هو لا يقرأ ولا يكتب، لكن كلف ناس يكتبونها، ويقرؤونها عليه بكرة وأصيلا إلى أن حفظها عن ظهر قلب، أليس هذا يعني بأنهم عارفون بأنه لا يكتب ولا يقرأ.

بل تجد بأن لها قيمة كبيرة كآية من آيات الله، تبعد رسالته عن أي شبهة، كان يوجد مجتمع بني إسرائيل، كان هناك مجتمع يهود ونصارى، لو أنه يكتب، ويقرأ؛ لقالوا ربما أنه درس هنا أو هناك، ربما.. وأشياء من هذه، لا، أمي لا يقرأ ولا يكتب. تجد القرآن نفسه يبين أنه بعيد عن أن يكون أساطير، تجده توجيهات مباشرة مع حركة

الرسالة، سورة [النساء] التي قرأناها أليست توجيهات مباشرة؟ وسورة [الأنعام] كذلك توجيهات مباشرة، قضايا لا يمكن أن تكون من الماضي، قضايا حادثة في حركة الرسالة، وحي جديد.

من الأخطاء الكبيرة، مما عند بني إسرائيل الآن أنهم يقولون: أن هارون هو الذي صنع العجل، هارون نفسه، وينزهون السامري، أشياء عجيبة؛ ولهذا قال الله في آية أخرى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (النمل:٧٦)، أشياء كثيرة هم مختلفون فيها، وحقائق أضاعوها، قصص حق.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} أليس هذا إعلاناً واضحاً؟ نحن عندما نسمع مثل هذه العبارة: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} بمعنى أنه رسول للبشر جميعاً، يجب أن تعرف موقع الأرض بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنها ليست إلا جزء من ملكه، الآن مثلاً يقولون في هذا الزمن بأنه كواكب أخرى قريبة أكبر من الأرض، المريخ مثلها عدة مرات، هذا النجم الذي نراه، هي ليست إلا كوكباً صغيراً، تعتبر الأرض هذه من الكواكب الصغيرة، عندما يقول: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} الناس أليس موقعهم هنا على الأرض، على الكوكب هذا الصغير؟ إذاً عند الكثير من الناس يكون عنده أن يكون هذا الدين للناس جميعاً، يعني: العالم هذا! يراها وحدة كبيرة! الأرض في ملك الله قد تكون مثل قرية، أو أقل، قد تكون تساوي قرية.

فيجب أن تفهم بأنه عندما تكون هذه الرسالة مبنية على أنها رسالة للعالمين، أنها في أساسها قابلة لئن تكون رسالة للعالمين، وتمهيدات يجعل بالإمكان أن تكون رسالة للعالمين، ليست مهمة جوفاء هكذا، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً}،أليس هو رسول للناس جميعاً أينما كانوا في الأرض هذه؟ معناه: أنه مبني هذا الدين على إمكانية أن يظهر في الأرض جميعاً، لا تبقى القضية عند أي إنسان كبيرة، الأرض واسعة، ارجع إلى كتب الجغرافيا، الخرائط التي يصلحونها تجد كيف نسبة الأرض، ليست إلا نسبة بسيطة.

نقول أكثر من مرة: بأن الأمريكيين الآن يرونها صغيرة الأرض، هم هؤلاء البشر، عندما يخرجون إلى خارج يرونها صغيرة، كرة صغيرة أمامهم، بنوا إسرائيل كذلك عندهم أنه بالإمكان أن يدِّيولوا عليها كلها، لم تعد إلا نقطة، أصغر من المريخ بكثير، قد عندهم طمع بحيث أن رؤيتهم أكبر من الأرض، نحن عندما لم تعد رؤيتنا قرآنية، عندما تقول: أن هناك طريقة لا يختلف الناس عليها، أن الله جاء بشيء لا يختلفون، ونظام واحد، يكون عنده كيف يمكن يكون هناك نظام واحد لمحافظة، تكون طريقة واحدة لا يختلفون، ونظام واحد، ولو لمحافظة! وهو قابل أن يكون نظاماً واحداً للعالم كله، هو قابل لئن يعمم على العالم بكله.

نقول دائماً: المفردات في القرآن، لا يوجد مفردة إلا وتجدها مأخوذة بعين الاعتبار، عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤) هو بالشكل الذي يبني أمة، هو رسالة عالمية، وهو بالشكل الذي قابل أن يكون رسالة عالمية، وأن كلمة: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠)، والوعود هذه كلها مبنية على ماذا؟ على هذه الرؤية الواسعة، لا تقل: بأنه ربما دين قد يكون فقط لإقليم معين من الأرض، وقد تكون الوعود الإلهية كلها محصورة فقط فيما إذا تحرك هذا الدين في هذا الإقليم فقط، أما من خارج ربما لا.

كلمة: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (التوبة: من الآية٣٣) واضحة، يظهره على الدين كله في الأرض هذه، ثم {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}، ليس معها حدود، حدودها العالم؛ لأن هذه رسالة عالمية، لا يمكن من ينصره، تكون فقط في إقليم معين، من ينصره بهذا الشكل الواسع؛ لتكون رسالته عالمية، ما هو قابل للتحديد، لا يمكن أن يصح هنا أن أقول: رسالته عالمية، لكن وعده محصور، {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} في البلاد العربية فقط مثلاً، أو {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}في اليمن. يجب أن تنظر إليها مثلما يقول هو في موضوع الرسالة أنها للعالمين.

أن تكون رسالة للعالمين، وأنت تجد العالمين ثقافات كثيرة، وأشياء كثيرة، يجب أن تثق بأن هذه الرسالة هي بالشكل الذي يظهر على الكل، يظهر على الكل. لكن لن تراه بالشكل الذي يظهر داخل بلادك، إذا أنت تعود إلى الأشياء الأخرى، إلى الكتب الأخرى، ما معنى ليظهره، ليظهر كتب المذاهب هذه، في الفقه، والأصول، والأشياء هذه، وكتب الترغيب، والترهيب، أنها هي التي ستظهر على الدين كله، لن تستطيع أن تظهر، ولا في

إقليم واحد! بكتابه، دينه أساسه كتابه، كتابه تجده في الأخير بشكل يعطي فعلاً صورة عن البشر، يشخص البشر، تشريعه، حركته قابلة لئن تستوعب البشر، وتهذبهم، وتجعلهم يسيرون على نمط واحد.

الأشياء الأخرى التي قدمت في الفقه، في كتب الحديث، والتفسير، وأشياء من هذه، غير قابلة أن تكون مقبولة هنا، أن تكون مقبولة فضلاً عن أن تظهر، ستصطدم بواقع، بسنن، مثلما اصطدمت داخل البلاد الإسلامية هنا، في تاريخ أهل البيت، هنا في اليمن في إقليم واحد، كان يقوم بعض الأئمة واصطدم بمسائل فقهية، وأصولية، هنا داخل، ثم يحاول من جديد يبين بطلانها، وأنها هي لا تشكل عوائق أمامه، رؤى فقهية، أو مفاهيم عقائدية معينة، أو قواعد أصولية، كان يصطدم بها في إقليم واحد في العالم.

القرآن غير قابل لئن يصطدم بشيء أبداً، وقابل لئن يظهر على الأديان كلها، وهو نفسه لا يحمل عنوان مذهب معين، لا يحمل عنوان أمة معينة حتى في كونه عربي، مثلما نقول: إن الله جعله عربياً، ليس على أساس قومية، اختار للعالمين لغة هي أرقى لغة؛ لتكون لغة عالمية، أليس يقول: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) يهدي للتي هي أقوم، عندما يقول هنا: للناس جميعاً، رسالته للناس جميعاً، الله يعلم بأن العالم بحاجة إلى لغة واحدة تكون لغة عالمية على الأقل، وإن كان هناك لهجات أخرى، وأن أرقى لغة، وأفضل لغة، وأسرع لغة للانتشار هي اللغة العربية، وأجمل لغة، وأقوم لغة، لم تختار على أساس قومي؛ باعتبارها أقوم لغة من اللغات السائدة في البشر.

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية١٥٨)، هنا يلفت نظر الإنسان بعبارة السموات والأرض؛ لتصغر عندك الأرض، تصغر عندك في نظرك الأرض هذه، عندما يقول: للعالمين، تكون أنت تتصور بأن الأرض هذه أكبر شيء في العالم، الذي له ملك السموات والأرض، والكل عباده، هو الذي له الأمر، والحكم فيهم، وفي نفس الوقت أيضاً السموات في ملكه، حتى لا تقول: أما هذه [أكبرها جور أما هذا قد هو طمع قد الباري يريد يأخذ أراضي مدري من] ليست هذه فقط، بل والسموات، السموات واسعة جداً، والكواكب فيها كثيرة جداً، وبعض الكواكب أكبر من الأرض بعشرات المرات.

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف:١٥٩)، أليست استثنائية جميلة هذه، هكذا قال في قوم موسى. {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ} (الأعراف: من الآية١٤٨) إلى آخره، لكن وفي الأخير يقدم لك صورة أنه كان ما يزال هناك ناس، كان يأتي في تاريخهم أناس جيدين، ويتجلى لك بأنه هكذا في مراحل التاريخ داخل الأمم هذه التي يذكرهم من حيث المبدأ أن هناك ممن يهتدون بهدى الله نماذج عالية جداً، أولئك الآخرين السيئين إنما كانوا من جهة أنفسهم هم؛ لإعراضهم، لجهالتهم، لعدم اهتمامهم.

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ} (الأعراف: من الآية١٦٠). هم اثنا عشر سبطاً، ويبدو أنهم من بعد كانوا على أساس تركيبة تلك البيوتات، حتى في الحجر التي جعلها الله، فجر منها الماء لهم في مرحلة التيه، اثنا عشر عيناً، قد علم كل أناس مشربهم.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً} (الأعراف: من الآية١٦٠) أليس هذا مظهر من مظاهر رعاية الله لهم؟ في الوقت الذي هم أصبحوا يعني: ما كأنهم قبلوا أن يكونوا أمة واحدة مندمجة، إذاً فليكونوا بطوناً على هذا النحو، أوهم تحولوا هم إلى بطون على هذا النحو، اثنا عشر سبطاً، يعني: أبناء فلان، وأبناء فلان، وأبناء فلان، ثم تأتي النعم عليهم بشكل يراعي الوضعية التي هم عليها، قد تكون وضعية غير مؤثرة، قد تكون وضعية أشبه شيء بالأسر، اعتبرها كأسر، الأشياء الملزمة هي ملزمة لهم جميعاً، فهنا يأتي أيضاً في النعمة عليهم بالنسبة للماء أن تكون الحجر هذه ينفجر منها اثنا عشر عيناً، {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}. {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} (الأعراف: من الآية١٦٠) هذا في حالة التيه، وهو في سيناء كانت هذه.

هذه أليس فيها مظهر من مظاهر رحمة الله، مع أنهم رفضوا أن يدخلوا المدينة، {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} (المائدة: من الآية٢٦)، ولكن أيضاً في مرحلة التيه يعطيهم أشياء، الماء على هذا النحو: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ} عندما يكونون في الصحراء حتى لا تلهبهم الشمس وسخونة الصحراء، {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (البقرة: من الآية٥٧)، هذه تتكرر كثيراً فيما يذكر الله عن الأمم، وما يحصل لها، أنه يأتي من جهة أنفسهم هم، أما هو فهو يرعاهم، ويعمل كل شيء من أجل هدايتهم، لكن هم يعرضون عن الهدى، وهو غني عنهم.

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} (الأعراف: من الآية١٦١) لاحظ بالنسبة لتسلسل القصة، أليس ذلك الحدث هو من بعد، قيل ادخلوا القرية. {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ} (الأعراف: من الآية١٦١) مكان يتوفر فيه الخضار والفواكه والحبوب بأنواعها، {وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} (الأعراف: من الآية١٦١) هذا عرض هام جداً، وبالنسبة لهم القضية بسيطة، يقتحمون المدينة هذه، وكان يجب أن يفهموا عندما يقول: بأنه قد كتبها لهم، بمعنى أنهم فعلاً سيدخلونها، ولو احتاج الدخول إلى جهاد، يعني: يقاتلون الذين فيها، الذين فيها كانوا ناس آخرين، ليسوا مؤمنين، ويبدو أنها فقط قرية كانت، أو مدينة بضواحيها، بمزارعها، بمفاسحها.

{وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ} أليسوا بعد طلبوا قثاء وبصل وثوم وعدس؟ كان قد عُرض عليهم سابقاً أن يدخلوا القرية فيسكنوها، وفي نفس الوقت سيأكلون مما فيها: عدس وبصل، وأشياء كثيرة، {وَقُولُوا حِطَّةٌ} كلمة يقولونها، وقد تكون ربما هي نفس العبارة هذه، تكون هي بالذات؛ لأنه بالنسبة للغة العبرية يوجد تقارب نوعا ما؛ لأنها كلها أساساً هي لغات سامية، اللغة العربية، واللغة العبرية، [شَلام] مثلاً [شَلام عليكم] هي بمعنى [سلام] إنما شين بدل السين.

{وَقُولُوا حِطَّةٌ} كلمة يقولونها معناها: حط عنا ذنوبنا، أليس معناها عودة إلى الله بكلمة يقولونها؟ قولوا، {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} (الأعراف:١٦٢)، أهم شيء في القصة هذه أنه في آية أخرى قال: {الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} (المائدة: من الآية٢١) ألم يقل هكذا؟ {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}، هذه العبارة ماذا تعني؟ أليست توحي بأنه بالتأكيد سيحتلونها ما دام قد كتبها وأمرنا أن نتحرك، معناه بالتأكيد سيحصل نصر إذا تحركنا على أساس توجيهاته. قال: {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}، وهنا يقول: {وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ}، أليس هذا مؤشراً.

بالنسبة للمسلمين يوجد آيات صريحة أكثر من هذه، قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه} (التوبة: من الآية٣٣) ليظهره، يؤكد بأنها قضية ستحصل، هي أبلغ من كلمة: كتب الله لكم، هي أقطع، وأكثر تحديداً في الموضوع، {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (الصف: من الآية٩) {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (الصف: من الآية٨) في آية أخرى: {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (الصف: من الآية٩) .

أليست الآية هذه نفسها مما تبعث الأمل في نفوس المسلمين، لكن قد هي نفسية بني إسرائيل يبدو، { كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} معناها هنا: كتب أن يظهر دينه، هذا كان مما يجب أن يكون محط أمل عند المسلمين، وليعلموا بأنهم سيظهرون فعلاً في هذا العالم على الأديان كلها؛ لأن ليظهره على الدين كله، وترجع إلى السنة الإلهية في مسألة ظهور الأشياء، أنها هنا في الأرض مربوطة بالبشر، ليس معنى ظهوره بأنه سيجعل مثلاً مطر من المصاحف ينزل على أمريكا وأوروبا، وتلك الدنيا كلها، ظهوره، وترجع إلى منطقه هو، منطق هذا الدين، أليس منطقه هنا منطق قيومية، منطق سيادة، منطق واقع يسود، وليس فقط مجرد كلام، أو مجرد حجة، ليظهره يسود، يكون هو الأعلى بسيادته على الأرض.

القضية هي مرتبطة بالبشر، بالتأكيد هي مرتبطة بالبشر، على حسب ما هو معروف من سنن الله سبحانه وتعالى، يعني هنا لاحظ في هذه ألم تكن مرتبطة بهم هم ؟{الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ} لكن إذا دخلتموها على الطريقة هذه سيحصل،{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ}(المائدة: من الآية٢٣) يعني: ما زالت القضية نفسها من الناحية الاستراتيجية ـ التي يسمونها ـ من الناحية التكتيكية العسكرية، أنه أيضاً القضية بالشكل الذي فيها مؤشرات أنهم سيغلبون، أليست هذه رؤية لديهم، مثلما نقول: بأنه عندما تسمع كلمة فاعرف بأن التدبير الإلهي يكون مترافقاً معها، يعني: وضعيتهم كانت قابلة من الناحية العسكرية لئن يغلبوا الآخرين، هذان الشخصان عرفا من الناحية العسكرية:{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ}.

أليس المعنى أن الأرض التي كتب الله لهم هي أرض يمكنهم من الناحية العسكرية أن يغلبوا؟ أن يغلبوا أهلها من الناحية العسكرية، ليس المعنى أنه أرض كتب الله لكم، ثم يجعلها في قمة الشواهق، لا يمكن أن يصلوا إليها، أو مثلاً أهلها في منعة لا يمكن أن يقهروا، هناك ترتيبات قابلة لئن يظهروا عليهم؛ لكنهم تراجعوا، عندما تراجعوا يتيهون في الصحراء، ولا يأتي لهم حاجة من الذي قال فيها:{فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ}(البقرة: من الآية٥٨) في آية أخرى:{رَغَداً}، يحصلون فيها على أشياء كثيرة، يتيهون فلا يحصلون إلا على نوع من الطعام هو غريب عنهم أساساً.

ثم إنه جاء فيهم [فاقة] للخضروات: بصل وعدس، وأشياء من هذه، كان قد عرض عليهم من قبل، ألم يكن قد عرض عليهم من قبل أن يدخلوا المدينة فيعتزون فيها، ويسكنون، ويأكلون حيث شاءوا رغداً من الفواكه والخضروات.

فعندما يقول:{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}(التوبة: من الآية٣٣) فلتفهم بأنه تأتي الترتيبات الإلهية بالشكل الذي يرى واقعاً أنه ممكن يظهر، لا يقول: ليظهره ثم يعمل أمامك صخرة مثل الجبل ملساء، وليس معك ما يمكنك تطلع فوق هذه، ولا يعطي لك أي وسيلة، هو لا يقدم مستحيل، عندما قال:{لِيُظْهِرَهُ} أي ستكون ترتيباته أيضاً بالشكل الذي يكون قابلاً لئن يظهر على الدين كله.

لاحظ يترافق معها، مع هذه العملية، ويبدو أنها عمليتين، يعني: دخول المدينة شيء، وشيء معين يعملونه، يقولون: حطة، تغفر لهم الخطيئات، ويجتمع لهم بين مغفرة الخطيئات، وبين دخول القرية هذه التي كتب الله لهم، فيحصلوا على أن يظهروا، ويكونوا بعيدين عن ما قد يكونون مستوجبين له من غضب إلهي عليهم، تغفر لهم كل الخطيئات، إذا غفرت الخطيئات فما بقي غضب إلهي، وهذه عملية سهلة جداً، أن يقولوا: حطة، أليست عملية سهلة؟ لكن لم يكن هناك قابلية، قد انتشر بشكل كبير الفساد فيهم.

{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} (الأعراف: من الآية١٦٢) وبالنسبة لدخول المدينة تراجعوا، وقالوا:{لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا}(المائدة: من الآية٢٤) فحصل ذلة، ومسكنة، وحصل تيه، وحصل كما قال هنا: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}(الأعراف: من الآية١٦٢)، بمعنى أنه ربما قد تكون القضية، لا يحصل ظهور لناس، والمطلوب أن يظهروا بدينه، إلا وقد عرض لهم شيء يظهر من خلاله اهتمامهم بدينه، تغفر به الخطيئات، وفي نفس الوقت يكونون قابلين للظهور، هو لن يأتي يقول مثلاً: يظهر العرب بما هم عليه الآن، يبدو مستحيلاً، لأن الوضعية التي هم عليها الآن ليست وضعية من يظهروا على آخرين، وضعية من يضربوا بآخرين .

تجد هنا حطة، تغفر الخطايا، وعملية سهلة جداً، وأنه كان يمكن أن يدخلوا المدينة ويظهروا، فلا دخلوا المدينة، ولا قالوا: حطة، مع أن تلك مكتوبة لهم، وهذه قضية سهلة أن يقولوها، فحصل عقوبة كبيرة: ذلة، ومسكنة، ورجز من السماء، وتيه أربعين سنة، بدل: تغفر لكم خطاياكم.

عندما يقرأ واحد الآية: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (التوبة:٣٣)، لا تتصور بأن معنى يظهر بالنوعية هذه من العرب؛ لأنك تجد النوعية هذه من العرب هي نوعية من يضربوا، هم مبدِّلين.

إذاً عندما نتحرك نحن في هذا الموضوع، وعلى أساس القرآن، لا يمكن للناس أن يقولوا: إنهم يقرؤون وليس لهم دخل، وربما في الأخير يظهر الباري الدين وسيظهره لهم، لازم عمل يتبين أنهم مهتمون بدين الله، أنهم مهتمون بعباد الله، ولازم انطلاقة على أساس القرآن، عندما تنطلق على أساس أي مذهب آخر لن تظهر، لا يتوقع على الإطلاق أن يظهر الناس منطلقين على أساس أي مذهب آخر، إلا على القرآن؛ ولهذا قال هناك: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ـ دين الحق ـ لِيُظْهِرَهُ} يظهر دين الحق، الأشياء الأخرى لم تعد حقاً، لن تظهر أبداً، دينه الحق هو كتابه وما فيه من سنن إلهية بالنسبة لحركة عباده كيف يبتني عباده على أساسه،في الأخير يأتي للناس ـ ربما ـ عمل بسيط، ألا يعتبر عملنا هذا عملاً بسيطاً؟ شعار نعمله ويكون له أثر كبير، ويظهر في نفس الوقت اهتمام الناس بدين الله، يظهر غضبهم على أعدائه، يظهر أنهم قابلين أن يعملوا ما بوسعهم من أجله. إذا لم يعمل الناس سيكونون مثل بني إسرائيل عندما يقول لهم أن يقولوا: حطة، فبدلوا قولاً آخر.

هنا دمجها مع بعض، يبين لك أنه ليس مكتوباً لهم ـ ربما ـ أن يدخلوا المدينة على ما هم عليه، يظهروا على ما هم عليه من خطايا، وأشياء كثيرة، يقدم لهم حاجة بسيطة جداً تغفر كل الخطايا، قضية رهيبة هذه جداً، ويصبحون جديرين بأن يظهروا، لكن بدلوا فرأيتهم كيف تخاذلوا بعد، وكيف ظهروا متخاذلين، [وأبطلوا بطلة]، بعدما ظهر عسكرياً بأن بإمكانهم أن يدخلوها.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين،،،

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٨ /رجب / ١٤٢٨هـ
الموافق ١/ ٨/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

سورة الأعراف

من الآية (١٦٣) إلى آخر السورة

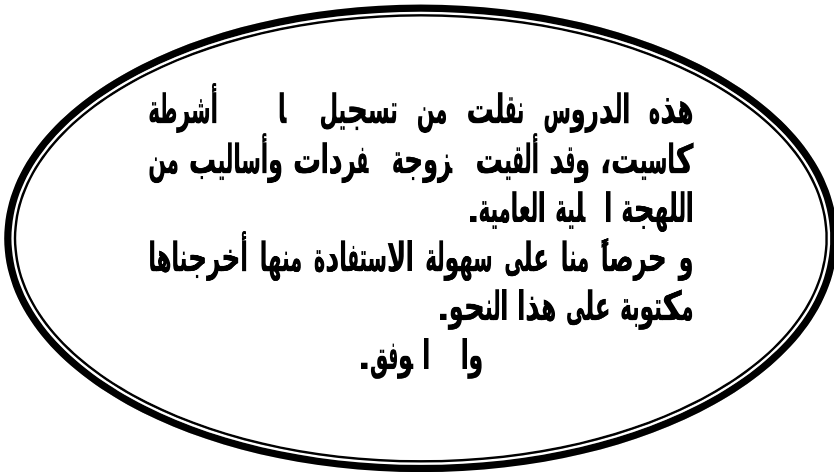
[الدرس التاسع والعشرون]

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٣/١١/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة


هذه الدروس نقلت من تسجيل ا أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ﺑ زوجة ﻔ ردات وأساليب من اللهجة ا لية العامية.
و حرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
وا ا وفق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في هذه الآيات التي سمعناها الليلة، والآيات التي سمعناها بالأمس، هي تمثل جزءاً كبيراً من سورة [الأعراف] حول الأمة التي تؤمن من حيث المبدأ بنبوة، ثم يحصل خلل داخلها، كيف تكون الأمور، كيف تكون الرعاية الإلهية، وكيف يكون العقاب الإلهي .

ويتجلى من مجموع ما سمعناه، ومما سبق أيضاً من خلال ما قرأناه في الليالي الماضية: أن الإنسان هو من جهة نفسه، هو الذي يبتعد عن هدى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يستجيب للشياطين، ويستجيب لهواه، ويستجيب لكل ما يصرفه عن هدى الله، أما هدى الله فهو يأتي على أكمل صورة، وأوضح بيان، فعندما تأتي عقوبة يقول: بأنهم كانوا هم الظالمين لأنفسهم، الله لا يظلم أحداً، ولا يأتي من جانبه أي تقصير في البيان لعباده .

وتتجلى المسألة بشكل ـ فعلاً ـ يثير الدهشة، ففي الوقت الذي هو غني عن عباده تمام الغنى ترى ما يأتي من عنده من هدى بأشكال متعددة، كما قال: {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}(الأنعام: من الآية١٠٥)، وبطرق كثيرة، وآيات ما بين آيات قولية، وما بين آيات من واقع الحياة، بشكل يتجلى فيه رحمة الله سبحانه وتعالى، ويتجلى في نفس الوقت قبح موقف الإنسان الذي لا يستجيب لهدى الله، ويتجلى أيضاً شدة البطش الإلهي، وأن الله سبحانه وتعالى لَمَّا كان هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده يأتي بطشه بشكل لا يستطيع الإنسان على الإطلاق أن يحمي نفسه، وكل ما كان يراها تشكل حماية له يراها لا تساوي شيئاً على الإطلاق .

مما تحدثنا حوله بالأمس قضية تعتبر أساسية جداً، يجب أن نفهمها جميعاً، فيما يتعلق بهدى الله سبحانه وتعالى، كيف يكون تعامل الإنسان مع الله، كيف تكون نظرته إلى الله، ونظرته إلى نفسه، برز مثال عجيب جداً من خلال كلام نبي الله موسى، بعد أن أخذته الرجفة هو والسبعين الشخص الذين اختارهم من وجهاء بني إسرائيل لميقات ربه، فقال بعد الحادثة الرهيبة: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}(الأعراف: من الآية١٥٥)، هذه فيها آية عجيبة، ويكتشف الإنسان من خلالها أيضاً بأن في أنبياء الله ــ عندما تتقدم أشياء تحكي مشاعرهم، وتصور لنا مشاعرهم ـ أن فيها ما يقتبس الإنسان الهدى فعلاً.

نبي الله موسى يأتي في آيات كثيرة، يذكر الله له أشياء كثيرة، إنسان إيمانه بالله بشكل كبير، وبشكل متميز يعني إنسان لا يثق بنفسه هو، ليس متكلاً على نفسه؛ لأنه قد صار نبياً! دائماً يعرف بأنه لو يكله الله إلى نفسه طرفة عين لهلك، كان دائماً حذراً، ويفهم تماماً معنى الإيمان، ومقتضى الإيمان، وتؤكد المسألة هذه بغض النظر عن موضوع التفاضل، عندما يأتي خلاف حول: هل الملائكة أفضل من المؤمنين أم المؤمنون أفضل، هذه قضية ثانية، لا حاجة لبحثها أساساً.

يجب أن نعرف بأن الملائكة جنس من خلق الله، عباد مكرمون، لهم دور مخصوص في عبادتهم لله، يقومون به، ولكنهم هم بحاجة إلى هدى الله، أنبياء الله كذلك، أو البشر بشكل عام، بني آدم جنس آخر من مخلوقات الله لهم دور معين في موضوع عبادة الله؛ ليقوموا به، وكلهم بحاجة إلى هدى الله، وفي مقدمتهم من اصطفاهم الله، أنبياؤه، أنهم بحاجة ماسة إلى هداه .

ملائكة الله كما حكى الله عنهم: {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}(الانبياء:٢٦ ـ٢٧) ولكن موضوع الإيمان، موضوع الإيمان حتى تترسخ مفاهيمه قضية عملية تأتي في ظل رعاية إلهية، يأتي من الطرف الآخر أن يكون في حالة حذر، حالة أن لا يطمئن إلى موقعه: [هو نبي، قد صار نبياً وانتهى الموضوع] لا، يكون دائماً يعرف بأنه يجب أن يثق بالله، لا أن يثق بنفسه هو، لو وثق بنفسه سيهلك .

العبارة التي جاءت من قبل ملائكة الله، أو قد تكون من عند بعضهم، لكن قد يكون بعض العبارات التي تكون من قبل البعض، وهي في نفس الوقت تعبر عن مشاعر الآخرين، تنسب وكأنها إلى الكل، مثلما حكى الله عن المؤمنين في غزوة حنين: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}(التوبة: من الآية٢٥) ويروى أن البعض منهم قال: لن نهزم اليوم من قلة، هنا تكلم البعض لكن مشاعر الآخرين، الأغلبية قد تكون على هذا النحو.

بعد أن حكى الله سبحانه وتعالى للملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وذكر لهم كيف سيكون هذا الخليفة، {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}(البقرة: من الآية٣٠)، هذه العبارة تساوي نوعاً ما في لهجتها، في أسلوبها كلمة موسى هنا: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}، هي تساويها، يعني: هي نوع استفسار، ناسي هذا الطرف ما يفترضه إيمانه من تسليم مطلق وبسرعة .

جاء كلام الملائكة بعد العبارة هذه: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}(البقرة: من الآية٣٠)، ونحن، نحن هذه خطيرة جداً {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} برز من خلالها أنهم فعلاً يعرفون مقام أنفسهم، وفي مقام رفيع، فينا الكفاية ونحن كذا .. إلى آخره، ظهر أيضاً نوع من الازدراء نوعاً ما، ولو كان شيئاً لا يلحظه من يقول العبارة هذه بشكل بارز لكن توحي هذه العبارة فيما يتعلق بآدم .

يأتي الموضوع بشكل يصلون فيه إلى ما كان ينبغي أن يقولوه: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}(البقرة: من الآية٣٢)، إنك أنت العليم الحكيم، لو كان هناك نوع انتباه، نوع انتباه عندما قالوا هذه العبارة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}، فيقولون: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، تنتهي الإشكالية .

وهنا يأتي من جانب الله سبحانه وتعالى، ثم تلحظ فعلاً في تعامل الله سبحانه وتعالى مع ملائكته، مع أنبيائه، مع البشر، مع أمة من الأمم، في وضعية معينة، وفي وضعية أخرى يختلف التعامل نفسه، مع أن الملائكة يعلم عنهم أنهم مؤمنون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، عباد مكرمون، لكن القضية الإيمانية هي قضية عملية، قضية تربوية، لا تأتي شحنة إيمانية هكذا تلقائياً، شحنة إيمانية؛ لأن الإيمان أساساً هو لا ينفصل عن موضوع حركة التدبير الإلهي، عندما نأتي نحن نقيِّم الإيمان ما هو، تجد إنْ ما هناك إيمان هكذا فارغ، الإيمان كله عملي، كل إيمانك متعلق بحركة هذا الكون، بحركة ملك الله ـ إن صحت العبارة ـ ، التدبير الإلهي بملك الله، بحركة تدبيره وملكه .

فلم يأت من جانب الله سبحانه وتعالى ما يبدو وكأنه مؤاخذة لهم، مؤاخذة على هذه العبارة، جاء عملية تربوية من جهة، وتأديبية نوعاً ما من جهة؛ ليعرف الإنسان، الإنسان، وأنا أعتقد أنه فعلاً الإنسان له دور يهتدي به الملائكة، والملائكة في داخلهم يحصل أشياء مما عرض عنهم؛ ليهتدي به الإنسان؛ يعني القضية متبادلة، عملية متبادلة، يهتدي الملائكة عن طريق حركة الناس، وموقف الناس من هدى الله، وأشياء من هذه كثيرة، يهتدي الإنسان بما يذكره الله عن ملائكته .

هنا يقول لك في هذه المسألة: بأن التسليم، التسليم الإلهي يجب أن يكون هو الشيء المترسخ في ذهنيتك، ومشاعرك، وأقرب شيء في ذهنيتك أمام أي قضية تطرأ، أمام أي قضية تحصل .

نبي الله موسى هنا كيف قال؟ {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ}(الأعراف: من الآية١٥٥)، بسرعة، هذه الروحية ـ فعلاً ـ هي ماذا؟ روحية، أو قل: منطق من يرسخ في نفسه التسليم المطلق لله، والإيمان بأن الهدى هو من عند الله، وأنه كإنسان يجب أن يكون واثقاً بالله، لا يثق بنفسه، إذا انفرد مع نفسه، إذا وثق بنفسه، وقال نحن.. أو أشياء من هذه، يأتي وراءها أشياء أخرى . فجاء تسليم من عند موسى بسرعة: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}(الأعراف: من الآية١٥٦) .

هذه قضية أساسية بالنسبة للإنسان بشكل عام، سواء الأنبياء، العلماء، الأولياء، كل فرد من الناس يجب أن يكون دائماً يعرف أن أساس أن يهتدي، وأساس أن يحظى بعناية الله، ورعايته، أن يكون مرسخاً في نفسه التسليم

لله، والتسليم الواعي، أنت مؤمن بأنه حكيم، إذاً يجب في كل فعل من أفعاله، تسمعه، أو تراه، أن تؤمن بأنه حكمة، أن الله لا يفعل شيئاً إلا وهو حكيم، فتقول: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} .
تجد كلما يأتي من أشياء تعرض هنا، من قصص الأمم الماضية، سواء الأمم التي كفرت، وفي الأخير ضربت، أو الأمم التي آمنت مبدئياً، وحصل داخلها أشياء كثيرة من هذه مثلما كانت عليه وضعية بني إسرائيل، كلها، كلها تركز حول موضوع التسليم، نهايتها، أو تقول: لبها وخلاصتها التسليم، التسليم بمعنى: أن الإنسان يكون معترفاً بأن الله هو إلهه، وربه، ويعرف الله، يعرف نفسه أنه عبد لله مأمور، يجب عليه أن يهتدي بهدى الله، وأن يلتزم بهدى الله، أنه عبد لله بكل ما تعنيه الكلمة، يسلّم، لا يأتي من جانبه أي خاطرة تساؤل أمام فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان قاصر، قاصر في مداركه، لا يستطيع أن يدرك بعض تصرفات البشر أنفسهم، ناهيك عن تدبير الله، وأفعال الله سبحانه وتعالى .
كما ذكرنا بأنه بالنسبة لنبي الله موسى نفسه في موضوع الخضر، ألم يبد له أفعال استغربها؟ وهو إذاً أمام إنسان، أمام إنسان كمثله، أو قل مخلوق كمثله، سواء كان إنساناً أو شيئاً آخر، مخلوق كمثله، لم يستطع هذا النبي العظيم الذي قال الله فيه: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طـه:٤١) أن يدرك تماماً الغاية من تصرفات هذا الرجل الذي أوحي إليه أن يذهب إليه ليتعلم منه، فكيف يحاول الإنسان أن يعرف، أو يقطع، أو يتصرف وكأنه قد أحيط بالله علماً، يحيط بكل تدبير الله، فيأتي من جانبه استفسارات، يأتي من جانبه استفهام على هذا النحو الذي فيه نوع من التساؤل الذي يبدو وكأنه يعرف كل غايات تدبير الله، وأفعاله سبحانه وتعالى!. هذا هو التسليم، التسليم قضية أساسية .
إذاً التسليم نفسه، التسليم يقتضي منك أن تعطي أهمية لما يأتي من هدى الله، تعطيه أهمية كبيرة، تتفاعل بجدية معه، وإلا فسيكون الإنسان معرضاً لأشياء خطيرة، معرضاً لأن يُضَل، ومعرض لأن تأتي له ابتلاءات أيضاً يَضِل بعدها .
هنا في قصة أصحاب القرية هذه: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} (الأعراف: من الآية١٦٣)، قرية مطلة على البحر من قرى بني إسرائيل، أو قرى فيها يسكنها بنوا إسرائيل. {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} (الأعراف: من الآية١٦٣)، يتعدون ما فرض عليهم في يوم السبت أن لا يصطادوا السمك، {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً} (الأعراف: من الآية١٦٣) فوق سطح الماء، وقريبة إلى الساحل، الحوت تأتي أمامهم هكذا، {وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأعراف: من الآية١٦٣) .
هذه القضية تتجلى في داخل آيات القرآن أنها قضية خطيرة على الإنسان، وأنه في نفس الوقت يُقدِّم داخل القرآن ما قد يجعل الإنسان بعيداً عن ابتلاءات من هذه، منها هذه القضية: التسليم المطلق لله، والإيمان الواعي، واللجوء الدائم، والمطلق إلى الله، وإلا فقد تتعرض لابتلاءات وأنتْ عِندك أنكْ فاهم، ومؤمن تماماً، [ولو يأتي ما يأتي لن أتغير]، أليس بعض الناس قد يقول هكذا؟ [لو يجي ما يجي لما تحولت لو لو.... لما حصل كذا]!.
هذه قضية لا تطمئن إلى نفسك على الإطلاق، لا تنقطع إلى نفسك، انقطع إلى الله؛ ولهذا حكى عن الراسخين في العلم في قوله حاكياً عنهم: {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا} (آل عمران: من الآية٨) عندما رأوا آخرين زائغين، قلوبهم فيها زيغ {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا}، لم يقولوا: أما نحن فنحن راسخون في العلم، ولا يمكن يزاغ لنا قلب، ولا يمكن تنزلق لنا قدم، وأشياء من هذه، لا، {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} (آل عمران:٨) ترحمنا أنت، ترعانا أنت، حتى لا تزيغ قلوبنا، {إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}، أنت الذي تهب الرحمة، أنت الذي ترعى أولياءك حتى لا تزيغ قلوبهم .
هؤلاء حصل لهم هذا الابتلاء، وذكر في سورة [المائدة] أيضاً: {لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة: من الآية٩٤) هؤلاء أناس لم يحصل من جانبهم تسليم لله، حصل من عندهم تعدي في السبت، ربما كانوا يتعدون في السبت، وعندهم أنه اصطياد

طبيعي، أو عندهم نية أن يتعدوا في السبت، وهم ما يزالون يصطادون بالطريقة العادية، فيأتي ابتلاء إلهي، تأتي الحيتان يوم سبتهم شرعاً، أمامهم على سطح الماء، {وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ}، يعني: ما بعد السبت لم يعد هناك شيء، قد صار مثل باقي الوقت، يحتاج إلى اصطياد بالطريقة العادية .

{كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، الله حكى عن المؤمنين في آخر سورة [البقرة]: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا}(البقرة: من الآية٢٨٦)**، أليست مشابهة تماماً لما حكى الله عن موسى: {أَنْتَ وَلِيُّنَا}**(الأعراف: من الآية١٥٥) **يعني أنت أولى بنا من نفوسنا، لا أمر لنا في نفوسنا معك، {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**(البقرة: من الآية٢٨٦)**. هنا يذكر ماذا؟ {وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} نحن بشر، ونحن ضعاف، لا نثق بأنفسنا فيما لو تأتي ابتلاءات معينة .**

القضية هذه لم يجعلها الله قضية غامضة بمعنى مثلاً أن الإنسان ربما قد يصفعه الباري، وهو لا يدري، لا، هناك أساسيات، هناك أساسيات فعلاً قد تبعدك عن ابتلاءات قد تضعف أمامها فيما لو وقعت، منها هذه، تكون أنت لا تثق بنفسك على الإطلاق، مهما بلغ إيمانك، مهما بلغت أعمالك الصالحة؛ لأن الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان إذا كان مستشعراً التسليم لله، وانه عبد لله، أنه كلما كثرت عبادته لله، وكلما عظمت عبادته لله سبحانه وتعالى، كلما ازداد تسليمه .

فالعبادة هي أساساً عمل في عمق التسليم لله، وتجليات لتسليم الإنسان لله، لا تأتي العبادة لله على نحو كلما تعبد الإنسان لله كلما كبر عند نفسه، كلما كبرت نفسه عنده إلا عبادة من؟ الجاهلين، عبادة المغرورين؛ لأن الشيء الطبيعي أنه كلما كنت أكثر عبادة لله كلما كنت أكثر تسليماً لله .

لاحظ هنا نبي الله موسى في اللحظة هذه، تلاحظ تسليماً مطلقاً، لم يلتفت لنفسه أنه نبي، أو غير نبي، نفسه كعبد لله: {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}، لم يقل في نفسه: قد أنت نبي كيف لا يغفر لك وأنت نبي! لا يوجد عنده الفكرة هذه، منقطع تماماً في التسليم لله، والذي يسيطر على مشاعره العبودية لله سبحانه وتعالى.

لهذا لا تأتي الابتلاءات بطريقة إلا وللإنسان من جهته هو أسبابها، الإبتلاء الذي هو من هذا النوع، ابتلاء كما ذكر في موضوع الصيد في سورة [المائدة]: {لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ}(المائدة: من الآية٩٤) **والابتلاء الذي ذكره هنا بالنسبة لأهل القرية هذه: {كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} يفسقون، الفسق، وهذا مثلما نقول دائماً: نحن نشكو من التغيير في المصطلحات، الكفر غيروا معناه، الضلال غيروا معناه، الهدى غيروا معناه، الفسق غيروا معناه، كل شيء تغير معناه .**

الفسق معناه: الخروج عن الطريقة الإلهية التي رسمها، الخروج عن هداه، الفسق قد يأتي وأنت لا تشعر، من هو ضال فهو يعتبر فاسقاً، بمعنى خارج عن الطريقة، متى ما خرج الإنسان عن الطريقة أصبح عرضة لأشياء كثيرة جداً، أما وهو في الطريق، وأن تكون فعلاً في الطريق تعرف أن الخط ـ إذا هم يعملون على الزفلت مثلاً أخطاط ـ فالخط الرئيسي في الطريق هو التسليم لله، فتكون مشاعرك على هذا النحو الذي حكاه الله عن نبيه موسى (صلوات الله عليه) .

هنا لا تأتي ابتلاءات تخرجك أبداً، ابتلاءات مساعدة، ابتلاءات إلى الأفضل، ليست ابتلاءات تخرجك مخرج أبداً، لكن متى ما أصبحت خارج بأي طريقة قد تكون تفسق وعندك معتقدات صحيحة بأشياء في مشاعرك أنت، مشاعرك أنت، عندك قصور في التسليم لله مثلاً، هذا يعتبر خروجاً عن الطريقة التي رسمها الله لعباده كيف يكونون عليها في نظرتهم لأنفسهم، كيف يكونون هم في وجدانهم، في مشاعرهم، في وجدانهم الداخلي، كيف تكون نظرتهم إلى أنفسهم، فِسْق عنها، تكون معرضاً لابتلاءات قد تخرجك فعلاً، ليتبين لك بأنك لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك، كيفما كنت، لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك على الإطلاق .

عندما تتعبد تتعبد، وكلما تعبدت لله بفرائض ونوافل، وأشياء من هذه، كلما رأيت نفسك تكبر وتكبر أنت عند نفسك هنا ستسقط إلى الحضيض، ستسقط إلى الحضيض فعلاً، تعبّد لله وأنت في الطريق، لا يكن تعبُّد الفاسق؛ لأن كلمة فسق في اللغة العربية بمعنى: خرج عن الشيء، الخروج التلقائي، أو الخروج المتعمد، أو كيفما كان، الفسق معناه: الخروج عن الجادة، أو الخروج عن الشيء الذي كان يجب أن يكون عليه .

كلمة فسق، هي كلمة عربية من قبل تنزل القرآن، وكلمة هدى، وكلمة ضل، وكلمة كفر، كلها من قبل أن يتنزل القرآن، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، هؤلاء عندهم فسق من النوع الواضح، يعني عندهم تعدي، والتعدي في السبت يعتبر فسقاً، عندهم تعدي واضح .إذاً هنا سيأتي الابتلاء بشكل يجعلهم أيضاً ربما ينزلقون أكثر، وهذا الذي حصل.

كان الشيء الطبيعي لك عندما يحصل منك فسق في مرة ـ ولهذا جاء بعد يذكر عن المتقين كيف هم ـ تفسق مرة، ترجع إلى الله، {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا} (لأعراف: من الآية٢٠١) ألم يقل الله هكذا؟ ترجع إلى الله، أما أن تجلس على ما أنت عليه، أو عندك تقول: الله غفور رحيم، مثلما حكى عن آخرين: {وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} (الأعراف: من الآية١٦٩)، هذا فسق يأتي بعده ابتلاءات، كلها ذات الشمال، [مَنْزَلِ] نعوذ بالله .

يتبين هنا طائفة أخرى، طائفة الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر؛ لينطلقوا من شعور بمسئولية، حتى وإن لم يكن الآخرون لديهم ظن بأنهم يمكن أن يستجيبوا، {وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} (الأعراف: من الآية١٦٤)، هؤلاء قد هم ناس منتهين، ما فائدة أن توعظوهم؟ تحاولون أنهم يتركون ما هم عليه من فسق؟!{قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ} (الأعراف: من الآية١٦٤) هذه مسئوليتنا، ونعذر إلى الله بأننا أدينا مسئوليتنا، فنهينا الآخرين عما هم عليه من فسق، وتعدي لما فرضه عليهم، {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الأعراف: من الآية١٦٤)، ولأنك عندما تقدم النصيحة تقدمها في أجواء من هذه: عسى ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقطع مع آخر بأنه بشكل لم يعد محل لعسى، أو لعل، نهائياً، لا أحد يعلم ذات صدور الآخرين أبداً. فأنت تقدم النهي عن المنكر إعذاراً إلى الله، وفي نفس الوقت عسى أن يهتدوا، {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} .

تقدم بالنسبة للأمم التي كانت يكون لها موقف جماعي في مواجهة أنبيائها، كيف أنها تضرب نهائياً، أليست تضرب؟ داخل الأمم التي هي محسوبة على دين الله، محسوبة على الإيمان برسوله، وكتابه، يحصل تعدي من ناس فإذا لم يحصل نهي من الآخرين، حصل أمر بمعروف ونهي عن منكر من جانب الآخرين، ظلوا على عملهم في ماذا؟ في هذا المجال، فالعقوبة الإلهية قد تأتي بالشكل الذي ماذا؟ تخص، لا تأتي عامة، كما هو الحال في الأمم الأخرى، الأمم التي يكون موقفها عام في مواجهة أنبيائها .

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأعراف:١٦٥) هنا لا يأتي عقوبة شاملة، لكن إذا كان الطرف الآخر هم على هذا النحو: {يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} {فَأَنْجَيْنَا} لم يقل فأنجينا الآخرين الذين لم يفعلوا هذا، وهم ساكتون هناك، لا، {فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} هؤلاء هم الذين سينجون، أما الآخرون الذين يعملون العمل المنكر، والساكتين، أو المداهنين، فهؤلاء قد يكون مصيرهم واحد .

{وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، وهذا الشيء مما يكون داخل الأمم، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى، من رحمته، ليست تصرفاته مثل تصرفات الأمريكيين، نراهم مثلاً قد يكون واحد من منطقة ويداهمون المنطقة كلها، يداهمونهم كلهم هكذا . الله سبحانه وتعالى يؤاخذ العاصين فقط ، والعاصون هم نوعان، من يعملون المعصية، ومن يسكتون عنها، ينجي الذين ينهون عن السوء .

إذاً فهذه تعطي الناس قاعدة: ـ لأن الله سبحانه وتعالى، هو الله الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم، ما يزال حياً قيوماً، مدبر لشئون السموات والأرض، ما تزال سننه في عباده قائمة ـ أن الشيء الذي يجعل الناس يخافون على أنفسهم، عندما يرون أن هناك منكرات، وهم في نفس الوقت ساكتين على أساس أنه ماذا؟ خائف أنه لا يقول

شيئاً، أو يتكلم، أو يكون له موقف منها، يلحقه شيء يضربه، لا، يجب أن تخاف من الله سبحانه وتعالى، من هذه السنة: أنك إذا لم تتحرك قد تضرب، أن الشيء الذي هو نجاة لك هو: أن تنهى عن السوء .

في مرحلة كهذه التي نحن فيها، أليس هو يظهر الكثير من أقوال الناس بالشكل الذي يدل على أنه من ظاهر القرآن، خلي عنك أشياء تستوحي منه ليس له أثر في النفوس . هنا يقول: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} أنجينا الذين ينهون عن السوء، أليس هذا يعتبر جواباً كافياً على أي إنسان، قد يأتي يقول لك: اسكت، إنما فقط قد تؤدي إلى أن يلحقك كذا، ومشاكل، وأشياء من هذه، يخوفك، قل: لا، إن القضية التي يجب أن نخافها هو عندما لا نعمل، عندما لا نتحرك، عندما لا ننهى عن السوء .

{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (الأعراف:١٦٦)، نعوذ بالله . إذاً هو هنا يبين بأن الله سبحانه وتعالى يؤاخذ، وكما أنه قادر على أن يؤاخذ بشكل عام أمة من الأمم، هو عالم بعباده جميعاً، يستطيع ويعرف أن يؤاخذ على طريق التخصيص، أخذنا الذين ظلموا، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}، أليس هو يبين هنا فئة خاصة من المجتمع؟ أيضاً يوجد فارق هنا، لاحظ كيف الفارق بين منطق من قالوا لهم: ما فائدة وعظكم لهم، وبين ما يحصل اليوم؟ بشكل عجيب الفارق، هنا سيقول لك: [اسكت ستكلف علينا، وتجلب الشر علينا، اسكت ما لك دخل، ماذا يمكن أن تعمل أنت في هذا الموضوع!] .

هؤلاء ما يزال منطقهم الذين آخذهم الله على سكوتهم، منطقهم بأنه ما فائدة أن توعظوا قوماً قد هم محكوم عليهم ربما؛ لأنهم قد هم فاسقون، ظاهر فسقهم، قد هو محكوم عليهم بالعذاب الشديد؟ أليس هؤلاء منطقهم أحسن من منطق الناس اليوم؟ فعلاً ما يزال أعلى، أما هذا فيقول لك: اسكت! بل ربما في الأخير يحاول يطلّع موقفك أنت بأنه المخالف للدين، يحاول يجعل موقفك المخالف لموقف الدين نفسه، بمعنى: أن هذه الحالة التي هي ظاهرة في الناس، يصدون بها من يعمل في عمل كهذا، وهو يذكّر الناس بالله سبحانه وتعالى، وبخطورة كبيرة محتملة من جهة الله سبحانه وتعالى، فيما إذا قصروا، خطورة كبيرة من جهة العدو، وعدو يعرفه الناس، عدو كبير، وإمكانياته كبيرة، يأتي ليقول: [اسكت، ما لك دخل] لا يقول يا أخي: اسكت، هؤلاء الأمريكيون هم أعداء لله، وربما الله مهلكهم، أو معذبهم عذاباً شديداً، هو لا يقول هذه على الأقل، هذا سيكون منطقاً أسهل من المنطق الذي يقدمونه .

في حالة كهذه يرجع الإنسان إلى قاعدة لديه معروفة: أنه لا يعلم الغيب، أن تعتقد بأنك أنت جالس، أو أنت مثلاً قمت تصد عن عمل هو نهي عن السوء، وعندك كيف يمكن إنّهْ يأتي لك مصيبة لوحدك، الإنسان لا يعرف تدبير الله، لا يعرف كيف يمكن أن يأتي له الله، ومن أين يأتي له الله، الله يقول: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر: من الآية٢) في كثير من الحالات التي يؤاخذ فيها نوعية من عباده يقول: {مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}، أو يقول لنفس من يتحركون لينهوا عن سوء يقولون: [نحن أمام خطورة كبيرة عامة، إذاً هي بالتأكيد ستلحقنا ولو نحن ناهين عن السوء؛ لأنه شيء عام، قد يعم شعباً بكله، ضروري يلحقنا]، يجب أن يفهموا بأن الله قال هكذا: {فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} (الأعراف: من الآية١٦٥) .

النجاة أيضاً أن لا تضع لها أنت قائمة وتوصفها أنت، ما هي النجاة، النجاة عند الله، دع الله هو الذي يختار لك النجاة، قد تكون نجاتك فعلاً، قد تكون نجاتك بأن تستشهد في سبيله، ما معنى نجاتك هو: أن لا يحصل عليك شيء! قد تكون نجاتك أنت كإنسان، كشخص معين في أن تستشهد في سبيله، ربما أنك لو لم يحصل لك هذا: أن يختارك الله فتستشهد في سبيله، قد يحصل شيء آخر يجعلك تتحول، وفي الأخير تهلك .

فالإنسان يترك الأمور لله، يصدق بوعد الله، يثق بالله، ولا يقدم خطة معينة لله، يقول: [أنا أريد أن تكون النجاة على هذا النحو، أريد أن يكون نصرك على هذا النحو، أريد أن يكون تأييدك على هذا النحو] لا، الإنسان يسلّم أمره لله، ويثق بالله، ويصدق بوعود الله، والله هو الذي يفعل ما يريد، وبالتأكيد لن يختار لأوليائه إلا أحسن شيء لهم .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأعراف:١٦٧). أي قضى سبحانه وتعالى بأنه على طول حياتهم، على طول تاريخهم، أن يبعث عليهم، ولا نستطيع أن نقول بأن معناه يومياً أو سنوياً، يبعث هو متى ما أراد ومتى ما شاء.

عندما يقول في هذه الآية: {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} مع أن أولئك قد قال عنهم: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (الأعراف:١٦٦) ألم ينتهوا، وأولئك الذين اعترضوا على من نهوا عن السوء، ألم ينتهوا أيضاً؟.

هذه هي تعبر عن قضية خطيرة جداً، أنه عندما يعتبر الموجودين من بعد، الأجيال الموجودة من بعد، امتداداً لأولئك في روحيتهم، في نظرتهم، امتداداً يبرر لهم ـ تقريباً ـ ما هم عليه، ما هو الشيء الذي يجعل القضية على هذا النحو، يجعل الجيل المتأخر امتداداً للأول ما هي؟ ليست فقط موضوع الولادة، الثقافة، أخطر شيء على الناس هي الثقافة الخاطئة، فيمكن أن يكون مثلاً أبوك الأقرب، أو جدك ضالاً، وأنت لا تسير على نهجه، تعتبر مهتدي، وتعتبر من المفلحين، ومن الناجين، وهو جدك الأقرب، لكن من بينك وبينهم مئات السنين، أو آلاف السنين، وأنت تمشي على ثقافة هي امتداد لثقافتهم هم، امتداد لافتراءاتهم، امتداد لتبريراتهم، امتداد لأهوائهم التي تتحول في الأخير إلى ثقافة، معنى هذا ماذا؟ ستبقى القضية، وكأنك هم، وكأنك في موقعهم .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ} أليس معناه الأجيال التي لها صلة بهم، وحالها حالهم؟ ليس المعنى مجرد كونهم أبناؤهم، من ناحية الولادة، حالهم حالهم، ونظرتهم نظرتهم، ما الذي يجعل حال الأجيال المتأخرة، حال الجيل الأول إلا ماذا؟ ثقافتهم، ثقافة الجيل الأول تبقى ممتدة، هذه حالة خطيرة جداً، وهنا تضيع فوارق مئات السنين بينك وبين الجيل الأول، ولو بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، ستكون امتداداً له، وتعتبر منهم، وحكمك حكمهم، ومصيرك مصيرهم .

بين في آية أخرى بأن ما كان لدى ذلك الجيل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مجموعة أهواء ممن ضلوا من قبل، ألم يقل: {وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ}(المائدة: من الآية٧٧)؟ لما كانوا متبعين لما قدمه لهم الأولون، وهو في الواقع أهواء، وضلال، اعتبروا امتداداً لهم، بين لك بأن ما لديهم هو ما كان لدى أولئك، والذي على أساسه عوقب أولئك، عوقب الجيل الأول، والخطورة في هذه القضية: أن المسألة تصل أحيانا في داخل الأمة المتدينة يعني: الأمة ذات الدين، أن الأهواء المخالفة لأوامر الله تتحول إلى ماذا؟ تقدم إلى الناس مصبوغة بصبغة دينية، ويرمّز أصحابها، يعتبرون عظماء في تلك الملة، عظماء في ذلك الدين، يرمزون، يعتبرون رموزاً، لا تدري وإذا الأمة في وضعية متشبثة بشيء هو خطير جداً عليها، وفي نفس الوقت بعيدة عن أن تخرج منه؛ لأنه قدم لها بشكل دين، ومن صنعوا هذه الأهواء، وعملوا هذا الضلال قُدِموا رموزاً في الملة، رموزاً في الأمة، حالة رهيبة هذه جداً.

لهذا يأتي عنها أن يعرف الإنسان الله سبحانه وتعالى، ولم يربط الأمم ببعضهم بعض، لم يربطهم في موضوع الهدى، ذكر بأنه حي قيوم، وأن مسيرة الحياة متواصلة، أنه هو الذي سيأتي بهداة من عنده على طول الحياة، لم يربط الأمم ببعضها بعض، ويقول: يكفي، نحن قد قدمنا لكم قبل ألف سنة، أو قبل ألفين سنة، ولكن السبب في أصحابكم، يكفي، نجحت، لم يعد هناك إلا الذي قد مشى، إن استطعتم أن تعرفوا أنتم من جهة أنفسكم وإلا فيكفي، راحت القضية، لا، ربط عباده به هو؛ ولهذا يؤكد بالنسبة لرسله كيف يجب أن تكون نفسياتهم هم، إنما يأخذون عبرة من الماضي، فبالنسبة للصالحين من أسلافهم خط الأنبياء: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}(الأنعام: من الآية٩٠) والآخرون يأخذون عبرة منهم أيضاً، ودروساً منهم، لا تظن بأنك مربوط ارتباطاً هكذا بالجيل الذي قبلك بمائة سنة .

أنت يجب أن تسير على طريق واحدة، وتسأل الله؛ ولهذا علمنا في الفاتحة من جهة الله أن ندعوه: اهدنا، ألسنا ندعوه هو؛ لأنه حي قيوم، من يقولون: اهدنا، قد يكونون في القرن الثاني، في القرن الثالث، في القرن الخامس، في القرن العاشر، في القرن العشرين، وهم دائماً يقولون: اهدنا، اهدنا.. إلى آخره، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ}، وبالتأكيد صراطه هو الذي رسمه، وهو في نفس الوقت {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ}، لا نستطيع نحن أن نغربل الحياة نحن فننتقي من أنعمت عليهم، ونعرف كيف كان صراطهم بالتحديد، نحن بحاجة إليك أن تهدنا أنت .

فالذي في سورة [الفاتحة] تعني: خطاباً يومياً من جهة كل إنسان مع الله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} }إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {اهْدِنَا} أليس هذا خطاباً يومياً، وأنت تخاطب من هو حي قيوم، ومن يمكن أن يمنح الهدى يومياً، يومياً، ولكل جيل، ولكل الناس، عندما يخاطبونه، ويعرفون فعلاً ما يقتضيه خطابهم، عندما يقولون: اهدنا الصراط المستقيم .

وعندما نقول: اهدنا الصراط المستقيم نعود إلى القرآن، لا نقول: اهدنا الصراط المستقيم، ثم نقول: نحن على سيرة السلف الصالح، مثلما يقول الآخرون، أليسوا يقولون هكذا؛ لأن المسألة قد قدم لك ناس هم ممن خالفوا، رُمِّزوا حتى أصبحوا عظماء في هذه الأمة، وقد أصبحت تراهم أنت سلفاً صالحاً، لو تسأل أي إنسان من طوائف أخرى، ألا يتمنى أن يكون على سنة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وهؤلاء، عمرو ابن العاص وأمثالهم؛ لأن هؤلاء قدموا لديه بأنهم سلف صالح .

لكن لا، أنت قل لله: اهدنا أنت صراط الذين أنعمت عليهم، أنعمت عليهم، لا نستطيع أن نميز إلا عن طريقك أنت، أنت الذي تهدي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، ونعرف من عندك أنت لما يمكن أن نعرفه مثلاً داخلنا كأمة، من عندك أنت نعرف من أنعمت عليهم، وتعود إلى القرآن، يعود الناس إلى القرآن، لا نقول: اهدنا الصراط المستقيم، ونرجع إلى ما عليه السلف الصالح، الذين قد سميناهم، وقدموا لنا أنهم سلف صالح، وأنت تراهم اختلفوا فيما بينهم، وتقاتلوا فيما بينهم، هل يمكن أن تحكم بأن أولئك كلهم كانوا سلفاً صالحاً؟ أبداً، لا يمكن أن تحكم لمختلفين، متناحرين، متقاتلين بأنهم كلهم سلف صالح، فيهم ناس صالحين، قد لا تكون تدري بالتحديد من هم، إذا أنت تدري فغيرك لا يدري، إذا أنت قدم لك من هو فعلاً سلف صالح، على أنه سلف صالح، وهو في واقعه سلف صالح، هناك آخرون سيقدم لهم آخرون ضالون على أنهم سلف صالح .

ما الذي يشكل ضمانة من هذه للجميع؟ أن يسألوا الله هو، ويرجعوا إلى ما بين أيديهم من هداه، ويسيروا على الطريقة التي رسمها هو؛ ولهذا كانت هامة جداً {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}(الفاتحة: من الآية٧) أليسوا السلف الصالح؟ لكن نقول له هو، نطلب منه هو بدعاء أنه أنت الذي تهدنا إلى الصراط المستقيم،{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} وأنت الذي تعلم من هو الذي أنعمت عليه، ومن هو الضال، ومن هو المغضوب عليه .

هذه الآية تعتبر مؤشراً خطيراً جداً، أن لا يطمئن الناس إلى ما قبل مائة سنة، مائتين سنة، وهكذا، أنك تنظر إلى ما بين يديك من هدى الله، وإلى الله دائماً أن تعرف بأن ما تركه السابقون، ما قدموه من ضلال، عوقبوا على أساسه، إذا كان لا يزال حياً في أوساط الناس، جيل بعد جيل، سيكون حكمهم حكم أولئك، ألم يقل هنا: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}، وهم قد ماتوا قبل آلاف السنين، أو قل: قبل ألفين سنة، قد ماتوا قبل ألفين سنة، وهنا يأتي بعبارة: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ}؛ لأن الأجيال المتأخرة كأنها أولئك تماماً؛ لما كانوا امتداداً لهم عن طريق ماذا الامتداد؟ عن طريق الثقافة التي تنزل .

معناه أن القضية خطيرة جداً، عندما ننطلق لنقيم ثقافتنا على أساس القرآن؛ لأنه ما أوخذ به من قبلنا بمئات السنين، ما حصل من أخطاء قبل مئات السنين ستضربنا، وسنكون امتداداً لأولئك ممن ضلوا ولو كان بيننا وبينهم آلاف السنين .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأعراف:١٦٧) لهذا عندما ننظر إلى بني إسرائيل اليوم ألم يأت لهم.. تقريباً حصل لهم أشياء كثيرة، وهم في أوروبا، وحصل لهم سوء عذاب وهم في فلسطين محتلين، مع أنهم دولة قوية، وعندهم إمكانيات كبيرة، لكن

شيء من جهة الله، لا يستطيعون أبداً أن يسدوا منفذه {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}.

{إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} فهو يعاقب هنا في هذه الحياة إضافة إلى عقابه في الآخرة، {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، لمن رجع إليه، ولمن تاب إليه، ولمن اهتدى بهداه .

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الأعراف:١٦٨)، وهذه القضية أيضاً من القضايا الهامة التي نأخذ منها عبرة في موضوع وحدة كلمة الناس كما يقول الكثير. بنوا إسرائيل ثقافتهم هي بالشكل الذي تربط بعضهم مع بعض، ثقافة قومية، ثقافة انزوائية داخلية، ومع هذا شتت الله شملهم، وقطّعهم في الأرض .

عندما يقول الناس: لا نريد أن ندخل في موضوع معين؛ ـ وهو شيء من هدى الله، شيء لا بد أن يعملوه ـ من أجل تبقى كلمتنا واحدة سيفرق الله شملهم، يفرق الله شملهم، وهذه عبرة لنا، فعلاً ترى بني إسرائيل، ثقافتهم في كتب [العهد القديم] كلها ثقافة تجعلهم كالإخوة فيما بينهم، لكن لا يستطيعون، النفوس هي بيد الله، وحياة الناس هي بيد الله، قطّعهم في الأرض، مزقهم في الشعوب .

ألم تكن ثقافتهم بالشكل الذي تجعل منهم أمة واحدة؟ ضرب بينهم عداوة وبغضاء، رغم أن ثقافتهم ثقافة واحدة، يعني: ثقافة تشدهم إلى بعضهم بعض، فاليهودي ينظر فقط في الدنيا إلى اليهودي، يرى ما يقدم إليه وكأنه ليرعى اليهودي، ويحب اليهودي، ويحترم اليهودي، ويعمل كل شيء لليهودي، ومع هذا مزقهم الله .

كذلك الناس عندما يكن يأتي موضوع، نحن قلنا في جلسة سابقة: وحدة الكلمة هي قضية لا بد من تدخل إلهي فيها، ووحدة الكلمة هي يجب أن تكون على أساس دين الله، ووحدة كلمة؛ ليعمل الناس، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

أما وحدة كلمة على أن يجلسوا، ولا يعملوا شيئاً؛ من أجل يبقوا أهل قرية، وتكون كلمتهم واحدة، ويبقوا يدخلون المسجد، وتكون كلمتهم واحدة، وما يكون هناك أحد يعارض، ولو أدى إلى أنهم يسكتون لا يرفعون، ولا كلمة ضد أعداء الله، معنى هذا ـ على ضوء هذه الآية ـ أن الله يمزق شملهم، يوجد بينهم عداوة وبغضاء .

ويفهم الإنسان بأنه دائماً لا يعرف كيف يمكن أن يعمل الله بالناس، لا يكون عنده [أن كلمتنا واحدة فلا يأتي من يفرقنا]!. الذي يعزز وحدة كلمة الناس، ووحدة صفهم، عندما ينطلقون على أساس هداه، ويعملون في سبيله، وإن كانوا أعداء من قبل، وإن كانوا أعداء، {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران: من الآية١٠٣) .

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، هذا بالنسبة لتاريخهم الماضي، كانوا هم أيضاً مفرقين في الشعوب، وكان يظهر بينهم من هم صالحون، ومن هم كما قال في آية أخرى: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد: من الآية١٦) .

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} (الأعراف: من الآية١٦٩)؛ لأن المسيرة ما زالت مسيرة دين، مثلما هو واقع الأمة الإسلامية، أليس القرآن ماشي معنا من ذلك اليوم؟ قرآن، وتوجيهات من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتوجيهات ينسبونها إليه وهي غير صحيحة، وعبادات معينة، أليست مسيرة تمشي مع الناس؟ {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ} من بعد الأجيال السابقة من بني إسرائيل خلف ورثوا الكتاب، بهذه الطريقة، طريقة التلقي الذي يحصل بين الناس .

هناك فرق بين {أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} (فاطر: من الآية٣٢)، من جهة الله هو يختص، ويورث شيئاً، وورثوا ممن قبلهم كتاباً، هنا أيضاً تظهر في الأخير مسئولية فيها، تظهر مسئولية، عندما تكون أنت قد علمت الكتاب، أي واحد يعلّم القرآن، يعلمه، فهنا في القرآن أشياء واضحة، وهنا ذكر في هذه الأشياء الواضحة، أنه لا يحصل تذكير بها .

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} ما يزال الكتاب بينهم، لكن قد هناك في المسيرة أشياء أخرى، في مسيرتهم الثقافية قد هناك أطروحات أخرى، وتقديرات، وأقوال، ووجوه، وأشياء من هذه، فالكتاب يمشي،

والعمل قد هو يقوم على أساس شيء آخر، ألم يصلوا إلى درجة {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (آل عمران: من الآية٧٥)؟. يأكلون أموال الناس ويقولون: [أميون ، ما علينا منهم، لن نؤاخذ] مسألة فقهية طلّعوها، لا أدري من أين طلعوها؟!.

{يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى} (الأعراف: من الآية١٦٩) الحياة القريبة هذه، من مظاهر الدنيا هذه، {وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} (الأعراف: من الآية١٦٩) هناك تأويلات إما مثل: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً} (البقرة: من الآية٨٠) أو مثل: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]، أو أن الإنسان إذا هو مجتنب أشياء فما عليه من أشياء ثانية! وكم يأتي!، [من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا] ألم تقدم هكذا؟.

{يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} (الأعراف: من الآية١٦٩) مع أن الكتاب يبِّين، يحدد لهم الأشياء بأنه يظهر لهم من خلال، عندما يستعرضون ظاهر الكتاب يظهر لهم بأن ما لديهم من مسائل معينة، وأقوال معينة استنبطوها، وورثوها من السابقين نتيجة أهواء، أنها ضلال، يستطيعون أن يعرفوا أنها ضلال، لكن عادة تقدس الأشياء الأخرى، تحاط بهالة، وتربط بعظماء، يصبح مَنهم أصحاب أهواء، أو ضلوا نتيجة ضلال مَن قبلهم، وكانوا هم ضحية لمن قبلهم، تحاط بهالة من القدسية [لأنه فلان الذي كتب هذا، وفلان من شرّاح الكتاب الفلاني] وتكون القضية رهيبة جداً على الأمم .

{وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} (الأعراف: من الآية١٦٩) يقولون: {سَيُغْفَرُ لَنَا} وجاء مرة ثانية وأخذوه وقالوا: {سَيُغْفَرُ لَنَا}!. {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} (الأعراف: من الآية١٦٩)، أنت عندما تقول: سيغفر لنا، أنت هنا صاحب عقيدة مبنية على رؤية معينة: أنه سيغفر لك هذا، وإن كان خطأ في واقعه؛ لأن شيئاً معيناً هناك آخر، قد قالوا لك: هو سيكفره تلقائياً، شيء معين قد أصبحت تعتقده، أن تؤمن بهذا، فإذا أنت مؤمن بهذا الشيء، فالشيء الآخر الذي تقترفه وأنت تعرف أنه باطل لن تعود مؤاخذاً عليه، مثل حديث: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] سواء.

أليس معنى هذا أنك سترتكب كبائر، وأنت تعرف بأنها كبائر، لكن قد أصبحت تعتبر بأنها من التي ستغفر، يعني لن تؤاخذ عليها؛ لأنك ماذا؟ قد أنت مؤمن بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبالله، وبالقرآن، وباليوم الآخر، هكذا كعناوين .

فأول قضية هوجمت هنا: الرؤية الثقافية في الموضوع: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ} ألم يسبق بهذه العبارة قبل قضية أن يقول: ما يأخذوه؟ هنا يذكرأنهم يأخذون باطلاً، يأكلون شيئاً حراماً، لكن هذا الحرام قد صار مفلسفاً بأنه لم يعودوا معاقبين عليه، سيغفر لنا، مبني على شيء محسوب على الدين، والدين محسوب على الله، يطلع هناك في الأخير افتراء على الله، قولاً بغير علم، {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ} أن لا تنسب إليه بأنه سيغفر، أو أنه سيعذب، أو أنه سيعمل كذا، أو كذا، {إِلَّا الْحَقَّ}، ما كان من عنده هو.

ولهذا نقول: بأنه فعلاً يجب أن تكون معتقدات الناس من خلال القرآن الكريم، من خلال ما يقوله الله سبحانه وتعالى هو، عما سيفعل، وعما سيعمل، عن أشياء كثيرة، يكون العمدة في أخذ العقائد هو كتابه، تطلّع عقيدة أخرى هناك في الواقع مخالفة لكتابه، يصبح في الأخير بأنك ماذا؟ قلت على الله غير الحق، والله قد أخذ على من يعرفون كتابه أن لا يقولوا على الله إلا الحق؛ لأن هذه هي المشكلة الكبيرة، المشكلة الكبيرة التي تجعل الإنسان في الأخير ينطلق في الباطل، ويأكل أموال الناس بالباطل، عندما يطلع تبرير للمسألة، وربطها بالله، وانتهى الموضوع .

{وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} (الأعراف: من الآية١٦٩) الكتاب درسوا ما فيه: تلوه، قرؤوه، وفي ظاهر الكتاب ما يؤكد على أن الإنسان يجب أن يكون منتبهاً، أن يكون دقيقاً، لا يحصل من جانبه ما يحسبه على الله، ما ينسبه إلى الله، فيكون قد قال على الله غير الحق .

كذلك فيما تتضمنه كتب الله، ما يجعل الإنسان ينشد إليه، وهو الدار الآخرة، الجنة، الجنة قدمت بالشكل الذي لا يجعلك تحاول تتأول كيف تأخذ شيئاً من عرض هذا الأدنى، تأخذه حراماً، أليس معنى هذا بأن هذه الحياة ما زالت أمامك كبيرة جداً، وجشع جداً، وترى أي شيء يمكن تأخذه عظيم جداً عندك، وهو نعيم كبير عندك، عندما تكون جاهلاً بالآخرة، إذا كنت مثلاً تعرف الآخرة، وتعرف ما ذكره الله عن الآخرة، عن الجنة، لن تفكر في أن تعمل تبريرات لأخذ شيء من حقوق الآخرين أبداً، لن تفكر؛ لأنك ستكون منشداً إلى ما هو أعظم، أنت تريد من الله، وترجو من الله ما هو أعظم وهي الدار الآخرة، الجنة .

فهذه أيضاً تبين أهمية ذكر الجنة في القرآن الكريم بشكل كبير، وأنها أيضاً ذكرت الدار الآخرة في الكتب الإلهية السابقة، لكن في كتب [العهد القديم] تجد لم يعد موجوداً موضوع الآخرة، أبعدوه نهائياً بشكل عجيب، يعني واضح فيه التحريف، وهذا مثل ما يقول الله في القرآن: أنه مهيمن على كتبه السابقة، عندما تعرف السنن الإلهية من خلال القرآن، ستعرف بأنه بالتأكيد أن السنن الإلهية في التوراة كذلك؛ لأنه هنا يقدم لنا قضية تربوية، من الناحية الدينية، ومما يبعد الإنسان عن أن يفتري على الله من أجل أن يأخذ حقوق الآخرين، هو ماذا؟ مما يبعده عن هذا عندما يقدم له موضوع الآخرة بشكل عظيم جداً، جانب النعيم، خلي عنك جانب العقاب هناك؛ ليكبر في ذهنك هذا الشيء فتطمع إليه هو، تطمع إلى الجنة، لا تعد تطمع في هذه، قد أصبحت طامعاً فيما عند الله، في الجنة التي هي نعيم على أرقى مستوى، ونعيم دائم لا ينقطع، لن تفكر على الإطلاق في أن تفتري على الله، وتأخذ حقوق الآخرين .

إذاً أليست هذه قضية تربوية؟ قضية تربوية إذا أنت تفترضها في هذه الأمة بنسبة مثلاً ١٠٠٪، افترضها في بني إسرائيل بنسبة ٢٠٠٪؛ لأنهم هم عندهم حالة من الجشع أكثر، هم بحاجة إلى أن يقدم لهم موضوع الجنة بشكل أكثر وأكبر؛ ليطمعوا فيها، ويقل طمعهم في مظاهر هذه الحياة، حتى لا يفترون على الله، ويأخذون حقوق الآخرين .

إذاً فبالتأكيد أن التوراة والإنجيل تضمنت كلاماً كثيراً عن الدار الآخرة، ولكن نسفوها، مع أنهم لم يقدموا التوراة هي نفسها، يبدون بعضاً ويخفون كثيراً كما قال عنهم، وقدموا كتابات من عندهم، وأبعدوا اليوم الآخر، ولم يتكلموا بأي كلام عن الدار الآخرة إلا شيئا نادراً .

فلاحظ مع مسيرة الكتاب، إذا كان من ورثوا الكتاب تلقوه، أليس معناه هنا: علماء، علماء، ومثقفين بعد مثقفين، لكن الشيء العملي لديهم، الشيء الذي يترسخ في ذهنيتهم هي الأهواء الأخرى، الشيء الذي قدم بشكل ثقافة هي بعيدة عن الكتاب، فمع أن الكتاب موجود معهم، يعطون الأولوية للشيء الآخر، وبالطبع يضفون على الشيء الآخر قدسية، ويحسبونه على الدين، وينشدُّون إليه أكثر.

وهنا تجلى مظهر من مظاهر التأثير لضلال السابقين: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} (الأعراف: من الآية١٦٩) **لا يعد يحصل إلا تطويل لماذا؟ للتبريرات وللمسائل التي هي في الواقع من البداية كانت ضلالاً، تطويل لها، وإضفاء شرعية عليها، وتقديمها بشكل مسلّمات، وإحاطتها بنوع من الفلسفة التي تجعلها قضية دينية، وكأنها هي دين الله .**

هنا تلاحظ فعلاً كيف تعود المسألة بالناس في الأخير، عندما يتصفح الإنسان القرآن على هذا النحو يتجلى له أنه ما يشكل ضمانات أشياء سابقة؛ لأن لها ألف سنة فقد صارت حقاً مركزاً عمرها ألف سنة، قد تكون باطلاً مطولاً، وليس أن تقول: تحولت من باطل إلى حق، باطل مع مرور الزمن تصبح ماذا؟ باطلاً يتفرع عليه باطل، ويصبح باطلاً، يقدم وكأنه حق، ومُسلّمة من المسلمات .

ارجع إلى سورة [الفاتحة] تعطي الخلاصة، سورة [الفاتحة] هي أشبه شيء بلب القرآن، وخلاصته، تلاحظ تفاصيل داخل مثلاً {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ماذا تعني؟ هنا يقول لك: يمكن أن يأتي بعدهم ناس وما يزال الكتاب يمشي، وورثوا هذا الكتاب، لكن تراهم كيف ثقافتهم بالشكل الذي يسوغون لأنفسهم أن يأخذوا حراماً، ويقولون: سيغفر لنا، قد هناك افتراءات على الله، وأشياء من هذه!.

ماذا يعني في الأخير؟ لم يبق ضمانة إلا العودة إليه هو، {اهْدِنَا} أنت {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}(الفاتحة: من الآية٧) **مادام أنه يأتي في الأجيال هكذا ناس يرثون الكتاب ويحصل [غاغه] مع الكتاب، ويحصل أشياء بعيدة عن الكتاب، وتصبح هي السائدة، لا تشكل ضمانة، تشكل خوفاً، وقلقاً.**

فالخلاصة هي ماذا؟ يتجه الإنسان إلى الله هو ليهديه، عندما يتجه إليه، مثلما قلنا سابقاً: ترجع إلى هذا الشيء وهو عادة يجعل أعلاماً لدينه، ومعالم لدينه: كتاب الله، أليس واضحاً، نرجع إليه، وننظر كيف الهدى فيه؟ وكيف قُدم، وكيف نهتدي به، وفي نفس الوقت تسأله أن يهديك دائماً، دائماً.

عندما يقول البعض: [يعني هل هو يتصور أن العلماء جيل بعد جيل على مدى ألف سنة، أن يكون هناك شيء هو ضلال قد مشى فيهم إلى الآن ما قد عرفناه إلا الآن؟!]، أليس البعض يقول هكذا؟ أليس القرآن يكشف بأنه ممكن هذا الشيء: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ}(الأعراف: من الآية١٦٩)**، من هم الذين يقال لهم: ورثوا الكتاب، من هم؟ من هم الذين عندهم تساؤلات من هذه، ومسائل فقهية، مَن؟ أليسوا علماء! علماء، {وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا}**(لأعراف: من الآية١٦٩) **وهكذا جيل بعد جيل، وفي الأخير نقول: [غير ممكن أن أولئك كلهم منذ ذلك اليوم إلى الآن، ولم يظهر الحق إلا بعد ألف سنة]!، إلاّ ممكن، وعلى مدى ألفين، أو ثلاثة آلاف سنة.**

إن الله يبين لك هنا بأن الخطورة هنا، وأن الأسلوب الصحيح هو الذي ذكره في [الفاتحة]، في كيف يكون توجهك الرئيسي: اهدنا، وأنت الحي القيوم، لا ترجع إلى آخرين {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}(المائدة: من الآية٧٧)**، كما قال فيما يتعلق ببني إسرائيل، وبنوا إسرائيل نموذج للأمة هذه، نموذج يتبين من داخل بني إسرائيل أشياء كثيرة؛ ليعرف الناس في هذه الأمة أن الصورة قد تكون هي الصورة، ويحصل ما حصل على نحو ما حدث في داخل بني إسرائيل.**

يبين أيضاً ـ مثلما قلنا في آيات سابقة ـ كيف أن الضلال في الأخير يصل إلى أموال الناس، حتى يفهم الكثير من العامة الذين يكونون مغفلين أنك قد تكون أنت في الواقع متمسكاً بأناس على أساس أنهم ورثوا الكتاب، علماء، أحبار، رهبان، على حسب العناوين في كل أمة، وقد معهم مسائل تضرُّ بك أنت، تضر بالناس هم، تؤدي إلى أكل أموالهم بالباطل، مع أن الله قدم دينه بالشكل الذي لا يأتي فيه أكل لأموال الناس، يأتي فيه: إن أنفقوا في سبيله يخلف عليهم أضعافاً، وإن اهتدوا بهداه ينعم عليهم، ويفتح لهم بركات السماء والأرض، لكن الضلال بالعكس.

لا يكن عندك أن الضلال يجلس هناك في الهواء، الضلال في الأخير يصل إلى أموالك يأكلها، يأكلها حراماً، ويأكل تعبك وفي الأخير يقول: سيغفر لنا؛ ليفهم الناس أن الضلال يصل إليهم هم، إلى حقوقهم، إلى كدِّ عرقهم هم، إلى أموالهم، إلى ممتلكاتهم، أولئك سيأكلونها، وقد عملوا لأنفسهم مسائل بأنه سيغفر لنا، بمعنى: أن الضلال خطير على الإنسان في هذه الحياة، خطير عليه في نفسيته، خطير عليه في واقع حياته، في ممتلكاته، خطير عليه في الآخرة.

عندما يقول: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى}(الأعراف: من الآية١٦٩)**، من أين هو عرض هذا الأدنى؟ من حق مَن؟ أليس من حق الآخرين؟ في الأخير ترى هذه الحالة عندهم تكون بالشكل الذي تجعله يصد عن سبيل الله، لأنه إذا اتبع سبيل الله هو يعرف أنه لن تحصل له هذه الأشياء، {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى}، وهو ذكر هناك في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**(التوبة: من الآية٣٤)**، فهنا باعتبار مقامه، باعتبار الثقافة التي هو عليها، ثقافة تجعل له مقاماً معنوياً، وتسهل له يأكل أموال الناس بالباطل، ويقول: {سَيُغْفَرُ لَنَا}**(الأعراف: من الآية١٦٩)**!.**

أن يستجيب لرسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) معناه ماذا؟ سيفوت عليه هذا الشيء؛ لهذا في الأخير يتحولون إلى صادين عن سبيل الله؛ ليحافظوا على مقاماتهم، ومصالحهم، ثم ترى في الأخير الضحية من بشكل مخزي؟ الأتباع، هم من يأكلون حقوقهم بالباطل، ويجعلونهم بعيدين عن الحق فيهلكون في الدنيا، ويهلكون في

الآخرة؛ ولهذا عرض في الآخرة كيف يكون تحسر الأتباع تحسراً رهيباً جداً: {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ} (البقرة: من الآية١٦٧)؛ **لأنهم لم يرضوا يفهموا وهم ما يزالون في الحياة الدنيا، متشبثين بناس لديهم ضلال، هذا الضلال يضرُّ بهم هم في حياتهم؛ ويكونون هم في الأخير ضحيته في جهنم .**

{أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} (الأعراف: من الآية١٦٩)، **وفعلاً قد درسوا ما فيه لكن قد هناك قواعد أخرى ينطلقون على أساسها، قد صار يمر على ما فيه وقد معه تأويلات له وانتهى الموضوع، هذه حاصلة في المسلمين ١٠٠٪، الطريقة هذه حاصلة داخلهم بشكل عجيب .**

ثم يقول بعدها: {وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (الأعراف: من الآية١٦٩)، **يعقل الناس هم، ويعقل هؤلاء الخلف، {أَفَلا تَعْقِلُونَ} كيف تأتي الأجيال تتعاقب، تعاقب الأجيال من بعد ما يحصل ضلال، كيف يؤدي في الأخير إلى انه يبقى الكتاب، ثم يصبح الكتاب عبارة عن ماذا؟ عن مثل الخليفة العباسي في أيام حكم الأتراك، والفرس، في الدولة العباسية، يكون عبارة عن شيء [مركوز]، لم يعد له أي ثقل، لم يعد له أي دور في الحياة .**

{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} (الأعراف:١٧٠)، **يعني النوعية الأولى تعتبر ماذا؟ مفسدة، لا تمتلك شيئاً تقدمه للأمة إلا فساداً: أكل أموالهم بالباطل، وتبريرات معينة، وفساد يأتي ضحيته العامة من الناس في هذه الحياة .**

بعض الطوائف داخل الأمة هذه يَجْبُون من الناس ملايين، ولأن عندهم رؤية معينة، قد أصبحت هذه الملايين التي يجبونها من الناس تعتبر حلالاً باعتبارها قد هي تعتبر غنيمة، {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} (الأنفال: من الآية٤١) **..إلى آخره، في نفس الوقت تراهم تمر فترات كان بإمكانهم أن يقيموا للمجتمع هذا الذي يأخذون أمواله دولة عادلة، صالحة، ترعاهم، تقيم القسط فيهم، تعدل فيما بينهم، يجمعون أموالهم، يجمعون أموالهم يأكلونها وهم يعتبرون أنه لا يجوز لهم أن يعملوا ليقيموا حكومة باعتبار مذهبهم، لا يجوز لهم، ولا حتى أن يضغطوا على حكومة أن تكون عادلة فضلاً عن إقامتها!.**

ثم لا تدري وإذا بالذين يجمعون أموال الناس، والناس متمسكون بهم يحكمهم أسوأ الناس، يحكمهم [البعث]، يظلمهم، ويأخذ أموالهم، ويقتلهم، ويبهذلهم بشكل رهيب جداً، ثم في الأخير الأمريكيون يدخلون عليهم! هل كان أولئك يمتلكون صلاحاً للناس؟ أبداً، من يمتلكون صلاحاً للناس، ويمكن أن يكونوا مصلحين للناس هم الذين يمسّكون بالكتاب؛ ولهذا قال بعد: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} (الأعراف: من الآية١٧٠)، **أولئك ورثوا الكتاب، الكتاب معهم في كل بيت، أو في كل كنيسة، لكن فارق أن يكون الكتاب موجوداً، أو أن يكون هناك تمسك بالكتاب. {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ}** (الأعراف: من الآية١٧٠) **هؤلاء يعتبرون مصلحين {إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}** (الأعراف: من الآية١٧٠) **.**

الثقافة الباطلة خطيرة جداً؛ لهذا الشيطان ذكي، يعرف كيف يشتغل، نقول سابقاً بأنه لعداوته الشديدة للناس لن يحاول يكسر سيارتك، ولا يقطّف [قاتك]، وهو يستطيع يرسل جن يقطّفون [قاتك] فلا تأتي الصباح ومعك شيء، أو يكسرون سيارتك، ويحرقون [حطبك]، ويأخذون [البن حقك]، ويحرقون دكانك، أليس هو يستطيع؟ لكن يعرف هذه أشياء هامشية، هو يعرف كيف يضربك ضربة رهيبة، يضربك في هذه الحياة، وفي الحياة الآخرة عن طريق الضلال، الضلال ما هو؟ قضية رؤى، مفاهيم، ثقافة، هذه الضربة الشديدة .

لهذا نقول: إنه بالنسبة للعامة من الناس، أنه ظهر في هذه المرحلة شيء غريب، أن الأفضل لهم من يدعوهم إلى أن يتحركوا على أساس القرآن، أفضل لهم هم، الآخر عندما تأتي أنت تبحث عن العالم الذي لا يتحرك، ولا يقول شيئاً، ولا يعمل شيئاً، ما الذي يمكن أن يقدم لك في يوم من الأيام؟ لا شيء، يأتي الأمريكيون يقتحمون عليك بيتك، وهو كان عمره يحاول يثبطك، و[ما هناك خلة، وعسى الله يعمل كذا، عسى الله يعمل كذا] يدخل الأمريكيون البلاد وهو يأخذ أدوانه ويسافر، يبحث له عن أي بلد، هل سيعمل لك شيئاً؟.

الناس بحاجة إلى من يوجههم أن يبنوا أنفسهم على أساس القرآن، يشكلون في المقدمة حماية لأنفسهم يكونون أمة قادرة على أن تواجه عدوها، لا تُظلم. أين الأفضل؟ الذين يمسكون بالكتاب، أو الذين ورثوا الكتاب، ومعهم أشياء أخرى: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} (الأعراف: من الآية١٦٩) والظلم في الأخير يقع بشكل كبير على من؟ على العامة من الناس، كثير من المسئولين سوف يهرب في الأخير خارج البلاد، أين ذهب العشرات، أو المئات من نظام صدام في العراق؟ أين ذهبوا؟ المسئولون الكبار رحلوا، وفي كل بلاد يكونون مجهزين لأنفسهم خارج، ويترك الناس .

كذلك كثير من العلماء الذين لا يحركون الناس على أساس الكتاب يكون هو مجهز نفسه إذا جاء شيء يهرب، ويحينوا في نفوسهم، هو غير مرتبط بأموال، غير مرتبط بأشياء، كان يعيش على أموال عينية تأتي له مباشرة، والناس هم الذين هم مرتبطون ببلادهم، أموالهم، بيوتهم، مزارعهم، هم أكثر التصاق بالأرض، ثم من بعد سيقولون مثل العراقيين، أليسوا يقولون: نعم للحوزة؟! ما حاوزهم، وأوصلهم إلى الوضعية هذه إلا الحوزة، وثقافة الحوزة التي مروا في مراحل كان باستطاعتهم قبل ما يقوم [البعث]، باستطاعتهم يقيمون دولة في العراق عادلة، لكن معهم مذاهب ثانية .

{أُورِثُوا الْكِتَابَ} (الشورى: من الآية١٤) إمَّا الكتاب فموجود، لكن معهم مذاهب أخرى، ومستلمين أخماس، ملايين يطلعونها، ملايين من الأخماس، وفي الأخير وإذا أشياعهم، وأتباعهم مساكين يقتحمون عليهم البيوت، ولا استطاعوا أن يعملوا لهم شيئاً! ما الذي أوصلهم إلى الحالة هذه؟ ثقافة تفسد في الأرض، وضحية الفساد هم الأمة، أموالهم من البداية، وأموالهم، وأنفسهم في الأخير، خلي عنك في الآخرة؛ ولهذا سما الله فقط الذين يمسِّكون بالكتاب هم مصلحون، كلمة مصلحين تقابل كلمة مفسدين، أين موقع الإصلاح والفساد مَن؟ أليست الأمة؟ الأرض هذه، أو في الجو، أو الصخرات؟! الناس هم ميدان الفساد، أو الإصلاح . الإفساد ضحيته الناس، الإصلاح إيجابياته كلها للناس .

يبين هنا أنه بالنسبة للمصلحين أنفسهم، هؤلاء الذين ورثوا الكتاب لماذا يعدلون إلى تمحلات، وتأويلات؛ ليأخذوا عرض هذا الأدنى، ثم أيضاً يحسبونه على الدين؟ والله يذكر في كتبه أنه لا يضيع أجر المصلحين؛ لينطلقوا في الإصلاح، ولن يحتاجوا إلى أن يتمحلوا فيأخذوا حقوق الآخرين، الله لا يضيع أجر المصلحين، وهو يعلم بحاجات المصلحين، أليس هو يعلم بحاجات الناس جميعاً؟ بمعنى أنه في كتبه لا يذكر المصلحين بأنهم سيتحركون، وفي الأخير سيموتون جوعاً، لا يرى أين ينام، ولا يملك من الدنيا شيئاً، لا تكون بهذا الشكل، الله لا يضيع أجر المصلحين، ولا الناس المصلحين سواء .

والإصلاح ـ كما نقول في أكثر مما قد مرينا به من الآيات ـ أنها قضية أساساً قضية أمة، لكن مفتاح الإصلاح والإفساد مَنهم؟ الكبار، كبار الناس، من يحملون ثقافة هذا الدين الذي يدين به الناس، إما أن يأتي الإصلاح من عندهم، أو الإفساد من عندهم، وهم من يتحكمون في شئون الناس .

يأتي هنا موضوع: {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ}؛ لأن الصلاة هامة في التذكير بالله، متمسكين بالكتاب، ودائمي التذكر لله، قضية ضرورية، تجد الصلاة في كل مكان، تجدها مع المواريث، مع أشياء من هذه؛ لتحافظ على حدود الله، وتجدها في القضايا الهامة، مثلاً قضايا أخرى عملية، غير هذه التي تعتبر حدوداً، يأتي بالصلاة عندما تكون القضية فعلاً متوقفة على أن يكون الإنسان خائفاً من الله، وراجياً لله؛ لأن هذا لا يمكن إلا إذا كان عارفاً لله، ومتذكراً وذاكراً لله، الصلاة، {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} (طه: من الآية١٤)، الغاية من الصلاة، ولب الصلاة هو ذكر الله، وترسيخ ذكره في النفوس .

فالصلاة عندما يصلي المصلحون تختلف عن صلاة الآخرين، ولو أنهم جميعاً يصلون، الآخرون هم يصلون، وقد صاروا يعتقدون أن الصلاة هي وسيلة لتكفير الأشياء الأخرى، ((الصلوات الخمس كفارات لما بينهن)) يصلي من أجل يكفر تلك الأشياء، ويصلي على أساس أنه سيأتي له حسنات، يكفر تلك السيئات، الصلاة هنا ذكر لله، يترسخ في أنفسهم ذكر الله، وذكر الله قضية أساسية جداً في نفوس المصلحين، الناسين لله لا يكونون مصلحين

لأنفسهم فضلاً عن أن يصلحوا في أرض الله، ويصلحوا في عباد الله. {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ}(الأعراف: من الآية١٧٠) **يقول: وأقاموا، أقاموا، دائماً تؤديها قيّمة، وتفهم الصلاة، الغاية منها وأهميتها .**

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}(الأعراف: من الآية١٧١)، **هذه آية من الآيات القاهرة، من الآيات العجيبة، الجبل يقتلع من موقعه، ويصعد فوقهم، تهديد، {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ} كلمة خذوا ما آتيناكم تأتي عن طريق نبي من أنبيائه معهم، {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} ما هو الذي آتاهم؟ أليس كتابه؟ كتابه .**

عندما يأتي مثلاً العبارة هذه في زمن قد يكون زمناً متأخراً عن نزول الكتاب، معنى هذا بأن تلك الأشياء لا قيمة لها، بل هي إشكالية، يردهم إلى الكتاب، خذوا ما آتيناكم، وليس ما قدمه الآخرون لكم، وليس ما آتاكم الآخرون، أليس هو هنا يقول: ما آتيناكم؟ بقوة، لو أن الشيء الذي هم عليه صحيح لم يحصل هذا الشيء، ينتق الجبل فوقهم، ويقول لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة؛ لأنه لو كان ما لديهم من ثقافة، وقدمت ثقافة دينية، وصاغها الكبار منهم صحيحة لما كان هناك موجب لهذا: أن يهددهم هذا التهديد، وأن يقال لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة، وأن المسألة تؤدي إلى أن الناس يفلتون ما آتاهم، لا يمكن تأخذ ما آتاك الله بقوة، وأنت ما زلت متشبثاً فيما آتاك الآخرون من ثقافة مليئة بالضلال، والأهواء، أبداً .

{خُذُوا} أليس معناه أنهم قد فلتوا، وما زال الكتاب {وَرِثُوا الْكِتَابَ}(الأعراف: من الآية١٦٩) **يمكن يكون الكتاب في جيبك وأنت مفلت له، يكون في جيبك وأنت مفلت له، وأنت بعيد عنه. {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**(البقرة: من الآية٦٣)، **أما الأشياء الأخرى تتورطون، وتهلكون، لا تمثل وقاية على الإطلاق .**

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} (الأعراف:١٧٢-١٧٣)، **مما نستفيد من الآية هذه أنه فيما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى أنها قضية أساسية لدرجة أن الله يجعلها فطرة في الناس، أن الله ليس فقط هم يعرفون بأن هناك إله اسمه الله بل يعرفون الله أنه ربهم، فطرة لديهم فطروا عليها، غريزة الله أعلم متى أودعها الله، عندما قال: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} .**

أنت عندما يأتي لك مولود هو أساساً من صلبك، خرج من بين الصلب والترائب، صلب الإنسان، هو أصله، أصل هيكله، ابنك هو من أصلك، {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ} إشهاد، وليس فقط أنْ يقول لهم: أنا ربكم، بطريقة هم يقرون هم أنه ربهم، {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} هذه الشهادة قد تكون هي ماذا؟ موضوع الغريزة التي فطر الله الناس عليها، قد تكون أودعت في الإنسان في أي مرحلة من مراحل مسيرته إلى الولادة، وهو ما زال في ظهر أبيه، ومتجه إلى الولادة .

لأنها قضية أساسية، وقلنا سابقاً: بأنه لو أن المسألة لم تكن على هذا النحو لكان هناك إشكالية كبيرة جداً في موضوع الدين، لما عرف أحد من هو الذي يدعو الناس إليه، يأتي نبي من الأنبياء، رسول ما هم عارفين مرسل من مَن؟ يقولون: رسول مِن مَن؟ يقول: من الله، سيقولون: الله هذا ليس له علاقة بنا، الله لا ندري هو إله من؟!، هنا أن الناس مفطورون، ومودع فيهم، مغروز فيهم الإقرار من جهة أنفسهم، ومسيطر على نفوسهم إقرار بأن الله هو ربهم؛ ولهذا جاء في آية أخرى، يذكر عن جواب الأمم بالنسبة لأنبيائهم: {لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً}(فصلت: من الآية١٤) **ربنا! يقولون: ربنا! من رب السموات والأرض؟ من رب كذا، يقولون الله الله، أليست قضية في القرآن يبين أنها مسألة ثابتة لديهم أن الله هو ربنا، أولئك الذين هم مشركون، أولئك الذين هم في بلدان قد نقول مثلما نسميهم بدائيين .**

نحن قلنا: إنه من الغريب عندما يأتي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **محمد، وهو رسول عربي، يدعو إلى الله بهذه العبارة: اسم الله، الفارسي الذي لا يعرف هذه اللغة، وكلمة الله، يقابلها بعبارة أخرى، الرومي**

الذي كان مثلاً في البلاد التي كانوا يسمونها الروم في ذلك الزمن أيضاً لغتهم أخرى، واسم الله لديهم بعبارة أخرى، يعرف الفارسي، ويعرف الرومي، ويعرف الحبشي، ويعرف صاحب أي لغة كان أن محمداً عندما يدعو إلى الله أنه يدعو إلى من هم في أنفسهم يشهدون بأنه إلههم، ورب السماوات والأرض، هم لا يعتبرون أنه يدعو إلى إله ثاني، إله عربي .

يعني: أنه مغروز في الذهنية بأكثر مما يعنيه اسمه في نفوس الناس، بحيث أن اختلاف اللهجة لم تؤد إلى اختلاف الشيء المودع في نفوس الناس، قد يكون اسم الله عند الفارسيين بعبارة أخرى:[خُدَايْ]، مثلاً، وفي نفس الوقت في ذهنيته سواء هو والعربي، وما لديه مفطور في هذا الموضوع هو والعربي، هو والرومي، هو والحبشي سواء داخلهم .

الله هو رب السماوات والأرض، هو ربنا؛ لهذا أمكن أن تقبل الدعوة إلى الله، ورسالة الله أن تقبل عند الأمم المختلفة اللهجات، واللغات، وهم يعرفون أنه يدعو إلى شيء واحد. لو لم تكن هذه القضية موجودة لما أمكن، تجد محمداً يدعو إلى الله، فيكون الفارسي يعتقد بأن الله إله ثاني عربي هناك، إله عربي، وهناك يعتبرون بأنه يدعو إلى إله عربي. هم يعرفون أنه عندما يدعو هنا إلى الله أنه يدعو إلى الله الذي هم مفطورون على معرفته أنه ـ ولو اسمه عندهم اسم آخر ـ أنه ربهم، وهو رب السماوات والأرض .

هذه القضية أساسية في إمكانية انتشار الرسالة، وقضية أساسية في تقبل هدى الله، إن القضية الأساسية يجعلها غريزة، يجعلها غريزة في الإنسان، معرفة الله أنه ربهم؛ ولهذا عمل لنا استبياناً في القرآن، من أيام نوح، وكلهم يقول الأنبياء للآخرين من أممهم: اعبدوا الله، لا يوجد أي جدال حول موضوع الله، إنما الجدال حول موضوع توحيده، وحدانيته، ألوهيته، بأنه وحده الإله، عندهم هو وحده إله، وهو إله من في السموات والأرض، لكن أيضاً عندهم ذلك الحجر إله، وتلك الحجر الثانية إله، وهكذا .

يأتي تفسير لهذه بشكل آخر على أساس يعني ماذا؟ المعرفة الاستدلالية، أي: أنه أودع هنا من المخلوقات ما يستدل بها عليه، فتجعل الإنسان يشهد بأن الله ربه، لكن كيفما قالوا، سواء كانت المسألة فطرية، أو معرفة ضرورية، أو استدلالية، هو قدم أن المسألة مضمونة، موجودة، النقطة التي شغلونا عليها قرون، وشغلوا الناس قرون في علم الكلام، الاستدلال لإثبات وجود الله، الله، لإثبات وجوده! هنا يقول: هي قضية قد حصلت، أن الله قد أشهد بني آدم سواء أردت أن تسميها ضرورية، أو تسميها معرفة استدلالية، أو تسميها غريزة، لم يبق حاجة لعلم الكلام نهائياً، قضية مودعة في النفوس بأي طريقة تسميها أنت هي موجودة هنا: {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} .

وأنها قضية فيما يتعلق بالأجيال المتعاقبة التي قال فيما بعد: {أَنْ تَقُولُوا} أي من أجل أن لا تقولوا يوم القيامة عندما تسألون عن لماذا كنتم مشركين بالله؟ تقولون: ما كنا نعرف شيئاً، وجدنا آباءنا مشركين، ومشينا على ما عندهم، أنهم في الواقع هم يشهدون في أنفسهم بالله أنه ربهم، وقدم استبياناً كاملاً في القضية هذه؛ لأنها قضية معروفة عند المشركين فعلاً .

إذاً فالمشرك يعرف أنه مشرك بالله، والمشرك يعرف بأن ربه هو الله، وإنما الأخرى كما يقول:{أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ}(الأعراف: من الآية٧١) أشياء اتخذوها، أشياء جعلوها هم، حياتهم ليست مرتبطة بها؛ لأن الربوبية هنا في الأرض بمعنى: أن الإنسان في حاجياته، في مسيرة حياته، في أموره مرتبط بالله؛ ولهذا كان مقراً بأن إنزال المطر من الله، إنبات الشجر من الله، الشمس والقمر تسييرها، والنجوم من الله، خالق السموات، وخالق الأرض وما فيها هو الله، فالإنسان مقر بأن الله هو ربه .

ثم عندما يدعو الآخرون أرباباً ترى حياته ليست مرتبطة بهم على الإطلاق، على الإطلاق، ينصرون هم الآلهة هذه، يحاول هو يبخر لها، يحاول هو يمسح الغبار من عليها، لا تنصرهم، لا تعطيهم، لا تنفعهم، ولا تضرهم بشيء نهائياً .

إذاً فالمسألة واضحة بأن الإنسان الله أشهده على نفسه، فهو يعرف أن الله ليس فقط إلهاً موجوداً، يعرف الله، وأنه ربهم، زيادة على ما يقول المتكلمون، وهم يشغلون الناس، من أجل تعرف أن هناك الله، نقول لهم: القضية حاصلة بأوسع مما قلتم، أن البشر يعرفون الله إلهاً، ويعرفون أيضاً أنه ربهم، وأنه رب السموات والأرض وما فيها، وخالق السموات والأرض، وكل ما فيها، لم يبق حاجة لعلم الكلام نهائياً .

{أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}، لم نكن نعرف شيئاً عنك {أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} (الأعراف:١٧٣) ما هو ذنبنا نحن؟ نشأنا ووجدنا أصناماً يعبدها آباؤنا، فعبدناهم، لا نعرف شيئاً آخر غير هذا، ما نعرف بوجودك أنت، وأنك ستميتنا، وتبعثنا، وتحصل الأشياء هذه الرهيبة، أليست هذه ستكون حجة للناس؟.

إن الله غرز في الفطرة حتى في مراحل فترة الرسل، تقيس على هذه المسألة بأن الأشياء الأساسية الله يحفظها، الأشياء الأساسية، وإن كانت إلى درجة أن يجعلها فطرة في نفوس عباده، في نفوس الناس.

هنا الكتاب يبقى، ألم يقل بأنه يبقى الكتاب: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ} (الشورى: من الآية١٤)، يبقى الكتاب إلى درجة أن يكون أولئك على أقل تقدير لديهم معلومات بأن هناك كتاباً من جهة الله، باستطاعتهم إذا كان لديهم أدنى تأمل، واهتمام، وخوف، أن يقولوا: إعطونا كتاب الله، نريد أن نعرف كتاب الله، وأن نعرف ما فيه، اتركونا من أشياء ثانية .

يبقى معروفاً داخل بني إسرائيل: أن هناك كتاب، معروف لديهم، حتى لو قد ضيعه أحبارهم، أن هناك كتاباً، إذاً لماذا لا تعلمونا الكتاب هذا؟ لماذا لا تعرفونا على هذا الكتاب، ونعرف أصله هو؟ وأن الكتاب الإلهي في أصله لا يستطيعوا أن يزيفوا فيه، نفس الكتاب، لا يستطيعون، يخافون من هذه، قضية خطيرة هي، إنما في الأخير يتركونه هناك، ويأخذون منه، ويزيدون، وينقصّون من عندهم هنا، يقدمون كتابات أخرى، يقولون: هي من عند الله، وما هي من عند الله .

نأخذ من هذا بشكل عام: أنه تأتي أشياء في علم الله، في المراحل التي نعتبرها فترة، عندما يقول واحد: كيف الناس على مدى مائتين سنة، أو على مدى ثلاثمائة سنة، أو ألف سنة؟! قل: لا نستطيع أن نعرف نحن ما الذي قُدم لهم، لكن يبدو أنه فعلاً والله يقول: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ} (النساء: من الآية١٦٥)، أن هناك شيئاً بطريقته الخاصة، لا نعرف، يقدمها لهم، شيء ظاهر أمامنا أن الكتاب موجود لديهم، أن القرآن موجود لديهم، أشبه شيء بغريزة داخل الأمة، كما أن معرفة الله إلهاً، رباً للناس مغروز داخل الإنسان .

{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الأعراف:١٧٤) نفصل الآيات لعلهم يرجعون فيعرفون إلى أين يرجعون، هناك أسس تبقى إنما هم يتمادون، وهذا من الشيء الذي يعتبر غريباً: أنه عندما نقول: نعود إلى كتاب الله، وأن الله هو حي قيوم، كتابه هو ليس منفصلاً عن قيوميته، ونسأل منه الهداية، ونرجع إلى طريق الهداية التي رسمها هو، وكلنا متفقون عليها، نترك الأشياء الأخرى، أو على الأقل الذي فيها ما يزال صحيحاً، لا بأس اتركه هناك، لكن الصحيح هنا بنسبة ١٠٠٪ موجود داخل القرآن .

أليس الله يقول: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}؟ لا يحصل رجوع في الواقع، يقولون: [لكن كيف؟ لا يمكن الذي قبلنا لهم ألف سنة، والكتب هذه التي ألفها فلان وفلان وفلان، من أئمتنا، وكذا.. يعني وأولئك خلاص نتركهم!] نقول: في الآيات هذه ما يعطي عبرة كاملة، آيات مفصلات من قوله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ}، ثم يقول في قضية أن الله لا يبقي شيئاً لئلا يكون للناس عليه حجة يودع معرفته في النفوس، وفي نفس الوقت بالنسبة للمسلمين يحفظ كتابه موجوداً بين المسلمين جيلاً بعد جيل. أكثر الناس معرفة للمسألة هم من عادة؟ العلماء، أليسوا هم من تكون القضية هذه مقبولة لديهم .

نرجع إلى القرآن، وأن هذه هي السنة الإلهية في الهداية، لا ترجع إلى موضوع أجيال أجيال، ارجع إلى القرآن، وسترى عندما ترجع إلى الأجيال بعد ما قد رجعت إلى القرآن، تستطيع وفق الرؤية التي يعطيها القرآن أن تعرف الذي كان يمثل هدى، والذي كان يمثل ضلالاً من داخل السلف الصالح، عندنا، أو عند الآخرين .

في الأخير يتمسكون بهذا، ما يحصل رجوع، وهذا هو الذي يؤدي إلى أن يكون الضلال يبقى جيلاً بعد جيل، أن من يحمل المسئولية الكبيرة جداً جداً في القضية هذه هم من يحملون العلم، إضافة إلى من يتحكمون في شئون الأمة من سلاطين وزعماء، يتركون الضلال يمشي جيلاً بعد جيل، وكلما جاء أحد ينبه، كلما تمسكوا بالضلال .

هنا يقول لك: إنه كيف يجب أن يكون التنبيه، أن يعرف الإنسان بأن هناك أسساً تبقى قائمة، فبالنسبة للإنسان هناك فطرة فيما يتعلق بمعرفة الله، المعرفة الجملية، كلما يقدم من بعد هو توسع في موضوع معرفة الله، نفهم ماذا يعني أنه الإله؟ ماذا يعني أنه ملكنا؟ ماذا يعني أنه رحيم؟ ماذا يعني ....، مظاهر رحمته، قدرته، حكمته، علمه.. إلى آخره... ميدان واسع هذا، والحياة كلها مفروشة بهذه الدلائل التي تعطي هذه المعرفة، والتي أساسها مغروز في النفوس، ترجع إلى الأشياء الأخرى، الطريقة الأخرى أيضاً هناك أسس قائمة، أبرز أساس لدينا الآن داخل الأمة هذه هو القرآن، أليس كذلك؟.

نعمة كبيرة أنه ما يزال موجوداً، لم يتعرض لما تعرضت له التوراة من إخفاء كثير منه، ولم يتعرض لتحريف، نصه ما يزال موجوداً، ونسخه ما تزال متوفرة، وكثيرة جداً، هذا حجة، إذا كان هناك يقول: {أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (الأعراف: من الآية١٧٢) يعني لم يبق عذر، أودع في أنفسكم معرفته، أنه ربكم، وستجدون أنتم في مسيرتكم في الحياة بأنه فعلاً لا تلتجئون إلا إليه في كل حالاتكم، بما فيها الحالات الشديدة، ألم يذكر كيف كانوا يدعون في البحر إذا مسهم ضر؟.

{أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ} (الأعراف: من الآية١٧٣)، في الجانب الآخر أن تقولوا يوم القيامة: لم يكن معنا أي شيء نرجع إليه، ولا عرفنا أين نذهب، أو آباؤنا مشوا على كذا، ونحن مشينا بعدهم، لأن الأساس قائم الذي يبين لكم المسيرة الصحيحة والخاطئة لآبائكم، ويبين لكم أنتم كيف تسيرون، القرآن. هنا يبين فعلاً بأن القرآن، وجوده يقطع الأعذار كلها، ويهيئ الله أن ينتشر القرآن بشكل كبير في أوساط الناس.

إذاً فعندما يأتي الإنسان يقول لك: لكن.. ولكن.. وكيف.. والذين قد مشوا، وعلى مدى ألف سنة، وأشياء من هذه، أليس بعيداً عن هذا المنطق؟ أنه هنا جعل القرآن أشبه شيء بالغريزة، غريزة معرفته، انظر ماذا قال في موضوع الشرك؛ لتعرف ما يمكن أن يقال لك في موضوع الضلال مع وجود القرآن، مع وجود القرآن بين الناس، هو منطق يؤدي إلى أن يبقى الناس على ما يهلكهم، منطق من يقول لك: [لكن الأولين قد مشوا على كذا، وكيف، وكيف.. ولا يمكن والكتاب الفلاني الذي ألفه من أئمتنا.. وأشياء من هذه] قل: معنا هذا الكتاب للحي القيوم، نقرأه، ليس بمعزل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، وهو بالشكل الذي يشكل ضمانة فعلاً، نثق به بأنه من عند الله، ونصوصه مضمونة، لم تتعرض لأي تحريف .

بمعنى أن المشركين لا يكون لديهم أي عذر مع وجود القرآن، أو عندما يتشبثون بعد ما تأتي دعوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أو من كان قبله من الأنبياء، ما بإمكانهم يوم القيامة أن يقولوا: {إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} (الأعراف:١٧٣)، لا تعد مقبولة، كذلك غير مقبول داخل الأمة هذه، على ضوء هذه الآية أن يقولوا: [هم ضلوا من قبلنا ونحن كنا مقدرين أنهم سلف صالح أفتهلكنا بما فعل الضالون]؛ لأن معهم القرآن موجود لديهم، منتشر كتابة، ومنتشر صوتاً، أليس هو منتشر في العالم صوتاً أيضاً؟ بواسطة [الكاسيتات] وغيرها من الوسائل .

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} (الأعراف: من الآية١٧٥)، هذا نموذج، أو تقول: مثال خاص، مثال شخصي، حتى عندما يقول لنا سابقاً: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} (الأعراف: من الآية١٦٩)، قد يقول: ماذا يعني خلف؟ لا ندري من هو الذي قد يكون..!. يقدم لك بأنها قد وقعت فعلاً على مستوى خلف، ووقعت على المستوى الشخصي، شخص آتيناه آياتنا فانسلخ منها، {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}، أليس هو هنا في الأخير يلحظ موضوع الآخرين، الغاوين عادة الغاوين يكونون مغوين لآخرين، أنه أمكن أن يكون من الغاوين، مع

أنْ قد عنده من آيات الله: {نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا} (الأعراف: من الآية١٧٥)، **خرج منها بسبب ماذا؟ بسبب إخلاده إلى الأرض .**

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية١٧٦) **[مَنْزَل] العبارة هذه راقية جداً، لا يستطيع أحد أن يأتي لها بتفسير أدق منها {أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}، يعني اتجه اتجاهاً بانقطاع، شغوفاً بالأرض، لم يتجه إلى الله؛ لأن هدى الله بالشكل الذي يرفع الإنسان إلى الله؛ لأن الله هو الذي يجعل السماء والأرض تخلد إلى الناس، متى ما اتجهوا إليه يجعل السماء والأرض تخلد إليهم هي، يفتح بركاتها، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** (الأعراف: من الآية٩٦) .

{وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} (الأعراف: من الآية١٧٦) **نعوذ بالله، يعني: لم يتمسك بما آتاه الله، {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}** (الأعراف: من الآية١٧٦)، **هنا أيضاً يضرب لك الصورة هذه التي قد تبدو نتيجة دعاية إعلامية، دعاية تقدس أشخاصاً هم في الواقع منسلخين عن آيات الله، وهم في الواقع ممن {وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى}، أن الشيء الظاهر في الموضوع دائماً تحاط بهالة من التقديس لأولئك، النظرة إليهم كعظماء .**

هنا يبين لك، لا، إن هناك بالتأكيد خلف يحصلون على هذا النحو، هذه النوعية هم عادة ضرب لهم مثلاً سيئاً، هذا المثل السيئ {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} وفي السورة الأخرى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً} (الجمعة: من الآية٥) **أليس هنا يضرب أي قيمة في ذهنيتك؟ بمعنى أنه يجب أن يقوم تقديسك، تعظيمك على أساس رؤية من كتب الله، فبالنسبة لنا كمسلمين على أساس رؤية من داخل القرآن من الذي نعظمه؟ لئلا يصبح التعظيم في حد ذاته يشكل عائقاً، لا، إفهم بأنْ ما كل من ورث كتاب هو عظيم، قد يكون هناك من يرث كتاباً وفي نفس الوقت يكون له هذا المثل السيئ: كمثل الكلب، أو كمثل الحمار؛ لنعرف من هم الذين نعظمهم، ومن هم الذين لا يبقى لهم في نفوسنا أي تعظيم تبعاً لهذا العنوان، عنوان كتاب، عنوان علم .**

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} (الأعراف: من الآية١٧٦)، **لاحظ أليس الإنسان بحاجة إلى الإيمان الذي كان عليه موسى، إيمان الانقطاع إلى الله، لا تركن على نفسك أبداً، ولو عندك علوم كم ما عندك، هنا يقول لك: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا}، {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} لكن هو حصل عنده خلل، لا تحصل هذه المسألة اعتباطية من جهة الله أبداً، {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} وقد أصبح راكن على الطريقة تلك، الطريقة التي تحصل عادة، تلك التبريرات، وعنده أنه فلان، وربما قد صار يسيِّر الباري هو .**

هذا حصل عند اليهود، قد عندهم فكرة أنهم قد صاروا يسيِّرون الباري، ويمشي هو على ما طلع في أنفسهم، وهو معهم، ومن ضمنهم، ونزلت أيضاً في داخل المسلمين: [أن مراد الله تابع لمراد المجتهد، وليس مراد المجتهد تابع لمراد الله] المجتهد ينظر وما غلب في ظنه فهو مراد الله، فمراد الله تابع لمراد المجتهد! عبارة من أسوأ العبارات هذه، من أسوأ العبارات .

لا نعرف هنا الحالة مثلما قلنا سابقاً في موضوع في كلام حول قول الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ} (الجمعة: من الآية٥)، **المثل هنا، يعني عندما تعرف كثيراً عن طبيعة ووضعية هذا الحيوان الذي ضرب به مثل تجد مقارنة واسعة بين المشبه والمشبه به، أنه فعلاً في آية عندما قال: كمثل الحمار، نحن نعرف أشياء كثيرة بالنسبة للحمار أكثر من معرفتنا بالنسبة للكلب في موضوع أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، هل معناه بأنه عندما أصبح مخلداً إلى الأرض أصبحت له وضعية المخلد، يعني: المنقطع إليها، يلهث وراءها، سواء حصل على شيء أو لم يحصل على شيء، إن حصل على شيء فهو متلهث على الكثير، وإن لم يحصل على شيء متلهث أنه لماذا لم يحصل!. هنا ماذا يعني؟: مثلما تقول أيضاً يدسه الباري إلى الأرض أكثر، يدسه أكثر.**

في موضوع إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، لا ندري كيف نفسية الكلب في هذه، لو يأتي مثلاً محاولة دراسة، أو أحد يحظى بأي بحث يراه عن الموضوع، في هذا الزمن قد تحصل دراسة للحيوانات، للأشياء التي شبه

بها في القرآن في مختلف الأشياء، أن نعرف كثيراً عن وضعيتها، وطبيعتها في الحياة، ترى أن هناك أشياء كثيرة من مقومات التشابه ما بين المشبه والمشبه به؛ لأنه في صورته مثل مخزي، نعوذ بالله، مثل سيئ .

{ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} (الأعراف: من الآية١٧٦)، نعوذ بالله، هذا المثل يقولون: إنه لواحد من بني إسرائيل حصلت هذه، يسمونه: [بلعام بن باعوراء] يقولون عنه.. لكن ولها علاقة بالموضوع، أنك أحيانا لا تقل ودائماً نكرر هذه مع أنها قضية يكون فيها نوع من الإحراجات إلا أنها قضية ضرورية، وهامة: أن الإنسان قد يكون متشبثاً عن طريق تعظيم، فيكون عنده كيف يمكن هؤلاء العظماء!؛ لأن قضية عظماء هي قدمت إليهم على أساس صورة معينة، أنه في الواقع قد يكون بعض من أنت منشد إليهم على هذا النحو، ممن ثقافتهم ضالة، ممن هم منسلخون في الواقع عن آيات الله، ممن لديهم تحريف كثير، يكون في واقعه مثلما مثَّل هناك، كمثل الحمار، أو كمثل الكلب؛ لتعرف بأنك قد تكون متمسكاً بتلك النوعية التي تراها عظيمة، وهي أشبه شيء بهذه الحيوانات السيئة .

أسوأ مثل ضرب لمن هم في الواقع علماء يحملون ثقافة باطلة، فإما أن يكون، مثلاً قد يكون متعمداً، فيه نوع من التعمد مثل هذا، أو نوع من الضلال، يوجد فارق، الكلب هو أذكى من الحمار، وفي النفسية عند الناس أحط من الحمار، أليس هكذا؟ يعني: أن الضالين قد تعتبرهم عظماء، وهو في الواقع لا يخلو إما أن يكون في قائمة الحمير، أو قائمة الكلاب!.

قضية قرآنية هذه؛ لأنه فعلاً الهالة التي تحاط بأشخاص معينين ـ مثلما قلنا بالأمس ـ أنه عادة الضلال يأتي من عند أشخاص ـ كذلك تحدثنا عن هذه ـ وفي نفس الوقت يحاطون بهالة من التعظيم تشكل في حد ذاتها عائقاً كبيراً، فيصبحون هم أساس المشكلة هم، وتعظيمهم العائق الكبير عن حل المشكلة التي نريد الخروج منها [مصيَدة] لا يستطيع واحد يخرج منها إلا إذا ما زال هناك توفيق إلهي .

{ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف: من الآية١٧٦). القضية تحتاج إلى تفكير، وعندما يقدم ما هو خلاف السائد بين الناس، يكون السائد باطل قد أضفي عليه هالة من الشرعية، من العظمة، وأشياء من هذه، يحتاج إلى نوع من التفكر، يتفكرون، الآخرون يتفكرون، أهل العلم، ويتفكر العامة، {يَتَفَكَّرُونَ} .

بعدما قال: {ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} قال: {سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} (الأعراف:١٧٧)، هم كانوا يظلمون، الله لا يحوِّل أحداً إلى أن يضرب له مثلاً من هذا المثل السيئ، كمثل الكلب، أو كمثل الحمار، إلا وقد الظلم من جهة نفسه هو، هناك قال: {حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا} (الجمعة: من الآية٥) هنا يقول: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} (الأعراف: من الآية١٧٥) {أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}، {اتَّبَعَ هَوَاهُ} ألم يظلموا أنفسهم هم؟ كانوا جديرين بهذا المثل السيئ، ترى القضية في الأخير كلها تدور حول كتب الله؛ ولهذا نقول: إن هذه القضية يجب أن نتمسك بها بجدية، وأن نرفض أي شيء سواها على الإطلاق، أي شيء سواها؛ لأن الأشياء العظيمة مبنية على هذا، على كتبه، المخاطر الكبيرة كلها مبنية على الابتعاد عن كتبه، هو لا يحاسبك على أنك لماذا لم تتبع كتب آخرين، سيقوم الحساب على هذا الكتاب نفسه، والحياة المؤاخذة عليها هنا على أساس هذا الكتاب، وموقف الناس منه متبعين له، أو معرضين عنه .

والناس معرضون عنه لو معك ملان المجلس هذا كتب لا تنفعك على الإطلاق، قد يكون الإنسان في قائمة الحمير، أو الكلاب ومعه مثل ملان هذا المجلس كتب، وكلها باسم أنها لخدمة الدين، وأن هذا إنسان عظيم أثرى المكتبة الإسلامية، وطلعت مؤلفاته مدري كم على كم.. هذه أشياء حاصلة في تاريخ الناس، العبارات هذه، لا نلتفت إلى ما يتكرر داخل القرآن، وهو يعرض لنا الأمم الماضية: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} (الأعراف: من الآية١٧٠)، {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} (الأعراف: من الآية١٧١)، في الآية السابقة مع موسى: {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} (الأعراف: من الآية١٤٥) أليس هو الآن يرينا كيف أنه سيطلع حمير في دار الفاسقين، ويطلع كلاب بسبب ماذا؟ لأنهم تركوا كتباً أخرى، أو فنوناً أخرى؟ أو لأنهم لم يمسِّكوا بالكتاب، وانسلخوا عن الكتاب؟ أليست كلها مبنية

على الكتاب؟ والموضوع يقدم بالشكل الذي يجعل الإنسان فعلاً يعرض تماماً عن أي كتاب آخر على الإطلاق مهما كان .

أحيانا قد يكون شيئاً صحيحاً، لكن هو صحيح في وقته، منطق معين في موضوع معرفة الله كان صحيحاً في وقته، هناك، أمام شبه كانت دائرة، زمن آخر يقتضي منطقاً آخر، لا يهدي إلى أسلوب آخر، إلى طريقة أخرى إلا الله، وعن طريق كتابه، وبطريقته هو، فقد يكون الشيء الذي تقدمه صحيحاً في ذلك الزمن [يأتي زمن آخر عندما تسير عليه] في واقع الحياة، تكون النتيجة ماذا؟ يجعلك أعمى، لا تعد ترى كيف واقع هذه، وكيف السنن فيها، أما رؤية القرآن فهي تجعلك تبصر، فترى آيات الله في القرآن، وآياته في الآفاق، وفي أنفسهم .

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (الأعراف: من الآية١٨٠) قضية الهدى يحتاج إلى التجاء إلى الله، ودعاء بأسمائه، {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأعراف: من الآية١٨٠) وغالباً ما تقدم الثقافة الخاطئة بشكل، تقدم أسماء الله بشكل فيه إلحاد، فيه تحريف، فيه انحراف عن الحق، عن الصواب في الموضوع .

يأتي الإلحاد في أسماء الله بشكل أيضاً يفقد الإنسان ما كان يمكن أن يحصل في نفسه من أثر وجداني لمعنى اسم من أسماء الله، مثلاً داخلنا: [سميع، بصير] كيف يقدمونها؟ دائماً بمعنى عليم، أليست دائماً بمعنى عليم؟ عليم عليم، عليم، إلى آخره . هناك فرق في الأثر الوجداني بالنسبة لك أنت، أن تستشعر أن الله يراك، ويسمعك أكثر من مسألة يعلم، أكثر من فهمك أن المسألة تعني يعلم، لها أثر في النفس كبير: استحضار شهادة الله، رقابته، فيأتي أحياناً إلحاد في أسمائه، أي: ميل عن الصواب فيها، فيترك آثاراً سيئة في النفس .

الله يوجه الناس أن يدعوه بأسمائه فهي أسماء حسنى، هي حسنى من أصلها، لا تحتاج إلى تأويلات أخرى، هو سمَّى بها نفسه، لا تحتاج إلى [تشطيبات] من عندك، هو سميع بصير، لا تقول: لا، هي بمعنى كذا، هي بمعنى كذا!. حصل داخل المعتزلة، وداخل الأشعرية، داخل العدلية، وداخل المجبرة؛ لأن أي إلحاد في اسم من أسماء الله يفقد في الأخير الأثر بالنسبة له، بالنسبة للإنسان في نفسه .

{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت: من الآية٥٣)، شهيد يعني ماذا؟ قالوا: عليم! شهيد: عليم، سميع: عليم. بصير: عليم! طلعت كلها عليم، والله يقول: أسماؤه حسنى، أسماؤه في القرآن أيضاً ليست الأسماء التي قدموها تسعة وتسعون، تلك ليست أسماء كلها، فيها نسبة كبيرة ليست أسماء، يذكر أشياء في أفعاله .

أسماؤه التي سمى بها نفسه سبحانه وتعالى، واسمه الذي تقوم عليه أسماؤه هو اسم الله، بالنسبة لنا كعرب، اسم الله؛ لهذا يأتي هذا الاسم غالباً متصدراً لأسماء الله؛ لتتقوم عليه الأسماء الأخرى، بسم الله الرحمن الرحيم، أليس هنا يبدأ باسم الله؟ اسمه، علَم لذاته، اسم له سبحانه وتعالى، وهو اسم من الأسماء الحسنة في نفسه؛ لأن معناه: الإله، الإله وحده، الله معناه: الإله، لكن نفس العبارة تعني: اسماً أوسع من موضوع اشتقاق، مرسخ اسم، بقية الأسماء تتقوم على اسمه سبحانه وتعالى الله. أسماء باعتبار كمالاته سبحانه وتعالى، فباعتبار أنه لا يعجزه شيء: قادر، باعتبار أنه لا يغيب عنه شيء: بصير، سميع، باعتبار أنه لا يخفى عليه شيء: عليم،.. وهكذا.

لا تسمى صفات، من الأخطاء الكبيرة أنها قدمت تحت عنوان صفات، صفات الله، صفات صفات، حتى ترسخت في الذهنية وإذا الصفات أشياء لها استقلالية، والصفات متغايرة فيما بينها، وطلع إشكاليات كبيرة جداً عند المعتزلة، لا يوجد كلمة صفات، تسمى أسماء، هو حكيم، هو عليم، هو سميع بصير. هذه كلها أسماء له، سمى سبحانه وتعالى بها نفسه .

أسماء الله سبحانه وتعالى واسعة، سعتها نفسها لمسيرة الإنسان وشئونه علاقة بسعتها؛ لأن شئون الإنسان متنوعة، وأنت في حالة ضلال، وهدى تقول: اللهم أنت الهادي فاهدنا، ألست تقول هكذا؟ أنت الغفور فاغفر لنا، أنت الرزاق فارزقنا، أنت العليم فزدنا علماً، أليست هكذا؟ أسماء أنت بحاجة إلى أن تدعوه بأسمائه؛ لأنك هنا تحتاج إلى مغفرة، تحتاج إلى رزق، تحتاج إلى رحمة، تحتاج إلى هدى، تحتاج إلى نور، وتحتاج إلى... إلى.. أشياء كثيرة، أمامك أسماؤه واضحة، أنت بحاجة إلى رحمة اسمه: رحيم، من أسمائه رحيم، بحاجة إلى مغفرة من

أسمائه: غفور، وهكذا، بحاجة إلى هدى هو الهادي، هو العليم، الهدى لا يخرج عن موضوع علم وقدرة ورعاية وحفظ، فهو حفيظ، عليم، قدير.
{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأعراف: من الآية١٨٠)، **بل بلغت المسألة إلى درجة لم يعد يقدم الكثير من أسمائه في إطار الحديث عن معرفته سبحانه وتعالى، قد صار يبحث مواضيع معينة حول: حكيم، قدير، الله، وجوده.. هكذا، لم يعد يبحث موضوع أسماء كثيرة جداً، أنه الملك، ماذا يعني ملك، جبار، سلام، مؤمن، مهيمن، عزيز، متكبر.. إلى آخر ما ذكر.**
الإنسان عندما يدعو الله باسم من أسمائه التي سمى بها نفسه، وعندما يسمع في القرآن الكريم اسماً من هذه الأسماء لا يحصل عنده أي إشكالية أبداً، لا يوجد أي تصورات أخرى، اترك منطق الآخرين ولن يحصل عندك شيء، لكن قد ترجع إلى الآخرين فيدنسون فطرتك، يدنسون فطرتك فعلاً، فإذا قال بأنه سميع، بصير، عليم، قضية معروفة لدينا، لا يصاحبها أي تشبيه، ولا أي تمثيل، ولا أي شيء .
{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف:١٨١)، **لاحظ مسيرة الآيات هذه، قد يكون يحصل ضلال، وأن الهدى هو من عند الله وحده، أن من يضلون بأسباب معينة لا يفقهون، لا يبصرون، لا يسمعون، هناك يحصل الضلال عن طريق إلحاد في أسمائه فهو سبحانه وتعالى سنته هكذا:** {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} **أنه لا يترك عباده بدون هداة .**
وكلمة: {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} **ماذا تعني؟ توجيه، وإقامة قسط، أليس هكذا؟ وفق الطريقة القرآنية التي يقوم الخطاب عليها بالنسبة للناس، قدمت القضيتان هاتان مفصولتان، ألم تقدم في الأخير قضيتان مفصولتان؟ موعظين هناك، وقائمين هناك بشئون الناس! موعظين هناك ناقصين يغلطون كثيراً، [ومدِّيولين] هناك ناقصين يغلطون كثيراً.**
القضية ليست على هذا النحو، {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}، **ألم يقدم مسألة يهدون به قبل موضوع يعدلون؟ لا يستقيم يعدلون إلا باستقامة يهدون، لا يحصل على الإطلاق، هذه القضية أساسية، هي تعطينا رؤية حول إقامة القسط في هذه الحياة، أو حول ما يسمى: ولاية الأمر في الإسلام، كيف هي، قدمت بشكل منقوص عند الزيدية أنفسهم، وقدمت بشكل منقوص أيضاً عند الآخرين، أما الاثنا عشرية فقد هي ضائع تماماً، قدمت أيضاً عند السنية بشكل منقوص، قدمت عندنا ولاية الأمر تعني ماذا؟ [رئاسة عامة]: تجييش جيوش، جمع زكاة، إقامة حدود، تعيين ولاة، عزل ولاة، وبالله التوفيق! انتهى الموضوع !.**
وقضية الثقافة كل واحد على ما هو عليه، وكل مجتهد على ما ترجح لديه، وكل قارئ على ما صادف من كتاب يقرأه، أو معلم يقرأ عنده! فصلوها عن الموضوع تماماً!. كانت غلطة كبيرة جداً. المسألة غير مفصولة على الإطلاق، فهي تمثل النسبة الواسعة جداً من شئون ولاية الأمر في الإسلام، النسبة الواسعة جداً فيها موضوع يهدون؛ لأن كلمة يهدون لا تعني ماذا؟ يوعظون، يهدون قضية أساسية، تربية، تقديم تربية، بناء أمة، بناء حياة، به يعدلون، إقامة القسط، قد تراه في الأخير قد يمثل ربما ٢٥٪ إذا صحت تقديرات إنسان كتقريب.
{يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} **ألم يقدم** {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ}؟ **عندما فصلوا هذا الموضوع عن موضوع يعدلون فلا قامت لا يهدون، ولا قامت يعدلون، وضاعت الأمة نهائياً.**
{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} (الأعراف:١٨٢ـ١٨٣) **لاحظ الكلام كله أليس حول: كذبوا بآياتنا؟ كذب بآياتنا، انسلخ عن آياتنا.. وهكذا كلها. هذه توحي بأن الموقف الآخر الذي يعتبر مغايراً هو في الواقع يصبح أشبه شيء بتكذيب، حتى وإن لم يكن تكذيباً صريحاً، أما إذا قد هو مكذب تكذيباً صريحاً فهذا شيء واضح.**
{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} **لاحظ عندما يقول:** {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} **أنهم يقدمون آياتنا يقدمون آيات الله، لا يوجد هداة يخرجون عن إطار آيات الله على الإطلاق، لا تحصل هذه، يكون كتاب الله هناك، ويوجد هداة هناك، لا يوجد هذا، سنة إلهية من البداية بالنسبة للأنبياء أنفسهم، أليس النبي نفسه**

مرتبطاً بالكتاب؟ فعندما يقول الله: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} بالتأكيد كلها تقوم على آيات الله، كتابه.

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ}، لن يكونوا عندما يكونون مكذبين واقعاً، وليس صريحاً، لن يكونوا هداة، ولا يكونون هداة. {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ}، نعم، هذه قضية خطيرة جداً، الاستدراج، لا أدري إلا بالنتيجة السيئة {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} (الأنعام: من الآية٤٤).

{وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}، يملي لهم، لكن إملاء ليس على ما يرونه وكأنه إنعام لهم، وارتياح، واستقرار لهم، كيد، تكون النتيجة سيئة في الأخير.

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الأعراف:١٨٤)، عندما يقول: {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} فهو يجعل هداة معروفين عند عباده، وقابلين لأن يعرفوا، فعندما يقدمون لك: أن هناك هداة لا تراه، ولا تسمعه ـ كما يعمل الاثنا عشرية ـ أن هناك المهدي من عام ٢٥٥هـ إلى الله أعلم متى، وأنه المهدي للأمة، وأنه الحجة على الأمة، وإمام الأمة، وقرين القرآن.. إلى آخره، غلط واضح. {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ} هنا يذكّر أنه بعث إليهم نبياً هم يعرفونه، ويعلمون بأنه ليس به جنة؛ لأنه صاحبهم، لم يأت من بلاد ثانية هم لا يعرفونه، يعرفونه.

ثم يأتي التهديد: {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} يعني: أن وراءه الله يعاقب، وفوقه الله يعاقب ويثيب. ما هناك {أُمَّةٌ} غائب، لا أحد يعرف عنه شيئاً على الإطلاق، مائة سنة بعد مائة سنة، ألف سنة، ومائة سنة، وأكثر! لا يجوز هذا على الإطلاق، يعني: قضية غير مقبولة في دين الله، غير مقبولة على الإطلاق في دين الله، هنا يذكّر بأن الهداة يكونون هداة معروفين، ولو على أقل تقدير في البداية معروفين عند أصحابهم، ثم تتوسع معرفتهم تلقائياً، مثل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هل كان معروفاً في القرن الأول عند أهل ماليزيا، وأهل أندونيسيا؟ معروف في مكة، اتسعت المعرفة حتى أصبح معروفاً عند الجميع.

تكون المسئولية في البداية على أصحابه، على أصحابه، هم الذين يعرفونه، هم يعرفون ما به من جنة، وإذا استجابوا هم أمكن أن تتسع الدائرة، ويمكن يتسع الموضوع، إذا جلسوا هم شكلوا عائقاً قد ينتهي في الأخير إلى أن يحصل استبدال بهم غيرهم، عندما أصرت قريش على تكذيب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) استبدل بهم أهل المدينة، الأوس والخزرج، وآخرين.

{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (الأعراف: من الآية١٨٥)، نفس النظرة التي يكرر أمثلتها في كثير من المواقع في السور، يأتي في جانب من الآيات موضوع التوجيهات، ثم يأتي بصفحة من ماذا؟ من مظاهر هذا الكون، يتبين ماذا؟ أن هذا الكون هو له ملك، الله هو إله، ملك، ومدبر لشئونه، ففيه ما يعطيك.. يعني: ما يجعلك تتأكد، وتطمئن بأنه لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر، جانب الهداية فيما يتعلق بالجانب الآخر، الهداية التي نسميها: معنوية، أو هداية نظام، هداية النفس.

هذه نفسها ترشدنا إلى كيف تكون نظرة الإنسان إلى هذه المظاهر، الشيء الذي ضرب تماماً على أيدي المتكلمين؛ لأن النظرة إلى هذه الحياة ستستقرئ فيها مظاهر الحق، تستقرئ فيها الدلائل على أنه لا يمكن أن يكون هناك إغفال لهذا الجانب الذي البشر يتقافزون فيه، لا يتقافز البشر الآن على موضوع الشمس، ناس يريدون يردونها [شرق]، وناس يريدون يردونها [يمن]، أو على موضوع الليل والنهار، يريدون أن يعكسوا الموضوع، أو يطولوا ساعات النهار، أو الليل، ولا على موضوع المطر، ولا على موضوع الإنبات، ولا الإثمار، ولا شيء، هل هم يتقافزون؟ القضية محسومة من عند الله.

إذاً الجانب الآخر أيضاً ليس جانب أن يتقافزوا فيه، هم يتقافزون مخرج إلى الهاوية، جانب سلطان الله، ملك الله، هدى الله، تشريعه، نظامه لعباده، أنه تماماً مثل الجانب الآخر الذي نراه، شواهده في واقع الحياة، صوره، ثم تجلياته في حياة الناس، تجلياته في حياة الناس إلى درجة أنه هنا بشكل يوحي بأنه قد يستطيع الناس أن يلمسوا {وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ}، من مظاهر وصور الحياة نفسها.

{أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهذه النظرة الهامة تجعل الإنسان يقرأ كتاب هذا الكون، ثم من وراء القراءة هذه يبدع في هذا الكون نفسه، يخترع أشياء كثيرة، يصنّع أشياء كثيرة، يطور أشياء كثيرة .

{وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ}، ما معنى ينظرون هنا؟ ليعرفوا أن هناك الله؟ ليعرفوا هذا الحق، يعرفون أنه لا يمكن أن يغفل هذا الجانب على الإطلاق، أن يتقافزوا هم على سلطان الله، ويتقافزوا هم للتشريع، يتقافزوا للسلطة، ويتقافزوا للتشريع، أليس هذا حاصل عند البشر؟ لماذا لا يتقافزون على الليل والنهار فيجعلوا ساعات النهار أطول مثلاً؟ القضية محسومة هنا مثلما القضية محسومة هناك .

لكن عندما مسخ المعتزلة ـ وهذا من أسوأ ما عملوا حتى أصبحت الأمة جاهلة ـ مسخوا النظر عند الإنسان فلم يعد بالشكل الذي وُجِّه إليه في القرآن، ينظر في ملكوت السماوات والأرض، النظر الذي في الأخير ينتهي إلى دراسة لمظاهر هذا الكون، في الأخير ينتهي إلى إبداع، إلى اختراع، إلى تصنيع؛ لأنه حاجات الإنسان أيضاً، والإنسان عنده نوع من الفضول، وحاجياته واسعة، متى ما درس شيئاً في الأخير يصبح عنده فكرة: ربما لو عمل هذا، وأضاف معه هذا، ما الذي سيترتب عليه؟ فيكتشف أشياء كثيرة في الطب، أشياء كثيرة في كل المجالات الأخرى، لأنه كان التوجيه القرآني للنظر عند المسلمين بالشكل الذي يتكفل بأن يكونوا أسبق من الغربيين إلى ما وصل إليه الغربيون، وربما بشكل أرقى، وبطريقة يدخلون إليها عبادياً، عبادة، ليس على أساس إفتقار لحاجة، الغربيون كانت المسألة عندهم حاجة [الحاجة أم الاختراع] .

هم يأتون يأخذون الآيات التي فيها النظر كلها هنا، وفي أي مكان ثم يقولون: [فدل على وجوب النظر] أي وجوب النظر؛ لتعرف أن هناك صانع! لا يتوصلون إلى الله، إنما هكذا، إنما في الأخير يشغّلون ما لديهم من معرفة من طريق أخرى، أن هناك صانع .

{أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:١٨٥)، **أي حديث بعد كتاب الله، بعد آيات الله، ماذا ينتظر الناس؟ يأتي في أكثر من مقام يقول: ماذا تنتظرون بعد؟ أن يأتي الملائكة، أو يأتي الله، أو يأتي أمر ربك، أن تأتيهم الساعة بغتة، أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون؟ ماذا ينتظرون بعد؟!.**

{مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ} (الأعراف: من الآية١٨٦)، **هناك قال: {مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** (الأعراف:١٧٨). **{مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}** (الأعراف:١٨٦)، **لم يبق إلا تمادي في طغيانهم، تمادي في عماهم، كله ضلال، وظلمات بعضها فوق بعض .**

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} (الأعراف: من الآية١٨٧) **هنا يقدم لهم ما يمكن أن يكونوا ناجين به عندما تأتي الساعة سواء تأتي قريب، أو تتأخر، لكن أن يسألوا متى ستأتي وهم في الواقع سواء جاءت قريباً، أو تأخرت ستكون بالشكل الذي يعتبر كارثة كبيرة عليهم، ماذا يستعجلون بها، فضول الإنسان أحياناً يكون قلب، ويكون أيضاً من مظاهر الضلال، {مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ}.**

ثم تجد كيف من أصبحوا ضالين، لا يهتمون بالقضايا الهامة التي هي أساسية بالنسبة لهم، فيهتدون بها، يذهب يشغل ذهنه، ونفسه، وتفكيره بالقضايا التي ليس بحاجة إلى أن يتساءل عنها، يسألونك عن الساعة، متى ستأتي الساعة هذه؟! هل هو بحاجة إلى هذا السؤال؟ ليس بحاجة إليه، هو بحاجة إلى أن يهتدي؛ لأنه إذا جاءت الساعة ستكون كارثة كبيرة عليه .

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} (الأعراف: من الآية١٨٧) **قضية كبيرة، وهولها كبير جداً، وقعة كبيرة، ثقيلة في السموات والأرض، {لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً}** (الأعراف: من الآية١٨٧) **إذاً فأفضل لكم تجهزون أنفسكم بهذا الهدى الذي يأتي إليكم من غير تساؤل، يقدم إليكم من غير تسألوا أنتم من البداية .**

{يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} (الأعراف: من الآية١٨٧) أن عندك معلومات وافية عن متى ستأتي، أو أنك في ذهنيتك مشغول دائماً بأن تعرف متى ستأتي . الرسول نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله) ليس مشغولاً بأن يعرف متى ستأتي الساعة بالتحديد، يعرف بأنها ستأتي فقط .

{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:١٨٨)، عندما تأتوا إلي تسألونني على اعتبار أنني أعلم الغيب، أنا لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله .

{وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، أليس هذا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يقول الله له أن يقول للناس: {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}؟ يأتي الآخرون ليقولوا: الإمام يعلم الغيب، أو إذا أراد أن يعلم الغيب يعلم الغيب، هذا كلام باطل، باطل؛ لأن الرسول نفسه يقول: {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} .

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} (الأعراف: من الآية١٨٩) هذه آية هي تبدو أنها لا تعني آدم وحواء، ليست تعني آدم وحواء، فرق بين: {وَجَعَلَ مِنْهَا}، جاءت العبارة هذه بالنسبة للناس أنه جعل منهم أزواجهم، يعني من نفس الجنس، من نفس النوع، هناك خَلَق، في سورة [النساء]: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا} (النساء: من الآية١) فرق بين كلمة: جعل ـ في كثير من المقامات ـ وبين كلمة: خلق، وفطر.

والخطاب يبدو إما أن يكون لقريش بشكل عام، أو ربما مثلاً لبيوتات منهم ربما، وهم في نفس الوقت قد يكونون متعلقين بشكل كبير بموضوع الشرك، مثل قريش يبدو أنه كان فيهم مثلاً بيوتات منشدة إلى موضوع الأصنام، وأشياء من هذا، والبعض ليسوا بالشكل هذا، منشدين إليها. يبين بأنه الجد الواحد لهم مع زوجته هم في الأساس يعرفون الله مثلما قال سابقاً: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} (الأعراف: من الآية١٧٢) يقول لهم بأن جدكم أنتم هو يعرف الله، على أساس لا يقولون بعد: إن كان آباؤنا كذا وكذا، أو ربما ما كانوا يعرفونك، ونحن جئنا، ونحن لا نعرفك، فعبدنا أصناماً كما كانوا يعبدون، أنه حتى جدكم الأقرب، جد ـ ربما ـ قريش بشكل عام، هو نفسه كان يعرف الله، لكن حصل على هذا النحو الذي ذكر بعد .

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} مولوداً صالحاً {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٨٩) دعوا الله ربهما، دعوا الله ربهما.

{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} (الأعراف: من الآية١٩٠) أشركوا في الموضوع، جعلوا لهم شركاء من غير الله فيه؛ لأن المشركين أيضاً هم يعتبرون أنفسهم وكأن شركاءهم شركاء لله فيهم، في عبوديتهم، يجعلونهم شركاء لله في الألوهية، شركاء لله فيهم! {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (لأعراف: من الآية ١٩٠-١٩١) فكأنه يوحي بأن قضية الشرك هي عادة تكون قضية ظاهرة، تحصل وهي شاذة في مسيرة الحياة والإنسان؛ لأنه حتى من بدأت على أيديهم لا يكونون جاهلين بالله، هناك قال: {اللَّهَ رَبَّهُمَا} ألم يقل هكذا؟ يعني: هم يعرفون الله وأنه ربهم {دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} .

يعني: أن الشرك هو الشيء الذي هو شاذ في الحياة، شاذ بالنسبة لمسيرة الإنسان، لا يعتقدون بأنه هكذا مسيرة للبشر جميعاً أباً عن جد، على طول مشركين، مشركين على طول، وكلهم جاهلين بالله، ليست بالشكل هذا، يأتي الشرك حالة طارئة، لها بداية في تاريخ أمة من الأمم. وقالوا هكذا تاريخهم بالنسبة لقريش ما كان معروف عندهم أصنام من زمان، بدأت، دخلت من وقت معين، أما نفس هذا الشخص الأول قد يمكن أنهم ضُللوا هم عن طريق من روج للشرك حتى اعتقدوا الشرك، وجعلوا لله شريكاً فيهم!. فقد يكون الشرك أتى إليهم من أي منطقة مثلاً أثر على هؤلاء فبدأ الشرك .

إذاً هو قضية طارئة في المجتمع، لا تتصوروا بأن تقولوا: آباءنا جيلاً بعد جيل إلى مدري أي حين، ذكر سابقاً بأن إبراهيم الذي هو جدهم الأول مسلماً، وأن الرسالة التي يُدعَون إليها هي ملة إبراهيم .

{أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} (الأعراف:١٩٣)، هذا حول الأصنام: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف:١٩٤) .

هنا يأتي الكلام هنا ليقرر نقصها، هذه التي جعلوها آلهة شركاء لله فيهم، شركاء لله في الألوهية، أنها ناقصة؛ ولهذا قال هنا بعد: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} (الأعراف: من الآية١٩٥)، إلى آخره . يعني: هذه لا تمثل شيئاً، هي ناقصة تماماً، لا تستطيع حتى أن تسمعك، ولا أن تبصرك، ولا أن تنفعك بشيء، ولا أن تضرك بشيء على الإطلاق، هي ناقصة أنقص منك أنت كإنسان .

ثم يبين بأنها ليست بالشكل الذي تشكل خطورة: {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ} (الأعراف: من الآية١٩٦) ما معنى هذا أن الشرك يروج له في البداية، ويحاط بهالة من الأساطير؟ وأنها قد تكون بدايتها هكذا فعلاً بالنسبة للنفس الواحدة هذه، الجد الواحد لهم، ما أشركوا إلا عندما قدم لهم في قالب من الأساطير، يفلسف الشرك، إلى أن أوقعهم في الشرك .

يبين بأنها لا تمثل شيئاً: {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ}، وبسرعة اضربوا ضربتكم، يعني: أنها ليس لها أي وزن على الإطلاق، ولا تمثل أي خطورة على الإطلاق، كما تفهمونه أنتم، وبما قيل لكم عنها؛ لأنه كان يأتي تخويف للأنبياء من جانب من يعبدون الأصنام: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر: من الآية٣٦).

{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (الأعراف:١٩٦) ثم لاحظ كيف جاءت العبارة بشكل صحيح، يقول: أنا متولي إله هو الله سبحانه وتعالى وحده، هذه كلها التي تتخذونها أولياء من دونه، وتدعونها أتحداكم أنكم تجتمعون أنتم وإياها ثم {كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ}، يعني ليست تشكل أي خطورة على الإطلاق، لم يقل: أنا هكذا فقط، أنا لا أبالي بها، {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ}؛ ليردهم إلى الله، هذا من أساليب الأنبياء الراقية. أليس الكثير من الناس عندما يأتي يحاول مثلاً إذا هناك [منشح] يقول: أتركهم، أتحداك يضروني، لا يتذكر أن يقول: أنا متولي لله، هذه لا تعمل شيئاً .

{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} (الأعراف:١٩٧)، وهكذا.. إلى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} (الأعراف: من الآية١٩٩) في موضوع عندما تكون أنت تواجه مشركين كهؤلاء، أليس هو يقدم هنا احتجاجات معينة؟ أحيانا قد لا تكون القضية مناسب أن يحصل فيها لجاج، وتريد في نفس اللحظة أن تطلع منهم انخلاع كامل عن القضية، {خُذِ الْعَفْوَ} اعترافات معينة، أثر معين حصل في نفوسهم يكفي وأعرض، ومن بعد . أحياناً يأتي اللجاج إلى طريقة يشد الإنسان إلى ما هو عليه، لكن حصل اعتراف معين: فعلاً أن هذه فعلاً هي كذا، هل هي ضرتك في كذا؟ يقول: لا، هل هي نفعتكم في حرب كذا، أنتم وقبيلة كذا؟ قال: لا، قل: إذاً هذه ليست جديرة أن تعبدها من دون الله، وهو سيسكت، سيفكر إلى أن تلقاه مرة ثانية، لكن تحاول تخلعه في نفس الوقت، قد تكون قضية لا تحصل .

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف:١٩٩) هذا من ناحية الحوار، والجدال مع آخرين، أسلوب الدعوة على هذا النحو يكون أرقى؛ لأنه هل أعرض عنه نهائياً، أو جلس، وكل مرة وبدَّا شيئاً .

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأعراف:٢٠٠) في مقام وهو يدعوهم، إما أن يحصل تخويف فيحصل عنده ربما حالة توجس، هذه يعرف أنها من جانب الشيطان؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا ما خُوِّف من أكثر من جهة، وبأشياء متعددة يكاد أن يتأثر تلقائياً،إنما فقط يماسك نفسه .

هذا أسلوب في القرآن يأتي التخويف متعدد، ومتكرر، ومتنوع: خزي، مثل صاعقة عاد وثمود، رجفة، أشياء من هذه، جهنم، سوء حساب، وفي كل مكان، هذا فعلاً يؤثر في نفسية الإنسان؛ لهذا لعن المرجفين، المرجفون هذا يخوف، وهذا يخوف، وهذا قال: سيأتي كذا، وكل واحد يقدم شيئاً غير ما يقدمه الآخر، أو زيادة . هذه القضية يبرز فيها الشيطان، هذا جانب: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (فصلت: من الآية٣٦).

جانب آخر أحياناً في موضوع الدعوة قد ترى نفسك ذكياً، وعندك قدرة على أنك تبين خطأ ذلك فعلاً نهائياً، أليس هكذا؟ لكن لا، قد يكون مناسباً بأسلوب على هذا النحو: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ولو عندك قدرة، ترى بأن عندك قدرة، الذي يبدو لك وكأن الشيطان قد يحاول يقول: أما عندما اذهب وما قد أقنعته، أو فضحته في موضوعه هذا معناه ماذا؟ أنني سأبدو ضعيفاً عند الآخرين، أو شيء من هذا، ستدخل في لجاج يجعل الآخر بعيداً عن أن يهتدي، فتكون أنت سلكت طريقة ليست طريق من يهدي، الشيطان يبرز في مقامات كثيرة .

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وبشكل عام، عندما تراه يقدم الصلاة في مواضع متعددة؛ لأثرها، وتصريف آياته بشكل متعدد، يذكر لك الشيطان يبرز هنا، وقد يبرز هنا، ويبرز هنا، في أي مكان قد يحاول يعمل لك نزغة في أي موضوع .

{فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ} (الأعراف: من الآية٢٠٠ ـ٢٠٢) إخوان الشياطين، الشياطين مع إخوانهم . المتقون المؤمنون يستبصرون فرجعوا، أبصروا، إخوان الشياطين يؤدي إلى ماذا؟ إلى تمادي، إخوانهم يمدونهم الشياطين{فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ} .

{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأعراف: من الآية٢٠٣) أيضاً هذا من الأشياء الغريبة، تساؤل: لماذا لا تعطينا آية، وربما قد يكونون يمارسونه بطريقة فيها نوع من السخرية: [ما قد معكم لنا آية جديدة اليوم؟!] على أساس أنك أنت تصلح آيات، [ما قد صلحت لنا آية]! {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ} لاحظ هنا كيف يأتي منطقه دائماً، يعني يرسخ بالنسبة للأنبياء أن يرسخوا في أنفسهم، وأمام الآخرين، أنهم عباد لله، ومأمورون من جهة الله، {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ}، إنما أتبع ما يوحى إليَّ، إن جاءت آية سنقدمها لكم، ما جاء شيء فما هناك شيء، ماذا يعني هذا؟ لا تظهر نفسك دائماً وكأنك عالم لا يعجزك شيء مما يلقى عليك، يمكن تقول: والله ما عندي معرفة بهذا، إن شاء الله إذا حصل لنا معرفة ممكن نعلمكم .

هذه أيضاً هي موضع من مواضع نزغات الشيطان، في أي مقام أنت تقدم ما تعرف، إذا لم تعرف [خلاص والله ما عندي شيء].

{هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} (الأعراف: من الآية٢٠٣) ما قد قدم فيه بصائر، فكيف تقول: لولا، {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا} (الأعراف: من الآية٢٠٣) هذا يعني فيما قد قدم لكم بصائر وافية في القرآن نفسه، وفيما ينزل من القرآن {هَذَا بَصَائِرُ} وهذا من عظمة القرآن، كيف أن الله يقول فيه: هذا بصائر، حتى بالنسبة لما قد نزل منه، بالنسبة لما قد نزل منه، ما قد نزل إلا يمكن الثلثين، يعتبر بصائر كاملة ما قد نزل منه. {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} وهي إشارة إليه إلى ما هو حاصل منه، وإليه ككتاب متكامل، ويتكامل في نزوله .

{هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف: من الآية٢٠٣) فاستمعوا، {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} (الأعراف: من الآية٢٠٤) هذا بصائر فاستمعوا، لستم بحاجة أن تتساءلوا، وتقولوا: هل قد هناك كذا، و قد هناك كذا؟ لا، القضية هي جاهزة في هذا القرآن {فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: من الآية٢٠٤) .

{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} (الأعراف: من الآية٢٠٥) لاحظ أليس هنا توجيهات للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كونه هادياً، ومعلماً، ومبلغاً للرسالة هذه، أن يكون دائماً دائم التذكر لله، {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} تضرعاً إليه وخيفة منه، {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} (الأعراف: من الآية٢٠٥) ما كان جهراً، أو

دون الجهر من القول، جاء في مقامات أخرى جهراً وعلناً، وسراً في النفس. {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ} هنا توجيه بالقضية هذه أكثر، تذكر ربك في نفسك، الذكر النفسي شيء آخر غير التذكر باللسان، وقد يكون على هذا النحو وإلى درجة دون الجهر من القول .

{بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} (الأعراف: من الآية٢٠٥) ؛ لأن مهمتك متوقفة على أن تكون دائماً مرتبطاً بالله، ودائم التذكر لله، وبالنسبة له هو أن يبقى متواضعاً لله، يكون دائماً منشغلاً بتقديسه لله؛ لأن القضية خطيرة إذا انفرد مع نفسه، وهو يرى المقام العظيم الذي هو فيه، يوجه بذكر الله باستمرار حتى لو لم يتمكن أن يتكلم، يذكر الله في نفسه، تسبيح لله، وتقديس له .

{وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} الإنسان إذا غفل يؤثر جداً غفلته عن الله على مهمته، وعلى نظرته إلى الله، ونظرته إلى نفسه، إذا كان من الغافلين معناه أنه قد صار منقطعاً إلى نفسه، وحصل خلل فيما قدمه و[تخربطت] الأمور.

والذكر هنا يقدم في كثير من المواقع في حالات له أثر نفسي، أثر نفسي، يعني: أنه يقدم أكثر من أن يقدم في مواقع هي مواقع مضاعفة حسنات مثلاً، أو مضاعفة ثواب، يقدم الذكر مرتبطاً بقضايا يكون مثلاً الأخطاء فيها كبيرة إذا الإنسان ناسي لله، أو يهتدي فيها وهو يذكر الله وهو متذكر لله، فقيمة الذكر هنا ينطلق من نفسه دائماً مستشعراً معه التعظيم لله، التقديس لله، الإجلال لله، استشعار الحاجة إلى الله، استمداد الهدى من الله، وليس فقط يسبح على أساس سبحان الله الذي يدوِّر لعشر حسنات! هذه قضية ثانية، هو يعلم قضية الثواب هو يأتي من عند الله، يوجد فارق كبير بين أن تسبح وقد في ذهنك عشر حسنات، عشر حسنات، عشر حسنات، إلى آخره.. هنا قد تسبح وأنت ناسي أن يكون تسبيحك بالشكل الذي يكون له أثر في نفسك، يكون يتجه إلى ترسيخ في نفسك لعظمة الله، وقدسيته، وجلاله؛ لهذا كان مؤثراً جداً الأسلوب هذا .

تجدها هنا في مقام: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} هل المقام هنا مقام حديث مضاعفة حسنات أو ماذا؟ مقام تأثير نفسي، {فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} الغدو: أوائل النهار، الآصال: آخر النهار، {وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (الأعراف:٢٠٦). صدق الله العظيم ، إلى هنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٨/رجب/ ١٤٢٨هـ
الموافق ١/ ٨/ ٢٠٠٧م

دروس من هدي القرآن الكريم

الثقافة القرآنية

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٤/٨/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
والصلاة والسلام على رسول الله، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه الكتاب المبين لِيُعَلِّم الأمة ويـزكيهم، صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

في البداية نعتذر للإخوة المعلمين وللطلاب جميعاً أننا لم نقم بزيارتهم لحد الآن، وليس ذلك عدم تثمين لهـذا العمل، أو عدم تقدير لما يقوم به الإخوة المعلمون والطلاب، وإنما لشواغل أخرى، ولثقتنا ـ أيضاً ـ أن في المدرسة من الإخوة المعلمين من فيهم الكفايـة في التعلـيم، في التوجيـه، في الإرشـاد، في التربيـة، ولـيس هنـاك حاجـة بالنسبة لنا، لكن هذه زيارة نتشرف بها لهذه المدرسة، نتشرف بها للإخوة المعلمين وللطـلاب جميعـاً، ولنتحـدث معكم أيضاً لم نجعلها بشكل رسمي كمحاضرة، جلسة عادية طبيعية، نتحدث معكم ونشترك مع الإخوة المعلمين في توجيهكم بما ألهمنا الله، كما يقول الناس: (نريد مما ألهمك الله).

في البداية نقول: هي نعمة عظيمة علينا جميعاً، علينا كمعلمين وعليكم كطلاب أن يُتاح لنا جميعاً فرصة أن نُعلّم ونتعلم، ففي الحديث الشريف عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة)) فهي نعمة، والله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ـ على الرغم ممـا تمـنن بـه علـى عباده من نعم مادية كثيرة ـ يعُدُّ نعمة الهداية، نعمة الدين، نعمة الإسلام يعدها أعظـم الـنعم علـى البـشرية، أعظم النعم على الناس جميعاً.

لهذا نجد كيف ذكر الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية ـ قد تكون في القرآن ربمـا تـرددت أربـع مـرات ـ وهـو يذكر للناس أنه قد مَنّ عليهم بنعمة عظيمة {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّـنْ أَنفُـسِهِمْ} (آل عمران:١٦٤) **وفي هذه الآية يقول: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّـنْهُمْ يَتْلُـو عَلَـيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}** (الجمعة:٢).

شر الضلال والآثار السيئة للضلال تعتبر بالنسبة للإنسان أشد وأفتك وأسوأ من أن تنقص عليه نعم مادية أخرى، أسوأ من الجوع، أسوأ من الفقر، أسوأ من المرض؛ لأن تلك مصائب أو أضرار أو شرور قد لا يترتب عليها آثار سيئة جداً، أما الضلال، أما مصيبة الضلال، أن يعيش الإنسان في ضلال، أن يعيش الناس في ضلال فإن آثاره سيئة جـداً عليهم في الدنيا وفي الآخرة، ومن أسوأ عواقب الضلال هو الخلود في جهنم ـ نعوذ بالله من جهنم ـ يمكن أن تجوع فتسُد رمقك بأي شيء، حتى ولو من النباتات، ولا يؤدي بك الجوع إلى جهنم، يمكن أن تعاني في فترة من حياتك ظروف صعبة، تعاني من فقر أو مرض لا يؤدي بك هذا إلى جهنم.

أما الضلال فإنه يؤدي بالناس إلى الخزي في الدنيا، إلى الذلة، إلى القهر، إلى العبودية لأوليـاء الـشيطان، إلى الخضوع للفساد والباطل، وبالتالي سوء الممات، سوء البعث، سوء الحساب والخلود في جهنم.

فالله عندما يذكّر عباده بأنه منّ عليهم برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، **ومنّ عليهم بأن أنزل عليه القـرآن، يتلوه على الناس يُعلمهم به، يزكيهم به، يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ويزكيهم وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُـبِينٍ. {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}** (الجمعة:٣) **أولئك الذين عاصروه نعمة كبيرة عليهم، ومنّة عظيمة منّ الله عليهم، هم ومن بعدهم {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ} من الناس من الأميين {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم} ذلـك فـضل اللّـه {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** (الجمعة:٤) **هذا فضلٌ عظيم من الله أن يبعث في الأميين.**

كلمة (أمّيين) **تطلق على العرب؛ باعتبار أنهم كانوا فيما يتعلق بالقراءة والكتابة لم تكن منتـشرة فـيهم، وقـد يكون اسماً يطلق على من سوى أهل الكتاب من الأمم، كلمة أميين: تطلق على من سوى أهل الكتاب من الأمـم، ومـا تـزال تستخدم إلى الآن عند أهل الكتاب أنفسهم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَـبِيلٌ}** .(آل عمـران: من الآية٧٥) **وكيفما كانت كان العرب أمة أمّية، ليس لها ثقافة، ليس في أوساطها أعداد كبيرة من المثقفين من العلمـاء، أمة تعيش حالة بدائية؛ فأن تحصل على هذه النقلة العظيمة من مرحلة البدائيـة مرحلـة الأميـة إلى أن تُمـنح هذا القرآن العظيم، الذي جعله الله مهيمناً على كل الكتب السماوية السابقة.**

كتاب عظيم، كتاب واسع، ثقافته عالية جداً، عالية جداً تجعل هذه الأمة - لو تثقفت بثقافته - أعظم ثقافة، وأكثر إنجازاً، وأعظم آثاراً في الحياة، وأسمى.. أسمى روحاً، وأسمى وضعية، وأزكى وأطهر نفوساً من أي أمم أخرى، من هنا يقول: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ} تكون نفوسهم زاكية، مجتمعهم زاكي، حياتهم زاكية، نظرتهم صحيحة، رؤيتهم صحيحة، أعمالهم كلها زاكية.

{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} الكتاب هو القرآن الكريم، كرره مرتين في هذه الآية؛ لأنه هو المهمة الرئيسية للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن يتلو الكتاب على الناس، يعلم الناس بهذا الكتاب، عمله كله يدور حول القرآن الكريم، يتلو عليهم الكتاب {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} التي هي القرآن الكريم.

{وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} الحكمة هنا ما هي؟. عادةً يقول بعض المفسرين السُنة. يسمونها السنة. الكتاب والحكمة قال: الكتاب والسنة، هذا غير صحيح، غير صحيح.

الحكمة: أن تكون تصرفاتهم حكيمة، أن تكون مواقفهم حكيمة، أن تكون رؤيتهم حكيمة. الحكمة هي ماذا؟ هي تتجسد بشكل مواقف، بشكل رؤى، بشكل أعمال، هي تعكس وعياً صحيحاً، وعياً راقياً، تعكس زكاءً في النفس، تعكس عظمة لدى الإنسان، الحكمة في الأمور. {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}؛ لأن الله قال في آية أخرى لنساء النبي {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} (الأحزاب: من الآية٣٤) هل معنى ذلك أنهن يقرأن أحاديث في البيوت؟ لا.

القرآن الكريم اسم عام للقرآن الكريم: القرآن الكريم داخله آيات، كلمة (آيات القرآن) لا تعني فقط الفقرة من الكلام ما بين الرقم والرقم، ما بين الدائرة والدائرة، آياته حقائقه أعلامه فيما يتعلق بالحياة بصورة عامة، فيما يتعلق بالتشريعات بصورة عامة، فيما يتعلق بالهداية بشكل عام، آياته.

والقرآن الكريم فيه أشياء كثيرة تتجه نحو الإنسان لتمنحه الحكمة {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} (الاسراء: من الآية٣٩) كما قال في سورة [الإسراء] بعد أن ذكر عدة وصايا الوصايا العشر يعددها ثم قال: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ}.

كلمة (حكمة) في القرآن الكريم لا تعني سُنة إطلاقاً. لا تعني سُنة إطلاقاً رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مُهمتُه هو أن يعلم الناس هذا القرآن بما فيه من آيات وهي: أعلام وحقائق في كل مجال تتناوله.

{وَيُزَكِّيهِمْ} تزكوا نفوسهم تسمو تطهر، وعيهم يرتقي يرتفع بما فيه من الحكمة؛ ولهذا جاء في أكثر من آية يصف القرآن الكريم بأنه كتاب (حكيم)، وسمّاه في أكثر من آية بأنه (حكيم)، وأن آياته (أُحْكِمَتْ)، وأن آياته (محكمة) إلى آخر ما في القرآن الكريم من ثناء على نفس القرآن.. أنه في الأخير يجعل كل من يسيرون على وفق توجيهاته ويتثقفون بثقافته يُمنحون الحكمة. والعكس، الذين لا يسيرون على ثقافة القرآن، لا يهتمون بالقرآن سيفقدون الحكمة، وسيظهر مدى حاجة الناس إلى الحكمة في المواقف المطلوبة منهم في القضايا التي تواجههم.

مثلاً الآن في هذا الوضع الذي نعيش فيه وتعيش فيه الأمة العربية، الأمة الإسلامية، ونحن نسمع تهديدات اليهود والنصارى، تهديدات أمريكا وإسرائيل وسخريتها من الإسلام ومن المسلمين ومن علماء الإسلام ومن حكام المسلمين بشكل رهيب جداً، تجد موقف الناس الآن موقف الناس بكل فئاتهم يتنافى مع الحكمة، أي هم فقدوا الآن الموقف الحكيم مما يواجهون، الرؤية الحكيمة لما يواجهون، النظرة الصحيحة للوضع الذي يعيشون.

فقدوا الحكمة فعادوا إلى الأمية، عدنا إلى الأمية من جديد، بينما الله سبحانه وتعالى كان قد أنقذنا من تلك الأمية، كنا عرب بدائيين لا نعرف شيئاً: لا ثقافة، لا تعليم، لا وعي، وعي يكون بمستوى قضايا عالمية، قضايا تَهُمّ الإنسان كإنسان بصورة عامة.

عدنا من جديد إلى الأمية على الرغم من وجود القرآن الكريم فيما بيننا، على الرغم من أننا نقرأ ونكتب، ومدارس متعددة وصحف ومجلات ومكتبات في الشوارع، ومكتبات عامة في الجامعات، ومراكز علم كثيرة جداً، مدارس أساسية مدارس ثانوية وجامعات ومراكز علمية ومكتبات تملأ الشوارع، وكتب على الأرصفة أيضاً تُباع،

ومجلات كل يوم تصدر أو كل أسبوع، لكن لا يمكن أن يُخرج العرب من الأمية إلا القرآن الكريم، فتصبح أمة ثقافتها أعلى من ثقافة الآخرين، مواقفها حكيمة، رؤيتها حكيمة.

الآن أصبح وضعنا وضعاً رهيباً جداً، ومؤسفاً جداً، الآن ليس هناك رؤية في الساحة، ليس هناك موقف في الساحة للعرب، هاهم مستسلمين الآن، ونرى مع الأيام كل مرة إنجاز لأمريكا وإسرائيل في سياستهم، كل مرة إنجاز، كل مرة يسوقون العرب إلى تنازلات، إلى تقديم استسلام أكثر، وأشياء من هذه، وبقيت الأمة كلها مستسلمة، هل هذا موقف حكيم؟. ليس موقفاً حكيماً. بل الرجل العادي من الناس يقول: [لماذا العرب هكذا؟!] لو أن العرب اجتمعوا، لو أن الزعماء اجتمعوا لاستطاعوا أن يضربوا إسرائيل]. أبسط مُحلل عادي من الناس يشهد بأن الوضعية هذه كلها للعرب ليست من الحكمة في شيء، ليست من الحكمة في شيء.

إذاً فنحن عندما نتعلم.. عندما نتعلم يجب أن يكون همّنا هو ماذا؟ أن نتعلم القرآن الكريم، ثقافتنا تكون قرآنية، ثقافتنا قرآنية، عنوان حركتنا ونحن نتعلم ونُعلّم ونحن نُرْشِد ونحن في أي مجال من مجالات الثقافة أن ندور حول ثقافة القرآن الكريم.

وعندما نقول: نحن نريد لهؤلاء الطلاب أن يتعلموا القرآن الكريم ربما قد شُوِّهت صورة القرآن فيفهم الطالب أن معناه [أن يكون له مَعْشَر يُسَمِّعه فيما بعد ومعشر ثاني يوم يسمعه حتى يكمل المصحف ويضوي] أي أن يقرأ القرآن ويضوي، بالشكل المعروف سابقاً.

القرآن علوم واسعة، القرآن معارف عظيمة، القرآن أوسع من الحياة، أوسع مما يمكن أن يستوعبه ذهنك، مما يمكن أن تستوعبه أنت كإنسان في مداركك، القرآن واسع جداً، وعظيم جداً، هو ((بحر ـ كما قال الإمام علي ـ لا يُدرَك قعره)).

نحن إذا ما انطلقنا من الأساس عنوان ثقافتنا: أن نتثقف بالقرآن الكريم. سنجد أن القرآن الكريم هو هكذا، عندما نتعلمه ونتبعه يزكينا، يسمو بنا، يمنحنا الحكمة، يمنحنا القوة، يمنحنا كل القيم، كل القيم التي لما ضاعت ضاعت الأمة بضياعها، كما هو حاصل الآن في وضع المسلمين، وفي وضع العرب بالذات. وشرف عظيم جداً لنا، ونتمنى أن نكون بمستوى أن نثقف الآخرين بالقرآن الكريم، وأن نتثقف بثقافة القرآن الكريم {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} يؤتيه من يشاء، فنحن نحاول أن نكون ممن يشاء الله أن يُؤتَوا هذا الفضل العظيم.

لا تفكر إطلاقاً أن العلم هو في أن تنتهي من رصّات من الكتب، ربما رصات من الكتب توجد في نفسك جهلاً وضلالاً، لا تنفع. استعرض الآن المكاتب في الشوارع في المدن تجد رصات من الكتب، رصّات من الكتب في الحديث في التفسير في الفقه في فنون أخرى، لكن كم تجد داخلها من ضلال، كم تجد أنها تنسف الإنسان أنه حتى لا يبقى على فطرته.

لم يعد العرب ـ حتى في مواقفهم من الآخرين، لم يعودوا ـ على فطرتهم الأوّلة كعرب، يوم كانوا عرب على فطرتهم كانوا يمتلكوا قيماً: يأبى العربي أن يُضَام، يأبى أن يُظلم، يتمتعوا بقيم مهمة: النّجدة، الفروسية، الشجاعة، الكرم، الاستبسال. كانوا معروفين بهذا، حتى في عصر قبل الإسلام، ما كان أحد يستطيع أن يستعمرهم، معظم البلاد العربية ما كان أحد يستطيع أن يستعمرهم، وإن كان هناك بعض مناطق مثلاً في الشام كان تستعمرها الدولة الرومانية، وبعض مناطق في العراق يستعمرها الأكاسرة، لكن مثلاً شبه الجزيرة واليمن كان في معظم مراحلها لا تخضع للاستعمار، وكانوا يقاوموا، وكانوا يأبَوا.

اليهود عاشوا فترة طويلة جداً بين العرب، وهم كانوا بأعداد كبيرة، كان أهل خيبر ـ أثناء حصار رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لخيبر ـ كان يُقال: أن عددهم نحو عشرين ألف مقاتل، اليهود كانوا نحو عشرين ألف مقاتل، هناك ـ معك ـ بني قريضة، بني قينقاع ويهود آخرون، هؤلاء أنفسهم لم يستطيعوا في تلك الفترة، وهم اليهود من يمتلكون المكر، ويمتلكون الطموح إلى إقامة دولة، ويعرفون أن تاريخهم كان فيه إمبراطوريات قامت لهم، وقامت لهم حضارة؛ فكانوا ـ يعني ـ ما يزالوا يَحنّوا إلى تكرير ذلك الشيء الذي فات عنهم، ولكن لم يستطيعوا، كانوا يحتاجون هم إلى ماذا؟ يحتاجون إلى أن يعيشوا في ظل حماية زعامات عربية وقُبل عربية،

فكان اليهود كل اليهود حول المدينة معظمهم يدخلون في أحلاف مع زعماء من القبائل.. من قُبَل المدينة وما جاورها، أي لم يستطع اليهود ـ فضلاً من أن يسيطروا ـ لم يستطيعوا أن يستقلوا في الحفاظ على أنفسهم، وأن يحققوا لأنفسهم أمناً.

ما الذي أوصل العرب إلى هذا؟ أحياناً.. الإنسان إذا ما تُرك على فطرته يدرك أشياء كثيرة، لكن أحياناً بعض الثقافات تمسخه عن الإنسانية وتحطه، تقدم له الجبن ديناً، تقدم له الخضوع للظلم ديناً يدينُ الله به، كما رووا في الأحاديث عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه قال: [سيكون من بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنّون بسنتي] نهائياً ما يقفوا عند حد [قالوا: ماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: اسمع وأطع الأمير، وإن قصم ظهرك وأخذ مالك].

العربي يوم كان جاهلي، يوم كان جاهلي، يوم كان على فطرته ما كان يمكن إطلاقاً أن يقبل مثل هذا، لكن لما قُدِّمت له المسألة باسم دين، لما قُدِّم الآن ـ الآن في هذا الظرف ـ السكوت والخضوع بأنه هو الحكمة، هو السياسة، هو الرؤية الحكيمة لفلان أو فلان، هو السكوت، هو من أجل أن لا يثير الآخرين علينا، من أجل كذا، من أجل كذا. عندما يثقف الإنسان ثقافة مغلوطة هذه هي الضربة القاضية.

تجد بين الرصّات الكثيرة من الكتب الكثير من الضلال، الذي لا يبقيك حتى ولا إنسان على فطرتك على طبيعتك. الإنسان بطبيعته هو مُنح ـ كما مُنحت بقية الحيوانات ـ الحيوانات كل حيوان له وسيلة للدفاع عن نفسه، له مشاعره التي تجعله ينطلق يدافع عن نفسه ليرهب خصمه، أنتم عندما تجدوا ـ مثلاً ـ الشيء الذي نعرفه كثيراً [القطّ عندما يَلقَى الكلب كيف يعمل؟ يحاول يرهبه، يحاول أن ينتفخ، ويعرض مخالبه وأسنانه ويصدر صوت مرعب؛ يَخلّي الكلب أحياناً يتراجع في الأخير]، وهو أكبر منه وأقدر منه.

لم تُترَك كأي حيوان آخر؛ لأن قضية الدفاع عن النفس، الدفاع عن الكرامة، الدفاع عن البلد، الدفاع حتى عن الثقافة القائمة لدى الناس هي فطرة هي غريزة، ألم ينطلق العرب هم ليواجهوا الإسلام، يغضبون لآلهتهم {وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} (ص:٦) قاتلوا من أجلها، جاهدوا من أجلها، ضحوا من أجلها، قريش سخّروا الأموال التي جاءت أموال القافلة أموال القافلة أيام غزوة بدر، سخّروها لتمويل جيش ضد محمد، لتمويل جيش ضد محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

فكانوا هكذا في تلك الفترة يوم كانوا لا زالوا ناس، لا زالوا ناس يغضب يثور لتقاليده لثقافته، يغضب على من يظلمه، وأصبحنا هكذا نحن بالثقافة المغلوطة، بالفتاوى المحرفة، بالحكمة التي تُقَدَّم.

لاحظ عندما يقول الله هنا في القرآن الكريم أن من مهام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يعلمنا الكتاب والحكمة. ما هي الحكمة الآن في مواجهة أمريكا وإسرائيل، ومؤامراتهم، وخططهم؟ والتي أصبحت علنيّة ومكشوفة، وأصبحت أيضاً هجمة ليس معها ولا أي ذرة من احترام لهذه الأمة ولا حتى لزعماء هذه الأمة: سخرية، احتقار، امتهان بشكل عجيب، ربما لم يحصل مثل هذا في التاريخ، ما هي الحكمة الآن؟ تجد أنها الحكمة التي يرفضها القرآن، التي يهدد القرآن على من تمسك بها، ما هي الحكمة؟. السكوت، نسكت، ونخضع، ولا أحد يطلّع كلمة، لا شعار يردد، ولا تتكلم في أمريكا!.

من العجيب أن هذه الحكمة قد تُعتبر أنها هي الشيء الذي يضمن للناس سلامة ما هم عليه، والذي يضمن للبلد سلامته فلا يهيمن عليه أعداء الله، وأن هذا موقف حكيم.. أن الزعيم الفلاني يمكن من خلال هذه السياسة أن يوفر للبلاد مبالغ كبيرة من الدولارات. [شفتوا أنه رجل حكيم، استطاع أن يخدع الأمريكيين يدخلوا وبعدين باستطاعته يخرجهم هذا بقدر ما يأخذ منهم فلوس] الفلوس نفسها لم يسلموها التي وعد بها الأمريكيون، لم يعطوا حتى لأفغانستان ولم يعطوا لأحد، وعود كاذبة.

ينطلق هذا التبرير حتى من بعض أشخاص هم حملوا القرآن.. وأي عمل آخر أي عمل هو وفق منطق القرآن ـ الذي هو حكيم كما قال الله فيه ـ [لا، لا، يُقول لك: لا. هذا تصرّف غلط، وهذا يؤدي إلى القضاء على الزيدية، ويؤدي إلى كذا، ويؤدي...، سَكّته، ولا موقف]. انطلقت الحكمة مغلوطة، لم يبق للإنسان حتى تقديراته الطبيعية للأشياء، لم يبق للإنسان هو أن ينطلق في الموقف الطبيعي من القضايا التي أمامه، يُجَمِّدوا

الناس، يخذلوا الناس باسم حكمة. وهكذا.
نحن إذا لم نتثقف بثقافة القرآن الكريم فسنفقد كل شيء، وسنعود إلى أمية كانت الأمية الأولى أفضل منها، كانت الأمية التي قال الله عنها بأنها: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (آل عمران: من الآية١٦٤) **سنعود إلى مرحلة من الضلال أسوأ أسوأ بكثير مما كان عليه أولئك الذين قال عنهم: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}؛ لأننا فقدنا أن نلتزم بديننا، أن نتمسك بقيمه، وفقدنا أيضاً قيمنا الإنسانية الطبيعية التي هي للإنسان كأي حيوان آخر. أليس الإنسان يتمتع بمشاعر الغضب أحياناً يغضب؟ هذا شيء فطري وغريزي، حب الانتقام، حب التضحية من أجل شيء عزيز عليه؟ سنصبح أميين أسوأ من الأمية التي كان عليها العرب، حينها لا يبقى لدينا دين، ولا يبقى لدينا نجدة، ولا كرامة، ولا شجاعة، ولا إباء، ولا فروسية، ولا أي شيء آخر.**
إذاً فليفهم كل طالب أنه عندما نأتي إلى المدرسة ونتعلم فقد تسمع أنت كلمات من هنا وهناك: (يتعلم واحد ما أوجب الله، وما له وما عليه، يعلم ما له وما عليه). ومطبوع في ذهنك وذهن من يحدثك (ما لك وما عليك): أن تعرف كيف تتوضأ وكيف تصلي وكيف تصوم وكيف تزكي وتحج وانتهى الموضوع.لا.. ما لنا وما علينا هو القرآن، باختصار هو القرآن الكريم من ألفه إلى يائه.
فعندما تتصور بأن ثقافة القرآن الكريم هي شيء زيادة على ما لك وما عليك.. أنا أريد أن أقرأ هنا كتاباً فقهياً لأعرف من باب الطهارة إلى نهاية أبواب الفقه، وحينئذٍ أقول: قد عرفت ما لي وما عليّ. هذا غير صحيح، هذا جزء تعرفه مما ينبغي أن تعرفه، تعرف كيف تتوضأ، كيف تتطهر، كيف تصلى، كيف تصوم، كيف تزكي، كيف تحج، كيف تتعامل مع أفراد أسرتك مع والديك، مع إخوانك، كيف تتعامل مع جيرانك، كيف تتعامل مع المجتمع من حولك، كيف تكون كذا.
ولكن يبقى المجال واسعاً جداً، في مجالات كثيرة جداً هي أكثر الواجبات، وهي الواجبات المهمة التي إذا لم نلحظها ونتثقف حتى نعرف كيف يمكن أن نصل إلى أدائها سنفقد أيضاً قيمة هذه العبادات التي نقول: نريد أن نتعلمها، تصلي تصبح الصلاة لا قيمة لها في حياتك، لا قيمة لها فيما بينك وبين الله، لا تفهم منها شيئاً، تزكي تحج تعمل أعمالاً من هذه تعتبر في الواقع فاقدة لأثرها في الحياة، فاقدة لما يمكن أن تصنعه في نفسك من أثر يشدك إلى الله سبحانه وتعالى.
فنحن عندما نقول: نتثقف بثقافة القرآن، وعندما نأتي ونقول: نريد أن نتعلم ما أوجب الله علينا، ويدري الإنسان ما له وما عليه، نتجه إلى القرآن الكريم هو ما لنا وهو ما علينا، فيه ما يزكينا، فيه ما يمنحنا الحكمة، فيه ما يهدينا في كل شئون الحياة، فيه ما يجعلنا نموت سعداء ونبعث سعداء، وندخل الجنة، ونسلم من عذاب الله، فالقضية هذه مهمة جداً.
وأعتقد أنه يجب أن يكون أبرز عمل لنا في المراكز، وأبرز عنوان في المراكز وفي حياتنا الثقافية بصورة عامة هي أن نحرص على أن نتثقف بثقافة القرآن الكريم، وأن ندور حول القرآن الكريم، ونهتم بمعارفه وعلومه، ونوطّن أنفسنا على أن نكون من النوعية الممتازة التي أثنى عليها داخله (المؤمنين).
عندما يقرأ الإنسان صفات المؤمنين في القرآن الكريم يجدها صفات راقية، عندما تعود إلى المجتمع تجدها صفات مفقودة، أليس هذا حاصل؟ وكأن القرآن يتحدث عن نوعية من الناس ليست موجودة؟.
إذاً فعندما أنت ـ هذا من الخداع للنفس، الإنسان قد يخادع نفسه ـ : أنا أريد أن أعرف ما لي وما عليّ، ولا أرى أن ما عليّ هو أن أكون ممن يتمتع بتلك المواصفات التي ذكرها الله لأوليائه والمؤمنين من عباده في القرآن الكريم؛ لأن الجنة أعدت لمن؟ أعدت للمؤمنين، أعدت للمتقين، أعدت لأولياء الله، العزة في الدنيا أعدت للمؤمنين {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون: من الآية٨) **الرفعة، الشرف، القوة، التمكين هو للمؤمنين. وفي الآخرة الحساب اليسير لمن؟ لأولياء الله، الأمن لأولياء الله {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا} ألم يقل هكذا؟ {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}** (يونس:٦٢)
فعندما يظن الإنسان أن بإمكانه أن يقرأ كتاباً فقهياً، وهو يعلم أنه عندما يقرأ القرآن يجد أن بينه وبين تلك المواصفات التي عرضها الله عن أوليائه عن المؤمنين عن المتقين، أن بينه وبينها مسافات، ويرى الناس من حوله،

يرى زملاءه، يرى أسرته، يرى المجتمع كله من حوله بعيداً عن هذه فاعرف بأنك تمشي على طريق هي غير الطريق التي رُسمت للمؤمنين، تؤدي بك إلى غاية هي غير الغاية التي تؤدي إليها السبيل التي رُسمت للمؤمنين.
أين يسير المؤمنون؟ أليسوا يسيرون إلى الجنة، يكون حسابهم يسيراً، يُبعثون فرحين يوم القيامة آمنين، ويساقون مكرمين إلى الجنة، فهل تنتظر.. هل تنتظر أنت وأنت تقول: أنك تريد أن تعرف ما لك وما عليك، وأنت لا تحاول أن تتحلى بهذه الصفات التي ذكرها القرآن الكريم للمؤمنين هل تنتظر أن تحشر كالمؤمنين؟ وأن تدخل الجنة كالمؤمنين؟. لا.
والقضية أسوأ من هذه، القضية أيضاً من جانب آخر أسوأ؛ إذا لم يكن الإنسان الذي ينطلق للتعليم، الذي يحمل اسم (مسلم) إذا لم ينطلق وفق المواصفات القرآنية التي أرادها الله للإنسان المسلم فإنه سيكون من يخدم في حياته الباطل أكثر مما يخدم الحق، يخدم الباطل حتى وإن حمل علماً، خاصة إذا كان باطل وراءه يهود.
نقول أكثر من مرة، نقول أكثر من مرة: اليهود يستطيعوا، يستطيعوا أن يُسَيِّروا علماء لخدمتهم، أن يسيروا عبّاد لخدمتهم، إذا لم نعد إلى القرآن ونتثقف بثقافته بمعنى صحيح وبشكل جاد.. يستطيعوا أن يُسيّروا إنساناً يتعبد ليله يُسيّروه يخدمهم، عالم يخدمهم.
قد تتعلم وتتخرج وتخدم اليهود من حيث لا تشعر، من حيث لا تشعر؛ لأنك حينئذٍ لا تتمتع بحكمة، ليس لديك رؤية حكيمة، لا تتمتع بالمواصفات الإيمانية، المواصفات التي ذكرها الله لأوليائه في القرآن الكريم، التي تمنحهم القوة، وتمنحهم الحكمة، وتمنحهم زكاء النفس، فترضى وأنت تحمل القرآن، وهذا من أسوأ الأشياء، ومن أعظم الأشياء إساءة إلى القرآن وإلى الله أن تحمل القرآن الكريم، أن تتعلم القرآن الكريم وتُعلّم القرآن الكريم وفي نفس الوقت تبدو إنساناً هزيلاً، ضعيفاً في مواقفك من أعداء الله.
القرآن الكريم كله قوة، كله عزة، كله شرف، كله رؤى صحيحة وحلول صحيحة تعطي كل من يسيرون على نهجه أن يكونوا بمستوى أن يضربوا أعداء الله كيفما كانوا وكيفما كانت قوتهم، فالذي يحمل القرآن الكريم ولا يتثقف بثقافته ـ وإن كان يتلوه ليله ونهاره ـ هو من سيكون في الواقع ممن نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وسترى أن الشخص الذي يحمل القرآن وتراه ضعيفاً في مواقفه من أعداء الله، ضعيفاً في رؤيته للحل الذي يهدي إليه القرآن فاعرف بأنه بمعزل عن القرآن الكريم، وبعيد عن القرآن الكريم، وأنه يسيء إلى القرآن، وأنه في نفس الوقت سيعكس وضعيته هذه المتردية وضعفه على الآخرين، فيصبحُ قدوة للآخرين في ضعفه بدلاً من أن يكون قدوة للآخرين ـ وهو يحمل القرآن الكريم ـ في قوته.
فنحن يجب أن نتعلم القرآن الكريم، وأن نتثقف بثقافته. ومما يعطينا القرآن الكريم سنعرف كيف نقيّم الآخرين، نعرف أن هذا مواقفه قرآنية ومنسجمة مع القرآن، أن هذا ـ مهما كان شكله، مهما كانت عبادته، مهما كان يمتلك من كتب ـ يبدو وضعيته غير منسجمة مع القرآن الكريم، رؤاه غير منسجمة مع القرآن الكريم، في الوقت الذي يقول القرآن الكريم للناس يحثهم على الجهاد، يحثهم على الوحدة على الأخوة على الإنفاق في سبيل الله، على أن يبيعوا أنفسهم من الله على أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويأمرهم بأن يقاتلوا أعداء الله، تجد كلامه ـ والمسبحة في يده ـ [مالنا حاجة وأفضل للناس يسكتوا، وقد يكلفوا الناس على نفوسهم...] كلام من هذا النوع، هذا لا يمكن أن يكون منسجماً مع القرآن الكريم.
سنصبح ضحايا لكثير ممن يحملون عِلماً إذا لم نُمنح ـ نحن كطلاب علم كناس مسلمين ـ نُمنح مقاييس قرآنية نستطيع من خلالها أن نعرف ما هي المواقف الصحيحة، ومن الذي تعتبر مواقفه صحيحة، وحركته قرآنية، ومن الذي هو بعيد عن القرآن الكريم، سيصبح الإنسان ضحية، قد تسمع مثلاً [يا خبير سيدي فلان أو سيدنا فلان ما بعده، هو ذاك عالم كبير ما هو حول الأشياء هذه، ولا بيقول كذا، هو بيقول للناس ما بِلاّ با يكلفوا على نفوسهم أحسن للناس يسكتوا ولا يطلعوا كلمة ولا.. ولا.. ما عاد احنا أحسن منه، وما عاد فلان أحسن منه] وبعده.
ما هكذا قد ينطلق الناس على هذا النحو؟. لا.. يجب أن نرجع إلى القرآن الكريم فنستفيد منه كيف نكون حكماء في رؤيتنا، في تقييمنا لأنفسنا أولاً، وفي تقييمنا للآخرين من حولنا، وفي معرفتنا لما يدبره أعداؤنا، وفي معرفتنا لما هو الحل في مواجهة أعدائنا.

متى قدم القرآن الكريم السكوت المطلق كموقف حكيم في مواجهة أعداء الله؟ لا.. قد يُوجّه بمرحلة معينة: اعف واصفح، لفترة معينة، وأنت تشتغل في نفس الوقت، تعمل لا تتوقف إطلاقاً، فقط أجّلهم في الموقف هذا، وهم ضعاف، هم لا يشكلون خطورة بالغة، لا تنشغل بهم آناً، في هذا الحال وفي نفس الوقت أنت تعمل، أنت تهيئ، أنت تجهز علناً وسرًّا، سرًّا وعلناً مواقف واضحة.

لأنه يَرِد في القرآن الكريم أحياناً عبارات من هذه: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية١٠٩) ماذا يعني حتى يأتي الله بأمره؟. وهل الرسول سيعفو ويصفح ويوقف كل شيء، أم أنه كان ينطلق ويتحرك باستمرار؟ ينطلق ويتحرك باستمرار، إنما ربما هذا الموقف المنطلق من جانب هؤلاء الأعداء يهود معينين لازالوا مستضعفين، موقفهم قد يكون غير خطير في ذلك الزمن، قبيلة معينة خلّيهم لا تنشغل بهم، لا تؤاخذهم على هذا فتغرق أنت في الانشغال بهؤلاء لحالهم.

ينطلق في العمل العام، وفي بناء مجتمع قوي، وفي بناء دولة، وفي بناء أمة، هناك أمرُ الله في الأخير يستطيع أن يضرب هؤلاء إذا لم يقفوا عند حدودهم، إذا لم يهدَءوا، إذا ما ظلوا يحيكوا المؤامرات ضد النبي وضد الإسلام.

لم يأت في القرآن توجيهات بالسكوت المطلق. ومن يتبنى ثقافة غير ثقافة القرآن هو نفسه من يجهل الله سبحانه وتعالى.

من أهم الموارد، من أهم المواضيع في القرآن الكريم هو تركيزه الكبير فيما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة الله أفضل وأهم وأعظم مصدر لمعرفة الله هو القرآن الكريم، القرآن الكريم يمنحك ثقة بالله، وتدور معارفه فيما يقدمه من معرفة عن الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يرسخ لدى الإنسان شعوراً بعظمة الله وحباً لله، وفي نفس الوقت ثقة قوية بالله، هذه الثقة ليست كتلك الثقة التي تحصل عند الإنسان إذا ما أصبح في حاجة إلى شيء.. مريض أو معه مريض أو افتقر إلى حاجة معينة، وهو لا يملك أموال فيصبح لديه حالة من الرجوع إلى الله، و قد يدعو الله بإخلاص.

هذه الحالة كانت تحصل تقريباً للمشركين في البحر؛ فإذا ما خشوا من الغرق {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (يونس: من الآية٢٢).

الثقة بالله تنطلق ثقة واعية، ليست ثقة عمياء؛ لأن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ـ وهو يتحدث عن أوليائه ـ ذكر أنهم كيف كانوا ينطلقون على أساس الثقة به، وذكر في القرآن كيف أنه كان يمنحهم الرعاية لأنهم كانوا يثقون به: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} (المائدة: من الآية١١) فكف أيديهم عنكم.

وكم ذكر في القرآن الكريم.. كم ذكر من أمثلة كثيرة جداً توضح للإنسان كيف أنه يرعى أولياءه الذين يثقون به، كيف أنه يدافع عنهم، كيف أنه يؤيدهم، كيف أنه ينصرهم، ألم يقل عن تلك المجموعة التي خَلُصت من الآلاف المؤلفة من بني إسرائيل ـ في قضية طالوت وجالوت ـ بعد أن شرب الكثير من النهر فبقي مجموعة بسيطة، قال بعضهم: {لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٤٩) مؤمنون واثقون بالله، يعيشون حالة من سيطرة الله على مشاعرهم، الله حي في مشاعرهم في نفوسهم، قالوا ماذا؟ {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}، ماذا حصل بعد؟ كيف قال؟ {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٥١) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ.

يتحدث عن قضية عصى موسى، لاحظوا موسى الرجل الفقير الذي لا يمتلك الأسلحة التي كانت لدى فرعون، لا يمتلك الجيش الذي كان لدى فرعون، في يده عصى، وهو متجه إلى مصر بزوجته وأغنامه ومواشيه، قال له: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} (طـه:١٨) ليس لها دور أكثر من هذا ـ فيما أرى ـ الله أراد أن يجعل من تلك العصى قوة، قوة ترعب فرعون وقومه.

فمن يثق بالله، من يثقون بالله، إذا ما بلغ الناس إلى درجة الوثوق القوي بالله سبحانه وتعالى فإنه من سيجعل الأشياء البسيطة ذات فاعلية، ذاتَ فاعلية كبيرة، عصى موسى كانت ترعب فرعون، كانت تتحول إلى حيّة، كانت

تُرعب آل فرعون جميعاً، قضت على كل ذلك الإفك، على كل ما عمله السحرة، أوحى الله إليه أنْ يلْقِ عَصَاه {فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} (الأعراف: من الآية١١٧) تلتهمه جميعاً، وقضت على كل تلك الحبال والعِصِيّ التي كان يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

هذه العصى كانت بشكل سلاح، عبارة عن سلاح، وعبارة عن آية، وعبارة عن وسيلة للفرج، لها أدوار متعددة، ضاعت كل قوة فرعون وجبروته وجيوشه وآلياته العسكرية وحصونه أمامها، تلك العصى التي قال عنها موسى: {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} (طه: من الآية١٨).

وهكذا تجد في القرآن الكريم أشياء كثيرة جداً تتوجه نحو الإنسان لتخاطبه بأن عليك أن تثق بالله، فمتى ما وثقت ثقة صحيحة، ومن الثقة به هو أن تتأكد بأنك تسير على هديه، وإلا فقد تدعو، قد يجتمع صف من العلماء العبَّاد في مسجد يدعون الله على أمريكا وإسرائيل ولا يحصل شيء، ليست المسألة على هذا النحو.

تحركوا من منطلق الثقة لأن ما يدل على أن الإنسان يعيش حالة الثقة بالله سبحانه وتعالى هو أن ينطلق، هو أن يتحرك حتى في الظرف الذي يرى كل ما حوله ليس في اتجاهه، يرى كل ما حوله بعيداً عنه، ويرى نفسه ضعيفاً، يرى موقفه غريباً، يرى منطقه ممقوتاً، هذه هي اللحظة التي أيضاً تدل على مدى ثقتك بالله، إذا ما انطلقت في ظروف مثل هذه، في مرحلة معينة.

لاحظوا، لو تأتي دولة وتقول: هذا كل ما لدينا تحت أيديكم، أليس حينئذٍ سيصبح الناس أقوياء؟ ويصبحون فيما بعد يتهددون ويتوعدون الآخرين؟. لماذا؟ أمّا في ظرف كهذا والله يقول لكم أن بإمكانكم أن تصلوا إلى مستوى أن يكون معكم، فمتى ما كان معكم فهو من له جنود السماوات والأرض. أعظم مما تمتلك الدولة الفلانية من أسلحة، لماذا أراك ضعيفاً؟. لماذا أراك مستسلماً؟. لماذا أراك هكذا مقهوراً ذليلاً؟. لماذا أراك بعيداً عن أي تفكير في أي عمل ضد أعداء الله؟ لأنك لا تعيش حالة المعرفة بالله، ولا تعيش حالة الثقة بالله؟.

ويدلّك على هذا أنه لو تأتي الدولة تقول: هذه مجموعة أسلحة ومعسكرات تحت تصرفكم سنرى الناس كلهم سيصبحون أقوياء.. أليس هذا سيصبح حاصلاً عند الناس؟ أولياء الله يثقون بالله في أصعب الظروف، وفي أشد الظروف ابتعاداً عما يقدمونه من حلول، عما يقدمونه من تصور عملي في مواجهة أعداء الله.

الثقة بالله هي من أهم ما ركز عليه القرآن الكريم، وتجد أنه إذا ما افتقد الناس الثقة بالله قد يصل الناس إلى حالة من الكفر لا يشعرون بها، كيف يمكن؟. مثلاً تجد آيات صريحة عندما يقول الله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: من الآية٧) {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} (التوبة:١٤) {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) وكم لهذه الآيات من نظائر... ولكن عندما ترجع إلى الناس فتقول: أعداء الله يعملوا كذا، ويتحركوا كذا، ما لنا ما نعمل؟.[والله ما جهدنا، احنا مستضعفين، ما بأيدينا شيء، ويش جهدنا نسوي؟].

طيب وتلك الوعود التي في داخل القرآن الكريم؟. تصبح النظرة كيف؟ معنى ذلك أنه في الأخير أنني أقرأ تلك الآيات، وأقرأ قوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} وأنا في واقعي، ونحن في واقعنا جميعاً نحكم على الله بأنه[فقط أنت تستطيع أن تنصر وأنت قوي وأنت عزيز، لكن إذا كان هناك أعداء مثل قريش مثل أولئك الذين كانوا في مواجهة محمد، أما أمريكا أما إسرائيل أما أمام ما تمتلك من أسلحة هذه القوى.. والله ما جهدك] هذا واقع، أي نحن في نظرتنا إلى الله على هذا النحو!.

من يقول: نحن أمام أمريكا لا نستطيع أن نعمل شيئاً بعد أن قال الله له: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} بهذه العبارات {قَوِيٌّ عَزِيزٌ}. معنى هذا في الأخير أنه [والله صح أنت قوي، أنت عزيز لكن أما أمام أمريكا فلا، أنت غالب على أمرك، أنت قاهر فوق عبادك لكن أما هؤلاء فلا]، هكذا الواقع، نظرة الناس هي هكذا في الواقع، أليس هذا من الكفر الفضيع؟ كفر فضيع في داخلنا ونحن لا نشعر.

سببه ماذا؟ ضعف الثقة بالله، ضعف الثقة بالله تجعلك ترى أن الله لا يستطيع أن يعمل شيئاً أمام أولئك وهم من هم؟ هم أولياء الشيطان الذي قال الله عنه: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦) فكلما زاد خبثهم كلما ازدادوا فساداً، أليس يعني ذلك أنهم كلما ازدادوا ولاءً للشيطان؟ كلما ازدادوا ماذا؟ كلما ازدادوا ضعفاً؟. كلما عظمت ولايتهم للشيطان كلما ارتبطوا بضعيف مذموم مدحور طرده الله، وطبعه بهذا الطابع: مذموماً مدحوراً ضعيفاً ذليلاً {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}.

قد تسأل واحد.. فيقول لك: نحن من أولياء الله، ونحن مؤمنون. لكن لماذا؟ لماذا نراك تنظر إلى أولياء الشيطان نظرة المنبهر بهم؟ المكترث بما هم عليه؟ يراهم كباراً، يراهم سَداً أمام الله، وليس فقط أمام نفسه، أمام الله، وأنت تسمي نفسك بأنك من أبناء القرآن، وأنك من أبناء الإسلام، وأنك من أولياء الله، وأنك.. وأنك.. هذه حالة خطيرة.

إذا لم تتعرف على الله من خلال القرآن فإن أي وسائل أخرى للمعرفة لا تصل بنا إلى هذه الدرجة التي سيوصلنا إليها القرآن الكريم، وبالتالي يمكن أن تسبِّح وأن تصلي لله، وأنت تقول: (الله أكبر) وأنت تراه في واقعك أنه أعجز عن أن يعمل شيئاً أمام أولئك، أنه أعجز عن أن يعمل شيئاً أمام أولئك هوَ لا يستطيع أن ينصر من ينصره وإن قال إنه قوي عزيز!.

لو كنا نفهم القرآن الكريم، كل من يحمل القرآن الكريم ونعرف الله من خلاله لما وجدنا أي شيء أبداً أمامنا كبيراً ـ مهما بدا كبيراً ـ ؛ لأن الله في القرآن يقول لنا بأنه هو يدبر الأمر، وهو ملك السماوات والأرض، هو الذي ترجع إليه الأمور، هو الذي يستطيع أن يهيئ، هو الذي يفتح المجالات، يهيئ الفرص، هو الذي يعمل الأشياء الكثيرة التي قد لا نفهمها إطلاقاً، في مجال الدفاع عن أوليائه حتى يستطيعوا أن يصلوا درجة معينة، أشياء كثيرة لا نستطيع أن نستوعبها. أهم شيء في الموضوع هو أن تكون ثقة الناس بالله قوية.

إذاً فعندما تنطلق وأنت طالب علم، أو أنا معلم أقول: أنا أريد أعلّم الناس ما أوجب الله عليهم حتى يعرف كل واحد ما له وما عليه، وأنت لا تتعرض لنقاط كهذه فأنت ستنسف كل ما له وكل ما عليه، ولن يصل إلى معرفة ما له وما عليه، إلا جزئيات تصبح لا تنفعه في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة.

لاحظوا كيف أولئك الذين كانوا يعيشون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كانوا في قضية واحدة، قضية أدب مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الحجرات: من الآية٢) تحبط أعمالكم، ما هي أعمالهم؟ صلاة بعد رسول الله، أليست الصلاة بعد رسول الله أفضل من أي صلاة بعد أي شخص آخر؟ وحضور مع رسول الله وجهاد معه في الميادين، كل هذه الأشياء التي تبدو عظيمة قد ينسفها موقف تبدو معه قليلَ أدبٍ مع النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) {أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} فكيف إذا ما كنت قليل أدب مع الله، تقدمه عاجزاً عن أن يحقق ما وعد به أولياءه، وهذا ما نحن عليه؛ ولهذا أصبحنا في وضعية سيئة جداً جداً، لا يستطيع الإنسان أن يتصورها، كلنا علماؤنا وزعماؤنا وحكومات وجيوش وأفراد كلهم في الحضيض، في أحط مستوى، تحت من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله.

كلمة من (بوش) ترعبهم جميعاً، لا يستطيعون حتى أن يعلقوا عليها كما يعلق عليها الأوربيون فيقولون (كلمة جيدة ومتوازنة إنما تحتاج إلى شيء من الإيضاح) مثلما يقول عرفات ومبارك وأشباههم، بينما هناك ينقدها الفرنسيون ينقدها الآخرون. هكذا أصبحوا إلى درجة كلمة من (بوش) تهزهم أكثر مما يهزهم وعيد القرآن الكريم، يبحثون عن حل من هناك ولا يلتفتوا إلى أن القرآن يمكن أن يكون لديه حل، يمكن أن يكون لديه حل.. أبداً.

عندما تهتز ثقة الإنسان بالله نتيجة لمعرفته المغلوطة بالله أو ضعف كثير في معرفته بالله سيصل إلى هذه الحالة بدلاً من أن يكون قوياً على أولياء الشيطان يصبح عبداً لأولياء الشيطان، بدلاً من أن يتشرف بأن يهتدي بهدي الله، وتكون قوته امتداداً لقوة الله يصبح هو من يبحث عن الحلول من عند أولياء الشيطان، ليقدموا له

حلولاً، وهل يمكن للشيطان أن يقدم حلاً للإنسان المؤمن؟ لا يمكن أبداً، {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ} (فاطر: من الآية٦) حزبه الذين قد والوه وأطاعوه ودخلوا معه، هل هو يريد أن يجعلهم على أرقى مستوى ويسوقهم إلى أفضل غاية؟ لا. {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} فأصبح أولئك هم الملجأ للناس، للعرب، للمسلمين بدلاً من الالتجاء إلى الله.

أضعنا الله، أضعنا رسوله، أضعنا ولايته فأصبح الموضوع نبحث عن كيف نتولى، و يتسابق الزعماء، يتسابق الأحزاب على من هو الذي يحظى بصداقة أمريكا وبالقرب من أمريكا، وبوُدِّ أمريكا، هكذا حتى داخل اليمن أصبحت الأحزاب في اليمن ـ فيما نقرأ ـ بعضها يتهم بعض بأن مواقفه هي محاولة لأن يكون أقرب إلى أمريكا، ويتودد إلى أمريكا؛ لأنه ربما تأتي أمريكا فتجعله هو من يصل إلى السلطة، وهكذا.

نحن يجب أن نفهم أنه يجب أن يكون عنواناً داخلاً في أعماق نفوسنا عنواناً أمامنا، أينما سرنا هو أن نتثقف بثقافة القرآن، أن نتعلم القرآن، نتدبره، نثق به، نتفهم آياته، ونتحرك في الناس على أساسه، نتحرك في الناس على أساسه، نقيّم الأحداث كلها من خلاله، نقيّم الآخرين كلهم من خلاله، نقيّم أنفسنا من خلاله، نقيّم مواقفنا على أساس مقاييسه، وهكذا، ما لم فلو تعلمت ستين عاماً ستخرج في الأخير أضعف بكثير، ترى أولياء الشيطان تخافهم أكثر مما تخاف الله، تغالط الله، هذا حاصل؟.

لاحظوا كيف واقعنا الآن عندما نقول ننطلق في عمل معين، كثير من الناس يقول: ربما يثير الدولة ضدنا، ربما يُحَرِّش أمريكا علينا. ربما قد يُسجن شخص، ربما يحصل كذا، ربما.. هذه الاحتمالات نجعلها من الاحتمالات التي نتعامل معها بجدية، احتمالات نتبناها بشكل مواقف في الأخير، فنسكت ونقعد. لكن احتمالات أنه ربما إذا قعدنا، ربما إذا سكتنا أن يغضب الله علينا، ربما أن نكون مستحقين لسخطه وعذابه وعقابه في جهنم، هذه الاحتمالات التي هي إلى الله لا نهتم بها.

والإنسان المسلم في الواقع إذا وقف بين احتمالين، أمامي ربما يحصل عليّ من جانب هؤلاء البشر ضر قد ينتهي بالقتل، وربما إذا وقفت، وسكت، وصبرت يحصل عليّ من جانب الله سخطه وعذابه، فأيهما أخطر على الإنسان؟ ومن الأولى من الاحتمالات بأن أراعي؟. أن أراعي جانب الله أو أراعي جانب الآخرين؟ تراعي جانب الله بكل اعتبار: باعتبار أنه وليّك، أنه إلهك، أنه المنعم عليك، أنه كما قال: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣)، أنه هو الذي عذابه شديد، لا أحد يستطيع أن ينقذك من عذابه، أما الإنسان فأقصى ما يصل بك إليه هو أن تقتل، عندما تقتل هل يمتلك شيء وراء ذلك؟ لا يمتلك شيء وراء ذلك.

عندما تقتل يأتي الله ليجعلك تعيش حياً من جديد، وتعيش شهيداً، تعيش حياً ترزق، وتكون من السعداء قبل اليوم الآخر، من السعداء قبل دخول الجنة، لكن حاول أن لا تضع للاحتمالات فيما يتعلق بالله تجعل لها أهمية ستخسر فيما يتعلق بجانب الله، فتكون ممن يستحق عذابه، هل أحد يستطيع في الأخير أن ينقذك من يد الله؟. لا أحد يستطيع إطلاقاً أن ينقذك من يد الله، ستموت رغماً عنك.

عندما تَصِل مثلاً إلى عميل رقم واحد، وعميل على مستوى عالي لأمريكا، ثم عندما تمرض فأقصى ما يقدم لك طائرة خاصة تنقلك إلى أرقى مستشفى في أمريكا، يجتمع حولك أرقى الأطباء هناك في الأخير ستموت بين أيديهم، يأخذك الله رغماً عنهم، وتموت بين أيديهم، هل يستطيعوا أن يمنعوك من الموت الذي هو أول خطوة لليوم الآخر؟ لا يستطيعوا. هل يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين أن تبعث، هل يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين سوء الحساب؟ هل يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دخول جهنم؟ لا يستطيعوا أبداً.

لكن كل شيء من جانب الناس مهما كانت الاحتمالات قد تصل إلى القتل، قد تصل إلى التمثيل فكلها بسرعة ينقذك الله منها، سواء أن لا تصل إليها أو أن تصل إليها فعلاً، فأقصى ما يحصل أن يقتلوك وبسرعة تتحول إلى شهيد حي.. هذا ما يجب أن نفهمه في هذا الموضوع.

ثم عندما نتعامل مع القرآن الكريم، عندما نتعامل معه، نتعامل معه بإجلال، باحترام، بتعظيم، بتقديس، بنظرة صحيحة للقرآن أنه كتاب للحياة، {تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} (النحل: من الآية٨٩) كما قال الله عنه: {هُدىً لِلنَّاسِ} (البقرة: من الآية١٨٥)، وعندما يقول الله لك، عندما يقول الله لنا: {هُدىً لِلنَّاسِ} فهل من المعقول أن يكون فقط هدى

في القضايا البسيطة في المشاكل الصغيرة، أما المشاكل الكبيرة التي هي أخطر علينا من تلك، وأسوأ آثاراً من تلك علينا وعلى ديننا فإنه لا يهدي إلى حل لها، هذا غير صحيح.

فعندما يقول: {هُدىً لِلنَّاسِ} هو هدى للناس في كل القضايا، أمام كل الاحتمالات، في كل الميادين، لماذا لم ننظر إليه بأنه هدى للناس في الوقت الذي نحن أحوج ما نكون إلى من يهدينا في مواجهة أعداء يمتلكون إمكانيات هائلة.

{هُدىً لِلنَّاسِ} معناه يُعلّم الإنسان كيف يكون [طيّب] وأشياء من هذه، يصلي ويصوم [وما له حاجة من شيء]!! فنقدم القرآن وكأنه لا يمتلك أي رؤية، ولا يعطي أي حل، ولا يهدي لأي سبيل فيما يتعلق بالمشاكل الكبيرة، فيما يتعلق بالمخاطر العظيمة، هو {هُدىً لِلنَّاسِ} في كل مجال، في كل شأن، فتكون نظرتنا للقرآن الكريم نظرة صحيحة، أنه كتاب حي، كتاب يتحرك بحركة الحياة.

بل تستطيع فعلاً ـ لأنه أوسع من الحياة ـ تستطيع إذا ما أُعطِيت فهمه، إذا ما كنت تعيش معه وفق نظرة صحيحة ـ أن يُقيّم لك الأحداث فتكون أدق من أي محلل سياسي آخر، أدق من أي صحفي آخر، أدق من أي مهندس لسياسة أمريكا وفي غيرها في تقديرك للأحداث.

ولأنه يمنح الإنسان ثوابت، تعتبر مقاييس ثابتة، يربيه على أن تكون لديه رؤية تمنحه المبادرة في المواقف، فهو لا يجعلك بالشكل الذي تنتظر ماذا سيعمل بك العدو لتفكر بعد ماذا تصنع، هو من يربيك على أن تعرف كيف تضرب العدو من البداية، وهو من قد قدم لك من البداية الشرح الطويل والإيجاز لتعرف كيف يكون عدوك، وكيف واقعه، مثل آية: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} أليس هذا تقرير إلهي عن الأعداء؟.

لا يستطيع أي شخص مهما كان أن يعطي تقريراً عن عدوه بأنه سيكون هكذا، لا تستطيع أمريكا أن تعطي تقريراً عن العراق الآن بأنها إذا ما توجهت لضرب العراق فإنه لن يضرها إلا أذى وإن يقاتلها سيوليها الأدبار ثم لا يُنصر.. هل تستطيع أمريكا بمخابراتها بأقمارها بأجهزتها الدقيقة؟ لا تستطيع إطلاقاً. لكن الله لأنه عالم الغيب والشهادة هو من استطاع أن يكشف لأوليائه كيف ستكون نفسية أعدائه.

وبشكل عجيب يتجلى ما تجلى في الأيام هذه عندما قال الله عن اليهود بأنهم {لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} (الحشر: من الآية١٤) تجلت هذه في إسرائيل أمام مقاومة الفلسطينيين، مقاومة بسيطة لا تمتلك شيئاً يذكر بما تمتلكه إسرائيل، نجد الآية هذه يظهر مصداقها واضحاً فتبني إسرائيل الأسوار، وتشاهدوا أنتم عندما تعرض في التلفزيون الأسوار جُدُر جُدُر، ونفس المستوطنات قرى محصنة، المستوطنات التي تقام لليهود هي قرى محصنة.

فهم هكذا على الرغم من أنها دولة قوية تُرعِب بقية الدول الأخرى في المنطقة، لكنها في ميدان المواجهة، وإذا ما كانت مواجهة لها جذور تمتد إلى الولاء لله ولرسوله ولأهل بيته، مثل ما قالوا هم عن حماس، قالوا: (حماس هي تلميذة حزب الله).

قالوا عنها هي تلميذة حزب الله، وتراهم يبنون الجُدُر وقرى محصنة، أليس هذا الشيء الذي لا يمكن لأي طرف آخر أن يعطيه للمسلمين؟ لا يمكن لأي طرف مهما بلغت قوته أن يكتشف أعداءه على هذا النحو، فيكشف واقعهم.. لا يمكن أبداً إلا الله؛ ولهذا هو عندما يقول في القرآن الكريم بأنه {قَوِيٌّ عَزِيزٌ} هو يقول للناس بأنه بالمستوى الذي ينبغي أن يتولوه، فهو قوي هو عزيز، وهو غالب على أمره، وهو قاهر فوق عباده، وهو يعلم السر والنجوى، ويعلم الغيب والشهادة، يستطيع أن يكشف لك واقع عدوك، يستطيع أن يملأ قلبَ عدوك رعباً، فتكون إمكانياتك البسيطة هي من ترعبه، ويرى أن ما لديه من إمكانيات، ما لديه من قوى لا يحقق له الأمن.

كما حصل في إسرائيل أصبح القادة العسكريون في إسرائيل في الأخير يعترفون بأن الحرب لم تحقق لهم الأمن، بل أصبحوا يقولون بأنه (كلما انتقمنا حصل ردود فعل أكثر، فسيكون انتقام في انتقام، في الأخير لن يحقق لنا هذا أمن، ولن يحقق لنا استقرار، ولن يحقق لنا إلا إنهاكاً لاقتصادنا). هكذا يقول الإسرائيليون أنفسهم.

فيجب أن تكون نظرتنا إلى القرآن صحيحة، عندما ننظر للقرآن، عندما تتعلم القرآن تعلمه وأنت تَعُد نفسك واحداً من جنود الله، وإلا فستكون من تلك النوعية التي تتقافز على الآيات {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) كونوا أنتم (أنا مالي دخل)، {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} (آل عمران: من الآية١٠٤) أنتم كونوا أمة (أنا مالي دخل). وهكذا تتقافز على الآيات فتكون أنت من تضع أمامك حجب عن الاهتداء بالقرآن الكريم، وبالتالي ستكون أنت من تقدم القرآن الكريم للآخرين ضعيفاً هزيلاً.

نحن قلنا: يجب على الإنسان الذي يُعلّم القرآن أن يعلّم القرآن كما لو كان في مواجهة مع العدو وفي الجبهة الأولى في مواجهة العدو، تعطيه حيوية، تتحدث عن آياته، عندما يتحدث عن الجهاد، عندما يتحدث عن وعوده للمؤمنين، عندما يتحدث عن أعدائه، عندما يتحدث عن الأشياء التي يجب أن تكون الأمة عليها في تأهيل نفسها لتصل إلى مستوى أن تكون من أنصار الله، ومن أنصار دينه، يجب أن تتحدث وإن كنت أنت في واقعك ترى بأن الوضع [ما هو صاح شِي، والناس ما من أبوهم شِي، والدنيا كلها قد انتهت، ولا عاد يوجد بأيدي الناس شيء] لا تعكس هذه على القرآن أبداً، لا يجوز؛ لأن القرآن يجب أن يكون أرقى من أن نعطفه على أنفسنا، أو نرده هو فنجعل ما لدينا من مشاعر من ضعف هو المقياس الذي على أساسه نقدمه للآخرين، هو الشيء الذي نصبغ القرآن به عندما نقدمه للآخرين، هذا سيقتل القرآن، هذا سيميت القرآن.

كيف تعمل؟ قدمه على أصله؛ لأن القرآن لو أُخضِع لمشاعرنا، لتقديرات الضعف التي تسيطر علينا، على هذا وعلى ذاك، فبالتالي سيقدم القرآن ميتاً جيلاً بعد جيل، هذا بالنسبة للمُعلّم.

بالنسبة لطالب العلم كذلك عندما تقرأ القرآن، عندما تتدبر آيات القرآن، عندما تُذّكر بآيات القرآن يجب أن تتعامل مع القرآن بجدية، أنك تريد أن تكون فعلاً كما ذكر الله عن أوليائه في القرآن، وأن تكون ممن يصل على أساس تعرف ما لك وما عليك، أن تصل إلى من قال عنهم: {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ}، أن تكون من ضمن هؤلاء، أن تكون ممن قال عنهم: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤).

وهكذا في بقية الأشياء، أن تكون مع الآخرين من المؤمنين تواليهم صفاً واحداً، وحدة حقيقية عندما تسمع الله يقول عن المؤمنين: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: من الآية٧١).

إذا تعاملت مع القرآن وأنت طالب علم على هذا النحو فانظر إليه ككتاب أنه من الله من الله، أنه كلام الله فعلاً ستهتدي بالقرآن وستزكي نفسك، وستصل إلى فهم كثير فهم كثير من آياته.

والقرآن في ظاهره يعطي أشياء كثيرة، القرآن في ظاهره يعطي أشياء كثيرة جداً، على الرغم من أنه ((بحر لا يُدرك قعره))، لكن هذه من خصوصيات القرآن التي امتاز بها عن أي كلام آخر، أنه يعطي الناس الكثير الكثير من المعارف بظاهره، وإن كان لا زال بحراً لا يُدرك قعره، فالخَواص يعرفون.. يعرفون منه الكثير الكثير الذي لا تستطيع أعمارهم أن تستوعبه، ((بحر لا يدرك قعره)).

فعندما تتعامل مع القرآن لا تتعامل معه بابتذال، [ننطلق وكأن كل شخص يستطيع أن يفسره هو من عنده...]، بل يكون همك هو أن تتدبر أنت، وتتذكر، وأن تقرأ القرآن للناس، كما قال الله عن رسوله: {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} (النمل: من الآية٩٢) القرآن بظاهره يعطي الكثير للناس، ولأن الناس قد تأثرت نظرتهم إلى القرآن سلباً، إعط تعليقات كمقدمات بسيطة حول الموضوع ثم تأتي بالآيات القرآنية.

لا تنطلق كمفسر.. مَنْ انطلقوا كمفسرين لم يقدموا القرآن بالشكل الصحيح، عندما تقرأ (الكشاف) للزمخشري، تقرأ (تفسير الطبري)، تقرأ تفاسير أخرى، تخرج منها وتراهم يُغفلون الحديث عن آيات مهمة جداً، نحن أحوج ما نكون إلى فهمها اليوم، مرتبطة بواقع الناس، مرتبطة بحياة الناس، مهمة جداً، يقفز عليها وانتهى الموضوع، ينطلق لتفسير مفرداته، إذا هناك حكم معين يستنبطه، أو قصة معينة يتحدث حولها باختصار وانتهى الموضوع.

لكن التدبر للقرآن الذي دعا الله الناس إليه حتى الكافرين: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} (المؤمنون: من الآية٦٨) {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص:٢٩) {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (القمر:١٧) على هذا النحو تقرأ الآيات القرآنية، عندما تمر بآيات الوعد والوعيد تسمع الحديث عن جهنم، أو تقرأ الآيات التي تتحدث عن جهنم، عن الحساب العسير، والقرآن يعرض في هذا الموضوع يعرض أيضا حتى الحالة النفسية السيئة، الحالة من الخوف والرعب والفزع واليأس الذي يسيطر على أعداء الله في ساحة القيامة، يعرضها القرآن الكريم، في جهنم نفس الشيء يعرض العذاب الشديد تفاصيله، يتحدث عنها، شدة العذاب، وقود العذاب كما قال: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (البقرة: من الآية٢٤) كذلك يتحدث عما يقوله أهل النار في النار، عندما يحاولون أن يطلبوا: {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} (الأعراف: من الآية٥٠) هكذا يريدون شربة ماء ليست باردة، شربة ماء طبيعية عادية فلا يحصلون عليها.

أنت عندما تقرأه تجد بأنه من المحتمل أن تكون أنت واحداً من أولئك، لا تقرأها وكأنه ناس مدري منهم؛ أن من المحتمل أن تكون واحداً من أولئك الذين قال عنهم: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} (فاطر: من الآية٣٧) حينئذٍ يجب أن تلحظ بأنه كيف أعمل حتى أقيَ نفسي من عذاب الله.

فالآيات في الوعد والوعيد آيات الوعيد صريحة، تفكر هنا عندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم:٦) عندما تقرأها تذكر هولها، تذكر هنا أنه إذاً مصير سيئ.الله يدعونا هنا عندما يقول لنا ونحن هنا يعني أن هذه هي الفرصة الوحيدة، العمر في هذه الدنيا هو الفرصة الوحيدة للإنسان أن يبحث عما يقي نفسه من جهنم، أن تتفكر في هذه الآية معناه ماذا؟ أن تنطلق بجدية وتفكير واهتمام حول ما يقي نفسك من عذاب الله، أليس هذا ممكن أن يتذكر الإنسان بمثل هذه الآية؟ كذلك آيات أخرى كثيرة.

عندما تجد أيضاً الحديث عما وعد الله به المؤمنين في الجنة كذلك اقرأ ما وعد الله به المؤمنين في الجنة ثم اقرأ ما قاله عن المؤمنين أصحاب الجنة، عما قاله عن المتقين أصحاب الجنة الذين وعدوا بالجنة، عما قاله عن أوليائه حينئذٍ تذكر. يجب أن أتنبّه إذا كنتُ أريد أن أكون ممن يحظى بذلك النعيم العظيم، هذه الجنة ـ التي ليس فقط المشروبات الجيدة فيها معلبات أو مخبأ معك في (كوّة) أو في (خُلّة) وإلاّ قارورة..، أنهار من لبن، أنهار من عسل مصفى.

[إذا مع واحد قارورة عسل يحاول يخبيها هناك، ويأخذ له منها قليل الصباح، ويعتبر نفسه إن قد حالته جيدة] أنهار من عسل، أنهار من لبن لم يتغير طعمه {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} (محمد:١٥) وصفها بأوصاف عظيمة جداً، هنا لا تقول بأنها هذه غاية يمكن للواحد يمشي إليها مشية، ترجع تدوّر لك مشوار سيارة يوصلّك الجنة. لا. لاحظ ما قاله عن أهل الجنة، عندما قال عن الجنة: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:١٣٣) الذي هو وصف واحد من أوصاف المتقين وكم وصف.

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران١٣٤ـ ١٣٥) وهناك يقول: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١).

لا تقرأ آيات الجنة وتقول: والله نعيم عظيم هذا ومكان راقي، بل ارجع إلى نفسك، وارجع إلى الآيات التي تصف أصحاب الجنة؛ حينئذٍ إذا كنت تريد الجنة حاول أن تتحلى بتلك الصفات، ثم تعلم من خلال الحديث عن الجنة وعن النار أن المسألة ليس معنى ذلك أن قضية الجنة هي قضية اختيارية لمن أراد أن يدخل الجنة ممكن يدخل الجنة، لكن إذا واحد ما أراد ممكن يجلس في الصحراء خارج هناك، لا جنة ولا نار، لا.

إما أن تكون من أصحاب الجنة أو أن تكون من أصحاب النار، هكذا قسّم الله الناس عندما تحدث عن المحشر {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}(هود: من الآية١٠٥) شقي وسعيد لا يوجد طرف آخر، لا يوجد مكان آخر أو عودة إلى الدنيا من جديد، مع الحالة هذه.. لا. إما جنة أو نار.

التذكر بآيات القرآن ممكن لأي إنسان قد أصبح يميز ويدرك، أصبح يميز ويدرك يستطيع أن يتذكر وليكن تذكره على هذا النحو وهو يقرأ القرآن في سوره كلها من أوله إلى آخره، فالله قد يسّر القرآن على هذا النحو للذكر.. وأنت حينئذٍ ستجد نفسك قريباً بعد أن تذكرت بمثل آية: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} وأمثالها فأنت ستعيش حالة من اليقظة، حالة من الاهتمام، تصبح أنت قريباً من الأعمال التي تعتبر وقاية لنفسك من النار، تُدعى إلى عمل صالح في مواجهة أعداء الله تكون أنت قريباً من هذا لأنك يَقِظ.

ولهذا وصف الله المتقين بحالة اليقظة؛ عندما يحكي عنهم بأنهم ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس؛ لأنهم يحملون اهتماماً بقضايا كبيرة، هذه القضايا يعرف أنه لا بد من أجل خدمتها أن يكون هناك إنفاق؛ فهو ينفق في السراء والضراء، لا يبالي.

ارجع إلى واقعنا من جديد تجد أننا لا نعيش حالة التقوى ولا نعيش مشاعر المتقين، تجدنا لم نستطع أن نصل في خدمة الإسلام إلى أن يكون كأبسط خصلة من الكماليات اليومية، نحن نقول للناس: نحن بعد لم يصل اهتمامنا في مجال الإنفاق في سبيل الله أن يصل إلى اهتمامنا بالخضرة (بالفجّل) الذي نشتريه كل يوم، لم نصل إلى درجة أن يهتم الواحد منا بالإسلام كحبة [دخّان] بما يساوى حبة دخان، فيبذل في يومه قيمة حبة دخان، لو يبذل آلاف من الناس ما يساوي حبة دخان في اليوم الواحد لاستطاعوا أن يعملوا أعمالاً عظيمة جداً للإسلام.

المتقون وصفهم هنا بأنهم ينفقون حتى في أصعب الحالات، في السراء وفي الضراء. فهل يمكن أن يكون أولئك الذين لا يعتبر الإسلام ولا ما يساوي هامش من كماليات حياتهم غير الضرورية، ليسوا متقين، لا يمكن أن يكونوا متقين، تمر الأعمال التي تعتبر أبواباً من أبواب الخير لك، تشكل وقاية لنفسك من جهنم لو انطلقت فيها، تمر ولا تبالي بها.

الإمام علي قال: ((إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه))، قد تمر مرحلة يمكن أن يكون لك أثر فيها، أمامك سلاح معين يمكن أن تستخدمه فيها فيكون مؤثراً على عدوك، يكون فيه نصر لدينك، يكون فيه وقاية من كثير من الشرور لأمتك؛ ولأنك لا تحمل اهتماماً لا ترى لهذا الشيء قيمته، لا يلتفت ذهنك إليه، بل قد تعتبره لاشيء، فتمر الأبواب التي تُفتح لخاصة أولياء الله تُفتح وتمر أنت من عند الباب فلا تلتفت،لا تعرف أهو مفتوح أم مغلق.

عندما قال الإمام علي: ((أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه)) وهكذا قال القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(المائدة:٥٤) ألم يجعله فضلاً؟ تمر الأشياء التي تعتبر فضل عظيم وما تدري بها، تمر الفرص المهمة التي يمكنك أثناءها أن تقدم خدمة عظيمة لدينك، وكل عمل لدينك هو وقاية لنفسك من جهنم، فلا تعبأ به.

أي لو تذكرنا حول آية واحدة في القرآن الكريم هي هذه: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} لكانت كافية وكفيلة بأن تجعل كل إنسان يقظاً، وتجعل كل إنسان يدرك أن هذه فرصة، أن هذا عمل مهم، أن هذا باب من أبواب الخير فُتح له، أن هذا فضل عُرض عليه، وبالتالي سيكون الناس قريبين جداً من أن ينطلقوا في أعمال تقي أنفسهم من جهنم.

لكن حتى الآية هذه في صريح عبارتها لا نهتم بها، نقرؤها {قُوا أَنْفُسَكُمْ} لكن كأنه يحدث آخرين، هنا شغّل ذهنك في الموضوع، يجب أن تكون هناك وقاية، هذا خطاب من الله يدل على أن وقاية الإنسان من جهنم ليست مسألة هي موكولة إلى الله، مثلاً أنه يخلق ناس هكذا ثم قد يترك هذا يدخل الجنة، ويصرفه عن جهنم.

يقول لك: أنت أيها الإنسان وسيلة وقايتك من جهنم هي بيدك، هي بيدك، أما أنا فقد أدخلك جهنم بسبب أعمالك، يقول للناس: أن وقاية أنفسهم من النار هي بأيديهم.
ما معنى بأيديهم؟ أي أن ينطلقوا وفق ما يهديهم الله إليه، وفق ما يريد الله منهم، ويدعوه، ويرجوه، ويعملوا، في سبيله، ويستغفروه، ويتوبوا إليه، فهو في الأخير من سيدخلهم الجنة، لكن هم من صنعوا الوقاية لأنفسهم من النار بمجموعة أشياء انطلقوا فيها، أعمال، وثقة بالله، ورجاء لله، وتوبة إلى الله.. وهكذا. لا يعني ذلك أن المسألة مفصولة عن الله تماماً، أن تكون وقايتي من جهنم معناه يقوم الإنسان فيحاول أن يخترع له شيئاً من اللباس يقيه من حرارة النار. لا. وقايتك من جهنم هو أن تنطلق وفق ما يريد الله منك، وعلى أساس ما هداك إليه، فعندما يقول: {قُوا أَنْفُسَكُمْ} أليس ذلك يعني بأن سبب وقاية أنفسكم من جهنم هي بأيديكم؟.
ثم يتحدث عن جهنم هذه ويجعل جهنم من جنس عذابٍ نحن نراه {نَاراً} أليست النار معروفة لدينا؟ لو كانت جهنم عذاباً من جنس آخر نحن لا نعرف ما هو، ربما قد لا يكون له أثر في نفوسنا لأنّا لا نعرف ما جنس هذا العذاب حتى نخافه، الله جعل جهنم من جنس شيء نحن نراه في الدنيا، النار، هذه النار التي تصل درجة حرارتها إلى آلاف مؤلفة، آلاف من درجات الحرارة. الإنسان حتى وهو يشاهد هذه النار يتذكر عندما يسمع الله يقول هناك: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً}.
كلمة {نَاراً} لا يتساءل الإنسان ما هي ناراً، شيء ما ندري ما هو، أنت تراها في بيتكم على طول، بل ربطت حياة الإنسان في الدنيا بالنار، تظل دائماً تذكره بجهنم، يتذكر بما هو في بيتهم كل ساعة، نريد قهوة لازم نار، نريد أكل لازم نار، نشتري حطب ونشتري غاز، لازم تنّور حطب أو تنور غاز لماذا؟ لنار. فالنار توقد في بيتك دائماً، وتوقد بجوار أي مطعم أنت قد تأكل فيه في أي مدينة من المدن.
إذاً فهذه النار عندما يقول: {نَاراً} هي معروفة لكنها تزداد وتفوق حرارتها بشكل كبير هذه النار {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ} ملائكة لا يمكن أن يرقّ لك قلبه عندما تقول: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} (الزخرف: من الآية٧٧) أو أدعُ لنا ربك يخرجنا من هذه النار، أو أي تضرع آخر، أبداً، غلاظ شداد، لا يستطيع أهل النار أن يشكلوا ثورة فيقتحموا أبواب جهنم ويخرجوا.. لا. أبواب مؤصدة، أعمدة من وراء الأبواب، لا يستطيعون أبداً، كلما اقترب أهل جهنم من الأبواب يُقمعون بمقامع من حديد، فلا أهل النار يستطيعون أن يشكلوا ثورة فيقتحموا هذا السجن كما يعمل الناس في الدنيا أحياناً، بعض السجون قد يجتمع السجناء فيقتحموا السجن ويقتلوا الحراس أو يفكوا الأبواب ويخرجوا.
أما (جهنم) فليس هناك إمكانية للخروج منها، وليس هناك عليها رقابة يمكن يعطيهم واحد رشوة أو أي شيء ويخرّجوه منها، {غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.
يتذكر الإنسان دائماً بالقرآن، ويكون همه أن يتذكر. عندما تقدمه للناس قدمه على هذا النحو، تذكرهم به، وليس بأسلوب المفسر، تنطلق وكأنك مفسر للقرآن، قد تخطئ، أو أن تغوص في أعماق القرآن قد تخطئ، يكفيك ظاهر القرآن أن تتذكر به وأن تذكر الآخرين به، أن تدّبره وأن تدعو الآخرين لأن يدّبروه، هو شيء واسع جداً.
هذا ما أريد أن أقوله فيما يتعلق بالتعامل مع القرآن، نحن لا نريد أن يكون مبتذلاً، فكل واحد ينطلق ويرى أنه يستطيع أن يفسر، ويستطيع أن يحلل، ويستطيع أن يغوص في أعماق هذه الآية أو تلك، أو يستوحي من هذه الآية أو تلك، انطلق مع ظاهر القرآن الذي هو ميسر {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} (القمر: من الآية١٧).
حتى قضية استنباط أحكام شرعية لا تكون هي القضية التي تشغل بالك، إنه كيف بالنسبة للوضوء بالنسبة للصلاة فهي جاءت في آيات مقتضبة مختصرة: {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} (المائدة: من الآية٦) لكن في المجالات الأخرى المهمة يتكرر الحديث حولها في القرآن كثيراً، يتحدث كثيراً جداً ويعرض القصص والأمثال وتتعدد في القرآن.. كذلك المواريث جاء بها في آيات محصورة بينة.

البعض قد يقول: إذا انطلقنا إلى القرآن فمعنى ذلك أن كل واحد من عنده يستنبط أحكام ويطلّع قضايا و يطلّع قول.. لا، نحن نريد أن ندعو أنفسنا، وندعو الناس إلى أنه يجب أن نتعامل مع القرآن وفق ما دعانا الله إليه في القرآن عندما قال: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (القمر:١٧) {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص:٢٩) وأن القرآن يعطي الكثير الكثير في هذا المجال، هذا الذي نريد.

لا نريد أن نكون مثل الوهابيين عندما قدموا السُّنة مبتَذَلة، فكانوا محط انتقاد للآخرين، كما انتقدهم الغزالي في كتاب (السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث)، يجمع كتب الحديث وفي نظره أن السنة قد هي بين يديه، ويبدأ من طرف يأخذ بالحديث، يأخذ بالحديث ما يدري قد يكون هذا الحديث ضعيفاً، قد يكون هذا الحديث باطلاً، قد يكون هذا الحديث مخصوصاً، قد يكون كذا.. إلى آخره.

في مقام التذكر أنت لن تصل إلى الآيات التي تسمى مخصوصة، أو منسوخة، أشياء من هذه، بل هو ميدان واسع جداً. مع أن الناس عندما يقولوا ـ عندما ندعو الناس إلى القرآن ـ : هناك آيات ناسخة ومنسوخة.

النسخ في القرآن قليل جداً، النسخ في القرآن قليل جداً، وأكثر النسخ الذي قُدِّم هو نسخ من قِبَل مجتهدين ضربوا آيات قرآنية مهمة تحت عنوان النسخ، نحن في مقام التذكر الآيات الكثيرة القضايا الكثيرة هي مما ليست مورداً للنسخ، ولا علاقة للنسخ بها.

التدبر كذلك، التدبر والتذكر معناه متقارب. فلا نغلط كما غلط الوهابيون، فتنطلق أنت من فوق القرآن، وتريد أن تتعامل معه كما تعامل أولئك مع الحديث (شيخ الإسلام) يسموه وما قد درس إلا أربعين يوماً. (شيخ الإسلام أبو الحسن)، (شيخ الإسلام أبو محمد، أبو معاذ)، وينطلق شيخ ويسرد على الناس أحاديث في المحاريب.. وهكذا.

تتلو القرآن، نعلق تعليق بسيط بحيث نهيئ ذهنية الناس إلى الآيات التي نقرؤها، حتى تكون أذهانهم مؤهلة لأن يتذكروا بما يُقدم إليهم من القرآن. والقرآن يمتاز بأسلوب لا يستطيع أحد أن يجعل منطقه غنياً عنه، أن يجعل الناس يستغنون بمنطقه عن القرآن، لا يمكن إطلاقاً، مهما بلغ الإنسان في قدرته البيانية في قدرته على فهم القرآن، لا تزال الأمة بحاجة إلى أن تسمع القرآن؛ لأن القرآن نفسه هو خطاب من نوع خاص، في الوقت الذي يخاطب الإنسان صريحاً هو خطاب لوجدان الإنسان، لمشاعره الداخلية، بشكل لا يستطيع أحد أن يصل تعبيره إلى خطاب ذلك الوجدان كما يخاطبه النص القرآني، فلا يمكن لشخص أن يجعل منطقه فوق منطق القرآن إطلاقاً، أو أن يدّعي بأن بإمكان الناس.. فيقول لهم: ادرسوا القرآن الكريم كذا دَرْوَسَة سطحية ونحن سنعطيكم.

نحن بحاجة جميعاً إلى أن نسمع النص القرآني الذي يخاطب وجدان كل شخص فينا، فالخاصة لا يمكن أن يعطوا العامة ما يمكن أن يعطيه الخطاب القرآني، وقد يفهمُ الخاصة مالا يصل ولا يرتقي فهم العامة إليه من خلال القرآن، وكل ما يقدمه الخاصة حول القرآن هو ينعكس أيضاً بأن يرتقي بمستوى ذهن العامة إلى فهم القرآن أيضاً أكثر، فالقرآن لا غنى للناس عنه.

فليس صحيحاً عندما يأتي أحد ليرهب علينا [القرآن لا تقربه، لا تتناوله أولاً ابدأ اقرأ أصول الفقه، إبدأ اقرأ كذا وكذا]. القرآن هو عربي {قُرْآناً عَرَبِيّاً} (الزمر: من الآية٢٨) {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (الشعراء:١٩٥) نزل بلغتنا ونحن لا نزال عرباً، لا تزال أساليب الخطاب العربي أكثرها ما تزال قائمة، وإن اختلفت المفردات، التعبير بالمفردات لا تزال مشاعر وأجواء الخطاب قائمة بين الناس، بل ربما حتى عند غير العرب، الإنسان كإنسان له أسلوب في تخاطبه مع أبناء جنسه، قد يكون متقارب، قد يكون شبه واحد في مختلف اللغات وإن اختلفت المفردات.

فنحن سنهتم باللغة العربية، نهتم باللغة العربية، وعندما نهتم باللغة العربية نتعرف على أصل اللغة نفسها، نتعرف على أساليب العرب بشكل أكبر، نتعرف تَذَوّق العرب للكلام، ما هو الكلام الذي كانوا يعتبرونه راقياً، حتى نعرف لغة القرآن، وعندما نعرف لغة القرآن ستكون معرفتنا للقرآن أكثر واستفادتنا منه أكبر.

ليس صحيحاً بأنه متوقف على فنون أخرى كأصول الفقه. أصول الفقه هو فنٌ يضرب القرآن ضربة قاضية، يضرب القرآن ضربة شديدة، بل يضرب فطرتك، يضرب توجهك نحو القرآن، يضع مقاييس غير صحيحة

تدخل إلى القرآن والقرآن بشكل آخر؛ ولهذا نجد أنفسنا كيف أن القرآن لم يعمل عمله فينا، لم يستطع القرآن؛ لأننا وضعنا عوائق أمام فهمنا لـه، أمام اهتدائنا به، أشياء كثيرة حالت بيننا وبين أن نفهمه، وبالتـالي موّتنـاه، وأصبحنا أمة ميتة، أصبحنا أمة ميتة، أسأنا إلى أنفسنا، وأسأنا إلى القرآن الذي هو أعظم نعمة من الله علينا.

أذكر الإمام الخميني لـه كلمة قال: (أن الإنسان لو يجلس طول عمره ساجداً لله شكراً على هذا القـرآن لما وفّـى بحق شكر الله على هذه النعمة العظيمة).

هذا شرف عظيم جداً لنا، أن يكون توجهنا قرآنياً، ومهم جداً في هذه المرحلة بالذات؛ لأن أعداء الله يتوجهـون أساساً إلى ضرب القرآن في نفوس الناس، إلى إقصاء الناس عن القرآن، إلى تغييب القرآن مهما أمكـن، إلى خلـق ثقافات تشكك حتى في القرآن الكريم، حرب شديدة ضد القرآن الكريم، لكنهم لا يـستطيعون أن يمـسوا نـص القرآن بسوء، سيمسونا نحن بالسوء، سيفصلونا عنه، سيبعدونا عنه، سيشغلوا أذهاننـا بأشـياء تـصرفنا عنـه، وبالتالي يصبح القرآن بمعزل عن حياتنا، عن التفاتاتنا أمام أي إشكالية نعاني منها.

وفي الأخير فعلاً القرآن قد يتعرض إلى التغييب، التغييب لاحظوا حتى في المدارس، ألم يُشتت القرآن بشكل غير طبيعي، شُتّتَ القرآن، سنين بعد سنين حتى تنتهي من معرفة القرآن وحفظ القرآن الكريم، بينمـا كـانوا سـابقاً ربما كان في سنة أو سنتين يستطيع الناس أن ينتهوا من تعلم القرآن الكريم.

قد يغيّبوا القرآن كما غيبوه في الاتحاد السوفيتي سابقاً، قد يشغلوا الناس بأشياء كثيرة، أفلام خليعة، ثقافـات خليعة، رموز خليعين، رموز فن ورياضة وغيرها، وبالتالي يكون واقع الناس أسوأ بكثير كلما ابتعدوا عن القـرآن، هذا الواقع الذي تتصوره سيئاً جداً، ربما عاد هناك احتمالات لأشياء أسوأ أكثر.

وكلما كان واقع الناس أسوأ في الدنيا سيكون أيضاً واقعهم أسوأ في الآخرة؛ لأن معنى الـسوء هنـا هـو نـاتج عـن ماذا؟ ناتج عن تقصيرنا، وكلما قصّر الناس في مرحلة تضاعفت المسؤوليات عليهم مـن جهـة؛ لأنـه كلمـا انتـشر الفساد كلما اقترن معه بحكم الخطاب القرآني للناس مسؤوليات، منكر واحد أنت لم تنهَ عنه. جاء منكـر آخـر، تفرع عنه منكرات، ألم يتكرر عليك الواجب مع كل منكر؟ تتعاظم عليك المسؤولية مع كل فساد ينتشر، فيكون كلما انتشر الفساد كلما ماذا؟ تعاظمت المسؤولية علينا، وكلمـا رأينـا الـسوء في حياتنـا، وكلمـا رأينـا أنفـسنا لا نستطيع أن نؤدي شيئاً.

في الأخير إما أن نرى المهام الصعبة صعبة جداً، قد لا يصل إليها إلا الـبعض، قـد لا يؤديهـا إلا الـبعض، قـد لا يرتقي إلى أدائها إلا البعض، وتكون معظم الأمة هالكة، يهلك الناس في الدنيا، ويقدمون على الله هـالكين يـوم القيامة، ويهلكوا بدخول جهنم، نعوذ بالله من دخول جهنم.

فالقرآن الكريم هو في هذه المرحلة معرض لحرب شديدة، ونحن معرضون لثقافات متعددة، عندما تنـزل (ملزمة من وزارة الأوقاف) تثقف الناس حول طاعة ولـي الأمـر، تجمـع كـل تلـك الأحاديـث الـتي لا يقبلـها حتـى ولا الأمريكيون، لا يقبلها حتى ولا الأوربيون، بوجوب طاعة الحاكم وإن كان ظالماً، وإن كان غشوماً، وإن كان لا يهتدي بهدي ولا يستن بسنة، وإن أخذ أموال الناس، وإن استبد بخيرات البلاد لـه ولأسـرته، يجـب أن تـسمع وتطيـع وتصبر وتسأل الله ما لك وأدِّ ما عليك، أدّ زكاتك، وأدّ ضريبتك. وعندما تقـول نريـد كـذا؟. لا. اسأل الله، ولا تعترض، ولا تنقد إلا إذا تمكنت أن تأخذ بيد الحاكم وتحادثه وتشاوره سراً، أما أن تنقد، أما أن تعترض، أما أن تهاجمه. لا، هذا يعتبر تشهير بالسلطان، لمن هو ظل الله في أرضه..

ملزمة تنـزل وتعمم، ويُراد منها أن يتثقف بها الخطباء والمرشدون؛ ليخاطبوا المجتمع بها، هذا شـيء ممـا يُعـد حرباً للقرآن نفسه، مما يُعد حرباً للقرآن نفسه، وتمهيداً لمن؟ تمهيداً لأن يسيطر علينا عملاء أمريكا، وتمهيداً لأن يحكمنا حتى اليهود أنفسهم.

من العجيب أن هذه الملزمة نفسها في آخرها لم يكتفِ بمسألة أن تسمع وتطيع للحاكم الظالم، بل وحتى وإن كان هناك كفر وهيمنة كفر، أنت يمكن أن تعيش في ظله وتكون ذمتك برية وتعيش وأنت مـسلم في ظلـه!!، عنـدما ترى نفسك، عندما يرى الناس أنفسهم وهم لا يستطيعوا أن يزيلوا هذا الكفـر، إذاً فليعيـشوا وبـسْ، ويكـذبوا على الناس كذبه رهيبة جداً، وقد يُخدَع الناس بشكل كبير عندما لا يفهمون.

قالوا: (رسول الله هو عاش في ظل الكفر ثلاثة عشر سنة في مكة). أليست هذه من تقديم حياة رسول الله الجهادية، حياة وهو يصدع بما يؤمر، حياة وهو يباين أقاربه، ويباين قومه، حياة وهو يُعذَّب أصحابُه، وهو يلصق به أسوأ التهم، تارة يقولوا شاعر، وتارة يقولوا مفتري، كذاب، ساحر، ويقولون عن القرآن الذي جاء به أساطير الأولين، وهو يتصارع مع أولئك تفسر في الأخير أنها ماذا؟ أنها عيش في ظل نظام الكفر، فكما عاش ثلاثة عشر عاماً ـ وهو النبي ـ إذاً ممكن كلنا نعيش في ظل الكفر. ماذا يعني هذا؟.

هذا يعني خطوة أولى تمهيداً لهيمنة اليهود علينا، فيكون لدى الناس قابلية؛ لأنه الآن هناك نظرة قائمة: إكبار لأمريكا وإسرائيل، حينها أي واحد سيقول: نحن لا نستطيع أن نعمل شيئاً. أما إذا قد قُدّمت على هذا النحو إذاً فبالإمكان أن تعيش ولا مسؤولية عليك في ظلهم!! أما إذا قالوا لك رسول الله هو كان هكذا، إذاً فالجنة مفتحة لك الأبواب، وإن كان الشر هو الذي يحكمك.

هذا شيء سيئ جداً، وسيئ جداً أن ينـزل من إدارة هي معنية بالوعظ والإرشاد في عموم الجمهورية كلها، وأن ينـزل ليس نزولاً تلقائياً إلى المكتبات، بل نزولاً في دورات تدريبية تأهيلية لمرشدين وخطباء لينطلقوا هم يثقفوا الناس هم بهذه الثقافة، أليس هذا إبعاداً للناس عن روح القرآن ـ الذي يأمر الناس في مواجهة أعداء الله، في مواجهة الكافرين، الظالمين، الفاسقين، أهل الكتاب ـ بأن يكونوا عمليين مجاهدين {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ} (التوبة:٢٩) يعطونها وهم يعترفون بأن أيديكم فوق أيديهم، يعترفون بصغارهم تحت هيمنتكم، {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

عندما تخرج من قراءة تلك الملزمة، وعادةً القارئ يكون أقرب شيء ملاصقة لذهنه آخر ما يخرج به من كتاب معين من ملزمة معينة، فكان آخر ما تخرج به من تلك الملزمة هو ماذا؟ كلام (للفوزان وللألباني) ـ الذي كان عالم السنة قبل فترة، وعالم معتمد في تصحيح الأحاديث وتضعيفها ـ عندهم ـ أنه قال و بالحرف الواحد (أنه لا يجوز الخروج على الكافر المقطوع بكفره إطلاقاً) ـ بالعبارة هذه ـ عندما يكون الناس في وضعية يرون أنفسهم يرون أنفسهم أنهم لا يستطيعوا أن يزيلوا الكفر.

طيب.. كان ممكن أن تترك الكلام إلى هذه الدرجة، أما أن تقول فقد عاش رسول الله في ظل هيمنة الكفر ونظام الكفر ثلاثة عشر عاماً، هذا مسخ للحقيقة، وهذا إساءة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

القرآن يتحدث عن معاناة رسول الله وهو في مكة، عما كان يعانيه من صراع مع الكافرين، مباين للكافرين، كيف يقال بأنه عاش في ظل نظامهم وهو يدعوهم بالحرف الواحد إلى أن يطيعوه؟!. هو رسول الله إذاً يجب عليهم أن يطيعوه، يجب أن يتخلوا عما هم عليه، لدرجة أنه لم يقبل منهم مجرد أن يكون حاكما عليهم على ما هم عليه. ألم يعرضوا عليه أن يحكمهم إذا أراد أن يكون ملكاً؟.

المسألة أرقى من أن يكون ملكاً، فكيف يقول هذا بأنه عاش في ظل هيمنتهم، وهم قد بلغ بهم الحال، أوصلهم هو إلى درجة أن يعرضوا عليه أن يكون ملكاً عليهم؟!. المسألة أرقى من هذه، هي أن يطيعوه نبياً يأتمروا بأمره، يهتدوا بهديه، يتخلوا عما هم عليه. أليس هذا قمّة الصراع؟.

مسألة أنه لم يدخل معهم في قتال ميداني؛ لأنه لم يتوفر له جنود، لم يتوفر له أنصار، وإلا فكان يفكر، وكان يعرض نفسه على القبائل من الذي سينصره، ما معنى (سينصره)؟ أن يقف في وجه الكافرين فيضربهم، فعلاً.

ثم يقال عنه في الأخير: كان يعيش في ظل هيمنة الكفر!. وهي عبارة ستخدع الناس؛ لأن كثيراً من الناس لا يعرفون سيرة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). عاش في مكة ثلاثة عشر سنة ومازال الكفار في مكة.

كل نبي يبعث في وسطٍ كافر، هل يمكن أن نقول: إذاً فالكفر هو قضية يمكن العيش في ظلها؛ لأن كل الأنبياء كانوا يبعثون في ظل وسطٍ كافر، وفي مجتمع كافر؟. ماذا كان يعمل النبي؟. ألم يكن النبي عبارة عن ثورة على هذا المجتمع؟ عبارة عن خروج على واقع هذا المجتمع؟.يصرِّح، يصدع بما يؤمر، يقاوم، يتحداهم {فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ} (يونس٧١) {قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ} (الأعراف: ١٩٥) هذا منطق الأنبياء. ثم يقول في الأخير هذا يعتبر مبرر شرعي لأي إنسان مسلم يعيش في ظل الكفر!!.

هيمنة أمريكية الناس مقبلون عليها لليهود، هذا من التمهيد لها؛ سواء شعر الذين كتبوها ووزعوها أو لم يشعروا؛ لأنه في الأخير ماذا؟ إذا كنت أنا أو أنت أو أي إنسان سمع هذا الخطيب الذي قرأ هذه الملزمة وتأثر بها، أنه يمكن أن يعيش في ظل الكفر.

معلوم أن اليهود النصارى درجة ثانية عند أهل السنة، هم لا يصنّفونهم كمشركين كما نصنّفهم، يعتبرون أنهم فوق الكافرين، لا زالوا أحسن من الكفار، ويُعتبر اليهود والنصارى عند كثير من المسلمين، لا يزالون أحسن من الكفار، أهل الكتاب وضعية أحسن، فإذا كان قد جَوَّزَتْ وسوَّغَتْ لي هذه الملزمة أن أعيش في ظل الكفر الصريح فبالأولى في ظل اليهودي، فسيحكمنا اليهودي ونحن لا نشعر بحرج، أقول: لماذا يحكمنا؟ قالوا: نحن لا نستطيع أن نعمل ضده شيئاً.

هذا ما قلناه سابقاً أنه لا يجوز، لا يجوز بحال أن نتعامل مع القرآن من منطلق مشاعرنا وتقييمنا نحن للوضع بالشكل المغلوط، فنعكس ضعفنا على القرآن؛ لأنه هكذا صنعت هذه النفسية بالشخص الذي قدم لنا مثل هذه الملزمة، ضعيف قدم للناس ما يبرر حالة الضعف، فما يبرر حالة الضعف هو يعطي ماذا؟ يعطي تمهيداً للكفر، للشرك، للفساد، لليهودة، للنصرنة أن تهيمن؛ ولهذا قلنا: أنه يجب أن نتعامل مع القرآن بروحية عالية، نتعامل معه وفق منطقه، نتركه هو يعلمنا ويزكينا، لا أن نأتي إليه فنجمده ونُموّت آياته ونقدمه للآخرين ميتاً، هكذا سيكون الإنسان الذي يحمل علماً في الأخير كل ضعفه كل تقديراته، كل ثقافته المغلوطة، في الأخير يخدم يخدم ماذا؟ يخدم أعداء الله.

أليس من يثقف الناس بهذه الثقافة سيصنع لديهم ذهنيةً تجعلهم قابلين لهيمنة اليهود؛ لأن كل واحد من الناس يقول: احنا والله ما نستطيع أن نعمل شيئاً، ما عندنا قنابل ذرية. فكل شخص يكتفي بأنه ينظر فيقارن بينه وبين أمريكا وإسرائيل، أمريكا تمتلك قنابل نووية، نحن لا نمتلك هذه، إذاً فنعيش في ظلهم، ولا علينا أي حرج أمام الله.

ستكون القنبلة الذرية هي نفسها أقوى من القرآن الكريم، تمنحك شرعية أن تعيش في ظل الكفر ولا تنفع القنابل القرآنية، لا تنفع الآيات القرآنية أن تشدك إلى العمل في مواجهة الكفر!!.

لاحظوا كيف تُقدم المسألة في الأخير، سيكون اهتمام هؤلاء بالثقافة التي تهيئ المجتمع الإسلامي من حيث يشعر أولئك أو لا يشعرون ـ لقابلية هيمنة اليهود، وهي المرحلة في الواقع التي يفترض القرآن أن يكون عملَ العالِم عمل المرشد الخطيب كل إنسان مسلم أن يحرك الآخرين ويدعو الآخرين ويوعيهم توعية جهادية، تربية جهادية، لأن يحملوا مشاعر التصدي لأولئك فيكونوا مستعدين أن يقفوا في وجوههم، هذه هي المرحلة التي يجب أن تكون الثقافة فيها والتوعية فيها على هذا النحو.

لسنا بحاجة إلى ثقافة تضفي شرعية على أن نتقبل الكفر ونتقبل هيمنة الكافرين، يجب أن نحذر من مثل هذا المنطق، وأن نعرف أنه إذا لم نثقف أنفسنا بثقافة القرآن فسنكون ضحية للآخرين، ضحية لثقافات أخرى.

هذه الملزمة لم يستطع أن يأتي فيها من القرآن إلا بآية واحدة في أولها {أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) **التي دائماً يُقَوْلِبُوهَا مع كل زعيم، وكل شعب علماؤه مرشدوه يسخروها لزعيمهم، ففي اليمن لعلي عبد الله، وفي مصر لحسني مبارك، وفي السعودية لفهد، وفي الأردن للملك عبد الله، و هكذا يتلاعبوا بهذه الآية! تلاعبوا بهذه الآية.**

ونسوا نسوا قضية أنه حتى لو فرضنا أن الآية هذه حتى على أصلها أنه أين هم أولئك الحكام الذي يصح أن يقال عنهم: (منكم)؟ ما هو قال: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}؟ وجدنا هؤلاء أولي الأمر لم يعودوا منا، أصبحوا أكثر انسجاماً مع أمريكا، مع سياسة أمريكا، معظمهم على هذا النحو، يرى شعبه يتظاهر يطالب بأن يستخدم النفط، بأن تُقاطع أمريكا وإسرائيل، يطالب حكومته بأن تقاطع مقاطعة سياسية، بأن تقاطع مقاطعة اقتصادية، بأن يوقفوا تصدير البترول، بأن يفتحوا أبواب الجهاد، بأن يعملوا كل شيء. أليست الأمة هي تنادي بهذا؟. أولئك ما هو موقفهم؟. موقفهم بالشكل الذي تريد أمريكا، هل أصبح صادقاً عليهم مسألة (منكم)؟ لو كانوا منا لكانوا مستجيبين لما نطلب.

وإذا كانوا يقولون: هم خائفون علينا. نحن نقول نحن الشعب، نحن الذين نطالب بالجهاد لأولئك، نحن من نستطيع أن نتحمل أي وضعية اقتصادية. عندما نقول قاطعوا ـ وكانت المظاهرات هكذا تطالب الحكومات بأن تقاطع اقتصادياً ـ وليكن ما كان سنتحمل، باستطاعة أي زعيم أن يقول: لا بأس مستعد ما دام أنتم مستعدون أن تتحملوا المضاعفات والآثار للمقاطعة الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية، وقطع تصدير النفط وغيره، وأنتم مستعدون أن تجاهدوا مهما كان الأمر، ومهما كانت إمكانياتكم ضعيفة لا بأس.

لو نزلوا مسألة مواجهة إسرائيل في استفتاء شعبي، كيف سيكون الناس؟، سيصوتون تقريباً بنسبة ٩٠٪ لمواجهة أمريكا وإسرائيل.

فنحن نقول لمن يستخدموا آية {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} أين هم الزعماء الذين تصدق عليهم كلمة (منكم)؟. ونحن نراهم أقرب إلى أمريكا منا، وأقرب إلى سياسة أمريكا منا، وأقرب إلى طاعة أمريكا من الاستجابة لشعوبهم، لم يعد وقت الآية بكلها، كان يمكن أن تكون هذه الآية في أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين، لأنه مازال (منكم)، مازال حاكم عربي، مازال تعتبر قراراته من داخل، ما هناك دولة أخرى تفرض عليه إملاءات، ومع هذا كان الناس يقولون: لا. هؤلاء هم ليسوا من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، أما هذا يريد يأمرنا بطاعة شخص هو مغلوب على أمره، هو لم يعد يستطيع ولا يتمكن أن يحقق أنه لا زال من الأمة، بل بعضهم ثقافته، نمط حياته في بيته ثقافة غربية، بيته، شكله، نمط حياته، ثقافته، الأشياء التي يتابعها كلها تجعله شخصاً غربياً، لم يعد يصدق على الكثير منهم معنى {مِنْكُمْ} حتى لو كانت الآية على ما يريدون فما بقي (منكم)؟ بقي لأمريكا تريد أن تعين ولاة فهم منها وليسوا منا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لأن نفهم كتابه، ونهتدي بكتابه، وأن يتقبل منا، إنه على كل شيء قدير، وأن يعينكم على طلب العلم، وأن يرزقكم الفهم والحفظ والإخلاص؛ إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الإرهاب والسلام

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٨/٣/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ كلمة سيدي العلامة المجاهد/ بدر الدين بن أمير الدين الحوثي ـ

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء مالك الملك رب العالمين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، أما بعد:

فإني أوصيكم بتقوى الله ربنا، وامتثال أمره، واجتناب ما نهى عنه، والتمسك بطاعته في كل أعمالنا؛ فإنا عن قليل راحلون من هذه الدنيا، ومنتقلون إلى الآخرة حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فعلينا أن نتقي الله، وأن نُعد لذلك اليوم العظيم، الذي وصفه الله وصفاً شديداً في القرآن كما قال: {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرا} دَاهية دَهْياء، يوم عظيم جداً، إنما تكون السعادة لمن جاء يوم القيامة آمناً، يوم الفزع الأكبر، فعلينا أن لا نشتغل بهذه الدنيا ولا نؤثرها على طاعة الله في شيء من الأشياء، وأهمها أن نتقي الله في الصبر على الجهاد، على نصر الحق، ومدافعة الباطل، أن نجتهد ونُجِد في دفع الباطل، ونصرة الإسلام؛ لأن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد:٧) وقال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠).

فإذا نصرنا الله بنصر دينه ـ أما الله سبحانه فهو غني عنا ـ إذا نَصَرْنا دين الله نَصَرَنا وأعزنا، وإذا خذلناه خذلنا وأذلنا، هذا في العاجل في الدنيا: أن من نصر الله نصره، ومن خذل الله خذله.

وفي هذا الزمان زمان استقوى الكفار، وتسلطوا على المسلمين، وحاولوا إبطال الإسلام، وإضاعته، وتمييعه، وأن لا يبقى منه إلا جسد بلا روح؛ فعلينا أن ندافع عنه بقدر ما نستطيع؛ لينصرنا الله ويعزنا؛ ولنقوم بالواجب علينا قبل أن نرجع إلى الله يوم القيامة، ويسألنا ونكون قد فرطنا في حماية الدين، وقصرنا في الجهاد، وهو قد أمرنا في القرآن أمراً بأن ننصر دينه وندافع عنه ونحميه، فإذا لم ننصره لم تقبل الطاعات لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا شيء، إذا لم نقم بالدين كله بصدق، إذا تساهلنا في دين الله وتركنا الكفار يتمكنوا، ويضيعوا الإسلام، ولم ننصر الإسلام، ولم نعادِ أعداء الله فالدين لا يقبل منا؛ لأن الدين مترابط لا يقبل بعضه إلا بالبعض الآخر؛ لأن الله تعالى قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة: من الآية٢٧).

وفقني الله وإياكم، وأعاننا وإياكم على ما يرضيه، وجمع القلوب على رضاه وتقواه، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ـ وهذه كلمة لسيدي العلامة/ أحمد بن صلاح الهادي ـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونؤمن به. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الأخيار الأبرار الصادقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أما بعد فقد جئنا إلى هنا كزيارة واستضافة عند الإخوان، فنقول: كثر الله خيركم، وأهلاً بكم لقدومكم من الحج.

وأنا كنت أريد أن أحول الموضوع كله، ولم أكن أريد أن أتكلم لأن لدينا ضيف كبير، ونريد أن نسمع منه وهو الأستاذ الفاضل العلامة /الحسين بن بدر الدين الحوثي حفظه الله، فأحب أن نترك المجال له ليكلمنا.

لكن: لنتواصى جميعاً بتقوى الله سبحانه وتعالى، وأن نكون مخلصين مع الله سبحانه وتعالى، والإخلاص درجة عالية لا ينالها إلا من أزال من قلبه الأمراض كلها، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يزيل عنا المرض مرض القلوب الذي لا يزال يُصَدِّيها، ولا يزال يبخس علينا الأعمال والله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} (الأحزاب:٧٠).

إذا رجعنا إلى قول الله سبحانه وتعالى: {وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} ربما أن هذا علاج للقلوب، القول السديد ربما أنه يعيننا على قلوبنا، انظروا كيف قال في نهاية الآية {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (الأحزاب: من الآية٧١) **أعمالنا قد تكون أعمال بسيطة لكن قد يصلحها الله لنا؛ لأن الله ينظر إلى القلوب، لا ينظر إلى العمل بدون طهارة القلب، فالعمل إذا كان من صميم القلب خالص لله سبحانه وتعالى فهو كبير عند الله إلى مستوى عظيم، ألا ترون أن أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ تصدق بخاتم فنزلت فيه آية تتلى إلى يوم القيامة، خاتم....**

فعلينا أن نخلص مع الله سبحانه وتعالى وأن نقول القول السديد، وإذا أخلصنا وقلنا القول السديد فالله سيصلح لنا أعمالنا {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} كما أصلح لعلي بن أبي طالب عمله، صلح له علمه، وصار له مِنّة على كل مؤمن وكل مسلم أنه مشارك له في عمله، انظروا على عظمة حازها.

فنحن إذا أخلصنا لله وعملنا فسيربي الله العمل حتى تكون اللقمة كالجبل وربما أعظم من ذلك. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} (الأحزاب:٧١).

نرجو أن نكون من الفائزين، أما هذه الحياة فهي منتهية، وعما قليل ننتهي، وكم قد عرفنا من أناس، وكم قد مضى، وهذه الدنيا ليست إلا كظل زائل.

وهذا الشعار: [الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام]، فهانحن نقول من هنا، وهذا تعبير بقول ـ إن شاء الله ـ سديد، يصلح لنا ربي به العمل، فنقول: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام].

يا الله تقبل منا هذا.

فسنقول القول السديد، وإن شاء الله أن الله سيصلح لنا العمل، وإذا رجعنا إلى الله سيصلح لنا أعمالنا إن شاء الله، ويتقبل منا، ويعيننا على نفوسنا فإن نفوسنا مريضة وهي محتاجة إلى العلاج، ولكن ليس لنا من يعالجها إلا مثل هؤلاء الأشخاص مثل سيدي بدر الدين والحسين و الأستاذ عبد الله عيضة.

وسيدي بدر الدين يشفي هذا المرض من القرآن، أمانة إنه يعطينا كلام من الشفاء، وإننا نرجو الله أن يبقيه لنا، وأن ما يعطيه هدية من الله فلنستغل حياته، ألقى لنا خطاباً في يوم (عيد الغدير) يشفي وعلاج. ونحن أمراض أيها الأخوة، ولا توجد مستشفيات إلا القرآن ومَن يعبر عنه....

وفقني الله وإياكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ـ ثم السيد/ حسين بدر الدين الحوثي ـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة١::٧).

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك الذي بعثته رحمة للعالمين، الذي بعثته شرفاً لهذه الأمة، وعزاً لهذه الأمة، ورحمة لهذه الأمة، بعثته بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، مجاهداً في سبيلك، محارباً للطغاة والجبابرة من أولياء الشيطان ـ الذي طردته من سمائك، فأخرجته مذموماً مدحوراً ـ ليخرج كل الطغاة من عالم الإنسانية مدحورين أذلاء، يُلبسهم الخزي والعار والذلة.

أيها الإخوة الأعزاء: شرف عظيم لنا أن نزوركم، شرف عظيم أن نقف أمام هذه الوجوه النيِّرَة، أمام أبناء همدان، وأبناء علي.

إنني بحق أقول لكم: كلما جئنا همدان، وكلما التقينا بكم أنتم يا أبناء همدان تذكرنا علياً، أصبحتم تذكروننا بعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، إذا كان أبناء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يذكرون بمحمد فإنكم أنتم تذكروننا بعلي.

علي الذي قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ((علي مني وأنا من علي)) قرين القرآن الذي قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)).

علي، بطلُ بدر وأحد والأحزاب وحُنين وخَيْبَر، بطل صفين والجمل والنهروان، علي الذي لم يكن فقط يذهل العقول في ميادين الجهاد وإنما كان أيضاً ينير الدروب بكلماته المباركة، بتوجيهاته النيِّرة، ببلاغته الخارقة.

إنه ربيب محمد، وحليف وقرين القرآن.

فإذا كنتم أصبحتم تذكرونا بعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فإنما لأنه ما يزال فيكم أنتم بركة علي، فيكم بركة دعاء علي، ودعاء الأئمة من بعده.. كلما وقفنا بين أظهركم، كلما انتقلنا إلى منطقتكم نرى أنفسنا وكأننا نسافر إلى عمق التاريخ.

ما من إمام من أئمة أهل البيت ووقفت معه همدان إلا وبهرته بصدقها ووفائها، إلا وانطلق شاهداً تاريخياً على ذلك الوفاء، على ذلك الصدق على تلك الشجاعة، فكان ما يمتلكه الأئمة من تعبير عن ذلك كله هو أن يخلدوا دعاء يقرأه كل من يتصفح صفحات التاريخ، يتردد على الشفاه كلما ترددت الأعين تتصفح صفحات التاريخ، أولم يقل الإمام علي (عليه السلام):

فلو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

إنها عبارة من بهره وفاء همدان، وشجاعة همدان، وصدقهم وإخلاصهم:

فلو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

كلما وقفنا أمامكم ـ أيها الإخوة ـ لنتذكر مسؤوليتنا جميعاً أمام الله في أن نكون من أنصار دينه، فنردد أحياناً عبارات التواصي فيما بيننا بالحفاظ على مذهبنا الزيدي، نقول لهمدان: إنكم أنتم لكم المِنّة أكثر من غيركم في ترسيخ قواعد هذا المذهب. أنتم من كنتم أنصار هذا المذهب، وأنتم من في واقعكم لا تحتاجون إلى من يذكركم بأن تكونوا من أنصار هذا المذهب، أنتم من وقفتم مع أئمته، من وقفتم مع أعلامه حتى ترسخت قواعده وانتشر نوره في هذه البلاد وغيرها.

إنه اجتماع مبارك، وإن أي اجتماع في ظروف كهذه واجتماع كهذا أو أقل أو أكثر من هذا لا يناقش فيه الناس هذه الأوضاع التي تعاني منها الأمة المسلمة، لا يتواصى فيه الناس بالحق فينظرون إلى الحق إلى بنيانه وهو يتصدع، إلى أعلامه وهي تطمس، إلى أنواره وهي تطفأ، ينظرون إلى ذلك الحق ليس فقط ليغيب عن الساحة، ليغيب عن الأفكار، ليغيب عن النفوس، ليغيب عن كل شئون الحياة.. وإنما ليحل محله الباطل والظلام والشر، كل اجتماع لا يناقش فيه ما يجعلنا نرى الحق، ونرى أمة الحق، ونرى أعلام الحق، وآثار الحق بالشكل الذي يحزن ويقرح القلوب ويبكي العيون.

إذا ما وقفنا جميعاً لنتأمل فنجد كيف أصبحنا في واقعنا نشاهد الأمور وهي تتبدل، وتنعكس القضايا، الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **هذا القرآن العربي يخاطب العرب، وشرف للعرب، ونحن وأنتم من صميم العرب والله يقول عن كتابه {قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (فصلت: من الآية٣)**. {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}** (الشعراء:١٩٥) **يقول: {كُنْتُمْ} أنتم أيها العرب {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} للناس جميعاً للبشرية جمعاء، تحملون هذه الرسالة العالمية، تحملون هذا النور للعالمين جميعاً {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** (آل عمران: من الآية١١٠).

ما الذي يحدث الآن؟ هذه الأمة التي يقول عنها الله سبحانه وتعالى أنه حملها رسالة لتخرج بها إلى الناس جميعاً، هاهي اليوم يُطلب منها أن تقعد في بيوتها كما تقعد النساء، بل يُطلب منها أن تصمت فلا تتفوه بكلمة الحق، ولا تهتف بلعن من هتف الله بلعنهم في كتابه وخلده على لسان أنبيائه: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (المائدة:٧٨).

ما نشاهده اليوم أن هذه الأمة التي كان المطلوب أن تكون هي من تَجُوب البحار طولاً وعرضاً فتقف في سواحل أوروبا وفي سواحل أمريكا هي الأمة التي تُؤْمَر هي وزعماؤها بالقعود والخنوع، قعود الذلة، قعود الخزي، قعود

الخنوع والاستسلام، ونرى أولئك الذين لُعنوا على لسان الأنبياء هم من يَجُوبون البلاد طولاً وعرضاً، فرقاً عسكرية تمتلك أفتك الأسلحة، أليست هذه من تقليب الموازين؟ أليست هذه من القضايا المقلوبة، والحقائق المعكوسة؟. في البحار الفرنسيون والبريطانيون والأمريكيون والأسبان وغيرهم هم من يتحركون، يحملون الأسلحة، هم من يحركون قطعهم البحرية في داخل وأعماق البلاد الإسلامية، والمسلمون كلهم لا يجوز لأحد أن يتحرك قيد أنملة.

إن الله أراد لهذه الأمة هكذا أن تكون أمة تتحرك في العالم كله {أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فهاهي تقعد ويتحرك أولئك. ولماذا يتحركون؟. هل ليأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ أم لينشروا الباطل والفساد والقهر والظلم والذلة والخزي لكل أبناء البشرية وللعرب خاصة؟ للعرب خاصة. هذه أشياء مؤسفة، هذه حقائق نحن نشاهدها.

في الحج يوم أن بدأ المسلمون يهتفون بالبراءة من المشركين، يوم أن بدءوا يعملون على أن يعود الحج إلى أصالته الإسلامية؛ لأن الحج في أول عملية لإعادته إلى حج إسلامي إنما كان يوم أرسل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ليعلن البراءة من المشركين بتلك العشر الآيات الأولى من سورة براءة؛ ليعلن البراءة من المشركين، بل ليعلن الحرب على المشركين وليس فقط البراءة منهم.

كانت تلك هي أول عملية لتحويل الحج إلى حج إسلامي، وصبغه بصبغة توحي بالأهداف المقصودة من وراء تلك العبادة العظيمة التي هي الحج، فعندما بدأ الناس يهتفون بـ[الموت لأمريكا والموت لإسرائيل] في الحج، بأمر من ابن علي الذي هتف ببراءة، فقال سبحانه وتعالى يحكي تلك البراءة {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} (التوبة: من الآية٣) براءة من الله، وبراءة من رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبراءة من علي، قرأها علي كلها براءة من المشركين.

يوم أن تحرك ابن علي الإمام الخميني (رضوان الله عليه) ليعيد الحج إلى أصالته عرف أولئك الذين لا يريدون للعرب أن يتحركوا قيد أنملة لأداء الواجب الملقى على عواتقهم من الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الآية: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٠) صدر المنع وحدث ما حدث في الحيلولة دون أن يتردد ذلك الشعار.

ونحن العرب لا نفهم، وهذه هي بساطتنا، وهذا هو ما جعلنا ضحية لليهود، نحن من دائماً نضع حداً لأعمال المفسدين، ونضع حداً للفساد.. أنه إنما سيصل إلى هنا فقط، ولا نعلم بأن الفساد لا ينتهي، أن الفساد لا حد له، أن الفساد لا يتوقف عند نقطة معينة، أن الظلم والباطل لا يتوقف عند نقطة معينة. من الذي كان يتصور أن بالإمكان أن تصل بنا الحال إلى أن نُمْنَع في مساجدنا من ترديد مثل هذا الشعار؟. أوليس الأمر قد وصل إلى ذلك؟ لقد عُمم هنا في اليمن على المساجد أن لا يتحدث الناس فيها عن أمريكا، وكنا نحن لا نتصور إلا أنه فقط مُنع في الحج.

عندما جاء المنع في الحج تجاوب المسلمون ولم يكونوا يهتموا بأن عليهم أن يقفوا موقفاً يجعل أولئك ييئسون من أن باستطاعتهم أن يوقفونا عن أداء الواجب الإلهي الملقى على عواتقنا نحن العرب في مثل قوله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٠) لكنا هكذا قلنا لا بأس في الحج. بعد الحج ما الذي حصل؟. منع في المساجد، فقلنا: لا بأس فالمساجد هي للعبادة، كما قال أولئك: [الحج هو عبادة، وأنت عليك أن تذكر الله فقط ولا تتعرض لشيء]. سنقول نفس الشيء: [هذه مساجد وما دخل المساجد بـ(الموت لأمريكا والموت لإسرائيل واللعنة على اليهود) ونحوها].

هل المساجد أعظم من القرآن الكريم؟ القرآن الكريم مليء بتلك الآيات التي تلعن الظالمين، وتلعن الفاسقين، وتلعن اليهود والنصارى من مثل هذه الآية {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (المائدة:٧٨).

قلنا: (لا بأس المساجد ليست لهذا هي للصلاة)؛ لأننا أصبحنا لا نفهم دور المساجد، ولا دور الصلاة.

ثم بعد ذلك سيقولون لنا: [أيضاً في منازلكم لا تتحدثوا عن أمريكا. أيضاً بأقلامكم لا تصدروا كلمة فيها إساءة إلى مشاعر أمريكا]. وهكذا سنرى أنفسنا نطارد، نطارد ونحشر إلى زاوية ضيقة.

ما الذي انقلب في هذا الموضوع؟ هم يحشرونا إلى زاوية ضيقة مظلمة لا نرى فيها النور، ولا نتحدث عن النور، ولا نصل بالنور إلى قيد أنملة في هذا العالم، وهم من يتحركون، هم من يقولون، بدل أن نتحدث عن الجهاد يتحدثون هم عن [الإرهاب].

وإنني أقول: إن علينا أن نتحدث عن كلمة [الجهاد]؛ لأن كلمة [الجهاد] هي الآن محاربة بعينها، يُوضع ويرسخ بدلاً منها كلمة [إرهاب]، فإذا كان الله أراد من الجهاد أن تكون كلمة شرَّف بها ذلك الصراع الذي كان العرب يتعودون عليه، ألم يكن العرب متعودين فيما بينهم على القتال على التناحر؟. سمّا بالعرب لأن الإسلام جاء شرف للعرب {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: من الآية٤٤).

حتى الصراع الذي كان يدور بينهم، عَمِل على أن يتحول إلى صراع مقدس، فأضاف إليه اسماً مقدساً فسماه [جهاداً]، إذاً فبدلاً من أن تتقاتلوا فيما بينكم وتتناحروا فيما بينكم تعالوا إلى حيث يكون صراعكم ويكون قتالكم سمواً وشرفاً ورفعة، ونشراً للحق، ونشراً للنور إلى كل أقطار الدنيا فسماه جهاداً في سبيله سماه [جهاداً] وجعله سنام دينه، وجعله مفتاح جنته، وجعله ركناً من أركان دينه، بل جعله عَلَماً لِقمّة الذوبان في محبته سبحانه وتعالى، أولم يقل الله عن أوليائه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة:٥٤).

يوم كان العرب فيما بينهم يثور بعضهم على بعض، يتناحرون فيما بينهم، يغزو بعضهم بعضاً، هاهو يعطيهم صراعاً من نوع آخر يسميه [جهاداً في سبيله]، يجعله علماً على الذوبان في محبته {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} هذا الجهاد المقدس، هذا المصطلح القرآني الهام، هذا المبدأ الذي ترتبط به عزة الأمة وكرامتها، وترتبط به حيوية القرآن والإسلام، يرتبط به وجود الأمة كلها وهويتها، هاهو يتعرض لأن يُبدّل، كما بُدّلنا نحن في واقعنا، قعدنا وهم من يتحركون في البحار، وهاهم يحولون الجهاد إلى كلمة تصبح سُبَّة نحن نرددها، ونحن نجعلها كلمة أمريكية تضفي الشرعية على أي ضربة أمريكية لأي جهة.

تُبدل كلمة [جهاد] بكلمة [إرهاب] فمن هو مجاهد فهو إرهابي، ومعنى أنه إرهابي أنه من قد وقع من جانبه ما يعطي أمريكا شرعية أن تضربه، ما يعطي عميلاً من عملاء أمريكا شرعية أن يضربه، ونحن من نبارك تلك الضربة، سنقول: [هو إرهابي فليضرب، من الذي قال له أن يهتف بهذا الشعار في هذا الجامع؟ هو إرهابي فليضرب، من الذي قال له أن يتحدث عن الجهاد؟ هو إرهابي فليضرب، من الذي قال له أن يفتح مدرسة هنا يربي الشباب فيها على روح القرآن؟ والذي روحه هي الجهاد إذاً هو إرهابي فليضرب].

أليست الأمور تتغير وتنعكس؟. فالمصطلحات تتغير، نحن نتغير! علينا أن نقعد وهم الذين يتحركون في البر والبحر، وجهادنا عليه أن يُمسخ وتوضع بدلاً عنه كلمة [إرهاب]؛ لننظر إلى الجهاد أنه سبّة، وأنه عملية تعطي الشرعية لأولئك أن يضربوا المسلمين، بدل أن يكون هو مبدأ يعطي الشرعية للمسلمين أن يضربوا أولئك المجرمين الذين هم إرهابيون حقيقيون.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} (التوبة: من الآية٢٩) لمن هو هذا الخطاب؟. أليس للعرب والمسلمين؟ {قاتلوا} ما هو القتال في سبيل الله؟ أليس هو الجهاد؟، هاهو يقول للمسلمين إن الجهاد هو هكذا: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) هذا هو الجهاد.

الجهاد شرعية لنا نتحرك على أساسه في ضرب أولئك المفسدين، الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهم في واقعهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وهم لا يدينون دين الحق، إن من واجب الأمة أن تحاربهم، أن

تقاتلهم أي أن تجاهدهم ـ والجهاد شرعية لهم هنا ـ حتى يعطي أولئك الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. أليس الواقع يتغير الآن؟.
إن كلمة [الجهاد] الآن تتحول إلى كلمة [إرهاب] فالمجاهد هو إرهابي، وكلمة [جهاد] هي كلمة [إرهاب].
إذاً فإذا ما سمحنا نحن المسلمين للأمور أن تتغير من حولنا، فإنه المكر، المكر في كل شيء، المكر في واقع حياتنا، المكر حتى لمفردات لغتنا العربية.. كلمة [جهاد] هي كلمة عربية، وحتى كلمة [إرهاب] هي كلمة عربية، أولسنا نسمع زعماء العرب هم من يطالبون الرئيس الأمريكي ـ وهو إنجليزي في لغته ـ يطالبونه بأن يفتح قاموس لغته ليفسر للعرب مفردة عربية هي كلمة [إرهاب]؟.
كلمة (إرهاب) هي كلمة داخل كتاب عربي، عندما يقول الله سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) أصبحنا في واقعنا لا نعرف معاني مفرداتنا العربية، يطالب زعماء العرب الرئيس الأمريكي ـ وهو ليس عربي ـ أن تفسر سماحته وفضيلته مفردة عربية هي كلمة (إرهاب) [قولوا لنا ماذا تريدون بكلمة (إرهاب)؟] أليس هذا هو السؤال الذي يتردد؟.
لماذا لا نرجع نحن إلى القرآن وإلى لغتنا لنعرف ما هي كلمة [إرهاب]؟ وما علاقتنا بها؟ وأمام من يجب أن يكون الناس إرهابيين؟ وما هو الإرهاب المشروع؟ وما هو الإرهاب الذي ليس بمشروع؟ حتى نحن كلنا مثقفونا وزعماؤنا لم نجرؤ على أن نقاوم ذلك الانحراف في معنى هذه الكلمة أن نقاومه وأن نرسخ معناه القرآني. {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) كلمة [إرهاب] في القرآن الكريم تعني أن على المسلمين أن يعدوا القوة بكل ما يستطيعون، بل وأن يلحظوا حتى الشكليات وأن يلحظوا حتى [المرابط] التي هي في الأخير ستزرع الهزيمة في نفس العدو {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠).
إن عليكم أيها المسلمون ـ هكذا يقول القرآن الكريم ـ إن عليكم أيها المؤمنون أن تعملوا بكل ما تستطيعون على أن ترهبوا أعداء الله، هذا هو الإرهاب المشروع، لكننا بدل أن نتحدث عن الإرهاب المشروع نحن من نسمع في وسائل الإعلام والزعماء، ونسمح بأن تتردد كلمة (إرهاب) بمعناها الأمريكي وليس بمعناها القرآني. أليس هذا من الغباء؟. أليس هذا من مظاهر تغير الأمور وتعكيس الحقائق؟.
إن علينا ـ أيها الإخوة ـ أن نتحدث دائماً عن الجهاد، حتى أولئك الذين ليس لديهم أي روح جهادية عليهم أن يتحدثوا عن كلمة (جهاد)؛ لأن كلمة [جهاد] في نفسها، كلمة [جهاد] في معناها هي تتعرض لحرب، أصبحنا نحن نُحارب كأشخاص، وتُحارب أرضنا كأرض، وتُحارب أفكارنا كأفكار، بل أصبحت الحرب تصل إلى مفرداتنا، أصبحت ألفاظنا حتى هي تُحارب، كل شيء من قِبَل أعدائنا يتوجه إلى حربنا في كل شيء في ساحتنا، إلينا شخصياً، إلى اقتصادنا، إلى ثقافتنا، إلى أخلاقنا، إلى قِيَمِنا، إلى لغتنا، إلى مصطلحاتنا القرآنية، إلى مصطلحاتنا العربية.
أن لا نسمح أن تتغير الأمور وأن تنعكس الحقائق إلى هذا الحد، فتغيب كلمة [جهاد] القرآنية، وتغيب كلمة [إرهاب] القرآنية ليحل محلها كلمة [إرهاب] الأمريكية.
وهذه الكلمة [إرهاب] تعني أن كل من يتحرك بل كل من يصيح تحت وطأة أقدام اليهود سيسمى [إرهابي]، أن كل من يصيح غضباً لله ولدينه، غضباً لكتابه، غضباً للمستضعفين من عباده الكل سيسمون [إرهابيين]، ومتى ما قيل عنك: أنك إرهابي؛ فإن هناك من يتحرك لينفذ ليعمل ضدك على أساس هذه الشرعية التي قد وُضِعَت من جديد.
نحن نختلف عن أولئك، نحن نمتلك شرعية إلهية قرآنية، ونقعد عن التحرك في سبيل أداءها، وفي التحرك على أساسها، ونرى كيف أن أولئك يحتاجون هم إلى أن يؤصِّلوا من جديد، وأن يعملوا على أن يخلقوا شرعية من جديد، ثم متى ما وُجِدت هذه الشرعية فإنهم لا يقعدون كما نقعد إنهم يتحركون، أوليس هذا هو ما نشاهد؟.
لقد تبدل كل شيء، لقد تغير كل شيء فنحن من نقعد والشرعية الإلهية موجودة، وهم من يتحركون على غير أساسٍ من شرعية فيُشَرِّعُون ويُؤَصِّلُون ثم يتحركون ولا يقعدون.
إن علينا ـ أيها الإخوة ـ أن نتحدث دائماً حتى لا نترك كلمة [إرهاب] بمعناها الأمريكي أن تترسخ في بلادنا، أن تسيطر على أذهان الناس في بلادنا، أن تسبق إلى أذهان الناس، علينا أن نحارب أن تترسخ هذه الكلمة، لأن وراء

ترسخها ماذا؟ وراء ترسخها تضحية بالدين، وتضحية بالكرامة وبالعزة وبكل شيء. حينئذٍ سيُضرب أي عالم من علمائنا سيقاد علماؤنا بأقدامهم إلى أعماق السجون، ثم يعذبون على أيدي خبراء اليهود، الذين يمتلكون أفتك وسائل التعذيب على أساس ماذا؟. [أنه إرهابي]. فيكون الناس جميعاً هم من أصبحوا يسلمون بأن كلمة [إرهابي] هي كلمةٌ مَن أطلقت عليه ـ بحق أو بغير حق ـ هو من يصبح أهلاً لأن يُنَفّذ بحقه من؟ المسلمون أو من؟ الأمريكيون أو عملاؤهم ما يريدون عمله فيعذبون علماءنا.

وكل من يصرخ ليعيد الناس إلى العمل بكتاب الله هو أيضاً إرهابي، وكل من يدرس الناس في مدرسة علوم القران هو أيضاً عندهم إرهابي، أي كتاب يتحدث عن أن الأمة هذه عليها أن تعود إلى واجبها، أو تستشعر مسؤوليتها هو أيضاً إرهابي.

أولم نسمع جميعاً ـ أيها الإخوة ـ أنه عندما جاء المبعوث الأمريكي إلى اليمن، دار الحديث بينه وبين الرئيس حول (ضرورة التعاون على مكافحة الإرهاب، وجذور الإرهاب، ومنابع الإرهاب) هل تركوا مصطلحاً آخر لم يصلوا إليه؟ منابع الإرهاب، جذور الإرهاب هو القرآن الكريم على أساس معنى الكلمة، المعنى الأمريكي.

فهل نسمح لكلمة (جذور إرهاب، منابع الإرهاب) أن يكون معناها القرآن الكريم وعلماء الإسلام ومن يتحركون على أساس القرآن؟ أو أن الحقيقة أن منابع الإرهاب وجذور الإرهاب هي أمريكا، إن منابع الإرهاب وجذور الإرهاب هم أولئك الذين قال الله عنهم: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية٣٣) هم أولئك الذين لفسادهم لاعتدائهم لعصيانهم لبغيهم جعل منهم القردة والخنازير. أليسوا هم منابع الإرهاب وجذور الإرهاب؟ أليسوا هم من يصنعون الإرهاب في هذا العالم؟.

من هو الإرهابي؟ هل هو أنا أو أنت، الذي لا يمتلك صاروخاً، ولا يمتلك قذيفة، ولا يمتلك مصنعاً للأسلحة، ولا يمتلك شيئاً، أم أولئك الذي يصنعون أفتك الأسلحة؟.

من هو الإرهابي أنا وأنت أم أولئك الذين يستطيعون أن يثيروا المشاكل والحروب في كل بقعة من بقاع العالم؟.

من هو الإرهابي أنا وأنت أم أولئك الذين يستطيعون أن يفرضوا على أي شعب من الشعوب المسلمة المسكينة أي عميل من عملائهم؛ ليدوسها بقدمه، ولينفذ فيها ما تريد أمريكا تنفيذه؟

إنهم هم الإرهابيون، إنهم منابع الإرهاب وهم جذور الإرهاب. إنهم كما قال عنهم الإمام الخميني رحمة الله عليه ـ وهو شخص لم يكن يتكلم كلاماً أجوفاً ـ قال عن أمريكا: إنها [الشيطان الأكبر].

والله تحدث عن الشيطان أن عمله كله فساد، عمله كله ضر بالناس، كله شر، كله باطل وبغي، لا يكفيه أن يوقع بالناس الشر في هذه الدنيا، بل إنه كما قال عنه سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}(فاطر: من الآية٦) إنهم هم الإرهابيون، ومن هناك مِن عندهم منابع الإرهاب، وبلدانهم جذور الإرهاب، وثقافتهم هي الإرهاب، وهي من تخرج الإرهابيين.

أليست الثقافة القرآنية هي من تنشئ جيلاً صالحاً؟ من ترسخ في الإنسان القيم الفاضلة والمبادئ الفاضلة؟ كي يتحرك في هذه الدنيا عنصراً خيِّراً يدعو إلى الخير، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، ينصح للآخرين؟ يهتم بمصالح الآخرين؟ لا ينطلق الشر لا على يده ولا من لسانه؟ أليس هذا هو ما يصنعه القرآن؟.

أنت لا حظ ثقافتهم، أليست ثقافة الغربيين هي من تعمل على مسخ الفضائل؟ هي من تعمل على مسخ القيم القرآنية والأخلاق الكريمة من ديننا ومن عروبتنا؟ أليس هذا هو ما تتركه ثقافتهم في الناس؟ فإذا كان في الواقع أن ثقافة القرآن هكذا شأنها، وثقافتهم هكذا شأنها؛ فإن ثقافتهم هم هي ثقافة تصنع الإرهاب.

لكنهم يريدون أن يقولوا لنا وأن يرسخوا في مشاعرنا أن ثقافتنا ـ التي هي ثقافة قرآنية ـ هي من تصنع الإرهاب. إذاً سيقولون لنا: الكتاب الفلاني من كتب أهل البيت، من كتبكم أنتم الزيدية، هذا الركام من كتبكم أنتم الزيدية كلها كتب تصنع إرهابيين. إذاً هي جذور إرهاب.

ولكننا نرى في واقع الحياة من الذي يمكن أن يتحرك عنصراً خيراً في هذه الحياة؟ يصنع الخير للناس ويدعو الناس إلى الخير هل هو من يتخرج على أساس ثقافتهم أم من يتخرج على أساس ثقافة القرآن؟.

ونحن إذاً نواجه بحرب في كل الميادين، حرب على مفاهيم مفرداتنا العربية، إذا لم نتحرك نحن قبل أن تترسخ هذه المفاهيم المغلوطة بمعانيها الأمريكية، بمعانيها الصهيونية، والذي سيكون من وراءها الشر، إذا لم نتحرك ستكون تضحيات الناس كبيرة، ستكون خسارة الناس كبيرة.

عندما نسمع كلمة: [أنهم يريدون أن يتحركوا لمحاربة الإرهاب وجذور الإرهاب، ومنابع الإرهاب] فإن علينا أن نبادر دائماً إلى الحديث عن الإرهاب ما هو؟ ونربطه دائماً بأمريكا، أن أمريكا هي التي تصنع الإرهاب للناس جميعاً، وأن اليهود هم من يفسدون في الأرض، ومن يسعى في الأرض فساداً هو من يصح أن يقال له أنه إرهابي إرهاباً غير مشروع.

وأننا لا نسمح أبداً أن تتحول كلمة [إرهاب] القرآنية إلى سُبَّةٍ، وإلى كلمة لا يجوز لأحد أن ينطق بها. فلنقل دائماً إن كلمة [إرهاب] كلمة قرآنية مطلوب من المسلمين أن يصلوا إلى مستواها، إن الله يقول {وَأَعِدُّوا لَهُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) أي لأعداء الإسلام لأعدائكم لأعداء الله {مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} هنا كلمة: {تُرْهِبُونَ} أصبحت كلمة ترهبون هنا لا يجوز لأحد في الأخير أن يتحدث عنها؛ لأن معناها قد تغير فكلمة {تُرْهِبُونَ} قد فسرها الأمريكيون تفسيراً آخر، فمن انطلق ليتحرك على أساس هذه الكلمة القرآنية فإنه قد أُعطِيَ للأمريكيين شرعية أن يضربوه، والله يقول {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠).

وإذا ما سمعنا عن كلمة [جذور إرهاب ومنابع إرهاب] فإن علينا أن نتحدث دائماً عن اليهود والنصارى كما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم من أنهم منابع الشر، ومنابع الفساد من لديهم، وأنهم هم من يسعون في الأرض فساداً.

وحينئذٍ سننتصر، وإنه لنصر كبير إذا ما خُضْنَا معركة المصطلحات، نحن الآن في معركة مصطلحات، إذا سمحنا لهم أن ينتصروا فيها فإننا سنكون من نُضرب ليس في معركة المصطلحات بل في معركة النار، إذا ما سمحنا لهم أن تنتصر مفاهيمهم، وتنتصر معانيهم لتترسخ في أوساط الناس.

فعندما نردد هذا الشعار، وعندما يقول البعض ما قيمة مثل هذا الشعار؟ نقول له: هذا الشعار لا بد منه في تحقيق النصر في هذه المعركة على الأقل، لا بد منه في تحقيق النصر في هذه المعركة معركة أن يسبقنا الأمريكيون إلى أفكارنا وإلى أفكار أبناء هذا الشعب، وإلى أفكار أبناء المسلمين وبين أن نسبقهم نحن. أن نرسخ في أذهان المسلمين: أن أمريكا هي الإرهاب، أن أمريكا هي الشر، أن اليهود والنصارى هم الشر حتى لا يسبقونا إلى أن يفهم الناس هذه المصطلحات بالمعاني الأمريكية.

فعندما نرفع هذا الشعار ـ أيها الإخوة ـ نحن نرفعه ونجد أن له أثره الكبير في نفوسنا، وفي نفوس من يسمعون هذا الشعار، حتى من لا يرددون هذا الشعار فإننا بترديدنا للشعار من حولهم سنترك أثراً في نفوسهم، هذا الأثر هو أن اليهود ملعونين، ونذكر مثل هذا الشخص الذي لا يرفع هذا الشعار بتلك الآيات القرآنية، وعندما يسمع [الشعار] ونحن نهتف به ويعود ليقرأ [سورة البقرة] و[آل عمران] و[المائدة] و[النساء] وغيرها من السور التي تحدث الله فيها عن اليهود والنصارى سيفهمهم بشكل آخر، سيفهمهم أكثر من قبل أن يسمع هذا الشعار يتردد من حوله.

ونحن عندما نهتف بهذا الشعار يترافق معه توعية كاملة، كلها تقوم على أساس أن منابع الشر وجذور الشر، الفساد في الأرض، الإرهاب لعباد الله، الظلم لعباد الله، القهر للبشرية كلها هم أولئك الذين لعنهم الله في القرآن الكريم، هم أولئك اليهود، هم أمريكا وإسرائيل وكل من يدور في فلكهم.

لا بد أن نكون واعين، أن نكون فاهمين، علينا أن نتحمل المسئولية القرآنية بوعي، أما إذا أصبحنا إلى درجة لا نعي ولا نفهم ما يعمل الآخرون، ولا نعي ولا نفهم خطورة ما يدور من حولنا فإن ذلك يعني أننا سنعيش في حالة أسوأ مما نحن فيه. أوليس كل واحد منا يعرف أن ما يدور في هذا العالم من أحداث كلها تدور على رؤوس المسلمين، وكلها حرب ضد الإسلام والمسلمين؟ أليس هذا شيء مفهوم لدينا جميعاً؟

من هم المسلمون؟. هم نحن، وما هو الإسلام؟. هو هذا الدين الذي ندين به. إذا أصبحنا لا نفهم ماذا يعملون، ومما يعملون هو أنهم يعملون جاهدين على ترسيخ هذه المفاهيم المغلوطة.

على كل واحد منا أن يتحرك، وعندما يتحرك سيجد أنه باستطاعته أن يعمل الشيء الكثير في مواجهة أولئك.

أم أننا سننظر إلى هذه الأحداث تلك النظرة التي سار عليها العرب وزعماؤهم فترة طويلة في هذه المرحلة المتأخرة من هذه الفترة الزمنية التي نحن فيها.

لاحظوا، الأمريكيون يتحركون، اليهود يتحركون، كل أولئك يتحركون بكل ما يستطيعون في مواجهة المسلمين، في سبيل إذلال المسلمين، في سبيل تحطيم اقتصادهم، في سبيل مسخ ثقافتهم، في سبيل إفساد أخلاقهم، ثم أيضاً حرب مسلحة ضد مختلف المسلمين في مختلف بقاع البلاد الإسلامية، أليس هذا هو ما نشاهده؟. ما هو الموقف الذي نسمعه دائماً يتردد على أفواه زعماء العرب؟ على شفاه زعماء المسلمين كلهم؟ أليس هؤلاء هم من يقابلون الحرب بكلمة سلام فيقولون: [نحن نريد السلام، ونحن نسعى للسلام، ونحن نطالب بالسلام]؟.

أليس عرفات ظل يهتف بهذه الكلمة وبحرصه على السلام وأنه حريص على عملية السلام أن تبقى سليمة بعد أن ضُربت دولته وضربت طائراته، وضربت مباني حكومته، وضربت قوات أمنه وشرطته، ومع ذلك ما زال يردد كلمة سلام.

أذكر كلمة جميلة يوم أن اجتمع زعماء المسلمين في [الدوحة] قال الرئيس السوداني: [نحن في مواثيق (منظمة المؤتمر الإسلامي) كنا قد ألغينا كلمة (جهاد) وقلنا نريد أن نعيش بسلام مع الآخرين، ونحن دعاة سلام، ونحن نريد سلاماً، فلم نجد سلاماً من أولئك، ما وجدنا سلاماً، ولا قبلت هذه الكلمة] ثم قال [إن علينا أن نعود إلى الجهاد، أن نعود إلى القرآن]. (لقد ألغينا من مواثيق منظمة المؤتمر الإسلامي كلمة (جهاد) كشف هو أن زعماء المسلمين في مواثيقهم كـ(منظمة المؤتمر الإسلامي) كانوا قد ألغوا هذه الكلمة على أساس أننا في عصر يجب أن تعيش الشعوب مع بعضها بعض تعايشاً سلمياً ومصالح متبادلة، وحقوق جوار متبادلة، ونحن دعاة سلام، ونحن نريد السلام. وهكذا تتردد هذه الكلمة كثيراً.

نحن من نشاهد تلك الأحداث، ألسنا نسخر من هذه الكلمة في الأخير؟ ألسنا أصبحنا نفهم أنها كلمة لا أحد من أولئك يسمعها؟ هل إسرائيل تسمع العرب عندما يقولون نريد السلام؟ أم أنها تتحرك هي فتضرب وتقتل وتدمر؟. هل إسرائيل تجيب العرب عندما يقولون نريد السلام؟. هل الأمريكيون يجيبون العرب عندما يقولون نريد السلام؟. لقد أصبحنا جميعاً نعلم أن كلمة (سلام) كلمة لا قبول لها عند أولئك. وأن كلمة [سلام] كلمة ظل يتمسك بها زعماء العرب بعد أن أصبحوا على يقين من أنها كلمة لا أحد يستجيب لها من أولئك.

ونحن إذا ما نظرنا إلى هذه الأحداث على هذا الأساس فإنما نحن أيضاً انعكاس آخر لأولئك الزعماء الذين ظلوا يهتفون بهذه الكلمة أمام كل حدث يكون ضحيته تدمير منازل وإزهاق أرواح وإحراق مزارع.

عندما بدأت هذه الأحداث كلنا لمس أن هناك تحرك من نوع آخر، تحرك مكشوف، تحرك ترافقه عبارات صريحة تنبئ عن نوايا سيئة، تنبئ عن أهداف شريرة ضد المسلمين في كل بلد، ومع ذلك يبدو أن تلك الكلمة بدأت تتسرب أيضاً إلى مشاعرنا نحن كلمة [سلام] بذلك المعنى الذي تردد كثيراً ولم يستجب له أحد.

ها نحن نسمع أن اليمن نفسه يواجَه بحملة دعائية أنه دولة إرهابية وأنه بلد خصب للإرهاب. نسمع أيضاً بأن هناك محاولة بل هناك فعلاً دخول للأمريكيين إلى اليمن، الأمريكيين قد دخلوا كجنود بالمئات إلى اليمن، وإذا جاء أحد يتحدث مع الناس: إن علينا أن نستيقظ أمام ما نشاهد، وأمام ما نسمع، إن العواقب ستكون سيئة، إن المصيبة كبيرة، إن نوايا أولئك سيئة، إن علينا أن نستيقظ، إن علينا أن نعد أنفسنا حتى لا نكون من يسمح لأولئك أن يعملوا ما يريدون؛ حتى لا نرى أنفسنا في يوم من الأيام ضحية في الوقت الذي لا نستطيع أن نعمل فيه شيئاً. هناك من قد يرى أن السكوت هو أسلم، وأنه يجب أن نطالب بالسلام وأن نحافظ على السلام.

نحن ننسى أمام كل حدث، أمام كل حرب نواجهها ـ وهذه هي من المشاكل الكبيرة علينا ـ نحن ننسى أن نعود إلى القرآن الكريم، نحن ننسى أننا عبيد الله، والله هو رحيم بنا، وأن الله هو (السلام) وهو من سمانا (مسلمين)، وهو من سمى حتى جنته (دار السلام). أليس السلام هو من أسماء الله الحسنى؟ أوليس ديننا هو الإسلام؟.

أوليست الجنة هي (دار السلام)؟. أولم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية١٦).

ننسى أن من أسماء الله الحسنى (السلام)، وننسى أننا نحمل اسم كلمة (إسلام)، وننسى بأننا نسعى لأن نحظى بأن نكون من أهل (دار السلام)، وننسى أيضاً بأن كتابنا القرآن الكريم يهدي إلى سبل السلام. فلماذا لا نعود إلى القرآن لنعرف ما هو هذا السلام الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى. ما هو ذلك السلام؟ وأين هي سبل السلام التي يهدي إليها القرآن الكريم؟ إذا كنا نبحث عن السلام.

إذا كان زعماء العرب يبحثون عن السلام فإن عليهم أن لا يبحثوا عن السلام من أمريكا أو من إسرائيل أو من بلدان أوروبا، أوليس هذا هو ما يحصل؟ عرفات عندما أصبح سجيناً في بيته يوجه خطابه إلى أمريكا يناشدها بالسلام، والزعماء كلهم على طول البلاد العربية وعرضها يناشدون أمريكا بالسلام.

هل نسيتم أيها العرب أن ربكم هو السلام؟ هل نسيتم أن اسمكم مشتق من السلام؟. {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} (الحج: من الآية٧٨) ونحن نحمل اسم (مسلمين). هل نسيتم أن الله سبحانه وتعالى قال: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية١٦) فلماذا لا نعود إلى القرآن إذا كنا ننشد السلام لنعرف السبل التي يهدي إليها؟. أليس هذا هو الحل؟.

فنحن كل واحد منا - أيها الإخوة - أمام أي حدث يسمعه عليه أن يعود إلى القرآن قبل أن يفكر هو، قبل أن يفكر ويضع لنفسه تفسيرات قد تجعله يتخذ قرارات يظن أن من ورائها السلامة، وهي في الواقع إنما تكون عاقبتها الندامة. إذا كنا نريد السلام فلنعد إلى القرآن ليهدينا هو إلى السلام، ولنسر على هديه ليتحقق لنا السلام.

فلا أحد منا ينبغي أن يعود إلى نفسه أمام أي حدث عندما نسمع أن هناك اتفاق على أساس أن اليمن فيه إرهابيون، وأن هناك اتفاق على أن يكون هناك حرب للإرهاب ومنابع الإرهاب وجذور الإرهاب بالمعنى الأمريكي - أليس هذا حدث يخيف؟ - فالكثير قد يفكر: إذاً فإذا كانت كلمة (الموت لأمريكا) قد تثير الآخرين علينا فإن السلامة هو أن لا نتحدث بها. أليس هذا الشعور قد يحصل عند أي واحد منا؟.

فإذا كان دخول الأمريكيين إلى اليمن نحن نعلم أنه بداية شر في هذا البلد الميمون، ثم نرى بأن علينا أن نسكت؛ لأن لا تثيرهم فيدخلوا من جنودهم أكثر مما قد وصل، فحينئذٍ سيكون كل واحد منا يرى أن السلام سيتحقق من خلال السكوت، وأن السكوت، وأن الصمت، وأن الجمود هو وسيلة السلام. لا. لا.. إن هذا ليس منطق القرآن أبداً. ومن هو الذي يمكن أن نسمي قراره بأنه قرار صحيح؟ من يتخذ قراراً من عند نفسه، فيقول لنا بأن السلامة في ذلك القرار الذي اتخذه والحكمة التي وضعها .. أم من يعود إلى القرآن الكريم ليبحث عن سبل السلام التي يهدي إليها؟.

الآية صريحة {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}، فلنرجع إلى القرآن الكريم، هل طلب الله من عباده المؤمنين أن يصمتوا أمام الظالمين أمام الكافرين أمام اليهود والنصارى أم أوجب عليهم أن يتكلموا؟. أوجب عليهم أن ينفقوا، أن يجاهدوا، أوجب عليهم أن ينفقوا في سبيل الله، وجاء الأمر في ذلك بعبارة صريحة {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥).

ألم يقل هنا أنك إذا كنت تريد السلام فإن عليك أن تنفق في سبيل الله، إذا كنتم تريدون السلام فإن عليكم أن تتوحدوا فيما بينكم، أن تعتصموا بحبل الله جميعاً وأن لا تتفرقوا، أن تنفقوا في سبيل الله، أن تتحركوا، أن تعدوا ما تستطيعون من قوة. أليس هذا منطق القرآن؟. إنه بكل هذا يهدي إلى السلام، وإذا كنا نحن لا نفهم منطق القرآن فإن الأمريكيين هم يفهمون ذلك، لديهم مثل يقول [إذا كنت تريد السلام فاحمل السلاح].

عندما يقول القرآن الكريم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات: من الآية١٠) {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: من الآية٧١) عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) عندما يقول أيضاً: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ

يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) عندما يقول: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥) عندما يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية١٠٣) إنه بكل ذلك يهدينا إلى السلام، يهدينا إلى سبل السلام، فكل من ينشد السلام، كل من يريد السلام، كل من يعرف أن ربه هو السلام، إن عليه أن يتحرك على أساس القرآن.

ولنرى مصداق ذلك ماثلاً أمام أعيننا، [حزب الله] في لبنان أليس الآن يعيش في سلام؟، [حزب الله] في لبنان هل التزم الصمت والسكوت؟ أم أنه مجاميع من المؤمنين تشبعوا بروح القرآن الكريم التي كلها عمل وجهاد، كلها وحدة، كلها أخوة، كلها إنفاق، كلها بذل؟. هاهم الآن ـ على الرغم من أن إسرائيل وأن أمريكا يعلمان أنهم هم الإرهاب بعينه، وفق مفاهيم أمريكا وإسرائيل ـ هاهم الآن يعيشون في سلام. والإسرائيليون والأمريكيون هاهم يضربون الفلسطينيين ويضربون أينما شاءوا، هاهم يذلون زعماء تلك الملايين، زعماء يمتلكون مئات الآلاف من الجيوش المسلحة بأحدث الأسلحة، وذلك الحزب يعيش رافعاً رأسه، مجاميع من المؤمنين تعيش رافعة رأسها، تتحدث بكل ما تريد ضد إسرائيل، تمتلك قناة فضائية تسخرها كلها ضد إسرائيل، حتى فواصلها ضد إسرائيل، هاهي إسرائيل لا تجرؤ أن تضربهم بطلقة واحدة، أليس هذا هو السلام؟.

هاهي إيران نفسها ـ وأمريكا وإسرائيل تعلمان أن إيران هي الإرهاب بكله، هي الإرهاب بعينه، وأنها ليست فقط دولة إرهابية بل أنها تصدر الإرهاب حسب ما يقولون ـ هاهي دولة عندما وُجهت بتهديد أمريكي تجريبي ـ لأن الأمريكيين قد عرفوا الإيرانيين وعرفوا الثورة الإسلامية وعرفوا قادتها، لكن هذا الرئيس الأمريكي جاء ليعمل تهديداً تجريبياً لينظر ماذا ستكون ردة الفعل ـ والإيرانيين يفهمون كيف يقابلون الأحداث وكيف تكون ردود الفعل الصحيح، خرجوا: زعيمهم قائدهم رئيسهم، كل مسئوليهم والشعب كله خرج في مسيرات صاخبة تتحدى أمريكا.

ما الذي حصل بعد ذلك؟. هل تحركت أمريكا أو كررت شيئاً من عباراتها الجارحة لمشاعر الإيرانيين؟. أم أن الرئيس الأمريكي نفسه وُجه بكلام قاس من أعضاء [الكونغرس] الأمريكي نفسه، فقالوا له: إنك تثير الآخرين ضد مصالح أمريكا. ألم يتحقق بتلك المواقف العملية السلام للإيرانيين.

من الذي يعيش الآن يتلقى الضربات الموجعة من إسرائيليين؟ هل هم حزب الله أم الشعب الفلسطيني؟. لأن الشعب الفلسطيني كانوا كمثلنا يتوافد اليهود بأعداد كبيرة من كل بلد إلى فلسطين ولا يهتمون بذلك ولا يتدبرون عواقب ذلك. كانوا كمثلنا، وما أكثر من يرى هذه الرؤية ولا يأخذ الدروس من الأحداث التي قد وقعت. كان الفلسطيني يبيع منزله بمبالغ كبيرة يدفعها اليهود، يبيع منزله ويراه مكسباً، كما يبيع الناس هنا في بلدنا الكتب من تراثنا، يبيعون كتباً من تلك الكتب الزيدية المخطوطات القديمة، يبيعها بمبلغ كبير من الدولارات. أليس الناس هنا مستعدون أن يبيعوا منازلهم بمبالغ كبيرة؟ لا تتدبر العواقب.

الفلسطينيون كانوا يبيعون منازلهم ويبيعون أراضيهم. كان اليهود يتوافدون إلى بلدهم ولا يحسبون لذلك حساباً كما يتوافد الأمريكيون الآن إلى اليمن ولا نحسب لذلك حسابه ولا نفكر في عاقبته، الحال واحدة. ما الذي حصل؟ تحول اليهود إلى عصابات وضربوا الفلسطينيين.

إن كل من لا يرى أن عليه أن يتخذ موقفاً في بدايات الأمور فإنه قد لا يتخذ موقفاً حتى وإن أصبحت الأمور بالشكل الواضح، لو أصبح هناك ضَرْبٌ من الأمريكيين لليمن أو لمناطق في اليمن تحت مسمى أنهم يحاربون الإرهاب فسنجد أن هناك من يقول: (لا.. لا ينبغي لأي شخص أن يتحرك عندما تتحرك ستثيرهم أكثر). تبريرات لا تنتهي.

لكن ماذا كان عاقبتها في فلسطين؟. عندما توافد اليهود بأعداد كبيرة من كل بلد، وكان الفلسطينيون صامتين، وكانوا هكذا يسيرون على هذه الحكمة التي تقول أن السكوت من ذهب [إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب] هي حكمة! سكت الفلسطينيون فإذا بهم يرون أنفسهم ضحايا لعصابات اليهود، وإذا بهم يرون أنفسهم أيضاً مواطنين غرباء تحت ظل دولة يهودية، وإذا بهم في الأخير يرون أنفسهم كما نراهم اليوم على شاشات التلفزيون.

أليس هؤلاء يضربون كل يوم؟ هل تظن أن الفلسطينيين ليس فيهم من يقاتل؟. فيهم الكثير ممن يمكن أن يقاتل، فيهم الكثير ممن يمتلكون الأسلحة، [منظمة التحرير] تمتلك أسلحة وتمتلك جيشاً ،وتمتلك خبرات قتالية، كانت بعض الحركات في البلاد العربية تتدرب على أيدي الفلسطينيين لكنهم يمسكون بهذه الحكمة: (السكوت من ذهب)، والجمود هو الحل، والسكوت هو الحل، والمطالبة بالسلام من أمريكا هو الشيء الذي سيحقق لنا السلام. هؤلاء يضربون يوماً بعد يوم.

لو تحرك هؤلاء كما تحرك [حزب الله] في لبنان، لو انطلقوا ـ وهم الآلاف وفيهم الشباب وفيهم من يعرف كيف يستخدم الأسلحة ـ لو انطلقوا كما انطلق [حزب الله] في لبنان لحققوا لأنفسهم السلام كما حققه حزب الله لبلده ولشبابه ولمواطني جنوب لبنان. أليس هذا هو ما نجده ماثلاً أمامنا؟.

نحن علينا أن نأخذ الدروس ونحن في بداية الأحداث، لا يجوز بحال أن نسكت ونحن نسمع أن الأمريكيين يدخلون إلى اليمن. لماذا جاءوا؟. وماذا يريدون أن يعملوا؟.

نحن أيضاً من نردد كلمات التبرير لدخولهم فنقول: [إنما جاءوا ليدربوا الجيش اليمني]. هل أن اليمن إنما تحول إلى دولة، وتحول إلى بناء جيش من هذه السنة؟ أم أن لديه جيش تكون منذ سنين، وتدرب الكثير منه في بلدان أخرى، ولديه هنا مراكز للتدريب؟!. هل الجيش اليمني بحاجة إلى الأمريكيين أن يأتوا ليتدربوا؟. ومن أجل ماذا يتدربون لمواجهة من؟. الرئيس يقول: [هناك فقط ثلاثة إرهابيين ادعى الأمريكيون أنهم في اليمن ثلاثة إرهابيين]. هل مواجهة ثلاثة إرهابيين تحتاج إلى كتائب من الجيش الأمريكي وخبراء أمريكيين يدخلون اليمن؟!. وهل ثلاثة إرهابيين في اليمن ـ كما يقولون ـ تحتاج إلى أن ترسو السفن الحربية في سواحل اليمن أم أن هناك نوايا أخرى؟؟!.

ونحن ـ لأننا قد اتخذنا قرار الصمت والجمود وإغماض الأعين ـ من ستسكتنا، من سترضينا، من سنتشبث بكلمة مثل هذه. لا يمكن أن تكون واقعية.

ثلاثة إرهابيين في اليمن نحتاج إلى جيش أمريكي يأتي ليدرب الجيش اليمني على مواجهة ثلاثة إرهابيين!!.

ألم يدخل اليمن في حرب عام ١٩٩٤م حرب الشمال والجنوب ألم تكن حرب شديدة هل احتاج اليمنيون للأمريكيين أن يدربوهم؟. لم نحتج إلى ذلك.

إن دخول الأمريكيين إلى اليمن هو بداية شر، يريدون أن يعملوا قواعد في هذا البلد وإذا ما عملوا قواعد في هذا البلد فإنه سيكون قرار البلد بأيديهم أكثر مما هو حاصل الآن، سيحكمك الأمريكيون مباشرة، يؤتون الملك هنا من يشاءون وينزعونه ممن يشاءون ـ إن صح التعبير ـ ، يسيرون الأمور في اليمن كما يشاءون.

وهل نحن نظن بالأمريكيين خيراً؟. هل يمكن أن نقول أن أولئك الذين قال الله عنهم أنهم ما يودون لنا أي خير، أنهم لا يحبوننا، أنهم أعداء لنا، أنهم سيأتون من أجل الخير لنا؟ ومن أجل مصلحتنا؟ إنهم لا يمكن أن يتحركوا إلا ضدنا وضد مصالحنا، وإفسادنا وإفساد نفوسنا، وشبابنا، وإفساد كل شؤون حياتنا.

فإذا كنا نصمت ونحن نراهم، إذا كنا نسمع أن هناك من يجعل من نفسه جندياً يعمل على أنه متى ما قالوا فلان إرهابي أن يتحرك لأن يلقي القبض عليه ويضربه ثم نسكت، فإن العواقب ستكون وخيمة وسنرى أنفسنا أبداً لا يمكن أن يتحقق لنا سلام، ولا تبقى لنا كرامة ولا عزة، وسنرى قرآننا يُحارب، سنرى مدارسنا تغلق، سنرى علماءنا يسجنون، سنرى شبابنا يُقتّلون، سنرى مساجدنا تغلق، سنرى أنفسنا غرباء في بلدنا، نرى ديننا يُحارب. وفي نفس الوقت أيضاً لا يكون لنا عذرنا أمام الله سبحانه وتعالى فنكون في الأخير من قد أوقعنا أنفسنا في خزي في الدنيا، ومن قد جعلنا من أنفسنا من يستحق أيضاً أن يكون له العذاب العظيم في الآخرة.

علينا ـ أيها الإخوة ـ أن نفكر دائماً وكل من يقول أنه يريد السلامة، وأنه لا يريد أن تكون الأمور بالشكل الذي يتطور أكثر فأكثر، عليه أن يبحث عن السلام وفق منطق القرآن الذي قال الله فيه: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية١٦) وأن منطق القرآن كله عمل، كله جهاد ووحدة، وأخوة، وصدق ووفاء.

فإذا كنتم أنتم ـ أيها الإخوة ـ تفهمون ذلك فإنه شيء يجب علينا أن نسير عليه من الآن؛ لأن المرحلة طويلة كما قال أولئك هم، عندما تحركت القطع البحرية بعد حادث [نيويورك وواشنطن] قال الرئيس الأمريكي:

[إن المرحلة ستكون طويلة، وأن هذه عملية ستتطلب زمناً طويلاً]. خلال هذا الزمن الطويل ـ إنه الزمن الذي قد رسموه كافياً لأن يوصلونا إلى أحط مستوى ـ فإما أن نكون من يستغل تلك المرحلة الطويلة لأن يعودوا فينقلبوا على أدبارهم خاسرين، ونكون نحن من حققنا السلامة لأنفسنا ولديننا، ونكون نحن من حافظنا على ديننا وكرامتنا ومصالح بلادنا.

فإذا كانت المرحلة طويلة فإنها مرحلة سنرى أنفسنا في الأخير إما أعزاء كرماء شرفاء رؤوسنا مرفوعة وديننا عاليةٌ رايته، وإما أن نرى أنفسنا أسوأ مما فيه الفلسطينيين، فإذا كنا نسمع أولئك يقولون: [إنها مرحلة طويلة] فإننا من الآن يجب أن نحسب حساب ماذا يجب أن نعمل خلال تلك المرحلة الطويلة، التي جعلوها هي الزمن الكافي، تحت غطاء قيادة أمريكا لمكافحة الإرهاب، وتحت غطاء كلمة (إرهاب).

وإن أول ما يجب أن نعمله ـ وهو أقل ما نعمله ـ هو: أن نردد هذا الشعار. وأن يتحرك خطباؤنا أيضاً في مساجدنا ليتحدثوا دائماً عن اليهود والنصارى وفق ما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم. وأن نتحدث دائماً عن هذه الأحداث المؤسفة حتى نخلق وعياً لدى المسلمين، ونخلق وعياً في نفوسنا.

وأن يكون عملنا أيضاً كله قائماً على أساس أن تتوحد كلمتنا، أن يتوحد قرارنا، أن تتوحد رؤيتنا للأحداث، لا يجوز أن نكون على هذا النحو: هذا يرى أن السلامة في السكوت والجمود والصمت، وهذا يرى أن السلامة في العمل والجهاد والحركة والأخوة والوحدة؛ لأن هذا الذي يرى أن الصمت والسكوت هو الوسيلة هو سيتحرك مثلك في الساحة يدعو الآخرين إلى الصمت، عليه أن يفهم، وعليه أيضاً أن يجلس مع الآخرين إذا كان هو لا يفهم أن الصمت وأن السكوت في هذه المرحلة بالذات ـ ربما قد يكون الصمت في حادثة معينة، ربما قد يكون الصمت أمام قضية معينة، ربما قد يكون السكوت في حالة استثنائية له قيمته العملية ـ لكن الصمت في مرحلة كهذه لا قيمة له، لا قيمة له إلا الخسارة في الأخير، لا قيمة له إلا التضحية بالدين والكرامة والعزة، لا قيمة له إلا الإهانة.

ثم نرشد أنفسنا جميعاً إلى أن نبحث عن سبل السلام من خلال القرآن الكريم، الذي لا مجال للصمت والجمود ولا مكان للسكوت والجمود بين صدور آياته الكريمة، وحينئذٍ عندما نتحرك على هذا الأساس فنرفع هذا الشعار ونتحدث دائماً، ونوعّي أنفسنا بل أئمة مساجدنا عليهم أن يرددوا الآيات القرآنية في الصلاة، تلك الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى، نذكر أنفسنا من جديد بخطورتهم.

إن القرآن الكريم يؤكد أنهم هم الأعداء التاريخيون لهذه الأمة من ذلك الزمن وربما إلى آخر أيام الدنيا، وقد أعطانا الكثير الكثير من الهدى في سبيل كيف نواجههم، وأعطانا ما يجعلنا حكماء في مواجهتهم، وما يجعلنا أيضاً من يحول كيدهم وخبثهم إلى شيء لا أساس له ولا أثر له، إلى من يحوله إلى هباء منثور {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُبَصِّرنا وأن يُفهِّمنا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوحد كلمتنا، وأن يؤلف بين قلوبنا، ونقول: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

{إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، من بعثه الله بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

في البداية نقول: ما نحن إلا طلاب علم، ندعو إلى الله، ونحن نعلم أننا مقصرون تقصيراً كبيراً في هذا الميدان، ونحن نستغفر الله من كل تقصير، وإن كان لنا جهد في هذا الموضوع فما نحن إلا ثمرة من ثمار من بذلوا جهوداً عظيمة أكثر منا، وأسبق منا في هذا الميدان الذي هو في الأصل واجب على كل مسلم، واجب على كل مؤمن.

في هذه الآيات التي سمعناها جميعاً في صلاة [المغرب] آيات بليغة مناسب أن نتحدث حولها ولو أطلنا قليلاً في الحديث، نرجو أن نوفّق من الله سبحانه وتعالى إلى ما فيه صلاحنا وصلاحكم جميعا.

ما أعظم كتاب الله، وما أسمى معانيه، وما أشمل دلالاته، هدى ونور، موعظة وشفاء لما في الصدور، يخاطبنا بمختلف العبارات، وبشتى الوسائل؛ بحثاً عن كيف يهدينا بأسلوب عجيب. المتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى من هذه الزاوية يخجل أمام الله، وهو بكل وسيلة، وهو هو من جلّ سبحانه وتعالى في كبريائه، وتعالى في عظمته، يُظهر حبه لأوليائه بشكل عجيب، ويدعو جميع عباده للانضواء تحت لوائه والاستجابة لندائه، ويثني دائماً على نوعية متميزة من أوليائه، ممن آمن به، وآمن برسله وكتبه.

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}(فصلت:٣٠-٣٢) الذين قالوا ربنا الله - ليس فقط بألسنتهم - إيمان بقلوبهم، بكل مشاعرهم، إيمان بالله سبحانه وتعالى، إقرار بعبوديتهم لله، استسلام كامل لله.

{رَبُّنَا اللَّهُ} ربنا الله وحده لا شريك له، لا نعبد سواه، وعندما يقولون: ربنا الله، هم يفهمون ماذا تعني هذه الكلمة: أنه هو وحده الذي يملك حق تدبير شؤوننا في هذه الحياة، هو وحده الذي يملك حق الأمر والنهي فينا في هذه الدنيا، فلا أحد سواه باعتبارنا عبيداً له هو الذي خلقنا، هو الذي رزقنا، هو الذي مهد لنا هذه الأرض التي نعيش عليها، نحن مملوكون له بكل ما تعنيه الكلمة، لا أحد سواه يملك أن يشرّع لنا، لا أحد سواه يملك أن يتحكم كما يريد في شؤوننا، يأمر وينهى كما يريد في مختلف مجالات حياتنا؛ لأن الربوبية هي من التربية، الله هو الذي ربانا، ويربينا باستمرار، هو الذي يقوم بتدبير شؤوننا، هو القيوم على كل أمورنا.

ما أكثر من يقولون: الله ربنا، ولكن يدينون بالولاء لتشريعات بعيدة عن الله، لأنظمة بعيدة عن الله. هذا إقرار يناقضه العمل، أما الذين يقولون: ربنا الله بفهم كامل لهذه الكلمة فهُم قليل من عباد الله سبحانه وتعالى، هي كما سبق تعني: العبودية المطلقة لله، وفهم معنى العبودية ماذا يعني أنني عبد لله، أطيع الله فيما أمر ونهى، أعمل على كسب رضاه، أحبه وأتولاه، أكون من حزبه، أكون من جنده، أكون من أوليائه، أستقيم، أستقيم على هذا النهج، أفهم تعامله معي سبحانه وتعالى كعبد له في هذه الدنيا أنه لا بد أن يبتليني بتكاليف متنوعة، ما بين شاق على نفسي، أو شاق على جسمي، وما بين سهل، ما بين صعب علي باعتباره مخالف لهواي، أو لمصالحي الشخصية، أو لأي اعتبار آخر من الاعتبارات الدنيوية، وبين ما هو بعيد عن هذا الاعتبار.

جهل كثير من الناس، بمعنى تكليف الله لهم، جهل كثير من الناس بمعنى عبوديتهم لله تخلق إشكالات كثيرة جداً جداً، تؤدي في الأخير إلى مجرد الإقرار، الذي لا يتوافق معه العمل، ولا يتوافق معه حتى الاعتقاد .... أن أعلم بأنني عندما أقول: أنني عبد لله، وأقر بأن الله ربي، أن الله لا يكتفي مني بهذا، لا بد أن يمتحنني، لا بد أن يبتليني؛ ليتبين مصداق ما أدعيه، ويتبين استقامتي وثباتي على ما أدعيه.

وبالطبع تأتي الابتلاءات في مجالين: فيما نحب من الناحية المادية، وابتلاءات فيما يتعارض مع مطامعنا من الناحية المعنوية، ومع شعورنا وحب الاستعلاء لدينا من الناحية المعنوية.

لو كان التشريع، لو كان الابتلاء الإلهي لا يتناول هذه المجالات التي هي محك حقيقي، ودليل حقيقي على الصدق من الكذب، لكان كل الناس يدّعون الإيمان ويدعون العبودية لله. لكن لا {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} (آل عمران: من الآية١٧٩) لا بد من الابتلاء {الَمْ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (العنكبوت:٢-٣).

[ابتلانا الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالجانب المالي بابتلاءات كثيرة] ما أوسع إطار التشريع في الجانب المالي بدءاً من الزكاة وانتهاء بالإنفاق في سبيل الله، وكم ارتبط بالمال من تشريعات وكم اتجه إلى قضية المال من آيات تحث على الإنفاق، وتعد بالأجر المضاعف على الإنفاق وتتحدث عن الإنفاق بأنه دليل مصداقية المؤمن، تتحدث عن بذل المال بأنه وسيلة من وسائل تزكية الروح وسموّها {ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (البقرة:١-٣) ومما رزقناهم ينفقون، {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} (آل عمران: من الآية١٣٤).

وهكذا يسير القرآن يتحدث عن قضية المال، لأنه من الممكن أن يبتليك الله بالصلاة مثلاً، وإن كانت الصلاة لها مقام سامي عند الله سبحانه وتعالى فيما إذا أُدِّيَت بالشكل المطلوب، وبالتوجه الكامل تترك أثراً كبيراً، لكن لو نأتي إلى عمل استبيان لنا كمسلمين كم نسبة المصلين، وكم نسبة المنفقين من بين المصلين؟ سنجد المصلين بنسبة ربما ٧٠٪، المنفقين ربما لا يكونون بنسبة ١٠٪؛ لأن الصلاة لا تكلفنا في مالنا شيئاً، الصلاة ست دقائق، وأنا أديت أربع ركعات كاملة بدون أن أخسر شيئاً، لكن المال؛ لأنني أحبه حباً شديداً يمكن أن أتلكأ، يمكن أن أتنكر، كثير من الناس حتى الزكاة المفروضة يلف ويدور ويصول ويجول حتى يلتهمها ومصارفها موجودة بين يديه.

فريضة من أعظم الفرائض، فريضة هي ركن من أركان الإسلام اتجهت نحو المال هي الزكاة، واجب من أهم الواجبات هو نصر دين الله مرتبط بالمال أيضاً، واجب من أهم الواجبات هو العمل على نشر دين الله والدعوة إلى إصلاح عباده مرتبط بالمال أيضاً لدرجة أن الله سبحانه وتعالى قال عن صفات المؤمنين فيما يتعلق بالجانب المالي وفيما يتعلق بالجانب النفسي: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} بأن لهم الجنة {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(التوبة: من الآية١١١) يقاتل بنفسه وماله.

المؤمن الصادق في إيمانه يصل به الحال إلى هذه الدرجة: أن يبذل نفسه، ويبذل ماله مهما كان عزيزاً لديه، مهما كان محبوباً لديه، يبذله في سبيل الله، لماذا؟ الله طلب منا أن ننفق وله خزائن السموات والأرض، وهو القادر على أن يمول ما يريد بدون أن يطلب منا نحن أن ننفق؛ لأن القضية هي مرتبطة بنا، قضية ابتلاء، وليست قضية استعانة منه سبحانه وتعالى بنا، قضية ابتلاء لنا: هل نحن صادقون في إيماننا، هل نحن صادقون في عبوديتنا لله؟ إذاً سنطبق ما يريد منا حتى وإن كان فيما يعز علينا سنمتثل، سنطبق، سننفذ.

ولذلك الله خاطبنا في هذا المجال في القرآن الكريم بأسلوب عجيب سمّاه قرضاً {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً} (البقرة: من الآية٢٤٥) استقراض، لأنه يعلم أننا شديدي الحرص على المال، فلم يكتف سبحانه وتعالى ـ لأنه رحيم بنا ـ لم يكتف أن يبتلينا في المال فقط، وهو قادر على ذلك يقول: أنت أنفق، أد الزكاة، بل دفعنا بلطفه، برحمته إلى أن نلتزم في هذا الجانب فنطبق، ونبرهن على صدق إيماننا، فأحاط مسألة المال بكثير من الترغيب.

أولاً: سمّاه قرضاً، وهو الغني، هو ملك السموات والأرض، يقول للعبد من عباده: أقرضني، اعتبر هذا المال الذي أريد منك أن تنفقه في سبيلي، أو على مسكين من عبيدي، أريد منك أن تعتبره قرضاً لدي، وأنا ملتزم أن أرد إليك ما أقرضتني مضاعفاً! {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً} أليس هذا من رحمة الله بنا؟ أنه يشجعنا على تنفيذ هذا الواجب الذي هو صعب على نفوسنا.

يقول سبحانه وتعالى أيضاً: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٦١) يعد بمضاعفة إلى نحو سبع مائة ضعف، ريال تنفقه في سبيل الله يتضاعف لك أجره إلى نحو سبع مائة ضعف {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} إلى ما هو أكثر من هذا المقدار، ويعد بشكل صريح {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (سبأ: من الآية٣٩) {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} (الأنفال: من الآية٦٠).

نلاحظ كيف أنه برحمته سبحانه وتعالى يدفعنا إلى أن ننفذ هذا الواجب الشديد على نفوسنا بترغيب كبير كبير جداً جداً، يسميه قرضاً سيرده [مثني، مثلوث، معشور]، وعد بأنه سيخلف فعلاً، ما أنفقته سيرده عليك في الدنيا هذه بطريقة أو بأخرى، وإن لم أكن أعلم، أو أستطيع أن أعرف من أين سيأتي تعويض ما أنفقت، يعدني بمضاعفة الأجر إلى سبع مائة ضعف، وإلى ما هو أكثر من ذلك، ومع هذا لا تزال نسبة الملتزمين بهذا الأمر الإلهي الهام ـ على الرغم من كل هذا الترغيب الكبير ـ لا يزال نسبة قليلة جداً من الناس أقل بكثير من نسبة المصلين، أقل بكثير من نسبة الصائمين؛ لأن المال محك {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً} (الفجر:٢٠) ودليل على صدق العبودية، ودليل على صدق الإيمان، بل جعله صفة من صفات المؤمنين، المؤمن الذي يتصور بأن بإمكانه أن يكون مؤمناً والجانب المالي لا أحد يمسه غير صادق في إيمانه أبداً، غير صادق في دعواه للتقوى. فالابتلاء في هذا المجال كان بهذا الشكل.

ابتلانا أيضاً فيما يتعلق بالجانب المعنوي باعتبار الإنسان يحب التعالي، والسمو، والرفعة، ولا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، لا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، ولا يريد أن يبصر فوقه من يمكن أن يدين له بالفضل عليه، أو بأنه أفضل منه، هذه تناولتها ابتلاءات كثيرة جداً، هذا المجال تركيعي، تركيعي كعبد لله سبحانه وتعالى، أحطم كل هذا الكبرياء ابتلاءات كثيرة منها الحج، الحج ماذا يعني؟ أليس هناك بيت من أحجار، في مكان محدد؟ أحجار، وهناك مواقف أخرى، عرفات، منى، مزدلفة، مواقع محددة، أماكن ترمي فيها أحجار، أماكن لازم أن تبيت فيها، بيت لابد أن تطوف حوله، مسعى لابد أن تتحرك فيه، من هذه الصخرة إلى هذه الصخرة.

أيضاً هذا ابتلاء يتجلى مدى صدق ادعائي العبودية لله، أنا لا يمكن أن أقول: لماذا يأمرني أن أطوف حول هذه الأحجار؟ ما قيمتها؟ ما فائدتها؟ ما أهميتها؟.. وهكذا.. إلى مجالات أوسع فيما يتعلق بهذا الجانب، جانب تحطيم الكبرياء التي تتعارض مع ما تتطلبه العبودية من تسليم لله سبحانه وتعالى. مع ما يقتضيه الإقرار بالعبودية لله من تسليم كامل لله سبحانه وتعالى.

إذا فعندما تقول: ربنا الله، ربنا الله، يجب أن أفهم بأن معنى هذا: أنني عبد له، وأنا أعلم أنه سيبتليني في مالي، وفي الأشياء المعنويات لدي، سيبتليني بالأشياء المعنويات لدي.

عالم من علماء بني إسرائيل ابتلي وسقط في الامتحان، واهتز، وضرب الله له مثلاً سيئاً: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} (الأعراف: من الآية١٧٦) لأنه لم يرتاح لموسى، أو يدين بالفضل لهذا الشخص، فهو معتز بأنه عالم، بأنه كذا..

عبد الله بن أُبي، لماذا تحول إلى منافق، وزعيم للمنافقين أيضاً لماذا؟ ابتلي من هذا النوع من الابتلاء، كان قبل أن يَصِلَ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويتفق مع مجموعة كبيرة من سكان المدينة ممن أسلموا على أن يهاجر لديهم ـ كانوا قد اتفقوا قبل وفي وقت من الأوقات على أن يتوِّجُوه ملكاً عليهم، على الأوس والخزرج، جاء محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأخذ الوجاهة كلها، واتجه الناس نحوه، نبي يوحى إليه تجب طاعته، طاعته من طاعة الله.

هذا الشخص كان قد أحب الكبرياء والملك والعظمة، وأن يتوج كملك على قبيلتين كبيرتين: الأوس والخزرج، ماذا عمل؟ لو أنه أدرك المسألة، واستسلم لله، وآمن؛ لأنه ما قيمة هذا الـمُلك الذي كنت أطمع فيه، وهذا التاج الذي كنت أرغب فيه، وهذه الكبرياء التي كنت أريد أن أصل إليها، ما قيمتها مع نعمة بين يديَّ نبي أعيش معه، نبي أطيعه، نبي ألتزم بأوامره، يوحى إليه مباشرة من الله سبحانه وتعالى، لكنه أيضاً سقط في الامتحان، ونسي أنه عبدٌ لله، وتحول إلى شخص يكيد، ويمكر، ويعمل بكل وسيلة لمحاربة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والدعوة الإسلامية، فاعتبر منافقاً بل كبير المنافقين، وأصبح مذموماً عند المسلمين جميعاً.

إبليس نفس الشيء تعرض لامتحان من هذا النوع، من هذا النوع، تجد أنه كان في صفوف الملائكة نحو من ستة آلاف سنة، يعبد الله سبحانه وتعالى، لكن حتى الملائكة أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، وحتى الأنبياء أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، الابتلاء الذي ينسف التعالي، ينسف التعالي، استسلام كامل لله سبحانه وتعالى، الله لما خلق آدم أمر الملائكة كلهم أجمعين بالسجود لآدم، الملائكة يحملون عقولاً كبيرة، ووعياً، وفهماً، ويعرفون معنى عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، استجابوا، استجابوا، لم يقولوا هذا خلق من تراب ونحن خلقنا من نور، والنور أفضل من التراب، ولا يمكن، و..و..لا، إبليس وحده استكبر، استكبر، ورفض أن يسجد لآدم بعد أمر الله سبحانه وتعالى {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (ص:٧٤).

سقط في الامتحان أيضاً وكذب في ادعائه العبودية لله التي ضل عليها ستة آلاف سنة، فترة ليست قصيرة، ليست بسيطة، تفلسف لنفسه بما يعزز لديه الشعور بالتعالي، الاحتفاظ بشعور التعالي لديه! {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (الأعراف: من الآية١٢) لا يمكن، واقتنع بهذا المبرر!.

الإنسان نفسه قد يصل إلى هذه الحالة، قد تقف أمام تشريع إلهي، أو ابتلاء إلهي من هذا النوع، فتأتي لتتفلسف لنفسك، وتخترع مبرراً معيناً تكرره على ذهنيتك، وتقنع به اقتناعاً سطحياً؛ لتحتفظ بما، توجه الابتلاء الإلهي إلى ضربه.

[عندما تسير على النهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لك فتشعر] بعظمة الله، أنت تسير في طريق التكامل نحو الله سبحانه وتعالى؛ لأنك عبَّدت نفسك لله، وكل ما يشرعه الله لك إنما هو من أجل تكريمك، حتى هذا الذي يبدو لك في الصورة وكأنه إذلال لك، إنه تكريم في النهاية، إنه تكريم في النتيجة، لكن العكس هو الذلة أن أتعالى، وأرفض، أقول: لا، {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} ماذا كانت النتيجة؟ ألم يُطرد إبليس؟ ألم يلعن؟ ألم يلعنه أولياؤه وأعداؤه من البشر؟ ويضل ملعوناً طريداً منذ أن ارتكب هذه المخالفة إلى يوم الدين، يذكر بشيطان رجيم، ملعون في الدنيا وفي الآخرة، هل اعتز إبليس؟ هل بقيت له مشاعر العظمة؟ {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}

أم أن الله نسف كل هذه العظمة، وألزم كل عبيده بلعنه وطرده من السماء {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً} (الأعراف: من الآية١٨).

هكذا الابتلاء، نحن لا بد أن نسلّم أنفسنا لله، عندما نقول: ربنا الله، ربنا الله، وفي نفس الوقت نستقم {ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، ثم استقاموا، أن أقول: ربي الله بإقرار هو تسليمي، وتسليم، والتسليم، أو الشعور بالتسليم هي حالة نفسية، أنا من داخل من أعماق نفسي أقر بعبوديتي لله، وأسلّم نفسي لله، وأقبل أيَّ تشريع من الله، سواء توافق مع مصالحي، أو خالفها، سواء توافق مع رغباتي، أو خالفها، سواء انسجم مع كبريائي، أو خالفها، أنا عبد لله، أسلّم، هذا لا بد أن يكون منطلقاً من داخل مشاعرك، ثم تستقم {ثُمَّ اسْتَقَامُوا} (فصلت: من الآية٣٠) الاستقامة على ما أمرك الله به، الاستقامة على ما تعبدك الله به، الاستقامة على النهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لك.

الاستقامة قضية مهمة؛ لأنه في ميدان الابتلاءات يحصل اهتزازات عند تضارب الفتن، وتزاحم الأقوال، والآراء، والاختلافات، تحصل اهتزازات كثيرة للإنسان، كثير من الناس عندما يتعرض لابتلاءات يتخلى عن كل شيء، وينحرف عن خط الاستقامة، ينحرف عن خط الاستقامة، الاستقامة نفسها قضية مهمة، الله سبحانه وتعالى أمر رسوله(صلوات الله عليه وعلى آله) {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (هود:١١٢١) استقم أنت يا محمد؛ ليقول لنا سبحانه وتعالى بأن كل شخص من عبيده يجب أن يستقيم كما أمر، وأنه لا يجوز له أن يطغى، إذا طغى سيعاقب، إذا طغى سيعذب سواء كان نبياً، سواء كان ابن نبي، سواء كانت زوجة نبي، سواء كان صاحب نبي، كائنا من كان، ليس هناك أحد فوق أن يكون مستقيماً لله.

محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أفضل الأنبياء يقول الله له: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} (هود: من الآية١١٣) يهدد محمداً(صلوات الله عليه وعلى آله).

نحن فيما بيننا نتأول أحيانا لبعض أشخاص؛ لأننا رُبِّيْنَا على توليهم، أو قالوا لنا: عظماء، ليست مشكلةً إذا حصل مخالفة، ليست مشكلة منه. لا، يجب أن نحكم على الناس بحكم القرآن، وأن تكون نظرتنا إلى الناس جميعاً هي نظرة القرآن، أنه ما دام وقد أُمر محمد بأن يكون مستقيماً فلا بد أن يستقيم كل الناس، وأنه ما دام وقد هُدِّد محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فيما إذا انحرف عن الاستقامة بأن يعذب، إذاً فكل الناس كائناً من كان، سواء كان صحابياً، أو من أهل بيت رسول الله، أو من عامة الناس، أو خاصتهم، ليس أحد فوق هذا الحكم إطلاقاً.

الاستقامة في هذه الدنيا على شرع الله، وعلى نهج الله، تحتاج إلى عدة عوامل حتى توفر لنفسك خط الاستقامة، أولاً: أن يكون قوي الصلة بالله سبحانه وتعالى، دائم الإلتجاء إلى الله في كل المواقف، في كل الابتلاءات، في كل حياتك، دائم الرجوع إلى الله، أن تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يثبتك، أن يرزقك الصبر؛ لأن الاستقامة تحتاج إلى الصبر، الاستقامة تحتاج إلى الصبر؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف: ((بأن موقع الصبر من الإيمان كموقع الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس فيه))، أيضاً لا خير في إيمان لا صبر فيه.

الإلتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، عندما تتأمل في كتاب الله كيف كان من وصفهم بأنهم عباده، وأولياؤه، دائمي الرجوع إليه، دائمي الدعاء له {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} (البقرة: من الآية٢٥٠) {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} (آل عمران: من الآية٨) في آخر سورة [البقرة] {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} (البقرة: من الآية٢٨٦) يا إلهي أنت تعلم أنني عبد ضعيف، أرجو منك أن لا تعرضني لابتلاء أهتز معه، وأنا حريص على نهج الاستقامة، {رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٨٦).

أول شيء الرجوع إلى الله، الإلتجاء إلى الله، والإنسان بحاجة إلى أن يكون دائم الدعاء لله في هذا المجال خاصة تدعو الله بالتوفيق، تدعو الله أن يرزقك الاستقامة، تدعو الله أن يرزقك الصبر؛ لأن كل أمورنا، وكل شؤوننا في هذه الدنيا كثير منها يعرضنا للإنحراف عن خط الاستقامة، كم يمر الإنسان في حياته بمواقف، وكم نرى من أناس كثيرين ينحرفون عن خط الاستقامة في كثير من مواقفهم، هذا أول شيء.

الشيء الثاني: أن تعلم أولاً ما هو النهج الذي يريد الله منك أن تستقيم عليه، يكون لديك معرفة طريق مَن أستقم عليه؟ مع من أستقم؟ تحت راية من أستظل؟ هذا الشيء لا بد منه، عقائد معينة أعرف أنها صحيحة، أستقم عليها، معاملات معينة أعلم بأنها صحيحة أستقم عليها، سلوك معين في هذه الحياة أعلم بأنه صحيح أستقم عليه، لا بد من المعرفة لخط الاستقامة، ولنهج الاستقامة حتى أسير على هذا النهج، ولا يبقى لي إلا أن أصبِّر نفسي عليه، أنا واثق منه، ولم يبق عندي إلا أن أرجع إلى الله أن يثبتني عليه.

الاستقامة معناها على صراط الله المستقيم، ألسنا نقرأ في صلاتنا، وشُرع في الصلاة واجباً لا تقبل الصلاة بدون [فاتحة الكتاب]؛ لأن فاتحة الكتاب مهمة جداً جداً، معانيها عظيمة جداً جداً، في هذا الموضوع بالذات، نقرأها في كل صلاة فريضة أو نافلة، نكررها في الصلاة مرتين أو أكثر {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:١-٥) إياك نعبد وإياك نستعين {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة:٦-٧).

في آخر هذه السورة، في نصفها الأخير، نصفها الأخير إقرار بالعبودية لله: إياك أعبد، لا أعبد سواك، وبك أستعين على أن أعبدك، وأن أستقيم على عبادتك، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} نستعين في هذه السورة معناها الأساسي هو: الاستعانة على أداء عبادة الله، أكثر من الاستعانة في شؤون الحياة الخاصة الدنيوية؛ لأن الكثير من أعمال الدنيا، وكثير من تدبير أعمال الدنيا الله خلق لنا قدرة على ابتكار الكثير من الآلات التي تساعدنا، وتعيننا على تيسير أعمالنا الدنيوية، خلق لنا الثور، وابتكرنا المحراث لنحرث، نستطيع أن نحرث [الجربة] الفلانية وأسهل عليّ من أن أبدأ أشتغلها بيدي من طرفها إلى طرفها..

أبتكر الإنسان كثيراً من الوسائل التي أعانته على شؤون حياته الخاصة في بناء البيوت، في بناء المساجد، في بناء المدارس، في التواصل فيما بينهم، في الوصول إلى المسافات البعيدة.. ابتكر الإنسان كثيراً من الوسائل هذه، فعبارة {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} في [الفاتحة] هي تعني بشكل أساسي أن نطلب من الله أن يعيننا على أداء عبادته، وعلى تعبيد أنفسنا له.

ثم تتجه السورة بشكل دعاء {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ونكرر دائماً اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا الصراط المستقيم، كل يوم، كم تقرأها هذه؟ على أقل تقدير عشر مرات، أقل تقدير عشر مرات، إذا كنت فقط تصلي خمسة فروض في كل فرض تقرأها مرتين، عشر مرات، ناهيك عن النوافل، والوتر، وسنة المغرب، وسنة الفجر، وسنة الظهر.. ومع هذا لم نلتفت مرة من المرات إلى ماذا يعني، ماذا يعني أن تُشرّع سورة [الفاتحة] التي فيها هذا التكرير الدائم على مسامعنا كل يوم ما يقارب من خمسة عشر مرة {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} دعاء بالاستقامة أن يهديني إلى صراطه، صراطه الذي هو صراط مستقيم؛ لأستقيم عليه.

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} على أساس أن صراط الله المستقيم لا بد أن يكون له معالم من عباده، لا بد أن يكون له معالم من أوليائه فقال: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} أنا لا أريد أن أنحرف إلى صراط المغضوب عليهم، ولا أريد أن أنحرف إلى صراط الضالين. الضالون هم: الذين ينحرفون بدون معرفة، عقائد باطلة. المغضوب عليهم هم: الذين ينحرفون بعلم ويدعون إلى باطل وهم يعلمون ذلك، مغضوب عليهم: مسخوط عليهم.

بعض الناس يفسرونها بتفسير، تفسير يفصلنا عن هذه السورة تماماً بأن المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى! المغضوب عليهم والضالين هما خطّان يسيران في الحياة باستمرار، وما من عصر إلا وفيه من يسيرون على الصراط المستقيم، ما من عصر، ما من زمن إلا وفيه من أنعم الله عليهم بالسير على الصراط المستقيم، وفيه من هم مغضوب عليهم، وفيه من هم ضالون، في كل عصر؛ لهذا الله أوجب علينا كمسلمين [أن ندعوه دائماً {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}.

نحن قد قطعنا علاقتنا مع اليهود تماماً، ونحن لا نسير على خط اليهود العقائدي أبداً. إذاً فنحن بحاجة ماسة ومستمرة.. على أساس أن في هذه الدنيا مغضوب عليهم وضالين دائماً. ونحن نشاهد مواقف وتشريعات ودعوات ضالة، نشاهد أشخاصاً يعلمون الحق ويكتمونه، مغضوب عليهم، وضالين.

نحن نريد من الله سبحانه وتعالى بدعائنا في هذه السورة باستمرار أن يهدينا صراطه المستقيم {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} يدل على أهمية القضية، على أهمية الموضوع، أننا بحاجة دائمة وماسة إلى الله، أن تتجه إليه أن يهديك في كل مواقفك. أنت ستمر حتى في مواقفك غير التشريعية بمواقف فيها حق وباطل تحتاج من الله أن يوفقك إلى الحق في هذا الموقف الذي أقفه، أيَّ موقف كان من شؤون الحياة.

هذه هي الاستقامة التي لا بد من توفير الإلتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، ومن المعرفة بخطّها حتى نسير عليها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يعيننا على الاستقامة، وأن يوفقنا إلى الاستقامة، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الإسلام وثقافة الإتّباع

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢/٩/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

في البداية نقول للجميع: كثّر الله خيركم، وبارك فيكم ولكم، ونشكركم على كرم ضيافتكم وحسن استقبالكم، والجلسة هذه هي عبارة عن سمرة قابلة للحديث المتبادل، ويهمنا جميعاً أن نعرف أشياء كثيرة مهما أمكن من خلال هذه الجلسة، تعرفوا ما لدينا، ونعرف ما لديكم. كل ذلك من أجل أن يكون الجميع عارفين أين يتجهون، وفاهمين ماذا يعملون.

الله سبحانه وتعالى يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} (المائدة: من الآية٣) **هذه الآية المهمة تعتبر دليلاً قوياً وشاهداً عظيماً على أن الله سبحانه وتعالى باعتباره إلهنا، وملكنا، وسيدنا، ومولانا، عمل على أن يكمل لنا هذا الدين. دين كامل لا نقص فيه، واسع بسعة شؤون الحياة، واسع بقدر ما يتاح للإنسان، أو ما يقدر للإنسان أن يحصل عليه من كمال، في زكاء نفسه، وسمو روحه، بل هو فعلاً، هذا الإسلام هو أوسع، وأشمل مما يمكن أن يتصور الإنسان سواء في واقع الحياة أو بالنسبة لنفسه.**

{أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} في الوقت الذي يسميه دينه هو يسميه أيضاً ديننا، هو ديننا، أضافه إلينا، ندين له سبحانه وتعالى به، نتعبد له سبحانه وتعالى به، نتعامل مع بعضنا بعض على أساس أحكامه، وتوجيهاته، ومبادئه، نعمر الحياة كلها على أساس توجيهاته، ومبادئه، ومنهجه وقيمه بشكل عام. هو دين كامل، هو دين لنا، نحن في أمس الحاجة إليه.

الله سبحانه وتعالى عندما شرع لنا هذا الدين؛ لأننا في أمس الحاجة إليه، إلى هذا الدين، حتى لو لم يكن وراءه جنة لكنا كما هو معلوم عن البشر أنهم يحتاجون إلى نُظُم، يحتاجون إلى قوانين، يحتاجون إلى دساتير، يحتاجون إلى شيء ينظم حياتهم كأمة، لكنا محتاجين إليه حاجة ماسة حتى ولو لم يكن هناك وراءه جنة.

أما وقد جعله سبحانه وتعالى أفضل نظام للحياة، أفضل نظام يسود المجتمع البشري، أفضل نظام يرعى حقوق الإنسان وكرامته، ومع ذلك تفضلاً منه سبحانه وتعالى يجعل من وراء تطبيقه، والالتزام به، والعمل به، الثواب العظيم، الجزاء العظيم، الجنة، والقرب منه سبحانه وتعالى. هذه هي النعمة العظيمة.

نحن نجد في الدنيا عندما تعمل الحكومات قوانين، تعمل دساتير، أليسوا يفتخرون أننا أنجزنا انجازات مهمة، وعملنا قوانين هي تساعد على الاستثمار الخارجي في داخل بلادنا، وعلى كذا وكذا. ولو نأتي إلى هذه القوانين، وهذه الدساتير نجدها تقف عند هذا الحد. هل وراء الدستور جنة؟ أو وراء القوانين الجنة، والقرب من الله سبحانه وتعالى، والزلفى لديه؟ لا، قانون مرتبط بالدنيا فقط، ينتهي عند تطبيقه.

ومع ذلك تجد تلك الدساتير ناقصة، تبدو تلك القوانين ناقصة، يظهر فيها جهل الإنسان، وقصوره. لا يمكن لأي طرف أن يشرّع للإنسان نظاماً للحياة إلا من يعلم السر في السموات والأرض، من هو محيط علمه بكل شيء، وهو الله سبحانه وتعالى.

أما الإنسان مهما كان خالص النية، حسن النية، مخلص للناس، فإنه قاصر، هو ناقص، علمه محدود، إدراكه محدود، فهمه محدود؛ ولهذا نجد كم يعدّلوا في القوانين، والدساتير! وكم يحولوا، ويبدلوا داخلها، بين حين وآخر نصوص بدل عن نصوص، فقرات بدل فقرات، وأحياناً قانون بأكمله يغير نسبة كبيرة منه!

الله سبحانه وتعالى عندما جعل هذا الدين كاملاً، هو وحده، وحده الذي يستطيع أن يضع ديناً كاملاً، يوفق بين ضبط التعامل، تعامل الإنسان مع الإنسان، وتعامله مع الحياة بصورة عامة، وفي نفس الوقت بناء روحه، زكاء نفسه، طهرها، سموها، تكاملها.

عندما أقرأ دستور من الدساتير، عندما أقرأ قانوناً من القوانين لا أجد فيه ما يجعل نفسي زاكية، ما يجعل نفسي طاهرة، ما يجعلني أحس أنني أتدرج في مدارج الكمال. لا يمكن أن يحصل هذا. دين الله سبحانه وتعالى

هو وحده الذي هو على هذا النحو: يبني الإنسان من داخله، ويبني الحياة، يبني الأمة، تقوم عمارة الدنيا على أساسه، وتقوم عمارة النفوس على أساسه.

لا أحد من المخلوقات كلها، لا ملائكة الله، ولا أنبياء الله، ولا أحد من أوليائه، ولا أحد من العباقرة من خلقه يستطيع أن يشرع على هذا النحو؛ ولهذا رد الله سبحانه وتعالى على من حاولوا أن يلصقوا بالقرآن الكريم تهمة أنه افتراه فقال: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ}(يونس: من الآية٣٧).

هذا القرآن لا يمكن أن يأتي أحد بمثله: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} (الإسراء: من الآية٨٨) **والقرآن كله من ألفه إلى يائه ما هو؟ هداية، يهدي للتي هي أقوم؟ {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} هداية للبشرية جميعاً، في جميع مجالات الحياة، مهما تشعبت، مهما اتسعت، مهما اتسعت وتشعبت، يبدو القرآن أوسع.**

من الغريب عندما تسمع أحياناً عندما يقول لك بعض الناس: هذا العصر اتسع، والشؤون اتسعت، لازم نحاول نؤقلم الدين، يتكيف مع مظاهر هذا العصر، وإلا قد يتجاوزه الزمن، تتجاوزه الحياة، يتجاوزه التطور! . مهما تشعبت الحياة، مهما تقدمت الحياة، مهما اتسعت عمارة الأرض، يظل الإسلام أوسع، ويظل القرآن أوسع، وأشمل، وأكمل. هذا شيء لا شك فيه.

إنما الإنسان هو، المشكلة من داخله هو، أننا لم نستطيع أن نفهم عظمة هذا الدين، وأن نعرف كمال هذا الدين؛ حتى ننشد إليه أكثر، ونثق به أكثر، ونرتبط به، ونحرص عليه، ونعمل على رفع رايته، والجهاد من أجل إعلاء كلمته، والدفاع عنه.

عندما يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ} التاء هنا هو ضمير يعود إلى الله، وهو الكامل المطلق، هو ذو الجلال والإكرام، هو الملك، هو القدوس، هو السلام، هو المهيمن، هو العزيز، هو الجبار، هو المتكبر، هو عالم الغيب والشهادة، هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، هو الرحمن، هو الرحيم، هو الحكيم، هو العليم، الكامل المطلق سبحانه وتعالى.

عندما يقول هو: أنه أكمل شيئاً فإن هذا الشيء فعلاً يكون كاملاً، على أرقى ما يتصور الإنسان. هل يمكن أن يقدم الله سبحانه وتعالى دينا ناقصاً وهو الكامل؟ عندما يقول: إنني أكملت لكم هذا الدين، فبقدر ما تعرف كمال الله سبحانه وتعالى فإن دينه انعكاسا لكماله، كامل بكماله مشرِّعه، كامل بكمال من هدى إليه، ورسم منهجه.

مشكلتنا هي هذه: أننا لم نتعرف على الدين، لم نفهمه بالشكل الصحيح، بل إننا تقريباً لا نهتم به كما نهتم بأي شيء من هامش حياتنا، فتبدو النظرة لدينا وكأن الدين شيء، وشؤون الحياة شيء آخر! وكأن ما يهمنا شيء وما يجب أن نتحرك فيه في هذه الدنيا شيء، والدين شيء آخر.

الدين هو نظام لكل شيء، نظام لكل شيء. ليس هناك شيء ليس للدين علاقة به، ليس للدين وجهة نظر فيه، ليس للدين موقف منه، كل تصرفاتنا مع بعضنا بعض، مع كل ما حولنا من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، كلها لا تخرج عن أن يكون للدين موقف فيها، كلمته فيها.

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} لا حظوا هذه العبارات المهمة: كمال، وتمام، من الكامل المطلق سبحانه وتعالى هو أكمل، وهو أتم هذه النعمة، فلا يمكن أن تتصور أن هناك قصور في هذا الكامل، هذا الدين الذي أكمله الله، ولا قصور في هذه النعمة التي أتمها الله سبحانه وتعالى. لماذا سماه نعمة؟ لأنه يعلم سبحانه وتعالى إذا كنا لا نعلم أننا في أمس الحاجة إلى دينه، وأن حياتنا لا تستقيم إلا على أساس دينه، وأن نجاتنا لا تتحقق إلا على أساس دينه.

فهو يعلم سبحانه وتعالى أنه قدم لعباده نعمة عظيمة، وليس فقط أي نعمة من أطرف ما عنده، أو أي شيء وقعت يده عليه، تفضلوا. أتمها؛ ولهذا قال في القرآن الكريم سبحانه وتعالى، عندما يتحدث عن آياته أنه فصلها تفصيلاً، أنه تنزيل من حكيم حميد، من حكيم خبير، {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} (الفرقان٦) هكذا؛ ليقول لنا: هذا الشيء الذي قدمته لكم ليس على هذا النحو، لا تتصوروا أنه هكذا: قدمنا لكم أي حاجة.. الحاصل، مثل ما تقدم لواحد أي شيء، تقول تفضل، الحاصل، من أي شيء لديك.

الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم إلى الدرجة التي قال فيه: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء٨٨) لو فكروا جميعاً أن يتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لو لم يكن من منطلق العداء، والتحدي للقرآن، كقانون كما هو حاصل عند كثير من البشر، ينطلقون على أساس ليضعوا أفضل نظام للحياة. هؤلاء لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ومن ينطلقوا بروح العداء والتحدي للقرآن الكريم، هم أيضاً لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله. ماذا يعني هذا؟ أنه كامل، وأنه تام، وأنه نعمة عظيمة.

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} ارتضاه هو، وهو من هو سبحانه وتعالى! عندما نرجع إلى القرآن الكريم الله سبحانه وتعالى يقدم نفسه لنا بأنه رحمن رحيم، هو الرحيم بنا، الذي هو عالم الغيب والشهادة، الذي هو حكيم، لا يمكن أن يرتضي لنا شيئاً إلا وهو على أرقى الدرجات التي تعتبر انعكاساً لرحمته العظيمة، مصداقاً لحكمته، ومصداقاً لرحمته سبحانه وتعالى.

{وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} (المائدة٣) قد نكون المسلمين نحن من أجهل الناس بديننا، لكن الغريب في الموضوع أن أعداءنا هم من يفهمون عظمة ما لدينا من هذا الدين، يفهمون؛ لهذا تجد أنهم وهم أعداء لنا يتجهون إلى ضرب ديننا. أليس هذا ما نشاهده؟ حملات ضد القرآن الكريم، حملات تشويهية ضد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ضد الإسلام، بصورة عامة، عمل متواصل بكل الوسائل على إقصاء هذا الدين عن واقع الحياة، على الفصل بيننا وبينه.

كل الحرب القائمة ضدنا هي تتوجه رأساً من جانبهم إلى الدين نفسه؛ لأنهم يعرفون لو اتجهوا إلى حربنا نحن كأشخاص، ولم يحاربوا ديننا فإنهم سيخسرون، لن ينتصروا إطلاقاً، وأن كل موقف مهما بدا من جانبهم قوياً وحاداً وجاداً سيكون الرد من جانبا أكثر وأكثر، وسنستفيد من الصراع معهم أكثر وأكثر. إذا ما ظل ديننا سالماً لنا فلن يستطيعوا أبداً أن يقهرونا.

لو تلاحظوا أن هذا الدين نفسه إذا ما ظل سليماً يستطيع أن يستفيد من أعدائه، أن يجعل من يلتزمون به يقهرون أعداءهم، ويستفيدون من الصراع مع أعدائهم! ألم يقل الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ} (الفرقان٣١) يبعث نبي من الأنبياء، ثم يكون هناك أعداء! هذه الآية عجيبة، قد يتصور أي واحد منا أنه كان من المفترض أن تزيح كل الأعداء من أمام هذا النبي الذي بعثته؛ ليتمكن أن ينشر دعوته، فلا يواجه بصعوبات، فكيف قلت: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ}؟ هل من أجل أن هذا العدو يقلق النبي ويزعجه؟!.

الله يجل أنبياءه، الله سبحانه وتعالى يعظم أنبياءه، هل سيجعل عدواً يقلقه، ويزعجه، لمجرد الإقلاق والإزعاج؟.

فماذا يعني هذا؟. نقول: أن هذا الدين لسموه، لكماله، هو يحمل نفحة من مشرِّعه الذي قال عن نفسه أنه غالب على أمره، هذا الدين كذلك إذا ما ظل سليماً لأمة تحمله فإنه سيكون غالباً لكل من يناوئه، يغلب كل من يناوئه.

من الذي يمكن أن يجعل هذا العدو مصدر قوة لهذا الدين؟ مصدر قوة لجَلَبة من يلتزموا بهذا الدين؟ هي الحكمة الإلهية، هي الحكمة الإلهية التي ربما أي شيء آخر قد يبدو ضعيفاً أمام العدو، وهذا الصراع الطبيعي، الصراع الطبيعي أن عدواً قد يقهر الطرف الآخر؛ لأنه برز أمامك عدواً أنت معرض لأن يقهرك مثلاً.

لكن أما هذا الدين هو يتحدى إلى الدرجة التي يقول فيه: أنه هو يجعل أعداء في مواجهة الأنبياء؛ لأن الأنبياء أنفسهم، وهم يبلغون هذا الدين، وكذلك من يسير على دربهم، وهم يتحركون في سبيل إعلاء كلمة هذا الدين، ونشره، والدفاع عنه، والدعوة إليه هم من سيستفيدون من الصراع، يصقل مواهبهم، ينمي قدراتهم، يتجلى لهم عظمة هذا الدين كلما دخلوا في الصراع أكثر فأكثر. وهذا من الأشياء العجيبة.

الناس الذين يصارعون من أجل هذا الدين تجدهم هم أكثر الناس فهما لهذا الدين، وأكثر الناس معرفة بعظمة هذا الدين، وأكثر الناس إدراكاً لأهمية هذا الدين! من أين جاء هذا الشعور؟ من الصراع، كلما حصل صراع كلما بدا الإسلام قوياً، كلما اكتشفوا جوانب مهمة فيه، كلما اكتشفوا طاقات هائلة داخله، كلما اكتشفوا جوانب من عظمته غائبة عن الكثير ممن لا يصارع من أجله.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(العنكبوت٦٩) تنكشف لهم أشياء كثيرة، يتجلى القرآن لهم بشكل أكثر مما يتجلى لآخرين قاعدين في بيوتهم، أو في زوايا مساجدهم {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}.

هذا ما يتميز به هذا الدين، وهذا ما يجعل الأعداء أنفسهم يعرفون عظمته فيتجهون أساساً لمحاولة ضربه هو، وهل يستطيعون أن يضربوه هو؟ لا، يضربوه في أنفسنا، يضربوه في واقع حياتنا، عندما نكون بسهولة قابلين لأن نتخلى عنه، نبتعد عنه، نبتعد من طريقهم وهم يتجهون إلينا، نفسح المجال لهم يفسدون كيفما يشاءون، يعيثون في الأرض فساداً.

لهذا نلاحظ دائما أنهم لو كانوا يعلمون أن هذا الدين ليست عزتنا متوقفة عليه، ولا قوتنا مرتبطة به، هو لا يمثل قوة لنا، وأنه لا يمثل عزة لنا، ولا علاقة له بوحدتنا، لما بذلوا دولاراً واحداً في سبيل محاربته، لاتجهوا إلينا شخصياً يحاربوننا بأي طريقة، تصفيات جسدية، محاربة شخصية هكذا، كما هو معروف في الصراع، لكنهم يعلمون على الرغم من أنهم يمتلكون أسلحة فتاكة، أسلحة متطورة، أن هذه الأسلحة لو توجه إلى مسلمين، ملتزمين بإسلامهم، يتحركون على أساس توجيهاته، وهديه، فإنهم سيكونون مهزومين أمامهم، مهما كانت قوتهم.

لذلك يسعون أولاً إلى نشر الفساد الأخلاقي، الفساد الثقافي، نشر ما يخلق فرقة في أوساط الناس، ما يبعدهم عن دينهم، ما يشككهم في مبادئه، ما يشككهم في كتابه، في نبيه، هكذا، هكذا حتى يهيئونا لأن يضربونا بسهولة، ومتى ما ضربونا نكون قابلين لأن نهزم، قابلين لأن نهزم أمامهم؛ لهذا تجد أن الإسلام هو الدين الوحيد في هذه المعمورة الذي يحاربه الأعداء من اليهود والنصارى.

هناك ديانات قائمة لماذا لا يحاربونها؟ وثنية ما تزال قائمة يشجعونها، البوذية ما تزال قائمة، ديانات أخرى ما تزال قائمة لا يوجهون حربهم إليها بل يشجعون أصحابها، بل يشجعون أصحابها على أن يبقوا على ما هم عليه، إلا الإسلام، إلا الإسلام.

ماذا يعني هذا؟ أنهم يشعرون بعظمته ربما أكثر مما نشعر نحن؛ لأنهم بعدائهم لنا دائمي التفكير، أن يتعرفوا على ما هو مصدر قوة لنا، مصدر عزة، مصدر أن نكون قادرين على أن نهيمن عليهم، على أن نقهرهم، على.. الخ، فوجدوا هذا الدين.

ولهذا جاء تصريح قبل أسبوع من البيت الأبيض على موقع في الانترنت: أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين، القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين. أليست هذه هي عبارة عداء؟ في الوقت الذي هي عبارة تشهد بأن القرآن هو الذي يصنع رجالاً يقفون في مواجهتهم، عبارة يقولوها من أجل أن يمهدوا لشرعية أن

يضربوا القرآن، مدارس قرآنية، علماء قرآن، كلما له علاقة بالقرآن، مناهج ما تزال فيها آيات قرآنية، تضرب كلها بحجة أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين.

وفعلاً طلبوا من مصر تغيير آيات في المنهج الدراسي، ويعملون على أن يفرضوا على السعودية أن تغير المنهج الدراسي، وكذا الأردن. وهكذا يتجهون إلى بقية الدول العربية لتغير مناهجها التربوية. فتزيح ماذا؟ تزيح آيات من القرآن الكريم.

تجدهم لأنهم يفهمون أكثر مما نفهم! حربهم تتركز على شيء واحد بشكل مكثف، ومركز ضد القرآن الكريم، وبعده شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفي نفس الوقت اللغة العربية.

هذه الثلاثة الأشياء التي يركزون على حربها: القرآن الكريم رقم واحد في الموضوع، لا يحاولون أن يحاربوا أشياء أخرى، مظاهر أخرى، مساجد كثيرة تبنى، أشياء كثيرة، علماء كثيرون مختلفون، يعتبرون هذا يساعد على خلق فرقة في أوساط الناس، مذاهب متعددة. هل هم يقولون: هؤلاء المسلمين مذاهب كثيرة نحاول ننقصهم، ننقصهم لما لا يعودوا إلا مذهب واحد. هل عندهم الفكرة هذه؟ هم يرون بأن هذا يساعد أفضل تتوسع مذاهب، وعلماء كثير ينتشرون مختلفين، وتكون الساحة كلها ساحة قلقة.

لو أن القرآن الكريم، أو نقول: لو فهموا أن القرآن الكريم كتاب يمكن أن يخلق ماذا؟ آراء متعددة، أفكار متباينة، أقوال متضاربة، لما تعرضوا له إطلاقاً، هل تفهمون هذه؟ لما تعرضوا له. هم لا يتعرضون لكتب الحديث، تعرفوا؟ لا يتعرضون لكتب الحديث، بل يخدمونها، يأتي مستشرقون يضعون فهارس للحديث، كتاب واحد يسهل لك الرجوع إلى أي حديث تبحث عنه، في أي من أمهات، ومسانيد، ومجاميع الحديث، يخدمونها خدمة.

تعدد الطوائف يخدمها أيضاً! هم صنعوا طوائف إسلامية خلال المائة السنة الماضية، والمائتي السنة الماضية، صنعوا طوائف جديدة كالوهابية، والبهائية، والقاديانية، صنعوا هذه الطوائف، طوائف إسلامية.

لماذا يحاربون القرآن؟ لأنهم يعرفون أن القرآن الكريم هو وحده، هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، هو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تحارب، يجب أن تقصى، أن تعمم بدلاً منها اللغة الانجليزية، أن نترك الشباب يشعرون بإعجاب، بعظمة، عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية.

حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قال: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} (الشعراء١٩٥) **{قُرْآناً عَرَبِيّاً}** (يوسف٢) **أكثر من ثلاث آيات تحدث الله عن القرآن أنه عربي، باللغة العربية، بلسان العرب.**

فنون أخرى لا يتعرضون لها، فنون أخرى مما يقطع الكثير منا أوقاتهم وهم منهمكون في دراستها لا يتعرضون لها، حتى وإن كانت باسم علوم إسلامية، حتى وإن قدمت في أوساطنا بأنها من آليات فهم القرآن الكريم، من آليات استنباط الأحكام الشرعية، من آليات كذا. لا يتعرضون لها، يرون أنها تخدم القضية.

القرآن الكريم، وأكرر؛ لأنهم يعلمون أنه كتاب يستطيع أن يصنع أمة واحدة، وأن من يلتفون حوله لن يفترقوا، لن يختلفوا، سيكونون كما قال الله: معتصمين بحبل واحد، عندما قال: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران١٠٣) **ركزوا حربهم على القرآن الكريم.**

هناك فنون أخرى ـ كما قلت ـ لا يتعرضون لها، يرونها أنها تساعد في خلق فرقة في أوساط الناس، وتعدد في أقوالهم، واختلاف في وجهات أنظارهم، وتخلق لدى كل شخص منهم مشاعر انفرادية، استقلالية؛ فيظل لوحده،

يدور حول نفسه، لا يفكر في أن يذوب في الآخرين، فيكون مجسداً لقوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} (التوبة٧١).

حاولوا مع ذلك لما وجدوا أن هذه الفنون بعضها تخدم، تخدم أهدافهم، تفرق، تمزق الصف الواحد، أضافوا شيئا آخر: حرية الرأي والرأي الآخر، حرية الاعتقاد، حرية الكلمة، حرية الصحافة، حرية، حرية!.

ما هذا الذي نزل في الساحة؟ من أين جاء هذا؟ ألم يأت من عند الأمريكيين؟ من عند أعداء الإسلام والمسلمين؟ هل قدموا هذا حرصاً منهم علينا، أو رحمة منهم بنا، هم يسهرون علينا، يسهرون نومهم من أجلنا؟! لا، هم كانوا في الماضي يُعدّون هذه الأمة للحظة التي يمكن أن ينقضوا عليها.

وهو ما هو حاصل الآن، هو ما هو حاصل الآن، بعد أن قلنا: اجتهادات، وترجيحات! قالوا: وسنزيد لكم، أنتم معكم من داخل المساجد هذه الفكرة، وأيضاً سنزيد لكم، لازم، حرية الأحزاب، أحزاب متعددة، حرية الكلمة، حرية الرأي والرأي الآخر، حريات، حريات، حريات، وهم يعرفون أن النتيجة في الأخير ماذا؟ تفرق، تفرق، تجزء، لما نصبح قِطَع، وفي الأخير يهاجموننا بمنطق واحد، بموقف واحد، ألم يحصل هذا؟ يعبر عنهم زعيم واحد [بوش]، ويتحرك بموقف واحد، تحت اسم: [مكافحة إرهاب].

وهنا أقفلوا كل هذه الأشياء التي كانوا يقولون لنا: حرية، وأشياء من هذه، ألم تقفل الآن؟ يقول زعماء العرب: نريد أن نجتهد في تفسير كلمة: إرهاب، ممنوع، أُغلق باب الاجتهاد، أغلقوا باب الاجتهاد! رجال يعرفوا كيف يشتغلوا.

لا أعتقد أن هناك أغبى منا نحن العرب، نصدق، حرية، حرية، وكل واحد ذهب لوحده، اجتهاد، آراء، أقوال، أحزاب، كذا.. الخ، وفي الأخير يهجمون علينا، نرى أنفسنا في الأخير، ما الذي نحتاج إليه؟ ألسنا الآن نحتاج إلى الموقف الواحد، في مواجهتهم، أو نحتاج إلى مزيد من الأحزاب، ومزيد من الاجتهادات، ومزيد من الرأي، والرأي الآخر؟ ما الذي نحتاج إليه؟ أي إنسان منا مهما كانت ثقافته محدودة يفهم أن الذي يحتاج إليه العرب الآن، يحتاج إليه المسلمون اليوم هو ماذا؟ موقف واحد في مواجهة أولئك، شخص واحد يقود هذه الأمة في مواجهة أولئك، كما ظهروا علينا برجل واحد، يعبر عن ذلك العالم الغربي بكله، وموقف واحد، وتحرك واحد. ما هذا الذي حصل؟

نحن في أمس الحاجة إلى شخص واحد يمثل هذه الأمة، يقول لـ[بوش]: لا. هل هناك أحد في العالم العربي؟ لا، لا يوجد أحد، لا يوجد أحد رجل واحد، زعماء متعددين، دول متعددة، وداخل كل دولة آراء متعددة، وأفكار متعددة، إلى آخر القائمة، بالسكين يقطعوننا قطع، قطع.. إلى آخر قطعة، فنبدو قطعاً مبعثرة، متناثرة.

ألسنا بحاجة إلى موقف واحد في مواجهة ما ظهروا علينا به تحت عنوان مكافحة الإرهاب؟ هل تسمعون هذا الكلام؟ مكافحة الإرهاب؟ ألسنا بحاجة إلى موقف واحد يمثل الأمة في مواجهة هذا؟ هذا معدوم. أليس معدوماً؟ رجل واحد معدوم، موقف واحد منعدم، ماذا نحتاج إليه؟ نحتاج إلى الشيء الذي فقدناه تماماً. لماذا هم في الأخير، وهم من كانوا في الماضي يسمون أنفسهم: رعاة الديمقراطية، حماة الديمقراطية، دعاة الديمقراطية، والحرية، وحقوق الإنسان.

ما هذا شيء معروف؟ لماذا هم تنكروا للديمقراطية؟ في الأخير تنكروا لها، كانت عنوان من أجل أن يبعثرنا، داخل الديمقراطية أحزاب متعددة، متباينة، حزبية مفتوحة، كل ١٥، ٢٠ يتحزبوا لوحدهم مقبول، والصحف تشتغل، والرأي، والرأي الآخر، وهكذا إلى آخر القائمة. ثم في اللحظة الأخيرة التي يريدون أن يهيمنوا على هذا العالم بكله، وبعد أن أمِنوا بأنه ليس هناك موقف واحد أمامهم، ليس هناك موقف واحد من داخل هذه الأمة، وليس هناك رجل واحد يقود هذه الأمة، فيقف أمامهم؛ عرفوا أن هذه هي اللحظة، هي الفرصة السانحة التي ينقضون فيها علينا، فيهيمنون هيمنة مطلقة.

ألسنا نسمع أن زعماء العرب يحاولون أن تسمح لهم أمريكا أن يجتهدوا مرة في تفسير الإرهاب، ما هو الإرهاب الذي يجب أن نقف مع أمريكا في محاربته؟ لم يسمحوا لهم أن يقدموا تعريفاً للإرهاب أبداً، وما بقيوا هم يجرؤون على أن يجتمعوا فيعقدوا اجتماع، أو على أن يتبنوا موقف واحد.

كل هذا فقدناه، كل هذا فقدناه؛ لأننا إن مشينا وراءهم، لن نمش وراء ديننا هذا الذي أكمله الله لنا، الذي أتمه لنا، الذي رضيه لنا سبحانه وتعالى. هذه النـزعة ما تزال قائمة ربما في نفوس طلاب علم يأتي من يقول له: [يا أخي أنت لك آراءك، وحريتك، والمفروض تكون كذا، وتمشي على ما طلع في نظرك و.. و..] الخ، أنا أفكر هكذا، وزميلي يفكر هكذا، وآخر هكذا، وكل واحد يقول هكذا يعني: هذا هو المطلوب، هذا هو المشروع، وهذا هو المفروض! نحن بعد لم نفهم أين وصلنا، ونحن بعد لم نفهم ما يدور حولنا، ونحن بعد لم نفهم ما يراد لنا من جانب أعدائنا.

لهذا نقول: إنما يجب أن نسير عليه هو أن نسير من أجل أن نثقف أنفسنا ثقافة قرآنية، كل مراكزنا، كل خطاباتنا، كل توجيهنا، كل أعمالنا تدور حول أن نتثقف ثقافة قرآنية. لن يحمينا من أعدائنا إلا العودة إلى القرآن الكريم، لن يبقي العلاقة قائمة بيننا وبين ديننا إلا القرآن الكريم، لا يمكن أن يدفع عنا أيضاً إلا القرآن الكريم إذا ما عدنا إليه.

ذلك الكتاب الذي يقول: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} هذه الكلمة هل هي تساوي كلمة: [كل واحد يمشي على رأيه واجتهاده ونظره]؟ هل هي سواء مثل كلمة: [الرأي والرأي الآخر]؟ هي سواء؟! ليست سواء، كلمة: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا} تختلف اختلافا كبيراً عن كلمة: حرية الرأي والرأي الآخر، عن كلمة: حرية الاجتهاد، تختلف اختلافاً كبيراً. تلك تبني أمة وتوحدها، وهذه تمزق أمة وتشتت صفها.

نحن في وضعيتنا هذه ـ وهذا هو السؤال الأول، وكل واحد سيعرف الإجابة تقريباً ـ إلى أي شيء نحن محتاجون؟ إلى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا} أو إلى العناوين الأخرى: حرية الاجتهاد، وحرية الرأي والرأي الآخر، وحرية التحزب؟.

ما الذي يمكن أن يجعلنا أقوياء في مواجهة أعدائنا؟ هل أن نكون على النحو الأول: معتصمين بحبل الله جميعاً، غير متفرقين، أم أن نكون فِرَق، آراء متباينة، فرق متعددة، أفكار متعددة، كل واحد يعرف، بل كل واحد من الناس، حتى نعرف أننا أحياناً نرضى لديننا بالشيء الذي لا نرضاه لقبيلتنا، أي شيخ في القبيلة، أي إنسان عاقل في قبيلة يقول للقبيلة: المجال مفتوح، الرأي والرأي الآخر، وحرية الأشوار، وكل واحد يمشي على ما طلع في رأسه؟!.

هل هذا مسموح؟ أو أن الناس دائماً يقولون: [ما جهدنا نكون رجال إلا إذا كلمتنا واحدة] ما الناس هكذا يقولون؟ [إذا ما كلمتنا واحدة، إذا ما معنا شور واحد، إذا ما انطلقنا انطلاقة واحدة ما احنا معتـزين في موقف، ولا احنا واقفين موقف يشرف] ما هكذا منطق الناس؟.

متى ما أحس عقال القبيلة أن هناك من يقدمون في القبيلة أشوار متعددة، يأتي ميعاد، وكل واحد طلع بشوره من هناك، كل واحد مصمم على رأيه، وكل كذا.. ماذا سيقولون في الأخير؟ سيقولون: [ما احنا ناجحين أبداً، واحنا كل واحد شوره من قرنه، احنا معنا شيخ احنا معنا كبير، احنا معنا كذا.. ولازم تجتمع كلمتنا].

وقواعد القبيلة كلها أقرأوا قواعد القبيلة، ما هي على هذا الأساس: كلمتنا واحدة، ريالنا واحد، موقفنا واحد، وكذا كذا.. الخ، ويجعلون لهم شيخ واحد، يقولون: [إما وقد كل واحد شيخ نفسه فاحنا سنضع].

هكذا منطق الناس، لكن أما في الدين نقول: لا، الدين قال لنا كذا وكذا! الآخرين قالوا: واتفضلوا أيضاً سنزيد لكم، وسنعطيكم حرية تحزب، تحزبوا، كل واحد يتحزب من عنده، وأيضاً سنعطيكم حرية الرأي والرأي الآخر، وحرية الاعتقاد، حرية كذا، حريات، حريات، حريات.. الخ. وهي عبودية في الأخير.

ما ذا يعني؟ أليس العرب الآن في مقام العبودية أمام الآخرين؟ مقهورين، مستذلين، مستعبدين؟. أليس هذا هو الواقع؟ هل نفعتنا عناوين الحرية هذه؟ هل نفعتنا؟ عندما ضيعنا الاعتصام بحبل الله جميعاً لم تنفعنا العناوين التي قدمناها نحن من خلال فنون معينة، وأضاف وباركها الأعداء أيضاً بأساليب أخرى.

هل تحقق لنا حرية أو تحقق ماذا؟ عبودية؟ هل تحقق لنا عزة أو تحقق لنا ذلة؟ هل رفعة أم ضعة؟ هل فلاح ونجاح أم خسارة وضياع؟ هذا شيء معروف. إلا إذا كان لا أحد منكم مثلاً يعرف ما يدور في هذا العالم الآن، ولا يفهم ما يراد للمسلمين اليوم.

يجب أن نعود إلى القرآن الكريم، أن نعود إلى القرآن الكريم، وأن نتفهم عظمة هذا الدين، وأن نتفهم حاجتنا إلى هذا الدين، نحن محتاجون إليه أكثر من حاجته إلى أن ندافع عنه. نحن محتاجون إليه لدرجة أن الله سبحانه وتعالى جعل الجهاد في سبيله {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(الصف١١) ألم يقل هكذا؟ أنه حتى الجهاد الذي تبدو فيه وكأنك مدافع عن دينك، يقول: هو في الأخير كله خير لك إن كنت تعلم {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

هذه هي مقدمة؛ لنفهم منها ضرورة العودة إلى ثقافة قرآنية تصنع أمة واحدة، وموقف واحد، ومنهج واحد، واتجاه واحد. هذا هو ما نحتاج إليه في مواجهة أعدائنا، وإلا فسنكون خاسرين في دنيانا، أعداؤنا يتغلبون علينا، يهيمنون علينا، ينتهبون ثرواتنا، يغلقون مدارسنا، يهينوننا، ويذلوننا بأقصى ما يمكن أن يعملوه، على أقصى ما يمكن أن يعمله عدو ضد عدوه؛ لأن أولئك هم أعداء. قال الله عنهم وهو يذكر في القرآن الكريم عند قوله: {هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}(آل عمران: من الآية١١٩).

ماذا يمكن أن يصنع بك العدو الذي يعض على أنامله من الغيظ عليك؟ هذا حديث عن أهل الكتاب، عن اليهود والنصارى، لا يمكن أن ينجينا من الإهانة، من الذل، من القهر، من الضعة التي قد نتعرض لها أكثر مما قد حصل إلا العودة إلى القرآن الكريم، والاعتصام بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، كما قال الله سبحانه وتعالى. إنما أريد أن يكون عبارة عن مقدمة للحديث.

قد تكلمنا في العصر حول أهمية أن يكون الإنسان مساهماً في أي مجال يكون فيه إعلاء لكلمة الله، نشر لدين الله، مركز يبنى، توسيع مركز، أشياء من هذه، تكلمنا عنها.

نحن نريد أن نتحدث معكم، ولا نريد أن يكون الكلام دائماً نستبد به، نريد أن نسمع منكم، أن نعرف هل لدى الناس قناعة أن تكون كلمتهم واحدة؟ هل نحن نفهم أن ديننا يقول: لا يتحقق إيماننا، لا يتحقق لنا على صعيد الواقع الإيماني، لا يتحقق إيمان إلا إذا تحققت لنا وحدة، إلا إذا كنا هكذا: بعضنا أولياء بعض، إلا إذا كنا إخوة، بغض النظر حتى لو لم يكن هناك عدو، إنه لا يتحقق الإيمان لأمة متفرقة، لا تسمى مؤمنة، لناس متباينين لا يسمون مؤمنين.

من مصاديق الإيمان الهامة، والعظيمة: وحدة الكلمة {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}(التوبة٧١) ما ذا يعني أولياء بعض؟ صف واحد، موقف واحد {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(الحجرات١٠) عبارة واضحة، أخوة إيمانية، هي أقوى، وأمتن من أخوة النسب، من أخوة الرحامة، من أخوة القبيلة، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

نحن بحاجة إلى أن نتوحد حتى يكون إيماننا صادقاً (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) أليس هذا حديث نردده؟ طيب: عندما نجلس في مراكز كهذه، ونحن نتعلم، نتعلم دين الله أليس كذلك؟ ثم لا نفهم أن دين الله لا يتحقق لنا فيقال: نحن قد أصبحنا ملتزمين به، نحن أصبحنا نستحق أن نحمل اسم إيمان ونحن بعد لا نعطي هذه المبادئ أهمية: وحدة الكلمة، الموالاة فيما بين المؤمنين، الأخوة.

فلا يعتبر كل عملنا هذا يمكن أن يحقق لنا إيماناً ونحن بعد لم نقتنع بضرورة أن نصل إلى هذه الدرجة: أمة واحدة، أخوة إيمانية، بعضهم أولياء بعض.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه رضاه، ونواصل الحديث معكم بطريقة مفتوحة

والسلام عليكم ورحمة الله

المراكز الصيفية هي مدارس علمية، مدارس دينية، قد تتعرض لحالة من عدم التفاعل معها من قبل الناس مثلاً بالشكل المطلوب، بل ربما قد يكون حتى من بعض العاملين، و من بعض الطلاب الذين يدرسون فيها.

كل هذا يعود إلى ما كنا نتحدث عنه، ما هناك شعور بأهمية القضية هذه، بأهمية الدين، بعظمة الدين، بنعمة الدين، بجاذبية الدين، بحاجتنا الماسة إلى الدين، في الدنيا والآخرة، فكل عمل ديني لا يكون هناك اهتمام كبير به عند كثير من الناس، هذا الشيء ملحوظ.

الشيء الثاني: قد يحصل أحياناً في المنهجية نفسها، إذا لم ننطلق انطلاقة قرآنية سنغلط في كل شيء، سنغلط في كل شيء.

ولا حظوا الآن وزارة التربية والتعليم، والحكومة بكلها فيما يتعلق بالمناهج الدراسية، أربعين سنة ما قد استقر المنهج الدراسي، أربعين سنة!. مازال الآن المنهج تجريبي، مازال الآن هذا المنهج تجريبي هكذا يقولون عنه الآن، وعاد هناك أفكار، عادهم يريدوا يحاولوا يجربوا بعد!

هكذا، هكذا إذا انطلق الإنسان هو دون أن يهتدي بالله سبحانه وتعالى، وبهدي الله سيغلط، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية، الفكرية، القانونية، الأشياء التي تنتهي في الأخير إلى نُظُم في الحياة، أو توجهات لدى الإنسان في هذه الحياة.

وحتى في المراكز، وحتى لو قلنا نحن: نتعبد لله سبحانه وتعالى بالعمل فيها، ونريد أن نسهر من أجل أن نعمل منهجاً دراسياً فيها، كائنا من تكون أنت، ولتكن عبقريتك كيفما كانت، وليكن إخلاصك كيفما كان، ولتكن حسن نيتك كيفما كانت، ستغلط، ستغلط إذا لم تعتمد القرآن الكريم، إذا لم تعرف بعد القرآن الكريم أن له منهجاً تربوياً متكاملاً، لديه مناهج متعددة، لديه مقاصد هامة.

في الماضي كنا نسمع في بعض المراكز هنا إذا قلنا: لازم يكون هناك اهتمام بالقرآن الكريم، قالوا: عندنا زحمة برامج، زحمة البرامج على حساب القرآن الكريم! يعني: هذا فشل لا شك فيه، «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» كما قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يتحدث عن القرآن: «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» سيضل ولو بحسن نية، ولو بإخلاص. قضية حسن النية ليست تعصم عن الوقوع في الغلط، عن الوقوع في الخطأ.

بالأمس تحدثنا حول هذه النقطة: كيف أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}

يقول لنبيه الذي اصطفاه وأكمله: استقم، ومن تاب معك.

قد يقول واحد منا لآخر: استقم يا أخي أنت والسفهاء الذين معك، استقيموا، واسبروا، وامشوا مشية الناس. ما الله يقول لنبيه: أنت ومن تاب معك، مع الناس الطيبين، الجيدين، استقيموا. ما معنى استقيموا؟ هل هم فسول، أو هم يلاحقوا السفهاء، أو يسيروا مع السيئين. استقم كما أمرت على المنهج الذي تؤمر به، طبق حرفياً، والتزم حرفياً، لا تتجاوز وإلا ستغلط.

عندما يقول له: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أليس الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أشد الناس عداوة للظالمين؟ وأشد، وأعظم الناس كراهية للظلم والطغيان؟ {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}؛لأن كل هذا ممكن أن يحصل مع حسن النية، وبسبب حسن النية، تعرفون هذه؟.

إذا ما انطلق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقال: عندما يقف واحد موقف يبدو متشدد، فيمكن أن يكون الآخرين هناك متشددين، نحاول يكون عندنا مرونة قليل، نحاول حوار، نحاول نتنازل عن بعض أشياء، وهم يتنازلون عن بعض أشياء، ونلتقي في الوسط، وتكون الساحة هادئة، ونكون متأقلمين مع بعضنا بعض.

هذه الأفكار تحصل الآن داخلنا نحن في الهيئة الإدارية للمراكز الصيفية، يقول البعض: نحاول نقرب من الحزب الفلاني، نقرب من الدولة الفلانية، من أجل أن يزيدوا لنا دعم، من أجل كذا، من أجل كذا، نحاول نسكت عن بعض أشياء، نتنازل عن أشياء، نوقف مواقف معهم في كذا أشياء.. الخ بماذا؟ بحسن نية، من أجل أنه نحاول أيضاً يساعدونا، ويدعموا مراكزنا، ويحصل لنا مدري ماذا؟ ونستطيع نبني، ونستطيع نمول، ونستطيع يكون عملنا هذا كبيراً!. هكذا قد يقع الإنسان في الغلط مع حسن النية.

ـ لا يمكن لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ هكذا: هواية، أو عصيان، أو عدم اهتمام ـ أن يميل إلى الظالمين. ألم يقل الله: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} لكن قد يركن الإنسان إلى ظالم، عندما ينطلق من حسن نية، وإخلاص للعمل الذي هو فيه أيضاً، للعمل الذي هو فيه، فيقول ـ كما قلت سابقاً ـ عندما نكون متشددين، وذولاك متشددين، نحاول قليل نقرب من بعضنا بعض، ونميل إليهم قليلاً، ونتأقلم معهم قليلاً!

لو فكر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هذا التفكير لكان قد مال إلى الظالمين. أليس كذلك؟ هل يمكن أن يميل رسول الله إلى الظالمين؛ لأنه من أجل مصلحة شخصية؟ لا، أو من أجل أنه لا يبالي بقضية الظلم، ولا يكره الظلم؟ لا؛ لنفهم أن حسن النية أيضاً، أن الإخلاص أيضاً، كل شيء لا يعصمك عن الوقوع في الخطأ إذا لم تنطلق انطلاقة قرآنية، إذا لم تعتمد القرآن، وأنت تعمل منهجاً للمراكز هذه، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تثقف الناس في هذه المراكز، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تخاطب الناس في مساجدهم، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تكتب، وأنت تحقق، وأنت تسجل، وأنت، وأنت، ستضل، ستغلط.

والغلط في هذا المجال لا يغتفر، الغلط في هذا المجال تبرز آثاره السيئة؛ لهذا ظهر في الأخير نوع ارتباك في المراكز، أو في بعض المراكز، وحصل اختلاف في وجهات النظر، وتعدد في الأقوال، والآراء. ناس يريد ينفتح كذاك، وعنده أن هذه هي الطريقة الصحيحة، نتأقلم مع العصر!.

هو لا يفهم العصر، العصر إذا أنت تريد أن تتأقلم مع هذا العصر، منطق العصر هذا هو منطق القوة. كن قوياً، ابنِ أمّةً قوية، هو عصر التكتلات في جانب الأعداء لضَرْبِنا.

الرئيس الأمريكي، وزير الخارجية الأمريكي، نائب الرئيس الأمريكي، يتحركون، لا يأتي مؤتمر في شرق آسيا، وفي جنوب آسيا، إلا ويهاجموه، نريد توقعوا لنا على هذه الورقة، نكافح الإرهاب، قالوا: معك. يأتي مؤتمر في أي بلد، وراح إليه! يلحقون حتى ليبيا التي هم حتى معادين لها زمان! خلاص نتسامح، نريد فقط توافقي معنا على مكافحة الإرهاب.

التكتلات، القوى، الموقف الواحد، الخطة الواحدة. هذا هو منطق العصر. هل نظن أن منطق العصر هو الرأي والرأي الآخر؟ والأشياء من هذه، الحريات، والانفتاحات، وأشياء من هذه. العصر عندما يقولون: العصر، والحضارة، ألسنا نصرف أذهاننا إلى الغرب، إلى بلدان أوربا، وأمريكا، وتلك الجهات، منطقهم اليوم هو منطق الكلمة الواحدة، الموقف الواحد، التكتل لضرب المسلمين، وأنت مسلم.

هل تريد أن تتعامل مع هذا العصر؟ هل تريد أن تتصرف بمنطق العصر؟ ابنِ نفسك، ابنوا أمة واحدة، كتلة واحدة، موقف واحد. هذا منطق العصر، سيتفرق أي ناس، في أي مركز، أو معلمون، أو طلاب، إذا لم ينطلقوا

انطلاقة قرآنية، ويتحركون وكل واحد همه نفسه، يظن أن الله ما جاء بالإسلام كله إلا من أجله يحقق له طموحاته، يطنن كيفما يريد، وينطلق كيفما يريد، ويمشي كيفما يريد، ولا هو بعد أحد.

[لماذا لا تتأسى] بنبي الله، فما رأيت الله سمح به لنبيه فلا تتجاوزه لنفسك. أليس هذا قد هو أقل شيء؟ لا، البعض يريد أن يكون من رسول الله وكذاك! هل هذا ما يزال منطق معقول؟ هل هذا موقف مقبول؟ لا.

الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الذي يتنـزل عليه الوحي مباشرة، جبريل ينـزل، مع هذا ماذا قال له؟ سرد له قائمة من الأنبياء ثم قال له بعد: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: من الآية٩٠) امش على طريقتهم، امش بعدهم، اعتبر نفسك واحد من هذه السلسلة، تمشي في هذا الاتجاه، وتمشي بعد هؤلاء.

طيب لماذا تقول لي هكذا وأنا ما بيني وبينك إلا جبريل؟ وهذا هو الواقع. هل كان بين الله وبين رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يتنـزل عليه الوحي إلا جبريل؟ فيما نعلم إلا جبريل، ومع هذا ما قال رسول الله: كيف تريد مني أولاً أمشي بعد هؤلاء إلى هناك، وأعتبر نفسي تابعاً لأولئك، وقد هذا ما بيني وبينك إلا جبريل؟ هذه سنة الإلهية: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}.

الآن تقوم تربية في بعض المناطق، في بعض المراكز، توجيهات لبعض الشباب أنه ولا حتى ما أوجب الله على رسوله يمشي عليه، ما يمشي بعد أحد، ولا يتبع أحداً، ولا ينطلق وراء أحد إطلاقاً! هو فقط، وما طلع في رأسه، ما وصل إليه اجتهاده يجب على الله أن يقبله! هذا هو المنطق، يجب على الله أن يقبله.

منطق: [كل مجتهد مصيب] هذا المنطق يقضي بأن الباري ما معه إلا هذا الذي يطلع في رأسي يقبله، أتعبده به، وقد قالوا هكذا، وقالوا: أن مراد الله تابع لمراد المجتهد، عليه أن يقبل ما أدت إليه أنظارهم!. لماذا يا جماعة؟ قالوا: ما معه إلا هكذا! يا جماعة الله قدم لرسوله قائمة وقال له: امش بعدهم، وهو في نفس الوقت يوحي إليه، يوحي إليه مباشرة، بواسطة ملك من ملائكته.

هذا المنطق هو الذي سيفرق الأسرة الواحدة، خلي عنك القبيلة الواحدة. لو ينشأ الطلاب في قبيلة واحدة على هذا النحو لما بقي لا دين ولا حتى قبيلة. أتحدى طلاب ينشأوا على هذا الروحية أن يبقوا قبائل، تجتمع كلمتهم على موقف يشرفهم كقبيلة واحدة، لا يجتمع لهم رأي، يطلعوا كلهم، كل واحد رأيه من قرنه، لا يجتمع لهم شور، وكل واحد عنده أنما طلع في رأسه هو الصواب! فلا يجتمع للناس شور، لا في قبيلة، ولا في دين.

ما كل الناس يفهمون الآن أمام العدو أنهم بحاجة إلى موقف واحد، إلى رأي واحد، إلى كلمة واحدة، كلهم يقولون هذا؟.

س ـ هل هناك فرق بين التشيع والتبعية؟ وهل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي وماذا يعني انتماءنا إلى العلماء؟

ج ـ قاعدة عامة يجب أن تفهموها إذا لم تصح معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالى ستظل الإشكالات دائماً تتابعه، مشاكل دائماً، لو يقرأ ثمانين سنة، افهموا هذه: لو يجلس يقرأ ثمانين سنة، تبقى معه إشكاليات، تتعمر عمره، ما يتخلى منها، ولا يتخلص منها. إذا صحت لنا معرفة الله سبحانه وتعالى سيصح لنا كل المعارف الأخرى، مثلاً إذا كنا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو إلهنا، وملكنا، ألسنا نؤمن بهذا؟.

ونحن نؤمن في المقابل أننا ماذا؟ عبيد الله، أليس هذا هو الذي نؤمن به؟ طيب: نقف عند هذا، ونتفهم المسألة جيداً، مادام الله هو ملكنا، وإلهنا، ونحن عبيده، هو ملك السموات والأرض، ونحن عبيده، مملوكون له، ما ذا يعني؟ أليس هذا يعني أنه يجب أن نسلّم أنفسنا له؟ أن نعبّد أنفسنا له، أن نقبل ما يهدينا إليه، ما يوجهنا

إليه، ما يرشدنا إليه، ما يأمرنا به، ما ينهانا عنه؟ أليس هذا هو منطق العبودية لله سبحانه وتعالى؟ هذا هو منطق العبودية لله. فمتى ما آمنت بالله على هذا النحو، وعبدت نفسي لله.

واقرأوا القرآن الكريم كيف يرسخ هذا المفهوم عند الناس، حتى عند أنبيائه، أن عليهم أن يستشعروا أنهم عبيد له، ونحن نقول، نشهد بعبودية رسول الله أكثر مما نشهد بعبودية أنفسنا لله، نصلي كل يوم عدة مرات، ونقول في تشهدنا: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ألم يعلمنا رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نشهد بعبوديته لله؟ فكيف تنسى أنت عبوديتك لله! رسول الله يقول لك: اشهد كل يوم بأني عبد لله، ثم أنا يجب أن أفهم بعد عندما لا بد أن أشهد أن محمداً عبد لله سبحانه وتعالى إذاً فأنا من أنا بالنسبة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هل يمكن أن استنكف عن عبادة الله؟ هل يمكن أن أرى نفسي فوق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أعلى منه؟ لا.

في الوقت الذي أنت تشهد أن محمداً عبد لله يجب أن تفهم أنك بالأولى أن تكون عبداً لله، فلا تستنكف عن عبوديته. ماذا يعني أنني عبد لله؟ ما يأتي من جانب الله يجب أن أقبله؛ لأنني عبد لمن؟ عبد لرحمن رحيم، عبد لحكيم عليم، لست عبداً لطاغية، لست عبداً لجبار من جبابرة الأرض، يأمر، وينهى، ولا يفكر فيمن يأمرهم وينهاهم.

أما الله سبحانه وتعالى فهو عندما يقول لي: انطلق على هذا الأساس، تقبّل هذا الشيء، سر على هذا النحو، فإنه هو الذي يعلم المصلحة لي، ولجميع البشر من حولي، وأنا من يجب أن أفهم أنني عبد له فأتقبل منه ذلك، وإذا لم نرسخ في أنفسنا العبودية لله سبحانه وتعالى فسنكون ممن قال الله عنهم: يستنكفون عن عبادته {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} (النساء: من الآية١٧٢) **ولا الملائكة المقرّبون لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له.**

ما معنى لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً له؟ متى ما أمرهم بشيء سينفذونه، عندما قال الله سبحانه وتعالى، أوحى إلى الملائكة أن يسجدوا لآدم، ألم يسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس؟ ألم يحصل هذا؟ لماذا؟ لأن الملائكة يعيشون هذا الشعور: بأنهم عبيد لله، فهم لا يستنكفون عن قبول أي أمر يأمرهم به، وسيسلّمون لله، ويعملونه بطيبة نفس، {فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} (البقرة: من الآية٣٤) **ما الذي دفع الملائكة؟ عبوديتهم لله، ما الذي جعل إبليس يرفض السجود لآدم؟ ما الذي جعله؟ هو أنفته، وكبرياؤه. أي هو لم يعبِّد نفسه لله، هو لم يكن صادقاً في عبوديته لله، فدفعه ذلك، أو أدى به ذلك إلى أن يصبح ماذا؟ ملعوناً مدحوراً مذموماً إلى آخر أيام الدنيا، يهتف البشر بلعنه.**

أهم نقطة أن نفهم أن علينا أن نعبِّد أنفسنا لله سبحانه وتعالى، ثم آتي بعد وأنا أنظر إلى الأشياء، أنظر إلى سنة الله سبحانه وتعالى في هداية عباده، سنة الله في تشريعه لعباده سبحانه وتعالى، أنظر إليها من منظار أنني عبد لله كيف سنته، كيف سارت سنته في خلقه، أتقبلها بسهولة.

من هذا المنطلق ارجع إلى القرآن الكريم، كيف خاطب الله في القرآن الكريم رسوله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي أمرنا أن نشهد كل يوم عدة مرات أنه عبد لله، ألم يقل له: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الأنعام١٠٦) **ألم يقل هو: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} هذا بالنسبة للنبي مع الله.**

بالنسبة للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، والقرآن ينزل بلغتهم، ماذا قال لهم؟ ألم يأمرهم بأن يطيعوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أن يتبعوه؟ أليس هذا هو منطق القرآن؟ بعد ثلاثة وعشرين سنة من العمل من جانب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أولئك الناس، بعد ثلاثة وعشرين سنة من العمل، وبعضهم قد افترق خمس عشرة سنة، أو عشر سنين على اختلاف فوارق إسلام بعض الناس عن بعض، وبعد ذلك كله هل قال لهم: كل واحد أما الآن قد هو رجّال، ولي مدرس لكم ثلاثة وعشرين سنة، وكل

واحد قد هو فاهم، وخاطركم، كل واحد يمشي على ما طلع عنده، وما رآه أنه الحق يمشي عليه. هل قال لهم هكذا؟.

ارجعوا إلى كتب الحديث حتى نفهم هل قال للناس هكذا أم قال لهم ماذا؟ أمرهم بأن يتمسكوا بالإمام علي، في يوم الغدير، في إعلان عام، أبدى فيه كلما يمكن من وسائل التبليغ، أظهر فيه كلما ما يمكن أن يكشف عن أهمية قضية يبلغها، عندما قال للناس: (أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا: بلى يا رسول الله قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله).

الله سبحانه وتعالى قال لرسوله: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}(الأحزاب٦) إذا أمر يجب عليهم أن يطيعوه، إذا هداهم إلى شيء يجب عليهم أن يتقبلوه، إذا نهاهم عن شيء يجب عليهم أن يرفضوا هذا الشيء الذي نهاهم عنه، ثم يقول نفس الشيء في الإمام علي، يقول لأولئك الناس الذين عمل معهم سنين طويلة: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) ويقول لهم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) حديث الثقلين لا شك في صحته، لا أحد يدفعه من المحدثين إطلاقاً، وهو حجة من الحجج القائمة على الناس.

لماذا يأمرهم بالتمسك بالعترة مع القرآن الكريم؟ لماذا ما سمعنا منه أن يقول لهم: [خاطركم أما الآن قد انتو رجال وقلنا مدرسين لكم ثلاثة وعشرين سنة، قد انتوا رجال وكل واحد يمشي على ما طلع في رأسه، وكل واحد ما رآه أنه الصواب مشى عليه] هل حصل هذا؟ أمرهم أن يسيروا بعد الإمام علي، أمرهم أن يتبعوا الإمام علياً، أمرهم أن يتمسكوا بعترته كتمسكهم بالقرآن الكريم.

هذا ما حصل، فيما يتعلق برسول الله مع الله، فيما يتعلق بالناس مع رسول الله، وفي توجيه الرسول للناس من بعده، عندما يغادر الدنيا. ما هو هذا؟ ماذا يسمى؟ يسمى اجتهاد؟ أو يسمى تقليد؟ أو يسمى ماذا؟ ماذا يسمى؟ إتّباع.

ثقافة الإسلام للناس أن يتبعوا كتبه، وأنبياءه، أن يتبعوا كتب الله، وورثة أنبيائه، أعلام دينه. هذه هي تربية القرآن الكريم، ولا أستطيع أن أقول أن هناك شيء آخر إطلاقاً؛ لأجل أن نكون مرنين، أو منفتحين مع آخرين، أنا أجزم بهذه: أن ثقافة الإسلام كلها قائمة بدءاً من النبي نفسه، ثم الصحابة، ثم من بعدهم كلها قائمة على الإتّباع، {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}(يونس١٠٩)، {فَاتَّبِعُوهُ}(الأنعام١٥٥)، اتبعوا علي.

طيب: مِنْ بعد علي وكذا، هل نحن أرقى ممن كانوا في زمن النبي؟ هل نحن أعلى من النبي؟ هل نحن خارجون عن هذه القاعدة؟ لا يمكن، لا يمكن أن نكون خارجين عن هذه القاعدة، لو كان ما نسمح به لأنفسنا اليوم صحيحاً لسمح به الرسول لأصحابه من بعده، لما ألزمهم أن يتمسكوا بأحد، ولما ألزمهم أن يتبعوا أحداً، ترى كل واحد يمشي على ما أدى إليه نظره، واجتهاده. ما حصل هذا أبداً.

المسألة هي أن السنة الإلهية كلها قائمة على هذا النحو: الإتباع، ويمكن يكون بعض الناس [يعلّق] على العبارة هذه، أو يسخر من العبارة هذه، لكن نرجع إلى القرآن الكريم.

واحد من العلماء الذين كانوا من طلاب الإمام الهادي سأله شخص، هل أنت مجتهد؟ قال: لا، قال: أنت مقلد؟ قال: لا، قال: ما أنت إذاً؟ قال أنا لست ممن قال الله فيهم: {وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ}(القمر٣)، ولا ممن قال فيهم: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}(الزخرف٢٢) لست من هؤلاء، ولا من هؤلاء. قال: فممن إذاً؟ جاء بآية توضح أنه لا بد للإنسان أن يسير وراء علم من أعلام دين الله. قال الآية هذه نزلت في رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ هذه القصة هي مذكورة في كتاب: مجالس الطبري، الطبري أحمد بن الحسين، واحد من العلماء الذين درسوا عند الإمام الهادي (صلوات الله عليه) ـ قال هذه نزلت في رسول الله، ما نحتاج إلى أحد بعده، أو إلى علم آخر بعده. قال: إذاً أشكرك على هذا، كثر الله خيرك. قال: لماذا؟ قال: رفعت

عنا الدين بكله، إذا كنا لا نحتاج إلى علّم نسير بعده، فالدين بكله لا يستقيم، وبالتالي لا نحتاج إلى الدين بكله إذا كانت المسألة هي على هذا النحو: كل واحد يمشي على[حسب ما توصل إليه نظره واجتهاده] فقال له: القضية ليست قضية اجتهاد، ولا المسألة مسألة تقليد، المسألة مسألة إتّباع. وتجدوا هذا هو منطق القرآن المتكرر، وهو يخاطب النبي، ويخاطب الناس.

إذا جوّزنا لأنفسنا ما لم يجوزه الله لنبيه، وما لم يجوزه النبي للناس في عصره، مع أن وجوده كان يشكل ضمانة، كان ممكن يخلي أصحابه يتمرنوا تمرينات سنة قبل أن يموت، اجتهادات وهو ما زال موجوداً؛ ليشكل صمام أمان. ما هذا كان هو الطبيعي؟ وجود النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، يشكل صمام أمان؛ لأجل إذا واحد غلط في اجتهاده يرجع إلى النبي، يقول له: لا، ما المسألة كذا.

فكيف نأتي نحن بعد غياب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ونفتح لكل واحد يجتهد، وليس هناك صمام أمان؟! هل نحن كالديمقراطيين على أقل تقدير؟ ألف عالم مجتهدين، وكل واحد له رأي، لكن هم يقولون في الأخير: يجب أن نجتمع في قاعة واحدة، ونصوت على رأي واحد، ونخرج بحكم واحد في المسألة الفلانية.

ليس هناك أي صمام أمان في المسألة، وليس هناك أي ضمانة إطلاقاً، كلها فوضى، بينما الديمقراطيين أنفسهم يحسمون موضوع الفوضى بضرورة ماذا؟ التصويت في قانون واحد، لمادة واحدة، في مجال التشريع، نُظُم وقوانين.

فالمسألة إذاً هي فيما نفهمها هي مسألة إتباع، وإتباع لمن؟ إتباع لأعلام دين الله، بدءاً من أنبيائه، ثم ورثة أنبيائه، من كانوا أعلاماً لدينه، وورثة لأنبيائه.

إذا عند أحد أي إشكالية في الموضوع يسأل، العيب الكبير أن يكون أي إنسان منطوي على شك، أو ارتياب، ثم لا يسأل، يستفسر، يناقش، إن استطعنا أن نجيب عليه، أو نوضح له المسألة، وإلا هناك علماء أكبر منا، وأفهم منا، وأعلم منا، وأي شخص يتأرجح في هذا الزمن، لا حظوا أي شخص يبقى متردداً، متأرجحاً فهو عنصر فاسد، في هذا الزمن بالذات لماذا؟ إن كان في مسجد سيظل المسجد قلقاً، إن كان في مركز سيظل المركز قلقاً.

نحن في مرحلة يجب أن نبني أنفسنا أمة واحدة، لا مجال فيها لمتعددي، ومتأرجحي الأقوال، والآراء، والأفكار، والمضطربين، يجب أن يجتمعوا هم لوحدهم، في بيئة واحدة، يفصلوا أنفسهم عن الناس، المتأرجحين، المترددين، المتشكيين، المضطربين، ليس هذا عصرهم، هذا الزمن في مواجهة أعدائنا لا يسمح لنا أن نكون على هذا النحو.

مركز نقيم فيه دورات، وكل ما جاء من سنة كلما طلعنا أكثر تفرق، وتباين في النفوس، هل هذا بناء لأمة، أو أن هذا هدم لأمة؟ ننطلق إلى مساجدنا، نختلف في داخلها كما اختلفنا في مدارسنا، ننطلق من كل قضية تواجهنا، نختلف أمامها، كما نختلف في مساجدنا، ومدارسنا، وهكذا.

معنى هذا ضرب لأمة، المرحلة هي مرحلة {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} فما يمكن أن يحقق لنا هذه نسير عليه، وكل واحد سيعرف أن الآراء المتعددة، الأفكار المتعددة، الاجتهادات المتعددة، الأشياء من هذه، تختلف مع: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً}، كما سألناكم في الكلمة السابقة، تختلف اختلافاً كبيراً.

وأنت عندما تتعلم، ثم لا تفهم كيف تخاطب الآخرين ممن قد يقدموا لك منطق: أنه لا، القضية الصحيحة هو: الحرية، والانفتاح، والرأي، والرأي الآخر، وهكذا، ثم أنت لا تستطيع أن تبين له، ولا أن ترد عليه قوله، لا يجوز، لا يجوز أن تنطلق كداعية، لا يجوز أن تبقى كمربي.

نحن يهمنا الآن فيمن يقومون على المراكز، أن يحاولوا ينمّوا ثقافتهم، ينموا علومهم، أفكارهم، حتى يصلوا إلى درجة عالية، يستطيعون أن يردوا على كل من يطرح أشياء أخرى، يستطيعون أن يردوا عليه، يستطيعون أن يوضحوا له خطأ رأيه، خطأ قوله، ولن نستطيع أن نكون على هذا النحو إلا إذا اعتمدنا على القرآن الكريم.

بالنسبة للسؤال: هل هناك فرق بين التشيع والتبعية؟ وهل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي؟ أصله في القرآن، الغريب أن البعض قد يظن أن معنى أن أكون تابعاً، يعني: أكون [ثور]، ما أدري بشيء، ولا أفهم شيء، ولا تتسع معرفتي [ولا جو أنا غير بعدهم بعدهم] ما هكذا قد يظن الشخص؟.. العكس هو الصحيح.

عندما كان الله سبحانه وتعالى يقول للناس أن يتبعوا رسوله هل طلع من اتبعوه، وذابوا في شخصيته، واهتموا بكل كلمة تنطلق من فمه، وساروا على خطاه، هل طلعوا [أثوار]، أو طلعوا عباقرة؟ وطلعوا بحور علم؟ كيف كانوا؟ من هو أبرز مثال داخل صحابة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان ذائباً في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يقفُ آثاره، كان كل كلمة من فمه لها أهميتها، يسير على خطاه، أليس هو الإمام علي (عليه السلام)؟.

هل الإمام علي طلع ثور؟ أو طلع ماذا؟ طلع عبقري، بَهَرَ البشرية كلها، كتب عنه المسلمون، وكتب عنه المسيحيون، وكتب عنه الكثير من البشر، الذين ليسوا ممن يدينون بهذا الدين، عبقريته، علومه، هذا هو نتاج ماذا؟ نتاج الإتباع، الذي يقول لك البعض: يريد يطّلعه ثور، أطلع ثور، بينما وجدنا الآخرين، الذي يحمل الروحية هذه: أنه هو، هو، أنا جهدي، استقلالية، التي نسميها، يبني نفسه هو، ماذا طلع؟ طلع مثل عمر بن الخطاب، جاءوا يسألونه ناس عن غسل الجنابة، ما درى كيف يفتيهم في خلافته، طلع بجهالته أهلك هذه الأمة بجهالته، أهلك هذه الأمة بجهالته.

هل طلع عمر عبقري كعلي؟ أو على جانب من عبقرية علي؟ أبداً، ما الفارق بين عمر وعلي؟ ما الفارق بين الكثير من الناس الذين كانوا يحضرون مجلس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وبين علي، وبين عمار، وبين المقداد، وبين سلمان، وبين فلان، مجاميع؟ الفرق أن أولئك كانوا عندما يجلسون في محضر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ينظرون إليه كشخص عادي، ويؤمنون بأنه رسول، وهم في نفس الوقت لديهم هذه التي نحافظ عليها.

أي طالب الآن يفكر أنه يريد أن يكون عبقري، يريد يحافظ عليها، أنا، أنا بحاجة، وأنا أعرف جهدي أعرف، أستطيع أن أكون كذا، أستطيع أن أكون كذا، فلم يعد يعطي أهمية لما يقوله النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يعد يستوعب ما يقوله، ما هناك الإتباع المطلق للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فطلعوا جهلة، طلعوا جهلة حقيقة، وما ضرب الأمة إلا هؤلاء الذين ما كانوا ذائبين في الإتباع للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فكانوا جهلة هم، وضربوا الأمة بجهلهم وجنوا على الأمة إلى اليوم، إلى اليوم.

الله عندما قال للناس أن يتبعوا رسول الله (صلوات الله عليه وآله)، كيف قال للنبي كيف دوره معهم؟ يعلمهم الكتاب، والحكمة، ويزكيهم، أنت عندما تتبع علماً من أعلام دين الله معناه أنه هو من سيقدم لك من المعارف ما لا يمكن أن تصل إليه بنفسك، هو من يمكن أن يبني نفسك بالشكل الذي لا يمكنك أنت أن تصل إليه.

الله يقول لنبيه: دعوه يزكي أنفسكم، أتركوه يعلمكم.. كيف نعمل؟ اتبعوه، وهو سيقوم بالمهمة، وكل كلمة تنطلق من فمه، إجعلوا لها أهميتها؛ لتطلعوا علماء، لتطلعوا عباقرة، لتطلعوا عظماء، لتطلعوا بالشكل الذي لا يمكن لأي شخص منكم أن يصل إليه، عندما ينطلق على أساس أنه يستطيع أن يبني نفسه.

ومن يقول لك: أن الإتباع معناه أطلع جاهل، ارجع إلى التاريخ، من ذابوا في الإتباع للنبي كيف كانوا، وفي المقابل من كانوا مثلنا [منخطين]، يريد وهو يقدم نفسه كنِدٍّ للنبي، كان بعضهم، كان عمر أحياناً يقدم نفسه كندٍ للنبي، وهو..!

أنظروا إلى من ذابوا في الإتباع للإمام علي، طلعوا أثوار أو طلعوا عباقرة، وعظماء، وعلماء، وحكماء؟ هكذا ارجع إلى التاريخ، من كانوا متبعين لأعلام أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). هل كانوا يطلعون مغفلين؟.. كمالك الأشتر، كشخصيات كثيرة.

إرجع إلى التاريخ تجد أن من كانوا يطلعوا مغفلين، وجهلة، هم أولئك الذين لا يؤمنون بالمسألة، عنده هو، أنا؛ لأنك تفصل نفسك عن هدى الله، عن منهج الله، تبعد نفسك عن سنة الله في الهداية، وأنت كإنسان لا تستطيع، الله قال: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}(النساء٢٨) أنت إذا انفردت بنفسك أنت، أبعدت نفسك عن مصادر هداية الله، فستضعف أمام الشيطان، أنت ضعيف، علومك محدودة، قدراتك محدودة، ستكون جاهلاً.

ووجدنا فعلاً كيف أن بعض من الأشخاص، ممن إذا جئنا إلى تقييم [اسم عالم] برصات الكتب، أو بما أنتج من كتب، يقال: عالم بحر، تجده بحراً من الضلال، كابن تيمية مثلاً، بحر من الضلال، من الظلمات، عقائد لا يمكن أن يعتقدها أي واحد من الناس، الذي لا زال على فطرته، يعتقد عقائد فضيعة، وهو منتِج، كم ألّف من كتب، كم رصات كتب.

هكذا الإنسان لا بد أن يفهم هل المسألة فعلاً هي على هذا النحو، سيكون عبقري، سيكون كما قال الإمام علي: (علمني رسول الله ألف باب من العلم، كل باب يفتح ألف باب) أم أنه سيطلع واحد جاهل.

س ـ هل يوجد للتبعية أصل في المذهب الزيدي؟

ج ـ إن أردت بالمذهب الزيدي الإسلام فحديث الثقلين هو من الأحاديث المعلومة عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من الإسلام، أليس حديث الثقلين من الإسلام؟ هو يقول لنا: تمسكوا بالقرآن، وبالعترة. والتمسك ماذا يعني؟ إتباع بقوة، إتباع بقوة. ما معناه هكذا التمسك؟ {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}(مريم١٢) {خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ}(البقرة٦٣) ماذا يعني: خذوه بقوة؟ يمسك واحد المصحف، ويضغط يده عليه؟ أو يمسك الإسرائيلي التوراة، ويضغط عليها.! أو إتباع، تذوبوا في الإتباع، وتصميم في الإتباع، وانطلاقة جادة في الإتباع. هذا معنى: خذوا الكتاب بقوة، وكلما فيه تجعلوا له أهميته، وتنطلقوا للإلتزام به.

طبعاً هناك في أصول الفقه من يريد يشتغل ممكن، كل واحد يجتهد، والمطلوب من كل شخص هو أن يطلع مجتهد، لكن إذا ما أتيح له أنه يطلع مجتهد، وحظه غير جيد، فيقلد.

....

عندما يقول واحد: كيف نترك هذا الفن؛ لأن هذا الفن يشجع واحد أنه يجتهد، وأنا أريد أطلع مجتهد، ما يكون بيني وبين الله أحد، وأكون من محمد بن عبد الله وكذاك، ألزمه الله باتباع كم أنبياء وأنا ما شي إتباع، ما طلع في رأسي، والله هو الذي يتبعني!!

هكذا بلغ المنطق إلى الدرجة هذه السخيفة: [مراد الله تابع لمراد المجتهد]! عبارة صريحة يمكن يقرأ أي واحد منكم في [شرح الكافل]، وغيره؛ لأن مراد الله تابع لمراد المجتهد؛ ولهذا الإمام علي رد على من عملوا هذا العمل زمان، عندما كان قد حصل خلاف في الفتيا، قال: (أم كان لهم أن يشرعوا وعلى الله أن يرضى)؟! هم يشرعون وهو عليه أنه يرضى! هذا في [نهج البلاغة].

بلغوا إلى هذه الدرجة: أن الله هو الذي عليه أن يكون مراده تابع لما أدى إليه نظري، هذا هو أصول الفقه، ومن أراد أنه يريد يطلع مجتهد، يطلع عبقري كما يظن يتفضل بأصول الفقه، لكن أعتقد هو لا يستطيع، ولو قرأ عشر سنين في أصول الفقه أن يصمد أمام إشكالات تطرح عليه في ليلة واحدة، ليلة واحدة يمكن أن تنسف قراءة عشر سنين من أصول الفقه لديه. هل تفهموا هذه؟

إذا أحد منكم يريد وفيه نخيط إنه يريد يطلع مجتهد ـ كما يقولون ـ فيهاجر، تمام؟ ويأتي إنشاء الله بعد عشر سنين، ويجلس مع طالب ينطلق انطلاقة قرآنية وسيرى نفسه، في ليلة واحدة يمكن أن ينسف أصول الفقه حق العشر سنين التي قرأها في ليلة واحدة، وسيعرف بعد أنه كل تلك الفترة هو ضيعها في جهل، في جهالات، في ضلالات متراكمة.

أليس هذا من الضلال أن يصلوا إلى المسألة هذه؟ في شرح الكافل في الدليل على أن كل مجتهد مصيب، الذي هو من القواعد التي يقول البعض ـ لأنهم ما زالوا مختلفين في المسألة هذه ـ أنها من قواعد المذهب: أن مراد الله هو تابع لمراد المجتهد! ما هكذا قالوا؟.

طيب: أنت تجد القرآن الكريم المسألة ليست على هذا النحو، أنت الذي يجب أن تتبع، يقول للنبي: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} وأنا أقول للباري: اتبعني أنت، أنا سأفكر، وأظنن، وأطّلع نظرية معينة، وأنت الذي عليك أن مرادك يتبعني، ويقبل كلما طلع من رأسي!! أليس هذا استكبار على الله؟ هذا استكبار على الله، هذا كبرياء أمام الله سبحانه وتعالى.

هل يسمى هذا علم؟ لا يمكن أن يسمى علم، هذا جهل متراكم، من يكون نتيجة دراسته أن يرى أن على الله أن يقبل ما طلع من رأسه، وأن الله يجب أن يكون مراده تابعاً لمراده هو، وهو الإنسان القاصر الضعيف، فهذه هي الجهالة، لا يمكن أن يسمى علم، هذا هو الجهل، وظلمات من الجهل. وكل من يقول بأن كل مجتهد مصيب هو يقول بهذا: أن مراد الله تابع لمراد المجتهد، فلهم أن يشرعوا وعليه أن يرضى!.

س ـ وماذا يعني انتماؤنا إلى العلماء؟

ج ـ انتماؤنا إلى العلماء بعبارة مبسطة نلاحظ نحن نسير على المنهج الذي يقدموه لنا، العبارة المعروفة عند الناس [نسير بعد علمانا] ما هكذا نقول؟ نسير بعد علمائنا، لكن متى ما اخترنا، وأحسنا الاختيار، حتى نعرف وراء من نسير، أمكن أن يقال: أن انتماءنا، أو سيرنا هو على أساس صحيح، ويوصلنا إلى غاية صحيحة.

وإلا تجد في العلماء، يختلف العلماء، وتختلف أنظارهم، وتختلف آراؤهم، قد يكون في الموضوع أن هناك اتفاق إجمالي على بعض أشياء، على شرعية أشياء مثلاً، شرعية أشياء معينة، وإن كانوا يختلفون في تفاصيلها، هم من حيث المبدأ مثلاً مجمعون على شرعيتها.

مثلاً هم مجمعون على شرعية الجهاد في سبيل الله، ما هذا معروف عند كل العلماء؟ مجمعون على شرعية الجهاد في سبيل الله، لكن قد تأتي إلى تفاصيل معينة، من أعمال يراها هؤلاء، أو هؤلاء أنها هي من الجهاد في سبيل الله، وقد يخالف هذا هذا، قد يخالف هذا مثل ما يخالفون الآن عندما يأتي الشعار يرفع، بعض الناس يقول: لا، بعضهم ما يرفعه، وهو عالم ما يرفعه، لكن لو تأتي تقول له: هل هذا العمل هو يرضي الله؟ يقول لك: نعم. هل الجهاد في سبيل الله مشروع؟ يقول لك: نعم، لا شك فيه، لكن لماذا؟ يقول لك: أنا ما قد هو واجب علي، ما هو واجب علينا هذا! قد يقول لك هكذا.

انتماؤنا إلى العلماء، أفضل أن نقول: أن نحترم العلماء، هل تفهموا هذه، نحترم علماءنا، لكن ويجب أن نفهم أن علينا أن نعرف وراء من نسير، وعلى أي نهج نسير، ونتعلم، ونتفقه، ولو كنت تعتمد على كلام بشر من البداية حول هذا الموضوع، إعتمد القرآن أولاً، إعتمد القرآن أولاً، هو الذي سيصنف لك الناس، القرآن هو يغربل كما قلنا لكم [في الكلمة في العصر] هو يقيّم كل شي أمامك، يقيم لك الناس جميعاً.

والقرآن هو المقياس الصحيح؛ ولهذا سمي القرآن نفسه هو: الثقل الأكبر، حتى فيما يتعلق بحديث الثقلين ألسنا ملزمين بالإتباع لكتاب الله، وعترة رسوله؟ سمي القرآن الثقل الأكبر، والعترة الثقل الأصغر؛ لأنه في بعض الأحاديث، في بعض روايات ألفاظ الحديث: (ثقلين أحدهما أكبر من الآخر) هكذا، نحن سنحكّم الثقل الأكبر على الثقل الأصغر؛ ليتبين لنا من داخل الثقل الأصغر وراء من نسير، ومع من نكون.

هذه هي القاعدة الصحيحة، وإلا ممكن تتبع عالم معين ما يحرك ساكن، ماله أي موقف، يمكن تحتاج إليه فيما يتعلق بفتاوى معينة، يمكن فيما يتعلق بموقف من أعداء الإسلام، فيما يتعلق بوضعية الأمة الآن هو ليس حول هذا الموضوع، وعنده ما هو واجب عليه هذا الموضوع بكله.

أنت عندما تقول: وأنا ما هو واجب عليّ مثل فلان قد تحرج مع القرآن، ترجع إلى القرآن تحرج معه، تجد أن منطقه يختلف عن منطقك أنت وعالمك، عن منطقك أنت وعالمك، كما قلنا أن: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً} منطق يختلف معك أنت وفلان، أو عالمك الذي يقول لك: لا، كل واحد يجتهد. القرآن هو المقياس الأساسي، هو المرجع الأول والأخير الذي يحكم على عترة رسول الله، ويحكم على البشر جميعاً.

س ـ ما هو الاجتهاد عند الزيدية؟ وهل له حصر أم هو في عموم الفروع؟ أفيدونا جزيتم خيراً.

ج ـ قد تحدثنا حول الإجتهاد. الاجتهاد أنا شخصياً غير مقتنع إطلاقاً أن المسألة هكذا، ـ كما يقولون ـ مفتوحة، وكل واحد يتعلم يطلع مجتهد، ويمشي على ما أدى إليه نظره، أنا أعتبرها باطل الباطل، باطل الباطل، ومخالفة لكتاب الله، هذه القاعدة مخالفة لكتاب الله، بغض النظر عمن يقولها من الناس، أو ممن يسير عليها من الناس، أو ممن يتعصب لها من الناس.

نحن ما نقوله ليس هو اجتهاد، أنا شخصيا لا أجتهد، تعرفوا، لا أمارس عملية الاجتهاد إطلاقاً، تفهموا هذه؟ ودائماً أقول كلما نقدمه للناس ليس بجديد، كلما نقدمه للناس من صريح القرآن الكريم، ومن صريح أقوال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن صريح أقوال أئمة أهل البيت القدامى، ومن صريح الواقع الذي كشف لنا خطأ كثير من القواعد التي ينشغل بها الآخرون، الواقع، الأحداث، هي مما يكشف الأخطاء، مما يساعد على كشف الأخطاء.

الله جعل المتغيرات من آياته {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}(فصلت٥٣) وكل من يتحدثوا عن عظمة الإسلام هم يقولون: أن الأدلة على صحة الإسلام، وعظمته هو إنه لم يأت زمن يكشف أنه خطأ، لم تأت متغيرات توضح خطأ، توضح باطلاً، كما قال الله تعالى عن القرآن: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}(فصلت٤٢) تأتي المتغيرات، والأحداث في الدنيا، لا يأتي حدث تقول هو كشف باطل في القرآن، أو دل على أن هناك داخل القرآن باطل أبداً.

وأنا أقول، وأنصح من أراد أن يسير على هذا النحو: يريد يجتهد، سيطلع جاهل، علومه محدودة، نظرته محدودة، وقاصرة، في الوقت الذي يظن إنه سيعرف كل شيء.

ليذوب الناس في القرآن، والقرآن (هو بحر لا يدرك قعره)، كما قال الإمام علي، من المعارف من العلوم، وتَذُبْ أنت في الله، وفي معرفة الله، وستعرف أشياء كثيرة جداً، تعرف صحة هذه، وباطل هذه، غير هذه لا يكون مع الإنسان الذي قد هو مجتهد إلا انتفاخ من داخل فقط، مجتهد، مجتهد، ماذا أمامه يجتهد؟ قضايا حيض، نفاس، تفاصيل من هذه الأشياء.

قل لمن يقولون يريدون أن يجتهدوا: حياكم الله، تعالوا نجتهد جميعاً في هذا الظرف كيف نواجه أعداء الله، هذا هو مكان الاجتهاد، ما هو تأتي تشغلني وأنت متمسك بأصول الفقه، والاجتهاد، اجتهاد، ثم أراك تريد تشغل الاجتهاد في ماذا؟ تشغل الاجتهاد في الميدان الذي قد [دبغوه] من قبلك الناس. كل من يريد يجتهد رجع إلى تلك الأشياء السهيلة، على فروض الوضوء، ونواقض الوضوء، وتلك الحاجات السهيلة.

لكن يشغّل آيات أخرى، فيها مشاكل، تحتاج إلى أن يكون ممن لا يخشى إلا الله، في الأخير يبحث للمسائل التي قد جهزوها، ويغطي على الآيات! لماذا لا يجتهد من يتعصبون لأصول الفقه، فيشتغلوا في: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ}(الصف١٤) أليست هذه آية واضحة؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ}(المائدة: من الآية٣٥) تعال نجتهد هنا. عندما يقول هنا نريد نقفل! لا، لا، لا تقفل، المجال أمامك مفتوح من هنا إلى واشنطن، والعالم كله وسيع، اجتهد في الميدان هذا، هذا هو مكان الاجتهاد الحقيقي.

وللأسف كان بعض الأشخاص الذين يتعصبون للمسألة هذه، أصول الفقه ونحوها، كانوا من يقولون هم في الماضي: يجب أن نحمل همّاً كبيراً، وقضايا الأمة، وقضايا الإسلام، وننطلق للعمل على إعلاء كلمة الإسلام، لما جاء وقت الصدق، وقد هو يريد يشغّل الإجتهاد في تلك السهيلة، أو ضد أهل البيت، الذين ليس معهم دولة يخافها. يقوم على الأئمة كلهم بانقلاب، لكنه لن يجرؤ أن ينقلب على مدير ناحية، يعمل انقلاب على أئمة أهل البيت؛ لأن ما معهم دولة يخافها، تراه بطل شجاع يتحدى أهل البيت جميعاً، وأئمتهم جميعاً، لكن لا يمكن أن يخرج على مدير ناحية، لماذا؟ هو عارف. فيكون هكذا اجتهاد في الأشياء السهيلة، وضد الناس الذين ما عادهم موجودين، والذين ما معهم سلطة، والذين ما أنا خائف منهم.

أما في الميادين الصعبة، لا، كيف وأنت تقول لي: أصول الفقه، من أول قواعد أصول الفقه أن الأمر يفيد الوجوب ما هو هكذا؟ صيغة [إفعل] تفيد الوجوب. لماذا تشغل افعل في تلك الأشياء السهلة، وصيغة الأمر في هذا المكان لا تشغلها. عندما يقول لك الله: {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} أليس هذا {كونوا} فعل أمر يقتضي الوجوب؟ تعال شغل هنا أصول الفقه، شغله هنا واجتهد {كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} تعال نقرأ أنا وأنت كيف يمكن أن يتحقق النصر لله، ولدينه هل بالآراء المتعددة، وننشئ جيلاً متفرقاً متضارباً، متناقش متجادل؟. أو جيل واحد، ثقافة واحدة، رؤية واحدة، ويكون مشبّع بالمعرفة، بالمعرفة، وقناعاته راسخة؟.

هذا هو من أصول إمامنا زيد بن علي (صلوات الله عليه)، لا تتصور أن الإنسان إذا قد هو زعم سيتبع أهل البيت فسيكون كرتون، ما هو فاهم لشيء. الإمام زيد كان يقول هو: البصيرة، البصيرة. أهل البيت من يعطون أتباعهم بصيرة، من يعطوهم قناعة، من يعطوهم معرفة، من يعطوهم فهماً، من يعملوا على أن يكونوا علماء، علومهم واسعة، ومداركهم واسعة، ومعارفهم واسعة، لكن إرجع إلى الآخرين تطلع ثور حقيقة. من هو الثور؟ الذي يقول قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): [سيكون أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي].

لاحظ الناس الذين يريدون أن يطلعونا أثوار حقيقة هم هؤلاء، يصلح لك حديث [لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول؟ قال: إسمع وأطع الأمير وإن قصم ظهرك، وأخذ مالك] هذه هي الحرية التي يقول البعض: انفتاح على هؤلاء، وحرية مع هؤلاء.

أليست هذه هي العبودية؟ أليست هذه هي الحيوانية، والبهيمية؟ هي هذه: [يكون بعدي أمراء لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي] اسمع وأطع لهؤلاء!.

لكن تأتي إلى عند أهل البيت تقول له: إمام من أئمة أهل البيت، يهتدي بهدي الله، ويستن بسنة رسول الله، ويهدي الناس بهدي الله، ويقيم في الناس سنة رسول الله، يقول: أنا لا أؤمن بمرجعيته، أنا لا يلزمني أن أسير وراءه، أنا، أنا، أنا.. إلى آخره، أنا منه وكذاك، أنا منه وفوق.

لكن أمام من يقولون هكذا: أئمة لا يهتدون بهدي، ولا يستنون بسنتي. هل هذا منطق أهل البيت؟ هذا مما يحاربه أهل البيت؛ لأنه هنا الحيوانية، هنا البهيمية، هنا الطغيان، هنا القهر للإنسان، هنا العبودية للإنسان، هنا الإذلال، هنا ما يتنافى مع كرامة الإنسان، هنا ما يتنافى مع جلال الله وعظمته، أن ينسبوا هذا إلى دينه: طاعة الطواغيت، طاعة الظلمة، ويجعلونها من دين الله.

هل هذا من مذهب أهل البيت؟ أو من مذهب الآخرين؟ من مذهب الآخرين. إذا عمل أحد على إخراجك من مذهب أهل البيت فماذا سيحصل؟ ستقع فيما عليه الآخرون. ونحن سمعنا بآذاننا من أشخاص ممن يقول لكم، من يأنف عندما تذكر له أي عظيم من أهل البيت، سمعناهم يقولون لأشخاص، ضباط في المؤتمر الشعبي: وجهونا واحنا بعدكم، نمشي على أي توجيه منكم! يؤمن بمرجعية ضابط، عميد لا يعرف كتاب ولا سنة!!

لكن تقول له: [بدر الدين] يقول: ما يلزمني! قل له: فلان، إلى أن تصل إلى علي بن أبي طالب، ما هو لازم له! هكذا يقع الإنسان في الضلال، الذي لا يسير على نهج أهل البيت سيسير على نهج الآخرين، وهذا هو نهج

الآخـرين: أئمـة لا يهتـدون بهـديي، ولا يـستنون بـسنتي. تنـزلها وزارة الأوقـاف، في ملزمـة، وتعممهـا في المحافظات، وتقيم دورة للخطباء من أجل يخاطبوا المجتمع بهذا المنطق، ما يكفيهم أنه يحكم ويظلمـك، بـل هـو يريد أيضاً أن تؤمن بأنه يجب عليك أن تطيعه، وإن ظلمك، وإن قصم ظهرك!.

هذا هو الإسلام الذي يسمونه: المرن، والمنفتح، والأشياء هذه، أهل البيت متشددين، أهل البيت ضـيق! وأشـياء من هذه، هكذا يقولون.

نحن نقول عندما قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): ((ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) أن من خرج عن دائرة القرآن والعترة، لا بد أن يـضل، وإن ظـن أنـه مـن أكثـر النـاس عبقرية، وإن وسَمَ نفسه بأي لقب يكون، لا بد أن يضل.

أنا أنصح أي شخص عنده ميول لأصول الفقه، وأشياء من هذه، أن يهاجر ويترك المراكز تقوم على اتجـاه واحـد، أصلح له، وأصلح للناس. أليس هذا أفضل؟ لا يجوز له أن يبقي مركز معين محل اختلاف، وقلق، أي مركز كان، أنا لا أعرِّفه، لا أقول هذا المركز يحصل فيه من هذا، لكن أعرف مناطق حصل فيها من هذا القبيل.

يا أخي أنت غادر، سِر هاجر حتى عند فلان الذي يشجعك، ومـع الـسلامة، اطلـع، إنـشاء الله في الأخـير نـراك عبقري، تجتهد، تجتهد، تجتهد لما ترجع تقول لضابط: وجِّهنا واحنا بعدك. أليس هذا اجتهاد مَنْزَل؟.

واترك الناس ينشأوا أمة واحدة، وربما في المستقبل ما ينفعك إلا هؤلاء الـذين أنـت تريـد أنـك تتفـرق أنـت وإياهم، وتفرق كلمتهم، ويطلعوا قلقين، وتحاول تكسب لك أنصار منهم، يكونون هم على رأيك، وعلى أفكـارك، ويطلعوا.. أتركهم ينشأون على اتجاه واحد، ربما في المستقبل ما ينفعك أنت واجتهاداتك إلا هؤلاء.

وإذا أنت تريد أن تعرف أن الأمة بحاجة إلى هذا الشيء، وليسوا بحاجة إلى منطقك، انظـر الواقـع الآن الـذي قلته سابقاً، أي إنسان يقول: إن الأمـة الآن هـي بحاجـة إلى الـرأي والـرأي الآخـر؟ أو بحاجـة إلى الاجتهـادات المتعددة، أو بحاجة إلى الأحزاب المتعددة؟ ولا بدوي سيقول.

سيقول أي بدوي: الأمة هذه لو يتجمعوا زعماء العرب. ما هم يقولون هكذا؟ النـاس الـذين لا يـستطيع بعـضهم يتحدث يقول: [والله لو يجتمع رؤساء الدول أن جهدهم يدمروا إسرائيل] بعضهم يقول كذا، ما قـد هـو عـارف بعضهم يتكلم، يعرف أنه لا مخرج للأمة إلا بوحدة الكلمة، ووحدة الـصف، ولا يمكـن تقـوم وحـدة كلمـة، ولا وحدة صف مع تعدد الآراء، والاتجاهات، والمذاهب، والأقوال، لا يمكن.

لو ما فرقنا إلا هذه: زيدي، شافعي، حنبلي، زيدي داخله كل واحد مذهب لوحده، يوجد مذاهب أخـرى، حـسموا القضية من بحين، قالوا: ما هذه منطقية. الذي يقول لك البعض: أن هذه من ميزة المذهب الزيدي، عندما تقول له: لازم تكون كلمتنا وحدة، أن ينتهي هذا التفرق. قالوا: لا يمكن، هذه من ميزة المذهب الزيـدي، كـل واحـد يمشي على ما أدى إليه نظره، ولو ما هو كذا ما من مشينا عليه!.

يا أخي: المذاهب الأخرى حسموا القضية من بحين، عرفوا أنها خلل، وخطأ، أقفلوا باب الاجتهاد هذا الذي تقـول به، أقفلوه من بحين، شوافع، وأحناف، ومالكيين، وحنابلة، وكلهم أقفلوه، يمشون على فقه الشافعي، مجتهـدين قدامى فقط يمشوا على مذهبهم فقط؛ لأنه يعرف أنه أن يفتح الموضوع. يعني: لا يـستقيم شـيء، وخربطـة في كل مجال.

لكن نحن نقول: نفتخر، نفتخر أن مذهبنا يجعل كل واحد من شِعبه، معناه هكذا، نفتخر أن مذهبنا يجعلنا نطلع بصل، رؤوس [قومي رؤوس كلهم - أرأيت مزرعة البصل] ما معهم عاقد شور، ولا يجمعهم شـيء. مـا هـذا واقعنـا الآن، الزيود؟ ألسنا هكذا؟ هل نحن متوحدون؟ أبداً، من عند علمائنا، متعلمينـا، عوامنـا، مـا هنـاك وحـدة، إلا الوحدة القبلية فقط، التي داخل القُبُل، الباقي لا يوجد وحدة إطلاقاً، ولا موقـف نحـن نـسير عليـه بتوحـد، موقف عملي في الساحة لا يوجد. هذه هي الميزة التي يريدون أن نبقى عليها دائماً حتى يأتي اليهود وينهونا.

س ـ هل نحن نعمل بالتقليد أم بالاجتهاد وما فائدة الاجتهاد؟ وما نصيحتك لنا فيما ندرسه من علوم الإسلام ومن الكتب خاصة في أصول الدين وغيره؟

ج ـ أنا أنصح أن واحد يقرأ كتاب اسمه [مجالس الطبري]، فيه هذا الموضوع الذي ما أنا متذكر له أشرحه حول مسألة اجتهاد وتقليد، وكيف قال في المسألة، كتاب مجالس الطبري ربما قد يكون في المركز شيء منه.

موضوع أصول الدين نحن لا نحارب أصول الدين، نحن نحارب علم الكلام المتأثر بأساليب المعتزلة، علم الكلام المعتزلي، افهموا هذه، يقول لكم بعضهم أننا نحارب أصول الدين! ألسنا نقول: نقرأ [المجموعة الفاخرة] و[مجموع القاسم] و[البساط] ونحوها من كتب أصول الدين لأئمة أهل البيت القدامى، الذين ليسوا متأثرين بأساليب المعتزلة.

أما الكتب التي هي متأثرة بأساليب المعتزلة هي سيئة جداً آثارها، إفهموا الذي نقوله: علم الكلام الذي جاءنا من عند المعتزلة، والذي تأثر به بعض من كتبوا من داخل الزيدية في مادة أصول الدين، علم الكلام، علم الكلام هو اسم يطلق على الذي نسميه: أصول دين، علم الكلام الاسم الحقيقي له قالوا لأنه كثير الأخذ والرد فيه، كلام كثير.

أصول الفقه الذي نحاربه الذي تحت عنوان: أصول فقه، لكن لا نحارب أصول دين، نحن نحارب علم كلام متأثر بالمعتزلة، المعتزلة والأشاعرة كلهم ضرّوا ضراً كبيراً بالإسلام، وكلهم تركوا آثار سيئة في واقع المسلمين الثقافي.

في أصول الدين نقرأ [المجموعة الفاخرة]، وتعطى أولوية لرسائل على رسائل أخرى، ما تقرأ مثلا الرسائل التي هي رد على ابن الحنفية إلا بعد ما تقرأ الرسائل الأخرى قبلها، يعنى أن الموضوع يكون أعمق هنا من موضوع هنا، ابدأ أول شيء بهذا، ثم هذا، ثم هذا، تصل عند هذا الذي فيه أخذ ورد أعمق ويكون قد عندك خلفية.

في المعاني والبيان يوجد كتاب جميل كان مقرر في الثانوية [البلاغة الواضحة] مع دليله، كتاب جميل في البلاغة، في المعاني والبيان، وكتاب آخر اسمه: [أساس البلاغة] لأحمد الهاشمي، كاتب مصري، كتاب ممتاز أيضاً في البلاغة. والبلاغة أيضاً لا تحصل بالقواعد، تقرأ قواعد البلاغة وتكون بليغاً أبدا، يكون عندك فقط معرفة بقواعد البلاغة، وقد يكون منطقك ركيكاً، أو كتابتك ركيكة.

البلاغة تأتي من خلال القراءة في الكتب البليغة في منطقها، القرآن الكريم في المقدمة، بتدبر وتأمل، ومثل نهج البلاغة، ومثل الكتب التي هي بليغة، لا تقرأ كتباً ليست بليغة، تؤثر على أسلوبك، وعلى منطقك، وعلى قدرتك البيانية، هكذا يقول بعض العلماء من علماء البلاغة السابقين: بأن هذا هو من أفضل ما يمكن أن يحصل الإنسان من خلاله على قدرة بيانية، قدرة تعبيرية، أو قدرة في الكتابة، يكون عنده قدرة بيانية في كتابته أو في كلامه.

س ـ ما معنى قول الله: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (يونس١٩).

ج ـ معناه: عقوبة هنا يأتي بمنطق التهديد {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} الفصل بالعقوبة النهائية لطرف.

أيضاً الآية: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ} (البقرة٢١٣) يبين أن مهمة الرسل، والكتب السماوية هي: أن تحسم موضوع الإختلاف؛ {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ} من أجل ماذا؟ لأجل أن يحسم موضوع الإختلاف فلا يختلفون، يقولون في

تفسيرها: أن معناها: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين، أي: كانوا على دين واحد، على طريقة واحدة من بعد آدم فترة معينة من الزمن، لا يختلفون، حتى بدأ الإختلاف يدب فيما بينهم، فجاءت الكتب السماوية، وجاء الرسل من أجل أن يحسم موضوع الإختلاف.

س ـ هناك من يقول ليس المطلوب إتباع الأشخاص من أهل البيت، وإنما المطلوب إتباع المنهج مجرداً عن الأشخاص فهل هذا الكلام صحيح؟

ج ـ هذه القضية هي ناشئة من فهم أن كل إنسان ينطلق هو، ما هو بحاجة أحد. لكن لو كانت المسألة، هل صحيح أن الإنسان إذا انطلق هو سيصيب الحق في كل قضية؟ كان ممكن، لو افترضنا أن المسألة هي هكذا، لكن كلهم مجمعين ـ الذين يقولون الكلام هذا ـ كلهم مجمعون على أنه يحصل خطأ. المجتهدون يخطئون، والباحثون يخطئون، والناظرون يخطئون. هكذا قضية مسلّمة.

إذا كان الكل مؤمن بأن الخطأ يقع، وبنسبة كبيرة، فهل هذه القضية صحيحة من أصلها: أن الله أوكل الناس إلى أنفسهم، والقضية هي هكذا: ما أحد يحتاج إلى أعلام، ولا يحتاج إلى كذا.

أيضاً الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لماذا جاء بحديث الثقلين وقال: كتاب الله وأهل بيتي؟ لماذا تحدث عن عترته، تحدث عن أهل بيته؟ إذا المسألة ما هناك حاجة للأشخاص، ما هناك حاجة لقدوات؟ ما هناك حاجة لأعلام؟. فالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أرحم بنا من غيره، أرحم بالناس. هل سيضيف علينا حاجة معينة لسنا بحاجة إليها؟ لا ترتبط هدايتنا بها؟ لا ترتبط نجاتنا بها؟ يضيف علينا شيئاً معيناً؟ ما يمكن هذا يحصل من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)!.

نحن متفقون، نحن وهؤلاء الأشخاص الذين ينسب إليهم هذا الكلام أنهم يعرفون أن حديث الثقلين صحيح، وأنه ورد من رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أحاديث هي تدل، أو توحي، أو تشير إلى أن الأمة مطلوب منها، أو يجب عليها أن تسير متمسكة بأهل البيت، راكبة في سفينة أهل البيت.

إذاً فلماذا النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: أهل البيت، أهل البيت؟ أو عترتي؟ إذا القضية ما هناك حاجة لأشخاص فيسكت من مرة. وفعلاً رسول الله ما يمكن أن يذكر أهل بيته وليس هناك حاجة لدينا نحن، فيما يتعلق بالاهتداء، ليس هناك حاجة إلى أهل البيت ما من تكلم عنهم نهائياً؛ لأنه كما وصفه الله {بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة١٢٨).

ما يمكن يضيف عليهم أرقاماً هكذا، وبهذه الأهمية البالغة: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله، وعترتي) كأننا نقول لرسول الله: أنت ما بلاّ زيدت أنت عترتك؛ لأنك تحب أولادك، تريد نحبهم، تريد كذا، تريد كذا، وإلا فالأصل كتاب الله فقط.

كأننا نتحدث مع النبي نفسه، أي أنت تتهم النبي أنه قال بحديث الثقلين من باب المحاباة لعترته، يريد فقط يوجد لعترته ولأهل بيته، أولاده، وذريته مقاماً في الأمة متميزاً، ويريد، ويريد، ويريد.. الخ. هذا ليس أسلوباً مؤدباً مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جرح لشخصه، جرح لشخصيته، ومقاصده.

سورة [الفاتحة] تتحدث عن ناس، عندما قال الله فيها: {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} (الفاتحة٦-٧) لماذا ذكر أيضاً الذين أنعمت عليهم؟ أليس الذين يعني: ناس؟ صراط الذين أنعمت يعني: ناس. كان يقول: اهدنا الصراط المستقيم، ويكفي!. لماذا تربط المسألة بناس؟ هكذا، لا بد، لا بد، لا بد، الحق يحتاج إلى أعلام وهداة، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (الرعد٧). هكذا يقول الله. لا بد للأقوام، لا بد للأمة من هداة، من أعلام يقتدون بهم، يسيرون على هديهم، يتأسون بهم، ينهجون نهجهم.

كما أن الباطل نفسه يحتاج إلى أعلام، حتى الباطل يحتاج إلى أعلام، ما ينفق باطل بدون أعلام، يرمز له شخصيات ينفق في ظلها. كذلك الحق يحتاج إلى أعلام.

ما الحق مثلاً أشياء تنبت، يمكن يسير واحد يجمع له [حزمة] حق، أو يسير يقطع له كيس حق، أو يأكل له حبتين حق، أو أشياء من هذه، ليست هكذا. الحق يتمثل عادة هو والباطل في ناس، الباطل يتمثل في ناس، والحق يتمثل في ناس كله.

عندما نقول مثلاً: الحق ضائع، الحق مغمور، ألسنا نقول بالعبارة هذه؟ ماذا يعني ذلك؟ أن تجسيده في واقع الحياة غائب، أما هو كمبادئ مكتوبة مخطوطة هو موجود. هل يمكن لواحد يقول: أبداً الإسلام بخير، والدنيا بخير، ولا هناك أي إشكالية، ذا عندك الحق وافي، ولم يتعرض لأي حاجة، معي [ختمة] جديدة في [الشمطة]، ولا يلحقها أي حاجة. هل يمكن هذا؟

الحق في واقع الحياة، عندما نقول: هو سائد بحركة الناس على أساسه، تجسيده وهم يمثلونه، ويتمثل في حركاتهم، وفي سكناتهم، ومواقفهم. كذلك الباطل.

هذه المسألة مخالفة للسنة الإلهية؛ لأن الله يأتي بكتاب ونبي، ما الله هكذا يأتي بواحد من البشر، ومع ذلك على الرغم من وضوح كتابه، ما هو يقول: كتاب مبين، كتاب مبين؟ ما هكذا يقول عن القرآن؟ طيب: كتاب مبين، وأيضاً تربطنا بواحد من الناس، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ما هو يربط الناس به؟ يربطهم بمحمد؟ {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ} (النساء٥٩) {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ} (النساء٨٠) كلام كثير حول طاعة الرسول. أليس هذا حاصل؟.

عندما تراه كتاباً مبيناً، سنة إلهية، يأتي منهج وقدوة، كتاب وعلم من البشر. حتى عندما اقترحوا أنه كان المفروض أن الله أن يرسل ملكاً يقول لهم: {قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً} (الإسراء٩٥) نزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا، لا بد أن يكون هناك علم، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج٧٥).

فمن يقول بهذه العبارة: لا حاجة للأشخاص، إذا أنت تريد أن تقول بهذه العبارة، وتريد أن توجد لها شيئاً يعتبر مثال، إن أول من تقول: إذاً فلا حاجة له هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) لا حاجة له؛ لأنه جاء بكتاب عربي، وكان بإمكانه أن ينزل عليه في شهر رمضان كله، ويكلف من يكتب منه عدة نسخ، ويعطيهم وهو كتاب بلسان عربي مبين.

أليس هكذا؟ ومحمد يعود إلى بيتهم، والله يفتح عليه، ولا قيمة للشحم واللحم - كما قالوا - والقضية هي فكرة ومنهج، ولا قيمة للأشخاص! لماذا الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين، نزله عليه، ويقول للناس: أطيعوه، إتبعوه، أنصروه، عزروه، وقروه... إلى آخر ما يقول لهم في البشر هذا.

هكذا لا بد، لابد. أي فإن كان هناك إمكانية الإستغناء عن بشر على هذه القاعدة فإن أول من يمكن أن يقال، ويكون مصداقا لهذه إذاً فليستغني عن محمد من البداية!. لماذا يأمرنا بطاعة واحد بشر! قد هذا القرآن بلغتنا، وهو بيّن وواضح، والله يفتح عليه، يرجع عند خديجة، ويقسّم لنا عدة نسخ منه، أو يجلس في بيتهم، يكون يكتب له عدة نسخ، ويوزع، يشغل له عمال يكتبوه، وانتهى الموضوع.

ولأنها سنة إلهية الله يقول: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ} أليس النبيين بشر، شحم، ولحم، الذين يقولون: لا قيمة للشحم واللحم! {فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} أعلام، ومنهج، قدوة ومنهج، لا بد منه.

المشكلة هذه: إذا واحد عنده أنه يستطيع انه يصلح كل شيء، يعرف الحق من دون أحد، ولا هو بحاجة أحد، حتى ولا علي بن أبي طالب هذه السلسلة كل أبوها إنما فقط رسول الله؛ لأنه لم يعد بالإمكان أن يستغني منه. فممكن يحصل عنده أفكار من هذه.

والقضية من أساسها ليست قضية إضافات تكاليف، تكاليف. هدايتنا نحن، من مصلحتنا نحن أنه لا بد من هذا الشيء. فأهل البيت هم للنا س، يجب أن نفهم هذه، ما هو حمل على الناس، هم للناس، ومن أجل الناس، كما أن القرآن قال الله عنه أنه للناس، ألم يقل للناس؟ وقال عن محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ} (النساء٧٩).

فالقرآن، والرسول، والعترة، كلهم ماذا؟ للناس، من أجل الناس، أي: لا بد من هذا في هداية الناس؛ لتتحقق لهم الهداية، من مصلحتهم هم، ما معناها كذا: إضافة أعباء، أو عبارة عن أشياء فخرية، أو تقديرية، لازم نؤديها مراسيم معينة، وإلا ما هناك حاجة إليها.

من يقولون بهذا الكلام هو من ينسى أن الله رحمن رحيم. ألسنا نقول: أن معرفة الله مقياس لكل شيء؟ الله هو رحيم بي، ورحيم بك، ورحيم بالناس جميعاً، ما يمكن يضيف شيئاً لست بحاجة إليه، ولا له علاقة بهدايتك، ولا له أثر كبير في هدايتك. لا يمكن يضيف عليك أشياء من هذه.

كيف يضيف أشياء ونحن نراه سبحانه وتعالى يأتي ينقص نصف الصلاة التي هي وقفة معه عندما أكون مسافراً مسافة بسيطة، مسافة بريد مثلاً، ينقص عليك ثنتين ركعات. إذا أردت أن تفطر رمضان افطر، وأنت مسافر، ليست مشكله؛ رحيم بعباده. هل سيأتي يحملهم أشياء، يضيف عليهم أعباء أخرى، وهم في غنى عنها؟ لا، لكن لرحمته شرع لهم هذا؛ لأن لهذا علاقة كبيرة بهدايتهم، لهذا علاقة كبيرة بسعادتهم، لهذا علاقة كبيرة بنجاتهم.

فكيف نرى ما شرعه الله، نعتبره حِمل، نعتبره مشكلة، نحاول نتخلص منه؟!.

لأن المشكلة أننا نجهل دين الله، هي المشكلة التي نقول لكم من بداية الكلام: عندما يكون الإنسان لا يعرف أن دين الله نعمة، ولا يفهم قيمة هذا الدين سيطلع هذا حمل، وهذا ثقل علينا، وهذا مجرد تكاليف، عندما لا يكون واحد يفهم أن الناس، وأن واحد من الناس بحاجة ماسة إلى هذا الدين، بحاجة ماسة إلى الهداية، بحاجة ماسة إلى النجاة، والله ما عمل إلا ما فيه نجاتك، ومن أجلك أن تنجى.

الوالد معه كتاب جميل في تفسير: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى٢٣) ولاحظوا هذا المرض، الذي نقول، مرض الجهل بعظمة الإسلام، وبنعمة الإسلام، والجهل بالله سبحانه وتعالى، هي إشكالية من بحين ليست من قريب، هناك مفسرين يحاولون أن يتخلصوا من آية: {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} بأي وسيلة يريد يبعدها، ما يريد أهل البيت، يحاول يتخلص منها بأي طريقة، يتمسك بأشياء واهية، ليست مقبولة، وليست منطقية.

وأهل البيت من واجبهم هم، من واجبهم هم، نفس أهل البيت أن يكونوا بالشكل الذي يشد الناس إليهم. هذه طرحناها في محاضرة في [مسؤولية أهل البيت] القضية هذه. الشخص من أهل البيت لا يرى بأنه هكذا لازم.. لازم يحبونا على ما أنا عليه، يقدرونا على ما أنا عليه! فأنت تريد من الناس أن يقوموا بما يفهم من أحاديث معينة عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأنت لا تقم بواجبك أمام هذه الأمة!.

شرف أهل البيت مرتبط به مسؤولية كبيرة، على أهل البيت أن يكونوا رحماء بالأمة، أن يجاهدوا من أجل الأمة، أن يهدوا الأمة، أن يرشدوا الأمة، أن يقدموا أنفسهم من أجل الأمة، وهكذا.

كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في غزواته يقدم أهل بيته هو، وكان أوائل الشهداء من أهل بيته في المعارك، في بدر الذين برزوا للمشركين في أول معركة هم من أهل بيته، من أقاربه، من أسرته. فالشخص الذي

لا يقوم بمسؤوليته نهائياً، لا ينقد على الناس، يكون دائماً مشغول أنهم يحبوه، ويودوه،، الخ، وليس مشغولاً بأن يقوم بمسؤوليته.

يروى بأن الآية في قول الله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}(الحج٧٨) خطاب لأقارب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) خطاب لهم، عليهم أن يتفانوا في هذه القضية.

والجهاد أليس خيراً للأمة؟ أليس إحساناً للأمة؟ وإنقاذاً للأمة؟ كلفوا هم بأن يكونوا متفانين في هذا الموضوع. وقضية أهل البيت إذا نحن ممن يمارس التعليم مثلاً، تبدو القضية دائماً قلقة إذا ما حصل معرفة بالله، ما حصل معرفة للإنسان معرفة بنفسه أنه عبد لله، سيكون همه فقط أنه إن صح هذا من دين الله فمقبول، وبمجرد أن يصح له أن هذا من دين الله سيعتبره نعمة، ويعتبره شيئاً امتن الله به عليه، ويعتبره شيئاً من أجل مصلحته، ويعتبره شيئاً نجاته متعلقة به، ومرتبطة به.

إذا هناك فهم صحيح للدين من أساسه، ومعرفة صحيحة بالله سبحانه وتعالى، قضية أهل البيت ستصبح قضية طبيعية قبولها، قضية طبيعية؛ لأنه حتى لو أجي أبحث موضوع الله سبحانه وتعالى، عندما يشرِّع لنا سبحانه وتعالى، وعندما تأتي تحاول تتعرف على كماله، معرفة كافية ستجد أنت، تتساءل أنت قبل أن تعرف شيئاً عن أهل البيت: لازم، لازم، ما يمكن أن الله يفلتنا هكذا، لازم أن يكون هناك فئة يكون فيها أعلام لدينه، نتمسك بهم، ونسير بسيرتهم، ونقتفي آثارهم.

عندما نعرف سنة الله في الأمم الماضية، ونعرف عدل الله، وحكمته، ورحمته، هو من سيقول: لا بد من هذا، لا بد من هذا، ويبحث هو، ويكفيه إشارات في المسألة، ويعتبرها قضية لا بد منها، ضرورة مرتبطة بعدل الله، وبحكمته، وبرحمته.

أيضاً في محاضرة سابقة ربما أنكم قد سمعتم حول هذا الموضوع كلام كثير حول هذه النقطة بالذات، وجئنا بمثال: أنه ممكن لو أن المسألة ليست على هذا النحو، أن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه قد جعل ما فيه الكفاية، وفوق الكفاية، وإلا لورد سؤال على الله: لماذا تبعث رسولاً قبل ألف وأربع مائة سنة، في الجاهلية الصغرى، وأنت قلت لنا: (أن هناك جاهليتان أخراهما أشد من أولاهما)، وتبعث أنت على بُعد ألف وأربع مائة سنة، لمجموعة من البشر، ونحن تفلتنا، نحن وهذه الجاهلية، ما ندري كيف نعمل، ولا كيف نسير. ألم يكن معنى هذا أننا أحوج إلى النبي في هذا العصر من ذلك الزمن؟ ما معناه هكذا؟

أيضاً ما هو البديل؟ هل هناك بديل فيه الكفاية، هناك بديل فيه الكفاية؟ ما معنى بديل؟ أي: هل هناك أعلام؛ لأن القضية هي قضية أعلام لدين الله، أنبياء، أو أئمة هداة. هكذا المسألة، هي على هذا النحو، كانت سائرة في بني إسرائيل، وهي سائرة في أمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لذلك نقول: سيكون هناك سؤالاً كبيراً يهز حكمة الله، يهز عدله، يهز رحمته، يهز كماله بكله.

من عدالتك أنك كان تترك محمداً في القرن العشرين، لا أن تبعثه قبل ألف وأربع مائة سنة، نبي للناس جميعاً، ومات واختلفنا عنه، وما زلنا مهددين بعذابك إذا ما عصيناك. اختلفنا عنه لما ضاع علينا دينه، لما أصبحنا كذا، وفي الأخير ما هناك ما نسير عليه! أليست هذه ستكون إشكالية؟ تطلع إشكالية كبيرة جداً بالنسبة لله سبحانه وتعالى، يعني: سؤال على الله - إن صحت العبارة - لكن الله يعلم أن أهل بيته قد جعل فيهم أعلاماً لدينه، وفي المسألة كفاية وفوق الكفاية.

وإذا لم نقل بهذا لا نستطيع أن نجعل شيئاً آخر بديلاً أفضل، يعني: مسألة أخرى، قول آخر، نظرية أخرى، تكون أفضل من هذه الفكرة. ما هو البديل في المقابل؟ عندما نقول: لا، لا نحتاج إلى أهل البيت نهائياً، لا نحتاج إلى أعلام! أليس البعض يقول هكذا؟ لكن لا نحتاج إلى أعلام، فمعنى ذلك لا نحتاج إلى أنبياء. أليس الأنبياء أعلام؟.

إذا قلنا: لسنا بحاجة إلى أعلام، فنحن نرى ما هو قائم نحن مختلفون فيه، فنحن رأينا أنفسنا ضعنا، وتهنا، ولم نهتد حتى والقرآن قائم بين أيدينا! أليس القرآن قائماً؟ أليس ما يروى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قائم، وموجود، ومع هذا لم يتحقق لنا ما تحقق لمن كانوا في زمن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ونحن في مواجهة الجاهلية الكبرى، والجاهلية الخبيثة، والجاهلية المسلحة بأفتك الأسلحة، ونحن لا نملك أكثر مما هو حاصل. فقط لدينا القرآن على هذا النحو فاختلفنا فيه، ما الناس اختلفوا فيه؟.

اختلفنا في القرآن، بل حاولوا أن يجعلوا القرآن حرباً لله، يأتي واحد من المفسرين يفسره، وفي الأخير تخرج من التفسير وإذا قد القرآن كله يحكم على الله بأنه أجبر عباده على معصيته، وأنه ساقهم إلى معصيته، وأنه قدر عليهم معصيته، وأنه يريد الظلم لعباده، وأنه وأنه.. الخ.

ألم يتحول القرآن كله في الأخير إلى حرب لله؟ معنى هذا أنه ما حصل لنا مخرج، والمخرج لا يتحقق إلا بمجموع الأمرين: كتاب وأعلام. ويمكن أن تبحث إذا أمكن أن تجعل أعلام، إذا ممكن يسبر من بني أمية، أو ممكن من بني العباس، إذا ممكن من بني تيم، أو بني عدي، أصحاب أبو بكر وعمر، أو بني زهرة، هل سيمكن؟ ما انت محصّل، لن تحصل على فئة من هؤلاء مثلما هو موجود في أهل البيت.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

ألقيت هذه الكلمة

بمدرسة أهل البيت ، بني بحر ـ الرويس

بتاريخ: ٢/٩/٢٠٠٢م

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الشعار سلاح وموقف

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١١ رمضان ١٤٢٣هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[من المؤسف أنك تسمع أن هناك من يتكلم من اليهود والنصارى على رسول الله، وعلى القرآن، وعلى الإسلام] وترى العرب في المقابل، ما يحصل منهم مواقف قوية، بل يصل الأمر إلى أنه مثل ما حصل عندنا في صعدة عندما يندد الناس بأمريكا وإسرائيل، ويتكلموا على أمريكا وإسرائيل، يحصل من يقول لك: لا.. يبطّلوا ويسكتوا، يتوقفوا لا يكتبوا الشعار هذا.. إلى الدرجة هذه حصلت.

وكيف أنت تريد تسكتنا أن لا نتكلم على اليهود والنصارى، والله قد لعنهم في القرآن الكريم! كيف لا نتكلم على أمريكا وإسرائيل، وهاهم لا يسكِّتون من يتكلم منهم على رسول الله، وعلى القرآن، وعلى الإسلام، لا يسكتونهم.

أي كتابات فيها ردود، فيها تشنيع على الأمريكيين، على اليهود والنصارى عندما يتكلموا على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) المفروض أن تنشر ويتحرك الناس فيها، أي عمل يعتبر تشهير بأعداء الله، موقف منهم، ينطلق الناس فيه لا يتوقفوا وإن منعتهم الدولة؛ لأن بعض المسئولين يأتي من جهة نفسه يتصرف هكذا، مثلما عمل المحافظ في صعدة يقول لك: لا عاد يكتبوا الشعار، لا عاد يلصِّقوا الشعار، وقلّع الملصقات منه!.

هذا عمل ما هو طبيعي، نقول له: إنك كيف أنت تريد تسكِّت الناس، وهؤلاء الأمريكيين ما سكّتوا أصحابهم وهم يسبون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يسبون رسول الله، سب أشد من كلمة الموت لأمريكا، أصلا كلمة الموت لأمريكا ما هي كلمة سب، ما هي كلمة سب، أبداً، هي إعلان موقف، أننا نعتبرهم أعداء، نتعامل معهم كأعداء، أما اللعنة على اليهود فاللعنة قد لعنهم الله في كتابه في عدة آيات.

كيف يبلغ الحال بالعرب إلى أن يأتي مسئول فيهم، إلى أن يصل الحال بدولهم أن تحاول أن لا يعد يتكلم الناس حتى الكلمة ضد أعداء الله، وأعداؤهم هم في نفس الوقت يحاربونهم بكل وسيلة، يحاربوننا بالكلام، بالأسلحة، بالإقتصاد، في كل مجال.

وفي شهر رمضان ما يزال الناس في أول الشهر فيحاول الناس أن يهتموا بتدبر القرآن الكريم، وسيعرفون أن الأشياء تكون هامة جداً، هامة جداً مسألة أن يكون الإنسان ملتزماً بكتاب الله، وأن يهتدي بكتاب الله، قضية تتوقف عليها نجاته، وهدايته في الدنيا وفي الآخرة، ويتوقف عليها عزة المسلمين، وعزة العرب بالذات، عزة العرب بالذات وقوتهم وتمكينهم يتوقف على الإهتمام بالقرآن الكريم، بغيره لا يمكن أن تقوم لهم قائمة ولا يمكن أن ترتفع لهم راية، إطلاقاً؛ لأنهم ربطوا بالدين، ربط مصير العرب بالدين.

عندما يربطهم بمسئولية، يربط بهم الدين، ليس فقط كعبادة بل كمسئولية، أن يتحركوا له، وأن يكونوا أنصاراً له، وأن يجاهدوا في سبيله، فمتى ما فرطوا فيه، ما عاد يمكن تقوم لهم قائمة، ما يمكن يعتزوا.

هذا ما هو حاصل وما يشهد له واقع الناس اليوم؛ لهذا واجب الناس أن نعود إلى القرآن الكريم في هذه الظروف التي يواجه فيها الدين حملات شديدة، أول شيء نحصن أنفسنا، ونحصن أولادنا، ما يصبحوا عرضة للتضليل، ما يصبحوا عرضة بأن يصبحوا في الأخير قد يجندوا لصالح أعداء الله، لصالح اليهود والنصارى، قد يجندوا فعلاً.

لأن الأمة قد مرت بحالة مثل هذه، الإستعمار الذي انتهى قبل فترة، الإستعمار العسكري الذي كان موجوداً استعمار بريطاني وفرنسي وإيطالي وبلجيكي وغيره، كانوا يسوقون الناس في الحرب العالمية، يسوقون المسلمين ليقاتلوا تحت راية البريطانيين، تحت راية الإيطاليين، تحت راية الفرنسيين، يقاتلون، يجند لك عشرات الآلاف من المسلمين يقاتلون لصالحه، لأطماعه، هذا يعتبر من أسوء المواقف، من أسوء الحالات.

هكذا الناس، وناسين أنهم في مستقبل استعمار جديد، استعمار لكن وبأسلوب أخبث من الأول، أسلوب أخبث من الأول، كان الأسلوب الأول يكون من البداية عبارة عن هجوم، الهجوم يخلق عند الناس حالة ردة فعل واستياء من المستعمر؛ ولهذا تجد أنهم في الأخير اضطروا إلى أن ينسحبوا من البلدان التي استعمروها.

الاستعمار الحديث الآن جاء تحت عنوان خبيث، باسم مكافحة إرهاب، ومعهم مجموعة يسمونهم إرهابيين يقسموهم على المناطق، وفي الأخير يقولوا نريد ندخل نطرِّدهم، نلحق بعدهم، ويدخلوا المناطق، يدخلوا البلدان، يدخلوا البلاد ويحتلوها ويهيمنوا عليها، ويكونوا قد خضعوا الدولة فيها، والناس ما يروا شيء إلا عندما تستحكم قبضتهم، ما يرى الناس أشياء، ما يروا أمريكيين أمامهم زاحفين، إلا بعدما يكون قد استحكمت قبضتهم، قد دخلوا البلاد، بنو قواعد عسكرية، توافدوا بأعداد كبيرة.

وما يزال تحت عنوان مكافحة إرهاب، مكافحة إرهاب، مثلما تعمل إسرائيل الآن، لاحظ إسرائيل كم قد لها محتل في فلسطين؟ حوالي خمسين سنة، وتلاحظ ما حصلوا على ذريعة أحسن مما حصلوا عليها تحت اسم مكافحة إرهاب في الأيام هذه، في السنة هذه، الآن يدخلون المدن وباسم أنهم ملاحقين إرهابيين، يدمروا ويقتلوا ويجرفوا مزارع ويقلعوا الأشجار، باسم أنهم ملاحقين إرهابيين، وباسم أنهم مكافحة إرهاب، وأنهم يكافحوا إرهابيين، وهناك إرهابيين يحاربونهم.

إستخدموه الآن كسلاح، استخدموه كذريعة، كمبرر ليلجموا به العرب؛ لأن الحكومات العربية أرغمتها أمريكا أن تدخل معها في اتفاقية مكافحة الإرهاب، وفلسطين إرهابيين، وستدخل إسرائيل لتلاحق الناشطين في حماس، في فتح، في الجهاد الإسلامي، تحت مبرر [هؤلاء إرهابيين] وهي محتلة، ما هي محتل من قبل؟ ما حصَّلت لها ذريعة مثلما حصلت لها في السنة هذه، وهو كان بداية شر هذا العنوان الذي طرحوه باسم مكافحة إرهاب، وأنت تجده أنه ما يتوجه إلا إلى المسلمين، وإلى المجاهدين من المسلمين، يعني المقصود من ورائه ضرب الحركات الجهادية، وضرب حركات التحرر.

يعملون لهم مجموعة باسم أنهم إرهابيين وما هم إرهابيين، هم أصحابهم، هم الذين ربوهم، هم الذين وزعوهم على المناطق، ثم يدخلوا باسم أنهم يلاحقونهم، يلاحقونهم، يطاردونهم، يطاردونهم في أكثر من ٦٠ دولة، من الذي سينقلهم إلى ٦٠ دولة؟ من الذي سيعطيهم الإمكانيات هذه، الذين يسمونهم تنظيم القاعدة؟ وبعدين يلاحقونهم.

وفي اليمن، اليمن له النصيب الأوفر من هذه، من الإتهامات، نصيب وافر ربما أكثر من أي بلد آخر، ما هم قالوا عادهم ضربوا؟ الأمريكيون قالوا أنهم ضربوا سيارة في مأرب بصاروخ من طائرة أمريكية؟ وحصل قالوا استنكار من أحزاب المعارضة، استنكار على الدولة نفسها، أنها فرطت، أو أن هذا يعتبر تفريط في سيادة اليمن، أن تصل المسألة إلى الدرجة هذه، طائرة أمريكية تلحق سيارة يمنية فيها يمنيين ويرموهم هكذا على ما قالوا في هذا الموضوع، والله أعلم بحقيقته.

يعتبر تدخل باسم مكافحة إرهابيين وملاحقة إرهابيين، والهدف هو البلاد، واستعمار البلاد وإفساد الناس ومحاربة الدين.

فعندما يرجع الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى؛ لأنه ما بقي منجى إلا أن يرجعوا إلى الدين {وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (آل عمران: ١٠١) ومن خلال تأمل القرآن الكريم سيعرف الإنسان ما يجب عليه، كيف يجب أن يكون عند الله سبحانه وتعالى، يصف المؤمنين بأنهم قوامين بالقسط، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، منفقين في سبيل الله، يوجب عليهم أن يكونوا أنصاراً لدينه.. هذه صفات المؤمنين التي تؤدي بهم إلى الجنة، إلى دخول الجنة، إلى أن يحصلوا على رضوان الله سبحانه وتعالى، ويفوزوا بالجنة، النعيم العظيم الدائم.

ما هي فترة أن يكون الناس يغلب عليهم الخوف، أو حالة اللامبالاة، حالة الخوف، أو حالة اللامبالاة؛ لأن الخوف هو من السكوت من القعود، حتى يتمكن أعداء الله، وبعدها سيضربوا الناس في كل مكان، ويحاربوا كل أنشطتهم الدينية ويحاربوا مصالحهم ويحاربوا كل شيء، هم يحاولوا أن يذلوا المسلمين إذلال، ما هي هكذا معهم مطامع مادية فقط، عاد فيها إذلال للأمة هذه، محاربة لدينها، مسخ لثقافتها، هم يريدوا ـ كما يقولون في أهدافهم ـ

أنهم يريدوا أن يقيموا مملكة داوود، يعني مملكة إسرائيلية، مملكة صهيونية تحكم المناطق هذه كلها، البلاد العربية وغير البلاد العربية.

وبعد أن يهيمنوا على البلاد العربية التي هي منبع الثروات، سيهيمنوا على الغرب؛ لأن عندهم فكرة أن يقيموا حكومة عالمية، فإذا مسكوا المنطقة هذه وهيمنوا عليها استطاعوا من خلال التحكم في ثرواتها، التحكم في منافذها، ولذلك تحصّل إسرائيل قد معها قاعدة في البحر الأحمر، قريب لباب المندب، قد معهم قواعد هناك، إذا مسكوا المنطقة هذه، استطاعوا أن يتحكموا على بلدان أوربا وعلى بلدان.. تصبح أمريكا نفسها تابعة لإسرائيل، مثلما هي الآن إسرائيل في الصورة تابعة لأمريكا.

لا يتهاون الناس ببعض الأشياء، نحن نعتبر بعض الأعمال نعتبرها هامة جداً، للأسف الكثير من الناس يعتبرها طبيعية وعادية، وما هي كافية أن الناس ينشطوا فيها. لكن يتهيأ، يهيئ الله مثلاً ما يمكن أن يجعل له شاهد أن هناك هذا العمل المعين عمل مهم ومؤثر، هذا الشعار انطلق من سنة تقريباً في شهر شوال في العام الماضي، عاد به إلى حد الآن مناطق كثيرة ما بيرفعوه ولا بينطلقوا في هذا الإتجاه، اتجاه توعية نفوسهم، تهذيب نفوسهم ليكونوا معدين أنفسهم لمواجهة أعداء الله، ورافضين لهيمنة أمريكا وإسرائيل.

حتى الشهر الماضي حين جاء السفير الأمريكي إلى صعدة بعدها وإذا المحافظ قد معه حركة ثانية، توجيهات نزلت بمجموعة أشخاص يسجنوهم؛ لأنهم كتبوا الشعار، وأرسل بعض الجنود يقلعوا الشعار ويخدشوه في أماكنه، ما هذا يعتبر عمل سيئ؟ عمل سيئ، يعني عمل غير طبيعي، إنه إنسان عربي مسلم في اليمن يحاول أن يحارب أي كلمة تجرح مشاعر الأمريكيين، يحارب الكلام فقط، الكلام ضد أعداء الله، كيف لو قد انطلق الناس عملياً!.

يعني هو يحاربك لا تتكلم عليهم كلام؛ لأنهم ينزعجوا منه، وانزعاجهم منه ما هو من أجل أنهم ما يريدوا يسمعوا كلمة قاسية عليهم، لا.. يعرفوا أنه عملياً يؤدي إلى خلق عوائق أمام خططهم المرتبة في اليمن، يخلق عوائق أمام ما يفكروا فيه من هيمنة في اليمن.

فعندما يخرج السفير الأمريكي، والسفير الأمريكي هذا نفسه أُختير من وزارة الخارجية الأمريكية اختيار خاص لليمن، هو شخص من كانوا يقولون أنه متخصص في موضوع مكافحة إرهاب، وفي هذا الموضوع الذي نراهم الآن يتحركوا فيه، السفير هذا اختير لليمن، نوعية خاصة. خرج إلى هنا انزعج، خلاهم يمَسّحوا، خلاهم يقلّعوا الأوراق، خلاهم يسجنوا أشخاص. ما هذا شاهد على أن هذا الشعار مؤثر على الأمريكيين؟ ولا ما من عملوا شيء، ليس مثلما يقول البعض: ما منه شيء، هي كلمات ما منها فائدة!.

هذا الشعار قد هم ذولا بيحمسوا مِنّه، إذا الإنسان يفكر إنه يبطِّل، ما هو داري إن قدهم بيحمسوا، هم ذولا قد سجنوا البعض، وهم ذولا بيخدشوه... وهو قال نبطِّل. طيب المسألة أن تبطِّل، أن تتوقف ستصبح هذه في الأخير مفتاح شر، في الأخير يطلبوا أشياء كثيرة تتوقف، مدارس دينية، مدارس علمية سيقولوا تتوقف، ما يعمل الناس في العطلة الصيفية، مرشدين يتوقفوا، لازم ترخيص من وزارة الأوقاف، خطباء المساجد لازم يكونوا معينين.. وهكذا، منهج لازم يعدّل، مناهج المدارس الحكومية، في الأخير تأتي قائمة طويلة عريضة من الممنوعات ومن المفروضات، أشياء يمنعونها وأشياء يفرضونها فرض.

والناس إذا استعدوا أنهم يتركوا، هكذا ترك من البداية، هي قضية لا يوجد أي مبرر أنهم يحاولوا يمنعوها، مثل هذا الشعار لا يوجد أي مبرر؛ لأن للناس حق التعبير، أول شيء الدين يفرض هذا، عملياً يفرض الدين أنك تعمل أي عمل ينال من العدو، يعرقل خطط العدو، يؤثر على العدو، ثم باعتبار البلاد دستورها قوانينها تبيح للناس، تبيح للناس أنهم حتى يتحزبوا، أن يعارضوا السلطة.

ما هذا في القانون، لهم حق أن يعارضوا، ولهم حق أن يصلوا حتى إلى السلطة بالطرق الديمقراطية، ما هذا مطروح؟ إذا كان الدستور نفسه يبيح لك أن تعارض الدولة التي أنت فيها لتأخذ السلطة أنت كحزب من الأحزاب، ما هم يقولون أحزاب المعارضة لها حق أن تصل إلى السلطة في الإنتخابات؟ لها حق أن تبذل جهودها، إذا حصلت على تصويت من المواطنين وأخذت أغلبية لها حق أن تأخذ السلطة.

فإذا كان الدستور عندي يبيح لي أن أعارض نفس الدولة، ويبيح لي أن لي حق الرأي، حق التعبير، كيف ما عاده مباح لي أن أعارض أعداء الله، وأعداء وطني وأمتي من الأمريكيين! كيف ما يبيح لي أن أعارض عدوي، ما يبيح لي أن أتكلم على عدوي!.

لا يوجد أي مبرر وأي مسئول، أي مسئول ما له حق أن يتصرف كيفما يريد، ويمنع الناس كيفما يريد، أبداً ما له حق، فأي قضية قانونية، قضية في القانون، وهي ليست مخالفة للشريعة قل عندما يكون هناك، عندما قالوا: هناك ضغوط من أمريكا، نقول لهم: نحن وأنتم علينا ضغوط من الله، ما ضغوط الله أشد؟ ضغوط الله، تهديد وراءه جهنم، أنت تقول لي أبطِّل وأنت تريد تتوقف أنت وتعمل كلما يريدوا لأن هناك ضغوطاً من أمريكا، ضغوط الله هي أشد وهي أخطر، وواجب عليَّ وعليك أن تحسب حساب الضغوط من الله، التي هي أوامر بعدها تهديد بجهنم، بعدها تهديد بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

طيب فهم لماذا ينطلقوا ويروا لأنفسهم حق أن ينطلقوا؛ لأن عليهم ضغوط من أمريكا، أما نحن لا.. وإن كان هناك ضغوط من الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، ضغوط من أمريكا على لسان السفير الأمريكي، وضغوط من قبل الله في كتابه، الذي هو كلامه سبحانه وتعالى.

فالشعار هذا أثبت عندما مسحوه، عندما تراه ممسوح هو يشهد ـ وهو ممسوح ـ بماذا؟ أنه مؤثر على الأمريكيين، عندما تراهم يخدشوه يشهد بأنه مؤثر على الأمريكيين، أيضاً مؤثر على الوهابيين، مؤثر على الوهابيين أيضاً بشكل كبير، ما ندري كيف سووا حتى أصبحوا هكذا يعني نافرين منّه، ما كان المحتمل أنهم يتقبلوه ويرفعوا الشعار هذا؟ وأيضاً لم يعد محسوب عليهم وهو ظهر من عند ناس آخرين، لماذا نفروا منه! لماذا حاولوا أن لا يرفعوه! لماذا يحاربوه حتى؟! يحاربوه حرب، ما أدري ماذا معهم من أهداف في هذه.

هو يشهد بأنه ما كان يعرف عنهم أنهم باسم دعاة للإسلام، وأنهم أعداء لأعداء الله، وأشياء من هذه، أنها عبارة عن كلام، عبارة عن كلام؛ لأنهم لو كانوا أعداء حقيقيين لأمريكا، أعداء لإسرائيل، أعداء لليهود والنصارى لكان لهم من المواقف أعظم مما لنا، شعارات، مظاهرات، هم الآن في الساحة عبارة عن حزب كبير تحت اسم حزب الإصلاح، حزب كبير، ما باستطاعته أن يكون له مظاهرات؟ مثلما يعملون في لبنان، الشيعة في لبنان، مثلما يعملون الشيعة في إيران، مظاهرات ضد أمريكا، مظاهرات ضد إسرائيل، يكون لهم شعارات يرفعونها، يوزعونها.

ولا كلمة ولا موقف، هذا يعني يثير الشك فيهم هم، يثير الشك فيهم هم؛ أو أنهم ليسوا موفقين إلى أنه يكون له موقف مشرف ضد أعداء الله.

يثير الشك ـ أيضاً ـ في رموزهم أن لهم علاقات، لهم علاقات هذا الذي كشف أخيراً عندما كانوا من بحين يشجعوا أن الشباب... يأخذوا شباب اليمن يسيروا يقاتلوا في أفغانستان، أيام كان الإتحاد السوفيتي محتل لأفغانستان.

وإذا أمريكا هي التي كانت توجه بهذا وتموله، وأخذت تصريح من الرئيس بهذا وغيره، فهي كانت أوامر أمريكية تأتي لهؤلاء وتوجيهات أمريكية وتمويل أمريكي، وعندما أصبح الجهاد ضد أمريكا انتهى الجهاد، وكأنه أقفل باب الجهاد ضد أمريكا، لماذا أما ضد الإتحاد السوفيتي أنه مشروع وضد أمريكا وإسرائيل ما كأن عاده مشروع؟.

احتمال الشيء الآخر أنه قد يكونوا مثلاً يحاولوا أن لا يحصل من جانبهم ما يجرح مشاعر أمريكا، ربما يحتاجوا أمريكا، سيحتاجوها في الوصول إلى السلطة، وأشياء من هذه، فلا يحاولوا يجرحوا مشاعرها، معناه إن ما هم حركة دينية، تنطلق لخدمة الإسلام والدفاع عن الإسلام، حركة لها مقاصد أخرى ممكن تضحي بالإسلام من أجل مقاصدها، مثلما حصل في الماضي اتفقوا هم والإشتراكيين أيام كان عاد الحزب الإشتراكي حزب قوي، يسكتوا من مصنع الخمر في عدن، وهم يسكتوا من المعاهد حقتهم.

طيب أنت كحركة إسلامية تسكت من مصنع خمر مقابل أن يسكتوا من المعاهد حقتك، هذا يعني ماذا؟ أنك لست حركة إسلامية صحيحة، ولا هو موقف إسلامي هذا، المفروض أن لا تسكت عن هذا المصنع وإن أدى إلى إقفال المعاهد، وإن أدى إلى أن يدرسوا طلابك ومعلميك تحت الأشجار أو في الجروف، وإن أدى مقايضة على مساجد ولو

كان على مساجد، تكون أنت بين خيار أن المصنع هذا إذا أقفل تدمر مساجدكم، يقفل على أية حال، والأرض قد جعلها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مسجداً وطهوراً، إذا كان ما هناك استطاعة لحماية المساجد فلو دمرت المساجد ولا أن يبقى مصنع خمر، ما اتخذوا الموقف هذا!.

الآن يعملون بجد على محاربة هذا النشاط ومحاربة الشعار هذا، وأحياناً يضاربوا، ما هذا فضحهم؟ هو يفضحهم حقيقة، هو محرج لهم الشعار محرج، مؤثر جداً على مكانتهم وعلى شعبيتهم في البلاد؛ لأن المطوع الذي أمامك قبل قليل يظهر وكأنه داعية للإسلام، وكأنه من المجاهدين في سبيل الله، ويظهر أمامك وكأنه عدو لأعداء الله وإذا هو لا يريد يطلّع كلمة من هذا، وإذا هو يعارض بشدة.

هو نفسه يرى إما لكونه لا يريد يجرح مشاعر إسرائيل وأمريكا أو هم يعني غير صادقين في طبالهم الكثير، ولأنه سيحرجه، سيؤدي إلى ماذا؟ إلى إضعاف مكانتهم، ويؤدي إلى أن الناس يرونهم بشكل آخر، يشمئزوا منهم، لماذا أنت تعارض الكلام على أمريكا وإسرائيل واللعنة على اليهود، وأنت تلعن الشيعة في المساجد وعلى المنابر.! لأنهم كانوا يلعنوا الشيعة؟ يلعنوا الشيعة ويحكموا عليهم بأسوء الأحكام.

لكن هذا الشعار ما بإمكانهم أن يرفعوه، ومحرج جداً أن ينتشر، يؤثر على مكانتهم؛ لأنهم أصبحوا هم قاعدة عريضة في البلاد، يؤثر على مكانتهم، وبالتالي ما معهم خيار إلا يحاولوا يقولوا: بدعة أحياناً، يضجوا لماذا نرفعه؟ إذاً فهذا أيضاً من بركات الشعار هذا، من بركات الشعار أنه نفعنا، أمام الأمريكيين، هو هذا السفير الأمريكي ضج منه، أمام الوهابيين هم ذولا ضجوا منه.

إذاً فأنت بعمل واحد تؤثر على عدة جهات، عدة جهات تؤثر عليها، وهو في نفس الوقت عمل مشروع، عمل مشروع ما أحد يستطيع أن يقول: أن العبارة الفلانية فيه لا تجوز، أنها عبارة محرمة، أبداً، عمل مشروع ومؤثر، فالمفروض أن الناس ينطلقوا فيه، يعملوا على توزيعه.

لأنه لا تتصور إن ما هناك عمل للآخرين، لهم أعمال كثيرة أكثر من أعمالنا بكثير، لا تتصور إن ما هناك أعمال للأمريكيين في اليمن، أعمالهم منتشرة، في محاولة الإفساد، الآن انتشرت المراقص في اليمن، في صنعاء وفي عدن انتشرت، المراقص الليلية، مثلما هو في بيروت وفي القاهرة وفي بعض العواصم، ومثلما في أوروبا، الخمر بدأ ينتشر فعلاً، بدأ تناوله وتداوله شبه علني وشبه عادي.

بدؤوا يتحركوا تحركات أخرى، عندما يزوروا أسواق السلاح ويحاولوا بأي طريقة أن يُسحَب السلاح، أن يغلا، أن يعدم من الأسواق، ما هذا كله يكشف أن عندهم نوايا سيئة للمستقبل، أن عندهم نوايا سيئة ضد الشعب هذا، وضد الدين، والهيمنة على البلاد، يهيمنوا على ثروات البلاد، ويهيمنوا على كل شيء فيها.

فعندما يكون عمل في متناول الناس أن يعملوه، وهم يروا أعداءهم يتأثروا منه، يصبح واجب، يصبح واجب، إذا كانوا قد سجنوا أشخاص نستنكر على من سجنوا هؤلاء الأشخاص، كيف تسجنوهم لأنهم نددوا بأمريكا وإسرائيل؟! لماذا تسجنوهم؟ يعني هل أن هذا الشعار نفسه هو الذي سيدخل أمريكا إلى اليمن؟ أبداً.. ما بدؤوا يتحدثوا عن الشعار إلا بعد ما دخلوا اليمن، بعد ما رتبوا أوضاعهم لدخول اليمن.

إنما ماذا؟ مراعاة لمشاعر الأمريكيين، وتنفيذ رغبة أمريكية، والاّ ما نقول إنه شيء يشكل خطورة على اليمن فنتوقف منه، أبداً.. الأمريكيون هم ذولا يجمّعوا أشياء أخرى، تهم خطيرة على اليمن، يجمعوها من غير الشعار، الشعار ما أمكن حتى يعدوه مبرر؛ ولهذا تلحظ أنه لماذا الشعار نفسه ما يتركوه بحيث يصبح مبرر من المبررات التي يدوروا لها دوار ويرتبوها بكل طريقة.

الأمريكيون في هذه المرحلة، هي مرحلة أن يختلقوا مبررات، ما هي مرحلة أن يختلقوا مبررات؟ كل ما رتبوها هي مبررات هم وراءها من أجل في الصورة تكون لهم مبرر للدخول، ذرائع يسمونها. طيب لماذا ما تتركوا هذا الشعار واحدة من الذرائع؟ ما كان المفروض هكذا؟ ما المفترض أن يتركوا الشعار، يقولوا هذه ذريعة من أجل ندخل اليمن؛ لأنه في اليمن يوجد من يعادوا أمريكا وإسرائيل، ويرفعوا شعارات معادية لأمريكا وإسرائيل.

ما يمكن هذا يتركوه ذريعة من الذرائع التي يدوروا لها دوار، وفجروا السفينة كول، وفجروا السفينة الفرنسية، فجروا كذا، عملوا تفجيرات في صنعاء، أعمال كثيرة من أجل ماذا؟! يجعلوها ذرائع أن هناك إرهابيين ندخل نطاردهم، وبعثوا بأعداد كبيرة، يبنوا قواعد عسكرية، ويحكموا الهيمنة على البلاد.

هذا الشعار يعرفوا أنه ما يمكن أن يعتبر ذريعة، بل هو نفسه يواجه كل الذرائع، هو يوحي بعمل، ووراءه عمل يبطل الذرائع الأخرى، معناه أن هذا نفسه يجعل اليمنيين بما يترافق معه من توعية، واعين، رافضين لهيمنة أمريكا، رافضين لدخول أمريكا، وبالتالي ماذا؟ يجعل الكثير من الناس مهيئين أنفسهم لمواجهة أمريكا ورفضها، بل يحول دون أن تحصل أمريكا على عملاء، بالشكل المطلوب.

لأنه عبارة عن ضجة، عن ضجة، أي شخص يفكر بأن يكون عميل يتهيب أن يكون عميل، وهو يرى المجتمع كله يصرخ بشعارات معادية لأمريكا وإسرائيل، هل عاد با يجرؤ أحد أن يجي عميل؟ عميل ظاهر؟ فما عاد هم محصلين من يتحركوا كعملاء؛ ولهذا يعتبرون أن هذا العمل يعيق ما يريدون تنفيذه من الخطط، يعيقها فعلاً، وإلا لو بالإمكان أن يتركوه ذريعة لتركوه ذريعة، هم بيسيروا يفجرروا في صنعاء لجل ماذا؟ من أجل يقولوا أن هناك إرهابيين، متعاطفين مع القاعدة، وانتشر في الصحف واشتاع بين الناس بأنه عمل مخابرات أجنبية، التفجير الذي حصل في صنعاء، عدة تفجيرات.

وهكذا عدة أشياء يلفقونها لخلق تبريرات، لكن هذا لا.. نريد يبعد، لاحظ أنه من المؤسف جداً من المؤسف جداً أن الإنسان المسلم الذي معه القرآن الكريم، بصائر سماه الله ونور وهدى، أصبحنا ـ ونحن معنا القرآن الكريم ـ لا نفهم قيمة الأعمال، لا نفهم مؤامرات أعدائنا، ولا نفهم ما الذي يؤثر على أعدائنا، وهم أنفسهم اليهود عارفين، نفس السفير الأمريكي فاهم هذا الشعار أن يرفع أو يردد، أن ينتشر هذا النشاط مؤثر عليهم، بينما تجد المسلم يقول: [مهذي منه الكلام ذا؟ ما بلاء ضجة على الفاضي، مهذي منه، ما منه فايده، أمريكا با تمت، وإسرائيل با تمت، حين نقول الموت لأمريكا وإسرائيل؟] البعض يقول هكذا.

بل بعضهم انطلقوا يدوروا لفتاوى انه ما يجوز، قد بيفتوا انه ينقض الوضوء، وهذا قال: ما يصح اللعن في المسجد لليهود، قد بينطلق الجهال يفتوا فتاوى!.من أجل أن يتوقف هذا العمل، هذا شيء مؤسف جداً أن يكون الإنسان المسلم أصبح إلى الدرجة التي لا يعي فيها أي عمل مؤثر على أعدائه.

بعضهم أمّن، عنده أن التأمينة ستزعلنا وفي الأخير نقول: ها با نبطل، با نبطل من أجل لا عاد يأمنوا، يأمن من أمن، فالقضية انه ماذا؟ كيف يكون للناس دفاع عن دينهم، دفاع عن ديننا.

قلنا أيضاً عندما نجد الأمريكيين مثلاً ما يريدوا أن هذا العمل يمشي، يعني هذا هو شاهد على أن معهم خطط لليمن نفسه، فهو يشكل عائق أمام خطط لهم في اليمن، ما هي مسألة أنهم ما يريدوا مثلاً هذا الشعار يرتفع، ما معهم أي فكرة حول اليمن، وهم هناك في بلادهم، ويعتبر الكلام هذا في بلد كم بيننا وبينه وما علينا منه، إنه يعتبر هذا نفسه، موقفه من الشعار هو شاهد على ماذا؟ على أن هناك خطط للأمريكيين في اليمن، للهيمنة على اليمن.

مثلما أن محاولة أن يزور سوق السلاح ثم في الأخير ترى أنواعاً من السلاح تغيب، وترتفع أثمانها، يعني ماذا، يعني أن هذا يدل على أن هناك خطط لليمن، للهيمنة على اليمن، وأن يوصلوا اليمنيين إلى درجة أن لا يجدوا ما يدافعوا عن أنفسهم به.

ولهذا السفير الأمريكي عندما يزور سوق السلاح مثلاً في الطلح، ثم بعد ما يغيب ما تدري وغابت أشياء، وارتفعت أسعار أشياء، هل هو زعم بيغثيه أن اليمنيين لا جوهم يتراموا فيما بينهم! أنه يريد الحفاظ على أمن اليمنيين، لا.. هم هؤلاء يعطوا إسرائيل الأسلحة المتطورة والفتاكة لضرب الفلسطينيين، ما بيغثيهم الأطفال والنساء الذين يصرخون أمامهم في كل شارع وفي كل مدينة. هل السبب أنهم رحيمين بنا، يريدوا من أجل أمننا، لا يكون هناك أسلحة يكون الناس يتقاتلوا؟ يكونوا يتضاربوا فقط، لا عاد يترامو؟ ليست لهذه.

يريدوا أن يجردوا اليمن من أسلحته، من المواطنين، من أجل فيما بعد، عندما يكون لهم مخططات عندما يكون لهم أهداف يمشوا في تنفيذها، يكون اليمنيين عاجزين عن أن يدافعوا عن أنفسهم وعن أن يواجهوهم، وكل هذه تحصل ونحن مشخرين، لا يوجد عندنا تفكير، ما عندنا تفكير أنه يجب أن تكون كلمتنا واحدة، يجب أن نعتصم بالله، نرجع إلى ديننا، يجب أن نعد ما نستطيع من قوة للدفاع عن ديننا وعن بلادنا.

ولأنه أيضاً في نفس الموضوع هذا كشف عدة أشياء، ويكفينا من الشعار هذا أنه كشف لنا عدة أشياء، فعند ما تجد الجندي اليمني، الجندي اليمني تجده لتنفيذ رغبه أمريكية يحاول يخدش شعار، ولا يتحاشى عن خدش كلمة الله أكبر، يخدش الله أكبر، والنصر للإسلام من أجل الأمريكيين، هل تتصور بأن هذا ممكن في الأخير يدافع عنك والاّ يدافع عن دينك، أبداً.

بل قد يستخدم لمحاربتك أنت ودينك، نفس الجندي اليمني، الذي أكل ويأكل من عرقك، يأكل من جهودك، ما الناس يقولون: [الرئيس معه معسكرات عوينهم بيحتاجو، بيحتاج يصرف عليهم] يصرف عليهم وأسلحة تشترى لهم وفي الأخير وإذا الموقف عكس! هذا كشف بأنه من أنت تنظر إليهم، ونحن نقول: معنا جيش لحماية الوطن، لحماية البلاد، لو يحصل شيء با يقوموا باللازم، أنت عندما ترى الجندي، تعرف أن هذا الجندي نفسه لا يمكن أنه يحمي لا دينك ولا وطنك.

القضية أصبحت قضية الشعوب أنفسهم هم، لم يعد من الصحيح أن يجلسوا يشخروا في أن الحكومة حقتهم، أو أن جيشهم ممكن يدافع، أبداً.. الجيوش العربية، الحكام العرب أصبحوا مهزومين، أصبحوا مهيئين أن يشتغلوا للأمريكيين وليس فقط ضد الأمريكيين، سواء بترغيب أو بترهيب، أي لا تتصور بأنه جندي من الأمن، وأيضاً يحمل عنوان أمن، أي أمن من؟ ما هو أمن الوطن؟ طيب أمن الوطن من مَن، إذا الأمريكيين يشتغلوا ويقولوا لك: وقِّف هذا الشعار، فيقول: مستعد، وخدشه، وقلع الملصقات حقه، فهو يؤمن مَن؟ هل هو يؤمن الأمريكيين، أو يؤمنا؟.

ما هو الأمن الذي سيتحقق لنا من جانبهم في مواجهة الأمريكيين، لو كان هناك عمل يحقق الأمن، لكان أول عمل يقوموا به هو ماذا!. هو مدافعة التهم التي تلفقها أمريكا على اليمن أنها تهم باطلة، ترى في الأخير بعد ما يكونوا في البداية يعترفوا أن هذا العمل لا يمكن أن يكون عمل إرهابي، يضطروا في الأخير إلى أنه يتمشوا مع أمريكا وعمل إرهابي وهناك إرهابيين.

فإذا لم يكن هناك من جانب الحكومة عمل على مدافعة التهم، وتحقيق في كل القضايا التي ألصقت باليمن، ولإثبات أنه في الواقع ليس هناك إرهابيين حقيقة وراء هذه، وأنها مخابرات أخرى أو أيادي أخرى، ما لليمن علاقة بها، هذا الذي كان يعتبر عمل مهم تقوم به الدولة. ما عملوا هذه! يسكتوا عن التهم وفي الأخير تقريباً يسلّموا، أو شبه تسليم بالتهمة على اليمن، والتهمة على اليمن يعني التهمة على البلاد كلها، بما فيها الدولة نفسها.

التوجه الأمريكي ليس ضد المواطنين فقط، ضد حتى الزعماء تغيير الزعماء في البلاد، وضد البلاد من أجل أن يقسموها، أي شعب ما يزال كبيراً من البلاد العربية، يقسموه عدة أقسام، هذه فكرتهم، بدل ما يواجهوا التهم هذه، ويحاولوا يعملوا ملفات صحيحة، ويكذبوا كل التهم الأمريكية، جاء يبحث عن أي عمل يزعج الأمريكيين يحاول يطفيه، وهو رجل أمن، لكن اتضح لنا أنها أصبحت ماذا؟ وراءها ضغوط أمريكية.

طيب الأمريكي نفسه بإمكانك أن تقنعه، تقنعه تقول له: الناس هكذا هم، ديمقراطية بلادنا، وأنتم الذين جئتم لنا بالديمقراطية ـ ما الأمريكيين الذين جاؤوا بالديمقراطية؟ ـ وفي بلادكم يتظاهروا داخل واشنطن ضد قرارات الحكومة، ضد توجهات الحكومة الأمريكية نفسها لضرب العراق، آلاف يخرجوا من المتظاهرين في واشنطن نفسها ونيويورك ضد الرئيس الأمريكي في تفكيره بضرب العراق.

عندما تجد أن هناك مسئولية عليك أمام الله فيجب أن تتحرك، حتى وإن كانت القضية فيها خوف، حتى وإن كانت القضية تؤدي إلى أن تضحي بنفسك ومالك. ما الله ذكر هذا في القرآن الكريم، طلب من المسلمين، طلب من

المؤمنين، بل جعل من صفات المؤمنين الصادقين، من صفات المؤمنين الصادقين، هو أن يبذلوا، أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، {إنما المؤمنون الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات: ١٥) أولئك هم الصادقون، والجنة هي للمؤمنين الصادقين، وعندما تجد القرآن الكريم، يطلب منك أن تضحي بنفسك، الله يطلب منك أن تضحي بنفسك، أن تضحي بمالك، أي حين؟ إذا لم يكن أمام ما تتحرك أمريكا وإسرائيل فيه، فأمام من؟ هل أمام المهدي المنتظر!.

أنت إذا لم تبذل نفسك ومالك في مواجهة هؤلاء الأعداء فهم من سيسخروك أنت لتبذل نفسك ومالك في سبيلهم، في سبيلهم فعلاً، وهم متجهين، يعني هذه عندهم سياسة ثابتة: أن يضربوا المسلم بالمسلم، عندهم هذه السياسة، أن يضربوا المسلم بالمسلم.

إذا لم تتحرك، في الأخير يجندوك تضرب مَن؟ تضرب آخرين مسلمين خدمة لأمريكا وإسرائيل. مثلما جندوا في السابق عشرات الآلاف من المسلمين، من أجل تحقيق مطامعهم، ومن أجل الدفاع عن مصالحهم، أيام الإستعمار الأول.

المسلمون يجاهدون تحت راية البريطانيين تحت راية الإيطاليين والفرنسيين، وقتال بين الدول هذه المستعمرة وقودها مَن؟ المسلمين، معظم وقودها كانوا هم المسلمين في بلدان أفريقيا، والبلدان المستعمَرة.

وهذه قضية يجب أن تتنبه لها، قضية لا تتصور أن بإمكانك أن تتنصل من مسئوليات الحق وتجلس هناك سليم، عندما تتهرب من الحق ستساق إلى الباطل، أعداء الله سيسوقونك إلى الباطل، وتبذل أكثر مما كان يطلب منك في سبيل الحق، تبذله في سبيل الباطل، وأنت تتهرب على أساس أن تنجو بنفسك، ستبذل نفسك وتقتل في سبيل الباطل، والشواهد كثيرة في هذه، من التاريخ شواهد كثيرة، التاريخ في الماضي والتاريخ المعاصر، أيام الإستعمار وإلى الآن.

الآن تجد البلدان الإسلامية تجد الأتراك دخلوا أفغانستان. الآن في الوقت الراهن القوات الأردنية التي تتحرك ضد المواطنين في مدينة [معان] ويضربوا وبكل جرأة، حتى ما قبلوا وساطة الآخرين، الذين توسطوا كيف يصلحوا الموقف هذا، لا، قضية أمنية وتراهم أقوياء وأشداء وشرسين، وهم؛ لأنه قالوا في الوسط متهمين أنهم وراء قتل ذلك الأمريكي، وقد تكون القضية ملفقة بكلها.

فلو أدت القضية هذه إلى أن الناس...، لأن الناس الآن مثلاً نحن في اليمن، نحن لم نأت في أول القائمة حتى نقول الأشياء مازالت عبارة عن احتمالات، أمامك شواهد في بلدان أخرى، شواهد فيما يحصل في البلدان الأخرى، لأنها سياسة واحدة، ما تراه في البلدان الأخرى ستراه في بلادك على أيدي الأمريكيين، ما نقول أنها أشياء مازالت فرضيات، قد رأوا أفغانستان، ورأوا فلسطين، وهم يرون الآن العراق، كيف هم يجهزون له ويعدون له وتجد إصرارهم على ضربه. ما تراه من مواقف للعرب مع الأفغان أو مع فلسطين أو مع العراق، اعتبره سيكون موقف معك، يصرخ الناس مثلما يصرخ الفلسطينيون، ولا أحد يغيثهم، ما يجي لا مظاهرات معك تضامن ولا يعد يجي أي شيء معك ولا معونات ولا شيء.

ما الآن الفلسطينيين يصرخون، ما أحد يستطيع يقدم لهم شيء؟ ولا أحد يغيثهم بشيء، إلا الشيء النادر، الأفغانيين كذلك هل أحد أغاثهم بشيء، والاّ اتجهوا مثلاً لمناصرتهم، الآن بدءوا في أفغانستان يصرخوا من تواجد أمريكا فيها ولا أحد يغيثهم بشيء.

الوهابيين الذين كانوا يقولوا جهاد في سبيل الله أقفلوا الجهاد، وقد ذولا الأفغانيين يصيحوا من أمريكا، لماذا ما تغيروا عليهم أما الآن، لماذا ما تغيروا عليهم، ولماذا لم يعد هناك جهاد في سبيل الله، ويسيروا يجاهدوا، لا.. جهاد ضد أمريكا فيه شك، مثل عندما لم يعد واجب أو لا يجوز.

وعندما يرجع الناس إلى الله سبحانه وتعالى إلى القرآن الكريم، يتفهم الإنسان المسلم مسئوليته أمام الله، أمام ما يحدث، سيجد المسئولية كبيرة، ويجد أن التقصير كبير من جانب الناس فعلاً، وأنه تقصير عن أشياء ما زال بإمكانهم أن يعملوها، وهي مؤثرة تأثيراً كبيراً، الشعار أن يكون منتشر، العمل هذا نفسه، التوعية تكون منتشرة

من المعلمين والخطباء والمرشدين من الناس فيما بينهم، يكون هناك عمل هكذا منتشر في الساحة، مؤثر جداً على أعداء الله، مؤثر فعلاً من الآن.

بعضهم يقول: [ذولا ذي بين يرفعوا الشعار لو جاء عليك شيء ما رأيت أحد منهم]. الآن يرفعوا الشعار، الآن الشعار سلاح، الآن الشعار سلاح، وما دام باستطاعة الكل يرفعوه يرفعوه، حتى لو ما رأينا ذولا في وقت آخر، هو الآن سلاح، هو الآن مؤثر، ومطلوب من الكل أن يستخدموا هذا السلاح المؤثر والسهل والذي هو في متناولهم، أن يهتف بشعار ما هو في متناوله؟ دقيقة واحدة في الأسبوع، وذولاك يتحركوا دائماً يسهروا ويتعبوا دائماً وهم يحاولوا كيف يضربونا، بوش كم قد له متحرك! حتى أعصابه يتضح لك أنها مشدودة، من شدة انفعاله وحركته كيف يحاول يخلق المبررات لضرب العراق، ويتعبوا جداً ويتحركوا وينشطوا.

ونحن تجد ما عنده استعداد في الأسبوع أن يرفع هذا الشعار مرة واحدة في الأسبوع، دقيقة أو دقيقتين، بل بعضهم ينطلق يعارض، وبعضهم يعارض ولا تراه يعارض على لعن المسلمين بنفس الطريقة هذه، ما هذا شيء غريب؟ لو سمع مسلم يلعن مسلم في السوق، أو في نفس المسجد، لما انطلق يضج ويعارض بهذه الطريقة، ما بلا بايخرج وماله حاجة، هذا ملموس قد تشاهدوا أنتم الذين يعارضون، هل هم يعارضوا إذا سمعوا لعن مسلم؟ أو يرفع صوته ويضج، ويتحدى إذا سمع أحد، مسلم يلعن مسلم، لا، بل هم بعضهم قد يكون يلعن إما أهله، أو أحد من أولاده، أو بقرته، أو حماره، أو أي شيء له، ربما ما يمر في اليوم أو في الأسبوع، ما يمر الأسبوع إلا وقد لعن عدة مرات.. أما اللعن لليهود فقد فيها، سيعارض وما هو مستعد يرفعه.!

طيب فيفهم الإنسان بأنه عندما يعارض عمل من هذا النوع إنه يصد عن سبيل الله، والذي يقول: إن هذا الشعار لا يصح في المسجد! عملك أنت الذي هو الصد عن سبيل الله الذي لا يجوز في المسجد، الذين رفعوا الشعار أنت تعلم أن هذا الشعار ضد أمريكا وإسرائيل، وأقل ما فيه أنه إعلان براءة من هؤلاء الأعداء، وعمل صالح، العمل السيئ هو أن تنطلق أنت في المسجد تصد عن هذا العمل. كيف تبيح لنفسك أن تعارض مسلم في موقفه ضد يهود، أما عمله وهو يرفع شعار ضد اليهود ضد الأمريكيين والإسرائيليين تعتبر انه ما يجوز له، مسلم يعارض يهود ما يجوز له، وهو يجوّز لنفسه أن يعارض مسلم في معارضته لليهود.

فما الذي يجوز والذي لا يجوز من هذا؟ الذي يصد عن سبيل الله من داخل المسجد هو الذي لا يجوز له، هو الذي لا يجوز له، وهو الذي يرتكب قبيح ويرتكب جريمة؛ لأنك أنت ما دخلك في هذا على أقل تقدير إذا ما أنت منطلق في هذا الموضوع أسكت لا تحاول أن تثبط آخرين، لا تحاول تعارض آخرين، لا يجوز لك هذا، لا يجوز لك حتى لو عندك ما منه فائدة.

وصلت بنا الحالة أن قلنا لهم قولوا إذا أحد يقول لكم أنه خائف، مثلاً لا ترفعوا الشعار في المسجد؛ لأنه خائف، أعطوه ورقة بيده أن هذا الشخص ما بيرفع الشعار معنا، وأنه معارض لرفع الشعار، ووقعوها وخليه يخليها في بيته، هل بعد هذا شيء؟ ما بعده شيء هذا، من أجل إذا أحد ظهر يقول له معي ورقة أنني لا أرفع الشعار معهم ولا بين أطلّع كلمة، وينظر هي ستنفعه أمام الأمريكيين. ما نفع عرفات، ما نفع عرفات كل ما عمل.. ما بيجي شيء إلا وهو يرحب به، والعرب ما هم يرحبون بكل شيء؟ خطاب بوش هم رحبوا بكلمة بوش، أي قرار أمريكي يرحبون به، القرار ضد العراق رحبوا به، ما هم يقولون: مرحباً دائماً، ما نفعتهم مرحبا هذه، بعدهم، بعدهم.

ما تستطيع تقول: إن هذا عمل لا يؤثر، أثبت لك السفير الأمريكي، الذي يمثل أمريكا أنه مؤثر، ما هو أثبت أنه مؤثر؟ إذا ما أنت فاهم ما هو تأثيره، فيكفيك أقل شيء أنه برز أن هذا الشخص الذي يعتبر من دولة معادية، ولها خطط وأهدافها تسمع، ونراها تعمل على شاشة التلفزيون، يكفيني أنهم انزعجوا منه، وأنهم كارهين له، إذاً فهو عمل صالح؛ لأن الله يقول: {وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ}(التوبة: ١٢٠) ينالون منه أي نيل، أي تأثير على العدو، هذا ما يتعلق بالشعار.

المقاطعة الإقتصادية كذلك، يجب أن الناس يهتموا بها، المقاطعة للبضائع الأمريكية والبريطانية، يحاولوا أن يقاطعوها، المقاطعة مؤثرة جداً وحتى لو لم يكن إلا منطقة واحدة، ما يقول واحد كم يا ناس بيشتروا، في ناس

آخرين بيقاطعوا في البلاد العربية، فأنت لا تحسب نفسك مع الذين لا يقاطعوا، احتسب نفسك رقم إضافة إلى آلاف الأرقام الأخرى في البلاد العربية تقاطع.

قبل ليلتين أعلنوا أن شركة أمريكية، شركة تصنيع مواد غذائية أو مطاعم، أعلنت أنها ستقفل محلاتها أو مطاعمها في عشرة بلدان إسلامية، عشرة بلدان إسلامية ستقفلها أفلست.

المقاطعة الإقتصادية، المقاطعة للبضائع مهمة جداً ومؤثرة جداً على العدو، هي غزو للعدو إلى داخل بلاده، وهم أحسوا أن القضية عندهم يعني مؤثرة جداً عليهم، لكن ما قد جرأت الحكومات العربية إلى الآن أنها تعلن المقاطعة، تتخذ قراراً بالمقاطعة، لأن الأمريكيين يعتبروها حرباً، يعتبروا إعلان المقاطعة لبضائعهم يعتبرونها حرباً؛ لشدة تأثيرها عليهم.

فإذا كانت مؤثرة بهذا الشكل ينطلق الناس فيها، ومعظمها أشياء يوجد بدائل لها، يوجد بدائل أرخص منها وأفضل منها، الإنسان المؤمن يكون عنده هذا الشعور، عنده هذا الإهتمام، حتى ولو عندك إن ما بلا أنت إعمل هذا الشيء، ما تشتري بضائع أمريكية.

نزلت قوائم فيها أسماء بالبضائع الأمريكية التي يقاطعها الناس، يهتم كل واحد أنه يقاطعها، يهتم كل واحد أنه يذكّر صاحب دكان أو صاحب متجر أنه لا عاد يورد منها، إذا قد ورّد كمية يحاول أنه يصرفها وبسْ، ما عاد يستورد شيء جديد.

في الأخير سترى كم ستطلع من أرقام كبيرة من ملايين الدولارات خسارات للشركات الأمريكية، والأمريكيين ما حركتهم هذه الكبيرة إلا بتمويل العرب، بعائدات أموال العرب، الاستثمارات الكبيرة التي لديهم، البلاد العربية سوق كبيرة لمنتجاتهم وشركاتهم. يتركوا الناس كلمات: [أن هذا العمل ما منه شيء، وهذا ما منه فائدة، مه بايجي ذا، مهذي با يسوي؟ مهذي با أؤثر عليهم إني ما عاد أشتري كوب عسل، لا.].

هذه التفسيرات الناس يتركوها، وينطلقوا من منطلق أنه ما دام المقاطعة الإقتصادية تؤثر، إذاً سنقاطع، وسترى بأنك أنت شخص واحد كم ستكون مشترواتك في السنة الواحدة، ستطلع أرقام كبيرة، خلي عنك آلاف معك، وإذا أنت ترى أهل بلادك ما بيقاطعوا ما بيهتموا، فاعتبر نفسك ما أنت رقم غريب، أنت رقم مع مقاطعين كثير في أندونيسيا في ماليزيا في مختلف البلاد الإسلامية، والبلدان العربية الأخرى، احسب نفسك واحد مع هؤلاء في المقاطعة، ما تحسب نفسك واحد مع الذين ما بيرضوا يقاطعوا وما بيرضوا يفهموا من أهل البلاد.

لأن هذه هي مظهر من مظاهر أن ما هناك أي استشعار للمسؤولية، ولا التفات إلى القرآن الكريم، باعتبارنا مسلمين نفهم هل هناك مسئولية علينا والاّ لا، أو كل واحد منطلق، ما عنده، لا يفكر ولا يبالي من مرة، ويظن في نفسه أنه سيسلم، إن الأسلم أننا نبطّل لا نعمل شيء، لا نرفع شعارات، لا نقل كلمة، لا نوزع شريط، لا، لا.. إلى آخره.

هذا ما يمكن؛ لأنك عندما تتوقف عن الطريقة هذه، لماذا لا تحاول أولاً أنك تسير إلى لأمريكيين تقول لهم، تقول نحن مستعدون أن نتوقف، نحن مستعدون أن لا يكون لنا أي عمل ضدكم لكن أنتم بطلوا ولا يكون لكم أي عمل ضدنا وضد ديننا، ستحصل على ضماناتهم؟ ما يمكن تحصل عليها.

طيب أنت عندما تقول: نبطّل وهم شغالين، أنت تخدمهم بهذا، تخدمهم بأنك أنت عندما يكون معك عدو، هل أنت ترغب أن يكون هذا العدو متيقظ وقوي ومتحرك، أم رغبتك أن يكون ساكت وهادئ من أجل أنك تسيطر على بلاده، وتسيطر على ممتلكاته؟ أين رغبة الأمريكيين، أن نكون متحركين وواعين ومحاربين، وضد مؤامراتهم أو أن نكون ساكتين؟ بالطبع رغبتهم أن يكون الناس ساكتين، هم يعرفوا أن السكوت هو الذي يخدمهم.

الله قال في القرآن الكريم: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}(القمر: ١٧) {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}(ص: ٢٩) نرجع إلى القرآن الكريم بتذكر وتدبر، وستفهم أشياء كثيرة من القرآن الكريم، يفهم الإنسان أشياء كثيرة منه.

أنت تستطيع أن تعرف المواقف التي هي منسجمة مع القرآن، أو مواقف مخالفة للقرآن، من قبلك أنت ومن قبل آخرين، أنت ستعرف المواقف التي هي متفقة مع القرآن الكريم وتطبيق لآياته، من المواقف التي تعتبر رفض للقرآن الكريم، ونأخذ دروس أو تعليمات من الأمريكيين أنفسهم، إذا لم نكن إلى درجة أن نفهم من كتاب الله، تفهم من تصرفات الأمريكيين أنفسهم، لاحظ كيف نحن مثلاً نقول: الناس ضعاف ما بأيديهم شيء، مهذي معنا؟ ما معنى شيء ولا..ولا.

طيب لماذا السفير الأمريكي عندما يخرج يحسب ألف حساب للأسلحة التي يراها أمامه في سوق الطلح، مع أنه يعلم أن عنده صواريخ عابرات القارات، عندهم طائرات، وكل أسلحتهم متطورة من أرقى الأسلحة، عندهم قنابل نووية، هل الأمريكي عندما يرى البنادق تلك مركّز في دكاكين في سوق الطلح، هل هو يمر من عندها ولا يبالي؟ أو يرى ألغام، ويرى قنابل يدوية، ويرى مواصير آر بي جي، وأشياء من هذه، هل هو يمر من عندها ولا يفكر فيها، يقول: نحن عندنا صواريخ، وعندنا طائرات، إيش با تجي هذه... يحسب ألف حساب لهذا.

نأخذ عبرة من هذا، نأخذ عبرة من هذا، حتى تفهم بأن منطقك أنت عندما تقول: [مهذي معنا مهذي جهدنا نعمل!] إنك أنت غبي، إذا أنا أقول هكذا فأنا غبي، الأمريكي يرى بأن هذه الأشياء تعمل ألف شيء، أن يكون هناك عند اليمنيين أسلحة من هذه الأسلحة الخفيفة ستعيق، ستجعل من هؤلاء الناس ناس قابلين على أن يعيقوا هيمنة أمريكا عليهم، ولو كانت تمتلك صواريخ، وتمتلك قنابل نووية، وتمتلك طائرات، ودبابات، وأشياء من هذه.

فتصرفه شاهد على أن باستطاعة الناس أن يعملوا شيء، وبهذه الأسلحة العادية التي معهم التي يراها أمامه في سوق الطلح، وما هو مثلنا غبي، يمر ويقول: [إيش با يجي هذا البندق ونحن معنا صواريخ، يرمي بطلقة واحنا معنا قاذفات صواريخ] هم يحاولوا أن يبعدوا الأشياء هذه؛ لأنهم يعرفوا أنها ستشكل عائق أمامهم.

تجد العربي مننا يقول: [مهذي معنا، مهذي با يجي بندقي أمام كذا] أليس هكذا منطق الناس؟ [مهذي با يجي منطقنا حين نقول: الموت لأمريكا، مهذي با يجي بندقي أمام أمريكا مهذي مهذي..] ينتهي القرار بعد قائمة من مهذي مهذي إلى أنه ما هناك حل إلا أن نقبل كل شيء ونستسلم ويجي ما جاء، ضد ديننا وضد بلادنا، ولا نبالي.

ولهذا مما يؤسف أن يكون اليهود أصبحوا أكثر وعياً، أكثر إدراكاً، أكثر فهماً، وأكثر قدرة على التخطيط منا وعندنا كتاب الله، والأحداث أمامنا ماثلة، الأحداث أمامنا ماثلة، نسمع التلفزيون ينقل كل شيء، الصحف، الإذاعات، ولا نحسب حساب المستقبل، أنه ربما هؤلاء في الأخير يريدوا فعلا أن يهيمنوا علينا، يريدوا فعلا أن يذلونا ويقهرونا ويغيروا ثقافتنا الدينية، وينشروا الفساد، سينشرون الخلاعة على أرقى مستوى، ينشرون الخمور، والمخدرات، الفساد بكل أنواعه.

وحتى يصبح الإنسان الذي يحاول يستنكر يكون قد هو نفسه نكر أن يستنكر، من يستنكر انتشار الفساد، في الأخير سيصبح عندهم نكر هو عند الناس، ولو مازالوا يتحركون في أوساط الناس، يجعلوا القضايا طبيعية والفساد لا تعترض على أي شيء، إذا أنت تشتي تصلي سير صلي ما لك حاجة من أحد.! لا.. في القرآن الكريم ما هو هكذا منطقه، أن بإمكانك أن تتجه في أعمالك هذه، وما أنت مسئول عن أي شيء آخر.

هم قديرين على الخداع، الله ذكر عنهم في القرآن الكريم أنهم يلبسون الحق بالباطل {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران: ٧١) **يتكلم عن اليهود بشكل عام، تجد الرئيس الأمريكي في شهر رمضان قالوا: جمع عائلات من أجل يعمل لهم مائدة إفطار، ودعا مسلمين من داخل أمريكا من جاليات! يعني حتى يقولوا إنه ما عنده توجه لمحاربة الإسلام، إنما محاربة الإرهاب، وأن حربهم للعراق لا يعني حرب للإسلام، خداع هذا، خداع، خداع.**

لأنك تجد الواقع يختلف عن منطقه، الواقع يختلف عن منطقه، لماذا اختلف موقفهم من كوريا الشمالية عن موقفهم من العراق، ما هو أختلف، كوريا أعلنت أن عندها برنامج نووي، عندها أنها قد صنعت فعلاً قنابل نووية،

لماذا ما يحاولوا يضربوها؟ يحاولوا يحلوا الإشكالية ويعطوها مساعدات، ويحاولوا عن طريق الحوار والعمل الدبلوماسي كما يسموه.

أما العراق ما بلا يتهموه هم أن عنده أسلحة دمار، يسموها، ما بلا يا الله يحاولوا كيف يعملوا مبرر لضربه. قال يجي مفتشين يفتشوا، وبدون شروط، وبدون أي قيد، قالوا هذا كلام خداع، يقولون: إن العراق مخادع، ما بلا فوقه، ويجهزوا الحشود العسكرية والقطع الحربية والبحرية إلى المنطقة، حتى أصبحوا جاهزين للضربة، جاهزين للضربة، يحاولوا أن لا يصل القرار إلى مجلس الأمن الذي عمله المفتشين، ثم بعد ما وصل قرارهم إلى مجلس الأمن، يحاولوا أن يكون بالشكل الذي يكون فيه ثغرة، عندما يرجع المفتشين عندما يدخلوا، احتمال كبير أنهم هم يعملوا عائق، المخابرات الأمريكية والإسرائيلية تعمل أي شيء، عائق أمام المفتشين عائق يخليهم يعودوا حتى يقولوا: إذن خالف.

وهم قالوا هكذا: أن أي إعاقة لعمليات التفتيش يعتبر ملغي للقرار، يلغى القرار يعني أن نضرب، جاهزين وبسرعة يريدوا أن يضربوا، قد ينزلوا وقد يعملوا أي عائق هذا إذا بقيت القضية حتى ينزلوا.

طيب ما هو العراق وحده، كلام على اليمن، كلام على السعودية، على لبنان، على سوريا، على إيران، على مصر على المنطقة كلها، تهديد للمنطقة كلها، وفي الأخير يقول لك: ما هناك حرب، مع أنه هو قال كلمة في البداية، أنها تعتبر حرب صليبية ثم تداركها فيما بعد، [هذه بداية حرب صليبية]، أول ما بدءوا يتحركوا ضد أفغانستان، يخادعوا من أجل أنهم يجندوا الناس وقد عرفوا طبيعة الناس، الناس الذين ما عندهم فكرة عملية يتشبثون بأي مبرر، يتشبثون حتى بأي خداع من جانب عدوهم، يخدع.

إذا هناك توجه عملي يكون الإنسان عارف أن هؤلاء مخادعين، وسيرى أن الواقع في أعمالهم يخالف ما يقولوه، في الواقع أنما يقولوه إنما هو خداع، مثلما هم يقولون: أن العراق مخادع، عندما يقول ترجع لجان التفتيش وبدون أي شرط وبدون أي قيد. قالوا ما بلا خداع، يعني امتثاله بهذا الشكل إنما هو مناورة وخداع.

القرآن الكريم تكلم كثيراً عن اليهود والنصارى، وشرح في أكثر من سورة، شخّصهم، بيّن كيف نفسياتهم، كيف تصرفاتهم، كيف نظرتهم للمسلمين أنهم أعداء، أنهم يريدون أن يضل الناس، ويضلوا الناس ما يودوا أي خير للناس، القرآن فيه كلام كثير، وجعل الحكم الذي يجب على المسلمين أمامهم، الذي صرح به في سورة التوبة: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}(التوبة: ٢٩) **ما هذا صريح في سورة التوبة، في حديثه عن أهل الكتاب، {مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ}، أهل الكتاب اليهود والنصارى، {حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.**

هذا موقف القرآن بالنسبة لهؤلاء، بعدما تصبح القضية إلى أنه لا يعد يسمح لك مسلمون، ويعارضوك أن لا تتكلم كلام، ما قد هو قتال، كلام عن اليهود والنصارى، وتمنع الأوراق التي فيها: [الموت لأمريكا والموت لإسرائيل]، والله أمر بالقتال، وليس فقط الكلام، يقوم يعارض أن لا تكون هناك كلمة ضدهم، والموقف الإلهي منهم هو هذا، من أهل الكتاب: القتال لهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون؛ لأنهم أعداء وسيتحركون كلما ملكوا إمكانيات.

طيب الحديث عن هذا الموضوع نفسه، لا يتصور أي إنسان بأنه موضوع زيادة على ما نحن مكلفين به من جهة الله، يقول واحد: الكلام أو التحرك في هذا المجال إنما هو زيادة، فضلة، وكل واحد يصلِّ ويصوم وما له حاجة! ليس صحيحاً، ليس صحيحاً.

الإنسان المسلم ملزم بالقرآن الكريم، المسلمون ملزمون بالقرآن الكريم، بتوجيهاته بأوامره، تجد الأوامر بأن يكون الناس أنصار لدين الله، أن يكونوا أنصاراً لله، أن يكونوا قوامين بالقسط، أن يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، أن يجاهدوا في سبيل الله، أن ينفقوا في سبيل الله، ما هي أوامر صريحة داخل القرآن

الكريم؟ مثل الأوامر التي فيها: {وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}(النور: ٥٦) {وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}(آل عمران: ٩٧) {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}(البقرة: ١٨٥).

هي مثلها، لا يمكن تقل: إن هذه زيادة؛ لأنه لا يتحقق لنا اسم الإيمان نفسه، اسم الإيمان إلا عندما يكون هناك توجه وعمل يتحرك في ماذا؟ لتنفيذ ما أمر الله سبحانه وتعالى به، وما وجه الناس إليه في القرآن الكريم.

إذا ما هناك تنفيذ، إذا ما هناك التزام، معنى هذا أننا نؤمن ببعض ونكفر ببعض. عندما يقول الله في القرآن الكريم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحجرات: ١٥) أولئك هم الصادقون.

الصادقون عندما يسموا أنفسهم مؤمنين، أن يعتبروا أنفسهم مؤمنين؛ لأن هذا رد عندما قال: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}(الحجرات: ١٤) ثم يقول لهم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحجرات: ١٥) وهنا تلاحظ كيف تفصل {هم} بين كلمة {أولئك هم الصادقون} يعني هم وحدهم، الصادقون في أن يحكموا على أنفسهم بمسمى الإيمان، وأنهم مؤمنين.

في آية ثانية يقول عن المفلحين: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(آل عمران: ١٠٤) هذه العبارة معناها هم وحدهم المفلحون، والجنة ما هي للمفلحين؟ أو هي للخاسرين؟ الجنة هي للمفلحين، وعود الله في الدنيا هي للمفلحين ما هي للخاسرين.

إذا ما هناك توجه عند الإنسان من أجل أن يحقق لنفسه مسمى الإيمان، أن يكون فعلاً مؤمن، وتجد الجنة في القرآن الكريم هي للمؤمنين، أعدت للمتقين، تجد صفات المؤمنين هي هذه، ويؤكد لك أن المؤمنين ما هم إلا من كانوا على هذا النحو، فعندما تأتي في الأخير وتقول: نصلي ونصوم وما لنا حاجة، لا يتدخل واحد في شيء.

فكأنك تنظر إلى هذه الأوامر الإلهية الهامة، والتي تنفيذها هام في ظروف كهذه، تعتبرها وكأنها زيادة، زيادة على الدين، وكأنها ما هي شرط في تحقيق اسم الإيمان لنفسي، ولا شرط في ماذا؟ في نجاتي في الدنيا وفي الآخرة. هذا من المغالطة، من مغالطة الإنسان لنفسه، من خداع الإنسان لنفسه. ما هو عمل زيادة على الإيمان، نحن نقول: هذه التي نعملها الآن، ما قد وصلنا إلى درجة مَن؟ عمل من عذرهم الله أن لا يحضروا ميادين الجهاد، مثل: الأعمى والأعرج والمريض، من قال فيهم: {إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ} (التوبة٩١) ما هو شرط {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ}.

أنت مثلاً ما عندك قدرة أن تخرج في ميدان الجهاد، لك عذرك أن تقعد، لكن قعودك يجب أن يترافق معه نصح لله ورسوله؛ لأنْ عاد موقفك وأنت داخل يحرك، يشجع، تأييد وتشجيع. تحرك، تتحرك وإن كنت أعمى تتكلم، ما قد وصلنا إلى الدرجة هذه، ما قد وصلنا إلى الواجب على الأعمى، الواجب على الأعرج، على الذي لا يجد ما ينفق، ليخرج مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو قال فيهم: إذا نصحوا لله ورسوله ما عليهم حرج. ليس معناه ما عليهم يجلسوا هناك وبسْ، عاد عليهم أن يتحركوا، ينصحوا لله ورسوله، يشجعوا، يحثوا على الإنفاق، يحثوا الناس على التجلد والأسر على الصبر، إذا حصل ناس استشهدوا، إذا حصل.. هذه من النصيحة لله ورسوله، شد أزر المجاهدين، نحن ما قد وصلنا إلى الدرجة هذه، نحن ساكتين ما هناك نصيحة لله ولا لرسوله؛ لأن النصيحة لله ولرسوله هو النصيحة للدين، والنصيحة لمن يهمهم، لمن يهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أمرهم وهم الأمة، المسلمين.

بعض الناس قد ينظر أن هذه أشياء ما هي إلا زيادة [يا خه ذا عندك به ناس خيرات، مصلين وصايمين ومالهم حاجة ومن بيته إلى مسجده، مالك حاجة] هي قضية ما تخضع لتقديراتي أنا أو تقديرات أي شخص، إرجع إلى القرآن الكريم، رجع إلى القرآن الكريم، وجد ما هناك عذر، ما هناك إمكانية أنك تعمل ببعض وبعض آخر ما

تعمل به، ما هناك إمكانية إن واحد يرى نفسه مصيب أنه يبحث عن الحاجة التي ما هي مكلف عليه، ولا فيها خطورة ولا فيها عناء، ويصلِّ ويصوم، [وما له حاجة] الكلمة المعروفة.

لا.. ارجع إلى القرآن إن كان هذا موقف صحيح لا بأس، وإن كان ما هو صحيح وتجد فيه أوامر أخرى، أوامر مرفق بها تهديد إلهي، تهديد إلهي، لمن قصر فيها، معنى هذا أنك تغالط نفسك أنك سائر في طريق الجنة ولا أنت داري في أي طريق أنت ماشي، في الأخير كيف ستكون الغاية والنتيجة؟.

أيضاً يأتي من جانب آخر، قد يشوف واحد إنه [ياخي ذاك سيدي فلان والعالم فلان وسيدنا فلان والحاج فلان، يقوم قبل الفجر، ويتركع، ويسبح، ما بيتحركوا ولا بيقولوا شيء ولا قالوا للناس يسبروا كذا..] ويكون واحد يريد أن يمشي معهم، أنت اسألهم، سِر اسأل هؤلاء، تتضح لك القضية كيف هي، أن هؤلاء لا يعتبرون أن هذا العمل ليس مشروعاً، ولا يعتبرون إنْ ما هناك أوامر إلهية للناس بأن يكونوا أنصاراً لدينه، ومجاهدين في سبيله، وأن يعدوا ما يستطيعون من قوة، وأن.. وأن.. إلى آخره. لا يستطيع يقول لك: ما هناك شيء. طيب عندما تقول له: فأنت لماذا؟ هو يأبى مثلك؟ ما هو فاهم أن هذا الموضوع مؤثر مثلاً، أو عمل معين مؤثر، أو ما هو بالغ لـه أخبار معينة أن هناك مؤامرات كبيرة أو.. أو.. إلى آخره.

أو أنه في الأخير عارف للأشياء هذه لكن يجدك أنت والآخرين مبرر له أنه ما يتحرك؛ لأن عنده فكرة أن الناس ما منهم شيء، وما هناك أنصار، ولا أحد متحرك معنا، ولا أحد قاوم معنا، ولا.. ولا.. إلى آخره. فعنده أن قد معه عذر، وسيجلس ما له حاجة، فتكتشف أنه يعتبرك أنت ويعتبر آخرين عبارة عن عذر له، عبارة عن عذر لـه.

يعني لن تكتشف عند أحد أن يقول لك: أن هذا العمل باطل أبداً، أو أنه ليس هناك أوامر إلهية لما هو أكثر من هذا مما الناس عليه، بينما ستجده في الأخير يعتبر إن قد معه مبرر وعذر له شخصياً، ما هو عذر يصلح لكل واحد، له عذر شخصي أنه وإن كان عالم ويجب عليه، لكن إذا كان هناك أنصار، وما هناك أنصار، فمع السلامة وجلس وما له حاجة، هم يمسكون بهذه.

إذاً فأنت وغيرك ممن مواقفهم يبدو وكأنهم ما عندهم استعداد أن يكونوا أنصاراً لله، أنصاراً لدينه، يدافعوا عن دينه، الوضعية التي أنتم عليها هي المبرر الذي يتمسك به العالم الفلاني، وأنت لا تعلم بهذه، تراه أنت، تراه على ما هو عليه لا يتحرك، تفسر موقفه تفسير آخر، إنه كأن هذا الشيء ما هو مشروع، أو كأنه ما هو واجب علينا، وبالتالي قد احنا من جيزاه!.

ما هذا الذي يحصل عند واحد؟ قد احنا من جيزاه ما عاد بعده، هو إنسان متدين لكن المشكلة إنه يعتبرك أنت وغيرك الذين ما تتحركوا أنكم المبرر له أنه يجلس، ما بتتعاونوا، أنكم المبرر له أن يجلس.

فإذا الناس على ما بين نقول أكثر من مرة، الناس متهادنيين، نحن متهادنيين، العالم يرى أن ذولا الناس ما هم أنصار، إذاً قد له عذره، وذولا الناس يروا أن العالم ذاك لا يتحرك، إذاً فما القضية لازمه، جلس وجلسوا، وكل واحد يجعل الثاني مبرره، جلس لأن ما هناك أنصار، والأنصار جلسوا لأن ما هناك حركة من العالم، ما هي كلها مهادنة؟.

قد يقدم الناس على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وتتضح القضية وإذا نحن اتهادنا وكان احنا ساكتين، الناس ساكتين والعالم ساكت، وكل واحد عنده إن قد معه عذر، وعلى ما هو عليه، قد معه مبرر أمام الله.

إذاً فالقرآن الكريم سيكشف ما معك عذر ولا معه عذر، ولا القضية بحث عن أعذار، الأعذار الحقيقية هي أعذار لا تكون بالشكل الذي تكون مفتوحة للناس جميعاً، لا يوجد هكذا؛ لهذا تجد مثلاً العالم نفسه الذي يرى نفسه إنه ما هو ملزم في نفس الوقت أن يكون له موقف؟ ما هو يخطب؟ يقول: الناس عليهم أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، ما هو يقول لهم هكذا؟.

طيب أنت تقول للعلماء الآخرين لماذا لا تكونوا بهذا الشكل؟. لأن ما هناك أنصار، يعني هو نفسه يقول لك:إنه أنت وهذا وهذا عليكم أن تأمروا بالمعروف، وأن تنهوا عن المنكر، وأن تتحركوا، وأن تتعاونوا على البر والتقوى، ما هذا الذي يحصل؟ وأن يكون هناك تكاتف ووحدة الصف، وتوحيد الكلمة، والتكاتف، والتعاون، والتآخي،

ما هذا الذي يحصل من كلامهم؟ يعني هو يقول لك: بأن عليك أن تبادر أن تعمل هذا العمل، معنى هذا إنه ما هناك عذر جماعي للأمة كلها.

عندما يقول البعض: أن الإمام علي جلس، هل جلوسه يعني أن كل الناس جلسوا ولهم عذر؟ لا.. جلوسه لأنه ما وجد أنصار، فالأنصار غير معذورين، الذين خذلوه ما هم معذورين إطلاقاً، هم خذلوه فاضطر إلى أن يجلس ما استطاع يتحرك، ما استطاع يعمل شيء، هذا هو العذر الذي ينتهي إليه الإنسان، وهو يعلن وهو يذكر وهو يبين وهو يحث الناس وهو ينذر الناس وهو.. لكن ما رضيوا يتحركوا، هذا هو ماذا؟ ما معناه أنه يدور هو لملص، إنما وجد فعلاً ما عنده قدرة، وهو لا يزال يتحرك.

هل الإمام علي توقف عن تذكير الناس؟ ما توقف إطلاقاً طول فترة خلافة أبي بكر، عمر، عثمان، ما توقف، ما حصَّل أنصار، حاول إذا ممكن يتحركوا، ما حصل استجابة، حصل تأثير؛ لتبقى الفكرة لتبقى العقيدة لتبقى الرؤية قائمة في الأمة، مثل ما هو حاصل إلى الآن.

فعندما يقول: الإمام علي هو ذاك جلس، يعني هل جلوسه مثلما جلس الآخرون، أم جلوسه لو فرضنا هو عذر له لأنه ما به أنصار، فما هو عذر للآخرين حتى تقول: والآخرين قد هو عذر لهم.. إن مشكلته أن الآخرين ما قاموا بواجبهم، هم ملزمين أن يقوموا بواجبهم.

فالعالم نفسه هو أساس الفكرة عنده واجب على الناس أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، ما هي هكذا؟ واجب عليهم أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، يعني ما تتصور أنت أن العذر الذي هو ماسك عليه إنه يراه عذر لك، أو يراه عذر لهذا أو يراه عذر لهذا المجتمع، أبداً؛ لأنه يخطب، الذي تراه أليس هو يتحرك يخطب يقول لك: واجب على الناس يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأن يكونوا متعاونين على البر والتقوى، وأن.. وأن.. ما معنى هذا أنه لا يرى عذر للناس؟

والناس لا ينظرون إليه النظرة هذه، يروه هو أنه جالس، قالوا قد احنا من جيزاه، قد ذا عالم، ذاك ما هو إلا طالب علم، ذا قد هو عالم، وعالم شيبة، وهو أفقه، وأعلم، وأعبد.. إلى آخره، قد احنا من جيزاه.

يتفاهم الناس هم والعلماء، يتحاور الناس هم والعلماء، يفتحوا المواضيع هذه هم وإياهم، كيف القضية هل احنا معذورين حقيقة احنا واياكم؟ أو ما هو أساس المشكلة؟ لماذا أنتم ساكتين لا تتكلمون معنا، ولا تحركونا ولا.. ولا.. سيقولوا أنتم ما منكم شيء، ما أنتم واقفين معنا. ما هو سيقول لك هكذا؟ تشهد لك أن القضية هي تهادن في ما بين الناس.

الإمام زيد (عليه السلام) في رسالة عملها للعلماء يقول: العالم ليس له عذر، العالم ما له عذر أن لا ينطلق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لا رغبة ولا رهبة، ما للعالم أن يتوقف من أجل رغبة، لأن هذا ـ قال ـ يعتبر ممن يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، ولا له عذر، يعني خوفاً والله يقول: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: ٤٤) **في رسالته إلى العلماء.**

هكذا يعني وبتأثيرات أخرى في الأخير يرى العالم إنه ماذا يمكن أن يعمل! الناس ما منهم شيء، فلا يعد يجابر الناس وهم ما بيجابروه.

فيجب على الإنسان أن يكون حذراً، يكون الإنسان مراقب لنفسه، لا يقدم على الله سبحانه وتعالى وهو عاصي لله، ثم يكون مصيره جهنم.

هذه القضية يجب أن نتأكد منها، وما معك تتأكد منها إلا من القرآن الكريم، من خلال رجوعك إلى القرآن الكريم، هل هناك مخرج آخر غير القرآن؟ الله هو مع كتابه، يحاسب الناس على أساس كتابه؛ ولهذا قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عن القرآن: (أنه من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ـ وراء ظهره ـ ساقه إلى النار).

وهذا هو الشيء الذي يخيف الإنسان جهنم، نعوذ بالله من جهنم، وكل شيء غير جهنم سهيل، كل تهديدات تجي لك غير جهنم هي سهلة، كل عذاب غير جهنم هو سهل، هو محدود وينتهي، أما جهنم فلا يوجد لها نهاية، نعوذ بالله، ما هناك نهاية.

جهنم لا يوجد فيها نسمة واحدة باردة، لا يوجد تخفيف لعذابها، وسنة بعد سنة، مائة سنة، مليون سنة، مليار سنة، كلها تمشي وما هناك نهاية، هذا الشيء الذي يجب أن الإنسان يخافه، يتمنى، ما الله حكى عن أهل جهنم أنهم يتمنوا الموت ويتمنوا أن يموتوا؟ الموت الذي هم الآن يهربوا منه، في جهنم في الأخير يتمنوه، ويعتبر نعمة كبيرة لو أنه يحصل، ما الله حكى عنهم، أنهم قالوا لمالك خازن جهنم: {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} (الزخرف: ٧٧) **يدعو إن الله يقبل يموّتهم، يتمنوا أن يموتوا، يعتبروه نعمة أن يموتوا، {قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} ما هناك لا موت ولا خروج.**

ولا يتهاون الناس.. لاحظوا المعصية، معصية الإنسان ما هي في حدود تقديراتك أنت، ما هي في حدود تقديراتك أنت إطلاقاً، تترك آثارها، ربما قد يكون الناس عندما يقعدوا في ظروف كهذه بإمكانهم أن يعملوا أعمال بإمكانهم أن يعملوها: مظاهرات، مقاطعة اقتصادية، شعارات، أليست في متناول الناس؟.

عندما نقصر في هذه، أنت بتقصيرك في هذه من ستجعل الأعداء يتمكنوا أكثر، وعندما يتمكن الأعداء ينتشر معهم الفساد أكثر، فساد كثير ينتشر، هذا الفساد الذي ينتشر ما هناك فساد ينتشر، إلا وتضاف مسؤوليات عليك، ثم ترى أنك في الوقت الذي تتوقف عن عمل واحد أمام مشكلة واحدة، أنت مسئول أمامها، تصبح المسئوليات عليك تتكرر وتتجدد وتتكاثر.

الأعداء دخلوا نشروا الخمور، نشروا المخدرات، نشروا الفساد الأخلاقي، حاربوا الدين، فرقوا كلمة الناس، عملوا كل الأعمال هذه، ما هذا عمل كله منكرات؟ كل منكرات يضاف على الناس مسئوليات أمام الله عنها. معنى هذا أن قعودك أن تتصور أنك قاعد عن قضية واحدة، والمسئولية هي تتكاثر وتتجدد عليك بكل نشاط يقوم به الأعداء.. تفسد أجيال من بعد، لو ما هو تقل ثاني صفّة أو ثالث صفّة.

لاحظوا عندما يلاحظ واحد الآن الفلسطينيين ما هم في وضعية مؤلمة جداً؟. تقاعس الناس في مرحلة معينة جعل العدو يتمكن أكثر، تصبح المقاومة والعمل صعيب ومتعب. طيب في الحالة هذه العناء الذي بيلحق الناس من بعد بسبب تقصيرك أنت شريك في هذا العناء، في خلق هذا العناء، في ماذا؟ في أن تصبح المسألة على هذا النحو.

تصور الفلسطينيين في البداية ما الكثير كان عندهم يخرجوا وما لهم حاجة؟ خرجوا عملوا لهم مخيمات هناك خارج وكان عادها فترة، كان عاد اليهود عبارة عن عصابات فقط، يتخاذلوا واليهود عبارة عن عصابات، ما قد معهم دولة، عادهم بيغزوا هكذا يسيطروا على منطقة ويغزوا قرية ويعملوا.. متخاذلين مثل ما احنا الآن، وبعدها تمكن اليهود أصبحوا دولة، استقووا، أصبحت القضية في مواجهتهم صعيبة جداً، معاناة شديدة وصعيبة جداً، لدرجة أنهم لم يعد يتمكن البعض إلا يسير يفجر نفسه، يسير يقرّح نفسه، ويا الله يقتل اثنين ثلاثة، إذا هي عملية جيدة قتل فيها مجموعة.

هذه المعانة التي حصلت للجيل الثاني بسبب تقصير الأولين، تقصير الذين ما تحركوا في البداية؛ لأنه في البداية تكون الأعمال سهلة، في البداية سهلة، عندما قصروا أضافوا بتقصيرهم، خلقوا معاناة شديدة ضد هؤلاء، أتاحوا الفرصة للعدو أن تستحكم قبضته، استحكام قبضة العدو يعني أنك شريك مع العدو فيما يعمل من جرائم، ما هي قضية سهلة، فعلاً.

الإمام علي فهّم أهل العراق بالطريقة هذه عندما كان يخوفهم بأنه قد تستحكم قبضة أهل الشام عليكم، كيف قال؟ ((إني لأخشى أن يدال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)) أليس هذان عامِلَين مع بعض: تفرق هؤلاء عن حقهم، اجتماع أهل الباطل على الباطل، أدى إلى نتيجة ما هي؟ سيطرة أهل الباطل على أهل الحق، ما هم هنا أصبحوا أنهم شركاء؛ لأنهم هم سبب، هم سبب وعامل رئيسي في ماذا؟ في أن العدو يتمكن.

إهمال الناس، تقصير الناس، أنت تعمل بإهمالك وتقصيرك أنت تخدم العدو، أنت تعمل لصالح العدو، وأنت تتحمل نتائج أو تكون شريك في ماذا؟ فيما يرتكبوا من جرائم فيما بعد؛ لأنه كان تقصيرك، كان إهمالك سبباً من أسباب استحكام قبضته، تقصيرك، إهمالك في البداية عن أعمال بإمكانك تعملها مؤثرة، قبل أن تستحكم قبضة العدو تجعلك شريكاً في معاناة من يجاهدوا فيما بعد، ما هي قضية سهلة هذه، ما هي قضية سهلة أبداً.

يكون عند واحد أنه قعد وما له حاجة، جريمة مستمرة، أنت مقصر متقاعس، وقاعد، لا تبالي، ترتكب جريمة كبيرة، يعني ما يستطيع واحد يوصفها، فيكون الناس يشتغلوا لإضافة أوزار عليك، العدو من جهة، وحتى المجاهدين، ما يلقوا من المعاناة أنت كنت شريكاً في خلق هذه المعاناة أمامهم.

وهذا الذي يضر الإنسان أن ينطلق من تقديراته الخاصة وفهمه الخاص للأشياء وكأنه يراها في الأخير طبيعية وعادية، وبعض الناس قد يصل به الموضوع هذا يرى نفسه أنه هو الحكيم، عندما يرى نفسه أنه ما عنده أي حركة، ما يشارك في أي عمل، ولا ينساق ولا شيء، أنه هو الحكيم الذي موقفه صحيح.

هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين حول عذاب القبر.

فأجاب السيد بقوله:

القضية نقول: ما صحت ولا احنا أول من خالف فيها؛ لأن ما هناك حياة في القبر بكله، ما هناك حياة في القبر بكله، يعني مسألة أنه عذاب والاّ ما عذاب، ما هناك إعادة للحياة في القبر بكله، بحيث أنه يجي منكر ونكير يحاسبوك ـ على ما قالوا ـ إما يضربوك، والاّ يخلوك، والاّ يبشروك، ما هناك من القرآن الكريم ما يدل على هذه، ومعظم ما بيجي هي أحاديث معظمها من عند السنية أساسها من عند السنية حول المسألة هذه.

وأعتقد أن الإمام أحمد بن سليمان نفسه يستبعد القضية هذه، وقال: ربما قد يكون هذا الذي يسموه عذاب قبر أو كذا، عندما يبعث الإنسان يوم القيامة، إذا عاد به شيء في تلك اللحظة.. أن يكون هناك عذاب في القبر، ما معناه أنه حياة تعود إلى الإنسان؟ يعود حي من جديد في القبر؟ هكذا يعود حي من جديد في القبر، ثم يموت بعد، ما هو سيموت ثاني مرة؟ القرآن الكريم يعد الموت والحياة ثنتين وثنتين ما هو سابر أن تضيف أنه يوجد حياة وموت في القبر.

الله حكى عن من قد ماتوا، يعنى حكى عن من سيقولوا يوم القيامة: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} (غافر:١١) **ما هي ثنتين وثنتين، تجد آيات أخرى تتحدث عن الثنتين هذه: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ}** (البقرة: ٢٨) **الحياة هذه التي نحن فيها سبقها حالة العدم أو حالة قبل نفخ الروح في الإنسان في بطن أمه، هذه هي تسمى حالة موت، الموت عند العرب ما يعني فقط مجرد خروج روح، حالة اللاشيء أو حالة العدم أو حالة قبل أن تنفخ فيك الروح هي تعتبر حالة موت.**

مثل ما عبر عن النباتات التي تكون مثلاً يابسة هكذا مثل [الزيْل] ما هو بيسميها ميتة، {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} (الحج:من الآية ٥) **وسماها {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}** (الحديد: من الآية١٧) **هنا يقول لك: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ}** (البقرة: ٢٨) **هي هذه الحياة التي نحن فيها، {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} الموت هذا {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} حياة البعث الذي يعني الرجوع إلى الله {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. ما قد هي أربع؟ ما هناك غيرها. إذا افترضنا إن عاد هناك حياة في القبر وموت من جديد يطلع لك ست: ثلاث موتات وثلاث حياة.**

المسألة من أساسها هي مشبوهة، قضية تهويل الموت، قضية التخويف من القبر وتهويل القبر، هي قضية مشبوهة من أساسها؛ لأنكم لاحظوا مثلاً الذين يحكمون الناس الطواغيت عندما يحكمون الناس لا تتصور أنه لا يخاف من الشعب، لا يخاف من الناس، يكونون حريصين على أنه يعملوا أي عمل من أجل يوقفوا الناس، لا يتحركوا؛ فقدم الموت وتخويف من الموت وتهويل الموت وأشياء وأنت على النعش وأنت في القبر جعلوا القبر موحش، جعلوا الحالة هذه أن الإنسان سيمر بها تكون حالة موحشة جداً، بحيث أنه تجد من الناس تقاعس ما عاد فيهم انطلاقة أن

يتحركوا؛ لأنه شيء تربى عليه، شيء تترسخ ذهنيتك عليه موحش، يعني يجعلك تحاول أن لا تمر به، مهما أمكن، أن لا تمر به من مرة، يقّعدوا الناس عن النهوض.. هذا في جانب يشتغلوا.

يشتغلوا في جانب آخر، التزهيد ما يسمى التزهيد في الدنيا وعدم الإلتفات إلى أن مثلاً الظالمين أو الطواغيت أو الكفار وهم يسيطرون على الأموال ويحاولوا يستبدوا بأموال الأمة ما عادها قضية، تربى على إنك تزهد في الدنيا، وما هي إلا دنيا، وعندما ترى الظلمة الأموال بأيديهم ما عاد تكترث بها.

هي تربية تقوم على أساس تجميد الناس ما يتحركوا، ما عاد يتحركوا، ما عاد يحصل لديهم ما يثيرهم، عندما ترى الأموال وهم مسيطرين عليها ما عاد تثار أن هذه أموال الأمة، وأن الأمة يعيش الكثير منهم فقراء، وهم يبعثروا الأموال وينشروا بها الفساد، ويستخدموها ليسرفوا فيها، ما عاد تثار؛ لأن ما هي إلا دنيا، ما هي إلا دنيا، وقد أنت بتتربى على أن تكون زاهد في الدنيا إلى درجة أنك لا تهتم أن يحصل لك إلا ما يكفي يومك فقط، ما يكفيك ويسد رمقك فقط، هذا حصل في كتب الترغيب والترهيب والتزهيد بهذه الطريقة.

نحن نقول: القضية هذه من أساسها، قضية الموت قضية القبر، القرآن الكريم ما تعرض لها إطلاقاً بشكل يخوف بها إطلاقاً من مرة، يذّكر فقط أن هناك غاية، والناس عارفين أن هناك غاية، تذكير وتجد معظم التذكير كان يأتي أيضاً للكفار ليرتب عليه ما سيحصل لهم في الآخرة.

فالقرآن الكريم قام الترغيب فيه والترهيب على التخويف من اليوم الآخر، التخويف من اليوم الآخر هذا الشكل الكبير والمهم والخطير، ومن جهنم، الموت لا يتحدث عنه إلا وبسرعة ينتقل إلى ماذا؟ إلى اليوم الآخر، تجد تلك الآيات التي كلها ذكر فيها الموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}(آل عمران: ١٨٥) ما هذا حديث وبسرعة أنتقل إلى الآخرة.

إذاً ما هناك تخويف من مسألة الموت؛ لأن ما هو طبيعي أن يخوف من قضية الموت كحالة تمر بها، وهو هنا يأمرك أن تكون مجاهداً في سبيله، وهو يشجع على أن تكون مستبسلاً، بل في مجال التشجيع بأن يكون الناس مجاهدين في سبيل الله، ومستبسلين ألغى قضية الموت، ما هو ألغاها بالنسبة للشهداء؟.

ما هو طبيعي أنك تريد أن تربي أمة تكون مجاهدة تأتي لتخوفها من شبح الموت، هذا ما يمارسه حتى الإنسان، خلي عنك أحكم الحاكمين، عندما يختلف واحد هو وواحد آخر على أموال، وراح يكسر [مشربه]، ما هو يرجع يضوي إلى البيت يشجع أولاده يتحركوا ويشتري لهم بنادق [ويا الله يدافعوا على حقهم، ولو با يتنتف] ما هو بيقل كذا، أو هو يضوي عند أولاده ويقل لهم: منكر ونكير وموت ونعش وأشياء من هذا الكلام ،لا، هل هو يخوفهم أو يشجعهم؟ يشجعهم.

الجنود نفوسهم مثلا تحصل الجيوش لا يمكن يسمحوا لك كمرشد تدخل مثلا المعسكر في حالة صراع أو الجيش يعد لترتفع معنوياته القتالية، واستبساله وأشياء من هذه، وتجي تتحدث عن تلك الأحاديث حقت الموت التي تبرد أعصاب واحد، لا يمكن ذلك، ما هم يشجعوهم، التشجيع يحصل.

الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث في القرآن الكريم حول الجهاد، حول المواجهة، يثني على من يبذلوا نفوسهم في سبيل الله، ما هو هكذا، القرآن الكريم هو له مناهج تربوية، ما هو فقط عبارة عن كلام، ما يمكن يكون فيه تناقض، أن يأتي مثلاً من خلال القرآن الكريم يرغب على الاستبسال في سبيله، وبذل النفس في سبيله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ}(البقرة: ٢٠٧) ما هو هكذا يقول؟ {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم}(التوبة: ١١١) فعندما يكون هذا مطلب لله سبحانه وتعالى يريد أن يكون الناس إلى الدرجة هذه، فلا بد تربوياً أن لا يحصل ما يخلق أثر يعاكسه، من الناحية التربوية، تجد أنه في القرآن ما تحدث عن الموت بشكل مخيف إطلاقاً، أين هو التخويف بالموت؟ لا يوجد.تذكير باعتباره بداية الرجوع إلى الله، وارتهان الإنسان بأعماله إلى اليوم الآخر.

الشهداء ما هو ألغى الموت بالنسبة لهم؟ {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ}(البقرة: ١٥٤) لا تسموهم أموات، يعتبروا شهداء {بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}.

شجع في مجال الاستبسال، في مجال الاستبسال أن يلغي مسألة الخوف من الموت، يقل لك: أنت الموت بالنسبة لك ملغي، أنت ستكون حي، بمجرد ما تخرج روحك من هذا الجسم تتحول إلى حي بكل ما تعنيه الكلمة في جسد آخر في عالم آخر، الله أعلم كيف سيكون {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ} (آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠) بكل ما تعنيه الكلمة، حياة أفضل من هذه وفرح واستبشار أحسن مما يمكن أن يمر بك في الدنيا.

فعندما يجي يرغب بالحديث عن الحياة أنه سيمنحك حياة إن أنت بذلت نفسك سأعيدها لك من جديد، وتحيى من جديد، ولن تبقى في عالم اللا شيء ضائع، ستعيش حياً دائماً، هذه نفسها مما تدل.

هنا سئل عن الشريط الذي صدر من والده السيد المجاهد بدر الدين الحوثي (رحمة الله عليه) حول الموت فأجاب:

هناك شريط عمله الوالد ذاك اليوم وهو سار فيه على الطريقة المعروفة عند العلماء، ويمكن عالم من العلماء يعمل قضية وبعد فترة يظهر له أنها غير مناسبة أو كذا، الأحاديث حقته هي أحاديث من أمالي المرشد بالله، أمالي المرشد بالله هي أيضاً من الطبراني معظمها، بل تقريبا نسبة كبيرة جداً منها، فعمله في البداية وبعدين ما عاد وزع ولا عاد اشتغل في الموضوع؛ كمحاولة للتذكير شوية، للتخويف للناس شوية، على ما كان معروف عند العلماء، وجاري عليه عند العلماء؛ لهذا هو لا يعترض علينا في المسألة هذه.

لأن أول ما أثارنا حول هذا الموضوع عندما كان قد أصبح منهج في المراكز، أصبح منهج في المراكز والشباب بيجي الذي بيسموه المسئول الروحي، وتخويف من الموت، ومن القبر، ومن الأشياء هذه، وبعضهم كان يسيروهم إلى المقبرة و.. يعني بشكل يجننه، يخليه يتخوف من هذا، هذه الطريقة غير صحيحة، أسلوب من الناحية التربوية ما هو صحيح خاصة بالنسبة للزيدية.

الزيدية بالذات هم طائفة مجاهدة في تاريخهم، الإمام علي وهو رأسهم يقول: ((والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)) ما هو هكذا يقول؟ هل الإمام علي قليل خير، قلبه قاسي، لا يخاف من الموت! أصبح الخوف من الموت عبادة! أصبح عبادة، تكون خائف من الموت، أصبح يقدم لك كعبادة، يجلس يتخوف من الموت ومن شبح الموت وأهوال الموت، أصبح عبادة بينما الإمام علي يقول ـ ما كأنه شيء عنده من مرة ـ ((والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت علي)).

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يكن يربي الناس بالطريقة هذه.. يحدثهم في الجهاد، ويحدثهم عن الموت وأهوال الموت والقبر وأشياء من هذه، هذه تبدو ما كانت موجودة بكلها، ما كأن لها أساس بكلها.

القبر نفسه الله جعله تكريم للإنسان، تكريم له، ماذا يعني تكريم له؟ أنه إذا مات يدفن فيه تحفظ جثته، لا يهان، لا يداس، لا تأكله الحيوانات؛ لهذا تجد كيف أصبح الدفن تقريباً سنة عند البشر جميعاً، على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم ودياناتهم، تكريم للإنسان هو قال عنه وهو يعدد النعم على الإنسان: {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ}(عبس: ٢١-٢٢) جعل إقبار الإنسان تكريم، هل تحدث عن أهوال القبر والا شيء؟ إطلاقاً ما هناك شيء.

إذا القبور بعثرت يوم القيامة عندما تبعثر القبور ما بش كلام من هذا ولنفترض إذا كانت القضية صحيحة أن هناك هذه الأشياء عذاب قبر، أهوال، وحياة تقوم تدق براسك وترجع لك الحياة من جديد، وأشياء من هذه بعد ما يروحوا من على القبر، إذا كانت صحيحة هذه بنجي نستخدمها عبارة عن ماذا؟ عن وعض للناس وتخويف للناس، وبعض الناس يستخدمها ولا يرجع إلى القرآن، يخوف بالقرآن وبأسلوب القرآن، وكأن عنده أن هذا الموضوع هو أجدى، وأكثر تأثيراً.

طيب أنت في هذه الحالة تسيء إلى نظرتك إلى القرآن الكريم، القرآن الكريم قال الله عنه: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (الحشر: ٢١) أنت تريد انك ترى أن هناك من المواعظ ما يمكن أن يكون أكثر تأثيراً من القرآن، أنت هنا تسيء إلى القرآن، أنت هنا تعتبر يعني مثل ما تقول مخالف للقرآن، إذا كنت ترى أن هناك ما هو أكثر جدوائية للتأثير على الناس ووعظ الناس مما تناوله القرآن الكريم، فمعنى هذا أنك تخالف القرآن الكريم نفسه، ومعنى هذا بأن الله أهمل مما هو صحيح، مما يمكن أن يكون له تأثير كبير أهمله ولم يتناوله في كتابه مما كان يمكن أن يكون أكثر تأثيراً مما عرضه في القرآن نفسه، معنى هذا أن هناك من الهدى، هناك من الموعظة ما هو أبلغ من القرآن لم يتناوله القرآن.

فيطلع لك تقصير من جانب الله، لكن لا، الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عن القرآن الكريم: ((ومن أبتغى الهدى في غيره أضله الله)) هدى كامل، نور كامل، ترغيب كامل، ترهيب كامل، موعظة كاملة، ما هناك أبلغ منه إطلاقاً.

نحن نقول: إنه إذا كان يقدم كمنهج في المراكز أحياناً، هذا أسلوب غير صحيح، أسلوب ينشئ ناس لو أنت تجده بأنه ما بيعمل معاصي معينة أو كذا، تجده ما عنده إنطلاقة أن يكون مجاهداً في سبيل الله، أن يكون عنده استبسال في سبيل الله... خائف، خائف من شبح الموت، خائف من القبر، خائف من أشياء كثيرة، أصبحت الأشياء مزعجة عنده، وعندما تكون أشياء تتردد كثيراً على مسامعك تؤثر فيك تلقائياً حتى ولو أنت مؤمن، تؤثر فيك رغماً عنك، ولو أنت مؤمن، وهذه هي التي ماذا؟ جعلتنا نصّرح بالإستنكار للقضية هذه، وأن هذه ما هي صحيحة من أساسها.

عندما ترجع إلى الأحاديث هذه التي تحدثت عن القبر، ما هم قالوا أن هناك ملائكة، [واحد اسمه منكر وواحد نكير] ردها علماء سابقين قبلنا قال: هذا غير صحيح؛ لأن ملائكة الله ما يحملوا أسماء من هذا النوع، أسماء سيئة، [منكر ونكير] أساميهم طبيعية، أساميهم جميلة، حتى خازن جهنم اسمه مالك، ما اسمه مالك؟ وقد هو على أشد مكان، وأخوف مكان، خازن جهنم، والمسئول عن جهنم ملك من ملائكة الله اسمه مالك، ما هو اسم طبيعي؟ [منكر ونكير] قالوا هذه ما هي من أسماء ملائكة الله.

عندما يقول لك عن الحساب الذي يجي في القبر، لاحظ كيف الحساب، لا يتعرض لقضايا مهمة جداً ما يسأل عنها صاحب القبر، يسألوه عن هذه الأشياء العادية، التي يريدوا أننا نلبِّز فيها، هل هو يسأله عن الجهاد في سبيل الله؟ هل هو يسأله عن موالاة أعداء الله، وعن معاداة أولياء الله؟ هل هم يسألوه عن الإنفاق في سبيل الله؟ هل سألوه عن... يسألوه عن أشياء محددة فقط، فإذا كان تلك الأشياء قد توفرت عنده، خلاص أمن.

يساعد ما بيحصل من ماذا؟ من كلام من خارج، أن يشدوا الناس إلى عبادات محدودة، ويميتوها في نفوسهم، ويجنبوهم عن العبادات التي ماذا؟ لا يريد الظلمة أن ينطلق الناس فيها، جهاد في سبيل الله، غضب لله، معاداة لأعداء الله، أمر بمعروف، نهي عن منكر.. هل هناك شيء في الحساب في القبر: هل كان يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، تأتي صلاته يأتي صيامه، ويأتي بعض الأشياء من هذه التي تعجبنا، التي نحن عليها الآن، صل وصوم وما لك حاجة، صل وصوم ومالك حاجة.. وهكذا.

الحساب يكون حساب على أساس القرآن الكريم، حساب كامل، الحساب الكامل يأتي يوم القيامة، يأتي يوم القيامة، يعني ما هناك حساب هكذا: الإنسان يحاسب في قبره ثم يضرب على أشياء محدودة! أيضاً تجد أن الله يحكي عن من سيبعث يوم القيامة أنها حالة نوم ما ذكر أي شيء مزعج {مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} (يس: ٥٢) ما هكذا سيقولون؟ ما ذكروا شيء مزعج.

واقعاً تجد أنه ما هناك شيء، عندما يحصل حروب، حصلت حروب، واكتشفوا مثلاً ما يسمونها مقابر جماعية، أو متى اضطريت أن تحتجز رفات لناس آخرين، مثلما كان في لبنان يوم كان عندهم رفات لجنود إسرائيليين، أو المصريين كان عندهم رفات وأشياء من هذه، يردوها وتراها، هم يكتشفوا في مصر في صحراء سيناء، في أي مكان

آثار ليهود جنود يهود مثلاً قتلوا هناك، ثم بعد ذلك يرفعوه يروا عظامه طبيعية، ما قد تعرض لأي دقة، ولا لأي شيء، وهو يهودي صاد عن دين الله.

لو هناك عذاب قبر أو منكر ونكير لكان حصل في قبر هذا قبل أي واحد غيره، ما هناك شيء، المطرقة لا تحملها قبيلتين، يضربوه بها، مِن يتحول إلى رميم، يتلاشى من ضرب هذه، ناس في الثلاجات الآن ناس في الثلاجات، ما هو بيحصل؟.

القضية ما هي صحيحة، ليست صحيحة قضية عذاب، ومما يؤكد أنها غير صحيحة، أنك تجد أن الله سبحانه وتعالى لأنه رحيم، لا يتوعد الناس بشيء إلا ويذكره لهم، ويخوّفهم به، ويذكر لهم تفاصيله، من أجل ماذا؟ أن يتجنبوا ما يمكن أن يوقعهم فيه، وهذه سنة ثابتة في القرآن الكريم، خوّف الناس أن يحصل لهم من العقوبات ما حصل للأمم الماضية: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} (فصلت: ١٣) **ونحوها.**

يأتي العذاب من الأشياء التي يعرفها الناس، ما هو جعل جهنم نار، والنار نحن نعرفها، وهي في كل بيت، والآن في كل جيب في [الولاعة] الناس يعرفوا النار. جهنم تحدث عنها كثير في القرآن الكريم، وذكر تفاصيلها كاملة؛ ليخوفنا بها من أجل أن نجتنب الأعمال التي تؤدي بنا إلى دخولها؛ لأنه رحيم ما يجي يعمل أشياء يخبيها ما يبالي بك توقع فيها أو ما توقع، ما هو مثل ملوك الدنيا، هو رحيم، كل ما يمكن أن يكون عقوبة حذر منه، حتى الوعيد في الدنيا حذر منه الذل، الذلة، المسكنة، الخزي، مصائب كثيرة مما يحصل جدب وأشياء من هذه، ما هو ذكرها في القرآن وحذر، ورتبها على أعمال معينة، إذا الناس عملوا هذه الأعمال تحصل لهم من هذه؟.

عندما ذكر عن بني إسرائيل عندما قال: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (البقرة: ٨٥) **الخزي معروف عندنا، الذلة معروفة، كلما توعد به الله هو يتوعد بالشيء الذي هو معروف، ويخوفنا به من أجل أن نجتنب الوقوع فيه، هذه هي التي يسمونها فلسفة العذاب في القرآن نفسه، ليست القضية بأنه يترك حاجة ولا يذكرها لك، متى ما وصلت أنت عنده.**

في القرآن نفسه كيف لا يمكن أن يذكر عذاب القبر، إذا كان عذاب القبر حقيقة، ما هو من يذكره؟ لأنه من الأولى أن يذكره، مثل ما ذكر في الآية هذه: {خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} ما هو ذكر خزي في الحياة الدنيا، كان المفروض أنه يذكر عذاب القبر؛ لأنه هو أول ما تمر به إذا أنت مجرم قبل عذاب الآخرة، مثلما ذكر الخزي في الدنيا، الذلة في الدنيا، المصائب في الدنيا، قبل العذاب في الآخرة.

وتحصّل هنا أليست قفزة؟ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، ما هناك في الوسط شيء، ذكر شيء في الوسط؟ بالنسبة لبني إسرائيل وهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأعمال سيئة، فلو كان صحيحاً لكان مما يخّوف الله به عباده، في القرآن الكريم نفسه، يخّوف به عباده؛ لأنه يقدم لك في الأحاديث هذه المنسوبة إلى رسول الله، بشكل مخيف جداً، إلى درجة أن البعض يستخدمه لوعظ الناس من أجل يراهم باردين يراهم خائفين، قد هو يراه أكثر إيجابية من القرآن. لو كان صحيح إن الله مِن يذكره في القرآن الكريم ويذّكر به، ما حصل شيء إطلاقاً.

هنا سئل بأن أهل البيت تحدثوا عن عذاب القبر مثل الإمام علي (عليه السلام) **فأجاب السيد:**

بالنسبة لما روي عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وقد هو ذاك الكبير، أن ما روي عن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) ((**فما أتاكم عني فاعرضوه على القرآن فإن وافقه فهو مني وأنا قلته وإن لم يوافقه فليس مني ولم أقله**)) **إذا وافق القرآن فهو من رسول الله، وإذا كان مخالف للقرآن فليس منه.**

سنعرض ما يروى عن الإمام علي، الإمام علي مروي عنه في نهج البلاغة فقرة من هذه، أنه إذا انصرف عنه أهله أقعد في قبره، وأشياء من هذه.. لكن إذا كان مطلوب أن تعرض ما روي عن رسول الله كذلك ما يروى عن الإمام علي، ما يروى عن الإمام زيد، ما يروى عن أي شخص آخر؛ لأن من كذب على رسول الله ممكن يكذب على الإمام علي وغيره، من غلط في الرواية عن رسول الله ممكن يغلط في الرواية عن الإمام علي وغيره، هي روايات، ما هي كلها روايات؟. بالنسبة للإمام زيد فما أذكر نص للإمام زيد يعني صريح في الموضوع حول هذه القضية.

طيب هذه قاعدة، أنه إذا كان هناك روي عن أحد من أئمة أهل البيت، روي، فنعرضه على القرآن فإذا كان غير منسجم مع القرآن فما هو من عنده، ما هو من عنده من مرة. كيف نعمل بحديث العرض فيما روي عن رسول الله، أما ما يروى عن أحد من أئمة أهل البيت نقول: لا!.

لأنه لاحظ هذه قضية يعني قضية عندما نقول في مسألة العرض على القرآن، تعال اعرض القضية على القرآن تجدها مخالفة للقرآن، مخالفة في منهجيته التربوية، وما المخالفة فقط أنه يخالف نص نص، ليست هذه، إنه شرط أن يخالف هذا النص نص آية، المخالفة حتى في المنهجية، في الغايات، في المقاصد.

لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يمكن أن يأتي بشيء.. هو إنسان مربي ومعلم، ما كان إنسان قاضي أو مفتي.. هو مربي ومعلم، ويتحرك على أساس القرآن الكريم {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}(الأنعام: ٥٠) {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}(الأحزاب: ٢) أليس هكذا؟ هل يمكن أنه يعمل شيء في جانب تربوي في جانب أخلاقي يتعارض مع القرآن الكريم؟ ما يمكن، يتعارض مع منهجية القرآن الكريم، ومع مقاصد القرآن الكريم، لا يمكن أن يحصل.

الأحاديث نفسها، نقول: أول شيء تجد أن معظم الأحاديث، أن معظمها قد أصبح هو المعروف أنه من عند السنية، في كتب السنية، فما لاحظته داخل كتاب من كتب أهل البيت وما روي عن أحد فأعرضه على القرآن الكريم.

فعندما تجد القرآن الكريم يحكم بأن هذا غير منسجم معه، فاعتبره غير صحيح عن رسول الله؛ لأن رسول الله ما يمكن أن يأتي بشيء مخالف للقرآن، لا يمكن، ولا يعني لا يأتي بشيء مخالف نصاً.. عملياً حتى، أن يقدم شيء هو في الأخير يترك أثراً مخالفاً لما يريد القرآن أن يتركه من أثر في نفوس الناس، لا يمكن أن يحصل هذا.

هذه هي نفسها: الإختلاف والتناقض، ما الله قال عن القرآن الكريم: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}(النساء: ٨٢) اختلاف ليس فقط في النص أنك تأتي بنص يخالف نص، اختلاف فيما تُقدمه في غاياته، في مقاصده.

تجد القرآن الكريم ما لحظ هذه، لماذا ما لحظها؟! وإذا كنا نحن نراها بأنها مؤثرة، الموعظ الذي يسير ويأخذ له ويجمع له أحاديث من [تصفية القلوب]، و[إرشاد القلوب]، و[كنز الرشاد]، وأشياء من هذه و[الإعتبار وسلوة العارفين] ويقدمها. أليس هو يعتبرها أنها أكثر تأثيراً في الناس من القرآن الكريم؛ لأنهم احسب ما هم طايعين، ما هم منصتين!.

إنما فقط عنده نظرة هو، يريد يوصل الناس إلى الحالة هذه، يراهم باردين، يراهم مفجوعين، يراهم مبكين من الموت، مبكين من القبر، ويعتبر هذا إنجازاً كبيراً، ويعتبر أن هذا هو الأثر المطلوب، أن هذه هي خشية الله، يعتبر واحد أن هذه هي خشية الله، ليست هي.

....

ما كان مخالف للقرآن فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما كان مخالف للقرآن فليس منه، حديث العرض عندنا قاعدة ومقياس، ليس فقط أقول: هذا صحيح أو ما هو صحيح، قاعدة ومقياس.. إذا كان الحديث مخالف للقرآن الكريم فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا شيء نقطع به؛ لأنه ما يمكن أن يأتي هو بشيء مخالف، وهو يفهم القرآن.

رسول الله لا تتصور بأنه كان عبارة عن مفتي أو عبارة عن قاضي، يبلغ ويتصرف تصرفات هي مخالفة للقرآن، ولو عن بعد، هو يعرف، هو كانت حركته تربوية، وليست فقط مجرد يعلمك أحكام معينة، حركته كلها تربوية، وهو يعرف أن يقول شيء معين أنه قد يكون مخالفاً لماذا؟ لأهداف ومقاصد القرآن ولو البعيدة، ما يمكن أن يحصل منه هذا.

هنا سئل السيد عن قول الله سبحانه وتعالى بالنسبة لفرعون وقومه عندما قال الله: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}(غافر:٤٦) فأجاب السيد:

آل فرعون أين هم؟ هل هم دفنوا؟ هل معهم قبور، أم أنهم غرقوا في البحر؟ هم غرقوا في البحر صحيح؟ وأكلتهم السمك وتلاشوا.

أرواحهم نفسها، أرواحهم قد يكون هناك تعذيب معنوي بالنسبة لأرواح آل فرعون، تعذيب معنوي، يعرضوا على النار، ما قال لك حتى جهنم، {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} عرض.

التعذيب المعنوي دائماً يشعرهم أن هذه هي غايتهم وهي مأواهم، ويوم القيامة يدخلوا، يدخل آل فرعون لا يوجد شيء قبور مع آل فرعون، ولا حصل شيء، هم في البحر غرقوا وأكلتهم السمك وتلاشوا في البحر.. هل نقول إنه حصل هذا في قبور؟ لا يوجد.

آل فرعون بالنسبة لأرواحهم؛ لأنهم حصل طغيان بشكل يعني طغيان ربما ما حصل من أمة أخرى مثل ما حصل منهم، فيبقى لهم عذاب معنوي لأرواحهم، هذا الشيء ممكن.

العذاب المعنوي في عالم آخر بالنسبة للأرواح، هؤلاء يقولون لك أنك أنت عندما تموت تقوم في قبرك من جديد، تحيا من جديد، ويجي لك مثلاً عذاب من جديد، ويضربوك، ويفتح لك باب إلى جهنم، مع أن الإمام الهادي يقول نفس الجنة والنار ما قد خلقت بكلها، ما قد خلقت، فعندما يقول في آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً}(غافر: ٤٦) **العرض غير الدخول، غير التعذيب، العرض تعذيب معنوي، لأن الروح نفسها غير قابلة، نفس الروح غير قابلة للتعذيب، هو أمر معنوي، نفس الروح.**

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الموالاة والمعاداة

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: شهر شوال ١٤٢٢هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أحياناً عندما يكون هناك من هذه الأحداث ومن هذه القضايا في حياة الناس [التولي لليهود والنصارى] في الأخير تصبح الأشياء هذه [الصلاة والزكاة والصوم والحج والدعاء..] أحياناً لا يَعُدْ لها قيمة عند الله سبحانه وتعالى نصلي، نَدَّعى، نصوم، نزكي، نحج، [يا الله تكون بالشكل الذي تغطي الإثم فقط، لا يجي على واحد آثام أنه قد تركها] أما أن تعطي ثوابها، تكون مقبولة عند الله فتكون مربوطة بأشياء أخرى.

هناك حديث مهم رواه الإمام الناصر في البساط عن الإمام جعفر الصادق عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه قال: ((لو أن عبداً صام نهاره وقام ليله وأنفق ماله عِلقاً عِلقا في سبيل الله، وعبد الله بين الركن والمقام حتى يكون آخر ذلك أن يذبح بين الر كن والمقام مظلوماً لما رفع إلى الله من عمله مثقال ذرة، حتى يظهر الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعداء الله)) هذا لفظ الحديث أو معناه.

هذا الحديث يذكر أنه شخص يصوم النهار، ويقوم الليل يتعبد، وينفق أمواله في سبيل الله، ويتعبد في أفضل مكان وأقدس مكان عند الله ما بين الركن والمقام، ثم يقتل مظلوماً.. عمله كله ما يُرْفَعُ إلى الله منه مثقال ذرة حتى يظهر المحبة لأولياء الله والعداوة لأعداء الله.

هذا حديث خطير، القرآن يشهد له فيما يتعلق بخطورة الموالاة والمعاداة؛ ولهذا قال الله في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}(المائدة٥١) أليس الله هنا يخاطب مؤمنين؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ}؟ قال: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ} منكم أيها المؤمنون {فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} يصبح حكمه حكمهم، فيكون هو يصلي وهو يهودي، يسبح وهو يهودي، يصوم وهو يهودي، يزكي وهو يهودي.. وهكذا.. إلى آخر العبارات.

خطيرة هذه جداً، يقول: (ومن يتولهم منكم) منكم أيها المؤمنون، من يشملهم اسم الإيمان فإنه منهم، حكمه حكمهم، ومصيره مصيرهم.

التولي، الإمام علي له كلمة في الموضوع: ((إنما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود واحد فعمهم الله بالعقوبة جميعاً)) بسبب أن واحدًا عقر الناقة يمثلهم وهم راضين بعمله ومصوبين لعمله فأصبحوا جميعاً مستحقين للعقوبة، أيضاً يقول عليه السلام: ((الراضي بعمل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به، وإثم الرضا به)).

أثر الموالاة والمعاداة، الموالاة والمعاداة ليست فقط أن الإنسان يحب لأخيه كما يحب لنفسه [حالة نفسية فقط] من داخل، ويكره له مثلما يكره لنفسه. الموالاة معناها: المعية، تشعر بأنك في هذا الجانب تؤيد هذا الجانب متجه إلى هذا الجانب، هذه هي الموالاة سواء كانت موالاة لأولياء الله أو موالاة لأعداء الله، الموالاة معناها: المعية، المعية في الموقف، المعية في الرأي، المعية في التوجه، المعية في النظرة، هذه هي الموالاة.

الموالاة هي حالة نفسية والمعاداة هي حالة نفسية، لكنها تتحول إلى مواقف وتنعكس بشكل مواقف، وتعتبر في حد ذاتها مهيئة لهذا الشخص ولهذا الشخص ولمجاميع من الناس، من هم على وتيرة واحدة في الموالاة تُهيئ هذه الأرضية، أرضية صالحة لانتشار تَوَجُّه، وأعمال الجهة التي هم يوالونها سواء كانت جهة محققة أو مبطلة.

خطورتها أنها تهيئ، تجعل الناس يقفون مع هذا، يصوتون لهذا، يؤيدون عمل هذا، وهكذا سواء حق أو باطل. ولأن الحالة النفسية لدى الإنسان هي النقطة الأساسية بالنسبة للتغيير نحو الأفضل، أو التحول نحو الأسوأ كما قال الله: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد١١) معظم ما يتوجه التغيير في النفس، عندما تحاول أن تكره نفسك على شيء، عندما تحاول أن تحصل على وعي، على فهم، إنما هو في الأخير من أجل ماذا؟ ترسم توجهك، التوجه في الموقف توجه النفس، توجه القلب، وهذا هو الولاء، هو الموالاة، التغيير أن

يحصل لديك حالة، أو لدى الأمة حالة من التوجه نتيجة وعي معين، سواء وعي إيجابي فيما يتعلق بـنهج الحـق ووجهة حق، أو سلبي وسيئ فيما يتعلق بالباطل ومنهج باطل.
ومما يدل على خطورة الموالاة إنها هي في الواقع عند ما يحصل لديك وعي كثير من خلال أشياء كـثيرة أن معنـى ذلك أن تصل إلى درجة أن تتجه كذا، [ذات اليمين] أو تتجه كذا، [ذات الشمال] هذا الإتجاه في صورته العامة هو موالاة، أليس معناه موالاة؟.
حتى بالنسبة لله سبحانه وتعالى عندما تقرأ القرآن، تدبر آيات الله، وتحاول أن تهذب نفسك، تحاول أن تـذكر نفسك، ما هي الحالة التي تحصل عندك؟ ما هي حالة التوجه نحو الله؟ فسمي هؤلاء أولياء الله؛ لأنهـم تولـوا الله، أصبح الله هو وجهتهم، اتجهوا نحـو الله، تولـوا الله، فبتـوليهم لله أصـبحت وجهـتهم متجهـة نحـو الله، يتقبلون ما يأتي منه، ينطلقون في رضاه، نفوسهم والبيئة التي هم فيها مهيأة لما يأتي من قبل الله.
وهكذا في الجانب الآخر، أولياء الشيطان، ألم يقل: {فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ}(النساء٧٦) أولياء الشيطان تـصبح نفسيته باتجاهه، هذا الإتجاه السيئ، ذات الشمال، يصبح موالي؛ لأن وجهته، حالته النفسية متجهة نحو خـط الشيطان، والشيطان.. إلى آخره.
هذا يصبح مهيأ بأنه كل ما يريد الشيطان يمشي عليـه، كـل مـا يريـد الـشيطان ينطلـق فيـه، أعمالـه تخـدم الشيطان وتخدم ما يريد الشيطان، وكل ما يريد الشيطان أن يعممه يصبح هذا وأمثاله أرضية قابلة للتعميم.
ولهذا تنتهي المسألة إلى أن جعل الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان؛ لأنـه قمـة الـولاء وقمـة العداء، في واقعك، في نفسيتك، أن تصبح إلى الدرجة هذه، لعمق المسألة في نفسك، وتوليك الصادق لله تصبح إلى هذه الدرجة: أن تحب في الله وتبغض في الله، سماه في الحديث أنه أوثق عرى الإيمان.
معنى هذا أنه يصبح مقياساً لك؛ لأنك متولي لله فيصبح كل شي عندك ما تنطلق فيه إلا على أساس أن فيه رضا لله، أنه حق شرعه الله، أنه عمل صالح أراده الله، أن تصبح كما قال الإمام الخميني تصبح لديك المعـايير كلـها إلهية.
فقضية الموالاة والمعاداة مهمة جدا جداً تعطل أعمال الإنسان كلها الصالحة، هـذه الآيـة خطـيرة {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} وتكررت في أكثر من موقع، مع اليهود والنصارى، ومع الكافرين، ومع المنافقين، يحذر المـؤمنين من تولي هذه الخطوط الثلاثة: الكافرين، المنافقين، اليهود والنصارى، كلها جاءت الآيات فيها تحذر من التـولي وتذكر بأن التولي لهم يجعل الإنسان منهم {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}(الأنعام١٢١).
بالنسبة للكافرين، مثلاً يحاولون أن يغرروا على المؤمنين بالنسبة للذبائح أنه: كيف ما نقتل حـلالاً، ومـا يقتـل الله يعتبر حراماً؟! وهم يجادلون المـسلمين فيمـا يتعلـق بأكـل الميتـة: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ألم يقل هنا: إنكم لمشركون إذا أطعتموهم؟ وعندما يقول: إنكم، مثل ما قال هنا في الموالاة: ومن يتولهم منكم، يذكرك بأنك وأنت على الحالة التي وأنت ترى نفسك غير متغير فيهـا باعتبارك تحسب نفسك من ضمن المؤمنين، وتمارس الأعمال التي يعملها المؤمنون: صلاة وصيام، وأشياء من هـذه، مع هذه، وعلى الرغم من هذه إنكم لمشركون، ومن يتولهم منكم، منكم أنتم على ما أنتم عليـه، فإنـه مـنهم {إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(المائدة٥١).
الخطورة في المسألة في الزمن هذا انتشرت الوسائل الكثيرة التي تقدر على تحويل النـاس، وكلـها تتركـز، كـل وسائل الإعلام، كل الأشياء هذه تتركز إلى خلق ولاء وعداء يكون خلاصتها حتى عندما يحاولون أن يكون المـنهج الدراسي على نحو معين، ونشاط وزارة الثقافة على نحو معين، والتلفزيون والإذاعة نشاطها على نحو معـين كلـه يصب في هذه النقطة: هو لتهيئة النفوس بالشكل الذي يمكن أن تكون معه تتولى هذا الخط وتعادي هذا الخط، تتولى هذه الفئة وتعادي هذه الفئة. هذا كل ما تدور حوله هذه الوسائل الإعلامية والتربوية، والتثقيفية، ومن أجل هذه النقطة تبذل ملايين ملايين الدولارات من أجل خلق ولاءات وعداوات.

الزمن هذا يعتبر من أسوأ الأزمنة في هذه الناحية، من أسوأ الأزمنة. يقولون: إن المعاصي نفسها، المعاصي قد تكون في أزمنة كبيرة جداً أكبر منها في زمن معين، في الزمن هذا يظهر بأنه أي فساد، أي فساد يحصل حتى من قبلك أنت شخصياً داخل بيتك قد أصبح واقعاً يخدم إسرائيل وأمريكا، يخدم اليهود والنصارى، أيّ فساد أصبح يخدم اليهود والنصارى.

فالإنسان عندما يفسد، أو يترك أولاده يفسدون، أو يُفسِد آخرين، يعتبر مجند لخدمة أمريكا وإسرائيل، وخدمة اليهود والنصارى، بدليل أنهم هم حرصوا جداً على أن يصل ما يريدونه، ويصل إفسادهم إلى كل بيت، إلى كل شخص مثلما الشيطان، هذه هي فكرة الشيطان، الشيطان الآن ما هو شخص واحد؟ الشيطان الذي تحدث القرآن عنه وحذرنا الله منه، وأمرنا أن نعاديه، وأن نلعنه، وأن نحذر من وساوسه وكيده؟ هذا الشيطان لا أحد يدري في أي منطقة من العالم هو موجود، هو متمركز، هل في [مثلث برمودا] على ما يقول البعض: أن الشيطان هناك، وأن معه دولة هناك، وأنهم هم من عملوا تلك المشكلة، مشكلة السفن، وأن السفن هناك تتيه، وتضيع، أو في أي منطقة هو.

هذا الشيطان افترض أنه في أقصى الكرة الشمالية، في القطب الشمالي من الأرض، في أقصى منطقة، لكن كل شخص من بني آدم يعمل العمل الذي يريد الشيطان ويسعى الشيطان لتعميمه ونشره يعتبر عابداً للشيطان؛ ولهذا حكى الله ما سيقول لبني آدم يوم القيامة: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(يس٦٠). قد تقول: نحن ما عبدناه، ونحن في بيوتنا وبيننا وبينه آلاف الكيلو مترات، الله أعلم أين مكانه..لا؛ لأنك في عملك هذا تخدم الشيطان، وتصبح نائباً عنه، وتصبح جسراً لما يريد أن يعممه ويوصله للآخرين، فتصبح المعصية خدمة للشيطان، وتصبح وأنت في أي منطقة في هذا العالم، ويصبح كل شخص يعصي الله سبحانه وتعالى، ويقدم عليه يوم القيامة وهو عاصي لله، عابد للشيطان، يقال له مع بقية من كانوا على طريقته: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}(يس٦١).

نفس الشيء بالنسبة لأمريكا وإسرائيل، بالنسبة لليهود والنصارى استطاعوا أن يهيمنوا هيمنة يفسدون فيها في كل مجال كما حكى الله عنهم في القرآن: {وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة٣٣) فأصبح من الخطورة بمكان أن الفساد الذي يحصل في هذه المحلة أو في تلك المحلة أو في هذا البيت أو في ذلك البيت لم تعد معصية محدودة في إطارك فقط، أصبحت تخدم أمريكا وإسرائيل، تخدم المجرمين من هؤلاء، اليهود والنصارى. ومعنى هذا بأنه تصبح الجريمة كبيرة، تصبح الجريمة كبيرة.

قالوا بأن [الدشات] هذه كانت قبل فترة تصل إلى صنعاء وقيمتها حوالي مائة وثلاثون ألف، الصحن مع الجهاز يكلف مائة وثلاثين ألف، بعدها نزلت قليلا وصلت بثمانين ألف، ثم دُعمت من جانب إسرائيل، دعمت بدعم رئيسي لتخفض أسعارها جداً للناس؛ لتنتشر في كل بيت، فأصبح أسعارها الآن إلى حدود خمسة عشر ألف، عشرين ألف الذي كان بمائة وعشرين ألف!.

ما معنى الدعم؟ أن يقولوا مثلاً لأي شركة مصنعة صحون أو رؤوس، كم التكلفة؟ بكم تريدوا أن يباع؟ احسبوا علينا نسبة ٧٠٪ من القيمة وأنزلوه الأسواق بالسعر الفلاني، ويسدد من جانبهم نقداً للشركات في سبيل ماذا؟ في سبيل أن يصلوا بالفساد إلى كل بيت؛ لأنهم يعرفون أن الفساد في هذا البيت، وفي هذا الشخص في أي منطقة من العالم أصبح يخدم قضيتهم، أصبح يخدم هيمنتهم، وإلا لما بذلوا ملايين الدولارات في دعم الدشات هذه وتنزل من مائة وثلاثين ألف إلى عشرين ألف إلى خمسة عشر ألف.

هذه القضية معروفة لدينا، ولأنهم يحسبون ألف حساب لأي أسرة لا تزال صالحة، لأي شخص لا يزال صالحاً، لأن هذا الشخص الصالح، أو هذه الأسرة الصالحة يمكن أن يسري صلاحه إلى ما حوله ويتسع، والقرية الواحدة الصالحة يعتبرونها ما تزال قضية تحز في نفوسهم.. لماذا ما قد عممت وأصبحت مثل بقية القرى، وهكذا...

فالمسألة الآن أن الناس إذا ما فهموا سواء فيما يتعلق بفساد الأبناء، في ما يتعلق بفساد الأسر، أيّ فساد، سواء في أوساط الكبار أو الصغار، من الرجال والنساء، أنه في هذا الزمان ربما يصبح معصية مضاعفة.

والمعصية فعلاً تضاعف لاعتبارات أخرى كما أن الله سبحانه وتعالى حتى بالنسبة لنساء النبي {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} (الأحزاب٣٠) بنفس المعصية التي لو حصلت من هذه المرأة أو من هذه المرأة تعتبر واحدة لكن تضاعف هنا لاعتبارات أخرى، فمِنْ هذه المرأة تعطى جزاءها الطبيعي، لكن هذه المرأة يضاعف لها العذاب لاعتبارات أخرى.

كذلك أن نسمع بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال في قاتل الإمام علي بأنه أشقى الأمة، القتل نفسه جريمة كبيرة، القتل جريمة كبيرة، لكن أن يقتل هذا الشخص، هذا الرجل العظيم في مرحلة خطيرة، في وضعية هي تعتبر الأمة في أمس الحاجة إلى مثل هذا الرجل العظيم، تعتبر جريمة كبيرة جداً جداً جداً، لدرجة أن أثرها يجلب الشقاء على الأمة، فسمي أشقى هذه الأمة، كما سمي عاقر ناقة ثمود أشقى تلك الأمة؛ لأنه جلب الشقاء على أمته كلها.

كذلك في قاتل محمد بن عبد الله النفس الزكية، يوجد خبر بأن عليه ثلث عذاب أهل النار؛ لنفس السبب ولنفس الإعتبار، هو قتل نفس محرمة، لكن قتل نفس محرمة ولاعتبارات أخرى اعتبرت هذه الجريمة كبيرة جداً جداً لدرجة أنه أصبح مرتكبها مستحقاً بأن يعذب كثلث عذاب أهل النار هو لوحده؛ لأنه قتله وهو شخص عظيم، في مرحلة خطيرة، في منعطف تاريخي كانت الأمة في أحوج ما تكون إلى مثل هذا الشخص يصحح، عندما انتهت الدولة الأموية بالإمكان أن تستأنف الأمة حياة أخرى جديدة على يد هذا الشخص ومن سيخلفه من أئمة أهل البيت، لكن قتل فتمكنت دولة بني العباس فأصبحت كدولة بني أمية بل أسوأ منها في أشياء كثيرة.

لنفهم بأن الفساد، بأن المعصية في أزمنة معينة، في أوقات معينة، لاعتبارات معينة تكون كبيرة جداً جداً، يكفينا سوءاً، يكفينا سوءاً أننا نصرف أموالنا، وتمشي أموالنا إلى جيوب اليهود والنصارى رغماً عنا! هذه في حد ذاتها مصيبة علينا حقيقة؛ لأن كل الكماليات التي نشتريها، كل الضروريات التي نأخذها، الأموال هذه، ملايين الدولارات تمشي إلى جيوب أعدائنا من اليهود والنصارى، بترول المسلمين، خيرات المسلمين كلها تصب في جيوبهم!.

هذه مصيبة كبيرة، أما أن نخدمهم أيضاً من جديد في ما يتعلق بالإفساد، أو نصبح في حالة معينة متولين لهم، والتولي كما قال الإمام علي: ((الراضي بعمل قوم كالداخل فيه معهم)) أن ترضى بعمله ولو تحت عناوين أخرى، أن تجد في نفسك ميل إليهم، أو إلى أوليائهم، المسألة هي واحدة، تتولاهم أو تتولى أولياءهم؛ لأن من يتولهم منا يصبح منهم، فمن نتولى نحن ممن هو منا متولي لهم نصبح نفس الشيء منهم نعوذ بالله.

في أذهان الناس كلما يأتي موعظة، كلما يأتي حديث يتبادر إلينا الطاعات والمعاصي المعروفة، الطاعات والمعاصي المعروفة، وكأنه ما هناك أشياء أخرى، هناك طاعات وواجبات مهمة جداً جداً نحن مقصرين فيها، بل لا نتذكرها، يوجد عبادات اعتقادية، واجبات اعتقادية، أن تعتقدها كذلك نحن مهملين لها، لا نلتفت إليها، هناك معاصي خطيرة خارجة عن الأشياء التي نعتبرها قد هي مألوفة أنها معاصي هي في نفسها أيضاً خطيرة ونحن لا نلتفت إليها.

نحن بطبيعتنا اليمنيين بطبيعتنا فينا تحليل كثير للأحداث، ومع تخازين القات تقريباً في أي بيت في أي مكان يحللوا كل الأحداث، ونبدأ من أمريكا إلى أقصى منطقة، حتى أني أذكر مرة ونحن مخزنين في صنعاء في بيت الشايف وكان عنده ضيف سفير عمان أيام تلك الأحداث بين الشطرين السابقة، أحداث ما بين علي عبد الله وعلي سالم، بين الحزب الاشتراكي والمؤتمر، والناس ملان تحليل، ملان أخبار، ملان.. فقال: أنتم اليمنيين توجدون في نفوسكم قلقاً، وتوجدون في نفوسكم أيضاً رعباً، وتحللون الأحداث بطريقة أحياناً تكون معكوسة، يخرج الناس وهم يحملون هماً في ما يتعلق بحاجاتهم من [قمح] أو نحوه.. قال هذه طبيعة يلمسها في اليمنيين غريبة.

التحليل إذا كان تحليل إيجابي وفهم للأحداث على حقيقتها ليكون لي موقف منها، موقف إيماني.. لا أن أتلقى ما يقول الآخرون وأتأثر بالآخرين، أنا يكون عندي قدرة على أن أفهم الأحداث، وأن أفهم كيف أقف الموقف الإيماني منها، هذا جيد.

لكن عندما يكون الناس يتحدثون بما يتحدث به الآخرون، ويحللون تحاليل قلب يترتب عليها تأييد ومعارضة، تأييد ومعارضة، هذه هي نفس القضية الخطيرة، يخرج الناس من مجلس معين بعد تخزينة ـ وخاصة إذا هي بزغة جيدة وأذهان صافية والأريلات كلها تستقبل تأتي تحاليل ـ ويخرج الإنسان وهو ما يدري، قد هو متجه لأن يصلي صلاة المغرب والعشاء وفي علم الله قد يكون ممن قال: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} ما معنى منهم؟ ألم يقل هناك: اليهود والنصارى؟ لا تتخذوا، جاء بالإسم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، فعند ما يقول: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} يعني ماذا فإنه من اليهود والنصارى.

فيخرج واحد ولا سمح الله وقد هو يهودي ـ متجه إلى المسجد ـ من حيث لا يشعر، يهودي بغير زنانير، يهودي بغير زنانير نتيجة التحليلات الخاطئة والفهم الخاطئ وسهولة اتخاذ الموقف على حسب ما يسمع.

الشيء الذي لا بد منه أن الإنسان إذا ما تبينت له الأحداث يكون له موقف بأنه لا يتخذ من داخل نفسه تأييد أو معارضة إلا بعد أن يتبين له وجه الحق في المسألة، أو أن يرى ممن يثق بهم في فهمهم في تدينهم من قدواته لهم موقف من هذه المسألة فيقف موقفهم.

غير هذه تكون المسألة خطيرة، تكون المسألة خطيرة كما حكى الله سبحانه وتعالى قال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ} (النساء١٤٠) ألم يقل مثلهم؟ يخوضون في القرآن يتحدثوا عن آيات في القرآن بسخرية أو بنقد أو بأي شيء من هذه، وأنت هنا تزعم أنك مسلم ومؤمن بالقرآن، لكن جلوسك معهم قد تتأثر، أو جلوسك معهم وأنت ساكت، يعتبر تشجيع لما هم عليه يحولك هذا الموقف الذي أنت تتهاون به إلى أن يكون حكمك حكمهم.

لاحظوا لخطورة المسألة كيف أن القرآن يتحدث: فإنه منهم، إنكم إذاً مثلهم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون، يقول لك: أنت مثل هذا، مثل هذه الجهة التي أنت تقف موقفها، أنت مثل هذه الجهة التي تتولاها، أنت حكمك حكم هذه الجهة التي تطيعها ولو في مسألة واحدة مما هي معصية لله سبحانه وتعالى.

في هذا الزمن أصبحت القضايا خطيرة جداً جداً بشكل رهيب فيما يتعلق بأعمال اليهود والنصارى لم تعد تقف عند حد، لم تعد تقف عند حد، أن يصبح مثلا أي زعيم عربي عبارة عن مدير قسم شرطة، يقولون له: نريد فلان، يقول: أبشر بنا! نريد زعطان، يقولون: تفضل، كلهم جميعاً! هذه الحالة رهيبة جداً.

وحتى نحن إذا فرحنا بأنهم مسكوا فلان، وفلان قالوا: مطلوب لأمريكا تحت عنوان خطير ـ قد يشمل أي إنسان يتحرك في هذا الموضوع ـ إرهابي، ما هم يقولون: إرهابي، إرهابي لمن؟ أي إرهابي لأمريكا، لمصالح أمريكا، إرهابي يحمل عداء لأمريكا، كيف ما كان وضعيته، أتركهم اليوم مسكوا فلان، أعجبنا؛ لأن فلان نحن نكرهه، لكن العنوان مفتوح، العنوان مفتوح، والقضية مفتوحة، أن هذا الزعيم أو ذلك الزعيم مكلف بأنه أي شخص إرهابي، تسميه أمريكا إرهابي فيلقى القبض عليه ويسلم لأمريكا فيتحول الزعماء العرب إلى مدراء أقسام شرطة عند أمريكا!

هذه الحالة رهيبة جداً جداً، إذا افترضنا بأننا نحن نفرح إذا مسكوا فلان أو فلان أو كذا أو.. فمعنى هذا أن الموضوع أقفل أمام الجميع، أقفل أمام الجميع، وأن نفس القضية ممكن أنها تطبق مع الجميع تحت عنوان إرهاب ضد أمريكا، مطلوب من بوش، مطلوب مدري من أين، فمن تلفون نريد فلان، قال: تفضلوا، معنى القضية هذه بأنه في الأخير الناس يكممون أفواههم عن الحديث عن أمريكا وإسرائيل، عن اليهود والنصارى وخطورتهم، وأنت تلمس فسادهم يصل إلى كل بيت، إلى كل رأس، لأنه إذا ما تحرك هذا أو هذا أو هذه الفئة أو هذه الفئة تحرك باعتبار واجب إسلامي، أن ندافع فساد هؤلاء، أن نقاوم فساد هؤلاء، فساد تجاوز الحدود المعقولة أصبحت المسألة تهدد المقدسات الإسلامية كلها، تهدد البلاد الإسلامية كلها، تهدد المبادئ الإسلامية كلها.

ما العرب الآن حانبين في قضية القدس؟ احتمال فيما بعد يطلع لنا ثلاث مشاكل هي القدس ومكة والمدينة الكعبة ومسجد رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) والقدس.
وهؤلاء اليهود هم يفهمون أنها تمشي حاجة، تمشي حاجة يطمعوا إلى ما هو أكبر منها... يوم ما ضربت [أمريكا أفغانستان] حظيت بتأييد من كل الدول الإسلامية هذه واحدة، تطرقوا إلى أكثر من هذه إنه يصبح بدل ما نحن نمشي بطائراتنا وأدواتنا إلى البلد الفلاني نكلف الزعيم الفلاني أو الملك الفلاني أو الرئيس الفلاني إنه هات فلان وفلان وفلان، طارد فلان وفلان، ويتحرك بكامل قوته! ولم يعد تلك الدولة الضعيفة ويضرب هذه القرية ويضرب هذه ويضرب هذه ويطلّع فلان ويطلع فلان من أجل أمريكا. ما هذا يعني تجاوز؟.
الأشرف لنا أن يأتي الأمريكيون هم، والأشرف لزعمائنا أن يأتي الأمريكيون هم يضربون، يضربون هم؛ لأن ضرب الأمريكيين هم لأي منطقة من المناطق يولد عداوة لأمريكا، يخلق عداوة لأمريكا، لكن لأنهم يعرفون أن العداوة مهمة، العداوة عداوة الشعوب المسلمة عداوة حقيقية يكون لها أثرها السيئ، وتجلس المنطقة هذه غير مستقرة، ولا يحققون أهدافهم فيها إلا بصعوبة.
وهم عادة ما هم أغبياء، دقيقين في تصرفاتهم، يريد أن يحقق أهدافه بأقل تكلفة، هذه قاعدة عندهم، أن يحققوا أهدافهم بأقل تكلفة مادية وبشرية، ميزان يمشون عليه، وقضية يحسبون لها ألف حساب، إذاً فبدل من أن نسير نحن نضرب فبالإمكان أن هذا الزعيم أو هذا الملك أو هذا يمشي المسألة، نقول: فلان مطلوب، فلان مطلوب، فلان إرهابي، وفلان كذا، ويلقطوهم له، أو يضربوا قراهم!.
ما أمريكا هناك سلمت؟ وإسرائيل سلمت؟ ما خسروا شي لا عملوا عمل يؤلب نفوس الناس عليهم، ولا خسروا شيء من جيوبهم، خليهم يعطوا مساعدة معينه، أو كذا، لأي طرف من الأطراف، لكن هم يحسبون ألف حساب للتأثيرات النفسية، كما حسب القرآن ألف حساب لقضية الموالاة والمعاداة، الموالاة والمعاداة يكون لها آثار كبيرة جداً؛ لهذا هم عملوا على أن تمسح استخدام كلمة: عدو إسرائيلي، وعداوة للغرب، وعداوة لليهود والنصارى، عداوة لإسرائيل، أن تمسح.
هم يحاولون بقدر الإمكان أن لا يخلقوا عداء من جديد في نفوس الأجيال هذه، هم يريدون أن يجعلوا أنفسهم مقبولين، لماذا مقبولين؟ هل من منطلق الحب والتودد لنا؟ نصبح إخواناً؟ لا، يريدون من أجل أن تقل التكلفة عليهم، من أجل أن يصلوا بلادك وترحب بهم، ما يخسروا شيء، ما يضحوا بشيء إلا بأقل ما يمكن، وهذه من الناحية الإقتصادية توفر لهم أشياء كثيرة، من الناحية السياسية توفر لهم أشياء كثيرة، تخلي المواقف لديهم سهلة.
ما المسألة أنه تودد أنهم يريدون أن يكون هناك صفا في النفوس فيما بيننا وبينهم، الله نبه على هذه المسألة {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران١١٩) فهم لا يحبونكم، هم حاقدون عليكم حتى ولو أنتم تحبونهم، ها أنتم هؤلاء تحبونهم وهم في نفس الوقت لا يحبونكم، ويعضون عليكم الأنامل من الغيظ، هذا من قمة الحقد، من الغيظ.
هم عندما يحاولون أن يمسحوا إسم عداوة يحاولون أن يقدموا كلمة سلام، وعالم مسالم، وأشياء من هذه إنما ليجمدوا نفسياتنا، يموتوا كل مشاعر العداوة التي ركز القرآن على خلقها بالنسبة لهم؛ لأن هذه حالة نفسية مهمة؛ لأنه إذا برزت نفسيتك لا تحمل عداوة لن تبذل نفسك، لن تبذل مالك، لن تعد أي عدة، معنى هذا أننا سدود!، إطرح بندقك هنا، أو تبيع بندقك لم يعد هناك حاجة، سدينا! وهم هناك شغالين وفي الأخير ما تدري وقد أنت هناك أسفل، وهم هناك فوق، أنت مجرد من كل إمكانياتك وأسلحتك، لم تعدّ شيئاً! وهم يظهرون لك في وقت معين أعداء شرسين في وقت أنت لا تتمكن أن تعمل شيء؛ لأنهم قد قدموا لهم.
نهتم بالأطفال كما قال كوفي أنان وهو يوعظ زعماء المسلمين: لا نريد أن يكون الطفل اليهودي يتصارع مع الطفل المسلم، ويبكي الطفل اليهودي والطفل المسلم! إذاً يتعايشوا جميعاً في عالم مثل ما تقول: في حالة من الإخاء والإحترام المتبادل، والسلام يسود الجميع!!.

هذا كذب كله، كذب كله، يريدون أن يقتلوا فينا.. يقتلوا فينا كل مشاعر العداوة بالتثقيف ثم بالإرهاب، {يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ} لا تتكلم أنت في أمريكا سيقولون إرهابي، وتكلف علينا، أسكت ما لم سنسّلمك! ما هذه واحدة منها؟.

هذا نقطة وصلوا إليها، لم يكتفوا بالتأثير الإعلامي، على أن عناوين كثيرة تغيب من الساحة هي ضدهم، مشاعر معينه تغيب من النفوس هي ضدهم، تمسح كلها، وتنتهي كلها، ثم لم يقفوا عند حد، لم يقفوا عند حد إلى درجة أن يستخدموا جانب الترهيب لمن هو قد لا ينفع فيه جانب التثقيف، يمسحون نفسيتك، جانب الترهيب، ويكلفوا الدولة في كل بلد عربي تضرب المسلمين، تقوم هي بالدور بدلاً عنهم!.

ألم يحاولوا في عرفات بعد ما ضربت فلسطين، وبعد ما ضربت طائرته، والدبابات حول بيته؟ إنه لماذا لا يمسك الناشطين ـ كما يسمونهم ـ الناشطين من حركة حماس ومن منظمة الجهاد وغيرها؟ هم يريدون أن يصلوا بالناس، بأي زعيم عربي إلى أن يصبح فعلاً جندي صراحة، صراحة يخدمهم، يضربون دوائر الأمن الفلسطينية، يضربون مراكز الدولة هذه الفلسطينية التي ما زالت دولة وهمية، يقولون: لماذا؟ لأن واجبك أنت إنك تمنع الناشطين، لا أحد يزعج إسرائيل!!.

تتحول أنت إلى شرطي، إلى شرطي تخدم إسرائيل، وتحافظ على أمن إسرائيل، وإلا سنضربك. يقول: حاضر! ويعلن بأن تتوقف العمليات، يتوقف إطلاق النار، يتوقف استخدام أسلحة ضد إسرائيل. أعلن هكذا عرفات! لا يعد أحد يعمل شيء خلاص!!.

بعد ما حصلت الحادثة هذه، حادثة قتل حوالي ٢٥ يهودي وحصل ضرب من جانب إسرائيل داخل فلسطين يتجه عرفات لأخذ الشباب الناشطين من حماس والجهاد وغيرها إلى السجون بأعداد كبيرة، هذا يعني بأن هؤلاء لا يتوقفون عند حد إطلاقاً، بل سيصلون بالناس ـ وهي طريقة شيطانية ذكر الله بأنها أسلوب من أساليب الشيطان في القرآن الكريم ـ أن يصلوا بالناس إلى درجة أن يظلمونا ويهينونا ويسحقونا ومع ذلك نتولاهم ونحبهم ونؤيدهم ونصفق لهم!.

يعني ما يريدون أنهم يظلمونك ويسحبونك ثم تعتبر نفسك مظلوماً؛ لأن هذه مشاعر خطيرة عليهم، عندما تعتقد نفسك مظلوماً تعتقد نفسك مسحوقاً، تعتقد نفسك مهاناً أن هذا حالة نفسية في يوم من الأيام تتفجر في ظرف من الظروف يكون لتفجرها أثر كبير ضدهم، لا، نريد أن نظلم الناس وليصلوا إلى أحط مستوى وهم لا زالوا يشعرون بأن الموقف الذي هم عليه هو الموقف الإيجابي للحفاظ على الوطن، أو تحت أي عنوان آخر.

لهذا حكى الله عمّن يتولى اليهود والنصارى أنهم يطلقون عناوين تشعر بأن المسألة إنما هي تدارك لخطورات معينة، والمسألة حفاظ على مصلحة الوطن ، والمسألة هي كذا وكذا {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}.

هم لا يقولون لك: أصدقاءنا ولازم نوقف معهم، يقولون للناس: نخشى أن تصيبنا دائرة، نحن فقط من أجلكم، وحفاظاً على مصالحكم، والواقع ليس ذلك، والواقع ليس ذلك، ما يمكن أن يكون هذا الموقف صحيحاً إطلاقاً أن يتحول زعماء العرب إلى مدراء أقسام شرطة للحفاظ على مصالح أمريكا وإسرائيل وإسكات من يتكلم ضدها.

هل في هذا مصلحة للشعوب؟ لا يمكن، لا يمكن أن يكون فيها مصلحة للشعوب، المصلحة للشعوب الإسلامية هو التوجه القرآني في النظرة نحو هؤلاء اليهود والنصارى، نظرة العداء، نظرة إعداد القوة، نظرة الجهاد، نظرة الشعور بأنهم يسعون في الأرض فساداً، وأنهم لا يريدون لنا أي خير، وأنهم يودون أن نكون كفاراً، يودون لو يضلونا، يودون لو يسحقونا وينهونا من على الأرض بكلها.

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} يعني يستجيبوا بسرعة، قالوا: أمريكا تتزعم الحلف العالمي لمحاربة الإرهاب، بسرعة وافقوا دون قيد أو شرط!.

ما هم سارعوا؟ يسارعون فيهم، فيهم، مثل ما تقول: حب في الله، بغض في الله من منطلق ولاء، يسارعون فيهم، يسارعون إلى ما فيه خدمتهم، إلى ما فيه مصالحهم، ليحظى بالولاء لديهم، ليحظى بالمكانة لديهم، يحظى بأي شيء.

المسارعة فيهم كما يقول: يحب في الله، يحبك في الله، يحبك لا لأي شيء آخر، مصلحة معينة، إنما من أجل الله، وأنت تحبه في الله، مثل يسارعون فيهم، يقولون للناس، وكلمة يقولون: أي شيء يتفوهون به، ما قال يسارعون فيهم يخشون فتكون المسألة حقيقة مشاعر داخلية لديهم أنهم يخشون حقيقة على الناس ومصالح الناس، يقولون: يتفوهون بما يغطي على تعاملهم الحقيقي مع هؤلاء، نخشى أن تصيبنا دائرة، {فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}.

فهنا تتجلى الحقائق {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ}(المائدة٥٣) من أجل الحفاظ على مصالحكم من أجلكم {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ} تتجلى المواقف أن الأشياء ما كانت لهذه، وفعلاً الزمن والأحداث من يراقب الأحداث كل حدث يكشف أحداثاً سابقة، ولو أحداث قبل عشر سنين أو نحوها.. ترى كيف يتجلى أشياء تبين لك نفسية هذا أو هذا من خلال الأحداث المتتابعة، لأنه كلما أضمر الإنسان كلما سيأتي بعد فترة أحداث تبينه، أحداث تشهد على واقعه.

فأن نصل إلى هذه الدرجة أحياناً تحصل أحداث في أي بلد إسلامي نحن قد نجمع بين حالتين: أرتاح لأنه ضرب هؤلاء؛ هم أعداء، حقيقة هم أعداء، وهم عملاء وهم من يشوهون صورة الإسلام لكن المسألة من حيث المبدأ خطيرة على الجميع، أليست خطيرة على الجميع؟

عندما اتجهت أمريكا تحت عنوان: متجهة لضرب طالبان، ألم يخش الناس على إيران، وخشيوا على حزب الله؟ صحيح؟ لأن هذا العنوان المفتوح عنوان مفتوح، يبيح لأمريكا تعمل ما تريد بشرعية دولية، وبمعونة دولية عالمية بحيث إذا أطلقوا صاروخاً يسجل على كل دول العالم، ما تخسر أمريكا، ما يلحقها إلا مثل ما يلحق غارم، كما تقول القبيلة: ريالهم واحد، ما يلحقها إلا مثلما يلحق غيرها من التكلفة!.

هكذا يريدون يحققون أهدافهم ولا يخسرون دولاراً واحداً إلا مثلما يخسر الآخرون، مثلما قال لنا واحد فلسطيني في الخرطوم قال: قال لهم في السجن يهودي في إسرائيل قال: عندكم أننا نخسر على أي سجين منكم؟ لو أننا نخسر على أي سجين منكم لما مسكنا أحد، لكننا نربح من وراكم، نربح أيضاً، لأن كل سجين يُعطى من منظمة الأمم المتحدة، من قسم فيها، أو هيئة مختصة مبالغ نصرف عليه منها ونوفر أيضاً.

هم أيضاً يستفيدون، وهذه هي فكرتهم الخطيرة، فكرتهم الخطيرة، هم أوعى بكثير، وأفهم بكثير في هذا الجانب مننا، لاحظوا نحن على مستوانا الشخصي إذا هناك واحد زعل من واحد وقد جمع له في الشمطة مائة وخمسين ألف أو أكثر يقول: [والله تَقَرِّح ما معي في رأسه لو أَوَقِّيْ بالجنبية] أليسوا يقولون هكذا؟ ودق أبوها، وعند الحاكم [با نتخابر من خمسين، أنا خمسين وأنت خمسين، با نتخابر من خمسين ألف، من عشرين ألف من..]!.

هذه العقلية غير موجودة، يريدون أن يضربوا بأقل تكلفة مادية، أو بشرية، حتى لاحظ عندما ذهبوا إلى أفغانستان هل كان واحد يتوقع بأنهم سينزلون آلاف الجنود مائة وخمسين، مائتين، أربع مائة؟ أعداد قليلة، معتمدين على آلياتهم الكثيرة، ويدهفوا بالمعارضة الشمالية، المعارضة الشمالية، أفغاني في أفغاني، وفي الأخير سيضربون يمني في يمني، وسعودي في سعودي، ومصري في مصري، وهكذا.

مخططاتهم رهيبة، وأصبحت الأشياء كلها تتهيأ لهم بشكل عجيب؛ لأنه فسدت النفوس، فسد زعماء وشعوب حقيقة، أصبحنا كلنا فاسدين، لا نحمل أي وعي، لا نحمل أي اهتمام بالقضية هذه، لا نفكر في أي حل فيها، وأصبحنا كلنا تتلقى في نفوسنا، في تهيئة نفسياتنا من الفساد الثقافي والإعلامي والأخلاقي ما يهيئ لليهود أن يحققوا أهدافاً أخرى أكثر مما وصلوا إليه، أكثر مما وصلوا إليه حقيقة.

تجد أبرز شيء في هذه المسألة والإنسان يتابع التلفزيون، ويتابع الرادي، يتابع الأحداث أن تفهم بأن أي موقف تتبناه أمريكا أو إسرائيل أو اليهود أن تجعل نفسك من داخل ضده وإن رأيتهم يضربون شخصاً يعجبك تحت عنوان مفتوح، الخطورة هنا: مقاومة الإرهاب، قالوا: ما هو الإرهاب يطلب منهم الزعماء فَسِّروا لنا الإرهاب! أصبحت أمريكا تملك حتى تفسير المصطلحات! أليست كلمة إرهاب كلمة عربية؟ يريدون أن يفسرها بوش الإنجليزي الذي لغته إنجليزية! الإرهاب في اللغة كذا، كذا..

عارفين ماذا يعني إرهاب، هم فاهمون ماذا يعني إرهاب: أنه أي مصالح أمريكية أي غرض أمريكي يتعارض معه أي نشاط يمس بأهداف أمريكا ومصالح أمريكا يعتبر إرهاباً. ومعلوم بأنه في عقائدنا ما يتجه نحو أمريكا، نحو اليهود والنصارى هو يسمى في مصطلحنا في غالبه، يسمى الجهاد، تحت عنوان جهاد، فالجهاد في الإسلام هو نفس الإرهاب الذي أمريكا تريد أن تقود العالم كله لمقاومته، الجهاد بالسيف، الجهاد بالكلمة، الجهاد بالموقف، هذا كله، تجند كل إمكانياتها تحت مسمى أن هذا هو إرهاب.

لم يرضوا يفسروا الإرهاب، يطلبون منهم أن يفسروا الإرهاب ما رضيوا يفسروه، يريدون أن تجلس كلمة عائمة... وهم قد ضربوا هناك من أجل الناس كلهم يخافونهم.

ليس صحيحاً إطلاقاً ولا يمكن إذا كان الناس مسلمين أن يسكتوا على هذا الشيء، أن يصل الناس إلى درجة أن يروا اليهود والنصارى يفسدون كل شيء، ويحاربون كل شيء من ديننا، وقيمنا، ومصالحنا، وخيراتنا، ثم لا يجوز أن نتكلم فيهم، الباري قد قال لنا نتكلم في الشيطان، قال: إلعنوه، إتخذوه عدواً، على الأقل تنفس عن نفسك.

وليس إلى درجة أنهم يعملون كل شيء ثم لا تتكلم، لا تطلع كلمة، من أين جاء هذا؟ يأتي عن طريق الزعماء نفوسهم، ثم ينزل إلى الشخصيات نفسها! قد تسمع أحياناً حتى من أقاربك، أو من أهل منطقتك من يقول: [والله صحيح أما هذا شفتوا إن هذا عمل عظيم، كان قد با يجي كذا لو ما عمل فلان كذا]!.

الذي أريد أن أقول بأننا جزء من المسلمين، والمسؤولية على المسلمين جميعاً، ومعلوم بأن أمريكا وهي على بعد تحسب ألف حساب أن مثل هذا الجمع يكونون في واقعهم بالشكل الذي يخدمهم؛ لأن من مثل هذا الجمع يمكن أن تجند ملايين لأجل تفسدهم، هي لا تقول هذا المجلس عادي، أو هذه المجموعة البسيطة ماذا يمكن أن يمثلوا.. لا، تحرص على مثل هذا الجمع أن تفسدهم بأي ثمن.

فنحن نحرص على أن نحافظ على وعينا، نحافظ على سلامة نفوسنا أمام الله، مسائل خطيرة جداً، مسائل خطيرة جداً، من تلمس منه رائحة الولاء لليهود والنصارى يجب أن تحمل له روح العداء، يجب أن تحمل له روح العداء، في كل مشاعرك، وداخل أعماق نفسك، العداء الإيجابي، العداء الساخن، كل من تلمس أنه يوالي اليهود والنصارى، كل من تلمس بأن منطقه وإن كان منطق تحت عناوين أخرى: مصلحة كذا وكذا، يجب أن تحمل له روح العداء، وأن ترد عليه أن هذا غير صحيح، فليضربونا أشرف لنا، أن يضربونا ولا أن نأتي نحن نُضرب من داخلنا.

هكذا قال الفلسطينيون، الفلسطينيون أنفسهم كنا نستغرب ونراها فعلاً قضية محرجة للفلسطينيين، حركة حماس، حركة الجهاد الإسلامي، كانت تجند إسرائيل عرفات وحكومته للقبض عليهم، قالوا: نحن وقفنا محتارين إن نقاتل هؤلاء تتقاتل في ما بيننا الفلسطينيين، ويكون الضحية كلها والنتيجة في صالح إسرائيل، أن نسكت رأينا الباطل، رأينا القهر، نقاد إلى السجون، ولا نعد نستطيع نعمل شيء ضد عدونا، ضد إسرائيل!.

إسرائيل تريد أن تصل بكل بلد عربي إلى مثل ما وصل إليه فلسطين، إلى ما وصل إليه فلسطين، إنه هذا يوظف لصالح توجيهاتها، يمسك هذا، يضرب هذا، إن قاموا الناس وتضاربوا نفس الشيء في صالح إسرائيل مثل ما قال عمرو بن العاص: [إني سأضع خطة إن قبلوها اختلفوا وإن ردوها اختلفوا] هي هذه إسرائيل توصلنا إلى هذا الشيء، تريد ما يحصل في فلسطين أن يحصل في كل بلد، وتريد ما تفرضه على ياسر عرفات أن تفرضه على كل زعيم عربي.

إذا ما انتبهنا إلى الأشياء هذه، إذا ما حملنا روح اهتمام حقيقي، إذا ما حاولنا أن نحارب الفساد، مثل الدشات هذه كما قلنا: الدش نفسه عندما تفسد ابنك ستطلع ابنك جندي إسرائيلي، يخدم إسرائيل، لم تعد قضية سهلة ـ لو عاد الدنيا سلامات.. ما هناك من هذه الأشياء.. فَسَدَ هو الفسادَ الذي في محيطك الشخصي وآثاره في محيطك الشخصي طبيعي، يعني الفارق يعتبر طبيعي بالنسبة لما هو حاصل الآن ـ الآن فسادك يحولك إلى جندي تخدم إسرائيل، ومصالح إسرائيل، زوجتك، بنتك تتحول نفس الشيء بإفسادها إلى امرأة تخدم بفسادها النفسي إسرائيل؛ لأن هذه المرأة عندما تفسد في يوم من الأيام وأنت ابنها تنطلق تريد أن تعمل عمل معيّن، أو تقول كلمة قاسيه، ستأتي تقول: بطّل ما لك حاجه.... تُهدّئ أعصابك، وتحاول تشكل من نفسها عائقاً أمامك. سواء زوجتك أو أمك أو أي واحدة من أقاربك، كذلك أولادك.

فإذا كانت القضية صحيحة لهذه الدرجة، فمعنى هذا بأن الفساد سيكون إثمه عند الله مضاعف، يتضاعف كما قلنا لكم سابقاً: على حسب الاعتبارات سواء اعتبارات اجتماعية، أو اعتبارات حالياً باعتبار الزمن، أو باعتبار أي شيء آخر في علم الله، وفي نفس الوقت نكون نحن نصوم، ألسنا الآن خرجنا من شهر رمضان؟ ويكون رمضان يصبح لا قيمة له، صلاتنا تصبح ما لها قيمة، زكاتنا ما لها قيمة، حجُّنا ما له قيمة، عباداتنا ما لها قيمة، نضربها بقضية واحدة، بقضية واحدة تصبح كل هذه الأشياء لا قيمة لها، ويكون الإنسان في واقعه ولا سمح الله، ونعوذ بالله، يهودي من حيث لا يشعر، أو نصراني من حيث لا يشعر، فعلاً، فعلاً هذه حقيقة، حقيقة قرآنية، والواقع نفسه يهيئ الناس لهذا، الواقع وعمل اليهود وأولياء اليهود يحولونا إلى أن نكون يهوداً ونصارى من حيث لا نشعر، بالتولي لهم أو لمن هو متولي لهم، إلى آخره...

الله يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه، وينور بصائرنا، ويوفقنا ويفرج عن الإسلام والمسلمين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

الوحدة الإيمانية

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

ذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود توجههم للتفريق، يستخدمون سياسة التفريق، أليسوا هم من يستخدمون الفرقة المذهبية؟ يعززون الفرقة المذهبية التي بين المذاهب؟ هم كما يقال وراء تأسيس عدة طوائف: الوهابية في الحجاز، والبهائية في إيران زمان، والقاديانية في الهند وفي باكستان، عدة طوائف، هم أسسوها.

وانظر كيف كانت الطائفة الوهابية تتحرك في الدنيا كلها، ألم يكونوا يتحركون في الدنيا كلها؟ بكل هدوء، وبمعنويات مرتفعة، ولا يخافون شيئاً؛ لأنْ ما هناك من يخافون منه، هم لا يخافون أمريكا، ولا يخافون أحداً، هم من جندوهم، تحركوا في الحجاز، وفي اليمن، وفي باكستان، وفي الجزائر، وفي مصر، وفي مناطق كثيرة.

الفرقة المذهبية، أي تفرق المسلمين، سواء كانوا بشكل مذاهب، أو تفرق أبناء المذهب الواحد، هي قضية خطيرة جداً، ومظهر ضعف، لا يمكن لأمة على هذا النحو أن تعمل شيئاً لدينها، ولا لنفسها، ولكن لأننا أيضاً لا نفكر في الخروج من هذه الوضعية، ما تزال مدارسنا تنتج الثقافة المفرقة، أليس كذلك؟ في حلقات العلم، في المساجد، وفي الهجر، وفي الجامعات، وفي المعاهد.

أليسوا يدرسون أصول الفقه، ويدرسون أشياء كثيرة مما تساعد على أن ينشأ الناس متفرقين من جديد؛ فيضل باب الفرقة مفتوح على مصراعيه، وإذا ما أحد جاء ليعالج المسألة وقال: يجب أن نتوحد. أيضاً قدم معالجة ناقصة، أن يكون التوحد هو هكذا على ما نحن عليه، نتوحد على ما نحن عليه، وكل ناس على مذهبهم، وتجتمع كلمتنا جميعاً، ونضرب أعداء الله جميعاً! يظن هؤلاء أن المسألة ممكنة على هذا النحو، وهي غير ممكنة، لا تتأتى.

قضية الوحدة، وحدة المسلمين، ووحدة المؤمنين هي مبدأ من مبادئ دين الله المهمة، وإذا كان هناك أي مبدأ من مبادئ دين الله، أو أي تشريع من تشريعاته، هو الذي يرسم طريقة أدائه، أليس كذلك؟ هذا هو التشريع، هو الذي يرسم طريقة أدائه، وكيف يمكن أن يتم، وكيف نؤديه نحن.

وما قال لنا توحدوا هكذا! رسم الطريقة التي على أساسها يكون توحدنا، وهي طريقة تختلف اختلافاً كبيراً عن مسألة أن بالإمكان أن تبقى هذه المذاهب على ما هي عليه، ويجتمعوا جميعاً، وكل واحد على ما هو عليه، وكل واحد على مذهبه ضد أعداء الإسلام!.

الواقع شهد بأن هذه غير ممكنة، وحدة من هذا النوع غير ممكنة، وإذا كانت ممكنة أليس في هذه الأحداث ما يجعلها واقعة لو كانت ممكنة، أو قلنا ممكنة فمتى يريدون أن يتوحدوا، متى يمكن أن يتوحدوا؟.

الوحدة الإيمانية، أو الوحدة المطلوبة من عباد الله هي وحدة إيمانية تقوم على منهج واحد، منهج واحد، وخط واحد، وقيادة واحدة، الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران١٠٣).

عملوا منظمة المؤتمر الإسلامي وفشلت أيضاً، وعملوا جامعة الدول العربية، ولم يكن لها أي دور يذكر، ولا أن نقول: ما دام أننا قد صرنا مذاهب متعددة فكل واحد على أصله، وننطلق جميعاً نتوحد! ما هذه أيضاً فكرة مزاج؟ نفس الشيء، لا يمكن أن يتحقق.

الوحدة، الله رسم طريقها باعتبارها مبدءاً مهماً من مبادئ دينه، هو الذي حدد كيف تكون، وتحت قيادة من، وعلى أساس ماذا، على أي أساس تقوم، هو الذي رسم رسماً كاملاً لما يؤدي بالمؤمنين إلى الوحدة.

ولاحظوا أن الوحدة الإيمانية المطلوبة من قبل الله سبحانه وتعالى من عباده هي نفسها المنسجمة مع فطرة كل واحد من المسلمين في الواقع، أن كل واحد في الواقع يعترف بأنه فعلاً أن أرقى توحد يكون له تأثير هو أن يكون الناس على منهج واحد، وكل واحد يعرف أنها مسألة مجاملة، أو مسألة تلفيق، أن نقول: يتوحدون هم على ما هم عليه، وكل واحد يبقى على ما هو عليه، كل واحد يعترف أنها قضية تلفيق.

وأنها أيضاً لا تحظى أمة على هذا النحو متفرقة، لا تحظى بنصر إلهي أبداً، أبداً، لماذا؟ لأن المسلمين أساساً عندما يُطلَب منهم أن يتوحدوا هو ليحملوا رسالة واحدة، يتوحدون لينشروا دين الله؛ ليعلوا كلمة الله، ينشرون هذا الدين في أوساط الأمم الأخرى، ودينه واحد.

عندما يتحرك أبناء هذه الأمة وهم عدة طوائف متفرقة، مذاهب متعددة، مختلفة في عقائدها، مختلفة في أحكامها الفقهية، مختلفة في تشريعاتها، مختلفة في مواقفها، مختلفة في أعلامها، أليسوا هم من سيوصلون الدين إلى أي بقعة أخرى بشكل مفرق؟.

تصور أنه جيش مكون من مائة ألف، أو حتى خمس مائة ألف، وباعتباره جيشاً إسلامياً، فيه الزيدي، والجعفري، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، كل هذه المذاهب، عادة يكون بين الجيوش علماء ومثقفين ومتعلمون أليس كذلك؟ عندما يفتحون منطقة ـ هذا فرض ـ يفتحون منطقة من المناطق في العالم ما كل واحد سيتحرك ليعلم الآخرين بمذهبه؟ من منطلق أنه يريد أن يعلمهم دين الله، ويعلمهم الحق! إذاً سيوصل الناس دين الله مفرقاً إلى الآخرين فيوسعوا الفرقة، فلا يمكن لهم أبداً أن يحظوا بنصر الله؛ لأنهم هم فيهم خلل كبير.

إذا كانت الوحدة على النحو هذا الذي رسمه الله لعباده المؤمنين في القرآن الكريم هي ضائعة في أوساطهم أليس هذا خللا كبيرا جدا؟ أي أنهم سيحملون الدين إلى مناطق أخرى فينشروا العقائد الباطلة، وينشروا الأقوال الباطلة، والنظرات الباطلة، والمواقف الباطلة، إلى تلك الشعوب الأخرى.

هل سينصر الله أمة من هذا النوع؟ وهذا فيما أعتقد هو سر قعود الإمام علي (عليه السلام) عن المشاركة فيما يسمونها بالفتوحات الإسلامية، الإمام علي يعرف أن أي تحرك من جانب أمة قد أصبح الخلل فيها كبيراً هي لن توصل دين الله إلى الآخرين، ستوصل دينا مشوها، دينا ناقصا إلى الآخرين، والله يريد من عباده أن يوصلوا دينه هو، الدين الذي شرعه لهم، الهدى الذي أنزله إليهم، أن يوصلوه إلى الأمم الأخرى. متى سيكونون جديرين بنصر الله؟ عندما تتوحد كلمتهم على منهج واحد، وتحت قيادة واحدة.

طيب هل معنى هذا بأنه أن تتجه لضرب أولئك الآخرين؟ لست بحاجة إلى أن تضربهم، ماذا سيحصل؟ عندما تتحرك فئة على أساس دين الله الكامل، وتحظى بنصر الله وتأييده، وتظهر أمة قوية تُعز دين الله، وتعز نفسها، أليست هي ستكون محط أنظار الآخرين جميعاً؟ الآخرين هم من سيتخلصون مما هم عليه، وينطلقون إلى صفك، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً} (النصر٢).

ماذا يعني هذا؟ عندما يحصل النصر لك، ويحصل الفتح لك، ما هو سيكون محط أنظار الآخرين؟ سيخلعون أصنامهم، ويخلعون خرافاتهم، وينطلقون ليدخلوا في دين الله، وتحت راية محمد أفواجاً. أليس هذا هو المثل الحقيقي؟.

أما كانت الآلهة متعددة عند العرب؟ وكل قبيلة معها إله اسمه كذا؟ كان كل قبيلة معها إله، تعبد إلهها وحدها، لا تعبد إله الآخرين، لكن الكل خلعوا آلهتهم وانطلقوا ليدخلوا في دين الله أفواجاً، هذه هي الرؤية الصحيحة.

فمن يعملون على توحيد الأمة يجب أن يسلكوا هذه الطريقة: أن تبين الخلل الذي حصل في أوساط المسلمين من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى الآن، وعندما تبين الخلل بطريقة منطقية فعلاً سيحصل ردود أفعال متباينة، منهم من يعتقد أن موقفك تعصب مذهبي، مذهب ضد مذهب، أولسنا ننقد حتى تراثنا نحن؟ نحن ننقد تراثنا، ننقد كتباً قرأناها هي من تراثنا؛ باعتبارنا لمسنا فيها أخطاء جاءتنا من جانب الآخرين، أوصلوها طلاب العلم، وعلماء، من صنعاء، ومن ذمار، ومن صعدة، ومن كل منطقة. وهكذا قَرْوَيَه؛ لأن العلم يكون مفتوحاً، وحلقات العلم مفتوحة، ومزاجية، كل واحد يأخذ أطرف كتاب ويقول: سنفتتح لنا درس في هذا!.

وعندما نتحدث مثلاً عن أبي بكر وعمر، ونتحدث عن العقائد الأخرى، ليس من منطلق تعصب مذهبي، ما يسمى تعصب مذهبي، من منطلق أنه يجب أن نبين الخلل، أن نبين الأخطاء سواء داخلنا، أو داخل الآخرين؛ لنعود جميعاً.

فمن هم منصفون هم من سيتأملون حقيقة، وليعودوا إلى القرآن الكريم، وسيجدون شواهد تأملاتهم، بأن هناك أخطاء في داخلنا جميعاً، سواء زيدية، أو شافعية، أو مالكية، أو حنبلية، أو كيفما كانوا.

ألسنا الآن نحاول أن نتخلص من فنين من العلوم التي نقرؤها؟ فنين نريد أن نتخلص منها تماماً، ونرمي بها عرض الحائط، ما يسمى بعلم أصول الفقه، وما يسمى بفن علم الكلام، الكثير منكم لا يعرف العبارة هذه، هو ما يسمى بفن أصول الدين، الفن الذي خصصوه لمعرفة الله، والذي لا يوصلك إلى معرفة الله، بل يصدك عن معرفة الله.

ليس من منطلق تعصب من جانب مذهب ضد مذهب، هي أن ننطلق جميعاً من داخل هذه الطائفة، ولينطلق الآخرون من داخل تلك الطائفة، نحاول أن ننظر إلى ما بين أيدينا من أين جاء هذا الخلل، فإن كان من الدين من أساسه، وهذا ما لا يمكن أن يكون، ولا يجوز أن يكون مصدر ما نحن عليه من ضعف، وإذلال، وانحطاط، هو من ديننا!.

لكن فرضاً لو افترضنا أنه من ديننا فيمكن أن نرفض هذا الدين، يمكن أن نرفضه، لكننا نقطع بأنه ليس من ديننا ما يوحي، ولا ما يهيئ أن تكون الأمة على هذه الوضعية السيئة، دين الله هو المنهج الكامل الذي يبني أفراداً، ويبني أمة على أعلى مستوى ممكن، فلننطلق جميعاً لنفتش داخلنا، وعندما نقول للآخرين: أبو بكر وعمر، سيأتي من داخلنا من يقول: هذا منطق مثير متعصب، قد يثير الآخرين علينا، قد، قد ،، الخ.

نقول: الذي يثيرنا الآن، ويجب أن يثيرنا هو أمريكا وإسرائيل، أليس كذلك؟ هذه الوضعية الخطيرة التي يجب أن نرجع فيها إلى واقعنا، فلنرفض أي طرف مهما كان كبيراً أمامنا إذا ما اتضح لنا وتأكدنا بأنه كان وراء هذا الفشل الذريع الذي الأمة عليه، وكان سبباً من الأسباب التي أوصلت الأمة إلى هذه الوضعية السيئة، أن نرفضه، ولنعد إلى القرآن، ونعتمد على القرآن، وهو نفسه من سيكشف لنا الأشياء الكثيرة جداً.

ولكن بموضوعية أيضاً، لا يكن بتجني أعمى، أو بتجني مغلوط، يكون بموضوعية، وأريد أن أقول هكذا للطلاب جميعاً، وللمتعلمين أيضاً: بأنه عندما تسمعنا ننقد كذا، أو ننقد كذا، أو كذا، أو شخصيات معينة، لا يعني هذا أنه باب مفتوح عشوائي، بعدها تنطلق لتنقد فلان، وفلان، وآخرين دون أن تعرف هل فلان هو سبب من أسباب هذه الوضعية السيئة، أو أنه ليس كذلك.

نتأمل جميعاً ما نطرح في البداية، والأحداث ستساعدنا على أن نكتشف شيئاً فشيئاً ما يؤكد لنا أن هذه الأشياء التي نحن نهاجمها أنها فعلاً من الأسباب الرئيسية لهذا الضعف الذي أدى إلى ضعف الأمة، وضياع الدين.

أوليس الدين ضائعاً في الواقع، ضائع في كل الدول العربية، ضائع في الدول الإسلامية بكلها، فعندما نتحدث عن أبي بكر وعمر، عندما نتحدث عن عقائد الآخرين، عندما نتحدث عن الإمام علي من جديد، عندما نتحدث عن أهل البيت من جديد، عندما ننقد فنوناً معينة من تراثنا، أو كتباً معينة من تراثنا، ومن تراث هذه الأمة بصورة عامة، هو لأن الوضعية هذه أصبحت وضعية خطيرة، لم يعد مقبولاً أن تجامل أحداً فيها.

وهذا الشيء لا نريد أن نمتاز به نحن كمتعلمين، نطلب من الآخرين وهم أن يعملوا نفس الشيء، سواء من داخل طائفتنا الزيدية، أو من داخل طوائف أخرى، أنه لا تحاولوا أن يكون الشيء الذي يهمكم هو الرد على ما تسمعون، ولكن انطلقوا بأذهانكم، انطلقوا باهتمامكم إلى معرفة هذه الوضعية السيئة للأمة، ثم تقييم الأخطاء من أين.

واعتبروا هذا الذي يأتي من جانبنا مجرد وجهة نظر حتى تتأكدوا، أو تكشفوا خطأ لدينا، لا مانع إذا أحد كشف خطأ لدينا، لكن ليس خطأ على أساس أن المجاملة تقتضي أن لا نتحدث هكذا، هذا غير مقبول، خطأ واقعياً.

أما أن يقول لي: أنت لماذا تتحدث هكذا؟ قد يقول الآخرون كذا، أو قد يزعلوا، أو قد يتألموا أو أو.. إلخ، نقول: هذه لم يعد وقتها الآن، لم يعد وقتها أبداً، كلنا سنة وشيعة أصبحنا مستضعفين، فلماذا تقول لـي لا أتحـدث في أبي بكر وعمر من أجل لا يزعل السني الآخر؟!.

أنا لا أريد أن أزعّله، أنا لا أريد أغضبه من منطلق أنني ابن مذهب آخر وهو ابن مذهب آخر، ليس لهـذا، نعـالج القضية باعتبارنا جميعاً مسلمين، أن هذه هي مشكلة من مشاكلنا، أنا لا أهاجم الآخر باعتباره سنياً وأنني زيدي.

أقول: هكذا الإسلام قُدم على أيدي بني أمية، وعلى أيدي أبي بكر وعمر، ومن بعدهم، قُـدم علـى هـذا النحـو الذي ضرب الأمة كلها، هل أجامل؟ هل أجامل من كان وراء ضرب الأمة كلها، وضرب الدين وغيابه من الساحة؟.

أبرز مثال لدينا فيما يتعلق بصدر الإسلام، ألم يغب الإمام علـي (عليـه الـسلام) عـن الـساحة حـوالي خمـسة وعشرين سنة؟ من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلي مع القرآن، والقـرآن مـع علـي! ودائمـاً دائماً هذا التقارن، متى ما غاب أهل البيت اعتبر أيضاً القرآن غائباً في واقعه عن الأمة، وإذا ما غاب القرآن عـن الأمة أيضاً فاعرف أن أهل البيت أيضاً غائبين؛ لأنهم مقترنين مع بعض. فـإن كـان لأهـل البيـت وجـود فـستلمس القرآن موجوداً، وحيّاً.

فعلي الذي قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) يوم غُيِّب دور علي عرفنا وتأكدنا أن القرآن أيضاً غُيِّب دوره؛ لأن هذا هو ما تقتضيه المقارنة يوم قال: ((علي مـع الحـق والحـق مـع علي)).

عندما غُيب دور علي فعلاً قطعنا بأن الحق غاب في حياة الإمام علي هذه، في الصدر الأول، في تلك المرحلة الـتي يقولون عنها أنها خير القرون، وفي ظل خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان! ألم يغب دور علي؟.

هل بإمكانك أن تقول: إنما غاب شخص علي، وأن القرآن ما زال حياً، وأن الحق ما زال قائماً؟ إن الرسول سيكذبني لو قلت هكذا؛ لأنه قارن ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) ((علي مع الحق والحق مع علي)) فأنا رأيت بأم عيني، ورأت الأمة كلها أن علياً غُيِّب دوره خلال الثلاثة، خلال ما يقارب مـن الخمـسة والعـشرين عامـاً، في ظـل خلافـة الخلفاء الثلاثة الأولين!.

وعندما يغيب القرآن في الخطوة الأولى سترى كيف سيغيب في بقية المراحل، إنـزل إلى تحـت، معاويـة هـل كـان امتداداً لعلي، أم كان امتداداً لعثمان وعمر وأبي بكر؟ من كان امتداداً له؟ معاوية سيقول لك من هو امتـداد لـه، هل كان معاوية يشيد بذكر علي أو يلعنه؟ كان يلعنه لكنه كان يشيد بـذكر أبـي بكـر وعمـر وعثمـان، ويـدفع بالآخرين إلى أن يثنوا عليهم، وأن يختلقوا الفضائل لهم.

إذاً هو امتداد لأولئك، أليس كذلك؟ ثم يزيد من بعده امتداد لمن؟ لمعاوية، ثم خلفاء الدولة الأموية، ثم خلفاء الدولة العباسية، ثم إلى الآن، إلى الآن. إذاً أليس أولئك الذين غيَّبوا القرآن وعلياً، فكان وراء غيـاب القـرآن، والثقل الآخر، أهل البيت على طول مراحل تاريخ الأمة أليسوا أول من جنى جناية رهيبة على الأمة؟.

ثم ليست المسألة فقط مجرد أشخاص، أن تقول: أبو بكر وعمر، تحدثنا أكثر من مرة أن مجـرد توليهمـا، مجـرد توليهما يجعلك تقف ضد القرآن، في نقاط مهمة داخل القرآن هي ما تحتاجها الأمة إلى أن تقف على قدميها في مواجهة أعدائها، وتحظى بنصر الله، هي تلك النقاط؛ لأنك حينئذ لا تقبل أن تتولى أبا بكر وعمر، وتتـولاهم فعلاً إلا وتسيِّر القرآن على النحو الذي لا يمسهم بسوء، ولا يتنافى مع مشاعرك نحوهم، أليس كذلك؟.

أوليس هذا ملموساً في التراث داخل هذه الأمة عند الآخرين؟ ملموس هذا، وهذا مـن الأشـياء الـتي تـشهد لنـا نحن، عندما تجد أحاديث عظيمة جداً ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) أليس هذا حـديثاً عظيمـاً، وكـبيراً؟ تراهم كيف يجعلونه كلاماً عادياً، لا يعني شيئاً!.

من أجل من عملوا هذا؟ من أجل أبي بكر وعمر، ماذا يعني هذا؟ يعني: أن توليك لهم غير منسجم مـع مـا يـصدر من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع ما داخل القرآن الكريم في قضايا كثيرة جداً، وأنـت تـشهد أيـضاً،

وأنت تحاول أن تجعل ذلك الكلام باهتاً من قبل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مثل حديث: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) أليس هذا حديثاً كبيراً أيضاً؟ وهي كلها أحاديث صحيحة ومشهورة في أوساط الأمة.

لكن تعال إلى أولياء أبي بكر وعمر كيف سيجعلونها باهتة، ثم ارجع إلى القرآن تجد أيضاً أشياء كثيرة يجعلونها باهتة، حتى ما تراه أنت من كلام يكشف لك واقع ذلك المجتمع الذي كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعيش فيه، وكيف كان تحركهم معه، وكيف كانت نظرتهم إليه، تجد أيضاً منطق هؤلاء بالشكل الذي يجعلون كل ذلك، كل تلك الحقائق مجرد عتاب لطيف رقيق لا يعني شيئاً، ولا يراد من ورائه كشف شيء. ألم يعطلوا دور القرآن ككتاب هداية؟ وعطلوا دور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كنبي يهدي بهدي القرآن الكريم.

إذاً فالسني نفسه يجب عليه أن ينظر، أن يرجع إلى نفسه أنه هل الدين على هذا النحو: يلزمني بتولي شخص، فإذا ما توليته أراني متعارضاً مع القرآن الكريم، ومتعارضاً مع نصوص للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليس هذا اختلافاً وتناقضاً؟.

ثم إذا ما كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والقرآن الكريم للأمة جميعاً إلى آخر أيام الدنيا فيعني ذلك ـ ونحن من نقول جميعاً: يجب أن نعود إلى الإسلام ـ أن القرآن والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ ولكن إذا ما قدم للأمة على أصله دون نقص، ودون محاولة مسخ من أجل مراعاة آخرين ـ فإن القرآن سيعمل عمله، والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) سيعمل عمله في إعادة مجد هذه الأمة، وتمكنها، وأن تعلوا كلمة الله سبحانه وتعالى، وأن ينتصر دينه، ويكون هو الذي يسود في أوساط العرب، وفي أوساط الأمم الأخرى.

إلا إذا قلنا بأن القرآن، وبأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إنما كان لمرحلة معينة من التاريخ، ثم بعد لم يعد فاعلاً، ولا مؤثراً، لا يستطيع أحد أن يقول هكذا إلا من أصبح لديهم نظرة سيئة إلى الدين بكله، كالعلمانيين مثلاً، وقلنا أيضاً: بأن الدين نفسه، من يفهمه سيلمس عظمته، ويلمس الحاجة الماسة للبشرية كلها إلى أن تدين به، وتتبعه.

وإنما حتى من يحصل في نفوسهم سخط من داخل هذه الأمة ضد هذا الدين إنما كان بسبب التفسير السيئ لهذا الدين، وتقديمه بشكل مشوه ومنقوص حتى لم يعد فاعلاً، ولم يعد مؤثراً في أوساط الأمة، فقالوا: إذاً ما قيمة أن نتمسك بهذا؟ لا فائدة من هذا؛ لأنهم رأوا أن لا جدوى له.

عندما تحدث وزير إيطالي وقال: إن الحضارة الغربية ـ أو بعبارة تشبه هذه ـ هي أنجح من الحضارة الإسلامية، ألم ينطلقوا يتكلمون عليه؟ وقالوا: يجب أن يسحب كلامه، قالوا هكذا علماء من مصر ومن مناطق أخرى.

والرجل هذا قال كلاماً لو نعد إلى واقعنا كمسلمين نحن الذين غيبنا الإسلام عن أن يكون بالشكل الذي يبني حضارة تكون هي حضارة للبشرية كلها، تكون هي أرقى حضارات البشرية على امتداد التاريخ كله. فالذي يقول: الإسلام، يعني الإسلام الذي يلمسه، ويراه في الساحة.

وها نحن كلنا نقول: إن الإسلام الذي نراه ونلمسه في الساحة، داخل أوساط هذه الأمة هو فعلاً لم يبنِ شيئاً! أليس كذلك؟ أليس من الإسلام عقائد نحن نقول: ليس فقط أنها لم تبنِ شيئاً، بل أنها كانت وراء الهدم، هي عقائد يحسبونها على الإسلام، وينسبونها إلى الإسلام.

نحن سنقول أكثر من كلام ذلك الإيطالي: أن أبا بكر وعمر، أليسوا من أعلام الإسلام؟ أليس توليهم دين؟ وهو دين الإسلام عند الآخرين؟ أليست الشفاعة لأهل الكبائر دين من الإسلام لدى الآخرين؟ أليست نسبة القبائح إلى الله من الدين عند الآخرين؟ وهكذا، وهكذا إبحث.

لهذا نقول، ونكرر: أنه يجب على كل من يسمع كلامنا فيرى أنه حاداً نوعاً ما، نقول: لاحظ متى ما حصلت قضية ولو داخل أسرة واحدة، جعلتها في حالة فشل وهزيمة، أليسوا كلهم يتحركون يتساءلون وبعنف ضد بعضهم بعض، يفتشون عن السبب، يقول: أنت السبب، قال: لا، أنت السبب، وقد يصلون من وراء ذلك إلى معرفة السبب الحقيقي.

يجب أن نتحرك لنعرف السبب الحقيقي، وها نحن قلنا: من الأسباب الحقيقية لنا نحن الزيدية فنون معينة، بل وكتّاب معينين، بل وأئمة ممن هم في قائمة تاريخنا وسجل أئمتنا، من ضمن الأئمة، نحن نرى أنهم جنوا علينا فعلاً، أنهم جنوا على الأمة.

أولسنا نقول: نريد أن نعود إلى الإمام الهادي، وإلى من ساروا على نهج الإمام الهادي من بعد؟ أما من تأثروا بالآخرين وإن كانوا مكتوبين لدينا ضمن أئمة، ومسجلين في كتب تاريخنا كأئمة، وهم ممن ملأوا الساحة الزيدية بكتب الآخرين، وثقفوا الزيدية بثقافة الآخرين، أن هؤلاء ليسوا قدوات لنا، ولن نسير على نهجهم، بل لم نعد نتولاهم كأئمة.

هذه قناعتنا، فلا يقول أحد من الشوافع أنه فقط الشافعية، أو أحد من الحنابلة أنه فقط الحنابلة، نريد أن نفتش، ونريد أن نعود عودة جميعاً كمسلمين إلى القرآن الكريم، وهو الذي سيهدينا، هو الذي سيهدينا.

اليوم هذا وصلني رسالة توحي بتردد نوعاً ما حول تأييد ما نطرح، أو ما نقول، أو ما نعتمد، أو.. إلخ، من أشخاص زملاء، ومعروفين، وناصحين فعلاً، لكن لأننا كلنا بحاجة إلى أن نتفهم الأمور أكثر، نحن وهم، وأن بعض الأشياء فعلاً قد تكون مفاجئة، بعض الطرح، بعض الكلام قد يكون مفاجئاً فيراه بعض الإخوان وكأنه مثير، أو يؤدي إلى إشكالات، أو.. أو.. الخ.

قلنا: لا بأس إذا كان هناك قاعدة ما تزال في نفوسنا قائمة هو: أن نجامل، أن نجامل الآخرين، أو أن نجامل أمواتاً وأحياءاً، سواء من داخلنا، أو من خارجنا، ونحن نعلم أن هذه المجاملة هي على حساب ديننا، وأن هذه المجاملة هي من تجعل أسباب الفشل، وأسباب الضعف هي المنهج الذي سنسير عليه نحن، وتسير عليه الأمة أيضاً من حولنا، فإن هذا يعني أننا نؤثر هذه المجاملة على الدين بكله، وعلى الأمة بكلها.

نحن نقول: أي خطأ ـ وكما قلت سابقاً ـ يكون خطئاً واقعياً، وليس خطأ ينطلق في الحكم على أنه خطأ مبني على قاعدة غير صحيحة، إما قاعدة التوحد التي قد نسمعها كثيراً: يجب أن تسكت عن هذا، وتسكت عن هذا، من أجل الحفاظ على وحدتنا!.

نحن نقول ـ كما قلت سابقاً ـ : الوحدة قد انتهى موضوعها، ورسمت منهجيتها، ووسائلها، وطرقها، وأعلامها، وقادتها، داخل كتاب الله، وحدة غيرها لا تجدي. ثم إن سورة [الفتح] هذه تؤكد صحة ما نقول، وأنك فقط تحاول أن تلتزم بدين الله، وأن تسير عليه على نحو صحيح.

فعندما يحظى أولئك الذين يسيرون على هذا الشكل بنصر الله وتأييده هم من سيشدون الآخرين، ويجعلون الآخرين يتركون ما هم عليه، سيلمسون فعلاً، ألم يلمس العرب، ألم يكن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يهاجم أولئك؟ يهاجمهم، ويتكلم عن أصنامهم وبقسوة أيضاً؟ في نفس الوقت الذي كان يبين الخطأ الكبير الذي هم عليه، ويدعوهم إلى ما هو عليه، وإلى ما جاء به (صلوات الله عليه وعلى آله) عن الله.

أليس هذا هو الذي حصل؟ ثم ألم يترك العرب كل تلك الأصنام، ويتجهون إلى محمد؟ متى؟ عند ما جاء نصر الله والفتح، من أين النصر ومن أين الفتح؟ أليس من الله؟ {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ}(آل عمران١٢٦) {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً}(الفتح١).

فالنصر والفتح هو الذي سيجعل مواقف أولئك الذين حظوا بنصر الله، وتأييده محط أنظار الآخرين، وهم من سيرجعون إلى أنفسهم فيقولون: ما قيمة هذا الذي نحن عليه؟ هذه المشاعر أصبحت داخل المسلمين أيضا في هذا الزمن.

أليس شعوراً كهذا حاصل داخل كثير من المسلمين في مواجهة الغرب؟ عندما رأوا الغربيين على هذا النحو: تقدم، تطور، حضارة، إنتاج، تصنيع، الذين انبهروا بهم، ما هم حاولوا أن يفلتوا هذا الدين على الرغم من عظمته، ويتنكروا له، ويعملوا على أن يلحقوا بركاب الآخرين؟.

وقد ظهر في الأمة مثقفون يدعون إلى التخلي عما نحن عليه، وأن نتثقف بثقافة الغرب، حتى نلحق بركاب الغرب! هذا شاهد أنه وجد من داخل هذه الأمة من يتنكر للدين كله عندما لم ير لهذا الدين أثراً في الحياة، وعندما وجد الحياة هناك على أبرز مظهرها لدى الغربيين تنكر للدين كله، وحاول أن يثقف نفسه بثقافة الغربيين.

أوليس هذا حاصلاً؟ أوليس كل من يرون أنفسهم أنهم يسيرون على أن يلحقوا بركاب الغرب يثقفون أنفسهم بثقافة الغرب؟ ألم تصبح النساء في الدول العربية متبرجات كالنساء الغربيات؟ وهم عندما يعملون هذه ماذا يعني؟ يتنكرون للقيم الإسلامية؛ لأنها لا جدوى منها، نحن نريد أن نلحق بركاب الغرب! وهذه واحدة من مظاهر الغرب، مجرد مظهر سنعمله. هكذا، يعني موقفهم، مجرد مظهر يتعلق بالزي، أو بالنمط المعماري، أو بأي تقليد من تقاليد الحياة والمعيشة، ينطلقون ليلتزموا به.

ألم ينشدُّوا إلى أولئك؟ ما الذي جعلهم ينشدون إلى أولئك؟ هو انبهارهم بمظاهر الحياة لديهم، أليس كذلك؟ هكذا الحق عندما يجد من يجسده، من يعبر عنه، من يتحرك على أساسه، هو من سيحظى بتأييد الله ونصره وعونه، وهو حينئذ من سيكون محط أنظار الآخرين.

هذه الشواهد بين أيدينا، شواهد من حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وشواهد من واقعنا نحن في مواجهة الغرب، واليهود والنصارى يعرفون هذه، يعرفون هذه المسألة، عندما يقال لهم: العرب أصبحوا متفرقين، يقولون: لكننا نخشى أن يظهر محمد جديد فيلتفون حوله! يعرفون أن هذه الفرقة وإن حاولوا أن يغذوها بكل وسيلة، هم يحاولون أيضاً أن لا يظهر صوت إسلامي صحيح من أي بقعة كان.

ما الخطورة فيه؟ هم يعرفون هذه كسنة من سنن الحياة، وهم شاهدوها فينا نحن المسلمين ونحن ننشد وراءهم، ونلهث وراءهم، وأننا تخلينا عن ديننا، فسيرون أن مذاهب أخرى أبناؤها سيتخلون عما يكتشف أنه باطل فيها، فيلتفون حول ذلك الحق الذي لمسوا أنه حق وراءه يد الله الغيبية تدعمه.

هذا هو العمل الصحيح للتوحد، وكل من يريد أن ينقد كلامنا من جهة أنه قد يثير آخرين نقول له: ليس المقصود إثارة الآخرين بقدر ما المقصود تصحيح الخطأ، وأن نقترب من الله أكثر، أن نعمل على إحياء ما نعلم أنه من دينه، ما يجعلنا مشدين أكثر إليه، ونحيي كتابه بين أظهرنا.

نحن نحاول أن نقترب من الله، وليس فقط لمجرد الإثارة، أن نثير الآخرين، كان بإمكاننا أن نثير الآخرين، وأن نكون على ما نحن عليه، نقرأ أصول الفقه، وعلم الكلام، ونقول: زيدية، ونحن زيدية، والقرآن تكون نظرتنا إليه كنظرتنا السابقة، ونهاجم الآخرين على هذا النحو.

لكن المهاجمة لا تجدي شيئاً، نحن نقول: نريد أن نعود إلى الله سبحانه وتعالى بجدية من خلال كتابه، وأن نهاجم الأخطاء باعتبارها معصية لله سبحانه وتعالى، وبالشكل الذي يوحي للآخرين أنه لا يمكن أن تجتمع كلمتنا بشكل صحيح يكون فاعلاً، ومؤثراً، بل لا يمكن أن نحظى بتأييد الله، ونصره، إلا إذا تخلينا عن هذه الأخطاء.

أوليس الناس كلهم، والطوائف كلهم يقولون: أن المعاصي تؤثر، تؤثر فيما يتعلق بالحصول على نصر الله؟ المعاصي المعروفة لدينا، وقد يكون أكبرها في الواقع يبدو هيناً أمام أخطاء رهيبة جداً في اعتقادات كثير من المسلمين، هي المعصية الكبرى بعينها، وهذا ما أكده الإمام الهادي (عليه السلام) أن نسبة الفواحش إلى الله، نسبة القبيح إلى الله، نسبة الظلم إلى الله معصية تقريباً لا أكبر منها، بل يقولون عنها: أنها أكفر الكفر، وأشرك الشرك.

إذاً فهل يمكن أن نثور على معاصي معينة، ونترك المعاصي الكبرى التي تحول دون أي تأييد من جانب الله؟ بل التي تكون سبباً لبقاء الإنتقام الإلهي قائماً ضد من يعتقدون هذه العقائد، أو ينظرون هذه النظرة؟.

نصحح عقائدنا، نصحح أخطاءنا في ثقافتنا، وأن نعمل أيضاً على أن نكون بعيدين عن المعاصي بشتى أنواعها، حتى تكون هذه الأمة، وتكون هذه الفئة، أو هذه الطائفة جديرة بنصر الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله لا يخلف وعده، {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ}(الحج٤٠).

كيف تنصره؟ ألست تنصر دينه؟ نصرك دينه؟ هل يعد ناصراً لدينه من يعمل على إيصال العقائد الباطلة، أو الثقافة المليئة بالأخطاء إلى الآخرين؟ هل هو ينصر دين الله، أو يشوه دين الله؟ إن الله يعلم، إن الله يعلم، يعلم دينه كيف هو، وما هو، هو الذي نزله، فإذا جهلت أنا، جهلت أن هذا ليس من دينه فالله ليس يجهل، الله لا يجهل، هو يعلم، ووعده مرتبط بمن نصر دينه، وعده مرتبط بمن نصر دينه.

وعندما يريد لعباده أن يتحركوا كمجاهدين في سبيله؛ لإعلاء كلمته، ليس فقط هو لمجرد ضرب الآخرين، بل ليحملوا دينه للآخرين، فليكونوا على مستوى حمل دينه للآخرين، ومتى يكونون على مستوى حمل دينه؟ عندما يصححوا أخطاءهم أولاً داخلهم {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد١١).

هذه هي نظرة القرآن: تصحيح الخطأ الداخلي، أن نصحح وضعيتنا أولاً حتى نعلم أنما نعتقده، وما نسير عليه، وما نتحرك به، وما نقوله هو دين الله، وحينئذ يتحرك الناس، وحينئذ سيحظون بنصر الله سبحانه وتعالى، سيحظون بنصر الله.

ولاحظوا، وأكرر أن هذا ـ فيما أعتقد ـ هو الذي قعد بالإمام علي عن المشاركة في الفتوحات، وأن تلك الفتوحات نفسها ألم تكن توسيعاً للدين على هذا النمط الذي نشكو منه؟ ألم تصبح الأمة هذه بكلها عبئاً على بعضها بعض؟ ملايين من البشر، وكلهم يقولون: يريدون أن يتحركوا على أساس إسلامي، وينصروا الإسلام، وكل من يتحرك سيتحرك على خطأه!.

ألم يصبحوا عبئا على بعضهم بعض؟ أليس الآن المطلوب أمة تعود إلى نهج صحيح حتى وإن كان بعضاً من شعب واحد؟ وأن هؤلاء سيعملون عملاً كبيراً، أما بقية الأمة فإنما أصبح عبئاً؛ لأن تلك الفتوحات هي أوصلت الدين إلى تلك المناطق بشكل منقوص، وفيه الكثير من التشويه.

فما كان لمثل الإمام علي (عليه السلام) أن ينطلق ليشارك في فتوحات أو قتال هو إيصال لدين ناقص على هذا النحو، هو يعلم أن الصراع في الإسلام، أو أن الجهاد في الإسلام، أو أن القتال في الإسلام ليس هو ذلك الذي كان معروفاً عند العرب سابقاً، قتال لمجرد قتال.

هو عمل لحمل رسالة، يجب أن تكون هذه الرسالة نظيفة، وأن من يحملونها هم يحملون تلك الرسالة النظيفة النقية، وإلا فهم أول من يعتدي عليها، وهم من سيكثرون الأخطاء بكثرة عدد من يعتنقونها، وهذا هو ما حصل وشهد على هذا أننا الآن كم! مليار ومائتي مليون مسلم؟.

أليسوا الآن غثاء كغثاء السيل؟ هم غثاء كغثاء السيل، من أين؟ حينما اتسع الإسلام داخلهم بشكل منقوص، في عقائد باطلة تتعلق بالله، وتتعلق برسوله، وتتعلق بأعلام دينه، وبكتابه، وباليوم الآخر، وبالحياة، وبالأمة كلها، عقائد باطلة في كل مجال من المجالات.

هذا ما كنا نريد أن نقوله على أساس حديث عام وليس كدرس، ويمكن أن نستغني بهذا الكلام باعتبار أننا تناولنا فيه أشياء يجب أن نفهمها نحن؛ لأنه قد يقال لي، وقد يقال لك إذا ما سرت إلى هناك، أوهناك، أو التقيت بالعالم الفلاني، أو بالمتعلم الفلاني، قد يقول لك: هذا كلام مثير، وهذا خفة عقل، هذا إثارة للفرقة، وهذا عصبية مذهبية، وهذا، وهذا!.

قد تسمع كلاماً من هذا فيجب أن تكون فاهماً، يجب أن تكون فاهماً على النحو الذي قلناه، أو إذا التبست الأمور على أحد منا أن يستفسر، وأن يتفهم أكثر؛ لأنه فعلاً لا يكون لمجموعة تأثير إلا إذا كان لديها فهم واحد، وتوجه

واحد، تعيه من كل جوانبه؛ لأنه نفس التثبيط، الكلام الذي يشوه هذا العمل، أو هذا الشخص لديك، لن يكون من جانب أشخاص ممن نسميهم منافقين، بل قد تسمعه من جانب علماء أيضاً!.

والتاريخ يشهد بهذا، والعصر الحاضر يشهد بهذا، ما من أحد يتحرك من علماء، أو يحمل علماً إلا ويعارض من قبل علماء من داخل طائفته وخارجها! الإمام الخميني شكا في وصيته شكوى مؤلمة من علماء كبار كانوا أشد عقبة، وأعظم عقبة أمامه!.

إقرأ تاريخ الأئمة من أهل البيت، تجد أنهم كانوا يعانون من معارضين من علماء، وأن أولئك العلماء كانوا ينطلقون في أوساط الناس ليثبطوهم عن الوقوف مع ذلك الإمام، ومع ذلك المصلح، أو مع تلك الحركة.

فإذا لم يكن وعي الناس إلى درجة أن لا يؤثر فيهم حتى من يحمل اسم علم، وإذا لم يكونوا يفهمون بأنهم سيسمعون كلاماً مثبطاً من جانب علماء، فليعرفوا بأنهم ليسوا بمستوى أن يعملوا للإسلام شيئاً. هذا ما أريد أن أقوله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

أمر الولاية

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٨ ذو الحجة ١٤٢٢هـ

الموافق: ١/٣/٢٠٠٢م

ألقاها بمناسبة (يوم الولاية)

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد، والصلاة والسلام على من نجتمع في هذا اليوم بمناسبة إحياء ذكرى إعلان ولايته على الأمة كلها، الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وصلى الله وسلم على أهل بيت رسول الله الذين نهجوا نهجه وساروا بسيرته فأصبحوا هُداة للأمة، ورضي الله عن شيعتهم الأخيار الذين آمنوا بمحبتهم ومودتهم وولايتهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بهديهم من الأولين والآخرين.

بهذه المناسبة العظيمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا جميعاً، ونقول لكم: عيد مبارك، وكل عام وأنتم بخير.

إنها أعياد مباركة، عيد الأضحى، وعيد الغدير، أعياد إسلامية، أعياد لها قيمتها، ولها أثرها في النفوس، وفي حياة الناس لو كانت تُحيا بالشكل الصحيح.

إنها الأعياد الإسلامية التي هي تعتبر بمثابة فرح بنصر الله، فرح بنعمة الله، حديث عن نعمة الله سبحانه وتعالى، وذكر لفضله على عباده.

إن الأعياد كثيرة تمر على هذه الأمة، أعياد كثيرة، أعياد وطنية، كل بلد من البلدان العربية وغيرها له يوم وطني، وأحياناً تزدحم الأعياد، أحياناً في بعض البلدان - كما هو الحال في بلادنا - زحمة أعياد! لكننا نلاحظ أنه في كل عام تمر تلك الأعياد والأمة تهبط إلى الأسفل، إلى الأسفل! أعياد لا قيمة لها.

إن العيد الذي هو عيد هو العيد الذي هو فَرَح بنعمة من نعم الله، الذي هو ذكر لله، كعيد الأضحى المبارك، كعيد الفطر، كعيد الغدير. {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ} (يونس٥٨).

كم تستعرض الحكومات في الأيام الوطنية! والأعياد الوطنية، تستعرض القوات المسلحة، وتستعرض أنواع كثيرة من الأسلحة، ولكننا نجد أنه لا أثر لتلك الأعياد في نفوس الناس، ولا أثر لتلك الأسلحة في رفع معنويات الناس، ونجد الهزائم تتتابع على هذه الأمة كل عام، بل كل شهر، كما هو الحال في هذه السنة التي رأينا الأحداث العجيبة فيها.

أيها الإخوة: نحن نحتفل في كل سنة بيوم الغدير، وهي عادة جرينا عليها، وسار عليها أسلافنا جيلاً بعد جيل؛ لأهمية إحياء هذه المناسبة، أولاً: أنها نصر لله تعالى، وثانياً: نصر لرسوله، ودفاع عن مقام رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وثالثاً: نصر للإمام علي** (عليه السلام)**.**

إن يوم الغدير الذي جمع فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أكثر من مائة ألف من الحجاج، وصعد فوق أقتاب الإبل؛ ليرفع يده ويد علي؛ ليقول للجميع:** ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) **بعد خطبة طويلة، يقرر فيها الأمة على أنه قد أكمل البلاغ لها.**

فعل ذلك في مثل هذا اليوم، بعد أن نزلت تلك الآية بلهجتها الساخنة: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة٦٧).

فنحن عندما نحيي هذه الذكرى؛ لأن هناك ـ وكما قلنا أكثر من مرة ـ وكل من يراقب الأحداث منكم، وكل من يراقب ما يعمله حتى من يسمون أنفسهم دعاة للإسلام، هل يتحدثون عن هذه الحادثة؟ ما أكثر الجامعات الإسلامية، ما أكثر المراكز الإسلامية، ما أكثر الدعاة بذقونهم الطويلة، وثيابهم القصيرة، ما أكثر من يتحدثون باسم الإسلام، وخدمة السنة!. هل سمعتموهم مرة من المرات يتحدثون عن يوم الغدير؟ لا.

إن يوم الغدير هم يشهدون بأنه حادثة لا شك فيها، قضية متواترة، قضية مسلّمة، لا أحد يشك من المسلمين بأنها حدثت، وفي أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **قال في ذلك اليوم على مرأى ومسمع من الحجاج الذين حجوا معه في تلك السنة:** ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**)).

دعاة سنة رسول الله! أليس هذا من السنة؟ من يتشدقون دائماً بأنهم أنصار للسنة، ودعاة للسنة، نقول لهم: هناك حديثان مهمّان، يرتبط بهما مصير الأمة، مستقبل الأمة، لا تتحدثون عنهما، وهما من الأحاديث، الصحيحة، المتواترة، التي لا شك فيها، في مراجعكم الحديثية، لا تتحدثون عنها! ونحن نراكم تتحدثون عن أحاديث ضعيفة وباطلة، تتحدثون عنها كثيراً.

هل هذا هو أسلوب من يسمون أنفسهم أهل السنة؟ أو أنصاراً للسنة؟ لا، إن أنصار السنة هم من ينصرون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، **ويقفون مواقفه، ويعملون على أن يمتد بلاغه في الأمة جيلاً بعد جيل، كما نحن في هذا اليوم بإذن الله وبمشيئة الله نقول أننا نبلغ عن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله).

كلنا جميعاً، وكل واحد منكم يحضر هذا المقام إنه بلا شك، وبمشيئة الله يكون مبلغاً عن رسول الله ما بلغه في يوم الغدير، ويدخل ضمن دعوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما قال في علي:** ((**اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**)).

إننا نتولى علياً، ونعادي من عادى علياً، وننصر علياً، ونخذل من خذل علياً. أليست هذه عقيدتنا؟ وما نعمله في هذا اليوم هو إعلان لذلك؛ لندخل ضمن دعوة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

إنها نعمة عظيمة علينا ـ أيها الإخوة ـ إن يوم الغدير هو خطاب للأمة كلها، ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **في يوم الغدير هو خطاب للأمة كلها، لكن أولئك كان أمامهم ما يحجزهم عن أن يقفوا هذا الموقف الذي وقفه شيعة علي جيلاً بعد جيل؛ إنهم تولوا أبا بكر وعمر، فهم يرون أن الاستجابة لدعوة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **التي أعلنها في مثل هذا اليوم ستكون على حساب أبي بكر وعمر، إذاً فكل شيء لا قيمة له إذا كان سيمس بمقام أبي بكر وعمر!.**

نقول لهم: أبو بكر وعمر لكم، وفيهم الكفاية لكم. إنكم قد شهدتم على أنفسكم بأن ما اعتقدتموه لا ينسجم مع ما قاله الرسول في مثل هذا اليوم.

ما الذي يمنعكم عن أن تتحدثوا بما تحدث به الرسول في يوم الغدير إلا لأنكم تعلمون أن ما قاله في يوم الغدير يتنافى مع ما تعتقدونه من المقام في أبي بكر وعمر. إذاً فافهموا أن عقيدتكم في أبي بكر وعمر أنكم تشهدون بأنها لا تنسجم مع ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

وهذا من الشواهد الصحيحة، والصريحة والواضحة على بطلان عقيدتك أي عقيدة تعتقدها إذا كانت لا تنسجم مع القرآن، إذا كانت لا تنسجم مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فاهم بأنك تعتقد الباطل، وأنك تنصر الباطل، وأنك تقف مواقف الباطل.

نحن شيعة علي (عليه السلام) هل وجدنا أنفسنا في يوم من الأيام محرجين أمام آية قرآنية، أو وجدنا أنفسنا محرجين أمام حديث قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لا، لماذا؟ لأننا تولينا من هو منسجم مع القرآن، قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)).

عندما تتولى علياً فإن تولي علياً هو مفتاح لأبواب الهداية بالقرآن، وستجد نفسك لا تصطدم مع آية قرآنية، لكن الآخرين هم من يتقافزون على الآيات القرآنية! هذه، لا؛ لأنها تمس بمقام فلان! هذه الآية وإن كانت فيها لهجة قاسية يسمونها عتاباً رقيقاً، وعتابا لطيفاً؛ لأنها تمس بمقام فلان، ومقام فلان، أو مقام الصحابة الأجلاء! وهكذا.

ما أسوأ الإنسان عندما يعتقد باسم الإسلام عقيدة تجعله غير منسجم مع القرآن، تجعله مرتاباً في نفسه أمام القرآن، والقرآن هو الذي يقول الله عنه: {لَا رَيْبَ فِيهِ}(البقرة٢) فأي عقيدة تنسجم معه هي العقيدة التي لا ريب فيها.

من السوء أيضاً، من الباطل أيضاً، أن تجد نفسك في عقيدتك لا تنسجم مع صريح قول النبي (صلوات الله عليه وعلى آله). لماذا نحن نحتفل بيوم الغدير؛ لأن الحديث عن علي لا يصطدم مع أي عقيدة لنا أخرى، هل هناك شيء يصطدم معه؟ لكن الآخرين ـ كما كررت ـ لا، لماذا؟ أمامهم أبو بكر، وعمر! إذاً حَجُّوا على أبي بكر وعمر، وتاقوا عليهم، وانشغلوا بهم.

ونحن نقول ـ أيها الإخوة ـ : إنها نعمة عظيمة علينا، نعمة عظيمة علينا أن نكون نحن الشيعة من اختصينا، ومن اختصنا الله بهذه العقيدة الصحيحة، المنسجمة مع كتاب الله، ومع رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن نكون نحن من نحيي ذكرى هذا اليوم، من نحيي ذكرى الولاية، من ننصر الله ـ كما قلت سابقاً ـ إن الله يقول: {يَا أَيُهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ}(الصف١٤).

إن من لا يعلنون ما أعلنه الرسول في هذا اليوم هم من يَصِمُون الله في حكمته، وفي عدله، وفي رحمته، هم من يضيفون النقص إلى الله.

كيف يجوز على الله سبحانه وتعالى، الذي سمى نفسه بالحكيم، العليم، العدل، الذي سمى نفسه بالرحمن الرحيم، أن يأتي لينظم شؤون كل أسرة، لينظم حتى المواريث، ثم لا ينظم شأن الأمة، ويترك الأمة دون أن ينظم أمرها!.

هل يجوز على الله؟ هذا لا يجوز على الله، لكن الآخرين جوزوه على الله، ولما جوزوا على الله أن يكون أهمل شأن الأمة رأينا عشرات الخلفاء، والرؤساء، والزعماء الذين هم بعيدون عن الإسلام يتقافزون على حكم المسلمين، وعلى أكتاف المسلمين جيلاً بعد جيل.

هل يجوز على الله أن يهمل أمر الأمة؛ ليفسح المجال لأولئك الذين لا يدينون بدينه، ولا يخشونه، ولا يخشون اليوم الآخر، هل يجوز على الله أن يترك شأن الأمة؟ لا يجوز.

فنحن عندما نجتمع في مثل هذا اليوم، نحن نقول: إن الإسلام دين ودولة، ومن الله جاء الإسلام هكذا: نظام شامل للحياة كلها، لا يمكن أن يغفل جانباً من جوانبها، ولا أن يفسح ولا قيد أنملة للضالين والمضلين، والظالمين، أن يتحكموا على رقاب الأمة.

إنه دين الله الحكيم، الذي نزله الحكيم، على رسوله الحكيم، دين عظيم، من إله عظيم، نزل على رسول عظيم؛ لينشأ أمة عظيمة، لا مجال فيها لهؤلاء الضعاف، لا مجال فيها لهؤلاء الأقزام، الذين وجدناهم أقزاماً أمام اليهود.

أليس خزياً علينا نحن المسلمين أن نرى زعماءنا، وهم ما يقارب الخمسين زعيماً كلهم يقفون راكعين مطأطئ رؤوسهم أمام اليهود؟ هل هذا هو الإسلام؟ لا يجوز أن يكون هذا من الإسلام، ولا علاقة لهذا الموقف بالإسلام، ولا شرعية لهذه النوعية أبداً في الإسلام.

فنحن عندما نتحدث في يوم الغدير بنعمة الله علينا، عندما نتحدث في يوم الغدير عن أمر الولاية، عن ولاية الإمام علي، إنه في المقدمة نصر لله، ثم نصر لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)....

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

آيات من سورة الكهف

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: الجمعة ٢٩/٨/٢٠٠٣م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

بما أن الأكثر طلاب علم، وكلنا طلاب علم، سواء كبار، أو صغار. هذا هو الشيء المفترض من جانب الإنسان: أن يكون طالب علم، حتى لو قد هو شيبة، أن يشعر أنه طالب علم. ليس الطلاب يعني الأولاد الصغار، أو الشباب فقط. على أساس أن الإنسان يهمه أن يتعلم.

وأعظم شيء يتعلمه الناس، يتعلمه الإنسان هو العلم الذي يأتي من جهة الله، ومن عند الله. القرآن الكريم أشرف علم يتعلمه الناس؛ لأن الله أنزله ليكون هدى للإنسان في هذه الحياة، فيما يتعلق بهذه الحياة الدنيا، ليسعد فيها، وكذلك ليسعد في الآخرة.

عندما يتعلم الإنسان القرآن يجب أن يفهم أنه كتاب يزكي النفوس، يطهرها، يسمو بها؛ لتصبح نفوساً طاهرة، ونفوساً سوية، ونفوساً قوية، نفوساً يملأها حب الله سبحانه وتعالى، والخشية منه، والرغبة إليه، والرهبة منه. هذا هو الشيء المفترض.

وقد ضرب الله أمثلة كثيرة في القرآن الكريم؛ ليعرف أولياء الله كيف يجب أن يكونوا، ليعرف المؤمنون على تفاوتهم من خلال أعمالهم كيف يجب أن يكونوا.

ومن أعظم ما ضرب من أمثلة، وأفضلها ما ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة [الكهف] من قصة أصحاب الكهف.

وأصحاب الكهف كانوا كما حكى الله عنهم فتية، مجموعة من الفتيان. ذكرهم هنا كيف كان إصرارهم، كيف كان صمودهم، كيف كانت قوة نفسياتهم. وذكر أيضاً كيف كانت رعايته لهم سبحانه وتعالى، وعنايته بهم، وإجلاله، وتعظيمه لهم أيضاً.

قال سبحانه وتعالى: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا}(الكهف١) هنا الله سبحانه وتعالى يتمنن على عباده بهذا القرآن، وأنها نعمة يستحق أن تثني عليه بها، وأن نشكره عليها، ونحمده عليها. {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} على عبده محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

{وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّماً} تفسر هذه على أساس أن كلمة: {عِوَجاً}تقابل كلمة: {قَيِّماً} التي تعني أن هذا القرآن مستقيماً {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}(فصلت٤٢) ولكن يستوحى من هذه كلمة: عوجاً، أنه لا يوجد أي اعوجاج من قبل الله أمام العمل في سبيل الله، والعمل لإعلاء كلمته، والصدع بالحق.

هنا الله يذكرنا أنه أنزل هذا الكتاب هدى للناس، أنزله ليسيروا عليه، أنزله ليهتدوا به في كل مواقفهم، وهو هو سبحانه وتعالى الذي خلق السموات والأرض، وخلق الناس كلهم، فلم يجعل له في هذه الحياة، في سنن هذا الكون، ما يمكن أن يصطدم به فيرتد. هذا غير جائز على الله سبحانه وتعالى.

{وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا} حتى نعرف فعلاً خطورة التوهم بأن هناك في هذه الحياة ما لا يسمح للناس أن يتحركوا في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله. نحن نسمع كثيراً من الناس عادة يقولون: [ما جهدنا، وأعداؤنا أقوياء، والدنيا قد هي كذا، ونحن حالتنا كذا..] تجد أننا نعرض قائمة من العوج، قائمة من العوج.

تتفهم هذه الآية التي تؤكد لنا بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي خلق الإنسان، هو الذي رسم السنن لهذا الكون، السنن لهذه الحياة، لا يمكن أن ينزل القرآن، ثم يقول للناس أن يلتزموا به، وأن يعملوا في سبيل إعلاء كلمته، وأن يسيروا على هديه [ثم يجعل له في هذه الحياة، في سنن هذا الكون، ما يمكن أن يصطدم به] هذا غير وارد، لا فيما خلقه كسنن، وجعله كسنن، ولا في تدبيره أيضاً، تدبيره الدائم بأنه حي قيوم سبحانه وتعالى، وعلى طول [هذه الحياة].

من يتأمل القرآن يجد أنه فعلاً يقطع كل الأعذار، ولا يبقي مجال لأي تساؤل حول عندما يقول الناس: [ما جهدنا، وأعداؤنا أقوياء، الدنيا قد هي كذا، الدنيا قد هي كذا..] كلها يرفضها، كل العوائق تراها من نفوسنا نحن، لا نتفهم كتاب الله، ونترك أمامنا دائماً قائمة من هذه المفاهيم المعوجة، الأفكار المعوجة التي تجعل هذه الحياة، تجعل هذه الأرض مليئة بالمطبات أمام دين الله.

ومن أغرب ما يقال مثلاً: [الدنيا قد هي ملان نفاق، والدنيا هذه ملان كفر وما باستطاعتنا نعمل شيء] ويقدم الدنيا بالشكل الذي لا يمكن أن تكون ساحة للعمل في سبيل الله، ولا ننطلق للعمل لإعلاء كلمة الله إلا إذا ما فيها شيء من هذا! إذا كانت الدنيا هذه كلها مليئة بأولياء الله فما الذي يبقى لهم أن يعملوا! ما الذي سيفعلون؟!.

إذاً فليفهم الناس هذه الإشكالية؛ لأنها فعلاً من أكثر ما يهيمن على نفسيات الناس. فعندما يتحرك واحد في أوساط الناس كم تسمع من مفاهيم معوجة! وعندما تسمعها فهم يتحدثون عن الحياة، أليس كذلك؟ [الدنيا كذا والدنيا ملان أعداء، والدنيا ملان مفسدين، وأعداؤنا معهم أسلحة، ومعهم طائرات، ومعهم، ومعهم... الخ] أليسوا يتحدثون عن الحياة أنها ملان عوج، ومطبات؟!.

لكن من يسيرون على هدي كتابه لن يجدوا أيَّ مطب يصنعه هو، أن يكون قد صنعه هو سبحانه وتعالى هو في الحياة أبداً، ولا في تدبيره، بل يصنع ماذا؟ يصنع المتغيرات، ويهيئ الأجواء أمام أوليائه إذا انطلقوا على هديه.

هذه القضية مما أكد عليها القرآن الكريم، وخاصة في هذه السورة، سورة [الكهف].

إذاً القرآن هو قيِّم، يرسم طريقاً مستقيماً، ويستقيم بمن يسيرون على هديه، ما ترى عوج، إنما تراه في عملهم هم، في عملهم وهم يسيرون على هدي القرآن، لا يكونون من النوع الذي دائماً يعملوا شيئا ثم يكتشفوا خطأ، عملوا شيئاً في ثاني مرحلة ثم اكتشفوا أخطاء، وأنهم كانوا مخطئين، وأنهم كانوا غالطين.

هذا لا يحصل لمن يسيرون على كتاب الله، وكمثال عملنا هذا الذي يتمثل في رفع شعارات، وتوعية، واهتمام بقضايا من هذه، على نحو ما يقارب من سنتين، عندما انطلقنا على أساس كتاب الله، وعلى أساس الإهتداء بكتاب الله، ألم نجد كل الأحداث تشهد بأهمية هذا العمل؟ وهل أحد منا ندم في هذا العمل، على أساس أننا كنا غافلين، عندما رفعنا شعار واتضح إن ما كان هناك حاجة إلى أن يرفعوه؟!. لا.

تجد كلما مشت من الأحداث، كلما ظهرت أهميته أكثر فأكثر، وكلما تقدمت الأيام، وأيضاً ظهرت متغيرات أخرى، كلما ظهر أهمية أن ننطلق في هذا العمل بجدية، وأن ينطلق الناس أيضاً معنا في هذا العمل، وأنه فعلاً من يسيرون على هدي الله، وهدي كتابه، لا يكتشفون أنفسهم أنهم سلكوا طرقاً ثم ندموا في سلوكها، أنهم تبنوا أشياء، ثم ندموا على تبنيها؛ تجدهم دائماً يلجموا، أخطاء، يخطي ويصحح، ويخطي ويصحح دائماً!.

تأتي هذه الأحداث من خلال تحرك الأمريكيين، تحرك الإسرائيليين، تحرك دول الغرب هذه. من يتأملها بنظرة قرآنية لا يمكن أن يحصل لديه إحباط، ولا يحصل لديه يأس، بل يمكن أن يرى هذه الفترة من أفضل، وأحسن الفترات بالنسبة للإسلام، لمن يعرفون كيف يتحركون في سبيل الإسلام، فعلاً.

ومن لا ينظرون نظرة قرآنية، يجدوها فترة مظلمة، وفترة رهيبة. هي فعلاً رهيبة، وخطيرة، لكن لمن لا يتحركون على هدي القرآن، فهي خطيرة، ورهيبة فعلاً، هنا في الدنيا، وفي الآخرة.

أما من يسيرون على هدي الله، على هدي كتابه - على حسب فهمنا، وتقييمنا - أنها من أفضل المراحل في تاريخ هذه الأمة، لمن يعملون في سبيل الله فقط، لمن يتحركون في سبيل الله، وعلى أساس كتابه.

وأنها يبدو ليست مرحلة من سنة، أو سنتين، بل ربما قد تكون من نحو عشر سنين تقريباً، من نحو عشر سنوات بدأت متغيرات بشكل عجيب في هذه الدنيا. ولكن ما أسوأ حال من يعرضون عن كتاب الله، في مرحلة كهذه.! وبدأت مؤشرات سوء الحال، وسوء المصير، عندما اتجه الأمريكيون للاستيلاء على صياغة المناهج، وإنزال المناهج

التربوية، وحتى السيطرة على المساجد في معظم الدول العربية، ثم لا تسمع كلمة، ولا تسمع أي ممانعة، ولا تسمع معارضة. هذه حالة خطيرة جداً على الناس، حالة خطيرة جداً على الناس.

كما قلنا أكثر من مرة: من أسوأ ما في هذه بالنسبة للناس أننا جئنا من جديد نمكن بني إسرائيل من كتابنا، من تثقيف أنفسنا، من تثقيف أولادنا؛ ليحرِّفوا، ليخفوا الكثير منه، وهم من قد نزع الله من بين أيديهم كتبه، ووراثة كتبه، وأنبيائه، فهل نمكنهم نحن؟!.

هذا من أسوأ المواقف التي تدل على أن القرآن الكريم الذي يمجد الله نفسه، ويثني على نفسه بإنزاله إلينا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} وإذا بالمسلمين اليوم يريدون أن يسلّموا هذا الكتاب إلى بني إسرائيل، الذين قد حرَّفوا التوراة، والإنجيل؛ ليخفوا منه ما يريدون، ويجعلونه قراطيس يبدونها، ويخفون كثيراً.

ألسنا نسمع أخباراً بأنهم يريدون أن يخفوا آيات الجهاد، والآيات التي عن بني إسرائيل، وآيات مدري ماذا! يطلع لك نصف القرآن يخفونه عن الناس! هذا يعتبر من الكفر الرهيب، من الكفر الرهيب بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على عباده: القرآن.

لأنه في كثير من الآيات يبين عظمة هذا القرآن، وأنه نعمة كبيرة على عباده، أنه يثني سبحانه وتعالى على نفسه بإنزاله، {الْحَمْدُ لِلَّهِ} يعني: كل الحمد، وكل الثناء، وكل المجد لله {الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}، والذي هو في نفس الوقت أيضاً لم يجعل عوجاً أمام هذا الكتاب في سنن الحياة، ولا في تدبيره هو، فيصطدم بها. وجعله قيِّما لمن يسيرون على نهجه، يرسم الطريق المستقيم، والمواقف المستقيمة، والرؤى المستقيمة، والمفاهيم المستقيمة.

الكثير من الناس الآن ممتلئة أفكارهم بمفاهيم معوجَّة، فمن كان هناك لديه مفاهيم معوجة، فمعنى هذا أنه لابد أن يعود إلى القرآن، القرآن هذا القيِّم، الذي يقوِّم أي اعوجاج، يقوِّم أي اعوجاج في النفوس، أي اعوجاج في الآراء، في المفاهيم، في الأفكار، في الطرق، فهو يقوِّمها.

وحتى نفهم أن هناك اعوجاجات كثيرة، عندما تجد حملة العلم لا يتحركون، ولا يضجون حتى في هذه اللحظة الخطيرة جداً عليهم، وليس على الكتاب، الكتاب في نفسه الله قد حفظ الكتاب في نفسه، لكن نحن بحاجة إلى أن نحفظ أنفسنا، ونحفظ التزامنا، ونحفظ استقامتنا به. وإذا لم نحفظ استقامتنا بالإلتزام به، والسير على هديه، وهو قيِّم، سنصبح معوجين في حياتنا، وتصبح معوجة كل نتائج مواقفنا هذه السيئة.

كيف لا يعترضون، ولا يضجون على أن هناك توجه يهودي للسيطرة على مناهج المسلمين! أنا أتصور هذه أنها عند الله كبيرة جداً، أنها مظنة أن يحصل للأمة هذه ضربات شديدة، وأنها في نفس الوقت فضل عظيم لمن ينطلقون ليعارضوا هذه الفكرة التي يتبناها اليهود، يعارضوها بجدية.

ونحن يجب أن نتحرك لنعارضها بجدية، ونفضح الأمريكيين بها في نفس الوقت. لكن للأسف متى ما قلنا بعض الأشياء، لا يتفهم بعض الناس ما هي التي يتحركون بها في الأوساط! نحن قلنا: نتحرك أمام هذه الفكرة، بأن نقول للناس، نقول للناس، ونشيعها في أوساط الناس: أن هذا يدل على أن الأمريكيين ماذا؟ ليسوا صادقين في قولهم: أنهم يريدون مكافحة إرهاب، وأنهم إنما يلاحقون الإرهابيين هنا وهناك؛ لأن المدارس الحكومية في مختلف بلدان الدنيا هذه لا تنتج متشددين، لا تنتج ملتزمين بالإسلام! فلماذا بادروا إليها ليحتووها، ويغيروا المناهج التعليمية، ويصيغونها على ما يريدون؟ مع أنه منهج لا يطلّع ملتزمين بالدين؟!.

هل لأنه منهج يطلع إرهابيين؟ لا، ما يطلع إرهابيين على ما يقولون هم. فهذا فضحهم، ويبين لكل ما لا يفهمون: أن الأمريكيين متجهين لتغيير ثقافة الأمة هذه؛ ليبنوا جيلاً يتولاهم، يحبهم، يجلهم، يمكنهم من الهيمنة

عليه، بدل من أن يكونوا أولياء لله، ومحبين لله، وأن يمكنوا كتاب الله من أن يحكم عليهم. يكـون البـديل هـم اليهود، فهم يريدون هذه، يريدون الاحتلال لأفكارنا، لنفوسنا، لبلادنا، لقيمنا، لكل ما يربطنا بديننا.
هم يريدون هذه، وإلا لما اتجهوا إلى المدارس الحكومية الـتي لا تخـرج مناهجها ولا ملتـزمين، التـزام بـبعض الأشياء، ما هذا معروف؟ أم أنه ليس معروفاً؟ تحدثوا في أوساط الناس نحن نقول: إذا كنـا أذكيـاء نعـرف كيـف نعمل سننجح أمام أي قضية ينزلها الأمريكيون.
إذا كنا أغبياء سيقهروننا بغبائنا. هم ما تغلبوا علينا اليهود إلا لغبائنا، هل تفهمون هذه؟ لأننا دائماً لا نهتـدي بالقرآن. أؤكد على كل واحد أن يتحدث في هذه النقطـة، أن هـذا يفـضح الأمـريكيين بـأنهم قـالوا: يريـدون مكافحة الإرهاب فقط! هم يريدون احتلال، وهيمنة، وحرب للدين؛ وإلا لما اتجهوا إلى تغيير المناهج في المـدارس الحكومية التي لا تخرج حتى ولا مصلين. أليس هذا معلوماً؟.
هذا أرجوه من كل شخص أن يتحرك فيه، كل شخص يتحرك فيه. هذه نقطة أعتقد مهمة. وإذا كنـا إلى درجـة أن لا نتحدث عن النقاط المهمة فعلى الأقل نتوجه، نتحدث بين مجابرنا كمطلب، فلان طلب منا أن نقول: كذا، كـذا، من بين الكلام الكثير الذي يتحدث به الناس.
نقول: الآن افتضح الأمريكيون، افتضحوا، الذين قالوا أنهم لا يريدون إلا أن يحاربوا الإرهـابيين! تجـد جامعـة الإيمان ما تحدثوا حولها، صحيح؟ ما كان المفروض ـ على زعم أنها تخرج إرهابيين ـ أنهم يزيحوا المنـاهج حقهـا؟ اتجهوا إلى المدارس الحكومية التي فيها مئات الآلاف من الطلاب، أي فيها جيل، فيها شعب، فيها شعب بأكملـه. في يوم من الأيام يخرجون بثقافة أخرى.
يعني لسنا فاهمين لحد الآن أن هذا يعتبر فضيحة للأمريكيين؟! ما معنى فضيحة؟ يعني يفضح كلامهم بأنهم فقط يريدون أن يحاربوا الإرهابيين. وأنهم يريدون الاحتلال، وحرب الدين نفـسه، وصـياغة جيـل يكونـون عبيـداً لهم، يهيمنون عليهم كما يريدون، ويثقفوهم كمـا يريـدون، وإلا لـما اتجهـوا إلى المـدارس هـذه الواسـعة، وإلى المناهج، في مصر، والسعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، والعراق، واليمن.
ما كان هم يضحكون على الناس بأنهم قالوا أنهم ملاحقين إرهابيين فقط؟ أليسوا هكذا؟ الآن صدقنا نحن؟ إذا مـا بين نصدق نحن؛ ولهذا تجد في قول الله تعالى: {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} (الزمر٣٣) أنها نقطة هامـة جـداً، نقطة هامة جداً أن تكون أنت أول مصدق بما تأتي به، مصدق بما تتحرك فيه أنت، وإلا فـيجلس واحـد مرقِـل، يجلس واحد مبهطل، يجلس واحد غير مهتم، ما عنده حركة، ولا عنده تفاعل جاد.
إذا واحد مثلاً ما هو مصدق بالقضية، وقد يكون الكثير من الناس هكذا متحركين وما هم مـصدقين؛ لأنـه يوجـد داخلهم عوج كثير في نفوسهم، وفي أذهانهم، [خليهم البادي منهم، لكن معهم هه: الله أكبر الموت لأمريكا].
نحن نقول: يجب أن تفهم، يجب أن تفهم، أن عليك أن تعتقد عقيدة أن دين الله لا يحده حـدود، ولـيس أمامـه عوج، وأنه يجب أن تنظر نظرة القرآن، وإلا فقد يكون الإنسان فعـلاً عقيدتـه باطلـة في الله؛ لأن كـل الأفكـار لدينا هي تقصر المسافات، تقصر الرؤى، يصير معناها أنه ماذا؟ أن هذا الدين غير قادر، ومـن وراء هـذا الـدين وهو الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه، أن يعلي كلمته، أن يظهره على الدين كله. تفهمون أنها حالـة خطـيرة؟ تحدثنا عنها أكثر من مرة.
الإنسان يكون عنده: [وين هي أمريكا! ووين احنا من امريكا!..] ثم يفتر، ما هو في الأخير يفتر واحـد؟ يرجـع يفتر؟ لماذا؟ لأنه ليس ممن {جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلـى آلـه) والله يـذكر هنا في نفس هذه السورة عندما قال: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} (الكهف٦)؛ لأنه مصدق بهذا الحديث هو، ينطلق بجدية، ينطلق باهتمام، ينطلق برؤية لديه عالمية، مع أنه كان في مدينـة واحدة، في المدينة المنورة، ورؤيته رؤية القرآن، ونظرته نظرة القرآن، وهو يعلم أنه رسول للعالمين جميعاً.

فهو في زمنه يخطط، ويتحرك فعلاً في رسالته يتحرك ليبني أمة، ولبناء أمة تكون قادرة على أن تتحرك بهذا الدين على العالمين، ليظهر على كل الديانات، ليظهر على كل الثقافات، ليظهر على كل المجتمعات الأخرى الباطلة؛ {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (التوبة٣٣).

إذاً فعليك كواجب؛ لأن الله يريد منا أن نعمل، أن نعمل، نحارب أمريكا، إسرائيل، هي الدنيا هي صغيرة في عالم الله، إعتبر أننا نحن وإياهم داخل بيت فقط، داخل بيت واحد، يعني بيت واحد من ضمن هذه البيوت الكثيرة، الكواكب الكثيرة في هذا العالم الفسيح.

نتصارع نحن وإياهم، نتكلم، نرفع شعارات، منشورات، نعد أنفسنا، يحصل ما حصل. ابعد من ذهنك أمريكا كبيرة؛ إسرائيل كبيرة، بالعناوين الكبيرة، هي عوج، هي تعتبر عوج، وهي التي دائماً تقعد الناس فعلا، هي التي تقعدهم، لا يأتي عوج أبداً إلا من داخل النفوس، تخلي الناس يقعدوا، فلا يعودوا يتحركوا لشيء، أو يتحركوا ببرودة، وتثاقل.

أول شيء نفهم نحن، نفهم نحن، الذين كنا نسمع على مدى السنين هذه الماضية، أنهم قالوا: ملاحقين إرهابيين! ألم نكن نسمع هذه؟ أليس هذا تصرف من هو ليس مفكر في إرهابيين؟ هو مفكر في احتلال الكل؟ سحب الأسلحة هذه كل ابوها، يسحبوها كلها، ويعملوا على سحبها، والهيمنة على المناهج؛ ليغيروا المناهج، ويثقفوا هذا المجتمع الكبير، في المدارس الحكومية: الأساسية، الثانوية، الجامعة.

أليس هذا عمل من لديه فكرة أن يحتل؟ إذاً يجب أن نفهم نحن على الأقل، نفهم نحن أولاً أننا فعلاً أمام أعداء يريدون أن يحتلوا، ويحاربوا ديننا فعلاً؛ لأنه عندما نسكت سنسكت عن أعداء رهيبين يتجهوا لأن يجعلوا هذا القرآن قراطيس، وقد جعلوه لحد الآن قراطيس، نحن وإياهم، لم نعد نجعل له قيمة في الحياة، ولا في حركتنا على أساسه.

أيضاً زيادة {تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً} وهذه نقطة ثانية: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ}، والله يتحدث معهم عن كتابهم، التوراة {قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى} (الأنعام٩١) ثم قال بعد: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً}. إذا كانوا عملوا هذا بالتوراة وهو الكتاب الذي أنزل عليهم فكيف بالقرآن الذي هم أعداء له، ما هم سيخفون كثيراً؟ ما بتقرأوا في الأخبار، في الصحف، أنهم يريدون أن يغيروا آيات الجهاد، يبعدوها؟ هذا من الإخفاء، وآيات في بني إسرائيل، هذا من الإخفاء كثيرة جداً.

عندما يبعدوا حوالي ثلث القرآن، أو نصف القرآن، يخفوه ما يبعدوه منه، ما يستطيعوا يخفوه، ويخفوا المصحف نفسه. ما هذا يدل على أنهم حرب للدين؟. لكن تجد أن الناس لا يهتمون بهذا، لا يدرون ماذا وراءها؟ بعضهم لا يهمه أمر الدين، يحرقوه، أو يدمروه!.

لكن ننظر إلى مثال تحدثنا عنه بالأمس، حتى نعرف علاقة الدين بنا في هذه الدنيا، في حياتنا هنا في الدنيا، وفي حياتنا في الآخرة؛ لتعرف كيف يعمل الأذكياء من الأعداء، كيف يتجهون لمحاربة ديننا.

مثلاً الشيطان ما الله ذكر في القرآن بأنه عدو مبين للإنسان، شديد العداوة للإنسان؟ الشيطان هذا نفسه، هو وشياطينه، ومعه جنود كثير، هل هو يسلطهم على [قاتنا] يقطفوه؛ لكراهته لنا، أو على سياراتنا يكسروها، أو على أولادنا يسقطوهم؟ أو على [بتّنا] يكسروه.؟

هل هو يسلطهم على شيء من أمور الحياة هذه التي لدينا؟ مع أنه عدو شديد العداوة. لماذا يتجه إلى أن يفصلنا عن الحق، وعن الدين؟ لماذا؟ لأنه يعرف بأنه إذا ضربنا في ديننا، ضربنا في الحياة هذه، وفي الآخرة، وأوصلنا إلى جهنم؛ لأنه عدو شديد العداوة، يريد أن يلحق بنا أقصى، وأقسى ضرر.

فهو يعرف أن حياتنا هنا، سعادتنا، قوتنا، عزتنا، مجدنا، شرفنا، مرتبط بديننا، فليضرب الدين حتى لا تقم لنا قائمة. الشيطان ربما يعرف أكثر مما يعرف كثير من الناس السنن الإلهية، التي ذكرها الله في القرآن؛ لأنه

سمع من أول يوم {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه١٢٣) ولنصبح هكذا: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} (طه١٢٤) فهو يعمل على أن نعرض {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}.

الشيطان ما هو ذكي؟ لأنه فهم تماماً علاقة سعادة أعدائه هؤلاء، الذين هم بني آدم، أن سعادتهم مرتبطة بدينهم في هذه الدنيا، وفي الآخرة، وعزتهم، وقوتهم، ومجدهم، ورفعتهم. إذاً فليهاجمهم في هذه النقطة في دينهم، [وإلا يستطيع أن يكسر سيارات الناس، ويقطف قاتهم، وبنهم].

أليس الأعداء إذا هناك متعادين، أليسوا يعتدون على بعضهم بعض؟ هذا يقطف [قات] ذاك، وهذا يقطف [بنّه]، أو يحرق حطبه، أليس هذا الذي يحصل من الناس؟ الشيطان ينظر إلى أن هذه القضية قضية من يعملها يعتبر مغفل. إذا أنا أريد أن أضرب الناس تماماً، أضربهم في دينهم.

اليهود والنصارى، أولياء الشيطان يعرفون تماماً الطريقة هذه. أعداء الله الذين حكى عنهم بأنهم أعداء لنا، ألم يتجه اليهود بسرعة، وما قد احتلوا إلا شعبين، هما العراق وأفغانستان، واتجهوا ليغيروا المناهج، ويسيطروا عليها في معظم البلدان العربية. فاهمين هم أن أهم شيء يجب أن يركزوا عليه هو ما يتعلق بديننا، فليفصلونا عن هدي الله، عن دينه، فيكونوا قد حققوا كل شيء.

يخرجون أمة ضعيفة، هزيلة، مفرقة، مشتته، لا تعرف شيئاً، لا تحرك ساكناً، ويكونون قد هيمنوا على كل شيء، مما يجعل معيشتنا في الأخير معيشة ضنكا.

السعوديون الآن معيشتهم ضنكا، وهم لديهم خمسة ملايين برميل في اليوم، من غير الموارد الأخرى، من بعد ما دخل الأمريكيون لديهم في حرب الخليج من عام [٩١م] وضعيتهم الآن سيئة جداً مقارنة بما كانوا عليه سابقاً.

إذاً فلنفهم، نفهم أن الناس الذين يفكرون [قالوا أن هناك حرب للدين] وعنده الدين! مادام أنه ستسلم له أموره الخاصة، فليست مشكلة لديه، لا، يجب أن نفهم أن هذا الشيء، وهو: علاقة الدين بنا. لهذا في الواقع أن ما الدين هو الذي هو بحاجة هو إلينا مثلما نقول، العبارات التي تعودنا عليها: [ندافع عن ديننا].

إن الدين هو الذي يدافع عنا، نحن بحاجة إلى الدين نحن، نحن بحاجة إلى الدين في حياتنا هذه؛ لأنه ماذا يعني الدين؟ الدين هو هدى الله، هداه، هدانا، أي رسم لنا طريقة، وهدانا إليها؛ لكي نتحرك في هذه الدنيا؛ لنكون أقوياء، لنكون أعزاء، لنكون سعداء، لنكون عظماء، في هذه الدنيا، وفي الآخرة. هذا هو معنى الدين.

أليست حياة الناس ضنكا؛ لإعراضنا عن الدين، والحياة كلها ضنكا، عندنا وعند غيرنا. الحكام الذين نراهم الآن مرتاحين، بأموال كثيرة، وممتلكات هائلة، في أشد ضنك الآن، قد كل واحد ينظر إلى ما لديه، وقد هو يرى أنها لم تعد إلا أيام وأمريكا ستقضي عليهم. أليس هذا من ضنك المعيشة؟.

تصبح أموالهم، وأولادهم وسيلة تعذيب نفسي شديد لهم، مثلما قال الله في القرآن: {وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا} (التوبة٨٥) لأن أشد عذاب لك في هذه الدنيا عندما تأتيك الأشياء الصعبة وأنت في أحسن حال باعتبار ممتلكاتك. أليست الحالة ستكون نكايتها أشد؟

بعض الناس يرى نفسه ذكياً يقول: [ياذه حاول تِسلّم، وتحافظ على مصالحك] أليس هكذا؟ وفعلاً تكبر مصالحه، وتتكاثر، لكن تكون في الأخير بالشكل الذي كان أفضل له أن يضرب قبل كم سنين، ولا أن يمهل إلى بعد عشر، أو خمس عشرة سنة، وقد صارت دنياه واسعة، وقد ممتلكاته واسعة، وقد هو في أعلى مكان. سيكون وقعها شديد جداً على نفسه.

وهذا من أمثلة: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة٨٥).

أليس الفقير الصعلوك لا يكترث؟ يدمروا بيته لا يكترث لذلك، كم هو بيته! غرفتين، ثلاث، ما يحسب لها حساب. لكن هؤلاء الكبار الآن في حالة؛ ولهذا لاحظوا؛ لأنهم قد اعتموا بشكل رهيب، من أجل إذا بالإمكان أن

يفرعوا في نفوسهم، وليس فينا، إذا ممكن يفرعوا في نفوسهم من أمريكا [تفضلوا غيّروا المناهج، تفضلوا وغيروا المرشدين، وخطباء يخطبوا على كيفكم، ومعلمين يعلموا على كيفكم، إذا ممكن تسلمونا] ولم يسلموا.

وهنا يتضح أيضاً كيف يكون عمل الناس الذين يحكمون الناس، ولا يهتموا بالناس فعلاً في الأخير يضحوا بالآخرين، يضحوا بديننا ما هي مشكلة، يضحوا بنا ما هي مشكلة، إذا هو سيسلم، إذا قد هو سيسلم هو وتسلم ممتلكاته فما هي مشكلة.

ومن أخطر ما عملوه، من أخطر ما عملوه أن يسمحوا للأمريكيين أن يتجهوا للتحكم على مدارسنا، ومساجدنا، وهم عملوا هذا من أجل ماذا؟ أليسوا يقولون: حفاظاً على مصالحنا! كذب، وأوسخ كذب من يقول العبارات هذه، لماذا؟ لأن أهم مصلحة لدينا، ويحافظ على مصالحنا، هو ديننا. إذا أنت ستمكن العدو الذي هو من أولياء الشيطان، وشيطان ربما أشد من إبليس، تمكنه أن يلعب بديننا، أنت تضرب أنت أهم أساس لمصلحتنا، أنت الذي تقول إنك محافظ على مصالحنا.

وكثير من الناس لا يفهمون، يقولون: قالوا أنهم يريدون الحفاظ على المصلحة العامة للشعب، أليسوا يقولون هكذا؟! أي مصلحة ستحافظ عليها وقد أنت مستعد أن تمكن الأمريكيين أن يغيروا المناهج التعليمية، ويتحكموا فيها، وعن طريق الأوقاف يتحكموا في المساجد؟!. هل بقي مصلحة يحافظون عليها؟ بعد ما يتجهون إلى ضرب الدين هل بقي مصلحة؟ أبداً.

يجب أن نفهم علاقة الدين بنا، وحاجتنا الماسة، والشديدة إلى الدين الذي يعني: هدي من الله لنا في هذه الحياة؛ لنكون سعداء. الله ما خلق الإنسان في هذه الدنيا ليشقى، هل تعرفون هذه؟ لا يأتي الشقاء إلا من الإعراض عن دين الله، لا يأتي الشقاء في هذه الدنيا إلا بما صنعه المعرضون عن هدي الله.

ليس فقط سيقولون لك: [إن الله خلق الدنيا هكذا تعيبة، ومتعبة، ومصائب، وبلاوي، وشقاء...] وأشياء من هذه، لا، الله خلق هذه الدنيا كحياة للإنسان؛ ليسعد فيها، والقرآن الكريم يؤكد هذا في أكثر من آية.

وهذه الآية نفسها هي واضحة: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه١٢٣) ماذا يعني يشقى؟ لا يشقى كما شقي آدم عندما أخرج من الجنة. ألم يكن في جنة جعل الله له جنة يعيش فيها حياة سعيدة، وعيشة واسعة.

ولكن عندما خالف ما نهاه الله عنه شقي، ألم يشق؟ يعني أخرج من تلك الجنة، حتى نزعوا عنهم ملابسهم، وينزل يدبر نفسه، يتعلم كيف يحرث، ويزرع، وكيف ينسج له لباس، ما عاد تستر إلا بورق من ورق الجنة يغطون على عوراتهم بها! فعلاً ليس المعنى أنه لباس التقوى، {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} (الأعراف٢٧) يعني: لباس التقوى، لا، هذه قضية حقيقية، أن الله يؤكد فيها أن الناس ما يشقوا في هذه الحياة إلا بسبب إعراضهم عن هديه؛ لهذا فالأعداء الأذكياء، الأعداء الأذكياء، الخبثاء أشد عداوة، هم من يتجهون إلى ضرب الدين، أي إلى فصلنا عن ديننا، وهذا العمل الذي يعمل عليه إبليس على مدى آلاف السنين؛ ليضربنا في أهم قضية يتوقف عليها سعادتنا في الدنيا وفي الآخرة.

فيجب على الإنسان أن يكون واعياً، ومنزعجاً جداً عندما يسمع أن هناك توجه لحرب الدين، أن تعرف أنهم يحاربونك في أهم مفصل، ويضربونك في أهم موقع بالنسبة لحياتك كلها، في الدنيا وفي الآخرة.

كثير من الناس يسمع بحرب للدين [وامانة الدين والدين] وعنده في ستين داهية الدين، عنده الدين هناك حاجة ثانية، وهذا ـ مثلما قلنا أكثر من مرة ـ هذا مثل واضح فعلاً أنهم بتوجههم إلى السيطرة على مناهجنا الثقافية، أنهم محاربين لديننا. أليس هكذا؟ وأن توجههم إلى هذه النقطة هم يعرفون بأنها أهم نقطة يتوجهون إليها، فإذا ما تمكنوا منها تمكنوا من كل شيء بالنسبة لنا، وضيعونا في الدنيا، وفي الآخرة.

لأنه بالنسبة للآخرة ما الله حكى عنهم أنهم قالوا: {لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى} (البقرة١١١) يريدون أن يتحكموا في الدنيا، وعندهم أنهم أيضاً سيتحكمون في الجنة! ما يريدوا أن يروا عرباً قبلهم في الجنة نهائياً إذا دخلوا، يتصورون أنهم سيدخلون هم، لا يريدون أن يرونا قبلهم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

هنا يقول في الآية هذه: {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ} (الكهف١-٢)؛ لأنه سيأتي بالحديث عن ناس انطلقوا في سبيله، وهم أصحاب الكهف، انطلقوا بموقف قوي، أعلنوا فيه إيمانهم بالله الواحد القهار، أعلنوا فيه إيمانهم بالله وحده، وكفرهم بكل ما يعبد قومهم من آلهة أخرى، بموقف علني، وموقف قوي.

إذاً فالقرآن هذا نفسه لينذر بأسا شديدا من لدن الله ألم يقل هكذا: {لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ}؛ لأن الكثير من الناس أمام العمل في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، دائماً يخافون بأس الآخرين، أليس هكذا؟ يخاف أن يسجنوه، يخاف أن يلحقه شيء، يخاف أنه يقتل، يخاف، يخاف.. الخ.

يقول له: أن الشيء الذي يجب أن يخافه الناس هو البأس الشديد من لدنه، من الله، وليس مما لدن الآخرين. {لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ} وبأس في الدنيا، وبأسا في الآخرة أشد من باس أي طرف آخر، أو أشد من أي باس من لدن الآخرين، الذين نخاف منهم فنقعد عن التحرك لنصر الله، وإعلاء كلمته، ومواجهة أعدائه.

ما هذه وحدها عالجت إشكالية ثانية لدينا؟ ما يقعد الناس عن التحرك في سبيل الله إلا مفاهيم معوجة، ونظرة أن الحياة هذه معوجة من عند الله! هذه واحدة أبعدها {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}.

ما يقعد الناس أيضاً عن التحرك في سبيل الله إلا الخوف من بأس الآخرين، البأس الذي يأتي من لدن الآخرين، من لدن الأمريكيين، من لدن دولة، من لدن إسرائيل، من لدن أي شخص كان، أو أي جهة كانت، أليس هذا هو الذي يقعد الناس؟ قل وهذه واحدة.

نجد أن الله يذكّرنا بأنه لا، وأن البأس الشديد الذي يجب أن نخافه هو البأس الشديد الذي من لدنه هو، أما ما كان من لدن الآخرين لا يمثل شيئاً، وهذا شيء معلوم، حتى تعرف البأس الشديد من لدنه في هذه الدنيا أنظر إلى ما توعد به من أعرضوا عن ذكره، ما توعد به من أصبحوا أولياء لأعدائه، ما توعد به المفرطين في مسئوليتهم، في إعلاء كلمته، خزي شديد في الدنيا، ذلة، قهر، إهانة، معيشة ضنكا في الدنيا، وفي الآخرة سوء الحساب، وجهنم.

أليس هذا بأس شديد؟ يوم واحد في جهنم أشد من مائة سنة عذاب في الدنيا هذه، في زنزانة، أو في سجن كيفما كان، أن يوم واحد في جهنم أشد {لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ}، وفي نفس الوقت: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} (الكهف٢) من انطلقوا يخافون البأس الشديد من لدن الله فيما إذا فرطوا، وقصروا. هل جلسوا يتخوفون من الآخرين، ويرون الآخرين أكبر من الله؟.

هؤلاء انطلقوا فكان عملهم عمل هام، وما أعد الله لهم من الثواب العظيم في الدنيا، وفي الآخرة، بالشكل الذي يقول فيه: {وَيُبَشِّرَ} والبشارة لا تأتي إلا بالشيء العظيم بالنسبة لك، {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ}، ينطلق في العمل الصالح؛ ولأنه عمل صالح يرضي الله، ولأنه عمل صالح في سبيل إعلاء كلمة الله، ينطلق فيه، لا يحاول أن يذهب أولاً يسأل سيدي فلان، أو سيدنا فلان [هو قد وجب علينا نرفع شعار؟ الشعار هذا واجب؟] لا، المؤمنون الذين ينطلقون لمجرد أن يعرف أن هذا عمل صالح يرضي الله يتحرك فيه.

أما الآخرون فما يعبروا فعلاً عن صلاحهم، إنما يعبر عن أنه ماذا؟ لا علاقة له بالله، إلا علاقة إذا يعني أنه يحاول إذا قد الشيء لم يعد منه مجال، قد هو خائف أ ن الباري سيضربه، فلا بأس سيتحرك فيه.

ولكن أنه أحياناً قد يكون الزمن بالشكل الذي لم تعد الإشكالية عند من ينطلق يسأل، بل عند المسئول نفسه، من تسأله، قد هناك إشكالية عنده، يقول لك: لا، ما قد وجب، بعضهم؛ لأن قد هناك خلل، خلل في ثقافتنا، خلل في معلوماتنا، بحيث لم يعد يتذكر أن هذا الشيء قد يمكن أن يكون واجباً وهاماً، من الواجبات الهامة.

إذاً هذا فيما يتعلق بالقرآن، فيما يتعلق بإزاحة بعض الأشياء التي تعتبر عائقاً أمام العمل بالقرآن؛ لإعلاء كلمته.

ننتقل إلى آية أخرى، وهي قول الله تعالى لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ} ماذا يعني: البخع؟ هو أن تقد بطنك بسلاح، هذا معنى البخع، يعني من شدة أساه، وأسفه، أن قومه ما رضيوا يهتدوا بهذا القرآن، ولا يستمعوا له، ولا يسيروا على هديه، من شدة أسفه.

ماذا يعني هذا؟ يعني أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف عظمة هذا القرآن، وهو إنسان رحيم بالناس، حريص على الناس، يحب للناس الخير إلى أقصى درجاته، حتى أولئك الأعداء الذين يواجهوه؛ لأنه عرف أنه رسول للعالمين، وما يزال الكثير من الناس معاندين، ومع هذا لشدة أسفه أنهم ما رضيوا يهتدوا يكاد أن يقتل نفسه لشدة أساه.

لاحظوا كيف موقفنا نحن، ما هناك أحد ممكن أنه يدفعه أسفه إلى أنه يتعاون بأبسط شيء من أجل القرآن فضلاً عن أن يقتل نفسه، أو ينطلق في عمل من أجل إعلاء كلمة هذا القرآن.

{إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ} أي بهذا الكتاب {أَسَفاً} عليهم؛ ولهذا أنه يجب علينا ـ إذا كنا متأسين برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ أن ننطلق ولو بجزء، ونحن نحمل جزءاً من نفسيته، من اهتماماته، من إخلاصه، من حرصه، من صموده، من قوته.

فهنا يكشف لك نفسية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ولهذا كما نقول: إن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة سيرة النبي، القرآن يعرِّفك حتى على مشاعر النبي، ونفسية النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومواقفه. فهو يعتبر من أهم المصادر للتعرف على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

القرآن الكريم أهم من كتب السير، كتب السير هي تتحدث عن أحداث تاريخية، أحداث، مثل: معركة كذا، كانت في يوم كذا، بتاريخ كذا، وأدت إلى كذا، في سنة كذا، و.. الخ.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (الكهف٧) هذه أيضاً قد تكون من العوائق بالنسبة لكثير من الناس، الذين لا يفهمون ماذا تعني الحياة الدنيا، وماذا تعني الحياة الآخرة، كمجموعة مظاهر، مما هي زينة في هذه الحياة، تشده أن يخلد إليها.

ينسى أن هذه الحياة هي فترة محدودة، وأنه قد يضيِّع بسبب الإنشداد النفسي إليها، قد يضيع الحياة العظيمة الآخرة، الحياة الطويلة، في أرقى نعيم، يضيِّع الجنة.

فهذه هي زينة لها في هذه الحياة، ويتمتع الإنسان بها في هذه الحياة، لكن لا يجوز أن تشكل عائقاً أمام الحياة الأخرى؛ لأن هذه ستكون خسارة، تتعمر ولو مائة وعشرين سنة، ولو مائة وعشرين سنة، في أرقى نعيم في هذه الدنيا، وبعدها تموت، وبعدها تدخل جهنم، ما هي تعتبر خسارة كبيرة؟.

لكن نتفهم ما هي الحياة هذه، إذا الناس فعلاً نظروا إلى هذه الحياة نظرة صحيحة، وواقعية تعيش، ومهما تمتلك في هذه الدنيا لا يعد بالإمكان أن يعيقك؛ لأنك ترى نفسك أمام حياتين: الحياة الدنيا هذه، والحياة الآخرة.

تفترض أنك في أرقى نعيم، أنك ملك لهذه الدنيا كلها، هي بيدك، أنك تعتبر خاسر، إذا كان تصرفك فيها بالشكل الذي يجعلك تخسر الجنة؛ لأن الجنة نعيم عظيم، ودائم ملايين السنين، مليارات السنين، ما تنقطع.

ولهذه التي هي من مظاهر الحياة، وزينة الحياة أيضاً لها دور هام في تبين من هو الأحسن عملاً {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} أحسن عملاً، أحسن إنتاجاً، أحسن في عمارته للحياة هذه، يعني: لها دخل في عمارة الحياة، لها دخل في إعلاء كلمة الله، في نشر دين الله.

أليس هذا شيئاً معلوماً، أن مظاهر الحياة هذه لها دخل في هذا الموضوع، أنت عندما تريد أن تتحرك في سبيل الله ما هو بيظهر أمامك حاجة إلى قائمة طويلة عريضة من مظاهر هذه الحياة؟ أنت تريد أموال، تريد أجهزة، تريد آليات، تريد أسلحة.

يظهر أمامك مجموعة أشياء من مظاهر الحياة، تكون محتاجاً إليها في التحرك لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، فمعنى هذا أن ما يمتلك الناس في هذه الدنيا، أن يفهموا أن له علاقة قوية بماذا؟ بإعلاء كلمة الله؟ بنصر دين الله؟ بأن يكونوا أحسن عملاً؟ وفعلاً من يتحركون في هذا المجال، هم أحسن عملاً في الدنيا، وللدنيا، وللآخرة. من يتحركون في سبيل الله؛ من أجل إعلاء كلمة الله.

يبتليهم هو {أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} يعني ما تنظر إلى ما عندك وكأنه مثل عندما [ينبذوا] للثور، الدنيا هذه ليست [نَبْذَة، نَبْذَة ثور] يأكل منها. حتى تلاحظوا بالنسبة للثور نفسه، عندما يأتي واحد يكلف امرأة تؤكّل الثور، ما هو يريد ليكون الثور أحسن عملاً؟ أو يقدم له [عَلَف]، ويتركه يأكل قليل ويرتاح، ويقدم له [عَلَف] جيّد أليس من أجل أن يكون أحسن عملاً؟ عندما يكون يعمل عليه؟.

يجب أن نفهم أن الدنيا هذه إذا واحد فهم هذه الدنيا بشكل صحيح، لن ينشدّ إليها، لن ينشد إليها فعلاً، مهما ملك، ويمشيها بشكل صحيح {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} إذاً فتفهم بأن ما لديك من الممتلكات في هذه الدنيا، من مظاهر هذه الدنيا، أن المطلوب منك أن تتحرك بها، ومن خلالها؛ لتكون أحسن عملاً، يعني: ما هي [نَبْذَة] مثلما ينبذوا لدابة من الدواب، يأكل فقط.

وفي الأخير: {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً} (الكهف٨) في يوم من الأيام، بكل ما عليها من مظاهر، بكل ما عليها من أشياء، تصبح صعيداً، ما فيه أي شيء، لا نبات، ولا مطبات، هذا يوم القيامة.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} (الكهف٩) العلاقة ما بين أول السورة، تتحدث عن عظمة إنزال الله لهذا الكتاب باعتبارها نعمة كبيرة، ووعد أنه في واقع الحياة أن ليس هناك مطبات أمامه، وإنما من عندكم أنتم لا تتفهمون.

وأن ما تتصورونه بأساً شديداً لدى الآخرين، أن البأس الشديد الذي يجب أن تخافوه هو من عند الله، وكيف كانت نفسية رسول الله لما كان مصدق بهذه الأشياء، قضية هامة، كما قلنا سابقاً: يجب أن تكون مصدق بما أنت تنطلق فيه؛ لتكون أكثر فاعلية، فاعلية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، واهتمامه بلغ إلى هذه الدرجة {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} يكاد أن يهلك نفسه، أن يطعنها لشدة أساه {إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} (الكهف٦) على أنهم لم يؤمنوا بهذا القرآن.

فالقرآن الذي لا يبدو عند العرب الآن له قيمة، ومستجيبين لأمريكا تعمل ما تريد، ولا كأن هناك قرآن! ولا كأن لهم علاقة بالقرآن! ولا كأنه يمثل شيء في حياتهم، تحدث عن دور مظاهر الحياة هذه كآليات، ووسيلة لأن يكون الناس أحسن عملاً، وعن نهايتها.

ولأن هذا موضوع عملي يضرب مثلاً فيما يتعلق بمجموعة من الناس انطلقوا في سبيله، وكيف كانت هدايته لهم، وكيف كانت رعايته لهم وثناؤه عليهم.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} (الكهف٩) من الآيات العجيبة، من أعجب الآيات التي تكشف رعاية الله، وعنايته بأوليائه، وثناءه على من ينطلقون صامدين في سبيله، آية لمن؟ آية لمن بعدهم، آية

للناس. آية من آيات الله، تكشف لنا حقيقة، تعطينا عبرة، تعطينا رؤية، نحن المتأخرين من بعد أصحاب الكهف.

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ}(الكهف١٠) فتية، مجموعة فتيان، {فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} ودائماً ترى القرآن الكريم، كلما يتحدث، ويعرض أي نموذج من أوليائه، في أي مجال من مجالات أعمالهم، دائماً يكشف لك مشاعرهم، أنها ممتلئة بحب الله، والإنشداد إليه.

وهذه حالة هامة جداً، قضية هامة جداً، لاحظ هؤلاء: {فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} لأن نسيان الله، نسيان الناس لله، نسيان الإنسان لله يكون لها آثار سلبية خطيرة جداً عليه، في دنياه وفي آخرته، ولا يتمكن ينهض بأي مسؤولية.

الإنسان الناسي لله، إذا ما كان مرتبطاً بالله، ومشاعره مرتبطة بالله، يظل دائماً ضعيفاً، مهما ملك، كضعف حكام العرب الآن، ما هم ضعاف، لديهم ممتلكات هائلة من الأموال؟ ولديهم أسلحة هائلة، ولديهم، ولديهم، لكن تراهم في أضعف موقف!.

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً}(الكهف١٢) هذا موجز القصة، خلاصتها، ثم يقول في تفصيلها: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}(الكهف١٣) مؤمنون بالله، ومنشدين إلى الله إنشداداً قوياً.

{فِتْيَةٌ} مجموعة شباب، {آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}، ونحن ما كل واحد يدعي أنه مؤمن؟ لكن يوجد فوارق كبيرة جداً بين إيمان مجرد كلام، إيمان لا يحرك ساكناً في مشاعرك، إيمان ما يوجد لديك أي غضبة لله سبحانه وتعالى، هذا إنما هو مجرد عنوان إيمان، مجرد اسم. هؤلاء {آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ}(الكهف١٤) قوى قلوبهم، وهذه هي قضية عندما يقول عنها في المقدمة بأنها آية من آياته، آية لنا المتأخرين نعرف، ليعرف الناس أنهم إذا انطلقوا مؤمنين بالله بشكل صحيح، مؤمنين بالله بشكل جاد، فإن الله يقوي أنفسهم؛ لأنه هو الذي يتحكم في نفوس الناس.

هذه أيضاً تلغي أمامك كثيراً من التقديرات التي تحصل عند كثير من الناس، عندما يتحرك الناس في عمل، فيكونون في الأخير ينظرون أن ما معهم مشايخ كبار، وينظروا ما معهم علماء كبار كثير، ولا وجهاء، ولا تجار، فكأنهم يرون أنفسهم ضعافاً! لا، هنا يقول لك: أن الناس إذا انطلقوا بصدق فإنه يرفعهم هو سبحانه وتعالى، وفي الأخير ترى في يوم من الأيام أولئك الآخرين، الذين تراهم الآن كباراً، تراهم صغاراً، يصغرون فعلاً، يتهمشون، يضيعون.

وهذه لها أمثلة من واقع الحياة، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما بعث ما هو بعث نشأ يتيماً، ونشأ فقيراً، بعثه الله رسولاً وفي مكة وفي الطائف وفي مجتمعه شخصيات كبيرة ووجهاء، عمل على أن يسلموا أن يؤمنوا، لم يرضوا.

الآخرين الذين كانوا عنده، كان كثير منهم مجموعة من الناس، يبدو مساكين، ما كان يتنازل الآخرون أن يأتوا إليه، أولئك الكبار: الوجهاء، والعباقرة، ما كانوا يتنازلون يأتون إلى عنده، يقولون: اطرد هؤلاء من عندك.

ما الذي حصل بعد؟ هذه هي سنة إلهية، الله رفع أولئك الذين كانوا مستضعفين، ونفوس ضعيفة، وقلوب ضعيفة، عندما انطلقوا مؤمنين، رفعهم وقوّى قلوبهم، وأصبح أولئك الكبار أين؟ في أسفل سافلين، وأصبحوا تحت أقدامهم صرعى في بدر. ألم يحصل هذا؟.

هذا يعطي الإنسان ثقة بأنك أنت ما تقول [ماذا سنعمل نحن، لا معنا تجار مثل هؤلاء، ولا، وكم سنمحوا مما يعمل اليهود، احنا إحسب ان احنا ضعاف..] ويحس واحد بنفسه وكأنها أنها ضعيفة!.

يجب أن تفهم أن الله هو من يصنع النفوس، ويقوّي القلوب هو، وأن أولئك الذين يرون أنفسهم مساكين، وكأنهم أغبياء، ما معهم عباقرة، ما معهم مفكرين، ما معهم مثقفين، ما معهم كذا، أن الله سيعطيهم المعرفة، ويعطيهم العلم، ويعطيهم البصيرة، وينور قلوبهم، ويقوي قلوبهم، فيصبحوا عظماء فعلاً. وترى الآخرين مهمشين. هذا الذي حصل، عباقرة قريش، وجهاء قريش، كبار قريش [انتهوا وتهمشوا فعلاً].

[حصل هذا مع كثير من الشباب الذين انطلقوا يكبروا في الجامع الكبير] يحس بقوة فعلاً، كثير منهم وهم محققين معه، وهم كذا، ويرى أولئك يراهم أصغر منه، الذين يحققون معه، يحكون لنا كثير من الشباب هذه القضية. لاحظ كيف أنه كثير من الكبار مننا، كيف يكون خائف ربما يسجنوه! هذا ينطلق لا يبالي بالسجن.

ألم يظهر هذا بشكل عجيب؟ هذا مما يطمئن على أن طريقة الناس هي طريقة هدى، وطريقة حق، وأنه عندما يكونوا على هذا النحو أنهم يحظون بتأييد من الله سبحانه وتعالى، وتقوية لنفوسهم، وتقوية لقلوبهم، فعلاً ينطلقوا يكبروا، ويسجنوهم، وكبروا، ودخلوهم الأمن السياسي باعتباره مزعج ومرعب.

بحيث أنهم في الأخير أفادوا هذا العمل بشكل كبير من خلال السجن، أفادوا العمل هذا نفسه، يعني برهنوا على انه ما يزال هناك في الناس، من أوساط الناس، من هم أقوياء نفوس، من هم رافضين لهذه الوضعية التي يجبن أمامها الكبار؛ لذلك لحد الآن يعتبر مظهر من هذا القبيل، أنه بدا لنا العرب ضعاف، في الوقت الذي بدا أطفالنا وشبابنا أقوياء، أقوياء يتحدوا أمريكا بشعار، وأنهم يستطيعون أن يؤثروا على أمريكا بشعار.

وفضحوا أمريكا أيضاً، تعرفوا أنهم فضحوها، أنه من الفوائد الكبيرة - إذا كنا نفهم - بأن الذين ينطلقون ليسجنوا هؤلاء، ظهر أن الأمريكيين وراء الموضوع، هذا فضح الأمريكيين؛ لأن الأمريكيين يقولون أنهم دعاة حرية، وديمقراطية، ورعاة حقوق إنسان، وعناوين من هذه. أليسوا يقولون هكذا؟ لكن هذا الشعار فضحهم.

يعني كيف تقول أنك حامي ديمقراطية، وحريات، وحقوق إنسان، وأنت نصف دقيقة في الأسبوع ما استطعت أن تمسك أعصابك أمامه، فضحهم بأنهم كذابين في ادعائهم أنهم حماة للحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.

ما من حق الإنسان أن يتكلم؟ لكن هذا، مع أنه عبارات: [الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل] هل فيها سب؟ ما فيها سب، أليس هذا صحيحاً؟ فيه [اللعنة على اليهود] اللعنة على اليهود، الأمريكيون لا يظهرون أنهم يهود، واليهود أساساً هم ملعونين عند الكل، يوجد الكثير يكرهونهم مننا، ومن النصارى يكرهونهم، لكن هم قد تغلبوا على النصارى وهم يثقفونهم، مثلما يتجهون إلينا يثقفوننا، وقد هم يحولون النصارى إلى صهاينة يشتغلوا معهم، تعرفون بأنهم قد بيحولوا النصارى إلى صهاينة؟ قد هو يهودي في قالب نصراني، مثل الآن، يحولوه يهودي وشكله مسلم، هم هكذا يعملون.

نقول: إذاً هذا فضح الأمريكيين نفسه فعلاً، نصف دقيقة في الأسبوع تفضحك، ما تستطيع تتحمل أنك ترعى الديمقراطية، وتحميها، وحقوق الإنسان، وأشياء من هذه؛ لأنه اتضح فعلاً أنهم وراء السجن هذا، هم الذين وجهوا بالسجن.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} إن الله يقوي القلوب، هو سبحانه وتعالى متى ما انطلق الناس على هديه {إِذْ قَامُوا فَقَالُوا} قاموا معلنين، صريحين، متحدين: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً} ما هذه عبارة تعبر عن موقف صمود، وإصرار؟ {لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً}.

والقرآن الكريم يعرض هذه الأشياء كنموذج للمواقف، وإن كان قد يأتي فيما بعد، في طريق من يسيرون على هديه، أن يكون لهم مواقف، لو لم تعد بهذا التعبير تماماً؛ لأنه مما يستوحى من القصة: وقوفهم بقوة، إصرارهم، صمودهم المعلن. {إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً}.

إذاً عندما ينطلق الشباب، ويقوموا بقوة، ويرفعوا شعار كهذا، ما معناه أنه لن نكون كأولئك الخانعين، الخاضعين، الخائفين، القاعدين المرتدين عن دينهم؟ ما معناها هذه وإن كان هذا بعده أمريكا تهدد، وإن كان هذا بعده سجن، وإن كان بعده ما بعده.

هذا هو نفسه من مظاهر الصمود لمن يسيرون على هدي الله، ويبين الفارق بين ضعف نفوس منهم معرضين عن هدي الله، وإن كانوا كباراً بما يمتلكوه، لكن قد هو يقول للأمريكي: [تمام، غير كيفما تريد، في مساجد، في مدارس، اعمل ما تريد، إذا قد با تسلمنا شرك] وبين من ينطلقون.

أليس ذلك الأول يبدو ضعيفاً؟ ضعيف جداً ومهزوز، ومن ينطلقون يقولون: لا، [الموت لأمريكا] وسنعمل على أن تموت أمريكا، ونواجه أمريكا، ونحارب أمريكا، ما هذا هو الموقف القوي؟ ما هم ظهروا أقوى من أولئك الكبار، الذين معهم طائرات، ودبابات، وجيوش؟ ثم تصبح في الأخير لا تمثل شيئاً.

لأن القوة قوة النفس. إذا كان الإنسان قوياً في الله، ويسير في طريقة حق ستصبح وسائل بسيطة لديه مؤثرة جداً، وإذا ضعف الإنسان بسبب إعراضه عن الله، وعن هدي الله، تصبح كل ما لديه من قوات كثيرة لا تمثل شيئاً في الأخير.

وهذا معلوم، أليس واضحاً الآن، طائرات [ميج ٢٩] وطائرات [إف ١٥، وإف ١٦] ودبابات متطورة مع العرب من كل بلاد، وجيوش بعشرات الآلاف، لـمّا كانوا يمتلكون نفوساً ضعيفة أصبحت هذه لا تمثل شيئاً، أليس هكذا؟ وترى من ينطلقون بقوة، سواء في لبنان، في فلسطين، شباب يهتفون بشعارات من هذه، ما هم في الأخير يكشفون أمريكا؟ ويفضحون أمريكا، ويفضحون من يبدون أقوياء في ما لديهم من إمكانيات، وقلوبهم مهزوزة، وتهتز ضعفاً.

فهؤلاء من يصبح للأشياء البسيطة فاعلية، وأثر كبير، هم من يربط الله على قلوبهم {إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً} معظم العرب الآن متجهين إلى أمريكا، وكأنها إله، ويطيعوها فيما تريد، ولتعمل ما تريد، وتنفذ ما تشاء، وتفعل ما تشاء، ولا تسئل عما تفعل. هكذا يتعاملون معها فعلاً، كما لو كانت إلهاً!.

فالذين ينطلقون في وجهها، معناه: لن ندعوا من دون الله إلها آخر كمثلكم. وفعلاً قالوا: هناك حديث ـ أنا ما قد اطلعت عليه ـ هناك حديث، أنه (لا تقوم الساعة حتى يعبد العرب بيتاً غير الكعبة) واحد نشره، وأظن بأنه أضافه إلى [كنز العمال]، وحلل هذا الحديث قال: انه فعلاً يبدو من وضعية العرب الآن متجهين للبيت الأبيض، لم يعودوا يتجهون لبيت الله، المعبر عن ألوهية الله، وملك الله، وتوحيد الله؛ لأن الله جعل البيت مثابة للناس: مرجع، ومن خلاله يكشفون أنهم عبيد لله، وأنهم مربوبين بالله، ومملوكين لله، وأنهم يجب أن يألهوا إلى الله.. وهكذا.

{هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً} (الكهف١٥)

وهكذا وضع العرب، ما هم بالشكل هذا؟ تراهم اتخذوا من دون الله أمريكا فعلاً، يطيعوها، ويخضعوا لها، ويمكنوها من أبنائهم يثقفوهم كما تريد، ومن مساجدهم، ومن خطبائهم.

يعني: أمريكا متجهة الآن بأن تتكلم عن طريق المنهج، عن طريق الإذاعة، عن طريق التلفزيون، عن طريق الصحافة، وتسكّت عن طريق المسجد، تسكّت الخطيب لا يتعرض لآيات من هذه، حول جهاد، حول فضح لبني إسرائيل، لا يتحدث مع الناس يذكّرهم بخطورة القضية، ومسؤوليتهم أمام الله؛ ليسكت هؤلاء حتى تتكلم أمريكا فقط، من خلال المنهج، ومن خلال الصحفيين، والكتاب، والإذاعات، والتلفزيونات، وغيرهم.

إذا لم تصل إلى أن يكون هناك خطباء فعلاً، يكون أسلوبهم بالشكل الذي يهيئ قابلية لأمريكا. ما هذا الذي يحصل؛ لأن مجرد تسكيت الخطباء عن أن يتحدثوا عن القضايا هذه هو يعتبر خدمة أمريكية فعلاً، والدول العربية تتجه لهذا، الدول العربية تتجه إلى هذه فيما ما يتعلق بخطباء المساجد.

ومن العجيب أن العرب الآن لا يأخذون العبرة من بعضهم بعض، تجد أنهم عندنا في اليمن متجهين إلى الفكرة هذه، لا يأخذون عبرة من السعودية أنها أزالت كم من الخطباء، وكم أئمة مساجد، وما فرع فيها من أمريكا.

هذا هو العمى، والدبور الذي ما بعده إلا عقوبة شديدة، وتسليط عظيم، متجهين أنه يجي لهم خطباء مصريين، ويتجهوا إلى أنه يعلموا خطباءنا ما يتعرضوا للقضايا هذه نهائياً، ويخطبوا في مواضيع معينة قد بعضها فعلاً مما يريد الأمريكيون ترسيخه في المجتمع.

فهل أنت متجه لهذا من أجل زعم أمريكا ترضى عنك؟! لماذا لا تأخذ عبرة من السعودية التي أزالت حوالي ألف خطيب، وما فرع فيها من أمريكا!.

هي مرحلة كان لو كان عاد عندهم بصيرة، هي مرحلة أن يكون الخطباء في كل جامع يتحدثون مع الناس، يحرضونهم على الجهاد، يذكرونهم بالمسؤولية، يبينون لهم خطورة هذه الوضعية، يبينون لهم أمريكا، ومؤامراتها، كيدها، أهدافها.

ما كان هذا هو المفترض: أن يحرضوا الناس. ما هو يحاولوا يسكتوهم، ولا كلمة، ولو تأتي تسألهم هل سينفع هذا؟ أمريكا سترضى عنكم؟ سيقولون لك: لا، هذا هو العمى فعلاً نعوذ بالله من العمى. {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج٤٦) أما عيونهم فأنت تراها بعضهم مثل عيون الثور، كبار، لكن بصائرهم قد عميت.

أصحاب الكهف هم قالوا: {رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} الله سبحانه وتعالى قال، أو كأنها حكاية لحال القضية، ما كأنه وحي، أي: كأنه قال هكذا سأجعل {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً} (الكهف١٦) لماذا نقول بأن هذا لا يمكن أن يكون من شخص منهم يدعو به، ولا يبدو أنه وحي؛ لأنه ما أحد منهم كان نبياً، كما هو معروض في [قصة أصحاب الكهف] أنه يوحى إليه. إن الكلمة هذه دقيقة جداً لا يمكن أن تأتي إلا من جانب الله، لا يمكن أن أحداً يعملها في دعاء، ولا يتذكرها في دعاء.

{ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقا} الإرتفاق معناه فيما يتعلق بالجانب الأمني، والجانب الغذائي، يعني سأجعل لكم من واقعكم، ومن هيئتكم، ومن وضعيتكم، ما تستغنون به عن الغذاء، وما يحقق لكم الأمن.

أصحاب الكهف، عندما اتجهوا إلى الكهف، الوضعية التي كانوا فيها وضعية يبدو مجتمعهم، بسلطتهم بكلها، اتجاههم آخر.

هم مجموعة محدودة، ومن الطبيعي أن يحصل في تاريخ الأنبياء، في تاريخ الأولياء، أن يكونوا قليلاً بهذا الشكل محدودين، سيتجهون إلى مكان ليفكروا أين يتحركوا بعد، وأين يتجهوا ليعملوا على مواصلة نشاطهم، ما هو هروب، ليست مسألة أنه هروب، أنهم قد قالوا تلك الكلمة وهربوا وانتهى الموضوع؛ لأن الكهف نفسه لا يمكن أن يكون مقراً لمن هو هارب من أمر، وسيجلس فيه وما له حاجة، أليس هكذا؟.

وإنما ماذا؟ مرحلة يقضّوا فيه فترة، يتجهون إلى الكهف، يقضوا فيه فترة، ويفكروا أين يتجهوا، أو كيف يتواصلون مع الآخرين لمواصلة نشاطهم، يعني ليس هروباً.

الله سبحانه وتعالى بين هنا بشكل عجيب؛ ولهذا قال: {كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} كيف أنهم قد لجأوا إلى كهف، ولا طعام، ولا شراب، وفي وضع خطير، قد يمكن أن يلحق بهم أحد. كيف هيأ الله أن يكونوا على وضعية

يستغنون بها عن الطعام والشراب، وتحقق لهم أمناً، بحيث أنه ما أحد يدخل عليهم، لا حيوان، ولا إنسان، ولا شيء.

كذلك رعاية أنه يحرك الشمس، يغير مجراها، كل يوم يغير مجراها في لحظة معينة عندما تطلع وعندما تغرب، كل يوم على مدى ثلاث مائة سنة، وتسع سنين.

فمن يحرك الفلك لمجموعة أشخاص راقدين في كهف من أوليائه ألا يستطيع يصنع كثيراً من التغيرات في هذا العالم ليهيئ أمام من يتحركون في سبيله، وعلى سبيل هديه؟. هذا مثل للناس.

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت}(الكهف١٧) هنا بدأ يتحدث عن ما يهيئ لكم من أمركم مرفقا. كيف أنهم عندما كانوا راقدين في كهف، وهذا الكهف بحاجة إلى شمس، إما في لحظة معينة تنزوي عنه، وفي حالة معينة تعطي جزءاً من شعاعها إلى هذا الكهف، أو إلى محيطه؛ لحاجتهم إلى هذه؛ فليحرك الفلك من أجل صحتهم، من أجل الحفاظ على صحتهم هم يحرك الشمس عن مسيرها! {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت} كل يوم {تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ}.

وهكذا تجد في المقابل؛ لأنه في نفس الوقت: {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً}، في المقابل أيضاً ماذا يعمل؟ يهيئ، ويدبر، ويعمل متغيرات كثيرة، تهيئ أمام من يتحركوا في سبيله، لكن إذا كانوا على هذا النحو: فتية آمنوا بربهم، صادقين، متجهين بصدق، ومصدقين بما هم متجهين فيه، أن يكونوا مصدقين بالقرآن، وواثقين بالقرآن، القرآن فقط، لا يمكن أن تتقبل أي شيء آخر غيره، أو تهتز ثقتنا به بأنه لا يمكن أن يهدينا في كل مجال من مجالات الحياة، وفي كل موقف من مواقفنا أمام الآخرين.

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} والتركيز على هذه بخصوصها: ذلك من آيات الله للناس؛ ليعلموا كيف يصنع هو سبحانه وتعالى لمن يتجهون في سبيله، وعلى هديه، كيف يعمل أشياء رهيبة، مجموعة فتية يحرك من أجلهم الشمس كل يوم مرتين عن مسارها الطبيعي! أليس هذا لتعظم ثقة الناس بالله، يعطيك الآيات التي تجعلك تثق بالله، وتعظم ثقتك به؛ فتتحرك في سبيله، وتلتزم بدينه.

{ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} هو المهتدي حقاً {وَمَن يُضْلِلْ} ومن يضيعه {فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً}. تلاحظ أن موضوع الهداية، الهداية تأتي هداية إرشادية، بقيم تتحلى بها، بأعمال تمارسها، خلال تتخلق بها، وطريقة تسير عليها.

كذلك إن الله يهدي فيما يتعلق بوضعية الناس، فيما يتعلق بوضعيتك، في الجانب الأمني، والغذائي، والجانب الصحي. {مَن يَهْدِ اللَّهُ} كلمة هدى، معنى كلمة هدى الله أن الله يهدي الإنسان في كل مجالات حياته، ويقدم ما يصل به إلى الأفضل، والأقوم في كل مجالات حياته. ألم يقل هناك: {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}(الإسراء٩).

فمن يهدي الله، من يتولى الله هدايته فهو المهتدي حقاً، {وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً}، من يضيعه الله بسبب إعراضه عن هديه، بسبب إعراضه عن كتابه، فلن تجد له ولياً يرشده إلى الصواب، ويرشده إلى ما ينفعه في حياته.

فعندما يتجهون إلى الأمريكيين، عندما يتجهوا إلى البريطانيين، عندما يتجهوا إلى هؤلاء ويستوردوا خبراء من عندهم، كم يجلسوا يستنزفون من العرب! خبراء ألمان، بريطانيين، أمريكيين، كم يستنزفون من أموال في مجالات أخرى، ومع هذا ترى الناس ضالين، ضالين! أمة تائهة، أمة مستضعفة، أمة مقهورة، وهي تمتلك أضخم

الثروات في العالم هذه الأمة؛ لأنه هكذا: ومن يضلل، من يضيعه الله فلن تجد له ولياً، أي ولي آخر على الإطلاق يرشده إلى الصواب، وإلى ما ينفعه.

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ} (الكهف١٨) هذا فيما يتعلق بالجانب الأمني بالنسبة لهم، كأنهم أيقاظ وهم رقود، بحيث أن أي شيء يدخل عليهم يخاف، ويرجع، سواء إنسان، أو حيوان، أو أي شيء كان.

وضعية مهيبة، وضعية مخيفة، يخاف من يبدي عليهم، وهم رقود. ما هو هنا شكل الباري من وضعيتهم، من قوله: {مِنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} من حالكم، ومن وضعيتكم، ومن هيئتكم فيما يتعلق بالجانب الأمني والغذائي، ما تستغنون به عن الغذاء، وما يحقق لكم أيضاً أمنا وأنتم رقود!.

{وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} حتى لا تؤثر الأرض فيهم، أو يتعب جزء من الجسم {وَنُقَلِّبُهُمْ} لاحظ العبارة هنا: {وَنُقَلِّبُهُمْ}، إلى درجة التقليب يتولاها الله سبحانه وتعالى! ما هذه هي الرعاية الكاملة؟ من تقليب الشمس وتحركها إلى تقليب أجسادهم في الكهف.

هنا يضرب لك مثلاً بأن الله سبحانه وتعالى هكذا يعمل لمن يهتدون بهديه، ومن يسيرون على هديه، أنه يرعاهم في الأشياء الكبيرة والصغيرة.

{وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} وضعية الكلب نفسه يجعلها بالشكل الذي يبدو الكلب في وضعية حراسة وهو جالس في فناء الكهف باسط ذراعيه، فينقل الوضعية التي يكون الكلب عليها في حالة الاستعداد للحراسة.

لأنه إذا كان راقد تكون وضعيته ثانية، ما هو يكون متمدد على جنب، يتمدد الكلب؟ لكن تلك الوضعية وهو {بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ} في وضعية الحارس؛ لأنها هي الوضعية التي تتناسب مع جسمه، بمجرد أن يرى شيئاً ينطلق بسرعة، وضعية الإنطلاقة بسرعة.

فالله يهيئ أن يجعل وضعية الكلب وهو في فناء الكهف وضعية الحارس. يعني: أي واحد يراه من بعيد يرى كلباً هناك يقدر أنه مثلما يكون مستيقظ، وهو معهم راقد، الكلب معهم على طول الفترة، على طول الفترة، سواء الباري جعله راقد، أو الله أعلم، ما نعلم بشيء بالنسبة لوضعية الكلب هل كان راقد، إلا أنه فعلاً جالس على طول ثلاث مائة وتسع سنوات. ولكن فعلاً قد يكون راقد معهم، ويجعل له الباري ما يستغني به عن الأكل والشراب، ويبقى هناك في فناء الكهف باسط ذراعيه بالوصيد.

وضعية هيأها من الناحية الأمنية بهذا الشكل الذي قال بعد: {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً} (الكهف١٨) ما هو هنا حقق لهم أمناً على مستوى عالي جداً؟ بحيث أنه ما ينالهم أي شر، من مخلوق من المخلوقات، لا من الإنسان، ولا من الحيوان، وعلى مستوى عالي، بحيث لو اطلع عليهم محمد وهو (صلوات الله عليه وعلى آله) من أقوى الناس قلباً، وأشجع الناس {لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً} وهم راقدين.

إذا كيف ما تأخذ عبرة من هذه، أن يتحرك الثائرون بيقظة في سبيل الله، وعلى هديه، وبثقة به، وابتغاء مرضاته، ومن أجله، كيف لا يمكن أن يحصل من جانبه رعاية لهم وهو قد رعى مجموعة شباب ممن كانوا على هذا النحو: مؤمنين به، رعاهم وهم راقدين ثلاث مائة وتسع سنوات؟!.

ولهذا قال: {كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} من الآيات العجيبة، التي تخلق عندك ثقة أكثر، وتعطيك بصيرة أكثر، وترى فيها خرق للشيء المألوف؛ لأنه أحياناً الإنسان متى ما قال الناس: نتحرك في سبيل الله، نعمل على الإلتزام بهذا القرآن، ونعمل على أن نعلي كلمة الله، وأن ندافع عن نفوسنا، وعن ديننا.

فيكون يرى الدنيا هذه مقفل أمامه، مقفل، مع أن الوضعية عادة ما هي مستحيلة أن يحصل فيها تغيرات على يد الإنسان، وضعية الدنيا. لكن هنا تجد أنه عمل متغيرات غير مألوفة، وغير معتادة في هذه الوضعية، من حركة

الشمس اليومية بشكل غير طبيعي، ومن وضعية هؤلاء الناس، ما هي كانت كلها خارقة للعادة؟ كانت خارقة للعادة، أي: متغيرات خارقة للعادة.

فهو سبحانه وتعالى الذي قال في آيات أخرى بأن له ملك السموات والأرض، وأنه إليه ترجع الأمور، وهو المدبر لشؤون السموات والأرض.

هذه تؤكد لك بأن من عمل المتغيرات الخارقة للعادة سيعمل المتغيرات لمن يسيرون على هديه ويهيئ لهم أن يعملوا في سبيله، إذا كانوا منطلقين لنصر دينه، لإعلاء كلمته، ليسوا منطلقين من قضايا شخصية لديهم.

والإنسان في هذا الموضوع أيضاً قد يجهل مثلاً كيفية التأييد الإلهي؛ لأننا دائماً تفكيرنا يكون معناه: أن الناس ينطلقوا ولا يلاقوا أي صعوبة! أحياناً تأتي بعض الصعوبات تكون هي تعتبر من أهم الأشياء للإيجابيات التي بعدها، ويكون لبعض الأعمال التي تبدو صعبة، أو بعض المشاكل التي تعترض الناس أحيانا يكون لها أثر كبير جداً في نفوسهم وبالنسبة للعمل الذي ينطلقوا فيه هو.

نحن كنا نقول من بحين، أول ما بدأوا يسجنوا الشباب بصعدة: أنهم أفادونا كثيراً بسجنهم هذا! أفادوا هذه القضية بشكل كبير فعلاً، بحيث سكّتوا كثيراً ممن كان يقولون: ما هي فائدة هذا العمل؟ ما هي فائدة هذا الموضوع؟.

نقول لهم: لاحظوا هذا يبرهن على أننا نستطيع أن نزعج الأمريكيين، ونغيظهم بشعار واحد، ونؤثر عليهم! فهذا عمل صالح. في نفس الوقت برهنوا على أن هذا عمل يغيظهم ويؤثر عليهم. طمس كل تلك التي كنا نسمعها. ما كان هناك شائعات يقولون: [ويش منه ذا الكلام؟ ويش با يؤثر عليهم؟ ويش فائدته؟!] ألم يكونوا يقولون هكذا؟

ثم عرف الناس أن ما هم مسجنين لهم إلا لأن هذا عمل مؤثر عليهم، على الأمريكيين، وأنهم منزعجين منه جداً. كيف ما ينزعجوا وهم فاهمين في إيران ما أخرجهم إلا شعار مثل هذا! ما هم عارفين؟ في إيران خرجوا على أعقابهم من مظاهرات فقط تهتف بشعار الموت لأمريكا الموت لإسرائيل.

هم عارفين وما زالوا مفجوعين من هذا الشعار، هم ما زالوا مفجوعين منه، من أيام ما كانوا يسمعوه في إيران.

طيب هذا هو العمل الصحيح: أنك تبحث عن عمل مؤثر على العدو، لا أن تنطلق إنطلاقة الضعفاء، انطلاقة الجبناء، انطلاقة المهزومين، انطلاقة العمي، تبحث عما يرضيهم، أو تبحث عن الشيء الذي يزعجهم، ولا يؤثر عليهم. وأن يكون على هذا التقدير بالشكل الذي يتناوله الناس.

لو انطلق الناس يشكلوا مثلاً عصابات، مثلما يعمل الآخرون الذين يعملون أشياء من هذه، لكن لا، معلوم في مواجهة اليهود والنصارى أن أفضل طريقة أن يكون هناك جمهرة للناس، ولو في قضايا معينة. قدم للناس شعار يمكن أن يرددوه في أي قرية، ويرددوه في أي مكان.

أليس هذا عمل سهل، في متناول الناس جميعاً؟ بعضهم يقولون: لماذا لا تنطلقوا؟ نقول لهم نستطيع أننا نعمل مثل الآخرين، عشرة أشخاص، ما هي بحاجة أنك تهتم، عشرة أشخاص ينطلقوا، ويكونوا عشرة أشخاص، ويقوموا هم يختطفوا أمريكيين، ويقوموا يعملوا تفجيرات، ويعملوا أشياء من هذه، ما هو ممكن بعشرة؟ لكن لا، ليس المطلوب بالشكل هذا، المطلوب أنك تعطي للناس قضية يتحركون فيها؛ لأن هذا هو أسلوب القرآن. أسلوب القرآن وهو يوجه خطابه للمؤمنين، للمسلمين.

ولازم أن ننزل طريقة للمسلمين، للمؤمنين وأن نتحرك فيها، ونحرضهم هم؛ لينطلقوا فيها، وأن هذه أكثر أثرا، تعرفوا أن هذه أكثر أثراً؟ عشرة لو نجعل عشرة أشخاص، أو عشرين شخصاً ويكونوا هم يعملوا أعمال مثلما يعمل الآخرون في مرحلة كهذه، في مرحلة كهذه، لما كان لها أثر مثل أن ننطلق بشعار نرفعه في مساجدنا، بالنسبة للأمريكيين.

ممكن يطلق من قبل الأمريكيين على مجموعة إذا كانوا يعملون هذا العمل أنهم إرهابيين، ومفجرين، وأنهم مخربين، وأنهم، وأنهم.. الخ. فتكون هي تعطي شكل مبرر للأمريكيين في هذه المرحلة.

لكن الشعار نفسه انطلق أثّر عليهم جداً، ويعرفوا ماذا يعني التأثير عليهم في هذا الموضوع. ولو نأتي نستقري ما حصل من تأثير عليهم، لو لم نذكر إلا ما ظهر من خلال السجن، وما حصل أنه مؤثر عليهم، وما قالوا للناس أنه مؤثر إلا من خلال قضية عملوها هم، الأمريكيون وهي ماذا؟ أن يسجنوا أشخاصاً.

إذاً تعرف أن مسألة السجن التي تبدو مخيفة عند الكثير من الناس، ما هي برزت عملاً مهماً في إطار القضية؟ بمعنى أن ما معنى أنك عندما تنطلق في سبيل الله تكون متوقع أنك ما تخسر شيئاً، أو ما تتعرض لسجن، أو ما يحصل لك قضية. قد يحصل هذا، لكن تكون بالشكل الذي يكون لها إيجابية كبيرة جداً في مجال نصر القضية التي أنت تتحرك من أجلها.

أي ما أسلوب القرآن أسلوب أنه يأتي يُأمّن الناس، يقول لهم: تحركوا، ولا عليكم شيء، ولا أحد سيتعرض لكم، ولا، ولا. ليس هكذا، هو هنا يفترض من المؤمنين أنهم يبيعون أنفسهم من الله. هذه أول نقطة، يكون الناس منطلقين، مستبسلين وهم في [في نفس الوقت متوقعين أن يتعرضوا لأي شيء في سبيل الله، ولكنه سيكون بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة جداً في مجال نصر القضية التي يتحركون من أجلها].

إذاً انتهت القصة إلى هذا، إلى أنه عرض لنا كيف كانت رعايته لأوليائه، وكيف كان ثناؤه على أولئك الفتية، مجموعة، ما قال الباري: ماذا يمكن أن يعملوا؟! تعرفوا هذه؟ ما قال ماذا سيعملون وهم ليسوا سوى مجموعة بسيطة، مثلما قد يقول البعض مننا.

نعم يستطيع أن يعمل الناس كهؤلاء ـ ما بالك أكبر منهم ـ أشياء رهيبة جداً، وكبيرة جداً. فأثنى عليهم، وقدر لهم عملهم، وأحاطهم برعاية هائلة جداً، بدءاً من الشمس إلى عند الكلب، إلى عند تقليب أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المصلحين، ولا يضيع أجر المحسنين.

وكما قدر لهؤلاء وهم فتية حركتهم، قدر لاثنين من بني إسرائيل نصيحتهم، وتوجيههم لبني إسرائيل {قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} (المائدة٢٣).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يؤمنوا به حق الإيمان، وممن يربط على قلوبهم، وممن يحوطهم بعنايته، ورعايته في سبيل إعلاء كلمته ونصره.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

آيات من سورة الواقعة

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى آله الطاهرين

يقول الله تعالى: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ}(الواقعة١) هذا حديث عن القيامة، الواقعة هي القيامة، وهي حقيقة لا شك فيها إطلاقاً {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}.

{خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} تخفض ناس وترفع ناس، ناس ممن كانوا في الدنيا متجبرين وكبار، من العاصين لله سبحانه وتعالى، من المتجاوزين لحدوده، تخفضهم فيصيرون في أحط، وإلى أحط مستوى، يقفون ذليلين بين يدي الله سبحانه وتعالى، يقفون خائفين، يقفون متحسرين، ونادمين على ما يشاهدون من آثار لسوء أعمالهم في الدنيا.

ورافعة للمؤمنين، الإنسان المؤمن قد ربما في حياته في الدنيا عاش مستضعفاً، عاش محارَباً، عاش محتقَراً، يوم القيامة يكون رافعاً لرأسه، يكون مقامه رفيعاً، ويشاهد كثيراً ممن كانوا في الدنيا متكبرين متجبرين.

والتكبر والتجبر قد يكون أحياناً لا يختص بأصحاب المقامات الرفيعة، بأصحاب المناصب أو التجار، بعض الناس الفقراء نفوسهم، بعض المتجبرين يكونون فقراء، متجبر بمنطقه، بموقفه، بعناده، بإصراره، لكن لأنه ما يظهر تجبره بالشكل الذي يظهر تجبر الآخرين وتكبرهم، وربما هذا لو يتاح له فرصة، أو لو يعطى مقاماً، أو منصباً لرأيته طاغية من كبار الطواغيت.

والإستكبار قد يكون الإنسان وهو مستضعف في نفسه، مستضعف أمام متكبرين آخرين، وأمام جبارين آخرين، قد يكون هو نفسه مصنف من الجبارين، ومصنف من المستكبرين، حتى يأتي في بعض الأحاديث بأن الإنسان سيء الخلق مع أهله، مع أسرته، عندما تصبح أسرته تخافه، يهمونه عندما يدخل عليهم من باب البيت، زوجته، أولاده، أقاربه، كلهم كأنه دخل عليهم جبار! أنه يكتب عند الله جبار وإن لم يملك إلا أهله.

استنكاف الإنسان عن الحق يعتبر استكباراً أيضاً، رفض الإنسان للحق، سخريته من مواقف الحق، عناده للحق. فالإنسان قد يكتب عند الله من المتكبرين، من الجبارين؛ لأن الإنسان عندما يعاند، وإن كان فقيراً، وإن كان مستضعفاً من جانب آخرين، عندما يعاند الحق، عندما يعاند آيات الله عندما تتلى عليه يعتبر مستكبراً؛ لأنك لا تقف في موقف عناد للحق إلا وأنت في نفس الوقت تحمل مشاعر استكبار، وعلو، وعتو.

لاحظ كيف قال الله في القرآن الكريم: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً}(الجاثية٨) ما هنا سماه جباراً؟ هكذا قد تحمل مشاعر استكبار وعتو فتحشر مع فرعون، مع نمرود، مع الذين كانوا متجبرين؛ لأنك أنت في الواقع، أنت في الواقع، بنفسيتك، بروحيتك جبار، إنما لم يتح لك أن تكون مثل أولئك الجبابرة، عملياً يكون جبروتك أوسع، وإلا فهي نفس المشاعر الفرعونية تكون مع بعض الفقراء، مع بعض المساكين؛ ولهذا بعضهم قد تجده بمجرد أن يحصل على مقام، وظيفة معينة، أو أي منصب يحصل له، ما تدري إلا عندما يتكبر ويتجبر، وإذا به لم يعد ذلك الذي كان يبدو أمامك إنساناً عادياً، قد هو جبار، وقد هو مستكبر.

فلأن الإنسان قد يرى نفسه بمشاعر كبرياء، بمشاعر عتو، بمشاعر تجبر فيرى نفسه رفيعة وهو يصد عن عمل حق، وهو يكذِّب بحق، وهو يعاند حقاً، سيحشر يوم القيامة وهو منحط، خافض لرأسه، مقامه منخفض، معنوياته منخفضة.

الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عرض أقوالاً لمن يعيشون حالة من هذه، حالة الإنكسار، والندامة، والحسرة يوم القيامة: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}(الزمر٥٦) يعرض أيضاً، وقد هم في داخل جهنم كيف ترحُّمهم واستعطافهم: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ}(غافر٤٩).

أليست هذه حالة انكسار؟ يقول عنه عندما يرى أعماله السيئة، ويتصفح صحيفته، ويرى الأعمال السيئة {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر٢٤) أليست هذه عبارة ندم وحسرة؟.

يقول أيضاً عندما يكون من الأتباع لأهل الباطل، الصادين عن دين الله: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة١٦٧).

لأنه حتى أحياناً بعض الأتباع يصبح عنده روح الطغيان، والتجبر، والكبرياء، والعناد، والتمرد، وهو مجرد تابع؛ لأنه مقرب من مسؤول معيّن؛ لأن له كلمة عند مسؤول معين، تراه كذلك ينعكس في نفسيته جبروت، وطغيان، وعناد، وإصرار، وتمرد الذي يكون تابع له.

هؤلاء يوم القيامة يرون كل أعمالهم حسرات، ندامة شديدة، عذاباً نفسياً شديداً، عندما يجدون بأنه من كانوا معهم في الدنيا يصفقون لهم، ويؤيدونهم، ويعادون من أجلهم، ويوالون من أجلهم، وهم ناس ليسوا ملتزمين بدين الله، ناس محاربين لدين الله، في الأخير يرى هؤلاء يوم القيامة لا يعودون ينفعونه بشيء إطلاقاً يتبرؤون منه.

عندما تكون القيامة هكذا يظهر فيها الناس ما بين مثلما قال هنا: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} فتخفض ناس وترفع ناس، أنه أنت لو تحاول في هذه الدنيا أن تكون رفيعاً، وبأي طريقة تريد أن تكون رفيعاً، ولو بأن تدخل في باطل، أن تقف مع باطل، أن تساند باطلاً من أجل أن تحصل على رفعة، فهذه الرفعة ليست هي الرفعة الحقيقية، ليست رفعة صحيحة، ليست رفعة إيجابية.

الرفعة الحقيقية هي رفعة يوم القيامة؛ لأن هذه في الدنيا قد تكون فترة قصيرة مهما رأيت نفسك رفيعاً، ورأيت الناس يرونك رفيعاً، فهي فترة قصيرة، هي عمرك في الدنيا، وعمر الدنيا بكله محدود، يوم القيامة ستكون ممن يكونون في الحضيض، وفي أحط مستوى، فتكون ممن يخفضون في ذلك اليوم.

هذا يعني بأن الإنسان يجب عليه إذا كان يحرص على سلامة نفسه هو أن يحسب حساب الآخرة، لأن الآخرة هي الحياة الأبدية، الدنيا هذه هي حياة محدودة، وعندما يكون عند واحد أمل أنه قد يتعمر عمراً كاملاً قد يرى نفسه بأنه ربما ما يتجاوز تسعين سنة، أليس هذا أكبر ما تفترضه لنفسك، تسعين سنة ليست عمر المحشر، ليست عمر المحشر، موقف الحساب، خلي عنك الحياة الأبدية، إما في الجنة أو في النار.

أما إذا كان قد أصبح الواقع هكذا، في هذا العصر، في مختلف أقطار الدنيا، انتشرت قضية الموت المفاجئ، وقالوا أن هذه هي من أعلام الساعة، موت الفجأة من أشراط الساعة، ومن علامات القيامة، فالإنسان يحاول أن يقدم لحياته، للآخرة، يحسب حساب الآخرة، وإن عانى في هذه الدنيا، وإن تعب في هذه الدنيا، وإن واجه مشاكل في الدنيا، وإن رأى أعداء الله متحزبين عليه، وإن رآهم يكرهونه، وإن رآهم يتآمرون عليه.

لا تحسب لهذه حساب؛ لأن كل هذه هي ستنتهي، وهي محدودة، وإذا أنت على حق، وأنت متجه على صراط الله المستقيم، فستكون كل هذه الأشياء لصالحك، تتحول بالنسبة لك إلى عبادة، كل تآمر يحصل عليك، كل محاولة لمشاكل تفتح عليك لا تكترث بشيء إطلاقاً في سبيل أن تأتي يوم القيامة آمناً، في سبيل أن تأتي يوم القيامة وأنت رأسك مرفوع، مطمئن، تضحك من الآخرين، الذين كانوا في الدنيا يضحكون منك، ويسخرون منك.

هذه هي القضية المهمة، الإنسان مع غفلته ـ خاصة عندما يكون في مقتبل شبابه ـ قد يكون عنده تفكيرات كثيرة، طموحات في مقامات، في وظايف، في مناصب، في أن يكون وجيهاً، في أن يكون كذا، كثير من الشباب يكون عندهم هذه التوجهات.

إسعَ في هذه الدنيا أن توفر لنفسك الرزق الحلال، إسعَ بكل ما تستطيع، وبكل ما تتمكن في حدود أنك ما تدخل في باطل، ما تدخل في محرم، ولكن ليكون هم الإنسان هو أن يحشر يوم القيامة آمناً، أن يحشر يوم القيامة وهو

ممن يحمد الله، وهو ممن يرضى عن نفسه؛ لأنه يوم القيامة كما قال الله عن المؤمنين في سورة [الغاشية]: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ}(الغاشية٩).

فتكون يوم القيامة أنت ترضى عن نفسك، ترتاح من نفسك أنك عملت أعمالاً كثيرة، وكانت أعمالك صالحة، فترى جزاءها الحسن، فترضى عن نفسك، ويرضى الله عنك، وترضى عن الله، ترضى عن الله، وترضى عن نفسك، وترى أنك كنت في نصح نفسك، عملت في نجاة نفسك.

بينما الآخرين، تجد الآخرين كل واحد متحسر، كل واحد يعاتب نفسه، كل واحد يتألم على نفسه {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}(الزمر٥٦) **ما هؤلاء يلومون أنفسهم؟ يغضبون على أنفسهم؟ يكاد كما قال الله: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}**(الفرقان٢٧) **يعظ واحد أصابعه من الغيظ على نفسه هو، من الغيظ على نفسه أنه فرط في نفسه، فرط في نجاة نفسه، أضاع الفرصة التي سنحت له في الدنيا فرأى جهنم أمامه لها زفير، لها شهيق، لها تغيض من شدة احتراقها، ويرى بشائر السوء وهو في المحشر عندما يؤتى صحيفة أعماله بشماله، من وراء ظهره، يرى أن قد هي بداية، بداية تعني أن مصيره إلى جهنم.**

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ}(الحاقة٢٥) **ما هذا تحسر؟ {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}**(الحاقة٢٧) **ليت أن الموت الذي حصل في الدنيا أنه كان آخر ما يكون، فلا نبعث من جديد.**

بينما المؤمن يحمد الله على البعث، يحمد الله وهو في مقام الحساب، يحمد الله عندما يدخل الجنة؛ لأنها كلها يجد نعمة عظيمة عليه أنه بعث من جديد ليلقى الجزاء الحسن، يرى في المحشر الناس خائفين وهو مطمئن، الناس في هول شديد وهو على الأرائك مع المؤمنين آكلين شاربين ويتفرجون على الآخرين، ويسخرون منهم، ويضحكون منهم.

{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ}(المطففين٣٤) **تجد أناساً أبصارهم شاخصة، لا يعد يستطيع يطرف بعينه، وأنت شارب آكل مرتاح على [كَنَب] على كراسي تضحك من أولئك وهم في حالة شديدة.**

هذه هي القضية التي يجب أن الإنسان يحرص مهما عانى، مهما تعب، مهما لقي من مشاكل من أجل الحياة الأبدية، أن يقدم على الله وهو آمن فيها، يفوز برضوان الله، يفوز بجنته، فيكون راضياً عن نفسه، ويكون ممن ترفعهم القيامة.

لاحظ عندما يقول هنا: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} ما هو يتحدث عن القيامة؟ أي ستحصل هذه في القيامة، فتخفض ناس وترفع ناس.

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً}(الواقعة٤) **يتحدث عن أهوال القيامة نفسها، ترتج الأرض، زلزلة شديدة، تتقلع منها الجبال، تندك منها الجبال، تتحول إلى هباء منبثا كما قال هنا: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً}** (الواقعة٥) **الهباء كالذرات التي تراها عندما يدخل شعاع الشمس إلى غرفتك، وترى في شعاع الشمس تلك الذرات، تصبح الجبال مثل الضباب، تتحول إلى هباء منبثاً، وتندك الأرض كلها، وتتحول إلى صعيد واحد.**

{وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً}(الواقعة٧) **في يوم القيامة تكونون ثلاثة أصناف، الناس يكونون إجمالاً ثلاثة أصناف، والناس كل الناس، كنتم أنتم أيها المخاطبون من البشر، لا يتحدث فقط عمن كانوا في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كنتم أنتم أيها الناس في أي زمان كنتم؛ لأن المسيرة واحدة، الذين كانوا في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ونزل القرآن في أيامهم، ويسمعونه وهو يقول: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً}، المسيرة واحدة، ما هم ساروا هم إلى الآخرة؟ ماتوا، من في القرن الثاني ماتوا، من في القرن الثالث ماتوا.**

وهكذا مسيرة البشرية جيل بعد جيل رائحين إلى حيث سيكونون أزواجاً ثلاثة، يعني أصنافاً ثلاثة، يتحدث عن هذه الأصناف الثلاثة: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}(الواقعة٨) **مثلما نقول: باهرين، وعظماء، وجيّدين،**

أصحاب الميمنة، اليُمْن، أصحاب اليمين واليُمن، {مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}! هذا من الصنف الجيد، من الصنف الذي يكون آمنا يوم القيامة، ويكون مصيرهم الجنة.

وهي عبارة تعظيم {مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}، عبارة تعظيم، لكن ما يزال هناك أعظم من هـؤلاء، الـصنف الثالـث وهم: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، وقبل هذا قال: {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}(الواقعة٩) أصحاب المـشأمة، أصحاب الشمال، أصحاب الشؤم، الشقاء، الذين هـم يعـدون أشـقياء، ويعتـبرون أشـقياء، هـم كـذلك، تهويـل لموقفهم، تهويل لما سيلاقون من العذاب ومن سوء الحساب.

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} هذا الصنف الثالث: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} هؤلاء السبَّاقين إلى الخير، الـسبَّاقين إلى طاعة الله، السبَّاقين إلى رضوان الله، السبَّاقين إلى الإستجابة لله ورسوله، الـسبَّاقين إلى العمـل بكتابـه. هـذه الصفة مهمة، وأثنى عليهم بخصوصهم فقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُـونَ}(الواقعة١١) المقربـون عنـد الله.

أصحاب الميمنة ناجين، ناجين لكن عاد هناك صنف آخر هم المقربون، أرفع درجة، أعلا مقاماً، عظمـاء جـداً عنـد الله سبحانه وتعالى.

السابقون هم السابقون إلى الخير، المبادرون، لا يكونون مثلاً مثلنا يكون آخر من يتحرك، آخر من يستجيب، آخـر من ينطلق، آخر من يسمع، آخر من يفهم! لا.

السابقون بطبيعتهم عندهم روح المبادرة، وعندهم حرص علـى رضـوان الله سـبحانه وتعـالى، يحـرص علـى أن يحظى برضوان الله فيكون مبادراً إلى أي عمل يحتمل أن فيه رضوان الله، خلي عنك نوعيتنا الـذي يحـاول مـثلاً يسمع عن عمل فيه رضى لله، بل هو واجب عليه وما زال محاول أن لا يتحرك، يكون محاول أن لا يكون ملزماً بـأن يتحرك فيه، هؤلاء ليسوا سباقين، هذه النوعية قد يكونون في الأخير من أصحاب الشمال.

فالإنسان المؤمن هو مطلوب منه أن يكون سبَّاقاً، والسبق نفسه هو يشكل ضمانة كبيرة بالنسبة لك، مثلاً السباقين حتى ولو كانت نسب أعمالهم الشخصية أقل من أصحاب الميمنة سيكونون أعظم، قد يكون من أصحاب الميمنة مثلاً ناس لهم أعمال كثيرة لكن هي عادة من الأعمال التي لا تتجاوز حدود شخصيته، كثير التـسبيح، كـثير الـصلاة، كثير الصيام، كثير تلاوة القرآن الكريم، كثير من الأعمال التي هي أعمال في حـدود شخـصيته، اسـتجابة لكـن استجابة مثل باقي الناس، مثل أطرف الناس.

بينما السبَّاقون هم من بين يشغّلوا الآخرين كلهم معهم، فبدل ما تكـون أنـت فقـط تـسجَّل لـك الحـسنات الـتي تنطلق منك أنت، وأنت سبَّاق ستشغّل كل الناس حتى بعد موتك معك، تكون شريكاً لهم في الطاعة، تكون شريكاً لهم في الأعمال التي ينطلقون فيها وأنت مؤسس فيها، أنت مؤسس فيها.

لك سبق مثلاً في بناء مدرسة علمية، لك سبق في حركة ضد أعداء الله، لك سـبق في نـشر العلـم، لـك سـبق في محاربة أعداء الله، لك سبق في الميادين التي تكون في هداية الناس، هي ميادين يستمر العمل فيهـا حتـى بعـد موتك، هنا أنت تشغّل المجتمع كله يشتغل معك [أوتماتيكياً]، فتكـون شـريكاً في أعمـال النـاس، العـشرات مـن الناس، بل ربما يطلع أشخاص أعظم منك باعتبار مؤهلاتهم، باعتبار كفاءاتهم، فيكون ذلك كله إنما هـو ثمـرة من ثمار جهودك.

فالسابقون هم من يحوزون على أجر عظيم، وعلى مقام عالي؛ لأنهم كانوا من يبادرون، والمبادرة في حد ذاتها هـي تكشف عن أنهم في نفوسهم يعيشون حالة التقوى لله سبحانه وتعالى، حالة التقوى، يعني هو دائماً يقضٌ، دائمـاً يستشعر المسؤولية، دائماً يفكر في ما هو العمل الذي يقربنا إلى الله، فإما أن ينطلق منه العمل أو سـيكون سـريع الإستجابة لأي عمل يطلب منه، يكون من الأوائل.

لاحظ مثلاً بعض الناس، عندما يكون هناك مصلحة عامة، تقول له ساهم، سيحاول يحاول أن يكون الأخير، ويحاول إذا ما احد انتبه له أنه لا يقدم شيئاً، ويعتبر نفسه ذكياً أنه ما قدم شيئاً، يعتبر نفسه ذكياً، وأن المشروع هذا سيقوم، وسيستفيد منه مثل الناس، وأنه أما هو ما دفع شيء! هذا ليس ذكاء، هذا غباء، يعتبر غباء.

فالإنسان المؤمن يكون سباقاً بطبيعته؛ لأنه يَقِضْ؛ لأنه يعرف أن هناك أهوالاً شديدة أمامه، هناك القيامة التي تحدث الله عنها في القرآن الكريم في أكثر من سورة بالعبارات المخيفة: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا} (الزلزلة١)، يتحدث عن السماء عندما تنشق، يتحدث عن الجبال وهي تندك، يتحدث عن القبور وهي تبعثر، يتحدث عن البحار وهي تُسجَّر، تحترق البحار.

يوم شديد الأهوال، شديد الأهوال، أهول منه وأشد من هذا موقف الحساب؛ لأنه في موقف الحساب، في ساحة الحشر تكون جهنم بارزة، جهنم أمام الناس لها تغيض وزفير، تغيض: احتراق، التهاب داخلي، داخل جهنم احتراق شديد. لاحظ عندما تأتي تطرح من الأشجار التي تعطيك صورة عن إحتراق النار السريع مثل [الكَفَوْ] أو [الهَطَشْ] هذه الأعواد تسمع النار فيها عندما تحترق كيف لها صوت وتَحَطُّمُ الحطب.

جهنم لشدة احتراقها، لشدة التهابها،ليست ناراً راكدة، تحترق هي، ولها زفير، الزفير هو صوت الهواء وأنت تخرجه بصوت، أو ترد الهواء بصوت إلى داخل، هذا شهيق، لها زفير ولها شهيق، صوت مزعج، حتى صوت جهنم هو في حد ذاته عذاب، تكون أنت وأنت تطالع صحيفة أعمالك من أول ما يعطوك بشمالك تعتبر هذا الموقف أشد من كل دكات الجبال، وزلزلة الأرض، ومن هذه الأهوال كلها.

موقف شديد؛ لأنك داري أن هذه هي اللحظة الأخيرة والحاسمة ما عاد يمكن وساطات، ما عاد يمكن ثاني ميعاد، ما عاد يمكن إنك تقدم رشوة، ما عاد يمكن تقول: هم هؤلاء ناس كثير سأهرب من هنا! لا يوجد شيء، ما هناك مجال إطلاقاً لأي شيء تفكر فيه، إلا تتحسر، تتألم وأنت تسمع جهنم وهي تتغيظ، وتزفر بصوتها المزعج، وأنت هكذا تبكّت على أعمالك، وتتحسر على أعمالك، حسرات نعوذ بالله منها، عذاب نفسي شديد، شديد لا يستطيع الإنسان أن يتصوره إلا إذا تأمل في الآيات القرآنية التي تتحدث عن من يكون مصيرهم سيئاً، كيف العبارات التي تكشف عن حسرات شديدة وندامة شديدة؛ وأنهم يعيشون هولاً شديداً، يعيشون هولاً شديداً.

لأن القضية ليست قضية [ياذه ربما عسى أنهم ربما يحطوك في مكان كذا] مثل إذا قال واحد، إذا أخذوا مثلاً مجموعة إلى سجن كيف يكون تفكير الواحد منهم؟ يقول: عسى أنه سيصادف أنهم سيحبسونا في عنبر كبير نكون نجلس جمعياً، عسى أنه سيكون معنا مكان نظيف، عسى كذا، ما واحد قد يقول هكذا؟ لكن لم يعد هناك في الحشر عسى من هذه، قد مصيرك أمامك، جهنم تراها بزفيرها، بشهيقها، بتغيظها، بصوتها الموحش.

لم يعد أمامك أي تفكير يطمئن نفسك قليل، ما عاد بقي تفكير تقول: [عسى يمكن سيدخلونا إما في طرف منها أو حولها لما يجي أحد، أو عسى با يجي احد يتابع بعدنا، سيأتي محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أو سيأتي ربما الشيخ الفلاني، أو المسؤول الفلاني الذي كان احنا معه، عسى با يجي يتابع بعدنا ويخرجنا] ما عاد هناك شيء.

إذا واحد في الدنيا قادوه إلى السجن يكون ما تزال معه آمال كثيرة [ربما با جوه سجن عادي وعسى إن ما باجوه إلا أسبوع أو ثلاثة أيام وسيطلع فلان أو فلان ويتابع] وقد يقول لنفسه [هي قضية فلوس ستقدم خمسة آلاف، عشرة آلاف وخرجت]!.

ما بعضهم يطلع الطقم هو؟ يطلع الطقم بدون أخذ ولا رد؛ لأنه عنده من هذه الآمال، أما في الآخرة فلا يمكن يقول واحد أنه [عسى يا ذه با تهب فلوس وسيخرجوك، أو عسى أن جهنم هذه با جو هناك مملصة من بين أي الشعوب وستخرج].

في القرآن الكريم الله قدم جهنم بقضية مؤيسة عن أي مخرج، مغلّقة لها أبواب، {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} (الهمزة٨) لها أبواب وتغلق {فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} (الهمزة٩) أعمدة بعد الأبواب، وزبانية، كلما طلعوا أهل النار؛ لأن أهل النار وهم في جهنم ما يكون واحد جالس مكانه، لشدة العذاب يتحرك، يسير ويجي، ويطلع وينزل في جهنم من شدة العذاب، ويتجهون إلى سور جهنم، إلى أبواب جهنم، يوصل هناك أبواب مغلقة، وكل شيء نار، أبواب نار، أسوار نار، طريق نار، وهو يتحرك فيها، وهو كله نار، عندما يصل هناك يقمعونه بمقامع من حديد {وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} (الحج٢١) فيرجع.

ولا يمكن يقول واحد قد يكون سنة أو سنتين، مع أن أسبوع واحد في جهنم نعوذ بالله، أسبوع واحد من يتأمل جهنم كما عرضها الله سبحانه وتعالى في القرآن، أسبوع واحد هو مما يجب أن يدفع الإنسان في هذه الدنيا إلى أن يعمل أشد الأعمال من أجل أن يسلم منها، خلي عنك أما إذا كانت ملايين السنين، يمر مليار سنة ما يمثل دقيقة واحدة بالنسبة لك؛ لأن ما هناك خروج؛ ولهذا جاءت آيات خالدين فيها، خالداً فيها، تتكرر كثيراً في القرآن الكريم.

ما يمكن إطلاقاً أن تقبل منك أي فدية، تتمنى أنك لو تفتدي من عذاب يوم القيامة بأولادك، بزوجتك، بأخيك، بأمك، بكل من حولك، يتمنى لو أنه يمكن يقول خذوا أولادي وزوجتي وأبي وأمي وإخوتي وعشيرتي، تفضلوا خذوهم واتركوني لوحدي، يتمنى {لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ} (المعارج١٤) يتمنى أنه لو يمكن أن يفتدي بكل هؤلاء لافتدى مقابل أن ينجى ما يمكن.

{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى} (المعارج١٥) لظى يعني جهنم، إنها لظى، تتلظى: تحترق بشدة {نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى} (المعارج١٦) لما في داخل الإنسان، يحترق بطنه، يحترق جسمه كله، وكل ما احترق جسمه يتغير من جديد، يتغير يعني جسمك ينبت ويحترق في نفس الوقت ينبت ويحترق.

أيّس من الخروج منها {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} يأتي إمكان فدية يفتدي إما بمال بذهب بالأرض كلها وهي ذهب! بينما قد يكون في الدنيا هنا كان بالإمكان أعمال بسيطة، مبالغ بسيطة من ماله تعتبر فدية ما يرضى، أليس في الحديث: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)).

لاحظ من رحمة الله سبحانه وتعالى الواسعة بعباده أن هذا العذاب الشديد، هذا الهول الشديد يسهّل للناس إمكانية أن ينجوا منه ولو بأعمال بسيطة، ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)) {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} (الإنسان٨) عشاء ثلاث ليالي لاحظ كيف قدمه بشكل كبير، وجعله أيضاً من ما ينجيهم من النار.

فعندما حكى الله عنهم: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً} (الإنسان٩) كم في الوسط؟ ثماني وثماني وثماني ثلاثة أيام [ثَلّثه] شعير! لاحظ كيف هذا [الثَّلّثه] الشعير كيف طلع من ورائه {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ} (الإنسان١١) من [ثَلّثه] حَبّ! لكن وهو في ساحة المحشر ما ينفعك ولا [ثَلّثه] ذهب، ولا جبل ذهب، ولا الأرض بكلها وهي ذهب أن تقدمها إما لـ[مالِك] أو للخزنة، أو لواحد من الخزنة [ويشاقف] الباب، ما يمكن، أبداً.

هذا من الشيء الذي يدل على أن الإنسان عندما يَقْدِم على الله سبحانه وتعالى وهو مجرم، وهو مقصر أنه سيتحسر، وسيرى نفسه في الأخير أنه يستحق وهم يقودونه إلى جهنم بالسلاسل، يرى أنه يستحق ، عندما يكون يفكر أنه لو عنده الدنيا كلها ذهباً أنه مِن يسلمها، يفكر أيضاً بأنه كان في الدنيا بإمكانه أن يقدم أبسط الأشياء ويفديه من جهنم.

يوم كان في الدنيا يحاول يخذّل أولاده، يخذّل أخاه، يخذّل أباه عن أن يعمل في سبيل الله، على أساس أنه خائف على ابنه، خائف على أبيه، يقول لأبيه: [وديك حقنا، أشرطه ومدرسه، ودورات، وأشياء من هذه] في الأخير يأتي يوم القيامة يتمنى لو أنه يمكن، كل هؤلاء الذين كان في الدنيا يبدو أنه رحيم بهم عنده استعداد كامل أن يسلمهم لجهنم تطحنهم! أولاده، زوجته، أخوه، أمه، أبوه، فصيلته، الأسرة التي هو منها، عشيرته، [هل ستقبلوا مني قبيلتي؟ ها لكم قبيلتي]!!.

الذي كان مثلاً في الدنيا يحاول في ابنه أن لا يشترك في أي عمل صالح، خائف لا يسجنونه، خائف لا يلحقه إجارة عسكري تنفيذ، خائف أشياء بسيطة لا يفوته شيء بسيط من الدنيا مقابل أن يتحرك ابنه في سبيل الله.

أنت لست شفيقاً بابنك في الواقع؛ لأنه وقت الشفقة الحقيقية سترى أباك، هذا يعني تذكرة لنا جميعاً كأسر، لا تعتبر أحداً أشفق بك من الله سبحانه وتعالى إطلاقاً؛ لأن أمك وهي تبدو شفيقة هنا في الدنيا، أبوك وهو يبدو شفيق عليك في الدنيا فيوجهك عن أعمال، يقعدك عن أعمال فيها رضى لله سبحانه وتعالى، هذه هي شفقة غير واقعية.

الشفقة التي أنت بحاجة إليها، والشفقة لو كان هناك شفقة حقيقية أنت سترى أباك هذا في المحشر يتمنى أنه يمكن أن يقدِّمك أنت وكل إخوتك وأمكم، أمكم زوجته وبقية أفراد الأسرة يقدمكم لجهنم تحطمكم حطم وهو ينجى.

والله عرض لنا كيف يجب بأن من نفكر بأنه الرحيم بنا هو الله، أمك هي رحيمة بك، أبوك هو رحيم بك، لكن إذا كان يغلط فاعتبر بأنه لا يمكن أن ينفعك، تقول له: هل أنت عندما نصل إلى ساحة الحشر، وترى نفسك أن مصيرك سيئاً هل ستعطينا وجهك بأنك ما تقول في الأخير هل سيكفيكم أولادي وتتركوني أسلم؟ في الأخير ستضحي بنا في ساحة الحشر.

يعني: عندك استعداد، إنما فقط ما هم راضين يقبلوا منك، عندك استعداد إنما ما هم راضين يقبلوا منك، فإذا أنت شفيق علينا فوطّن نفسك من الآن أنك يوم القيامة أن لا يحصل عندك هذا الشعور: أنك مستعد أن تسلمنا جميعاً لجهنم مقابل أنك تسلم، مع أنه شعور لا بد أن يحصل عند كل شخص سيساق إلى جهنم {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ} ثم ينجيه هذا الذي يقدمه يتمنى.

قل لابنك أو قل لأخيك، أو قل لأبيك: أنت في هذا الموقف تبدو شفيقاً بي، لكن هذه ليست شفقة في الواقع، ليست شفقة أن تدعوني إلى عمل فيه هلاك لي ولك، أنت يوم القيامة عندما يكون مصيرك سيئاً ستتمنى أن بالإمكان أن يقبلوا منك أن تقدمني أنا وجميع إخوتي وأمّنا وجميع الأسرة لجهنم وأنت تنجى! أليس هذا صحيحاً؟ صحيح ما فيه شك.

إذاً فاتركنا من الآن نصلّح نفوسنا، أنت شفيق علينا هنا في الدنيا، أتركنا نصلّح نفوسنا جميعاً، أتركنا ننطلق جميعاً في الأعمال التي فيها نجاة لنفوسنا ولو وصلنا أينما وصلنا، لا تهب لي رحمة وشفقة هي في الأخير غلط، تنتهي في الأخير بك إلى جهنم، وتنتهي بي في الأخير إلى جهنم، تأتي يوم القيامة أتمنى أنه يمكن أن أسلِّمك وأسلَم، وأنت كذلك تتمنى أنه يمكن أنك تسلمني لجهنم وتسلم.

ما هم سيكونون مختلفين يوم القيامة؟ هنا في الدنيا ممكن أن الناس يلتقون، الأب وابنه، الأخ وأخوه، الكل تلتقي مشاعرهم على أنه نتحرك جميعاً فيما ينجينا من عذاب الله، فيما ينجينا من سخط الله؛ لنقدم يوم القيامة ونحن كلنا آمنين، وكلنا أصدقاء بشكل قوي، إضافة على أننا أرحام وأقارب، فتكون النتيجة بالنسبة لنا في الآخرة بدل أنك تأتي تفكر لو أنك تقدم لي جهنم.

إذا كان مقامك أعلى الله سيرفعني إلى مقامك تكريماً لك، كما حكى الله في القرآن الكريم إذا كان الأب صالحاً وابنه صالح وأولاده وزوجته يرفعون إلى مقامه تكريماً للأب، وتكريماً للأبناء والزوجة في ظل تكريم الأب {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} (الطور٢١).

أليس هذا هو العمل الصحيح؟ هنا الذي في الأخير الأب سينفع ابنه والإبن ينفع أباه، أنت يكون مقامك رفيعاً، أبوك، زوجتك، أمك ترتقي إلى مكانك، هكذا داخل الأسرة، الله يحكي في القرآن الكريم بأنه داخل الأسرة الواحدة؛ لأن الأسرة الواحدة عندما كانت تشجع، عندما كانت تقف مع واحد منها يتحرك حركة صحيحة هي تشارك في العمل الصالح، قد لا تكون مشاركتها بالشكل الذي يحصل عليه هذا الإنسان من تكريم عند الله سبحانه وتعالى.

ولكن ومن تكريمه أيضاً أن بقية أفراد أسرته يرفعون إلى مقامه، هذه هي النتيجة الصحيحة، عندما يكون كل واحد منا من أفراد الأسرة، الذي يكون في المقام الرفيع سيسحب الآخرين معه إلى المقام الرفيع الذي هو فيه، بدل أن نكون في ساحة المحشر كل واحد يفكر ليت أنه ممكن أن يأخذوا أولادي بدل، ما هنا يوجد فارق كبير جداً بين الحالتين؟ فارق كبير جداً.

عندما يقول الله: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} **أنت عندما ترى واحداً من أسرتكم تراه سباقاً إلى الخير حاول أن تشجعه على أن يكون سباقاً إلى الخير، تراه ينطلق إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحة شجعه في هذا، لا تثبطه، وليس هناك مبرر إطلاقاً لأن تثبطه؛ لأن كل ما يعمله هو في الأخير سينتهي إلى مصلحتك أنت، إذا أنت متجه في نفس الإتجاه، أما إذا الإنسان مجرم فهذا شيء آخر سيفصل عن أسرته، ويفصل نهائياً.**

لكن أسرة صالحة، أسرة بوضع طبيعي، فعندما يرون أحداً من أفراد الأسرة عنده روح المبادرة والسبق في طاعة الله سبحانه وتعالى ـ في الأعمال وإن كانت أعمالاً خطيرة ـ لا يجوز أن يوقفوه بحال، إذا أوقفوه سيكونون هم صادين عن سبيل الله، وصادين عن عمل مصلحته في الأخير ستنتهي إليهم هم؛ لأنه إن كان الذي يدفعك إلى أن تصد ابنك أو أباك أو أخاك؛ لأنه يعطي جزءاً من أموالكم بسيطاً في سبيل الله، فأنت إذا أنت حريص على أموالكم، إرجع إلى القرآن الكريم الله يقول فيه: {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (الأنفال٦٠).

لماذا تعارض؟ ما هو ناقص عليك شيء، وعد إلهي لن ينقص عليك شيء، سيخلف الله أضعافاً مضاعفة من حيث لا تشعر. إذاً فلماذا تصده عن الإنفاق في سبيل الله، أنت تصده؛ لأنك خائف عليه، وخائف لا يكلف عليكم في الأخير لمشكلة، [لا يَخَسِّرنا]، وعبارات من هذه، وهو في سبيل الله، أنت الآن تأتي توقفه فيكون هو وأنت قاعدين عن عمل هو لله رضى، فتتحول القضية بالنسبة لكم إلى جريمة.

أتركه ينطلق في الأعمال الصالحة ستستفيد أنت من ورائه في الدنيا، وستستفيد أنت من ورائه في الآخرة؛ لأنه ربما هذا الواحد من أفراد أسرتنا يتحرك أفضل، سبّاق ما استطعنا أن نصل إلى درجته نكون مؤمنين أيضاً يوم القيامة بتكريم الله له سيقربنا الله إلى مقامه.

أليست هذه هي الفائدة العظيمة، الفائدة العظيمة أنه واحد من أفراد أسرتك مهما بلغت أعماله وأنت في اتجاهه بإيمان، ولكن لاعتبارات معينة ما تهيأ لك أن تكون سباقاً كمثله لكن {وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ} **كما قال الله:** {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}.

فتلاحظ أن عمله في الدنيا، سبْقه في الدنيا، التكريم الذي حصل عليه من قبل الله سبحانه وتعالى بسبب أعماله وسبقه في الأعمال الصالحة، أنه في الأخير كان فيه فائدة ومصلحة بالنسبة لك أنت.. تُلحق به، بينما لو

لم يكن هذا في أفراد أسرتك، هذا الشخص الواحد ربما لكان مكانكم عندما تدخلون الجنة دون بكثير،الله حكى عن الآخرة بأنها {وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} (الإسراء٢١).

الآخرة فيها تفاضل، تفاضل واسع أكبر درجات، أكبر من فوارق الدنيا، في تفاضل الناس، في جزائهم، في مقاماتهم، في ما لديهم من نعيم، تتفاوت درجاتهم، الجنة واسعة جداً، والمقامات المعنوية فيها أيضاً متفاوتة جداً.

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}السابقون، السابقون ما يكون منطقهم المنطق الذي هو سائد بيننا:[خَلّني أعْقَب] ما هذا منطق سائد في بلادنا؟ [خَلّني أعْقَب في كل شيء، وخلنا نعيِّن كيف هم سينجحوا دخلنا معهم، خلنا نعيِّن كيف هو سيأتي عليهم شيء فأحسن جو احنا بعيد ما جو قد دخلنا معهم لأجل لا يلحقنا ما يلحقهم خلونا نعين، خلوني أعقب] هذه هي روح تتنافى مع روح السبق، في الأخير تجرجر واحد إلى أن يكون من أصحاب الشمال، المشاعر هذه تجرجرك في الأخير إلى أن تكون من أصحاب الشمال، وهو سيتحدث عن مصير أصحاب الشمال.

{أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} المقربون عند الله سبحانه وتعالى، والقرب من الله هو النعمة العظيمة، هو الدرجة العالية، هو المقام الذي يجب على الإنسان أن يسعى من أجل أن يحصل على نسبة منه، نسبة ولو نسبة بسيطة من القرب من الله سبحانه وتعالى.

لأننا نجد أنفسنا في الدنيا قد يكون لدى الكثير منا تفكير أنه كيف يكون مقرباً من فلان، كيف يكون مقرباً من المسؤول الفلاني، كيف يكون مقرباً من الرئيس، كيف يكون مقرباً من الملك، كيف يكون مقرباً من الوزير، محاولات من هذا النوع.

ترى هذا القرب في الأخير قد لا ينفعك بشيء، قد يكون وبالاً عليك، لكن القرب الذي هو قرب له فائدته العظيمة، ويعتبر شرفاً عظيماً، شرفاً عظيماً هو القرب من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه من تفكر هنا في الدنيا أن تكون قريباً منهم، أن تكون قريباً منهم؛ لأنه في مشاعرك أن هذا الشخص قدير، عنده قدرة، عنده إمكانيات كبيرة، فأنت تلحظ هنا فيه جانب إمكانياته، وقدراته، وممتلكاته، أو تلحظ فيه أنه صاحب سلطة.

كلما تفكر فيه في هذا الشخص ليس هناك مقارنة بينه وبين ملك الله، وبين قدرة الله، وبين سلطان الله، وبين عظمة الله، وبين جلال الله، وبين علو الله سبحانه وتعالى إطلاقاً ما هناك مقارنة، إذا أنت تحس بأنك تحس بشرف؛ لأنك مقرب من فلان، تحس برفعة؛ لأنك مقرب من فلان في الدنيا، فالشرف العظيم، والرفعة العظيمة الحقيقية هي عندما تحظى بالقرب من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه أعلى من كل من تفكر في القرب منهم، هو أعظم من كل من تفكر أن تكون قريباً منه.

هذا شيء يجب أن الإنسان يفكر فيه؛ لأنه في الدنيا تحصل هذه، من عند الكبار إلى عند الفقير، كل واحد يريد يتقرب عند ذلك، الضابط يريد يتقرب للوزير، والوزير يريد يتقرب للرئيس، والرئيس يريد يتقرب، ما يزال هناك تقربات وتنتهي إلى البيت الأبيض، تقربات، كل واحد يحاول يتقرب، يتقرب، يتقرب، الفقير ذلك الإنسان العادي يحاول يتقرب من ذلك التاجر، والتاجر تراه يحاول يتقرب من ذلك المسؤول، وذلك الضابط، وذلك. فالناس كلهم في الدنيا كل يحاول أن يكون قريباً من فلان، لكن هنا قارن أن أكون قريباً من فلان وأدخل في باطل هذه غلطة كبيرة.

ما هناك مانع أن أكون قريباً من فلان، أي أن يراني فلان قريباً منه. مع أنه في مقامات الأعمال الصالحة، في الأعمال الصالحة نفسها، هذا المجال غير مسموح به، تعتبر مرائياً بأعمالك، لو أنني أنطلق في أعمال صالحة من أجل ماذا؟ أن يقربني فلان منه! هذا رياء، ما يقبل هذا، ما يقبل إطلاقاً.

لأن فكرة التقرب في الدنيا هي لاغية أساساً من أصلها؛ لأنه يا إما أن يكون تقرباً بباطل، تقرب من إنسان على باطل، هذه كلها وبال عليك، أو أن تكون أنت في اتجاه صحيح، أنت ومن تفكر أن تتقرب منه، فعند ما تنطلق في الأعمال الصالحة لتتقرب منه فأنت مرائي، أليست القضية مصقّر عليها أساساً في الدنيا؟ الموضوع هذا بكله مصقّر عليه في الدنيا.

أن يكون الإنسان هنا في الدنيا يحاول أن يتقرب من الآخرين قد يكون هناك عدة عوامل تدفعك إلى التفكير في هذا: فيما إذا أنت إنسان عندك مطامع مادية، عندك طموحات مادية، وأنت تفكر في الحصول على المال، أن تكسب مصالح بأي طريقة، فأنت تتقرب إلى الجهة الفلانية، أو الشخص الفلاني، أنت ترى أن من وراء التقرب إليه ستحصل على أموال.

أو أنت صاحب أموال أنت ترى بأنه من خلال التقرب إلى الضابط الفلاني، أو المسؤول الفلاني، أو الشيخ الفلاني يسلّم حقنا، وما يجي علينا شيء، هذه واحدة، وهي ثاني عامل من العوامل.

أو تكون شخص لك مواقف من آخرين، وتشدك حماقتك بأن ماذا؟ أن أحاول أن أتشفى من الآخرين بأن أتقرب من آخرين، من كبار، أراهم أمامي كباراً، من أجل في الوسط أستطيع أن أوجد نكاية بالأشخاص الذين أنا حاقد عليهم، أو مختلف معهم.

هذه كلها لا تعتبر مبررات إطلاقاً، لا تعتبر مبررات أبداً بأن تتقرب من أهل باطل، أو من إنسان مجرم، سواء من أجل أن تحصل على مال، أو من أجل أن يسلم لك مالك، أو من أجل أن تحصل بواسطته على ماذا؟ على أن تتشفى من غرماء معك.

اصطلح أنت مع غرمائك مباشرة، وشريعة الله واضحة في كل ما تختلفوا فيه، {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى١٠) والحل قائم في شرع الله بدون ما تحتاج تتقرب عند فلان، ولا تحتاج تدخل في باطل، ولا تحتاج تقترف باطل. فيرتكب الإنسان عدة أغلاط: تتقرب إلى إنسان مجرم، هذه جريمة، ثم أظلم آخرين؛ لأني أختلف معهم، جريمة ثانية.

أنا مختلف معك كيفما كان اختلافنا ليس اختلافنا بالشكل الذي لا يوجد له حل في الشريعة الإسلامية، أتصالح معك، نرجع إلى حكم الله فيما اختلفنا فيه، نرجع إلى تفاهم، إلى حوار؛ لنعرف من هو الظالم منا، من هو المظلوم، من هو المخطئ، من هو المصيب، يكون هناك من يحسم القضية بيننا وانتهى الموضوع، لا تحتاج أنت أن تبحث لك عن ظهر، ولا أحتاج أنا أن أبحث لي عن ظهر - كما يقولون - .

هذا الذي قد يدفع الإنسان إلى أن يتقرب، أو يكون عنده طموحات أن يحصل على وظيفة أكثر، يحصل على درجة أعلى، يحصل على رتبة أعلى، فيتقرب إلى أشخاص سيئين، أشخاص مجرمين، نفس الشيء، هذا ليس مبرراً إطلاقاً.

القرب الذي يجب أن تبحث عنه هو القرب من الله سبحانه وتعالى.

في سُلّم الباطل، ولأغراض باطلة، ولأهداف باطلة، يعتبر جريمة كله، وفي الإتجاه الآخر، اتجاه الحق، نفس الشيء، يعتبر جريمة؛ لأنه كله سيطلع رياء، أحاول أن أكون مقرباً من فلان بأعمال أتحرك فيها هي أعمال صالحة، أنت هنا تصقّر على أعمالك، أنت هنا تجعل أعمالك لا تقبل، أنت هنا تبتعد عن الله.

مجال واحد، اتجاه واحد الذي يجب على الناس أن يفكروا كيف يكونون قريبين منه هو الله، ما هناك غيره، لا مُحقّ ولا مبطل، بالأعمال الصالحة أريد أن أكون مقرباً من إنسان مهما كان مقامه، وأنا مقصدي هكذا: أن أكون مقرباً منه بهذه الأعمال الصالحة، الله يقول في القرآن الكريم، يرد على مجاهدين عندما سأل أحد المجاهدين أن الإنسان قد يخرج يجاهد ويحب أن يُرى مقامُه، ويقولون فلان! ما هنا شعور من هذا النوع؟ يكون مقرباً من

الآخرين، ويرونه يعظمونه، نزلت الآية: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} (الكهف١١٠).

أقفل المجال، ليس هناك إلا جهة واحدة هي التي تسعى لأن تكون مقرباً منها وهو الله سبحانه وتعالى، القرب من الله، كل عمل صالح هو يقربك من الله، من رضوانه، من نعيمه، لكن أن تكون من النوعية هذه، من السباقين، أولئك هم المقربون بما تعنيه الكلمة، كأنه يقول عندما يقول: {أُولَئِكَ} هم، هم المقربون حقيقة، هم المقربون بما تعنيه كلمة مقرب، وإلا فرحمته واسعة، أصحاب الميمنة، الناس المؤمنين الطيبين، هم لهم قرب من الله، ويدخلهم جنته ونعيمه الواسع، لكن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً.

ولأن القضية ـ كما أسلفنا سابقاً ـ في مسألة السبق هي مسألة وعي، مسألة فهم، مسألة استشعار بتقوى الله، يكون عندك مشاعر يَقِضَة، إيمان قوي بالله، حرص على رضوان الله.

لماذا أصبحت قضية السبق مهمة؟ لأن العادة أن من ينطلقون في فترة من الفترات، في عمل معين، كثيراً ما يكون هذا العمل من النوع الذي الناس ما يتجهون فيه، أو يكون المعارضون فيه كثير، أو يكون المشاغبون ضده كثير، أو الأعداء له كثير، أو المشاكل أمامه كثيرة.

فترى كثيراً حتى ممن هم مؤمنين يتجنبونه، يقولون: عسى ما قد هو ضروري، عسى ما قد هو لازم علينا، يمكن ما قد هو واجب علينا. السبّاقون يكونون هم من يتحملون صعوبة البداية، ثم من بعد يصبح كل شيء محسوباً لهم.

لاحظ كيف جعل الله فارقاً كبيراً بين من كانوا ينفقون ويجاهدون قبل فتح مكة، ويقاتلون في سبيل الله، وبعد فتح مكة {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ـ أعظم درجة ـ مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} (الحديد١٠).

ما هذا أنفق وقاتل؟ وذاك أنفق وقاتل؟ لكن هنا أنت تنفق وتقاتل وأنت ترى هذا الإتجاه الذي أنت فيه، فيه آلاف، تقاتل مع ثمانية آلاف، مع اثنا عشر ألفاً، بينما كان الأول يقاتل مع مائتين، مع ثلاث مائة، مع عشرين شخصاً، مع ثلاثين، والمجتمع كله من حولك مجتمع معادي، أنت كنت تنفق في ظروف قاسية، في لحظات مهمة جداً.

الآن عندما تأتي تنفق مبلغاً سيأتي لك غنائم ربما أكثر مما أنفقت، تنفق وأنت قد معك اثنا عشر ألفاً تقاتل معهم، وتجمعون غنائم، أهل [هوازن] في يوم [حنين] سيأتي له أكثر مما أنفق، تكون النتائج مختلفة، هكذا السباقين هم من يواجهون عادة الظروف الصعبة في البداية، هم من ينصبُّ عليهم، ويتجه إليهم ماذا؟ الكلام المضاد، التّهم، المشاكل، العداوات، أشياء من هذه.

لكن أحياناً إذا عند الناس تفكير، تفكير يعني ممكن أن يكونوا سباقين، وبنسبة كبيرة، بسبقهم الجماعي يتفادون كثيراً من الإشكاليات، يتفادون كثيراً من المصائب، مثلاً أن تنطلق في عمل لوحدك بمفردك، قد تكون أنت أمام الآخرين، هذا شرف عظيم لك وفيه صعوبة، ما فيه صعوبة؟ لكن أن ينطلق مجتمع بكله بنفس الموقف يجعل الآخرين لا يعودوا يفكرون في شيء، ما يفكروا يعملون أي عمل ضدك، بل يفكرون ربما كيف يتأقلمون معك، كيف يكسبون ودك، أنت وهذا المجتمع، كيف يكسبون المجتمع بكله الذي أصبح يتحرك تحركاً معيناً.

لكن ربما لأنه هكذا، ما يتهيأ في الغالب أن يكون المجتمع ينطلق انطلاقة واحدة، وإلا فهو مطلوب من الكل روح المبادرة، روح السبق، فعادة ما يكون هناك سباقين، فـ{أولئك} هم كما قال الله: {أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (الواقعة١٢).

{أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} هذه واحدة من النعم العظيمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم بعدما ذكر الجنة أن رضوانه هو أكبر نعيم، وحتى تعرف فعلاً أن الرضوان، أن المقام المعنوي سيكون لديك أعظم من النعم المادية، تجد أمثلة في الدنيا على هذا، قد تجد تاجراً عنده أموال كثيرة، عنده سيارات، عنده بيوت، عنده كل ما يشتهي، لكن يتمنى، ما يزال يحاول أن يكون مقرباً من رئيس الوزراء، يكون مقرباً من وزير خارجية، داخلية، يكون مقرباً من رئيس جمهورية، يكون مقرباً من رئيس مجلس شورى، مجلس نواب مثلاً، يحاول أيضاً أن يكون مقرباً من محافظ، يكون مقرباً من المدير.

ستراه وتلمس فيه أنت أنه ما يهناه ما عنده من نعيم مادي، ما يهناه مثل ماذا؟ ما قد حصل على المقام المعنوي، أن يكون مقرباً من فلان! بعد أن يحصل على هذا المقام فيصبح مقرباً مثلاً من الرئيس ستراه يعتبر كونه مقرباً من الرئيس عنده أغلى من تلك الأشياء كلها، يعتبرها حالة عنده أغلى من تلك الأشياء كلها، ومستعد أن يفديها ولو بأكثر ماله، وتبقى.

سيقدم تبرعات، يقدم مساعدات، يقدم كذا؛ لأجل يحافظ على قربه من الرئيس؛ لأن القرب المعنوي حتى تعرف بأنه نعيم، إنما فقط لأننا معرفتنا بالله قليلة، معرفتنا بالله ضعيفة، وإلا لوجد الإنسان بأنه أن يرى نفسه في عمل يقربه إلى الله سيجد أو سيلمس أن حالة القرب من الله هي أعظم نعيم يحصل عليه في الدنيا وفي الآخرة.

لكن هذا كمثال لنا في الدنيا، وستلمسه فعلاً، تتحرك في الدنيا سترى كيف يكون التاجر الفلاني الذي يمتلك الممتلكات الكثيرة وليس بحاجة الرئيس من أجل أنه سيعطيه حوالات، ليس بحاجة إليها، هو سيعطي هو، سيعطي [المؤتمر] مثلاً في انتخابات، سيعطي في كارثة طبيعية تحصل من أجل أن يحصل على القرب من الرئيس؛ لأنه يرى القرب من الرئيس شرفاً عظيماً، ويراها نعمة كبيرة عليه أغلى من كل ما لديه.

الله يقول بالنسبة للمؤمنين: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ} (التوبة٧٢) وهو ما يعتبرونه أكبر نعيم، وأكبر جزاء، وأكبر شرف، وأكبر فضل. فيجمع الله سبحانه وتعالى لهم بين هذا القرب المعنوي، القرب منه، وبين النعيم العظيم عندما يقول: {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

حديث الولاية

كلمة ألقاها السيد/حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٨ ذي الحجة ١٤٢٣هـ المواقف: ٢١/١٢/٢٠٠٢م

في الاحتفال بعيد الغدير

اليمن ـ صعدة ـ مرّان

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد، والصلاة والسلام على من نجتمع في هذا اليوم بمناسبة إحياء ذكرى إعلان ولايته على الأمة كلها، الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وصلى الله وسلم على أهل بيت رسول الله الذين نهجوا نهجه وساروا بسيرته فأصبحوا هُداة للأمة، ورضي الله عن شيعتهم الأخيار الذين آمنوا بمحبتهم ومودتهم وولايتهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بهديهم من الأولين والآخرين.

أيها الإخوة الكرام، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا إحياءنا لهذه الذكرى العظيمة، نحن اليوم في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بعد ألف وأربع مائة وثلاثة وعشرين عاماً من هجرة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وبعد نحو ألف وأربع مائة وثلاثة عشر عاماً من عام الغدير من السنة العاشرة التي أعلن فيها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير.

إنها لذكرى عظيمة، وإن من المفارقات العجيبة أن تأتي هذه الذكرى والأمة الإسلامية والعرب بالذات مقبلون على فرض ولاية أمرٍ من نوع آخر، ولاية أمر يهودية، ولاية أمر صهيونية؛ كي تعلم الأمة كم كانت خسارتها يوم أن رفضت إعلان ولاية أزكى وأطهر وأكمل شخص بعد نبيها في مثل هذا اليوم، فهاهي اليوم، ها هي اليوم تقف باهتة، تقف عاجزة تنتظر بدلاً عن علي [شارون]، تنتظر بدلاً عن محمد ليعلن تنتظر [بوش] ليعلن هو من الذي سيَلي أمر هذه الأمة، إنها لمأساة حقيقية أيها الإخوة.

ونحن عندما نحيي هذه الذكرى، عندما نحيي ذكرى إعلان ولاية الإمام علي (عليه السلام) فإننا نعلن أن الدين ـ حسب مفهومنا ووفق رؤيتنا وعقيدتنا ـ أنه دين ودولة، أن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لم يغادر هذه الحياة إلا بعد أن أعلن للأمة من الذي سيخلفه. وهذا هو موضوع هذا اليوم.

ففي مثل هذا اليوم من السنة العاشرة وبعد عودة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من حجة الوداع مع عشرات الآلاف من جموع المسلمين وقف في وادي [خُم] ـ منطقة بين مكة والمدينة وهي أقرب ما تكون إلى مكة ـ بعد أن نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧).

بعد نزول هذه الآية، وفي وقت الظهيرة، في وقت حرارة الشمس، وحرارة [الرَّمْضَاء] أعلن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لمن تقدم أن يعودوا، وانتظر في ذلك المكان حتى تكامل الجمع، وبعد ذلك رُصّتْ له أقتاب الإبل ليصْعَدَ عالياً فوقها؛ لتراه تلك الأمة ـ إن كان ينفعها ذلك ـ لتراه، لتشاهده، وهي تعرفه بشخصه، لترى علياً يد رسول الله رافعة ليده وهي تعرف شخص [علي]، ومن فوق تلك الأقتاب يعلن موضوعاً هاماً، يعلن قضية هامة هي قضية ولاية أمر هذه الأمة من بعده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

عندما صعد وبعد أن رفع يد علي (عليه السلام) خطب خطبة عظيمة قال فيها ـ وهو الحديث الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم باعتباره موضوع هذا اليوم، والحَدَث الهام في مثل هذا اليوم، وباعتباره أيضاً فضيلة عظيمة من فضائل الإمام علي (عليه السلام) ـ خطب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى أن وصل إلى الموضوع المقصود فقال: ((يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللهم وَالِ من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذُل من خَذَله)).

تسلسل هذا الحديث ينسجم انسجاماً كاملاً، الترتيبات التي أعلن فيها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذا الموضوع تنسجم انسجاماً كاملاً مع لهجة تلك الآية الساخنة: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧). موضوع هام بالغ الأهمية، قضية خطيرة بالغة الخطورة، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يعرف ويقدر كل موضوع حق قدْره، ويعطي كل قضية أهميتها اللائقة بها.

يخاطب الناس: ((يا أيها الناس إن الله مولاي)) وهذه هي سنة الأنبياء، وخاصة مع تلك الأمم التي لا تسمع ولا تَعِي، فقد قال نبي من أنبياء الله من بني إسرائيل عندما سأله قومه أن يبعث لهم مَلِكاً يقاتلون معه وتحت رايته في سبيل الله، ماذا قال؟ {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً} (البقرة: من الآية٢٤٧) **وهاهنا بنفس الأداء ((إن الله مولاي)) تساوي {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً}** (البقرة: من الآية٢٤٧)؛ **ليقول للأمة: إني وأنا أبلغ عندما أقول لكم: ((فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه)) إنما أبلغ عن الله، ذلك أمر الله، ذلك قضاء الله، ذلك اختيار الله، ذلك فرض الله، وذلك إكمال الله لدينه، وذلك أيضاً مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بعباده.**

((إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم)) ـ تابعوا معي تسلسل هذا الحديث وهو ما نريد أن نتحدث عنه بالتفصيل ـ ((وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم)) هكذا من عند الله إلى عند رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ولاية ممتدة، ولاية متدرِّجة لا ينفصل بعضها عن بعض.

ثم يقول: ((فمن كنتُ مولاه)) أليس كل مؤمن فينا يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو مولاه؟ إن كل مسلم ـ وليس فقط الشيعة ـ كل مسلم يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو مولاه. إذاً ((فمن كنتُ مولاه)) أي مسلم، أي أمة، أي شخص، أي حزب، أي طائفة، أي فئة أي جنس من هؤلاء من هذه البشرية كلها يدين بولايتي، يدين أني أنا مولى المؤمنين ((فهذا عليٌ مولاه)).

وما أعظم كلمة (هذا) في هذا المقام، و(هذا) هذه الإشارة الهامة هي التي يسعى الصهاينة اليوم إلى أن يمتلكوها بعد أن ضيعناها نحن، بعد أن ضيعت هذه الأمة عقيدتها في مَن هو الذي يملك أن يقول لها (هذا، أو هذا)، جاءها اليهود ليقولوا لها (هذا)! أوليس الجميع الآن ينتظرون من ستقول أمريكا له ليحكم العراق: [هذا هو حاكم العراق؟] أولم يقولوا قبل: [هذا هو حاكم أفغانستان؟] وسيقولون من بعد: [هذا هو حاكم اليمن] و [هذا هو حاكم الحجاز] و [هذا هو حاكم مصر] و [هذا هو حاكم سوريا]، وهَلُمَّ جَرَّا.

للأسف الشديد ـ أيها الإخوة ـ أضاعت هذه الأمة، أضاعت عقيدتها في من هو الذي يملك أن يقول لها (هذا)، ورسول الله بعد أن فَهَّمها: ((أن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين))، ثم يقول: ((فمن كنت مولاه فهذا)) هذه الإشارة هي إشارة تمتد إلى الله سبحانه وتعالى، أنه هو ورسول الله يقول لنا: إن من يملك أن يقول لهذه الأمة، لعباده (هذا أو هذا ولي أمركم) إنه الله سبحانه وتعالى، لكنا تنكرنا من بعد لتلك الإشارة العظيمة، وتنكرنا من بعد لمن له الأولوية في إطلاق التعيين بتلك الإشارة العظيمة، وتنكرنا من بعد لمن له الحق في أن يملك توجيه تلك الإشارة العظيمة، فكان ممن سمع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في ذلك الحفل، في ذلك الجمع الكبير كانوا هم أول من قالوا: لا، وإنما هذا.

ونحن اليوم نفاجأ ويفاجأ حتى [وُلاة الأمر] في كل هذه البلاد الإسلامية على طولها وعرضها الآن يفاجئون من [واشنطن وتل أبيب] بنفس المنطق الذي فاجأوا به رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): [لا، ليس صدام وإنما هذا]، [لا، لن يكون علي عبد الله وإنما هذا]،[لا، ليس فهد أو عبد الله وإنما هذا] وهكذا سيتعاملون مع هذه الأمة كما تعاملت هذه الأمة مع نبيها.

للأسف الشديد بعد ذلك العمل العظيم، بعد تلك الترتيبات التي كشف بها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أهمية ولاية أمر الأمة، يأتي من يقول: لا، لا، وإنما هذا، لماذا هذا؟ ما هي سابقته؟.

إن من انصرفوا عمن وَجَّه الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الإشارة إليه لتعيينه بعد رفع يده وبعد صعوده معه فوق أقتاب الإبل إنهم للأسف الشديد لا يعرفون ماذا وراء (هذا). إن كلمة (هذا) تعني هذا هو اللائق بهذه الأمة التي يُراد لها أن تكون أمة عظيمة، هذا هو الرجل الذي يليق أن يكون قائداً وإماماً وهادياً ومعلماً ومرشداً وزعيماً، لأمة يراد لها أن تتحمل مسؤولية عظيمة، يُنَاطُ بها مهام جَسِيمة، هذا هو الرجل الذي يليق بهذه الأمة، ويليق بإلَهِهَا أن تكون ولايته امتداداً لولاية إلهها العظيم، هذا هو الرجل الذي يليق بهذا الدين العظيم أن يكون من يهدي إليه، أن يكون من يقود الأمة التي تعتنقه وتَدِينُ به وتتعامل مع بقية الأمم على أساسه يجب أن يكون مثل (هذا) رجلاً عظيماً لِيَليق بدين عظيم، بأمة عظيمة، برسول عظيم، بإلهٍ عظيم، وبمهام عظيمة وجَسِيمَة.

ولكن ماذا حصل؟ إن أولئك الذين انصرفوا عمن وجّه الرسول الإشارة إليه هم للأسف ـ كما أسلفنا ـ لا يفهمون ماذا وراء (هذا)، والمسلمون من بعد في أغلبهم لم يفهموا أيضاً ماذا وراء قول الرسول (هذا)، وعمن يعبر الرسول بقوله (هذا) إنه يعبر عن الله، لم يكن أكثر من مبلغ عن الله بعد نزول قول الله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنـزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}.

وها نحن ما نزال في هذا الزمن أيضاً لا نفهم ماذا وراء قول الرسول (هذا). ولا نفهم ولم نسمح لأنفسنا أن يترسخ في مشاعرنا، في عقيدتنا من الذي يمتلك أن يقول للأمة (هذا)، فإذا بنا نفاجأ بآخرين يريدون أن يفرضوا علينا (هذا أو هذا).

وهل يُتوقّع من أمريكا، هل يُتَوقّع من تل أبيب أن تقول للأمة (هذا) إلا إشارة إلى رجل لا يهمه سوى مصلحة أمريكا؟ يكون عبارة عن يهودي يحكم الأمة مباشرة، أو أمير يهودي أو شبه يهودي يحكم إقْلِيماً معيناً فيكون الجميع كلهم ينتظرون من الذي ستقول له أمريكا أو تل أبيب (هذا).

وهاهم الآن يثقفوننا بهذه الثقافة. يوم كانت المخابرات الأمريكية هي التي تغير بالسِّرّ، فتُطلّع هذا أو تضع هذا أصبحت الآن تخاطب الشعوب نفسها، تخاطب الشعوب بأننا سنضع حاكماً على العراق أمريكياً، حاكماً عسكرياً.

أمريكا تستطيع أن تغير [صدام]، تستطيع أن تعمل انقلاباً بشكل سرّي كما عملته في كثير من البلدان، لماذا لا تعمل ذلك؟ لأنها تريد أن نفهم جميعاً أنها من سيكون لها الحق في أن تقول (هذا)، إنها تريد أن يترسخ في مشاعرنا جميعاً، في أذهاننا جميعاً أنها هي التي تملك أن تقول لنا (هذا)، وسيمشي (هذا) يوم أن ضيعنا قول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مشيراً إلى الإمام علي: (هذا)، ولم ندرِ ـ كما أسلفنا ـ عمّن يُعبِّر (هذا).

أيها الإخوة نحن نقول: إن هذا اليوم، إن الموضوع المهم في مثل هذا اليوم هي: ولاية أمر الأمة، ولقد تعاقب على هذه الأمة على مدى تاريخها الكثير الكثير ممن كانوا ينتهزون ولاية أمرها ويتقافزون على أكتافها جيلاً بعد جيل وإذا ما رأوا أنفسهم غير جديرين بأن يكونوا ولاةً لأمر هذه الأمة فإنهم سلكوا طريقة أسهل من أن يكون ـ ولن يستطيع أن يكون ـ بمستوى ولاية أمر هذه الأمة، فسلكوا طريقة أخرى هي: تَدْجِيْن الأمة لتتقبل ولاية أمرهم، هي: تَثْقِيْف الأمة ثقافة مغلوطة لتتقبل ولاية أمرهم، فكان الضحية هو: المفهوم الصحيح العظيم لما تعنيه ولاية الأمر في الإسلام، فبدا مثل معاوية أميراً للمؤمنين، ويزيد أميراً للمؤمنين، ويقول هذا أو ذاك من الخطباء أو العلماء أو المؤرخين: تجب طاعته! يجب طاعته، لا يجوز الخروج عليه، يجب النصح له!! وما زال ذلك المنطق من ذلك الزمن إلى اليوم، إلى اليوم ما زال قائماً.

نسينا جميعاً أن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يوم أشار إلى ((علي)) فإنه في نفس الوقت الذي يشير إلى شخص [علي] إنه يشير إلى ولاية أمر الأمة، إلى ولاية الأمر المتجسدة قيمها ومبادئها وأهدافها ومقاصدها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

هؤلاء لم يكلفوا أنفسهم عناءً كثيراً أن ينقلوا تلك المفاهيم الصحيحة لولاية الأمر إلى الأمة، لا، بل قالوا: إن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال: [سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يَسْتَنُّونَ بسنّتي. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟. قال: أَطِعْ الأمير وإن قَصَمَ ظهرك وأخذ مالك]!!.

كم هو الفارق الكبير بين هذا الحديث المكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بين تلك الثقافة المكذوبة على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) التي تُقَدِّم ولاية الأمر بالشكل الذي يكون بإمكان أي طامع، أي انْتِهَازِيّ، أي فاسق، أي مجرم، أي ظالم أن ينالها، في الوقت الذي يقول الله لنبيه إبراهيم بعد أن سألها لذريته: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٢٤).

فتنزل [ملزمة]، تنزل ملزمة، محاضرات من وزارة الأوقاف التي وزيرها زيدي، من إدارة الوعظ والإرشاد إلى محافظات زيدية تتحدث عن طاعة ولي الأمر بهذا المنطق، وليس بمنطق قول الله تعالى: {لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} وليس بمنطق قول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يوم الغدير: ((من كنت وليه فهذا وليه)) فيما تعنيه هذه الإشارة العظيمة من إشارة إلى القيم والمبادئ التي يجب أن تكون هي المعايير والمقاييس التي تؤهل من يصح أن يقال له أنت الذي تَلِي أمر هذه الأمة.

[ملزمة] جمعوا فيها كل ما صنعه علماء السوء، كلما افتراه المتقربون إلى الطواغيت، كلما افـتراه علمـاء الـبلاط جمعوه في [ملزمة] لتنزل إلى المرشدين في [دورة] يتثقفون بها ليستمروا في تثقيف الأمة مـن بعـد؛ إمعاناً في تجهيل الأمة، وهذا هو ما جعل الأمة مهيأة لأن تكون ضحية ليس فقط لأن يليها [جاهل ظالم] من أبنائهـا بـل أن يَلِيَ أمرها [يهودي صهيوني] من ألَدِّ أعدائها من إخوة القردة والخنازير، بتلك الثقافة الخاطئة الـتي مـا تـزال إلى اليوم قائمة، التي ما تزال إلى اليوم لها دعاتها، ولها المبالغ من الأموال العامة التي تُرْصد لنشرها وتثقيف الأمة بها.

هذا شيء مؤسف - أيها الإخوة - وإن الأمة لأحوج ما تكون إلى أن تفهم ما هي ولاية الأمر في دينها، ما هـي ولايـة الأمر في إسلامها، ما هي ولاية الأمر في قرآنها. يجب أن تفهم، وإذا لم تتفهم فسيفهمنا الأمريكيـون وعملاؤهـم ليقولوا لنا: هكذا ولاية الأمر، وهكذا يكون ولي الأمر، وستراه يهودياً أمامك يَلِي أمرك.

إن الجهل، إن جهل الأمة في ماضيها بولاية الأمر، وأهمية ولاية الأمر هو الذي جعلها ضحية لسلاطين الجور، وإن الجهل الذي امتد من ذلك الزمن، وفي هذا الحاضر هو نفسه الذي سيجعلها ضحية لأن يملك تعيين ولاية أمرهـا وتثقيفها بمعاني ولاية الأمر فيها، وتعيين من يَلِي أمرها، هم اليهود الصهاينة من الأمريكيين والإسرائيليين.

إن الأمة أحوج ما تكون إلى ثقافة صحيحة بكل ما تعنيـه الكلمـة، ثقافـة ((حـديث الغـدير))، ثقافـة ((حـديث الولاية)) ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنـت مـولاه فهـذا علـي مـولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخـذل مـن خذلـه)). إن هـذا الحـديث مـع تلـك الآيـة القرآنية تعطي ثقافة كاملة لهذه الأمة تحصنها من الثقافة التي تُقَدَّم إليها لتكون قابلة لأن تُفرض عليها ولاية أمْرٍ يهودية.

إن من واجب من يسمون أنفسهم اليوم - وهم في الرمق الأخير - من حكام هذه الأمة الذين تتجـه أمريكـا وتعلـن أنها متجهة لتغييرهم في هذه المنطقة لو أنهم يعملون معروفاً واحداً بعد أن فشلوا في أن يقـدموا للأمـة أي شـيء يدفع عنها خطر ذلك العدو الهاجم عليها، خطر ذلك العدو المحدق بها بعد أن أعلنوا عجزهم عن عمل أي شـيء في هذا المجال عسكرياً أو اقتصادياً أو ثقافياً لم يعملوا أي موقف، لو أنهم يعملون قضية واحدة - حتى لا يكونوا ممن يظلمنا في حياتهم وبعد مماتهم - لو يعملوا لهذه الأمة أن يحصنوها حتى لا تُظلم من بعد تغييرهم، وحتـى لا يكون في مستقبل هذه الأمة من يلعنهم بعد تغييرهم، أن يثقفوها فيما يتعلق بموضـوع ولايـة الأمـر، بثقافـة الإسلام، بثقافة ((حديث الولاية)) الذي هو صحيح عند المسلمين جميعاً.

وإذا لم يعملوا ذلك فما هو المتوقع؟ عندما يغيرون، وعندما يتجه اليهود فيفرضون علينا ولاية أمـرهم فـإن مـن يحكمون اليوم على طول البلاد الإسلامية وعرضها سـيكونون هـم مـن يتلقـون اللعنـة مـن البَـر في هـذه الأمـة والفاجر، البر في هذه الأمة، المؤمن في هذه الأمة سيلعنهم بـأنهم هـم مـن هيـأ هـذه الأمـة لأن تـصل إلى هـذه الوضعية السيئة، وإلى أن يكون في الأخير من يحكمها يهودي، والفاجر في هذه الأمة، والمصلحيُّ في هذه الأمة هو أيضاً من سيلعنهم عندما يأتي اليهود فيديرون أوضاع الأمة بشكل أحـسن ممـا يـديره هـؤلاء، سـيقولون: [والله هؤلاء أحسن من أولئك، أولئك الذين كانوا هم ملاعين، هم الذين كانوا اليهود وليس هؤلاء].

وهذا هو المتوقع أيها الإخوة، وهذا هو المتوقـع. إن اليهـود اليـوم يعملـون علـى أن يقـدموا أنفـسهم كمخَلِّـصين للشعوب، ولديهم في الداخل في كل بلد عربي من يعمل على خلخلـة مؤسـسات أي دولـة عربيـة، علـى ضعضعة مؤسساتها، على انتشار الفساد المالي والإداري داخـل مؤسـساتها، حتـى يخفـق الجميـع، وحتـى يظهـر الجميـع عاجزين! ثم بالتالي يأتي اليهودي فيدير أوضاع البلاد بشكل أفضل؛ ليقول للناس، وليقول الناس قبل أن يقول هو: [والله كان الأولين الذين هم يهود ما هم هؤلاء].

أنظروا اليوم في اليمن أليس التعليم متدهوراً؟ والصحة متدهورة؟ والأمن والقضاء وكل قطاعات الدولة لا تجد قطاعاً واحداً تقول أنه يسير على أحسن حال، من الذي يخلخل هذه الوضعية؟ من الذي يعقّد الناس على بعضهم بعض إلا من يريد أن يحكم الأمة فيما بعد، إلا من يريد أن يقدم نفسه - وهو يهودي - كمخلص للأمة فيمـا بعـد، فتقبله؛ لنقول جميعاً فيما بعد: [هؤلاء الذين هم يهود، هؤلاء الذين كانوا يهود].

عندما يأتوا بمن يحكم اليمن، عندما يأتون بمن يحكم الحجاز سيقول السعوديون، سيقول اليمنيون: [والله كان علي عبد الله هو الذي هو يهودي، وفهد هو الذي كانه يهودي، أما فلان ـ وقد يكون اسمه غير عربي ـ انظر ماذا عمل لنا؟]؛ لأن اليهود أولاً ثقفونا بثقافة أن تكون المقاييس لدينا هي الخدمات، فمن قدم لدينا خدمات فليحكمنا، وليكن من كان.

إن هؤلاء يرتكبون جريمة كبيرة إذا ما تركوا هذه الأمور على هذا النحو، إذا ما تركوا التعليم بهذا الشكل مدهوراً، وقطاع الصحة مدهورة، والأمن وكل مؤسسات الدولة تعاني من فساد مالي وإداري. فعندما يظهرون وقد أخفقوا في هذا الموضوع فسيكون من السهل على اليهود أن يغيروهم، وبالتالي سيكون من السهل على الجميع أن يرحبوا بأولئك، وأن يكون من يحكمهم من يريدون هم وليس من يريد هذا الشعب.

أيها الإخوة الأعزاء هذا ما نريد أن نفهمه: أنه يجب على هؤلاء الذين يحكمون هذه الأمة اليوم وقبل أن يغادروا قصورهم، أو قبل أن يغادروا هذه الحياة، يجب عليهم أن يثقفوا الأمة بثقافة ((حديث الولاية))، بثقافة ((القرآن الكريم)) في موضوع أمر ولاية الأمة.

ونحن الشيعة، ما تزال ثقافتنا في هذا الموضوع قائمة من ((يوم الغدير)) على هذا النحو وإلى اليوم؛ ولذا فمن المتوقع أن يكون الشيعة وحدهم هم أكثر الناس وعياً، خاصة من يفهمون جيداً ماذا يعني: ((علي))، ماذا يعني: ((حديث الولاية))، ماذا يعني: التشيع، ماذا يعني: الدين، ماذا تعني: مسؤولية ومهام هذا الدين بالنسبة لهذه الأمة، فإنهم هم من يحتمل أن يكونوا من يَقِفون في وجه [أمريكا وإسرائيل]، في وجه اليهود الذين يريدون أن يفرضوا علينا ولاية أمرهم، أما الآخرون فسيضلون هكذا يراقبوننا نحن!.

وهذا هو الشيء الغريب، عندما نتحرك نقول للناس: يجب أن يقف الجميع يصرخون في وجه [أمريكا وإسرائيل] بهذا الشعار: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]؛ لأن أمريكا متجهة أن يكون [بوش] إماماً للمسلمين وأميراً للمؤمنين، هؤلاء يُغمضون أعينهم عما يريد [بوش] وعما يريد [شارون]، ويقولون: هؤلاء هم الخطيرون! ما خطورة هذا الذي لا يمتلك حاملة طائرات؟ لايمتلك غواصات، لا يمتلك بارجات؟ لا يمتلك عشرات الآلاف من العساكر المدربين تدريباً جيداً، لا يمتلك العتاد العسكري؟! تتجهون بأذهانكم إلينا نحن الشيعة ـ عقيدتنا في ولاية الأمر معروفة ـ فتتجهون إلينا وتنسون ماذا يُراد بنا وبكم! إن (بوش) متجه لأن يكون إماماً للأمة. لكن متى ما جاء يتحدث فلان من الناس قالوا: [هذا يريد الإمامة!!]!.

إذاً نحن أمام إمامة من نوع آخر، قفوا معنا جميعاً لنحاربها، إنها إمامة (بوش)، إنها إمامة اليهود، إنها إمامة بني إسرائيل، إنها ولاية الأمر اليهودية الصهيونية، لماذا تغمضون أعينكم أمامها وتفتحون أعينكم على من ليس منطقهم بأكثر مما قاله الرسول عَلَناً على مرأى ومسمع من الجميع في مثل هذا اليوم في السنة العاشرة من الهجرة؟.

هل جاء الشيعة بجديد؟ هل نحن نأتي بجديد خلاف ما ينص عليه كتاب الله؟ خلاف ما يشير ويوحي به كتاب الله؟ وخلاف ما نص عليه وما قاله، وما من أجله رفع نفسه ورفع أخاه الإمام علياً على مجموعة من أقتاب الإبل ليراه أولئك الجموع، ولنراه نحن، وليسمعه أولئك ولنسمعه نحن. نحن لم نأتِ بجديد أكثر مما قاله كتاب الله، وأكثر مما قاله الرسول في ذلك اليوم.

ومفهومنا لولاية الأمر هو وحده الذي يمكن أن يحصّن الأمة عن أن يَلِي أمرها اليهود، أما المفاهيم الأخرى من يقل: [أطِع الأمير وإن قصم ظهرك، وإن كان لا يهتدي بهدى ولا يَستَنُّ بسنة] فإن هذا مما يهيئ الأمة لأن يَلِي الأمر أولئك، بل أن يلي الأمر اليهود أنفسهم. بل وإن الديمقراطية نفسها[1] غير قادرة على أن تحمينا من فرض ولاية أمرهم علينا؛ لأن الديمقراطية أولاً: هي صنيعتهم، ثانياً: هي نظام هش، ليس له معايير ولا مقاييس مستمدة من ثقافة هذه الأمة ومن دينها وقيمها الإسلامية.

---

(1) هذا إشارة إلى ما يقوله الأمريكيون اليوم في ظل حشد جيوشهم للهيمنة على المنطقة العربية أنهم يريدون إقامة الديمقراطية..

الديمقراطية تقوم على اعتبار المواطنة، وأمامك مواطن يهودي، وسيكون الدستور في أي بلد - إن كان سيبقى هناك دساتير - بالشكل الذي لا يجعل هناك أي اعتبار لمعايير أو مقاييس مستمدة من دين هذه الأمة، من دين هؤلاء المسلمين، وإنما فقط يجب أن يكون من يلي أمر هذا الإقليم مواطن حاصل على البطاقة الشخصية، وأن لا يكون قد صدر بحقه حكم يخل بشرفه، وأن لا يقل عمره مثلاً عن أربعين سنة!.

هذه المعايير أليست تصدق على اليهودي والمسلم؟ اليهودي يمكن أن يكون معه بطاقة شخصية، يحمل بطاقة شخصية وجنسية يمنية، جنسية مصرية، جنسية سعودية، وجنسية لأي شعب آخر؟. أليس يمكن أن يكون متوفراً فيه أن لا يكون قد صدر بحقه حكم قضائي في قضية تخل بالشرف، وأن يكون عمره لا يقل عن أربعين سنة؟ وتروّج له وسائل الإعلام التي يكون من يديرها ومن يمتلكها يهود أو عملاء ليهود؟ فلا تدري إلا وأمامك يهودي يحكمك سواء كنت في مصر، أو في اليمن، أو في أي مكان آخر.

الديمقراطية نفسها لا تستطيع أن تحمينا من فرض ولاية أمرٍ يهودية. فقط ثقافة ((حديث الغدير))، أكرر ثقافة ((حديث الغدير))، فَهْمُ الشيعة، فَهْمُ أهل البيت لمعنى ولاية الأمر المستمد من ((القرآن))، المستمد من ((حديث الولاية))، ومن أحاديث أخرى متواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو الكفيل بتحصين هذه الأمة حتى لا تقبل ولا تخنع لأولئك الذين يريدون أن يفرضوا عليها ولاية أمرهم، وهم اليهود الأمريكيون والصهاينة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا، أسأل الله أن يجعلنا من أولياء ((علي))، وأن يجعلنا من الصادقين في السير على نهج ((علي))، وأن يرزقنا ولو نبذة بسيطة من شجاعة ((علي))، ومن صدق ((علي))، ومن إخلاص ونصح ((علي))، ونحن نقر ونشهد بأننا نتولى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ونتولى من فرض ولايته علينا وهو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

خطر دخول أمريكا اليمن

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

من الأخبار التي ينبغي أن نتحدث حولها هو ما ذكر لنا بعض الإخوان الذين سمعوا من إذاعة إيران، ويبدو من إذاعة أخرى قد تكون الكويت، أنه قد وصل إلى اليمن جنود أمريكيون، واحتلوا، أو توزعوا على مواقع عسكرية متعددة، ولم ندرِ بالتحديد في أي منطقة.. ونحن قبل أسبوع تقريباً، وربما من شهر رمضان لما بدأ الحديث حول هذه المواضيع، قد يكون الكثير يستبعدون ما نطرح، يستبعدون ما نحذّر منه باعتبار أن الدنيا سلامات، ولا يوجد شيء!.

ونحن نقول دائماً: أن هذه هي صفة من الصفات السيئة في العرب، فينا نحن العرب، الخصلة السيئة، {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢) لا نعرف الخطر، ولا ندرك ما يعمل الأعداء إلا عندما يضربوننا، بعدها نتأكد [صح، والله صح] لكن نعيد الكلام من جديد، قد يقول البعض: [والله صح، ولكن ما جهدنا.. نسكت!] وإذا هي سكته من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا.. كما قال بنو إسرائيل.

نقول للجميع: إذاً وصل الأمريكيون اليمن هل سنبصر ونسمع؟ هل أبصرنا وسمعنا أم لا؟!. وعندما يأتي الأمريكيون اليمن هل جاءوا ليطّلعوا على الأوضاع؟ لينظروا ما هي المشاريع أو الخدمات التي نحتاج إليها؟ أو جاءوا ليحرثوا ويزرعوا الأراضي البيضاء، أو جاءوا ليعملوا مزارع نَحْل؛ لأنهم عندهم مزارع نحل، وعندهم مزارع قمح؟ هل جاءوا يشتغلوا معنا، أو جاءوا من أجل ماذا؟.

الإمام الخميني (رحمة الله عليه) سمى أمريكا بأنها: [الشيطان الأكبر]، وأنها هي وراء كل شر؛ لأن من يحكم أمريكا ويهيمن على أمريكا هم اليهود، واليهود كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم في آيات كثيرة: أنهم يسعون في الأرض فساداً، وأنهم يودون لو يضلون الناس، وأنهم يريدون أن يضل الناس، وأنهم لا يودون للمؤمنين أي خير، وأنهم يعضون عليكم الأنامل من الغيظ، وكم ذكر في القرآن الكريم مما يدل على عدائهم الشديد للمسلمين والإسلام.

عندما تكون هذه القضية حقيقية يكون المسؤول الأول هو من؟ الدولة، الجيش، المعسكرات المليئة بالجنود الذين يثقلون كاهل الشعب، ثم لا يعملون شيئاً، ودولة لا تعمل شيئاً.. لماذا يسمحون للأمريكيين أن يدخلوا؟ وما الذي يحوج الناس إلى أن يدخل الأمريكيون اليمن؟ هل أن اليمنيين قليل؟ أو أن اليمن يتعرض لخطورة من أي جهة أخرى غير أمريكا؟ فهم يأتون ليساعدوا اليمنيين!؟.

الشيء المتوقع ـ والله أعلم ـ والذي قد لمسنا شواهد كثيرة له، وبدأت المقابلة الصحفية التي سمعناها قبل يومين تقريباً مقابلة صحفية مع الرئيس، أسئلة حول السفينة [كول]، وحول من كانوا يذهبون إلى أفغانستان، يريدون أن يحملوه المسؤولية هو.

السؤال الذي يوحي بأنهم يريدون أن يحملوه المسؤولية هو حول المجاهدين الذين ساروا إلى أفغانستان من الشباب اليمنيين فبدأ يتنصل ويقول: هم كانوا يسافرون بطريقة غير شرعية، ولا نعرف عنهم شيئاً.

كل من وقفوا ضد الثورة الإسلامية في إيران أيام الإمام الخميني رأيناهم دولة بعد دولة يذوقون وبال ما عملوا.. من وقفوا مع العراق ضد الجمهورية الإسلامية، والتي كانت ولا تزال من أشد الأعداء للأمريكيين وللإسرائيليين، حيث كان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) يحرص جداً على أن يحرر العرب، ويحرر المسلمين من هيمنة أمريكا ودول الغرب، ويتجه للقضاء على إسرائيل، لكن الجميع وقفوا في وجهه! ورأينا كل من وقفوا في وجهه كيف أنهم ضُربوا من قِبَلِ مَن أعانوهم، ومن كانت أعمالهم في صالحهم.

الكويت ضرب، والعراق ضُرِب، أليس كذلك؟ والسعودية أيضاً ضربت من قِبَل العراق، وضربت اقتصادياً لإثقال كاهلها من قِبَل الأمريكيين، اليمن نفسه شارك بأعداد كبيرة من الجيش ذهبوا ليحاربوا الإيرانيين، ليحاربوا الثورة الإسلامية في إيران.

الإمام الخميني كان إماماً عادلاً، كان إماماً تقياً.. والإمام العادل لا ترد دعوته، كما ورد في الحديث. من المتوقع أن الرئيس، وأن الجيش اليمني لا بد أن يناله عقوبة ما عمل.

إذاً: نقول جميعاً كيمنيين لكل أولئك الذين يظنون أنه لا خطر مُحدق، الـذين لا يفهمـون الأشـياء، لا يفهمـون الخطر إلا بعد أن يَدْهمهم، نقول للجميع سواء أكانوا كباراً أم صغاراً: الآن ماذا ستعملون؟ الآن يجب أن تعملوا كل شيء، العلماء أنفسهم يجب أن يتحركوا، والمواطنون كلهم يجب أن يتحركوا، وأن يرفعوا جميعاً صوتهم بالصرخة ضد أمريكا وضد إسرائيل، وأن يعلنوا عن سخطهم لتواجد الأمريكيين في اليمن، الدولة نفسها، الرئيس نفسه يجب أن يحذر، ما يجرى على عرفات، ما جرى على صدام، ما جرى على آخرين يحتمل أن يجري عليه هـو، إن الخطر عليهم هو من أولئك، الخطر عليهم هو من الأمريكيين، الخطر عليهم هـو مـن اليهـود، علـى الحكومـات وعلى الشعوب، على الزعماء.

وحتى من يظنون أنهم قد اطمأنوا بصداقتهم لأمريكا عليهم أن يحذروا؛ لأن أولئك ليسوا أوفياء أبداً، الله ذكر عنهم في القرآن الكريم أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ومن نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واشتروا بآيـات الله ثمناً قليلاً سينبذون كل عهد وكل اتفاقية، وكل مواثيق مع الآخرين.. أو أن المواثيق ستكون لديهم أهم مـن كتاب الله الذي نبذوه؟ سينبذونه، والله حكى عنهم هذه الصفة: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٠٠).

إذاً فلنتأكد جميعاً بأنه آن ـ فعلاً ـ أن نرفع صوتنا وأن يعد الجميع أنفسهم لأن لا يدوسهم الأمريكيون بأقدامهم، وهم كعادتهم في كل بلد يخادعون، يخادعون، والعرب بسطاء في تفكيرهم، العرب سـطحيون في نظـرتهم، وأول من عرف هذا الإمام علي (عليه السلام) هو نفسه. سنقول لأنفسنا بدون تحاشي: أن العرب سـطحيون جـداً، وأن اليمنيين أكثر العرب سطحية، سيكون اليمنيون من أكثر من يمكن أن يُخدعوا.

أثناء التحكيم في صفين، الإمامُ عليٌ (عليه السلام) اختار ابن عباس، وعبد الله بن عباس رجل ذكي ومؤمن تقـي وعالم وفاهم، قال ـ أولئك الذين أرغموا الإمام علياً (عليه السلام) على التحكـيم ـ قـالوا: لا، إنمـا أبـو موسـى الأشعري، وأبو موسى الأشعري هو من تهامة اليمن.. فقال: ((إني أخشى أن يُخدع يمانيكم)). قلوبنـا لينـة نحـن اليمنيين نصدق بسرعة حق، ونصدق بسرعة باطل. قالوا: إن واحد من صنعاء سمع شخصاً يقـول: أهـل الـيمن أسلموا برسالة. قال: وسيكفروا بوصية.

كان أسلوب أهل البيت مع اليمنيين أسلوباً جيداً: التذكير المتتابع، والعمل المتتابع، والإرشاد المتتابع علـى طـول، على طول، لو تِفرق قليل وجاء آخر على باطل لاستطاع أن يؤثر.

ألم يدخل الوهابيون إلى اليمن واستطاعوا أن يؤثروا؟ اسـتطاعوا أن يـؤثروا حتـى في أفـراد مـن بيـوت علـم، استطاعوا أن يؤثروا فيهم. النصارى استطاعوا أن يؤثروا وأوجدوا نصارى في [جِبْلَة]. إذاً نقول لأنفـسنا: يجـب أن نكون يقظين، يقظين نتنبه جيداً، لا نُخَادع.

قد يكون في البداية تنكر الدولة أن هناك وجوداً للأمريكيين، ثم بعد فترة يضعون مبرراً لوجود الأمريكيين، ثم يتحرك الأمريكيون والمبررات دائماً أمامهم، كما عملوا في أفغانستان كان المبررات دائماً أمـامهم، ونحـن بطبيعتنـا اليمنيين نشتغل بالمجان إعلامياً [ياخه قالوا ما بلاّ يشتوا كذا وكذا وابعد نقل الخبر ياخه قالوا ما يشتوا إلا كذا كذا وابعد قال ما يشتوا إلا كذا كذا] فتنقل التبرير بالمجان وتعممه على أوساط الناس، وكل واحد ينقـل الخـبر إلى أن يترك أثره.

إسرائيل مع العرب استخدمت هذا الأسلوب، أسلوب الخداع، هدنة، مصالحة، حتى تتمكن أكثر وتستقوي أكثـر، ثم تضرب، فإذا ما تحركوا قليلاً جاء وسيط من هناك وقال: صلح. وتصالحوا، أو هدنة وقبلوا.. وهكذا حتى رأوا أنفسهم أن وصل بهم الأمر إلى أن إسرائيل لم تعد تقبل لا صلحاً، ولا هدنة، ولا مسالمة، ولا شيء.

كان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) يحذر الشيعة من هذه الطريقة من الخدعة قال: ((يكفي الشيعة ما حـدث في [صفين] أن ينشق نحو ثلاثين ألفاً من جيش الإمام علي الذين أصبح بعـضهم فيمـا بعـد يـسمون بـالخوارج، خُدعوا عندما رفع معاويـة وعمـرو بـن العـاص المـصاحف وقـالوا: [بيننـا وبيـنكم كتـاب الله] عنـدما أحـسوا بالهزيمة)). فكان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) يحذر الشيعة دائماً من الخدعة أن لا ينخدعوا مرة ثانية.

وهل تعتقد أنه يمكن أن يصل الأمريكيون إلى اليمن، أو يقوم أحد بعمل يخدم الأمريكيين ثم لا يضع تبريـرات

مسبقة يقدمها وتسمعها من التلفزيون، وتقرأها في الصحف، وتسمعها من الإذاعة، ويتداولها الناس فيما بينهم بالمجان، هذه من السيئات.

لا يجوز لك أن تنقل أي تبرير أبداً تسمعه ولو من رئيس الجمهورية يبرر وجود أمريكيين، أو يبرر القيام بعمل هو خدمة للأمريكيين من أي جهة كان، لا يتداول الناس التبريرات، هذه أول قضية يجب أن نحذر منها.

طبيعة الفضول التي فينا، طبيعة الكلام الكثير والهذرة الكثيرة، تتحدث بأشياء ولا ندري بأنها تخدم أعداءنا هذه طبيعة فينا غريبة، في العرب بصورة عامة، وفينا أيضاً بالتحديد.

أذكر وقد تكلمت عن هذا الموضوع أكثر من مرة أن السفير العماني كنا مرة جالسين مع بعض فقال: هنا أهل اليمن يتكلمون كثيراً ويرجفون على أنفسهم ويحللون تحليلات خاطئة فيرعبون أنفسهم أكثر من اللازم. لاحظ بعد أن يقال أن الأمريكيين وصلوا، كيف ستنطلق التحليلات، التحليلات المتنوعة والغريبة، وكيف سيقول الناس، ناس سيقولون: [نجمّع بُر]. وناس يقولون: [كذا].. نحن نقول الآن: قضية الحصار قد جُرب الحصار للعراق، وجربوا الحصار ضد إيران ولم يعمل شيئاً، الدنيا مفتوحة من كل الجهات، ويحصل حتى تهريب دولي.

أليس العراق في حصار، قبل سنة كنا في العراق.. كل شيء في العراق متوفر، أسواق كثيرة مليئة بالمواد الغذائية، الصيدليات مليئة بالأدوية، كل شيء في العراق متوفر أكثر من الأردن، وأرخص بكثير من الأردن، إنما بالنسبة للعراقيين أنفسهم العُملة هبطت جداً، المال، القدرة الشرائية هي التي فيها صعوبة لديهم، وحتى منتجاتهم كانوا يتمكنون من توريده، التمور يوردونه عن طريق تركيا، وعن طريق جهات أخرى، وبضائع كثيرة تدخل عن طريق الأردن.

ما تلمس في العراق أن هناك حصاراً، إيران كذلك حوصر ولفترة طويلة، الدنيا الآن مليئة بالمنافذ والدول الكبرى تتسابق، أيُّ شعب تحاول أمريكا أن تفرض عليه الحصار تحاول الصين أو فرنسا تتودد إليه وتتقرب له.

لا تعتقد أن أمريكا تستطيع إلى درجة أن تقفل عليك داخل غرفة ثم لا يدخل إليك لقمة من الطعام ولا حبة دواء، ولا أي شيء. فلا داعي أن يخاف الناس من حصار أو ما حصار أو يخافوا أو يتحدثوا هم يقولوا [البُر با يغلى با يجي علينا كذا] يسكتوا.

هناك دول أخرى ستتسابق هي إلى أن تحل منتجاتها، أو يحل التعامل معها مع اليمنيين بدل التعامل من قِبَل الأمريكيين أو الدول التي لها علاقة بهم.

المفروض أن الناس يكون لهم موقف واحد، هو أن يغضبوا لماذا دخل الأمريكيون اليمن، وإلى هنا انتهى الموضوع. تحليلات تبريرات كلها لا داعي لها، تخوفات، قلق، [با يغلقوا علينا با يغلى كذا با.. با..] الناس يرجفوا على بعضهم بعض. الموقف الصحيح، والذي يحل حتى كل التساؤلات الأخرى التي تقلقك هو أنه: لماذا دخل الأمريكيون اليمن؟ ويجب على اليمنيين أن لا يرضوا بهذا وأن يغضبوا، وأن يخرجوهم، تحت أي مبرر كان دخولهم. أليس في هذا ما يكفي؟.

فليكن كلامنا مع بعضنا البعض أنه لماذا دخلوا بلادنا؟ ومن الذي سمح لهم أن يدخلوا بلادنا؟ هل دخلوا كتجار؟ هناك شركات تعمل أمريكية وهي التي تستولي على نسبة كبيرة من بترول اليمن، لكن أن يدخل جنود أمريكيون ويحتلوا مواقع.. يصيح الناس جميعاً: أين هي الدولة؟ من الذي سمح لهم؟ أين هو الجيش الذي ينهك اقتصاد هذا الشعب بنفقاته الباهظة.

ثم الناس لا يسمحوا أبداً لأنفسهم أن يقولوا: هذه القضية تخص الدولة، أو تعني الدولة. الدولة نفسها ليس لها مبرر أن تسمح، ولا الدستور نفسه يسمح لمسؤول أن يسمح بدخول الأمريكيين إلى اليمن حتى لو افترضنا أن هناك ـ كما يقولون ـ إرهابيين في اليمن. هناك قضاء في اليمن، وهناك دولة في اليمن، واليمنيون يستطيعون هم إذا ما كان هناك اعتداء من شخص ـ اعتداء بمعنى الكلمة ـ ضد أمريكيين، أو ضد مصالح أمريكية مشروعة، فالقضاء اليمني هو صاحب الكلمة في هذا، لا حاجة لدخول الأمريكيين إطلاقاً.

وإذا ما دخلوا.. لاحظوا كيف كان دخولهم إلى أفغانستان، دخلوا إلى أفغانستان وأوهموا الأفغانيين أنهم يريدون أن يضعوا، أو أن يصنعوا حكومة حديثة وعصرية، وتستقر في ظلها أوضاع البلاد.. وبالتأكيد لن يدعوا البلاد

تستقر، بدأ الخلاف، بدأ الحرب بين الفصائل، وسمعنا أن تلك الحكومة لا تستطيع أن تحكم أكثر من داخل (كابول)، لا يتجاوز نفوذها إلى خارج مدينة [كابول]، وما يزال الأعداد من الجنود من أسبانيا ومن مناطق أخرى يتوافدون إلى أفغانستان من أجل أن يحافظوا على السلام، وأن يحافظوا على استقرار المنطقة، هكذا يقولون! يعملون قلاقل دائماً لتبرر لهم تواجدهم، تواجدهم بصورة مستمرة.

إذا دخلوا اليمن وكما قال الله: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}(النمل: من الآية٣٤).

لا تدخل الشركات الأمريكية بلداً إلا وتنهب ثرواته، إلا وتستذل أهله، لا يدخل الأمريكيون بلداً إلا ويستذلون أهله. لكن بأي طريقة؟ عن طريق الخداع لحكوماتهم ولشعوبهم، تبريرات يصنعونها، ونصدقها بسرعة، ونوصلها إلى بعضنا بعض، نوصلها بشكل من يريد أن يقبل منه الآخر ما يقول، أي نحاول أن نقنع الآخرين بهذا المبرر، هذا ما يحصل [يا خبير قالوا ما يشتوا إلا كذا كذا وانت مالك ما تفهم!].

تتحرك أنت لتقنع الآخر بالتبرير! لكن من حيث المبدأ ليس هناك أي مبرر لوجودهم، أليس هذا هو الأصل؟ فكل المبررات هي فرع على أصل فاسد، إذا كان في الواقع ليس هناك أي مبرر لوجودهم، فأي مبرر لأي عمل يعملونه، أو يصطنعونه لوجودهم فهو فرع على أصل فاسد، نحن على يقين منه.

ومن هو اليمني؟.من اليمنيين، أي مواطن يرى أو يعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك مبرر لتواجد الأمريكيين؟.

هل نحن شعب صغير كالبحرين مثلاً؟ أم أن اليمن نحو ستة عشر مليوناً. وليس اليمن في حرب مع دولة أخرى فيأتي الأمريكيون ليساعدونا بناءً على اتفاقيات بين الدولتين.

إذاً جاءوا ليستذلوا اليمنيين، جاءوا ليضربوا اليمنيين، جاءوا ليقولوا: [هذا إرهابي، وهذه المدرسة إرهابية، وهذا المسجد إرهابي، وهذا الشخص إرهابي، وتلك المنارة إرهابية، وتلك العجوز إرهابية]. وهكذا.. لا تتوقف كلمة [إرهاب].

لاحظوا، كيف الخداع واضح، القاعدة ـ التي يسمونها القاعدة ـ تنظيم أسامة بن لادن، ألست الآن ـ من خلال ما تسمع ـ يصورون لك أن القاعدة هذه انتشرت من أفغانستان، وأصبحت تصل إلى كل منطقة، قالوا:[إيران فيها ناس من القاعدة، والصومال قد فيها ناس من تنظيم القاعدة، واليمن احتمال أن قد فيه ناس من تنظيم القاعدة، والسعودية قد فيها ناس من تنظيم القاعدة، وهكذا..]. من أين يمكن أن يصل هؤلاء؟ أليس الأمريكيون مهيمنين على أفغانستان؟ وعن أي طريق يمكن لهؤلاء أن يصلوا إلى اليمن، أو يصلوا إلى السعودية، أو إلى أي مناطق أخرى؟ دون علم الأمريكيين؟.

هذا كما يقال: [قميص عثمان][أنتم في قريتكم واحد من القاعدة، تربى في بيتكم واحد من تنظيم القاعدة] وهكذا فيصلون بتنظيم القاعدة هذا إلى كل منطقة. وقالوا: [إيران فيه تسعة عشر شخصاً هم من تنظيم القاعدة. إذاً إيران تدعم الإرهاب]، قد يكونوا هم يعملون على ترحيل أشخاص وتمويلهم ليسافروا إلى أي منطقة ليصنعوا مبرراً من خلال وجودهم فيها،[أن هناك في بلادكم من تنظيم القاعدة، إذاً أنتم إرهابيون] على قاعدة {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}(المائدة: من الآية٥١) فما دام في بلادك واحد من تنظيم القاعدة فإذاً كلكم إرهابيون.

أليس هذا خداع؟ و أليس هذا خداع تتناوله أيضاً وسائل الإعلام، الصحفيون، الإخباريون، محطات التلفزيون التي تتسابق وتتسارع إلى أي خبر دون أن تفكر في أنه قد يكون خدعة هي تعمل على نشره.

الأخبار قضية مهمة، الله أمر المسلمين أن يكونوا حكيمين في أخبارهم، وفي نقل أخبارهم، ووبّخهم واعتبرها خصلة سيئة فيهم: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}(النساء: من الآية٨٣) أذاعوا، أخبار، أخبار [قالوا يشتوا، قالوا.. قالوا قد هم كذا.. وقالوا..إلى آخره]. {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}(النساء: من الآية٨٣).

إذاً يجب أن يكون للمواطنين موقف باعتبارهم مسلمين، وأولئك يهود ونصارى دخلوا بلادهم، وأن يكون للعلماء موقف، وأن يكون للدولة موقف، وأن يكون للجميع موقف، هو ما يمليه عليهم دينهم ووطنيتهم. وأولئك الذين يقولون: ماذا يعني أن ترفعوا هذا الشعار. قل: إذاً وصل الأمريكيون، إذاً أرنا ماذا تعمل أنت؟ ألم يأن لك أن

ترفع هذا الشعار؟ وإذا كنت ستلزم الحكمة التي تراها أنت السكوت، السكوت الذي هو من ذهب! فمتى سيتكلم الناس؟ ومتى سيصرخ الناس؟ ومتى سيقف الناس؟. هل بعد أن يستذلوهم، وأن يضرب الله عليهم أيضاً من عنده الذلة والمسكنة؟ حينها يرى كل يمني ما يؤلمه ولا يستطيع أن يقول شيئاً.

إذاً نحن ـ والذي كنت ألمسه أنا عندما أتحدث مع الناس ـ مع أنكم فعلاً من أكثر الناس وعياً، وأكثر الناس فهماً ـ لكن كنت ألمس أن الناس بعد لم ينظروا للقضية بأنها فعلاً قضية واقعية وخطيرة فعلاً، وأنه يجب أن يكون لهم موقف، ما استطعت أن ألمس إلى الدرجة التي أطمئن إليها فعلاً، يبدو لي وكأن القضية هي تعاطف من جهة، وصداقة من جهة، واحترام من جهة، وتصديق أيضاً من جهة، لكن في الداخل لا ألمس بأنه فعلاً أصبح مستقراً في قرارة أنفسنا أننا نواجه خطراً، وأن مواجهة الخطر هي أن تعمل ضده، لا أن تسكت، وتدس رأسك في التراب كالنعامة.

إذاً نحن بعد هذا الخبر، هل استطعنا أن نفهم؟ هل فهمنا الآن؟ هل تيقنّا؟ هل تأكدنا؟ إذاً هذا هو المطلوب {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} (السجدة: من الآية١٢).

وعلى الرغم من هذا تجد أن أولئك الذين هم قد يكونون في واقعهم جبناء لكنهم يصبغون جبنهم بالحكمة سيكونون هم من يقول للناس: [اسكتوا، لا تُكَلِّفوا علينا] وعندما نقول: هم الآن وصلوا اليمن يقول لك أيضاً: [لأنهم في اليمن اسكت، أما الآن فقد هو خطر من صدق اسكت]، سيصنع المبرر، كما يقولون في المثل العربي: [لا تَعْدَم الخَرْقاء علّة] يستطيع أن يطّلع عِلّة، يستطيع أن يطلع عذر: [نحن نقول لكم اسكتوا وهم مازالوا هناك أما الآن فقدهم هنا اسكت وإلا بايضربوك من عندك.. إذاً اسكت].

طيب إذا سكتنا ـ وهذه الكلمة التي أقولها دائماً ـ إذا سكتنا هل هم ساكتون؟ هل هم نائمون؟ أم أن سكوتنا سيهيئ الساحة لهم أن يعملوا ما يريدون؟. أم أن سكوتنا يعني أن يطمئنوا من جانبنا أننا أصبحنا لا نشكل عليهم أي شيء يزعجهم ويقلقهم.. إذاً فهم سيحترموننا؟ أم ماذا سيعملون؟ هل سيحترموننا؛ لأننا سكتنا؟ هل عدوك يحترمك إذا ما سكت؟ أبداً.

إذاً نقول لأولئك الذين يقولون، أو سيقولون كما قالوا، وكما قالوا في الماضي: اسكتوا. أو لا مبرر لهذا، أو لماذا تتفاعلوا هكذا؟ نقول: أنتم برروا لنا سكوتكم من أي منطلق هو؟ هل أنه على أساسٍ من كتاب الله سبحانه وتعالى؟ فأنتم تخاطبوننا باسم القرآن؟ أن القرآن فهمتم منه هو أن نسكت؟ فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. أم أنكم تريدون أن نسكت؛ لأن السكوت سيكون فيه سلامتنا أمام أعدائنا؟.

إذاً سنسكت ولكن أنتم انطلقوا وأخرجوهم من اليمن، جربوا أنفسكم، جربوا السكوت، جربوا الحكمة. هل تستطيعون بسكوتكم أن تعملوا على إخراجهم من اليمن؟. لا. إذاً فعندما تقولون لنا: أن نسكت، نحن لا نرى أي مبرر للسكوت أبداً إلا قولكم بأننا قد نثيرهم علينا. هم أساساً مستثارون من يوم هم أطفال في مدنهم وقراهم، ثقافتهم، تربيتهم كلها قائمة ضدنا نحن المسلمين، ضد العرب، فهو من أصله بثقافته، بتربيته، هو مستثار ضدك لا يحتاج إلى أن أستثيره من جديد.

هل اليمنيون أثاروا الأمريكيين أن يأتوا؟ ماذا عمل اليمنيون؟ هل عملوا شيئاً يستثير الأمريكيين أن يأتوا؟ أم أن اليمنيين هم من قدموا الجميل للأمريكيين يوم انطلقوا استجابة لدعوة [الزنداني] وأمثاله، الذين خدعوا كثيراً من شباب اليمن أن ينطلقوا للجهاد في سبيل الله في أفغانستان، لجهاد الشيوعية.. والرئيس قالها: [بأن ذلك كان بأمرٍ من أمريكا]. أليس يعني أن ذلك كان خدمة لأمريكا؟ إذاً لماذا أمريكا تعتبر تلك الخدمة أنها ماذا؟ أنها عمل إرهابي، أنه إذاً أنتم منكم إرهابيون، وأنتم كنتم تَدّعُون الإرهابيين يتحركون.

هم من أمروا، وعملاؤهم من نفذوا، وأولئك الشباب المساكين هم من خُدعوا، وقد يكون البعض منهم انطلق على أساس ـ فعلاً ـ الجهاد في سبيل الله في أفغانستان، وأفغانستان في مواجهة الشيوعية، نقول لهم: لكن انظروا اتضحت الأمور فيما بعد أن ذلك كان بتوجيه من الأمريكيين، إذاً فهو خدمة للأمريكيين من جهة.. أليس كذلك؟.

فما بال الأمريكيين الآن يعدون تلك الخدمة، يعدونها إساءة، يعدون ذلك الجميل إساءة؟!. ماذا يعني هذا؟.

ألم يظهروا هنا أسوأ من الشيطان؟ الإمام الخميني عندما قال: أن أمريكا هي [الشيطان الأكبر] فعلاً مواقفها مواقف الشيطان تماماً، الشيطان بعد أن يضل الناس في الدنيا، وهم في الدنيا يتحركون كما يريد، أليس كذلك؟ ماذا سيقول يوم القيامة؟ هو سيقول ماذا؟ {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} (إبراهيم: من الآية٢٢) **ألم يكفر الأمريكيون الآن بالجميل الذي قدمه الشباب اليمني عندما انطلقوا للجهاد ضد الشيوعية، التي كان من أهم الأشياء لدى أمريكا أن تخرج من أفغانستان، وكان يهمها أن تخرج من أفغانستان؟ إذاً كفرت بما أشركوها من قبل.**

وهكذا حتى السعودية تواجه بهذا الموقف، السعودية من كانت تدعم سواء دعم وزاري أو دعم من تجار.. يدعمون الوهابيين في مختلف المناطق، أليس ذلك معروفاً؟ إذاً أصبحت السعودية يقال لها أنها ارتكبت جريمة هي أنها تدعم الإرهاب، من كانوا يقولون لهم ادعموهم، فيدعمونهم موافقة لهم وطبقاً لتوجيهاتهم، يصبح ذلك الدعم نفسه، وتنفيذ تلك التوجيهات نفسها هو دعم للإرهاب. هكذا (الشيطان الأكبر) يعمل.

الإمام الخميني عندما قال هذه الكلمة ضد أمريكا لم يقلها مجرد كلمة، يفهم هو أنه إسم على مسمى، وأن تصرفاتها هي تصرفات الشيطان تماماً. الشيطان يحزب الناس معه.. أليس كذلك؟ وعندما يحزبهم معه هل ذلك على أساس ليقودهم ـ بشكل معارضة ـ إلى الحرية والديمقراطية وإلى التطور والتقدم وإلى ما فيه كرامتهم وعزتهم في الدنيا والآخرة؟ أم أنه يريد ماذا؟ الله قال عنه: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (فاطر: من الآية٦) **وهكذا أمريكا تعمل، تجمع الناس حولها ثم حزبها تدعوهم ليصبحوا من أصحاب السعير، بل هي نفسها تذيقهم السعير في الدنيا.**

إذاً فإذا كنا نقول في الماضي: أنه لا ينبغي أن نسكت أمام أي جهة تقول لنا أن نسكت يصبح الآن الموضوع أكثر أهمية.

ومن جهة أخرى نطمئن إلى أن عملنا قد كان ـ إن شاء الله ـ بتوفيق الله، أن عملنا هو بتوفيق الله، وأن عملنا هو العمل الذي تتطلبه الظروف، ظروف الأمة، وظروف اليمن، ظروفنا كمسلمين، وواقع ديننا، وواقع أمتنا. أليس هذا هو ما يمكن أن نكتشفه؟ فهل اكتشفنا أننا أخطأنا ـ كما يقول الآخرون ـ أم اكتشفنا أننا بحمد الله على صواب ونحن نعمل هذا العمل؟.

إذاً هذا هو مما يزيدنا يقيناً، وهذا ـ فيما أعتقد ـ هي من البشارات التي قال الله فيها عن أوليائه: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (يونس: من الآية٦٤) **البشارات تأتي ـ أحياناً ـ بشكل طمأنة لك في أعمالك أنها أعمال صحيحة، وأنها أعمال مستقيمة، وأنها الأعمال التي تتطلبها المشكلة، ويتطلبها الزمن، ويتطلبها الواقع.**

أليس الإنسان يرتاح إذا اكتشف أنه مصيب، إذا اكتشف نفسه أنه محق؟ الإنسان يرتاح، كما يتألم إذا اكتشف نفسه أنه أخطأ، مع أن الأخطاء في مجال الأعمال الدينية أشد خطورة من الأخطاء في مجال أعمال الدنيا، عندما تكتشف نفسك أنك [بذرت الذُرَة] قبل وقتها فقدمتها للطير، أليس الإنسان يتألم أنه يخطئ، أو أنك قطفت [قاتك] وليس السوق مربحاً، أليس الإنسان يتأسف؟ فإذا ما صادف أن أحدنا قطف [قاته] وصادف سوقاً مربحاً، وحصل على مبالغ كبيرة أليس يفرح؟.

في أعمال الدين، في الأعمال التي هي لله رضى أنت تنطلق فيها على أساس رضى الله سبحانه وتعالى، أن تحظى برضاه، تفرح كثيراً عندما ترى بأن عملك صواباً، وأن تحركك في موقعه، وفي وقته {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} (يونس: من الآية٥٨) **وقال أيضاً: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ}** (الروم: ١-٥) **هو يتحدث عن المؤمنين بأنهم يفرحون متى ما حققوا شيئاً فيه لله رضى، ويفرحون متى ما اكتشفوا أنفسهم أنهم يسيرون على طريق هي طريق الله، ويفرحون عندما يكتشفون أنفسهم أنهم استطاعوا أن يضربوا أعداء الله، هكذا المؤمنون يفرحون.**

إذا كنت لا تفرح بأي إنجازٍ تعمله من الأعمال الصالحة، وأنت في ميدان المواجهة مع أعداء الله فإن ذلك يعني أن العمل الذي تتحرك فيه ليس ذو أهمية لديك فنتائجه ليست مهمة بالشكل الذي يجعلك تفرح وترتاح {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بنصر الله} {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}. الشيء السيئ هو أن يكتشف الناس أنفسهم كل فترة أنهم فعلاً قصروا، وأنهم فعلاً فاتتهم الفرصة، وأنهم فعلاً أخطأوا، وأنهم.. وأنهم.

أن يعيش الناس أعمارهم حسرات هذا هو الشيء الذي ينافي الإيمان، هذا هو الشيء الذي هو من نتائج الإهمال والتقصير، هو الشيء الذي يجنيه المقصرون، واللاأباليون [آبو هاه، والله إن كان.. لو كان.. لو كان.. لو كان] ألم يعرض الله عبارة: (لو كان) هي عبارة حسرة وندم، يقولها المقصرون؟ {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٦٧) {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر: من الآية٥٨) لو.. لو.. هي تكررت كثيراً في القرآن، منطق من؟. منطق المقصرين، لكن من يعملون، ويتجهون في سبيل الله بأعمالهم هم حتى ولو افترض الأمر أنهم أخطأوا في موقف معين، أو في يوم معين، أو في حركة معينة فإنهم أيضاً من سيستفيدون من أخطائهم، لكن أولئك المقصرين هم عادة لا يستفيدون من أخطائهم؛ لأن المقصر هو من يضيع الفرص، ((وإضاعة الفرصة غصة)) كما قال الإمام علي (عليه السلام)، ((والفرصة تمر مر السحاب)) كما قال هو أيضاً.

المهملون، المتخاذلون، المقصرون هم عادة يفوتهم أن يتداركوا تقصيرهم في كثير من الحالات، لكن من هم ينطلقون في الأعمال سيكتشفون أنهم أصابوا فيفرحوا، وقد يكتشفون أنهم أخطأوا في موقف معين، أو في قرار معين، هم أيضاً من سيستفيدون من خطأهم، ما هي أسبابه؟ منشأوه؟ نتائجه؟ فيصححون وضعيتهم من جديد، يستفيدون من أخطائهم.. وهكذا المؤمنون يستفيدون حتى أيضاً من أعدائهم.

من عظمة الإسلام أنك عندما تتحرك له تجد كل شيء يخدمك حتى أعداؤك. لماذا؟ لأنك عندما يكون موقفك حق، ومنطقك حق، أوليس موقف الحق، ومنطق الحق هو الذي ينسجم مع فطرة الإنسان وكرامته؟ الطرف الآخر الذي هو عدوك هو بالطبع عدو مبطل، كل ما يأتي من جانبه باطل، وكل ما يقوله ضدك هو بالطبع يكون باطلاً، وكل موقف أو تحرك من جانبه يحصل ضدك هو أيضاً باطل، من كل باطله تستطيع أن تغذي حركتك، تستطيع أن تزيد مَن حولك بصيرةً؛ لتقول لهم: انظروا ماذا يعملون، انظروا ماذا قالوا: وكيف تؤدي أعمالهم، أو تؤدي أقوالهم إلى نتائج هكذا.

منطق القرآن الكريم أليس على هذا النحو؟ أليس هو في سورة [التوبة] مَن أوضحَ لنا باطل أهل الكتاب؛ ليزيدنا بصيرة من خلال فهمنا لواقعهم، وما هم عليه من باطل، وكيف ستكون نتائج باطلهم فيما إذا سادوا في هذه الدنيا، وفيما إذا استحكمت قبضتهم على أي أمة أو مجتمع، فيزداد الناس بصيرة.

وإذا كنت تنطلق في ميادين العمل أنت أيضاً من ستعرف المتغيرات، وتعرف الأحداث، وتعرف الأمور فتلمس فيها كل ما يعتبر فرصة لك لتعمل، لتتحرك، لتقول.. لكن من يتخاذلون لا يستفيدون من عدوٍ، بل لا يستفيدون من هدى الله، وتمر الأحداث، والمتغيرات، وتَدَاوُل الأيام فلا يفهمون شيئاً، لا يعرف أن هذا الحدث كان في صالحه لو كان من العاملين، وأنه لو كان هناك حركة لاستطاعت أن تستغل هذا الحدث فيكون استغلاله هو ما يخدم أهدافها، وما يعزز من قوتها.

لهذا تجد المتخاذل عمره متخاذل، تمر أربعون سنة وهو على وضعية واحدة، والدنيا أمامه مقفلة؛ لأنه ساكت؛ لأنه جامد؛ لأنه معرض بذهنيته، فمتى يمكن أن يعرف أن هذه الحركة أو هذا الحدث أو هذا الأمر الطارئ هو مما سيكون أيضاً من العون لأهل الحق في ضرب أهل الباطل، لا يفهم شيئاً من هذا.

إذاً فأمام كل حدث وهو ما أقول دائماً وأكرر: المؤمنون هم من قال الله عنهم: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران:١٧٣) زادهم إيماناً، وكلمة: زادهم إيماناً تعني الكثير من صور الحدث التي تعزز الإيمان في نفسك... قد يكون ذلك الحدث الذي يخوفك به الآخرون هو ما زادك إيماناً من جهة أنك اكتشفت أن تحركك، وأن عملك كان في محله، أوليس هذا من زيادة الإيمان؟ فتكون واثقاً من نفسك، وواثقاً من عملك.

تزداد إيماناً أيضاً عندما تعرف أن عدوك تحرك، لماذا تحرك؟ هو أنه أصبح ينظر إليك أنك أصبحت رقماً كبيراً، وأنك أصبحت تشكل خطراً بالغاً عليه، أوليس هذا هو ما يسعد الإنسان المؤمن أن يعلم من نفسه أن عمله له أثره البالغ في نفوس الأعداء؟ فعندما يتحرك الآخرون ضدك فاعرف أن عملك كان أيضاً عملاً له أثره الكبير، وأن تحركك في مواجهة أعداء الله يُحسب له ألف حساب، سيكون ذلك من جانبهم شهادة لك بأن موقفك حق؛ لأن عملك ضدهم هو منطلق من ماذا؟ من حق أليس كذلك؟ أي أن هذا الحق حرك الباطل هناك، فلو كان موقفي باطلاً لكان منسجماً مع ذلك الباطل، أليس كذلك؟ لأن الحق ضد للباطل، والباطل ضد للحق لا ينسجمان.

ولهذا كان يقول الإمام الخميني (رحمة الله عليه): ((نفخر أن يكون أعداؤنا كأمريكا، وهذا مما يزيدنا بصيرة)).

وكان يقول ـ بمعنى عبارته ـ ((لو أنني رأيت أمريكا تنظر إليّ كصديق لشككت في نفسي)).

إذاً فصحت موقفك ـ وأنت تتحرك على أساس من الحق ـ يشهد له تحرك أعدائك ضدك، أليس هذا مما يزيد الإنسان إيماناً؟.

ومن جانب آخر الإنسان وهو في ميدان العمل يكون مطلوب منه أن يزداد ثقة بالله والتجاء إليه، وتوكلاً عليه، واعتماداً عليه، أليس هذا هو ما يوصي الله به أولياءه، والمجاهدين في سبيله في القرآن الكريم؟ {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (آل عمران: من الآية١٢٢). أنت إذا لم تكن في مواجهة عدو يشكل خطورة عليك سيكون التجاؤك إلى الله ضعيفاً أو عادياً، لكن وأنت تُواجَه من هنا، وتواجَه من هنا، وأنت بإيمانك القوي بالله سبحانه وتعالى ماذا سيحصل؟.

ستزداد اعتماداً على الله، وتقوى ثقتك بالله، وتكون أكثر شعوراً بالحاجة الماسة إلى الالتجاء إلى الله، أوليس هذا من زيادة الإيمان؟ حينئذٍ ستكون ممن يؤهل نفسه لأن يكون الله معه؛ ولهذا قال: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} ما هذه عبارة التجاء إلى الله؟ نحن من الله، وفي سبيل الله، وإلى الله، وولينا هو الله إذاً الله سيكفينا، {حَسْبُنَا اللَّهُ} يعني هو كافينا، {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} أليست هذه عبارة توحي بعمقٍ في الإيمان؟ {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} (آل عمران:١٧٣ـ ١٧٤).

لاحظوا، قالوا: حسبنا الله وازدادوا إيماناً. وبالطبع الإنسان الذي يزداد إيمانه أليس هو من يزداد ثباتاً واستقامة في مواقفه؟ لا تتصور أن زيادة إيمانك تكون نتيجتها أن يضعف موقفك، وأن تهتز قدماك في الموقع الذي أنت فيه أبداً، لا تضعف نفسية الإنسان، ولا يرتجف فؤاده، ولا تزّل قدماه، ولا يفقد الاستقامة إلا إذا ضعف إيمانه، فأنت إذا ما ارتبكت أمام الأحداث فإنك أيضاً من تُهيئ نفسك لأن تبتعد عن الله فيبتعد الله عنك.

فأنت حينئذٍ من يساعد عدوه على نفسه؛ لأنه إذا ما ابتعد الناس عن الله فإنهم يضعفون وبالتالي فهم من يهيئون أنفسهم لقمة سائغة لأعدائهم، لكن من يزداد إيمانهم في مواجهة الأحداث هو من يؤهل أنفسهم لأن يكون الله معه، ومتى كان الله معك هو من يجعلك تنقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسك سوء واتبعوا رضوان الله.

هكذا يوجهنا القرآن الكريم.. القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى هو الذي وجه التوجيهات العجيبة التي لا مجال للضعف معها، ولا مجال للخوف معها، يسد عليك منافذ الخوف، يسد عليك منافذ الضعف.

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران: من الآية١٧٣) أليست هذه كلمة يقولها الكثير من ضعفاء النفوس، وضعفاء الإيمان، {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} هو كأنه لا يعد نفسه من الناس، وفعلاً المنافق هو غير محسوب، وغير معدود من الناس، هو ليس من الناس لا من الكافرين، ولا من المؤمنين، هو ليس بشيء، هو أسوأ الناس {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} (النساء: من الآية١٤٣) هم من انقطعوا إلى الشيطان، وهم من أصبحوا أولياء للشيطان أكثر من ولاء الكافرين واليهود والنصارى له.

{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} ضعيف الإيمان كما أسلفنا هو من يرتبك.. عندما ترتبك وأنت مؤمن، وأنت مصدق بالقرآن، ما الذي يدعوك إلى أن ترتبك؟! أو أن تقلق، أو أن تخشى؟! هل أنك لم تجد في كتاب الله

ما يشد من عزيمتك؟ ما يرفع معنوياتك؟ هل القرآن أهمل هذا الجانب؟ لم يهمله، وما أكثر ما تحدث عنه داخل الآيات التي تحث الناس على الجهاد، على المواجهة، على البذل، على الاستبسال، يؤكد أنه مع الناس، مع أوليائه.

هو من بلغ الأمر فيه إلى درجة أن يفضح أمامك واقع أعدائك أكثر مما يمكن أن تصل إليه بجهازك الأمني، بمخابراتك. ما هي مهمة المخابرات؟ ما هي مهمتها؟ أليس من مهامها أن تتعرف على العدو؟ وتتعرف نقاط الضعف فيه؟ وتتعرف على الفرص المواتية لضربه؟ لتعرف أنه بإمكان هذه الجهة أن تضرب تلك الجهة؟.

الله قد كشف لك الموضوع كاملاً بطريقة مؤكدة، قد تكون تقارير المخابرات غير حقيقية، قد يكون فيها نوع من المبالغة، قد يكون فيها أخطاء، وهي تعمل على أن تكشف لك ضعف جانب عدوك لتضربه، أما الله فإنه هو الذي أكد بالشكل الذي يجعل عدوك مفضوحاً أمامك في واقعه، مهما كان لديه من قوة، مهما كان لديه من إمكانيات، مهما كان لديه من وسائل يُرهب بها.

إذا ما كنت أنت من أعد نفسه الإعداد الجيد في إيمانك، في ثقتك بالله، وفي إعداد ما يمكنك أن تعده أيضاً حينها الله قال لك عن عدوك من الكافرين، عن عدونا من اليهود والنصارى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١).

أي جهاز مخابرات يستطيع أن يؤكد لك بأنك إذا دخلت في معركة مع هذا العدو فإنه سيوليك دبره، أنه سيفر من أمامك؟ هل هناك أحد في الدنيا يمتلك مخابرات تؤكد له هذا؟ لا أمريكا نفسها ولا روسيا ولا غيرها، كلها تقارير احتمالات، كلها احتمالات، يحتمل أننا إذا ما اتخذنا ضدهم كذا ربما تكون النتيجة كذا، وهكذا احتمالات، أما الله فهو من أكد بعبارة (لن) **{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}** (آل عمران:١١١) **ويقول كذلك عن الكافرين: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ}** (الفتح: من الآية٢٢).

إن الله يقول للناس: اهتموا جداً بإصلاح أنفسكم، بإعداد أنفسكم، وبتهيئة ما يمكنكم إعداده، ولتكن ثقتكم بالله كبيرة، وهو من سيكون معكم، وهو من سيتولى أيضاً أن يزرع الرعب في قلوب أعدائكم، وهو من يعمل الكثير إلى درجة أن يكشف لكم واقع عدوكم، ألم يوفر الله على أوليائه الكثير، الكثير من العناء؟ ألم يصنع الكثير الكثير مما يطمئنهم؟ ألم يعمل الكثير، الكثير مما يؤيدهم، ويشد من أزرهم؟.

بلى، لكننا نحن متى ما انفردنا بأنفسنا وابتعدنا عن الله ستجد كل شيء مخيفاً، وتجد كل شيء مقلقاً، وتجد الآفاق مظلمة، والأجواء قاتمة، وتجد قلبك يمتلئ رعباً متى ما انفردت بنفسك.. لكن عد إلى الله، وعد إلى كتابه ستجد ما يجعل كل هذه الأشياء لا وجود لها في نفسك.

فالإنسان الذي يقلق، أو يرتبك، أو يضعف، ليعرف أنه في تلك الحالة وهو يرتبك أنه يجلس مع نفسه، وهو كإنسان ضعيف، لكن اجلس مع الله ستجد نفسك قوياً. فعندما ترى نفسك ضعيفاً لا تعتقد أن تلك هي الحقيقة، وأن ذلك الحدث هو فعلاً إلى الدرجة التي تجعلني ضعيفاً في واقعي، لا، ليست تلك حقيقة، ذلك هو فقط نتيجة جلوسك مع نفسك، وابتعادك عن الله.. فرأيت كل شيء مرعباً، وكل شيء مخيفاً، وكل شيء ترى نفسك أمامه ضعيفاً، وقدراتك كلها تراها لا تجدي شيئاً، وكلامك تراه كله لا ينفع بشيء! فتصبح أنت من ترى عدوك ذلك العدو الذي قال عنه: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) **أنت من ستجده كتلاً من الصلب والحديد، وحينها ستجد قلبك، وعلائق قلبك أوهى من بيت العنكبوت، ويصبح صدرك خواء.**

الله قال عن نوعية من هذه في غزوة [الأحزاب]، ذكر عن صدورهم {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} تكاد قلوبهم أن تخرج: {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (الأحزاب: من الآية١٠). **لماذا زاغت الأبصار؟ ولماذا كادت القلوب أن تخرج لو أن الحناجر تتسع لخروج القلب لخرج من الرعب والخوف؟ لماذا؟ هناك ظنون... أولئك أناس جلسوا مع أنفسهم، لم يكونوا من تلك النوعية التي قال عنهم: {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.**

ظنوا بالله الظنون السيئة! يوم ابتعدوا عنه فامتلأت صدورهم رعباً، وزاغت أبصارهم، ثم أيضاً ظنوا بالله ظناً سيئاً. هكذا يجني الإنسان على نفسه إذا ابتعد عن الله، لكن عد إلى الله، عد إلى كتابه، تجد أولئك الذين قال الله عنهم: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} (الأحزاب:٢٢) يزداد المؤمنون إيماناً أمام أي موقف، سواء موقف تشاهده، تحرك لعدوك، أو تسمع عنه، أو يقوله المرجفون لك.

إن الله أراد لأوليائه أن يكونوا بالشكل الذي يُعْيِي الآخرين تماماً، لا مرجفون يؤثرون، ولا منافقون يؤثرون، ولا عدوًا يستطيع أن يرهبني، ولا شيء في هذه الدنيا يمكن أن يخيفني، هكذا يريد الله لأولياؤه، وهكذا قامت تربية القرآن الكريم أن تصنع المؤمنين على هذا النحو، تربية عظيمة جداً، وهي تربطك بمن يستطيع أن يجعل نفسك على هذا النحو، وأن يجعل الواقع أيضاً أمامك على هذا النحو، يبدو ضعيفاً أمامك، وفعلاً يكون ضعيفاً {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦).

ألم يقل كل شيء عن أعدائنا؟ أعداؤنا هم أولياء الشيطان على اختلاف أنواعهم وأصنافهم، أليسوا أولياء الشيطان؟ بصورة عامة {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٧٦).

ويأتي إلى تصنيفهم: يهود، ونصارى، وكافرين.. فيقول عنهم ما أسلفنا من قوله تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ} {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} هكذا يقول عن اليهود والنصارى، هل هناك عدوا آخر غير هؤلاء؟ هل هناك عدو للحق، هل هناك عدو للإسلام إلا وهو داخل ضمن أولياء الشيطان.

إذاً فهم أولياء الشيطان، وكيد الشيطان كان ضعيفاً؛ لأنهم يستمدون قوتهم من الشيطان، وأنت إذا استمديت قوتك من الله فلا يمكن إطلاقاً أن يساوي مكر الشيطان، وكيده ذرة واحدة من قوة الله وتأييده لك، هكذا يريد الله لأوليائه أن يكونوا.

ونحن إذا لم نصل إلى هذه الحالة من التربية فنحن من سنخاف أمام كل شيء نسمعه، ونحن من سيزعجنا كلمة ينقلها أحد من الناس سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة. ونحن حينئذٍ من سيُنسَف كل وعي لدينا ولو على مدى عام بأكمله أو سنين بأكملها.

الإنسان إذا لم يربِ نفسه على ضوء ما يسمع مما هو من هدي الله سبحانه وتعالى، وإذا لم يستفد أيضاً من المواقف ما يعزز رسوخ تلك التربية في نفسه فهو من سيأتي الحدث الواحد فيَنسِف كل ما قد جمعه في داخله، بل هو من سينقلب على كل ما كان قد تجمع في نفسه، أولئك الذين ارتعدت فرائصهم في يوم الأحزاب ألم يقل الله عنهم: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}؟ ماذا يعني؟ أليس هذا انقلاباً على كل ما سمعوه من وعود من جانب الله؟ أليس هذا انقلاباً على كل ما سمعوه من كتاب الله، ومن فم رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) من توعية وبصيرة، وشد عزيمة وتربية إيمانية قوية، ألم ينقلبوا عليها في لحظة؟ وماذا يحل محلها؟ الظنون السيئة بالله.

هكذا تأتي الآثار السيئة لضعف الإنسان في مواقفه، هو من ينقلب على كل معان عظيمة قد ترسخت في نفسه، وهو من سينقلب على كل وعي إيماني أيضاً ترسخ في نفسه فيحل محلها الوهن والشك والارتياب والظن السيئ بالله وبرسوله وبكتابه.

وهو من سيرى في الأخير الشيطان أكبر في عينه من الله، وهو من سيرى في الأخير أولياء الشيطان بالشكل الذي يرعبه حتى أشكالهم، حتى حركاتهم، حتى صوت آلياتهم ترعبه.

بعض الناس قد يكفيه أن يسمع صوت طائرة، صوت مزعج فتنسف كل ما لديه من قيم إيمانية، هكذا يصبح كل شيء حتى الشكليات، حتى نبرات أصواتهم تصبح ترعبك، حتى شكلهم، حتى حركاتهم، حتى حركات آلياتهم، وهو الأمر الذي كان الله سبحانه وتعالى ـ وهو من قال في كتابه الكريم ـ هو يريده منك أنت أن تصبح أنت بالشكل الذي يرعب أعداءك كل شيء من جانبك.

ألم يقل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) **حتى رباط خيلك، وشكل خيلك العربية، جياد الخيل، يراها العدو أو يسمع بها فترهبه، لكن أنت إذا ما أصبحت في موقع عدوك أنت، أصبحت من أولياء الشيطان فأنت من سيرعبك كل شيء من جانبهم.**

أوليسوا هم أيضاً من يحاولون على أن يكون لهم أشكال متعددة تبدو أمام الآخرين بالشكل الذي يخلق رعباً في نفوسهم؟ هم من يعملون على هذه.

بل كانوا وهذا كان في أيام بريطانيا التي كانت هي الدولة الكبرى في العالم، وكانت تقوم حركات من هنا وهنا مناهضة لها، وكان يبرز أشخاص أقوياء، وكانت مظاهر لندن ـ كعاصمة لدولة متقدمة ـ مظاهر العمران، مظاهر الحضارة بالشكل الجذاب، أو بالشكل الذي يصرف ذهنية الإنسان عن أشياء كثيرة أخرى فيرى في لندن وجه دولة عظمى هو يرى في نفسه أنه لا يستطيع أن يعمل أمامها شيئاً. فقالوا: كان البريطانيون يحاولون بأي طريقة أن ينجذب أولئك الثوار لزيارة لندن. وكان جمال الدين الأفغاني ممن قد عرف هذا، حاولوا فيه أيضاً أن يزور لندن وقال عنها: [هي مقبرة الثوار]، أو بعبارة تشبه هذه.

كان بعضهم يزور لندن فإذا ما زار ورأى البنايات الشامخة ورأى الحركة، ورأى المظاهر الجميلة، فيقول من يستطيع أن يقاوم هؤلاء، ورجع وقد بردت أعصابه كلها، وتلاشت كل ثوريته، وتلاشى حماسه، بل بعضهم يعود داعيةً لأن تبقى بريطانيا مستعمرة لشعبه! وقد يعود بعضهم أيضاً داعيةً إلى أن يتثقف أبناء شعبه بثقافة تلك الدولة، كما صنع [رفاعة الطهطاوي] أحد العلماء المصريين، عندما زار باريس.

هكذا يصبح الحال أمام من لا يفهمون كتاب الله بالشكل الذي يجعل كل شيء أمامهم ضعيفاً أمام قوة الله وجبروته، وعزته وقهره، وإذا لم نكن على هذا النحو سنرى الآخرين ـ وكما أسلفت ـ كلهم أكبر من أولياء الله، ووليهم أكبر من الله، وكل ما لديهم أكبر من إيماننا فتكون الأشياء كلها مما يعزز اليأس في نفسك، ومتى ما تعزز اليأس في نفوس الناس تلاشت كل القيم أمامهم، وأصبحوا هم من يسخرون ممن يحاول أن يحركهم، أصبحوا ممن يرون الأشياء كلها مستحيلة؛ ولهذا لما كان الإنسان كإنسانٍ ضعيفاً كما قال الله: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً} (النساء: من الآية٢٨).

إذا لم يشتد بإلهه، إذا لم يعتمد على إلهه فإنه سيكون ضعيفاً، وها هو ضعيف حتى أمام خصومه من الحيوانات، أوليس الثعبان يقتله، والنملة تؤلمه؟ ووخزة الشوك تؤلمه وتقعده؟ لكنك إذا ما اعتمدت على الله تحول كل ضعفك إلى قوة. ولأن الإنسان هكذا جاء العمل على أن يصنع الإنسان على هذا النحو في القرآن الكريم مكرراً ومؤكداً، وكثيراً جداً، ومرفقاً حتى بالقسم الإلهي، يقسم الله؛ من أجل أن نطمئن؛ من أجل أن يدفعنا من ضعفنا، أن يشدنا إلى حيث قوته وعزته ومنعته {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠) **هذا كلام مؤكد، مؤكد باللام [الموطِّئة للقسم] كما يقولون.. العبارة تساوي: والله {لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.**

وعندما يقول الله لك، ويقول لأوليائه أنه سينصرهم لا تستطيع أن تقول: [هذا وعد يوم كان الأعداء لا يمتلكون وسائل كهذه، يوم كانوا لا يمتلكون صواريخ، ولا طائرات ولا قنابل ذرية ولا.. إلى آخره.. أما الآن فهم قد أصبحوا كذا وكذا]! عُد إلى الله من هو الذي وعدك؟ إنه من يعلم ما سيصل إليه أعداؤك، هو من يعلم بكل ما سيحدث في هذه الدنيا، هو عالم الغيب والشهادة.

أتظن أنه أقسم ذلك اليوم ولم يعلم أنه سيكون هناك أعداء سيمتلكون قوة كهذه؟ إنه من أقسم لأوليائه في كل زمان، أمام أعدائه في كل زمان، وعلى الرغم مما يمتلكون أنه إذا ما انطلق أولياؤه لنصره فإنه سينصرهم كيف ما كان عدوهم. لكن الناس هم من يجب عليهم أن يتسببوا للنصر، ومن يعملون بكل وسيلة دون أن تستحكم قبضة عدوهم عليهم.

لقد ظهر في هذا الزمان أن من الأشياء التي تؤدي إلى استحكام قبضة الأعداء على الشعوب المسلمة هو: أن حكوماتهم تُخدَع من قبل الآخرين فيخدعوننا هم، ونحن نتربّى على أن نقبل ما جاء من حكوماتنا، وقد يقول البعض: [الدولة هي المعنية بهذه القضية، وهي المسؤولة عن هذا الأمر، وهي التي تهتم بمصلحة الشعب] لكنهم أشخاص كمثلنا، يمكن أن يُخدع، يمكن أن يجهل أشياء كثيرة، يمكن أن يجهل مصلحة الشعب الحقيقية،

يمكن أنه لا يعود إلى القرآن ليهتدي به، وليعرف من خلاله ما هو الموقف الصحيح الذي هو مصلحة لشعبه، فقد يُخدعون ونحن نُخدع، ثم سنكون الضحية نحن وهم.

لاحظ، قد يقولون للرئيس مثلاً: [نريد كذا و من أجل كذا ومن أجل أن نقف مع الحكومة في مساعدتها ضد الإرهابيين] لأنه حتى الحكومة هي تعاني من الإرهابيين كما يقول الرئيس: [وحتى نحن، نحن عانينا من الإرهاب كثيراً] أليست هذه عبارة كان يقولها؟ [إذاً نحن سنساعدك يا حبيبنا] هكذا يقولون [سنساعدك ضد الإرهابيين الذين أزعجوك كثيراً، والذين عانيت منهم كثيراً] وقد يرى ذلك جميلاً منهم!.

ثم حينئذ يصنعون هم أحداثاً إرهابية في اليمن ـ وهذا متوقع ـ يصنعون هم أحداثاً إرهابية في اليمن قريباً من مواقع مرتبطة بمصالحهم، أو منشآت تابعة لهم، أو يعملون أعمالاً تُرهب الدولة نفسها، ثم يقولون: [أرأيتم أنكم بحاجة إلينا، هاتوا كتائب أخرى]. فتسمع أنت أنه قد وصل مائتا جندي، وصل أربع مائة جندي، ثم ست مائة جندي وهكذا، ويظل الرئيس متشكراً لهم ولدعمهم، ونحن نشكرهم أيضاً وأنهم يساعدوننا على مكافحة الإرهابيين.

الرئيس نفسه، الدولة نفسها تستطيع أن لا تتكلف شيئاً أمام أولئك الإرهابيين تترك الناس هم يتعاملون معهم فلا يحتاجون إلى أمريكا، ولا يحتاجون حتى إلى الجيش، ولا يحتاجون حتى إلى الدولة بكلها.

كنا نقول أمام الوهابيين من زمان: نريد من الدولة أن تتخلى عنا وعنهم على الرغم من ضعفنا، كان زمان قبل سنوات إذا ما حصل خصومة في مسجد بين وهابيين وزيود، كان يظهر من أقسام الشرطة، ومن القادة ومن الجنود ومن الدولة تعاطف مع الوهابيين ضدنا فيزجون بعالم من علمائنا، أو بمجاميع من شبابنا في السجون، وترى الوهابي أيضاً إذا ما سجن يخرج في اليوم الثاني، ترى الوهابي يستطيع أن يتصل مباشرة بـ(علي محسن) ويستطيع هو أن يتدخل في قضيته، وحصل مثل هذا في [رازح]، حصل خصومة في [شعاره] كان الوهابيون يستطيعون أن يتصلوا مباشرة بـ[علي محسن]، والزيود لا يستطيع أن يتجاوب معهم ولا المحافظ ولا مدير الناحية.

أوليسوا هم الذين يقولون عنهم الآن أنهم إرهابيون؟ كنا نقول: يكفينا أن تتخلوا عنا وعنهم، دعونا نتصارع نحن وهم إما أن يقهرونا أو نقهرهم، نحن في مواجهة دينية معهم، و هم من يعتدون علينا فدعونا نحن نقف في وجوههم لكنا كنا دائماً كلما تحركنا ضدهم قالوا: إذاً معكم إمام.

في [المحابشة] كان القاضي صلاح ومجموعة من الشباب في مواجهة كلامية مع وهابيين قبل سنوات ـ قبل الوحدة ـ ثم يُتهم هذا الشخص بأنه يريد الإمامة، وأنه يريد أن يعمل إمامة! كانت الإمامة يواجهون الناس بها في كل موقف، هؤلاء الذين أنتم تقولون بأنهم إرهابيون ولم تتركونا نواجههم، وكنتم أنتم من تقفون معهم، وكنتم أنتم من تشجعونهم، هاأنتم أيضاً تقبلون أن يدخل الأمريكيون اليمن بحجة مطاردتهم! نقول من جديد: دعوا الشعب هو يتعامل مع الإرهابيين الحقيقيين، هو الذي يستطيع أن يوقفهم عند حدهم.

وفعلاً لو كانوا يتركوننا من زمان لما استقوى الوهابيون، ثم لما تحولوا ـ كما يقال عنهم ـ إلى إرهابيين تصبح أعمالهم من وجهة نظر الدولة مبرراً لدخول الأمريكيين إلى بلادنا، أما كان هناك ما يغنينا عن هذا كله؟ لكننا دائماً نُخدع، نحن.. حكومات، وشعوب، مسئولون، ومواطنون نُخدع من قبل أعدائنا.

لنفترض أن يكون دخول الأمريكيين تحت مبرر مساعدة الدولة في مكافحة الإرهاب الذي سيقال لنا بأننا عانينا منه كثيراً، فيتجمع الأجانب في بلدنا، وبلدنا موقعه مهم، وبلدنا لا تزال ثرواته مخزونة في باطن الأرض، هو لا يزال شعباً بكراً، وهذا هو ما اتهمت به أمريكا أيضاً في محاولة دخولها إلى أفغانستان بأعداد كبيرة أنه بلد فيه كثير من الثروات التي لا تزال لم تستغل بعد، وحينئذٍ سينهبون ثرواتنا، وحينئذٍ سيهينوننا، وحينئذٍ سيستذلوننا، وحينها ستصبح دولتنا أيضاً تحت رحمتهم، ويصبح علي عبد الله كعرفات أيضاً.

أو أن هذه أشياء افتراضية فقط ليس هناك شواهد عليها من الواقع؟ أليس السعوديون الآن يعجزون عن إخراج أمريكا من بلادهم، يوم دخلوا بحجة الحفاظ على أمن واستقرار المملكة في مواجهة العدو اللدود ـ كما يقال ـ العراق وصدام، وملأوا بلدان الخليج العربي، والسعودية بوجودهم، وتواجدهم العسكري وقواعدهم الكثيرة

وقطعهم البحرية، تحت حجة حماية هذه الدول من الخطر العظيم ضدهم إيران! ثم عرفوا أخيراً بأن إيران هي من يمكن أن تحميهم أما أولئك فهم كما قال الله عنهم: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ}(البقرة: من الآية١٠٠) **هاهم الآن هل يستطيعون أن يخرجوهم من بلادهم، وإذا ما حاولوا أن يخرجوهم من بلادهم أليسوا سيضطرون إلى أعمال مرهقة، وأعمال منهكة، وأعمال ثقيلة؟.**

هم في البداية من شكروهم على دخولهم، وهم من سيبكون، من سيبكون لوجودهم داخل بلادهم.. هكذا يخدعون الشعوب، وهكذا يخدعون الحكومات، ولقد أخبرنا الله كثيراً عنهم بأنهم يخادعون، وأنهم يلبسون الحق بالباطل، فيقدم لك مَكره وعداءه وكيده ومؤامرته ضدك بصورة النصح، والحرص على المصلحة، والخدمة، والصداقة، لبس للحق بالباطل هم قديرون على صنعه، هم ماهرون في هذا من زمان.

ولنفترض أن الدولة عجزت في الأخير، حينئذٍ من سيكون الضحية؟ أليس هو الشعب؟ الشعب الذي خدع أيضاً وهو ينظر نظر دولته التي تُخدَع أيضاً.

نقول لأنفسنا، ونقول للدولة، ونقول للكبار وللصغار: أن في كل ما نشاهد في البلاد العربية والإسلامية شواهد كثيرة يجب أن نأخذ منها العبرة، قبل أن نكون نحن عبرة للآخرين، يجب أن نأخذ منها ما يكشف لنا واقع أعدائنا. أو ليسوا يقولون الآن: أن أمريكا كشفت عن وجهها؟ هي تكشف عن وجهها ثم أنت من لا تزال قابلاً لأن تُخدع بها.

ثم إذا كان هناك مسؤول في الدولة هذه، أو في تلك الدولة، شأن الأمة العربية هو شأن واحد، إذا ما كان هناك مسؤول يرى نفسه مضطراً فلا يحاول أن يفرض واقع ضعفه على شعبه، إذا كان يرى نفسه هو أنه مضطر وهو ينظر إلى مصالحه، ينظر إلى نفسه أنه قد ثقل بممتلكاته، بقصوره بأرصدته في البنوك، بعهود، بمواثيق بينه وبين أولئك، فيرى نفسه أنه مضطر إلى شيء من هذا، وهو يعرف في قرارة نفسه أن فيه ضرراً على شعبه فلا يحاول أن يفرض ضعفه على الآخرين.

نحن نقول: هذه حالة سيئة حتى عند من يحملون الدين، واسم الدين أنه إذا كنت تطلب العلم وأنت ترى نفسك أنك تحمل نفسية ضعيفة.. لا تقرب العلم، لا تتعلم لتصبح في نظر الآخرين رجل دين، وحامل علم يُقتَدَى به؛ إنك حينئذٍ من سيصبغ دينه بضعفه، من سينعكس ضعفه على مواقفه الدينية.. لا يجوز هذا حتى في العمل لله.

الذين يحملون رسالات الله هم نوعية معينه من قال الله عنهم: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ}(الأحزاب: من الآية٣٩)**. وكم عانت الأمة قديماً وحديثاً ممن حملوا اسم الدين، وحملوا العلم علم الدين ولكنهم بأنفسهم الضعيفة انعكس ضعفهم كله على الدين فأضعفوا الدين في نظر الأمة، وأضعفوا الدين في واقع الحياة، وأضعفوا الأمة أيضاً بضعف نفوسهم، وكل ذلك بسبب ماذا؟ بسبب أن نفوسهم ضعيفة.**

بل نحن نقول أحياناً: أنه لا ينبغي لك أيضاً أن تجامع زوجتك في فترة يحتمل أن تحمل منك وأنت في حالة تحس بأن نفسيتك ضعيفة وهزيلة، ستنجب مولوداً ضعيفاً هزيلاً في روحيته ونفسيته وسينشأ نسخة منك.. الضعف يترك أثره في كل شيء، والله أراد لأوليائه أن يكونوا أقوياء، حينئذٍ من تكون مواقفهم قوية من يكون أولادهم أقوياء، ينجبون أقوياء ويقفون مواقف قوية، ويقولون قول الأقوياء، ويتحركون بقوة في كل مواقعهم؛ لأنهم ماذا؟ لأنهم أولياء للقوي العزيز، وكيف يكون الضعيف ولياً للقوي، ويبقى على ضعفه.

أوليس أي شخص منا إذا ما رأى نفسه أنه أصبح مقرباً عند شخص قوي، عند محافظ أو عند وزير أو عند رئيس أنه يرى نفسه قوياً؛ لأنه يرى نفسه ماذا؟ أنه أصبح ولياً مقرباً من رجل قوي.

الضعيف لا يصدق عليه بأنة من أولياء الله؛ لأن هذا هو شاهد من واقع الحياة، شاهد من واقع الحياة، لو كنت ولياً لله فإنك لا تضعف أبداً؛ لأنك ولي للقوي العزيز، ولهذا قال في هذه الآية: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحج: من الآية٤٠) **وأنتم تسمون أنفسكم أولياء للقوي العزيز، وأنتم تستمدون قوتكم من القوي العزيز. فعندما تضعف فإنك فعلاً بعيد عن الله سبحانه وتعالى.**

لاحظ نفسك وجرب نفسك أنك أنت من ضعفت وأنت تدعي أنك من أولياء الله لو جاء رئيس الجمهورية، لو جاء رئيس الوزراء، لو جاء حتى قائد أو محافظ محافظة يقول لك: نحن معك، و تحرك ولا تخف شيئاً نحن سنقف

معك بكل ما نملك، ألست سترى نفسك حينئذٍ قوياً، وتنطلق بقوة وتتحدى الآخرين؛ لأنك هنا وثقت بشخص تراه قوياً، لو كانت ثقتك بالله على هذا النحو لكنت قوياً، وعندما تكون قوياً ستكون مواقفك قوية، سيكون قولك قوياً، ستكون رؤيتك قوية، سيكون تحركك كله مصبوغاً بالقوة، بل ستنجب أولاداً أقوياء؛ لأنك تحمل روحيةً قوية، تحمل نفساً قوية.

أما الضعيف فإنه من يصبغ الحياة كلها بضعفه، ويصبح كل شيء تلمس فيه آثار ضعفه: منطقه ضعيف، مواقفه ضعيفة، إسهاماته ضعيفة، مشاركاته ضعيفة، وكلما يخرج منه ضعيف.

وحينما نُخدع، وتُخدع الدولة، ويُخدع الكبار كما خُدِع الآخرون سنرى أنفسنا في وضع محرج، سنرى أنفسنا في وضع محرج، وحينئذٍ نرى أنفسنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً، وإذا ما أردنا أن نعمل شيئاً نكون قد كشفنا واقعنا للآخرين ضعافاً، ويكونون هم من رأوا أنفسهم بأنهم قد غزونا إلى عقر دورنا ((وما غُزي قوم في عُقر ديارهم إلا ذلوا)). ما الذي يمكن أن يصنع الناس حينئذٍ؟ لا شيء، ثم من الذي يمكن أن يقف معك حينئذٍ؟ لا أحد.

إن المواقف هي من بداياتها، والناس يفهمون هذا، لو أننا نتصرف مع أعدائنا الكبار كما يتصرف الواحد منا مع عدوه من أسرته أو من أصحابه.. ترى كيف التصرفات هنا تكون مبنية على المبادرة والحذر، والاحتمالات كلها لها أثرها، أليس الواحد منا إذا ما دخل في خصومة مع صاحبه يحاول أن يريه وجهه قوياً، وصفعته قوية من أول يوم؟ لماذا؟ قال: [لو أضعف أمامه ويرى أن كلامي رطيب، ويرى أنني هكذا أدّاراه با يشتحنْ عليّ وما عاد يخاف مني من بعد] ما الناس يقولون هكذا؟ [فمن أول يوم أقلب وجهك له وخليه يراك قوي، وخليه يراك بأنه لا يمكن أن يقهرك].

أليس هذا هو التفكير الذي يحصل عند كل واحد منا في مواجهة خصمه على [مَشْرَب] أو على قطعة أرض أو على أي قضية من القضايا البسيطة؟ لكننا في مواجهة أعدائنا الكبار نقبل الاحتمالات..[عسى ما بَهْ خلة].

والتبريرات أيضاً نركن إليها؛ لأننا لا نحب أن نعمل شيئاً، والتبرير الذي يعزّز قعودي سيكون هو المقبول.

لكن لاحظ أنك ستصل إلى حالة تتحسر فيها، يصل الشعب إلى حالة يتحسر فيها، وحسرة النادم هي حسرة من ضيع نفسه، ضياعاً أصبح يرى نفسه أنه ليس بإمكانه أن يتلافى ما فرط.

لكن إذا ما انطلق الناس ليعملوا فكما قلت سابقاً: العمل هو الضمانة الحقيقية، هو الضمانة لأمن الناس، هو الضمانة لسلامة الناس. ولا أن يترك الناس أنفسهم حتى يصل الوضع إلى أن يصبحوا كالفلسطينيين يستجدون السلام من هنا وهنا، ثم يتأسفون أن العرب لم يعملوا شيئاً، وأمريكا تنكرت لهم، ألم يجدوا العالم كله تنكر لهم؟ ألم يجدوا أنفسهم في وضع لم يستطيعوا أن يؤمِّنوا أنفسهم، ولم يستطيعوا أن يحافظوا على دُوَيْلَة صغيرة كانوا قد فرحوا بها.

الناس سيصلون إلى أوضاع كهذه، تكون كلها حسرة، وسترى أنه لا أحد يقف معك، ثم ترى أنت أنك أصبحت لا تستطيع أن تقف مع أخيك، أن تقف معه بشكل مجاميع، أولسنا نرى الفلسطينيين الآن بشكل أفراد يتحرك فرد واحد فقط وبسرية بالغة من أجل أن يعمل عملاً ما.. الناس ضيعوا الفرص التي هي مواتية لأن يتحركوا كمجاميع كبيرة حينها سيرون أنفسهم لا يستطيعون أن يتحركوا إلا أفراداً قليلين، وبأعمال تبدوا منهكة بالنسبة لهم، وضعيفة النكاية في أعدائهم، هكذا يجب أن نحذر من الحسرة.

فالقرآن الكريم ربَّانا على أن لا نكون من أولئك الذين يسمحون لأنفسهم وهم يفرطون ويتوانون أن يكونوا من يقولون: [لو أن لنا، لو أن لنا] ألم يأتِ هذا في القرآن الكريم يتحدث عن مواقف المتحسرين النادمين؟ وحتى قد يصل لديهم وعي على درجة عالية {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢) **حينها حتى الوعي العالي لا ينفع، تصبح وضعيتك لا يمكن أن تعمل فيها شيئاً.**

فرعون ألم يؤمن؟ لكنه آمن في عمق البحر داخل أمواج البحر المظلمة، ألم يحصل لديه وعي عالي {آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ} (يونس: من الآية٩٠) **ألم يقل هكذا؟ وعي حصل لديه وإيمان حصل لديه لكنه في غير وقته. هكذا القرآن الكريم يعلمنا أنه من يضيع العمل في وقته، أنه من لا يَعِيَ في الوقت الذي ينفع فيه الوعي، أنه من لا يفهم في الوقت الذي يُجدِي فيه الفهم سيصل به الحال إلى أن يرى نفسه يَعِي، ويُؤمن، ويفهم**

في الوقت الذي لا ينفع فيه شيءٌ، لا إيمانه، ولا وعيه، ولا فهمه.

يجب أن نفهم الأمور، وأن نقول لكل شخص يريد أن يقول [اسكتوا]: هذه الشواهد من داخل بلادنا، ومن خارجها ماثلة أمامكم يا من يقولون: [اسكتوا] إن واجبكم أن تنطلقوا أنتم، إن واجب الناس الآن هو أن يتحركوا وأن لا يخدعوا.

وأكرر أن لا يصبح الناس كثيري التحليلات، التحليلات يجب أن نتركها، تحليل واحد فقط هو: أن الأمريكيين دخلوا بلادنا من الذي سمح لهم، وأننا نرفض أن يدخلوا، وأننا سنقاوم وجودهم هنا.. يجب أن نقول هذا، وهذا هو التحليل الصحيح.

وكل تبرير لوجودهم مرفوض سواء يأتي من عالم، أو من رئيس، أو من قائد، أو من كبير أو من صغير؛ لأن الله تعالى علمنا في القرآن الكريم كل شيء، وهو من يعلم السر في السماوات والأرض وهو العليم بذات الصدور، أما هؤلاء فإنهم من يُخدعون دائماً، هم من يُخدعون دائماً، فنحن لا يجوز أن نُخدع، ولا أن نكون أبواق دعاية لتبريرات تنطلق منهم فيقول واحد منا: [ما سمعت التلفزيون أمس، ما رأيت الأمريكيين أمس وهم مشاركين مع جنود يمنيين اقتحموا بيت فلان.. وهابي ملعون]. قد نقول هكذا ونفرح، [شفت أنهم جاءوا يساعدونا].

كل عمل يبرر تواجدهم كن أنت من يقف ضده، كن أنت من يفضحه أمام الناس، كن أنت من يقول أنه خداع.

هذا هو الكلام الذي أريد أن أقوله في هذه الليلة. باعتبار أننا سمعنا ـ كما يقول بعض الإخوان ـ من إذاعة إيران، وإيران فعلاً لا تنشر خبراً على هذا النحو إلا ولديها مصادر تؤكد لها هذا، وأن هذا هو المحتمل أيضاً.

وربما أن اليهود أيضاً ـ والله أعلم ـ قد يكون لديهم أشياء أخرى، أمارات أخرى في هذا الزمن بالذات يركزون فيما يتعلق بالشيعة، ويركزون أيضاً على ما يتعلق بالحرمين الشريفين، قد يكون لديهم ملاحم، أو لديهم أخبار أو أشياء من هذه، يعني يتصرفون كتصرف فرعون، يحاولون أن يحولوا دون ما يريد الله أن ينفذ {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} (يوسف: من الآية٢١).

كان تحركهم في هذه المرحلة، ومن قبل فترة كنا نعتقد أنه تحرك يوحي بأنهم يعرفون، كما كان تحرك أولئك اليهود الذين عرفوا أن محمداً سيُبعث في حينه، وصرخوا في مكة، وصرخوا في المدينة بعضهم قالوا: [طلع نجم محمد] هكذا.. (صلوات الله عليه وعلى آله). **هم من عرفوا بأنه سيبعث، وأحد علمائهم قال لسلمان الفارسي: إنه قد أظلك زمان نبي سيبعث، وأعطاه علاماته.**

هم من يعرفون ربما أن الأمة أصبحت في وضعية يمكن أن تشكل خطورة عليهم، وأن الشيعة هم من يشكلون خطورة بالغة عليهم، فهم من يسارعون كما سارع فرعون لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال عن نفسه: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}. ويجب أن نثق بهذا أن الله الذي نريد أن نصدق معه بأن نجعله ولينا، وأن نتولاه، وأن نكون من أوليائه هو القوي العزيز، وهو الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أسأل الله سبحانه و تعالى أن يصرف عنا كيد أعدائنا وأن يزيدنا قوة وإيماناً كلما ازداد أعداؤنا مكراً وكيداً وإرهاباً، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

خطورة المرحلة

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٣ محرم ١٤٢٢هـ

الموافق: ١٦/٣/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أما بعد نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل زيارتنا مباركة، وأن نستفيد جميعاً في التعرف على بعضنا بعض، في مجال ما تهمنا معرفته، وما يهمنا عمله.

الزيارات المتبادلة كهذه هي مهمة جداً في ظروف كهذه الظروف التي نعيشها جميعاً، وتعيشها الأمة المسلمة.

طلاب العلم من الضروري أن يكونوا في طليعة من يحملون اهتماماً كبيراً، ويهمهم ما يدور حولهم.

نحن في هذه الفترة الأخيرة ـ كما نعرف جميعاً ـ نعيش وضعية خطيرة جداً، وضعية تجلت فيها خطورة بالغة، وتكشفت فيها مخاطر جسيمة، خطورة على الإسلام والمسلمين، على ما تبقى من الإسلام، وما تبقى من المسلمين في الواقع.

وكلنا نسمع، وكلنا نرى ما يدور في هذا العالم، وعلينا أن نسأل أنفسنا ـ باعتبارنا طلاب علم ـ هل طالب العلم يعني ماذا؟ هل الذي يحمل علماً؟ يعني علم ماذا؟ كلنا نقول: نحن طلاب علم دين، وعالم دين، ومعلم علوم شرعية دينية، الدين الذي نتشرف بأن نسمي أنفسنا طلاب علمه هو دين الله سبحانه وتعالى؟.

نحن إذاً ـ باعتبار أن دين الله تعالى هو الإسلام ـ نحن إذاً مسلمون، فمتى ما سمعنا أن هناك هجمة شرسة، وخطورة بالغة على الإسلام فمن الطبيعي أن نعرف أنه هذا الدين، هذا الدين الذي نحن نتشرف بطلب علومه، ونحمل علومه، هذا الدين الذي ندين به، ونعتقد أنه يتوقف على الإلتزام به، والاهتداء به نجاتنا في الدنيا وفي الآخرة.

ونحن إذاً مسلمون، فعندما نسمع أن هناك خطورة بالغة، هناك هجمة شرسة ضد المسلمين، فإن المسلمين هم أنا وأنت، وأمثالنا في مختلف بقاع البلاد الإسلامية.

أن أكون طالب علم، أن أكون مسلماً، ثم أسمع وأرى الأحداث الكثيرة تدور من حولي ضد الإسلام والمسلمين، ثم لا ألتفت التفاتة جادة، ولا أهتم، ولا أفكر، ولا أستشعر الخطورة، ولا أبحث عن حل، ذلك يعني أن الأشياء بالنسبة لنا مجرد عناوين فقط، سواء ما نسميه إسلاماً ندين به، وما نسمي أنفسنا به كمسلمين، تصبح مجرد عناوين فقط؛ لأنه ليس بإمكان أحد منا أن يتصور ـ وإن كانت تلك قد تكون حالة نفسية لدينا جميعاً ـ أنه عندما نسمع حرباً ضد الإسلام والمسلمين أن الإسلام شيء هناك، والمسلمون هم فئات من الناس هناك.

الإسلام هو هذا الدين الذي ندين به، والمسلمون هم نحن، المسلمون هم نحن، لكن يبدو أن هناك شعوراً: أسمع بالحرب على الإسلام، والهجوم على الإسلام، والخطورة على المسلمين، فأتصور أنهم أولئك، أولئك، ليس بالتحديد من أولئك! والإسلام شيء هناك!. لو كنا نستشعر ـ حقيقة ـ أن الخطورة هي موجهة لهذا الإسلام، ولنا نحن كمسلمين، ربما تضل المشاعر لدينا حية، لربما تركت أثراً في أن تخلق نوعاً من الوعي، واليقظة أمام ما يحدث.

أول تساؤل: أن هذا الدين الذي ندين به هو دين ليس فيه ما يفرض علينا أن يبدو لنا موقف مما يحدث، لا أحد أعتقد يستطيع أن يجيب: بأن هذا الدين الذي ندين به لا يفرض علينا موقفاً مما يحدث.

إن الله سبحانه وتعالى عندما يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران١٠٣) إنه أمرٌ بالتقوى، بالإلتزام، وأمر بالدفاع عن هذا الدين، والعمل على إعلاء كلمته، ليس فقط التزام، ولا يقبل الإلتزام بالأشياء التي في متناولنا، أشياء نجدها سهلة ونحن نمارسها، وأشياء أخرى قد ترسخ المفهوم لدينا أنها صعبة وشاقة، فنحن لا اهتمام لنا بها، ولا تفكير لدينا بشأنها.. الإسلام دين نلتزم به، دين نعمل على إعلاء كلمته ونشره، دين ندافع عنه.

ثم هل يمكن أن نقول أيضاً: بأن الإسلام نفسه قد جاء ليوزع المسؤوليات بين أبناء هذه الساحة؟ فله خطاب خاص معنا، وخطاب خاص مع أولئك، فوزع الرقعة الإسلامية إلى قطاعات، ومناطق، ليس من في هذه المنطقة مسؤول عما يحدث في المنطقة الأخرى، ليس أبناء هذه المنطقة مسؤولون عما يواجه به الإسلام في منطقة أخرى!.

أيضاً لا أعتقد أنه في القرآن الكريم هناك توزيع للعالم الإسلامي، أو للأرض إلى قطاعات، وكل قطاع مسؤوليتها تختص بجهة معينة، أو بمن في داخلها.. خطاب القرآن خطاب واحد: يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، هكذا يخاطب.

ثم إذا كنا في واقعنا نعيش حالة من اللامبالاة بما يحدث، وإذا ما كان هناك تفاعل أمام ما يحدث، فليس أكثر من مجرد تألم لا يتحول إلى موقف! هل أن هذه الحالة يمكن أن يكون لها أصل في ديننا؟! أي أنه بتوجيهاته، بتربيته ربانا على هذا النحو، ترك فينا هذا الأثر، فها نحن نعيش حالة اللامبالاة، حالة اللاإهتمام بما يحدث.

أعتقد ـ أيضاً ـ أن توجيهات القرآن الكريم، توجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كلها تخلق روحاً أسمى، وأرقى، وأعلا من هذه الروحية التي نحملها.

إذاً فمن أين أتينا؟ من أين أتينا؟ عندما نرى أنفسنا، ونحن نسمي أنفسنا طلاب علم، ونسمي أنفسنا علماء، ونسمي أنفسنا متعلمين، ونسمي أنفسنا مرشدين، فمن أين أتينا حتى أصبح واقعنا على هذا النحو؟! الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، باعتباره كتاب حياة، كتاب تربية، كتاب عمل، شهد على أن هذا الكتاب يستطيع أن يخلق روحاً عالية من خلال ما نشاهده من نظرة أولئك العظماء، مثل الأنبياء (صلوات الله عليهم)، كالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وكالإمام علي (عليه السلام)، وكالحسن، وكالحسين، وأمثالهم من العظماء.

وهو هذا القرآن الذي بين أيدينا، هو هذا القرآن الذي بين أيدينا.. هل أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان لديه كتاب آخر؟ أو أن الإمام علياً (عليه السلام) كان لديه كتاب آخر؟ أنه كان لدى ذلك الجيل من الأشخاص الذين انطلقوا فغيروا مجرى الحياة، ومجرى التاريخ، وأصبحنا نعيش نعمة ما بذلوه، وآثار ما بذلوه من جهود عظيمة في سبيل هذا الدين، هم عظماء، وكانوا يرون أنفسهم في نفس الوقت أن كل ما هم عليه إنما هو من خلال الإهتداء بالقرآن الكريم، وأن تلك الروح العالية التي يحملونها إنما هي تجسيد لروح القرآن الكريم.

القرآن الكريم بين أيدينا، لماذا غابت تلك الروحية بشكل ملموس؟ غياب بشكل ملموس؟ كل هذه تساؤلات تفرض نفسها علينا، باعتبارنا ـ كما كررت ـ طلاب علم، وباعتبارنا نحمل ألقاب: أستاذ، وعالم، ونحوها من الألقاب.. كلها تفرض نفسها علينا، هل هناك مسؤولية علينا، أم أنه لا مسؤولية علينا أبداً؟ هل نحن معذورون إذا ما قدمنا على الله سبحانه وتعالى ولم يكن لنا أي عمل في هذه الحياة؟ في مجال نصر هذا الدين، في مجال الدفاع عنه، في مجال تنفيذ تلك التوجيهات التي نقرأها في القرآن الكريم، هل هناك مبرر؟.

وإذا كنا نتفق مع أنفسنا ـ بناء على قواعد معينة من هنا، أو هناك ـ فهل فعلاً يمكن أن يكون ذلك مبرراً لنا أمام الله سبحانه وتعالى؟ ونحن نقطع بأن ما نجده مبرراً لنا هو أيضاً مبرراً للأجيال من قبلنا ومن بعدنا، أي أن ما تعتبره أنت مبرراً لك انطلاقاً على قواعد معينة، إذاً أنت تحكم بأنه يعد مبرراً للسابقين وللاحقين، لكن لماذا السابقون كانوا يختلفون عنا؟ ثم إذا افترضنا أن اللاحقين سيكونون على هذه الطريقة، أجيال تأتي على هذا النحو، فمتى سيفترض أن يكون هناك إصلاح؟ متى يفترض أن يكون هناك عمل لإعلاء كلمة الله؟! متى يفترض أن يكون هناك عمل في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، في مواجهة أعداء الله؟ متى يمكن أن يكون هناك عمل في مواجهة هذه الأحداث التي أمامنا؟! سواء في واقعنا نحن، أو امتدت، وبالطبع الفساد لا ينتهي، الفساد يبقى، والباطل يبقى إذا لم يأت من يوقفه.

فلو افترضنا أن هذه الحالة تمتد إلى أجيال، سواء ممن نعلّمهم، أو ممن يأتون من بعدنا، أي أن هذه الوضعية التي نحن عليها إن كانت مبرراً أمام الله سبحانه وتعالى فيما إذا قدمنا عليه أيضاً نفترضها مبرراً للأجيال من بعدنا، وبالتالي نرى أن ذلك يحول دون تحقيق الاستجابة لله سبحانه وتعالى عندما يقول لعباده المؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} (الصف١٤) ألسنا نقرأ هذه الآية؟ وقرأها آباؤنا من قبلنا، ونعلّم أبناءنا، ونعلّم طلابنا هذه الآية، وآيات أخرى كقوله: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران١٠٤)، وكقوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج٧٨) ومثل قوله تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة٢٩) متى يمكن أن تتحقق استجابة لمثل هذه الآيات؟.

لا أتوقع؛ ما دمنا نعيش حالة كهذه، تمر الأحداث من حولنا، ونحن لا نقرؤها بشكل جيد، ونحن نرى كل ما حولنا إذا ما نظرنا بأنه مطلوب أن يكون هناك عمل فإن العمل في مواجهته يكون عندنا ضمن قائمة المستحيلات!.

نرى أن الله سبحانه وتعالى عندما يأمرنا بأن نكون من أنصار دينه، ومن المجاهدين في سبيله، وممن يعملون على الدعوة إلى الخير، على تأهيل أنفسهم كأمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، هي أشياء نؤمن بها لكنها تبدو أمامنا ضمن قائمة المستحيلات، أليس كذلك؟.

أنا واحد منكم، وأرى ما ترون، أن الساحة التي نعيش فيها ـ ساحتنا جميعاً، علماء ومتعلمين ـ هي ساحة تسيطر عليها هذه المشاعر: أننا نعيش وضعية نرى أن كل شيء مستحيل، نرى أنه ليس باستطاعتنا أن نعمل شيئا في الدفاع عن الإسلام، والمسلمين، ومع ذلك ندعي، أو نطلق على أنفسنا ألقاباً كبيرة!.

نحن نقول: أننا زيدية، وأن الزيدية هم الطائفة المحقة، وأن الزيدية هم صفوة الطوائف، وأنهم أهل العقائد الصحيحة.. ومن فينا من أهل البيت نقول: نحن من أهل البيت، ونحن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونحن من أوجب محبتهم على الأمة، ونحن من أوجب التمسك بهم، ونحن من جعل التمسك بهم أماناً من الضلال، ونحن.. ونحن... الخ.

هل منطق القرآن الكريم يسمح لك أن تطلق على نفسك ألقاباً كهذه ثم لا تترافق معها مسؤوليات؟ هناك مسؤولية، هناك مسؤولية كبيرة.. من يتأمل في واقع الأمة الآن يجد أننا كعرب، ونحن كزيدية، ونحن باعتبارنا من أهل البيت نعيش تحت أقدام من قد ضرب الله عليهم الذلة، والمسكنة، وباءوا بغضب من الله، نعيش أيضاً تحت رحمة من قد باءوا بغضب من الله!.

أليس هذا هو ما هو حاصل؟. لماذا؟ نسأل أنفسنا أنه إذا كان الله قد ضرب على أولئك الذلة والمسكنة، ونحن نجد أنفسنا نعيش حالة الذلة، والمسكنة تحت أقدامهم، هل أن هذا هو شأن الحياة هكذا؟ وأن أهل الحق ـ كما يقال ـ عادة يكونون مستضعفين، ومساكين، وهذه حالة طبع الله الدنيا عليها، بل هي حالة نستشهد بها على أننا محقون، وأنه لولا أننا نعيش حالة كهذه لاضطربنا في معرفة أننا على حق!.

هل أن هذا واقع الدنيا، وواقع الدنيا هكذا؟ أم أن ذلك نتيجة تفريط في مسؤولية، نتيجة إهمال لواجب، نتيجة ابتعاد عن هدي الله فكان عاقبتنا بالشكل الذي يشهد أن تفريطنا أسوأ، أو يعد جريمة أكثر من جريمة أولئك الذين قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة؛ لأنه إذا كان في الواقع أننا أصبحنا تحت أقدام أولئك، يعني: أننا في واقعنا ارتكبنا خطأ كبيراً جداً من حيث أننا فرطنا في مسؤولية كبيرة، فرطنا في مسؤولية كبيرة جداً، فكانت معصيتنا كبيرة، استحقينا بها ـ فيما أعتقد ـ أن نعيش حالة من الذلة أسوأ من تلك الحالة التي ضربت على بني إسرائيل.

لكن ما هي المشكلة في هذا؟ المشكلة في هذا هي: أننا أصبحنا نفهم، ما أدري من أين؟ هل من بعض القواعد في كتب علم الكلام، أم من بعض الأشياء التي نسمعها من كتب الترغيب والترهيب، أصبحنا نفهم أن هذا هو حال الدنيا، أن هذا هو حال الدنيا، فكلما اشتدت الوطأة، وكلما عانينا، وكلما أصبحنا نلمس أننا في وضعية سيئة، نعيش حالة من الخزي والذلة والهوان، لا نعرف أن ذلك عقوبة [شأن الدنيا]! أليس هذا هو ما نسمعه من بعضنا بعض؟ [هذا حال الدنيا، وهذا شأن الدنيا، وهذا ... إلخ]!، فمتى يمكن أن نصحوا، فنفهم أنما نحن فيه إنما هو نتيجة لتفريط حصل منا كمسلمين، حصل منا كعرب، حصل منا كزيدية، حصل منا كأهل بيت النبوة؟!.

أنا أعتقد ـ حقيقة من خلال تأملاتي ـ أننا في وضعية يجب أن نرجع فيها إلى الله سبحانه وتعالى فنتوب توبة صادقة، نتوب إلى الله جميعاً، نتوب إلى الله جميعاً من أننا فرطنا، من أننا قصرنا، من أننا أهملنا، من أننا أضعنا.

وحتى نعرف الموضوع أكثر، الله سبحانه وتعالى ألم يبعث محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) رسولاً للعالمين؟ رسولاً للعالمين، وأنزل القرآن الكريم كتاباً للناس جميعاً، هدى للعالمين؟.

أين بعث رسول الله؟ ألم يبعث في البلاد العربية في مكة؟ ألم ينزل القرآن بلغة العرب؟ ألم يكن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عربياً؟ إذاً بالتأكيد أن من يقع على عاتقهم مسؤولية أن يكون الرسول للعالمين جميعاً فتصل دعوته إلى أقصى الدنيا، هم من يقع على عاتقهم مسؤولية أن يصل نور القرآن الكريم، وهديه إلى مختلف بقاع الدنيا، هم العرب، هم العرب في البداية أليس كذلك؟.

ثم نجد أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعل قيادة لهذه الأمة، تهديها، وتقودها نحو هذه الحركة، تتمثل في أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست هذه عقيدتنا؟ فمعنى ذلك ماذا؟ أن مسؤولية أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومسؤولية العرب جميعاً هي: أن يتحركوا بنور الإسلام، برسالة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى الدنيا كلها؛ لأنه بعد أن فسد بنو إسرائيل، وبعد أن انطلقوا يحرفون كتب الله، وبعد أن انطلقوا يسعون في الأرض فساداً، ألم ينزع الله ذلك الدور المهم من أيديهم ليضعه في يد العرب، في يد محمد وآل محمد، وبيد العرب؟.

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ} (النساء٥٤) وهو يتحدث عن اليهود بأنهم حسدوا العرب بعد أن نزع منهم الملك، والكتاب، والحكم، والنبوة، ووراثة الكتاب، ومنحها للعرب، وجعلها في محمد وآل محمد، أو تحت قيادة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وآل محمد.

ماذا يعني هذا؟ إنه يقول في القرآن الكريم إن اليهود مفسدون، وسيسعون في الأرض فساداً، وتحدث كثيراً عنهم. إذاً فواجبكم أنتم، من جعلكم الله بدلاً عن بني إسرائيل هو: أن تتحركوا حتى تحولوا دون أن ينتشر فساد بني إسرائيل في الأرض كلها، أن تسبقوهم أنتم، أن نسبقهم نحن إلى البشرية؛ لنوصل هذا الدين، ونوصل هذا النور، ونوصل هذا الهدى إلى البشرية كلها؛ لنحول دون أن نفسح المجال لليهود الذين حكى عنهم أنهم يسعون في الأرض فساداً، فيكونون هم من يسبقونا إلى البشرية فيملأوا الأرض فساداً.

ما الذي حصل؟ أليس هذا شرف عظيم للعرب؟ ألم يُمنح العرب أكثر، وأعظم مما مُنح بنو إسرائيل؟ منحهم في لحظة واحدة أكثر مما مَنح بني إسرائيل، كتاباً هو مهيمن على الكتب كلها، بين أيديهم، وبلغتهم، يحملون رسالته، ونبي هو سيد الرسل، وخاتم الرسل، ودينه أعظم الديانات، للدنيا إلى نهاية أيامها، وإلى آخر أيامها، أليس هذا أعظم مما آتى بني إسرائيل؟.

إنه شرف عظيم، شرف عظيم للعرب، شرف عظيم لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) شرف عظيم لآل محمد، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف٤٤) شرف عظيم أن كان الإسلام بكتابه، ونبيه نزل بلغتنا، وبعث بين أظهرنا، ومن أنفسنا، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران١١٠) كنتم أيها العرب - وإن كان البعض يفسرها بالنسبة للمهاجرين، عندما انطلقوا إلى المدينة - هي جاءت بعد الحديث عن آيات حول بني إسرائيل وهو يتحدث عن تأهيل المؤمنين ليكونوا في مستوى المواجهة، يذكّرهم بمسؤوليتهم أنها مسؤولية عالمية: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} أخرجت للناس جميعاً.

فنحن عندما فرطنا كعرب في هذا الشرف العظيم، عندما فرطنا كعرب في هذا الرسالة العظيمة التي كان المراد أن نكون نحن من نحمل شرف حملها إلى الآخرين في مختلف بقاع الدنيا، وعندما فرطنا نحن من نسمي أنفسنا صفوة هذه الأمة، الزيدية، وعندما فرطنا نحن من نسمي أنفسنا نحن عترة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، نحن فرطنا في مسؤولية كبيرة، أتاحت الفرصة لليهود أن يتحركوا هم، وبمختلف الفئات الضالة والمضلة في هذه الدنيا، أن تتحرك هي فتمتلئ الدنيا فساداً، وظلماً، ويكون الباطل هو الذي يسود، ويكون الفساد هو الذي يحكم، وهو الذي ينتشر، وهو الذي يمتلك القوة، ويمتلك الهيمنة.

أنا أعتقد أنه لولا أن هناك مسؤولية جسيمة جداً علينا أدى التفريط فيها إلى أن يصبح التفريط ذلك جريمة أعظم مما عليه الآخرون لما استحقينا أن نكون تحت أقدام من قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة. أليس العرب الآن أذل من اليهود؟ أليس العرب الآن أذل من النصارى؟ أولسنا نحن الزيدية، ونحن أهل البيت أذل العرب؟ حقيقة.

عندما نتأمل نجد أنفسنا في وضعية سيئة ومخزية لماذا؟ لأننا فرطنا في مسؤولية كبيرة، فرطنا في شرف عظيم، أعرضنا، أهملنا، اعتمدنا على قواعد معينة أبعدتنا عن كتاب الله سبحانه وتعالى فبدا كل شيء أمامنا مستحيلاً، أصبحت نظرتنا إلى الله سبحانه وتعالى نظرة قاصرة، ونحن نسمي أنفسنا طلاب علم، ونقول نحن عندما نتجه لطلب العلم فهناك فنون معينة، فن أصول الدين؛ لنعرف من خلاله الله، أليس كذلك؟ فن أصول الفقه، وفن العربية؛ لنعرف من خلالها القرآن الكريم!.

من يعرف الله سبحانه وتعالى ـ من خلال القرآن الكريم ـ لن يجد أن هناك شيئاً مستحيلاً، يجد أن الله سبحانه وتعالى يهيئ، أن الله وعد وعوداً صادقة، أن الله منح نعمة عظيمة هي نعمة الهداية، أن الله منح شرفاً عظيماً نحن ضيعناه، ألسنا ننظر إلى أي عمل نريد أن نعمله بأنه من ضمن المستحيلات؟ لأننا لم نعرف الله سبحانه وتعالى.

نحن نقرأ: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} في أول كل سورة، ألسنا نقرأها؟ نحن نقرأ: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} في كل سورة، وكل سورة داخلها الكثير، الكثير من التوجيهات والأحكام، والأوامر، والنواهي، إنها تقول لنا: إن الهدي من الله سبحانه وتعالى، وهو يوجهنا إلى ما فيه هدايتنا، إن تلك الأحكام، إن تلك التي نسميها تكاليف، إنها كلها منطلقة منه سبحانه وتعالى باعتباره الرحمن الرحيم.

نقرأ سورة [الفاتحة]، نقرأ فيها الرحمن الرحيم مكرراً مرتين، مع أنها السورة التي تبدو وكأنها خلاصة القرآن الكريم، وكأنها خلاصة للأسس المهمة في القرآن الكريم، {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة١-٣) ألم تتكرر مرتين في هذه السورة؛ لأننا لا نعرف، لا نفهم، أو لا نحاول أن نفهم أن كلما طلب الله سبحانه وتعالى منا، أو كلما أمرنا به أنه منطلق من كونه رحيم، ومن كونه رحمن رحيم بنا، وأن من شأن الرحيم إذا ما كلف بشيء، إذا ما أمر بشيء فإنه يعمل كل ما يمكن من أجل أن نصل إليه بسهولة.

{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} إن ربوبية الله سبحانه وتعالى كلها تقوم على أساس أنه رحمن رحيم، ومن ربوبيته تدبيره لشؤوننا، ومن ربوبيته سبحانه وتعالى تشريعه لنا، كلها منطلقة من أنه رحمن رحيم.

فمن يتأمل القرآن الكريم لا يجد أن هناك أي تشريع من تشريعات الله سبحانه وتعالى على هذا النحو الذي ننظر إليه، ضمن قائمة المستحيلات، وسنجد أيضاً أنه كم يهيئ الله سبحانه وتعالى من أشياء كثيرة تدفعنا ـ باعتباره رحيم ـ إلى أن نصل إلى تنفيذ ما طلب منا أن ننطلق فيه، إلى أن نقوم بأداء ما كلفنا أن نؤديه.

أليس الجهاد في سبيل الله عندنا في قائمة المستحيلات؟ أليست الوحدة في قائمة المستحيلات؟ لماذا؟ هل يجوز على الله سبحانه وتعالى، إذا كنا طلاب علم، ومن قواعدنا، من قواعد أصولنا: أن الله لا يكلف ما لا يطاق، أليست هذه من قواعدنا؟ لا يكلف ما لا يطاق، وأنه قال في القرآن الكريم: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} (البقرة٢٨٦) كيف يجوز لنا أن نصبح في واقعنا نرى شيئاً، أو نرى أمراً من أهم مبادئ دينه، ضمن قائمة المستحيلات!.

هل أنه في واقعه هكذا؟ أم أننا نحن الذين لا نفهم، لا نفهم منهجية تشريع الله سبحانه وتعالى، ـ إن صحت هذه العبارة ـ أو لا نفهم أن تشريعه كله يقوم على أساس أنه رحمن رحيم، بحيث نقول: هو عند ما يكلفنا بأمر كهذا فلا بد أنه قد أحاطه بمجموعة من الأشياء في عالم التشريع تهيئ تلقائياً إلى الوصول إليه، وأنه أيضاً من جانبه سبحانه وتعالى سيتكفل بتهيئة الأجواء من أجل أن يصل الناس إليه، وأنه سبحانه وتعالى أيضاً سيقف من جانبه مع من ينطلق في هذا الميدان.

إن كل هذه الثلاثة الأشياء من خلال القرآن الكريم، من يتأمل القرآن الكريم كلها متوفرة، كلها متوفرة، {إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} (هود١٢٣) {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} (آل عمران١٠٩) جاءت هذه الآية بعد آية التوحد، والتي جاءت في إطار الحديث عن أهل الكتاب، قال الله سبحانه وتعالى: {تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} (آل عمران١٠٨) آيات الله معناها حقائق، لا ينبغي أن نتذكر أن معنى الآية هو ما بين الدائرتين، أو الرقمين، آيات معناها حقائق، حقائق واقعية، ما وعد به هو حقيقة لا

تتخلف، ما أخبر عنه أنه سيحدث من جانب أعدائك، أو أن أعداءك عليه، أو أنك ستصبح عليه هو حقيقة لا تتخلف.

{تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} ألم تأت هذه بعد أن أمر بالتوحد، بعد أن أمر بالإعتصام بحبله جميعاً، بعد أن نهى عن التفرق؟ بعد أن جاء هذا كله في إطار التخويف من أهل الكتاب؟.

مناسب أن نقرأ الآيات من أولها عندما قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (آل عمران١٠٠) أليست هذه واحدة؟ أي أنكم في حالة مواجهة مع أعداء هم أهل الكتاب، وأعداء يعملون بكل جد واجتهاد على أن يطوعوكم، حتى تكفروا طوعاً، تكفرون طوعاً، من حيث تشعرون أو لا تشعرون.

{يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} أليس هذا إنذار عن خطورة بالغة يمكن أن يصل إليها المؤمن، أن يرتد بعد إيمانه كافراً.. من يفهم أن قضية الكفر قضية خطيرة سيرى أن الله حذر من شيء خطير جداً، من يدرك أن الإيمان والهداية من الله هي أعظم النعم على الإنسان سيرى أن الله سبحانه وتعالى حذر من أنك قد تتعرض، وعلى يد هؤلاء لفوات الإيمان، فترتد بعد إيمانك.

الذي يشعر بأن هذه خسارة عظيمة هو من يعرف قيمة الإيمان، هو من يعرف نعمة الإيمان، من يعرف أن الإرتداد إلى حالة الكفر خسارة كبيرة، هو من يعرف فضاعة الكفر في هذه الحياة، وفضاعة المصير في الآخرة.

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (آل عمران١٠١) لاحظوا {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} أليس القرآن الكريم في أوساط المسلمين؟ أوليس المسلمون الآن بما فيهم زعماؤهم في حالة طاعة مطلقة لليهود والنصارى؟ في حالة طاعة مطلقة، كيف أصبحتم على هذا النحو وأنتم تتلى عليكم آيات الله؟ هم كمثلنا نتلوا آيات الله، وتتلى علينا آيات الله، ولكنها تمر مرور الكرام على مسامعنا، لا نهتدي بها بالشكل المطلوب، فنتعرض نحن إلى حالة، أنا أعتقد أننا في حالة ذلة، وخزي أعظم مما عليه بنو إسرائيل.

وقد قلت في محاضرة سابقة: أننا نحن، خاصة من يقولون أنهم آل محمد عليهم أن يرجعوا إلى القرآن الكريم؛ ليفهموا أن الله بعد أن فضل بني إسرائيل، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقال عنهم: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الدخان٣٢).

كم نملك نحن في القرآن؟ نملك آية المودة، أليس كذلك؟ نملك آية التطهير.. لقد جاء الحديث عن بني إسرائيل أكثر مما جاء عن آل محمد، ولولا أنها سنة إلهية أن يكون آل محمد ورثة لكتاب الله لقلنا: أن آل محمد لم يمتلكوا ما امتلكه بنو إسرائيل؛ ولهذا نحن ندعو لآل محمد أن يُمنحوا ما منحه الله آل إبراهيم، أليس كذلك؟ عندما نقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)، ثم نرى هؤلاء الذين قال عنهم: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} نراهم يقول عنهم: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ} (آل عمران١١٢).

هل كفر بنو إسرائيل بالتوراة أنها ليست من الله؟ هل كفروا بكلمة واحدة أنها ليست من الله؟ أم أن كفرهم إنما كان بشكل رفض؟ بشكل رفض، وتمرد على أوامر معينة، توجيهات معينة يبيعونها بثمن قليل! كما قال عنهم في آيات أخرى: {وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} تلك الذلة، ذلك الخزي، تلك المسكنة، ذلك الغضب {بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}، وإن كانوا قد اختارهم على العالمين.

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة٤٧) ألم يأت هذا كثيراً في القرآن الكريم، ثم يقول: إن ذلك الذي جاء نسفاً لذلك التفضيل الذي هم عليه إنما كان بسبب عصيانهم، واعتدائهم، تمردوا على أوامر الله، فرطوا في مسؤوليتهم، أليست مسؤولية؟ أليس التفضيل مسؤولية؟ تفضيل

بني إسرائيل كان مقترناً بمسؤولية، مسؤولية وراثة الكتاب {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران١٨٧).

عندما فرطوا في المسؤولية استحقوا أن يضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأن يكون كل فساد في هذه الدنيا هم وراءه؛ لأنهم فرطوا في المسؤولية.. كذلك آل محمد.. كذلك الزيدية.. كذلك العرب.. عندما نفرط في المسؤولية، وعندما فرطوا في المسؤولية فعلاً أصبحنا في حالة ذلة وخزي ومسكنة أعظم مما فيه بنو إسرائيل، بدليل أننا نجدهم في هذه الدنيا، نجد أنفسنا تحت رحمتهم، ونجد أنفسنا أذلاء مساكين أمامهم! أليس هذا شيء ملموس؟ هذا شيء ملموس.

عندما يقول: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} (آل عمران١١٢) من عصى واعتدى، عندما يعصي العرب ـ ومن أكبر العصيان: التفريط في المسؤولية التي يتوقف عليها نجاة البشرية ـ لا بد أن يُذلوا.

ولاحظ أليس كل زعيم عربي ترتعد فرائصه؟ ألم يسارعوا كلهم إلى الإستجابة لأمريكا؟ ويمنحونها الموافقة على أن تقود التحالف الدولي ضد الإرهاب؟! ألم يصبح كل زعيم عربي مستعداً أن يجند نفسه لما تطلب منه أمريكا؟ أن يسلّم هذا، أو هذا من أبناء وطنه؟!. ما هذه؟ أليست هذه حالة ذلة وخزي؟ حالة استضعاف؟ مع أنهم يمتلكون العدد والعدة، ويمتلكون الثروات الهائلة! لكن إذا ما كانت الأشياء على هذا النحو لا تنفع لا عدد، ولا عدة، إذا ما كان هناك ذلة، إذا ما كان هناك خزي، إذا ما كانت هناك مسكنة قد ضربت على الناس، فإنهم سيكونون على هذا النحو.

نكمل الآيات: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (آل عمران١٠١) تعتصم بالله، نحن نفقد مصداقية الإعتصام بالله؛ لأن ثقتنا بالله ضعيفة، ثقتنا بالله ضعيفة بدليل أن كل ما ضربه من أمثلة في أنه يرعى أولياءه، في أنه لا يضيع أولياءه، في أنه يفي بوعده، كلما وعد به أولياءه من النصر، لا نثق بذلك! عندما يقول سبحانه وتعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد٧) {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج٤٠).

أليست هذه وعوداً؟ ألم يقل عن اليهود والنصارى بعد أن تحدث في هذه الآيات فيما هو تأهيل للأمة، للعرب، تأهيل ليكونوا بمستوى مواجهتهم، قال بعد، أخبرنا عن واقع أولئك كيف سيكون: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} (آل عمران١١١).

هل هناك أعظم هداية من هذه الهداية؟ أن يؤهلك، ويعدك بالوقوف معك، يعدك بالنصر، وهو الذي قال: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفتح٤)، ثم يخبرك عن واقع عدوك كيف سيكون، لا أحد يمتلك، أمريكا نفسها لا تمتلك شيئاً من هذا.. أليست المخابرات الأمريكية واسعة؟ لكن من هو ذلك الخبير داخل هذا الجهاز يستطيع أن يتنبأ عن العدو الفلاني لأمريكا لن يضرها إلا أذى، وإن يقاتلها سيولي الأدبار ثم لا ينصرون، هل أحد يستطيع؟ لا أحد يستطيع، ومع ذلك نراهم ينطلقون وراء الإحتمالات، لكننا نحن نضيع الوعود القاطعة، هو يقول: أيها المسلمون، أو أيها العرب، أو أنتم يا من تنطلقون على هذا النحو الذي رسمه لمن يريدون أن يؤهلوا أنفسهم؛ ليكونوا بمستوى المواجهة فإن أولئك سيكونون على هذا النحو: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ}.

مصداق هذه تحقق في لبنان على يد حزب الله، على يد مجموعة قليلة من المسلمين، من الشيعة، آمنوا بمثل هذه الوعود، فرأوا فعلاً مصاديقها في حياتهم، رأوا مصاديقها في مواجهتهم لذلك العدو، لليهود {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} واستعرضوا أنتم عمليات حزب الله في مواجهة إسرائيل، وما لمسوه هم من أشياء عجيبة، كلها تشهد بصدق وعد الله سبحانه وتعالى لمن يعتصم به فيصدق وعوده، ويثق به.

نحن نقرأ الآيات الكثيرة التي فيها جهاد ولكن كأن الله طلب منا أن نجاهد ثم لم يعمل شيئاً ليجعلنا بمستوى أن نجاهد، ولم يعدنا بشيء! هو وعد ـ كما قلنا من خلال هذه الآيات ـ وعد بأن ينصر، ووعد بأن يهيئ الأجواء

أيضاً، ومتغيرات، متغيرات أمور، ووعد أيضاً بأن يكون العدو على هذه الحالة التي يصبح فيها غير قادر أن يمسك إلا بما هو أذى {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ}.

نحن نقرأ هذه الأشياء لكن في واقعنا كأنها مسؤولية الآخرين! هذه الآيات التي نقرأها في سورة [آل عمران] هل تعنينا أو لا تعنينا؟ عندما يقول بعدها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} (آل عمران١٠٢) جاءت بعد هذه الآية: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (آل عمران١٠١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران١٠٣) يبين لكم هذه الحقائق: أن الأشياء لا بد أن تتوفر لديكم لتهتدوا فتكونوا بمستوى أن تواجهوا أعداءكم، أولئك الذين يعملون جاهدين على أن يردوكم بعد إيمانكم كافرين.. إذا كنتم يهمكم هذا الأمر، ويؤلمكم ويحزنكم أن ترتدوا بعد إيمانكم كافرين فهنا الهداية {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} إلى ما يجعلكم بمستوى مواجهتهم.

{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران١٠٤-١٠٥) ثم قال بعد: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (آل عمران١٠٦-١٠٧)، ثم قال ماذا؟ {تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} (آل عمران١٠٨) لأنه يهمنا أمركم، لا نريد أن تُظلموا، لا نريد أن ترتدوا بعد إيمانكم كافرين، لا أريد أن تضطهدوا؛ لأنه قال: {وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ} نحن نستخدمها في مجال الاستدلال على جانب العدل.

{تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} الذي لا يتخلف ولا ريب فيه {وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ} فلذلك يهدي، يهدي هذه الفئة لتنطلق لأن لا تظلم، وهي عندما تهتدي، وتنهض بمسؤوليتها ستحقق للعالم العدل؛ لأن الله لا يريد ظلماً للعالمين جميعاً.

فعندما فرطنا ظُلمنا، وظُلم العالم كله بسبب تفريطنا؛ لأنه عندما تمكن بنو إسرائيل، وتمكنت الفئات الأخرى، ألم يسد الظلم؟ ألم يسد الفساد؟ عندما يقول لك في القرآن الكريم: أنه يريد أن يظهر دينه على الدين كله، وأنه دين للناس جميعاً، أليس يعني أن ذلك من الطبيعي أن يكون بواسطة العرب أنفسهم؟.

فنحن أضعنا مسؤولية ظُلمنا بسببها على الرغم من أن الله لا يريد ظلمنا، وظلم العالم كله بسبب تفريطنا، مع أن الله لا يريد ظلماً للعالمين، فإذا كان لا يريد ظلماً للعالمين، أي: هو يريد العدل، يريد لكم الأمن، يريد لكم السلام، لكن إنما كان ذلك سيتحقق إذا ما نهض العرب بمسؤوليتهم.

هذا مظهر من مظاهر رحمته: أنه يهدينا؛ لأنه لا يريد ظلماً للعالمين، ثم قال بعد؛ ليفهم الناس أنه عندما يأمرهم ليكونوا بمستوى المواجهة، عندما يجعلوا من أنفسهم أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو مجال واسع جداً. يقول: {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} (آل عمران١٠٩) أليس هذا يبعث الأمل؟ أنا عندما آمركم، عندما أهديكم، كأنه يقول لنا هكذا: أنا من بيدي ملك السموات والأرض، وبيدي الأمور كلها، أستطيع أن أصنع المتغيرات، أستطيع أن أهيئ الأجواء، أستطيع أن أجند كلما هو من جندي في ماذا؟ في تأييدكم، وفي الوقوف معكم.

{وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم} (آل عمران١١٠) ألم يذكّرنا بالمسؤولية؟ لأن أهل الكتاب فرطوا {مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}، {لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم} فأنتم إذاً الأمة

البديلة لبني إسرائيل، لأهل الكتاب، أخرجتم لتكونوا أمة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر في أوساط الناس جميعاً {أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

ما العلاقة بين أن يقول: {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} وبين ما قبلها، وبين ما بعدها؟ أليس هذا إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى يهيئ؟ لكننا أصبحنا لا ننظر إلى موضوع جهاد، أو موضوع أمر بمعروف، أو نهي عن منكر إلا باعتبارها مفردات تشريع ليس حولها أي شيء، وننسى أن التشريع من الله سبحانه وتعالى يقوم على أساس أنه رحمن رحيم، وأنه حكيم، وأنه ملك بيده السموات والأرض، ومن الطبيعي أن رحمته تقتضي أنه متى ما كلفنا بشيء وإن بدا شاقاً أمامنا فإنه يحيطه بكل الأشياء التي تجعله سهلاً، وتجعله ممكناً.

فنحن إذاً ـ كما قلت سابقاً ـ إذا ما رجعنا إلى كتاب الله الكريم، وهذا ما أريده منا جميعاً في هذه الجلسة، وهو ما كنت أريد أن يكون هو موضوع هذه الجلسة هو: أن يكون هناك عودة صادقة من جانبنا إلى القرآن الكريم، نتأمله جيداً، ونتدبر آياته، نتدبر آياته، نتأملها، ونقرأ الأحداث من خلالها، ونقرأها ونحن نحمل الأحداث لنعرضها على القرآن الكريم، من أجل أن نهتدي بالقرآن الكريم، وسنعرف في الأخير، نعرف وضعنا الذي نحن فيه، ذلك الوضع الذي نجعله أمراً طبيعياً بالنسبة للدنيا نقول: [هذا حال الدنيا]! ليست هذه حال الدنيا، هذا هو حال المقصرين، هذا هو حال المفرطين، هذا هو حال العاصين.

ألسنا نعيش حالة من الخزي؟! لاحظوا نحن الزيدية حتى تعرفوا بأننا... العرب تحت أقدام اليهود والنصارى، أوليست العرب سنية؟ ونحن الزيدية أذل العرب! أليس كذلك؟ لماذا؟ لأننا من نقول ـ وفعلاً وهو قول صحيح ـ: أننا أهل الحق. إذاً فأنت، أنت من أنت في واقعك مؤهل لأن تحظى بنصر الله، وتأييده، فتكون أنت من تنهض بالحق والمسؤولية عليك أكبر، المسؤولية عليك أكبر، فتفريطنا كان أسوأ من تفريط العرب جميعاً.

ألسنا نرى الوهابيين هنا أقوياء علينا؟ وكلنا نرى أنفسنا ضعافاً، وأذلاء في مساجدنا، ومدارسنا! هذا شيء ملموس، شيء ملموس حتى بعد الوحدة، بعد أن جاءت الديمقراطية، وبعد أن قيل حرية تعبير، وبعد أن قيل حرية رأي، وبعد أن قيل حرية تحزب.

كلنا نرى الشيء هذا ملحوظاً؟ وقد ربما يكون الكثير منكم يلاحظ هذا، كلنا نرى الوهابي الذي هو غريب فيما يطرحه، وقد يكون غريباً حتى بالنسبة للبلد، قد يكون جاء من أفغانستان، أو من مصر، فنراه عزيزاً علينا، وقوياً علينا، يتكلم بملء فمه في محاريبنا، يهاجموننا، يهاجمون أئمتنا، يهاجمون معتقداتنا بكل جرأة، ونحن نلمس أننا نعيش حالة من الضعف كلنا جميعاً، علماؤنا، وجهاؤنا، متعلمون، طلاب نعيش حالة من الضعف!.

أليس هذا الوضع ملموسا؟ ملموس هذا في معظم مناطق الزيدية، ما هذا؟ قالوا: هناك حرية تعبير، قالوا: هناك حرية تحزب؟ هناك... لكننا لم نستطع أن نرتقي! هل نحن ارتقينا، أم نحن لا نزال على الوضعية السابقة؟ لم نرتق! هناك شيء.. يجب علينا أن نرجع إلى الله سبحانه وتعالى، ونتوب إليه، ونطلب منه أن يغفر ماضينا، ونقطع معه عهداً أن نفي بما عهد إلينا به من خلال القرآن الكريم.

ثم الشيء الخطير هو: أننا على الرغم من هذه الحالة السيئة، الكثير منا وهو يتعبد، ونظن أننا كلنا نسير على طريق الجنة، [وهذه دنيا، وهذا حال الدنيا، وبلاوي، ومصايب، وأهل الحق يكونون هكذا! وأننا سائرون في طريق الجنة!] فننتظر بعد هذه الحالة رفيع الدرجات في الجنة، والنعيم المقيم في الجنة! ليس هذا صحيحاً فيما أعتقد.

وعودوا أنتم إلى القرآن الكريم بتأمل وهو يتحدث عن بني إسرائيل، وهم مثل أعلى بالنسبة لنا، مثل في كل المجالات، يصدق علينا ما صدق عليهم، وما عُرض من أحوالهم هو عبرة لنا كان يقول كثيرا: {لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ} (المائدة٣٣) نعيم مقيم وإلاّ ماذا؟ {عَذَابٌ عَظِيمٌ} في أكثر من آية.

يربط بين الخزي والشقاء في الدنيا وبين الشقاء والعذاب في الآخرة، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ ـ أين؟ مع المتقين أو أين؟! ـ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ

بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (طه١٢٦) نحن ننسى آيات الله، نحن ننسى آيات الله، تلك الآيات التي فيها وعود عظيمة، تلك الآيات التي فيها وعود بأن الله يقف مع من ينصره، وينصر دينه، وعود بأنه يهيئ الأجواء، وعود بأنه سيضرب العدو قبل أن تضربه أنت: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى} (الأنفال١٧) هدايات واسعة جداً في القرآن الكريم تؤهل الناس بالشكل الذي ترى كل شيء أمامك يسيراً، بالشكل الذي يرى الناس أن كل مستحيل يسير لو نعود إلى القرآن الكريم.

لكننا ننسى آيات الله، وتتعلم علوماً، وننشغل بقواعد تؤثر على فطرتنا، وتبعدنا عن الإهتداء بالقرآن الكريم! فهل يتوقع الناس، هل نتوقع بعد هذا الخزي، بعد هذه الذلة، بعد هذه الضعة، بعد هذه المعيشة الضنكا، أوليس الناس في معيشة ضنكا؟ هل نتوقع نعيم مقيم، ودرجات العالية؟! نستعرض هذه الحالة على القرآن الكريم، كلنا نجد أنه يربط بين العزة هنا وبين العزة في الآخرة، بين الكرامة هنا وبين الكرامة في الآخرة، بين العلو على أساس دينه هنا وبين العلو في الآخرة، ويربط بين الشقاء والذلة والخزي هنا وبين الذلة والخزي في الآخرة.

لكننا نحن نقول بالمقلوب: [هذا حال الدنيا، وأهل الحق يكونون هكذا، والدنيا هكذا]! ما كلنا نقول هذه؟ وأطيبنا هو من يحمّل الدنيا هذه الوضعية السيئة، أكثرنا تقوى هو من يتجه ليحمّل الدنيا المسؤولية! هو يحمّل الله المسؤولية أنه طبع الدنيا على هذا النحو!.

نرجع إلى القرآن الكريم، هل فعلاً هذه حقيقة، أنه طبع الدنيا على هذا النحو، أم أنه قال: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم٤١) {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (الشورى٣٠)؟ ألم يتحدث بأن الدنيا، كل ما يحدث فيها مما هو ليس طبيعي: فساد، منكر، إذلال، خزي، هو من عمل الناس، من عمل المجرمين ضد الآخرين، ومن عمل المؤمنين هم بتقصيرهم، في تقصيرهم، تقصير يؤدي إلى هذه الحالة: {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة١١٤).

فنحن عندما نكون طلاب علم يجب أن نهتم اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم، وننظر إليه نظرة من تهمه هذه الأوضاع التي نعيش فيها، وأن نعرض هذه المشاعر التي لدينا مشاعر مغلوطة [بأن هذا حال الدنيا]، مما قد يوحي للبعض، أو قد يكون ممن يرى نفسه مؤمناً، يوحي له بأنه [أيام معدودة، نصبر عليها، ثم في الآخرة ـ إن شاء الله ـ ننتقل إلى العزة والكرامة والرفعة والنعيم المقيم في الجنة]! كلنا نظن هذا جميعا، وكلنا نقول هذه جميعاً!.

وعندما يتأمل الإنسان القرآن الكريم بشكل حقيقي يرى أن هذه ليست حقيقة: أنك تكون في الدنيا تعيش حالة خزي، وذلة، وتنتظر في الآخرة رفعة، وعلواً، ونعيماً مقيماً. ثم هل ما يصيب المؤمنين وهم في حال المواجهة، هل هو يعد من الخزي، والذلة؟ لا يعد أبداً؛ لأنك عندما تنطلق في ميدان المواجهة في سبيل الله، وضد أعداء الله، تعيش حالة من الارتياح فيما أنت عليه، وما يصيبك من عناء، ما يصيبك من تعب ليس معدوداً في قائمة الذلة، وليس معدوداً في قائمة الخزي في القرآن الكريم أبداً، معدودة كلها أعمال صالحة، تعد كلها أعمال صالحة، ويكون من هو منطلق في هذا الميدان في سبيل الله، ومن أجل الله يعدها كلها أعمال صالحة، لا يشعر أنها خزي، ولا يشعر أنها ذلة.

لكن عندما يكون الناس قاعدين، لا يقفون أي موقف، ويرون أنفسهم في وضعية كهذه فإن هذه هي الخزي، وهذه هي الذلة، لا مخرج لنا فيما أعتقد، فيما أعتقد، لا مخرج لنا إلا بأن نعود إلى الله سبحانه وتعالى، وأن ينهض الناس بمسؤوليتهم في مواجهة اليهود والنصارى، ينهض الناس لمواجهة اليهود والنصارى، وأولياء اليهود والنصارى، وكل من يقف معهم، ولنجرب الله سبحانه وتعالى، على أساس ما وعد في كتابه، وإلا فلنفهم أننا سنعيش أخزى العرب، نحن الزيدية، ونحن أهل البيت، في هذا البلد سنعيش حالة هي أشد مما يعيشه بقية العرب.

أولسنا الآن عندما نقيّم واقعنا، نحن حتى فيما يتعلق بالوسائل لا نمتلك أي شيء من الوسائل، أليس السنة يمتلكون أشياء كثيرة؟ الزيدية هي الطائفة التي لا تمتلك شيئاً، ليس لدينا إذاعة، ولا قناة فضائية، ولا مطبعة، ولا مراكز علمية، ولا جامعات، ولا دور نشر، ولا شيء.. هل نمتلك شيئاً؟ لا نمتلك أي شيء من الإمكانيات! بينما الآخرون من يمتلكون أشياء أخرى.

إذا لم ننتبه لأنفسنا ـ أيها الإخوة ـ إذا لم ننتبه لأنفسنا فيحتمل أن نكون من أشد الناس معاناة في المستقبل، في هذه الأحداث بالذات، وقد رأينا بأم أعيننا كيف أن الأمريكيين دخلوا اليمن، وسمعنا جميعاً أن الأمريكيين دخلوا اليمن، وأن هناك حملة إعلامية ضد اليمن، تهيئ الرأي العام لتقبل أن يفد إلى اليمن الأمريكيون بشكل جنود، وقد دخلوا فعلاً اليمن.

عندما يدخلون اليمن ماذا تتوقع؟ هم يقولون بأنه من أجل مساعدة الحكومة في مكافحة الإرهابيين! كم يوجد في اليمن إرهابيين؟ ألم يدخل اليمن في حرب في عام ٩٤؟ هل احتاج اليمنيون إلى مدربين؟ أو احتاجوا إلى مساعدين من أطراف أخرى؟ أما الآن فلماذا بعد أن قال الرئيس: هناك ثلاثة إرهابيين فقط عند بعض القبائل نحتاج إلى مساعدة من أمريكا، وتدخل فرق من الجيش الأمريكي إلى اليمن لمساعدتنا في مكافحة الإرهابيين؟! كلها تبريرات.

ثم نحن قد نقول، نحن الزيدية رأينا أن الإرهابيين يقال عنهم هم الوهابيون! الإرهابيون الحقيقيون لدى أمريكا، ولدى اليهود هم الزيود، وليس الوهابيون، هم الشيعة، إن العدو الحقيقي لليهود هم الشيعة، هم أهل البيت وشيعتهم، وليس الآخرون، فما جرى على أولئك سيجري علينا، وإن كنا ساكتين نغمض أعيننا.

أولم تسمعوا أنتم أن العبارة التي رددت عندما جاءت زيارة لوفد أمريكي من وزارة الدفاع، حوار حول التعاون، ومساعدة أمريكا لليمن في مكافحة الإرهاب، ومنابع الإرهاب، وجذور الإرهاب! هذه العبارات هل هي عبارات عادية عند الأمريكيين؟ هي عبارات عندنا أيضاً عادية، لا تثيرنا، ولا تثير مشاعرنا، ولا تثير اهتمامنا عندما نسمع منهم: منابع الإرهاب، وجذور الإرهاب؟!.

الفكر الزيدي في قائمة منابع الإرهاب، القرآن الكريم في قائمة منابع الإرهاب، رسول الله إرهابي، أهل بيته هم أهل بيت الإرهاب، قرناء القرآن هم قرناء لكتاب إرهابي، مراكزنا إذاً تكون إرهابية، مدارسنا إرهابية، حلقات الدرس في بيوتنا، ومساجدنا إرهابية، كتبنا إرهابية لديهم.. هذه العبارة ليست عادية. إذا ما سمحنا بأن تمر الأشياء على هذا النحو فسنكون أكثر من يعاني، سنكون أكثر من يتضرر حقيقة.

متى سنعمل بعد عندما نقصر في وقت يمكننا أن نصرخ فيه بما يعبر عن موقف قوي ضدهم، كما هو الآن يُرفع الشعار في مناطق أخرى، عندما نسكت عن مثل هذا، عندما نسكت عن أن يكون لنا موقف من هؤلاء في ظروف كهذه ربما في المستقبل لا نستطيع أن نعمل شيئاً؛ لأنهم الآن يحاولون أن يعمموا في اليمن أن تكون كلمة مقبولة، وأن تكون شرعية مطلقة مقبولة.

أي شخص تحت عنوان أنه إرهابي يُمسك، أي مدرسة تحت عنوان أنها إرهابية تُغلق، أي كتب تحت عنوان أنها من منابع الإرهاب تُحرق، يكون مقبولاً لدى الشعب، أوليسوا يعممون هذه لتكون مقبولة لدى الشعب كشرعية؟.

قالوا إرهابي أمسكوه؛ لأنه إرهابي، قلنا: يستاهل، قالوا: هناك إرهاب.. يعممونها، ويرددونها على أذهاننا، كما هي عادة اليهود أن يروضونا على الشيء حتى يصبح لدينا شرعياً ومقبولاً، حينها سيحصل ما يحصل، وفي الأخير لا أحد يتحرك، ولا أحد يعمل شيئاً، وحينئذٍ ربما ـ وهو الشيء المخيف ـ أنه متى ما قصر الناس فإن الله سبحانه وتعالى من جهته أيضاً يتخلى عنهم، بل يضربهم هو، وهذا الشيء المخيف، أن الناس عندما يعملون يعدهم الله بأن يقف معهم، وينصرهم، وعندما يقصرون يضربهم هو، عندما يقصرون يضربهم هو، ويضربهم العدو أيضاً فتكون في مواجهة جهتين تضربك.

لكن إذا ما عملنا، وعندما نتحدث بهذا المنطق قد نراه عملاً مستبعداً، أو نراه شيئاً لا يهمنا، لو كنا نتحدث في الماضي أن من مسؤوليتنا هذا الشيء، والأمريكيون لا يزالون في بلدانهم، وليس هناك من وجود لإسرائيل في العالم العربي لكان هو المنطق الإسلامي الصحيح، لو كنا نتحدث بهذا المنطق: أن واجبنا نحن الزيدية أن نعمل

في سبيل الله، وأن ننهض بالإسلام، وإن كان الأمريكيون هناك، وأن نعمل على أن نكون نحن بدل أولئك، أوليس الأمريكيون الآن، والألمان، والفرنسيون، والبريطانيون هم المجاهدون في البحار؟ هم من يحملون السلاح، ويتحركون في هذا العالم؟!.

ألم يكن هذا هو الدور المطلوب من العرب؟ ألم يكن هذا هو الدور المطلوب من آل محمد، ومن شيعة آل محمد؟ إنه الخزي أن نكون ـ وهذا هو مظهر من مظاهر الخزي ـ أن نكون هنا في اليمن لا يحركنا شيء، ونحن نسمع أن الألمان، والفرنسيين، والبريطانيين، والأمريكيين، يخرجون كما كان يخرج أوائل المسلمين، فرق في البحار، يحملون أسلحتهم في مختلف بقاع الدنيا.

هل كان هذا هو الدور المطلوب من المسلمين؟ هل هو الدور المطلوب من العرب؟ أم أنه قد انعكست الموازين فهم في البحر الأحمر، سفن أمريكية، فرق من الجيش، وفي اليمن، وكم في مناطق أخرى في البلاد العربية؟!.

لو لم يكن شيء من ذلك كله لكان ما نقوله الآن هي المسؤولية الإسلامية، أن يصل الناس بالإسلام إلى هناك، أما إذا أصبحنا على هذا النحو، نرى أن حديثاً كهذا لا معنى له، ولا قيمة له، ولا هناك أي موجب أن يكون هناك تغيير في موقفنا، وأن نعمل، أن نعمل على أن نكون أصحاب موقف، ولو بأن نرفع شعاراً، ونحن قد رأيناهم غزونا إلى عقر دورنا، ونحن قد رأيناهم في سواحلنا، ونحن قد رأيناهم فرقاً تجوب البحار من مختلف المناطق، فإن ذلك هو مظهر من مظاهر الذلة، والمسكنة، فلنقر بذلك، فلنقر بذلك، وأنه التيه الذي عاشه بنو إسرائيل: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} (المائدة٢٦) حالة تيه، تيه نفسي، تيه فكري، مشاعرنا كلها تاهت، الخطر على أبوابنا، ونحن لا نحس بشيء، ولا نصدق ما يقال، ولا نهتم، ولا نكترث! أليس هذا هو التيه؟ هذا هو التيه.

بعد أن قال موسى لقومه: {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ} (المائدة٢١) قالوا نفس المنطق الذي نقوله الآن، وكنا نقوله أيام حزب الحق. {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا} (المائدة٢٤) ألم يقولوا هكذا؟ ماذا حصل؟ {قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} (المائدة٢٣) قال رجلان، ألم يعتد الله سبحانه وتعالى بقول رجلين من تلك الأمة؟ وهناك ـ أيضاً ـ في تلك الأمة عبادها، وعلماؤها، ووجهاؤها؛ لكنهم كانوا في الصف الآخر الذي يقول: {لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا} (المائدة٢٤).

كلام رجلين وضعوا خطة لدخول تلك الأرض المقدسة التي قد كتبت لهم، وقد كتب الله للعرب في القرآن الكريم، وكتب لمحمد وآل محمد، وشيعة آل محمد في القرآن الكريم أكثر مما كتبه لبني إسرائيل.

{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أليست هذه خطة حكيمة في الواقع العملي، وفي الواقع النفسي؟ إن كنتم مؤمنين فتوكلوا على الله، وانطلقوا في هذا العمل، رجلان قالا هذا الكلام الذي هو إيقاظ لأمة. أوليس من المفترض أن في ذلك الصف الآخر علماؤها، وفيهم عبادها، وفيهم قراؤها، في الجانب الآخر؟.

رجلان.. لم يقل: عالمان، ولم يقل: شيخان، أو وجيهان.. رجلان، لكن الرجلين لما جاءوا بخطة حكيمة، وانطلقوا ليوقظوا أولئك إلى أنه يجب عليهم أن ينطلقوا في مسؤوليتهم، وإذا كانوا مؤمنين فعليهم أن يتوكلوا على الله، هو منطق القرآن الكريم لنا، إن كنتم مؤمنين فلتتوكلوا على الله. أليس منطق القرآن بالنسبة للمؤمنين أن يتوكلوا على الله؟ وتكرر في القرآن كثيراً.

{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} أليست هذه حالة سيئة من الرفض؟ كنا نسمع مثيلها أيام [حزب الحق] من بعض علمائنا، كنا نقول: نتحزب، هذه فرصة لنا نحن، نحن أحوج الناس إلى أن يكون لنا حزب، نحن من نحن ضائعون، وتراثنا ضائع، ومذهبنا محارب، نحن من مسؤوليتنا كبيرة، نحن كذا... قالوا: [ما هم راضين لنا] كانوا يقولون هكذا: [ما هم راضين لنا نتحزب] أي:

ليرضوا لنا أولاً، وليمنحونا تصريحاً، وليمنحونا ضمانة بأنه لن يمسنا من جانبهم سوء، ولـن يعملـوا أي تحـرك ضدنا، ونحن إذاً سنتحرب!.

{لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَـا قَاعِـدُونَ} {إِنَّ فِيهَـا قَوْماً جَبَّـارِينَ} جبـارين {وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة٢٢).

هكذا واقعنا أيضاً، الحالة التي نحن عليها هي حالة من ليس مستعداً أن يعمل شيئاً أبـداً وإن كـان يـتعلم هـذا الدين الذي كله عمل، هذا القرآن الكريم الذي كله عمل، وكله هداية، وكله وعود إلهية عظيمـة، لـن نعمـل شيئاً إلا بعد أن ينتهي كل شر من هذه الساحة، من هذه الدنيا، فلا يكون هناك أمريكا، ولا يكون هناك إسرائيل، ولا يكون هناك أي دولة نخافها، ولا يكون هناك أي حزب نخافه، حينئذ سنعمل!.

أليس هذا منطق بني إسرائيل؟ ماذا حصل على بني إسرائيل؟ بعد أن طُلب منهم أن يدخلوا بأمر من موسى، وبعـد أن عُرضت عليهم خطة حكيمة، ووعدوا بالنصر، باعتبارها قد كتبت لهم {قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِـي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِـي الأَرْضِ فَـلاَ تَـأْسَ عَلَـى الْقَـوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة٢٦٢) تيه أربعين سنة.

نحن الآن ألم يكن من المفترض أن العرب هم من يكونون دخلوا سواحل أمريكا وأوربا؟ أليس هذا كان هو المفروض؟ الآن الأمريكيون هم من دخلوا سواحل اليمن، ودخلوا جبال اليمن، وفي مواقع عسكرية في اليمن.

ثم من يأتي يتحدث مع الناس أن هذا موقف خطير.. يقولون: [نحن مـشغولون بطلـب العلـم، نحـن نـتعلم] إن العلم إذا لم يكن علماً يدفع إلى العمل بالقرآن الكريم فأنت لا تتعلم دين الله، وإنما تتعلم كيف تموِّت القرآن، وفق قواعد معينة، وتبحث عن مبررات، وتبحث عن حِيَل، لكن لـنفترض....، الوضـعية الـتي نحـن عليهـا الآن ليست وضعية أن يبحث الإنسان عن مبررات إطلاقاً حتى ولو كان هناك مبررات شرعية، وضـعية خطـيرة، ليـست وضعية أن يبحث الناس عن المبررات، ولا أن يقولوا: [نحن منشغلون بكذا أو كذا] هي وضعية يجب أن نتجه فيها لأن نتحدث دائماً مع الناس جميعاً عن خطورة المرحلة، وعن خطورة اليهود والنصارى، وعن أضرارهم ومفاسدهم، وعن كيف يجب أن نواجههم، وعن موقف نتبناه، أدناه وأقله أن نصرخ في وجـوههم، ونرفـع الـشعار الـذي قـد جربوا هم مرارته.

ثم لاحظوا نحن نقول أحياناً: نحن طلاب علم، ونحن نبحث عن الهداية، نريد أن نهتدي... من يتأمـل القـرآن الكريم، مهما عملت من برامج روحية، مهما عملت من برامج على أساس أن تهتدي وتهدي الآخـرين، إذا لم تـسر على السنة الإلهية التي تحقق لك الهداية، ويمنحك الله العلم، فإنك لن تهتـدي، {وَلَمَّـا بَلَـغَ أَشُدَّهُ وَاسْـتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْـسِنِينَ} (القصص١٤) المحـسنون قمـتهم المجاهـدون، {وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت٦٩).

إذا كنا نريد العلم، ونريد الهداية، فليس ميدانها الكتب وحدها، ليس طريقها كتاب بعـد كتـاب، ومجلـد بعـد مجلد، وعام بعد عام، لا بد أن نرجع إلى القرآن؛ لنعرف أسباب العلم، وأسباب الهداية، وأسباب العلـم، وأسـباب الهداية مرتبطة بالعمل، هذا هو من علمنا، وثقافتنا، وهذا هو من هدانا.

أوليس من هدانا أيضاً، ومن ثقافتنا أيضا أننا نقول: نحن لا نستطيع أن نعمل شـيئاً، نحـن مستـضعفون، ونحـن مساكين... أليست هذه العبارة [هي العبارة التي نسمعها؟! مع أن الله سبحانه وتعالى يقول كما في]؟ تلـك الآيـة التي قرأناها: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (القصص٥) وتلـك الآية الأخرى التي كانت تحكي واقع صدر هذه الأمة: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِـي الأَرْضِ تَخَـافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} (الأنفال٢٦) إنه يؤكد أن المستضعفين هم محط تأييـد الله ونصره إذا ما وعوا، إذا ما كانوا من ذلك النوع الذي يعرف واقعه، ذلك النوع الذي أمر الآخرين أن يجاهدوا عنهم عندما قال: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّـهِ وَالْمُسْتَـضْعَفِينَ مِـنَ الرِّجَـالِ وَالنِّـسَاء وَالْوِلْـدَانِ الَّـذِينَ يَقُولُونَ} (النساء٧٥).

هم يفهمون واقعهم، يفهمون وضعيتهم، يرجعون إلى الله، يبحثون عن ولي من أولياء الله يعملون تحت لوائه، {يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً} .
هذا النوع من المستضعفين لا يضيعهم الله أبداً، وعلى أيديهم تقوم الرسالات، وعلى أيديهم يتم تغيير الدنيا، هل جاء في واقع الرسالات أن تغير الدنيا نحو الأفضل على يد المستكبرين والجبابرة، أم على يد المستضعفين؟ لكن أما إذا كان الناس المستضعفون من ذلك النوع الآخر: {قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ} (النساء٩٧)، هؤلاء مستضعفين من نوعيتنا لا نعي شيئاً، ولا نفهم واقعنا، ولا نفهم مسؤوليتنا، ولا نفهم من أين أوتينا، مما هو مرتبط بأعدائنا، ومما هو مرتبط بثقافتنا، من هذا النوع ماذا يقال لهم؟ {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً} ألم يقل: {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}؟ وهم مستضعفون؟.
هكذا نحن متى ما قلنا: نريد أن نعمل شيئاً، نواجه بأشياء تدل على أننا لا نهتدي بالقرآن، ولا يجوز لي ولا لك أن تسمي نفسك عالماً، أو أسمي نفسي عالماً وأنا بعد لم أهتد بالقرآن، ولم أعرف كيف أهتدي بالقرآن، في أوضح الأمور وأبسطها، فيما هو متعلق بواقع الحياة، الواقع الذي أعيشه أنا، ليس أعماق القرآن، وأسرار القرآن، وغوامض القرآن.
من أين أوتينا؟ لأننا نرى أن العلم والهداية كلها تأتي من صنعنا نحن، ووفق برامج معينة، وركام من الكتب، كتاب بعد كتاب [يالله.. بطّل.. لا تنشغل بشيء، اقرأ.. اقرأ] اقرأ واعمل برامج لكن ليكن ضمن قراءتك، وضمن برامجك هو ماذا؟ هو أن تسلك تلك الأسباب التي يمنحك الله من خلالها الحكمة، والعلم، والهدى، والنور، والفرقان بين الحق والباطل.
هذا ما يجب علينا أن نسير عليه، وما هو المطلوب منا جميعاً في ظروف كهذه هو أن نحمل روح القرآن، واهتمام القرآن، ونهتدي بالقرآن، وسنرى كيف أن باستطاعتنا أن نعمل الكثير، الكثير، وأن كل شيء يبدو أمام كل واحد منا سهلاً وممكناً.
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه، وأن يبصرنا، وأن يرشدنا، وأن يجعلنا من أنصار دينه، ومن الهادين إلى صراطه المستقيم، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيضاً نحب أن ننبه أنه في محاضرة واحدة لا يستطيع الإنسان أن يتحدث كثيراً عما يجب أن نتحدث عنه، قد تكلمنا كثيراً في أشرطة سجلت حول هذا الموضوع بالذات، من المناسب أن نطّلع على تلك الأشرطة؛ لنعرف هل ما نريد أن نعمله هناك حاجة إليه، وهو وسيلة صحيحة، وهو وسيلة أيضاً وحيدة، وهو أيضاً أقل ما يمكن أن نعمل، أشرطة كثيرة في محاضرات في اجتماعات كبيرة في مدرسة الإمام الهادي في مران، وفي مقامات أخرى أيضاً، كدروس من خلال المراجعة للآيات التي تحدثت عن اليهود والنصارى.
مطلوب إذا كان هناك اهتمام، ولو لنستعرضها لمجرد الفضول، كما هي عادتنا أن نعرف أي شيء، ربما تفيدنا هذه، أو ربما تفيدوني أنتم، وتكشفوا لي بأن ما نتبناه خطأ، وأنه ليس عملاً صحيحاً، وأنه ليس هناك ما يوجب أن ننطلق في هذا الذي أنت تدعو إليه، أو ما تريد منا جميعاً أن نتحرك فيه، باعتبار القضية تهمنا جميعاً، وإذا ما انطلقنا على هذا النحو، أتكلم، أو أذكّر بشيء، أو أنبه على شيء، فلا يحظى باهتمام الآخرين، ولفت نظرهم، ستبقى هذه الحالة معي ومعك أنت أيضاً.
عندما تنطلق أنت في موقف تراه مهماً، لنتذكر جميعاً، فلا نهتم، ثم الثالث هكذا فنصبح مجتمعاً لا يستطيع أحد أن يوقظنا إطلاقاً، ولا أحد أن ينبهنا، أو يلفت نظرنا إطلاقاً؛ وكل من يعمل معنا شيء يواجه بأنه [ليس هناك...، نحن مشغولون] فما يمكن أن نفترضه مع أي واحد منا هو في الأخير يعني حالة نكون عليها ونحن نحمل علماً، ونقول: نحن طلاب علم، تترسخ فينا حالة تحول بيننا وبين أن يثيرنا أحد.
ثم يكون واقعنا على هذا النحو الذي نحن عليه، نعجب بالآخرين، عندما نرى مثلاً حزب الله سنقول: أولئك رجال، عندما نرى الإيرانيين، عندما نسمع الفلسطينيين، عندما نرى مواقفاً للآخرين نقول: هؤلاء..، وننسى

أننا مستهدفون كأولئك، وننسى أن بإمكاننا أن نكون رجالاً كأولئك، فيكون كل ما حولنا إما أن نعجب بـه مكانـه فقط هناك، لا نستلهم منه أيضاً ما يحركنا، وإذا ما أحد جاء من داخلنا يحركنا أيضاً لا نتحـرك، فحينئـذ يكـون واقعنا كما قال تعالى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} (الجاثية٦).

إذا لم يكن ما يأتي من خارج يحركك، إذا لم تكن تؤمن بأنك أنت مستهدف كما يستهدف أولئك.. أنا أقطـع بـأن الوهابيين في اليمن ليسوا هم المستهدفين؛ ووجدنا كبارهم لم يمسسهم سوء، هـل مـس كبـارهم شـيء؟ لم نعلـم بحرب تركز على الصغار وتترك الكبار، هل وقع هذا في الدنيا؟ أم أنه عادة في الحروب إذا كانت هناك عداوات حقيقية يتجه العدو ليضرب رأس الهيكل، هيكل خصمه، أليس كذلك؟ لكن لا، الكبار لم نسمع أنه مسهم سوء، [الزنداني، وعبد الوهاب الآنسي، وصعتر، وفلان، وفلان، وفلان، وفلان] هل سمعتم أنـتم أنهـم تعرضـوا لـشيء؟ ولـو هناك كلام كثير حول الإرهابيين... وجدنا صغاراً خافوا واتجهوا ليحلقوا دقـونهم مـن الوهـابيين ألـيس كـذلك؟ ورأينا الكبار في مأمن!.

ما هذه العداوة! هذه من الأشياء الغريبة، كما حصل في أفغانستان حرب لم يقتل فيها أحد من قـادة طالبـان، لم يقتل فيها أحد! وانكمشت طالبان، كما قلنا في حديث سابق: عند من يتأمل ربما طالبان تتحرك لتنكمش، رأينـا في التلفزيون جَرْف يلاحقون فيه قيادة القاعدة، وطالبان كلهم في جَرْف، رأينا في التلفزيون؛ لتمتد طالبان في وقت آخر، وكما نسمع أن القاعدة هذه يقولون عنها أن أفرادها ينتشرون في نحو مائة وخمسين دولـة، وكأنـه لم تكن ضدهم حرب!.

القاعدة ما تزال أعداداً هائلة، وطالبان ما تزال أعداداً هائلة، المستهدفون هم الشيعة، ويمكن أن نستوحي ذلك من خلال القرآن الكريم، ومن خلال عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن يتأمـل أيـضاً في الواقـع، في واقع الحرب هناك شواهد على هذه، ومن يتأمل أيضاً سيعرف أن اليهود باعتبارهم أهل دين، لديهم خبرة بالسنن الإلهية، ولديهم معرفة بالقرآن الكريم؛ لأنهم ليسوا منكرين للقرآن الكريم ألم يخبر الله عنهم بأنهم يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم بأنه نبي؟.**

لديهم المعرفة بأن محمداً نبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، **المعرفة التي قد لا تكون عند الكثير مـن المـسلمين وإلى هذه الدرجة العجيبة: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقرآن يعرفون أنه كتاب الله؛ ولهذا قال الله عنهم ماذا؟: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}** (البقرة١٠٩) **فهم يعرفون الحق أين هو، ويعرفون مع من يمكن أن يقف الله سبحانه وتعالى، ويعرفون مـن هـو الذي يمكن أن يشكل خطورة عليهم.**

والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **ضرب مثلاً لذلك، تحدثنا بهذا في كلام كثير في خيبر، ألم يعط الراية أبا بكر فعاد منهزماً، في فترة حصار خيبر، أعطى الراية أبا بكر فعاد منهزماً، هزمه اليهود، ثم أعطى عمـر الرايـة فعاد منهزماً هزمه اليهود، ولم يكن أبو بكر، ولا عمر معـروفين بالفروسـية، لا توكـل إلـيهم قيـادة كتائـب مـن الجيش وإنما ذلك إذا تأمل الإنسان ربما ـ حسب فهمي القاصر ـ إشارة إلى أن هذه الأمة قد تـدخل في مواجهـة، وأن أعداءها الحقيقيين التاريخيين هم هؤلاء، هم اليهود، وأن هـؤلاء مـن ارتـبط بهـم سـيهزم كمـا هزمـوا في مواجهة اليهود، والواقع يشهد بذلك.**

لكن علياً الذي دُعي وهو أرمد؛ ليقال أن الأمة ستحتاج إلى علي، وحتى وإن رأت نفسها بأنه في حالة لا يمكـن أن يكون له موقف.. يدعوه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهو أرمد ويتفل في عينيه، وتنفتح عينـاه، ثـم يعطيه الراية بعد أن قال:** ((**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كـرار غـير فـرار يفتح الله على يديه**)) **ألم يفتح خيبر؟.**

إنه يوحي بذلك أن اليهود، إن من يستطيع أن يواجههم في خبثهم، في مكرهم، في خططهـم المـاكرة، هـم علـي وأولياء علي، وأبناء علي، علي وأبناء علي، وشيعة علـي.. وآيـة المائـدة ـ ويمكـن أن ترجعـوا إلى مـا قلنـاه في محاضرة سابقة حول هذا الموضوع في أشرطة، آية المائدة ـ تشهد على ذلك.

آية المائدة، آية الولاية، جاءت أيضاً في إطار الحديث عن بني إسرائيل، هكذا جاءت آية الولاية في إطار الحديث عن بني إسرائيل، آية الوحدة والإعتصام بحبل الله جميعاً في إطار الحديث عن بني إسرائيل، آية البلاغ، البلاغ بولاية علي (عليه السلام) في سورة [المائدة] جاءت أيضاً في إطار الحديث عن بني إسرائيل.

كل ذلك ليفهم الإنسان من خلاله: أن بني إسرائيل هم الأعداء التاريخيون، والخطيرون للأمة، وأنه لن يستطيع أن يقف في مواجهتهم، ويتغلب على مكرهم، وخبثهم وخططهم، وإفسادهم، إلا من فتح خيبر، أبناؤه وشيعته..

أوليس شيعته الآن هم أقوى طوائف الدنيا في مواجهة اليهود والنصارى؟ حزب الله، وإيران، أليس العرب يمتلكون أكثر مما يمتلك حزب الله؟ يمتلكون أكثر مما تمتلكه إيران، ومع هذا وهم عشرات الملايين مهزومون نفسياً.

وفي محاضرات كثيرة أكدنا ـ على أساس فهمنا ـ بأنه فعلاً من يرتبط بأولئك سيظل مهزوماً، وأن الأمة لن ترتفع كلمتها، ولن ترفع رأسها إلا إذا عادت من جديد لترفع يد علي ومحمد كما رُفعت يوم الغدير، وأن تلك اليدين التي امتدت أحداهما للأخرى هي من مددت الأمة ليطأ اليهود أعناقها، وظهرها يوم قال عمر: [أمدد يدك أبايعك] مدد الأمة فعلاً.

متى ما رفعت الأمة اليد التي رفعها رسول الله، يد محمد وعلي، ومن الذي يمكن أن يرفع هاتين اليدين؟ هم الشيعة؛ لأنه ليس لديهم عوائق في العقيدة، من عقيدتهم. الآخرون متى ما جاؤوا إلى آية الولاية قفزوا عليها؛ لأنها تؤدي إلى أن يكون علي أفضل من أبي بكر، وهذا مبدأهم مع أي آية أو حديث، يدفعونه بأيديهم، أو يركلونه بأقدامهم؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون علي أفضل من أبي بكر.

لديهم عوائق لذلك سيعيشون مهزومين، سيعيشون مهزومين حسب فهمي، أنا واحد ممن يقطع بأن أولئك سيعيشون مهزومين دائماً، ونحن نرى الواقع يشهد على ذلك، حزب الله أليس عند رأس إسرائيل؟، هو أشد خطراً على إسرائيل، وهو أشد عداوة لإسرائيل، إعلامه أشد فتكاً بإسرائيل. هل استطاعوا أن يمسوه بسوء؟. الفلسطينيون يضربونهم، والزعماء الآخرين كلهم يرتبكون، وكل الشعوب من أولياء أبي بكر وعمر كلهم يرتعدون خوفاً، كلهم مهزومون.

لكن أولئك من أبناء علي وشيعة علي، ونحن أيضاً من نقول بأننا في واقعنا بالنسبة للتشيع ولاؤنا هو أفضل وأنقى من ولاء أولئك، ألسنا نقول هكذا؟ أولئك ببركة ولائهم لعلي، حتى وإن كنا لم نرض بأن ولاءهم هو على الشكل المطلوب، نرى ولاءنا هو الولاء الحقيقي لأهل البيت ولعلي، لكن أولئك بولائهم لعلي اهتدوا بالقرآن فاستطاعوا أن يقفوا في مواجهة اليهود على النحو الذي نراه ويشهد بأنه لن يقف في مواجهة اليهود وينتصر عليهم إلا من كان في خط ذلك الذي فتح باب خيبر.

أولسنا أبناء علي؟ أولسنا شيعة علي؟ أوليس من العيب على أبناء محمد، على آل محمد أن يكونوا أغبياء في مواجهة بني إسرائيل، وهم من سُلموا الدور، هم من أعطوا تلك الفضائل، وذلك المقام الرفيع الذي كان عليه بنو إسرائيل؟ ألم يعط لآل محمد؟ هل يجوز لآل محمد أن يعيشوا أغبياء إلى درجة أن لا يفهموا ما يعمل اليهود داخل بلادهم؟.

ماذا يُتوقع؟ نتوقع أن يتمكنوا، ثم يأخذوا علماءنا فيعذبونهم، عندما يتمكن اليهود في بلد عادة هم من يحاول أن يسيطر على السجون، وأن يكونوا هم خبراء التعذيب في السجون، إقرأوا الكتب التي تتحدث عن جرائم اليهود، هذا من الأشياء التي يركزون عليها، إذا ما تمكنوا يستطيعون أن يهيمنوا على السجون ويتغلغلوا داخل الأمن السياسي كخبراء، ونحن نتعود الآن، ويعودنا الآخرون على أن نقبل خبراء، سيكون هناك خبراء، أليست قضية يتعود عليها الناس جميعاً، يقبلونها من حكوماتهم؟.

سيكون هناك خبراء للتعذيب يهود، وأولئك الساكتون جميعاً سيعمل اليهود ـ وهذا الشيء المحتمل ـ يعمل اليهود أشياء كثيرة، تبرر مسك هذا، وسجن هذا، ثم يذيقونهم أشد العذاب، واقرأوا، إقرأوا ما كتب عن جرائم اليهود في مختلف بقاع الدنيا، وآل محمد هم من يكرههم اليهود أكثر من غيرهم، وشيعة آل محمد هم من يكرههم

اليهود أكثر من غيرهم حقيقة. {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ} (المائدة٨٢) اليهود يعرفون فعلاً من يمكن أن يكونوا هم المؤمنين.

لو لم يكن لديهم خبرة دينية كما هي لدى إبليس خبرة يعرف من هو الذي يمكن أن يكون محقاً، من هو الذي لديه عقائد هي حق، ومن هو الذي لديه عقائد هي باطلة، أوليسوا هم الآن يساعدوننا في بناء مدارس، ولدينا مناهج دراسية، هم يعرفون أن تلك المناهج الدراسية التي تدرس لو فيها ما يمس بمصالحهم، أو ما يرسخ عداوة عليهم، لو فيها ما يعيد المسلمين إلى دينهم، لو فيها ما يربيهم تربية إسلامية لما صرفوا دولاراً واحداً في بناء مدرسة.

كما نراهم لا يصرفون دولاراً واحداً في دعم الزراعة، الزراعة في بلادنا لا يصرفون ولا دولاراً واحداً لدعمها؛ لأنهم يعرفون فيما يتعلق بالمناهج الدراسية أنها مناهج بقاؤها على هذا النحو ـ ولتكن هي ما يتعلمه الناس جميعاً، أبناؤنا جميعاً، رجالاً، ونساء ـ هي في الواقع بالشكل الذي يخدمهم من حيث نشعر أو لا نشعر، وإن لم يكن إلا من الجانب السلبي باعتبارها مناهج لا تؤهل أحداً لأن يقف في مواجهة اليهود والنصارى، ولا ترسخ في نفوس أبنائنا عداوة لليهود والنصارى، ولا تفهم أبناءنا، ولا تبصرهم بما يعمل اليهود والنصارى.. وهذا في حد ذاته مكسب كبير؛ فلذلك تراهم يبنون المدارس هكذا؛ لأنه ليس فيها ما يضرهم.

لا يجوز أن نكون مصداقاً لذلك الشعار الذي كان يرفعه اليهود يوم دخلوا القدس [يا لثارات خيبر، محمد مات وخلف بنات] ألم يقولوا هكذا؟ سيكون اليمنيون بنات فعلاً مصداقا لهذا إذا ما وجدناهم يتحركون، ويدخلون اليمن، ووجدناهم جادين في أن يعملوا كل شيء في اليمن، [مطاردة لجذور الإرهاب، ومنابع الإرهاب] الذي يعني كل شيء بالنسبة لنا.

أليس كل آية تتحدث في القرآن الكريم عن بني إسرائيل، وعن الجهاد، أليست آية إرهاب؟ أليست كل آية تشد المسلمين إلى دينهم سيرون بأنها آية إرهاب؟ القرآن الكريم إرهاب، آل محمد إرهاب، النبي إرهابي، كل شيء إرهابي.

هم يقولون: [محمد مات وخلف بنات] فإما أن يكون الناس فعلاً كما قالوا، أو أن يتحرك الناس ويصرخوا في وجوههم، ويروهم بأنهم رجال، وأن محمداً مات وخلف رجالاً ولم يخلف بنات.

هذا الشعار رفعوه فعلاً، وعندما دخلوا القدس رفعوا هذا الشعار: أن محمد مات وخلف بنات لم يخلف رجالاً لا عرباً، ولم يترك من بنيه من يسمون رجالاً.. أوليس واقع العرب على هذا النحو؟ كما كان يقول الإمام علي لأهل العراق، ألم يكن الإمام علي يصفهم بأنهم أشبه شيء بالنساء؟.

هكذا واقع العرب أصبح على هذا النحو، وإن كان شيئاً مؤسفاً، وقد يكون فيه نوع من قلة الأدب أن نتحدث بهذا لكنه هو الواقع، وقالها قبلنا الإمام علي لأهل العراق، كيف قال؟ ألم يقل: [يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال] يعني شبههم بالنساء، هكذا اليهود شبهوا العرب، وشبهوا أبناء محمد بالبنات: [محمد مات وخلف بنات].

أكرر: نحاول أن نستعرض من جديد تلك الأشرطة، وفعلاً لا أقول: أن هذا شيء ينبغي أن يختص به فلان ليتحدث عنه فأنا أعتقد أن فيكم من إذا اتجه إلى هذا الشيء، وآمن بهذا الشيء: بأن علينا أن يكون لنا موقف من قد يكون أكثر تأثيراً منا، وأكثر قدرة على الحديث مع الآخرين، وأكثر إقناعاً للآخرين في أن ينطلقوا هذا المنطلق؛ لأن دوري هو دور من يذّكر بما فهم، وبما يرى فقط.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا، وأن يبصرنا إنه على كل شيء قدير، واسمحوا إذا أطلنا عليكم، واسمحوا أيضاً إذا لم يكن الكلام معكم بالشكل المطلوب؛ لأننا في الواقع لم نأت بجديد، ونتحدث معكم كأناس واعين ويفهمون يكفي معهم التذكير، لا نحتاج إلى أن ننمق الكلام معكم، ولا نحتاج إلى أن نرتب العبارات معكم.

وأيضاً لسنا من أهل هذا، لا يهمنا الألفاظ بقدر ما تهمنا القضايا التي يجب أن نتحرك فيها، بقدر ما يهمنا الأشياء التي يجب أن نتبناها، والشيء الذي نقول دائماً نعمل على توسيعه هو أن ينتشر هذا الشعار على أوسع نطاق في البلاد الزيدية، وكل من يظن أو يقدّر بأنه قد يكون هناك خطورة، أو يكون هناك كذا، يعود إلى

الأشرطة التي تحدثنا فيها حول هذا الموضوع، وقبل ذلك كله يعود إلى القرآن الكريم الذي يذكّرنا بأن علينا أن نخاف الله قبل أن نخاف أي شيء من الآخرين.

ونحن في هذا [المنتدى] نقول: أن من أهدافنا بناء الشخصية الرسالية، الله يقول عن الرساليين والرسل: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب٣٩) إذا لم يكن عملنا هو لتعزيز محبة الله في نفوسنا فنكون كمن قال عنهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة٥٤)، إذا لم تكن مراكزنا لبناء هذا النوع من الناس... أما إذا نشأنا على حالة نكون معها جديرين بأن يستبدل الله بنا غيرنا نكون معها نخشى من ظلنا، ونخاف من ظلنا، ونخاف من كل شيء دون الله مهما كان صغيراً، ولا نخاف من سخط الله وبطشه وعذابه.

أولسنا من نقول: الله أكبر في صلاتنا؟ أولسنا من نردد الله أكبر في أذاننا؟ ونردد الله أكبر على ألسنتنا؟ ونردد الله أكبر أيضاً ضمن شعارات هذا العمل الذي نحن فيه، فعندما يكون في الواقع أن كل شيء من جانب الآخرين يبدو كبيراً، كل ما يخوفوننا به يبدو أكبر عندنا مما يخوفنا الله به! فهذا ليس شأن الرساليين، وليست نفسية الرساليين {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ}.

إذا لم يكن هذا هو ما نريد بناءه في هذه المجاميع التي نعلّمها، نعلم أنفسنا ذلك، وكل من يتعلم هو أن يكون على هذا النحو فلا قيمة لحلقات العلم، لا في مساجدنا، ولا في بيوتنا، ولا في مراكزنا، وسنكون كلنا إنما نؤهل أنفسنا لأن نعرضها لسخط الله، وإنما نؤهل أنفسنا لأن نعيش في ظل الخزي الذي يضربه الله على من يحمل اسم دينه ولا يكون بمستواه، ويقصر فيه.

إذا لم نكن على هذا النحو فسنعرّض أنفسنا لماذا؟ لأن نعيش أسوأ مما عاش بنو إسرائيل، تضرب علينا الذلة والمسكنة، ولا فائدة من مراكزنا، ولا فائدة من مدارسنا، إلا إذا كان بالإمكان أن نقول: أنه يمكن أن نمسح ما هو يبدو مثيراً للآخرين، ما يبدو مخيفاً لنا من الآخرين، نمسحه من قائمة الدين، ونتجه نحو الأشياء الأخرى، نرفع سبعة شعارات، ونرددها؛ لأنها ليست تثير الآخرين، لكن شعاراً واحداً قد يثير الآخرين لا نردده.

إذاً لسنا رساليين، وإن رددنا عشرين شعاراً من هذا النوع، ولا نردد شعاراً واحداً نحن نعرف أن أولئك يعتبرونه حرباً ضدهم، يعتبرونه حرباً ضدهم لا نردده؛ لأنه قد يخيفنا، قد يثير الآخرين علينا.

إذاً فنحن ممن يخشى الناس أشد من خشية الله، ممن يخاف من عذاب الناس أشد من عذاب الله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} (العنكبوت١٠) لا يجوز أن نكون على هذا النحو، ويجب أن نرفع هذا الشعار في مراكزنا، إذا كنا نريد أن نحافظ حتى عليها.

أوليس البعض قد يقول: إن هذا الشعار لو رفعناه سيؤثر على المنتدى؟ من المحتمل جداً أن يصدروا قراراً بإلغاء هذه ومنعها، لكن إذا ما عرفوا بأننا سنهتف بهذا الشعار، ونحن نسخط، ونعبّر عن سخطنا، واستنكارنا، وغضبنا لدخول الأمريكيين، ولما يعمله اليهود ضد المسلمين، وضدنا بالذات، ثم ليفهموا أنه ليس بالإمكان أن يقفلوا مراكزنا.

أو نحن مستعدون متى ما قالوا: هي إرهابية نقفلها أن يقفلها؟ إذاً فأنت مستعد أن تقفل المصحف عندما يقال لك: المصحف إرهابي. اهتف بهذا الشعار من قبل حتى يعرفوا أنه ليس بالإمكان أن يوقفوك عند الحد الذي يريدون أن تقف عنده. إذا سكتنا الآن فسيقفلون المراكز. أريد أن أقول هذا الكلام لأولئك الذين يقولون: هذا قد يضر بالمراكز!.

هذا المفهوم يدل على أننا لا نحمل وعياً، لا ندري من أين جاء هذا المفهوم: أنه في الإسلام السكوت هو الذي يؤدي إلى حفظ الإسلام، ونحن نرى أن من أعظم مبادئ الإسلام هو الجهاد والعمل، باعتبار أنه هو الذي يحافظ على الإسلام، وبيضة الإسلام، وعزة المسلمين، أوليس كذلك؟ إذاً فمتى ابتكرنا أن السكوت هو الوسيلة لحفظ الإسلام، والمسلمين، ومشاريع إسلامية؟ هذه ثقافة مغلوطة فيما أعتقد.. إن كنا نريد أن تبقى مراكزنا..

الأمريكيون عندما جاءوا وسألوا عن مركز بدر، وعن مدارس تحفيظ القرآن، ونشرت ذلك بعض الصحف، ومن الطبيعي أن هذه المراكز في قائمة المشاريع الإرهابية، فإذا كنا من النوع الذي يقال لنا: بطلوا وبطلنا فالكوريون هم الزيود، أولئك الذين خرجوا يتظاهرون ضد بوش! والفيتناميون هم الزيود أيضاً الذين خرجوا مظاهرات ضد الأمريكيين عندما دخلوا فيتنام، ونحن لا يصح أن نسمي أنفسنا شيئاً، نحن لا شيء في الأخير إذا كنا على هذا النحو.

هناك شعارات للمنتدى يجب أن نضيف إليها هذا الشعار، إذا لم نضف إليها هذا الشعار سيلومنا الناس كلهم بعد لوم الله سبحانه وتعالى لنا فيما أعتقد، وليعلم أولئك أنه متى ما قالوا: أن المنتدى إرهابي لن نتوقف، المراكز إرهابية لن نوقفها، سندرِّس فيها، وسنهتف فيها بهذا الشعار.

في قاعة الإمام الهادي أكثر من شهر يتردد فيها هذا الشعار، يُهتف به فيها، في مدرسة الإمام الهادي في مران، وفي الغدير هُتف بهذا الشعار، وفي العيد، وبعد صلاة كل جمعة في مران، وفي مناطق أخرى، وفي مناطق في همدان.

إذا كنا نثقف أنفسنا ثقافة تقوم على اعتماد أن الحكمة هي: أن السكوت من ذهب، سيذهب ديننا، وتذهب عزتنا، وتذهب مراكزنا.. لا أعلم من أين يمكن أن نقول: أن السكوت هو الإيجابي والقرآن ملئ بالآيات التي كلها عمل، وجهاد، وحركة، بالمال وبالنفس!. لو كان السكوت حكمة، ولو كان السكوت من ذهب، ولو كان السكوت هو الذي يحفظ للمسلمين كرامتهم... سكت ياسر عرفات، سكت، سكت حتى غلّقوا عليه غرفته. السكوت لا يمكن أن يكون مبرراً، إلا إذا كان في إطار عملي، لا أدري، لا أرى أن هناك مقام للسكوت الآن.

نحن ـ أيضاً ـ نعوِّد أنفسنا بشيء لم يبق له أثر عند الآخرين، مثلاً في بلدان أوروبا متى ما جاء من رئيس، أو جاء من وزير، من رئيس وزراء كلام يرون أنه يضر بمصلحة الشعب، تصريح أو شيء معين يبثونه، أليسوا يتظاهرون، ويقولون: لا، نحن هنا نريد أن نعوِّد زعماءنا على أنه يقول ما يريد، ويتخذ أي موقف يريد حتى وإن كان على هذا النحو من الخطورة، ولا أحد يقول: لا، ولا يسمع أحد يقول: لا، سنعودهم على هذه، وليس هناك أخطر من هذه الحالة.

مع أن دستورنا ـ أيضاً ـ يسمح بأن تعارض، يسمح بأن تتبنى حزباً وتعارض، يسمح بأن تتبنى حزباً وتسير على تلك الطرق الديمقراطية لتأخذ السلطة، وتتكلم في الحزب الآخر، فيما يتعلق بسياسته، فيما يتعلق بسياسته في المجال الإقتصادي، في مجال آخر، أليس هذا مما هو في دستورنا؟.

لكنا يبدو أننا نريد أن نقول: لسنا مستعدين أن نعارض الأمريكيين عندما يدخلون بلدنا، مع أن دستورنا يسمح بأن نعارض الرئيس، والمؤتمر بكله، أن يكون لنا حزب يعارضه، ويمكن أن يأخذ السلطة، على أساس أن الدستور يسمح بهذا، فلماذا لا نسمح لأنفسنا بأن نعارض الأمريكيين بالأولى؟! أليس من طريق الأولى؟ ونحن أصحاب أصول الفقه، أنه إذا كان الدستور ـ من طريقه يكون بالأولى ـ إذا كان الدستور ينص على أن لك حق أن تعارض المؤتمر ورئيس الدولة، وتعمل حزباً، وتعارض سياسته، فمن باب الأولى لك الحق أن تعارض سياسة أمريكا التي تقوم على ضرب دينك، وكرامتك، وعزتك، وقد بدأوا تطأ أقدامهم تراب وطنك، وغزوك إلى عقر دارك، أليس هذا من باب الأولى؟.

نعمل بأصول الفقه هنا، لا نعود لنعمل بأصول الفقه وقواعده فيما يتعلق بالوضوء، وما يتعلق بالأشياء التي قد [دَبَغَها] المجتهدون من قبلنا، كل ما قام مجتهد رجع إلى تلك الأشياء التي هي سهلة! قلنا لنجتهد ولكن في هذه الميادين، في هذه الميادين العملية، كل من يقرأ يريد أن يجتهد ويعمل بأصول الفقه يرجع إلى تفاصيل الصلاة والصيام والوضوء، والأشياء هذه [ندبغها]، واحد بعد واحد، اجتهادات؛ لأنها سهلة!.

اجتهد هنا، ولك حق أن تجتهد، فتبذل جهدك، وتبحث، تشحذ همتك، وتفكر، وتنظِّر، وتَنظُر؛ لتصل إلى أحسن الوسائل لمحاربة أعداء الله، هذا هو الإجتهاد الحقيقي، ومنه سمي الجهاد جهاداً، لكننا نبحث عن الإجتهاد نشغِّله في غير مواضعه، ومتى ما حذفت التاء ألغينا الكل، الجهاد.. جهاد واجتهاد أليس جذرها واحد؟ مادة واحدة

جذرها واحد، الإجتهاد نشتغل به في غير موضعه، لكن متى ما حذفت التاء، وأصبح جهاداً أغمضنا أعيننا، وقلنا: لا، الجهاد جهاد النفس! متى ما رجعنا قلنا: [جهاد النفس هو الجهاد الأكبر].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

عندما يقول بعض الإخوان ـ عندما نتحدث عن هذا الشيء ـ : [إنها تخزينة]؛ لأن عندنا [قات]في مران جيِّد، [تخزينة]! إذاً أقول للإخوان: سيكون ذلك [القات] أحسن من مراكزنا، لنشتري من هذا القات، ونخزن منه، إذا كان يستطيع هذا القات أن يدفعنا
إلى هذا النحو من الاهتمام بالقضايا الكبيرة،
ونعدُّ أنفسنا لمواجهة ما هو خطير علينا
فهو إذاً أفضل من مراكزنا،
خزنوا إذاً !!!.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الـموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

دروس من غزوة أحد

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ذو الحجة ١٤٢٢هـ
جبل الرماة ـ المدينة المنورة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

[هذه المحاضرة ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي على جبل الرماة، في جبل أحد، في مدينة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) خلال زيارته لسيد الشهداء حمزة (رضوان الله تعالى عليه) سنة ١٤٢٢ هجرية].

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

في العام الثالث الهجري خرج المشركون من مكة متجهين إلى المدينة، يريدون أن ينتقموا من المسلمين لِمَا حصل لهم في بدر، ولجرأتهم الشديدة ـ وكان العرب زمان، العرب زمان، سواء المشرك والمسلم، كان ما يزال فيهم إباء، وفيهم نجدة، وفيهم حمية ـ هجموا على المدينة، وحصل تداول للرأي بين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وبين المسلمين.

يقال: كان رأي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو: أن يبقوا في المدينة، ويقاتلوهم في المدينة، ورأي آخرين، وكانوا ـ كما يشير بعض الكتاب ـ شباباً، عندهم طموح، قالوا: نخرج نلقاهم. رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقال كان رأيه البقاء في المدينة، لكن في الأخير عندما رأى أن الأكثرية من الناس المقاتلين لديهم رغبة في الخروج، يلقونهم خارج المدينة دخل ولبس لباس الحرب التي يسمونها: لامة الحرب.

ولما خرج من منزله لمسوا في وجهه أنه ربما ما كان رأيه الخروج، فحاولوا إذا كان بالإمكان أن يعدل عن رأيه، قال: لا ينبغي لنبي إن لبس لامة حربه أن يرجع حتى يخرج فيقاتل أو يفتح الله بينه وبين عدوه، بعبارة تشبه هذه، ثم خرج.

يقال أيضاً: بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان قد رأى رؤيا، أو رأى شخص آخر هي: أن هناك بقر تذبح، وكانت هذه الرؤيا تزعجه. خرج، توكل على الله، وخرجوا، والمسافة قريبة.

كان من أهم الأشياء التي رُبِّيَ عليها المسلمون في القرآن الكريم، وعلى يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في تربيته للمسلمين هي: السمع والطاعة، الطاعة بمعنى الكلمة، والقرآن أكد على هذه، طاعة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في كل الميادين، وإلى الآن، إلى الآن التفريط في طاعة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ما تزال آثارها نعاني منها إلى الآن.

في بداية المعركة بعد أن واجهوا المشركين، وبعد أن عبأ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) المسلمين وضع مجموعة ـ كما يقال ـ من الرماة فوق الجبل هذا، هذا إذا ما يزال هذا الجبل على أصله؛ لأن الدكاكات قد أخذت منه، قد أخذوا من الجبل، قال اقعدوا في هذا المكان سواء انتصرنا أو قتلنا أو.. لا تبرحوا أماكنكم.

في بداية المعركة ـ كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ـ: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ} (آل عمران: من الآية١٥٢)

في البداية كما قال: {تَحُسُّونَهُم} أي قتل بسهولة، يمسحون رؤوس الكافرين، حصل التنازع، حصل الفشل، حصل عصيان، وهذه هي التي تضرب المسلمين، تضرب المسلمين ضربة رهيبة، التنازع والفشل، لا مبرر لأي شخص أن يدلي برأي، أو أن يقول شيئاً مع وجود رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ أولاً: كان النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول من عند الله، أيضاً كان شخصاً كاملاً في ذكائه، في فهمه، شخص يعرف المجتمع العربي، ويعرف آلة الحرب عند العرب، ويعرف كل الأشياء في المجتمع العربي، ويعرف أيضاً تكتيكات المعارك، والقتال، لكن أحياناً تظهر الآراء: تنازع، وفشل، ومتى ما حصل تنازع

وفشل داخل فئة تحمل رسالة، تحمل مهمة كبيرة جداً. هم كانوا أنصار رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، إذا ما حصل الخلل في جانبهم قد يُعرِّضون الرسول، ويعرضون الرسالة كلها، ثم يعرضون البشرية كلها للخسران، عندما حصل التنازع يقال بأنه حصل ممن كانوا رماة في الجبل، بعد أن رأوا المسلمين في المعركة الغلبة لهم، ورأوا المشركين انهزموا قالوا: ننزل، انتهت المعركة، ننزل غنائم، نجمع غنائم، وانتهت المعركة!

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان قد أكد عليهم بأن لا يبرحوا أماكنهم أبداً، كأنه حصل فيما بينهم، المجموعة الذين كانوا في [الثغرة] حصل فيما بينهم أخذ ورد، منهم من صمم على البقاء، ومنهم من نزل، الذين نزلوا بالطبع الآخرين يشاهدونهم، الآخرون من المقاتلين، هم يشاهدونهم، كان المفروض أن يقولوا: لا تبرحوا أماكنكم كما أمركم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لكن عصوا، والمعصية هذه لما سكت الآخرون كان كأنه موقف للكلّ، وتنازُع وفشل حصل من داخل، ماذا حصل فيما بعد؟

حصل فيما أعتقد أنا ـ والله أعلم ـ أن الله هيأ؛ لأنهم ارتكبوا خطيئة كبيرة، بغض النظر عن كونها خطيئة، ومن ورائها جهنم أو ما من ورائها جهنم، خطيئة في واقع العمل الرسالي، واقع الرسالة، هؤلاء هم يحملون رسالة للبشرية كلها، إذا لم يكونوا هم ملتزمين بالطاعة المطلقة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فمعنى هذا بداية الفشل في أول الطريق، وهذا تعريض للرسالة، وللرسول وللأمة كلها للخطورة.

ما الذي حصل بعد؟ يتهيأ أن يلف المشركون فيضربونهم، فيقتل سبعون قتيلاً، منهم: حمزة، وحمزة كما قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): سيد الشهداء، هو الذي سماه سيد الشهداء، حمزة كان معروفاً بالفروسية، والبطولة، ومعروف أيضاً بالإخلاص لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، والتفاني، التفاني في القتال. كانت خسارة حمزة تعتبر خسارة رهيبة؛ لأنه ـ حقيقة ـ أعظم خسارة على الأمة هي عظماؤها، أيُّ أمة تخسر أيَّ خسارة أخرى يمكن أن تعوَّض، كوارث طبيعية تتعرض للمساكن، أو للمزارع، أو لأي شيء آخر، لكن العظماء هم إذا ما فقدوا خسارة لا تعوض، فكان حمزة يعتبر خسارة كبيرة جداً.

من أين جاءت هذه الخسارة؟ هل الخسارة على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وحده أم خسارة على الكل؟ كانت خسارة على الكل؛ لأن أولئك الذين تثاقلوا ـ كما قال الله عنهم ـ تنازعوا، وفشلوا، وعصوا، استحقوا أن يؤدبوا، استحقوا أن يؤدبوا فعلاً، والأدب يأتي عامّ؛ لأن الآخرين سكتوا، ألم ينزل هؤلاء من الجبل والآخرون يشاهدونهم؟ لم يتكلموا، عندما يسكت الناس فالسكوت أحياناً يعبر عن الموقف الجماعي، فيكون الكل مستحقون للعقوبة.

والقرآن الكريم أكد على أن العقوبات تحصل في الدنيا، وأي عمل يعمله الناس العقوبة هنا تكون مفاجئة، عندما مال المشركون مالوا وفاجأوا المسلمين، وهم يجمعون الغنائم، كانت هزيمة منكرة للمسلمين حقيقة، كانت هزيمة منكرة، وبقي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع مجموعة من أهل بيته، ومن خواص أصحابه، بقيوا يدافعون عنه، والمشركون شمتوا بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) حتى قال قائلهم: [أُعل هبل]، قالوا: إن أبا سفيان قال: [أعل هبل].

فكانت ضربة شديدة، الله قال عنها وهو يذكر القصة هذه ـ لأن غزوة أحد لم يكن فيها نصر للمسلمين حقيقة، النتيجة النهائية لم يكن فيها نصر، لكن كان فيها دروس كثيرة مهمة ما تزال مسطرة إلى الآن، وما يزال المسلمون بحاجة إليها إلى الآن.

{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} (آل عمران: من الآية١٥٢) **مما يدل على أنهم تلقوا**

عقوبة إلهية؛ لأن الله سبحانه وتعالى، كما قال: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفتح: من الآية٤) **متى ما عصاه من هو يتحمل مسؤولية، ويحمل رسالة، المسلمون جميعاً في أيام رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في هذا المكان هم كانوا طليعة من يصلح البشرية كلها، عندما عصوا استحقوا العقوبة، ولكن كما قال الله {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} العفو يفسره بعض المفسرين بأن معناه: [العفو عن الذنوب، العفو عن الإثم]. الموضوع ليس موضوع إثم وإلاّ ما إثم، الموضوع موضوع عقوبات وقتيّة هنا في الدنيا، الإثم هناك في الآخرة.**

ولقد عفا عنكم، المدينة تبعد عن أحد، كم؟ أربعة كيلو متر، كان الشيء الطبيعي المحتمل لقريش هو: أن يدخلوا المدينة، أليس هذا كان هو المحتمل، وقد خرج الأنصار هنا، والمسلمون هناك، وقد هزموا، وبعضهم ضاعوا لفترة. كان الشيء المحتمل هو: أن يدخلوا المدينة، فيحتلوها، ويعبثوا بها، ولكن الله عفا عن المسلمين، وتدارك الأمر فصرفهم، فانصرف المشركون، واتجهوا نحو مكة.

هذا من اللطف الإلهي، من العفو الإلهي العظيم في هذا الموقف، وإلا كانت المدينة هنا قريبة جداً، وأي قائد عسكري يحصل له نصر كهذا، مثلما حصل لخالد بن الوليد ولقريش في تلك المعركة أن أول ما يتبادر إلى ذهنه هو: أن يهجم على المدينة، ليسوا أغبياء إلى الدرجة هذه أن لا يفكروا أن يدخلوا المدينة، لكن الله صرفهم، {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} كما قال الله.

الدرس هنا: هو أنه عندما يحصل عند الناس التأويلات، والتصنيفات: [المعركة انتهت...] القرآن ربّى المسلمين على الطاعة المطلقة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)**، الطاعة المطلقة، يقول لك: اجلس هنا، إذاً اجلس هنا، لا تأتي من بعد تتأول، كما تأول أبونا آدم، كما تأول أبونا آدم، ربما.. ولعل.. حتى أكل من الشجرة، وكانت أول معصية يتلقى البشر فيها درساً بأن العقوبة تأتي على المعصية في الدنيا هي معصية أبونا آدم، عرضها الله في القرآن الكريم، وعرضت ـ كما يقال ـ في الكتب السماوية الأخرى.**

كذلك قصة أحد، المعركة هذه، المعركة هذه فيها دروس إلى الآن؛ لأنه ما ضَرَب المسلمين من أيام رسول الله، ومن بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وإلى الآن إلا التأويلات، والتصنيفات، [يمكن هو يريد أي واحد منا، سواء علي أو أبو بكر، أبو بكر قد هو رجّال عاقل، وشايب، ومقبول عند الجميع، إذاً أبو بكر، المهم واحد] من هذا النوع من التصنيفات، هنا نفس الشيء، يقول لك: قد انهزم المشركون ننزل نجمّع غنائم، انتهت المعركة ننزل نجمع غنائم!**

الغنائم قضيتها محسومة في المعارك: أنه ما جمع يجب أن يجمع جميعاً، ثم يقسم بعد أن يخرج الخمس، فسواء أنت تنزل تجمع أو لا تجمع، أنت ستلحق نصيبك ما دام أنت حاضر المعركة. لكن الرغبة، كما قال الله: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}(آل عمران: من الآية١٥٢) **وأحيانا من في نفوسهم رغبة في الدنيا يطمعون حتى وإن كان من المحتمل أن يحصل له على نصيب، الرغبة في المال، في لمس المال، في جمع المال قد يكون عند بعض الناس في حد ذاته هدف، وشيء يتلذذ به. دفعهم هذا أيضاً إلى أن ينزلوا، دفعهم هذا إلى أن يضربوا.**

وقال الله أيضاً في هذه: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٦٦) **فبإذن الله، المفسرون عند هذه المسألة، المفسرون يستبعدون المسألة هذه، يقولون عنها: بعلمه، أو بتخليته؛ لأنه يستبعد بأنه يأتي مثلاً أن الله يسلط كافرين على مسلمين، أليس هو يستبعد هذه من منطلق العدل؟ لكن على أساس قضية: الثواب والعقاب الأخروي، لكن أما في الدنيا هنا فسواء يسلط الله عليك نمراً، أو أسداً، أو كافراً، أو جملاً، {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**(الفتح: من الآية٤).

متى ما عصى الإنسان، ويعصي وهو في موقع مهم جداً، ويتحمل مسؤولية للبشرية كلها، استحق أن يضرب على يد الآخرين؛ ولهذا قال الله: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ـ يوم أحد ـ فَبِإِذْنِ اللّهِ} يهيئ أن تضربوا؛ لتؤدبوا؛ لأنكم عصيتم، وتنازعتم، وفشلتم، وأنتم من تحملون رسالة مهمة، وقيادتكم قيادة عظيمة، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما ينبغي أن تتنازعوا مع وجوده، ولا ينبغي أن تعصوه، ولا ينبغي أن تفشلوا وهو قائدكم، وأنتم أيضاً من تحملون رسالة للبشرية كلها {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} كما قال الله عفو عنهم، ثم عفا عن الأمة كلها، لو دخل المشركون المدينة، اجتاحوا المدينة، وضربوا قاعدة الدولة الإسلامية اعتبر المسألة انتهت.

فهنا كانت الخطيئة كبيرة، لكن المفسرين عندنا يكون همهم هو ما يتعلق بماذا؟ إثم ما إثم فقط! بينما القرآن يؤكد أن المسألة هنا في الدنيا، وهو الذي يجب أن ننتبه له، أن أيَّ معصية تحصل عقوبتها هنا في الدنيا قبل الآخرة، عقوبتها هنا في الدنيا: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً} (طـه: من الآيـة١٢٣) كما قال الله في معصية آدم وإبليس، لأنه لا يأتي للناس شقاء في هذه الدنيا أبداً، ولا ضلال في هذه الدنيا أبداً إلا عن طريق مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى.

إبليس عصى الله فتحول إلى ضال مضل، وآدم عصى أيضاً فتحول إلى شقي، شقي في حياته عندما أخرج من الجنة. قال الله بعدها: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طه: من الآيـة١٢٣) فلا يضل، ولا يشقى، شقي آدم، ألم يطرد من الجنة ونزع الله عنه لباسه هو وزوجته؟ مع أنه تاب عليهم.

فعندما نقرأ: {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} في قصة أحد قالوا: [أي: عفا عنكم الإثم]، عفا لم تترك المسالة تنتهي إلى أقصى حدودها، لأنه كان ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ أنه كان من المحتمل عسكرياً احتمالاً مؤكداً هو: أن يدخل المشركون المدينة، لكن الله عفا فصرفهم.

فالمهم في هذا الموقف أن فيها دروس، وفيها خسارة كبيرة هي خسارة حمزة، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تألم جداً على حمزة؛ لأنه كان في ظرف أحوج ما يكون إلى شخص كحمزة، رجل شجاع، ورجل مخلص، ورجل مؤمن، ورجل قوي في ذات الله، وأي قائد يدخل في مواجهة مع آخرين يعرف قيمة الرجل المهم.

الآن لأننا لسنا في مواجهة مع أعداء الله لا قيمة لبعضنا عند بعض إن مات هذا، أو قتل أو راح هذا ليست مشكلة، لكن في ميادين المواجهة مع أعداء الله يصبح الرجل المهم له قيمته العالية، ويعرف الناس الحاجة الماسة إليه، رسول الله تألم جداً على حمزة، على قتله، ثم على قتلته على تلك الطريقة والتمثيل الذي حصل له من قبل أم معاوية هند بنت عتبة.

ومما عبر عن تألمه الكثير هو أنه صلى عليه مع بقية الشهداء فكبر عليه ـ كما يقال ـ سبعين تكبيرة، وصلى عليه مع الكل، أيضاً في المدينة عندما عاد إلى المدينة والنساء في المدينة يبكين على القتلى، وضجة في المدينة، قال: إلا حمزة فلا بواكي عليه! تألم جداً، فنساء المدينة كلهن بكين على حمزة، وأصبحت سنة عند أهل المدينة ـ لا أدري إلى الآن ـ كما يقال: سنة جيل بعد جيل، أنهم إذا مات فيهم ميت، أو قتل قتيل يبكون على حمزة أولاً، ثم على ميتهم، مواساة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

فعندما نزور أحد، ونزور سيد الشهداء حمزة مواساة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أولاً، وتذكيراً بجهود ذلك البطل، وتقديراً لروحيته العالية لأنه كان إنساناً متوثباً في ميادين القتال في سبيل الله، وطاعة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) فسماه رسول الله سيد الشهداء.

هنا لاحظوا الفوارق كبيرة تأتي داخل النفسيات، يخرج المئات من الناس مجاهدون في سبيل الله، وأبطال مقاتلون في سبيل الله، لكن عمق الإخلاص، الإخلاص درجات متفاوتة، الوعي درجات متفاوتة، الإيمان درجات متفاوتة.

فرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) سمّى حمزة سيد الشهداء، مع أنه قتل شهداء آخرون، ولهم مكانتهم، ولهم فضلهم، ولهم درجتهم العالية، فالمسألة هكذا، ليس هناك خط يرتقي إليه الناس جميعاً في مقامات الإيمان، في مقامات الإخلاص، في مقامات الإستبسال، تفاوت كبير، ألسنا مؤمنون بالآخرة كعناوين، كما يؤمن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نؤمن بالآخرة كعناوين، لكن هل إيماننا كإيمان علي بن أبي طالب؟ يختلف اختلافاً كبيراً، هل إيماننا كإيمان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لا، يختلف اختلافاً كبيراً.

فعندما يقول رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لحمزة، يسميه: سيد الشهداء، لا يعني ذلك هضماً للآخرين أبداً؛ لأنه أن يعطى الإنسان ما يستحقه، وفوق ما يستحقه هذه هي الدرجة العالية، لا يهضم أبداً، أن يعطى الإنسان ما يستحقه. إذا أنت تريد أن تستحق أكثر أخلص أكثر، وتفانى أكثر، واستبسل أكثر.

حمزة عندما سماه رسول الله سيد الشهداء لم يكن لاعتبار أنه من أقاربه، عمه أبو لهب ألم يلعنه القرآن، وينزل سورة فيه خاصة {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (المسد:١)؟ ليست قضية قرابة، قضية تقدير، تقدير لروحية حمزة، واستبساله، لما يعلمه عن الله عن واقع حمزة في نفسه فسماه سيد الشهداء، لم تكن الألقاب عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مثلما هي الآن عند الملوك والرؤساء، رتبة لواء، أو عميد، أو من هذه الألقاب يسبر فيها وساطة! لا، تأتي من قبل الله الذي يعلم بخصائص النفوس، والذي يعلم بذات الصدور.

فنحن عندما نزور حمزة ندعو الله سبحانه وتعالى أن يرحمه، وأن يجزيه عن رسول الله، وعن الإسلام خير الجزاء، ونقرأ [الفاتحة، والإخلاص] إلى روحه.

كذلك عندما نعود ونقرأ القرآن في قصة [أحد] نأخذ منها عبراً؛ لأن الله خلدها، وعندما خلد هذه القصة؛ لأن الأمة بحاجة إليها في كل مراحل حياتها، والقرآن ليس كتاباً تاريخياً، أو كتاب قصص، يخلد القضية؛ لأنها مُهمة، وموطن العبرة فيها هي المخالفة، والمخالفة التي قد نقول: أولئك لا يأثمون، إذا جئنا على قواعدنا، أنهم يأثمون أو لا يأثمون، متأولين، ألم يقولوا هكذا: التأويل ينهي الإثم ونحوه؟ لم ينطلقوا بجرأة، لكنهم عصوا، أنت عصيت أمراً، الأمر هذا لا تنطلق تتأول في مواجهته أبداً، وهذا هو ما دار حوله القرآن الكريم: التأكيد على أن لا يفسح المجال أبداً للتأويلات، والتصنيفات، والتقديرات، وربما.. ولعل كذا، والغاية واحدة، وعبارات من هذه.. التزم، التزم، وهكذا كانت روحية الإمام علي (عليه السلام) روحية الالتزام المطلق لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

ولأن من يلتزمون هذا الالتزام هم من يحصلون على الكمال المكتوب لمن دانوا بهذا الدين العظيم؛ لأن الإسلام دين تكامل، دين تكامل للبشر، فمن التزم به، من سلّم روحيته له، وأطاع الله، وأطاع رسوله الطاعة المطلقة، يحصل على العلم، يحصل على الكمال المقدر له، لكن من ينطلقون وراء التصنيفات والتأويلات هم من يجنون على الأمة، ما ضربنا من ذلك اليوم إلى الآن إلا من التأويلات هذه.

كما قلنا سابقاً: رسول الله قال: علي بن أبي طالب يوم الغدير، ألم يقل: علي، يوم الغدير؟ الآخرون قالوا: المقصود واحد، المقصود واحد يقودنا، وهذا رجّال باهر، وهو صهر رسول الله، وقد هو شيبة، ومجرب، وعارف، والمقصود واحد، ومن هذه تأتي؛ لأن معناه في الأخير: المسألة ليست بسيطة، معناها: إفساح المجال لوضع بدائل من قبلنا بدلاً عما رسمه الله سبحانه وتعالى في كتابه، يقول هكذا.. أقول:

ماشي! وأنا جئت أصنف المسألة، بأنه المقصود واحد، والغاية واحدة! هذا هو الذي سينتهي إليه الناس: المقصود واحد، والغاية واحدة، كله سابر، هذا، أو هذا.

مثلما قال الله عن آدم، كيف عمل الشيطان له؟ {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} (الأعراف: من الآية٢٠-٢٢) المفسرون يقولون: أن آدم تأول، أي لم ينطلق بجرأة على الله فيأكل من الشجرة، أليس كذلك؟ لكن الله لم يتعامل معه على تأويلاته، تأول، أو ما تأول، على أساس أنك عصيت أمري، نهيتك فعصيت، قال له: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الأعراف: من الآية٢٢).

قضية أنه أنت كما قال لك إبليس: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ} (الأعراف: من الآية٢٠) إلا كراهة أن تكونا ملكين، أو لأن لا تكونا ملكين، فمتى ما أكلتم منها يمكن أن تصبحوا ملكين، ثم تتخلدوا فتعبدوا الله، وتستغفروه، وتمحى هذه الخطيئة، هي ليست إلا شجرة واحدة، ليست مشكلة، هكذا يأتي إفساح المجال للتأويلات، والتصنيفات، ما الذي حصل؟ الله تاب على آدم باعتبار الإثم، لكن ما كرره عليه من أنه سيشقى إذا ما أكل من هذه الشجرة، شقي فعلاً، وطرد من الجنة، أو أخرج ـ بعبارة لائقة ـ أخرج من الجنة هو وزوجته، ونزعت عنهم حتى ملابسهم، حقيقة، ليست ملابس التقوى كما يقال، ملابسهم الحقيقية، كما قال الله في أكثر من آية: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} (الأعراف: من الآية٢٢). لم يسمح حتى لملابسهم أن تبقى فوقهم، شقيوا شقاء، الشقاء الذي هو عقوبة للمعصية.

قصة أحد كلها تركزت حول هذه النقطة: أن يأخذ المسلمون العبرة من أنه لا بد من طاعة مطلقة، إذا فتح المجال للتصنيفات فالأمة ستفشل تحت أي قيادة كانوا، حتى ولو كانوا تحت قيادة محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هل هناك أعظم من قيادة رسول الله؟ فشلوا وهم تحت قيادة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فشلوا والقرآن ينزل، لماذا؟ لأنهم عصوا، هل عصوا بجرأة؟ لا، هل عصوا بتمرد؟ لا، تأويلات: [انتهت المعركة وقد راح المشركون والمسلمون قد هم يجمعون الغنائم، إذاً ننزل ما بقي لزوم] هي هذه! المفروض أنهم يجلسون، حتى لو راح رسول الله إلى المدينة هو وأصحابه، قال لهم أن يبقوا، يبقوا ولو راح رسول الله إلى المدينة، لأنه هكذا الطاعة المطلقة.

الله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه رضاه.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

في ظلال دعاء مكارم الأخلاق

الدرس الأول

ألقاها السيد/ حسين بدرالدين الحوثي

بتاريخ: ١/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين.

الحمد لله رب العالمين، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} (الأعراف: من الآية٤٣).

في دعاء مكارم الأخلاق ـ للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) ـ فيه ما ينبه على أشياء كثيرة مما يجب أن يكون الإنسان فيها راجعاً إلى الله يطلبها منه، يطلب الهداية إليها منه، يطلب التوفيق إليها منه.

الهداية ليس هنالك آلية مبرمجة للهداية بحيث أن الإنسان ممكن أن يوفرها، لا بد من الرجوع إلى الله، لا بد من الدعاء، أن نطلب من الله الهداية، أن نطلب من الله التوفيق، أن نطلب من الله الاستقامة، أن يوفقنا للاستقامة، أن نطلب من الله أن يثبت خطانا، أن نطلب من الله أن يسدد أقوالنا.

الإنسان لا يستطيع بنفسه، لا يستطيع من خلال الاعتماد على نفسه أن يحقق لنفسه الهداية، والتوفيق في المجالات التي ترتبط بحياته، وفيما يتعلق بآخرته، هنا يقول الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه):

((اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) هو على ما هو عليه من العبادة والتقوى لم يحدث في نفسه غرور، ولا إعجاب بحالته التي هو عليها، وهو من سُمّي ـ لما كان عليه من العبادة ـ زين العابدين، وسيد الساجدين، ما زال يطلب من الله أن يبلغ بإيمانه أكمل الإيمان.

القرآن الكريم تضمن في آياته الكريمة داخل سور متعددة الحديث عن الإيمان، وأعلى درجات الإيمان، وأكمل الإيمان، من مثل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الأنفال:٢) ومثل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات:١٥).

مطلب مهم، وغاية تستحق أن يسعى الإنسان دائماً إلى الوصول إليها: أن تطلب من الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان. لا ترضى بما أنت عليه، لا تقف فقط على ما أنت عليه فتضع لنفسك خطّا لا تتجاوزه في درجات الإيمان، وفي مراتب كمال الإيمان.

من يرضى لنفسه أن يكون له خطّ معين لا يتجاوزه في إيمانه فهو من يرضى لنفسه بأن يظل تحت، وأن يظل دون ما ينبغي أن يكون عليه أولياء الله. الإنسان المؤمن هو جندي من جنود الله، وميدان تدريبه، ميدان ترويضه ليكون جندياً فاعلاً في ميادين العمل لله سبحانه وتعالى هي الساحة الإيمانية، ساحة النفس، كلما ترسخ الإيمان في نفسك كلّما ارتقيت أنت في درجات كمال الإيمان، كلما كنت جندياً أكثر فاعلية، وأكثر تأثيراً، وأحسن وأفضل أداء.

نحن نرى الدول كيف تختار من داخل الجيش فرقاً معينة تدربها تدريبات خاصة، تدريبات واسعة، وتدريبات شاملة لمختلف المهام، تدريبات على مختلف الحركات ليكون أولئك الجنود داخل تلك الفرقة في مستوى الفاعلية لتنفيذ مهام معينة، مهام صعبة، وتلك المهام وتلك القضايا التي هي في ذهن رئيس دولة، أو ملك هي دون ما ينبغي أن يكون في رأس المؤمن في ميادين العمل لله سبحانه وتعالى، مهام واسعة.

الجندي قد ينطلق في تنفيذ مهام كلها تنفيذية، كلها حركة، لكن جندي الله مهامه تربوية، مهامه تثقيفية، مهامه جهادية، مهامه شاملة، يحتاج إلى أن يروض نفسه، فإذا ما انطلق في ميادين التثقيف للآخرين، الدعوة للآخرين، إرشادهم، هدايتهم، الحديث عن دين الله بالشكل الذي يرسخ شعوراً بعظمته في نفوسهم يجب أن يكون على مستوى عال في هذا المجال، جندي الجيش العسكري في أي فرقة، لا يحتاج إلى أن يمارس مهاماً من هذا النوع، مهامه حركة في حدود جسمه، قفزة من هنا إلى هناك، أو حركة سريعة بشكل معين.

لكن أنت ميدان عملك هي نفس الإنسان، وليس بيته لتنهبه، وليس بيته لتقفز فوق سطحه، الجندي قد يتدرب ليتعلم سرعة تجاوز الموانع، أو سرعة القفز، أو تسلق الجدران، أو تسلق البيوت، لكن أنت ميدان عملك

هو نفس الإنسان، الإنسان الذي ليس واحداً ولا اثنين، آلاف البشر، ملايين البشر، تلك النفس التي تغـزى مـن كل جهة، تلك النفس التي يأتيها الضلال من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها.

فمهمة المؤمن يجب أن ترقى بحيث تصل إلى درجة تستطيع أن تجتاح الباطل وتزهقه من داخل النفوس، ومتـى ما انزهق الباطل من داخل النفوس انزهق من واقع الحياة، {إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَـا بِأَنْفُـسِهِمْ} (الرعد: من الآية١١).

وأنت جندي تنطلق في سبيل الله سترى كم ستواجهك من دعايات تثير الريب تثير الشك في الطريق الـذي أنـت تسير عليه، تشوه منهاجك وحركتك أمام الآخرين، دعايات كثيرة، تضليل كثير ومتنوع ومتعدد، وسـائل مختلفـة ما بين ترغيب وترهيب.

الجندي المسلح بالإيمان إذا لم يكن إلى درجة أن تتبخر كل تلك الدعايات، وكل ذلك التضليل ـ سواء إذا ما وُجِّه إليه، أو وجِّه لمن هم في طريقه، لمن هم ميدان عمله ـ يستطيع أيضاً أن يجعلها كلها لا شيء؛ لأن هذا هو الواقع، واقع الحق إذا ما وجد من يستطيع أن ينطق به، إذا ما وجد من يفهمه، وفي نفس الوقت يجد آذانا مفتحة واعية فإنه وحده الكفيل بإزهاق الباطل بمختلف أنواعه، ومن أي جهة كان، ومن أي مصدر كان {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَـقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الإسراء:٨١) زهوق بطبيعته إذا ما هاجمه الحق.

لكن ذلك الحق الذي يقدم بصورته الكاملة، ذلك الحق الذي يقدم بجاذبيته، بجماله بكماله، بفاعليته وأثـره في الحياة هو من يزهق الباطل، لو قدم الحق في هذه الدنيا من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آلـه) وترك لمثل الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ـ ذلك الرجل الكامل الإيمان ـ لما عاش الضلال ولما عشعش في أوساط هذه الأمة، ولما أوصلها إلى ما وصلت إليه من حالتها المتدنية.

غير صحيح، بل باطل أن يقال بأن أهل الحق دائماً يكونون مستـضعفين، وأن مـن هـم علـى الحـق دائما يكونـون ضعافا، وأنه هكذا شأن الدنيا! إن هذا منطق من لا يعرفون كيف يقدمون الحق، منطق مـن لا زالـوا في ثقـافتهم هم فيها الكثير من الدخيل، من الضلال من قبل الآخرين، أيُّ منطق هذا أمام قوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الإسراء:٨١)؟! إن الباطل كان زهوقاً بطبيعته، لا يستطيع أن يقف إذا ما قدم الحق.

من الذي يمكن أن يقدم الحق؟ هو من يسعى دائماً لأن يطلب من الله أن يبلغ بإيمانه أكمل الإيمان. عندما تكون متعبداً لله حاول دائماً أن تدعو الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان، حاول دائماً أن تبحث عـن أي جلـسة عـن أي اجتماع عن أي شيء يكون مساعداً لك على أن يبلغ إيمانك أكمل الإيمان.

قد يرضى بعض الناس لنفسه حالة معينة فلا يرى نفسه محتاجا أن يسمع من هنا أو من هنا، ويظـن بـأن مـا هـو عليه فيه الكفاية وانتهى الأمر! لكن وجدنا كم من هذا النوع! أعداداً كبيرة لا تستطيع أن تزهق ولا جانباً مـن الباطل في واقع الحياة، وفي أوساط الأمة! إذا كنت طالب علم فلا ترضى لنفسك بـأن تكتفـي بـأن تنتهـي مـن الكتاب الفلاني والمجلدات الفلانية، والفن الفلاني وانتهى الموضوع، وكأنك إنما تبحث عن ما يصح أن يقال لـك به عالم أو علامة! حاول أن تطلب دائماً، وأن تسعى دائماً بواسطة الله سـبحانه وتعـالى أن تطلـب منـه أن يبلـغ بإيمانك أكمل الإيمان.

كم في هذه الدنيا، وكم في أوساطنا من الكثير مـن نوعيتنـا الـذين نحـن نـدعي الإيمـان، ولكنـا نجـد أن مـن يستطيعوا أن يغيروا في واقع الحياة هم العدد القليل جداً من المؤمنين، أولئك الذين يسعون لأن يبلـغ إيمـانهم أكمل الإيمان، ويدعون الله أن يبلغ بإيمانهم أكمل الإيمان، وإلا فالمؤمنون ـ إن صح التعبير ـ أو أدعيـاء الإيمـان من نوعيتنا كثير، ومعنى أننا ندعي الإيمان أننا نمتلك الحق، لكن ما بال هذا الحـق الـذي معنـا لا يـستطيع أن يزهق أي شيء من الباطل {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الإسراء:٨١)، لماذا لا يكـون الباطـل زهوقاً أمام الآلاف من مدعي الإيمان في مختلف المناطق؟.

لماذا يكاد أن يزهق الحق من أنفسهم هم؟ ناهيك عن أن يزهقوا الباطل من نفوس الآخرين أو من واقـع الحيـاة، ربما لأننا جميعاً مؤمنون من هذا النوع الذي يرضى بأن يرسم لنفسه خطاً معيناً لا يتجاوزه فيصبح ذلـك الخـط

هو المانع له دون أن يزداد معرفة، دون أن يزداد هدى، هو الحاجز الذي يمنعه أن يبحث عن أي مصدر للهداية، أن يحضر في جلسة معينة، في مسجد معين، يستمع لشريط معين، يتدبر كتاب الله بشكل جدي، يقرأ صفحات هذا الكون، وما أكثر ما يفيد الإنسان النظر في هذا الكون، وتأملات حياة الناس في هذا العالم، وأحداث هذا العالم، ما أكثر ما تصنع من إيمان في نفسك!.

هل أحد منا يرى أن بينه وبين الإمام زين العابدين نسبة في فضله، في إيمانه، في كماله، في عبادته في تقواه؟ الفارق كبير جداً بيننا وبينه، لكنه هاهو يقول ويدعو من الله سبحانه وتعالى. لماذا يدعو من الله سبحانه وتعالى؟ لأن الإنسان ـ أحيانا ـ قد يعتقد بأن كل مصادر الهدى قد اطّلع عليها. الإنسان بضعف إدراكه ومعرفته المحدودة ـ حتى وإن كان جاداً ـ يبدو له وكأن مصادر الهدى كاملة قد قدمت إليه وانتهى الموضوع، فلا يفكر أن يبحث أو أنه بحاجة إلى المزيد! هذه حالة تحصل عند الناس لكن ارجع إلى الله هو الذي يعلم أنك بحاجة إلى المزيد ليرشدك هو إلى المزيد، وإلى المزيد من مصادر الهدى والمعرفة والإيمان.

لا تقل في نفسك: يكفي، يبدو أنني قد فهمت من خلال شهر معين من خلال سنة معينة من الدراسة، يبدو قد فهمت كل شيء وأصبح ما في نفسي كفاية،! تحاول دائماً طول حياتك، طول حياتك وكلما تقرأ كتاب الله تدعو الله دائما أن يهديك بكتابه، وأن يوفقك لفهم كتابه لتزداد إيمانا، تزداد إيمانا، تزداد إيمانا.

حتى وإن وصلت إلى درجة أولئك: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} (الأنفال: من الآية٢) **وهل نحن وصلنا هذه؟ لا نزال بعيدين، {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ} يذكره أحد عندهم {وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} تضطرب، ترتجف خشية من الله وخوفا منه، هل قد وصلنا إلى جزء من هذه الدرجة؟ لا.**

إذاً ما يزال الطريق طويلا داخل أنفسنا لنصل بها إلى هذه الدرجة ـ إن شاء الله ـ في قول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الأنفال: من الآية٢) **ثلاث صفات مهمة جداً: خوف من الله، خشية من الله، اشتياق إلى الله توجل له القلوب، حرص على الهداية، معرفة لعظمة وقيمة الهداية فيزدادون إيماناً كلما تتلى عليهم آيات الله، وكلهم ثقة بالله، ثقة قوية بالله، يتوكلون على الله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.**

لا نزال دون هذا المستوى في المجالات الثلاثة كلها، أليس كذلك؟.

قد يقول البعض: [الحمد لله والله إن كل منا يعرف ما له وما عليه، وقد سمعنا الذي فيه الكفاية ويكفي، وسنمشي على الذي قد فهمناه وانتهى الموضوع]! حاول دائماً، دائماً هكذا، ومتى رأيت نفسك أنك ترى أنه ليس هناك شيء من مصادر الهداية إلا وأنت قد استكملته فاعرف بأن معرفتك قاصرة، فارجع إلى الله هو من لا يزال يعلم بأن هناك الكثير، الكثير مما أنت بحاجة إليه في ميدان الهداية وتقوية إيمانك، كـ[زين العابدين] من كان قمة في العبادة والتقوى، والفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى، فما يزال يقول: ((اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان)).

إذا كنا لا نزال نحتاج إلى من يوجهنا، من يدفعنا إلى أن تكون نفوسنا فيها ذرة من روح الجهاد الذي هو من أعظم ما تناوله القرآن الكريم من أعمال المؤمنين فنحتاج إلى من يدفعنا ويشجعنا ويوعينا ويفهمنا، ونحتاج إلى بعضنا البعض. أليس هذا يدل على أننا ما نزال هابطين كثيراً؟. أين نحن من درجة أن تكون هذه مسألة مفروغ منها عندنا؟ فنحن الذين ننطلق إلى الآخرين، ننطلق إليهم لنجعلهم هم من يحملون الروحية التي نحملها؟ ألسنا لا نزال بعيدين عن هذه؟.

ما أكثر المتوجسين فينا ممن لم يصل إلى درجة أن يقطع على نفسه إلزاماً بأن يثقف نفسه بثقافة القرآن بما فيها أن يحمل روحية الجهاد التي يريد القرآن منه أن يحملها! ما أستطيع ـ أنا واحد منكم ـ أن نقطع بأننا وصلنا إلى هذه الحالة.

إذا كان زين العابدين يمكن فعلاً أن تصدق عليه تلك الصفات التي ذكرها الله للمؤمنين بما فيها الجهاد في سبيل الله، وإن كان الواقع الذي عاش فيه واقعا مظلما، أمة هُزِمت وقُهِرت، وأُذلّت تحت أقدام يزيد، وأشباه

يزيد، لكنه هو من عمل الكثير الكثير وهو يوجه، وهو يعلّم، وهو يربي، أليس الإمام زيد هو ابنه؟ من أين تخرج الإمام زيد؟ إلا من مدرسة أبيه زين العابدين.

إن الحالة التي كان فيها حالة فعلاً شديدة، بالغة الشدة النفوس مقهورة ومهزومة والأفواه مكممة، لكن زين العابدين من أولئك الذين يفهمون بأن المجالات دائماً لا تغلق أمام دين الله فانطلق هو ليعلم ويربي، ويصنع الرجال؛ لأنه يعلم أنه إن كان زمانه غير مهيأ لعمل ما فإن الزمان يتغير فسيصنع رجالاً للمستقبل. وصنع فعلاً وخرج الإمام زيد (عليه السلام) شاهراً سيفه في سبيل الله، وترك أمة ما تزال تسير على نهجه من ذلك اليوم إلى الآن.

هو عبرة للعلماء، قدوة للمعلمين الذين يرون بأن الأوضاع قد أطبقت، والناس لم يعودوا بالشكل الذي يمكن أن يؤثر فيهم كلام، أو يحركهم كلام، لينطلقوا في نصر الحق، ومقاومة الباطل وإزهاقه، فليسلكوا طريقة زين العابدين، الإمام علي بن الحسين، اجمع ولو خمسة من الطلاب تختارهم ثم علمهم، قدم لهم الدين كاملا، ابعث في نفوسهم الأمل، علمهم الأمل الذي يبعثه القرآن الكريم، لا تسمح بأن يكونوا عبارة عن نسخ للواقع الذي أنت فيه، لا تسمح أن تمتد هزيمتك النفسية إليهم، إلى أنفسهم، حاول دائما أن تعلمهم كيف يكونون رجالا، كيف يكونون جنداً لله، كيف يكونون من أنصار الله، كيف يعملون في سبيل الله لإعلاء كلمته ورفع رايته.

الكثير ممن يعلّمون لا ينطلقون هذا المنطلق، إما لأنه قد يرى أن بعض تلاميذه ليسوا ممن يثق بأن يكلمهم بكل شيء، إذاً فاختر لك تلاميذ خاصين، تلاميذ تختارهم ممن نفسياتهم قوية، ممن هم مؤهلون لحمل العلم، ممن هم مؤهلون لأن ينطلقوا للعمل في سبيل الله، فعلّمهم، وإن لم يكونوا إلا ثلاثة أشخاص، وإن لم يكن إلا شخصا واحداً.

لا يجوز أن نمشي في حياتنا هكذا جيلا بعد جيل، ومساجدنا تكتظ بحلقات العلم، وكثير من منازل علمائنا أيضا تقام فيها حلقات العلم لكنها في معظمها حلقات باردة، لا تصنع أكثر من امتداد للواقع المظلم، وامتداد للهزيمة النفسية، تتوارثها جيلا بعد جيل، يتلقاها التلميذ من أستاذه، وعندما يصبح هذا التلميذ أستاذاً أيضا يحملها للآخرين ويلقنها للآخرين، ندرس فنوناً معينة، لا نتحدث بجدية عن مختلف المواضيع المهمة، حتى أصبح الواقع هو نسيان، هو نسيان ما يجب أن يتحرك الناس فيه.

وكلنا نعرف ذلك الظرف القاهر الذي كان يعيشه زين العابدين (صلوات الله عليه)، لكن ننظر ماذا عمل زين العابدين، بنى زيداً، وبنى الكثير من الرجال، الذين انطلقوا فيما بعد حركة زيدية جهادية جيلا بعد جيل على امتداد مئات السنين.

هو نفسه كان يقول: ((اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان)) وقد يكون في واقعه ليس ممن رضي لنفسه تلك الحالة التي كان عليها، لكن ذلك هو أقصى ما يمكن أن يعمله، لا يستطيع أن يخرج هو فيعلن الدعوة إلى إعلاء كلمة الله ونصر دين الله، ليس لضعفه هو، أو لعدم كماله، وإنما رأى الناس من حوله كلهم مهزومين، كلهم مقهورين، فمن الذي يستطيع أن يحركهم؟.

وهذه أحيانا تحصل، تحدث وضعيات كهذه، لكنها وضعيات هي نتيجة تقصير من قبل الناس أنفسهم يوم تخاذلوا مع علي (عليه السلام) كانت نتيجة تخاذلهم قوة للباطل في جانب بني أمية، جعلت مواجهتهم لذلك الباطل في أيام الإمام الحسن صعبة جداً، تخاذلوا معه أيضاً، جعلت المواجهة في أيام الإمام الحسين أكثر صعوبة أيضا، وصل الحال إلى أن يصبح واقع الأمة في عصر زين العابدين هو الانكسار، الهزيمة المطلقة، هي الظروف الصعبة، هي الحالات السيئة التي يصنعها تخاذل الناس.

هي حالات يخلقها ـ أحياناً ـ ضعف وعي ممن ينطلقون للعمل، وإن كانوا تحت راية علي (عليه السلام) ويحملون اسم جند الله، وأنصار الله لكن وعيهم، لكن إيمانهم القاصر، إيمانهم الناقص أدى إلى أن يرتكبوا جناية على الأمة فضيعة.

أولئك [الخوارج]، الخوارج هم مجموعة من جند الإمام علي (عليه السلام) انشقوا عنه في أيام [صفين] بعد أن رفع معاوية وأصحابه المصاحف عندما أحسوا بالهزيمة وقالوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فأولئك المتعبدون على

جهل، الجنود الذين هم غير واعين تأثروا بتلك الدعاية! وهكذا سيحصل في كل عصر لأي فئة وإن انطلقوا تحت اسم أنهم جنود لله، وأنصار لله، إذا ما كان إيمانهم ناقصاً، سيجنون على العمل الذي انطلقوا فيه، سيجنون على الأمة التي يتحركون في أوساطها، سيجنون على الأجيال من بعدهم، وهم من انطلقوا باسم أنهم يريدون أن ينصروا الله، وأن يكونوا من جنده لكن إيمانهم ناقص، ووعيهم ناقص.

إذا كان ولابد كما هو الحال بالنسبة لواقعنا والأمة في مواجهة صريحة مع اليهود والنصارى، مع أمريكا وإسرائيل ونحن في زمن التضليل فيه بلغ ذروته في أساليبه الماكرة، في وسائله الخبيثة، في خداعه الشديد، فإن المواجهة تتطلب جنداً يكونون على مستوى عالٍ من الوعي. زين العابدين (عليه السلام) صاغ صحيفته بشكل دروس، في الوقت الذي هي دعاء، دروس وتوجيهات، دروس وتوجيهات وحقائق، صاغها بشكل دعاء.

هو من عرف ماذا صنع ذلك الإيمان الناقص، أولئك الجند الذين ينقصهم الكثير من الوعي، أيام جده علي بن أبي طالب، أيام الحسين بن علي، أيام الحسن، وأيام الحسين، كان أمامه تاريخ رأى فيه ما تركه الإيمان الناقص من أثر سيء، الجهل قلة البصيرة، ضعف البصيرة، عدم الوعي.

أتظنون أن انتصار الدولة الأموية، وتمكنها لتقهر الآخرين، ثم تمكنها لأن تصنع أمة أخرى غير الأمة التي أراد محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يبنيها من ذلك الزمان إلى الآن؟ أنه فقط قوتهم، بل تخاذل من هم يحملون اسم جند الحق، قلة إيمانهم، ضعف إيمانهم، ضعف وعيهم. لماذا انتهت معركة صفين دون هزيمة لمعاوية، وقد كانت مؤشرات الهزيمة بدأت؟ عندما تخاذل أولئك الجنود من صف الإمام علي وتحت رايته.

لماذا وقد تحرك الإمام الحسن ليواصل المسيرة، مسيرة والده الإمام علي فآل الحال إلى أن يقف مقهوراً ويأخذ ما يمكن من الشروط لتأمين مجتمع أهل العراق، عندما تخاذل أصحابه. الإمام الحسين آلت قضيته إلى أن يقتل في كربلاء، بسبب ماذا؟. تخاذل أصحابه، التخاذل الذي يصنعه ضعف الإيمان، قلة اليقين، انعدام الوعي.

وكان الإمام علي (عليه السلام) يحذّر، وعندما كان يحذر كان يوجه تحذيره إلى جيشه، إلى أصحابه، وليس إلى أولئك إلى جيش معاوية، يقول لأهل العراق: ((والله إني لأخشى أن يدال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)). كان جيش معاوية يجتمعون تحت رايته لكن أصحاب الإمام علي كانوا يتخاذلون ويتثاقلون، والتفرق قائم بينهم، لا يتحركون إلا بعد عناء وتعب شديد وتحريض مستمر.

ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ هو قلة إيمانهم فلهذا كان زين العابدين (عليه السلام) يوم صاغ هذا الدعاء [دعاء مكارم الأخلاق] صدّره بهذه الفقرة المهمة ((اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان)) فأنا رأيت ما عمله في الأمة، ما عمله في الإسلام ضعف الإيمان، ما عمله الإيمان الناقص من آثار سيئة، عدم وعي إلى درجة رهيبة أن يكون أولئك الناس الذي بينهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، لكنهم كانوا عندما يرون أنفسهم لا يخافون علياً يأمنون جانبه، كان يكثر شقاقهم، ونفاقهم، وكلامهم، ومخالفاتهم، وتحليلاتهم وتمردهم، وأذيتهم.

هكذا يعمل الناس الذين وعيهم قليل، من لا يعرفون الرجال، من لا يقدرون القادة المهمين، لأني أنا آمن جانب علي لا أخاف أن يقتلني على التهمة أو الظِنة كما كان يعمل معاوية، لا أخاف أن يدبر لي اغتيالا، لا أخاف أن يصنع لي مشاكل، لا أخاف أن يوجد لي خصوماً يصنعهم من هنا أو من هنا فكانوا يأمنون جانبه.

وفعلا من الذي سيخاف من الإمام علي أن يمكر به، أو يخدعه، أو يضره، أو يؤلب عليه خصوما من هنا وهناك، كما يعمل الكثير من [المشايخ]؟ أليس الكثير من المشايخ يعملون هكذا؟ إذا لم تسر في طريقه يحاول أن يمسك عليك بعض وثائقك [بعض البصائر] ويحاول أن يوجد لك غريما من هناك وغريما من هنا؛ لترجع إليه راغما، الناس الذين وعيهم قاصر، إيمانهم ضعيف هم الذين يعيشون حالة كهذه، كلام كثير وتحدي وتحليلات وتثاقل وتثبيط، وهم في ظل شخص عظيم كعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنهم يأمنونه.

انظر إلى شخص ذلك القائد العظيم، سترى نفسك آمنا في ظله، إذاً هو الشخص الذي يجب أن أكون وفياً معه، إن حالة الشعور نحوه بأنني آمن جانبه يعني أنه رجل عدل، رجل إيمان، رجل حكمة، فهذا هو الذي يجب أن أفي معه أن أقف بجانبه وأن أضحي تحت رايته بنفسي ومالي، هي الحالة التي لا يحصل عليها أتباع الطواغيت حتى أبناؤهم، حتى أسرهم، حتى أقرب المقربين إليهم لا يحصلون على هذه الحالة؛ لأنه يعرف ربما ابنه

يخدعه، يمكر به ويأخذ السلطة، ربما قائده ذلك العظيم يخدعه ويمكر به ويأخذ السلطة، فهو يخطط له في الوقت الذي هو ينفذ مهامه، القائد يخاف، وهو يخاف، المستشار خائف منه، وهو خائف من مستشاره، هكذا، ومن يعرف الدول هكذا يكون حالهم.

الدول الطاغوتية هكذا يكون حال الناس فيها، وهكذا يخاف الناس حتى وهم يعملون لله. أليس هذا هو ما يحصل؟ في البلاد الإسلامية على طولها وعرضها، من هو ذلك المؤمن الذي يقول كلمة حق وهو لا يخاف، يخاف أولئك الذين هم من كان يجب أن يصدعوا بالحق، وأن يعلوا رأس هذه الأمة، وأن يرفعوا رايتها؟! لكن هكذا يصنع ضعف الإيمان. فمتى ما جاء لأهل العراق كصدام كالحجاج انقادوا وخضعوا وتجاوبوا وخرجوا بنصف كلمة، نصف كلمة يصدرها فيتجاوبون سريعاً!.

لكن الإمام عليا (عليه السلام) كان يقول: ((قاتلكم الله يا أهل العراق لقد ملأتم صدري قيحاً)) وكان يوبخهم ((يا أشباه الرجال ولا رجال)) يوبخهم، لا يخرجون ولا يتحركون، إلا بعد الخطب البليغة، والكلمات الجزلة، والكلمات المعاتبة، والكلمات الموبخة، والكلمات المتوعدة بسخط الله، والمتوعدة بسوء العاقبة في الدنيا حتى يخرجوا، فإذا ما خرجوا خرجوا متثاقلين؛ لأنهم كانوا يأمنون جانبه.

هل هذا هو السلوك الصحيح لأمة يقودها مثل علي؟ ثم إذا ما قادها مثل الحجاج ومثل يزيد ومثل صدام تنقاد ويكفيها نصف كلمة!. ما هذا إلا ضعف الإيمان، ضعف الوعي، عدم البصيرة.

في ذلك الوقت الذي كانت تثير تلك الحالة دهشة القليل من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، الذين كانوا يعرفون عظمة ذلك الرجل، ثم يندهشون وهم ينظرون إلى تلك المجاميع الكثيرة الشقاق والنفاق والتثبط والتراخي والكلمة المفسدة المثبطة من أطرف منافق فيهم تحطمهم وتجعلهم يتقاعدون، كان هناك مجموعة لكنها كانت قليلة.

وهل أن الإمام عليا (عليه السلام) لم يكن يعمل على أن يصنع لدى الآخرين بصيرة، بل كانت خطبه خطب مهمة جدا، خطب مهمة جدا قادرة على أن تحول الرجال إلى كتل من الحديد، لكنهم أولئك الذين كانوا لا يفتحون آذانهم.

هذه هي مشكلة الناس، مشكلة الناس في كل زمان، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، في أيام الإمام علي (عليه السلام)، في كل زمان، الذين لا يفتحون آذانهم لا يمكن أن يؤثر فيهم أي شيء، هم الذين يعجزون القرآن، ويعجزون محمداً، ويعجزون عليا، ويعجزون كل أولياء الله، يجعلونهم عاجزين أمامهم، الذين لا يفتحون آذانهم، أو يفتحونها فترة ثم يضعون لأنفسهم خطا معينا ويرون بأنهم قد اكتفوا، هؤلاء هم من تكثر جناياتهم على الأمة، وعلى الدين جيلا بعد جيل.

ونحن نحذر دائما من أن يضع الإنسان لنفسه خطا فإذا ما رأى بأن ظروف المعيشة هيأته إلى أن يتفرغ أكثر من جانب من جوانب العبادة كالصلاة مثلا كما يستمع موعظة هنا وموعظة هناك مرة أو مرتين ثم يقول: الحمد لله اكتفيت!.

تأتي المتغيرات، وتأتي الأحداث، ويأتي الضلال، والخداع والتلبيس بالشكل الذي ستكون ضحيته أنت، يكاد أن يأخذ حتى بأولئك الكاملين، بعض المتغيرات، وبعض الأحداث، وبعض وسائل التضليل، وأساليب الخداع تكاد أن تخدع الكبار، أولئك الذين يدعون دائما ((وبلغ بإيماننا أكمل الإيمان)).

ألم يذكر القرآن الكريم عن خداع بني إسرائيل، عن خداع اليهود أنهم كادوا أن يضلوا رسول الله؟ كادوا أن يضلوه لولا فضل الله عليه ورحمته، أولئك الناس الذين كانوا يجاهدون تحت رايته ألم يكونوا يتعرضون للتثبيط فيتخاذلون من جانب المنافقين، وهم من يسمعون كلام رسول الله (صلوات الله عليه وآله)؟.

هكذا إذا أنت لم تربِ نفسك، إذا أنت لم تنم إيمانك ووعيك، فإن المنافقين هم من ينمون نفاقهم، هم من يطورون أساليبهم حتى يصبحوا مردة، يصبحوا خطيرين قادرين على التأثير، قادرين على ضرب النفوس، {وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} (التوبة: من الآية١٠١) **من خبثهم استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، استطاعوا أن يستروا أنفسهم**

حتى عن بقية الناس، أنهم منافقون، ثم تنطلق منهم عبارات التثبيط، عبارات الخذلان فيؤثرون على هذا وعلى هذا، وعلى هذا، تأثيرا كبيرا، هؤلاء مردة، كيف أصبحوا مردة؟.

لأنهم هم من يطورون أساليب نفاقهم، من ينّمون القدرات النفاقية داخل أنفسهم، فأنت يا من أنت جندي تريد أن تكون من أنصار الله، ومن أنصار دينه في عصر بلغ فيه النفاق ذروته، بلغ فيه الضلال والإضلال قمته يجب أن تطور إيمانك، أن تعمل على الرفع من مستوى وعيك.

فإذا لم يكن الناس إلى مستوى أن يتبخر النفاق أمامهم، أن يتبخر التضليل أمامهم فإنهم هم قبل أعدائهم من سيجنون على أنفسهم وعلى الدين، وعلى الأمة، كما فعل السابقون، كما فعل أولئك الذين كانوا في ظل راية الإمام علي، وفي ظل راية الحسن، وفي ظل راية الحسين، وفي ظل راية زيد (عليه السلام).

كان الإمام زيد عليه السلام يقول: ((البصيرة، البصيرة))، يقول في ذلك القرن في مطلع القرن الثاني: ((البصيرة، البصيرة)) يدعو أصحابه إلى أن يتحلوا بالوعي، ألم ينهزم الكثير ممن خرجوا معه؟ ألم يتفرقوا عنه؟ لأنهم كانوا ضعفاء البصيرة، كانوا ضعفاء الإيمان، كانوا قليلي الوعي، أدى إلى أن يستشهد قائدهم العظيم، أدى إلى أن تستحكم دولة بني أمية من جديد.

رأينا ماذا عملوا، جنوا على الأمة من جديد، فتحملوا أوزار من بعدهم، وهكذا، الهزيمة في مجال العمل لله، ضعف البصيرة في مجال العمل لله، ضعف الإيمان في مجال العمل لله قد يجعلك تترك أثرا سيئا تتحمل فيه أوزار الأمة، وأوزار الأجيال من بعدك، ليست قضية سهلة، خطورة بالغة، خطورة بالغة هي أخطر بكثير من تخاذل الطرف الآخر عن بعضهم بعض؛ لهذا رأينا ماذا حصل في أحد ـ وهو درس مهم ـ عندما تخاذل أصحاب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، عندما بدأوا يتنازعون، بدأ الفشل، بدأ العصيان، وهم تحت قيادة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ماذا حصل؟ هيئ لهم أن يُضربوا بالكافرين فعلا، {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ} (آل عمران: من الآية١٦٦).

لتفهموا أن تخاذلكم ليس سهلا هو جناية على الأمة، جناية على الرسالة، لكن إذا تخاذل جند أبي سفيان هل سيتحمل أولئك المتخاذلون شيئاً؟ لا. مطلوب منهم أن يخرجوا عما هم عليه، لكنك أنت متى تخاذلت وأنت تحت راية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فأنت من تهيئ الساحة لأن ينتصر الجانب الآخر جانب الكفر، فستجني على الرسالة، وتجني على البشرية كلها.

أنا أعتقد أن الفساد في العالم كله، المسلمون الأوائل الذين تخاذلوا، المسلمون الأوائل الذين حرفوا، المسلمون الأوائل الذين قعدوا عن نصر دين الله هم من يتحمل جريمة البشرية كلها؛ لأنهم هم من حالوا دون أ ن تكون هذه الأمة بمستوى النهوض بمسؤوليتها، فتحمل الرسالة إلى كل بقاع الدنيا. هذا كان هو المطلوب من العرب. لكن أولئك أصحاب الجباة السوداء من طول السجود تحت راية الإمام علي، الذين تحولوا إلى خوارج بجهلهم بغبائهم، لعدم وعيهم.

من الوعي أن تفهم هذه النقطة، من الوعي أن يفهم المؤمنون هذه النقطة الخطيرة: أنه فيما إذا تخاذلت أنا سيكون تخاذلي جناية على الأمة، جناية على الأمة في الحاضر والمستقبل، وسأكون أنا من يتحمل أوزار من بعدي، أوزار كل من ضلوا، وفسادهم وضلالهم من بعدي جيلا بعد جيل، أولئك عندما تخاذلوا عن نصرة الإمام علي لضعف وعيهم وقلة إيمانهم، مع كثرة ركوعهم وكثرة تلاوتهم للقرآن، هم من حالوا دون أن تسود دولة الإمام علي (عليه السلام) ويهزم جانب النفاق والتضليل، جانب معاوية.

ماذا لو كانوا من أصحاب الإيمان الكامل وانتصر بهم الإمام علي (عليه السلام)؟ كيف سيكون واقعهم هم عند الله؟ يكونون عظماء، فيكونون مشاركين لكل إنسان مؤمن يهتدي في هذه الدنيا، لو وقفوا وقفة جادة مع الإمام علي لانتصر الإمام علي، واستطاع أن يغير وجه التاريخ، واستطاع أن يغير هذه الأمة فيردها إلى نفس التربية التي أراد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تتربى عليها.

كان هو يقول: ((لو استقرت قدماي في هذه المداحض لغيرت أشياء)) أشياء كانت قد ترسخت خطيرة.. لماذا لم يقفوا معه ليتمكن من تغيير تلك الأشياء، ومن إعادة بناء الأمة على أساس صحيح فيحظوا هم يحظوا بالسبق فيكونوا كالسابقين في بدر، ولكن تخاذلوا لضعف وعيهم، لقلة إيمانهم.

((وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) حتى وإن كان هو زين العابدين، ما يزال ذلك الرجل الذي يقطع ليله في العبادة، ويجوب شوارع المدينة يحمل الطعام فوق جنبه، فوق ظهره يوزعه للضعفاء والمساكين والأرامل، من حيث لا يشعرون، هو من كان لا يزال يدعو: ((وبلغ بإيماني أكمل الإيمان))؛ ليقول للناس من بعده، وهي نفس الكلمة التي رفعها زيد لأصحابه: ((البصيرة .. البصيرة)) فلم يستبصروا، فتخاذلوا، فقتل، واستعاد بنو أمية حكمهم من جديد.

نحن نقول: ليس فقط بنو أمية الذين يتحملون أوزار هذه الأمة، بل وأولئك الذين تخاذلوا تحت راية الإمام علي، من صف الإمام علي، ومن صف الإمام الحسن، ومن صف الإمام الحسين، ومن صف الإمام زيد ومن بعده من الأئمة كل من تخاذلوا هم ممن يتحمل الأوزار الكثيرة.

ليس فقط أوزار العرب ـ هذه خطورة تخاذلنا نحن العرب ـ العرب إذا ما تخاذلوا يتحملون حتى أوزار الآخرين من الأمم الأخرى؛ لأنهم هم لو استقامت دولة الإسلام في وسطهم، لو استقرت وضعيتهم، وكانوا على صراط الله وهدي الله، هم من سيستطيعون أن يغيروا وجه الأرض هذه بكلها، فكل تخاذل أنت مشارك فيه وزر ذلك الرجل في طرف استراليا، أو في المكسيك، أو في أمريكا أو في أي منطقة.

خطورة هذه على العرب أكثر من غيرها فعلا؛ لأن الله قال فيهم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **لتهدوا الناس فإذا ما تخاذلتم عن أن تقوموا بهذه المهمة فإنكم شركاء في أوزار الناس، كل الناس. من الذي كان بإمكانه أن يبلغ هذا الدين؟ الذي كتابه عربي ولسانه عربي وأعلامه عرب؟ إلا العرب أنفسهم لكنهم تخاذلوا فرأينا ما رأينا. من أين يأتي التخاذل؟ من ضعف الإيمان، من ضعف الإيمان.**

ويقول (عليه السلام): ((واجعل يقيني أفضل اليقين)) يكون الوعي أحياناً بشكل معلومات مهما بلغت درجته، يكون بشكل معلومات في نفسك حتى يطمئن إليه قلبك ويستقر في قلبك فتبلغ درجة اليقين التي تؤهلك للاستقامة والثبات.

أليس القرآن الكريم هو أرفع درجات الوعي؟ احمل مصحفاً صغيرا في جيبك هل ستكون واعيا إلى درجة عالية؟ لا. قد تكون في أعمالك بالشكل الذي يضرب القرآن وهو في جيبك. لا بد للأشياء أن تنتهي في نفسك إلى درجة اليقين، تترسخ فتنطلق هي لتجعل من قوامك مستقيماً مستقراً ثابتاً {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} (فصلت: من الآية٣٠) **{قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} قالوها بألسنتهم فوعوا معانيها، ثم ترسخت في أنفسهم بشكل يقين فاستقاموا، استقاموا وثبتوا.**

اليقين هو معنى أن تكون عظيم الثقة بالله. ألسنا نؤمن ـ كمعلومات ـ أن الله على كل شيء قدير؟ وأن الله سينصر من نصره إن الله لقوي عزيز؟ ألسنا نؤمن بأن الله مع الذين آمنوا؟ وأن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور؟ وأنه وعد المجاهدين في سبيله بأن يؤيدهم بنصره وبملائكته؟ هذه مجرد معلومات.. أليس كذلك؟.

لكن نريد أن تصبح يقينا في أنفسنا، يقينا في أنفسنا، حينها نلمس أننا أصبحنا عظيمي الثقة بالله، واثقين بالله، واثقين بصدق وعده.. هذه حالة نفسية تحتاج فيها أيضاً إلى أن ترجع إلى الله لتطلب منه هو: ((واجعل يقيني أفضل اليقين)).

الله هو الذي يملك القلوب، ويملك النفوس وهو الذي سيهيئ لك الكثير والكثير مما يصنع اليقين في نفسك، مما يملأ قلبك يقينا وطمأنينة.

وحتى لا نغلط أن نقول: نحصل على وعي، ولكننا نرى أنفسنا ليس وعينا أكثر من مجرد معلومات، هي نفسها غلطة كغلطة من يضع لنفسه خطا هناك، أنت ستضع لنفسك أيضا خطا هنا: علمت من خلال التحليل الفلاني

للآية الفلانية، من خلال مشاهدات معينة، من خلال كذا أو كذا. حاول أن تنطلق إلى أن ترسخ هذه كلها في نفسك لتتحول إلى يقين، وإلا فستكون أيضاً جنديا ضعيفا ومؤهلا لأن تُضرب في دينك وأمتك من جديد.

هي الحالة التي نعاني منها جميعاً نحن المسلمين، أليس القرآن بين أيدينا؟ أولسنا بعيدين عنه؟. ما الذي ينقصنا؟ هل هو العلم بأن القرآن من عند الله؟. نحن نعلم جميعا لكن مجرد معلومة.. ما الذي يجعلنا نتعامل مع القرآن بالشكل الذي يجعل علمنا به واقعا في نفوسنا، واقعا في سلوكنا، في حركتنا في الحياة؟ هو اليقين، يقين في النفس يتحكم في كل مشاعرها، في كل حركاتها، في كل مواقفها.

أنت هنا تحتاج حاجة ماسة إلى الله، إلى أن تطلب منه هذا الجانب المهم من هدايته، أن يرسخ اليقين في نفسك. ((واجعل يقيني أفضل اليقين)) إذا لم يكن لديك يقين، فما أكثر ما تمر في حياتك بالأشياء التي تجعلك ترتاب، تجعلك تشك، تشك في نفسك، تشك في أعلام الهدى الذين أنت تتمسك بهم، تشك حتى في ربك، هناك من المضلين من يستطيع أن يجعل الكثير يشكون حتى في الله.

أو لم تنتشر [الشيوعية] في بقعة كبيرة من الدنيا في أوساط البلدان الإسلامية؟ أو لم يكن هناك من يظهر من بينهم فيتحدى المسلمين، ويتحدى علماء المسلمين، يناظرهم، هناك فلاسفة برزوا من بينهم يستطيعون أن يصيغوا الشُبَه، وينمقوا بزخارف القول باطلهم الذي يؤدي إلى الإلحاد بالله سبحانه وتعالى فخدعوا شعوبا كثيرة.

إذا لم يكن لديك يقين فستسمع الكثير، الكثير مما يعمل على أن يملأ قلبك ارتيابا وشكّا في طريقتك التي أنت عليها، في من يقودك، في من يهديك، حتى في الدين الذي أنت عليه، حتى في الإله الذي أنت تعبده.

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} (فصلت: من الآية٣٠) {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} (الحجرات: من الآية١٥) وصل إيمانهم إلى درجة لا يمكن أن يتعرض للارتياب، لا يمكن أن يؤثر فيه من يعمل على أن يخلق في القلوب الارتياب. {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} ماذا يعني هذا؟ يقين.. تحول إيمانهم إلى يقين راسخ في نفوسهم، وعي كامل ترسخ بشكل يقين في أعماق نفوسهم فلم يتعرضوا للارتياب لا من خلال شكوكهم هم ووساوس الشيطان لهم، ولا من خلال الآخرين من يعملون على محاربة هذا الدين، ومحاربة من يؤمن به، ويتحرك في سبيله.

ثم يقول (عليه السلام): ((وانته بنيتي إلى أحسن النيات)) النية نفسها مهمة جداً، هي قصدك وأنت تتحرك في مختلف ميادين العبادة لله سبحانه وتعالى، توجهك، هي النية التي تجعل لعملك قيمة أو تجعله لا قيمة له حتى وإن سقطت ضحية في الميدان، وليست تلك النية التي تجعل كل قطرة من دمك تتحول إلى مسك يوم تبعث بين يدي الله، إذا لم تكن نيتك هي النية التي تجعل روحك تعيش في عالم آخر حيا فستكون أعمالك كلها لا قيمة لها، بذلك كله لا قيمة له، تضحياتك كلها لا قيمة لها.

ولأهمية النية تتكرر في القرآن الكريم ـ وهو يأمر عباده في مختلف مجالات ميادين العبادة ـ أن عليهم أن يتوجهوا بعبادتهم إليه {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (البينة: من الآية٥) {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} (الكهف: من الآية١١٠) وعن الجهاد يقول دائما فيه: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أليس كذلك؟.هل تفهموا هذه؟

تتكرر هذه، يقول لك: يجب أن يكون توجهك وتكون نيتك وقصدك وأنت تتحرك في ميادين العمل في سبيل الله، ميادين أعمال الجهاد أن يكون ذلك كله في سبيل الله، من أجل الله من أجل نصر دينه، من أجل إعلاء كلمته. لا أريد من هذا أن يقدر لي عملي، ولا أريد من هذا أن يشكرني على ما عملت، ولا أريد من هذا أن يعلم ماذا صنعت ولا أريد من هذا أن يعلم أثر ما قدمت، أريد ممن يعلم الغيب والشهادة هو وحده أن يكتب لي أجر ما عملت، وأن يتقبل مني ما عملت وبدون منّة عليه.. سأقول له: هذا هو أقل قليل يمكنني أن أعمله، هذا هو ما يمكنني أن أعمله وهو قليل يا إلهي في جانبك، هو قليل في جانبك، هو قليل في جانب ما يجب علي لك.

فما أكثر ما تكررت كلمة: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أو تأتي أحيانا بأبلغ منها {فِي اللَّهِ} {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج: من الآية٧٨) {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٦٩).

ثم أنت حتى تتمكن أن تقطع على نفسك أن لا تلتفت إلى غير الله، وأنت تنطلق في الأعمال العبادية بمختلف أنواعها قارن بين الله وبين الآخرين الذين تحاول أن يلتفتوا إليك ليقدروا عملك، أو يشكروا جهدك، أو يثنوا عليك ما قيمة ثنائهم عليك؟. ما قيمة تقديرهم لعملك؟. ماذا يمكن أن يصنعوا لك بجانب ما يمكن أن يصنعه الله لك؟. قارن بين الله وبين الآخرين، ستجد أنه ليس هناك أحد بمستوى أن تشركه في ذرة من عملك، في مستوى أن ترجو منه أقل قليل، قد يكون في مقابل أن تفقد الكثير، الكثير من ربك.

ليعظم الله في أنفسنا حتى يصغر كل ما سواه في أعيننا. الإنسان الذي يرائي، الإنسان الذي ينتظر الثناء من الآخرين، الذي ينتظر الجزاء من الآخرين هذا هو إنسان ليس لله في نفسه ذرة من شعور بالعظمة، هذا هو إنسان فعلا يؤله الإنسان أكثر مما يؤله رب العالمين، هذه هي الحماقة بنفسها، هذا هو الغباء بنفسه، هذا هو الضلال بعينه، هو ضياع الأعمال والجهود.

الإخلاص لله هو صمام الأمان في ميادين العمل أيضاً. إذا انطلق الناس وكلهم مخلصون لله سيخلصون في السر وفي العلن، وفي السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وسيخلص سواء هو أمام فلان أم ليس أمامه، سيخلص في أي عمل يقوم به سواء رآه أحد أم لم يره أحد، سيكونون هم مجموعة يحافظون على توحدهم على أرقى درجات ما يمكن أن يصل إليه الناس في توحدهم، فما يفرق بين الناس إلا هذه المشاعر مشاعر الرياء. [أنا تحركت فلم يقدروا جهودي، هؤلاء لا يصلحوا]. فتذهب من عندهم، والآخر يذهب، والآخرون يذهبون من عندك، وهكذا.

لكن إذا انطلق الناس من أجل الله فما الذي سيفرق بينهم حينئذ؟ سيكونون جميعاً نفسياً مهيئين لأن يقبلوا توجيها واحداً هو هدي الله؛ لأنه ليس في نفوسهم شيء آخر بديل، ليس لدينا مطامع شخصية، ولا مقاصد شخصية، لا مادية ولا معنوية، وبالتالي فما الذي يحول بيني وبين أن أقبل هديا واحدا من جانب الله، أسير عليه أنا والآلاف من زملائي؟.

إنما أحيانا لا تسير مجموعة مكونة من عشرة أشخاص إذا كان داخلها من له رؤى أخرى يعمل على بناء شخصيته ـ كما يقولون ـ أن يكون هو مفكرا، أن يكون له حق التفكير، وحق إبداء الرأي، أن يكون هو الذي له حق أن يجتهد، وله حق أن ينظر، وله حق.. وله حق.. إلى آخره. يملأ رأسه بالحقوق الشخصية له، وحينئذ فأي جانب من التوجيهات هي من داخل القرآن الكريم سيعمل على أن يدفعها.

فإذا كان زميله هذا أو ذلك ممن يمكن أن يقبل ذلك التوجيه من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه ليس لهم هناك قائمة للحقوق الشخصية داخل نفوسهم فإنه وهم لن ينسجموا.. بل ستكون حركته في الساحة مختلفة عن حركتهم، وسيعمل على أن يصنع في الساحة نسخا من نوعيته في الناس، وهذا هو نفسه من أهم بواعث التفرق، ذلك التفرق الذي يصبغ كل طرف فيه ما هو عليه بصبغته الدينية فيضفي على تفرقه وخلافه صبغة دينية.

الناس إذا ذابوا في الله سبحانه وتعالى قبلوا جميعا كلمته الواحدة، هديه الواحد.. ألم نقل أمس في المحاضرة أن هناك نموذج مهم لهذا الجانب هو أنبياء الله على اختلاف أزمنتهم، وأمكنتهم، تلمس فيهم روحية واحدة، وصفا واحدا، بل يعطون الموثق والشهادة لله، والعهد لله: أنه إن بعث الله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يقفوا جنودا معه أن ينصروه، أليس هذا هو قمة الذوبان في الله؟ وهم أنبياء مكانتهم عالية.

ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ إلغاء تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم: لي حق أن أكون كذا، ولي حق كذا.. ولماذا لم يعتدوا برأيي، ولي حق إبداء نظري ولي حق.. ولي... الخ.

أنت تستطيع أن تنفع الإسلام، وتستطيع فعلا أن تنطلق في الساحة فتقيِّم كل شيء، تنظر إلى أعمال الآخرين من أعداء الله فتراقبها عن كثب ثم ارفع وجهات نظرك إلى الآخرين ممن تراهم قادة لك أو أعلاما لحركتك، وهم إذا كانوا مخلصين، مهتمين سيكونون ممن لا ينظرون نظرة احتقار إلى أي شخص مهما كان، فبإمكانه أن يذكرنا بقضية مهمة، ألم يتمكن [هدهد] من أن يدل أمة بكاملها بملكتها على أن تسلم؟ ألم يستفد سليمان (عليه السلام) من نملة واحدة؟.

الكل بحاجة إلى أن يذوبوا في الله، والكل بحاجة إلى أن يتحركوا بجدية، وكل واحد منهم يتحرك وكأنه هو القائد، وكأنه هو المعني بكل شيء، وكأنه هو المسؤول عن كل شيء، وكأنه هو من عليه أن يهتم بكل شيء، بشكل مراقبة لواقع الآخرين وأعمال الآخرين، وأي قصور أو تثبيط أو تخاذل يحدث من جانب الآخرين من زملائه.
ثم ليقدم كل معلوماته لمن يرى أنهم هم من يقودون أعماله، من يتحرك هو وهم في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي مواجهة أعدائه.
الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله، وأحيانا قد تخسر قيمة كبرى لعملك، ليست فقط هي ما يمكن أن يعطيه عملك في حدوده بل آثاره أيضا، آثاره في الآخرين، وآثاره في الأمة من بعدك.. الإنسان إذا راى أنه سيخسر شيئاً عظيماً، سيخسر أجراً مضاعفاً يتكرر جيلاً بعد جيل.
أما إذا أخلص لله فسيكون هو من يلقى الله سبحانه وتعالى بأجر كبير، بأعمال مضاعفة، ليست فقط هي أعماله بل ومن أعمال الآخرين، ومن حسناتهم الذين كان عمله سبباً لهدايتهم، من كان عمله سبباً لإنقاذهم، كان عمله سبباً لتوعيتهم، وتبصيرهم، وإكمال إيمانهم.
أليس هذا هو الفضل العظيم؟ ألم يقل الله عن أولئك المجاهدين: {ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: من الآية٥٤)؟ لأنه هكذا أنت في ميدان أن تصنع لنفسك فضلا عظيما عند الله، أن تبني لنفسك رصيدا مهما من الأجر الكبير من الحسنات المضاعفة عند الله، المجاهدون هم أولئك الذين يعملون على أن ينقذوا الأمة، وينقذوا الأجيال من بعدهم فيكونوا هم من سيشاركون كل فرد في الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها.. أليس هذا هو الفضل العظيم؟.
عمرك القصير سبعين سنة، ثمانين سنة، ستين سنة.. ماذا يمكن أن تتسع له أمام تقصيرك وقصورك وجهلك؟!.
لكن تلك الأعمال المهمة هي الكفيلة بتغطية ذلك النقص.
أليس هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء بهذه العبارة؟: {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} فمن هو الذي يجعل نفسه جديراً بأن يؤتيه الله ذلك الفضل؟ هو من ينطلق في أعماله بإخلاص.
هذا هو فيما يتعلق بقيمة الإخلاص لله، فيما يتعلق بأجر العمل وهو في نفس الوقت له أثره المهم في توحيد كلمة الأمة، توحيد كلمة المجموعة، توحيد كلمة العاملين، بل وفاعليتهم سينطلقون بجد حتى وإن كان في ظلمات الليل في الصحراء لا ينتظر لأحد أن يلتفت إليه فيقول: ما شاء الله. يرى نفسه في حالة شديدة في الصحراء من البرد، من الجوع، من الألم لا يخطر بباله أن يتمنى [أن فلان يراني ليعرف أني أحسن من ذلك الشخص الذي رابض عنده أو أحسن من فلان الذي يعتمد عليه.. أو.. أو..] من هذه العبارات الكثيرة.
هو وحده واثق أن هناك من يراه هو الله، وهذا هو المهم أن يكون الله الذي يراه، هو وحده الذي يقبل عمله ذلك.. أليس الإخلاص هو الذي سيجعل كل جندي يتفانى في أي ميدان هو؟ أليس الذي هو سيقفل كل بواعث التفرق؟.
معظم بواعث التفرق هي: البغي، والحسد. والبغي والحسد منبعه هو: النظرة الشخصية، مصالح شخصية، حقوق شخصية، أهداف شخصية، ومقاصد شخصية.. أليس هكذا الله تحدث عن أولئك الذين تفرقوا من بعد أنبيائهم، أن ما كان يدفعهم للتفرق هو البغي هو الحسد. البغي من بعضهم على بعض اعتداءهم، ومتى ستعتدي على أخ لك في الله وأنت وهو منطلقان في ميدان العمل لله بإخلاص لله.
من الذي سيفرق بينكم؟ الله الواحد الأحد يمكن أن يفرق بينكم؟! وهو الذي لم يفرق بين أنبيائه جيلا بعد جيل، وهو الذي طلب منا كمؤمنين أن نؤمن بأن لا تفرقة بين أنبياءه {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} (البقرة: من الآية١٣٦) أبدا.. لا الله، ولا هديه، وإنما أنت أو أنا، إذا ما ابتعدنا عن هدى الله سيظهر البغي سيظهر الحسد، ستظهر المصالح الشخصية، ستظهر المقاصد السخيفة، ستظهر الحماقة.
ثم حينها سيكون كل طرف قوي.. قوي في سبيل مواجهته للطرف الآخر؛ لأنه حينئذ أصبح يتحرك لتحقيق أهداف شخصية لديه، وما أحمق الإنسان وما أضعف إيمانه، وما أضعف يقينه بالله إذا ما كانت حركته قوية

عندما يتحرك من أجل مصالحه الشخصية، ومن أجل تحقيق أهدافه ثم هو الضعيف الضعيف إذا ما كانت حركته لله وفي سبيل الله.

الإخلاص لله سيقضي على كل هذه السلبيات، على كل هذه الثغرات سيسدها. حتى تكون نيتك على هذا المستوى أيضا أنت من يفكر دائما في عظمة الله، وفي حاجتك إليه، وفي أنه وحده فوق كل طرف آخر ممكن أن تطلب منه شيئا أو تخاف منه شيئا، الثناء من قبله وحده عليك أعظم من أي ثناء من الآخرين عليك.

فمنه وحده أطلب أن ينتهي بنيتك إلى أحسن النيات، فقل: ((وانته بنيتي ـ يا إلهي ـ إلى أحسن النيات)) انته بنيتي إلى أحسن النيات. هل أنّي على هذا النوع؟ هل يكون هذا مقصدي؟ إليك أنت وحدك يا إلهي اجعل عملي على أحسن ما ترى، وجِّهْهُ إلى أحسن ما ترى. فأن يكون عملك في الله ومتى كان العمل لله انظروا ماذا عمل سبحانه وتعالى لأولئك من أهل البيت الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) عندما تصدقوا بشيء بسيط لكنه انطلق منهم على هذا النحو: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} (الإنسان:١٠).

هذه الروحية، هذه النية، تلك المقاصد هي التي جعلت حفنة من الشعير، أقراصاً معدودة تخلد ذكر أولئك الذين قدموها لمسكين واحد، وأسير واحد، ويتيم واحد، تخلد تلك الفضيلة وتلك العطية العظيمة البسيطة في القرآن الكريم، فنحن نقرأها لنعرف نحن كيف أن يكون همك هو أن تكون نيتك صالحة لله وفي الله، وأنت تعمل في سبيله، وأنت تقوم بأي عبادة من عبادات الله في صلاتك، في صيامك، في ذكرك لله، في حجك، في إنفاقك، في قولك الحق، في نصيحتك، في كل عمل تعمله يرضي الله أن يكون مقصدك فيه هو من أجل الله.

ستكون حينئذ الكلمة الواحدة يضاعف لك أجرها؛ لأن الله رحيم، فقط يريد منا أن نتجه إليه وأن نخلص له، أليس هذا هو أقل قليل يطلب منا؟. أما أنك تريد أن يرحمك، وتريد أن يدخلك جنته، وتريد أن يعمل لك كذا ويعمل كذا وكذا، وأنت حتى لا تتجه إليه؟!. هذه حماقة هذا أسلوب خاطئ جدا، هو يقول لك: اتجه إلي بعملك والقليل من عملك سأضاعفه، بل سأكتب آثاره {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} (يـس: من الآية١٢) الله يكتب ما قدمت أنت من أعمال، ويكتب آثارها.

أليست هذه من أظهر مظاهر رحمته بنا؟. فقط يقول لنا: أخلصوا، أخلصوا. ولأن الإخلاص له وهو الشيء الذي لم يخرج عن القاعدة العامة لهدي الله: أن كل شيء من الإيمان بالله أوّلا والإخلاص له كل شيء له أثر في حياتنا، أثر في نفوسنا، أثر في وحدة كلمتنا، أثر في أن تكون أعمالنا ذات أثر ـ كما تحدثنا عن الإخلاص ـ ليس أن الله يقول هكذا من منطلق الأنانية، هل يمكن أن نقول كذا بالنسبة لله؟. بل لأن كل شيء هدانا إليه حتى توحيده هو له أهميته الكبرى فيما يتعلق بنفوسنا، وفيما يتعلق بمسيرتنا في هذه الحياة، ليس هناك شيء من دين الله ليس له أثر في واقع الناس، في واقع الحياة، في صالحهم في الحياة في عزتهم في الحياة، في كرامتهم، في عظمتهم في سعادتهم في كل شيء، لأن الله هو غني عن عباده، أليس كذلك؟.

لو كفر الناس جميعا بالله لن يضروه شيئا، لن ينقصوا من كماله شيئا، ولأنه الكامل ولأنه الغني الذي لا يحتاج إلى أحد هو من جعل كل شيء من هديه ودينه ذو مصلحة لعباده الذين هداهم إلى هذا الدين وأرشدهم إليه ودعاهم إليه لمصلحتهم في الدنيا وفي الآخرة، لو تأمل الإنسان هذه الأشياء: المظاهر المتعددة لرحمة الله لوقف خجلا مستحيا أمام الله، في ميدان الإخلاص، يقول لك توجه إلي.

وأنت لو تأتي ببديهتك ومن أول نظرة لتقارن بين الله وبين غيره لن تجد أحدا ترى نفسك مندفعة إليه غير الله سبحانه وتعالى لترجو منه، وتخاف منه، وتتمسك به، وتثق به.

ويقول (عليه السلام): ((وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال)). كما أنه مطلوب منا في مقام الإيمان، في مجال اليقين [أن تسعى إلى درجة الكمال في إيمانك في يقينك في نيتك، كذلك في الأعمال نفسها] لا تكن ممن يرضى لنفسه أن يقف عند أعمال معينة أن يضع لنفسه روتينا معيّنا في الحياة في العمل لله.. حاول دائما أن تبحث عن أحسن الأعمال، أن تشترك في أحسن الأعمال، أن تدخل في أحسن الأعمال، بل أن تكون

سباقا إليها، لا تقل: [المهم حسنات سيكفيني هذا، وقد قالوا بأن من عمل كذا سيكون له كم حسنات، ثم تعدها عشر، وعشر، ثم تنظر كم سيكون لك في السنة!].
الأمور ليست على هذا النحو، بل ربما أن الحسنات هناك لا تكتب لك إطلاقا إذا لم تنطلق إلى الأعمال الأخرى الكبرى، إن الأعمال الكبرى هي نفسها من تجعل للأعمال الصغرى قيمتها، من تجعل حتى الأعمال الصغيرة ذات أهمية كبرى.
أتدري أنك متى ما كظمت غيظك من أجل أن لا يشمت بك الناس، أو يقولوا قد أصبح يتشاجر فلان وابنه أو فلان وأخوه. هذا شيء جيد، لكن أن تكظم غيظك من أجل أن تحافظ على وحدة الناس الذين أنت تريد أن تنطلق معهم في سبيل الله، تكظم غيظك وتعفو عن صاحبك وعن أخيك من أجل هذا المقصد هو من يجعل لكظم الغيظ هنا وللعفو هنا أثره الكبير وأهميته البالغة، يعتبر جزءاً من الجهاد وعملاً من الأعمال التي تهيئ الأمة للجهاد، فما أعظم الجهاد الذي هو سنام الإسلام.
هكذا ابحث عن أحسن الأعمال؛ لأن أحسن الأعمال هي من تجعل أعمالك الصغرى التي قد ألفت عليها، وتجعل تلك الأعمال التي هي في متناولك يوميا تجعلها ذات قيمة كبيرة وأهمية بالغة.
أنت مرتبط بالكمال المطلق هو من جعل الوصول إليه كمالا متدرجا، كمالات، سلما من درجات الكمال في مجال الأعمال، في مجال الإيمان، في مجال اليقين، في مجال النية لتحظى بالقرب منه، كلما صعدت درجة في سلم كمال إيمانك كمال أعمالك، كلما كنت أكثر قربا منه، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (الواقعة:١١)
السابقون هم من يختصرون المسافة، هم من يقفزون إلى الدرجة الوسطى في سلم الأعمال ـ قبل أولئك الذين يبدأون السُلّم من أسفله من أول خطوة فيه ـ ثم يقفزون إلى الدرجة العليا أو الدرجة الوسطى في سلم الأعمال فيكونوا أقرب من غيرهم من الله.
كيف نتصور القرب إلى الله؟ هل هو قرب أفقي أو قرب إلى تحت أو قرب في اتجاه العلو؟. نحن مفطورون على هذا الشعور: أن اتجاه القرب إلى الله هو في السُّمُو أليس كذلك؟. عندما يقول: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} هل تفهمون المقربين ـ هكذا ـ اتجاهاً أفقياً أو ـ هكذا ـ تحت؟ مقربون؛ لأن الله كامل، والله هو العلي العظيم، هو من يكون أولياؤه هم أولئك الذين يتدرجون في سلم الكمال إلى حيث ينتهي بهم الكمال الذي أراده الله لهم.
إذاً فلا بد للإنسان المؤمن من واقع حرصه على أن تكون أعماله ذات قيمة كبرى عند الله، ومن واقع حرصه على أن يحظى برضى الله سبحانه وتعالى، وهو يعلم أن هذا العمل سيكون لله أرضى، وسيكون فيه لله رضى أكثر من هذا العمل الذي أنا عليه، بل إذا انطلقت إلى هذا العمل الأكبر سيكون هذا العمل الذي أنا عليه أكثر رضى لله، وأنت من واقع حرصك على أن تحصل على رضى الله، والله هو من يجدر بنا أن نبحث عن رضاه، هو من يكون لرضاه أثره الكبير في حياتنا وآخرتنا، فانطلق إذاً لتدعوه سبحانه وتعالى أن ينتهي أيضا بعملك إلى أحسن الأعمال، عملي الذي أنطلق فيه اجعله يا الله من يمتد إلى أن يكون من أحسن الأعمال، وعملي بصورة عامة، جنس عملي ينتهي بي إلى أن أعمل أحسن الأعمال داخله.
فهل يدفعك أيضا إلى أن تنظر لعملك الذي أنت عليه، والأعمال تختلف بعضها أعمال تبدو صغيرة لكنها ممن يمكن أن يكون لها غايات كبيرة، لها امتداد عظيم، فاطلب من الله أن يساعدك على أن تسير في هذا العمل، ولأنك تعلم أنه بداية عمل كبير لأن أي عمل تنطلق فيه هو بداية عمل لإعلاء كلمة الله ومواجهة أعداء الله، فإن الكلمة الواحدة داخله، فإن الخطوة الأولى فيه هي مهمة.
أطلب من الله أن يساعدك على أن تستمر فيه لينتهي هذا العمل الذي أنت قد بدأته إلى أحسن الأعمال، وعادة العمل الواحد من هذا النوع هو من يشق طريقه في سلم تكامل الأعمال فيصعد إلى أعمال كثيرة أعمال كثيرة: من وحدة كلمة، من بناء أمة إلى أن تصبح أمة كما قال تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤). **هذا هو سلم الأعمال نفسها، عملك من هذا النوع لا يقف على وتيرة واحدة، ستراه وهو يدخل إلى أعمال كبرى، ستراه وهو يمتد.. يمتد وهو يصعد في سلم الأعمال فترى أعمالا كبرى، وكبرى، وكبرى إلى آخرها.**

أعمال أخرى هي قد تكون محدودة، وقد تكون نادرة، أنا لا أتذكر عملا واحدا إذا ما صلحت النية وصلح توجه الإنسان فإن كل عمل ينطلق فيه ـ باعتبار الأعمال كلها شبكة واحدة ـ يخدم بعضها بعض، فسيكون كل عمل له أثره في المجال الذي أنت تهتم به، للغاية التي أنت تريد الوصول إليها بالأعمال وبالأمة، الصلاة نفسها سيكون لها قيمتها، الزكاة نفسها سيكون لها قيمتها، الحج سيكون له قيمته أي كلمة تنطلق منك أو [شخطة] بقلم لكلمة تكتبها سيكون كلها من هذا النوع الذي هو يصب في قالب عمل يمتد ويمتد ليصل إلى حيث يعلي كلمة الله تعالى، ويعلي راية الله، إلى حيث يزهق الباطل، أوليست الأمة بحاجة إلى هذا العمل؟.

أوليس اليهود والنصارى هم من يعملون دائما على أن يزهقونا ويزهقوا أرواحنا ويزهقوا إسلامنا؟ يزهقوا ديننا، وكرامتنا، وعزتنا، واقتصادنا، وثقافتنا، وكل شيء؟.

لاحظوا.. هم من يسيرون على هذا النحو: يريدون أحسن الأعمال التي تكون أكثر تأثيرا في ضربنا، ويبحثون عن أكمل دائرة من الأعمال في الجانب السياسي، في الجانب الثقافي، في الجانب الاقتصادي، في جانب كذا، وفي جانب كذا لا ينسون حتى الأطفال لا ينسون حتى النساء، لا ينسون حتى الكبار ولا الصغار، لا ينسون أحدا أبدا أن يضلوه بأي طريقة، دائرة واسعة من الأعمال ينطلقون فيها ويبذلون في سبيلها المبالغ الكبيرة من أجل أن يزهقوا الحق، من أجل أن يزهقوا هذه الأمة في دينها وفي كرامتها كما قد فعلوا.

فلنقل جميعا: اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله، وبلغ بإيماننا أكمل الإيمان ... واجعل يقيننا أفضل اليقين وانته بنياتنا إلى أحسن النيات، وبأعمالنا إلى أحسن الأعمال.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

في ظلال دعاء مكارم الأخلاق

الدرس الثاني

ألقاها السيد/ حسين بدرالدين الحوثي

بتاريخ: ٢/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بالأمس كان حديثنا حول دعاء الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) [دعاء مكارم الأخلاق] الذي قال فيه: ((اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، وتحدثنا كثيراً حول هذه النقطة بالذات، وأن من كمال الإيمان هو الوعي والبصيرة، وأن كمال الإيمان يحتاج إلى هداية من الله سبحانه وتعالى، يهدي هو.

عندما تعود إلى كتابه الكريم يهديك هو إلى المقامات التي من خلالها تحصل على كمال الإيمان، يهديك إلى من يمكن أن تحصل بواسطتهم على كمال الإيمان، وفيما يتعلق بهذا الموضوع الذي يحتاج إلى أن يكون هناك في الأمة من يعمل على تربية الأمة ليصل بها إلى كمال الإيمان، أو ليترقى بها في درجات كمال الإيمان.

الشيء الملاحظ في تاريخ الأمة أن كل أولئك الذين حكموا المسلمين بدءاً من أبي بكر، أولئك الذين حكموا المسلمين ـ من غير الإمام علي (عليه السلام) ومن غير أهل البيت، ومن كانوا في حكمهم أيضا ـ خارجين عن مقتضى الإيمان، هم من أضاعوا إيمان الأمة، بينما نجد أنه على يد أهل البيت (عليهم السلام) كالإمام علي (صلوات الله عليه) ومن بعده من أئمة أهل البيت هم من عملوا على تربية الأمة تلك التربية التي ترقى بها في درجات كمال الإيمان.

فالذي اتضح جليا أن الكثير من حكام المسلمين بما فيهم حكام هذا العصر لا يمكن بواسطتهم ومن خلالهم أن يقوموا بتربية الأمة تربية إيمانية تترقى بهم في درجات كمال الإيمان، ونحن نجد أنفسنا، وكل واحد منكم شاهد على ذلك، بل ربما كل مواطن عربي في أي منطقة في البلاد العربية شاهد على ذلك.. أنه متى ما انطلق الناس ليربوا أنفسهم تربية إيمانية من خلال القرآن الكريم بما في ذلك الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وعن مباينة أعداء الله، وعن إعداد أنفسهم للوقوف في وجوه أعداء الله كلهم يحس بخوف من سلاطينهم ومن زعمائهم.

أليس الجهاد في سبيل الله هو سنام الإسلام؟. كما قال الإمام علي (عليه السلام)، أليس الجهاد في سبيل الله هو شرط أساسي من شروط كمال الإيمان؟. هذا هو ما أضاعه سلاطين المسلمين في هذا العصر، وإلغاؤه هو ما كان ضمن مواثيق [منظمة المؤتمر الإسلامي] أن لا يكون هناك حديث عن الجهاد، وهم من استبدلوا كلمة: جهاد، بكلمة: نضال، ومناضل، ومقاومة، وانتفاضة، وعناوين أخرى من هذه المفردات التي تساعد على إلغاء كلمة: الجهاد التي هي كلمة قرآنية، كلمة إسلامية.

أي مؤمن يمكن أن يقول أو أي إنسان يمكنه أن يقول أن بإمكانه أن يكون مؤمنا دون أن يكون على أساس، دون أن يكون إيمانه على أساس مواصفات المؤمنين في القرآن الكريم، لا يستطيع أحد أن يدعي ذلك.

إذاً فهل هؤلاء يسعون إلى أن يربوا الأمة تربية إيمانية؟ لا. التربية الإيمانية لا تكون إلا في ظل أهل بيت رسول الله، لا تكون إلا على يدي أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعليهم)، هذا ما شهد به التاريخ، وارجعوا أنتم إلى التأريخ كله بدءاً من يوم [السقيفة] إلى الآن.. هؤلاء هم من لا يريدون للناس أن يتحدثوا عن الجهاد في سبيل الله، وعن الإنفاق في سبيل الله.

ألم نكن نسمع أنهم يسخطون إذا ما أحد أنفق في التعاون لمدارس علمية؟ ألم نكن نسمع أنهم يعملون دعاية على أن هناك علماء يستلمون الزكاة، ويصرفونها في مدارس علمية فيسخطهم ذلك، وينطلقون في عداء شديد لأولئك العلماء، بينما هم يعلمون علم اليقين أن هناك [مشائخ] آخرين يأكلون الزكاة، يأكل بعضهم زكاة أصحابه، يستلمها ويأكلها فلا يزعجهم ذلك، ولا يتكلمون بكلمة واحدة ضده؛ لأن القضية لديهم ليست قضية زكاة، المشكلة هو أن هذا أو ذاك من العلماء قد يستلم الزكاة، هذا ما يخيفهم.. لو كان سيأكلها، لو كان سيشتري بها [الكباش] وكل يوم يأكل هو ومن يفد عليه أكثر من كبش لما آلمهم ذلك، لكن خوفهم من أن تمول مدارس علمية دينية تعلم الناس دين الله، تعلم الشباب دين الله، تعلم أبناءنا القرآن الكريم، هذا هو ما يزعجهم.

التربية الإيمانية.. هل نحن نسمعها من التلفزيون أو من الإذاعة؟ لا نسمع شيئاً، ليس هناك تربية إيمانية، وإذا ما تحدثوا عن جوانب معينة كانت من تلك المجالات التي ليس للجهاد فيها أي نصيب.. وكأننا أمة ليس لنا أعداء، وكأننا ليس لنا أعداء يملكون أفتك الأسلحة المتطورة.. إسرائيل، أمريكا، بريطانيا، وغيرها من دول اليهود والنصارى، من دول الكفر.

في هذه المرحلة الأمة أحوج ما تكون إلى تربية إسلامية، أو ليس حكام المسلمين يعلمون أنه من بعد حادث البرج في نيويورك، حادث [الحادي عشر من سبتمبر] حصلت ثورة داخل المواطنين في أمريكا فقتلوا مجاميع من المسلمين بما فيهم يمنيين، وسجن الكثير، ولا يزال سجناء يمنيون إلى الآن.. انطلقوا أولئك الناس، الأمريكيون في الشوارع بسخط ضد المسلمين، وحصلت أحداث مرعبة ضد المسلمين في أمريكا، وضد المسلمين في بريطانيا، وفي بلدان كثيرة، لكن المسلمين هنا في داخل أوطانهم لا ينزعجون لما يحصل في فلسطين، ولا لما يحصل في أفغانستان، ولا لما يحصل في كشمير، ولا لما يحصل في لبنان، ولا لما يحصل في أي منطقة أخرى!.

أعصاب باردة؛ لأنه ليس هناك من يربيهم تربية إيمانية، وإلا فهم يفهمون أن بالإمكان أن يربوا الأمة تربية إيمانية، وهم يفهمون أن الأمة أحوج ما تكون إلى تربية جهادية في هذه المرحلة من تاريخها بالذات لكن لا يمكن هذا على أيديهم، لا يمكن، ولا يتأتى على أيديهم أبداً؛ لأنه هو يخاف من الشعب إذا انطلق ليربيه تربية إيمانية، هو يخاف، هو يعرف نفسه، ويعرف ماذا يعني الإيمان، ويعرف كم بينه وبين الإيمان من مراحل.

لكن أهل البيت في تاريخهم الطويل، كان الإمام الذي يحكم هو من يسطر بيده وجوب الثورة عليه فيما إذا ظلم، وجوب الخروج عليه فيما إذا انحرف عن المسيرة العادلة، كان الإمام الهادي (صلوات الله عليه) **يبايع الناس على** ((**أن تطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، بل يجب عليكم أن تقاتلوني**)).

والأصل معروف في المذهب الزيدي [الخروج على الظالم] من الذي توارثه جيلاً بعد جيل؟. من الذي كتبه بيده؟ هم الأئمة الذين حكموا، هم الذين كانوا يرون أن القضية ليست قضية مرتبطة بالزيدية، هي قضية قرآنية، أنه يجب أن تربى الأمة تربية جهادية في كل مراحلها، وفي ظل أي دولة كانت، فكانوا هم من ينطلقون ليربوا الناس تربية جهادية، تربية إيمانية متكاملة.

هم.. لماذا؟ لأن هناك انسجاماً كاملاً بين أهل البيت والقرآن، انسجاماً كاملاً بين مواقف أهل البيت ومبادئهم والقرآن والإيمان.. فهو يرى بل يتمنى وإن كان في موقع السلطة، يتمنى أن ترقى الأمة إلى أعلى درجات الإيمان، هو لا يخاف، هو يعلم أن ما هو عليه، أن موقفه، أن كماله الذي هو عليه لا يتنافى مع الإيمان، هو مقتضى الإيمان فمما يخاف؟ بل يتمنى.ألم يكن الإمام علي (عليه السلام) **هو من يصدع بتلك الخطب البليغة لتوجيه الأمة، وتربيتها تربية إيمانية، وكذلك من بعده الحسن والحسين وزيد والقاسم والهادي وغيرهم.**

هذه نقطة ملحوظة، وكل طالب علم، وكل شخص ينبغي له أن يتعرف عليها: أنه لا يمكن أن تحصل تربية إيمانية للأمة، تربية إيمانية للأمة إلا على يد أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعليهم) **أما الآخرون فلا يمكن أن يحصل على أيديهم تربية حتى ولا أن يوجهونا للتربية الإيمانية، ويصرفوا أنظارنا إلى الآخرين إذا كانوا هم يخافون!.. لماذا لا يربون الأمة تربية جهادية في مواجهة إسرائيل وأمريكا؟ لا يمكن، لا يمكن لهم هذا.**

بل لم يسكتوا، ألم ينطلقوا ليسكتوا الناس عن الحديث ضد أمريكا وإسرائيل، وطلبوا من الناس أن اسكتوا، هل هذا منطق إيماني أو منطق ماذا؟ منطق من في قلوبهم مرض، أن يصل الحال بهم إلى هذه الدرجة، أن يقولوا للمسلمين اسكتوا، ونحن نرى أولئك، نحن نرى تلك الدول، دول الكفر، دول اليهود والنصارى هم من يربون شعوبهم تربية عدائية للعرب، تربية عدائية ضد الإسلام والمسلمين، تعبئة ثقافية ضد الإسلام والمسلمين، وفي المقابل يقال للناس اسكتوا!.

إذاً بأي شيء يمكن أن نواجه أولئك؟ ما هو البديل للإيمان؟ ما هو البديل للجهاد بكل مجالاته في مواجهة أعداء الأمة؟ هل هناك بديل؟ هل أنهم عندما يقولون لنا اسكتوا هم سيقومون بالمهمة؟ لا. هل عندما يقولون لنا: اسكتوا هم ينطلقون لوضع حلول أخرى؟ هل انطلقوا لتصحيح الوضع الاقتصادي للأمة حتى تحصل الأمة على

اكتفاء ذاتي؟ هل انطلقوا إلى تربية الأمة في مجالات متعددة أو بطريقة سرية لتكون قادرة على أن تقف على قدميها في مواجهة اليهود والنصارى.

أليس أنهم لو فعلوا ذلك لكان عزاً لهم هم؟ إذا ما كنت زعيم شعب وأنت تعرف أن شعبك وضعيته هي بالشكل الذي يمكن أن يتبنى مواقف، وأن يقف على قدميه في مواجهة أعدائه، ألست حينئذ سيمكنك أن تقول ما تريد، وستكون قويا في مواجهة الآخرين، ولن تملى عليك الإملاءات من قبل الآخرين؟ لكن متى ما ضعف الشعب متى ما ضعفت وضعيته الاقتصادية وغيرها، متى ما ذابت نفسيته وذاب الإيمان في واقعه أصبح زعيم الشعب نفسه لا يستطيع أن يقول كلمة قاسية، لا يستطيع أن يقول كلمة صادقة، لا يستطيع أن يقف على موقف ثابت، وهذا ما شاهدنا، ألم نشاهد هذا من كل الزعماء في البلاد العربية؟.

قد يقولون هم بأنهم رأوا شعوبهم ليست إلى الدرجة التي يمكن له هو أن يقول، أو أن يقف، أو أن يتحدى، أو أن يرفض.. لكن بإمكانك أن تربي هذا الشعب، بإمكانك أن تبني هذا الشعب اقتصاديا حتى تُأمّن له الاكتفاء الذاتي.

الإيمان، كمال الإيمان في مجال مواجهة أعداء الله مرتبط به تماماً ارتباطا كبيراً، الاهتمام بالجانب الاقتصادي ستكون الأمة التي تريد أن تنطلق في مواجهة أعدائها، وأن تقف مواقف مشرفة في مواجهة أعدائها قادرة على ذلك؛ لأنها مكتفية بنفسها في قوتها الضروري، في حاجاتها الضرورية.

إذاً فالتاريخ شهد، والحاضر شهد على أن كل أولئك لا يمكن أن يربوا الأمة تربية إيمانية ناهيك عن أن يصلوا بها إلى أن ترقى في درجات كمال الإيمان.

أكرر أن هذا هو ما يجب أن نعرفه؛ لأن الكثير من الناس ينظر إلى الجانب المادي فقط فإذا ما صعد رئيس هنا، أو ملك هنا، أو زعيم هنا كان أهم مطلب للناس من ذلك الشخص هو ماذا سيعمل في مجال توفير الخدمات!.

ومن العجيب أن توجهنا الآن أصبح إلى أنه ماذا يمكن أن يبني في مجال توفير خدمات: كهرباء، صحة، مدارس، ولا نقول لأنفسنا لماذا؟ لماذا نحن نرى قوتنا كله ليس من بلدنا؟ لماذا لا تهتم الدولة بأن تزرع تلك الأراضي الواسعة، أن تهتم بالجانب الزراعي ليتوفر لنا القوت الضروري من بلدنا؟. لا نتساءل، بل الكل مرتاحون بأن [الحَب: القمح] متوفر في الأسواق، ويأتي من استراليا، ويأتي من بلدان أخرى، وكأن المشاريع التي تهمنا هي تلك المشاريع!.

هذه التي توفر هي ضرورية لكنها ليست إلى الدرجة من الضرورة التي يكون عليها قوت الناس، هل هناك اهتمام بالجانب الزراعي؟ ليس هناك أي اهتمام بالجانب الزراعي إطلاقا، وليس هناك من جانبنا تساؤل، وليس هناك من جانبنا أيضا نظرة إلى هذا الزعيم أو هذا الحزب أنه ماذا يمكن أن يعمل في هذا المجال الحيوي، المجال المهم.

نحن شعوب مسلمة، ونحن أمة في مواجهة أعداء، والزعماء هم أنفسهم من يمكن أن يرحل إلى تلك المنطقة، أو من يمكن أن يسلم فيما لو حصل شيء، وسنكون نحن الضحية من أول يوم توجه ضدنا ضربة من أعدائنا، سنحس بوقع الضربة فيما يتعلق بقوتنا.

الناس يجب عليهم أن يفهموا هذه النقطة، أن يلحوا دائما، نحن لا نريد أي مشاريع أخرى بقدر ما نلح في أن تعمل الدولة على توفير قوت الناس داخل بلدهم.

الزراعة.. هل هناك في اليمن شيء من الزراعة؟ هل هناك ما يكفي اليمن ولو شهرا واحدا؟. أولسنا نسمع بأن اليمن مهدد؟ أن اليمن أيضا يقال عنه كما يقال عن العراق وعن إيران؟ وأن المسئول الأمريكي الذي زار اليمن لم يفصح عندما سئل: هل ما يزال اليمن ضمن قائمة الدول التي احتمال أن تتلقى ضربة؟ لم يفصح بذلك.

إذاً فنحن مهددون أليس كذلك؟ صريحا من قبل أعداء؟ ماذا تعمل هذه الدولة لنا نحن اليمنيين حتى نكون قادرين على أقل تقدير أن نتحمل الضربة؟ أصبحت القضية إلى هذا النحو. أنت كان يجب عليك أن تبني شعبك إلى درجة أن يكون مستعدا أن يواجه، إذاً على أقل تقدير ابنوا شعوبكم لتكون ـ على أقل تقدير ـ مستعدة أن

تتحمل الضربة.. أليس هذا هو أضعف الإيمان؟ أو يريدون من الناس في أي شعب عربي أن يتحولوا إلى لاجئين، وأن يموتوا جوعا قبل أن يموتوا بالنار.

هل الشعوب هذه أصبحت إلى درجة أن تتحمل الضربة؟. لا.. ناهيك عن أن تكون قادرة على أن تواجه!.

لماذا؟ لأنه ليس هناك تربية إيمانية، لا داخل الدول نفسها، ولا داخل الشعوب نفسها، ليس هناك اهتمام بالحفاظ على دين الناس، على كرامتهم، على عزتهم، على حياتهم.

ونحن أيضاً لا نفهم، نحن لا نفهم أيضاً كيف نخاطب الدول، حتى عندما تأتي الانتخابات من هم أولئك أبناء المنطقة الفلانية، أو المنطقة الفلانية ينادون بأنه نحن نريد زراعة، نحن نريد أن نرى أسواقنا ممتلئة بالحبوب من إنتاج بلدنا.. هل هناك أحد يطالب في الانتخابات؟ تقدم البرامج الانتخابية ـ سواء في انتخابات رئاسة جمهورية أو عضوية مجلس النواب أو مجالس محلية أو غيرها ـ فيعدونا بمشاريع من هذه المشاريع السطحية.. الكهرباء مهم لكن لو نفترض أن بالإمكان أن نظل بدون كهرباء، بل أليس الكهرباء يطفأ في حالات الخطورة؟ الكهرباء يطفأ، أليست المدن تطفأ في حالات التهديد؟ تطفأ المدن أي أن الكهرباء ليس ضروري بل من الضروري أن يطفأ فيما لو حصل تهديد مباشر.

يعدون بالكهرباء يعدون بالمدارس. هذه المدارس ما داخلها؟ المعلمون أنفسهم ما هي ثقافتهم؟ هل هم يحملون روحا إسلامية؟ روحا عربية كما يحمل المعلم اليهودي داخل المدرسة روحا يهودية، روحا قومية يهودية؟.. لا. معلم أجوف لا يهمه شيء، يهمه أن ينظر إلى الساعة متى ستنتهي الساعات التي هو ملزم بالعمل فيها، ويُمَشِّي حال الطلاب بأي شيء!. ليس هناك تربية لا داخل مدارسنا، ولا داخل مساجدنا، ولا داخل جامعاتنا، ولا داخل مراكزنا.

هذه المدارس نفسها في حالة المواجهة هل ستصبح ضرورية؟ بإمكان الناس في حالة الخطورة فيما لو ضربت مدرسة أن يدرسوا أبناءهم تحت ظل أي شجرة، أو في أي مكان آخر. المساجد أنفسها لو ضربت بإمكانهم أن يصلوا في أي مكان.. لكن قوتهم هو الشيء الذي لا بديل عنه، لا بديل عنه إلا الخضوع للعدو، والاستسلام للعدو، وتلقي الضربة بدون أي حركة في مواجهة العدو.

من واجب الناس في الانتخابات إذا ما قدمت برامج انتخابية لأي انتخابات كانت: نحن نريد زراعة.. أو أن اليمن بلد غير صالح للزراعة! فيه أراضي كثيرة جدا، هذه الأراضي التي هي مزروعة بالقات ليست مبررا لهم أن يقولوا: أنتم زرعتم [القات]، هذه مناطق جبلية، أراضي محدودة، لو تأتي لتلصقها بعضها لبعض لما ساوت منطقة صغيرة في بلاد تهامة، أو في حضرموت، أو في مأرب، أو في الجوف.. لماذا لا تزرع تلك الأراضي؟.

تلك القروض الكثيرة التي نتحملها نحن لماذا لا توجه أو يوجه القسط الأكبر منها إلى الاهتمام بالزراعة؟ هل نتحمل القروض ثم لا نجد قوتنا مؤَمَّناً أمامنا؟. هل هذه تنمية؟. نتحمل الملايين بعد الملايين من الدولارات، ونتحمل أيضا فوائدها الربوية في ما بعد ولا نجد مقابل ذلك أمناً فيما يتعلق بالغذاء؟!.

أذهاننا منصرفة في مختلف مناطق اليمن عن المطالبة بهذا الجانب في كل انتخابات، في كل ما نسمع بقروض!.

أحزاب المعارضة نفسها لماذا لا تتحدث عن هذا الجانب بشكل مُلِح؟. المزارعون أنفسهم لماذا لا يتحدثون عن هذا الجانب بشكل ملح؟. أين هو الدعم للمزارعين؟. أين هو الدعم للزراعة؟. أين هو الدعم للجمعيات الزراعية؟. أين هي مراكز التسويق لاستقبال منتجات المزارعين؟. أين هو التخفيض للديزل نفسه الذي هو ضروري فيما يتعلق بالزراعة، والمواد الكيماوية الضرورية للمنتجات الزراعية؟.

من واجب العلماء أنفسهم الذين لا يمتلكون مزارع، ومن تأتيهم أقواتهم إلى بيوتهم عليهم هم أن يلحوا في هذا المجال؛ لأنه اتضح جليا أن الأمة لا تستطيع أن تدافع عن دينها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهي ما تزال فاقدة لقوتها الضروري الذي الزراعة أساسه، وليس الاستيراد. أصبح شرطا، أصبح أساسا، أصبح ضروريا الاهتمام بجانب الزراعة في مجال نصر الإسلام أشد من حاجة المصلي إلى الماء ليتوضأ به.. هل تصح الصلاة بدون طهارة؟ إذا لم يجد الماء يمكن أن يتيمم فيصلي.

إذا كانت الصلاة لا بد لها من طهور بالماء أو بالتراب، فلا بد للإسلام، ولهذه الأمة التي تهدد كل يوم الآن تهدد، وتهدد من قبل من؟ تهدد من قبل من قوتها من تحت أقدامهم، من فتات موائدهم. لا بد لها من الاهتمام بجانب الزراعة، لا بد أن تحصل على الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بحاجياتها الضرورية.

إذاً رأينا كيف لا تربية إيمانية، لا اهتمام بالجانب الاقتصادي للأمة، لا اهتمام بالجانب العلمي للأمة ما نزال منح دراسية، منحة بعد منحة إلى مختلف بلدان أوربا وما نزال شعوباً متخلفة.

يقال: أن المصريين هم انفتحوا على الغرب قبل الصينيين، وأين الصين وأين مصر؟!. الصين أصبحت دولة صناعية كبرى، والمصريين لا يزالون يواصلون منحاً دراسية، منحة بعد منحة، وهكذا اليمن، وهكذا البلدان الأخرى.

الإمام زين العابدين عندما يقول: ((اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)). نحن قلنا، ـ وهو شيء معروف عند كثير من الناس ـ أن الإمام زين العابدين صاغ توجيهاته، وصاغ المبادئ التي يؤمن بها بشكل دعاء، كأنه يقول للناس: ادعوا الله أن يبلغ بإيمانكم أكمل الإيمان، واسعوا أنتم لأن يكون إيمانكم من أكمل الإيمان.

ومصادر الحصول على كمال الإيمان هي تبدأ من الله سبحانه وتعالى فيما هدى إليه. أليس من كمال إيماننا في مواجهة تهديد أعدائنا هو أن نكون أمة مجاهدة؟ أليس من كمال أن نكون أمة مجاهدة أن نكون أمة مكتفية معتمدة على نفسها في قوتها الضروري؟.. إذا فيصبح القوت الضروري، يصبح الاكتفاء الذاتي للأمة من كمال الإيمان، من كمال الإيمان.

ولكن من الذي يربينا هذه التربية من حكامنا فيهتم باقتصادنا، ويهتم بإيماننا، ويهتم بكل الأشياء التي تهيئ لنا أن نكون أمة تقف في وجه أعدائها، بل أمة تستطيع أن تتحمل الضربة من عدوها؟. للأسف البالغ وصلنا إلى الدرجة هذه: أن الشعوب لا تحلم بأن تواجه، بل ترى نفسها لا تستطيع أن تتحمل الضربة لفترة قصيرة!.

انتهى موضوع الحديث عن السلطة والحكومات.

أولئك الذين تحركوا أولئك الذين كانوا يكاد أن تنفجر من أصواتهم مكبرات الصوت في المساجد وهم يدعون الناس إلى الإسلام، ويقولون بأنهم دعاة إلى الإسلام وإلى الإيمان، وأنه لا إسلام إلا ما عندهم، ولا إيمان إلا لمن كان على نهجهم.. الوهابيون. ألم يبذلوا الأموال الكثيرة داخل المعاهد؟ داخل المدارس؟ ألم يبذلوا الأموال الكثيرة للدعاة؟ ألم تبذل الأموال الكثيرة لأشرطة الكاسيت لدعاتهم ولمشائخهم، محاضراتهم تصل إلى كل مكان وهم يدعون الناس إلى الإسلام.. إسلام.. إسلام.. وتربية إيمانية!.

هؤلاء وجدناهم هم غير قديرين على أن يربوا الأمة تربية إيمانية، هم من كانوا يرون أنفسهم قد بلغوا أعلى درجات كمال الإيمان، فأصبح لهم دولة في أفغانستان، وأصبحوا في اليمن حزبا كبيرا، ومجاميع كثيرة، ولديهم إمكانيات كبيرة.

ألم يكونوا فرسانا في المساجد؟ وفي المدارس؟ ألم يكونوا أبطالا ضد الشيعة؟ ويتهجمون على الشيعة، يتهجمون على أئمتنا وعلى علمائنا؟ ثم رأيناهم كيف انهزموا، رأيناهم كيف انكمشوا في مواجهة اليهود!. حركة طالبان التي خرجت حركة متشددة في دينها فيما يتعلق باللحى، بالدقون فيما يتعلق بالحجاب، فيما يتعلق بأشياء كثيرة.. هؤلاء عندما غزاهم الأمريكيون، انكمشوا وذابوا!!.

هل هذا هو الإيمان؟ أن ينكمشوا، وأن ينهزموا دون أن يوجدوا أي نكاية بالعدو؟! الله قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} (الأنفال:١٦) هذه كبيرة، هذه جريمة.. هذا تشويه للإسلام، تشويه للإسلام: أن ينكمشوا على هذا النحو، وهم من أظهروا لنا أنفسهم بأنهم قمة في الإيمان، قمة في الصمود، وقوة قوة قاهرة! لكن فعلا كانوا قوة قاهرة على الشيعة، قوة قاهرة على كثير من المساكين.

لماذا برزوا على هذا النحو؟ هل هو الإيمان؟. الإيمان الحقيقي لا يكون أهله هكذا.. الإيمان الحقيقي هو ذلك الذي وصف الله به أولئك الذين قال عنهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤) هؤلاء كانوا في اليمن، وفي أفغانستان أعزة على المؤمنين، وظهروا لنا أخيرا كيف كانوا أذلة على الكافرين ولم يجاهدوا.

حركة طالبان انطلقت في أفغانستان تقتل بدون رحمة أيام اجتياحهم لأفغانستان، هم حركة طلاب، طلاب علم، طلاب دين، طلاب إيمان، بل كانوا هم يرون أنفسهم هم المؤمنون، فكانوا يقتلون، وبلغنا عنهم أنهم عندما وصلوا مناطق فيها شيعة اثنا عشرية كانوا يذبحونهم ذبحا، الصغير والكبير، والرجل والمرأة.. هؤلاء ظهروا أمام الأمريكيين أذلة، ظهروا أمام تلك الأحزاب التي كانوا يقاتلونها بالأمس بدون رحمة، ظهروا أمامها بعد أن أصبحت أحزابا تعمل تحت راية أمريكا، وتتحرك تحت راية أمريكا، ومظلة الطيران الأمريكي، أصبحت تلك الحركة أمامهم ذليلة.

بل قالوا: أنهم إنما انكمشوا حفاظا على دم الأفغان من أن يسفك! لماذا دم الأفغان الذين انطلقوا تحت راية أمريكا أنتم حريصون عليه أن لا يسفك ويوم كان سابقا بالأمس ليس على هذا النحو كنتم حريصين على سفكه؟ عندما تنطلق تلك الأحزاب تحت راية أمريكا فهي أصبحت كما لو كانت جزءا من الجيش الأمريكي.. أليس كذلك؟

إذاً فلماذا ضعفوا أمام تلك الأحزاب؟. لماذا ضعفوا أمام الجنود الأمريكيين؟. لماذا انكمش ذلك الشخص الذي كان يقول [أقسم بالله العظيم] وكانوا يظهرون شخصيته وهو يقسم بالله العظيم على شاشة التلفزيون.

أقسم بالله العظيم أن ماذا؟، أن يفر... أليس كذلك؟ أنت مربي طالبان، أنت معلم طالبان، أنت الذي ملأ قلوبهم إيماناً لماذا تبخر هذا الإيمان!؟ ما تبخر هذا الإيمان إلا لأنه نوعية أخرى ليس هو الإيمان الأصلي تقليد ـ إن صح التعبير ـ.

فأولئك الذين ملأوا الدنيا بأصواتهم، وقالوا بأنهم يربون الأمة تربية إيمانية فضحهم الواقع، أن إيمانهم ليس بإيمان، وتربيتهم ليست بتربية إيمانية.

إذاً فهذا شاهد آخر بأنه لا تحصل الأمة على تربية إيمانية إلا عن طريق أهل البيت ومن نهج نهجهم.. فلا حكومات رأيناها ربت تربية إيمانية، ولا دعوات أخرى كدعوة الوهابيين في اليمن وفي أفغانستان وفي غيرها انطلقت لتربي تربية إيمانية.

وأبرز التربية الإيمانية، أبرز مظاهرها هو الوقوف في وجه الكافرين بكل عزة، وبكل صمود، وبكل قوة، بل هذا شرط في تحقيق الإيمان في ميدان المواجهة نفسها تصبح الهزيمة أمام الكافرين جريمة {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ} (الأنفال: من الآية١٦) هي كبيرة.

لكن ما يدرينا ـ ومما يشهد على أن التربية لديهم ليست تربية إيمانية ـ أن هذه وإن كانت كبيرة فهي ليست خطيرة؛ لأن غاية ما يمكن أن يحصل من وراء هذه الكبيرة هو أن نحظى بشفاعة محمد، لندخل الجنة!.

كما حكى الله عن أهل الكتاب عندما يشترون الضلال بالهدى، عندما يقولون: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (آل عمران٧٥). عندما تظهر لهم المواقف المنحرفة في كثير من أعمالهم، الله قال عنهم معللا تلك الأشياء التي وقعت من جانبهم أنها بسبب {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} (آل عمران:٢٤).

هذه هي التي تضرب التربية الإيمانية: أن يقال لك بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) سيشفع لأهل الكبائر، والفرار من الزحف هو من الكبائر، إذاً فالجندي الذي ربيته، وأطلق دقنه طويلا ستكون خطواته قصيرة في ميدان الجهاد؛ لأنه وإن رأى أن الفرار من الزحف كبيرة.. الكبيرة لا تشكل لديه أي شيء يزعجه.. الكبيرة زائد كبيرة أخرى، زائد كبيرة يعني: أن تحظى بشفاعة محمد فتدخل الجنة، إذاً سيهرب من الزحف، سينهزم في مواجهة اليهود، سينهزم في مواجهة الكافرين.

أن يقول لهم المرشد الفلاني: لا يجوز الفرار من الزحف، يجب المواجهة حتى آخر قطرة وإلا فالفرار من الزحف كبيرة، هو من كان يحدثهم في المسجد قبل أيام: أن الرسول سيشفع لأهل الكبائر، فكيف بإمكانه أن يوجد جنودا

يندفعون ويخافون أن يقعوا في كبيرة؟ أليس هذا تناقض؟ هل يمكنك أنت وأنت تنطلق لإرشاد الناس في ميادين المواجهة فتقول لهم ما قال الله في القرآن الكريم: أن الفرار من الزحف يبوء الإنسان فيه بغضب من الله، وأنه من الكبائر، وأنت من كنت تقول لهم سابقا: أن الرسول سيشفع لأهل الكبائر، وأنت من كتبت فوق روضة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على أحد أبواب روضته المطهرة [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].

هذا الحديث وحده، وهذه العقيدة وحدها هي مما يحول دون تربية جيش إسلامي يصمد في وجه أعداء الله مهما كانت قوتهم.

نقول لأولئك الدعاة الذين يملأون محاريب المساجد بأجسامهم الدسمة والضخمة: نحن الآن في مواجهة مع اليهود والنصارى، في مواجهة مع أمريكا وإسرائيل، وأنتم الآن وكما نراكم، وكما ترون أنفسكم في قائمة المطاردين من جانب أمريكا وإسرائيل، راجعوا أنفسكم، وانظروا من جديد إلى ما كنتم تقدمونه للناس من عقائد، راجعوا عقائدكم، صححوها، وإلا فإنكم إنما تبنون أمة منهزمة، وإلا فإنكم إنما تصدرون الشواهد، الشاهد تلو الشاهد على أن الإسلام يقبل الهزيمة، وأنه لا يستطيع أن يصمد في مواجهة الكافرين، وإلا فإنكم ستكونون بأعمالكم هذه وبهزيمتكم النكراء من أول صيحة في مواجهتكم أنتم من ستزرعون اليأس في نفوس الحركات الإسلامية في أي منطقة.. وربما أراد الأمريكيون، وأراد كباركم من انكماشكم السريع أن يزرعوا اليأس في نفوس الحركات الإسلامية هنا أو هناك.

يرى الناس أنفسهم بأنهم لو وصل بهم الأمر بتهيئة من الظروف أن تصبح هذه الحركة أو تلك حركة كبيرة فإن غاية ما يمكن أن تصل إليه أن تصل إلى ما وصل إليه طالبان. أليس كذلك؟. ثم رأينا طالبان انكمشت بسرعة، وذابت بسرعة في مواجهة الأمريكيين، في مواجهة اليهود والنصارى.

سنقول: هذه الحركة إذاً لا تستطيع أن تعمل شيئاً، نحن غاية ما يمكن أن نصل إليه أن نكون كطالبان، وطالبان هكذا حصل لها، إذاً فنحن لا نستطيع أن تعمل شيئاً. فأنتم قدمتم الشاهد على أن الإسلام يقبل الهزيمة، وأن الإسلام لا يستطيع أن يقف في وجه الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة.

لكننا نقول: إسلامكم أنتم فقط.. الإمام الخميني كان يقول: ((إن الإسلام لا يقبل الهزيمة.. إن على دول العالم أن تفهم أن الإسلام لا يقبل الهزيمة)).

وأراد أولئك العملاء أن يقدموا شاهدا لليهود والنصارى: أن الإسلام يقبل الهزيمة، ففي أفغانستان هزموا سريعا، وفي اليمن انطلقوا ليحلقوا ذقونهم، انطلقوا وذابوا وتلاشوا في اليمن أمام كلمة وليس أمام قنبلة أو صاروخ، فتلاشوا فرأيناهم كيف أصبحوا ضعافاً بينما هم كانوا أقوياء على الشيعة! ألم يكونوا أقوياء علينا في مساجدنا، وفي مدارسنا؟ أقوياء على علمائنا، أقوياء على أئمتنا، أقوياء على تراثنا: هذا بدعة، وهذا ضلال، وهذا كفر.. يكفر هذا، يضلل هذا، يبدع هذا، وهذا كتاب ضلال، وهذا كتاب بدعة.. إلى آخره.

إذاً أنتم قد أصبحتم في مواجهة مع الكفر الصريح، مع الكفر البواح يا من كنتم تقولون [إلا أن تروا كفرا بواحا] ألستم الآن يقال عنكم: أنكم إرهابيون، وأن أمريكا تطاردكم، وأن أمريكا تريد أن تضربكم، لماذا لم تثبتوا ولو يوما واحدا؟!.

لماذا لم تستمر مواجهتكم ولو مواجهة كلامية في مساجدكم على المنابر، في المدارس، في الجامعة؟ أين جامعة الإيمان؟ أين تبخر هذا الإيمان؟ جامعة مملوءة بالإيمان بطوابقها كلها! تبخر كله، وهم قوة لا يستهان بها فعلا.

هل أن ذلك خوفا من السلطة نفسها؟ رأيناهم في الانتخابات لم يكونوا يخافون من الرئيس، ولم يكونوا يخافون من المؤتمر، دخلوا بمنافسة شديدة، وحصل صراع، وحصل قتال في مراكز كثيرة، وفعلا أتعبوا المؤتمر بشكل ملحوظ، أرهقوه في الانتخابات، وكانوا يتكلمون، وكانوا صريحين في كلامهم في الانتخابات.

أمام صرخة يهودية واحدة تتبخر جامعتهم ومعاهدهم ومساجدهم، ومشائخهم! ثم تتلاشى ذقونهم أيضاً! ما هذا؟! أليس هذا دليلا على أن أولئك لم تكن تربيتهم إيمانية، وأنهم يفتقدون إلى الأسس الصحيحة للإيمان، وأن جامعتهم لم تكن إيمانية، وأن معاهدهم لم تكن إيمانية، وأن ذقونهم لم تكن إيمانية، وأن شدتهم تلك لم تكن إيمانية؟.

لو كانوا مؤمنين لكانوا كما حكى الله عن المؤمنين الذين هم مؤهلون لأن يقفوا في مواجهة اليهود والنصارى: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤).
وجدنا شواهد كثيرة جدا، من حكومات، ودعاة، وجامعات، ومعاهد، ومراكز، وكل العناوين المختلفة، كلها لم تتجه لتربية الأمة تربية إيمانية حقيقية.
لكن لاحظ هناك تربية إيمانية حقيقية في: [إيران] وفي [حزب الله] ألم يتجه حزب الله لضرب معسكرات إسرائيل بعد التهديد؟ وهو مصنف في قائمة الإرهاب من زمان، من قبل أن يقال عن الدعاة هؤلاء أنهم إرهابيون.. ماذا عمل؟ حزب في نفسه عزيز على الكافرين، وأذلة على المؤمنين حقيقة.
نقول لأولئك الدعاة: أنتم بعقائدكم من ضربتم أنفسكم، أما نحن فلم تكن ضربتكم ضربة لنا بل كانت شاهدا أعطانا قوة في إيماننا، وبصيرة في عقائدنا، وإلا لو كنا ننظر نظرتكم لاهتزت ثقتنا بالقرآن وبالإسلام كله؛ لأنكم كنتم تبرزون أمامنا كتلا من الإيمان، كتلا من الإلتزام حتى فيما يتعلق بالثوب والسواك، يحرك السواك وهو في الصف للصلاة التزاماً بالسنة، احتمال أن يكون المراد بأن السواك قبل الطهور، أو أن يكون أيضا مقصودا به قبل التكبير للصلاة، وأنت في الصف، فيخرج السواك من جيبه ويتمسوك، ويقصر الثوب!.
هم يبرزون بأنهم ملتزمون حتى في أدق الأشياء، ثم تبخرت كل هذه الأشياء أمام صرخة واحدة من اليهود.. والدقنة كان بقاؤها وإطالتها ركن من أركان الإيمان، ركن من أركان الإسلام، انطلقوا ليحلقوها سريعا!.
أذكر وأنا في مرة من المرات حول الكعبة قبل سنوات ورأيت شابا يبدو من ملامحه أنه لبناني بدون دقن وهو يقف بخشوع وهو يدعو الله دعاء حاراً أن يرزقه الشهادة في سبيله.
وهؤلاء بذقونهم أين الشهادة في سبيل الله؟ وهم فئة لها قاداتها، لها إمكانياتها الهائلة، إمكانياتهم أعظم من إمكانيات حزب الله، إمكانياتهم في اليمن، وعددهم، أكثر عدة وعددا من حزب الله في لبنان، ثم لماذا لا نسمع أنهم يهتفون بشعار: الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل.. وأن يلعنوا اليهود.
كانوا يلعنون الشيعة.. لماذا لا يلعنون اليهود!؟ وهل أن الشيعة هم يشكلون الخطورة البالغة على الإسلام أشد من أمريكا وإسرائيل؟ هم كانوا يلعنوننا ونحن هنا شيعة ضعاف مستضعفون فكانوا يلعنون الشيعة في مساجدهم وعلى منابرهم! لماذا لم ينطلقوا ليهتفوا بشعار: الموت لأمريكا والموت لإسرائيل؟ وهو شعار له أثره المهم، وأثره البالغ في نفوس اليهود والنصارى؟.
لم نجد أي شيء من هذا، ولم نسمع أيضا منهم كلاما كثيرا عن فضح مؤامرات اليهود والنصارى، وتعبئة عامة للمسلمين ضد اليهود والنصارى، تعبئة ولو فيما يتعلق بجانب الوعي! لا شيء، ضاعوا هم، وأصبحوا يلتجئون ـ كما يقال عن بعضهم ـ في الجبال، وفي المغارات، وانتهى الموضوع.
أريد أن أقول لأولئك الذين يقولون: [لماذا..؟ الكل، أولئك الآخرون هم مسلمون، وهم على حق، لماذا ليس إلا نحن على الحق؟] نقول: أنظر هكذا الحق عندهم تجلى، ثم عد إلى القرآن إذا كنت تعتقد أن ما لديهم هو الحق، وكنت تغتر بكثرتهم فانظر إلى كثرتهم كيف تبخرت في مواجهة أعداء الله.. والحق هو من الله، والحق جاء في كتاب الله، وتلك آيات كتاب الله تصف المؤمنين، والجهاد في سبيل الله، والعزة في مواجهة أعداء الله، والاستبسال في سبيل الله هو من أبرز صفات المؤمنين.. هل هذه فيهم؟. لا. أليسوا هم من تبخروا أمام أعداء الله؟ فكيف بإمكانك أن تقول: أنهم على حق! انضم إلى صفهم لتكون واحدا من المهزومين.. أو أنهم متحرفين لقتال؟ لا. ينكمشون، وانتهى الموضوع.
يتبين لنا هنا أيضا: بأن الله سبحانه قد بين للناس الأدلة على الحق في كتابه الكريم، ثم الأدلة والشواهد على الحق في واقع الحياة، وفي ممارسات الناس جميعا.. إذاً فلا تغتر بكثرتهم. لا يخدعك ضجيجهم، ولا تخدعك ذقونهم، هاهي تهاوت هذه الدقون سريعا دون أن تعمل شيئاً.
لماذا وقفوا في وجه المؤتمر، وفي وجه الرئيس في الانتخابات من أجل أن يحصلوا على مقاعد في مجلس النواب؟. وإذا كانوا هم يرون أنه هو الذي انطلق ليوقفهم عن أن يقولوا كلمة في مواجهة اليهود والنصارى لماذا أطاعوه هنا وعصوه هناك؟. لماذا لم يقولوا له: لا؟ لماذا لم يقولوا له: لا يمكن أن نسكت حتى وإن لم نكن نحن مستهدفين

شخصياً، أما وهم مستهدفون شخصيا ـ كما يقال أو كما يزعم البعض ـ فبالأولى أن لا يسكتوا.. بالأولى أن يتكلموا، وأن يتحركوا.

((إن الحق لا يعرف بالرجال ـ كما قال الإمام علي (عليه السلام) ـ وإنما الرجال يعرفون بالحق فاعرف الحق تعرف أهله)) تجد شواهد الحق كثيرة، والإمام علي يريد من كلامه هذا أن شكليات الرجال: ذقونهم، ملابسهم، أجسامهم، ضجيجهم، حتى عبادتهم ليس هو المقياس على الحق، إعرف الحق.. نحن عرفنا الحق في القرآن الكريم أنه هو الوقوف في وجوه أعداء الله، أليس كذلك؟. الحق هو الذي قال: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩).

أليس هذا هو الحق؟ وجدنا الحق هو الذي قال سبحانه وتعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} (آل عمران: من الآية١١٢). أليس هذا هو كلام الحق، يكشف الحقيقة عن أعداء الله؟. المؤمنون هم مصدقون بهذا الوعد، والمصدقون بهذا الوعد الحق هم من سينطلقون أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.. هل هذا حصل منهم؟!. إذاً فشكلياتهم ليست دليلا على الحق.. المواقف أبانت لنا بأنهم ليسوا أهل حق.

أم أنهم كانوا يرون أن هناك جوانب من معتقداتهم الحقة ما تزال غائبة ليس بإمكانهم أن يفصحوا عنها؟ لا. نحن الزيدية قد نقول فعلا: ليس بإمكاننا، وليس لدينا الإمكانيات الكافية أن نوضح للناس الحق الذي نعتقده، ليس بإمكاننا، ولا لدينا الإمكانيات الكافية أن نتحدث للناس جميعا عن أهل البيت، وعن عقائدنا كلها..

لكن أولئك كانوا يرون أنفسهم يستطيعون أن يقولوا كل شيء من عقائدهم، وليس شيء من معتقداتهم غائبا عنهم. إذاً فهم قد كمل إيمانهم.. أليس كذلك؟. من وجهة نظرهم، وعلى أساس معتقداتهم، إيمانهم كامل، إسلامهم متوفر، لكن هناك ما شهد بأن إيمانهم من أساسه ناقص، والإسلام الحق في أوساطهم ضائع.

{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} (آل عمران:١١١) فلماذا أنتم وليتم الأدبار من أول يوم؟ ولماذا أنتم وليتم الأدبار، وحلقتم دقونكم من أول كلمة تواجهون بها من جانب من قال الله عنهم بأنهم: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} (آل عمران:١١١)؟ فأنتم من لم تضروهم ولا أذى ووليتموهم الأدبار قبل أن تقاتلوهم.. أليس هذا هو الذي حصل؟. إذاً فليس هناك إيمان من هذا النوع الذي في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟ هو أنه لا إيمان كامل يمكن أن نحصل عليه إلا من خلال كتاب الله وعلى يد عترة رسول الله (صلوات الله عليه وعليهم).

ونحن أيضا عندما نتعلم الإيمان يجب أن نتعلمه بالشكل الصحيح، وهو ما نحاول جميعا أن نصل إليه بإذن الله، أن نكون مؤمنين بما تعني الكلمة، أن يكون الإنسان مؤمنا مصدقا بوعد الله مصدقا بوعيده، بوعده له كولي من أوليائه، ووعيده لأعدائه حتى كيف سيكونون في ميدان المواجهة مع أوليائه ضعافاً.. أذلاء، الله قال هكذا عن الكافرين، وقال هكذا عن اليهود والنصارى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ} (الفتح: من الآية٢٢) كما قال عن اليهود والنصارى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١).

نحن ليس في عقائدنا: أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يشفع لأهل الكبائر فيدخلون الجنة بشفاعته دون أن يكون قد حصل منهم في الدنيا توبة، ولا تصميم على التخلي عن تلك الكبائر، ولا رجوع عنها كما هي عقيدة الآخرين. نحن عقيدتنا: أن من مات عاصيا لله سبحانه وتعالى متجاوزا لحدوده وإن كان يقول: لا إله إلا الله، وإن حمل اسم الإيمان فإنه فعلاً ممن ينطبق عليه وعيد الله للمجرمين وللعاصين وللمتجاوزين لحدوده {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} (الانفطار:١٦) ونحن من يجب أن يكون إيماننا قويا، وخوفنا من الله عظيما.

لأن أولئك يطمئنون أنفسهم بالشفاعة وهي وهمية على ذلك النحو الذي يقولون هم، أما نحن فليس في عقيدتنا الشفاعة ـ على ذلك النحو ـ لأهل الكبائر، فنحن من يجب أن نخاف الله سبحانه وتعالى على أن لا نكون في واقعنا تاركين لشيء مما يجب علينا أمامه فنكون بذلك مرتكبين لكبيرة، نكون مرتكبين لكبيرة من كبائر العصيان التي تؤدي بالإنسان إلى الخلود في النار.

الزيدية يجب أن يكونوا أكثر المسلمين اهتماماً، وأن يكونوا أول المسلمين انطلاقة في مواجهة أعداء الله، وأن يكونوا أكثر المسلمين وعياً إيمانياً؛ لأن معتقداتهم خطيرة جدا عليهم، وليس شيئاً انتحلوه أو بحثوا عن التثقيل على أنفسهم؛ إنه منطق القرآن، إنه هو الذي هدد بالخلود في النار لمن يتجاوز حدوده حتى فيما يتعلق بقسمة المواريث ناهيك عن الأعمال الأخرى التي يترتب عليها إقامة الدين، والحفاظ على الدين، وعلى الأمة.

ونحن إذا رجعنا إلى أنفسنا فعلاً نجد أننا ما نزال ـ وإن كانت معتقداتنا من حيث المبدأ صحيحة ـ لكن هناك نقصاً كبيراً في وعينا، وعينا للواقع من حولنا، ووعينا لما يمكننا أن نعمله.. لدينا المراكز منتشرة في مناطق كثيرة.. مراكز فيها أساتذة وفيها طلاب علم، كنا نسمع من بعض الشباب داخل هذه المراكز ممن قد تجاوز دورتين أو ثلاث ويرى أنه قد اكتمل إيمانه فهو يبحث عن ماذا بقي أن نعمل، يجب أن نعمل شيئاً.. ثم وجدناهم أنفسهم وإذا بهم في هذه الأيام على الرغم مما تكرر من جانبنا من حديث حول أهمية رفع شعار: الموت لأمريكا والموت لإسرائيل يواجهون هذا الكلام ببرودة وكأنه شيء لا أهمية له ولا قيمة له.

إذاً فلنقل: نحن لا نزال في وعينا قاصرين جدا.. إذا كنت بعد لم تفهم وأنت تسمع تهديد أمريكا لدول الإسلام والمسلمين جميعا وللدول كلها داخل هذه المنطقة، وأنت من سمعت أن هذا الشعار كان يعمل عمله، وهذا الشعار الإمام الخميني هو الذي وضعه وهو الشخص الحكيم الذكي الواعي.. ثم لا ترفع هذا الشعار. أليس هذا يدل على أن وعيي ما يزال قاصرا، وأنا أحمل اسم أستاذ.. أستاذ يعني: مربي ومعلم داخل هذا المركز، وأعمل جلسات روحية داخل هذا المركز أو ذلك المركز.

إنك لا تستطيع أن تعمل شيئا في أرواح الآخرين إذا لم تهيئ أنفسهم بالشكل الذي يمكن أن يحصلوا على تأييد من الله، وهداية من الله سبحانه وتعالى، هو الذي سيصنع أرواحهم.

الإمام زين العابدين هنا يقول: ((وبلغ بإيماني أكمل الإيمان واجعل يقيني أفضل اليقين)) الله هو الذي سيجلس ـ إن صح التعبير ـ ليعمل معك جلسة روحية إذا كنت مهيئا لنفسك، أن أجلس معك أريد أن أعمل معك جلسات روحية أهذّب نفسيتك لا يمكن، {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} (الأنفال: من الآية٦٣).

لو كان منطقي ما كان ـ وهذا ما كررته أكثر من مرة ـ أو كان في أوساطنا حتى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو لا يوجهنا إلى تلك الأساسيات في الإسلام التي هي الأسباب الرئيسية لأن يتدخل الله فهو الذي سيصنع في أنفسنا تهذيبا لها، وإكمالا لإيمانها، ويقيناً راسخاً في أعماقها.

كم كنا نرشد ـ ولا نزال ـ عن الألفة والأخوة والمحبة وحسن التعامل فلم نجد له أثراً، حتى عرفنا أخيراً بأنه فعلا لن يكون لهذا أثر إذا لم يكن لدينا اهتمام بالقضايا الكبيرة التي على رأسها: العمل في سبيل الله، لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وفي مواجهة أعداء الله الذين يصدون عن سبيله ويظلمون عباده.

إذا ما توجه الناس إلى هذا، إذا ما وجهت طلابك إلى هذا فإنك من سترى نفوسهم ـ إذا كانوا يصغون إلى ذلك التوجيه ـ مهذبة مليئة بخوف الله، بالخشية من الله، وهم من سترى أعمالهم وتعاملهم فيما بينهم حسناً.

جلسات روحية وأنا لا أعرف بعد: أن التربية الجهادية هي من ستصنع الروح، هي من ستصنع الروح المهذبة، الروح الزاكية، الروح السامية، الروح التي تجعل صاحبها نورا في أي مكان كان، تجعل صاحبها عنصرا خيرا وفاعلا في أي مجتمع كان.

إذاً فلنقل لأنفسنا نحن أيضا، ولسنا فقط نتحدث عن الآخرين، عن الوهابيين أو غيرهم، بل نتحدث أيضا عن أنفسنا: أنه يجب ونحن نعلم في مراكزنا، في مساجدنا، في أي مكان، أن نعي هذه المرحلة التي نحن فيها.

والشيء المؤسف أنها ـ فيما يبدو ـ نفسية عربية عند العرب جميعا أنهم لا يحسبون أي حساب للخطر المقبل عليهم إلا بعد أن يطأهم ويقصم ظهورهم.. لكن أولئك هم إذا ما رأوا أن شيئا فيه خطورة عليهم محتملة احتمالا ولو واحد في المائة، ولو بعد مائة عام، هم من سينطلقون للقضاء على منابع ذلك الخطر.

ألسنا نسمع تهديد أمريكا؟ ومن المحتمل جدا أن تضرب السعودية، وتستولي على الحرمين كما استولوا على القدس.. فهل نحن منتظرون حتى يعملوا عملهم هذا ثم حينها سنصيح ونقول شيئا؟! ربما لو صرخ المسلمون من الآن ـ فيما أعتقد ـ لو صرخ المسلمون من الآن وارتفعت شعارات السخط التي توحي بسخطهم على أمريكا وإسرائيل من الآن لتوقفت أمريكا، وتوقفت إسرائيل عن أن ينفذوا الخطة التي يريدونها سواء ضد الحرمين، أو ضد أي شعب آخر.

هذه الصرخة وحدها التي نريد أن نرفعها، وأن تنتشر في أي مناطق أخرى وحدها تنبئ عن سخط شديد، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا، يضربوها اقتصاديا قبل أن تضربهم عسكريا، والاقتصاد عند الأمريكيين مهم يحسبوا ألف حساب للدولار الواحد.

إن هؤلاء بإمكانهم أن يقاطعوا المنتجات الأمريكية، أو منتجات الشركات التي لها علاقة بالأمريكيين، وباليهود أو بالحكومة الأمريكية نفسها، وحينئذ سيرون كم سيخسرون؛ لأن من أصبح ممتلئا سخطا ضد أمريكا وضد إسرائيل أليس هو من سيستجيب للمقاطعة الاقتصادية؟ والمقاطعة الاقتصادية منهكة جدا.

بإمكاننا مثلا أن نستعيض بدل التدخين السجائر هذه ـ وكم يستهلك الناس من أموال كثيرة في السجائر ـ يمكننا أن نترك التدخين نهائيا، أو أن نستعيض عنها [بالتتن] ونعود إلى [المدايع] من جديد، ونترك التدخين تماما.. وكم سيخسرون فيما لو ترك الناس التدخين بمفرده. احسب كم سيستهلك أبناء هذه المنطقة من أموال في الشهر الواحد في التدخين وحده؛ لتعرف فيما بعد وأنت أمام سلعة واحدة من منتجاتهم كيف ستكون خسارتهم من منطقة واحدة.

هم يحسبون ألف حساب لهذه.. فلو رفع الناس الصرخة هذه في كل بلد فعلا لتوقفت أمريكا وإسرائيل عما تريد أن تعمله. لكنهم يهيئوننا نفسيا ليعرفوا ماذا سيحصل على مستوى الدول، وعلى مستوى الأفراد.

ضربوا أفغانستان ليعرفوا ماذا ستقول الدول الإسلامية.. لم يصنعوا شيئا، اللهم إلا استنكار لما يحصل على المدنيين استنكارا باردا، لكن هل هناك موقف؟.. لا، ضربوا العراق لم يحصل شيء، ضربوا فلسطين، الدولة الفلسطينية هذه، أو لم يكن العرب جميعا يبدون أكثر اهتماما بقضية فلسطين والدولة الفلسطينية؟ ضربوها هي!. ألم يضربوها ضربة قاضية؟ فلم يحصل شيء من جانب الدول.

اتجهوا إلى الشعوب أنفسها ليتجلى لهم واقع هذه الشعوب عن طريق زعماء هذه الشعوب أن اسكتوا، هنا إرهابيين، وهناك إرهابيين، وفي هذا البلد إرهابيين، وهنا إرهابيين! ولنمسك إرهابيين هنا، وإرهابيين في ذلك البلد! لنرى ماذا سيقول المواطنون، هل سيغضبون على الأفراد عندما يمسكون باسم أنهم إرهابيين ضد أمريكا؟.

فإذا عرفوا بأنه لم يحصل غضب، ولم يرتفع صوت يصرخ في وجوههم، حينئذ سيطمئنون أنه لا حكومات، ولا شعوب ستقف في وجوههم. وبالتالي سيعملون ما يريدون، ويضربون أينما شاءوا.

أوليس هذا هو الذي حصل؟ يقال في اليمن: حدث أن مسكوا كثيرا من الإرهابيين، وفي مصر إرهابيين انطلقوا ليمسكوهم، وفي الأردن، وفي السعودية، وهنا وهنا وهناك، وإيران تتهم بأن لديها إرهابيين، إنه احتمال أفراد من تنظيم القاعدة تسربوا إلى إيران. هم يريدون أن يعرفوا، يجسوا نبض المواطن الإيراني نفسه ليعرفوا هل سيصرخ فيما لو حصل واكتشف أن هناك أحد.

بل يحتمل أن يصل أحد من عملائهم إلى داخل إيران من تنظيم القاعدة ليقال فعلا هناك إرهابيين داخل إيران. إذاً سيسلمون، يكون في ذلك جس نبض للمواطن الإيراني نفسه، حينها سيكونون قد اطمأنوا بأن المواطنين في كل بلد لم يصرخوا في وجوهنا عندما مسكنا بعضهم تحت اسم الإرهاب، أنهم إرهابيون ضد أمريكا.

عندما يتهمون البعض بأنه إرهابي ضد أمريكا، أليس هذا هو أكثر ما يمكن أن يثير سخطك؟. أن يمسك شخص يقال بأنه شديد في مواجهة عدوك، هل هذا هو مما يثير سخطك؟.

إذاً ليس هناك أي عنوان آخر يمكن أن يثير سخطنا إذا كنا لا نسخط.. إذا كنا لا نغضب.. إذا كنا لا نستنكر ولا نندد ولا نرفع شعار: الموت لأمريكا وإسرائيل، إذا ما مسك أشخاص تحت عنوان إرهابي ضد أمريكا فمتى ستصرخ؟ ومتى سيكون لك موقف؟.

هكذا يعملون بكل خبث على أن يجسوا نبض الدول ونبض الأفراد داخل كل شعب. ثم بغبائنا نحن بعد أن عرفنا في أيام الثورة الإسلامية في إيران أن هذا الشعار كان له أثره الكبير، بعد أن عرفنا أن هذا الشعار كان له أثره الكبير عندما كان يرفعه الإيرانيون في الحج، وكان ينظم معهم كثير من المسلمين ليرفعوا هذا الشعار، ثم نحن لا نرفعه!.

فمن هو عالم، من هو معلم، من يحمل اسم أستاذ داخل مركز هنا أو هناك ونحن لم نعي بعد أهمية أن نرفع شعارا كهذا فنحن ما نزال ناقصين فيما يتعلق بإيماننا ووعينا وفهمنا.

المؤمن يكون دائما يقضا، دائما مهتما، يبعثه اهتمامه على أن يعرف ماذا يخطط أعداؤه.. ماذا يعمل أعداء الأمة، ويعرف هو أيضا ما الذي بإمكانه هو والآخرين أن يعملوا ضد أعداء الدين، وضد أعداء الأمة، فأي مؤمن لا يعيش هذه الروحية فإيمانه ناقص، ووعيه ناقص.

إذاً فنحن بحاجة إلى أن نربي أنفسنا كيف نكون مؤمنين، ونكرر أن نعتمد بشكل كبير على الثقلين: القرآن والعترة.

ومن الضروري أيضا جداً أن نرفض تلك الفنون التي عرفنا، وكشفنا، واكتشف لنا بأنها كانت وراء كثير من السلبيات التي نحن عليها: [أصول الفقه] [وعلم الكلام] الذي على منطق المعتزلة، وبأساليب المعتزلة.. هذا شيء يجب أن نلغيه من داخلنا، وأن لا نلتفت إليه أبدا؛ لأنه هو الذي صرفنا عن الثقلين، هو الذي أعطانا النظرة المغلوطة عن الحياة، وعن الدين، وحتى عن الله سبحانه وتعالى.. فعلا، وحتى عن الله حصل لدينا نظرة قاصرة عن الله، وعن الدين، وعن علاقة الدين بالحياة، وربى كل فرد منا تربية فردية، جزّء ديننا، ثم جزّء أفرادنا، هذين الفنين.

في مجال التربية الإيمانية يجب أن نعود إلى القرآن الكريم، وإلى العترة، وعلى النحو الذي ذكر الإمام الهادي (صلوات الله عليه) ونحن نتحرك فيما بين القرآن والعترة على هذا النحو: القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن.. وإلا فسنكون أيضا شاهدا ـ ولو شاهدا مغلوطا في واقعه ـ على أن الإسلام يقبل الهزيمة، وأن الإسلام لا يمكن أن يقف في وجوه أعدائه.

الزيدية لحد الآن أليسوا هم الذين يدعون بأنهم على حق، وأنهم الطائفة المحقة؟. إذا وقفوا مهزومين في نفسياتهم، إذا وقفوا ساكتين عن أن يكون لهم موقف ضد أعداء الله، أي موقف يكون باستطاعتهم أن يعملوه فإنهم من يشهدون على أنفسهم بأن ادعاءهم أنهم على الحق ادعاء غير صحيح.

أنه وإن كان ما يدعونه في واقعه كمبادئ حق لكنهم في أنفسهم ليست تربيتهم تربية تقوم على أساس ذلك الحق.

ولنواصل الحديث حول بعض فقرات هذا الدعاء المهم، دعاء [مكارم الأخلاق] للإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) يقول (عليه السلام): ((اللهم صل على محمد وآل محمد ومتعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حق لا أزيغ عنها، ونية رشد لا أشك فيها)). قضية الهدى قضية مهمة، وهي نفس المسألة التي نتعامل معها ببرودة، والكثير من الناس لا يهمه قضية أن يبحث عن كيف يهتدي، وأن يعرف من نفسه أنه يسير على طريق هدي الله، وأنه يتعلم هدى الله، وأنه يربي نفسه على أساس من هدى الله سبحانه وتعالى.

الإمام زين العابدين يدعو الله أن يمتعه؛ لأنها متعة فعلا أن تجد من نفسك أنك على هدى، وأنك على حق في اعتقاداتك، ومواقفك، تجد في نفسك طمأنينة هي السعادة بكلها، هي العزة، هي متعة، حتى متعة الحياة. ((متعني)) هيئ لي أن أتمتع بهدى صالح لا أستبدل به، كيف يكون قضية أن تتمتع بهدى صالح لا تستبدل به؟ عندما يكون هدى تحرص عليه، هدى تكون واعيا وأنت تتمتع به، فلا تتعرض لأن تستبدل به غيره، وهل هناك

غير الهدى إلا الضلال {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} (يونس: من الآية٣٢) لا أستبدل به شيئا من الدنيا، لا أستبدل به شيئا من دعاوى الضلال التي تقدم تحت اسم هدى، تحت اسم دعوة إلى التوحيد.

أنا أريد منك يا الله أنت أن توفقني إلى هدى صالح لا أستبدل به، فلا أستبدل به شيئا من الدنيا، فيكون الإنسان كما حكى الله عن بني إسرائيل {يشترون بآيات الله ثمنا قليلا} {يشترون بعهد الله ثمنا قليلا} وآيات الله هي هداه، وعهد الله هو هداه فيما عهد به إليهم، فأن تستبدل بهدي الله شيئا من الدنيا، أن تستبدل بهدي الله شيئا من المكانة المعنوية: شهادة جامعة، شهادة ثانوية، شهادة تقدير، وظيفة في أي مكان كنت، كلها تعتبر قليلا؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم وهو يتحدث عن بني إسرائيل: {يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً} (آل عمران: من الآية٧٧) يقول: دائما قليلا. قليلا.. كلما تحدث عن ما جعلوه بدلا عن الدين من الدنيا يقول عنه: ثمنا قليلا، والدنيا بكلها هي ثمن قليل، أن تستبدل بها تجعلها بدلا عن دينك، تجعلها بدلا عن الهدى الذي متعك الله به، ومنحك إياه.

فالإنسان فيما إذا ما تمتع بالهدى هو بحاجة أيضاً إلى أن يكون حريصا على ذلك الهدى؛ لأنه فيما إذا وقع الضلال سيكون ممن يقع في الضلال بعد المعرفة في الضلال بعد العلم، في الضلال بعد الهدى، وهذا أسوأ أنواع الضلال، وأشد الضلال عاقبة على صاحبه: أن يضل بعد هدى، سواء أن يستبدل ثقافة أخرى، عقائد أخرى منهجا آخر، أو يستبدل بهداه شيئا من الدنيا، والدنيا بكلها مادياتها، ومعنوياتها تعتبر ثمنا قليلا لدينك؛ لأنها ثمن في الواقع لنفسك، وهل ترضى لنفسك أن تكون الدنيا كلها ثمنا لنفسك؟ وتكون عاقبتك جهنم.

من الذي يرضى؟. أليس المجرم ـ كما حكى الله عنه ـ سيتمنى يوم القيامة لو أن الدنيا كلها وهي ذهب له لافتدى بها يوم القيامة؟ فالإنسان يتمنى أن لو يملك أي شيء، الدنيا كلها بل أقاربه أيضا فيجعلهم فداء لنفسه ولا يدخل جهنم؟ ((إنه ليس لأنفسكم ثمنا إلا الجنة)). فمن يستبدل بالهدى شيئا من الدنيا فإنه باع نفسه فأوبق نفسه، أوبق نفسه ـ أهلكها ـ والكثير الكثير يبيعون أنفسهم! ومن هو ذلك الذي قد باع دينه بالدنيا كلها هل أحد عمل هذه؟ البعض يبيع دينه، ويبيع هداه بأقل القليل، بالشيء البسيط، وهذا مما يكشف ـ وللأسف الكبير ـ أنه ليس للهدى.. ليس للإيمان.. ليس للدين أهمية عند الكثير منا إذا ما كان مستعدا أن يبيعه بأتفه الأشياء. إنك من يجب أن تحرص على الهدى، وأن لا تستبدل به غيره حتى ولو كان ذلك الشيء هو الدنيا بكلها.

((وطريقة حق لا أزيغ عنها)) في ميدان العمل أن أسلك طريقة حق، وأن أستقيم عليها، وأن أثبت عليها، فلا أزيغ عنها أبدا، هذا يعني: أن الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) يرى أن الإنسان فيما إذا وفق لأن يسير على طريقة حق أنه أصبح في نعمة عظيمة، أن عليه أن يشكر الله عليها، أن عليه أن يستقيم ويثبت عليها.

الإمام زين العابدين وغيره من أئمة أهل البيت وهكذا أولياء الله الصالحون لا يرون أنفسهم أنهم وقعوا في ورطة، أو في مهلكة أذا ما أصبحوا على طريقة حق، وإن كانت تبدو هذه الطريقة لدى الكثير شاقة فيرون أنفسهم بأنهم تورطوا، وأنهم أصبحوا معرضين للخطر فيصبحون قلقين يحاولون بأي طريقة أن يتخلصوا من هذه الطريقة التي هم عليها.. لا. إنها نعمة عظيمة، أو لم يقل الله عن نبيه موسى (صلوات الله عليه) يذكر ما قال نبيه موسى: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص: من الآية١٧).

فإذا ما رأيت نفسك على طريقة حق، في مواقف حق، في عمل حق، وإن كان يبدو أمامك أنه شاق، أو أنه يثير الخوف فإنه بمقدار ما يكون هكذا أمامك فإن ذلك يعني: أن هذا هو الحق الذي لا بد منه، وهو الحق الضائع الذي الأمة في أمس الحاجة إلى أن تسير على طريقه، فاعتبر نفسك في نعمة عظيمة، أنك أصبحت تسير على هذه الطريق، لا تعتبر نفسك في مهلكة، أو في ورطة، أو في شقاء بل أدعو الله سبحانه وتعالى بدعاء زين العابدين: ومتعني بطريقة حق لا أزيغ عنها، لا أزيغ: لا أميل، لا من منطلق شعور بضعف داخل نفسي، ولا من باب التحيل عن كيف أزيغ عن هذه الطريقة، وأبحث لنفسي عن المبررات المصبوغة بصبغة دينية، سؤال عند هذا العالم، أو عند ذاك، ولا بأي شيء.

من يصنع هذا هو من لا يرى أن ما هو فيه من السير على طريق الحق نعمة، الذي لا يرى أن ذلك نعمة هو من يبحث عن كيف يتخلص، وكيف يزيغ عن طريقة الحق.

الإمام زين العابدين يقول: أنها متعة ((متعني)) متعني بأن أسير على طريقة حق لا أزيغ عنها، ثم أنظر فعلا من خلال القرآن الكريم هل أن طريقة الحق هي الشيء الذي ينبغي لك أن تبحث عن المبررات لتزيغ عنها، عندما تجد القرآن الكريم يتحدث عن أوليائه، ما وعدهم به في الدنيا والآخرة، عن المقام الرفيع الذي هم فيه، عن الفضل العظيم الذي منحهم، عن الجنة النعيم العظيم الدائم الذي وعدهم، عن رضوانه الكبير الذي وعدهم به.

وعد من؟ أليس ذلك الوعد لمن يسيرون على طريقة حق لا يزيغون عنها؟ أنت عندما تسير على طريقة حق فترة ثم تزيغ عنها تعتبر عاصيا لله سبحانه وتعالى، أشقيت نفسك، وأهلكت نفسك، ووقعت في الخسارة العظيمة {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}(فصلت: من الآية٣٠) طريقة حق يستقيمون عليها {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}(فصلت: من الآية٣٠).

أليس هذا مما وعد به من يسيرون على طريقة حق، وعلى طريقة الحق؟ أليس هذا شيئا عظيما؟ بشارة عظيمة؟ وكم.. وكم مثلها في القرآن الكريم كثير {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً}(فصلت:٣٢) ضيافة، تكريم {نُزُلاً} تعني: ضيافة وتكريم {نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}(فصلت:٣٢) هذا وعد لمن؟ للمستقيمين على طريقة حق.

في مقابل هذا الوعد العظيم، هذا الفضل العظيم، هذه الدرجة العالية عند الله سبحانه وتعالى تنطلق لتبحث عن كيف تزيغ عن هذه الطريقة، تبحث عن المبررات لكيف تنصرف عن هذا النهج!.

الإنسان الخاسر وحده هو الذي يفكر في هذا؛ لأنك أنت من يعمل على أن لا يكون واحدا من أولئك الذين قال الله عنهم في هذه الآية: {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا}(فصلت: من الآية٣٠) يجند لك حتى الملائكة تؤيدك، تثبتك، تنصرك {أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} أي واحد منا، أي واحد ممن يحمل اسم إيمان لا يتمنى أن يكون واحدا من هؤلاء الذين يبشرون بهذا؟! {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}(فصلت: من الآية٣١) وأن يقال لهم: {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}(فصلت: من الآية٣١) من هو منا لا يريد أن يكون واحدا من هؤلاء؟ من هو؟ هل هناك أحد؟ إسأل الناس جميعاً ممن يحمل اسم إيمان، ممن يحمل اسم إسلام، هل أنت لا تريد أن تكون واحداً من هؤلاء؟ الذين يقال لهم هكذا: {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}.

فإذا كنت تريد أن تكون واحدا منهم.. فمنهم هؤلاء الذين وعدوا بهذا الوعد؟ إنهم الذين استقاموا، واستقاموا على ماذا؟ استقاموا على طريقة حق لا يزيغون عنها، استقاموا على نهج الحق، ثبتوا في ميادين العمل من أجل إعلاء كلمة الحق، ونصر الحق، والوقوف في وجوه أعداء الحق.. أم معنى الإستقامة داخل بيتك استقامة فوق [المدكى]، وتخزينه ولا تفكر أن تعمل أي شيء للإسلام! هل هذه استقامة؟.

الاستقامة على طريقة حق لا تزيغ عنها؟ فمن لا يكون حريصا على أن يكون واحدا من أولئك فأين سيكون؟ سيكون من أولئك الذين يساقون إلى جهنم، ثم تستغرب الملائكة وتندهش لماذا يساقون بهذه الأعداد الهائلة: {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى}(غافر: من الآية٥٠) أين سيذهب الإنسان إذا لم يكن من أولياء الله؟ أين سيذهب؟ إذا لم تكن من أولياء الله فستكون أنت في صف أعدائه. ليس هناك وسط. هناك فقط: جنة ونار، وطريق حق تصل بك إلى الجنة، طريق باطل تصل بك إلى النار، هناك مواقف فقط مواقف حق ومواقف باطل، باطل يذهب بك إلى النار وحق يذهب بك إلى الجنة.. الناس صنفان فقط: شقي وسعيد، إما أن تكون شقيا وإما أن تكون سعيداً. من هم السعداء؟ أليسوا هم أولياء الله؟ فإذا لم تكن من السعداء، إذا لم تكن من أولياء الله فإنك ستكون في صف الآخرين من الأشقياء، من أهل الباطل، ممن يساقون إلى النار، نعوذ بالله من النار.

ثم يقول عليه السلام: ((ونية رشد لا أشك فيها)) لأهمية النية كررها أكثر من مرتين في هذه الصفحة الواحدة ((نية رشد لا أشك فيها)) لعظمة النية، وأهمية النية؛ لأنها هي التي تجعل الأعمال ذات قيمة كما تحدثنا بالأمس كثيراً عنها.

ثم يقول عليه السلام: ((وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك))؛ لأنه لا يرى للحياة قيمة، ولا يرى لنفسه قيمة، لا يرى لعمره قيمة، بل يرى عمره وبالاً عليه، ويرى عمره خسارة ((عمرني ما دام عمري بذلة في طاعتك)) هنا تطلب من الله أن يطيل عمرك ليكون بذلة في طاعة الله، وفيما إذا كان عمرك بذلة في طاعته أي عملاً في طاعة الله، وحرصاً على كسب رضاه ((فإذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي أو يستحكم غضبك علي)) وما أكثر الناس الذين يحرصون على الحياة، وهم يبتعدون عن أن تكون أعمارهم بذلة في طاعة الله، إنهم ماذا؟ إنهم يحرصون على أعمارهم أن تطول وهي كلها خسارة، وكل يوم في حياتهم خسارة عليهم؛ لأن أعمارهم هي مرتع للشيطان! الشيطان يرتع: يرعى داخلهم بضلاله وإضلاله، وصرفه إياهم عن طاعة الله، وعن ما فيه رضاه.

الإمام زين العابدين يقول: إذا كان عمري سيصبح مرتعا للشيطان فلا قيمة له بل سيصبح خطيراً جداً عليّ ستصبح أيامي كلها خسارة، كلها وبالاً فهو يدعو الله أن يقبض نفسه إليه قبل أن يصل إلى حالة كهذه، قبل أن يسبق إليه مقت الله، ((أو يستحكم غضبك علي))، هل نحن نفكر هذا التفكير؟ لا أعتقد، نحرص على الحياة على الرغم من أننا نرى أعمارنا مرتعا للشيطان؛ لأننا نرى كل يوم من أيامنا خسارة علينا، سيئات تضاف إلى سيئات، وطاعات تحبطها سيئات، وطاعات لا ننطلق فيها، ومعاصي نصر عليها، وسيئات لا نتوقف عن اقترافها.

عند ما يصل الإنسان يوم القيامة بين يدي الله سيرى كيف أن كل ساعة كانت من عمره ـ هذا الذي أصبح مرتعا للشيطان ـ كانت خسارة، وكل يوم كان خسارة عظيمة عليه.. لكن المؤمن هو وحده الذي أصبح عمره، وجعل عمره بذلة في طاعة الله، هو من تكون أيامه كلها ربح، كلها أرباح عظيمة، فيرى قيمة أيامه عندما يلقى ربه يوم القيامة، هذا هو المؤمن.

ثم يقول عليه السلام: ((اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها)) لأن هناك من العيوب ما لا ندركها، هناك من العيوب ما لا نستشعرها، فنحن دائماً نرجع إلى من يعلم السر في السماوات والأرض، إلى من هو عليم بذات الصدور، إلى من هو أعلم بنا من أنفسنا، أن يتولى صلاح أنفسنا فأي عائبة فينا نسأله أن يصلحها فيوفقنا إلى كيف نصلحها.

ماذا يعني هذا؟ وما هو هذا العيب الذي يطلب من الله، ويريد من كل واحد منا يطلب من الله أن يصلحه؟ هل هو عيب خلقي، لونه؟ أو شكل أنفه، أو شكل عينيه؟ أم أن تلك العيوب الأخلاق السيئة، السيئات، المساوئ، النقص في الإيمان، النقص في الوعي، العيوب المعنوية، وما أكثرها! وهي العيوب التي هي خطيرة علينا، أن يكون أنفك طويلاً جداً أو قصيراً، أو يكون شكل عينيك ليس بالشكل الذي ترغبه أنت.. هل هذا يشكل خطورة عليك يوم تلقى الله سبحانه وتعالى؟ هل يشكل خطورة عليك في واقع حياتك، أو خطورة على دينك، أو على أمتك؟.. لا.

إنها تلك العيوب والتي دائماً لا نعمل على أن نصلحها، نحن نصلح عيوبنا الخلقية، نقصص شواربنا ودقوننا لتكون جميلة، ونهتم بمظهرنا، نهتم بأبداننا لتبدو أبداننا ليس فيها عيوب.. أليس كذلك هو ما يحصل؟ لكن عيوبنا الخطيرة علينا هي التي لا نعمل على إصلاحها، هي التي لا يهمنا أن نبحث عن كيف نصلحها.

فيجب أن نرجع إلى الله سبحانه وتعالى، وأن نحرص على كيف نصلح عيوب أنفسنا.. لا ندع خصلة ولو خصلة واحدة، الخصلة الواحدة تجر إلى خصال أخرى، الإنسان هو أشبه في واقعه بالسيارة أو بأي جهاز آخر، السيارة إذا ما تعطلت قطعة واحدة فيها وسكتّ عنها، ما ظهر لك وانقطعت الخصلة الأخرى، القطعة الأخرى المرتبطة بها، وهكذا فيوم كان بإمكانك أن تصلح تلك القطعة بألف ريال سترى نفسك لا تستطيع أن تصلح سيارتك إلا بمائة ألف ريال.. تتداعى، العيوب تتداعى وتتلاحق حتى في الماكينات هذه في الأجهزة نفسها.. والإنسان كذلك {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين:١٤).

خصلة تعاب بها تجر إلى خصلة، وخصلة تجر إلى خصلتين.. وهكذا.. حتى يظلم قلبك، ويقسو قلبك، ويطبع الله على قلبك، ويستولي الرين الذي يعني: [الوسخ] ـ في لغتنا ـ يستولي على قلبك {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين:١٤) وماذا كانوا يكسبون؟. عيوبا.

الإنسان لا يولد وهو مليء بالعيوب من جهة الله سبحانه وتعالى، هو يولد على الفطرة.. يولد نقيا، يولد طاهراً لكنه هو من يكتسب العيوب واحدة بعد واحدة.. ولا يصلح هذا العيب فيجره هذا العيب إلى عيوب أخرى حتى يصبح قلبه كله عيباً، وحينئذ لا ينفع فيه هدى.. وحينئذ لا يحرص على هدى، وحينئذ لا يفكر أيضا في إصلاح أي شيء من عيوبه.

فلخطورة العيوب، العيوب النفسية، العيوب الإيمانية التي تؤثر على جانب الإيمان، هو يدعو الله أن لا يدع حتى ولا خصلة واحدة.. أليس الكثير منا قد يرى في نفسه عيوبا ثم يستمر في حياته عليها ويقول: [الله غفور رحيم.. والله إنه حقيقة ان احنا كذا، وان احنا كذا، وان احنا كذا....] ألسنا نعدد معائبنا أحيانا؟ [ولكن الله غفور رحيم].

هو غفور رحيم، فلأنه غفور رحيم قال لك: أنب إليه، تب إليه، أصلح عيوبك وهو سيغفر لك، هو سيهديك، هو سيرحمك متى انطلقت أنت لإصلاح عيوبك.. إذا ما شعر كل واحد منا بعيوب في نفسه فليعمل جاهداً على إصلاحها وليدعو الله.

نحن بحاجة إلى أن ندعو الله سبحانه وتعالى إلى أن يعيننا على أنفسنا في أن نصلح عيوبها، ونحن بحاجة إلى بعضنا بعض في أن نصلح عيوب بعضنا بعض: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة: من الآية٢) {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر:٣).

إذا ما انطلق الناس فيما بينهم ينصح بعضهم بعضا، ويأمر بعضهم بعضا بالمعروف وينهاه عن المنكر، وتتواصى بعمل الحق، وتتواصى بالصبر على الحق.. أليس هذا هو من العمل على إصلاح أنفسنا؟ وعلى سد ثغرات عيوبنا؟.

إذا سكتنا فكل إنسان قد لا يرى عيب نفسه، قد لا يدرك عيب نفسه، قد لا يستطيع أن يكون استشعاره أن فيه عيبا، أن يكون استشعاره ذلك هو بالشكل الذي ينطلق معه إلى إصلاح نفسه. لكن كلمة مني إليك، وكلمة منك إليّ هي قد تعمل عملها؛ ولهذا أمر الله المؤمنين بهذا، وجاء عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ذلك الحديث المهم: ((الدين النصيحة)). إذا ما انطلق الناس ينصح بعضهم بعضا فإنهم سيعملون على إصلاح عيوبهم جميعاً، وسيكون عملهم ذلك مما يهيء أجواء في بلدهم، ينشأ فيه أولادهم صالحين.

الشاب عندما ينشأ في مجتمع أهله على هذا النحو سيرى مجتمعاً تسوده أجواء التقوى، أجواء البر، أجواء الصلاح، فينشأ صالحا؛ ولهذا أمرنا الله أن نتعاون على البر، وأن نتعاون على التقوى، أوليست التقوى حالة نفسية؟. كيف نتعاون على التقوى وهي حالة نفسية؟ نهيئ أجواءها، نهيئ الأجواء الصالحة بأن نكون جميعا متقين، وأن ينشأ أبناؤنا في بيئة أجواءها كلها تقوى، فنكون من تعاوننا فيما بيننا على خلق حالة التقوى في أنفسنا، وفي أنفس أبنائنا الذين ينشأون.

ألستم تجدون فارقاً كبيراً في الأولاد الذين ينشأون في منطقة أهلها صالحون، وفي منطقة أخرى أهلها غير صالحين؟. كيف ينشأ الأبناء هنا وهناك؟ ينشأ هذا يطلع وهو يحمل نفس الصفات التي في مجتمعه من صلاح أو من فساد.

فلخطورة العيوب، وهي عيوب لا بد أن ننطلق في إصلاحها، ولإصلاحها لا بد أن ننطلق في القيام بالمهام التي أوجبها الله علينا: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة فيما بيننا، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر على الحق، وأن نقول كلمة الحق، أن تنصح، وعندما تنصح ليكون كلامك مع أخيك مع صاحبك كلام الناصح وليس كلام الساخر، وليس كلام الفاضح، أظهر نفسك بأنك ناصح وسيقبل منك.

أما إذا جئت لتقهره بكلامك، وأنت حتى تريد أن تنصحه فإنك من ستدفعه إلى أن يكون له ردة فعل سلبية تجاه نصيحتك، وأمام توصيتك، وأمام أمرك بالمعروف له، وأمام نهيك له عن المنكر.
ويقول عليه السلام: ((اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عائبة أؤنب بها إلا حسنتها)) حسّنها حتى لا أؤنب بها، سواء بين يديك، أو بين عبادك، أليس أن يكون الإنسان له ذكر حسن هو مقصود لكل شخص؟ بل لأنبياء الله أنفسهم، نبي الله إبراهيم (صلوات الله عليه) هو دعا: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} (الشعراء:٨٤) اجعل لي ذكرا حسناً، والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من أمرنا أن نصلي عليه وعلى آله كما صلى الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ ليكون ذلك رفعة لذكره، ورفعة لذكر أهل بيته، وهو من رفع الله ذكره، أوليس الله هو الذي قال في كتابه الكريم: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: من الآية٤٤) شرف لك ولقومك.
البعض يبحث عن منصب ليظهر عزيزا أمام الناس، أو ليظهر قويا وشريفا وكريما أمام الناس، لكنه هو من عبّد نفسه للشيطان بذلك المنصب! فعزته وهمية، وشرفه وهمي، وكرامته وهمية، هو من باع دينه، وباع نفسه مقابل عزة وشرف وكرامة ومكانة وهمية.
الإسلام لا يريد من أتباعه أن يكونوا ضعفاء أذلاء، وأولئك الذين يبدون كمؤمنين أذلاء مستضعفين، يعطون صورة سيئة عن المؤمن الحقيقي، هم من يرسخون في أنفسنا أن الإيمان استضعاف! حتى أصبح عند البدو، عند بعضهم معروف: أن الصلاة ذل، يقول هكذا [صلي.. قال: لا. المصلين يكونوا أذلاء، الصلاة ما منها فائدة، فقط ذل، تحصل على ذلة].
من أين جاءت هذه المفاهيم؟. والله يقول في كتابه الكريم: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون: من الآية٨) {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) الله هو الذي قال: أن دينه، أن هداه هو شرف وعزة وكرامة لك ولقومك {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: من الآية٤٤) يغلط الناس عندما يتجهون إلى التدين فيخضعون أنفسهم، ويذلون أنفسهم، حتى يظهر نماذج تجسد الدين وكأنه ذلة، وكأنه ضعة، وكأنه خضوع.. هو ذلة فيما بين المؤمنين لكن في تعاملهم مع بعضهم بعض بشكل تواضع من بعضهم لبعض، لكنهم أعزة، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. العزة، الله يريدنا أن نكون أعزاء، يريد أن نكون أقوياء، وأن نكون كرماء، وأن نكون شرفاء، لكنه هو وحده من سيمنحها.. لمن؟ لمن يسيرون على هديه، لمن يلتزمون بالعمل بهديه، لمن يعبِّدون أنفسهم له، فبمقدار ما نعبد أنفسنا لله سنكون أعزاء، وسنكون كرماء، وسنكون أقوياء في الدنيا، وسنحصل على العزة والرفعة في الآخرة، والدرجات العظيمة في الآخرة في الجنة.
أيضا حتى من يتجهون إلى التدين، أو يتجهون إلى طلب العلم بحثًا عن العزة ليقال له فلان الأستاذ الفلاني أو العلامة الفلاني، هو أيضا ممن يغلط في البحث عن العزة، إن العزة هي في أن تضع نفسك أمام الله، أن تكسر نفسك أمام الله، أن تعبِّد نفسك أمام الله، أن تكون نيتك كلها نية رشد ـ كما قال زين العابدين ـ في أعمالك كلها، وهو الذي سيعزك، هو الذي سيرفعك.
أما إذا جئت أنت تتحرك على هذا النحو، وأنت تريد أن تصنع لنفسك عزة ليقال وليقال، فأنت ممن يرائي، وأنت ممن سيذل، بل أنت في حال ذل حتى وإن قال لك الآخرون: أستاذ أو قالوا: علامة، أو قالوا: دكتور أو قالوا: ما قالوا من الألقاب، أنت في حالة ذل؛ لأنك من ترى الآخرين أعظم عندك من الله، أنت من ترى ما يمكن أن يمنحك هذا اللقب أعظم بكثير من العزة التي يمنحك الله سبحانه وتعالى، عندما تعبِّد نفسك له.
أولئك [المشائخ] الذين يصدون عن سبيل الله، ويحذر بعضهم بعضا من انتشار التعليم في بلدانهم، فيقول هذا لذاك: يريدون أن يجردوك من منصبك، سيأخذون أصحابك!. فينطلق ليصد عن سبيل الله، من واقع ماذا؟ من واقع حفاظه على عزته كشيخ، هو ممن يفهمون الأشياء فهما مغلوطا. أنت تريد أن يكون لك عزة فالإسلام هو دين العزة، ودين الكرامة، اتجه إلى الله، ومن الذي سيسلبك موقعك فيما إذا اتجهت كما يتجه عباد الله جميعا؟.
فأنت تحرك في أن ينتشر الدين في بلدك، في أن يتعلم كل أفراد قبيلتك، في أن يقفوا مواقف حق، تقف أنت وهم مواقف حق، حينئذ من هو ذلك منهم الذي سيفكر في أن يسلبك منصبك؟ بل ستسمع هذا وتسمع ذاك

يقول: أما نحن فالحمد لله شيخنا من أولياء الله، أليس هذا سيكون؟. نحن بحمد الله شيخنا ولي من أولياء الله، أما نحن بحمد الله شيخنا إنسان عظيم.

أليس الناس هم سيثنون عليه؟. فلماذا يغلطون.. سيغلط الناس جميعا سواء شيخ أو عالم أو أي شخص يبحث عن العزة وهو لا يعلم بأن العزة هي من الله، ولا يمنحها إلا لمن يسيرون على نهجه بتعبيد لأنفسهم له، وتسليم لأنفسهم له، وأن يتحركوا على وفق هدي الله، فسنكون حينئذ بإذن الله أعزاء.

أوليست الأمة هذه فاقدة لعزتها؟ هل منحتها العزة دباباتها وطائراتها، وبترولها، وعددها الهائل، وعدتها الكبيرة، وأموالها الضخمة؟ هل منحتها العزة؟. لا.. فقدت العزة التي كان الله يريد أن تكون لها فيما إذا سارت على نهجه.

فعندما فقدت هذه العزة بالتخلي عن أسبابها الإلهية لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يعوضها عزة بدل تلك العزة التي فقدتها من قبل الله سبحانه وتعالى، بل أصبح كل مقومات الحياة هي من الأشياء التي تبدو أمامنا تعطي شاهدا أكثر على أنهم أذلاء أكثر.

أليس الزعيم الفلاني يفرح عندما يرى نفسه رئيس بلد فيرى نفسه عزيزاً، لكننا نحن نراه ذليلا؛ لأنه لماذا أنت على الرغم من القوة التي تمتلكها، الجيش، الأسلحة المتطورة، الشعب الكبير، الشعب الكثير العدد، الذي أنت تحكمه؟ فلماذا أنت ذليل؟ لماذا أنت ذليل؟ لا تستطيع أن تقول كلمة جريئة! أليس هذا هو ما نلمسه؟.

كل واحد منا لا يرضى لنفسه أن يكون في مقام أي زعيم من هؤلاء الزعماء لأننا نراهم هم أذل منا.

الذلة التي حصلت بسبب آخرين، بسبب أعداء الأمة فقهرونا جميعاً، نحن نرى الزعماء أكثر ذلا منا. لماذا؟ نرى أنهم كيف أصبحوا هكذا وبأيديهم كذا وكذا، ويمتلكون كذا وكذا.. الخ.

أليست هي مقومات العزة لديهم؟ هي من منظارنا ما يعزز الشاهد الكبير على أنهم أذلاء أكثر منا أمام الأعداء الذين أذلونا جميعاً، نحن وهم.

{فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) **جميعا.. حزب الله أليس يبدو أمامنا عزيزا، والزعماء يعرفون أن ذلك الحزب، وزعيم ذلك الحزب يبدو عزيزاً، وهل يمتلكون شيئاً مما يمتلكه الآخرون؟. لا.. من أين هذه العزة؟ هي العزة الإيمانية: {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً}.**

إذاً فلندعو الله بهذا الدعاء نقول:

اللهم صل على محمد وآله ومتعنا بهدى صالح لا نستبدل به، وطريقة حق لا نزيغ عنها، ونية رشد لا نشك فيها، وعمرنا ما كانت أعمارنا بذلة في طاعتك، فإذا كانت أعمارنا مرتعا للشيطان فاقبضنا إليك قبل أن يسبق مقتك إلينا، أو يستحكم غضبك علينا، ونعوذ بك يا الله من أن يسبق مقتك إلينا، أو يستحكم غضبك علينا.

اللهم لا تدع خصلة تعاب منا إلا أصلحتها، ولا عائبة نؤنب بها إلا حسنتها يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

لا عذر للجميع أمام الله[1]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢١/١٢/١٤٢٢هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

إكمالاً للموضوع الذي تحدثنا عنه بعد العصر، وعلى ضوء ما سمعناه من المحاضرة في المسجد للأستاذ زيد حفظه الله.

نحب أن نقول: قد يكون طرح مثل هذه المواضيع عند الكثير من الناس شيء غير مألوف، وشيء جديد، وشيء قد يبدو اختيارياً إذا ما أراد أحد أن يعمله أو أراد أن لا يعمله، قد يرى نفسه مختاراً أن لا يعمله، والحقيقة مما عرفناه من أحكام الإسلام وتوجيهاته المألوف الذي نشأنا عليه أننا أصبحنا نعتبر أن الإسلام أن الدين كله هو هذه المجموعة من الأحكام والمفاهيم والتوجيهات التي ألفناها ونشأنا عليها، وكأنه ليس هناك أشياء أخرى كثيرة يريدها الله منا.

والحقيقة أن الشيء الذي يجب أن نهتدي به هو القرآن الكريم، القرآن الكريم الذي قال الله فيه {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء: من الآية٩) **وسماه بأنه هدى للناس هدى للعالمين.**

العودة للقرآن الكريم للاهتداء به هو الطريقة الصحيحة، هو الأسلوب الصحيح، لا أن نظل على ما نحن عليه ونفهمه أنه كل شيء وكل ما يطلب منا من جهة الله سبحانه وتعالى.

الشيء الغريب ليس هو طرح المواضيع هذه، الغريب هو أن تكون غريبةً في أنظارنا، وغريبةً لدى الكثير منا، هذا هو الشيء الغريب، وما أكثر الأشياء الغريبة في واقعنا، أصبحنا كما روي عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أنه قال في حديث:** ((**كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً**)).

نحن نرى الآخرين، اليهود والنصارى هم من يتحركون في البحار، في مختلف بقاع الدنيا مقاتلين يحملون أسلحتهم طائراتهم دباباتهم قواعدهم العسكرية برية وبحرية، فرقاً من الجنود من أمريكا ومن ألمانيا ومن فرنسا وأسبانيا وكندا ومختلف بلدان العالم الغربي.

هم من ينطلقون فاتحين، هم من يتحركون يحملون أسلحتهم في مختلف بقاع الدنيا، وهذه الأمة الإسلامية أمة القرآن، القرآن الذي أراد أن تتربى على أن تحمل روحاً جهادية أن تحمل مسؤولية كبرى، هي مسؤولية أن تعمم دين الله في الأرض كلها، حتى يظهر هذا الدين على الدين كله على الديانات كلها حتى يصل نوره إلى كل بقاع الدنيا.

هذه الأمة التي قال الله عنها مذكراً بالمسؤولية: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} للعالم كله {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **أصبح الآن الحديث عن الجهاد، الحديث عن المواقف القرآنية العملية في مواجهة أعداء الله، الحديث عن نصر دين الله، الحديث عن بذل المال عن بذل النفس عن العمل أصبح غريباً، أصبح منطقاً نادراً لا نسمعه من وسائل الإعلام في مختلف البلدان العربية إلا في النادر، ولا نسمعه من المرشدين والعلماء والمعلمين إلا في النادر، ولا ذكر له في مناهجنا الدراسية، ولا في ما يكتب في صحفنا، أصبح غريباً أن يتحدث الإنسان عن أنه يجب أن نتخذ موقفاً من أعداء الله.**

ولو نظر كل واحد منا إلى شاشة التلفزيون، أو استمع إلى الأخبار لسمع بأذنيه أن هناك فرقاً من مختلف الدول الغربية، فرق من اليهود والنصارى مقاتلين، مجاهدين ـ على حسب ما يقولون هم عن أنفسهم ـ في البحر الأحمر وفي البحر العربي وفي الخليج وفي البحر الأبيض المتوسط وفي مختلف بقاع الدنيا في البر والبحر، هؤلاء هم من كانت مسؤوليتنا التي أراد الله لنا أن نقاتلهم حتى يكونوا أذلاء صاغرين، من نصل بهم إلى درجة أن لا يفكروا أن يعملوا شيئاً ضد الإسلام والمسلمين.

هذا خزي للمسلمين في الحقيقة، خزي، وتقصير عظيم أمام الله سبحانه وتعالى، ونبذ لكتابه، نبذ للقرآن خلف ظهورنا. ثم إذا ما جاء من يتحدث عن هذه الأشياء الغريبة لا نستغرب أن نسمع أن في أفغانستان يأتي كل فترة إنزال مجاميع من الجنود كنديين أو أسبانيين أو أمريكيين أو فرنسيين أو غيرهم، لا نستغرب أن نسمع أن هناك

سفناً أمريكية وهناك فرقاً لسفن أمريكية وفرنسية وألمانية وغيرها في البحر الأحمر، وأن هناك جنوداً يدخلون اليمن وجنوداً يدخلون الجزيرة، وجنوداً في العراق وجنوداً في مختلف بقاع الدنيا داخل بلاد المسلمين.

وعندما يأتي من يتحدث، نستغرب ما يقول، وإذا ما اتضح الأمر أكثر قد يتساءل الكثير: [لماذا الآخرون أيضاً لم يتحدثوا، هناك علماء آخرون لم يتحدثوا!]. إذا لم يتحدث أحد من العلماء قالوا: العلماء لم يتحدثوا. ومتى ما تحدث البعض قالوا: الباقون أيضاً لازم أن يتحدثوا. فإذا لم يتحدث الكل قالوا إذاً فالقضية غير ضرورية.

الواقع أن الناس فيما بينهم يتهادنون - إن صحت العبارة - العلماء هم يرون أنفسهم معذورين؛ لأن الناس لا يتجاوبون، والناس قد يرون أنفسهم ليس هناك ما يجب أن يعملوه؛ لأن العلماء لم يقولوا شيئاً. ألسنا متهادنين في ما بيننا؟ لكن يوم القيامة قد يكشف الواقع فلا نعذر لا نحن ولا علماؤنا، قد لا نعذر أمام الله سبحانه وتعالى.

العلماء قد يكونون كثيرين في أي عصر، ومن يتوقع أن يتحرك العلماء جميعاً فإنه ينتظر المستحيل والتاريخ يشهد بهذا والحاضر يشهد بهذا. كانت إيران بلد مليئة بالحوزات العلمية ومليئة بالعلماء، تحرك واحد منهم وتحرك معه من تحرك أيضاً من العلماء، وقعد كبار من العلماء، وقعد كثير من العلماء.

في الماضي كانت هِجَر العلم مليئة بالعلماء، وكان - أحيانا - واحد منهم يتحرك، إذا ما تحرك أحد الناس وذكرنا بشيء يجب علينا أن نعمله.. هل يكون عذراً لنا أمام الله سبحانه وتعالى هو أن الآخرين لم يتحدثوا بعد؟. لا.

لنرجع إلى القرآن الكريم، القرآن الكريم يتحدث عن قصة نبي الله موسى (عليه السلام) عندما قال لقومه: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٢١).

عندما رفض بنو إسرائيل أمر نبي الله موسى ذكر الله سبحانه وتعالى أيضاً كلام رجلين من بني إسرائيل: {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة:٢٣) ألم يذكر الله كلام الرجلين ويسطّره ككلام نبيه موسى؟ رجلان.

تلك الأمة التي كانت مع موسى ألم يكن فيها علماء وفيها عبّاد؟ هل تتصور نبياً من الأنبياء يعيش فترة مع أمته ثم لا يكون فيها علماء وعبّاد؟ ثم لا يكون فيها وُجهاء وفيها شخصيات كبيرة، وفيها.. مختلف فئات المجتمع تكون متواجدة، لكن موقف أولئك وإن كانوا علماء وإن كانوا وجهاء وإن كان فيهم عبّاد يعتبره الله سبحانه موقفاً لا قيمة له، يعتبره عصياناً له ولنبيه، لكن رجلين منهم: {قَالَ رَجُلانِ} لم يقل قال عالمان أو قال عابدان أو قال شيخان أو قال رئيسان {قَالَ رَجُلانِ}.

لأن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى ما يقول الإنسان إن كان كلام هداية وتذكير بهداية فإنه المطلوب، ومن يذكر الناس بما يجب عليهم هو المطلوب، ولا عذر لهم أن يقولوا: الآخرون لم يتحدثوا معنا. هل كان عذراً لبني إسرائيل الذين قعدوا أن الآخرين منهم أيضاً - من علمائهم وعبّادهم - لم يقولوا كما قال الرجلان؟ الله ذكر كلام الرجلين: {قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة:٢٣) ألم يرشدوا الناس إلى خطة عمليّة ينفذون بها الأمر الإلهي بدخول الأرض المقدسة، فيحققون بها الاستجابة لنبيهم والطاعة لله ولرسوله، ألم يُوجِّه الرجلان إلى خطة عمليَّة؟.

هذان الرجلان سطّر الله كلامهما مع نبيه.

كذلك قال عن مؤمن آل فرعون يسطر كلامه في صفحة كاملة في سورة [غافر] ذلك الكلام الجميل الذي قاله مؤمن آل فرعون، ويذكره كما ذكر كلام نبي الله موسى.

إذا ما جاء أحد يتحدث معنا ويذكرنا بخطورة وضعية نحن نعيشها، يذكرنا بعمل يجب علينا أن نعمله ثم نأتي لنبحث عن المخارج من هنا أو من هناك، هذا من الأخطاء.

أن تعرض ما سمعته منا على الآخرين باعتبار هل مثل هذا عمل يرضي الله سبحانه وتعالى؟ وأعتقد لا أحد يمكن أن يقول لك من العلماء بأن هذا عمل لا يرضي الله: أن تهتف بشعار التكبير لله والموت لأمريكا والموت

لإسرائيل واللعنة على اليهود والنصر للإسلام وأن تجند نفسك لمواجهة أعداء الله لا أحد من العلماء يستطيع أن يقول لك أنه عمل لا يرضي الله. والإنسان المسلم الحقيقي هو مَن همُّه أن يعمل ما يحقق له رضى الله سبحانه وتعالى.

لكن أن تسأل: هل يجب علينا؟ هل هناك ما يوجب علينا أن نقول كذا؟. قد يقول لك: لا. فتقول في الأخير: [ها شفتوا ما بلاّ فلان، هو ذا العالم الفلاني قال ما هو واجب علينا والآخر قال ما هو واجب علينا].

هناك من العلماء من لا يتابع الأحداث، هناك من العلماء من يتمسك بقواعد يعتبر نفسه معذوراً أمام الله باعتباره غير متمكن أن يعمل شيئاً، وهناك من العلماء وهم كثير من إذا ما انطلق الناس في أعمال أيدوهم ودعوا لهم. ونحن جربنا هذا.. في الماضي كان كثير من علمائنا بما فيهم سيدي إبراهيم الشهاري (رحمة الله عليه) وسيدي محمد حسين شريف وغيرهم من العلماء (رحمة الله عليهم) ممن قد ماتوا وممن لا زالوا موجودين كانوا يدعون لنا، ويؤيدونا، ويدعمونا بأموال أيام كنا نتحرك في عام ١٩٩٣م وأيام أعمال لـ(حزب الحق).

وهم كانوا يرون أن حركتنا تعتبر حركة ترضي الله سبحانه وتعالى، وأن تأييدهم لأعمالنا يعتبر مما يرفع عنهم العهدة أمام الله، أي أنهم أصبحوا يدعمون عملاً هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، هو عمل لإعلاء كلمة الله، هو عمل يرضي الله سبحانه وتعالى؛ لأن أي عالم زيدي مرتبط بالقرآن وبأهل البيت يجد في نفسه كثيراً من الإحراجات الداخلية أنه لا يأمر بالمعروف لا ينهى عن المنكر لا يجاهد.

هو يعود إلى مسألة أن هناك عذر له أمام الله، هو أن الناس لا يستجيبون، أن الناس لا يقبلون، أن الناس لا يتحركون، فماذا يعمل، إذاً سيبقى في بيته، لكن متى ما رأى من تحرك ارتاح هو، وانطلق هو لدعم من يتحرك من أجل أن يشارك ولو بتأييده، أن يشارك في عمل يرضي الله سبحانه وتعالى. ويعتبر من الأعمال التي يرى في نفسه حرجاً أنه لا يقوم بها. عندما يقوم بعمل كهذا، أو يؤيد ناس يعملون أعمالاً كهذه يعتبر نفسه يؤدي ما يريد الله منه.

فنحن نريد أن نقول للناس: يمكن أن تسأل عالم أو تسأل علماء آخرين: [هل يجب علينا قالوا إن احنا لازم نقول كذا؟]. قد يقول لك: لا. لكن ارجع إلى القرآن الكريم أو اسأل بطريقة صحيحة: إسأل: نحن نريد أن نحارب أمريكا وإسرائيل، نحن نريد أن نواجه أعداء الله، نحن نراهم يتحركون داخل البلاد الإسلامية ووصلوا إلى بلادنا وإلى سواحل بلادنا، نريد أن يكون لنا موقف ضدهم، هل هذا عمل يرضي الله؟. مَنْ من العلماء الذي يمكن أن يقول لك: لا؟. اسأل على هذا النحو وستجد الإجابة الصحيحة.

أما أن تسأل: [هل يجب.. قالوا لازم نسوي كذا، قالوا، وقالوا..] وأشياء من هذه، قد يقول لك: لا يجب. وربما لو تأمل هو، وتفهم القضية أكثر لأفتاك بأنه يجب. وخلاصة المسألة هو: أننا كمسلمين، أن نقارن بين أنفسنا ـ وهذا كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((متى اعترض الريب فيَّ حتى صِرت أُقْرَن بهذه النظائر)) ـ نحن الآن يجب أن نقرن أنفسنا باليهود، فإذا ما وجدنا أن اليهود هم أكثر اهتماماً بقضاياهم، أكثر اهتماماً بشؤونهم، أكثر اهتماماً بدياناتهم فإن هذا سيكشف بأننا أسوأ من اليهود.

ولنعرف بأننا في واقعنا في واقع مظلم أسوأ من واقع اليهود أننا نرى أن اليهود والنصارى هم من يستذلوننا، أليس كذلك؟ أليس المسلمون الآن، أليس العرب الآن تحت أقدام اليهود والنصارى حكومات وشعوب؟ ألم يقل الله عن اليهود والنصارى أنه قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله؟ هل رفعت الذلة والمسكنة عنهم؟. لا لم تُرفع، ما يزالون، لكنا نحن من أصبحنا أذلّ منهم، من ضُربت علينا ذلة ومسكنة أسوأ مما ضربت على بني إسرائيل. هل تفهموا هذا؟.

لماذا؟ لأننا أضعنا مسؤولية كبرى؛ لأننا نبذنا كتاب الله خلف ظهورنا؛ لأننا لم نعد نهتم بشيء من أمر ديننا على الإطلاق؛ ولم نعد نحمل لا غضباً لله، ولا إباءً وشهامةً عربية.

فعندما ترى أن الأمة العربية والأمة الإسلامية أصبحت تحت أقدام اليهود والنصارى، وأن اليهود والنصارى حكى الله عنهم بأنه ضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأنهم قد باءوا بغضب منه، وترانا نحن المسلمين، نحن العرب تحت

رحمة اليهود والنصارى، أليس كذلك؟.ماذا يعني هذا؟ يعني هذا أننا في واقعنا، في تقصيرٍ أمام الله أسوأ مما اليهود والنصارى،أن تقصيرنا أمام الله أشد مما يعمله اليهود والنصارى. لماذا؟ لأن الله بعث رسولاً عربياً منا، وكان تكريماً عظيماً لنا، ومِنّة عظيمةً على العرب أن بعث منهم رسولاً جعله سيد الرسل وخاتم الرسل {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: الآية١٦٤) **{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ}** (الجمعة: الآية٢) **هؤلاء الأميين الذين لم يكونوا شيئاً،لم يكونوا رقماً ـ كما يقول البعض ـ لم يكونوا يشكلون أي رقم في الساحة العالمية، بعث الله منهم رسولاً عربياً تكريماً لهم، ونعمةً عليهم، وتشريفاً لهم، أنزل أفضل كتبه وأعظم كتبه بلغتهم القرآن الكريم، كتاباً جعله أفضل كتبه ومهيمناً على كل كتبه السماوية السابقة، ألم يقل هكذا عن القرآن الكريم؟.**

بلغتهم نزل القرآن الكريم، أراد لهم أن يكونوا خير أمة، تتحرك هي تحت لواء هذه الرسالة، وتحمل هذه الرسالة فتصل بنورها إلى كل بقاع الدنيا فيكونوا هم سادة هذا العالم، يكونوا هم الأمة المسيطرة والمهيمنة على هذا العالم بكتابه المهيمن، برسوله المهيمن، بموقعهم الجغرافي المهيمن، حتى الموقع الجغرافي للأمة العربية هو الموقع المهم في الدنيا كلها، والخيرات، البترول تواجده في البلاد العربية أكثر من أي منطقة أخرى.

العرب ضيعوا كل هذا فكان ما يحصل في الدنيا هذه من فسادٍ العربُ مسؤولون عنه، ما يحصل في الدنيا من فساد على أيدي اليهود والنصارى الذين أراد الله لو استجبنا وعرفنا الشرف الذي منحنا إياه، والوسام العظيم الذي قلدنا به: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **لو تحركنا على هذا الأساس، لكان العرب هم الأمة المهيمنة على الأمم كلها، ولاستطاعوا أن يصلوا بنور الإسلام إلى الدنيا كلها.**

لأنه أين بُعث محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ ألم يبعث في مكة في قرية داخل البلاد العربية؟. وهو رسول لمن؟.أليس رسولاً للعالمين جميعاً للبشرية كلها؟ إذاً فمن هو المكلف بأن يحمل رسالته للآخرين؟ أليس هم العرب؟ هذا القرآن أين نزل؟ نزل في مكة وفي المدينة داخل البلاد العربية. وهو يقول عنه أنه للناس جميعاً، كتاب للناس جميعاً.**

إذاً فالعرب هم من كان يُراد منهم أن يتحملوا مسؤوليتهم التي هي شرف عظيم لهم كما قال الله في القرآن الكريم: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}شرف عظيم لك و لقومك {وَسَوْفَ تُسْأَلونَ} (الزخرف:٤٤) **سوف تسألون عن هذا الشرف الذي قلدناكم إياه ثم أضعتموه.. عندما أضاع العرب مسؤوليتهم تمكن اليهود. هل تفهموا هذا؟.**

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **ضرب اليهود في كل المناطق التي كانوا متواجدين فيها في الجزيرة العربية بني قريضة، بني النضير، وقينقاع، وخيبر، وغيرها من المناطق، منهم من طردهم ومنهم من قتلهم، قضى على اليهود، وتحدث القرآن عن خطورة اليهود وأنهم يسعون في الأرض فساداً، وأنهم يصدون عن دين الله، وأنهم يريدون أن يضلوا الناس، وأنهم يريدون أن يحولوا الناس إلى كفار، وأنهم، وأنهم.. الخ.**

إذاً فمن الذي يتحمل مسؤولية أن يوقف اليهود عند حدودهم حتى لا يملأوا الأرض بالفساد؟ هم المسلمون هم العرب، العرب بالذات هم الذين كان يُراد منهم أن لا يفسحوا المجال أمام اليهود ليفسدوا البشرية كلها، أن يسبقوا هم بنور الإسلام إلى بقاع الدنيا قبل أن يسبق اليهود بفسادهم في الدنيا كلها، إذاً فكل فساد جاء من قِبَل اليهود في الدنيا كلها العرب شركاء معهم فيه؛ لأنهم قصروا، وهم مَن أفسحوا المجال بتفريطهم في مسؤوليتهم بالنهوض بدين الله حتى تمكن اليهود من أن يسيطروا في العالم ويفسدوا العالم، ثم يهيمنوا على المسلمين، ثم يستذلون المسلمين ثم يستذلون العرب. وهكذا وجدنا أنفسنا تحت أقدام اليهود والنصارى.

الكثير الذين لا يعرفون وضعيتنا هذه، ولا يعرفون أين موقعنا أمام الله سبحانه وتعالى، إنه موقع تحت موقع اليهود والنصارى، إن كنتم تفهمون هذه، تحت اليهود والنصارى؛ لأننا أضعنا، والزيدية بالذات تقع المسؤولية الكبرى عليهم أكثر من غيرهم، هؤلاء الذين نتحدث معهم ثم يستغربون كل ما نقول، الذين نتحدث معهم ثم

يروننا نتحدث عن شيء لا أساس له؛ لأننا أصبحنا الآن نعيش في حالة من التّيه كما عاش بنو إسرائيل، بنو إسرائيل عاشوا بعد أن قال لهم نبيهم موسى: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٢١) فرفضوا، قالوا في الأخير: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة: من الآية٢٤) {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} (المائدة:٢٦).

عندما ترى نفسك أنك لا تتعقل ما يقال لك، أنك لا تهتم بما يُطرح أمامك، أنه لا تثيرك الأشياء هذه التي تشاهدها في الساحة العالمية فاعلم بأنك تائه، أنت واحد من التائهين، أنت واحد ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة.

الله عندما ضرب الذلة والمسكنة على بني إسرائيل، بنو إسرائيل هم اختارهم الله ألم يختارهم هو، ألم يصطفيهم هو؟ ألم يقل: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة: من الآية٤٧)؟ ألم يقل موسى لهم: {وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ} (المائدة: من الآية٢٠) ألم يقل الله عنهم: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الدخان:٣٢).

ألم يقل هكذا؟ ثم لماذا ضرب عليهم الذلة والمسكنة؟ {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) كانوا يقتلون الأنبياء يكذبون بآيات الله فقال: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}.

فمَن عصى مَن اعتدى ستضرب عليه الذلة والمسكنة، فمن فرط في المسؤولية.. نحن عندما فرطنا في مسؤوليتنا كعرب، ونحن عندما فرطنا في مسؤوليتنا كزيود أصبحت جريمتنا أكبر من جريمة اليهود والنصارى. ومن العجيب أن الكثير منا يظنون أننا نتجه إلى الجنة وليس صحيحاً، ليس صحيحاً أننا نتجه إلى الجنة. العالم منا يقول: هي دنيا وهي أيام وإن شاء الله نموت وندخل الجنة. والآخرين يقولون ما هي الا دنيا وكيف نسوي وهي كذا... وندخل الجنة بعد أيام.. لا.

يجب على الناس أن يلتفتوا بجدية إلى واقعهم، وأن ينظروا إلى ما حكاه الله عن بني إسرائيل، بنو إسرائيل اختارهم الله، واصطفاهم، وفضلهم، ولكنهم عندما فرطوا في المسئولية وعندما قصروا وتوانوا، وعندما انطلق منهم العصيان والاعتداء ضرب عليهم الذلة والمسكنة.

وعندما يقول الله لك في القرآن الكريم: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} هو ليقول لك وللآخرين بأنك وأنت إذا ما عصيت واعتديت، إذا ما قصرت في مسؤوليتك، ستُعرض نفسك لأن تضرب عليك الذلة والمسكنة، وأن تتيه كما تاه بنو إسرائيل من قبلك.

الشيء الواضح أمامنا جميعاً هو أن إسرائيل مهيمنة على العرب، أليس كذلك؟ هو أن اليهود والنصارى يستذلون المسلمين، أليس كذلك؟. أليس واضحاً؟ نرجع إلى القرآن الكريم، ألم يقل الله عن اليهود والنصارى بأنه {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} (آل عمران: من الآية١١٢)؟ ألم يقل هكذا عنهم في آيتين في القرآن الكريم أنه ضرب عليهم الذلة والمسكنة، إذاً فلماذا نحن أذلاء تحت من ضُربت عليهم الذلة، ونحن مساكين تحت رحمة من ضُربت عليهم المسكنة؟!. ونحن أيضاً في غذائنا في كل شؤوننا تحت رحمة من قد باءوا بغضب من الله.

ما السبب في ذلك؟ هو أننا فرطنا تفريطاً خطيراً، وقصرنا تقصيراً كبيراً، جعلنا جديرين بأن نكون كذلك وإلا لما كان اليهود يمتلكون هذه الهيمنة، ولما كانوا قد ملأوا الدنيا فساداً. ألم يملأ اليهود الدنيا فساداً؟ ألم يصل فسادهم إلى داخل كل البلاد الإسلامية، إلى كل قرية، إلى كل بيت تقريباً؟ فسادهم الثقافي، فسادهم الأخلاقي، فسادهم السياسي، فسادهم الاقتصادي.

الربا أليس من المعروف أن بني إسرائيل هم كانوا من المشهورين بالتعامل بالربا؟ التعامل بالربا الآن أصبح طبيعياً وأصبح تعاملاً اقتصادياً طبيعياً داخل البلدان العربية كلها، البنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا بالمكشوف، والشركات تتعامل بالربا بالمكشوف. ألم يُفسِد بنو إسرائيل حتى العربَ أنفسَهم؟ وحتى جعلوا الربا

الذي قال الله في القرآن الكريم وهو يحذر من الربا: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (البقرة الآية ٢٧٨ - ٢٧٩) يتهدد بحرب من جهته وبحرب من جهة رسوله لمن يتعاملون بالربا، ثم يصبح الربا شيئاً طبيعياً.

السفور في النساء، تجد النساء في القاهرة وفي معظم العواصم العربية، وبدأ في صنعاء بشكل كل سنة أسوأ من السنة الماضية، أصبح شيئاً طبيعياً، لا تفرق بين المرأة المسلمة وبين المرأة اليهودية، لا تفرق بينهن شكلهن واحد، ثقافتهن واحدة، زيهن واحد، أليس هذا من إفساد اليهود؟.

ثم إذا وجدنا أنفسنا على هذا النحو فإن معنى ذلك بأن مَن هم في الدنيا أذلاء تحت من باءوا بغضب من الله أي أنه قد غضب على هؤلاء أكثر مما غضب على أولئك.

فإذا كان هؤلاء ينتظرون الجنة وهم من غضب عليهم في الدنيا، والغضب من الله لا يأتي هكذا حالة لا أحد يعلمها، آثارها تظهر، الغضب من الله، السخط من الله على عباده على أحد من عباده تظهر آثاره في حياته تظهر آثاره؛ لأن الله قال: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤).

أليس وضع الأمة العربية وضعاً سيئاً جداً في حياتهم المعيشية، في كل شؤونهم؟ أصبح العربي لا يفتخر بأنه عربي، من هو ذلك الذي يفتخر بأنه عربي؟ هل أحد أصبح إلى درجة أن يفتخر بأنه عربي؟ أصبح العربي الذي تجنس بجنسية أمريكية أو بريطانية يفتخر بأنه استطاع أن يتجنس أن يأخذ الجنسية الأمريكية أنه عربي أمريكي، لكن العربي الأصيل العربي الذي لا يزال عربياً أصبح لا يرى بأن هناك بين يديه ولا في واقع حياته ما يجعله يفتخر بأنه عربي.

لأنهم ابتعدوا عن الشرف الذي قال الله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} يقول المفسرون بأن معناها: وإنه لشرف لك وشرف لقومك أن يكونوا هم من يتحملون هذه الرسالة العظيمة.. أي أن الله أعطى العرب أعظم مما أعطى بني إسرائيل، أن الله منح العرب من النعمة ومنحهم من المقام أعظم مما منح بني إسرائيل في تاريخهم، ولكن العرب أضاعوه سريعاً. ومن بعد ما مات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بدأت إضاعتهم لهذه الرسالة التي هي شرف عظيم لهم.

ثم نحن هكذا جيلاً بعد جيل بعد جيل إلى الآن، وفي هذا الزمن تجلى بشكل كبير تجلى بشكل واضح آثار تقصيرنا مع الله سبحانه وتعالى، آثار إهمالنا لديننا، آثار عدم استشعارنا للمسئولية أمام الله، ظهرت آثاره على هذا الشكل المؤسف الذي أصبحنا إلى درجة لا نكاد أن نعي ما يقال لنا.

ارجع إلى القرآن الكريم ثم ارجع إلى الأخبار فانظر أين موقعك؟ من الذي احتل موقعك في العالم؟ هم الألمان والفرنسيون والأمريكيون والبريطانيون والكنديون والأسبانيون وغيرهم، هم من ملأوا البحر من حولك، وملأوا الخليج من حولك، هم من أخذوا مواقع داخل بلادك، هم من أخذوا قواعد عسكرية في أرض الحجاز وفي غيرها!.

هذه هي مواقعك أنت أيها العربي، أين؟ مواقعك هناك، كان أنت الذي يجب أن تملأ البحار قواعدك، وأن تملأ البر في أوروبا وأمريكا قواعدك العسكرية لو كنت متمسكاً بدينك، لو كنت تعرف الشرف العظيم الذي وهبك الله إياه.. فلما فرطنا أصبحنا إلى هذا الحال.

أريد أن أقول هذا وأنا على ثقة أن هذا هو الواقع الذي نحن عليه؛ ليفهم أولئك الذين يرون أنه ليس هناك أي شيء، أنه ليس هناك وضعية خطيرة. نحن في وضعية خطيرة مع الله، نحن في وضعية خطيرة جداً مع الله، ونحن في وضعية خطيرة جداً أمام أعدائنا، ونحن في وضعية خطيرة في تفكيرنا وثقافتنا، نحن تحت الصفر، ولا أدلّ على ذلك من أننا نرى أنفسنا جميعاً ـ بما فينا زعماؤنا ـ لا أحد منهم يجرؤ على أن يقول كلمة قوية في مواجهة اليهود! أليس يعني هذا أننا تحت الصفر.

الزعماء هؤلاء الكبار الذين يبدون كباراً أمامنا، ويبدون جبارين علينا، ويبدون عظماء أمامنا، ألست أنت تراهم صغاراً جداً أمام إسرائيل؟ تراهم صغاراً جداً في مؤتمرات القمة عندما يجتمعون؟ ترى كيف أن الآخرين يستصغرونهم ويحتقرونهم، رئيس أمريكا أي مسؤول في بريطانيا أو فرنسا، رئيس وزراء إسرائيل عندما يجتمع

زعماء المسلمين جميعاً - إذا كان أحد منكم يتابع اجتماع زعماء المسلمين في (الدوحة)، اجتماع (القمة الإسلامية) في الدوحة - واليهود يضربون الفلسطينيين، لم يتوقفوا ولم يخافوا، اليهود يضربونهم كما يضربونهم أمس وقبل أمس وبكل برودة أعصاب، ولا يفكرون في هؤلاء الذين يجتمعون في الدوحة الخمسين زعيماً.

الآن في هذه الأيام قد تحصل قمة في بيروت لزعماء العرب الضعف بارز عليها من الآن، ويتحدثون عنها من الآن كيف قد تكون، والإسرائيليون ما يزالون شغالين يضربون الفلسطينيين، وأمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وكل هذه الدول ما زالت تتحرك بقطعها العسكرية، وكل مرة يوصلون جنوداً في أفغانستان أوهناك أو هنا وفي جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً باعتبارها بلداناً إسلامية، أي أنهم يحتقروننا جميعاً، يستذلوننا حتى زعماؤنا، هؤلاء الذين يبدون عظماء، ويبدون جبارين، ويبدون كباراً وصورهم تملأ الشوارع هم لا يساوون عند أولئك شيئاً.

فنحن نريد أن نفهم من هذا أننا إذا لم نتدارك أنفسنا مع الله أولاً، أنه غير صحيح أننا نسير في طريق الجنة، وإن كنت تتركّع في اليوم والليلة ألف ركعة، هذه الصلاة إذا لم تكن صلاة تدفعك إلى أن ترتبط بالله أكثر وأكثر وأن تنطلق للاستجابة له في كل المواقع التي أمرك بأن تتحرك فيها فإنها لا تنفع.

الدين دين متكامل، دين مترابط، الله ذكر عن بني إسرائيل هكذا أنهم كانوا على ما نحن عليه: يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والتوراة بين أظهرهم، والتوراة يقرؤونها ويطبعونها ويكتبونها، هل اليهودي كفر بشيء من التوراة بأنه ليس من التوراة؟ التوراة كلها هم مؤمنون بأنها كتاب الله، التوراة شأنها عندهم كالقرآن عندنا.

عندما يقول الله عنهم بأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض لا يعني بأنهم هذا الإصحاح أو هذه المقطوعة من التوراة يكفرون بها أي يلغونها وليست من كتاب الله يصفرون عليها ليس هكذا إنما لأنهم يتركون العمل به ويرفضون العمل والالتزام بأشياء في التوراة، الأمر الذي نحن عليه، نترك العمل بل نرفض.

واقع الرفض ليس فقط واقع من يجهل ثم إذا ما علم التزم وعمل، بل واقع الرفض الذي لا يريد أن يعمل.. هذا هو الكفر، هذا هو الكفر كما قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية٩٧) أي من رفض وهو مستطيع فلم يحج ورفض لم يهتم بالموضوع، ليس مستعداً أن يحج، كفر.

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:٦٧) يرفضون ولاية الإمام علي، يرفضون ما تبلغهم به ليسوا مستعدين أن يقبلوه، هذا هو كفر؛ لأن الكفر بكله إنما هو الرفض، لم يكن العربي كافراً بالله، ذلك الذي يعبد الصنم لم يكن كافراً بالله بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الله كانوا مؤمنين بوجود الله والقرآن تحدث عنهم: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف: من الآية٨٧) {مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (الزخرف:٩) أليس هذا في القرآن؟.

لكنهم كانوا رافضين الإيمان بمحمد، الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى فسماهم كافرين.. الكفر هو الرفض، هو أن لا تجد في نفسك استعداد لأن تلتزم، وتعمل، هذا هو كفر.

وكما حكى عن بني إسرائيل أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هذا واقعنا نحن نلتزم بأجزاء من الدين وأجزاء أخرى لا نلتزم بها؛لأننا لم نعرفها، أو لم نتعود عليها، أو لم نسمعها أو لأنها تبدوا: [والله أما هذه قد تكون مثيره، وقد تكون شاقه وقد تكون مخيفة]. نبحث عن السهل في الدين الذي لا يثير حتى ولا قطّ علينا، الذي لا يُثير أحداً علينا، ونريد أن نصل بهذا إلى الجنة، والله يقول عن من يبلّغون دينه باعتبار أن في دينه ما قد يثير الآخرين ضدك، في دينه ما قد يخشى الكثير من الناس أن يبلغوه ويتكلموا عنه: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب: من الآية٣٩).

ماذا تعني هذه الآية؟ أن في رسالات الله، أن في دين الله ما يثير الآخرين، وما قد يجعل كثيراً من الناس يخشون أن يبلغوه. لماذا؟ لو كان الدين كله على هذا النمط الذي نحن عليه ليس مما يثير لما قال عن من يبلغون رسالاته أنهم يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله.

فهذا يدل على أن هناك في دينه ما يكون تبليغه مما يثير الآخرين ضدك، مما قد يُدخلك في مواجهة مع الآخرين. مَن هم الآخرون؟ أهل الباطل أهل الكفر أهل النفاق يهود أو نصارى أو كيف ما كانوا، هؤلاء هم من قد يواجهونك.

ولأن في دين الله، وهذه هي قيمة الدين، هي عظمة الدين، لو كان الدين على هذا النحو الذي نحن عليه لما كان له قيمة؛ لأنه دين لا أثر له في الحياة، ولا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، دين ليس له موقف من الباطل، أليس هذا هو ديننا الذي نحن عليه، أو الجزء من الدين الذي نحن عليه؟ لو كان الإسلام على هذا النحو الذي نحن عليه لما كانت له قيمة، ولما كان له ذوق ولا طعم؛ لأنه إسلام لا ينكر منكراً ولا يعرف معروفاً ولا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً ولا يواجه مبطلاً، ولا يواجه كافراً، ولا يواجه منافقاً، ولا يواجه مفسداً، إسلام لا يبذل صاحبه من أجل الله ديناراً واحداً.

ألم يقل الله عن إرساله للرسل وإنزاله للكتب أن المهمة تتمثل في: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: من الآية٣٦) واجتنبوا الطاغوت.. فلتفهم أن ما نحن عليه ليس هو الإسلام الصحيح، عندما ترى نفسك أنه لا ينطلق منك مواقف تثير أهل الباطل، ولا تثير أهل الكفر، ولا تثير المنافقين، أنك لست على شيء، وإذا كنت ترى أنك على الإسلام كله فأنت تكذب على نفسك، وتكذب على دينك.

إن الإسلام هو الذي حرك محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) فلماذا هذا الإسلام لا يحرك الآخرين؟ لماذا كان محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وعلي والحسن والحسين وآخرون ممن كانوا يتحركون.. فقط كان ذلك الإسلام الذي كان موديلاً قديماً هو الذي كان يحتاج الناس يتحركوا من أجله؟

أما إسلام هذا العصر فهو إسلام مسالم لا يحتاج منك أن تتحرك ضد أحد؟!. ولا أن تثير ضدك أحداً؟ ولا أن تجرح مشاعر أحد، حتى الأمريكيين، لا تريد أن تجرح مشاعرهم أن تقول: (الموت لأمريكا) قد تجرح مشاعرهم ومشاعر أوليائهم، وهذا شيء قد يثيرهم علينا، أو قد يؤثر على علاقتنا وصداقتنا معهم، أو يؤثر على مساعدات تأتي من قبلهم، لا نريد أن نجرح مشاعرهم.

هذا الإسلام ليس إسلام محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي حرك رسول الله في بدر وأحد وحنين والأحزاب وتبوك وغيرها هو القرآن، الذي حرك علياً في كل مواقعه هو القرآن، وأنت تقول وتدعو الله أن يحشرك في زمرة محمد. ألسنا نقول هكذا؟ ندعو الله أن يحشرنا في زمرة محمد؟ تحرك بحركة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) تحرك بحركة علي، ومحمد وعلي لم يكونوا أكثر من القرآن هل تفهمون هذا؟ لم يكن لديهم أكثر من القرآن.

ألم يقل الله عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (الأحقاف: من الآية٩) وأنا أتحرك في بدر و في أحد و في حنين وفي كل المواقع {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}.

لماذا نحن إذا ما اتبعنا القرآن لا يحركنا؟ هل نحن نتبع ما أنـزل الله إلينا؟ ولكنه لا يحركنا؟ إذاً نحن غير متبعين للقرآن وغير متبعين لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

ونحن لا نزال تمر السنين علينا سنة بعد سنة، تطلع لحيتك، ثم يبدأ الشيب فيها، ثم تصفى شيب، ثم تتعصى ثم تموت، وسنة بعد سنة ونحن لا نفكر من جديد في تصحيح وضعيتنا مع الله سبحانه وتعالى، وفي أن نلتفت التفاتة واعية إلى القرآن وإلى واقعنا، ما بالنا؟ لم نتساءل حتى ونحن نقرأ القرآن عندما نصل إلى قوله تعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً} بعد أن تحدث عن المسلمين كيف يجب أن يكونوا حتى يصلوا إلى درجة أن يضربوا

الآخرين فيصبحوا فيما إذا تحركوا هم ضدك لن تكون حركتهم أكثر من مجرد أذية، طنين ذباب لا أثر له {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران:١١٢).

ألسنا نقرأ هذه الآية، ثم لا ننظر إلى أنفسنا؟ إذاً فما بال هؤلاء الذين قد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة هم من يهيمنون علينا؟ هل أحد منا يتساءل هذا السؤال عندما يصل في سورة [آل عمران] إلى هذه الآية؟. هل أحد يتساءل: هؤلاء قوم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله ونراهم مهيمنين علينا إذاً ما بالنا؟!. ما السبب؟. هل أحد يتساءل؟؟. لا نتساءل، لا نتساءل جميعاً لا نحن ولا علماؤنا ولا كبارنا ولا صغارنا، لا نتساءل نتلو القرآن هكذا بغير تأمل أشبه شيء بالطنين في شهر رمضان وفي غير رمضان، لا نتساءل، لا نتدبر، لا نتأمل، لا نقيّم الوضع الذي نعيشه.

ثم في نفس الوقت لا ننظر من جهة أخرى إلى أنه هل بالإمكان أن نصل إلى الجنة؟ هل نحن في طريق الجنة أو أن طريق الجنة طريق أخرى؟ طريق الجنة هي طريق أولئك الذين قال عنهم في هذه السورة بالذات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة:من الآية٥٤).

ما هم من نوعيتنا نحن نقول: ما نشتي مشاكل، ما هذه الكلمة معروفة عندنا: [والله فلان يشتي يقلعب علينا بمشاكل]، القرآن هو يلغي هذه، ومن يقولون هذه الكلمة أبداً لا يمكن أن يكونوا من أهل الجنة ولا يمكن أن يكونوا ممن يعزون دين الله، ولا ممن يعتزون في الدنيا ولا ممن يعتزون في الآخرة.

ويقول عن هذه النوعية: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ألسنا أقوياء على بعضنا بعض في الخصومات؟ وكل واحد منا يقرح كل ما يملك في رأس الآخر على مشرب، والاّ على قطعة أرضية والاّ على أي حاجة وأذلاء أمام الكافرين، أمام أهل الباطل، أمام اليهود والنصارى أذلاء.

يذل الكبير فينا ونحن نذل بذله، يخاف الرئيس أو الملك فيقول: أسكتوا، لا أحد يتحدث، ونحن نقول: تمام. ولا نتحدث، ونسكت، يخاف ونخاف بخوفه إلى هذه الدرجة أصبحنا، أذلة أمام اليهود والنصارى، أذلة أمام أهل الباطل والله يقول عن تلك النخبة: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}.

{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ينطلقون هم؛ لأنهم قوم كما قال عنهم: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ليسوا حتى بحاجة إلى كلام كثير يزحزحهم، ويدفعهم فينطلقون متثاقلين. هم من ينطلقون بوعي كامل وبرغبة كاملة؛ لأنهم يحبون الله {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ومن يحب الله لا يبحث عن المخارج والمالص من عند سيدي فلان أو سيدنا فلان.

من يحب الله لا يبحث عن أسئلة [يا خبير قالوا أمانه لازم ان احنا نسوي كذا هو صدق؟ قد هو واجب؟ قال: لا يا خبير.. قال: ها شفتم يا جماعة ما بلاّ فلان بيضحك عليكم، هو ذا قال فلان ما هو واجب علينا] هم قوم يبحثون عن العمل الذي فيه رضى الله؛ لأنهم يحبون الله والله يحبهم.

{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} لم يقل حتى، ولا يخافون قتل قاتل،أو لا يخافون القتل. أساساً هم منطلقون للجهاد، هم من يريدون أن يستبسلوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله، أن تخوفه بالقتل هذا شيء غريب هو شيء لا يثيره ولا يخيفه؛ لأنه يجاهد.

ماذا بقي أن تعمل؟ أن تلومه. قد يأتي اللوم مثلاً يقول: [ليش اما أنت إنك با تقوم تتحرك؟ وذا عندك سيدي فلان ما تحرك. ليش اما انتم يا آل فلان وذا عندك آل فلان ما قاموا ولا تحركوا؟. إما انت عادك أحسن من فلان؟. واما فلان انه أحسن من فلان]. من هذا اللوم يحصل؟ هم واعون لا يخافون لومة لائم، عارفون لطريقهم وعارفون لنهجهم وعلى بصيرة من أمرهم، لا يمكن لأحد أن يؤثر فيهم فيما إذا لامهم.

{وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٌ} أما أن يخاف المشاكل أو يخاف القتل فهذا الشيء الذي لا تستطيع أن تخيفه بـه؛ لأنـه منطلق مجاهد، أن تنطلق إلى مجاهد لتخوفه بالقتل هذا غير صحيح، هو لن يتأثر. أن تخوف الإمام علي في بـدر بالقتل هل سيخاف؟ لا يمكن أن يخاف وهو في ميدان الجهاد، وهو انطلق مجاهد مستبسل يبـذل نفـسه في سـبيل الله.

أولئك الناس المسلمين منا الذين يجعلون عذاب الناس أعظم من عذاب الله وأذية النـاس أشـد مـن عـذاب الله، نريد إسلاماً ليس فيه مشاكل. أليس هذا هو الصحيح؟. نريد إسلاماً لا نبذل فيه شيئاً من أموالنا ولا نقـف فيـه موقفاً قوياً، لا يثير علينا مدير، والاّ محافظ، والاّ رئيس، والاّ يثير يهودي والاّ نصراني..إسلام سهيل.

نحن نريد ما لم يحظ به رسول الله هل تعرفون هذه؟ نحن نجعل أنفسنا فوق رسول الله، نحن نجعل أنفسنا عند الله أعظم من محمد وعلي. هل هذا صحيح؟ هذا تفكير المغفلين. لو كانت المسألة على هذا النحو لما تعـب محمـد، لما جاهد، ولما جاهد علي، ولما جاهد الآخرون.

نحن نريد من الله أن يحشرنا في زمرة محمد ولا يكون بيننا وبينـه ولا محـط أصبع في الجنـة، أن يحـشرنا في زمرة محمد وأن يسقينا بيد علي من الحوض، ونحن في نفس الوقت غير مستعدين أن نتحمل أي مشقة مـن أجـل ديننا، ولا أن نبذل أي ريال في سبيل ديننا، ونريد من الله أن يدخلنا الجنة، أي أننا نريد مـا لم يحـصل لمحمـد (صلوات الله عليه وعلى آله).

ألم يقل الله لرسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله): {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} (النساء: من الآية٨٤) في الأخير إذا لم تجد من يقاتل في سبيل الله إلا أنت فقاتل أنت.

وعندما بنى مسجده (صلوات الله عليه وعلى آله) لم يبنيه كـ(مَكْسَلة)، مثلما هو الحال في نظرتنـا إلى مـساجدنا الآن (مَكَاسِل). كان مسجده قاعدة ينطلق منها للجهاد، قاعدة يحرك فيهـا روح الجهـاد يـزرع فيهـا روح الجهـاد والتضحية في نفوس المسلمين. كان مسجده قلعة عسكرية.. أما نحن فإننا مـن يقـول بعـضنا لـبعض مـن العُـبَّاد [بطّل.. مالك حاجه، والهَمَ الله بين شغلك وعملك وأموالك، ومن بيتك إلى مسجدك، الباري قـد انعـم عليـك ذا معك مسجد قريب، ومعك بَرْكَة فيها ماء خيرات واتوضأ وصلي ومالك حاجة، ما عادك احسن من سيدي فلان].

أصبحت مساجدنا مكاسل، وأصبحت الصلاة لا تحرك فينا شيئاً، لا تـشدنا إلى الله ولا تلفتنـا إلى شيء، مـع أن الصلاة هامة جداً ولها إيحاءاتها الكثيرة ومعانيها الكثيرة وإشاراتها الكثيرة، والمساجد لهـا قيمتهـا العظيمـة في الإسلام لكن إذا كانت مساجد متفرعة من مسجد رسول الله وليس من مسجد الضرار الـذي أحرقـه رسـول الله إذا كانت المساجد متفرعة، تفريخ لمسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فهي مـساجد بمـا تعنيـه الكلمـة، والصلاة فيها لها فضلها ولها عظمتها.

أما إذا كانت المساجد هكذا ونضع فيها المصاحف، فلا الصلاة، ولا المصحف، ولا المسجد، بقي له معناه الحقيقي في نفوسنا، فنحن إذاً نصنع للإسلام مخزناً نضع القرآن فيه ونقول له: اجلس هنا، لا تزعجنا، نقول للمصحف ابـق هنا في المسجد في الخزانة إجلس لا تزعجنا.

ونحن نصلي ونقرأ القرآن أحياناً ولكن لا نتأمل في الصلاة، أليس هناك محاريب في المساجد يتقـدم فيهـا واحـد يصلي؟ كي يلتفّ الناس حول قيادة واحدة، صف واحد {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (الصف:٤) الصلاة تعلمنا كيف يجب أن نقف صفاً واحداً تحت قيادة واحدة في الاتجاه على صـراط الله، وفي الإتجاه في طريق الله سبحانه وتعالى وفي سبيله، وكم للصلاة من معاني. ولكن لا نـستفيد منهـا شـيئاً، كـل العبادات ذابت معانيها في نفوسنا، الإسلام أصبحنا نشوهه، الإسلام لم يعد له طعمه في نفوسنا، الإسلام لم يعـد يحرك لدينا شيئاً لا في نفوسنا، ولا في واقع حياتنا.

أريد أن أقول هذا القول لنا جميعاً نحن الذين لا نفهم أين موقعنا أمام الله، ربما قد نكـون ـ والله أعلـم ونعـوذ بالله إذا لم نصحُ ولم نرجع إلى الله ـ ممن يقول فيما بعد: {يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} (الزمر: من

الآية٥٦) تظهر لنا أشياء كثيرة كنا نفرط فيها، وكنا نقصر فيها، وكنا نتغافل عنها، وكنا لا نبالي بها وإذا بنا نرى أنفسنا، ونحن من كنا نقول: [ما هي إلا دنيا وإن شاء الله ستأتي الآخرة وندخل الجنة]. أليست الجنة مقاماً عالياً مقاماً عظيماً؟ الجنة مقام تكريم: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} (آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤) أعدت للمتقين المجاهدين {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (التوبة: من الآية١١١).

مقاماً عظيماً ونحن قد يتثاقل البعض أن يقول: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل. والمفروض أنك تقول: الموت لأمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل وكندا وأسبانيا.. لكن كم نعدد! قل مع إسرائيل واحدة منها ـ أمريكا ـ وهي (الشيطان الأكبر) وهي من تحرك الآخرين.

إذا كنت غير مستعد أن تقول هذه الكلمة فانظر قليلاً إلى البحر تأمل قليلاً في البحر تجد الأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين والألمان حولك وداخلين إلى بلادك وإلى بلدان الآخرين من البلاد العربية، ليس ليقولوا: [الموت لك] سيميتونك فعلاً وليس فقط مجرد أن يقولوا قولاً. سيميتونك ويميتون شرفك وكرامتك وعزتك ودينك و روحيتك وسموك، وسيفسدون أبناءك وبناتك، وسترى نفسك في أحط مستوى.

واليمن في رأس القائمة اليمن والعراق وسوريا وإيران وأرض الحجاز، لو نقول لكم الآن بأن إسرائيل بأن اليهود والنصارى يخططون للاستيلاء على الحج فقد تقولون: مستحيل قد تقولوا أما هذه قد هي تطانين... الإمام الخميني قال من قبل عشرين سنه: أن أمريكا وإسرائيل تخططان للاستيلاء على الحرمين. هم قد عرفوا أنهم عندما استولوا على القدس ألسنا نصرخ بالقدس ثم نتكلم عن القدس.. دون موقف جاد، إلى أن أصبح كلامنا لا يخيفهم، وهو ثالث الحرمين؟ عرفوا بأن بإمكانهم أن يأخذوا ثاني الحرمين وأول الحرمين ثم يكون الكلام هو الكلام من قِبَلنا ويكون الموقف هو الموقف.

لماذا قد يخططون للاستيلاء على الحرمين؟ ألسنا نعرف جميعاً بأن السعودية هي دولة صديقة لأمريكا؟ أليس كل الناس يعرفون هذا؟ السعودية دولة صديقة لأمريكا، لكن لماذا تُواجَه السعودية بحملة دعائية شديدة من جانب أمريكا ودول الغرب، الإعلام في الغرب الصحف والكتاب والقنوات التلفزيونية والإذاعات وغيرها تتحدث عن السعودية أنها دولة إرهابية وتدعم الإرهاب وأنها، وأنها ...الخ. السعوديون ألم نسمع عنهم بأنهم اختلفت وضعيتهم الآن يشعرون بخوف شديد، فيتحدثون: نحن لسنا إرهابيين، لماذا يقولون نحن إرهابيين، ماذا عملنا؟. هم لم يعرفوا ماذا عملوا! لم يعملوا شيئاً ضد أمريكا، لكن أولئك يريدون الاستيلاء على الحرمين فعلاً.

لماذا يستولون على الحرمين؟ لأن الحج هذا الحج الذي لا نفهمه نحن عندما نحج من اليمن ومن السعودية ومن مصر نحن العرب الأغبياء عندما نحج، اليهود يفهمون قيمة الحج أكثر مما نفهمه، اليهود يعرفون خطورة الحج وأهمية الحج أكثر مما نفهمها نحن. ما أكثر من يحجون ولا نفهم قيمة الحج.

الحج له أثره المهم، له أثره الكبير في خدمة وحدة الأمة الإسلامية، ألم يجزءوا البلاد الإسلامية إلى دويلات إلى خمسين دولة أو أكثر؟ وجزءوا البلاد العربية إلى عدة دويلات، لكن بقي الحج مشكلة يلتقي فيه المسلمون من كل منطقة، إذاً ما زال الحج رمزاً لوحدة المسلمين ويلتقي حوله المسلمون ويحمل معانٍ كثيرة جداً لو جاء من يذكر المسلمين بها ستشكل خطورة بالغة عليهم، على الغربيين، على اليهود والنصارى.

ولهم نصوص نحن نقرأها نصوص من وزراء منهم ومفكرين منهم يتحدثون عن خطورة الحج وأنه يجب أن يستولوا على الحج، وأنهم يجب أن يهيمنوا على هذه البقعة.

الآن تحرك إعلامهم وعادة ـ كما يقال ـ (الحرب أولها كلام) أليس هذا معروفاً؟ يتحدثون أولاً عن الإرهاب والسعودية تدعم الإرهاب. ماذا عملت السعودية؟ كلها خدمة لأمريكا، قدمت كل الخدمات لأمريكا، عملت كل شيء لأمريكا، لماذا أصبحت الآن لا فضل لها ولا جميل يُرعَى لها ولا شيء يُحسب لها، ويقال عنها: دولة إرهابية؟

لأنهم يريدون أن يمهدوا بذلك، بعد أن عرفوا أننا نحن العرب أصبحنا جميعاً إذا ما قالت أمريكا: هذه دولة إرهابية انفصل عنها الآخرون، إذا ما قالت أمريكا: هذا الشخص إرهابي انفصل عنه الآخرون وابتعدوا.

عرفوا بأن بإمكانهم أن يضربوا في الحجاز كما ضربوا في أفغانستان، وأن يضربوا في العراق كما ضربوا في أفغانستان وأن يضربوا في اليمن كما ضربوا في أفغانستان! لا أحد من الدول يمكن أن يعترض على ما تعمله أمريكا ضد ذلك الشعب؛ لأنه قد اتفقنا جميعاً على أن نكافح الإرهاب وهذه دولة إرهابية، السعودية إرهابية، تدعم الإرهاب، أسامه من السعودية وهم تجارهم يدعمون الدُعاة هؤلاء.

هم من دعموهم تحت توجيهات أمريكا فانقلبت المسألة فأصبح عملهم في خدمة أمريكا إدانةً ضدهم من أمريكا نفسها، وأصبحوا يقولون عنهم بأنهم يدعمون الوهابيين بأموالهم فهم يدعمون الإرهاب إذاً.

السعودية الآن في حالة سيئة إضطرهم الأمر إلى أن يلتجئوا إلى إيران وأن يتصالحوا مع إيران، وأن يحسنوا علاقتهم مع إيران، وفعلاً الإيرانيون حجوا هذه السنة كثيراً حوالي خمسه وثمانين ألفاً، واستطاعوا أن ينشروا كتباً كثيرة، وبياناً للسيد الخامنئي انتشر بأعداد كبيرة، وتسهيلات كبيرة لهم.

بدءوا يخافون جداً أن هناك عمل مركز ضدهم، اليهود يريدون أن يسيطروا على الحج.. لماذا؟. ليحولوا دون أن يستخدم الحج من قِبَل أي فئة من المسلمين لديها وعي إسلامي صحيح فيعمم في أوساط المسلمين في هذا المؤتمر الإسلامي الهام الحج، الذي يحضره المسلمون من كل بقعة.

لاحظوا عندما يتجه الإيرانيون لتوزيع هذا البيان وتوزيع هذه الكتب وهذه الأشرطة و(السيديهات) حق الكمبيوتر، أليست تصل إلى أكثر بقاع الدنيا؟ هكذا يرى اليهود والنصارى بأن الحج يشكل خطورة بالغة عليهم.

ولأن الحج مهم في مجال مواجهة اليهود والنصارى، جاءت الآيات القرآنية في الحديث عن الحج متوسطة لآيات الحديث عن اليهود والنصارى في كل من سورة [البقرة] وسورة [آل عمران] و[النساء]، ثلاث سور أذكرها من السور الطوال أتى الحديث عن الحج ضمن الحديث عن بني إسرائيل.. كما جاء الحديث عن ولاية الإمام علي ضمن الحديث عن بني إسرائيل، كما جاء الحديث عن الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعاً ضمن الحديث عن بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل هم المشكلة الكبرى في هذا العالم ضد هذه الأمة وضد هذا الدين، هم العدو التاريخي للمسلمين من ذلك اليوم إلى آخر أيام الدنيا. هم العدو التاريخي بنو إسرائيل.

فالحج هم ـ فعلاً ـ يخططون للاستيلاء عليه، وإذا ما استولوا عليه فهم قد عرفوا أننا أصبحنا نصدق كل شيء من عندهم، وأننا أصبحنا أبواق إعلام نردد أي تبرير يأتي من قبلهم، عندما يقولون: نحن جئنا إلى اليمن من أجل أن نساعد الدولة اليمنية على مكافحة الإرهاب. كل يمني يقتنع بهذا ويرددها ويخدمهم في أن تُعمم على أكبر قطاع من الناس، ونقتنع جميعاً بأنهم إنما جاءوا لمكافحة الإرهاب، وسيدخلون الحجاز من أجل مكافحة الإرهاب، ومن أجل مكافحة الإرهاب يحرقون القرآن، ومن أجل مكافحة الإرهاب يهدمون الكعبة، ومن أجل مكافحة الإرهاب يمنعون الحج، ومن أجل مكافحة الإرهاب يدوسونا بأقدامهم ونحن نصدق كل تبرير يقولونه.

لقد وثقوا بأن كل كلمة يقولونها تبرر أعمالهم ضدنا أصبحت مقبولة لدينا، وأصبحت وسائل إعلامنا ترددها، وأصبحنا نحن نستسيغها ونقبلها ونغمض أعيننا عن الواقع الملموس، نؤمن بالخدعة ولا نلتفت إلى الواقع الملموس الذي باستطاعتك أن تلمس شرَّهم وخطرهم، تغمض عينيك وتكفت يديك وتصدق التبرير الذي يعلنونه.

عندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة يكونوا مخططين للاستيلاء على الحرمين الشريفين، مخططين للاستيلاء على اليمن، لكنْ استعمارٌ حديث، احتلال حديث لم يعد بالشكل الأول أن يجعلوا زعيماً أمريكياً يحكم، لا لن يجعلوه أمريكياً، سيجعلونه يهودي يمني سواء يهودي من أصل إسرائيلي، أو يهودي من أصل حميري أو كيفما كان، المهم يهودي سواء يحمل هوية إسلامية أو يهودي حقيقي يكون شخص بالشكل الذي ينسجم معهم.

إذا كانوا يعملون هذه الأعمال ثم أنت لم تؤمن بعد ولم تستيقظ بعد، ولم تصدق بعد بأن هناك ما يجب أن يحرك مشاعرك ولو درجة واحدة، فماذا يعني هذا؟ غفلة شديدة، تَيه رهيب، ذلة إلهية رهيبة. هل يستثيرنا هذا عندما نقول أننا فعلاً نلمس أنهم بدأوا يتحركون من أجل الهيمنة على الحرمين الشريفين وليس فقط القدس؟.

العرب يقولون الآن: [من أجل إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس]. هل إسرائيل تلتفت إلى هذا الكلام. هي ليست حول أن تسلم القدس هي تبحث عن الحرمين الآخرين، إن الحرمين الآخرين هما اللذان يشكلان خطورة عليها وليس القدس، ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي فقط، ليس لأن القدس منطقة ذات أهمية عند المسلمين أو تشكل خطورة بالغة عليهم. لا، وإنما باعتبارها مدينة يقولون بأنه كان هناك هيكل سليمان وأنها هي المدينة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، وعبارات من هذه. ارتباط هوية دينيه وتاريخية.

لكن أما الحرمين فهم الذين يشكلون خطورة بالغة لديهم على مستقبلهم، وأكد لهم ذلك تأملهم للقرآن ـ القرآن الذي لا نفهمه نحن ـ وأكد لهم ذلك أنهم وجدوا أن الحج يستخدم من قبل أي حركه إسلامية لتوعية الآخرين. وهكذا أراد الله للحج أن يكون ملتقى إسلامياً، يذكّر الناس فيه بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم في سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحج بمعناه القرآني الكامل، هو من عرف كيف يتعامل مع الحج فوجه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا، البراءة من المشركين، البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندرِ بأن أول عَمَلٍ لتحويل الحج إلى حج إسلامي تَصَدَّر ببراءةٍ قرأها الإمام علي ـ إمامُنا ـ العشر الآيات الأولى من سورة [براءة] هي بداية تحويل الحج إلى حج إسلامي {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} (التوبة: من الآية٣) ورسوله بريء من المشركين وقرأ البراءة من المشركين الإمام علي بن أبي طالب.

ونحن كنا هنا نقول ونحن شيعة الإمام علي: ما بال هؤلاء يرفعون (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) البراءة من المشركين هذا حج؟ [حج يا حاج]. حجنا نحن اليمنيين: [حج يا حاج] عجال، عجالين ونحن نطوف ونسعى ونرمي الجمار: [حج يا حاج] عجالين نريد نلهم الله نضوي من الحج نلحق [حنيذ، وَدَكْ] في البلاد.

فالإمام الخميني عندما أمرهم أن يرفعوا البراءة من المشركين في الحج أنه هكذا بداية تحويل الحج أن يُصبَغ بالصبغة الإسلامية تَصدَّر بإعلان البراءة قرأها الإمام علي وهي براءة من الله ورسوله، هذا هو الحج.

حتى البراءة التي يعلنها الإيرانيون أو يعلنها أي أحد من الناس هي ما تزال أقل من البراءة التي قرأها الإمام علي (عليه السلام) كانت براءة صريحة وإعلان حرب، ألم تكن إعلان حرب على الشرك وأنه لا يجوز أن يحضروا بعد هذا العام إطلاقاً إلى هذه الأماكن المقدسة، لا يجوز أن يحضر المشركون أبداً بعد هذا العام؟ الإمام علي هو قرأ براءة من نوع أكثر مما يرفعه الإيرانيون في الحج، براءة من المشركين وإعلان الحرب عليهم، وإعلان بأنه لا يجوز أن يعودوا أبداً إلى هذه المواقع المقدسة. ونحن كنا نقول: لا.. نحج وبسْ، هذه عبادة لله ماهو وقت أمريكا وإسرائيل.

هكذا نقول؛ لأننا لا نفهم شيئاً، هذه مشكلتنا لا نفهم إلا السطحيات، الحج عبادة مهمة، لها علاقتها الكبيرة بوحدة الأمة، لها علاقتها الكبيرة بتأهيل الأمة لمواجهة أعدائها من اليهود والنصارى.

عبادة مهمة إنما عطلها آل سعود، وعطلها اليهود والنصارى ولم يكتفوا بما يعمله آل سعود، القضية عندهم خطيرة جداً إذا كانت القضية كبيرة جداً عندهم هم لا يثقون بعملائهم ولا بأصدقائهم، مهما كنت صديقنا ربما يظهر أحد فيحصل كما حصل في إيران، ربما يظهر أحد يسيطر على المنطقة هذه ثم تفلت من أيدينا، يَريدون هم أن يسيطروا مباشرة،لم يعودوا يثقون بعملائهم أبداً، هم يتنكرون لعملائهم ويضربونهم في الأخير متى ما

اقتضت سياستهم أن يتخذوا موقفاً هم يعملون تبريرات كثيرة وكلاماً كثيراً ضدك وأنت كنت صديقهم، حتى تصبح إنساناً يستعجل الناسُ أن تُضرَب.

هكذا يعمل اليهود استطاعوا في أعمالهم معنا نحن المسلمين يعملون دعاية على أي أحد منا دعاية دعاية.. وقالوا بيحركوا سفنهم من هناك حتى أصبحنا عجالين أكثر منهم على أن يضرب هذا البلد.

الآن لو يقولون أنهم يريدون أن يضربوا العراق فنحن سنبقى قلقين نريد أن يضربوا العراق، استطاعوا أن يروضونا حتى أن نصبح أعجل منهم على ضربهم لبعضنا.

يوم قالوا يريدون أن يضربوا أفغانستان، قالوا لا زالت سفنهم هناك وحركتهم بطيه فكلنا عجالين نريد أن يضربوا أفغانستان من أجل أن نتفرج بس! هكذا سيصبح الحال لدينا في اليمن.

نحن نحمل نفوساً قد ضاعت وضلت، قد خُذلنا ـ والله أعلم ـ من قِبل الله، لم يعد تفكيرنا مستقيم، لم تعد آراؤنا صحيحة، لم يعد فهمنا للدين صحيح، لم يعد شيء لدينا صحيح ـ أقول هذا حقيقة لكم ـ أصبحت الأمور لدينا غريبة جداً، وأصبح من يصنعون الرأي العام لدينا من يصنع ثقافتنا من نردد كلامهم هم اليهود.

عندما أقول لك عن وجود الأمريكيين: هم دخلوا عسكر ومعهم أسلحة ودخلوا بقطع من الأسلحة إلى اليمن، هم ماذا يريدون أن يعملوا؟ هم يشكلون خطورة على اليمن فتقول لي: لا.. هم جاءوا من أجل أن يحاربوا الإرهاب ويساعدوا الدولة اليمنية في محاربة الإرهاب. ألست هنا تقبل كلام اليهود أكثر مما تقبل كلامي، وأنت تسمع أنهم دخلوا بشكل عساكر ومعهم أسلحة وسفن حربيه قريبة من الساحل، أهكذا يعمل الناس الذين يقدمون خدمة؟ وهل تَعَوَّد الأمريكيون على أن يقدموا خدمة لأي أحد من الناس؟!.

إذا كانوا يريدون أن يقدموا خدمة لماذا لا يقدمون خدمة للفلسطينيين يفكون عنهم هذا الظلم الرهيب الذي تمارسه إسرائيل ضدهم؟ لماذا لا نقول هكذا لأنفسنا؟ أنتم أيها الأمريكيون تريدون أن تقدموا لنا خدمة مما يدلنا على أنكم كاذبون أنكم لو كنتم تريدون أن تقدموا خدمة لأحد لقدمتم خدمة للفلسطينيين المساكين الذين يُذبحون كل يوم على أيدي الإسرائيليين وتدمر بيوتهم وتدمر مزارعهم.

أو أنهم يحبون اليمنيين أكثر؟ هم يحبونا أكثر؟ هم ـ فعلاً ـ سيعملون على أن يقدموا لنا خدمة؟ وأنه أزعجهم جداً أن هناك ثلاثة إرهابيين، أزعجهم جداً هذا؛ لأن الرئيس قال: (ونحن عانينا من الإرهاب). قالوا: ابشر بنا نحن سنأتي لنساعدك على أساس أن لا تعاني لا أنت ولا الأحباب في اليمن، نحن نحبكم! الله يقول: {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران: من الآية١١٩) **{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ}** (البقرة: من الآية١٠٥) **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}** (المائدة: من الآية٨٢) **هكذا يقول: أنهم أعداء، وأنهم لا يحبوننا، وأنهم يعضون أناملهم من الغيظ حنقاً وحقداً علينا، ثم نعتقد بغبائنا أنهم جاءوا ليقدموا خدمة لنا.!**

وكلما حاولنا نتحدث مع الناس تجد أن التبرير الذي قدموه هم هو مقبول أكثر من كلام أي شخص من علمائنا.

[لا، لا، هم قالوا جاءوا من أجل يكافحوا الإرهاب، من أجل أن لا نعاني من الإرهاب] وهم دخلوا بأسلحتهم.

طيب لا بأس بهذا افترض أنك أنت الآن لم تفهم إذاً افترض كم سيبقون وهم يريدون أن يكافحوا الإرهاب؟. إحسب لهم سنة على أطول شيء إحسب لهم سنة. ما هم في خلال سنة يمكنهم أن يكافحوا الإرهاب ثم يعودوا؟. إذاً انتظروا من بعد سنه هل سيرحلون؟ هل سيغادرون؟ أم أنكم سترون أشياء أخرى، وسترون إرهاباً آخر. هم سيصنعون إرهاباً هم، سيفجرون على أنفسهم، ويفجرون على أشياء قريبه من حولهم، وحتى إذا ما أرادوا أن يضربوك سيجعلون أحداً من أفراد القاعدة يزور منطقتك ثم يقولون: إذاً عندك واحد من القاعدة أنتم في بلادكم واحد من القاعدة أكيد، إذاً أنتم تدعمون الإرهاب وتساندوا الإرهاب وأنتم تحتضنون الإرهاب.

القاعدة الذين قالوا بأنهم ضربوها في أفغانستان اتضح أنهم لم يضربوهم وأنهم ما زالوا بخير؛ لأنهم بحاجة إليهم ليوزعوهم فيما بعد.

تكلم الرئيس مرة كلاماً مضحكاً عندما سألوه عن أسامة كيف إذا جاء إلى اليمن؟. قال: أنتم حاولوا أن لا يجيء، حاولوا وأنتم عدة دول حاولوا أن تمسكوه لا يخرج، تستطيعوا! قد هو خائف أنهم سيحاولوا يوصلوه اليمن هم، سيحاولوا أن يوصلوا أسامة اليمن ثم يقولون: هه أسامة!! إذاً هناك علاقة بين اليمنيين وأسامة هذا اليمن منبع الإرهاب. دجوا أبوهم.

منطقة معيَّنة أنت تقول: [إما احنا فلسنا إرهابيين ولا والله قد طلعنا كلمة] هم معهم أفراد من القاعدة هم يريدوا يوزعوهم، قد أصبحوا يقولون بأنهم قد توزعوا على خمسين دولة. أين هم الذين قتلوهم من طالبان والقاعدة؟ أين هم؟ لم يقتلوهم لأنهم بحاجة إليهم بحاجه إلى أسامة وهم أصدقاء، هم أحرص على حياة أسامة منا جميعاً، هم بحاجة إلى أسامة، لو أمكن أن يطبعوا على أسامة نسخ كثيرة لو أمكن أن يطبعوا على أسامة نسخ كثيرة لعملوا؛ لأنهم سيحتاجونه فيما بعد، هم قالوا لعلي عبد الله: هناك أفراد من القاعدة.

قالت بعض الصحف بأنهم قتلوا يمني في أمريكا؛ لأن في أوراقه اسم القاعدة المدينة التي في تعز ـ مدينة القاعدة المعروفة ـ وأصبحوا يستجْوِبُون يمنيين في أمريكا؛ لأن في وثائقهم (من مواليد القاعدة) وأنهم كانوا في القاعدة. قالوا إذا هم من قاعدة ابن لادن من أصحاب أسامة ابن لادن هكذا يخادعون، هكذا يضللون ونحن لا نزال لا نفهم شيئاً، ومن فهم يعتبر القضية عادية.

نحن نقول للناس: يجب علينا، يجب علينا أن يكون لنا مواقف أولاً لنفك عن أنفسنا الذلة والسخط الإلهي، هناك ذله إلهية هناك ذلة إلهيه ـ فيما أعتقد ـ قد ضربت علينا جميعا نحن وعلماؤنا، نحن ودولتنا الكل قد ضربت عليهم ذلة. يجب أن يكون لنا موقف في مواجهة هؤلاء حتى نرضي الله سبحانه وتعالى عنا، وأضعف موقف وأقل موقف هو أن تردد هذا الشعار بعد صلاة الجمعة حتى يعرف الأمريكيون أن هناك من يكرههم وهناك من يسخط عليهم.

وحتى لا تكون لا شيء في الحياة، حتى لا تكون ميت الأحياء يتحرك اليهود والنصارى فيملأون بحار الدنيا وبرها وأنت المسلم لا ترفع حتى ولا كلمة ضدهم وأنت من كان يجب أن تكون أنت من تحتل تلك المواقع التي هم فيها.

إذا لم نردد هذا الشعار واللهُ في القرآن الكريم قد أمرنا بما هو أدنى من هذا {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} (الأنفال: من الآية٦٠) هل نزلت هذه الآية وكان المسلمون قد أصبح لهم حدود يرابطون عليها مع مناطق أخرى؟ بل حاولوا أن تظهروا أنفسكم أمام أعداءكم {من رباط الخيل} ربطها سواء حول بيوتكم أن هناك خيل لديكم، أي أنكم مستعدون للقتال فعندما يأتي أحد المشركين فيرى حول بيت هذا خيلاً، ويرى حول بيت الآخر خيلاً، وحول بيت هذا فرس، وحول بيت هذا حصان، أي هذه أمة مجاهدة معدين أنفسهم، {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال٦٠).

سواء قلنا هذا أو قلنا رباط الخيل في ثغور المسلمين المرابطة أي أن إظهار الخيل تكون لديك خيل هو مطلوب منك لترهب به أعداء الله بأي شكل من الأشكال يمكن أن تظهر نفسك بالشكل الذي يرهب أعداء الله إعمله ولو بأن تربط حول بيتك خيلاً يعرف هؤلاء بأنك إنسان فارس مقاتل معد نفسك لمقاتلتهم وأنك تمتلك وسيلة لقتالهم، تمتلك خيل {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ}.

إذا لم يكن لديك تفكير بأن تبحث عما ترهب به أعداء الله، أو أن يقال لك هذا شئ بالتأكيد يرهب أعداء الله ثم لا تعمله وهو شيء سهل جداً أن تقوله ثم لا تقوله فاعلم بأنه لم يعد لديك ذرة من إيمان ولا ذرة من إباء، وأنك تائه كما تاه بنو إسرائيل من قبلك.

هذا ما أريد أن أقوله لنا جميعاً ـ سواء عملنا أو لم نعمل ـ من خلال ما فهمناه ونحن نتابع الأحداث، ومن خلال ما فهمناه ونحن نتأمل كتاب الله سبحانه وتعالى، وأنه إذا لم يكن لدي ولا لديك اهتمام بأن نقاتلهم وليس فقط بأن نقول: الموت لأمريكا، ولكن إذا لم أقل الآن الموت لأمريكا وهو الشيء الذي أستطيعه وأنت تستطيعه. وأنا أؤكد لك أنه شيء أثره بمثابة ضرب الرصاص عليهم، أنه شيء بالتأكيد أثره بمثابة ضرب الرصاص إلى صدورهم إذا ما انتشر في أوساط الناس.

أنا قلت لكم في العصر بأن هناك خبراً بأن البيت الأبيض انزعج جداً عندما رفع تقرير عن استبيان داخل عشرة آلاف شخص في سبع دول عربية أن هناك سخط ضد أمريكا انزعجت أمريكا، هم ليسوا أغبياء مثلنا، يريد أن يضربك وأعصابك باردة لا تفكر بأن تعد ضده أي شيء، لكن أن يستثيرك يعني ذلك أنه ماذا أنه سيجعلك تفكر كيف تمتلك وتبحث عن قوة لتواجهه بها وتضربه، أليس كذلك؟ لا.. لا.. هو يريد أن يضربك بهدوء من أجل أن لا يخسر أكثر في مواجهتك.

وليس كمثلنا نحن متى ما حصل مشاجرة بين شخصين حاول أن يقرّح كل ذي في الشمطة في رأس صاحبه، هو لا يريد هذا يريد يضربك بأقل تكلفة؛ لأنه يحسب حساب الدولار الواحد فيضربك بأقل تكلفة. وإذا ما اضطرته الظروف أن يضرب بصاروخ إلى بلدك فاعرف بأن هذا الصاروخ ما فرقه فيه إلا كواحد من بقية العرب إذا ما ضربك بصاروخ إلى داخل بلادك.

ألم يضربوا العراق بصواريخ؟ ألم يضربوا ليبيا بصواريخ؟. عندما ضربوا العراق بمختلف الصواريخ ومختلف الأسلحة ما كانت خسارة الأمريكي إلا أقل من خسارة العربي في قيمة هذا الصاروخ، هم ليسوا أغبياء مثلنا، يحسبون حساب الاقتصاد حساب المال.

بعض الناس قد يظن: لو رفعنا شعار: (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) سيضربوننا بصاروخ. هم لن يضربوك، كم يكلف الصاروخ؟ هل تعتقد بأنهم مثلنا يفكرون إذا حقد على الآخر سيقرّح كل شيء في رأسه، لا. أليس لديهم أسلحه نووية؟ أليسوا يخافون من إيران ويكرهون إيران جداً؟ لماذا لا يضربون إيران؟. بتفكيرنا قد نقول: لماذا لا يضربوا بقنابل على إيران وينهوا أبوها؟.

هم حكماء ليسوا بُلداء، يعرف أن أضرب دون أن أكون قد مهدت الأجواء حتى أجعل الآخرين أعجل مني على ضرب صاحبهم إذاً سأخسر، لن أضربك إلا بعد أن يكون الناس من حولك قد أصبحوا مشتاقين إلى أن يروك تُضرب، وسيدفعون ويساهمون في قيمة الصاروخ إذا رأوك تُضرَب.

هكذا في أفغانستان عملوا هذا الشيء، أمريكا لم تتحرك لضرب أفغانستان إلا بعد أن عملت قاعدة ـ كما نقول ـ فيما بينها وبين الآخرين، تحالف دولي، تحالف عالمي لمكافحة الإرهاب تحت قيادة أمريكا، ومن مَن أيَّدَ هذا التحالف؟ الدول العربية كلها، وليس تأييداً فقط بل وتدفع معهم. أنت إذا لم تدفع إذا لم تؤيد إذا لم تشارك أنت إذاً لا بد أنك تدعم الإرهاب. فضربوا في أفغانستان وبأموال الناس جميعاً.

ثم بعد قاموا يتمننون على الأفغانيين بأنهم يريدون أن يعمروا أفغانستان. من الذي يعمر أفغانستان؟ يجب على السعودية أن تعمرها واليابان ودول أخرى، حالة رهيبة وغريبة.

أنا قلت: أن هذه من المصاديق التي تؤكد أننا فعلاً طبقنا ما يقول اليهود، اليهود يقولون: بأنهم شعب الله المختار، وأنهم هم الناس الحقيقيون وأن الآخرين من البشر ليسوا أناس حقيقيين. هكذا يقولون، قالوا: نحن لسنا بشراً حقيقيين، نحن خلقنا الله لخدمتهم وإنما خلقنا في صورة بشر من أجل أن ننسجم معهم وأن نؤدي خدمتهم على شكل أفضل. هكذا يقولون.

فعلاً أصبح هذا شيء نحن نؤكده في واقعنا أننا لسنا بشراً ولسنا أناساً وإلا لما جاء اليهود يضربونا بأموالنا وندفع تكاليف الحرب، ثم نحن بعد أن يغادروا نحن من نكلف بأن نبني ما دمروا، هذا حصل في أفغانستان. إيران عليها أن تدفع، والسعودية عليها أن تدفع ربع الدمار الذي في أفغانستان، والإمارات عليها أن تدفع، والدول الأخرى عليها أن تدفع.

اليهود يدمرون ثم هم يقدمون أنفسهم بأنهم من عملوا الجميل مع الأفغانيين فهم من جعلوا الآخرين يبنـون، إذاً تحركوا أنتم يا المسلمون تحركوا فابنوا ما دمرنا والفضل لنا، سخرية رهيبة أصبحنا لا ندركها ولا نفهمها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى أن نستبصر وأن نفهم، وأن نفهم ماذا ينبغي أن نعمل، أن يبصرنا رشـدنا، أن يفهمنا ما يجب علينا، أن يفك عنا هذا التّـيْه الذي نحن فيه، وأن يوفقنا لأن نكون من المجاهـدين في سـبيله ممن يواجهون أعداءه، وهذا هو الفضل العظيم كما قال الله عن أولئك: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّـهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (المائدة: من الآية ٥٤).

وصلى الله على محمد وعلى آله

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الـموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

محياي ومماتي لله

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢٦/٧/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين.

نرحب بكم جميعاً ونشكر لكم زيارتكم، وتتشرف بزيارتكم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤلف بين قلوبنا، وأن يجمع صفنا، ويوحد كلمتنا على ما فيه رضاه.

نحن في هذه الأيام في العطلة الصيفية، فترة تعليم.. وفي الواقع نحن نستحي من الله سبحانه وتعالى أن لا نعطي لتعلم دينه إلا هامشاً من حياتنا هي: العطلة الصيفية، وبقية السنة نقضيها في مجالات أخرى بينما كان الذي يجب أن يكون محط اهتمامنا طول حياتنا وعلى طول أوقاتنا هو: أن نتعلم دين الله، نتعلم كيف نعبد الله نتعلم أولاً كيف نعرف الله سبحانه وتعالى.

ولكن لسوء الحظ، ولشقائنا: أن لا نعطي لديننا إلا فترة بسيطة من وقتنا في العام كله هي هامش السنة بكلها، ولكن مهما يكن تكون هذه ظروفا أو يكون هذا واقعاً فرض على الناس، ومهما تكن فترة قصيرة فإنها ستكون جديرة بأن تعطي فائدة كبيرة إذا ما اهتمينا، إذا ما أخلصنا، إذا ما شعرنا أولاً بالحياء من الله سبحانه وتعالى. أنه: إذاً معنا ستون يوماً أو أقل فأن نهمل فيها، أن نقصر، أن نتثاقل، أن لا نعطيها من الإهتمام ولو بعضاً مما يحصل من اهتمامنا كطلاب في المدارس التربوية، نستحي من الله سبحانه وتعالى فنهتم.

ونحن كطلاب علم يجب أن نفهم لماذا نطلب العلم؟ الغاية المهمة التي يجب أن ينشدها الإنسان من كل عمل صالح هي: أن يحظى برضى الله سبحانه وتعالى، أن يحصل على رضوان من الله سبحانه وتعالى.. هذه هي الغاية المهمة وهذا هو المطلب الكبير الذي يجب أن ينشده كل مسلم؛ لأن تحت هذا الخير كله في الدنيا وفي الآخرة، وفي أن يحصل على رضوان الله في الدنيا يرعاه الله سبحانه وتعالى، يحوطه بعنايته يوفقه يدافع عنه يرشده يسيِّر الخير للناس على يديه.

ومن يحظى برضوان الله سبحانه وتعالى يموت سعيداً، ويبعث سعيداً آمنا يوم القيامة، ويحاسب حساباً يسيراً، ويأمن في الوقت الذي يخاف فيه خوفا شديداً معظم البشر، عندما يكون من أولياء الله، وأولياء الله هم من قال عنهم: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس:٦٢) فيدخل الجنة في رضوان الله ويحظى في ذلك المقام الرفيع والنعيم العظيم بالنعمة الكبرى التي هي رضوان الله.

رضوان الله هو المطلب المهم، كيف يمكن أن نحصل على رضوان الله من خلال عملنا؟ عندما نكون متأكدين أن العمل الذي نسير فيه أن العلم الذي نطلبه هو فعلاً المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده.

ليس كل طالب علم يصح أن يقال: بأنه يعمل عملاً صالحاً، طالب العلم الذي يطلب العلم الذي رسمه الله كمنهج للإنسان يتعبد لله سبحانه وتعالى به ويسير في حياته على وفقه.. هذا بالنسبة للمنهج.

بالنسبة للعمل الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم في أكثر من آية: الربط بين رضوانه وبين العمل الصالح، بين رضوانه وبين الإيمان والعمل الصالح.. لا يحصل الإنسان على رضوان الله بمجرد أنه قد تعلم، بل ربما أنه قد تعلم فيقصر ويهمل ويقعد يكون عرضة لسخط الله أكبر من حالته لو كان جاهلاً؛ لأنه في هذه الحالة يقعد ويقصر ويهمل وقد علم، يقعد ويقصر وهو في نفس الوقت قدوة للآخرين قد جعل نفسه قدوة للآخرين وأصبح أمامهم معروفاً بالعلم ويحمل إسم أستاذ، أو إسم عالم.

العمل لا بد منه وإلا فسيصبح علم الإنسان وزراً، سيصبح علم الإنسان وبالاً عليه وعلى الدين وعلى الأمة أيضاً؛ لأن العالم يصبح قدوة تلقائياً للآخرين ولو لمجموعة من الناس الذين يعرفونه، يصبح قدوة لهم وإن لم يكن يتحدث معهم.. فهم يقولون: [نحن بعد فلان، إذا كان فلان سيتحرك فنحن معه إذا كان فلان قد رضي بهذا فنحن معه].

وأحيانا يقولون: [لو كان هذا صحيحا لكان فلان عاملاً به، لو كان صحيحا لما كان فلان قاعدا عنه] وهكذا سيصبح حامل العلم قدوة تلقائيا؛ فإما أن يكون قدوة في الخير قدوة في العمل، وإلا فسيكون قدوة للآخرين في الإهمال والتقصير والقعود، ويكون هو في الواقع قد لا يفهم أنه هكذا، ينظر الناس إليه ويقتدون به في هذا المجال أو ذاك يظن أنه ساكت والناس ساكتون، فيفسر سكوت الناس أنه سكوت تلقائي وأنهم مقصرون، وهم يفسرون

سكوته أنه سكوت علمي، أنه هو أدرى وأعلم؛ فيكون هو والناس الذين ينظرون إليه متهادنين فيما بينهم، قد يلقون الله سبحانه وتعالى فيكتشف لهم حينئذ التقصير الذي كانوا عليه جميعا.

العمل هو محط رضوان الله سبحانه وتعالى، وارتبط به وعلى وفقه الجزاء في الآخرة، والجزاء أيضا في الدنيا قبل الآخرة. فإذا كنا نريد من طلب العلم هو: أن نحظى برضوان الله سبحانه وتعالى فمعنى ذلك أن تتجه أولاً إلى معرفة الله بشكل كافي، نتعرف على الله بشكل كافي، نحن معرفتنا بالله سبحانه وتعالى قاصرة جداً، معرفتنا بالله سبحانه وتعالى قليلة جداً بل وفي كثير من الحالات أو في كثير من الأشياء مغلوطة أيضا ليس فقط مجرد جهل بل معرفة مغلوطة، نتعرف على الله ثم نتعرف على أنفسنا أيضاً في ما هي علاقتنا بالله سبحانه وتعالى نرسخ في أنفسنا الشعور بأننا عبيد لله، نعبّد أنفسنا لله.

وأن يعبّد الإنسان نفسه لله معناه في الأخير أن يسلّم نفسه لله، فيكون مسلّما لله ينطلق في كل عمل يرضي الله باعتباره عبداً لله همه أن يحصل على رضوان الله، ويتعامل مع الله سبحانه وتعالى باعتباره هو ملكه وإلهه وسيده ومولاه. في هذه الحالة يكون الإنسان أقرب ما يكون إلى الإخلاص، وفي هذه الحالة يكون الإنسان قد رسم لنفسه طريقاً يسير عليه هو نفسه الذي أمر الله به رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما قال له: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام:١٦٢:١٦٣).

هذه هي الغاية، وهذا هو الشعور الذي يجب أن يسود على نفس كل واحد منا، ويسيطر على نفس كل واحد منا.

{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} عبادتي بكلها {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} حياتي هي {لِلَّهِ} كما أن صلاتي لله، ونسكي: عباداتي كلها لله، كذلك حياتي هي لله ومماتي أيضاً هو لله.

ومعنى أن حياتي لله: أنني نذرت حياتي لله في سبيله في طاعته، ومماتي أيضا لله، كيف يمكن أن يكون موت الإنسان لله؟ من الذي يستشعر أن بالإمكان أن يكون الموت عبادة؟ وأن يكون الموت عبادة عظيمة لله سبحانه وتعالى يجب أن تكون أيضاً خالصة كما قال: {لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} (الأنعام: من الآية١٦٣).

كنا ننظر للموت كنهاية بينما هنا الله سبحانه وتعالى الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله: {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} سأنذر موتي لله، فحياتي كلها لله، فسأحيى لله، وسأموت لله {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} لاحظوا هذه: {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام: من الآية١٦٣) فكل المسلمين الذين يقتدون برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا بد أن يحملوا هذا الشعور، لا بد أن تكون عبادتهم لله على هذا النحو: فتكون حياتهم لله، ويكون موتهم أيضاً لله.

لا يتحقق للإنسان أن تكون حياته لله إلا إذا عرف الله أولاً، وعبّد نفسه لله ثانياً، حينها سيرى أن هناك ما يشده إلى أن تكون حياته كلها لله، سيرى بأنه فخر له: أن ينذر حياته كلها لله، سيرى نفسه ينطلق في هذا الميدان برغبة وارتياح أن ينذر حياته لله فتكون حركته في الحياة، تقلباته في الحياة مسيرته في الحياة كلها من أجل الله وعلى هدي الله وإلى ما يحقق رضاء الله سبحانه وتعالى.

أعتقد أننا نجهل كثيراً هذه المسألة: أن ينذر الإنسان موته لله وأنه مطلوب منه كمسلم يقتدي بأول المسلمين الذي أمر بهذا وهو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون حياته لله ومماته لله الآية، لا تعني أن الله هو مالك حياتي، والله هو مالك موتي كما قد يفسرها البعض!.

الآية وردت في سياق الحديث عن العبادة جاء قبلها: صلاتي ونسكي {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} لو كانت المسألة هي حديث عن أن حياتنا هي بيد الله، وأن موتنا هو بيد الله كيف يمكن أن يقول: {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} أنا أمرت أن تكون حياتي لله، لا يصح أن يقال: أمرت أن تكون حياتي بيد الله؛ لأن هذه قضية لا تحتاج إلى أمر هي بيد الله حتما من دون أمر.

أمرت أن يكون مماتي لله أن يكون موت الإنسان لله هو عندما يجند نفسه لله سبحانه وتعالى، عندما يطلب الشهادة في سبيل الله، عندما يستعد للشهادة في سبيل الله، عندما يكون موطنا لنفسه أن يموت في سبيل الله..

لا أتصور معنى آخر يمكن أن يحقق للإنسان أن يكون موته لله إلا على هذا النحو وليس فقط أن يكون مستعدا، بل يسعى لأن يكون موته في سبيل الله، بأن يحظى بالشهادة في سبيل الله، وهذه هي صفة القرآن الكريم جعلها من الصفات اللازمة للمؤمنين أن لديهم هذا الشعور هو الشعور نفسه الذي تتهرب منه، هو الشعور نفسه الذي قد ينصحنا حتى بعض المتدينين به [بطِّل ما لك حاجة إمش على شغلك وعملك...] إلى آخره.

بينما القرآن الكريم الله سبحانه وتعالى يصف عباده المؤمنين بأنهم هم من يعرضون أنفسهم للبيع من الله عندما قال: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١) {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ} (البقرة: من الآية٢٠٧) وهذه الآية: {إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أليس هذا يعني: أن المؤمنين هم دائماً يحملون هذا الشعور، هو: أنهم ينذرون حياتهم لله وأن يموتوا في سبيله.

ولا يمكن للمؤمنين أن يعلوا كلمة الله، ولا أن يكونوا أنصاراً لله، ولا أن يكونوا بشكل أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ما لم يكن لديها هذا الشعور هو: أنهم نذروا حياتهم وموتهم لله، هو أنهم يريدون أن يموتوا في سبيل الله.

من رحمة الله سبحانه وتعالى الواسعة بعباده ـ وهو يفتح أمامهم المجالات الواسعة والمتعددة لما يحصلون من ورائه على رضوانه وعلى ما وعد به أولياءه ـ فتح أمام الإنسان إمكانية أن يستثمر حتى موته الذي هو حتمية لا بد منها، قضية لا بد منها لكل إنسان سواء كان براً أو فاجراً كبيراً أو صغيراً لا بد أن يموت، فإن الله لرحمته بعباده فتح أمام الإنسان هذا الباب العظيم هو: إمكانية أن يستثمر موته على أعلى وأرقى درجة، أعلى وأرقى درجة.

فعندما يكون لدى الإنسان هذا الشعور: نذر حياته لله ونذر موته لله فهو فعلا من استثمر حياته، استثمر موته، استفاد من حياته، استفاد من موته، جعل حياته وموته كلها عملاً في سبيل تحقيق رضوان الله سبحانه وتعالى وأن يحظى بالقرب منه وأن يفوز بالنعيم الذي أعده لأوليائه.

عندما يفكر أي واحد منا، وينظر إلى أنه هل فعلاً سيموت؟ كل واحد منا متأكد من أنه سيموت؛ إذاً فلماذا، لماذا؟ إذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل حتى الموت مما يمكن أن تستفيد منه لماذا لا يستفيد كل واحد منا من هذا الموت الذي لا بد أن يهجم عليه؟ سواء طال به العمر أو قصر!.

كان بالإمكان أن يكون الموت قضية عادية، هي نهاية لا يرتبط بها شيء في ذاتها لا يمكن أن تستثمر؛ لكن الله سبحانه وتعالى الرحيم بعباده الرحيم بأوليائه جعل الموت على هذا النحو.

فأن تكون صادقاً في اقتفائك لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن تكون صادقاً في الإقتداء برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن تنذر حياتك لله، وتنذر موتك لله. ليس فقط هو أن أبحث عن كيف كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) [يتَمَسوَك] أو كيف كان يؤدي أعمالاً أخرى! هذا شيء.

الإنسان الذي يعلم أنه يجب عليه أن يقتدي برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب أن يقتدي به في كل هذه الأشياء التي أمر بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولو قلنا كما قد يقول البعض: بأن هناك أشياء تختص بالنبي، لكن أما في ميادين العمل فقد يختص بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن يبذل جهده على أعلى مستوى، على أعلى مستوى، لكن ذلك لا يعني: بأن الآخرين ليس أمامهم أن يبذلوا جهودهم على أعلى مستوى.

فما أمر به رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن أُمرنا بأن نقتدي به، فما هو في مجال العمل في سبيل الله لا نجد أن هناك خصوصيات للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في مجال العمل في سبيله إلا خصوصية ـ إن صحت العبارة ـ التكليف على أرقى مستوى، أن يبذل جهده على أعلى ما يمكن في سبيل الله.

ولكن الآخرين من الناس لا زال المجال مفتوحاً أمامهم بأن يقتدوا به على أعلى درجة ممكنة، فنحن هنا في قوله تعالى: {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام: من الآية١٦٢) وهو يقول لرسوله أن يقول هكذا وأنه أمر بهذا، فلو قلنا بأن المسألة لسنا أو ليس مطلوباً منا أن نقتدي به فيها: فننذر حياتنا لله، وننذر موتنا لله سترى ماذا

سيحصل! أنه أنت إذا لم تكن ناذراً لحياتك لله ولم تكن ناذراً لموتك لله فإنك ستبتعد عن أشياء كثيرة جداً جداً من الأعمال التي يجب عليك أن تؤديها، وأنك أيضاً ستفقد صفة من الصفات التي فرضها القرآن الكريم كصفة لازمة لأولياء الله هي: أنهم باعوا أنفسهم من الله.

فلو أنها مسألة مختصة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لما ذكرها في مقام آخر من الصفات التي أثنى على عباده المؤمنين بالتحلي بها {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ} (التوبة:١١١).

كذلك في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (البقرة:٢٠٧) لاحظوا كيف هذه الآية تؤكد أن المسألة هي أيضاً من الرحمة والرأفة التي مَنّ الله بها على عباده {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ} باع نفسه من الله ليقتل في سبيله، ليعاني في سبيله، ليتعب في سبيله، ليبذل مهجته في سبيله قال بعدها: {وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} هو رؤوف بهم إلى درجة أنه فتح أمامهم أن يستثمروا موتهم!.

ما معنى رؤوف بهم؟ أنه يعني: حصل هذا منهم وهو لا يريده منهم وإنما هكذا غامروا بأنفسهم وإلا فهو رؤوف بهم لا يريد أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من شراء أنفسهم منه وبيع أنفسهم ابتغاء مرضاته؟!.

إن الرأفة والرحمة بالإنسان تتحقق بأن الله يفتح أمامه مجالات واسعة ومتعددة ليحصل على القرب منه، ليحظى بالقرب منه، ليحظى برضوانه، ليحظى بالنعيم الدائم في الجنة، ليحظى بالسعادة الأبدية في الجنة، هذه هي الرحمة، إضافة إلى مظاهر الرحمة في الدنيا التي تتحقق للإنسان في هذه الدنيا وهي كثيرة جداً.

فالمسألة إذاً مما لا يمكن أن نقول بأنها مما هي مختصة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فإذاً فما دام أن الرسول قد أمر فنحن كذلك مأمورون بأن ننذر حياتنا لله، وننذر مماتنا لله، وحينئذ بعد هذه الآية كل من يحاول معك أن يقعدك عن عمل أن يخوفك أن يثبطك فافهم بأنه يعمل على أن يحول بينك وبين أن تؤدي هذا الأمر الإلهي الذي هو شرف عظيم لك، ونعمة عظيمة عليك أن تنذر موتك لله، أن تنذر حياتك أولاً وتنذر موتك ثانياً لله سبحانه وتعالى، وما أكثر ما يحصل هذا.

مثلاً في هذا الزمن والكثير منكم شباب فيما أعتقد إذا نظرنا إلى أمثال لكم في معسكرات في مناطق أخرى مشى بهم الحال وسوء الحظ إلى أن تنذر حياتهم ـ سواء رضوا أو لم يرضوا تنذر حياتهم في سبيل من؟ ـ في سبيل [أمريكا] في سبيل [إسرائيل]!.

والبشر الآن.. الشباب الآن.. أنتم الشباب بالذات أمام مرحلة فيما أعتقد: إما أن يكون الإنسان قد رسم لنفسه أن تكون حياته وموته لله، وإلا فستكون حياته وموته من أجل أمريكا، هذه القضية الشباب مقبلون عليها، ستكون ممن ينذر حياته لأمريكا وأنت في معسكر فتكلف أن تخرج ضمن حملة على منطقة معينة يقال: فيها إرهابيون! أو تكون أنت معلم ممن يجمد الناس، ويهدئ الناس، ويثبط الناس، ألست هنا تعمل لمصلحة أمريكا؟ أو تكون أيضاً ولست معلماً وأنت إنسان عادي ينطلق من فمك كلمة مع هذا، وكلمة مع ذاك: [بطل ما لنا حاجة با تكلفوا علينا لاحظ ما حصل في أفغانستان!] أليس هذا العمل الذي يؤدي بالناس إلى القعود إلى الخنوع، أليس خدمة للأعداء؟ فتكون أنت قد نذرت حياتك في سبيل أمريكا، وستموت في سبيل أمريكا، يكون موتك خدمة لأمريكا لأنه لم يكن موتك مؤثراً عليها.

فالإنسان إذا لم يتفهم من الآن ونحن في مقتبل هذه المرحلة والكثير منكم في مقتبل العمر لا زالوا شبابا طلابا، اليهود عندهم قدرة أن يثقفوا الناس وأن يعملوا الأشياء الكثيرة حتى يجعلوا الناس ينذرون حياتهم لهم، فالجندي يتحرك بغضب وشراسة، ويضرب بيت أخ مسلم له.. يقتل.. يدمر.. ينهب، وهو في نفس الوقت، ـ سواء فهم أو لم يفهم ـ إنما يخدم أمريكا.

وهكذا تصبح قضية؛ لأن المجال فيها واسع يمكن للمعلم يمكن للمرشد يمكن للوجيه يمكن للتاجر يمكن حتى التاجر نفسه سيخرج من أمواله مبالغ كبيرة خدمة لأمريكا.

والله سبحانه وتعالى يريد منا ـ لأنه رحيم بنا ـ أن نفهم بأنه يجب أن ننذر حياتنا له، فمتى ما نذرت حياتك لله خاصة وأنت تعرف النهج الذي تسير عليه وتعرف الصراط المستقيم الذي يجسد ما أنت عليه من أنك قد نذرت حياتك لله سبحانه وتعالى وحينئذ لن تسير على طريق آخر، لن تجعل حياتك في خدمة الطغيان لن تجعل حياتك في خدمة أعداء الله سبحانه وتعالى.

إذا كنت أيضاً قد نذرت موتك لله فأنت من سينطلق في سبيل إعلاء كلمة الله في نصر دين الله في دفع أعداء الله في محاربة أعداء الله؛ لأنك لم يعد لديك خوف من الموت، أنت قد اتخذت لنفسك قراراً أن تستثمر موتك، وأنك قد نذرت موتك لله.

وهذه القضية إذا تأملها الإنسان سيرى بأنها قضية من الحماقة أن لا تحصل لدى أي إنسان منا، من الحماقة أن لا يكون أي مؤمن قد نذر موته لله لماذا؟ لأن الموت قضية لا بد منها أليس كذلك؟ الموت قضية لا بد منها، وستموت إما بالموت الطبيعي أو تموت على يد أعداء الله إذا كان الأمر على [هذا النحو فقد يكون الخوف لدى] بعض الناس ليس لتصوير الألم، ليس لاستشعار أن هناك ألم، وإنما لاستشعار أنه يريد أن يبقى حيا، يتشبث بالحياة، يحس بالحياة، لا يريد أن يدخل في غيبوبة مطلقة.

فالمسألة إذاً: الله سبحانه وتعالى قد منح الشهيد الحياة الأبدية منذ أن تفارق روحه جسده عندما قال سبحانه وتعالى: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:١٦٩).

إذاً فالخسارة الحقيقة هي: أن يكون الإنسان متهرباً من الحياة الأبدية، إذا كنت تخاف من الموت؛ فإن المفترض منك هو أن تكون ممن يحرص على أن يكون حياً فلا يدخل في غيبوبة مطلقة من بعد أن تفارق روحه جسده، ستكون حياً.

من هذا نخلص إلى قضية باعتبارنا طلاب علم، وأن طالب العلم إذا لم يكن يريد من وراء طلب العلم هو أن يكون على هذا النحو: أن تكون صلاته وأن يكون نسكه وأن تكون حياته وأن يكون موته لله رب العالمين فلا فائدة في علمه، لا فائدة في حياته، لا فائدة من موته، لا فائدة في عبادته.

أنت كطالب علم يجب أن تضع هذا نصب عينيك: لماذا أريد أن أطلب العلم؟ أنا أريد أن تكون عبادتي لله، وأن تكون حياتي لله، وأن يكون مماتي لله. علم آخر يصرفك عن هذا فليس العلم الذي هو عبادة لله، ليس العلم الذي تفرش الملائكة أجنحتها لطالبه، ليس العلم الذي من سلكه سلك طريقاً إلى الجنة.. هذه طريق الجنة التي أمرَ بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي أمرنا بأن نقتدي به، وأن نقتفي آثاره، وأن نسير على نهجه، ونسير بسيرته، ونتحلى بأخلاقه، هذه قضية.

القضية الثانية: لا يجوز أن يكون هَمُّ الإنسان من وراء التعلم هو أن يكون له مكانة رفيعة عند هذا أو عند ذاك أو عند هؤلاء الناس أو عند أولئك، هذه من الحماقة أيضاً.. أهم ما يجب أن تطلبه وأهم رفعة يجب أن تطلبها وتنشدها وأعظم علوّ يجب أن تنشده وتطلبه وتعمل على أن ترتقي بنفسك إليه هو: أن تحظى بالقرب من الله. أرفع الناس أعلى الناس أعظم الناس هو أقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولا قيمة لأي رفعة إذا كان الإنسان منحطاً عند الله، إذا كان الإنسان لا كرامة له عند الله.

ومن الإستهتار بالله وبعظمته أن لا يكون في نفسك شعور بأن عظمته، بأن القرب منه بأن الرفعة في القرب منه بأن العلو والسمو في القرب منه هو أعظم وأهم من الرفعة عند الناس، ومن العلو عند الناس، ومن المكانة عند الناس.. استهتار بالله أن تنشد الرفعة عند الناس، ولا يكون همك أن تكون مقرباً عند الله؛ لأنك حينئذ قد جعلت للناس في نفسك مكانة أعظم من مكانة الله، وجعلت الناس أعظم عندك من الله، فأصبح القرب منهم أصبحت المكانة عندهم أصبحت الرفعة لديهم هي عندك أغنى وأهم، إلى درجة أنك لا تلتفت إلى قضية الرفعة عند الله والعلو عنده والقرب منه، هذا هو من الاستهتار بعظمة الله سبحانه وتعالى ومن الجهل بالله ومما ينسف أعمال الإنسان كلها.

يجب أن تحرص على أن تكون مقرباً من الله، ويجب أن تعمل على أن تعلي كلمة الله لا أن تعلي شخصيتك، أن ترفع راية الإسلام لا أن ترفع رأسك، أن ترفع الأمة وأن تعلي الأمة لا أن تهتم بشخصيتك أنت، يكفيك شرفا أن

تشعر أنك تسير في طريق هي لله رضى، وأنك تسير في سلّم القرب من الله سبحانه وتعالى هذا هو الشرف العظيم، ثم اعمل على أن ترفع كلمة الله على أن تعلي كلمة الله على أن ترفع الأمة وأن تعمل في رفعة الأمة من هذه الوضعية المنحطة التي تعاني منها.

هل يمكن أن يحصل لدى أي شخص منا الشعور بهذا؟ أو قد يكون كل واحد منا يقول: ماذا يمكن أن أعمل لهذه الأمة؟ من أنا حتى أعمل على رفعة هذه الأمة! قد يقول واحد منا هذه لأننا أصبحنا كمسلمين بابتعادنا عن القرآن الكريم بابتعادنا عن الله، ولأننا لم نعد نعتد بقدرة الله بجبروت الله بأنه هو القاهر فوق عباده، لم نعد نعتد بمعيته، أن معيته قوة، أن معيته نصر، أن معيته تأييد، إذا ما كان معنا.

أصبحنا مهزومين نفسياً لما فقدنا هذه الأشياء أصبحنا مهزومين نفسياً، وأصبح كل واحد منا تقريبا يرى بأنه لا يمكن أن يكون له دور في إنقاذ الأمة من هذه الوضعية التي تعاني منها! لكن أنت لو ترجع إلى أمثلة كثيرة في واقع الحياة ستجد وعلى طول التاريخ أن إنقاذ عباد الله جاء في أغلب حالاته من حيث لا تحتسب الأمة، وعلى أيدي من لم تكن الأمة تقدر أنه ممكن أن يعملوا شيئا في تاريخها وفي حياتها.

[الخميني] خرج وهو رجل فقير مهاجر من قرية تسمى [خُمَين] لو لقي رجلا آخر وقيل له: إن هذا سيعمل في المستقبل عملا عظيما وسيقيم دولة إسلامية ربما لأقسم ـ هذا الأخير ـ أن هذا مستحيل، لأقسم أن هذا مستحيل، لكن تحقق هذا وهكذا أمثلة كثيرة.

فالإنسان يعرف أنه يجب ونحن تحدثنا معكم في جلسة سابقة فيما يتعلق بالقرآن الكريم: أن عليك وأنت تعلم القرآن الكريم أن تقدمه للناس وكأنك تعد جنداً لله؛ تتحدث عن آيات الوحدة على أرقى مستوى، عن آيات الجهاد، عن آيات الإنفاق، عن الأمر بأن يكون الناس أنصاراً لله، عن أن يكونوا أمة واحدة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، عن كل ما هو من هذا القبيل تقدمه وكأنك تعد جيلاً مجاهداً هذا هو منطق القرآن، لا تحاول أن تعكس نفسيتك وهزيمتك النفسية على طلابك وعلى القرآن الكريم فتقدمه هزيلا.

أيضا أنت كطالب علم عندما تقرأ القرآن الكريم لا تدخل إلى القرآن بنفسيتك المهزومة، أدخل إلى القرآن بعد أن تكون قد نذرت حياتك لله ونذرت موتك لله وجعلت من نفسك جنديا لله؛ إلتزاماً بقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤) فاقرأ القرآن حينئذ وتأمله لتعرف كيف تؤهل نفسك كجندي من جنود الله، لكن أن تقرأ القرآن أو تقرأ علوما أخرى لتدخل إلى القرآن بعد فتمر بآيات من هذا النوع فتحاول أن تجمدها مكانها فاعرف أن هذا هو الشقاء، وهذا هو الذي يجعل الإنسان فعلا لا يقدم ولا يؤخر للأمة بل يضر بالأمة بل يضر بالدين بل يضر بنفسه.

عندما يصل إلى مثل آية: {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّه} سيقول: [هذه آية محلها حقيقة بس من ذي جهده؟] عند آية: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) يقول: [هذا صح لكن من ذي جهده؟ الناس ما منهم شيء والناس ما هم طايعين].

وهكذا عندما يدخل الإنسان بهذه الروحية لن يعمل شيئا لن يحقق شيئا ويكون في واقعه لا يصح أن يطلق عليه اسم عالم. العالم هو من يجب أن يستفيد علمه من القرآن الكريم، وأن يكون علمه بالشكل الذي يجعل القرآن حياً في واقع الحياة، وحياً في نفسه، يجعل القرآن حياً في نفسه وفي واقع الحياة، أما أن يقرأ يقرأ لينتهي في الأخير إلى أن يجمد كل هذه الآيات مكانها فهو ليس بحاجة إلى أن يقرأ حتى يجمدها.

إن الله يريد من الناس أن يتعلموا ليعملوا، لا أن يتعلموا ليتحيلوا على كيف يجمدون أوامره ونواهيه، وهو سبحانه وتعالى عندما يأمرنا لا يأمرنا بشيء إلا وقد رسم الطرق المتعددة التي يمكن أن توصل بالناس إلى أداء ما أمروا به.

عندما يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) ليس مجرد أمر هكذا في الهواء، هو رسم عدة أشياء متعددة هي في متناول الناس، هي في متناولهم إذا ما استشعروا المسئولية، هي في متناول الناس في الأخير تجعل الناس أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

وهكذا في بقية الأوامر، ليس هناك أمر كلمة يرمي بها الباري إلى هناك ـ على ما نقول ـ ثم نقول: [والله ما جهدنا اما هذه]

هو لا يأمر بشيء إلا وقد هيأ كثيرا من التشريعات التي تخدم الأمة في أن تصل إلى تنفيذ هذا الأمر، ولهذا عندما نتعلم القرآن الكريم وكما أسلفنا أن يكون من أهم ما يتوجه ذهنك إليه وأنت تتعلم هو التعرف على الله سبحانه وتعالى، ومعرفة الله هو بالشكل الذي يتناسب مع عظمته سبحانه وتعالى وبالشكل الذي نحن في أمسّ الحاجة إليه في هذه المرحلة من تاريخنا هو: أن نعرف كيف نعزز ثقتنا بالله، كيف نعزز ثقتنا بالله سبحانه وتعالى حتى نرى أن بالإمكان أن ننفذ كل ما أمرنا أن نقوم به، أن نكون قوامين بالقسط، أن نكون أنصارا له، أن نكون أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أن نكون مجاهدين في سبيله، أن نكون مؤمنين فيما بيننا بعضنا أولياء بعض نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

كل هذا سيصل الناس إليه إذا ما عملنا على تعزيز ثقتنا بالله، وعرفنا سنته في الهداية سنته في التشريع، وعرفنا أنه سبحانه وتعالى ملك يختلف عن بقية الملوك، وملك رحيم.. هو رحيم.. ولرحمته وبرحمته جعل تدبيره كله وهدايته كلها وتشريعه كله منوط برحمته فإذا ما أمرك فأعلم أنه أمرك من منطلق رحمته بك وعندما أمرك هو سيهيئ لك ما يجعلك تؤدي هذا الأمر من منطلق رحمته بك وهكذا مع كل أوامره ومع كل نواهيه.

أن يقرأ الإنسان القرآن يكون همه أن يتعرف على الله بشكل كبير من خلال القرآن الكريم من خلال القرآن.

بهذا أؤكد بأن القرآن الكريم في هذه المرحلة بالذات نحن أحوج ما نكون إليه، وفي هذه المرحلة بالذات هو يتعرض لخطورة بالغة على أيدي اليهود. وليس القرآن في نفسه، القرآن في نفوسنا، القرآن في حياتنا، القرآن في واقعنا هو الذي سيضرب أما القرآن في نفسه لا يستطيع اليهود أن يحرفوه لا يستطيعوا أن يزيدوا فيه ولا ينقصوا منه لا يستطيعوا أبدا أن يمسوه بسوء. لكن يستطيعوا بالنسبة لنا أن يجعلونا بالشكل الذي لا يبقى للقرآن علاقة بنفوسنا لا يبقى لنا أي اتصال بالقرآن لا يبقى لنا أي التفات إلى القرآن.

وأنتم لو تتأملون خلال هذه الأحداث وتجدون عندما يتحدث العرب عن موضوع الصراع مع أمريكا وإسرائيل وما يفكرون فيه في مواجهة أمريكا هل تسمع كلمة واحدة من زعيم عربي؟ هل تسمع كلمة واحدة من أي محلل يؤكد على ضرورة اعتماد القرآن الكريم والعودة إلى القرآن الكريم والعودة إلى الله؛ ليصل الناس إلى حل لهذه المشكلة؛ لأن القرآن قد فصلوا منه، لم يعد في ذهنيتهم إطلاقاً: أن بالإمكان أن يكون الحل من خلال القرآن وسيبقى العرب متخبطين هكذا كما نشاهد ويتمكن أعداؤنا من التغلب علينا ومن قهرنا.

وترى كلما مشى الزمان شهراً بعد شهر لا ترى إنجازا ولا تقدما فيما يتعلق بالعرب، ترى كل الأعمال تسير في صالح إسرائيل وأمريكا، كل مرة يتحقق شيء إيجابي بالنسبة لليهود، لكن بالنسبة للعرب ولا نقطة واحدة ولا خطوة واحدة ولا موقف واحد؛ لأنهم هكذا أعرضوا عن القرآن لأنهم من البداية ـ سواء عن طريق اليهود أو عن أي طريق أخر ـ انصرفوا عن القرآن وابتعدوا عنه، والله سبحانه وتعالى قال: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:١٢٤) هو أعمى في الدنيا وأعمى في الآخرة، لا يستطيع أن يصل إلى حل، ولا يهتدي إلى حل، ولا يهتدي إلى ما فيه عزّ له وشرف ورفعة وقوة، هذا هو ما تعاني منه الأمة.

ونحن إذا ما تعلمنا على هذا النحو إذا ما تعلم الإنسان وازدادت معرفته على هذا النحو يستطيع أن يكون مؤثرا، يستطيع أن يكون مؤثرا في الآخرين، يستطيع الناس أن يجعلوا من أنفسهم أمة يكون لها دورها، يكون لها أثرها، يكون لها فائدتها العظيمة بالنسبة للدين وبالنسبة لعباد الله.

الله سبحانه وتعالى عندما أمر الناس لم يأمر الشخصيات الكبيرة أو يأمر أصحاب رؤوس الأموال فقط خاطب الناس جميعا، خاطبنا نحن هؤلاء الذين نقول: [ماذا نعمل؟ ماذا يمكن أن نعمل؟ مهذي با نسوي؟ احنا ما بأيدينا شيء، احنا ما معنا شيء!] أليس هكذا نقول؟ لكن لماذا يخاطبنا الله؟ هو لم يخاطبنا إلا وهو يعلم أن باستطاعتنا أن نعمل شيئا وإلا لكان من تحميل ما لا يطاق.

فالإنسان قد يردُّ على الله هو يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} لكن لو سألت أي واحد منا عن أول الآية هل أنت من الذين آمنوا؟ لقال: نعم. مَنْ الذي يمكن أن يقول: لا؟

إذاً الله يقول لك كواحد من بقية المؤمنين: {كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} [قال: ما جهدنا] أنت في هذه الحالة تتعامل مع الله تعاملا يدل على جهلك بالله، يدل على أن الله ليس له مكانة في نفسك.

أنت يجب أن تفهم أنه بمجرد أن يقول: {كونوا أنصاراً لله} أنه لا يأمرنا أن نكون أنصارا له إلا وهو يعلم أن باستطاعتنا أن نكون أنصارا له وهو يعلم الغيب، أليس هو الذي يعلم الغيب؟ يعلم الغيب والشهادة هو عالم بكل الوسائل التي يمكن أن نستخدمها فنكون أنصارا لدينه، هو عالم وهدانا فعلا إلى الطريقة التي يمكن من خلالها أن نؤهل أنفسنا حتى نكون أنصارا له وأنها كلها بمتناولنا.

الله لا يأمر الناس بشيء إلا وهو في متناولهم أن يعملوه إما مباشرة أو في متناولهم أن يهيئوا أنفسهم لأن يصلوا إلى العمل به وإلا لكان من تكليف ما لا يطاق والرحيم لا يكلف الناس بما لا يطيقون أبدا.

هذا ما أريد أن أؤكد عليه.. نسأل الله سبحانه أن يوفقنا إلى الإخلاص له إلى أن تكون عبادتنا له وأن تكون حياتنا له وأن يكون مماتنا له وأن يجعل همنا هو الحصول على رضاه إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

كانت هذه المحاضرة بمناسبة نزول طلبة ومعلمي مدرسة الإمام الحسين (عليه السلام) بالمجازين لزيارة السيد /حسين بدر الدين الحوثي في بيته بعد عصر يوم الجمعة الموافق ٢٦/٧/٢٠٠٢م

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مسؤولية أهل البيت (ع)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢١/١٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

نشكركم - أيها الأخوة - جميعاً على كرم ضيافتكم وحسن استقبالكم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم، وأن يجعل اجتماعاتنا هذه اجتماعات مباركة.

كلمة مهمة ومفيدة سمعناها[1] وهي تذكرنا فعلاً بأنه عندما ننطلق نحن المنتمون إلى أهل البيت، أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لنعظ الناس يجب أن نكون نحن أول من يتعظ لنذكر الناس يجب أن نكون نحن أول من يتذكر، لنهدي الناس يجب أن نكون نحن أول من يهتدي، لنعلم الناس يجب أن نكون نحن أول من يتعلم ويعلم، لنصلح الناس يجب أن نكون نحن أول من يصلح، عندما ننطلق لنذكر الناس في مواقف، مواقف دفاع عن دين الله، ونصر لله ولدينه يجب أن نكون نحن أول من ينطلق في تلك الميادين.

لقد ذكرتني كلمة الأستاذ زيد كثيراً من المفردات في القرآن الكريم، وعلى لسان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلى لسان الإمام علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه) يقولها وتتوجه تلك الكلمات إلى أهل البيت. أهل البيت شرفهم كبير وفضلهم عظيم، لكن يجب عليهم أن يعرفوا أن مسئوليتهم كبيرة، وأن المسئولية عليهم كبيرة، بقدر ذلك الشرف العظيم، والفضل الكبير الذي منحهم الله إياه.

لقد تعودنا أن نتحدث عن فضل أهل البيت ولكننا لم نتعود أن نتحدث أيضاً نحن أهل البيت عن مسئوليتنا أمام الله وأمام دينه وأمام عباده.. قد نقول لرجل من الناس: ناصبي، إذا ما لمسنا منه أن يتنكر لفضل أهل البيت، ولكننا لا نصمُ أنفسنا بأننا مقصرون ومهملون ومفرطون في مسئوليتنا الكبيرة أمام دين الله، وعباده، يرتاح الكثير منا إذا ما سمع [حديث الثقلين] وسمع [حديث السفينة] وسمع [حديث النجوم] وسمع أحاديث أخرى وسمع [آية التطهير] و[آية المودة] ويشرأب عنقه إذا ما سمع ذلك وينشدّ قلبه إلى من نطق بتلك الكلمات الجميلة بفضل أهل البيت، لكنه يغمض عينيه، وينكس رأسه إذا ما دعي للتحرك في أداء مسئوليته الكبيرة هكذا واقعنا.

وهي حالة خطيرة جداً علينا، حالة خطيرة جداً على أهل البيت، كلما تحدثنا عنه من تقصير وتفريط من جانب المسلمين باعتبار أن المسئولية في مقام نصر دين الله، في نصر الله والدفاع عن دينه، والدفاع عن عباده المستضعفين والعمل على إعلاء كلمته، ومحاربة الفساد في الأرض، المفسدين في الأرض، هي مسئولية كبرى على المسلمين جميعاً، وهي مسئولية أكبر على العرب جميعاً، وهي مسئولية أكبر وأكبر على أهل البيت، على أهل البيت.

أهل البيت إذا ما تحركوا، إذا ما صلحوا فإن الله يهيئ الكثير الكثير من الأفئدة لتهوي إليهم، لكنهم إذا ما أهملوا وفرطوا ذلوا، وضعفت نفسياتهم، وتفرق الناس من حولهم؛ لأنه حينئذ ما هو الذي فيّ أو فيك يشد الناس إليّ وإليك؟ ما الذي شد الناس إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هي تلك الرسالة، ذلك الشرف المرتبط بحمل تلك الرسالة العظيمة، ذلك الكتاب العظيم الذي أنزل عليه، إنها الرسالة، وإنه الكتاب الذي أورثه أهل بيته.

قد يقول البعض منا: الناس يتنكرون لنا، الناس لا يستجيبون، أو يبدو أن الناس الآن هناك من يبغضنا ودائرة البغض لأهل البيت تتسع! ستتسع أكثر وأكثر؛ لأنه ليس هناك فيك ما يشد الناس إليك، أنت لا تعمل على إعلاء كلمة الله، أنت لا تجاهد في سبيل الله والمستضعفين، أنت لا يلمس الناس فيك أنك حريص على هدايتهم، أنك حريص على إنقاذهم، أنك حريص على مصالحهم، أنك تبذل وقتك ومالك وجهدك ونفسك في خدمتهم.

إذاً فما الذي يشدهم إليك؟ ونغضب نقول: [والله فلان أصبح إنساناً يكره أهل البيت، أهل المحلة الفلانية ناس لا يحبون أهل البيت].

---

[1] - [كلمة الأستاذ/ زيد علي مصلح ألقاها قبل هذه المحاضرة]

هل واقعنا نحن في وحدة كلمتنا، في التآلف فيما بيننا بالشكل الذي يصبح مثالاً يحتذى به حتى إذا ما تحدثنا مع الآخرين حول وجوب الوحدة كنا صادقين معهم؟ نحن نستحي أن نتحدث مع الناس وإن كنا نضطر إلى أن نتحدث معهم حول وحدة الكلمة؛ لأن أبناء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هم أنفسهم - وهم آلاف مؤلفة - الآن هم يعيشون حالة من الفرقة والشتات، وروح اللامبالاة والتفريط والتقصير السائدة في أوساطهم.

مسئولية كبيرة، وشرف عظيم جاء في آية مباركة هي نزلت في أهل البيت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} (الحج: ٧٧-٧٨) يوم قال نبي الله إبراهيم: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (الحج: من الآية٧٨) يقول للناس جميعاً: جاهدوا في سبيل الله لكنه يقول لأهل البيت: جاهدوا في الله حق جهاده.

أهل البيت الآن أصبحوا آلافاً مؤلفة، آلافاً مؤلفة، في اليمن، وفي إيران، وفي العراق، وفي الحجاز وفي مختلف بقاع الدنيا.. لنتحدث عنا هنا في اليمن آلاف مؤلفة في اليمن؛ لأن كل المسلمين يدعون بالبركة لأهل البيت في صلاتهم، كل المسلمين يدعون الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد، وأن يبارك على محمد وعلى آل محمد في صلاتهم، أهل البيت تكاثروا.

لكن لماذا يوم كان أهل البيت أعداداً قليلة، أفراداً معدودين كان الواحد منهم يبني أمة بأكملها، ويقيم حكومة إسلامية بكاملها؟!.

الإمام الهادي خرج إلى اليمن بمفرده، بنى اليمن، وأقام دولة إسلامية في اليمن، وما تزال بركاته إلى الآن قائمة، آخرون كثيرون من أمثاله انطلقوا إلى المغرب، وإلى إيران وإلى بقاع أخرى في الدنيا فكان الواحد منهم يصلح أمة بكاملها، لكنهم الآن آلاف مؤلفة كادوا أن يذوبوا، كادوا أن يتلاشوا، نسوا شرفهم، نسوا المسئولية الكبيرة الملقاة على عواتقهم حتى في هذه الأوضاع الخطيرة التي نشاهدها، ونعايشها نجد أنه غابت روحية أهل البيت السابقة، غابت من أوساط هذه الأعداد الكبيرة من أهل البيت.

اليهود عندما دخلوا القدس يقال أنهم كانوا يهتفون بشعار: [محمد مات وخلف بنات، محمد مات وخلف بنات] لم يخلف رجالاً.. هكذا يريدون أن يقولوا أن محمداً لم يخلف رجالاً بعده، لا رجالا من بنيه، ولا رجالا من أمته؛ ولهذا استطاعت تلك الحفنة تلك الحفنة القليلة من اليهود أن تدوس المسلمين جميعاً بما فيهم أبناء محمد.

في أوضاع كهذه يجب أن يكون أهل البيت هم أول من يدرك خطورتها، هم أول من يتحرك في مواجهتها، أن يكونوا هم أول المجاهدين، أن يكونوا هم أول الشهداء، أن يكونوا هم أول من يبذلون دماءهم وأموالهم في سبيل الله، والمستضعفين.

المواجهة الآن مكشوفة مع اليهود، مواجهة علنية، وصريحة، ومكشوفة مع اليهود، واليهود هم أعداء للمؤمنين جميعاً، وأعداء لمحمد وآل محمد بالخصوص، أعداء لمحمد وآل محمد بالخصوص، من العار الكبير على أهل البيت، على أبناء محمد أن توكل إليهم المسئولية العظيمة، مسئولية أعظم مما أوكل إلى بني إسرائيل.

إن القرآن الكريم هو خاتم الكتب الإلهية، وجدهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو خاتم الرسل، والإسلام هو خاتم الرسالات، وهو دين لهذه العصور كلها إلى آخر أيام الدنيا، هو دين لهذا العصر الذي هو أوسع عصور الدنيا، اتسعت فيه مجالات الحياة، وشئونها بشكل ربما لم يحدث مثله أبداً في تاريخ الدنيا كلها.

من العار عليهم أن يشاهدوا الإسلام تطمس أعلامه، وتنتهك حرماته، وتداس حرمة مقدساته، وتضيع أحكامه، وتحرف مبادئه، من العار عليهم أن يكون أولئك اليهود الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وسحب البساط من تحت أقدامهم ليضعه تحت أقدام محمد وآل محمد، نزع الملك، نزع الملك منهم ليعطيه لمحمد وآل محمد، نزع النبوة، والحكمة منهم ليعطيها لمحمد ولآل محمد، من العار على آل محمد أن يعيشوا أغبياء أمام مكر اليهود، وخبثهم، وتخطيطهم، وذكائهم، سنكون حينئذ من يسيء إلى مقام الله سبحانه وتعالى في حكمته لدرجة أنه

يمكن أن يقال: لقد ترك أمر هذا الدين إلى آل محمد، وهاهم ظهروا أغبياء، لم يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة خبث اليهود، وحنكتهم، ودهائهم، ومكرهم.

هل آل محمد أغبياء؟ ليسوا أغبياء، إنما يتغابون، يهملون، ويقصرون، ويفرطون فيبتعد الله عنهم؛ فلا توفيق، ولا ألطاف، ولا رعاية، ولا هداية.

اليهود معروفون بذكائهم، وخبثهم، ومكرهم، وخططهم، واهتمامهم، وجدهم، ونشاطهم.. لماذا لا يكون أهل البيت هم أكثر وأكثر جداً، واهتماماً من أجل هذا الدين، ومن أجل عباد الله، ومن أجل إبطال كيد وخبث أولئك الذين قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، إن هذا يمس بحكمة الله، إذ يمكن أن يقال: إن كان أهل البيت هكذا هم أغبياء فلماذا توكل إليهم مسئولية وراثة الكتاب، وحمل الدين، وهداية الأمة، وقيادتها، وهاهم يبدون أغبياء أمام ما يعمل اليهود؟ يبدون مهملين، مضيعين، مقصرين أمام جد واهتمام اليهود في إفساد عباد الله، في محاربة دين الله؟.

أليس هذا عاراً؟ أليس هذا عيباً؟ أليس هذا أيضاً جريمة كبيرة نقترفها نحن؟ فنلقى الله سبحانه وتعالى ـ ونعوذ بالله ـ نلقى الله ونحن فرطنا في دينه، فرطنا في كتابه، فرطنا في مقام رسوله فرطنا في أمته التي جعلها أمانة في أعناق أهل بيت نبيه، فرطنا في البشرية كلها.

هل تتوقع بأنك ستدخل مع جدك، مع محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع علي، ومع فاطمة، مع الحسن والحسين وأنت من أضعت كل تلك الجهود التي بذلوها، وأنت من أضعت كل تلك الدماء التي سفكت، وأنت من أهدرت كل تلك الحكم التي كانت تنطلق من أفواههم، وعلى ألسنة أقلامهم، وأنت من أضعت ذلك الهدى الذي كان يتفجر على ألسنتهم.

إن الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يقول لابنه الحسن في وصيته الخالدة: (ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات للحق حيث كان) وخض غمرات الموت للحق حيث كان يقول لأبنائه:(كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا) هكذا يقول لأبنائه: (كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا) يقول في وصيته قبيل وفاته، وصية من أجمل الوصايا: (الله الله في نظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: صلاح ذات البيت أفضل من عامة الصيام والصلاة) ويقول في تلك الوصية:(الله الله في كتاب ربكم لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم).

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين، ولفّهم في كساء بعد أن نزلت [آية التطهير] وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

وقد سمعنا حول هذا الموضوع فيما يتعلق بطهارة أهل البيت كلاماً جميلاً من أستاذنا الفاضل [زيد] فنحن عندما نقرأ [آية التطهير] عندما نقرأ [آية المودة] عندما نسمع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في [حديث الثقلين] وفي [حديث السفينة] وفي أحاديث أخرى منها قوله مخاطباً لأهل بيته:(والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لله ولقرابتي) والذي يقول في أهل بيته: (أنا سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم).

إذا كان اليهود يقولون هكذا: [محمد مات وخلف بنات] وآل محمد هم آلاف، وها نحن نسمع عن دخول الأمريكيين إلى اليمن؛ فإن الواجب على آل محمد بالذات: أن يُرُوا من أنفسهم اليهود: أن محمد مات، وخلف رجالاً، وخلف فرساناً.

والله لو تمكن اليهود في اليمن، لو تمكن الأمريكيون في اليمن، فإن اليهود هم من سيعملون على أن يديروا السجون، وأن يتولوا التعذيب هم بأيديهم لكل إنسان حر.

اقرؤوا ما عملوا بالعلماء في [الهند]، ما عملوا بالعلماء في [بنقلادش] ما عملوا بالعلماء في [الإتحاد السوفيتي] ما عملوا بالمسلمين في مناطق كثيرة. كانوا هم يتولون التعذيب، ويبتكرون أبشع وسائل التعذيب ليعذبوا علماء الإسلام بأيديهم.

عندما يدخل الأمريكيون إلى اليمن إنه دخول اليهود، حينئذٍ عندما تتحرك ستجد اليهودي هو السجان، تجد اليهودي هو من يتولى تعذيبك. ما أعظمها من حسرة، ما أعظمها من حسرة، وما أسوءه من تفريط إذا ما فرط

الناس حتى يصل الأمر إلى هذه الحالة؛ حينئذ يعذب العلماء على أيدي اليهود، ويعذب الشباب المجاهدون على أيدي اليهود بأبشع وسائل التعذيب.

حاولوا أن تأخذوا بعض الكتب التي دونت جرائم اليهود، والتي تحدثت عن خبثهم، وفظاعتهم، وقسوتهم. إنهم قساة قلوب كما حكى الله عنهم في قوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}(البقرة: من الآية٧٤) **عندما نتحدث في هذه الأيام: أنه يجب علينا أن نرفع هذا [الشعار] وأنه يجب علينا نحن [الزيدية] في المقدمة: أن تتوحد كلمتنا، وأن يكون لنا موقف عملي، يرفض دخول الأمريكيين إلى اليمن، وموقف عملي في مواجهة اليهود والنصارى؛ فإن كل فرد من آل محمد، كل فرد ينتمي إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب أن يكون في مقدمة المستجيبين سواء أكان عالماً أم جاهلاً، أكان تاجراً أم فلاحاً.**

وإذا ما فرطنا نحن فسيكون الغضب الإلهي علينا أشد، وستكون الذلة علينا أعظم وأسوء، وسيعذبنا اليهود بأيديهم .. سنرى الفساد، ونعيش الذل، ونعيش الإهانة والقهر والمسكنة تحت أقدام اليهود أسوأ وأفضع مما هو حاصل الآن.

والله إنه ليكفي الموجودين من آل محمد ومن التف حولهم من شيعتهم المؤمنين إذا ما توحدت كلمتهم ووقفوا بصدق؛ إنهم لقادرون على أن يحولوا بين أمريكا وبين دخولها اليمن، وإذا ما دخلت فإنهم سيستطيعون أن يخرجوها من اليمن كما أخرجها [حزب الله] من لبنان.

عندما يقول الله: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}(الحج: من الآية٧٨) **منا من هو تاجر، ومنا من هو فلاح، من العيب عليك أن تحتاج إلى كلام كثير كثير حتى تخرج مبلغاً من مالك في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين من عباده. إن المستضعفين من عباد الله، إن الأمة كلها هي أمانة في أعناق أهل البيت. الإمام علي هكذا يقول لأبنائه: ((الله الله في أمة جدكم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله))).**

أن تكون أنت من تبخل وأنت من يريد الله منك أن تجاهد فيه حق جهاده، أرقى درجات الجهاد، أن تنتظر أنت من الآخرين أن يكونوا هم أول من يتحرك، ولا تتحرك إلا في الأخير، وجدك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الذي قال له الله: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}(النساء: من الآية٨٤) **قاتل أنت حتى لو لم يقاتل معك أحد. إن عليك أن تخرج إلى ميدان المواجهة بمفردك {لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}**(النساء: من الآية٨٤).

أنت يا من أنت ابن محمد، وابن علي هل كان علي يتثاقل في ميادين الجهاد؟ أم كان ينطلق، ولا يحتاج إلى تكرير كلمتين، لا يحتاج إلى تحريض، لا يحتاج إلى تشجيع، لا يحتاج إلى شيء؟ هو من كان ينطلق، وإذا ما انطلق، انطلق بثبات واستقامة، ينهزم الآخرون ويثبت، هو من كان يبذل نفسه، وماله في سبيل الله، هو من نام على فراش رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مضحياً بنفسه يوم هاجر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من مكة إلى المدينة.

إذا لم نكن على هذا النحو فإن مقولة اليهود: [أن محمد مات وخلف بنات]، سيكون واقعنا شاهداً على صدقها، سنكون من يشهد على واقعيتها، أن هذه الآلاف من أبناء محمد في ميدان مواجهة اليهود، لا يختلفون عن البنات فعلاً إذا لم نريهم أننا رجال، وأننا أبناء من هدَّ حصون خيبر. من الذي هد حصون خيبر؟ من الذي فتح خيبر؟ إنه علي.

وهم يعرفون أن أخطر الأمة عليهم هم آل محمد، وشيعتهم، وأنه لن ينتصر عليهم إلا آل محمد وشيعتهم، والواقع يشهد بذلك: أبو بكر انهزم في خيبر، هزمه اليهود، وهزموا عمر، وهزموا شيعتهم في هذا العصر، وهم يمتلكون أفتك الأسلحة، هزموهم وهم قلة من اليهود، وهزموا زعماءهم نفسياً وعسكرياً، هزموهم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

إن القرآن الكريم يوحي أنه في ميدان المواجهة مع اليهود، مع أهل الكتاب لا تنتصر الأمة إلا بتولي علي ابن أبي طالب، ولن تنتصر الأمة إلا تحت قيادة أبناء محمد وعلي ابن أبي طالب (صلوات الله عليهم).

إن علينا إذاً أن نكون في مقدمة من يجندون أنفسهم في مواجهة اليهود والنصارى وإذا كان أباؤنا أفراداً منهم يواجهون الظلم، والطغيان، وكانوا يقيمون حكم الله سبحانه وتعالى، ويحيون كتابه في أوساط عباده، ويطبقون شريعته على أرضه، وهم أفراد قليلون فإن آل محمد الآن أصبحوا آلافاً مؤلفة، إذا لم تجتمع كلمتهم فلا لوم على الآخرين إن لم يتوحدوا، إذا لم تتوحد كلمتنا نحن فلا حق لنا أن نعاتب الآخرين على أنهم لماذا لم يتوحدوا.

إن الله أمر المؤمنين بالتوحد، وكل أمر إلهي، كل أمرٍ إلهي هو يتوجه تطبيقه إلى أهل البيت بالأولوية، والأولية. إذ ليس من الصحيح: أن يكون هداة الناس، وقادة الناس مقصرون، مفرطون، معرضون، متوانون. وحينما ينهض أهل البيت بمسئوليتهم حينئذٍ ستلتف حولهم الأفئدة التي دعا نبي الله إبراهيم الله سبحانه وتعالى في قوله: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} (ابراهيم: من الآية٣٧) **وفي هؤلاء الكفاية في ميدان المواجهة في سبيل الله.**

أن يقف آل محمد وشيعتهم في ميدان المواجهة سيحضون بتأييد الله بنصره، سيكونون هم حزب الله الذي وعده الله سبحانه وتعالى بالغلبة، ووعده بالفلاح.

لا تتوقع من الآخرين ممن هم مبغضون لأهل البيت، أو ممن يتثقفون بثقافة غير ثقافة أهل البيت أن ينتصروا في ميدان المواجهة مع اليهود، ألم نر نحن بعد أن بلغ الوهابيون ذروتهم في أفغانستان، وفي اليمن، وفي الجزائر، وفي مناطق أخرى، وأصبحوا يمتلكون الإمكانيات الكبيرة، ويمتلكون الجامعات، والمعاهد، والمساجد، والمدارس، والمطابع، ويمتلكون آلافاً مؤلفة من الشباب، ألم يتلاش هؤلاء أمام هبة ريح من أمريكا؟ ألم يعودوا صفراً؟ ألم يصبح موقفهم موقفاً يشوه الإسلام؟.

ألم يكن هؤلاء هم قمة المتمسكين بمبادئ السنية، وها نحن نراهم يتحولون إلى لا شيء وأصبحوا يهربون من ظلهم بعد أن فتحت أمريكا أعينها عليهم، لا تتوقع من أمثال هؤلاء أن ينصروا الإسلام، ولا تتوقع من أمثال هؤلاء أن ينقذوا الأمة، وينقذوا المستضعفين من عباد الله. إن نصر الإسلام، وإنقاذ المستضعفين من عباد الله لا يكون إلا على يد أعلام دين الله، وهذه سنة إلهية.

يوم ظهر [أسامة] وكنا نرى الكثير من الناس يظنون فيه أنه سيكون منقذ الأمة كنا نقول: لا، لن يتحقق أبداً على يديه ذلك، إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) فلن يكون إنقاذ الأمة من الضلال الذي تعيشه إلا على يد عترة رسول الله الذين هم قرناء القرآن.**

كنا نقول ونجزم، ونحن لا نعلم الغيب ولكن من خلال فهمنا لمثل هذا الحديث، وللسنة الإلهية: أن إنقاذ عباده لا يكون إلا على أيدي الأعلام الذين اصطفاهم لنبوته أو وراثة كتابه. كنا نقول: أبداً، إن أسامة هذا لن يكون هو منقذ الأمة حتى ولو كان مخلصاً، وإن كانت نواياه حسنة، إنها سنن إلهية ثابتة، وإن الله ضرب في القرآن الكريم مثلاً واضحاً جلياً فيما حصل لبني إسرائيل على يد موسى (صلوات الله عليه) **عندما أوحى الله إليه أن يسري ببني إسرائيل، وأن يتجهوا باتجاه البحر، أن يخرج هو وقومه من مصر، اتجه هو وبنوا إسرائيل إلى قرب البحر، وفرعون وهامان وجنودهم والآلاف المؤلفة من ورائهم ماذا حصل؟ عندما بدا طلائع جيش فرعون وراءهم بنو إسرائيل ماذا قالوا؟ {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}** (الشعراء: من الآية٦١) **يا موسى إنا لمدركون، هاهم كادوا أن يدركونا ماذا نصنع؟ {قَالَ كَلَّا - كلا - إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** (الشعراء:٦٢).

لأن النصر والفرج لا يكون إلا من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يكون إلا على يد أعلام من عباده هم عظيموا الثقة به، قوية معرفتهم به سبحانه وتعالى.

لاحظ كيف قال موسى (صلوات الله عليه) **: كلا لن يدركونا {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}** (الشعراء: من الآية٦٢) **وهو يرى نفسه متجهاً إلى البحر، ومعه الآلاف من بني إسرائيل، وها هم جيش فرعون، وفرعون على مرأى من بني إسرائيل.**

هل انفلق البحر لبني إسرائيل تلقائياً؟ لا، كان لا بد أن يتم على يد موسى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ} (الشعراء: من الآية٦٣) هل أن عصى موسى هي التي شقت البحر؟ هل أن ضربة عصا ستشق البحر؟ لا، إن الله هو الذي شق البحر، ولكن لابد أن يتم على يد موسى بضربة عصى؛ ليقول لهؤلاء ولكل الناس من بعد: إن الفرج لن يتم إلا على يد أعلام، هو الذي اصطفاهم، على يد أعلام دينه، لن يتم فرج أبداً إلا على يد أعلام دينه، لابد من أن يضرب موسى بعصاه البحر ليربط الله تعالى بني إسرائيل بموسى كما ربط العرب بمحمد وآل محمد.

عندما كانوا بحاجة إلى الماء في الصحراء، في مرحلة التيه كان لابد من عصى موسى أن يضرب موسى بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لماذا؟ ليعلم هؤلاء بأن الفرج من العدو، وأن تحقيق الخير أيضاً لهم لن يتم إلا على يد أعلام دينه، وإلا فلا عصا موسى سحرية هي التي تستطيع أن تشق البحر، ولا عصى موسى هي التي تستطيع أن تحول الحجر إلى حجر يتفجر منها الماء، إنه الله سبحانه وتعالى الذي فجر منها الماء.

هو الله سبحانه وتعالى الذي شق البحر، وشق لهم في البحر طريقاً يابساً لكن لابد أن يتم على يد أعلام دينه، على يد موسى.. كنا نقول: أبداً، وكان كثير منا نحن [الزيدية] شيعة أهل البيت الذين لا نفهم النصوص في أهل البيت، لا نفهم السنن الإلهية.

كان البعض ينشدون إلى أسامة، ويصفقون إذا ما ظهرت صورته على شاشة التلفزيون، ويترضّون عليه، وهو وهابي! كنا نقول: مهما كان هذا الشخص لن يتم إنقاذ الأمة على يديه، هذه سنة إلهية، لو أن هناك شيء آخر يمكن أن يتحقق للأمة النجاة به خارج إطار [الثقلين] لما كان هناك معنى [لحديث الثقلين] فقط اثنين، ثقلين فقط.

لن تنجح الأمة، ولن تخرج الأمة من أزماتها، ولن تنقذ الأمة من الوضعية المهينة التي تعيشها إلا بالعودة إليهم (ما إن تمسكتم به لن تضلوا) فإذا لم تتمسكوا ستضلون، سنن إلهية ثابتة. حينئذٍ ليتعبد المتعبدون، وليدع الداعون، وليتصدق المتصدقون، وليتركع المتركعون، لن يستجيب لهم إلا بالعودة إلى ما أرشدهم إليهم.

أوليس المسلمون يحجون كل عام؟ ويدعون الله هناك على اليهود والنصارى وعلى إسرائيل؟ أوليسوا في المساجد، في شهر رمضان، وفي غيره يدعون من مكبرات الصوت، على إسرائيل، يدعون على أمريكا، على اليهود والنصارى؛ لم يمسسهم سوء، وإذا ما مسهم شيء هناك فلن يكون ما يمسهم فيه إنقاذ لنا هنا.

إن الله قد هدى الناس، وقد عمل على إنقاذهم، وأرشدهم إلى ما فيه إنقاذهم من قبل أن توجد إسرائيل بمئات السنين عندما قال على لسان نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً) والضلال هنا: الضلال عن الهداية، الضلال في الحياة، الضياع، الجهل، التخلف، الذلة، الإستكانة، التفرق، التمزق.

الضلال في اللغة العربية كلمة تعني: الضياع، إذا لم تتمسكوا بالقرآن وبأهل البيت فستضيعوا، ستضلوا في معتقداتكم، تتيهوا في حياتكم، يتغلب عليكم أعداؤكم، تتفرق كلمتكم، تفسد نفسياتكم، يدوسكم الجبابرة، والطغاة، والظالمون، هذا هو الضلال الذي ما كان يمكن أن تقع الأمة فيه لو تمسكت بالثقلين من بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).. وأول العترة، وأول الثقل الأصغر هو: علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه).

وها نحن نرى مصداق ما كنا نتوقع ونقول، أين أسامة؟ وأين طالبان؟ أولئك الآلاف المؤلفة من الشباب الذين تخرجوا متمسكين، وملتزمين بقواعد السنية وعقائدهم، وحتى في المندوبات، والمستحبات والهيئات، أين هم؟ أين أسامة؟ كلهم تلاشوا، وتبخروا.

لكن مثل ذلك لن يحصل أبداً في آل محمد إذا ما وقفوا بصدق؛ لأن الله سيقف معهم، إذا ما وقفوا هم سيقف شيعتهم معهم، وسيقف الله سبحانه وتعالى معهم، لكن إذا ضيعوا سيتيهون، ويضيعون هم. وها نحن نرى أنفسنا ضائعين، أوليس ذلك شيئاً ملموساً، العلماء منا كل منهم قد ركن إلى عذر يرى أنه فيما بينه وبين الله معذور! وتمشي السنين، وتمشي الأحداث وهو راكن إلى ما قد اتفق عليه مع نفسه أنه مبرر له أمام الله.

إن أهل البيت لا يجوز أن يكونوا من النوع الذي يبحث عن مبررات القعود أبداً، لا يجوز أن يكونوا ممن يبحث عن التخلص من النهوض بمسئوليتهم، إنها جريمة كبيرة. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدد نساء النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) {مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} (الأحزاب: من الآية٣٠) لأنهن من حاشية أهل البيت؛ فأهل البيت بالأولى إذا ما ضيعوا، وقصروا، وعصوا، ودنسوا ساحتهم فعلاً ستكون جريمتهم أكبر؛ لأنهم هداة، ولأنهم قدوة، يجب أن يكونوا هم بالشكل الذي يشد الأمة إليهم، يجب أن يكونوا هم في واقعهم بالشكل الذي يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، وهذا هو ما ركزت عليه ودارت حوله آية التطهير: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} (الأحزاب: من الآية٣٣).

لقد كان دور أهل البيت دوراً مهماً في التاريخ كله، ولكنه في العصور المتأخرة، ونريد أن نحذر مما وقعنا فيه في العصور المتأخرة، إذا ما تثقف أهل البيت بثقافة الآخرين كما حصل في الماضي على أيدي [المعتزلة] و[الأشاعرة] و[السنية]، إذا ما اتجهوا نحو الفنون التي هي دخيلة عليهم من الآخرين؛ فإنهم سيضلون، وإنهم سيتيهون.

يجب أن نأخذ عبرة من ماضينا، وما نحن فيه في حاضرنا شاهد على الأثر السيئ للثقافة المغلوطة التي زحفت إلينا من الآخرين، ممن هم في ضلال، وفي ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، كذلك نحن يجب أن نحذر من أن نثقف أنفسنا بأي ثقافة أخرى فلا المناهج الدراسية يجوز لك أن تثقف نفسك بها، وتعتمد عليها، خذ فقط من المناهج الدراسية نص القرآن فقط، لا تاريخ، ولا عقائد، ولا فقه، ولا أي شيء آخر تعتمد عليه في المناهج الدراسية القائمة.

لا تكن ممن يأخذ أي كتاب من السوق، أو ممن يحضر أمام أي شخص يتكلم وتكون أذناً سامعة لهذا، وهذا. على أهل البيت أن يكونوا أحرص الناس على ترسم طريق الهداية، وأن تكون ثقافتهم ثقافة قرآنية، ثقافة بعيدة عن كل دخيل مضل؛ لأنهم هم سينطلقون هداة للآخرين، ولأنهم إذا ما فسدت ثقافتهم لن يكونوا مؤهلين لهداية الله سبحانه وتعالى لهم، وسينعكس آثار ثقافتهم المغلوطة الضالة التي هي دخيلة عليهم، فستنعكس بشكل قعود، وإهمال، وتقصير، وتفريط كما هو حاصل الآن فينا.

ألم يكن الواحد من أهل البيت يحرك أمة؟ هاهم عشرات العلماء من أهل البيت لا يحركون ساكناً! أليس هذا واضحاً؟ عشرات العلماء من أهل البيت في اليمن لا يكادون يحركون ساكناً من أين جاء هذا؟ قواعد في [أصول الفقه] وفي [علم الكلام] قواعد ركنوا إليها فجعلتهم يقعدون، وهم من قال الله سبحانه وتعالى لهم: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج: من الآية٧٨) وفي نفس الوقت يرون الألمان، والأمريكيين، والفرنسيين، والبريطانيين، والإسرائيليين يجوبون بحار الدنيا، فرق مقاتلة في بحار البلاد الإسلامية وأقطار البلاد الإسلامية!

وهذا يقرأ، يقرأ، ثم يبحث له عن مخرج من هذا الواجب، من هذا الأمر الإلهي، ومن هذه الآية القرآنية؛ فضاعوا، وإذا ما ضاع أهل البيت ضاعت الأمة، وضياع الأمة مسئولية كبيرة على أهل البيت، هم مسئولون عن ضياع الأمة، وضلالها.

كلما وجدنا آية فيها شرف لأهل البيت؛ فإنها مسئولية كبيرة أيضاً على أهل البيت، كلما سمعنا حديثاً فيه ذكر بالفضل، والشرف لأهل البيت؛ فإنه أيضاً تحميل لمسئولية كبيرة على أهل البيت.

إذاً فعندما نتحرك ـ أيها الأخوة ـ في هذه الأيام فإن علينا أن نكون، ولو لم يكن إلا نحن وشيعتنا، نحن، ولو لم نكن جميعاً، لا تنتظر أن يتحرك العلماء جميعهم، لا تنتظر أن يتحرك الآخرون جميعاً، إذا ما أصبحت أنت تعرف أن ما تدعى إليه حق، وأن الموقف الذي تدعى لاتخاذه موقف حق فإن هذا هو المطلوب.

ثم اسأل الآخر تجد أنه لا يرى أن موقفه موقف حق، إنما يرى أنه قد يكون ـ إن شاء الله ـ معذور، له عذره! ليست المرحلة مرحلة البحث عن الأعذار، والتبريرات، إنها مرحلة البحث عن الإمكانيات، ووسائل الإستطاعة للمواجهة، لمواجهة اليهود والنصارى، لا يجوز لأحد في هذه المرحلة أن يفكر في البحث عن التبريرات والأعذار ليقعد، وليسكت، وليتخلف.

مرحلة البحث عن كل وسائل الاستطاعة لمواجهة اليهود والنصارى، ونقول لأولئك الذين يبحثون عن تبريرات من علمائنا ـ مع احترامنا الكبير لهم ـ : انتبهوا، اقرؤوا ما عمل اليهود في البلدان الأخرى، هل أنت منتظر حتى ترى [الأمن السياسي] في اليمن مطعماً بشخصيات يهودية تحت عنوان: خبراء؟ سيعذبونك، ويعذبون أمثالك بأوهى الحجج، ممكن أن يبحثوا عن أوهى مبرر من أجل أن يأخذوك فيزجون بك، وبأمثالك إلى أعماق السجون، ثم يعذبونهم أشد العذاب؛ فترى اليهودي الذي كنت لا تفكر أن تصرخ في وجهه يوم وطأت قدمه بلادك، تراه هو من يعذبك بالكهرباء، وبالنار، وبأبشع وسائل التعذيب.

يجب أن تبحثوا عن الكتب ككتاب [اليهود وراء كل جريمة] وكتاب آخر اسمه: [قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله] وكتيبات من هذا النوع التي تتحدث عن جرائم اليهود، وما عملوه في الهند بعلماء المسلمين، ما عملوه في بنقلادش، ما عملوه في مناطق أخرى بعلماء المسلمين، أعمال رهيبة جداً، جداً.

هذا الذي يبحث عن أعذار الآن لقعوده قد يراه في يوم من الأيام يقودونه، ويسحبونه بأقدامه إلى أعماق السجون، ثم يعذبونه أبشع التعذيب، وهو لا يعرف لماذا يقودونه، ماذا عمل! يلصقون به أي تهمه؛ لأن أول هدف لليهود هم علماء الإسلام، ولا سيما إذا ما كانوا من أبناء محمد فإنها الشيء الذي يشتهي اليهودي أن يقطّع الشخص، هذا العالم عالم دين، وأيضاً من أبناء محمد، سيرى في تعذيبه أنه ينتقم من [خيبر].

هم كانوا يقولون: [يا لثارات خيبر] وهم في القدس يهتفون [يا لثارات خيبر] ما تزال أحداث خيبر ماثلة أمام أعينهم، ما يزال ما حدث على [بني قريظة] ماثلاً أمام أعينهم!.

من الذي عمل هذا؟ هو محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وعلي، محمد وعلي قد ماتا إذاً هؤلاء هم أبناؤهما سيشتهون أن يعذبوهم، وستجدون من أولئك الذين ينصبون العداء لأهل البيت، من سيتحول إلى عميل لليهود، إلى عميل لليهود! وها نحن نجد في فلسطين من يتحول إلى عميل لليهود ضد أبناء وطنه، وفي لبنان من يتحول إلى عميل لليهود ضد أبناء وطنه، ويقومون بعمليات القتل، والتعذيب خدمة لليهود من أبناء المسلمين، من أبناء لبنان، من أبناء فلسطين.

وإذا ما تمكن اليهود في اليمن، إذا ما دخل الأمريكيون اليمن فستجدون عملاءً كباراً لليهود، وستجدون الكثير ممن يتحولون إلى عملاء يستلمون بالدولار مرتبات ليكونوا عملاء يخدمون ليل نهار، وبإخلاص لليهود ضد علمائنا، ضد ديننا، ضد شبابنا، وضد كل شيء له علاقة بنا وبديننا.

إذا فلنفهم جميعاً، وهذا هو كلام على ضوء كلمة أستاذنا الفاضل [زيد] أن مسئولية أهل البيت كبيرة، وأنه لا ينبغي أن نكون في واقعنا نحتاج إلى حديث كثير، كثير، وحتى شيعتنا، وحتى شيعتنا أنفسهم ستطمئن قلوبهم إلى أن عقيدتهم صحيحة. هناك شيعتنا في هذه المرحلة لولا إيمانهم بالنصوص، لولاء إيمانهم بالنصوص القرآنية، وبأقوال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لما كان فينا ما يشدهم إلينا، لكن إذا ما كنا فعلاً كما أراد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فنحن أيضاً من سنوجد الطمأنينة في قلوب شيعتنا، فيرون أنهم لديهم الشواهد على أن اعتقادهم صحيح.

ولقد برز من شيعت أهل البيت شخصيات عظيمة جداً في أيام الرسول وفي أيام الإمام علي، وفي أيام الحسن والحسين، وفي أيام زيد، والقاسم، والهادي، وغيرهم من أهل البيت (صلوات الله عليهم)، واليمن نفسه هو من البلدان المرتبطة بأهل البيت، الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يرسل الكثير من الناس إلى مناطق أخرى لكنه اختار لليمن، وخاصة لهذا الإقليم من اليمن اختار له علياً (عليه السلام) أن يخرج إليه ليربط اليمنيين بعلي؛ وارتبط اليمنيون في تاريخهم الطويل بعلي بن أبي طالب، وبأهل البيت.

هم من استدعوا الإمام الهادي إلى اليمن، هم من كانوا ينصرون من يأتي من أهل البيت من أقصى الدنيا، من [الديلم] هم من نصروا الإمام [القاسم بن علي العياني] عندما جاء من الحجاز، قلوبهم منشدة نحو أهل البيت؛ لكن إذا ما كان أهل البيت على المستوى الذي يشد الناس إليهم، وكان أولئك الذين يأتون من أهل البيت يسهرون على مصالح الناس، يحرصون على هداية الناس، يكظمون غيظهم، يعفون، يتسامحون، منطقهم لين مع الناس، يتعاملون مع الناس كما يتعاملون مع أبنائهم أو أشد.

وكان أهل اليمن في تاريخهم يجاهدون تحت راية أهل البيت، ويتركون سلطنات أخرى قائمة على تراب هذا الوطن من [آل الضحاك] و[بني حاتم] و[آل يعفر] وغيرهم من السلطنات اليمنية، لم يكونوا يقولون: هؤلاء هم أبناء وطننا وأولئك دخلاء، إنهم منشدون إلى أهل البيت؛ لأنه كان في أهل البيت ما يشد الناس إليهم، كانوا يلمسون العدل، يلمسون الحق، كانوا يرون في الإمام الهادي، وفي أمثاله من أئمة أهل البيت روح محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ودولة علي، كانوا يرون العدل، والرأفة، والرحمة، والهداية، والحرية، والكرامة.

اقرؤوا أنتم، وأنتم أبناء الإمام [القاسم بن علي العياني] [1] ذلك الإمام العظيم، اقرؤوا سيرته وهي مطبوعة، إمام سيرته من أجمل السير، إمام بذل حياته جهاداً في سبيل الله، ولم يكن يتوانى، كان أحياناً يتفرق عنه أصحابه فيعود إلى أن يشتري له قطعة أرض، ويزرع في بلاد [سفيان] لكن لم يكن ييئس، هي فترة ويتحرك من جديد، ويحرك الناس من جديد، وينهض من جديد.

علينا أن نتعرف على أهل البيت، وعلى شيعة أهل البيت، نتعرف على تاريخنا، نتعرف على مسئوليتنا أمام الله سبحانه وتعالى.

هذا ما أريد أن أقوله على ضوء الكلمة التي سمعناها سابقاً، وأنا واحد منكم، لا أسمُ نفسي بالصلاح، ولا أسمُ نفسي إلا بالتقصير كأي واحد، وإذا ما تحدثت عن العلماء فليس حديثاً بالسوء عنهم إنما على ضوء ما نعرفه، ويعرفونه هم من تاريخنا، وتاريخ أئمة أهل البيت، أن هذه الحالة نحن نعرف أنهم غير راضين عنها، ولا نرضى عنها جميعاً خاصة في ظروف شديدة كهذه، ووضعية سيئة كهذه، ليس تهجماً على الآخرين بقدر ما هو تذكير بالمسئولية، ونصيحة لأنفسنا وللجميع.

أسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه إنه على كل شيء قدير،،،

والسلام عليكم ورحمة الله.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

[1] - [يخاطب أهل منطقة نواس بمديرية ساقين]

دروس من هدي القرآن الكريم

مسؤولية طلاب العلوم الدينية

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٩/٣/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ـ أيها الإخوة ـ ورحمة الله وبركاته

أتشرف بالجلوس معكم، شرف عظيم لنا أن نجلس في بيت من بيوت العلم، ومع شباب هم معلمون، وطلاب علم.

ونحن كطلاب علم تحدثنا كثيراً حول هذا الموضوع، ولكن مهما كان الحديث كثيراً فإن الحديث لا ينتهي، الحديث حول طالب العلم، وحول العلم، وواجب طالب العلم، وماذا يعني العلم، وما دور العالم، وكيف تكون نفسية العالم، وكيف تكون اهتماماته، حديث واسع جداً، واسع جداً ينتهي في الأخير إلى قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب: من الآية٣٩) هذه غاية العلم، وغاية طالب العلم، وغاية العالِم.

أن أتعلم ولا يتصل بمعرفتي بالله سبحانه و تعالى وأنا أقول إن من بنود جدول حصصي اليومية مادة تسمى [أصول الدين] يقال عنها أنها أشرف العلوم؛ لأنها تهتم بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وعندما أتناول معرفة الله وأجد نفسي في الأخير أخاف من ظِلِّي وأنا أحمل علماً، وأنا طالب علم، والمجتمع كله ينتظر من يحمل علماً، ما هي نظرته؟ ما موقفه؟ ما عمله؟.

شيء طبيعي لدى الناس جميعاً، ومعروف في عصرنا هذا أنه يقال: أن الطبقة المثقفة هي الأصل في المجتمع، هي التي يتوقف على نشاطها تغيير وضعية المجتمع أي مجتمع كان، وأي ثقافة كانت، الطبقة المثقفة في المجتمع. ليس هناك أعلى ثقافة من ثقافة القرآن الكريم، وليس هناك أسمى وأسنى غاية وهدفاً من غايات يرسمها القرآن الكريم.

عندما أقول: أنا طالب علم وهاأنذا أقرأ مادة تهتم بمعرفة الله سبحانه وتعالى، ثم أراني في الأخير أضعف نفسية، أضعف موقفاً، أضعف اهتماماً من أولياء الشيطان! إن هذا في المقدمة هو إساءة إلى الله سبحانه وتعالى، في المقدمة إساءة إلى الله أن يبرز أولياؤه، ومن يحملون عناوين مرتبطة به: [معرفة الله]، [دين الله]، [كتاب الله]، [سنة رسول الله]، [رجاء ثواب الله]، [خوف عقاب الله]، أليست كلها عناوين ترتبط بالله في الأخير؟. ثم نجد أنفسنا لا أثر لنا في الحياة، ولا بنسبة يصح أن تُعد نسبة مقارنة بما يتركه أولياء الشيطان من أثر في الحياة!.

لماذا؟ هل لأن الله سبحانه وتعالى الذي نرتبط به بعناوين كهذه هو من لا يمكن لأوليائه أن يكونوا هم الأعلون، أن يكونوا هم الأعزاء، أن يكونوا هم الواعين، أن يكونوا هم الأقوياء، فأنت ارتبطت بضعيف، وارتبطت بمن لا يعرف كيف يوجهك، ارتبطت بمن لا يعرف كيف يهديك! أم أن كل الخلل من عندنا نحن؟.

لا يصح أن يقال في الله سبحانه وتعالى، وهو من وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الحشر:٢٣) هذه أسماء الله الحسنى وصف بها ذاته سبحانه وتعالى.

وكيف وصف الشيطان؟ كيف الشيطان؟. مذموم، مدحور، مطرود، ملعون، ضعيف، {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء:٧٦)، لكن لماذا نرى أن أولياء الشيطان الضعيف، المدحور، المذموم، الذي لا يمتلك علم غيب، ولا يمتلك جبروت، ولا يمتلك قدسية، ولا يمتلك إلا وسائل بسيطة جداً، هي الوسوسة إلى أوليائه من الجن والإنس.

لماذا أولياء الشيطان هم يبدون في الصورة هم كل شيء في هذه الحياة، كل شيء بأيديهم حتى ثقافتنا نحن بأيديهم، حتى طغى ما يقدمونه هم لنا على ما قدمه الله سبحانه وتعالى لنا؟ أليس هذا إساءة إلى الله، وتصغير لما عظّم الله؟. ما السبب في ذلك؟. هو أننا فعلاً لا نحاول أن نعرف الله بالشكل المطلوب؛ لذا نرى أنفسنا ضعافاً؛ لأننا لا نثق به، لم نصل إلى درجة أن نثق به.

الإنسان بدون الله ضعيف، الإنسان بدون الله ـ وإن حمل عناوين ارتباط بالله ليس ارتباطاً حقيقياً واعياً ـ فهو ضعيف، حينها ينعكس ضعفي على كل شيء حتى ما أقدمه باسم الله.

أجمع لي مجاميع من طلاب العلم، وأقدم لهم الدين والعلم، أليس هذا أقدمه باسم الله؟ فينشأون ضعافاً لا وعي لديهم، لا اهتمام لديهم، لا شعور بمسؤولية؛ لأنهم نسخة مني، نسخة أخرى ونسخ متكررة لي، ضعفي ينعكس على أقوالي، ضعفي ينعكس على مواقفي، ضعفي ينعكس بشكل سلبيات تجعلني أجهل الكثير، الكثير مما يدور حولي، وحينها، وفي الأخير نرد اللائمة على الله سبحانه و تعالى نفسه، أنه هو الذي طبع الحياة على هذا النحو بأن جعل الضعف والمصائب، والإبتلاءات الشديدة، والضَّعة، والمسكنة لأهل الحق، [أهل الحق يكونون عادة ضعافا مساكين لا يستقيم لهم شيء، ولا تجتمع لهم كلمة، والدنيا هكذا حالها لا تسير ولا تستقيم، والباطل ينتشر فيها!!].

أو يرد باللائمة أيضاً على الناس، أن الناس هم هكذا يقبلون الباطل أكثر مما يقبلون الحق، [الناس هكذا بطبيعتهم لا يريدون الحق، الناس هكذا وهكذا..] قبل أن نجرب الناس، بعد أن نصحح وضعيتنا مع الله سبحانه وتعالى فنرتبط به، ونثق به، ثم نفهم دينه، نفهم نظرة دينه للناس، نظرة الدين للإنسان، نظرة الدين للحياة، نظرة الدين للآخرة، نظرة الدين للأحداث؛ لذا نرى أنفسنا في حالة غريبة جداً، بعد أن صبغنا الحياة بضعفنا، وانطلق كل شيء منا يعكس حالة الضعف في أنفسنا لا نلتفت ولو مرة التفاتة واعية إلى القرآن الكريم، هل فعلاً هذا هو حصيلة القرآن الكريم؟ أم أن القرآن الكريم له وجهة نظر أخرى، وله أساليب في التربية أخرى، وله غايات أخرى، وله نموذج خاص في صياغته للإنسان.

لذا نرى أنفسنا بناءً على هذه الغلطة التي نحن فيها أن كل شيء من حولنا لا نكاد نفهمه، بينما القرآن الكريم ليس فقط يوجهك أو ينذرك بأن هناك خطورة بل يضع برنامجاً كاملاً يشرح لك الخطورة في هذا الشيء، منبع الخطورة فيه، ثم يؤهلك كيف تكون بمستوى مواجهته، ثم يقول لك كيف ستكون الغاية أو النتيجة السيئة للطرف الآخر في واقعه عندما تواجهه، ثم يقول لك أن الله سيكون معك، بل إن الحياة والأمور كلها ستتغير بالشكل الذي يكون بشكل تجنيد لما هو جند لله سبحانه وتعالى في السموات والأرض في الاتجاه الذي تسير إليه إلى جانبك في مواجهة ذلك الخطر، الخطر على البشرية، والخطر على الدين.

افتقادنا للثقة بالله سبحانه وتعالى وافتقادنا للمسؤولية التي يريد الله سبحانه وتعالى منا أن نستشعرها دائماً هي وراء هذه الحالة من اللاوعي المنتشرة في أوساطنا، لدرجة أن البعض قد يرى بأن عليه أن ينصرف عن مثل هذه الأشياء، وأن يهتم بالقراءة، القراءة يتصورها أنها هي كل شيء.

أوّلاً: افهم إذا كنت طالب علم ما هو العلم الذي تطلبه؟ علم من؟ ما هي غاياته؟ وعندما تصبح إنساناً يحمل علماً أن تكون فاهماً ما هي مسؤوليتك؟ ما هو دورك في الحياة؟ إذا لم ينطلق الإنسان على هذا الأساس فلن يكون أكثر من إضافة رقم ضعيف إلى أرقام ضعيفة تملأ الساحة ولا تصنع شيئاً.

الله سبحانه وتعالى أراد منه أن يكون على مستوى عالٍ من الفهم والوعي، والإيمانُ ـ الذي نقرأ آيات كثيرة في كتاب الله وهي تردده بصيغ متعددة ـ هو من وجهة نظر القرآن هو وعي، إيمان واعٍ، بصيرة {قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} (يوسف: من الآية١٠٨)

الله يريد من الإنسان المسلم أن يكون واعياً، وكيف لا يكون واعياً من يمتلك القرآن الكريم؟!. أما طالب العلم، أما العالم فإنه من يُفترض فيه أن يكون على مستوى أعلى وأعلى من الوعي؛ لذا لا أحد يستطيع أن يقدر حجم الخسارة التي نحن فيها، ونحن نمتلك القرآن الكريم؛ لأن أي أمة تمتلك القرآن الكريم وترى واقعها على النحو الذي نشاهده هي في الواقع أمة خسارتها عظيمة، خسارتها جسيمة جداً.

من العار ومن العيب ـ قبل أن نقول من الإثم ـ أن يكون بنو إسرائيل، أن يكون أولياء الشيطان هم أكثر اهتماماً منا، أكثر وعياً منا، أكثر فهماً منا، أقرب إلى بعضهم بعض في اتخاذ مواقف تخدم مصالحهم منا، ونحن من نمتلك القرآن الكريم، ونحن من نمتلك الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أليس هذا من العيب؟ أليس هذا من**

العار؟ أليس هذا من الكفر بنعم الله سبحانه وتعالى بالقرآن وبالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ الكفر بنعمة عظيمة.

القرآن الكريم هو كتاب مهم، كتاب مهم جداً جداً، قال عنه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يتحدث عنه: ((فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم)) ماذا يعني بعبارة (خبر ما بعدكم)؟. الإنسان الذي يتابع الأحداث، ويتأمل القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم قد سبق إليها، لكن هل معنى السبق هو السبق الذي يتحدث عنه من يبحثون عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فيقول: إن الحقيقة العلمية التي قد اكتشفت على هذا النحو القرآن قد سبق إليها؟.

ليس هذا هو المقصود، هذا شيء آخر، جانب آخر، القرآن الكريم يتحدث عن أسس الأشياء في معظم ما يتناوله، ويتحدث عن أن تلك الآيات التي سطر فيها تلك الأخبار أنها حقائق، ولذلك قال سبحانه وتعالى: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ}(البقرة: من الآية٢٥٢) **سماها آيات أي: حقائق {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**(آل عمران: من الآية١٠٣)

ما هو الاهتداء؟ أليس هو الوعي؟. أليس هو الفهم الذي يدفعك إلى الالتزام والعمل وفهم الأمور، وفهم القضايا، وفهم ما تستلزمه مسيرتك العملية على منهج القرآن؟ {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} حقائقه، حقائق.. هذا الذي أريد أن نفهمه أولاً: أن آيات الله تعني حقائق، حقائق واقعية {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

إساءة إلى القرآن الكريم أن لا نهتدي به، وكفر بنعمة الله العظيمة أن لا نهتدي به، وسبب من أسباب السخط الإلهي علينا أن لا نهتدي به، وسبب من أسباب الذلة والخزي أن لا نهتدي به.. لقد قال عن بني إسرائيل عندما حكى عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض أن عاقبتهم كما قال تعالى: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ}(البقرة: من الآية٨٥) **{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**(البقرة١١٤) **لماذا؟. هم لم يهتدوا لم يسيروا على هدي بعض آياتٍ أو إصحاحات أو ما ندري كيف عناوينها في كتابهم، لم يسيروا على هديها فاستحقوا أن تكون عاقبتهم الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة، والمسألة واحدة، من يمتلكون القرآن ولا يهتدون به.**

إن الجزء الأكبر الذي لا تهتدي به هو أشبه شيء بالكفر به، فموقفي من القرآن الكريم كموقف اليهود من التوراة.. مثلاً: هو لا ينكر أن تلك العبارة هي مما أنزله الله، مما أوحاه إلى موسى (صلوات الله عليه) كما نحن جميعا نؤمن أن هذه الآيات هي مما أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى رسوله وأنها من عند الله، لم يكن اليهود يضعون أصفاراً على بعض مفردات كتابهم وينكرونها. لا، وإنما كانوا لا يهتدون بها، ولا يسيرون على هديها فسميت تلك الحالة كفر ببعض وإيمان ببعض.

لو نستعرض لربما وجدنا نسبة الكفر لدينا بكثير من كتاب الله ربما أكثر مما حصل عند بني إسرائيل فيما يتعلق بالتوراة! والقرآن الكريم هو أعظم بكثير من التوراة؛ لذا قال الله عنه أنه مهيمن على كل الكتب السابقة، مهيمن عليها، هو يعتبر المرجع، هو يعتبر الأساس، هو أوسع، هو أشمل.

فعندما نكون نرى واقعنا على هذا النحو إن ذلك يعني أننا لا نهتدي بكتاب الله، وحينها سنستحق كلما تحدثنا عنه سابقاً بما فيه الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة، نسأل الله سبحانه وتعالى المخرج من حالة الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة.

كل لقاء نجتمع فيه ينبغي لطالب العلم، ينبغي لكل مسلم في المقدمة ناهيك عن طالب العلم ومن يحمل علماً، أن يكون ما نسمع عنه من أحداث هي محط اهتمام الجميع، فعلاً قد يكون هناك اهتمام لكن إذا لم نرجع إلى القرآن الكريم فسوف نهتم ثم نرى الأجواء مقفلة ثم نعود إلى وضعيتنا السابقة ونقول: [ماذا نصنع؟].

نحن ننسى أن القرآن الكريم يهدي الناس بشكل عجيب، يهدي الناس لدرجة أنك تستطيع أن تقول: أنه ليس هناك أي مجالات مقفلة إطلاقاً أمام من يهتدون بالقرآن، ليس هناك مجالات تكون مقفلة.

أحيانا قد نتحدث بأننا ضعاف، ننسى ما حكاه القرآن الكريم حول من يحملون شعوراً كهذا، ننسى أننا نمتلك طاقات هائلة وجبارة يكشفها لنا القرآن الكريم.. تتلخص في ماذا؟ هو أن هناك مسيرة معينة، هناك أشياء معينة متى ما كنت عليها كان الله معك، متى ما كنا عليها كان الله معنا، ومتى كان الله معنا فهو من لا تستطيع أي قوة أخرى أن توقف إرادته.

وضرب الأمثلة الكثيرة في القرآن الكريم على ذلك: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} (يوسف: من الآية٢١) **ألم يذكر لنا قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم بشكل يتكرر كثيراً في القرآن؟. لكننا قد نقول: [هذه القصة لا نجد فيها أحكاماً شرعية]، نحن نبحث فقط عن أحكام شرعية، هكذا علمنا أصول الفقه هو [أن مهمة العلم وطلب العلم هو البحث عن أحكام شرعية، هذه مجرد قصة لا أجد فيها حكما شرعيا إذاً هي ليست من الآيات الخمسمائة التي تدون كآيات هي يجب أن يطّلع عليها المجتهد ليجتهد، وأنا أريد أن اجتهد يهمني هذه الآيات، وتلك آيات أخرى حكى الله عنها فيها عبر ودروس].**

أنسى أن فيها عبر ودروس متعلقة بواقعي، متعلقة بتربيتي، متعلقة بتهذيب نفسي، متعلقة بتعزيز ثقتي بالله، متعلقة بوضع رؤية صحيحة إلى الحياة، بوضع رؤية صحيحة إلى قدرة الله وإرادته النافذة التي تجعل كل المجالات لا يمكن أن تُقفل أمام من يسيرون على هديه.

فعندما أُخبِر فرعون بأن زوال ملكه ـ كما أخبره الكهان والمنجمون ـ أن زوال ملكه سيكون على يد غلام من بني إسرائيل اتجه إلى اتخاذ قرار بقتل من يولد من بني إسرائيل، بقتل الأطفال، ماذا حصل؟ الله سبحانه وتعالى اتجهت إرادته إلى أن يجعل فرعون هو من يربي ذلك الغلام الذي سيكون زوال ملكه على يديه.. لاحظوا يقتل أولئك الأطفال في تلك البيوت هناك وهناك، ويربي الغلام والطفل الذي سيكون زوال ملكه على يديه، في قصره يغذيه بأفضل التغذية، ويحوطه بأحسن الرعاية.. لماذا؟. لأن الله غالب على أمره.

نحن من نقول: [نحن مستضعفون، نحن ضعاف، لاحظوا كيف أولئك]. ننسى أن الله في القرآن الكريم عرض لنا أمثلة كثيرة على أن الله غالب على أمره، ارتبط وثق بمن هو غالب على أمره، فإذا ما ارتبطت ووثقت بمن هو غالب على أمره، بمن لا يستطيع أحد أن يهدي إلى ما يهدي إليه.

نحن قلنا في كلام بالأمس مع بعض الإخوان أنه من الأشياء العجيبة أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو يحدث الناس عن أعدائهم في مجال تأهيل المؤمنين لمواجهة أعدائهم ـ يخبرهم بأن أولئك الأعداء على هذا النحو: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١).

هل أحد يستطيع من ضباط المخابرات الأمريكية، أو مخابرات أي دولة مهما كانت تمتلك أدق الأجهزة، وأكبر الخبرات في هذا المجال، هل أحد منها يستطيع أن يرفع قراراً إلى البيت الأبيض بأنه في حالة المواجهة مع إيران، أو حالة المواجهة مع طرفٍ ما [فإنهم لن يضروكم إلا أذى، إن أولئك المسلمين لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون]. هل أحد يستطيع؟. كلها احتمالات، نحاول أن نعمل كذا، ربما من أجل يحصل كذا، لكن الله هو من يقطع، لأنك ارتبطت بمن هو عالم الغيب والشهادة، بمن هو عالم بذات الصدور، بمن هو عالم بالإنسان بخصائص نفسه، بمن بيده ملك السموات والأرض، يهيئ ويغير، كل ما في السموات والأرض بيده، أنفس الناس بيده، هو من استطاع أن يملأ قلوب المشركين رعباً في بدر.. أليس كذلك؟. هل أحد يستطيع أن يرفع قرارا كهذا؟.

لكننا نحن متى ما جهلنا عظمة إلهنا، متى ما جهلنا ماذا يعني ملك الله، أنه الملك، ماذا يعني أنه عالم الغيب والشهادة، متى ما جهلنا معاني أسمائه الحسنى حينئذ سنبقى ضعافاً.

فنحن نقول: إن أهم مصدر لمعرفة الله لمن يريد أن يعرف الله وأشرف العلوم الذي يجب أن تهتم به في مجال معرفة الله بالذات هو القرآن الكريم، اعرف الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم، كتب علم الكلام لا تستطيع أبدا أن تصنع لك معرفة تربطك بالله بالشكل الذي يصنعه القرآن الكريم لا يمكن أبداً.

فنحن نسيء إلى أنفسنا إذا ما اعتقدنا بأننا سنهتدي بغير القرآن أكثر مما نهتدي بالقرآن. والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول في ذلك الحديث الطويل: ((ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)) وأنت تَنْشُدُ الهدى، وأنت تبحث عن الهدى، وأنت لا تعطي أولوية مطلقة للقرآن الكريم في مجال أن تهدي نفسك، وأن تهدي الآخرين فإنك ستضل، وتضل الآخرين.

ولا يعني الضلال هنا هو أنك ستدخلهم في معصيةٍ مّا من المعاصي المعروفة، الضلال بمعنى الضياع، ستضيع أنت وتضيّع الآخرين معك.

[ضياع حتى فيما يتعلق بالمعرفة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى ولهذا يروى عن الإمام القاسم أنه] قال: (ما عُرِف أن متكلماً خشع) من علماء الكلام (ما عُرِف أن متكلماً خشع)؛ لأن المعرفة التي تقدمها كتب [علم الكلام] محدودة جداً.

[القرآن هو أهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى] وهذا هو رأي [الإمام القاسم بن محمد] الذي نقله عنه مؤلف شرح الأساس الكبير الشرفي بعد أن حصل حديث وخلاف حول هل يصح الإستدلال على معرفة الله بالآيات القرآنية أم لا؟ فاختلفوا، بعضهم قال: بالآيات المثيرة، وبعضهم قال: بها مطلقا، قال: (القرآن هو أهم مصدر لمعرفة الله، ومن لم يقل بذلك أو أنكر ذلك فقد رد قول الله تعالى: {هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (إبراهيم:٥٢)).

أليست هذه غايات أربع مهمة؟ لا تستطيع أن تحصل عليها إلا من خلال القرآن الكريم؟ وإذا ما رأيت نفسك أنك حصلت على شيء منها بالاعتماد على مصادر أخرى فإنما هي نسبة ضئيلة ربما قد يترافق معها من السلبيات أكثر من الإيجابيات؛ لهذا نقول: إن من يعرف الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون على وضعية تختلف عما نحن عليه.

نرجع إلى موضوع موسى وفرعون، ما الذي حصل؟. نشأ موسى في قصر فرعون، تربى في قصر فرعون، وموسى عندما نشأ كيف كان ينظر إلى نفسه وينظر إلى الآخرين؟. ـ وفي هذا درس يجب أن يهتم به كل طالب علم، كل من يريد العلم ـ نبي الله موسى لم يقل: الحمد لله أنني هاهنا في هذا القصر آمن والآخرون يُقتلون، كان يهتم بأمر الآخرين، كان يهتم بشأن المستضعفين، كان لا يرى كل ذلك النعيم الذي هو فيه، وذلك الأمن الذي هو فيه، وذلك المقام الرفيع الذي هو فيه لا يراه شيئاً أبداً مقابل ما يرى من ظلم للمستضعفين، مقابل ما يرى من جبروت فرعون.

فعندما كان على هذا النحو، لديه اهتمام بأمر الآخرين، يهمه أمر الناس، يهمه أمر المستضعفين من عباد الله قال الله عنه: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤) {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} هذه العبارة تعني أنها سُنَّة إلهية، أنه يمنح الحكمة والعلم من توفرت فيه هذه الصفة فكان من المحسنين.

ما هو الإحسان؟ هل هو ما يقال: [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك]. هذه، عبارة [تعبد الله] عبارة واسعة ومهمة، لكن الإحسان في القرآن الكريم قد تناوله القرآن في عدة مواضع كلها تبدو أنها اهتماماً بأمر الآخرين، اهتمام بأمر الدين، والدين مرتبط بالآخرين. {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤).

حتى تعرف أنه محسن، وتعرف أن الله منحه حكمة، ومنحه علماً، لاحظ كيف أنه عندما رأى رجلين يقتتلان واحد من الفئة المستضعفة في المجتمع وواحد من الفئة المستكبرة، هاجم هو ذلك القِبْطِي الذي هو من الفئة المستكبرة من الفراعنة {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} (القصص: من الآية١٥). ثم هل ندم على ما صنع؟ باعتبار أنه أضر بمصالحه، وأنه عرض نفسه للخطر، وأنه.. وأنه.. ما الذي حصل لديه؟. قال فيما بعد ـ عندما رأى نفسه أنه اتخذ موقفا هو الذي ينبغي لمثله أن يتخذه، أنه وقف موقف حق ـ عدّها نعمة كبرى من نعم الله عليه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص:١٧).

موقف عظيم، ليس موقف من يبحث عن المبررات، عن التبريرات الشرعية، عن حِيَل شرعية، عن وجه شرعي للقعود للجلوس، للسكوت عما يرى، لإغماض عينيه عما يناله الآخرون من الظلم والاضطهاد. لا.. ولم يندم على ما صنع بل عدّها نعمة كبرى عليه من الله أن اهتدى إلى أن يتخذ مواقف، مواقف حق {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}. أصبح ولياً من أولياء الله، وهو قبل النبوة، قال هذه العبارة قبل النبوة. متى جاءته النبوة؟ عندما عاد من الشام وهو في طريقه إلى مصر جاءته النبوة.

{رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} عندما اتجه بعد أن أخبره أولئك الناصحون له أن يخرج من المدينة خرج وهو غير نادم أيضاً على أنه اقترف عملاً أدى به إلى أن يُفوت نعمة كبرى عليه، وإلى أن يؤدي به الحال إلى أن يخرج من المدينة، خرج منها وكله شوق إلى الله، وكله حب لله، وكله ثقة بالله سبحانه وتعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} (القصص:٢٢).

ولأنه يحمل النفس الكبيرة، يهتم بالآخرين، ذكر الله عنه تلك القصة في الطريق {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} (القصص: من الآية٢٣) **أهمه أمر المرأتين يسأل لماذا؟. لماذا هن وأغنامهن بمعزل عن الآخرين؟. لم يقف هناك ويقول: أنا تاعب لا أستطيع أن أعمل شيئاً، أو لا يتساءل عن حالة تلك الفتاتين، بل اهتم بالأمر وانطلق ليسألهما عن لماذا؟ {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا}** (القصص: من الآية٢٣) **؟!.**

هذا شأن من يهتم هو أن يسأل، من يهمه أمر الآخرين.. بعكس ما نحن عليه، نحن لا نسأل بل نحن لا نكاد أن نفهم، لا نكاد أن نعي من يذكرنا بأمر الآخرين، أما موسى فإنه من سأل، وهو تاعب {مَا خَطْبُكُمَا}؟. {قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} (القصص: من الآية٢٣) **نحن لا نزاحم مع الآخرين، وليس هناك من يقوم بهذا العمل غيرنا.**

لم يقل: [إذاً امسكن طابور حتى يخرجوا، أنا تاعب والله سأرتاح لا أستطيع أن أعمل لكم شيء، امسكن طابور حتى ينتهي الرعاة من سقي مواشيهم ثم..]. ذهب هو ليسقي لهما؛ لأنه يحمل روحاً كبيرة. (محسن، محسن) هذه العبارة المهمة.

والإحسان دائرة واسعة، يدخل ضمنها الإيثار على النفس حتى أنه في مجال النكتة عندما تحدثنا عن هذا الموضوع قلنا لبعض الشباب ونحن نتحدث معهم: لاحظ متى ما وجدت عندما تقدم المائدة لطلاب علم تقدم لهم لحم مثلا تجد هناك من يحاول أن يَقْضِم أكثر، يضعه في يده ويلتهمه فإن هذا لا يصلح أن يحمل علماً، بل هذا لا يحصل على علم، ليس محسناً، يهمه أمر نفسه فقط، يهمه أمر نفسه! هذا ليس محسناً، المحسن يهتم بالآخرين حتى في أبسط الأشياء.

وقف بديلاً عن ذلك الإسرائيلي المستضعف ليقتل خصمه، أليست هذه قضية كبيرة؟. ووقف بديلاً عن تلك الفتاتين ليسقي لهما، له نفس يتميز بها هي نفس الإنسان المحسن.

لما عاد إلى الظل ماذا قال؟ لم يتأوه أنه أين أصبحت؟ لا أمتلك شيئاً وأنا من كنت في نعيم، وكنت في مقام رفيع، وكنت.. وكنت.. ماذا قال؟ يعبر عن ثقته بالله سبحانه وتعالى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص: من الآية٢٤) **أليس هو هنا يعبر عن أنه في حالة لا يمتلك فيها شيئاً، لكنه ليس في حالة النادم؟ هو في حالة المرتاح لما هو عليه باعتباره موقف صحيح، وحالة من هو مرتبط بالله، يعلم أن ما لدى مولاه هو أكثر مما فاته لدى الآخرين، أن يرتبط بالله هو أفضل وخير له من أن يرتبط بفرعون ومقام فرعون ونعيم فرعون، وثقته العظيمة لا ترتبط بالشكليات أمام عينيه: هناك قصور وهناك نعيم، ثقته بالله ـ وإن كان في أمس الحاجة إلى أبسط الأشياء ـ لا تتضعضع {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.**

لاحظ كيف انتهى المشوار الذي قد يكون عند الآخرين يعني الضياع والابتلاء والمصائب والمشاكل، فعلاً أدى بموسى ذلك الموقف إلى أن يصل إلى هذه الحالة، لكنه ارتبط بمن لا يضيع أولياءه، ارتبط بالله الذي لا يضيع أولياءه، ألم يصل موسى إلى درجة الصفر؟ {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} يبدأ المشوار التصاعدي

الذي يبرهن على أن الله لا يضيع أولياءه من بعد تلك الحادثة {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} (القصص: من الآية٢٥) ما هذا بداية المشوار أن يحصل على الرعاية؟.

{قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} (القصص: من الآية٢٥) انطلق {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ} (القصص: من الآية٢٥) أليس هذا أول نعمة؟ وأول ما حظي به؛ لأنه وثق بالله؟ هل فكر عندما رأى نفسه لا يمتلك شيئاً أن يعود من جديد إلى فرعون ويعتذر مما صنع؟ أم أنه كان في تلك الحالة عظيم الثقة بربه فلم يضيعه الله، فبدأ مشوار الرعاية الإلهية من هنا.

تحقق له الأمن {لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (القصص: من الآية٢٥) ثم ماذا؟ زوَّجه بإحدى بناته، وبقي عنده فترة طويلة، ثم بعد ذلك يتوجه إلى مصر بأغنامه، بمواشيه مع زوجته، ثم في الطريق حتى لا يعود إلى مصر إلا وهو في أعلى مقام يمنحه الله سبحانه وتعالى، خرج من المدينة خائفاً يترقب أليس كذلك؟ إنساناً عادياً فليعد نبياً يهدد جبروت وملك ذلك الطاغية، فتأتيه النبوة في الطريق، لماذا لم تأته النبوة وهو في بيت شعيب؟ أو ينتظر الموضوع حتى يصل مصر؟ في الطريق، مشوار تصاعدي نحو الكمال الإلهي والرعاية الإلهية، مصاديق الرعاية الإلهية، الدلائل العظيمة على أن الله لا يضيع أولياءه، تأتيه النبوة في الطريق فيدخل مصر وهو رسول لله، رسول لله واثق من الله، يرى أن غاية تلك الرسالة قد تكون في الأخير هو أن ينتهي ذلك الجبروت وذلك الظلم.

خرج خائفاً فيعود إلى مصر فيدخل قصر فرعون ويطالب فرعون بتوحيد الله وعبادته، ويطالبه أيضاً بتحرير بني إسرائيل {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُم} (طه: من الآية٤٧).

القضية التي أهمته في البداية هاهو يعود لتحقيقها والمطالبة بها وهو في أرقى مستوى، أليس الله معه هنا؟ {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُم} تأتي مسيرة النبوة في مصر.. وماذا يحصل؟ في الأخير يحكي الله عن تلك المرحلة في تلك الآية العظيمة التي هي عبرة للناس جميعاً {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (القصص:٦) يقول هذه قبل بداية القصة {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} (القصص: من الآية٧) ثم تكلم عن القصة.

ما الذي حصل؟ ألم ينته جبروت فرعون وهامان على يد موسى؟ ألم ير أولئك المستضعفون فرعون وقومه في أعماق البحر؟. هذه رعاية إلهية تكون لأوليائه، ومثل يضربه الله للسائرين على هديه.

من الذي يحتاج إلى فهم دروس داخل هذه القصة؟ من الذي يحتاج؟ من يبحث عن ما يسمى بحكم شرعي؟. ونحن حتى ننسى مثلا أن هناك واجبات شرعية علينا كطلاب علم كحملة علم أمام الآخرين، ننسى حتى أن نصنِّفها ضمن قائمة الأحكام الشرعية.

القصة هذه يحتاجها كل إنسان يحمل اسم إيمان، يحمل اسم تقوى، يأخذ منها الدروس العظيمة التي تعزز ثقته بالله من حيث أن الله صادق في وعده، لا يضيع أولياءه، ومن حيث أن الله قادر قاهر، عالم جبار، غالب على أمره.

وهكذا يأتي مثل آخر في نبي الله يوسف (صلوات الله عليه) ونفس الكلام: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف:٢٢)

عندما تكون محسناً اللهُ سبحانه وتعالى يرزقك علماً، يرزقك حكمة، إذا لم تكن محسن فما لديك من العلم قد يكون وَبالاً عليك، ووبالاً على المجتمع! كيف؟.

عندما يبرز مثلا مجموعنا أو نصفنا علماء لكننا علماء لا نهتم بشيء سنكون وَبالاً على المجتمع؛ لأن المجتمع نفسه قد يصل به الحال إلى أن يُظلم، ويُضطهد، ويضيع، وتمسخ أخلاقه، وتفسد معتقداته ونحن صامتون. من المسؤولية عليه؟ أليست المسؤولية على من يحمل علماً؟ أليس واقع ذلك المسكين في المدن أو في الأرياف عامّة الناس من قد يضلون من حيث لا يشعرون، قد تفسد عقائدهم، تفسد أخلاقهم، يُظلمون، يضطهدون، وأنت يا

من تحمل علماً وترتبط بكتاب الله ليس لديك أي موقف أن تهدي الآخرين، أن تبين للآخرين، أن تتبنى مواقف فيها إحسان إلى أولئك الآخرين.

ألم يَعُد الله سبحانه وتعالى الجهاد إحسانا عظيما عندما قال: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٦٩) لماذا الجهاد إحسان؟ إحسان إلى من؟ أليس إحساناً إلى الأمة؟ أنت عندما تجاهد، تجاهد من أجل من؟ في سبيل الله والمستضعفين. أنت عندما تجاهد إنك تقدم أفضل وأحسن خدمة للمجتمع، تنقذهم من الظلم، من الفساد، من الضياع، تنقذهم من شرور كثيرة جداً، أليس هذا هو من الإحسان؟ الله يعد بالهداية للمحسنين.

أنت عندما تكون طالب علم هل تريد أن تهتدي وتهدي الآخرين؟ هل أنت تَنْشُد الهداية من الله؟ أم أنني أرى أن الهداية لها برنامج خاص لا يحتاج إلى أن أسلك هذه الطريقة التي سماها الله سبحانه وتعالى [إحساناً]، أنا لا أحتاج إلى الله، هناك طريقة معينة! الهداية كلها مرتبطة بالله، وقد كررنا هذا الكلام أكثر من مرة؛ لأننا نحن طلاب العلم أحوج الناس إلى أن نعرف هذه القاعدة: أن الهداية يجب أن تنشدها من الله، مع قراءتك مع مطالعاتك، مع طلبك للعلم، يجب أن تنشد الهداية من الله، بأن تسلك أسبابها حتى تحصل على العلم، وتحصل على الحكمة، ومتى ما حصل الإنسان على العلم والحكمة، متى ما كان محسناً حينئذ قد يكون علمه هدى، قد يكون في علمه ما يهدي نفسه ويهدي الآخرين فيكون عنصرا خيراً، يعمل في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين من عباده.

إذا لم يكن لدينا هذا الشعور، أنا أقول إذا لم يكن لدينا هذا الشعور فلا ينبغي أن نطلب العلم.. أنت تطلب العلم من أجل ماذا؟ لو سألنا أي واحد منا: هل أنت تطلب العلم من أجل ماذا؟ هل من أجل أن تصبح عالماً تحظى باحترام الآخرين فقط، تحظى بإجلال الآخرين فقط؟ أم أنك تريد أن تعرف ما ينبغي أن تعرفه من هدي الله سبحانه وتعالى، من هدى الله.

أطلب العلم أي أتعرف على دين الله الذي أهتدي به وأهدي الآخرين به، الذي أسير عليه في حياتي، وأعمل على أن يسير الآخرون عليه في حياتهم، أليس هذا هو ما يجب أن يكون هدف طالب العلم؟.

إذا كنت تريد هذه الغاية فاسلك السبيل التي رسمها الله في القرآن الكريم.. لا تتصور أن كل شيء هو في الفنون الأخرى، ليس كل شيء في الفنون الأخرى، بل ربما فيها ما يعيقك عن أشياء عظيمة ومهمة داخل كتاب الله سبحانه وتعالى.

إذا كان ـ ولا سمح الله ونعوذ بالله ـ هدف الإنسان من وراء أن يطلب العلم هو أن يحظى بماذا؟ بأن يقال له عالم، أن يحظى باحترام الآخرين وإجلالهم حينئذ سيكون هو من يعرض نفسه ويعرض المجتمع لمساءلات كثيرة جداً أمام الله سبحانه وتعالى يوم يلقاه، ويعرض نفسه والمجتمع لضياع في هذه الدنيا.. إذا كنا مثلاً لا نفهم أن علينا ونحن طلاب علم في مرحلة كهذه أن نتحقق المسألة نتحقق القضية حتى نرسم الغاية الصحيحة التي نرى فيها إنقاذ أنفسنا وإنقاذ المجتمع، فلن نكون أكثر من نسخ متكررة لمن هم لا يقدمون ولا يؤخرون، بل لا يكادون يفهمون ما يدور حولهم.

الإنسان عليه أن يعتمد على الله سبحانه وتعالى، وعليه أن يفهم أن في هدى الله ما يجعل علمه واسعاً، ما يجعل وعيه عالياً، ما يجعل فهمه ثاقباً، ما يجعل روحه قوية، ما يجعل نفسه قوية، ما يجعله جديراً بأن يسمى ولياً من أولياء الله، الذي هو في واقعه أضعف من أولياء الشيطان، نفسيته أضعف، علمه أضعف، قدرته أضعف، وعيه أضعف، كيف يمكن أن يصح أن يقال له ولي الله؟. كيف يصح أن يقال له ولي الله؟. بل كيف يصح أن ينسب إلى الله؟. فيقال بأنه [عبد الله]، يقال له [ولي الله]، وأنت في واقعك أدنى وعياً، وأدنى فهماً، وأقل اهتماماً من أولياء الشيطان.

أليس بنو إسرائيل؟ أليس اليهود وهم يعملون على إقامة دولة إسرائيل يقال عنهم أنه كان لديهم اهتمام كبير لدرجة أنه كان أي أسرة قبل أن تُقْدُم على الطعام بعد أن تضع المائدة تقف الأسرة كلها من حول المائدة وكلهم يقسمون أولاً قبل أن يجلسوا على الطعام يقسمون بالله أن يعملوا جادين جاهدين على إقامة وطن لليهود.

وعندما تحرك اليهود وتوافدوا من مناطق متعددة نحو فلسطين كان اليهود في مختلف بقاع الدنيا من أغنى رجل إلى أفقر رجل يتعاونون في دعم إسرائيل حتى قيل: أن اليهودي الذي كان يشرب الدخان، كلما يخرج حبة ليشربها ينزع حبة ليضعها في علبة أخرى لدعم إسرائيل، ثم تُجمع كل تلك السجائر لتعلب من جديد وتصدر للبيع، ثم عائداتها تسلم لدعم إسرائيل، فتجتمع مئات الآلاف من الدولارات ومن مختلف العمولات لدعم إسرائيل.

هذا الفقير الذي لا يمتلك إلا حبة دخان، والتاجر يدعم بما يمتلك، يدعم بالملايين لهذا استطاعوا أن يكونوا على هذا النحو، حملوا اهتمام موسى، ونحن أولى بموسى منهم، ونحن أولى بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نمتلك اهتمام محمد.. لا نعرف اهتمام محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ولدينا القرآن الذي يجب أن يربيك على الاهتمام!.

حتى في مجال التعاون ألسنا نقرأ تلك الآية التي يقول الله فيها: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التوبة:٧٩) لشدة اهتمام القرآن الكريم بتربية الناس على التعاون والبذل في سبيل الله حتى بأقل قليل لديهم، عندما جاء بعض الناس بصدقة قليلة، قليل من التمر أو قليل من الحب سخر منه رجل آخر، ما أثر سخرية ذلك من هذا المسكين الذي لم يُقدم إلا هذا المقدار ولا يمتلك أن يقدم إلا هذا المقدار البسيط؟.

إذا سخرت مني عندما أقدم شيئاً بسيطاً فأنا من سأتحاشى أن لا أقدم شيئاً، والعشرات من أمثالي كذلك، فتَحول دون مبلغ كبير من المال، أو كمية كبيرة من مواد عينية في مجال الإنفاق في سبيل الله، والتعاون في سبيل الله سبحانه وتعالى.

لذلك كانت تلك السخرية هي أسلوب من قد تَحُول سخريته دون الكثير، الكثير من التعاون من تعاون الفقراء.

والتعاون قضية مهمة فقال: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فربانا القرآن الكريم على الاهتمام، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يحمل روحا عالية، كان لديه اهتمام كبير بأمر الدين، بأمر الناس، يحمل روحا تشعر بمسؤولية عليا. نبي الله موسى كذلك.

لكنا وجدنا أن الواقع في هذا العصر أن اليهود كانوا أكثر اهتماما منا، أكثر اهتماماً من المسلمين، أكثر اهتماماً من العرب، أكثر اهتماماً منا نحن الشيعة، أكثر اهتماماً من آل محمد أنفسهم في هذا البلد. وهذا من العيب أيضاً، ومن العار على آل محمد بالذات.. بالذات، وشيعتهم أيضاً، أن يكون اليهود أكثر اهتماماً بقضاياهم، أكثر تعاوناً فيما بينهم، أكثر جداً ومثابرة على تحقيق ما يريدون تحقيقه، وهم طائفة مكروهة في كل المجتمعات، فرضوا أنفسهم على كل المجتمعات، وهيمنوا على المجتمعات وهم طائفة مكروهة، يكرهها الجميع.

هل نحن نتعاون في سبيل الله؟ بل هل لدينا اهتمام أولاً بشيء مرتبط بإعلاء دين الله حتى نتعاون فيه؟ ليس لدينا قضية معينة، ليس لدينا اهتمام بقضية أنه يجب أن نسعى حتى ينتشر دين الله، أن تكون كلمة الله هي العليا، أن نقف في وجه المفسدين، أن نقف في وجه اليهود، أن نقف في وجه النصارى، هل لدينا هذا الاهتمام؟ قد لا يكون لدينا هذا الاهتمام، وبالتالي من الذي سيحركه اهتمام مفقود حتى يدفع شيئاً؟ إذا لم تكن تهتم بشيء لن تقدم شيئاً.

نحن لو جئنا نعمل مقارنة بين ما نقدمه للدين، وبين ما نقدمه في سبيل شراء التدخين مثلاً سيطلع في الأخير أن الإسلام لا يساوي اهتمامنا به اهتمامنا بالتدخين هذا الذي يطير في الجو ولا نستفيد منه شيئاً!. تصوركم يدخن الناس، وتصوركم سيجمع اليهود من حبات دخان لدعم إسرائيل، سيطلع منها الكثير، الكثير؛ لأنهم

يفهمون هم أهمية ما يقدمون، سواء ما يقدمونه من أموالهم، أو ما يقدمونه بشكل مواقف، أو ما يسطرونه بأقلامهم، يعرفون أهمية كل شيء يخدم قضيتهم.. بينما نحن يبدو لم نعرف شيئاً.

الشعار عندما نرفع شعار قد يقول البعض، أو يتصور ماذا يصنع؟ اليهودي كان يرى أن حبة الدخان ستقيم دولة، أليس هذا وعياً عالياً؟.

اليهود في إسرائيل عندما تأتي انتخابات هل يبحثون عن الرجل القوي؟ أو يبحثون عن الضعيف الذي لا يثير مشاكل؟ يبحثون عن الرجل القوي في وجه العرب، في عدة انتخابات ألم يبحثوا عن القوي ثم الأقوى ثم الأقوى لديهم، وفي تاريخهم في مواجهة العرب حتى وصلوا إلى شارون؟. بينما نحن نتهرب من الدعوة إلى شيء فيه قوة لنا، وفيه عزة لنا، [وهذا يريد مشاكل إحذروه].

[لاحظوا الإمام الخميني الذي كان الرجل القوي] في خطته القيادية، في حركته السياسية، في ثقته القوية بالله سبحانه وتعالى، وماذا صنع العرب؟ وقفوا ضده ألم يقفوا ضده؟! ألم يقف حتى اليمن نفسه ضد إيران؟ ألم يرسل كتيبة من الجيش لتحارب [الثورة الإسلامية] في عصر [الإمام الخميني]؟ ألم يحارب العرب كلهم ذلك الرجل الذي كان أشد شخص على إسرائيل؟ لأن العرب لا يحملون قضية، ليس لديهم اهتمام فلم يكن ذلك الرجل بالشكل الذي يجعلهم ينشدُّون إليه، وهم يعلمون أنه قوي ضد إسرائيل، ومنطقه ضد إسرائيل منذ أول عمل بدأه.

من يتتبع أقوال [الإمام الخميني] من قبل انتصار [الثورة الإسلامية] بكثير، كان دائماً يتكلم عن إسرائيل، ودائماً يحذر من إسرائيل، ودائماً ينبّه على الطريقة الصحيحة للتخلص من إسرائيل، وفي سبيل مواجهتها. لكن العرب بدلاً من أن يقفوا موقفه، وأن يقفوا تحت لوائه وقفوا ضده، بينما اليهود هناك يبحثون عن أشد شخصية ليقفوا وراءها.

يأتي في هذا الزمن مثلا كالسيد [حسن نصر الله] كحزب الله مثلاً، ونصر الله باعتباره شخص مهم، ورجل قوي، ولديه حنكة قيادية عالية، هل تسمع وسائل الإعلام العربية تتحدث عن حزب الله؟ أو تسمع وسائل الإعلام العربية تتحدث، أو تعرض كلام نصر الله؟!. يهربون من الرجل القوي، بينما أولئك يبحثون عن الرجل القوي، كيف النتيجة الطبيعية لهذا؟ هو أن يكون هؤلاء ضعافاً بضعف زعمائهم، ضعافاً بضعف نفوسهم، ضعافاً لأنهم لا يحملون أي اهتمام بشيء.

كيف يمكن أن تكون قوياً وأنت تحمل نفساً ضعيفة، لا تهتم بشيء؟ وسيظل اليهود هم الأعلون فوقهم، أليس شارون هو أشد شخص في تاريخ مواجهة إسرائيل للعرب ـ كما يعتبرونه ـ؟ من أشد الشخصيات، ومن أكثر الزعماء الإسرائيليين إجراماً ضد العرب، انتخبوه بعد أن رأوا الذين قبله لم يكونوا بالشكل المطلوب.

الكل من زعماء العرب قد يكونون مقبلون على مؤتمر، مؤتمر يقدُمون فيه بنفوس ضعيفة، يدخلون إلى صالات المؤتمر بنفوس ضعيفة، نفوس ضعيفة! الآن مؤشرات ما سيحصل في ذلك المؤتمر هو: بحث عن التسوية في الوقت الذي ليس مناسباً الحديث عنها على الإطلاق، بعد أن حصلت هجمات من جانب الفلسطينيين قوية، وأصبح الرعب ينتشر في أوساط المواطنين في إسرائيل، الآن يسارع زعماء العرب ليبحثوا عن تسوية تخلص إسرائيل من هذه المشكلة.

نحن نحمل نفس الشعور، لاحظ ما نلوم الآخرين عليه، ما نراه سيئاً في زعماء العرب، هو نفسه الشعور الذي نمتلكه، عندما نسمع أن الأمريكيين دخلوا اليمن، وسيدخلون اليمن بأعداد كبيرة.. هل يهمنا هذا؟ أم سترى أن مواقف زعماء العرب هي مواقفنا، سيكون السكوت هو الحكمة، وسيكون الاهتمام بقضايا أخرى هو الحكمة، أن ننصرف عن هذا الموضوع، أن لا نفكر في هذا الموضوع.

طالب العلم إذا لم يفكر في قضايا كهذه فإن كان لا يفهم أن في ذلك إفساداً لعباد الله، وأن في ذلك حرباً لدين الله فهذا هو أجهل الجهل، من الذي يجهل منا أن كل أعمال أمريكا وإسرائيل هي إفساد للدين وإفساد للمسلمين، وحرب للدين وحرب للمسلمين؟ ألسنا نعلم ذلك؟ ألم يقل الله عن اليهود أنهم {يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٣٣).

أنت عندما تكون طالب علم وأنت لا يهمك، أولا يؤلمك أن ترى المفسدين في الأرض يتحركون، أن ترى الإسلام يُحارب، أن ترى المسلمين يُحاربون، هل يصح أن يقال لي طالب علم؟. هل يصح أن أحصل على ذرة من التقدير والاحترام وأنا أحمل علماً؟.

إذا كنت تحمل علماً فإن هذا من بديهيات المسؤوليات على طالب العلم، وعلى من يحمل علماً أن يهتم بأمر الدين الذي يتعلمه والذي يحمله، إلا إذا كان العلم هو شيء لا علاقة له بما هو حرب للدين، وبما هو إفساد للمسلمين.

هل طلب العلم يعني شيئا آخر؟.كيف أتصور نفسي طالب علم للدين وإذا بي أرى أن علم الدين هنا لا علاقة له بما يحصل على الدين، وعلى من ينتمون إلى هذا الدين، أليس الناس يتعرضون لفساد أخلاقي، لفساد ثقافي، لفساد اجتماعي، لفساد - أيضاً - سياسي!.

كل الفساد بكل أنواعه كله يأتي من قِبَل اليهود والنصارى بشكل لا يستطيع الإنسان أن يلمس كل جوانبه في كل المجالات، إفساد في الجانب الأخلاقي، في الجانب الثقافي، في الجانب الاقتصادي، في الجانب السياسي.. ونحن نطلب علماً، ونحن لم نصل بعد في وعينا إلى فهم ما يعمله الآخرون من إفساد للدين، ومن إفساد للمسلمين، حينئذ لا يصح إطلاقاً أن يحظى الإنسان بأي احترام.

أقول لأولئك الذين يطلبون العلم ليروا أنفسهم في يوم من الأيام علماء: أننا في مرحلة لا يجوز أن نتحاشى فيها من شيء حتى أن نلوم أي عالم.

يجب على الإنسان أن يكون ممن يخشى الله ولا يخشى سواه، وأن يكون ممن يرغب في الله ولا يرغب في سواه، فإذا كنت عالماً، وكنت أنت عالماً أو كنا طلاب علم، وكنا نخاف من غير الله، وكنا نرغب في غير الله، ونبحث عن المخارج عن المبررات التي تبعدنا عما يجب علينا، وعن المسؤولية التي فرضها الله سبحانه وتعالى علينا كحملة علم إذا كنا على هذا النحو فإنه لا يصح بحال أن نكون ممن يرجو أن يكون من أولياء الله.

كيف قال الله عن أوليائه؟ {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (يونس:٦٢-٦٤).

أولياء الله سبحانه وتعالى ذكر مواصفاتهم قوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}(التوبة: من الآية٧١)

كلمة [ولي الله] هو من يحقق التقوى في نفسه، هو من يحقق الإيمان في واقعه، هو من يصح أن يكون مؤمناً، من يسمى مؤمناً، من يسمى متقياً، هذا هو ولي الله، أما إذا كان الشخص الذي يبحث عن مبررات وعن مخارج فيضيّع نفسه، ويميت القرآن الكريم، ويجهل الناس، ويميت الحياة بكلها، وواقع الناس! فهذا لا يصح أن يكون ولياً لله.

[ولي الله هو من يرى أن عليه] أن يعمل جاهداً على أن يحيي كتاب الله، على أن ينقذ عباد الله، على أن يواجه بشدة أعداء الله، يجب علينا أن نحمل هذا الشعور - أيها الإخوة - يجب علينا أن يكون هذا هو همنا، ونرجع إلى الله سبحانه وتعالى، ونتوب إليه.

أنا أشعر من خلال تأملي للقرآن الكريم، ومن خلال تأملي للواقع - وقد أكون مخطئاً عند الكثير - أن الزيدية تعيش حالة من الذلة أسوأ من التي ضربت على بني إسرائيل، علماؤنا وطلاب علمنا، ومجتمعنا بكله، نعيش في حالة من المسكنة والذلة أشد مما ضربه الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل؛ لأننا أضعنا المسؤولية.

ومن أعظم المسؤولية التي نضيعها هو: أننا ونحن نطلب العلم، ونحن نحمل علماً لا نعمل على إحياء كتاب الله، ونتشبث بأشياء هي مما يضلنا، ويبعدنا عن كتاب الله، نتشبث بعلوم هي مما يضلنا ويبعدنا عن هدي الله، وعن حيوية كتابه؛ كلها قد تطلعك في الأخير بالشكل الذي لا يعرف الله معرفة قوية، وتطلع بها عالماً تبحث عن المبررات عن الحِيَل، فتعيش عمرك لا تقدم للإسلام خدمة، تعيش عمرك لا تقدم للإسلام أي شيء، اللهم إلا أن أراك متديناً فأنت حينئذ تقدم الدين على أنه تلك السلوكيات المعينة، فتكون أنت من يرسخ نظرة هي في واقعها إيمان ببعض القرآن وكفر ببعض.

إذا كنت أظهر نفسي مهتما بجوانب معينة، وأصور للمجتمع أن من كان على هذا النحو هو ولي الله، وهو العابد، وهو الولي، وهو التقي، والأشياء المهمة في الدين بما فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووحدة الكلمة لا أهتم بها.. هل الزيدية كلمتهم واحدة؟ علماؤهم، متعلموهم، مجتمعهم، هل كلمتهم واحدة؟.لا. حتى طلاب المنتدى حتى العاملون في المنتدى ليسوا متوحدين، هل يستطيع الإنسان أن يحرك طلاب المنتدى، والعاملين فيه أن يخرجوا في يوم واحد مثلاً لمظاهرة؟ أو أن يرفعوا شعاراً في يوم واحد؟ أو أن يتخذوا موقفاً معيناً؟. لا، كلهم مربون تربية على أن كل شخص له قناعاته، وله وجهة نظره، ولا بد أن كذا، ولا بد أن يقتنع، ولا بد أن يتأمل، ولا بد أن يعرف، ولا أحد يرتبط بأحد.

نحن مفرقون واليهود يجتمعون، ونحن نتفرق وبين أيدينا القرآن الكريم الذي فيه الوسائل المهمة التي هيأها الله لتؤلف بين الناس، لتوحد كلمتهم، واليهود توحدوا على الرغم من أن الله قد ألقى بينهم العداوة والبغضاء.. أليس كذلك؟ ثم تمر السنين، ونحن لا نضع حداً لهذه الحالة.

نقول: نحن تفرقنا خلال الثلاثين سنة الماضية إذاً فلنتوحد، نحن كلنا مصرون على أن نسير على هذا الروتين الممل في هذه الحياة، نسير على هذه المسيرة، لم نلتفت إلى أنفسنا لفتة جادة أن نتوحد فيما بيننا، ثم لا نلتفت إلى أنفسنا ونحن نرى أنفسنا في أحط مستوى مقارنة بما عليه بنو إسرائيل، لا نلتفت إلى ما بين أيدينا ربما هناك خلل في ثقافتنا، ربما هناك خلل في نظرتنا للحياة.

أنا شخصياً أعتقد أن من أسوأ ما ضربنا وأبعدنا عن كتاب الله وأبعدنا عن دين الله، وعن النظرة الصحيحة للحياة وللدين، وأبعدنا عن الله سبحانه وتعالى هو [علم أصول الفقه]. بصراحة أقولها أن فن [أصول الفقه] هو من أسوأ الفنون، وأن [علم الكلام] الذي جاء به المعتزلة هو من أسوأ الأسباب التي أدت بنا إلى هذا الواقع السيئ، أبعدتنا عن الله، أبعدتنا عن رسوله، عن أنبيائه.

ألم يُقدم الأنبياء في فن [علم الكلام] عند من يقرأ المقدمات المنطقية التي جاء بها المعتزلة في الاستدلال، ألم تصبح أنت تنظر إلى الأنبياء في منطقهم ـ الذي عرضه القرآن الكريم ـ منطق مرشدين مساكين موعِّظين؟!

ألم يقل أولئك وهم يتناقشون: هل يصح الاستدلال بالقرآن الكريم في مجال معرفة الله أم لا؟. طائفة تتناقش، أو يحصل بينها خلاف حول هذه النقطة فترى الكثير منهم يقولون: لا.. [لا يصح الإستدلال على معرفة الله بالقرآن لأن ذلك يستلزم الدور].

أليس كلنا يعتقد أن هذا يؤدي إلى الدور؟ يقولون لنا: الاستدلال بالقرآن الكريم على معرفة الله يستلزم منه الدور، أولاً يجب أن تعرف الله بطرق منطقية عقلية، مقدمات عقلية هناك، ثم متى عرفت الله؛ لأن صحة القرآن متوقفة على معرفة الله، هكذا يقولون؟!. فيبدو هذا الاستدلال منطقياً ـ هو استدلال مغلوط من أساسه ـ فيبدو الأنبياء في القرآن الكريم في منطقهم وهم يتحدثون مع أممهم، وهم يتحركون في إبلاغ رسالات الله في أوساط أممهم يبدون أناساً لا حكمة لديهم ولا حنكة، ويبدون أناساً ضعافاً مرشدين موعِّظين! فنحن من لا نعرف أنبياء الله، ونحن من لا نعرف كتاب الله بالشكل المطلوب.

بصراحة أقول هذه: أن الزيدية لا يُتوقع أن تنهض إلا إذا ما نظرنا نظرة موضوعية لنصحح ثقافتنا، فما كان قد وصل إلينا عن طريق السنية، وما كان في الواقع هو من تراث السنية، أصول الفقه هو سني، ليس صحيحاً أنه من علم أهل البيت، دخل إلى أهل البيت، ودخل إلى الزيدية وتلقّفوه.

علم الكلام جاء من عند المعتزلة، والمعتزلة سنية، [كتب الترغيب والترهيب] كثير منها، ومنطق الترغيب والترهيب كثير منه هو من عند السنية، هذه علوم جاءتنا من عند فئة ضالة فأضلتنا.. أضلتنا فعلاً، ونحن نشهد على أنفسنا بالضلال، هل نستطيع أن نشهد على واقعنا أنه واقع صحيح؟ وعلى أننا بالشكل المطلوب في أننا نؤدي ما أوجب الله علينا، وما طلب منا، وما يريد منا؟. لا. ما السبب في ذلك؟. هل أن الدنيا هكذا؟. أم أن ثقافتنا فيها أخطاء؟. ثقافتنا فيها أخطاء ولو أتيح لنا إن شاء الله في المستقبل أن ندْرُس كتاباً في علم الكلام، وندْرُس كتاباً في [أصول الفقه] لنبّهناكم على الكثير، الكثير من الأخطاء التي أثرت تأثيراً سيئاً علينا، أبعدتنا عن القرآن، عن الاهتداء بالقرآن.

فإذا كنا لا نزال تتشبث بهذين الفنين فسنطلع ولو طلع فينا آلاف العلماء كل واحد منهم سيتحرك لحاله لا تجتمع لنا كلمة، ولا تتوحد لنا نظرة، ولا موقف، ولا صف، ولا شيء، ونظل غثاء كغثاء السيل.

لماذا كان في الماضي واحد من أهل البيت يحرك أمة بأكملها؟ عندما كانوا يتحركون بروحية القرآن، لكننا الآن مجاميع لا نحرك شيئاً، مجاميع لا نصنع شيئاً، مجاميع لا نعمل شيئاً، مجاميع قد نكون في يوم من الأيام لقمة سائغة لليهود، وقد نتعرض لأسوأ المواقف وأخطر الحالات من جانب اليهود، ونحن لا نستطيع أن نصنع شيئاً.

أختم كلمتي هذه بالتنبيه على أنه يجب أن يكون غايتنا كطلاب علم هي قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ}. وأن تكون مسيرتنا ونحن نطلب العلم هي مسيرة أولئك الذين قال عنهم: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤).

وأن نعتمد على القرآن الكريم اعتمادا كبيراً نتأمله نتدبر آياته حتى نستطيع أن ننقذ أنفسنا، حتى نستطيع أن نحظى برضوان الله سبحانه وتعالى فيرضى عنا.

وأن نتوب إلى الله من هذا الواقع الذي نحن فيه، في أكثر من مجلس أطلب من الناس جميعاً، ومن نفسي أن نتوب إلى الله، وقد يكون البعض يستغربها، أنا أستطيع أن أقسم ـ على حسب ما أفهم من القرآن الكريم ـ أننا في حالة خزي في الدنيا وأن المتوقع هو العذاب العظيم في الآخرة ـ من خلال القرآن الكريم ـ أن الحالة التي نحن عليها هي خزي في الدنيا، وضياع لكتاب الله، ولا يتوقع بعدها إلا عذاب في الآخرة. ما أدري إذا كان أحد يرى أن هناك مبررات لنفسه، من الذي يستطيع أن يصنع مبررات لنفسه؟ لا أحد يستطيع.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه، ونقول: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠)، ونسأله الهداية سبحانه وتعالى، أن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقنا ذلك النور الذي قال عنه: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ} (المائدة: من الآية ١٥ ـ ١) وأسأله أن يرزقنا العلم، العلم به سبحانه وتعالى، فنعرفه معرفة كافية، العلم بعظمة كتابه، بعظمة رسوله، بعظمة دينه، بعظمة المسؤولية الملقاة على كواهلنا إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

معنى التسبيح

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٩/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

قبل أن نبدأ بالدرس، بعض الشباب قدم سؤالاً حول معنى التسبيح في الصلاة: (سبحان الله العظيم وبحمده.. سبحان الله الأعلى وبحمده).

التسبيح في الصلاة جاء في القيام، في الركعتين الأخيرتين، وفي الركوع، وفي السجود.. ويدل ذلك على أهمية التسبيح، وعلى حاجتنا نحن، حاجتنا نحن البشر إلى تسبيح الله سبحانه وتعالى.

تسبيح الله معناه: تنـزيهه وتقديسه.. تنـزيهه عما لا يليق به، تنـزيهه عن نسبة أي شيء إليه يتنافى مع عدله، وكماله المطلق سبحانه وتعالى، يتنافى مع حكمته، مع رحمته، مع عظمته وجلاله.

التسبيح يمثّل قاعدة مهمة، ومقياساً مهماً جداً؛ لذلك كان من المهم أن يتكرر في الصلاة التي تتكرر هي في اليوم خمس مرات، وأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بتسبيحه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} (الأحزاب:٤١-٤٢) {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} (الروم:١٧).

ووردت أخبار بأذكار معينة: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) روي عن الإمام زيد (عليه السلام) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) أنه قال في هذه التسبيحة: (أن من سبحها مائة مرة في اليوم دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أدناها أو أهونها القتل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

التسبيح ـ كما قلت سابقاً ـ يعتبر قاعدة مهمة جداً، نكرر التسبيح في صلاتنا، وفي كل أوقاتنا ليترسخ معناه، فتكون نظرتنا إلى الله سبحانه وتعالى نظرة تقوم على أساس تنـزيهه، وتقديسه سبحانه وتعالى؛ لأننا لما كانت إدراكاتنا محدودة، وما يمكن أن نتعقله من الأشياء أيضاً تكون إمكانية التعقل لدينا محدودة أيضاً، وأفعال الله سبحانه وتعالى قد يكون هناك أفعال من أفعال الله، شيء من مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا نفهم نحن وجه الحكمة فيها، لا ندرك نحن الغاية من فعلها، أو من تشريعها، أو من خلقها، فإذا ما كنا نستشعر دائماً تنـزيه الله سبحانه وتعالى في ذاته وفي أفعاله، وفي تشريعاته، فستكون هذه القاعدة هي التي تحافظ على سلامة إيماننا بالله، وحسن ظننا به، واستمرار إيماننا بنزاهته، وقدسيته سبحانه وتعالى.

وما أكثر ما نجهل من الأشياء في مخلوقات الله، وفي تشريعات الله، ما أكثر ما نجهل وجه الحكمة فيها، أو إدراك الغاية منها، ولكننا نقطع بأن الله سبحانه وتعالى ما دام وقد ثبت أن هذا فعله فهو الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة، ونقطع فيما ثبت لنا من تشريعه وهدايته مما لا ندرك وجه الحكمة فيه: أن الله لا يشرِّع إلا تشريعاً فيه حكمة، فليس هناك عبث في أفعاله، ليس هناك تلاعب في أفعاله سبحانه وتعالى، هو الحكيم.

التسبيح لله سبحانه وتعالى أيضاً أمام ما نسمع من هنا أو هنا من مقولات تنسب إلى الله سبحانه وتعالى.. فنحن سنعتمد على هذه القاعدة، وسيتجلى لنا من خلالها بطلان ذلك القول، أو تلك العقيدة؛ لأنها تخالف ما يجب علينا أن نحكم به، ونعتقده، وننطق به من تنـزيه الله.

وقد جاء التسبيح ـ كما كررنا ذلك في جلسات متعددة ـ جاء التسبيح لله سبحانه وتعالى واسعاً جداً {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجمعة: من الآية١) {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الحشر١) الملائكة كما حكى الله عنهم {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ} (الانبياء:٢٠)، فهذا الإستنفار العام لكل المخلوقات أن تنطلق في تسبيح الله تعالى بلسان المقال، ولسان الحال يدل على أهمية أن نتعقل التسبيح، يدل على أهمية أن تملأ نفوسنا مشاعر التنـزيه لله سبحانه وتعالى، وأن من يغفل عن هذه القاعدة سيقع في الضلال، تفسد عقائده، يؤمن بالباطل؛ فينسب إلى الله القبائح، ينسب إليه الفواحش، ينسب إليه الظلم! وهذا ما حصل عند كثير من البشر، يجعلون لله شركاء، يجعلون لله أنداداً، يجعلون معه آلهة! هذا ما حصل عند كثير من البشر، وهو حاصل عند كثير من المسلمين!.

هناك عقائد كثيرة منتشرة عند أغلب المسلمين تتنافى منافاة صريحة مع جلال الله، وقدسيته، وحكمته، وعظمته! فأولئك يسبحون الله بأفواههم، ويرون كم عرض القرآن الكريم من آيات تؤكد أهمية التسبيح، ولكنهم قد انعقدت قلوبهم على عقائد معينة استوحوها من أحاديث، فلم يعودوا إلى القرآن بالشكل المطلوب، ومن عاد إلى كتاب الله سبحانه وتعالى فلن تفسد عقيدته ولن يضل.

نحن نسبح الله في الصلاة أثناء القيام، نسبحه أثناء الركوع، نسبحه أثناء السجود، يعني ذلك: أنه يجب علينا أن نسبح الله سبحانه وتعالى في كل أحوالنا، في كل الأحوال التي تمر بنا نحن، عندما يحصل لك مرض شديد، عندما يحصل لك شدة من المصائب، أو من الفقر، أو من أي نكبة تحصل عليك، أو أي مشكلة تقع فيها يضيق بها صدرك.

بعض الناس يسيء الظن بالله، وهذا حصل في يوم الأحزاب عند بعض المسلمين: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (الأحزاب: من الآية١٠) **عندما حاصرهم المشركون فحصل لديهم رعب كما حكى الله عنهم في [سورة الأحزاب]: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}** (الأحزاب:١١) **كما قال: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}** (الأحزاب: من الآية١٠) **بدأت الظنون السيئة.**

عندما يدخل الناس في أعمال، ونكون قد قرأنا قول الله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج: من الآية٤٠) **فيمر الناس بشدائد إذا لم تكن أنت قد رسخت في قلبك عظمة الله سبحانه وتعالى، وتنزيه الله أنه لا يمكن أن يخلف وعده فابحث عن الخلل من جانبك: [أنه ربما نحن لم نوفر لدينا ما يجعلنا جديرين بأن يكون الله معنا، أو بأن ينصرنا و يؤيدنا] أو ابحث عن وجه الحكمة إن كان باستطاعتك أن تفهم، ربما أن تلك الشدائد تعتبر مقدمات فتح، تعتبر مفيدة جداً في آثارها.**

وقد حصل مثل هذا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في الحديبية، عندما اتجه المسلمون وكانوا يظنون بأنهم سيدخلون مكة، ثم التقى بهم المشركون فقاطعوهم فاضطروا أن يتوقفوا في الحديبية، ثم دخل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في مصالحة معهم، وكانت تبدو في تلك المصالحة من بنودها شروط فيها قسوة، لكن حصل في تلك المصالحة هدنة، هدنة لعدة سنوات كأنها لعشر سنوات تقريباً.

لاحظ ماذا حصل؟ بعد ذلك الصلح الذي دُوِّن وفيه بنود تبدو قاسية، وظهر فيه المسلمون وكأن نفوسهم قد انكسرت، كانوا يظنون بأنهم يدخلون مكة، ثم رأوا أنفسهم لم يتمكنوا من ذلك فرجعوا، بعد هذه الهدنة توافدت الوفود على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من مختلف المناطق في الجزيرة العربية واليمن وغيرها، وفود إلى المدينة ليسلموا، فكان ذلك يعتبر فتحاً، وكان فتحاً حقيقياً في ما هيأ من ظروف مناسبة ساعدت على أن يزداد عدد المسلمين، وأن يتوافد الناس من هنا وهناك إلى المدينة المنورة إلى رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) ليدخلوا في الإسلام، فما جاء عام الفتح في السنة الثامنة إلا ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قد استطاع أن يجند نحو اثني عشر ألفاً، الذين دخلوا مكة.

إذا كان الإنسان ضعيف الإيمان، ضعيف الثقة بالله، ضعيف في إدراكه لتنزيه الله سبحانه وتعالى قد يهتز عند الشدائد، إما أن يسيء الظن في موقفه: [ربما موقفنا غير صحيح وإلا لكنا انتصرنا، لكنا نجحنا..] تحصل ربما، ربما..إلى آخره، أو يسيء الظن بالله تعالى وكأنه تخلى عنا، وكأنه ما علم أننا نعمل في سبيله، وأننا نبذل أنفسنا وأموالنا في سبيله: [لماذا لم ينصرنا؟. لماذا لم..؟].

الإنسان المؤمن، الإنسان المؤمن يزداد إيماناً مع الشدائد: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (آل عمران:١٧٣)**؛ لأن الحياة كل أحداثها دروس، كل أحداثها آيات تزيدك إيماناً، كما تزداد إيماناً بآيات القرآن الكريم {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}** (الأنفال: من الآية٢) **كذلك المؤمن يزداد إيماناً من كل الأحداث في الحياة، يزداد بصيرة، كم هو الفارق بين من يسيؤون الظن عندما تحصل أحداث، وبين من يزدادون إيماناً؟. وهي في نفس الأحداث، أليس الفارق كبيراً جداً؟.**

لماذا هذا ساء ظنه، وضعف إيمانه، وتزلزل وتردد وشك وارتاب؟ وهذا ازداد يقيناً وازداد بصيرة وازداد إيماناً؟! هذا علاقته بالله قوية، تصديقه بالله سبحانه وتعالى، وثقته بالله قوية، تنزيهه لله تنزيه مترسخ في أعماق نفسه، يسيطر على كامل مشاعره فلا يمكن أن يسيء الظن بالله مهما كانت الأحوال، حتى ولو رأى نفسه في يوم من الأيام وقد جثم على صدره [شمر بن ذي الجوشن] ليحتز رأسه كالإمام الحسين (صلوات الله عليه).

حادثة كربلاء ألم تكن حادثة مؤلمة جداً؟ كانت كلمات الإمام الحسين فيها تدل على قوة إيمانه، كمال وعيه، كمال يقينه، بصيرته، كان همه من وراء كل ذلك أن يكون لله فيه رضى، ما دام وفيه رضى لك فلا يهمني ما حصل. وهذه هي نفسية المؤمن، نفسية المؤمن هو أن ينطلق في أعماله يريد من ورائها كلها رضى الله.

رضى الله هو الغاية.. وإن وضع له أهدافاً مرحلية، وداخلية، هي ليست كل شيء لديه، ليست كل شيء لديه، فإذا لم يتحقق ذلك شك وارتاب، أن يجندوا أنفسهم لمعركة ما مع أعداء الله ثم ينهزمون، أو يرون أنفسهم مضطرين إلى أن يتصالحوا صلحاً مؤقتاً، فيرجعون بنفوس مرتابة لماذا؟. ألم نسمع أن الله تعالى قال: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) لماذا، لماذا؟!

المؤمن هدفه هو أن يحصل على رضى الله، وأن يكسب رضى الله، وأن يكون في أعماله ما يحقق رضا الله، وأن النصر الذي يريده، النصر الذي ينشده هو نصر القضية التي يتحرك من أجلها، هي تلك القضية التي تتطلب منه أن يبذل نفسه وماله، فإذا كان مطلوب منك أن تبذل نفسك ومالك فهل ذلك يعني بالنسبة لك نصراً مادياً شخصياً؟ الذي يبذل ماله ونفسه فيقتل في سبيل الله، هل حصل نصر مادي له شخصي؟ هو انتصر للقضية، هو حصل على الغاية التي ينشدها، حتى وإن كان صريعاً فوق الرمضاء، ألم يصبح شهيداً؟ حظي بتلك الكرامة العظيمة التي وعد الله بها الشهداء، دمه ودم أمثاله، روحه وروح أمثاله، أليست هي الوسيلة المهمة لتحقيق النصر للقضية؟.

المؤمن لا ينظر إلى نفسه، النصر الشخصي، المقصد الشخصي، قضيته الخاصة، خِطته المعينة، موقفه الخاص. المسيرة هي المسيرة الطويلة: العمل على إعلاء كلمة الله، النصر لدين الله، في هذه المرة أو في المرة الثانية أو في المرة الثالثة، إن لم يكن على يديك أنت فقد يكون على يد آخرين ممن هيأتهم أنت، وهكذا.. حتى تنتصر، ولا بد أن يتحقق النصر.

وأنت منتصر أيضاً عندما تسقط شهيداً في سبيل الله، أنت منتصر أيضاً، أنت عملت ما عليك أن تعمله فبذلت نفسك ومالك في سبيل الله. فأن يرى المسلمون، أو يرى المؤمنون بعضهم صرعى في ميادين الجهاد، كما حصل في يوم أحد، ألم يتألم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما رأى حمزة صريعاً؟ وصرع كثير من المجاهدين، ولكن هل توقف بعدها؟ لم يتوقف أبداً، وإن كانت تلك خسارة أن يفقد أشخاصاً مهمّين كحمزة لكنه نصر للمسيرة، نصر لحركة الرسالة بكلها.. ولا بد في هذه المسيرة أن يسقط شهداء، وإن كانوا على أرفع مستوى، مثل هذا النوع كحمزة سيد الشهداء.

المهم أننا نريد أن نقول: أنه في حالات الشدائد، في حالات الشدائد وهي الحالات التي يضطرب فيها ضعفاء الإيمان، يضطرب فيها من يفقدون نسبة كبيرة من استشعار تنزيه الله سبحانه وتعالى، الذي يعني تنزيهه عن أن يخلف وعده وهو القائل: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

وفعلاً لو تتوفر عوامل النصر لدى فئة، تكون على المستوى المطلوب، ويوفرون أيضاً من الأسباب المادية ما يمكن أن يوفروه، لا شك أن هؤلاء سيحققون نصراً كبيراً.

ولا يعني النصر: هو أن لا يتعبوا، أن لا يستشهد منهم البعض أو الكثير، ولا يعني النصر هو أن لا يحصل لهم من جانب العدو مضايقات كثيرة، ولا يعني النصر: هو أن لا يحصل منهم سجناء.. إنهم مجاهدون، والمجاهد هو مستعد لماذا؟ أن يتحمل كل الشدائد في سبيل الإنتصار للقضية التي من أجلها انطلق مجاهداً، وهو دين الله.

عمار بن ياسر في أيام صفين كان يقول: والله لو بلغوا بنا سعفات هجر ـ أو عبارة تشبه هذه، قرى يشير إليها في البحرين ـ لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل. يقول: لو هزمنا معاوية وجيشه حتى يصلوا بنا البحرين لما ارتبنا أبداً في أنهم على باطل وأننا على حق.. إنسان واعي، إنسان فاهم، يعرف طبيعة الصراع، يعرف ميادين

الجهاد التي تتطلب من هذا النوع، يحصل فيها حالات كر وفر، يحصل حالات تداول في الأيام فيما بين الناس، يحصل كذا يحصل كذا.

فهو لا ينطلق على أساس فهم قاصر للمسألة، أن يفهم قول الله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} إذاً سيتحرك وبالتالي فلن يلاقي أي صعوبة، وأن معنى تأييد الله هو إمداد غيبي له بحيث لا يلاقي أي عناء.. ليس هذا هو الفهم المطلوب.. وأنت واثق من المسيرة التي تسير عليها أنها مسيرة حق، والمواقف التي تتحرك فيها أنها مواقف حق، هذا شيء مهم، ثم ثق، وعندما تثق هل تثق بنصرك شخصياً؟ يجب أن تلغى، وإلا فسيكون من ينظرون إلى أنفسهم شخصياً، أن يتحقق لهم شخصياً كل تلك الوعود فهم من قد يضطربون عند أول شدة يواجهونها.

انظر لماذا تتحرك؟ هل أنت تتحرك في سبيل الله؟ ألم تكن هذه العبارة هي التي تكررت في القرآن الكريم بعد كلمة: {يجاهدون، جاهدوا، جاهِدوا؟ في سبيل الله، في سبيل الله، في الله} هذه هي الغاية، هو الهدف الذي من أجله أتحرك، أنا أتحرك في سبيل الله، وأن التحرك في هذا الميدان هو يتطلب مني أن أصل إلى استعداد بأن أبذل نفسي ومالي. أليس معنى ذلك إلغاء النظرة الشخصية والمكسب الشخصي؟ أن أتحرك في هذا الميدان لأحقق النصر لدين الله، والعمل لإعلاء كلمته وإن كان ذلك بماذا؟. ببذل نفسي ومالي، أليس معناها التلاشي؟ التلاشي المادي بالنسبة لي؟ وجودي، جسدي، وماديات أموالي، ما المعنى هكذا؟.

إذاً فليس هناك مجال للتفكير في النصر الشخصي، كل شخص ينطلق على أساس أنه يريد أن يتحقق له النصر الشخصي. لا. ربما قد يكون مكتوب لك أن تكون من الشهداء، هذا هو النصر الشخصي، النصر الشخصي بالنسبة لك حتى لو لم تكتمل المسيرة، أو جُبِن الآخرون من ورائك، أما أنت فقد حققت النصر، قمت بالعمل الذي يراد منك أن تقوم به، وبذلت كل ما بإمكانك أن تبذله، فأنت قد نصرت القضية على أعلى مستوى، وتحقق لك النصر، أوليس نصراً عظيماً أن تكتب عند الله من الشهداء الذين قال عنهم: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (آل عمران:١٦٩-١٧٠) **أليس هذا هو نصر؟.**

تنـزيه الله سبحانه وتعالى الذي يعني: تنـزيهه في ذاته، فلا يمكن أن نصفه بما يستلزم منه أن يكون مشابهاً لمخلوقاته أبداً. تنـزيهه في أفعاله هو، فلا يمكن أن نتهمه في فعل من أفعاله أنه صدر منه مخالفاً لمقتضى الحكمة، مخالفاً لما يليق بجلاله وحكمته وعظمته، تنـزيهه في أن ننسب إليه - فيما يتعلق بوعوده - أنه يخلف الميعاد، أنه لم يف بوعده {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠).

تنـزيهه في تشريعه أيضاً، أن يشرِّع ما يتنافى مع كماله سبحانه وتعالى، أن يشرع لنا ما يتنافى مع قدسيته، مع عظمته، مع جلاله، مع حكمته، مع عدله. كل ما يتنافى مع ذلك لا يمكن أن يشرِّعه الله سبحانه وتعالى لعباده.

هو الذي لعن الظالمين، هل يمكن أن يوجب عليّ طاعتهم؟! لا.. فمن يأتي ليقول: إن الحاكم الفلاني هو خليفة المسلمين يجب طاعته؛ لأنه أصبح ولي الأمر فتجب طاعته، فهو يحدثني بكلمة: [تجب طاعته] يضفي على المسألة امتداداً تشريعياً أي أن الله أوجب علي طاعة هذا أليس كذلك؟ أي: أن من شريعة الله، من دين الله أن أطيع هذا.. هذا لا يمكن أبداً أن يكون من دين الله، لا يمكن أبداً أن يكون مما يرضى به الله سبحانه وتعالى.

وهكذا ظهرت أشياء كثيرة جداً نسبت إلى دين الله سواءً في مجال العقائد، في المواقف، في التشريعات الأخرى، قد يلقاها أيُّ إنسان طالب علم، فإذا ما كان ينطلق من هذه القاعدة: [تنـزيه الله سبحانه وتعالى] فسيرى كم ستفيده هذه القاعدة، وسيرى البصيرة العظيمة التي تتحقق له من وراء اعتماده على هذه القاعدة، قاعدة ماذا؟ تنـزيه الله سبحانه وتعالى؟.

الله يعلم أن كثيراً من عباده سينسبون إليه مالا يليق به فأوضح لنا نحن خطورة المسألة على أنفسنا في نظرتنا إلى الله سبحانه وتعالى، خطورة المسألة على أنفسنا فيما يتعلق بواقع الحياة، فأبان لنا في القرآن الكريم الآيات التي تدل على ماذا؟ على أن قضية تنـزيهه قضية مهمة استنفر لها كل مخلوقاته: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ} (الجمعة: من الآية١) أليس هذا استنفاراً عاماً لكل المخلوقات؟ طبعها بأن تسبحه، ما كان منها بلسان المقال، وما كان منها بلسان الحال، فهو يشهد بأنه ـ فيما هو عليه ـ يشهد بنـزاهة الله.

التنـزيه لله سبحانه وتعالى ليس فقط مجرد حكم ببراءته من كذا، عندما نقول في صلاتنا أثناء الركوع: (سبحان الله العظيم وبحمده) ألسنا نقول: (وبحمده)؟ التنـزيه الذي يجب أن ينطلق منا نحو الله سبحانه وتعالى ليس فقط مجرد التبرئة وإصدار حكم ببراءته من كذا، بل التنـزيه المتلبس بالثناء عليه.

وكمثال على هذا أنت تجد من الناس من إذا نسب إليه أنه عمل عملاً سيئاً، ولكن لم تثبت إدانته فحكمنا ببراءته فقط، قلنا: هو بريء. هل في هذا ثناء عليه؟ هو بريء، لكن أن ينسب ذلك الفعل إلى شخص أنت تعرفه بالتقوى، بالعبادة، بالصلاح، بزكاء نفسه، بطهارة روحه، وتعرفه عمره لم يحدث منه مثل هذا الشيء، كيف ستقول أنت؟ ستقول: أبداً هذا ما يمكن أن يحصل منه كذا وهو كذا، وهو كذا، ونحن نعرفه أنه كذا، وهو من أولياء الله، وهو.. وهو.. إلى آخره. ألسنا سنقول هكذا؟ هذا هو التنـزيه المتلبس بالثناء، أي مترافق بالثناء، والذي يقدم في ماذا؟ في صيغ متلبسة بالثناء. تقول: أبداً ما يمكن يحصل منه هذا، نحن نعرفه إنسان ولي من أولياء الله، وإنسان متدين وعاقل و..و..إلى آخره.

فنعرف الفرق بين مجرد البراءة ومطلق البراءة، التبرئة، وبين التبرئة المتلبسة بالثناء أيهما أفضل؟ التبرئة المتلبسة بالثناء. فنحن نقول: (سبحان الله العظيم) نسبحه: ننـزهه (وبحمده) بالثناء عليه ننـزهه؛ لأنه إنما يستحق الثناء من هو منـزه.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:٢) أليست هذه أول سورة الفاتحة؟ بعد: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:١-٢) أول آية بعد البسملة تُصدَّر بالثناء على الله {الْحَمْدُ لِلَّهِ} أن يكون هو أهل للثناء عليه، أن يكون هو من يستحق الثناء عليه، فأن يثني على نفسه، ويثني عليه عباده يعني ذلك أنه منـزه، أنه الكامل الذي لا يليق به، لا يليق بكماله، لا يليق بجلاله أن يصدر منه هذا الشيء، أو هذا الشيء، أو أن يكون على هذا النحو في ذاته، أو أن يصدر منه هذا الفعل السيئ، هذا معنى: (سبحان الله العظيم وبحمده.. سبحان الله الأعلى وبحمده) الحمد معناه: الثناء على الله سبحانه وتعالى.

فأنت تنـزه الله في كل حالاتك، وأنت تحمده في كل حالاتك، تثني عليه في كل حالاتك، في حالة القيام، في حالة الركوع، في حالة السجود، فيما قد توحي به هذه الحالات الثلاث داخل الصلاة من حالات في واقع حياتك تمر بها أنت.

أليس الإنسان يمر في حياته بأحوال فيرى نفسه مرتاحاً، بخير، متوفر له حاجياته، لا يوجد عنده مشكلة، قد يحصل له مواقف تركّعه، قد تحصل له مواقف أكبر أو مشاكل، هل الإنسان يبقى منتصباً في حياته دائماً؟ يمر بمشاكل. العرب كانوا يمثلون للمصائب الكبيرة بالدواهي، أو بقاصمة الظهر، أو يقولون: تثقل الكاهل. بعبارات من هذه تصوير للإنسان، وكأنه فيما إذا وقعت عليه مشكلة، أو مصيبة أو عانى معاناة من مرض في بدنه، أو مرض بأحد من أصدقائه، أو أفراد أسرته.. يتبادر إلى الذهن وكأنه شيء يثقل كاهله وسيحنيه.

أنت في كل حالاتك كن مسبحاً لله، كن واثقاً بالله، وفي كل الحالات يكون همك هو رضى الله، متى ما عرفت أن المعاناة التي أنت فيها هي في سبيله، المعاناة التي أنت فيها ليست خنوعاً لأعدائه، ليست ذلاً تحت وطأة أعدائه تحمّل واصبر.. وهذا هو المطلوب من المؤمن أن يتجلد، أن يكون لديه حالة من الجلد، التجلد والتصبر.

هذا النوع من المؤمنين هو الذي يستطيع أن يقف المواقف المهمة في سبيل إعلاء كلمة الله، أما الذي يسقط من أول شدة يتعرض لها، سواء تحصل له شدائد في نفسه... بعض الناس قد يرى نفسه متى ما توجه توجهاً إيمانياً ثم مرض أحد من أقاربه، ثم حصل بَرَد على أمواله، ثم حصل كذا.. وهو يتجه هذا الإتجاه.. فيحاول أن يتخذ قراراً آخر بأنه يبطِّل، فيدعو الله فلا يرى أنها استجيبت دعوته، يرجع ينفر في الله: [كم ادّعينا وما جوَّب، ما هو نافع إلا يقم واحد هو يدوِّر، يتحرك هو].

هذه كلها تدل على جهل شديد، جهل شديد بالله سبحانه وتعالى، جهل بالحياة، جهل بقصورنا أننا قاصرون، أننا ناقصون.

أنت تعيش في حالة تمنن على الله سبحانه وتعالى عندما ترى بأنك ـ الحمد لله ـ أصبحت تتجه باتجاه الفئة الفلانية، أو نحن ـ الحمد لله ـ أصبحنا الآن اتجاهنا متدينين ـ كما يقال ـ ثم قد أنت منتظر من بعد.. ولا عاد ولا أي شيء يمسّك، قد أنت منتظر إنك ما عاد تلقى أي مصيبة. [ها ما عاد نشتي يحصل أي حاجة]!.
قد تأتي أشياء أخرى هي بما كسبت يدك، أو أشياء أخرى هي بما كسبت أيدي الآخرين من المجرمين، ثم تغضب على الله؛ لأنك لم تعرف بأنك لا تزال قاصراً وناقصاً أنت.
نحن قلنا في محاضرة يوم الخميس حول قول الله تعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الإنسان الكامل، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الكامل في إيمانه، في تقواه، في طهارة نفسه، في حرصه على هداية عباد الله. عندما يقول الله سبحانه وتعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (محمد: من الآية١٩) {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} (الفتح: من الآية٢).
فأنا عندما أرى نفسي بأنني أصبحت لا ذنب لي، ماذا يعني هذا؟ أصبحت وكأنه ليس هناك أي ذنب لدي إطلاقاً، ما عاد باقي إلا أن أنتظر، قد القضية عليك أنت يا ألله اما الآن.. أنا... قالوا كما قال الرئيس عندما اجتمع بالعلماء قال: نحن الأمراء أصلحنا نفوسنا، الباقي أنتم تصلحوا نفوسكم، أنتم تقولون أنه فئتان من الناس إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء، أو السلاطين والعلماء. نحن صلحنا إذاً أنتم اصلحوا.
هكذا قد تكون أنت مع الله تقول: [إحنا خلاص استقمنا! إحنا ما عاد بعدنا] باقي أن تفي أنت بما وعدت به، باقي أنت يا الله تنـزل البركات، وتعطينا كل شيء بسرعة!.
هل أنت ارتقيت إلى درجة محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ أم أنك قد أصبحت تجعل لنفسك مقاماً هو أعلى من مقام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يقول الله له: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} أين هي الذنوب التي قد نتصورها نحن بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لكن مهما ارتقيت، مهما ارتقيت في سلم الكمال لا بد أن تستشعر بأنك ما تزال قاصراً وناقصاً ومقصراً أمام الله سبحانه وتعالى، ما تزال ناقصاً، ما تزال مقصراً، لا تستطيع أن تحيط علماً بكل الدائرة من حولك أنها قد أصبحت كلها طاهرة بنسبة مائة في المائة في كل تصرفاتك، كل أفعالك، كل أقوالك، كل آرائك، كل نظراتك، كل مواقفك، ثم تقول بعد: [ما عاد بعدنا] فإذا لم تر الأشياء تتحقق على ما تريد تسخط على الله سبحانه وتعالى! هذه جهالة.
الإنسان المؤمن يجب أن يكون دائماً مستشعراً للتقصير أمام الله، الله وصف المتقين بأنهم كما قال عنهم: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (آل عمران: من الآية١٧) مستغفرين دائماً حتى في تلك الأوقات التي عادة ينهض فيها العبّاد المنقطعون في العبادة. هم عندما ينهضون في الثلث الأخير من الليل، وفي السحر قبيل الفجر هم لا ينظرون إلى أنفسهم بأنهم قد أصبحوا [ما شاء الله]، ولا عاد بقي لديهم أي تقصير، وأنه ما بقي لديهم أي ذنب، يستغفرون الله دائماً {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}، {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}.
اعتقد بالنسبة لقضية التسبيح قد تكون واضحة بالنسبة لنا معناها.. لكن كيف نعمل على أن نرسخها في نفوسنا وفي مشاعرنا؟.
من خلال التكرير الواعي لكلمة: (سبحان الله) عندما تسبح الله داخل الصلاة أو خارج الصلاة في أي وقت من الأوقات.
ثم أن تتلمس دلائل نزاهة الله سبحانه وتعالى، وقدسيته وجلاله وعظمته من خلال آيات القرآن الكريم، ومن خلال صفحات هذا الكون، وآيات هذا الكون الذي بين يديك، هذا العالم؛ لتترسخ في نفوسنا معاني نزاهة الله؛ لأن المؤمن بحاجة إليها دائماً.
ولو أن الناس انطلقوا من هذه القاعدة لكانت الدنيا بخير، ولكان وجه الدنيا على خلاف ما هو عليه الآن.. من قاعدة تنـزيه الله، لكن أصبح وللأسف بدلاً من أن تمتلئ القلوب بمشاعر تنـزيه الله ملئت القلوب بعقائد نسبت القبائح والنقص إلى الله في ذاته وأفعاله وتشريعاته، من أولئك الذين يحملون القرآن بين جنوبهم،

في صدورهم، من أولئك الذين يقرأون كتاب الله سبحانه وتعالى فيرون فيه كم كرر الحديث عن تسبيحه والأمر بتسبيحه، واستنفار كل الخلائق لتسبيحه. لماذا لم يجدِ هذا في نفوسهم؟ مع أن بعضهم لهم أوراد ولهم رواتب، قد يطلق في اليوم الواحد ألف تسبيحة، مسابح طولها ألف حبة كان تحصل عند بعض الصوفية، وهم ممن يعتقدون عقائد كهذه.

أحياناً الإنسان إذا لم يكن يعي ما يقول، ويعي ما يقرأ، ويعي ما يشاهد، تكون الأشياء كلها تمر على سمعه وبصره، وتنطلق من لسانه، وتمر مرور الكرام، لا تترك أي أثر، حاول أن ترسخ في نفسك دائماً التنزيه لله، وإذا لمست بأنك لا تزال في وضعية قد تتعرض فيها لارتياب فاعلم بأنك لا تزال مهيئاً لنفسك أن تكون ضحية للضلال في أي وقت.. فيقولون لك: قال رسول الله كذا، وكان السلف الصالح كذا، وقال الصحابي الفلاني كذا، وكان كذا، والمفسر الفلاني قال كذا..... ويهذفوا عليك حتى تعتقد عقيدة باطلة هي كفر بنزاهة الله، كفر بقدسية الله، فتؤمن بها على أنها من دين الله، أليس هذا هو من الضلال؟.

الله يريد منا أن نتعبد له بقدسيته، بنزاهته، فنأتي لنتعبده بماذا؟ بالنقص، نتعبد له بنسبة الفواحش إليه، نتعبد له بالسوء، أليس هذا من الباطل؟ الباطل الذي يعتبر باطل مضحك [وشر البلية ما تضحك].

نجد كذلك التسبيح مما أمر به أولياء الله، والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول الله له: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} (الطور:٤٨ ـ ٤٩).

وحتى في حالة الشدة كما حدث لنبي الله يونس وهو في بطن الحوت ماذا قال؟ {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ} (الأنبياء: من الآية٨٧) ألم يقل سبحانك؟ أنزهك {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء: من الآية٨٧) فأن تكون أنت مؤمن بهذه القاعدة بشكلٍ واعٍ، وفي كل الحالات؛ لأنها قاعدة إيمانية في كل الظروف لا يمكن لحظة واحدة من لحظات حياتك تقول فيها: أما هذه ما تنزه فيها.. أما هذه ما تنزه فيها.. لا يصح إطلاقاً. في كل الظروف في كل الحالات، في كل الشدائد، في حالة الشدة والرخاء، وحالة السراء والضراء، لا بد أن تكون قاعدة لديك ثابتة.

نبي الله يونس ألم يسبِّح وهو في بطن الحوت {سُبْحَانَكَ}؟. هذه لها أثرها الكبير، أنك دائماً سترجع إلى نفسك في كل حدث تواجهه في الحياة، وأنت تعمل في سبيل الله، وأنت ترى نفسك بأنك تسير على نهج أولياء الله، لا ترد اللوم على الله أبداً، حتى وإن كان من عنده ما أصابك فإنما ذلك إما لأنك أنت كنت جديراً بأن صدر منك ما تستوجب به أن يحصل عليك هذا الشيء، وإما لأن في ذلك مصلحة لك، وحكمة، حكمة من الله أن تلاقي تلك الشدة، أو تحصل عليك تلك المصيبة، لمصلحتك أنت.

من يضعف إيمانهم دائماً يردون ـ كما نقول نحن ـ المَحْق، يردون المَحْق في الله، فيحمِّل الله مسؤولية ما حصل، ثم ينطلق ليسيء الظن في الله {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (الأحزاب: من الآية١٠) فحصل عند البعض عندما حوصر المسلمون في المدينة مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في غزوة الأحزاب: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} حتى انطلق بعضهم يسخرون من النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم يحفرون الخندق، عندما ضرب الصخرة فانقدحت فقال: (الله أكبر إني لأرى قصور فارس، إني لأرى قصور صنعاء) فقالوا: يعدنا بأن يصل ديننا، أو أن تفتح هذه المناطق على أيدينا، وها نحن لا يأمن الواحد منا أن يخرج ليبول. ألم يقولوا هكذا؟ انطلق بعض الناس يقول هكذا.

في [سورة آل عمران] بعد أحداث [أحد] حصل في غزوة أحد شدائد، وحصل فيها ما جعل البعض يرتبك، ما جعل البعض ينظر أنه لماذا أصابنا هذا الشيء {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٦٥) وهم قدهم يريدوا يتجهوا إلى الله! المحق منه، هو السبب، يمكن نسي، يمكن..! يعني في واقع الحال أنت قد تكون تتعامل مع الله على هذا النحو، ربما نسي، ربما لم يف، ربما.. وإن لم تنطق أنت بهذه، سوء الظن.

ففي مسيرة العمل، عندما يكون الموقف مع الله موقفا ثابتاً... تنـزيهه، نزاهته لا يمكن أن يخلف وعده أبداً. فمتى ما مر الناس بصعوبة ما رجعوا إلى أنفسهم، وإلى واقع الحياة: ربما خطأ حصل من عندنا ونحن نرتب المسألة على هذا النحو، وربما خطأ حصل من عندنا أنه ضعفت ثقتنا بالله عندما رأينا أنفسنا كثيراً.. كما حصل في يوم حنين {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} (التوبة: من الآية٢٥)؛ لأنهم رأوا أنفسهم كثيراً وكانوا ما يزالون بعد نشوة النصر بعد فتح مكة فاتجهوا لقتال هوازن، وبعض القُبُل الأخرى، فقال البعض: [لن نهزم اليوم من قلة] رأى جموعاً كثيرة، لن نهزم اليوم من قلة. وعندما يكون هذا الشعور داخل الكثير، بدل أن تكون النفوس ممتلئة باللجوء إلى الله، واستمداد النصر منه، والتأييد منه، الذي تعبر عنه الآية: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠) لن نهزم اليوم من قلة.. فهزموا هزيمة منكرة.

الإيمان على هذا النحو هو الذي يدفع الناس إلى أن يرجعوا إلى أنفسهم فيصححوا أخطاءهم ويكتشفوا أخطاءهم، ويُحَسِّنوا من أوضاعهم، ويُحْسنوا خططهم، ويُحسنوا تصرفاتهم، ويظلون دائماً، دائماً مرتبطين بالله مهما بلغت قوتهم، مهما بلغ عددهم، يظل ارتباطهم بالله قوياً، ارتباطهم بالله وهم مائة ألف كارتباطهم بالله يوم كانوا ثلاث مائة شخص، أو أقل.. متى ما انفصل الناس عن الله، ورأوا أنفسهم وكأنهم في حالة لا يحتاجون معها إلى تأييد من الله سيضربون، سيضربون.. [لن نهزم اليوم من قلة] هي التي ضربت المسلمين في حنين.

وفي يوم أحد ما الذي ضربهم؟ هو العصيان للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، عندما عصى البعض وسكت الباقون فكأن معصيته هي تعبر أو أنها تحظى برضاء الآخرين، أي لم يستنكروا ما حدث من أولئك عندما تخلفوا عن الحفاظ على الموقع الذي أكد عليهم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يظلوا فيه ولا يبرحوا منه، فحصل أن ضُربوا ضربة شديدة، وهزموا هزيمة منكرة، بعد أن كانوا في بداية المعركة كما قال الله عنهم: {تَحُسُّونَهُمْ} يعني قتل هكذا، وكأنه قتل بسهولة وسريع {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ} (آل عمران: من الآية١٥٢) حصل ما حصل فحصلت هزيمة، وحصل قتلى، وقتل نحو سبعين شخصاً.

الإيمان.. الإيمان بالله سبحانه وتعالى الذي يعني في ما يمثل من التجاء بالله في كل الظروف، ثم إيمان بأهمية الاستمرارية على أسباب النصر هي جزء من الإيمان بالله.. وأنت إذا لم تلتزم فقد يحصل عليك مصيبة ثم تحمل الله المسؤولية، ثم تسيء ظنك بالله، وتكون أنت في الواقع الذي جنيت على نفسك من البداية {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} (آل عمران: من الآية١٦٥).

وهكذا إذا تأمل الإنسان كم سيجد لتنـزيه الله سبحانه وتعالى من أهمية بالغة مرتبطة بكل القضايا، في كل الميادين، في مواجهة المفسدين، في مواجهة المضلين، في مواجهة أعداء الله، حتى في المواجهة الكلامية في حالات النقاش.. وأنت تنطلق من قواعد ثابتة، مهما نمق الطرف الآخر كلامه أمامك، وزين شبهته لديك، لن تضطرب أبداً؛ لأنك سترى أن كل هذا الكلام المنمق الذي جاء من جانبه، مبني على أساس فاسد، المسألة من أساسها غير صحيحة.

لو قبلناها كان ذلك يعني: خدشاً في نزاهة الله سبحانه وتعالى، فيما يتعلق بحكمته، فيما يتعلق بعلمه، فيما يتعلق برحمته، فيما يتعلق بتدبيره، فيما يتعلق بأي شيء من كماله سبحانه وتعالى، فلن تهتز أبداً.

في الأخير يقول لك: هذا الحديث رواه فلان ورواه فلان وأخرجه فلان وتلقاه فلان، وقال الإمام الفلاني ورواه الفلاني، ما هو سيأتي عبارات من هذه زحمة؟ يصوخوه لما احسب قد هو صدق!..لا. ليقل لك ما قال... ورواه فلان وأخرجه فلان وذكره فلان وحكاه فلان، وكان يدين به فلان.. إلى آخره. المسألة من أساسها انظر ما هي النتيجة في الأخير؟. مبنية على ماذا؟. ثم ماذا سيترتب عليها؟ هي تخالف مخالفة صريحة مقتضى نزاهة الله سبحانه وتعالى الذي هو معنى تسبيحه وتقديسه.

إذاً لا يمكن أن تتقبل مهما كانت الضجة حولها؛ لأن الضجة هنا، أو الكلام الكثير، المؤكد هنا في القرآن الكريم في مجال التسبيح، أو فيما يتعلق بالتسبيح، هو الشيء الذي يجب أن يسيطر أثره على مشاعرك، فلا تتأثر بأي ضجة أخرى مهما كثرت.

كما قلنا: أنها قد تحصل ضجة كثيرة أمامك، وأنت تقرأ مثلاً، أو وأنت تدخل في نقاش مع شخص آخر، ويقول: رواه البخاري ومسلم وذكره الترمذي، وحكاه فلان وذكر فلان، وقال فلان أنه مما أجمع عليه السلف الصالح وحكى... إلى آخره.. كلام كثير.. لكن هؤلاء الذين عرضهم جميعاً ـ الله بالنسبة لهذه القاعدة عرض ما هو أكثر منهم بكثير {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(الجمعة: من الآية١) ما هؤلاء أكثر من البخاري ومسلم وفلان وفلان إلى آخره؟.

فالقاعدة هذه مهمة جداً.. وإذا أردت أن تعرف أهميتها فانظر إلى القرآن الكريم {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(الجمعة: من الآية١) وسور في القرآن الكريم تتصدر بالتسبيح على هذا النحو: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ} أو {سبَّح لله} {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} أو {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الحديد: من الآية١) وفي أواخر بعض السور وداخل السور بهذا اللفظ العام {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} هذا يدل على أهميته، وأنك بحاجة إلى أن تستشعر أهميته، وتنطلق منه في كل مواقفك.

وأنت طالب علم عندما يقولون لك: [مما امتاز به مذهبنا هو الحرية الفكرية، فالإنسان يقرأ وله حق أن يرجح وينظر، ثم له حق أن يجتهد فيما بعد إذا ما توفرت له آلة الإجتهاد فأصبح يستطيع أن يستنبط، وأن ينظر وأن يرجح وأن يقرر وأن... إلى آخره..] هم يخاطبونك بهذا الكلام بمفردك.

ارجع إلى القاعدة هذه: هل ممكن أن يكون الله سبحانه وتعالى يوكل أمر الهدى إلى الناس؟. أم أنه هو الذي يتولى هذه القضية عندما يقول: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}(الليل:١٢) {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}(النحل:من الآية ٩) وهل النتيجة هذه ممكن أن تكون مقبولة عند الله؟. وهل هي منسجمة مع حكمته؟ مع رحمته؟ مع كونه الملك، الإله، الرب؟.

ينسجم مع هذا كله أن ينطلق كل واحد منا ـ ونحن طلاب علم ـ فهذا يرجح خلاف ما رجح هذا، وهذا يقرر خلاف ما قرر هذا، وكل واحد منا يدعي بأن ما وصل إليه هو دين الله، وهو شرع الله. فكلما اتسعت دائرة المتعلمين، وكلما اتسعت دائرة المجتهدين، كلما كثرت الأقوال وكثر الإختلاف، فصعد كل شخص لحاله، وتحرك بمفرده، وانطلق كل منهم يدعو إلى ما توصل إليه.. إختلاف شديد، اختلاف رهيب، تعدد أقوال، وكل منها تنسب إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يخطئ هذا، وهذا يخالف هذا، وتفرق فلا تجتمع لهم كلمة في أغلب الأحوال، في أغلب الأحوال لا تجتمع لهم كلمة.

تقول في الأخير: هل يمكن أن يكون دين الله على هذا النحو؟ وهل الله يريد منا أن نكون على هذا النحو، فقدم لنا دينه هكذا؟ وأراد من كل واحد منا أن يتحرك هو بمفرده؟! فما أداه إليه نظره واجتهاده سار عليه.. وهكذا الثاني، وهكذا الثالث، والرابع.. إلى آخر الدائرة. وإن كانوا آلاف المتعلمين، وآلاف العلماء!! وأنت ترى، وتشاهد أن هذه وسيلة من وسائل الإختلاف والتفرق.. فهل الله سبحانه وتعالى الإله، الملك، هل هذا تدبيره لشؤون عباده؟ هل هذا تشريعه لعباده؟ هل هذا ما يتناسب مع توحيده؟ أن ينزل للناس شرعاً يفرقهم ويشتت شملهم؟ وأن يقبل من كل واحد ما أداه إليه نظره واجتهاده؟.

وعندما تنظر إلى داخلهم ترى الأشياء المتباينة المتضادة المتخالفة التي لا يمكن أن تكون كلها حق، نقول: لا، سبحان الله.. سبحان الله أن يكون شرعه على هذا النحو، أن يرضى لعباده هذه الطريقة، أن يكون هذا هو ما يريده منهم، أن تصبح هذه هي ميزة ما شرعه لعباده، ميزة الإسلام، وأنها هي التي يمتاز بها الإسلام، فنقول: حرية الفكر!!.

لو قررنا ذلك لاحتجنا أن نقرره شرعاً، أي: نحتاج إلى أن نصبغ ما نقرره بصبغة دينية ننسبها إلى الله سبحانه وتعالى، أنه هكذا أراد منا، أن نكون على هذا النحو، أن كل واحد منا ينطلق على هذا النحو بمفرده،

إذاً فهو شرع هذا، وهو في نفس الوقت يقول في القرآن الكريم: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية ١٠٣) ثم يقول بعد: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} (آل عمران: الآية١٠٥).

إذاً ستقول: كيف تنهى هنا عن الإختلاف والتفرق، وتهدد بالعذاب العظيم عليه، وتأمر بالإعتصام الموحد الجماعي بحبل واحد، ثم أنت في نفس الوقت تشرّع ما هو منبع من منابع الإختلاف والتفرق؟! حيث أجزت لكل واحد منا، أو أردت من كل واحد منا أن ينطلق هو بمفرده فيعتمد على ما أداه إليه نظره وترجيحه، ونحن نرى أن الأنظار تختلف، والنتائج تختلف.. ألم يختلف شرع الله هنا؟ ألم يؤد إلى اختلاف؟.

نسبح الله، ننزه الله أن يمكن أن يكون هذا من شرعه، أن يكون في شرعه اختلاف، ويكون في شرعه تناقض {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} (النساء: من الآية ٨٢) ولا يعني الإختلاف هو الإختلاف في ألفاظ النصوص، الإختلاف في الغايات أيضاً، الإختلاف في النتائج أيضاً.. فلا يمكن أن يشرّع هنا شيئاً ثم يشرّع أيضاً شيئاً آخر يؤدي في الأخير إلى نتيجة تخالف نتيجة ما شرّعه هنا. أو يهدي إلى شيء، ثم يهدي إلى شيء آخر يؤدي في الأخير إلى ضرب ذلك الشيء الأول، هذا هو الاختلاف أيضاً، بل هو الإختلاف الحقيقي أكثر من اختلاف النصوص {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} (النساء: من الآية ٨٢) هنا نحتاج - كطلاب علم - أن نسبح الله نقول: سبحانك، لا يمكن أن تتناقض، لا يمكن أن يختلف هداك، لا يمكن أن يتعارض هديك، لا يمكن أن تتعدد طرقك، وأنت الذي تقول: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} (الأنعام: من الآية١٥٣).

وهكذا تحتاج إلى تنزيه الله في كل شيء، وأنت طالب علم، وأنت تاجر، وأنت فلاح، وأنت عالم، وأنت فقير، أو أنت غني، وأنت مجاهد، أو أنت قاعد، وأنت صحيح، أو أنت مريض تحتاج إلى هذه القاعدة، أن تنطلق منها، وهي التي ستحركك، وتوجهك إلى الصواب، فتعرف ما هو الموقف الصحيح الذي يجب أن تقفه في كل الأحوال، وفي كل الظروف.

هذا ما أفهمه بالنسبة لقضية التسبيح.. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المسبحين له، المنزهين له، وأن يترسخ في أعماق نفوسنا مشاعر عظمته وتنزيهه وقدسيته إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

معنى الصلاة على محمد وآله

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

قبل الموضوع الرئيسي للجلسة، يمكن أن نتحدث حول معنى الصلاة على النبي وعلى آله (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

والصلاة من حيث هي، الصلوات الخمس التي فرضها الله على عباده، والصلوات النافلة هي من أهم العبادات، ولها دلالاتها المهمة، ولكن المشكلة هي أننا لا نلتفت إلى ما تدل عليه الصلاة، وما تعطيه من إيحاءات وإشارات ودلائل، نصلي ولكننا قد تعودنا بالنسبة للصلاة أن يصلي الواحد منا عمره، ستين سنة سبعين سنة، نصلي كل يوم، كل يوم، كل يوم، عدة صلوات، ولا نجد أن هناك أثراً بالنسبة للصلاة على الكثير، الكثير منا؛ لأننا لا نلتفت ولا نتساءل، ولا نسأل عما في الصلاة من دلالات، عما فيها من إشارات، عما فيها من إيحاءات كثيرة جداً.

بعض الناس قد يقول لك: [بأن الدنيا ملان طوائف فلا يعرف الإنسان من هو الذي على حق ولا من هو الذي على باطل] ولو قام يصلي ركعتين بتأمل لعرف الحق، ولعرف من هم أهل الحق، ركعتين تكفي واحد إذا كان إنساناً فاهما يتأمل، ركعتين تكفيه أن يعرف المحق من المبطل، وأهل الحق من أهل الباطل.

نصلي على الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في الصلاة في التشهد نقول: [اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد] ألسنا نقول هذا دائماً؟.

ولكن لو تعمل استبيان، سؤال يوجه إلى كل واحد منا فتبدأ من طرف اليمن إلى طرفه الآخر، ستجد القليل القليل من الناس من يعرفون معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد، والكثير ممن يعرفون قد يقول لك: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الإستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.. وانتهى الأمر. وهذا التعريف غير صحيح، تعريف غير صحيح.

الصلاة على محمد وعلى آل محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) جاءت الصلاة بلفظ الدعاء، أن ندعو نحن، نقول: [اللهم صل على محمد وعلى آل محمد] أن تأتي الصلاة على محمد وعلى آل محمد بلفظ أن ندعو نحن لهم بأن الله يصلي عليهم، هذه لها وحدها دلالة مهمة، هي تقررنا، وألسنتنا تنطق بأننا في واقعنا مسلّمين بقضية محمد وآل محمد: أنهم هداة الأمة وقادتها، أنهم أعلام الدين، وورثة نبي الله، وورثة كتابه الذي جاء به من عند الله، فنحن مسلّمون بهذه المسألة أساساً، وإنما لأن هذه قضية مهمة، نحن ندعو لهم.

أعباء الرسالة، أعباء وراثة الكتاب، أعمال ومسؤولية هداية الأمة، مسؤولية كبيرة جداً ليست سهلة، مسؤولية مهمة جداً، ألسنا نجد أننا نعجز عن هداية أسرنا؟ قد تكون أسرتك ثمانية أو عشرة أشخاص فيتعبونك، أليس هذا هو ما يحصل؟ تتعب وأنت تريد أن تهدي أسرتك، وأن تجعلهم أسرة مستقيمة، وهم عشرة، أو اثنا عشر شخصاً، فما بالك بمن حمل رسالة إلى البشرية كلها، إنه حمل كبير كما قال الله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} (المزمل: ٥).

من جعلهم الله ورثة للكتاب وجعلهم أعلاماً للدين، وأناط بهم مسؤولية هداية الأمة، إقامة الحق في الأمة، أيضاً مسؤولية كبيرة جداً، مسؤولية كبيرة جداً، تحتاج إلى أخلاق عالية، تحتاج إلى صدر فسيح، تحتاج إلى تحمل، تحتاج إلى صبر، إلى حلم، إلى كظم غيظ، إلى عفو، إلى أشياء كثيرة جداً.

فنحن كأننا نقول: يا إلهي نحن نؤمن بأن محمداً هو رسولك، ونؤمن بأن آل محمد هم ورثة كتابك، ونحن نعرف أيضاً أن مهمتهم كبيرة، فنحن نطلب منك أن تمنحهم من الرعاية والحظوة لديك والمكانة والمجد والرفعة ما منحته إبراهيم وآل إبراهيم.

ثم نرجع إلى القرآن الكريم فنجد أن الله قد منح إبراهيم وآل إبراهيم الشيء الكثير، المكانة العظيمة الرفيعة العظيمة: الكتاب والحكم والنبوة، وكما قال الله عنهم: {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً} (النساء: من الآية ٥٤) **جعلهم ورثة الكتاب، جعل فيهم الحكمة، جعل منهم النبوة، وحظوا برعاية عظيمة من الله سبحانه وتعالى، لم يحظ بها أحد من الأمم في عصورهم أبداً، حتى في الأوقات التي كانوا فيها بشكل عاصين أو مهملين، كانوا ما يزالون أيضاً**

يحظون برعاية الله سبحانه وتعالى بشكل عجيب، عندما كتب الله عليهم التيه فتاهوا أربعين سنة في صحراء سيناء؛ لأنهم رفضوا أن يدخلوا المدينة المقدسة {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة:٢٦)، **ألم يقل فاسقين؟ ومع هذا ماذا عمل لهم؟ عمل لهم أعمال كثيرة جداً.**

حجر تنبع منها اثنا عشر عيناً، حجر عادية يحملها الحمار، تضرب بالعصا فتنفجر اثنا عشر عيناً، {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ} أنزل عليهم [المنَّ والسَّلوى] المنُّ ينـزل شبيهاً بالثلج عندما ينـزل فيتجمع بكميات كبيرة فيكون عبارة عن غذاء وحلاوى؛ لأنه يكون شكله أبيض وحالي يتجمع. و[السلوى] طائر يتوافد بأعداد كبيرة، أليست هذه رعاية من الله سبحانه وتعالى؟.

شق لهم البحر عندما أمرهم الله هم ونبيه موسى بالخروج من مصر ولحقهم فرعون وجنوده {فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} (الشعراء:٦٣) **الماء كالجبل من هنا ومن هنا، ومشوا في طريق يابس في وسط البحر، في لحظة. عندما حصل منهم تخاذل، تكاسل عن الإلتزام بالتوراة جاء تهديد إلهي لهم: {وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ}** (الأعراف:من الآية ١٧١) **هددهم بالجبل، ثم أعاد الجبل إلى موقعه، وهكذا حظوا برعاية كبيرة كما قال لهم موسى** (صلوات الله عليه): **{وَءَاتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ}** (المائدة:من الآية ٢٠). **عندما تتأمل في القرآن الكريم تتعجب مما عدده الله سبحانه وتعالى من النعم العظيمة عليهم، ومما حظوا به من عناية ورعاية إلهية متميزة.**

نبي الله إبراهيم أيضاً، أثنى الله عليه في القرآن الكريم ثناء عظيماً {وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} (النساء:من الآية ١٢٥) **مكانة عجيبة، وقرب عجيب من الله سبحانه وتعالى أن يقول هكذا: {وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} رفع لإبراهيم ذكره أيضاً، جعله أباً للأنبياء جميعاً، الأنبياء كلهم من بعد من بني إسرائيل كلهم من أولاده من ذريته، حظي بتكريم إلهي عظيم، ورفع الله له ذكره.**

مهمة إبراهيم وآل إبراهيم هي مهمة مرتبطة بالأمة ومرتبطة بالدين، مهمة حمل الدين، حمل الرسالة، هداية الأمة كما قال الله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف:١٨١).

فنحن في الصلاة نقول: [اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم] أي امنح محمداً وآل محمد ما منحته إبراهيم وآل إبراهيم من الرفعة، من الثناء، من المجد، من الرعاية، والمكانة. أشياء كثيرة التي منحها إبراهيم وآل إبراهيم.

ونحن نقول في الأخير وهذا مما يدل على أن تفسير الدعاء ما ذكرناه، أو أن الذكر كما جاء من عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **في آخره: [إنك حميد مجيد] إنك حميد، فأنت مصدر الحمد؛ لأن الحمد هو: الثناء. مجيد، فمنك المجد وأنت مصدر المجد، امنحهم من المجد وامنحهم من الثناء فأنت الحميد، وأنت المجيد.**

تتكرر على ألسنة المسلمين كل يوم؛ كي تترسخ في نفوسهم أهمية ارتباطهم بمحمد وآل محمد، ولكنا نصلي وننسى، بل بعضهم يصلي ويخرج يلعن آل محمد، وهو قبل قليل يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد! لكن إما أن تكون صلاة لا يدري ماذا يقول، أو يدري ما يقول ولا يعي معنى ما يقول.

ولهذا لا أحد ـ فيما نعلم ـ من المسلمين يصلي إلا وهو يصلي على محمد وعلى آل محمد، وبهذا الشكل الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ـ لاحظوا ـ لا زيادة فيه، هل أدخل فيه في الصلاة عليهم أحد من الآخرين؟ لم يدخل الصحابة أبداً، ولم يدخل أحداً من الأولياء؛ لأن هذه الصلاة هي لها دلالة خاصة، هي مرتبطة بمهمة محمد وآل محمد، مرتبطة بمهمتهم، بمسئوليتهم في الأمة، مرتبطة بعلاقة الأمة الخاصة بهم.

بقية المؤمنين هناك ارتباطات أخرى، قد أتولاك باعتبارك مؤمناً، وأحبك باعتبارك مؤمناً، لكن هل أنت ممن يجب عليّ إتباعهم؟ هذا شيء آخر. ألسنا ملزمين بمحبة المؤمنين؟ نحن نحب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ونحب الإمام علياً، ونحب المؤمنين أيضاً، لكن هل حبي لعمار بن ياسر مثلاً وحبي لعلي بن أبي طالب، هل هو مستوي؟ في علاقتي بعلي بن أبي طالب وعلاقتي بعمار هل هي مستوية؟ لا.. أنا أحب عمار بن ياسر كمؤمن، كولي من أولياء الله.**

علي بن أبي طالب علاقتي به علاقة أخرى، أنا أحبه أيضاً كمؤمن، هو أيضاً يجب عليّ إتباعه، ويجب علي الإقتداء به، الإرتباط به، أن أسير على نهجه. عمار بن ياسر الذي أنا أحبه هو يحب علياً على هذا النحو، فيفرق في نظرته نحو علي، وفي علاقته بعلي، وفي ارتباطه بعلي يفرق بينه وبين ارتباطه بالمقداد أو بسلمان أو بأي شخص آخر من المؤمنين.

فعندما نزلت الآية: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} (الأحزاب:٥٦) **قالوا أنهم سألوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فقالوا: قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟. فجاء بهذا اللفظ: قولوا: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)). ولم يضف أحداً في هذه الصلاة.**

جاء الآخرون الذين هم أكثر تنبهاً من النبي - يعدون أنفسهم تقريباً هكذا!! - فأضافوا وأصحابه، عندما يصلون على النبي هكذا أثناء كلمة أو أثناء كتابة موضوع، لكن لم يستطيعوا أن يزيدوا حرفاً واحداً في الصلاة على النبي وآله داخل الصلاة، هكذا داخل الصلاة حفظت الصلاة على النبي وعلى آله بهذا الشكل، لا أحد يدخل وأصحابه أبداً؛ لتبقى حجة على الناس، فكل مسلم يصلي ويقول داخل الصلاة: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)).

هكذا يذكرهم دون غيرهم، وإن كان يذكر غيرهم في بقية المناسبات عندما يخطب عندما يتحدث فيصل إلى ذكر النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فيصلي على النبي وعلى آله وأصحابه.. ما هكذا يعملون؟.

طيب: هل هؤلاء أكثر تنبهاً من النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟! والصحابة إن كانوا جديرين بأن يُشركوا في هذه الصلاة فَلِمَ لم يصل عليهم؟. فهل نقول: بأنه لم يتنبه للقضية، إذاً فهو قصّر؟ أو ربما أنه غفل فنحن جئنا بها، وأن الواقع يفرض أن نجيء بها؟ لا.. هو يعرف، وهو في حبه للمؤمنين من أصحابه أكثر حباً منا لهم. أو أنه يرى أنهم غير جديرين نهائياً بالدخول في الصلاة، باعتبار أي وضعية كانوا عليها، فلماذا يضيفون الصلاة على الصحابة؟.

لا مبرر لها إطلاقاً، هذه هي بدعة؛ لأنهم هم يروون الحديث، ويروي البخاري نفسه الصلاة على النبي وآله دون إضافة: وأصحابه. في تفسير الآية: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} فهو علّمهم، أليسوا يقولون: إنه مبين، فبين لهم كيف نصلي عليه، قال قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. بل جعل الصلاة على آله جزءاً من الصلاة عليه؛ لأنها ورد في الآية صلوا على محمد {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ} فالصلاة عليه إنما تتم بأن تصلي عليه وعلى آله كما علمك هو. أن تضيف أشخاصاً آخرين باعتبار أنك تراهم مؤمنين هذه قضية ليس لها علاقة بهذا الموضوع.

هي لم تأت الصلاة على آل محمد باعتبار أنهم هم وحدهم المؤمنون فقط، ليس لهذا، أنهم هم وحدهم المؤمنون والباقي ليسوا مؤمنين، ليس لهذا، هناك مؤمنون من غير آل محمد، إنما الصلاة على محمد وعلى آل محمد، آل محمد فقط، لها دلالتها المهمة فيما توحيه لنا بضرورة أن نرتبط بمحمد وآل محمد. ما هي مسألة أنه [ألاحق] بها الباقي: وعلى أصحابه، وعلى أزواجه، وذريته، وعلينا معهم، وعلى التابعين وعلى أهل [جلج] ما هي هكذا؟ تأتي توزيع؟.

النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو حكيم، والصلاة هذه ذكرت داخل الصلاة التي هي من أفضل الأعمال في الإسلام، أليس المؤذن يقول في الأذان - الذي شرع -: ((حي على خير العمل)) الصلاة خير الأعمال، و هي فعلاً من خير الأعمال ومن أهم الأعمال، لو أننا ننتبه للصلاة وما تعطيه الصلاة من دلالات، وما لها من قيمة في النفوس لكنّا على وضعية أفضل مما نحن عليه، ولما تساءل أحد عن شيء: من هم أهل الحق؟ ما أدري كيف يمكن نعرف أهل الحق؟ أو ما عاد عرفنا كذا..!.

فنحن ندعو بهذا ـ أن تصبح المسالة ـ كما قلت سابقاً ـ لدينا هو: أن ندعو الله ـ أن يصلي عليهم على هـذا النحـو ماذا تعني؟ لم تأت الصلاة على محمد وآل محمد بلفظ خبر، إخبار هكذا، أن نقول: وصلاتنا وسلامنا علـى محمـد وعلى آل محمد، هل جاء بهذا الشكل؟ بل نحن ندعو الله لهم، أن أدعو الله لك، أليس ذلك يعـني: أنـني مهـتم بقضيتك؟. فمعنى ذلك أننا في واقعنا لا نشك في ضرورة ارتباطنا بمحمـد وآل محمـد، وأننـا في واقعنـا يـا الله نعرف أهمية هذه القضية، فنحن لشدة حرصنا على أن يقوم محمد (صلوات الله عليه وعلـى آلـه) وآلـه بالمهمـة التي أنيطت بهم، ونحن في ولائنا الشديد لهم نريد منك يا الله أن تمنحهم كذا، وكذا.. ما منحته إبراهيم وآل إبراهيم. أليس هذا هو تعبير عن الولاء؟. ففي لفظ الصلاة كتعبير عن ولائنا، تعبير عن ارتباطنا، ذلك الـولاء القوي الذي يجعلني أندفع نحو أن أسأل الله أن يمنحهم ما منح آل إبراهيم.

ووجدنا في [سورة البقرة] وبقية سور القرآن كلام كثير عن آل إبراهيم {يَـا بَنِي إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِـيَ الَّتِـي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَـالَمِينَ يا بني إسرائيل} (البقرة:٤٧) يا بني إسرائيل.. يا بني إسرائيل.. كـم ورد في القرآن، كثير من أخبارهم.

هي في نفس الوقت شهادة تدل على أن هداية الأمة، وقيادة الأمة، والقيام بأمر الأمة والدين هو منوط بمحمـد وآل محمد، منوط بهم، وإلا فلماذا نصلي عليهم وحدهم؟. على محمد وآل محمد، على هذا النحو؟.

وأن تكون الصلاة عليهم كالصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم لها دلالتها. من الممكن أن أصلي عليك، ممكن أن يصلي الله علينا، بل قال: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ} (الأحزاب: من الآية٤٣) أليس كذلك؟ بمعنى: أن يحوطكم بعناية ورعاية منه،ولهذا قال: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ ليخرجكم من الظلمـات إلى النـور} (الأحزاب: من الآية٤٣) أليست هذه عناية ورعاية؟ لكننا نريد نحن منك يا الله أن تصلي على محمد وآل محمد مثل الصلاة الـتي صليتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. أليس كذلك؟.

وهو دعاء متكرر في كل صلاة.. معنى ذلك أننا نريد منك أن تعطيهم ـ لأننا يهمنا أمرهم، ونحـن نحـبهم ونحـن نرتبط بهم، ونحن على يقين بأن مسئوليتنا وأن أمر ديننا وأمرنا مرتبط بهم ـ نريد منك أن تمنحهم أحـسن مـا يمكن أن تمنح أحداً من عبادك الصالحين فيما له علاقة بأداء مهمتهم.

فعلاً في التاريخ وفي الواقع تجد أن آل محمد حظوا بعناية إلهية عجيبة، لو لم يكن هناك رعاية من الله لما بقـي منهم أحد، في القرن الأول وحده، دع عنك إلى الآن، تعرضوا للسجون، وتعرضوا للقتـل، وتعرضـوا للتـشريد، وقامت الدولة الأموية كلها همها الكبير هو مطاردة آل محمـد ومحاربـة آل محمـد، محـاربتهم شخـصياً، ومحاربـة فضائلهم، ومحاربة ذكرهم، وتنصيب آخرين بدلاً عنهم، أعلاماً آخرين، عقائد أخرى، تاريخ آخر، فضائل أخرى. عملوا كل شيء بديل. في كربلاء يصل الأمر إلى أن لا يَسْلَم من أولاد الإمام الحسين إلا واحد، هو زين العابدين.

تأتي الدولة العباسية وتسير على هذا النحو تسير في محاربة آل محمد، وتجد ماذا؟ أليس الآن أصبح آل محمـد أكثر انتشاراً في الدنيا، ذرية الحسن والحسين ملأوا الدنيا! أين هم ذرية عمر بن الخطاب؟ أين ذرية أبي بكـر؟ أين ذرية معاوية؟ أين ذرية عبد الله بن عباس؟ أين ذرية فلان. كيف؟ ما الـذي حـصل؟. ((وبـارك علـى محمـد وعلى آل محمد)) بركة إلهية، على الرغم مما حصل لهم من تشريد وتقتيل وطرد يبارك فيهم ويبـارك علـيهم، ويرعاهم فيتكاثرون ويحفظون؛ لأنه كما قال الرسول (صلوات الله عليه وعلـى آلـه) في حـديث الـثقلين: ((لـن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)).

بل تجد من العجيب أنه حتى بقية أبناء الإمام علي من غير الزهراء، غير الحسن والحسين أيضاً ذريـتهم قليلـة جداً ونادرة جداً.. ذرية الحسن والحسين هم ملأوا الدنيا، وأنسابهم معروفة مشهورة يحفظها العلماء من شيعتهم ومن غير شيعتهم، في اليمن وفي إيران وفي العراق وفي الحجاز وفي مصر وفي أندونيسيا، في كل البلدان وبأعداد كبيرة.

لماذا لم يتكاثر ذرية عمر بن الخطاب لماذا؟ هل أن ذرية عمر كان ممكن أن يتعرضوا للقتل؟ لا. بل كان ممكن أن يحظوا باحترام، لأن أكثر الأمة مرتبطة بعمر، أليس كذلك؟ كان بالإمكان أن يحظى ابن بنت بنت عمر باحترام كبير، لكن أين هم؟.

الكل يعرف شهرة ذرية الإمام الحسن والإمام الحسين في إيران وفي اليمن وفي كل المناطق معروفون، بل معروفون بألقاب خاصة: في اليمن وفي إيران وفي العراق وفي الحجاز بلفظ [سيِّد]، وفي مناطق أخرى في مصر وفي تونس وفي مناطق أخرى بلفظ [حبيب] في بلدان المغرب، وفي بلدان أخرى أيضاً بلفظ [شريف] وهكذا. الناس يميزون ذرية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ذرية الحسن والحسين، في هذا آية إلهية لمن تأمل.

الم يعش علي وعمر وأبو بكر وعثمان في عصر واحد؟ أين هم ذرية الثلاثة أين هم؟ هل تعلم بأحد في اليمن من ذرية أبي بكر أو عمر أو عثمان؟ الكلام الآن عن ذريتهم أو عندكم أنها قضية طبيعية؟ ليست طبيعية هذه أن يتكاثر من يتعرضون للقتل والتشريد والطرد ويتعرضوا للظلم، تكاثروا رغماً عن مئات السنين من الحروب ضدهم.

أليست هذه رعاية إلهية؟ والآخرون الذين كانوا ستحظى ذريتهم بالإحترام والإجلال ولا يتعرضون لشيء ليس لهم وجود، هل كانت السنية في أيام بني أمية، هل كانوا سيحاربون ذرية عمر بن الخطاب؟ لا.. أو سيحاربون ذرية أبي بكر؟. من أيام الدولة العباسية وإلى الآن لو يرون واحد فيه رائحة من أبي بكر لبنوا عليه قبة وهو حي ـ إن صح التعبير.

هذه آية إلهية تدل فعلاً على أن لأهل البيت دوراً مهماً في هذه الأمة، وأنهم مرتبطون بالقرآن الكريم، وأنهم حظوا برعاية إلهية، وحفظ إلهي في بقاء وجودهم، وإلا فهم تعرضوا لاستئصال عرقي فعلاً؟. حفظوا كما حفظ القرآن الكريم، ألم يحفظ القرآن الكريم؟ ما احد استطاع أن يغير أو يبدل أو يقضي عليه.

آل محمد قرناء القرآن حفظوا، حاول الطغاة بكل الوسائل القضاء على آل محمد فقتلوا وشردوا، حتى كان البعض منهم يبنون عليه عموداً وهو ما يزال حياً فيموت داخل ذلك العمود، ومع هذا لم يستطيعوا أن يقضوا عليهم.

ذرية معاوية أين هم؟ ذرية هارون الرشيد أين هم؟ ذرية أناس قريبين منذ أربعمائة سنة أو خمس مائة سنة أين هم؟ إذا كان هناك وجود لهم فقد يكون بأعداد نادرة جداً.

كذلك في المكانة في الدين الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) أليست هذه مهمة كبيرة وفي نفس الوقت فضل كبير لأهل البيت؟ أن يقرنوا بالقرآن في ضرورة التمسك بهم لتنجو الأمة من الضلال، هذه هي وراثة الكتاب التي أعطاها بني إسرائيل والتي تحدث عنها في القرآن كثيراً.

وهذا معنى الصلاة، الذي يقول لك: الصلاة من الله هي الرحمة، ومن الملائكة الإستغفار، ومن المؤمنين الدعاء. هكذا يفسرونها تلقائياً، لا أدري من أين جاء هذا التفسير. لو أن الصلاة منا بمعنى الدعاء ـ نحن فعلاً ندعو ونقول: اللهم صل ـ لكن لو أن الامتثال لقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ} يكون معناها: ادعوا له، لكان الامتثال كيف يكون؟ اللهم ارحم محمداً، اللهم اغفر لمحمد، اللهم أجزه عنا خيراً، أليس هذا هو الدعاء؟ أن ندعو له وندعو لآله على هذا النحو.

لكن هنا نحن نقول: [اللهم صل]، فنحن ندعو أن الله هو الذي يصلي عليهم، فعندما يقولون: الصلاة منا هي الدعاء، لا.. هي أن ندعو الله بأن يصلي، ليس معناها مجرد الدعاء منا، أن يكون الامتثال لقوله تعالى: {صَلُّوا عَلَيْهِ} هو: أن ندعو أدعية أخرى.. صلوا عليه، قولوا: (اللهم صل)، ألسنا في الأخير طلبنا من الله أن يصلي هو؟.

والصلاة من الله الرحمة، هكذا يقولون، الله قال في آية أخرى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (الأحزاب: من الآية ٤٣) **هذه الصلاة {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}** (التوبة: من الآية ١٠٣) **هذه أيضاً صلاة، كلمة: [صلاة] هي تختلف عن أي دعاء بأي مفردة أخرى، أن أقول: اللهم صل على فلان، معناها: اللهم**

حُطه من لديك بعناية ورعاية وامنحه عزة وشرفاً أو أي شيء من هذه الأشياء التي يكون لها قيمة في نفسه، لكن الصلاة على محمد وعلى آل محمد جاءت متميزة، أن تكون على النحو الذي حصل لإبراهيم وآل إبراهيم.
وآخر الصلاة يفسر لنا معناها (إنك حميد مجيد) فأنت مصدر الحمد ومصدر المجد، فمنك الحمد ومنك المجد، أليس الحمد معناه الثناء، والمجد العزة والرفعة؟. إذاً فنحن دعونا من له الثناء والمجد أن يمنح محمداً وآل محمد ثناءً ومجداً: عزة ورفعة ومكانة.. إلى آخره. ولو أنها كانت بمعنى الدعاء لكان آخرها (إنك غفور رحيم مثلاً، أو إنك سميع الدعاء، إنك سميع مجيب) أو نحو هذه.
فالصلاة في الصلاة هذه: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) التي نقولها هي تدل فعلاً على أن أمر الأمة أمر الدين وراثة الكتاب، الهداية إلى الحق إقامة العدل والقسط في الناس هو منوط بمحمد وآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم).
قضية أن تأتي الصلاة عليهم على هذا النحو المطلق، هل في تفسير الآية عندما قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)) هل أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يعلم أنه سيكون في ذريته من ليسوا بصالحين؟ هو يعلم، فما هو الفارق؟ مثل الآية القرآنية تماماً {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (فاطر:من الآية ٣٢).
عندما يقول في الآية: (فمنهم.. ومنهم.. ومنهم) من يريد، ممّن؟. من مَن اصطفاهم {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا} فمنهم، أي: ممن اصطفينا، من هو {ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}، ومنهم، أي: ممن اصطفينا، من هو {مُّقْتَصِدٌ}، ومنهم، أي: ممن اصطفينا، من هو {سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} ما كأنه بيقول: على الرغم من آنافنا ـ إن صح التعبير ـ ألم يجب الله على أي تساؤل من هذا القبيل؟ لحكمة، ما هو لأنه يريد أن يربطك بظالم رغماً عنك أو بفاسق رغماً عنك. لا.
افهم المسألة على هذا النحو: نحن اصطفينا فئة من عبادنا، هذه واحدة، ما معناها هكذا؟. جعلناهم ورثة للكتاب. أن تأتي أنت وتقول: لكن فيهم، ولكن فيهم، وفيهم؟. وكيف نعمل إذا فيهم؟ هو يعلم بكل شيء من قبل أن تعلم أنت، هو يقول لك: هنا وراثة الكتاب هنا، وأنا الذي سأتكفل بوضع الهداة داخل ورثة الكتاب. فأنا يجب علي أن أؤمن بأن هؤلاء هم صفوة، أي هو اصطفاهم لأن يكونوا ورثة لكتابه، أليس هذا هو الواجب؟ في الآية القرآنية هل بإمكانك أن تقول: أن الظالم لنفسه ليس ممن اصطفاهم؟ ليس من الفئة التي اصطفاها؟ هل تستطيع أن تقول ذلك؟.
وهو قال في الآية ثلاث مرات: فمنهم.. ومنهم.. ومنهم، ألم يقل هكذا؟. {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ} يعني من من؟ ممن اصطفاهم {ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} هل بإمكاني أن أقول: لا؟ أو بإمكان أي واحد أن يقول: لا.. أقول: الظالم أبداً ليس من الفئة التي اصطفاها الله. هل بإمكاني أن أقول هكذا؟ سأكون مكذباً بالقرآن، هو منهم لكن هو شخصياً لا أتبعه، هو شخصياً لا أتولاه، لا علاقة لي به.
لكن افترض أنه اصطفى هذه الفئة بصورة عامة، لو قلنا بأن هذا الشخص الذي هو ظالم الآن فلان ابن فلان ظالم لنفسه مجرم، أصبح بكونه مجرم أو ظالم خرج عن دائرة من اصطفوا، ثم نشأ منه الذرية الصالحين طلع منهم هداة، من أين هؤلاء؟ ألم نكن قد قطعنا الطريق نهائياً؟ ممكن أن يخرج الحي من الميت، هكذا، فيخرج من هذا الظالم من هو ولي وهادي وقائد للأمة، وهذا الشخص الجيد من أين؟ أليس ابن المجرم؟ ما هو ما زال من المصطفين؟ يعني الإصطفاء للمجموع، لهذه الفئة.
مثلما حكم بالميراث للورثة، ورثتك رغماً عنك يرثوك، ما بعضهم تكون أنت تكرهه؟ بل بعضهم يحاول يعمل تمليكات ونذورات وحاجات من هذه لأجل بعض الورثة الذي هو يكرهه؟ ولو أنت مؤمن تقي وابنك مجرم سيرث منك رغماً عنك، ما هي هكذا؟.

هل لكون ابنك قد هو فاجر لا يعد يصح أن يرث منك؟. {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} (النساء: من الآية ١١) لو أنت من عباد الله الصالحين من السابقين وابنك مجرم فسيرث منك ما دام محسوب داخل ملتك. إذاً فالمسألة هي هنا.

حتى لاحظوا عندما نقول: (اللهم صل على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين) هل تعتقدوا بأن كلمة: [الطيبين الطاهرين] هو استثناء أو ثناء؟ هو ثناء، نقول: اللهم صل على محمد وعلى آله، ثم نصفهم بأنهم طيبين ونصفهم بأنهم طاهرين، أصبحت في مفهومنا استثناء أي إخراج من ليسوا.. ومن ليسوا.

إذا كنت تريد أنت أن تخرج، أنت لست بحاجة إلى أن تفكر بأن تخرج أو تدخل، لا تفكر في الموضوع من أساسه كيف؟. لأن القضية هي شهادة باصطفاء هذه الفئة لهذه المهمة.

[آل محمد] ما هذا اسم عربي؟ إسم عربي معروف في اللغة العربية، آله: يعني ذريته، هؤلاء هم المصطفين لوراثة الكتاب، وأن يكونوا هم قرناء الكتاب؛ ولذا قرنهم في حديث الثقلين، ما هم هؤلاء؟.

إذاً هؤلاء هم أنفسهم الذين ذكرتهم الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} أليست كلمة: (اصطفينا) أرفع من كلمة: (صلِّ) التي نحاول نتمسك فيها ونحاول نصرفها، لا تجي كذا ولا تجي كذا؟ ما هي أعلى مكانة؟ (اصطفاهم) ثم يقول لك: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} هنا ارتبط عملياً بالسابق بالخيرات، في نفس الوقت أنت ملزم بأن تؤمن بأن هنا وراثة الكتاب، هنا آل محمد الذين أمرنا بأن نصلي عليهم، على آل محمد.. فصل عليهم نفس الصلاة المطلقة التي صلاها عليهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وجعلها جزءاً من الصلاة عليه.

هل هو استثنى؟ طيب إذا قلنا بأنه لم يستثن أي: أنه يريد أن يدخل الظالمين والفاسقين فيهم؟ القضية ليست قضية قسّام صلاة، أن أقول: اللهم صل، ثم أقسمها وأنظر كم نصيب هذا وكم نصيب هذا، وأقول لهذا: أنت مالك شي اخرج، وهذا ما هناك نصيب رحلك. ليست المسألة على هذا النحو، أبداً، وليست صلاتك التي ستجعل محمداً وآل محمد يرتفعون إلى عنان السماء، الله قد رفع ذكر محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وأشاد بذكره في الأذان: (أشهد أن محمداً رسول الله) فقرن اسمه باسمه فأنت تشهد أن لا إله إلا الله كما تشهد بأن محمداً رسول الله، {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (الشرح:٤). ألم يقل هكذا في القرآن الكريم.

لكن بالنسبة لنا نحن، نفهم: أن يقدم لنا هذا الذكر على هذا النحو هو من أهم أبواب الهداية لنا؛ لنفهم أن المسالة مهمة وأنه لا بد أن نكون مرتبطين بمحمد وآل محمد، وأن رسول الله هو الذي أمرنا، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر رسوله ثم عندما أجي أتساءل لكن كيف؟ أنت ثق بالله أولاً. والمسألة هي كما قال الإمام زيد ((أهل بيتي فيهم ـ كما قلت ـ المخطئ والمصيب إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم)). هذا شيء مؤكد.

المسألة هي على هذا النحو.. حتى لا تكون أنت مقسم صلاتك على ما قلنا سابقاً.

أمرنا أن نحبهم فنحبهم، أمرنا أن نصلي عليهم فنصلي عليهم، أمرنا أن نرتبط بهم جملة، أمرنا بأن نؤمن بأن هناك وراثة للكتاب وهناك الهداية للأمة، هذا هو الشيء المهم.

إذا جئنا إلى المسألة من جانب آخر ثم أقول: [الذي أعرفه من أهل البيت وهو صالح أنا سأحبه، لكن الآخرين مالي دخل منهم]. كيف أصبحت روحيتك ونفسيتك بالنسبة لأهل البيت، أليست نفسية انتقاء من البداية؟ يعني أنت أساساً لست مرتبطاً بأهل البيت ولكن إذا ظهر لك أن هناك واحد جيِّد فأنت ستحبه، أليست هكذا؟ والمطلوب هو العكس هو أنني أرتبط بأهل البيت، أحب أهل البيت، أصلي على محمد وآل محمد، أتولى آل محمد على هذا النحو، ثم في ميدان العمل أرتبط بالهداة، في ميدان الولاء عندما يتبين لي شخص سيء أرفضه.. هكذا الطريقة. لا أكون في الواقع رافضاً للكل، إلا إذا ظهر لي فلان والاّ ظهر لي واحد من هناك سأتولاه، ما هناك فرق بين المسألتين؟.لماذا؟.

لأن القضية هي قضية هداية من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لنا يهدينا إلى كيف تكون نظرتنا لأهل البيت، وكيف نرتبط بهم لم يترك المسالة لنا نحن للإنتقاء؛ لأننا سنختلف في موضوع الإنتقاء أليس هذا هو الذي حصل؟

السنية أنفسهم هم يؤمنون بمحبة أهل البيت، ومن عقائدهم، وجوب محبة آل محمد، لكن ماذا يقولون: [لكن من كان منهم متبعاً للسنة] لاحظ كيف.. فالشافعي منهم يريد من كان من أهل البيت على مذهبه، والحنفي منهم يريد من كان من أهل البيت على الذي يرى بأنه صالح، أي من كان على ما هو عليه من المذهب، أليس كذلك؟ والمالكي كذلك، والحنبلي كذلك، والزيدي كذلك، والجعفري كذلك، والباطني كذلك وكل طائفة على هذا التصنيف.

التصنيف هذا هو ملغي أساساً، لا قيمة له داخل تشريعات الإسلام بكلها، هذه الروحية ملغية من أيام آدم، الروحية هذه ألغيت من أيام آدم، من أول أمر إلهي توجه إلى آدم، أن أقول: لا بأس الذي يظهر لي منهم أنه مؤمن سأحبه، لكن انظر كيف ستطلع الفوارق، الذي يظهر للشافعي من هناك، أليس هو غير الذي سيظهر لي؟.

ألسنا في الأخير سنختلف؟.

والمسألة هي أنه يريد أن يربط الأمة بكلها بأهل البيت، فليؤمنوا بأن هنا وراثة للكتاب، بأن هنا العترة التي أمر بالتمسك بهم مع القرآن، ودعوا التصنيفات، فباقي المسألة هي على من؟. على الله، أليست على الله؟. مثلما فهمها الإمام الهادي، مثلما فهمها الإمام زيد مثلما فهمها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الأمر الذي يجب أن نفهمه نحن أيضاً، وإلا فمعنى ذلك أننا لسنا واثقين بالله، عندما تقول: كيف يأمرنا بمحبتهم وفيهم كذا وفيهم كذا، كيف يجعلنا نتمسك بهم وهم كذا وهم كذا. ما أنت تستنكر على الله؟. الله أسجد الملائكة لآدم عندما قالوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} (البقرة:من الآية٣٠) ألم يقل الملائكة هكذا؟ ليس كلامهم هذا بشيء عند الذي يصدر منا من الكلام.

إذا قد صح لي فقط بأن الله يريد مني أن أتبع أهل البيت ويريد من الأمة جميعا أن تتمسك بأهل البيت؛ إذاً فلنتمسك بأهل البيت، ولو حصل التمسك بأهل البيت من أول يوم من بعدما مات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لما تفرقت الأمة أبداً، ولما اختلفت في الدين أبداً، فما نشأت هذه التساؤلات إلا من بعد، ولأنني أنا بطبيعتي وفطرتي، أي واحد منا سيعرف، هو يفرق، سأعرف بأن ذلك هو الجدير بأن أتبعه وليس ذلك الجاهل، وليس ذلك الفاسق، هل أحد منا سيتجه إلى الجاهل يتبعه؟ هو ما معه أي شيء يمكن أن أتبعه فيه.

لكن أحبه لأنه من قرابة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ذلك الفاسق من أهل البيت هل أحد منا سيفكر أن يتبعه؟ وإذا كان هناك أشخاص مثلاً فاسقين من أهل البيت ومعهم ناس يتبعوهم هل هم يتبعونهم على أساس أنهم متبعين لأهل البيت؟ إسألهم! لا.. معلوم هذا.

فالناس بطبيعتهم يفرقون، والله سبحانه وتعالى هو من سيتكفل بأن يجعل لأمته هداة من داخل أهل بيت نبيه، في كل عصر بدون تساؤلات بدون تصنيفات.

ومتى قد قال الله لك أن تحب الفاسق منهم أو تتولى الفاسق؟. هل قد قال كذا؟ حتى نقول: كيف؟ لماذا؟ ما قد قال لنا نهائياً، ما قد قال.

لكن أنت عندما تنتقد عليه أنت تنتقد على الله سبحانه وتعالى فتقول: كيف؟ وكيف؟ ولماذا؟ بعدما صحت القضية، بعدما صحت القضية التي منها: أننا نؤمن جميعاً بأن الصلاة عليهم مع الصلاة على النبي وآله هي من أذكار الصلاة التي هي خير الأعمال، أليس هذا دليل؟.

إذاً فالمطلوب هو الإرتباط بأهل البيت هكذا، محبة أهل البيت هكذا، وليس الرفض إلا إذا ظهر لي ذلك أنه مؤمن فأنا أحبه! فتكون قاعدتي العامة أنه لا أرتبط بهم إلا إذا رأيت واحد صالح،الصالح عندما ترى صالح يجب أن تحبه وتتولاه من أي فئة كان، يعني قضية أهل البيت ليس لكون المسألة أنهم هم وحدهم مَنْ هم مؤمنون، أو هم وحدهم الذين يجب أن تحبهم، أليست المحبة واجبة فيما بين المؤمنين؟ أليس المؤمنون يجب أن يكون بعضهم أولياء بعض؟.

لكن فقط هناك تميُّز في هذه المسألة هو: أن المحبة لأهل البيت لمهمة أخرى، لغرض آخر، أن تولي أهل البيت هو من نوع آخر، كما قلنا سابقاً: هل هناك استواء لمحبتي لعلي ومحبتي لعمار؟ والتولي لعلي والتولي لعمار؟.
عندما يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (المائدة:من الآية٥٥) وهناك قال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة:من الآية٧١) هل قوله: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} مثل {وَلِيُّكُمُ}؟. ليست المسألة سواء، هناك فوارق. محبتي لأهل البيت هي لغاية أخرى أن أؤمر بالإرتباط بهم وبمحبتهم؛ لأن محبتي لهم هي تساعد على اتباعي لهم وتمسكي بهم، فهي تدفعني إلى طريقهم، وإلى السير على هديهم، محبتي لك أنت كمؤمن لكن لست ملزماً بأن أقتدي بك، أنا وأنت ملزمون بأن نقتدي بأهل البيت، أليس كذلك؟.
فأنا أحبك كمؤمن، وحبي لك وحبك لي هو يساعد على توحدنا ووقوفنا مع بعض، أليس للحب هنا غاية أخرى؟.
تولي لك وتوليك لي هو أيضاً يساعد على أن نكون عبارة عن جسد واحد كما قال في الحديث؛ لنقوم بمهمة واحدة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: من الآية٧١).
إذاً فلا تشغل نفسك وأنت مقسم لصلاتك على محمد وعلى آل محمد، رسول الله أمرني أن أصلي عليهم على هذا النحو وأنا أعلم برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لأنه يتحدث بوحي من الله، الله هو الذي أمره لا يأتي بألفاظ هكذا من عنده هو، فأصلي عليهم كما أراد أن أصلي عليهم على هذا النحو.
وأفهمُ أن المسألة هي لبيان مقام أهل البيت في الأمة، ولربط الأمة بأهل البيت، إذا أردت أن أتساءل فاذهب أتساءل على الآية القرآنية، وانظر كيف هل فيها مخرج؟ {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} أين أرفع كلمة: {الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا} التي جاءت من عند الله، أو كلمة: (اللهم صل على آل محمد) التي جاءت من عندي؟. أيهما أرفع؟
ثم يقول في الأخير: (فمنهم.. ومنهم.. ومنهم..) أليس الله يعدد من داخلهم؟. لكن أنا ملزم بأن أؤمن بأن هؤلاء هم الذين اصطفى، أليس هذا الذي يجب علي؟. عندما يقول لي بأن منهم ظالم. في ميدان العمل لن أرتبط بالظالم، أليس كذلك؟ {لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة:١٢٤) بل انطلق بعد السابقين بالخيرات في ميدان العمل.
أفضل صلاة يصليها الإنسان على أهل البيت هي أن يقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) لا تزيّد ولا تنقّص، ولا داعي لتلك العبارة التي يأتي بها الخطباء: اللهم اجعل أزكى صلواتك وأنمى بركاتك.. إلى آخره.. نحتفظ بهذا النص الذي جاء من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن الرسول هو حكيم كحكمة القرآن، ولا تقول: طيبين، ولا تقل: طاهرين، ولا تقل شيء: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) هذا حديث الأمة متفقة عليه، ويشهد للمسألة هو اتفاق الأمة على هذه الصلاة داخل الصلاة، حتى في التشهد أليس بعضهم يقول: [التحيات لله والصلوات] حتى يصل إلى هناك ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد.. هكذا، أليس الناس جميعاً يقولون هكذا؟ الذي يقول [بسم الله وبالله] والذي يقول [التحيات لله] إلى آخره.
لاحظوا، الأشياء التي تعتبر مهمة للأمة الله يحفظها، الأشياء التي هي مهمة جداً في هداية الأمة وتوجيههم إلى الصراط المستقيم تحفظ، حديث الثقلين حفظ على الرغم مما حصل ضد أهل البيت من مؤامرات، وحديث صحيح لا أحد يقدح فيه، حديث الغدير حفظ، حديث المنزلة حفظ، أحاديث كثيرة التي هي تعتبر قواعد هامة جداً، الصلاة على النبي وآله بهذا النحو داخل الصلاة حفظت.
ولهذا تلاحظ كيف جاءت سرًّا، أليس التشهد سرًّا؟ ربما لو أن التشهد جهراً لاحتاجوا أن يدخلوا في الصلاة عليهم شيء وهي جهر، لكن كل واحد يصلي لحاله، والذي في نفسه شيء على آل محمد لا يحاول أن يزيد شيء؛ لأن الصلاة سرية وأنت تخاطب نفسك.

وأنا أصلي عليهم ثم أسير على نهج غيرهم وأتمسك بغيرهم!، أصلي عليهم في الصلاة ثم لا أذكرهم مرة واحدة، وأكرر الكلام في الصحابة صحابة صحابة.. إلى آخره. أليس هذا شيء مخالف؟! ولهذا نقـول: لاحظـوا عقائـدنا نحن كيف أنها منسجمة مع القرآن ومع الصلاة، قلنا لكم من زمان أن عقائدنا نحن، عقائد أهل البيـت وشـيعتهم من الزيدية منسجمة تماماً مع القرآن، ومنسجمة تماماً مع الصلاة من أولها إلى آخرها.

نحن قلنا في جلسات سابقة: أن الآخرين الذين عقائدهم باطلة في الله ويقولون: (سبحان ربي العظيم وبحمـده) أليسوا يكذبون في قولهم هذا؟ عندما يقولون: (الله أكبر) وهم يأمرون بطاعة الظالم، أليسوا يكذبون؟ وهكـذا من أول الصلاة إلى آخرها هم يشهدون على أنفسهم بالباطل، وعندما تتجه إلى عقائدنا تجـد صـلاتنا وإذا هـي صحيحة من أولها إلى آخرها لفظاً ومعنى فيما تعطيه من دلالة، نحن نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ونتمسك بمحمد وآل محمد.. أليس كذلك؟ لكن أن أقول: اللهم صل على محمد وعلـى آل محمـد ثـم أذهـب إلى آخرين هل هذا انسجام مع الصلاة أم مباينة؟.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

مَنْ نحنُ ومَنْ هُمْ

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: شهر شوال ١٤٢٢هـ
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

لولا أن [اليهود] واثقون بأن التعليم الذي تتقبله [المرأة] من هنا وهناك، من داخل المناهج، ومن وسائل الإعلام، ومن الثقافة العامة، من هنا وهناك، لولا أنه بالشكل الذي يجعل المرأة كما يريدون هم لما انطلقوا، ولما بذلوا أموالهم، ولما ألحوا علينا أن نعلمها.

إذاً هم واثقون بأن ما بين أيدينا مما يعطي العلم والمعرفة من مختلف القنوات هو بالشكل الذي يجعلنا نحن ونساءنا كما يريدون، وما معنى كما يريدون؟ هل أنهم يريدون لنا أن نكون أمة عظيمة، أمة قوية، أمة مهتدية، أمة تبني نفسها؟ لا، هم يريدون أن نكون أمة ضائعة، أمة مدجّنة لهم، أن تكون المرأة نفسها وهي تتعلم، وتتعلم من التلفزيون، ومن المنهج، ومن الندوات الثقافية، من مختلف الوسائل، من المجلات، من الصحف، تتعلم كيف تصبح في الأخير امرأة بعيدة عن أن تنجب عربياً مسلماً، بعيدة عن أن تنجب وتربي أبطالاً مسلمين، بل ستربي جنوداً صهاينة، وتنجب مجتمعاً وأجيالاً يتحولون إلى خدام لهم.

عندما يذكر الله سبحانه في القرآن الكريم عن أهل الكتاب وخاصة اليهود وهم من يحركون العالم أنهم أعداء أنهم حسّاد لنا، أنهم يحقدون علينا، أنهم يكرهوننا {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ}(آل عمران١١٩) فهل من يحمل روح الحقد والحسد والعداء والكراهية سيعمل لمن يكرهه ويحسده ويبغضه ويحقد عليه أعمالاً صالحة؟ يحرص على بنائه ليكون كما ينبغي؟ أم أنه سيعمل لهدمه؟.

خصلة واحدة من هذه تدفع بالمسلم أن يهدم المسلم نفسه، حسد يحصل أو عداوة، أو كراهية، أو حقد، واحدة منها تكفي أن يتحول المسلم، المسلم نفسه إلى حرب لأخيه المسلم، فيعمل على هدمه وهدم كيانه وممتلكاته، فكيف باليهودي وهو من تجتمع في قلبه كل هذه الخصال التي واحدة منها تكفي لإحراق أمة!.

لكن هم قد أتقنوا المسألة، وهيّأوا الأجواء بالشكل الذي يجعلهم يبرزون أمامنا وكأنهم حريصون جداً على الإهتمام بنا، وكأنهم ينادونا لما فيه رفعتنا من مستنقع الجهل، فيقولون: تعلموا، المرأة لها حق أن تتعلم، يجب أن تتعلم، ويبذلون الأموال الكثيرة في بناء المدارس من أجل أن تتعلم المرأة، ومن أجل أن يتعلم الجميع؛ لأنهم قد أصبحوا فعلاً واثقين بأننا سنتعلم رجالاً ونساء ونصبح في الأخير كما يريدون، ولنصبح في الأخير لا نعلم شيئاً، لا نعلم حتى من هم! أليس هذا قمة الجهل؟.

القرآن يتحدث معنا ويبين لنا من هم أولئك، ومسألة من هم هي قضية مهمة؛ لذلك يجب أن نعرفها قبل أن نصغي لنداءاتهم - : تعلموا، تعلموا، تعلموا، عندما نتعلم على أيديهم وهم من يهتفون - يجب أن نعرف من أنتم؛ لأن هذا غريباً، أليس غريباً؟ أصبحنا فعلا لا نعلم شيئاً، كبارنا، من يقومون على تثقيفنا، من يقومون على تعليمنا، من يقومون على صناعة مناهجنا التربوية، هم فعلاً أصبحوا لا يعلمون من هم هؤلاء.

الإمام الخميني كان في وعيه للمسألة هذه، مسألة من أنت، من هو، فيعتبرها مقياساً مهماً، قال: (يكفينا فخراً أن تكون عدوتنا هي أمريكا وإسرائيل) لنعرف أننا على خطى ثابتة، وأننا على موقف حق، يصبح فخراً لنا أن تكون عدوتنا هي أمريكا، وأن تكون عدوتنا هي إسرائيل، من خلالها سنكتشف من نحن، متى ما عرفنا من هم، سنكتشف من نحن، وكيف يجب أن نتعامل معهم، وكيف يجب أن تكون نظرتنا نحوهم.

لكن ما هو غائب في الساحة هو هذا: أننا لا نعرف من نحن، ولا نعرف من هم، من هم أولئك الذين ينادون بالتعليم: تعلموا، تتعلم المرأة، يريدون للمرأة أن تصبح وسيلة لإفساد الرجل، إضافة إلى كونها وسيلة لإفساد أبنائها، امرأة تظهر وهي تلهث وراء أن تقلد كل مظهر مهما كان منحطاً، يأتي من جانب أولئك؛ لأنها ستتعلم بالشكل الذي تصبح فيه تكبّر أولئك، وتعظم أولئك، وتنبهر بهم، أي امرأة تراها تقلدها، تقص شعرها تقص شعرها، تطول أظافيرها تطول أظافيرها، تتبرج، تتبرج مثلها، هذا هو ما يحصل فعلاً!.

وليست المسألة فقط هي قضية مناهج علمية، المرأة تتلقى التعليم من مختلف الجهات، من وسائل الإعلام، عن طريق المسلسلات، يترسخ في ذهنيتها الإعجاب بمظهر معين، متى ما أرادت أن ترفع نفسها نحو أن تشعر بأنها

تريد أن تتحضر، أو أنها أصبحت متحضرة، يعني أن تكون على هذا النحو الذي شاهدت عليه الممثلة الفلانية، أو المغنية الفلانية، أو الراقصة الفلانية، التي أصبحت تعجب بمظهرها.

ألم تصبح النساء في بلادنا يتسابقن على تسمية البنات بأسماء الممثلات؟ يحصل هذا بل أصبحت بعض النساء يسمين بناتهن باسم المرأة اليمنية التي تخرج في برنامج [المضمار].

إذاً ألسنا في الواقع لا نعلم شيئاً {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً} (النحل٧٨) لكن أراد أن نتعلم وأن نتعلم الكثير لكن على يده هو. نتعلم مِنْ على يد غيره سنصبح فعلاً لا نعلم شيئاً، ومتى فقدنا هويتنا وأصبحنا لا نعلم شيئا من نحن ومن هم هو الكفيل بأن نفقد أيضاً حضارتنا؛ لأننا لن نصل إلى مستوى أن نكون أمة تنتج وتصنّع وتزرع وتعلم كل شيء، والواقع يشهد بهذا.

قد يأتي طفرة أحياناً نريد أن نعمل شيئاً فنرسل طلاباً إلى الخارج، نرسلهم قبل أن نعرِّفهم من نحن ومن أولئك الذين سيذهبون إليهم، فيعودون بنظرة عكسية، حتى ولو أصبح لديه خبرة لم يعد يطمح إلى أن يخدم هذه الأمة؛ لأنها عنده ليست شيئاً، أصبح معتزاً بأولئك، منبهراً بأولئك، يعظّم أولئك، ويحتقر هذه الأمة، ويمتهنها، هي أمة ليست جديرة بأي شيء من قبله، فيعود ساخطاً على هذه الأمة، ليس ساخطاً لأنها لماذا لا تبني نفسها، أصبح يزدريها هكذا. ولو كان لا يزال في قلبه ذرة من إحترام لهذا المجتمع، أو إهتمام بشأنه لانطلق هو أن يفيد بخبرته هذا المجتمع.

نستقدم الخبراء من هناك لكن أولئك يعرفون من هم ومن نحن، لاحظ الفارق يأتي خبراء وهم يعرفون من نحن، نحن أمة لو ننهض، لو يخلصون لنا، لو يخلصون معنا فبين أيدينا كتاب عظيم، بين أيدينا دين عظيم قد نشكل خطورة على حضارتهم، هم يخرجون إلينا وهم يحتقروننا وحريصون على أن لا نعلم شيئاً إلا فضلات معرفتهم التي فقط تؤهلنا لأن نكون سوقاً استهلاكية لمنتجاتهم، هي مجرد أن تعرف كيف تشغل منتجاتهم فقط لا كيف تصنع مثلها، أو كيف تنافسهم في التصنيع على نحوها.

عندما نرسل طلاباً إلى الخارج منح دراسية أيضاً وهم جاهلون، ولا نشرح لهم أي مجتمع سيصلون إليه، في نفس الوقت مما يعزز المسألة ويزيد الطين بلة هو أنهم لا يحظون برعاية، بل يشكون كثيراً ويعانون كثيراً من اختلاس مساعداتهم المالية، وسرق للمساعدات، وتأخير لها، وأرقام بسيطة، فيعيشون هناك [أزمات مالية كبيرة] فيعود وهو كتلة من الإزدراء لهذا المجتمع، ولهذه الدولة.

يوم كنا في مجلس النواب كانت تأتي شكاوى كثيرة من طلاب في مختلف البلدان، يشكون من أن مساعداتهم تتأخر، أزمات كثيرة مالية معيشية يعانون منها بسبب تأخير مساعداتهم، وقلة مساعداتهم، ومماطلة السفارات والملحقيات الثقافية في صرفها، وأخذ منها، شكاوى كثيرة كانت تأتي.

عندما يعود الطالب ماذا يمكن أن يعمل؟ قد يأتي ـ ولازدرائه لهذه الأمة، ولهذه الدولة ـ يعمل لمصلحة نفسه فقط، وإذا ما عمل داخل مؤسسة حكومية مثلاً، داخل مصنع يهتم بنفسه فقط، لا يحمل أي مشاعر من الإهتمام بواقع هذه الأمة، وأن يعمل على رفعتها، وأن يخلص لها.

فرح الناس عندما أصبح لدينا عطلة يومين، فرحوا، بينما كانوا في ألمانيا وفي اليابان العمال يصيحون: لا، عندما تكون ساعات العمل قليلة، لا، يريدون أن تكون ساعات العمل طويلة! في اليابان عندما كانوا يرسلون طلاباً كان اليابانيون يحرصون على أن يحافظوا على هويتهم، وتقاليدهم كشعب متميز بتقاليده وهويته، هو شعب ظُلم من قبل الآخرين، من قبل الغرب، ظلم من قبل أمريكا، فيرسلوا طلاباً على مستوى من الوعي، يفهم من هو، ويفهم ما هي مهمته، هو أن يسافر في رحلة ومنحة دراسية وأن يتعلم حتى ولو عند أعدائه لكن يتعلم ليعرف في الأخير كيف يضربهم، يتعلم ليعرف كيف يبني بلاده، فيصبح ذلك الشعب الذي قهر على أيديهم يقهرهم هو في ميادين الإقتصاد.

الدولة نفسها كانت تهتم بالطلاب اليابانيين، تعطيهم مساعدات كبيرة، ورعاية كبيرة، كذلك الصين كانت تعمل فيعود الياباني وهو ياباني لم يتأثر، يعرف ما حصل في [هيروشيما] وفي غيرها، ما حصل من تدمير لدولة كانت

تمثل إمبراطورية كبرى في شرق آسيا، فعادوا وهم لم يتأثروا، عادوا وهم يحملون اهتماما بأمتهم، ويعملون بجد من أجلها.

نفس الدولة إذا كان الكبير هو يحمل نفس المشاعر حتى ولو بدى في الصورة مستسلماً، وهو الشيء الذي نقول: نحن لم نلمس شيئاً، فمتى ما صدرت كلمات براقة من زعيم، أو كذا..، أنظر إلى الواقع ستلمس إذا كانت هذه الكلمات لها أثرها، هي كلمات تنطلق من أعماق نفسه، أو أنها فقط قد تكون خداعاً أنظر إلى الواقع ماذا يعمل على صعيد الواقع، وهو من يملك القرار في هذا الشعب أو ذاك، ماذا يعمل!.

كانت تبدو حكومة اليابان حتى في أثناء الإستسلام كانوا يحرصون على أن تبقى لهم هويتهم، كل شيء ممكن لكن هويتهم، ومَلِكُهم، قد يبدو الملك، قد تبدو الحكومة مستسلمة، أليس الإستسلام هو حاصل؟ لكن من الداخل هو يعرف كيف يعمل، من الداخل يثور، مستسلم وممكن يقف مع أمريكا في مواقف لكنه من الداخل يعرف أنه على رأس شعب قهر، وأن من واجبه أن يصعد بهذا الشعب ليكون هو الذي يقهر أعداءه ولو في أي ميدان من الميادين؛ هم يعرفون أن الصراع هو صراع شامل، لم يعد فقط صراعاً عسكرياً، صراع شامل، وأبرز ما فيه الصراع الإقتصادي فيما بين الدول.

اتجهوا نحو البناء فعلاً وهو أن يقفوا على أقدامهم، ما الذي حركهم؟ مشاعر داخلية نحو وطنهم، مشاعر داخلية من العداء لأولئك، شعور بأنهم قهروا. روحية افتقدها الناس، المسلمون أنفسهم وهم من يمتلكون دين العزة، وهم من يمتلكون القرآن الذي فيه ما يكشف لهم واقعهم في أي عصر من العصور، يبين لهم ما هم عليه، يبين لهم لدرجة أن القرآن يبدو وهو كتاب مخطوط حي وواعي أكثر منا فيما نحن عليه في كل عصر يستطيع أن يكلمك بما أنت عليه، وواقعك عليه، وكيف واقعك.

عاد اليابانيون وهم مجاميع كثيرة، وبنوا بلادهم فعلاً حتى أصبحوا دولة صناعية كبرى، دولة تملك رأس مال رهيب جداً، لها ثقل اقتصادي عالمي، أصبحت منتجاتها تغرق الدنيا وهي بلد صغير!

لدينا من التربة أكثر مما لديهم، بلدنا أوسع من بلادهم. من أول المشروبات التي كانت تصل إلينا مشروبات يابانية نشربها من شركة [متسو بيشي] عصاير، هم كانوا يزرعون في قوارب في البحر، لاحظ كيف الرجال يعملون، ليست لديهم تربة، أراضي ضيقة، أراضي جُزُر هكذا مفككة، فكانوا يستغلون أن يصنعوا قوارب من الخشب أو من أي مادة ويبحثوا عن كيف يملأونها بالتراب؛ لأنه لا يوجد لديهم مساحات كافية لأن تزرع، بلد ضيق، يزرعون في البحر، يملئون الزوارق بالتراب ويزرعونه، يزرعون حتى في شرفات منازلهم، الأسرة نفسها تزرع الباميا والبطاط والطماطم في شرفات المنازل، تعمل على اكتفاء نفسها من الخضار من الأسطح لضيق الأرض لديهم، ومن البرندات، شرفات المنازل.

ما الفارق بيننا وبينهم؟ هو أنهم يعرفون من هم، ويعرفون الآخرين الذين كانوا يرسلون أولادهم إليهم من هم، ويرعون الطلاب عندما يسافرون إلى أولئك، فلا يمشي إلا وقد هو فاهم. أصبحنا لا نعي من نحن، فما الذي تعرف بعد أن تكون لا تعرف من أنت؟ إذا أنت لا تعرف من أنت، ولا تعرف الآخرين من حولك فلا تستطيع أن تبني نفسك فعلاً.

وجدنا كيف أنفسنا أراضي كثيرة مهملة، ساحات واسعة صالحة للزراعة مهملة، ونستورد، نستورد كل شيء حتى [الملاخيخ]، نستورد كل شيء حتى [القلوة]! ألسنا نستوردها؟ يذهب واحد يشتري كم [فشار]! وهكذا وضعية البلدان الأخرى. تدخل سوق الملح، أسواق صنعاء، وترى فيها فاصوليا، وعدس، وترى فيها فول، وترى فيها مختلف الحبوب، هذا من استراليا، وهذا من الصين، وهذا من تركيا، وهذا مدري من أين..!

اليمن صخرة لا يصلح أن يزرع فيه شيء!! أصبح وكأنه صخرة واحدة، ولو كان صخرة واحدة لاستطاع الناس كما عمل اليابانيون أن يزرعوا فوق أسطح المنازل وفي شرفات المنازل، ألم يكن بالإمكان أن يزرعوا فوق الصخرة؟ يعمل قليل تراب فوق الصخرة هذه ويزرع فيها أي شجرة مفيدة؟.

فعندما يفقد الناس الهوية فعلاً وتصبح وضعيتك بالشكل الذي تخدم عدوك، سيأتي عدوك ليقول: تحرك، تعلّم، تعلّم؛ لأنهم من وضعوا كل شيء لنا، هم من عرفوا كيف سنكون عندما نتعلم، لو أن هناك تعليم صحيح يبني فعلاً هل يمكن أن نسمع من جانبهم كلمة تعلّم؟.

لكنهم لا يعملون على أن نزرع، حتى الصندوق الاجتماعي ممكن يبني مراكز صحية، ممكن يبني مدارس، ممكن يبني حواجز مائية، لكن جانب الخدمة في الزراعة. لا، خزانات يشرب منها الناس، لكن يسقّون منها. لا، لا يريدون أن نزرع؛ لأنهم يعرفون ماذا يعني أن نزرع، متى ما زرعنا ملكنا قوتنا، متى ملكنا قوتنا استطعنا أن نقول: لا، استطعنا أن نصرخ في وجوههم، استطعنا أن نتخذ القرار الذي يليق بنا أمامهم، فما دمنا لا نملك شيئاً لا نستطيع أن نقول شيئاً.

لهذا تجد الزراعة في اليمن مهملة، الزراعة مدمرة، وهكذا تجد في بقية الشعوب الأخرى في السودان في مصر، كل البلدان هذه. الزراعة لا يهتمون بها، هيا تعلموا لكن لا تزرعوا! لو أن التعليم صحيح بالشكل الذي يجعلنا واعين، نعرف من هم ومن نحن، وكيف يجب أن نكون؛ لما تكلموا بكلمة واحدة: تعلّموا.

القرآن الكريم يركز على هذه الأشياء كمقاييس؛ لأنه أحيانا قد يبدو عدوك وكأنه ناصح لك، كأنه ناصح لكن إذا كنت تعرف من هو ستكون يقظاً.

لاحظ ما حصل لآدم مع إبليس، ألم يبدو إبليس أمام آدم أنه ناصح؟ أنا أريد أن تأكل من هذه الشجرة، من أجل أن تصبح ملكاً، أو من أجل أن تخلد {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}(الأعراف: ٢١) أليس الله نبّه آدم قبل.. أن الشيطان لكما عدو مبين؟ لا تأكل من هذه الشجرة، وقال: الشيطان هو عدو انتبه للشيطان هو عدو؟ نسي آدم مسألة العداوة مثلما قال الله: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}(طه١١٥).

عهد إليه أن هذا هو عدو، وأنك متى ما أكلت من الشجرة ستشقى، إفهم عدوك حتى وإن بدا أمامك وكأنه ناصح، بل يقسم الأيمان المغلظة أنه ناصح، ما الذي افتقد آدم؟ هو الشيء الذي نفتقده نحن أولاده، أو بعض أولاده، العرب، أو معظم المسلمين.

لم نفهم أن أولئك أعداء، عندما غابت من أذهاننا من هم، من خلال القرآن الكريم الذي سطر أن آدم قد قيل له: إن الشيطان عدو، لا تغتر به، تعامل معه كعدو، وسطر في نفس الوقت أن اليهود أعداء لنا، أن أهل الكتاب أعداء لنا، لما نسينا هذه كما نسي آدم سابقاً.

آدم لم يمر بدروس ربما، لكن نحن من بعد قرون أحداث كثيرة تبرهن تعرف من خلالها من هو العدو ومن هو الصديق إذا كنت ممن يفهم الأحداث، ويفهم نتائج الأحداث، وغايات الأمور.

لما نسينا هذه: أنهم أعداء، أنهم حاسدون، أنهم ما يودون لنا أي خير، أن قلوبهم مليئة بالحقد علينا، أنهم حريصون على إذلالنا، أنهم كذا، أنهم كذا... الخ، خصال متعددة نبهنا الله عليها في القرآن الكريم بالنسبة لهم نسيناها، بينما آدم نسي واحدة فقط، نسي أن الشيطان عدو، هو قيل له: إن الشيطان عدو، أما الله فقد قال لنا بالنسبة للآخرين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى: هم حساد، لا يودون لكم أي خير، هم حاقدون، هم لا يحبونكم، ويكرهونكم، هم كذا، هم كذا.

نسينا هذه فما الذي جر علينا من وبالٍ نسيانُنا لهذا؟ أصبحنا نتثقف بثقافتهم، أصبحنا نحرص على أن نقلدهم في كل شيء بدءاً من كبارنا إلى أطفالنا ونسائنا، أصبحنا ننظر إليهم نظرة إكبار وإعظام وإجلال، أصبح الشخص منا يعتز بأنه أصبح شخصاً عصرياً وحضارياً عندما يمثلهم ويقلدهم في شؤون حياته فما الذي حصل؟ شقينا كما شقي آدم، ألم يشق العرب؟ تجمع لنا الشقاء والضلال كما شقي آدم عندما أُخرج من الجنة، إلا أنه لم يضل {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}(طه١٢٢) شقي في حياته، احتاج يقوم يشتغل، لم يعد معه لا ملابس ولا طعام ولا شراب، احتاج يقوم يكدّ.

لكن نحن على أيدي هؤلاء تجمع لنا الشقاء والضلال، الشقاء والضلال بكله، تجمع لنا على أيدي هؤلاء؛ لأننا نسينا من هم، والعجيب أيضاً تتجلى الأحداث إلى درجة عالية جداً من الوضوح، فيتجلى للعرب أن أمريكا وراء

إسرائيل، وإسرائيل هي عدوهم، أليست الأشياء متجلية بشكل واضح جداً، لكن أصبح الناس في تيه وفي ضلال لدرجة أنهم لم يعرفوا ماذا يعني أنه إذا كان عدو، ما ذا يعني العداوة، وكيف أتعامل معه؟!.
عدو ينطلقون ليبحثوا عن السلام من تحت أقدامه، عدو يعتزون ويتسابقون على الولاء له، وأنه دولة صديقة، ويدخلون معه في مواثيق كثيرة، وفي اتفاقيات كثيرة، اقتصادية، ثقافية.. الخ!!.
فإذا كان آدم شقي عندما خرج من الجنة بموقف واحد، ونحن تراكم لدينا الشقاء بشكل رهيب جداً، تراكم الضلال بشكل رهيب جداً.
إذا كان الله سبحانه وتعالى مشّى النتيجة على وفق ما عمل آدم أنه سيشقى، سيشقى، وفعلاً أشقاه، خرج من الجنة بدون ملابس هو وزوجته {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ}(الأعراف٢٢) نحن في نفس الوقت نرجو من الله بأنه لا يحصل شقاء، لا يحصل مدري أيش.. ومدري.. أو ننتظر منه هو، لكن.. لا، المسألة هي هكذا: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}(طه١٢٣).
ألم يحسم الموضوع من أول ما نزل آدم؟ من أول ما أهبط آدم؟ {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} ذكره الذي هو هداه، وتذكره هو سبحانه وتعالى {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} وأيضاً ماذا؟ وسيعيش ضالاً تائهاً في فكره وثقافته فيحشر يوم القيامة أعمى {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}(طه١٢٤).
لم نفهم المسألة بالشكل الصحيح، مثلما تحدثنا في العصر كيف أننا أصبحنا في واقعنا نفترض ما لم يحصل للأنبياء، نتبنى مواقف معينة بطريقة سلبية ونريد من ورائها ما لم يحصل للأنبياء، نحن كيف نريد أن نرسم لنا طريقاً إلى الجنة سهلة غير طريق الأنبياء! والجنة من هم دعاتها؟ الأنبياء؟. لو كانت المسألة فيها سهولة بشكل كبير لما كان دعاة الجنة هم أنفسهم يحتاجون إلى أن يتعبوا ويصارعوا في الحياة. هذا بالنسبة للجنة.
فالله هو الذي يهدي إلى الجنة، وليس نحن من نرسم طريق الجنة ونفصّلها، الله يقول: {وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ}(البقرة٢٢١) هو الذي يهدي إليها، ما معنى يهدي إليها؟ بالحظ! يرسم طريقها، صراط مستقيم أيضاً ليس طريقا غامضاً، صراط مستقيم، طريق واضح مستقيم، بيِّن.
في ميادين الصراع أيضاً ننطلق انطلاقة لم يكن عليها الأنبياء أنفسهم نريد أن ندعو: اللهم.. اللهم.. اهلك، ودمر، واعمل كذا بالأعداء! الدعاء جيد كإعراب عن موقف، كإعراب عن موقف، لكن لا تنتظر من ورائه شيئاً إذا لم تعمل، إذا لم تعمل، خاصة ولديك القدرة على أن تعمل شيئاً، وأن تعمل ما تستطيع ولديك القدرة، اعمل متى ما عملت سيستجاب الدعاء.
رسمنا طريق للجنة خاصة، ورسمنا منهجية في الصراع مع الآخرين خاصة، لم تتوفر للأنبياء لا هذه ولا هذه بالشكل الذي نريد أن تكون لنا، وكأننا أعلى مقاما من أنبياء الله ومن سيد المرسلين محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).
فأصبحت المسألة من الضلال إلى درجة أننا لم نعرف من نحن، ولم نعرف أعداءنا، ولم نعرف طريق جنته، ولم نعرف كيف كان عليه أنبياؤنا، ولم نعرف كتابنا، ولم نعرف شيئاً، أصبحنا صفر، لا نعرف شيئاً، ونتعامل أيضاً مع الله سبحانه وتعالى ناسين!.
وهذا مما جعلنا لا نثق بالله كثيراً هو: أننا ناسين أنه رحمن رحيم بنا، أي أنه ينبغي أن يكون محط ثقتنا حتى آياته [احسب ما هو سابر إما نمشي عليها، احسب أننا سنتورط، أو احسب أن المسألة ليست .....] صدق الله العظيم، صحيح لكن.. ما هناك ثقة بالله بأنه عندما يشرِّع، عندما يهدي، عندما يرسم طرق معينة، طريق إلى الجنة، طريق كيف نواجه الحياة، كيف نواجه الآخرين، أنها حقائق ثابتة، وأنه هدانا إليها من منطلق رحمته بنا، من منطلق رحمته بنا، فهو من يجب أن نثق به وثوقا كبيراً.

يعني حتى هذه لم تحصل هي، لأسباب كثيرة تراكمت، أسباب كثيرة تراكمت، من ثقافتنا مثلاً وعن طريق أن تثقف سواء بالكلمة، أو بالكتاب، من هنا أو من هناك، فيحصل من داخله أشياء تجعلنا على هذا النحو، فلا أحداث فيما بعد استطاعت أن تكشف لنا واقع، متى ما كشفت لنا واقع لم نهتد إلى طريق الخروج منه، هذا التيه الرهيب جداً جداً لا يمكن أن يكون المخرج منه إلا عن طريق القرآن والثقة بالله سبحانه وتعالى.

لاحظ الآيات التي قرأناها في العصر، عندما يرجع واحد إلى تفسيرها، تفسيرها هي في كتاب هو من أبرز الكتب لدينا، تفسير [الزمخشري] الزمخشري معتزلي سني، وهو من التفاسير التي متى ما قرأه واحد أصبح الأخ العلامة في مصطلحاتنا، اقرأها تجد تفسيره لها وإذا هي بالشكل الذي تعتبره في الواقع يهبط بالقرآن ويهبط بك إلى تحت الصفر في المسألة، يضيّق المسالة جداً بشكل رهيب جداً، يعطل الإستفادة الكاملة من هذه الآيات بما هو أقرب شيء إلى المسخ، مع أنه انطلق يفسر بجدية.

هو ذهب ليفسر في مكة عند الحرم، وانطلق في تفسيره على أساس أن يقاوم المجبرة، وهذا الذي جعلنا نحن الزيدية أن نعجب بتفسيره أنه معتزلي فيما يتعلق بمقاومة المجبرة في معتقدات معينة، يتحدث ويتعرض لهذه المسائل فينتصر لجانب العدل ولجانب التوحيد.

لكن لم تكن المسألة بالشكل الذي يمكن أن يعطيك القرآن هو عندما ترجع إليه من خلال قرنائه، مثلما قال الإمام الهادي: (القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن) فبذل جهداً كبيراً الزمخشري، وفسر في مكة، وطلع بأربعة أجزاء، ولكن تعال إلى القرآن من خلاله، وبعد أن تستقري الأحداث، الأحداث التي كشفت العقائد الصحيحة، والعقائد الباطلة، كشفت النظرات الصحيحة، والنظرات الباطلة، الأحداث هي دروس.

الكون هو كتاب آخر يكشف أيضاً صحة هذا الكتاب نفسه، القرآن يكشف كيف يمكن أن تكون الأحداث على النحو الذي تحدث عنه، كيف يمكن أن يكون واقع الحياة على النحو الذي تحدث عنه؛ لهذا تأتي بعد كل فقرة من المواضيع المهمة التي فيها هداية الأمة إلى أشياء مهمة جداً يقول فيها: آيات الله {تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

تعتبر أعلام تكشف لك الحقائق، ومن خلال الرجوع إلى القرآن، والرجوع إلى الأحداث والوقائع، والرجوع إلى العترة تتجلى الأمور بشكل آخر، فترى في الأخير أن هذا المفسر، أو هذا، أو هذا من أولئك لتصبح المسألة ـ على الرغم من حسن نيته وعلى الرغم من جديته ـ تصبح المسألة وكأنها تضييع للقرآن، تضييع للقرآن حقيقة.

لأن هذا ربما انطلق بنظرة أنه يريد أن يقدم لك القرآن لكن من منطلق آخر مثلاً، أو هو نفسه ما زال يحمل عقائد تجعله بالشكل الذي لا يهتدي إلى القرآن بالشكل المطلوب، أو يعطف القرآن على ما لديه من عقائد هي مغلوطة؛ فطلع بهذا الشكل.

لهذا الإمام الخميني قال في كلمة عندما يرجع إلى تفاسير معينة، لم ير تفسيراً يلبي ما يريد، يعود إلى التفاسير لكن ما رأى التفسير الذي يشبع الموضوع القرآني، يكشف القضية بالشكل المطلوب، ما حصل ذلك نهائياً.

هم فعلاً بعض العلماء يقولون بأن القرآن واسع بالشكل الذي لا يمكن لأحد إطلاقاً أن يحيط به علماً، مثلما قال الإمام علي بأنه: (بحر لا يدرك قعره)، لكن وفي المقابل يأتي آخرون فيقولون بأنه ما يمكن أن يكون فيه خطاب لا نفهمه نحن، أي لا يفهمه أي واحد منا، هو كتاب له آلية معينة، ومن خلال هذه الآلية مثلما قال الزمخشري: نهتم بالمعاني والبيان، يعني في جانب معرفة البلاغة، وندخل إلى القرآن، والقرآن خلاص يجب أن نفهم فيه كل شيء! لو افترضنا بأن فيه شيء أنا لا أفهمه يعني ذلك أنني أصبحت مكلفا أن الله كلفنا بشيء ونحن لا نفهمه.

فهذه النظرة هي نفسها ضيقت القرآن؛ لأنها انطلقت من مسألة التكليف بالأحكام الخمسة، ومن منطلق أن القرآن هو كتاب تشريعي يدور في هذه الدائرة: التكليف الفلاني، وليس كتاب هداية، فعندما ينظر الإنسان هذه النظرة الضيقة يصبح القرآن فعلاً ضيقاً.

وفي الأخير ما الذي سيحصل؟ ستجده في الأخير ما أفادك بشيء، فترجع إلى أشياء أخرى فتتغرق في الضلال، فتتغرق في الضلال، ثم تصبح مجاملاً لتلك الآيات، تجاملها فقط مجاملة، وإلا ما عاد منها شيء.

لكن ترجع إلى القرآن ككتاب هداية، ومتى ما رجعت إلى تفسير من التفاسير فأيضاً من هذا المنطلق أنه ما الـذي يمكن أن يعطيني هذا المفسر بالنسبة لهذه الآيات من وجهة نظر بحث عن هدايـة، ليـست مـسألة حفـظ أو مـا حفظ، فسيمكن أن الإنسان سيستفيد من القرآن، ويستفيد الناس جميعاً من خلال القـرآن، وكـل إنـسان بحـسب معرفته، بحسب صحة نظرته، فيفهم الناس الكثير من القرآن ولو على أقل تقدير ما يعزز ثقتهم بالله سـبحانه وتعالى، ما يرسخ في نفوسنا الخوف منه، ما يجعلنا نهتدي بأشياء كثيرة وضعها، كأعلام، مقاييس، قواعد، ترسخ لدينا وعي ننطلق منه.

تجد من العجيب كل الناس يقولون: أن الله تحدث عن اليهـود كـثيراً في القـرآن، ألم يتحـدث عـنهم كـثيراً في القرآن؟ لكن نسيوا بأن من تحدث عن اليهود في القرآن ليس من الممكن إطلاقاً أن يتحـدث عـنهم ثـم لا يوجـه الأمة إلى كيف تكون في ميدان مواجهتهم، أصبحت النظرة إلى ما عرضه عـن أهـل الكتـاب في القـرآن الكـريم وكأنه عرض تاريخي، وسرد تاريخي فقط، قصصي.

هذه الخلاصة بأن العودة إلى القرآن من منطلق ثقة، بالإعتماد على الله سبحانه وتعـالى، والنظـرة إلى القـرآن بأهمية كبرى، أن يكون للقرآن مكانة كبيرة في نفسك، تُجِلّ القرآن، تعظّم القرآن، حتى تثـق بتوجيهاتـه، وإلا فأحيانا قد تصبح عالماً، تسمى عالماً، تصبح عالماً كبيراً وعمرك كم سنين وأنت مقروي، لكن ويبقى في واقع المسالة تعاملك مع القرآن بالشكل المهزوز، فتصبح لا تستفيد منه حتى لو أصبحت عالماً، معك مكتبة كبيرة.

لاحظ كيف جانب واحد تحدثنا عنه، جانب أننا نسينا من هم هؤلاء، ولم نتعامل معهم من منطلـق مـا يـوحي بـه القرآن في كيف يجب أن نتعامل معهم كأعداء.. فتجمّع لنا الشقاء والضلال، الشقاء والـضلال بكلـه، تجمّـع لنـا على أيدي هؤلاء.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الـموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم



وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١١/٢/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

في الأيام الماضية تكلمنا كثيراً على ضوء آيات من كتاب الله الكريم، كتاب الله المبارك، ببركة القرآن، بتوفيق الله سبحانه وتعالى سمعنا كلاماً كثيراً حوله، وحول ما ينبغي أن يكون الناس عليه في عقيدتهم، في سلوكهم، في مواقفهم، في اهتمامهم بأمر الدين، في اهتمامهم بأنفسهم لإصلاحها، وأعتقد أنه لا ينبغي للإنسان الذي خلقه الله وأكمل خلقه، الإنسان الذي قال الله فيه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:٤) لا ينبغي أن نكون أقل وعياً من الجن، الجن الذين نحن إذا ما غضب أحد منا على ابنه، أو على أي شخص دعا بالجن.

الله قال عن الجن: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} (الأحقاف:٢٩-٣١) كان موقف الجن موقفاً جميلاً، موقفاً متكاملاً من بدايته إلى نهايته على مستوى عالٍ من الأداء، جعل ذلك الموقف جديراً بأن يسطره الله في القرآن الكريم، وأن يجعله عبرة للإنس.

حكى عنهم منذ أن وصلوا إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أنهم لما حضروه {قَالُوا أَنصِتُوا} استماع بإقبال بتوجه {فَلَمَّا قُضِيَ} ذلك الجزء من القرآن الكريم الذي استمعوه، فهموا، ووعوا، وانطلقوا إلى قومهم عائدين، منذرين لقومهم.

جلسة واحدة مع من؟ مع القرآن الكريم، هذا القرآن الذي نجلس معه جلسات وجلسات، وأشهر.. ولا ندع هذا القرآن العظيم أن يترك أثره في نفوسنا، جلسة واحدة اكتفى بها أولئك النفر من الجن؛ لأنهم هكذا: لما حضروا أنصتوا واستمعوا بكل مشاعرهم، كانوا كلهم آذاناً سامعة، ثم فهموا: أن القرآن هذا ليس مجرد كلام يعجب به من يسمعه، ثم يعود إلى بيته. هل عادوا إلى بيوتهم وقالوا: [سبحان الله ما أجمل ذلك الكلام وكل واحد عاد إلى شغله وعمله]؟ عادوا إلى قومهم منذرين.

وإنذار أيضاً على أرقى أسلوب، عندما عادوا إلى قومهم لم ينطلق الواحد منهم ليقول: [يا جماعة اعملوا كذا وكذا وكذا....] من تلقاء نفسه؛ لأنه هو الجنّي الذي انصرف من عندهم قبل ساعة ثم عاد، سينظرون إليه نفس النظرة السابقة، لن يتأثروا به، لكنهم اختاروا أسلوباً جميلاً - ولهذا سُطّر هذا الأسلوب أيضاً - عندما عادوا إلى قومهم قالوا: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا} (الأحقاف: من الآية٣٠) ألم يحكوا أنهم سمعوا كتاباً أنزل من بعد موسى؟ كتاباً أنزل من عند الله إلى نبي بعثه الله من بعد موسى، الله أعلم في أي بلد كان هؤلاء الجن فلم يسمعوا بعيسى، ولم يسمعوا بأنبياء آخرين.! لكنهم على الرغم من جهلهم حتى بالموضوع ليس في أذهانهم إلا موسى، تأثروا بالقرآن الكريم، فكيف بمن يولد في بيئة القرآن الكريم، وفي بيوت يُقرأ فيها القرآن الكريم، وعند مساجد يُقرأ فيها القرآن الكريم، في الصلاة، وفي غير الصلاة ثم لا يتأثر؟!.

{إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} (الأحقاف: من الآية٣٠) بعض الناس قد يعود إلى أصحابه، وبعض الشباب من طلاب العلم إذا ما سمع شيئاً عاد إلى بلده، وانطلق هو ليحكي باسمه، باسم نفسه، ثم يأتي بعد ليقول: [يا أخي الناس ما عاد رضيوا يستمعوا، الناس ما عاد بيرضوا يقبلوا] بالطبع هم لن يتقبلوا منك، أنت ما تزال صغيراً في أعينهم، لكن لماذا لا تستخدم أسلوب الجن؟ أن تقول: [يا جماعة أنا سمعت كذا وكذا.. أنا سمعت فلاناً] وفي نفس الوقت تعتمد على القرآن الكريم، أن تقدمه للآخرين؛ في هذه الحالة ستؤثر؛ لأنهم سيقبلونك كناقل، وحينئذٍ ما تنقله إليهم أنت قد تنقله عمن له مكانته عندهم أعظم من مكانتك، وكلامه هو أرفع من كلامك، وكلام الآخرين؛ لأنه هو كلام الله سبحانه وتعالى. هذا هو الأسلوب الصحيح، وإن كان بعض الشباب قد يكون لديه رغبة هو أن ينطلق باسم نفسه، ويجرب نفسه.

الإنسان يكون همه هو: أن يؤثر في الناس، فإذا رأى أنه في قريته، في بلده ليست لـه المكانة باعتبار صغر سنه، ليست لـه المكانة التي يمكن أن يؤثر بها على الآخرين؛ فيتكلم من تلقاء نفسه.. يستخدم هذا الأسلوب: يحكي كتاب الله، يحكي كلام الآخرين ممن قد يكونون مقبولين أكثر منه.

هذا هو الأسلوب الصحيح، إذا كنت تريد أن تؤثر في الآخرين، ليس أن يكون همك أن تبني شخصيتك ـ كما يقول البعض ـ فأنا أريد أن أحدثهم أنا، لأؤثر فيهم أنا، ليعرفوا من أنا، لا حاجة لهذا.

أنا عندما أحدثكم لا آتي بجديد، من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي عرفه من هو أكبر مني سناً من الحاضرين، ومن غيرهم، ومن أقوال أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومنهج أهل البيت، كالإمام الهادي، وغيره من قدماء العترة (عليهم السلام) فنحن لم نأت بجديد، إنما نشكو من الجديد، نحن نشكو من الجديد الذي هو دخيل على أهل البيت وعلى الزيدية، إنه هو الذي ضربنا، هو الذي أثر علينا، هو الذي فرق كلمتنا، هو الذي جعلنا أذلة مستضعفين، جعلنا نصمت، نسكت على الرغم مما يواجه به الإسلام، والمسلمون من قبل أعداء الله، فأنا شخصياً لا أقول جديداً، كتاب الله، وما نعلمه من قدماء أهل البيت (عليهم السلام) ومنهجهم.

فعندما يلمس الآخرون تأثيراً لكلام آتي به، إنما هي بركة القرآن الكريم، وبركة أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم). لو انطلقت لأستخدم أنا نفسي هذا الأسلوب: أتحدث باسمي شخصياً، وأريد أنا شخصياً أن أؤثر في الآخرين، قد لا أؤثر، قد لا تؤثر، لكن ليكن همك هو النصح، هو أن تنصح، وإذا كان الأسلوب الصحيح لأن تنصح هو: أن تحكي عمَّن الناسُ سيقبلونه فاحكه، وليس عيباً فيك أن تقول: سمعت؛ لأنك ترغب أن تقول: قلت، ليكون التأثير هو لك شخصياً؛ ليعرفوا مقامك، أو ليعتبروك شخصاً عظيماً أو لأي شيءٍ آخر.

هذه هي مما يحول دون التأثير، قد يكون مما يفقد كلامك بركته ـ وإن كان كلاماً إيجابياً ـ لأنه لم ينطلق خالصاً، فيه شيء، تحاول أن تبدو كبيراً، وتبدو عظيماً عند الآخرين.

لما كان أسلوب الجن أسلوباً جميلاً سطره الله في القرآن الكريم، استطاعوا في موقف واحد ـ وهم من هم دون الإنسان في كماله ـ في موقف واحد أن يفهموا القرآن الكريم أنه من عند الله، وأن يتأثروا به في أنفسهم، وأن يعرفوا ماذا يريد القرآن منهم، فانطلقوا عاملين، لم ينطلقوا إلى بيوتهم عائدين وساكتين، ثم عندما تحركوا للعمل عرفوا أن الأسلوب الصحيح هو: أننا عندما نعود إلى الآخرين، ونحن لم نفارقهم إلا منذُ ساعة، أو ساعتين ماذا سيكون لكلامنا من أثر عندهم؟ فلنقل: {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} (الأحقاف: من الآية٣٠) لم يقولوا مجرد ثناء على ذلك الكتاب، كتاب هداية، فهموا أن القرآن هو كتاب عمل وكتاب هداية، يهدي إلى الحق، هو يرشد، وهم ـ فعلا ـ فهموا أن قومهم بحاجة إلى أن يهتدوا.

كثير مما في داخل هذه الآية مما فهمه الجن هو ما يغيب عن أكثرنا فهمه، فهموا أن قومهم في أمس الحاجة إلى أن يهتدوا فقالوا لقومهم: هناك مصدر للهداية هو هذا الكتاب، يهدي إلى الحق، وهذه قضية مهمة، أن يعثروا على شيء يهدي إلى الحق؛ لأن الحق مطلب مهم، هو نفسه الشيء الذي لا نكترث أمامه، أن نعرف أن هناك شيئاً يهدي إلى الحق فتكون أنت من تبحث عنه، وأنت من يشغل ذهنك أن تعثر عليه.

{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الأحقاف: من الآية٣٠) لأن المسيرة هي مسيرة عمل، والحياة هي كلها مسيرة إلى الله سبحانه وتعالى، يهدي إلى الحق فتفهمه، إلى الحق فتنطلق تعمل من أجله، وتدافع عنه، ولتسير على الطريق التي رسمها الحق، وإلى طريق مستقيم، طريقة مستقيمة في هذه الحياة، وطريق مستقيم يهدي، أو يوصل من يسير عليه إلى رضوان الله سبحانه وتعالى وجنته.

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} (الأحقاف: من الآية٣١) لاحظوا كيف الأسلوب تكرر أيضا {دَاعِيَ اللَّهِ}؟ لم يقولوا: يا قومنا: أعملوا كذا وكذا... هكذا بدون أن يلحظوا من هو الذي دعا إلى هذا الشيء الذي يريدون من أصحابهم، أو قومهم أن يعملوا به {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ} (الأحقاف: من الآية٣١)

نحن هنا تكررت جلسات كثيرة مع من؟ مع القرآن الكريم، ومع ما ننقله من أهل البيت (عليهم السلام) فلا ينبغي أن نكون أقل وعياً من الجن، في أن نفهم أهمية ما سمعناه على ضوء كتاب الله، ومن نصوص آيات الله في القرآن الكريم، من خلال ما سمعنا هو: أن الدين دين عمل، أن هدى الله يهدي إلى العمل، أن القرآن الكريم

كتاب عمل، هي القضية التي ترسخ لدينا، وفي مجتمعنا ضدها: الجمود، السكوت، الإعراض، هذه الحالة إذا لم ننتقل بأنفسنا إليها فيكون ما يملأ مشاعرنا هو: أن الدين هو عمل في كل مجالاته، في كل جوانبه.
وقد قلنا أكثر من مرة: أنه حتى كل ما نسميه إيماناً، أو اعتقاداً هو أيضاً عمل، ليس هناك في الإسلام اعتقادات لمجرد الاعتقاد، ولا إيمان لمجرد الإيمان، كل إيمان يبعث على عمل وكل اعتقاد يبعث على عمل، فهمنا أيضاً أن هذا الظرف الذي نعيش فيه والذي تعيش فيه هذه الأمة بصورة عامة وضع مأساوي، وضع مخزي، هجمة شديدة على الدين، على الإسلام، وعلى المسلمين، أصبح الكبير والصغير يرى، ويلمس مشاهدها في كل مكان.
وفي الحقيقة أنه من الغريب أن نحتاج، ونحن كمسلمين، مؤمنين بالقرآن الكريم أن ننتظر إلى أن نرى المشاهد السيئة ضد ديننا، وضد أمتنا وحينئذٍ عسى أن نتحرك على أقل وأدنى مستوى.
بينما الواقع الذي يفرضه القرآن الكريم: أن المسلمين حتى وإن لم يُغزوا إلى بلادهم، وإن لم يصل فساد الآخرين إلى بلادهم هم مكلفون، هم ملزمون من جهة الله سبحانه وتعالى أن يهتموا على أعلى مستوى من الاهتمام أن يكونوا هم من يتحركون إلى الآخرين، هم من ينطلقون ليصلوا بإسلامهم إلى أعماق أوروبا، ليصلوا بإسلامهم إلى أمريكا، ليهُدُّوا كل بناء للطواغيت في أي مكان من هذه الدنيا. هذا ما يفرضه القرآن الكريم، وهذا ما أهّلَّ القرآن الكريم هذه الأمة لأن تنهض به.
فلماذا نحن وصل بنا الأمر كمسلمين إلى هذه الدرجة؟ وصل بنا الأمر نحن كزيود وشيعة لأهل البيت (عليهم السلام) إلى هذه الدرجة، أن نرى ما يبعث على الخزي أن نرى ما هو مؤسف حقا من عمل ضد الإسلام، والمسلمين في كل منطقة، ثم بعد نحن لم نتجه اتجاهاً جاداً، أو الكثير بعد لم يخطر على باله، لم يخطر على باله بعد أن يتحرك، أو أن يعمل شيئاً ما، هذا يدل على انحطاط إلى أحط مستوى في فهمنا لديننا، وفي ثقتنا بربنا، وفي اعتزازنا بهذا الدين، وافتخارنا بهذا الدين العظيم، أن لا نتحرك حتى على الرغم مما نشاهده، مما نعلمه حرباً شديدة ضد ديننا، وضد أمتنا، وضد كل فرد فينا، وكل أسرة في مجتمعنا.
القرآن الكريم جعله الله نوراً للمؤمنين، نوراً للمسلمين يهتدون به قبل أن تهجم عليهم الظُلمة، يتحركون هم على أساسه قبل أن يهجم عليهم العدو إلى عُقرِ ديارهم، سواء بفساده، أو أن يصل بقدمه وبنفسه، ألم يتحرك الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو في غزوة [تبوك] ليهاجم هو، وعلى مسافة طويلة جداً من المدينة نحو (٧٥٠ كم) إلى تبوك ليواجه دولة عظمى في ذلك الزمن هي دولة الرومان.
أراد أن يقول لأمته: إن من ينتظرون، ويصمتون هم من سيكونون أذلاء إذا ما هجم عليهم العدو، هم من سيكونون معرّضِين لأن يُفتنوا عن دينهم، ولأن يتنازلوا ببساطة عن دينهم إذا ما هجم عليهم العدو إلى داخل ديارهم، الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ربّى المسلمين على الاهتمام، ربّى المسلمين على المبادرة، ربى المسلمين على استشعار المسئولية، على أن تكون لديهم روح وثّابة داخل كل شخص منهم، روح جهادية روح تستشعر المسئولية فتنطلق، لا تنتظر الأعداء وإن كانوا كباراً، وإن كانوا يمتلكون مختلف وسائل القوة، لا ينتظرونهم حتى يهجموا عليهم.
أولم نسمع أن الأمريكيين فعلاً دخلوا اليمن؟ وسمعنا في هذا الأسبوع ما يؤكد فعلاً أن الأمريكيين شئنا أم أبينا سيصنفون اليمن دولة إرهابية، وأنهم سيعملون على أن يكون لهم وجود هنا في اليمن، وقواعد في اليمن، أي أن يسيطروا على اليمن سيطرة مباشرة، أما الهيمنة فهي قائمة، كل الدول العربية تخضع لأمريكا في مختلف شؤونها، في المجال السياسي، وفي الاقتصادي، وفي الثقافي، وفي مختلف المجالات، لكنهم لا يكتفون بهذا، هم يريدون أن يدخلوا مباشرة إلى أعماق كل قطر إسلامي، وإذا ما دخل الأمريكيون ـ ونحن من عانينا كثيراً من فسادهم كيهود ونصارى، وهم من لا يزالون في بلادهم، وصل فسادهم إلى كل أسرة داخل بلادنا، وصل فسادهم داخل كل أسرة في البلاد العربية، فكيف إذا ما دخلوا هم بأنفسهم؟ ـ سيذلّون الناس، سيحاربون الدين من داخل البلاد، سيذلون كل إنسان سيقهرون اليمنيين، سيذلونهم، سيجعلونهم عبيداً لهم، خيرات بلادنا سينتهبونها، سيتحكمون في كل شيء في هذه البلاد، فلا تتصوروا أن دخولهم سيكون دخولاً عادياً، ولا تنتظر أنت أن تراهم أمامك، هم سيبنون قواعد عسكرية لهم هنا وهنا وهناك، لا يسمح لليمنيين بأن يدخلوا إليها.

ونحن مَنْ تفكيرُنا سطحي؛ نريد أن نرى الأمريكي أمامنا مدججاً بسلاحه حتى نتأكد أنه هنا، هم إذا ما تواجدوا في قواعد ـ ولن تكون قواعدهم إلا في أماكن استراتيجية مهمة داخل اليمن ـ فإنهم حينئذٍ يكونون قد خنقوا اليمن وأمسكوا بزمام أمر اليمنيين.

ولنعد إلى القرآن الكريم لنعرف ماذا إذا سيعملون إذا ما تحكموا إلى هذه الدرجة؟. أليسوا هم من قال الله عنهم: أنهم دائماً يسعون في الأرض فساداً، وأنهم لا يودون لنا أي خير، وأنهم لا يحبوننا، وأنهم يعضّون علينا الأنامل من الغيظ، إنهم أعداء، فإذا ما استحكمت قبضة عدوك منك فماذا تتوقع منه إلا ضربات مخزية، ضربات مؤلمة لنفسك ولممتلكاتك، ولكل شيء عزيز عندك.

هكذا أصبحنا إلى هذه الدرجة لأننا ابتعدنا كثيرا كثيراً جداً عن القرآن الكريم، أي نحن بحاجة إلى كلام كثير وكثير وكثير حتى نتحرك أمام الخطر الذي قد وصل إلى داخل كل بيت.

كأننا نلمس بالنسبة لكم ـ وهو الذي نرجو إن شاء الله لأنفسنا جميعاً ـ أن نكون قد فهمنا مسؤوليتنا أن يكون لنا موقف وأن نكون قد حصلنا على نسبة لا بأس بها من الوعي، ولكن قد نكون مقتنعين نحن، وننسى أن يكون لنا موقف ممن ينطلقون في تثبيط الناس من داخلنا أو من أي بقعة كانوا.

أنت إذا ما انطلقت بجد في عمل معلن عمل للدين فإن القرآن الكريم هو من في توجيهاته الكثيرة يعلمنا: أنه إذا اتجهت أنت، وتظن أن بإمكانك أن تسير على هذا الخط، وتكون معرضاً عن أولئك الذين يثبطون الآخرين عن أن يقفوا معك، أو يثبطون من قد دخلوا في العمل الذي أنت فيه، فقعدت عنهم حينئذٍ سترى نفسك تسير بمفردك.

القرآن الكريم في (سورة التوبة) ـ وسورة التوبة هي من أجمل السور في القرآن الكريم في مجال التعبئة العامة للمسلمين في مواجهة أعدائهم ـ تناولت كل مواضيع المواجهة، أولئك الذين ينطلقون للتثبيط هاجمتهم مهاجمة قوية، توبيخ عنيف، سخرية منهم استهزاء بهم، تحطيم لمشاعرهم، وفعلاً الإنسان الذي يتجه إلى الحق، ويكون موقفه موقف حق لا تتوقع أن بإمكان الباطل أن يقف أمامك إلا إذا حصل تقصير من جانبك، أو أنت لم تهيئ نفسك بالشكل المناسب في أسلوبك، في تقديمك للحق بأن يكون بالشكل الذي يزهق الباطل.

نحن بعد أن رفعنا هذا [الشعار] شعار: [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام].

من المتوقع أن تسمع من بعض الناس هنا، وهناك: يسخر من هذا الشعار، أو يتهرب من المشاركة فيه، أو يخوّف الآخرين من أن يرفعوه، فيتوقع أنه قد يحصل كذا أو قد يحصل كذا، أو ربما، أو احتمالات....، وهذا هو من ضعف الإيمان؛ لأننا نجد هذا الشخص هو من ينطلق على أساس الاحتمالات، ويترك اليقينيات، اليقين الذي يأمر بالعمل في القرآن الكريم، الخطر المتيقن العمل المتيقن جدوائيته، يترك اليقين، ويميل إلى الاحتمالات: [ربما يكون هذا الشعار يثير الدولة فيحصل شيء، ربما هذا يثير أمريكا فيحصل شيء!].

وهنا في القرآن الكريم يترك الآيات الصريحة، يترك اليقين، وهو يشاهد أيضاً اليقين من الخطر على أمته وعلى دينه، ولكن هكذا الإنسان الذي يغلط حتى مع نفسه يتجه إلى نفسه فيرسم لنفسه طريقاً معينة يظن أن فيها سلامته، وحتى نتأكد أن هذه النوعية إنما يكونون ممن لا يهمهم أمر دينهم ولا يهمهم أمر أمتهم أننا نشاهد الآن أن الأمريكيين والإسرائيليين اليهود والنصارى هم ليس فقط يرفعون شعارات الموت لنا والموت لإسلامنا، هم من ينطلقون فعلاً ليميتوا الناس، ألم يضربوا الناس في أفغانستان وفي فلسطين وفي مختلف المناطق، هم من يعملون على أن يميتونا فعلاً، هم من يعملون على أن يميتوا ديننا، وقد عملوا فعلاً على أن يميتوا ديننا في نفوسنا وفي واقع حياتنا.

حادث واحد حصل في نيويورك حادث واحد تحرك له المواطنون من اليهود والنصارى في مختلف بلدان أوروبا وضربوا المسلمين في الشوارع وهاجموهم إلى مساجدهم وإلى مراكزهم وقُتل كثير منهم وسجن كثير وأوذي كثير من المسلمين هناك، انطلقوا هم على أساس حادث واحد على مبنى واحد، أما نحن فمئات الحوادث على أمم بأكملها على عشرات المباني على عشرات المساجد على عشرات المستشفيات على عشرات المدارس في مختلف المناطق

الإسلامية ولا تتحرك، أليس هذا يعني بأن أولئك أكثر اهتماماً بأمر أمتهم أكثر منا؟ هم من انطلقوا حتى في استراليا، ـ وأين استراليا من أمريكا؟ ـ وفي بريطانيا وفي فرنسا وفي ألمانيا وفي مختلف المناطق، انطلقوا لإيذاء المسلمين وضربهم بعد ذلك الحادث، حادث على مبنى واحد وليس من المحتمل أن يكون ذلك بتخطيط أي جهة لا دولة إسلامية ولا دولة عربية ولا منظمة من المنظمات داخل هذه البلدان، وإنما هو من عمل الصهيونية نفسها، فأنت عندما تشاهد أنهم يميتون أمتك ويميتون دينك فعلاً ـ بالفعل وليس بالقول فقط ـ ثم تجبن أن تقول قولا: الموت لأمريكا ـ الموت لإسرائيل، أليس هذا يعني بأنك لم تصبح شيئاً ولم تعد شيئاً؟ وأنك في الواقع أصبحت صفراً في هذه الحياة.

أن لا أجرؤ على أن أقول قولاً الموت لهم وأنا من أراهم يذبحون أطفالنا في فلسطين وفي لبنان وفي غيرها، وأن لا أجرؤ أن أقول النصر للإسلام وأنا أراهم يهدمون قيم الإسلام ومبادئه وأسسه في نفوسنا وفي حياتنا.

من يسكت من يجبن وهو يشاهد هذا؟ إنه من ليس في نفسه ذرة من اهتمام بأمر أمته ولا بأمر دينه وليس في قلبه وعي على الرغم مما يشاهد، ماذا ننتظر بعد هذا؟ أي أحداث يمكن أن تخلق لدينا وعياً؟ أي أحداث يمكن أن نقطع في حينها أن أولئك أعداء؟ إذا كنا بعد لم نثق بالقرآن الكريم الذي قال بأنهم أعداء ثم هذه الأحداث التي تجري في الدنيا لا تكفي أن نعرف أن أولئك أعداء، فبأي أحداث بعد هذه نؤمن ونعي؟! هذه نقطة.

الشيء الثاني: أن كثيراً من الناس الذين ينطلقون لتثبيط الآخرين عن أن يرفعوا هذا الشعار على الرغم من أنه كما قلنا أكثر من مرة: إنه أقل ما يمكن أن نعمل، لا أنه كل شيء، إنه أقل ما يمكن أن نعمل ولكنا على الرغم من ذلك ـ وأسفنا ألا نستطيع إلا ذلك ـ له أثره الكبير فعلاً.

الذي ينطلق ليثبط وإن كان قد فهم فعلاً لكنه إنسان لا يهمه شيء، لا يهمه إسلامه، لا تهمه أمته، يسكت لأنه يرى أن سلامته في أن يسكت، ويرى أنه عندما يتجه إلى السكوت أنه الشخص الحكيم الذي عرف كيف يحافظ على أمنه وسلامته.

نقول: أنت غالط على نفسك، أنت تجني على نفسك من حيث لا تشعر، أنت تهيئ نفسك لأن يكون لك عدوّان مقابل عدو واحد، أنت لا تتأمل الأحداث جيداً حتى تعرف أن أولئك الذين وقفوا موقفك هم عادة الضحية الأولى أمام كل حدث يحصل، عندما نشاهد التلفزيون سواء عن أفغانستان أو عن فلسطين أو غيرها، ألستم تسمعون ونسمع جميعاً أنه كثير من أولئك ضربوا وقتلوا ودمرت بيوتهم وهم كما يقولون عزّل، العزل هم هؤلاء الذين هم كـ [الأثوار]يعتزلون وهم من قد قرروا بأنه لا دخل لهم وأنهم سَيسلمون، هم شاهدهم هم يكونون هم الضحية وأول من يُضرب، إنهم لا يسلَمون أبداً، ضُربوا في أفغانستان وضُربوا في فلسطين.

إن من يَسلَم حقيقة ومن هو أبعد عن الخطر حقيقة ومن ترضى نفسه حتى ولو أصابه شيء هم المجاهدون {أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} (الأعراف: من الآية١٦٥) **وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: {كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ}** (يونس: من الآية١٠٣).

المؤمنون هم من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، هم من يجاهدون في سبيل الله بكل ما يستطيعون، هؤلاء هم من يصح أن يقال لهم ـ بمعنى الكلمة مسلمون ـ والإسلام هو دين السلام لمن؟ لمن هم مسلمون حقيقة؛ لأنهم من يبنون أنفسهم ليكونوا أعزاء أقوياء، هم من يبنون أنفسهم ليستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الشر، ليدفعوا عن أنفسهم الظلم، ليدفعوا عن بلدهم الفساد، ليدفعوا عن دينهم الحرب، فهم أقرب إلى الأمن والسلام في الدنيا وفي الآخرة.

نحن نعلم أن الغرب أن أمريكا وإسرائيل تحمل من العداء لإيران أكثر مما يحملونه للفلسطينيين، ولكن هل استطاعوا أن يعملوا شيئاً بالإيرانيين؟ وهم من يمتلكون صواريخ بعيدة المدى، ويمتلكون قنابل نووية، ويمتلكون كل شيء؛ لأنهم يعرفون أن أولئك ليس من السهل أن يدخلوا معهم في حرب، ستكون حرباً منهكة جداً لهم في مختلف المجالات، كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((بقية السيف أبقى ولداً وأكثر عدداً)) إنما يأتي النقص في من يجعلون أنفسهم كما نقول [مدافخ] أولئك العزل.. ألم يقتل في أفغانستان الكثير من أولئك؟ قرى بأكملها دُمرت.

هناك الحسرة أن تدمر بيتك وأن تقتل أسرتك، وأنت لا ترى أنك قد عملت بالعدو شيئاً، ستندم على أنك اتخذت قراراً كان قراراً خاطئاً بالنسبة لك وكانت نتيجته عكسية عكس ما كنت قد رسمته لنفسك، إنهم لا يسلمون أبداً أولئك الذين يقولون لأنفسهم: [أما نحن ما لنا حاجة]. ويقولون كما يقول المنافقون عندما يرون المؤمنين ينطلقون في مواقف ـ مهما كانت بسيطة ـ عندما يرون المؤمنين ينطلقون في مواقف ضد دولة كبرى {غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ} (الأنفال: من الآية٤٩).

ألم يقل المنافقون في ذلك العصر أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما انطلق المسلمون لمواجهة دولة الروم، ودولة الروم كما تواجه أمريكا الآن: {غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ} مساكين مغفلين يذبحون أنفسهم، كيف باستطاعتهم أن يؤثروا على دولة عظمى؟! لا، إن المغرورين هم أولئك، هم الذين غرّوا أنفسهم.

وجاء القرآن الكريم ليؤكد أيضاً أن من يتخذون قرارات كهذه ـ ليقعدوا ـ إنهم لن يسلموا وهم من ستنالهم العقوبة بأضعاف أضعاف من الآلام والنقص أكثر مما يعاني منه المجاهدون.

إن الله حكيم وبيده أمور الناس جميعاً، فأنت لا تفكر أنك عندما تخطط في داخل نفسك فترجح أن تقعد وأن قعودك هو السلامة، إن هناك من هو عليم بذات الصدور، هو يعلم ما في أعماق نفسك وهو لن يغفل عنك؛ لأنك واحد من المسلمين، إنك واحد ممن هو في واقعه قد أعطى الله ميثاقاً؛ عندما تقول بأنك مسلم وأنك مؤمن، إنك حينئذٍ ممن يقر على نفسه بأنه ممن قالوا سمعنا وأطعنا، وهذا هو ميثاق بين الله وبين الإنسان، الله الذي يعلم بأعماق سرائرك، بسرائرك في أعماق نفسك هو من سيجعل ما تفكر فيه بعيداً و مستحيلاً {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا} (البقرة: من الآية٢٤٣) ألم يقل الله هكذا، موتوا؟.

هم انطلقوا بحكمة، حكمة هؤلاء المغفلين يرجحون السكوت والابتعاد؛ لأن هنا السلامة، خرجوا وهم ألوف، هذه سخرية منهم، أنتم ألوف تستطيعون أن تواجهوا فكيف تخرجون وأنتم ألوف، أنتم تخافون الموت، أنتم كنتم تظنون أن الضر هو عليكم من مصدر واحد هم أعداؤكم فقط، أنتم نسيتم أن هناك من سيحاسبكم ومن هو وراءكم إذا ما قعدتم هو الله {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا}.

كذلك حصل لبني إسرائيل عندما قال لهم موسى صلوات الله عليه {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} (المائدة:٢١) جبنوا، خافوا، مالوا إلى ما ظنوه سلامة، ماذا حصل لهم فيما بعد؟ بعد أن رفضوا الأمر من نبيهم وبعد أن رفضوا الوعد بأنهم إذا دخلوا سينتصرون فعلاً، آثروا من منطلق هذا التفكير الخاطئ أن لا يدخلوا؛ لأن هناك السلامة. إذا ابتعدنا سنسلم، ماذا قال الله فيهم؟ {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (المائدة:٢٦) أربعين سنة يتيهون في الأرض لا مساكن، ولا يهتدون لشيء.

لحظة واحدة ساعة واحدة كان بالإمكان أن يكون فيها عزهم ونصرهم ورضاء ربهم، ويكون فيها الفوز لهم في الدنيا وفي الآخرة، جبنوا قعدوا حتى قالوا: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة: من الآية٢٤) هكذا من يقعد وإن أدرك أن هناك خطراً حقيقياً، ومن الذي تخفى عليه هذه الأحداث؟ من الذي يخفى عليه ما في هذه الأحداث من خطورة بالغة؟ لكنه من عد نفسه واحداً من أولئك الذين قالوا لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.

بل إن هؤلاء يكونون أسوأ؛ لأن المجاهدين، لأن العاملين في سبيل الله هم من سيكتفون منهم، ويقولون لهم، كثّر الله خيركم، لو أنكم تقعدون ثم لا تتفوهون بكلمة، كلمة تصد عما نحن عليه، كلمة تثبط الآخرين عما نحن عليه.

وكل من يقعدون في هذا الزمان الذي هو أسوأ من ذلك الزمان الذي قعد فيه بنو إسرائيل، إنهم لا يكتفون بالقعود بل ينطلقون أيضاً ليقولوا للآخرين [اترك لا تتدخل، اترك ما دخلك، هذا خطر. وسوف تسبب لنا مشاكل]. وهكذا من هذه العبارات.

أولئك قالوا نحن سنقعد {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ} هذه كلمة سيئة لكن الأسوأ منهم هو من لا يكتفي بالقعود بل ينطلق أيضاً ليثبط، هؤلاء عوقبوا أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة، أليس عذاباً؟ أليس ضياعاً لهم؟ كان بالإمكان أن يدخلوا تلك الأرض فيستقروا فيها كأمة، يستقروا فيها لهم مساكنهم لهم مزارعهم، لهم حياتهم على أوسع ما يمكن أن يحصل لهم من مجالات الحياة، فرفضوا فعوقبوا بأن يتيهوا أربعين سنة يعيشون هكذا تائهين لا يهتدون لشيء.

الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يؤكد في أكثر من آية ويضرب الأمثال الكثيرة لكل من ينطلق هذا المنطلق الخاطئ أنه لن يسلم في الدنيا ولن يسلم في الآخرة، وكما أسلفنا نحن شاهدناهم لم يسلموا، وتابعوا أنتم.

ونقول لهم أيضاً من يفكرون هذا التفكير: تابعوا التلفزيون وسترون.. هل إن أولئك المجاهدون وحدهم يُضربون المجاهدون في الشيشان وفي البوسنة وفي فلسطين وفي لبنان وفي أفغانستان وفي أي منطقة؟ أم أن الضرب الأكثر والنقص الأكبر يأتي في مَنْ؟ في أولئك الذين قرروا القعود، هم من تسمع عنهم يقال عنهم (مدنيين وعُزّل)، ثم انظر أولئك المدنيين والعزل هل هم نساء و أطفال؟. أم أنك ترى فيهم الكثير من الشباب، ترى فيهم الكثير من الرجال الذين كان باستطاعتهم وبإمكانهم أن ينطلقوا في عمل فذلوا ودُمِرت بيوتهم على رؤوسهم، ودمرت مزارعهم ثم أصبحوا يبكون كما تبكي النساء، ثم في لله ولا في سبيله.لا يرون لأنفسهم عزاً ولا مجداً أمام ما يشاهدونه من دمار، لكنك أنت عندما تنطلق في مواجهة عدوك فإنك ستكون أقل ألماً في داخل نفسك أمام ما تشاهد من ضرباتهم في بيتك أو في أولادك.

السيد حسن نصر الله عندما قتل ابنه هل بكى كما يبكي أولئك؟ بكل ارتياح بل قال عن ابنه أنه هو من هاجم أولئك وغزاهم هم، لم ينتظر في بيته حتى يأتوا هم فيضربوه، هكذا كلام الرجال.

قال الله عمن كان لديهم هذا التفكير الخاطئ، وهم في كل زمان، وهم من ليس الدافع لديهم هو أنه ليس هناك من يبين الحق وليس هناك من يشرح المواقف بشكل يلمسون فيه أهمية العمل وصحة العمل وجدوائية العمل، ألم يكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بين أظهرهم ماذا كانوا يقولون؟ كانوا يتخلفون ويقعدون، ثم كانوا يفرحون بتخلفهم!.

وأنت تلمس أنت في زمانك وأمام ما تقوم به من عمل، تلمس أولئك الذين قرروا لأنفسهم أن يسكتوا، وأن ينطلقوا ليثبطوا عنك، تراهم فرحين بما هم عليه، أنهم يرون أنفسهم الحكماء والأذكياء، والذين فهموا كيف يبعدون أنفسهم عن الخطورة، هنا قال الله عن أمثالهم: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} (التوبة: من الآية٨١) كرهوا، ضعف في إيمانهم، ضعف حتى في رجولتهم، ليس لديهم إباء كما لدى الرجال، وقالوا للآخرين: {لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} (التوبة: من الآية٨١).

ألم يهدد أولئك بأنهم إن كان عدم خروجهم تحت عنوان: أن الوقت حار لا نستطيع أن نخرج في الحر هو في الواقع ليس عذراً حقيقياً، وليس عذراً مُبرراً، أنتم قعدتم دون مبرر، وأنتم تشاهدون رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو إنسان كمثلكم يؤلمه الحر والبرد، فهل أنتم أرحم بأنفسكم وتؤثرون أنفسكم على رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله)! لو كان هناك في القضية مبرر لقعد هو، لكن ليس هناك مبرر، وليس هو ممن يبحث عن المبررات للقعود.

{قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً} ماذا يعني هذا؟ أليس يعني هذا بأن قعودكم عصيان، وأن قعودكم من منطلق أنكم تريدون أن تَسلموا، إذاً فلن تسلموا؛ ووراءكم النار إن كنتم تفقهون، تفقهون: ـ تفهمون ـ تفهم أنك إذا اتفقت مع نفسك أنك ستسلم، أنت إذاً لا تفهم بأن هناك من يراقبك، وأن هناك من سينزل بك أشد العقوبة الله سبحانه وتعالى {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} أي يفهمون.

ثم يسخر منهم أيضاً: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} (التوبة: من الآية٩٠) ليستأذنوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نحن مشغولون، ونحن كذا..، [وقد هبينا واحد من بلادنا، وما بيهبوا من البيت إلا واحد]،

وعبارات من هذه، [وفلان قد هو ذاك، قد هو شامل علينا]، معذّرون.. جاءوا وهم يفكرون كيف يصيغون أعذاراً لأنفسهم.
الإنسان المؤمن يخرج من بيته، وهو متجه في نفسه إلى أن يجاهد في سبيل الله، أما هذا فإنه يخرج من بيته وهو يفكر كيف يصيغ عذراً يكون مقبولاً نوعاً ما، يبرر له العودة إلى بيته، فيقعد. معذّرون من الأعراب ليؤذن لهم {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التوبة: من الآية٩٠).
ثم قال أيضاً عنهم: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} (التوبة: من الآية٩٣) مع النساء في البيوت، أليست هذه سخرية؟ أي أنك لست رجلاً، تخرج كالرجال، أنت رجل أنت المسئول عن أن تدافع عن قِيمك وعن عرضك وعن بلادك وعن حريمك، إنما تقعد النساء، لأن النساء يقعدن لأن هناك من يقوم بالمهمة في المواجهة في ميادين المواجهة هم الرجال، وهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا مع الخوالف مع النساء، أليست هذه كلمة سخرية؟.
أي أن الإنسان الذي يقعد هو سيكون محط سخرية الله ومقته، وسخرية الله شديدة ومقته شديد، إذا ما كنت محط سخريته ومقته فسيصيبك الكثير الكثير في الدنيا، وستكون من أهل جهنم؛ لأن جهنم هناك لمن هم محط سخرية الله ومقته وغضبه.
{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (التوبة: من الآية٩٣) لم يكونوا يعلمون ولا ممن يعلمون أن الخروج هو الخير أن الخروج هو العزة، أن الخروج هو الشرف، أن الخروج هو الرجولة، ألم يقل في آية أخرى عن الجهاد: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (التوبة: من الآية٤١).
إذاً فنقول لمن يقعدون: لا تفكرون أبداً بأنكم ستسلمون، إنكم عندما تقعدون ستهيئون أنفسكم لأعدائكم، وفي نفس الوقت ستهيئون الله سبحانه أن يضربكم.. أليست هنا الخطورة؟
أنت عندما تنطلق في العمل أنت في الموقف الآمن حقيقة؛ لأنك من ستواجه عدوك، وعدوك قد نبأك الله عنه بأنه ضعيف أمامك، وأنك حينئذٍ من ستحظى بوقوف الله معك، أليس هذا هو الموقف الصحيح؟ وأقرب المواقف إلى السلامة وأقرب المواقف إلى الأمن؟ وهو موقف العزة والشرف والقوة؟.
لكنك عندما تقعد عدوك سيتسلط عليك، والله سبحانه وتعالى سيكون له سلطان عليك فيضربك، وأشد الضربات هي الضربات التي تأتي من قبل الله؛ لأنه حينئذٍ سيكون الإنسان كما قال عن أولئك: {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (التوبة: من الآية٩٣) لأنك متى يمكن أن تحظى بتوفيق من الله، بهداية من الله، برعاية من الله، وأنت من قعدت عن نصرة دينه، وأنت من قعدت عن نصرة المستضعفين من عباده، وأنت من قعدت عن مواجهة أعدائه حتى ولو بكلمة، وأنت من انطلقت لتثبط الناس عن نصر دين الله وعن الوقوف في وجوه أعداء الله، كيف يمكن أن تحظى بتوفيق من عنده، بل إنه سيطبع على قلبك، وإذا ما طبع الله على قلبك فستكون أعمى في الدنيا وستكون أعمى في الآخرة.
{فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} (الأنعام: من الآية٨١)؟ كما قال نبي الله إبراهيم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام:٨٢) هذا من الظلم للنفس، ومن الظلم للأمة، ومن الظلم للدين، ومن الكفر بنعم الله سبحانه أن تقعد ثم أيضاً تثبّط الآخرين، وتظهر نفسك أنك الحكيم وأولئك هم المغرورون {غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ} (الأنفال: من الآية٤٩). إن هذا هو الظلم الشديد، فأنت لست من أهل الأمن لا في الدنيا ولا في الآخرة.
{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} لم يحصل من جانبهم تقصير، وليست القضية كما يقال فقط [بظلم أي: بِشِرك]، الظلم عبارة واسعة، كل موقف تقف فيه عصيان لله سبحانه تعالى هو ظلم، ظلم لنفسك وظلم للأمة من حولك، لماذا؟ لأن الباطل متشابك ولا تتصور أن الباطل يسود بجهود أهل الباطل وحدهم، وإنما أيضاً الآخرون - من يسمون أنفسهم مؤمنين - هم من لهم القسط الأوفر في أن يسود الباطل.. قعد هذا وتحرك هذا، من الذي سينجح في الساحة؟ الذي يتحرك، إذاً فالذي قعد هو من أسهم بنصيب كبير في انتشار الباطل، والباطل

ظلم للأمة، فكل ظلم ينال الآخرين أنت شريك فيه، وأنت من ألبست إيمانك بظلم تظن أنك مؤمن، وأنت في واقعك ظالم، ظالم لنفسك وظالم للأمة.
حقيقة لا تظن أن المعصية التي تنطلق منك هي معصية في حدودك الشخصية وحتى المعاصي الشخصية تنتهي في الأخير إلى أن تكون ظلماً للأمة، لماذا؟ لأنه إنما ينطلق من منطلق الاهتمام بأمر الأمة والدفاع عن المستضعفين مَنْ نفسه زاكية، وأنت إذا ما دنست نفسك بالمعاصي كنت أقرب إلى أن تقعد، كانت نفسك منحطة، وإذا ما قعدت كنت أيضاً من ظلمت الآخرين بقعودك؛ لأن قعودك كان مساعداً على انتشار باطل الآخرين وظلمهم.
الباطل متشابك شبكة واحدة، كل باطل يساعد على الوقوع في باطل آخر، وكل باطل له أثره في واقع الحياة على عباد الله؛ لهذا أعتقد أنا، أعتقد أن أولئك الملايين الملايين في مختلف أنحاء العالم، العرب مسؤولون عنهم أمام الله، العرب أنفسهم الذين أنزل الله هذا الدين إلى نبي منهم وبلغتهم، وجعلهم هم الأمة التي أهّلها لأن تنطلق لنشر دينه وإصلاح عباده وإخراجهم من الظلمات إلى النور في مختلف أقطار الدنيا، هم من قعدوا فحل محلهم مَنْ؟ اليهود؛ ليفسدوا في الأرض،لم يكن الفساد من جانب اليهود لوحدهم بل أسهم العرب معهم بقعودهم، وأسهم أولئك الذين حرّفوا الدين عن مساره الصحيح من قبل (١٤٠٠ سنة) هم أيضاً من أسهموا، هكذا يجني الإنسان على نفسه. فكر في آثار عملك.
وجريمة الإنسان تكون كبيرة بمقدار أثرها، ألم يُقتل كثير من الناس من أولياء الله؟ ويقتلهم أناس مجرمون؟ لكن ابن ملجم الذي قتل الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قيل فيه على لسان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ((أنه أشقى الأمة))، لماذا كان أشقى الأمة؟ لأنه قتل رجلاً عظيماً، عظيماً في إيمانه، في وعيه، في شجاعته، عظيماً في فهمه لواقع أمته، في فهمه لعظمة دينه، رجلاً عظيماً، الأمة أحوج ما تكون إليه، قتله في ظرف الأمة أحوج ما تكون إلى مثل ذلك الشخص العظيم.
فسمي أشقى الأمة، لماذا؟ لأنه خسّر الأمة، خسّر الأمة شخصاً عظيماً، ذلك الشخص الذي لو استقرت قدماه -كما قال هو- لاستطاع أن يعيد الحياة الإسلامية من جديد في هذه الأمة، ويغيِّر الأشياء التي قد حدثت في الدين وحدثت في نفوس الناس، تضليل في الفترة السابقة لأيامه (عليه السلام).
قتله ابن ملجم بتخطيط من معاوية، فماذا كانت النتيجة؟ استحكم أمر معاوية، فامتد الضلال السابق وتطور أيضاً بشكل أكبر وأسوأ، فكانت الجناية على الأمة كبيرة، فسمى الشخص أشقى الأمة؛ لأنه جلب الويل على أمته كلها بقتل رجل واحد فقط هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
هكذا يكون الإنسان، تكون آثار عمله تجعل تلك المعصية التي يراها بسيطة، أو قد لا يفهم أنها معصية، تكون معصية كبيرة وكبيرة جداً؛ لأن لها آثارها السيئة، لأنه هكذا الواقع، لا تتصور أن هناك معصية لا تمتد آثارها إلى الناس، حتى المعصية التي تعملها أنت بمفردك، وهي معصية في حدود شخصيتك -كما أسلفت- إنها تؤثر على نفسيتك، ونفسيتك تؤثر على تصرفاتك، فإما تصرفات خاطئة في واقع الحياة، أو قعود عن نصر حق، أو انطلاق في نصر باطل، أليس هذا كله في الأخير ظلم للأمة؟.
إذاً فالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم {أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام: من الآية٨٢) {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس:٦٢) أي أن موقفهم -كما يقول بعض المفسرين- إنهم في حالة لا يُخاف عليهم فيها، أي هم من لا ينبغي أن تخاف عليهم، إذا كان ابنك واحداً منهم وأنت شفيق عليه فافهم بأنه في الموقف الذي يجب أن لا تخاف عليه، لماذا؟ لأنه في موقف حق، في موقف الرجال، في موقف العزة والشرف، هو إنسان هو إنسان بمعنى الكلمة بما تعنيه الكلمة، إنما تخاف على ابنك أو تخاف على أخيك إذا كان مع الأراذل، إذا كان مع السفهاء، إذا كان من أولئك الذين هم شياطين، أو أولياء الشياطين، هذا الذي تخاف عليه، تخاف عليه في الدنيا هنا، وتخاف عليه في الآخرة {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} وأولياء الله ليسوا أبداً أولئك الذين يتخذون قرارات بالقعود قرارات بالسكوت.
هؤلاء الذين يسكتون، وينطلقون يثبطون الناس عن الكلام، ويثبطون الناس عن العمل، نقول لهم: هل تعتقدون أن السكوت حكمة؟ أي أنه هو العمل الحقيقي في مواجهة أعداء الله، فأوضحوا لنا هذه الخطة، فإذا ما

رأيناها إيجابية وعملية فعلاً وبنآءة في مواجهة العدو وستضرب العدو، فنحن إنما نبحث عن العمل الذي يكون له أثره على العدو.

من الذي يستطيع أن يجعل سكوته سكوتاً عملياً في مواجهة هذه الأحداث؟ إنما هو مخدوع يخدع نفسه. والإنسان الذي يكون على هذه الحالة هو أيضاً من سيكون قابلاً لأن يُخدع من قبل أعدائه عندما يقول الأمريكيون: نحن إنما نريد من دخولنا اليمن أن نُعِينَ الدولة على مكافحة الإرهاب، وأن نحارب الإرهابيين. فهو من سيقتنع سريعاً بهذا الكلام؛ لأن المبدأ عنده هو السكوت والقعود، فهو من سيتشبث بأي كلام دون أن يتحقق ويتأكد من واقعيته، يميل بالناس إلى القعود فيقول: [يا أخي ما دخلوا إلا وهم يريدوا يعينوا دولتنا، بل الله يرضى عليهم، وعاد لهم الجودة، يسلمونا شر ذولا الإرهابيين الذين يؤذوننا سيكلفوا علينا].

يقبل بسرعة أن ينخدع، والعرب ما ضربهم مع إسرائيل إلا خداع اليهود والنصارى، كان كلما تأهبوا لمواجهه إسرائيل ودخلوا معها في حرب جاء من ينادي بالصلح وهدنة، فترتاح إسرائيل فترة وتعبّئ نفسها، وتُعِدّ نفسها أكثر، ثم تنطلق من جديد، وهؤلاء واثقون بأنها هدنة - وإن شاء الله ستتلطف الأجواء ومن بعد سنصل إلى سلام، وينتهي ويغلق ملف الحرب!. أولئك أعداء قال الله عنهم: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧) وسيستطيعون فعلاً إذالم يقف المؤمنون في مواجهتهم، سيستطيعون فعلاً أن يردوا الناس عن دينهم.

فهو إذاً من سيصبح بوقاً لأعدائه يخدعونه، سيتحدث ويعمل على أن يقنع الآخرين بذلك الخداع فهو يظلم الأمة، أليس هو يظلم الأمة؟ إنك من تعمل على أن تهيئ أمتك للضربة الموجعة وأنت تقعدهم، وأنت من لا ترضى لنفسك أن يكون حديثك مع أولادك هكذا إذا ما كان هناك طرف من أصحابك من أهل قريتك اعتدى على شيء من ممتلكاتك، أليس هو من سينطلق يشجع أولاده؟ أليس هو من سيشتري لهم أسلحة؟ أليس هو من سيعبئ روحيتهم قتالاً ومقاومة؟ يقول لهم: أنتم رجال، يقول له ابنه: يا أبي نحن نريد أن نحاول إذا اصطلحنا. فيقول: أبداً، أنت تريد أن تسكت حتى يأخذوا حقك. أليس هذا ما يقال فعلاً؟ لكن هنا يجعل السكوت - حتى يدوسه الأعداء بأقدامهم - هو الحكمة، ويدعو الآخرين إلى أن يسكتوا، وإلى أن يقعدوا.

يجب عليهم أن يستحيوا من موقف كهذا، يجب عليهم أن يحذروا، إن أولئك أعداء أعداء بما تعنيه الكلمة، وأنه حتى أنت إذا ما رأيت آخرين وإن كانوا كباراً حتى ولو رأيت رئيس الدولة في موقف هو موقف المخدوع بأولئك الأعداء فلا تستسلم أنت؛ لأنك ستكون الضحية، لا تقل إذاً الرئيس قد هوأعرف وأدرى، هو الذي هو عارف وقد هو رئيس الدولة ورئيس كذا.

إنهم يخدعون الرؤساء والمرؤوسين، ويخدعون الصغار والكبار، وهذه المقابلات التلفزيونية التي نراها توحي فعلاً بأنهم قد خدعوا إلى الآن، بأن الكبار هنا في بلدنا قد خدعوا إلى الآن وهناك حملة شديدة ضد اليمن دعائية، وأنهم خدعوا والدليل على أنهم خدعوا أنهم يقولون للناس أن يسكتوا، بينما هؤلاء الأعداء هم من يحركون وسائل الإعلام أن تهاجم اليمن وتهاجم السعودية وإيران وبلدان أخرى، أليس هذا هو الخداع؟ أليس هذا هو الموقف المخزي؟ أن يكون زعماء أعدائنا، زعماء الدول التي هي عدوة لهذه الأمة ولدينها هم من يحركون شعوبهم، هم من يحركون الكُتّاب والصحفيين ووسائل الإعلام لتقوم بحملات ضد هذا البلد أو هذا البلد أو الأمة بكلها، أليسوا هم من يبحثون عن رأي عالمي يؤيد مواقفهم ضد هذه الأمة، فكيف ينطلق هؤلاء الزعماء ليقولوا لشعوبهم اسكتوا، أليس هذا هو الخداع؟ ألم يُخدعوا إذاً؟.

نحن نقول - فيما نعتقد - على ضوء القرآن الكريم ومن منطلق الثقة بالله سبحانه وتعالى وبكتابه وعلى أساس ما نشاهد: لسنا أقل فهماً منكم، ليس ذلك الشخص لكونه قد أصبح رئيس وزراء أو وزير خارجية أو رئيس جمهورية هو بالطبع أصبح أذكى الناس وأفهم الناس، ألم يعرف الناس كلهم أن زعماء الدول العربية هم في موقف مخزي وموقف ضعف؟ حتى الرجل العامي في هذا البلد أو ذاك يعرف هذه، من أين أتى هذا؟ أليس هذا من خداع حصل، ومن نقص في فهمهم أو في إيمانهم أو مرض في قلوبهم أو أي شيء آخر؟.

فأنت لماذا ترى أولئك، ترى الخديعة أمامك، ترى العدو يتحرك أمامك كما يتحرك في أي بلد، وعرفت النتائج

السيئة لتحركه في البلد الذي شاهدته على شاشة التلفزيون.. ثم تسكت؟ وتجلس وتثق بأن ذلك لم يُخْدَع، وأنت لو سألناك هل أنت راضي بمواقف زعماء العرب في مواجهة إسرائيل؟ أي يمني سيقول نعم؟! أي سعودي سيقول: نعم؟! أي مواطن عربي سيقول نعم أنا راضي بمواقفهم في مواجهة إسرائيل؟!، وأن هذه سياسة حكيمة أنا راضي بمواقفهم مع أمريكا، وأقول هذه سياسة حكيمة!.

عندما دخلوا في الحلف ووافقوا على هذا الحلف لأن تقوده أمريكا حلف مكافحة ما يسمونه بالإرهاب. إذا أنت تقول وكل الناس من حولك يقولون أنهم لا يرضون عن موقف هؤلاء، فلماذا وقد أصبح هؤلاء في بلدك تجعل سكوتهم حكمة؟ وهو السكوت الذي أنت تنتقدهم عليه وتلومهم عليه وهؤلاء الأعداء لا زالوا في فلسطين أو في منطقة أخرى، نحن هنا في اليمن ألسنا نقول أن سكوت الزعماء في مواجهة إسرائيل غلطة كبيرة؟ وأنهم ضعفوا وأضعفوا الأمة معهم، ولكن لماذا سنعد سكوتهم فيما إذا وصل العدو إلى بلدنا فيما إذا اتجه نحو شعبنا ليصنّفه كشعب إرهابي يخطط لأي عمل ضده سنجعل سكوتهم حكمة، والسكوت هو الذي لُمْنَاهم عليه من البداية.

عندما ينطلق هؤلاء ليبرروا سكوتهم وعدم اشتراكهم في أعمال كهذه وهي لا تزال أعمال بسيطة، فينطلقون لينقلوا التبريرات ولو جاءت على لسان أعدائهم ينقلونها فعلاً، أو جاءت على لسان المخدوعين من الكبار أيضاً بأولئك الأعداء، سينقلها فعلاً ويتحرك كبوق دعاية، نقول له: عُدْ إلى القرآن الكريم، ولنعد نحن وأنت إلى القرآن الكريم لنعرف من هو الحكيم، من هو الذي موقفه صحيح وموقف حكيم وموقف حكمة، هل هو من يتحرك على أساس القرآن الكريم في مواجهة هؤلاء الأعداء؟ أم أن القرآن الكريم لم يتحدث عنهم، ألم يتحدث عن اليهود والنصارى حديثاً كثيراً؟ أو ضح فيه عداءهم أوضح فيه ما يعملونه ضد الأمة، أوضح فيه كيدهم ومكرهم، بشكل واسع جداً داخل القرآن الكريم، وفي نفس الوقت رسم الخطط الحكيمة للمؤمنين في مواجهتهم ووعدهم بالنصر، بل كشف النتيجة في واقع العدو إذا ما اتجه المؤمنون لمحاربتهم، أن أولئك ضعاف، أنه قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة، أليس موقف القرآن الكريم هو موقف المشجع على العمل؟ الموجب للعمل في مواجهة أعداء الله، أليس هو المحذر لمن يقعد لمن يتخلف من عقوبة قعوده وتخلفه في الدنيا وفي الآخرة؟

إذاً فلا شك أن العمل هو المجدي أن العمل هو المنسجم مع القرآن، أن العمل هو الذي سيحول بيننا وبين أن يضربنا ذلك العدو.

لاحظوا من يعرفوا هذه الحقائق، الإيرانيون خوطبوا بأقل مما خوطب به اليمن، والحملة ضد اليمن الآن تبدو أكثر بكثير مما تَوجّه ضد إيران، فكيف كان موقف الإيرانيين؟ موقف من يرفضون أولئك، موقف من يتهددونهم موقف عملي قول وفعل؛ لأن هذه هي الطريقة الصحيحة.

ولنعد عندما يقول البعض: [هؤلاء هم يريدون الإرهابيين وأنتم تريدون أن تطلعوا إرهابيين من جديد].

نقول: أنت مخدوع، أنت تظن أن أمريكا وإسرائيل أن اليهود والنصارى أنهم إنما يريدون أولئك الذين يسمونهم إرهابيين، أنت مخدوع بهذا سواء أكنت كبيراً أم صغيراً، لماذا؟ نحن حسب معرفتنا نرى ونسمع أن من يقال عنهم أنهم إرهابيون هنا في اليمن هم الوهابيون، أو أشخاص من الوهابيين ومعاهدهم وجامعاتهم، أليس هذا هو الآن ما يقال بأنه إرهابي ومراكز إرهاب، ومنابع وجذور إرهاب؟.

لكن من الذي دعم هؤلاء في البداية؟ من الذي مكنهم من أن يتغلغلوا في مؤسسات الدولة؟ فيأخذوا أهم المجالات داخل هذا الشعب، وهو مجال التربية والتعليم، أخذوا التربية والتعليم، وأخذوا الأوقاف، وأخذوا وزارات أخرى، أمريكا هي المهيمنة، وأمريكا تسمع وترى، مخابراتها واسعة، هل ستسمح في شعب كاليمن أن يتحرك أولئك على ذلك النطاق الواسع مئات المعاهد، الجامعات الكبيرة، مئات المساجد أخذوها، ومنطقهم معروف، وكلامهم معروف، ثم لا يكون هناك إيحاء لهذا أو هذا بدعمهم، وإيحاء بإخلاء الساحة أمامهم والتعاون معهم وإفساح المجال لهم، هذا شيء ملموس.

حتى تعرف أن الشعب نفسه هو المستهدف وليس أولئك، وأن الدين بكله هو المستهدف وليس أولئك، أن أمريكا من البداية هي من تعطي ضوءاً أخضر لدعم هؤلاء وإفساح المجال أمام هؤلاء، والتعاون مع هؤلاء وهي من

شغلتهم هم في مناطق أخرى في مجال تكون نتيجته مصلحة لها ولمصالحها في المنطقة، ثم تأتي بعد فترة لتقول بأن أولئك إرهابيون.

إذاً فمن هو المستهدف؟ إنها إنما عملت هؤلاء من البداية عبارة عن مبرر لأن تضرب الشعب بكله، وأن تتغلغل في أوساط هذا الشعب، وتبني لها قواعد فيه، هي من بنتهم، أليست هي التي بَنَت طالبان؟ أليست هي التي تدعم الوهابيين وتوحي بدعمهم؟ ثم في الأخير تبدو وكأنها إنما تهيئ حجة لها في المستقبل، تزرع أشخاصا وتوحي للآخرين بدعمهم، فمتى ما أصبح وجودهم معروفاً لا شك فيه في هذا البلد، قالوا هؤلاء إرهابيون، إذاً بلدكم فيه إرهاب، لا شك.

من الذي يستطيع أن يقول هنا في اليمن ليس هناك وهابيون؟ هناك وهابيون لا شك، أمريكا سمتهم إرهابيين، هل تستطيع أن تقول: لا.. ليس هناك وهابيون؟ أولئك الذين تعتبرهم إرهابيين، إذاً أصبحت الإدانة على وجهك ماثلة، وهابيون موجودون عندكم؟ نعم، إذاً هم إرهابيون.

وحينئذٍ سيأتي العمل الطويل كما قالوا هم ـ عندما تحركوا ضد أفغانستان ـ :أن الفترة ستكون طويلة، لماذا؟ لأن المسألة ليست مسألة أن هناك إرهابياً يُضرب، ثم يعودون، سيقولون: إذاً هذا إرهابي، صحيح. إذاً باقي جذور إرهاب، باقي منابع إرهاب، باقي وباقي وهكذا، ثم سيصنعون إرهاباً هم ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ ستسمع تفجيرات هنا وتفجيرات هناك، ثم يقولون: إذاً من الضروري ـ وسيكونون متجملين ومحسنين كما يبدو لنا ـ أن تأتي التعزيزات من مختلف البلدان تحت قيادة الأمريكيين إلى اليمن كما حصل في أفغانستان، حينئذٍ سيفهم الناس ـ إذا لم نفهم من الآن ـ أن المستهدف هو الشعب نفسه، الشعب بكله بدولته، حتى الدولة إذا ما جندوها لأن تعمل ضد أبناء هذا الشعب فإنها هي مستهدفة؛ لأنهم لن يرضوا عنها مهما عملت، هل رضوا عن عرفات على الرغم مما عمل؟ ألم يملأ السجون من شباب [حماس] ومن شباب [منظمة الجهاد الإسلامي]؟ ملأ السجون وحاول أن يعلن بأنه حريص على السلام وأنه، وأنه، لم يقبلوا منه أبداً، قالوا: أنت قصرت في مكافحة الإرهاب، ماذا يريدون منه أن يعمل؟ هل يريدون أن يكون أشد على الفلسطينيين من الإسرائيليين أنفسهم؟ إذا كانوا يريدون هذا من عرفات فإنه ما يريدونه من أي زعيم.

عليهم أن يفهموا بأن قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) أنها حقيقة، أنها حقيقة لن يرضوا عن الرئيس، لن يرضوا عن الحكومة، لن يرضوا عن أي مسؤول ينطلق جاداً تحت عنوان مكافحة الإرهاب ضد أبناء شعبه؛ لأنه ليس الهدف ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ هو الإرهاب، إن الإرهاب داخل أمريكا، وإن أمريكا هي نفسها الدولة التي تصدر الإرهاب هي التي تثير الحروب والمشاكل في الدنيا كلها، في داخل المدن الأمريكية، أصحاب المحلات التجارية الكبرى يحتاجون إلى حرس مسلحين، لأن هناك عصابات تسطو على المحلات التجارية في وضح النهار، وأنت تتجول في شوارع نيويورك أوفي واشنطن أو في غيرها من المدن ـ كما أخبرنا من ذهبوا إلى هناك ـ لا تستطيع أن تأخذ في جيبك مبلغاً من المال من الدولارات، سيأتي من ينهبها ويقتلك، وإنما دفاتر شيكات أو أشياء أخرى، لا تستطيع ولا تجرؤ أن تحمل مالاً، والمحلات التجارية داخلها جنود مسلحون برشاشاتهم، حرس برشاشاتهم!، أليس هذا هو الإرهاب داخل أمريكا نفسها؟ لم تعمل على أن تؤمن أسواقها التجارية والتجار في أسواقها التجارية.

ليس الهدف هو محاربة الإرهاب، الهدف هو الاستيلاء على مقدرات هذه الأمم، هو إخضاع هذه الأمة، هذا الشعب، هو السيطرة عليه، هو أن يملئوه بقواعدهم العسكرية، هو أن يحكموا قبضتهم عليه كما أحكموها على دول أخرى.

أليست السعودية الآن في مشكلة كبرى أمام القواعد العسكرية والوجود العسكري الأمريكي هناك؟ وهم من يتحملون أعباء نفقاتهم الكبيرة في السعودية نفسها؟ هل يستطيع السعوديون أن يخرجوا الأمريكيين؟ لا يستطيعون إلا بمشقة بالغة وجهاد مرير.. هكذا خدعوا من البداية ووثقوا بمن قال الله عنهم بأنهم لن يرضوا عنكم، وثقوا بمن قال الله عنهم بأنهم أعداء، وأنهم لا يحبونكم حتى ولو آمنتم بكتبهم {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} (آل عمران: من الآية١١٩) أنتم على الرغم من أنكم تؤمنون بالتوراة

والإنجيل لا زالوا يحملون لكم العداء ولن يحبونكم أبداً، {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران: من الآية١١٩) هل تجد هنا في بلدك ذلك الشخص الذي تعتبره عدواً كبيراً وتجند نفسك ومالك لمواجهته هل تجده في لحظة من اللحظات يعضّ على أنامله من الغيظ ضدك؟.

لا يصل به العداء إلى هذه الدرجة وإن كان يحاول بطريقة ملتوية أن يتغلب على شيء من مالك، إن هذه الحالة توحي بعداء شديد، هو أشد من ذلك العداء الذي داخل نفس خصمك الذي تجند نفسك ومالك لمواجهته {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} توحي بغضب شديد، وحقد شديد، وعداء شديد داخل نفوسهم ضد المسلمين وضد الإسلام، إذا ما وثقوا بهم فستكون هذه هي النتيجة في الأخير.

ثم نحن من نقول في كل لحظة من اللحظات: هم إنما يريدون كذا فقط. كلمة [فقط] والاستثناءات هنا لا وجود لها أمام أهدافهم البعيدة المدى، أمام أهدافهم الكبيرة، لا تقل هم لا يريدون إلا كذا، هم لا يريدون إلا مكافحة الإرهابيين الفلانيين. ستسمع جذور إرهاب، وسترى أين هي الجذور، إنها عندهم [المساجد] إنه [القرآن الكريم] إنه الجذر الكبير عندهم، والمنبع الرئيسي عندهم للإرهاب.

وحينئذٍ وعلى ضوء الآيات القرآنية التي تحكي واقع أولئك الذين يقعدون ويثبطون أنهم في الواقع إذا ما استحكمت قبضة العدو، ووصل العدو مكشوفاً إلى ديارهم، هم من سيكونون قريباً جداً للتخلي عن دينهم {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً} (الأحزاب:١٤) لأنه هكذا تكون قد طبع الله على قلبك، وتكون أنت في الأخير من ستكفر بسهولة وتكفر بالمجان {ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ} الفتنة عن دينهم، والخروج عن دينهم، والكفر بما هم عليه {لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً}، يفتتن بسرعة؛ لأن الشيء المهم لديه هو سلامته.

هل هذه سلامة؟ أن يصل بك الأمر إلى أن تتنكر لدينك وأن تكفر بدينك؟! من يقعد ويربي نفسه على القعود والصمت وينطلق دائماً على أساس أن هنا السلامة، لن يسلم له دينه، ولن تسلم له دنياه، ولن تسلم له آخرته، والقرآن الكريم يؤكد هذا.

حينئذٍ نقول أن من واجبنا أن نفهم أولئك الذين ينطلقون ليثبطوا الناس عن أي موقف، نفهمهم حتى نزداد بصيرة نحن، وحتى ندخل الهزيمة إلى داخل أنفسهم إذا لم يعتبروها بصيرة نعرفهم واقعهم، وأنت تستطيع من خلال القرآن الكريم ومن خلال الأحداث في هذه الدنيا، أن تريهم آثار أعمالهم السيئة ونتائجها السيئة عليهم هم تستطيع، من واجبنا ومن واجب الخطباء في يوم الجمعة وفي المناسبات وكل شخص منا أن ينطلق هذا المنطلق، لأنك عندما تنطلق في عمل مكشوف صريح يجب أن تتجه ضد من يثبطون عنه، وهذا هو منطق القرآن الكريم في سورة التوبة، وهذا هو أسلوب الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) الذي حكاه الله في سورة التوبة.

قد يقول البعض: ماذا سنعمل؟ نحن ضعاف. أشخاص لا زالوا هكذا في مجلس أو مسجد يرفعون هذا الشعار، ماذا سيعمل شعاركم هذا؟ نحن مساكين نحن مستضعفون، وأولئك أقوياء وكل الإمكانيات لديهم وهم كذا وهم كذا..إلى آخره.

إن هذا في واقعه هو من الجهل بحقائق القرآن الكريم، تأمل القرآن الكريم، هل الله وعد الجبابرة والمتكبرين بأن يقف معهم وينصرهم؟ ويعمل على إنقاذهم أم وعد المستضعفين؟ إنه وعد المستضعفين، وإن الناس الآن هم مستضعفون في مواجهة أعدائهم، استضعفونا.

لكن ليس كل مستضعف هو من سيكون الله معه، ومن سيحظى بتأييد الله ونصره، ومن سيعمل الله على إنقاذه، إنهم فقط المستضعفون الواعون، أولئك الذين قال الله عنهم وهو يأمر المؤمنين أن يقاتلوا: {فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً} (النساء: من الآية٧٥) هؤلاء هم مستضعفون واعون، على مستوى عالٍ من الوعي، فاهمون لوضعهم أنه وضع سيئ، ومتألمون لما هم فيه، أنهم يرون دينهم محارباً، أنهم يرون أنفسهم لا يستطيعون أن يقولوا الحق، ولا يستطيعون أن يمارسوا الكثير من الأعمال العبادية. فهم عارفون أنهم

مستضعفون ومتألمون لما عليه، وضعيتهم التي هي في الأخير تنعكس على وضعية دينهم، أو بالعكس محاربة لدينهم، استضعفوا هم باستضعاف الآخرين له، وهم في نفس الوقت يعرفون الجهة التي استضعفتهم وظلمتهم.
وهم في نفس الوقت عمليّون واعون، هم ليسوا ممن يوكلون المسألة إلى الله فليتولاها هو بعيداً عنهم، وهم يريدون السلامة وإن كانوا في وضع سيئ كهذا. لا.. هم من يقولون لله {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً}، ولياً نقف معه، ولياً نتحرك معه، ولياً يعمل على إنقاذنا، ويقودنا حتى ننقذ أنفسنا {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً}، هؤلاء هم المستضعفون الذين هم محط عناية الله ورعايته.
ولاحظوا القرآن الكريم كيف هو؟ تتجه آياته لتقول: أن المستضعفين هم من سيحضون بنصر الله وتأييده {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}(القصص:٥-٦) ويقول عن المسلمين الأوائل: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(الأنفال:٢٦) إن الوعد هو للمستضعفين وليس للجبابرة والمتكبرين، ولا حتى نصرُ الدين، ولا إنقاذُ الأمة لن يكون على أيدي أولئك الكبار، هكذا السنة الإلهية، سنة إلهية لا يكون إعزاز عباده ونصر دينه إلا على أيدي المستضعفين الذين يغيرون ما بأنفسهم فيصبحوا مستضعفين واعين، يستشعرون مسئوليتهم ويثقون بوقوف الله معهم، يثقون بالله، ويثقون بما وعدهم به.
فالذي يقول لك: نحن مساكين ونحن كذا ونحن كذا..إنك ـ لو فهمت القرآن ـ إنك تعدد إيجابيات، وإن اليهود يفهمون هذه.
إن اليهود عاشوا هم فترة الاستضعاف وفهموا كيف جاء الله بموسى (صلوات الله عليه) لينقذهم، ألم يكونوا مستضعفين في مصر تحت هيمنة آل فرعون؟ فرعون وهامان وجنودهما؟ ماذا حصل؟ أنقذهم الله بموسى، ولهذا نرى أعمالهم، وحاولوا أن تتلمسوها أنتم، إنهم حتى وإن وثقوا بالكبار، بالحكومات، أنها أصبحت صديقة ووثقوا بهم كامل الثقة، إنهم ما زالوا يخافون من الناس من الشعوب، وإن كانوا قد رأوها مقهورة، ورأوها ذليلة، أي أنها مستضعفة، هنا الخطورة عندهم، هنا الخطورة عندهم، أن لا نكتفي بأن نرى أولئك مقهورين وأذلاء، أي أن نراهم مستضعفين، إن هذه هي حالة الانفجار الخطيرة، هي الحالة التي يقف الله فيها معهم، لا بُدَّ أن نفسدهم، لا بُدَّ أن نفسدهم، ألم يسعوا لإفساد الناس إلى كل بيت؟ لأنهم يريدون أن يفسدوا المستضعفين، وهم يفهمون إن هذه سنة؛ لأن المستضعفين متى ما فسدوا فإنهم حينئذٍ يكونون قد ابتعدوا عن الله ولن يقف الله معهم، ولن يعمل على إنقاذهم.
فاليهود عندما تقول أنت أنك مستضعف. إنهم يرونك قوياً إذا ما كنت مؤمناً، وهم جربوا ورأوا تاريخهم الطويل ما حصل لهم هم، ثم رأوا الحقائق ماثلة في حزب الله، وفي حركات تشبهه.
ألم يكن الخميني رجل مستضعف خرج من قرية [خُمَين] واتجه ليهاجر إلى (قم)؟ ألم يكن الشعب الإيراني مستضعفاً في ظل حكومة الشاة؟ كان الإسرائيليون هم المهيمنون والأمريكيون هم المهيمنون، ما الذي حصل؟ رأوا كيف أن أولئك المستضعفين عندما وعوا وفهموا كيف حصل ذلك الحدث الكبير الذي أزعج كل بلدانهم، الذي أقَضّ مضاجعهم وكلفهم الكثير، وأخافهم وأزعجهم فعلاً، ما هو الفارق؟ إنهم مستضعفون؛ لكنهم عندما وعوا وفهموا حينئذٍ أصبح الخطر الحقيقي محدقاً بأولئك، ألم يصبح الخميني فيما بعد رجلاً رأوه كبيراً جداً جداً، وهو ذلك المهاجر طالب العلم الذي خرج من [خمين] فقيراً وظل معظم حياته فقيراً؟ لكنه أصبح لديهم شبحاً يخيفهم.
ما الذي جعل الخميني على ذلك النحو؟ ما الذي جعل شعبه يغير ذلك التغيير؟ إنهم عندما تحولوا إلى مستضعفين واعين، بل لأن الإمام الخميني أيضاً يفهم القيمة الكبرى للمستضعفين الواعين، هو حرص على أن يبقى هذا اسم يحمله الإيرانيون أثناء الثورة الإيرانية، وبعد الثورة [مستضعفون]، وطلب من كل واحد منهم ممن يرى نفسه بأنه مستضعف ويؤمن بالمسألة هذه أن يصعدوا جميعاً كل ليلة في لحظة واحدة، يقولون ((الله أكبر)) ويرفعوا شعار التكبير كل ليلة، فكانوا ينطلقون حتى من يرون أنفسهم أغنياء في إمكانياتهم، ينطلقون

وكأنهم يطلبون من الله أن نكون مستضعفين واعين لتقف معنا. وهكذا وأطلق على أولئك اسم مستكبرين، والمتكبرون والمستكبرون هم من يتجه الله سبحانه وتعالى لأن يملأ قلوبهم رعباً وخوفاً.

فنريد أن نفهم عندما يقول أحدنا: نحن كذا أو نحن كذا، أو يقولون لذلك الشخص اسكتوا واتركوا، أنتم دارين أننا ضعاف، وليس بإمكاننا أن نفعل شيئاً. نقول: لا القرآن الكريم ولا حتى اليهود والنصارى يسلمون لك بأن هذه حقيقة، إن الله يجعلها هي التهيئة لأن يقف معك إذا ما وعيت، وإن أعداءك لا يعتبرونك بالشكل الذي قد أمنوا جانبك، بل رأوك في موقع الخطورة ضدهم وعليهم لكن متى ما وعيت.

ثم فلنحاول أن نعي، فلاحظوا ـ كما أسلفت في محاضرة سابقة ـ الذين يقولون: ماذا سنعمل؟ أنت عندما تعي وتفهم سترى كم هناك من مجالات واسعة للعمل ضدهم، هي بالشكل الذي يراها الآخرون ليست بشيء، وأن هذه الوضعية التي نحن عليها هي وضعية إيجابية في مقام الرجوع إلى الله، وإذا ما عززنا البصيرة والوعي في نفوسنا فإنها اللحظة الإيجابية لأن يقف الله سبحانه وتعالى معنا، فلا أحد يستطيع أبداً عندما تعي أن يقدم لك نفسك بأنك في واقع لا يمكن أن يكون العمل فيه مجدياً، أو أنك على وضعية لا يكون العمل معها مجدياً أبداً، عد إلى القرآن الكريم وستراه يقفل الأبواب والنوافذ في وجه ذلك ويفتح المجالات واسعة أمامك.

فنقول لهم: نحن قد فهمنا هذه الحقيقة من كتاب الله، وأنتم أنتم الذين لم تفهموا هذه الحقيقة؛ لأن المسألة ـ كما قلت سابقاً ـ أن الإنسان الذي يضعف إيمانه ستكون مواقفه ضعيفة، ويكون كلامه ضعيفاً وكل إنتاجه ضعيفاً، بل يدفعه ضعفه إلى أن يشتغل بالمجان مع الآخرين ليريهم بأنه قد سبق وبادر إلى أولئك، بأن يقول لهم بأن هناك آخرون يعملون عمل كذا، من أجل ماذا؟ من أجل أن يكون قد قدم لنفسه شيئاً عندهم، فإذا ما حصل شيء يقول أو يذكرهم أو ليتذكروا فيما إذا أرادوا أن يعملوا شيئاً.. أما فلان فإنه كان ممن بلغنا وتحدث معنا وبلغنا سابقاً.

ألم يظهر نفسه هنا من السباقين؟ ألم يظهر نفسه من السباقين؟ لماذا لا تكون سباقا مع الله، بل تكون سباقاً إلى أولياء الشيطان، وسباقاً إلى ما فيه خدمة الشيطان، ولا تكون سباقاً مع الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى.ألم يبادر؟ ألم يكن سباقاً؟ وفي جانب الله وفي جانب أولياء الله متثاقلاً ومتثبطاً، بل ومثّبطا.

الإنسان الذي من الخطوة الأولى يتجه في طريق خاطئ، ستكون كل خطواته بعداً عما فيه نجاته، عما فيه أمنه، عما فيه عزته، عما فيه سلامته في الدنيا والآخرة، لأنك إذا ما خرجت عن الطريق الذي يوصل إلى الهدف فكل خطوة ستكون إبعاداً لك عن هدفك، أليس كذلك؟.

إذاً فلننطلق لنُفَهِّمَ هؤلاء دائماً، ولا نتركهم حتى يؤثرون في أنفسهم، ولا نتركهم حتى يقتنعون بقراراتهم وآرائهم في واقع أنفسهم فضلاً عن غيرهم، وإلا فسترى أنت في هذه الجمعة يكون الناس في مسجدك أقل من الجمعة السابقة، وسترى أولئك الذين نقصوا في هذه الجمعة سيعملون على أن ينقص مثلهم في الجمعة المقبلة وهكذا. وفي الأخير ستكون أنت؛ لأنك لم تنطلق في هذا المجال لمكافحة هذه الظاهرة الإرهابية؛ لأنها إرهابية فعلا ستكون أنت من ينفذ اليأس إلى نفسك، وتقول في الأخير: يا أخي الناس لم يرضوا، والناس ما منهم شيء قد يحصل هذا في الأخير، فليكن الناس هم من إذا انطلقوا في عمل يعرفون كيف ستكون تحركاتهم فيها إيجابية، وكيف تحركهم يكون واسعاً.

أيضاً عندما تقول أنت، عندما نقول نحن: نحن هؤلاء ماذا سيكون عملنا لوحده إذا كنا نحن الذين نرفع هذا الشعار؟. إذا كنت تعرف أن القضية مهمة فليكن عملك هو أن يصل هذا الصوت إلى الآخرين في المناطق الأخرى، ومن مصلحة بلدنا بل من مصلحة الدولة ـ فيما أعتقد ـ أن اليمنيين لو انطلقوا ليرفعوا هذا الشعار، ويصيحوا في وجه أمريكا ـ وهم قد سمعوا ويسمعون وسيسمعوا الكثير ضد هذا الشعب ـ فإنهم من ستحسب لهم أمريكا ألف حساب، وستغير قراراتها وستنكمش على نفسها، وتلغي كل ما كانت قد تبنته ضد هذا الشعب.

إن السكوت هو الخطير، هو الخطورة البالغة علينا، وإن السكوت هو نفسه الذي لن يجدي لا كبيراً ولا صغيراً، وحينئذٍ متى ما أراد الناس أن يتحركوا فيما بعد، أو أن يقولوا شيئاً فيما بعد لن يكون ذلك مجدياً، ويكون الله سبحانه وتعالى قد خذلهم.

نعوذ بالله من خذلانه، ونسأله أن ينور بصائرنا، وأن يعيننا ويوفقنا، ويسدد خطانا، وأن يثبت أقدامنا وأن يكفينا شر أعدائنا، ونقول كما علمنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (البقرة: من الآية٢٥٠).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّيْ هُدَىً

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[البعض يتصور] بأنه يمكن أن يحصل له ثواب من غير ما يعطي [قرش] معونة، يصلي ركعتين، أو يقول: سبحان الله، وسيأتي له ثواب [دون أن ينفق شيء].

{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} (القارعة ٦-٧) فعندما لا تفهم الأمور بشكل صحيح، {ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} قالوا: ثقل الموازين هو أن تكثر حسناته، تكون حسناته كثيرة، فقرر أنه يجمّع له حسنات من هذه، من أطراف، من الأشياء التي هي سهيلة، لا فيها إنفاق، ولا فيها تعب، ولا فيها خطورة، ولا فيها شيء، يعمل على أن يجمّع له رصات حسنات، وعنده أنها ستثقل ميزانه.

لا، أحياناً إن الحسنات ما [بتطلع] إلا إذا اهتميت بالأمور المهمة، متى ما اهتميت بالقضايا الكبيرة، بالمبادئ المهمة في الإسلام، وتعمل لها بصورة متكاملة، ستطلع حسنات من هنا، وإلا فلا، أليس هذا سيكون تحيل وخداع؟.

بل الأعمال الصالحة، بعض الأعمال المهمة، تصفر السيئات، تصفرها، ويبدل الله السيئات بحسنات. أما إذا واحد يريد يمشي على الطريقة هذه ما هو طالع ولا حسنة، لن يطلع له شيء؛ لأنه في موقف محبط لأعماله.

فنحتاج إلى وعي في كيف تكون موازيننا ثقيلة يوم القيامة، في ما هي الطريقة حتى تكون موازيننا ثقيلة، هل بهذه الطريقة: الحيَل؟ أم أنه لازم نفهم الدين فهماً صحيحاً متكاملاً، وننطلق في أن نعمل به بصورة كاملة وصحيحة؟ الله قال: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب٣٩) ألم يثن عليهم بهذه؟ يعني: أن في رسالات الله ما يشكل خطورة، باعتبار وضعية معينة، وما قد يكون فيه مشقة على الإنسان، باعتبار المجتمع، أو الزمن الذي يعيشونه.

لكن يخشونه، يخشون الله، ولا يخشون أحداً إلا الله.

يبذل الناس نفوسهم، {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ}، ما كان بالإمكان - إذا المسألة هي مسألة حسنات للجنة - أن يجمّعوا حسنات من أطراف؟ يجمّع حسنات باعتبار أن من قرأ القرآن أنه يكون له بكل حرف عشر حسنات، [ألف] يعتبر حرف، و[لام] حرف، و[ميم] حرف في: {ألم} على كل حرف عشر حسنات، ما واحد سيطّلع من تلاوة مصحف واحد ما يكفي ليثقّل حسناته، يثقّل ميزانه؟ نعم لكن ما هو طالع لك حسنات هنا إلا إذا أنت تشتغل، تشغّل القرآن نفسه، تتحرك على أساس القرآن، تطّلع لك حسنات، وإلا فما هناك شيء.

لأن المطلب هو واحد أساساً، مطلب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومطلب الناس واحد: رضوان الله، والجنة. أليس هذا هو مطلب الناس باعتبار الآخرة؟ الجنة، وفي الدنيا والآخرة رضوان الله. الأنبياء، والأئمة، والأولياء أليسوا فاهمين أنه إذا كان سيمكن أن يمشوا على هذه الطريقة، يأتي من المقارب، من الأطراف يجمّع له حسنات، كان سيجمّع، يجمّعوا كثيراً من أجل يحصلوا على الجنة، ورضوان الله؛ لتكون موازينهم ثقيلة.

إذاً نحن نعتبر أذكى منهم؟ لسنا أذكى منهم، نحن نجعل نفوسنا أذكى من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في واقعنا، بصَار، وكأن النبي ما كان ذكياً مثلنا، يعرف كيف سيعمل حتى يدخل الجنة من غير الجهاد، والمتاعب، والمشاق.

وأيضاً تأتي نتيجة أخطاء كثيرة، متراكمة على طول مئات السنين الماضية، أخطاء كثيرة جداً، في تقديم الدين، وأهل البيت كلما أتيحت لهم فرصة ليتحدثوا عن الدين بصورة كاملة، أو يقدموه بصورة كاملة، كلما تكالبوا عليهم، وحاولوا يكممون أفواههم، ويطمسون كل ما ينطلق من جانبهم؛ يريدون أن يجعلوا الدين يتحرك بشكل آخر ما ينفع، بشكل ما يفيد.

فعندما ترى الدين لا يفيد في الدنيا، في واقع الناس، وهم يدّعون أنهم عليه، وأنهم ملتزمون به، ما هم يدّعون - حتى دول - أنهم متمسكون بكتاب الله، وعلى سنة رسول الله، وعلى ما سار عليه السلف الصالح، ما هكذا يقولون؟.

طيب: لم ينفع في الدنيا فكيف ينفع في الآخرة؟ لم ينفعهم في الدنيا فكيف ينفعهم في الآخرة؟ أيضاً فهموا العكس، فهموا بأنه هذا شأن الدنيا، والدنيا هي هكذا: دار امتحان، ودار بلاء بكل ما فيها، وهي هكذا الدنيا، والآخرة هي ستكون لمن هم هكذا في الدنيا: أشقياء، ومضطهدين، ومظلومين، ومقهورين، وضعاف، ومستذلين، وتحت أقدام الظالمين، واليهود، والنصارى، سيكونون في الأخير هم في الجنة، هم أعلون مقاماً.

لكن القرآن يبين بأنه مثلما تحدثنا بالأمس حول قول الله تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه١٢٣) ألم يربط الضلال بالشقاء، وربط الشقاء بالضلال؟ {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه١٢٣) الشقاء باعتبار الحياة المادية، والنفسية للناس، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه١٢٤) ألم يربط بين المسألتين؟ الناس إذا ساروا على هدي الله سيكونون في الدنيا سعداء، وفي الآخرة سعداء.

إذا انصرفوا عن هدي الله سيعيشون في الدنيا أشقياء، وفي الآخرة أشقياء، ليست القضية أنها شقاء في الدنيا، ثم سعادة في الآخرة، هو منهج واحد للدنيا والآخرة، وثمرته واحدة في الدنيا وفي الآخرة.

عندما فصلوا الإسلام عن كونه ديناً للحياة، وهدى فيما يتعلق بشؤون الحياة، بخلاف ما تدل عليه قصة آدم، وإبليس، المتكررة في مواضع كثيرة في القرآن، وبخلاف ما يشهد عليه التاريخ نفسه، تاريخ الديانات، وتاريخ الأمم، اعتبروا أن الشقاء في الدنيا هو وسيلة ماذا؟ الفوز في الآخرة.

هي المعيشة الضنكا، عندما يكون الفساد هو المنتشر، عندما يكون الباطل هو السائد، عندما يكون الظلم هو الذي يحكم، عندما تكون النفوس مهزومة، ذليلة، محتقرة، وأهل الباطل هم سادة العالم، هم الرافعي رؤوسهم في هذا العالم، عندما لا يكون، أو بالعبارة القديمة التي كان يستخدمها الأئمة السابقون: [الاستئثار بالفيء] أليست خيرات الناس، خيرات الشعوب، وخيرات الله التي منحها لعباده، أليست كلها تمشي للطواغيت، والفاسقين، والمفسدين في الدنيا هذه؟ أليست دول اليهود، والنصارى هي أغنى منا؟.

ثم من يحكم الناس هم يعيشون حالة على حساب الشعوب؟ هذا هو الحاصل، كلما يأتينا فقط هو فتات، فضلات، يعني: لو نصور أنفسنا، مثلما نكون نعيش خارج البيت، ونتلقى الفتات[منتظر يأتي له لقمة من ذاك، أو حاجة من هناك] في حياتهم هم يعيشون حالة الجهل، حالة الجهل في كل شيء، تصبح الحياة صعبة كلها، حياة الناس كلها تصبح صعبة، أرزاقهم متعبة، حياتهم مقلقة ومتعبة.

أليس هذا هو الذي يحصل في الدنيا؟ هذا هو الفساد، كلمة فساد كلمة عامة: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم٤١) فساد، فساد في النفوس، وفساد في المعيشة، وفساد في واقع الحياة كلها.

بينما القرآن يؤكد في أكثر من آية: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (الطلاق٣) أليس هو يربط بين التقوى وبين حالة توفر المعيشة؟ المجتمع المتقي لله، المجتمع الذي يعمل على إعلاء كلمة الله، معنى هذا سيعمل على القضاء على منابع، وبؤر الفساد في الدنيا، هنا قال: بما كسبت أيدي الناس، مَنهم الناس الذين يفسدون؟ أيدي تفسد، وأيدي تكف عملها عن أن تقطع الأيدي المفسدة، أصبحوا مشتركين في الفساد، وسيعيش هذا الذي يكف عيشة أسوأ من عيشة المفسد، وإن كان سيكون للمفسد أشياء أخرى من ضنك الحياة، من ضنك المعيشة، لكن هو من جعل معيشتها ضنكا، هو من جعل الحياة شقية، هو من جعل الدنيا مصائب، هو من دنس الدنيا، الله ما خلق الدنيا ليشقي الناس فيها أبداً، خلقها أشبه شيء بالدرة الثمينة، كل شيء فيها.

تجد كل شيء فيها يخلق على أحسن ما يمكن بالنسبة لواقعه، بالنسبة لغايته، ويخلق فيها الأصناف الكثيرة، أصناف من المعادن، من النباتات، من الحيوانات، ويذكر بأنه سخرها للناس، سخرها للناس ليعمروها بالصلاح، ويعمروا أنفسهم عليها بالصلاح.

نبي الله نوح ألم يكن يتحدث مع قومه؟ {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} (نوح١٠-١٢) ألم يتحدث عن كل جوانب سعادة الحياة؟ المفاهيم الخاطئة للدين، ولله، وللحياة هي التي تضرب الناس، وتعكس كل شيء، حتى يصل الأمر إلى أن يرى

المؤمنون بـأن هذا واقع الحياة، وأن المتقين الفائزين هم من يصبرون على هذا الواقع حتى يلقوا الله، وسيعيشون في الجنة، وفي السعادة! هذا خداع، هذا ليس صحيحاً، خداع للنفوس.

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} (الأعراف٩٦) هنا بركات في ماذا؟ في النفوس، وفي الأموال، إذا حصل بركات في الأموال، ماذا يعني يحصل؟ تصبح الحياة سعيدة، وسهلة، يصبح الرزق سهلاً، والحياة سهلة، هكذا يحصل.

فكلما يحصل من شقاء، كلما يحصل من معاناة حتى للأنبياء أنفسهم، ما هم عانوا؟ من الذي صنع المعاناة هذه؟ المجرمون، دنسوا الدنيا، ولعبوا بالدنيا، والذين لا يفهمون قيمة رسالات الأنبياء، ولا ينطلقون بشكل صحيح، وإلا فرسالات الأنبياء كانت ستقضي على الفساد، والإسلام هذه مهمته.

قد تتحول المسائل على أيدي من يسمون أنفسهم أتباع الأنبياء أن يضفوا الشرعية على الظالمين من جديد، تأتي الرسالات للقضاء على الظالمين، والمفسدين، والمجرمين، وتبنى الحياة من جديد على أساس من الصلاح، والتقوى، للنفوس، وللدنيا.

وهم من جديد يحاولون أن يضفوا الشرعية على من على أيديهم يكون فساد الدنيا في البر والبحر، وفساد الدين، وفساد النفوس، وفساد الحياة، ثم في الأخير يسخِّرون حتى القرآن، ويسخِّرون حتى حركة الرسول، وكأنها تضفي الشرعية على الظالمين، من عند أبي بكر إلى آخر واحد.

هذا يحصل، ثم في الأخير الناس يصيحون، ويضطربون، وهم يرون كل شيء ما سبر، وكل شيء ما استقام، متى ما عجزوا، وهم يتلفتون يميناً، وشمالاً - مع سوء الفهم - قالوا: إذاً سننتظر للجنة، والجنة سندخلها ونسلم الأذية!.

لا، عندما تشقى الأمة في الدنيا، معنى ذلك أنها مقصرة فيما تستحق به السعادة في الآخرة، هي معرضة عن ذكر الله، هي لم تتبع هدى الله، الله وعد، وعد وعداً صادقاً {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه١٢٣) لا في الدنيا، ولا في الآخرة، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} (طه١٢٤) ألم يربط هنا؟ {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي}؟ ما هو ذكر الله؟ هداه الذي يرسمه للناس في الحياة.

{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} ما هو الشقاء في الدنيا؟ شقاء ولو في النفوس، متى ما شقيت النفوس ولو المال كثير عندك فإن المال نفسه قد يتحول إلى عذاب، {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة٥٥) في الدنيا نفسها، أو يتعذب هو في الدنيا عندما يرى بأنه يجمِّع الأموال للآخرين، يأتي له مرض سكر، أو ضغط، أو كذا، أو كذا، كم يا أمراض كثيرة، أو أي شيء من الأمراض التي تجعله يُحَرِّم كل ما تحت يديه، أليس مرض السكر هو من الأمراض المنتشرة في هذا العصر؟ من يلاحق؟ أصحاب رؤوس الأموال أكثرهم!.

إذاً أليس هو يضرب عليه كل لذات الحياة، كل شيء [حالي] ممنوع، كل شيء [دسم] ممنوع، لا يعد يجرؤ يأكل فواكه، ولا لحوم، وبعضهم أيضاً يمنع فيما يتعلق بالنساء، أليست حياته تصبح حياة ضنكا؟ {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} فنفهم هذه: كيف قرن بين الشقاء في الحياة، والشقاء في الآخرة، الشقاء في الدنيا، والشقاء في الآخرة، أي: أن الدين، أن الإسلام جاء ليبني الحياة، فتسعد الأمة التي تهتدي بهديه.

بل كل شرائع الله؛ لأن هذا الكلام قاله الله لآدم عندما أهبطه من الجنة هو وزوجته، هو وسيلة السعادة في الدنيا وفي الآخرة، من أعرض عنه شقي في الدنيا وفي الآخرة.

س - هنا كأنه سئل لماذا سبرت الدنيا للمعرضين عن هدي الله؟ فقال:

قلنا سابقا: إذا سبرت لهم في الصورة من جهة فلأنهم أحياناً قد يأخذون جانباً من هدي الله فيما يتعلق بالدنيا، في التعامل مع الدنيا، الدنيا لها سنن معينة، والتعامل معها على نحو معين يعطي نتائج، لكن السعادة، السعادة نفسها التي تجعل الحياة سعيدة ليست فقط بقضية المال، أليست الإحصائيات تأتي كثيرة من دول الغرب عن

عمليات الانتحار، كم يحصل من انتحار! [السويد] البلد الذي قد هو يعتبر أكثر دول الغرب رفاهية، حالة الانتحار فيه أكثر من أي مجتمع آخر.

تأتي مظاهر أخرى تجعل الحياة ضنكا: تفكك الأسر، في الغرب، تفكك الأسر ظاهرة معروفة، فتجعل الناس يعيشون مع بعضهم بعض وكأنهم وحوش، ولا علاقة لبعضهم بعض، يأكل القوي فيهم الضعيف، فتصبح مظاهر الحياة ما هي؟ أعلام شامخة، هكذا، أشياء تتحرك هنا وهنا. وبالنسبة للإنسان نفسه، الإنسان نفسه يكون شقياً حتى في ظلها.

هو قال: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} وإن بدت مظاهر من حوله، ناطحات السحاب، وأشياء من هذه، وإن بدت على هذا النحو، قد تبدو أمامنا سعادة، وتبدو أمامه سعادة، يعني توفير للحياة، لكن هو لا يمكن أن يذوق طعم الحياة بالشكل الذي كان يمكن أن يحصل عليه لو سار على هدي الله، تنطبع كلها، حياتهم، وحياتنا بهذا النوع من المعيشة: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}، من كانت بالنسبة له صعوبة في الحصول على لقمة العيش، ومن يحصل على لقمة العيش، فهناك شيء آخر: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفتح٤) يجعل معيشتهم ضنكا بأي طريقة، بأي طريقة تكون ضنكا.

عندما يكتبون عن دول الغرب، عن الحالة الاجتماعية في دول الغرب، حالة مقلقة جداً، القلق النفسي، التوتر النفسي الذي يجعلهم أحياناً يميلون إلى الحيوانات، يألفون الحيوانات، يألفون الكلاب، ويألفون مختلف الحيوانات، لم يعودوا يألفوا بعضهم بعض. إذا كنا لا نفهم إلا نمطاً معيناً من ضنك المعيشة فالله يخبرنا بأنه: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يستطيع أن يجند أيّ شيء، ولو فيروس معين يجعل حياتك ضنكا.

يحصل تلقائياً، عندما تبنى الحياة في جانب معين، ولا يسير الناس على هدي الله في مختلف الجوانب الأخرى، تتحول حتى هذه المظاهر إلى عذاب، ما الله قال هكذا عن الكافرين؟ {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}؟ ما معنى هذا بأن بالإمكان أن يكون ما بين يديك وسيلة عذاب لك، إذا كان ما بين يديك قد يكون وسيلة عذاب لك فهو من مظاهر الحياة الضنكا، والمعيشة الضنكا.

لأن هذه حقيقة لا يمكن أن تتخلف، وعندما ترجع فعلاً إلى إحصائيات عن دول الغرب التي هي مترفة، ترجع إلى ما كتب عن دول الغرب هذه، عن واقعهم كناس، وليس عن واقع البلدان كبلدان، البلدان ترى فيها المصانع، ترى فيها البنايات الضخمة، ناطحات السحاب، ترى فيها الشوارع الجميلة، الحدائق الجميلة، ترى فيها مختلف الأشياء المنتجة، لكن ليست هذه وحدها هي الحياة، ليست هي وحدها المعيشة، وإلا لعاش الناس سعداء لمجرد وجودها، لمجرد وجودها لا تجعل الحياة سعيدة، هناك أشياء أخرى تجعل حياة من أعرض عن ذكر الله ضنكا، سواء ما كان بشكل عقوبة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى، أو بما كان على شكل أنهم ساروا على غير هدي الله، فكانت النتائج على هذا النحو الذي يشقيهم.

لأن المطلوب هو عمارة الدنيا، لكن على نحو من الصلاح، يترافق معه عمارة النفوس، زكاء النفوس وطهرها، وعمارة الحياة، عمارة الدنيا، فلتكن هناك ناطحات السحاب، وليكن هناك مختلف الأشياء من مظاهر ما هو متوفر في هذا العصر، يترافق معها زكاء في النفوس، نفوس زاكية، نفوس طاهرة، مجتمع صالح، هنا تحصل الحياة السعيدة فعلاً، الحياة السعيدة فعلاً تحصل.

ظهر في هذا العصر أمراض خطيرة فتاكة لم تظهر في الزمن الأول، من أين تأتي؟ أليست تأتي كلها من هناك؟ أمراض [الأيدز]، وانتشار السكر، وكل مرة يظهر مرض من هذه الأمراض، قد يكون فيروس، أو جرثومة صغيرة جداً جداً فتفتك بهم، وتقلقهم، وتحول حياتهم إلى قلق، وتعاسة.

إذا كان الله يخبرنا بأنه من الممكن أن يكون ما بين يديك من مال، وإن كان يبدو في الصورة، وتبدو أمام الآخرين وكأنك سعيد، يمكن أن يجعله الله عذاباً لك في الدنيا، الآية صريحة: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}.

نحن إذا عدنا إلى القرآن نفهم من خلال القرآن بأن كل من يعرض عن ذكر الله سيعيش معيشة ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى، فالإيمان بأن هذه حقيقة، حقيقة لا تتخلف هو المطلوب من المتقين، وإن كنا قد لا نفهم كيف سيكون شقاء هذا، وشقاء هذا، وشقاء هذا، وشقاء هذا. وعلى أساس هدي الله تكون الحياة سعيدة، ويكون المجتمع صالحاً، ويعيش عيشة سعيدة.

إذا عاش الناس معيشة ضنكا فمعنى هذا أن هناك خللاً من قبل أنفسهم، وعلى أيديهم، سببه أنهم معرضون عن ذكر الله، فتبدو هنا المسألة، المعرض عن ذكر الله عملياً، ويفسد بيده، والمعرض عن ذكر الله الذي لم يتحرك ليقطع يد المفسد، والذي لم يسر على هدي الله في قطع يد المفسد، فيشتركون جميعاً؛ لهذا يأتي يوم القيامة ـ الذي يبدو من خلال الآيات ـ أن أهل النار يكونون كثيرين جداً جداً، من مختلف الأجيال.

لهذا يأتي الخطاب للناس يوم القيمة: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}(يس:٦٠) كأنه يخاطب المحشر بكله، كأنه يخاطب البشر كلهم في المحشر: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}(يس:٦١-٦٢) من أين هذا؟ من الذين يضلهم الشيطان فيتحولون إلى عبَّاد للشيطان، سواء ممن كان يعبد الشيطان تحت اسم دين، ومن ديانات الله، فهو يُضِل، يَضل ويُضل باسم الدين، باسم الإسلام، بعد ما جاء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أو باسم دين موسى، أو باسم دين عيسى، أو باسم أي دين يأتي على أيدي أنبياء الله.

والضلال خطير جداً، الضلال يأتي أشياء بسيطة، لاحظ كيف ذكر الله عن الشيطان بأن عمله يتمثل في ماذا؟ أليس في وسوسة؟ وسوسة، لكن الوسوسة هذه تعمل عملها، الضلال، الضلال يأتي بوسائل تبدو وكأنها عادية، وبسيطة؛ لأن وسائل الضلال هي تتجه إلى النفوس، أليس إلى النفوس؟ تغيير النفس، إضلال النفس سهل، تكون بوسائل وسوسة، وأشياء من هذه، لكن تترك أثراً كبيراً، فيتحول الإنسان هذا بطاقاته، يتحول [إلى ضال مضل].

[الإنسان لا بد أن] يكون حذراً جداً من الأخطاء، أخطاء تخلق انحرافاً عقائدياً هناك واضح، أو أخطاء تخلق نوعاً من الجمود، والقعود والإبتعاد، والتعامل مع الباري على نحو من الخداع، وفهم خاطئ للدين، وللحياة، ولليوم الآخر، وللجنة، وللنار، هذه تحصل، سواء من قبل الشيطان، والشياطين، بسوء نية، وتحصل أيضاً بعضها بحسن نية.

المسألة أن الله لم يترك هذه القضية للناس أنفسهم، هو الذي رسم الهدى، وتمثل هداه في القرآن، هو الذي رسم الهدى، من يحاول أن يفكر أن المسألة مفتوحة لا بد أن يقع في ضلال، هناك في الحديث ألم يقل: (ومن ابتغ الهدى في غيره أضله الله) طيب: الذي يبتغي الهدى أليس معناه أنه يبحث عن الهدى؟ يعني: ما عنده حسن نية هو أن يهدي نفسه، ويهدي الآخرين؟ لكن المسألة ليست هكذا على ما تفصلها أنت، أو على حسب ما يقتضي نظرك، أو على حسب ما ترى، أو.. أو... الخ، لا، لا، القضية مرسومة تحرك في إطارها، تمشي على هداه، وتهدي (ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله) بعد عدة فقرات في هذا الحديث يقول: (ومن دعا إليه ـ أي إلى القرآن الكريم ـ فقد هدى إلى صراط مستقيم).

نحن عندنا أخطاء كثيرة جداً، في ثقافتنا أخطاء كثيرة جداً، ولم يعد الناس يفهمون بأن المسألة يجب أن تكون مضبوطة تماماً، وإلا فسنبقى على ما نحن عليه من الضلال، والضياع، والخذلان لدين الله، والعجز عن مواجهة أعداء الله. كل واحد عنده أنه يمكن أن يأخذ أيَّ كتاب يعمل منه خطبة ويقرأها على الناس، أيَّ شخص أشد الناس إليه؛ عندما فهم أن المسألة مفتوحة، ما لها حدود، وما لها ضوابط، ولا شيء.

يصل بنا الأمر إلى أن نتعبد الله بالضلال، بالضلال فعلاً، نرتكب أخطاء من حيث لا نشعر؛ لأننا لم نعرف أسس الأشياء من خلال القرآن الكريم، فنرتكب أخطاء، ونحن نتعبد الله بها، وأنا أعلّم غلط، وأتعلّم غلط، وأرشد غلط، وأكتب غلط، ويبدو أنني أرجو ثواب الله مما أكتب، وأرجو ثواب الله مما أعلّم، وأريد من الملائكة أن تفرش أجنحتها لي وأنا أتعلم وأكتب!.

لو يأتي واحد يسرد، كم هي القضايا التي نحن نتعبد بها وهي غلط لطلعت أشياء كثيرة، وأشياء خطيرة جداً، خطيرة على الدين، وخطيرة على الناس، فلهذا هنا قال: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} ألم ينسب الهدى إليه؟ الهدى الذي يرسمه هو؟ {فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} أليست عبارة ضيقة جدا؟ {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} أليست هذه عبارة: {مِّنِّي هُدًى} وحدي، لم يقل: فإما يأتينكم هدى، ثم في الأخير كل من انطلق يهدي حيّاه الله، ويرسم هو طريقة للهدى. {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} أليس هكذا من جديد أعاد الضمير إليه؟ لم يقل: فإما يأتينكم هدى، فمن اتبع الهدى فلا يضل.

كل واحد يدعي الهدى، وكل واحد يدعي أنه يرسم هدى، أليس هذا الذي يحصل؟ لا، المسألة هي مرتبطة به، هو الذي يرسم كل تفاصيلها، {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} حتى عبارة: {يأتي} أي: أنه من طرف آخر، أليس هو يتحدث مع آدم وحواء؟ إذا كان الحديث معهم فقط، وليس مع الشيطان؛ لأن الشيطان هناك لوحده، يتحدث مع آدم وحواء، وهم يمثلون أبناءهم {يَأْتِي} أي: يأتي من طرف آخر، ما معناه يأتي مِن مَن؟ عبارة: يأتي، لم يقل: فإما تكونوا على هدى، هل قال: فإما تكونوا على هدى، لا، يأتي، يعني: الهدى يأتي من طرف آخر هو من الله، أليست هذه؟.

هذه واحدة: {يأتي}، و{مني} الضمير في مني، ما معناه كلها من الله؟ وفي قوله: {هداي} أليست كلها ثلاث عبارات تفيد أن الطريق هي واحدة، طريق هو الذي يرسمها، الهدى، والهدى هو هذا الهدى الذي من اتبعه لا يضل، ولا يشقى، أليس هدى واسع جداً؟ باتساع الحياة في الدنيا والآخرة، باتساع الحياة في كل شؤونها، اتساع الحياة، حياة الإنسان فيما يتعلق بالأشياء المعنوية، وفيما يتعلق بالأشياء المادية.

أليس الضلال هو قد يتجه إلى الجوانب المعنوية في الإنسان؟ ضلال فكري، ضلال ثقافي، ضلال عقائدي، ونحوه، وشقاء في الحياة نفسها، صريح في الجانب المادي: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} تجد الآيات كلها ربط بالله من أولها إلى آخرها.

إلى آخر الآيات ترى كم فيها ضمائر إلى الله {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} أليست هذه إضافة إلى الله؟ {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ ـ نحشره، يعني: الله ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}(طه١٢٦) لاحظ كيف المسألة؟ من عند آدم، عندما يقول: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} أليس هو هنا يرسم طريقة المسيرة إلى يوم القيمة، هذه آية ترد إلى القيامة.

الناس في الدنيا أليسوا كل واحد يحاول أن يكون هو الذي يرسم للبشرية هدى؟ ما كل الحكومات تقنن، تضع دساتير، وكل المفكرين يكتبون، والمجتهدين يتحركون، وكل واحد من عنده، ما كل واحد ينطلق يرسم هدى للناس؟ حتى ضيعوا هدى الله، غيبوه بين الضجة، وبين الغاغة.

والهدى هو شيء واحد فقط، طريق واحدة، منهج واحد، خط واحد، لم يقل: فإما يأتينكم هدى بعبارة: هدى، الجامع للشيء الذي يأتيهم، هدى، قال: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ} أليس هو يفيد وحدة الطريق؟ تتكرر في القرآن على هذا النحو كثير، {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً}(الأنعام١٥٣) معناه طريق واحدة {فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} أليست طريقاً واحدة؟.

لو اتجهنا إلى أن نبحث عن أن المسألة هي طريق واحدة فقط، ومتى ما اختلف اثنان معناه أن هناك غلطة، متى اختلف اثنان يكون هناك واحد خارج عن هدى الله لا شك، ولا يسمح له أن يتحرك في الحياة؛ سيَضِل، هذا شيء مؤكد، سيَضِل ويُضِل الآخرين، ويَشقى ويُشقي الآخرين.

أصبحنا نتعبد بخلاف هذا! ألم يصبح الناس يقولون: [كل مجتهد مصيب]، وكل واحد يجتهد، وكل واحد يرجح، وكل واحد يمشي على ما أدى إليه نظره، وكل واحد مكلف بما غلب على ظنه، والناس كل واحد له حق يقلد هذا، وهذا له حق يتبع هذا المجتهد، وكل واحد يمشي بعد هذا، ويجوز تقلد الهادي، أو تقلد الشافعي، أو تقلد أبو حنيفة، ويجوز تتمسك بابن تيمية، أو تتمسك بالهادي، أو بأي شخص! القضية مفتوحة.

لكن عندما تكون طرقاً متعددة لا يصح أن يقال بأنها تمثل هدى الله، الطرق المتعددة هذه، مختلفة، متباينة في أصلها، وفي آثارها، في الإنسان، وفي الحياة، أليس هناك فرق كبير بين من يوجب طاعة الظالم، وبين من يوجب الخروج عليه؟ ما هو يوجد فرق؟ ما هو تباين تماماً؟ قد هذا مجتهد مصيب، وهذا مجتهد مصيب اتبعه! أليست هذه منهجية مغلوطة؟.

ثم تصبح هي الحرية في الإسلام، وهي ما يمتاز به بالذات المذهب الزيدي هي هذه: الحرية الفكرية! الحرية الفكرية ماذا معنى الفكر؟ أليس الهدى هو يتجه إلى الفكر؟ الذي يسمونه الفكر، قل القلب مثلاً، يعني: الشيء المعنوي الذي يرسم طريقة التعامل في الحياة، سواء مع الله، أو مع الناس في الدنيا.

المسألة فيها حرية فكرية، [بدك كذا، بدك كذا، بدك كذا] ما طلع في رأسك امش عليه، وأنت تبحث عن الهدى، وأنت بحسن نية. الحرية الفكرية معناها حرية ماذا؟ إن كل واحد يرسم لنفسه هدى، وما هو عليه هو الهدى الذي رسمه لنفسه، والآخر مثله، والثاني مثله، والثالث مثله، والرابع مثله! أليست هذه؟ في الأخير تطلع على هذا النحو، الذين لديهم آراء تختلف عن آرائك، لديهم فهم في اعتقادات، في مسائل، في كذا، في مواقف، في قضايا تختلف عن رؤيتك، واعتقادك.

ما أنت قد جعلت هذا هو هدى؟ والثاني قد جعله هدى، وهكذا كل واحد من المسلمين له حق أن يعمل هكذا، إذا هو متعلم، وكان حسن الحظ وتعلم!. أما إذا كان ـ أيضاً ـ من العوام فله نفس الشيء، له أن يتبع هذا، والآخر له أن يتبع هذا، وكل واحد له أن يتبع من أراد! ولكن ما الذي ظهر؟ يعني ظهر أن هناك خطوطاً متعددة، سميها: فكرية، أي: مناهج هدى، أليست هكذا؟ ما كل واحد يرسم لنفسه منهج هدى؟ أو منهج ضلال؟! منهج هدى، ويبحث عن هدى.

إذاً فهي متعددة، وتبدو متضادة، ومتباينة في آثارها وفي نفسها، متضادة ومتباينة، فهي بالتأكيد متعددة لا شك، والدليل عليها جواز تعدد الإتجاهات.

نحن كمجتهدين، أو نحن كعوام، أليس كل واحد يمشي على ما أدى إليه نظره هو؟ والثاني مثله والثالث مثله، والرابع مثله، وهكذا! والعوام نفوسهم هكذا: كل واحد له أن يمشي وراء من أعجبه! أي: الناس يشهدون جميعاً بأن هذا تعدد طرق، تعدد خطوط، تعدد مناهج فكرية، أي: تعدد سبل هدى، فإما أن تكون من الله كلها، إذاً ما هناك لا حق ولا باطل، ولا صواب ولا خطأ، لا يوجد شيء، يعني: ما هناك شيء على أقل تقدير في واقع الأمة، في واقع المسلمين أنفسهم ما هناك لا صواب ولا خطأ، ولا حق ولا باطل، كلهم محقين! ما معناه كلهم محقين؟ على ما هم عليه!.

فإذا كانوا محقين على ما هم عليه أليسوا ملتزمين بالحق؟ أليسوا متبعين للحق؟ إذاً لماذا لا يكن لهذا الحق ثمرته الموعودة من قبل الله في الدنيا؟ فضلاً عن أنك عندما ترجع إلى القرآن ستراه متضاداً تماماً مع القرآن الذي يأمر الناس بالاجتماع، بالاعتصام بحبل واحد؛ لأن ما قد أراه بأنه خطأ وباطل، أليس الآخر يعتقده، ويعمل به، ويرى أنه حق؟ يرى أنه حق.

إذاً قالوا: اسكت، اعتقد أن الآخر محق؛ من أجل يطلع كله حق! قلنا: تمام. إذاً ما قد أصبح كل شيء حق؟ ما بقي داخل الأمة الإسلامية، ما بقي شيء ضلال! هل هناك شيء باطل؟ لا؛ لأن ما أقول أنه باطل الآن، أو أسميه باطلاً هو ما يعتقده آخر، أو يلتزم به آخر، لأنك ترى في الأخير ما هناك شيء حق، أو باطل مرجوم به، يعني: ما أحد إطلاقاً يلتزم به، أو يعمل به، أو يتكلم به، أو يصدره، لا يوجد.

طيب: على أقل تقدير ما أقول بأنه باطل أنا أو شخص آخر، ومن يقول: أن الحق واحد فقط إذاً فهذا مخطئ، وهذا على باطل، وهذا كذا، ألست أقول هذا على أساس أنه ملتزم بشيء؟ ملتزم، هو عليه يعتقده أو يعمله، باطل، قالوا: لا، خليه حق كله! قلنا: تمام، حق كله! ما هو طلع حق، وهم ملتزمون به اعتقاداً وعملا، أليسوا ملتزمين؟.

إذاً هم مؤدين للحق، إذاً فلماذا لا يكون لهذا الحق ثمرته في الحياة الموعودة في القرآن؟ أليس الحق ثمرته في الحياة، أي: هم أهل حق، هم مؤمنون، أليست هكذا؟ أليسوا مؤمنين؟ والله يقول: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون٨) هم على حق، أليس هذا صحيحاً؟ إذاً هم ناصرين لله، أليسوا ناصرين لدين الله؟ ما هم يعتبرون من أنصار الله، وهم على حق؟ ملتزمين؟.
إذاً الله قال: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج٤٠) أين مظاهر نصر الله لهؤلاء؟ هل هناك شيء؟ وهكذا أين {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} (الجن١٦) أين {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} (نوح١٠-١٢) أين {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} (التوبة٧١) أليس هو يتحدث عن صفات من لوازم المؤمنين؟ {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}.... إلى آخر الآية.
أليست النفوس متباينة؟ والطوائف متباينة؟ أم أنهم أولياء، بعضهم أولياء بعض، ويشكلون لحمة واحدة؟!
طيب: إن قلنا نستمر على نفس الطريقة، نستمر، نعلّم، ونتعلم، ونرشد، ونكتب، ونثقف، على نفس الطريقة هذه، فما هناك جديد، لن يكون هناك جديد، ستكون الوضعية الوضعية على طول، لن يحصل شيء، لن تحصل الإيجابيات الموعودة في القرآن، أو نقول: إن القرآن مشكلة، تبدو وعوده وكأنها قد انتهى مفعولها لم تعد صادقة؟!.
أليس هذا يعتبر حقاً؟ الحق أليس هو يعزز الثقة بالله، ويعزز الثقة بكتابه، ويؤكد صدق كتابه، ويكشف صدق كتابه، ما هذا هو الحق؟ متى ما حصلت اعتقادات ترى واقع الناس في تعاملهم مع القرآن يبدو مهزوزاً، وكأنه ليس محط ثقة، داخل علماء، ومتعلمين، وليس فقط داخل العوام، قد يكون بعض العوام أشد التجاءً، واحتراماً، ونظرة هامة للقرآن، أكثر من بعض المتعلمين، والعلماء!.. مهزوز، كيف يعملون؟ أليسوا في الأخير يبحثون عن تأويلات؟ يتركون الآية، يعني: ما يمكن يقول: البعض غير صحيح، لكن يتركه، ويعود إلى مسائل الآخرين.
فالحق الذي لا يشد نحو الله، ولا يشد نحو القرآن، ولا ينسجم مع القرآن، ولا يعزز الثقة بالله، وبرسوله، وبكتابه، ليس حقاً، ما يمكن أن يقال بأنه حق، وهو في نفس الوقت قد يصل بالإنسان إلى أن يقف موقف مضاد بالنسبة لله سبحانه وتعالى. أليس الله في القرآن الكريم أثنى على نفسه كثيراً: {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة٢)، {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} (الجاثية٣٦)، وكم آيات كثيرة فيها الثناء على الله.
عندما يصبح من الاعتقادات الحق، التي قد جعلناها حقاً داخل الأمة الإسلامية، ما قد هي حق [كل مجتهد مصيب]؟ كل مجتهد مصيب، يعني داخل الأمة! أليس كذلك؟ أو داخل الزيدية؟ داخل الأمة!. أليس هناك اعتقادات، من التي عليها أكثر الأمة، وتنسب إلى الله أنه مصدر القبائح، ومصدر الشر، ومصدر الفحشاء والمنكر؟ هو يريدها، هو يقضي بها ويشاؤها؟! هو يوجب طاعة الظالمين، والمجرمين الذين أشقوا الحياة، وأشقوا الناس، وظلموا الناس؟.
فهل هو مستحق للثناء من يعمل هذه؟ لا، الثناء وحده في القرآن الكريم يشهد بأن الله لا يصدر من جانبه إلا خير في كل شيء، أحمدك على ماذا؟ أليس معناها هكذا في الأخير؟ وكل شر من عندك، وكل فاحشة من عندك، وكل معصية من عندك، وكل جريمة أنت مصدرها، وأنت من أوجبت علي طاعة هذا المجرم، هذا الظالم؟ هل يصبح في الأخير أهلاً بأن تثني عليه؟ لا، عندما يأمرنا أن نثني عليه؛ لأنه أهل بأن نثني عليه، هو الكامل، هو الحق، هو المقدس، هو المنزه، فيستحق أن نثني عليه كل الثناء.
كيف أعمل أدين بشيء، وأجعله حقاً، أو أسلّم أنا بأنه حق، أو أضفي على صاحبي أنه محق، ولو بالنسبة لما وجب عليه، هكذا يقول بعضهم: قد يكون محقاً بالنسبة لما وجب لا لما طلب، أي ليس محقاً في واقع القضية، هو محق بالنسبة له؛ لأن هذا هو الذي يجب عليه. قلنا: لا بأس، أنت جعلت له حكماً سميته حقاً هو الذي وجب عليه. إذاً هو حق، والحق من أين؟ أليس من ربك؟ {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} (البقرة١٤٧) هل هناك مصدر للحق غير الله؟ لا يوجد مصدر حق إلا من الله، فإذا أضفيت على ما أنت عليه حق، سواء بالنسبة لما طلبت، أو بالنسبة لما وجب، أو بأي نسبة أخرى، معناه: قد أضفيت على ما أنت عليه حكم أنه حق، والحق هو من الله، لا يوجد مصدر آخر للحق غير الله.

إذاً فكل ما عليه هؤلاء، مما هو متنافي مع استحقاق الله للثناء، يصبح حقاً، فهل الله ينزل حقاً يجعله غير مستحق للثناء، الذي شحن به كتابه؟ ما يمكن هذا، ما يمكن. وهل هناك هدى، وحق يطلّع الله مصدر كل قبيح، ومصدر كل فاحشة، ومصدر كل ظلم؟ من أين جاءت هذه؟ لأنها ليست هي هداي، هدى الله الذي تحدث عنه في الآيات هذه، ويضيفه إلى نفسه.

الضلال دائرة واسعة جداً، وخطيرة جداً، وقد ينطلق فيها الكثير بحسن نية، وتعبّد لله، وإخلاص لله، تحصل هذه؛ لذلك يذكر القاعدة الأساسية هي: أن نبحث عن هدى الله، عن هدى واحد لا غيره، ثم نسلّم به، ونسير عليه لا سواه، فمتى رأيتنا متفرقين فلسنا كلنا على هدى الله أبداً.

ألم يتدخل الله في حكم على مجموعة نعاج دخلن [يروعن] بين زرع واحد؟ {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} (الأنبياء٧٨) أليس شاهداً؟ هو الحي القيوم، {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} (الأنبياء٧٩) ألم يأت التفهيم من عنده هو لسليمان في كيف يحكم في قضية نعاج روعن على واحد قليل زرع؟ {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً} لكن ليس كل مجتهد مصيب، وليست القضية على هذا النحو، هي تفهيم إلهي، لا بد أن يأتي من قبله عن طريق من اصطفاه من عباده، لا يوجد غير هذا.

أليس هذا عبرة لنا؟ ألسنا ندخل في قضايا كبيرة جداً أكبر من قضية نعاج يروعن قليل زرع، تتصور الله غائباً عنها، ثم ننطلق، كل واحد ينطلق هو من جهة نفسه فيها؟ حتى في قضية ولاية أمر الأمة، وهي من أكبر القضايا، كل يطلّع له رأياً فيها.

يعني: الله كان مهتم بقليل زرع أكلته النعاج، فيكون شاهداً على الحكم، ويفهّم من عنده هو سليمان، ويغفل عن كل القضايا الكبيرة، لا يرسم لها منهجاً، لا يرسم لها شيئاً واضحاً، يكون هو الصراط المستقيم؟ ما يمكن هذا.

فهّمها سليمان وأبوه نبي، داوود أليس نبياً؟ يأتي إلى داوود عن طريق الوحي، ويأتي إلى سليمان بالتفهيم؛ ليبين لنا بأنه عن طريق الأنبياء يوحي إليهم، وعن طريق من أوجب على الأمة أن تتبعهم من بعد الأنبياء ـ ألم يقل عن سليمان: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} (النمل١٦) أليس من ورثة الأنبياء قبل أن يكون نبياً؟ ـ عن طريق التفهيم للكامل منهم.

إذا كان هو سيفهّم سليمان قضية قليل زرع [ونحن عندما نقول أهل البيت قالوا: ما هو ضروري أهل البيت]، كل واحد من عنده سيفهم! كان سيفهّم صاحب الزرع، أو يفهّم صاحب الغنم، ألم يكن بالإمكان أن يفهمه هو، ما هو صاحب القضية؟ هو صاحب القضية، كان سيفهمه هو؛ لأنه هو من أصبح عليه حكم تكليفي ـ على ما نقول نحن ـ واجب عليّ، نحن مكلفين، والموضوع واجب علي أنا، إذاً فأنظر، وأبحث، وما أدى إليه نظري فهو الحكم!.

من الذي واجب عليه أن يؤدي قيمة الزرع من هو؟ سليمان، أو صاحب الغنم؟ صاحب الغنم؛ لأنه صاحب القضية، وهو المكلف بالحكم، أليس هو المكلف بالحكم؟ لا، يأتي التفهيم بالحكم في هذه القضية، وهي قضية عادية لوارث النبي، سليمان {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً} ألم يقل هكذا؟ يتدخل ويقول: أنه شاهد على المسألة هذه.

ثم في الأخير يغيب من مرة، حين يموت محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وغاب من مرة، ثم كل واحد يطلّع من عنده! ألم تحصل هكذا؟ كل واحد من عنده؟ كل يخطف من عنده، ولو تفرقوا، وتباينوا سهل، يعني: أليست الأمة هذه عند الله مثل ذلك الشخص الذي دخلت الغنم تأكل زرعه؟ ما يهمه أمر أمة محمد كما يهمه أمر واحد معه قليل زرع أكلته عليه الغنم؟ ما يمكن هذا، مع أن سليمان سيكون نبياً بعد داوود. أما محمد فآخر الأنبياء (صلوات الله عليه وعلى آله) وإلى آخر أيام الدنيا ويهمل هذه الأمة من مرة، وما هناك شيء إلا كل واحد يطلّع، كل واحد يعتمد على نفسه وهو يدور عن ربه! أليست هكذا؟.

النظر في أصول الدين، كل واحد ينظر، وكل واحد في بقايا مسائل الدين يرجح، ويجتهد، يرجح وهو ما زال طالباً، ومتى ما صار مجتهداً يجتهد، أليست كلها دُوَّار؟ كل واحد يدوّر هو؟.

طيب: هل دوروا وهم في الأخير يصلون إلى شيء واحد؟ لا، المعتزلة لم يتفقوا على قول واحد... [فهل سيتدخل الله في قضية] شخص واحد في عهد نبي، وعهد وارث نبي، سليمان، أليسوا مع بعض، سليمان وداوود؟ يتدخل

الله، ويفهِّم سليمان كيف يكون الحكم في القضية هذه، قضية قليل زرع، وأمة تحمل مسؤولية كبيرة، أمة هي التي ستواجه جاهلية كبيرة ـ ألم يقل في حديث: (بعثت بين جاهليتين أخراهما أشد من أولاهما) ـ ولا نبي، ولا خط واضح، ولا منهج واضح، ولا ولي، ولا شيء، ويكون الطريقة الوحيدة أن كل واحد ينطلق هو يبحث؟!.

[والناس الباقين كيف يعملون] قالوا: كل واحد يسير بعد من وثق بعلمه وورعه، يمشي بعده، أليس هذا إهمال؟ هل يعتبر هذا إهمالاً أم لا؟ إذا لم يكن إهمالاً فنعتبره دين الله، أليس معناه دين الله هكذا؟ طيب: نرجع إلى القرآن، هل نرى بأنه ينسجم ما نحن عليه، وهذا الشيء الذي نقول: أنه دين الله هل ينسجم مع القرآن؟ إذا كان غير منسجم مع القرآن؛ لأن القرآن يقول: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً}(آل عمران١٠٣) أليست الآية صريحة؟ {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}(الشورى١٣) {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(آل عمران١٠٥) مما يبدو أنه مؤشر أن الناس بالإمكان أن يتوحدوا على نهج معين واحد هو حبل الله، ما هكذا معنى الآيات؟ ونحن نأتي نقول: لا، دينه هو متعدد على هذا النحو بتعددنا، أن الله متعدد بتعدد الأمة، ما معناه: أن كل واحد هو، أن ينطلق وما أدى إليه نظره يتعبد الله به؟.

إذاً كان المسألة أن لا يوقعنا الباري في حيرة، يلهم كل شخص الأشياء التي سيتعبد بها، ألم يكن بالإمكان هكذا؟ أم أن الله لا يقدر، ما هو يستطيع أن يلهم؟ طيب: إذا قلنا بأنه ألهم كل واحد، وأنه يفهِّم كل مجتهد، فلماذا يطلعون مختلفين، متضادين، هذا يكفر هذا، وهو فهمهم جميعاً؟ ألم يجعلهم يتمشكلوا هو؟ فهمك كيف تكفر ذاك، وفهم ذاك كيف يكفرك، يفهمك حكم ويجعل ذاك فاسق عندك، ويفهم ذاك حكم ويجعلك ضال عنده.

إذاً الله ما يمكن أن يعمل هكذا، الحكيم ما يعمل هكذا، إذاً ما هناك شيء، معناه في الأخير ما هناك شيء، في الأخير يعني ما عمل شي، أهمل، ما معناه أهمل، معناه: أن القضية أهمل إهمالاً كبيراً جداً، وليس فقط إهمالاً عادياً.

كان في الأمم الماضية يرسل بعد كل ثلاث مائة سنة، أو بعد خمس مائة سنة، أو بعد مائة سنة نبياً هكذا، ما كان يأتي أنبياء؟ يرسل باستمرار، حتى يصل إلى عند هذه الأمة التي ستواجه زمناً شديداً، والدنيا في أزهى عصورها، واتساع شؤونها، واتساع مجالات الحياة، وشؤون الحياة، واتساع العالم هذا بكله، ثم يقطع المسألة، ويغلق الملف، وما بقي شيء، يقفله!.

هكذا الواقع، نجدهم هكذا في الأخير يتحدثون عن الله بهذه المعاني إذا لم نعتبره حكيماً، وعليماً، ورحيماً، وإلا فلماذا تقول: الله لطيف بعباده، رحيم بعباده، الرحمن الرحيم، {حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(الزمر١) هكذا في آيات كثيرة أنه الرحمن الرحيم.

الرحمن الرحيم المتكررة كثيراً في القرآن الكريم، رحيم بمن؟ رحمن بمن؟ رحمن بمن أنزل القرآن اليهم، أو رحمن بالأمم الماضية؟! ما هو يعني رحمن بمن أنزل القرآن إليهم؟ فكل ما يقول: رحمن، ورحيم، هو رحيم بعباده، إذاً نحن من عباده، وهو نزل القرآن إلينا، ألم ينزل القرآن إلى الناس؟.

إذاً هو رحيم بالناس، هو الرحيم {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}(فصلت٢) القرآن تنزيل من الرحمن الرحيم، و{بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} في أول كل سورة، ماذا تعني هذه؟ أن الله رحيم، بالغ الرحمة بعباده، لا يمكن أن يهملهم، ويضيعهم إطلاقاً.

إذاً فنحن من أضعنا نفوسنا؛ لأنه ما هو الضياع الآن؟ إلا إذا كنا نقول بأنه تعدد الأقوال! تعدد المذاهب، اختلاف الآراء، التعبد بالأشياء المتضادة، أليست خللاً؟ يخل أم لا؟ إن كان شيئاً طبيعياً ليس فيه أي خلل فسابر، وإن كان خللاً كبيراً جداً على الأمة، وعلى الدين، يطلع الدين متعارض متناقض ويطلِّع الأمة متعارضة، متناقضة، متضادة، فيعني أنه خلل ليس من عند الرحمن الرحيم، فلماذا نتعبده بما ليس من عنده، بما هو مضاد لحكمه وأمره.

إذاً فله منهج واحد فقط، وله طريقة واحدة فقط، ثم يحرم علينا التفرق والإختلاف، وما نقوله بأنه يجوز لكل واحد منا أن ينطلق على ما غلب في ظنه، على ما رآه، على ما رجحه، وكل عامّي له أن يقلد من رآه، وكل مجتهد مصيب، لا يمكن أن يكون من دين الله أبداً، وإن كان من دين الله، تمام، لكن ليس منسجماً.

أليس هذا هو ـ إن صح التعبير ـ صمام الأمان بالنسبة لدين الله القرآن، ليس منسجماً مع القرآن، وهم يعرفون بأنه غير منسجم مع القرآن، لكن في الأخير يقولون: [ما سبر إلا كذا، ما معنا إلا كذا] يعني: أن الله أوقع الناس في حيرة، أوقعهم في أزمة، أوقعهم في مشكلة،[ما معنا غير كذية، كل واحد هو يقوم يدور!] لماذا أدور؟ قالوا: [قد تأتي أنت تقلد هذا، وقد يكون مخطئ، وإن تريد تقلد هذا فقد يكون مخطئ، ولا هناك إلا كذا! ما بقي إلا تبحث أنت بنفسك، إما تخطي والاّ تصيب، قد أنت من جيزاهم] هذا هو المنطق في الأصول، والفروع.

عندما يقولون لك: لا أحد يقلد في الأصول، عندك أنه وسام، يعطوا واحد وسام، أو يمدحونه يكون عظيماً؟ لا، معنى القضية ـ وهم صرحوا ـ بأنه قد يقلد هذا قد يخطئ، يقلد ذاك قد يخطئ؛ لأن نفس المجتهدين، والناظرين أنفسهم هم يغلطون بالتأكيد، يغلط منهم كثير. كيف نعمل يا جماعة؟ قالوا: قم أنت، ما معك إلا هكذا، إما تخطي والاّ تصيب! رجعنا إلى الفروع، قالوا نفس الشيء، ننطلق على نفس الإنطلاقة في مجال النظر في معرفة الله، ما معك إلا هكذا.

الذين يتصورونه وكأنه عبارة عن شيء يرفع الإنسان، أساس المسألة هي من أساسها هي إحراج، أي ما معنا إلا كذا، ما هناك شيء إلا كذا، أساسها يعني: نتيجة أزمة، نتيجة إشكالية، ليست نتيجة أن هذا هو الشرف، وهذا هو الرفعة في الدين، وهذا هو المكانة، وهذا هو الحرية، لا، ترجع إليهم يقولون: لا يوجد معنا إلا كذا، ما يوجد معنا إلا الكتاب والسنة، هكذا، هم يضطرون أن يسلموا أنهم يختلفون في القرآن، أليسوا يختلفون في القرآن، في فهمه، وفي استنباط الأحكام منه، يختلفون اختلافاً كبيراً، هم يستنبطون ما يضرب القرآن نفسه، من القرآن!.

تقول: لماذا يا جماعة؟ قالوا: ما سبر إلا كذا: أن نجتهد حتى لا يكون ذاك مخطي، إذا أنت مجتهد، المجتهد لا يجوز له أن يقلد أحداً، يقولون: المجتهد لا يجوز له أن يقلد أحداً، لماذا؟ لأنه هو يجب أن يتعبد بما غلب في ظنه؛ لأنه قد يكون ذاك مخطي، وقد يكون ذاك مخطي، تطبق أنت بنفسك، وامش وانت وحظك.

تعود إلى الناس الآخرين أما الناس الآخرين فإنهم فرطوا فيهم بزياده، عامة الناس الذين الدين أساساً لهم، الدين أساساً للأمة، أليس للأمة، العلماء المجتهدون لا يمثلون ولا واحد من المليون في الأمة، لا يمثلون ولا واحد من المليون في الأمة.

طيب: كيف هؤلاء الناس العوام من الأمة؟ قالوا: والله ما معهم غير الحاصل، كل واحد يمشي بعد من [وثق به] أليست عبارة ضياع هذه؟ أم أنها عبارة حرية؟ هكذا، عبارة ضياع، وإحراجات، وإشكالات، [ما معنا الا هكذا] تقول: الناس قد يختلفون، الناس قد يكونون كذا.. قالوا: [ما معنا الا هكذا!].

وقول الله: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى١٣) {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (الأنعام١٥٩) قالوا: تمام لكن ماسبر إلا كذا، أليس هذا ضعف إيمان وثقة بالله؟ فعلاً؟.

فالذي لم يضيع [عاس] شعة زرع في عهد داوود وسليمان، وهم اثنين موجودين، ويتدخل في المسألة بطريقة ليس فيها وحي، {فَفَهَّمْنَاهَا} كما تقول الآية القرآنية، يضيع أمة بأكملها، وما ضيع قليل زرع لواحد فلسطيني ـ على ما يقولون ـ !.

لكن هم يقرأون الآيات هذه وهم فقط منشغلين بتجويدها {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} يهتمون بالمد فيها، وأشياء من هذه، ولا نأخذ منها عبرة، ولا أي شيء!.

ألم يكن داوود، وسليمان، يحاولون يأخذون في القضية كيف يحكمون فيها؟ {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْما} لكن ليست القضية على هذا النحو، أنا أريدها كذا.

أيضاً أصحاب أصول الفقه متفقون على أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ما كان يجتهد أبدا، هذه صريحة، داوود عنده علم وحكمة، وسليمان مثله عنده علم وحكمه {إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ} يعني هم يفكرون ـ مثلما

تقول ـ في كيف يكون الحكم فيها؟ هل الباري أوكل المسألة إليهم في قضية قليل زرع، وغنم؟ أوكل المسألة إليهم أو لا؟ لم يوكلها إليهم، أليسوا مجتهدين؟ مجتهدين هم، ولهذا قال: {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْما} يقول لك: أنهم جالوا في المسألة ربما، أو يفكرون، أو ينتظرون كيف يكون الحكم فيها.

{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ}(الأنبياء٧٨) كان الباري بعيد فتركهم هم يتولون القضية؟ {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} لمحاولة حكمهم، وإصدار حكمهم في القضية، تدخل {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} فهمناها سليمان، ما قال ففهمها سليمان، هل قال هكذا: ففهمها سليمان؟ أو {فَفَهَّمْنَاهَا} فهمنا الحكم في القضية سليمان، وهم مجتهدين، هم علماء {وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً} يعني: يؤكد لك أن أصغر القضايا لا يمكن أن يدع غيره يتولاها، كيف يوكل دينه كله إلى كل واحد منا، يقرأ قليل، ويطلع مجتهد، وما غلب في ظنه يمشي عليه، حتى هو نفسه جعلوه خاضع لما طلع في نظر كل واحد!!

هذه واحدة من الأشياء التي هي ضلال داخلنا، وتتعبد الله بها، عندما نقرأ ما هو يحصل هكذا؟ خلّي عنك التي نعملها، أشياء كثيرة جداً جداً، خلل كبير، يقوم واحد يوعظ، ودائماً يوعظ للجمعة، وخطبة الجمعة دائماً يصبّها على جوانب محدودة، محدودة ما يجرأ يطّلع كلمة حول مسألة جهاد، حول مسألة وحدة المؤمنين، حول الإهتمام بأمر الدين، حول واجب المسلمين حول الإنفاق في سبيل الله، ما شي إنما فقط تلك التي يسمونها أخلاق، حتى يفهم الناس أن الدين ليس إلا هذه، هو فقط تلك التي نسمعها من هذا، وسمعناها من ذلك، وقرأناها في هذا الكتاب، وسمعناها في هذا الشريط.

نتحرك كدعاة، ومعلمين، ومرشدين، وخطباء، لكن ليس من النوع {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ}(الأحزاب٣٩) يترك الذي فيه خطر! أليس الناس هكذا؟ ثم في الأخير نضفي على هذه العملية شرعية، نعتبرها هي الحكمة، لا تتكلم في أهل البيت؛ لأنك ستثير آخرين، سيأتي منهم طلاب أو لا يقولوا كذا، سكته؛ لاجل يمشي الدين! أليست هذه واحدة؟ لا تتحدث عن الإمامة، لا تتحدث عن الجهاد، لا تتحدث عن وحدة المسلمين، لا تتحدث عن باطل يحصل، عن وضع سيء؛ لأن هذه ليست حكمة، أنت ستثير الآخرين علينا، اتركنا نحافظ على المذهب!.

ماذا بقي من مذهب؟ ماذا بقي؟ ونحن أصبحنا نبلغ رسالات الله بكل خوف، ونترك كلما نتوهم بـأنه يخيف، أليس هكذا يحصل؟ ما نتوهم أنه يخيف، أو يثير الآخر ـ وليس فقط إنما خوف ـ يثير، يزعج واحد هناك، قد تخليه، إما يعارض، أو تخليه ما عاد يرضى يمشي معنا أو... ونعتبر أن هذا هو البلاغ لرسالات الله، والعمل لخدمة الدين، والدعوة إلى سبيل الله، ثم في الأخير نقول لأنفسنا {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(فصلت٣٣) ونصبغ كل هذه الأشياء التي نخاف منها بصبغة الحكمة، أنها هي الحكمة، أن لا نتحدث عنها، ليست قضية هامة، وهذه ما هي هامة! نتحدث بهذه التي لا تثير.

لو أمكن تبليغ رسالات الله على هذا النحو لما كان هناك معنى لقوله تعالى: {وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} يعني: أن فيما يبلغوه، مما يثر الخشية، مما يثير الخوف، مما يثير القلق، ما يكون صرخة في وجوه آخرين، ما يكون قاصم لآخرين، وهكذا معناه: يثير خشية، خشية معناها: خوف يدفعك إلى توقف، لا، الذين يبلغون رسالات الله هم يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، أو يبطّل، لا يتولى مسألة أنه يبلغ رسالات الله، وأنه داعية.

ألسنا في المنتدى، والآخرين هكذا، في المراكز، في المدارس، والوهابيين من جهة، ونحن من جهة، دعاة، دعاة، مرسلين دعاة، والإخوان المسلمين من هناك دعاة، وهنا في اليمن الوهابيين مخرجين دعاة، وفي السعودية مخرجين دعاة، ونحن في المراكز مخرجين دعاة، وملأنا الساحة دعاة، ولكننا نصفّر على الأشياء التي قد يكون فيها خشية، وخوف من الآخرين! ألسنا نصفّر عليها؟ وزحمة دعاة، ملان الدنيا، ونوعظ الناس، ونقدم أشياء مغلوطة كثيرة، تبرد أعصابهم، وتخليه يكون إنسان طيب، وتخليهم بعيدين عن الإهتمام بالقضايا الكثيرة، يعني: نجني على الدين، ونجني على الناس، وكل مجتهد مصيب. أليس كل هذا يحصل؟.

[هناك ابتعاد عن القرآن الكريم] الإمام علي يقول فيه: (هو بحر لا يدرك قعره)، بحر علم، بحر معرفة، لا يدرك قعره، لا أحد يستطيع أن يحيط به، العلماء لا يشبعون منه، العلماء ممن يتجهون إلى القرآن نفسه، أنفسهم هم، لا يرى نفسه بأنه قد شبع من القرآن، أو أنه لم يعد يستفيد من القرآن، أو أنه لم يعد يفهم جديداً من القرآن، أو أنه لم يعد يكتشف أي شيء من القرآن، لو يتعمر كمَّا يتعمر ما يزال شاباً.

هو المعرفة، هو العلم، أو نرى بأنها رصات الكتب مثلاً من أصول الفقه، ومن كتب علم الكلام، ومن كتب المحدثين؟!. ستستفيد علم من كل شيء بواسطة القرآن، أليس الله قال في القرآن: {وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ} تفصيل كل شيء، ومعرفة تفصيل كل شي هو علم، أم أنه ليس علماً؟، {تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}(النحل٨٩) هو علم، أو أنه ليس علماً؟ هدى للعالمين، أن تملك معرفة تهدي العالمين هو علم، أو أنه ليس علماً؟ أو تقرأ منهجية مغلوطة، وترى أمامك رصات من الكتب، وداخلك رصات من الجهل، والضلال؟.

هذا علم يرى بأنه قد أصبح عالماً؛ لأنه قال: قرأ على العلماء كذا كذا كذا، وقرأ كذا، وقرأ، وقرأ، ولا يذكر في مقروآته القرآن الكريم إلا يوم كان صغيراً، ولا لديه اهتمام بالقرآن الكريم، والاستفادة منه.

الإنسان يعتمد على القرآن قبل ما ينطلق يقرأ في كتب أصول الفقه، أو في كتب علم الكلام، أو في أي شيء آخر، وستزداد معرفة لكن بطريقة أخرى، ترى كم فيها من إشكاليات، كم ترى فيها من خلل، كم ترى فيها من باطل، كم ترى من آثار سيئة! هذه معرفة، أليست هذا معرفة؟ هذه معرفة إيجابية، عندما تدخل تبدأ بالقرآن، وتهتم بالقرآن، وتعتمد عليه، تعتمد على الثقلين كما قال النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم عندما تنطلق سترى [كم ستزداد معرفة].

هنا ورد سؤال حول الإمامية فأجاب:

الأمامية هم مثل بقية الطوائف معهم مشاكل كثيرة جداً، لكن الشيء الذي هو جذاب لديهم، وهم يغطون به كل عيوبهم، قضية الولاء لأهل البيت، يملأون الساحة والفراغ بالحديث عن أهل البيت، ويقهرون الآخرين بهذا السلاح، أليسوا في الأخير يبحثون في كتب الحديث عند السنية، ويحتج من هذا الكتاب بحديث، ومن هذا الكتاب، ومن هذا الكتاب، وهكذا.. ثم يقولون: رأيتم أننا على حق في تولينا لأهل البيت، قضية لمسوا أثرها هم.

ونحن نتخلى عنها بحكمة، وأن التخلي عنها هو العمل الصحيح! ألسنا نتخلى عن قضية أهل البيت؟ نخذل أكثر، هم بقضية أهل البيت يضفون على أنفسهم شرعية كبيرة، مثلما يعمل الوهابيون، أليسوا يحاولون في الصحابة، الصحابة، الصحابة، ونحن على ما كان عليه السلف الصالح، وعلى ما كان عليه صحابة رسول الله، ومتبعين صحابة رسول الله، ويغطون على ما عندهم من سوء بعناوين جذابة.

نحن ما جينا لا مثل ذولا، ولا مثل ذولا، ما معنا احد، لا تمسكنا لا بأهل البيت، ولا بالصحابة، إنما كل واحد يمسك بنفسه فقط.

ومذهبنا، يعني في داخل الزيدية الذي أضاعوه أشياء كانت ما تزال معروفة لديهم تجعل للزيدية فعلاً حق في ولائهم لأهل البيت، في نوعية ولائهم لأهل البيت، وموقفهم من الطوائف الأخرى، ارجع إلى الهادي والقاسم، وسترى كيف، الإمام القاسم بن ابراهيم، والإمام الهادي، كيف يطلع عندك السنية صغار، ويطلع لديك الإمامية صغار كلهم، وأنت تكتشف أخطاء رهيبة عندهم، وعقائد باطلة، ونظرات مغلوطة، إنما فقط أولائك متلحفين بأهل البيت، وهؤلاء متلحفين بالصحابة فقط، ونحن أبعدنا اللحاف، وكل واحد من شِعبة، ما ظهرنا جذابين إطلاقاً.

قلنا: أن [محمد عصمت] يوم جاء إلى هنا يريد يكون شيعي، يكون زيدي، ما درى كيف يجي زيدي، ما وجد ما يشده، إن رجع إلى الأشياء هذه فهي تبدو مثل كتب أهل السنية، والمنطق السني، عزم يجمع أدوانه ويذهب إيران، هناك ما يزال يسمع شيئاً واحداً، يسمع كلاماً في أهل البيت، ويقتدي بأهل البيت، وعناوين تبدو مضبوطة عندهم، مشى معهم، اتجعفر].

....

[ضُرب القرآن على أيدي الفقهاء، من أهم الأشياء التي ضربت على أيدي الفقهاء بسبب اعتمادهم على قواعد أصول الفقه الآيات التي تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله هذه الفريضة] التي لا يوقف أمامها، لا نصاب ولا ما نصاب، الزكاة. أليست هي تؤخذ من الأغنياء فقط؟ فئة محصورة، وفي نسبة معينة من المال، نصاب، أليس هو النصاب؟ مرتبط بالنصاب، والنصاب في أموال محددة، ما هي الآن عندما طلعت الأوراق هذه النقدية يقولون: ما فيها زكاة؟ أليس الفقهاء يقولون: ما فيها زكاة؟ عملة دولار، سعودي، يمني، يقولون: ما فيها زكاة.

إذاً ما بقي شيء، نسخت العملة الورقية الزكاة، نسخت الزكاة، الزكاة نسخت آية من القرآن، وجاء من يطبع ورق تنسخ الزكاة، إلا وحين انتهت، تطلع المسألة الأمة لا بد أن تبذل أموالها في سبيل الله، وليس مرتبطاً بنصاب معين، ولا بشخص معين، حتى الفقراء يساهمون. ألم يقل هناك: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ}(التوبة٧٩) أنفق ولو بحاجة بسيطة، لأهمية الإنفاق في سبيل الله قال: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة١٩٥) وهذا قال: نسختها آية الزكاة!.

هنا يبين لك خطورة المسألة حيث أنتم لا تنفقوا في سبيل الله، ستلقون بأيديكم إلى التهلكة، سترمي بنفسك إلى الهلاك، والضياع، يسيطر عليكم العدو فيضربكم، ويضرب دينكم، في كل الآيات المهمة جداً التي هي عمود الجهاد، وعمود بناء نشر الدين، ونصره، ينسخها بآية الزكاة؛ لأنه مدور لأحكام شرعية، على أساس قواعد أصول الفقه، أنه مدور لأحكام خمسة، ما هم إلا خمسة!.

لا ينظرون إلى القرآن ككتاب هداية، وكتاب يربي الأمة على أن تكون أمة تحمل مسؤولية كبرى.

الإمام القاسم قال: ما هناك شيء نسخ في القرآن، أصول الفقه من أين هو؟ أليس من عند السنية؟ من عند السنية كله، كمسائل، وأبواب، وقواعد، من عند السنية، دخل إلى عندنا، واشتغلوا به معهم.

آيات الجهاد، التعامل مع أهل الكتاب، مع المشركين، منسوخة، منسوخة، وفي الأخير تطلع سور كلها عطل، ما فيها ولا حكم شرعي من هذه الأحكام التي يبحثون عنها، قصار السور كثيرمنها ما فيها ولا حكم، سورة [عمَّ] هل فيها حكم؟.

....

المطلوب هذا: أن يكون الله هو أكبر، ومحمد هو عبد لله، فلنكن عبيداً لله، نكون عبيداً لله، متى عبدنا أنفسنا لله سيكبر لدينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وسيكبر لدينا أئمة الهدى، وأعلام الهدى، سيكبر لدينا الدين، ستكبر لدينا المسؤولية، سيكبر لدينا الله، سنكبر نحن، بمقدار ما تكون عبداً لله، بمقدار ما تكون عزيزاً، تكون حراً وقوياً، لأن معنى تعبيد نفسك لله قربك منه، وقربك منه يمنحك من كماله بما يليق بك كإنسان {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}(المنافقون٨) صحيح؟ {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً}(البقرة١٦٥) {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}(الأنفال٦٠) {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ}(البقرة٢٦٩) {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}(القصص١٤).

أليس هو في الأخير يمنح؟ يمنح أشياء كثيرة، عندما تعبد نفسك له، لكن انتفخ هناك لوحدك، تريد تجتهد أنت، تريد تشتغل أنت، تقول: [ابعد مني قد خلق لي عقل]، نحن قلنا من قبل: إن ما هناك عقول، ما هناك عقول نهائياً، هم مضبرين أن هناك عقل، وما هناك عقل، نبعد منه، وما درينا إلا وهو يشتغل، لما يطلع نفسه عبداً لسلطان ظالم، أليس كذلك؟ أو يطلع ربه سبحانه وتعالى مثل الشيطان، وهو مدور لإلهه، ومدور له لعقائد!.

يأتي الحق من عندنا، يقول: كل مجتهد مصيب، في أصول الدين الحق فيها واحد، أليس كذلك؟ أليسوا يقولون: الحق واحد فيها، والمخالف مخطيء؟ لكن هم لا يمنعون المخالف لا يشتغل، ما أحد داري من هو المخالف، من هو الذي سيدري بأنه مخطيء؟ هل أحد سيدري بأنه مخطيء؟ عندما تقول له: أنت مخطيء، قال:

لا، أنا ناظر مثلك، لماذا اما أنت؟ سيقول: وانت مخطيء، عندما أقول له: أنت مخطيء يا أخي، قال: لا، وانت، أنت مخطيء، كل واحد ينظر، كل واحد ما هو ملزم أن يتبع أحد.

طيب: أنا أريد أوقفه عن خطأه، قال: لا، هو يريد يوقفني هو عن خطأي؛ لأنه لا يعلم أنه مخطيء، وانا ما أنا داري بالمخطيء، أليس هذا هو الذي جعل كل واحد يقف ضد الثاني بقوة؟ اختلاف يضفون عليه شرعية تجعل كل واحد يقف ضد الآخر بقوة.

عندما نقول: الحق واحد، ألسنا نقول: الحق واحد، والمخالف مخطيء، لكن من هو المخالف؟ هل أحد سيرضى أنه مخالف من المجتهدين؟ لا أحد يقول: أنه مخالف، عندما تريد أن تقول: أنه مخطئ وتتكلم عليه أنه مخطئ، قال: وهو مثلك مشتغل، إنك أنت مخطئ، وأنت الذي ما أحد يمشي وراك؛ لأنك مخطئ!.

عاد يوم كان عاد الخطأ بيعرف واحد أنه مخطيء، ومتى ما قام الناس ضده؛ لأنه مخطئ بطَّل، كان لا باس، هو عارف أنه مخطي، لكن أما هنا لا، قد أضفوا على الخطأ شرعية من حيث المبدأ، أن له أن يتعبد بما غلب في ظنه، هذا قد يكون في واقعه في المسألة مخطيء، من وجهة نظري أنا هو مخطئ من وجهة نظري أنا، لكن هو من وجهة نظره مصيب، وفي الأخير نقول ـ نحن الذين يقولون: كل مجتهد مصيب ـ هو مصيب بالنسبة لما وجب عليه، إذاً فلا يجوز لك أن تتكلم فيه بعد.

ألسنا هنا أضفينا على الخطأ شرعية؟ الخطأ ما هو الخطأ؟ في مجال الهداية، ليس سهلاً، أي خطأ في مجال الهداية ليس سهلاً، يكون له آثاره السيئة جداً على الأمة.

لاحظ من لديهم خبرة دينية قديمة جداً يعرفون أنه في ميدان الثقافة، كل مفردة، وغلطة في استخدام مفردة، أو إنزاله، أو حركة معينة مغلوطة تضرب أمة، اليهود أليسوا يحاولون يمسحون من داخلنا كلمة جهاد، أن لا تستخدم، كل من تحرك يسمونه مناضل، وانتفاضة، وحركة مقاومة، لن يجرؤ أحد أن يقول: جهاد، ومجاهدين، وجهاد، المتكرر ذكرها في القرآن كثير، لماذا؟ لأنها كلمة مهمة تضفي على العملية ربط ديني، وتضفي على العملية أنها حركة في سبيل الله، أما مقاومة، وانتفاضة، هي كانت معروفة عند العرب، ألم تكن الحروب معروفة عند العرب، من قبل؟ الإسلام أضفى مصطلح معين على الحركة المقاومة في سبيله، سماها جهاد، أليس هكذا؟ لماذا؟ ليميز الصراع الذي هو في صالحه، وفي سبيله باسم متعين، يترسخ في ذهنية الامة.

فعندما تربى على روحية الجهاد؛ لتعرف معنى روحية الجهاد في سبيل ماذا؟ أن الجهاد لدينا هو صراع معين له أهداف معينة، وله أسس من التربية معينة، وله أعداء معينين يضربون، له مصطلح معين؛ لهذا يتكرر في القرآن الكريم جهاد، جهاد، المجاهدين، يجاهدون، وفضل الله المجاهدين. هل أنه من قبل ما كان الناس يعرفون الحروب؟! لكن ما كان يسميه العرب جهاد، يسمونه: قتال، أو حرب، أو نزاع.

عمل اليهود على مسحها، هم يفهمون بأنها هدف كبير، أليست كلمة واحدة، مفردة؟ أن تترسخ في ذهنية الأمة خطيرة ترسخ معنى ماذا؟ أن الصراع مع أعداء الله حركة في سبيل الله، بذل المال والنفس في سبيل الله. وفي الأخير تنتهي المسألة، مسألة جهاد.

وبدل الربط بالإسلام ربط بالوطن، ألم يتحول إلى ربط وطني؟ اليمني يربط باليمن، يقيد بالجبال حقه، فيقال له: أخي المواطن، وأنت وطني، وفلان وطني، ومناضل من أجل الوطن، ومناضل في سبيل الوطن، ألم تغب كلمة جهاد، وكلمة سبيل الله؟ وهكذا.

يتفق في مقام غياب الجهاد غياب كلمة عداء، حتى لا يترسخ في نفوسنا عداء لليهود والنصارى، يترك أثرها السيء غيابها، تؤطر الأمة عن أن تتهيأ فتعد القوة فتكون بمستوى المواجهة في مختلف المجالات.

فالأخطاء في ميدان الإجتهاد ليست سهلة، في ميدان الثقافة، الهدى من الله أليس تثقيفاً للأمة؟ هل هو تثقيف أو ماذا؟ تربية، تهذيب للأمة؟ أليس خطاباً يتوجه إلى النفس؟ يزكيهم، يعلمهم، يهديهم، يرشدهم.

وهم يقولون: ذلك المخالف مخطئ، هذا القول الذي قد هو أرقى قول: أن الحق واحد، والمخالف مخطئ، لكن من هو؟ إذا قلنا: من هو المخطئ لنمنع الناس عن تقليده؟ هو لا يدري انه مخطئ، سيتحرك، ويدعو الناس إلى اتباعه، وإلى ما وصل إليه اجتهاده، يعملون بعمله، ما هو داري هو، ألم يحصل خلل؟.

أيضاً الطامة الكبرى أن نقول: كل مجتهد مصيب، ما هو الذي يطلعه المجتهد؟ ما هو بيطلع أطروحات ثقافية؟ هل الأخطاء في ميدان الثقافة سهلة؟ ليست سهلة أبداً، ليست سهلة؟ الثقافة هي تتناول معتقدات، ووجهات نظر، وكل ما له علاقة ببناء المعنويات داخلك، هذا هو التثقيف، أليس الإسلام توجه إلى بناء المعنويات في الداخل؟ ويهدي إلى قيم داخلية تنعكس بشكل مواقف، ووجهات نظر محددة؟.

عندما نقول: كل مجتهد مصيب، يعني: كل من نزّل في الساحة هذه قولاً في مجال العقائد، أو في مجال مواقف أخرى، أيّ شيء ما هو يتوجه إلى الناس، وإلى نفوس الناس؟ هل الناس يخاطبون بعضهم بعض، يخاطبون نفوس بعضهم بعض؟ أو أنهم يخاطبون حجاراً؟ من يخاطبك في قضية، أو يطرح لديك قضية، سواء تتعلق بأصول دين، أو فروعه، ما هو يخاطبك بمعنى معين يرسخه في نفسك؟ أن ترى أن هذا هكذا؟ أليست هكذا؟ أن أرى أن هذا هكذا، أليس هذا تثقيفاً؟ ما هو فكر؟ فمن الغباء الشديد أن لا نكون نحن المسلمين فاهمين خطورة الأخطاء في ميدان الثقافة، عندما لا نكون فاهمين لها غباء شديد جداً إلى أقصى درجة.

لاحظ كيف تربية القرآن أنه عندما تكون مفردة واحدة، وإن كانت مفردة عربية يستعملها العرب، متى ما استغلها اليهود، وأصبح لهم من ورائها غاية غير نزيهة، أتركوها، واستخدموا مفردة أخرى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(البقرة:١٠٤) أليست هكذا؟ ما قال: اليهودي هو يستخدم كلمة راعنا من أول، راعنا هي كلمة عربية، مفردة عربية، والأنصار كانوا يستخدمونها في المدينة، هي كلمة لديهم مألوفة، ما قالوا: نحن نتكلم بها يا رسول الله معك ولا يوجد معنا أي هدف فيها، أو مقصد مما يقصده اليهود.

عندما كان اليهود يتكلمون بكلمة راعنا ويقصدون بها أيضاً تلميحاً لسب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله). إذاً لا تقولوا: راعنا، لماذا؟ تصبح أنت ترسخ مفردة اليهود يستغلونها، أليس صحيحاً؟ يستغلها اليهود، وشوهها اليهود من خلال مقصدهم السيء في استخدامها، أتركوا هذه المفردة، وارجعوا لمفردة أخرى، {وَقُولُواْ انظُرْنَا} بدل كلمة راعنا، ويأتي بعدها تهديد.

لاحظ في كلمة واحدة؟ هل أوكلهم إلى نظرهم، واجتهادهم، وحسن نواياهم؟ لا، غلط، توقف عنها، قد أصبحت الآن كلمة يستخدمها اليهودي ضد محمد، بطّل منها، وهي كلمة هو يتكلم بها هو وأبوه وجده من قبل، {لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا} ما هذا تهديد؟ انتبهوا، لا تكونوا أغبياء، وفي الأخير يقول واحد: ماذا يوجد من إشكالية، أنا أتكلم بها وما أقصد بها أي سوء بالنسبة للنبي، ونحن نتكلم بها في بلادنا من قبل ما يجي النبي.

لا تقل هكذا، اسمع، توقف، {وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ما هو تهديد على كلمة واحدة؟ وهذا يقول لك: كل مجتهد مصيب، كل واحد يطّلع من عنده.

أصول الفقه ضرب اللغة العربية، وضرب القرآن، وضرب الدين، وأصبح كل ما جاء فيما بعد ظنيات، بنسبة يمكن ٩٩٪ طلع كله ظني، تصبح ترى الآخرين الذين هم مخالفين لك، ما لك حق أنك تعترض عليهم، لا أنت ما شي على ما هم عليه، ولا هو سابر أنك تتكلم فيه؛ لأنك إذا أنت تريد تتكلم فيه هو سيتكلم فيك، أنت تراه مخطئاً، وهو يراك مخطئاً، أليس هو هنا أضفى شرعية على المختلفين؟ وجعل كل واحد [يسكت عن] منهج الثاني.

لأنه من خلال المنهج الواحد يعرف أن من خالفه مخطئاً، ما هناك إضفاء أي شرعية عليه، يكون مخالف، لكن هنا هو يقول لك: على الرغم من السماح بتعدد المجتهدين، وهم يعرفون بأنه يخطئ الكثير منهم، يسمحون للناس بأن يتبع كل واحد من وثق به منهم، وهم يعرفون بأنهم يخطئون، ما هم هنا أوصلوا الخطأ إلى القاعدة، إلى الناس؟ وهم القطاع الأكبر من الأمة، فما الذي حصل؟ أنهم يختلفون.

من هو الذي جعل الشافعي لوحده، والزيدي لوحده، والمالكي لوحده، والحنبلي لوحده، ما هو الذي جعلهم بهذا الشكل من، هل هو الاجتهاد، أو المنهج الواحد؟!.

أصول الفقه من إسمه، وعنوانه، وأبوابه، وما يخلق لديك من آثار شعورية أو لا شعورية، ما كله خطير جداً؟.

هنا ورد كيف يعمل العامي أو المقلد مع من هم مختلفين هكذا؟

ارجع من أول الطريق، إذا واحد غلط في شارع وهو يسير في صنعاء، أو في أي مكان، عندما يقول: يمكن الطريق من هذا الشارع، أو سنأتي من هنا، ارجع إلى نقطة الصح التي أنت عارف لها وابدأ المسيرة. ارجع من عند الهادي، والقاسم، ثم سترى من بعد من تراه يسير على طريقتهم من الأئمة، من العلماء فهذا من جماعتهم، من أصحابهم، والباقي اتركهم جميعاً، ولو هو يحمل اسم إمام اتركه، إمام يطلّع لي كتاب مزحوم، ملان بأقوال أهل السنة، يجمع اختلاف أصحاب المذاهب إلى داخله، ويجعل علي واحد منهم، الإمام علي قال كذا وكذا، والمذهب بخلافه!.

لأن الغاية من أصول الفقه، والمراد من أصول الفقه هو ماذا؟ تعريفه: هو علم بقواعد توصل إلى ماذا؟ إلى معرفة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، أليس هكذا، استنباط؟ وآلية هي توضع لمجموعة أو لكل فرد؟ أليست لكل فرد يتحرك هو؟ أي كل واحد يتحرك ويستنبط، ما كل واحد يتحرك ويستنبط هو من عنده، ثم عندما يستنبط بناء على قواعد أصول الفقه في الأخير يرى كل الأشياء ظنيات، وقد هو ملزم أن يتعبد بما غلب في ظنه!.

ارجع إلى هذا، قال: لا، قد يكون مخطي؛ لأنهم عارفين أنه يحصل خطأ، هل تعريف أصول الفقه أنه يوصل إلى حكم واحد؟ الذي أنت تشتغل به، وأنا أشتغل به، وهذا يشتغل به؟ كل واحد يطلّع له حكم يختلف عن الآخر، في الأخير ما هو يفرقنا؟ يعني: ندرس ونحن ما زلنا طلاب وكلمتنا واحدة، صحيح؟ وكلما كبرنا افترقنا، افترقنا حتى نكون مجتهدين، اما ذاك الساع قد احنا مجتهدين، ولم يعد يجوز لي أتبعك نهائياً، ما يجوز تتبعني ولا أتبعك، ولا تقلدني ولا أقلدك، ولا تصدقني ولا أصدقك، وفي الأخير يدخل فيها الموالاة والمعاداة، ما هي بترجع تدخل ضمن هذه؟.

إنما فقط كل واحد يتحرك هو، يبحث هو، يدور هو، يذهب هو!

هذا هل هو يبني أمة؟ هذا لا يبيني أمة. طيب هل هو يبني الفرد؟ ولا حتى يبني الفرد؛ لأنه يصرفه عن القرآن فعلاً، يصرفه عن الاهتمام بالقرآن، ومتى صُرِف عن القرآن يضل، تكون معلوماته كلها كما قال الله: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى} (النجم٢٣) ما هو انتقد على هؤلاء؟ إن يتبعون إلا الظن، ألم يستنكر هنا على الظن، وعلى من يتبع الظن؟ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} (الحجرات١٢) ما هو أمر باجتناب الكثير من الظن؛ لأن بعض الظن إثم؟.

ثم في الأخير يقولون جميعاً: بأنه لا يوجد إلا الظن، فبالنسبة إلى القرآن الكريم ماهو قطعي؟ قطعي لكن يوم كان ما يزال عربي، قبل أصول الفقه، كان قطعياً، بعد أصول الفقه، نصه قطعي، لكن إذا كان يوجد فيه مفردة، أو آية تحتمل أكثر من معنى، تصبح دلالتها ظنية، أليست هكذا؟ فدلالتها ظنية، أنت تمسك مثلاً بوجه، بمعنى من الآية، أراك بأنك متبع الظن، ليس معك إلا ظن، وأنت عند نفسك تحكم بأنك إنما تظن أن هذا هو مراد لله، من خلال هذه الآية.

ترجع إلى السنة نفس الشيء، ما طريقها الأخبار؟ والأخبار متواتر، وآحادي؟ الآحادي ظني، والمتواتر يجري عليه ما جرى على النص القرآني، إذا كانت المفردة الواحدة لا تحتمل إلا معنى واحدا كان نصاً قطعياً، ما عداه فظني، وإن كان السند متواتراً، ودلالة المفردة تحتمل أكثر من معنى فهي ظنية، ما هو طلع لنا أكثر ما بين أيدينا ظن؟ {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ} فكيف يستنكر الظن ونحن لا نملك إلا الظن؟ ما هي هكذا؟ أين الهدى الذي قال: {وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى} ما هو شيء في مقابل {الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ}؟ أين هو؟ هل يوجد شيء؟ موجود لكن على غير قواعد أصول الفقه، على قواعد أصول الفقه ماهو طالع لك إلا ظن.

ألسنا نقول: إن أمة محمد أشرف الأمم، أفضل الأمم؟ أليسوا يقولون هكذا؟ طيب: لماذا لا تكون هذه الأمة محط رحمة لله، واهتمام من قبل الله مثل ذلك الشخص صاحب الزرع؟ {إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ففهمناها سليمان} لا يوجد، لا فهمنا ـ ما معناها هكذا ـ ولافهم أحداً، ولا أمكن أن يكون كل ما لدينا كله جميعاً ـ ونحن مختلفون ـ تفهيم، كل واحد يقول: أن الذي معه تفهيم، أن الباري فهمه، يمكن هذا؟ لا، ما سبر، لا فهّمنا، ولا بيّن لنا، ولغتنا نفسها ما سبرت، ولغتنا كلها ضعيفة في إفادة التخاطب بالمعنى المراد، يطلع كل شيء مهما كان قوياً ضعيفاً، يطلع الإلتزام به بدرجة ثانوية، وليس بدرجة قوية. ثم فيما بعد يتغاضى عن المخطين والمخالفين، وكل واحد، يعني يعيشوا في حالة من الضياع كلهم.
لماذا لم يهتم بهذه الأمة كما اهتم بواحد من المزارعين في أيام سليمان بن داوود؟ وفي أيام داوود؟ لأن من وضعوا أصول الفقه هل يرون بأن هذا هو الطريق الموصلة إلى الحق الواحد؟ لو كانت الآلية على هذا النحو كان لا بأس، لو وضعوه كآلية على أساس أنها كآلية هي نفسها التي توصلك إلى المنهج الواحد الحق، وتوصلنا جميعاً نمشي عليها لتوصلنا جميعا إلى الحق، هذا كان جيد، لكن لا، هم عارفين أنه هو من أجل تكون مجتهد، تستنبط، وأنك بعملية الإجتهاد والإستنباط كل ما لديك ظن، وأنك أنت نفسك تختلف عن الآخر، وكل واحد يمشي لوحده، لن تصلوا إلى شيء واحد، في أغلب الحالات لن تصلوا إلى شيء واحد، إذا وصلتم إلى شيء واحد هنا تختلفون في هذه.
ألم يصبح آلية للتفرق؟ لو أنه موصل إلى الحق الإلهي، والمنهج الإلهي الواحد، وكل من سار عليه يصل إليه كان جيد، لكن هل هو بهذا الشكل؟ ليس بهذا الشكل، ما الدليل على أنه ليس بهذا الشكل؟ أن كل من انطلقوا على أساسه يطلعون مختلفين ومتفرقين، وهم ما زالوا طلاباً، قبل أن يصبحوا مجتهدين! من الذي يمكن أن يقول لك بأن المجتهدين لا يختلفون؟ هم يختلفون، والناظرين ما هم يختلفون؟ والمرجحين ما هم يختلفون؟.
عندما يقال: كل مجتهد مصيب، ما هم صوبوا المختلفين جميعاً؟ إذاً فهم لم يصلوا إلى شيء واحد، نحن نقول: الله هو له هدى واحد، يريد الشي الذي يوصل إلى هداه يكون واحداً، وقد رسمه لعباده؛ لأن الدين أساساً هو دين للأمة، وليس ديناً لواحد لحاله، ما هو دين لي وحدي، دين يمنحني حرية، أطنن، وأفكر، وأنظر وكأنه يدلعني، وكلما طلع في رأسي أمشي عليه، دين للأمة تمشي الأمة جميعاً عليه، وعلى منهج واحد، طريقة واحدة.
[المنخطين] هم الذين يعجبهم أصول الفقه، يفكر، وينظر، ويمشي على ما أدى إليه نظره، واجتهاده، حرية فكرية، لي أنا، وكأن الإسلام لي! هذا نظر أنانية، هذه أنانية، واهتمام بشخصي أنا، الإسلام لاحظوا، الإسلام يعطيني كامل حرياتي، ويخليني أمشي أينما أريد، وما وصل إليه نظري يباركه، وفي نفس ما أنظر إليه في نفسي، الآخر مثلي، والثالث مثلي، وهكذا.
إذا نظرت ستجد أن الإسلام هو دين للأمة، ونظام للحياة، وهدى للعالمين؛ ليجعل منهم أمة واحدة، تسير على نهج واحد، تتمسك بحبل واحد، تعتصم بحبل واحد، فترى بأنه ما يمكن يفصل عليك لوحدك، وأنه مشروع لك أنت شخصياً، يمنحك كامل الحرية، ويقدم نفسه بين يديك، تنظر فيه كما ترى، وما طلع نظرك فيه تمشي عليه، ويباركه، وإن كان مخالفاً! أنانية هذه رهيبة، ليست عبودية لله أبداً.
هل أتصور أنه إذا نظر الآخرون إلي أني مجتهد، يعني: [خلاص ضخم] ما هي هكذا؟ ضخم، فتراه يريد يكون مجتهد حتى يصبح ضخم، هي هذه، لا، كل واحد يريد أنانية، كل واحد يريد يفصل الدين على نفسه، يجب أن ننظر إلى الدين بأنه للناس جميعاً؛ ليجعل منهم أمة واحدة {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}(الأنبياء٩٢) وفي آية أخرى: {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}(المؤمنون٥٢)، {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}(البقرة٢١٣) معناها: كان الناس أمة واحدة، ما الذي حصل؟ ثم تفرقوا، واختلفوا، {فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}(البقرة٢١٣) ما معناه ليضع حداً للإختلاف؟.
هو يقول لك: كأنه لما اختلفت الأمة، أصبح لازم أن يكون هناك منهج يبنيهم؛ ليعودوا أمة واحدة، ويضع حلولاً لكل ما يؤدي إلى الإختلاف؛ ليلغى الإختلاف؛ ليبقوا أمة واحدة.

ما قال: كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين، مبشرين، ومنذرين؛ ليفرقوا بينهم؟ معناها هكذا؟ المفسرون يقولون معناها: فاختلفوا؛ أي فمهمة النبوات والرسالات كلها هي معالجة الاختلاف، والقضاء عليه، وإنهائه؛ لأن الله هو واحد، ينزل منهجاً واحداً، وهدى واحد لعباده. ما يمكن أنه يغثيه أن الناس كانوا متوحدين، ثم يأتي الأنبياء يفرقونهم، هنا قال: {وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ} لماذا يحكم فيما اختلفوا فيه؟ من أجل ماذا؟ ما هو من أجل ينهي الخلاف؟ ليبقوا أمة واحدة.

إذا كان عند الإنسان نظرة بأنه يقرأ؛ ليطلع مشرع، وعنده أن هذا هو العلم، يريد يطلع مجتهد؛ ليشرع، ويمشي على نظره، سيحصل على جهل، يتعلم في إطار القرآن نفسه، ويوسع معارفه من القرآن نفسه، ويفهم أن الإسلام هو للعالمين، ويفهم بأنه يجب أن يكون هناك عمل يوحد الأمة لتجتمع حول القرآن، يوحد ولو قبيلة واحدة، وتجتمع على الإعتصام بحبل الله بشكل صحيح، أو عندما ندرس حلقة درس تكون أنت حريص على أن يطلعوا متوحدين، والتوحد لا يمكن أن تفصّله أنت من عندك، وتضع له منهجية من عندك، ما هو التوحد، وعلى أي أساس يتوحدوا.

يقولوا لك: با يسبر أن نكون مختلفين في آرائنا، وفي اجتهاداتنا، وبا يمكن نتوحد، ما هو صحيح هذا، ما هو صحيح، الوحدة الدينية المطلوبة التي تعتبر فعلاً مؤثرة، وبناءة هي وحدة دينية تقوم على أساس الاعتصام بحبل واحد جميعاً، ما معناه جميعاً كلنا بحبل واحد؟ ما معنى الحبل الواحد؟ هدى الله واحد، حبل واحد. عندما يكون عندي شيء، وأنت عندك شيء آخر، وأنت تقول: أنه الحق، وأنا أقول: أنه الحق، ما معناه: أن هناك حبالاً متعددة؟ هذا الشيء جربناه نحن مع زملانا، ورأينا علماءنا، ورأينا الدنيا كلها أنها هكذا، اجتمعنا ونحن مجموعة، وقلنا نريد ـ ما دام أننا نختلف ـ نرجع إلى عالم واحد، يكون مرجع لنا، قال: ما يلزمني، لسنا ملزمين في مذهبنا، هكذا ما أحد ملزم بأن يتبع مرجع معين، ولا شيء.

طيب: ونحن ماذا نريد أن نعمل؟ نثقف الناس، ونرشد الناس؛ لأجل يطلعوا مختلفين؟ يطلعوا مثلنا على هذا النحو الذي لا نجتمع على شخص، هل هذا صحيح؟ هل هذا هو الهدى الذي يجعل الناس معتصمين بحبل واحد هو حبل الله، حبل الله دينه، دينه هديه، هديه واحد، ليس معنى دينه أي: ومن دينه كلما توصلت إليه فهو دينه، وما وصل إليه هذا فهو دينه، ما يمكن هذا.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٤٢٣هـ

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[عندما تؤدي الصلاة فاعرف] أنك تقف في يومك عدة مرات، في موقف تعرف أنت بأنك تقف أمام الله، أن الصلاة عبادة، مواجهة مع الله سبحانه وتعالى بتجرد عن كل الأشياء من حولي، لا أتحرك كثيراً، لا أتلفت، لا أتكلم، لا أعمل أيّ عمل آخر، أقف في موقف أستشعر فيه أنني أقف بين يدي الله.

أليس هذا تذكير بالله؟ تذكير بالله حتى لا أنساه، ولأن الإنسان بطبيعته، ولأن اتجاهه إلى شؤون الدنيا قد يجعله ينسى؛ جاءت الصلاة متكررة في اليوم والليلة خمس مرات، جاءت متكررة خمس مرات، ومع هذا يبدو أنها لم تنفع فينا، ما يزال النسيان يحصل، بل يحصل أن الإنسان يصلي وهو ناسي، لكن لا بأس ستترك أثراً نوعاً ما.

ثم الإنسان إذا ما حاول هو أن يتفهم قيمة هذه العبادة ستكون مشاعره أثناء الصلاة على شكل أرقى وأعلى مما نحن عليه الآن، وفي نفس الوقت ستترك آثارها في نفسه.

الصلاة في البداية هي: وقوف بين يدي الله، ذِكرٌ لله، {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}(طه١٤) ألم يقل الله لموسى هكذا؟ {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} ذكر الله، وأنت تذكره بلسانك، وذكره في مشاعرك، في قلبك، تتذكر الله في نفسك، وتذكر الله. حتى ذكر الله باللسان هو من أجل أن تتذكر الله في نفسك.

الإنسان إذا ما ذكر الله، وكان دائماً متعوداً على أن يذكر الله، يسبّحه، ويكبره، وله أوراد معينة يذكر الله. هذه تساعد على أن يتذكر الله في نفسه، وهذا هو الشيء المهم، تذكُر الله في نفسي يدفعني إلى ماذا؟ إلى الإلتزام بهديه، وإلى الإبتعاد عما نهاني عنه. فالصلاة في البداية تعطي هذه.

لها إيحاءاتها، لها إشاراتها فيما يتعلق ببقية الأشياء، الإنسان في هذه الدنيا، الإنسان في الدنيا يحتاج، سواء في مجال حياته، في مجال معيشته، أو في مجال هدايته؛ لأن الدنيا ميدان مفتوح، فيها شياطين الإنس، وفيها شياطين الجن، فيها المضلين، فيها الطواغيت، فيها أشياء كثيرة تعترض الإنسان، وتدفعه إلى الضلال، وأنت لا يمكن أن تضع لنفسك برنامجاً تحدد فيه أنك مهتدي، ولا تحتاج إلى الله.

الإنسان يحتاج إلى الله دائماً في أن يهديه؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم تعليم للمؤمنين بأنهم دائماً يدعون الله أن يثبت أقدامهم، وأن لا يزغ قلوبهم، وأن يهديهم، وأن يعلمهم. ألم ترد هذه في القرآن كثيراً: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}(آل عمران٨).

عندما أصلي، أذكار الصلاة، أذكار الصلاة نفسها، بدءاً من التكبير، أليس التكبير تعظيماً لله سبحانه وتعالى؟ وشهادة بأنه أكبر من كل ما حولي، ومن كل ما هو سواه، [الله أكبر] الله وحده هو أكبر من كل كبير، فأنا باعتباري عبد لله سبحانه وتعالى أرسخ في نفسي، في مشاعري: أن الله أكبر من كل ما سواه.

كل من في هذه الدنيا، أليس الطواغيت يحاولون أن يجعلوا أنفسهم كباراً أمامنا؟ أليس أصحاب رؤوس الأموال يحاولون أن يجعلوا أنفسهم كباراً أمامنا؟ لكن أنت إذا ما كنت مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتفهم ماذا تعني عندما تقول: [الله أكبر] ستجد كل ما سواه صغيراً، من يرغبك بشيء سوى الله تجد ما يمكن أن يقدمه لك صغيراً، صغير من صغير؛ لأن ما وعدني الله به، وهو الأكبر من كل كبير، فهو بالطبع سيكون أكبر مما سيقدمه لي أي طرف آخر.

ما يهددني به كبير من كبار الدنيا فيجعل نفسه كبيراً، ويهددني، ويتوعدني، هو صغير من صغير أمام الوعيد الشديد الذي توعدني به الله الكبير، الذي هو أكبر. أليست الجنة نعيم أعظم من أي شيء في الدنيا؟ لأنها نعيم من؟ نعيم من أقول فيه أنه أكبر، الله أكبر، نعيمه هو أكبر من كل نعيم، أليست جهنم هي أشد من كل عذاب يمتلكه الجن، والإنس؟ جهنم أوصافها عذاب أرقى وأشد وأفضع من أي عذاب لدى أي إنسان في الدنيا، من طواغيت الدنيا.

من يخوفني من طغاة الدنيا، من جبابرتها، بكبريائه، من هم أهل كبرياء وجبروت، يهددني بعذابه، يتوعدني بشره، أنت صغير أمام من هو أكبر، وأنت مقهور بمن أنا أقول فيه وأصلي له، وأقول فيه أنه أكبر، وكل ما تتوعدني به صغير أمام وعيد الأكبر الذي هو الله سبحانه وتعالى.

التكبيرة وحدها تجعل كل شيء سوى الله صغيراً أمامك، هو وترغيبه وترهيبه. نحن لو ننطلق على أساس فهمنا للتكبيرة وحدها لكانت كافية.

أليس الناس عندما لا يتحركون في مواجهة أهل الباطل، في مواجهة أعداء الله، في مواجهة المفسدين، في مواجهة اليهود والنصارى، ما الذي يخيفنا؟ أليس يخيفنا ما لديهم من شر، يخاف الإنسان القتل، يخاف التعذيب، يخاف التعب؟ أليس هذا هو ما يخيف الناس؟ لأننا في واقعنا نرى ما لدى الناس هو أكبر مما لدى الله؛ لأننا عندما نقول: الله أكبر، لسنا صادقين في واقعنا مع هذه الكلمة، لا، بل كل شيء لدى الآخرين، الذين هم صغار، هو عندنا أكبر مما عند الله، فنحن لا نحسب حساب جهنم، ونمشي في طريق هي طريق جهنم؛ من أجل أن لا نقع في هذا الشر الذي لدى الناس في هذه الدنيا!.

يخاف السجن، يخاف التعذيب، يخاف الإضرار بمصالحه، يخاف القتل، أليس هذا هو ما يجعل الناس لا يجاهدون، ما الذي يجعل الناس لا يجاهدون؟ هو هذا: خوفنا من الآخرين وأنهم قد يقتلونه، أو يعذبونه، أو يسجنونه، أو يضرون بمصالحه، يدمرون بيته، وأمواله.

أليس هذا هو الذي يخيف الناس؟ هل هذا مثل جهنم؟ إذاً فلماذا نجد أنفسنا نمشي في طريق هي معصية لله، نقصر، ونفرط، ولا نستجيب لله عندما يقول: جاهدوا في سبيلي، مروا بالمعروف، انهوا عن المنكر، حاربوا المفسدين، حاربوا الظالمين، حاربوا الكافرين.

هل نحن نستجيب؟ لا نستجيب؛ لأننا نخاف مما عند هؤلاء، ونحن نجهل أن ما عند الله هو أشد مما عند هؤلاء، لو سجنّا في الدنيا، قد يقولون: سجن مؤبد، كم هو هذا الأبد؟ قد يكون إلى أن تموت فقط، قد تموت بعد سنة من دخولك السجن، خليك تبقى في السجن عشرين سنة، أو تبقى في السجن أربعين سنة.

ما هو هذا السجن؟ مكان تشم فيه هواءً بارداً، يمكن أن تشرب فيه ماءً بارداً، تأكل طعاماً سائغاً، لكن جهنم ما هي؟ أليست سجن أبدي، خالدين فيها أبداً؟ والأبد هناك يختلف عن الحكم المؤبد هنا في الدنيا عندما يقولون: حكمت المحكمة بسجنه سجناً مؤبداً.

الأبد عند الله هو: أن مليار سنة لا يساوي ثانية واحدة، ليس هناك نهاية، ألف سنة، مليون سنة، مليار سنة، لا تساوي ثانية واحدة، أبداً يعني: ليس هناك خروج أبداً من جهنم.

في خبر، في رواية بأنه لو كان ما بين السموات والأرض مُلِئ بحبات الخردل، ويخلق الله طائراً يلتقط كل سنة حبة واحدة، ويقال لأهل النار: إنكم ستمكثون فيها حتى تنتهي هذه الحبات لفرحوا! ماذا يعني فرحوا؟ أن هناك نهاية لجهنم.

كم سيتسع هذا المجلس من حبات الخردل؟ كم؟ مليارات يتسع لها هذا المجلس، لفرحوا؛ لأنهم سيعرفون أن هناك نهاية، ولو بعد بلايين، بلايين، بلايين السنين، بعد البلايين يمكن أن يتصور الإنسان عدداً، أن هناك نهاية، ليس هناك نهاية، وأنت في جهنم، نعوذ بالله من جهنم، والإنسان في جهنم، هل هو في سجن كسجون الدنيا؟ {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} (الزمر١٦) تتحول أنت إلى كتلة من النار {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحريم٦) يتحول الإنسان هو إلى كتلة من النار ملتهبة، ثيابه نار، شرابه نار، أكله نار.

أليس الله يقول عن شجرة الزقوم: {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} (الدخان٤٥، ٤٦) شجرة شديدة المرارة، وهي في نفس الوقت نار، يشرب حميماً يقطع أمعاءه، [يتروّش]، {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ

الْحَمِيمِ} (الدخان٤٨)، يذيب جلده، ويقطع أمعاءه، وهكذا، سنة بعد سنة، مائة سنة بعد مائة سنة، ألف سنة بعد مليون سنة بعد مليون سنة، وهكذا إلى ما لا نهاية. أليس هذا هو الشيء الذي يخيف؟.

إنه عذاب من أقول عندما أبدأ أدخل في الصلاة: [الله أكبر]، إن عذابه سيكون أكبر من عذاب أي طرف آخر، {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج١٢) بطش شديد لكننا لجهالتنا بالله، ولأننا لا نعي عندما نقول: الله أكبر، ماذا تعني، هو أكبر في ترغيبه، أكبر في ترهيبه، أكبر في رحمته، أكبر في هديه، أكبر في كل شيء.

هنا في الدنيا قد يأتي بعض الناس يدخل في موقف باطل مقابل مصلحة محدودة معينة رغبوه بها، رشّح فلان، وسنعطيك رتبة عسكرية، أو نعطيك وظيفة، أو مستعد أن أقوم معك في موقفك من فلان، أو أعطيك مبلغ خمسة آلاف، أو.. أو..، من هذه المصالح البسيطة جداً، فيقف موقفاً باطلاً، يبيع دينه بثمن بخس؛ لأنه رأى هذا الشيء القليل هو أكبر من الجنة.

أليست الجنة أكبر نعيم؟ (موضع سوط في الجنة ـ كما روي في الأثر ـ أفضل من الدنيا وما فيها) موضع سوط في الجنة، لا، الجنة هذه صغيرة، نحن في الواقع نرى الجنة صغيرة، ونرى النار صغيرة، ونرى الله صغيراً، ونحن بحاجة..الإنسان بحاجة دائماً إلى أن يذكّر نفسه بأن الله أكبر، بأن إلهه أكبر، فإذا ما رُغّب في الدنيا يتذكر بأن ترغيب إلهه أكبر، إذا ما رُهّب من قبل طواغيت الدنيا يتذكر بأن ترهيب إلهه أكبر.

فجاء التكبير في الصلاة هو أول ذكر تفتتح به الصلاة، وجاء التكبير من الأذكار المشروع للإنسان أن يرددها دائماً: [سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر] كم تقول من تكابير داخل الصلاة! تكبيرة الإحرام، تكبيرة الركوع، تكبيرة القيام من الركوع، تكبيرة السجود، الإعتدال، السجود مرة أخرى، كم تكبيرات يقولها الإنسان داخل الصلاة! ثم نصلي عاماً بعد عام، ولا نلمس أثراً للتكبير، لذكر واحد من أذكار الصلاة في نفوسنا! لا نلمس أثراً لهذا الذكر!.

أليست التكبيرة وحدها، لو كنا نعي معناها، لتحول الناس تحولاً كبيراً، لانطلقوا كالصواريخ؛ لأنهم يخافون الأكبر، ويرغبون فيما عند من يقولون أنه أكبر من كل كبير. يخيفنا مدير ناحية يخيفنا محافظ، يخيفنا رئيس، يخيفنا يهودي، يخيفنا أبسط الأشياء؛ لأن كل شيء نراه من هذه الأشياء التي ليست بشيء أمام عذاب الله، هي في الواقع ننظر إليها أكبر من ذلك الوعيد.

الإنسان بعد أن يقول: الله أكبر، يقف قائماً، والمطلوب أن تكون في وقوفك، وفي الصلاة كلها خاشعاً، والخشوع أيضاً في شكلية وقوفك أمام الله سبحانه وتعالى، وفي سكونك، وأفضل وقفة خشوع هي الوقفة التي نقف عليها نحن في صلاتنا بإرسال أيدينا.

عندما تتأمل وقفة الوهابيين مثلاً في صلاتهم، هي وقفة أُبّهة، وكبرياء، ليست وقفة خشوع. يفك رجليه، ويبرز بطنه، ويضم يديه، [ويقعّل] رأسه، ويقول: [الله أكبر]! الضم أساساً هو وقفة أبهة، ليست وقفة خشوع، يصلح أن تضم عندما تخطب. لاحظ، جرب أنت من نفسك، عندما تجعل يدك فوق يدك، وأنت تدخل في مجلس، ماذا سيقول الآخرون؟ يعتبرون أنك وقفت وقفة [مِنَخِط]، جرب أن تدخل على ناس في مجلس كهذا، في الباب تقف كوقفة الوهابي في صلاته، وانظر ماذا سيقول الآخرون عندما يرونك؟ [اليوم أنت مِنَخِط يا خبير].

إنها ليست وقفة خشوع، هي وقفة أبّهة، ووقفة نخيط، تصلح إذا أنت تخطب، إذا أنت تخاطب جماهير، إذا أنت [تِتْحَاول] إذا أنت تريد [تنخط]، تعمل هذه، هي من الآداب في حالة مثلاً الخطاب، من الآداب أن تضع يدك على يدك مثلاً؛ لأن الخطيب المطلوب فيه أن يقف وقفة أبهة أمام الآخرين، أمام الناس، شخصية وهو يخاطبهم.

لو يدخل جندي على ضابط بالشكل الذي يكون عليه الوهابي عندما يقف في الصلاة لصفعه في وجهه.

كيف التحية العسكرية للضباط؟ أليست هكذا، إرسال؟ كيف الوقفة لِلعَلَم؟ أليست إرسال؟ كيف الوقفة للنشيد الوطني؟ أليست إرسال؟ تشاهد في التلفزيون عندما تأتي تحية، عندما يعزف النشيد الوطني، أليسوا كلهم

يقفون مرسلين؛ لأنها وقفة يعتبرونها وقفة إجلال، وخضوع للنشيد الوطني، الذي يعبر عن الوطن بكل ما يعنيه النشيد، ووقفة للعَلم أيضاً، تكون كل وقفة خشوع، معروف حتى عسكرياً، لا بد أن تكون الإرسال.

الصلاة لا بد أن تكون فيها خاشعاً، فأن تقف وقفة ليست وقفة خشوع أنت لا تفهم الصلاة. نحن نقول: الضم لا أساس له؛ لأنه واقعاً ليس وقفة خشوع، حقيقة ليس وقفة خشوع، ونشاهد، ونلمس من أنفسنا، الجندي يدخل على الضابط في التحية العسكرية، هل العسكري ممكن يضم، ويقف كوقفة الوهابي أمام ربه، يفتح رجليه، ويبرز بطنه، ويضم، [الله أكبر]. هذا ليس خشوعاً؛ ولهذا تجد صلاتهم لا تساوي شيئاً.

الخشوع في الصلاة: سكون، وخضوع أمام الله سبحانه وتعالى؛ لأنك أنت عبد لله، وأنت في مقام وقفة بين يدي الله، ويساعد هذا على ماذا؟ يساعد على أن تستفيد من معاني الصلاة، أن تتفهم أكثر، تتذكرك لله سبحانه وتعالى؛ لأن الصلاة من غاياتها بصورة عامة: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} أنا خاشع، وساكن، أنا خاضع، وذليل أمام إلهي، وسيدي، ومولاي، أمام ربي ومالكي.

ثم يبدأ الإنسان يقرأ: سورة [الفاتحة]. سورة الفاتحة، أليست لا بد من قراءتها في الصلاة، هذه السورة بالذات لا بد من قراءتها في الصلاة، هذه السورة أساساً هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم، أول سورة نزلت من القرآن الكريم، ومن يقول لكم بأنها سورة [اقرأ] ليس صحيحاً، ليس صحيحاً، وكثير من الأئمة، ومن العلماء، يقولون: بأنها سورة [الفاتحة] منهم: الإمام القاسم بن إبراهيم، وأبو الفتح الديلمي، وغيرهم، أن سورة [الفاتحة] هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم.

هذه السورة فيها خلاصة القرآن، خلاصة القرآن، ولب القرآن في هذه السورة؛ ولهذا قال الله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}(الحجر٨٧). هذه السورة لا بد من قراءتها، مهمة جداً.

أنت تبدأ في أولها: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}(الفاتحة١) وهي الآية التي تبدأ بها أول سورة في القرآن. كل السور في القرآن الكريم ما عدى سورة واحدة ـ كما يقولون ـ بـ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}.

الآخرون يصلون ولا يقرؤونها! هم لا يفهمون ماذا يعني {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، إن تشريع الله لعباده قائم على أساس أنه رحيم بهم، أنه رحمن رحيم، تدبيره لشؤون خلقه من منطلق أنه رحمن رحيم، تشريعه، هدايته، تدبيره لشؤون مخلوقاته كلها من منطلق أنه رحمن رحيم.

ألم يقل عن القرآن الكريم: {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}(فصلت٢)؟ ألم يقل عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(الأنبياء١٠٧) فرسوله، كتابه، هدايته، تدبيره لشؤون خلقه، لشؤون ملكه كلها، من منطلق أنه رحمن رحيم.

فنحن نقول: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}؛ لأننا باسمه سنقرأ كتابه، باسمه سنثني عليه، نقول: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(الفاتحة٢) الحمد هو: الثناء لله سبحانه وتعالى، هو الثناء لله، الثناء على الله، من يستحق الثناء الكامل هو الله وحده، وهو رب العالمين.

يأتي من جديد: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}(الفاتحة٣)؛ لأن ربوبيته من منطلق رحمته، وهو يربي عباده، وهو يربي كل مخلوقاته، هو ربهم، أي: يربيهم. أليس رزقنا من عنده؟ أليست حياتنا من عنده؟ أليس الوجود كله من عنده؟ كل شيء من عنده، هو الذي يسبغ النعم، هو الذي يعطي كل شيء خلقه، هو الذي يهدي كل شيء، هو الذي كل خير من عنده، وكل الوجود مصدره من عنده، وكل شيء هو من منطلق رحمته.

فمهم جداً، هذه قاعدة مهمة جداً: أن يفهم الإنسان، أن يفهم أن هذه قاعدة إلهية: أن كل تشريعه هو ينطلق من أنه رحيم؛ فلهذا في مقام الجهاد، ألم يقل الله لعباده: جاهدوا؟ إنه رحيم بنا وهو يأمرنا بأن نجاهد، هل نفهم هذه؟ نتصور بأن هذه الأشياء أعمال شاقة، قد يأتي شخص يخوفك عن أن تستجيب لأن تجاهد في سبيل

الله، أو تقف موقفاً، يخوفك من منطلق أنه رحيم بك، سواء أمك، أو أبوك، أو أي شخص قريب لك، قد يخوفك، ويطلب منك أن تترك هذا الأمر، وتتخلى عن هذه القضية، ويقول: اترك هؤلاء؛ لأنه رحيم بك، ويخاف عليك.
الله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين بك، ولأنه يعلم أن من منطلق رحمته هو أن نعمل في مواجهة أعدائه؛ لأنه حينئذ سيكون كل شقاء علينا من قبل أعدائه، إذا لم نقاومهم، وعندما يقول لنا: قاوموهم، جاهدوهم، قاتلوهم، يقول: أنا سأقف معكم، سأؤيدكم، سأنصركم، سأكف أيديهم عنكم، سأملأ قلوبهم رعباً. ألم يذكر في القرآن الكريم أشياء كثيرة من هذا؟.
فلأنه رحيم بعباده، هو يعلم أنه إذا ما تمكن هؤلاء الذين يقول لك: جاهدهم، وقاتلهم، إذا ما تمكنوا هم من سيجعلون حياتك كلها شقاءً، وذلاً، وخزياً، فمن منطلق رحمته بك يقول: ادفع هؤلاء عنك، وأنا سأساعدك على دفعهم عنك، سيحولون حياتك كلها إلى شقاء.
ألم يقل عن الجهاد: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} بل سماها تجارة: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الصف١٠-١١) ألم يقل هكذا؟ سماه تجارة، أي: أعمال رابحة، هو ربح، أنك عندما تجاهد، عندما ينطلق الناس ليصدوا هذه الفئة التي هي شرٌّ كلها، ماذا ربحنا؟ ربحنا عزة، واستقامة، وسعادة، وربحنا أن صرف عنا كل شر من جانب هؤلاء. أليس هذا ربحاً؟.
قد يأتي شخص يقول لك: [بطّل أنابوك، مالك حاجه، أو خلّهم وبطّل، وما لك حاجة، وما انت الذي ستصفّي الإسلام، و.. و،] وواحد آخر مثله، وواحد قالت له زوجته، وواحد قال له أبوه، وواحد صديقه.
مثلما عملوا بالإمام زيد (عليه السلام) أليس هذا الذي يحصل؟ عندما خرج الإمام زيد خرج معه كثير من الناس، قالوا: كانت المرأة تلحق ابنها وتقول: ارجع، ما بلاّ أنت وحدك، كم يا ناس كثير، ليسوا بحاجة إليك، ارجع. وفي الأخير رأى أنه لم يعد معه إلا عدد قليل، عملوا هذه مع الحسين، وعملوها مع مسلم بن عقيل، عندما أرسله الإمام الحسين إلى الكوفة، تجمّع معه كثير، ثم راحوا على واحد واحد. وعملوها مع الإمام زيد.
ما الذي حصل لأهل العراق عندما لم يقفوا، ويقاتلوا مع الإمام زيد فيقهرون عدوهم، فتكون الغلبة لهم، وتكون الدولة لهم، ويكونون هم أعزاء، أقوياء، لا يظلمون، ولا يضطهدون أبداً، فما الذي حصل؟ كل واحد نصحته أمه، أو جدته، أو أي واحد من أقاربه، أو عنده هو [هذه مشاكل ما نريد مشاكل] وذهب! استحكمت دولة بني أمية، وظلموا جيلاً بعد جيل، قُتلوا، وعُذبوا، وأهينوا، وحياة كلها، كلها، الموت عدة مرات أشرف منها.
فمن يقول لك من منطلق أنه يرحمك: لا تقف هذا الموقف، لا تدخل في هذا، ستجلب على نفسك المشاكل، وستخسر حقك، وبا.. وبا.. تذكّر {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، تذكر أن رب العالمين هو الرحمن الرحيم، وأنه عندما يقول لي: أعمل كذا، هو ما يزال رحيم بي، وأن من رحمته بي أن وجهني إلى أن أعمل هكذا.
لو أننا نتذكر دائماً لما استجبنا لأحد أبداً ممن يظهر نفسه أنه ناصح لنا فيثبطنا عن أي موقف من مواقف فيها عزتنا، فيها شرفنا، فيها الخير كما قال الله سبحانه وتعالى: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} ولأن الشيء المعروف هو أن الشخص عندما يأتي إليك هو ماذا؟، يقدم نفسه وهو يحاول أن يجرك، ويسحبك عن هذا الميدان، يقدم نفسه رحيماً بك، وناصحاً لك، أليس هذا هو ما يحصل؟ إذا لم تكن أنت متذكراً أن الله هو الرحمن الرحيم.
ألم تتكرر {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} في القرآن كله؟ هذه الآية التي غيبها الوهابيون لا يقرؤونها في صلاتهم، لا يفهمون هداية الله، لا يفهمون تشريع الله، لا يفهمون الله، ولا دينه، ولا نبيه، ولا شيء؛ لأنها مهمة جداً {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} وتكرر الرحمن، وتكرر الرحيم في القرآن كثيراً، كثيراً جداً؛ من أجل أن أفهم أنا، وتفهم أنت، أن كل تشريع، أن كل أمر، أن كل نهي يوجه إلي وإليك، ويطلب مني أن أقوم به، ويطلب

منك أن تقوم به، لا تتصور أنه أمر جاء من جبار، مثل أي رئيس من رؤساء الدنيا، أو أنه أمر جاء من قهار، لا يبالي، هو همه أنك تنفّذ أوامر، نفّذ.

الله ليس هكذا، الله يتعامل مع عباده من منطلق الرحمة بهم، وخاصة مع أوليائه، من منطلق الرحمة بهم، فهو عندما يأمرك تذكّر أنه أمر من رحمن رحيم. هل نحن نتذكر هذا عندما يأتي أمر من رئيس الجمهورية، أو محافظ، أو مدير؟ لا يمكن أن تقول أنه أمر من رحيم أبداً، هذه عقلية عسكرية، عقلية إنسان بشر قاصر، عنده روح استعلاء، وجبروت، أوامر، نفّذ، لا رحمن، ولا رحيم، ولا شيء من هذا.

أما الله سبحانه وتعالى، مع أنه ملك السموات والأرض، وهو المهيمن، الجبار، القهار، هو المهيمن على كل شيء، لكن تصرفه معي أنا الذي لا أفهم، ومعك أنت، تصرف رحمن رحيم، فكل أمر يوجهه إلي وإليك يجب أن تفهم أنه مصبوغ بكامل الرحمة، حتى ما يبدو أمامي وأمامك أنه أقسى عمل، هو تنفيذه رحمة، والانطلاقة فيه رحمة، وأمن وسلام؛ لهذا ترى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} متكررة كثيراً، كثيراً.

الآخرون يسترونها؛ لأنها آية ما تصلح أن تتكلم بها!! عندما يبدأ يقول: [الله أكبر]، وبسرعة {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ولا يقرأ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}! ما يقرأها! بحجة أنه روي عن فلان عن فلان أن رسول الله كان يصلي ويبدأ بالحمد لله رب العالمين.

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} هي آية مهمة جداً جداً، روي عن ابن عباس أنه كان يقول عن من يتركون هذه الآية: أن الشيطان اختلس منهم مائة وثلاث عشرة آية، أن الشيطان هو الذي اختلس منهم هذه الآيات. معنى حديث ابن عباس: أن الشيطان اختلس من هؤلاء الذين تركوا البسملة هذه الآيات.

آية مباركة، آية لها أثرها في وعينا؛ ولنفهم بأن الأشياء كلها التي الله يتعبدنا بها، كلها، كلها تتركز على خلق وعي، وبصيرة في نفسي، ونفسك، ونفس أي واحد. إذا لم نكن لا نعي، ولا نفهم فسنكون مثل من يمرون، ويسيرون في جبل من الذهب، يطأ الذهب، ويجلس على ذهب، ويمشي إلى هناك، وهو يريد أن يمشي يسرح عامل بخمس مائة ريال، وهو يمر على جبل من الذهب.

....

[أدعوك يا ألله، وأنت من لك الثناء والمجد، أنت] رب العالمين، وأنا بحاجة في حياتي، بحاجة، وأنا مقر، ومؤمن بأن هناك يوم جزاء على الأعمال، وأن للجزاء الحسن طريقة واحدة محددة، هدى الله إليها، أنا بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى أن يهديني.

أن يأتي بعد هذا، أن يدعو الإنسان الله سبحانه وتعالى فيقول: {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}(الفاتحة٦) **اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا أنت يا الله، من لك الثناء، {الْحَمْدُ للّهِ}، من أنت {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، من أنت {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، من أنت {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، نريد منك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم.**

يأتي بلفظ دعاء للتعبير عن أنها قضية تهمنا، قضية أن نهتدي، وأننا نبحث عن الهدى، ونريد الهدى، فنحن نطلب، فأنت عندما تدعو يأتي الشيء بتعبير الدعاء، ولفظ الدعاء؛ لأنها قضية هامة لديك، أنت تنشدها. أليس الدعاء طلب، أنا أنشد الهداية، هل نحن ننشد الهداية؟ تجد أننا متى ما جاء أحد يهدينا [فيا الله نسمع له، يا الله نجامله] ليست قضية مهمة لدينا قضية الهداية، مع أن الله سبحانه وتعالى جعلها أفضل نعمة على الإنسان.

نِعَمه عظيمة جداً علينا، لكن أعظم نعمة له على الإنسان هو الهداية، نعمة الهداية، الهداية بدينه، الهداية بكتابه، الهداية بنبيه، هذا الدين الذي هو هدى، فنحن نقول: اهدنا أنت يا الله، اهدنا إلى صراطك المستقيم. الدنيا مليئة بالطرق، وأنت لك يوم جزاء، وجزاء محدود، وجزاء حاسم، ونحن نثق بأننا بحاجة في حياتنا إلى هدايتك، هناك طرق قد نسير عليها فنضل في حياتنا، ونشقى كما ضل أبونا من قبل، كما شقي.

نحن نريد أن تهدينا إلى صراطك المستقيم، ونحن بحاجة إليك أنت مهما كثر المرشدون، مهما كثر الدعاة، مهما كثر الموعظون، نحن بحاجة إليك أنت أن تهدينا. أليس هذا دعاء يقوله المسلمون جميعاً؟ حتى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهو يدعو: اهدنا الصراط المستقيم.

ولأن الدنيا هنا يمر الإنسان فيها بأحداث كثيرة، ومتغيرات كثيرة، ومواقف كثيرة، متعددة، وليس هناك موقف، أو قضية، أو حدث هو خارج عن إطار أن يكون حق، أو باطل، أن يكون فيه لله رضا، أو يكون مما يؤدي بالإنسان إلى سخط الله سبحانه وتعالى. فنحن بحاجة منك يا الله أن تهدينا في كل شئون حياتنا، في كل مواقفنا، أن تكون أنت ترعانا، نحن نريد أن تهدينا إلى صراطك المستقيم، لا نضل، لا نشقى.

من الذي يكون لديه هذا الشيء مهم؟ هو من هو مؤمن بيوم الجزاء، ومن هو مؤمن بأنه بحاجة إلى الهدى في الدنيا، أنه إذا ما انحرف عن هدي الله، وانحرف الناس عن هدي الله، سيضلون، ويشقون، ويعانون، وسيكون الشقاء ليس فقط من جانب أعداء الله.

لاحظوا نحن عندما نقصر، لا نستجيب لله سبحانه وتعالى، ما الذي يحصل؟ المفسدون في الأرض يعملون عملهم في الشقاء، والله سبحانه وتعالى من جانبه يمنع خيراته، يمنع بركاته، ويحول دون أشياء كثيرة؛ لأنه رآنا غير مستحقين، عقوبة لنا، فيكون الإنسان بإعراضه عن هدي الله جلب على نفسه الشقاء، سواء ما كان من جانب أعداء الله، وما كان من جانب الله عقوبة له على إعراضه عن هدي الله.

فالإنسان الذي يفهم أهمية الهدى، والآية نفسها عندما نرددها دائماً هي تذكرنا أيضاً بأن قضية الهداية قضية مهمة، لماذا الله يأمرنا بأن نقرأ هذه السورة، والموضوع الرئيسي فيها موضوع الهداية. ألم يأخذ الكلام عن الهداية نحو ثلثي الفاتحة، موضوع الهداية هو أكبر موضوع داخل الفاتحة؛ لأنه أكبر موضوع داخل القرآن؛ لأنه هو الموضوع الرئيسي، الهداية.

القرآن من أجل هداية الناس، الرسول من أجل هداية الناس، كل ما جاء من خطاب من جانب الله، من توجيهات كلها تصب في قالب الهداية للناس، كل عمل الله بالنسبة لنا هو هداية، توجيهات للهداية. فجاء الحديث عن الهداية في سورة [الفاتحة] نفسها يأخذ أكبر مساحة داخل سورة [الفاتحة] التي هي نفسها تعبر عن محتوى القرآن بصورة عامة، وباختصار.

فمن يتأمل يجد أنه عندما نؤمر بأن نقرأ هذه السورة، وأهم شيء فيها هو: طلب الهداية، أي: أن الهداية قضية مهمة جداً جداً، أي: أنها قضية يجب أن نحرص عليها، وأن نبحث عنها وأن نبذل في سبيلها كل غال ونفيس، من أجل أن نهتدي. فكيف بالناس الذين تعرض عليهم الهداية بالمجان، كيف بالناس الذين طريقتهم طريقة صحيحة، وعقائدهم صحيحة، والهدى يقدم إليهم بسهولة، وهم لا يرون له قيمة، ولا يلتفتون إليه، ولا يعتبرونه شيئاً!.

أليس هذا كفر؟ كفر بأعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان. ولأن واقع الناس هكذا قال الله عن الإنسان: {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس١٧).

كان الأنبياء يأتون إلى الناس فيقولون: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء١٠٩) يكاد أن يتفجر من الأسف، من الألم، عندما يرى قومه لا يهتدون، يوجههم، يهديهم، يعلمهم، يبصرهم، ويقول: أنا لا أسألكم أجراً على هذا أبداً. لا يلتفتون إليه ولا يبالون به!.

نوح ظل في قومه كم؟ تسع مائة وخمسون سنة، ولم يستجب له إلا القليل القليل منهم؛ لأنه لا قيمة عند أكثر الناس لهداية الله؛ لأنهم لم يفهموا بعد أهمية هداية الله بالنسبة لحياتهم، وارتباطها بحياتهم. هذه هي المشكلة الرئيسية لدى الإنسان، وهي مشكلة نحن نعاني منها، نحن نعاني منها.

{اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} الصراط هو: الطريق الواضح. والمستقيم: قـيِّم، لا عـوج فيـه، ولا التـواآت، طريق واضح؛ لأن هدي الله، ودين الله، هو: طريق واضح، لا يضل من يسير عليه، ولا يـشقى مـن يـسير عليـه. فنحن نقول: أنت يا الله، {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}.

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}(الفاتحة٧) ألم يكن يكفي أن يقال: اهـدنا الـصراط المستقيم؟ لكن القرآن الكريم كله يؤكد قـضية هـي: أن للحـق أعلامـاً، وللباطـل أعلامـاً، لـصراط الله أعـلام، ولطريق الشيطان أعلام، فلا تتصور أن صراط الله صراط مستقيم هكذا، شيء ينبـت في الأرض، أو شـيء ينـزل من السماء، أو شيء تأتي به الريح، إنه طريق ناس، إنها مسيرة بشر، يهديهم الله، ويهدي بهم عباده.

فيقرر المسألة؛ لأن هذه قضية مهمة، وهي مهمة خاصة بالنسبة لطلاب العلم، أحيانا قـد يـأتي الإنـسان يطلـب العلم، ويظن أن باستطاعته أن يطلع لوحده [بَصَلَة]، فهو لا يحتاج إلى أحد، ولا يبحث عن ناس يسير وراءهـم، لا يبحث عن ناس يسيرون على صراط الله، يسير وراءهم، [أنا عندي عقل، واستطيع أعرف حق وباطـل، ولـست بحاجة إلى أحد، والحق له طريق يستطيع الإنسان أن يعرفه!] يظن أنه يمكن أن يطلع لوحده!.

سورة [الفاتحة] تقرر بأن الصراط المستقيم هو صراط أولئك، صراط ناس يـسيرون عليـه. ألم يقـل: {صِـرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} {الذين} أليست تعني ناس أنعمت عليهم، يعني: ناس من خلقك، من عبادك؟.

فالإنسان الذي هو معبد نفسه لله، ليس لديه أنفة بأنه ليس مستعداً أن يمشي وراء أحد، القضية عنـده نعمـة كبيرة جداً، وهو لا يخطر بباله بأنها إشكالية أن يسير وراء أحد ممن هم يسيرون على صراط الله المستقيم.

إنه يهمه أن يبحث عن الهداية، أنا أريد أن أبحث عن الهداية، وأنا فـاهم، وأنـا واعـي، وأنـا مـؤمن، والقـضية مسلّمة لدي، أن لصراطك المستقيم أعلام، وأن صراطك المستقيم يتمثل في مسيرة فئة من عبادك، أنعمت علـيهم بالهداية، وأنعمت عليهم بأن جعلتهم أعلاماً لدينك، وهداة لدينك.

الذي يقول: [لسنا ملزمين نتبع أحد، ولست بحاجة أن أتبع أحد، وأنا باسـتطاعتي أن أهتـدي] هـو ممـن لـيس للهداية قيمة لديه أبداً. لاحظ أنت عندما تكون ماشي إلى منطقة، وأنت لا تعرف الطريق، فيأتي طفل يعلمـك الطريق، ألست ستعتبر له فضلاً كبيراً، أن تمشي وراءه، تمشي وراء هذا الطفل، لا تتذكر بأنك يعني أنت فلان، وماشي بعد ذلك الطفل! أنت القضية لديك هو أنك تريد أن تعـرف الطريـق، أنـا أريـد أن أصـل إلى المنطقـة الفلانية.

من الذي يخطر في باله بأنه [والله شوعه أن أمشي وراء طفل] هل أحد يخطر في باله هذه؟ يهمـه أن يـصل إلى الغاية.

فأنا هنا، و[الفاتحة] تقرر أن القضية مسلّمة هي: أنه، أنا أريد أن أمشي على صراطك المستقيم، وأنـا أعـرف أن صراطك المستقيم هو صراط ناس أنعمت عليهم، هل لدي مانع أن أمشي وراءهم؟ لا، لا يخطر ببالي أنهـا قـضية أتمنع عنها، أن أمشي وراءهم، يهمني أن أهتدي إلى صراطك، وسأمشي وراءهم {اهدِنَــــا الـصِّرَاطَ المُـستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} (الفاتحة٧).

ونفس الشيء بالنسبة للباطل، بالنسبة للضلال، له ماذا؟ له أعلامه، وله من يمثله، الضلال هـو مـسيرة بـشر، والحق هو مسيرة بشر، حتى عندما يأتي شخص أحياناً قد يقول لك بعض الناس [هـذه المـذاهب لا، إنـس أبوهـا إتّباع فلان، واتباع فلان، نحن نريد أن نتبع كتاب الله وسنة رسوله] أليسوا يقولون أحياناً هكذا؟ [نحـن نريـد نتبع كتاب الله وسنة رسوله نكن نحاول ما هو نتبع الناس] وهكذا.

لكن لاحظ عندما يدخّل لك مجموعة ناس إلى بيتك، قل له: بَعْدَك، وما دريت إلا وقد دخّل لك البخاري! ألـيس البخاري رجّال. مكتبة حاول أن تستعرض عناوين صف من الكتب ماذا تجد؟ عندما يكـون لـديك خزانـة داخلـها خمسون كتاباً، معناه داخلها خمسون رجّالا، أليس كذلك؟ داخلها خمسون رجّال.

يقدم لك البخاري، ومن هو البخاري؟ هو اسم بخار؟ لا، رجَّال، ومعك ابن تيمية رجَّال، ومعك محمد بن عبد الوهاب رجَّال، ومعك الهادي يحيى ابن الحسين رجَّال، ومعك مكتبة، تجد عند ما يقول لك: نحن لا نريد نتبع الناس، ولا شيء، نحن نتبع سنة رسول الله، وأعطاك البخاري، وأعطاك مسلم، وأعطاك كتاب لمحمد بن عبد الوهاب، وأعطاك كتاب لمقبل، وأعطاك كتاب لابن تيمية.

لاحظ كم معك! قائمة رجال، اكتب أسماءهم، ألم يدخل لك ناس؟ لا تتصور بأن الحق والباطل يمكن أن يكون شيئاً لا علاقة له بالناس، لا أحد يستطيع أبداً، إلا إذا الحق والباطل يمكن أن يعلب كبسولات، حتى يأكل واحد حبه بعد كل أكله، ممكن؟! لا يوجد.

الحق له أعلامه، وهو مسيرة ناس، لا أحد يستطيع أن يتخلى عن هذه، والباطل مسيرة ناس لها أعلامها، طريق لها أعلامها، ولها دعاتها، ويسير عليها الصفوف الكثيرة من الناس؛ ولهذا جاءت سورة [الفاتحة] تتحدث بأنه طريق الحق واحدة، في مقابل طريقين، من هنا، ومن هنا، طريق مغضوب عليهم، وطريق ضالين

{اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} نحن لا نريد أن نمشي على صراط المغضوب عليهم. أليست كلمة غير المغضوب عليهم [الألف واللام] : موصول حرفي؟ تعني ماذا؟ المغضوب عليهم، أليست تعني ناس؟ أي: لا أريد صراط المغضوب عليهم، {وَلاَ} أريد صراط {الضَّالِّينَ}.

فسورة [الفاتحة] تقرر قضية مهمة، قضية مهمة جداً هي: أن تفهم أن الصراط المستقيم صراط ناس، وأن صراط المغضوب عليهم صراط ناس، وصراط الضالين صراط ناس، الله يقول لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهو نبي يوحى إليه مباشرة يقول له: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}(الأنعام٩٠) يعرض له قائمة من الأنبياء، إمش على مسيرة هؤلاء.

لماذا أمشي على مسيرة هؤلاء وجبريل يأتيني مباشرة من عندك؟! هكذا، لا بد، إنها مسيرة إلهية، لها أعلامها. هل محمد بحاجة أن يمشي وراء أحد من الأنبياء وجبريل يأتيه مباشرة من عند الله؟ فما معنى أن يقول الله له: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}؟ لأن هذه سنة إلهية، سنة إلهية، ومسيرة إلهية، تتجسد في مسيرة أوليائه من الأنبياء والصالحين، وورثة كتبه، وأعلام دينه.

{الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} أنعمت عليهم بماذا؟ بالمال، أو أنعمت عليهم بصحة الأجسام؟ نحن في مقام البحث عن الهداية، أي: الذين أنعمت عليهم بالهداية، هذا شيء آخر يؤكد إقرارنا بأن الهداية هي من عندك، إهدنا، وأولئك الذين هديتهم، ونحن نريد أن نسير على صراطك الذي هو صراطهم.

هم أيضاً ممن أنعمت عليهم بالهداية، أي: أن كل هدى يحصل للناس، يحصل لملك من ملائكة الله، أو يحصل لنبي من أنبياء الله، أو يحصل لأي إنسان هو من عند الله، لا أحد يستطيع أن يهدي نفسه بعيداً عن الله، لا أحد يستطيع أن يهدي نفسه، ويرشد نفسه، لا في حياته، ولا لآخرته بعيداً عن الله سبحانه وتعالى.

فهذه السورة تؤكد على مسألة الربط بالله، أنك بحاجة إلى أن ترتبط بالله مباشرة، حتى وإن كنت نبياً يوحى إليك، حتى وإن كنت تحفظ القرآن عن ظهر قلب، حتى وإن كان ذكاؤك على أرقى درجة من الذكاء، مهما كنت، إنك بحاجة إلى ارتباط يومي بالله؛ ليمنحك الهداية، وليبصرك صراط الذين أنعم عليهم.

{غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ} أولئك الذين طريقهم طريق باطل بتمرد مع علم. {وَلاَ الضَّالِّينَ} وهم الكثير، طريقتهم ضالة، وهم على ضلال، علموا أو لم يعلموا. نحن لا نريد أن نسير في طريق هؤلاء، ولا في طريق هؤلاء. إلهنا اهدنا إلى صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

يقال في تفسيرها، بأن المغضوب عليهم: هم اليهود، والضالين: النصارى. الآن في الدنيا الطريقة التي ترسم في العالم هذا كله طريق من؟ أليست طريق اليهود والنصارى؟ نحن المسلمون هل يهمنا هذا الأمر، ونحن نرى أن

الطرق التي تسيطر في هذه الدنيا، الصراط الذي يرسم للبشرية في هذه الدنيا، حتى داخل بلدان المسلمين، هو صراط اليهود، وصراط النصارى، طريقة اليهود، وطريقة النصارى!.

الطريقة التي رسموها للبشر يسيرون عليها في كل مجالات حياتهم: في السياسة، والاقتصاد، والثقافة، وغيرها، أليست كلها من عند اليهود والنصارى؟ أليسوا هم الآن من يرسمون طريقين؟ طريقين في الدنيا، ونحن المسلمون مع علمنا بذلك لا يهمنا، ونحن نرى أن الدنيا غارقة في بحر من الضلال، يتمثل في صراط الذين غضب عليهم، وصراط الضالين، لا يهمنا أن نبحث عن صراطه المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم! هل يهمنا هذا؟ القليل من الناس من يهمه هذا، ممن يعرفون أن الهداية قضية مهمة، وأنه أن يسير على طريق اليهود، أو على طريق رسمها النصارى، أو رسمها اليهود، أن هذا ضلال.

الله يقول لنا في سورة [الفاتحة] التي نقرؤها كل يوم، نحن لا نريد طريق الضالين، نحن لا نريد طريق المغضوب عليهم، أليس هذا ما تعنيه [الفاتحة]: {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}؟ نحن لا نريد الضالين، لا نريد المغضوب عليهم، نقول يومياً هكذا: لا نريد طريقهم، لا نريد صراط الذين غضبت عليهم، لا نريد صراط الذين هم ضالون، ونحن نسير على صراطهم، ونحن نمشي على طريقتهم، ونحن نتثقف بثقافتهم، وتحكمنا قوانينهم، وسياستنا تسير على الأسس التي وضعوها!!.

لأننا لا نفهم، نتحدث ولا نفهم، نصلي ولا نفهم، ونرى كل شيء من حولنا ضلال، وباطل، ولا يهمنا ذلك، وكأن كل شخص منا لديه [تصاريف] التي يسمونها [تصاريف] أو لديه مناعة بأنه لا يمكن أن يضل! ضلال هكذا تلقائياً، كل واحد منا مع علمه بأن الدنيا مليئة بالضلال يتصرف لا يهمه أن يبحث عن الهدى، ولا أن يهتدي، ولا يهمه الموضوع، أنه ربما أكون على ضلال، ربما أكون على ضلال، لا احد يتساءل، نمشي في الدنيا وكأننا محصنين، لدينا مناعة من الضلال!.

أليس هذا هو الشعور السائد لدينا؟ كل شخص يمشي في الدنيا وكأن لديه مناعة من الضلال، أو هو لا يبالي ضل أو لم يضل، المهم أن أمشي [وين ما غدّرت باتت] لا يهمه أن يقع في الضلال.

ولكن هذه السورة تؤكد لنا، ونحن نقرأها كل يوم عدة مرات: أن قضية البحث عن الهداية قضية مهمة، وأن الوقوع في صراط المغضوب عليهم، أو في صراط الضالين قضية خطيرة جداً، تتردد على مسامعنا كل يوم عدة مرات، كم نقرأ الفاتحة في اليوم والليلة؟ عددوا، الفرائض مع النوافل التي نصليها كم تطلع الفاتحة؟ كم، كم تطلع؟ ما يقرب من عشرين مرة نقول في اليوم الواحد {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}.

عشر مرات بالنسبة للفرائض، ألسنا نقرؤها في الصلاة الواحدة مرتين نقرؤها؟ بل الآخرون يقرؤونها أكثر منا، في اليوم أضعاف، أليس الوهابيون يقرؤونها في كل ركعة؟ [عادهم مننا وكذاك].

فلاحظ أنه هذا العدد الكبير في اليوم والليلة، ونحن لا نفهم بعد، لا نلتفت ونتساءل لماذا أردد هذه العبارة في اليوم والليلة هذا العدد الكبير؟ لماذا؟ هل أحد يتساءل؟ لا نتساءل، ونصلي، يصلي واحد عمره لما قد هو شيبة، لا يتساءل، لا يقف مرة مع نفسه يتساءل لماذا تفرض الفاتحة بالذات من بين كل السور؟ ولماذا نرددها هذا العدد كل يوم وليلة، ماذا يعني؟.

ستجد أن الفاتحة ـ كما قلنا سابقاً ـ الذي أخذ أكثر مساحة فيها هي مساحة الهداية، والخوف من الضلال. القرآن بكله يدور حول هذا الموضوع، هو أن يهدي الناس، ويبعدهم عن الضلال، وهذا هو خلاصة القرآن، خلاصة الدين بكله، خلاصة أن هذا العمل بكله هو أن نهتدي، ونبتعد عن الضلال.

لكن لا يهمنا أن نهتدي، ولا نبالي أن نقع في الضلال، هذه هي المشكلة، الله رحيم بنا، ولاحظ هذه من مظاهر رحمته أنك تجد الصلاة مظهر من مظاهر رحمته؛ لأنه داخل الصلاة يذكرك بأشياء مهمة داخلها.
{اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} جعلها ذكر نردده عدة مرات؛ لأنه يريد لنا أن لا نقع في الضلال؛ لأن الضلال خطير علينا، في الدنيا وفي الآخرة.
ماذا أعمل لكم سأشرّع لكم صلاة تذكرون فيها، ترددون فيها هذا الذكر، ولكن نردده ولا نلتفت ماذا يعمل الباري لنا، هل هناك وسيلة أخرى؟ عمل كل شيء، الشيء الذي لا يمكن أن يعمله أبوك، ولا أمك، ولا أرحم الناس بك.
قد تأتي أمك تقول لك: [يا تحرق] مرتين، ثلاث، أليس كذلك؟ بعدها ستقول: [بو يدا، لا جعلك] أليسوا يقولون هكذا أحياناً؟ أبوك يقول لك: [ارجع يا وليد، إرجع يا وليد] مرتين، ثلاث، [أحسن لك ترجع، ولا فبويدا، إنشاء الله تسقط من على جلح] على ما بيقولوا... ماذا يمتلك أبوك، أو أمك؟ تردد تحذيرك، وتنبيهك على الخطورة. أما الله فيذكّرنا في الصلاة قولوا دائماً: {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}؛ لأن الهداية مهمة بالنسبة لكم، والضلال خطير جداً عليكم في حياتكم، ووراءه جهنم، رددوها كل يوم عدة مرات، رددوها.
رددناها ولكننا لا نفهم ماذا يعمل لنا الله، ماذا يعمل بعد هذا، مظهر من مظاهر رحمته العظيمة، مظهر من مظاهر أنه رحيم بنا، رؤوف بنا؛ ولهذا جاءت آية: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} متكررة، بسم الله الرحمن الرحيم. تجد رحمة الله ماثلة أمامك في كل شيء بشكل لا أحد من الناس مهما كان يرحمك يمكن أن يكون على هذا النحو أبداً. لكن كما قال الله: {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}(عبس١٧) {إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}(الأحزاب٧٢).
الإنسان ظلوم جهول، جهول لا يرضى أن يفهم، لا يرضى أن يعقل {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}(الأحزاب٧٢) ظلوم، جهول، يظلم نفسه، ويظلم الآخرين، ويتنكر للنعم عليه، وجهول، يعجبه أن يبقى جاهلاً، لا يفهم، لا يرضى أن يفهم.
تعليم إلهي يتكرر، ينبهنا على قضية مهمة. ولاحظوا كم أعمارنا! قد يكون أنا عمري أربعة وأربعين سنة، وعمر آخر قد يكون خمسون سنة، أو ثلاثين سنة، أو عشرين سنة، كم تصلي أنت في العشرين السنة؟! هل وقف أحد منا مرة من المرات خلال العشرين سنة، أو الأربعين سنة، وهو يصلي ليتساءل أنه يريد أن يفهم معاني الصلاة؟ ويفهم أنه لماذا [الفاتحة] ولماذا نردد {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}؟ وماذا يعني كل هذا؟ وماذا يدل عليه بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟ من أنه دلالة على رحمته العظيمة بنا.
لا نتساءل نركّع يومياً صلاة جوفاء، وسنة بعد سنة، ستين سنة، سبعين سنة، ويموت وهو بعد لم يعرف الصلاة، أليس هذا من الظلم، والجهالة؟ {إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}.
عندما نتحدث ـ كما تحدثنا بالأمس، واليوم ـ حول قضية استعراض الخطورة من جانب الأمريكيين، والإسرائيليين وأن نحاول أن نعمل شيئاً، ولو أن نقول: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، بعبارات بسيطة أن نقولها، هي أشياء أيضاً لا نلمس قيمتها، ولا أهميتها، ولا نلمس الحاجة الماسة إليها، هكذا لا نتفهم، والإنسان الذي لا يتفهم، ولا يعي، ولا يحاول دائماً أن يتفهم كل شيء، سيكون كل شيء لا قيمة له عنده.
الصلاة التي سميت خير الأعمال في حديث عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وينادى لها بلفظ: [حي على خير العمل] هي مرتبطة بكل شيء، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، بمعرفتك بالله، مرتبطة بكل شئون الحياة الأخرى.
لا نتفهمها، هي خير الأعمال، جاء عمر حذف [حي على خير العمل] قال: الناس قد يركنون على الصلاة، ويتركون الجهاد إذا قلنا: حي على خير العمل! إن من يصلي صلاة صحيحة، من أول لفظة فيها سينطلق مجاهداً في سبيل الله، إذا ما وعى الصلاة، إذا ما فهم الصلاة، سيكون أعظم مجاهد في سبيل الله، لكن عمر لا يفهم

[حي على خير العمل] حذفها، ورسول الله كان يؤذن بها، وكان الجهاد في عصر رسول الله في مرحلة أحوج ما يكون الناس إليه.

هي خير الأعمال، هي تشحن قلوب المؤمنين إذا ما فهموها بالروح الجهادية، المساجد نفسها هي قلاع للجهاد وليست [مكاسل] كما هو الحال، أو منابر لإضلال الآخرين، كما هو الحال بالنسبة للمساجد في هذا الزمن. قال: احذفوا [حي على خير العمل]؛ لأن لا يتثبط الناس عن الجهاد، ويركنوا إلى الصلاة!.

الصلاة إذا ما صلينا صلاة بمعناها الحقيقي هي من تدفعك إلى الجهاد، وتدفعك إلى أن تعمل كل عمل فيه رضا لله سبحانه وتعالى، وإذا لم تفهم معنى الصلاة فلو قيل فيها [حي على خير العمل] ست مرات عند النداء لها لا ينفعك شيء، ولا يؤثر في نفسك شيء.

أيضاً قد يقول ـ باختصار حتى لا يطول الموضوع ـ قد يقول الإنسان: والله الدنيا مليء طوائف، وكل يدّعي أنه على حق، وذاك يدعي أنه على باطل، ما عاد عرفنا من هو الذي على حق، ومن هو الذي على باطل؟ أليس هكذا يقولون؟.

تصلي ركعتين فقط، تصلي ركعتين بتأمل، وستعرف من هم أهل الحق، بل الصلاة بكلها تعطيك فهماً للمعتقدات التي هي حق، في هذا الجانب، أو حق في هذا الجانب، أو باطل هنا، أو باطل هنا، الصلاة نفسها، أذكارها؛ لأن دين الله هو منظومة متكاملة، ومنسجم مع بعضه بعض.

هل يمكن أن تكون هناك معتقدات تتنافى مع [الله أكبر]؟ إذا كان هناك عقيدة تتنافي مع [الله أكبر] فهي عقيدة باطلة، إذا كان هناك عقيدة تتنافى مع [سبحان الله العظيم وبحمده] و[سبحان الله الأعلى وبحمده] و[سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر] أليست هذه هي من أذكار الصلاة؟ الصلاة فيها تكبير لله، وفيها تسبيح له، أليس التسبيح أيضاً هو من أكثر الأذكار في الصلاة، التسبيح؟ تسبيح في القيام، وتسبيح في الركوع، وتسبيح في السجود.

أن أقول: سبحان الله، وكلمة سبحان الله هي تنزيه لله سبحانه وتعالى، تنزيه له عن كل ما لا يليق بكماله.

....

[تجد أن عقائدهم متنافية مع الصلاة، متنافية مع القرآن، متنافية مع أذكار الصلاة] أليس هذا يدل على أن عقائدهم باطلة من يعتقدون هذه؟

وأنت تجد أن عقيدتي منسجمة مع سبحان الله هكذا حقيقة نجد أن عقائدنا في الله سبحانه وتعالى منسجمة مع تسبيحه، وتقديسه. وكلنا نتفق على سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو قل هم أحياناً لا يقولونها في الصلاة لكنهم يسبحون في الركوع، والسجود، هم يقرؤون الفاتحة، الفاتحة أو التسبيح أو التكبير، كلها، كلها يمكن أن تستخدم مقاييس لمعرفة الحق والباطل، عندما يأتي شخص يعتقد بأنه يجب طاعة السلطان الظالم، وأن من حكم المسلمين تجب طاعته، وإن كان من كان، ما لم يظهر كفراً بواحاً!.

هل هذا منسجم مع جلال الله وحكمته وعظمته؟ أم أن هذا القول يتنافى مع ذلك، فنحن نقول: سبحان الله، ننزهك أنت، ننزهك أنت يا الله عن أن توجب علينا طاعة عدو من أعدائك، وأنت العدل الرحيم الحكيم، توجب علينا طاعة المفسدين والمسرفين والظالمين في الأرض. أليس هذا مما يجب أن ننزه الله عنه؟.

إذاً التنزيه لله عنه هو معنى سبحان ربي العظيم، أو تقول سبحان الله العظيم وبحمده، أنت عظيم في تشريعك، أنت عظيم في رحمتك، أنت عظيم في هدايتك، لا يليق بأن ننسب إليك أنك توجب علينا طاعة عدو من أعدائك، وطاعة ولي من أولياء الشيطان، الشيطان الذي لعنته وطردته، وقلت بأنه عدو لنا، هل توجب علينا طاعة ولي من أوليائه؟!.

عقيدة من يعتقد هذه هل هي منسجمة مع التسبيح أو متنافية مع التسبيح؟ متنافية مع التسبيح. إذاً هو عندما يسبح يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده هو يشهد على نفسه بالباطل، وأنه يكذب على نفسه، ويكذب على

ربه، هو يقول: سبحان ربي وهو يعتقد عقيدة نسبة الباطل إلى الله، نسبة القبائح إلى الله، نسبة المعاصي إلى الله.

ألم يقولوا هكذا؟ أن كل شيء بقضاء وقدر، وكل شيء يحصل في الدنيا الله قضاه وقدره، الباطل وجميع أنواع الفواحش هي من الله! هل يليق بأن ننسبها إلى الله؟ إذا ما قلنا بأن الله هو الذي يخلق المعاصي، ويخلق الفواحش، وهو يقدرها! عمل من هذا، عمل من؟ أليس عملاً أسوء من عمل إبليس؟ إبليس ماذا يعمل؟ يوسوس، ومع هذا لعنه الله، وطرده، وأخزاه، وأحبط أعماله، وحذرنا منه، وقال: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}(فاطر٦) {اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً}(الأعراف١٨) {لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}.

ثم ينسبون إلى الله ما يصبح إبليس مسكيناً عند الله، ما يجعل الله سبحانه وتعالى أسوء عدة مرات من إبليس! هو قدَّر المعصية، هو خلقها! والشيطان إنما يوسوس. من هو الأسوء؟ الذي يأمر بالمعصية، أو الذي يخلقها، أو الذي يقدرها، أو الذي يجبرك عليها، على فعل القبائح، أم الذي يوسوس؟ من هو أشد ضرراً، من هو الأسوء؟ أليس هو الذي يقدِّر، ويخلق المعصية؟. هم جعلوا الله أسوء من الشيطان!.

إذاً نقول: سبحان الله العظيم، أنت عظيم نسبحك، وننزهك عما ينسب إليك هؤلاء، هم يقولون كمثلنا: سبحان، لكن سبحان عندهم قولاً فقط، وعقائدهم كلها منطوية على نسبة القبيح إلى الله، على أن في شريعته ما يتنافى مع عظمته، وهل الله سيتعامل مع القول أم يتعامل مع ما تنطوي عليه القلوب؟ ما تنطوي عليه القلوب.

أنت عندما تكون عقيدتك باطلة، ثم تقول: سبحان الله، هل الله سيتعامل مع كلمة سبحان، وأنت تقولها لقلقة، أم سيتعامل مع ما ينطوي عليه قلبك؟. عندما قال المنافقون: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}(المنافقون١) ماذا قال الله لهم؟ {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} هو يعلم أنهم في قرارة أنفسهم مكذبين بأنه رسول الله، هم يقولون قولاً، وأكدوا {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} ألم يسمهم كاذبين؟.

ذلك الذي يقول: سبحان ربي العظيم، وهو ينطوي على عقائد باطلة تتنافى مع تنزيه الله، إنه كاذب، وإنه في نفس الوقت يشهد على نفسه بالباطل، يشهد على نفسه بأن هذه العقيدة، كل من يفهم لا يجوز أن ينسبها إلى الله.

فتسبيح الله في الصلاة هو تنزيهه في ذاته، وتنزيهه في أفعاله، وتنزيهه في تشريعاته، لا يجوز أن ينسب إليه ما لا يليق نسبته إليه، لا يجوز أن ننسب إليه ما يقتضي تشبيهاً له بخلقه، ولا ما يقتضي تجسيماً، لا يجوز أن ننسب إليه في أفعاله ما يجعله ظالماً، أو يجعله يتصرف تصرفاً يخرج عن الحكمة، تصرفاً عبثاً، تصرفاً ليس فيه حكمة.

أيضاً هذه قضية مهمة جداً، تنزيهه في تشريعاته عما لا يليق به، أنت عندما تقول أنك توحد الله فأنت لا تشبهه، لكنك تعتقد في تشريعاته ما لا يجوز نسبته إليه، فإن المسألة واحدة كما لو شبهته؛ لأن المشكلة هي فقط مشكلة أنك ستضيف نقصاً إلى الله، تقدم الله ناقصاً وهو سبحانه وتعالى ذو الجلال، وهو الكامل الكمال المطلق.

فتنزيه الله في تشريعه قضية مهمة، وعندما ترى أي عقيدة وإن جاء بعدها ستين ألف حديث وأنت تراها لا تنسجم مع تنزيه الله سبحانه وتعالى، مع تسبيحه، تؤدي إلى نسبة القبح إليه، فلا يمكن أن تكون صحيحة.

القرآن الكريم كله يدور حول الثناء على الله، أليست أول لفظة نقولها في الفاتحة بعد {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}(الفاتحة١) {الْحَمْدُ للّهِ}(الفاتحة٢) لاحظ كم التناقض الكبير بين من يعتقد بأن الله سبحانه وتعالى يقدر القبائح، ويقدر كل هذه الأشياء السيئة، وبين قوله: {الْحَمْدُ للّهِ} الحمد لله هي شهادة لله سبحانه وتعالى أنه يستحق الثناء؛ لأنه عظيم؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يصدر منه ما يعتبر نقصاً، ما يعتبر عيباً.

الناس عندما يثنون على شخص معين أليس على أساس أنه صدر منه ما يستحق به الثناء؟ وعندما يلومون شخصاً أليس على أساس أنه صدر منه ما يستحق به أن يذم؟ عندما أقول: الحمد لله هي شهادة بالثناء على الله، وأن الله أهل الثناء.

أنت عندما تعتقد بأن القبائح من الله، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وأن كل شيء بقضاء وقدر، وأن كل شيء في هذه الدنيا يحصل من أعمال الناس هو بقضاء وقدر، وأن الله يريده، ما هكذا عقيدتهم؟ إذاً الله هو وراء كل شر، والله وراء كل قبيح، والله وراء كل مذمة؟! أليس معنى هذه أنه أرادها وقدرها؟.

إذاً فهل من هو وراء كل شر وقبيح يستحق أن تثني عليه؟ ألم يلعن هو إبليس؟ ألم يلعن الله إبليس وذمه {اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً} وهو فعل فعلة واحدة في البداية استحق بها أن يذم، وأنت تضيف إلى الله آلاف الجرائم والقبائح! فكيف تقول بأنه يستحق أن تثني عليه؟!

إن من هو مصدر القبائح، ومصدر الفواحش، ومنه الشر، ومنه السوء ـ هكذا خلاصة عقيدتهم ـ هل هو جدير بأن يثنى عليه وهو هو من لعن إبليس على واحدة منها، مما ينسبونها إلى الله!. إذاً فهم عندما يقولون: الحمد لله، أليست شهادة بالثناء على الله؟ تثني عليه وأنت تعتقد أنه وراء كل قبيح، ووراء كل شر في هذه الدنيا، وأن كل عمل يصدر من الناس في هذه الدنيا هو بإرادة الله!.

هم هكذا يقولون ـ إقرؤوا [العقيدة الواسطية] وشرحها ـ إن كل شيء يحصل في هذه الدنيا الله يريده، والله يقضيه ويقدره! إذاً فهل الله على مقتضى قولهم هذا يستحق أن يُثنى عليه؟ أبداً.

فهو يعلمنا بأن الحمد له، {الْحَمْدُ لِلّهِ}، الثناء لله؛ ولنفهم أنه أهل للثناء، وأن شهادتنا بأنه أهل للثناء هي تعني أنه يجب أن ننزهه عما يتنافى مع الثناء عليه، فترى عقائدهم متنافية مع الصلاة، متنافية مع القرآن، متنافية مع أذكار الصلاة، متنافية مع كل شيء في هذه الدنيا، عقائدهم يشهد كل شيء بأنها باطلة؛ لأن كل شيء يسبح الله، {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}(الجمعة١).

فكل شيء يتنافى مع التنزيه لله فإن كل شيء يسبح لله هو شاهد على بطلان هذه الشيء، أنه باطل، لا يجوز أن ينسب إلى الله، سواء كان فيما يتعلق بذات الله، أو بأفعاله، أو بتشريعاته.

البعض يقول لك: [ما احنا عارفين من هم أهل الحق ومن هم أهل الباطل]! لأننا نحن لا نفهم وإلا فركعتان فقط تصليها تعرف أهل الحق وأهل الباطل، ثم وأنت تقول: إهدِنَــــا الــصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}(الفاتحة٦) أنت تقر بأنك تريد تبحث عن صراط ناس أنعم عليهم.

أنت إذاً في منتهى المسيرة وأنت تتشهد في الخروج من الصلاة تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أليس كل المسلمين يقولون هذه؟ إذاً لماذا لا تفهم وبأدنى التفاتة يمكن أن يفهم أي واحد أنه لا يمكن أن يكون ضمن أذكار الصلاة ـ هذه العبادة المهمة ـ أمر لي أقوله بلفظ دعاء: صل يا إلهي على محمد وعلى آل محمد، إلا ومحمد وآل محمد هم ممن أنعم عليهم.

فأنا عندما أقول: {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} إن الصلاة، هذا الذكر الأخير الذي يذكر لمحمد وآل محمد يشهد بأنهم هم من أنعم عليهم بالهداية، وبأن يكونوا أعلام هدايته، وأعلام دينه، إذاً فأسير على صراطهم؛ ولهذا جاء في تفسير {اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ} عن جعفر الصادق أو عن الباقر: صراط محمد وآل محمد.

وحتى لو لم يأت أي حديث فإن أي إنسان سيفهم، لم أجد في الصلاة ذكر لأحد غير محمد وآل محمد، أمرت بأن أصلي عليهم وأنا في منتهى المسيرة. ثم حينئذ سأجد ماذا؟ سلاماً، فلا ضلال، فلا صراط المغضوب عليهم، ولا

صراط الضالين، تخرج من الصلاة بسلام. ألست ستخرج منها بسلام؟ وفعلاً ستكون مسيرة تنتهي بالسلام؛ إذا كنت ممن يفهم الصلاة، تنتهي مسيرة الصلاة بسلام.
أنا أريد أن أعرف صراط الذين أنعمت عليهم، يأتي في آخر الصلاة إرشاداً لي وأنا أقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. هل يمكن أن أقول بأن آل محمد ضالين، ودجالين، وأنا من البداية أبحث عن صراط الذين أنعمت عليهم، وهو هو يشرّع لي في الصلاة أن أصلي على محمد وآل محمد إلا وهذا يعني أنهم هم من أنعم عليهم بالهداية...

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

وأنفقوا في سبيل الله[1]

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢/٩/٢٠٠٢م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أيها الإخوة والأبناء ورحمة الله وبركاته.

هنيئاً لكم ونبارك لكم حفلكم العظيم بمناسبة انتهاء الدورة، حفل وتكريم للمعلمين أولاً، وتكريم للطلاب، واعتراف بالعرفان لكل من أسهموا بجهودهم في تمويل هذه الدورة المباركة، لكل من أسهموا في إنشاء ذلك المركز الذي ضم هذه النخبة من المعلمين، وضم فلذات أكبادنا من هؤلاء الأبناء الصالحين إن شاء الله.

إنها نعمة عظيمة يجب أن نشكر الله سبحانه وتعالى عليها، نعمة الهداية، نعمة الصلاح، نعمة الدين، نعمة الإستقامة، هذه هي النعمة الكبرى التي لأجلها عدَّ الله سبحانه وتعالى إرساله لرسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نعمة امتن بها على عباده، فنحمدك اللهم على هذه النعم العظيمة ونصلي ونسلم على من أرسلته بهذا الذكر العظيم رحمة للعالمين.

نرى في هذا الحفل ثمرة لجهود من يبذلون أموالهم وليعلموا ـ وهو حديث نكرره دائماً في أي مركز نزوره ـ ليعلم أولئك الذين يسهمون بأموالهم، يسهمون بجهودهم، بالكلمة الطيبة في سبيل إنشاء مثل هذا العمل، مثل هذه المشاريع المباركة، نقول لهم: هذه ثمار جهودكم، هذه ثمار جهودكم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبلها منكم، وأن ينميها لكم، لتأتوا الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بصحائف مملوءة بالحسنات، مملوءة بالفضيلة، مملوءة بالدرجات التي ترتقون بها في الجنة التي وُعِدَ بها المتقون، السباقون إلى الخير، السباقون إلى الفضيلة، السباقون إلى العمل الصالح.

إن القرآن الكريم ـ أيها الإخوة ـ تحدث، وكله حديث عن الناس، القرآن كله حديث عن الناس، وقسَّم الناس أقساماً متعددة، ترى بداخله يتحدث عن كافرين، ناس كافرين، ظالمين، فاسقين، منافقين، مرتابين، مرضى القلوب، وعندما تتصفح القرآن الكريم من أوله إلى آخره تجد فيه موقعاً واحداً هو الموقع الذي يحكم الله لمن هو فيه بالفلاح، بالنجاح، بالفوز، بالسعادة في الدنيا، بالنجاة يوم البعث يوم الحساب، بالفوز بالجنة، بالنجاة من النار، من هم أولئك؟ هم المؤمنون، يعبر عنهم تارة باسم مؤمنين، وتارة باسم متقين.

وهؤلاء لم يحكم عليهم بهذا الحكم مجرد محاباة، هو يتحدث لماذا كانوا مؤمنين، لماذا هم مفلحون وفائزون لماذا؟ لأنهم هكذا: يعملون الصالحات، سباقون إلى الخير، سباقون إلى كل فضيلة، سباقون إلى الأعمال الصالحة، الآخرين يقول عنهم بأنهم خاسرون {فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (البقرة: من الآية١٦) يحكم على البشرية كلها، كلها بالخسران، لا يسلم منهم إلا من؟ إلا أولئك المؤمنون {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر:٣).

كأنه يقول لنا يقول لكل فرد منا: هذه مواقع متعددة للإنسان في مسيرته في هذه الحياة، هناك من هو في موقع الكفر، في موقع النفاق، في موقع الفسق، في موقع الضلال، وهناك من هو في موقع الإيمان، يقول لنا ثانياً: أولئك الذين هم مؤمنون ليسوا من تلك النوعية التي يرى أنه مؤمن تلقائياً، وهذه كثيرة فينا، [هناك من الناس من يرى] أنه مؤمن تلقائياً، لكن، إنطلق إلى أعمال صالحة، لا يتحرك، وإلى مشروع خيري يحتاج إلى إسهام فيه، لا يمد يده، لدينا فقراء، نحتاج إلى التعاون معهم، لتزويجهم، لمعالجتهم، لا يمد يده، لدينا طلاب مجاميع من أبنائنا نريد أن نعلمهم، لا يمد يده، لدينا أعمال لمحاربة أعداء الله تحتاج إلى جهدك إلى مالك، لا يمد يده، وعندما تسأله: هل أنت مؤمن؟ يقول: الحمد لله مؤمن إن شاء الله أننا سندخل الجنة.

القرآن يقول لك، يقول لكل واحد، الإنسان إنما يستحق هذا الإسم، إنما يحكم له بذلك الفوز، وذلك النجاح وذلك الفلاح؛ لأنه هكذا: يسارعون في الخيرات، سباقون إلى الخيرات، يعملون الصالحات، يتواصون بالحق، يتواصون بالصبر {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} (العصر:٢) كل إنسان خاسر إلا من؟ إلا الذين آمنوا، من هم الذين آمنوا؟ الذي يتفق هو ونفسه بأنه مؤمن، وينكِّس رأسه، ولا يحاول أن يلتفت إلى أي عمل صالح ليسهم فيه بماله بلسانه بجهده؟ لا. {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (العصر: من الآية٣) عملوا، عمل {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (آل عمران: من الآية١٣٦) قال الله عن الجنة: {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} الجنة تحتاج إلى عمل، العمل هو بيدك، بلسانك، بقلمك،

بمالك، بجهدك، وبما هو أرقى من ذلك، بكل مالك، وبروحك، بدمك {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} (التوبة: من الآية١١١) **الجنة التي نحن نُمنّي أنفسنا بها، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون جميعاً من أهلها، الله قال عنها: {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.**

أريد بهذا القول أن نخرج جميعاً، لا أزكي نفسي، لنخرج جميعاً من قضية الحكم التلقائي لنفسي، أو أنت لنفسك، هو مؤمن ولا يريد أن يعمل إلا الأعمال التي تتعلق بشؤون حياته التي من ورائها فلوس، شَغْل بين أمواله، بيع وشراء، وأشياء من هذه، هذا ليس عمل الجنة، هل تفهمون أن كل الأعمال الصالحة التي يتحدث عنها القرآن الكريم، ليست في الغالب، هي هذه الأعمال التي نتحرك فيها لمصالحنا الخاصة.

فهو عندما يأمر الناس بالإنفاق {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (البقرة: من الآية١٩٥) **هل معنى ذلك أنك تتصرف يوم السوق بخمسة آلاف بستة آلاف؟ تشتري [لحم كثير] تشتري مصاريف كثيرة لبيتك؟ لا، كل إنسان يتحدث عنه القرآن هو عادة، وغالباً ما يكون موجهاً إلى ما هو خارج عن دائرة ومحيط شخصيتك.. في سبيل الله.. مثل هذا العمل، مثل هذه المشاريع التي يتلقى فيها أبناؤنا علوم هذا الدين، الذي نحن جميعاً ملزمون به، الذي هو نعمة عظيمة من الله علينا الذي تتوقف عليه نجاتنا ونجاة أهلنا وأبنائنا يتعلمون كتاب الله الذي هو شرف لنا {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}** (الزخرف:٤٤).

الإنفاق في مثل هذه المشاريع هو واحد من مشاريع سبيل الله التي يقول الله لي ولك: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}.

هذا هو ما أريد أن أقوله في مقدمة الكلمة مباركة لجهود كل من عملوا، وجهود الطلاب أنفسهم الذين كانوا يستمعون باهتمام وإصغاء وإقبال، ويلتزمون ويتأدبون ويتوجهون بتوجيهات أساتذتهم. نقول للجميع: نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا، وأن يبارك جهودنا جميعاً.

فإن كان لي من كلمة - أيها الإخوة - ترتبط بهذا المقام فإن أعظم الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي جعله الله هدى وشفاء وموعظة ونوراً ورحمة وبصائر، القرآن الكريم في الوقت الذي يتحدث فيه عن الأعمال الصالحة، هو لا يقول فقط كما يقول لك أي شخص عندما تأخذ لك نوعاً معيناً من بضاعة ما وتتحرك به إلى أي سوق من الأسواق فتحصل على كذا وكذا، الأعمال الصالحة من ورائها ماذا؟ من ورائها نجاة من عذاب الله، من ورائها فوز برضوان الله سبحانه وتعالى وجنته.

فما أحوجنا - أيها الإخوة - ما أحوجنا إلى مثقال ذرة من الخير، إلى مثقال ذرة من الأعمال الصالحة تحسب لنا في رصيد أعمالنا يوم نلقى الله سبحانه وتعالى؛ لأننا جميعاً صائرون إلى الله، جميعاً سنغادر هذه الدنيا، سنقدم على الله سبحانه وتعالى.

فمنذ أن يقبل الموت على الإنسان هناك يتذكر يقول: {رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} (المنافقون: من الآية١٠) **عندما يهجم الموت عليه أولاً وهو فوق فراشه أو في أي مكان في أي بقعة من هذه الدنيا بسرعة، بسرعة يتحسر - وهي أول حسرة - رب لو أنك تمهلني أسبوعا أسبوعين، يوم أو يومين، وأنا مستعد أن أتصدق وأكن من الصالحين، أليست هذه حسرة؟ ناهيك عن الحسرات يوم الفصل، يوم القيامة، عندما يقدم الإنسان وصحيفته خالية إلا من الأعمال السوداء، إلا من القبائح، إلا من الفضائح، إلا من الكفر بنعم الله، إلا من الصد عن سبيل الله، فيكون من يصيح عندما يؤتى كتابه بشماله، من وراء ظهره، يقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}** (الحاقة: من الآية٢٥).

تحسر أول حسرة عندما شاهد الموت وعلامات الموت {رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} هناك ينكشف للإنسان أنه ضيع حياته وضيع عمره، وهناك ينكشف للإنسان أنه شيء واحد فقط الذي كان لو اهتم به ووفره لنفسه لكان مرتاحاً عندما يأتيه الموت، فيرى بشارات النجاة بشارات السعادة، فيقال

له لو عرض عليه أن يعود إلى أهله ويبقى لرفض، عندما يرى بشارات بما وعده الله سبحانه وتعالى به، وهو ما زال فوق فراشه، هناك يرى الإنسان عندما يتحسر أنه فقد الأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة.

ولاحظوا هذه الآية التي هي تعبر عن الحسرة التي تواجه الإنسان عندما يرى ملائكة الموت، تحدثت عن الجانب المالي: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} ليقول لنا نحن، تحدث عن ظاهرة هي فينا جميعاً [أنا مؤمن] لكن لا يمد يده، ليقول لنا هنا أيضاً: لا تتصور، لا تعتقد أنه من الممكن أن تكون مؤمناً صادق الإيمان ولا تعترف بأن المال يشكل المحك الرئيسي في قضية الإيمان، في صدق الإيمان، في صدق العبودية لله سبحانه وتعالى.

إذا أنت تقول لنفسك: أنت مؤمن، أو أقول أنا لنفسي: مؤمن، ولكني لا أبذل مالي، لا أعطي، لا أعطي في سبيل الله، لا أدعم الأعمال الصالحة، لا أدعم المشاريع الخيرة، فلست بمؤمن، لست بمؤمن، ما أكثر ما تحدث الله عن الجانب المالي في القرآن الكريم، ودليل واضح أن ذلك الميت الذي يتحسر تذكر جانب المال، ظهر له أنه يبدو أن المال كان يعتبر عنصراً مهماً في مسألة النجاة، في مسألة النجاة يوم يلقى الله.

ألم يتذكر هنا: {فَأَصَّدَّقَ} وهو من كان قبل لا يمد يده إلى جيبه، ولا يخرج ريالاً واحداً في سبيل الله، في دعم الأعمال الصالحة، في دعم المراكز الإسلامية، في العمل على إعلاء كلمة الله؟ تذكر هنا عندما يقول: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} يبدو أن المال كان مهماً، وفعلاً هو مهم.

وسورة بأكملها جاءت في الجانب المالي لوحده.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى} (الليل:١-٣) **ثلاثة أيمان،أليست ثلاثة أيمان؟ من الذي يُقسِم هنا، من الذي يقسم؟ هو الله، لماذا يقسم، أليس هو أصدق القائلين؟ في الواقع إن قضية المال بالنسبة لنا، لو يحلف عشرة أيمان ما يهتز لواحد راس، يؤكد بثلاثة أيمان، وهو أصدق القائلين، وهو من لا يحتاج إلى أن يقسم {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى} أقسم بكل مخلوقاته {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}** (الليل:٤) **عملكم في هذه الدنيا مختلف متنوع، وكل عمل له غاية، وكل سائر على طريق له نهاية، إما إلى الجنة وإما إلى النار {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}** (الليل:٥) **أعطى ماذا؟ أليس هذا حديثاً عن المال؟ بعد أن ذكر أن أعمالنا مختلفة، وتحدث من بداية العمل إلى غايته، ابتدأ في الحديث عن المال {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى} أعطى ماله واتقى الله، أعطى في سبيل الله ابتغاء وجه الله {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}** (الليل:٦).

وما أعجب هذه الآية، عودنا القرآن الكريم أن يقدم دائماً كلمة: {اتَّقُوا اللَّهَ} أليس هذا هو منطق القرآن؟ لكن هنا قدم الجانب المالي على كلمة {وَاتَّقَى} ليكشف لنا أهمية العطاء في تحقيق التقوى، في تحقيق الإيمان، في تحقيق أو الوصول إلى الغاية المهمة، الغاية التي هي فوز وفلاح ونجاة {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} بجزاء الله.

الله يقول لنا في القرآن الكريم: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} (الأنفال: من الآية٦٠) **يعطيك الله أكثر مما أعطيت هنا في الدنيا قبل الآخرة {وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} لا تنقصون مثقال ذرة مما أعطيتم، بل يضاعف لكم، لكن هل نحن نصدق بهذه الحسنى؟ الحسنى معناها هنا الجزاء المرتبط بالجانب المالي للإنفاق، والجزاء الموعود بالأعمال الصالحة بشكل عام.**

الجزاء المرتبط بالجانب المالي مثل قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (سبأ: من الآية٣٩) **كلمة: {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} تساوي الحسنى {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}الجزاء الحسن {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} يوف إليكم: هو الجزاء من جهة الله سبحانه وتعالى بسببه أيضاً، أو هي من مصاديق كلمة: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} هل نحن نصدق بهذه؟ أكثر الناس لا يصدق بهذا وهو يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو ملك السموات والأرض، هو من بيده خزائن السموات والأرض، فهو من يستطيع أن يجفف كل منابع أرزاقنا إذا ما أمسك القطر قطر السماء المطر تتجفف كل منابع أرزاقنا، وتشحب وجوهنا، وتجف جيوبنا، وحتى مطابخنا ومنازلنا وملابسنا، كلها، كلها إلى الأدنى فالأدنى إلى الإنحطاط، إلى الذبول، أليس هذا معروفاً وواضحاً؟.**

هذا الذي بيده كل شيء لا نكاد نصدق بوعده، لا نكاد نصدق بقوله: {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} {يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}؛ لهذا الجانب المالي، ليس فقط مرتبط باليوم الآخر، قضية مهمة فيما يتعلق بصدق إيماني بالله.
هل الله عندي عظيم؟ هل الله عندي مصدق؟ هل الله محبوب لدي أعطيه ما سألني؟ أقدم من أجله ما يطلب مني؟ فإذا لم أكن على هذا النحو فمعناه أن المائة الريال هي عندي أحب من الله، المائة الريال عندي أغلى من الله، المائة الريال عندي أعظم مما وعدني به الله في هذه الدنيا وفي الآخرة، فحتى إيماني بالله وإيمانك أنت بالله، الجانب المالي يستطيع أن يقضي عليه، يستطيع أن يهزه؛ ولهذا كانت قضية مهمة فقدمها في هذه الآية: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} (الليل:٥) ييسر من البداية بعدما قال: أعمالكم مختلفة اتجاهين، بداية الإتجاه هو الإتجاه الإيجابي الذي هو الغاية الحسنة يبدأ بالجانب المالي {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} (الليل:٥-٦) فماذا؟ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}(الليل:٧) في الدنيا وفي الآخرة.
ثم يعود من جديد يتحدث عن الطريق الآخر، شتى: مختلف، طريقين، الطريق الأخرى يبدأ أيضاً بالإمساك للمال {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} (الليل:٨) بخل وبدا مستغنياً، الله يقول له: أقرضني وسأرد ما تقدمه أضعافاً مضاعفة، [أنا مستغني عن هذه] أنا سأوفر ربح ما تقدمه ولا تظلم مثقال ذرة، [أنا مستغني] يقول لك المرشد الفلاني، الأستاذ الفلاني، العالم الفلاني، الله سبحانه وتعالى وعد بأن يخلف ووعد بأن يضاعف الأجر إلى سبعمائة ضعف، فتصرف ذهنك، تبدو وكأنك مستغنياً عن الله، مستغنياً عن الحسنات التي تحتاجها يوم القيامة، مستغنياً عما فيه سعادتك في الدنيا، وعما يترتب عليه نجاتك في الآخرة، تبدو مستغنياً، [أنا ما عندي أولاد أدرسهم]، بعض الناس يقول هكذا. عندنا مدرسة تحتاج إلى مساهمة، عندنا مشروع خيري يحتاج إلى مال.. [أنا ما عندي أولاد يحينوا فيها الذين معهم أولاد]، بعض الناس يقول هكذا.
إذا ما رأيت نفسك دائماً تبدو وكأنك مستغنياً عندما يحدثك الناس، عندما يدعوك أحد إلى أن تقدم من مالك فتبخل وتظهر مستغنياً، فانظر ما هي النهاية المرسومة لك {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} (الليل:٨-٩) بالجزاء الحسن فماذا؟ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} (الليل:١٠) في الدنيا وفي الآخرة.
ولو يراقب الإنسان الناس لوجدت كثيراً ممن يبخلون بمبالغ بسيطة يبذلون أضعافاً مضاعفة في مجالات أخرى، مصيبة تأتي له، غريم يقم له، سيارة تقتلب عليه، رياح عاصفة تحطم عليه الموز، برد [يهل البن حقه]، الله سبحانه وتعالى يريد أن نفهم بأنه رقيب علينا ويعلم بذوات صدورنا، ولا يمكن لأحد أن يقدم نفسه ذكياً أمام الله، الله سيخرج ما بخلت به أضعافاً مضاعفة في غير طريقه، في غير محله وبالاً عليك، العسرى في الدنيا وفي الآخرة {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} وفي الأخير ماذا؟ هذا الذي بدا مستغنياً وكأنه ليس بحاجة إلى الحسنات، ليس بحاجة إلى ما يقربه إلى الله، ليس بحاجة إلى ما وعد الله به أولياءه من تعظيم في الدنيا ليس بحاجة إلى المردود الإيجابي من المشاريع الخيرية ماذا؟ {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى}(الليل:١١).
حتى لم يأت القرآن الكريم بعبارة محترمة في الحديث عن هذه النوعية من الناس، {تَرَدَّى} [تقلعب]، عندما يموت، لم يقل: وما يغني عنه ماله إذا مات، تبدو كلمة مات لا تزال مؤدبة محترمة، يعتبر هذا كالحمار الذي يتقلعب مثل الثور الذي يتقلعب {تَرَدَّى} [تقلعب] وهوى، عندما يكون مصيرك إلى هلكة، إلى هاوية يقال تردى {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} عندما يهجم عليه الموت فهو في بداية السقوط إلى قعر جهنم {وَمَا يُغْنِي} لا يستطيع أن يدفع عنه {مَالُهُ} هذا الذي بخل به، والذي بدا مستغنياً من أجل حرصه عليه، لا يغني عنه، لا يدفع عنه، لا يجزي عنه ولو كان مثل الأرض كله ذهباً.
قد يدفع عنك غضب الله في هذه الدنيا مبلغ بسيط من المال، قد يكتب الله لك النجاة بمبلغ بسيط من المال، قد تشتري نفسك وتنجي نفسك وترد نفسك من على شفير جهنم بمبلغ من المال تقدمه في سبيل الله، وأنت لا تزال هنا في الدنيا، لكن في الآخرة لو كنت تمتلك الدنيا كلها ذهباً لما قُبِل منك، ولا أمكن أن يغني عنك، ولا أن يدفع ما أنت صائر إليه، وهم يسوقونك إلى أبواب جهنم.

لهذا ينبغي على الإنسان أن يتأمل ويتفهم مثل هذه السورة ناهيك عن غيرها من الآيات، ثم يقول الله ماذا بعد هذه {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى} (الليل:١٣) أنا غني عنكم، وكأنه يقول لنا ولكن من أجلكم أنتم؛ لأنه يعلم أن الواحد منا يوم القيامة سيتمنى أن لو الأرض بكلها ذهب فيقدمها لله فدية لينقذ نفسه، الله يقول لنا ونحن في الدنيا ـ فهو رحيم بنا ـ أنقذوا أنفسكم، أنا عندما أقول لكم ـ حتى بمنطق يبدو منطق عاطفي جداً ومثير للعاطفة {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً} (البقرة: من الآية٢٤٥) هو عندما يقول وأنت في هذه الدنيا: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً} (البقرة: من الآية٢٤٥) [ما بدك تهب لنا قرضة]؟ من هو الذي سيركن على الله يعطيه قرضة؟ القليل من الناس، والكثير من الناس لا يركن على الله مثلما يركن على أطرف واحد من أصحابه، لكن هذا الذي يقترض منك في الدنيا هو من ستراه يوم القيامة بشكل آخر لو كنت تمتلك الأرض كلها ذهباً لما قبلها منك، وساقتك ملائكته وأنت مغلول بالسلاسل إلى قعر جهنم، هو غني {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} (الليل:١٥).

الشقي [لا يسمع ولا يوحي]، هذا عمل صالح، وكأنه لا يعنيه، الآخرون هم فقط المكلفون بالأعمال الصالحة، هم المعنيون بأن يتحركوا في مجال الأعمال الصالحة، هو لا يعنيه، هذا مشروع خيري، أعطي فيه.. [ما عندي أولاد يتعلموا، مالي حاجة] هذا مشروع صحي، ساهم فيه.. [أنا عندي سيارة ومعي فلوس، إذا مرضت زوجتي أو ابني سأسعفه إلى المستشفى..] يبدو مستغنيا.

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (الليل:١٢-١٦) دائماً قد يكون الإنسان مكذباً سواء بصريح العبارة أو مكذباً بموقفه من مثل هذه الآية، يبدو بمظهر المكذب، يبدو موقفه موقف المكذب يحكم عليه بأنه فعلاً مكذب.

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} (الليل:١٧) يجنب هذه النار التي تتلهب، الإنسان إذا أراد أن يعرف النار الله سبحانه وتعالى قد جعل هذه النار التي توعد بها الأشقياء توعد بها العصاة توعد بها المجرمين هي نار نعرف جنسها، وارتبطت حياتنا بها في هذه الدنيا، ليس هناك بيت إلا وفيه نار، حاول أن تطل بوجهك على التنور التي تشتغل في بيتك كل يوم ثلاث أربع مرات، انظر لو قالوا أن تسلم كل ما تمتلك أو ينزلوك في هذه التنور الصغير، جمر حطب التهابه قد لا يصل إلى مائتين درجة، لا أعتقد أن الإنسان يستطيع أن يصبر أن يدخلوه في هذه التنور، النار هذه التي أمامنا نعتبرها عبرة.

هو يتحدث عن نار جهنم نار أخرى تتلظى، تتلهب، تتوقد، تكاد تميز من الغيظ، لها زفير وشهيق، هذه النار {لا يَصْلاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} (الليل:١٧) الذي دائماً يعيش مشاعر التقوى، دائم الخوف من الله، دائماً يعمل كل ما يقيه من عذاب الله، كل ما يقيه من سخط الله، كل ما يقيه من غضب الله ومقته، هذا هو التقي، والتقي هو مَنْ نفسه يقظة، مَنْ مشاعره يقظة كلها مليئة بالخوف من الله سبحانه وتعالى بالخشية لله سبحانه وتعالى {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}.

ثم يأتي ليتحدث عن المال من جديد {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} (الشمس:١٨) من أجل أن يتزكى يزكي نفسه أمام الله يطهرها يجعلها روحاً سامية طاهرة تسمو تتكامل {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} وعندما يؤتي ماله هذه قضية أخرى، لو تؤتي كمَّا تؤتي وأنت لا تؤتي لله، ولا ابتغاء وجه الله، وإنما من أجل أن يقولوا: فلان، أو من أجل أن يكون المشروع الفلاني في قبضة يدك، أو أن تكون أنت من تهيمن على أساتذة المدرسة الفلانية، أو على مدير المشروع الفلاني، ليكون الشيء في قبضتك، أو تكون أنت المهيمن عليه، أو أي اعتبارات أخرى لا قيمة لها، لا قيمة لها، وعندما تعطي من أجل الله، وابتغاء وجه الله فسيكون كثيراً ما تقدمه وسينميه الله وسيعتبره شيئاً كثيراً لك.

{الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} (الليل:١٩) أنا لا أعطي من أجل أن يكافئني آخر، أنا لا أعطيه بمجرد المكافأة على إحسان قدمه إلي، هذا شيء آخر، وهو من الأعمال الصالحة أيضاً، هو من الأعمال

الصالحة أن تكافئ على الإحسان الذي قدم إليك، لكن هنا فيما يتعلق بجانب المال الذي يقدمه الإنسان ويكون له أثره الكبير في تربية نفسه، في تجنيب نفسه من هذه النار التي تتلظى، هو من يعطي ماله {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى} (الليل:١٩-٢١).

من أجل الله، كان في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يوم كان القرآن يتنزل كان هناك أشخاص يعطون مبالغ كبيرة من المال، لكن يأتي ليقول: ربما، عسى تنزل فيَّ آية تذكرني وتذكر ما قدمت، ولم تنزل فيهم آية واحدة، وعندما قدم الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة الزهراء قدموا أقراصاً من الشعير لمسكين ويتيم وأسير وبهذه الروحية: ابتغاء وجه الله، ومن أجل الله، سطّره الله في القرآن الكريم في سورة كاملة؛ لأنه هكذا كان لسان حالهم {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} (الإنسان:٩-١٠).

فكانت الثلاثة الأقراص الشعير هذه هي ما جعلت تلك الصدقة تخلّد وتُتلى قرآنا، مرتلة فيهم في مختلف الأقطار وجيلاً بعد جيل إلى نهاية أيام الدنيا، وهناك أشخاص أعطوا كميات أخرى من المال لكن من أجل أن يقال وليس حتى من أجل أن يقول الآخرون، بل من يريد من أجل أن يقول الله له شيئاً وينزل آية في القرآن تذكر له ما قدم فيدخل التاريخ كما يقولون، لا. الله سبحانه وتعالى يريد الإنسان إذا أنفق ينفق بهذه الروحية وبهذه المشاعر، ونحن كما قلت سابقاً بحاجة إلى كل عمل صالح بحاجة إلى كل ذرة من عمل صالح ترصد لنا عند الله سبحانه وتعالى لنفوز بها فتسهم في نجاتنا، نحن قادمون على يوم الفصل.

الكلمة التي أريدها وباختصار هي الحديث عن اليوم الآخر لنقول لأنفسنا في مثل هذا العمل مثل هذه الدورة مثل هذا التدريس مثل هذه الجهود التي تبذل من قبل المدرسين مثل هذه الجهود التي تبذل من جهة المتعاونين نحن كلنا يجب أن نقدمها من أجل يوم الفصل، أن نقدم على الله ونحن آمنون في يوم الفصل في يوم القيامة، الله سبحانه وتعالى يقول عن القيامة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً} (النبأ:١٧) **فما أكثر ما تكرر في القرآن الحديث عن اليوم الآخر يوم القيامة، يوم الحشر، يوم الفصل، يوماً عبوساً قمطريراً، في ألفاظ مختلفة وألقاب متعددة.**

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً} موعداً لا بد أن يأتي، مؤقت، محدد، يوم الفصل بين الخلائق، يوم الفصل بين المختلفين، يوم الفصل بين من يعتبرون أنفسهم هنا في الدنيا أذكياء فينطلقون للصد عن سبيل الله ويسخرون من أولياء الله ويسخرون من المؤمنين يحتقرونهم، يحتقرون جهودهم، ومشاريعهم، ويَسِمُونهم بالتغفل، ويسمونهم بالغباء.

يوم الفصل سيتجلى من هو الذكي ويتجلى من هو الخاسر ومن هو الرابح، يفصل بيني وبين هذا، يفصل بين الخلائق كأمم، ويفصل بين الشعوب كطوائف، ويفصل بين القبيلة الواحدة وبين الأسرة الواحدة وبين الأشخاص، بين الإثنين وبين الجماعات وبين الشعوب وبين الأمم، في كل ما كانوا فيه يختلفون، في كل ما كانوا فيه هنا في الدنيا يتمايزون من أجله، يتشاجرون، يتبين يوم القيامة من هو الرابح ومن هو الناجي، من الذي كان تقياً في هذه الدنيا حقيقة ومن هو الخاسر ومن هو الغبي، ذلك الذي سيصرخ {لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً} (طـه:١٢٥).

الأذكياء هنا في الدنيا يعتبرون أنفسهم أذكياء يعتبر نفسه ذكيا أنه استطاع أن يحسن علاقته مع مسؤول معين، أصبح مقرّبا من المسؤول الفلاني، وأصبح وجيها وأصبح له نفوذ، وعلى حساب دينه على حساب إخوانه على حساب وطنه، فيعتبر نفسه ذكياً وأولئك أغبياء ما استطاعوا مثلي [يكونوا بُصَّار يحسنوا علاقتهم فيصبحوا أشخاص لهم نفوذهم ويمكن تدعمهم الجهات الثانية، ويمكن يحصل لهم، ويمكن، ويمكن].

المسألة هي أنه يجب أن يكون ذكاؤك على هذا النحو تقدم على الله وأنت بصير لا تقدم عليه أعمى {رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى} ما دريت لي بمخرج في هذا اليوم وأنا كنت في الدنيا أرى نفسي بصيراً ذكياً {قَالَ كَذَلِكَ} (طـه: من الآية١٢٦) **هكذا واقعك {أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}** (طـه: من الآية١٢٦) **فتكون أعمى لا تعرف لنفسك**

مخرجاً، وإن كنت في الدنيا ترى نفسك ذكياً وعبقرياً، هذا هو الغباء، كل شيء تبذل من أجله دينك فأنت غبي، كل شيء تبذل من أجله دينك فستلقى الله خاسراً أعمى وإن كنت في هذه الدنيا ترى نفسك ذكياً وعبقرياً {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً} (النبأ:١٧-١٨).

رغماً عنكم رغماً عنا نبعث من قبورنا، نساق أفواجاً أفواجاً إلى ساحة الحشر، فتأتون أفواجاً {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} البعض من الناس يقول الصور هو آلة ينفخ فيها ملك فيها ملك من ملائكة الله بصوت قوي جداً، في النفخة الأولى يموت الخلائق المتبقون في هذه الدنيا، وفي النفخة الآخرة يبعث الجميع يبعث الجميع فتأتون أفواجاً {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً} (النبأ:١٩).

يتحدث عن أهوال هذا اليوم، يقول للإنسان ارجع إلى نفسك ألست ترى نفسك عندما تأتي رعشة، عندما يأتي كسوف، عندما تأتي عواصف شديدة، عندما يأتي مطر غزير جداً، أليس يحصل عند الإنسان خوف خاصة عندما تأتي هزات أو زلازل؟ يحصل خوف عند الإنسان {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا} (الزلزلة:٢).

يتحدث الله عن زلزلة شديدة جداً، يتحدث عن أهوال القيامة، عن مظاهر مرعبة في ذلك اليوم، يقول للإنسان إنك عندما ترى أول مظهر من هذه المظاهر فإنك من ستستحضر في نفس اللحظة ما ستقدم عليه فيمكن أن تقول أو يقول الجميع {يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ} (القيامة:١٠).

عندما تأتي الزلازل، عندما تجتمع الشمس والقمر، عندما [يتخربط] كل نظام هذا الكون {يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ} أين المفر {كَلَّا لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} (القيامة:١٣).

هكذا قضية النفخ في الصور يذكرك بأنه يوم أهواله شديدة، ومن عادة الإنسان في حالة الأهوال الشديدة يراجع حساباته وينظر إلى المصير ما الذي سيقدم عليه؟ {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً} (النبأ:١٩).

تتشقق تتفطر السماء {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً} (النبأ:٢٠) تحول كالسراب، هذا هو يوم القيامة، مظاهر يوم الفصل، يوم الفصل ماذا وراءه؟ هل من وراء يوم الفصل عندما يظهر لنا أنه كان ظَلم فلاناً أو اعتدى على فلان [نسير نحن وفلان نأخذ تبيع ونسير نقصد فلان أو نحط جيهاننا عنده والملائكة تقصده على طيبة نفسه وانتهى الموضوع؟] لا. وراءه جهنم وراءه الجزاء {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً} (النبأ:٢١).

فصل بعده جزاء، بعده إما جنة أو نار {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً} مرصودة معدة {لِلطَّاغِينَ مَآباً} (النبأ:٢٢).

للمتجاوزين لحدود الله للرافضين لما يريد الله منهم، لما يطلب الله منهم {لِلطَّاغِينَ مَآباً لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً} (النبأ:٢٣).

على الرغم من أنها عذاب شديد، خلود لا أحد يخرج منها {أَحْقَاباً} حقب متتابعة دهور متتابعة لا نهاية لها {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً} (النبأ:٢٤) نفحة من نسيم بارد أو شربة باردة في هذه الحُقب المتتابعة آلاف السنين ملايين السنين لا يذوق شربة باردة، لا يحس بنفحة نسيم باردة {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً} (النبأ:٢٥).

متى ما التهب العطش كلما أضرّ به العطش الله حكى عن أهل جهنم {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} (الواقعة:٥٥).

عطش شديد ماذا يشرب؟ يشرب حميماً ماء حميماً يلتهب، يقطع أمعاءه {وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد: من الآية١٥) {وَغَسَّاقاً} (النبأ: من الآية٢٥) يقال عن الغساق إنه صديد أهل جهنم، صديد أهل جهنم: القيح [والمدة] في لغتنا، شديد الحرارة متسخ الذي يسيل من أجساد أهل النار، هو شراب المجرم يوم القيامة هو شراب المجرم في جهنم {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً جَزَاءً وِفَاقاً} (النبأ:٢٦).

هو الجزاء الذي تستحقونه لماذا؟ {إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً} (النبأ:٢٧).

كانوا في هذه الدنيا لا يفكرون في الآخرة لا يحسبون حساب الآخرة {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً} (النبأ:٢٨).
كلما تأتي آية قرآنية لا يصدقون بها، كلما جاء وعد إلهي لا يؤمنون به {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً} (النبأ:٣٠).

هذه جهنم التي من أجل أن ننجي أنفسنا منها الله يقول لنا في القرآن يرسم لنا في القرآن طريق النجاة منها ويحثنا حثاً بليغاً على ما ينجينا منها، فمن هذا العمل - إن شاء الله - جهود من يبذلون جهودهم فيه - إن شاء الله - أن تكون مما ينجيهم يوم يقدمون على الله يوم الفصل.

القرآن الكريم هو بصائر للناس، بصائر حتى فيما يتعلق بالدنيا، وإذا لم تستبصر من القرآن فيما يتعلق بشؤون الدنيا أيضاً ستعمى فيما يتعلق بشؤون الدين؛ لأن الدين كل قضية في الدنيا هي مرتبطة بالدين، وهي هنا في القرآن الكريم لو تأملناه بعد أن قال: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ} (الجاثية: من الآية٢٠) **يتحدث بما يعطينا وعياً؛ لنقيّم به الناس، لنقيم به الطوائف، لنقيم به الأحزاب، لنقيم به الأشخاص، لنقيم به أيضاً أنفسنا، أعطانا بصائر كثيرة، الله يقول لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** (التوبة:١١٩).

أليست هذه من البصائر؟ {اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} يقول أيضاً لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهو خطاب له ولغيره من الناس {وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}** (القلم:١٢).

أليس القرآن هنا يتحدث عن أشخاص ويتحدث عن فئات بصفاتهم يقيّمهم لنا؛ لأننا بحاجة إلى بصيرة أمام بعضنا بعض حتى لا نكون في حالة عمى فتدخل في موقف تدخل في ولاءات مغلوطة، فتدخل في مواقف باطلة، تحسب عليك يوم القيامة عمى في يوم القيامة أيضاً، تحسب عليك وبالاً، وخسارة يوم تقدم على الله سبحانه وتعالى.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

ألقيت هذه الكلمة

بمدرسة أهل البيت ، بني بحر - الرويس

بتاريخ: ٢/٩/٢٠٠٢م

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

دروس من هدي القرآن الكريم

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشـــرطة كاسيت، وقد ألقيت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.

وحرصاً منا على سـهولة الاسـتفادة منـها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} (آل عمران١٣٤-١٣٣) المسارعة معناها: المسابقة، عندما يقول: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ليست المسارعة معناها نسابق، نسابق سبَق؛ أن المغفرة موجودة هناك، والجنة هناك مطروحة نسابق إليها!.

نسارع: أي: نبادر إلى الأعمال التي بها نستحق المغفرة، و بها نستحق الجنة. المبادرة إلى الأعمال الصالحة، يكون الإنسان سبّاق، مبادر، ما يكون فيه تثاقل، وكل ما ذكر من صفات المتقين يوحي بأن هذه هي من صفات المتقين: المبادرة، المسارعة إلى الخيرات.

قضية المبادرة، قضية المسارعة هي شيء مهم في الإسلام، شيء مهم، وفي ميادين العمل للإسلام، والصراع في مواجهة أعداء الله، تجد المبادرة لها أهمية كبرى جداً؛ ولهذا جاء القرآن بعتاب شديد، وسخرية ممن يتثاقلون: {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} (التوبة٣٨) تباطؤ، زحزحة، وممكن يحصل التثاقل عند الناس في الأعمال الصالحة ولو عند واحد انه مستعد، سيقوم، سيعطي من ماله، سيسرح يجاهد، سيقوم بالعمل الفلاني، لكن ببطء، وتثاقل.

عندما يدعوهم إلى الجهاد، وكان العادة أن يعسكروا، أو يحدد مكاناً معيناً يجتمع الناس فيه لينطلقوا بعدما يجتمعوا، وقد يكون كثير من الناس عنده استعداد أنه يخرج [لكن بقي معي باقي عمل، عاد معي حاجة من عند فلان باحتاج اسرح لها، ومتى ما غد إنشاء الله با نرجع نجاهد] بطء، تثاقل، [وعاد معي باقي شغل في حديقة نخل، أو في مزرعة، أو عاد معه مسقاة يريد يكملها]!.

مع أنه قد حصل استنفار، والإستنفار معناه: الدعوة إلى الخروج بسرعة، مبادرة، {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} والقائل من هو؟ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} (التوبة ٣٨) {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً} (التوبة٤١).

أليس هذا أمر بالمبادرة، والمسارعة، هكذا؛ لأنه هذه الصفة مهمة جداً بالنسبة للمسلمين، هي الصفة التي تجعلهم هم السباقين، وهم سادة الأمم، تجعلهم هم أصحاب السبق في كل ميادين العلم، والمعرفة، في كل مجال من مجالات الصناعة، من مجالات الزراعة، وكل المجالات مثل: الطب، والهندسة، وغيرها، لكن مسألة التثاقل، التباطؤ، هي التي تؤخر الأمم، وتؤخر الناس ما يعرفوا أشياء كثيرة، فيسبقهم الآخرون.

فكان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كانت صفة المبادرة، المسارعة، من أبرز الصفات لديه، لا يوجد عنده تثاقل، ولا تردد، ولا ترجيحات، ولا [عسى ما بو خلة، عسى] كان لديه طبيعة المبادرة.

في غزوة [تبوك] استخدم هذا الجانب، جانب المبادرة، وكان جانب المبادرة هذا هو الذي جعل الرومان ـ وهم أكثر قوة، وأكثر عدداً ـ يتراجعون، ويقررون عدم المواجهة مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه حرك الناس.

عندما بلغه بأنهم قد تجمعوا في الشام، يريدون أن يهجموا على بلاد الإسلام حرك الأمة، والقرآن حركهم أيضاً بآيات ساخنة، يخرجون حتى وإن كانوا[في وقت شدة]، حتى عندما صادف وقت شدة، وقت قلة ثمر، أو الثمر ما قد حصل. ما قال ننتظر حتى ينضج التمر، والثمار تحصل حتى يكون لدينا قدرة أننا نمول نفوسنا، ونخرج.

لا بد أن يخرجوا، وبادر هو بالزحف، وانطلق إلى تبوك، وبين تبوك وبين المدينة حوالي [٧٥٠ كيلوا]! يعني: دخل هو إلى أقرب منطقة من المناطق في بلاد الشام، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعه ثلاثين ألف، قد حشدهم من الناس جيد وفسل، هيا يخرجون.

هكذا كانت سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان رجلاً قرآنياً، رجل يتحرك بحركة القرآن، يجسد القرآن، يفهم معاني القرآن، وغايات القرآن، ومقاصده، وأساليبه، ومنهجه.

في قضية المال جربنا هذه، جربنا هذه مع المشاريع، والمساهمات، يكون كثير من الناس مستعد أن يدفع، لكن عنده سيدفع [بعد غد، أو إنشاء الله يوم الخميس سألقِّيه أو...] مجرَّب، كان يضيع علينا أحيانا شهر كامل وواحد منتظر، أو شهرين حتى يتجمع المبلغ، وهم مستعدين، لكن التثاقل، التثاقل يضيِّع عليك وقت كثير، ويضيع فرص كثيرة أخرى [عسى برجع ألقاه يوم الخميس، أو برجع إنشاء الله أعطي فلان أو بقي معي أو...].

صفة المبادرة في كل شيء مهمة جداً، المبادرة إلى الأعمال الصالحة، حيث جعلها من صفات المتقين، ومن أهم ما أثنى بها على أوليائه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (الأنبياء٩٠) كانوا يسارعون في الخيرات، وفي آية أخرى: {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ} (البقرة١٤٨).

بعد ما يقول في صفات المتقين، أول صفة مهمة، وصفة أيضاً ما لم تكن مطبوعة بطابع المسارعة أيضاً تفقد كثيراً من إيجابياتها، وثمارها، عندما قال: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء} هي أيضاً توحي بأنهم ينطلقون في مجالات الإنفاق بمبادرة، بسرعة، لا يوجد فيهم تثاقل، [وساعة العون]؛لأن هذه القضية تفقد الأمة أشياء كثيرة.

مثلاً تأتي كما كان يحصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حركة جهاد، فيدعو إلى الإنفاق، وكل واحد جاء بقليل اليوم، والثاني جاء، وبدا مجموعة وجايوا بقليل، ومجموعة ثاني يوم، ومجموعة ثالث يوم، ما هم سيضيعون وقتاً كثيراً؟ ما دام أنت ستعطي على أساس بعد غد، أو يوم الأربعاء، أو يوم كذا، فبسرعة؛ حتى تتحرك المسألة.

كم سيأخذون من وقت! حتى يتوافد أهل المدينة، ويكمِّلوا، ويتجمع منهم، وكل يوم ما يبيدي إلا مجموعة من الأشخاص، يتجمع قليل تمر، أو قليل حب، ما هم سيتأخرون على أقل تقدير أسبوع؟ والصراع يستدعي المبادرة.

لا يحسم الموضوع في الحروب، في المواجهة إلا المبادرة، عنصر المبادرة أهم عنصر، المسارعة، تكون أنت صاحب السبق، تكون أنت سيد الموقف، لكن متى يمكن أن تكون سيد الموقف؟ إذا كان من حولك كلهم مبادرين، عندهم حركة المبادرة، المسارعة.

فالآيات هذه كلها توحي بأن المؤمنين، المتقين، وهم من وصفوا بأنهم ينفقون في السراء والضراء، أنهم ينفقون بمبادرة، ومسارعة.

فالآية هذه من قوله: {سَارِعُوا} طبعت صفات المتقين إلى أنهم فعلاً يبادرون، ويسارعون إلى ما وصفوا به، ولهذا عندما قال بعد: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ} (آل عمران١٣٥) أليست هذه مبادرة؟ {ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا}، ترتيب الغاية في {ذَكَرُواْ اللّهَ} بعد الشرط، أيضاً الإتيان بالفاء {فَاسْتَغْفَرُوا} تدل على أن عندهم روح المبادرة، المسارعة.

ولهذا كانت المسارعة في الواقع تبدو أنها مطلوبة في معظم الأعمال، عندما قال: {سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ألم يطبع المسارعة في كل ما تحصل به على المغفرة، في كل ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة أن تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به المغفرة من الأعمال الصالحة، ومسارع إلى ما تستوجب به المغفرة من التوبة، إذا حصل منك أي خطيئة، ثم تكون مسارعاً إلى ما تستوجب به الجنة من الأعمال.

فتجد أن الشيء المطلوب في الغالب بالنسبة إلى الأعمال الصالحة هو المسارعة، هو المبادرة.

وأبرز صفات المتقين التي نريد اليوم أن نتحدث عنها أيضاً: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} هم ثلاث صفات مهمة جداً، لا تتوفر إلا فيمن تذوب شخصيته في الإسلام، تذوب نفسيته في العمل لله، بحيث نفسه هو ما يعطيها أهمية فوق كل شيء.

فمن أساء إليّ بزّلة تحصل منه من الإخوة المؤمنين كأنـه اعتـدى علـى جبـار الـسموات والأرض، لم يعـد يمكـن يتسامح، ولم يعد يمكن انه يتقارب، ولم يعد يمكن أنه ولو يتقارب للعدل، يعتبرها وحده كبيرة، اعتداء علـى الإسلام، أو اعتداء على القرآن.

الشخص الذي يكون مهتم بنفسيته هو، تكون نفسه عنده هي كل شيء، أن يعتدى على الإسلام ما يحـرك شـعره فيه، أن تظلم الأمة كلها ما تهتز فيه شعره، أن يحصل عليه شيء ولو كلمة، تقوم الدنيا، ولا تقعـد! ولا يكظـم غيظاً، ولا يعفو، وبعضهم ما عاد يتقيد بالحق، على أقل تقدير أنه يريد الإنصاف، وكل مشاعره منـشغلة بهـذا الموضوع، وكل كلامه، وكل أعماله، وكل تفكيره يصبح منشغلاً في هذا الموضوع الذي ووجه به من قبـل أخ مـؤمن حصل منه زلة.

هو من رسالته أن يذوب في العمل لله، في الإسلام، عنده هذه الروحيـة: روحيـة المـسارعة إلى مـا يـستوجب بـه المغفرة، وإلى ما يستوجب به الجنة التي عرضها السموات والأرض، يهتم جداً بالقضية الكبرى، أنها هـي قـضية يجب أن ينظر إلى نفسه، وماله وكل ما حوله أنه هين أن يضحي به من أجلها، وهـو الإسـلام، العمـل في سـبيله، العمل لإعلاء كلمته، الدفاع عنه، الدفاع عن أمته.

من كان على هذا النحو فستكون شخصيته، وماله، ليست ذات أهمية لديه، حتى إذا ما انطلق إلى العمل في سبيل الله فووجه بدعاية من هنا، أو من هنا، ما يتأثر، ليس ممن قال الله فيه: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ فَـإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} (العنكبوت١٠) لا بأس سيعمل للإسلام، سيتحرك في الأعمـال الـصالحة، في مواقف جيدة، لكن إذا سمع دعاية ضده قال: [ها ما عاد لي حاجة] ويفلت كل شيء، وكأنها تعتبر عنـده كمـا قال الله: {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ} يعني ما يلحقه من الناس كما لو عذب، {كَعَذَابِ اللَّهِ}.

يذوب في هذه المسألة بحيث أنه ينسى أنه يعطي لشخصيته أهمية كبرى، بحيث إذا ما لحقه شيء ليس مـستعداً أن يكظم الغيظ، ولا أن يعفو. نحن قلنا: قضية كظم الغيظ، والعفو، هي مسألة زايـد علـى العـدل، أي الـشيء الطبيعي، والذي هو نازل في الساحة للناس جميعاً أن يحصل من جانبك شيء علي، كـلام جـارح، أو شـيء يتعلـق بمالي، أو بعرضي، فهناك العدل، ألتزم العدل أنا، لا تكن ردة الفعل من جانبي قاسية أكثر مما حصل منك، ثـم نكون جميعاً مستعدين أن نتناصف فيما بيننا، أو أن نحكّم من يحكم بيننا بالعدل، فما قضى به فهو الـذي يجـب أن نعمل به جميعاً. فما أنا بحاجة أن أكظم غيظ، أو أعفو.

لكن المؤمن المتقي حقيقة، من تهمه قضية وحدة الناس، من يهمه قضية إعلاء كلمة الله، الجهاد في سـبيل الله، لا بد أن تكون هذه من الصفات البارزة فيه، ولأنها صفة بارزة فيه؛ لأنه لم يعد يعطي لشخصيته قيمـة كـبيرة بحيث يجعلها مقياساً، يجعلها كل شيء أمامه في الحياة، فهي أهم من الدين، أهم مـن الأمـة، أهـم حتـى مـن الله عنده.

ألسنا كثيراً لا نغضب لله، لا يحصل فينا غضب لله عند الناس! أليس هذا واضح؟ لكن يحصل على واحد منا شيء يتعلق بنفسه، أو بماله، ما هو يغضب؟ لأنه قد أصبح الشيء الذي كان يجب أن يكون محط اهتمامنا، فله نغضب، وفيه نذوب، بحيث كل شيء دونه سهل، الذي هو الله سبحانه وتعالى، ودينه، ورسوله، وعباده.

أصبحت أشياء ما يثير أي شيء يعتبر اعتداء عليها، أو إساءة، أو مخالفة، فيما يتعلـق بهـذا الـشيء العظـيم، لا يثيرنا! لماذا؟ لأننا مشغولين بأنفسنا، أنفسنا أصبحت لدينا هي أهم من كل هذه الأشياء، أهم مـن الله، ورسـوله، وجهاد في سبيله.

فهذه الصفة نفسها، التي هي في الواقع ممكن أن يكون العدل هو يحل محلها، أليـست تبـدو وكأنهـا اختياريـة: كظم الغيظ، والعفو؟ لكن بالنسبة للمتقين، والمتقين واعين، المتقين متكاملين في فهمهم، تصبح صـفة لازمـة مـن صفاتهم. ما الذي جعلها صفة لازمة من صفاتهم؟ هو أنه يكون سريعاً إلى أنه أي شيء يبدر مـن جانـب الآخـرين ضده ممكن أن يكظم غيظه، ويقفي وكأنه ما حصل شيء حفاظاً على وحدة الناس، حفاظاً على أن لا تثار مـشكلة

فيبقى هو منشغلاً بهذه القضية، وهو ذهنه منشغل بالقضية الكبرى، فلا يتحول إلى أن ينشغل بالقضية هذه، مرة حصلت من هذا، ومرة حصلت من هذا، ومرة من هذا، ويكون هو مشغول بكل قضية تحصل عليه، فبقي مصارعاً من أجل ذاته، في قضية عادية، بسيطة، لا تقدم، ولا تؤخر.

يكظم الغيظ، يعفو عن الناس؛ لأنه ماذا؟ مشغول، مشغول بالقضية الكبرى، التي يجب أن تكون هي محط اهتمام المتقين: العمل في سبيل الله، العمل على إعلاء كلمة الله، العمل على إنقاذ عباد الله، فيرى مهمة كبرى أن يفرغ ذهنه، وصراعه لهذا الجانب، أن يفرغ قدراته في هذا الجانب، أن يحاول أن تكون وحدة المسلمين قائمة فيما بينهم، فلا يختلف مع أحد، ولا يدخل في شقاق مع أحد مهما أمكن، فسيعفو، وسيصفح، وسيكظم الغيظ.

هذا بالنسبة للمجتمع الذي هو مجتمع صالح يعتبر توحد أفراده ذو إيجابية بالنسبة للإسلام، وبالنسبة للمسلمين، أما إنسان فاسد هو عدو، هو مباين، لست بحاجة إلى أن تكظم غيظك معه، ولا أن تعفو عنه، لكن عليك أن تلتزم جانب العدل معه أيضاً.

هذه أشياء كلها تلفت النظر حقيقة، قضية أن يصف الله عباده المتقين بهذه الصفات المهمة، تلفت النظر إلى أنه يجب أن نتأدب بأدب القرآن إذا كنا مؤمنين، مسلمين، وأنها صفات تعطي أثرها المهم، وتترك إيجابية كبيرة جداً فما يتعلق بتهيئة الناس أن يكونوا متآلفين فيما بينهم، وأن لا يغرق المجتمع بالانشغال بالقضايا الصغيرة.

إذا معنا شخص مثلاً مهم، أو معنا شيخ مهم، أو معنا كبير نلتف حوله، فنكون مغرقين بيته بنادق، رباخات، رباخات على مشاكل، هذا على صخره، وهذا على مشرب، وهذا على [زربه] وهذا على [قليل عَلَف] على حاجات بسيطة من هذه. أي: هذا مجتمع فارغ، مجتمع يعيش حالة فراغ عن الاهتمام بالقضايا الكبيرة، قد فرحنا، معنا شيخ باهر، ومن أولياء الله، وشيخ جيد، تدخل مجلسه وهو ملان، غرفته ملان بنادق رباخات.

هل تجد أي قضية إسلامية داخل هذه الرباخات؟ داخلها، هل هناك شيء؟ لا، كلها قضايا هامشية، كلها كثير منها قريب، كلها مما يمكن أن تفصل في لحظة.

لكن إذا كانوا أطرافاً، كلهم يهتمون بقضية كبرى، هي التي وجه الله عباده إلى الإهتمام بها، إهتمام بأمر الدين، لكن حاول أن تطرح قضية إسلامية تقول للناس أن يتحركوا فيها، هل سيبدو لديهم الحماس الذي يبدو أمام بعضهم بعض، وهم يسيِّرون الرباخات إلى عند الشيخ؟ لا، تراهم أمام هذه القضية يبدون متبهطلين، وتثاقل!.

فأن تكون هذه الصفة يعمل المسلمون على التحلي بها، وبالشكل الواعي، أنه من أجل ماذا ننطلق لكظم الغيظ، والعفو فيما بيننا؟ ستبدو قيمتها إذا كان لدينا اهتمام كبير، نحمل مسؤولية أمام دين الله، أمام دين الله، حتى فيما يتعلق بالخصومة، أفكر بأن المبلغ الذي يمكن أن أخسره أنا وأنت في شريعة على صخرة، على مشرب صغير، قد لا ينزل منه برميل ماء، عندما يكون المطر قوياً، والتي سنخسرها حوالي ثلاثين ألف، عشرين ألف، أربعين ألف.

إذا ما عندي فكرة بأن المفروض أن هذا المبلغ الذي أقوم أحاول أن أوفره، وأخرجه من داخل شمطتي، أو اقترضه، أليس العمل للإسلام أولى به؟ إذا كنا من يفكر هذا التفكير فسأتصالح معك بسرعة، سنتصالح فيما بيننا بسرعة، وسيكظم بعضنا غيظه على الآخر، بل سيتحاشى كل واحد منا أن يصدر منه ما يجرح مشاعر الآخر، وعادة ما يجرح مشاعر الناس هو أكثر مما هم مختلفين عليه، هذا هو العادة.

المشرب، أو قطعة الأرض، أو الصخرة، أو قطعة المحجر، ما هي تكون هناك محلها؟ هي ليست بالشكل الذي يثير، نحن مختلفين، تقول هي لك، وأنا أقول هي لي، خلاص إلى هنا تقف المسألة، نوقف عند فلان، وأنت تحضّر ما معك، وأنا أحضّر ما معي، وبسرعة.

لكن لا؛ لأننا نعيش حالة فراغ عن الاهتمام بالإسلام، كل واحد يقوم يشكي، وكل واحد يتهم الآخر بأنه عدو الله، وأنه ظالم، وأنه من يأكل لو هو من كفن الجنازة، وأن، وأن.. وما دريت وإذا بتلك القضية حاجة بسيطة، تصبح لم تعد هي التي تثير الموضوع تقريباً، قد هي حالة توتر تأتي من الكلام السيئ، الجارح، المتبادل فيما

بينهم، والاتهامات، فيرسخ حالة من الشعور بالعداء، ومن حالة التوتر، لدرجة أنه يكون مستعد أنه [لو با ندي جنابينا، أو ننقل الحاكم ونهب له من مائة ألف، أو، أو،] فيقع الناس في مثل هذه المظاهر السيئة.

وتلاحظ لو تأتي إلى أشخاص يكونون مستعدين أن يعطوا للحاكم، أو لمدير، أو لشخص من أربعين ألف مخابرة على قضية قد لا تكون قيمتها عشرين ألف، لو تقول لهم: هاتوا أعطونا من خمسه ألف في سبيل الله، ألا تكون ثقيلة عليهم؟ ما هم سيتثاقلون، يتباطأون؟ هو سيرجع في الأخير يرد الفلوس في جيبه، ويعطفها بين أربع باغات ويربطها ويدخلها هناك.

لكن فيما يتعلق بإرضاء مشاعر نفسه أصبح لديه غضب، أصبح لديه حالة توتر ضد الآخر! ما هو هنا أصبحت نفسه، وأصبحت الصخرة هذه، أو المشرب، أو قطعة المحجر، هي أهم من الله، ورسوله، وجهاد في سبيله، {أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} ألم تصبح هكذا؟ فهذا مما يستوجب به الناس الغضب من الله {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ}(التوبة٢٤) تهديد هذا، تحت قوله: {فَتَرَبَّصُواْ} انتظروا محلكم، ما عليكم، سيأتيكم ما تستحقون به ما أنتم عليه من هذه الظاهرة السيئة.

الظاهرة السيئة أن تكون الأشياء هذه أحب إلينا من الله ورسوله، وجهاد في سبيله: أموالنا، وأبناؤنا، وتجارتنا، ومساكننا. أليس الشيء الملموس عند الناس بأنها أحب إليهم من الله، ورسوله، وجهاد في سبيله؟ شيء ملموس، بدليل أننا نهتم بها أكثر مما نهتم بأمر الدين، لا نعطي الدين، ولا واحد من ألف من الاهتمام بأمره بمثل ما نهتم بأموالنا، وأبنائنا، ومساكننا، وتجارتنا.

فالتربص معناه: انتظروا، ما عليكم، سيأتيكم ما يؤلمكم، سيأتيكم الضرب، ويأتيكم الإهانة، تجيكم الذلة؛ لأنها عبارة غضب من الله سبحانه وتعالى، {فَتَرَبَّصُواْ} ليس معناها قد سبرتم، مكانكم، وليس لنا دخل منكم، لا.

إذاً فلا بد أن تكون هذه الصفة من الصفات التي ينطلق الناس في التحلي بها فيما بينهم، كظم الغيظ، والعفو.

عندما يأتي الشخص أخطأ عليك بزلة حصلت منه، ثم يأتي يعتذر، إقبل عذره، ويجب عليك أن تقبل عذره.

عندما يحصل منك زلة أنت على شخص آخر، ولو عندك أنه ليس بالشكل الذي يمكن أن تخاف منه، بعض الناس قد يحصل منه زلة على شخص آخر هو مسكين، ولأنه لا يخاف منه، لا يبادر إلى أن يعتذر إليه، ما هو خائف أنه ستأتي ردة فعل شديدة عليه، لا يهتم أنه يعتذر إليه.

يجب أن تعتذر إذا حصل منك زلة على شخص كبير، أو صغير، قوي، أو ضعيف، سواء كان شخصاً ممكن أن يؤثر عليك فيما بعد، أو شخص لا يستطيع أن يعمل بك شيئاً، لا بد أن تعتذر، ومتى ما اعتذرت عليه أن يقبل عذرك.

وهذا الشيء أيضاً عندما يكون الناس لا يعتذرون إلا من الأقوياء منهم، لا يعتذر إلا عندما يأتي واحد يقول له: لاحظ هذا الإنسان سيكلف عليك عملك هذا منه، وموقفك هذا منه، ستثير عداوته ضدك.

لا،.. يجب أن تعتذر ولو عندك أنه ليس بالشكل الذي يمكن أن تخاف منه.

[وجه الله سبحانه وتعالى عباده المتقين إلى صفة] عالية أيضاً: أن أكظم غيظي، ثم أرد السيئة بالحسنة {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(فصلت٣٤-٣٥) أليست هذه صفة أخرى لا تقم إلا على قاعدة المبادرة إلى كظم الغيظ؟ فأن تكظم غيظك صفة إيجابية مهمة، لكن أيضاً مطلوب منك كمتقي أن تنطلق الانطلاقة الأخرى، وهي: أن تدفع السيئة بالحسنة، أواجه ما يصدر منك من شيء يسيء إلي بالإحسان من جانبي بالكلمة الحسنة، بالموقف الحسن، بالعمل الحسن؛ لأن كلمة حسنة، وسيئة، تشتمل سواء كلمة، أو موقف، أو عمل، مهما كان شكله أرد عليه بكلام إحسان، بكلام لين.

وهذا الأسلوب هو مما لا يؤتاه إلا من كان ذو نصيب عظيم عند الله سبحانه وتعالى، ممن له حظ عظيم، في كمال نفسه، وزكاء روحه؛ ولهذا قال: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} ممن هو صابر، يستطيع أن يمسك أعصابه؛ لأن هذه الحالة هي نفسها تترك أثراً في الطرف الآخر....

تكف يديك أنت، يكف الناس أيديهم عما يؤدي إلى ظهور الفساد، وسيسير الزمن! الفساد أحياناً لا يكون بالمعنى الذي نفهمه، بمعنى انتشار العادات السيئة، أو انتشار أشياء سيئة في المجتمع، ثم نرى أنفسنا بأننا ملتزمين، ما بين ننطلق فيها، ولا يوجد في مجتمعنا ظواهر سيئة منها.

لكن هناك أشياء كثيرة نحن نغفل عنها، يأتي الفساد بسبب غفلتنا عنها، وفي الأخير يتساءل الناس: [مدري مهلنا قد هذا زمان فسل، والناس قد تمحقوا، وكل شيء ما عاد فيه بركة، ولا عاد سبر حتى إذا مع واحد موقف حق ما عاد بيرضى يمشي، أو إنسان مطلبه حق ما عاد بيرضى يمشي له، والقلب بيمشي، يمشي الباطل يمشي القلب] والناس يتساءلون، أليس الناس يقولون؟ خاصة الكبار الشيبات الذين كان الزمن أفضل في زمنهم، أو عايشوا زمان أفضل من زماننا، يرون أنه قد تغيرت الأشياء. يقولون: [لا عاد هناك وفاء لا عاد هناك أمانة، ولا عاد هناك صدق بين الناس، والناس قد قلوبهم ملي حقد، وحسد، وقد تفرقت كلمتنا، والحق قد ضاع].

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}(طه١٢٤) والمعيشة الضنكا هي هذه: ترى كل شيء يتدهور، الزمان ينتشر الفساد فيه، ينتشر الضلال، والباطل له كلمته، والمظلوم يضيع، والظالم مستجاب، تجيبه دولة، يجيبه ناس، ومن موقفه حق ما بيرضى حتى بعضهم وقد بيدي رشوة، أحياناً ما بيرضى يمشي الحق. بعضهم يكونوا متشاجرين، وذاك يعطي رشوة، وذاك يعطي مثله، وما يرضى يمشي الحق، وقد هو بيدّي مثل ذاك! أيضا ترى أنه ما بيمشي مثلما يمشي الباطل.

وسبب الأشياء هذه كلها الإعراض، في واقعنا نحن معرضين عن الإلتزام بهدي الله، الإلتزام بالقرآن الكريم، ولا بين نفهم الأمور على ما وجهنا الله سبحانه وتعالى إلى فهمها، منها هذه الغلطة، وهي غلطة كبيرة عند الناس، أنهم ما ينظرون لأنفسهم أن الخطأ من جانبنا نحن.

وقد يكون الخطأ أحياناً هو خطأ قلة وعي، قلة وعي بالأمور التي ليست زعم أنها أعمال سيئة بين نعملها، عدم وعي لدينا بالأمور، كيف يمكن أن تكون صحيحة، وكيف يمكن أن تكون سيئة، وكيف يمكن أن تكون عواقب الأشياء، سواء عواقب حسنة، أو عواقب سيئة.

منها هذه: أن يكون الناس منتظرين أن تسير الأشياء تلقائياً، هذه هي غلطة عدم الوعي، أليست هذه تعود إلى وعينا؟ ولو ما هي زعم شيء نعمله، لكن الإنتظار للشيء أن يصلح من الجهة التي لا يمكن أن يصلح منها تلقائياً.. هذا بيؤدي بالناس إلى أنه ما يرجعوا يحاسبوا أنفسهم هل هناك خلل من جانبنا نحن، فإذا فهم الناس أنها سنة إلهية {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد١١) أن التغيير يأتي من عندنا نحن، متى ما أصلحنا أنفسنا، متى ما فهمنا، متى ما وعينا، متى ما عرفنا الأمور كيف يمكن أن تكون صالحة، أو فاسدة، أو تؤدي إلى صلاح، أو تؤدي إلى فساد، كيف يمكن أن تكون عواقبها؟ متى أصبحنا على هذا النحو، لدينا وعي، فانطلقنا نغير من واقعنا، نغير من واقع أنفسنا، فسيستطيع الناس أن يغيروا هم.

ثم عندما ينطلقوا هم ليغيروا الله سبحانه وتعالى سيؤيدهم ولذلك قال: {لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} فيحصل التغيير مشترك، من جانب الناس، بعدما يصلوا بأنفسهم إلى الدرجة التي تكون قابلة أن يغيروا نحو الأفضل، فالله سبحانه وتعالى حينئذ يتدخل في المسألة، ويغير معهم إلى الأفضل.

فهنا جاء بعبارة قاطعة، عبارة قاطعة تحكي سنة من سننه الإلهية: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

إذاً فالناس بدل ما ينظروا إلى فوق لتأتي الأشياء تلقائياً، منتظرين للمجهول، أن يصلح الزمان من نفسه، ويسبر المسؤولين من أنفسهم، وتسبر الدنيا، وتعود بركاتها التي ضاعت، تسبر من نفسها. معنى هذا أنهم سيظلون جيلاً بعد جيل تائهين.

فمتى ما فهمنا ـ أن المسألة من جانبنا نحن ـ أن نعي، أن نفهم وسنعرف كيف تتغير الأشياء من الأسوأ إلى الأفضل، وإلا سيكونون قد ساروا على وفق السنة الإلهية؛ لأنه جاء بعبارة قاطعة: {لاَ يُغَيِّرُ} أليست هكذا عبارة قاطعة، ويأتينا بعبارة تُفهم بأنها سنة إلهية في كل الأمم، في كل المجتمعات {لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} قلوا أم كثروا {حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

أكثر ما يؤمن الناس خاصة من لديهم اهتمام نوعاً ما في نفوسهم، يعني: يتضايقوا من الباطل أن يروه، ويتضايقوا من ضياع الحق، يتضايقوا من الفساد أن ينتشر، يتضايقوا من أن يروا أخلاقيات المجتمع تذوب، وتتلاشى، تتفكك النفوس، وتضيع الوحدة فيما بين الناس، ويضيع الصدق، والأمانة، والوفاء، ويصبح الشاطر الذي يرى نفسه ذكياً أن يحارش بين الناس، أو يغش الناس، أو يخدع، يعتبر نفسه هو الذكي، والشاطر في المجتمع.

عندما يكون هناك من تؤلمه هذه الأشياء، من يتألم لمثل هذه الأشياء، هو يلمس أن الزمان يهبط، وأن كل سنة تأتي أسوأ من السنة التي قبلها، هذا شيء يلمسه كثير من الناس ممن يراقبون الأحداث، خاصة كبار السن، الذين عايشوا أزمنة أفضل من زماننا، يلمسون حتى أنها تتفكك القبائل فيما بينهم، وحتى القرية الواحدة، وحتى الأسرة الواحدة لم يعد فيما بينهم أخوة، ولا عاد هناك صدق، ولا وفاء، ولا التزام، ولا أمانة ولا نجدة فيما بين الناس في أي موقف من المواقف، وعلى ما قال الإمام علي (صلوات الله عليه): ((إذا فسد السلطان فسد الزمان)).

إذا جاء سلطان لا يهتم بالأمة؛ لأنه أحياناً قد يأتي السلطان فيكون همه هو أن يستقر حكمه، وهناك وسائل قريبة لاستقرار الحكم لكنها ليست لصالح الأمة هي: أن يرضي كبار الناس، زعماء القبائل، يرضي زعماء القبائل الكبار، ويتركهم يتدخلون في السلطة، ويتدخلون في القضايا، يتدخلون في شؤون المحاكم، يتدخلون في الشؤون الإدارية، فيكون هذا الشيخ من هنا، وهذا من هنا، وكل واحد يقطع من عنده، وحوالات يعطيهم، هذا مليون، وهذا أربع مائة ألف، وهذا خمس مائة ألف، وهذا مائة ألف، حوالات بشكل مستمر.

هنا تستقر وضعيته، لكن الأمة تتحطم، الأمة تدهور، وهذا ملموس في زماننا هذا، ملموس هذا في زماننا، مثلما كانوا في سياسة علي محمد الصليحي في أيامه، كان محمد الصليحي في أيامه هكذا، علي عبد الله عمل بسياسته ذلك اليوم، الكبار يتركهم يدِّيْوَنُوا، وفلوس، ويتدخلوا في كل القضايا، كان بعض المشايخ يدخل إلى داخل المحكمة يضغط على الحاكم يحكم على طريقة معينة، أو يوقف حكم حق، قد با يمشي، يقول: ما شي، والا بايقرح راسه، يفجر بيته، والا سيارته، وهم ساكتين.

في الحالة هذه المجتمع يتضرر جداً، وفي الحالة هذه تغيب أشياء مهمة كان على الدولة أن تعملها، اهتمام بالناس أنفسهم، بالمجتمع نفسه، أن يربى تربية إسلامية، أن يربى تربية صالحة، أن تسود فيه القيم الصالحة، أن ينصف فيه للمظلوم من الظالم.

إذا كان الزمان على هذا النحو يصلح، وتصلح النفوس فعلاً، لكن إذا لم يكن على هذا النحو فتعتبر وضعية سيئة، في حالة الوضعية السيئة لا يمكن أن يغير الناس إلا من جانب أنفسهم هم، من جانب أنفسهم هم، أن يغيروا ما بأنفسهم، على أقل تقدير أن لا يتقبلوا، يقفلوا ءاذانهم أمام وسائل الإعلام التي تحاول أن تمسخ نفوس الناس، أن تمسخهم أخلاقياً، ودينياً، وتغير معتقداتهم، وتخلق لديهم ولاءات غير مشروعة، وعداوات، تصبح موالاة لأعداء الله، وعداوة لأولياء الله.

فإذا تأمل الإنسان فعلاً أكثر ما يعاني الناس من الأشياء، سواء كان سببها من عندهم تلقائياً، أو هم مشاركين في السبب، وأن وسائل أن يخرجوا من هذه الوضعية هي بأيديهم، وسائل بأيدي الناس، ويتهيأ في كل زمان أشياء عجيبة، يستطيع الناس أن يستغلوها بشكل كبير.

لاحظ إذا واحد نظر، إذا نظرنا لأنفسنا فيما بيننا أشياء كثيرة هي في متناولنا، نستطيع أن يكون تعاملنا مع بعضنا تعامل حسن. أليس هذا ممكن؟ خاصة إذا رجع الناس إلى القرآن، لو رجعوا إلى القرآن، وآمنوا بالقرآن، وخافوا من الله، من عذاب الله، من جهنم، وعملوا على أن يلتزموا بتوجيهات القرآن، وإرشاداته. فبالإمكان أن يتعاملوا فيما بينهم تعامل حسن، ما أحد سيقول لك: لماذا؟.

عندما يعفو بعضنا عن بعض، عندما نكظم غيظنا مع بعضنا بعض، عندما نلتزم بالصدق فيما بيننا، عندما نلتزم بالعدل فيما بيننا، إذا حصل من شخص خلاف مع شخص؛... يكون مستعد أي واحد منهم أن ينصف الآخر من نفسه، أو أن يحلّوا قضيتهم بسهوله، لا تتطور فتصبح قضية تؤدي إلى خلق عداوة، وبغضاء فيما بينهم، ثم فيما بين أسرهم، ثم على أوسع دائرة داخل مجتمعهم.

الناس يستطيعون أن يكونوا أوفياء مع بعضهم بعض، يبذلوا معروفهم لبعضهم بعض، لا أحد يجرح مشاعر الآخر بكلمة سيئة، أو يدخل في باطل فيعين طرف على طرف آخر لكونه يكره الطرف هذا الآخر، فيدخل في باطل، فيعين ظالم على ظلمه.

أشياء كثيرة في متناولنا أن نعملها هي نفسها تهيئ النفوس إلى أن تكون متآلفة، تهيئ المجتمع إلى أن يكون متوحداً. الوعي لفهم الدين، فهم الأمور أيضاً في متناولنا، لكن أحياناً لا يكون في متناولنا نحن أن نصنعه بالنسبة لعامة الناس، لكن إذا اتفقنا على أعمال معينة هي التي ستبني، ستصحح الوعي في ذهنية المجتمع، تجعله يفهم الأمور فهماً صحيحاً، وفق هداية الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، مثل مدارس علمية، مرشدين، عمل لدين الله؛ لأنه حتى صلاح نفوسنا، وزكاء نفوسنا، وأن نكون واعين، وفاهمين، ولدينا قدرة على أن نفهم الأمور كما هي عليه هو مرتبط بالدين أيضاً، مرتبط بالدين؛ لأن من مهام الدين هو أن يزكي النفوس، ويجعلها نفوساً زاكية، وأرواحاً سامية، طاهرة، ويخلق معرفة، ووعياً، وفهماً بالأمور كلها.

ما يستطيع الناس من تلقاء أنفسهم هكذا، لا يستطيعون من تلقاء أنفسهم أن يحصل لديهم الوعي الكافي، الفهم الكافي الصحيح للأمور كيف تتغير من الأسوأ إلى الأفضل، وكيف تكون عواقب هذه الأعمال، أو هذه المواقف التي هم عليها، كيف يكون عواقبها، لا يأتي إلا عن طريق التعاون مع الأعمال الإسلامية، مدارس، مرشدين، علماء، معلمين، وهم ينتشرون في المجتمع فيفهِّموا الناس بدين الله، ومتى ما فهمنا دين الله سنكون واعين حقاً، سنكون فاهمين، سنكون ملتزمين، سنكون صادقين مع بعضنا بعض على أعلى مستوى، ونقف مع بعضنا بعض في كل مواقفنا.

في الحالة هذه ما يستطيع أحد يقهرنا فعلاً، متى ما وصل الناس إلى الحالة هذه عندهم فهم ووعي، عندهم وحدة كلمة، عندهم تعاون، إخلاص لله، خوف من الله، توجه إلى الله، ما يستطيع أحد يقهرهم، ولا يستطيع أحد يضللهم أبداً.

بل الحكومات في هذا الزمن، لاحظوا مع أنه من الأشياء العجيبة ـ كما قلنا أكثر من مرة ـ بأنه يتهيأ من قبل الله وضعيات أخرى، الحكومات في هذا الزمن ـ حتى الحكومات التي هي ديمقراطية ـ هي نفسها من النوع الذي هو قابل أن يتكيف مع أي مجتمع يفرض نفسه عليها.

لو أننا نحن الزيدية فيما بيننا، كلمتنا واحدة، مواقفنا واحدة، وواعين، ما أحد يستطيع أن يضللنا، لا تلفزيون، ولا رادي، ولا مطوّع، ولا أي جهة، نفهم الأمور سنرى الدولة نفسها تتوجه إلى أن تكيِّف وضعيتها بالشكل الذي يتلاءم معنا، هذا شيء معروف أنه في المجتمعات، خاصة المجتمعات الديمقراطية، أن الناس يستطيعوا أن يفرضوا أنفسهم على الدولة، ويمشّوا ما يريدوا على الدولة.

أليست تأتي فيها انتخابات؟ الإنتخابات لاحظوا كيف بين تكون، ما هم بينزلوا كلهم بين أيدي الناس؟ كلهم تحت رحمة الناس جميعاً، من عند رئيس الجمهورية إلى عند أصغر واحد مترشح لعضوية مجلس نواب، أو مجلس محلي. أليسوا كلهم بين يقولوا ينزلوا إلى بين أيدينا؟ ينزلوا إلى بين أيدينا يتودد لك، ويتلطف لك؛ لأنهم بحاجة إليك.

هو عندما تكون القضية على هذا النحو فهذه فرصتك أن تغير، أي أليست من أبسط الوسائل للتغيير؟ عندما يكون الناس موقفهم واحد يستطيعوا مثلاً أن يكون لهم ثقل في انتخابات مجالس نواب، في انتخابات مجالس محلية، ما يطلّعوا إلا أشخاص جيدين، في هذه المحافظة، ومحافظة أخرى، ومحافظة ثالثة، تعرف الدولة الفلانية بأن هذه الأمة تفرض نفسها عليها، تجعل الدولة تحت رحمتها.

نحن نراهم مثلاً كانوا يتمشون مع أحزاب معينه، أو حتى مع مناطق معينة، الدولة تكيف نفسها بالشكل الذي يرضي هذا الطرف، أحيانا تكون قبيلة واحدة، تحتاج تنزل الدولة على رغبتها، وتمشي الأمور بالنسبة لها على ما تريد، وأحياناً شخص واحد، يكون شيخ معه قبيلة بعده، ويفرض نفسه، ويمشّي الأمور على ما يريد فيما يتعلق ببلاده. لكن متى يحصل هذا عند الناس؟ عندما يفهموا بأنهم سيظلون دائماً تائهين، ومصوتين، وهذا المسؤول عدو الله، وهذا العضو فسل، وهذا ما من أبوه شيء، ولماذا قد الناس هكذا؟ الناس هم نحن، الناس هم نحن، متى ما صلحنا، وفهمنا، استطعنا أن نصحح الأمور، ونصلحها.

ومن العجيب أنه أشياء كثيرة هي بأيدي الناس، لكن الذي يفقدوه هو الوعي، الفهم الصحيح للأمور، وعدم ثقة في كتاب الله، ما بين نثق بكتاب الله حقيقة، ولا بين نخاف من الله بالشكل الذي يجب أن نكون عليه، بين نفصل الأمور على ما يطلع في رؤوسنا، تأتي انتخابات، وكل واحد يقول: ما بِلاّ أصوت لهذا، بعضهم لأنه قد تجمل معه في موقف، أو أعطاه قرضه، أو وعده بحاجة، أو أعطاه فلوس وقت الإنتخابات فصوت له، وهذا صوّت لهذا، وهذا راح كذا، وهذا راح كذا.

ولاحظ الناس أن الأمور تمشي على خلاف ما يريدون. أليس هذا من المعروف عندنا؟ الأمور سارت خاصة في مديرية [ساقين] في المجلس المحلي ألم تسير الأمور على خلاف ما يريدون، كذلك صعدة كلها محافظة زيدية، وحجة، وعمران، والجوف، كلها بتمشي الأمور على خلاف ما يريدون، وهم الذين يصنعونها هم.

من الذي سيطّلع من أي منطقة عضو مجلس نواب، وما الناس الذين سيصوتون له؟ وفي الأخير يصيحون منه! من الذي سيطلع المجلس المحلي وما الناس الذين سيصوتون له؟ وفي الأخير يصيحون منه، وفي الأخير يلعنوه، بعضهم في الأخير يلعنوه! أليس البعض في الأخير يلعنونه؟ عضو مجلس نواب، أو محلي، أو.. لكن قبل كل هذه الأشياء هم يكونوا بالشكل الذي يستطيعوا أن يفرضوا وضعية صالحة لأمتهم، ولدينهم، ولأنفسهم.

وإلا فينتظر الناس جيلاً بعد جيل على هذا النحو، يعني با تشيب ويشيب ابنك ونحن منتظرين لذولاك يسبروا مدري منهم! ما يدري واحد أن أساس الغلطة من عنده، من المجتمع جميعاً، وشَيَّب ابنه، ومات، ومات ابنه، والأمور كما هي، بل تزداد سوءا، تزداد سوءا فعلاً، ثم تزداد الخطورة على الناس فيما يتعلق بدينهم، فيما يتعلق بمصيرهم عند الله يوم القيامة؛ لأنه كلما فسد الزمان، كلما تعرضت الأمة، كلما تعرضت الأجيال للفساد الديني، كلما تعرضوا لطريق جهنم.

هذا شيء معروف، لا يأتي الفساد فقط يختص بالجانب المادي، أبداً، لا يأتي الضلال يتجه إلى الجانب المادي، جانب الأموال، أموالنا، فلوس، أو مزارع، لا يتجه إليها وحدها أبداً، بل لا يتجه إليها إلا بعد أن يصنع في نفوسنا نحن ضلالاً، تسهّل المسألة لديه أن يفسد ما يتعلق بأموالنا، سواء نقدية، أو أموال أخرى، لو أن الفساد يتجه فقط إلى الجانب المالي، ثم لا يكون لهذا الجانب مردود فساد، لكانت القضية سهلة.

لكن لا، الضلال، الفساد يتجه إلى الإنسان، إلى نفسه، إلى المجتمع نفسه، وأمواله، يتجه إلى الدين بكله؛ لأن الفاسد متى ما أخذ من أمولك فين بيشغلها؟ في الإصلاح، أو في الإفساد؟ يشغلها في الإفساد؛ ولأنه معلوم أن الإفساد لا يتجه فقط إلى جانب المال، بدليل أن كل دوله، ما كل دولة يكون معها؟ سواء محققة، أو مبطلة، دول

الضلال؟ ما بيكون معها وسائل إعلام؟ تعمل مدارس، جانب تربوي، عندها وزارة إعلام، عندها وزارة ثقافة، عندها إذاعة، تلفزيون، صحف، كتّاب.

أين يتجه هذا العمل؟ أين يتجه؟ هل هو يتجه إلى الأراضي؟! أو إلى النفوس؟ إلى النفوس يتجه، إلى الإنسان، هم ما هذه أمريكا نفسها، وكل دولة ما معهم وزارة إعلام، ووزارة ثقافة، ووزارة تربية وتعليم؟ لديها صحف ـ كآليات ـ صحف، مجلات، كتّاب، صحفيين، إذاعة، تلفزيون، مناهج دراسية، هذه أين تتجه؟ ما هي تتجه إلى النفوس لتصنعها على كيفية معينة؟.

ما هناك شيء في الدنيا فساد أو ضلال يتجه إلى الجانب المادي. إذا كان الناس في وضعية فاسدة معنى هذا بأن الخطورة عليهم ليست فقط فيما يتعلق بأموالهم، أو ظلم مادي عليهم، بل تتجه المسألة إلى إفساد دينهم، إفساد نفوسهم، فيتحولون إلى أعداء لله من حيث لا يشعرون، يتحولون إلى أعداء لأولياء الله من حيث لا يشعرون، يتحولون إلى ربما أولياء لليهود والنصارى من حيث لا يشعرون، فيتحولون إلى أن يكونوا من حزب الشيطان، نعوذ بالله، والله قال عن الشيطان: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}(فاطر٦) وحتى أحياناً لو حاول واحد يقدر أما هو أنه سابر، فليس صحيحاً.

إذا رأيت الفساد ينتشر لا تقدر بأن عادك يمكن أن تأكل أنت لقمة حلال، إذا الفساد ينتشر فلا تقدر أما أنت فيما يتعلق بدينك أنه سابر؛ لأنه أنت واحد من المقصرين عن أشياء مهمة؛ لأننا نفهم الدين فهماً محدوداً.

متى ما جاء أحد إلى نفسه قال: [والله من فضل الله لا سارق، لا زاني، لا قاتل نفس محرم، لا قاطع سبيل، لا شارب خمر، مصل، وصائم، مزك، حاج، ما لي حاجة من أحد] هذه أيضاً واحدة منها، من الأشياء الإيجابية، [ما لي حاجه من أحد، لا أتدخل في أي قضية] ما هاتين الخصلتين إيجابية يعدونها؟ وفي الأخير ينظر لنفسه بأنه أما هو فهو كامل يعني. منتظر الزمان [بده يسبر، بده لا] أما هو فقد هو سابر، في الأخير سيموت ويدخل الجنة! لا، كل إنسان مسؤول، وكل إنسان مقصر.

التقصير يلحق كل واحد منا، إذا رأينا أنفسنا مقصرين بشكل واضح، نعرف بأننا مقصرين يكون هناك أعمال نحن نعرف أنها أعمال صالحة، وأنها مهمة في مجال إصلاح المجتمع، في مجال إعلاء كلمة الله، مثلاً المدارس هذه المنتشرة، ما كل واحد عارف مننا أنها مشروع جيد، وأنها من الأعمال الجيدة، وأنها إعلاء لدين الله؟.

كل واحد يعرف هذه، لكن تجدنا لا نتعاون معها إلا القليل من الناس، وبالقليل مما لديهم، أليس هذا يدل على أننا مقصرين جميعاً؟ هل كل شخص من المجتمع يتعاون معها؟ القليل من الناس، بدليل أنها لم تستطع أن تتحرك بالشكل المطلوب، ما استطاعت أن يكون لها دور كبير في إصلاح المجتمع.

هذا جانب كل واحد يشهد بأننا مقصرين فيه، أو الغالبية من الناس مقصرين فيه، فالمسألة تبدأ من أن يفهم الناس دينهم، ويفهموا مسؤوليتهم أمام دين الله، فمتى ما استقام الدين فينا، متى ما فهمنا ديننا استقامت نفوسنا، وزكت نفوسنا، واتسعت معرفتنا، وفهمنا للأمور، وفهمنا خطورة بعض الأشياء التي نحن عليها، ولا نهتم بها، ونعتبرها أشياء بسيطة، مثل حالة اللامبالاة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٠/ رمضان ١٤٣١ هـ
الموافق ٢٠ / ٨ / ٢٠١٠م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(١)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم
منهجية الدعوة في القرآن الكريم

[من دروس شهر رمضان المبارك]
[سورة البقرة ـ الدرس الثالث]

ـ التذكير المستمر

جاء الحديث من خلال هذه الآيات بالشكل الذي يوحي للناس بأن الإنسان مفطور أساسا على الحرص أن يقي نفسه من أي شر، من أي ألم، من أي عذاب. وهذه نقطة هامة جداً هي قضية ملموسة لدى الناس: أن كل واحد يكون حريصاً على أن يقي نفسه .

إذاً هذه تعتبر قضية مساعدة جداً لمن يتحدث مع الناس لمن يعمل على أن يرتقي بنفسه إلى درجة المؤمنين المتقين وأن نعرف أن الإنسان نفسه بأنه مفطور على الحذر على أن يقي نفسه مما هو شر، من العذاب من الأشياء التي هي ضر هو فقط يحتاج إلى تذكير مستمر تذكير مستمر، فعندما تذكر الإنسان بقضية، أن فيها خطورة عليه، تقدمها بشكل واضح تبين له طريقة الوقاية منها، هنا يوجد تجاوب في داخل نفسيته، عادة يوجد تجاوب، وهذه من الأشياء المهمة: أن هذا الدين كما قال الله عنه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (الروم: من الآية٣٠) **هذه تساعدنا على إزالة مفهوم ـ تقريباً ـ قد يكون نتيجة أننا لا نستقري فطرة الناس وتكون النتيجة عند هذا الشخص: [أن هؤلاء ما رضيوا يسمعوا ولا رضيوا يفهموا ولا يريدوا الحق ولا ، ولا] بالطريقة هذه يكون سريعاً إلى أنه يتوقف !**

لا، افهم: أن الإنسان هو مفطور على أن يقي نفسه فعليك أنت أن تطور أسلوبك فتعرف كيف تخاطبه حتى يتبين له فعلا: أن القضية الفلانية تشكل خطورة عليه، تبين له: أن عملا معينا أو تقصيراً في عمل معين يؤدي به إلى أن يشقى في هذه الحياة يؤدي به إلى أن يغضب الله عليه يؤدي به إلى أن يعذب في نار جهنم، ثم تبين له ما يشكل وقاية من هذه وباستمرار. الإنسان بحاجة إلى التذكير المستمر التذكير المستمر، ومعك في داخل كل إنسان ما يساعد على تفهم وتقبل ما تقدمه إليه، وإذا كنا قديرين على تقديم الأشياء للناس، وأعتقد لا يوجد أحد يعتبر قديراً إذا لم يكن مخاطبا للناس بالقرآن نفسه، القرآن هو أعلى أسلوب في الخطاب للآخرين هو أبلغ موعظة أرقى تذكير أوضح تبيين، يذكر كيف نخاطب الناس بل كيف نخاطب أنفسنا . هذه قضية أساسية لازم التذكير المستمر ، التذكير المستمر (ص١)

ـ التنويع في الخطاب

جانب آخر: الخطاب في السورة بدأ في أول السورة ـ فيما سمعنا بالأمس من التلاوة ـ ألم يأت فيه ـ إذا صحت العبارة ـ لهجة قاسية حول الكافرين وحول المنافقين ؟ ثم جاء بعده بعبارة لطيفة ورقيقة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:٢١) **إذاً ألم يتحدث هنا عن التقوى؟ وجاء بعبارة لطيفة ورقيقة؟ هذه من الناحية النفسية أسلوب من الأساليب الهامة عندما تخطب في الناس وتكون خطبتك من أولها إلى آخرها كله كلاما ساخنا:[د د د د د د د...] مثل بعض الخطباء! هذا ليس أسلوبا صحيحاً .**

عندما تكون في فقرة من الفقرات في موضوع من المواضيع تتحدث بلهجة قاسية مناسب جداً تنتقل إلى أسلوب آخر لطيف تقول: [أيها الأخوة: نحن يجب أن نكون كذا ....] ، بأسلوب لطيف بحيث يكون له وقع في النفوس لكن تأتي بطريقة واحدة روتين واحد في الخطبة: إما شدة من أولها إلى آخرها أو كلام بارد وأسلوب متثاقل، متثاقل من أولها إلى آخرها، هذا غير صحيح . تقليب الموضوع بخطاب ما بين شدة ولين من الأساليب المؤثرة ..(ص١)

ـ ذكّر حتى بالنعم التي قد أصبحت بديهية

إذاً نلحظ هذا من ناحية المنهج والأسلوب وأن هذا جانب مهم جداً في تذكير الناس وفي الدفع بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى تذكير الناس بالله وبما أنعم به عليهم، تذكير حتى بالأشياء التي تبدو عند الناس أصبحت بديهية، لم يعودوا يلتفتون إليها، الأرض هذه على هذا النحو: {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} ذكّر حتى بنعمة الشمس. الإنسان أحيانا قد تكون القضية عنده تصبح عادية لأنه ألفها يومياً، يومياً، نحاول أن نذكّر أنفسنا ونذكر بعضنا بعض بالنعم بما فيها النعم التي قد أصبحت لم تعد تؤثر فينا قد هي طبيعية وبديهية لدينا لم تعد تثير لدينا أيّ تذكر؛ لأن المسألة في دفع الناس إلى العبودية لله لا تتطلب منك أن تبحث عن غوامض الأشياء ، بل بالواضحات خاطب الناس بالواضحات، أعني: بالأشياء التي هم قد ألفوها تماما حاول أنك تذكرهم من جديد وتلفت أنظارهم إلى أن يتأملوا ويتذكروا، الشمس مثلا أليست كل يوم تطلع؟ لا أحد منا يحاول يتذكر أنها نعمة، ناسين ! شمس كل يوم ، كل يوم، لم نعد نتذكر أنها نعمة وتثير انتباهنا عندما تطلع ! لكن لو نفترض أنها غابت شهرا مثلا الناس يصبحون في حالة سيئة جداً ويضيقون من الظلام ثم إذا ما ظهر لهم بصيص من نور كيف ستكون حالتهم وفرحتهم عندما تظهر الشمس عليهم؟!

جاء في آية أخرى في [سورة القصص]: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ} (القصص:٧١ص٤) (ص٣)

ـ التخويف بالأشياء المتعددة

عندما يأتي الخطاب هنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} ويأتي بعدها بعبارة: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لم يأت بكلمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ثم يأتي بعدها بعبارة {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، هذه تأتي في مقامات أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:١٨٣) أليست خطابا خاصا؟ نستفيد من هذه عندما يقول: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} هو: أن تعرف ـ مثلما قلنا سابقاً ـ أن التقوى لدى الإنسان ـ أي: حرصه على أن يقي نفسه من أي شر من أي ضر من أي عذاب ـ هي فطرة لديه؛ فحدث الناس .

لهذا جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم واسع ، المشركون أنفسهم ، الكافرون أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بجهنم ولا مؤمنين بكثير من الأشياء التي تقدم إليهم ماذا يقول لهم؟ أليس هو يخوفهم من النار؟ يخوفهم من النار. إذاً التخويف هذا يعني ماذا؟ يوجد هناك قابلية له، لا يوجد أحد تخوفه من شيء ولا يخاف في أعماقه في أعماق نفسه، يخوفهم من النار وعلى ماذا؟ وعلى هذا النحو أي: على استخدام ـ إذا صحت العبارة ـ هذا الأسلوب يخوفهم بجهنم حتى لو لم يكونوا قد آمنوا بها؛ لأن الموضوع أنه يأتي تخويف بجهنم ، بسوء الحساب، زبانية جهنم {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} (الحاقة:٣١) يخوف بما حصل على الأمم الماضية، الإنسان حتى كحالة نفسية لديه عندما يأتي له تخويف من هنا ومن هنا ومن ذا وذا ...أشياء كثيرة حتى لا تترك له الفرصة أنه ينطلق ليقول: إنه كذب.. كذب.. كذب.. كذب ...إلى آخره . لابد ما تؤثر فيه لابد ما تؤثر في نفسيته .

أنت تستطيع انك تجعل الإنسان يتأثر فلا تترك له المجال يتفرغ مع نفسه ليكذب فقط، يكذب ، يكذب، ويجلس مطمئناً وكأن ما هناك شيء. وهذه قضية معروفة عندما يأتي أشخاص يقومون بتخويف أحد [قالوا: سيأتي ..وقالوا وقالوا، وقالوا ذا، ذا ...] أشياء كثيرة يخوفونه بها سيرتبك بتعدد الأشياء التي تخوف بها، هذه تفيده؛ لأنها تنسيه مسألة أنه يكذب تستطيع أنك تملأ ذهنيته. ولذا جاء القرآن الكريم بهذا الأسلوب ألم يخوفهم بما أتى على الأمم الماضية؟ خوفهم بعقوبات فيما يتعلق بمعيشتهم يخوفهم بما كان يحصل على الأمم الماضية من اجتياح أعني: عذاب يجتاحهم نهائيا، خوفهم أيضا بشدة المعيشة بنقص الرزق ونقص البركات خوفهم بجهنم خوفهم حتى بضرب الملائكة لهم عند النزع عند الموت {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (الأنفال: من الآية٥٠) **يخوفهم عند البعث كيف سيقولون يخوفهم في ساحة الحساب كيف سيحصل .**

لذا تجد قائمة من التخويف واسعة جداً هذه القائمة الواسعة جداً يوجد هناك في النفس ما يتقبلها يوجد هناك في النفس ما يجعل الإنسان ـ فعلاً ـ يتأثر بها تخويف متعدد؛ لأنه مجبول على أن يخاف مما فيه شر مما فيه ألم مما فيه ضر مما فيه ما هو عذاب له. (ص٤)

ـ الإنسان مفطور على معرفة الله

الآية هذه تتوجه إلى ناس يبدو مشركين{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢٢) **يعني: كافرين وهذا أسلوب من أساليب أن يتركوا ما هم عليه من شرك وكفر ويعودوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .**

تجد في هذا الأسلوب ما يختلف تماما عن أسلوب المتكلمين في كتب [علم الكلام]. هنا الله سبحانه وتعالى ـ وهذه تجدها تقريبا في كل آية من الآيات ـ يأتي باسمه في الموضوع أعني نستفيد من المسألة هذه : أن الله معروف لدى البشر أن البشر مؤمنون بالله، بأن هنا إله أسمه:الله هو الذي خلقنا، وخلق الأرض، وخلق السماء، وخلق البحار، وخلق ....الخ، قضية موجودة عند البشر، ليست المسألة أن هؤلاء أناس لا يوجد في ذهنيتهم أي شيء من هذا لا يعرفون شيئا أسمه الله ولا يعرفون أي شيء من هذا . لا، القضية: الخطاب هذا يدل على أن الإنسان مفطور على ماذا ؟ على معرفة الله سبحانه الله سبحانه وتعالى، يعرفه .

وتجد أن هذه القضية من القضايا الهامة الأساسية ولولا هذا لما استقامت ـ ربما ـ نبوة لولا أن هناك لدى الناس إيمان بالله، أليس كل الأنبياء يأتون كرسل من جهة الله؟ وتنظر إلى خطابهم وإذا كل خطابهم هو خطاب رسول من جهة هي معروفة عند الناس [الله] تجد الموضوع هذا أو تجد هذا الأسلوب في كلام نوح وما بعده من الأنبياء إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) . (ص٤)

ـ جُرَّ الآخرين إلى القرآن

الناس مثلا لو يأتي تشكيك، مهما يأتي من جانب الآخرين تشكيك سواء في معتقدات معينة أو في أحكام معينة، فيما يتعلق بقضية المرأة، بالنسبة للمواريث، أو بالنسبة لأشياء أخرى بشرط أن يكون الإنسان عارفاً كيف القضية في القرآن نفسه، قل له: القرآن تناوله على هذا النحو، ونحن ملزمون بأن نطيع الله، وهذا الكتاب هو من عند الله ـ هو مؤمن بالله هو ـ إذا عندك ريب بأن هذا القرآن هو من عند الله فأت بسورة من مثله أنت أو أي واحد عنده ريب. حاول تدفعه إلى أنه يرجع للقرآن ، لا أن تحاول أنك تبعد القرآن وتبرز أنت فيما بينك أنت وإياه ، بل تحاول كيف تجرجره إلى القرآن. هذه واحدة من الوسائل كيف تجر الآخرين إلى القرآن، واتركه يرجع إلى القرآن سواء هو، أعني: في أي تأهيل لديه مثلا: هو قانوني ، أو اقتصادي، أو تربوي، أو فيلسوف، أو كيفما كان، بل تعتبر وضعيته أقرب إلى أنه يفهم أكثر من العامي منهم، فاتركه هو يرجع إلى القرآن .

عندما ترى العبارة هنا هل فيها شيء بالنسبة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}** (البقرة: من الآية٢٣) **فارجعوا إلى كذا ....؟ بل قال لهم: أنتم فأتوا بسورة من مثله. هذا يسمى توجيها إلى قضية هي تعتبر حلاً يجرهم إلى القرآن ليتفهموه ولن يخرج أحد بعد القرآن وهو مرتاب إذا كان ينظر بموضوعية، بل بنظرة طبيعية لا يكون عنده من قبل قد صار عبارة عن شيطان ويدخل إلى القرآن وعنده أهداف سياسية معينة، عنده عداوات معينة أعني: عبارة عن شيطان يحاول ....هنا ممكن يخرج من القرآن فاضي؛ لأنه لا يمكن يستفيد منه! لكن إذا رجع الإنسان بموضوعية، بل بنظرة طبيعية، لا تحامل لديه، لا يوجد تحامل لديه، فلن يخرج من القرآن إلا وهو مصدق بهذا القرآن .** (ص٨)

ـ المقارنة الذهنية

كثيراً ما يأتي في القرآن الكريم هذا الأسلوب: متى ما تحدث عن عقوبة للكافرين، أو المنافقين، أو العاصين يأتي بالبشارة للمؤمنين، والعكس: متى ما تحدث عن مؤمنين وما وعدوا به، والمتقين وما وعدوا به، يأتي بالحديث عن الجانب الآخر. فهذه مهمة جداً من الناحية التربوية ومن ناحية خطاب الناس، يقدم الموضوعين: يتحدث عن ما وعد الله به المؤمنين الفوز الذي يمكن أن يصلوا إليه، والفلاح الذي يصلون إليه، والجنة، وما وعدهم به في الدنيا وفي الآخرة بشكل عام، ويلاحظ الجانب الآخر العاصين كيف يكونون؛ لأن هذا نفسه يساعد على ترسيخ الحالة الأولى، يساعد على ترسيخ الحالة الأولى لديك من خلال المقارنة الذهنية بين القضيتين .(ص١١)

ـ أهمية الترغيب بالماديات مع الشد إلى الله وربط الدين بحياتهم

الترغيب هنا يأتي على مستوى عالي{أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً}(البقرة: من الآية٢٥) أنواع متعددة إلى درجة أن بعضها متشابه من كثرة الأصناف خاصة الفواكه بعضها تكون متشابهة ـ تقريباً ـ في النوع أو في الشكل أو في كذا ....، ومختلفة في أشياء كثيرة، في ذوقها، وفي فوائدها {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}البقرة: من الآية٢٥) هذا مما يعجب الإنسان كمخلوق، يعجبه الأشياء الماديات؛ ولهذا أن الله جعل الجنة أرقى الماديات التي يتصورها الإنسان، أرقى نعيم مادي: جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن، أزواج، وخلود فيها...إلى آخره، أليس هذا يعتبر أرقى نعيم مادي؟ إذاً هنا لو نلحظ بأن الله سبحانه وتعالى ـ فيما يتعلق بهذه الدنيا ـ لو لم يقدم أشياء مرغبة في الدنيا هذه، من الناحية التربوية سيكون تقصيراً؛ لأنه يقول عن الإنسان بأن الإنسان ـ بطبيعته ـ يحب العاجلة، أن الإنسان يحب الخير هنا، هنا، الشيء الطبيعي أن يقول له: أنه حتى هنا في الدنيا، هنا في الدنيا عندما تستقيم، عندما تسير على الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى يحصل لك الخير، ويحصل لك البركة، وتحصل النعم ، ويحصل، ويحصل ، ويحصل ...أشياء كثيرة من الماديات والمعنويات .

إذاً فمعنى هذا من الناحية المنهجية عندما نرغب الناس في طاعة الله، في عبادة الله، في الإستقامة على طريقه نرغب في الموضوعين؛ لأن هذا وارد في القرآن ورد في القرآن وهذا هو الشيء الطبيعي والشيء الصحيح فعلا، كيف يمكن أن يقول عن الإنسان بأنه يحب الخير ويحب العاجل يريد شيئاً أمامه ثم يأتي هو ليقول لك تتحدث عن الجنة فقط على طول على طول! تحدث عن الجنة وتحدث عن ما يحصل في الدنيا وقدم للإنسان المسألة بأنها حياة واحدة بالنسبة له إنما هذه تعتبر لحظة من الحياة الأبدية لأن الإنسان من أول ما يخلق هو يخلق للأبد يخلق لحياة أبدية إنما يمر بمرحلة هذه حياة أولى بعدها يموت ثم يستأنف الحياة الأبدية التي لا انتهاء لها .

إذاً فالمسألة بالنسبة لك هي حياة واحدة، هي حياة واحدة بالنسبة لك، عندما تتحدث عن الجنة فقط على طول على طول والإنسان هنا هو يحب الخير ويحب العاجل وهو مرتبط أيضاً، مرتبط هو في تكوينه في هذه الحياة مرتبط بماديات هذه الحياة فمن الطبيعي من الناحية التربوية أن يكون هنا يعجل، يعجل للناس شيئاً بسبب استقامتهم بسبب ثباتهم وسيرهم على هدي الله وطريقه، أن يعجل لهم ـ وهذا حصل في القرآن الكريم بشكل واسع ـ أعني: أن القضية يجب أن تربط الناس تربطهم بأن سعادتهم في الدنيا في هذه الحياة متوقفة على أن يسيروا على هدي الله وإلا فستطلع النتيجة في الأخير نتيجة سلبية كبيرة، فسيعتبر الدين هذا ليست له قيمة هو مشغول؛ ولهذا ظهر في الناس أنه ما هناك اهتمام بأن يعملوا للدين هذا، لإعلاء كلمته لسيادة أحكامه لسيادة توجيهاته، لا يوجد هذا الإهتمام !! فمتى ما أراد أن يتحرك للدين فإنه يعتبره موضوعاً ثانوياً والحياة هنا وهو مرتبط بالحياة وشؤونه وأعماله وحاجاته ومعه عمل ومعه كذا .. وليس متفرغاً لك!

هذا من نتائج أن الإنسان لم يقال له ولم يترسخ في ذهنيته هذا الأسلوب القرآني: أن حياتك هذه لا تستقيم لا تستقر أبداً لامادياً ولا معنوياً إلا عندما تكون تسير على هدي الله، أربط حياته بالدين؛ ليصبح الدين عنده

بالشكل الذي يهتم به كما يهتم بالحياة نفسها لماذا ـ مثلاً ـ عندما نأتي إلى الكثير من الناس نقول له: دين الله، ونقول: تتعاون من أجل عمل ديني يعتبره عملاً هامشياً ثانوياً هو مشغول بأشياء أخرى من شؤونه!

إذاً معنى هذا أنه عندما نجد هذه حالة موجودة عند الناس، وجود سلبية كبيرة تقعدهم عن العمل لدين الله يجب أن نركز على هذا الأسلوب، عندما نركز على هذا الأسلوب نحذر، نحذر أن نربط المسألة في ذهنية الإنسان مادية بحتة، شده إلى الله ومن الله، هذا أسلوب قرآني: [نحن إذا استقمنا على طريقة الله فالله هو ...] ولهذا جاء هذا الأسلوب في كلام نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً} (نوح:١١) لا تقل للناس اعملوا كذا وستحصلون على كذا وتحصلون على كذا ويحصل لكم ويحصل لكم ويحصل ....من العبارات هذه، هنا ستترسخ عنده ذهنية المصلحة، إذاً فممكن يأتي طرف آخر يقدم له: ويحصل، ويحصل، ويحصل، ويحصل ...وينجرف إليه، لا. يجب أن نركز على هذه بأنه نستجيب لله، والله هو .....ولهذا قال: {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} (نوح:١٢) لم يقل: يحصل لكم ماء، ويحصل لكم أولاد، ويحصل لكم جنات، ويحصل لكم، ويحصل ....قال: {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً}.

هذا أسلوب هام جداً مراعاته: أن تذكر الناس بما يربط الدين بحياتهم، يربط حياتهم بالدين، وعلى هذا النحو؛ لتبقى الذهنية متجهة إلى الله، وأن كلما يحصل لهم إنما يحصل من جهة الله، ومن عند الله هنا ستربطهم بالله سبحانه وتعالى، فهم لن يكونوا عرضة لأن يجرفهم طرف آخر يقدم لهم خدمات ومشاريع ومصالح من الأشياء هذه، فيكون عندهم: إذاً فما دام المسألة أنه يحصل ويحصل فهذا سيعطي لنا فمع هذا! لا ، تربطهم بالله وتقارن بين ما يقدمه الله سبحانه وتعالى للناس وبين ما يحصل عليه من الآخرين من ناحية تقديمه، الآخرون لا يقدمون لك شيئاً إلا وهم يريدون ثمنه منك شيئاً هو يضر بك أنت فيمكن يقدمون لك مصالح لكن هي في سبيل استعبادك أنت وإذلالك أنت وأن يأخذوا منك أنت أضعاف ما أعطوك، هل هذه موجودة عند الله سبحانه وتعالى أنه يعطيك ليأخذ منك أضعافاً؟ لا، بل العكس، الدين الذي نزله الله للناس هم بحاجة إليه لاستقامة حياتهم، ووعدهم بأن يعطيهم المزيد؛ ولهذا يَعِدُ بأضعاف مضاعفة لمن أنفقوا في سبيله لمن استقاموا على طريقته يعطيهم خيراً بأضعاف مضاعفة، والخير الكبير الذي لا ينتهي: الجنة، مع أن كان حاجتهم إلى هذا الدين في الدنيا هو يعتبر نعمة في حد ذاته، ومع هذا يعطيهم النعمة البيرة التي لا تنتهي أرقى نعيم وهي الجنة .(ص١٢)

ـ ضرب الأمثلة وسيلة من وسائل الفهم

{إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} (البقرة:٢٦) لأنه في مجال الهداية للناس يحتاج الإنسان إلى أشياء كثيرة، في مجال التبيين له وتقريب القضايا إلى فهمه، فالأمثلة أحيانا تكون تجسيداً للمعاني لتقربها إلى فهمك حتى لو كانت المسألة مثلا فيها ضرب مثل ببعوضة أو بفراشة أو ذبابة أو أي شيء من هذه، هذه لها قيمة من الناحية العلمية من ناحية التبيين بالنسبة لك .

الله سبحانه وتعالى هو من يريد لعباده الهداية، ويبين لهم على أرقى وسيلة، لا يستحي أن يضرب مثلا في سبيل أن يهتدوا، أن يبين لهم الأشياء ويقرب إلى أذهانهم ما يفهمون به مبادئ معينه، أو قيم معينه، المهم في مجال الاهتداء لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة أو أي شيء من الأشياء الأخرى، المؤمنون يعرفون: أن هذا حق من الله، ولهذا قيمته، له قيمته، الآخرون يكونون مشغولين بأنه ماذا يعني أن يضرب بفراشة أو يضرب ببعوضة، أو ذبابة أو...؟! ما هي الفائدة في أن يضرب لك مثلا به! ما هي الفائدة منها أو ما هي قيمتها؟ هذا يسمى ضلالا، هو سماهم ضالين{مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} ينشغل بأنه ماذا يعني، ما قيمة أن يتحدث عن ذبابة!

أو الله أعلى من أن يذكر ذبابة! أو الله أعلى وأعظم من أن يذكر بعوضة، فيكون هو منشغلاً بالفكرة هذه وناسي الإستفادة من المثل وبما يهدي إليه المثل.

يستفيد الإنسان من هذا: بأن يكون عنده حرص، حرص على أنه يستفيد ويعرف حتى في تأملاته يتأمل في النملة في الذبابة في أي شيء، لا يكن عندك أنك لست محتاجا إلى أنك تستفيد من النملة أو تستفيد من الذبابة أو من البعوضة، أحيانا لو لم يكن إلى من أجل أن تعرف ذكاءها مثلاً، ذكاءها وطريقتها عندما يكون البعوض هذا نفس البعوض يظهر ذكيا يعرف أين هو ويعرف أين أنت وهو يتصيد لك هو يأتي يتصيد لك وأنت أكبر منه حقيقة! لاحظ إذا أنت مثلا في السطح في مكان خارج هو عارف أنك عندما تحرك يدك لضربه أنك لا تستطيع اللحاق به يحاول من قريب يريد أن يلدغك وبإلحاح! إذا أنت في غرفة فإنه يكون حذراً جداً لأنه عارف فيحاول يترقب غفلاتك! إذا أنت تقرأ في كتاب وتمسكه بيديك يلدغك في ظهر الكف، وإن كان الكتاب على طاولة أو على فخذيك أو على أي شيء يترقب غفلاتك! في حالة الهواء الطلق إذا أنت خارج يحاول يهاجمك وهو منتبه لك؛ لأنه عارف هناك لن تقوم تبحث عنه، لكن وهو في الغرفة يرى جدران مغلقة والطياق مغلقة تراه حذراً جداً تراه أحيانا يطير على مستوى القاع ويكتم صوته!

إذاً هنا أنت ستراه مخلوقا يتصيد لك أليست هذه واحدة؟ الذي يقول: البعوضة! ماذا يعني بعوضة؟! البعوضة هذه هي تراك أصغر منها، إذاً هذه البعوضة تبحث عنك تريد أن تمص دمك، تتصيد لك كما تتصيد أنت لأرنبة أو لحمامة أو لأي شيء، أليس عندها طمع كبير وعندها نظرة كبيرة؟ رجل كبير تتصيد له تريد أن تمص دمه وهم يقولون: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً} يعني، ما هي قيمة بعوضة؟! تراها فيها ذكاء وتعرف من خلال هذا بأنه مخلوق على هذا النحو كيف هدي إلى أن يعرف محيطه ويعرف ما حوله ويعرف متى يهاجمك، إنه يدري إذا أنت تريد أبعاد الكتاب وتريد تراقبه يعرف أنك تراقبه فعلا، تتجه إتجاها آخر، ينتبه أنك مراقب له، القضية هذه مجربة .

الإنسان يحتاج إلى أنه يستفيد من كل شيء، لاحظ نبي الله سليمان وهو نبي بعد ما سمع كلام النملة ظهر في مظهر من الخضوع بشكل عجيب، ألم يقل: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل:١٩)

النملة هذه استفاد من كلامها تذكيراً بنعمة عظيمة عليه، كيف أن النملة نفسها عندما قالت: {لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (النمل: من الآية١٨) يعني: أنها عارفة أن سليمان عادل وليس بإمكانه أن يدوس على نملة متعمداً ولا أحد من جنوده، إذاً هو في نعمة كبيرة جداً أنه حتى الحيوانات الصغيرة تعرف عدالته. جاء بالعبارة هذه الهامة في الخضوع لله. أليست هذه نملة أفادته بشكل عجيب؟ إذاً فلا يظن الواحد منا أنه أذكى أو أعلى من أن يستفيد من نملة أو بعوضة أو أي شيء، معنى هذا كبرياء وغرور .

{إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} (البقرة: من الآية٢٦) فكيف تستحي أنت وأنت الإنسان القاصر من أن تستفيد من أي شيء من مخلوقاته هذه الصغيرة، وأن تتأمل فيها، تستفيد معرفة، وأنه هكذا المؤمن يكون حريصا جداً على ما يزيده هدى وإيماناً ومعرفة و... بينما الكافر هناك غرور، تعجرف يناقش أنه: لماذا تضرب بعوضة أو ذبابة أو عنكبوت؟ كل هذه ذكرت في القرآن: عنكبوت، وذبابه، وبعوضة .(ص ١٣)

ـ أهمية الإرتباط بالله

إذاً هذا جانب معين أن تكون مرتبطاً بالله بذكر الله، وتسير في تعاملك هنا على هذا الأساس، وأنت مستحضر، مستشعر لله، وكلما تعاملت مع مظاهر هذه الحياة كلما زادت معرفتك بالله وإيمانك به، وكلما اتسعت مجالات حياتك كلما اتسعت ماذا؟ معرفة الإنسان بالله؛ ولهذا تأتي أخبار وقصص لأشخاص ممن هم علماء في [الطب] و[الهندسة] وفي [الفلك] أو في أي مجال منهم يصلون إلى حالات من الإيمان بشكل

عجيب، حالات عميقة من الإيمان بالله وبعضهم يسلم بآية واحدة .
يذكر واحد قصة عن مسيحي[باكستاني] أو [هندي] ما أذكره بالتحديد يراه العالم المسلم إنسانا في حالة خشوع وتوجه إلى الكنيسة أعني: يكاد أن يذوب قال له ماذا؟ ذكر له مظاهر من الحياة، قال المسلم: الله يقول في القرآن : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} (فاطر:٢٧) **إلى آخر الآية. في الأخير قال: هذه في القرآن؟ قال: نعم ، فأسلم، آمن بالقرآن وأسلم، بهذه الآية وحدها، قد هو معبأ إيماناً وخشوعاً من خلال تعامله مع مظاهر الحياة الواسعة.** (ص٢٢)

ـ الاستقامة في الدين مرتبطة بمظاهر هذه الحياة

ثم ترى في الأخير حتى جانب الدين نفسه إقامته حين تنظر إلى الدين مثلا من جانب من جوانبه كقيم ومبادئ تستقيم عليها الحياة: منهج تربوي، منهج أخلاقي، الإستقامة في الدين مرتبطة بمظاهر هذه الحياة، عندما نأتي نحن بعد عقود من الزمن، بعد قرون ونحن نوعظ الإنسان يبتعد عن الدنيا هذه وعن الحياة هذه، ثم في الأخير نقول: هؤلاء الناس نريد نواجههم، وهم متجهون لمحاربة هذا الدين. [قالوا: نحن لا نستطيع هم معهم ومعهم، ومعهم...] إذاً تعال معي إلى أنه ماذا معهم؟ معهم من أين؟ من الحياة هذه، الآليات هذه التي تراها الآن تشغل الباطل إلى أن يصل إلى داخل مسجدك أو مدرستك ليفرض عليك ثقافة باطلة ومنهجا باطلاً حديد، أليست حديداً؟ حديد وبلاستيك وقطع وأشياء، كلها معادن، كلها حاجات من هنا من مظاهر الحياة هذه، أمكن أن تشغل الباطل وتجعل للبطل كلمة تقهر المسلمين إلى داخل مساجدهم وإلى داخل مدارسهم، تصل إلى أعماق أنفسهم. أليست هذه كل ما وراءها من مظاهر الحياة؟ لم يرضوا يفهموا بأن الله قال عندما أنزل كتبه: أنه أنزل حديداً عندما قال: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} (الحديد: من الآية٢٥) **تحدث عن الحديد، تحدث عن مختلف الأشياء التي لها علاقة بإقامة الدين، تحدث عن الإنفاق، تحدث عن إعداد كل ما يستطيعون من قوة.**

تجد الإنفاق مرتبط بالحياة هذه، أليس الإنفاق معناه أشياء ماديات من الأرض؟ إعداد القوة أليس معناها إعداد ماديات من الأرض؟ الحديد أليس معدنا من أكثر المعادن توفراً في الأرض؟ يقول: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ} وعد من غاية إيجاده وإنزاله ويأتي بعبارة تساوي إنزال الكتاب: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية٢١٣) **ألم يقل أنزل؟ وبعدها يقول: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ}القرآن أو الكتاب استقامته مرتبط بماذا؟ بآليات من مظاهر هذه الحياة، منها الحديد، عندما ترى النصراني معه طائرة، حديد، أليست حديداً؟ معظم جسم الطائرة ومكوناتها حديد؟ معه دبابة معه مدفع معه، معه ...إلى آخره، معه حديد لأنك أنت ما رضيت أنت تشغل الحديد ليشتغل لك الكتاب حتى تقيم الكتاب بالحديد .**

يأتي ينصرف عن هذه الأشياء كلها، إذاً أثبت الواقع هذا الإرتباط: إرتباط إقامة الدين بمظاهر الحياة نفسها فوصلنا إلى المرحلة هذه، رأينا وبال أمرنا، أو نقول: عاقبة توجيهنا الخاطئ لانصراف الإنسان ....إما أن يأتي علماء ينشغلون بالموضوع الذي لا يعنيهم يطلعون لك عشرات أو مئات المجلدات في موضوع من مواضيع الدين واحد مثلا في [الفقه] توسع فيه واختلاف وأقوال متعددة وكلام كثير فيه وناسين ما هو يعتبر أساسياً في إقامة الدين وما علّمه آدم من قبل أن يُعلم كتاباً{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}أليس هذا أول

شيء قبل ربما أن يُعلّم كتابا أو يعلم شيئاً يعلم أسماء هذه المظاهر هنا في الحياة .
فعندما تجد حياة الإنسان هو ككائن مخلوق وواسع تكوينه والكيفية التي هو عليها مرتبطة بمظاهر الحياة والدين نفسه مرتبط إقامته، ميدانه وإقامته، أخذه ورده، هي الحياة هذه، واقع الحياة، ومظاهر الحياة الإرتباط الكامل وفي الأخير، يأتي توجيه يفصل الإنسان عن هذا كله، وإذا بالدين لاشيء، وإذا بهذا الإنسان أصبح لاشيء، أمة ظهرت متخلفة جاهلة، تفتقر إلى كثير من مظاهر الحياة، لا توجد لها وليست متوفرة عندها، ودينها ضائع، في الأخير شغلوا مظاهر الحياة، ظهروا على الناس بباطل، وإذا الحق أضعفناه بضعفنا، أو برؤيتنا القاصرة التي لم تنطلق على أساس ولو معرفة هذه السطور حول هذه القصة لوحدها، لأن قصة آدم واستخلافه وكلام الملائكة وهذه القصة وحدها تكفي بأن تعطي رؤية تبين من خلالها أهمية دور الإنسان هنا، وأن دوره مرتبط بمظاهر هذه الحياة، ما معنى مظاهرها مجرد الزينة، بالأشياء المودعة، فيها بتربتها، بمعادنها، بمياهها بأجوائها، بسمائها، بشمسها، بكواكبها، وبكل ما فيها، بكل الطاقات الموجودة فيها(ص٢٢)

ـ المنهج العملي أحسن طريقة في المعرفة

هذا يحتاجه الإنسان في عمله، وربما القرآن الكريم أعني: في أكثر من مقام فعلا عرض ما حصل من الملائكة على هذا النحو، ثم عرض أيضاً بالنسبة للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن بعده ما كان يحصل من عند مؤمنين من تساؤلات مع النبي عن قضايا هي بديهية عنده، أو تساؤلات عن أشياء هي لا تعتبر ذات أهمية، لو كانت ذات أهمية لأطلعهم هو{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}(البقرة: من الآية١٨٩) مثلا عن الأهلة لماذا كل شهر هلال كيف قال؟ أجاب عليهم بقضية هي معروفة لديهم{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(البقرة: من الآية١٨٩) هم يعرفون أنها مواقيت هذا تأديب لو كان موضوع الهلال هذا ذو قيمة بالنسبة لكم ولوفي المرحلة هذه؛ لأنه ربما قد يكون الإنسان في واقع عمله تتسع معارفه مع اتساع حركته كلما اتسعت حركة الناس وانطلاقتهم الصحيحة كلما اتسع تعاملهم مع أشياء كثيرة من مظاهر الحياة، فاتسعت معارفهم، وهذه هي أحسن طريقة للمعرفة، وهذه مما يسمى [بحث علمي].
تجد الدول الأخرى مثلا [أمريكا] و[الإتحاد السوفيتي] سابقا هل طلعوا القمر لمجرد فضول؟ اتسعت شؤون حياتهم وشؤون دولتهم كأمة متحركة اتسعت إلى ماذا؟ إلى أن تناولت تعامل مع أشياء متعددة فأصبحوا يفكرون كيف يمكن أن يستفيدوا من القمر كمحطة لإطلاق الصواريخ، معهم صواريخ يفكرون في موضوع الوقود، موضوع عدو هناك إذا كانت القمر منطلق للصواريخ يمكن ماذا؟ تنزل على [الإتحاد السوفيتي] أو أي بلد آخر بسهولة قالوا: هذا أول فكرة كانت حاصلة عندهم في تفكيرهم أنهم يطلعون القمر، كانت فكرة عملية ليست مجرد فضول.

إذا استبق الإنسان ـ هذا منهج علمي في المعرفة بالنسبة للقرآن الكريم وهو معه أمثلة كثيرة ـ إذا حاول الإنسان أن يستبق الأشياء، فستتحول الأشياء كلها عنده إلى مجرد جدل ونظريات وأبحاث جامدة فقط مثل مدارس العرب الآن يتحدثون عن القمر، وعن صعود القمر، وأشياء من هذه، فاعتبرها عندهم مجرد نظريات جامدة وبحث وجدل ونقاش محله.
لكن الإنسان إذا انطلق انطلاقة عملية ، عملية كلما اتسعت دائرة عمله اعتبرها اتساع في ماذا؟ أليس اتساعا في مجال مظاهر هذه الحياة، ويظهر بحاجة عملية إلى هذا الشيء أو إلى هذا الشيء أو إلى هذا أو إلى هذا، فعندما يبحثه بروح عملية يكون أقرب إلى المعرفة، أقرب إلى المعرفة .(ص٢٣)

ـ لا تحتقر أحداً

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} (البقرة: من الآية٣٤) إبليس هو مع الملائكة وخوطب مع الملائكة وأمر مع الملائكة ويبدو أنه كان يدخل ضمن هذا الإسم، وإن كان جنسه مختلف وإن كان جنسه باعتباره مخلوقا آخر لكن في وضعيته، في دوره، في عبادته معهم قد صار يطلق عليه ما يطلق عليهم{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ}هنا حصلت عند البعض مشكلة فقالوا: انهم جعلوا آدم قبلة والسجود هو لله، ألم يقولوا هكذا؟ والله يقول: {اسْجُدُوا لِآدَمَ}.

هناك انتهوا مثل ما قلنا سابقا في موضوع الملائكة مع الله انتهوا إلى ماذا؟ {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} بقي ما حصل أو ما يعتبر أثراً من كلامهم، أو يوحي به كلامهم من ماذا؟ من ازدراء واحتقار لذلك المستخلف، فليسجدوا له، هذه حصلت أيضا بعد مع البشر أنفسهم، أخوة يوسف، ألم يحصل ازدراء؟ لماذا أن أباهم يحبه أكثر؟! وهم أقوياء، وهم كذا، وهم عصبة، ويوسف صغير ويحبه اكثر ويعطف عليه أكثر! يعني: يوجد حالة ازدراء، أبوه يحبه على أساس أنه جدير بذلك الحب وجدير بذلك التمييز لما يرجوه أو لما يتوسمه فيه من أن الله اجتباه، وأن تعامله مع ابنه على هذا النحو يجب أن يكون على هذا النحو تقديرا لما منحه الله يعني: القضية مرتبطة بالله، هم حصل من جانبهم نوع احتقار، كيف انتهت المسألة؟ انتهت إلى: {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} (يوسف: من الآية١٠٠)

معنى هذا أن قضية الاحتقار قضية خطيرة، الاحتقار قضية خطيرة جدا، لا تحتقر أحدا نهائيا ، نهائيا لا تحتقر أحدا، إلا إنساناً هو جدير فعلا بالاحتقار باعتبار ما هو عليه من سوء؛ إنسان مجرم عاصي فاسق سيئ إلى آخره ممكن تحتقره على هذا الأساس، الناس فيما بينهم لا يكون هناك احتقار، ربما تحتقر شخصاً ما تدري في الأخير ولف الشريط لما ما تدري في يوم من الأيام يمر بك موقف صعب فلا يعد يشكل وقاية لك إلا ذلك الشخص!

هذا لو يأتي الإنسان إلى استخلاص أمثلة من هذه في الحياة، أعني: في التاريخ قد تجد شواهد كثيرة فعلا حصلت على هذا النحو، بل أحيانا يظهر في موضوع الأيتام الذين يكبرون أيتاماً ويكون عمه أو أقاربه يذلونه ويحتقرونه ويبهذلونه، وفي الأخير أحيانا ما تدري وطلع هذا رجل عظيم أو تاجر، ما تدري وقد هم يعيشون على هامش ما لديه! بعض التجار عندهم هذه، حصلت لهم هذه، نشأ يتيما وإذا قد أنت ترى أولئك الذين حوله قد هم ماذا؟ إحتاجوا يصلون إلى مرحلة يخرون له سجدا ولو سجود حالة إذا ما هناك سجود من هذا السجود الحقيقي، سجود حالة سجود وضعية.

{وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً}سبق أن عندهم ماذا؟ احتقار{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (يوسف:٨) ماذا يعني ضلال مبين؟ أبوهم في نفس الوقت أن يحب كهذا،أليس معناه ازدراء واحتقار؟ كيف كان المشهد؟ أربعين سنة يقولون وانتهوا إلى أن يخروا له سجداً.

نأخذ من هذا درساً: أن الناس المؤمنين فيما بينهم لا يكون هناك احتقار على الإطلاق، احتقار أو ازدراء إذا بدر منك مثلا احتقار، نوع معين في نفسيتك، استغفر الله، تب، يستغفر واحد الله، احتقر الآخرين الظالمين المجرمين الفاسقين السيئين، هذه قضية، أما الناس المؤمنين فيجب أن يكونوا على حذر من مشاعر احتقار مهما كان الشخص وهو يبدو في خط إيمان وتوجه إيماني، فلا يكون عندك أن هذا ماذا يمكن أن يعمل للإسلام؟! ربما ما تدري قد يكون له دور أعظم من دورك، قد ربما يكون له دور هو يعتبر أساسي في دورك أنت فتشهد بأن لولا هو لما كان لدورك أثر، وهكذا أي ربما قد تكون هذه خطيرة، أن أي حالة احتقار وازدراء قد تنتهي بك المسألة إلى أن تسجد سجود حالة لماذا؟ لما وقع منك من ازدراء واحتقار ولأنه لا يجوز من الأساس، إنسان مؤمن تفرح به كمؤمن تقدره كمؤمن ما يكون عندك أنه هذا الشخص ماذا سيعمل للإسلام ؟! إفهم أن العمل في الإسلام واسع يحتوي كل القدرات ومن كل شخص، فالعمل في الإسلام هو بالشكل الذي يمكن للناس أن يتحركوا فيه.

إذا الآخرين الذين تراهم، وهم فعلا لن يصلوا إلى حالة مواجهة مسلحة تقول لهم: انتم أعينونا بأموالكم أنت

ارفع شعاراً، لن تجرؤ أن ترفع شعاراً، أنت ادعم بمالك لمن يطبع الشعار ويرفعونه هناك، الإسلام قام بتشغيل الكل ويكون لكل إنسان أثره في الميدان، أثره في نصر دين الله، وفي نفس الوقت يكون العمل على أنه يرفع الناس إلى أن تكون أدوارهم أكثر وأعظم وأعلى يعني: ما قدمت المسألة من البداية على فرضية تكون مثالية في الأخير: أن هذا الدين يفترض نوعيات مثل عمار بن ياسر مع شخص كعلي بن أبي طالب وإلا فما هناك فائدة، الإمام علي ألم يكن يحرك الناس جميعا؟ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يحرك الناس جميعا وكان أحيانا.. هو يعرف الناس ويعرف قدرات الناس وطاقات الناس؛ ولهذا تكون القضية بالنسبة للناس من ناحية المسؤولية تكون اسهل يعني: عندما يكون الناس في وضعية ما معهم شخصية على هذا النحو، تعتبر المسؤولية عليهم جميعا عندما يتوفر شخص على هذا النحو فيمكن أن يعذرك أنت تعتبر معذوراً فعلا؛ لأنه عادة أن رسول الله(صلوات الله عليه وعلى آله) يعرف الناس جميعا ما كان يكلف هذا يبرز كما يبرز الإمام علي ولا يكلف هؤلاء أن يكونوا جميعا على نوعية المقداد أو عمار أو...

هو يشغل الكل عندما يأتي البعض ويقول: [يا أخي هؤلاء الذين يقولون: [الله اكبر....] هؤلاء لو يأتي قتال لما عملوا شيئا!] قل: هم الآن يقومون بعمل هام، متى ما جاء عمل أكبر، ربما - لأن الله سبحانه هو يتدخل في بناء النفوس يقوي النفوس، يقوي الفهم والذكاء - ربما هؤلاء الذين تحتقرهم قد يكون لهم دور كبير ولو كانوا في أثناء رفع الشعار في مرحلة معينة يكون عنده أنه سيقوم بهذه، لكن لو كانت قضية أعلى احتمال أنه سيضعف، ربما عندما يصدق مع الله أن الله يصل به إلى حالة فعلا يصبح قوياً، هذه لها شواهد واقعية من الواقع من آمن مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من كانوا مستذلين عند الآخرين مستضعفين، أي نفوسهم نتيجة الإستضعاف والإستذلال هي تكون هابطة معنوياتهم، أعطاهم الإسلام دفعة في رفع معنوياتهم أصبحوا، أذكياء عباقرة فرسانا أبطالا، إذا ما صَدَقَ الإنسان مع الله فعلا ترتفع معنوياته، إذا كان غير صادق مع الله تهبط معنوياته، ولو كان من أصول قوية تهبط معنوياته.

لذلك نقول في بداية الموضوع: بأن الناس عندما يكونون متحركين في عمل، لا يكونوا يحتقرون انفسهم بأن ما معهم شخصيات [ما معنا العالم الفلاني والعالم الفلاني، وفلان وفلان والشيخ الفلاني والمثقف الفلاني والكاتب الفلاني والصحفي الفلاني.... إلى آخره] لا، إفهم بأن الإسلام هو بدأ على هذا النحو، عباقرة قريش أولئك هم تهاووا في الأخير، الأشخاص الذين كانوا في نفوسهم ضعاف ويراهم الآخرون ضعافا ويراهم لا شيء فعلا أصبحوا هم عباقرة، أصبحوا أذكياء، أصبحوا أقوياء، وأصبح الكبار الذين كانوا يرون أنفسهم بأنه ما يمكن يستقيم هذا الشيء وما هم فيه، عندهم ما يمكن ينجح محمد وما هم فيه إذ عليه أن يتقبلهم بإملاءات من فوق ويكون هذا الدين متأقلماً مع مصالحهم، إذا أراد أن يكون هناك فاعلية لدعوته وتتسع للآخرين! لا، هؤلاء العباقرة أصبحوا في الأخير لا شيء، وبرز الآخرون جعلهم الله أذكياء وعباقرة وأقوياء ومهتدين... إلى آخره.

هذه قضية فهمها يقي الناس من احتقار بعضهم بعض، بل يقي الإنسان هو نفسه من أن يحتقر نفسه، إذا هو في سبيل الله لا يحتقر نفسه، بمعنى ماذا؟ يكون عنده يمكن ما يعمل للإسلام شيئاً! أصدق مع الله، عندما تصدق مع الله، وتتفهم وتهتدي بهدي الله، يعطيك الله طاقات كثيرة وقدرات كثيرة وفهماً كثيراً وإمكانيات تجعل دورك واسعاً جداً أكثر مما يمكن تتوقع، أكثر مما كنت تتوقع أن تصل إليه، يظل الإنسان يحتقر نفسه وعنده ما يستطيع يعمل شيئا ولا منه شيء سيجلس هكذا دائما، يجلس دائما ما يرتفع، إعرف بأن الله هو يتدخل في القلوب ويقوي النفوس هو يربط على القلوب، ألم يقل: {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الكهف: من الآية١٤) وفي الطرف الآخر يقول: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} (الأنفال: من الآية١٢).

الصناديد أولئك الكبار عندما برزوا في بدر من صناديد قريش، أبطال، أليسوا ذووا أصول قوية وأبطال؟ هنا جعلهم ينهارون وشدّ الآخرين، ولهذا بعضهم اندهش عندما رأى ابن مسعود على صدره وهو إنسان كان يعتبره لاشيء قال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] وهو في بدر وقد صار يخور في دمه، فتح عينيه وإذا بابن مسعود فوق صدره جالس فقال: [لقد ارتقيت مرتقا صعبا] هذه قد تكون من هذا النوع، يرونهم فيحتقرونهم، يمر الشريط

هذا الشريط خطير، هذا الشريط يأتي خطير، وإذا بمن كانوا يزدرونهم ويحتقرونهم ويعتبرون أنهم لا شيء وفي الأخير يرون هذا الدين نفسه لا شيء إذا ما هم فيه هم، وما هم مستعدين أن يكونوا فيه إلا بأن يكون هناك إملاءات معينة، رأوهم فوق صدورهم في بدر!.

إذاً الإنسان لا يحتقر أحدا ولا يحتقر نفسه هو وبدون غرور، أي عندما نقول: لا تحتقر نفسك معناه أن يكون عندك ثقة بأنه عندما تخلص مع الله سبحانه وتعالى سيؤهلك للدور المنوط بك، والناس مهما تعددت كفاءاتهم واقعا هذا من عظمة الإسلام أنه قابل ـ فعلاً ـ لأن ينصر بالناس الحاصل، هناك ثوابت معينة يجب أن تتوفر: طاعة مثلا لمن يقودهم، إخلاص لله، سير على هديه، هذه ثوابت أساسية. كونهم ضعافا ما معهم شيء، هو من أسرة أو من طبقة تبدو ضعيفة أو محتقرة في المجتمع أو أو... كل هذه[الأو] ستنتهي في الأخير، أليس بلال حبشياً؟ كيف أصبح بلال؟ وغيره كيف أصبحوا؟ صهيب رومي، وفلان فارسي، وفلان ... وترى صناديد فرسان العرب أصبحوا لاشيء، تهاووا؛ لأن الإنسان هو من خلق الله والله سبحانه وتعالى هو الذي يصنع الإنسان فيما إذا اتجه على هداه بالشكل الذي يؤهله لدور هام في سبيله. (ص٢٤)

ـ على الإنسان أن يكون مرتبطاً بالله ليهديه في مسيرته

القضية هذه فيها بالنسبة للإنسان أن يفهم أنه عندما استخلف في هذه الحياة أنه يجب أن يستشعر أنه مرتبط بالله ليهديه في مسيرته، وأن هذه الحياة إذا لم يسر على هدى الله سيضل ويشقى، بحيث تكون عنده مترسخة هذه في الذهنية، مترسخة بشكل كبير، ما يكون عنده أنه يمكن يهدي نفسه، ويصلّح هدى أو يرسم طريقته هو، هو، أبداً أنت عندما تستخلف هنا يجب أن تسير على هذا الهدى، الهدى في الأخير يتمثل بتوجيهات إيجابية أو سلبية. (ص٢٩)

[سورة البقرة ـ الدرس الرابع]

ـ أهمية التذكير بالنعم

ذكر النعم قضية هامة ، أولاً: أن معنى ذكرها: استحضارها في الذهن، وتقييمها، وتقديرها، ومعرفة من أين جاءت، من الذي أتى بها؟ إنه الله سبحانه وتعالى، لها أثر كبير فيما يتعلق بمعرفة الله، فيما يتعلق بالإرتباط بالله، بالإنشداد نحو الله سبحانه وتعالى، تعظيم الله، إجلاله، تقديسه، الإذعان لأمره ونهيه، التسليم لحكمه، وهذه القضية الإنسان مفطور عليها، الإنسان متى ما أحد من الناس، قدم شخص آخر إليه شيئاً، تجمّل فيه في موقف من المواقف أو أعطاه شيئاً، يحصل عنده تقدير له ويحصل عنده اهتمام به، وحب له وأشياء من هذه تحصل، بل قد يصل بك الحال إلى أنك تخدم ضميره ـ كما يقال ـ أعني: تحاول تعمل الشيء الذي تراه أنه يرضاه، وأنه يعجبه، حتى لو لم يطلبه منك ولا أمرك أن تقوم به.

إذا تأمل الإنسان في موضوع نعم الله هي كثيرة جداً وواسعة جداً محيطة بالإنسان من كل جهة ، النعم المادية، والنعم المعنوية، النعم التي نعرفها ونعم لا نعرفها {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: من الآية٢٠) إذا لم يحصل تذكر للنعم سيكون البديل حالة نسيان، ونتيجة للنسيان هذا، عدم اعتبار لهذه النعم، عدم تقدير لها، نسيان لمن أسداها لمن جاءت منه وهو الله سبحانه وتعالى، وتكون نتائجه سيئة: ضلال، كفر بهذه النعم، أخطاء متتابعة، عندما يكون الإنسان ناسياً . (ص١)

ـ منهجية القرآن في ترتيب القضايا وتبسيطها

عندما نرجع إلى قضية منهج نحن قلنا: نستوحي منهجية في عملنا من خلال القرآن الكريم من خلال أسلوبه من خلال ترتيبه للقضايا تعطي منهجية للناس، عندما يعملون عندما يتحركون، هنا يقدم القضية تبيينا متكاملا، تبسيطا للمسألة، أليس هذا موجوداً؟ عندما تقول للناس: نحن عندما نتجه على الطريقة هذه لاحظ المسألة هي

سهلة في الواقع، أعني: ليست القضية أنه عندما نتحرك في هذا الطريق فقط تحصل المصائب والمشاكل والعناء والخوف... لا. هذه هي تحصل عند الآخرين وستحصل عندنا، ولو كنا على طريق أخرى ليس معناه سنكون في وضعية صحيحة وسالمين ولا يحصل علينا أي شيء يخيفنا ولا أي شيء يقهرنا ولا أي شيء يتعبنا وإنما فقط عندما نتحرك في سبيل الله، بل العكس هو الصحيح، أن من لا يتحركون في سبيل الله هم يعانون أكثر، قد تكون المصائب عليهم أكبر وتكون وضعيتهم تقريباً إلى ما لا نهاية في السوء.

بينما من يسيرون في سبيل الله لو عانوا مرحلة معينة وصبروا هي القضية التي في نصوص القرآن الكثيرة تتكرر كسنة إلهية متى ما صبروا هو الصبر الذي يأتي بعده فرج هو العناء الذي يأتي معه تأييد، تأييد نفسي تجعلك تتحمل، بينما في الحالة الأخرى في حالة أن يكون السوء وأنت قاعد ومتخلف يكون للشيء وقعه الكبير على نفسك، تكون منهاراً معنوياً فتكون المصائب لها وقعها الكبير على نفسك، أعني: لو استوت مصيبتي ومصيبتك أنا متحرك وأنت قاعد لو استوت في شكليتها فالفارق الكبير في وقعها علي وعليك، هذه القضية كبيرة؛ ولهذا قال الله: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ} (النساء: من الآية١٠٤) .

عندما تكون أنت ترجوا من الله مالا يرجوه الطرف الآخر معنى هذا ماذا؟ يزيدك هذا، يجعلك تتحمل القضية فلا يكون للمصيبة وقع عليك، أو للشيء الذي يعتبر مخيفا وقع على نفسك كما لو وقع على الآخر، إذاً القضية أشد نكاية فيه وأشد وقعا عليه سيكون عذاباً شديداً. هذه قضية، التبسيط للمسألة ونحن بحاجة إلى هذه أعني: قضية مؤكدة في عمل الناس لا تقدم الدين حملا للناس حملا ومتاعب [والجنة حفت بالمكاره! والمؤمن يصب عليه البلاء صباً! ولازم نصبر ولازم كذا...] هذا غير صحيح.

ذكر الناس بأنه يأتي حتى لو لم نتحرك سيأتي لنا أشد مما نحن فيه، أفضل أن يكون العناء في سبيل الله [إذا قد أنت من مات يوم السبت فيوم الجمعة أفضل] مثلما يقولون، أليسوا يقولون هكذا؟ فهذا أسلوب هام جداً وطريقة ضرورية جداً؛ لأنك تجعل الإنسان هو ينطلق، عندما يقال لك أن تعطي مقارنات للناس تجعل القضية مبسطة لديهم وتصبح بسيطة عندما ترى بأنه فعلاً هي مصائب هنا أو هنا، لكنها هنا هي أفضل؛ لأنه يأتي بعدها فرج وأجر كبير من الله أو الشهادة لو حصلت المسألة وأدت إلى أن يقتل، بينما هنا في الطريق الآخر سيكون بدون مقابل، أليس سيعتبر هذا أفضل وأبسط وأسهل؟.

لكن أحياناً نأتي نتحدث في اتجاه واحد فقط: [يجب علينا أن نصبر ولو عانى الإنسان في سبيل ذلك فهو يعاني في سبيل الله...!] ونكون في نفس الوقت نقدم القضية أمام الناس بأنه سيلاقي مصائب وعقبات ويتصور بأنه لو كان قاعداً وليس هناك عمل في سبيل الله لما حصلت الأشياء هذه، وفي الأخير يقدم الدين للناس والعمل في سبيل الله للناس وكأنه أحمال ثقيلة. (ص٩)

ـ ما ينبغي أن نكون أضعف الناس

هنا يقول: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) عبارة ما ينبغي أن تكونوا كذا... كذا... هي قضية تعطيك أيضاً أسلوباً مع الآخرين.

نقول نحن مثلاً: الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بالقرآن الكريم ، أنعم علينا بموقع هام جداً من الناحية الجغرافية من ناحية الثروات الهائلة التي نرقد عليها في باطن الأرض التي نحن فيها في الجزيرة العربية هذه ما ينبغي أن نكون نحن أضعف الناس، لا ينبغي أن نكون أول كافرين بهذه النعمة، نعمة على ظاهر الأرض القرآن الكريم، ونعمة في باطن الأرض الثروات الهائلة، نعمة في الموقع بكله؛ ولهذا يتسابق الآخرون عليه؛ لأنه موقع يعرفون بأن من يسيطر عليه يسيطر على العالم، الإسرائيليون الذين دولتهم ما تزال جديدة ولها فترة قصيرة عندهم طموح أن يهيمنوا على المنطقة هذه، لأنهم يعتقدون أن الهيمنة على المنطقة هذه يعني هيمنة على العالم بكله وهذه حقيقة باعتبار موقعه باعتبار ثرواته الهائلة. (ص٩)

ـ مراعاة النقلة

تجد الكلام مع بني إسرائيل هنا هو كلام أن يتوجهوا عملياً أعني: ينتقلون إلى مرحلة، أليست هكذا؟ مما هم عليه إلى مرحلة جديدة هي: الإيمان بالقرآن الكريم، والإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والإنطلاقة مع النبي ومع المسلمين، أليست هذه نقلة عملية؟ تجد عادة النقلات هذه يكون هناك ما يحيط بالناس عادة، أعني: في أي وضعية أشياء كثيرة تكون محط أن يرهب أو يتقي منها، أعني: أشياء تخيف أو ترهب أشياء من هذه، هنا تأتي العبارة بأنه لا ترهبوا أحداً غيري{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} لا تفكروا في اتقاء أحدٍ غيري {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} بمعنى ماذا؟ أنه في حالة كهذه تكون مسئولية كبيرة وعقوبة التفريط كبيرة، إذا أنت تفكر ترهب أو تخاف من أي شيء. لا، أنت في وضعية يجب أن تفكر في أن أعظم خطورة عليك هو: ما يأتي من جانب الله {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} ، {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} قضية نقلات، مثلما نقول: نحن في وضعية المفروض أن الناس فيها يتوجهون توجهاً جديداً إلى أن يستشعروا مسئوليتهم من خلال القرآن الكريم، أليست دروساً لنفس الحالة؟.

أن يكون لديك تقديرات عن الأشياء التي تشكل عوائق داخلية عند الناس

إذاً افهم القضية على هذا النحو: أنت في مرحلة خطيرة جداً جداً عليك، من جانب من؟ الله؛ فيجب أن تفهم بأن عليك أن لا تفكر إلا في أن تتقي ما يمكن أن يأتي من جهة الله، وأن لا ترهب إلا الله. هذه أليس الناس فيها؟ نحن فيها حقيقة. أعني: فعملياً نركز على هذه: عندما تكون تتحدث مع الناس يجب أن تفهم أو يكون عندك تقديرات عن الأشياء التي هي تشكل عوائق داخلية عند الناس، يخافون من كذا، خائف على كذا، يخشى كذا، هذه تحاول تبرزها إلى السطح، قل: الإنسان قد يخاف على كذا أو كذا، لكن يجب أن يفهم بأن القضية الخطيرة عليه هي ـ عندما يفرط ـ ما يحصل عليه من جهة الله.

لا تكتف بالتذكير هكذا، دون أن تحسب حساب ما في أعماق نفوس الناس. هذه الآية تراها تناولت الأعماق ، ألم تتناول الأعماق؟ أعماق نفسياتهم عندما يقول: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} عندما يقول: {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) **وعندما يقول: {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ}. (ص١٠)**

ـ قدّم للناس الشيء الذي يشكل عوناً لهم

والتوجيه بما يعين الناس، قدم للناس الشيء الذي يشكل عوناً لهم في المسألة، الله سبحانه وتعالى وجهنا في القرآن الكريم في سورة نقرأها دائماً: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}(الفاتحة:٥) **كل الناس الإنسان مهما كان هو بحاجة إلى أن يستعين بالله ليست المسألة أنه أنت فقط فتتصور أنك سوف تتحمل جبالاً عليك ليس الأمر كذلك حتى محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يستعين بالله دائماً المؤمنون المخلصون أولياء الله الذين هم على مستوى عالي كلهم عندهم هذه القضية ثابتة: الإستعانة الدائمة بالله ، الإستعانة بالله سبحانه وتعالى هي أيضاً ما يزال فيها علاقة بمعرفة الله هو ، بمعرفته هو .**

هنا عندما تعرف؛ لأنه من خلال القرآن الكريم يقدم لك المسألة بأنه هو مدبر شئون السماوات والأرض، وأنه إليه يرجع الأمر كله ، وأن إليه عاقبة الأمور، معنى هذا لا تتصور بأنك أنت ومن معك الناس الذين أنت معهم أنكم ستحملون الجبال ، وتغيرون مجرى العالم هذا، وتغيرون أنتم بأنفسكم، أنتم شغالين في جانب والباري هو مشتغل ويعمل ـ إذا صحت العبارة ـ يعمل كثيراً، يعمل كثيراً من الأشياء التي لا تخطر في بالك، ولا تصل إليها قدراتك ، لا الذهنية ولا المادية ، هو المدبر ، هو المغير ، هو يصنع المتغيرات ، وضرب أمثلة كثيرة في القرآن على هذا.

إذاً عندما نفهم هذا نحن ، ونفهم الناس قضية ينطلق الناس فيها ويرون بأنه مطلوب مني أن أكون جندياً من جنود مدبر شئون السماوات والأرض ، أتحرك، هو يؤيد ، وينصر في حركتك المباشرة ، ويعمل أشياء كثيرة من

هناك. مثلما قلنا بأنه ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مكة معه مجموعة مسلمين مستضعفين يعذبونهم، وناس يحتاجون يهربونهم إلى الحبشة لاجئين، أليس هو هناك يدبر ما بين فارس والروم؟ عندما يكون الناس يرون أنفسهم في وضعية تبدو أنهم مستضعفون فيها وفي حالة شدة وكذا، هم لا يعرفون ماذا يعمل الباري في مجالات أخرى في الساحة العالمية هذه، ذلك الذي يصيح وفوقه حجر في الشمس قد يأتي للواحد يأس، يأس يحصل عنده بنسبة ألف في المائة أن هذه حركة يمكن أن تنهض، ويأتي في يوم من الأيام ويكون الناس هؤلاء هم ولاة في بلاد فارس والروم وغيرها، لا، هذا في حرارة الشمس والله يدبر هناك، يغير أشياء كثيرة لا يستطيع المسلمون أن يغيروها لو يقفون كلهم في الشمس، هو يغير هناك.

هذه تعطي الناس دفعة، أعني: تفهم الإستعانة بالله ، والإلتجاء إليه ، وتفهم أيضاً أنه مدبر شئون السماوات والأرض.

ـ الصبر وسيلة عملية للوصول إلى النتائج المهمة

تستعين بأشياء يقدمها هو في ممارساتك: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}(البقرة: من الآية٤٥) **لاحظ كيف جعل الصبر وسيلة عملية للوصول إلى النتائج المهمة والنتائج الجيدة، واستعينوا بالصبر، واستعينوا بالصلاة ، الصلاة؛ لأنها تجعلك دائم الإرتباط بالله سبحانه وتعالى، ودائم التذكر لله والذكر لله.** (ص١٠)

ـ التذكير باليوم الآخر في إطار عملي

تذكّر اليوم الآخر قضية مهمة، وعندما يقول: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ}(البقرة: من الآية٤٦) **أي: أنها قضية يجب نحن أن نذكّر أنفسنا بقضية اليوم الآخر بشكل مستمر حتى تصبح المسألة عندك قضية تستشعرها دائماً ، لا يحصل منك حالة نسيان لليوم الآخر. ولهذا يكون هناك أدعية مناسبة، مناسب أن الإنسان يدعو بها دائماً، مما لها علاقة بموضوع الجنة والنار، واليوم الآخر وأشياء من هذه في قنوت الصلاة، وبعد الصلاة، وفي أي لحظة، يتذكر أن يدعوه دعاء ((اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار))، أن يدعوه كلما يحصل عنده رغبة أنه يدعوه ويذكر يدعوه؛ لهذا يجب التركيز في تذكير الناس باليوم الآخر بشكل متكرر، وبشكل يكون مرتبطاً عملياً.**

أعني: عندما ترى بأن الله سبحانه وتعالى يتحدث هنا بموضوع هو يعني نقلة، ولهذا قال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} هنا يبين الأشياء التي تشكل عوناً للنقلة هذه: صبر وصلاة، وخشوع لله من مظاهره: التذكر الدائم لقضية اليوم الآخر{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(البقرة:٤٦) **لأن هذا عملياً يجب أن نسلكه مع أنفسنا حتى في مرحلة النقلة هذه، للإستمرار على الحالة هذه، وعندما تذكر الناس الذين تريدهم أن ينتقلوا إلى وضعية كهذه، أن نركز على هذا الجانب، جانب: التذكير باليوم الآخر، الترغيب بالجنة، والترهيب من النار، وربط المسألة عملياً بهذه، أي لا أقوم أعمل لك خطبة فقط أذكر فيها جنة ونار وفقط .**

تجد أسلوب القرآن الكريم هنا يأتي بالجنة والنار، وذكر اليوم الآخر في إطار عملي وهو يوجه إلى شيء ينطلقون فيه، أو يحذر من الوقوع في شيء، فيأتي بحديث عن اليوم الآخر؛ ولهذا بعض الناس تجدهم ليس لديهم نقلة مع أن الخطب السابقة، أليست تركز على موضوع الجنة والنار؟ الخطب السابقة كانوا يتحدثون أيضاً عن مسألة عذاب القبر وأشياء من هذه كثيرة يتحدثون عنها، لكن لم يربط الموضوع عملياً بماذا؟ بقضايا تدفع الناس إلى أن يتحركوا فيها، وتقدم لهم موضوع اليوم الآخر، تكون القضية عندهم أن ينطلقوا في هذا. هو يأتي يعطي حديثاً هناك لوحده عن الجنة والنار! ورد ذكر الجنة والنار تقريباً في القرآن كله في مجال عملي. إذاً فهذا أسلوب يجب أن لا نغفله ويجب أن نعرف كيف نعمل فيه، أي لا يكون حديثك دائماً لا تتعرض فيه لليوم الآخر، ولا للجنة والنار، ولا تذكير بأهوال القيامة، ولا شيء من هذا، ولا أن تقدمه مجرداً عن توجيه عملي (ص١١)

ـ التكرار لإعطاء القضية أهمية

{يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) **أليس هذا تكريرا من جديد للمسألة؟ لأنها هامة: موضوع القرآن الكريم ليس هناك ما يقال فيه تكرير مثلاً لمجرد التكرير، يكون تكريرا لإعطاء القضية إشعارا بأهميتها، وفي نفس الوقت يكون أيضاً في الموضوع نوع اختلاف عن سابقه، بمعنى: أن إعادة هذا التذكير هام بالنسبة لما سيأتي بعده من حديث كما يأتي أحياناً بتكرير كلمة: اتقوا الله، أحياناً يكررها في داخل الآيات مرتين ثلاث؛ لأنه يأتي بعد{اتقوا الله} كلام يوجه لقضية معينة بعد قضية أخرى يريد أن يوجه بها، أو توجيه عملي، أو أن يتركوا، يأتي بكلمة: اتقوا الله، أي: فالتكرير معناه: أن القضية هامة نفسها هذه التي يذكّر بها وفي نفس الوقت هامة في أن يتحدث بما بعدها، مع الحديث عنها، مع التذكير بها .**(ص١١)

النظرة الموضوعية لبني إسرائيل

لهذا عندما نتحدث عن بني إسرائيل، هذه القضية عندما تستعرض القرآن الكريم نلاحظ كيف النظرة إلى بني إسرائيل، معنى هذا أنه يجب أن نكون نحن لدينا هذه النظرة وهي ما تسمى بالنظرة الموضوعية، النظرة الموضوعية التي تبناها القرآن الكريم هي التي لا يجوز للناس أن يتجاوزوها، لا يجوز للناس أن يتجاوزوها أبداً، مثلاً عندما يتحدث عن بني إسرائيل، لا يقدم أن نفس الجنس، ذلك الجنس هو شرير، أنه هل يمكن أن الله يصطفي ويفضل ويعطي مسئولية لجنس هو من حيث هو خبيث أعني: أصل خبيث؟ لا. هذه لا تحصل أبداً هم باعتبار جنسهم من ذرية إبراهيم هم من البشر لكن لِما أصبحوا عليه ولما كانوا عليه من هذا الإنقلاب على ما آتاهم الله سبحانه وتعالى، من التنكر لما آتاهم الله سبحانه وتعالى من الفضل، ولهذا يأتي في القرآن الكريم [بما كانوا ، بما عصوا ، وبما كانوا يعتدون ، وبما كانوا ، لكذا] تكرر هذه. أعتقد هذا قلناه في أول محاضرة في يوم [القدس العالمي] أول محاضرة أنه عندما نتحدث عن بني إسرائيل، عن اليهود، لا يصل بك الحال إلى درجة أنك تعتقد أن هذا جنس من حيث هو، عنصره، نفس هذا العنصر هو خبيث، هذا لا يصح على الإطلاق ؛ لأن الله بين هنا بأنه فضلهم واصطفاهم وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وكانوا ورثة الكتاب وفيهم الحكم وفيهم النبوة، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين .

يجب في تقديسك لله ، وإجلالك لله أن تعرف أن هذا ليس عنصراً خبيثاً، إنما هم خبثوا، أخبثوا أنفسهم هم بما أصبحوا عليه بعصيانهم بتمردهم بعنادهم بشيطنتهم أصبحوا على هذا النحو الذي لعنهم هو، أي: لو تعتبر أنت أن هذا العنصر من أصله عنصراً خبيثاً بدون اعتبار لما أصبحوا عليه، معنى هذا أن الله فضل واصطفى وأعطى مهمة كبيرة أناسا هم على هذا النحو، معنى هذا بأنك أنت لا تنزه الله وأن عقيدتك هذه ونظرتك هذه تؤدي إلى ماذا؟ إلى الحط من قدسية الله وجلاله وعظمته؛ لهذا أحياناً نرى بعض الكتاب يتحدث عنهم كجنس، وهذه غلطة كبيرة يتحدث عنهم كعنصر من حيث هو، هو خبيث من أصله، هذا لا يجوز، هذا لا يصح، وأنت تنظر إلى الله وأنت إنسان تسبح الله وتقدسه وتنزهه، لا. لاحظ القضية كيف هي: هو اصطفاهم آتاهم الكتاب والحكم والنبوة، لكن قال: التزموا بها؛ لأن هذه مسئوليات، إذاً عندما فرطوا فيها أصبح الغضب عليهم شديداً، أنظر هذه النظرة، هو في الأخير لعنهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة، إلعنهم، عندما تلعنهم تعتبرهم ملعونين عندك لما هم عليه، ليس لأن هذا الجنس من حيث هو، هذا العرق من حيث هو أنه خبيث من أصله (ص١٣)

ـ ترسيخ روح المسئولية أمام الله

لاحظ الآن أليسوا على ما يقول الناس: [غوصوا العرب في فنجان] والعرب كانوا يستطيعون لو اهتدوا بالقرآن، العرب هم بطبيعتهم عندهم السماحة والحلم والأشياء هذه، واليهود عندهم خطط، عندهم قضايا علمية،

تخطيط خبث استمرار، عمل على طول، مستمر على طول، العربي يعمل قليلاً وجلس ملَّ؛ ولهذا القضية بالنسبة للعربي نفسه هو ماذا؟ يستشعر القضية مسئولية، لاحظ هذه القضية أساسية جداً حتى بالنسبة لعملنا أعني لا يساويها في خلق دافع عند الناس الحديث عن مجرد دفاع عن النفس والوطن وأشياء من هذه ركز عند العربي ـ لأن العربي هو بطبيعته عنده قابلية للدين ـ ركز عنده موضوع المسئولية أمام الله مسئولية وراءها عقوبات هنا في الدنيا وفي الآخرة، وبنفس الطريقة السابقة مع ما يترافق مع هذا الحديث من أشياء كثيرة، لكن رسخ المسئولية؛ لأنك أحياناً عندما تقول له: هم سيأخذون كذا وهم سيعملون كذا هذا جانب من الحديث، جانب، لكن لا يكون تركيزك على هذا الجانب باعتبار أنه هو الذي يخلق دفعة عملية لأن ينطلق الناس، أحياناً يكون عندهم [ما في خلة ما في خلة] إلى أن يصل المحتل عندهم ثم [ما في خلة] وقد صار في طرف بلاده ولا يصيح إلا عندما يكونون في بيته قد هم هاجمين على بيته، قد يترافق مع هذا مسألة الدفاع عن النفس، حقيقة، لكن الإنسان بطبيعته والعربي بزيادة ربما يكون عنده إذا قد الشيء غير ملموس لديه وخطورته قائمة ومباشرة فعنده أنه ما يزال غيباً [فكّة] .

لاحظ الآن كيف وضعيتنا نحن هنا في اليمن وفي السعودية مثلاً نشاهد العراقيين في العراق، ألسنا نشاهدهم في العراق؟ ونشاهد ما يعملونه في العراق إذاً هل تجد للحالة تلك والناس يشاهدونها هنا في وسائل الإعلام، هل تجد أنها خلقت دفعة معينة في محاولة أن يجهزوا أنفسهم يعدون ويحذرون؟ لا. [عندما يأتون من العراق (فكّة)] وصلوا السعودية، عنده ما زالوا في السعودية، وصلوا صنعاء وتعز، عنده هم ما زالوا هناك في صنعاء كما جاء في المسرحية التي قدمها الشباب، هكذا عندهم [ما في خلة والله أعلم متى (وفكّة)] وفكّة هذه لا تعطي دفعة ولكن القرآن الكريم يبني المسألة أن تكون القضية الأساسية التي تخلق عند الناس دافعا، وتستطيع أن تتجاوز هذه الحالة النفسية التي قد تقعد الإنسان، هي التركيز على المسئولية أمام الله، لازم تتحرك أمام أعداء الله .

عندما يقول لك: [ما هو وقت..]، قل له: لا، تعال إلى القرآن تجد أنه كان وقت من قبل أربعمائة سنة، فعلاً، وقت أن يعمل الناس ويحسبوا ألف حساب لأن لا يحصل وضعية كهذه، من قبل أربعمائة سنة، من بداية نهوض [أوربا] أو من بداية اكتشاف [أمريكا]، أليس الناس الآن [مصوتين] من أمريكا، متى اكتشفت أمريكا؟ قبل أربعمائة سنة اكتشفت القارة بكلها، لم تنهض أمريكا إلا متأخرة في الوقت الذي كان المسلمون يحكمون، يحكمون هنا في اليمن [الزيود] أنفسهم، كان معنا دول قائمة قبل أربعمائة سنة، والقرآن يعطي توجيها بالشكل الذي يجعلك تحسب ألف حساب من ذلك الوقت، وأنت ترى مؤشرات النهوض لديهم، يذكر لك هنا ماذا يمكن أن يعملوا فيما إذا تمكنوا .

إذاً، فالمسئولية في القرآن الكريم هي بالشكل الذي تنسف حالة اللامبالاة، أي حالة:[ما في خلّة] وتعطيك عملا، أو تعطيك حركة مسبقة من واقع الشعور بالمسئولية أمام الله، أنك لا تفرط ، فيؤاخذك في الدنيا وفي الآخرة على تفريطك. هذا جانب. جانب الترغيب في هذا الموضوع جانب كبير أيضاً جداً، بالثواب من الله، بما يمنح الله الناس عندما يكونون على هذا النحو في الدنيا وفي الآخرة (١٣ص)

ـ القرآن يعطينا منهجاً لا يجعل شيء على حساب شيء آخر

{وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٤٨) إذاً، عرفنا من خلال هذه الآيات إلى الآن فيما تعطيه للناس من توعية في مجال منهج وأسلوب في عملهم أشياء واسعة جداً وأنها أشياء هامة، كنا نقول في موضوع منهج، الذي يسمى منهج دعوة أو منهج حركة أو منهج عمل، هي قضية في القرآن متكاملة مع مختلف الوضعيات، أنت الآن لو تأتي مثلاً أنت تحاول تضع منهج دعوة أو خطة عمل في حركتك تجعلها فقط لوضعية أمامك معينة، القرآن الكريم يعطي منهجاً متكاملاً لمختلف الوضعيات ومختلف الحالات، وأنه في الواقع في مسيرة عمل الناس أنك تلقى أو تصادف في حركتك عدة وضعيات، عدة وضعيات لأشخاص، عدة وضعيات [لِقُبُل] عدة وضعيات

لمجتمعات في الزمن الواحد في السنة الواحدة، ما بالك مع تغيرات الزمن نفسه، فيما يخلق من تغيرات في وضعية الناس وفهمهم وتوجههم .

تجد الكثير - مثلاً - ممن هم منظّرون لحركات يركزون جداً على موضوع أن يرسموا منهجاً! هذه هي قضية، أنه لا بد لأي مسيرة أن يكون لها منهج، أي حركة يكون لها خطة ومنهج، لكن ليس هناك إلتفات بالشكل المطلوب بالشكل الكامل إلى موضوع أن القرآن الكريم يعطي منهجاً متكاملاً، منهجاً عملياً لمن يدعو لمن يخطب لمن يعلم لمن يتحرك في أي مجال من المجالات، منهجاً متكاملاً. تلاحظ أنه يعطينا منهجاً لا يجعل شيئاً على حساب شيء، في الوقت الذي يعطي أهمية لقضية يذكّر بقضايا أخرى وإن كانت تبدو عادية؛ لأنه عادة في وحدة الدين وتشابك التشريع بعضه ببعض تكون الأشياء التي تبدو عادية لها قيمتها أيضاً في الموضوع، أنت عندما تذكر الناس فأنت لا تقدم فقط قضية واحدة تذكر، أو يكونون مجموعة ناس هم يذكرون ويتحركون في التوجيه يكونون هم مجموعهم أو مجمل عملهم يتضمن الموضوع بشكل كامل، بشكل كامل، بل مناسب جداً أنه يتناول الشخص الواحد أعني: وإن كان مثلاً قد تطغى على ذهنيتنا بعض القضايا يمكن أن تعطي قضية معينة أهمية كبرى وتقدمها ؛لأن هذه القضية ملحوظة في القرآن يعطي أهمية لقضية معينة وفي نفس الوقت يتناول قضايا أخرى مثلاً هي هامة بالإمكان تناولها، فعندما يقول هنا: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} (البقرة:٤٣) يوجه هناك: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) بعد قوله: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٤٠) يعطيك عنواناً كبيراً، تذكُّر النعم، والإيمان بما أنزل، أليست هذه قضية أساسية وكبيرة: الدعوة إلى الإيمان بما أنزل؟ هم أنفسهم أصحاب ديانة، كيف ديانتهم؟ صلاة وزكاة، في نفس ديانتهم، أنتم عندما تتجهون إلى هذا الدين...؛ ولهذا جاء الخطاب معهم يختلف عن خطاب الكافرين والمشركين هو لا يقول للكافرين: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هؤلاء في دينهم أعني: في الرسالة التي هم مؤمنون بها فيها صلاة وفيها زكاة، يدعوهم إلى شيء هو غير غريب لديهم إنما يعتبر - أن يؤدوه في هذا الإطار - يعتبر فعلاً إقامة للصلاة وإيتاء للزكاة في محلها، عندما يكونون مؤمنين بالقرآن الكريم، ومتجهون إلى أن يدينوا بهذه الرسالة .(ص١٤)

- فضح الحالة التي هم عليها وهي غير طبيعية

التذكير بالموقف الذي قد يجهل الإنسان أحياناً بأنه... وهذه هي قضية حاصلة: أنه يذكر بشيء ولا يذكر بشيء آخر نهائياً، أعني: متنكر له، ليس معناه: ناسي له، متنكر له! هنا بين له خطأ ما هو عليه، عندما يأتي شخص يقول لك: هو مرشد من طرف معين، هو مرشد ويذهب يعلم وعنده أنه سيذهب إلى منطقة معينة يرشد ويعلم، أليس معناه بأنه يأمر الناس ببر؟ قل له: أنت في نفسك أنت ناسي لبرٍ هامٍ يجب أن تكون عليه أنت وتأمر الناس به، تذكره بقصور عمله، بنفسه هو، في عمله هذا، لا يكون مسترسلاً في موضوعه وعنده أنه صحيح، لا، أحياناً قد يحصل عنده أو قد يزين له من أطراف أخرى بأن هذا هو الموقف الحكيم، يتكلم عن هذه القضايا العادية ولا يتناول القضايا الكبيرة، ولا يتحدث فيها نهائياً [ما هو وقت!] قل له: يا أخي هذا ليس إرشاداً للناس، أنت أول شيء افهم ماذا يعني إرشاد الناس، وإلى ماذا ترشدهم {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية٤٤) أليس هذا يعني فضحا لحالة هم عليها وهي غير طبيعية؟(ص١٥)

- الخطاب الجماعي والفردي

لاحظ في هذا السياق بشكل عام هو يأتي التعبير في بدايته يخاطب أمة، لكن لا ينسى قضية هامة أنه أيضاً يتناول في خطابه التذكير الفردي مثلاً عندما تقول: [أيها الناس] تأتي عبارات من عندك يكون فيها ما يرى كل شخص أنه خطاب يعنيه هو بعدما يقول: {يَا بَنِي إِسْرائيلَ} (البقرة: من الآية٤٠) يا بني إسرائيل، أليس هذا خطاباً لأمة؟ {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٤٨) أليس هو هنا يوجد عندك استشعارا فرديا

تحسب أنت حساب نفسك أنت يوم القيامة؟ (١٨ ص).

ـ العمل على أن لا يبقى الناس في وضعية سيئة أو وضع طغيان

يخرجون من بين البحر وجدوا أناساً يعبدون شجرة أو شيء آخر كانوا يعبدونه {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف: من الآية١٣٨) {قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} إذا أنتم اتخذتم العجل والفارق فقط أربعين ليلة وما يزال هارون موجوداً، وكانت هذه معصية كبيرة جداً، وظلم كبير لأنفسكم، ولكن الله عفا عنكم، جعل توبة معينة هي كانت توبة فعلاً، توبة قاسية، لكن ليست في الواقع، هي تعتبر أقل بكثير مما كان ربما ينبغي أن يحصل لهم، أن ينـزل عذاباً من السماء يحرقهم أو يخسف بهم الأرض، أو أي شيء من هذا، عندما أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعض فنفذوا المسألة هذه فترة ثم قال يكفي، يعني: قد تاب الله عليهم .

لماذا تحصل الحالة هذه؟ يلحظ واحد كيف أحياناً تكون آثار البقاء في وضعية سيئة أن يسمح الناس لأنفسهم أن يظلوا في وضع سيء جداً، وضع طغيان، وضع يذل النفوس ويقهر النفوس ويحطها ؛ لأنه ينحط في الحالة هذه قيمة الأشياء لديك، تنحط قيمة الأشياء العظيمة لديك، الإنسان هو حالة نفسية، أعني أحياناً يتروض على شيء متى ما اتّضعت نفسك، متى ما انحطت نفسك، تصبح الأشياء الهامة لا تصبح تنظر إليها بالشكل اللائق فتعطيها أهميتها وتقدرها قدرها، أعني: هم عاشوا وضعية صعبة جدا في مصر وصلت أنفسهم إلى حالة انكسار شديدة، حالة رهيبة جداً انحطت معها النفوس، متى ما انحطت النفوس تقدم لها خدمات عالية لا تقدرها بالشكل المطلوب، آيات كبيرة لا تؤثر فيها بالشكل المطلوب، يحصل تأثير لكن عندما يأتي شيء مثلاً مظهر آخر هو من المظهر الأول أحياناً يحن إليه.

أليس البعض ـ مثلاً ـ ممن كانوا قد تعودوا عندما كانت تصل بعض الحالات بالناس أحياناً إلى أنه لم يعودوا يأكلون إلا من [الكَدّة] التي تبقى عالقة على جدران [المدافن] من الداخل التي يسمونها:[الكدة] يأكلها وقد فيها رائحة لم تعد جيدة تأقلم معها بعد سنين متى ما أحد فتح [مدفن] وما يزال فيه منها ما تزال لديه رغبة أن يأتي له [شبْعة] من ذلك الخبز وهو يعرف أنه لم يكن يصل إليه في الحالة السابقة إلا مع ماذا؟ مع صعوبة الحياة لأن ما هناك [قمح] متوفر! هنا قالوا: {اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: من الآية١٣٨) ما يزال لديهم رغبة أن يحصل لهم [شبعة] أعني: يتعبدون له مثلما كانوا في مصر! هذه قد تكون أغلبية فيهم الحالة هذه عند خروجهم أعني: عندما قالوا: {اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: من الآية١٣٨) .

لهذا تجد هم نفس ذلك الجيل الذي خرج؛ ولهذا نقول: إن الناس عندما يبقون في وضعية، مثلاً يكونون مفرقين ممزقين هذا يؤدي إلى انحطاط النفوس وضعفها، هذا ينتج عنه خسارات كبيرة جداً عند الناس وتطلع الأجيال وتظهر أجيال ضعيفة جداً منحطة نفسياً، هذه تكون جريمة كبيرة، وإذا قد أنت تلمس بأنه هل هذه الوضعية يمكن أن يكون الصبر فيها وتحملها قضية مقبولة، وما تزال تعتبر عبادة عند الله؟ انظر كيف تركت أثرها في بني إسرائيل تلك النفوس التي عاشت وضعية رهيبة جداً وكانت قد أصبحت منحطة ومنكسرة وهزيلة ومعنويات هابطة جداً كيف كان تعاملها مع الآيات الكبيرة ومع النعم الكبيرة، ثم كيف كان موقفهم مع الأعداء أنفسهم الجيل نفسه ذلك الجيل لم يرض أن يدخل القرية، هو الذي لم يرض أن يدخل القرية التي قال موسى، القرية {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} (المائدة: من الآية٢١) ثم تاهوا سنين حتى ظهر جيل آخر ما يزال عنده لا بأس حيوية نشأ في وضعية هي ليست وضعية قهر وإذلال بالشكل الذي كان حاصلاً في أيام آل فرعون في مصر .

لهذا دائماً يجب أن نفهم أنه لا تحصل هذه الأشياء بسبب تقصير من جانب أنبياء الله على الإطلاق، هذه القضية يؤكدها القرآن الكريم مثلما قلنا سابقاً يجب أن تفهم أن التبيين من جهة الله يأتي متكاملاً وعلى أرقى مستوى ، الأنبياء الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى للتبيين لعباده يكونون هم عندهم قدرة على مستوى عالي جداً، على التبيين للناس لكن تكون هناك وضعيات وبعض الوضعيات تصبح إلى درجة أنها تشكل عائقاً تماماً عن

قبول الدين، مثلما حصل عند قوم نوح ؛ ولهذا عندما يعرض القرآن الكريم أشياء كثيرة تراها هي تشكل عوائق، معناه أن يحذر الناس هم، أعني: يكونون هم مجاهدين أن لا تستحكم وضعية من ذلك النوع لا يسمحون أبداً.

ذكر بالنسبة لقوم نوح أنه كان من الأشياء التي أعاقت فعلاً تلك الأمة زعماء العشائر الذين كانوا متسلطين بشكل كبير وضاغطين على أصحابهم ومصلحتهم ومقاماتهم مرتبطة بأن يبقى أصحابهم على ما هم عليه من الجهالة؛ هذه نرى لها أمثلة هنا في الدنيا كثيرة يمكن يكون عنده:[ذلك نوح نبي وحقيقة لكن والله خائف من ذلك عدو الله وترك] أما هذه فموجودة في بلداننا حتى في اليمن نفسه منطقة مهيمن عليها شيخ سيء لا يجرؤ أحد أن يرفع له رأس، منطقة مهيمن عليها حزب معين هيمنة سيئة أو عضو مجلس نواب، هيمنة من هذا القبيل لو تحاول تعمل فيه ما تعمل [صحيح وفاهم وصدق لكن أمانة معنا عدو الله هذا لن يجرؤ أحد أن يرفع له رأس ولا أحد يجرؤ يعمل أي شيء أتركنا هكذا وعسى الباري سيرحم]؛ لهذا بقي نوح تسعمائة وخمسين سنة.

هذا كان عائقاً خطيراً جداً، عائقاً رهيباً جداً: قضية الضغط من هذا النوع أحياناً يصل بعض الناس إلى أنه يمكن أنه لا يخاف من أمريكا ولا يخاف من الدولة كما يخاف من الشيخ التابع له، يرى بأنه يمكن أن ينطلق ليس خائفاً من الدولة ولا خائفا من أمريكا كما يخاف من الشيخ نفسه، شيخ مدينته أو منطقته هذه تأتي لها مقدمات وهي: أن الناس المؤمنين يجب أن يكونوا يقظين لا يسمحون بوضعية من هذا القبيل أبداً؛ لأن معناها تصل إلى أن تخلق عوائق كبيرة تحتاج من هؤلاء الناس... هنا الإسلام وضع حلاً آخر، وضعية كهذه يجب عليك أن تخرج ليس باستطاعتك أن تعمل شيئاً وستبقى منحطاً هكذا اترك لا تدرِّس هنا ولا تعمل شيئاً هنا، اخرج، يخرجون ويتركون البلاد لذلك الشخص، هناك يستطيعون أن ينشئوا ويحسوا بحرية يحسوا بمتنفس يتقبلون فيه؛ لأنه في الأخير يصبح في الذهنية سقف تأتي تضرب برأسك فيه كلما أردت أن تقوم، يراه فوقه لا يستطيع أنه يتحرك ، هذه لا تعتبر مبرر: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} (النساء: من الآية٩٧) متى ما رأى نفسه في وضعية كهذه تماماً ولم يعد يستطيع أن يعمل شيئاً يخرج هو.

عندما تدرس أناساً في وضعية كهذه افهم بأنك في الغالب لا تتمكن أن تقدم الدين إلا منقوصاً تفصله بالشكل الذي لا يزعل الشيخ، بالشكل الذي لا يغضب عليك الشيخ، ويتقبلونه منك، وأنت تخطب وأنت تعلم بالشكل الذي لا يزعل منه [الشيخ]، هنا كيف يكون هناك دين بالشكل الذي لا يزعل الشيخ تقدم نسبة بسيطة جداً، والباقي سكتة منها، وضعية كهذه يعني: أمة أو ناس، مجتمع في وضعية كهذه، ربما الدنيا تتحرر من عندهم ويكونون آخر من يكون له موقف أو يخرج من وضعية كهذه، هذا شيء رهيب.. هنا نفس هذه الحالة حالة الإستضعاف التي كانوا فيها تركت أثرها في النفوس، أعني: بعدما خرجوا من البحر ورأوا الآية الكبيرة يريدون إلهاً كما لهم آلهة يغيب عنهم أربعين يوماً وإذا هم يتخذون عجلاً، ما هؤلاء الناس؟! هؤلاء الناس نفسياتهم ليست نفسيات كبيرة تقدر الأشياء، عادة الإنسان المنحط لا يكون للأشياء قيمة عند نفسيته المنحطة الضعيفة الهزيلة المقهورة؛ لأنه ليس لنفسه قيمة عنده لا يرى له هو قيمة عند نفسه، ولا لنفسه قيمة عنده، في نفس الوقت ما هو الشيء الذي يمكن أن يجعل له قيمة وإذا هذه الأشياء لم تترك أثراً في أنفسهم بحيث أنه لا يقعون في شيء يعتبر كفراً بتلك النعمة، يعتبر ماذا؟ يوحي وكأن تلك النعمة لا قيمة لها لديهم، انطلقوا يعبدون لهم عجلاً وموسى لم يغب عنهم إلا أربعين ليلة!.[ص١٩]

ـ مراعات وضعيات الناس

تلاحظ هذه الأشياء مثلما قلنا في موضوع الملائكة سابقاً الله ذكر عن الملائكة عندما قال: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٣٠) عندما جاءت من عندهم حاجة تبدو غير لائقة بالنسبة لمقامهم وغير لائقة أيضاً مع الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى هو رحيم، هؤلاء أنفسهم ما يزالون في وضعية وعادة عندما يكون مجتمع في

وضعية هي حالة نفسية لا تستطيع أنك تنقلهم في يوم وليلة تماماً، تأتي تساير الأشياء قليلاً قليلاً، قليلاً قليلاً معهم، أليست هذه جريمة كبيرة جداً أن يعبدوا العجل عندما غاب عنهم؟! لاحظ موسى عندما رجع، ألم يغضب جداً؟ انفعل جداً وغضب جداً، الله سبحانه وتعالى هو رحيم، ويعلم بواقع عباده كيف تترك الأشياء آثاراً سيئة.

معنى هذا أنت أيضاً في عملك عندما تكون أنت تعمل يجب أن تلحظ وضعيات الناس بشكل عام لا يكن خطابك مرهقاً وتريد من الناس نقلة في يوم وليلة من حالة إلى حالة راقية تريد من الناس في حالة منحطة ولو نسبياً، يصبحون إلى نفسيات مالك الأشتر وعمار بن ياسر وأمثالهم ، أي أن هذه فكرة قائمة أنك تراعي التنقل بالناس وأن تعرف أن الدين نفسه في موضوع نصره وإعلاء كلمته يتقبل ، أعني: ممكن أنت تشغل هذه الفئة وهذه الفئة وهذه الفئة وكل ناس تقدر وضعيتهم، ليس معناه تؤقلم الدين معهم، يوجد فارق كبير بين هذا وبين التأقلم، ليس معناه تؤقلم الدين مع مصلحتك، اعرف وضعيتك العامة، الوضعية العامة تخلق نفسيات تخلق حالة نفسية في أن تنتقل بالناس قليلاً قليلاً تربوياً وتوجه من هذه أنك تعرض عليهم كيف ينبغي أن يكونوا، هذه واحدة، ليس معناه أنك ستسكت لا تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا أن تتحدث كيف ينبغي أن يكونوا لكن في مجال عملي لا ترهقهم بالشكل الذي قد لا يصلون إليه، قليلاً قليلاً، تنتقل معهم قليلاً قليلاً في حالة، الحالات تختلف أعني: وضعية الناس، وضعية القبل، وضعية الشعوب، وضعية، أعني أيضاً القضايا التي تقدمها تختلف منها ما تحتاج إلى أن تكون على هذا النحو بنسبة كبيرة ومنها ما يمكن أن تكون عادية ينطلقون فيها.

بعض الناس مثلاً قد يذهب إلى منطقة ويرى أهلها لم يرضوا يسمعوا ولم يرضوا يتحولوا تماماً بسرعة إلى ملائكة إلى نوعيات عالية، يوجد عدة اعتبارات، أنت لا تيئس معهم لاحظ موسى نفسه، كيف عمل موسى، أليس هو عندما رفضوا أن يدخلوا القرية تلك وبعد موضوع العجل هذا وجههم إلى أن يتوبوا توبة، هي كانت توبة تظهر ندماً كبيراً، وفي نفس الوقت عندما قال ادخلوا المدينة لم يرضوا يدخلوا المدينة أو القرية، التي كتب الله لكم، ثم كتب الله عليهم أن يتيهوا، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم أعني هو يعرف نفسيات أصحابه هم نفس الجيل الذي خرج مثلما يقولون، فعلاً أنه نفس الجيل الذي خرج من مصر ما زالوا هم هؤلاء نفس الجيل هذا لو لم يكن إلا على أقل تقدير يفرح بالجيل الذي سيصعد منهم يكون هذا الجيل على أقل تقدير ما يكون بالشكل الذي يثبط الجيل الذي ينهض، ألم يذهب معهم؟ ذهب معهم هو في التيه في صحراء سيناء ومات هناك ، قالوا موسى معهم لم يظهر أنه قال يذهبون وهو جلس. لا.

ماذا يعني هذا، هل معناه التأقلم مع فاسقين؟ مع أن الله قال أنهم فاسقين {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}(المائدة:٢٦) هذا موسى ذهب معهم وجلس هناك {فاسقين} خارجين عن الطريقة نفس الإعتبارات قليلاً قليلاً، ليحاول معهم يحاول معهم في بقائهم في التيه فترة طويلة عسى أن لو لم يكن إلا أن يصبحوا أرضية على أقل تقدير قابلة لجيل ينهض متكامل أو على مستوى جيد.

{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(البقرة:٥٢) أي تستشعرون النعمة كبيرة وأن هذه كانت خطيئة كبيرة وتقدرون من خلال ما عمل الله معكم فيها أنه عفا عنكم لتشكروه {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣) لاحظ أليس هو يُنوّع الحديث عن النعم، نعم مادية ونعم معنوية نعم هداية {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:٥٣) الكتاب الذي هو نفسه فرقان، وهذا الشخص نفسه الذي هو بقيادته وتدبيره شخص مثلما قال الله: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً}(الأنفال: من الآية٢٩) أعني: هو إنسان مهتدي يسير بكم سيرة هي على هذا النحو، فرقان بين الحق والباطل والخطأ والصواب {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} وهذه نعمة عليهم كبيرة، لتهتدوا.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(البقرة:٥٤) لاحظ هنا منطق موسى في الحالة هذه، موسى ألم

ينفعل جداً؟ وألقى الألواح وأخذ بلحية أخيه يجره إليه، انفعل من حالة فعلاً رهيبة جداً لا يدري ـ وهو كان يدعو فرعون يوحد ـ وإذا بأصحابه قد هم يعبدون عجلاً، هذا موقف رهيب جداً، لكن هو رجع إلى ماذا؟ إلى الوضع الطبيعي وإلى تقدير الحالة، لاحظ كيف خطابه هنا: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} (البقرة: من الآية٥٤) أليس هنا يذكرهم بالخطيئة؟ {بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ} (البقرة: من الآية٥٤). أليست هذه عبارات بعيدة عن قضية الإنفعال السابق ذلك؟ هم أناس والإنسان يحتاج إلى أن تسير معه في هدايته بطريقة لا تكون أنت قاسياً دائماً، الإنفعال هناك لهول الموقف ثم تعامل بواقعية مع الموضوع، أعني: مع الناس أنفسهم.

{إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ} (البقرة: من الآية٥٤) باتخاذكم العجل إلهاً {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية٥٤).

لاحظ هنا هم يتقبلون، يغلطون غلطات كبيرة وقال لهم ورجعوا وغلطوا، وناس يرجعون وناس لا يرجعون، هذه التوبة، هم انطلقوا فيها كما يقول المفسرون فعلاً انطلقوا فيها وقتل منهم عدد كبير في نفس الوقت الله أعلم كم هي قد يكونون يبالغون في الأرقام عندما يقول بعضهم: سبعين ألفا أو عددا.. لا أدري كم قتل منهم، انطلقوا في الموضوع وقتل بعضهم بعض فترة ثم تاب الله عليهم {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} (البقرة: من الآية٥٤) أليس هنا يذكر بنعمة؟ من النعمة أن يكون هذا النبي على هذا النحو: أن يخاطبهم بهذا الأسلوب الذي يقدر واقعهم النفسي، مثلاً عندما يأتي هنا بقوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى} (البقرة: من الآية٥٤) هو تذكير بنعمة في نفس الوقت أعني: أنه نفس هذا النبي على الرغم مما حصل منكم كيف كان أسلوبه معكم لطيف! يوجهكم توجيه العارف للحالة التي أنتم فيها، ويحاول أن ينتقل بكم إلى الأفضل والأحسن.

هل موسى حاول يفلتهم ويذهب بعد القضية؟ هذه قضية كبيرة [أعداء الله مجرمين ما يصلحوا و..و..] وذهب؟ لا. عنده رؤية وفاهم هو أي: هي قضية أساسية: أن تفهم بأن الناس والملائكة والجن ـ مثلما قلنا بالأمس ـ الكل يحتاج إلى هداية الله، الهداية عادة تأتي على هذا النحو: القضية مسيرة ليست جرعة يمكن أن تعطي لواحد ملعقة وأصبح على مستوى عالي، هي تأتي في المسيرة قليلاً، قليلاً ، فعندما تكون مثلاً أنت تنتقل بالناس من وضعية إلى وضعية أخرى تريدها يجب أن تقدر الوضعية السابقة كيف يمكن أن تكون آثارها في النفوس، موسى يعرف الوضعية السابقة التي كانوا فيها في مصر كيف كانت رهيبة جداً وكيف عادة وطبيعياً أن يكون تأثيرها في النفوس، النفوس لا تستطيع تقلبها في يوم وليلة تحاول تعمل مع الناس، وشجع الناس أن يكونوا هكذا وتهدي وترشد بطريقة مستمرة. [٢٢ص]

ـ خطورة المواقف الشخصية

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٦٢) أن تأتي هذه الآية بعد الكلام المتكرر عن فئة من الناس حتى أنه تبدو القضية وكأنه موقف شخصي، حتى لا يحصل هذا الشعور وكأنه موقف شخصي من هذا الجنس، لا.

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) وإلا فالقضية في أصلها وواقعها: أن القضية ليست قومية ولا مواقف من فئات لكونها الفئة الفلانية أو اسمها كذا، لا.

موضوع رحمة الله مفتوح {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) من اتجه هذا الإتجاه سواء كان أصله من الذين هادوا أو من النصارى أو من الصابئين أو من أي فئة كان {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} ماذا نفهم من الآية هذه في خلاصتها؟ أن تعرف أن هذا الحديث ما كأنه حديث عن جنس من البشر يكونون هكذا كموقف شخصي منهم بل هم لو استقاموا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هذه الحالة هامة جداً

بالنسبة للمؤمنين قضية هامة جداً، أحياناً عندما تتحول القضية عندك إلى شخصية يكون لها آثار سلبية في موقفك، آثار سلبية في قراراتك فعلاً .

هناك عبارة جميلة رأيتها في [فيلم] ولم أرها لحد الآن في أي مصدر من المصادر عن مالك الأشتر قال: [إن علياً علمني كيف أقاتل العدو دون أن أحقد عليه] أليست هكذا العبارة؟ أي المجال بالشكل الذي أنت موقفك من الآخر ليس موقفاً شخصياً بما تعنيه الكلمة؛ إنما لما هو عليه.

عندما تكون على هذا النحو وأنت أيضاً تحمل في نفس الوقت حرصاً على أن يهتدي معناه هنا أن الموضوع عندك مقبول بأنه يتحول، إذا أصبحت القضية عندك موقفاً شخصياً تأتي أحياناً ولو قد أراد أن يتحول أن تصده تصبح أنت تعمل عكس ما أنت تتحرك فيه تصبح صادّا عن سبيل الله عندما تنطلق انطلاقة شخصية؛ ولهذا ترى من الأشياء العجيبة في مسيرة أنبياء الله كيف كانت، كيف كان يقول لهم قومهم أنه لازم يعودون في ملتهم يرجعون معهم! يقولون: لا يمكن أبداً، إلا أن يشاء الله، أليسوا يقولون العبارة هذه؟ يعني: أنا ممكن أعود في هذا لكن بالشكل الذي يشاء الله... ليس معناه موقفاً شخصياً منها موقفاً شخصياً، لا، القضية هكذا: المسألة الله لا يريد أبداً لو شاء هو ممكن أدخل معكم في هذا، هذا أيضاً يعطي جاذبية بالنسبة للطرف الآخر.

الموقف الشخصي أحياناً تتبنى مواقف شخصية بحتة تتحول المسألة إلى صراع شخصي لم يعد صراعا من أجل دين الله من أجل ما ذلك الشخص، الطرف عليه هنا يقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} (البقرة: من الآية٦٢) أليس هنا يسردهم في مقام واحد هؤلاء الذين قد أصبحوا محسوبين على هذا الدين يعني ماذا؟ يؤمنون بالله وبرسوله وبالقرآن قد أصبحوا هكذا، {وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) ليس معناها مع ماذا؟ مع كفره بالقرآن وكفره بالرسول؛ لأن هذه لا تتأتى أي هي لا تحصل، ما هي حاصل عندما تفهم ماذا يعني الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر الإيمان بالله ما هو؛ لأن الإيمان بالله ليس مجرد عقيدة فقط الإيمان بالله ليس فقط مجرد عقيدة، من إيمانك بالله أن تؤمن بأنه هو إلهك وملكك وربك أنك عبد له تسلم نفسك له تطيعه هو يريد منك أن تكون كذا، هذا الإيمان.

أما نفس إيمان بالله كإله هو حاصل عندهم من قبل، الإيمان بالله كإله حاصل عندهم وعند المشركين الإيمان بالله إله ورباً هكذا مجرد اعتقاد معين، لكن، لا. ترى كيف الإيمان بالله يأتي في القرآن الكريم وكلها عملية، أن أكون مؤمناً بالله مقتضى إيماني بالله أن أكون مسلماً له بمعنى أني مؤمن بأنه إلهي وربي وملكي وسيدي، في نفس الوقت أسلم لأمره وهذا هو ماذا؟ الإيمان الصحيح والإيمان الذي لا يقبل إلا هو، هذا الإيمان .

عندما يقول: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة: من الآية٦٢) هل يمكن تتصور إلى أن معناها لم أعد بحاجة أن أؤمن بمحمد ولا أؤمن بالقرآن؟ في أول الآيات هو قال: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ} (البقرة: من الآية٤١) ألم يقل لهم هكذا؟ ليس معناه بأن الله سبحانه وتعالى هو يريد إذا قد اليهودي يعمل أعمالاً صالحة والنصراني يعمل أعمالاً صالحة والمجوسي والصابئي ، أهم شيء أن يكون الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع ، لا. بعضهم يقولون هكذا: [المطلوب فقط هو أن تكون أنت عضواً صالحاً في المجتمع اليهودي يهودي والنصراني نصراني من عمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟] لا. ليست القضية بهذا الشكل ولا يصح أن تفهمها بالشكل هذا وأنت تجد الآيات الكثيرة والخطاب الموجه لهم هم في [سورة البقرة] و[سورة آل عمران] وفي [سورة النساء] يؤمنون هم بما أنزل{وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} (البقرة: من الآية٤١) {وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} (البقرة: من الآية٤١) كيف قدم الإيمان به؟ ألم يجعل الإيمان برسوله والإيمان بكتابه جزء من الإيمان به؟.

{فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: من الآية٦٢) لكن يستفاد منها هذا المعنى السابق الذي ذكرنا لأنه جاءت بعد كلام هنا: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ} (البقرة: من الآية٦١) ليس معناه أنه في الأخير يقول واحد: [اترك هؤلاء]! يصبح له موقفاً شخصياً لا. قضايا ليست شخصية على الإطلاق، في صراعك مع أعداء الله يجب أن لا تجعله صراعا شخصيا قاتله على أرقى

مستوى، قاتله وتكون من أولي بأس شديد في الله ولله، وتتمنى أنه لو يهتدي ومقبول لو يهتدي، هذه قضية أعني: في التربية القرآنية يصل الإنسان إلى هذه: يكون شديداً على أعداء الله وفي نفس الوقت لا ينطلق من مواقف شخصية لديه هو، وفي نفس الوقت مقبول إذا أراد أن يسلم حيّاه الله يسلم ويؤمن طبيعي، هذه القضية هامة من الناحية التربوية، هي خلاف الذي يطرحونه [القبول بالآخر] يريدون القبول بالآخر على ما هو عليه! أبداً لا تقبل هذا الآخر على ما هو عليه أبداً، تقف في وجهه تحاربه تتصارع معه لكن إذا رجع، إذا دخل فيما أنت فيه وآمن بهذا القرآن وبالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وأصبح من المسلمين، هنا قد له ما لك وعليه ما عليك.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:٦٣) لاحظ هنا استكمال للموضوع السابق، ألم تأت أخبار أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يأتيه بعض الناس وفود من بعض المشركين، كان يأتيه وفد يستقبلهم؟ مثلاً شخص أو شخصين أو مجموعة يأتون يريدون أن يعرفوا هذا الموضوع هل يقول: هؤلاء مشركين يبعدهم عنه يخرجهم لأنهم مشركون؟! لا ، عارف مهمته، هو مهمته ماذا؟ هو أن هؤلاء جاءوا يفدون على أساس أنهم يريدون أن يعرفوا، ما زالوا مشركين، البعض منهم يصل وهو لا يزال مشركاً لا يسلم إلا بعد أن يتحدث معه ويفهمه ويوجهه، يستقبلهم بالشكل الذي هو طبيعي فيما بين الناس عند العرب أعني: كالقضايا المعروفة مثل المعروف والكرم والأشياء المعروفة في تقاليد العرب، يستقبلهم ويتحدث معهم لا يظهر في نفس الوقت أنه كاره وغاضب وزاعل منهم هم، هم كأشخاص طبيعي ويوجههم لكن هؤلاء الذين يوجههم إذا لم يرضوا يقبلوا سيقاتلهم على أعلى مستوى، وبأشد قتال يقاتلهم، يستقبلهم ويفهمهم ويوجههم ليسلموا؛ لهذا نقول: أن الناس لابد أن يكونوا يفهمون كيف الرؤية من العدو كيفما كان العدو، عدو من الداخل من داخل صفوف الناس عدو بشكل مشرك أو يهودي أو نصراني .

التربية القرآنية هي تجعله على أعلى مستوى في مواقفه من العدو {أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} (الاسراء: من الآية٥) {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآية١٢) كن غاضباً عليهم كارهاً لهم شديد الحنق عليهم لكن لماذا؟ لما هم عليه، لا يسمح لنفسه أن تترسخ القضية لديه حتى تصبح موقفاً شخصياً أو حالة نفسية شخصية، هذا في الأخير يكون لها سلبيات كبيرة منها هذه: أنه أحياناً لم يعد لديك رغبة أن يصلح قد أنت كاره له هو، هو شخصياً لم يعد لديك رغبة أن يصلح نهائياً ولا لديك رغبة أن يهتدي ولو قد أراد أن يهتدي فإنك ستحاول تعرقله حتى لا يهتدي وفي الأخير ستكون تصد أنت عن سبيل الله، فعلاً هذه قد تصل وتصل أحياناً قبل أن يكون الناس أمام يهود أو نصارى أو كفار آخرين أحياناً في مواقف داخلية فيما بين الناس، وهذه من أهم الإيجابيات فيما يتعلق بنفسيات المؤمنين بالنسبة للطرف الآخر يرون المؤمنين أناساً أقوياء وشديدين لكن في نفس الوقت يرى بأنه بإمكانه أن يدخل فيما هم فيه ويصبح طبيعيا وعاديا، له ما لهم وعليه ما عليهم لا يرى حاجزاً ما قد قام حاجز من مواقف شخصية عندما تكون القضية على هذا النحو، هذه تجعل الناس ملتزمين هم مثلاً بمبادئ المواقف من الطرف الآخر .

ألم يقل هناك: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: من الآية٨) ؟ في نفس الوقت في حالة القتال مثلاً في حالة المواجهة يمكن للمؤمنين أن يكونوا ملتزمين بمبادئ القتال وفيّين في مواثيقهم إذا دخلوا في مواثيق في هدنة وفيّين لا يحصل منهم نكث، في نفس الوقت يلتزمون بالآداب مثلا لا يقتلون شيبة لا يقتلون طفلاً، أليس هكذا كان يحصل في توجيهات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) للمسلمين؟ سيقاتل الرجل في ذلك الميدان قتالاً شرساً لكن بالنسبة لامرأته وطفله لا يمكن يقتلهم، أبوه الشيبة الكبير الذي هو هناك لن يقتله ، المواقف الشخصية العداوة الشخصية تريد أن تقتله وتقتل أباه وتقتل أمه وأولاده وأي شيء له علاقة به.

إذاً تحافظ على أن يبقى الناس ملتزمين هم بآداب الصراع مع الآخر يكون هناك قيم لا يتجاوزها الناس يكون هناك قيم يوجههم إليها لا يتجاوزونها، هي لها إيجابية لا تعتبر قيودا ولو ظهر في الصورة وكأنها قيود! لا. الله

يقول ويوجه نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} (الأنفال: من الآية٥٨) لا تسلك طريقتهم أعني: خداع وغدر، تنبذ إليهم إذا أنت تلمس أنهم يريدون أن يخدعوك قل: الآن انتهى ما بيننا أنتم حصل منكم كذا وكذا، إذاً انتهى [الوجه أبيض] مثلما يقول الناس لم يعد بيننا شيء { فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} (الأنفال: من الآية٥٨) هنا قال: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} (الأنفال: من الآية٦٢).

ولهذا القضية أساسية أن يفهم الناس بأن ليسوا هم، هم فقط يعملون ويتحركون ، هناك مبادئ يلتزمون بها في ميدان المواجهة مع العدو ولو بدت وكأنها ثقيلة وكأنها قيود، وكأن العدو قد يستغلها لا. بعض المبادئ لازم تقف عليها لا يمكن أنك تخاف أن العدو قد يمثل له إيجابية أو يستغله، الله يقول: {فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} (الأنفال: من الآية٦٢) وفي آية أخرى يقول: {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال: من الآية٧١) يكون عندهم استغلال للوضعية، يخادعونك، لا. في الأخير ترجع عليهم هم فيكون المؤمنون استطاعوا بأن يحافظوا على مبدئية مواقفهم وهي قضية مهمة بالنسبة للطرف الآخر .

من الأشياء التي تشد الناس إلى المؤمنين عندما يكونون أولي بأس شديد وعندما يكونون في نفس الوقت أوفياء مبدئيين الطرف الآخر يرى ضربات شديدة يراجع حساباته فيجد أمامه أمة ذات قيم ومبادئ وملتزمة تمثل نموذجاً عالياً عنده، يقول: إذاً لماذا أتحمل ضربات من هذا النوع على لا شيء وهي أمة عظيمة على هذا النحو فيكون هو قريب أن يدخل معهم ، لاحظ كيف تربية القرآن تأتي بالشكل الذي يكون لها إيجابية، حتى الشدة ، أليس هو يقول: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (الفتح: من الآية٢٩) أشداء على الكفار ألست تتصور بأن معناه يقابلون من هناك بشدة {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال: من الآية١٢) يقول: إذاً فمعناه سيزيدون أكثر ويتشددون أكثر، وأن يكونوا أولي بأس شديد فمعناه أن الآخر سيكون أيضاً زيادة.

هي تبدو توجيهات لا أحد يستطيع أن يوجه أمة من الأمم بهذه التوجيهات إلا ويحصل في الجانب الآخر سلبيات، أن يقول لأصحابه أن يكونوا أولي بأس شديد وقتاكين وأشياء من هذه إلا وتكون تربية تؤدي إلى أن الطرف الآخر يشتد أكثر ويقاوم أكثر، إلا التوجيهات الإلهية وتربية القرآن فتأتي على هذا النحو وتجدها في المقابل بالشكل الذي لها آثار إيجابية في الطرف الآخر، مما يمثل إيجابية في مقابلة الشدة في الموقف في ميدان القتال: المبدئية والوفاء، الآخر يعود يراجع حساباته ويرى أنه لماذا؟! في الأخير يقيّم مجتمعه ويقيّم هذا المجتمع يقيّم ما لديه من مبادئ وقيم يتلقى من أجلها ضربات شديدة وما الآخرون عليه، وفي الأخير يصبح موضوع القوة والشدة شيء يجذب الآخر فعلاً، في الأخير قد عنده رغبة أن يكون مع أمة على هذا النحو: قوية في مواقفها ثابتة في مواقفها مبدئية وفية ، قيم ، صدق ، أمانة ..إلى آخره.

تكون جذابة نفس هذه بينما الضعف في داخل المؤمنين يشكل خطورة ، الضعف أخيراً يعكس ما هم عليه ضعفهم في مواقفهم في نفس الوقت عدم مبدئيتهم والتزامهم يوجد حنقا عند الطرف الآخر بشكل كبير وفعلاً يظهر بأنه يأتي تخلي من جهة الله ؛ ولهذا يقول: أنتم عليكم أن تلتزموا بهذه المبادئ حتى لو بدت عندك بأنها قد تكون فرصة للعدو يستغلها .

هنا يقول: ما يزال الله هناك فوق الجميع {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} (الأنفال: من الآية٧١) {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال:٦٢) لم يكن يأتي عند المسلمين الأوائل أعني بناءً على ما كان يقدم لهم من تربية وتوجيه يكون فيهم قسوة على الكافرين والمشركين من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في حديثه ومن القرآن الكريم وفي نفس الوقت متى ما جاء مشركون طبيعي أن يروهم يدخلون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) واستقبلهم وجلس معهم يتحدث، هل كانوا يستغربون يقولون:[هؤلاء مشركين ألم تكن تقل عنهم أنهم أعداء الله وأنهم وأنهم كيف تتركهم يدخلون إلى عندك وهذا أنت جالس معهم تستقبلهم وبعضهم تفرش له عبايتك أو تبعد الفراش من تحتك وتفرشه لهم] هل كان يحصل الحالة هذه؟ لا. كانوا يقولون: حيّا الله مَن جاء، ويستقبلونهم يسلمون، يسلمون ما لم فيمكن يعودون إلى

أماكنهم وقد عندهم وفاء بقضية بأنه لا يمكن أن يضربوه في نفس الوقت ـ لكن غداً ممكن يقاتلونه بشراسة في الميدان هذه تعتبر مبدأية عالية فعلاً .
إذاً عندما يكون الناس يواجهون يهوداً ونصارى وكلام عن يهود ونصارى ما يدري الناس إلا وجاء يهود يريدون أن يعرفوا ما الذي مع واحد؟ ما هي أطروحته؟ على أساس أنهم ماذا؟ ،أنهم يريدون أن يتفهموا ليهتدوا هل يمكن يقولون: [هه! والله يهود قالوا أنهم عند فلان! إذاً لماذا نحارب اليهود ونلعن اليهود والآن قد هم هؤلاء عنده] إنك لاحظ كيف كان يذهب مشركون كفار يذهبون إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم ما زالوا مشركين بعضهم ما زالوا مشركين فعلاً يستقبلهم ويوجههم بعضهم يهتدي وبعضهم لا يهتدي، يتركه يرجع مع أن الأسلوب هو نفس الأسلوب في قضية تربوية ذات قيمة وذات ماذا؟ تترفع بالناس عن الحالة النفسية الشخصية التي تعتبر خطيرة ولها سلبيات كبيرة .(ص٣٠).

[سورة البقرة ـ الدرس الخامس]

ـ التذكير للناس بأنهم إذا لم ينطلقوا في موقف معين فقد يبلون بأصعب منه

هنا أليست البقرة بدت نادرة أكثر؟ كلما زاد السؤال كلما جاءت القضية بشكل نادر أكثر .
هذا مؤشر، مؤشر خطير بالنسبة للناس، إذا مثلاً موقف معين لم ينطلقوا فيه قد يبلون بأصعب منه، ما انطلقوا، قد يعاقبون بأن يقحموا في أصعب منه، وهكذا.
في موضوع الجهاد يوجد مثل لهذا: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) لم يرضوا يتحركوا أن يقاتلوا أناساً عاديين مثلهم تخلفوا جبنوا ما كان الموضوع بالنسبة لهم؟ أعني ماذا كانت النتيجة بالنسبة لهم، للمخلفين؟ أن يُقحموا بطريقة لا بد منها واحدة من اثنتين: {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا} (الفتح: من الآية١٦) أليس هذا أمراً صارماً؟ ليس لديكم مجال من أن تطيعوا وتتجهوا فعلاً لقتالهم وقد هم {أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} وهم كانوا يهربون من أناس عاديين {تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} (الفتح: من الآية١٦) بينما العكس متى ما اتجه الناس في قضية، في موقف، هي تبدو سهلة فليفهموا بأنه عندما ينطلقون في هذا السهل يكون بالشكل الذي يسهل العسير فيما بعد، يأتي تدخل إلهي تكون انطلاقتهم في هذا الموضع يعينهم على ما هو صعب فلا يبقى حتى ولا صعب بالشكل الطبيعي، انطلاقتهم في تلك القضية التي تبدو سهلة تساعدهم على أن تبقى القضايا الأخرى تكون أسهل من واقعها أسهل من واقعها فعلاً .(ص٣)

ـ ضرورة التبيين

والمسألة تكون أن تؤدي شيئاً كمسئولية، هذا شيء تؤديه كمسئولية، أن تبين، أن تدعو. لكن قد تأتي قضية أخرى، هي: قضية الطمع في الطرف الآخر أنه قد يستجيب، وقد يؤمن لك، وقد يتقبل منك.
الموضوع الأول ضروري عمله، الدعوة، التبيين لأي طرف مهما كان وإن لم يكن فيه طمع، وهذا أسلوب قرآني. أليس هو هناك يقول لهم: أن يؤمنوا، يدعوهم إلى أن يؤمنوا؟ موضوع أن تطمع أحياناً يكون الطمع في طرف معين بأنه سيستجيب ما زال يعتبر شيئاً يشكل أملاً وتتفاعل أكثر . هؤلاء بنوا إسرائيل ليس هنا مطمع فيهم أنهم سيؤمنون لكن لا بد أن تدعوا وأن تبينوا لهم.(ص٨)

ـ أن يبني الناس أنفسهم على أساس معرفتهم لبني إسرائيل

القضية هنا لا يكون لديك طمع فيهم على الإطلاق، أن يبني الناس أنفسهم على أساس معرفتهم لبني إسرائيل، يمكن متى ما جاءت مرحلة معينة رأوا هم، هذا الطرف، ليس على حسب إملاءات بني إسرائيل: أنه يأتي هدنة، يأتي صلح ويكون هو مجهز نفسه بالشكل الذي يعرف أنه احتمال ١٠٠٪ أنهم ينكثون لكن اتركهم ينكثون

لتضربهم، لأنه متى ما نكثوا عهداً، متى ما نقضوا ميثاقاً أصبح مبرراً واقعياً ومبرراً إعلامياً، ومبرراً منطقياً أن يُضْرَبُوا .(ص٨)

ـ لا بد أن يكون لديك قدرة على فضح الدعايات

خلصوا إلى أن{قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}(البقرة: من الآية٩١) انتقل إلى أن يفضحهم هم في تعاملهم على ما هم عليه مع ما يدّعون أنهم يؤمنون به، ماذا بقي في الأخير؟ نسف لما اعتبروه مبرراً .

لاحظ هنا في القرآن الكريم يأتي في مقابل أشياء من هذا القبيل تعتبر دعايات، أو مقولات، بعضها تكون تشكل خطورة تكون قابلة للتعميم بشكل كبير فمتى ما وجه لفضحها بطريقة دقيقة فيجب على أن الناس أن يكونوا هم متفهمين القضايا التي تشكل خطورة في تعميمها، أن تكون أنت عندك قدرة على فضحها وبهذا الأسلوب. لاحظ كيف كان هذا الأسلوب، وهي قضية منهجية ليس معناه: أنك تنطلق في نفس الموضوع مثلاً الله يقول هنا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا}(البقرة: من الآية٩١) .

هل استمر الحديث معهم في موضوع، [لكن الله هو كذا، ومحمد هو كذا، والأدلة قد قامت على محمد، وقد ثبت على أنه من عند الله] وأشياء من هذه! إنطلق إلى فضحها من خلال معاملتهم مع ماذا؟ مع ما يدعون أنهم مؤمنون به. هنا نقول: إيمانكم رأينا ماذا تجلى عنه: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(البقرة: من الآية٩٣). (ص١١)

ـ إذا لم ينتبه الإنسان لنفسه من البداية

الإنسان إذا لم ينتبه لنفسه من البداية لا يتوقع بأنه ربما في مرحلة أخرى سيهتدي أو ربما شخص آخر سيهتدي به أو.. من الأشياء هذه، متى ما ضل الإنسان فقد تأتي أشياء جديدة وفيها هدى له لا يتقبل ، يأتي هداة آخرون لا يعد يتقبل .(ص١٧)

ـ إذا لم يكن هناك توجه قرآني ستأتي الأشياء عبارة عن هزيمة نفسية

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(البقرة:٩٧) تجد كيف التوجيه القرآني يختلف عن السياسة العربية الآن، السياسة العربية الآن للأسف متى ما قال أحد هناك في الغرب [الإسلام هذا إنما هو دين فرض بالقوة وبالسيف ، الإسلام هذا يولد العنف والإرهاب] جاءوا هنا ليقولوا: [اتركوا يا جماعة اتركوا كلمة جهاد ولا تتحدثوا بها سيقولون هنا كذا .. كذا شوهنا ديننا] هذه تعتبر حالة غباء .

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ}(البقرة: من الآية٩٧) هل قال الله:[إذاً سنكلف ميكائيل أو إسرافيل بدل جبريل!]؟ قل لهم جبريل هو هو الذي تعادونه، هو الذي نزله على قلبك لا تتأقلم معهم ، لا تتأقلم معهم، تتجاوب معهم على أساس ربما ، ربما إذا تركنا هذه يمكن ينسجموا هناك معنا ، لا . هذه حاصلة عند العرب للأسف ، هذه حاصلة!.

عندما تجد كتابة عن أحد اليهود هناك يعمل لتشويه الإسلام رجعوا هم وقالوا لنا: [أتركوا شوهتم لا تتحدث عن الجهاد ، سيقولون متشددين ، وإرهابيين ، وتبرهنوا على أن الإسلام فعلاً على ما يقولون دين فرض نفسه بالسيف وبالقوة] . وينسون، ينسون أن يواجهوهم أن يقولون: لا. أنتم تبينون أنفسكم بالشكل المعاكس لما توبخوننا به ، أنتم في نفس الوقت تفرضون ثقافتكم بالقوة، ثقافة من عندكم. أما هذا هو دين من عند الله يفرض على عباده جميعاً ، أنتم الآن في البر وفي البحر قواعد عسكرية ومتجهين لفرض ثقافتكم بالقوة. عندما تقول ، قل فلم تفرضون ثقافتكم بالقوة؟ الأسلوب الذي يوجهك القرآن إليه .

إذا ما هناك توجه قرآني ستأتي الأشياء عبارة عن ماذا؟ هزيمة نفسية ، انعكاس لهزيمة ، قالوا : كذا، نحاول نترك هنا حتى أنهم لا يقولون... ! قل عندما يقول لك: الإسلام فرض بالقوة، لتكفي نفسك مؤونة الأخذ والرد

حول أن الإسلام والجهاد هو كذا في الإسلام، وأشياء من هذه ، قل : فلم تفرضون أنتم ثقافتكم بقوة الصواريخ والطائرات والغواصات وغيرها من قواعدكم العسكرية؟! إذاً، ثقافتكم هكذا. فهل باستطاعته أن يلومك، أو باستطاعته يوبِّخ دينك؟ هذه الطريقة أفضل، وليس أن ترجع إلى الناس لتقول لهم : اتركوا كلمة جهاد، لا أحد يدعوا إلى الجهاد، ولا أحد يربي مجتمعاً يبدو متشدداً في التزامه بهذا الدين وشديداً على أعداء الله، لا. لأجل أن لا يقولوا.

في موضوع جبريل في نفس السياق الأول: {مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ}(البقرة: من الآية٩٧) هم عادوا جبريل ، قالوا: هم قالوا: من الذي ينزل القرآن عليه؟ قالوا: جبريل . قالوا: إذاً جبريل هذا عدو لنا . لو أن عند رسول الله حاشية وهو من نوعية العرب الآن لقال: والله لم يرضوا بجبريل، أرسل واحد ثاني يقول: إسرافيل ، قالوا: إسرافيل هو عمل كذا. ماذا قاله له؟ ـ لأنهم عادة هم فئة لا تنتهي مطالبهم ـ قل لهم: {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٩٧) هو الذي جاء به مباشرة، وليس حتى أن جبريل فقط هو واحد من الوسائط من جبريل إلى ملك آخر ، بل هو نفسه الذي يأتي به إلى عندك، على قلبك .

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}(البقرة: من الآية٩٧) وجبريل نفسه هو لا يتصرف من جهة نفسه ، هو من عند الله . ليعود إلى قضية هي أساسية عند البشر جميعاً ، هي قضية هامة ، أي : يجب أن لا تنسى الأشياء التي تعتبر تشكل إتقاء، لأنه متى ما عاندوا يبدون أكثر فضيحة ، وتكون الحجة عليهم أظهر {فَإِنَّهُ نَزَّلَه} جبريل هو الذي نزل القرآن {عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}، إذاً، فإذا هو بإذن الله فيجب أن تقبلوه حتى ولو كان أنتم تعتبرونه عدواً.

{مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}(البقرة: من الآية٩٧) وكلمة مصدقاً لما بين يديه ، كل ما يقول بأنه: {مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، هو ـ عادة ـ موجود عندهم . أي: ما معناه: أمة أخرى ، العرب لم يكن بين أيديهم شيء هل كان بين يدي العرب شيء؟ أو بين يدي الهنود أو الصينيين أو كذا ؟ تكون الحجة قائمة عليهم أكثر ، لأن الذي يحكى عنه ما بين يديه: التوراة والإنجيل. أليست من الكتب التي أنزلت على أنبياء منهم؟ وأنزلت ليهتدوا بها وليهدوهم بها؟ قل: فيجب أن تكونوا اقرب أنتم.

لأن العربي نفسه جاء لينسف ما بين يديه. ألم يكن بين يديه أصنام ، وخرافات، وأشياء من هذه ؟ وتقاليد جاهلية معينة ؟ نسفها ، أما أنتم فما بين أيديكم ـ ليس معناه ما بين أيديهم مما هو محرف ـ ما بين يديه هو ما كان قبله مما هو من عند الله: التوراة ، والإنجيل التي أنزلت على موسى، وعيسى من عند الله ، والزبور الذي أنزل على داوود ، أي : في داخل بني إسرائيل نزلت ، أليست نزلت داخل بني إسرائيل؟ فكان المفروض أن يكونوا هم أول من يؤمن فعلاً آمن العرب مع أن هذا الدين جاء لينسف منه إلهه بكله ، يعتبره إله، وكثير من تقاليد جاهلية، وخرافات لديه ثقافة وعبودية، وتوجه كامل نسفه، ألم ينسف عندهم هذه ؟ .

{فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(البقرة: من الآية٩٧) لكل المؤمنين ، ولكل من آمن، فجبريل عندما نزل بهذا الكتاب من عند الله لم ينزله بالشكل الذي ماذا ؟ هو فقط حق فئة خاصة ، أو يراعي أن يكون هدى وبشرى لمجتمع معين ، أو جنس معين من البشر ، هو نزل للكل {هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(البقرة: من الآية٩٧) من أي فئة كانوا هؤلاء المؤمنين .

{مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}(البقرة:٩٨) ما الذي جنوا من وراء هذه؟ أنه سيؤقلم القضية على حسب ما يريدون؟ لا. سيكون هو عدوهم ويقارنون بين أنفسهم وبين الله ، أليسوا هم الآن دخلوا في حالة عداوة مع الله؟ أعداء لملائكته، وكتبه، ورسله، إذاً هو عدوهم، وبالتأكيد هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده، وبيده مصيرهم، حياتهم وموتهم ومصيرهم في الدنيا وفي الآخرة .(ص٢٣)

[سورة البقرة ـ الدرس السادس]

ـ كيف نقدم التاريخ

فالموضوع عندما نقول: ننظر إلى موضوع السورة فليس معناه تسلسل الموضوع نفسه قد يكون الموضوع هو الشخصية هو الإنسان قد يكون موضوع السورة هو أن يكون عندك ماذا؟ يكون عندك دائرة أمامك هي دائرة اليهود ودائرة المؤمنين ودائرة البشر هذا هو الموضوع ؛ لهذا قد ترى في مجمل هذه الآيات التي سمعناها أليست مواضيع متفرقة سمعناها؟ لكن تبدوا هي تشكل نموذجاً من عدة مجالات من عدة مجالات وقضايا هامة تقدم هنا على أساس أن عندك من خلال ما قدم لك عن بني إسرائيل ما يجعلك تتقبل، هي قضايا مهمة جداً في سياق الموضوع الذي هو أنت، الموضوع الذي هو الإنسان بشكل عام المؤمنون بما فيهم اليهود ؛لهذا ترى فيها خلطاً أيضاً في الحديث عن اليهود داخلها.

تعطينا مجمل الآيات هذه: فكرة عن المنهج الذي يجب أن نسير عليه في تقديم التاريخ مجمل ما حكى عن بني إسرائيل كان عبارة عن سرد تاريخي أليس سرداً تاريخياً؟ لم يسرده على نفس الطريقة التي يكتب المؤرخون التاريخ بها ولم يقدمها على نفس الطريقة التي يقدم المؤرخون التاريخ عليها. بعد ما أعطى نبذة تاريخية عن تلك الأمة بالشكل الذي تعطي عبرة بدأ يوجه بناءً على ماذا؟ أنه قد قدم لك ما هو عبرة بالنسبة لك وعندما نقول بالنسبة لك أعني بالنسبة للمسلمين بشكل عام، المؤمنين بشكل عام إذاً فهو محط أن يقدم لك قضايا وإن كانت متعددة هي قضايا هامة جداً.(ص٤)

ـ أن يكون موقف الناس من أهل الكتاب موقف القرآن من خلال ما يقدمونه

أليسوا يقولون هكذا؟، بالطريقة هذه:[نريد نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد ...] هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل ، ففي [سورة البقرة] قرأنا في آيات سابقة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة: من الآية ٨ــ٩) **ويقول بعد: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}** (البقرة:١١) **يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يقدم على أساس يتقمص ثوباً يشكل جاذبية عندك خير لك نصيحة لك أليس هو يقدم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله ، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين ، أليس الله قال في آية أخرى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}** (النساء: من الآية٤٥).

إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} (البقرة: من الآية١٠٥) **يعمل مشاريع يعمل ما يريد لكن موقفي هو موقفي منه الموقف القرآني يكون موقفك منه الموقف القرآني استفد مما يقدم من خدمات وابق في تعاملك معه التعامل القرآني اتركه في الأخير سواء أراد أن يعتبر نفسه متجملاً أو يندم المهم أن يروا في الناس بأن ما قدموه ـ وهو بالتأكيد إن ما قدموه عبارة عن طعم كما يقدم الصياد للسمكة قطعة لحم ـ يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة لن يقول لك في الأخير : إذا لم يقبل عندكم نحن نريد وجه الله الباري سيكتب أجرنا، هم ليسوا حول هذه يعرفون أن هذه الأمة لا تخدع بما يقدم لها أبداً وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر التي عندها أن الصياد ذلك فاعل خير نزل لها قطعة لحم أنه جاء من البيت قاصدا وقد ترك شغله وعمله ليقدم للسمكة قطعة لحم وهي لا تدري السمكة أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك ، إذاً ألم يستفد أكثر مما قدم؟ الصياد ألم يستفد أكثر مما قد ؟، كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل حقيقة قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين كيلو أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها .(ص٧)**

ـ تعليم الناس بالدور الحقيقي للمسجد

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} (البقرة: من الآية١١٤) لأنه في الأخير ستأتي مفاهيم خاطئة حول كثير من شعائر الدين كل فئة مثلاً تقدم دوراً للمسجد أو سابقاً للكنيسة أو للمعبد بالشكل الذي يعتبر الطرف الآخر لم يعد يصبح له أن يعمل هذا العمل في هذا المكان أو أن يدخل هو في هذا المكان ، أعني: اعتبر هذه بشكل عام من مظاهر الناس عندما ينصرفون عن هدي الله كيف يصبحون متشاجرين على الجنة ثم في الأخير متشاجرين على مساجد الله بالعنوان العام لمساجد الله بيوت الله للعبادة ، قد تؤدي المسألة إلى أن يكون هناك طرف وهو في القضية هذه يعتبر موقفه من أظلم المواقف{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١١٤) يكون به من أظلم عباد الله ، من أظلم الناس.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة:١١٤) فبعد أن يبين دور المساجد مساجد الله وأهم مساجد الله هو المسجد الحرام ، وهذه الظاهرة حصلت بالنسبة للمشركين في عملهم مع المسلمين أيضاً حصلت بالنسبة لليهود من جانب آخر قد تأتي أيضاً في موضوع آخر سيأتي الحديث عن مسجد الله الذي أصبح في الأخير قبلة والذي أسسه إبراهيم ، إبراهيم هو الذي أسسه والذي يحاول اليهود والنصارى أن يتنافسوا على أولويتهم به كيف انتهت المسألة بالنسبة لهم؟ أخيراً لم يعودوا يتخذونه قبلة ، من أين جاءت هذه؟ أشياء كثيرة قد يكون منها ومن أبرزها موقفهم السلبي من إسماعيل وبني إسماعيل ، كان إسماعيل وبنوا إسماعيل هم هؤلاء في المنطقة هذه وفي محيط المسجد الحرام ومكة ، وفعلاً تجد أنه كان هناك نظرة لديهم وتعصب شديد ضد إسماعيل وبني إسماعيل ، محاولة غمر لهم وتهميش لهم .

هنا عملية المنع ليس معناه المنع المطلق تماماً إنما المنع من أن يؤدى في مساجد الله الدور الذي هي من أجله بنيت وأقيمت وشرعت{أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} (البقرة: من الآية١١٤) يذكر فيها اسمه {وَسَعَى فِي خَرَابِهَا} (البقرة: من الآية١١٤) خرابها العبادي للهدف أو الغرض الذي من أجله شرعت ، أما عندما تحرَّف المساجد ويحرَّف دور المسجد نفسه وتحاول أن تعيد للمسجد حيويته وتفهم بالدور الرئيسي للمسجد والدور الشامل للمسجد والآخرين يقولون: لماذا ، أو لم يعودوا يحضرون المسجد ما يعتبر من هذا القبيل من الظلم يجب أن يفهم من البداية الدور المهم والأساسي للمسجد وبعدها نحن كلنا نقول: من منع مساجد الله أن يؤدى فيها هذا الدور الذي من أجله بنيت على هذا النحو ولهذه الغاية فهو ظالم ومن أظلم عباد الله .(ص٢٦)

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٢)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

[سورة البقرة ـ الدرس السابع]

ـ يجب أن ننظر إلى القرآن ككتاب هداية

لاحظ علاقة الآيات التالية في الموضوع هذا نفسه {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) فعندما يقول: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى} (البقرة: من الآية١٢٠) أليس هذا من الكتاب الذي نتلوه؟ وتتلوه أنت يا محمد ؟ لأنه أول ما أنزل عليك، وأنت أول رجل أوتيته، يجب أن تكون مؤمناً به إيماناً قاطعاً {أولئك يؤمنون به وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (البقرة: من الآية١٢١) ستخسر .

البعض يفسر {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) معناها : يتبعونه حق اتباعه، هذا هو واحد من مصاديق تلاوته حق تلاوته، أن يتلوه حق تلاوته، كيف حق تلاوته؟ بتدبر بتأمل من منطلق رؤية واسعة كما قال الإمام القاسم: ((يجب أن تنظروا إلى القرآن ككتاب هداية)) كتاب هداية، وأنت تعرف سعة الهداية، وتعرف سعة هذا القرآن، وأنت تقرؤه وتتلوه من خلال مزج ما بين القرآن وما بين الواقع، مزج ما بين القرآن وما بين الحياة بشكل عام، وما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وأنت تقرؤه، هذه تلاوته حق تلاوته، ليس معنى تلاوته حق تلاوته قلقلة الحروف والغنة، وأشياء من هذه !

إذاً فمن واجب من أوتوا الكتاب: أن يتلوه حق تلاوته، وفي نفس الوقت يكونون مؤمنين به، والإيمان به إيمان تصديق، وإيمان عملي، يقطعون بالحقائق التي يقدمها، بالأخبار التي يتضمنها مثل هذه : {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: من الآية١٢٠) وكثير من أمثال هذه.

{أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} (البقرة: من الآية١٢١) هذه توحي: بأن تلاوة القرآن حق تلاوته فعلاً تدفع إلى الإيمان به {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} لكن لم يتلَ حق تلاوته، تلي من الناحية الفنية، أن يكون الشخص الذي أنت تتلوه عنده يراعي الغنة [هل أنت مديت، جعلت الغنة بمقدار حركتين هنا، هل المد بمقدار أربع حركات، أو ست حركات ؟ هل أنت قرحت حرف القلقلة ؟] بعد ذلك يقول: باهر، ممتاز، يعطيك جائزة؛ أنك حصلت على درجة عالية في تلاوته !

لاحظ هذه الآيات عندما نقرؤها بهذا الشكل أعني: على هذه الطريقة نفسها، أليست تعطي القرآن في أنفسنا مكانة كبيرة جداً؟ وتجده كتابا يلامس القضايا، ويلامس الواقع فعلاً، وتجد فيه فعلاً، تجد فيه أيضاً المصاديق في واقع الحياة، في كل الإتجاهات، في الخارج، وفي الداخل، داخل الأمة الإسلامية، وخارج الأمة هذه. قد يكون من نعمة الله علينا: أن نكون في ظرف مليء بالأمثلة، واقع تستطيع أن تمثل من خلاله لكل شيء، تستطيع أن تقدم برهنة من خلاله فيجعلك تلمس القرآن وإذا هو كتاب حياة على طول يتجدد بتجدد الحياة، لا يكون عبارة بأنه حاولنا نأخذ ما بقي من القرآن، هو كتاب للحياة كلها، في كل جيل يخاطبهم هم، وفي كل جيل وكأنه نزل لهم، في كل جيل، هذا معنى حيويته، ليس معنى حيويته بأنه: طويل عمر لكن قد صار شيبة لم نعد نلحق منه إلا [عايل فكرة] قد صار شيبة، وقد أصبح ينسى أشياء كثيرة ! ما زال حياً لكن باقي حياة فقط، شيبة عمره طويل باقي حياة يمكن تسأله، وطلع لك [عايل فكرة] وأحياناً يغلط فيها، وتحاول تتأكد منه ! حيويته هذه حيوية فتوة في كل المراحل.[ص١١]

ـ كيف تكون مشاعر أنبياء الله وأوليائه

{وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٨) لاحظ هذه المشاعر الهامة جداً والتي يجب أن يكون عليها أي إنسان مؤمن{وَتُبْ عَلَيْنَا} وهم ماذا يعملون؟ كثير من الناس يقولون: الله غفور رحيم وهم يعملون معاصي! هذا يقول: {وَتُبْ عَلَيْنَا} وهو يرفع قواعد البيت الحرام، في عبادة من أرقى العبادات، يقيم معلماً من معالم دين الله في الأرض للناس جميعاً يقول: {وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٢٨) القرآن هنا يقدم لك حتى مشاعر أنبيائه، وأوليائه.

بعضهم يقول: القرآن ما أحد يعرف ماذا يأخذ منه، أو يقول: فقط! أمام القرآن ! يشخّص لك الناس، يشخص لك الأمم، يشخص لك مشاعر، وليس فقط يقدم لك سيرته، يقدم سيرته، أو عبارات من عنده يقولها في مقامات معينة هي بالشكل الذي تشخص لك مشاعر هذا الإنسان العظيم، أو تشخص لك مشاعر الإنسان السيء مثلما تقدم عن بني إسرائيل الذين قال عنهم سابقاً: {وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} (البقرة: من الآية١١٨). [ص٢١]

ـ أدع الله حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفاً بأنها واقعة

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(البقرة:١٢٩) هو قال هناك: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية١٢٨) {وَابْعَثْ فِيهِمْ} في ذريتنا هذه { رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(البقرة: من الآية١٢٩) هذه فيها قضية هامة أنه حتى في الأشياء التي قد تكون أنت عارفا بأنها واقعة، وعد إلهي أيضاً ينبغي أن تكون على هذا النحو: تدعو الله، قد يكون إبراهيم نفسه يعرف بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً في آخر الزمان من ذريته محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع هذا يدعو، يدعو، علّم المؤمنين أنفسهم، وهم يتحركون في سبيله التي وعد فيها بالنصر {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} (محمد: من الآية٧) أن يدعوه، لأنه قضية هامة تجعلك مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، وتتذكر أيضاً صحة الطريقة التي أنت فيها، وتستنجز وعد الله سبحانه وتعالى .

جانب عبادي مهم لا يجعلك تتحرك في حالة من الغفلة، أو تعتبر وكأن القضية قد هي منجزة فلا حاجة إلى الرجوع إلى الله، لا، إن المسألة يجب أن تكون دائماً دائماً مرتبطاً بالله بما فيه الدعاء بماذا؟ بالشيء الذي قد وعد بأن ينجزه؛ لأنه هل بإمكان إبراهيم (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى هذه الدرجة أن يدعو على هذا النحو، وهو يعرف أن المسألة هي مرتبطة بالله، مرتبطة بالله سبحانه وتعالى؟ [ص٢١]

ـ تعريف الناس بمعاني الآيات التي تتعرض للتحريف مثل:

١ـ الأمة الوسط:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا }(البقرة: من الآية١٤٣) هذه الآية هامة، جداً والكلام حولها بتحريف لمعناها، وتقديمها بشكل يخلق قابلية أن يجرد الأمة عن شهادتها قد {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} كلمة وسطاً لا تعني: عدول، أو تعني ..في آيات أخرى تبين ماذا يعني، أوسط في اللغة العربية، أوسط تعني: أفضل، تعني، أمة من أوسط الأمم، من أفضل الأمم، مهيئة لأن تحمل هذه الرسالة، وتكون في نفس الوقت شاهدة على الناس، الشهادة هنا ليس فقط في موضوع أنهم يشهدون يوم القيامة بأنه قد جاء نبي وبلغ، الشهادة بتجسيدهم للدين، وقيم هذا الدين، وتمثيلهم لهذا الدين .

هذا دين عظيم جداً تتجلى من خلال وسط معين من الناس أمة معينة، تتجلى قيمه ومثله ومبادئه بشكل جذاب جداً؛ ليكون شاهداً على عظمة هذا الدين أمام الآخرين فينجذب إليه، وتقوم الحجة على الآخرين به؛ لأن

الكثير قد يقولون: مجرد نظرية، وأي نظرية لم يشهد لها الواقع في حياة الناس، لأن هذا هو المحك، هو المحك واقع الحياة، واقع الأمة، روحية الأمة، نفسية الأمة، أفرادها الذين يحملون هذه النظرية، يتجلى من خلالهم ماذا؟ مدى إيجابية هذه النظرية، أو سلبيتها بالنسبة للدين. هذه القضية لم يغفلها، موضوع أنه لا بد من دائرة تمثل قيم هذا الدين، ويتجسد فيها هذا الدين فتمثل بهذا الدين شهادة على الناس بعظمة هذا الدين، فتقدم نموذجاً على أرقى مستوى {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}(البقرة: من الآية١٤٣) **أي تكون عملية متبادلة عندما تعرف عظمة هذا الدين، كلما عرفت عظمته، كلما وجدت في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وفي حركته شهادة أيضاً على عظمة هذا الدين نفسه.**

دائماً تفسر هذه فيما أعرف بأنه: الشهادة على الآخرين، الشهادة على الأمم بأنه قد وصلتهم الدعوة، أو وصلهم البيان، أو وصلهم أخبار النبوة! وهذه هي المهمة هنا، وهي نفس القضية الأساسية أنه: التأهيل، الإصطفاء، هي مسئولية {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ليس عبارة عن وسام هكذا، أي: أنهم يقدمونها وكأنها عبارة عن وسام، لا، المهمة هنا المسئولية {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} تحت هذه الكلمة أشياء كثيرة جداً {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} الإلتزام بهذا الدين، الإهتمام بهذا الدين، تجسيد قيمه، الجهاد في سبيل إعلاء كلمته؛ لأنه أيضاً يحصل من خلال هذه أن يكون الناس محطاً للتأييد الإلهي أن يتلمس جانب هذه الأمة أشياء هي فعلاً تشهد بأن هذه الأمة على صراط مستقيم، وأن هذا الدين الذي تدين به هو دين عظيم، فهذه قضية هامة جداً: أنه لا بد من إناء، لا بد من محيط ليكون محطاً للتأييد الإلهي.

هذه القضية معروفة حتى فيما يتعلق بالرزق أليس الإنسان يحتاج يعمل له [جربة] يجمع لها تراب حتى يمكن يعمل فيها زرع؟ أليس الواحد يحتاج يعمل للمطر الذي ينزل من السماء يعمل له مشرب يجمعه حتى يجري إلى هناك؟ لا بد من دائرة، لا بد من محيط مكون من أمة، من مجاميع المؤمنين ينطلقون انطلاقة صحيحة، يعتبرون محطاً للتأييد الإلهي، التأييد الإلهي لا يأتي مبعثر: مؤمن هناك، ومؤمن هناك، وواحد هناك، وواحد هناك! سترى كل واحد يصيح مكانه فقط، لكن إذا كانوا عبارة عن محيط واحد، هنا سيكونون محطاً للتأييد الإلهي، يتجمع التأييد الإلهي مثلما ماذا؟ تأتي تجمع لك مشرب تصلحه من هناك يلتقي القطرات التي تنزل من السماء حتى تصب في [جربتك] يحصل فيها زرع وتثمر.

ليست الوسطية معناها: بين اليهودية والنصرانية، بين التشدد واللين يسمونه: اعتدال، وسطية، لا، ليست بهذا الشكل؛ لأنك عندما تلحظ إلى كيف يجب أن تكون هذه الأمة التي قال: إنها أمة وسطاً في مجال أن تقوم بالمهمة التي تجسد ماذا؟ الشهادة على الناس معناها: أمة يجب أن تكون متوحدة، أن تكون قوية، أن تكون أفرادها أولي بأس شديد، بإخلاص لله عالي، بالإلتزام بهذا الدين، أشداء على الكفار، أعزاء على الكافرين؛ هذا معنى أمة وسطاً، كيف قال عنهم هناك: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ}(الفتح: من الآية٢٩) **أليس الذين معه هنا على أساس أنهم أمة وسطاً؟ إن القرآن ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم يربون الأمة الوسط كيف تكون لتكون شاهدة على الناس، ألم يربهم على مستوى أن يكونوا أقوياء {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}؟** (الفتح: من الآية٢٩) **هذه الأمة الوسط هي التي قال لها: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}**(التوبة:٢٩) **هذه وسطية، هو الذي يقول لهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}**(الأنفال:١٥) **هذه وسطية الإسلام، أو الأمة الوسط غالباً تكون هكذا: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}**(الأنفال: من الآية١٢) **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ}**(التوبة: من الآية١١١) **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}**(البقرة: من الآية٢٠٧).

هذه هي الأمة الوسط، ليست الأمة الوسط أن يقال: أمة ليست حول أن تكون شديدة على الكافرين، ليست شديدة على أعداء الله، ليست شديدة في ذات الله، قوية في ذات الله، في تجسيد دينه، في العمل لإعلاء كلمته، هذه لا يصح أن يقال لها أمة وسطاً، هذه أمة منحطة، تسمى أمة منحطة، ليست أمة وسطاً، كلمة وسطاً {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) أي أن الله عندما اختار أن يكون هذا الرسول منهم فهو جعلهم، ما معنى جعلهم؟ مسألة [جعل] هذه قد لا تعتبرها مرتبطة بعشر سنين، أو بعشرين سنة أحياناً قد تكون قروناً من الزمن، عملية قرون من الزمن، رعاية إلهية حفاظ إلهي على أشياء معينة بحيث أن يكونوا مهيئين لأن ينهضوا بهذه الرسالة، أن يكونوا صالحين لأن يكونوا جنوداً لها، من قبل البعثة، من قبل ربما أن يولد جد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم أثناء المسيرة في التربية التي تقدم لهم، في التوجيه الذي يقدم لهم، القيادة التي تقدم لهم .

الأمة الوسطية يجب أن تكون قيادتها عالية على هذا النحو الذي يحكيه الله في القرآن الكريم ستأتي الآية بعد بالنسبة للأمة الوسط كيف قيادتها هنا: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (البقرة: من الآية١٥١) أليست هذه قيادة على مستوى عالي من القوة في ذات الله، من القوة في مواجهة أعداء الله؟ هذه الأمة الوسط، وقيادات الأمة الوسط، ومنهج الأمة الوسط هو هذا القرآن الكريم، عندما يأتي أناس يحملون علماً، باسم علم، ويحرفون كتاب الله كما حرف بنوا إسرائيل كتبهم، ويحرفون المعنى: [لا، الوسطية: الإعتدال، الوسطية تعني ماذا؟ أسلوب لا يكون فيه شدة، ولا مهاجمة للآخرين، ولا استعداد لمواجهة الآخرين ولا..ولا..ولا...!] أليس هذا يعتبر سخافة؟ يعتبر هذا كفر بالنعمة العظيمة هذه التي هي القرآن الكريم، التي تبني الأمة الوسط.

نقول بكل تأكيد: إن الأمة الوسط هي الأمة التي يبنيها القرآن، الأمة الوسط هي الأمة التي تبتني على أساس القرآن، وتتبنى المواقف التي يهدي إليها القرآن، هذه هي الأمة الوسط. ماذا يعني الوسط؟ أفضل، أمة أفضل، أمة تكون ماذا؟ تكون مؤهلة لأن تقوم بهذا الدور{لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٤٣) من الشهادة على الناس، أن يكونوا أولي بأس شديد، وأن تكون أولي بأس شديد يعني أنت مؤمن بالقضية التي أنت فيها، أنت تغضب لها، أنت منشد إليها، وهي قضية في حد ذاتها جذابة جداً ؛ لأن هذا شيء عجيب جداً لا يمكن أن يحظى أي منهج آخر بهذه الحالة التي تبدو وكأنها مجموعة من النقائض، أو من المتناقضات أن يقول لهم: كونوا أشداء على الكفار، كونوا أولي بأس شديد، اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، في مسيرة دين هو للكل إلا لأن هذا الدين هو عظيم يجعل لهذه الظاهرة نفسها جاذبية لهذا الدين نفسه ؛ لأنه عندما أرى هناك أمة قوية جداً، متماسكة جداً هي تشكل أملاً عندي، ومنهجيتها صحيحة، إذاً أنا عندما أقارن بين وضعيتين، ومجتمعين وبينهم سأرى هذه الأمة أنجذب إليها، أمة تشد الإنسان، أمة تقف مع الإنسان .

أحياناً قد تكون من الأشياء التي لا تجعل لأمة معينة أي قيمة عندما ماذا؟ لا تكون هي ذات فاعلية في مواجهة أطراف أخرى حتى ولو هي أمة مؤمنة أنها بهذه الطريقة وحدها تفقد جاذبية الدين الذي تدين به، الطريقة التي هي عليها:[هؤلاء أناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، لا يمثلون شدة ظهر في شيء، لاحظ كيف هم ضعاف أمام أي عدو آخر] عندما يظهر هؤلاء أقوياء، أشداء، أمة قوية أي يعتز أي شخص ينتمي إليها يشعر بعزة يشعر برفعة يشعر بقوة .

لهذا كانت هذه الخصلة نفسها التي الآن يحاولون...، إضافة إلى أنها قد ضاعت في وسط الأمة، أشداء على الكافرين، أن يكونوا أعزاء على الكافرين، قد ضاعت، ومع هذا يحاولون أن يقدموها كثقافة يدينون بها أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أي شدة، ولا قوة على أعداء الله، لم يكف انحراف عملي، وإنما يقدمون انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويفهمونه بشكل خطأ، ويعتقدون أن هذا هو معنى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) هكذا ينتهي الضلال إلى أن يقدم الضلال العملي، الإنحراف العملي يحاط

بماذا؟ بعقيدة أنه دين تدين به، هذا تحريف خطير جداً لآيات الله، تحريف في المعنى، في المضمون، في تقديم هام بهذا الشكل السيء!

نقول: نحن فعلاً أمة وسطاً ونتمنى أن نكون أمة وسطاً، والأمة الوسط هي: التي تبتني على أساس القرآن، ومواقفها قرآن، هي الأمة التي قال الله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة: من الآية١٤٣) أنه يجعلها، وهذه طريقة من طرق أن يكون هناك أمة وسطاً، القرآن الكريم، وليس الوسط معناها بين شيئين، بين اليهودية والنصرانية، اعتدال ليس يهودياً ولا نصرانياً، لديه ملعقة يهوده وملعقة نصرنه، وقليل إسلام فوقها، [خلطة!]

هذه قضية نركز عليها في مسألة هذا الموضوع نقول: فعلاً نحن أمة وسطاً لكن نعتقد أن الأمة الوسط: هي الأمة التي تنطلق على أساس القرآن، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا، يقول أبداً. إذاً الأمة الوسط أليست الأمة التي تسير على هدي القرآن، وتبتني على أساس القرآن؟ إذاً فلنكون أمة وسطاً يجب أن نسير على هدي القرآن.

إذا أنت تقدم لي شيئاً آخر هذه وسطية ثانية ليست هذه الوسطية التي قدمها القرآن، أنت تريد أمة تكسر من وسط ظهرها حقيقة، وسطية يكسروها من وسطها، لا تريد أمة وسطية على هذا النحو، على هذا المفهوم القرآني! فنحن نريد أن يكون الله هو الذي يجعلنا أمة وسطاً وليس أنت، والقضية هي بهذا الشكل: أن نفهم جميعاً أن الأمة الوسط - إذا كنا نريد أن نكون أمة وسطاً - أن نكون على هذا النحو: أن يجعلنا الله هو، وليس الآخرون الذين يجعلوننا أمة وسطاً، الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، أو في كتابات معينة، أو على المنابر، لأنهم يحاولون أن يجعلوا المسلمين أمة وسطاً بمعنى آخر، أمة منحطة، أمة لا يخاف منها عدو، ولا يهاب منها عدو، ولا تمثل حماية لأي شيء، لا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لأوطانها، ولا لأعراضها، ولا لأنفسها .

٢ـ فاعفوا واصفحوا:

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) من الأشياء المضحكة الآن أن يكون البعض يقول: إن الله قال: إن الناس يعفون ويصفحون! كلمة عفو وصفح عادة لا تأتي إلا في مقام القدرة على المؤاخذة ، ما يقال للمقهور للمظلوم للمستضعف للعاجز: اعف واصفح، أبداً ، استعمالها عند العرب استعمالها عند الناس ما يقولون للعاجز عن المؤاخذة: اعف واصفح، أبداً، إنما تقال لمن؟ لمن لديهم قدرة على أن يؤاخذوا من لديه قدرة على أن يضرب الآخر يقال: لا يا رجل اعف عنه واصفح إلى وقت آخر ، هل العرب الآن في مقام أنه يقال لهم: اعفوا عن اليهود واصفحوا؟! أبداً.

في حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في بناء الأمة في صراعه مع آخرين صراعه مع آخرين ما كان يحصل من جانب اليهود كان اليهود لا يشكلون خطورة بالنسبة للميدان ، وكانت المواجهة معظمها ميدانية في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هناك قُبُل عربية هناك قريش وقُبُل أخرى شديدين في المواجهة ، أعداء ميدان، نزول ميداني ، اليهود لا يجرءون وإنما فقط من بعيد من بعيد ، هؤلاء لا تنشغل بهم الآن ، هذا العدو الذي في الساحة الآن، والآخرين حتى يأتي الله بأمره ستلف عليهم فيما بعد .

لم يكن العفو أو الصفح بمعنى: أما أنتم فأنتم أهل ديانة فلن نكلمكم وأنتم وأنتم..! لا. معناه: اعرض عن الموضوع هذا وليس الآن وقت أن تؤاخذ بالنسبة لهم، في الساحة أعداء ميدانيين يشكلون خطورة عندما تحقق انتصاراً على هؤلاء ستلحق هؤلاء ، وفعلاً عندما تأتي إلى قراءة سيرة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تجد: أن ضربه لليهود كان بعد اتضاح خيانة من جانبهم ومؤامرات وضربهم على هامش حركته ، على هامش حركته في بناء الأمة ومواجهة العدو الآخر.

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة: من الآية١٠٩) يأذن ، فهي حركة هي مسيرة وليست قضية أحكام شرعية كما يقال: ناسخ منسوخ، ليست قضية أحكام ، قضية مسيرة ؛ لأن هذا الدين هو دين حركة دين مسيرة دين عمل: أنت هنا لا تنشغل بهؤلاء وإن كان لديك قدرة أن تضربهم اتركهم هناك، ابدأ بهؤلاء حتى يأتي الله بأمره، أمر الله سيأتي

في الوقت الذي يمكن يضربهم ، عندما ضربهم هل حصل أي ردة فعل من أي طرف آخر ضده؟ لأنها كانت وضعية حكيمة ، ضربهم في الوقت المناسب ، وضربهم في الوقت الذي ماذا؟ قد حصل بالنسبة لهم وهم أهل كتاب ما يجعلهم يعرفون: بأن هذا الدين حق وما يظهر من خلاله تمردهم وعنادهم ومحاربتهم فكانوا هم برزوا في الصورة من اتجهوا ضده وتآمروا ضربهم في الأخير.

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: من الآية١٠٩) **لن يفوته شيء {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ}** (الأنفال:٥٩) **هو على كل شيء قدير ، هذه القضية ما كانت خاصة باليهود كان بعض القبل أو بعض الجهات العربية الأخرى يسكت عنهم أو يصفح أو يعفو فترة ويتجه .**

العمل يكون فيه أولويات ، العمل باعتبار المرحلة باعتبار وضعية زمنية معينة يكون فيه أولويات ولا يقوم الإسلام على أساس أنه يؤمن جوانب أخرى ، أحياناً تكون عملية لا أخلاقية يؤمنهم أو يدخل معهم في معاهدات ومصالحات ومتى ما تمكن نقضها وضربهم ، هذه لا تحصل أبداً ولا حصلت وكان للطرف الآخر موقف لا نقول: إنه قد أمنهم وأنهم مقرين على ما هم عليه وأنهم لا يصل إليهم شيء منه وأشياء من هذه ! ليس منشغلاً بهؤلاء هو يبدأ هنا يشتغل ؛ لأن مسيرة العمل تكون مسيرة يجب أن تكون حكيمة في أولوياتها ، حكيمة في قراراتها ، أي: لم تكن حتى قضية خاصة باليهود هذه في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله). .(الدرس ٧ ص١٩)

٣ـ عليكم أنفسكم:

أ - [سورة المائدة] تعطي خلاصة للموضوع، أن يقدم صورة عن أهل الكتاب كيف هم، وأنهم ضعاف مهما رأيناهم كباراً، وأن الناس إذا تحركوا على أساس هدى الله سبحانه وتعالى سيكون معهم ويؤيدهم، وهو ملك السماوات والأرض، وأشياء كثيرة رأيناها، وضرب أمثلة كثيرة لتأييده لأوليائه في مراحل التاريخ، ثم جاء بخلاصة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} (المائدة: من الآية١٠٥) **لأن القضية كلها لا يأتي الخلل إلا من جهتكم أنتم، متى لم تكونوا مؤمنين بالشكل المطلوب، ولا واعين، ولا فاهمين، ولا واثقين بالله، ولا مرتبطين بالله بالشكل المطلوب فعلاً سيبدو كل شيء خطيراً، ويبدو كل شيء فعلاً يضركم، ويؤذيكم، وتسليط، وظلم، وقهر، وأشياء كثيرة جداً.**

{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} إذا كنتم مستقيمين أنتم، وتبنون أنفسكم بناء صحيحاً على ما قدمه هذا الهدى، إذاً فـ{لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ} أبداً {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} بمعنى ماذا؟ أن موضوع العدو ـ كما نقول أكثر من مرة ـ أن القرآن الكريم قدم موضوع العدو محسوماً تماماً، يعني ماذا؟ {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) ، **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً}** (آل عمران: من الآية١٢٠)، **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}** (آل عمران: من الآية١٨٦) .

وهكذا قدم أن موضوع العدو محسوم، موضوع التأييد الإلهي محسوم، فقط الإشكالية هي أين؟ عندكم، في أنفسكم أنتم، أن تضعف استجابتكم، أن يقل اهتمامكم، أن لا تستوعبوا هذا الهدى، أن لا تتحركوا على أساسه، فعلاً الخلل جاء من عندكم، إذاً لا تنسبوا الخلل إلى واقع هذه الحياة، كما يعمل الآخرون، وفعلاً هي إشكالية حصلت وهي كبيرة، معناه: انتبهوا لأنفسكم أنتم، عليكم أنفسكم، صلحوها، أهدوها، حاولوا أن تبنوها على هذا النحو، وكل شيء سيستقيم، كل شيء سيستقيم، العدو موضوعه محسوم سيضرب، التأييد الإلهي لن يخلف الله وعده، هذا هو الخلاصة، وهي فعلاً تذكرنا، وهي آية هامة، وللأسف يأتي البعض ويحرف معناها بشكل سيء جداً، هذه الآية جاءت بعد توجيهات كثيرة عملية، عملية كلها وموجهة إلى من؟ موجهة إلى الناس، إلينا نحن، في الأخير إذاً تجلت القضية بالشكل الكافي فانتبهوا لأنفسكم أن تستقيموا، وكل شيء محسوم، كل شيء مما يمكن أن تخافوا منه موضوعه محسوم، وفي نفس الآية أرفقها بما يوحي بتهديد: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (المائدة: من الآية١٠٥). **[الدرس٢٣ص١]**

ب ـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} (المائدة من الآية: ١٠٥) **هذه من الآيات ـ أيضاً ـ التي يحصل فيها [ما عليك شيء لا يضركم من ضل، اترك] ، معناها هكذا! لكن ماذا قرأنا من البداية؟ نحن الآن أمام أربع سور من القرآن، كيف تقدم المسألة؟ أن يتحرك الناس على أساس هدى الله، وكل الأطراف الأخرى، كل ما عملت لن تضرك في الأخير ، لكن إذا كنت تتحرك على هدى الله، أليس هناك: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ }** (آل عمران: ١١١) **{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً}** (آل عمران من الآية: ١٢٠) **{وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}** (آل عمران من الآية: ١٨٦) **بين لنا كل الفئات هذه، فئات أهل الكتاب ، فئات المشركين ، المنافقين، كل فئات أعداء الله، مهما كانت عليه، مهما كانت قوتها، مهما كان تآمرها، إذا اهتديتم لن يضروكم على الإطلاق هؤلاء لن يعيقوكم، ولن ينالوا منكم، هذه القضية التي تعنيها الآية، هذه الآية عظيمة جدًا، آية تشكل قاعدة صريحة {لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} لكن نحن قلنا: أن كلمة هدى قد ضُربت، نفسها، وكلمة ضلال قد ضُربت، يعني: إذا قد أنا معتقد بأن الله لا يرى فلا يضرني ذلك الذي يعتقد بأن الله يرى، ويعملون ما يريدون، أليس معناها هكذا تقدم المسألة؟! المسألة أنه إذا كنتم تسيرون على هدى الله، وهدى الله يتناول القضايا العقائدية، والعملية، وكل شيء، بل العقائدية، هي عملية كلها إذا اهتديتم بهدي الله، وسرتم على هدى الله لن يضركم الآخرون، والآخرون إنما يكونون ضالين ، أيضاً يقدم من يسيرون على هديه أنهم هم الوحيدون المهتدون ، يقدم كل الفئات الأخرى ضالة؛ لأنه فعلا الحق هو سبيل واحد، وطريق واحد، فمن يقابلون الحق، من يعتبرون هناك أطرافا أخرى معناه: أنهم في ضلال، سواء ضلال بنسبة (٥٠٪) أو (١٠٠٪) أو كيفما كان .**

{إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (المائدة من الآية: ١٠٥) **هذا أيضًا تهديد لأن تترسخ هذه القاعدة في النفوس، وقدم في الأخير بعدما قدم لك صورة عن الهدى، عن وعوده، عن أعدائه، عن موقفهم الضعيف أمامك، وفي الأخير قال: الخلاصة {لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} إذًا فلتترسخ هذه في ذهنية كل واحد، ويعرف {إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} .**

[الدرس٢٤ص٣١]

٤ـ لا إكراه في الدين:

قال فيما بعد في موضوع الدين: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: ٢٥٦). **هذه قضية مناسب جداً أننا نتفهم حولها لأنها من الآيات التي يشتغلون فيها الآن، يحاولون يهدؤوننا أن نترك ظلم الغربيين، وأن نشفق بهم! وكأننا نحن من قواعدنا العسكرية في صحاريهم، وفي براريهم ، وفي مدنهم ، وفي بحارهم فنسمع من يقول: [{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} لا إكراه، الله قال: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} . دعوة يا أخي فقط وافق الآخر وإلا فيكفي، كل واحد على ما هو عليه والباري سيحاسبهم كلهم ، كل واحد سيحاسب لوحده] بطريقة يراد منها عندما يقدمونه على هذا المنطق يراد منه أن الإنسان لا يكون لديه أي مشاعر تدفعه لأن يكون له موقف قوي في مواجهة أعداء الله.**

أعني: هم يتحدثون فعلاً حول هذه الآية! ليس الآن وقت الحديث عنها على الإطلاق لأنه لو كنا نحن المتجهين لنكره الغربيين على الإسلام كان ممكن أن يتحدثوا حول الآية هذه ، أما والأمريكيون هم ، والإسرائيليون هم المتجهون لفرض ثقافتهم علينا ، لاحتلال أوطاننا ، لمحاربة ديننا فليوجهوا الآية إليهم يقولون لهم: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} . فكيف تكرهون في ثقافتكم أنتم ؟ كيف تفرضونها على الآخرين والله يقول: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} كسنة ثابتة في دينه كله ، لا يقوم على أساس الإكراه ، يقوم على أساس التبيين ، وقد تحدث ، أليس هذا تبيين واضح؟ كم أعطانا من تبيين خلال هذه السورة الواحدة من القرآن؟ كم أعطى من تبيين خلال الحديث عن بني

إسرائيل أي: أن الله سبحانه وتعالى لأنه العليم لا يعجزه أن ما لديه معلومات وإنما فقط هكذا عملية قسر ، لا، يجعل دينه قائماً على أساس التبيين، والتبيين الوافي، التبيين الكامل ...

أعني: هم يتحدثون فعلاً حول هذه الآية! ليس الآن وقت الحديث عنها على الإطلاق لأنه لو كنا نحن المتجهين لنكره الغربيين على الإسلام كان ممكن أن يتحدثوا حول الآية هذه ، أما والأمريكيون هم ، والإسرائيليون هم المتجهون لفرض ثقافتهم علينا ، لاحتلال أوطاننا ، لمحاربة ديننا فليوجهوا الآية إليهم يقولون لهم: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} . فكيف تكرهون في ثقافتكم أنتم ؟ كيف تفرضونها على الآخرين والله يقول: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} كسنة ثابتة في دينه كله ، لا يقوم على أساس الإكراه ، يقوم على أساس التبيين ، وقد تحدث ، أليس هذا تبيين واضح؟ كم أعطانا من تبيين خلال هذه السورة الواحدة من القرآن؟ كم أعطى من تبيين خلال الحديث عن بني
إسرائيل أي: أن الله سبحانه وتعالى لأنه العليم لا يعجزه أن ما لديه معلومات وإنما فقط هكذا عملية قسر ، لا، يجعل دينه قائماً على أساس التبيين، والتبيين الوافي، التبيين الكامل ...

الآية هذه تحكي قاعدة عامة ، أو تحكي سنة ، عبارة {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} هي تحكي قاعدة عامة ،أو سنة إلهية في الموضوع، في الدين، وكيف المسألة، ليس معناها كما يقدم بالشكل الذي يجعلك تقر الآخر على ما هو عليه . هؤلاء هم في نفس الوقت يقدمون تفسيرهم بالشكل الذي يشهد بأنهم مخالفون لأنبياء الله، وكتبه ، وللقرآن الكريم بالذات الذي في هذه الآية.

يجب أن نفهم في المقدمة الدين عندما يقول: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} نفهم الدين ما هو أساساً، أليس في الدين إقامة العدل؟ أليس في الدين أن يكون الناس قوامين بالقسط ، أليس الدين عبارة عن إصلاح للأرض التي هي لله؟ أليس الدين هو من جهة الله سبحانه وتعالى؟ منهج وهدى ليسير عليه عباده الذين خلقهم هو في الأرض التي خلقها هو .

بالنسبة للزمان الذي نحن فيه يوجد شواهد كثيرة على الآخرين، على الآخرين بحيث تستطيع أن تقنعهم أمام أي محاولة لتحريف معاني القرآن الكريم . معلوم الآن في مجال التقنيين ، في مجال أعني: فيما عليه الدول عندما تكون في دولة معينة أن نظامها ، قانونها أنت ملزم به كما الآخرون ملزمون به يجري عليك أحكام ، قوانين، ودستور تلك الدولة، أليس هذا حاصلاً؟ إذاً الأرض هذه لمن هي ؟ أليست لله؟ هي لله ، ومن هو الملك ؟ هو الله ، وهذه هي دستوره وقوانينه بتعبيرهم .

إذاً أليس شيئاً طبيعياً والناس كلهم متفقون عليه: أنه من كان على هذه الأرض تجري عليه أحكام الملك الذي هو ملك هذه الأرض فيخضع لقوانينه. فلماذا البشر متسالمون فيما بينهم بالطريقة هذه: أنه في الإقليم المعين ، في البلد المعين ، من دخل هذا البلد تجري عليه قوانينه وأنت في بريطانيا ، أو أنت في أمريكا ،أو أنت حتى داخل إسرائيل! يجري عليك قوانين الدولة التي أنت فوق تربة أرضها، أما قانون الله ، أما شريعة الله ، أما نظام الله لا !؟ ليس معه مكان ، لم يجعلوا له مكان في الأرض نهائياً ، ولا أحد ملزم به ، ولا أحد تجري عليه قوانينه !

إذاً هذه القضية معروفة لديهم ، قضية متسالم بها عالمياً ـ تقريباً ـ إذا كان يوجد مثلاً فيما يتعلق بالقوانين باقي قوانين في التعامل العالمي يوجد هناك قوانين أخرى ، وقرارات أخرى من جمعية الأمم المتحدة يسمونه القانون الدولي.

إذاً أليس القانون الدولي في الأخير يجرونه على الناس ،الذين يتحركون في هذا العالم في مجال التنقل مثلاً ، التبادل التجاري فيما بين الناس، والتبادل الدبلوماسي فيما بين الدول ، وأشياء من هذه؟ أليس هناك قوانين دولية؟ لاحظ كيف عملوا قوانين إقليمية ، وقوانين دولية فتجرى في آخرها على الناس جميعاً ومن الذي صنعها؟ عبيد الله ، من دون إذن الله ، لكن قانونه هو ليس له مكان ، أليسوا هم يكرهون ؟ أليس لديهم سجون؟ ويعاقبون من خالف القانون باعتبار أنه تجري عليه أحكام قانونهم في أي بلد أنت، بل تطور الأمريكيون إلى درجة أنه ليس فقط قوانينها داخل بلادها فقط، بل وحتى خارج أنه من عمل شيئاً يمس مصالح للأمريكيين

يحاكم هناك ، ألم يسحبوا كثيراً ممن يسمونهم بتنظيم القاعدة إلى هناك؟ ويتدخلون في التحقيق مع أي ناس يتهمونهم بأنهم ارتكبوا أشياء ضد مصالحهم كما يقولون ؟ أليسوا يعملون الآن مكاتب تحقيقات في معظم الدول بما فيها اليمن؟ هذه قضية .

القضية الثانية: أنه معلوم الآن وواضح أنهم يتجهون لفرض ثقافتهم عن طريق ماذا؟ عن طريق قوتهم العسكرية، عن طريق ضغوطهم المتنوعة: اقتصادية ، سياسية ، عسكرية وغيرها ، أليست هذه قضية ملموسة؟.

إذاً فهم هم يمارسون هذا الشيء فهل يمكن أن يقبل من جانبهم هم؟ أن يقولوا: لا، لا إكراه! وهم هم يمارسون الإكراه فيما هو دون الدين ، فيما هو دينهم هم، فيما هو ثقافتهم هم، هل يقبل منهم أن يقولوا: لا إكراه في الدين ؟ وهو يكرهك على ثقافته تقبل ثقافته، وتتخلى عن الدين ، ألم يصلوا إلى درجة إبعاد الناس عن الدين؟ إكراههم على إبعادهم عن الدين؟

إذاً كان يكفي في مواجهة هؤلاء الذين يبرزون أحياناً في التلفزيون أن ينبهوهم ويقولون: ليس هذا مقام أن يقدموا الآية هذه لهم، لكن يقدموها لنا أعني: ليس هو مقام أن يقدموها لنا في مواجهة ما يأتي من جانبهم ، بل يقولون: أنتم تعملون هذه الأشياء حتى لو فرضنا والدين كما تقولون: بأننا نكره الناس عليه، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه يقوم على القهر ، وأشياء من هذه، فأنتم ماذا تفعلون الآن؟ أليسوا يفعلون هذه الأشياء؟ يجب أن يفهم الناس هذا بأن ما يعملونه هم يعطي كامل التبرير لأن تعمل ولو بلغ عملك إلى أن تعمل ما عملوا معك، أليست سنة عملوها هم ؟ أعني: لم يبق لهم منطق مقبول حتى لو وصل الناس إلى أن يعملوا معهم كما عملوا هم معنا.

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} قضية حقيقة في موضوع أنه ليس هناك في دين الله أنه قائم على موضوع الإكراه ، هو قائم على موضوع التبيين ، موضوع التبيين ، لكن ليس المعنى أن تأخذ موضوع التبيين بمعنى فإن قبل فلا بأس وإن لم يقبل فمع السلامة ! لا، وإنما بمعنى لن أكرهك على قبول الدين لكن للدين موقف منك إذا رفضت، الدين يقدم نفسه بأنه الإصلاح لعباد الله ، والإصلاح لأرضه، هذه واحدة ، الدين فيه أشياء فيه قيام بالقسط، فيه قيام بالعدل، أنت إذا لم تقبل هذا الدين في الأخير تعتبر عنصراً فاسداً ، عنصراً فاسداً إذاً للدين موقف منك ، له موقف منك باعتبارك عنصراً فاسداً ، وليس المعنى أنه يلاحقك [لازم تؤمن، لازم، لازم...] يبين لك ، يبين ، يبين ، وعندما لا تقبل مثل هذا الهدى العظيم، مثل هذه البينات الواضحة ، مثل هذه التي يقدمها بأنها خير لك أنت ، إذاً فأنت عبارة عن عنصر إفساد ، عن عنصر لا يصلح بقاؤك هنا في ظاهر الأرض يجب أن تبقى تحت لأن الله قال: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) إذاً فالموقف منه بأنه يزاح .

أول شيء لا يجوز أن تقف أمام هذا الدين ، هذه قاعدة عامة ، لا يجوز لأي طرف ، وليس لأي طرف حق أن يصد عن تبيين هذا الدين في أي بقعة من بقاع الأرض، فإذا ما تحرك ليصد فليواجه ، الذي لا يقبل هذا الدين نهائياً، على الرغم من وضوحه ، وأنه هدى ، وأنه بناء للنفوس لتكون نفوساً صالحة، أليس يشهد على نفسه بأنه في الأخير عنصرٌ فاسد، وعنصر ضال؟ وأنه سيمثل أعني هو يمثل الجانب الذي يظهر صورة هنا مقتمة عنه، من خلال الحديث عن بني إسرائيل ؟ من خلال الحديث عن الكافرين ، أليس ينسب إليهم الفساد في الأرض، ينسب إليهم إهلاك الحرث والنسل، ينسب إليهم كل شر في هذه الأرض؟

إذاً فتزاح ، وعندما يزيحك فهو هنا لا يكرهك على الدين ، لا يوجد إكراه على الدين ، لا يوجد إكراه على الدين ، لكن ممكن يحميك أنت عندما تدين بهذا الدين. لهذا عندما يقول: [أمرت أن أقاتل الناس...] لأن دين الله دين عملي أي: من مهمة الذين يدينون بدين الله إذا ـ فعلاً ـ كانوا صالحين ، وبشكل صحيح ،لا أن يستخدم الدين وسيلة لضرب عباد الله ، من كانوا على هذا الدين فيعرفون أن من مسئوليتهم تطهير الأرض من

الفاسدين. وإذا الأمريكيون أنفسهم يقولون: أننا فاسدون ، وأنه هناك محور الشر ، أليسوا هم يقولون: محور الشر، ويقولون هم: هؤلاء الناس أشرار يجب أن يزاحوا وأن تطهر الأرض منهم، أليسوا يقدمون هذا؟.

الدين هو عملية تطهير للنفوس ، وتطهير للأرض من الفساد ، ومن الفاسدين ، ليس معناه أنه لازم تؤمن بهذا الدين لازم تسلم رغماً عنك ، رغماً عنك أبداً .عساك ما تسلم ، لكن لهذا الدين موقف منك تزاح؛ لأن من مهمة الدين تطهير الأرض من الفساد .

تجد أن هذه المهمة- فعلاً - في معارك النبوة ، في معركة بدر ماذا حكى الله عن قريش؟ أخرجهم إلى المجزرة، إلى حيث ينحرون ، أخرجهم إلى حيث ينحرون، ومهمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن معه أن يطهروا هؤلاء {لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ} (آل عمران:١٢٧) هذه مهمة أساسية بالنسبة لمن يدينون بدين الله، أن الدين هو لتطهير النفوس وتطهير الأرض ، تطهيرها من الخرافات، تطهيرها من الفاسدين ، تطهير النفوس أولاً من الفساد.

إذاً فمسألة إكراه لا يوجد إكراه هنا ، في الواقع ما هناك إكراه نهائياً . فعندما يقول: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله] معناه إلا أن يقولوا: هو يبين للناس ، ويوضح للناس ، فعندما لا ينفع هذا التبيين ، ولا ينفع هذا التوضيح فهذه هي تعتبر عناصر شريرة .

فالأمريكيون هل يمكن أن ينتقدوا الناس، أو ينتقدوا الدين في الرؤية هذه؟ وهم يقولون هم ورفعوا شعاراً قالوا: إيران والعراق وكوريا محور الشر ، وكل من حولهم شر يجب أن تطهر الأرض منهم .

وعندهم فكرة أنه يجب أن تطهر الأرض من هؤلاء المسلمين ، بل كل الأمم الأخرى التي لا تسمع وتطيع لهم ، وتقبل ثقافتهم ، وتقبل القيم الأمريكية - كما يقولون - [هؤلاء شريرون تطهر الأرض منهم ليأتي المسيح كما يعتقدون ولا يوجد أحد شرير أمامه ، أبعدناهم] هذه عقيدتهم.

إذاً فالمسألة على هذا النحو أعني: جانب منها نفهم أن{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} أي عمل الناس أساساً يجب أن يكون قائماً على التبيين ، لكن ويعرفوا الدين ، أن يعرفوا أن من مهمة الدين أن يكونوا يحسبون ألف حساب لمواقف الآخرين منه لأنه - عادة - أهل الباطل يجتمعون للصد عن الدين ، ومواجهة من يحمل الدين قبل أن يفكر المسلمون أنفسهم أن يعدوا أنفسهم ، قضية تحصل هذه ليس فيها شك ، ثم إن الدين هو دين عملي ، وليس ديناً يقدم هكذا مبتذلاً بحيث: [إن كنت تريد هذا وإلا فلا بأس إجلس وعلى ما أنت عليه ويكفي!] هذا دين من ملك الناس هم عبيده ، والأرض هي ملكه ، هو الذي خلقهم ، وليس فقط تسلط عليهم ،هو الذي خلقها وخلقهم هو .

فإذا كان الآخرون يفرضون هم قوانينهم ، ودساتيرهم ، ويلزمون من كان داخل الإقليم الذي تحكمه دولة معينة أن تجرى عليه أحكام ذلك القانون ولو فيه موت، إعدامات ، فيه سجن ، فيه مصادرة أموال. أليست هذه القضية معروفة .

فلماذا أما دين الله لا تكون هذه مهمته وإنما يقدم [طَلبة]: [لاحظ هذا دين باهر، تريد تستجيب وإلا مع السلامة ، تريد تسير معي يا فلان وإلا مع السلامة]، لا، قدمه له لكن يجب أن يكون من يقدمونه فاهمين له ، وفعلاً لو قدم الدين بالقرآن لقبله الناس؛ لأن الدين هنا يقدم نفسه رحمة للعالمين ، ونصيحة ، ويعطي أهمية كبرى لموضوع التبيين، ويعطي مسئولية كبيرة على من يتحركون أن يكونوا نموذجاً يسهل على الآخرين قابلية الدين هذا عندما يرون من خلالهم: أمة مستقيمة ، أمة فيها الأمانة ، والوفاء ، والصدق ، والأخوة، والمحبة والألفة ، والتعاون وكل القيم ، هذه القيم هي قيم فطرية عند الناس ينجذب إليها الناس.

هي نعمة كبيرة على الناس أنهم وصلوا هم ، ألم يعملوا كل شيء ، عملوا إكراه في الثقافة ، عملوا فرض قوانينهم على كل من كان داخل البلاد المعينة ، أليست هذه القضية موجودة ؟ فكرة تطهير الأرض من الأشرار ممن ليسوا على ثقافتهم أليست قضية قائمة؟ إذاً ما بقي لديهم أي منطق مقبول عندما يحاولون أن يهاجموا الإسلام، ولا بقي منطق مقبول لأحد من الناس أن يحاول أن يؤقلم الدين وفق دعاياتهم هم، دعايات الغربيين.

هنا قل لهم: أنتم تعملون هذه سكتهم، أنتم تعملون هذه ، فإذا فرضنا الدين أنه على ما تقولون إذاً فهو على ما تريدون ، وهو لا يعمل إلا بنفس الطريقة التي تعملونها ، فلماذا يكون من يقوم بهذا الدين يعتبرون سيئين أما أنتم وأنتم تمارسون هذه الأعمال تعتبر خير، وتحرير ، وحرية وتطهير للأرض؟! يعتبرونه تطهيراً للأرض من الفساد!.

في داخل الدين، في أحكامه التشريعية، أليس فيها أشياء يكره الإنسان عليها ؟ إذا قتل نفساً محرمة سيكره على أن يقتل، إذا أحد أخذ مال أحد أليس من الحق أن يكره على أن يرده؟ وهكذا لأن الأحكام الشرعية ليس معناها: بأنه فقط على رغبات الناس{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يعني: على كيفهم ! ليست المسألة بهذا الشكل ، لم يقم الدين على أساس الإكراه ، من حيث المبدأ هو يقوم على التبيين ، والتبيين هو هذا واضح كتب، بينات، ورسل مبينين ومبلغين ، أليست هذه القضية واضحة؟ .

لكن إعرف مهمة الدين ترى في الأخير بأنه ليس فيه إكراه للآخرين ، لم يعجبك الدين إذاً مع السلامة، لكن لم يعد بقاؤك صالحاً، هذه قضية حقيقية ، والأمريكيون عليها، وعندهم أنه لا يصلح بقاؤنا ، وعندهم أن العرب هؤلاء أمة لا تصلح أن تبقى ! لا يصلح يبقون، تطهر الأرض منهم لأنهم ليس لديهم قابلية للقيم الأمريكية ، والثقافة الأمريكية ، والتأقلم مع أطروحات الغرب.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة: من الآية١٩٣) وفي آية أخرى{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (الأنفال: من الآية٣٩) . إذاً إذا ما عندك قابلية أن تجرى عليك أحكام هذا الدين أخرج، أخرج من الدولة هذه، من دولته لأن الأرض هي لله ، وهذا دين الله ، وهذا نظامه. أين سيذهب؟ أليسوا يعملون هذه؟ إذا ما لديك قابلية سيجرون عليك أحكاماً رغماً عنك ، ثم ينفوك في الأخير ، ينفوك.

القاعدة الثانية: بأنه من يصدون عن دين الله ليس هناك مبرر على الإطلاق لأي طرف أن يصد عن دين الله ، فليدخل مثلاً الإسلام إلى أي البلدان بشكل دعوة، لكن دعوة هي امتداد لأمة، بناء أمة ، أما دعوة بتلك الطريقة المعروفة فما نفقت في البلاد العربية ، داخل المسلمين ، ما عملت شيئاً هنا داخلهم ، لكن كحركة دين على أساس الدين ، وتكامل الدين ، كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، ألم يكن يرسل رسائل إلى ملوك آخرين ، يرسل رسائل إلى أن يسلموا ، يرسل مبلغين ، يرسل رسلاً برسائل إلى شعوب أخرى ، يعرف أن مهمته أن يدعو هؤلاء إلى الدين ، ويجب أن يصل الدين إلى هناك، ولن يدخل لن يدخلوا، يكون الموقف من عند الآخرين هم ، من عند الطواغيت ، من عند المفسدين هم الذين لا يريدون أن يخضعوا لقانون الله ، لا يريدون أن يخضعوا لأحكام الله، وهم عبيد الله، وفوق أرضه داخل دولته، هم الذين يحاولون يجمعون الآخرين، ويصدون عنه، ويواجهون عندما يحصل قتال وإلا كان طبيعي أن يدخل هذا الدين إلى الشعوب وتقبله، وتدين به، وتقبل أحكامه، هم ليسوا بحاجة إلى سيف، ليسوا بحاجة إلى سيف.

لكن هم الذين يجعلون الجانب الديني بأنه يأخذ احتياطاته لأنهم في الأخير هم يقفون صادين عنه، ولأنهم يبقون هم على ما هم عليه من فساد ، وإضلال ومحاربة، ففي الدين من أساسياته أعني: الأخذ بعين الإعتبار لهذه القضية ، لأنها قضية ثابتة عند الآخرين ، هم يعدون أنفسهم لمواجهته للصد عن دين الله، لرفض دين الله ، ففي دين الله مواقف ثابتة من هؤلاء خارج موضوع الإكراه.

هل يقال أنه إكراه للدين ؟ عساك لا تقبل الدين في الأخير ، أعني: أنه لن يؤاخذك على أساس أنه مرغم لك بالدين ، سيؤاخذك على أنك ماذا؟ ليس لديك قابلية أبداً أن تقبل ما يجعلك عنصراً صالحاً في هذه الأرض، وخاضعاً لإلهك ، وخالقك ، وملكك ، وهو الله سبحانه وتعالى . إذاً فلتخرج من أرضه ، ليس هناك مكان يخرج من أرضه أين يذهب؟ ليس أمامه إلا أن يدين وإلا تحت، هي هذه في الواقع .

لهذا تجد أنه فعلاً في حركة الرسالة ـ كما قلنا سابقاً ـ حصلت من هذه ، أعني: أن من مهمة الدين هو تطهير الأرض من الفساد، والمفسدين هذه القضية أساسية ، فإن قبلوا هم هذا الدين ، وطهروا أنفسهم فلا بأس مالم فهناك مواقف لا بد منها، وتلقائياً سيحصل من جانبهم هم قبل الآخرين تلقائياً.
هذه الآية لا يصح أن تقدم على أساس أنه ما بقي توعية جهادية مثلما يعمل الآخرون [والموضوع موضوع دعوة]! لا، إن هذا الدين يعطي اعتباراً لكل الاحتمالات، ويربيك على أساس أسوأ الاحتمالات أمام حركة هذا الدين فتكون معداً لنفسك للجهاد، وأن تتحرك في أن يصل هذا الدين إلى أي بقعة في العالم ، إن قبلوا بالطريقة العادية فلا بأس ، عندما يصدون ، عندما يرفضون تماماً فيبقون على ضلالهم ، وعلى كفرهم ، على الرغم من التبيين فهناك مواقف لابد منها ، وإلا معناه في الأخير: بأن هذا الدين الذي هو دين الله معناه: أنه لا يصح أن يتعامل معه كأي قانون من قوانين البشر في هذه الأرض. وهل يرضى الناس أن يكون دين الله غير مقبول أن يتعامل معه كقانون من قوانين البشر التي يضعونها هم ؟.
الناس شاهدون على أنفسهم ولهذا نقول أكثر من مرة أن الناس يعملون في الدنيا هذه في سلوكياتهم ، في أنظمتهم ، في أعمالهم ما هو شاهد عليهم ، ما هو شاهد عليهم . فلأنها قضية ثابتة بالنسبة للطرف الآخر ، أنه عادة يتحرك ، ويصد ، ويعد نفسه للمواجهة ، كان الجهاد أساس من أساسيات الإسلام كحالة ثابتة ، وحالة تربوية من البداية ، وليس فقط حالة طارئة استثنائية متى ما....! ، مثلما يقول البعض، يقولون: أن الأساس هو الدعوة، دعوة، دعوة، فإذا ظهر عدو فلا بأس يمكن ، قلنا : لكن إنك لاحظ على أساس أن هناك شيئاً ـ مثلما تقول ـ أصبح مؤكداً ، أصبح مؤكداً: أن الطرف الآخر يقف أمام دين الله ، أن مسألة أن يكون قادراً على مواجهة ذلك العدو ، وقادراً على حمل هذه الرسالة هو أنه لا بد من تربية جهادية، وحركة جهادية، وهي قضية واسعة جداً من زمان ، وليس فقط إذا.... أي: أن تدعو عشرين سنة فإذا ظهر في سنة واحد وعشرين عدو ففي تلك السنة تحاول تربيهم تربية جهادية! هي مسألة تربوية من أول سنة وليس من سنة واحد وعشرين ، من أول سنة، مسألة تربوية هذه ، ولهذا تجد الحديث عن الجهاد، والإنفاق داخل آيات القرآن بشكل واسع .
فعندما يقول: إنما فقط دعوة، دعوة فإذا.... في الأخير تأتي هذه إذا.... ، وإذا ليس هناك بنيان نهائياً أليس هذا الذي يحصل؟ أين هي الحركات الإسلامية الآن في البلاد الإسلامية أين دورها؟ وبعضها لها في مجال الدعوة خمسين سنة ، وبعضها ثلاثين سنة ! حكموا قوميون ، وبعثيون، وعلمانيون ، وما زالوا داعين، داعين! ظهر عليهم اليهود وإذا ما هناك لديهم أي بناء، أين بناؤهم ؟ لا يوجد؛ لأنها دعوة ، دعوة وأساليب دعوة ، وأخلاق دعوة فقط، ليس هناك بناء صحيح لأمة تحمل هذا الدين ، وتوضح هذا الدين للآخرين بشكل جذاب من خلال سلوكياتها ، من خلال بنائها كأمة ، وفي نفس الوقت تكون قادرة على موقف مع أعداء الدين ، عندما يواجهون ، واجهنا الآن اليهود وإذا بالحركات الإسلامية تضيع ! أين هي الآن؟ والدعاة ضاعوا! قد هذا بعضهم يفتي ويقول لك: [لا يجوز لعنهم]! ألم تظهر فتاوى من هذا النوع ؟ أو [لا يجوز تكفيرهم] ! يعني: إصدار أحكام تكفيرية.
{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}(البقرة: من الآية٢٥٦) أي أن الله بيّن للناس بيّن حتى أصبح الرشد واضحاً والغي واضحاً.(الدرس ١١ص١٠)
٥ـ وأولي الأمر منكم :
أ ـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء:٥٩) أحسن مئالاً، أحسن عاقبة، أحسن واقعاً هنا في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، لاحظ هنا في الصورة هذه التي فيها كثير من التوجيهات كثير من التشريعات فيها أمر متكرر بطاعة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بشكل كبير في [سورة النساء] كم تجد من الآيات: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}؛ لأن الكثير من هذه التشريعات والكثير من التوجيهات هنا

عملية، للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) دور فيها كبير في المجال التنفيذي في المجال التوجيهي في أشياء كثيرة جداً في مجال التبيين، هنا يأمر بطاعته وطاعة رسوله {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} .

ثم تلاحظ هنا، عندما يقولون: أن دور الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو مبين، ويقدمون لك كلمة: يبين وكأنه يبين، أن يقول، أن يفسر، يقول لك: الصلاة هي خمس والفجر ركعتين والظهر أربع والعصر أربع، إلى آخره.. يوجد هنا أشياء كثيرة أخرى أشياء كثيرة جداً في موضوع أن ينفذها؛ لأن هناك توجيهات هي تعتبر توجيهات عامة توجيهات عامة في إنزالها على تفصيلاتها ومواردها، قضية يقوم بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أو من يقوم مقامه ولهذا قال: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) .

لكن ليست قضية تنفيذية بحتة، قد تجد أن الكثير من القوانين قد هي هناك واضحة عبارة عن مواد واضحة هم لا يقومون بها، ولا يطبقونها وهي قضايا واضحة سواء فقهية أو قانونية، أما هنا قضية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأن يفهم القضية ويفهم الواقع ويعرف علاقة هذا الواقع بهذا التوجيه القرآني في هذا المقام أو هذا المقام قضية دقيقة، أعني: ليست فقط مجرد تنفيذ أشياء قد هي موجودة حرفياً بالتفصيل، وهذا مثلما قلنا بالأمس أنه فعلا عندما تقرأ القرآن الكريم تجد أنه بهذا الشكل: أن دين الله سبحانه وتعالى عبارة عن مسيرة شاملة وواسعة تستوعب الحياة كلها خصوصاً فيما يشكل ضمانة، أن يكون هذا الدين على هذا النحو ويكون إنزاله تعبيرا عن ماذا؟ عن إقامة قسط عن الحكم بين الناس بالعدل، عن تربية الناس على أساس ما يريد الله أن يكونوا عليه، أنها قضية تحتاج إلى من؟ إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومن يقوم مقامه، من يقومون مقامه قضية أوسع بكثير من مسألة سلطة تنفيذية ـ التي يسمونها ـ سلطة تنفيذية سواء ما هو معروف الآن في أنظمة الدول أو ما قدم حتى داخل كتب الفقه بالنسبة لولاية الأمر، جعلوا ولاية الأمر معناها ماذا؟ مجرد سلطة تنفيذية، السلطة التنفيذية معناها: الأشياء التي حددت هناك، قد صارت مقننة واضحة مفصلة بنودها واضحة.

لا، هنا قضية أوسع من هذه بكثير ؛ فلهذا أمر بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منكم، أولي الأمر ليست قضية دعوة كل واحد يدعي أنه هو من أولي الأمر، أولي الأمر قضية هنا مرتبطة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، الرسول مرتبط بالله سبحانه وتعالى، وقضية لا تأتي عن طريق انتخابات ولا عن طريق شورى ولا عن أي طريق مما يقدم... قضية الله هو الذي يتولاها هو، هو الذي اصطفى الرسول، هو الذي سيصطفي هو أولي أمر، لم تترك القضية لكل واحد يدعي، معك خمسين حاكم في البلاد الإسلامية أو سبعة وخمسين حاكماً، وكل واحد يأخذ هذه الآية له، وتجدهم سواء كانوا فرادى أو مجتمعين لا يقيمون أي أمر، هل أقاموا أمر الأمة الآن؟ مع أن لديهم سلطة، لديهم جنود لديهم عتاد عسكري لديهم إمكانيات كبيرة، لكن ليست القضية تنتهي عند هذه، من يعرف كيف يعمل من يعرف كيف ينزل هذا القرآن في واقع الأمة من يبني الأمة على أساس هدى الله في القرآن الكريم.

تجد كل واحد يدعي أنه تجب طاعته على أساس: {وَأُولِي الْأَمْرِ} لكن وجدناهم لا يقيمون الأشياء الواضحة ولا أعطوا الناس شيئاً لا وهم مجتمعون في القمم، قمة عربية، أو قمة إسلامية، ولا وهم فرادى، كل واحد في بلاده، هذا من التلاعب بكتاب الله حقيقةً، من التلاعب بكتاب الله، يكفيهم [لا يكون واحد راكب على جملين] يكفيهم الشرعية التي يدعونها، أليسوا هم يدعون شرعية ديمقراطية أو شرعية وراثة حكم مثلما في البلدان الديمقراطية أو بلدان أخرى، سلطنات أو ملكية، لا، أيضاً يريد يجعل لنفسه شرعية دينية وشرعية ديمقراطية!، إذا أنت تريد شرعية دينية فالشرعية الدينية لا تأتي وفق رؤيتي ولا وفق رؤيتك، ارجع إلى القرآن، نرجع إلى القرآن ؛ ولهذا قال بعد: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} (النساء: من الآية٥٩) إذا كنا متنازعين فيما هي الشرعية الدينية ومن هو الذي يقال له: [ولي أمر] على أساس دين الله فيكون امتداداً لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فنرجع إلى القرآن وإلا فيكفيك الشرعية الديمقراطية.

يجب أن نعرف أن الذي يشكل ضمانة للدين أن يسير بشكل صحيح، يحتاج إلى ورثة لكتاب الله وأن لا تتحطم الأشياء وينزل الدين بشكل [مقلوب] ويوجه الناس به توجيها تضليليا، والعجيب أنهم ما زالوا يحاولون يدعون هذه، أو يحاولون حث الناس على طاعة ولي الأمر مع أنهم يعرفون هم أن أمريكا الآن هي المتسلطة وهي النافذة مثلما قلنا سابقاً، قلنا: إنزال القضية هذه الآن، ومع أنه معلوم في الأنظمة العربية القائمة أنها غير محتاجة إلى ما يسمى بشرعية دينية، هي لا تقوم على هذه، أليست قائمة على أساس ديمقراطية أو وراثة ملك؟ فلماذا الآن يوجد حركة حول طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر الآن؟ ما قد احتاجها بعضهم من سنين إلا لأنها مرحلة، الأمريكيون يقدمون أنفسهم عبارة عن محررين وأنهم يزيحون الظلم ويزيحون الطغيان ويزيحون الجبروت، ما هكذا يعملون؟ فيحاولون أن يشغلوا الناس بأنه هكذا الدين؟ وكل حاكم من حكامكم الذين أنتم تكرهونهم وهم يظلمونكم وهم كذا، دينكم يأمركم بأن تطيعوهم، من أجل أن تقبل الأمريكي وتكفر بدينك أنت عندما يقدم لك دينك بأنه يأمرك بطاعة إنسان أنت تعتبره ظالما ويظلمك، والأمريكي يقدم نفسه لك عبارة عن محرر لك من الظلم والطغيان، كيف سيكون موقفك أنت؟ ألست ستعتبر الأمريكي وستعتبر الأطروحات الأمريكية أفضل من الإسلام؟!

هذا هو الهدف من إنزالها الآن، مثلما قلنا من يوم ما بدأوا ينزلون ملازم من وزارة الأوقاف والإرشاد على أساس تعليم للخطباء والمرشدين، قلنا: هؤلاء ليسوا بحاجة إلى المنطق هذا، وهذا المنطق لا يقبله حتى الأمريكيون أنفسهم لا يقبله حتى الأوروبيون، لا يقبله لا يهودي ولا نصراني، أن يقول: أن تطيع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن نهب مالك، هل هذا مقبول في الديمقراطية؟! هل هو مقبول عند أي أمة من الأمم؟ ليس مقبولاً، فلماذا ينزلونه باسم الدين؟! ليشوّهوا الدين بهذا .. أطع الحاكم وإن قصم ظهرك [سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي..] هكذا يروون عن رسول الله كذبا عليه[لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أطع الأمير وإن قصم ظهرك!!]، وهناك يقومون بمظاهرات ويعملون ثورات إذا كان الحاكم على هذا النحو.

إذاً فهذه عملية تشويه من جانب اليهود أنفسهم من جانب الأمريكيين ليشوهوا الدين حتى يرى الناس أن الأمريكيين أفضل، ومن يتأمل القضية واضحة، أليسوا يقدمون تحريراً، إزالة الأنظمة الطاغوتية؟ ما هكذا يقولون؟ ويقدمون لك منطقا آخر [أطع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن.. وإن..] إلى آخره ، هل هذا مقبول ديمقراطياً؟ ليس مقبولاً ديمقراطياً، معلوم أنه ليس مقبولاً في الديمقراطية فهل يقبل في دين الله؟ إذا كان البشر أنفسهم لا يقبلون هم أن يشرعوا هذا الشيء، فيأتي نظام يوجب على الشعب أن يطيعه وإن قصم ظهره وإن أخذ ماله، فكيف نجيزه على الله؟! لا يوجد في أي نظام يجيز هذا ويقول للناس: أن عليهم أن يؤمنوا ويسمعوا ويطيعوا، وإن كان تعامله على هذا النحو، أعني: أن البشر أنفسهم يترفعون عن هذه في أنظمتهم في تقنينهم، أما من كذبوا على الله فيجيزون ذلك على الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال في آية سابقاً: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً} (النساء:٥٠) .

إذاً فالآية هذه هي من الآيات التي يظلمونها فعلاً والتي يقدمون لها معاني تعتبر افتراءً على الله وفي نفس الوقت الآن هم يقدمونها بالشكل الذي ماذا؟ تجعلك تقبل الأمريكي! أولي الأمر أنفسهم الذين يسمون أنفسهم أولي الأمر، عندما اجتمعوا في ماليزيا واجتمعوا قبل في الدوحة واجتمعوا في بيروت واجتمعوا في أماكن أخرى هل عملوا شيئاً للأمة، هل قدموا شيئاً؟ ولا شيء، لأنه لم يعد لهم أمر، هم، نحن قلنا في ملزمة سابقة في [الثقافة القرآنية] الله قال هنا: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء: من الآية٥٩) **نتحدى أي واحد أنه يستطيع أن يبرهن أنه ما يزال من الأمة هذه فعلاً، يمثل الأمة هذه ويقف الموقف الذي تريده الأمة هذه، ويتحرك الحركة التي تكون لصالح الأمة هذه، كلهم الآن إملاءات أمريكية ما بين من يدعي بأنها ضغوط أو عمالة، أليسوا كلهم هناك؟ إذاً لم تعد موجودة كلمة: {مِنْكُم} لم تعد صادقة عليهم كلهم، حقيقة {مِنْكُم} هذه كان تستعمل أيام الخلفاء**

العباسيين والأمويين وكانت تنفق على الناس؛ لأن الحاكم كان ما يزال منهم ويرونه منهم لم يكن مثل الحاكم الآن، أما الآن فلم يعد هناك ولا {مِنكُم} لا هي صادقة كلمة: {أولِي الْأَمْرِ} ولا صادقة {مِنْكُم} لم يعد يأتي حتى على الأقل يشرح للناس واقعه، حتى يقول: هذه ضغوط وأنتم تفهمون الأمور هي هكذا تمشي علينا ونحاول جميعاً كيف نجعل مخرج، تأتي ضغوط أمريكية تأتي إملاءات أمريكية يقدمها للناس باعتبارها ماذا؟ سياسة حكيمة! ما هكذا يحصل، سياسة حكيمة وخطط هامة وأشياء من هذه؟.(الدرس١ ص١٤)

ب ـ { أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (النساء: من الآية٥٩) التي دائماً يقلبونها مع كل زعيم ، وكل شعب علماؤه مرشدوه يسخرونهم لزعيمهم ، ففي اليمن لعلي عبد الله وفي مصر لحسني مبارك ، وفي السعودية لفهد ، وفي الأردن للملك عبد الله، و هكذا تلاعبوا بهذه الآية.

ونسوا نسوا قضية أنه حتى لو فرضنا أن الآية هذه على ما زعموا فأين هم أولئك الحكام الذين يصح أن يقال عنهم (منكم)؟ { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } وجدنا هؤلاء أولي الأمر لم يعودوا منا ، أصبحوا أكثر انسجاماً مع أمريكا ، مع سياسة أمريكا ، معظمهم على هذا النحو ،يرى شعبه يتظاهر يطالب بأن تُقاطع أمريكا وإسرائيل ، يطالب حكومته بأن تقاطع مقاطعة سياسية ، بأن تقاطع مقاطعة اقتصادية ، بأن يوقفوا تصدير البترول ، بأن يفتحوا أبواب الجهاد ، بأن يعملوا كل شيء. أليست الأمة هي تنادي بهذا؟. وأولئك ما هو موقفهم؟. موقفهم بالشكل الذي تريده أمريكا ، فهل أصبح صادقاً عليهم مسألة (منكم)؟. لو كانوا منا لكانوا مستجيبين لما نطلب.

وإذا كانوا يقولون: هم خائفون علينا. فنحن نقول نحن الشعب ، نحن نطالب بالجهاد لأولئك ، نحن من نستطيع أن نتحمل أي وضعية اقتصادية. عندما نقول قاطعوا ـ وكانت المظاهرات هكذا تطالب الحكومات بأن تقاطع اقتصادياً ـ وليكن ما كان سنتحمل ، باستطاعة أي زعيم أن يقول: لا بأس أنا مستعد ما دمتم مستعدون أن تتحملوا المضاعفات والآثار للمقاطعة الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية ، وقطع تصدير النفط وغيره ، وأنتم مستعدون أن تجاهدوا مهما كان الأمر ، ومهما كانت إمكانياتكم ضعيفة لا بأس. لو أنزلوا مسألة مواجهة إسرائيل في استفتاء شعبي ، كيف سيكون الناس ، سيصوتون تقريباً بنسبة ٩٠ ٪ لمواجهة أمريكا وإسرائيل.

فنحن نقول لمن يستخدموا آية {أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } أين هم الزعماء الذين تصدق عليهم كلمة (منكم)؟. ونحن نراهم أقرب إلى أمريكا منا ، وأقرب إلى سياسة أمريكا منا ، وأقرب إلى طاعة أمريكا من الاستجابة لشعوبهم ، لم يعد وقت الآية بكلها ، كان يمكن أن تقرأ هذه الآية في أيام الخلفاء الأمويين والعباسيين ، لأنه مازال (منكم) ، مازال حاكم عربي ، مازالت تعتبر قراراته من داخل ، لا يوجد دولة أخرى تفرض عليه إملاءات ، ومع هذا كان الناس يقولون: لا . هؤلاء هم ليسوا من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، أما هذا فإنه يأمرنا بطاعة شخص هو مغلوب على أمره ، هو لم يعد يستطيع ولا يتمكن أن يحقق أنه لا زال من الأمة ، بل بعضهم ثقافته ، نمط حياته في بيته غربية ، بيته ،شكله ،نمط حياته ،ثقافته ، الأشياء التي يتابعها كلها تجعله شخصاً غربياً ، لم يعد يصدق على الكثير منهم معنى { مِنْكُمْ } حتى لو كانت الآية على ما يريدون فما بقي (منكم)؟ بقي لأمريكا تريد أن تعين ولاة فهم منها وليسوا منا.(الثقافة القرآنية ص ٢١)

٦ـ إلا أن تتقوا منهم تقاة :

{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة} (آل عمران: من الآية٢٨) العدو الذي هناك يعني منسوف تماماً لكن أن يحصل تَقِيَّة ـ كما يقال ـ أن تتقوا منهم تقاة ، هذه الحالة نفسها ليست حالة مطلوبة يكون للإنسان فيها تقديم وتقدير عناوين معينة، وتفاصيل معينة ، هذه حالة تقدر في وقتها ، وعندما تكون القضية ليست على حساب دين ولا على حساب أمة، لا تكون على حساب الدين ، ولا على حساب الأمة أبداً ، وليست قضية شخصية بل تقدم بقدرها ، بتقديرها ، لأن التقيَّة هي حالة استثنائية خاصة ليست قاعدة عامة أبداً لأنها لو هي قاعدة عامة لكانت على حساب الجهاد ، وحساب العمل بكله ، هي حالة استثنائية طارئة لها ملابساتها ،لها وضعها الخاص ،لها اعتبارات كثيرة بحيث لا

تكون بالشكل الذي يحصل من ورائها ظلم للأمة ، أو ظلم لدين الله ولهذا كانت قضية تحتاج إلى تقييم كبير جاء بعدها تحذير {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨)

لا تكن أنت مفكر في نفسك أن تعمل بالتقيَّة: [يجوز لنا أننا نسكت لأجل نسلم شرهم!] تحاول تغطي على عيونك عند المواقع التي يتبين لك من خلالها بأن السكوت لم يعد ينفع ! أليس هذا هو الواقع بالنسبة لتعامل الأمريكيين والصليبيين الآن مع المسلمين؟ لم يعد ينفع صداقة ، ولا عمالة ، ولا سكوت عندما يأتي البعض يعتقد بأنه ما يزال بإمكانه أن يعمل شيئاً معيناً ويقول لك: {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً}،أول شيء أن معناه: أن يكون شيئاً على هذا النحو السابق ، وفي نفس الوقت اتجاه عملي وليس على حساب أمة ودين الأمة على حساب أن يصل الناس إلى الموقف الطبيعي من هؤلاء الأعداء ، وفي نفس الوقت أن يكون له أثر إيجابي.

الآن هل أحد يستطيع أن يقدم لنا شيئاً معيناً يقول: هذا يقينا من الأمريكيين والإسرائيليين؟ لا السكوت يقي ولا العمالة أصبحت تقي ولا الصداقة أصبحت تقي الناس منهم أبداً ، أليست قضية واضحة إنما فقط قد يكون البعض ربما ممن هم يحكمون الناس ، ويأتي من علماء السوء ، أو العلماء قد لا يسمون علماء حقيقة يقول : إنه يجوز {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً} ثم لا تدري إلا وقد صار هو يقدم شعبه ، ويقدم القرآن [اعملوا كيفما تريدون وغيروا المناهج كيفما تريدون والقرآن اخفوا ما تريدون وابعدوا ما تريدون] معهم تَقِيَّة [يجوز له يجوز له] هنا يكون ماذا؟ يقدم الدين ، ويقدم شعبه من أجل تحتفظ له مصالحه هو مصالحه الشخصية هو ، منصبه هو ثم ترى في الأخير لا تشكل هذه وقاية ، أصبحت هذه لا تعد تشكل وقاية له على الإطلاق .

في نفس الوقت هي لا تجوز على الإطلاق بهذا المعنى ، بهذه الطريقة لا يصح على الإطلاق [لا يعد أحد يتحدث عن الجهاد ، واتركوهم يغيرون المناهج ، مستعدين نغير المناهج على ما يريدون!] على زعم أننا نتقي منهم تقاة ! نتقي منهم تقاة، [تقيَّة ، تقيَّة]، ترى حتى [الإثنا عشرية] الذين هم معروفون بالتقيَّة لم تعد تنفع التقيَّة حقتهم نهائياً مع الأمريكيين يطلعون في التلفزيون وقالوا: [لا يجوز في ديننا أننا نصنع أسلحة نووية ونضرب بها الآخرين لا يجوز في الشريعة] ما صدقوهم وهم يصدرون فتاوى بهذا الشكل!

مسألة التقيَّة: ليست قضية مزاجية ، ولا قضية شخصية في تقييمها ، وقضية دقيقة وخطيرة جداً ولهذا بعدها الله يقول {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨) عندما تكون قد صرت تخدم العدو ، تشتغل له على حساب الدين ، وحساب الأمة على أساس أنها تقيَّة قد أنت ماذا؟ تشتغل لهم ، تعمل لهم ! ليست التقية بهذا الشكل نهائياً .

{وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} (آل عمران: من الآية٢٨) {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} (الطارق:٩) قد تقول في الدنيا هنا [حفاظاً على مصلحة الشعب حفاظاً على ماذا؟ لنقي الشعب ضربة كانت محتملة] وأشياء من هذه! أليسوا يقولون هكذا؟ لا ، {وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} أول شيء لا يكون فعلاً ، الحاكمون أعتقد كلهم الآن لا يوجد شخص منهم هو يستطيع أن يفسر معنى التقيَّة ، والتقيَّة التي يجوز له أن يعملها ، إذا معه حاشية من علماء سوء يكون معناه في الأخير يقي نفسه ، ومنصبه ، ومصلحته على أساس أنها تنفع مع أنها لا تنفع فيكون يقدم الدين ، والأمة ، ويشتغل للأعداء ! أليس هنا يضحي بالأمة ، وبالدين ؟ أين التقية هذه التي يمكن أن تكون جائزة ؟ تقية تضحي بالأمة ، والدين وأنت يجب أن تضحي بنفسك ومالك من أجل الدين ومن أجل الأمة!

هذه أول شيء أنها قضية دقيقة فيجب أن يكون هناك تحذير يعني هناك تحذير رهيب جداً {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨-٣٠) أليس هذا مرة ثانية {وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: من الآية٣٠)

وبعضهم يقول: [تقيَّة نسكت لأجل نسلم شرهم] ليست الأمور بالشكل هذا يجب أن تعرف أنها مسألة دقيقة من

الذي يقدرها؟ ليست قضية مزاجية لأي شخص التقية هذه ، حالة استثنائية وقتية طارئة تحتاج إلى تقييم دقيق جداً يراعي كل الإعتبارات اعتبار الأمة والدين ولا يكون فيها ذرة من الهوى من أجله شخصياً ويضحي بالأمة والدين كم لها من ضوابط كثيرة ومن العجيب أن البعض من الناس المتعلمين ومن الناس العاديون يقولون: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (آل عمران: من الآية٢٨) [يسكت واحد ويترك أي عمل] .

أما هذه فليست تقية أول شيء أنت غالط لم تعد تمثل تقاة بمعنى أنك ستسلم شرهم على الإطلاق تأمل هم الآن لا تجد منهم الآن خصلة يمكن أن تقي الناس شرهم إلا أن يجاهدوا ، لم يعد من حل إلا هذه أن يرجعوا إلى الله ،ويتمسكوا بكتاب الله ، ويجاهدوهم في سبيل الله ، هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمثل وقاية .

هنا كيف الآية تذكر موضوع النفس التي يأتي تطانين من داخل ، يصنفها من داخل نفسه وقال: [قد هي تقية] ما هو ذكر في الآيات هذه كلها صدور ونفس {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٢٨) {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ} (آل عمران: من الآية٢٩) {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً} (آل عمران: من الآية٣٠) وبعد يقول {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} (آل عمران: من الآية٣٠) تلك المساحة وليس أن تطلّع لك تطانين أخرى وفي الأخير تقول للناس: [من أجل المصلحة العامة ومن أجل الوطن ومن أجل أن نتقي ضربة كانت محتملة] وأشياء من هذه .(الدرس ١٠ص٢٨)

٧ـ مفهوم الحرية:

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء٧٠) ستلحظ كيف توجيهاته، كيف تشريعاته، كلها هي تأتي تلحظ التكريم للإنسان، بينما ما يأتي من عند آخرين لا يلحظ التكريم على الإطلاق، يؤدي إلى إهانة إلى أحط مستوى، الإنسان هو، كمخلوق كرمه الله تَحطّه.

لاحظ في موضوع [الإتباع] موضوع سنة الإتباع في دين الله، كيف قدمها؟! ألم يقدمها بشكل تختلف عما عليه الآخرون؟ نحاول نتفهم بشكل كبير؛ لأن هذه قضية الآخرون أليسوا يقدمون مثلا أشياء معينة هي عبارة عن حرية، وأن هذه عبارة عن صنميّه، وهذه عبارة عن عبودية، وهذه عبارة عن عمى، [فلان يتبع فلان، يعني يدهّج هكذا أعمى، لا، أتركه!] هكذا الحرية التي يسمونها حرية! .

لا يلحظون فيها ما هو الأساس الذي يمكن أن يحقق للإنسان حرية، الله جعل حرية الإنسان في عبوديته لله، إذا انفرد من هذه تحول إلى عبد لغير الله، أنت لا تستطيع أن تتخلص من العبودية: فإما عبودية لله، وإما عبودية للشيطان، ما هناك مجال من هذا. أن تكون عبدا لله تكون حراً، هذه حرية، كرامة؛ لأن العبودية لله هي تكريم، هي حرية.

الله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع عباده مثلما يتعامل معك أولياء الشيطان، أليسوا يحاولون أن يخضعوا الناس لهم بطريق إذلال، بطريق إهانة، بطريق قهر؟ أما الله فيقول: لا، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون٨) لاحظ كيف أشركهم في الموضوع، ألم يعمل هكذا؟ فما هناك شيء حتى في مسألة ـ مثلاً ـ أنبيائه، أوليائه، يكون النبي نفسه ليس غارقا في أن الناس يتبعوه هو؛ لأنه هو نفسه ليس حول نفسه، هو غارق في إتباع الله، فهو يهدي الناس إلى الله، والمسألة ـ كما قلنا بالأمس ـ فعلاً أنه حتى بالنسبة لله سبحانه وتعالى، ما يرضى أن تنتهي المسألة عنده فقط، هو يفيض على عباده.

هذه قضية مؤكدة عندما يعبّدون أنفسهم له، ألم يصف نفسه بأنه الكريم، العظيم، الحليم، الحكيم؟ أليس هكذا؟ يفيض على عباده، يفيض عليهم من كرمه، من رحمته، من علمه، من حكمته، من عزته، من مجده، فيصبحوا أعزاء {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} وهذه هي قضية هامة جدا.

وتجد أنه فعلاً ما هناك تكريم للإنسان على الإطلاق إلا وفق منهج الله الذي رسمه لعباده إذا خرجوا عنه أهانوا أنفسهم، تحولوا إلى عبيد لأعدائه . [من ملازم مديح القرآن]

ـ التسليم لله منهج مهم :

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (البقرة: من الآية١٤٥) هنا يتجلى في الموضوع هنا فيما هو كمنهج للناس وتربية، أن يكون الناس عندهم تسليم لله مهما قال الآخرون، مهما كان لديهم من احتمالات: أنه سيحصل أشياء كبيرة عليهم من آخرين، التسليم لله، السير على هديه، وليكن ما كان هناك قال سابقاً: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} (البقرة: من الآية١٣٧) أليس هنا موقف هنا يوجه بالتوجيه إلى المسجد الحرام ويقول فيها في الأخير: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} (البقرة: من الآية١٥٠) لأن هذه الحالة مثلما تقول مجموع الآيات هنا يترسخ مسألة التسليم لله، لا تعطي أي احتمالات أخرى قيمة بالشكل الذي يجعلك تؤقلم مسيرتك من أجلها، لديك فكرة التسليم لله، وأي احتمالات أخرى سيكفيكها ؛ لأن هذه الحالة هي التي تجعل كثيراً من الناس ـ كونه يخشى يوماً معيناً، يخشى حملات دعائية معينة، يخاف من سجن، يخاف من اعتداءات، يخاف أشياء كذا ـ يحاول يؤقلم مسيرته وإذا هو قد أصبح يقسِّم الدين، يجامل هذا، ويجامل ذلك، يرضي هذا، ويرضي هذا ! وضاع، يضيع تسليمه لله، ويضيع في الأخير دين الله ؛ لأنه في الأخير هل رأيت لدى بني إسرائيل شيئاً من دين الله؟ ضيعوه، ضيعوه، وأصبح مجموع ما لديهم في غالبه، مجموع أهواء، وضلالات .

تجد في تاريخهم هم تعرضوا لحالات من هذه، لم ينطلقوا على ماذا؟ أن يكونوا مستقيمين في مسألة التسليم لله، ومتمسكين بهذه القضية: التسليم لله، والسير على هديه مهما كان الثمن، عندما كان يحكمهم أناس من الرومان، كان ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ! وإذا قد هناك بيع وشراء في الدين {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (التوبة: من الآية٩) معناه فقدوا التسليم التي هي قضية أساسية فأصبحوا في الأخير يقسمون الدين، يرضون هذا، ويوزعون لهذا، ويبيعون من هذا إلى أن ضاع في أوساطهم والبديل هو ماذا؟ ضلالات، وخسارة، في الأخير خسارات كبيرة، خسارات في الدنيا، وخسارة في الآخرة.

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (البقرة: من الآية١٤٥) أبداً على ما هم عليه {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٤٥) يقول: [إذاً أحسن كذا من أجل أن تكون كذا يمكن ربما يقربوا قليلاً ويلينوا قليلاً، نتفق نحن وإياهم !]وعناوين من هذه، في المقابل عندما لا تلتزم أنت على هذه الوجهة التي رسمت لك، أن تتجه إلى هذه القبلة على الرغم من أن أهل الكتاب لهم موقف، موقف حدي من قضية القبلة هذه إلى درجة أنك لو أتيتهم بكل آية ما تبعوك في أن يتوجهوا إلى هذه القبلة، ما هناك برزت المسألة وكأنه: إذاً دخلنا في موضوع يجعلنا أكثر بعداً منهم، فكرة الناس الذين لديهم فكرة لفلفة، ومحاولة تألف، وأشياء من هذه، فيعتبر إذاً هذه تتنافى مع ما ينبغي أن نحرص عليه من أن نكون قريبين ونكون... هذه المسألة أبعدتنا كثيراً ؛ لأنه وجه إلى قبلة، أهل الكتاب لو جئتهم بكل آية ما تبعوها، ألم يظهر التوجه إلى هذه القبلة يشكل بعداً كبيراً ؟.

ليست مشكلة هذه، لا تعتبرها مشكلة أبداً، ولو حاولت أن تتصرف على هذا من أجل أنك تحاول: أن تكون كلمتنا وحدة نحن وإياهم ونتألفهم ستكون قد اتبعت أهواءهم وستكون إذاً من الظالمين، ستخسر مثلما قال سابقاً: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة:١٢٠) هذه القضية هي تعود إلى مسألة: التسليم، وهي القضية الهامة التي يحتاج إليها كل إنسان، ولا تقم المواقف القوية إلا بتسليم، ولا يفلح الناس إلا بالتسليم لله، إذا ما عرفوا إلا وقد طغى عليهم روحية التأقلم، التنازلات، روحية استرضاء الآخرين في الأخير يذوبون، ويتلاشون ويخسرون .

هذه القضية هي تقوم على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى أنه: هو ملك الناس، مدبر شئون هذا الكون. لو تعتقد أنه يمكن أن تمشي معهم بالشكل الذي يجعلك قريباً منهم، استرضاء لهم، وعلى أساس أنك تجذبهم إلى هذا الدين، وليس في ذهنك أنه ما الذي يمكن أن يحصل من محذور الله يمكن يطلع شيئاً يجعلك خاسراً مثلما قال هناك: {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (البقرة: من الآية١٢٠) أي أنه لا يظن أحد بأنه: إذاً سيقع في مشكلة كبيرة جداً، افهم بأن الله هو مدبر شئون السموات والأرض يمكن أن يكفيك الإحتمالات التي تراها كبيرة {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} (البقرة: من الآية١٣٧) .

أو ترى بأنه عندما تتأقلم معهم من أجل تسلم الإشكاليات هذه، وترى بأنك تحاول أن تسلمها لن تسلم منها ستأتي عليك بأسلوب آخر، أو من أبواب أخرى وتكون بالشكل الذي لا تجد وليا ولا نصيرا تضرب {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة: من الآية١٤٥) عندما ينسى الإنسان مسألة: التسليم لله، وقضية التسليم لله هي تكون في موضوع الحركة، في موضوع المنهجية، موضوع الدعوة، منهجية الدعوة، منهجية الحركة، في المواقف العملية، ستقدم تنازلات في موضوع المنهج تكون في الأخير مقابل اتباع أهواء، والنتيجة ماذا؟ خسارة .

إذاً هذه هي ظاهرة قائمة عند الناس فعلاً تجد بعضهم عندما يأتي يتبنى مدرسة علمية، أو يتبنى إرشاداً لكن ويحاول يؤقلم الإرشاد بالشكل الذي لا يثير آخرين، يحاول يجعل مدرسته بالشكل الذي على أساسه أنه بزعمه محافظ على الدين، ومحافظ على الإرشاد، ومحافظ على التعليم، وعلى المذهب، يحاول لا ينطلق من مركزه، أو من مدرسته شعار - مثلاً - [الله أكبر...] قد يؤدي إلى أن الآخرين يستثارون وفي الأخير ربما يغلقونه مثلاً، أو ربما قد يؤدي إلى أنهم يتركون معاونتنا، أو أحتاج أتشرد من هنا، ويضيع هؤلاء الطلاب! هذه تعتبر نظرات قاصرة، وضيقة، وعاقبتها دائماً خسارة، تكون خسارة دائماً، أي أن هذه الحالة قائمة ؛ لهذا قلنا: التركيز على موضوع التسليم، وكلما وجدت أمامك من احتمالات تبدو صعبة تذكر بأنك لست من سيحمل الجبال هذه، أو ستحمل المشاق الكبيرة ؛ لأن الله هو المدبر لشئون السموات والأرض هو الذي يعمل المتغيرات . (ص٣٤)

[سورة البقرة - الدرس الثامن]

- الحق من ربك:

إذاً فهذه القضية يجب أن نفهمها جميعاً عندما يقول: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} (البقرة: من الآية١٤٧) فافهم بأنه في كل قضية هناك حق هو الحق الذي من عند الله ففي وضعية كهذه الناس يقولون فعلاً مواجهة أعداء الله هي حق أليست هكذا؟ لكن ناسين في نفس الوقت! في الأخير يتساءلون حول الأسلوب وحول الطريقة وحول الوقت وحول مع من وكيف، أليست هذه؟ افهم بأن الله هو يعلم هو قد رسم في نفس الوقت الطريقة في أن تقوم بالحق والأسلوب الحق والمنهج الحق والقيادة الحق والطريقة الحق وهكذا، هو لا يقول تحركوا للحق ويتركها غامضة إن الله يهدي، والحق معناه: الشيء الثابت في القضية، في الموقف، الشيء الصحيح، الصواب، الموقف الصحيح، القضية الصحيحة، الأسلوب الصحيح، الحالة التي تعتبر صوابا، وهكذا الحق يقابله ماذا؟ يقابله ضلال أخطاء باطل.

حينما ينصرف الإنسان بذهنه على الإطلاق في كل قضية يتحرك فيها في سبيل الحق لا تدري وإذا هو قد أصبح يحول ذهنه إلى هذه الجهة أو هذه الجهة يبحث كيف يعرف أسلوب حق وكيف الطريقة إلى الحق، من هنا أو من هنا. لا. يجب أن تفهم أنك في حالة البحث لمعرفة الحق الذي تسير عليه لتقوم بالحق أن تفهم بأن عليك أن تلجأ إلى الله فإنه قد رسم الطريقة الحق، أعني: أنه يقدم هذا الموضوع باستقلالية تامة؛ ولهذا سماه صراطاً مستقيماً، وسماه سبيلاً{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: من

الآية١٥٣) جعل القضية جاهزة طريقة مستقيمة وواضحة لست بحاجة إلى أن تتلفت كذا أو كذا أو تستعين بهذا أو بهذا أو بأي طريقة أخرى على الإطلاق.

الحق هو من ربك وسيهدي للحق في كل قضية في أساليبك في منهجيتك في طريقتك؛ لأن الله سبحانه وتعالى في الأخير قدم القضية بالشكل الذي تبدو سهلة ليست حتى مرهقة ذهنياً ليست حتى مرهقة لذهنك ولا تجعلك تتخبط، لكن افهم الطريقة الحق الأساسية.

حركة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحركة الذين كانوا معه ألم تكن حركة حق؟ هل كانوا هم كل واحد منهم ملان اضطرابات وترددات [وكيف نسوي، وكيف نعمل و.. و] وأشياء من هذه؟ لا. قال الله لهم: اتبعوه، أطيعوه، هو نفسه سيعرف الحق وأسلوب الحق وطريقة الحق ويتبعونه وهو في نفس الوقت يبين لهم الحق ويسير بهم مسيرة الحق وإلى غايات الحق، وهكذا.

جاء في القضية الأولى بأنه أن يكون الإنسان مطمئنا أنه إذا كان هناك من يكتم الحق أن الله سيهيء من يبين الحق ويهدي إلى الحق، هذه القضية هامة يجب أن نفهمها؛ لأنه أحياناً قد تبدو حالة من يبين الحق هي الحالة الشاذة يعتبرونه الحالة الشاذة! يقول لك: العلماء الباقون لا يقولون هكذا، أو فلان، وفلان، وفلان من العلماء لا يتكلمون لماذا إما فلان! عندما تنظر هذه النظرة {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٦-١٤٧) قل ـ وقد أنت عارف لربك الرحيم ـ إذاً لا يمكن أن يترك الناس هكذا يأتي من يغلق باب الحق، سيهيء من يبين الحق حينها تتقبل أنت المسألة عندما تجد أحدا من الناس يبين الحق لن تعتبرها حالة شاذة، الكثير يعتبرها حالة شاذة ؛ لأنه لا يعرف هذه السنة الإلهية هنا، هنا فريق يكتمون، لكن هو في نفس الوقت يهيء من يبين الحق، وعندما ترجع إلى الكاتمين وتقول: هؤلاء هم الأصل لماذا فلان هو لوحده ويتحرك لوحده ويعمل له طريقا لوحده.... وأشياء من هذه، معناه أنك لست فاهماً لهذه وتكون أنت مع من يكتمون الحق وسترى في الأخير ما سيقول عنهم ، قضية خطيرة جداً معظم الآيات التي ستأتي حول موضوع من يكتم الحق وأتباعهم وكيف ستكون طريقتهم ومصيرهم. (ص٥)

ـ تربية المجتمع على أن لا يخشى غير الله وبيان خطورة الخشية من غير الله:

{فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: من الآية٤٤) متى ما اتجه الإنسان إلى أن يصغي لأن يخشى من غير الله فبالتأكيد ينحني، أخيراً يؤقلم عمله وتوجهه ومواقفه بالشكل الذي لا يثير من يخشاهم، يجعله بالشكل الذي تحكمه في تصرفاته كلها الخوف من ذلك الطرف الآخر.

{فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٥٠) ولا تتم نعمة الله على الإنسان أن يكون هو فعلاً في سلوكه بالشكل الذي توفرت له النعمة وتمت عليه النعمة إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله ولا يهتدي فعلاً إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله ؛ لأن من يخشون غير الله تقدم نعمة من التي تعني نعم هداية تقدم آيات فيها هدى توجيهات فيها هدى لن يقبلها، ليس ميداناً لها؛ لأنها تصطدم بخشيته من غير الله، هذه القضية واضحة في الناس.

إذاً الخشية عندما يكون الإنسان يخشى غير الله، هي حالة تبين بأنك جاهل لله وجاهل باليوم الآخر، من الذي لديه ما يمكن أن تخافه مثل جهنم؟ هل أحد لديه مثل جهنم من البشر تخاف منه؟ أبداً ، هل أحد لديه مثل الجنة فترغب فيما لديه؟ تعدل عن الله سبحانه وتعالى فتصبح تخشى غير الله وترغب في غير الله، كلها يكون منشؤها الجهل، الجهل بالله الجهل بدينه، الجهل باليوم الآخر الجهل بالسنة الإلهية في موضوع الحق.

الإستقامة وراءها الله، الحق وراءه الله، عندما يكون الناس يسيرون على الحق فالله يؤيدهم، هو ينصرهم، هو يعينهم هو يثبتهم هو يعطيهم نوراً، أليس الله يقول في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} (الحديد: من الآية٢٨) ويجعل لكم نوراً تمشون به {يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩)؟ يجب على الإنسان أن يستحي فعلاً أن يستحي من أن يكون يخشى غير الله لأن معناه أنك تجعل غير الله وكأنه أكبر من الله، وكأن ما لديه مما تخافه منه أعظم وأشد عليك مما لدى الله؛ لهذا الله سبحانه وتعالى جعل الأشياء لديه على أرقى مستوى جهنم أشد، أشد عذاب والجنة أعلى، أعلى نعيم مادي ورضوانه أكبر من ذلك النعيم المادي التي هي الجنة .

إذاً تراجع حساباتك، متى ما كنت تخشى آخرين تخشى من ـ مثلاً ـ أمريكا الكبيرة في الأرض هذه أليس لديها الأسلحة الكثيرة ولديها الإمكانات الكثيرة؟ هل يمكن أن تعتبر ما لديها يساوي يوما واحداً في جهنم؟ أبداً ، فهل تخاف ما لدى أمريكا عندما لا تكون إلا أنت، وأمريكا كلها متوجهة بكل ما تملك من أسلحة لتصبها عليك أنت وحدك؟ يجب أن لا تخشاها لأن ما لدى الله من عذاب شديد هو أشد بكثير، بكثير لا يساوي ما لدى الآخرين يوما واحدا في جهنم ولا ساعة واحدة في جهنم.

يجب أن نفهم خطورة المسألة: أن الناس لا يهتدون وأنهم يضعون عقبة كبيرة جداً أمام اهتدائهم عندما يكونون يخشون غير الله { فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٥٠) لا تظن بأنك عندما تتوقف في موقف معين لأنك تخشى طرفا آخر أنك ربحت أنك أمنت جانبه، يجب أن تفهم بأنك خاسر، ومن خسارتك الكبيرة هو أنك وضعت نفسك في مشكلة كبيرة أنك وضعت عائقا كبيرا جداً أمام أن تهتدي، ثم انظر أين تنتهي بك هداية الله سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة كيف نهايتها ، في الدنيا عزة وسعادة ورفعة وقوة وطمأنينة، وفي الآخرة الأمن يوم القيامة والجنة ورضوان من الله أكبر، عقبة تجعلها أمام نفسك تشكل عائقاً كبيراً أمامك تصبح بالشكل الذي لا تعد محطا لأن تهتدي، وكل هدى يريد الآخرون أن يصلوا به إليك هناك عقبة تصطدم ولهذا بعضهم يقول: [والله صحيح لكن...] أليس بعضهم يقول هكذا؟ أليس هنا يبين لك العقبة أمامه [صحيح والله هذا العمل باهر وأنه حق لكن يا خبير معنا أعداء الله والدولة كذا والمدير فَسْل والمحافظ فَسْل] وأشياء من هذه .

إذاً هذه الحالة أمامك لو تعرف أنها خسارة كبيرة جداً لأنك لم تعد تهتدي نهائياً، وفي الأخير لا تدري إلا وأنت يوم القيامة مع من تخاف منهم وتخشى منهم ، وسيأتي في الأخير كيف الحكاية وكيف المصير بالنسبة لك في الآيات الأخرى تكون معهم في جهنم تكاد أن تأكل أناملك من الحسرة يوم القيامة {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} (الفرقان: من الآية٢٧) من شدة الحسرة والندامة {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} (الفرقان: من الآية٢٧) هذه سبيل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاب الله ، ما يهدي إليه كتاب الله هو السبيل الذي سار عليه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو السبيل الذي دعا إليه، هو رسالته التي هي ممتدة للبشر جميعاً إلى آخر أيام الدنيا.

{وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} (البقرة: من الآية١٥١ـ١٥٢) هذه من النعمة الكبيرة جداً على الناس، نعمة القرآن الكريم، نعمة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ} (البقرة: من الآية١٥١) إلى أن قال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي} (البقرة: من الآية١٥٢) هذه النعمة الكبيرة {وَلا تَكْفُرُونِ} (البقرة: من الآية١٥٢)أي لا تكفروا بهذه النعمة الكبيرة فتكونون كافرين بي.

لكن هذه واحدة من العوائق الكبيرة {فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} (المائدة: من الآية٤٤) فلن تعد تتم نعمة عليك ولن تعد تدرك النعمة الكبيرة وهي نعمة القرآن الكريم ونعمة الرسول ولن تتعلم ولن تتزكى ولا تعطي حكمة ولا شيء وفي الأخير تكون كافرا بهذه النعمة العظيمة، كافرا بالله ، بما قدمه الله سبحانه وتعالى إلى الناس وهي النعمة الكبيرة هذه .(ص٧)

ـ قدم البينات للناس:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة:١٥٩) بعدما عرض علينا عرضا كاملا النتائج السيئة التي تحصل على الناس بسبب إعراضهم عن هدى الله وانصرافهم عن هدى الله وتضليل من يكتمون الحق لهم، وكيف تكون الجناية الكبيرة من جانب من يكتمون الحق بالنسبة للناس، أي لا تتوقع في مسألة كتم الحق أنه فقط جانب يكتم وفقط إنه سيقدم شيئاً آخر سيقدم باطلاً ويقدم ضلالاً مقابل الحق الذي كتمه لا يكونون ساكتين فقط، أنت عندما تقعد وأنت عالم ولا تريد أن تتحرك في سبيل الله هل تظن بأنك ستسكت وتجلس؟. لا. على أساس أنت تتصور بأنه ربما الآخرون يظنون بأنك محرض ستنطلق من عندك عبارات بأنه: لا يجوز، ما هناك فائدة، هذا لا يصح، ولا يوجد لزوم، وماذا يمكن أن تعملوا، وليس الواجب كذا،... وفتاوى على هذا الأساس، أو لأن الناس قد يلومونك مثلاً إنه: لماذا لا تتحرك في هذا الموضوع؟.

فتقعد وفي المقابل تقدم أشياء تكون في الصورة مبررا لقعودك وسكوتك عما يجب أن تقوله ، ألست هنا أنت ستقدم أشياء تصبغها بصبغة شرعية ودينية؟ تقول: [أساساً ما قد وجب ، ما هو يلزمنا وإلا لما قصرنا، مستعدين أو ما الناس راضين يتحركوا ولا الناس راضين يسمعوا والناس كذا...] يرد اللوم على الناس: [والناس.. والناس هم كذا..!] تعود من عنده وقد عندك نظرة سيئة للناس وقد عندك مفاهيم مغلوطة بالنسبة للبشر وبالنسبة للحياة هذه [وانظروا كيف علي بن أبي طالب قام وقتل والإمام الحسن قام وقتلوه والحسين قام وقتلوه وزيد قام وقتل والدنيا هكذا لا يصلح فيها شيء والناس سيتعبون فقط بدون فائدة والحق ضعيف وأهل الحق لا ينتصرون وهم هكذا ضعاف..] وتذهب من عنده وقد أنت محطم، أو بخطبة معينة تكون على هذا النحو. ويكون هو يكتم وفي نفس الوقت ينزل أشياء باطلة؛لهذا يجعل الناس ضحية يجعلهم ضحية فعلاً .

فلأهمية الهدى ولخطورة الإنصراف عن هدى الله بالنسبة للبشر جميعاً بالنسبة لكل إنسان بالنسبة لأي أمة من الأمم ولأن من يمكن أن يبين الحق للناس هم من يحملون العلم، أصبحت قضية كتم الحق كبيرة من الكبائر الخطيرة جداً على صاحبها {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ} (البقرة: من الآية١٥٩) هذه القضية خطيرة { وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة: من الآية١٥٩) كل من يلعن عدوا لله كل من يلعن إنسانا شريرا كل من يلعن الخبثاء يكون هو محطا لهذه اللعنة، ثم قد تصل المسألة فعلا إلى لعن حقيقي عندما يجد الناس بأن أولئك أضاعوهم عند ما يجد الناس بأن أولئك لم يعلموهم لم يكلموهم لم يبينوا لهم لم يحركوهم لم يقودوهم لم يوجهوهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من حالة شديدة فيعتبرونهم بأنهم ملعونين فعلاً قد يلعنونهم فعلا؛ لأن الله أنزل البينات والهدى للناس، ألم يقل هكذا: {مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ}؟ بيّنّا الهدى وبيّنّا البينات التي الناس بحاجة إلى معرفتها في حياتهم هنا، وفيما يتعلق بمصيرهم في الآخرة بيناه للناس أي أن المقصود هو كل الناس هؤلاء جماهير البشر ليس الهدى فقط للعالم لوحده يكون عنده أنه قد أخذ نصيبه ويتفق الباقون! إنما لديك هو للناس ما لديك من هدى هو للناس يجب أن تبينه للناس وأن تقدمه للناس وإلا فأنت ستهلك أنت ولو أنت عارف للحق ستهلك أنت.

لاحظوا المسئولية في القضية هذه: أن الواجب بالنسبة لمن لديه معرفة بالبينات العلماء الذين لديهم معرفة بالبينات والهدى هو: أن يبينوها هي للناس، لا تأتي تسأله ويأتي يقدم لك مجبر طويل عريض من نفسه هو فيكون في الواقع يطّلع لك مشاعر ضعفه ورؤاه الخاطئة والمغلوطة عن الواقع تأتي إلى عنده فيقول:[نحن ضعاف ولا بأيدينا شيء والدنيا غير جيدة والناس قد هم غير جيدين وهؤلاء بعد الكبار ولا معنا شيء والإنسان يحاول في الفتنة يكون ينام فالمؤمن نئومة أو (كابن اللبون)] وهو لا يدري إذا صحت هذه العبارة عن الإمام علي كيف كان موردها وأمام من يقولها، إذاً هذا في الحالة هذه لا يبين لك البينات يبين لك حالته.

يجب أن نفهم نحن أن يفهم عامة الناس عندما تسأل أي عالم تقول: أنا أريد تبين لي البينات اترك نفسك هناك اترك نفسيتك مشاعرك ورؤيتك داخل في بطنك بين لي هدى وبينات الله وكتاب الله، ما هو الموقف المطلوب وما هو الموقف الذي تتناوله بينات الله أمام قضية كهذه؟ سيقول: لك صحيح أما بالنسبة لبينات الله، الله قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ } (الصف: من الآية١٤) { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) وأن ينفق الناسُ في سبيل الله وأن يجاهدوا في سبيل إعلاء كلمته وأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم وأن.. وأن.. وأن.. يجب أن يقدم للناس البينات ولو يقرأها فقط؛ لأن الله يجعل البينات بالشكل الذي يمكن من خلال قراءتها من خلال تلاوتها على الناس أن يفهموا المسئولية من ورائها والموقف المطلوب منها من خلال أن يسمعوها، لكن الإشكالية هي هنا: أن بعضهم يقدم لك حالته هو ونفسيته هو وخرج واحد وعنده قد كان عند عالم قد سمع العالم!

أنت سمعت أنت إنساناً ضعيفا والإنسان أي إنسان هو ضعيف ولو أن الله سبحانه وتعالى ترك القضية أن يبينوا هم مشاعرهم ورؤاهم ستكون ضعيفة لكن مسئوليتك أنت أن تبين للناس كتاب الله وهدى الله لو أنت ضعيف كيفما أنت، هذه مسئوليتك كما تؤكد الآية هذه وفي آية أخرى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ } (آل عمران: من الآية١٨٧) أي الكتاب وليس نفوسكم ورؤاكم أنتم الخاصة التي هي رؤى ضعف، حالته ضعيفة، و نفسيته ضعيفة فيكون ما يقدمه لديك عبارة عن ماذا؟ رؤى ضعيفة ومواقف ضعيفة وتوجيهات ضعيفة كلها تنتهي بك إلى أن تقعد! لا، التركيز على أن يبينوه هو، هو.

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ } تجد نفس التركيز في الآية الأخرى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ} (آل عمران: من الآية١٨٧) أي الكتاب وليس مشاعرك التي في بطنك وضعفك .

إذاً عندما واحد يذهب يسأل، أي واحد منا يجب أن يفهم: أنا أريد أن تبين لي أنت كعالم بينات الله وهداه والمواقف المطلوبة من المؤمنين في قضية كهذه . أليس سيقدم لك آيات وسترى ما يقدمه لك من الآيات تختلف تماماً عن رؤاه الشخصية التي هي انعكاس لضعف نفسه وخطأ رؤيته بالنسبة للواقع وتقييمه بالنسبة للواقع.

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا} (البقرة: من الآية١٦٠)لاحظ كيف هنا التوبة يبين للناس يقول: [إحنا حتى كلامنا السابق عندما كنا نقول ما كان يلزم ولا، ولا هي كانت غلطة]يبين للناس يحملهم على أن يتحركوا يبين البينات والهدى {فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: من الآية١٦٠) هذه واحدة مما يبين لك أهمية هدى الله وخطورة من يكتمونه على أنفسهم وعلى الأمة، ثم موضوع هدى الله بالشكل الذي عندما يكون هناك معاندين كما تحكي الآية الأخرى.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّار } (البقرة: من الآية١٦١) مثلما تقول لم يعد معهم عذر هدى كامل بينات كاملة وضوح كامل بلاغ مبين {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}(البقرة: من الآية١٦١) لأنه لم يعد هناك أي شيء يعتبر مبرراً لهم أو يكون لهم حجة على الله بمعنى من كفر بعد هذه البينات والهدى التي تعطي بصيرة، ومن كتم هذه البينات والهدى يستحق هذه اللعنة الشاملة والخطيرة { أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } .

إذاً فيجب في المقدمة أن نفهم أن دور العالم هو: أن يبين وأن احترامي للعالم واقتدائي بالعالم هو أنه يبين وليس فقط لأنه سيدي فلان هكذا أو سيدنا فلان وذهنيتي فيها شخصيته تلك بزيه المعروف.. لا. يجب أن تعرف مهمته، ومهمته: أن تعرف ما هي بالتحديد، يبين هدى الله يبين كتاب الله وأنه إذا لم يبين كتاب الله فإنه يشكل خطورة كبيرة على الأمة وليس فقط على نفسه؛ لهذا [الإمام زيد] جاء برسالة هامة جداً موجهة للعلماء لأن العالم إذا كتم البينات ولم يبين للناس فهو يمثل خطورة يمثل خطورة كبيرة جداً على البشر؛لأنه أحيانا قد يصرفك إذا ما زال هناك من يبين آيات الله هناك، قد يقول لك:[اتركه ذا عندك مشعب وذا عندك معه تطانين

ومعه كذا... وذا عندك سيدي فلان وسيدي فلان وسيدنا فلان والحاج فلان فلان هم ذولا ساكتين ما بيعملوا كذا..] أليس هو سيحاول يصرفك؛ لأنهم يعملون ـ مثلما حكى عن أهل الكتاب ـ تضليلاً على الناس... يشتغل ليصرفهم عنه، يعمل ليصرفهم عنه، مع أنه قد تقول في واقع المسألة أحيانا أنه قد يكفي من جانب العالم عندما يكون هو يرى من يتحرك لنصرة دين الله أن يعتبر أن ذلك يعمل عملا صالحا، فإذا أحد جاء يسأله يقول لهم: [تحركوا هناك اذهبوا مع أولئك والله يعينكم نحن لا نستطيع نحن ضعاف ولا لدينا خبرة ولا لدينا تدبير ولا خبرة ولا، ولا،] أو [قد أنا شيبة لم يعد باستطاعتي أتحرك وهذا عمل باهر...] .

يؤيد، يوجه الناس يتحركون مع من يتحرك ، هذه طريقة قد يكون بها أدى مسئوليته قد يكون بها فعلاً أدى مسئوليته وليس يحاول أن يثبط لأنه أحياناً ـ وهذه هي من نعمة الله على الناس بما فيهم العلماء ـ إذا كان هناك أحد من أعلام دين الله يتحرك هناك قد تتخفف المسئولية بالنسبة للعالم ، فهذه نعمة كبيرة ؛ لأنه من قبل من واجبه هو أن يتحرك ويبين، يبين، يبين.

إذا كان هناك من يقوم باللازم هنا سترى الموضوع بالنسبة لهم تخفيفاً تقريباً باعتبار سنّه باعتبار حالته باعتبار مكانته الإجتماعية ما يعرف كثيراً باعتبار قدراته وخبرته وأشياء كثيرة، لكن يستطيع يقول: اذهبوا هناك تحركوا هناك اذهبوا مع فلان تحركوا مع فلان، وهكذا، أليس هو هنا سيرتاح فعلاً إذا جاء أحد يسأله أو تحدث مع الناس أو طلب منه أحد من الناس أن يقول كلمة سيقولها، واستطاع ان يقي نفسه كثيراً من الأشياء التي يخافها؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقدم موضوع نصر دينه بالشكل الذي يمكن أن يشتغل فيه الناس جميعاً في مختلف الحالات التي هم فيها، إذا قد أصبح شيبة وهو عالم بكتاب الله فمسئوليته كبيرة جداً، تتلخص مسئوليته في الأخير بأنه يقول للناس: [اذهبوا هناك مع ذلك وقد هو يتحرك وجربوا أنتم وإياه وعسى الله يعينكم] كان هناك علماء بالنسبة لنا يقولون هذه ويعملون هذه فعلاً، كان بعضهم يعتذر أن ما لديه خبرة ونحن معك والله يعينك وشجعوا لنا الآخرين، كسيدي [إبراهيم الشهاري] رحمه الله وسيدي [محمد حسين شريف]رحمه الله وآخرين بالشكل هذا، يعتبر نفسه هنا بأنه قد هو في نفس الخط في نفس الإتجاه قد خرج عن المسئولية الخطيرة هذه، تلك المسئولية التي تعتبر خطيرة في حالة عندما لا يكون هناك من يتحرك، هي تعتبر أكبر وأخطر، عندما لا يكون هناك من يتحرك، هناك من يبين، تكون كبيرة، أي: تتناوله عيناً يعتبر كل واحد مسئولا.

هنا تجد الخطورة الكبيرة في مجرد كتم الحق، أما إذا ترافق معه تضليل أيضاً، أما هذه فتعتبر حالة رهيبة جداً جداً، ماذا بقي وراء أن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون على مجرد كتم أن يكتموا البينات والهدى ما يبينوها للناس، أما عندما يكتم ويقدم باطلاً ويقدم تضليلاً ويقدم ما يثبط الناس وما يقعد الناس وما يجعلهم ضحية لأعدائهم وأعداء دينهم، أما هذه فهي جريمة على جريمة قد تكون مثلما قال سابقاً: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} (البقرة: من الآية٩٠) كما قال في بني إسرائيل، نعوذ بالله.

تجد في المقابل أي عندما يكون كتم الحق جريمة كبيرة، فعندما لا يتحرك الناس للحق تعتبر جريمة كبيرة، عندما لا يتحرك الناس للحق بعدما يبين لهم الحق ويرشدون إلى طريق الحق وأساليب الحق فإنها تعتبر أنهم أوتوا حق ومعرفة حق ووقفوا، جمدوا، فتكون المسألة فعلاً شبيهة بموقف العالم الذي يكتم الحق؛ لأن معناه تجمد الحق، سواء تجمد وهو ما زال عند العالم أو تجمد في الساحة عند الناس، لم يرضوا أن ينطلقوا فيه لم يتحركوا فيه بأنفسهم وأموالهم وبأن يرشدوا بعضهم بعضاً، ويوصوا بعضهم بعضاً به وبالصبر عليه كما قال الله: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر: من الآية٣) ؛لأنه في الأخير افترض عالم من العلماء أو علماء انطلقوا ليبينوا الحق أليست تلك حالة أخرى يمكن أن يتجمد فيها الحق ولا يكون له أثر، أن يبينوا للناس الحق ولا يتحركون تكون هذه مثل معرفة العالم للحق وما يبين.

العالم يبين الحق والناس ينهضون بالحق يمتثلون به ويتواصون به وينهضون به وإلا قد تكون المسألة واحدة في العقوبة؛ لأنه في الأخير يتعسر التبيين إذا ما هناك من جانب الناس توجه ونهوض بالحق وأن يفهموا كما قلنا سابقاً أن الله عندما يقول هناك يتحركون في سبيله وينهضون بالحق ويتواصون بالحق وأساليب حق أنه يكون معهم يؤيدهم يثبتهم، هم ليسوا لوحدهم فقط يعملون في الساحة، إن الله هو مدبر شئون السموات والأرض. (ص١٣)

ـ أسلوب مهم في كيفية التمهيد للشيء:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} (البقرة: من الآية١٧٠) إذاً أليست هذه واحدة من مظاهر الندية هذه؟ قد تتخذ أباك نداً لله [ونحن ماشين بعد هذه الطريقة التي كان عليها الوالد وكان رجَّال باهر ومحترم ولن نسير في غير طريقه] {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} لأن أباك هو نفسه ملزم بأن يتبع ما أنزل الله ، أن يتبع ما أنزل الله هو، فعندما يقولون: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} وآباؤهم ليسوا على هدى الله، أليسوا هم قد جعلوا آباءهم أنداداً لله؟

{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة: من الآية١٧٠) أما عندما يكون آباؤك على طريقة حق وهدى فهو فخر لك وشرف عظيم لك مثلما قال نبي الله يوسف: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} (يوسف: من الآية٣٨) {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} (يوسف: من الآية٣٨) {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} (الحج: من الآية٧٨) {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} الأب إذا كان على طريقة هدى وحق فهو شرف لك وتذكر بطريقته أيضاً ، أعني: هو موضع أن يقال لك: امش على طريقته، أبوك كان كذا وكذا، كان إنساناً مؤمناً طيباً مهتدياً، كان إنسانا قويا في سبيل الله ، كان إنسانا يتحرك في سبيل الله، كان إنسانا بعيدا عن مجالسة المضللين والسفهان ، أليس هنا تذكير؟ تقدم في الآيات الأولى أن الله وهو يذكر موقع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب تذكير لهم لبني إسرائيل وبني إسماعيل وللناس الذين لهم علاقة بإبراهيم وهو يذكر تاريخ هذا الأب العظيم وأولئك الآباء العظماء: إسماعيل وإسحاق ويعقوب. في مقام التوجيه كمنهج. لاحظ كيف جاءت الآية بأسلوب جميل جداً وغير مثير يبدو غير مثير؛ لأنها قضية حساسة لم يأت يقول لهم اتركوا آباءكم لا تسيروا بعدهم! أليست هذه آية تعتبر منهجاً في التوجيه هناك؟

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً} (البقرة: من الآية١٦٨) لتعرف التوجيه الإلهي والتشريع الإلهي أنه طبيعي، لا يمكن أنه أنت ستعيش في حالة شقاء وتحرم كثير من طيبات هذه الحياة فلا تأكل لحماً ولا رزاً ولا [خضرة] ولا أي حاجة وإنما فقط [قرص يابس] مع الملح مثلاً، ليست بالشكل هذا، كذلك يقول: {وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة: من الآية١٦٨) ثم يقول بعدها بعبارة أخرى: {وَمِنَ النَّاسِ} (البقرة: من الآية١٦٥) قد مهد لها من البداية من عند{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً} (البقرة: من الآية١٦٥) تصل المسألة إلى هنا قد أنت قريب في ذهنيتك أنه عندما ترى والدك يصرفك عن طريقة حق هنا قدمت القضية بشكل هام جداً ومؤثر جداً على نفسيتك يكون أكثر من ماذا؟ مما تثيره حساسية التسلسل في النسب أو العاطفة الأبوية أو عاطفة القرابة قد صار عندك قدرة على أنك فعلاً لا تسير بعد والدك إذا كان لا يسير على هدى الله وهو يصرفك عن هدى الله ، قدمها بطريقة عرضية {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة:١٧٠)

إذاً ماذا سأفهم منها ويفهم كل واحد بأن لا أسير وراء أبي إذا كانت توجيهاته تصرفني عما أنزل الله ، أليست هكذا لو تقدم العبارة؟ من أول يوم بهذا الشكل ستكون مثيرة وحساسة ، إذاً هذا من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالتوجيه للناس ، أي هذه طريقة من طرق{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة:١٤٧)

أن يوجهك توجيه حق ، لاحظ كيف يقدمه بطريقة سهلة عليك أن تصل إليها وهو أن تبتعد عن أبيك أو عمك أو أمك إذا كانت طريقتها ليست طريقة حق .

لو قال: لا تتبعوا آباءكم فإن آباءكم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، أليست هذه ستكون مثيرة؟ أسلوب حكيم جداً ورائع جداً ومؤثر ، فيجب أن نفهم هذا الأسلوب في ماذا؟ في عملنا نحن هذا مع الناس كيف تقدم الشيء، كيف تمهد للشيء بتعبيرك بأسلوبك. (ص٢١)

ـ أسلوب القرآن في تقديم التشريعات:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (البقرة:١٧٢) نفس الأسلوب الجميل لأنه سيأتي بعده بقائمة ماذا؟ محرمات يأتي بعبارة في موضوع سرد محرمات بعبارة تقليلية: إنما حرم عليكم كذا كذا ، يأتي بعبارة واسعة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً} (البقرة: من الآية١٦٨) بعدها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} (البقرة: من الآية١٧٣)

أليس هنا العبارة تقليلية يعني هذا أسلوب رائع جداً {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} (البقرة: من الآية١٧٣) لاحظ الفارق الكبير بين الأسلوب القرآني وبين أسلوب [كتب الفقه] ، يأتي مثلاً يسرد لك من هناك يقول: اتركوا آباءكم، آباؤكم لا هم مهتدين ولا هم كذا ، لا تأكل لحم كذا ، وابتعد عن كذا ، وابتعد عن كذا ، واترك كذا ، وإذا أنت ترى بأنه في الأخير وكأنه يعطلك من كل شيء نترك آباءنا ونبتعد عن كل شيء من مظاهر الحياة هذه ،يكون لديه قائمة! لم يقدم بهذا السرد يأتي بعبارة واسعة{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} (البقرة: من الآية١٧٢) واسعة جداً ، نسبة المحرمات هي قليلة جداً في القائمة التي أحلها الله وأباحها للناس من الطيبات واسعة جداً ، لكن لاحظ كيف أنه مهم جداً أن يأتي بهذا الأسلوب هنا ؛ لأنه سيكون البديل قائمة من المنهيات والممنوعات: ولا ، ولا ، ولا ، ولا. في الأخير يتصور الواحد بأن هذا الدين حمل ، [لاحظ كم فيه من لاءات ، لا تقرب كذا ولا ، ولا ...إلى آخره] يمزجها ؛ ولهذا الفارق كبير جداً بين أن تتناول آيات في موضوع معين تفرزها عن القرآن خارج على طريقة الفهارس الموضوعية ، إذا أراد أحد يستخلص موضوعاً هناك بمفرده لا، فالآيات هناك لوحدها تفقد أنت أشياء كثيرة هامة جداً عندما ترجع لها في مواضعها.

يقول: لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير كم نسبة هذه من قائمة الطيبات طيبات ما رزقناكم؟ أليست كثيرة؟ أليس هنا أنت ستتقبل كما تتقبل في موضوع الهداية بذلك الأسلوب؟{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} ألم يأتِ به هنا بأسلوب يجعلك أنت تفهم بأنه غالط هذا أي أنا غالط إذا عملت مثله.

مثل الأسلوب الآخر في ماذا؟ في التضحية في سبيله{وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:١٥٤) قدم لك موضوعاً هاماً جداً هناك تتشوق أنت إليه ، فلو جاء من هناك اقتلوا أنفسكم وستكونون أحياءً بالعبارات التي هي عبارات جافة على طريقة كتب الفقه أو على طريقة المقننين في القوانين قوانين جافة ، هذا أسلوب رحيم ؛ لأن الله يقول في القرآن الكريم من أوله ما كل سورة تبدأ بـ{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}؟ إن من رحمته أنه يجعلك تصل إلى الشيء بسهولة ، يقرب لك المسألة ، يدفعك إليها وتتقبلها بسهولة ، أي فيها مراعاة حتى لا يصدمك بقضية كذا تنفر منها ، يحاول يقربك إلى الموضوع بسهولة. (ص٢٢)

ـ أسلوب القرآن في التشويق والتمهيد لقبول المسألة ذهنياً:

هنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } (البقرة: من الآية١٨٣) قد تقدم قبله حديث عن الصبر عن كذا أسلوب معين في مجال التمهيد لقبول المسألة ذهنياً لو يقول: يا أيها الذين كتب عليكم الصيام شهر رمضان من أول يوم

لكان ثقيلاً على النفس، لكن لا. لاحظ كيف هي تساق بعبارات أحكام تفصيلية قبل أن يذكر الرقم الذي هو شهر، أول شيء أيام معدودات مقبولة، أليست مقبولة ذهنياً أيام معدودات؟ يبين أحكاما تفصيلية حتى يبين أن الصيام هذا ليس مرهقاً{أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} (البقرة: من الآية١٨٤) أي عندما يصوم لا يصوم إلا بجهد جهيد لأن التشريع هو دون الطاقة{يُطِيقُونَهُ} أي يصوم لكن بإجهاد بجهد جهيد لنفسه باعتبار وضعية البدن، وليس باعتبار أعمال إضافية أن تجهد نفسك بأعمال أخرى باعتبار وضعيتك أنت بنيتك الجسمية فهنا يقول:{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} يعني الصيام هذا ليس مرهقاً لازم تصوم حتى وإن كنت لا تطيق إلا بمشقة، يطيقونه: يعني بإمكانهم أن يصوموا لكن بصعوبة بالغة بالنسبة له، فبإمكانه يفطر ويكفّر.

هنا مقبول بعدها أن يقول: شهر رمضان أليس هو مقبولاً؟ لو يأتي من البداية كتب عليكم الصيام شهر، قبل أن يبين كيف الصيام وكيف الإستثناءات بالنسبة له أنه: إذا كان واحد مسافر أو مريض أو لا يستطيع إلا بصعوبة بالغة أن يصوم باعتبار الحالة التي هو فيها فيمكن أن يفطر ويكفر عن كل يوم إطعام مسكين ويأتي بقضية تشمل هذه يكون وفق القاعدة الإلهية في ماذا؟ في تسهيل تقديم التشريع، هذه قضية أساسية ، قاعدة أساسية.

لا أعتقد أنه صحيح أنه كان هناك صيام أيام معينة ثم بعدها يصومون، قال لهم:{شَهْرُ رَمَضَانَ} لا أعتقد، هذا موضوع روايات أخرى، الآية سياق واحد، من{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} لاحظ التمهيد التشريعي هنا:{كَمَا كُتِبَ} وليست قضية أنتم مختصون بها ما دام قد صاموا أناس قبلنا، إذاً باستطاعتنا أن نصوم {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٨٣) فيه فوائد بالنسبة لكم كثيرة تجعلكم متقين {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) أياما معدودات يمكن تكون عشرا يمكن تكون ثلاثين، يمكن تكون أربعين، أليست هكذا؟ ويمكن تكون خمسة أيام معدودات، لا يدري أحد كم هي، تبدو القضية مسهلة.

{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) قبل أن يقول بالرقم {شَهْرُ رَمَضَانَ} شهر من أول يوم، قبل أن يأتي بهذه الأشياء يكون فيه نوع من الصعوبة، صعوبة القابلية في الإنسجام في الذهنية لا تكون أنت ترى القرآن والتشريع الإلهي أمامك أرقاما كبيرة، أرقاما مجهدة في مقامات كثيرة متعددة؛ لأن التشريع تناول أشياء كثيرة جداً الأطعمة والأشربة المنكوحات الملبوسات الأعمال البدنية كالصيام، جانب مالي إنفاق وأشياء من هذه، لكن تلاحظ كيف، وهذه من حكمة القرآن أنه جاء في المجتمع العربي، ألم يستطع أن ينقلهم إلى قابليته؟ بينما الأسلوب الفقهي الذي قدّم أصبح بالشكل الذي لم يعد بالإمكان إنزاله في كثير من أسلوبه، أسلوب جاف أسلوب بعيد عن أن يكون له قابلية هذا أسلوب راقي جداً ولا يخرج عن القاعدة الإلهية: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة: من الآية٦)

حتى في عملية تقبل الدين وهو يوجه التشريع أمكن أن يشرع في مختلف المجالات وقبله العرب، أليس هذا يعتبر من المعجزة لهذا الدين؟ أن يقبله العرب هم، وهم ليسو شعباً متحضراً وهم أناس قاسين وجافين وبدائيين في الجزيرة العربية كانوا هكذا وقبلوه، وقبلوا الأشياء العالية فيه، الجهاد نفسه ألم ينطلقوا يجاهدون؟.

{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} (البقرة: من الآية١٨٤) إذاً ما هنا الصيام قد أصبح سهلاً افترض أنه يطلع أربعين يوماً وقد أصبح هكذا {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} (البقرة: من الآية١٨٤) في موضوع الإطعام{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية١٨٤) يكون فيه فوائد هامة قد يكون من الناحية الصحية ربما ينفع قد يجهدك يومين ثلاثة أو خمسة أيام لكن يكون له أثر فيما يتعلق بصحة بدنك، التي جعلت الصيام في الأيام الأولى مرهقة نوعا ما{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} والصيام بشكل عام هو خير لكم مع أنه قال

هناك: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ} هنا مناسب يقول: {خَيْرٌ لَكُمْ} إذاً قد أنت تحب أن تعرف كمّا هو وتصوم {شَهْرُ رَمَضَانَ} (البقرة: من الآية١٨٥)

كذلك يتحدث عن شهر رمضان أيضاً بالمناسبة المهمة التي تجعلك تتقبل أن تصوم هذا الشهر هو ماذا؟ أنه {الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: من الآية١٨٥) إذاً نصوم مناسبة عظيمة وتكريم لهذا القرآن، إذاً فالصيام جاء على هذا النحو، ما هناك قضية صيام يوم معين، عاشوراء، ثم تنقل إلى كذا هذا فيه روايات أخرى.

ولا يحتاج إلى تقديرات متعددة، معناها لا يطيقونه، ومعناها كذا.. يطيق صيامه، لكن يطيق بأقصى جهد لديه، مسموح له أن يفطر باعتبار وضعيته [وليس باعتبار أعماله يأتي واحد يجمع له أعمال صعبة في رمضان في الأخير يقول: لم نعد نطيق، لا.] يفطر ويكفّر ويقول: بعدها في نفس الوقت - لاحظ التسهيلات من قبل ومن بعد - {شَهْرُ رَمَضَانَ} فيثني على هذا الشهر يشوقك إلى أن تصومه {الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} يبين أن هذا الشهر جدير بأن يصام وأن يكون محطة للعبادة الهامة؛ لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن والصيام له علاقة بأعظم شيء أنت تقدسه وهو القرآن الكريم، مما جاء من عند الله.

{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) إذاً أليس الصيام سهلا جداً هنا:- شهر - بالأسلوب هذا الرائع العالي فعلاً.

يتحدث عن الصيام وعن هذا الشهر شهر رمضان أنه محط للسؤال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} (البقرة: من الآية١٨٦) وهذه في محلها أيضاً ذكر أن الباري يقدم مثلما قال هناك: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} (البقرة: من الآية٥٧) يأتي هنا يبرز في الصورة بأنه أيضاً أنتم قد عرض عليكم موسم معين هو من أفضل المواسم للدعاء {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي} (البقرة: من الآية١٨٦) يستجيبون لي عندما أهديهم وأشرع لهم في كل ما قدم {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) فليؤمنوا بي لعلهم يرشدون. (ص٣١)

[سورة البقرة - الدرس التاسع]

- الاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد:

{فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} أي كل ما دعانا إليه نستجيب له فيه، الاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} لأن كلمة: {يَرْشُدُونَ} كلمة واسعة، في كل حركتهم في الحياة، في حركتهم في سبيل إقامة دين الله، في كل أمورهم، رشد في الدنيا، للدنيا وللآخرة.

لا تأتي الاستجابة الجزئية إلا بسبب ضعف في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولهذا قد يعدل الكثير من الناس مستعد أن يصلي، لأن الصلاة لا تمثل خطورة بالنسبة له، و ربما لو وصل الحالة أن تصبح الصلاة خطيرة لتجنب الصلاة ويقول: يصلي على الحالة وبأي طريقة ! وهكذا ! القضايا الأخرى التي يراها وكأنها تبدوا صعبة سببها ضعف، أو عدم فهم لما يجب أن تكون عليه في نظرتك أمام كل ما تهدى إليه، وكلما تدعي إليه الآية {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) .

يجب أن تفرح، ولاحظ الناس الذين هم فاهمون فعلاً القضية هذه كيف قال الإمام علي في موضوع الجهاد الذي يعتبره الناس مشكلة ومصيبة وحِمل قال: ((أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة لله لخاصة أوليائه)) أليس معنى هذه بأنه شيء عظيم جداً ؟ فعندما لا تكون هذه النظرة موجودة عند الإنسان ستكون القضية

معكوسة عنده، مشكلة، ومصيبة. عندما يكون إيمانه ضعيفاً بالله تكون استجابته جزئية لأن معناه: أنه ليس واعياً بما يترتب عليه إيمانه: بان الله قوي عزيز.

ألم يقل الله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠). عنده [والله أما هذا لا نستطيع ولا جهدنا.. نحاول نستجيب في الأشياء التي تبدوا سهلة] لكن الله سبحانه وتعالى كما نقول أكثر من مرة قلنا: يجب على كل واحد أن يفهم أنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، لا يمكن أحكم على شيء، لا يمكن يعمل مثلما يقولون: [يدخل الجنة بحيلة] يتحيل ودخل الجنة! الجنة معها مقارب، لكن ليس فيها حيل، يقول واحد: [يمكن يجمع له حسنات من أطراف] هذه التي ليس فيها خطورة، ولا فيها بذل لأنفس، ولا لمال، ولا خوف، ولا هناك ربط قبولها بالأعمال الأخرى، تكون أنت صفر في الأخير، لا يوجد معك شيء..

هنا أمكن لواحد يتحيل على الباري؟ أمكن أن يكون ذكياً أمام الله؟ لا. وإلا ستكون حيلة كبيرة. يقول: [لا نستطيع، سنحاول، المهم الجنة، سنحاول نجمع لنا حسنات من هنا، ونتوكل، ونترك أولئك يجاهدون هم ويتعبون، وسنلتقي في الجنة، ويكونون قد تعبوا ونحن دخلنا ولا لقينا أي عناء، ولا لقينا أي تعب] ألا تكون هذه حيلة كبيرة؟ لا يمكن. (ص٤)

ـ توطين النفس على الاستجابة لله:

توطين النفس على الاستجابة لله، وعمل الإنسان، واهتمامه بأن يعرف الله معرفة واسعة قضية أساسية في أن يكون راشداً، سواء أنت كنت عالماً، أو كنت متعلماً، أو كنت من عامة الناس. فمن يتجه لإرشاد الناس وهو بهذه الحالة: الاستجابة الجزئية، فليتأكد بأنه لا يصح أن يسمي نفسه مرشداً، ولا يصح أن يسميه الناس مرشداً. فعلاً هذا ليس مرشداً، هو يرشد إلى أشياء لن تنفق! هل هذا مرشد؟ هو يرشدك في الأخير إلى أشياء لن تنفق له إلا بالأخرى، هو في نفسه لا يسترشد، لا يهتدي، وإنما فقط يمكن أن يسمي نفسه مرشداً، يسمي نفسه عالماً، يسمي نفسه معلماً، الآخرون كذلك يسمونه! لكن هنا {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: من الآية١٨٦) فتكون مرشداً حقيقة عندما ترشد، وتسترشد حقيقة، عندما تسمع مرشداً، عندما تسمع شيئاً من هدى الله هنا ستستفيد. (ص٥)

ـ سهولة التشريع فيما يتعلق برسم حدود الله:

تجد سهولة التشريع فيما يتعلق برسم حدود الله، عندما يقول هنا: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} (البقرة: من الآية١٨٧). هذه علامة واضحة لكل الناس، لكل الناس في عبارة واحدة. {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} (البقرة: من الآية١٨٧). ألم ينته تحديد بداية الصيام وانتهائه بكل سهولة، وبأسلوب يعرفه الناس. عندما نقول: نريد الناس يقروا، هو هذا المقرأ لكل الناس هي هذه الآية هو هذا المقرأ، هذا هو التعليم، وليس أن تقول: لازم الكتاب الفلاني الذي هو هناك ملان مسائل كثيرة لما تضيع الحدود الحقيقة.

الله جعل الأشياء بالشكل الذي يستطيع الناس أن يفهموها ويميزوها، الناس يعرفون الليل، هل يوجد أحد لا يعرف الليل؟ ويعرفون الفجر عندما يطلع الفجر {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}. نور الفجر مع بقايا الليل. لهذا قال في الأخير: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٨٧). لأن التقوى أن يكونوا متقين يحتاجون إلى بيان فلتكن الحدود بينة فبينها ليتمكنوا من أن يتقوه، يكونون متقين، قد تكون بعض الروايات غير صحيحة عندما يقولون: [أنه واحد من الناس عمل له خيط أبيض وخيط أسود]. والقرآن عربي والناس عرب وفاهمين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم قال: [فنزلت: من الفجر] هذا ليس أسلوباً صحيحاً، ينزل لك ربع آية أو فقرة من آية، وهو هنا يقول كسنة لديه سبحانه وتعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (البقرة: من الآية١٨٧) كيف يقول: خيط أبيض وخيط أسود تجلس تراقب خيوطك

حتى يظهر لك الخيط الأبيض ؟ أليست هذه قضية صعبة ودقيقة ؟ تحتاج أولاً تجلس آخر الليل وتعمل لك اثنين خيوط وتراقب متى يتميز لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى قال لهم: {مِنَ الْفَجْرِ} وهنا اتضح لهم أن ذلك الخيط المعترض خيط الفجر الذي هو خيط أبيض مع بقايا الليل التي تبدوا وكأنها خيط أسود!.
عبارة [كذلك] هي توحي بسنة: أنه هكذا سنة الله، أنه يبين آياته للناس لعلهم يتمكنون وبسهولة من معرفة حدوده، فيكونون متقين له. لن تجلس قضية عويصة على الناس أنه متى نفطر بالتحديد، وأخذ، ورد، وأناس معهم روايات عند غروب الشمس عندما يسقط القرص أفطر، عندما تغرب أفطر لا. هنا يقول: {إِلَى اللَّيْلِ}.
والليل معروف في آيات أخرى هناك يبين أن الليل هو ظلام أليس هو ظلام ؟ الليل يتميز عن النهار تماماً {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} (يس:٣٧). (ص٨)

ـ لا تطغى روحية التساؤل على روحية التفهم:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩). أليس هذا سؤالاً جديداً ؟ هل هي قضية هامة بالنسبة للأهلة ؟ أي لماذا الهلال هكذا معقوفاً ؟ ولماذا كل شهر معه هلال معقوف ؟ هم عارفون فيما يتعلق بالفائدة من الهلال هو أنه ماذا ؟ مواقيت للناس في بداية الشهر، قضية معروفة عندهم. السؤال عن: لماذا الهلال بهذا الشكل ؟ هذه قضية ليس الناس بحاجة إليها. في نفس الوقت القرآن الكريم ورسول الله صلوات الله عليه وعلى آله فيما هي قضية هامة هو سيتحدث عنها، يقبلون الحاصل، يتفهمون الحاصل [وكثر الله خيرهم] بدل البحث عن أشياء أخرى.
{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} (البقرة: من الآية١٨٩) كيف كانت الإجابة ؟ ألم ينصرف عن الإجابة التي يريدونها هم ؟{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} (البقرة: من الآية١٨٩) هدى الله سبحانه وتعالى يقدم بالشكل الذي يكون واسعاً جداً المطلوب هو: أن تتفهم، ولأنه قضية معينة، قد تكون في مرحلة معينة، في وقت معين ليست هامة، متى ما أصبحت هامة سيأتي بيانها، سيبينها. التساؤلات عندما يعود الإنسان نفسيته على التساؤلات، لا. عود نفسك على أن تتفهم أكثر، وتصغي أكثر، وتسمع أكثر.
لاحظ كيف الآيات تختم كثيراً منها بكلمة{تعقلون. تفقهون. تذكرون. تبصرون. تسمعون} هكذا لا يوجد [لعلكم تسألون، لعلكم تتساءلون]، لا يوجد [لعلكم تناقشون، لعلكم تجادلون]. لأن الله سبحانه وتعالى أعطى هدى واسعاً، والإنسان إذا لم يعود نفسه على هذه الحالة، على أن يعقل، يفقه، يفهم، يصغي، يكون البديل عن هذا روحية تساؤل، روحية تساؤل، فتكون هذه في الأخير بالشكل الذي تضرب نفسيتك، سيجهل أشياء كثيرة هي هامة وهو باحث بعد تساؤلات هي لا تشكل قضية في الواقع، مثلاً لاحظ عندما تأتي إلى ما حصل ممن تساءلوا {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}؟ (البقرة: من الآية١٨٩) لو أنهم ركزوا بشكل كبير [يوم الغدير] عندما قال لهم: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) فرفضوا أي شخص يحاول أن يقفز على ولاية أمر الأمة غير من عينة الرسول لأنهم فاهمون، فاهمون أهمية الموضوع، متعودون من قبل على أن يركزوا على ماذا ؟ أن يتفهموا، يصغوا، يعقلوا، يتذكروا. لجنبوا الأمة الحالة السيئة التي وصلت فيها، والضلال الكبير بدلاً عن السؤال عن الأهلة ! نسألهم لماذا لم تفهموا بالشكل المطلوب ؟ وتستقيموا وتثبتوا على التوجيه الذي قدم لكم على أعلى مستوى عندما عاد رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله من الحج ؟.
قضية ثابتة ومعروفة عند الناس صعد من فوق أقتاب الإبل ويرفع يد الإمام علي وبعد خطبة طويلة:((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)). هذه هي القضية الهامة التي لو فهموها، أهم من أن يعرف الهلال لماذا هو معقوف ؟ أليسوا هنا جعلوا الأمة معقوفة ؟ ضعفت الأمة، ضعفت، ضعفت إلى أن تحولت مثل الهلال المعقوف، كان المفروض أن يتفهموا بدلاً من أن يشغلوا ذهنيتهم عن الأهلة. ولأن من المعلوم أن هداة الناس يكونون هم حريصين على الناس أكثر من أنفسهم، حريصين على أن

يتفهموا أكثر، وأن يعرفوا أكثر، وأن يستبصروا أكثر، أكثر من أنفسهم هم، لأنه ما هي الإشكالية التي حصلت عند بني إسرائيل ؟ ألم يكن هناك هدى بالشكل الذي يغطي كل الأشياء التي في أذهانهم، الخلل جاء من عندهم هم، روحية التساؤلات [ما لونها] وأشياء من هذه، ضيعتهم في الأخير، تساؤلات حتى عن أصحاب الكهف، كم هم؟ هل ثلاثة ورابعهم كلبهم، أو خمسة وسادسهم كلبهم وهكذا؟!.

الإنسان يعود نفسه بعد أن يفهم أعني: يجب أن تفهم أنت منهجية المعرفة، لا تعتقد أن المعرفة معناها أنه في يوم واحد، أو في شهر واحد، شهر واحد يجب أن تعرف كل شيء، هذه هي منهجية غير صحيحة حتى ولو من الناحية العلمية السائدة الآن في الدنيا: أن أهم مصدر في المعرفة هو ما يسمى بالبحث العلمي أن المعرفة تأتي ضمن مسيرة، ضمن حركة، تأتي المعرفة بهذا الشكل، فعندما تتسع دائرة مهام الناس، تتسع ماذا ؟ شعورهم بأنهم بحاجة إلى هذا، وبحاجة إلى معرفة هذا، فيكونون أقرب إلى أن يعرفوه، وتكون معرفتهم هذه بالشكل الذي يستطيعون أن يستفيدوا من خلال معرفتهم له، فتنموا معرفتهم في نفس الوقت، أما مجرد أنك تريد تعرف كل شيء، كل شيء في شهر واحد هذا لا يحصل، ولا للأنبياء أنفسهم لماذا ؟ لأنه ليست هذه الطريقة الطبيعية للمعرفة.

هنا في البلدان العربية قد يكون مثلاً في بعض المناهج أو حتى كتب في المكتبات تتحدث معك عن القمر، وعن الفضاء، وعن الأشياء هذه، لكن أنت تقرؤها ما الذي تستفيد منها في الأخير ؟ بينما الآخرون هي نتائج من بحثهم العلمي، من معارفهم العملية، أليست هي نتيجة أعمال ؟ أو فقط مجرد نظريات هناك ؟ ما الذي أوصلهم إلى أن يصلوا إلى الحالة هذه ؟ إنهم يفكرون إلى أن يسافروا إلى الكواكب وإلى القمر؟ مهام عملية مهام عملية تتوسع دائرة مهامهم، شؤونهم كدولة، قضايا الصراع مع الآخرين، تطورهم العلمي هنا جعلهم يفكرون عملياً في أنهم يستخدمون أشياء أخرى، أو يستفيدون من أشياء أخرى. فعندما يطلعون إلى الفضاء، لا يطلعون إلى الفضاء مجرد رحلة فقط، لأجل يعرفون القمر، هل هي مكوراً أو هي تضيء هي، أو هي تضيء من هناك! مهام عملية، بحث. ولهذا يقول البعض: بأن أول فكرة لديهم في أن يطلعوا الفضاء كان منشؤها أثناء الصراع بينهم وبين [الإتحاد السوفيتي] ودول أخرى أنه إذا بالإمكان أن تكون منصة لإطلاق الصواريخ إلى الأرض. هذا أول دافع أليس دافعاً عملياً ؟

إذاً فهذه قضية أساسية في المعرفة، ومتى ما جاء الشيء في وقته، متى ما جاء الشيء ممتزج بروح عملية، وتحرك عملي، يكون بالشكل الذي يفيد معارف هو، إذا كان مجرد نظرية سيبقى مجرد نظرية لا تستطيع أن تتوسع فيها حتى أنت عندما تقرأ هنا عن الفضاء، وعن صعود الأمريكيين، أو السوفيت إلى المريخ، وإلى القمر هل تستطيع أن تزيد في النظرية هذه؟ أو تنتظر فقط ما يأتي من جانبهم من خلال ماذا؟ من خلال اكتشافاتهم هم التي هي عملية، أليست عملية؟ تنظر فيها ولا تستطيع تزيد، ولا أطروحة واحدة تقرأ، وتتجادل أنت والآخرون فقط، جدل وأخذ ورد وترديد، لن تستطيع أن تزيد ولا تنقص لماذا؟ لأنه هذا الموضوع أنت بعيد عنه ليس لك علاقة به، ليس لك علاقة عملية به أعنى: ما أنت في واقعك، في حركتك بالشكل الذي تتحرك فيه، بالشكل الذي تعرف أنت من خلال عملك، ولا تنتظر فقط ما سيأتي من عند الآخرين، عندما يرحلون مرة ثانية، ومرة ثالثة وهكذا .

العبارة هنا تبدوا مقدمة، وفيها نوع ما يسمى: الإستخفاف بالقضية هذه . {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}(البقرة: من الآية١٨٩) **يعني: ليس هي قضية في الواقع، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ}**(البقرة: من الآية١٨٩) **. القاعدة من أساسها لا تعني: بأن الله لا يريد للناس أن يعلموا، إنما كيف يعرفون أن يعرفوا، أن يتعلموا كيف يتعلمون، أن يعرفوا أن للمعرفة منهجية، أن تكون مرتبطة بحركتهم العملية، تتوسع معارفهم، وتتوسع مهامهم، تستوعب ربما أكثر مما استوعبه الآخرون، ألم تصل معارفهم إلى أن يستفيدوا من الشمس، يستفيدوا منها ويحولوها إلى طاقة تغذي المركبات الفضائية والأقمار وتغذي حتى المنازل الطاقة الكهربائية حولوا الأشعة نفسها إلى طاقة تغذي المركبات**

الفضائية والأقمار بالطاقة الكهربائية ، الأشعة نفسها حولوها إلى طاقة كهربائية، هم يتساءلون عن أشياء، هم في الواقع ليسوا في حاجة إليها، وهم في الواقع لديهم ممارسات غريبة منها: أنهم عندما يعودون من الحج يأتون بيوتهم من فوق، لا أدري من أين جاءت لهم هذه؟! أعني: كيف منشأها؟ لا يدخل من الباب، ما كان من المفروض على الأقل إذا كان سيسأل يسأل هل ندخل من الباب؟ هل الدخول من الباب لا يمثل أي مشكلة أو ندخل من فوق البيت ؟ وليس عن الأهلة، وهم ما زالوا يدخلون من فوق البيت عندما يعودون من الحج.

{قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(البقرة: من الآية١٨٩) هنا يبين كمنهجية للناس أي: أنت مرشد، أو معلم، أو حتى مناظر، أو في حوار مع الآخرين، لا يكن معناه أن موقفك أنه يسأل وأنت تجاوب على كل قضية بالتحديد، ومقارعة التي يسمونها: مقارعة الحجة بالحجة كذا. لا. قد يكون الموضوع، لا. إصرفه ليست قضية. هل كانت الإجابة من جانب رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله: أن يأتي إلى الأهلة، كيف يصل الهلال إلى أن يصبح هلال، أو أنصرف عن الموضوع إلى ما هو عملي، وإلى ما هم بحاجة إلى معرفته، مواقيت للناس والحج، وهم عارفون له من قبل {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}(البقرة: من الآية١٨٩). أليست هذه معناها عملية صرف؟ انصراف عن أسئلة من هذا النوع .(ص١٠)

ـ أهمية اعتماد الناس على أنفسهم:

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(البقرة: من الآية١٩٥). هذا الكلام السابق أليس حول الجهاد؟ وحول القتال؟ شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل، التمويل من أين يأتي ؟ هل وجه المسلمين إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى؟ وأن يتجهوا للفرس، أو إلى الروم، أو إلى أي دولة أخرى تساندهم؟ لا. ينطلقون هم، فالمقاتلون أنفسهم، المجتمع المسلم هو يمول نفسه، وهذه القضية هامة جداً، لا يقوم الدين إلا بها، لا يقوم الدين إلا على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقاً من داخل نفس الذين هم يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع المسلم نفسه، الموجه إليه هذه المسئولية، بأن يقاتل في سبيل الله، لأنه يحصل استقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله، ولا تكون مدينة لأي طرف آخر نهائياً، لأن أي طرف آخر لا يقدم شيئاً إلا بثمنه، ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية، بالنسبة للمجتمع المسلم، وللأمة عندما تبني على هذا الأساس، تصبح أمة هي واثقة بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، فتستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعداءها.

لكن إذا كانت القضية: أنهم هم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج، لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك.. في مصلحته أن يساعدك، لأن له موقفا من الطرف الذي أنت تقاتله، لكن هنا لها أثر سلبي كبير، فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين، المجتمع بكله، سيعتبرون الانتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا تقوم على أساس أنك أنت تكون متوجها إلى الله دائماً.. دائماً. ولهذا عندما تنفق، أنت تنفق في سبيل الله، من أجل الله، وتقاتل من أجل الله، وتتلمس النصر الذي هو من عند الله، فتكون مرتبطاً بالله، لا تأتي في الأخير تجعل سبب النصر، وفضيلة الانتصارات بسبب الطرف الآخر الذي هو دولة أخرى، أو جهة أخرى.

هنا لو يحصل موقف آخر ربما تتلفت من الذي يمكن أن يساعدك، ولو على حساب أن تقدم تنازلات من دينك، يأتي حالة أنت لا تجد فيها طرف يمكن أن يساعدك، تنهزم من أول يوم، مثلما حصل للعرب الآن، تلفتوا الآن، بحثوا عن روسياً، فرنسا، الصين، لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي سابقاً، استسلموا من أول يوم!، ألم يستسلموا من أول يوم؟ هذه عملية تربوية هامة جداً جداً: أن دين الله بنى الأمة بناءاً، استقلالية تكون هي معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، وتطور هي قدراتها، انتصاراتها تحسب لها، وتراها أنها من الله، وليس من الطرف الآخر الذي يساندها.

أمة على هذا النحو تستطيع باستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، ولا تكون مدينة لأي طرف في نفس الوقت، من إيجابيات هذه التربية: أنها لا تصبح مدينة لطرف آخر . لأن الدين هو مهمة عالمية، فهل من الناحية الأخلاقية، هل هو مقبول أن تأخذ من الفرس مساعدات، لأنك تقاتل الروم، وأنت تعرف أن هذا الدين يجب أن يدين به الفرس، ويجب أن تدعوهم إليه فتقاتلهم متى ما اتجهوا ليصدوا عنه، سيكون معناه في الأخير: بأنه هذا الدين يمكن أن يخادع، تقول لطرف من الأطراف، يساعدك، ويعينك حتى تنتهي، وتفرغ من قتال الطرف الآخر، وفي الأخير ترجع عليه عندما تكون قوياً.

هذه ليست من أخلاق الدين، وليست قضية أخلاقية، ولا من الناحية الإنسانية. فلئلا تكون الأمة مدينة لأي طرف آخر يجب أن يصل هذا الدين إليه، ستصل إليه. أن يرى الآخر: أن هذه هي نفسها تستطيع أن تواجه، مواقفها قوية، فعندما تصل إليه أنت، لن ينظر إذا ما لديك طرف آخر سيقيم الوضعية، فإذا ما هناك طرف آخر يساعدك سيكون متجرئا عليك، يعرف أنها أمة معتمدة على نفسها، وهي التي انتصرت على ذلك الطرف، وانتصرت على الطرف الآخر. فبالتأكيد سيكون هناك فيما يتعلق بهذا الطرف الذي تصل إليه أنت بالدين؟ يحاول أنه لا يتجرأ عليك في نفس الوقت، ولا ينظر للأمة نظرة أنها في وضعية مستضعفة لأنه ليس هناك طرف آخر يساندها.

فهي حالة مهمة جداً جداً، ولهذا قلنا: أنه يجب أن يكون الناس في عملهم هذا، مهما كان عملاً بسيطاً.. مهما كان عملاً بسيطاً، يجب أن لا نتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدى الله، أنه يجب أن نتحرك على أساسه ، لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أي طرف على الإطلاق، لا طرف داخلي ولا خارجي، ولأن الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا في سبيل الله، أن الله يجعل فيها بركة.. يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشدون إلى الله، وتعظم علاقتهم بالله، لأن الجهاد نفسه هو يعتبر من أهم الأشياء في مقام معرفة الله، لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، وبحاجة إلى نصر، وبحاجة إلى تأييد، وبحاجة إلى عون، وبحاجة إلى كذا.. يكونون دائمي الالتجاء إلى الله، وهم يتلمسون في الميدان السند الإلهي، والدعم الإلهي، والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله، هذه الحالة تنسف تماماً إذا ما كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى، إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى.(ص١٦)

[سورة البقرة ـ الدرس العاشر]

ـ تقديم التشريع مترابط منهجية قرآنية:

نجد في ترتيب آيات القرآن الكريم الشيء العجيب، والشيء المهم في نفس الوقت، تارة يتحدث عن الجهاد، وتارة يتحدث عن الإنفاق، وتارة يتحدث عن أشياء في مجال الهداية، توجيهات تربوية معينة، وأحياناً يتناول تشريعات معينه فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بأشياء نهى عنها، كشرب الخمر، وغير ذلك .

هذه تعطي نظرة هامة جداً وهو: أن التشريع مترابط، أن الأشياء لها علاقة ببعضها بعض، كل تشريعات الله سبحانه وتعالى، ما كانت تشريعات على هذا النحو تتعلق بمعاملات فيما بين الناس، أو تتعلق بقضايا النكاح، أو الطلاق، وكل المنهيات عنها وكل ما كانت توجيهات كلها مترابطة، وكل واحدة منها لها أثر فيما يتعلق بالمجموع. لهذا كان القرآن على أرقى مستوى وكل آية في مكانها عندما تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وإلى الموضوع بشكل عام، الذي جاءت في سياقه ترى لها أهميتها بشكل كبير.

فهذا الأسلوب القرآني فيما يتعلق بالجانب الفقهي، الجانب الفقهي بالمصطلح المعروف [الفقه] الذي يعني: عبادات، ومعاملات ، أسلوبه هو أفضل أسلوب من أسلوب الفصل بين الأشياء، لأنه فيما بعد أصبح الفقه في حد ذاته عبارة عن فن مستقل تقدم فيه مسائل فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات مسرودة سرداً قانونياً، صياغة أشبه شيء بالصياغة القانونية. لكن الأسلوب القرآني يُلحظ بأنه هناك شيء هام جداً هي نفسية الإنسان، نفسية

الإنسان، ولهذا قلنا: أنه من معجزة القرآن الكريم، أنه استطاع أن يجعل العرب يتقبلون هذا التشريع، وهم أمة من البداية ليست أمة متحضرة، وليست أمة تألف أشياء تعتبر حدوداً وضوابطاً وتقنيناً من هذا النوع، ما كانوا آلفين لهذه ، وهي عملية كبيرة في الواقع، تعني: نقلة من حالة اللاإلتزام بشيء تقريباً ، مجتمع ليس آلف لأن يكون لديه ضوابط وحدود، وأشياء معينة أشياء ـ ما تسمى ـ قانونية، ثم ينقل نقلة إلى مرحلة إلتزام بحدود وضوابط، وتشريعات محددة، أن هذه تعتبر معجزة ـ حقيقة ـ للقرآن .

لكن أنظر إلى الأسلوب الذي قدم فيه القرآن تلك التشريعات ، لم يقدمها بمعزل عن مشاعر الإنسان نفسه عن الأسلوب الذي يلامس نفسية الإنسان حتى يتقبل تلك التشريعات بمختلف أنواعها ، تجدهم مثلاً فيما يتعلق بالمواريث نقلة حصلت لديهم لم تكن مألوفة ، فيما يتعلق بطعامهم ، بشرابهم ، مثلاً الخمر، الخمر كان شيئاً يألفونه، والخمر هو مادة متى ما أدمن الإنسان عليها يعتبر الإنتقال إلى أن يتركها قضية فيها نوع من الصعوبة، ومع هذا استطاع القرآن الكريم أن يجعل العرب يصلون إلى هذه المرحلة، إلى مرحلة الإلتزام ! كيف؟ هل لمجرد تقديم الأشياء، ولمجرد فقط الوعيد على الأشياء؟ ما نزال نحن المتأخرين، هناك وعيد على الأشياء لكن لم نستطع أن نجعل الأشياء ذات أهمية في نفوسنا، ونلتزم بها.

تجد كثيراً من العرب في بلادهم ـ مثلاً ـ الخمر منتشر بشكل كبير، أشياء أخرى تعتبر تعدي لحدود الله، منتشرة بشكل كبير ! على الرغم من انتشار القرآن الكريم ! لكن لما عزل أسلوب القرآن، عزل القرآن أصلاً جانباً، وأصبح كتاباً يتلى لمجرد التلاوة تقريباً ، وقدمت الأشياء الأخرى هي البديل عنه، وهي التي تقدم للناس ، سواء بشكل تفسير ، أو بشكل أحاديث، أو بشكل كتب متخصصة للمسائل التي هي مسائل عبادات، ومعاملات، والأشياء المنهي عنها، والأشياء المحرمة، والأشياء المباحة. أعداد كبيرة من المجلدات لم تستطع أن تصنع ما صنع القرآن بالعرب في تلك المرحلة ! لأنه نقلهم نقلة كبيرة جداً.

هنا تجد هذا الدمج ما بين مختلف الأشياء داخل آيات القرآن الكريم تبين لك: أن هذا القرآن الكريم ـ إذا صحت العبارة ـ أخرج على أرقى مستوى، ليس الإخراج الصحيح هو: أن يكون هناك في الموضوع الفلاني باب مستقل، وفصل، ثم باب يختص بموضوع الصلاة، باب يختص بموضوع النكاح، باب يختص بموضوع الطلاق، وهكذا كما أصبح معروفاً، وكما قدم على أنه إخراج جيد، وهو الإخراج الجيد؟ من الناحية الفنية بالنسبة لشكل الكتاب ممكن، لكن بالنسبة للنفوس، بالنسبة للنفوس الإخراج الجيد، الإخراج الراقي هو هذا الإخراج القرآني الذي قدم الأشياء مدموجة مع بعضها بعض .(ص١)

ـ التوعية الجهادية تربية قرآنية:

عندما يخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم هذه هي لديهم دائماً {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧) في المقابل يجب أن تكونوا معدين أنفسكم دائماً ، تكونوا معدين أنفسكم دائماً، لهذا نقول: أنه فيما يتعلق بالتوعية الجهادية، فيما يتعلق بتوجيه الإنسان على أساس القرآن، أن يكون لديه روح جهادية، ليست قضية جديدة، أو قضية غريبة أو قضية فقط ترتبط بوقت من الأوقات، إنها تربية قرآنية دائمة يجب أن يكون المسلمون عليها دائماً، دائماً في أي وضعية كانوا، وفي ظل أي دولة كانوا، في ظل دولة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يجب أن تكون عندك روح جهادية عالية، في ظل دولة الإمام علي، في ظل أي وضعية كانت، أنها روح دائماً يجب أن تكون موجودة لدى كل فرد في الأمة، لأن الأمة هذه لها أعداء، والأعداء الله أخبر عنهم هكذا {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: من الآية٢١٧). (ص٨)

ـ أهمية أن يكون توجهك في سبيل الله:

من يأتي لاحتلال أرضك يجب أن تتوجه لقتاله في سبيل الله، وأن تتوجه في سبيل الله أي: إرفع بنيتك ، وارفع

برأسك إلى الله لا تنزل تحت تقول: [من أجل الوطن، من أجل تربة الوطن] هذه نكسة، هذه النكسة خطيرة، إنتكس العرب عندما نكسوا نواياهم [منزل]، فالإنسان يرفع بنيته إلى الله، يرفع بمقصده إلى الله، ويتوجه إلى الله ليرفعه .

لاحظ كيف ضرب مثلاً رائعاً جداً، وكلاماً هاماً جداً في الموضوع: من انطلقوا يقاتلون في سبيله، مع أنهم لم يبقوا في الأخير إلا قليل من قليل{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً} قائداً {نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٤٦). هذه القضية معروفة عند بني إسرائيل، ولاحظ كيف هم خبثاء جداً يعرفون، ونحن نقول أكثر من مرة هم يحاربوننا، وعندهم معرفة بالسنن الدينية، بالسنن الإلهية، يجب أن نكون حذرين، ونكون واعين، من أين جاءت لنا الوطنية، والقومية من أين؟ من عندهم صدروها من أجل ننكس رؤوسنا [منزل] لينكسونا منزل. أليس العرب في الأخير انتهوا إلى أن دسوا رؤوسهم في التراب، لأنهم يقولون: [وطنية، وطنية، من أجل الوطن، وتربة الوطن] إلى أن دسوا رؤوسهم في الوطن، أعني: في التربة. يأتي العدو يدوسهم وقد دسوا رؤوسهم، لكن يرفع الناس رؤوسهم إلى الله، تحمى أوطانهم فعلاً، وتصان أوطانهم.

بنو إسرائيل فاهمون في ثقافتهم هذه أعني: الآية تحكي بأنه في تلك المرحلة فاهمين بأنه يجب أن يتوجهوا ليقاتلوا في سبيل الله، مع أن الدافع لديهم هو ماذا؟ أنهم قد أخرجوا من ديارهم، وأبنائهم، أليس هذا الدفاع الذي يسمى الدفاع عن وطن؟ انتقام من عدو أخرجنا من ديارنا، وأبنائنا. أليس دفاعاً عن وطن؟ لكن لو قالوا: وطن، نقاتل من أجل الوطن، لن يرد النبي عليهم ، ولن يحصل لهم شيء. معنى هذا أنها قضية مؤكدة لديهم أنه في الوقت الذي هم يحسون فيه بأنهم مضطهدون، ومقهورون من جانب عدو أخرجهم من ديارهم، وأبنائهم ، عليهم أن ينطلقوا في سبيل الله .

لاحظ الآن عندما انطلق الناس في هذا الموضوع هذا [الشعار] الذي يبدو عملاً سهلاً أزعجهم جداً لأنه عمل ديني، ولأنه في سبيل الله .

قال السفير الأمريكي: [إن بلاده لا تريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني] ما هو العداء الديني؟ يعني: لا نريد أن تتحولوا في مواجهتنا تحت عنوان: في سبيل الله. هم عارفون بأنهم سيهزمون في الأخير هم، يعنون: أنه اعملوا لكم عناوين أخرى قولوا: قتالاً من أجل الوطن، أو دفاعاً عن الوطن، أو بعبارات من هذه!.

هذه العبارة لا تجد لها في القرآن الكريم فيما أعتقد موقع على الإطلاق إلا مرة واحدة خوطب بها من؟ خوطب بها منافقون لم يخاطب بها مؤمنون. {قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا}(آل عمران: من الآية١٦٧). إذا ما زال عندكم حرص على أعراضكم، وعلى بيوتكم، وعلى ممتلكاتكم {أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ}(آل عمران: من الآية١٦٧). ما خوطب بها المؤمنون أبداً. المؤمنون يوجهون دائماً، المسلمون بشكل عام أن يتحركوا في سبيل الله وليعرفوا أنها لا تتحرر أوطانهم أبداً بعناوين أخرى إلا إذا انطلقوا في سبيل الله، أين البلد الذي قد تحرر من بداية الاستعمار الأول إلى الآن ؟ هناك بلد تحرر فعلاً بما تعنيه الكلمة وأصبح مستقلاً؟ لا.

بعد الاستعمار الأول خرج المحتل وأبقى أقدامه، أبقى عملاءه، وبعده ماذا؟ يأتي ضغوط أمريكية، واحتلال ونفوذ أمريكي في كل المجالات وأصبح من يحكم الناس صاروا هم عبارة عن أشخاص عاملين مع السفير الأمريكي. أعني: طول الفترة هذه. ما تحرر الناس من المحتل أبداً لأنه ما رفع هذا الشعار الهام، ما توجهوا هذا التوجه الهام{فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.

ثم انظر أهمية أن يتوجه الناس هذا التوجه: في سبيل الله ، عندما قال هنا في الأخير: {قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا}(البقرة: من الآية٢٤٦). ربما عندما ترون القتال أن لا تقاتلوا{قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا}(البقرة: من الآية٢٤٦). أليسوا هنا يذكرون الدافع إلى أن يقاتلوا أنهم يريدون أن تحرر أوطانهم، وأن ينتقموا من عدوهم ؟ لكن وفاهمين كلهم ، الملأ منهم على ما نقول: وجهاؤهم، وكبارهم الذين توجهوا إلى نبيهم وقالوا يبعث لهم ملكاً .

هم الآن لا يريدون منا أن نتوجه إلى كتاب الله ورسوله لنعرف كيف نواجههم، ومع من نواجه، تعرف أن هذه القضية عندهم معروفة؟.

الله ضرب لنا مثلاً منهم هم، أي: عندما نقول: نحن الآن متوجهون ضدكم في سبيل الله، في سبيل الله إذا ما هناك لدينا نبي قائم موجود نبينا هو نبي للزمان كله والكتاب لا يزال موجوداً لنعرف من خلال كتاب الله، من خلال سنة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتوجيهاته وحركته، كيف يجب أن يكون مقصدنا في مواجهتهم ومع من؟ وتحت أي عنوان يكون ؟ نحن عندما نعمل هذا نحن إنما عملنا مثلكم سابقاً، لماذا عندما يقول لك: [لا نريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني] أليسوا هنا انطلقوا بعداء ديني عندما قالوا: {نقاتل في سبيل الله}؟. نقول: نحن فقط نعمل مثلكم فقط نريد نقاتلكم في سبيل الله، ونحاربكم في سبيل الله، ونتحرك في سبيل الله.

أعني: هم فاهمون، سهل الآن [سبهم] لاحظ لو ترفع شعار سب في المسجد لن يقولوا شيئاً، لكن شعار ديني، خطير، أن يكون في المسجد له أثر عليهم أكثر من أن يكون في الشارع لأن معناه: عمل ديني، ولهذا عندما يرون من هؤلاء الذين يسجنون يقولون: القرآن الذي دفعنا [نكبر...]. قضية هذه جداً تؤثر عليهم، معناه: أنتم أناس متوجهون في سبيل الله، وهم لا يخافون إلا من العناوين هذه، ممن يسيرون في سبيل الله وبصدق، وعلى توجه كتاب الله.

تريد ترفع شعارات أخرى؟ تريد تسبهم ؟ سبهم، أليسوا في المظاهرات يسبونهم فيها؟ يسبون [شارون، وبوش] لا يبالون بهذه؟ أو ترفع شعار وطنية لا ينزعجون منك ولا ينزعجون عندما ترفع شعار وطنية [حركة كذا لتحرير الوطن] أو [حركة كذا للدفاع عن الوطن]. هذه عارفين أنهم فاشلين يعتبرونهم فاشلين .

{قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٤٦). ألم تتكرر مرتين من عندهم؟ أعني: يعرفون أهمية هذه.(ص١٦)

ـ أهمية الإنقطاع إلى الله:

{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة:٢٥٠).

إنقطاع إلى الله بمشاعرهم، بنفسياتهم، وثقة بأن الله مع الصابرين. هذه تمثل وعياً إيمانياً .

لاحظ الإنسان يجب مهما كان مؤمناً يعرف بأنه إنسان يجب أن يكون مستمداً قوته من الله، لا تركن على مجرد إيمانك أنك عندك طاقة من الصبر، أنت ..أنت..استفرغ الصبر من الله {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً}(البقرة: من الآية٢٥٠).

مثلما تقول: [صب صبوب علينا صبراً] {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة: من الآية٢٥٠) {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ}(البقرة: من الآية٢٥١).

كيف كانت النتيجة؟ {فَهَزَمُوهُمْ}. هزموا جالوت وجنوده بإذن الله (ص١٩)

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٣)

من الدروس التي ألقاها
السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم
منهجية الدعوة في القرآن الكريم

[سورة البقرة ـ الدرس الحادي عشر]

ـ أسلوب القرآن في مواجهة القضايا والأطروحات:

من الحكمة في هذا، في موقف إبراهيم كيف كان بالشكل الذي أفحمه جعله كما قال: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} (البقرة: من الآية٢٥٨). ألم يفحمه؟ قال: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} (البقرة: من الآية٢٥٨). لأن الطغاة لا يمتلكون إلا ظلاماً ، والظلام هل يمكن أن يتفوق على النور؟ هل يمكن أن يغطي النور؟ أو النور هو الذي يزيح الظلام؟ ليس لديه إلا ظلام هو في نفسه ، وفي أطروحاته.

فإذا كان الإنسان متولياً لله يخرجه من الظلمات إلى النور ، قد تكون الظلمات في حالة كهذه عندما لا يكون ردك حكيماً، عندما لا يكون موقفك حكيماً ، عندما لا يكون لديك جرأة فتعطى نوراً هنا، النور هنا موقف حكيم ، رد حكيم، وقوة في طرح الرد.

لم يأت على الطريقة التي عند المتكلمين ولهذا نحن نقول في القرآن الكريم : ينبهنا إلى موضوع القضايا التي تطرح أمامك فيها ما يمكن أن ترد عليها هكذا مباشرة ، وفيها ما تنتقل بالرد إلى أسلوب آخر ، وفيها ما يكون إعراضاً تماماً، ليست القضية الأساسية بأنه على كل قضية قبالها على طول ، على طول ، يجب أن تقيم القضايا أولاً ، وتقيم الأطروحات أولاً .

هذا الأسلوب في القرآن الكريم هام جداً . لاحظ في أسلوب المتكلمين عندما انطلقوا أمام كل أطروحة معينة ، أطروحة معينة يقاومها هي، هي ، وفي الأخير قدموا لنا منهجاً فيما يتعلق مع الزنادقة ، الذين يسمون زنادقة ، أو ملحدين ، بعدما قدموا كيف واقع الإنسان بالنسبة لمعرفة الله ، ثم على أساس أن هناك ملحدين ، وزنادقة ، أول خلل بأنهم ما فهموا أن المسألة في الإسلام ليست فقط مجرد دعوة . مجرد دعوة. هو منهج حركي، منهج حركي. هناك فئات في المجتمع هي لا تقدم إلا الشيء الذي يتنافى مع فطرة الناس، ولن ينفق أمام الناس إلا إذا كانت الساحة خالية، هذه الفئة يمكن ماذا أن يكون عملك في الساحة بالشكل الذي يهمشها تماماً، لا هي في حد ذاتها ممكن أن تقبل شيئاً لأنها قد خرجت هي عن الفطرة ، لم تعد تقبل مثلاً أطروحات معينة لأن الملحد أو الزنديق الذي يسمونه يحاول يتنكر لمعرفته لله ، يتنكر لله ، هذا إنسان يقاوم فطرة لديه هو ، يقاوم فطرة لديه هو، فهل بالإمكان يقبلك وهو لم يعد قابلاً لنفسه هو ، لم يعد قابلاً لفطرته هو ، فهل يمكن أن يقبلك ؟ قد أصبح يقدم الأشياء بطريقة فلسفية وشبَه يلفقها.

النوعية هذه ممكن بأساليب في أن تبهتهم بها ، واشتغل في الساحة تتجاوزهم، اجعلهم يضيعون هناك.

لا، قدمت المسألة يوجد واحد زنديق هناك يشغلوننا به ، ويشغلون الأمة به ، وينزلون شبهه وأطروحاته، وأخذ ورد ليس هناك أثر ، يوجد أشياء أعني: هناك فئات من أعداء الدين ممن يقدمون أطروحات معينة ، هم في خلال العمل يتلاشون ، ويصبحون لا شيء فلا يبقى لهم ذكر ، لا لهم ولا لأطروحاتهم بطريقة تلقائية لم يعد هناك ميدان لهم لأن الشيء الذي يتنافى مع الإيمان الذي هو موجود عند كل إنسان ، إيمان بالله سبحانه وتعالى يكون مقاوماً للفطرة ، يحتاج إلى أطروحات تشكيكية وعمل مستمر عندما مثلاً لا يتمكن أن يكون له ميدان يكون هناك عمل إسلامي في الساحة ، عمل متكامل وليس مجرد فقط نقاش مع ذلك وتقدم ما قلت له ، وقال .. وقال . ما قال هو، وما رديت عليه !.سلك المعتزلة والمتكلمون بشكل عام الطريقة هذه، وتجدهم فعلاً [حنبوا] أمام شبه معينة كان منشؤها أسلوبهم الخاطئ في التعامل مع هؤلاء، وإذا في الأخير لا جعلوا الزنادقة يسلمون ولا سلم الناس منهم .

هنا كان جواب إبراهيم عندما ادعى هذا الملك: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}. لم يأت يناقشه في مسألة أنه كيف تستطيع أن تحيي ، وكيف ، وكيف... إلى آخره، {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}(البقرة: من الآية٢٥٨). طلعها من غربي {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} . عرف أنه عاجز وأنه كذاب في دعوته الربوبية. (ص١٦)

ـ كيف يكون الناس رحماء وحكماء فيما يتعلق بالمال:

الله قال في الأخير: {وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ}(محمد: من الآية٣٦) كل أموالكم وأسئلة مجحفة، {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا} ألم يأت هنا بخطاب عام ؟{فَيُحْفِكُمْ} بعدكم، بعدكم هكذا {تَبْخَلُوا} {وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} فيطلع كلاماً سيئاً حول موضوع المال ، [إنما ضيعوا حقنا ، لا يوجد شيء ولا رأينا شيء ولا، ولا ..] في الأخير لا تدري وقد تحول هو إلى محارب للشيء الذي كان ينفق في سبيله.

فيجب أن تتحدث مع الناس بشكل عام، أعني: هذه القضية قرآنية أساسية: أن تخاطب الناس بشكل عام، وتحثهم على الإنفاق في سبيل الله ، تحثهم على الإنفاق في مختلف مجالات البر، لأن القرآن الكريم تناول المواضيع كلها، وتقدم كل ما شجع الله الناس به في القرآن الكريم ،وتترك الناس على حسب اهتمامهم ومستوى إيمانهم وطاقاتهم ، هذه قضية ، حتى لو عندك مثلاً عشرة أشخاص ، عشرين شخصاً ، عندك في المدينة الفلانية ، أو في الجبل الفلاني، أو في المنطقة الفلانية كذا أشخاص يجب أن تخاطب الآخرين ، وأن تذكر الآخرين بأنها مسئولية ، وأنها قضية يدعى إليها كل إنسان ، وأنها إيجابية بشكل كبير ، لأنه يستطيع الناس أن ينهضوا بأشياء كثيرة وبدون أن يحس أي طرف بثقل، أو يحس بأنه أرهق، أو يحس بأنه وكأنه هو الذي يتحمل الأعباء بمفرده، أو مجموعة لوحدها مهما كانوا خيرين .

يجب أن يكون الطرف الآخر أنا أو أنت أعني : رحماء ، رحماء بقدر الإمكان، فتتقدم مشاريعك العملية بالشكل الذي تراعي فيه حساسية المال في النفوس، وبالشكل الذي لا يبدو مرهقاً للناس، وتركز بشكل كبير في توعيتك في تبيينك وتبين أهمية القضية التي أنت فيها، أهمية العمل الذي أنت فيه ، أهمية الأطروحة الفلانية التي أنت تتبناها فبمقدار اهتمامهم سيقدمون.

فيجب أن يكون من الأشياء التي نعتمد عليها في موضوع هداية الناس ، وتذكير الناس فلا تكون ممن يتحاشى أن تذكر بأن الله سبحانه وتعالى ربط بالمال مسئوليات متعددة ، وجعل المال محكاً إيمانياً كبيراً ، وجعل المال أيضاً وسيلة من وسائل أن يتنمى نفس المال في نفسه أن يتنمى لك ، وأن يكون وراءه أجر كبير في الدنيا وفي الآخرة .

لا يكون واحد مستحي ، فقط يقدم له عبادات معينة لا يكون فيها عبادات مالية على أساس أنه لا يقول: بأن قد معه طلبات مالية !.

قدم دين الله بشكل متكامل ، لأنه أحياناً قد تقدم للناس عبادات معينة من التي ليس فيها طلبات، هنا أنت تقدم الدين ناقصاً، بالشكل الذي لا ينفعهم هم ، لا يستحي الإنسان أن يتحدث عن الإنفاق في سبيل الله ، وبهذا الأسلوب الخطابي العام، وفي نفس الوقت بهذا الأسلوب الذي يرفق بكثير من ماذا؟ من التشجيع والدفع بالناس إلى أن ينفقوا في سبيل الله، ولا يكون عملك في نفس الوقت مليء بالمشاريع المالية.

ناس هم بدأوا يتوجهون هكذا، تقول: [مسجد، نبني مسجداً نريد مكرفون قوي، ثم نريد كذا .. ثم نريد كذا..] لا،يكون عندك فهم ، قائمة أولويات ـ مثلما تحدثنا سابقاً ـ أولويات أساسية ، وتراعي مشاعر الناس ، والوضعية التي لا يزالون فيها ، تذكرهم ، وقليلاً قليلاً ، وتعطي ، وأن الله يقبل من الإنسان وإن كان مبلغاً زهيداً ، فقط لازم تعرف بأنك تتعامل مع الله ، أنت ستعطي بمقدار اهتمامك وإيمانك، وإذا بخلت أنت تبخل عن نفسك {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ}(محمد: من الآية٣٨) كما قال .

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} موضوع المال موضوع يجب أن يكون فيه تصرفات حكيمة في توجيه الناس ، في تقديم المشاريع العملية للناس، بأن تكون أعمالك بالشكل الذي تبعد أي حساسية من النفوس، ولهذا نقول أكثر من

مرة: العمل الذي نحن فيه ، فيه مجالات اشتغل أنت بمالك حتى لا يأتي بعد أيام وتقول : لا ندري أين ذهبت أموالنا؟ أو هم فقط سيأكلونها، أو يكون هناك منفذ لآخرين مخربين من الذين هم منافقون يثبطون الناس عن الإنفاق ، لا تعط شيئاً ، أنت اشتغل بحقك أنت ، أمامك ملازم معينة ، أمامك شعارات معينة إشتغل أنت بفلوسك في هذا الموضوع ، أمامك أشخاص معينين من الذين هم مرشدون ومعلمون موّل شخصاً أنت لينتقل إلى منطقة في سيارتك ،أو بفلوسك ، إشتغل أنت .

قضية ملموسة بالنسبة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يبدو أنه فعلاً في قضية جمع الأموال لتمويل سرية معينة ، أو غزوة معينة كان يكون خارج هناك يجمعها لا يكون في بيته لأن هذا منفذ للآخرين يقولون: [لاحظوا كم قد أدخلوا إلى بيته ، لاحظوا كم قد أدخلوا] وعندما يخرج لو أخرج الذي عنده ونصف من حقه زيادة سيقولون أولئك [هذا فقط قد لا يكون إلا النصف مما قد أدخلوا إلى بيته ، وما زال الباقي مراكم هناك] هذا لأنه كان حكيماً ولذا قال: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ} يتحدث في الآية هذه عن موضوع الحكمة في وسط الحديث عن الجانب المالي لنعرف بأنه موضوع يجب أن يكون التصرفات فيه حكيمة ، ومع الناس حكيمة، والمشاريع تكون على أساس معرفتك بالجانب المالي أيضاً حكيمة .

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}(البقرة: من الآية٢٦٩). **ولأنه على يد من يؤتى الحكمة يكون هناك خير كثير، أعمال تكون مثمرة ، حركة تكون مثمرة. وإذا ما هناك حكمة في الأخير لا تدري إلا وقد هم يصيحون منه، من أساليبه يكون فيها منفذاً أعني: أنه يجب أن تفهم بأنه ليس فقط القضية أنني أتحدث مع الناس عن موضوع مالي، يكون عندك نظرة عامة بما فيها الطرف الآخر الذي يكون هناك يتربص لأي منفذ يعمل دعاية مضادة ، دعاية تثبط، تراعي كل الإعتبارات هذه هي الحكمة، وإلا قد تكون مخلصاً وأميناً فعلاً لكن تنسى جوانب من الحكمة تكون فيها ثغرة للطرف الآخر يعمل دعايات: [هذا فقط يجمع لنفسه وليس إلا كذا وليس إلا .. ..] إلى آخره.**

ولأن المال جانب حساس يُكون التشكيك تقريباً يؤثر فعلاً، يؤثر في الناس التشكيك أحياناً إذا ما هناك تصرفات حكيمة قد يكون هناك مطالب مالية بالشكل الذي يصد الناس عن الحضور مثلاً في مجالس معينة، أو مناسبات معينة، مثلاً إذا تعود الناس على أنه في مجلس يُقدمون لهم تعاون في سبيل الله أو أشياء من هذه. معنى هذا ماذا؟ يكون الشخص الذي لو لم يكن إلا أن ما لديه فلوس يستحي أن يسير، أو أناس ما قد بلغوا درجة مناسبة يكون مستعداً أن يقدم ولو شيئاً بسيطاً ، فيكون بالشكل الذي ينصرفون ، فلا يحضرون في مناسبات عامة.ولهذا ليس مناسباً أن تطرح قضايا مالية في مجالس عامة ، أو في مناسبات عامة ، تحدث في المناسبات العامة فيما يتعلق بأهمية الإنفاق ، وتقدم للناس المشاريع العملية التي ينفقون فيها ، ولا تحاول أن تطلب في نفس الوقت من الناس شيئاً .

هذه القضية ثابتة لأنه أحياناً قد تحرج كثيراً من الناس الجيدين ، يستحي أن يذهب عندما لا يكون معه فلوس، يستحي أن يأتي، [ربما يدعون لشيء وليس عندي فلوس فأبدوا وكأني إنسان لا يريد أن ينفق] يتألم فعلاً لأنه غير متمكن يعطي ، ويستحي أن يبدو أمام الناس وكأنه إنسان لا يريد أن يقدم شيئاً في الأخير يجلس في بيته ، ولا يحضر. فلا يكون موضوع الإنفاق ، أو موضوع دعوات المال بالشكل الذي يعيق الناس عن الهدى ، وهو يقدم هذا الموضوع لتمويل الهدى، ولأن يهتدي الناس ويقيمون دين الله .(ص٢٣)

[نهاية سورة البقرة بداية سورة آل عمران ـ الدرس الثاني عشر]

ـ أسلوب في الحوار :

{فَإِنْ حَاجُّوكَ} هي شبيهة بموضوع مفاوضات ، أو حوار ، أو جدل فأنت عندما تكون في حوار مع أطراف من هذا النوع ماضيهم أسود على هذا النحو ، على هذا النحو في موضوع جدال ، أو حوار ، أو مفاوضات يجب أن يكون

عندك هذه النظرة فتعرف أن هذا الطرف في واقعه هو واقع فيه نقاط ضعف كبيرة بالنسبة له لا يجوز أن أراه كبيراً فيكون بالشكل الذي يدفعني إلى أن أقدم تنازلات في تفاوضي معه في الأخير تكون أنت من قدم دينك وقدم الأمة بسبب رؤية مغلوطة إلى الطرف الآخر.

فتعتبر قاعدة هامة في موضوع التفاوض مع الآخرين ، أو الحوار ، أو الجدل هذه منسية أليست منسية عند العرب ؟ على الرغم من مرور سنين طويلة أعني يبدوا لا يوجد التفات للقرآن ولا يوم واحد على الرغم من صراع ، مع اليهود مع تقريباً الغربيين بشكل عام ، وتجدهم في عمي ، في ضلال لا يهتدون بشيء نهائياً لا يبدو أنه يوجد التفاته ولا يوم واحد للقرآن ، أن يهتدوا به ! أليس هنا يعطي رؤى صحيحة في كيف يكون موقفك من الآخر ؟ وأن هذه الرؤية هي هامة جداً، جداً في ماذا؟ أن تبقى مستقيماً لله ومستقيماً مع اتباعك {أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} (آل عمران من الآية٢٠) أي ألم يؤد بهم إلى أن قدهم مستعجلين إلى أن يضحوا بأتباعهم؛ لأنه ليس فيهم من يمكن أن يكونوا مسلمين لله ، ومن اتبعهم ، ضحوا بدين الله ، ومضحين حتى بأتباعهم ، ومتحاورون ، ومقدمون مبادرات ، وتنازلات لليهود .(ص٢١)

[سورة آل عمران ـ الدرس الثالث عشر]

أن تبدو أنت أمام الآخر واثقاً بما أنت عليه قضية أساسية في قابلية ما أنت عليه من الدين :

أعني فيما لو قام حوار بينك وبينهم تعتبر هذه قواعد تمثل ضابطاً لأن أي حوار بين أطراف لا بد أن يكون هناك قواسم مشتركة ـ التي يسمونها ـ يكون هناك قواعد قضايا يلتقي عليها الكل يعتبرونها ماذا؟ منطلقاً لحوارهم.

القضية من البداية تبدو دعوة إيمانية {تَعَالَوْا} ما هناك نحن سنأتيكم هكذا . كيف موقف العرب الآن؟ أعني هذه تمثل ثقة أن الإنسان الذي هو فعلاً يسير على دين الله يجب أن يكون واثقاً بما هو فيه وما هو عليه، تعالوا أنتم، عندما تكون بمعنى داعي تدعو إلى دين الله، تدعو إليك، يسيرون إلى الأشياء هذه التي أنت تؤمن بها وتسير عليها لا أن تكون أنت تحاول تؤقلم نفسك مع الآخرين تكون قد أنت تسير بعدهم وتحاول تزيل من الدين الأشياء التي قد تكون تزعلهم مثلما يعمل العرب الآن ! أبعدوا الجهاد، وقدموا تفسيراً لقول الله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة : من الآية ٢٥٦) {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة : من الآية ١٤٣) وأشياء كثيرة.[قدموا الدين بالشكل الذي يمكننا أن ننسجم مع أولئك !].

لا ، هذه الدعوة هي {تَعَالَوْا} ، تعالوا، هذه قضية هامة في مسألة أنك تبدو أنت أمام الآخر واثقاً بما أنت عليه قضية أساسية في قابلية ما أنت عليه من ،الدين أن تبدو واثقاً بما أنت عليه، قضية هامة، الاهتزاز يطمع الطرف الآخر، أي طرف آخر لا يعد يجعلك في وضعية ينجذب إليك، لا ينجذب إليك، فقط يحاول يملي أكثر يسحبك إليه ويجردك من كثير من الأشياء التي لا يريدها حتى تصبح في الأخير تابعاً له .

[ليس صحة ما الإنسان عليه يتوقف على أن يكون مقبولاً عند الآخرين] هذه قاعدة هامة، نحن داخلنا فيما يتعلق بموضوع أنهم يحاولون أن يحتجوا على السنية على آخرين وهكذا أخذ ورد إلى أن وصلنا نحن متى ما لدينا شيء يبدو أنه ليس موجوداً عند الطرف الآخر يبدو وكأنه غير صحيح ! أو إذا هناك شيء، رفض الآخرون أن يؤمنوا به رجعنا نحن نكاد أن نتخلى عنه !. أن تكون مؤمناً بالشيء يجب أن تكون واثقاً من نفسك بأنه صحيح وأنه أنت في موضع الثقة بما أنت عليه وتعطي ثقة تبدوا أمام الآخرين، يعني قضية ظاهرة، يظهر للآخر أنك واثق بما أنت عليه {قُلْ تَعَالَوْا} أليس هذا كلام الواثق من نفسه {قُلْ تَعَالَوْا} كلام الواثق من نفسه بصحة ما هو عليه.

{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) لاحظ هذه هي مواقف ثابتة، هذه قضية هامة جداً وليس إذا تولوا فابحث كيف تقول: [مستعد ابعدوا هذه اسكتوا من هذه سنقدم بنداً آخر غير هذا] مثلاً [إذا لم يعجبكم] {وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٦٤) نقول: [إذاً سنقدم عنواناً آخر !] لا، {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٦٤) حتى لو لم تقبلوا أنتم بالنسبة لكم .

هذه المواقف الثابتة هامة جداً، ولاحظ ما كان أحوج الناس إليها في المرحلة هذه ما كان أحوج العرب إليها في هذه المرحلة، أن يتعلموا من القرآن كيف تكون مواقفهم ثابتة وكيف يكون تعاملهم مع الآخرين مع اليهود والنصارى، الآن يقدمون مبادرة لم تعجبهم وقدموا مبادرة أسوء، وهكذا إلى تحت، وصل الأمر الذي انتهت إليه القضية إلى أن قد هناك املاءات من جانب اليهود والنصارى هم على المسلمين، [ابعدوا هذه الآيات أبعدوا هذه الآيات من القرآن دخلوا هذه في المناهج اجعلوا المنهج بالشكل هذا غيِّر الحكومة حقك بالشكل هذا اجعل فلان هنا وفلان هناك] أليس هذا يحصل؟ لأنه لم يحصل عند المسلمين موقف ثابت.

{ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٦٤) ماذا يعني هذا؟ هل استكمل ما يعتبره الآخرون [دعوة حوار]؟ هل استكمل القضية معهم ؟ هناك ثلاثة أشياء إذا أنتم تريدون نحن ندعوكم إلى أن تأتوا وهي قضية معروفة عندنا وعندكم ولو تحاورنا أليست هذه ثوابت ؟ لم يرضوا يقبلوا مع السلامة، اشهدوا أنتم أننا مسلمون، هذا أيضاً يعطي ثقة بما نحن عليه من كلمة: [تعالوا] وعندما نقول في الأخير {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران : من الآية ٦٤) لم يقل: [إذاً هذا البند إذا لم يعجبهم قدم بنداً ثانياً تنازل قليلاً قليلاً] ما حصلت هذه؟

هذه الدعوة أهم بكثير مما قدمه [خاتمي] التي يسمونها دعوة: [حوار الحضارات] لأنه هنا في نفس الآيات هذه ليس فيها إقرار أنهم على شيء حقيقة، فهم هناك شيء متكامل يؤمن باستقلاليته ويؤمن بكذا، إنما نحاول كيف يكون تعاملنا مع بعضنا بعض، كيف تكون حركتنا مع بعضنا بعض، في هذه الحياة مثل مسألة: [حوار الحضارات]، يدعوهم إلى ما هو عليه، وهذه المقاييس التي قدمها ألم يقدمها مما عنده هو؟ إنما باعتبار أن لديهم في كتبهم ما يعتبر إيماناً بهذه، فتعتبر شاهداً عليهم، أي ما جاء الإنتقاء أنه ينتقي أشياء من داخل ما لديهم ، من عنده، أليس هذا توجيهاً من الله ؟ هذا توجيه من الله {قُلْ... تَعَالَوْا} { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا} (آل عمران : من الآية ٦٤) .

ألم يأت هذا من عند الله؟ البنود هذه جاءت من عند الله { تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : من الآية ٦٤) لو أتوا إلى هذه واعتبروها مقاييس هم كيف ستنتهي القضية بالنسبة لهم، هل سيبقون هناك حضارة أخرى أو سيكونون مسلمين؟ يبين لك أن المطلوب أن يكونوا مسلمين عندما قال بعد: { اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية ٦٤) أما نحن فنحن مسلمون ليس موضوع [حوار حضارات] أن يردهم إلى الإسلام لله، إلى الحضارة الصحيحة الوحيدة، الحضارة الصحيحة الواحدة التي تبني الإنسان وتبني الحياة هي هذه : الإسلام لله .(ص١٠)

ـ ما هو العنوان الصحيح الذي نحمله:

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (آل عمران : الآية ٦٧) إذاً هذه تعتبر مثلاً بالنسبة للناس أعني بالنسبة للمسلمين أنفسهم المسلمون أنفسهم عندما أصبحوا طوائف لديها عناوين داخلية؟ السني يريد يحول الشيعي سني والشيعي حريص أن يحول السني إلى شيعي، وداخل السنية الشافعي يريد يحول الحنفي شافعي والحنفي يريد يحول الشافعي حنفي، وأشياء من هذه، الإثناعشري يعمل يريد يحول الزيدي إثناعشري أليست هذه تحصل؟ هذه أساليب ليست صحيحة، الصحيح أنه كيف نعود إلى العنوان الرئيسي العنوان الأصلي: الإسلام لله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} (آل عمران : من الآية ١٩) هذا العنوان الذي يجب أن

نحمله جميعاً وهذا العنوان الذي مقوماته يلتقي عليها المسلمون فعلاً هذا العنوان، فنرجع إلى كتاب الله لنكون مسلمين نبعد عناوين من هذه العناوين الخاصة التي كل واحد قد ثقف ثقافة تجعله أنه ينظر نظرة مشمئزة إلى الآخر أليست هذه قد حصلت ؟ بغض النظر عن محق أو مبطل داخلها .[ص١٣]

ـ منهجية القرآن في التوحد:

ما يزال هناك طريقة هي التي علمنا القرآن الكريم أنها هي أقرب إلى أن نلتقي عليها تعالوا إلى ماذا؟ إلى العنوان الرئيسي، أن نكون مسلمين لله، حتى عندما يعرض علينا قصة بني إسرائيل هذه القصص الطويلة العريضة ليس فقط أنه ننظر كيف كانوا [الله أكبر عليهم كيف كانوا وأشياء من هذه] لا ، نحن نأخذ عبرة منها نأخذ عبرة نحن في واقعنا حتى في مسألة كيف يمكن أن يلتقي الناس ليست قضية تقول : المسلمون وصلوا إلى حالة مستحيل أن يكون هناك ما يمثل عامل يمكن أن يلتقوا حوله ؟ هو موجود ولكنه لم ينزل لم ينزل العنوان الرئيسي وما هو يعتبر ماذا؟ فعلاً شبيه بتلك الآية السابقة {كلمة سواء بيننا}(آل عمران : من الآية٦٤) .أليس القرآن هو كلمة سواء بيننا ؟ إذاً فلنعد إلى القرآن ونحمل اسم إسلام لله هذا الإسم الذي سمانا الله به وسمانا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحمل الإسم هو وسمانا إبراهيم من قبل آلاف السنيين.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا نأتي لنقول: [هل كان شيعي أو سني أو حنفي أو مالكي أو شافعي أو جعفري أو زيدي]أو أشياء من هذه شبيهة بهذه . لاحظ الناس عندما يأتون يؤطرون الدين في عناوين أخرى في الأخير تنتهي المسالة إلى ادعاءات، أليس الآخرون يدعون أن السلف الصالح هم كانوا على ما هم عليه عندما يقول لك: [نحن على ما عليه السلف الصالح] يعني : هو يدعي أن السلف الصالح كانوا على ما هو عليه والسلف الصالح عندهم [ما أنا عليه أنا وأصحابي] أليس بعضهم يقولون هكذا ؟ يجعلون السلف الصالح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إذاً فرسول الله هو كان سنياً ! لم يأتِ عنوان سنية أو عنوان شيعة كطائفة بهذا المعنى ، تشيع كاعتقاد كمبدأ ، لم يقدم كطائفة ، كاعتقاد ومبدأ لا يختص بطائفة معينة ، يجب أن يكون الناس متشيعين في الإمام علي أي : شيعة له أتباعاً له؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) جعله ولياً للمؤمنين من بعده أليس هذا في [حديث الغدير]؟ وحديث الغدير لدينا ولديهم ؟ .

لا يأتي مثلاً في موضوع محاولة الإلتقاء أنه هذا شيعي يحاول يسحبهم إليه وذلك سني يحاول يسحبهم إليه وأشياء من هذه ! يكون بعنوان : الكلمة السواء التي بين الجميع وهي : القرآن الكريم، وإعطائه الأولوية المطلقة والحاكمية المطلقة القرآن؛ لأن القرآن هو حاكم على ما قدموه هم من السنة أليس [حديث العرض] ينص على هذا ؟ ((فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله)) لأن كتاب الله هو المرجع نرجع إليه هو الكلمة السواء عندما تقول لي : وسنته ! السنة التي ـ كما قال الإمام الهادي ـ السنة المعلومة لدى الجميع باعتبارها أيضاً تمثل ماذا؟ قواعد عامة وتمثل ماذا؟ قواسم مشتركة يمكن أننا نعتبرها مقاييس للحوار وقواعد ننطلق منها للحوار هذا فيما لو ... وإلا فالمسألة أساساً لا تقدم إلى هذا، وهذا من مظاهر رحمة الله بعباده أنه لا يعلق الفرج عنهم بما هو شبيه بالمستحيلات أو بما قد جعلوه وكأنه مستحيل، هل تستطيع أنت أن تحول الشيعة إلى سنية أو السنية إلى شيعة ؟ هل أحد يستطيع الآن ؟ لا يستطيع وخاصة، أنهم أيضاً يقدمونها قضية حساسة جداً يستغلها العدو .

الطريق الذي يمكن أن يكون طريقاً صحيحاً لا يرتبط بهذا لا يقوم على أساس محاولة التقريب لأجعل الشيعي سني أو السني شيعي، منهج قائم هنا حركة على أساس القرآن الكريم تترفع عن كل العناوين الخاصة وتعطي أولوية للقرآن الكريم وتسير على هديه وتتحرك في الساحة هذه، دائرة قابلة للتوسع لأن كل طرف لا يعتبر أنك تقدم الشيء الذي هو قد ثقف على أساس النفور منه نهائياً، وعندما يراك أيضاً بأنك تقيّم ما لديك ولديه بنظرة واحدة على أساس القرآن وليس أنك تحاول تؤقلم القرآن على ما لديك من تراث ثقافي وما لديك من ماذا؟ من مرجعيات سواء شخصية أو مرجعيات من الكتب .

على الطريقة التي نسير عليها ، الطريقة التي نسير عليها، ألسنا ننقد ما لدينا وما لدى الآخرين؟ هل يستطيع أحد من السنية يقول: إنه هذه نظرة متعصبة ؟ قل له: لا ، نحن نظرتنا إلى أنه يجب علينا جميعاً أن نرجع إلى القرآن الكريم ونقيّم ما لدينا جميعاً ولدينا أخطاء، كلنا لدينا كلنا أخطاء شيعة وسنة زيدية واثناعشرية السنة بمختلف طوائفهم لدينا أخطاء كلها ناشئة أننا ابتعدنا عن القرآن الكريم، إذاً فلنرجع إليه.

ولا يوجد هناك أنك تحاول أن تؤقلم القرآن معك وتقول للسني يتحول إلى عنوان آخر إنما نرجع إلى ماذا؟ مسلمين لله هذا العنوان الرئيسي نرجع إلى أن نحمل عنوان مسلمين، والناس ربما في المرحلة هذه أحوج ما يكونون إلى أن يحملوا هذا العنوان وحده فعلاً في المرحلة هذه بالذات في موضوع صراع عالمي، أليس هناك صراع عالمي الآن ؟ لأن هذا هو العنوان الهام الذي يجعل هذا الدين مقبولاً عند الآخرين عند البشر جميعاً لا يؤطر بأطر قومية بأطر عرقية معينة بأطر إقليمية نهائياً؛ لأن كلمة إسلام كلمة عامة بمعنى: إسلام لله والبشر لديهم معرفة بالله سبحانه وتعالى .

لاحظوا في الآية هذه عندما قال: { فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران : من الآية٦٤) ألم يقل هكذا بعدما دعاهم اشهدوا بأنا مسلمون ؟ وهم جالسون مشغولين كل واحد يحاول يرد الناس يقول اليهود : كونوا هوداً إبراهيم كان يهودياً ! قال أولئك : كونوا نصارى إبراهيم كان نصرانياً ! الجنة لن يدخلها إلا من كان يهودياً والنصارى يقولون هناك : لن يدخلها إلا من كان نصرانياً ! أليست بهذا الشكل ؟ قد صار هناك عمل غريب جداً ، وهم يدعون إلى أن يكونوا مسلمين .[ص١٣]

ـ الاهتمام بالقضايا التي يمثل التقصير فيها ثغرة:

لو تلاحظ أنه الآن ظهر بعض من أهمية بعض الآيات التي نزلت قبل ألف واربعمائة سنة أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن التأكيدات التي جاءت في ذلك الزمن البعيد توحي بأن هذا قد يكون ثغرة إذا لم يهتموا بها ويلتزموا بها أنها ستكون فيها ثغرة تعتبر ماذا؟ مادة إعلامية للعدو يشتغل بها ضد الدين وتشويهه مثلما حصل في موضوع الطلاق الذي تحدثنا عنه قبل البارح ومثلاً موضوع التعاون كما قلنا أكثر من مرة كيف حث على التعاون وجعله صفة من صفات المتقين وإذا أنت ترى فعلاً بأنه من الخلل الكبير الذي قد يجعل الناس ضحية بأن يفرض عليهم ثقافة الآخرين عندما ضاع التعاون فيما بينهم لو هناك تعاون فيما بينهم لاستطاعوا أن يبنوا لهم مدارس ومدرسين وكليات وجامعات ويعملون لهم كل شيء ولا يحتاجون إلى أن يكونوا مرتبطين بمؤسسة معينة تأتي الإملاءات الأمريكية من داخلها.

لو هناك روح تعاون لاستطاع المسلمون يكون هناك مدارس خاصة ومعلمين منهم ولم تكن المناهج بهذا الشكل في الأخير ترى أن الإهمال في تجسيد موضوع التعاون يؤدي في الأخير إلى ماذا؟ إلى ثغرة كبيرة على الأمة في دينها وهكذا أعني: بعضها الآن ولهذا قال الله: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (فصلت : من الآية ٥٣) والله أعلم أين يوجد آيات سيكشفها زمن من بعدنا يكشف أهمية توجيه معين فيها .

فلأن الدين على هذا النحو يكون هناك قضايا أساسية أنت افهم أن الأمور هامة جداً مهما بدت عندك بسيطة لاحظ داخل الطلاق كم تحدث يضع منهجية معينة للطلاق بحيث أنه يتم في أجواء طبيعية ومعروف متبادل إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ألم يأت داخلها تأكيدات كثيرة نهاهم فيها أن لا يتخذوا آيات الله هزواً لا يكون هناك تهاون بهذه التوجيهات ؟ لو حصل التزام بهذا الشكل وقدم الطلاق من خلال القرآن ورؤية القرآن لما كان في الموضوع ثغرة على الإسلام يستغلها الأعداء .

لو قدم الطلاق من خلال عبارات الفقهاء في معظمها لكان هو عملية نفي عملية طرد للمرأة هناك، لا معروف ولا إحسان ولا متعة ولا يتم في أجواء طبيعية يغضب عليها وطلقها وذهبت من بيته وأيضاً يلحق ما قد أعطاها وأشياء من هذه ظهر في الأخير وكأنه ماذا؟ المرأة هذه ما عندها حق كهذا الحق الذي عند الرجل ! لو قدم على الأساس القرآني لكان أشبه شيء بعملية البيع والشراء تماماً أنت عندما تأتي تأخذ حق واحد هكذا ألا يقال بأنها قضية منكرة؟ لكن يتم في أجواء من طيبة نفس يعتبر طبيعي مع أن عقد البيع يأتي من طرف واحد، أليس عقد البيع

يأتي من طرف واحد الخروج للقضية من ملكية إلى ملكية أخرى أليست تتم عن طريق شخص واحد هو أعطى هذا؟ أعني يتم في أجواء جعلته طبيعية، فعندما لم يجعلوا الطلاق على هذا النحو ظهر فيه صورة غير لائقة استغله الآخرون.

ولهذا نحن نقول إنه يبدو أن القرآن الشيء الأساسي أنه كان هو المطلوب أن يكون هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض هو وحدهُ الكتاب الذي يتحرك في الأرض في كل المجالات ترغيب وترهيب وفقه وغيره هو كتاب يسع الحياة كلها ولأنه هو عباراته بعيدة عن أي مدخل لأنه {أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان : من الآية ٦) قضية هامة فعندما يقول إنه للناس تجد أن القضية ملحوظة أنه ممكن أن يكون فعلاً للناس إذا مشى هو يمشي هو في مقدمة المسلمين أما أن يأتوا في الأخير يقدموا أشياءهم من عندهم في الأخير ترى كم يجمع الأعداء من داخل تراث المسلمين الآخر كتب عباراتها غير لائقة في معظمها كم يقدمون من شبه على الإسلام نفسه يشتغلون بها ضد المسلمين .(ص٢٦)

[سورة آل عمران ـ الدرس الرابع عشر]

ـ القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله (ص) ومعرفة سيرته وشخصيته:

نرى أيضاً في ضمن هذه الآيات فيها ما يشخص لنا شخصية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفعلاً ـ كما نقول ـ أن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) معرفة سيرته معرفة شخصيته معرفة عظمته أو جوانب من عظمته، ما يمكن أن نعرفها بالنسبة له (صلوات الله عليه وعلى آله) وكذلك بالنسبة لأنبياء الله الآخرين، ونحن بحاجة ماسة إلى هذه القضية أيضاً، إلى معرفة الأنبياء وإلى معرفة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالذات معرفة كافية .

عرفنا كيف أنه كان قائداً لديه معرفة عالية ويعتمد عليه بشكل كبير في ميدان المواجهة {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} (آل عمران: من الآية١٢١) كذلك بالنسبة لنفسيته أخلاقه العالية سعة صدره التي تجعله يعرف كيف يتعامل مع الآخرين في الظروف الصعبة في الظروف التي عادة تؤدي إلى اختلاف بين الناس، اختلاف بين المجتمع اختلاف فيما بين القيادة والجنود {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:١٥٩) عندما نسمع توجيهات كهذه فيها ما هو حكاية عما هو عليه فعلاً {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (آل عمران: من الآية ١٥٩) أو نسمع توجيهات له وتراها ذات قيمة عالية وهامة جداً، خاصة في وضعية كهذه التي مر بها المسلمون بعد معركة أحد { فَاعْفُ عَنْهُم}(آل عمران:١٥٩) وتجد داخل الآيات التي تذكر أحداث معركة أحد وتلك الهزيمة، كم ظهر فيها من كلمات {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}(آل عمران: من الآية١٥٥) {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}(آل عمران: من الآية١٥٢) وهكذا فيوجه رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضاً بأن يعفو عنهم {فَاعْفُ عَنْهُم}(آل عمران:من الآية ١٥٩) العفو قد يكون التغاضي عن المؤاخذة التغاضي عن كثير من التأنيب والتوبيخ، العفو يختلف عن المغفرة ويكون له مجال خاص غير موضوع المغفرة، ولهذا يأتي في بعض الآيات يجمع بين العفو والمغفرة .

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} (آل عمران:من الآية ١٥٩) واستغفر لهم بأن تطلب من الله المغفرة لهم {وشاورهم في الأمر}(آل عمران:من الآية ١٥٩) لأنه في حالة كهذه عندما يتجه لأن يشاورهم هذه فيها نوع من الأنس، أعني يلمسون بأنه ما تزال نظرته إليهم جيدة وما يزال قريباً منهم، الإنسان الذي تتجه لمشاورته يعني ماذا؟ أن نفسك قريبة منه؛ لأنه ـ عادة ـ الهزيمة تترك أثراً كبيراً في النفوس خاصة، وهم عندما انهزموا في أحد تركوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في الميدان وكانت قضية كبيرة هذه، فكان هذا شيئاً طبيعياً أن يستحي كل شخص منهم ويخجل

ويكون يحاول أن لا يراه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فإذا ما اتجه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم وشاورهم وتحدث معهم يحسون بنوع من الأنس، فهذه لها أثر كبير في النفوس.

وعندما ينطلق رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يتعامل على هذا النحو من منطلق معرفته للناس كبشر يعرف الناس كناس ويعرف الوضعية أنه ليس صحيحاً أو ليس أسلوباً صحيحاً أن يتجه إلى توبيخ ومقاطعة لهم ونفور منهم هذا سيزيد من ماذا؟ من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك تماماً وكل إنسان هو وإن زل قد يكون قريباً إلا نوعيه منهم تحدث عنهم: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}(آل عمران: من الآية١٥٤) هذه نوعية ثانية لكن آخرين قد تكون أحياناً متى ما زلّ زلة كل واحد يعرف زلته، وكل واحد يكون لزلته أثر في نفسه وبالإمكان إذا ما تزال نفسيته صالحة يكون قابلاً لأن يوجه أكثر ويتفهم أكثر ويأخذ دروساً وعبراً مما حدث فيكون فيما بعد على مستوى أفضل.

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٥٩) أي يقول هنا في توجيهات {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(آل عمران: من الآية١٥٩) توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات .

إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد تكون في كتب السير تاريخاً يعرض فقط أحداثاً معينة مؤرخة ونكتب فيها أرقاماً معينة، لكن التحليل لشخصيته قضية ثانية، التحليل لمنطلقاته في عمله في تكتيكه العسكري في اختياره للقادة في اختياره للموقع وأشياء من هذه لا تتناولها معظم السير فعلاً، وهي قضية هامة، أي ليس المطلوب فقط من السير أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية وكم كان عدد المسلمين وكم كان عدد الكافرين وانتهى الموضوع، المطلوب أن نعرف كيف كان ـ بطريقة تحليلية ـ كيف كان تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف كان تخطيطه كيف كانت مشاعره كيف كان تقييمه كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين الكافرين الوضعية بشكل عام، وضعية العالم في ذلك الزمن بشكل عام حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة ويعطي عبرة وتعرف من خلاله النفسيات .

لاحظ هنا في معركة [أحد] كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}()(آل عمران: من الآية١٦٧،١٦٦) وسابقاً يقول: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:١٤١) {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}(آل عمران: من الآية١٤٠) {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}(آل عمران: من الآية١٤٢)

ـ استفد من الأحداث في وضع خططك الواعية القائمة على المعرفة:

وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأي واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته. إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً قائمة على معرفة خططاً واعية قائمة على معرفة تعرف أن هذا الإنسان كذا وهذا كذا وهذا كذا وتلك القبيلة كذا وسكان تلك القرية كذا وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا .

معرفة الرسول قضية هامة جداً:

معرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية هامة ـ كما أسلفنا ـ في أن يعرف الناس فعلاً أنه نعمة عظيمة من الله ولهذا قال بعد: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}(آل عمران: من الآية١٦٤) وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون . في نفس

الوقت أيضاً لا يعتبر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير، ولكنه حكيم تكون الأشياء تسير وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، أعماله تسير وفق ترتيبات دقيقة وخطط محكمة ورؤى صحيحة ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة معجزات، معجزات إلى آخرها يقول الناس من بعد: [إذاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قد التحق بالله وما معنا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة، خارقة... إلى آخره، إذاً ما نستطيع نعمل شيئاً] عندما تعرف بأنه كانت تلك الحركة تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليه ومن خلال القرآن الكريم، ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١).

أن تكون الأشياء تمشي على الطريقة هذه، معناه ماذا؟ أنها قابلة للإستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) موجوداً بينهم لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط نعرف أنه قائد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا.... إلى آخره،لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس وكيف كان أيضاً كيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء .

ـ الأنبياء أعظم قدوة نستلهم من خلال ما قدمه القرآن عنهم ما يفيدنا في مسيرتنا العملية:

لأنه فعلاً الذي حصل أنه أبعد الأنبياء عن قائمة أن يكونوا أشخاصاً يستلهم الناس من عملهم ما يفيدهم في حركتهم في مجال العمل لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ترافقت عدة أشياء منها: روايات يتجلى من خلالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وكأنه إنسان عادي أو غبي وليس فقط عادي إنما لا يفهم شيئاً كما يحكون في غزوة [بدر] أعني: روايات فيما يتعلق بميدان الجهاد وحتى فيما يتعلق بحياته الخاصة وأشياء كثيرة قدموه وإذا فقط فلان يوجهه أنه يحجب نساءه وفلان يقول: لا، أحسن نكون هناك على النهر من أجل عندما نكون في مواجهة مع العدو نكون قريبين من الماء ونسبقهم إلى الماء! وأشياء من هذه يبدو شخصاً بسيطاً لا يعرف شيئاً! لا، هو كان شخصاً هاماً جداً حكيماً وقديراً ذكياً فاهماً، قائداً على أعلى مستوى للقيادة فعلاً، حتى أن الغربيين عندما حللوا شخصيته ومواقفه اعتبروه أنه أعظم قائد في التاريخ كما يحكى أنهم فعلاً اعتبروا أنجح وأعظم قائد في التاريخ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

وكيف كان على الرغم من كفاءته العالية يتوكل على الله {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران: من الآية١٥٩) .

ـ تقديم أمثلة من حياة الناس للتوضيح:

تجد من يدعون إلى الإختلاف في النظام الديمقراطي تعددية حزبية وآراء متعددة، أليسوا يحتاجون أن يحسموا الموضوع فيما يتعلق بدستور وقانون؟ يحتاجون يحسمونه لأنهم عارفون أنه لا يمكن نقول تعددية وحرية في كل شيء بما فيها فيما هو نظام لأن معناه أن لا يكون هناك نظام يحكم الجميع، مثلاً قد نكون مجموعة أحزاب مجموعة شعب مليئ بالناس الذين اتجاهاتهم ورغباتهم وأهوائهم مختلفة، لا بد من نظام يحكم الجميع، أليسوا يعملون قانوناً للأحزاب نفسها ؟ دستوراً يقوم عليه التحزب بكله، ثم أيضاً يعملون قانوناً للأحزاب نفسها، يعني ماذا؟ يعتبر نظاماً، نظاماً واحداً، ويقدمونه بصيغة واحدة بحيث يكون ماذا؟ يعتبر منظماً لشئون الأحزاب هذه التي هي متعددة ومختلفة.

ثم ترى مثلاً مدينة معينة، ترى فيها أطباء ومهندسين ووزراء وعسكريين وإداريين وأصحاب مهن متعددة يعملون دستوراً على أساس أنه ينظم حياة هؤلاء ويجب أن يكون من جهة واحدة، وأن لا تخضع نصوصه لتفسيرات الناس

ولا لآرائهم وترجيحاتهم، أعني هذا ملاحظ في النظام الديمقراطي فترى أنه كيف أوصل الناس الذين قدموا مناهج أخرى من داخل المسلمين أوصلوا الإسلام إلى أن جعلوه هناك أعني بشكل رهيب جداً، أعني لم يعد ولا مثل الديمقراطية، مفتوح هكذا ثغرات، فلا تبتني عليه أمة ولا يقوم عليه نظام على الإطلاق.

في الديمقراطية هم يحاولون بهذا: أنه فيما لو حصل اختلاف في فهم نص دستوري، فليس الموضوع يخضع لاجتهادات المختلفين، هناك محكمة دستورية فيها شعبة معينة تختص بتفسير نصوص الدستور، وهل يسمحون إلى أنه في القوانين عندما يأتي قانون ينزل من مجلس النواب يسمحون للقانونيين والإقتصاديين والمثقفين أن يقدموا اجتهادات، وكل واحد ملزم بما أدى إليه نظره؟ وكل واحد يقلد بعده من قلد؟! أعني القضية يعرفها الناس بأنها خطأ وقد أصبحت معروفة بأنها خطأ، بكل وسائل المعرفة وما نزال متشبثين بها في دين الله الذي هو نظام للبشر جميعاً لتقوم عليه أمة واحدة !!(ص١٩)

ـ من خلال ما يعمل العدو سنعرف ماذا نعمل :

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}(آل عمران : من الآية ١١٢) **لاحظ هنا فيها قضية أعني في تشخيص نفسية بني إسرائيل أنه فيما يتعلق بالمواجهة بعد أن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة خوافين جداً من موضوع القتال، هذا يعني ماذا في الأخير؟ ولهذا نقول أكثر من مرة: يجب أن نعرف نتلمس ما يعملون ونعرف بأن بإمكاننا أن نعمل أشياء كثيرة في مواجهتهم لأنهم في المقابل يركزون على الأشياء الأخرى على الحرب النفسية والحرب الثقافية الإقتصادية، أشياء كثيرة، الحرب الإعلامية يركزون على وسائل أخرى بحيث ماذا؟ لا يبدون على أمة من الأمم إلا وقد هي منهارة لأنهم خوافين جداً من موضوع القتال .**

إذاً نحن بنظرتنا العربية مثلاً العرب قد يكونون فاهمين موضوع الصراع يعني ماذا؟ قتال، قتال، أليس هكذا؟ لكن يجب أن تفهم الطرف الآخر، العدو الذي يتحرك في مواجهتك، يتحرك عندما يكون من النوعية هذه فاعرف بأنه يشتغل بوسائل أخرى متعددة، هذه هي حالة ضعف كبيرة فيه معظم الوسائل التي يشتغل بها هي عنده وسائل رئيسية أساسية وهي في نفس الوقت بالشكل الذي يمكن للناس أن يواجهوها أن يتحركوا في مواجهتها لكن عندما تأتي عند الناس يقولون: [ما معنا ولا معنا] العربي دائماً ينظر إلى موضوع السلاح فقط سلاح سواء سيف أو سلاح تفجيرات فقط. يقول لك هناك: هذا العدو نفسه خواف من المسألة هذه، يشتغل معك بطرق ثانية إذا نجحت أنت معه في الطرق الثانية هذه في مواجهته لن يصل إليك بالسلاح إذا استطاع الناس أن يفشلوا أعماله الأساسية فلن يبدي عليهم نهائياً .

لو أنهم ناس عندهم جرأة لما أتعبوا أنفسهم في القضايا الأخرى، هم يعرفون بأنه من الناحية المادية فيما يتعلق بقدرات عسكرية بأنه لا يوجد توازن ما بين الناس وما بينهم يمتلكون أن يضربوا الناس من علوٍ شاهق ومن بعد مئات الأميال صواريخهم ومن أعماق البحار من الغواصات ومع هذا كله مع هذه الإمكانيات ليس لديهم جرأة مواجهة مسلحة هكذا يعتمدون بشكل أساسي على الطرق الأخرى، بحيث أنهم لا يبدون على أمة من الأمم أو شعب من الشعوب إلا وقد ضرب أساساً قد هو منتهي، قد هو منتهي] .

ولهذا تجدهم على الرغم من أسلحتهم المتفوقة ما يزال يخاف من البندق هذا السلاح الشخصي، أليسوا يطوفون الأسواق ليروا إذا فيها أسلحة؟ ويجلسون يحاولون كيف يلفقون تلفيقات لسحبها، يضيعونها، هذه الأسلحة البسيطة كم الفارق بين الطلقة طلقة رصاص وبين الصاروخ الذي لديهم؟ ما زال خائفاً لأنه لا يريد مواجهة مسلحة لاحظ كيف هم في العراق الآن؟ في العراق ألم يبدو بحالة يعني فيها ضعف كبير جداً، تأتي قذيفة معينة ضربت عليهم مدرعة أو ضربت ناقلة أو ضربت ...قتل مجموعة جنود اهتزت أمريكا هناك وتهتز معنويات الجنود في الداخل في العراق، فيتهربون على تركيا وعلى سوريا، لكن متى وصلوا إلى العراق متى ضربوه عسكرياً؟ بعد ضربات أخرى كثيرة ولهذا نحن نقول الناس يشتغلون بالوسائل هذه أشياء كثيرة في متناول الناس

يعملونها إضافة إلى إعداد أنفسهم للمواجهة المسلحة لأن هذه قضية أساسية لا يأمن هذا العدو طرفك بأنك لا تواجهه معنى هذا يتجرأ عليك يعرف أنك مستعد بأن تواجهه بما لديك من سلاح مهما كان بسيطاً، وفي نفس الوقت يجب أن تشتغل بالطرق الأخرى الموضوع الثقافي موضوع الحرب النفسية، الحرب النفسية هي حرب واسعة وهم يركزون عليها بشكل كبير نحن نقول مثل موضوع شعار ومقاطعة اقتصادية وتوجيه للناس على هذا النحو يعتبر حرباً، يعتبر تحصين للأمة من ماذا؟ من حربهم الحقيقية .

لكن لاحظ من العجيب عندما لا يوجد رؤية بهذا الشكل وهي رؤية قرآنية يرشد إليها القرآن يقولون (ماذا نعمل؟!) وهم كل واحد يستطيع أن يعمل الكثير [ماذا نعمل؟] وسائل أن تعمل كثيرة، مطبوعات متوفرة أشرطة متوفرة الأموال بأموال الناس بإمكانياتهم الحاصلة يستطيعون أن يكون لهم حركة ثقافية كبيرة حركة دعائية ضد العدو كبيرة؛ لأنها أساس في القرآن فضح العدو وما هو عليه ونواياه كذلك مواقف شعارات الشعار يمثل حرباً نفسية بالنسبة لهم حرباً نفسية لأنهم عندما يضربون في العراق ورأوا الناس هنا ما سكتوا ما يزال الشعار [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] رأوا أن هؤلاء لم يتأثروا نفسياً هو ينهزم نفسياً، هو في المقابل أعني عندما يفجر هناك في الأخير ينظر هنا ينظر كم الذين قد خافوا؟ كيف سيظهر بأنك خفت منه؟ أن نفسيتك انهزمت؟ عندما يراك تراجعت رأى الناس يرفعون شعارات من قبل يضرب العراق ومن بعد أن ضرب العراق وأثناء ضربه وأثناء عمله الكبير الدعائي الإعلامي الذي هو يمثل ماذا؟ حرباً نفسية وجدهم لم يتراجعوا يحاول يسجن يحاول كذا ما تراجعوا، هي في حد ذاتها حرب نفسية كبيرة في مواجهتهم، وإبطال، إبطال لحرب نفسية من عندهم. (ص٢٣)

ـ الله هو الذي تولى رسم الطريقة:

التأكيدات الإلهية على التسليم له هذه هي قاعدة هامة، إذا كان هناك معرفة بالله، لأنه كيف يمكن أن يقول للناس أن يكونوا مسلمين له، ولا يرسم الطريقة التي تمثل إسلامهم له هل سيتركها لأمزجتهم؟! التوجيهات التي رأيناها في [سورة البقرة] وفي [سورة آل عمران] وفي سور أخرى على أن يكون الناس مسلمين له، مسلمين{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} (آل عمران: من الآية١٩) **لا يمكن أن يقول لك هكذا، إلا وقد رسم الطريقة تماماً التي تسلم نفسك باتباعها، بالسير عليها، ولهذا سماه صراطاً مستقيماً، وسماه سبيلاً، ألم يسمه سبيلاً، وسماه صراطاً مستقيماً؟. لا يقول: مسلمين أن تكون مسلماً لله أن تسلّم لله وتسلّم نفسك لله ثم في الأخير كل واحد يتحرك من عنده يقدم رؤى ويقدم مناهج ويقدم أشياء، ويعتبر أنه لأجل يسلّم نفسه لله ويسير عليها، أليس معنى هذا بأنه سيعتبر تقصيراً من جانب الله لو أن المسألة بهذا الشكل؟ أبداً، لا يمكن أن يكون هناك تقصير من جانب الله؛ لأنه لا أحد يمكن أن يقول لك أن تكون مسلماً إلا وقد قدّم طريقة يمثل سيرك عليها التسليم له.**

إضافة إلى الحالة النفسية لديك، إخضاع نفسك هناك طريقة{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء: من الآية٨٠) **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}** (الأنعام: من الآية١٥٣) **هنا معنى التسليم {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ} و {فَاتَّبِعُوهُ} أليس معنى التسليم؟ عندما يقول تسليم هنا، أليس فيه طاعة واتباع؟ أليس هناك فيه أشياء واضحة صراط وهناك رسول؟ ألم يجعل التسليم قضية عملية؟ أن يكون التسليم قضية عملية، يعني هناك منهج متكامل يمثل تسليمك لله أن تسير عليه.**

إذا ما فهمنا هذه سنغلط حتى في إخلاصنا لله، ألسنا نقول: ممكن أن تغلط وأنت مخلص؟ لأن أول فاتحة إخلاصك لله أن تسير على كتابه وإلا فأنت غير صادق أنت مخادع لنفسك أنت تشتغل بالمقلوب تخلص لله بباطل، أحياناً قد يكون عندك ضلال يكون عندك باطل، وعندك أنه من دين الله وتكون أنت تقدمه لله وتخلص له به، هذه قضية غريبة تقدم لله شيئاً هو كاره له ولا يريده وبإخلاص له.

فالإخلاص لله، الذي هو ماذا؟ يعني التسليم لله أو مظهر من مظاهر تسليم الإنسان نفسه لله يجب أن يكون معروفاً لدينا بأنه يتجسد في ماذا؟ أن يكون عندك فكرة أنك تتبع، تتبع كتاب الله ، تتبع هدى الله هذا يتمثل فيه إخلاصك لله.

كيف يمكن أن يقول أو يؤكد على أن يكون الناس مسلمين له؟ كيف نستطيع أن نوفق بينها وبين ما قدم في الأخير بأن الدين هكذا [لا يوجد هناك أدلة يقينية لا يوجد جهة تتبعها لا يوجد ولا، ولا إلى آخره معنا كتاب وسنة، لا يوجد جهة تقول بأنها هي قائمة على هذا إنما فقط كل واحد يقوم من عنده يبحث ويجتهد وهو ملزم بما أدى إليه نظرهُ وبحثه واطلاعه وترجيحاته!] هل يمكن أن توفق بين تأكيدات القرآن للتسليم وبين المقولة هذه، لأن معنى هذه أن هذا الموضوع ضائع، أليس معناه هكذا؟ لا يوجد طريقة واضحة، معناه لا يوجد طريقة واضحة! فكيف يمكن أن الله يقول لك أن تسلم له ولا يوجد طريقة تسير عليها؟ لا يصح، هذا لا يمكن أن يصح عند البشر هم، يقول لك امشِ على الدستور تلتزم بالقانون ولم يعمل قانوناً، ممكن يقول لك هكذا؟ تلتزم بالقانون تكون مطيعاً ولا يوجد هناك قانون؟ أو يقول لك تكون مطيعاً ولا يقدم لك شيئاً يعبر عن ماذا؟ أن يكون عملك به طاعة له؟ لا يمكن هذا عند البشر، ما بالك عند الله سبحانه وتعالى.

وللأسف أنه إلى الآن ما نزال نتشبث بالطرق هذه التي تنطلق على أساس أن كل واحد يشتغل من عنده، بل بعضهم يقدمها كمقترح في حلّ لما يواجه المسلمين اليوم من جانب الأمريكيين والإسرائيليين يقول [لازم مزيد من الديمقراطية المزيد من الحرية، التي يسمونها حرية، القول والقول الآخر] يعني مزيد من التمزق، مزيد من الثرثرة، التي لا يبتني عليها شيء!.

وتجد الطريقة هذه، الله رسم من البداية عندما تحدث عن بني إسرائيل، ثم كيف يكون الناس في مواجهتهم، هي هذه طريقة واضحة{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}(آل عمران : من الآية١٠٥) قلنا نحن بحاجة إلى أصول دين، أصول فقه، تهتم بالبحث عن البينات هذه، هذا أصول الفقه الصدق، أصول الدين الصدق، أن يكون هناك أصول فقه وأصول دين يبحث هذه البينات التي إذا سار الناس عليها لا يختلفون ولا يتفرقون.

وكان هذا الوعيد الشديد ـ كما كررنا ـ الوعيد الشديد هذا: {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(آل عمران : من الآية١٠٥) كان المفروض أن يكون هو بالشكل الذي يدفع الناس من الذين من قبلنا جيل بعد جيل أن يدفعهم إلى أن يهتموا بالبحث عن البينات التي لا يفترق الناس ولا يختلفون إذا ساروا عليها، لكن الجهل بالله أو تقول النقص الكبير في معرفة الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى جهل بكتابه وجهل برسوله وجهل بدينه وجهل بدنياه وجهل بالآخرة وجهل بالإنسان نفسه وجهل بسنن الحياة هذه.

إن هذه من الأشياء التي تعتبر سيئة جداً، أن يجد المسلمون نهياً هنا عن التفرق والإختلاف ثم يحاولون كيف يشرعون ويجعلون الإختلاف مقبولاً، ويردون على الله بأنه: [الإختلاف طبيعي والإختلاف ضروري] أليس هذا يعني جهلاً بالله بشكل كبير؟ جهلا بأنه كما قال في آية أخرى: {قُلْ أَنْزَلَهُ}(الفرقان : من الآية٦) نزل هذا القرآن الذي فيه هذه الآية{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفرقان : من الآية٦) كيف يمكن أنه ينهى عن الإختلاف والتفرق ثم لا يرسم طريقة تبعد الناس عن الإختلاف والتفرق، هو الذي خلق الإنسان ثم ترد عليه وتقول: الإختلاف طبيعي بين الناس!.

تجد من يدعون إلى الإختلاف في النظام الديمقراطي تعددية حزبية وآراء متعددة، أليسوا يحتاجون أن يحسموا الموضوع فيما يتعلق بدستور وقانون؟ يحتاجون يحسمونه لأنهم عارفون أنه لا يمكن نقول تعددية وحرية في كل شيء بما فيها فيما هو نظام لأن معناه أن لا يكون هناك نظام يحكم الجميع، مثلاً قد نكون مجموعة أحزاب مجموعة شعب مليئ بالناس الذين اتجاهاتهم ورغباتهم وأهوائهم مختلفة، لا بد من نظام يحكم الجميع، أليسوا يعملون قانوناً للأحزاب نفسها ؟ دستوراً يقوم عليه التحزب بكله، ثم أيضاً يعملون قانوناً للأحزاب نفسها، يعني ماذا؟ يعتبر نظاماً، نظاماً واحداً، ويقدمونه بصيغة واحدة بحيث يكون ماذا؟ يعتبر منظماً لشئون الأحزاب هذه التي هي متعددة ومختلفة.

ثم ترى مثلاً مدينة معينة، ترى فيها أطباء ومهندسين ووزراء وعسكريين وإداريين وأصحاب مهن متعددة يعملون دستوراً على أساس أنه ينظم حياة هؤلاء ويجب أن يكون من جهة واحدة، وأن لا تخضع نصوصه لتفسيرات الناس

ولا لآرائهم وترجيحاتهم، أعني هذا ملاحظ في النظام الديمقراطي فترى أنه كيف أوصل الناس الذين قدموا مناهج أخرى من داخل المسلمين أوصلوا الإسلام إلى أن جعلوه هناك أعني بشكل رهيب جداً، أعني لم يعد ولا مثل الديمقراطية، مفتوح هكذا ثغرات، فلا تبتني عليه أمة ولا يقوم عليه نظام على الإطلاق.

في الديمقراطية هم يحاولون بهذا: أنه فيما لو حصل اختلاف في فهم نص دستوري، فليس الموضوع يخضع لاجتهادات المختلفين، هناك محكمة دستورية فيها شعبة معينة تختص بتفسير نصوص الدستور، وهل يسمحون إلى أنه في القوانين عندما يأتي قانون ينزل من مجلس النواب يسمحون للقانونيين والإقتصاديين والمثقفين أن يقدموا اجتهادات، وكل واحد ملزم بما أدى إليه نظره؟ وكل واحد يقلد بعده من قلد؟! أعني القضية يعرفها الناس بأنها خطأ وقد أصبحت معروفة بأنها خطأ، بكل وسائل المعرفة وما نزال متشبثين بها في دين الله الذي هو نظام للبشر جميعاً لتقوم عليه أمة واحدة !![الدرس١٤ص٢٠]

[سورة آل عمران ـ الدرس السادس عشر]

ـ كيف نقدم التاريخ:

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٥٩) **أي يقول هنا في توجيهات {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}** (آل عمران: من الآية١٥٩) **توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات .**

إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد تكون في كتب السير تاريخاً يعرض فقط أحداثاً معينة مؤرخة ونكتب فيها أرقاماً معينة، لكن التحليل لشخصيته قضية ثانية، التحليل لمنطلقاته في عمله في تكتيكه العسكري في اختياره للقادة في اختياره للموقع وأشياء من هذه لا تتناولها معظم السير فعلاً، وهي قضية هامة، أي ليس المطلوب فقط من السير أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية وكم كان عدد المسلمين وكم كان عدد الكافرين وانتهى الموضوع، المطلوب أن نعرف كيف كان ـ بطريقة تحليلية ـ كيف كان تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف كان تخطيطه كيف كانت مشاعره كيف كان تقييمه كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين الكافرين الوضعية بشكل عام، وضعية العالم في ذلك الزمن بشكل عام حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة ويعطي عبرة وتعرف من خلاله النفسيات .

لاحظ هنا في معركة [أحد] كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} (آل عمران: من الآية١٦٧،١٦٦) **وسابقاً يقول: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}** (آل عمران:١٤١) **{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}** (آل عمران: من الآية١٤٠) **{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}** (آل عمران: من الآية١٤٢)

وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأي واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته. إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً قائمة على معرفة خططاً واعية قائمة على معرفة تعرف أن هذا الإنسان كذا وهذا كذا وهذا كذا وتلك القبيلة كذا وسكان تلك القرية كذا وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا .

معرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قضية هامة ـ كما أسلفنا ـ في أن يعرف الناس فعلاً أنه نعمة عظيمة من الله ولهذا قال بعد: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية١٦٤) **وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون . في نفس**

الوقت أيضاً لا يعتبر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير، ولكنه حكيم تكون الأشياء تسير وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، أعماله تسير وفق ترتيبات دقيقة وخطط محكمة ورؤى صحيحة ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة معجزات، معجزات إلى آخرها يقول الناس من بعد: [إذاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قد التحق بالله وما معنا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة، خارقة... إلى آخره، إذاً ما نستطيع نعمل شيئاً] عندما تعرف بأنه كانت تلك الحركة تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) إليه ومن خلال القرآن الكريم، ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} (هود: من الآية١) .

أن تكون الأشياء تمشي على الطريقة هذه، معناه ماذا؟ أنها قابلة للإستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) موجوداً بينهم لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط نعرف أنه قائد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا.... إلى آخره،لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس وكيف كان أيضاً كيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء .

لأنه فعلاً الذي حصل أنه أبعد الأنبياء عن قائمة أن يكونوا أشخاصاً يستلهم الناس من عملهم ما يفيدهم في حركتهم في مجال العمل لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ترافقت عدة أشياء منها: روايات يتجلى من خلالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وكأنه إنسان عادي أو غبي وليس فقط عادي إنما لا يفهم شيئاً كما يحكون في غزوة [بدر] أعني: روايات فيما يتعلق بميدان الجهاد وحتى فيما يتعلق بحياته الخاصة وأشياء كثيرة قدموه وإذا فقط فلان يوجهه أنه يحجب نساءه وفلان يقول: لا، أحسن نكون هناك على النهر من أجل عندما نكون في مواجهة مع العدو نكون قريبين من الماء ونسبقهم إلى الماء! وأشياء من هذه يبدو شخصاً بسيطاً لا يعرف شيئاً! لا، هو كان شخصاً هاماً جداً حكيماً وقديراً ذكياً فاهماً، قائداً على أعلى مستوى للقيادة فعلاً، حتى أن الغربيين عندما حللوا شخصيته ومواقفه اعتبروه أنه أعظم قائد في التاريخ كما يحكى أنهم فعلاً اعتبروا أنجح وأعظم قائد في التاريخ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

وكيف كان على الرغم من كفاءته العالية يتوكل على الله {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران: من الآية١٥٩) . (ص٢)

ـ أهمية المقارنة:

من واجب المؤمن نفسه عندما يقوم بعملية مقارنة مع أنها غير لائقة بالمؤمن حتى يقارن بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ومن الذي يجب أن يكون هو الأقوى، أولياء الله المعتمدين على الله القوي العزيز المتوكلين عليه الموعودين بنصره وتأييده أم أولياء الشيطان الذين نفس الشيطان ليس ناصحاً لهم {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ} الشيطان نفسه ليس ناصحاً لأوليائه، الشيطان ضعيف وأولياؤه ضعاف {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} (النساء : من الآية٧٦) أولياء الشيطان مهما كثروا هم في دائرة الضعف ومهما عظم ولاؤهم للشيطان معناه ماذا؟ كلما اشتد ضعفهم كلما كانوا أكثر ولاءً للشيطان كلما كانوا أكثر ضعفاً .(ص٩)

[سورة النساء ـ الدرس السابع عشر]

شبهات حول المرأة

١ـ سياسة اليهود في التفريق بين الرجل والمرأة:

في هذه السورة كثير من التوجيهات والأوامر المؤكدة المرفقة بالتهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يخالف هذه الحدود التي رسمها، ومعظمها تتعلق بالنساء في مجالات متعددة، سواء في موضوع النكاح، وموضوع الطلاق، وموضوع الميراث، والمعاشرة بين الرجل وزوجته، مرفقة بإعطاء صورة عن واقع الإنسان بشكل عام، وتذكيراً للرجل بأن الرجل والمرأة هم أصلاً جنس واحد ومن نفس واحدة، من نفس واحدة . هذه القضية ملموسة في كثير من آيات القرآن الكريم، في موضوع الرجل والمرأة: أنهم عبارة عن نوع واحد من مخلوقات الله، جنس واحد اسمه: الإنسان، اسمه: بنو آدم ، قضية مؤكدة أعني: أن تترسخ في الذهنية هذه الرؤية في ثقافة الناس في أنفسهم هم: هم عبارة عن مخلوق واحد ، جنس واحد بكل ما تعنيه الكلمة.

الله سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن يعلم ما سيأتي في المستقبل على أيدي كثير من أعدائه، وبالذات اليهود ماذا سيعملون وكيف سيقدمون القضايا.

هو ذكر عن اليهود في [سورة البقرة] توجههم للتفريق، لديهم سياسة التفريق، كان يهمهم من العلوم الهامة في عصر سليمان هو: أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! ذكر عنهم أيضاً: أنهم يفرقون بين الله ورسله وأنهم يفرقون بين رسله. عندهم سياسة التفريق هذه قائمة إلى الآن وبرزت بشكل كبير في هذا العصر بما فيها هذه: التركيز لديهم على التفريق فيما بين الرجل والمرأة باعتبار هذا جنس وعالم لوحده، وهذا جنس وعالم لوحده؛ ليثيروا هذا العالم على هذا العالم الآخر وليحسسوا هذا العالم، عالم المرأة ـ كما يحاولون ـ أنه مستضعف ومضطهد وحقوقه يضيعها عالم الرجل. التفريق هذه سياسة لديهم يفرقون بين الإنسان وبين الله بلغت المسألة حتى مع عملائهم وأصدقائهم من الحكام أن يعملوا على التفريق بينهم وبين شعوبهم، أليست سياسة قائمة إلى الآن؟.

لخطورة القضية هذه: أن يترسخ لدى الرجل أنه عالم لوحده ولدى المرأة أنها عالم لوحدها وما سيترتب على هذا من سلبيات كبيرة ومن حالة صراع فيما بين الرجل والمرأة؛ أكد الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية الوحدة القائمة فيما بين الرجل والمرأة: أنهم من نفس واحدة وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى يخلق آدم أولاً، ثم يخلق منه حواء زوجته، لم تخلق بطريقة أخرى مثلاً: أن يخلقها هناك كما خلق آدم من طين من صلصال، فإذا سويتها ونفخت فيها من روحي، لا يوجد، خلق آدم ثم جعل منه زوجته، العبارة هذه توحي ليس فقط أنه جعل من جنسه، منه فعلاً ؛ لأنه ليس هناك أي معلومات أخرى بأن حواء خلقت لوحدها بطريقة أخرى أبداً، بل خلق منها زوجها، جعل منها زوجها أي: جعل من هذه النفس التي هي آدم زوجها.

في الفطرة فيما بين بني آدم الله جعل الرجل سكنا للمرأة وجعل المرأة سكنا للرجل، جعلها لباسا للرجل وجعل الرجل لباسا لها: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: من الآية١٨٧)، مهمتهم الأساسية هي كلها هي مهمة واحدة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: من الآية٣٠) أليس الله قال هكذا في القرآن الكريم؟ دورهم، مسئوليتهم في هذه الأرض واحدة، مهمتهم واحدة، هذا الإنسان ـ ولهذا جاء في القرآن الخطاب بلفظ ناس: {يا أيها الناس}، {يا أيها الناس}، هي تشمل الرجل والمرأة بعبارة واحدة اسمهم: ناس، كلهم اسمهم: بنو آدم، ـ مسئولية واحدة، ومهمة واحدة الآثار الطيبة أو النتائج السيئة كلها تأتي واحدة لا تتصور بأنه بالإمكان أن يكون الرجل يعيش في ظل وضعية صحيحة إلا وتكون المرأة كمثله، أو أن يكون في وضعية مضطهدة ستكون المرأة كمثله في مسيرة الحياة، لا تستطيع أن تتصور أنه يمكن أن يكون للرجل وضعية مستقلة عن المرأة أو للمرأة وضعية مستقلة عن الرجل في مسيرة الحياة على الإطلاق، كلها مسيرة واحدة، وكلهم كيان واحد، تختلف فقط الأدوار في إطار النهوض بهذه المسئولية التي هي ملقاة على بني آدم بشكل عام، تختلف الأدوار ليس فقط فيما

بين الرجل والمرأة بل فيما بين الرجال أنفسهم وفيما بين النساء أنفسهن وكلمة: {خَلِيفَةً} يظهر من خلالها أنها مسئولية.
إذاً فالدور الرئيسي للإنسان بشقيه أو بجزئيه فعلاً المترابطين: الرجل والمرأة هي ماذا؟ مسئولية بكل ما تعنيه الكلمة أوسع حتى من مسألة النظام الإداري أو المؤسسات الإدارية لأي دولة من الدول، الحياة بكلها مسئولية، المهام بكلها تسمى: مسئوليات.
كانت الغلطة الكبيرة عندما اتجهوا إلى المرأة، اليهود اتجهوا إلى المرأة ليحسسوها بأنها تفقد الكثير من حقوقها وأطلقوا على كل هذه المسئوليات اسم: حقوق، الوظيفة العامة، الأعمال الإدارية، كلها سموها حقوقاً، رئيس، رئيس وزراء، أو وزير معين، أو وكيل وزارة أو مدير أو نائب أو أي شيء من هذه سموها حقوقا، وهذه غلطة كبيرة يجب أن نقاومها، هذه لا تسمى: حقوقا، هذه تسمى: مسئوليات، والمسئولية عادة يجب على الرجل والمرأة جميعا أن يعملوا من أجل أن تكون المسئوليات في المؤهلين لها، ليست المسئولية عبارة عن حق فيقال: الرجل له حق كذا، أما المرأة فليس لها حق ثم يقال للمرأة: يجب عليها أن تناضل من أجل أن تحصل على حقوقها فتكون شريكة مع الرجل في الإدارة في المنصب الفلاني .. إلى آخره! لا، هذه غلطة من البداية. نقول: لا، هذه هي مسئوليات هذه هي مسئولية يجب أن نبحث داخل الرجال أنفسهم عن المؤهل في أي عمل كان.
ولأن القضية كلها مسئولية، نفس الاستخلاف هو مسئولية، أن الإنسان حتى فيما يتعلق بممتلكاته الخاصة فيما يتعلق بأسرته متى ما كانت تصرفاته متجاوزة أمكن أن يُحْجَر عليه هذه القضية معلومة، وفي أموالك الخاصة أنت ما يقال بأن هذا حقي أعمل به ما أريد، لو يجد الناس شخصا يريد أن يحرق عملة من العملات الورقية أو يتلف شيئا من أمواله هكذا لوجب عليهم أن يمنعوه، لوجب على الحاكم أن يحجر عليه، أو وجدوه يسرف في نفقاته بشكل كبير فيلحق أضراراً بأولاده، وبأسرته، بل يبدو من خلال تعامله أنه تعامل غير طبيعي مع موضوع المال بشكل عام أن يحجر عليه، أن يوقفوه، أليس هذا يعني: أنها مسئوليات.
فهم اتجهوا إلى مسألة: التفريق ليستغلوا المرأة وليقدموا أنفسهم وكأنهم همهم إقامة القسط والعدل وأن تعطى المرأة حقوقها! لاحظ كيف الطريقة كيف قدموها، كان بإمكانهم هم كرجال أن يقوموا بالعملية دون إشعار للمرأة ومحاولة إثارة المرأة نفسها؛ هل إثارة المرأة نفسها في أي مجتمع يمكّنها من أن تصل لنيل حقوقها ـ كما يقولون ـ؟ لا. عندما يأتي الأمريكيون في أي بلد يقولون بأنهم يريدون المرأة أن تأخذ حقوقها! لم يتجهوا هم إلى الرجل في أي شعب ليضغطوا عليه ليؤدي حقوق المرأة، لكن يتجهون بشكل كبير إلى إثارة المرأة، إثارة المرأة نفسها وهم يعلمون أن هذه المرأة في أي شعب من الشعوب لا تستطيع هي، هل هي تمتلك سلطة؟ هل تمتلك قدرات على أن تنال الحقوق التي رسخوا في ذهنيتها أنها حقوق؟ هذا لا يحصل، ما الذي يحصل في الأخير ؟ ما النتيجة في الأخير؟ هي قضية تعقيد، أن يعقدوا المرأة على الرجل وأن تكون المرأة قريبة من التأثر بهم؛ لأنها تراهم وكأنهم مهتمون بقضيتها.
لكن تجدهم في نفس الوقت ـ لأنهم كاذبون في كل ما يدعون أنه حقوق ـ أن الرجال أنفسهم، أليس العالم، أليس الناس مظلومين بسببهم؟ حقوق الناس بكل ما تعنيه الكلمة حسب ما يقدمونها حقوق العرب، حقوق حكومات وحقوق شعوب، كلها هم ينتهكونها هم، يضيعون حقوق الناس هم، تعاملهم أليسوا دائما يقولون: إن من الحقوق التي يعملون لأن ينالها كل إنسان هو الحق في حرية التعبير، الحق في الرأي والرأي الآخر وأشياء من هذه؟ لماذا لا يتعاملون مع من يرفعون شعاراً في المساجد وهم على مدى سنة كاملة يوجهون بسجنهم؟ أليسوا كذابين أن يقولوا أنهم يريدون حقوقا؟ هم ينتهكون حقوق الكل وليست المرأة ذات قضية لديهم أنهم مهتمون بحقوق معينة لديها إنما المهم هو: التفريق بين الناس، التفريق بين الناس مهما أمكن التجزئة، أي شيء ممكن تجزئته يجزئونه، إذا أمكن تجزءة الأسرة الواحدة يجزئونها، ولأن الأسرة الواحدة تتكون عادة من رجال ونساء سيجزئون الأسرة الواحدة لو يمكنهم أن يجزئوك أنت إلى جهتين تحارب بعضها البعض لعملوا هذه!!.

إذا كانوا صادقين في مسألة حقوق، هناك حق أنتم دائما تفخرون بأنكم تحافظون عليه هو حق التعبير، لماذا لا تتركون للرجال حق أن يعبروا عن مشاعرهم عن رؤاهم عن مواقفهم عندما يرددون [شعاراً] في المساجد؟ عندما يسجنونهم أليسوا يشهدون على أنفسهم بأنهم كاذبون في أنهم يريدون أن يعطوا كل ذي حق حقه؟

إذاً فلا الرجل ولا المرأة، ليسوا وراء إعطاء أحد حقه، هم وراء أن يأخذوا حقوق الكل، إنما لا يتمكنون أن يأخذوا حقوق الكل إلا بعد سياسة التفريق هذه وتجزئة المجتمع وتفريق ما بين الحاكم والشعب وما بين الرجل والمرأة، التفريق بكل ما تعنيه الكلمة، سياسة أثبتها القرآن الكريم أنها قائمة لديهم منذ أن حكى عنهم أنهم يفرقون بين المرء وزوجه أعني: منذ قرون كثيرة.

إذاً فهذه السورة تقدم لنا كيف يكون منطقنا نحن، وما الذي نرسخه نحن في المجتمع في مواجهة ما يقدم، فعلا لا تواجه إدعاءاتهم التي منها تسمية هذه الأشياء حقوقاً، لا تواجه بعبارة أخرى بأن القضية ليست حقوقا بل هي مسئوليات، وأنها ليست مسئوليات هي لجهة باعتبار أنه جنس مستقل هي مسئولية في إطار المسئولية العامة التي الرجل يقوم بدوره والمرأة تقوم بدورها، الرجال متفاوتون في أدوارهم، والنساء متفاوتات في أدوارهن وهكذا والنتيجة في الأخير ماذا؟ النهوض بمسئولية واحدة ونتائج واحدة تعود على الطرفين في الدنيا والآخرة، تعود على بني آدم بشكل عام بشقيه بشقي الإنسان: الرجل، والمرأة. كذلك في مواجهة ترسيخهم هذه القضية ترسيخ: أن المرأة عالم لوحدها، يجب أن نأخذ درسا مهما من هذه السورة وغيرها.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}(النساء: من الآية١) نحن نقول: بأن كل مفردة في القرآن الكريم في نفس الوقت الذي تقدم تشريعاً معيناً هي ترسم منهجاً معيناً في نفس الوقت{الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} فعندما يعرف الناس جميعا أنهم مخلوقون من نفس واحدة كان بإمكان الرجل نفسه أن يتنازل عن نصيبه؛ لأن العرب كان الكثير منهم أو كان الشيء السائد لديهم: أن لا يعطوا المرأة ميراثا.

يحسسهم بأن المرأة هي جزء منك وأنتم كلكم من نفس واحدة؛ ولهذا قال بعد: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً} (النساء:٧).

فليعرف الإنسان الذي هو ماذا؟ الجزء من هذا الإنسان وهو الرجل أن يعرف أن المرأة هي جزء منه فلا يعتبر نفسه وكأنه يتعامل مع طرف آخر مع عالم آخر وهنا يعرف أنه عندما يقدم من أمواله عندما يسمح عندما يقبل أن يكون هناك جزء من المال يتجه للمرأة فلا يعتقد بأنه مال من عالم اتجه إلى عالم آخر، وهنا يقدم حتى نفس المال قضية المال أنه: أموالكم، حتى قضية المال يقدمها أمام المجتمع باعتباره مالا عاما واحدا يعني: ماذا؟ نتيجته في الأخير، لديك أنت أموال خاصة ولدي أموال خاصة وكل واحد لديه أموال خاصة، هذه مُقَرةٌ، لكن في نفس الوقت يحسس الناس أنه في حركة المال دور المال بشكل عام هو بالشكل الذي يستفيد منه الجميع فهو أموالكم جميعا بهذا الاعتبار.

ولأن القضية هامة يصدرها بعبارة: {اتَّقُوا رَبَّكُمُ} اتقوا ربكم، معناه: هذه توجيهات وراءها عقوبات وراءها وعيد ليست مجرد مقترحات إذا أعجبكم أن تأخذوها فلا بأس وإلا فمع السلامة؛ مقترحات كهذه لا تكون لها قيمة، الله هو ملك سبحانه وتعالى هو إله الناس هو ربهم هو الذي خلقهم فكل حدوده، كل تشريعاته، كل توجيهاته وراءها عقوبات في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

كثيرا ما يظهر أنه في مقامات معينة، في قضايا معينة تبدو أعني: بشكل تعطى أهمية كبيرة جداً تلحظ بأنه أهميتها أهمية الإلتزام فيها الوعيد الشديد على عدم الإلتزام فيها هو: أنه باعتبار أنها ظلم في نفس الوقت والظلم قبيح والظلم فضيع والظلم له آثاره السيئة فيما بين الناس، وفي نفس الوقت كثير من القضايا هذه من هذه القضايا يكون لها أثر سلبي؛ لأنها يشكل التقصير فيها، عدم الإلتزام بها يشكل في الأخير منفذاً لأعداء الإسلام، منفذاً لأعداء الإسلام يدخلون منه يحاربون الدين، وليحاربوا الأمة لتجزئتها؛ لهذا كانت إساءة كبيرة فعلا من جهة الناس إلى دينهم وإساءة إلى أنفسهم، إساءة إلى أنفسهم أنه عندما لا يكون هناك إلتزام بمثل هذه

التوجيهات العظيمة في مجال التعامل مع بعضهم بعض: الرجال، والنساء؛ كان في الأخير، شكلت ثغرة للأعداء أن يدخلوا من خلالها لمحاربة الرجل والمرأة!.

ومن العجيب عندما ذكر لنا بعض الإخوان أمس: أنهم في التعريف بالمجتمع بأنه [يتكون من أسرة] قالوا: لا، أن يقال: [يتكون من الآباء والأمهات]؛ لأن كلمة أسرة ما تزال تعطي ماذا؟ عنوانا واحدا [الأسرة] قالوا: لا؛ لأنهم يريدون التجزئة بهذا الشكل تقول: المجتمع يتكون من رجال ونساء، والمرأة ـ في الأخير ـ يقولون: هي نصف المجتمع بمعنى ماذا؟ هي عالم يمثل نصف السكان معنا نحن الرجال في هذه الأرض، لكن الله يقدم المسألة على هذا النحو: أنهم نفس واحدة وخلقوا من نفس واحدة ومسئولياتهم واحدة، بل تجد في المجالات الهامة في مجالات القرب من الله سبحانه وتعالى في مجالات الأعمال الصالحة لنيل الدرجات العظيمة عند الله فتح الباب بشكل واحد مثلما قرأنا في الآية السابقة في آخر [سورة آل عمران] عندما قال الله فيها: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}من ذكر أو أنثى{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}(آل عمران: من الآية١٩٥)، فعندما يحصل تقصير في هذه القضايا الهامة التي يكون التقصير فيها في الأخير يشكل منفذاً لأعداء الإسلام لمحاربة الدين معنى هذا أنها تصبح الجريمة جريمتين: جريمة ظلم الأنثى، وجريمة إعطاء العدو، عدو الإسلام مادة يحارب بها الدين .

وهكذا هي وضعية الناس بشكل عام: الذكر والأنثى في دين الله كله وفي كتب الله لكن تجدهم ممن ظلم المرأة ـ وهم الآن يتشدقون بمسألة أنهم يعملون على أن تحصل المرأة على حقوقها ـ هم من أول من ظلم المرأة اليهود والنصارى هم من أول من ظلم المرأة ورسخ نظرة سيئة للمرأة بل اعتبروها شريرة واعتبروها شيطانة بدءاً من حواء وأن حواء هي التي كانت وراء أن يرتكب آدم الخطيئة، هكذا يقولون! فالقضية هذه ليست أيضاً جديدة في دين الله سبحانه وتعالى في كل مراحل التاريخ، أما بالنسبة لرسالة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهي من قبل أن يكون لهم أي كيان على هذا النحو وفي الوقت الذي كانوا يظلمون المرأة فعلا يظلمونها، وما يزالون يظلمونها إلى الآن، منذ ألف وأربعمائة سنة وأكثر تجد كيف تقدم قضية المرأة في القرآن الكريم بشكل هام جدا وقضية يرتبط بها تثقيف أيضا بالشكل الذي يجعل الرجل ينظر إلى المرأة كجزء منه وينظر إلى المال الذي يتنازل عنه ليعطيها بأنه مال من جزء إلى جزء لكيان واحد.

نجد هنا الفارق الكبير بين أسلوب القرآن الكريم في التعبير عن القضايا هذه وبين الأساليب الأخرى التي يستخدمها مفسرون، محدثون، فقهاء، موعظون، ومعظم ما حصل أو ما ساعد على أن يكون هناك منافذ لأعداء الإسلام هي: عبارات هؤلاء وليست عبارات القرآن، عبارات القرآن عظيمة جداً، وواسعة جداً، وتراعي مشاعر الناس بشكل عام بني آدم بشكل عام: الذكر والأنثى.

فالمسئولية الكبيرة هي على الناس وليست على الإسلام لكن للأسف أن الناس هم لا يلتزمون بتوجيهات الله ثم يأتي الأعداء فيقولون: إن دينكم هكذا، ثم يحمّل الناس أخطاءهم دينهم! هذه تعتبر جريمة متعددة أنه عندما نرى وضعيتنا سيئة بسبب ابتعادنا عن دين الله بسبب ابتعادنا عن كتاب الله ثم يقال لنا: هذا هو الدين الذي جعلكم على هذا النحو فنقول: [صحيح هو الدين] فنكفر بالدين نتنكر للدين، يكون معناه ماذا؟ نظلم الدين مرتين: عندما لا نلتزم به، ثم عندما نحمّله أخطاءنا.(م١٧ص١)

٢ ـ شبهة الميراث:

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}، العبارة هذه عبارة دقيقة، لاحظ لم تأت العبارة بلفظ: للمرأة كنصف ما للرجل، لم تأت بهذا الشكل: للمرأة كنصف ما للرجل، هذه العبارة ما تزال أنسب{ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} وسيأتي في آيات أخرى يبين أن هناك التزامات بالنسبة للذكر، من أول الإلتزامات أمام الأنثى: أنه هو الذي يعطيها المهر هو الذي يقوم بالإنفاق عليها هو الذي يوفر لها السكن والطعام والدواء والفراش

والأثاث، أليس هذا هو الشيء الذي يتكفل به الرجل؟ إضافة إلى التزامات أخرى فيما يتعلق بقضايا خارج محيط بيته كثيرة تكون مرتبطة بالرجل أكثر من الأنثى، إضافة إلى أنها جاءت بالعبارة هذه هي أرقى من كلمة: رجل وامرأة{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} لماذا؟ لأنها ما تزال توحي بماذا؟ بالكيان الواحد والجنس الواحد يعني: الإنسان هو ماذا؟ عبارة عن كيان مؤلف من ذكر وأنثى.

ثم لاحظ كيف كان الأكثر ممن ذكرهم هنا في آية المواريث هنا: نساء، الكثير من المذكورين داخل الآية هذه من الأنثى هذا يوحي بماذا؟ ـ ولهذا فعلا سميت: [سورة النساء] ـ يوحي بتركيز كبير على أن يبتعد الذكر عن ظلم المرأة وأن يعرف أن أصلهم من نفس واحدة وأن للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون.(ص١٠)

٣ـ شبهة تعدد الزوجات:

إذاً القضية هذه نفسها: تعدد الزوجات أليست من القضايا التي يثيرونها؟ وهي من أغرب القضايا أن يكونوا يستنكرون تعدد الزوجات وطبيعي تعدد القحاب، تعدد الخليلات، والعشيقات!. أليسوا يعتبرون أناسا ضيعين؟ يعني: لا يتزوج الإنسان بأربع زوجات يحصنهن يقوم بحقوقهن برعايتهن، لكن طبيعي عندهم أن يكون له ولو عشرين عشيقة.

قضية التعدد هي أصون للمرأة نفسها، نلاحظ مثلا في قضية الرجال أليس الصراع عندما يحصل صراع أليس ضحاياه يكونون رجالا في الأغلب في المعارك في الحروب أليس ضحاياها يكونون رجالا في الأغلب؟ إذاً فالمرأة بدل أن تتحول إلى طريقة أخرى يكون فيها انحطاط لها يكون فيها معصية لله سبحانه وتعالى يكون فيها إساءة إلى أبنائها، يكون أمامها إمكانية أن تتزوج عندما يكون زوجها قتل في المعركة بإمكانها بعد أن تتزوج، وهم قالوا فعلا: في كثير من الشعوب بعد الحروب في الشعوب التي لا يسمحون أن يكون هناك تعدد زوجات في الأخير يظهر الفساد الأخلاقي بشكل كبير، بل بعض النساء تصل الحالة بها إلى أنها تضطر إلى أن تبيع عرضها من أجل أن توفر لنفسها حاجتها ولليتامى حاجتهم، لأولادها.

أيضا يقال بأنه بالنسبة للناس بشكل عام: أن نسبة النساء يكون أكثر، نسبة النساء من حيث العدد أكثر من الرجال ثم المرأة نفسها المرأة نفسها عندها قابلية؛ لأن الله عندما يشرع شيئا يوجد هناك في الفطرة ما يكون ممكنا تقبله، تجد كثيراً من الناس عندهم نساء متعددات في بيت واحد يصبحن في نفس الوقت يألفن بعضهن بعضا وطبيعي يأكلن سويا ويشربن القهوة سويا ويتحدثن سويا ويسمرن سويا بشكل طبيعي، بل يؤلم المرأة نفسها يؤلمها أن ترى زوجها يحاول وراء واحدة بطريقة غير شرعية تتألم، لو يتزوج يكون طبيعيا، يغضبها أكثر لو يبحث عن عشيقة، لكن قضية أن تكون زوجة وإن كان يحصل ألم، قد يحصل ألم في البداية ثم في الأخير تألف ويصبح طبيعيا عندها.

أيضا القضية بالنسبة للناس الرجل هو معرض للتلاشي من خلال الحروب من خلال الأشياء الكثيرة فعندما يسمح له بأن يتزوج بأكثر من واحدة يمكن أن ينجب كثيراً، ينجب رجالا ونساء وخاصة بالنسبة للمسلمين، بالنسبة للمسلمين ومع أيضا تطور وسائل الحرب، أسلحة دمار شامل أسلحة فتاكة قد تبيد أمة من الأمم بسرعة معسكرات أو تبيد قواعد عسكرية يكون الضحايا أحيانا عندما يكون هناك تركيز على الجيش والجيش عادة يكون من الرجال فستكون الإبادة فيهم بشكل كبير. يذكرون عن بعض الشعوب العربية بعد الحرب مع إسرائيل كان عندهم الفكرة هذه كقضية يشيعونها في المجتمع: واحدة فقط، واحدة، وبعد الحرب عندما حصل قتلى كثير وإذا بظاهرة الفساد الأخلاقي منتشرة بشكل كبير في المجتمع.

إذاً أنت تلاحظ أنهم دائما كما قال الله عنهم بني إسرائيل: {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ}(النساء: من الآية٤٤) **لا يركزون على قضية إلا وهي بالشكل الذي تضل الناس: تضيعهم؛ لأن المجتمع عندما يحصل فيه قتلى كثير ويوجد نساء وضعيتها قد تفرض عليها أن تتزوج أو مازال عندها رغبة أن تتزوج، ممكن أن تتزوج؛ فيبقى المجتمع أخلاقه، قيّمه، وضيعته سليمة، لكن إذا ما هناك تزوج على هذا النحو فمن قبل أن يحصل كوارث**

يحصل فساد أخلاقي؛ لأن نسبة النساء أكثر من الرجال وفي نفس الوقت يحصل ضعف في المجتمع يحصل خلخلة للقيم وللإيمان ولزكاء النفوس فيصبح المجتمع قابلا لأن يضرب على يد الأعداء عندما يصبح مجتمعا مخلخلا وسيئا وفاسداً بعيداً عن الله سبحانه وتعالى وهذا من أخطر القضايا انتشاره في المجتمع، قضايا الفساد الأخلاقي من أسرعها بعد الحروب في المجتمعات. يذكرون ذلك عن الشعوب في أوربا، بل عن شعوب عربية بعد الحرب مع إسرائيل. (م١٧ص٥)

٤ـ شبهة الطلاق:

كذلك موضوع المطلقات، والطلاق هنا قدم بضوابط هامة يجب على الناس أن يراعوها فعلاً بالنسبة للطلاق، لا يجعل الإنسان الطلاق أيضاً قضية عندما يغضب، وعندما ينفعل يطلق فيكون هو سريع في هذا. لا. الطلاق له ضوابط، والطلاق يتم بطريقة أيضاً فيها مراعاة لمشاعر المرأة نفسها، ولهذا أوجب المتاع ، أو المتعة .

المرأة التي تطلقها يجب عليك أن تعطيها تمتعها بشيء، تعطيها مثلاً بذلة، أو تعطيها شيء من أثاث البيت الذي كان موجوداً لا تتم عملية الطلاق وكأنها طرد، تطرد إمرأة وقد جلست معها سنين، وتمثل سكناً لك ولباساً لك، كما قال الله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: من الآية١٨٧). **ثم في يوم من الأيام تطردها .**

الطلاق لا يمثل بالنسبة للمرأة عملية طرد، هو يمثل عملية إنفصال، عندما تكون الحالة غير قابلة للبقاء مع بعض، لم يعد هناك وضعية منسجمة فيما بينهم، عملية انفصال باحترام، انفصال بهدوء، انفصال لا يجرح مشاعر المرأة نفسها، ولهذا ذكر فيما يتعلق بالطلاق {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ} أول شيء في البداية قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية٢٢٨) **{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}** (البقرة: من الآية٢٢٩) **لا تصبح المرأة محط تلاعب للرجل، لا يكن هناك نهاية للطلاق، يكن يطلق ثم يتراجع، وجلس فترة وطلق وتراجع، وطلق وتراجع، لا. يوجد فقط مرتان الذي يمكن فيها مراجعة، المرة الثالثة لا تعد تحل له حتى تنكح زوجاً غيره .**

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩). **الآية توحي بأن المفترض أن يكون الطلاق على هذا النحو ـ يوجد حالة أخرى هي تعتبر حالة نادرة ـ أعني: أن يكون الطلاق على هذا النحو الذي يمكن فيها مراجعة، أعنى ما زالت تعتبر في ملكه ـ على ما نقول ـ حال العدة في الطلاق الرجعي يمكن للإنسان يتراجعها ، فالطلاق عندما يكون على هذا النحو ، العدة هي أشهر معينة، قروء معينة، ثلاث حيضات، فأثنائها . .أثناء العدة هذه إلى قرب نهايتها، له أن يمسكها لكن إمساك بمعروف، وليس إمساك مضاررة، أو تسريح بإحسان، يترك العدة تنتهي، وتسريح لها بإحسان. لاحظ هنا كيف العبارة {أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **يعني: ليس الطلاق يمثل عملية طرد للمرأة وقهر لنفسيتها.**

{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً} (البقرة: من الآية٢٢٩). **يريد واحد يسترجع المهر، أو يريد يسترجع بعض الذي خسره في وليمة العرس{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **أو شيئاً اشتريته أنت لها وهي في بيتك، شيء من كسوتها، أو شيء من حليها، أو أشياء من هذه باعتبار لها أو شيء تجعله لها.**

{إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} (البقرة: من الآية٢٢٩). **عندما تصبح المسألة عملية إفتداء من جانب المرأة بأن تتخلص من هذا الرجل الذي عشرته سيئة، أصبحت كارهة له فلا بأس، لكن ما تعني المسألة: أنه بالنسبة للرجل يعتبر حلالاً، قد صار حلالاً له، إلا أن المسألة تجوز بالنسبة للمرأة وإلا فالمفترض أنه يتقيد بالطريقة الأولى {وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً}** (البقرة: من الآية٢٢٩). **{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ}** (البقرة: من الآية٢٢٩) **في عملية هي ليتحقق الإنفصال فيما بينهم .**

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩) **فهو يذكر فيما يتعلق بالطلاق ، فيما يتعلق بالعدة ، فيما يتعلق بالعشرة يسميها حدوداً لا يجوز للناس أن يعتدوها، ولا أن يسير الناس**

وراء عبارات الفقهاء في كثير من التفريعات التي لا تكون منسجمة مع القرآن الكريم، الأساس هو القرآن .
{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩) يعني: ما ينبغي للإنسان أن يطلق زوجته إلا على الطريقة هذه، يطلقها الطلاق الشرعي، تكون مستقبلة لعدتها يعني: يطلقها في طهر لا وطئ فيه، لا يكون قد جامعها، إذا قد أراد أن يطلقها، يطلقها في وضعية يكون القرار من عنده قراراً في وضعية طبيعية لا يكون حالة غضب، أو أشياء من هذه.
أن يترك الناس العادة هذه، هذه العادة أصبحت شبه سائدة بين الناس أن يأخذ الذي يسمونه: [مرجوع، مرجوع] هكذا على طول. هذه الطريقة ليست صحيحة وأحياناً قد تكون من الأشياء التي تؤدي إلى ارتفاع المهر، ارتفاع المهر عندما يكون الولي هو الذي يأخذ المهر هو، وإذا المرأة تُظلم لا يحصل لها شيء من المهر، وتبقى في بيت الزوج سنين، وفي الأخير يطلقها ، ويحتاج الزوج يسترد، لا يتسلم لها مهر، ولا تعطى شيئاً، لا يصل إلى يديها شيء، تطرد من البيت حتى أنه لا تأتي المتعة هذه، المتعة قد نسيها الناس بسبب بعض التفريعات الفقهية .
{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:٢٤١) بعدما ذكر المطلقات، وأنواع المطلقات يأتي في الأخير بهذه الآية {حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة: من الآية٢٤١). متعة معناها: أن تعطيها شيئاً، تمتعها بشيء، حتى لا تبدو العملية وكأنها عملية طرد، عملية نفي، يعطيها بذلة، أو يعطيها مبلغاً من الفلوس. {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ} (البقرة: من الآية٢٣٠) بعدما قال هناك: {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة: من الآية٢٢٩). {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} (البقرة: من الآية٢٣٠). أي تنظم عشرتهم فيما بينهم {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: من الآية٢٢٨) {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٣٠). يفهمونها، وفي نفس الوقت يعلمون أهميتها، ويعلمون أثرها فيما يتعلق بالمجتمع، فيما يتعلق بالأسر.
في موضوع الطلاق يأتي بكثير من الآيات هذه، هنا يقول: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة: من الآية٢٢٩). {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (البقرة: من الآية٢٣٠). وبعد يقول: {وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً} (البقرة: من الآية٢٣١). لأنها قضايا مؤكدة. وضوابط يجب الإلتزام بها {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ} (البقرة: من الآية٢٣١). كم يوجد من تأكيدات في هذه!.
{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٣١). عندما يحصل طلاق للمرأة قاربت في انتهاء العدة {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} (البقرة: من الآية٢٣١) أشرفت على نهاية العدة، يبين لك القضية هنا داخلها {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (البقرة: من الآية٢٣١). أليست هذه الآيات توحي بأن الطلاق يجب أن يكون رجعياً؟ أو ينبغي أن يكون رجعياً؟ على هذا النحو: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا} (البقرة: من الآية٢٣١). لاحظ أهمية التوجيهات الإلهية هذه، ولأن القرآن نزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، وأن كل قضية يكون لها علاقة بموضوع الدين بشكل عام .
موضوع الطلاق مثلاً أليس يأتي أحياناً من بعض المجتمعات، خاصة المجتمعات الغربية محاولة أنه لماذا المرأة لا يكون لها الحق في أن تطلق؟ هذا عندما يفهم الطلاق عملية نفي، عملية طرد ، أما عندما يتم الطلاق على هذه الطريقة الصحيحة، الطريقة القرآنية فمعنى هذا بأنه لا تعتبر مشكلة: أن يكون من جهة الرجل العبارات التي تعني ماذا؟ إصدار الطلاق لأنه يتم في أجواء بإحسان، بمعروف، ورعاية ومتعة، {وَمَتِّعُوهُنَّ} (البقرة: من الآية٢٣٦). مثلما قال في الآية الأخرى أعني: لا حظ بأن هذه القضية تبدو أنها قضية سهلة، عملية انفصال زوجين، إمرأة

ورجل أليست تبدو وكأنها قضية عادية؟ قضية لها علاقة بالدين، عندما تقدم بطريقة غير صحيحة، وعندما تكون عبارات المفرعين من الفقهاء تقدم جافة، ويلاحظ لك فقط العقود، ما هي العبارات التي يتم بها الطلاق؟! ولم يعودوا يلاحظون أشياء من هذه التي هي هامة جداً، أعني: من أهميتها في الزمن هذا بالذات أنه عندما يكون الناس فاهمين، الرجل والمرأة فاهمان أن الطلاق يجب أن يتم على هذه الطريقة، وأن يتم في أجواء فيها معروف وإحسان، معنى هذا أنه لا يعتبر الطلاق عملية تستخدم للتشنيع على هذا الحكم الإلهي في دين الله ، في الإسلام .

الغربيون يشنعون بها، يعتبرون وكأنه لماذا الرجل له حق أنه يصدر عبارة وتفصل المرأة، طردها وهي لا تمتلك شيئاً . لا. لاحظ هذه الأجواء كلها تجعل عملية الطلاق طبيعية جداً، لا تعد تعتبر عملية طرد، عملية نفي ، أن تصدر الكلمة من الرجل لا تعد تمثل شيئاً اختص بها الرجل دون المرأة في الواقع اختص به وكأن له حق أن يطردها وليس لها حق أن تطرده. هذه القضية هامة، ولهذا أكدها من أول الآيات {الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}(البقرة: من الآية٢٢٩).

ثم يذكر بعد: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}(البقرة: من الآية٢٣١) فإن تراجعتها فلا تتراجعها من أجل أنك تضاررها، بل على أساس أنك تتعامل معها تعاملاً جيداً وتعاشرها عشرة جيدة، {أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}(البقرة: من الآية٢٣١). فعندما يقول: {وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً}(البقرة: من الآية٢٣١). {وتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا} . أي أن هذه تبين لك أنها قضية هامة، والقضايا الهامة معناها: أنه يكون لها علاقة بأشياء أخرى كثيرة، أعني فعلاً الآن تلاحظ عملية الطلاق من الأشياء التي يشنعون بها على هذا الدين لماذا أنه في الإسلام طلاق؟ عندما فهموا الطلاق وكأنها عملية طرد .(الدرس١٠ص١٠)

٥ـ ما يقال حول حقوق المرأة :

{الَّذِيْنَ اتَّقَوْا} تشمل الرجل والمرأة ، صابرين ، وصادقين ، وقانتين ، ومنفقين ، ومستغفرين بالأسحار المرأة التي يلقنها الغربيون أنها هنا تصارع وتناضل من أجل تحصل على حقوقها ! يسمونها أيضاً حقوقاً يعني: أنها تتوظف ، وتملك وزارة ، أو وكيلة وزارة ، وأشياء من هذه ! يعني: هي تنظر إلى ما لدى الرجل هذا الذي هو رجل منحط في الواقع ، رجل ـ مثلاً ـ يلعب بالأموال العامة ، ويدير الأشياء إدارة سيئة ، هي تريد تمسك مكانه لتعمل مثله ! يوجد باب آخر للتنافس في الخير الكبير ، والقرب من الله ، وأن يحظى الرجل ، أو المرأة برضوان الله.

الباب هذا هو الباب الواسع ، والباب الهام لأن تحصل على أرقى الأشياء ، القرب من الله من المقامات المعنوية رضوان الله يعتبر قرباً من الله ، هذا الذي هو يعتبر أهم من أي قرب عند أي طرف آخر في الدنيا هذه ، وأهم مما يمكن أن يعطيك منصب معين في الدنيا ، القرب من الله ، والجنة هذه النعيم العظيم أعلى نعيم أعلى نعيم ممكن أن يتصوره الإنسان ، أو لا يبلغ به إلى أن يتصوره ويتخيله كيف هو .

إذاً لماذا المرأة تحاول أنها وهي تجد ـ مثلاً ـ أناساً في مواقع قيادية ، وزير ، وكيل وزارة ، مدير مكتب ، مسئول كذا، وهي تعرف بأن هؤلاء يديرون هذه الأشياء بطريقة سيئة ، وأن الكثير منهم لا يراعون الأمة في شيء،ويظلمون عباد الله ، وينهبون الأموال العامة ، ويديرون الأشياء إدارة سيئة ، وهي منافسة أنها تمسك مكانة على ما هو عليه تريد مكانه ! إذاً فهذا جهل ، أن يزين لها في الدنيا ، يزين لها هنا هذه الأشياء !

إذا نظرنا للموضوع سنجد بأنه مسألة تزيين ، ويكون لهذا التزيين أثره السلبي عندما تكون ناسية ما هو أفضل منه ، وتنسى إنما هو أفضل منه وأرقى منه هناك باب مفتوح أمامك لتصل إليه ، تنافس هنا ، هذا محل المنافسة هنا ؛ ولهذا قال في آية أخرى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين: من الآية٢٦) .

إذاً إذا تريد أن تناضل كما تقول ؟ تناضل على أن تزيح هؤلاء الذين يظلمون الناس ، ويحكمون بالباطل وينهبون الأموال العامة ، ويفسدون في الأرض ، وليس أن تكون متسابقة على أنه فقط تمسك موقعه وتكون مثله وأسوأ ، وفي الأخير تعتبر أنها حصلت على حقوقها ، وحصلت على كذا ! هذا الباب هو باب هام للتنافس إلى ما هو أفضل [تقوى الله] وهذه النوعية من البشر عندما يكونون على هذا النحو هم الناس الذين يصلحون في الأرض من الناس سواء من الرجال أو النساء عندما يكونون مؤمنين متقين .

قلنا في هذا الموضوع : بأنه غلطة كبيرة عندما يسمونها حقوقاً ! أليسوا يسمون المسئوليات هذه حقوقاً ؟ يلقنها الغربيون ، اليهود بأنها يجب أن تناضل من أجل أن تصل إلى حقوقها ، يعني أن تملك وزارة ، المسئولية ، الوظيفة العامة يعتبرونها حقاً ! وهذه هي غلطة كبيرة ؛ لأن القضية الأساسية أنه لا يقال لهذه حقوقاً ، هذه مسئوليات ، والمسئوليات يراعى بالنهوض بها من لديهم أهلية للقيام بها ، والموضوع بشكل عام هي عبارة عن مهمة ومسئولية واحدة منوطة بالرجل والمرأة ، بالإنسان بشكل عام ، بني آدم بشكل عام لهم مسئولية واحدة وتتعدد وتختلف أدوارهم في أداء المسئولية الواحدة ، ليسوا عبارة عن عالمين ، عالم رجال ، وعالم نساء ! بل عالم الإنسان، والقرآن الكريم يركز على هذا ، أنهم عبارة عن عالم واحد ، عبارة عن بناء واحد ، عبارة عن أمة واحدة لا يمكن للمرأة أن تعتبر نفسها عالماً لوحدها ، والرجل يعتبر نفسه عالماً لوحده ، ولا يمكن أن يحصل الرجل على خير إلا وينال المرأة ، ولا يظلم الرجل إلا وتظلم المرأة ، والعكس. أليس النساء يصحن أنهن مضيعات تريد تناضل من أجل حقوقها ؟ أليس الرجال مظلومون هم ؟

إذاً فالتي تعتبر أن الظلم نالها إنما هو في إطار الظلم العام للرجال والنساء ، وليست القضية أما الرجال فهم مرتاحون ، بل هم مظلومون ، حتى الكبار الآن ، حتى الدول الآن قد هي مظلومة ، قد هم يصيحون هم ، إذاً المسألة أن تعرف الأشياء ، أنه لا يوجد ما يسمى حقوقاً ، في الواقع هي مسئولية من البداية ، مسئوليات كلها تأتي الحقوق تتحقق تلقائياً من خلال أن ينهض الناس ، كل الناس بمسئولياتهم ، الرجل والمرأة وبأدوارهم للرجل دور وللمرأة دور ، وداخل الرجال أدوار متعددة ، وداخل النساء أدوار متعددة .

هل هو يزيد المرأة المناصب والأشياء هذه؟ مثل هذه ، مثل النساء والبنين والقناطير المقنطرة ، ثم يقال لها [أنت مظلومة والمجتمع هذا لا يراعي المرأة لماذا لا يعطيها وزارة..] قلنا : لسنا راضين عن الوضعية هذه بكلها . عندما تناضل المرأة لتحصل على منصب معين تنهب أموالاً ، وتستغل المنصب مثلما يستغله الرجل ، إذاً هي نفسها منحطة ، أعني : هذه هي نفسية الرجل السيء ، هذه المرأة السيئة التي تقابل الرجل السيئ .

لا، إنه يجب أن تنظر إلى أنه كيف يجب أن تكون الأشياء ، وما هي المسئولية المنوطة بالناس بشكل عام وأنها مسئوليات كلها ، مسئوليات من عند أكبر واحد إلى عند أصغر واحد ، ولهذا حتى فيما يتعلق بتصرفك في مالك متى ما حصل تصرف غير طبيعي ما هو يأتي حجر؟ لماذا؟ لأن تصرفك في مالك هو في الواقع ليس هو ممارسة حقوق ،هي مسئوليات تنتهي في الأخير مسئوليات ،ما نسميه حقوقاً حتى في أموالنا الخاصة في ممتلكاتنا هي في الواقع مسئولية ؛ ولهذا يحجر عليك ، توقف ، لأنك أصبحت تتصرف بما تحت يدك تصرفاً غير طبيعي أي تصرفاً عن ما يجب أن تكون عليه من المسئولية المنوطة بك التي تحكم تصرفك فيه فكلها مسئوليات لكن لا ، يسمونها: [حقوق، حقوق، حقوق ...إلى آخره] لهذا يجب أن نحاربها لأنها كلها تسمى: مسئوليات من أعلى رجل إلى آخر إنسان في المجتمع .(الدرس ١٢ص٢١)

[سورة النساء ـ الدرس الثامن عشر]

ـ نظرة القرآن للإنسان :

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو مبلغ عن الله وهادي على أساس كتاب الله، لا يمكن أن يأتي من عنده توجيه للناس وهو بالشكل الذي يخالف القرآن حتى على هذا البعد وعلى هذا العمق لا يمكن على الإطلاق، لاحظ في كثير من كتب الترغيب والترهيب هناك روايات هم يقولون عنها بأنها باهر وعادية تصلح الناس

وستجعلهم بعيدين عن المعصية، وأشياء من هذه، لا يلمسون بأنها تخالف القرآن هناك، وبعضها قريب ليس على بعد كم أمتار في العمق، بعضها فعلاً تكون قريبة إذا هناك تأمل لظهرت مخالفة للقرآن.

عندما تعرف ميدان القرآن، ميدان القرآن: الإنسان، والحياة. هذه الميادين فإذا كان هناك توجيه معين فاعرف بأن القرآن نفسه هو له رؤية، هو يريد أن يبني الإنسان على نحو معين، نفسيته يبنيها على نحو معين، فله مقاصد وأهداف بالنسبة لنفسيات الناس أعني: عنده منهج تربوي ، إذاً فعندما يكون هذا الذي هو رواية وتراها مخالفة هناك، أعني: تعطي أثرا في النفس آخر يتبين أنه مخالف لما يريده القرآن، هذا يعتبر مخالفا وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يكون صحيحا عنه كتوجيه عام، إما أنه قد لا يكون صحيحاً نهائياً أو قد يكون صحيحاً لكن قد يكون في قضية محدودة، أو أمام شخص معين، في حالة معينة فقط، مثل ذلك الذي قال له: عظني يا رسول الله ، قال: ((لا تغضب)) ألم يقل له هكذا: ((لا تغضب)). وقال لواحد بعد أن شكا عنده موضوع والديه أو أحدهم قال: ((ارجع ففيهما فجاهد)) هذا خطاب خاص.

وعندما يقول هذا، هو يعرف الشخص هذا ويعرف طبيعته عندما يقول له: ((لا تغضب)). وهذا الشخص هو يعرف وضعيته ويعرف وضعية والديه عندما يقول له: ((ارجع ففيهما فجاهد)) وإذا بهم في الأخير قد هم يريدون: ارجع ففيهما فجاهد، وأبوه صحيح ومعه أولاد كثيرون غيره، وعنده أنه يجاهد لأنه يجلس عند أبيه أو عند أمه! لا يمكن هذا. هذه أيضاً هي تعتبر مقياسا هاما جداً ودقيقا يختلف عن مقاييس أصول الفقه في موضوع التفريع والتشريع الذي يسمونه تفريعات وقضايا مستجدات وأشياء من هذه، أحياناً قد تنطلق تفرع على قضية معينة ولا تدري وتكون النتيجة أنك تطلّع هناك حكماً وإذا هو مخالف لقضية أساسية في القرآن؛ ولهذا كان يظهر في حركة أهل البيت في الماضي كان يظهر فيهم أعلام ويتحركون ولا تدري واشتغلت تلك المسائل التي قد طلعها المفرعون، قد صارت مطبات أمام إقامة دين الله، تفهم أنه في دين الله لا يمكن يأتي تشريع أبداً يبدو متناقضاً أو معارضاً أو يشكل عائقا أمام تشريع آخر على الإطلاق، وإلا لكان هذا ماذا؟ مظهر من مظاهر الإختلاف.

ليس الإختلاف فقط في موضوع ما فيه اختلاف في نصه بل في مضامينه في رؤاه، فيما يتركه هناك في النفوس، لا يحصل اختلاف على الإطلاق، يقول لك تأتي تقرأ مجموعة من قواعد أصول الفقه ثم تنطلق تفرع وتشرع، في الأخير يضعون مطبات كبيرة. تجد القرآن يتحرك في أكثر من اتجاه وبشكل عجيب أي تراه في منطقه يراعي أن الله رحيم، مبني على أن الله رحيم وعلى أن الله حكيم وعلى أن الله بكل شيء عليم، وعلى أن الله غالب على أمره، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق الإنسان ولهذا قال: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}(الملك: من الآية١٤) {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(الفرقان: من الآية٦) وأنه غني تجده في كل مضامينه كلها، لا تجد وكأن قضية معينة تبدو تختلف مع أنه رحيم، أو قضية معينة يظهر فيها تتنافى مع أنه حكيم أو مع أنه غني أو مع أنه يعلم الغيب والشهادة، لا يوجد كلها مصاديق يصدق بعضه بعضا، كما قال الرسول(صلوات الله عليه وعلى آله) في حديث روي عنه، يقدم القضايا بشكل لا يمكن أن تصل إليها ذهنية أحد.(ص٢٥)

- كيف يتصرف الناس أمام الشائعات:

{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً}(النساء:٨٣) هذا فيما يتعلق بالإشاعات، بالأخبار يمثل ضابطا مهما وتوجيها مهما بالنسبة للمسلمين؛ لأن قضية الأخبار، إشاعتها قد يكون لها آثار سيئة في أوساط الناس توجد بلبلة وتوجد ضعفا، فالمفروض أنه في مواجهة أي أمر من الأمن أو الخوف، هي القضية بمعنى إشاعة؛ لأنه كل القضايا تكون متعلقة بجانب أمن أو خوف أن لا يشيعوه أن لا يذيعوه، {أَذَاعُوا

بِهِ} مثلما تعمل القنوات الفضائية والصحفيون، أيّ خبر يكون همه أنه يستبق إليه ويعلنه قَبْل ، هذه غلطة كبيرة جداً .
{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (النساء: من الآية٨٣) **فيعرفون أن هذا الخبر قد يكون مجرد شائعة، كيف يقابلها، أو هذا الخبر يوحي بشيء حقيقي كيف الموقف المناسب منه وهكذا؛ لأن الأخبار يكون بعضها التي يسمونها تسريبات بعضها يكون تسريبات وراءها شيء، توحي بشيء، هنا قال: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** (النساء: من الآية٨٣) **هي توحي بشيء ، فكيف الموقف المناسب منه كيف يعمل خبر آخر يقاومه أو كيف يعمل عملا معينا يقاوم ذلك الشيء الذي حاول الأعداء من خلال تسريبهم أن يوصلوه إلى الناس ليعرفوا كيف سيكون موقفهم منه، أو ينقل لك قضية، التحليلات، أن يتعود الناس على التحليلات والمجابر والأخذ والرد في القضايا، ليست قضية صحيحة أبداً ؛ لأنه أيضاً الأعداء أنفسهم هم يحاولون يستبينون استبياناً كيف رؤى الناس وكيف مفاهيمهم وكيف يمكن أن ينفق عليهم التضليل هل يمكن نؤقلم رؤاهم على ما نريد ونصنع الرأي نحن لهم في القضايا؟.**
والعجيب أنه يحصل عند الناس الطبيعة هذه، في الوقت الذي لا يوجد عندهم نية عملية، ليس لديهم نية عملية إلا مجرد كلام هكذا، هذا ممنوع سواء عند الناس نية عملية أو ليس عندهم توجه عملي، ممنوع، لا يعتبر أسلوباً صحيحاً على الإطلاق، وخاصة في المرحلة هذه، هذه مرحلة خطيرة جداً في موضوع الأخبار والتسريبات التي يأتون بها، لهذا يكون الناس أذكياء ولديهم قدرة على كشفها وعلى أن يتخذوا الموقف المناسب أمام العدو بعد تسريب معين، وإلا فقد تكون بعض الشائعات وراءها احتلال، ووراءها سفك لدمائهم ووراءها تدمير لبيوتهم، ليست قضية سهلة.
هذه ظهرت في العراق، الأشياء هذه، مثل بعض الشائعات التي يعملها الأمريكيون عندما ينطلق الآخرون يرددونها، في الأخير تفتح عليهم باب شر، عندما كانوا يضربونهم وقالوا: بقايا النظام السابق! قالوا: بقايا النظام السابق، على حسب ما يقدّم الأمريكيون، وضربوهم مرة ثانية، وهكذا.. المشكلة أنه في البلاد العربية فيما يتعلق بالإعلام لا ينطلقون على هذا الأساس، الذين يكونون صحفيين كثير منهم كثير من القنوات الفضائية لا يكون لديها موقف معين مبني على رؤية معينة، فقد تكون بعض الأخبار غير مناسب أن تنشره نهائياً، لكن قد عندهم هواية أنه لازم أي خبر ينشرونه، فتجدها لم تقدم شيئاً للأمة ، ماذا قدموا من شيء؟ ماذا تركوا من أثر للناس؟ هل حصل توعية من خلال ما قدموه، توعية للناس، يعطي رؤية واحدة وموقفاً واحداً؟ لم يحصل شيء.
هذا يدل على أهمية الأخبار، أنه يجب أن تردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، وإذا ما هناك التزام بالطريقة هذه فقد تكون منفذاً للشيطان قد تكون منفذاً لاتّباع الشيطان، فمن رحمة الله أن يوجه الناس إلى توجيه يبعدهم عن اتّباع الشيطان. {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} (النساء: من الآية٨٣) **وهذا من فضله: أن يوجههم كيف يتعاملون مع الخبر مع الشائعات، سواء من صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون أو كيفما كانت.**(ص٢٧)

[سورة النساء ـ الدرس العشرون]

ـ يجب أن تشعر بعظمة ما أنت عليه وأن الطرف الآخر سيتلاشى:

{لَكِنِ اللَّهُ} (النساء: من الآية١٦٦) **وإن أنكروا هم رسالتك وجحدوها مع أنها ليست غريبة، وهم يعرفون هم أن هذه سنة إلهية، أن هناك رسلا يوحى إليهم بل هناك من كلمه وهو نبي الله موسى فلا تكترث الله يشهد{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ}** (النساء: من الآية١٦٦) **أنه من عنده وأنك رسول له.**
هذه قضية هامة من الناحية التربوية، ومن ناحية مجال الدعوة أيضاً، أحياناً بعض الناس يحرج نفسه حتى لا يكاد يرى عظمة ما لديه إلا إذا آمن به الآخرون واقتنعوا به لا، يجب أن تكون واثقاً بما أنت عليه والآخرون حتى لو جحدوا كلهم لا يهزك في ثقتك بما أنت عليه.

{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} (النساء:١٦٦ -١٦٩) يعني: في الوقت الذي أنت مثلاً ما رأيت الطرف الآخر اقتنع بما لديك وآمن بما عندك، لا تهتز ثقتك بما عندك، ولتكن رؤيتك إليهم بأنهم على هذا النحو: صادّين، هم قد ضلوا ضلالاً بعيداً وعاقبتهم هكذا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ} وطريق جهنم هي طريق ضلال: ضياع هنا في الدنيا وفي الآخرة، هذه القضية هامة بالنسبة للناس، أحياناً عندما مثلاً لا ترى الآخرين يقتنعون بما أنت عليه، في الأخير تصنف ما لديهم فتراهم وكأنهم لديهم نقاط قوة وكأنهم إذاً ربما مسيرتهم هي المسيرة التي ستكون فاعلة في الحياة وأنت ستضيع؛ لأنهم ما قبلوا إذاً ما قبلوا ولديهم كلما قد يجعل مسيرتهم يهتدون فيها إلى نجاحات! في الأخير تتراجع.

هنا يقدم صورة هامة جداً في أن الطرف الآخر وإن لم يقتنع، اعرف بأنه طرف سيتلاشى يتلاشى في مسيرته ليس لديه نجاحات لن يحقق نجاحات؛ ولهذا يقول: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ} وطريق جهنم تراها هي طريق خسارة في الحياة هذه قبل الآخرة؛ لأنك لو تلاحظ كيف كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان إنساناً قوياً مهما قيِّم واقعه والناس من حوله قليل وإمكانياتهم قليل، كان لديه روح قوية وروح طموحة جداً، لماذا؟ لأنه يؤمن بالواقع على هذا النحو الذي قدمه الله له، أنه عندما يرسل رسالة إلى ملك الفرس وقالوا إنه مزقها، يرسل رسالة إلى ملك الروم، استخف به ملك الفرس كسرى، استخف به، [كيف تجرأ أن يرسل إليه برسالة ويقدم نفسه عليه؟!] كأنه قال هكذا، افرض مثلاً لم يأت لك جوابات إيجابية وهو هنا قد تناول أمتين كبيرتين جداً؛ لأنه يعرف هؤلاء سيتلاشون، هل تراجع؟ أو يقول كيف رسالتي عالمية وأمامي هذه العوائق الكبيرة: دولة الروم ودولة الفرس! وبعد أن يرسل إليهم برسالة استخفوا، استخفوا لكن موقفه موقف الواثق من نفسه ويعرف واقعهم على ما قدمه الله له.

لو كان مثلاً قيِّم المسألة بشكل آخر مثلما يحصل عند الكثير من الناس الآن ومن قبل الآن هو يرى بأنه رسالة عالمية لكن كيف، كيف تعمل وفي الأخير يقول: إذاً ليس الآن وقت سننتظر إلى أن تنهار تلك الدولة أو تلك الدولة هنا أعطاه واقعهم{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً} هذه خسارة هم خاسرون هم سيخسرون وهو عارف، هو فاهم أن الخسارة من هنا يعني: من الدنيا هذه. وهذه قضية فعلاً خسرناها في ثقافتنا: أن نفهم أن الخسارة هي من هنا بالنسبة للأعداء، يقولون:[في جهنم، جهنم، جهنم هناك لكن هنا ماذا نعمل ولا يوجد معنا كذا..] وإذا بنا قد أصبحنا منتظرين نحن وإياهم، عندنا أنهم سيدخلون إلى جهنم ونحن سنذهب إلى الجنة!.

هي هكذا الرؤية، هذه الرؤية لا تترك الناس يعملون في الدنيا شيئاً؛ لأنه قدم هذا العدو بالشكل الذي كله قوة كله صخرات كله جدار صلب، هم لم يعرفوا الواقع على ما يقدمه الله: أنهم سيخسرون سيضلون سيضيعون هنا، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان فاهما للدين حقيقة وليس على أساس ما قدمه الآخرون، ثم يقولون: أنهم مقتدون به! هم ليسوا مقتدين به، بعيدون جداً عن الإقتداء به، ولا في رؤيته، لا يعرفون رؤيته للحياة وللواقع وللإنسان ولهذا الدين بكله. {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً}؛ لأنهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً ولن يهتدوا طريقاً، طريق فلاح ونجاح إلى آخره، إذاً سيراهم بأنهم سيتهاوون ألم يعمل فعلاً وهيأ الناس في عصره إلى أن يكونوا بالشكل الذي يحطمون تلك الدول؟ حطموا دولة فارس وحطموا دولة الروم، وفعلاً رأيناها تحطمت، ألم تتحطم على يده؟(ص٢٠)

[سورة المائدة ـ الدرس الواحد والعشرون]

ـ منهجية القرآن في تعامله مع قضايا الدين:

هذه قضية لمست فعلاً، منهم من يتحول إلى نحوي بحت وغارق في النحو ووجوه النحو وأشياء من هذه، ومنهم من يتحول إلى فقيه مستغرق ذهنه ومسيطر على مشاعره وكل تفكيره قضايا أحكام شرعية فقهية، وناسين قضايا أخرى هامة جداً، هي أساس في أن يكون لهذه اللغة التي أنت تسهر على أن تعرف أحكام مفرداتها، سواء باعتبار الصيغة، أو باعتبار النطق، أو هذا الفقه الذي أنت تسهر لمعرفة أحكامه، قد تصبح في الأخير تموت بين يديك، إذا كنت تجهل القضايا الأخرى، قضايا إقامة الدين؛ لأن الفقه معناه: أن يفقه الناس هذا الدين، هذا هو الفقه، كتاب الفقه هو القرآن، كتاب الفقه بكل ما تعنيه الكلمة، وبمعناها العربي القرآني يعني: فهم الدين بشكل عام، بدءا من معرفة الله سبحانه وتعالى، لا يعتقد واحد بأنه هنا يحصل تكرير لمجرد التكرير، التكرير له أهمية كبيرة في تأثيره في النفس، وأهمية من الناحية التربوية، أن تجلس أنت تستعرض، مشاعرك مليئة بهذه المعلومات التي تراها مترابطة، واهتمامك بها يكون اهتماما بها جميعا، وليس ببعضها دون بعض، يكون اهتمامك بها أيضاً على أساس أولويات، على حسب ما تتركه تربية القرآن من أثر في نفسية الإنسان في النظر إلى القضايا، هذه هامة، وهذه أهم، هذه هامة اليوم وغدًا هي أهم، وهكذا.(ص٢)

[سورة المائدة ـ الدرس الثاني والعشرون]

ـ عقوبة الإعدام وما يثار حولها:

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً} (المائدة من الآية: ٣٢) إذًا نحن أمام درس فيما يتعلق بعقوبة الإعدام، عقوبة الإعدام فعلا في هذا العصر بالذات، ولذلك كانت قضية من زمان هناك حملة فعلاً، حملة مثلما تقول: شبه دولية، حول محاولة إلغاء عقوبة الإعدام، تلغى تماماً باعتبارها وكأنها عقوبة بشعة! وعادة يحاولون يزينون هذه المسألة، مسألة إلغاء عقوبة الإعدام بأنه بدلاً أن نكون قد فقدنا واحداً لماذا أيضا نفقد الآخر؟ فإذا قد فقدنا واحد مع السلامة فلا نفقد الآخر أيضاً!..لا، الله سبحانه وتعالى هو حكيم، ويبين للناس أنه حكيم ، ويبين أن هناك حاجة ماسة، حفاظاً على حياة الناس، إذا كانت عقوبة الإعدام عندما تحاول أن تلغيها من أجل الحفاظ على حياة واحد، الله قدم الحل الذي يمثل الحفاظ على الحياة بأوسع مما قدمت، حياة الاثنين، إذا أنت تريد حياة واحد من خلال إلغائك للعقوبة، فالله قدم من خلال هذه العقوبة ما يضمن حياة اثنين .

ثم إذا كان مثلا قد تقول: بأن إلغاء هذه العقوبة هو وجيه؛ لأنه فعلا قد تكون حالات القتل إنما هي عادة تحصل عند الغضب، أو اختلاف، أو أشياء من هذه، فيحصل من فلان أن يقتل فلاناً ، هنا بين الله سبحانه وتعالى في هذه القصة، وبين من خلال أجواء هذه القصة أنه ممكن، أن هناك نوعية من الناس سيقتل بدون أي مبرر على الإطلاق، لاحظ هنا يذكر أخاه الآخر كيف كان عند ما قال له: {لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} (المائدة: ٢٨) والذي دفعه إلى القتل لم يكن من جهة أخيه أيَّ شيء يدفعه إلى أن يقتله على الإطلاق، قضية ثانية هذه، قدم قربانا فلم يتقبل منه، فعاد ليقتل إنساناً لا علاقة له بالموضوع على الإطلاق، ولم يأت من جانبه أي شيء يعتبر دافعاً له أن يقتله، يعني: أن هناك فعلاً نوعية من الناس هم على هذا النحو.

الله فيما يتعلق بأن تحسب حساب حالات أخرى جعل في هذه القضية عقوبة إعدام، قصاص، أو دية إذا قبل الأولياء، ويمكن أحيانا في بعض القضايا يمكن أن الأولياء أحيانا هم فعلاً يعرفون، ويقبلون دية في بعض الأحداث التي قد تكون فعلاً شبه بالي، أخي مثلاً، أو صاحبي فعلاً بلى آخر بنفسه، فلم يكن أمامه بدٌ من أن يقتله مثلاً، أليس هذا قد يسمى بالي معين؟ هناك يوجد مجال فيما يتعلق بالعفو أو الدية .

إذًا فأمام العقوبة هذه جعل ما يضمن فعلاً الحياة للناس، ولتعرف أن هذه العقوبة عادة على أساس أن الكثير فعلاً من النوعية هذه، هي نوعية مما يخشاها البشر، فيجب أن يكون هناك عقوبة؛ لتندفع وترتدع هذه النوعية من الناس، أما النوع الآخر وهم من؟ المتقين فهم لا يمثلون خطورة على الآخرين على الإطلاق؛ لأنه هنا قال: {مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} بمعنى: أن هذه النوعية من الناس، الناس الطيبين، الناس المتقين، لا يشكلون خطورة على البشر على الإطلاق. إذًا فأنت عندما تدافع عن تنفيذ عقوبة الإعدام، تعمل على إلغائها بشكل قانون، كما يعملون في هذا الزمن، فمعناه أنك تفسح المجال أمام من؟ أمام مجرمين، أنت تفسح المجال أمام مجرمين، ليس معنى ذلك أنك ستفك إشكالية أمام ناس صالحين وأبرار وطيبين..لا.(ص٢)

ـ عقوبة قطع يد السارق وما يثار حولها:

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا} وهذا مما يحاولون أن يحاربوها، عقوبة السرق؛ لأنه فعلا المفسد يعتبر أن هذه القضية فضيعة؛ لأنه لا يريد أحداً أن يقتله، ولا يريد أحداً أن يقطع يده؛ لأنهم سرق كبار، فيحاول ماذا؟ أنه أيّ شيء يشكل خطورة عليه يزيحه، وكما هي عادتهم تحت عناوين أخرى،مثلاً [بشعة، بشعة] ليس أبشع من أخذ أموال الناس، هذه هي البشاعة، يأتي واحد مثلا يشتغل فترة طويلة، ويبيع أشياء من ممتلكاته، واشترى له سيارة، وقد عزم على أن يترزق الله عليها، جاء السرق وأخذوها عليه، أليست هذه حالة سيئة جدًا؟ كيف ستكون نفسيته؟ ستكون نفسيته منهارة، هذه هي البشاعة، أما السارق فعلا الذي عندما نأتي نقف في الموضوع، هنا أمامك شخص مرتاح جداً، أنه قد أخذ سيارة ذلك، وذلك الشخص في حالة سيئة، محطم نفسياً، يعود إلى البيت، لا يستطيع أن ينام، ولا يستطيع أن يأكل، ولا يعد يهنأ بشيء. إذًا نقول: لا، لا، اترك ذلك يموت بقهره، وهذا السارق نحافظ عليه، ولا تقطع يده أبداً!! أليس معناه أننا نضيف له سروراً إلى سروره ؟ ينطلق أكثر يسرق، ما بالك بالسرق الكبار.

هنا يقول أيضاً في هذا الحكم، يبين للناس أن هذه الفئة من الناس فعلا موقع ظلم للآخرين، ظلم شديد، يلاحظ واحد نفسه هو، أحيانا بعض المرضى يجمع له فلوس، ويطلب معونة من الناس، ويبيع من ممتلكاته، وسافر بلدة معينة، أو دخل العاصمة، يريد يتعالج، وفلوسه في جيبه، وهو لا يعرف إجراءات معينة، تحويلات بنكية، وأشياء من هذه، وجاء شخص وأخذها من جيبه، أو لقيه اثنان وأخذوها عليه من جيبه، وهو مريض يريد يتعالج بها، والسارق قد يكون صحيح الجسم مثل [الثور] إنما فقط سيأخذها، ويلعب بها، هذا أيضاً لا يقام الحد عليه! لا تقطع يده، يموت ذلك المريض الذي باع حقه [واتعون] وبذل ماء وجهه من أجل أنه يذهب يتعالج، لا عليه يموت، نحافظ على السارق هذا!! هم فعلا كل فكرتهم ـ لأنهم مفسدون ـ حريصون جدًا على أن لا تكون هناك عقوبات لمفسدين، والقرآن يقدم هنا أنه فعلا من تتوجه إليهم هذه العقوبات هم مفسدون، وهم المفسدون، هم يدافعون عن إنزال عقوبات، وإقامة حدود على مفسدين. إذًا هذا نفسه مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض، أليس هذا مما يؤكد لنا أنهم مفسدون في الأرض؟.

المفسدون في الأرض ـ مثلما تقول ـ الآن مثقفين، قانونيين، يحاول على أن لا يلحقه القانون، أن لا يلحقه الشرع؛ ليتمكن من أن يرتكب جريمة، ويفسد، ويأخذ أموال الناس، وما هناك أي شيء يخافه نهائيا، عقوبات في الحياة ضرورية، لأن الكثير منهم أصحاب نفوس خبيثة، لا يخاف الله، مثلما ذكر في قصة ابني آدم، واحد نفسه خبيثة هو لا يذكر الله، ولا يخاف الله، يعني: ناسي لله، لا تتوقع إنسانا يعرف الله ولا يخافه، يعرفه حق المعرفة ثم لا يخافه، لكن ناسي لله تماما{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ} مطيع لنفسه ، نفوس خبيثة، أن يقول واحد: [يكفي، وسيأتي لهم عقوبة هناك] هذه سنة إلهية، عقوبة هنا، عقوبة هنا في هذه الحياة تأتي حتى لغير هؤلاء، هناك عقوبات كثيرة جداً.

إذًا لا بد أن تنزل عقوبة بهؤلاء، ويكون هناك أمامهم عقوبات يخافون منها؛ لأن لا يرتكبوا مثل هذه الجرائم؛ لأنهم ليسوا نوعية يمكن أن تخاف الله رب العالمين، فتقول: أن هؤلاء هم يخافون الله لن تحصل منهم جريمة كهذه، لاحظ كيف يحاولون أن يحاربوا عقوبة الإعدام، وأن لا تقام حدود كهذه، كحدود السرقة، وشرب الخمر، وارتكاب الفاحشة، وكل ما كان محط حد من حدود الله، بل يزينون الجريمة الكبيرة هذه: احتلال الشعوب، أخذ شعب بكله إلى جيبه، فتأتي الحكومات العربية التي هي تدين بهذا القرآن، وتؤمن به، كثير منها يحاولون أن لا ينفذون هذه العقوبات من أجل الغرب أن يرضى، من أجل أمريكا أن ترضى، من أجل أن لا نبدوا بصورة بشعة أمام الغرب، فيبدو وكأن ديننا هذا دين بشع!! ..لا.لاحظ أنه هنا قدم أن هذه الجرائم هي جرائم بشعة، وإنما يرتكبها مفسدون في الأرض، لا يخافون الله، يجب أن تكون هناك عقوبات تردعهم؛ لأن البشاعة هي أن تترك المجرمين طليقي الأيدي، لا يخافون أي شيء هنا، وفي نفس الوقت، لا يخافون الله رب العالمين، يحاولون فعلا لا ينفذون هذه لا ينفذون العقوبات هذه من أجل أن ترضى أمريكا، والآن وصل الموضوع إلى ماذا؟ لأن يحاولوا يسترضونها إلى درجة إلغاء هذه الحدود الإلهية الهامة مثل قطع يد السارق! أليست أمريكا الآن متجهة لقطعهم من نصف ظهورهم؟ فعلاً .

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللّهِ} (المائدة: من الآية٣٨) كما قال هناك في عقوبة القصاص {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} (البقرة من الآية: ١٧٩) لأنه فعلا قطع يد السارق هي نكال لما بين يديها وما خلفها، لن يجرؤ أحد أن يسرق، وهو يعرف أنها ستقطع يده، فتتحول يده إلى ما يشبه قطعة من الخشب . ولمصلحة مَن أن يكون هذا نكالا من الله؟ أليس لمصلحة الإنسان؟ ليأمن الناس على أموالهم. [ص١٥]

ـ أهمية معرفة أنواع الصراع:

هذه من الأشياء الغريبة التي نقول هي أشياء مؤسفة فعلا بالنسبة للعرب أنه لم نفهم أنواع الصراع من داخل القرآن، والقرآن أعطى فعلا، نحن قرأنا في قصة معركة أحد كيف التركيز على الجانب النفسي والمعنوي، بمعنى أن الصراع لا يكون أمامك فقط مجرد سيف، هذه واحدة من وسائل الصراع التي يجب أن تكون نصب عينيك، لكن تعرف أن الصراع يتناول مختلف الأشياء النفسية والمعنوية، فالقرآن علمنا من قبل، لكن لا بد من القرآن حتى نعرف كيف الجهاد، ونعرف كيف عادة يحصل الصراع بين البشر، يقول لك: ننتظر حتى يأتي قتال!

نقول: إن هؤلاء الأعداء هم يركزون على قضايا نستطيع أن نواجهها إذا مشت سيقاتلون، وسيضربون، إذا لم تمش لهم لن يضربوا، ولن يصلوا إلى الناس، كيف تقول: أنك منتظر، منتظر.. في الأخير متى ما حصل ستقول: أنا لا أملك إلا بندق ماذا سيعمل هذا البندق! الشيء المحتمل أن هذا النوع لن يتوفق، أن الكثير قد لا يتوفقون فعلا، الإنسان الذي هو يعتبر مجاهداً يجب أن يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً، وأعتقد فعلا رفع الشعار، والمقاطعة الاقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلاً، بل قد يكون هذا الجهاد اشد على الأمريكيين مما لو كنا عصابات تتلقى لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا: أن أثره عليهم أشد من هذا، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأي مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائيا، لم يستطيعوا أن يوقفوه بأي طريقة أبداً، ولا استطاعوا أن يلصقوا به شيئا يعتبر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة.

هذا هو الجهاد، والإنسان المسلم المؤمن يكون أمام عينه {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} (الأنفال من الآية: ٦٠) قد تكون قوة معنوية هي بيدك تؤثر جدًا على العدو يجب أن تستخدمها، حرب نفسية، هو يستخدم حربا نفسية هو، العدو الذي يمتلك أفتك الأسلحة يرى بأنه ليس مستغنيا بل مضطراً إلى أن يسلك الوسائل الأخرى في الحرب، الحرب الثقافية، الإعلامية، الحرب النفسية، أليس هذا شيئا واضحاً؟ فكيف أصبحنا لم نعد نفهم حتى

الصراع ما هو، أصبحنا لم نعد نفهم الجهاد ما هو!. بالتأكيد المجاهدون ليس عندهم فكرة.. ـ لأن البعض يحاول يقدم تفسيراً لمعنى الجهاد أن الجهاد بالكلمة هو الجهاد وفقط أو آخر يقول: الجهاد بالسيف هو الجهاد فقط! ـ لا، الجهاد {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) هنا قدم كل قوة بما فيها القوة المعنوية {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}.

الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يعتبر الموقف من العدو نفسه إلا موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقا؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تقدم نفسها نموذجا فعلا في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة، وتنسى موضوع إعداد القوة، قوة السلاح؛ لأنك ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها، القضايا النفسية، والمعنوية، والتربوية، والثقافية.. إلى آخره، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا. (ص٩)

<u>ـ منهج القرآن في العمل ضد بني إسرائيل:</u>

هذه القضية هامة، الآية تعطينا منهجا متكاملا متكامل في كيف نكون نحن، وكيف نعمل بعون الله وتوفيقه، يحاول واحد يتعامل مع الله، يدعوه، وفي نفس الوقت كيف يكون توجيهنا للناس، لا نستخدم عبارات: وطن على الإطلاق، ونحن قلنا في هذه سابقا، عند آية طالوت وجنوده قلنا: إن الله ضرب مثلا لنا من داخل بني إسرائيل، عندما يقولون الآن: لا نريد عداء دينياً، نقول: أنتم وجدناكم في مرحلة كنتم مستضعفين، وقد أخرجتم من دياركم، وأبنائكم اتجهتم إلى نبي من أنبيائكم تقولون: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، أليس هكذا؟ فنحن نعمل مثلكم فقط، نرفع نفس الشعار الذي رفعتموه، وقامت بعده أعظم دولة لبني إسرائيل في تاريخهم إلى الآن.

كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}؟ إذا كان مستبصرًا بالقرآن، مستنيراً بنور القرآن، مستبصراً ببصائر القرآن، مهتدياً بهديه، وإلا فسيقعده اللوم في أي مرحلة من المراحل، لوم عالم، أو لوم قريب، أو لوم بعيد، أو لوم سلطة، أو لوم من أي جهة كان. تجد هذه النوعية فعلا عندما ينظر واحد إلى المرحلة هذه، هذه النوعية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه بني إسرائيل بفاعلية، ويمكن تهزم فعلا بني إسرائيل، هذه الفئة؛ لأنه قدم نوعية هي التي يجب أن تتوفر فيها الصفات الضرورية، والتي تجعل كل مؤامراتهم، وشعاراتهم، وعناوينهم، وخداعهم تتبخر عندما تصطدم بهذه النوعية، غيرها سيتبخرون هم أمام بني إسرائيل فعلاً(. ص٢٤)

[سورة الأنعام ـ الدرس الرابع والعشرون]

<u>ـ أساليب مهمة في شمولية الدعوة:</u>

لاحظ هنا كيف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في مرحلة دعوته حتى نعرف أساليب الدعوة كيف هي، وفي الواقع معناها أساليب إقامة القسط؛ لأنه قد أصبح معنى الدعوة، يعني: الوعاظ هكذا لمجرد الوعظ، أساليب كيف يكون الناس أمة قائمة بالقسط، شهداء لله، هذا الشيء المهم، الإنسان بحاجة إلى أن يكون لديه رؤية متكاملة بالنسبة للإنسان أمامه، القرآن الكريم شخّص المجتمعات، وشخص الإنسان أمامك بحيث تعرف أن هذه النوعية قد تكون كذا، من أجل لا تحبط أنت، تستمر في عملك، لا تكون أنت ترى هذا النوع وكأنه يمثل البشرية جميعاً، أترك هذا النوع لوحده يمكن تتجاوزه، ثم يهمش تماماً. وهذا الذي حصل في صدر الإسلام،

ألم يتهمش كل أصحاب المقترحات هذه؟ {لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} (الأنعام: من الآية٨)، لولا كذا.. هؤلاء تهمشوا هناك، يوجد بشر كثير سيستجيبون، وهؤلاء ينتهون في الأخير، الآخرين انتهوا على جنب.

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ} (الأنعام: من الآية١٠)، لا يكون عندك أنك أمام أول إشكالية تحصل أمام رسول، من قبلك حصل لرسل استهزؤوا بهم، واستهزؤوا بآياتهم، وسخروا منهم، أي: فمعناه واصل، لا تبالي، هذه قضية غير جديدة، فلا ترجع على نفسك وتقول [لماذا إما أنا] أو [ما هو السبب؟] لا، واصل في عملك وأنت ستعرف من خلال عملك؛ لأنه يقدم في نفس الوقت كيف تكون مسيرة الإنسان بشكل صحيح، كيف تكون أساليبه صحيحة، لكن هناك فئات لا ينفع معها أي أسلوب تختاره مهما كان، لو اقترحت أن ينزل كتاباً من السماء في قرطاس ويلمسونه لن ينفع فيهم!. الإنسان يجمع بين القضيتين، يعرف كيف هي الأساليب الصحيحة، وفي نفس الوقت يعرف الناس أن فيهم من لا ينفع معهم أي أسلوب؛ لتستمر، لا يحدث لك إحباط، ولا يأس.

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الأنعام:١٠) وهنا يعطي الناس أملاً {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الأنعام:٥)، وهنا أيضاً: {فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، تكون عارفاً بأن مصير الساخرين هؤلاء في الأخير أن يحيق بهم أمر الله. خلاصتها ماذا؟ خلاصتها أن تبقى أنت مستقيماً، وواثقاً من نفسك، وواثقاً من طريقتك، ومواصلاً لعملك، لا إحباط، ولا يأس، ولا تراجع، ولا ارتباك بين محاولة أقلمت وضعك وعملك استجابة لمقترحات من جانب الآخرين، مقترحات أولويات من جانب هؤلاء الرافضين والساخرين.

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (الأنعام:١١)، هذه واحدة من آيات النظر، أليست واحدة من آيات النظر؟ النظر في القرآن يجب أن تعرف متى يقدم، وفي أي موضوع يقدم، وإلى أي شيء يلفت نظرك، وليس أن نأخذ منها: [فدل على وجوب النظر] والنظر ماذا؟ في الأخير يشغّلونه في غير موضعه، يجعلونك تنظر نظر قَلْب، وتضيع وقتك في قضية لا حاجة إليها، قضية محسومة أساساً.

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، سترون آثارهم، آثار المكذبين. {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:١٢)، عندما يقول لهم: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} هم في نفس الوقت في آيات أخرى يقولون: هي لله، لكن هنا يقول: أنت قل لله، ولو قبل ما يقولون، ولو سيقولونها، قل أنت.

هذه قضية أساسية، أول شيء لا يقدم الموضوع وكأنه بطريقة استدلالية، أن تنتظر من الآخر أن يكون هو الذي يقتنع بطريقة معينة استدلالية، هذا شيء، الشيء الثاني بأنك لا تعود نفسك بأنه لا يكون للشيء قابليته عندك، وثقتك الكبيرة به، وثقتك من نفسك إلا إذا اقتنع الآخر، بحيث لو افترضنا وقالوا شيئاً آخر تضعف ثقتك، هذه أحياناً تحصل عند الإنسان إذا عوَّد الإنسان نفسه أن لا يكون ما لديه محط ثقة لديه، لأن هذه قضية مؤثرة جداً، إذا كنت واثقاً بما أنت عليه ستنطلق، إذا أنت يحصل عندك تردد، سيحصل تراجع، ويحصل فتور في الموضوع، وهنا عندما تكون أنت مستبصراً لست بحاجة إلى أنه لازم أن الآخرين يقتنعون حتى أعرف بأنني على صواب.

هذه قضية قد يتعرض لها الإنسان، وفعلاً حصلت هذه، قد تكون أيضاً واحدة من المؤثرات داخل الزيدية أنفسهم في موضوع الاستدلال، الاستدل، الاستدلال..، حتى وصلنا إلى درجة أنهم لم يعودوا يصدقون أي شيء إلا بعد ما ينظرون هل الآخرون رووه وإلا فكأنه غير صحيح!!.[ص١٥]

ـ أسلوب التخويف:

وهنا يأتي الحديث عن يوم القيامة وهو يخاطب من؟ أليس هو يخاطب مشركين، ما زالوا منكرين ليوم القيامة؟ وهنا يذكر يوم القيامة، هل هذا أسلوب منطقي؟ فوق المنطق، وأعلى من المنطق؛ لأنه نزله الذي خلق الإنسان،

وهو يعلم بالإنسان {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} (الملك: من الآية١٤)، يهدده بأنه سيرجع إليه يوم القيامة وهو ما زال في نفس الوقت ينكر يوم القيامة؛ لأنه ليست القضية أن تقدم استدلالاتك على ما يبرمجوه في كتب المنطق وعلم الكلام، لا، القضية هي أن تعرف الإنسان، وتعرف كيف تتعامل معه، ومن أي جهة تأتي له، هذا الإنسان فيه أشياء في نفسه لا نعلمها، يؤثر فيه التخويف بالشيء الذي يبدو وهو منكر له، يؤثر فيه التخويف به، يوم القيامة يخوّفون به، ويخوّفون بالنار وهم ما يزالون كافرين، في هذا القرآن.

والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بجهنم التي يخوفون بها أليست قضية قرآنية؟ ومع هذا يخوفون بها، ويقول لهم هكذا يذكرهم بها، ويخوفهم بها، معنى هذا أنها ستترك أثراً في نفوسهم، يترك أثراً في نفوسهم.

هذا من أهم أساليب القرآن الكريم في التعامل مع الإنسان وخطابه، يأتي له من كل جهة، ترغيب وترهيب، حتى ولو لم يكن قد آمن بموضوع جنة، ولا موضوع نار، ولا قيامة، ولا جنة، ولا شيء من هذه، يذكّره، ترهيب وترغيب، وأشياء كثيرة جداً، لا يأتي على أساس منطق الفلاسفة التي يسمونها: مقارعة الحجة بالحجة، واستدلال عقلي منطقي هكذا، يكون من رأس إلى رأس، ليس من رأس إلى رأس، هذا من الله إلى وجدان الإنسان، إلى نفسيته الواسعة، هو لا يتعامل مع رأسه، الأشياء الأخرى تكون تعاملاً مع ماذا؟ جدل وحجاج من رأس إلى رأس. (ص١١)

ـ <u>توجيهات هامة للرسول (ص) في الدعوة</u>:

ولاحظ كيف المسألة كلها تقوم هناك، نحن الآن أمام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والآخرين، يشخّص لنا النبي مع آخرين، نجد الشيء الذي يظهر لنا في شخصية النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو يوجه، يراعي كيف يكون منطقه مع الآخرين، دائماً يأتي بقضية ماذا؟ ربطه بالله، بالله هكذا، لا يظهر هو منفرد {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}، أليس هو يربط القضية بالله؟ أنه إنما هو نذير، بشير، داعي إلى الله، رسول من الله، نزل إليه القرآن من الله؛ ليبلغ عباد الله؟ وهكذا.

هذه المسألة لها أثرها الكبير جداً في موضوع الدعوة، في موضوع التأثير على الآخر، تجد أن هذه القضية فعلاً هي متفرعة على الإيمان بأن الإنسان بشكل عام، الناس بشكل عام عارفين لله، عارفين لله؛ لأنه تأتي حركة الرسالة، تلحظ هذه النقطة: أن الله معروف عند الآخرين، أي: أن بإمكانك أن تتحرك باسم الله، وفي طريقه، ويكون الموضوع مقبولاً، أما أن تتحرك أنت كإنسان أنت، وصاحب فكرة تصطدم بآخر لديه فكرة، تتحرك مثلاً أنت من طائفة، والآخر من طائفة، ويراك تبرز أمامه من الطائفة الفلانية التي لديه صورة عنها سيئة، هذا هو هناك يشتد، لا يرضى أبداً يقبل أن ينجذب لك؛ لأن معنا هذا بأنه سيتحول إلى شيعي مثلاً، وذاك من هناك لن يرضى؛ [لأنه يريد يحوله إلى سني، أو ذاك يريد يحوله إلى كذا، وذاك يريد يحوله إلى كذا] أن تبقى القضية في إطار البشر معناها يحصل فشل، أن يقدم الموضوع عن الله وبطريقة مترسخة، وطريقة متكررة، هنا يبدو الموضوع بأن من يقدمه إنما هو واحد من البشر، ويريد أن نكون جميعاً في هذا الطريق إلى الله، والله هو معروف عند البشر، أليس الله معروفاً عند البشر، وفوق الكل؟. لا يمكننا بالطريقة هذه لولا أن الله قد غرز معرفته في نفوس البشر جميعاً، لأنها ستشكل عائقاً كبيراً جداً حالة الفراغ هذه، لو هناك حالة فراغ ستشكل عائقاً كبيراً جداً في موضوع دعوة الآخرين إلى الله.

هذه أيضاً تعتبر من [المسائل التي لها أثرها الكبير في موضوع الدعوة، فعندما يأتي ويتحرك من يكون داعياً إلى الله باسمه هو في الموضوع] وقدم نفسه، سيكون الآخر يعتبره واحداً أمام واحد، شخص أمام شخص، طائفة أمام طائفة، سيجلسوا يتواجهوا. وهذا الذي حصل على مدى مئات السنين، هل المعتزلة حولوا الأشاعرة إلى معتزلة، أو الأشاعرة حولوا المعتزلة إلى أشاعرة؟ جالسين متواجهين على طول، شيعة وسنة، معتزلة وأشاعرة، عدلية وجبرية، على طول؛ لأنه هبطت المسألة عن هذا الأسلوب فعلاً عن منهجية القرآن.

هذا يقدم: المعتزلة هم كذا كذا، والآخر عنده: الأشاعرة هم كذا كذا، إلى آخره، ذاك أشعري محاول أن لا ينجذب له ولا [صانتي واحد] عارف، هو مشوه عنده هو وطريقته، والثاني مثله، ويشتدوا وجالسين متجادلين على طول، وكل واحد منتظر الثاني يكمل كلامه يجوب عليه، وهكذا، تمر مئات السنين، وكل واحد لوحده، وكل طائفة لوحدها! أليس هذا الذي حصل؟.

تجد أسلوب القرآن كيف أنه جمع العرب تحت راية واحدة، وتركوا آلهة، وتركوا تقاليد كثيرة، وتركوا الأصنام التي كانوا يعتبرونها آلهة، تركوها واتجهوا تحت هذه الطريقة. وهذه القضية نحن نراها من القضايا الواسعة في القرآن متكررة: أن لا تبرز أنت باسمك، لا يبرز أحد باسمه، أن يكون داعياً إلى الله، يعرف كيف هي الدعوة إلى الله، وإلا سيحول بين الآخرين وبين أن يتقبلوا.

{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية١٩) ، لاحظ أليس الله سبحانه وتعالى هنا يعلم نبيه كيف يقول؟ يعلمه كيف يكون أسلوبه؟ بل يقدم له العبارة كيف يقول، وهو يعلم بالآخرين، ويعلم بالناس. لاحظ أليس هذا يبدو وكأنه أسلوب طبيعي، أو أسلوب غير منطقي يبدو؟ على حسب رؤية المتكلمين هذا أسلوب غير منطقي، {قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}، سيقولون هذا ليس استدلالاً يقنع ويلزم! قل هكذا.

وتلحظ في هذا أيضاً أنها قضية هامة في من يقول، مثلما قلنا سابقاً، وأن لا تلحظ الطرف الآخر؛ لأنه أحيانا [يجنبوا] الإسلام في واحد هناك ما رضي يقتنع، الذي يقول: ساحر، والذي يقول: كذاب، والذي يقول: شاعر، أو الذي يسمونه زنديقاً، أو ملحداً، أو نوعية من هذه، هؤلاء يكونون قليلين في البشر، هؤلاء يتلاشون، بإمكانك أن تأتي لهم بطريقة ثانية تبهتهم، أو تجعلهم لا شيء، وتسد الطريق أمامهم؛ لأن الأغلبية من البشر يفهمون ويتأثرون. {قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ}، قل أنت، وأنت من أنت، أليس معروفاً بأنه إنسان له ثقله عندهم؟ شخصية لا يمكن عند الناس الطبيعيين، والعاديين أن يروا بأنه إنسان أحمق، أو إنسان مليء بالتطانين، وتفاكير، وكل مرة ومعه [طنجعة]، إنسان عندما يقدم قضية هامة، يعني: هي هامة فعلاً.

هم يلاحظون في الدعاة، قضية هذه معروفة لكن بمستوى متدني جداً، أليسوا يلاحظون في الدعاة أن يكون بشكل شخصية كبيرة؟ يحاولون يسمنونهم أحياناً، يحاولون يعملون لهم أشياء حتى يسمن ولحيته تسمن، [ويعفشوه] حتى يملأ المحراب، حتى يقولوا [هذا الشخص ـ عندما يتحدث ـ لن يتحدث هكذا إلا وهو ملان علم وقضايا هذه صدق]، يحاولون يعملون هذه.

وتقدم الأشياء مبتوتة عنده، هذه قضية هامة، وفعلاً ملموس يعني: الأثر السيئ لها، أو الإيجابي إذا ابتعد الإنسان عنها، عن حالة تمرّض ما أنت عليه تمرّضه، ومتى ما حصل هناك قليل ضجة تكون قد أنت مريض أنت، قد القضية عندك[احسب أنها ليست محكمة، أحسب أنها لن تسبر أحسب أنها ليست جذابة بالشكل المطلوب] لا، هنا يقدم القضية واثق هو، قضية مبتوتة، قضية عنده واثق فيها مائه بالمائه {قُلْ لا أَشْهَدُ} { قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} {إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}، ليس الموضوع موضوع استدلالات على ما يقدمه الآخرون مع الآخرين، قضية تعامل مع الإنسان كيف يتعامل معهم؟ كيف يجعلهم قريبين من أن يتأثروا؟ كيف يؤثر في أعماق نفوسهم، الإنسان الذي يقدم قضية هو فيها بطريقة هكذا متردد، ومريضة، أنت تجعلها هزيلة غير مقبولة، قدمها بجدية، بثقة، ويظهر للآخرين مهما كانوا يعرفون بأنها قضية عندك ثابتة، لا تتزحزح عنها، ولا تقدمها باسمك شخصياً، قل: هكذا أمرنا الله، هكذا يريد الله منا، هكذا دعانا الله في قوله كذا كذا.

هذا الأسلوب لا يلحظ على الإطلاق في كتب علم الكلام نهائياً، هنا لو يقول له: إذا قال أحد أنهم آلهة، قل له: إنما هو إله واحد، سيقول: كيف هذا! لا ينفع هذا الأسلوب، حاول تبرهن بطريقة منطقية، واستدلالية على أن كذا.. كلام كثير؛ لهذا وجدنا كيف كانت الطريقة هذه ناجحة، ألم تكن ناجحة؟ في خلال فترة قصيرة تحولت الجزيرة هذه إلى بلد مسلم، خلال فترة قصيرة، والآخرون عشرات المتكلمين مَنهم الذين قد أدخلوهم في الإسلام

مَن؟ لم تمر فترة إلا وقد أخرجهم الآخرون من الإسلام، من داخل المسلمين، من كفَّرهم من عندنا، ومن كفَّرهم من عند آخرين، وكفَّروا بعضهم بعضاً .

الإنسان إذا قدم قضية ـ هو فيها ـ بطريقة تمريضية يعطي الآخر طمع، أنت ترفع معنويته في صراعه معك، تعطيه طمع أنه يحاول كيف يؤثر فيك، ينهيك تماماً، يبعدك عن الموضوع، لكن يلمس أنك واثق من نفسك، ومن القضية التي أنت فيها، ومصر عليها، وقضية هامة عندك، في الأخير تنهار معنويته هو، يهزم نفسياً.

إذاً من خلال آيات كهذه نعرف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ أنه بالتأكيد سار على هذا التوجيه؛ ولهذا نجح بشكل كبير، ألم ينجح نجاحاً مطلقاً؟ سار على التوجيهات هذه في منطلقاته العملية، وفي تقديم الأشياء، وفي خطاب الآخرين .(ص١٥)

ـ ضرورة التبيين:

وأيضاً فيها أن يفهم الإنسان نفسه هو، من يتحرك في مجال الدعوة للناس أنك تبين، تبين، إذا عندك فكرة بأنه هؤلاء الناس ربما بعد سنتين، بعد ثلاث، وأنت معهم، معهم على طول يمكن يهتدون فيما بعد، قد [تحنب] نفسك في قرية، وأنت تقول: عسى عسى عسى، إلى آخره. لا . هذه هي مسيرة، تعامل مع الناس، وتوجه إلى الناس جميعاً؛ لأنك قد تكون في الواقع تحاول تتحرك مع قرية، أو مع منطقة معينة، الكثير فيها قد صاروا من هذا النوع، لا يعد يستفيد نهائياً فتضيع أنت، تضيع مسيرتك، وتضيع حركتك، ليضيعوا هم، اشتغل، الله وعد بأن يستبدل بهم غيرهم، من طبع الله على قلبه، أو ختم عليه، أو كذا، هذا يمكن أنه قد انتهى مفعوله، إشتغل مع غيره.

هذه رؤية هامة بالنسبة للإنسان الذي يعمل في سبيل الله، وأنك تبين، تبين تبين، وفي نفس الوقت لا [تحنب] نفسك مع فئة معينة، بعض الناس قد [يحنب] مع عمه، أو خاله، أو أخوه، أو أي واحد، أو مع أشخاص معينين في قرية، إشتغل في هذه القرية، وفي القرية الثانية، والثالثة، ومع من لقيت؛ لأنك عندما لا تكون عندك الرؤية هذه: أنه فعلاً قد يكون هناك من الناس بعد التبيين، وبعد الإيضاح، وبعد كذا، من يمكن أن يكون قد طبع على قلبه، إذا لم يكن لديك الرؤية هذه ستجلس تضيِّع عمرك معه، ولن يتأثر بك نهائياً، منتهي، وتكون قد خسرت أنت حركتك، ونشاطك، وعمرك مع أناس لم يعودوا يعملون شيئاً، ولم يعودوا يستفيدون شيئاً.

وفعلاً أنها قد تصل الحالة، وهذه قد تكون ملموسة عند كثير: أنه في الأخير يحبط واحد هو، لم يرض ـ مثلاً ـ أخوه، أو عمه، أو خاله، أو واحد من القرية، أو مجموعة، لم يرضوا يسمعوا، في الأخير يجلس، ويحبط ويقول: [ياخه ما رضيوا]؛ لأنه أمامه دائرة واحدة محدودة.

هنا يبين أيضاً كيف هم {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}، ينهون عن هذا الهدى، يبعدون الناس عنه حتى لا يقرب منه أحد، ولا أحد يستمع له، ولا أحد يتأثر به، ويبتعدون عنه، ينهون عنه ويبتعدون في نفس الوقت، {ينأون} أي: يبتعدون عنه. {وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} أن هذه مسيرة لا تتوقف، لاحظ هذه من الأشياء المهمة: أن ترى بأن الطرف الآخر هو الذي سيخسر هو {يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} أما القضية هذه فلن يؤثروا عليها، وهذه الطريق لا تتأثر، ودائماً يكون عند الإنسان تلك الآية: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}(المائدة: من الآية١٠٥) سيكون الآخرون هم من يضيعون، وأنتم ستنجحون. يهدد حتى النوعية هذه: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} يبين كيف أنهم يوم القيامة سيكونون نادمين، وفي النار يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا من جديد.

هذه الآيات تجدها في سياق واحد، تبين لك فئة واحدة، ومع هذا يأتي رواه يروون عن أبي هريرة: أن هذه الآية نزلت في أبي طالب {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}، أي: أنه ينهى عن محمد حتى لا يؤذيه أحد، وفي نفس الوقت هو يبتعد عنه!! أبو طالب لم يكن من الفئة هذه، هذه فئة ثانية من عند قوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ}، إلى آخر الآيات، لاحظ كيف هي في سياق واحد، لكن هكذا في أسباب النزول، وهو من الفنون

التي فيها لعبة كثيرة، يأتي يأخذ لك من داخل الآيات وهي في سياق واحد، موضوع واحد، فئة واحدة، أو شخص واحد، وأخذها وقال: هذه نزلت في فلان، أو هذه نزلت بعدما نزل كذا، وهي آية واحدة، الآيات سياقها {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ} هل كان أبو طالب يجادل محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هل كان يقول: إن ما يأتي به أساطير الأولين؟! لا.

{حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ، أليست هذه فئة واحدة يتحدث عنها؟ كانوا حريصين جداً على تشويه الإمام علي، وجدوا في شخصه أنهم ما استطاعوا على الإطلاق، فحاولوا إذا أمكن أن يجعلوا أباه كافراً، حاولوا يعملوا روايات، ويعمموا أنه كان كافراً، يحاولون في أم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أو في أبيه، أو في أي جهة! هذه فكرة من عند بني أمية، وبنوا أمية كانوا أعداء لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أعداء لرسول الله، وللإمام علي، ولأهل البيت، لبني هاشم بشكل خاص، من الجاهلية كانوا أعداء، كانوا معادين لبني هاشم من الجاهلية قبل النبوة (ص١٩).

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٤)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم
منهجية الدعوة في القرآن الكريم

[سورة الأنعام ـ الدرس الخامس والعشرون]

ـ المعرفة والتأهيل مرتبطة بحركة الإنسان في الحياة:

هذه السورة من أعظم سور القرآن الكريم، ومن خلال أسلوبها يتبين كيف هي شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) موجودة فيها بشكل ظاهر، توجيهات كثيرة إليه هو، توجيهات كثيرة، وفعلاً هي نزلت في مرحلة عمله لهداية الناس، وتبليغ الرسالة، ومن هذا نستفيد أن قضية التأهيل، قضية المعرفة، ليست أولاً تجهيز بنسبة مائة في المائة ثم انطلاقة، المعرفة مرتبطة بالحركة، بحركة الإنسان في الحياة، وهناك أسس ينطلق منها، وفي مسيرته يحتاج إلى مواصلة، ومتابعة في مسيرة عمله إلى ما يهتدي به، بهذا الأسلوب تكون المعرفة لها قيمة، تكون المعرفة ليست فقط مجرد ترف فكري ـ كما يقولون ـ أو مجرد تنظير، أو مجرد جدل، أو نقاش، أو أشياء من هذه، مسيرة عملية يترافق معها توجيهات، يأتي من خلال الوضعية هذه معرفة عالية.

نلاحظ نحن متى ما وصلنا إلى عند آية معينة، وكما نقول في القرآن الكريم: فعلاً لا يستطيع الإنسان أن يستوعب ـ ولا حتى ما قدمناه لا نعتبره شيئًا مما يمكن أن يعطيه القرآن ـ إلا شيئًا بسيطاً، آية معينة قد يكون مثلاً ما نستطيع أن نفهمها الآن لكن ربما بعد مرحلة في حركة الناس في الحياة، ومرورهم بأشياء كثيرة من خلال مفردات الحياة تعطي هذه الآيات شيئاً. (ص١)

ـ ذكّر الناس بقضية يلمسونها:

هنا أسلوب آخر فيما يتعلق بتقديم وحدانية الله سبحانه وتعالى في النفوس، أن يذكّر هؤلاء الناس بقضية هم يلمسونها، أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، وأنهم في واقعهم لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً، وأنهم في حركتهم في الحياة يمرون بأحداث يرون فيها بأنهم ما كشف عنهم، ما نجاهم من ضر، أو من كارثة إلا الله سبحانه وتعالى؛ ليقرر أن الإنسان محتاج إلى الله سبحانه وتعالى. إذاً فلماذا وهو يرى أن تلك الأشياء التي جعلها آلهة لا تعمل شيئًا لا لنفسها، ولا لمن يدعوها ويعبدها؟، فلماذا يشرك بالله سبحانه وتعالى؟ مع أن الإنسان في واقعه، في حركته في هذه الحياة هو بحاجة إلى أن يأله إلى الله، يرجع إلى الله دائماً في كل أعماله، في كل أموره، وأنه بالنسبة له كمخلوق على هذا النحو لا يمكن لأي شيء آخر أن يأله إليه فيلبي حاجته على الإطلاق، أي: ليس هناك من يمكن أن يأله إليه الناس فيجدونه فعلاً في منتهى طلبهم إلا الله، كما سمَّا نفسه {الصَّمَد} سبحانه وتعالى، قالوا إن معناها: الذي هو منتهى غاية مطلب السائلين، يعني: ممكن مثلاً نحتاج إلى حاجة ممكن أنت تقدم خدمة فيها، لكن الإنسان في حياته يمر بأشياء تتجاوز كلما حوله، فيرى أن هذا ما ينفع فيها، والثاني ما ينفع فيها، وذلك ما ينفع، والكبير الثاني ما ينفع، وهكذا يحتاج إلى الله سبحانه وتعالى.

هنا يقرر هذه المسألة في نفوسهم: أن الإنسان يعتبر عندما يجعل مع الله شركاء، عندما يجعل مع الله أنداداً أنه يحط نفسه، وليعرف أن هؤلاء في واقعهم هم لا يمثلون شيئاً بالنسبة له، وأنه في حياته يحتاج دائماً لأشياء كثيرة تتجاوز كل أولئك، فلا يبقى أمامه إلا الله سبحانه وتعالى.(ص١)

ـ ترسيخ معرفة الله:

هي قضية أساسية فيمن يدعو الناس إلى هذا الدين، أن يدعوهم إلى الله، أن يرسخ في أنفسهم معرفة الله، والخوف من الله، دائما يكون الغالب على مشاعرهم أن يدعوهم إلى الله يخوفهم بالله، وإلا فقد يقارن بينك وبين أطرف مدير ناحية، من أصغر واحد إلى أكبر واحد في الدنيا هذه مثلاً بوش، أليس هو سيقارن بينك وبين أمريكا؟ لاحظ الذين يقارنون بيننا وبين أمريكا أليسوا يهاجمون من يرفع شعار؟ لأنه يتصور هذه الجهة لا يخاف

منها، لكن الآخرين يخاف منهم، هنا أليس هناك حاجة ماسة إلى هذا الأسلوب القرآني، أن يقول لهم: القضية لا تعتقدوا بأن الذي أمامكم محمد، أو موسى، أو عيسى، أو فلان، وأنتم ترونه فقيراً، وليس لديه جنود، ولا معه أمن، ولا معه أشياء من هذه، لا، ذكّرهم بأنه هو رقيب على كل شيء، وهو الذي سيعاقب ويثيب من رجع إليه.

يحتاجها الناس أنفسهم، المؤمنون يحتاجونها أن تترسخ لديهم الفكرة هذه، عندما ترى الآخرين يتجرءون عليك لا يحصل عندك شعور بأنك فعلاً ضعيف، وأنهم انفردوا بك، أبداً، أنت جندي من جنود الله، عندما يأتي جندي من طرف الدولة، وحصل عليه اعتداء أليس هو سيكون متذكراً بأنه من دولة، وأن الرئيس بعده، والجيش بعده؟ أليس هو يتصور هكذا؟ هذا الذي يجب أن يترسخ عندك، وإلا فقد يحصل عندك حالة من الغربة، وحالة من الضعف: أن أولئك فعلاً انفردوا بنا، ولا هم يخافون منا، وفي الأخير تحاول إذا ما عندك فهم تبحث عن شيء تجعلهم يخافون منك، تبحث عن أي دولة تساندك، هذه التي يقع فيها بعض الأحزاب، حزب معين مثلاً معارض، وقد أصبح إلى درجة أنه معادي لحزب حاكم، يريد في يوم من الأيام يرى نفسه قد صار متمكناً؛ ليهبط هذا الحزب، ويضربه، ويزيح رموزه، ويزيح قياداته من الساحة فلينسق مع أمريكا، وليتفق مع أمريكا؛ من أجل أن يحصل على قوة كهذه، ونفوذ كهذا! أليس هكذا يحصل؟ لأن الله غائب في أذهانهم.

هناك الكثير من الناس عندما تقول: انطلق في هذا الموضوع سيطرح عليك هذه الفكرة: [ما معنا ولا، ولا .. .] أليسوا يقولون هكذا؟ وإلا خلاصة الموضوع أننا نريد أن تتجند مع ملك السموات والأرض فقط، نحن جنود. ناسين لهذه، لكن لو يأتي مثلاً وقالوا: الجهة الفلانية لازم ترفع هذا الشعار وإلا [سينفّذون] عليك، مثلا يأتي له أمر ولو من مدير ناحية سيقول: الله أكبر، الموت لأمريكا ... الخ. ولو يقولون: سبع مرات سيرفعه سبع مرات لماذا؟ لأنه هنا قد صار خائفاً من هذا، لو لم يكن مؤمناً بالقضية سيرفع الشعار، إذا قد هو يأتي له أمر ولو من أطرف عسكري.

كلها الإشكالية هنا أن الناس يكونون ناسين لله أنه قوة، وأنه وراء كتابه وأنبيائه؛ ولهذا لاحظ كيف وجه سبحانه وتعالى رسوله إلى أن يقول: أنا شخصياً {لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ} (الأنعام:٥٠) **يعني أنا شخصياً لست بالشكل الذي يهددكم أنا، إذا أنتم تنظرون إليَّ كإنسان ليس لديه سلطة، ولا جنود، ولا جبروت مثلما يكون مترسخاً في نفوس الناس؛ لأنه مترسخ في أنفسهم [الأبّهة] هذه، جهة معينة، وعندها أمن، وعندها سجون وعندها كذا ستضرب، هذه هي التي يمكن أن ينقاد لها، ويراها جديرة بأن تدعو إلى شيء ولو كان باطلاً سيمشي معها.**

يقول: لا، {قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} (الأنعام:٥٠) **معناه ماذا؟ {أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ}** (الكهف: من الآية١١٠) **مثلما جاء في آية أخرى، {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}** (الأنعام:٥٠) **معناه ماذا؟ أنا فقط جندي من جنود الله أوحى الله إليَّ أن أبلغكم هذا القرآن، أن أنذركم بهذا القرآن {وَمَنْ بَلَغَ}** (الأنعام: من الآية١٩) **كما قال في آية سابقة، أليس هذا نفسه ما يزال في نفس الإطار، أي: لاحظ كيف تقدم القضية من جهة الله سبحانه وتعالى كأسلوب، في الآية السابقة: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}** (الأنعام: من الآية٤٨) **، ثم يوجه نبيه أن يكون هذا أسلوب يسلكه هو، أن يقول هكذا للناس: {قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} أليس معنى هذا أنه يقرر في أنفسهم[الله] الذي أوحى إليَّ هو وراء ما أوحى، يثيب ويعاقب؟.**

فمن لا يكون على هذا النحو يعتبر أعمى فعلاً، أعمى وسيعتمي في أموره، ونحن نراهم فعلاً، الكثير ممن يعتمون كيف يتخبطون، الذين يمسكون من يرفع الشعار في الجامع هم في عمى، ومنطلقون من هذه الإنطلاقة، هم يرون أن الجهة التي ترفع الشعار لا تمثل شيئاً يخافون منه، والجهة التي يسترضونها بأبناء بلادهم، بإخوتهم، هي الجهة التي يخافون منها، أمريكا، هنا يقارنون بيننا وبين أمريكا، أليست هكذا؟ ناسين أن يقارنوا بين أمريكا وبين الله، ويعتبرون أن هؤلاء جنود من جنود الله، الذين يمسكونهم ربما بعدهم الله، في يوم من الأيام سوف

يضربهم، ويضربهم بالأمريكيين أنفسهم، أو بالقاعدة، أو بأي جهة، الله يقول: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر: من الآية٢) هذه القضية هامة جداً، يجب أن تتقرر، وأن تترسخ في نفوس الناس. (ص٤)

ـ دين الله باب واحد يدخل منه الناس جميعاً ويتسع لكل القدرات:

هذه قضية هامة جداً، والإنسان إذا لم يكن عارفاً كيف يقيِّم الناس، وعلى أي أساس، ويعرف أن هذا دين الله، وأنه باب واحد يدخل منه الناس جميعاً، وأن من واجب من يدخل ـ وإن كان كبير عشيرة، أو زعيم أو كيفما كان ـ أن الإسلام يجعله بالشكل الذي يعطف على هؤلاء، وليس أن يطردهم، أليست هذه تربية القرآن في آيات أخرى؟ بالنسبة للمساكين، الأيتام، الفقراء، وهؤلاء يريدون أن يطردهم، لا يصلح يجلسوا في مجلس وهم فيه!.

البعض من الدعاة، أو من أصحاب مدارس معينة، يكون عنده أنه يريد يحافظ على المذهب، أو يريد يحافظ على كذا يكون عنده فعلاً لا يريده، يمكن يبعد هذا إذا كان سيستجيب له فلان وفلان فقط يشرطون عليه بأنه لا نريد الصعاليك يجلسون عندك، قد يقول لهم: هيا، يذهبوا من عنده.

بما أنها قضية ملموسة أن الإنسان إذا كان في حركة معينة، وهو يرى بأنه يبدو من معه هم مجموعة مستضعفين وناس حتى بعضهم قد يبدو أنهم أغبياء، وأشياء من هذه، لا يحصل عندك فكرة بأنه [لو يدخلوا آل فلان لو يدخل فلان وفلان وفلان] فتكون أنت تعتبر حركتك بأنها لا تمثل شيئاً ؛ لأن ما فيها فلان وفلان وفلان، من علماء وزعماء عشائر، ومثقفين، وتجار، وشخصيات، وأشياء من هذه؛ إن القضية تكون بالعكس قد ترى كثيراً ممن هم على هذا النحو تراهم أكثر الناس تخوفاً؛ لأن عنده منصب، مقام معين، أو مال ـ هذه القضية ملموسة ـ ليس مستعداً أن يتحرك معك في مجال ربما يؤثر على منصبه، أو يؤثر على مصالحه، إذاً هذا لا ينفع، سينفع أولئك الذين هم صعاليك ليس معه ما يخاف عليه، أليس هذا سينفع أكثر .

ثم تجد بأن هذا حصل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يوجد في قريش شخصيات عباقرة وصناديد ووجهاء في المجتمع، وأشياء من هذه، لم يستضعف نفسه؛ لأن الذي عنده من الموالي وشخصيات بسيطة من الطبقة المستضعفة في المجتمع، هؤلاء ـ لأن الله هو الذي يبني النفوس هو ـ الله سيجعلهم عباقرة، ويجعلهم مقتدرين، ويجعلهم أقوياء، وهذا حصل، والآخرون يتهمشون، يصبحون لا شيء.

هذه قضية أساسية لا تحتقر أحداً، ولا تحتقر وضعيتك، ومن معك على أساس ما معك فلان وفلان وفلان، وفعلاً كان أولئك المستضعفون مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان بعضهم ممن جثم على صدور الصناديد والعباقرة والوجهاء يوم بدر، ممن جثم على صدره، ورأينا من بعد هؤلاء المستضعفين كيف أصبحوا ولاة في مناطق في داخل بلاد فارس وغيرها، وبعضهم ربما كان يمر من عنده فلا يتنازل أن ينظر إليه، لا يعتبره شيء نهائياً.

يثق الناس بالله أنه هو الذي يبني النفوس، متى ما اتجه الإنسان بإخلاص إليه، لا تستضعف نفسك أنت، أيّ واحد لا يستضعف نفسه، أو يستضعف جهة هو فيها، يتحرك على أساس أنه لو كان معنا.. لا معنا سيدي فلان، ولا القاضي فلان، ولا الشيخ فلان، ولا فلان، ولا المسئول الفلاني، ولا معنا صحفيين، ولا محللين استراتيجيين، ولا... من هذه الألقاب، أبداً، يثق الناس بأن الله سيعطيهم نوراً مثلما وعد عندما قال: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال: من الآية٢٩)، ولأن الإسلام يتسع للجميع، يتسع للجميع فعلاً، حتى في مجال العمل له، مجال العمل لإعلاء كلمة الله يتسع للجميع؛ لأنه عمل واسع جداً، ويتسع لكل الفئات، إنما من يكون قائماً على موضوع إقامة دين، يجب أن يكون فاهماً بالشكل الذي يستطيع أن يعطي الآخرين، يبين لهم بأن هذا الدين هو رحمة من الله، ونعمة، يتسع للكل، أنت قد تكون من طبقة مستضعفة معينة، قد لا تكون فعلاً إلى درجة أنك تنزل الميدان تقاتل، لكن باستطاعتك تقدم خدمات كثيرة في سبيل الله، أليست هذه القضية واضحة؟ والأقوياء

باستطاعتهم أن يواجهوا، عمل واسع جداً، يتسع للأبطال، ويتسع للأقوياء، ويتسع للذين هم أخف منهم، والذين من بعدهم، وللكل، وهذا من النعمة على الناس، ومن مظاهر تكريم الله للإنسان؛ لأن الله قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الاسراء: من الآية٧٠) .

فإذا واحد فاهم هو يستطيع يشغّل الناس جميعاً للدين، لا يحصل عنده يقول: [إما ذولاك أتركهم ماذا سيفعلون للدين! ذولاك الذين يكبرون، هم ملان المسجد لكن لو يأتي شيء ما ثبت إلا القليل] قلنا: يشتغلون هكذا الآن ويكفي [فَكّه]، ربما يهيئ الله من هؤلاء الناس، ويهيئ من غيرهم، كل قضية سيهيأ لها أهلها، كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحشد الناس معه، ويحشد أشخاصاً هو يعرف ليسوا صناديد مواجهة لكن هو عمل طريقة جديدة في الحرب صف، يصف أصحابه من هناك إلى هناك، ورآهم العدو هناك أمة، هذا الشخص يشكل رقما، أليس هو يشكل رقماً هناك، إلى آخره.

في مواجهة أهل الكتاب بالذات، لاحظ كيف؛ لأنهم هم الله ضرب عليهم ذلة ومسكنة، هم يخافون من الجمهرة هذه، مزعجة لهم جداً، حشد لهم ثلاثين ألفاً، كم بين الثلاثين ألف هؤلاء؟ هل كلهم صناديد؟ بل كان هناك ظاهرة عامة عليهم أنهم في حالة انكسار نفوس؛ خارجين يواجهون دولة كبيرة، مثلما تقول الآن: قبيلة معينة يتجهون لمواجهة أمريكا، لكن سمع العدو أولئك ثلاثين ألفاً ! لأن العدو نفسه، لا تعتقد بأنهم صناديد كلهم، وهم هكذا تجد بينهم أبطال، وبينهم كثير.. . وإذا هناك أبطال الباري سيملأ قلوبهم رعباً، وأولئك فيهم رعب من بيوتهم، وسمعوا ثلاثين ألفاً خرج بهم محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثلاثين ألفاً يعني هؤلاء يمكن أنهم شرسين كلهم، اتخذوا قراراً بأنهم يتراجعون، ولا يواجهون .

ومجال واسع لك شخصياً، لك شخصياً، أنك تبذل أكبر جهد في سبيل الإسلام ممكن لدرجة أن تواجه مواجهة مسلحة، وتقاتل في سبيل الله، وتستبسل وتضحي، هذا ممكن، أليس مفتوحاً؟ لا يكون هذا الباب محصوراً فقط على فئة، باسم أي فئة، ممكن إذا عنده روح استبسالية حيّاه الله وإلا... فهو عارف (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يعرف كيف، ولكل فئة، ولكل طبقة، ولكل قبيلة، ولكل شخص المجال الذي يستطيع يتحرك فيه.

هذا مما يؤكد أنها تكون أسهل للناس من ناحية المسئولية، إذا هم في وضعية إقامة دين، ولديهم من يقيم الدين برؤية صحيحة، أن المسئوليات تخف على كثير من الناس، بينما إذا ما هناك أحد يكونون مسئولين جميعاً، لأنه ممكن مثلاً أهل مدينة معينة، أو أشخاص معينين، أو شخص معين هو يعلم حالتهم، يعلم وضعيتهم ممكن يقول: [تمام أنتم اشتغلوا في مجال كذا] واعتبر عملهم كاف، عالم مثلاً، أو مجموعة علماء قد يكون مثلاً عندهم تخوف، أو قد هو يرى نفسه شيبة، أو أشياء من هذه متى إذا ما هناك أحد يعمل يكونون مسئولين جميعاً، إذا هناك من يقيم أمر الله يكون ماذا؟ باستطاعتهم أن يكونوا مؤيدين .

ما يزال مجال باب التأهيل مستمر، وفعلاً قد يكون بعض الطبقات لا تستطيع أن تعمل شيئاً في ظل وضعية معينة لكن في وضعية أخرى قد يكون لها دور فاعل، وهكذا.

فالإسلام يستوعب الأقوياء من أول يوم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الذين بعدهم، يستوعب الكل، ولهذا يأتي بخطاب: يا أيها الذين آمنوا، أليس يا أيها الذين آمنوا؟ لأن كل مؤمن يستطيع أن يشتغل، وكل مؤمن هو مدعوّ إلى ميدان يتسع له مع الآخرين كيفما كانت وضعيتهم، من ناحية التركيبة الإجتماعية، أو باعتبار البيئة الحاصلة، باعتبار الوضعية الحاصلة، لاحظ كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هكذا، يحرك المجتمع، نفس المجتمع، ذلك المجتمع على ما هو عليه، لا يوجد عنده فكرة أنه أولاً يدرسهم، يدرسهم، يدرسهم، يحمّيه، يحمّيه، يحمّيه، يحمّيه، وفي الأخير يفلته. لا، ناس يسلمون وقال: هيا يسرح معهم، يسرح معهم، يسلم أول يوم، وثاني يوم يسرح معهم، ولأن الله يتدخل في بناء النفوس، هذه القضية أساسية، يرفع معنويات الناس، يشد قلوبهم، يربط على قلوبهم، ينير أفكارهم فيصبح الذين كانوا يرون

أنفسهم أغبياء في الأخير يصلون إلى أن قد عندهم قدرة، عندهم قدرة في إدراك الأشياء، في فهم الأشياء، في تحليل الأشياء، رؤية الأشياء، وهكذا.

لهذا أنها تعتبر معجزة للإسلام نجاح رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تعتبر معجزة في حد ذاتها، لاحظ عندما تتأمل القرآن كم فيه من أعداء يتحدث عنهم، أعداء صناديد، وأعداء مكارين، وأعداء متآمرين، من مشركين، من كل الفئات: مشركين، ويهود، ونصارى، ومنافقين، ومع هذا اجتاز الكل، ألم يكتسح الكل؟ وصدَّر ما كان يعمل هؤلاء؛ ليبين لك بأنه هكذا الدين يعلو فعلاً، يعلو إذا هناك من يتحرك على أساسه، ألم يصدر في القرآن ماذا كان يقول الآخرون، أصحاب الدعايات، والمتآمرين، كلها صدرها هنا؛ لترى بأنه فعلاً معجزة أنه خرج من بين هؤلاء، واكتسحها، وهمش كل هذه الفئات: اليهود، والنصارى، والمشركين، والمنافقين، {وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (التوبة: من الآية٤٨).

معنى هذا أنه بإمكان أي إنسان ينفع الإسلام، وكلما تطورت قدراته سينفع أكثر، كلما ارتفعت معنوياته سينفع أكثر، وهكذا، هو لا يوقف المسألة على أنه أولاً يعمل له مدرسة خاصة هناك، [أولا يقريهم، يقريهم..] يقول: [أولاً يقرأ يقرأ يقرأ إلى أن يصير ...] هو هذا نفسه (صلوات الله عليه وعلى آله)، يُقرِّيه الله في الميدان، أليس الله يقريه في الميدان؟ القرآن ينزل عليه وهو يشتغل .

فهي قضية أساسية: أن الإنسان لا يحتقر أحداً، وهو نفسه لا يحتقر نفسه، يكون عنده [ماذا يمكن نعمل للإسلام، ماذا سنعمل، وماذا بإمكاننا أن نعمل] هذه رؤية قد تأتي له من جهة الشيطان، إعرف بأن باستطاعتك أن تنفع الإسلام في الوقت الذي أنت فيه، وهذه القضية معروفة، نحن نرى أن الناس يستطيعون أن ينفعوا الإسلام ولو لم يكن إلا برفع شعار، أليست هذه القضية معلومة؟ في المسجد بين الناس مهما كان ضعفك، لو خوفك كيفما كان، ومع الجماعة بين الناس ما هم عارفين مَن، أليس هذا ممكناً؟.

ولهذا يحاولون، لاحظ كيف هم يحاولون، قالوا: [فقط يكون خارج المسجد، ويكون بعد كذا]، عارفين الذين هم خوَّافين سيتركونه، لكن عندما يكون بعد الخطبتين في تلك الوقفة سيكبر الناس كلهم، وسيحسب أهل المسجد مكبرين، مثل حينما تدخل على هذا المجلس وهم مكبرين، هم لن يقولوا: أنت يا فلان، هل بالإمكان أن يطابقوا بالقلابات إلى عند المساجد ويقولوا: [هيا، أهل المسجد كلهم إلى السجن] هل هذا ممكن؟ لا، ولا ينتقوهم، يقولون: [من الذي كبر؟] كلهم كبروا، إذاً فأمكن لواحد يكبر ولو كان يرتعد من الخوف، أنه ممكن يكبر ولو كان يرتعد من الخوف . {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} (الأنعام:٥٣) الله هو الذي يعلم، إن الله يعلم بالشاكرين المستجيبين، لا يبحث عن كبار الشخصيات، وكبار التجار من أول يوم؛ ولهذا يخاطب المؤمنين جميعاً، هو لا يقول: يا أيها الرئيس، يا أيها الوزراء، هل هو يخاطب بالشكل هذا؟ يا أيها القادة والضباط؟ يخاطب المؤمنين جميعاً، وهو أعلم بالشاكرين.

فالفئة هذه في الأخير يقولون: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، يعني: مثلما نقول: ليسوا جديرين بأن يمن عليهم، لو يريد أن ينصر دينه لبحث للناس الأقوياء الشجعان، يبحث عن ذلك الذي في الطائف، وذلك الذي في مكة، ألم يقولوا هكذا من البداية؟ {لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}(الزخرف: من الآية٣١) أنه لا بأس ذلك القوي إذاً يستجيب وسيظل قوياً؛ ولهذا تلاحظ كيف كان عمل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هل هو يحاول أن يحط أحداً من مقامه؟ لا، لم يكن يحاول أن يحط أحداً من مقامه، لكن أسلم وإلا ستنحط أنت، استجب وإلا فستنحط، وسترى من تقول: {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، أنت ستراهم فوق، وهذا الذي حصل في تاريخ الإسلام، في بدايته، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

فهي فتنة للطرفين {فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}، هذه واحدة بالنسبة للمستكبرين، أصحاب النفوس المتكبرة، وفتنة للناس أنفسهم الذين يرون أنفسهم أنهم من عامة الناس، من

المواطنين ـ الذين يسمونهم ـ من [الرعويين، رعوي] على تعبير أهل صنعاء، أنهم هم يجب أن يكونوا واثقين بالله، ويعرفوا بأنهم معتزون بعزة الله؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى أولئك إذا لم يرضوا أن يستجيبوا، لسنا بحاجة إليهم.

ولهذا كان السبق، فضيلة عظيمة، السبق؛ لأنه قد يكون في معظم المراحل تبدأ الأشياء بناس مستضعفين فقراء، ناس يراهم الآخرون لا يملكون شيئاً، حتى من هم مؤمنون بقضيتهم لا يتفاعلون معهم، يكون عندهم [ماذا يمكن أن يعملوا؟!] أليسوا يقولون هكذا؟ [عمل باهر لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟!]، أليسوا بحاجة إلى أن يفهموا الآيات هذه، الله يقدم الموضوع بأنه هو وراء كتابه، وبعد هداه، هم يرونهم [ناس باهرين وشباب طيبين وباهرين لكن ماذا يمكن أن يعملوا؟ ماذا سيعملون؟!] لكن إذا أنت فاهم، ادخل معهم، والثاني يدخل معهم، وحاولوا تدخلون معهم حتى يستطيعوا يعملوا شيئاً، لكن يقول: [هؤلاء ماذا يمكن أن يعملوا] وجلس هناك، جلس هناك خارج، وقد صار يعتبرهم أنهم لن يعملوا شيئاً، ولا هم ناجحين في شيء، وجلس هناك بعيداً عنهم، أليس هنا ستفوته فضيلة السبق؟ لأن السبق يقوم على أساس إيماني بحت، السبق عادة يقوم على أساس إيماني خالص، أما وقد صار الناس قوة جبارة، أما وأنت قد صرت تلمس نجاحات كبيرة تنطلق معهم، هذا هو طبيعي بالنسبة لك ولغيرك، لكن في البداية يكون الناس في وضعية قد يكون الاحتمال، بل ربما يكون الكثير قاطعين بأنهم لن ينجحوا في أعمالهم، لا ينطلق إلا من هم ماذا؟ من يسمون: سبّاقين، وفي نفس الوقت لاعتبار إيماني بحت، ليس من أجل أننا قد أصبحنا قوة، أو من أجل أن قد معنا، أو من أجل قد يستطيعون، أو أشياء من هذه، لا، ثقة بالله، ويجب أن ننطلق على هذه الطريقة؛ لأن الله هكذا أراد منا أن ننطلق عليها.

وإذا خسر الإنسان مرحلة السبق، فلا تتعوض؛ لأن السبق هو مرتبط بمرحلة وقتية من الزمن، وقتية، أنت لا تستطيع أن تعيد عجلة التاريخ؛ ولهذا قال: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} (الحديد: من الآية١٠) ، **قبل فتح مكة، {أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}، لكن لو تعمل ما تعمل لا تستطيع أن تعمل تلك النقلة، تلك مرحلة مرت. وهنا يؤكد في تربيته للناس على أن يكونوا سباقين ومسارعين، ثم يذكر فضيلة السابقين، {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}** (الواقعة:١٠ـ١١) .

الله سبحانه وتعالى هكذا يتعامل مع عباده {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}؛ لأن الله هداه هو يعتبره نعمة، ويعتبره فضلاً، فهؤلاء هم الجديرون بأن يعطوا هذا الفضل، وهذه النعمة؛ لأنهم سيشكرونها، وأنت ابقَ هناك، انتظر هناك، يتكبر يجلس هناك، ما هو متنازل لما ما يدري إلا وانحط إلى آخر درجة، وضاع، وتهمش تماماً.

كان يدخل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، كان يأتي بعض الوفود، شخصيات، زعماء عشائر واحترمهم وقدرهم، وأسلم، وأعاده إلى منطقته، لا يقول له: ابعد عن مقامك، هل كان يقول له هكذا؟ لا . إذاً أليس هنا يحصل الإنسان على تكريم؟ تكريم في الدنيا وفي الآخرة، لكن متى ما تمسك يقول: أبداً.. ما زال يراعي مقاماً معيناً عنده، في الأخير يهبط إلى الحضيض، ويتجاوزه الناس، ويتجاوزه الزمن، والتاريخ، ويعتبر خاسراً في الدنيا وفي الآخرة.**

لاحظ كيف الرعاية الإلهية بالنسبة لهؤلاء المستضعفين الذين يحتقرهم الآخرون، يذكر الباري بأنهم محط عناية ورعاية إلهية، {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:٥٤) ، **أليس هذا رفعاً لمعنوياتهم، التفاتة إلهية مباشرة إليهم مقابل إعراض الآخرين، وكبريائهم، والذين ينظرون إليهم بأنهم لا يمثلون شيئاً {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} ألم يأت بالتفاتة مباشرة إليهم؟ ويأمر رسوله هكذا أن يقول: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ}، إذا أنتم ترون الآخرين يحتقرونكم لا تظنوا أنه ربما فعلاً نحن في واقعنا محط احتقار حتى عند الله، لا، لاحظ هذا مما يدل على أنكم محط تكريم ورعاية إلهية.** (ص٦)

ـ القرآن يكفي أمام كل الطوائف:

يقين بأن القرآن يكفي، القرآن يكفي أمام مسلمين، أمام مختلف طوائف المسلمين، أمام مشركين، أمام يهود، أمام نصارى، أمام فلاسفة، أمام ملحدين، أمام زنادقة، أمام كل الفئات، هو يكفي، أليست هذه القضية تحتاج أن تصل إلى درجة اليقين فيها حتى تنطلق؟ لهذا لا بد أن يكون من الموقنين بالنسبة لله سبحانه وتعالى، وهناك عندما سأله: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى} (البقرة: من الآية٢٦٠) يأتي بقصة الطيور الأربعة ، مؤمن بالله، مؤمن بالآخرة، نبي يعمل، لكن لاحظ أنبياء الله هم أساساً بشر يحتاجون إلى هدى الله، يكونون نوعية قابلة، واثق بالله، يقبل من الله سبحانه وتعالى، وينطلق، ويثق بشكل عالي جداً.

الآن تجد مثلاً يوجد علماء، ومرشدين، ومعلمين، ودعاة، أليست هذه القضية حاصلة؟ وكتّاب، ومفكرين إسلاميين، وفلاسفة إسلاميين، لكن يفقدون ماذا؟ أنهم ليسوا من الموقنين بهذه الآيات، هذه الإشكالية الكبيرة. (ص١٦)

ـ مبدأ الكمال أحد الأساليب الهامة التي استخدمها نبي الله ابراهيم:

إذاً فهذا واحد من الاحتجاجات الهامة التي استخدمها نبي الله إبراهيم فيما يتعلق بإثبات وترسيخ ـ بطريقة عملية ـ أن الألوهية مرتبطة بالكمال المطلق، وأن هذه الآلهة هي ناقصة لا تعمل شيئاً، ليست جديرة بأن تعبد، ناقصة؛ لأنه عندما يكون الكوكب مسيراً، أليس معناه أن الذي سيره هو أكمل منه؟ فهو الجدير بأن يعبد، القمر ناقص، مسير، هو هذا مملوك ومسير هو، إذاً هناك أكمل منه هو الله، وهكذا بالنسبة للشمس .

وقضية الكمال هي مترسخة في فطرة الإنسان، الأولوية بالنسبة للكمال هي مترسخة في فطرة الناس، في حياتهم اليومية، خلي عنك أن تكون قضية نادرة، الإنسان يعطي أولوية للأكمل في أي شيء .

ليس المعنى أن إبراهيم لم يكن عارفاً لله، وأنه جلس يبحث، وفي الأخير التفت إلى السماء! هل يتصور أنه لا يعرف هو هذه الكواكب، افترض له في هذا العمر قد يكون له كم سنين، مثلا خمسة وأربعين سنة، أو نحوها، على أقل تقدير، يعني على مدى الأربعين السنة الماضية لم يكن عارفاً للكواكب والشمس والقمر أنها تطلع وتغرب؟! لكن هنا يذكر أنه في مقام معين مع قومه، وأنها ـ قضية الاعتماد على هذا الأسلوب الإلهي في محاججة الآخرين على آيات الله في محاججة الآخرين، أنها ـ قضية تحتاج إلى إيقان.

وهذه القضية ملموسة عندنا أنه لم يحصل إيقان بالطريقة هذه، أليس هذا معروفاً؟ إقرأ كتب علم الكلام تجد منهجيتها هناك ثانية، يبدو من خلال منطق البعض فيها وكأن هذه المنهجية في القرآن هنا ليست إلى درجة أن تزيح شبهة من نفس ملحد، أو على ما يقولون: كافر، ما بالك أن تخلق إيماناً في نفوسهم؛ لأنها لم تأت على طريقة أنه [إذاً فثبت أنها محدثة إذاً لها محدث]!! كان تكفي من خلال الكوكب، ما كانت تكفي من خلال الكوكب نفسه؟ لكن ألم يترقّ هنا في الموضوع؟.

القضية حول ماذا؟ حول الألوهية، الناقص لا يستحق أن يعبد، من الكوكب إلى القمر إلى الشمس، أليس هذا تسلسلاً في درجات كمال؟ وليس حول حادث ومحدث، محدث ممكن يضرب لهم أمثلة من عندهم، من أي واحد منهم، يقول: أنت كنت قبل سنة كذا غير موجود، ثم وجدت، لا يحتاج يطلعهم إلى هناك، لكن بالنسبة لآلهتهم، الكوكب أكمل من الآلهة، أليس أكمل؟ معه مثلا خشبة، أو حجر، أو أشياء من هذه، ثم أكمل من الكوكب القمر، وأكمل من القمر الشمس، فيما عليه كل واحد منها، لا يقولوا: إن هذه من الإستدلالات، تدل على أن هذه هي الطريقة الصحيحة: دلالة الحادث على المحدث .(ص١٧)

ـ أسلوب مهم استخدمه ابراهيم وموسى (ص):

وعندما يقول إبراهيم: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، هم يعلمون هم من هو الذي فطر السموات والأرض، لكن تجد منطق نبي الله إبراهيم، وموسى، هم كانوا في ظل دولة أدعى الملك فيها الربوبية

يكون هناك منع، لا أحد يذكر الله، أو يذكر اسم الله، تجد في منطق إبراهيم بالذات، ومنطق موسى، يأتي في عبارات كثيرة: ربي، أو ربنا، أو الذي خلق السموات والأرض، فطر السموات والأرض، هو يعلم أنهم يعرفونه؛ لأنه ماذا؟ لأنه قد هو يعتبر تعميماً على أن لا ينطق الإنسان باسم الله ـ على حسب لغتهم ـ لا يذكر اسم الله نهائياً؛ لأن الملك قد ادعى الربوبية، ولا يريد أن يذكر غيره، لا يذكر الله، وتكون الآلهة الأخرى باعتبارها آلهة له يعني: يعبدونها وهو الرب الأكبر مثلما عند فرعون {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} (الأعراف: من الآية١٢٧) ما يزال معهم آلهة خاصة لكن إله فوق إله، وهذا الإله الأكبر، قد صار فرعون يعتبر نفسه الرب الأكبر.

إذاً هذا أسلوب من الأساليب الهامة بالنسبة لنبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى كان منطقهم بالشكل الذي لا يعيق الآخرين عن أن يستجيبوا لهم، لا يعيق الآخرين عن أن يسمعوا كلامهم، العبارة هذه المعممة مثل كلمة: الله ـ أو على أي مفردة تساويها في لغتهم، تكون هناك عبارات غيرها ـ لو أنه غير فاهم بأنه عندما يقول: فطر السموات والأرض لا يعرفون أنه الله لما أمكن أن يقول هذا، لكان سيصرح، منطقه مثل منطق موسى تماماً، ألم يذكر موسى عندما قال له فرعون: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: من الآية٢٣) قال: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} (الشعراء: من الآية٢٤) .(ص١٧)

ـ كيف تواجه من يخوفك بشيء:

{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ} (الأنعام:٨١) وفعلاً قدم هذا منطقاً قوياً جداً في الاحتجاج؛ لأنهم هم بالنسبة لهم عندما يذكّرهم بالله هم يعرفون أنه خلق السموات والأرض، هو الذي خلقنا، هو قادر على كذا هو ... هو إلى آخره. إذاً أنتم تخوفونني بهذه الأصنام التي تنحتونها أنتم، كيف تخوفونني بآلهتكم هذه {وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً} أنتم الذين يجب أن تخافوا أنكم أشركتم بالله، فأنتم في موقع من يجب أن يخاف عذابه، من يخاف عقوبته.

ولاحظ كيف قدمها نبي الله إبراهيم بأسلوب راقي، تجد أسلوباً الناس بحاجة إليه الآن، عندما يأتون يخوفونك من دولة، يخوفونك من أمريكا، يخوفونك من كذا، والقضية عندما تجد القرآن الكريم هم من يجب أن يخافوا هم؛ لأنهم هم الذين ابتعدوا عن الله، وهم الذين يعتبرون الآخرين وكأنهم أكبر من الله، وهم الذين جعلوا الآخرين وكأنهم أنداداً لله، فهم ماذا؟ الذين يجب أن يخافوا هم من الله، يعني هم مثلما قال الله في آية أخرى: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر: من الآية٣٦) .

إذاً فمن هو الذي يجب أن يخاف، الذي يتجه إليه الله فيضربه، أو حجر صماء، أو إنسان كيده ضعيف، أو إنسان هو نفسه الله قاهر فوقه، إنسان مغلوب على أمره، من الذي يجب أن يخاف، من؟ أليس هم الآخرون، هذا يحصل، أليسوا الآن يخوفون الناس؟ فالناس بحاجة إلى أن يقولوا: وكيف أخاف ـ إذا صحت العبارة ـ يعني أجواء هذه العبارة التي حكاها الله عن إبراهيم، يخوفك[سيأتي عليك وبا.. وبا... وبا....] أليس هنا يقدم تخويفاً ممن؟ من الذين من دون الله، قل له: وأنت لاحظ في القرآن ماذا قال لك: سيأتي كذا [وبا... وبا... وبا.. الخ] من هو الذي يجب أن يخاف؟ هل الذي وراءه الله أو الذي وراءه إنسان ضعيف؟ الله قاهر فوقه، يستطيع يوقفه، ويحبط عمله وكيده.

بعد ذلك قال: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} من الذي يعتبر آمن في الواقع؟ وأحق أن يقال له آمن؟ {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} لهذا قلنا: إنه من الأسف أنه فعلاً [سورة الأنعام] هي نزلت إلى المشركين، وما نزال في أمس الحاجة إليها بعد ألف وأربعمائة سنة من وجود الإسلام، من وجود هذا القرآن! {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، تفهمون الأشياء برؤية من خلال المقارنة، {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ} (الأنعام:٨٢) هم الموعودون بالأمن، هم الذين يستحقون أن يقال أنهم آمنون، {وَهُمْ مُهْتَدُونَ}.

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} (الأنعام:٨٣) حجة إلهية هذه، نلاحظ هنا في نفس رؤية إبراهيم لملكوت السموات والأرض كيف يأخذ منها وبهدى الله سبحانه وتعالى وسيلة لمحاججة قومه، لعرض براهين لقومه، ليس معناه الرؤية الخاصة له هو، هناك موضوع الطير، ألم يحكها هناك في موضوع آخر؟ لأنه هنا قدم لنا أمثلة هي ماذا؟ أمثلة احتجاج إبراهيم مع قومه، أمثلة عرض براهين فيما يتعلق بالألوهية مع قومه.(ص١٨)

ـ طريق المعرفة:

فإذا كنا نريد المعرفة فعلاً، ونريد العلم، ونريد الحكمة، فأنه يجب أن نثق بهذه الطريقة، ونعرف كيف نأخذ الهدى وفق السنة الإلهية للهدى، هذه هي طريق المعرفة التي من خلالها يمكن أن تعرف ما لا يمكن أن تعلمه لو تتعمر ألف سنة من جهتك أنت .

ليس معناه فقط أنه علمك شيئاً ولم تكن تعلم به من قبل بمعنى أنه كان يمكن يأتي من أي جهة، علمك ما لم تكن تعلم، يعني: ما لم يكن بإمكانك أن تعلمه أنت بطريقتك الخاصة، وعن أي طريقة تبحث عنها إلا من جهة الله.

ولاحظ فعلاً انه كيف عندما انصرف المسلمون إلى علوم أخرى ضاعت علوم هامة جداً أمامهم من القرآن الكريم، علوم هامة جداً، ونحن معهم كلنا، طوائف المسلمين بشكل عام، هذا العلم سيضيع أمامنا على الرغم من أن الناس يجدون مشاكل، ويجدون قضايا، وكل واحد حريص أنه يعرف الدين، ويدين بكذا، ويقرِّي. إذاً ما هناك شيء لا يمكن أن يعلموه إلا من جهة الله سبحانه وتعالى، بواسطة كتابه؟. (ص٢٢)

[سورة الأنعام ـ الدرس السادس والعشرون]

ـ تجنب الأسلوب المثير:

هنا عندما تأتي الآية بهذا اللفظ: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} مع أننا وجدنا بالنسبة للقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تتكلم عن هذه الأصنام، بعبارات، من خلال ضرب أمثلة مثلاً بأنها أوهى من بيت العنكبوت، وبأنها لا تنفع ولا تضر، وبأنها لا تسمع ولا تبصر وأنها..وأنها.. بكلام كله سخرية بها، أليس سخرية؟ في إطار كونه تبيين. لكن لأنه قد يكون هناك ربما من الناس من تكون عباراتهم بالشكل المثير لآخرين، يتجنبون هم التعبير، يتركون القضية لله سبحانه وتعالى، ولرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) في تبيين حالة هذه الأصنام؛ لأن الطرف الآخر هو يعتبره إلهاً، تأتي أنت بكلمة جارحة، غير لائقة، مثيرة، قد تجعله ينشد إلى هذا؛ لأنه عنده بالنسبة لنفسه، وهو تربى على هذا، إله لديه، ليس معناه أن لا تتعرضوا للأصنام نهائياً، إلا لأنه قد يحصل هذا، وهذا شيء معلوم في حياة الناس.

لذلك نقول في كثير من القضايا بأنه ليس مناسباً أن أي إنسان يتناول هذه القضية الفلانية، لأن كل شيء يحتاج إلى حكمة، وكل شيء له أسلوب، قد يكون طريقة شخص معين بالشكل الذي يجعل هذا الإنسان يتخلى عما هو عليه من ضلال، وقد تكون طريقة شخص آخر بشكل يجعله ينشدُّ إلى ما هو عليه من ضلال، والله هو رحيم بعباده، ويريد لعباده جميعاً أن يهتدوا، فمن واجب المؤمنين أن تكون لديهم هذه الروحية، أن يكونوا حريصين على أن يهتدي الآخرون، فلا تأتي من جانبهم عبارات مثيرة وبالإمكان أن تأتي عبارات أخرى وتؤدي نفس الغرض المطلوب، وبأفضل وأكمل، وتؤدي إلى نتيجة طيبة بأن يهتدي هذا الإنسان أو ذاك .

هذا بشكل عام، هناك نوعية من الناس، نوعية محدودة من الناس الذين قد يكون مناسباً أن يأتي لهم عبارات قاسية؛ لأنه فعلاً عندما يأتي شخص يسب صنماً لكن بطريقة مثيرة، مع أن العرب يعتبرون الله سبحانه وتعالى هو إله أقدس من الأصنام هذه التي لديهم، لكن من أجل ماذا؟ من أجل نفسه، يستثار فيسب الله؛ لأجل هذا

الشخص بأسلوبه المثير، الغير حكيم، قد يؤدي إلى أنه يسب الله، فتكون أنت كأنك حملته على هذا بطريقتك غير الحكيمة.
هذا فيما يتعلق بالمؤمنين، يعتبر من التزيين لأعمالهم، فيما يتعلق بالمؤمنين، بالأمة المؤمنة، يعتبر من التزيين لأعمالهم بحيث تكون ذات قابلية عند الآخرين، {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}(الأنعام: من الآية١٠٨) في توجيهات الله لكل أمة تنطلق على أساس كتابه، وتتبع رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) تزين لها الطريقة بحيث كما قال في آية أخرى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}(النحل: من الآية١٢٥) والحكمة عندما يقدم الشيء في قالب من الحكمة يقدم جميلاً، أليس هو يقدم جميلاً؟ في نفس الوقت يكون أمام الشخص الآخر، أمام الجهة الأخرى جميلاً، مزيناً، جذاباً، فيتجه إلى الهدى.(ص٢)

ـ السير وفق التوجيه القرآني:
إذاً فالقرآن الكريم، من خلاله نفهم بأن الإنسان هو يسير وفق التوجيه القرآني، وليس وفق ما يمليه عليه الآخرون، وليس وفق مقترحات الآخرين، ومقترحات أولويات من جانبهم. هذه القضية أساسية، امش على الطريقة هذه؛ لأن الآخرين قد يجرجرونك إلى أن تضيّع ما لديك، وتَضِيع أنت، وقد ترى من عندهم أحياناً حالات يبدو وكأنهم جادين [أقسم بالله لو أنكم كذا كذا من أننا لنكون معكم ولا نفارقكم ونكون في المقدمة]، هم في الواقع من هذا النوع، ستقول: تمام، معك، سوف يقول: لكن باقي أيضاً واحدة، وقدم لك خصلة ثانية، وهكذا، حتى تضيِّع الذي لديك، وإذا بك قد صرت تمشي على هداه هو، الذي هو هوى وضلال، وتترك هدى الله!.
هذه القضية أساسية يحتاج إليها الناس، وكلما مشى الزمن، وكلما مشوا في أعمالهم يحتاجون إلى هذه الرؤية الثابتة وهي: أن نتعامل مع الآخرين، ونعمل في طريقنا هذا وفق ما يهدينا إليه الله، على أساس كتابه، دون أن نعطي الأولويات الأخرى، والاقتراحات من الأطراف الأخرى أي قيمة. إذا هناك أحد من داخل الناس هم يقدم رؤية معينة، وسيعرف إلى أي جهة يقدمها، وسيعرف على أي أساس يقدمها، أنه قدم رؤية إن قبلت فلا بأس، ما لم فهو مع الناس لن يخرج، لكن الآخرين يقدم لك رؤية هناك على أساس أنك إن مشيت عليها فسيقول لك إنه معك وليس صادقاً، إذا لم تمش عليها سيقول: [رأيتم أنكم لا تريدون أحداً يكون معكم فقط تريدون أن تفرقونا، فقط تريدون كذا وكذا] لا تصغ لهذه .
والقرآن الكريم يقدم أمثلة كثيرة لهذه الفئة من الناس التي على هذا الشكل، ثم ترى بأنه لم يعطهم اعتباراً، هل نزل لهم آية كما قالوا؟ بل كشف واقعهم كيف هم، بعد أن أقسموا بالله جهد أيمانهم، يعني بكل ما عنده من عبارات يمين، أيمان بالغة، أقصى ما يمكن أن يقول من يمين، وهو في الواقع غير صادق؛ لأنك تجد من العجيب أن الله لا يترك الناس هم، نفس المخلصين، نفس المؤمنين، نفس العاملين، لا يتركهم يسيرون على أمزجتهم، وعلى ما رأوه هم، وهم الذين عندهم إخلاص للقضية، وعندهم حسن نية، خلي عنك أن يتركك للآخرين يملون عليك هم، أليس هنا يقول لنبيه: قل كذا، قل كذا.. الخ .
{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) يعني: ما تركت القضية لشخصه هو، أن يمشي على مزاجه، وعلى ما رآه؛ لأن المهمة كبيرة جداً، وأدق من أن يحيط بها فهمك كإنسان. إذاً فكيف يمكن أن تخضع المسألة لاقتراحات الآخرين، ورؤى الآخرين الذين ليسوا في عملك، وليسوا حولك!.
قد يقول الإنسان: لكن لماذا يأتي ناس من النوعية هذه في مواجهة الأنبياء؟ لماذا ما يهلك الباري أولاً الناس جميعاً الذين هم سيئون ثم يبعث نبياً؟! ماذا سيعمل النبي؟ ماذا بقي له من عمل؟!، إن الناس هم عباد لله كلهم، ومطلوب أن تقوم حجته عليهم جميعاً، من آمن ومن كفر، من اهتدى ومن ضل.(ص٧)

- إيجابية أن يكون لك عدو:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} (الأنعام:١١٢) وأعداء شغالين من الفئتين، من الجنسين: الجن والإنس، وشغالين، يوحي بعضهم إلى بعض في مواجهة هذا النبي، {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (الأنعام:١١٢).

كنا نسمع كثيراً عبارة: [معنا أعداء، ولا هو وقت شيء، ومعنا أعداء، وأعدانا كثيرين، وأعداءنا معهم قدرات كذا، ونحن ليس معنا شيء...] إلخ ! أليست هذه رؤية معناها بأن الناس مستعدون أن يعملوا إذا ما هناك أعداء؟ لكن الله هنا يقول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً}.

إذاً لاحظ أن الصراع نفسه، الصراع على أساس هدى الله يكون له إيجابيات كبيرة جداً، الأعداء الآخرون يكون عملهم دائماً يعطي شواهد لصحة ما عندك؛ لأنه بالنسبة للباطل، عندما يكون الباطل مجرد نظرية، ليس هناك من يجسده، من يمثله، لا تستطيع أن تتصور قبحه، لا تستطيع أن تتصور فضاعته، نفسك قد لا تحمل غيضاً، أو تحمل غضباً، أو تحمل قوة في مواجهته. متى ما تجلى، وعادة أهل الباطل هم يتحركون فيتجلى الباطل من خلال مواقفهم، ويتجلى الحق بشكل أكبر في جانبك، من جانب ما يقدم من عندك يتجلى، فترى قبح الباطل كيف هو، وترى كيف - عادة - يكون أهل الباطل، وترى كيف - عادة - يكون منطق أهل الباطل، وتصرفاتهم، وكيف تكون نتائج أعمالهم، وكيف تكون عاقبتهم، وعاقبة من يسيرون معهم، وهكذا.

ليست المسألة معناها أنها تشكل عوائق، وقلنا بالأمس: بأن هذه من أهم الأشياء التي يمكن أن نستفيدها من خلال القرآن الكريم، مما يعطي الناس ثقة قوية بأن يسيروا على هدى الله، وسينجحون، عرض كل الأشياء من العوائق والمطبات التي تتصور أبسط شيء منها، أبسط عائق في الزمن هذا لا يعد يعمل شيئاً، ولا يعمل الكبير شيئاً، يعرض لك أن هناك أعداء: جن وإنس، ويتآمرون، ويكيدون، ومحاربين، ومتآمرين، من كل الفئات، جن وإنس، يهود، ونصارى، ومشركين، ومنافقين، ويستخدمون كل وسيلة، دعايات مضللة، تآمر، محاولة اغتيالات، محاولة تسميم، محاولة كذا... أشياء كثيرة جداً يتحركون فيها، ومع هذا نجح، ألم ينجح؟.

عندما تفترض أن هذا دين لكن هذا الدين لا يمكن يعمل شيئاً، ولا يمكن أن يكون له أثر إلا إذا ما هناك يهود، ولا نصارى، ولا منافقين، ولا كافرين، ولا أعداء. إذاً أن يكون الناس من نوعية الإمام علي، فتكون أنت مستعداً أنك تجاهد، ومستعد أنك تكون قوياً، تكون قوياً على من؟! وتجاهد من؟ في الأخير تجاهد من؟! إذاً معناه أنه هكذا، عندما تجد في واقع الحياة هكذا، أناس أعداء بمختلف أصنافهم يجب أن تفهم بأنك عندما تسير على هذا الكتاب، على هدى الله، ستتجاوز كل هذه الصعاب مهما كانت، فمن خلال الصراع، والصراع هو الذي يعتبرها في الحياة، أصبحت عادة مثلاً، أصبحت قضية ثابتة، نفس الصراع وإلا فما نفس مثلاً نقول: أحقية هذا الدين، لا تظهر إلا إذا كان هناك صراع، تظهر أحقيته إذا كان هناك من يتحرك على أساسه، أليس هذا يعني أن هذا الدين عظيم جداً؟ هو حق حتى وإن لم يكن هناك من يصارعه، تستقيم الحياة عليه على أفضل طريقة، وفي نفس الوقت حتى لو كان هناك من يصارع ستجده أيضاً يتجاوز الكل، ويظهر على الكل.

ليس معنى هذا بأن الله جعل لكل نبي عدواً يؤذيه، ويشغله، ويزعجه، ويقلقله من أجل يأتي له ثواب! ليست هكذا، لكن الصراع نفسه يفيد الإنسان كثيراً، ينمي خبراته، مواهبه، مداركه، تتجلى أمامه جاذبية الحق، وسوء الباطل.

ولاحظ الآن عندما نشاهد ما يعمل الأمريكيون، والإسرائيليون، ألست تجد كيف يكون الناس، أهل الباطل مضللين؟ وكيف تكون نتائج تضليلهم؟ كيف تكون ممارساتهم، كيف تكون سياستهم، مثلاً مستعد يفجر تفجيراً كبيراً، ويقتل أناساً من شعبه، من أجل الانتخابات المقبلة، أن لا تنحط شعبيته فيها، من أجل يجلب أصوات! أليس هذا الباطل واضح كيف هو؟ أنت تجد كيف يعملون بالعراق، وفلسطين، وأفغانسان، وكيف يعملون في بقية

الشعوب، أليس الباطل يتجلى لك بشكل تعرف سوءه وخبثه؟ عندما ترجع إلى القرآن، وتفهم ما يريد الله للناس في هذه الحياة، سترى فعلاً بأنه شيء عظيم لو ساروا عليه، ولما كان لهذا الباطل وجود .

لكن لاحظ كل الأمثلة ستضرب إذا ما قدمت لها مفاهيم أخرى، هذا مثال هام جداً، عندما تقول: فعلاً هناك أعداء للأنبياء بما فيهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأعداء من مختلف الفئات، ومع هذا نجح! ألم يكن المفروض بأن نفهم؟ إذاً فهذه الطريقة طريقة يعتمد عليها، وأنها طريقة من يسير عليها سيجعل الآخرين يفشلون تماماً في مواجهته، ألم يكن هذا الشيء الذي يجب أن نفهمه؟ ويعطي دفعه للناس أن يتحركوا على أساس هدى الله؟ لكن قدموا لها معنى آخر معنى [أنه هكذا الدنيا، ابتلاءات يعمل له عدو يزعجه، يزعجه..، لأجله يأتي له ثواب]!! موتوا الموضوع تماماً، هل أصبح له قيمة من الناحية العملية؟!.

ولاحظ كيف في المقابل {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}، وكأنها قضية ليست محط افتراء، وعندك أنهم سيسدون الآفاق عليك، ويحبطون طريقتك، والعمل الذي أنت فيه، إشتغل، اتركهم،{ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} يعني: لن يضرك، لكن ماذا؟ إذا أنت مستقيم، عندما يقول له: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ}، لاحظ هنا العبارة هذه، وهي في مقامها مما يوحي لك بأنه فعلاً: هؤلاء الأعداء مهما كانوا لن يضروك، ولن يعيقوك، بل تستفيد من خلال الصراع معهم، ومعلوم في هذا العصر نفسه أن الأمريكيين يقولون: إنهم يحاولون أن تأتي حروب من أجل أن يستفيدوا، ويجربوا أسلحة جديدة لديهم، ويحصلوا على خبرات عسكرية، لا يمكن أن يحصلوا عليها نظرياً، أبداً، هي هناك مجرد مثلاً تنظير، هم يريدون ميدانياً، ولا يريدون مناورات، المناورات تكون وهمية لا يستطيع أن يجعلها فاعلة، ويكسب خبرات حقيقية منها، فحروب حقيقية، حروب حقيقية إذاً سيجرب أسلحته، ويجرب خبراته التي لديه، ويفهم خبرات جديدة، ويعرف أشياء جديدة .(ص٨)

ـ لا تفرح بالكثرة على حساب تنازلات من دينك:

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}(الأنعام: من الآية١١٦)، يعطيه هذه الرؤية الواضحة، لا تكن دائماً لا تنظر إلى ما لديك أنه ذو قيمة إلا إذا آمن به الآخرون، افهم، الآخرون، وهم عادة، خاصة إذا كانوا مجتمعاً واحداً، وهم كانوا عندما بعث رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عبارة عن مجتمع واحد، بل اليهود كانوا ضمن المجتمع، يعني: لم يكونوا مجتمعاً متميزاً، كانوا ضمن المجتمع العربي في المنطقة. فهنا عادة يأتي اقتراحات، ويأتي رؤى، ويأتي أشياء كثيرة من داخل المشركين الذين ما يزالون هو وإياهم أصحاب، وما يزالون قبيلة واحدة، وأشياء من هذه، ومن داخل أهل الكتاب، يقدمون له رؤى، يقدمون له أشياء كثيرة .

فيعرف أنه لو أطاع أكثر الناس، وعلى أساس يقولون: تمام، ويريد يكسب أكثر الناس سيضلونك عن سبيل الله، فيصبح ما لديك أنت والأكثرية هذه لا يساوي شيئاً، كم المسلمون اليوم؟ أليسوا يقولون: إنهم مليار وحوالي ثلاث مائة مليون؟ أعداد كبيرة جداً، لكن أصبحت وضعيتهم وما يعمم في أوساطهم من ثقافة هي الفاعلة لديهم، لم تجعل لهم قيمة، عندما يقول واحد [نريد نفرح، نفرح، ونجمع، وتتجمع ـ وأشياء من هذه ـ ونوافق هذا، ونوافق ذاك، ونرضى باقتراحات ذاك، ونمشي بعد هذا، وهكذا حتى نكون عدداً كبيراً] . إذاً اجتمع لك آلاف، لكن أنت وإياهم على لا شيء، ضالين، إذا أنتم ضالين تصبحوا ليس لكم قيمة، لا تتركون أيَّ أثر في الحياة هذه، ولا يكون لكم قابلية عند الله لا في الدنيا هذه ولا في الآخرة .

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} (الأنعام:١١٦)، فيما هم عليه، وفيما يقدمونه لك من مقترحات، ورؤى، وأشياء من هذه، لا يمتلكون هدى نهائياً، ومعنى هذا: أنه في عملية مقايضة مثلاً، أنه عندما تأتي وهي عادة تحصل هذه، وهي حاصلة، هي أبرز حاجة الآن هذه الخصلة عند العرب، تقريباً كثير من علمائهم، ومرشديهم، ومعلميهم، حكوماتهم، هذه الخصلة، محاولين كيف أنه يسترضي الآخرين،

ويطيعهم فيما يقدمون من أشياء، على أساس أنه يكسبهم، أو يسلم شرهم، أو بأي جهة كان، المهم أنه قد تأتي المسألة هذه عادة في إطار مقايضة.

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} لو اقترح عليك أكثر من في الأرض بأنه أنت اعمل كذا كذا، ونحن سنكون معك مثلاً، فقط تمشي على مقترحهم، وعلى ما قدموه لك، فتطيعهم فيه، يضلوك عن سبيل الله، فتكون ضالاً أنت وإياهم، معنى هذا أنه يريد أن يقطع الطريق تماماً، عندما يكون عندك حرص أن الناس كلهم [تلفلفهم] من أجل طمعك قد تحاول أن تسترضي هذا، وتطيع هذا فيما يقدم من رؤى ومقترحات، أكثر من في الأرض لو أنهم سيطيعونك كلهم، على أساس ما يقدمونه لك هم، سيضلونك عن سبيل الله، فتصبح ضالاً أنت وإياهم، إذاً فاقنع بالنسبة لقبيلة، أو قرية، أو حتى الجزيرة هذه بكلها، أن لا تفرح بالأرقام الكبيرة هذه على الإطلاق .

{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (الأنعام:١١٦)، تخرصات: كذب وافتراءات .. {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (الأنعام:١١٧) ، لأنه أحيانا قد تحصل عند الإنسان فكرة أنه يقول لهم: تمام، عسى أنهم سيهتدون، الله أعلم بمن سيهتدي، وبدون شروط، ولا إملاءات، وبمن هو سيضل لو تقبل كلما عنده من شروط، أليست هذه قضية حاسمة؛ لأن هذه ثغرات كبيرة في أعمال الناس، [نقبل، عسى عندما نقول له: تمام في هذه إنه سيهتدي] الله هو يعلم من البداية من هو الذي سيهتدي، ومن هو الذي سيظل ضالاً، لا يقبل نهائياً، نحن بحاجة إلى أن نفهم هذه الأشياء بجدية.

الناس إذا لم يفهموا هم على أساس واحد في الأخير يختلفون هم فيما بينهم، سيقولون: [أمانة أما هكذا جور، قد أنت متشدد بزيادة، هذه فقط اقبلها منهم، ومضمون ستراهم يستقيمون كلهم]، ثم يختلف الناس فيما بينهم؛ لأنك لاحظ هنا أنه تقدم المسألة، وعلى أساس أن رسول الله وهو فعلاً هكذا، (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان حريص جداً على أن يهتدي الناس، وكل الناس، حريص على هداية الناس كلهم، لكن هذا الحرص يحتاج إلى رقابة شديدة وإلا فهو يعتبر واحدة من المنزلقات الخطيرة، لولا أنه رجل حكيم، وبتوجيه من الله، وبيَّن الباري كيف كان أحيانا يكاد يحصل له انزلاقة لولا رعاية الله، ليس على أساس أنه إنسان ينطلق على أساس ـ مثلاً ـ مطامع لديه، يقول: إذاً سيقبلون كلهم، وستكون أكبر واحد فيهم ملكا عليهم، أو يحصل لك مصالح، أو أشياء من هذه، أبداً، عنده روح واحدة، حرص على هداية الناس كل الناس .

إذاً فهذه الحالة على الرغم من أنها حالة ممتازة جداً، هي حالة تعتبر فضيلة عظيمة، لكن يجب أن تكون دقيقاً في التعامل مع الآخرين وإلا قد يحصل خطأ كبير، وأنت حريص على هداية الناس، قالوا: نريد كذا، ونريد كذا، ونحن مستعدون نؤمن بك! في الأخير قد صار يرى أنه ممكن أن يأخذ عدداً من البلدان قالوا قد هم مستعدين، إذاً لا بأس قبلنا، وهكذا، ولا تدري وقد ألفوا أن يقدموا هم أشياء، وباقي هذه، وهذه، وآخرين قدموا قائمة فيها أيضاً زيادة على ما قالوا، قد رضيوا ذولاك أيضا نريد يرضى لنا في هذه يقبلها، ثم في الأخير عنده عسى لا بأس وفكّة من بعد سنحاول بعد ذلك نهديهم .

هنا يقول الطريقة هذه تلغى تماماً، {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ} (الأنعام: من الآية١٠٦) {وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (الشورى: من الآية١٥) وعندك توجيهات معينة، يعتمد على الطريقة هذه لا يعتمد على ما يقدمه الآخرون حتى ولو من منطلق الحرص على هدايتهم، أو على أنهم عسى أنهم سيهتدون من بعد، هنا يقول: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ}، أليس هذا يوحي بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان لحرصه الشديد على هداية الناس أن هذه الحالة وإن لم يكن قد يحصل عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو شيء من المنزلقات هذه الخطيرة لكن تحصل عند الآخرين من بعده، نحن بحاجة نحن والذين قبلنا، والذي بعدنا، الناس بحاجة إلى الرؤية الثابتة هذه، وفعلاً نجد هنا في داخلنا، في داخل الزيدية خلي عنك في باقي الدنيا، من عندهم النظرة هذه: يحاول يتأقلم كذا، يحاول كذا، من أجل إما أن يحافظ على مشروعه الفلاني، مدرسة معينة معه، أو كونه خطيب مسجد، أو أشياء من هذه، أو من أجل يكسب الطرف الآخر، يكسبهم!! ولا يدري في الأخير إلا وقد هو

يقصد الدين، يقدمه استرضاءات لهذا وهذا، وهو في الأخير يعتبر ضالاً {يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يقول له: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

ثم لاحظ من الأشياء العجيبة في الأخير يأتي في قضايا مثلاً هي قضايا مأكولات، ذبائح، أليس يأتي فيها: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام: من الآية١٢١) ،(ص٩)

ـ لا تدَّارى أحداً:

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً} هو صراط مستقيم، لا يحتاج إلى أنك تحاول [تدَّارى] به هذا، أو هذا، أو [تدَّارى] به كباراً، أو [تدَّارى] به تجاراً، أو أشياء من هذه نهائياً. {مُسْتَقِيماً} امش عليه، وهو يؤدي إلى الغاية، يؤدي بك إلى الغاية، لا يستطيع أحد يوقف لك بالطريق نهائياً. أحياناً في ذهنية الإنسان قد يكون عنده أنه يحاول كذا، أو كذا من أجل أن لا يقفوا في الطريق، ويصطدم بهم! هذا صراط مستقيم، إمش، مستقيم يعني: واضح، والصراط المستقيم أليس يؤدي بك إلى غايته؟ امش عليه فقط، ولن يقف أحد في طريقك بشكل يعيقك أبداً. {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: من الآية١٢٦ـ ١٢٧) **هذا صراط مستقيم في الحياة هذه، ويؤدي بالناس إلى دار السلام .**(ص١٤)

ـ ثقافة القرآن بالنسبة لنا هي ثقافة إتباع:

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} مستقيماً، لا يحتاج إليكم، إلى استنباطات، ووجوه، وتشريعات، وآراء، وأشياء من هذه. {فَاتَّبِعُوهُ} لاحظ كيف هذه الكلمة متكررة في القرآن بشكل كبير، ولذلك نقول: إن ثقافة القرآن بالنسبة لنا هي إتباع؛ لأن الله رحيم، هو يرسم الطريق الواضح، لا يحتاج من جانب الناس إلى أي تصنيفات، ولا فنقلات، ولا تشريعات، ولا شيء، القضية جاهزة، صراط واضح يسيرون عليه، يتبعونه، أليس الإتباع معناه: أن هناك شيئاً جاهزاً؟ أليس الصراط معناه: أن هناك طريقاً، عندما يقول لك بهذه العبارة: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ}، أليس المعنى تسيرون عليه، وتتبعوا ما رسم في هذا الطريق؟ {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}.

كلمة: {فَاتَّبِعُوهُ} في حد ذاتها تعني: أن الطريق واضح، لا يحتاج إلى من يأتي يشتغل بـ[فرسته]، ويمهد، وأشياء من هذه، والتشريعات هو من عنده يبينها، وهو من عنده يبين الهدى، فيتبعوا فقط، القضية جاهزة، يتبعون، ليس فيها: فابحثوا، أو فيها صنفوا، أو فنقلوا، أو استنبطوا، أو أشياء من هذه.

ضاعت قضية تثقيف الناس لأنفسهم وللأمة بأن المسألة هي ماذا؟ مسألة إتباع، قدموا القضية قضية ماذا؟ اجتهاد، أو تقليد! يسمونها: اجتهاد، أو تقليد، والمسألة ليست اجتهادات، ولا تقليدات، المسألة مسألة: إتباع، فهو الذي يرسم الطريق، وطريق بيِّن، فيتبع الناس كلهم، ليس هناك حاجة لأحد يأتي يستنبط، ويحتاج يطلّع أشياء من عنده أبداً. {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}، هناك سبل أخرى تقدم من الآخرين ، أي سبيل تسيرون عليها ستبعدكم عن سبيله، هي طريق تمشيك كذاك، كلما مشيت عليها، كلما ابتعدت عن الطريق الذي رسمه الله، الصراط المستقيم .

{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، إذا نحن نريد أن نتقيه فالقضية جاهزة، بمعنى: أن من يعدلون عنها، وهذا هو المنطق الذي اعتمدوا عليه في تبرير الاجتهادات، والترجيحات، أننا قد علمنا أننا كلفنا ولم تأت أدلة تفيد العلم على كل قضية، فما بقي إلا ماذا؟ أن كل من تعلم يحاول يستنبط، ويحاول يرجح، ويحاول يدوِّر هو، يبحث ويدور داخل القرآن، وداخل ما روي من أحاديث .

الطريقة تلك لا تؤدي إلى تقوى، لاحظ عندما تأتي عبارة عندما يقول: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، تقوى الله سبحانه وتعالى، وتقون أنفسكم من الشر الذي تسلمونه، لا يحصل عليكم إذا سرتم على صراطه.

ولاحظ الآن، هل الطريقة هذه شكلت وقاية بالنسبة للناس؟ الطريقة التي رسمت، طريقة كل واحد من عنده، يقوم يبحث ويدور، ويرجح، ويستنبط، ويطلع قول، والثاني طلع قول، وهذا اتبع هذا، وهذا اتبع هذا، هل شكلت وقاية في الأخير للأمة؟ لم تشكل وقاية! إن الله جعل دينه بالشكل الذي يشكل وقاية لمن يسيرون عليه، هنا في الحياة قبل الحياة الآخرة، ألم يقل هناك في آية أخرى: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: من الآية١٠٨)، أي هذا الدين يشكل وقاية هنا من الشرور؛ ولهذا يقول في كثير من الآيات بالنسبة للأعداء الذين دائماً الناس يعرفون أن العدو إنما يفكر في أن يضرك، وأنت تفكر فيما يقيك شره، عندما يقول بعد: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} (آل عمران: من الآية١٢٠)، {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١). أي: الطريقة الأخرى، السبل الأخرى لن تشكل لكم وقاية، لا في الدنيا هذه، ولا في الآخرة، من كل ما أنتم تحبون أن تقوا أنفسكم منه، وهذا واضح، أي: هذه الآية نفسها تقيّم لنا الحالة التي نحن عليها، والثقافة التي بين أيدينا، هل هي ثقافة في الأخير تجعل الأمة في وضعية تشكل وقاية لها من شرور أعدائها، أو أنها أخضعت الأمة، وجعلتها في حالة تعتبر لقمة سائغة لأعدائها، وهذا هو الواضح.

هل كان الناس الذين كانوا في عصر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندهم رؤى، ومقترحات، وتشريعات، وأشياء من هذه؛ لأنه هو الذي يشرع للأولين، والآخرين، هذه قد تكون من الأشياء المهمة بالنسبة للناس المسلمين أن يؤمنوا بكتب الله كلها، ورسله، يتقرر في أنفسهم أنه هو الذي يهدي من قبلهم، الأمم الماضية، هو الذي أنزل إليها كتباً، وبعث إليها رسلاً، وهو المتكفل بهداية البشر من قبل أن تخلق أنت، فتاتي على أساس أنك تستنبط، وتقدم هدايات للناس، وتشريعات، {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:١٥٤) من ذلك اليوم، من قبل.

كما ظهر عند بني إسرائيل من أشياء، تحريمات، وتحليلات، هي مخالفة لما نزله على موسى، وتفصيلاً لكل شيء، بمعنى أنكم وقعتم في قضية لم تكونوا بحاجة إليها، ولم يكن هناك في شرعه تقصير، هو فصل كل شيء، أيام موسى بالنسبة لهم، لكن لم ينفع، كانوا يتركون الكتب هناك، وتقدم طريقة أخرى، ومنهجية أخرى، تجعل الناس هم الذين يتحركون، فيقدمون تصنيفات أخرى، وتحريم، وتحليل، وتشريعات ثانية.

بالنسبة للأمة هذه، بالنسبة لنا، كيف نرى أنفسنا أننا بحاجة إلى أن نقوم نشرع نحن، وعلى طول تاريخ المجتهدين يتحركون على أساس أصول الفقه، والله يقول لنا من قبل أن يبعث محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، من قبل، موسى، وإبراهيم، وكل الأنبياء، من نزل عليهم كتباً، نزل عليهم كتباً تفصيلاً لكل شيء، وهدى ورحمة، شاملة لموضوع التشريعات، وموضوع الهداية بكلها.

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأنعام:١٥٥) الآية هذه بالنسبة لنا، بالنسبة للمسلمين يقول: {فَاتَّبِعُوهُ}، {وَاتَّقُوا} قد تشمل عبارة واتقوا: اتقوا أن تسلكوا الطريقة الأخرى، طريقة ما حصل عند بني إسرائيل، عندما أصبحوا هم يشرعون من عند أنفسهم، ويقدمون توجيهات أخرى مخالفة لهدي الله من عند أنفسهم مع أنه نزل عليهم كتاباً تفصيلاً لكل شيء! {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لم نسلك الطريقة هذه فرأينا أنفسنا...كيف واقع الأمة الآن؟ واقع أمة مرحومة أو واقع مغضوب عليها؟ قد يكون مغضوب عليها فعلاً، فهناك في البداية: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وهنا أيضاً يقول: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ}(الأنعام: من الآية١٥٥) أيضاً فيه بركة، استنباطاتكم ليس فيها بركة، وفعلاً هذا الذي حصل، ما حصل عند بني إسرائيل، من استنباطات، وأشياء من هذه، لم يكن فيها بركة، كان فيها ضلال يؤدي إلى ضلال، أما القرآن فهو مبارك {فَاتَّبِعُوهُ} التوجيه هو للكل، التوجيه لكل الناس، لبني إسرائيل،

وللعرب جميعاً، وأن تكون الطريقة في التعامل معه طريقة إتباع، أليست هذه عبارة واضحة كلمة: إتبعوه؟ هل أحد يمكن أن يقول لك: اتبع إلا وقد قدم لك القضية جاهزة.

عندما يأتي يقول لك: صحيح فاتبعوه، لكن ما فصل كذا، ولا تناول كذا، ولا قال كذا، ولا، ولا.. أنت لم تتبعه هنا، لأنه يقول لك له طريقة، وله ورثة، له ورثة وهم يعرفون كيف يتعاملون معه، وبين لك هو في داخله بقوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} (فاطر: من الآية٣٢) وبين لك هو بأسلوبه وهو يتنزل على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قل كذا، بيِّن كذا، أليس هذا توجيهاً إلى شخص واحد، لا أتصور بأنني متتبع للقرآن، إذا لم أكن مؤمناً بالطريقة هذه، في الأخير سيبدو القرآن أمامي ناقصاً [لم يبين كذا، ذكر الصلوات ولم يعددها، ذكر كذا ولم يبينه، ذكر كذا وما بينه] وهو يقول: {وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ}(الأنعام: من الآية١٥٤) إذاً له طريقة، ليس المعنى تفصيلاً لكل شيء، لكل من فتحه سيرى تفصيلات كل شيء.

أنت عندما تكون على هذا النحو أنت جاهل لقاعدة هامة القرآن يبتني عليها بكله، وأنه كتاب لبناء أمة، ليس كتاباً فردياً، كل واحد يريد أن يتناول منه الذي يريد ويمشي مع السلامة، هو كتاب قائم على أساس بناء أمة، تصور أنت كيف بناء الأمة، كيف يمكن بناء قبيلة واحدة؟ هل يمكن تتصورها بدون أن يكون هناك قيادة لها، دون أن يكون هناك مرجعية لها؟ هو مبني على هذه، في الأخير يقولون: [لا بأس القرآن، لكن وجدنا ما فيه كذا، ولا قال كذا، ولا فصل كذا] وهو يقول: {وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية١٥٤) في آيات أخرى يقول: {وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} (الاسراء: من الآية١٢)، لكن يأتي كل واحد يريد هو يعرف كل التفصيلات، أليس هذا جهلاً بالقرآن نفسه؟ عندما يقول: {فَاتَّبِعُوهُ}، أن تعرف كيف اتباعه، كيف اتباعه، أسس اتباعه، وسترى كل شيء واضحاً، وترى صراطاً مستقيماً.

إذا ما هناك رؤية على هذه ستراه ناقصاً، وترى الذي يقول عندما يقول: أيضاً الرسول مبيناً، ثم الرسول، ورأى أشياء ليست كاملة، رأى أشياء تحتاج إلى ترجيحات، ورأى أشياء تحتاج إلى كذا، أيضاً احتاجوا إلى استنباطات، وتفريعات، واجتهادات، وأشياء من هذه، وأخيراً ضاعت الأمة بكلها. أليس هو في الوقت الذي يقول: فاتبعوه يقول: اتبعوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} (النساء: من الآية٥٩)، أليس هو يقول هكذا، أليس هو يربط موضوع أن يكون القرآن تفصيلاً لكل شيء بالنسبة لهم مرتبطاً بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. وبعد أن مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: مات، لم يبق شيء إلا أن كل واحد يبحث هو! ورأى القرآن ليس فيه تفصيل لكل شيء، [إذاً نحتاج إلى كذا، ونحتاج] وبحثوا، وأخذ ورد إلى أن ضاع .

إذاً هل يمكن أن نجهل بأن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} (فاطر: من الآية٣٢) أنه يعلم أن أنبياءه سيموتون، وقال هو: أن الرسل سيموتون، ويموت الناس جميعاً، أنه هو يورث؛ لأنه كتاب ـ كما قلنا بالأمس ـ مع البعض، كتاب الله الحي القيوم، ليس كتاباً مثل الكتب الأخرى التي نقرأها، ونقول: قال رحمه الله تعالى، تحدثنا مع البعض حول هذا.

هذا كتاب الله، والله هو حي قيوم، فالقرآن نفسه في مسيرة القرآن هو ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه، على طول تاريخ الأمة هذه، إذاً قاموا يشتغلوا، لكن هل شكلوا وقاية أو رحمة؟ أبداً، الأمة الآن وضعيتها سيئة؛ لهذا لاحظ أنه يأتي توجيهات، ويأتي بعدها في: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} (الأنعام: من الآية١٥٩) متى لم يحصل إتباع، وبرؤية حقيقية، وصحيحة بهذا المعنى، معنى الإتباع، وهي قضايا بسيطة، نفس أسس الإتباع، أن تفهم أنه قرآن يحتاج إلى وارث علم بالنسبة للناس، يحتاجون هم إلى وارث له، متى ما توفر القرآن مع وارث له يمكن يمشي كل شيء، ويحصل تفصيلاً لكل شيء، ويتناول كل شيء.

أليس القرآن هو من عند الله؟ أليس الله هو الذي يخلق {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} (القصص: من الآية٦٨)، ما القضية أنه قد توقف المصنع حقه، لم يعد هناك مصنع إنما فقط ذلك الزمن وانتهى، هو يخلق رسل، وبعد الرسل يخلق ورثة للرسل، وورثة لكتبه.[ص٢٦]

[سورة الأعراف ـ الدرس السابع والعشرون]

ـ التمحور حول القرآن:

تجد أن الموضوع كله يتمحور حول الكتاب، حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مهمته تتمثل في هذا الكتاب، كتاب أنزل إليك تتحرك على أساس هذا الكتاب؛ لتنذر به، أليس هكذا الآية واضحة: {لِتُنْذِرَ بِهِ}؟.

هذه للأسف مما غيبت في تاريخ المسلمين، وقدموا الإنذارات بطرق أخرى لم تترك أثراً إيجابياً، بل تركت آثاراً سلبية مثلما نقول كثيراً حول ما تتضمنه كتب الترغيب والترهيب، أن من المهام الرئيسية للقرآن الكريم هو الإنذار به، مهمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن ينذر الناس به، وهو من جهة نفسه إنسان بليغ، إنسان قدير على التحدث، لكن يجب أن يتحرك في إطار هذا القرآن، فينذر به؛ لأن القرآن هو أبلغ موعظة؛ ولهذا قال الله فيه في آية أخرى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:٢١).

حصل عدول عن القرآن الكريم في موضوع ما نسميه المواعظ، ترهيب وترغيب إلى كتب أخرى مليئة بحكايات عملها ناس، مليئة بأحاديث لم يدققوا حتى في أسانيدها باعتراف أهل هذا الفن، أنهم يقولون أنهم لا يتقصون في أسانيد أحاديث الترغيب والترهيب على أساس أنها ستترك [أثر باهر]، ترغب الناس في طاعة الله، وتخوفهم من عذاب الله، ويحصل عند واحد خوف من أن يدخل في معصية، وأشياء من هذه، لكن قدموا مفاهيم أخرى رهيبة جداً، نظرة إلى الدين قاصرة جداً، نظرة إلى الحياة هذه، نظرة إلى الحياة الآخرة، نظرة إلى الإنسان، دوره في هذه الحياة، نظرة قاصرة جداً، ومتنافية مع ما يريد القرآن الكريم أن يتركه في نفوس الناس من أثر، بل قُدم من خلالها موضوع الخشية بشكل آخر، غير الخشية في القرآن.

في القرآن يتركز موضوع الخشية: أن الخشية من الله، من الله، فيأتي إلى آيات كثيرة جداً تتحدث عن معرفة الله سبحانه وتعالى؛ ليعرفه الإنسان فيخشاه، في الوقت الذي يحبه ويجله ويقدسه ويعظمه. في كتب الترغيب والترهيب قدم موضوع آخر هو الخشية من النار، وهناك فارق كبير في الموضوع، هناك فارق كبير جداً، أنه ممكن يحصل عندك خشية من النار من خلال هذا المنطق الذي يرسخ لديك موضوع النار، النار فقط دون أن يقدم في نفسك ما يجعلك تخشى الله هو؛ ولهذا جاء في آية أخرى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: من الآية٢٨)، يعني: العارفين به، فيأتي موضوع النار بكله، موضوع آيات الوعد والوعيد، إنما هي جزء من موضوع معرفة الله، لتخشى الله باعتبار أنه هو الذي بيده الجنة، وبيده النار.

وعندما تكون أنت متوجه إلى الله سبحانه وتعالى، متوجه إليه، وتعرفه، ما تحصل القضية فقط مجرد خشية، بل يأتي أيضاً حب له، وتعظيم له، وحرص على رضاه؛ فيكون تعاملك معه، في الحالة هذه ستحصل تلقائياً على ما يقيك من النار، الإنسان بطبيعته إذا خُوِف بشيء يخاف، إذا خوف بجهنم، ولجانب جهنم دور كبير جداً في التخويف، لكن لم يقدم موضوع التخويف بجهنم مجرداً عن موضوع ربط الإنسان بالله؛ ولهذا قلنا: إنه مما تميز به القرآن الكريم أنه يقدم آيات الوعيد في إطار عملي، هذه التوجيهات العملية تأتي من جهة الله، ودائماً ترى السور فيها الكثير من الآيات التي تذكر ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، ملكه، ألوهيته، علمه، قدرته، أشياء من هذه، هي آيات في معرفته.

فمن الآثار لآيات الوعد والوعيد هو ماذا؟ أن تعرف الله أنه هذا هو الله الذي بيده الجنة، بيده النار، بيده الثواب، بيده العقاب؛ فتتوجه أنت إليه، فتبحث عن رضاه، ويعظم في نفسك، هنا ستسير بطريقة صحيحة، وهو الشيء الرئيسي في القرآن الكريم. ما قدمت آيات الترغيب والترهيب بمعزل عن آيات معرفة الله، وبمعزل عن التوجيهات العملية أبداً، كتب الترغيب والترهيب في الغالب تقدمها هكذا بصورة مستقلة، حديث حول الجنة، وحديث حول النار هناك، لا يأتي في إطار الحديث حول الله سبحانه وتعالى، فتقدم ضمن معرفته؛ لأن من أسمائه سبحانه وتعالى ـ عندما نقرأ قول الله في سورة [الحشر]: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ـ ألم يذكر هنا الجبار؟ ـ الْمُتَكَبِّرُ} (الحشر: من الآية٢٢ ـ ٢٣) ـ من أسمائه: الجبار، مما يذكره سبحانه وتعالى أنه ينتقم، أنه يبطش {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج:١٢)، {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي} (الحجر: من الآية٥٠) هنا أليس هو يقدم جهنم حقه؟ {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} (الحجر:٥٠)؛ ليعظم في نفسك الله.

تخاف لعدة أشياء يقدمها، لكن يتوجه الخوف ممن؟ منه هو، تخشاه هو، هذه هي القاعدة الصحيحة؛ ولهذا نجد بأنه حصل من الأشياء التي تعتبر غريبة، في كتب الترغيب والترهيب ترفق بأشياء في مجال الترغيب حسنات بكميات كبيرة جداً، فترى أشياء هناك تخيفك، جهنم، وترى هناك كميات كبيرة من الحسنات، ترى بأنه يمكن أنك تمشي في هذه تجمِّعها وتصرف عنك جهنم، وإذا أنت ذهنك يدور بين النار، والنار هي خطيرة، وكل إنسان يخاف منها، وهناك كميات كبيرة حسنات من أعمال معينة، تكاد تكون في ذهنيتك مفصول عن الله، مع أن هذه الآية لاحظ{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، أليس هو هنا يذكر نفسه، يتحدث عن نفسه،{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}.

فالإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الأساسي، الإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الذي له إيجابية كبيرة جداً، ولا يحصل معه سلبيات؛ لأنه يشدك في نفس الوقت إلى الله سبحانه وتعالى. جاء بكلام كثير حول يوم القيامة لكن أليس هو يذكر فيه أنه الذي سيجمع الناس، سيحشر الناس، سينبئهم بما كانوا يعملون، أنه هو الذي سيجازي، أنه هو الذي سيدخل من أدخل الجنة، وسيدخل من أدخل النار، أليس هو ينسب الأشياء هذه كلها إليه؛ لأن لا تنظر إليها منفصلة عنه.

وموضوع واسع جداً في القرآن، موضوع الترغيب والترهيب، موضوع واسع جداً، لا نحتاج معه إلى الأشياء الأخرى، تصفية قلوب، وإرشاد قلوب، وأشياء من هذه، وعناوين أخرى، ما نحتاج إليها.

هذا الذي يُصفِّي القلوب حقيقة، القرآن، ويعرف الإنسان من خلاله كيف يكون توجهه، كيف تكون نظرته، كثير ممن قرؤوا كتب الترغيب والترهيب تراه ما عنده توجه أنه مثلاً يجاهد في سبيل الله؛ لأنه ماذا؟ قد هناك حسنات كثيرة، يغرف واحد كما يريد دون أن يحاول أن يدخل نفسه في موضوع فيه مصاعب، وفيه خوف، وفيه سجون، وربما فيه قتل.

إذاً هذه النظرة، وهذا الموقف موقف من؟ موقف من نفسيته فعلاً منفصلة عن الله، قدم له الموضوع مجرداً هناك لوحده، هناك نار، وهناك حسنات خذ لك كمّا تريد حسنات وستسير إلى الجنة، والنار تسلمها! لو أن الموضوع قدم على النحو الذي قدم في القرآن لكان الإنسان ـ وهو متوجه إلى الله سبحانه وتعالى ـ يحرص على أن يعمل الشيء الذي فيه رضاه مهما بدا شاقاً أمامه، فلماذا ـ مع أنهم قد قرؤوا أشياء كثيرة عن جهنم ـ لا يأتي لديه انطلاقة لأن يجاهد في سبيل الله ولو ضحى بنفسه، لا أعتقد أنه يوجد أحد ممن قرؤوا إلا وهم يقرؤون كتب ترغيب وترهيب بدءاً من [كنز الرشاد] و[وشرح كنز الرشاد] و[تصفية القلوب] وكتب أخرى.

إذاً فهذه القاعدة المهمة: أن الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ}، ثم يذكر بعد {لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}، وليكون ذكرى للمؤمنين، تنذر به وتذكّر به. (ص٢)

ـ شبهة لماذا الشيطان:

إذاً موضوع الشيطان من المواضيع أيضاً التي فيها مفاهيم قد تكون غير صحيحة فعلاً، أنه لماذا الشيطان؟ لماذا الشيطان؟! هل تتصور بأن الإنسان هذا لولا الشيطان لكانوا ملائكة، برز من الإنس شياطين ألعن من الشيطان نفسه، ربما الشيطان يمكن أنه يتعلم منهم في بعض القضايا! ليس معناه أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان، ابتلاه بالشيطان، وجعل له الشيطان، خلقه يزعجه، ويصده عن سبيله، ويؤذيه... إلى آخره.. لا، أولاً هو قال هناك: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، ثم نفس ما يقدمه إبليس، هل إبليس يقدم معجزات؟ هل هو يقدم بينات واضحات؟ هل هو مثلاً يقدم براهين تجذبك إلى طريقته؟ عندما تقارن بين ما يعمله إبليس وبين ما قدم من جهة الله سبحانه وتعالى، تجد هنا رسلاً على مستوى عالي من الطهارة، والحرص على هداية الناس، والمؤهلات التي تجعلهم قديرين على أن يبينوا للناس، وبينات إلهية متكررة واضحة، بينات على أيدي رسله، معجزات، وبينات داخل كتبه، كذلك تكون شبيهة بالمعجزات فعلاً، بينات واضحة بشكل كبير.

إذاً من الذي سينصرف هناك فيمشي في طريق الشيطان، مع أن الشيطان لا يرسل أنبياء بمعجزات، ولا معه براهين على صحة طريقته، إنما فقط يوسوس، إذاً {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ}، فيجعله رمزاً للأشرار، فمن انصرف عن طريقة الله ليعلم ابتداء بأنه سيكون وليه الشيطان.

يقدم الشيطان بأنه عدو، قد تكون هذه من الإيجابيات؛ لينشد الإنسان إلى طريقة الله، أن يقول: لك الطريقة الأخرى على رأسها عدوك، عدوّ لك، هذا العدو دائماً يشتغل من أجل إضلالك، من أجل أن يصل بك إلى أحط مستوى في هذه الحياة فتشقى، من أجل أن يصل بك إلى قعر جهنم، فعندما يرسخ في نفوس الناس أن هذا عدو كما قال في آية أخرى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً}(فاطر: من الآية٦)، على أساس أن هذه قد تصرفك فعلاً عن طريقة الشيطان؛ لأنك تعرف هذه الطريقة على رأسها الشيطان، والشيطان هو عدو، وهو خبيث، وكل ما يأمر به فحشاء ومنكر، كل ما يوجه به سوء، كله شر، ربما قد تنصرف عن طريقته لكراهيتك له، ولمعرفتك بأنه سيء، فأن يكون هناك على رأس طريق الشر، طريق الضلال، طريق الباطل، فهذه أيضاً تشكل إيجابية للإنسان هو، إذا اتخذ هذا عدواً ستدفعه عداوته له إلى أن يبتعد عن طريقه.

وهذه قضية ملحوظة بالنسبة للناس، الإنسان الذي يعادي شخصاً آخر يحاول أن لا يأتي إلى دكانه ليشتري منه، يحاول أن لا يركب في سيارته أحياناً، يحاول أي شي حتى لو كان مسجد، لو بنى مسجداً لا يصلي فيه؛ لأنه يكرهه، ولا يعجبه أي رأي من عنده، لو قدم رأياً سيذهب يعارض هو، حتى لو كان رأياً صحيحاً، لو كان رأياً صواباً، أليست هذه القضية معروفة؟ أن عداوتك لشخص معين تكون عادة بالشكل الذي يصرفك عن الطريقة التي يسير عليها؟ فمن إيجابية أن يكون الشيطان موجوداً هي هذه: أن يكون علَماً لطريق الباطل، ويقول للناس هو عدو، عدو مبين، ويعرض عداوته بصور متعددة داخل القرآن، بدءاً من أيام آدم ومن بعده، فإذا أنت تتخذه عدواً، وتعرف أنه عدو، ستبتعد عن إتباع خطواته، وتبتعد عن وساوسه، وترجع إلى طريقة الله سبحانه وتعالى.

الشيطان لا يكون معه سلطان، لا يأتي يقسر الواحد قسراً، يغصبه غصباً، على أساس أنه يمشي في طريقته، وسوسة، إذاً لا يؤثر الشيطان إلا في من؟ في من هم مبتعدون عن هدى الله، فيصبحون أولياء للشيطان، ويصبح الشيطان والشياطين من بعده أولياء لهم، {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ}. يعني عندما تتأمل أن وجود الشيطان له إيجابية من هذه الناحية، الله هو رحيم بعباده، لو أن الشيطان بالشكل الذي لولا هو لكانوا صالحين، لكانوا شبيهين بالملائكة لما أوجده، لما أنظره. فنجد طريقة الله سبحانه وتعالى أنه يأتي بالأشياء الكثيرة التي فيها هدى للناس.

إذاً طريق الباطل تحتاج إلى أن يكون على رأسها شخص يقال هو عدو لي، ودائماً يعمل ليضلني هنا، ويدعوني لأكون من أصحاب النار. إذاً سأكرهه، أعاديه، وبالتالي سأبتعد عن طريقته، أليست هذه إيجابية في الموضوع؟ ليست القضية أن الله ابتلى الإنسان بالشيطان، ولولا الشيطان لكانوا سيصبحون باهرين، أبداً.

يبين الشيطان نفسه أنه يخسر دائماً، يخسر هو، لاحظ كم حاول في آدم وجلس يتردد عليهم، وغرور، وأيمان فاجرة، وفي الأخير ما الذي حصل؟ حصل نتيجة بأن خرجوا من الجنة، لكن غفر الله لهم، وتاب عليهم، ورعاهم، الشيطان ألم يخسر هنا؟ يخسر، بل قالوا إنه يصيح عندما يستغفر الإنسان، عندما تحصل مثلاً منك خطيئة وتستغفر الله؛ لأنه يرى بأنه قد تعب كثيراً وهو يحاول يدخلك في معصية، وفي الأخير لا يدري إلا وقد أنت تستغفر، وتتوب إلى الله، وذهبت كل جهوده تلك سدىً.

في بعض الأدعية بهذا المعنى أنه لولا الشيطان استمالهم عن طاعتك، وكذا.. لكانوا كذا.. وكذا.. هذه أعتقد بعيدة جداً لمن يتأمل القرآن الكريم بعيدة؛ لأنه هل معقول أن هذا الإنسان، أنه لولا الشيطان لكانوا سيصبحون ملائكة، لما خلق الله الشيطان، لما أنظر الشيطان نهائياً، لكن هناك إيجابية لوجوده، إيجابية لوجوده، ودائماً إذا أنت تفهم بأنه عدو ستبتعد، وهذه قضية فطرية عند الناس، أليست قضية فطرية؟ فطريق الحق يضع لها أعلاماً تحبهم وتتولاهم، يقدم لك كيف أنهم حريصون عليك، رحماء بك، ما هكذا قال عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة:١٢٨) **هذا علَم لطريق الحق، أليس بالشكل الذي تحبه فتنجذب لطريقته؟ والشيطان هناك، نوعية سيئة، يقول لك: هو عدو مبين، يأمر بالسوء والفحشاء، وكله شر، ابتعد عنه تعرف أنه هكذا، يعني: يساعدك على الابتعاد عن طريقته.**

عندما تهِّم بالدخول في معصية، وتعرف بأن الشيطان الذي يحاول يدفعك إليها، ويوسوس لك، أو على أقل تقدير أن الشيطان سيرتاح، وأنت تعادي الشيطان ستبتعد عنه، لا يمكن عمل حاجة تريح الشيطان الذي هو عدو، حتى لو لم يوسوس هو، لو لم يتدخل في القضية التي بخصوصها يوسوس لي وأنا أعرف بأنه سيرتاح جداً [ويكيّف] عندما أعمل معصية وهو عدو مبين سأبتعد عنها؛ لأغيظه، لأن لا أدخل السرور على قلبه.

تلاحظ كيف أنه من الأشياء العجيبة: أن الله يقدم هداه بالشكل الذي لا يمكن لأحد أن يعيق عنه تماماً، إلا إذا هناك استجابة من جانب الناس هم لمن يعملون للصد عن سبيله، ويشكلون عوائق، إذا هناك استجابة هم من جهة أنفسهم، وإلا فلن يكون لأحد سلطان عليهم، لا الشيطان، لا الملأ الذين استكبروا، أي شيء آخر لا يمكن، ولا أعداء.

هذه الطريقة ناجحة، يمشي من يمشي عليها، ويشق طريقه، ويجعل كل الأعداء بدءاً من الشيطان، وكل الموسوسين، وكل المنافقين، وكل المزينين، كلهم يتهمشون، كلهم يخسرون، إلا إذا عندك استجابة أنت؛ ولهذا كان يهلك الأمم التي يذكر بأن الملأ الذين استكبروا وكانوا هم الذين ينطلقون ويصدون إذا الآخرين ماذا؟ يمشون معهم، يستجيبون لهم، الشيطان نفسه يستجيبون له، وإلا فهو ليس بالشكل الذي يستطيع أن يصد الناس، ولهذا قال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل:٩٩-١٠٠) **.(ص٦)**

ـ من الآيات التي يحرف معناها:

سابقاً ـ قد تحدثنا حول آية مثل هذه، عندما يقول البعض: إن الله يقول: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: من الآية٢٨٦) **هذا صحيح لكن لا يفهموها بالمقلوب، افهم بأن أمامك تكليفات على نفس العبارة هذه، أي أشياء مطلوب منك أن تسير عليها، وتلتزم بها، فكل ما رأيته هو مما في وسع الناس أن يعملوه، ما معناه عندما يأتون ينظرون إلى آيات هنا، إلى أوامر وتوجيهات، ثم يقيدونها بأن الله لا يكلف الإنسان إلا وسعه، ثم ينطلق هو فيرى أن ليس بوسعه هو، باعتبار آليات معينة، وأشياء معينة!**

لا، إن الحقيقة ـ وهذه الآية واضح فيها ـ عندما يقول: {لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} (الأنعام: من الآية١٥٢)، يعني: ما قدمناه للناس، ما ألزمنا به الناس، ما أمرناهم به، ما نهيناهم عنه، هو في وسعهم، هو في وسعهم، والسورة من أولها تذكر بأن هذه المهمة الكبيرة التي كلف بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أن ما هناك أحد منا قد نقول أن مهمته مثل مهمة النبي، أليست مهمة كبيرة؟ هي نفسها هذه المهمة الكبيرة، لم تكن بالشكل الذي توجد حرجاً في صدره، وهي ما تزال في وسعه. فنفهم الآية على أصلها، نقول: صحيح، إذاً فلننطلق منها فكل ما وجدنا الله أمرنا به، وجهنا إليه، نهانا عنه، أنه في وسعنا أن نلتزم به؛ لأنه لا يكلف إلا بما فيه وسعنا، الذي ليس فيه وسع نهائياً لا يكلف به من البداية، الذي ليس في وسع الناس لا يكلف به من البداية. (ص١٣)

ـ الإستفادة من الأمم الماضية:

{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} (الأعراف:١٠٢)، هذا حصل فيما يتعلق بقوم فرعون، لما أعطوا عهداً {لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ} (الأعراف: من الآية١٣٤) يبين أن هذه عدالة الله سبحانه وتعالى، عدالته أن هؤلاء الناس هكذا تأتي لهم آيات واضحة، ورسل ناصحين، وبينات كافية، وفي الأخير لا يقبلون.

الله سبحانه وتعالى هو حي قيوم، يعرض هذه القصص للأمم المتعاقبة، بما فيها المسلمين في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ،الناس أيامه ومن بعدهم، وأنه لو قلنا بأنه قد لا تأتي المؤاخذة والعقاب بهذا الشكل الذي كان يحصل للأمم السابقة، هو قدم فيما قدم أن لديه أشياء متنوعة؛ لهذا قال في الآية هذه بعبارة مجملة: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} بأسنا، قد يكون بشكل رجفة، أو يأتي بشكل نار، أو يأتي بشكل يمطر حجارة، أو بشكل غرق، وكم... أشياء كثيرة. {فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ} وهم يعلمون أنهم على طريقة سيئة {إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} إلا من نهايتهم سيخسرون فعلاً.

يتكرر في القرآن بشكل واضح في سور أخرى، نفس قصص هذه الأمم السابقة مع أنبيائها، هنا هي جاءت في السورة هذه بشكل موجز، ويبين فيها العائق الرئيسي الذي كان يكون موجوداً، هذا معناه ماذا؟ بالنسبة للناس يكونون فاهمين في من يتحركون في سبيل الله، في من يدعون إلى دين الله، أنه لا يركز دعوته على كبار الشخصيات؛ لأنه هنا يقول لك بأنه يرسل إلى القوم كلهم، إلى الناس جميعاً، وأنه على الرغم من تكذيب الآخرين هو يظل يواصل بينات، يظل يواصل دعوته لهم.

أيضاً أن يحذر الناس أنفسهم في تركيبتهم الاجتماعية أن لا تصل إلى الدرجة هذه؛ لأن العرب في تركيبتهم العشائرية هي قائمة على هذا النحو السابق في أيام نوح، فيجب أن يحذروا أن لا تصل الحالة بهم إلى هذه الدرجة، أن يتخذوا زعماءهم، سواء زعماء طوائف، أو زعماء عشائر، أو زعماء بلدان، يتخذونهم أولياء من دون الله؛ لأن هؤلاء لا يملكون لهم إلا ضلال، هذه النوعية من الأولياء، أولياء مجرمين، يقولون: [البادي منه يقبل]، لن يدخل في الموضوع إلا إذا قد [شيخه] سيدخل فيه، لن يدخل إلا إذا قد الزعيم الفلاني في مذهبه سيدخل فيه.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ} (الأعراف: من الآية١٠٣) أليس هذا جانباً آخر؟ جانب إرسال رسل إلى شعوب تحكمها دولة، ويحكمها سلطان، تلك مجتمعات عشائرية، السابقة. {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا} (الأعراف: من الآية١٠٣) ومع هذا ما كانت تقتصر دعوة موسى على فرعون وملئه، لكن في التركيبة التي كان عليها المجتمع مرتبطين بالملك، توجه الأشياء إلى الملك رأساً، إضافة إلى أنها أشياء تتضح للباقين، كانت بينات موسى وآياته ودعوته بالشكل الذي يكون للآخرين، بل يظهر أنه يأتي تمهيد، أن يطلع الآخرون على دعوته، على ما يقدم من آيات، يبين هنا بأن هدى الله سبحانه وتعالى، البلاغ للناس الذي يأتي

على الرغم من وجود العوائق، كيفما كانت العوائق، سواء كانت العوائق في إطار مجتمع عشائري، أو في مجتمع يحكمه دولة، أنه لا يكون بالشكل الذي يحول دون أن يعرف الناس، جماهير الناس . (ص٢٢)

ـ قدم القرآن بالشكل الذي يعطي أملاً:

والمشكلة أن الناس يعتبرون وكأن أعداءه يستطيعون أن يخططوا، ويدبروا ما يريدون، ويمكروا كما يريدون وأن كل شيء سينفذ لهم؛ لهذا في الأخير يكون عند كثير من الناس قرار بأنه لا نعمل شيئاً؛ لأنهم لديهم كذا وهم وهم، إلى آخره، نحن ننسى بأنه يقدم أمثلة بأنه ينفذ إلى داخل قاعاتهم التي يتآمرون فيها، ثم في الأخير يتخذون قرارات ثانية، ويقدمونها وكأنها قضية ينطلقون عليها سريعاً، ورؤية سياسية صحيحة، وهي في الواقع لصالح من يتحركون في سبيله.

أيضاً يأتي في موضوع المعجزات والآيات هذه، تكون بالطريقة التي تمهد السبيل لأن تصل رسالته إلى أكثر ناس، مثل معجزة موسى في موضوع العصا وتحولها إلى ثعبان، وأشياء من هذه، وفي المجتمع سحرة، حصلت الفكرة هذه: هذا الذي عندك سحر سنجمع السحرة كلهم ونعطيهم إغراءات كبيرة ونجمع الناس ونفضحك أمامهم، ألم يقولوا هكذا؟ إذاً بالنسبة لواقع الناس اليوم، بالنسبة لواقع الناس لا أعتقد يوجد طريقة الآن أجمل من تقديم القرآن ؛لأن واقع الأمة الآن هناك من يحاول يقول بأنه سيقدم حلولاً، من جهة الأعداء أنفسهم، أليسوا يحاولون أن يقدموا حلولاً، والساحة هنا ضائع فيها ما هو الحل، ما هو المخرج، أليس هذا هو الضائع؟ إذاً عندما يقدم القرآن أول شيء سيراه الناس فعلاً بأنه الشيء الذي لم تسر عليه الحياة لحد الآن في تاريخ الأمة هذه، ويجدون أنفسهم بأمس الحاجة إليه، كمخرج أمام العدو.

إذاً فالقضية التي هي مطلوب بالنسبة لنا جميعاً بأنه كيف نثق فعلاً بالمسألة على هذا النحو! نقول: كل ما بين أيدينا قد جرب، كل ما بين أيدينا من طرق أخرى قد جربت، وأخفقت، ولم تترك إلا آثاراً سيئة، كتب تفسير، وحديث، وأصول فقه، وعلم كلام، وكتب ترغيب وترهيب، والأشياء هذه كلها، مذاهب متعددة جربت، نظريات أخرى جربت، اشتراكية، علمانية، ليبرالية، رأسمالية، الأشياء هذه كلها جربت وأخفقت، أليست كلها جربت وأخفقت؟ إذاً قد نكون نحن ربما من أكثر الناس إمكانية أن نقدم القرآن للآخرين، أول شيء بالنسبة لنا ليس لدينا عوائق كبيرة، ليس لدينا عوائق كبيرة بحيث أنه مثلاً تجعلنا نؤقلم القرآن على أساس رؤى سابقة لدينا، أعتقد هذه قد تكون موجودة عند الآخرين تقريباً، عند الطوائف الأخرى إشكالية، لكن في حركة الحياة في المرحلة هذه، هناك ما يجعلهم يكتشف لهم ما هم عليه بأنه لم يعد يقدم حلاً، أما عندما يحصل مثلاً هجمة ثقافية، مليئة بالشبه، ربما قد تخليهم فعلاً يتنكرون لأشياء كثيرة، فيكون الشيء الوحيد المقبول هو القرآن، هو القرآن .

نحن قد تكون جريمة كبيرة بالنسبة لنا إذا لم نقتنع بالقرآن مِن صِدْق، والله أعلم كم بقي من عمر الدنيا، لا أحد يدري كم في أعمارنا، وكم في عمر الدنيا هذه بكلها، لماذا لا نحاول نتمسك بالقرآن من صدق، ولا نعتمد على أي تثقيف آخر سواه، مهما كان، وهنا ألم يقدم لنا بشكل لم يعد بعده إلا هل ينتظرون إلا أن يأتي الله أو الملائكة، أو يأتي بعض آيات ربك، هل ينتظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل.. يعني آيات كافية، ومعنى كافية، في كل ما تناولته.

هذه القضية يجب أن ننطلق منها بصدق، عندما يقول واحد: لكن بقي، وبقي...! لا يوجد، فقط أنت ما زلت مرجوجاً، أو يكون واحد فقط قد دخل برأس رجله، ورجل ما زالت متشبث بطريقة سابقة، فعندما نتحرك على هذا النحو فعلاً قد لا يكون ربما فيما أعرف في المنطقة العربية هذه نفسها لا يوجد ربما طائفة، ولا شعب عنده فرصة يتحرك على أساس القرآن مثلما عند الناس هنا في اليمن، فعلاً مقومات كثيرة ليست متوفرة في أي شعب آخر، فقد تكون خسارة كبيرة جداً علينا في المقدمة إذا ما تحركنا على أساس القرآن، إذا لم نقدم القرآن للناس،

نقدمه على أعلى مستوى، أول شيء نلتزم نحن، عندما نقول: نقدم؛ لنعرف كيف هداه، ثم كيف نتحرك على أساسه ونحن نقدمه للآخرين، وتجد الآخرين فعلاً الآن لم تعد الديمقراطية جذابة لديهم، هل أحد ممكن يقاتل من أجل الديمقراطية الآن؟ من يمكن أن يقاتل من أجلها؟ ولا أحد، أعتقد لا جيش، ولا شعب في أي بلد عربي الآن، إتضح لنا أنهم قد ملُّوا منها، بقي القرآن، والقرآن عندما يقدم قُبِل الإسلام نفسه، يُقبَل الإسلام؛ لأن الإسلام قد شوه حقيقة؛ ولهذا نقول: إنه شيء مؤسف أننا لا نسمع في وسائل الإعلام، لا تسمع أنهم يحاولون يقدمون حلولاً أخرى، وتحليلات كثيرة، لا يوجد تقديم بأن الإسلام يمثل حلاً! لا يوجد كلام حول القرآن نفسه!.

لو قال بعض: القرآن.. فسيقدمه بطريقته التي هو عليها، يقدمه وعنده رؤى أخرى يحكّمها على القرآن، وقدم القرآن لا شيء، لا يقدم للناس شيئاً.

خلال السور هذه التي قرأناها ألم نجد القرآن ممكن يعطي أشياء كثيرة جداً؟ الإنسان يفهم بأنه يمكن أن يكون هناك صراط مستقيم، تكون أشياء واضحة، تكون أشياء واضحة فعلاً، يوضح لك الأعداء، يوضح لك الطريقة الصحيحة، يوضح لك كيف يمكن يكون تأييد إلهي لمن يسيرون على هداه، يوضح لك بأنه غالب على أمره، بأن الله غالب على أمره، لا يمكن لأي جهة أن تعيق من يتحركون في سبيله مهما كان إلا أن يعيقوه هم، أن يعيقوا سبيله هم، فتأتي السنة الأخرى، يستبدل بهم غيرهم .

كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: أنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله، يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: {شُهَدَآءَ لِلَّهِ} (النساء: من الآية١٣٥) قضية شهداء أن هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم مننا زيود، وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن الأمريكيين: أن معهم عناصر تتحرك، وتعمل استبيان للناس، يجب من يسيرون على القرآن أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها عشوائية، ولا كل واحد يمشي على هواه، ولا كل واحد [شوره من قرنه] مثلما نقول .

نحن نقول: هذه من الناحية العملية مهمة جداً، يعملون استبيان، نحن أمام فئة كلما وجدوا الناس أقوياء كلما ضعفوا هم أمامهم، كلما ضعفوا هم، لا تتصور أن الأمريكيين معناه عندما يرون الناس أقوياء، ومنضبطين، ومصرين على ما هم عليه، وعندهم صمود أنهم لن يضعفوا، لاحظ مظهر السجن هذا، كل أسبوع يعتبر إيجابي كبير بالنسبة للناس، في تأثيره على نفوس الأعداء، على الأمريكيين، والإسرائيليين أنفسهم، أمام أمة صامدة، ومثلما قلنا سابقاً: نحن في مرحلة يجب أن نقدم، وليس على أساس أنه عنوان حزب، أو عندنا قيادة محنكة، أو عندنا شخصيات محنكة، قرآن، هذا دين الله؛ لأنه هي القضية الغائبة، البلاد العربية ملان محنكين، وملان مفكرين، وقادة، لكن الشيء الغائب هو ماذا؟ أن يلمسوا أثر دين الله، أثر القرآن، وكيف يكون الناس الذين يهتدون بهداه، هذه القضية أساسية ننطلق فيها.

ولا تأتي الشهادة لله إلا عندما يكون الناس يتحركون في سبيله، وبطريقة معلنة، في سبيله، أننا نهتدي بهداه، نسير على كتابه، لاحظ كيف تكون النتائج؟ عندما يكون الناس بهذا الشكل يكونون محط تأييد إلهي، محط عون إلهي، وفعلاً الناس، الأمة هذه بأمس الحاجة إلى القرآن، لكن من يقدم لها القرآن؟ هذه المشكلة هنا، أنا لا أتصور أن هناك طائفة أخرى، افهموا هذه ـ على معرفتنا بالطوائف ـ ما أتصور أن هناك طائفة أخرى يمكن أن يأتي من داخلها ممن هو متمسك فعلاً بما هو سائد في طائفته، يقدم القرآن بشكل إيجابي، أحياناً بعض الطوائف لا يمكن شخص منها يجرؤ على أن ينقد نفسه، وينقد مجتمعه، وينقد طائفته، هذا نادر، بعضهم قد ينقد في مجال وما زال هو [مخربط] في مجال آخر، نحن لدينا إمكانية ننقد الآخرين جميعاً، ننقد ما كنا متشبثين به من

أشياء اتضح بأنها مخالفة لكتاب الله داخلنا كزيدية، داخلنا كشيعة، مع الاثنى عشرية، مع طوائف السنة. مجتمعات أخرى، محمد حسين فضل الله نفسه عندما نقد أشياء معينة عملوا عليه ثورة ثقافية، وحملة دعائية رهيبة.

بعض الناس قد يكون فعلاً يتأثر، نحن قلنا من البداية يجب أننا نوطن أنفسنا على هذه، وأنها قضية أساسية فيمن قال الله عنهم: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة: من الآية٥٤) لأنه قال بعد: {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة: من الآية٥٤) أنه لو يقولون ما يقولون، خليهم يعملون فتاوى، يعملون بيانات، يعملون ما يعملون، طريقة لن يتزحزح الناس منها نهائياً، وهذه هي طريقة القرآن نفسه، كيف قدم في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ كانوا يقولون: ساحر، كذاب، مجنون، مفتري على الله، أساطير الأولين، أشياء كثيرة جداً، ولم يبال بها، واتجه في طريقه ونجح.

الاهتداء بالقرآن - كما نقول - يجب أن نقدمه للناس بالشكل الذي يعطيهم أملاً، يعني كيف رؤية الإسلام في بناء الأمة، هذه قضية، كيف رؤية القرآن في بناء الأمة، تبدأ مننا نحن، عندما نقدمه في أوساطنا، لا تبقى عبارة: [كتاب وسنة] مثلما هو سائد، أليس هو السائد في المجتمع [كتاب وسنة]؟ لكن قد هم عارفين أن كل واحد يرجع إلى الكتاب يأخذ منه الذي على كيفه وخرج ولم يقدم شيئاً، والآخرين مثله، قد ملوا الكلمة هذه، كيف تقدم رؤية يفهم الناس فعلاً بأنها رؤية بنّاءة للأمة، تمثل حلاً أمام الخطورة الكبيرة التي تواجههم.

القضية هي تحتاج إلى تسليم، مثلما ذكر الله في كثير من الآيات السابقة، ونحن ما قد قرأنا إلا إلى سورة [الأعراف] فقط، كم يوجد داخل كتاب الله بشكل كبير موضوع التسليم لله، والتسليم لله بمعنى أنه يخليك تنضبط، وتعرف كيف تسير على هداه، وإذا ما تزال عند نفس واحد هو يريد يقدم نفسه هو شخصياً، يريد.. يريد.. يريد يكون هو الذي يعرف هو، هو الذي لازم هو بطريقته، وأنه عبقري، وأنه.. وأنه، هذا الذي عانت منه الأمة إلى الآن، هذه الفكرة هي التي عانت منها الأمة إلى الآن، والدنيا ملان مجتهدين [ومفنقلين] وعباقرة، وما عملوا شيئاً، ولم يقدموا للأمة أي حل نهائياً.

قدم الموضوع أنه بالشكل الذي يعطي الناس معارف واسعة، ليس معناه أنه بشكل يجعل الأمة ناس جهلة، تعطيهم معارف واسعة، وحكمة، وتزكية للنفوس في إطار بناء صحيح، أليست هذه رؤية القرآن نفسه؟ فعلاً. فعندما يأتي واحد هو يرى أنه ما استطاع أن يقدم القرآن تماماً، ويفهم منه تماماً مثلاً، مثل فلان، أو فلان، يفهم بأن القضية ليست على أساس أنه هو لا قيمة له عند الله، أنه من أجلك، ومن أجل هذا، ومن أجل الآخرين الله يعمل الطريقة هذه، يصطفي نبي، اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ليكون على أعلى مستوى؛ ليقدم ما عنده من مؤهلات، وما عنده من علم ومعرفة كلها للناس، أليس هكذا؟.

نحن نقول: إن القضية أن نسلم أنفسنا لله، نحصل على المعرفة، على العلم، على نفوس زاكية، إذا برز الإنسان بنفسه سيخسر علماً كثيراً، ومعارف واسعة، ستفوتك معارف كثيرة جداً عندما تنفرد بنفسك؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وهو الذي يؤتي العلم هو، أنت تريد أنت من جهة نفسك تحصل على علم من جهة نفسك فيما يتعلق بموضوع الهداية والثقافة، بدل أن تخسر من هو محيط بكل شيء علماً ومن قال لنبيه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه: من الآية١١٤) أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان اصطفاه الله، وأكمله، ويعلمه بأن عليه أن يتوجه إلى الله؛ ليحصل على العلم من عنده هو {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}. (ص٢٧)

[سورة الأعراف ـ الدرس الثامن والعشرون]

ـ كيف نفهم القرآن:

عندما انطلقوا فعلاً داخل، في مسيرتنا الثقافية قدموا فكرة: أن الله كيف يمكن يخاطب الإنسان بالقرآن ثم لا يفهمه، أليس هكذا؟ معنى هذا أن كل إنسان يستطيع أن يفهم القرآن كاملاً، هذه جاءت من عند المعتزلة. لكن لو تسأل أي واحد منهم، اتفقنا، هذا القرآن أمامك وأمامي، فهمنا منه، أو افترض أننا فهمناه. فهمنا منه أشياء يمكن أن أؤديها فردياً، كيف سيكون العمل بالنسبة للأشياء الكثيرة جداً التي داخله ونراها خطاباً جماعياً، ولا يمكن أن يؤديها إلا أمة؟.

إذاً فكيف الموضوع هنا؟ لمن هذا الموضوع موكول؟ أليس معناه أنه لا بد من أمة، الأمة أليس معناها أن تبنى بناء، وأن تربى تربية؟ إذاً نقول: لا بد أن تكون هذه القضية، إما أن تؤدي إلى أنه فعلاً فهمنا القرآن، لكن فهمنا أن ٧٠٪ منه يجلس على جنب، أليس هكذا؟ هذا يعتبر غلط، ألا يعتبر غلط؟ بالتأكيد، فهمنا أنه لا بد من أمة، وأن هذا القرآن في منطقه، في أسلوبه، كتاب عملي، وليس كتاباً يمكن تقرأه هكذا كما تقرأ كتاب مجموع فتاوى، أو مجموع قصص، أو أشياء من هذه، كتاب عملي.

نقول: إذاً هنا القرآن الكريم يخاطبنا، وأنا وأنت الأفراد الذين نقول أننا فهمنا القرآن يخاطبنا ضمن أمة، إذاً لا بد أن هناك طريقة لبناء الأمة، ولا بد أن يكون النسبة الكبيرة موكولة إلى من هو موكول إليه توجيه أمة، وتربية أمة؛ لبنائها بهذا الشكل على أساس القرآن .

القضية برزت بالنسبة لمن قالوا هذا الكلام بشكل واقعي، أصبح ملموساً، ورأيناهم فعلاً فشلوا، مثلاً كل واحد عنده أن بإمكانه أن يعرف القرآن، يفهم القرآن، إذاً أنت فهمت القرآن، وهذا فهم القرآن، وذلك فهم القرآن، لكن ماذا قدمتم بعد؟! الذين ادعوا أنهم فهموا القرآن، والإنسان يستطيع أن يفهم القرآن هو كاملاً! سلمنا أنت فهمته، لكن ماذا قدمتم بعد، تراهم صفوفاً مجتهدين، ممن يدعون أنهم يفهمون القرآن كاملاً، ماذا قدموا؟ هل قدموا القرآن؟ هل استطاعوا أن يقدموه؟ وهل استطاعوا أن يبنوا الأمة على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يهدوا الناس على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يبنوا أمة قائمة بالقسط؟ بل العكس الذي رأيناه فعلاً، قدموا مفاهيم مغلوطة، جعلت الناس يقعدون عن أن يكونوا قوامين بالقسط، ويتفرقون عن أن يكونوا أمة واحدة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أليس هذا الذي حصل؟.

إذاً فمسألة الهدى هي مبنية على أساس الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى من وراء هذا القرآن بالنسبة للناس، وكما نقول أكثر من مرة: أنه يجب أن تفهم عندما نسمع الله يقول: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} أن تنظر إلى القرآن أنه كل توجيهاته، وكل أحكامه، وكل تعاليمه مبنية على بناء أمة، وخطاب لأمة، حتى في منطقه، في أسلوبه، أليس هو يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (الصف: من الآية١٤) أليس يخاطب أمة؟ عندما يخاطب أمة على هذا النحو ليس معناه أن كل واحد سيأخذ نصيبه من الأمر مثلما حصل بعد، الذي حصل بعد يأتي واحد يقرأ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} (الصف: من الآية١٤)، هو يعرف أنها خطاب جماعي، ويعتبر أن الجماعة تكون مكونة من أفراد هو واحد منهم، نظر لقسمه من كونوا ووجد بأنه ماذا؟ لا يستطيع أن يكون إذاً فما يلزم! هذا الذي حصل فعلاً؛ ولهذا تجد أنه كثير ممن قرءوا على أساس الثقافة هذه التي نشكو منها دائماً يعرفون أن هذه خطابات جماعية، لكن قد ترسخت لديه النظرة الفردية، وأصبح التكليف لديه يعني ماذا؟ تكليف فردي، الخطاب أن يأخذ ما يخصه من الموضوع، فإذا رأى نفسه بأنه لا يستطيع أن يقوم بنصيبه قال: [إذاً ما يلزم]! أليس هذا في الأخير أدى إلى تجميد القرآن الكريم؟

أدى قراءة اللغة العربية نفسها، وهم قرءوا اللغة العربية، وفي اللغة العربية يعرف الإنسان الخطاب الجماعي، والخطاب الفردي، أليسوا يعتبرون أن واو الجماعة يعني خطاباً جماعياً {كُونُوا} {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} أما هذه فقد

كلمة أمة تعني الجماعة بنفس الصيغة، ومع هذا كان للنظرة الفردية أثرها الكبير في أنه ينظر إلى الخطاب الجماعي، ويرى واحد نفسه واحداً من الجماعة، أخذ نصيبه، ورأى بأنه لا يستطيع، وتركها مكانها، والثاني مثله، وتركوا كل شيء مكانه.

الشيء الذي يجب أن يفهمه الإنسان أنه هكذا القضية: نحن كأفراد نفهم من القرآن أشياء كثيرة، ونفهم من القرآن أنه خطاب لنا جميعاً، وسنظل في إشكالية كيف نعمل حتى نكون بالشكل الذي نؤدي ما أوجب الله علينا في هذه الخطابات، وما وجهنا إليه، أليس هذا يعتبر سؤالاً؟ إذاً، فنعمة من الله؛ ولهذا قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} (الليل:١٢)، {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (القيامة:١٧) نعمة من الله أن يجعل وهي سنته من يبين لنا القرآن الباقي، إذاً فهل فات علينا شيء؟ هل يعتبر الإنسان أنه فات عليه شيء؟ إذاً نقول: بإمكاننا أن نفهم القرآن لكن بالطريقة هذه، ما نفهم على سبيل التذكر والتدبر، وما نفهم عن طريق قرناء القرآن، هنا سنعرف من القرآن الكثير، وسنعرف كيف نبتني على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون قوامين بالقسط على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون أمة تدعو إلى الخير ـ إلى آخر الآية ـ على أساس القرآن.

أليست هذه هي الفكرة الصحيحة؟ هذه هي الفكرة الصحيحة. فالذين يقولون بالنظرة الفردية لا فهموا هم كل القرآن على ما يقولون، ووجدوا أمامهم أشياء كثيرة، في الأخير يتخلص منها، ويعزلها على جنب، وفاتهم ما كان يمكن أن يفهموه، وأن يكونوا عليه؛ لأن من قيمة القرآن بالنسبة لك أن يصلح واقع لديك، تبتني نفسك على أساسه، يبتني مجتمعك على أساسه، وهذا هو الهدف، هدف رئيسي للقرآن، ليس مجرد فقط أشياء، معلومات داخل أوراق، أن يكون له أثر هناك في واقع الحياة، فاتهم هذا الشيء تماماً، فاعتبر أنه فاتهم أكثر الدين، وأن هذه طريقة تؤدي بالإنسان إلى أن يفوته معرفة أكثر الدين، وإلى أن يفوته معرفة كيف يقدم للأمة ما يبنيها، كيف يقدم للأمة ما يعتبر فعلاً مبرراً لها أمام الله سبحانه وتعالى، وينجيها من غضبه في الدنيا وفي الآخرة.

هنا قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:٢٠٤)، ولأنها قضية هي تمشي في اتجاه واحد، وقلنا بهذا الكلام سابقاً، أن الله يقول: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} (القمر: من الآية١٧)، ما هذه واحدة؟ إذاً عندما نسمع آيات من القرآن الكريم، وبإنصات، وتدبّر، وتأمل ستعرف من ظاهرها الكثير، الشيء الذي يقدم لك من غيرك سيكون أيضاً كثير لكن ماذا؟ وفي نفس المجال، لن ترى شيئاً يقدم لك خلاف ظاهر الآيات الذي يحصل لديك بتذكرك الطبيعي، وتدبرك من ظاهر الآيات، معنى هذا يزداد الإنسان معرفة؛ ولهذا كان القرآن الكريم ينزل بلغة العرب، ويفهمون ما يفهمون، وأيضاً يأتي الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عنه: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} (البقرة: من الآية١٢٩) .

التعليم من جهة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مهما كان واسعاً دائماً يكون في نفس الاتجاه، لن تقدم أشياء متناقضة، لن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن، مهما كانت القضية ذات عمق، فيعتبر ما يفهم الإنسان من ظاهر سماعه للتلاوة يعتبر ماذا؟ يعتبر أساساً يجعله يقبل ما يقدم له، ولن تكون القضية متباينة إلا إذا كان من يقدمون القرآن ليسوا من قرناء القرآن. عندما نقول: قرناء القرآن لا يعني فقط أن يكون أي واحد من أهل البيت؛ لأنه وإن كانوا من أهل البيت قد يكون الكثير منهم ليسوا قرناء قرآن، أن يكون هو بخصوصه، كل واحد يدعي أنه بخصوصه قرين قرآن، قرين قرآن،.. إلى آخره.

إن الله كما قال في القرآن نفسه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} (فاطر: من الآية٣٢) أنه هو يورث، يورث من داخل بني إسرائيل، يورث من داخل آل محمد، ويعتبر مهمة آل محمد كدائرة ـ مثلما قلنا لكم سابقاً ـ مهمة أخرى في موضوع وراثة الكتاب. بنوا إسرائيل مهمتهم كدائرة مهمة أخرى أيضاً بالنسبة لكتب الله، ونحن نقول: إنها عبارة عن دوائر، وتبين من خلال الآية السابقة التي قال الله فيها: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليست هذه دائرة واسعة؟ {وَآلَ عِمْرَانَ} (آل عمران: من الآية٣٣) أليس آل عمران داخل؟ آل

عمران: مريم وأمها وأبوها، تصطفى تلك الدائرة؛ ليأتي من داخلها علَم للأمة، وفي المقدمة بنوا إسرائيل، أليس هذا واضحاً في الموضوع؟.

لهذا يأتي الإنسان يسمع أحياناً أشياء ستراها متنافية مع ظاهر القرآن، متى ما جاء آخرون يقدمون، بعضهم يقدمونه بتحريف متعمد من أجل مثلاً تأقلم مع أهداف سلطة معينة، وبعضهم بسبب ماذا؟ بسبب انحراف ثقافي قائم لديه، يجعله ينظر نظرة معكوسة فيقدم الأشياء بشكل تبدو في الأخير متباينة مع ظاهر القرآن.

فلِتكون القضية مضمونة بالنسبة للناس أنه بالنسبة للناس لا بد أن يقرؤوا القرآن، وأن يتلوا القرآن، وأن يتعودوا على تلاوة القرآن باستمرار، هذه قضية تعتبر أساسية في ماذا؟ في أنهم يفهمون أشياء كثيرة، وأساسية ؛ليعرفوا من هو الذي يمكن يقدم القرآن بشكل صحيح؛ لأنك عندما تكون هكذا ليس عندك فهم أنت، هذا الفهم الأول، تسمع واحد هناك يتكلم حول آية قد فعلاً يكون يقدمها بطريقة غلط، وتقبل، لو أنك إنسان كنت مثلاً متعود على تلاوة القرآن، وتفهُّمه، وتدبُّره، لعرفت أن هذا ربما معاكس لظاهر آيات سمعتها أنت، وتلوتها أنت.

هذه تشكل ضمانة بالنسبة للناس، وفي نفس الوقت فعلاً نقول سابقاً: بأنه بالنسبة للناس لا غنى لهم عن أن يستمعوا القرآن، لا غنى لهم عن أن يقرؤوا القرآن، أو يستمعوه على الأقل، إذا الإنسان ما هو قارئ، لا يستطيع أن يتلوه، أن يستمعه؛ لأن هذه القضية أساسية، وقضية أساسية في البركة، فالإنسان الذي يرشد الناس بالقرآن، سيكون لإرشاده بركة، الناس الذين يتعودون على تلاوة القرآن يحصل لهم بركة، إذا كانوا بعيدين عن القرآن، ومن يقدمه يقدم لهم أشياء بعيدة عن القرآن أصبحوا جميعاً في ضلال بعيد، ضلال مبين.

هنا في هذه الآيات، فيها كلام كثير حول بني إسرائيل، وفي الآيات السابقة عُرض فيها كيف يكون هدى الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه بالنسبة للأمم، تلك الأمم التي تنتهي المسالة فيها إلى ماذا؟ أن تكذب فتضرب، إذاً هذه قضية.

القضية الثانية: أمة تستجيب لكن يحصل داخلها أشياء كثيرة، تجد أيضاً كيف هدى الله داخل أمة تستجيب كعنوان، مثلما كان بنو إسرائيل بالنسبة لموسى، ومثلما العرب والمسلمون الآن بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، كيف أيضاً يأتي الهدى داخل أمة من الأمم التي استجابت استجابة مبدئية ـ كما يقولون ـ؛ ليعرف الإنسان هنا قدرة الله سبحانه وتعالى، ورحمته الواسعة، قدرته العظيمة في أنه يقدم هدى لمختلف الفئات من البشر، مَنهم هناك مشركين ضالين، بشركهم، بعقائد باطلة، وتركيبتهم الاجتماعية على هذا النحو العشائري، أو تركيبتهم الاجتماعية تركيبة دولة مثل فرعون والمصريين في أيامه، كيف يكون هدى الله، يصل إلى الدرجة التي يتبين لهم فعلاً أن هذا هو الحق، وكيف تكون نهايتهم عندما يكذبون.

ثم تجد أيضاً كيف يكون هداه، ووعده ووعيده داخل أمة استجابت مبدئياً، بالنسبة للبشر ـ حتى يعرف الإنسان أن هذه قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى ـ بالنسبة للبشر قد تجد إنساناً مثلاً عنده قدرة قانونية ـ كما يقولون ـ قدرة في مجال التقنين، وصياغة التشريعات، لكن قدرته تكون في اتجاه واحد، لا يستطيع أن يصيغ لأمم متعددة، لفئات متباينة في تركيبتها الاجتماعية، قد تكون أيضاً متباينة باعتبار بيئتها، تركيبتها الاجتماعية، وبيئتها تخلق تبايناً أيضاً بالنسبة للنفوس. فتراه وهو يشرع، لكن يشرع وفق النظرية الديمقراطية مثلاً، لو يأتي إلى مجتمع آخر ليس حول الديمقراطية لا يستطيع أن يشرع له، لا يستطيع أن يقدم له توجيهات.

تجد الله سبحانه وتعالى هكذا؛ لأنه على كل شيء قدير، يقدم هداه بالشكل المتكامل لكل فئات البشر، وتجد في الأخير كيف ستكون عقوبة من يكذبون كأمة، مثلما حصل لقوم نوح، وعاد وثمود، والأمم السابقة، وكيف من يحصل من داخلهم التكذيب من داخل الأمة الفلانية، وتجد في نفس الوقت مظاهر رحمة الله هنا وهنا، مظاهر

رحمته، جاء في الأسلوب السابق عن الأنبياء، وهو يحكي أسلوب الأنبياء أليس أسلوباً لطيفاً، وناس صدور فسيحة لديهم، صدورهم فسيحة.(ص٣)

ـ علاقة الدين بتحرير عباد الله:

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (الأعراف:١٤١)، فضل عظيم من جهته سبحانه وتعالى، ونعمة كبيرة، هنا يبين في هذه: أن يفهم الناس بأنه سبحانه وتعالى يجعل دينه لإنقاذ عباده من الظلم، من الطغيان، من الجبروت، من القهر والاستضعاف، من شقاء الحياة. أليس هذا كان يعتبر جانباً مهماً من رسالة موسى؟ {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} (طـه: من الآية٤٧) جانب كبير من رسالته هو أن يعمل على تحرير بني إسرائيل من الظلم، والعذاب الذي هم فيه.

وهذه قضية هامة بالنسبة للناس، وفعلاً حصل التوجيه لم يعد يحصل بهذا الشكل الذي يترسخ في ذهنية الناس، علاقة الدين بحياتهم، وأن دين الله جاء ومن مهامه الكبيرة لإنقاذهم، لئن لا يظلموا، ولا يستعبدوا، ولا يقهروا، ولا يذلوا، ولا يشقوا في حياتهم المادية، وأنها مهمة لا تتم إلا بهداه المتكامل، بما فيها الأعلام الذين يصطفيهم هو، لا تتم تلقائياً بالشكل الكامل، إنقاذ الأمة. لاحظ هنا أليس هو يذكر موسى؟ موسى كيف كان عمله في مصر، موسى رجل كما قال الله عنه: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طـه:٤١) اصطفاه لمهمة كبيرة، مهمة تحرير بني إسرائيل من استعباد فرعون وآل فرعون، ألم يكن إنساناً جديراً بهذه المهمة؟ وفعلاً أدى المهمة بجدارة وكفاءة عالية.

ثم تربيتهم ليصبحوا أمة شاهدة على الأمم في حملها للدين، وفي إيصال الدين إلى بقية الأمم، لكن لشقاء بني إسرائيل أربكوا الدين داخل قبل أن يخرج، هم أربكوه فعلاً بشكل كبير لما فهم عنهم في الأخير وكأنهم يعتبرون هذا الدين كأنه مما يخصهم هم وحدهم، وأن النبوات لم تكن إلا لهم وحدهم، وأن الرسالات لم تكن إلا لهم وحدهم، وهذا غير صحيح، هو قال عن التوراة بأنها هدى ونور للناس، قال: للناس، إنما بنوا إسرائيل كان دورهم أن يكونوا الدائرة التي تجسد هذا الدين وقيمه؛ لتنتقل بين الآخرين، ولتجذب الآخرين إليها، أربكوا الدين داخلهم، ثم ترى في الأخير كيف كانت عاقبتهم .(ص٨)

ـ تقديم الدين كنعمة:

وهذه القضية أساسية في أن الإنسان ينطلق، عندما قدم الدين بأنه حمل، لم يعد يتذكر الناس بأنه نعمة عظيمة جداً عليهم، حصل ماذا؟ حصل تراجع عن إقامة الدين، حصل قصور، بل انعدمت جاذبية الدين في أوساطهم.

عندما تتذكر بأنه نعمة كبيرة جداً عليك، تشكر الله عليها، أي أنه فضل، أن يأمرك بالجهاد، إذاً معناه فضل عظيم، أن تعيش في مرحلة قد يكون جهادك من أفضل الجهاد في الدنيا معناه فضل عظيم، أن يوجه إليك بأن يأمرك بأن تصوم، ألم يذكر في الصيام أيضاً، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: من الآية١٨٥) هذا فضل عظيم، وهكذا قاعدة عامة، وثابتة: أن الرسالة بكلها، أنها بالنسبة للشخص الذي أوكل إليه أن يقوم بها تعتبر فضيلة عظيمة عليه، وهكذا قال لنبيه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} (النساء: من الآية١١٣).

موسى سيتحرك ويعتبر بأنه في فضل عظيم من الله أن اختصه، يتفانى في الموضوع، لكن لو يأتي يحملها ويعتبرها حملاً شاقاً، وتكليفاً شاقاً لكانت قضية صعبة عليه، لن يكون لها جاذبية عندك إلا إذا أنت تعتبرها فضلاً عظيماً عليك .(ص١٢)

ـ خطورة عدم الإصغاء والاهتمام:

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ} (طه: من الآية٨٥) **فتنهم.**

كل المسألة تقدم على أساس أن الإنسان يتعامل بجدية مع ما يقدم من عند الله، وأن يتعامل بجدية مع ما قدم من عند الله هو بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة في حياته؛ لأن حالة اللامبالاة هذه معناها في حد ذاتها: أن ما لله قيمة عندك، وليس لهداه قيمة عندك، إنما فقط اتغصّاب! إذا لم يكن [إلا اتغصاب يغصبه] فلن يغصبه، سيجعله يضل. (ص١٨)

ـ كيف يجب أن يقدم التاريخ:

لاحظ هنا القرآن الكريم لا يأتي بأسلوب التدوين القصصي المعروف، لا يراعى التسلسل التاريخي في تقديم القصة، يراعى قيمة ما تعطيه، فقد يأتي بفقرة قبل فقرة، وهي في تسلسلها التاريخي متقدمة، ألم يذكر قضية الجبل، وميقاتنا؟ والميقات هو ذلك الميقات ثلاثين ليلة، وعشر ليالي، لكن في مواقع تذكير بنعمة، تذكير بدروس هامة جداً، يقدم الفقرات، ولا يراعي التسلسل التاريخي، يلاحظ كيف يعطي رؤية تاريخية أهم، أليس أهم شيء عند المؤرخ هو التسلسل التاريخي للحدث؟ ويحرص على أنه كيف يحاول أن يعرف تسلسل الحدث، تسلسله بالنسبة لأحداثه، ووقائعه فقط، والشيء الأساسي والأهم هو: أن يقدم التاريخ بشكل يعطي عبرة، أنها تعتبر قضية أهم بكثير من مراعات التسلسل التاريخي. (ص٢٢)

[سورة الأعراف ـ الدرس التاسع والعشرون]

ـ كيف يكون التعامل مع الله:

مما تحدثنا حوله بالأمس قضية تعتبر أساسية جداً، يجب أن نفهمها جميعاً، فيما يتعلق بهدى الله سبحانه وتعالى، كيف يكون تعامل الإنسان مع الله، كيف تكون نظرته إلى الله، ونظرته إلى نفسه، برز مثال عجيب جداً من خلال كلام نبي الله موسى، بعد أن أخذته الرجفة هو والسبعين الشخص الذين اختارهم من وجهاء بني إسرائيل لميقات ربه، فقال بعد الحادثة الرهيبة: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} (الأعراف: من الآية١٥٥)، **هذه فيها آية عجيبة، ويكتشف الإنسان من خلالها أيضاً بأن في أنبياء الله ـ عندما تقدم أشياء تحكي مشاعرهم، وتصور لنا مشاعرهم ـ أن فيها ما يقتبس الإنسان الهدى فعلاً.**

نبي الله موسى يأتي في آيات كثيرة، يذكر الله له أشياء كثيرة، إنسان إيمانه بالله بشكل كبير، وبشكل متميز يعني إنسان لا يثق بنفسه هو، ليس متكلاً على نفسه؛ لأنه قد صار نبياً! دائماً يعرف بأنه لو يكله الله إلى نفسه طرفة عين لهلك، كان دائماً حذراً، ويفهم تماماً معنى الإيمان، ومقتضى الإيمان، وتؤكد المسألة هذه بغض النظر عن موضوع التفاضل، عندما يأتي خلاف حول: هل الملائكة أفضل من المؤمنين أم المؤمنون أفضل، هذه قضية ثانية، لا حاجة لبحثها أساساً.

يجب أن نعرف بأن الملائكة جنس من خلق الله، عباد مكرمون، لهم دور مخصوص في عبادتهم لله، يقومون به، ولكنهم هم بحاجة إلى هدى الله، أنبياء الله كذلك، أو البشر بشكل عام، بني آدم جنس آخر من مخلوقات الله لهم دور معين في موضوع عبادة الله؛ ليقوموا به، وكلهم بحاجة إلى هدى الله، وفي مقدمتهم من اصطفاهم الله، أنبياؤه، أنهم بحاجة ماسة إلى هداه.

ملائكة الله كما حكى الله عنهم: {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} (الانبياء: ٢٦ -٢٧) ولكن موضوع الإيمان، موضوع الإيمان حتى تترسخ مفاهيمه قضية عملية تأتي في ظل رعاية إلهية، يأتي من الطرف الآخر أن يكون في حالة حذر، حالة أن لا يطمئن إلى موقعه: [هو نبي، قد صار نبياً وانتهى الموضوع] لا، يكون دائماً يعرف بأنه يجب أن يثق بالله، لا أن يثق بنفسه هو، لو وثق بنفسه سيهلك .

العبارة التي جاءت من قبل ملائكة الله، أو قد تكون من عند بعضهم، لكن قد يكون بعض العبارات التي تكون من قبل البعض، وهي في نفس الوقت تعبر عن مشاعر الآخرين، تنسب وكأنها إلى الكل، مثلما حكى الله عن المؤمنين في غزوة حنين: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} (التوبة: من الآية٢٥) ويروى أن البعض منهم قال: لن نهزم اليوم من قلة، هنا تكلم البعض لكن مشاعر الآخرين، الأغلبية قد تكون على هذا النحو.

بعد أن حكى الله سبحانه وتعالى للملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وذكر لهم كيف سيكون هذا الخليفة، {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} (البقرة: من الآية٣٠)، هذه العبارة تساوي نوعاً ما في لهجتها، في أسلوبها كلمة موسى هنا: {رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}، هي تساويها، يعني: هي نوع استفسار، ناسي هذا الطرف ما يفترضه إيمانه من تسليم مطلق وبسرعة .

جاء كلام الملائكة بعد العبارة هذه: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (البقرة: من الآية٣٠)، ونحن، نحن هذه خطيرة جداً {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} برز من خلالها أنهم فعلاً يعرفون مقام أنفسهم، وفي مقام رفيع، فينا الكفاية ونحن كذا .. إلى آخره، ظهر أيضاً نوع من الازدراء نوعاً ما، ولو كان شيئاً لا يلحظه من يقول العبارة هذه بشكل بارز لكن توحي هذه العبارة فيما يتعلق بآدم .

يأتي الموضوع بشكل يصلون فيه إلى ما كان ينبغي أن يقولوه: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (البقرة: من الآية٣٢)، إنك أنت العليم الحكيم، لو كان هناك نوع انتباه، نوع انتباه عندما قالوا هذه العبارة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}، فيقولون: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، تنتهي الإشكالية .

وهنا يأتي من جانب الله سبحانه وتعالى، ثم تلحظ فعلاً في تعامل الله سبحانه وتعالى مع ملائكته، مع أنبيائه، مع البشر، مع أمة من الأمم، في وضعية معينة، وفي وضعية أخرى يختلف التعامل نفسه، مع أن الملائكة يعلم عنهم أنهم مؤمنون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، عباد مكرمون، لكن القضية الإيمانية هي قضية عملية، قضية تربوية، لا تأتي شحنة إيمانية هكذا تلقائياً، شحنة إيمانية؛ لأن الإيمان أساساً هو لا ينفصل عن موضوع حركة التدبير الإلهي، عندما نأتي نحن نقيّم الإيمان ما هو، تجد إنْ ما هناك إيمان هكذا فارغ، الإيمان كله عملي، كل إيمانك متعلق بحركة هذا الكون، بحركة ملك الله - إن صحت العبارة - ، التدبير الإلهي بملك الله، بحركة تدبيره وملكه .

فلم يأت من جانب الله سبحانه وتعالى ما يبدو وكأنه مؤاخذة لهم، مؤاخذة على هذه العبارة، جاء عملية تربوية من جهة، وتأديبية نوعاً ما من جهة؛ ليعرف الإنسان، الإنسان، وأنا أعتقد أنه فعلاً الإنسان له دور يهتدي به الملائكة، والملائكة في داخلهم يحصل أشياء مما عرض عنهم؛ ليهتدي به الإنسان؛ يعني القضية متبادلة، عملية متبادلة، يهتدي الملائكة عن طريق حركة الناس، وموقف الناس من هدى الله، وأشياء من هذه كثيرة، يهتدي الإنسان بما يذكره الله عن ملائكته .

هنا يقول لك في هذه المسألة: بأن التسليم، التسليم الإلهي يجب أن يكون هو الشيء المترسخ في ذهنيتك، ومشاعرك، وأقرب شيء في ذهنيتك أمام أي قضية تطرأ، أمام أي قضية تحصل .

نبي الله موسى هنا كيف قال؟ {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} (الأعراف: من الآية١٥٥)، بسرعة، هذه الروحية - فعلاً - هي ماذا؟ روحية، أو قل: منطق من يرسخ في نفسه التسليم المطلق لله، والإيمان بأن الهدى هو

من عند الله، وأنه كإنسان يجب أن يكون واثقاً بالله، لا يثق بنفسه، إذا انفرد مع نفسه، إذا وثق بنفسه، وقال نحن.. أو أشياء من هذه، يأتي وراءها أشياء أخرى . فجاء تسليم من عند موسى بسرعة: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} (الأعراف: من الآية١٥٦) .

هذه قضية أساسية بالنسبة للإنسان بشكل عام، سواء الأنبياء، العلماء، الأولياء، كل فرد من الناس يجب أن يكون دائماً يعرف أن أساس أن يهتدي، وأساس أن يحظى بعناية الله، ورعايته، أن يكون مرسخاً في نفسه التسليم لله، والتسليم الواعي، أنت مؤمن بأنه حكيم، إذاً يجب في كل فعل من أفعاله، تسمعه، أو تراه، أن تؤمن بأنه حكمة، أن الله لا يفعل شيئاً إلا وهو حكيم، فتقول: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} .

تجد كلما يأتي من أشياء تعرض هنا، من قصص الأمم الماضية، سواء الأمم التي كفرت، وفي الأخير ضربت، أو الأمم التي آمنت مبدئياً، وحصل داخلها أشياء كثيرة من هذه مثلما كانت عليه وضعية بني إسرائيل، كلها، كلها تركز حول موضوع التسليم، نهايتها، أو تقول: لبها وخلاصتها التسليم، التسليم بمعنى: أن الإنسان يكون معترفاً بأن الله هو إلهه، وربه، ويعرف الله، يعرف نفسه أنه عبد لله مأمور، يجب عليه أن يهتدي بهدى الله، وأن يلتزم بهدى الله، أنه عبد لله بكل ما تعنيه الكلمة، يسلّم، لا يأتي من جانبه أي خاطرة تساؤل أمام فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان قاصر، قاصر في مداركه، لا يستطيع أن يدرك بعض تصرفات البشر أنفسهم، ناهيك عن تدبير الله، وأفعال الله سبحانه وتعالى .

كما ذكرنا بأنه بالنسبة لنبي الله موسى نفسه في موضوع الخضر، ألم يبد له أفعال استغربها؟ وهو إذاً أمام إنسان، أمام إنسان كمثله، أو قل مخلوق كمثله، سواء كان إنساناً أو شيئاً آخر، مخلوق كمثله، لم يستطع هذا النبي العظيم الذي قال الله فيه: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طه:٤١) أن يدرك تماماً الغاية من تصرفات هذا الرجل الذي أوحي إليه أن يذهب إليه ليتعلم منه، فكيف يحاول الإنسان أن يعرف، أو يقطع، أو يتصرف وكأنه قد أحيط بالله علماً، يحيط بكل تدبير الله، فيأتي من جانبه استفسارات، يأتي من جانبه استفهام على هذا النحو الذي فيه نوع من التساؤل الذي يبدو وكأنه يعرف كل غايات تدبير الله، وأفعاله سبحانه وتعالى!. هذا هو التسليم، التسليم قضية أساسية .

إذاً التسليم نفسه، التسليم يقتضي منك أن تعطي أهمية لما يأتي من هدى الله، تعطيه أهمية كبيرة، تتفاعل بجدية معه، وإلا فسيكون الإنسان معرضاً لأشياء خطيرة، معرضاً لأن يُضَل، ومعرض لأن تأتي له ابتلاءات أيضاً يَضِل بعدها .ص١

ـ خطورة الابتلاءات:

هذه القضية تتجلى في داخل آيات القرآن أنها قضية خطيرة على الإنسان، وأنه في نفس الوقت يُقدّم داخل القرآن ما قد يجعل الإنسان بعيداً عن ابتلاءات من هذه، منها هذه القضية: التسليم المطلق لله، والإيمان الواعي، واللجوء الدائم، والمطلق إلى الله، وإلا فقد تتعرض لابتلاءات وأنتْ عِنْدك أنكْ فاهم، ومؤمن تماماً، [ولو يأتي ما يأتي لن أتغير]، أليس بعض الناس قد يقول هكذا؟ [لو يجي ما يجي لما تحولت لو لو.... لما حصل كذا]!.

هذه قضية لا تطمئن إلى نفسك على الإطلاق، لا تنقطع إلى نفسك، انقطع إلى الله؛ ولهذا حكى عن الراسخين في العلم في قوله حاكياً عنهم: {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا} (آل عمران: من الآية٨) عندما رأوا آخرين زائغين، قلوبهم فيها زيغ {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا}، لم يقولوا: أما نحن فنحن راسخون في العلم، ولا يمكن يزاغ لنا قلب، ولا يمكن تنزلق لنا قدم، وأشياء من هذه، لا، {رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} (آل عمران:٨) ترحمنا

أنت، ترعانا أنت، حتى لا تزيغ قلوبنا، {إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}، أنت الذي تهب الرحمة، أنت الذي ترعى أولياءك حتى لا تزيغ قلوبهم .

هؤلاء حصل لهم هذا الابتلاء، وذكر في سورة [المائدة] أيضاً: {لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(المائدة: من الآية٩٤) هؤلاء أناس لم يحصل من جانبهم تسليم لله، حصل من عندهم تعدي في السبت، ربما كانوا يتعدون في السبت، وعندهم أنه اصطياد طبيعي، أو عندهم نية أن يتعدوا في السبت، وهم ما يزالون يصطادون بالطريقة العادية، فيأتي ابتلاء إلهي، تأتي الحيتان يوم سبتهم شرعاً، أمامهم على سطح الماء، {وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ}، يعني: ما بعد السبت لم يعد هناك شيء، قد صار مثل باقي الوقت، يحتاج إلى اصطياد بالطريقة العادية .

{كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، الله حكى عن المؤمنين في آخر سورة [البقرة]: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا}(البقرة: من الآية٢٨٦)، أليست مشابهة تماماً لما حكى الله عن موسى: {أَنْتَ وَلِيُّنَا}(الأعراف: من الآية١٥٥) يعني أنت أولى بنا من نفوسنا، لا أمر لنا في نفوسنا معك، {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة: من الآية٢٨٦). هنا يذكر ماذا؟ {وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} نحن بشر، ونحن ضعاف، لا نثق بأنفسنا فيما لو تأتي ابتلاءات معينة .

القضية هذه لم يجعلها الله قضية غامضة بمعنى مثلاً أن الإنسان ربما قد يصفعه الباري، وهو لا يدري، لا، هناك أساسيات، هناك أساسيات فعلاً قد تبعدك عن ابتلاءات قد تضعف أمامها فيما لو وقعت، منها هذه، تكون أنت لا تثق بنفسك على الإطلاق، مهما بلغ إيمانك، مهما بلغت أعمالك الصالحة؛ لأن الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان إذا كان مستشعراً التسليم لله، وانه عبد لله، أنه كلما كثرت عبادته لله، وكلما عظمت عبادته لله سبحانه وتعالى، كلما ازداد تسليمه .

فالعبادة هي أساساً عمل في عمق التسليم لله، وتجليات لتسليم الإنسان لله، لا تأتي العبادة لله على نحو كلما تعبد الإنسان لله كلما كبر عند نفسه، كلما كبرت نفسه عنده إلا عبادة من؟ الجاهلين، عبادة المغرورين؛ لأن الشيء الطبيعي أنه كلما كنت أكثر عبادة لله كلما كنت أكثر تسليماً لله .

لاحظ هنا نبي الله موسى في اللحظة هذه، تلاحظ تسليماً مطلقاً، لم يلتفت لنفسه أنه نبي، أو غير نبي، نفسه كعبد لله: {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}، لم يقل في نفسه: قد أنت نبي كيف لا يغفر لك وأنت نبي! لا يوجد عنده الفكرة هذه، منقطع تماماً في التسليم لله، والذي يسيطر على مشاعره العبودية لله سبحانه وتعالى.

لهذا لا تأتي الابتلاءات بطريقة إلا وللإنسان من جهته هو أسبابها، الإبتلاء الذي هو من هذا النوع، ابتلاء كما ذكر في موضوع الصيد في سورة [المائدة]: {لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ}(المائدة: من الآية٩٤) والابتلاء الذي ذكره هنا بالنسبة لأهل القرية هذه: {كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} يفسقون، الفسق، وهذا مثلما نقول دائماً: نحن نشكو من التغيير في المصطلحات، الكفر غيروا معناه، الضلال غيروا معناه، الهدى غيروا معناه، الفسق غيروا معناه، كل شيء تغير معناه .

الفسق معناه: الخروج عن الطريقة الإلهية التي رسمها، الخروج عن هداه، الفسق قد يأتي وأنت لا تشعر، من هو ضال فهو يعتبر فاسقاً، بمعنى خارج عن الطريقة، متى ما خرج الإنسان عن الطريقة أصبح عرضة لأشياء كثيرة جداً، أما وهو في الطريق، وأن تكون فعلاً في الطريق تعرف أن الخط ـ إذا هم يعملون على الزفلت مثلاً أخطاط ـ فالخط الرئيسي في الطريق هو التسليم لله، فتكون مشاعرك على هذا النحو الذي حكاه الله عن نبيه موسى (صلوات الله عليه) .

هنا لا تأتي ابتلاءات تخرجك أبداً، ابتلاءات مساعدة، ابتلاءات إلى الأفضل، ليست ابتلاءات تخرجك مخرج أبداً، لكن متى ما أصبحت خارج بأي طريقة قد تكون تفسق وعندك معتقدات صحيحة بأشياء في مشاعرك أنت، مشاعرك أنت، عندك قصور في التسليم لله مثلاً، هذا يعتبر خروجاً عن الطريقة التي رسمها الله لعباده كيف يكونون عليها في نظرتهم لأنفسهم، كيف يكونون هم في وجدانهم، في مشاعرهم، في وجدانهم الداخلي، كيف تكون نظرتهم إلى أنفسهم، فِسْق عنها، تكون معرضاً لابتلاءات قد تخرجك فعلاً، ليتبين لك بأنك لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك، كيفما كنت، لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك على الإطلاق .

عندما تتعبد تتعبد، وكلما تعبدت لله بفرائض ونوافل، وأشياء من هذه، كلما رأيت نفسك تكبر وتكبر أنت عند نفسك هنا ستسقط إلى الحضيض، ستسقط إلى الحضيض فعلاً، تعبَّد لله وأنت في الطريق، لا يكن تعبُّد الفاسق؛ لأن كلمة فسق في اللغة العربية بمعنى: خرج عن الشيء، الخروج التلقائي، أو الخروج المتعمد، أو كيفما كان، الفسق معناه: الخروج عن الجادة، أو الخروج عن الشيء الذي كان يجب أن يكون عليه .

كلمة فسق، هي كلمة عربية من قبل تنزل القرآن، وكلمة هدى، وكلمة ضل، وكلمة كفر، كلها من قبل أن يتنزل القرآن، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، هؤلاء عندهم فسق من النوع الواضح، يعني عندهم تعدي، والتعدي في السبت يعتبر فسقاً، عندهم تعدي واضح .إذاً هنا سيأتي الابتلاء بشكل يجعلهم أيضاً ربما ينزلقون أكثر، وهذا الذي حصل.

كان الشيء الطبيعي لك عندما يحصل منك فسق في مرة ـ ولهذا جاء بعد يذكر عن المتقين كيف هم ـ تفسق مرة، ترجع إلى الله، {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا} (الأعراف: من الآية٢٠١) **ألم يقل الله هكذا؟ ترجع إلى الله، أما أن تجلس على ما أنت عليه، أو عندك تقول: الله غفور رحيم، مثلما حكى عن آخرين: {وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا}** (الأعراف: من الآية١٦٩)**، هذا فسق يأتي بعده ابتلاءات، كلها ذات الشمال، [مَنْزَل] نعوذ بالله .(ص١)**

ـ انطلق من شعورك بالمسئولية:

يتبين هنا طائفة أخرى، طائفة الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر؛ لينطلقوا من شعور بمسئولية، حتى وإن لم يكن الآخرون لديهم ظن بأنهم يمكن أن يستجيبوا، {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} (الأعراف: من الآية١٦٤)**، هؤلاء قد هم ناس منتهين، ما فائدة أن توعظوهم؟ تحاولون أنهم يتركون ما هم عليه من فسق؟! {قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ}** (الأعراف: من الآية١٦٤) **هذه مسئوليتنا، ونعذر إلى الله بأننا أدينا مسئوليتنا، فنهينا الآخرين عما هم عليه من فسق، وتعدي لما فرضه عليهم، {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** (الأعراف: من الآية١٦٤)**، ولأنك عندما تقدم النصيحة تقدمها في أجواء من هذه: عسى ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقطع مع آخر بأنه بشكل لم يعد محل لعسى، أو لعل، نهائياً، لا أحد يعلم ذات صدور الآخرين أبداً. فأنت تقدم النهي عن المنكر إعذاراً إلى الله، وفي نفس الوقت عسى أن يهتدوا، {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} .**

تقدم بالنسبة للأمم التي كانت يكون لها موقف جماعي في مواجهة أنبيائها، كيف أنها تضرب نهائياً، أليست تضرب؟ داخل الأمم التي هي محسوبة على دين الله، محسوبة على الإيمان برسوله، وكتابه، يحصل تعدي من ناس فإذا لم يحصل نهي من الآخرين، حصل أمر بمعروف ونهي عن منكر من جانب الآخرين، ظلوا على عملهم في ماذا؟ في هذا المجال، فالعقوبة الإلهية قد تأتي بالشكل الذي ماذا؟ تخص، لا تأتي عامة، كما هو الحال في الأمم الأخرى، الأمم التي يكون موقفها عام في مواجهة أنبيائها .

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأعراف:١٦٥) **هنا لا يأتي عقوبة شاملة، لكن إذا كان الطرف الآخر هم على هذا النحو: {يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} {فَأَنْجَيْنَا} لم يقل فأنجينا الآخرين الذين لم يفعلوا هذا، وهم ساكتون هناك، لا، {فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ**

يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} هؤلاء هم الذين سينجون، أما الآخرون الذين يعملون العمل المنكر، والساكتين، أو المداهنين، فهؤلاء قد يكون مصيرهم واحد .

{وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، وهذا الشيء مما يكون داخل الأمم، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى، من رحمته، ليست تصرفاته مثل تصرفات الأمريكيين، نراهم مثلاً قد يكون واحد من منطقة ويداهمون المنطقة كلها، يداهمونهم كلهم هكذا . الله سبحانه وتعالى يؤاخذ العاصين فقط ، والعاصون هم نوعان، من يعملون المعصية، ومن يسكتون عنها، ينجي الذين ينهون عن السوء .

إذاً فهذه تعطي الناس قاعدة: ـ لأن الله سبحانه وتعالى، هو الله الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم، ما يزال حياً قيوماً، مدبر لشئون السموات والأرض، ما تزال سننه في عباده قائمة ـ أن الشيء الذي يجعل الناس يخافون على أنفسهم، عندما يرون أن هناك منكرات، وهم في نفس الوقت ساكتين على أساس أنه ماذا؟ خائف أنه لا يقول شيئاً، أو يتكلم، أو يكون له موقف منها، يلحقه شيء يضربه، لا، يجب أن تخاف من الله سبحانه وتعالى، من هذه السنة: أنك إذا لم تتحرك قد تضرب، أن الشيء الذي هو نجاة لك هو: أن تنهى عن السوء .

في مرحلة كهذه التي نحن فيها، أليس هو يظهر الكثير من أقوال الناس بالشكل الذي يدل على أنه من ظاهر القرآن، خلي عنك أشياء تستوحي منه ليس له أثر في النفوس . هنا يقول: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} أنجينا الذين ينهون عن السوء، أليس هذا يعتبر جواباً كافياً على أي إنسان، قد يأتي يقول لك: اسكت، إنما فقط قد تؤدي إلى أن يلحقك كذا، ومشاكل، وأشياء من هذه، يخوفك، قل: لا، إن القضية التي يجب أن نخافها هو عندما لا نعمل، عندما لا نتحرك، عندما لا ننهى عن السوء .

{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (الأعراف:١٦٦)، نعوذ بالله . إذاً هو هنا يبين بأن الله سبحانه وتعالى يؤاخذ، وكما أنه قادر على أن يؤاخذ بشكل عام أمة من الأمم، هو عالم بعباده جميعاً، يستطيع ويعرف أن يؤاخذ على طريق التخصيص، أخذنا الذين ظلموا، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}، أليس هو يبين هنا فئة خاصة من المجتمع؟ أيضاً يوجد فارق هنا، لاحظ كيف الفارق بين منطق من قالوا لهم: ما فائدة وعظكم لهم، وبين ما يحصل اليوم؟ بشكل عجيب الفارق، هنا سيقول لك: [اسكت ستكلف علينا، وتجلب الشر علينا، اسكت ما لك دخل، ماذا يمكن أن تعمل أنت في هذا الموضوع!].

هؤلاء ما يزال منطقهم الذين آخذهم الله على سكوتهم، منطقهم بأنه ما فائدة أن توعظوا قوماً قد هم محكوم عليهم ربما؛ لأنهم قد هم فاسقون، ظاهر فسقهم، قد هو محكوم عليهم بالعذاب الشديد؟ أليس هؤلاء منطقهم أحسن من منطق الناس اليوم؟ فعلاً ما يزال أعلى، أما هذا فيقول لك: اسكت! بل ربما في الأخير يحاول يطلّع موقفك أنت بأنه المخالف للدين، يحاول يجعل موقفك المخالف لموقف الدين نفسه، بمعنى: أن هذه الحالة التي هي ظاهرة في الناس، يصدون بها من يعمل في عمل كهذا، وهو يذكّر الناس بالله سبحانه وتعالى، وبخطورة كبيرة محتملة من جهة الله سبحانه وتعالى، فيما إذا قصروا، خطورة كبيرة من جهة العدو، وعدو يعرفه الناس، عدو كبير، وإمكانياته كبيرة، يأتي ليقول: [اسكت، ما لك دخل] لا يقول يا أخي: اسكت، هؤلاء الأمريكيون هم أعداء لله، وربما الله مهلكهم، أو معذبهم عذاباً شديداً، هو لا يقول هذه على الأقل، هذا سيكون منطقاً أسهل من المنطق الذي يقدمونه .

في حالة كهذه يرجع الإنسان إلى قاعدة لديه معروفة: أنه لا يعلم الغيب، أن تعتقد بأنك أنت جالس، أو أنت مثلاً قمت تصد عن عمل هو نهي عن السوء، وعندك كيف يمكن إنّه يأتي لك مصيبة لوحدك، الإنسان لا يعرف تدبير الله، لا يعرف كيف يمكن أن يأتي له الله، ومن أين يأتي له الله، الله يقول: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر: من الآية٢) في كثير من الحالات التي يؤاخذ فيها نوعية من عباده يقول: {مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}، أو يقول لنفس من يتحركون لينهوا عن سوء يقولون: [نحن أمام خطورة كبيرة عامة، إذاً هي بالتأكيد ستلحقنا

ولو نحن ناهين عن السوء؛ لأنه شيء عام، قد يعم شعباً بكله، ضروري يلحقنا]، يجب أن يفهموا بأن الله قال هكذا: {فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} (الأعراف: من الآية١٦٥) .

النجاة أيضاً أن لا تضع لها أنت قائمة وتوصفها أنت، ما هي النجاة، النجاة عند الله، دع الله هو الذي يختار لك النجاة، قد تكون نجاتك فعلاً، قد تكون نجاتك بأن تستشهد في سبيله، ما معنى نجاتك هو: أن لا يحصل عليك شيء! قد تكون نجاتك أنت كإنسان، كشخص معين في أن تستشهد في سبيله، ربما أنك لو لم يحصل لك هذا: أن يختارك الله فتستشهد في سبيله، قد يحصل شيء آخر يجعلك تتحول، وفي الأخير تهلك .

فالإنسان يترك الأمور لله، يصدق بوعد الله، يثق بالله، ولا يقدم خطة معينة لله، يقول: [أنا أريد أن تكون النجاة على هذا النحو، أريد أن يكون نصرك على هذا النحو، أريد أن يكون تأييدك على هذا النحو] لا، الإنسان يسلّم أمره لله، ويثق بالله، ويصدق بوعود الله، والله هو الذي يفعل ما يريد، وبالتأكيد لن يختار لأوليائه إلا أحسن شيء لهم .(ص٥)

ـ خطورة امتداد الثقافة المغلوطة:

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ} أليس معناه الأجيال التي لها صلة بهم، وحالها حالهم؟ ليس المعنى مجرد كونهم أبناؤهم، من ناحية الولادة، حالهم حالهم، ونظرتهم نظرتهم، ما الذي يجعل حال الأجيال المتأخرة، حال الجيل الأول إلا ماذا؟ ثقافتهم، ثقافة الجيل الأول تبقى ممتدة، هذه حالة خطيرة جداً، وهنا تضيع فوارق مئات السنين بينك وبين الجيل الأول، ولو بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، ستكون امتداداً له، وتعتبر منهم، وحكمك حكمهم، ومصيرك مصيرهم .

بين في آية أخرى بأن ما كان لدى ذلك الجيل في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مجموعة أهواء ممن ضلوا من قبل، ألم يقل: {وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} (المائدة: من الآية٧٧)؟ لما كانوا متبعين لما قدمه لهم الأولون، وهو في الواقع أهواء، وضلال، اعتبروا امتداداً لهم، بين لك بأن ما لديهم هو ما كان لدى أولئك، والذي على أساسه عوقب أولئك، عوقب الجيل الأول، والخطورة في هذه القضية: أن المسألة تصل أحيانا في داخل الأمة المتدينة يعني: الأمة ذات الدين، أن الأهواء المخالفة لأوامر الله تتحول إلى ماذا؟ تقدم إلى الناس مصبوغة بصبغة دينية، ويرمّز أصحابها، يعتبرون عظماء في تلك الملة، عظماء في ذلك الدين، يرمزون، يعتبرون رموزاً، لا تدري وإذا الأمة في وضعية متشبثة بشيء هو خطير جداً عليها، وفي نفس الوقت بعيدة عن أن تخرج منه؛ لأنه قدم لها بشكل دين، ومن صنعوا هذه الأهواء، وعملوا هذا الضلال قُدِموا رموزاً في الملة، رموزاً في الأمة، حالة رهيبة هذه جداً.

لهذا يأتي عنها أن يعرف الإنسان الله سبحانه وتعالى، ولم يربط الأمم ببعضهم بعض، لم يربطهم في موضوع الهدى، ذكر بأنه حي قيوم، وأن مسيرة الحياة متواصلة، أنه هو الذي سيأتي بهداة من عنده على طول الحياة، لم يربط الأمم ببعضها بعض، ويقول: يكفي، نحن قد قدمنا لكم قبل ألف سنة، أو قبل ألفين سنة، ولكن السبب في أصحابكم، يكفي، نجحت، لم يعد هناك إلا الذي قد مشى، إن استطعتم أن تعرفوا أنتم من جهة أنفسكم وإلا فيكفي، راحت القضية، لا، ربط عباده به هو؛ ولهذا يؤكد بالنسبة لرسله كيف يجب أن تكون نفسياتهم هم، إنما يأخذون عبرة من الماضي، فبالنسبة للصالحين من أسلافهم خط الأنبياء: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام: من الآية٩٠) والآخرون يأخذون عبرة منهم أيضاً، ودروساً منهم، لا تظن بأنك مربوط ارتباطاً هكذا بالجيل الذي قبلك بمائة سنة .

أنت يجب أن تسير على طريق واحدة، وتسأل الله؛ ولهذا علمنا في الفاتحة من جهة الله أن ندعوه: اهدنا، ألسنا ندعوه هو؛ لأنه حي قيوم، من يقولون: اهدنا، قد يكونون في القرن الثاني، في القرن الثالث، في القرن الخامس، في القرن العاشر، في القرن العشرين، وهم دائماً يقولون: اهدنا، اهدنا.. إلى آخره، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ}، وبالتأكيد صراطه هو الذي رسمه، وهو في نفس الوقت {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ}، لا نستطيع نحن أن نغربل الحياة نحن فننتقي من أنعمت عليهم، ونعرف كيف كان صراطهم بالتحديد، نحن بحاجة إليك أن تهدنا أنت .

فالذي في سورة [الفاتحة] تعني: خطاباً يومياً من جهة كل إنسان مع الله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {اهْدِنَا} أليس هذا خطاباً يومياً، وأنت تخاطب من هو حي قيوم، ومن يمكن أن يمنح الهدى يومياً، يومياً، ولكل جيل، ولكل الناس، عندما يخاطبونه، ويعرفون فعلاً ما يقتضيه خطابهم، عندما يقولون: اهدنا الصراط المستقيم .

وعندما نقول: اهدنا الصراط المستقيم نعود إلى القرآن، لا نقول: اهدنا الصراط المستقيم، ثم نقول: نحن على سيرة السلف الصالح، مثلما يقول الآخرون، أليسوا يقولون هكذا؛ لأن المسألة قد قدم لك ناس هم ممن خالفوا، رُمِّزوا حتى أصبحوا عظماء في هذه الأمة، وقد أصبحت تراهم أنت سلفاً صالحاً، لو تسأل أي إنسان من طوائف أخرى، ألا يتمنى أن يكون على سنة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد وهؤلاء، عمرو ابن العاص وأمثالهم؛ لأن هؤلاء قدموا لديه بأنهم سلف صالح .

لكن لا، أنت قل لله: اهدنا أنت صراط الذين أنعمت عليهم، أنعمت عليهم، لا نستطيع أن نميز إلا عن طريقك أنت، أنت الذي تهدي إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، ونعرف من عندك أنت لما يمكن أن نعرفه مثلاً داخلنا كأمة، من عندك أنت نعرف من أنعمت عليهم، وتعود إلى القرآن، يعود الناس إلى القرآن، لا نقول: اهدنا الصراط المستقيم، ونرجع إلى ما عليه السلف الصالح، الذين قد سميناهم، وقدموا لنا أنهم سلف صالح، وأنت تراهم اختلفوا فيما بينهم، وتقاتلوا فيما بينهم، هل يمكن أن تحكم بأن أولئك كلهم كانوا سلفاً صالحاً؟ أبداً، لا يمكن أن تحكم لمختلفين، متناحرين، متقاتلين بأنهم كلهم سلف صالح، فيهم ناس صالحين، قد لا تكون تدري بالتحديد من هم، إذا أنت تدري فغيرك لا يدري، إذا أنت قدم لك من هو فعلاً سلف صالح، على أنه سلف صالح، وهو في واقعه سلف صالح، هناك آخرون سيقدم لهم آخرون ضالون على أنهم سلف صالح .

ما الذي يشكل ضمانة من هذه للجميع؟ أن يسألوا الله هو، ويرجعوا إلى ما بين أيديهم من هداه، ويسيروا على الطريقة التي رسمها هو؛ ولهذا كانت هامة جداً {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (الفاتحة: من الآية٧) أليسوا السلف الصالح؟ لكن نقول له هو، نطلب منه هو بدعاء أنه أنت الذي تهدنا إلى الصراط المستقيم، {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} وأنت الذي تعلم من هو الذي أنعمت عليه، ومن هو الضال، ومن هو المغضوب عليه .

هذه الآية تعتبر مؤشراً خطيراً جداً، أن لا يطمئن الناس إلى ما قبل مائة سنة، مائتين سنة، وهكذا، أنك تنظر إلى ما بين يديك من هدى الله، وإلى الله دائماً أن تعرف بأن ما تركه السابقون، ما قدموه من ضلال، عوقبوا على أساسه، إذا كان لا يزال حياً في أوساط الناس، جيل بعد جيل، سيكون حكمهم حكم أولئك، ألم يقل هنا: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}، وهم قد ماتوا قبل آلاف السنين، أو قل: قبل ألفين سنة، قد ماتوا قبل ألفين سنة، وهنا يأتي بعبارة: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ}؛ لأن الأجيال المتأخرة كأنها أولئك تماماً؛ لما كانوا امتداداً لهم عن طريق ماذا الامتداد؟ عن طريق الثقافة التي تنزل معناه أن القضية خطيرة جداً، عندما ننطلق لنقيم ثقافتنا على أساس القرآن؛ لأنه ما أوخذ به من قبلنا بمئات السنين، ما حصل من أخطاء قبل مئات السنين ستضربنا، وسنكون امتداداً لأولئك ممن ضلوا ولو كان بيننا وبينهم آلاف السنين .

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأعراف:١٦٧) لهذا عندما ننظر إلى بني إسرائيل اليوم ألم يأت لهم.. تقريباً حصل لهم أشياء كثيرة، وهم في أوروبا، وحصل لهم سوء عذاب وهم في فلسطين محتلين، مع أنهم دولة قوية، وعندهم إمكانيات كبيرة، لكن

شيء من جهة الله، لا يستطيعون أبداً أن يسدوا منفذه {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}.

{إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} فهو يعاقب هنا في هذه الحياة إضافة إلى عقابه في الآخرة، {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، لمن رجع إليه، ولمن تاب إليه، ولمن اهتدى بهداه .

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الأعراف:١٦٨)، وهذه القضية أيضاً من القضايا الهامة التي نأخذ منها عبرة في موضوع وحدة كلمة الناس كما يقول الكثير. بنوا إسرائيل ثقافتهم هي بالشكل الذي تربط بعضهم مع بعض، ثقافة قومية، ثقافة انزوائية داخلية، ومع هذا شتت الله شملهم، وقطَّعهم في الأرض .

عندما يقول الناس: لا نريد أن ندخل في موضوع معين؛ ـ وهو شيء من هدى الله، شيء لا بد أن يعملوه ـ من أجل تبقى كلمتنا واحدة سيفرق الله شملهم، يفرق الله شملهم، وهذه عبرة لنا، فعلاً ترى بني إسرائيل، ثقافتهم في كتب [العهد القديم] كلها ثقافة تجعلهم كالإخوة فيما بينهم، لكن لا يستطيعون، النفوس هي بيد الله، وحياة الناس هي بيد الله، قطَّعهم في الأرض، مزقهم في الشعوب .

ألم تكن ثقافتهم بالشكل الذي تجعل منهم أمة واحدة؟ ضرب بينهم عداوة وبغضاء، رغم أن ثقافتهم ثقافة واحدة، يعني: ثقافة تشدهم إلى بعضهم بعض، فاليهودي ينظر فقط في الدنيا إلى اليهودي، يرى ما يقدم إليه وكأنه ليرعى اليهودي، ويحب اليهودي، ويحترم اليهودي، ويعمل كل شيء لليهودي، ومع هذا مزقهم الله .

كذلك الناس عندما يكن يأتي موضوع، نحن قلنا في جلسة سابقة: وحدة الكلمة هي قضية لا بد من تدخل إلهي فيها، ووحدة الكلمة هي يجب أن تكون على أساس دين الله، ووحدة كلمة؛ ليعمل الناس، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

أما وحدة كلمة على أن يجلسوا، ولا يعملوا شيئاً؛ من أجل يبقوا أهل قرية، وتكون كلمتهم واحدة، ويبقوا يدخلون المسجد، وتكون كلمتهم واحدة، وما يكون هناك أحد يعارض، ولو أدى إلى أنهم يسكتون لا يرفعون، ولا كلمة ضد أعداء الله، معنى هذا ـ على ضوء هذه الآية ـ أن الله يمزق شملهم، يوجد بينهم عداوة وبغضاء .

ويفهم الإنسان بأنه دائماً لا يعرف كيف يمكن أن يعمل الله بالناس، لا يكون عنده [أن كلمتنا واحدة فلا يأتي من يفرقنا]!. الذي يعزز وحدة كلمة الناس، ووحدة صفهم، عندما ينطلقون على أساس هداه، ويعملون في سبيله، وإن كانوا أعداء من قبل، وإن كانوا أعداء، {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (آل عمران: من الآية١٠٣) .(ص٨)

ـ ضرورة تقديم الدين كاملاً:

{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف:١٨١)، لاحظ مسيرة الآيات هذه، قد يكون يحصل ضلال، وأن الهدى هو من عند الله وحده، أن من يضلون بأسباب معينة لا يفقهون، لا يبصرون، لا يسمعون، هناك يحصل الضلال عن طريق إلحاد في أسمائه فهو سبحانه وتعالى سنته هكذا: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} أنه لا يترك عباده بدون هداة .

وكلمة: {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ماذا تعني؟ توجيه، وإقامة قسط، أليس هكذا؟ وفق الطريقة القرآنية التي يقوم الخطاب عليها بالنسبة للناس، قدمت القضيتان هاتان مفصولتان، ألم تقدم في الأخير قضيتان مفصولتان؟ موعظين هناك، وقائمين هناك بشئون الناس! موعظين هناك ناقصين يغلطون كثيراً، [ومدِّيولين] هناك ناقصين يغلطون كثيراً.

القضية ليست على هذا النحو، {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}، ألم يقدم مسألة يهدون به قبل موضوع يعدلون؟ لا يستقيم يعدلون إلا باستقامة يهدون، لا يحصل على الإطلاق، هذه القضية أساسية، هي تعطينا رؤية حول إقامة القسط في هذه الحياة، أو حول ما يسمى: ولاية الأمر في الإسلام، كيف هي، قدمت بشكل منقوص عند الزيدية أنفسهم، وقدمت بشكل منقوص أيضاً عند الآخرين، أما الاثنا عشرية فقد هي ضائع تماماً، قدمت أيضاً عند السنية بشكل منقوص، قدمت عندنا ولاية الأمر تعني ماذا؟ [رئاسة عامة]: تجييش جيوش، جمع زكاة، إقامة حدود، تعيين ولاة، عزل ولاة، وبالله التوفيق! انتهى الموضوع !.
وقضية الثقافة كل واحد على ما هو عليه، وكل مجتهد على ما ترجح لديه، وكل قارئ على ما صادف من كتاب يقرأه، أو معلم يقرأ عنده! فصلوها عن الموضوع تماماً!. كانت غلطة كبيرة جداً. المسألة غير مفصولة على الإطلاق، فهي تمثل النسبة الواسعة جداً من شئون ولاية الأمر في الإسلام، النسبة الواسعة جداً فيها موضوع يهدون؛ لأن كلمة يهدون لا تعني ماذا؟ يوعظون، يهدون قضية أساسية، تربية، تقديم تربية، بناء أمة، بناء حياة، به يعدلون، إقامة القسط، قد تراه في الأخير قد يمثل ربما ٢٥٪ إذا صحت تقديرات إنسان كتقريب. {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ألم يقدم {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ}؟ عندما فصلوا هذا الموضوع عن موضوع يعدلون فلا قامت لا يهدون، ولا قامت يعدلون، وضاعت الأمة نهائياً.(ص٢٢)

- الإستفادة من مظاهر هذا الكون:

{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}(الأعراف: من الآية١٨٥)، **نفس النظرة التي يكرر أمثلتها في كثير من المواقع في السور، يأتي في جانب من الآيات موضوع التوجيهات، ثم يأتي بصفحة من ماذا؟ من مظاهر هذا الكون، يتبين ماذا؟ أن هذا الكون هو له ملك، الله هو إله، ملك، ومدبر لشئونه، ففيه ما يعطيك.. يعني: ما يجعلك تتأكد، وتطمئن بأنه لا يمكن أن يغفل الجانب الآخر، جانب الهداية فيما يتعلق بالجانب الآخر، الهداية التي نسميها: معنوية، أو هداية نظام، هداية النفس .**
هذه نفسها ترشدنا إلى كيف تكون نظرة الإنسان إلى هذه المظاهر، الشيء الذي ضرب تماماً على أيدي المتكلمين؛ لأن النظرة إلى هذه الحياة ستستقرئ فيها مظاهر الحق، تستقرئ فيها الدلائل على أنه لا يمكن أن يكون هناك إغفال لهذا الجانب الذي البشر يتقافزون فيه، لا يتقافز البشر الآن على موضوع الشمس، ناس يريدون يردونها [شرق]، وناس يريدون يردونها [يمن]، أو على موضوع الليل والنهار، يريدون أن يعكسوا الموضوع، أو يطولوا ساعات النهار، أو الليل، ولا على موضوع المطر، ولا على موضوع الإنبات، ولا الإثمار، ولا شيء، هل هم يتقافزون؟ القضية محسومة من عند الله .
إذاً الجانب الآخر أيضاً ليس جانب أن يتقافزوا فيه، هم يتقافزون مخرج إلى الهاوية، جانب سلطان الله، ملك الله، هدى الله، تشريعه، نظامه لعباده، أنه تماماً مثل الجانب الآخر الذي نراه، شواهده في واقع الحياة، صوره، ثم تجلياته في حياة الناس، تجلياته في حياة الناس إلى درجة أنه هنا بشكل يوحي بأنه قد يستطيع الناس أن يلمسوا {وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ}، من مظاهر وصور الحياة نفسها .
{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهذه النظرة الهامة تجعل الإنسان يقرأ كتاب هذا الكون، ثم من وراء القراءة هذه يبدع في هذا الكون نفسه، يخترع أشياء كثيرة، يصنّع أشياء كثيرة، يطور أشياء كثيرة .
{وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}، ما معنى ينظرون هنا؟ ليعرفوا أن هناك الله؟ ليعرفوا هذا الحق، يعرفون أنه لا يمكن أن يغفل هذا الجانب على الإطلاق، أن يتقافزوا هم على سلطان الله، ويتقافزوا هم للتشريع، يتقافزوا للسلطة، ويتقافزوا للتشريع، أليس هذا حاصل عند البشر؟ لماذا لا يتقافزون على الليل والنهار فيجعلوا ساعات النهار أطول مثلاً؟ القضية محسومة هنا مثلما القضية محسومة هناك .

لكن عندما مسخ المعتزلة ـ وهذا من أسوأ ما عملوا حتى أصبحت الأمة جاهلة ـ مسخوا النظر عند الإنسان فلم يعد بالشكل الذي وُجِّه إليه في القرآن، ينظر في ملكوت السماوات والأرض، النظر الذي في الأخير ينتهي إلى دراسة لمظاهر هذا الكون، في الأخير ينتهي إلى إبداع، إلى اختراع، إلى تصنيع؛ لأنه حاجات الإنسان أيضاً، والإنسان عنده نوع من الفضول، وحاجياته واسعة، متى ما درس شيئاً في الأخير يصبح عنده فكرة: ربما لو عمل هذا، وأضاف معه هذا، ما الذي سيترتب عليه؟ فيكتشف أشياء كثيرة في الطب، أشياء كثيرة في كل المجالات الأخرى، لأنه كان التوجيه القرآني للنظر عند المسلمين بالشكل الذي يتكفل بأن يكونوا أسبق من الغربيين إلى ما وصل إليه الغربيون، وربما بشكل أرقى، وبطريقة يدخلون إليها عبادياً، عبادة، ليس على أساس إفتقار لحاجة، الغربيون كانت المسألة عندهم حاجة [الحاجة أم الاختراع] .

هم يأتون يأخذون الآيات التي فيها النظر كلها هنا، وفي أي مكان ثم يقولون: [فدل على وجوب النظر] أي وجوب النظر؛ لتعرف أن هناك صانع! لا يتوصلون إلى الله، إنما هكذا، إنما في الأخير يشغّلون ما لديهم من معرفة من طريق أخرى، أن هناك صانع .

{أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:١٨٥)**، أي حديث بعد كتاب الله، بعد آيات الله، ماذا ينتظر الناس؟ يأتي في أكثر من مقام يقول: ماذا تنتظرون بعد؟ أن يأتي الملائكة، أو يأتي الله، أو يأتي أمر ربك، أن تأتيهم الساعة بغتة، أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون؟ ماذا ينتظرون بعد؟!**.(ص٢٣)

ـ أسلوب في الحوار:

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} (الأعراف: من الآية١٩٩) **في موضوع عندما تكون أنت تواجه مشركين كهؤلاء، أليس هو يقدم هنا احتجاجات معينة؟ أحيانا قد لا تكون القضية مناسب أن يحصل فيها لجاج، وتريد في نفس اللحظة أن تطلع منهم انخلاع كامل عن القضية، {خُذِ الْعَفْوَ} اعترافات معينة، أثر معين حصل في نفوسهم يكفي وأعرض، ومن بعد . أحياناً يأتي اللجاج إلى طريقة يشد الإنسان إلى ما هو عليه، لكن حصل اعتراف معين: فعلاً أن هذه فعلاً هي كذا، هل هي ضرتك في كذا؟ يقول: لا، هل هي نفعتكم في حرب كذا، أنتم وقبيلة كذا؟ قال: لا، قل: إذاً هذه ليست جديرة أن تعبدها من دون الله، وهو سيسكت، سيفكر إلى أن تلقاه مرة ثانية، لكن تحاول تخلعه في نفس الوقت، قد تكون قضية لا تحصل .**

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف:١٩٩) **هذا من ناحية الحوار، والجدال مع آخرين، أسلوب الدعوة على هذا النحو يكون أرقى؛ لأنه هل أعرض عنه نهائياً، أو جلس، وكل مرة وبدّا شيئاً** .(ص٢٦)

ـ التخويف المتعدد:

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأعراف:٢٠٠) **في مقام وهو يدعوهم، إما أن يحصل تخويف فيحصل عنده ربما حالة توجس، هذه يعرف أنها من جانب الشيطان؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا ما خُوِّف من أكثر من جهة، وبأشياء متعددة يكاد أن يتأثر تلقائياً،إنما فقط يماسك نفسه .**

هذا أسلوب في القرآن يأتي التخويف متعدد، ومتكرر، ومتنوع: خزي، مثل صاعقة عاد وثمود، رجفة، أشياء من هذه، جهنم، سوء حساب، وفي كل مكان، هذا فعلاً يؤثر في نفسية الإنسان؛ لهذا لعن المرجفين، المرجفون هذا يخوف، وهذا يخوف، وهذا قال: سيأتي كذا، وكل واحد يقدم شيئاً غير ما يقدمه الآخر، أو زيادة . هذه القضية يبرز فيها الشيطان، هذا جانب: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (فصلت: من الآية٣٦).

جانب آخر أحياناً في موضوع الدعوة قد ترى نفسك ذكياً، وعندك قدرة على أنك تبين خطأ ذلك فعلاً نهائياً، أليس هكذا؟ لكن لا، قد يكون مناسباً بأسلوب على هذا النحو: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ولو عندك قدرة، ترى بأن عندك قدرة، الذي يبدو لك وكأن الشيطان قد يحاول يقول: أما عندما اذهب وما قد أقنعته، أو فضحته في موضوعه هذا معناه ماذا؟ أنني سأبدو ضعيفاً عند الآخرين، أو شيء من هذا، ستدخل في لجاج يجعل الآخر بعيداً عن أن يهتدي، فتكون أنت سلكت طريقة ليست طريق من يهدي، الشيطان يبرز في مقامات كثيرة .(ص٢٦)

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٥)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

[معرفة الله ـ نعم الله (١)]

ـ القرآن أهم مصدر لمعرفة الله:

وأهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى هو القرآن الكريم، الذي يعطي معرفة واسعة، معرفة متكاملة، من غير القرآن الكريم لا يمكن أن نحصل على المعرفة بالشكل الذي ينبغي أن نكون عليها، حتى تكون معرفة تدفعنا إلى الثقة بالله أكثر فأكثر.

فالإنسان إذا تأمل القرآن الكريم، فعلاً يستحي، يستحي من الله أنه كيف لا نثق به، ونحن نسمع آياته، ونحن نقرؤها، ونحن نؤمن بأن هذا الكتاب الكريم هو من عنده .. فلماذا .. لماذا لا نثق؟ لماذا نبحث عن هذا الطرف أو هذا الطرف لنتولاه، ثم لا نتولى الله سبحانه وتعالى.[ص١٨]

ـ حصن نفسك من أي ضلال من خلال {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}:

أمام كل من يرغبك اعرض عليه واعرض على نفسك: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} وانظر كيف أنه لا أحد يستطيع أن يؤثر فيك أبداً. من يخوفك من يرغبك من ينصحك بأشياء أخرى قد تمسك بها لتعلم أنها بمثابة جيش لتشغل مشاعرك في كل مواقفك في كل ميادين الحياة كلها في مجال نصر دين الله، وفي مجال مقارعة أعداء الله، وفي مجال تحصين نفسك من أي ضلال.

افعل ذلك شهراً حتى تعرف أثرها، أو أسبوعا واحداً تذكر نفسك بهذه{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، لأنه عادة حتى ربما بعد كل درس نسمعه لا يأتي نصف الليل إلا والإنسان قد هبط كثير من روحيته التي كان عليها وهو هنا أو هنا في هذا المكان أو في تلك القاعة، يهبط [الأمبير] أي: أنها تحدث أشياء داخلية، يتوجه ذهنك إلى أشياء خارجية تؤدي إلى هبوط معنوياتك وتأثيراتك النفسية من خلال ما سمعت، فلتشغّل{لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} تتركك على حالة سليمة مستقيمة .[ص١٨]

[معرفة الله ـ نعم الله (٢)]

ـ يجب أن نعتمد على القرآن لتتوسع معرفتنا بالله:

فنحن عندما ننطلق لنتعرف على إلهنا يجب أن نعتمد على القرآن الكريم، وأن نتوجه إلى الغوص في بحور معرفته.. معرفته الواسعة.

عندما نأتي إلى كتب علم الكلام نجدها تتحدث عن قضايا محدودة وبأسلوب محدود ومناقشات [طويلة عريضة] حول قضايا أفعال الإنسان هل هي منه أم هي من الله، حول قضايا من هذا النوع، سببها أن الجميع ابتعدوا عن القرآن الكريم فلم يكن لله في نفوسهم العظمة، العظمة التي تجعل كل مسلم ينزه الله تلقائياً عن أن يقضي بالباطل، أو يقدر المعاصي، أو يريد الظلم، أو يريد القبائح، أو يخلقها أو يقدرها أو يسيِّر إليها.

القرآن الكريم تكفل بهذا تلقائياً.. بينما الغوص في خضم تلك القواعد تخرج منها وفي رأسك من الإشكاليات ما يجعلك تتأوه وتتأسف على ما فاتك من فطرتك السليمة، ومعرفتك البديهية التي كان بالإمكان لو بقيت سليمة، وقدمت أمام القرآن الكريم لكان ما يحصل من خلال القرآن الكريم هو ما ينسجم معها، ويخلق الطمأنينة ويزكي النفس، ويطهر القلب، ويوسع المعرفة ويخلق الخشية والعظمة والخوف والتقى والإيمان وغير ذلك من المعارف.

لذلك كان من المعروف أن المتكلمين هم من عرفوا بالخشونة حتى قال الإمام القاسم بن إبراهيم (صلوات الله عليه) ـ لا ادري حكاية عن غيره أو قالها عن نفسه ـ (أنه لم يُعْرَف أن متكلماً خشع) أي أحد من علماء الكلام

أولئك الذين ينشغلون بتلك العبارات، والتي معظمها مصبوغة بمنطق الفلاسفة ومتأثرة بأساليب الفلاسفة من الإماميين وغيرهم، وتلحظ أن هناك تقبُّلاً للمعرفة من نافذة واحدة وبشكل محدود، معرفة الله تحت عنوان: هو تحصيل عقائد صحيحة فيما يتعلق بالأفعال بالذات والصفات ـ كما يقولون ـ فيما يتعلق بأفعال الله وأفعال العباد.
لكن القرآن الكريم يأتي للإنسان من كل الجهات وهو يعرفه بإلهه، وهو يرسخ في قلبه المعرفة، تلك المعرفة التي تخلق في نفسه خشية وخوفاً وثقة عظيمة، وتوكلاً عليه وحباً له، ورغبة في الحصول على رضاه..
لم يعرض المتكلمون مسألة النعم الكثيرة التي أسبغها الله على عباده كأسلوب من أساليب معرفته سبحانه وتعالى.
لم يقدموا الحديث عن شدة بطشه، وعن سعة رحمته فيما يعِدُ به أولياءه، لم تقدم كأسلوب من أساليب المعرفة نوقشت هناك لوحدها وبمفردها عن واقع الإنسان بالنسبة لها. هل هناك شفاعة لأهل الكبائر أم ليس هناك شفاعة فيما يتعلق بقضايا اليوم الآخر، نوقشت هذه فيما يتعلق بالأبحاث حول اليوم الآخر وكأنها لا علاقة لها بالله إلا من منظار واحد هو: ارتباطها بمجرد عدله أنه ليس من العدل أن يقدر عليك المعصية أو يخلقها فيك أو يجبرك عليها ثم يعذبك.
لكن أثره الوجداني... أثر الحديث عن الوعد والوعيد في وجدان الإنسان وما يتركه من أثر له علاقته الكبيرة بمعرفة الله سبحانه وتعالى، لم يقدم على هذا النحو، لهذا رأينا كيف أنهم في الأخير رأوا أن نسبة كبيرة من آيات القرآن الكريم ليست مما يحتاج إليه في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى.
لم تقدم تلك الآيات التي يقرر الله فيها حقيقة أنه غالب على أمره، وعرضت صوراً من واقع الحياة من الأحداث التي ترافقت في مسيرة البشرية، وفي تاريخ النبوات كما حصل في قصة يوسف، وكما حصل في قصة إبراهيم، وكما حصل في قصة موسى، لم تقدم أيضاً كأسلوب من أساليب معرفة الله سبحانه وتعالى. ليست مثيرة للعقول إذاً فهي هناك فقط تتلى لمجرد التعبد بتلاوتها، وتعطى مقابل كل حرف عشر حسنات، هي هناك لإنتاج الحسنات فقط!!.
لهذا كان يأتي الواحد منهم ممن قضى معظم عمره في هذه الأبحاث من هذا القبيل داخل علم الكلام وتراه في نفس الوقت يدين بالطاعة لحاكم ظالم.. هل هذا عرف الله؟
تراه في نفس الوقت يعتقد عقائد تتنافى مع عظمة الله، مع حكمته، مع جلاله، مع عدله، مع رحمته، مع حكمته في أفعاله.. هل هذا عرف الله؟؟ تراه في الأخير كما قيل عنهم لا يخشع.. قلب قاسي.. هل هذا عرف الله؟ وهو من قال سبحانه في كتابه الكريم: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر: من الآية٢٨) هم من يخشونه.
لكن لما أصبح لدينا مسمى العلم أو المقاييس التي من خلالها نطلق على هذا عالم أو هذا نسميه عالما، أصبحت هي تقاس بمقدار ما يقرأ من كتب كيفما كانت سميناه عالماً وهو ليس في قلبه خشية من الله.
إذاً فإما أن تكون الآية المباركة {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} والتي قدمت كحقيقة إما أن تكون هي غير واقعية أو يكون قلب ذلك الرجل هو غير الحقيقي فيما داخله مما سميناه علماً.. ليس علما، هو علم باعتباره اطلاع على قواعد، العلم يطلق على العلم النفسي، ويطلق أيضاً على مجرد القواعد.. يقال: علم الفقه، علم الكلام، علم كذا.
لا بأس هو عالم بهذا المسمى، لكن من كان عالماً على هذا النحو وليس بالشكل الذي سمته به الآية الكريمة {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فإنه ما يزال جاهلاً، ما يزال جاهلاً؛ لأنه في نفس الوقت لم يأخذ العلم من مصدره لم يأخذ الحكمة ممن يؤتيها، الله قال لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}(طـه: من الآية١١٤) رب زدني علماً.. لم يقل له تعلم، انظر الآخرين ما لديهم وتعلم.. لا.. ربِّ أنت، أنت زدني علماً، اهدني أنت ارزقني من علمك من علمك الواسع، آتني من حكمتك الواسعة {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}(البقرة: من الآية٢٦٩) . [ص٣]

ـ العلم الذي لا يجعلك تخشى الله يرسخ جهالات متراكمة ويشكل خطراً على البشرية:

وعالم يكون على هذا النحو، عالم أي قرأ كتباً، قرأ فنوناً، يسمى هذا الفن علم كذا، ويسمى هذا الفن علم كذا، أو يسمى هذا الفن علم كذا، هو عالم على هذا المصطلح، هو عالم، لكن إذا لم يعلم ـ في نفس الوقت ـ ذلك العلم الذي يجعله يخشى الله سيصبح علمه يشكل خطراً بالغاً على الإسلام والمسلمين، يشكل خطراً بالغاً على البشرية يرسخ جهالات متراكمة، وإن صدّر كتابه بعبارات كريمة مثل [بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه..]إلى آخره.

ثم يذكر لك ما الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، ثم عن الأبواب التي تناولها، ثم تقسيمه إلى كذا فصول إلى آخره، ثم يقول: [مبتغياً بذلك وجه الله، وأن يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية وأن يتناول ما رأى بأن الآخرين بحاجة إلى معرفته ليقدم خدمة للإسلام والمسلمين، راجياً من الله بذلك أن يتقبله وأن يكتبه ويجعله في رصيد حسناته يوم يلقاه].. هكذا تأتي الأشياء بحسن نية..[ص٥]

ـ حسن النية والإخلاص لا يكفي إذا لم تعتمد على القرآن:

القرآن الكريم علمنا بأن حسن النية لا تكفي.. أنه حتى الإخلاص لا يكفي إذا لم تعتمد على القرآن الكريم لتعرف من خلاله ما هو العلم، ثم تمشي من خلال ما يرشدك إليه في آفاق الحياة، وآفاق المعارف الأخرى فتزداد معارف حقيقية.. كل شيء في الأخير يعطيك معرفة، يرسخ لديك معاني كمال الله سبحانه وتعالى، كل هذا العالم ليس فيه شيء لا يشهد بكمال الله سبحانه وتعالى، يقال في [علم الكلام] بأنه أشرف العلوم؛ لأن موضوعه هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة الله هي أعلى شيء، فالفن الذي يتناولها هو أشرف العلوم، لذلك يبادرون به وبكتيّبات صغيرة إلى الأطفال من سن البلوغ يكون قد بدأ بمعرفة الله؛ لأنها أهم شيء.. لكن هكذا ننظر للأشياء وننطلق فيها بحسن نية وبإخلاص وكأن القضية متروكة إلينا نحن، أن نرسم الأشياء على ما نرى وعلى ما نلمس بأن فيه رضا الله وفق رؤية انطلقت من داخلنا دون اعتماد كبير على القرآن الكريم، بأنه كتاب شامل يعطي مناهج للمعرفة أيضاً، ومناهج للتربية ومناهج للعمل في مختلف شئون الحياة..[ص٥]

ـ أسلوب القرآن وأسلوب النبي هو ذلك الأسلوب الذي ينفذ إلى الأعماق:

أما القرآن الكريم فهو كتاب عملي، كتاب عملي، معرفة تترك أثراً في النفوس، تترك هذه النفوس أثراً في الحياة، معرفة تزكو بها النفوس، فينعكس أثر هذه النفوس صلاحاً في هذه الحياة، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان هو يعلم من أين يأتي له، وكم هي المداخل ليعرف إلهه، المعرفة العملية.. ألسنا نرى في القرآن الكريم كيف كان يهدد الكافرين بجهنم، هذا على طريقة المعتزلة ونحوهم غير منطقي؛ لأنه تهدد الكافرين بجهنم، وهو بعد لم يؤمن بمحمد ولا بالقرآن، لم يؤمن بهما حتى تهدده بجهنم، وجهنم إنما جاء الخبر عنها من قبل القرآن الكريم ومن قبل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ..إذاً فهذا غير منطقي، سيكون كثير من القرآن غير منطقي.

لكن من يدري أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أن هذا الإنسان ـ وإن كان ما يزال جاحداً ـ أن أسلوب القرآن وأسلوب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ذلك الأسلوب الذي ينفذ إلى أعماقهم رغماً عنهم، ينفذ إلى أعماق نفوسهم رغماً عنهم.

فيسمع التهديد والإنذار بأنه إذا ما كذبوا قد يحيق بهم ما حاق بالأمم السابقة، قوم صالح.. وقوم هود وقوم نوح.

ألم يظهر في القرآن الكريم تهديد للكافرين، كيف تهددهم وهم بعد لم يؤمنوا بالقرآن الكريم ولم يؤمنوا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ لكن محمد شخصية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، كماله والمعجزات

التي تظهر على يديه هنا وهناك هي مما يترك أثرها في النفس، حتى وإن كان صاحب هذه النفس ما يزال معلناً لكفره وجاحداً عندما يسمع التهديد لا بد أن يترك أثره في النفس، ولو في لحظة من لحظات يومه أو ليلته، ولو قبيل نومه وهو فوق فراشه مسجى بلحاف، وهي اللحظة التي يفكر الإنسان فيها كثيراً..

هذه المعرفة معرفة عملية تدفعك لتغوص إلى أعماق نفسك، ثم تدفعك عملياً إما أن تكون ممن ينطلق على وفق الهدى والإيمان، أو تتجلى هناك، تتجلى هناك خبيثاً منافقاً أو كافراً.. ما الذي حصل في تاريخنا نحن؟

عالم بعد عالم لم يظهر لك مؤمن بشكل صحيح أو منافق بشكل واضح أو كافر بشكل واضح، صفوف علماء من هذه الطائفة، وصفوف داخل هذه الطائفة، وصفوف هنا وصفوف هناك، لم تتجل الأشياء ؛ لأن ما قدم لأن ما في داخلهم ليس من النوع الذي يجلي بشكل كامل.

مع أن الجميع يصبغون ما يقدمونه بصبغة إيمانية، فهو لا يرى نفسه بالتأكيد أنه مصيب أو أنه مخطئ، أنه مؤمن أو أنه منافق، أنه محق أو أنه مبطل، أنه مهتد، أو أنه ضال، ولهذا وجدنا في الساحة أشياء كثيرة من الضلال وأصحابها يقدمونها على أنها من دين الله، ويتعبدون الله بأنهم يقدمونها لعباده.. ضلال كثير نزل.[ص٦]

ـ من خلال القرآن ستعرف نفسك وتعرف الآخرين:

لكن القرآن الكريم هو وحده ـ إذا ما حاولت أن تهتدي به ـ ستعرف نفسك من خلاله، كتاب عملي، تعرف نفسك من خلاله، وتعرف الآخرين أيضاً من خلاله، وتعرف الفنون الأخرى من خلاله، وتعرف الحياة كلها من خلاله، وتعرف إلهك بالشكل الذي يليق بك كعبد له أن تعرفه به، تتجلى لك الأمور تتجلى لك المواقف.

فنحن عندما نتحدث عن معرفة الله سبحانه وتعالى نتناول أشياء كثيرة من خلال القرآن الكريم مما قد يرى البعض بأنها تدل على جهل أن نتناولها ونحن في إطار الحديث عن معرفة الله من أجل أن نعرف كيف نتولاه فنكون من أوليائه بتوفيقه.

الحديث عن نعم الله سبحانه وتعالى مهم جداً، في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت كرم الله سبحانه وتعالى وإحسانه العظيم إلى عباده في ما أسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة.. وتأتي لأكثر من هدف أو لأكثر من غاية، فدلائل على قدرته سبحانه وتعالى، على حكمته، على رعايته، على عظم إحسانه إلى عباده ليحبوه ليعظموه ليجلوه، ليخلق في نفوسهم ذلك الأثر الذي تجد في نفسك أمام أي نعمة تسدى إليك من الآخرين.

هذه المشاعر مهمة جداً، عندما نستشعر عظم إحسان الله إلينا، عظم إنعامه علينا بنعم كثيرة جداً..

نعمة الهداية، نعم مادية كثيرة، نعمة كبيرة فيما أعطانا من هذه الكيفية التي قال بأنها أحسن تقويم {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}(التين:٤).

تلك المشاعر التي تتركها هذه، نظرتك إليها، نظرتك إلى من أسداها إليك، تلك المشاعر مهمة جداً في ربطك بالله، في ثقتك بالله، في انطلاقك في طاعته، في ابتعادك عن معصيته، في خوفك منه، في إجلالك له، في حيائك منه، في حرصك على رضاه..[ص٦]

ـ استخدام الأسلوب العاطفي:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢١-٢٢).

ألم يتحدث هنا عن كيف يرعانا؟ الأرض بالنسبة لنا فراش، السماء بالنسبة لنا سقف، فكأن مجموع الأرض مع السماء بالنسبة لنا بناء نقيم فيه {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وهذا الماء ينزل بسهولة لا نحتاج إلى مضخات، ولا نحتاج إلى بقر [نسني] عليها ولا نحتاج إلى شيء ينزّل المطر، وفي دقائق معدودة ترى الأرض مملوءة بالماء في دقائق معدودة، هذا الماء هو الذي يرتبط به كل حاجات الإنسان، كل حاجات الإنسان مرتبطة به.

{فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون بهذا.. أنه الذي خلق الأرض وخلق السماء، وأنه هو الذي ينزل الماء من السماء، وأن هذه الثمرات هو الذي أخرجها بما أنزل من الماء.. أليس الحديث عن نعم الله هنا له علاقة بتوحيده؟ {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في الدفع نحو عبادته؟ هو يقول: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} أليس للحديث عن نعمه أثر كبير في ترسيخ حالة التقوى في النفس؟ {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

يبدو الحديث وكأنه حديث عاطفي، وفعلاً تلمس في القرآن الكريم هذا الجانب، هذا الشيء، أو هذا الأسلوب يأخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم، الحديث الذي يبدو حديثا عاطفيا، استعطاف {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} أليس هنا يذكرنا بما عمل لنا؟ أم أنه يقول: اعبدوا ربكم وإلا فسوف نحرقكم.. هل قال هكذا؟ ممكن أن يقول هكذا؟ وهي حقيقة إن لم تعبد ربك سيعذبك بعد أن يكون قد أرسل من يبلغك من ينذرك، من يعرفك بعبادتك له كيف تعبده لكن لا.. هذا وإن كان شيئاً حقيقياً، وقد يبدو في بعض الآيات، لكن يأتي في مقام التهديد بعد أن يكون الإنسان قد عرف الكثير، وطرق مسامعه الكثير من الآيات التي تأتي على هذا الأسلوب.. الإستعطاف.

وما أجمل العبارة التي قالها الإمام زيد ـ وهو يتحدث عن أقسام القرآن أو مجالات القرآن ـ قال: (وقسم منه استعطاف لعباده أو تعطف منه) ما أذكر بالتحديد هل تعطف أو استعطاف ـ ماذا يعني استعطاف؟ أي يخاطب وجدانك، يخاطبك أنت كإنسان ترعى الجميل، وتقدر الإحسان، وتشكر النعمة، وتعترف بالفضل لمن أسدى إليك النعمة ليشدك نحوه.

وهذا شيء معروف في حياتنا معروف في تعاملنا مع بعضنا البعض، الواحد منا متى ما تحدث عن ابنه عندما تقول له: يا خبير ابنك ماذا حدث بينك وبينه، ولماذا بينكم شحناء، لماذا أنتم كذا؟ فيقول: عملت له كذا، وربيته، تعبت عليه، وزوجته، واشتريت له سيارة، وعملت له كل شيء، وأعطيته رأس مال، ولكن بعد كل هذا رفض طاعتي.. قد تقول هذا لابنك بعبارات من هذا القبيل، استعطاف تذكره بما أسديت إليه، قد تقول أنت لشخص آخر في مقابلة شخص آخر أصبح له موقف غير طبيعي منه وأنت تعرف أياديه العظيمة عليه.. يا رجال تذكر.. هو الذي أدى لك كذا.. وتعاون معك في كذا، ما ينبغي، ما يصح، ما يليق بك أن تعامله بهذا الأسلوب وهو الذي كذا.. إلى آخره.

أليس هذا استعطاف؟ أنت تخاطب وجدانه، وخطاب الوجدان، خطاب المشاعر في أعماق النفس تترك أثرها الكبير، ولهذا وجه الله عباده إليه في قوله تعالى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:٣٤). [ص٨]

ـ الكلمة الحسنة تنفذ إلى أعماق وجدان الإنسان رغماً عنه:

الكلمة الحسنة التي تبدر منك ترد بها إساءته، أنت هنا تخاطب وجدانه.. أليس كذلك؟ هي تنفذ إلى أعماق وجدانه رغماً عنه، وتتجاوز مظاهر الغضب وحواجز الغضب والإنفعال، فتقتحم هذه الحواجز وتغوص إلى أعماق وجدانه فتنعكس لتملأ كيانه كله عاطفة نحوك فيتحول إلى ولي حميم، بكلمة إحسان، بكلمة لينة.. فكيف لا تلين قلوبنا إلى من يحسن إلينا هذا الإحسان الكثير والإحسان الكبير، إحسان بالكلمة وهو يهدينا، إحسان بالنعمة وهو يسبغها علينا لدرجة أن قال لنا: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: من الآية٥٣) ليس هناك نعمة أنتم فيها، تتقلبون فيها في أجسادكم وفي معيشتكم إلا وهي من الله.. يبدو هنا الأثر المهم لخطاب الوجدان واستعطاف المشاعر الداخلية، ما تترك من أثر من أجل ما تترك من أثر في كيان الإنسان وفي تصرفاته وفي توجهه، وفي نظرته.

وهكذا يأتينا القرآن الكريم وهو يتحدث: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} (ابراهيم:٣٢-٣٣) دائبين، باستمرار، ما تحتاج من قبلكم أي وقود، ولا أي شيء، ولا تتوقف ولا تنطفئ {سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (ابراهيم:٣٣-٣٤) .

هذا المنطق أيضاً حديث عن نعم.. أليس كذلك؟ هو أيضاً من هذا القبيل: استعطاف لعباده واستعطافه لعباده هو تكريم في غاية التكريم للإنسان، مظهر من أعظم مظاهر رحمته بعباده، دليل من أعظم الأدلة على صحة الثقة به ؛ لأن من ينعم عليك هذه النعم لا يمكن أن يورطك، لا يمكن أن يغشك، لا يمكن أن يكذب عليك، لا يمكن أن يتركك ويهملك وأنت تسير في طريقه، هي من أعظم الوسائل لتعزيز الثقة به.

ونحن نرى في الدنيا مع بعضنا بعض شخصا تراه يهتم بك، يراك في حاجة يحاول يقدم لك مساعدته، يراك في موقف يبادر معك، يعيش همك، يشاركك في كل شئون حياتك..

ألست أنت من تتجه إليه لينصحك؟ ألا يبدو لديك من أعظم الأشخاص وأعزهم؟ تبدو معه واثقاً به أعظم ثقة من أي شخص آخر؟ تكون عظيم الثقة به.. تقول: يا أخي كيف لا أثق به، وهو الذي كذا، لا يأتي موقف إلا هو معي، لا يلمس أني بحاجة إلاّ ويبذل معروفه إليّ، هو الذي عمل لي كذا وكذا، وعندما سافرت عمل لي كذا وكذا، وأعطى ابني كذا وكذا، وبحث [لابني لعمال يسرحوا يشتغلوا] ألست هنا يمتلئ قلبك حباً له وثقة به.. والثقة بالله مهمة جداً.

تأتي المواقف الأخرى التي تعكس مدى ثقتك بالله، أو ضعف ثقتك به، المواقف الصعبة التي تبدو وكأنها صعبة عليك تطلب منك بذل مال، بذل جهد، تطلب منك بذل تعاون معين في مواقف قد تكون صعبة عليك نوعاً ما. فهو يرشدك إليها متى ما كنت عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى ستنطلق فيها. تقول ما يمكن أن يورطني أبداً ولا يمكن أن يتخلى عني أبداً.

بل إننا نثق في الدنيا بأشخاص هم كثيري الإحسان إلينا بمجرد أن ينصحني نصيحة ، وهو لا يعلم السر في السموات والأرض، وهو أيضاً لا يكون معي فيصحبني وأنا أتحرك وفق نصيحته، بل قد لا يستطيع أن يعمل لي شيئاً في الأخير وأنا أتحرك حتى على نصيحته، ومن منطلق ثقتي به، أنطلق على ما وجهني إليه.. أليس هذا ما يحصل في الدنيا؟ فكيف لا تكون عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى! وهو من نعمه عظيمة عليك، وهو من يرشدك، ويقول: وأنا معك، وعندما يقول: [وأنا معك] هو من هو العزيز القهار، هو من هو صادق في وعده، هو من هو قادر على أن ينجز ما وعدك به.. أليس هذا من يجب أن تكون ثقتك به أعظم من ثقتك بأي شيء في الدنيا حتى أعظم من ثقتك بنفسك.[ص٨

[معرفة الله - نعم الله (٣)]

- كم ستخسر عندما لا تتذكر نعم الله عليك:

أن تتذكر بأن هذه نعم من الله سبحانه وتعالى عليك ، لا أن تراها وكأنها أشياء طبيعية ثابتة ، وكأنها هنا من زمان وهي على ما هي عليه ، لا تتذكر بأنها من الله هو الذي منحها ، كم سيفوتك من أشياء كثيرة مما يمكن أن تعطيه هي من معرفة الله ، وترسيخ معرفة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بحكمته وقدرته ورعايته ولطفه ورحمته ، لا تستفيد منها هذه المعاني المهمة.

متى ما تذكرت أن كل ما أرى كلما أستمتع به في مختلف شؤون حياتي هو نعمة من الله سبحانه وتعالى ، وأرى من خلال آياته الكريمة أنه يريد مني أن أقدرها ، أن تكون ذات قيمة لدي ، ألم ينهنا عن التبذير؟. ألم ينهنا عن الإسراف؟. هو تنبيه على أنه ينبغي أن يكون لهذه الأشياء قيمة لديكم ، هي ذات قيمة ، فإذا ما نظرت

إليها كذات قيمة مصاحب هذا الشعور للشعور والتذكر بأنها نعمة من الله سبحانه وتعالى عليك ، نعمة على الناس جميعاً ، فإن هذا هو ما يساعد على أن تتأمل في ما تعطيه هي من معارف ، في كونها من مظاهر قدرة الله ، في كونها من مظاهر رحمة الله ، في كونها من مظاهر رعاية الله فيترسخ ويزداد إيمانك كثيراً بالله سبحانه وتعالى وتعظم ثقتك به.[ص٥]

ـ تبيين خطورة أن تَمُنَّ بما تعطي:

لماذا منع الإنسان من أن يستخدم نفس الأسلوب فيما يعطي مع الآخرين؟؟.لماذا منع؟. أليس المنّ هو من المعاصي؟.
أن تمنّ بما تعطي يعني هذا أن تحبط كل ما كان يمكن أن تحصل عليه من الأجر مما أعطيت، إبطال له: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً} (البقرة: من الآية٢٦٤) أملس كصخرة كان عليها قليل تراب جاء وابل المطر فتركها ملساء.. هذا الإبطال ينهى العمل بالمرة.
ولما كان المال أو النعم بصورة عامة سواء كانت نعم معنوية، أو نعم مادية، لها أثر عاطفي في نفس الإنسان يشده إلى الطرف الذي منحه هذه النعمة ، إلى من أسدى إليه هذا المعروف يشده نحوه ، كانت النعم فيما يتعلق بعلاقتنا بالله سبحانه وتعالى ذات تأثير كبير فيما إذا تذكرنا أنها نعمة، هي مربوطة بالتذكر{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (الضحى:١١) بالتذكر ، أما إذا كنا ناسين للنعم هذه فلا تعطينا أي معنى من المعاني، أنها تشدنا عاطفياً نحو الله سبحانه وتعالى.
لكن إذا كان للمال أثره العاطفي، إذا كان للنعم أثرها العاطفي، والقاسم المشترك ـ ما بين تعامل الله مع الإنسان على هذا النحو وفيما يتعامل الناس مع بعضهم بعض ـ هو الجانب العاطفي ، فهو بالنسبة لله مضمون ، وبالنسبة لله سبحانه وتعالى إيجابي متكامل ، متى انشديت إليه كلما كان إنشدادك إليه في صالحك وتكريم لك وتعظيم لك، هو تكامل فيك ، وسمو لروحيتك ، وطهارة لنفسك ، وتعطي ما تحدثنا عنه سابقاً.
لكن بالنسبة للإنسان ماذا سيحدث؟. بالطبع لو بقي المجال مفتوحاً فيما بين الناس أنه على كل واحد أن يتذكر ما أعطى إليه الآخر فيقابله بنفس الشعور ، ويقف منه نفس الموقف الذي يقفه ويشعر به مع الله سبحانه وتعالى فيما أعطاه من نعم، لو كان المجال مفتوحاً على هذا النحو لكان فيه خطورة بالغة وهو أن كثيراً من أصحاب الأموال، كثيراً من أهل الباطل أليسوا سيسيرون الباطل بأعمال من هذا النوع ؟ إحسان وبذل المال وتسهيلات معينة ، وبذل معروف؟. نعم ـ إن صح التعبير ـ أليس هذا هو ما يستخدمونه؟.
فمن اللازم للتأثير السلبي لهذه القضية إذا ما كانت مفتوحة ـ أن يبعد الجانب الفكري الثقافي الديني بالنسبة للإنسان عن أن يخضع للتأثير المادية ، إذا أبعد الجانب الديني والثقافي، الفكري، التوجهات، المواقف، تبعد عن الجانب المادي وعن تأثيرات ما تتركه المادة من عواطف ومشاعر في النفس تشد نحو من يسديها ؛ لأن المادة ـ سواء كانت أموالاً نقدية، أو كيف ما كانت ـ هي سلاح ذو حدين ، لها أثر كبير في الجانب الإيجابي ، ولها أثر كبير في الجانب السلبي ، حتى المؤمنين نهو عن هذا ، إقفالاً للموضوع من أساسه ، نهو عن المنّ ، والمنّ الذي يعني التذكير بما أسديت للآخرين [أنا عملت لك كذا وعملت لك كذا، وأنا كذا] تريد من وراء ذلك إخضاع مشاعره وعواطفه مواقفه بالشكل الذي يستجيب لما أردت من وراء إعطائك ذلك المال أو وقوفك معه ذلك الموقف الذي تعتبره نعمة منك عليه ، هذا يتنافى مع كرامة الإنسان.[ص٥]

ـ عواقب النظرة الخاطئة إلى الدنيا:

هذا كإتمام للموضوع الذي ذكرناه بالأمس ، يمكن أنه بقي نقطة واحدة هي حول ما في التذكير للإنسان بنعمة الله عليه في أن ينظر أن كل ما بين يديه هو نعمة من الله وأنها ذات قيمة هي نفسها مما تساعد على التفكير

فيها كما قال سابقاً {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الرعد: من الآية٣) بعدما قال تعالى {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: من الآيـة١٤) {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثـية:١٣)

فينطلق الناس وهم يرون أن كل ما بين أيـديهم لـه قيمتـه ، أن يـرتبط بمـسئوليتهم كخلفـاء لله في الأرض ، ومتذكرين أنها نعمة من نعم الله. فهذا هو نفسه من إحدى الدوافع بالإنسان إلى أن يغوص في أعماق مفردات هذا العالم فيبدع ، وينتج ، ويصنع ، ويكتشف الأسرار التي أودعها الله في هذا العالم.

من هنا نعرف كم هو الفارق بين ما تعطيه هذه الآيات وبين من ينطلقون فيتحدثون مع الناس ويعظونهم بالزهـد في الدنيا ، وأن النظر إلى الدنيا يجب أن يكون نظر من يرفـضها ولا قيمـة لهـا وأنهـا غـرارة خداعـة مكـارة ، واتـركها ، ويسمح لك فقط من أطرافها ، ولا تأخذ إلا الكفاية منها فقط. أن هذا نفسه من إحـدى العوامـل الـتي ضربت المسلمين فجعلتهم بعيدين عن أن يستخدموا ما سخر الله لهم في السموات وفي الأرض ، وأن يتفكروا فيها؛ لأنها أصبحت ليست ذات قيمة لديهم ، ليست ذات قيمة، هي كلها لا تساوي جناح بعوضة ، بينما الله يـذكّرنا أن ننظر إليها كذات قيمة، ولها قيمة.

وعرف الآخرون كيف أن لها قيمة، الرجال عرفوا كيف أن لها قيمة. بل حتى الأشياء التي نكمم أنوفنـا عنـدما نمر من عندها يعرفون أنها أيضاً لها قيمة ، كيف هم يستخدمون المجاري بمحطـات تـصفية فيـستخرجون منهـا الأسمدة ، ويستخرجون أيضاً الماء من جديد نقياً فيعاد لسقي الأرض من الحدائق والبساتين والمـزارع ، وأسمـدة تباع بملايين الدولارات .

ونحن نقول عنها كلها: غرارة خداعة مكارة من أولها إلى آخرها ، حتى أصبحنا لا نملك شيئاً ولا نعرف شيئاً، ثم أصبحنا عبيداً لأولئك الذين تفكروا {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} نحن قوم نجهل ، وأولئك قوم تفكروا فأبدعوا.[ص٨]

[معرفة الله ـ نعم الله (٤)]

ـ ذكر بنعمة الهداية باعتبارها أعظم نعمة :

هو الذي له المنة علينا أن هدانا للإيمان ، والنعم الأخرى وهي تشمل جميع مجالات الحياة ، ونعم أخرى تبرز في مواقف الناس المتعددة في ميادين العمل، من التأييد بالنصر، من الدفاع عن المؤمنين . إذا تأمل الإنـسان القـرآن الكريم ، وهو يعدد النعم الكثيرة على الناس ليست فقط هذه النعم المادية التي نحن نتقلب فيها مما بين أيدينا من النعم المختلفة ، بل هي نعمة أيضاً يجدها المؤمنون وهم في ميادين العمل، في ميادين نصر دين الله ، والعمـل لإعلاء كلمة الله ، الله سبحانه وتعالى أكد في كتابه الكريم لعباده أن عليهم أن يذكروا نعمه أن يتذكروا نعمه ، أن يشكروا نعمه في آيات كثيرة ، والقرآن الكريم متى ما كرر شيئاً ، متى ما أكد على شيء فإنه فعـلاً لـيس كـلام لمجرد الكلام ، أو لتستقيم السجعة كما يعمل الناس ، أو ليستقيم وزن البيت الشعري كما يعمل الشعراء ، وإنمـا يكرر الشيء لأهميته، وكل شيء هام باعتبار أنه تمس الحاجـة إليـه بالنـسبة لنـا، وفي مجال علاقتنـا بـالله سبحانه وتعالى، وفيما يتعلق بحياتنا ، وفيما يتعلق بالتعامل مع بعضنا البعض ، فيما يتعلـق بأعمـال المـؤمنين في مجال نشر دين الله وإعلاء كلمته ، وفي ميادين المواجهة مع أعداء الإسلام.

من العجيب أن تجد آية تحكي ، عندما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (لأعراف: من الآيـة١٤٤) يقول لنبيه موسى وهو ذلك الرجـل العظيم الذي قطع على نفسه عهداً {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص: من الآية١٧) من أجمل مـا قاله الأنبياء جميعاً هذه الكلمة التي قالها موسى (صلوات الله عليه) ، مـن أجمـل وأعمـق الكلمـات الـتي قالهـا الأنبياء فيما تـدل عليه من مشاعر الإرتباط القوي بالله سبحانه وتعالى ، وإدراك عظم النعمة التي أنعم الله بها

عليه ، وقد كان ذلك قبل النبوة ، ما هي هذه النعمة؟ قد يكون أكثر ما نلمسه في هذا الجانب هو أنه توفق إلى أن يقف موقف حق ، وأن يعلن كلمة حق ، وأن يقارع الظالمين .

الآية هذه جاءت بعد قصة قتل القبطي الذي من قوم فرعون {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} لن أكون مساعداً ، لن أكون معيناً للمجرمين طيلة حياتي ، وفعلاً صدق ، يقول الله له وهو من هو في إدراكه لنعم الله ، وفي وقعها العظيم على نفسه يقول الله عندما أخبره بأنه قد اصطفاه برسالته وبكلامه وأنزل إليه التوراة {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}كن من الشاكرين لهذه النعمة ، كما قال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}(النساء: من الآية١١٣) وقال لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد بن عبد الله وهو سيد الأنبياء والمرسلين: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الزمر:٦٦) كن من الشاكرين ، وهل تظنون بأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتوفر له من الطعام والشراب كما يتوفر لأحدنا يأكل كل يوم خبز البر ، ويأكل اللحم ، ويأكل مختلف أنواع الأطعمة.

نعمة الهداية التي هي تتلخص في كلمة إخراج من الظلمات إلى النور، بكل ما تعنيه الكلمة في الجانب الأخلاقي، في الجانب المادي ، في الجانب المعنوي ، وبما تعنيه كلمة النور ، النور في النفس ، النور في القلب، النور في الحياة، النور في القيم ، لكننا نحن البسطاء قد يكون الكثير منا لا يدرك أهمية وعظمة هذه النعمة، نعمة الهداية، لا نكاد نعترف بأن النعمة الحقيقية إلا هذه النعمة التي نلمسها ، أموال ماديات الحياة هي هذه، ولكن حتى هذه التي نحن نتقلب فيها طيلة أعمارنا، كل ما تتحرك فيه خلال الأربع والعشرين ساعة من النعم العظيمة هي من الله ، ولكن حتى هذا على الرغم من أننا نلمسها وندرك حاجتنا الماسة إليها لا نكاد نتذكرها بأنها نعمة من الله ، ولا نكاد نتذكر أنه يجب علينا أن نشكره عليها ، وأن نستشعر عظم إحسانه إلينا بها، فنحبه ونتولاه ، ونشكره ونعبِّد أنفسنا له ، إن الإنسان لظلوم كفار.

لهذا تجد الحديث في القرآن الكريم عن النعم المادية واسع جداً، والحديث عن النعم المعنوية، نعمة الهداية، نعمة إنزال الكتاب ، نعمة الرسول، تجدها قليلاً، لكنها تتوجه إلى أصحابها كما يقول لأنبيائه هنا: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}(الأعراف: من الآية١٤٤) يقول لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقول لموسى؛ لأننا نحن البسطاء لا نزال نحتاج إلى نقلة، أن نستشعر أن ما بين أيدينا هو من الله، ونعترف بأنه نعمة ، ثم يتوفر لنا ما يعطي هذا التذكر من المعاني العظيمة ، ولو بعض منها فيكون من حصل منا على هذا الشيء يعتبر أنه قد حصل على مكسب كبير ، أنه قد تذكر نعم الله عليه أو جانباً منها وعرف بعضاً من الفوائد المعنوية التي تتركها في نفسه.

فمتى يصل الإنسان وبأي وسيلة يمكن أن يصل إلى أن يفهم القيمة العظيمة لنعمة الهداية؟.

فعلاً أنا لا ألوم الناس، عوام الناس المساكين ؛ لأن الدين لم يقدم لنا ديناً متكاملاً على أيدي الكثير من المتحدثين باسمه، يعرفوننا جوانب معينة ويتركون الكثير مما نحن بحاجة إلى معرفته؛ لأن ثقافتهم تركزت على ما يتعلق بأحكام شرعية، إذاً فالعامي هذا قد نعرِّفه ما يتعلق بكيف يتوضأ ، ويغتسل ، ويصلي ، ويزكي، ونوع من العبادات والمعاملات هذه، وهذا هو الدين !.

لم نعرف كم أعطى الدين من اهتمام كبير بنا في كل مجالات حياتنا ، لم نعرف عظم هذا الدين باعتبار ما فيه، ما يتمثل فيه من رعاية إلهية عظيمة بنا، فنراه هنا لجانب من شئون الحياة، والتي هي أكثر ما يشغلنا وتشغل أكثر مساحة من ذهنيتنا. هناك في جانب آخر .

لهذا تجد الناس عندما تذكرهم بأن الإسلام نعمة عظيمة يجب علينا أن نشكرها، سيجامل، يقول: [الحمد لله هو نعمة عظيمة، نعمة عظيمة، الإسلام نعمة عظيمة]، ولكن تعال تعاون في سبيل الإسلام، يقول [والله ما معي إلا قليل فلوس محتاج كذا وأعمل كذا .. الخ]، هو لا يتعاون في شيء وإن كان لديه أموال كثيرة، الإسلام هذا

هو بحاجتك أن تتحرك في سبيله فتدافع عنه وأن تعمل على إعلاء كلمته، لا يتفاعل كثيرا، لماذا؟ لأننا لم نعرف بعد عظمة الإسلام.

أولئك البدو الذين جاءوا إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأسلموا وظنوا بأنهم قد قدموا خدمة كبيرة لمحمد ولإله محمد أنهم أسلموا!، فقال الله عنهم: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} (الحجرات: من الآية١٧) **، ظنوا أنهم قد قدموا [وحده كبيرة لمحمد]، يعني نعمة عظيمة من جانبهم قدموها لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يجب عليه أن يشكرهم كلما يلقاهم، {قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ}** (الحجرات: من الآية١٧) **إفهموا، {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ}** (الحجرات: من الآية١٧) **فكم هي نعمته العظيمة عليكم بأنه هداكم للإيمان.**

هذا فيما أعتقد هو عامل من عوامل قلة تفاعلنا مع الإسلام، مع القرآن الكريم، مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، حتى أصبحت القضية بلغت درجة أنه قد لا يكون إلا في النادر، في النادر من يغضب فينا لله إذا عُصي، من يحب في الله، من يبغض في الله، من يوالي في الله، من يعادي في الله، وهكذا لاحظ كلمة بعيدة {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} (التوبة: من الآية١١١) **من منا الذي سيبيع نفسه وماله؟، نحن نراها بعيدة هناك، من هو هذا المجنون الذي سيبيع نفسه وماله!، لكن لا ، من يعرف الله سبحانه وتعالى، من يعرف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من يعرف القرآن الكريم، من يعرف هذا الدين، عظمة هذا الدين، سيرى بأنه قليل أن يقدم في سبيله أن يبذل نفسه وماله، ومن لا يعرف إلا مجرد عناوين، لا يقدم حتى ولا القليل من ماله، ولا الجهد البسيط من أعماله، ولا أي شيء من هذا.**

وستظل القضية هكذا في ما أتصور، ونمشي جيل بعد جيل ، إذا لم نحاول أن نتعرف على هذه النعمة العظيمة التي نحن فيها ، نعمة الهداية ، أننا مؤمنون بالله ، أننا مؤمنون برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، أننا مؤمنون بكتابه الكريم ، أننا مؤمنون بهذا الدين العظيم، دين الإسلام ، يضاف إلى ذلك بالنسبة لنا نحن شيعة أهل البيت أننا متمسكون، أو نؤمن بالتمسك بالثقلين: كتاب الله، وعترة نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأننا نؤمن أن عقائدنا التي نؤمن بها صحيحة ، هذه نعمة أعتقد نعمة عظيمة علينا نحن الشيعة أكثر من غيرنا، من يعرف ما يتخبط فيه الآخرون من الضلال سيجد أنه في نعمة عظيمة يجب عليه أن يشكر الله عليها ، كلما يتذكر يشكر الله عليها باستمرار {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} فإذا ما وجدنا أنفسنا فعلاً، من هدانا الله للإيمان ، ما نحن مؤمنون به هو حق، ما نحن نعتقده هو حق، إذاً فنعمة الله علينا أعظم ، والمسئولية التي ستتبعها علينا أكبر ، والحق علينا أوجب .

[ص٣]

<u>ـ لن نكون من أولياء الله إلا إذا كنا ممن يتذكر النعم:</u>

لن تترسخ في أنفسنا معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولن نصل إلى درجة أن نكون من أوليائه حقاً إلا إذا كنا ممن يتذكر نعمه علينا ، نعمة الهداية ، والنعم الأخرى التي نملكها والتي لا نملكها مما نحن جميعاً نتقلب فيها ، لهذا يقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (فاطر:٣) **إلى أين تتجهون؟ وإلى أين تنصرفون؟ تبحثون عن من؟. تبحثون عن أمريكا، تبحثون عن بريطانيا ، تبحثون عن هذا الرئيس ، عن هذا الملك ، عن هذا الزعيم ، عن هذا التاجر ، هل هناك أحد يملك لكم رزقاً؟. يملك لكم ضراً؟. يملك لكم نفعاً؟. {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} إلى أين أنتم رائحين؟.! تنصرفون عن إلهكم الذي أنعم عليكم الذي يرزقكم من السماء والأرض والذي هو وحده الإله {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}.**

كل هذا المعاني الهامة التي تخلق في نفسك متى ما وعيتها دافعاً قوياً نحو تولي الله سبحانه وتعالى لتبدأ بتذكر نعمه {اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} متى ما ذكرت نعمته عليك عرفت بأنه هو وحده الخالق، هو من يرزق من السماء والأرض ، هو الذي لا إله إلا هو، إذاً فلن أنصرف إلى هذا ولا إلى هذا، سأتولاه هو.

يقول أيضاً سبحانه وتعالى: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} (الزخرف:١٢) السفن والأنعام الإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} (الزخرف:١٣ -١٤) لأهمية تذكر النعم يريد منك أن تتذكر نعمته عليك حتى عندما تستوي على ظهر حمارك لتركبه ، وافهم أنك أنت الحيوان الوحيد الذي يسخر حيواناً آخر ليركبه فينقله إلى مسافات بعيدة ، هل هناك حيوانات أخرى يسخر لها حيوانات أخرى تركبها؟. كل واحد يمشي على رجليه ، لكن الإنسان هو وحده يسخر الله له مخلوقات هي أقوى منه ، بل هي أزكى وأعظم من كثير من أفراده الذين قال عنهم: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}(الفرقان: من الآية٤٤) حيوان يقوده الطفل، يركب عليه طفلك وهو فيما لو توحش لأزعج سوقاً بأكمله ، الجمال، الخيل، البغال، الحمير ، البقر، كم سخر للإنسان من حيوانات أخرى!.

تعال إلى حيوان آخر ليس مسخراً لك تحاول تركبه ، أمسك [نمر] أليس أصغر من الحمار؟. حاول تركب نمر، حاول أن تركبه إذا شئت أن يأكلك ، لكن الجمل ، الثور ، أليست هذه الحيوانات هي أكبر منا وأثقل وزناً وأقوى في أبدانها؟. أليست أقوى منا بكثير؟. من الذي سخرها؟. هو الله تكريماً لك، رحمة بك ، رعاية لك، لكي تحمل أثقالك عليها ، ولكي تحمل نفسك عليها فتنتقل من هنا، ومن هنا إلى هناك ، لمسافات بعيدة فتذكّر نعمة الله عليك.

ثم عندما يقول: {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} يقصد أن تركب بارتياح، جلسة مريحة، لا يخلق لنا حيوانات يكون التنقل عليها متعباً { لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ - تذكوا نعمة ربكم - إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} عندما تتذكر بأن الله هيأ ظهور الخيل ، ظهور الإبل، وظهور الحمير، بالشكل الذي يتلاءم معك لتستوي وأنت راكب عليه، في وضعية طبيعية ، لو أنه سخر حيواناً آخر لا يمكن أن ينقلك من منطقة على منطقة إلا وأنت متعلق في رقب الجمل أليست وضعية متعبة؟. {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} ، ويحس بك أنك فوق ظهره فلا ينزعج، بل ربما قد تكون بعض الحيوانات تألف صاحبها حتى ترتاح عندما تحس بأنه فوق ظهرها، فتنطلق وتشعر بالطمأنينة ، وهو مستقر فوق ظهرها، إذاً فاذكروا نعمة ربكم حتى عندما تستووا على ظهورها، وقولوا: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} (الزخرف: من الآية١٣) ما كان باستطاعتنا أن نسخره لأنفسنا، وأن نتغلب على وحشيته فنقهره ونطوعه لحاجتنا.

ويقول الله سبحانه وتعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة: من الآية٢٣١) {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران: من الآية١٠٣) {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران: من الآية١٠٣) هذه من النعم، إنزال الكتاب بما فيه من حكمة، بما فيه من مواعظ، هي نعمة عظيمة.[ص٥]

- الله سبحانه هو من يتدخل في تأليف القلوب:

لعباده: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا } (آل عمران:١٠٣) كنتم قد أشرفتم على السقوط في جهنم فأنقذكم منها، بهدايته،

بالرسول العظيم الذي بعثه إليكم ، بالكتاب الكريم الذي أنزله إليكم، برعايته، بلطفه، برحمته ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون.. فاذكروا نعمته لتهتدوا في الأخير إلى ما يريد الله سبحانه وتعالى أن تهتدوا إليه.

في هذه الآية.. لاحظوا كيف يأمر الله سبحانه وتعالى أن نتذكر كيف كانت وضعيتنا السابقة ، هكذا يقول لأولئك الذين نزلت الآية تحكي واقعاً كانوا عليه ، ثم تحول بإذن الله وبأمره وبنعمته إلى واقع آخر ، يوم كانوا أعداء يخرجون بين الحين والآخر ليقتتلوا خارج المدينة ، عداوة كانت بين الأوس والخزرج شديدة ، عندما هاجر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إليهم ، وعندما استقر وضعه هناك بين أظهرهم وهيأهم ليكونوا أنصار دينه ليكونوا هم جند الله.. جاءت الألطاف الإلهية جاء التدخل الإلهي فألف بين تلك القلوب التي كانت ممتلئة بالعداء بالعداوة والبغضاء لبعضها البعض ، كما حكى في آية أخرى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}(الأنفال: من الآية٦٣) هذه فيها عبرة عظيمة لنا، وعبرة عظيمة لكل من ينطلق في إرشاد الناس ويتوجه نحو الأخلاقيات : [يجب علينا أن نحب بعضنا بعض ، وأن نتآخى، وأن نكظم الغيظ ، وأن نعفو ، وأن.. وأن..] إلى آخره.

افهم ، ولنفهم جميعاً أن كل شيء سيكون مجرد كلام إذا لم نحقق المفتاح ، إذا لم نحمل الهم الكبير في أن نكون من أنصار دين الله سبحانه وتعالى، فهو هو الذي سيوفقنا، ويؤلف بين قلوبنا، ويملأها حباً لبعضها بعض . كم أرشدنا ، كم وعظنا نحن وغيرنا وتكلمنا كثيرا عن المحبة، وكم قرء الناس حديث الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) كم دعي الناس إلى حسن التعامل فيما بينهم، وإلى الإنصاف من أنفسهم ، وإلى المبادرة إلى حل مشاكلهم سريعاً قبل أن تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم ، ولكن لما كان الناس غير مستشعرين للمسئولية العظيمة عليهم فيما يتعلق بدينهم أن يكونوا أنصارًا له ، أن يحملوا روحية القرآن بين جنوبهم ـ تقريباً ـ لم يوفقوا ، لم نوفق، متى خرج الناس من المسجد وقلوبهم ممتلئة حباً لبعضهم بعض بعد خطبة يسمعها مني أو من هذا أو من ذاك.[ص٦]

ـ استشعار المسئولية مما يعزز علاقتك مع إخوانك:

البعض يقول: لماذا لا تركزون على جانب الأخلاق، وتأمرون الناس بأن يكونوا فيما بينهم متآلفين، متحابين وينصفون بعضهم من بعض، ويحلون مشاكلهم سريعاً قبل أن تتحول إلى مشاكل تورث العداوة والبغضاء فيما بينهم ـ من وجهة نظرنا فيما نعتقد ـ لن يتحقق لنا هذا ما لم نحمل هماً كبيراً هو: أن نجند أنفسنا لله ، وأن نستشعر المسؤولية الكبيرة أمام الله في أن نكون من المجاهدين في سبيله، وممن يعمل على إعلاء كلمته ، متى ما حصل هذا وأصبح هماً لدينا، وأصبح كل شخص يستشعر المسؤولية في هذا فهو ـ وبتوفيق الله وألطافه ـ سينطلق بحرص على أن تكون علاقته مع أخيه ، مع صاحبه ، مع جاره علاقة حسنة ، يعزز كل العوامل التي تخلق المحبة في أنفسهم لبعضهم بعض ، يحرص على أن لا تنطلق من فمه كلمة تجرح مشاعر أخيه ، ومتى ما بدرت منه زلة أسرع إلى الإعتذار ، ومتى ما أحد أخطأ عليه كظم غيظه، أو عفى عنه ، ومتى ما اعتذر أخوه قبل عذره، يتعامل الناس مع بعضهم بعض بأخلاق حسنة، وبنصح، وبمودة، وبإخلاص .

الله سيتدخل كما صنع لأولئك الذين كانوا يخرجون يتقاتلون خارج المدينة، فألف بين قلوبهم، عندما استجابوا للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) استجابة أولية، أنهم مستعدون أن ينطلقوا تحت رايته، فيقول أحد كبارهم: امض يا رسول الله ، والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه ، ولن نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}(المائدة: من الآية٢٤) بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. ألف الله بين قلوبهم، وأنقذهم. نحن نلمس أنما يذكّر الناس به من الأخلاق الكريمة في خطب الجمعة وغيرها من المواعظ كلها مجرد تذكير لا يقدم ولا يؤخر ولا يخلق في أنفسنا شيئا.

يجب أن نذكّر بهذه الأخلاق الكريمة، أنها مهمة، وهي في حد ذاتها تعتبر طاعة من طاعات الله العظيمة. ولكن يجب أن نفهم أيضاً أن من أبرز غاياتها هي أنها تخدم عملية وحدة المؤمنين فيما بينهم، تلك القضية التي لا بد منها في تحقيق المسئولية الكبيرة عليهم لدين الله سبحانه وتعالى، أن يكونوا من يعمل على نصر دينه، من يعمل على إعلاء كلمته، من يدافع عن دينه، نفهمها على هذا النحو، أما أن نتوقع أنها ستتحقق لنا، فنحن قد جربنا أنفسنا وأعتقد كل الناس قد جربوا أنفسهم، من هو الذي لم يسمع كلاماً كثيراً من هذا النوع في خطب الجمعة وغيرها، عن الأخوة والمحبة والألفة والتعامل الحسن وكظم الغيظ.. و..إلى آخره، نتحدث عنها كطاعات مفردات من الطاعات، لا نتحدث عن غايتها المهمة التي تكشف عن أهمية ذلك المبدأ الذي كل هذه التشريعات تتجه نحو تهيأت الأمة لتكون بمستوى أن تنهض به.

فما لم نحمل هذا الهم ـ فيما أعتقد وفيما أرى ـ لن يتحقق لنا شيء في واقع أنفسنا، ومتى ما حملنا هذا الهم الكبير، ومتى ما شعرنا بالمسؤولية الكبيرة، فإن من المتوقع فعلاً أن يتدخل الله، فهو هو الذي يقدر على أن يؤلف بين قلوبنا، على أن يملأ قلوبنا حباً لبعضنا البعض، على أن يؤتينا الحكمة في تصرفنا مع بعضنا بعض، هكذا قال عن أولئك: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً}.

نحن لسنا أعداء فيما بيننا أليس كذلك؟ لكن نفوس متباينة، وكل واحد يشعر بأنه لا رابطة له بالآخر إلا مجرد الإلتقاء اليومي في السوق، أوفي المسجد، لا غير، لقد تدخل الله سبحانه تعالى فمنَّ على أولئك بنعمة كبيرة الذين كانوا أعداء {فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} هل تعرفوا ماذا تعني كلمة الألفة؟. ألفت، أصبحت متآلفة، وليس فقط انتزع منها العداء فأصبحت طبيعية كما نحن عليه، أصبحت قلوباً متآلفة، ومتى ما تآلفت القلوب عظمت الثقة فيما بين الناس بين بعضهم بعض، أصبحوا كياناً واحداً، أصبحوا كتلة واحدة، أصبح كل شخص منهم ينصح للآخر، ويخلص له، ويخدم ضميره، ويتألم له، يشترك هو معه في موقف من المواقف فلا يتخلى عنه، يحبه يوده، قلبه يألف قلبه، أصبحت القلوب متآلفة، أي لا يألف قلبي أن يظل منفرداً لوحده، يريد أن يبقى مع تلك القلوب التي ألفها.

القلوب تتآلف فتحب أن تجتمع متى ما ألف الله بينها، كما تحب أن تجتمع بصديق لك يوميا، تجلس معه، تجلس [تخزن] معه يومياً، فإذا ما غاب تصبح جلسات القات [تخزينة] ما أعجبتك {فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} من خلال ما هداكم إليه، فجعل له فاعلية في أنفسكم، وبتدخله وإمداده الإلهي الغيبي.

هذه القضية إذا لم نهتم بها فلو ـ فيما أعتقد ـ نجلس في هذا المجلس يومياً سنين طويلة سننسى كل شيء.. ننسى في هذا اليوم ما سمعناه مثل اليوم وهكذا، ونبقى نحن أولئك الأشخاص الذين ننظر إلى بعضنا بعض نظرات عادية.

لا نحن متوحدون ولا متفقون، ولا مختلفون ولا مجتمعون، كل واحد لوحده، تجمعنا الشمس عندما تطلع فنتحرك ونتلاقى في الطريق، السلام عليكم، وعليكم السلام، وفي السوق نشتري حاجات بعضنا بعض، وكل واحد يرح بيته، نخرج نصلي في المسجد جميعاً، أو نصلي فرادى، وكل واحد يرجع بيته، لا نلمس بأن هناك شيئاً يجمع بيننا، ويهمنا جميعاً، لاهتمامنا المشترك به أصبحت قلوبنا متآلفة في ظله فيرتاح الواحد منا عندما يلقى أخاه في المسجد، أو في السوق، أو في الطريق فيصبح حتى للحياة مذاق آخر.

أعتقد أن بعض الناس في القرى يعيشون في واقع حياتهم غرباء، عندما يكونون غير متآلفين فيما بينهم، بل يعيشون أسر يحتاجون إلى [اتفاقيات مكتوبة] لكف الأذى عن بعضهم بعض.

وفي كل أسبوع، أو في كل يوم تقريباً تظهر مشكلة من هنا ومشكلة من هنا، وكل واحد يرى بأنه فقط قدره أن يكون في هذا البيت داخل هذه القرية.

تصبح الحياة تعيسة.. ترى الآخرين في المسجد لا يمثلون لديك شيئاً، إذا لم تستاء من رؤيتهم ومن لقائهم فقد لا يمثلون لديك أي شيء، منظر طبيعي، لكن متى ما تآلفت النفوس تعيش في حياة سعيدة ترى أصدقاء،

ترى إخواناً، تدخل المسجد فترتاح برؤية إخوانك، تخرج إلى ساحات القرية فنرتاح برؤية إخوانك، تمشي معهم في السيارة فترتاح بالمشي معهم، في السوق تلقاهم فترتاح بلقياهم، تعيش حالة من الحياة لها طعم لها مذاق.

نحن بعد لم نعرف ، لكن من خلال ما نتصوره قياساً على أمثله في وقع حياتنا عندما يكون لك صديق معين تحبه ألست ترتاح عندما تراه؟. وقد لا تكون صداقتكم مع بعضكم بعض تبلغ درجة الإخوة الإيمانية، لكنك ترتاح عندما تلقاه.

هذا أثره فيما يتعلق بالحياة جميل، فيما يتعلق بالنفوس، يجعل الحياة سعيدة بين الناس ، وهم في قراهم ، في مساجدهم ، في تجمعاتهم ، في أسواقهم ، في طرقاتهم ، وضعية تغيب فيها المشاكل ، وضعية تختفي فيها الكثير من الإشكاليات التي سببها ومنشؤها التباين فيما بين النفوس ، والوحشة فيما بين القلوب.

فكلمة من هذا تغرق هذا ، سوء ظن ، أو فهم خاطئ لعبارة منه تشكل مشكلة في القرية أو مشكلة بين أسرتين.

لذا يجب علينا ـ أيها الإخوة ـ أن نعرف من أين نأتي لأنفسنا ، من أين نأتي لقلوبنا حتى تتآلف وتتوحد ، أما إذا كنا لا يهمنا هذا ونجتمع لمجرد الإجتماعات ، وحديث لمجرد الحديث ، وكلام لمجرد الكلام فقد نقضي فترات طويلة لا نستفيد شيئاً.[ص٧]

ـ تذكر النعمة له أثره العظيم في الحفاظ على منجزات الأمة:

وهكذا أيضاً أنبياءه يذكرون أممهم أن يذكروا نعمة الله عليهم فيقول عن نبيه موسى وهو يتحدث مع قومه فيذكرهم نعمة الله عليهم: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ} (المائدة:٢٠) . {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} (ابراهيم:٦) يذكرهم بعدما قد نجاهم الله مما كان يفعل بهم آل فرعون من التعذيب والتنكيل ، وبعد أن أصبحوا أمة مستقلة لها قائدها تتحرك هي في ظل راية الرسالة التي بعث الله بها موسى ، لكنه كان يقول لهم: إنما أنتم فيه لا تستشعرون أنها وضعية تحافظون عليها تحرصون عليها إلا إذا ما تذكرتم ما كنتم فيه أيام كنتم في مصر تحت عبودية آل فرعون وجنوده، أولئك القوم الذين كانوا يقتلون أبناءكم، يستحيون النساء ويذبحون البنين ويسومونكم سوء العذاب فيستعبدونكم في المهن المسترذلة وفي الأعمال الشاقة.

وهذه الآية هي مهمة جداً، الناس عادة متى ما كانوا في وضع سيء ثم تبدل بهم الحال فأصبحوا في وضعية أخرى، كانوا أذلاء فأصبحوا أقوياء ، كانوا مستذلين فأصبحوا أعزاء ، أصبح لهم قوة ، أصبحوا متمكنين قد ينسون ويظلون بأنه هكذا انتهت تلك الوضعية السابقة فلم يبق إلا هذه الوضعية الجيدة وهكذا ستبقى ، يتصور الناس بأن تلك الوضعية ستبقى هكذا على ما هي عليه إلى الأبد.. الم يكن الناس أيام كان سوق [الخوبة] مفتوح زمان ، وكانت البضائع رخيصة، وكان الناس يتحركون ، كنت تلمس من الناس أنهم يرون أن هذه الوضعية ستبقى مستمرة هكذا.

الإمام الخميني كان يقول للإيرانيين بعد الثورة الإسلامية: إن الحفاظ على الثورة أهم من الثورة نفسها ، أنتم قد ثرتم ونجحتم وحققتم انتصاراً عظيماً لكن هنا بدأ العمل الحقيقي وهو: الحفاظ على الثورة.. هكذا كان يقول لهم.

كما هنا قال موسى لقومه: حافظوا على هذه الوضعية التي أنتم فيها، لا تتنكروا لله ، لا تبدلوا نعمة الله ، تذكروا دائماً ما كنتم فيه سابقاً ، ثم اذكروا نعمة الله عليكم إذ نجاكم منه ، وفعلاً هذه لهذا أثرها العظيم فيما يتعلق بالحفاظ على منجزات الأمة ، إذا الأمة تقارن بين ماضيها وما بلغت فيه وترى الفارق الكبير بين ذلك الوضع السابق السيء وهذا الوضع الجيد الحسن فستحرص فعلاً على أن ترعى ، على أن تحمي ، على أن تدفع عن كل ما حقق لهم ذلك المكسب العظيم . اذكروا نعمة الله عليكم أن نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء

العذاب يذبحون أبناءكم..إلى آخره ، ثم انظروا كيف أصبحتم الآن ، إذا لم تتذكروا تلك الأعمال السيئة السابقة فإنكم لن ترعوا هذه النعمة وهذه الوضعية الحسنة التي أصبحتم فيها.

الله سبحانه وتعالى يعلمنا أيضاً أن أولياءه يدعونه أن يوفقهم لشكر نعمه فيقول عن نبيه سليمان: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (النمل:١٧ـ١٩).

لاحظوا نبي من أنبياء الله آتاه الله من الملك مالا ينبغي لأحد من بعده، حكم الجن والإنس والطير، وسخرت له الريح وسخر معه الجبال ، وألان الله له القطر ، {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} (سبأ: من الآية١٠) ، هذا الذي كان دائم التذكر لنعمة الله فكان يقول: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (النمل: من الآية٤٠) فعندما سمع كلام النملة ، وعندما رأى ذلك الحشد الهائل من الجن والإنس والطير تبسم ضاحكاً ، ولكن هل كانت ضحكته كضحكة قارون أو ضحكة الكثير من الأغنياء الذين يطغيهم المال ، أو ابتسامة أولئك الزعماء الذين يرون أنفسهم جبارين فوق عباد الله؟ هذا نبي عظيم ينظر إلى ما بين يديه أنه نعمة من الله فيدعو الله أن يدفعه إلى أن يتذكر نعمه، لأن يشكرها {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}.

فنملة تذكره ، ولأن يسمع كلام نملة فيعرفها ويعرف لغة هذه المخلوقات الكثيرة يرى وقع هذه النعمة، وعظم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، فيطلب من الله أن يدفعه لأن يظل دائماً يتذكر هذه النعم، لأن يشكرها ، وليس فقط النعمة التي أنعم بها عليه بل أيضاً تلك النعم التي أنعم بها على والديه ، أنا سأشكرك على هذه النعمة التي أنعمت بها علي ، وأيضاً على تلك النعمة التي أنعمت بها على والدي ، فيدعو الله وهو المطلب المهم بالنسبة لعباد الله وأوليائه، فلا يرى ذلك الملك كله هو ما يحقق ما يريد له، إنه يريد من الله أن يدخله في عباده الصالحين ، ذلك هو المقام الرفيع وذلك هو الملك العظيم.. {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

من هو من الناس، الناس الذين أكثرهم متى ما أمتلك شيئاً بسيطاً من الدنيا أخلد إلى الدنيا، ونسي أن عليه أن يبحث، أن عليه أن يسعى، أن عليه أن يدعو الله باستمرار أن يدخله في عباده الصالحين ، أن يكون من ضمن الصالحين من ضمن أولياء الله.[ص١٠]

ـ خطورة الإساءة التي تحوِّل النعم:

يأتي في المقابل خطورة الإساءة التي تحول النعم فتبدل النعم ، تلك الإساءة العظيمة إلى الله {سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (البقرة:٢١١) . ما هي هذه النعمة هنا؟ أليست هي نعمة هداية؟ من أبرز ما تعنيه هذه الآية ـ فيما نفهم ـ هو التركيز على نعمة الهداية إلى الإيمان، هداية الآيات البينات، فيما تتركه من أثر في النفوس فسماها نعماً.{كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} هي نعم عظيمة عليهم {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

فتذكر هنا أنك عندما ترى نفسك تسير على هدي الله ، تهتدي بآيات الله ، تلزم نفسك على أن تعمل وفق آيات الله التي تهديك إلى أن تعمل الأعمال الكثيرة التي فيها رضاه فأنت في نعمة عظيمة فإذا ما استبدلت بها غيرها خطوطاً أخرى ، مواقف أخرى، أشياء أخرى هي مخالفة لهدي الله سبحانه وتعالى تسير بك على غير صراطه فاعلم بأنك قد عرضت نفسك لعقوبة عظيمة من الله، وأنك قد بدلت نعمة الله {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} (ابراهيم:٢٨ـ٢٩) جهنم هي مصير الذين يتنكرون للنعم.[ص١٣]

[معرفة الله ـ نعم الله (٥)]

ـ التذكير بنعم الله بأسلوب الإقرار:

وحتى في حالة افتراض أن هناك ماءً متوفرا لا بد أن تتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى بهذا الماء، فإذا كنت ممن لا يتذكر نعمة الله فهو هنا يقول لك : {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} (الواقعة:٦٩) .

كيف ستكون الإجابة؟. أليست أنت يا الله؟. إذاً تذكر نعمة الله ، فإذا كنت تجيب بأنه من الله فبالتالي ترى أن كل شؤون حياتك، مصادر غذائك ، مصادر حاجاتك كلها متوقفة على الماء إذاً فهو نعمة وأساس لنعم كثيرة ، فاشكر الله على هذه النعمة الكبيرة التي هي أساس النعم ، واشكر الله على كل نعمة هي متفرعة من تلك النعم الأساسية.

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} (الواقعة:٧١) تقدحونها فتشتعل ، النار هي أيضاً من الأشياء الضرورية في الحياة ، كم من الصناعات تحتاج إلى النار؟. كم من أنواع الغذاء ـ بالنسبة لنا ـ يحتاج إلى النار ، نحتاج إلى النار في بيوتنا، نحتاج إلى النار في كثير من مصانعنا ، سواء النار بشكل كهرباء أو النار المعروفة ، نحتاج إليها للإضاءة، وللوقود وإلى أغراض كثيرة.

{أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} (الواقعة:٧٢) يوم كان العرب يقدحون زناداً في زناد بشجرتين فتنقدح النار فيشتعل العود ، يقول لهم: {أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا} هذه الشجرة التي هي آية من آيات الله ، عود ثقاب وإن كان أخضر ينقدح فيشتعل ناراً {أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} أنت المنشئ يا الله.

إذاً فالنار هي نعمة، النار هنا في الدنيا ـ طبعاً ـ هي نعمة كبيرة من نعم الله على الإنسان، ومصدرها هو بيد الله، هو الذي ينشؤها ، هو الذي أنشأها ، فهي نعمة من النعم الكثيرة.

لاحظوا هنا و الآيات تتحدث عن ثلاث نعم أساسية كبرى: نعمة التربة ، ونعمة الماء ، ونعمة النار ، وهي نعم كبرى ، وهي أساس تقريباً لكل النعم الأخرى في الحياة فاشكر الله على هذه النار ، واشكر الله سبحانه وتعالى على كل نعمة متفرعة من هذه النعمة الكبرى ، تذكر نعمة الله عليك.

{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً } (الواقعة:٧٣) هذه النار تذكر بالنار الكبرى بالآخر بنار جهنم {وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ} (الواقعة:٧٣) كما يقول المفسرون: للمسافرين.

فهنا في هذه الآيات رأينا كيف أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ذكّرنا بنعمه بهذا الأسلوب الذي هو أسلوب الإشهاد والإقرار ، يجعلنا نشهد ونقر لنكون من يحكم على أنفسنا في الأخير ، إما أن نكون من الشاكرين أو من الكافرين ، ولنبصر بعد أن نكون قد أقررنا وشهدنا على أنفسنا بأنه أنت يا الله من تزرع أنت يا الله من تنزل الماء من المزن ، أنت يا الله من خلقت مصادر هذه النار ، نشهد على أنفسنا إما بأن نكون كافرين وإما بأن نكون شاكرين.. فنرى ما هو الذي يليق بنا أمام هذه النعم التي أقررنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي منحنا إياها وذكرنا بها على هذا النحو المثير.[ص٨]

[الدرس٧ معرفة الله]

ـ ارتبط بالله رأساً :

ارتبط بالله رأساً وتجاوز كل هذه الأصنام في هذه الدنيا، وارتبط بالله رأساً، وثق به ، وهو من سيجعلك قوياً أقوى مما يملكه هؤلاء من وسائل القوة في هذه الدنيا.

هو أيضاً { الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} بما في هذه الأسماء من معاني العزة والجبروت والقهر للأعداء ،فأنت عندما تلتجئ إليه لا يمكن أن تقول عنه: [الله هو طيب ، لكن نفسه سمحة فإذا كان كذلك فلن يحرك ساكناً مع

أعدائنا، ونحن عارفين له، فهو يريدنا أن نمسح أكتافهم ونحاول أن نحسن أخلاقنا معهم لأنه مسكين سالك لطريقه لا يريد أن يتدخل في شيء]. هل الله هكذا؟. حاشى الله أن يكون كذلك.

الله في الوقت الذي يقول لنا{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ} هذه الأسماء تبدوا رقيقة ،ولكنه يقول أيضاً - إذا ما وثقت به وأنت في ميدان المواجهة والصراع مع أعدائك وأعدائه من يريدون ظلمك وقمعك واستذلالك - هو {عَزِيزٌ} يمكنك أن تمتنع به ، وهو {جَبَّار،مُتَكَبِّر} سيقهرهم، وسيجعلك أنت من تقهرهم،ألم يقل الله تعالى{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}(التوبة:١٤)

هو يقول: سأجعلكم جبارين على أعدائكم ،ومتكبرين على أعدائكم ، لكن عندما تثقوا بي. عندما تثق بالله ، ستثق بمن هو سلام لك وأمنٌ لك في مقامات السلام معه ، وهو عزيز جبار متكبر سيمنحك من عزته وكبريائه وجبروته ما تقهر به أعداءك وأعداءه ، ليس هناك نقص إطلاقاً في جانب الله عندما تثق به وتلتجئ إليه.

عندما تشعر بعظمته ليس فيه صفة واحدة كما هي في الناس ، والتي نسمعها كثيراً من بعضنا بعض تقول: [فعلاً أن فلاناً رجل جيد ، ولا يقصر في شيء لكن ليس من أهل هذه المواقف التي تحتاج إلى القوة ، ولا قدرة له في مثل هذا الموقف].

أما الله فهو من يكون لك في كل المواقف ،ولك بأكثر مما يمكن أن تدرك ، ويرعاك من حيث لا تحتسب ،ويملأ قلوب الآخرين رعباً بالشكل الذي لا يمكن أن تصنعه وسائل إعلامك ، ولا يمكن أن تصنعه أيضاً آليتك العسكرية. هو من نصر نبيه بالرُّعب بمسافة شهر، وكم كان الجيش الذي معه؟. هم أولئك الذين حُوصروا في المدينة عدد قليل ونصره الله بالرعب، فكان بعض أعدائه من اليهود يخربون بيوتهم ويقطعون نخيلهم أحياناً ، ويرحلون خوفاً ورعباً من قبل أن يجيّش الجيوش عليهم،

{ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} بعد هذه الأسماء الحسنى ترى غريباً جداً جداً أولئك الذين يلتجئون إلى غير الله سبحانه وتعالى ما أسوأ حالهم! ، ما أحط مكانتهم!، وما أتعسهم!. وما ألأمهم!، عندما يلتجئون إلى غير الله ،إلى صنم من الأخشاب أو صنم من الحجر أو صنم من البشر؛ لأنهم يخافون ، ويرجون منه أشياء ،والله قال لهم في هذه الآيات {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}(الحشر:٢٣) من يمكن أن ترجوه ،من يمكن أن تعتمدوا عليه، من يجب أن تخافوه؛ ولأنه ليس هناك في هذا العالم ، ليس هناك في الوجود من يمكن أن يكون متصفاً بكمال الله سبحانه وتعالى ،ولا بجزءٍ من كمال الله سبحانه وتعالى -إن صح التعبير- فإن من الظلم لأنفسنا ومن الإساءة إلى الله ربنا الذي هو { الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ } من الإساءة البالغة إليه أن نجعل له شركاء فنمنحهم ولاءنا ، ومنهم نخاف ،وإليهم نرغب.[ص١٠]

[الوعد والوعيد الدرس٩]

- كيف نقدم الوعد والوعيد:

الشيء الثاني أيضاً: أنه يقدم لنا [الوعد والوعيد] سواءً من خلال كتب [علم الكلام] أو من خلال ما يقدم لنا على منابرنا موضوع: [الجنة والنار] فقط موضوع الجنة والنار، وعد ووعيد، وتقدم لنا الجنة وكأنها هي الغاية من خلقنا في هذه الدنيا، تقدم لنا النار وكأنها تكاد أن تكون هي الغاية من وراء خلق المجرمين والكافرين في هذه الدنيا، فيصبح المفهوم لدينا والمترسخ في ذهنيتنا هو: كأن الناس إنما خلقوا هنا ليعيشوا فترة معينة في هذه الدنيا، فهي فقط مجرد مرور، هذا الوجود ليس له هناك غاية أكثر من أن يتميز هنا من الذي سيمشي إلى الجنة ومن الذي سيمشي إلى النار فقط.!

هذا المفهوم ناقص جداً، ومؤثر، وله سلبيات كثيرة فيما يتعلق بفهمنا للدين، وفيما يتعلق حتى باعتزازنا بالدين

واستشعارنا لعظمة هذا الدين، مفهوم أدى إلى جهلنا بالغاية كلها من هذا الوجود.

نجد القرآن الكريم قدم قضية: الجنة والنار بكلها، باعتبارها آلة ترغيب وترهيب للبشر هنا في الدنيا ليستد دقيموا، لتستقيم الحياة، ليؤدي الإنسان المهمة التي استخلفه الله لأدائها ، فجاء التحذير من نار جهنم، جاء الحديث الكثير عن جهنم، من أجل ماذا؟ أليس من أجل أن نلتزم هنا في الدنيا، من أجل أن نستقيم هنا في الدنيا؟ ثم نأتي إلى تشريعات هذا الدين، وإذا هي مرتبطة بالدنيا: نوع من التعامل فيما بيننا، لأداء مهام هي مرتبطة بحياتنا، مرتبطة بكرامتنا ، بعزتنا، بقوّتنا، برفعتنا، بسعادتنا، فيأتي الحديث عن جهنم ويتكرر في القرآن الكريم ليرسخ في ذهنيتنا: أن جهنم هي للتخويف لنا هنا في الدنيا وليس فقط لمجرد الإيمان، ثم متى ما حصل منك إيمان سينفعك، ولهذا تلاحظ متى ما أقفل ملفك في الدنيا، ملف الحياة، هل سينفع الإيمان بجهنم؟. لا.

في الحشر، في اليوم الذي طوله كما قال الله سبحانه وتعالى عنه: {خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} (المعارج: من الآية٤) سواء كان بمعنى خمسين يوما أو أن يكون بمعنى يوم واحد ينجز فيه ما ينجز في نحو خمسين ألف سنة ـ المهم أنه يوم طويل ـ أليس الناس سيكونون هناك كلهم مؤمنين، مؤمنين كلهم، مؤمنين بالجنة، مؤمنين بالنار، هو يرى النار أمامه، أليس هذا اليقين والإيمان الواضح؟ ولكن هل سينفعهم إيمانهم هناك؟ لا. لماذا؟

إذا كانت قضية الجنة والنار هي لمجرد الإيمان بهما والإيمان بك يا الله، لماذا لا ينفعنا الإيمان بك ونحن الآن في المحشر؟ ـ حسناً، آمنا ـ ؟ هل سينفع؟ لأن ساحة العمل هي الدنيا التي كان المطلوب أن تؤمن هناك لتستقيم تلك الحياة، لتقوم بمهمتك في الحياة على نحو صحيح.

نفس الشيء بالنسبة للجنة، قدمت الجنة وجاء الحديث عن الجنة ترغيباً للناس ليستقيموا هنا في الدنيا، لتستقيم الحياة هنا في الدنيا، ليعملوا بالدين هنا، هنا في الدنيا.

الغاية من الوجود وخطورة الخطأ في فهم هذه الغاية

فما الذي حصل؟ حصل تنصل عن هذه الحياة وفهم بأن الآخرة هي الغاية، هي الغاية من الوجود..!

هي مأوى، هي مأوى، هي مرجع أما الغاية من الوجود، من وجود الناس فهي هنا في الدنيا.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: من الآية٣٠) خليفة ماذا يعمل؟ خليفة تسخر له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، له دور كبير، له دور مهم؛ فتأتي الجنة للترغيب للمؤمنين، للترغيب للبشر جميعا أن يستقيموا، أن يلتزموا بهدي الله، وأن يستقيموا عليه، وأن يقوموا بأعمالهم في هذه الحياة وفق هداية الله سبحانه وتعالى لهم؛ وهو الذي قال لبني آدم من أول ما أهبط آدم من الجنة: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً} (طه: من الآية١٢٣ـ١٢٤) ألم يتحدث عن هذه الحياة؟.

ثم يقول: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه: من الآية١٢٤) عندما يأوي، عندما يرجع. فالآخرة هي مرجع، هي مأوى، وليست هي الغاية من الوجود، ليست هي الغاية من وجود البشر هنا، لأنه كان بالإمكان أن يقال ـ سؤال أو تساؤل ـ: لماذا لم تخلقنا في الجنة من أول يوم؟ ونسلم الضجة هذه، ونسلم الفساد هذا، ونسلم كل شيء، إذا كان المقصود هو: أن البشر الغاية التي وجدوا من أجلها هو أن يصيروا إلى الجنة، فلماذا لم تخلقهم في الجنة من أول يوم؟ كيف تجعل الآخرة هي غاية الوجود بكله؟ وإذا بنا نرى نحو ٩٠٪ من البشر على أقل تقدير هم متجهون إلى جهنم.

يجب أن نفهم قضية الجنة والنار وفق النظرة القرآنية التي تدل على: أن الاستقامة هنا في الدنيا هي قضية مهمة جدا، وأن الجنة والنار في واقعهما تخويف وترغيب لنا، لنستقيم هنا في الدنيا، وليس فقط حتى لمجرد الإيمان بالله لأنه هل الله سبحانه وتعالى يختلف وضعيته في الدنيا والأخرى؟ هل تختلف ؟ الله هو هو .

فإذا كان المطلوب هو: الإيمان بالجنة والإيمان بالنار، والغاية من وجودهما هو: أن نحصل على إيمان بك وبهما

لمجرد الإيمان بهما، فالإيمان في الآخرة بالله ، أليس شيئا سيحصل؟ لماذا لا ينفع؟ هل لأن الله اختلفت وضعيته؟ لا . هو، هو، الله سبحانه وتعالى هو من له الحمد في الأولى والأخرى، هو من لا يختلف بالنسبة له سبحانه وتعالى عالم الدنيا وعالم الآخرة، فلماذا لا يدخل أهل المحشر جميعا الجنة - وهم قد أصبحوا مؤمنين، أصبحوا مؤمنين، أصبحوا موقنين، أصبحوا منقطعين إلى الله، أصبحوا خائفين، وجلين؟ هل هناك شيء أقوى من إيمان الناس يوم القيامة؟ إيمان لكن إيمان، يرون جهنم أمامهم، من هو الذي لا يحصل في نفسه إيمان؟ ألم يحصل إيمان بالله، وحصل إيمان بالجنة والنار؟ .ما الذي تغير ؟ هل الله تغير؟ نقول: [لم يعد ينفع الإيمان به، فقط كان نؤمن به يوم كان هو في الدنيا أما عندما أصبح في الآخرة لم يعد يصلح الإيمان به!] لا يصح أن يقال هكذا.

مهمة الإنسان في هذه الحياة كبيرة وواسعة جداً، ما هي المهمة؟ هي: خلافة الله، هي أن يكون خليفة لله في أرضه، وأن يسير في هذا العالم في عمارته وفي تطوير الحياة فيه على وفق هدي الله الذي رسمه لبني آدم جيلا بعد جيل على أيدي رسله، وفيما أنزله من كتبه، ثم من خرج عن هدي الله يعتبر هنا في الدنيا، هنا في الدنيا خبيثا، هنا مفسداً {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} (الروم: من الآية٤١) ولا بد للإله، للملك هو أن يكون هناك في هديه نظام ما يسمى: بنظام الثواب ونظام الجزاء - الثواب والعقاب - يكون هناك عقاب ويكون هناك ثواب، فقد جعل جهنم في الأخير لكل الخبثاء هنا في الدنيا، من خبثت نفوسهم هنا في الدنيا سيكون مأواهم جهنم.

ألم يتحدث عن الجنة والنار بأنها تسمى مأوى؟ أنها أمه التي يأوي إليها؟ يرجع إليها؟ { فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} (القارعة:٩)

لم يتحدث عنها بأنها هي الغاية من وجوده، ومن سار على هدي الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، هناك وعود كثيرة له في الدنيا، ووعد عظيم في الآخرة، كما أن هناك تهديداً شديداً وعقوبات في الدنيا هنا، وعقوبات في الآخرة.

فعندما قدمت المسألة على هذا النحو: أصبحت لدينا مفاهيم كثيرة مغلوطة، وأصبحت نظرتنا إلى الدنيا هذه بأنها دنيا لا علاقة لنا بها أبداً، لا علاقة لنا بها أبداً! وفهمنا الدين في أنفسنا وفهّمنا الآخرين بأنه دين لا علاقة له بالدنيا، والدنيا هذه هي الحياة، أي لا علاقة لهم بحياتنا الدنيا.

الوعد والوعيد يبدأ من الدنيا

قدم الوعد والوعيد بأنه يعني فقط: [الجنة والنار] ولم يأت حديث عن ما وعد الله به أولياءه في الدنيا، عن ما وعد الله به الذين يستقيمون في الدنيا ، من يهتدون بهديه في الدنيا! ألم يعد وعوداً كثيرة؟

وقدم الوعيد بأنه النار فقط!! ولم يأت حديث عن ما توعد الله به المجرمين والفاسقين والضالين والمعرضين عن هديه هنا في الدنيا.

فالذي يجب هو: أن نفهم وعداً ووعيداً، وعداً ووعيداً يبدأ من الدنيا هنا وينتهي بالآخرة، حتى أصبحنا - لخطورة سلبيات هذا المفهوم، مفهوم: الوعد والوعيد - أصبحنا نعيش في حالة وعيد هي مما توعد الله بها من يعرضون عن ذكره، من يقعدون عن نصرة دينه؛ فأصبحنا نعيش في حالة من الذلة، وحالة من الإهانة، وحالة من الاستضعاف، هي حالة عقوبة، ولكن لا نعتبرها عقوبة، وناسين، بل نتعبد الله بها! أليس هذا مفهوماً مغلوطاً؟.

أنت في حالة عقوبة على ما قصرت وإذا بك تنظر إلى ما أنت فيه فتتعبد الله بالصبر عليه! وتتعبد الله بالبقاء عليه إلى آخر أيامك! لأنه هكذا فهمنا: أن الوعيد هو ذلك الذي هو مرتبط بالنار.

ألم يذكر الله في القرآن الكريم في آيات كثيرة الوعد والوعيد هنا في الدنيا؟ {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} (الجن:١٦) أليس هذا وعداً إلهياً؟ {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (لأعراف: من الآية٩٦) أليس هذا وعداً إلهياً في الدنيا؟ {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} (نوح:١٠ -١٢) أليس هذا الكلام

وعداً من الله في الدنيا؟{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون: من الآية٨) أليس هذا وعداً في الدنيا؟{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} (القصص: من الآية٥ ـ٦) أليس هذا وعداً إلهياً هنا في الدنيا؟{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران:١١٢) أليست هذه عقوبة في الدنيا ووعيداً في الدنيا؟{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} (الروم: من الآية٤١) أليس هذا وعيداً في الدنيا أن يذيقهم؟{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} (الأعراف:١٥٢) أليس هذا وعيداً أن المفترين سيذلهم الله، سيعاقبهم الله؟

وهكذا تجد القرآن الكريم مليئا بهذا، مليئا بالوعد والوعيد، وأن تؤمن بأن الوعد والوعيد يبدأ من هنا من الدنيا؛ أنت ستستطيع أن تفهم واقعك، تستطيع أن تعرف وضعيتك التي أنت فيها، هل أنت في وعد أو وعيد؟ هل أنت داخل مثوبة من الله أو داخل عقوبة من الله؟.

لو كنا نفهم أن الوعد والوعيد من هنا من الدنيا لما اختلطت الأوراق علينا، فأصبحنا نتعبد الله بالبقاء على حالة الذلة التي نحن عليها، كيف هذا ؟! أصبحت العقوبات هنا في الدنيا لا نحس بها، العقوبات الإلهية! ألم يقل عن بني إسرائيل عندما ضرب عليهم الذلة والمسكنة بأنه بما عصوا وكانوا يعتدون، أي هكذا سيعمل بالعصاة وسيعمل بالمعتدين . هذه الأشياء التي نؤكد على ضرورة اعتماد القرآن الكريم فيها بالذات: أن نفهم الوعد والوعيد الإلهي بمعناه الكامل، الذي يبدأ من هنا من الدنيا وينتهي بالآخرة.

وأن كل ذلك الوعد والوعيد الذي يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، عندما يحدثنا عنه بأنه لن يتخلف، كله ليدفعنا على الإستقامة على هديه، والثبات على ما أرشدنا إليه. [ص٢]

[الوعد والوعيد الدرس١٠]

ـ تبرأ من المجرمين هنا في الدنيا:

تبرأ هنا في الدنيا من الكبار المجرمين قبل أن يتبرءوا منك في الآخرة، إلعن المضلين وإن كان بينك وبينهم آلاف السنين، الذين هم سبب لإضلالك وإضلال الأمة التي أنت تعيش فيها، تبرأ منهم والعنهم، أظهر مباينتك لهم، لكل أولئك الأطراف لكل تلك الأطراف التي قد تتبرأ منها، أو تلعنها، أو تتندم على علاقتك بها وتتحسر يوم القيامة، هنا في الدنيا حيث سينفعك أما في الآخرة فلن ينفعك.

وهذه الآية العجيبة التي قالها الله سبحانه وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} (فصلت: من الآية٢٩) أين هم الذين أضلونا في الدنيا هنا هل كنت تبحث عن المضلين لتطاردهم؟ أم أنت كنت من يصمت وتعرض نفسك لأي شخص ياتي يضلك، وتكون قابلا للإضلال وليست مشكلة عندك ولا قضية أن تصبح تعتقد هذا أو ترى هذا أو تقف هذا الموقف الباطل، الإضلال عندك لا يشكل شيئا، الحرص على أن تبقى في طريق الحق، وعلى أن تبقى مواقفك حق، أن تبقى عقائدك حق، ما كانت عندك قضية كبيرة، لكن في يوم القيامة تبحث أين هم؟ من هم الذين أضلونا؟ تبحث عنهم، [هاتهم، هاتهم، هاتهم، في هذا اليوم نجعلهم تحت أقدامنا ليكونوا من الأسفلين]، إجعلهم هنا في الدنيا تحت أقدامك، اجعل المضلين تحت أقدامك هنا في الدنيا حيث سينفع، كن مهتما هنا في الدنيا أن تعرف منابع الفساد والإضلال، وتعرف رموز الباطل ورموز الضلال، لتعمل على أن تجعلهم تحت أقدامك هنا في الدنيا، كان هذا هو الموقف الصحيح حيث يجدي؟ تنتظر، ستضل داخل بيتك من حيث لا تشعر، يقدم لك الضلال إلى داخل بيتك، والناس يتحركون في هذه الدنيا وما أكثر من يضلون،

من خلال جلسة مع شخص مضل، من خلال ركوب سيارة مع شخص مضل صادف، مصادفات كلها تأتي، معظمها تأتي مصادفات، صادف خزن معهم في مجلس، صادف ركب معهم في سيارة، صادف دخل معهم في مجلس وسمع كلمة، صادف كذا، صادف كذا.. ولأنه في الدنيا لا يهتم، ليس على حذر شديد من أن يقع في ضلال، فيكون مهتما بأن يبحث ليعرف منابع الإضلال حتى يتجنبها، ليجعل كلامها تحت قدمه، ليجعل ما تزخرفه تحت قدمه، ليجعل أولئك المضلين تحت قدمه.الوعد والوعيد ١٠

قدم الدين كاملاً

هكذا قد نكون في وضعية متفقين مع أنفسنا أننا نمشي في طريق الجنة، وأننا نعمل بالقرآن لكننا في الواقع كافرين أو تاركين أو رافضين لأشياء مهمة هي من أحسن ما أنزل الله، فلا يفتح الناس أعينهم إلا على شفير جهنم، سيكون هناك العذاب بالنسبة لهم مفاجئا سيكون بغتة{وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} بأنكم كنتم تتجهون إلى طريق جهنم، بأن تلك الذنوب هي قد تؤدي بكم إلى جهنم.

لا يمكن يوم القيامة أن تقول: [والله لا سرقت ولا زنيت، ولا قتلت نفسا محرمة، ولا أكلت حق أحد] أليست هذه هي العبارات المعروفة لدينا؟ لكن باقي أشياء ، ارجع إلى القرآن الكريم، تجد أنه كم باقي أشياء كثيرة.

هل جاهدت في سبيل الله؟. لا. ألم نقل لك: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران:١٤٢) ألم يقل هكذا؟. هل يمكن أن تضيفها بين هذه؟ فتقول: [لا قتلت نفسا، ولا أكلت مال أحد، ولا جاهدت في سبيل الله]. وفعلا أنك لم تجاهد في سبيل الله، يمكن أن تقول:[الحمد لله مصلي وصائم ومزكي وحاج بيت الله] وماذا؟. ألم ينته؟ هل هناك شيء آخر؟ هل يمكن أن تقول: ومنفق في سبيل الله ، ومجاهد في سبيل الله، وآمر بالمعروف وناهي عن المنكر، ومتعاون على البر والتقوى، ومتوحد مع إخواني وأوصي الآخرين بالحق وبالصبر على الحق، وأقول كلمة الحق.. إلى آخره . أليس هنا أشياء كثيرة هي غائبة؟.

معنا أربع خمس، الأربع والخمس هذه ـ لو تفهمون ـ الغاية منها هي كلها في خدمة تلك المبادئ الضائعة كلها الصلاة الزكاة الحج الصيام كلها في خدمة المبادئ المهمة التي ركز عليها القرآن والتي أعلاها الجهاد في سبيله والعمل على نشر دينه، ومحاربة أعدائه.

[الوعد والوعيد الدرس ١٢]

ـ لا تخوف الناس بالموت:

والموت نحن نجده هنا في القرآن الكريم وبمناسبة ذكره هنا ليس من الوسائل التي يأتي التخويف بها للناس، ليس من وسائل التخويف إطلاقا داخل القرآن الكريم، ولهذا لا تجد الحديث عن الموت إلا خاطفا وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر؛ لأنه اليوم الشديد الأهوال، هو ما يجب أن تخافه، هو ما يكون الحديث عنه هو الذي يصنع الخوف في النفوس، هو الذي يملأ القلوب خوفا ورعبا، أما الموت نفسه إنما هو الخطوة الأولى، وهو قضية عادية، قضية عادية، هو بداية الرجوع إلى الله. ليس هو في حد ذاته ما يجب أن يخيف باعتباره حدثا، ليكن خوفك هو من الرجوع إلى الله إلى اليوم الآخر، في اليوم الآخر يوم القيامة. ألم يأت الكلام عن اليوم الآخر في القرآن مكرر جدا؟ .. بعض السور تكون من أولها إلى آخرها عن التخويف باليوم الآخر، هل ورد التخويف بالموت داخل القرآن الكريم؟. لم يرد.

ليعرف أولئك الذين يتحدثون مع الناس ويرشدون الناس أنهم كم يغلطون، كم يرتكبون من خطأ جسيم عندما يتحدثون مع الناس عن تخويفهم بالموت نفسه ثم يذكرون لهم أهوال القبر وعذاب القبر وكلاما في النعش وكلاما طويلا عريضا كله يحول الموت إلى شبح مخيف. أن هذا أسلوب يترك أثرا سيئا جداً جداً يتخالف مع منهجية القرآن، ويخالف ما يريد القرآن منا.

إنه الذي يربي هذه الأمة تربية جهادية، الذي يربيك لتكون مجاهدا، هل ينطلق ليخوفك من الموت نفسه، وهو يريد منك أن تستبسل وأن تبذل نفسك في سبيل الله.. لا يمكن هذا حتى ولا لقائد عسكري أن يعمله.

القائد العسكري وهو يعمل على رفع معنويات الجنود في ميدان المواجهة هل يأتي ليتحدث معهم عن القبر والنعش والأهوال، وهذه الأشياء الكثيرة ؟ أم أنه يحدثهم حديثا يجعلهم يستهينون بقضية الموت، يجعلهم يتقافزون، وتستخدم حتى الحركات، وتستخدم حتى نغمات موسيقية معينة، وتستخدم حتى صرخات معينة، وأناشيد لها ألفاظها المعينة كلها تدفع بالإنسان إلى الاستبسال.

لكن تعال جمع كتيبة تريد أن يجاهدوا ثم اقرأ عليهم من كتاب [تصفية القلوب] أو من أي كتاب آخر من كتب الترغيب والترهيب عن النعش والموت وسكرات الموت والقبر ثم انظر هل سيتحرك أحد منهم؟ ستبرد أعصابهم ستجبن نفوسهم.

الإنسان إذا تربى على الخوف من الموت وقيل له: إن الموت كذا وكذا، وعلى النعش كذا وكذا والقبر مليء كذا وكذا إلى آخره يخاف مهما كان متركعاً مهما كان متعبدا ينشد إلى الحياة ويخاف أن يواجه، أن يدخل في مواجهة لا يريد أن يموت ؛ لأنه أصبح خائفا من شبح الموت.

التربية القرآنية هي التربية التي أخرجت ذلك الرجل الذي كان يقول: ((والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)) لكنه كان وهو يتذكر اليوم الآخر، كان يتخشب جسمه خوفا من الله، وخوفاً من اليوم الآخر، وهكذا حكى عنهم في قضية إنفاقهم وإطعامهم اليتيم والمسكين والأسير. {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} (الانسان:١٠) لم يقل موت ولا ما موت، الموت لا وجود له في القرآن الكريم إلا كحديث عن قضية هي أول خطوة إلى العالم الآخر، والقبر إنما هو غرفة كأي غرفة في بيتك.[ص٨]

ـ <u>من أين نأخذ الدين:</u>

لو أخذنا الدين من القرآن الكريم ومن أهل بيت رسول الله لما عشنا أذلاء أبداً، ولا شعباً واحداً. ولو لم يكن العرب بكلهم إلا كشعب واحد من الشعوب الموجودة لكانوا هم من يقهرون العالم، ولكانوا هم من يوصلون هذا الدين إلى الأمة كلها، ومن كانوا يؤمنون بهذه الفكرة..الإمام الهادي نفسه كان يقول: ((لو أن معي خمسمائة شخص مخلصين لدوخت بهم الأرض)). خمسمائة شخص كان يقول. يفهمون الإسلام بشكل جيد يقدم لهم الإسلام بشكله الصحيح، يفهمون القرآن ومناهجه التربوية وخطابه للنفس، خطابه للوجدان، خطابه للمشاعر، يثقون بالله الذي نزل القرآن لكانوا نوعية أخرى تدوخ العالم بكله ولكانوا كتلا من الحديد، كتلا من الصلب.[ص١٢]

[الوعد والوعيد الدرس١٣]

ـ <u>العمل على نسف روحية التسويف واللامبالاة:</u>

آيات الله هي: أعلام على حقائق، هي حقائق ثابتة، وسميت آيات: لأنها أعلام على حقائق، حقائق في واقع النفوس، حقائق في الحياة، حقائق في مجالات الهداية كلها، حقائق تتحدث عما سيحدث يوم القيامة، أنها أشياء لا بد أن تحصل وأن هناك من سيقول: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: من الآية١٢) .

والآيات القرآنية هداياتها واسعة جداً، تهدي في عدة اتجاهات. كما فهمنا من أن قول الله تعالى حاكيا عن أولئك الذين سيقولون وهم منكسون لرؤوسهم: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} . إنها تكشف حقيقة نحن عليها في واقعنا في الدنيا هذه.

أولئك الناس ـ وهم أكثرنا ـ الذين لا يؤمنون بالخطورة إلا متى ما داهمتهم، لا يعملون الإحتياطات اللازمة، ويعدون العدة لمواجهة الخطر، وإنما يسوفون ويتناسون حتى يدهمهم الخطر.

قلنا أيضا: أن هذه إذا كانت طبيعة لدينا، إذا كانت حالة نفسية ثابتة لدينا فهي حالة خطيرة جداً علينا، لأنها لن تكون في الدنيا، بل ستكون في الآخرة أيضاً، من هذه حالته، من هذا واقعه هكذا لا يهتم بالإعداد للخطر

المحتمل فإنه أيضاً لن يهتم، ولن يعد للخطر المتيقن.
نحن نقول كلمتين: في الدنيا نقول أمام الخطورة المحتملة: [عسى ما في خلـه] ألسنا نقول هكذا؟ [عسى أن الباري سيهلكهم].. ونقول أمام الخطورة المتيقنة: [الله غفور رحيم] أليست حالة واحدة؟.
يجب أن نروض أنفسنا هنا، نفسيتك في الدنيا هي النفسية التي ستحشر بها يوم القيامة، ستحشر أنت وأنت أنت، كما لو قمت من مرقدك الصباح، النفسية التي كنت عليها هي هي النفسية التي ستبعث عليها يوم القيامة [ما في خلة] [الله غفور رحيم] تأتي الخلة وأنت لم تعد لها عدة فتكون خلة كبيرة جداً،[الله غفور رحيم] سيأتي يوم القيامة وترى بأنه كان موضع الرحمة والغفران هنا في الدنيا أن تتسبب هنا في الدنيا، فيرى الناس أنفسهم بأنه لا كلمة [ما في خلة] ولا كلمة [الله غفور رحيم]هي التي ستنفعهم.
وقلنا: هؤلاء هم كانوا عرباً هم عرب الذين سيقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}.
تتحدث عن مجرمين، ممن يقولون: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}(السجدة: من الآية١٠) هذه حالة كانت عند العرب القدامى وما تزال قائمة فينا، ولكن يبدو أنها تعمقت وترسخت أكثر وأكثر مما كان لدى الماضين.[ص١]

ـ أعداؤنا يضعون الخطط وينطلقون في الأعمال التي تحول دون أن يدهمهم خطر محتمل:

ونجد لهذه أثرها السيئ في مجال المقارنة بين واقعنا نحن وواقع أعدائنا من اليهود والنصارى، فتراهم لا يفكرون هذا التفكير إطلاقاً، يضعون الخطط وينطلقون في الأعمال التي تحول دون أن يدهمهم خطر محتمل ولو بعد مائتي سنة، لهذا فاقونا، ولهذا ضربونا، ليس عندهم [ما في خلة].
القرآن يعتبرونه مشكلة لديهم، الإسلام يعتبرونه مشكلة لديهم، يشكل خطورة بالغة لأنه فيما إذا رجعت هذه الأمة إلى الإسلام تلتزم بدينها، وإلى القرآن الكريم تعمل به، وتهتدي به فإنه فعلاً ستصبح هذه الأمة قوية جداً، لا تستطيع تلك الدول مهما كان لديها من الأسلحة، مهما كان لديها من إمكانيات أن تقهر هذه الأمة.
فهم يعملون جاهدين من زمان من مئات السنين، بل بلغ بهم الحال في بعض مراحل التاريخ في أسبانيا بعد أن ضربوا المسلمين هناك، أرغموهم في الأخير على تغيير أسمائهم أسماء أبنائهم، تغيير الأسماء الإسلامية إلى أسماء أخرى أوربية، نحو [جورج] ونحوها أسماء أخرى، لأنه حتى المفردات الإسلامية، المفردات العربية، المفردات القرآنية، الألفاظ، هم يرون أنها تترك شعوراً، أو أثراً أحياناً قد يكون أثر لا شعوري، وأن هذا يبذر بذرة ارتباط داخل أعماق النفس، فتهيئ الإنسان للاستجابة في أي زمن. فهذه خطورة، يغير الاسم، تغير المصطلحات مهما أمكن كما وجدنا من تغيير كلمة: [جهاد] ونحوها.
لماذا يعملون هم على أن تضيع كلمة:[جهاد] من أوساط المسلمين ونحن المسلمون نرى أنفسنا نقرأها كثيراً في القرآن الكريم ولا نتأثر ! أليس كذلك؟.
هم يرون أنه وإن كنت الآن تقرؤها ولا تتأثر بها، لكن تكرارها على مسامعك سيترك أثرا ولو كان أثراً لا شعوريا، أقل ما يمكن أن يترك هذا هو: أن يكون هذا المبدأ مقبولا لديك، متى ما جاء من يحركك، ومتى ما وجدت الإمكانيات موجودة بين يديك، أليس كذلك؟ أليس هذا ما نجده في أنفسنا متى ما وجدنا من يتكلم معنا، أو وجدنا من يتحدث عن واقعنا، أو وجدنا من يعمل على إحياء هذا المبدأ في نفوسنا، ألسنا نتأثر؟.

هذه الخطورة: هم لم يكتفوا بأن يقولوا: هاهم الآن يقرؤون القرآن ولم يتأثروا به أو ربما أنت لا تتأثر به، وتموت وأنت غير متاثر به، لكن ابنك ما زال وابن ابنك أيضاً سيقرأ القرآن وسيجد فيه الكلمات هذه: [جهاد .. جهاد.. جهاد..] الخ.[ص٢]

ـ أهمية الربط بالأعلام:

حتى الربط بالأعلام، الربط بالأعلام أيضاً هي عندهم قضية خطيرة، فلهذا رأينا نحن وأنتم جميعاً أنه كيف غيب الحديث عن الإمام علي (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) في المناهج الدراسية، وغيب الحديث

عنهم في وسائل الإعلام، وغيب الحديث عن آثارهم عن طريق الثقافة، ولم تبد وزارة الثقافة في أي بلد ـ خاصة في اليمن ـ اهتماماً بالآثار آثار أعلام أهل البيت (عليهم السلام) !! لأن الربط بالأعلام أيضا مهم جداً، إذا ما رسخ في أنفسنا عظمة علم من أعلام الإسلام الكاملين والمتكاملين فعلا فلو كان مجرد اسم يتردد على ألسنتنا لكن قد يأتي من يجعل هذا الاسم فاعلا ومؤثراً.

كان اسم الإمام الحسين (صلوات الله عليه) يتردد كثيرا في أيام عاشوراء، وفي غير عاشوراء في أوساط الشيعة الجعفرية كثيرا ويبكون، ويلطمون.. لكن كانت كلها مظاهر عاطفية، فجاء الإمام الخميني رحمة الله عليه فاستطاع أن يجعلها ذات تأثير كبير، إحياء عاشوراء، الحديث عن الحسين (عليه السلام) لدرجة أنه قال: ((كل ما بين أيدينا من بركات الحسين)). أو بعبارة تشبه هذه. إذاً ذلك الاسم الذي تردد مئات السنين في أجواء عاطفية بحتة، لم يربط به جهاد، ولم يربط به اتخاذ موقف، ولم يربط به عمل لرفع معنويات الأمة، لاتخاذ موقف ما من أعداء الأمة وأعداء الدين.. ألم يصبح فاعلا؟.

عندما جاء من يجعل له حيوية في نفوس الناس؟ وهكذا الآن في جنوب لبنان في أوساط [حزب الله] يصرخون باسم الحسين (عليه السلام)، بل أصبحوا يتذوقون عاشوراء بشكل آخر يختلف عن ما كانوا عليه يوم كانوا يتحدثون عن عاشوراء من الجانب العاطفي فقط، وأصبحوا يستلهمون من كربلاء ومن عاشوراء، ومن الحسين عليه السلام الأشياء الكثيرة جدا جدا، التي تدفع بهم وبشبابهم إلى ميادين الجهاد.

الحسين (عليه السلام) الذي عاش مئات السنين داخل الطائفة الإثنا عشرية جامدا في نفوسهم، ألم يفعل من مرحلة من التاريخ، واستطاع أن يحرك أمة؟. وهانحن نرى إيران أليست إيران تشكل عقبة أمام الغرب فيما ننظر إليها نحن وفيما نفهم؟ أن الغرب ينظر لإيران شيئاً، ولبقية العرب المسلمين شيئاً آخر.

وهكذا رأينا كيف أنه في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى أعلاما أخرى تقدم للأمة، ويتحدثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد وفي المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان. هذه الأعلام عند من يفهم واقع الأمة الآن أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكمون تقريبا في كل شيء، في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الأعلام لا تصنع شيئا، لأنه لو جسم في نفسك على أكبر ما يمكن لما كان باستطاعته أن يحركك، ليس فيه ما يحركك، إنما هي ـ كما يقال ـ: [نمور من ورق] فلنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدم ولا تؤخر، ولو تكرر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئا في النفوس، لأنه عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى ذلك العلم لتستلهم منه شيئا تجده فارغا لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك.

لكن أعلاماً كالإمام علي ، كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد، والهادي، والقاسم، وغيرهم ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان، أو التفتت الأمة لتستلهم منهم شيئا سترى ما يشدها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام.

لهذا هل نجد علياً (عليه السلام) أو نجد الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) في مدارسنا أو مراكزنا أو جامعاتنا؟ لا يوجد، وإذا ما وجد كان شيئا بسيطا، وإذا ما جاء حديث عن الإمام علي فكبر نوعا ما، يمسخ ذلك التكبير بأن يقال هو على الرغم مما هو عليه هاهو يبايع أبا بكر، وهو إنما كان جنديا من جنود أبي بكر، يكبرونه قليلا ثم يجعلونه بكله وسيلة من وسائل تكبير أبي بكر، فيشدونك أكثر إلى أبي بكر، فيما إذا تحدثوا قليلا عن علي (عليه السلام) فهو وسيلة لشدك أكثر إلى أبي بكر، أما أن يقدموا علياً (عليه السلام) علماً لوحده بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فهذا ما لا يمكن، يشكل خطورة بالغة، متى رأينا في وسائل إعلامنا حديثا عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وعن أثره في اليمن؟ متى سمعنا برامجاً تتحدث عن أخباره وسيرته

الحميدة وما عمله من أعمال عظيمة في اليمن وفي أوساط اليمنيين وفي هدايتهم؟ وهم من كان القرامطة قد عبثوا بأفكارهم، والباطنية، وبقايا كثيرة من اليهود كانت ما تزال في مختلف مناطق اليمن؟ لا حديث عنه إلا بما يسيء، لا حديث عنه إلا بتعسف بما يقدمه ناقصاً.

هكذا يفكر أولئك الناس، وهم ينظرون إلى القرآن، أو ينظرون إلى أعلام الإسلام أنه قد يكون هذا الاسم، وقد يكون هذا الكتاب وإن لم يكن له أثر الآن، وإن كنا نرى هذه الأمة قد ضربناها ضربة قاضية، لكن ما يزال هذا يشكل خطورة ولو بعد حين، فيجب أن نعمل على إقصائه بأي وسيلة وهذا هو ما يوجب علينا أن يكون لنا مواقف وأقل موقف هو: أن نصرخ بهذا الشعار:

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] [ص٣]

ـ الإسلام حركة وكلام:

ذلك لأنه لو سكتنا هل سيسكتون أولئك؟ لن يسكتوا.. إذا ما سكتنا سيقولون أيضا: هذه المدرسة أيضا إرهابية، هذا الكتاب إرهابي، وفعلا نشرت بعض الصحف بأن الوفد الأمريكي ظل يستفسر عن مدارس تحفيظ القرآن وأغلقت بعض المدارس!!. استفسر عن مركز بدر، مدرسة زيدية في صنعاء.

قد تتوقع ببساطة تفكيرنا أنه إذا سكتنا ـ أفضل نسكت ـ قد تتوقع أنهم سيسكتون؟.. لا. السكوت سيدفعهم إلى أن يعملوا للحصول على تنازلات كثيرة أخرى، ويعملوا ليصلوا إلى ضرب أشياء أخرى، لن يسكتوا، يجب أن نفهم هذا: لن يسكتوا ولن يتوقفوا إلا متى ما تحركنا نحن وصرخنا في وجوههم، سيسكتون وسيتوقفون، أما إذا سكتنا فالخطورة هنا، فالخطورة البالغة هنا.

بعض الناس قد يقول: نسكت [لا نكلف على أنفسنا] إن السكوت هو الخطورة، لو كان السكوت هو من ذهب ـ كما يقولون ـ لما تحدث القرآن الكريم عن الجهاد ، عن التضحية، عن الاستبسال، عن إنفاق الأموال، عن التواصي بالحق. أليس القرآن كله حركة وكلام؟ أم أنه صمت وجمود؟ كله حركة.. كله كلام.

فعلا قد يكون السكوت هو من ذهب ليذهب كل شيء إذا ما سكتنا سيذهب ديننا وستذهب كرامتنا ونذهب ـ ونعوذ بالله ـ إلى الجحيم في الأخير، يذهب الناس إلى الجحيم.

عندما بدؤوا يتحدثون عن مركز بدر، وعن مدارس تحفيظ القرآن أحياناً قد يثيرون عبارات.. هكذا؛ لينظروا ردة الفعل، ألم نتحدث أكثر من مرة عن هذا الأسلوب: لينظروا ردة الفعل؟.. سكتنا فهموا بأن السكوت أصبح لدينا [استراتيجية ثابتة]، وأننا أصبحنا بقراً نفهم: أن السكوت هو الوسيلة الصحيحة لماذا؟ لكف شر الأعداء.. لنسلم شرهم.

بعد حين سينطلقون فعلاً ليتخذوا القرار الملزم بإيقاف هذا الصوت، بإغلاق هذه المدرسة، بسحب هذا الكتاب من الأسواق، بإغلاق هذا المسجد، بنفي هذا الشخص، وهكذا .. ثم لن يتوقفوا أيضا حتى يكون في الأخير من يؤمن بالفكرة هو إرهابي. لأنه احتمال وأنت تؤمن بالفكرة وإن كنت في حالة استضعاف، وأنت ساكت ربما تتكلم مع أحد من الناس فتؤثر عليه، وربما هذا الشخص الذي تؤثر عليه قد يصادف زمنا يكون هناك قابلية لكلامه أن يؤثر في الآخرين.

هذا الهاجس لديهم: مواجهة كل خطر محتمل ولو بعد حين، وإن كانت نسبة خطورته عليهم بأقل من ١٪. [ص٥]

ـ لا تربط مشاعرك بالكبار:

{قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا} (المائدة: من الآية٢٣) **ألم يقل في القرآن هكذا؟ {رَجُلانِ}، مؤمن آل فرعون، ذلك الرجل العظيم يصدر كلامه وكلام أولئك الرجال كما يصدر كلام الأنبياء في صفحات القرآن الكريم{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ}** (غافر: من الآية٢٨) **وهكذا**

يتحدث بكلام طويل في [سورة غافر] قريبا من صفحة أو أكثر .. المؤمن لا يستكبر إذا ما ذكّر من صغير أو ذكّر من طرف يراه وضيعا، يراه دونه آخر في المراتب الاجتماعية، يراه دونه فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، أنا تاجر وهذا فقير، أنا من أعيان القبيلة وهذا مواطن عادي، أنا علاّمة وهذا ما يزال طالب علم وهكذا كلمة: رجلان {قَالَ رَجُلَانِ} تجعل للتذكير قيمته من رجل يحمل اسم رجل أقل شيء فيه، لم يقل قال عالمان، قال أستاذان، قال شيخان، قال الملأ من أصحاب موسى، أو بعبارة من هذه .. ألم يقل القرآن رجلان؟ يعتد بكلام الرجل مهما كان، يعتد بتذكير الرجلين مهما كان مقامهما. ولأنه عادة يأتي التذكير بآيات الله في مقامات عملية، والأعمال ـ عادة ـ تكون شاقة على كثير من الكبار من الوجهاء وأصحاب المكانة الاجتماعية لأنه ينظر إلى وضعيته وهي وضعية محترمة لا يريد أن يخرج منها، ولهذا تجد في القرآن الكريم الكثير من أخبار من كانوا يعارضون الأنبياء معارضة شديدة هم الملأ الذين استكبروا من قومه، {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} (الأعراف: من الآية٦٦) {قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} (الأعراف: من الآية١٠٩) {قَالَ الْمَلأُ} يرد كثيراً في [سورة الأنبياء] وغيرها. ومن كانوا ينطلقون أنصارا لدين الله وفي أول المستجيبين لدعوة الرسل والمجاهدين بين أيدي الرسل من هم؟ كانوا هم المستضعفين ، المواطنين العاديين، الناس العاديون، هم من كانوا ينطلقون ويستجيبون.

المؤمن إذا ذكر بآيات الله من أي طرف كان يتقبل، ويكون للتذكير قيمته، ويشكر من ذكّره، ويعتبر أنه أسدى إليه جميلاً، نصحه، وصّاه، ذكّره عمل على إنقاذه، يعني: أنه عمل على إنقاذه، لكن لا يكون للتذكير قيمته عند كثير ممن يواجهون تذكيرك من الوجهاء إذا كان لديهم استكبار في أنفسهم ألسنا نرى أننا بحاجة إلى أن نقول لأولئك الكبار؟ ونرى بأننا لو قلنا لهم: لو انطلق علماء، وانطلق مشايخ، وانطلق وجهاء ووقفوا هذا الموقف، أو قالوا هذا الشعار:

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

أو عمموا هذا [الشعار]، لرأينا أنه سيكون أكثر فاعلية وأكثر تأثيراً.

لكن أولئك الذين تعتقد أنهم أكثر تأثيراً هم من في أوساطهم عراقيل تمنعهم عن أن يستجيبوا لك، فانطلق انطلاقة الأنبياء تحدث مع الناس جميعا وعلى صعيد واحد ولا تحتقر أحدا، تحدث حتى مع ذلك الشخص الذي ترى بأنه فيما لو قبل مني هذا الكلام ماذا يمكن أن يعمل، الذين يعملون الأعمال الكبيرة هم صغار الناس، هم المستضعفون، الموعودون بالنصر الإلهي هم من؟ المستضعفون، الذين تتحرك رسالات الله لإنقاذهم من هم؟ المستضعفون، {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (القصص٥ ـ٦) .

أنت لا تجلس دائما ترى نفسك صغيراً، أو ترى الآخرين صغاراً، أو ترى تجمعاتهم تستقلها تحتقرها لأنه ليس فيها شخصيات فلان وفلان وفلان. أولئك هم من لا يتحرك لك الواحد منهم إلا في الوقت الذي قد يمكنك أن تحرك مئة شخص من الآخرين. وهو إذا ما تحرك قد لا يكون له تأثير كتأثير الأشخاص الصغار، الذين آمنوا وانطلقوا بفاعلية، أولئك الكبار هم من لديهم اعتبارات معينة يحافظون عليها، ممن ينظر إليك وأنت تذكره أنك تحت أنك دونه فلا يكاد يسمع منك، ولا يكاد يستفيد منك، حتى ولو دخل كلامك إلى أعماق نفسه سيتجاهلك، يتجاهلك، هو لا يريد أن يحسسك بأنه تأثر من قبلك ممكن يتأثر بطرف آخر، ينظر له واحداً أكبر منك يتأثر به، نوعية متعبة؛ ولهذا تجد كيف أن القرآن الكريم يحكي لنا أنه كان يعرض على عدد من الأنبياء من قبل الكبار [الملأ] أن أطرد أولئك الناس من مجلسك، الضعاف هؤلاء الضعاف المساكين أطردهم من مجلسك ونحن سنؤمن، قالوا لنوح (عليه السلام) وقالوا لغيره من الأنبياء وقالوا لمحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الله وقف مع أولئك، لا يمكن إطلاقا أن تطرد ولا شخصا واحدا من ضعاف الناس وإن كان مقابل أن يؤمن مائة شخص من هؤلاء الكبار، و[سورة عبس] تحكي لنا السخرية من أولئك، لا تهتم بهم، التفت إلى

هذا المسكين الأعمى هو يريد أن يستفيد منك{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} (عبس٥ ـ٧) اتركه .

إن أحب أن يؤمن كما يؤمن الناس فهو المطلوب وإلا فاتركه، هذا دين الله للناس وليس للملأ الذين استكبروا، هذا دين للناس جميعا، ومن انطلق فيه وتحرك فيه فهو كبير، هو كبير عند الله سبحانه وتعالى، الله لا ينظر إلى رأس ماله، ولا ينظر إلى مكانته الاجتماعية، ولا ينظر إلى الفئة أو الطبقة التي هو منها، استجاب هو كبير عند الله مكرم عند الله، في مصاف أوليائه.. لم يسمح الله أبدا لأنبيائه أن يطردوا أحدا، وأنت تتحرك في هذا الميدان كما يتحرك الآخرون في الميدان الثقافي. لا ترتبط مشاعرك أبدا بالكبار، لا يكن همك أن يدخل هؤلاء الكبار، ولو بواسطة أن نقدم لهم تنازلات، أن نسلمهم زمام أمورنا، أن نمجدهم، أن نشجعهم، أن نمدحهم بعباراتنا، نفرح ، ونفرح هذا هو الخلل الكبير، لأن من دخل بإملاءات وشروط هو ذلك الذي يريد أن تكون حركة الناس على وفق ما يريد وبالشكل الذي يراعي مشاعره ومصالحه. أما أولئك الصغار من الناس الذين هم صغار في نظر الآخرين، هم من ينطلقون وليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، يريدون أن يسخروا هذا العمل الثقافي، أو الإجتماعي، أو الجهادي، لمصالحهم.

الصغار عادة تكون نفوسهم طاهرة أكثر من الكبار صغار الناس ـ إن صح التعبير ـ أي الناس العاديون عوام الناس، وهذه هي كانت نظرة الإمام علي (عليه السلام) كان يقول: ((وإنما قوام الدين العامة من الناس)) كان يقول لـ[مالك الأشتر] ـ وأنظرها في عهد الإمام علي لمالك الأشتر في [نهج البلاغة]ـ : ((فليكن صغوك إليهم.. وليكن .. كذا)) يوجهه لأن يهتم بالعامة من الناس.[ص٨]

ـ تحرّك بالناس الذين ليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية:

لاحظنا أخطاء حصلت في الماضي في عملنا الثقافي، وكم سمعنا من زملائنا من محاولات ـ بحسن نية ـ قد توقعنا في أخطاء أيضا ، ورأينا الآخرين يتحركون هم باسم الدين يغلطون أيضا وهم يحاولون أن يسكتوا عن هذه من أجل أن نكسب فلاناً، وتتمشى مع هذا من أجل أن نكسبه، ومن أجل أن نكسب هذا الحزب، ونكسب هذا الشيخ، ونكسب هذا الشخص، هم ما عرفوا أنهم في الأخير إنما سخروا هذا الدين الذي يتحركون باسمه لأولئك الكبار.

تحرك في أوساط الناس الذين لا يريدون منك أن تسخر دينك لهم، ليس لديهم قائمة من المصالح المادية والمعنوية، لا يستجيبون إلا بقدر ما يكون عملك ـ كيفما كان ـ في مصالحهم، هؤلاء هم الذين سينصرون الإسلام. الإسلام يريد نوعية من هذه، هؤلاء من سيستجيبون لله استجابة كاملة، لأنهم ليس لديهم المشاعر التي يمكن أن تجعلهم مستكبرين.

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}(السجدة: من الآية١٥). ليس لديهم ما يحملهم على الاستكبار، هؤلاء هم القريبون جدا، هؤلاء هم من كانوا أنصار الأنبياء والأئمة، وكل أولياء الله في كل زمان، وراجعوا القرآن الكريم {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ}(لأعراف: من الآية٧٥) .

تجد أن نوحا (عليه السلام) في الأخير الذي لبث في قومه تسعمائة وخمسين عاما شكا من أولئك الكبار{وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً}(نوح: من الآية٢١) كان أولئك الناس مرتبطين بكبارهم، والكبار عادة تكون لديهم قائمة طويلة عريضة من الأشياء في نفوسهم، لا يريدون أن يستجيبوا، وإن عرفوا الحق ولا يدعون الآخرين من أتباعهم أن ينطلقوا في الاستجابة للحق لأنهم كما يقال في زماننا هذا: [سيأخذون أصحابك]، يتواصلون فيما بينهم الملأ هنا والملأ هناك: [انتبه اشتد في مواجهة هذا وإلا سيأخذ عليك أصحابك]. هي من ذلك اليوم قديمة هذه قديمة من ذلك الزمان. عندما ربط الصغار أنفسهم بالكبار ألم يضلوا؟ وتسعمائة وخمسين سنة لم يهتد فيها إلا القليل القليل{وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}(هود: من الآية٤٠) ، وسعتهم [سفينة] ووسعت أيضا حيوانات أخرى من كل جنس، بعد تسعمائة وخمسين سنة، إن تلك الآيات تقول لنا: لا تربطوا أنفسكم أبداً بالمستكبرين، أو بمن

يتوقع أن يكون لديهم قائمة في نفوسهم طويلة عريضة، فسيستكبرون إذا ما وجدوا أن الاستجابة ستؤثر على مضمون تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم من المصالح المادية والمعنوية.

ضلت أمة لأنها ارتبطت بكبار من هذا النوع، لكن كبيراً ينزل معي ، وندخل سويا في هذا الدين الذي هو دين للكبير والصغير، والواجب فيه على الكبير والصغير.

لنكن فيه كبارا أمام الله جميعا عندما نكون من أوليائه يكرمنا، بل نرى أنفسنا صغارا أمام عظمة الله جميعا.

ونرى داخل هذا الدين أيضا عزتنا والحفاظ على كرامة بعضنا بعض، والحفاظ أيضا على المقامات حتى المقامات المعنوية والاجتماعية للبعض الآخر، متى ما دخلت معنا هنا بدون إملاءات وسلمت نفسك لله وانطلقت كانطلاقتنا حينئذ ستحظى باحترام كبير من جانبنا، لكن أما أن يكون كبرك هو الذي يدفعك إلى أن تحول بيننا وبين الاهتداء كما حال أولئك الملأ بين قوم نوح وبين الاهتداء على مدى تسعمائة وخمسين سنة، حتى قيل إنه كان يوصي الرجل منهم أولاده بعد عمر طويل مائتين سنة، أو أربعمائة سنة، يوصي أولاده أن لا يستجيبوا لنوح (عليه السلام)، يكبر أولاده فيوصوا أولادهم قبيل الموت أن لا يستمعوا لنوح عليه السلام لأنه بقي زمانا طويلا معهم.

لا تربط نفسك بكبار من هؤلاء ولا تربط عملك الثقافي بكبار من هؤلاء، ولا تربط عملك الجهادي بكبار من هذا النوع، ليشترك الكبار والصغار في أن يدخلوا سويا من هذا الباب، ومتى ما دخلنا سويا من هذا الباب فنحن من سيقدر بعضنا بعضا أكثر تقديراً مما يتطلبه أولئك الكبار منا، وهو التقدير الذي يريدون أن نضحي بديننا في مقابلة، نقول ستحظون بتقديرنا وسنحظى جميعا بتقدير بعضنا بعض وإجلال بعضنا بعض إلى درجة الأخوة الإيمانية هل هناك أرقى منها؟.

الأخوة الإيمانية هي أرقى درجات الولاء، احترام متبادل، تقدير متبادل، بذل للمعروف متبادل، نصيحة، تواصي، أخوة تصافي ، تآلف للقلوب.

خطير جداً أن يعشعش في ذهنك وأنت تطمع في هذا العمل أن يكبر، أو في ذلك العمل الثقافي أن يكبر، فتحرص على أن يدخل هذا الكبير ، وهذا الكبير، وتدخل هذا الحزب وتظم هذا الحزب إليك، أو تنظم إلى هذا الحزب من أجل أن توسع هذا العمل .. خطير جداً.

[سورة عبس] من تأملها سيدرك الخطورة البالغة، ألم تأت آيات عتاباً للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، لأنه بحرصه على الهداية وبحرصه على أن يسلم أكبر عدد ممكن من الناس ليهتدوا ليس ليضمهم إلى مقامه أنه يريد أن يتزعم أو أن هذا هو همه، إنما لينجوا من عذاب الله ليهتدوا بهذا الدين العظيم فيسعدون في الدنيا والآخرة ، حريص على الأمة.

عندما اجتمع مع ملأ من أولئك وتوجه إليهم بكل مشاعره حريص على أن يسلموا ، جاء ذلك الأعمى، فكأنه رأى أنه جاء في غير الوقت المناسب، قطع الموضوع فكأنه حصل لديه نوع ما من التقزز والاستياء أنه جاء في غير الوقت المناسب قطع عليه حديثه، وجعل أولئك يأنفون من مجيئه، وينفرون من أن يروا هذا الأعمى عنده، تأتي هذه الآيات: {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى} (عبس١-٥) .

لأن المهم هو: أن تجد الرجل الذي تنفعه الذكرى، هذا هو المهم . هنا: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} .

فليكن عملك في هذا الوسط مع هذه النوعية، ولو شخصا واحدا، سيكون مكسبا من هذه النوعية. {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} (عبس:٥-١١) كلا: إنزجر عن هذا الأسلوب، وهو من قال الله له: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤) وهو من انطلق بحرصه الشديد على هداية الناس، لأن الخطورة بالغة. [ص١٠]

ـ ليكن خطابك ومنطقك واحداً أمام جميع الناس:

هؤلاء الذين يرون أنفسهم إذا ما دخلوا دخلوا من فوق، وبشروط وإملاءات، هم من سيكونون عقبة دائمة في ميدان العمل، هم من سيجعلونك تصنف كلامك مع الناس كما نجده لدى الكثير، فخطاب مع الكبار يقدم نسبة من الدين فقط إليهم التي لا تثير مشاعرهم، ويتخاطب مع عامة الناس خطابا شديداً ولهجة قاسية، فينطلق على المنبر يخاطب أولئك المساكين بلهجة قاسية فيحذرهم من جهنم وكلام من هذا، ويخاطب أولئك الكبار الذين قد حرص على أن يضمهم إلى جانبه ـ كما يتصور ـ خطاباً لطيفا رقيقا لا يثير مشاعرهم، فسيكون خطابك للناس منوعا ومشكلا، والدين هو واحد، وليكن منطقه واحدا أمام الناس جميعا.

وهكذا كان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ينطلق في مسجده ويتحدث مع الناس سويا بعبارات واحدة وكلاما واحدا يوجه للجميع لكن انظر إلى علماء آخرين ممن يؤمنون بشرعية هذا، حكم هذا ممن يؤمنون بضرورة أن يتمشى مع هذا، كيف تجد خطابه هنا يختلف عن خطابه مع الآخرين، كيف يقدم الدين مشكل ومنوع على حسب أمزجة هؤلاء الكبار، وعندما نسمع في هذه الآية: {وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} كأنها تقول لنا: ليكن اتجاهكم إلى أولئك الناس الذين أنتم لا تتوقعون أن في أنفسهم ما يدفعهم إلى الاستكبار فهم من سيبنون صرح الأمة، لبنات كل شخص منهم قابل أن يكون لبنة في هذا الصرح. لكن ذلك هو لا يقبل إلا أن يكون اللبنة العليا، قبل أن يكون هناك لبنة تريد أن تضعه لا يرضى، لا يقبل ، لا يقبل، لا يقبل أن يكون ضمن اللبنات الأولى، دعه هناك لبنة بمفرده، ليبتني صرح الأمة من اللبنات التي تقبل.

والله تحدث في القرآن الكريم عن البنيان: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (الصف:٤) **من أين تتجمع هذه اللبنات في البنيان المرصوص إلا من أولئك الذين لا يستكبرون. أما اللبنة التي تستكبر فهي لا تقبل. لا تقبل أبدا أن تكون هنا، بل قد لا تقبل أن تكون لبنة عند لبنة أخرى، يريد أن يكون لبنة لوحده فوق [القِرَّة] أي أعلى زاوية الجدران في البيت، وستراه لبنة لوحدها فوق [لِقرَّة] هل لها أثر؟ ليس لها أثر ليس لها أكثر ليست أكثر من إضافة ثقل على بقية اللبنات الأخرى، بعض الناس لا يقبل أن يكون لبنة مع هذا ومع هذا ومع هذا في صف واحد.**

يريد أن يكون لبنة هناك، فأنت تراه يريد أن يكون لبنة بمفرده، يريد أن يتربع فوق ذلك البنيان أو في ذلك الموضع الذي لا يفيد ذلك البنيان، متى ما أكمل الناس بناء طابق وبقيت حجر وضعت هناك فوق [القِرَّة] كل الناس يرون بأنها لا تأثير لها .. أليس كذلك؟ لكن الحجر التي تحتها ضمن أحجار أخرى في الصفة من الأحجار هي حجر لها قيمتها .. أليس كذلك؟.

هؤلاء لا يريدون أن يكونوا لبنات، فليكونوا لبنات هناك، ويبنى الصرح من الذين يقبلون، ليروا أنفسهم ـ هم في الأخير ـ لبنات لوحدها بعيدة لا وزن لها، ولا قيمة لها، أليس هذا ما حصل؟ أولئك المستكبرين الذين كانوا يقولون لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله): اطرد أولئك الضعاف، تغيرت الأوضاع وإذا بهم يرون الضعاف يجثمون على صدورهم في بدر ويحتزون رؤوسهم.

هكذا الأحداث كلها تنبئنا، وآيات القرآن أيضا تنبئنا بأنه لا تطمع في الكبار بالشكل الذي تضحي بعملك من أجل أن ينضموا إلى صفك، أو يقبلوا أن يكونوا من يتحركون ضمن هذا العمل، رأينا آخرين ممن يعملون مع [مشائخ]، تجد ذلك الشيخ في واقعه لم يتغير ولم يتبدل إلى الأفضل هو هو ، ولديه مركز في بيته مركز أو قريبا منه مركز يدعمه من المراكز الأخرى، أو لديه داعية من أولئك الدعاة، ما يزال هو هو الأول، لم يتغير فيه شيء، أولئك يفرحون بأنهم كسبوه وهو يرى نفسه أنه كسبهم هو، وأنه يريد من خلالهم أن يلمع وجهه أمام الآخرين، ليقولوا أصبح من أولياء الله، تراه هو ما يزال في مكره وخداعه، وإثارة المشاكل بين الناس، وظلم هذا وظلم هذا، تراه لا يصبغ نفسه بصبغة المتقين هو ولا يتأثر حتى بأولئك الذين يفتح لهم مجلسا في بيته لا يتأثر بهم، لكن عندما تقول لهم: ما بالكم؟ يقولون: نريد أن نكسب هذا، ونكسب هؤلاء. ويرون أنفسهم في

الأخير أنهم أصبحوا أصحاب عمل مهم، لأنهم كسبوا هذا وهذا وهذا، وهم لا يدرون أنهم في الواقع إنما كسبهم أولئك الأشرار، هم الذين كسبوهم، وأن هؤلاء المساكين الذين ينطلقون ـ وقد يكون بحسن نية ـ هم من ضحوا بالدين وقدموه بالشكل الذي يخدم أولئك الأشرار، يلمعون أنفسهم أمام الآخرين فيحصلون على ما يحافظ على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية. *[ص١٢]*

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٦)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

بسم الله الرحمن الرحيم
منهجية الدعوة في القرآن الكريم
[وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ]

ـ لا ينبغي أن نكون أقل وعياً من الجن:

لا ينبغي أن نكون أقل وعياً من الجن، الجن الذين نحن إذا ما غضب أحد منا على ابنه، أو على أي شخص دعا بالجن .

الله قال عن الجن: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ } (الاحقاف:٢٩) كان موقف الجن موقفاً جميلاً، موقفاً متكاملاً من بدايته إلى نهايته على مستوى عالٍ من الأداء، جعل ذلك الموقف جديراً بأن يسطره الله في القرآن الكريم، وأن يجعله عبرة للإنس.

ـ الاستماع بإقبال وتوجه:

حكى عنهم منذ أن وصلوا إلى عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أنهم لما {حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا} استماع بإقبال بتوجه {فَلَمَّا قُضِيَ} ذلك الجزء من القرآن الكريم الذي استمعوه، فهموا، ووعوا، وانطلقوا إلى قومهم عائدين، منذرين لقومهم.
جلسة واحدة مع من؟ مع القرآن الكريم، هذا القرآن الذي نجلس معه جلسات وجلسات، وأشهر ولا ندعه يترك أثره في نفوسنا، جلسة واحدة اكتفى بها أولئك النفر من الجن لأنهم هكذا: لما حضروا أنصتوا واستمعوا بكل مشاعرهم، كانوا كلهم آذاناً صاغية.

ـ تحمل المسئولية:

ثم فهموا: أن القرآن هذا ليس مجرد كلام يعجب به من يسمعه، ثم يعود إلى بيته . هل عادوا إلى بيوتهم وقالوا: [سبحان الله ما أجمل ذلك الكلام] وكل واحد عاد إلى شغله وعمله ؟ عادوا إلى قومهم منذرين .

أسلوب النقل من أرقى الأساليب:

وإنذار أيضاً على أرقى أسلوب، عندما عادوا إلى قومهم لم ينطلق الواحد منهم ليقول: [يا جماعة اعملوا كذا وكذا....] من تلقاء نفسه ؛ لأنه هو الجنّي الذي انصرف من عندهم قبل ساعة، ثم عاد، سينظرون إليه نفس النظرة السابقة، لن يتأثروا به، لكنهم اختاروا أسلوباً جميلاً ـ ولهذا سطر هذا الأسلوب أيضاً ـ عندما عادوا إلى قومهم قالوا: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا} (الاحقاف: من الآية٣٠) ألم يحكوا أنهم سمعوا كتاباً أنزل من بعد موسى ؟ كتاباً أنزل من عند الله إلى نبي بعثه الله من بعد موسى، الله أعلم في أي بلد كانوا هؤلاء الجن فلم يسمعوا بعيسى، ولم يسمعوا بأنبياء آخرين ، لكنهم على الرغم من جهلهم حتى بالموضوع ليس في أذهانهم إلا موسى، تأثروا بالقرآن الكريم، فكيف بمن يولد في بيئة القرآن الكريم، وفي بيوت يُقرأ فيها القرآن الكريم، وعند مساجد يُقرأ فيها القرآن الكريم، في الصلاة، وفي غير الصلاة ثم لا يتأثر؟!.

{إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} (الاحقاف: من الآية٣٠) بعض الناس قد يعود إلى أصحابه، وبعض الشباب من طلاب العلم إذا ما سمع شيئاً عاد إلى بلده، وانطلق هو ليحكي باسمه، باسم نفسه، ثم يأتي بعد ليقول: [يا أخي الناس لم يرضوا يسمعوا، حاولنا ما رضيوا] بالطبع نعم لن يتقبلوا منك، أنت ما تزال صغيراً في أعينهم، لكن لماذا لا تستخدم أسلوب الجن ؟ أن تقول: [يا جماعة أنا سمعت كذا وكذا.. أنا سمعت فلاناً] وفي نفس الوقت

تعتمد على القرآن الكريم، أن تقدمه للآخرين ؛ في هذه الحالة ستؤثر لأنهم سيقبلونك كناقل، وحينئذٍ ما تنقله أنت قد تنقله عمن لـه مكانته عندهم أعظم من مكانتك، وكلامه هو أرفع من كلامك، وكلام الآخرين ؛ لأنه هو كلام الله سبحانه وتعالى .

هذا هو الأسلوب الصحيح، وإن كان بعض الشباب قد يكون لديه رغبة هو أن ينطلق باسم نفسه، ويجرب نفسه. الإنسان يكون همه هو: أن يؤثر في الناس، فإذا رأى أنه في قريته، في بلده ليس لـه المكانة باعتبار صغر سنه، ليست لـه المكانة التي يمكن أن يؤثر بها على الآخرين ؛فيتكلم من تلقاء نفسه، يستخدم هذا الأسلوب: يحكي كتاب الله، يحكي كلام الآخرين ممن قد يكونون مقبولين أكثر منه .

ـ لا تتحدث مع الناس باسمك شخصياً:

هذا هو الأسلوب الصحيح، إذا كنت تريد أن تؤثر في الآخرين، لا أن يكون همك أن تبني شخصيتك ـ كما يقول البعض ـ فأنا أريد أن أحدثهم أنا، لأؤثر فيهم أنا، ليعرفوا من أنا، لا حاجة لهذا .

أنا عندما أحدثكم لا آتي بجديد، من كتاب الله سبحانه وتعالى الذي عرفه من هو أكبر مني سناً من الحاضرين، وغيرهم، ومن أقوال أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومنهج أهل البيت، كالإمام الهادي، وغيره من قدماء العترة (صلوات الله عليهم) فنحن لم نأت بجديد، إنما نشكو من الجديد، نحن نشكو من الجديد الذي هو دخيل على أهل البيت وعلى الزيدية، إنه هو الذي ضرَبنا، هو الذي أثر علينا، هو الذي فرق كلمتنا، هو الذي جعلنا أذلة مستضعفين، جعلنا نصمت، نسكت على الرغم مما يواجه به الإسلام، والمسلمون من قبل أعداء الله، فأنا شخصياً لا أقول جديداً، كتاب الله، وما نعلمه من قدماء أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومنهجهم.

فعندما يلمس الآخرون تأثيراً لكلام آتي به، إنما هي بركة القرآن الكريم، وبركة أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) . لو انطلقت لأستخدم أنا نفسي هذا الأسلوب: أتحدث باسمي شخصياً، وأريد أنا شخصياً أن أؤثر في الآخرين، قد لا أؤثر، قد لا تؤثر، لكن ليكن همك هو النصح، هو أن تنصح، وإذا كان الأسلوب الصحيح لأن تنصح هو: أن تحكي عمّن الناسُ سيقبلونه فاحكه، وليس عيباً فيك أن تقول: سمعت ؛ لأنك ترغب أن تقول: قلت، ليكون التأثير هو لك شخصياً ؛ليعرفوا مقامك، أو ليعتبروك شخصاً عظيماً أو لأي شيءٍ آخر.

هذه هي مما يحول دون التأثير، قد يكون مما يفقد كلامك بركته ـ وإن كان كلاماً إيجابياًـ لأنه لم ينطلق خالصاً، فيه شيء، تحاول أن تبدو كبيراً، وتبدو عظيماً عند الآخرين .

لما كان أسلوب الجن أسلوباً جميلاً سطره الله في القرآن الكريم، استطاعوا في موقف واحد ـ وهم من هم دون الإنسان في كماله ـ في موقف واحد أن يفهموا القرآن الكريم أنه من عند الله، وأن يتأثروا به في أنفسهم، وأن يعرفوا ماذا يريد القرآن منهم، فانطلقوا إلى بيوتهم عاملين، لم ينطلقوا إلى بيوتهم عائدين وساكتين، ثم عندما تحركوا للعمل عرفوا أن الأسلوب الصحيح هو: أننا عندما نعود إلى الآخرين، ونحن لم نفارقهم إلا منذُ ساعة، أو ساعتين ماذا سيكون لكلامنا من أثر عندهم ؟ فلنقل: {إِنَّا سَمِعْنَا}.

ـ فهموا أن القرآن كتاب هداية:

{كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} (الاحقاف: من الآية٣٠) لم يقولوا مجرد ثناء على ذلك الكتاب، كتاب هداية، فهموا أن القرآن هو كتاب عمل وكتاب هداية، يهدي إلى الحق، هو يرشد، وهم ـفعلاًـ فهموا أن قومهم بحاجة إلى أن يهتدوا .

كثير مما في داخل هذه الآية مما فهمه الجن هو مما يغيب فهمه عن أكثرنا نحن، فهموا أن قومهم في أمس الحاجة إلى أن يهتدوا فقالوا لقومهم: هناك مصدر للهداية هو هذا الكتاب، يهدي إلى الحق، وهذه قضية مهمة،

أن يعثروا على شيء يهدي إلى الحق ؛ لأن الحق مطلب مهم، هو نفسه الشيء الذي لا نكترث أمامه، أن تعرف أن هناك شيئاً يهدي إلى الحق فتكون أنت من تبحث عنه، وأنت من يشغل ذهنك أن تعثر عليه.

ـ فهموا أن الحياة مسيرة:

{يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم} لأن المسيرة هي مسيرة عمل، والحياة كلها هي مسيرة إلى الله سبحانه وتعالى، يهدي إلى الحق فتفهمه، إلى الحق فتنطلق تعمل من أجله، من أجل أن تدافع عنه، ولتسير على الطريق التي رسمها الحق، وإلى طريق مستقيم، طريقة مستقيمة في هذه الحياة، وطريق مستقيم يهدي، و يوصل من يسير عليه إلى رضوان الله سبحانه وتعالى وجنته.

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} (الاحقاف: من الآية٣١) لاحظوا كيف الأسلوب تكرر أيضا {داعي الله} ؟ لم يقولوا: يا قومنا: أعملوا كذا وكذا...، هكذا بدون أن يلحظوا من هو الذي دعا إلى هذا الشيء الذي يريدون من أصحابهم، أو قومهم أن يعملوا به {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ} (الاحقاف: من الآية٣١) ... [وإذ صرفنا ص٢]

[محياي ومماتي لله]

ـ إذا لم تكن حياتك وموتك لله فلا فائدة في علمك:

من هذا نخلص إلى قضية باعتبارنا طلاب علم وأن طالب العلم إذا لم يكن يريد من وراء طلب العلم هو أن يكون على هذا النحو: أن تكون صلاته وأن يكون نسكه وأن تكون حياته وأن يكون موته لله رب العالمين فلا فائدة في علمه لا فائدة في حياته لا فائدة من موته لا فائدة في عبادته. أنت كطالب علم يجب أن تضع هذا نصب عينيك: لماذا أريد أن أطلب العلم؟ أنا أريد أن تكون عبادتي لله وأن تكون حياتي لله وأن يكون مماتي لله. علم آخر يصرفك عن هذا فليس العلم الذي هو عبادة لله ليس العلم الذي تفرش الملائكة أجنحتها لطالبه ليس العلم الذي من سلكه سلك طريقاً إلى الجنة هذه طريق الجنة التي أمر بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي أمرنا بأن نقتدي به وأن نقتفي آثاره وأن نسير على نهجه ونسير بسيرته ونتحلى بأخلاقه.. هذه قضية.

ـ لا يكن همك من وراء تعلمك الحصول على مكانة رفيعة عند هذا أو ذاك:

القضية الثانية لا يجوز أن يكون هم الإنسان من وراء التعلم هو أن يكون له مكانة رفيعة عند هذا أو عند ذاك أو عند هؤلاء الناس أو عند أولئك هذه من الحماقة أيضاً .. أهم ما يجب أن تطلبه وأهم رفعة يجب أن تطلبها وتنشدها وأعظم علو يجب أن تنشده وتطلبه وتعمل على أن ترتقي بنفسك إليه هو: أن تحظى بالقرب من الله.. أرفع الناس أعلى الناس أعظم الناس هو أقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ولا قيمة لأي رفعة إذا كان الإنسان منحطاً عند الله إذا كان الإنسان لا كرامة له عند الله.

ومن الإستهتار بالله وبعظمته أن لا يكون في نفسك شعور بأن عظمته بأن القرب منه بأن الرفعة في القرب منه بأن العلو والسمو في القرب منه هو أعظم وأهم من الرفعة عند الناس ومن العلو عند الناس ومن المكانة عند الناس .. استهتار بالله أن تنشد الرفعة عند الناس ولا يكون همك أن تكون مقرباً عند الله لأنك حينئذ قد جعلت للناس في نفسك مكانة أعظم من مكانة الله وجعلت الناس أعظم عندك من الله فأصبح القرب منهم أصبحت المكانة عندهم أصبحت الرفعة لديهم هي عندك أغلى وأهم إلى درجة أنك لا تلتفت إلى قضية الرفعة عند الله والعلو عنده والقرب منه هذا هو من الإستهتار بعظمة الله سبحانه وتعالى ومن الجهل بالله ومما ينسف أعمال الإنسان كلها.

ـ احرص على أن تعلي كلمة الله لا أن تعلي شخصيتك:

يجب أن تحرص على أن تكون مقرباً من الله ويجب أن تعمل على أن تعلي كلمة الله لا أن تعلي شخصيتك أن ترفع راية الإسلام لا أن ترفع رأسك أن ترفع الأمة وأن تعلي الأمة لا أن تهتم بشخصيتك أنت، يكفيك شرفا أن تشعر أنك تسير في طريق هي لله رضا وأنك تسير في سلم القرب من الله سبحانه وتعالى هذا هو الشرف العظيم ثم اعمل على أن ترفع كلمة الله على أن تعلي كلمة الله على أن ترفع الأمة وأن تعمل على رفعة الأمة من هذه الوضعية المنحطة التي تعاني منها هل يمكن أن يحصل لدى أي شخص منا شعور بهذا؟.[ص٦]

ـ الهزيمة النفسية نتيجة لابتعادنا عن الله وعدم الاعتداد بمعيته:

أو قد يكون كل واحد منا يقول: ماذا يمكن أن أعمل لهذه الأمة؟ من أنا حتى أعمل على رفعة هذه الأمة! قد يقول واحد منا هذه لأننا أصبحنا كمسلمين بابتعادنا عن القرآن الكريم بابتعادنا عن الله ولأننا لم نعد نعتد بقدرة الله بجبروت الله بأنه هو القاهر فوق عباده لم نعد نعتد بمعيته أن معيته قوة أن معيته نصر أن معيته تأييد إذا ما كان معنا.

أصبحنا مهزومين نفسيا لما فقدنا هذه الأشياء أصبحنا مهزومين نفسيا فأصبح كل واحد منا تقريبا يرى بأنه لا يمكن أن يكون له دور في إنقاذ الأمة من هذه الوضعية التي تعاني منها! لكن أنت لو ترجع إلى أمثلة كثيرة في واقع الحياة ستجد وعلى طول التاريخ أن إنقاذ عباد الله جاء في أغلب حالاته من حيث لا تحتسب الأمة وعلى أيدي من لم تكن الأمة تقدر أنه ممكن أن يعملوا شيئا في تاريخها وفي حياتها [الخميني] خرج وهو رجل فقير مهاجر من قرية تسمى [خُمَين] لو لقي رجلا آخر وقيل له: إن هذا سيعمل في المستقبل عملا عظيما وسيقيم دولة إسلامية ربما لأقسم هذا الأخير أن هذا مستحيل لأقسم أن هذا مستحيل لكن تحقق هذا وهكذا أمثلة كثيرة.[ص ٧]

ـ قدم القرآن وكأنك تعد جنداً لله:

فالإنسان يعرف أنه يجب ونحن تحدثنا معكم في جلسة سابقة فيما يتعلق بالقرآن الكريم: أن عليك وأنت تعلم القرآن الكريم أن تقدمه للناس وكأنك تعد جنداً لله تتحدث عن آيات الوحدة على أرقى مستوى عن آيات الجهاد عن آيات الإنفاق عن الأمر بأن يكون الناس أنصاراً لله عن أن يكونوا أمة واحدة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر عن كل ما هو من هذا القبيل تقدمه وكأنك تعد جيلاً مجاهداً هذا هو منطق القرآن لا تحاول أن تعكس نفسيتك وهزيمتك النفسية على طلابك وعلى القرآن الكريم فتقدمه هزيلا.

أيضا أنت كطالب علم عندما تقرأ القرآن الكريم لا تدخل إلى القرآن بنفسيتك المهزومة أدخل إلى القرآن بعد أن تكون قد نذرت حياتك لله ونذرت موتك لله وجعلت من نفسك جنديا لله التزاما بقول الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَاراً لِلَّهِ} (الصف: من الآية١٤) فاقرأ القرآن حينئذ وتأمله لتعرف كيف تؤهل نفسك كجندي من جنود الله لكن أن تقرأ القرآن أو تقرأ علوما أخرى لتدخل إلى القرآن بعد فتمر بآيات من هذا النوع فتحاول أن تجمدها مكانها فاعرف أن هذا هو الشقاء وهذا هو الذي يجعل الإنسان فعلا لا يقدم ولا يؤخر للأمة بل يضر بالأمة بل يضر بالدين بل يضر بنفسه عندما يصل إلى مثل آية: {كُونُوا أَنْصَاراً لِلَّهِ} سيقول:[هذه آية محلها حقيقة لكن من الذي يستطيع؟] عند آية: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران: من الآية١٠٤) يقول:[هذا صحيح لكن من الذي يستطيع؟ الناس ما منهم شيء ولن يرضوا ولا يستطيعوا فعل شيء] وهكذا عندما يدخل الإنسان بهذه الروحية لن يعمل شيئا لن يحقق شيئا ويكون في واقعه لا يصح أن يطلق عليه اسم عالم . العالم هو من يجب أن يستفيد علمه من القرآن الكريم وأن يكون علمه بالشكل الذي يجعل القرآن حيا في واقع الحياة وحيا في نفسه يجعل القرآن حيا في نفسه وفي واقع

الحياة أما أن يقرأ يقرأ لينتهي في الأخير إلى أن يجمد كل هذه الآيات مكانها فهو ليس بحاجة إلى أن يقرأ حتى يجمدها. [محيياي ص٧]

[آيات من آل عمران الدرس١]

ـ لا بد للأمة من أعلام تلتف حولهم:

أم أن الله سبحانه وتعالى لم يهتم بالأمة هذه؟!. فكتاب ورسول هو سيد الرسل لمجموعة من البشر في زمن محدود ثم يقول هذا الدين هو كله للعالمين، وهو يهددنا ويحذرنا من أهل الكتاب وهم [بدو] مقابل أهل الكتاب الرهيبين الشديدين في مكرهم الذين يمتلكون إمكانيات هائلة، ثم لا يضع حلاً للمسألة؟!.

الحل هو نفس الحل :لا بد للأمة من أعلام تلتف حولها، هم أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) .

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) هذه آيات الله قائمة فينا، لكن عندما فُقدت الأعلام ألم يضع الكتاب نفسه؟. ـضيعناه نحن ولم يضع هوـ. ألم تضيع الأمة الكتاب عندما أضاعت الأعلام؟. أم أنه ليس هناك إشكالية؟. هذه نقطة مهمة. أن من قوله {وفيكم رسوله} بعد قوله {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} (آل عمران: من الآية١٠١) إذا قلنا وأنتم تتلى عليكم آيات الله، [حسبنا كتاب الله]، ألم يقلها عمر؟. لكن كتاب الله تحتاج الأمة إلى من يجسده ـ تحتاج الأمة ولا يصح أن نقول: يحتاج، يحتاج.. هذه عبارة ليست مؤدبةـ. ولكن نقول الأمة تحتاج إلى من يهديها به، تحتاج إلى من يجسد قيمه، تحتاج إلى من يفهم آياته فيرشدها بهديه وإرشاده، الأمة تحتاج إلى هذا.

فعندما رأت نفسها مستغنية ما الذي حصل؟. هل اهتدت فعلاً بالقرآن؟. لا، بل ضلت ولم تهتد بالقرآن، وبدلاً من أعلام الحق يصعد لها أعلام سوء، وأعلام شر، وأعلام باطل هذا الذي حصل، فضلت عن القرآن، وبدلاً من أن يكون لها أعلام حق وأعلام هدى يبرز لها أعلام شر وضلال على امتداد تاريخها، وتتعبد الله بولائهم.

وما أسوأ أن يتعبد الإنسان ربه بالضلال، ما أسوأ أن تتعبد الله بضلال، ولهذا ضللت ثم رأيت الضلال حقاً فأصبحت تتعبد الله بضلال، والله هو المنزه أن تقصر أنت في طاعته بالحق الذي هو حق، متنزه، لا يليق بك أن تقصر في طاعته بالحق الذي هو حق صريح، أما أن تتعبد الله بالضلال فهذا شيء لا يليق بالله إطلاقاً، لا يليق بكماله إطلاقاً.

ثم إن الضلال يتجه نحو من هو شر، أن أتعبد الله بأن هذا هو عَلَم من أعلامه، وهو نفسه ممن يخالف كتاب الله ويخالف رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هو نفسه ممن ضرب الأمة وأهان الأمة، هو نفسه ممن يحمل الباطل من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، أنا أتعبد الله بأن هذا هو بيني وبين الله، هو عَلَم من أعلام الله أليس كذلك؟. معنى ذلك أنه إن كان الله شراً، وكان الله ناقصاً فيمكن أن يكون هذا علم من أعلامه فأنت تدنس الله ـ إن صح التعبيرـ أن تتعبده بتولي هذا ؛لأن هذا لا يليق بأن يكون فيما بينك وبينه، {وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً} (الكهف: من الآية٥١) عضداً أو مساعدين أو عوناً فيما يتعلق بهداية عبادي، لا يمكن .

لكن تصبح المسألة إلى هذه الدرجة أن يتعبدوا الله بالضلال فيتولى ذلك الشخص ويصلي عليه كما يصلي على محمد وآله، يصلي عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين فيدخلهم في الصلاة التي هي كلمة لها معاني رفيعة، لها معاني سامية جداً، ولها ـفيما توحي بهـ معاني مهمة جداً؛ من أجل أن تشمل أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعائشة وفلان، وفلان [أجمعين].

إذن فالأمة تحتاج في تاريخها إلى القرآن ـوهو قائم بين أظهرناـ لكن ((رسوله)) هل كان رسول لتلك الفترة إذن فنحن يا الله لماذا تضيعنا؟. فترة قصيرة هي ثلاثة وعشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة تعطي أهلها وهم لا يتجاوزون آلافاً معدودة تعطيهم رسول الله هو سيد الأنبياء والرسل، ثم تضيعنا من بعد فلا تهدينا إلى أعلام، ولا تجعل لنا أعلاما، ولا ترشدنا إلى أعلام، يقوم فينا خلفاء لرسولك (صلواتك وسلامك عليه)، يهدون الناس بهديه ويجسدون قيمه ومبادئه ويسيرون بالناس سيرته فيلتف الناس حولهم. لا يجوز هذا على الله إطلاقاً، لا

يجوز على الله وإلا كان منافياً لرحمته، ونحن من نقرأ في كتابه: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:١-٢).

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألم} { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم} أليست كلها في بدايتها [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]؟.

وكلمة [رحمن رحيم] فيما تعنيه جملةً المبالغة في الرحمة، كما تقول: [الأخ العالم العلامة]، ألسنا نقول هكذا في رسائلنا: العالم العلامة؟، [عالم وعلامة] اشتقاقها واحد.

وضل المفسرون في معناهما فقالوا: رحيم بمن؟. ورحمن بمن؟.، رحيم في الدنيا و رحمن في الآخرة، فيقسمون رحمته ! هي فيما تعطيه جملةً تدل على المبالغة الشديدة في رحمته، في التعبير عن رحمته بنا.

[رحمن رحيم] عبارة واحدة تنظر إليها كعبارة واحدة، وهذا في لغة العرب تستعمل على هذا النحو تكرير الصيغتين ذات جِذْرٍ واحد، بصيغتين مختلفتين في الظاهر واشتقاقهما واحد للمبالغة جملةً الرحيم، الرحيم، الرحيم وكأنه يقول هكذا.

فأين رحمته ـ إن جوّزنا عليه هذا ـ إن جوزنا عليه أن يهتم بسكان الجزيرة العربية خلال فترة ثلاثة وعشرين سنة، وأمام يهود مساكين مستضعفين لله بدو لله، لم يكونوا على هذه الخطورة العالية، ثم يموت نبيه فيغلق ملف هدايته ورحمته ولطفه، ثم يقول: هناك الجنة وهناك جهنم، جهنم يسعرها بعد أن أغلق ملف هدايته ورحمته، هل هذا يليق بالله؟. لا يليق بالله سبحانه و تعالى، ولا يجوز أن تعتقده، بدليل أن الأمة في واقعها بطبيعتها لا يمكن أن تتخلى عن هذا، حتى وهي تسير في طريق الباطل تحتاج إلى أعلام للباطل، ولن تتخلى، أنت لا تستطيع أن تعيش في ذهنيتك بدون أعلام، تعدل عن هذا لكنك ترجع تلقائياً إلى هذا، أليس هذا الذي يحصل؟.

متى ما جاء شخص كره [السادة] ولا يريد [السادة] فإلى أين يذهب؟. يكون فاضي؟!. تراه يميل إلى من؟. إلى [مقبل، الزنداني، ابن باز، ابن تيمية، البخاري ومسلم، أبو بكر عمر، عثمان، عائشة]، أليس هذا يحصل؟.

لا يوجد إنسان يكون فاضي من الأعلام. لا يمكن أن تكون فاضي نهائيا ؛لأنك في نهاية المطاف إما أن يكون الله هو الذي في ذهنك، هو الله الذي أمامك أو يكون الشيطان. هل هناك شيء غير هذا ؟.

من الذي يستطيع أن يكون بعيداً عن أن يكون عَلَمُه هو الشيطان إذا لم يكن ماشياً على هدي الله؟. لا أحد. المسألة من أساسها سُنّة بشرية، فطرة بشرية لدى الإنسان يحتاج إلى أعلام سواء للحق أو للباطل، والحق أيضاً يحتاج إلى أعلام والباطل يحتاج إلى أعلام.

الباطل لا ينتشر من الأشخاص الذين هم في الشوارع مساكين تائهين، وعمل حديث وأطلقه، فجاءت الأمة تلتقطه ثم تعممه في مدارسها، هذا لا يحصل.

ينتشر الباطل من داخل أعلام رموز هم من يَلُوا أمر الأمة، أو يكونوا كعلماء في وسط الأمة فيصبح [قاضي القضاة]، أو يكون له لقب من هذا الألقاب، أو [إمام المحدثين]، فيأتي من هنا التضليل، ويأتي من هنا الانحراف، ويأتي من هنا الكذب، ويأتي من هنا الباطل فيعمم على نطاق واسع ؛لأني تلقيت الباطل من عَلَم، فبقدر ما لهذا العلم في نفسي من مكانة بقدر ما هيئت نفسي لتقبل هذا الباطل من جانبه، ليس هناك باطل ينتشر من الناس المساكين الفلاحين الذين يكونون بين أموالهم أو في الشوارع مُتَخبِّطين، لا يمشي الباطل من بينهم، التحريف الذي هو باطل كتحريف لمعاني القرآن أو وضع ثقافة باطلة.

من الذي يستطيع أن يعمم ثقافة باطلة؟. أليست هي الدول؟. والدول بواسطة من ؟ بواسطة علماء يخدمونها من صحابة أو من تابعين أو من غيرهم من بني البشر.

فالباطل نفسه يحتاج إلى أعلام، وما بين أيدينا لم ينتشر تلقائياً، إنما عن طريق أعلام شدّونا نحوهم، ثم قالوا هذا هو دينهم هذه هي عقيدتهم، هذه هي سيرتهم، هذا هو ما كانوا عليه، فالتزموا بما كانوا عليه، وأصبحوا يملئون أنفسنا، هكذا يكون انتشار الباطل، ولا بد في نفس الوقت أن الحق يسري على هذا النحو.

إذاً فالحق يأتي عن طريق أعلام لهم مكانة في نفوسنا، أعلام نجلّهم، ، أعلام نحترمهم، أعلام ندين بحبهم، أعلام نعرف تاريخهم المشرق، أعلام نعرف كيف كانوا يجسدون القيم الصالحة، كيف كانوا رحماء بالأمة، من خلال حبي لهم وانشدادي لهم وإجلالي لهم أتحلى بما كانوا يتحلون به، أدين بما كانوا يدينون به، فمن هنا يأتي تقبل الحق.

نفس الشيء الذي أحيط به كل مصادر هداية الله سبحانه وتعالى بدأ من القرآن الكريم، بدأ منه هو سبحانه وتعالى، ألم يقدم نفسه هو كعظيم لدينا، كعظيم نعظمه، نُجِلُه، نقدسه ليملأ مشاعرنا لننطلق في التمسك بهديه، إذا كان الله لا قيمة له عندنا فمن الذي يتمسك بهدي من لا قيمة له عنده؟ أليس نسيان الله يؤدي إلى أن ينسى الإنسان أن يهتدي بهديه {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} (التوبة: من الآية٦٧) .

كذلك كتابه الكريم، ألم يثنِ الله في كتابه الكريم الثناء العظيم {كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} (عبس:١٥-١١)

أليس هكذا تحدث عنها، يثني على القرآن الكريم بأنه كتاب حكيم، بأنه نزله من يعلم السر في السماوات والأرض، بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنه هدى، أنه نور، أنه شفاء، أنه موعظة، أنه .. أنه... لدرجة أن تملأ نفسك مشاعر الإجلال والنظرة إلى العظمة في هذا الكتاب فتهتدي بهديه.

إذا كنا نحن، ونحن الشيعة لم نصل بعد إلى درجة أن نؤمن بما توحي به هذه الآية وتنص عليه كحاجة ماسة {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) وأنه يرشد إلى منهج وقدوة، أليس كذلك؟. يرشد إلى كتاب، ينزل من عنده، ورسول يصطفيه من عباده، رسول هو خاتم النبيين، فلا بد أن يكون هناك أعلام للأمة من بعده يسيرون بسيرته، وليكن في المسألة كفاية، لأن يكون من جهة الله هو يرى أن فيها الكفاية للأمة.

ورثة من أهل بيت نبيه، هم لا يرقون بالطبع إلى درجة أنبياء، إنما هم ورثة لنبيه يسيرون بسيرته يهدون الأمة بهديه، يكونون هم أعلام دينه وأعلام هديه، تلتف الأمة حولهم.[ص٧]

لا بد أن نؤمن بقضية الثقلين بوعي:

ألم نصبح نحن كعرب أذلاء تحت أقدام اليهود والنصارى؟. ؛لأننا أضعنا ما استوجبنا به أن نكون تحت أقدام من قد أذلوا وضربة عليهم الذلة والمسكنة. ألسنا نحن الزيدية تحت أقدام السنّيّة؟ ؛لأننا نحن من أضعنا المسؤولية الكبرى، ونحن من تتنكر لأهل البيت (عليهم السلام)، ولم نؤمن بعد بقضية الثقلين ((كتاب الله وعترتي))، وقد آمن بها الآخرون، إنما لم يطبقوها، آمنوا بها لأن الحديث صحيح، لكن ثقّفوا ثقافة أخرى وانطبعت في نفوسهم عقائد أخرى وثقافة أخرى جعلتهم يعدلون عنها، وإلا فهم يؤمنون بها، نحن متى لم نؤمن بالثقلين فسنظل أذلاء وليطل الزمن ما طال، ولن نحظى بعزة، ولا بقوة، ولا بتمكن، ولن نستطيع أن نقدم للإسلام شيئاً.

كيف نستطيع أن نقدم.. ونحن ندخل بنظرية ناقصة، هي نفسها تجعلنا ندخل إلى القرآن ناقصين، وننظر إليه بنظره ناقصة، نزعم أننا لسنا بحاجة إلى أعلام بينما الله يقول لأولئك -كما قلت سابقاً وأكثر من مرة- {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} (آل عمران: من الآية١٠١) في مواجهة [بدو] من أهل الكتاب، أليس الحديث عن {إن تطيعوا فريقاً}؟. كان فريقاً أما الآن دول، أليس هذا صحيحاً؟، فريقاً يعني مجموعة من أهل الكتاب، أما الآن

أنت تواجه الصهيونية بإمكانياتها الهائلة، وتوسعها في العالم، أنت تواجه دولا بأكملها، تعمل كلها جاهدة على أن تكفرك، أن تصل بك إلى درجة الكفر، تمتلك إمكانيات هائلة تعمل على دعم وسائل الضلال.[ص١١]

[آيات من آل عمرآن الدرس٢]

ـ لا تتصور أن باستطاعتك أن ترسم لنفسك طريقاً هادئة:

قد يكون من مظاهر الضياع بالنسبة لنا كمسلمين، من مظاهر الضلال في نفوسنا أن يصبح الحديث عن قضايا مهمة جدا هي من صميم الدين، الحديث عن مشاكل كبيرة جداً وخطيرة جداً هي عامة لجميع المسلمين قد تبدو عند الكثير شيء ليس هناك حاجة للحديث عنه، أو شيء ليس هناك حاجة لمعرفته، شيء لا يهمنا عمله.

هذه الحالة النفسية في حد ذاتها ضلال كبير، وخطورة بالغة على الإنسان. يعود الواحد إلى تشغيل البرنامج المألوف لديه:[ما لنا حاجة سنصلي ونصوم، ونِلْهَم الله بين أموالنا].

إذا كانت هذه النظرة عند إنسان فليعرف بأنه في خطورة بالغة، ويعيش في حالة رهيبة من الجهل بدينه، وقد يكون فعلا سائرا إلى طريق جهنم وهو يعتقد بأنه هو الذي رسم لنفسه طريقا سليمة هادئة إلى الجنة، لكن محمدا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) احتاج إلى أن يسلك الطريق الشاقة إلى الجنة.. أليست هذه حماقة؟.

حماقة في النظرة إلى الدين، وفي النظرة إلى الجنة، في النظرة إلى الله سبحانه وتعالى، أن أتصور أنا، ومن أنا؟. أن باستطاعتي أن أرسم لنفسي طريقاً هادئة، طريقاً لا تشغلني عن أي شيء من أمور ديني، لا تشغلني عن أي شيء من أمور دنياي وأصل إلى الجنة بكل هدوء، لكن أولئك الأنبياء (صلوات الله عليهم) كانوا مساكين احتاجوا إلى أن يسلكوا الطريق الشاقة إلى الله.

سيد الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليه وعلى آله) الله يقول له: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}(النساء: من الآية٨٤) {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ}(هود: من الآية١١٢) {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}(الاحقاف: من الآية٣٥) {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}(التحريم: من الآية٩) .رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو سيد المرسلين، وهو من هو في إيمانه بالله، وقربه من الله.

إذاً فالإنسان يقيس نفسه برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو ذلك الرجل العظيم الذي قال الله لنا في مقام النظر إليه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:٢١)

أصبحت المأساة لدى المسلمين أنه ليس فقط مجرد تقصير في قضية هم يؤمنون بأهميتها، ويؤمنون بأنها جزء مهم من دينهم الاهتمام بأمر المسلمين، الاهتمام بأمر الدين، محاربة أعداء الله من اليهود والنصارى وعملائهم، لم يعد هناك شعور تقريباً عند كثير من الناس وخاصة داخلنا نحن الزيدية، من أصبحوا في أحط مستوى من الوعي.

قد نشعر بأن هذه القضية مهمة ولكن نبدو مقصرين فهذا لا بأس يمثل نظرةً جيدة، ولكن أحياناً وعند الكثير، بل وعند بعض المتعبدين أيضا تبدو قضايا لا أهمية لها، وأشياء خارج إطار ما يجب أن نهتم به من أمر ديننا، إذا كان هناك حالة مثل هذه تحصل عند أي شخص منا فلينظر إلى ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن رسوله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه هو كُلّف بأن يمشي ولو بمفرده في الطريق الشاقة.

الطرق الأخرى قد تكون كثيرة عند الناس، وقد ينطلق بعض الناس فيها بإعجاب أيضاً، بإعجاب بأنه قد رسم لنفسه طريق سلام من أحسن الطرق، ما الذي ينتج منها؟. ينتج منها تقصير في القضايا التي هي بالغة الأهمية عند الله، عدم شعور بأهميتها، وقد يرى نفسه في الأخير في وضعية سيئة جداً، بسبب تقصيره، قد يكون قد رسم لنفسه طريقاً ويرى نفسه أيضاً أنه مسلم، وقد يأتي الواقع فيكشف ولو لم يكن إلا يوم القيامة فيرى أنه

كان قد كفر فعلا، أصبحت تلك الطريقة التي رسمها لنفسه إنما هي طريق أبعدته عن الله، طريق جعلته بعيدا عن الجنة، طريق أدت به إلى النار.[ص٢]

ـ أهمية الاعتماد على الله فقط:

{فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(آل عمران: من الآية١٠١) طريق واضحة، طريق تؤدي إلى النجاة، تؤدي إلى الفوز، تؤدي إلى الغلبة، تؤدي إلى العزة، تؤدي إلى الرفعة والمكانة، تؤدي إلى الفلاح، {صراط مستقيم} قَيِّم ليس فيه عوج، ليس فيه [مطبات] قد تقفز من فوقه يحطم نفسك فيوقعك في الضلال، طريق لا تضل وأنت تسير عليه، طريق لا تخزى وأنت تسير عليه، طريق لا تُقهر ولا تذل وأنت تسير عليه، وهو في نفس الوقت مستقيم، قَيِّم، ذو قيمة، يجعلك أنت تستغني عن أي طرق أخرى متى ما سرت عليه، لا تحتاج إلى الالتجاء إلى أي طرف آخر متى ما سرت عليه، يستطيع أن يقف بك على قدميك، يستطيع أن يقف بالأمة السائرة عليه على قدميها، مستغنية عن أي قوى أخرى، مستغنية عن أي طرق أخرى، مستغنية عن أي خبرات لتهديها نحو الطرق التي توصلها إلى الفلاح والفوز والنجاة.

عندما كانت البلاد العربية مستعمرة من قِبَل البريطانيين، والفرنسيين، والإيطاليين، وغيرهم كيف كان يحصل؟. كان معظم ما يحصل ـ عندما كانت النظرة كلها منعدمة نحو الثقة بالله سبحانه وتعالى، الثقة بالله منعدمة في نفوس المسلمين ـ كان من يريد أن يتحرر من هذا البلد يلجأ إلى هذا، يتحرر من بريطانيا يلجأ إلى روسيا، يتحرر من روسيا يلجأ إلى بريطانيا، يتحرر من إيطاليا يلجأ إلى فرنسا، من فرنسا يلجأ إلى إيطاليا وهكذا. ما هي النتيجة في الأخير؟. أليست سواء؟. تخرج من تحت بريطانيا تدخل تحت روسيا، كلها واحد.

الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا بأن دينه يستطيع أن يجعلنا أمة مستقلة، تقف على قدميها، عزيزة، رافعة رأسها، تقهر الأمم الأخرى، ما الذي يحصل الآن؟. أليس كل العرب يتجهون إلى أمريكا لتفكهم عن إسرائيل؟. ولو أن أمريكا هي المحتلة وإسرائيل هناك للجئوا إلى إسرائيل تفكهم عن أمريكا. يلجئون إلى أمريكا وروسيا راعيتا السلام أن تفك فيهم من إسرائيل، النظرة القاصرة التي أراد الله أن يمسحها من أذهان العرب ـ لو تربوا على دينه، لو تربوا على نهج نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)، لو عرفوا سيرته وهو في جهاده من بدر إلى آخر غزوة لم يلجأ إلى طرف آخر، لم يلجأ إلى الفرس، أو يلجأ إلى الروم، وهما القوتان التي كانت تمثل القوى العظمى في العالم في ذلك العصر لم يلجأ إلى الفرس ليساعدوه ضد الروم، ولا إلى الروم ليساعدوه ضد الفرس، ولا إلى الفرس ليساعدوه على قريش، ولا إلى الروم ليساعدوه على قريش، ربى الأمة تربية توحي لها بأن في استطاعتها أن تقف على قدميها وتقارع الأمم الأخرى.

وكان أبرز مثال على هذا ما عمله هو في ترتيبات [غزوة تبوك] لأنه كان رجلاً قرآنياً (صلوات الله عليه وعلى آله) يتحرك بحركة القرآن، ويعرف ماذا يريد القرآن أن يصل بالأمة إليه في مناهجه التربوية وهو يربي نفوسهم كيف تكون كبيرة، كيف تكون معتزة بما بين يديها من هذا الدين العظيم فلا تحتاج إلى أي قوى أخرى.

حتى نحن على مستوانا في أعمالنا لدينا مثلا مراكز صيفية، نقول: [لننظر إلى المؤتمر إذا كان سيساعدنا، أو ننظر إلى ذلك الطرف إذا كان سيعيننا أو ننظر إلى هذا أو ذاك] تصبح حالة سائدة لدينا حتى كمواطنين من عند الكبار كمسئولين وحكام، ثم إلى عند المواطنين حتى إلى عند الدعاة في سبيل

الله، الذين هم دعاة في سبيل الله يجب أن يفهموا أولا ما يدعوهم إليه الله. في كيف يكونون معتمدين على أنفسهم حتى لا يقعوا في أحضان هذا الطرف أو أحضان هذا الطرف فتصبح في الأخير تخدم هذا أو تخدم هذا، ولم تخدم دينك بشيء، الأمر الذي يؤدي بالأمة إلى أن تضحي بدينها.

وهكذا تأتي آيات كثيرة تتحدث عن صراط الله بأنه صراط مستقيم بما تعنيه الكلمة من أنه قيم، وفيما تعنيه الكلمة من أنه يستطيع أن يجعل السائرين عليه قادرين أن يستقلوا بأنفسهم، وأن يقفوا على أقدامهم فلا يعتمد على هذا ولا على هذا. دينا قَيِّماً {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً}.[ص٧]

ـ ليس هناك ما يمكن أن يكون بديلاً عن الله:

{إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً}(الأنفال: من الآية٢٩) ألم يتحدث القرآن عن التنوير، والفرقان، والنور الذي يجعلها تأتي منه؟. ليس هناك شيء بديلا عن الله إطلاقا. فأن تأتي للقرآن الكريم هو، هو وليس في ذهنك الله سبحانه وتعالى العلاقة القوية بالله، الثقة القوية بالله؛ فإن القرآن في الأخير لا تستفيد منه. ما أكثر ما يُقرأ القرآن في أوساطنا، ما أكثر ما يسجل القرآن، ما أكثر الدارسين للقرآن خاصة في أوساط السنية، أليسوا هم أكثر من يدرس القرآن؟. أشرطتنا تأتي من عندهم، ومصاحف من عندهم، وكل شيء من عندهم من الطبعات للقرآن الكريم أليس معظمها من هناك؟. إلا من بعد ما [قامت الجمهورية الإسلامية] في إيران وطبع القرآن طبعات أخرى في إيران وإلا كلها أتت من عندهم.لكن هذه النظرة القاصرة التي تفصل القرآن عن الله جعلت المسلمين يفصلون أنفسهم عن الله، وعن كتابه فعلا.

الذين يقولون: [قد معنا كتاب الله وسنة رسوله]. نفس الشيء بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو هاديا إلى الله، أليس كذلك؟. هاديا إلى الله، فُصل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)عن القرآن في ذهنية الأمة، وهو رجل قرآني بكل ما تعنيه الكلمة، فُصل عن القرآن، ثم قسموه هو فأخذوا جانبا من حياته، جانبا مما صدر عنه وسموه سنة، فأصبحت المسألة في الأخير: الله هناك، رسوله هناك! هناك بدائل نزلت قرآن، وكتب حديث.

ولاحظنا كيف أصبح الخطأ رهيبا جداً جداً في أوساطنا؛ لأننا فصلنا كتاب الله عن الله، وفصلنا رسول الله، جعلنا شيئا سميناه سنته، ثم سنته جعلناها بديلا عنه، لاحظوا في القرآن الكريم كم يتكرر [الله ورسوله، في طاعة الله ورسوله، إتباع الله، ورسوله، استجابة لله، ورسوله]. ألم يتكرر كثيراً في القرآن بهذه العبارة [الله ورسوله] أكثر من كلمة [كتاب الله، أو كلمة سنة رسوله]، هل ورد شيء عن سنة رسول الله في القرآن الكريم؟.

المسألة من أساسها يجب أن تترسخ في ذهنيتك العلاقة بالله، العلاقة برسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) الثقة بالله، الثقة برسوله. رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) نفسه يكون له مقام عظيم عندك، تعرفه هو، تعرف حياته، تعرف مواقفه، وتنظر إليه كرجل قرآني، تنظر إليه كرجل يدور مع القرآن، {إن أتبع إلا ما يوحى إليّ} ألم يقل الله عنه هكذا ؟. {اتبع ما يُوحى إليك} {فاستمسك بالذي أوحى إليك} أليست هذه آيات صريحة؟. فصل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قسموه، وتصبح المسألة في الأخير مجموعة كتب حديث، تطلع في الأخير أصحابها هم الحاكمون عليها، هم المقدسون لدى الأمة، تصبح هي البديل عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، ألم يحصل في هذه الكتب أحاديث نحن نقول وعلماؤنا يقولون: بأنه لا يمكن أن تصدر من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟.

ما الذي حصل؟. أنها جُعلت بديلا عنه، ولم يلحظ جانبه، لم يلحظ مسألة العلاقة به،ولم يلحظ جانب التعرف عليه هو (صلوات الله عليه وعلى آله)،لم يلحظ جانب أن تترسخ له عظمة في نفوسنا، وإجلال، واحترام، وتقدير. الأمر الذي سيصل بنا إلى أن ننزهه من مثل هذا الحديث، أو هذه العقيدة، أن تكون صدرت منه، لكن

إذا لم تكن لك علاقة قوية برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وقالوا: هذا الحديث هو منه، وهذا الرجل الذي دوّن هذه الأحاديث هو فلان، وهو كذا، وهو.. وهو.. وهو أئمة السنة، إمام في السنة، أعلم الأمة بالسنة. أنت تعمل بالحديث وإن كان فيما يترك في نفسك من اعتقاد، أو نظرة مما لا يمكن إطلاقا أن ينسب إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنك فُصِلت عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، فُصِلت عنه فقدم لك بديلا عنه، هذا البديل صنعه الآخرون، أمكن أن تنطلي عليك الخدعة، وتقول: انتهى الأمر نحن متمسكون برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).أي متمسكون بكتب حديث معينة، أو بأشخاص معينين جعلناهم أعلاماً للسنة، فأصبحوا هم بدائل عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله).[ص٧]

ـ متى يكون ما يصدر من القلم جهاداً:

أليست هذه من الحماقة أن يفترض الناس أو تفترض الأمة لنفسها حالة هي لم تحصل للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟. أن نفترض لأنفسنا مقاما هو لم يحصل للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. ألم يقل الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): {فقاتل في سبيل الله} ما معنى قاتل؟. أليست هي كلمة صريحة؟. أصرح من كلمة [جاهد] التي تفسر في زماننا بأنه جهاد الكلمة، جهاد القلم، جهاد النفس، نصف أنفسنا بأننا مجاهدون لكن نريد بالقلم لأنه أسهل.. أليس هو أسهل؟. القلم يعتبر جهاداً إذا كان هو يصدر خطوطاً تؤدي إلى القتال فهو جهاد، أما إذا كان يصدر سطوراً تجمد الأمة، وتخدع الأمة فيعتبر ماذا؟. يعتبر منافيا للجهاد، يعتبر حربا على كل ما تعنيه كلمة [جهاد].

الكلمة نفسها إذا لم تأخذ بالبال أن تكون كلمة تحرك في مشاعر الأمة أن تصل بنفسها إلى درجة القتال لأعداء الله فهي كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، لا تترك أي أثر، ليس لها قيمة، إذا كانت الكلمة التي تصدر من فمي، ومن فمك، ومن أفواه الآخرين هي كلمة، هي دعاء لله.. ألم يأتِ في الأحاديث أن الدعاء هو مخ العبادة؟. الدعاء أليس من الكلمات الطيبة؟. إذا كانت هذه الكلمات الطيبة لا تترك أثرها، فلا قيمة لها عند الله، إذا لم تنطلق من حناجر تهيئ نفسها للعمل، فكيف بالكلمات الأخرى سيكون لها اثر؟.

الدعاء أليس كلاما طيبا: [اللهم دمر الكافرين، اللهم دمر أمريكا وإسرائيل] أليست هذه الكلمات جميلة؟. دعاء لله، لكنها أيضا لا أثر لها عند الله، إذا لم تكن كلمات تنطلق من حناجر هي في ميدان المواجهة كما كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، كان يهيئ، ويلبس لامة حربه، ويدعو المسلمين إلى الإنفاق، وإلى الخروج في سبيل الله، ثم يدعو وهو في الطريق، ويدعو وهو في ميدان القتال، هنا الدعاء يقبل، لكن أفواج من العلماء، أفواج من العباد في كل مساجد الدنيا: اللهم.. اللهم .. اللهم... وفي يوم الجمعة، من فوق المنبر: [اللهم احفظ قادتنا، اللهم أيدهم بنصرك، وأصلح بهم الدين، وارزقهم البطانة الصالحة]، وأشياء من هذه. أليس هذا تناقضاً في الموقف؟. تناقض، عملياً نعمل ضد الله، ودعاء ومجرد كلام ننطلق به مع الله، مجرد كلام مع الله، وعمل وخدمة مع أعداء الله. من يكون واقعه على هذا النحو يصبح واقعه سيئاً. حتى علماء على هذا النحو، التعامل مع الله مجرد كلام، والتعامل مع أعداء الله عمل وبإخلاص.[ص٤]

ـ شبهة من يقول نلحق بركاب الغرب:

كم صعدت أصوات تقول: [يجب أن نلحق بركاب الغرب]. من قبل مائة سنة بدأت من مصر، ومن بلدان أخرى [يجب أن نتثقف بثقافة الغرب، يجب أن نلحق بركاب الغرب، يجب أن نعمل على كيف نتطور مع الغرب]. فماذا حصل؟. نساء العرب تخلّسن وأصبحن يقلدن الغرب تماما.. هل تطوروا؟. هل وصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون؟. لا، لا ؛لأنهم يتصورون أن المسألة هي أن بإمكاننا أن نصل إلى ما وصل إليه الآخرون، ونحن العرب،

نحن العرب من لدينا مسئولية مهمة كان بالإمكان أن تجعلنا -لو نهضنا بها- فوق أولئك الآخرين ويكونوا هم من يفكرون في اللحاق بركابنا، فالمسألة لا تتأتى، لن تحصل.
فمازال المصريون الذين انفتحوا على دول الغرب قبل أن ينفتح الصين عليها، وبعثت بطلاب إلى الغرب قبل أن يبعث الصينيون بطلاب إليها، أصبحت الصين دولة عظمى صناعية، والمصريون مازالوا شغالين في التمثيل قطاع التمثيل [كلام في كلام] مازالوا يبعثون بطلاب إلى الغرب، طلاب ذاهبون باستمرار، منح دراسية فيرجع وقد أصبح فرنسيا بتفكيره يكون حربا لأمته، لدرجة أن من يرسلوا ويعودوا يتحولون إلى ساخرين من أمتهم. أي أن الوضعية التي يعيش فيها العرب هي وضعية سخط، الوضعية التي يعيش فيها المسلمون وضعية سخط من الله.
لماذا؟ ؛لأنهم أضاعوا دينه الذي فيه ذكرهم، وفيه شرفهم، وفيه عزتهم فلا يمكن أن يتحقق لهم شيء إلا بعد أن يعودوا هم، ومتى ما عادوا سيصبحون هم سادة الدنيا، سيصبحون هم من يفكر الآخرون باللحاق بهم، بالاهتداء بهم، بالتقليد لهم، بالتثقف بثقافتهم، بالتحلي بأخلاقهم، فيعم الهدى الدنيا كلها.[ص١٠]

<u>ـ أثر المصطلحات القرآنية في تربية النفوس:</u>
هذا هو مسار الآيات، مسار الآيات حول قوله: {يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}(آل عمران: من الآية١٠٠) {لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}(آل عمران: من الآية١٠٢) ما معنى هذا؟ قضية مترابطة، انتبهوا. هم أناس يسعون بكل جد واجتهاد، ولديهم خبث شديد، ولديهم إمكانيات هائلة ليردوكم كافرين، انتبهوا لا تموتوا إلا وأنتم مسلمون، لا يأتيكم الموت إلا وأنتم مسلمون، متى ما حصل لديك هذا الشعور فأنت ستنطلق إلى ميدان المواجهة، ستنطلق إلى ميدان القتال فإما أن تقتل وأنت مؤمن، وإما أن تموت فيما بعد وأنت مؤمن، أنت تعرف عدوك وماذا يعمل، أنت تعرف عدوك ماذا يريد منك، يريد أن يلغي روح الجهاد من داخلك، يريد أن يمسح روح الجهاد من أوساط أمتك، وهذا الذي حصل بالنسبة لليهود، ألم تحصل من جانبهم أن ألغيت كلمة [الجهاد] في مواثيق [منظمة المؤتمر الإسلامي]؟. أي مجموعة الدول الإسلامية التي وصلت إلى قرار عدم التحدث عن الجهاد واستخدام كلمة [جهاد]، قالوا: نظهر مسالمين للغرب، ونثبت أننا أمة يمكن أن تعيش مع الأمم الأخرى في سلم، واحترام متبادل. أُلغيت كلمة [الجهاد]، فحل محلها [مناضل، مقاوم، حركة مقاومة، مناضلين، انتفاضة]، ومن هذا النوع، ألم تغب كلمة [الجهاد] في أوساط المسلمين؟. على يد من غابت؟. على يد اليهود هم الذين يفهمون كيف تترك المصطلحات القرآنية أثرها في النفوس فيعملون على إلغائها، يعملون على نسفها من التداول في أوساط المسلمين.
ثم تتطور المسألة لديهم أن يصبح المجاهد إرهابي، أن يصبح إرهابي ثم يكون جهة تقلق حتى المسلمين أي ينظر إليه نظرة قلق، وأنه شاذ في هذه الأمة، حالة شذوذ تحولت لديهم، فهو إرهابي يجب أن يزال، يجب أن يُسلم لأمريكا، هكذا تلغى كلمة [جهاد]، ثم يريدون أن تنسف روح الجهاد، ثم ليغيب المجاهدون على المجتمع تحت عنوان أنه إرهابي فمتى ما قالوا: هذا إرهابي خذوه، هذا يعني نسف للجهاد والمجاهدين، للجهاد من داخل ثقافة الأمة وفكرها، وللمجاهدين من وسط الأمة وصفوفها.[ص١١]

<u>ـ ما الذي يصنعه تخليد الشهداء الأبطال:</u>
هذا من العمل الذي يخدم إسرائيل أن يُقتل شهيد بطل ثم لا يخلد ذكره؛ لأن تخليد ذكره في أوساط المسلمين يعني استلهام روح القتال لإسرائيل، والعداوة لإسرائيل، والمواجهة مع إسرائيل، لكن يُقتل طفل فلتعمم الدنيا باسمه ما الذي سيحصل؟. تفاعل عاطفي معه فقط، أليس هذا الذي سيحصل؟.[الله يلعنهم الله أكبر عليهم] أليس هذا الذي سيحصل اليهود يعرفون كيف، وأولياؤهم أيضا يعرفون أنهم أن يعمموا اسم الشهيد عباس الموسوي، أو الشهيد يحيى عياش فتسمى شوارع بأسمائهم أن هذا يزعج إسرائيل، لماذا

يزعج إسرائيل وقد قتل هذا الرجل؟. لأن هذا يبعث في الأمة، في الشباب مشاعر البطولة، والتضحية في مواجهة إسرائيل، فهكذا يصنع تخليد الشهداء.
فلهذا يقولون: ذكرى استشهاد الإمام علي بدعة بدعة، يريدون أن تموت الأمة باسم الدين، وأن تذبح باسم الإسلام، لكن محمد الدرة وأطفال آخرين يؤلم قتلهم، لكن هذا له أثر آخر لا يضر إسرائيل، غاية ما يصدر مني أن أقول: [الله يلعنهم، الله ينتقم منهم يقتلون حتى الأطفال]. لكن شهيد من خلال أن تعرف شارع سمي باسمه ستعرف ماذا كان يعمل، تعرف كيف كان يخطط، سيظهر من أوساط المسلمين من يحاول أن يقلده، ويتشبه بروحيته، أليسوا يخدمون إسرائيل بهذا؟.
أن يغيب أسماء الشهداء، أن يغيب أسماء المقاتلين الأبطال ضد إسرائيل من شيعة وسنة كيحيى عياش، وعباس الموسوي، ثم يشاد بأسماء أطفالا آخرين على أساس تكون المسألة غير حساسة بالنسبة للصديقة إسرائيل؛ من أجل أن لا نجرح مشاعر إسرائيل، من أجل أن لا نسيء باسم ذلك الرجل العظيم الذي قد يكون فيه إساءة إلى مشاعر إسرائيل.
هكذا يُصنع الرموز بشكل لا يضر بهم، يشدونا إلى طفل يجعلوا رمزنا طفلا محمد الدرة، ثم نحن ننشد، نحن في أناشيدنا هنا في المدرسة، وفي مدارس أخرى محمد الدرة، محمد الدرة.
أول مرة اسمع أنشودة لم تعجبني إطلاقا، كان الذي يجب أن ننشده هو أن ننشد في الأبطال الذين سقطوا في ساحة المواجهة، هذه أعلام لا تترك أثراً في نفسك، لا تترك أثراً يجعلك تستلهم منهم روح الجهاد.
طفل قتل وهو مستلقي وشخص عنده آخر مستلقي عند فرن أو شيء آخر، مشهد عاطفي فقط، أنت بحاجة ماسة من أجل حتى أن يكون لهذا المشهد أثره أنت بحاجة أن تنشد إلى أعلام من المجاهدين، والمقاتلين، فأرى ماذا؟ يترافق الأمران وتصبح المسألة إيجابية، عباس الموسوي، يحي عياش يكون أسماؤهم مترددة في أذهاننا، ثم أرى ماذا عملوا، هنا سيكون لي وأنا أرى طفلا مثل هذا، أو امرأة، أو أي شيء آخر يثيرني، يصبح لدي استلهام روح الجهاد، والاستبسال، والاستشهاد من ذلك البطل الذي ترسخ في ذهني، وتكرر اسمه أمام عيني، وأنا في الشارع الفلاني، أمام القهوة الفلانية، أمام القاعة الفلانية.
أليس هذا هو ما يجعل للأشياء قيمة؟. لكن مشاهد عاطفية بحته لا يوضع هناك إعلام يرافقها تخلق في نفوس الناس استلهام مشاعر البطولة، والتضحية تصبح هذه عاطفية بحتة، والجانب العاطفي لوحده يصبح في الأخير مظهراً مألوفاً، ثم في الأخير لا يثير شيئاً، ثم في الأخير لا يضر إسرائيل بشيء. [ص٢١]

[من آل عمران الدرس ٣]

ـ أهمية طرح أمثلة من الواقع:

الناس في الدنيا يرون بعض الأشياء مشكلة كبيرة جداً وغايتها ما هي؟. النتيجة منها التي ترعبهم ما هي؟. قد يكون إما سجن أو يخسر قليلاً من المال، أو وجع في رأسه، أو مغص في بطنه، هل نعتبرها مشاكل؟.
أو قد تكون في نظره مشكلة كبيرة لأنه قد تُؤخذ عليه قطعة أرض، أو قطعة [مَشْرَب] لقطعة أرض، أو تصبح مشكلة كبيرة عليه إذا لم يشاجر خصمه بعنف ويبذل كل أمواله في سبيل أن لا تخرج من تحته تلك القطعة من الأرض، حتى وإن كانت حقاً للآخر، فتصبح مشكلة لديه تشغله وهو يأكل، تشغله وهو يصلي، تشغله وهو متوجه إلى فراشه للنوم، تشغله وهو يمشي.
أليست هكذا تحصل الأمور بالنسبة للذين يشاجرون على قطعة [مَشْرَب] أو على أشياء من هذه؟، تصبح مشكلة لديه كبيرة تشغل بَالَه وتأخذ كل تفكيره وكل اهتمامه، فيعيش البعض في حالة تقشف، ويحاول عندما يطلع وينزل إلى المحكمة يحاول أن يصبر على أن يأكل أكلاً كيفما كان من أجل أن يستطيع أن

يواصل شريعته وشجاره مع خصمه، من أجل أن [لا يربطه غَرِيْمَه] -كما نقول- يواصل لأن تلك مشكلة كبيرة لديه.

نقول: أليست مشكلة كبيرة أن تقع في حالة يمكن أن تؤدي بك إلى جهنم؟، أليست هذه مشكلة كبيرة؟، هل هناك شيء أشد من جهنم؟، هل هناك شيء أسوأ من جهنم؟، من عذاب النار؟، من عذاب الحريق؟. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(آل عمران: من الآية١٠٣) إذا كانت تهمكم أنفسكم فتبحثون عما يهديكم إلى ما فيه نجاتكم فلا تُظلمون في الدنيا، ولا تصيرون إلى ما تستوجبون به عذاب جهنم في الآخرة.

ثم أي طرف في الدنيا أي جهة في الدنيا يمكن أن تكون أكثر رحمة بنا من الله سبحانه وتعالى؟. هل هناك أحد؟. وإذا افترضنا أن هناك من هو رحيم بنا، فهل هناك من يستطيع أن يهدينا كما يهدينا الله سبحانه وتعالى ؟. لا. قد ترحمك أمك، قد يرحمك أبوك، قد يرحمك إخوانك، قد يكونون حريصين على نجاتك، حريصين على سلامتك، لكن لا يمتلكون علم الغيب، لا يمتلكون ما يستطيعون به أن يرسموا لك طريق الهداية التي تعتبر حقائق لا تتخلف، بل قد يحصل العكس، قد توجهك أمك أو يوجهك أبوك أو أخوك إلى الترك، أن لا تتحرك في قضية يكون في الواقع سلامتك وهدايتك وعزتك ونجاتك في أن تتحرك فيها، فتنطلق أمك من باب العاطفة من باب الرحمة فتقول: [اترك ذلك يا ولدي، لا تثير على نفسك المشاكل، لا تضيع مالك، لا تضيع وقتك، انطلق في شغلك وعملك].

أليست تتحدث من منطلق الرحمة، لكنها لا تستطيع أن ترسم لك الهداية الحقيقة، لا تستطيع مهما كانت رحيمة، فبالنسبة لله سبحانه وتعالى تجتمع أشياء كثيرة: رحمته العظيمة بنا، وعلمه فهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، يعلم الغيب والشهادة، علمه كيف يهدينا وما هو الذي فيه هدايتنا؟.

ولهذا يتحدث بأن ما يهدينا إليه هو آيات. معنى آيات: أعلام على حقائق، حقائق لا تتخلف، حقائق هي تمثل إذا سرتم عليها وفي طريقها هدايتكم، فآياته أعلام على حقائق نمشي وراء هذه الأعلام لنهتدي بها، ولا بد أن تحصل -إذا ما مشينا مهتدين بها- لا بد أن تحصل تلك الحقائق من وراءها، سواء ما كان منها في الدنيا من عزة ومكانة وشرف ورفعة واستقامة، وبالنسبة للآخرة الفوز العظيم بالجنة، أليست هذه هي الهداية الحقيقية؟.

عندما يهدينا هو يهدينا إلى ما نحن في أمس الحاجة إليه في الدنيا قبل الآخرة، هذا شيء مؤكد، الثمرة ليست مرتبطة بأنه فقط ثمرتها هي الجنة ولا شيء قبلها، بل يهدينا إلى ما نحن في أمس الحاجة إليه في الدنيا ؛كي لا نُظلم، لا نُذل، لا نُقهر، لا نصبح جنداً للشر والباطل، لا نصبح عبيداً للشيطان، أليست هذه أشياء تهم الإنسان أن لا يقع فيها؟. وعلى الرغم من ذلك أيضاً يكتب لنا أجراً على كل ما نسير فيه مما نحن في أمس الحاجة إليه فيكتب لنا أجراً عليه، ويكتب لنا الفوز بالجنة، وما أعظم الجنة، وما أعظم رضوان الله الذي هو أعظم من الجنة. أليست هذه هي منتهى الرحمة؟. ولهذا قال تعالى: {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(آل عمران: من الآية١٠٧) كما سيأتي بعد في هذه الآيات، هذه هي الرحمة.

أمك أبوك خالك جدتك أي واحد من أقاربك أي شخص يهمه أمرك لو انطلق بكامل الإخلاص فلن يستطيع أن يهديك على هذا النحو، ومتى ما هداك فإنه لا يملك لك شيئاً من بعد، لا يملك جنة ولا يملك ناراً، وقد لا يملك فعلاً أنك متى ما سرت على النحو الذي هداك إليه أنه سيقف معك بكل ما يملك، قد يكون مجرد نصح فقط، أما الله فقد وعدك أنك عندما تسير على ما هداك إليه فإنه سيقف معك، وسيؤيدك، وسينصرك، وسيهديك، ويوفقك، ويرعاك، ويرشدك.

الإنسان إذا تأمل لا يجد أي طرف إطلاقاً يمكن أن يهديه كهداية الله، لا يمكن أبداً، و لا يتحقق له من أي طرفٍ مهما كان ناصحاً له كما يتحقق له على يد الله سبحانه وتعالى.
ولأن الآيات هي في سياق الحديث عن أهل الكتاب وعن أعمالهم الخبيثة وخططهم الماكرة، بدأ التوجيه نحو الهداية من الأمر بتقوى الله حق تقاته، ثم الاعتصام بحبله، ثم ماذا؟. {وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران:١٠٤) في طريق أن تكونوا بمستوى أن تواجهوا أهل الكتاب لا بد أن تؤهلوا أنفسكم فتتحركوا أولاً في مجال إصلاح المجتمع من الداخل لأن أهل الكتاب سينفذون إلى داخلكم إلى أعماق بيوتكم، إلى أعماق نفوسكم. فلا بد أن تكونوا معتصمين بحبل الله جميعاً. ثم تنطلقون بشكل جماعي -بعد أن تؤهلوا أنفسكم وتجعلوا من أنفسكم أمة قادرة على أن تتحرك في الداخل أولاً- في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [ص٢]

- لتكن دعوتنا بالشكل الذي يجعلنا أمة واحدة:

الله يقول هنا: { ولتكن منكم أمة } يعلم أن كل فرد بمفرده لا يستطيع أن يعمل شيئاً، أحياناً يحتاج الإنسان هو في تربية أسرته في الداخل في تربية أولاده إلى من يعينه من الآخرين على تربية أولاده، على تنظيم شئون أسرته حتى تكون أسرة منضبطة.
ثم لأن المسألة في مقام الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تكون بشكل واعٍ، وخطة واحدة، ومنهج واحد، وأسلوب واحد، وعمل واحد، وإلا فهو من المنكر أن تتحرك أنت بطريقتك الخاصة فتوجه توجيهات تعتقد أنها دعوة إلى الخير وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وآخر له خط آخر وأسلوب آخر ووجهة أخرى وثالث ورابع على هذا النحو وينزل في المجتمع ثقافات متعددة، وجهات نظر متعددة، دعوة إلى أشياء متعددة منهم من يرى أن هذا مهم بالغ الأهمية، ومنهم من يرى أن هذا لا معنى له من أصله، وكلٌ يخاطبك باسم الدين، ويخاطبك باسم النصيحة، فهذا سيصبح نفسه من المنكر ؛يؤدي إلى تفريق المجتمع، يؤدي إلى تباين وجهات نظره، يؤدي إلى تشتت وتعدد مواقفه وتباينها.
فلا بد في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير أن يتحرك من قاعدة واحدة، من توجيهات واحدة، وخطة واحدة، وأساليب واحدة حتى يكون فعلاً أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ودعوة إلى الخير بنَّاءة، تكون نتيجتها تصب في قالب تأهيل الأمة فيما يتعلق بوحدتها، وفيما يتعلق باهتماماتها بأمر الدين، وفيما يتعلق باهتمامها في مواجهة أهل الكتاب سواء في الداخل أو في الخارج.
قد تأتي أحياناً أساليب دينية تُقدم إليك سواءً عن طريق خطب جمعة أو حلقات درس أو مدارس تقدم إليك الدين بشكل اهتمامات معينة تغيب أمامك الأشياء الأخرى المهمة، فيأتي آخر يتحرك إليك يطلعك على الأشياء التي يراها مهمة فهذا يقول هذه أشياء لا تشكل أي مشكلة هذه أشياء لا يُعد الاهتمام بها شيء ضروري، ما الذي سيحصل؟. أليس سيحصل تباين في المجتمع نفسه، منهم من يصدق هذا ويمشي على نهجه، ومنهم من يقبل من هذا ويمشي على طريقته،فيؤدي إلى ماذا؟ أليس يؤدي إلى خلخلة وحدة الأمة حتى وإن كانت قد توحدت، فإن هذه الأساليب المتعددة ستؤدي إلى ضرب وحدتها، وضرب كيانها فتخلخل صفها من جديد.
{وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}(آل عمران: من الآية١٠٤) أمرنا الله بهذه الصِّيغَة التي تعني الفاعليّة والعمل الجاد {ولتكن}، أليس هذا أمر مؤكد يجب أن تكونوا على هذا

النحو أمة تتحرك، ويأتي بصيغة الفعل المضارع {يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} وهذه من الصِّيَغ التي تفيد -كما يقولون- التجدد والحدوث التجدد والحركة المستمرة. الدعوة إلى الخير، يتحرك كل إنسان باستطاعته يدعو إليه، لكن في إطار الخطة، في إطار وجهة النظر الواحدة، وإلا فحَذَارِ حذار من دعوات إلى الخير بأساليب متعددة إلى أمر بمعروف بأساليب متعددة إلى نهي عن منكر بأساليب متعددة، من منطلق توجيهات متعددة، وإلا فكلما كان منها منفرداً عن الآخر فلا بد أن يكون له تأثيره المباين لتأثير الآخر، وما النتيجة؟. هي: تفريق كلمة الأمة تحت عنوان: دعوة إلى الخير وأمر بمعروف ونهي عن منكر، توجيهات تؤكد لنا ضرورة إصلاح المجتمع من الداخل وهذا ما يؤكد السنة الإلهية أن الله سبحانه وتعالى كما قال: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد: من الآية١١) [ص٦]

ـ المستحيل هو في أنفسنا نحن وليس في واقع الحياة:

وبهذا نعرف نحن كيف نرد على أولئك الذين يقولون: [ماذا سنعمل نحن بإسرائيل وأمريكا، أمريكا تملك قوة جبارة، وتملك .. وتملك .. نحن ماذا سنعمل ضدها؟] نقول : اعمل على هذا النحو، ابدأ تحرك، لأن تبني أمة تكون مؤهلة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متوحدة، معتصمة بحبل الله جميعاً، وسيحصل كل شيء مما تراه مستحيلاً سيحصل، المستحيل هو في نفسك أنت وليس في واقع الحياة، وليس فيما هدى الله إليه، أنت في نفسك التي لا تثق بالله، في نفسك العاجزة، في نفسك المهزومة، في نفسك الضالة التي لا تعرف كيف تعمل، هناك المستحيل، أما فيما يهدي الله إليه، أما في واقع الحياة، أما في السنن الإلهية، أما في السنن الكونية فليس هناك شيء مستحيل، إذا ما سرت على ما هداك الله إليه فسيصبح ما بدا أمامك مستحيلاً يصبح يسيراً وسهلاً.

ثم أليس من الدعوة إلى الخير ومن الأمر بالمعروف أن نتحرك، أن يتحرك علماؤنا يتحرك المتعلمون فينا يتحرك طلاب العلم، يتحرك كل من لديه فهم؟. إلى أن يكشف للناس خطورة هذا الواقع الذي نعيشه خطورة هذه المرحلة وهذه الأحداث التي نواجهها، ويدعون الناس جميعاً إلى كيف يجتمعون على كلمة واحدة، معتصمين بحبل الله جميعاً، أليس هذا من الدعوة إلى الخير ومن الأمر بالمعروف؟. أليس من النهي عن المنكر النهي عن أي ثقافة تخلق وجهات النظر المتباينة؟.، النهي عن تعدد الوسائل، والمؤسسات الثقافية -وإن كانت باسم الدين- التي تخلق آثاراً متباينة في الأمة وتفرق كلمة الأمة؟، أليس من النهي عن المنكر النهي عن تلك القواعد التي تخلق نظرة ضيقة وقاصرة، وتؤدي إلى عدم ثقة أو إلى نقص كبيرٍ في الثقة بالله وبكتابه وبرسوله؟، من النهي عن المنكر أن ننهى عنها لأنها هي التي ضربتنا سواء كنا علماء أو متعلمين أو متعبدين أو دعاة تتحرك في الميادين ندعو الناس إلى الله ونحن في الواقع نجني على دين الله، ونجني على عباد الله ونفرق كلمتهم.[ص٧]

ـ ميدان العمل أمامك مفتوح:

ميدان العمل أمامنا مفتوح، من يقول: [ماذا نعمل؟]. نقول له :ميدان العمل أمامك مفتوحٌ أمام الجميع مفتوح، المطلوب أن تتحرك لا أن تتساءل، ميدان العمل فيه ما يكفيك أن تعمل بكل قدراتك وبكل طاقاتك مهما كانت، فكيف تتساءل [ماذا نعمل؟] وكأنه ليس هناك ما يمكن أن نعمله، أليس هو يقول : ماذا نعمل؟، وكأننا قد أكملنا كل شيء.

ميدان العمل أمامك مفتوح من الآن أن تتحرك على هذا النحو، إذا كنت مؤمناً بالله، إذا كنت واثقاً بالله،

إذا كنت واثقاً بكتاب الله، إذا كنت تعتبر هذه الآيات أعلاماً على حقائق واقعة، حقائق لا تتخلف، فتحرك وميدان العمل أمامك واسع، حاول أن تجعل من نفسك لبنة في صرح بناءٍ واحد متماسك، حاول أن تجعل من نفسك عنصراً فاعلاً متحركاً في مقام الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار واحد في مجتمع يسير على خطة واحدة ونهج واحد.

ثم أي شيء من هذا ليس في متناولنا؟. كله في متناولنا، البُعد في أعماق أنفسنا نحن، المستحيل هو في أنفسنا نحن، متى ما غيرناها بلفتةٍ صادقة إلى الله، بالتجاء صادقٍ إلى الله، بثقة قوية بالله، وثقة بكتابه، وتتحرك في إطار الثقلين: الكتاب والعترة، فسيصبح كل شيء بمتناولنا وسنمشي على نهج واحد وسنرى كيف تكون آثاره طيبة، وكيف تكون ثماره طيبة، وآثاره بنّاءة.

من يقول [ماذا نعمل؟]، ليبرر لنفسه القعود وكأنه لا قيمة لما يقال ولما يدعى إليه، وكأنه يُدعَى إلى المستحيل، يُدعى إلى ما ليس له وسيلة في واقع الحياة، ليعرف أنه إنما هو الذي يجهل، إنما هو الذي يتهرب ويبحث عن مبررات لنفسه، ميادين العمل مفتوحة، تتسع لأن تشمل كل طاقاتك، طاقاتك المعنوية وطاقاتك المادية، لكن حاول أن تغير من نفسك حتى تصبح إنساناً فاعلاً قادراً على تغيير نفسية المجتمع بأكمله نحو الأفضل، نحو الأصلح، نحو العزة، نحو الشرف، نحو الاهتداء بهدي الله، نحو طريق الجنة طريق رضوان الله سبحانه وتعالى. [ص٧]

ـ <u>كيف يجب أن نظهر في وعينا:</u>

إذا كانت هذه آيات ووثقنا بها بأنها آيات أتتنا ممن هو أرحم الراحمين، أتتنا ممن يعلم السر في السماوات والأرض، أتتنا ممن يعلم الغيب والشهادة ويقول بأنها هداية لنا { لعلكم تهتدون }، ثم ينطلق أحد من الناس ليدعونا إلى ما يُثَبِّطنا عن العمل بها، فعندما يبدو مشفقاً يبدوا وكأنه ناصح لا ينبغي إطلاقاً أن نلتفت إليه، سواء أكان مشفقاً في واقع الأمر وناصحاً أم لا، نقول: أنت لا تفهم. شكراً لك على نصيحتك، وشكراً لك على إشفاقك لكن إني أرى أن الله سبحانه وتعالى هو أنصح لي منك، وأرحم بي منك، وأشفق عليّ منك وأهدى لي منك، أليس بالإمكان أن نقول هذا لأي شخص؟.

أما إذا كان شخصاً آخر ممن يتحرك في التخريب، في تثبيط الأمة عن الدعوة إلى ما دعاها الله إليه فبالأولى أن نعرض عنه، بل أن نظهر في وعينا بالشكل الذي يحطم أعماق مشاعره حتى يعلم أنه من المستحيل أن يؤثر علينا، كما قلنا لكم سابقاً عن نبي الله موسى(عليه السلام) عندما قال:{رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}(القصص: من الآية١٧) أنه رسخ في نفسه نوعاً من المشاعر الواعية التي تجعل الطرف الآخر من المستحيل أن يقدم لموسى (عليه السلام) كلمة يتأثر بها، وما أعظم أن تصل إلى هذا المستوى بوعيك أن يراك الآخر صخرة أمامه لا يمكن أن يؤثر فيك، وأن أي كلمة تنطلق من فمه نحوك ستتحول إلى شظايا، تتحول إلى فُتَات، إلى بخار لا تؤثر فيك بأي أثر.

عادةً من يتجه نحوك ليقدم هذه الكلمة أو هذه ويصبغها بصبغة أنه مشفق عليك وناصح لك إنما انطلق لأن لديه أمل أن يؤثر عليك، فنحن بحاجة إلى أن نظهر في وعينا في سلوكنا في أعمالنا في جدنا في اهتمامنا إلى درجة تحطم معنويات المخربين من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض، فييئسون فيضمحلون ويتضاءلون أمام ما يلمسونه من كل شخص منا من جِدّه واهتمامه ووعيه، فيرون الناس كتلاً من الصلب تتضاءل نفسياتهم وتضمحل ويتلاشون شيئاً فشيئاً حتى يصبحوا في المجتمع لا قيمة لهم، وحتى يصل إلى درجة أن لا يعرف ماذا يقول وبماذا يتفوه معي أو معك، تضطرب المسألة لديه، يتلجلج الباطل

في فمه، فلا يعرف ماذا يقول وماذا يعمل.

إذا وصلت الأمة إلى وعي من هذا النوع فلو اتجهت عشرات المحطات والقنوات الفضائية ومحطات الإذاعة نحو مجتمع من هذا النوع كل ذبذباتها ستنطلق إلى الجو ولن تصل إلى أرض نفسيتك لن تؤثر فيك. كما وصل إليه الإيرانيون في أيام [الإمام الخميني] كانوا على هذا النحو حملوا وعياً رهيباً وعياً عالياً.

لكن المجتمع الذي يبدوا أفراده حتى المتدينون فيه وطلاب العلم وحملة العلم يبدون وكأنهم أغبياء مساكين لا يفهمون شيئاً ولا يعرفون شيئاً فسيتحرك هذا بنشاط، وهذا المنافق بنشاط، وهذا الذي في قلبه مرض بنشاط، وهذا المرجف بنشاط؛ لأن الساحة تدفعهم نحو هذا، هم يأملون أن يغيروا يأملون أن يؤثروا، يرون الناس يتحركون أمامهم وهم يمكن أن يكونوا ضحية كلمة واحدة فينشطون.[ص٨]

ـ من هو طالب العلم الذي تفرش الملائكة أجنحتها له؟:

هل نرضى لأنفسنا أن نسير في هذه الحياة على خط الخسران، أن نكون خاسرين، ونحن نتعلم أو نُعلم وأنت تقول: أنني أنطلق في عبادة الله وأنا أُعلم، أني كالمجاهد في سبيل الله وأنا أعلم، وأنك وأنت طالب علم تسلك طريقاً إلى الجنة، وأنك وأنت طالب علم تفرش الملائكة أجنحتها لك رضاً بما تصنع، إذا كنت تتجه نحو هذا الاتجاه، وتبني هذا البناء ففعلاً سيكون تعليمك جهاداً في سبيل الله، وتكون وأنت طالب علم ممن تفرش الملائكة أجنحتها لك إذا كنت ممن يتحرك على أن تكون ضمن أمة وتؤهل أمة وتبني أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ففعلاً ستكون مفلح، وإلا فلا يمكن أن تُعدّ مجاهد وأنت في طريق الخسران، ولا أن تُعدّ سالكاً لطريق الجنة وأنت في طريق الخسران، ولا أن تفرش الملائكة أجنحتها لك وهي تعلم أنك لا تسير على هذا الطريق، طريق الفلاح، فكل ما تقوله أنت لنفسك إنما هو خيال ووَهمٌ أنك مفلح وأنك مجاهد وأن الملائكة تفرش أجنحتها لك، وأن من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وتَعدّ نفسك ضمن هؤلاء في حال قراءتك وأنت تقرأ ما يخلخل صفوف الأمة، وأنت تقرأ ما يجعل كل فرد يطلع لوحده أمّة واحدة، شخصاً واحداً، وأنت تقرأ وتُعمِّم ما يفكك الأمة فيجعلها أمة لا تتبع أحداً ولا تلتزم لأحد، وكل هذا من منطلق الدين، وكل فردٍ فيها يمشي على ما أدى إليه نظره، و على ما رجحه هو، فلا أحد يتمسك بهذا ولا يلتزم بهذا ولا يتبع هذا، ولا أحد يمشي وراء أحد، ولا أحد يقف مع أحد، وكل شخص يرى أنه لا يَلْزَمه أن يمشي مع هذا، ولا يَلْزَمه أن يسير وراء هذا.

من الذي ستفرش أجنحتها لهم عندما يكونون على هذا النحو؟. هي الشياطين ؛لأنها هي التي سترضى بما تصنع وليس الملائكة، الملائكة سترضى منك إذا كنت تسير على هذا الطرق، طريق {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} (آل عمران: من الآية١٠٣) **طريق {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (آل عمران:١٠٤) **الملائكة هم خلق من خلق الله على مستوى عالٍ من الوعي يفهمون كل شيء، يفهمون المنهج الذي تدرسه، يفهمون الخطبة التي تقدمها للناس في المسجد، يفهمون البحث الذي تكتبه، يفهمون الحركة التي تتحركها، يفهمون الكلام الذي تنطق به باسم الدين أنه إما أن يسير بالأمة إلى هذا الطريق فستفرش أجنحتها لك وإلا فستبتعد عنك وستأتي الشياطين لتفرش رقابها وليس أجنحتها لك وتضع أعناقها تحت قدميك رضاً بما تصنع؛**

لأن في الحديث ((أن الملائكة تفرش أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع)) راضية بما يصنع ؛لأنه يمشي على طريق الفلاح، يمشي على طريق الله التي تبني ولا تهدم، وتوحد وتجمع ولا تفرق. والشياطين ماذا

تريد؟. أليست تريد أن تتفرق؟. فمن يقدم كلمة تفرق الناس داخل المسجد أو فوق المنبر أو في حلقة درس أو داخل مركز أو داخل مدرسة فلا ينتظر الملائكة لتفرش له أجنحتها بل ستفرش له الشياطين أجنحتها، وإن كان يقدم ما يقدم من داخل القرآن وهو يحرف معاني القرآن، وإن كان داخل مسجد وفي يده المصحف، وهو يتحدث عن القرآن بما يصرف الأمة عن واقع القرآن فلا ينتظر ملائكة ستدخل الشياطين إلى داخل المسجد وتضع أعناقها تحت قدميه وتحت أقدام طلبته رضاً بما يصنع ؛لأنه سيصنع جريمة، سيفرق الأمة باسم الدين، ويجعل كل شخص يطلع بمفرده بعيداً عن الآخر باسم الدين [لا يجوز لي أن أقلدك، لا يجوز لي أن أتبعك، لا يجوز لي أن أمشي على ما ترى، لا يجوز لي ..لا يجوز. لا يجوز. لا يجوز لي إلا أن أطلع وحدي أنا واعتمد على رأيي أنا وعلى ما يؤدي إليه نظري أنا]. ماذا يعني هذا؟. أليس هذا يعني تعميق وترسيخ للفرقة؟، و صبغاً لها بصبغة دينية؟. في الأخير يكون الناتج أن كل هذه الآيات لا قيمة لها أمام هذا الترسيخ الذي يمر على أذهاننا سنة بعد سنة ونحن طلاب علم، وما تزال حلقات العلم قائمة على هذا النحو، ما تزال إلى الآن. فمن يتفرغ ويترك أعماله وشئونه الخاصة ويتفرغ للآخرين يدرسهم لكن على هذا النحو من الأفضل له أن ينطلق إلى أعماله الخاصة، ويترك ما يرى أنه فيه مجاهد في سبيل الله، فليس جهاداً في سبيل الله.[ص١٠]

ـ قاعدة يجب أن ننطلق منها:

هذه قاعدة يجب أن ننطلق عليها وأن تكون دائماً مترسخة في أذهاننا أنه ليس هناك أحد أرحم بك من الله، فمن انطلق من منطلق النصح والإشفاق عليك والرحمة بك وهو يوجهك إلى خلاف هذا، إلى خلاف كتاب الله إلى خلاف آيات الله التي هي من الرحمن الرحيم فاعرف أنه –سواء كان في واقعه مشفقاً عليك وناصحاً لك أم لاـ أنه إنما يغشك من حيث يشعر أو لا يشعر، وأنك إذا ما قبلت ما قدمه إليك باسم نصح وإشفاق عليك ورحمة بك فإنك قد غششت نفسك وظلمت نفسك ؛لأن هنا الرحمة، هنا النصح، هنا مظاهر الإشفاق عليك.[ص١٦]

[من آل عمران الدرس٤]

ـ جلب كل ما يمكن أن يكون مساعداً للناس على أن ينطلقوا:

من قول الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران: من الآية١١٠) نفهم من هذا ما هو أسلوب القرآن الكريم في جلب كل ما يمكن أن يكون مساعداً للناس أن ينطلقوا، وفي القيام بما يريد الله سبحانه وتعالى أن يقوموا به، كما يذكّر باستشعار المسؤولية الكبيرة على المسلمين، بدءاً من أولئك المسلمين الذين كانوا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يذكّرنا كما ذكرهم سابقاً بتلك المسؤولية الكبيرة، بأن عليهم مسؤولية كبيرة هي: أنهم أخرجوا للناس، أخرجت للناس، أي: أظهرت لإصلاح الناس، لرد الناس إلى دين الله، لرفع الظلم عن الناس، لتعميم هذه الرسالة العظيمة في أوساط البشرية جميعاً.

مسؤولية كبيرة جداً، وهي في نفس الوقت تذكير بنعمة عظيمة هي: أنهم اختيروا، اختيروا أن تناط بهم هذه المسؤولية الكبيرة، فمن يعرفون قيمة الوسام الذي قلدهم الله سبحانه وتعالى به، وسام شرف عظيم، أن يكونوا هم المؤهلين لأن يحملوا هذه الرسالة؛ ليلتفوا حول راية هذه الرسالة، فيتحركون في أوساط الأمة، لإصلاح العباد، وتطهير الأرض من الفساد، ليحوزون شرف السبق، شرف أن تصلح الأمة على أيديهم، وأن تُطّهر من فساد المضلين على أيديهم.

أليس هذا شرف عظيم، ونعمة كبرى؟ مسؤولية كبرى، ونعمة كبرى، وشرف عظيم، يدفع ، يدفع من يرى لهذا قيمته الكبيرة، يدفعه إلى أن ينطلق فعلاً، يدفع هذه الأمة إلى تنطلق فعلاً في ميدان العمل، وفق ما هداها الله سبحانه وتعالى إليه، في مجاهدة أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، من يشكلون أعظم خطر على البشرية؛ لأنهم كما قال الله عنهم: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً} (المائدة: من الآية٦٤) .

فنرى كيف اجتمعت عملية الدفع بالناس، الدفع بالمسلمين، بالعرب، بأهل البيت، وتجد المسؤولية أيضاً على درجات داخل هذه الأمة، العرب يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم، أهل البيت وشيعتهم يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم، أهل البيت بالذات يتحملون مسؤولية كبيرة أعظم من غيرهم.

حينما تتأمل نجد من خلال هذه الآيات ثلاثة عوامل مهمة للدفع بالناس إلى أن ينطلقوا، إلى أن يهتموا بالقضية، في البداية: ذكّر بخطورة القضية، الخطورة البالغة، التي تصل بالناس إلى درجة أن يكفروا، أن يكفروا بالله وبرسوله من حيث لا يشعرون .

الشيء الثاني: خطورة إذا لم يعملوا على تأهيل أنفسهم؛ ليكونوا بمستوى المواجهة، الخطورة البالغة، بالعذاب العظيم، عندما قال تعالى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:١٠٥).

الدافع الثالث: تذكير الله لنا بأنه هو سيهيئ الأجواء التي يمكن أن تفتح انفراجات كبيرة أمام العاملين في سبيله، في هذا الميدان، كما يقول: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (آل عمران:١٠٨-١٠٩) .

العامل الرابع: التذكير بالنعمة والمسؤولية الكبرى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران: من الآية١١٠) **أليس هذا وسام شرف عظيم جداً؟ أنتم من أنيط بكم حمل هذه الرسالة،إن تتحركوا فعلى أيديكم تطهر الأرض من فساد من يسعون في الأرض فساداً، وعلى أيديكم يتم إعلاء كلمة الله، على أيديكم يكون إصلاح عباد الله. فضيلة السبق فضيلة عظيمة.[ص٢]**

ـ <u>خطر التفريط في المسئولية:</u>

فالتذكير بالمسئولية، هو يذكر أيضاً بخطورة التفريط فيها، ولا شيء أعظم من التفريط في المسئولية، في قضية كبرى كهذه؛ لأنه تفريط في السبق، تفريط في فضيلة عظيمة، في شرف عظيم، تفريط في البشرية كلها، لو تحرك العرب، واستقاموا على الطريقة، وتمسكوا بالثقلين، كما أمرهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لكانوا هم من تصلح البشرية على أيديهم .

عندما فرطوا قدموا الإسلام بطريقة غير مقبولة، وبشكل مهزوز، ضربوا جاذبيته في أعين الناس، وفي قلوب العالمين، فأصبح لا يشد أحداً إليه. عندما فرطوا هم فرطوا في البشرية كلها، وأصبح معظم سكان الأرض لا يدينون بهذا الدين، أصبحوا هم ـ عندما فرطوا ـ أمة في هذا الزمن، هذا الزمن الذي توفرت فيه كل عوامل القوة، وأخرجت الأرض خيراتها من باطنها وظاهرها بشكل ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا العالم بكله، يظهرون أمة مستضعفة، أمة جاهلة، أمة مشتتة، أمة لا تستطيع أن تفك عن نفسها ربق الذلة، تستجدي هذا، وتستجدي هذا أن يفك عنها عدواً يمثل في عدده أصغر شعب من شعوبها. عندما فرطوا في المسئولية هكذا أصبح الواقع بالنسبة لهم.

إضافة إلى أنهم فرطوا في البشرية كلها لأنكم {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} كل الناس ، أما كان هذا شرف عظيم أن العربي الواحد يصبح شريكاً في أجر من يهتدي في هذا العالم بكله، من أقصاه إلى أقصاه، في هذه الأرض بكلها. [ص٤]

ـ التذكير بما حصل لبني إسرائيل :

فالتذكير بما حصل على بني إسرائيل هو يذكر بسنة إلهية، نعوذ بالله من أن تقع علينا {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} (آل عمران: من الآية١١٢) **أليس هذا هو الذي حكاه عن بني إسرائيل؟ إنما نسأل الله أن يرفعها عنا أما وقوعها فأقدر بأنها قد وقعت فعلاً، ونعمل كيف نكون ممن يسعى لرفع هذه الذلة، وهذا الغضب، وتلك المسكنة وإلا فهذه الذلة، والمسكنة معروفة، أصبحت معروفة. [ص٨]**

[دروس من غزوة أحد]

ـ الطاعة وخطورة التأويلات:

قصة أحد كلها تركزت حول هذه النقطة: أن يأخذ المسلمون العبرة من أنه لا بد من طاعة مطلقة، إذا فتح المجال للتصنيفات فالأمة ستفشل تحت أي قيادة كانوا، حتى ولو كانوا تحت قيادة محمد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، هل هناك أعظم من قيادة رسول الله؟ فشلوا وهم تحت قيادة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فشلوا والقرآن ينزل، لماذا؟ لأنهم عصوا، هل عصوا بجرأة؟ لا، هل عصوا بتمرد؟ لا، تأويلات : [انتهت المعركة وقد راح المشركون والمسلون قد هم يجمعون الغنائم، إذاً ننزل ما بقي لزوم] هي هذه! المفروض أنهم يجلسون، حتى لو راح رسول الله إلى المدينة هو وأصحابه، قال لهم أن يبقوا، يبقوا ولو راح رسول الله إلى المدينة، لأنه هكذا الطاعة المطلقة. [ص٦]

[الوعد والوعيد الدرس١٤]

ـ تقديم أن هناك وعداً ووعيداً في الدنيا:

قضية مهمة جداً: أن نعرف أن هناك وعداً ووعيداً في الدنيا، إضافة إلى الوعد والوعيد في الآخرة، وكما أسلفت في أثناء درس من الدروس: أن جهلنا بهذه النقطة، جهلنا: بأن هناك وعيداً على كل عمل نقترفه، على كل طاعة نقصر فيها، على كل واجب نفرط فيه، على كل أمر إلهي لا نستجيب له، أن هناك وعيداً.

تقصيرنا في فهمنا لهذه القضية هو ما جعلنا نجهل وضعيتنا التي نحن فيها. لنعرف أن ما نحن فيه هو عقوبة لتفريط حدث منا، لتفريط حصل منا فيما يتعلق بأوامر الله سبحانه وتعالى، جهلنا هذا حتى آل الأمر إلى أن أصبحنا نتعبد الله سبحانه وتعالى بالبقاء على وضعية هي في واقعها عقوبة! والعقوبة أساسا هي للازدجار، ليرتدع الإنسان، ليخاف.

فلماذا نظل في حالة هي عقوبة على تفريطنا؟! ثم نقول لأنفسنا: هكذا حال الدنيا! الدنيا هكذا يكون حالها، يكون فيها بلاوي مصائب، وأهل الحق يكونون هكذا مستضعفين، مستذلين، مساكين، وهكذا. فنحمّل المسئولية الله، أو نحمل المسئولية الدنيا!.

الأشاعرة يقولون: هذا كله من الله هكذا لأنه ملك يعمل ما يريد، حسنا هل هذه عقوبة فلنفهمها إذا كانت من الله إذاً فهي عقوبة؟ أو هي ماذا؟ أم أن هذا هو حال الدنيا، هل أن الدنيا بطبيعتها هي تنتج هذه الأوضاع؟ أم أن الدنيا هي مرتبطة بالله؟ الله هو الذي يدبر أمورها، {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} (هود: من الآية١٢٣) **فهل هو الذي طبع**

هذه الدنيا على أن تكون على هذا النحو المزعج؟! أن يعيش فيها أولياؤه أذلاء مستضعفين أن يعيش فيها أولياؤه مقهورين مغلوبين على أمرهم، أن يعيش فيها الحق الذي أراد أن يحكم هو عباده في هذه الدنيا أن يعيش فيها ضائعا غائبا، وأن يكون الباطل هو الذي يسود ويعاني الناس الأمرين من سيادة الباطل وانتشار الفساد؟! هل هو الذي طبع الدنيا على هذا النحو؟! حاش لله، الله هو الذي خلق كل شيء على أجمل ما يمكن أن يكون {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} (السجدة: من الآية٧) {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (هود: من الآية٧) {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} (الزمر: من الآية٢٣) كل عمل من جانب الله كله أحسن، أحسن ... الخ.
نسينا أن ننظر إلى واقعنا هل هو واقع خزي أم واقع عزة؟ ـ لو سألنا أنفسنا ـ ما هو؟ أليس واقع خزي؟ أن يتهددنا رئيس أمريكا، يتهدد العالم الإسلامي بكله حكومات وشعوبا، أن يمتد تهديده إلى أن يصل إلى حكام المسلمين فينطلقون هم يهددون المسلمين بتهديداته: [توقفوا عن أن تقولوا كلمة تجرح مشاعر اليهود والنصارى.]!
إذا كان هذا هو واقع خزي فإن الله ذكر الكثير في القرآن الكريم: أن ذلك إنما يحصل للعاصين، إنما يحصل للمفرطين، {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة: من الآية١١٤) بل أصبحت المقاييس معكوسة، والفهم مغلوطا: الناس الذين ينظرون إلى وضعيتهم في هذه الدنيا وضعية شقاء، وخزي، وذلة، بعد أن جعلوا أن هذا هو الشيء الذي طبعت به الدنيا من قبل خالقها، أو من أي جهة كان: أن هذه مرحلة مؤقتة فلنصبر عليها، وسنحصل على الرفعة، والعزة ، والنعيم، والمكانة العظيمة في الجنة، في الآخرة!! مع أن الله يربط في القرآن الكريم: {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} تكررت أكثر من مرة يتحدث عن العقوبات في الدنيا، ويتحدث عن الوضعية السيئة في الدنيا أنها تنذر بمثليها وأعظم منها في الآخرة، فمن أين جاء لنا نحن هذا؟
أو عندما نرى أنفسنا تحت أقدام اليهود والنصارى: أن الصبر على ذلك هو نفسه الوسيلة لأن نحظى بالعزة والرفعة في الآخرة؟.. لا. بل أقرب ما يمكن أن يكون الأمر هو: أن الله ربط بين الشقاء في الدنيا والشقاء في الآخرة، فإذا كنت شقيا في الدنيا فاحذر أنك قد تكون شقيا فعلا في الآخرة، إذا كانت هذه الأمة تعيش ذليلة، مقهورة مهزومة، تعيش في حالة خزي في الدنيا، فلتحذر أن ذلك ينذر بأن وراء ذلك عذابا عظيما في الآخرة {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طـه:١٢٣) لاحظوا الربط: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً} (طـه: من الآية١٢٤) ثم ماذا؟ ثم ندخله يوم القيامة الجنة؟! ربط بين الشقاء في الدنيا، بين ضنك المعيشة وبين الشقاء في الآخرة {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طـه: من الآية١٢٤) من أين جاء هذا الفهم لكثير من المرشدين، لكثير من علمائنا أيضا؟ أن ننتظر بعد الخزي في الدنيا، بعد الذل في الدنيا، بعد الشقاء في الدنيا، وهو شقاء ليس في إطار عمله في سبيل الله، بل لا يسمى ذلك شقاء عناء ليس في مجال عمله في سبيل الله له، وفي ميادين العمل لله، خزي وذل وشقاء، ومعيشة ضنكا، هكذا بدون مقابل في الدنيا، لا من أجل جهد بذلناه في سبيل الله، ولا من أجل مواقف عظيمة وقفناها ضد أعداء الله.
بل لا يحصل وأنت تقف المواقف ضد أعداء الله، لا يحصل ضدك ما تعتبره خزياً وإن كان ـ من وجهة نظر الآخرين ـ إذلالا لك، وخزيا لك، وأنت تعاني من أجل الحق فهذا ليس خزيا، أنت من ينظر إليك أعداؤك حتى وأنت في زنازينهم في السجون ينظرون إليك كبيراً، وعظيماً وقوياً، وتكون كذلك عند نفسك قويا، وعظيما، وكبيرا.
ليس هذا الشقاء الذي نحن فيه، الخزي الذي نحن عليه كمسلمين، المعيشة الضنكى التي نحن نعاني منها مقابل ماذا هي؟ هل هناك شيء؟ إنها هي التي تأتي لمن أعرض عن ذكر الله {فإن له معيشة ضنكا}.

فلماذا يأتي الكثير فيقولون: [إن شاء الله بعد هذه الحياة نصير إلى الجنة، هذه دنيا نصبر على هذه الحالة وهي أياما وتنتهي ثم ندخل الجنة]؟ لماذا لا تتأملون الربط الخطير جداً بين الشقاء في الدنيا وبين الشقاء في الآخرة؟{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} (طه:١٢٦) . {وَكَذَلِكَ} أي: وهكذا يكون{نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} . شقاء في الدنيا، وعمى، وعذابا، وخزيا في الآخرة.

تكرر في آيات كثيرة في القرآن الكريم، الحديث عن الوعيد يبدأ من الدنيا وينتهي في الآخرة، يكون هنا في الدنيا بأشكال متعددة، عقوبات تأتي بأشكال متعددة منها ما هي عقوبات معنوية، ومنها ما هي عقوبات مادية، ومنها ما هي آلام نفسية، ومنها ما يتمثل بقسوة في القلوب، لها أشكالها الكثيرة، أنواع العذاب في الدنيا له أشكاله الكثيرة تعرض له القرآن الكريم ليخوفنا بها. من الذي فهمنا هذا الفهم المغلوط: أن الدنيا طبعت على هذا النحو، والمؤمن هو من يرضى بالحالة التي هو عليها، والتي الدنيا عليها؟! فكلما ازداد الوضع سوءاً كلما رأى نفسه أقرب إلى الله، وكلما رأى نفسه أقرب إلى الجنة!. من أين جاء هذا الفهم؟ أوليس الربط واضحا في هذه الآية: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} الربط واضح.

ولأهمية الموضوع، ولنفهم المسألة فهما صحيحا ـ إن شاء الله ـ نحاول أن نستعرض الكثير من آيات القرآن الكريم التي تدل على: أن الإنسان هنا يلقى جزاء أعماله، ينال جزءاً من العقوبات على أعماله في هذه الدنيا ومن أول معصية حصلت.

لاحظوا من أول حادث وقع مخالفة لأمر الله من جانب بني آدم والذي كان على يد أبينا آدم حين أكل من الشجرة ألم يشق؟ شقي فعلا، لكننا نقرأ هذه الآية، ونقرأ [قصة آدم] ونمر عليها، وإذا ما جاء أحد المفسرين كان همه هو أن يبحث عن كيف يخرج من هذه القصة دون أن يلحق آدم إثم، يحاول أن يحافظ على آدم أن لا يلحقه إثم فمعصيته حصلت على جهة التأويل، أو أنه كان ناسياً، أو ربما أنه نهي عن جنس الشجرة، ولم ينه عن شجرة بعينها مخصصة! ولكن الله قال في القرآن الكريم: { وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ ـ هذه ـ الشَّجَرَةَ}(البقرة: من الآية٣٥) نهاهما عن أكل شجرة معينة، وحذرهما من الشيطان أنه عدو لهما وأنه سيعمل على أن يحملهما على الأكل من هذه الشجرة فليكونا متيقظين، جاء إبليس{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}(لأعراف: من الآية٢٢) زين لهما المسألة حتى أكلا منها{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}(لأعراف: من الآية٢٢)لم يتعقل بعض المفسرين{يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} أنه فعلا ملابسهما نزعت منهما يخرج من الجنة ولا يحمل حتى خيط، يخرج من ذلك النعيم، من الجنة في الدنيا هنا وليس جنة الآخرة، جنة في الدنيا كانت قد أعدت لهما ليقيما فيها وليأكلا فيها رغدا من حيث شاءا ـ كما قال الله ـ، وفيها ما يحتاجون غليه، فيها ملابسهما، فيها كل شيء حتى إذا أكلا من تلك الشجرة طردا من الجنة، وخرجا إلى الحياة ليسيرا في الحياة هذه في الحصول على معيشتهما على النحو الذي نحن نعمله: زراعة، وحراثة، وأعمال كثيرة حتى يحصل على قوته، ونزعت عنهما ملابسهما، حتى الملابس لا تبقى لهما{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} ليسترا عورتيهما ولو بالورق، أليست هذه أول معصية؟ تحدث نتيجتها في الدنيا على من اقترفها أن يشقى، وأن تنزع عنه حتى ملابسه فيخرج من الجنة فشقي فعلا وتعب في الحياة ..هذه أول معصية.

وتكررت في القرآن الكريم ؛ لأن فيها عبرة مهمة، ودرساً مهماً كذلك تكرر في القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا النوع التي تبين: أن الناس يحصل لهم في هذه الدنيا عقوبات أعمالهم.

نحن كطلاب علم إذا ما اتجهنا لنرشد الناس دون أن نذكرهم دون أن نرشدهم وفق منهجية القرآن فسنكون نحن من يصرف الناس عن القرآن، ويصرف الناس عن ما يريد القرآن منهم أن يفهموه في مجال التذكير بالله، في مجال التخويف من الله، نحن نخوف الناس بجهنم أليس كذلك؟ لكن الإنسان بطبيعته يخاف العاجل أكثر من

الآجل، يتوقف عن عمل يكون فيه نجاته من جهنم لخوفه من سجن في الدنيا أليس كذلك؟ يقترف عملا سيئا سواء يتمثل بعمل يرتكبه، أو قعود عن حق ينصره فيكون قعوده ذلك مما يؤدي به إلى جهنم.. لماذا؟ خوفا من سجن في الدنيا.. أليس هذا هو ما يحصل؟ ما الذي يقعد بالكثير من الناس قعودا قد يؤدي بهم إلى جهنم إلا خوفهم من ماذا؟ خوفهم من الوعيد العاجل وأي مقارنة بين الوعيد العاجل الذي تخافه من جانب هذه الدولة، أو من جانب ذلك الشخص، سجن، أو أن تفقد مصلحة معينة تخاف على مصلحتك، تخاف من سجن، تخاف من تعذيب في سجن؛ فتتوقف ولا تحسب حساب جهنم.. أليس هذا هو ما يحصل عند الكثير من الناس؟.

الله، الحكيم، الله الذي يعلم النفس البشرية لم يدع هذا الأسلوب ، لم يدع الإنسان دون أن يضع له في الدنيا هنا ما يجب أن يخاف منه فيكون أمامه دائما ما يخيفه من التفريط، وما يخيفه من ارتكاب المعصية: عقوبات في الدنيا، وعقوبات في الآخرة ينفع فيك الخوف من الآجل، وإلا فأمامك ما تخاف منه في العاجل.

وهكذا عمل أيضا في جانب الهداية، في جانب الترغيب: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}(الأعراف: من الآية٩٦) أليس كذلك؟ ماذا يعني هذا؟ إيمان وتقوى سيكون مما نناله في هذه الدنيا هو أشياء مما نحب، أشياء مما نرغب إليه لأننا نحب العاجلة فستكون هناك أرزاق مبسوطة، يكون هناك رغد من العيش، وهذا هو ما يهم كل إنسان: قضية العيش، المعيشة {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} أليس هذا وعدا من الله؟{وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ما معنى: {أخذناهم}؟ أن يحدث نقص في البركات. عبارة: {أخذناهم} أخذا أي أخذ كان: نقص في البركات، أو خزي في الدنيا، أو ذلة، أو .. كم أنواع العقوبات من جانب الله كثيرة جدا. {فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [ص٣]

ـ التقييم للوضعية ومعرفة أسبابها:

فإذا ما قيمنا وضعيتنا فوجدنا أن وضعية الأمة هي في حالة خزي.. من الذي يستطيع أن يقول إن الأمة ليست في حالة خزي؟ اسمع التلفزيون سترى كيف مواقف الخزي، كيف الكلمات المخزية تنطلق من الكبار، وكيف الوقوف المخزي يحصل ممن يجب عليهم أن يتحركوا في أوساط الأمة، لإنقاذها، ولتبيين كتاب الله لها. انظر كيف هي المواقف المخزية للأمة بشكل عام أمام التهديدات التي تأتي من قبل أعدائها، أنظر كيف السكوت المخزي أمام ما يحدث من ضربات في كل جوانبها، وداخل كل بقعة، انظر كيف الحياة المخزية أن يصبح عيشنا تحت رحمة أعدائنا، وقوتنا من تحت أيدي أعدائنا.. أليس هذا خزيا؟.إذا فهمنا أننا في حالة خزي، وفهمنا أن الخزي إنما يأتي إذا ما انطلقنا نحن على هذا النحو: نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض حينها سيكون فهمنا لواقعنا وفهمنا بأن هذه نتيجة لتقصيرنا سيدفعنا ذلك إلى أن نصحح وضعيتنا ونرجع إلى الله رجوعا عمليا صحيحا، لكن إذا فهمنا أن هكذا الدنيا، وأن علينا أن نصبر وإن كنا نعرف أن هذا خزي. هذا حال الدنيا والمسلمون هكذا يكونون مستضعفين، وإذا قلنا نحن أهل الحق وجدنا أنفسنا مستضعفين أكثر قالوا هذا هو الدليل على أننا على حق! أن أهل الحق هم يكونون عادة مستضعفين أكثر، ومساكين، وأذلاء، ومقهورين!! إذاً فيصبح الخزي علامة أنك محق.. أليس كذلك؟ كلما كنت في خزي أكبر كلما كان ذلك يعني: أنك على الحق أكثر وأكثر، لكنا هنا القرآن الكريم يقول: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثم يأتي الربط الذي تراه كثيراً في القرآن الكريم بين الحالتين. لا تتوقع بعد الخزي في الدنيا رفعة في الآخرة توقع بعد الخزي في الدنيا عذاباً عظيماً في الآخرة نعوذ بالله}إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(البقرة: من الآية٨٥) هكذا يجب أن نفهم، وهكذا نرد على من ينطلق ليعلمنا: أن هكذا الحياة خزي وراءه رفعة في الآخرة، غير صحيح. القرآن في أكثر من آية يربط على هذا النحو. [ص٨]

ـ لا تنتظر العلماء كلهم يتحركون حتى تتحرك:

هكذا التيه، بنو إسرائيل تاهوا أربعين سنة لأنهم امتنعوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم في ذلك الزمان، بل قالوا تلك العبارة القليلة الأدب: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.

ولاحظوا.. كيف أنه لم يكن هناك إلا رجلين إضافة إلى نبي الله موسى وهارون دفعوا بهم إلى أن يشجعونهم لدخول هذه الأرض التي كتب الله لهم، رجلين فقط الأغلبية كلهم ليسوا حول هذا الموضوع، لكن ألم يكن كلام أولئك الرجلين كلاما كان مهما عند الله سبحانه وتعالى فسطره في كتابه وخلد ذكره. رجلين وحتى رجل واحد ألم يسطر كلام رجل واحد مؤمن آل فرعون؟ ويأتي بصفحة كاملة لمؤمن آل فرعون في [سورة غافر] لأنه لا عبرة بالمجاميع التي لا تقول شيئا مهما كانت ثقافتهم مهما كانت مكانتهم، مهما كانت قدراتهم، وأن رجلا واحدا ينطلق ليرشد الأمة له قيمته العظيمة عند الله، وهو حجة على الأمة، لسنا بحاجة إلى أن ننتظر إجماعا كما قد يقول البعض ينتظر العلماء كلهم أن يقولوا، والعلماء كلهم أن يقفوا والعلماء كلهم أن يتحركوا. أليس هذا هو ما يدور عند البعض؟ المهم هو: أن يكون هناك من يقول ولو رجل واحد، كمؤمن آل فرعون أن يكون هناك من يقول ولو رجلين فقط كما حصل لقوم موسى هنا{قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} يخافون الله ويخافون عقوبته، عقوبة عدم الاستجابة والتفريط في الإستجابة لنبي الله. {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا} أنعم عليهما بالإيمان، بالوعي، بالفهم، بالتقوى، بالإهتداء.

وضعوا لهم خطة: {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} لأنه كما في الأثر (ما غزي قوم في عقر دورهم إلا ذلوا) اهجموا عليهم الباب فإذا دخلتموه فهم سينهزمون نفسيا وسيضعفون ويتفرقون وستغلبونهم.

أليسوا هنا وجهوا لخطة حكيمة؟

نبي الله موسى (عليه السلام) أمرهم بأن يدخلوا هذه الأرض، وهذان الرجلان تحدثا عن خطة عندما وجدوهم يتهربون من الدخول{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} توكلوا على الله وادخلوا وستغلبون.. ألم يذكر الله كلام الرجلين كما ذكر كلام موسى (عليه السلام)، ألم يسطر كلام الرجلين هنا مع كلام موسى عليه السلام وكلام مؤمن آل فرعون مع كلام موسى عليه السلام في المقام الآخر أيضاً؟ لأن الكلمة لها أهميتها، الكلمة التي توجه، الكلمة التي ترشد، الكلمة التي تضع خططا عملية، للحفاظ على الأمة ولبناء الأمة، ولتكون الأمة ملتزمة بدينها لها أهميتها.[ص١٢]

ـ خطورة السكوت:

ألم يضرب الله مثلا للكلمة الطيبة؟.. {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}(ابراهيم: من الآية٢٥) وإن لم تكن إلا من رجل واحد لا تنتظر الجميع أن يقولوا، لا تنتظر الكل أن يقولوا من العلماء، أو من المثقفين، لا تنتظر الحكام أو الزعماء جميعا أن يقفوا. انظر إلى من يتحرك، انظر إلى من يقف فتحرك معه وقف معه، ألم يسطر كلام الرجلين على أساس أنه كلام مطلوب من بني إسرائيل أن يتجهوا على أساسه وأن يعملوا به؟ لو كانت خطة خاطئة لما سطرت ولما دونت،{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} هذه خطة عملية عسكرية {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} هذه خطة صحيحة سطرت لأنه أصبح مطلوبا من بني إسرائيل أن يسيروا عليها. فكانت لها قيمتها وإن لم تصدر من أعيان ونقباء بني إسرائيل جميعا، وإنما أتت من رجلين. وقد يكونا رجلين من أوسط الناس من أطرف الناس، لم يذكر أنهما كانا من الملأ كما يقول عن الملأ من كبار الناس، أو من أعيان الناس أو من نقباء بني إسرائيل رجلين لكن رجلين فاهمين، أنعم الله عليهما بالإيمان أنعم عليهما بالهدى.

الله كأنه يقول لنا: لو أنهم نفذوا كلام هذين الرجلين لما تاهوا أربعين سنة. ألم يتيهوا أربعين سنة عندما امتنعوا

عن تنفيذ طلب نبي الله موسى عليه السلام أن يدخلوا وعن الدخول بعد وضع الخطة من قبل الرجلين فتاهوا أربعين سنة؟ وكأن هذا يقول للكثير من الناس الذين يقولون: [سننتظر للعلماء جميعا أن يقولوا أو ننتظر زعماء العرب جميعا حتى يتحركوا، أو المشايخ جميعا حتى يقولوا] انظر إلى أي رجل أو رجلين يقول كلاما صحيحا يؤدي إلى موقف صحيح وتأكد بأنه مطلب من الله كما كان هنا كلام الرجلين مطلب لله من بني إسرائيل أن يسيروا عليه وإلا لما سطره في كتابه مع كلام نبيه موسى عليه السلام.

وهذه قضية مهمة لأن الكثير قد يدخل في نفسه ريب وشك نحن هنا نقول: [الموت لأمريكا والموت لإسرائيلي لكن هناك مدينة علمية هناك مجاميع من العلماء لا يتكلمون بها. هل كان هذان الرجلان ـ الذين حكى الله عنهما من بني إسرائيل ـ هل كانا قمة بني إسرائيل؟ أو أن هناك الباقي الكثير ممن هم رافضون وممن هم ساكتون ألم يكن في بني إسرائيل علماء؟ على أقل تقدير ممن يسمعون موسى وهو يتكلم وهو يرشد وهو يوجه فيعلمون ما يقول..

ألم يكن فيهم علماء ووجهاء؟ لكنهم كانوا ساكتين أو كان موقفهم كموقف الآخرين{لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا} هل كان مقامهم بالشكل الذي يلحظه الله؟ فيقول ما دام قد جلسوا أعيان بني إسرائيل وسكتوا أو كان هذا هو رأيهم فما قيمة كلام الرجلين لا شيء.. لا. أعتد بكلام الرجلين وجعل له قيمته، وجعله كلاما عظيما، وجعل أولئك لا شيء، الذين قعدوا من علمائهم من وجهائهم، من عبادهم، رجلين فقط والباقي ماذا؟ إما أن يكونوا ساكتين أو يكونوا ممن يقولون: {لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} لنعرف أنه في كل زمان هل سيكون الله مع أولئك الذين يسكتون من علماء وعباد ووجهاء وزعماء؟. أو أنه سيكون مع رجل أو رجلين من هنا، أو هناك ينطلقون ليضعوا خططا عملية للأمة تسير عليها، وخططاً لتوعية الأمة ولإرشاد الأمة.

أنت عندما تقول: [لو كان هذا عملا صحيحا لكان العلماء في المقدمة] أنت في ذهنيتك تتصور وكأن الله هو مع المجاميع الأخرى الجالسة والساكتة أليس كذلك؟ تتخيل وكأن الله هو مع أولئك وهذا هو شاذ هناك.

رجلان الله كان معهما وأثنى عليهما، وجعل الخطة التي قالوها خطة حكيمة مطلوبة من بني إسرائيل ولم يعتد بالعلماء، ولا بالأعيان، ولا بالعباد، ولا بالوجهاء الآخرين من بني إسرائيل.. هل اعتد بهم؟ لا.. بل تاهوا كما تاه الآخرون، وتحملوا أوزار قعودهم وسكوتهم، سواء كانوا هم ممن قال: {ا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} الكلمة القبيحة هذه. أو قالها آخرون فقبلت. إذا ما جاءت كلمة سيئة من أطراف الناس وسكت أولئك الذين يجب عليهم أن يقفوا ضدها فكأنها هي كلمة تعبر عن موقف المجتمع كله لأنه هاهنا قال يحكي عن بني إسرائيل {قالوا} وكم تحت [الواو] في كلمة {قالوا} تفهم وكأنه ما عدا الرجلين.

{قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا} فهل تتوقع بأن الذين قالوا هذه العبارة هم من علماء بني إسرائيل وعباد بني إسرائيل قد لا يكون البعض من قال هذه العبارة، قد يتحاشى عالم من علمائهم، أو عابد من عبادهم أن يقول هذه العبارة، لكنها قيلت ونحن علماء وعباد ووجهاء وأعيان سكتنا فكانت هي الموقف الذي يعبر عن الجميع.

ففي هذه النقطة عبرة لنا نحن.. لا ننتظر للعلماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للزعماء أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للمشايخ أن يتحركوا كلهم، لا ننتظر للأمة أن تتحرك كلها تحرك بحركة رجل أو رجلين يقف مواقف صحيحة وستلمس أنت أن ذلك موقفا صحيحا، وأقل ما يمكن أن تلمسه: أن هذا الموقف له جدوائيته وينفع فيكفي هذا. شيء أفضل من لا شيء أليس كذلك؟ [ص١٢]

ـ <u>أن نعي كيف نتحدث مع الآخرين :</u>

إذا قيل لك بأن هذا عمل خطير عليكم، ماذا يعني هذا؟ أليس يعني ذلك: أن عملك له قيمته وله أثره البالغ

على أعداء الله؟ إذاً هو ما تريده. أو أننا نريد أن نبحث عن أعمال لا تضر بالآخرين. هل هذا معقول؟ كيف بإمكانك أن تقف في مواجهة أعداء الله وبأعمال لا تكون خطيرة ولا تضر بآخرين ما هو العمل هذا؟ ربما النوم، النوم هو لن يضر بالآخرين لكن سيضر بك.. أليس كذلك؟ إذا ما انطلقنا في عمل معين فقيل لنا: هذا عمل خطير، فجلسنا، انطلقنا في عمل آخر، فقيل: هذا خطير، جلسنا، أي أننا نريد أن نبحث عن عمل نقف معه ضد أعداء الله لكن لا نريد أن يكون خطيرا علينا، فإذا لم يكن خطيرا علينا يعني أنه ليس شديد النكاية بأعداء الله.. أليس كذلك؟

فهذا يسمى جهاد ماذا يمكن أن نسميه؟ جهاد من نوع لين، أو جهاد انتساب كطلاب الجامعة، يدرس في الجامعة عن بعد، متى ما قيل لك: عملك هذا خطير فإنه شهادة أن عملك هذا مؤثر ضد أعداء الله.

فإذا كنت مجاهدا ويهمك أن تبحث عن الأعمال التي ترضي الله، والتي تكون مؤثرة ضد أعداء الله فإنه متى ما قيل لك: أن عملك هذا خطير فهو شهادة أنك على النهج الصحيح في مواجهة أعداء الله، وهو شاهد أيضا على أن عليك أن تبحث أكثر وأكثر عن ما يشكل أكثر خطورة عليهم، وإن كان أيضا أكثر خطورة عليك؛ لأنه أحيانا ـ وهذا هو ما نجهله جميعاً ـ ننظر إلى الخطورة التي تحدث من وراء ذلك العمل من جانب الآخرين ولكننا لا ننظر إلى خطورة القعود وما توعد الله على القعود وعلى السكوت من عقوبات أقلها الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا نخاف من ذلك أليست هذه هي الخطورة البالغة التي يجب أن نخافها؟ أليس هذا هو الخطر الحقيقي الذي يجب أن نخافه؟ فحينئذ قارن بين سكوتك وبين عملك أيهما سيكون أخطر عليك من جانب من؟ الخطورة من جانبه أشد والعقوبة من جانبه أعظم وهو الله هل سكوتي أو انطلاقي في العمل أيهما أخطر علي من جانب الله سبحانه وتعالى؟ ستجد أن السكوت هو الذي يشكل خطر عظيما عليك. نظرة خاطئة، نظرة لا تلتفت إلى جانب الوعيد لا في الدنيا ولا في الآخرة، متى ما انطلق الناس في عمل فقيل لهم: هذا خطير، اتجهت أذهانهم وأنظارهم إلى ذلك الخطر المحتمل من جانب جهة داخلية، أو خارجية وجعلوه كل شيء وارتعدت فرائصهم، واضطربت قلوبهم. إذا كان الناس على هذا النحو فسيكونون هم ممن قال الله عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ} (العنكبوت: من الآية١٠) {آمنا} لكن إذا الدنيا سلامات{فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} وجعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها، ثم لا يعد يرفع له رأسا، ولا يعد يرفع له يداً ولا تنطلق من فمه كلمة. [ألم نقل لكم أن هذا عمل خطير ألم نقل لكم اتركوا هذا العمل ما رضيتم]. أليس هكذا يقول الناس؟.

أنت قل للآخرين قل لهم ما قال الله في كتابه من وعيد لمن يقعدون لمن يتخاذلون، لمن يسكتون وما وعدهم به من أجر عظيم، ومن جزاء حسن في الدنيا وفي الآخرة.

إذا ما انطلقوا يعملون ذلك الجزاء العظيم الذي يجعل كل خطر من جانب الآخرين لا شيء، كلم الناس بهذا، ذكر الناس بهذا، الذي يقول لك: عملك هذا خطير، قل له: لكن أنت سكوتك أيضاً هو خطير وتعال نجلس معا أنا وأنت نعرض سكوتك ونعرض عملي على كتاب الله فننظر أيهما أشد خطرا، وحينها سنسلم أنا وأنت ونحن مستعدون إلى أن نقف، إلى أن نمتنع إذا كان عملي هو أكثر خطرا عليّ من جانب الله سألتزم بكلامك وإن كان سكوتك هو الأكثر خطرا فإنه يجب عليك أن تتحرك بحركتي، لماذا لا تقول للآخرين هكذا؟ من يقولون: (اسكتوا كلامكم خطير، عملكم هذا خطير). لماذا لا تقول لهم هذا؟ نحن ننسى.

ألم أقل قبل يومين في شرح كلام زين العابدين (صلوات الله عليه): ((وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) أننا بحاجة إلى أن نكون جنودا لله، نعي كيف نتحدث مع الآخرين، نعي كيف نخاطب الآخرين. من هو ذلك الذي قد يقول مثل هذا الكلام إذا ما انطلق شخص آخر ليثبطه عن عمل ـ قد يكون القليل منا ـ ونحن ما تزال أعمالنا بسيطة، فإذا ما انطلق أحد يثبطه عن عمل تاه بفكره وسكت، من سيقول لك عملك هذا خطير قل له: سكوتك أنت أيضا خطير عليك أمام الله.

الخطورة البالغة هي في سكوتك خطورة عليك وخطورة على الأمة وخطورة على الدين لكن عملي قد يكون فيه

خطورة على شخصي فقط وهو بناء للأمة، وهو نصر للدين فأيهما أشد خطورة ذلك الذي هو ضرب للدين وللأمة، وللإنسان نفسه، أم هذا الذي قد يكون لشخصك لكنه نصر للأمة، ونصر للدين، وفوز لك في الدنيا والآخرة؟. يجب أن نصل نحن في وعينا إلى أن نعرف كيف نتحدث مع الآخرين عندما ينطلقون ليثبطونا عن أي عمل، وما زالت أعمال الناس بسيطة، لنكون جنداً من جنود الله لا يستطيع أحد أن يوقفنا أبدا لا بتضليله، ولا بإرجافه، ولا بأي أسلوب كان .

كلام الرجلين ـ{قَالَ رَجُلاَنِ} ـ يدل على أن المجاميع الأخرى كانت متخاذلة أليس كذلك؟ أنها كانت متخاذلة. لم يقل هنا حتى قال عالمان أو قال كبيران، بل{قَالَ رَجُلاَنِ} وأنت انظر كما قلت سابقا ستجد إذ كنت تفترض أن هناك مجاميع من العلماء والعباد داخل بني إسرائيل .. اين هم؟ اليسوا في ذلك الجانب الآخر المتخاذل؟ خذ عبرة من هذا، خذ عبرة من هذا أنه هكذا في كل زمان، والتاريخ يشهد أنه في كل زمان ليس العلماء جميعا يتحركون، ولا الوجهاء جميعا يتحركون، ولا المؤمنون جميعا يتحركون، ولا كل من يمتلك فما ينطق ليتحدث.. هذا هو الشيء المعروف من خلال القرآن الكريم ومن خلال التاريخ، تاريخ الأمة. [ص١٣]

[الوعد والوعيد الدرس ١٥]

ـ كيف نقيم وضعيتنا على ضوء القرآن:

قضية مهمة أن نتعرف على واقعنا كما أكرر كثيرا لنجد جميعا علماء ومتعلمين ومسلمين ومؤمنين نخاف الله جميعا في دنيانا وآخرتنا أن واقعنا سيئاً إلى أسوأ ما يمكن أن نتصور، لننطلق في تصحيح وضعيتنا نعود إلى بني إسرائيل، ونعود إلى واقعنا، ولا نخرج من القرآن فقط باللعنة لبني إسرائيل نتذكر كلمة{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١)، {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا} (البقرة: من الآية٢٧٥) ذلك بما كذا ألم يأت كثيرا؟{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة: من الآية٦١) مرتين يذكر {ذلك} يعني للتعليل لهذا استحقوا أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة وعندما يقول: {ذلك} هو خطاب لمن؟ يخاطبنا بالكلام كله نحن العرب، نحن أبناء هذه الأمة يخاطبنا بأنه هكذا حصل عليهم بكذا وكذا ولكذا وكذا، حصل عليهم هذا، سيحصل عليكم مثله وأعظم منه إذا ما كنتم على هذا النحو الذي كان عليه بنو إسرائيل أو أعظم مما كان عليه بنو إسرائيل.

ـ استخدم أسلوب المقارنة:

أن تطلع على تقرير عن مختلف الأسلحة التي تمتلكها أمريكا مثلا، أو إسرائيل [صواريخ بعيدة المدى] [صواريخ تحمل رؤوسا نووية] قنابل [هيدروجينية] [قنابل ذرية] قنابل كذا، وأسلحة متعددة. أليست كلها من تفاصيل ما يمتلكون من وسائل التعذيب للآخرين؟.

قارن بينها وبين التفاصيل التي عرضت في القرآن الكريم عن جهنم، ستجد أن هذه هي قد تكون ما يتمناها أهل جهنم، يتمنون في جهنم أن يكون عذابهم من نوع ما تمتلكه أمريكا من أسلحة، وسيعتبرونه حينئذ تخفيفا عظيما، وسيشكرون الله، ويشكرون زبانية جهنم، أن قدموا لهم هذا العذاب الخفيف، اللطيف،القليل ويسلمون ذلك العذاب الشديد في جهنم.

لا شك أن من هو في جهنم ويقال له سنعذبك بما كان لدى الأمريكيين في الدنيا لرآه هينا، لرآه هينا، وهو هذه الأشياء التي نخاف منها في الدنيا تصنعه أمريكا، وتراه في التلفزيون عندما ينطلق الصاروخ هذا، أو ترى نماذجا من أسلحتهم، أو ترى عروضا عسكرية من عساكرهم هم أو أي دولة أخرى، فتخاف، أو

يكلمونك عن فرق من الجنود تتدرب تدريبا خاصا [كمندوز] أو من يتدربون في معسكرات العمليات الخاصة. أولئك ليسوا بشيء أمام خزنة جهنم، خزنة جهنم مدربون تدريبا عاليا على تعذيب الناس، ملائكة غلاظ شداد كما قال الله عنهم: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} (التحريم: من الآية٦) وبأيديهم مقامع من حديد تلتهب نارا، كلما حاولت أن تقترب من باب من أبواب جهنم يضربونك بها. هؤلاء هم من يجب أن تخاف منهم، لا أن تخاف من جنود العمليات الخاصة أو من جنود [الكمندوز] أو من أي جندي آخر، باستطاعتك أن تقتله باستطاعتك أن تضربه كما يضربك، وليس بيده كتلك المقامع التي بيد زبانية جهنم.

ألم تتعود الدول على أن تعرض أمام شعوبها فرق من الجنود، يتدربون تدريبا خاصاً، ليرعبوا الناس بهم؟! ارجع إلى القرآن الكريم واستعرض الفرق الخاصة المدربة في جهنم.

فمن الذي يجب أن تخاف منه زبانية جهنم، أم جنود العمليات الخاصة و [الكمندوز] وغيرها من الفرق الأخرى؟.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٧)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

[مكارم الأخلاق١]

ـ الإخلاص لله هو صمام العمل

الإخلاص لله هو صمام الأمان في ميادين العمل أيضا. إذا انطلق الناس وكلهم مخلصون لله سيخلصون في السر وفي العلن، وفي السراء والضراء ، وفي الشدة والرخاء ، وسيخلص سواء هو أمام فلان أم ليس أمامه، سيخلص في أي عمل يقوم به سواء رآه أحد أم لم يره أحد، سيكونون هم مجموعة يحافظون على توحدهم على أرقى درجات ما يمكن أن يصل إليه الناس في توحدهم ، فما يفرق بين الناس إلا هذه المشاعر مشاعر الرياء. [أنا تحركت فلم يقدروا جهودي ، هؤلاء لا يصلحوا] .. فتذهب من عندهم والآخر يذهب والآخرون يذهبون من عندك، وهكذا.
لكن إذا انطلق الناس من أجل الله فما الذي سيفرق بينهم حينئذ، سيكونون جميعا نفسيا مهيئين لأن يقبلوا توجيها واحدا هو هدي الله. لأنه ليس في نفوسهم شيء آخر بديل ، ليس لدينا مطامع شخصية ولا مقاصد شخصية، لا مادية ولا معنوية وبالتالي فما الذي يحول بيني وبين أن أقبل هديا واحدا من جانب الله ، أسير عليه أنا والآلاف من زملائي، إنما أحيانا لا تسير مجموعة مكونة من عشرة أشخاص إذا كان داخلها من له رؤى أخرى يعمل على بناء شخصيته ـ كما يقولون ـ أن يكون هو مفكرا ، أن يكون له حق التفكير ، وحق إبداء الرأي ، أن يكون هو الذي له حق أن يجتهد ، وله حق أن ينظر ، وله حق .. وله حق .. إلى آخره . يملأ رأسه بالحقوق الشخصية له ، وحينئذ فأي جانب من التوجيهات هي من داخل القرآن الكريم سيعمل على أن يدفعها، فإذا كان زميله هذا أو ذلك ممن يمكن أن يقبل ذلك التوجيه من الله سبحانه وتعالى لأنه ليس لهم هناك قائمة للحقوق الشخصية داخل نفوسهم فإنه وهم لن ينسجموا .. بل ستكون حركته في الساحة مختلفة عن حركتهم ، وسيعمل على أن يصنع في الساحة نسخا من نوعيته في الناس ، وهذا هو نفسه من أهم بواعث التفرق، ذلك التفرق الذي يصبغ كل طرف فيه ما هو عليه بصبغته الدينية فيضفي على تفرقه وخلافه صبغة دينية.
الناس إذا ذابوا في الله سبحانه وتعالى قبلوا جميعا كلمته الواحدة، هديه الواحد.. ألم نقل أمس في المحاضرة أن هناك نموذج مهم لهذا الجانب هو أنبياء الله على اختلاف أزمنتهم ، وأمكنتهم ، تلمس فيهم روحية واحدة ، وصفا واحدا ، بل يعطون الموثق والشهادة لله، والعهد لله: أنه إن بعث الله محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يقفوا جنودا معه أن ينصروه ، أليس هذا هو قمة الذوبان في الله؟. وهم أنبياء مكانتهم عالية.
ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ إلغاء تلك القائمة الطويلة العريضة في نفوسهم : لي حق أن أكون كذا ولي حق كذا .. ولماذا لم يعتدوا برأيي، ولي حق إبداء نظري ولي حق .. ولي ... الخ.
أنت تستطيع أن تنفع الإسلام وتستطيع فعلا أن تنطلق في الساحة فتقيِّم كل شيء تنظر إلى أعمال الآخرين من أعداء الله فتراقبها عن كثب ثم ارفع وجهات نظرك إلى الآخرين ممن تراهم قادة لك أو أعلاما لحركتك ، وهم إذا كانوا مخلصين مهتمين سيكونون ممن لا ينظرون نظرة احتقار إلى أي شخص مهما كان ، فبإمكانه أن يذكرنا بقضية مهمة ، ألم يتمكن [هدهد] من أن يدل أمة بكاملها بملكتها على أن تسلم؟. ألم يستفد سليمان (عليه السلام) من نملة واحدة؟. الكل بحاجة إلى أن يذوبوا في الله، والكل بحاجة إلى أن يتحركوا بجدية ، وكل واحد منهم يتحرك وكأنه هو القائد ، وكأنه هو المعني بكل شيء ، وكأنه هو المسئول عن كل شيء، وكأنه هو من عليه أن يهتم بكل شيء، بشكل مراقبة لواقع الآخرين وأعمال الآخرين وأي قصور أو تثبيط أو تخاذل يحدث من جانب الآخرين من زملائه.
ثم ليقدم كل معلوماته لمن يرى أنهم هم من يقودون أعماله ، من يتحرك هو وهم في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي مواجهة أعدائه.

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله ، وأحيانا قد تخسر قيمة كبرى لعملك ، ليست فقط هي ما يمكن أن يعطيه عملك في حدوده بل آثاره أيضا آثاره في الآخرين، وآثاره في الأمة من بعدك .. الإنسان إذا رأى أنه سيخسر شيئا عظيما ، سيخسر أجرا مضاعفا يتكرر جيلا بعد جيل.

أما إذا أخلص لله فسيكون هو من يلقى الله سبحانه وتعالى بأجر كبير بأعمال مضاعفة، ليست فقط هي أعماله بل ومن أعمال الآخرين ، ومن حسناتهم الذين كان عمله سببا لهدايتهم ، من كان عمله سببا لإنقاذهم ، كان عمله سببا لتوعيتهم، وتبصيرهم، وإكمال إيمانهم. أليس هذا هو الفضل العظيم؟.. ألم يقل الله عن أولئك المجاهدين {ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(المائدة: من الآية٥٤) لأنه هكذا أنت في ميدان أن تصنع لنفسك فضلا عظيما عند الله ، أن تبني لنفسك رصيدا مهما من الأجر الكبير من الحسنات المضاعفة عند الله، المجاهدون هم أولئك الذين يعملون على أن ينقذوا الأمة وينقذوا الأجيال من بعدهم فيكونوا هم من سيشاركون كل فرد في الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها .. أليس هذا هو الفضل العظيم؟. عمرك القصير سبعين سنة، ثمانين سنة، ستين سنة .. ماذا يمكن أن تتسع له أمام تقصيرك وقصورك وجهلك؟!. لكن تلك الأعمال المهمة هي الكفيلة بتغطية ذلك النقص.

أليس هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء بهذه العبارة؟: {يؤتيه من يشاء} فمن هو الذي يجعل نفسه جديرا بأن يؤتيه الله ذلك الفضل؟ هو من ينطلق في أعماله بإخلاص.[ص١١]

ـ أثر الإخلاص في توحيد كلمة الأمة

هذا هو فيما يتعلق بقيمة الإخلاص لله، فيما يتعلق بأجر العمل وهو في نفس الوقت له أثره المهم في توحيد كلمة الأمة، توحيد كلمة المجموعة ، توحيد كلمة العاملين ، بل وفاعليتهم سينطلقون بجد حتى وإن كان في ظلمات الليل في الصحراء لا ينتظر لأحد أن يلتفت إليه فيقول: ما شاء الله. يرى نفسه في حالة شديدة في الصحراء من البرد ، من الجوع ، من الألم لا يخطر بباله أن يتمنى [أن فلان يراني ليعرف أني أحسن من ذلك الشخص الذي رابض عنده أو أحسن من فلان الذي يعتمد عليه .. أو أو..] من هذه العبارات الكثيرة.

هو وحده واثق أن هناك من يراه هو الله، وهذا هو المهم أن يكون الله الذي يراه ، هو وحده الذي يقبل عمله ذلك .. أليس الإخلاص هو الذي سيجعل كل جندي يتفانى في أي ميدان هو؟. أليس الذي هو سيقفل كل بواعث التفرق؟.

معظم بواعث التفرق هي: البغي، والحسد.. والبغي والحسد منبعه هو: النظرة الشخصية ، مصالح شخصية، حقوق شخصية ، أهداف شخصية، ومقاصد شخصية .. أليس هكذا الله تحدث عن أولئك الذين تفرقوا من بعد أنبيائهم ، أن ما كان يدفعهم للتفرق هو البغي هو الحسد.. البغي من بعضهم على بعض اعتداءهم، ومتى ستعتدي على أخ لك في الله وأنت وهو منطلقان في ميدان العمل لله بإخلاص لله.

من الذي سيفرق بينكم ؟. الله الواحد الأحد يمكن أن يفرق بينكم ؟!، وهو الذي لم يفرق بين أنبيائه جيلا بعد جيل، وهو الذي طلب منا كمؤمنين أن نؤمن بأن لا تفرقة بين أنبياءه{لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}(البقرة: من الآية١٣٦) أبدا.. لا الله . ولا هديه، وإنما أنت أو أنا ، إذا ما ابتعد عن هدى الله سيظهر البغي سيظهر الحسد، ستظهر المصالح الشخصية ، ستظهر المقاصد السخيفة، ستظهر الحماقة.

ثم حينها سيكون كل طرف قوي .. قوي في سبيل مواجهته للطرف الآخر لأنه حينئذ أصبح يتحرك لتحقيق أهداف شخصية لديه، وما أحمق الإنسان وما أضعف إيمانه ، وما أضعف يقينه بالله إذا ما كانت حركته قوية عندما يتحرك من أجل مصالحه الشخصية ، ومن أجل تحقيق أهدافه ثم هو الضعيف، الضعيف إذا ما كانت حركته لله وفي سبيل الله.

الإخلاص لله سيقضي على كل هذه السلبيات ، على كل هذه الثغرات سيسدها. حتى تكون نيتك على هذا المستوى أيضا أنت من يفكر دائما في عظمة الله، وفي حاجتك إليه، وفي أنه وحده فوق كل طرف آخر ممكن أن تطلب منه شيئا أو تخاف منه شيئا، الثناء من قبله وحده عليك أعظم من أي ثناء من الآخرين عليك.[ص١٢]

ـ من أين نطلب الهداية

الهداية ليس هنالك آلية مبرمجة للهداية بحيث أن الإنسان ممكن أن يوفرها، لا بد من الرجوع إلى الله ، لا بد من الدعاء، أن نطلب من الله الهداية ، أن نطلب من الله التوفيق ، أن نطلب من الله الاستقامة ، أن يوفقنا للاستقامة ، أن نطلب من الله أن يثبت خطانا، أن نطلب من الله أن يسدد أقوالنا.

الإنسان لا يستطيع بنفسه ، لا يستطيع من خلال الاعتماد على نفسه أن يحقق لنفسه الهداية ، والتوفيق في المجالات التي ترتبط بحياته ، وفيما يتعلق بآخرته ، هنا يقول الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه): ((اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان)) هو على ما هو عليه من العبادة والتقوى لم يحدث في نفسه غرور ولا إعجاب بحالته التي هو عليها وهو من سمي ـ لما كان عليه من العبادة ـ زين العابدين ، وسيد الساجدين ، ما زال يطلب من الله أن يبلغ بإيمانه أكمل الإيمان.

ـ خطورة أن يضع الإنسان لنفسه خطاً لا يتجاوزه

غاية تستحق أن يسعى الإنسان دائما إلى الوصول إليها .. أن تطلب من الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان، لا ترضى بما أنت عليه، لا تقف فقط على ما أنت عليه فتضع لنفسك خطا لا تتجاوزه في درجات الإيمان ، وفي مراتب كمال الإيمان.

من يرضى لنفسه أن يكون له خط معين لا يتجاوزه في إيمانه فهو من يرضى لنفسه بأن يظل تحت، وأن يظل دون ما ينبغي أن يكون عليه أولياء الله، الإنسان المؤمن هو جندي من جنود الله، وميدان تدريبه ميدان ترويضه ليكون جنديا فاعلا في ميادين العمل لله سبحانه وتعالى هي الساحة الإيمانية، ساحة النفس ، كلما ترسخ الإيمان في نفسك كلما ارتقيت أنت في درجات كمال الإيمان ، كلما كنت جنديا أكثر فاعليه ، وأكثر تأثيراً ، وأحسن وأفضل أداء.

نحن نرى الدول كيف تختار من داخل الجيش فرقا معينة تدربها تدريبات خاصة ، تدريبات واسعة وتدريبات شاملة لمختلف المهام ، تدريبات على مختلف الحركات ليكون أولئك الجنود داخل تلك الفرقة في مستوى الفاعلية لتنفيذ مهام معينة، مهام صعبة، وتلك المهام وتلك القضايا التي هي في ذهن رئيس دولة أو ملك هي دون ما ينبغي أن يكون في رأس المؤمن في ميادين العمل لله سبحانه وتعالى، مهام واسعة.

الجندي قد ينطلق في تنفيذ مهام كلها تنفيذية كلها حركة .. لكن جندي الله مهامه تربوية، مهامه تثقيفية ، مهامه جهادية، مهامه شاملة .. يحتاج إلى أن يروض نفسه .. فإذا ما انطلق في ميادين التثقيف للآخرين، الدعوة للآخرين، إرشادهم .. هدايتهم .. الحديث عن دين الله بالشكل الذي يرسخ شعورا بعظمته في نفوسهم يجب أن يكون على مستوى عال في هذا المجال ، جندي الجيش العسكري في أي فرقة، لا يحتاج إلى أن يمارس مهاماً من هذا النوع، مهامه حركة في حدود جسمه قفزة من هنا إلى هناك ، أو حركة سريعة بشكل معين.

لكن أنت ميدان عملك هي نفس الإنسان، وليس بيته لتنهبه، وليس بيته لتقفز فوق سطحه، الجندي قد يتدرب ليتعلم سرعة تجاوز الموانع، أو سرعة القفز ، أو تسلق الجدران، أو تسلق البيوت ، لكن أنت ميدان عملك هو نفس الإنسان .. الإنسان الذي ليس واحداً ولا اثنين ، آلاف البشر، ملايين البشر ، تلك النفس التي تغزى من كل جهة ، تلك النفس التي يأتيها الضلال من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها .. فمهمة المؤمن يجب أن ترقى بحيث تصل إلى درجة تستطيع أن تجتاح الباطل وتزهقه من داخل النفوس ، ومتى ما انزهق

الباطل من داخل النفوس انزهق من واقع الحياة، {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (الرعد: من الآية١١) .

وأنت جندي تنطلق في سبيل الله سترى كم ستواجهك من دعايات تثير الريب تثير الشك في الطريق الذي أنت تسير عليه، تشوه منهاجك وحركتك أمام الآخرين، دعايات كثيرة ، تضليل كثير ومتنوع ومتعدد، وسائل مختلفة ما بين ترغيب وترهيب.

الجندي المسلح بالإيمان إذا لم يكن إلى درجة أن تتبخر كل تلك الدعايات وكل ذلك التضليل ـ سواء إذا ما وجه إليه أو وجه لمن هم في طريقه، لمن هم ميدان عمله ـ يستطيع أيضا أن يجعلها كلها لا شيء لأن هذا هو الواقع، واقع الحق إذا ما وجد من يستطيع أن ينطلق به، إذا ما وجد من يفهمه ، وفي نفس الوقت يجد آذانا مفتحة واعية فإنه وحده الكفيل بإزهاق الباطل بمختلف أنواعه ، ومن أي جهة كان، ومن أي مصدر كان{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الاسراء:٨١) زهوق بطبيعته إذا ما هاجمه الحق ، لكن ذلك الحق الذي يقدم بصورته الكاملة ، ذلك الحق الذي يقدم بجاذبيته، بجماله بكماله، بفاعليته وأثره في الحياة هو من يزهق الباطل، لو قدم الحق في هذه الدنيا من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وترك لمثل الإمام علي بن بأبي طالب (صلوات الله عليه) ـ ذلك الرجل الكامل الإيمان ـ لما عاش الضلال ولما عشعش في أوساط هذه الأمة، ولما أوصلها إلى ما وصلت إليه من حالتها المتدنية.

غير صحيح ، بل باطل أن يقال بأن أهل الحق دائما يكونون مستضعفين ، وأن من هم على الحق دائما يكونون ضعافا، وأنه هكذا شأن الدنيا ، إن هذا منطق من لا يعرفون كيف يقدمون الحق، منطق من لا زالوا في ثقافتهم هم فيها الكثير من الدخيل من الضلال من قبل الآخرين ، أي منطق هذا أمام قوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الاسراء:٨١) ؟!. إن الباطل كان زهوقاً بطبيعته ، لا يستطيع أن يقف إذا ما قدم الحق .. من الذي يمكن أن يقدم الحق.؟ هو من يسعى دائما لأن يطلب من الله أن يبلغ بإيمانه أكمل الإيمان ، عندما تكون متعبداً لله حاول دائما أن تدعو الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان، حاول دائما أن تبحث عن أي جلسة عن أي اجتماع عن أي شيء يكون مساعداً لك على أن يبلغ إيمانك أكمل الإيمان.

قد يرضى بعض الناس لنفسه حالة معينة فلا يرى نفسه محتاجا أن يسمع من هنا أو من هنا ، ويظن بأن ما هو عليه فيه الكفاية وانتهى الأمر. لكن وجدنا كم من هذا النوع ! أعداداً كبيرة لا تستطيع أن تزهق ولا جانبا من الباطل في واقع الحياة، وفي أوساط الأمة ! إذا كنت طالب علم فلا ترضى لنفسك بأن تكتفي بأن تنتهي من الكتاب الفلاني والمجلدات الفلانية والفن الفلاني وانتهى الموضوع ، وكأنك إنما تبحث عن ما يصح أن يقال لك به عالم أو علامة، حاول أن تطلب دائما وأن تسعى دائما بواسطة الله سبحانه وتعالى أن تطلب منه أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان.[ص٢]

ـ منهم الذين يستطيعون أن يغيروا في واقع الحياة

كم في هذه الدنيا وكم في أوساطنا من الكثير من نوعيتنا الذين نحن ندعي الإيمان، ولكنا نجد أن من يستطيعوا أن يغيروا في واقع الحياة هم العدد القليل جداً من المؤمنين ، أولئك الذين يسعون لأن يبلغ إيمانهم أكمل الإيمان ، ويدعون الله أن يبلغ بإيمانهم أكمل الإيمان وإلا فالمؤمنون ـ إن صح التعبير ـ أو أدعياء الإيمان من نوعيتنا كثير، ومعنى أننا ندعي الإيمان أننا نمتلك الحق ، لكن ما بال هذا الحق الذي معنا لا يستطيع أن يزهق أي شيء من الباطل{ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا} ، لماذا لا يكون الباطل زهوقاً أمام الآلاف من مدعي الإيمان في مختلف المناطق؟.

لماذا يكاد أن يزهق الحق من أنفسهم هم؟ ناهيك عن أن يزهقوا الباطل من نفوس الآخرين أو من واقع الحياة ، ربما لأننا جميعا مؤمنون من هذا النوع الذي يرضى أن يرسم لنفسه خطا معينا لا يتجاوزه فيصبح ذلك الخط هو

المانع له دون أن يزداد معرفة .. دون أن يزداد هدى ، هو الحاجز الذي يمنعه أن يبحث عن أي مصدر للهداية ، أن يحضر في جلسة معينة في مسجد معين .. يستمع لشريط معين ، يتدبر كتاب الله بشكل جدي.. يقرأ صفحات هذا الكون وما أكثر ما يفيد الإنسان النظر في هذا الكون وتأملات حياة الناس في هذا العالم وأحداث هذا العالم ، ما أكثر ما تصنع من إيمان في نفسك. [ص٣]

ـ ابحث عن المزيد من مصادر الهداية

هل أحد منا يرى أن بينه وبين الإمام زين العابدين نسبة في فضله ، في إيمانه، في كماله، في عبادته في تقواه؟ الفارق كبير جداً بيننا وبينه لكنه هاهو يقول ويدعو من الله سبحانه وتعالى.. لماذا يدعو الله سبحانه وتعالى؟ لأن الإنسان ـ أحيانا ـ قد يعتقد بأن كل مصادر الهدى قد اطلع عليها.

الإنسان بضعف إدراكه ومعرفته المحدودة ـ حتى وإن كان جاداً ـ يبدو له وكأن مصادر الهدى كاملة قد قدمت إليه وانتهى الموضوع ؛ فلا يفكر أن يبحث أو أنه بحاجة إلى المزيد، هذه حالة تحصل عند الناس لكن ارجع إلى الله هو الذي يعلم أنك بحاجة إلى المزيد ليرشدك هو إلى المزيد وإلى المزيد من مصادر الهدى والمعرفة والإيمان . لا تقل في نفسك: يكفي ، يبدو أنني قد فهمت من خلال شهر معين من خلال سنة معينة من الدراسة يبدو قد فهمت كل شيء وأصبح ما في نفسي كفاية.! تحاول دائما طول حياتك .. طول حياتك وكلما تقرأ كتاب الله تدعو الله دائما أن يهديك بكتابه وأن يوفقك لفهم كتابه لتزداد إيمانا .. تزداد إيمانا .. تزداد إيمانا.

حتى وإن وصلت إلى درجة أولئك {الذين إذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم} .. وهل نحن وصلنا هذه؟ لا نزال بعيدين ،الذين إذا ذكر الله ـ يذكره أحد عندهم ـ {وجلت قلوبهم} تضطرب ، ترتجف خشية من الله وخوفا منه ، هل قد وصلنا إلى جزء من هذه الدرجة ؟.. لا .

إذاً ما يزال الطريق طويلا داخل أنفسنا لنصل بها إلى هذه الدرجة ـ إن شاء الله ـ في قول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}(لأنفال: من الآية٢) ثلاث صفات مهمة جدا خوف من الله ، خشية من الله ، اشتياق إلى الله توجل له القلوب، حرص على الهداية ، معرفة لعظمة وقيمة الهداية فيزدادون إيمانا كلما تتلى عليهم آيات الله ، وكلهم ثقة بالله ، ثقة قوية بالله يتوكلون على الله {وعلى ربهم يتوكلون}. لا نزال دون هذا المستوى في المجالات الثلاثة كلها.. أليس كذلك؟.

قد يقول البعض: [الحمد لله والله إن كل منا يعرف ما له وما عليه. وقد سمعنا الذي فيه الكفاية ويكفي، وسنمشي على الذي قد فهمناه وانتهى الموضوع]

حاول دائما .. دائما هكذا ومتى رأيت نفسك أنك ترى أنه ليس هناك شيء من مصادر الهداية إلا وأنت قد استكملته فاعرف بأن معرفتك قاصرة، فارجع إلى الله هو من لا يزال يعلم بأن هناك الكثير، الكثير مما أنت بحاجة إليه في ميدان الهداية وتقوية إيمانك ، كـ[زين العابدين] من كان قمة في العبادة والتقوى والفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى فما يزال يقول: ((اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان)) إذا كنا لا نزال نحتاج إلى من يوجهنا .. من يدفعنا إلى أن تكون نفوسنا فيها ذرة من روح الجهاد الذي هو من أعظم ما تناوله القرآن الكريم من أعمال المؤمنين فنحتاج إلى من يدفعنا ويشجعنا ويوعينا ويفهمنا ، ونحتاج إلى بعضنا البعض .. أليس هذا يدل على أننا ما نزال هابطين كثيراً؟. أين نحن من درجة أن تكون هذه مسألة مفروغ منها عندنا؟ . فنحن الذين ننطلق إلى الآخرين ، ننطلق إليهم لنجعلهم هم من يحملون الروحية التي نحملها.. ألسنا لا نزال بعيدين عن هذه؟.

ما أكثر المتوجسين فينا ممن لم يصل إلى درجة أن يقطع على نفسه إلزاماً بأن يثقف نفسه بثقافة القرآن بما فيها أن يحمل روحية الجهاد التي يريد القرآن منه أن يحملها .. ما أستطيع ـ أنا واحد منكم ـ أن نقطع بأننا وصلنا إلى هذه الحالة.[ص٤]

ـ المجالات لا تغلق أمام دين الله

إذا كان زين العابدين يمكن فعلا أن تصدق عليه تلك الصفات التي ذكرها الله للمؤمنين بما فيها الجهاد في سبيل الله.

وإن كان الواقع الذي عاش فيه واقعا مظلما.. أمة هزمت وقهرت، وأذلت تحت أقدام يزيد وأشباه يزيد ، لكنه هو من عمل الكثير الكثير وهو يوجه ، وهو يعلم وهو يربي ، أليس الإمام زيد هو ابنه؟ من أين تخرج الإمام زيد إلا من مدرسة أبيه زين العابدين.؟

إن الحالة التي كان فيها حالة فعلا شديدة ، بالغة الشدة النفوس مقهورة ومهزومة والأفواه مكممة، لكن زين العابدين من أولئك الذين يفهمون بأن المجالات دائما لا تغلق أمام دين الله فانطلق هو ليعلم ويربي، ويصنع الرجال ، لأنه يعلم أنه إن كان زمانه غير مهيأ لعمل ما فإن الزمان يتغير فسيصنع رجالا للمستقبل، وصنع فعلا وخرج الإمام زيد (عليه السلام) شاهرا سيفه في سبيل الله.. وترك أمة ما تزال تسير على نهجه من ذلك اليوم إلى الآن.

هو عبرة للعلماء ، قدوة للمعلمين الذين يرون بأن الأوضاع قد أطبقت، والناس لم يعودوا بالشكل الذي يمكن أن يؤثر فيهم كلام، أو يحركهم كلام، لينطلقوا في نصر الحق ومقاومة الباطل وإزهاقه فليسلكوا طريقة زين العابدين الإمام علي بن الحسين : اجمع ولو خمسة من الطلاب تختارهم ثم علمهم، قدم لهم الدين كاملا، ابعث في نفوسهم الأمل ، علمهم الأمل الذي يبعثه القرآن الكريم ، لا تسمح لأن يكونوا عبارة عن نسخ للواقع الذي أنت فيه، لا تسمح أن تمتد هزيمتك النفسية إليهم، إلى أنفسهم، حاول دائما أن تعلمهم كيف يكونون رجالا .. كيف يكونون جنداً لله .. كيف يكونون من أنصار الله .. كيف يعملون في سبيل الله لإعلاء كلمته ورفع رايته.

الكثير ممن يعلّمون لا ينطلقون هذا المنطلق إما لأنه قد يرى أن بعض تلاميذه ليسوا ممن يثق بأن يكلمهم بكل شيء ، إذاً فاختر لك تلاميذ خاصين، تلاميذ تختارهم ممن نفسياتهم قوية ممن هم مؤهلون لحمل العلم، ممن هم مؤهلون لأن ينطلقوا للعمل في سبيل الله ، فعلمهم ، وإن لم يكونوا إلا ثلاثة أشخاص ، وإن لم يكن إلا شخصا واحداً.[ص٥]

ـ لا يجوز أن نكون امتداداً للواقع المظلم والهزيمة النفسية

لا يجوز أن نمشي في حياتنا هكذا جيلا بعد جيل ، ومساجدنا تكتظ بحلقات العلم ، وكثير من منازل علمائنا أيضا تقام فيها حلقات العلم لكنها في معظمها حلقات باردة . لا تصنع أكثر من امتداد للواقع المظلم، وامتداد للهزيمة النفسية ، تتوارثها جيلا بعد جيل ، يتلقاها التلميذ من أستاذه، وعندما يصبح هذا التلميذ أستاذا أيضا يحملها للآخرين ويلقنها للآخرين، ندرس فنوناً معينة لا تتحدث بجدية عن مختلف المواضيع المهمة، حتى أصبح الواقع هو نسيان .. هو نسيان ما يجب أن يتحرك الناس فيه.

وكلنا نعرف ذلك الظرف القاهر الذي كان يعيشه زين العابدين (صلوات الله عليه) ، لكن ننظر ماذا عمل زين العابدين ، بنى الإمام زيداً (عليه السلام) وبنى الكثير من الرجال ، الذين انطلقوا فيما بعد حركة زيدية جهادية جيلا بعد جيل على امتداد مئات السنين.

هو نفسه كان يقول: ((اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان)) وقد يكون في واقعه ليس ممن رضي لنفسه تلك الحالة التي كان عليها، لكن ذلك هو أقصى ما يمكن أن يعمله ، لا يستطيع أن يخرج هو فيعلن الدعوة إلى إعلاء كلمة الله ونصر دين الله ، ليس لضعفه هو أو لعدم كماله وإنما رأى الناس من حوله كلهم مهزومين، كلهم مقهورين فمن الذي يستطيع أن يحركهم؟.[ص٥]

ـ خطورة التقصير والتخاذل

وهذه أحيانا تحصل، تحدث وضعيات كهذه ، لكنها وضعيات هي نتيجة تقصير من قبل الناس أنفسهم يوم تخاذلوا مع الإمام علي (عليه السلام) كانت نتيجة تخاذلهم قوة للباطل في جانب بني أمية، جعلت مواجهتهم لذلك الباطل في أيام الإمام الحسن (عليه السلام) صعبة جداً، تخاذلوا معه أيضا جعلت المواجهة في أيام الإمام الحسين (عليه السلام) أكثر صعوبة أيضا، وصل الحال إلى أن يصبح واقع الأمة في عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو الانكسار، الهزيمة المطلقة، هي الظروف الصعبة هي الحالات السيئة التي يصنعها تخاذل الناس.[ص٥]

ـ خطورة ضعف الوعي

هي حالات يخلقها ـ أحيانا ـ ضعف وعي ممن ينطلقون للعمل، وإن كانوا تحت راية الإمام علي (عليه السلام) ويحملون اسم جند الله وأنصار الله لكن وعيهم، لكن إيمانهم القاصر إيمانهم الناقص أدى إلى أن يرتكبوا جناية على الأمة فضيعة .. أولئك [الخوارج]، الخوارج هم مجموعة من جند الإمام علي (عليه السلام) انشقوا عنه في أيام [صفين] بعد أن رفع معاوية وأصحابه المصاحف عندما أحسوا بالهزيمة وقالوا: بيننا وبينكم كتاب الله .. فأولئك المتعبدون على جهل، الجنود الذين هم غير واعين تأثروا بتلك الدعاية وهكذا سيحصل في كل عصر لأي فئة وإن انطلقوا تحت اسم أنهم جنود لله وأنصار لله، إذا ما كان إيمانهم ناقصا سيجنون على العمل الذي انطلقوا فيه سيجنون على الأمة التي يتحركون في أوساطها سيجنون على الأجيال من بعدهم ، وهم من انطلقوا باسم أنهم يريدون أن ينصروا الله وأن يكونوا من جنده لكن إيمانهم ناقص ، ووعيهم ناقص.[ص٥]

ـ مواجهة اليهود تتطلب جنوداً على مستوى عالٍ من الوعي

إذا كان ولابد كما هو الحال بالنسبة لواقعنا والأمة في مواجهة صريحة مع اليهود والنصارى ، مع أمريكا وإسرائيل ونحن في زمن التضليل فيه بلغ ذروته في أساليبه الماكرة، في وسائله الخبيثة، في خداعه الشديد ، فإن المواجهة تتطلب جنداً يكونون على مستوى عال من الوعي.[ص٦]

ـ اعمل على تنمية وعيك دائماً

ونحن نحذر دائما من أن يضع الإنسان لنفسه خطا فإذا ما رأى بأن ظروفه المعيشة هيأته إلى أن يتفرغ أكثر من جانب من جوانب العبادة كالصلاة مثلا كما يستمع موعظة هنا وموعظة هناك مرة أو مرتين ثم يقول: الحمد لله اكتفيت.. تأتي المتغيرات وتأتي الأحداث ، ويأتي الضلال والخداع والتلبيس بالشكل الذي ستكون ضحيته أنت، يكاد أن يأخذ حتى بأولئك الكاملين ، بعض المتغيرات ، وبعض الأحداث وبعض وسائل التضليل ، وأساليب الخداع تكاد أن تخدع الكبار أولئك الذين يدعون دائما ((وبلغ بإيماننا أكمل الإيمان)).

ألم يذكر القرآن الكريم عن خداع بني إسرائيل ، عن خداع اليهود أنهم كادوا أن يضلوا رسول الله؟. كادوا أن يضلوه لولا فضل الله عليه ورحمته، أولئك الناس الذين كانوا يجاهدون تحت رايته ألم يكونوا يتعرضون للتثبيط فيتخاذلون من جانب المنافقين، وهم من يسمعون كلام رسول الله (صلوات الله عليه وآله)؟.

هكذا إذا أنت لم تُرب نفسك، إذا أنت لم تنم إيمانك ووعيك ، فإن المنافقين هم من ينمون نفاقهم ، هم من يطورون أساليبهم حتى يصبحوا مردة، يصبحوا خطيرين قادرين على التأثير .. قادرين على ضرب النفوس ،{ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ}(التوبة: من الآية١٠١) من خبثهم استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، استطاعوا أن يستروا أنفسهم

حتى عن بقية الناس ، أنهم منافقون ، ثم تنطلق منهم عبارات التثبيط عبارات الخذلان فيؤثرون على هذا وعلى هذا ، وعلى هذا ، تأثيرا كبيرا ، هؤلاء مردة ، كيف أصبحوا مردة؟.

لأنهم هم من يطورون أساليب نفاقهم ، من ينّمون القدرات النفاقية داخل أنفسهم ، فأنت يا من أنت جندي تريد أن تكون من أنصار الله، ومن أنصار دينه في عصر بلغ فيه النفاق ذروته .. بلغ فيه الضلال والإضلال قمته يجب أن تطور إيمانك ، أن تعمل على الرفع من مستوى وعيك .

فإذا لم يكن الناس إلى مستوى أن يتبخر النفاق أمامهم ، أن يتبخر التضليل أمامهم فإنهم هم قبل أعدائهم من سيجنون على أنفسهم وعلى الدين، وعلى الأمة، كما فعل السابقون ، كما فعل أولئك الذين كانوا في ظل راية الإمام علي (عليه السلام) وفي ظل راية الحسن (عليه السلام) ، وفي ظل راية الحسين (عليه السلام) وفي ظل راية زيد (عليه السلام).

ـ لا بد من البصيرة في مجال العمل لله

كان الإمام زيد عليه السلام يقول: ((البصيرة ،البصيرة)) يقول في ذلك القرن في مطلع القرن الثاني: ((البصيرة البصيرة)) .. يدعو أصحابه إلى أن يتحلوا بالوعي ، ألم ينهزم الكثير ممن خرجوا معه؟. ألم يتفرقوا عنه؟ لأنهم كانوا ضعفاء البصيرة كانوا ضعفاء الإيمان، كانوا قليلي الوعي أدى إلى أن يستشهد قائدهم العظيم أدى إلى أن تستحكم دولة بني أمية من جديد.

رأينا ماذا عملوا ، جنوا على الأمة من جديد، فتحملوا أوزار من بعدهم وهكذا ، الهزيمة في مجال العمل لله ، ضعف البصيرة في مجال العمل لله ، ضعف الإيمان في مجال العمل لله قد يجعلك تترك أثرا سيئا تتحمل فيه أوزار الأمة وأوزار الأجيال من بعدك ، ليست قضية سهلة، خطورة بالغة ، خطورة بالغة هي أخطر بكثير من تخاذل الطرف الآخر عن بعضهم بعض، لهذا رأينا ماذا حصل في أحد ـ وهو درس مهم ـ عندما تخاذل أصحاب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما بدءوا يتنازعون ، بدأ الفشل ، بدأ العصيان ، وهم تحت قيادة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ماذا حصل؟. هيئ لهم أن يضربوا بالكافرين فعلا،{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ} (آل عمران: من الآية١٦٦) .

لتفهموا أن تخاذلكم ليس سهلا هو جناية على الأمة ، جناية على الرسالة، لكن إذا تخاذل جند أبي سفيان هل سيتحمل أولئك المتخاذلون شيئا ؟ . لا . مطلوب منهم أن يخرجوا عما هم عليه .. لكنك أنت متى تخاذلت وأنت تحت راية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فأنت من تهيئ الساحة لأن ينتصر الجانب الآخر جانب الكفر، فستجني على الرسالة ، وتجني على البشرية كلها.

أنا أعتقد أن الفساد في العالم كله، المسلمون الأوائل الذين تخاذلوا .. المسلمون الأوائل الذين حرفوا ، المسلمون الأوائل الذين قعدوا عن نصر دين الله هم من يتحمل جريمة البشرية كلها ، لأنهم هم من حالوا دون أ ن تكون هذه الأمة بمستوى النهوض بمسئوليتها، فتحمل الرسالة إلى كل بقاع الدنيا ، هذا كان هو المطلوب من العرب.

لكن أولئك أصحاب الجباة السوداء من طول السجود تحت راية الإمام علي الذين تحولوا إلى خوارج بجهلهم بغبائهم ، لعدم وعيهم.

من الوعي أن تفهم هذه النقطة ، من الوعي أن يفهم المؤمنون هذه النقطة الخطيرة: أنه فيما إذا تخاذلت أنا سيكون تخاذلي جناية على الأمة ، جناية على الأمة في الحاضر والمستقبل، وسأكون أنا من يتحمل أوزار من بعدي ، أوزار كل من ضلوا، وفسادهم وضلالهم من بعدي جيلا بعد جيل ، أولئك عندما تخاذلوا عن نصرة الإمام علي (عليه السلام) لضعف وعيهم وقلة إيمانهم ، مع كثرة ركوعهم وكثرة تلاوتهم للقرآن ، هم من حالوا دون أن تسود دولة الإمام علي (عليه السلام) ويهزم جانب النفاق والتضليل ، جانب معاوية.

ماذا لو كانوا من أصحاب الإيمان الكامل وانتصر بهم الإمام علي (عليه السلام)؟. كيف سيكون واقعهم هم عند الله ؟ . يكونون عظماء ، فيكونون مشاركين لكل إنسان مؤمن يهتدي في هذه الدنيا ، لو وقفوا وقفة جادة مع الإمام علي لانتصر الإمام علي واستطاع أن يغير وجه التاريخ ، واستطاع أن يغير هذه الأمة فيردها إلى نفس التربية التي أراد لها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)أن تتربى عليها.[ص٨]

ـ تحرك وكأنك القائد والمسئول عن كل شيء

أنت تستطيع أن تنفع الإسلام وتستطيع فعلا أن تنطلق في الساحة فتقيّم كل شيء تنظر إلى أعمال الآخرين من أعداء الله فتراقبها عن كثب ثم ارفع وجهات نظرك إلى الآخرين ممن تراهم قادة لك أو أعلاما لحركتك ، وهم إذا كانوا مخلصين مهتمين سيكونون ممن لا ينظرون نظرة احتقار إلى أي شخص مهما كان ، فبإمكانه أن يذكرنا بقضية مهمة ، ألم يتمكن [هدهد] من أن يدل أمة بكاملها بملكتها على أن تسلم؟. ألم يستفد سليمان (عليه السلام) من نملة واحدة؟. الكل بحاجة إلى أن يذوبوا في الله، والكل بحاجة إلى أن يتحركوا بجدية ، وكل واحد منهم يتحرك وكأنه هو القائد ، وكأنه هو المعني بكل شيء ، وكأنه هو المسئول عن كل شيء، وكأنه هو من عليه أن يهتم بكل شيء، بشكل مراقبة لواقع الآخرين وأعمال الآخرين وأي قصور أو تثبيط أو تخاذل يحدث من جانب الآخرين من زملائه.

ثم ليقدم كل معلوماته لمن يرى أنهم هم من يقودون أعماله ، من يتحرك هو وهم في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي مواجهة أعدائه.[ص١٣]

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله

الإخلاص مهم في قيمة الأعمال عند الله ، وأحيانا قد تخسر قيمة كبرى لعملك ، ليست فقط هي ما يمكن أن يعطيه عملك في حدوده بل آثاره أيضا آثاره في الآخرين، وآثاره في الأمة من بعدك .. الإنسان إذا رأى أنه سيخسر شيئا عظيما ، سيخسر أجرا مضاعفا يتكرر جيلا بعد جيل.

أما إذا أخلص لله فسيكون هو من يلقى الله سبحانه وتعالى بأجر كبير بأعمال مضاعفة، ليست فقط هي أعماله بل ومن أعمال الآخرين ، ومن حسناتهم الذين كان عمله سببا لهدايتهم ، من كان عمله سببا لإنقاذهم ، كان عمله سببا لتوعيتهم، وتبصيرهم، وإكمال إيمانهم. أليس هذا هو الفضل العظيم؟.. ألم يقل الله عن أولئك المجاهدين {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(المائدة: من الآية٥٤) **لأنه هكذا أنت في ميدان أن تصنع لنفسك فضلا عظيما عند الله ، أن تبني لنفسك رصيدا مهما من الأجر الكبير من الحسنات المضاعفة عند الله، المجاهدون هم أولئك الذين يعملون على أن ينقذوا الأمة وينقذوا الأجيال من بعدهم فيكونوا هم من سيشاركون كل فرد في الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها .. أليس هذا هو الفضل العظيم؟. عمرك القصير سبعين سنة، ثمانين سنة، ستين سنة .. ماذا يمكن أن تتسع له أمام تقصيرك وقصورك وجهلك؟!. لكن تلك الأعمال المهمة هي الكفيلة بتغطية ذلك النقص.**

أليس هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء بهذه العبارة؟:{يؤتيه من يشاء} فمن هو الذي يجعل نفسه جديرا بأن يؤتيه الله ذلك الفضل؟ هو من ينطلق في أعماله بإخلاص.

هذا هو فيما يتعلق بقيمة الإخلاص لله، فيما يتعلق بأجر العمل وهو في نفس الوقت له أثره المهم في توحيد كلمة الأمة، توحيد كلمة المجموعة ، توحيد كلمة العاملين ، بل وفاعليتهم سينطلقون بجد حتى وإن كان في ظلمات الليل في الصحراء لا ينتظر لأحد أن يلتفت إليه فيقول: ما شاء الله. يرى نفسه في حالة شديدة في الصحراء من البرد ، من الجوع ، من الألم لا يخطر بباله أن يتمنى [أن فلان يراني ليعرف أني أحسن من ذلك الشخص الذي رابض عنده أو أحسن من فلان الذي يعتمد عليه .. أو أو..] من هذه العبارات الكثيرة.

هو وحده واثق أن هناك من يراه هو الله، وهذا هو المهم أن يكون الله الذي يراه ، هو وحده الذي يقبل عمله ذلك .. أليس الإخلاص هو الذي سيجعل كل جندي يتفانى في أي ميدان هو؟. أليس الذي هو سيقفل كل بواعث التفرق؟.[ص١٣]

ـ ابحث عن أحسن الأعمال

هكذا ابحث عن أحسن الأعمال لأن أحسن الأعمال هي من تجعل أعمالك الصغرى التي قد ألفت عليها، وتجعل تلك الأعمال التي هي في متناولك يوميا تجعلها ذات قيمة كبيرة وأهمية بالغة.
أنت مرتبط بالكمال المطلق هو من جعل الوصول إليه كمالا متدرجا ، كمالات، سلما من درجات الكمال في مجال الأعمال ، في مجال الإيمان ، في مجال اليقين ، في مجال النية لتحظى بالقرب منه، كلما صعدت درجة في سلم كمال إيمانك كمال أعمالك، كلما كنت أكثر قربا منه، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} (الواقعة:١١) [ص١٥]

[مكارم الأخلاق ج ٢]

ـ لن تحصل تربية إيمانية إلا على يد أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)

هذه نقطة ملحوظة وكل طالب علم وكل شخص ينبغي له أن يتعرف عليها ، أنه لا يمكن أن تحصل تربية إيمانية للأمة ، تربية إيمانية للأمة إلا على يد أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعليهم)، أما الآخرون فلا يمكن أن يحصل على أيديهم تربية حتى ولا أن يوجهونا تربية إيمانية ويصرفوا أنظارنا إلى الآخرين إذا كانوا هم يخافون .. لماذا لا يربون الأمة تربية جهادية في مواجهة إسرائيل وأمريكا؟. لا يمكن .. لا يمكن لهم هذا.
بل لم يسكتوا، ألم ينطلقوا ليسكتوا الناس عن الحديث ضد أمريكا وإسرائيل وطلبوا من الناس أن اسكتوا، هل هذا منطق إيماني أو منطق ماذا ؟ . منطق من في قلوبهم مرض، أن يصل الحال بهم إلى هذه الدرجة، أن يقولوا للمسلمين اسكتوا ، ونحن نرى أولئك ، نحن نرى تلك الدول دول الكفر دول اليهود والنصارى هم من يربون شعوبهم تربية عدائية للعرب تربية عدائية ضد الإسلام والمسلمين تعبئة ثقافية ضد الإسلام والمسلمين، وفي المقابل يقال للناس اسكتوا.
إذاً بأي شيء يمكن أن نواجه أولئك؟ ما هو البديل للإيمان؟. ما هو البديل للجهاد بكل مجالاته في مواجهة أعداء الأمة؟. هل هناك بديل؟. هل أنهم عندما يقول لنا اسكتوا هم سيقومون بالمهمة؟ لا . هل عندما يقولون لنا: اسكتوا هم ينطلقون لوضع حلول أخرى؟. هل انطلقوا لتصحيح الوضع الاقتصادي للأمة ، حتى تحصل الأمة على اكتفاء ذاتي؟. هل انطلقوا إلى تربية الأمة في مجالات متعددة أو بطريقة سرية لتكون قادرة على أن تقف على قدميها في مواجهة اليهود والنصارى.
أليس أنهم لو فعلوا ذلك لكان عزا لهم هم لما كنت زعيم شعب وأنت تعرف أن شعبك وضعيته هي بالشكل الذي يمكن أن يتبنى مواقف، وأن يقف على قدميه في مواجهة أعدائه ، ألست حينئذ سيمكنك أن تقول ما تريد وستكون قويا في مواجهة الآخرين، ولن تملى عليك الإملاءات من قبل الآخرين، لكن متى ما ضعف الشعب متى ما ضعفت وضعيته الاقتصادية وغيرها ، متى ما ذابت نفسيته وذاب الإيمان في واقعه أصبح زعيم الشعب نفسه لا يستطيع أن يقول كلمة قاسية، لا يستطيع أن يقول كلمة صادقة ، لا يستطيع أن يقف موقفا ثابتا ، وهذا ما شاهدنا ، ألم نشاهد هذا من كل الزعماء في البلاد العربية؟.
قد يقولون هم بأنهم رأوا شعوبهم ليست إلى الدرجة هذه التي يمكن له هو أن يقول وأن يقف وأن يتحدى أو أن يرفض لكن بإمكانك أن تربي هذا الشعب بإمكانك أن تبني هذا الشعب اقتصاديا حتى تأمن له الاكتفاء الذاتي، الإيمان .. كمال الإيمان في مجال مواجهة أعداء الله مرتبط به تماما ارتباطا كبيرا، الاهتمام بالجانب الاقتصادي

لتكون الأمة التي تريد أن تنطلق في مواجهة اعدائها ، وأن تقف مواقف مشرفة في مواجهة أعدائها قادرة على ذلك لأنها مكتفية بنفسها في قوتها الضروري، في حاجاتها الضرورية.
إذاً فالتاريخ شهد والحاضر شهد على أن كل أولئك لا يمكن أن يربوا الأمة تربية إيمانية ناهيك عن أن يصلوا بها إلى أن ترقى في درجات كمال الإيمان.. أكرر أن هذا هو ما يجب أن نعرفه.[ص٣]

ـ النفسية التي يجب أن نحملها

والشيء المؤسف أنها ـ فيما يبدو ـ نفسية عربية عند العرب جميعا أنهم لا يحسبون أي حساب للخطر المقبل عليهم إلا بعد أن يطأهم ويقصم ظهورهم .. لكن أولئك هم .. إذا ما رأوا أن شيئا فيه خطورة عليهم محتملة احتمالا ولو واحد في المائة ولو بعد مائة عام هم من سينطلقون للقضاء على منابع ذلك الخطر.
ألسنا نسمع تهديد أمريكا؟ ومن المحتمل جدا أن تضرب السعودية وتستولي على الحرمين كما استولوا على القدس فهل نحن منتظرون حتى يعملوا عملهم هذا ثم حينها سنصيح ونقول شيئا .. ربما لو صرخ المسلمون من الآن ـ فيما أعتقد ـ لو صرخ المسلمون من الآن وارتفعت شعارات السخط التي توحي بسخطهم على أمريكا وإسرائيل من الآن لتوقفت أمريكا وتوقفت إسرائيل عن أن ينفذوا الخطة التي يريدونها سواء ضد الحرمين أو ضد أي شعب آخر .. هذه الصرخة وحدها التي نريد أن نرفعها وأن تنتشر في أي مناطق أخرى وحدها تنبئ عن سخط شديد ، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا يضربوها اقتصاديا قبل أن تضربهم عسكريا، والاقتصاد عند الأمريكيين مهم يحسبوا ألف حساب للدولار الواحد.
إن هؤلاء بإمكانهم أن يقاطعوا المنتجات الأمريكية أو منتجات الشركات التي لها علاقة بالأمريكيين باليهود أو بالحكومة الأمريكية نفسها وحينئذ سيرون كم سيخسرون لأن من أصبح ممتلئا سخطا ضد أمريكا وضد إسرائيل أليس هو من سيستجيب للمقاطعة الاقتصادية والمقاطعة الاقتصادية منهكة جدا.
بإمكاننا مثلا أن نستعيض بدل التدخين السجائر هذه ـ وكم يستهلك الناس من أموال كثيرة في السجائر ـ يمكننا أن نترك التدخين نهائيا أو أن نستعيض عنها [بالتتن] ونعود إلى [المدايع] من جديد ونترك التدخين تماما وكم سيخسرون فيما لو ترك الناس التدخين بمفرده. احسب كم سيستهلك أبناء هذه المنطقة من أموال في الشهر الواحد في التدخين وحده لتعرف فيما بعد وأنت أما سلعة واحدة من منتجاتهم كيف ستكون خسارتهم من منطقة واحدة.
هم يحسبون ألف حساب لهذه فلو رفع الناس الصرخة هذه في كل بلد فعلا لتوقفت أمريكا وإسرائيل عما تريد أن تعمله . لكنهم يهيئوننا نفسيا ليعرفوا ماذا سيحصل على مستوى الدول وعلى مستوى الأفراد. ضربوا أفغانستان ليعرفوا ماذا ستقول الدول الإسلامية .. لم يصنعوا شيئا ، اللهم إلا استنكار لما يحصل على المدنيين استنكارا باردا ، لكن هل هناك موقف؟.. لا . ضربوا العراق لم يحصل شيء . ضربوا فلسطين الدولة الفلسطينية هذه أو لم يكن العرب جميعا يبدون أكثر اهتماما بقضية فلسطين والدولة الفلسطينية ضربوها هي .. ألم يضربوها ضربة قاضية فلم يحصل شيء من جانب الدول.
اتجهوا إلى الشعوب أنفسها ليتجلى لهم واقع هذه الشعوب عن طريق زعماء هذه الشعوب أن اسكتوا. هنا إرهابيين وهناك إرهابيين وفي هذا البلد إرهابيين وهنا إرهابيين! ولنمسك إرهابيين هنا وإرهابيين في تلك البلد! ليرى ماذا سيقول المواطنون هل سيغضبون على الأفراد عندما يمسكون باسم أنهم إرهابيين ضد أمريكا؟. فإذا عرفوا بأنه لم يحصل غضب ولم يرتفع صوت يصرخ في وجوههم حينئذ سيطمئنون أنه لا حكومات ولا شعوب ستقف في وجوههم . وبالتالي سيعملون ما يريدون ويضربون أينما شاءوا.
أوليس هذا هو الذي يحصل؟.[ص١٣]

ـ الإسلام لا يرضى لأتباعه أن يكونوا ضعفاء أذلاء

الإسلام لا يريد من أتباعه أن يكونوا ضعفاء أذلاء وأولئك الذين يبدون كمؤمنين أذلاء مستضعفين يعطون صورة سيئة عن المؤمن الحقيقي ، هم من يرسخون في أنفسنا أن الإيمان استضعاف حتى أصبح عند البدو عند بعضهم معروف: أن الصلاة ذل، يقول هكذا، صلي .. قال : [لا . المصلين يكونوا أذلاء، الصلاة ما منها فائدة ، فقط ذل ، تحصل على ذلة].

من أين جاءت هذه المفاهيم؟. والله يقول في كتابه الكريم: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (المنافقون: من الآية٨) {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) الله هو الذي قال: إن دينه أن هداه هو شرف وعزة وكرامة لك ولقومك {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: من الآية٤٤) يغلط الناس عندما يتجهون إلى التدين فيخضعون أنفسهم ويذلون أنفسهم حتى يظهر نماذج تجسد الدين وكأنه ذلة، وكأنه ضعة، وكأنه خضوع ، هو ذلة فيما بين المؤمنين لكن في تعاملهم مع بعضهم بعض بشكل تواضع من بعضهم لبعض ، لكنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.. العزة ، الله يريدنا أن نكون أعزاء يريد أن نكون أقوياء ، وأن نكون كرماء وأن نكون شرفاء لكنه هو وحده من سيمنحها .. لمن ؟ لمن يسير على هديه ، لمن يلتزم بالعمل بهديه لمن يعبدون أنفسهم له ، فبمقدار ما نعبد أنفسنا لله سنكون أعزاء ، وسنكون كرماء، وسنكون أقوياء في الدنيا، وسنحصل على العزة والرفعة في الآخرة والدرجات العظيمة في الآخرة في الجنة.[ص١٩]

ـ أين مواقع العزة الحقيقية

أيضا حتى من يتجهون إلى التدين أو يتجهون إلى طلب العلم بحثا عن العزة ليقال له فلان الأستاذ الفلاني أو العلامة الفلاني ، هو أيضا ممن يغلط في البحث عن العزة ، إن العزة هي في أن تضع نفسك أمام الله ، أن تكسر نفسك أمام الله ، أن تعبد نفسك أمام الله ، أن تكون نيتك كلها نية رشد ـ كما قال زين العابدين ـ في أعمالك كلها وهو الذي سيعزك هو الذي سيرفعك .. أما إذا جئت أنت تتحرك على هذا النحو وأنت تريد أن تصنع لنفسك عزة ليقال وليقال فأنت ممن يرائي وأنت ممن سيذل، بل أنت في حال ذل حتى وإن قال لك الآخرون: أستاذ أو قالوا: علامة، أو قالوا: دكتور أو قالوا: ما قالوا من الألقاب ، أنت في حالة ذل لأنك من ترى الآخرين أعظم عندك من الله ، أنت من ترى ما يمكن أن يمنحك هذا اللقب أعظم بكثير من العزة التي يمنحك الله سبحانه وتعالى، عندما تعبد نفسك له.

أولئك [المشائخ] الذين يصدون عن سبيل الله ويحذر بعضهم بعضا عن انتشار التعليم في بلدانهم فيقول هذا لذاك: يريدون أن يجردوك من منصبك ، سيأخذون أصحابك . فينطلق ليصد عن سبيل الله، من واقع ماذا؟ من واقع حفاظه على عزته كشيخ ، هو ممن يفهمون الأشياء فهما مغلوطا، أنت تريد أن يكون لك عزة فالإسلام هو دين العزة ، ودين الكرامة اتجه إلى الله ومن الذي سيسلبك موقعك فيما إذا اتجهت كما يتجه عباد الله جميعا فأنت تتحرك في أن ينتشر الدين في بلدك في أن يتعلم كل أفراد قبيلتك، في أن يقفوا مواقف حق ، تقف أنت وهم مواقف حق، حينئذ من هو ذلك منهم الذي سيفكر في أن يسلبك منصبك ، بل ستسمع هذا وتسمع ذاك يقول: أما نحن فالحمد لله شيخنا من أولياء الله ، أليس هذا سيكون؟. نحن والحمد الله شيخنا ولي من أولياء الله ، أما نحن نحمد الله شيخنا إنسان عظيم، أليس الناس هم سيثنون عليه؟. فلماذا يغلطون .. سيغلط الناس جميعا سواء شيخ أو عالم أو أي شخص يبحث عن العزة وهو لا يعلم بأن العزة هي من الله ولا يمنحها إلا لمن يسيرون على نهجه بتعبيد لأنفسهم له وتسليم لأنفسهم له، وأن يتحركوا على وفق هدي الله، فسنكون حينئذ بإذن الله أعزاء.

أوليست الأمة هذه فاقدة لعزتها؟. هل منحتها العزة دباباتها وطائراتها ، وبترولها وعددها الهائل وعدتها الكبيرة وأموالها الضخمة؟. هل منحتها العزة ؟. لا .. فقدت العزة التي كان الله يريد أن تكون لها فيما إذا سارت على نهجه ، فعندما فقدت هذه العزة بالتخلي عن أسبابها الإلهية لم يكون هناك أي شيء يمكن أن يعوضها عزة بدل تلك العزة التي فقدتها من قبل الله سبحانه وتعالى، بل أصبح كل مقومات الحياة هي من الأشياء التي تبدو أمامنا تعطي شاهدا أكثر على أنهم أذلاء أكثر.

أليس الزعيم الفلاني يفرح عندما يرى نفسه رئيس بلد فيرى نفسه عزيزا لكننا نحن نراه ذليلا، لأنه لماذا أنت على الرغم من القوة التي تمتلكها الجيش الأسلحة المتطورة، الشعب الكبير، الشعب الكثير العدد، الذي أنت تحكمه ؟. فلماذا أنت ذليل؟. لماذا أنت ذليل؟ لا تستطيع أن تقول كلمة جريئة . أليس هذا هو ما نلمسه ؟.
كل واحد منا لا يرضى لنفسه أن يكون في مقام أي زعيم من هؤلاء الزعماء فنراهم هم أذل منا.
الذلة التي حصلت بسبب آخرين بسبب أعداء الأمة فقهرونا جميعا، نحن نرى الزعماء أكثر ذلا منا. لماذا نرى أنهم كيف أصبحوا هكذا وبأيديهم كذا وكذا ويمتلكون كذا وكذا.. الخ.
أليست هي مقومات العزة لديهم؟. هي من منظارنا ما يعزز الشاهد الكبير على أنهم أذلاء أكثر منا أمام الأعداء الذين أذلونا جميعا. نحن وهم.
{فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً} (النساء: من الآية١٣٩) جميعا.. حزب الله أليس يبدو أمامنا عزيزا والزعماء يعرفون أن ذلك الحزب وزعيم ذلك الحزب يبدو عزيزا ، وهل يمتلكون شيئا مما يمتلكه الآخرون؟. لا.. من أين هذه العزة ؟. هي العزة الإيمانية {فإن العزة لله جميعا}.[ص٢٠]

[استشهاد الإمام علي(ع)]

ـ كيف تكون نظرتنا للأحداث

الذي يتأمل كتاب الله يجده يأمر الأمة يأمر المسلمين أن يكونوا مع الصادقين، فلماذا أصبح الصادقون يتساقطون واحداً تلو الآخر؟!. ولماذا أصبحت تلك الأمة التي خُوطِبَت بأن تكون مع الصادقين تعتدي على هؤلاء، وفي نفس الوقت التفوا مع الكاذبين، يسقط الإمام علي (عليه السلام) شهيداً وتلتف الأمة بعده –رغبة ورهبة تلك اللحظة، وليد ذلك الشهر الذي سقط فيه الإمام علي (عليه السلام) شهيداً؟. لا. إنه الانحراف الذي بدأ في يوم السَّقِيفَة، والذي يرى البعض بل ربما الكثير يرون في تلك البداية وكأنها بداية لا تشكل أية خطورة، لكن شاعراً كـ[الهَبَل] مرهف الحِس، عالي الوَعي، راسخ الإيمان، يمتلك قدرة على استقراء الأحداث وتسلسل تبعاتها يقول في كلمة صريحة في بيت صريح :

وكل مُصابٍ نَالَ آلَ محمدٍ فليس سوى يوم السَّقِيفَة جَالِبُه

عندما نرى الإمام علياً (عليه السلام) يسقط شهيداً فلا يكفي أن نحزن، لا يكفي أن نبكي، لا يكفي أن نتألم بل لا بد أن نأخذ العبرة، أن نتساءل: لماذا نرى الصادقين يسقطون شهداء داخل هذه الأمة؟؟. ولماذا رأينا فيما بعد وعلى امتداد التاريخ الكاذبين الظالمين الطغاة المحرفين للدين، المنتهكين لحرمات الله هم من يحكمون هذه الأمة؟؟!. وباسم رسالة هذه الأمة [الإسلام]، وباسم رسول هذه الأمة [خليفة رسول رب العالمين، أمير المؤمنين] وعناوين من هذه؟.
سنظل نحزن نحن وغيرنا، ونظل نبكي نحن وغيرنا ما لم تكن نظرتنا للأحداث على هذا النحو، وسنظل نشاهد الأحداث المريرة، ونتألم لحادث بعينه للفترة التي هو فيها، دون أن نأخذ العبر ودون أن نأخذ الدروس، إن هذا يعتبر خللاً كبيراً لا يمكن للأمة أن تعرف كيف ترسم طريقها، لا يمكن للأمة أن تعرف كيف تسلك المنهج الذي تمثل بسلوكه الالتفاف مع الصادقين، الانضواء تحت رايات أعلام الدين، لا بد من استقراء الأحداث، لا بد من معرفة الأسباب ، لابد من معرفة الخلفيات. –[ص٢]

ـ لا بد أن نرجع إلى الإمام علي(ع)

وعندما نرجع إلى الإمام علي (صلوات الله عليه) نراه كما أسلفنا يُلْهِمُ من خلال ما قدّم، من خلال ما تكلم، يُلْهِم الناس: كيف تكون المواقف الصحيحة؟. كيف تكون التوجهات التي فيها نجاة الناس؟.
عندما نرجع إلى فضائل الإمام علي (صلوات الله عليه) نجد أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يثني عليه كثيراً، يجب أن نفهم من كل هذا، من كل ما قدمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، من فضائل للإمام علي

(عليه السلام)، من كل ما ذكره من فضائل للإمام علي (عليه السلام)، من كل ما وجدناه من مواقف عظيمة للإمام علي عليه السلام أن تفكير النبي وتفكير الإمام علي عليه السلام، وما يريده الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وما يريده الإمام علي (عليه السلام) هو أن نأخذ من ذلك العبرة، نأخذ من ذلك الوعي، نأخذ من ذلك ما يجعلنا مستبصرين في كل شئون الحياة، في كل المواقف التي يطلب منا أن نقفها في هذه الحياة، أن نعرف المقاييس الصحيحة التي من خلالها نستطيع أن نقيّم الأشخاص والمواقف والاتجاهات في هذه الحياة ؛لهذا قال عنه (صلوات الله عليه وعلى آله) ((علي مع الحق، والحق مع علي))، ونحن شيعة الإمام علي عليه السلام يجب أن نرجع إلى دراسة تاريخ الإمام علي عليه السلام، إلى دراسة سيرة الإمام علي عليه السلام؛ لنعرف كيف نقتدي به؟ كيف نسير على خطاه؟ كيف نتمسك بنهجه؟ كيف نسلك السبيل الذي سلكه؟ كيف ننظر إلى الأمور كنظرته ؛لأنه بالتأكيد قرين القرآن. [ص٧]

ـ الإمام علي نموذج للشخصية التي يصنعها هذا الدين

ما يُدرينا أن هذا الدين عظيم في واقعه؟. وهو دين يخاطبنا، دين يتحدث مع نفوسنا، مع وُجداننا، دين له رؤيته في نموذج للإنسان يريد أن يقدمه، كيف ذلك النموذج الذي سيقدمه الإسلام فعلاً لمن يسير عليه؟. ارجع إلى الإمام علي عليه السلام وستعرف ذلك النموذج، الذي لم يبهر فقط المسلمين بل بهر المسيحيين فكتب عنه كُتّاب مسيحيون أُعجِبوا بعظمته، أعجبوا بمصداقيته، اعتبروه عبقرياً، عظيماً، اعتبروه مثلاً أعلا حتى من غير المسلمين.

عندما ترجع إلى الإمام علي (صلوات الله عليه) في رؤيته، في مواقفه، في ممارساته، في سلوكياته تجده فعلاً نموذجاً للشخصية العظيمة التي يمكن أن يصنعها هذا الدين الذي جاء به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فهو شاهد لهذا الدين: أنه دين كامل، من إله كامل، اصطفى لتبليغه رسولاً كاملاً، هو الله سبحانه وتعالى الذي قال { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً}(المائدة: من الآية٣) هو دين كامل، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الله تعالى اصطفاه وأكمله، هو من قدم هذا الدين كرسول له. لكن نريد أن نرى في الساحة نموذجاً صادقاً يشهد لعظمة هذا الدين؟. ارجع إلى الإمام علي (عليه السلام) {ويتلوه شاهد منه}. في مواقف الإمام علي (عليه السلام) عندما ترجع إليها تجد عظمة الإسلام، تجد أخلاق الإسلام متجسدة، وهذه لها أثرها في النفوس، كل شيء سيبقى نظرية، كل شيء سيبقى خاضعاً للاحتمالات إذا لم يكن هناك على صعيد الواقع ما يشهد لصحته، {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}(فصلت: من الآية٥٣)

كما تأتي الشواهد في الأحداث في المتغيرات تشهد لهذا الدين، وهو حق لا شك فيه لكن كمنهجية تربوية لهذا الإنسان، لينطلق إلى أعماق مشاعر هذا الإنسان ويفرض عظمته على هذا الإنسان من خلال الأحداث، من خلال الآيات، من خلال ما يُقدمه من نماذج، فعلى مستوى الإنسان ارجع إلى الإمام (علي صلوات الله) عليه إنه شاهد على أنه حق، {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:٥٣) وكفى به شهيداً، ولكن من أجلنا نحن بني البشر الذين قال الله عنهم { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً}(الكهف: من الآية٥٤) {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:١٧)

إلى آخر ما وصل إليه الإنسان عندما يتجه إلى العناد ؛فمن أجل رحمة الله به، من أجل لطف الله به، من أجل رأفة الله به يُقَدّم له الشواهد في مختلف المجالات على عظمة ما قدمه له من منهج، على عظمة هذا الدين الذي أتمه له، وأتم به النعمة عليه، ورضيه ديناً يدين به أمام مولاه سبحانه وتعالى.

عندما تأتي إلى رؤية الإمام علي عليه السلام تجد فيه شاهداً، رؤيته للحياة، رؤيته للإنسان؛ لذا جمع في نهج البلاغة ما قال عنه الكثير: [بأن الإمام عليا (صلوات الله عليه) برز عالماً فيلسوفاً بل قدوة في كل هذه الاتجاهات فبرز كعالم اجتماع، برز كعالم اقتصاد، عالم نفس، مرشد، معلم في كل الاتجاهات، برز ذلك الشخص عظيماً يقدم رؤية حقيقية وواقعية للحياة]. [ص٩]

ـ قعود أهل الحق يمثل ٧٠٪ من عوامل انتشار الباطل

إن الفساد ينتشر، إن الحق يضيع، إن الباطل يحكم ليس فقط بجهود أهل الباطل وحدهم بل بقعود أهل الحق. وأعتقد أن هذا قد يمثل نسبة سبعين بالمائة من النتائج السيئة.

بدليل أننا نرى: أن الله سبحانه وتعالى لم ينظر إلينا بمنظار ولو خمسين بالمائة وخمسين بالمائة من جانب الأشرار فنكون أمامه على صعيد واحد، بل نراه يسلط أولئك على هؤلاء، ماذا يعني ذلك؟: أن التقصير من جانب أهل الحق، من جانب هذه الأمة، من جانب من هم في واقعهم يمثلون جنود الله أن التقصير من جانبهم هو عامل مهم، وهو العامل الأكبر في سيادة الباطل، في استحكام الضلال، في انتشار الفساد، في ضياع الحق.

والإمام علي عليه السلام يقرر هذه الحقيقة في كلمته هذه عندما قال لأهل العراق: ((والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم ؛لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)).

لو لم نخرج من هذا الاجتماع إلا بأن نحمل هذه الرؤية لكان مكسباً كبيراً، أن نعرف من الإمام علي عليه السلام ولو هذه الرؤية : أننا نمثل في قعودنا، في سكوتنا، في صمتنا، في إهمالنا، في حالة اللامبالاة التي نعيشها نمثل سبعين بالمائة من عوامل سيادة الباطل وضياع الحق، من عوامل ظلمنا وقهرنا وإذلالنا لأنفسنا نحن ؛ولهذا وجدنا الله يُسلط الكافرين على المسلمين، وحديث الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يؤيد ما قاله الإمام علي عليه السلام الذي قال فيه: ((لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يُستجاب لهم)) [ص١٠]

[الإرهاب والسلام]

ـ كيف نواجه حرب المصطلحات

إن علينا أيها الأخوة أن نتحدث دائماً عن الجهاد، حتى أولئك الذي ليس لديهم أي روح جهادية عليهم أن يتحدثوا عن كلمة (جهاد) ؛لأن كلمة [جهاد] في نفسها، كلمة [جهاد] في معناها هي تتعرض لحرب، أصبحنا نحن نُحارب كأشخاص، وتُحارب أرضنا كأرض، وتُحارب أفكارنا كأفكار، بل أصبحت الحرب تصل إلى مفرداتنا، أصبحت ألفاظنا حتى هي تُحارب، كل شيء من قِبَل أعدائنا يتوجه إلى حربنا في كل شيء في ساحتنا، إلينا شخصياً، إلى اقتصادنا، إلى ثقافتنا، إلى أخلاقنا، إلى قِيَمنا، إلى لغتنا، إلى مصطلحاتنا القرآنية، إلى مصطلحاتنا العربية.

أن لا نسمح أن تتغير الأمور وأن تنعكس الحقائق إلى هذا الحد، فتغيب كلمة [جهاد] القرآنية، وتغيب كلمة [إرهاب] بمعناها القرآني ليحل محلها كلمة [إرهاب] الأمريكية.

وهذه الكلمة (إرهاب) تعني أن كل من يتحرك بل كل من يصيح تحت وطأة أقدام اليهود سيسمى (إرهابي)، أن كل من يصيح غضباً لله ولدينه، غضباً لكتابه، غضباً للمستضعفين من عباده الكل سيسمون (إرهابيين)، ومتى ما قيل عنك: أنت إرهابي فإن هناك من يتحرك لينفذ ليعمل ضدك على أساس هذه الشرعية الأمريكية التي قد وُضِعَت من جديد.

نحن نختلف عن أولئك، نحن نمتلك شرعية إلهية قرآنية، ونقعد عن التحرك في سبيل أداءها، وفي التحرك على أساسها ، ونرى كيف أن أولئك يحتاجون إلى أن يؤصِّلوا من جديد، ويعملوا على أن يخلقوا شرعية من جديد، ثم متى ما وُجِدت هذه الشرعية فإنهم لا يقعدون كما نقعد إنهم يتحركون، أوليس هذا هو ما نشاهد؟.

لقد تبدل كل شيء، لقد تغير كل شيء فنحن من نقعد والشرعية الإلهية موجودة، وهم من يتحركون على غير أساسٍ من شرعية فيُشَرِّعُون ويُؤَصِّلُون ثم يتحركون ولا يقعدون.

إن علينا أيها الاخوة أن نتحدث دائماً حتى لا نترك كلمة (إرهاب) بمعناها الأمريكي أن تترسخ في بلادنا، أن تسيطر على أذهان الناس في بلادنا أو أن تسبق إلى أذهان الناس، علينا أن نحارب أن تترسخ هذه الكلمة، لأن وراء ترسخها ماذا؟. وراء ترسخها تضحية بالدين وتضحية بالكرامة وبالعزة وبكل شيء، حينئذٍ سيُضرب أي عالم من علمائنا سيقاد علماؤنا بأقدامهم إلى أعماق السجون، ثم يعذبون على أيدي خبراء يهود، الذين يمتلكون أفتك وسائل التعذيب على أساس ماذا؟. (أنه إرهابي). فيكون الناس جميعاً هم من أصبحوا يسلمون أن كلمة (إرهابي) هي كلمة مَن أُطلقت عليه -بحق أو بغير حق- هو من يصبح أهلاً لأن يُنَفَّذ بحقه العقاب، ومن هو المنفذ المسلمون أم الأمريكيون؟. الأمريكيون أو عملاؤهم ينفذون ما يريدون عمله فيعذبون علماءنا.

وكل من يصرخ ليعيد الناس إلى العمل بكتاب الله هو أيضاً عندهم إرهابي، وكل من يدرس الناس في مدرسة علوم القران هو أيضاً عندهم إرهابي، وأي كتاب يتحدث عن أن الأمة هذه عليها أن تعود إلى واجبها وأن تستشعر مسئوليتها هو أيضاً عندهم إرهابي. [ص٧]

ـ خطورة أن نهزم في معركة المصطلحات

وإذا ما سمعنا عن كلمة (جذور إرهاب ومنابع إرهاب) فإن علينا أن نتحدث دائماً عن اليهود والنصارى كما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم من أنهم منابع الشر، ومنابع الفساد من لديهم، وأنهم هم من يسعون في الأرض فساداً.

وحينئذ سننتصر، وإنه لنصر كبير إذا ما خُضْنَا معركة المصطلحات، فنحن الآن في معركة مصطلحات، إذا سمحنا لهم أن ينتصروا فيها فإننا سنكون من نُضرب ليس في معركة المصطلحات بل في معركة النار، إذا ما سمحنا لهم أن تنتصر مفاهيمهم، وتنتصر معانيهم لتترسخ في أوساط الناس.

فعندما نردد هذا الشعار، وعندما يقول البعض ما قيمة مثل هذا الشعار؟. نقول له :هذا الشعار لا بد منه في تحقيق النصر في هذه المعركة على الأقل، لا بد منه في تحقيق النصر في هذه المعركة معركة أن يسبقنا الأمريكيون إلى أفكارنا وإلى أفكار أبناء هذا الشعب، وإلى أفكار أبناء المسلمين وبين أن نسبقهم نحن. أن نرسخ في أذهان المسلمين :أن أمريكا هي الإرهاب الإجرامي، أن أمريكا هي الشر، أن اليهود والنصارى هم الشر حتى لا يسبقونا إلى أن يفهم الناس هذه المصطلحات بالمعاني الأمريكية.[ص٨]

ـ علينا أن نتحمل المسئولية القرآنية بوعي

وعندما نهتف بهذا الشعار يترافق معه توعية كاملة، كلها تقوم على أساس أن منابع الشر وجذور الشر، الفساد في الأرض، الإرهاب لعباد الله، الظلم لعباد الله، القهر للبشرية كلها هم أولئك الذين لعنهم الله في القرآن الكريم، هم اليهود، هم أمريكا وإسرائيل وكل من يدور في فلكهم.

لا بد أن نكون واعين، أن نكون فاهمين، علينا أن نتحمل المسئولية القرآنية بوعي، أما إذا أصبحنا إلى درجة لا نعي ولا نفهم ما يدبر الآخرون، ولا نعي ولا نفهم خطورة ما يدور من حولنا فإن ذلك يعني أننا سنعيش في حالة أسوء مما نحن فيه. أوليس كل واحد منا يعرف ما في هذا العالم من أحداث كلها تدور على رؤوس المسلمين، وكلها حرب للإسلام والمسلمين؟ أليس هذا شيء مفهوم لنا جميعاً؟. من هم المسلمون؟. هم نحن، وما هو الإسلام؟. هو دين الله الذي ارتضاه لعباده، هو هذا الدين الذي ندين به. إذا أصبحنا لا نفهم ما يعملون، ومما يعملون هو أنهم يعملون جاهدين على ترسيخ هذه المفاهيم المغلوطة.

على كل واحد منا أن يتحرك، وعندما يتحرك سيجد أنه باستطاعته أن يعمل الشيء الكثير في مواجهة أولئك.[ص١٠]

ـ عد إلى القرآن أمام أي حدث

فكل واحد منا أيها الأخوة أمام أي حدث يسمعه عليه أن يعود إلى القرآن قبل أن يفكر هو فيخرج بأفكار قد تجعله يتخذ قرارات يظن أن من ورائها السلامة وهي في الواقع إنما تكون عاقبتها الندامة. إذا كنا نريد السلام فلنعد إلى القرآن ليهدينا هو إلى السلام، ولنسر على هديه ليتحقق لنا السلام. فلا أحد منا ينبغي أن يعود إلى نفسه عندما يسمع أي حدث.[ص١١]

ـ أول ما يجب أن نعمله

وأن أول ما يجب أن نعمله ـوهو أقل ما نعمله ـ هو: أن نردد هذا الشعار. وأن يتحرك خطباؤنا أيضاً في مساجدنا ليتحدثوا دائماً عن اليهود والنصارى وفق ما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم. وأن نتحدث دائماً عن هذه الأحداث المؤسفة حتى نخلق وعياً لدى المسلمين، ونخلق وعياً في نفوسنا.

وأن يكون عملنا كله قائماً على أساس أن تتوحد كلمتنا، أن يتوحد قرارنا، أن تتوحد رؤيتنا للأحداث، لا يجوز أن نكون على هذا النحو هذا يرى أن السلامة في السكوت والجمود والصمت، وهذا يرى أن السلامة في العمل والجهاد والحركة والأخوة والوحدة ؛لأن هذا الذي يرى أن الصمت والسكوت هو الوسيلة هو سيتحرك مثلك في الساحة يدعو الآخرين إلى الصمت، عليه أن يفهم، وعليه أيضاً أن يجلس مع الآخرين إذا كان هو لا يفهم أن الصمت وأن السكوت في هذه المرحلة بالذات ـ ربما قد يكون الصمت في حادثة معينة، ربما قد يكون الصمت أمام قضية معينة، ربما قد يكون السكوت في حالة استثنائية له قيمته العملية ـلكن الصمت في مرحلة كهذه لا قيمة له، لا قيمة له إلا الخسارة في الأخير، لا قيمة له إلا التضحية بالدين والكرامة والعزة، لا قيمة له إلا الإهانة.

ثم نرشد أنفسنا جميعاً إلى أن نبحث عن سبل السلام من خلال القرآن الكريم، الذي لا مجال ولا مكان للصمت والجمود بين صدور آياته الكريمة، وحينئذٍ حينما نتحرك على هذا الأساس فنرفع هذا الشعار ونتحدث دائماً، ونوعي أنفسنا بل أئمة مساجدنا عليهم أن يرددوا الآيات القرآنية في الصلاة تلك الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى، نذكر أنفسنا من جديد بخطورتهم. إن القرآن الكريم يؤكد أنهم هم الأعداء التاريخيون لهذه الأمة من ذلك الزمن وربما إلى آخر أيام الدنيا، وقد أعطانا الكثير الكثير من الهدى في سبيل معرفة كيف نواجههم، وأعطانا ما يجعلنا حكماء في مواجهتهم، وأعطانا ما يجعلنا أيضاً قادرين على أن نحول كيدهم وخبثهم إلى شيء لا أساس له ولا أثر له، وأعطانا ما يجعلنا قادرين على أن نحوله إلى هباء منثور {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}(النساء: من الآية٧٦). **[ص١٤]**

[حديث الولاية]

احتياج الأمة إلى ثقافة حديث الولاية

إن الأمة أحوج ما تكون إلى ثقافة صحيحة بكل ما تعنيه الكلمة ، ثقافة ((حديث الغدير))، ثقافة ((حديث الولاية)): ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله)). إن هذا الحديث مع تلك الآية القرآنية تعطي ثقافة كاملة لهذه الأمة تحصنها من الثقافة التي تُقَدَّم إليها لتكون قابلة لأن تُفرض عليها ولاية أمرٍ يهودية.[ص٢]

[لا عذر للجميع أمام الله]

ـ ذكّر الناس بأن يلتفتوا بجدية إلى واقعهم

يجب على الناس أن يلتفتوا بجدية إلى واقعهم ،وأن ينظروا إلى ما حكاه الله عن بني إسرائيل، بنو إسرائيل اختارهم الله، واصطفاهم، وفضلهم، ولكنهم عندما فرطوا في المسئولية وعندما قصروا وتوانوا ،وعندما انطلق منهم العصيان والاعتداء ضرب عليهم الذلة والمسكنة.

وعندما يقول الله سبحانه وتعالى لك في القرآن الكريم: { ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ}هو يقول لك وللآخرين بأنك وأنت إذا ما عصيت واعتديت، إذا ما قصرت في مسئوليتك، ستُعَرض نفسك لأن تضرب عليك الذلة والمسكنة ،وأن تَـتِيه كما تاه بنو إسرائيل من قبلك.

الشيء الواضح أمامنا جميعاً هو أن إسرائيل مهيمنة على العرب، أليس كذلك؟. هو أن اليهود والنصارى يستذلون المسلمين، أليس كذلك؟. أليس واضحاً؟. نرجع إلى القرآن الكريم، ألم يقل الله عن اليهود والنصارى بأنه {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}(آل عمران: من الآية١١٢) ؟. ألم يقل هكذا عنهم في آيتين في القرآن الكريم أنه ضرب عليهم الذلة والمسكنة، إذاً فلماذا نحن أذلاء تحت من ضُربت عليهم الذلة ،ونحن مساكين تحت من ضُربت عليهم المسكنة؟!. ونحن أيضاً تحت رحمتهم في غذائنا في كل شؤوننا تحت رحمة من قد باءوا بغضب من الله.

ما السبب في ذلك؟. هو أننا فرطنا تفريطاً خطيراً ،وقصرنا تقصيراً كبيراً ،وإلا لما كان اليهود يمتلكون هذه الهيمنة ،ولما كانوا قد ملئوا الدنيا فساداً. ألم يملأ اليهود الدنيا فساداً؟. ألم يصل فسادهم إلى داخل كل البلاد الإسلامية إلى كل قرية إلى كل بيت تقريباً؟. فسادهم الثقافي ،فسادهم الأخلاقي ،فسادهم السياسي ،فسادهم الاقتصادي.

..ارجع إلى القرآن الكريم ثم ارجع إلى الأخبار فانظر أين موقعك؟. من الذي احتل موقعك في العالم؟. هم الألمان والفرنسيون والأمريكيون والبريطانيون والكنديون والأسبانيون وغيرهم ، هم من ملئوا البحر من حولك ، وملئوا الخليج من حولك، هم من أخذوا مواقع داخل بلادك، هم من أخذوا قواعد عسكرية في أرض الحجاز وفي غيرها ، هذه هي مواقعك أنت أيها العربي، أين مواقعك هناك، أنت الذي كان يجب أن تملأ البحار قواعدك ،وأن تملأ البر في أوروبا وأمريكا بقواعدك العسكرية لو كنت متمسكاً بدينك ،لو كنت تعرف الشرف العظيم الذي وهبك الله إياه. فلما فرطنا أصبحنا على هذا الحال.

أريد أن أقول هذا وأنا على ثقة أن هذا هو الواقع الذي نحن عليه ؛ليفهم أولئك الذين يرون أنه ليس هناك أي شيء ،وأنه ليس هناك وضعية خطيرة. نحن في وضعية خطيرة مع الله، نحن في وضعية خطيرة جداً مع الله ،ونحن في وضعية خطيرة جداً أمام أعدائنا، ونحن في وضعية خطيرة في تفكيرنا وثقافتنا، نحن تحت الصفر ،ولا أدلّ على ذلك من أننا نرى أنفسنا جميعاً ـ بما فينا الزعماء ـ لا أحد منهم يجرؤ على أن يقول كلمة قوية في مواجهة اليهود. [ص٦]

ـ لماذا نحن إذا ما اتبعنا القرآن فإنه لا يحركنا

لماذا نحن إذا ما اتبعنا القرآن فإنه لا يحركنا؟. هل نحن نتبع ما أنزل الله إلينا ولكنه لا يحركنا؟ لا يمكن ، ولكنا نحن غير متبعين للقرآن وغير متبعين لرسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

ونحن لا نزال تمر السنين علينا سنة بعد سنه، تنبت لحيتك، ثم يبدأ الشيب فيها، ثم تصفى شيباً، ثم تتعصى ثم تموت، وسنة بعد سنة ونحن لا نفكر من جديد في تصحيح وضعيتنا مع الله سبحانه وتعالى، وفي أن نلتفت التفاته واعية إلى القرآن وإلى واقعنا، ما بالنا لم نتساءل حتى ونحن نقرأ القرآن عندما نصل إلى قوله تعالى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً} بعد أن تحدث عن المسلمين كيف يجب أن يكونوا حتى يصلوا إلى درجة أن يضربوا الآخرين فيصبحوا فيما إذا تحركوا هم ضدك لن تكون حركتهم أكثر من مجرد أذية طنين ذباب لا أثر له {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (آل عمران:١١٢) ألسنا نقرأ هذه الآية ،ثم لا ننظر إلى أنفسنا؟. إذاً فما بال هؤلاء الذين قد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة هم من يهيمنون علينا؟. هل أحد منا يتساءل هذا السؤال عندما يصل في سورة آل عمران إلى هذه الآية؟. هل أحد يتساءل :هؤلاء قوم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ونراهم مهيمنين علينا إذاً ما بالنا؟!. ما السبب؟. هل أحد يتساءل؟؟. لا نتساءل.

لا نتساءل جميعاً لا نحن ولا علماؤنا ولا كبارنا ولا صغارنا، نتلو القرآن هكذا بغير تأمل أشبه شيء بالطنين في شهر رمضان وفي غير رمضان، لا نتساءل، لا نتدبر، لا نتأمل، لا نقيّم الوضع الذي نعيشه.

ثم في نفس الوقت لا ننظر من جهة أخرى إلى أنه هل بالإمكان أن نصل إلى الجنة؟. هل نحن في طريق الجنة أو أن طريق الجنة طريق أخرى؟. طريق الجنة هي طريق أولئك الذين قال عنهم في هذه السورة بالذات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} (المائدة:من الآية٥٤) . [ص١٠]

ـ العمل على تبيين دور المسجد والصلاة

وعندما بنى مسجده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)لم يبنه كـ(مَكْسَلة) ، كما هو الحال في نظرتنا إلى مساجدنا الآن أصبحت (مَكَاسِل).كان مسجده قاعدة ينطلق منها للجهاد ،قاعدة يتحرك منها روح الجهاد يزرع فيها روح الجهاد والتضحية في نفوس المسلمين .كان مسجده قلعة عسكرية. أما نحن فإننا من يقول بعضنا لبعض من العُبَّاد" أترك ..مالك حاجه، والهَمَ الله في شغلك وعملك وأموالك ،ومن بيتك إلى مسجدك، احمد الله ذا معك مسجد قريب ، ومعك بِرْكَة فيها ماء كثير توضأ وصل واترك الآخرين، لست أحسن من سيدي فلان ولست أحسن من فلان".

أصبحت مساجدنا مكاسل، وأصبحت الصلاة لا تحرك فينا شيئاً ،لا تشدنا إلى الله ولا تلفتنا إلى شيء ،مع أن الصلاة هامة جداً ولها إيماءاتها الكثيرة ومعانيها الكثيرة وإشاراتها الكثيرة، والمساجد لها قيمتها العظيمة في الإسلام لكن إذا ما كانت مساجد متفرعة من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)وليس من مسجد الضرار الذي احرقه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)إذا كانت المساجد متفرعة ،من مسجد رسول الله فهي مساجد لله بما تعنيه الكلمة، والصلاة فيها لها فضلها ولها عظمتها أما إذا كانت المساجد هكذا ونضع فيها المصاحف، فلا الصلاة، ولا المصحف، ولا المسجد، بقي له معناه الحقيقي في نفوسنا، فنحن إذاً نصنع للإسلام مخزناً نضع القرآن فيه ونقول له: " اجلس مكانك هنا ،لا تزعجنا ".

ونحن نصلي ونقرأ القرآن أحياناً ولكن لا نتأمل في الصلاة ، أليس هناك محاريب في المساجد يتقدم فيها واحد يصلي ؟ أي أن يلتفّ الناس حول قيادة واحدة صف واحد{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (الصف:٤) الصلاة تعلمنا كيف يجب أن نقف صفاً واحداً تحت قيادة واحدة في الاتجاه على صراط

الله وفي الاتجاه في طريق الله سبحانه وتعالى وفي سبيله، وكم للصلاة من معاني. ولكن لا نستفيد منها شيئاً ،كل العبادات ذابت معانيها في نفوسنا، الإسلام أصبحنا نشوهه، الإسلام لم يعد له طعم في نفوسنا ،الإسلام لم يعد يحرك لدينا شيئاً لا في نفوسنا ولا في واقع حياتنا.[ص١٢]

ـ توضيح مخططات العدو في الإستيلاء على الحرمين

فهم ـ فعلاً ـ يخططوا للاستيلاء عليه، وإذا ما استولوا عليه فهم قد عرفوا أننا أصبحنا نصدق كل شيء من عندهم ،وأننا أصبحنا أبواقاً للإعلام نردد أي تبرير يأتي من قبلهم، عندما يقولون: نحن جئنا إلى اليمن من أجل أن نساعد الدولة اليمنية على مكافحة الإرهاب. يصدق البعض بهذا ويرددها ويخدمهم في أن تُعمم على أكبر قطاع من الناس، ليفهمهم أنهم إنما جاءوا لمكافحة الإرهاب، وسيدخلون الحجاز من أجل مكافحة الإرهاب ،ومن أجل مكافحة الإرهاب يحرقون القرآن، ومن أجل مكافحة الإرهاب يهدمون الكعبة ، ومن أجل مكافحة الإرهاب يمنعون الحج ،ومن أجل مكافحة الإرهاب يدوسون العرب بأقدامهم ونحن نصدق كل تبرير يقولونه.

لقد وثقوا بأن كل كلمة يقولونها تبرر أعمالهم ضدنا أصبحت مقبولة لدينا وأصبحت وسائل إعلامنا تُرددها ، وأصبحنا نحن نستسيغها ونقبلها ونغمض أعيننا عن الواقع الملموس ،نؤمن بالخدعة ولا نلتفت إلى الواقع الملموس الذي باستطاعتك أن تلمس من خلاله شرَّهم وخطرهم، تغمض عينيك وتكف يديك وتصدق التبرير الذي يعلنونه.

عندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة يخططون للاستيلاء على الحرمين الشريفين،يخططون للاستيلاء على اليمن، لكنْ استعمارٌ حديث، احتلال حديث لم يعد بالشكل الأول أن يجعلون زعيماً أمريكياً يحكم، لا لن يجعلوه أمريكياً، سيجعلونه يهودياً سواء يهودي من أصل إسرائيلي، أو يهودياً يمنياً من أصل يمني أو كيفما كان، المهم يهودياً سواء يحمل هوية إسلامية أو يهودياً حقيقياً يكون بالشكل الذي ينسجم معهم.

إذا كانوا يعملون هذه الأعمال ثم أنت لم تؤمن بعد ولم تستيقظ بعد، ولم تصدق بعد بأن هناك ما يجب أن يحرك مشاعرك ولو درجة واحدة، ماذا يعني هذا؟. غفلة شديدة، تَيه رهيب، ذلة إلهية رهيبة. هل يستثيرنا هذا عندما نقول أننا فعلاً نلمس أنهم بدءوا يتحركون من أجل الهيمنة على الحرمين الشريفين وليس فقط القدس؟.

العرب يرددون الآن ضمن أقوالهم : (من أجل إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس). هل إسرائيل تلتفت إلى هذا الكلام . هي ليست حول أن تسلم القدس هي تبحث عن الحرمين الآخرين ، إن الحرمين الآخرين هما اللذان يشكلان خطورة عليها وليس القدس ، ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي فقط ،ليس لأن القدس منطقة ذات أهمية عند المسلمين أوتشكل خطورة بالغة عليهم. لا، وإنما باعتبارها مدينة يقولون بأنه كان هناك هيكل سليمان وأنها هي المدينة التي كتب الله لهم أن يدخلوها ،وعبارات من هذه، ارتباط هوية دينيه وتاريخية، أما الحرمين فهم الذين يشكلون خطورة بالغة عليهم على مستقبلهم ، وأكد لهم ذلك تأملهم للقرآن ـ القرآن الذي لا نفهمه نحن ـ وأكد لهم ذلك أنهم وجدوا أن الحج يستخدم من قبل أي حركه إسلامية لتوعية الآخرين. وهكذا أراد الله للحج أن يكون ملتقى إسلامياً ،يذكر الناس فيه بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم وفي سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحج بمعناه القرآني، هو من عرف كيف يتعامل مع الحج فوجه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا البراءة من المشركين البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندرِ بأن أول عَمَلٍ لتحويل الحج إلى حج إسلامي تَصَدَّر ببراءةٍ قرأها الإمام علي (عليه السلام) ـ إمامُنا ـ العشر الآيات الأولى من سورة براءة هي بداية تحويل الحج إلى حج إسلامي {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ

الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} (التوبة: من الآية٣) **ورسوله بريء من المشركين وقرأ البراءة من المشركين الإمام علي بن أبي طالب** (عليه السلام) .

ونحن كنا نقول هنا ونحن شيعة الإمام علي (عليه السلام)**:ما بال هؤلاء يرفعون (الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل) البراءة من المشركين هذا حج؟ "حج يا حاج". وحجنا نحن اليمنيين نردد: " حج يا حاج " عجالين ونحن نطوف ونسعى ونرمي الجمار نردد:"حج يا حاج " على عجلة.**

فالإمام الخميني عندما أمرهم أن يرفعوا البراءة من المشركين في الحج أنه هكذا بداية تحويل الحج أن يُصبَغ بالصبغة الإسلامية تَصدَّر بإعلان البراءة قرأها الإمام علي(عليه السلام) **وهي براءة من الله ورسوله ،هذا هو الحج.**

حتى البراءة التي يعلنها الإيرانيون أو يعلنها أي أحد من الناس هي ما تزال أقل من البراءة التي قرأها الإمام علي (عليه السلام)، **الإمام علي** (عليه السلام) **قرأ براءة من نوع أكثر مما يرفعه الإيرانيون في الحج ،براءة من المشركين وإعلان الحرب عليهم ،وإعلان بأنه لا يجوز أن يعودوا أبداً إلى هذه المواقع المقدسة. وكان فينا من يقول: لا، نحج وبس، هذه عبادة "ماهو وقت أمريكا وإسرائيل".**

هكذا نقول لأننا لا نفهم شيئاً، هذه مشكلتنا لا نفهم إلا السطحيات، الحج عبادة مهمة ، لها علاقتها الكبيرة بوحدة الأمة ،لها علاقتها الكبيرة بتأهيل الأمة لمواجهة أعدائها من اليهود والنصارى.

عبادة مهمة إنما عطلها آل سعود، وعطلها اليهود والنصارى ولم يكتفوا بما يعمله آل سعود، القضية عندهم خطيرة جداً إذا كانت القضية كبيرة جداً عندهم هم لا يثقون بعملائهم ولا بأصدقائهم ،مهما كنت صديقاً ربما يظهر أحد فيحصل كما حصل في إيران، ربما يظهر أحد يسيطر على المنطقة هذه ثم تفلت من أيدينا ،يَرون أن عليهم أن يسيطروا مباشرة ،لم يعودوا يثقون بعملائهم أبداً ،هم يتنكرون لعملائهم ويضربونهم في الأخير متى ما اقتضت سياستهم أن يتخذوا موقفاً منهم يعملون تبريرات كثيرة وكلاماً كثيراً ضدك وأنت كنت صديقهم ، هكذا سيصبح الحال لدينا في اليمن ، حتى تصبح إنساناً يستعجل الناسُ أن تُضرَب، هكذا يعمل اليهود استطاعوا في أعمالهم معنا نحن المسلمين يعملون دعاية على أي أحد منا دعاية دعاية قالوا بيحركوا سفنهم من هناك حتى أصبحنا عجالين أكثر منهم على أن يضرب هذا البلد أو ذاك.[ص١٤]

[يوم القدس العالمي]

ـ العمل على ترسيخ حالة العداء لليهود

فيوم القدس هو يوم أن تتجه الشعوب نفسها حتى لا تبقى متأثرة بإعلام اليهود ، ولا متأثرة بالإعلام الذي يبرر للدول التي تحكم المسلمين يبرر قعودهم ، أو تحاول أن تعزز خلق الهزيمة النفسية داخل المسلمين ، لأن ما يعرضونه من مظاهر عما يعمله الإسرائيليون دون أن يتحدثوا عما يثير المسلمين ويحمل عقدة العداء والحقد ضد إسرائيل ، فإنما يعملون على ترسيخ الشعوب بالهزيمة النفسية لدى المسلمين أمام اليهود ،ترى إسرائيل ثم لا ترى أي حل ، ماذا يحصل لديك؟ تبرد أعصابك ويموت ضميرك وتتحول إلى يائس. القرآن عمل على أن ينهض بالأمة حتى لا تصل إلى هذا الحال، من خلال خلق حالة العداء لليهود عندما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} (المائدة: من الآية٨٢) **يريد منا أن نربي أنفسنا وأن نربي أولادنا على أن يحملوا عداوة لأعداء الله لليهود والنصارى. العداوة في الإسلام إيجابية ومهمة ، العداوة إيجابية ومهمة ، إذا كنت تحمل عداء لأمريكا وإسرائيل ، إذا كان الزعماء يحملون عداء ، والمسلمون يحملون عداء حقيقياً فإنهم سيعدون العدة ليكونوا بمستوى المواجهة ، أما إذا لم يكن هناك عداء حقيقياً فإنهم لن يعدوا أي شيء ، ولن يكون لديهم أي مانع من أن يتعاملوا مع اليهود والنصارى على أعلى مستوى، حتى إلى درجة الاتفاقيات للدفاع المشترك ، الاتفاقات الاقتصادية وغيرها ، لأنه ليس هناك أي عداء.**

فأنت إذا لم تُكِنّ العداء لهذا ولا لهذا فلن تُعِد نفسك لأن تكون بمستوى المواجهة. فعندما قال الله سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}(الأنفال: من الآية٦٠) ألم يرسخ في نفوسنا أن أولئك أعداء ، يريد منا أن نحمل هذه العداوة، وأن نرسخ الشعور بالعداء لأن ذلك هو الذي سيحملنا على إعداد القوة ، وعندما تتجه الأمة لإعداد القوة ستعد نفسها للمواجهة في مختلف المجالات ، في المجالات الاقتصادية وفي مجال التجارة وفي مجال التصنيع في مجال الزراعة في مختلف المجالات ، كما عمل الإمام الخميني بإيران عندما رسخ عداوة أمريكا وإسرائيل ، عمل على أن يجعل إيران أمة قادرة على أن تكون بمستوى المواجهة للغرب ، بأن تحصل على الاكتفاء الذاتي في المجال الغذائي والعسكري وغيره من المجالات ، وفي المجال الثقافي وغيره ، لكن هؤلاء لما لم يعملوا على أن يوجدوا حالة العداء ويغرسوا مشاعر العداء لليهود والنصارى في هذه الأمة لم يحققوا شيئاً.

أما أولئك لأنهم أعداء والعدو لا بد أن يعمل ضدك بكل جد ـ كما أشار القرآن ـ اتجهوا إلى أن يجعلوا حتى قوتنا تحت رحمتهم ، أذلونا وقهرونا إلى هذه الدرجة ، ولهذا ـ كما قلت سابقاً ـ هم واثقون الآن بأنه ليس باستطاعتنا أن نعمل شيئاً. أليست إسرائيل تتحدى داخل البلاد العربية تتحدى وتضرب والعرب محيطون بها ، والدول العربية تجتمع أحياناً وتندد ، ولا يحرك ذلك في إسرائيل شعرة.

ثم في الجانب الإعلامي والثقافي أيضاً اليهود هم الآن أرفع وعياً من المسلمين، اليهود أكثر وعياً فيما يتعلق بالمواجهة في صراعنا الآن. ألسنا نقول أن الصراع [صراع عربي إسرائيلي] ، والعرب يقولون هكذا [صراع عربي إسرائيلي] العرب أو المسلمون بصورة عامة. الإسرائيليون استطاعوا أن يخلقوا وعياً يهودياً داخل إسرائيل فيما يتعلق بالصراع مع العرب أفضل بكثير مما يعمله العرب ، بل لا يعمل العرب شيئاً. أين هي المناهج الدراسية التي تربي أبناءنا على أن يحملوا عداوة لأمريكا وإسرائيل ؟ أن يحملوا عداوة لليهود والنصارى ؟ أين هو العمل ـ في أي وزارة ـ الذي يجعل هذا الشعب في مستوى أن يصمد ولو شهراً واحداً فيما لو دخل في حرب مع إسرائيل ؟ لا شيء.

بل إن اليهود يتحكمون في وسائل الإعلام العربية ،فالعرب بحكم تأثرهم واستجابتهم لمطالب إسرائيل مطالب اليهود ـ واليهود دقيقون جداً جداً حتى في ما يتعلق بالمفردات ، بالمفردات اللغوية ـ يحاولون أن ينسفوا أي مفردة يعرفون بأنها ترسخ مشاعر تكون خطيرة عليهم ، فطلبوا من الإعلام العربي إزالة كلمة [العدو الإسرائيلي] التي كانت تستخدم ، فأصبحت أجهزة الإعلام لا تتحدث ـ حتى الفلسطينية ـ لا تتحدث عن العدو الإسرائيلي ،بل الفلسطينيون أنفسهم ـ وهذا من العجيب ومما يثير الاستغراب والأسف في وقت واحد ـ أن الفلسطينيين كلما سمعناهم يتحدثون على هذا النحو يقولون: [حكومة شارون ، حكومة شارون] ،لم يقولوا (إسرائيل) ؛لأنهم قد اعترفوا بإسرائيل ، وإنما يقولون [حكومة شارون] وشارون أليس شخصاً يهودياً ، وهذا التعبير الذي أراده اليهود يعني أنه لو كانت حكومة شخص آخر ما يمكن أن تعمل هذا الشيء ، إذاً فالمشكلة هو شارون باعتباره رئيس وزراء. أما إسرائيل ما كأنها مشكلة ، ما كأن وجودها مشكلة ،فأصبح يقول: [حكومة شارون]. ألم تسمعوا أنتم الكل يتحدث عن شارون وحكومة شارون ؟ ثم الأجهزة الإعلامية في البلاد العربية نفس الشيء تتحدث عن شارون ، لأنهم لم يعودوا يتحدثون عن إسرائيل كعدو ، لم يعودوا يتحدثون عن اليهود كعدو.

وهذه الكلمة مؤثرة جداً، لأن استخدام كلمة: {عدو} ضد إسرائيل مما ترسخ مشاعر العداء ، هذه فُقِدَت في إعلامنا ،فُقِدَت في مناهجنا الدراسية ، فقدت حتى في تداولنا للحديث ، فكلمة [يهود ونصارى] اُستبدلت بكلمة [الغرب]. الإمام الخميني كان يستخدم ـ لما كانت هذه العبارة قد أشيعت بشكل كبير ـ [الغرب الكافر] يتحدث بهذا المنطق ، [الغرب الكافر]. أمريكا هم اليهود والنصارى الذين تحدث الله عنهم هنا فيما يكنُّونه لنا وما يعملوه ضدنا هم أنفسهم الذين يسموهم الآن [الغرب].[ص٢٧]

[اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا]

ـ نعمل على أن نحيي القرآن في نفوسنا وفي واقعنا

فيجب ـ وأكرر كما كررت في الجلسة السابقة ـ يجب أن نحيي في أنفسنا وفي واقع حياتنا ما يحول دون أن تترسخ كلمة: [إرهاب] في داخل نفوس الناس وفي كل بلاد يمكن أن يصل إليها صوتنا، وأن نعلن أننا الآن اتجهنا بجدية إلى القرآن الكريم، لنحيي القرآن في نفوسنا وفي واقعنا، ومن الذي يستطيع أن يحول بيننا وبين القرآن إلا بعد أن نكون قد شهدنا على أنفسنا بالكفر.

نحن نريد أن نثقف أنفسنا بثقافة القرآن الكريم، وأن تتسع أعمالنا في الدنيا بسعة المجالات التي قد تناولها القرآن الكريم، فمن يمنعنا ممن يحمل اسم إسلام فليس بمسلم، من يعمل ضدنا ونحن نتحرك لنثقف أنفسنا بثقافة القرآن قبل أن يثقفونا اليهود ـ أكثر مما قد حصل ـ بثقافتهم، فإنه من أولياء اليهود من يحاول أن يحول بيننا وبين ذلك.

أو لنقول لأنفسنا من الآن بأننا غير مستعدين أن نكون جادين في هذه المسألة، هل أحد منا مستطيع أن يقول: لا. أنا لست معكم؟.

أنتم ـ أيها الأخوة ـ من في هذه القاعة هل أحد منكم مستعد أن يقول: أنا لست جادا معكم في هذا؟ ولا أريد أن أتثقف بثقافة القرآن، وأنا سأبحث لي عن مجال آخر، أو وسيلة أخرى، أو سأنطلق انطلاقة أخرى؟ كلنا نقول: لا. كلنا نقول: لا. ويجب أن نقول لا ، وإلا فماذا وراءنا؟ بالله عليكم ماذا وراءنا؟.

أليس الحديث عن جهنم هو ما ملأ صفحات القرآن الكريم؟. أليس الحديث عن الذلة والشقاء وظنك المعيشة في الدنيا هو ما امتلأت به آيات القرآن الكريم؟. ليعد من يعرضون عن ذكره، من ينبذون كتابه وراء ظهورهم، أليس هذا هو ما نعرفه في القرآن الكريم؟. إذاً لا مجال من أن ننطلق لنثقف أنفسنا بالقرآن الكريم قبل أن يثقفنا الآخرون.

ـ ننظر إلى اليهود والنصارى من منظار القرآن

يجب علينا ـ أيها الأخوة ـ أن يستقر في قرارة أنفسنا أن يعمل كل واحد منا على أن يوصل هذا الوعي إلى الآخرين، بأن ننظر إلى اليهود والنصارى من منظار القرآن ، فهم من ملأت أخبارهم صفحات القرآن، وهم من أوضحهم الله لنا أوضح بيان، فمتى ما وعدوك بتنمية، لا تصدق.

إنها لن تكون تنمية حقيقية، متى ما طلبوا منك أن تنفذ مخططا لهم مقابل تنمية فاعلم بأنك ممن يحمل النفسية اليهودية التي تبيع الدين بالمال، وتبيع الوطن بالمال، وتبيع الناس بالمال.

هذا هو ما يجب أن نفهمه فيما يتعلق بهذه القضية.[ص١٠]

[مسئولية طلاب العلوم]

ـ لا تعكس ضعفك على الناس

لماذا أولياء الشيطان هم يبدون في الصورة هم كل شيء في هذه الحياة ، كل شيء بأيديهم حتى ثقافتنا نحن بأيديهم ، حتى طغى ما يقدمونه هم لنا على ما قدمه الله سبحانه وتعالى لنا؟ ، أليس هذا إساءة إلى الله ، وتصغير لما عظم الله ؟. ما السبب في ذلك؟. هو أننا فعلا لا نحاول أن نعرف الله بالشكل المطلوب؛ لذا نرى أنفسنا ضعافا لأننا لا نثق به ، لم نصل إلى درجة أن نثق بالله عز وجل. الإنسان بدون الله ضعيف ،الإنسان بدون الله وإن حمل عناوين ارتباط بالله ليس ارتباطاً حقيقياً واعياً فهو ضعيف، حينها ينعكس ضعفي على كل شيء حتى ما أقدمه باسم الله.

فعندما اجمع مجاميع من طلاب العلم وأقدم لهم الدين والعلم، أليس هذا أقدمه باسم الله؟. فينشئون ضعافاً لا وعي لديهم ،لا اهتمام لديهم، لا شعور بمسئولية لديهم. لماذا؟. لأنهم أصبحوا نسخة مني، نسخة أخرى ونسخ متكررة لي، ضعفي ينعكس على أقوالي ، ضعفي ينعكس على مواقفي، ضعفي ينعكس

بشكل سلبيات تجعلني أجهل الكثير، الكثير مما يدور حولي، وحينها ،وفي الأخير نرد اللائمة على الله سبحانه و تعالى نفسه، أنه هو الذي طبع الحياة على هذا النحو بأن جعل الضعف والمصائب والإبتلاءات الشديدة والضَّعَة والمسكنة لأهل الحق، كما يقول البعض : [أهل الحق يكونون عادة ضعافا مساكين لا يستقيم لهم شيء، ولا تُسمع لهم كلمة، والدنيا هكذا حالها لا تسير ولا تستقيم، والباطل ينتشر فيها].

أو يرد اللائمة على الناس ،أن الناس هم هكذا يقبلون الباطل أكثر مما يقبلون الحق، الناس هكذا بطبيعتهم لا يريدون الحق، الناس هكذا وهكذا.. قبل أن نجرب الناس، بعد أن نصحح وضعيتنا مع الله سبحانه وتعالى فنرتبط به ،ونثق به، ثم نفهم دينه ،نفهم نظرة دينه للناس، نظرة الدين للإنسان، نظرة الدين للحياة، نظرة الدين للآخرة، نظرة الدين للأحداث، لذا نرى أنفسنا في حالة غريبة جداً، بعد أن صبغنا الحياة بضعفنا، وانطلق كل شيء منا يعكس حالة الضعف في أنفسنا لا نلتفت ولو مرة التفاتة واعية إلى القرآن الكريم، هل فعلا هذا هو حصيلة القرآن الكريم؟. أم أن القرآن الكريم له وجهة نظر أخرى، وله أساليب في التربية أخرى، وله غايات أخرى، وله نموذج خاص في صياغته للإنسان.[ص٢]

ـ لا بد أن يكون لديك اهتمام بأمر المستضعفين

نرجع إلى موضوع موسى وفرعون، ما الذي حصل؟. نشأ موسى عليه السلام في قصر فرعون، تربى في قصر فرعون، وموسى (صلوات الله عليه) عندما نشأ كيف كان ينظر إلى نفسه وينظر إلى الآخرين؟. ـوفي هذا درس يجب أن يهتم به كل طالب علم، كل من يريد العلمـ نبي الله موسى لم يقل: الحمد لله أنني هاهنا في هذا القصر آمن والآخرون يُقتلون، كان يهتم بأمر الآخرين، كان يهتم بشأن المستضعفين، كان لا يرى كل ذلك النعيم الذي هو فيه ،وذلك الأمن الذي هو فيه ،وذلك المقام الرفيع الذي هو فيه لا يراه شيئاً أبداً مقابل ما يرى من ظلم للمستضعفين ،مقابل ما يرى من جبروت فرعون، فعندما كان على هذا النحو ،لديه اهتمام بأمر الآخرين يهمه أمر الناس ،يهمه أمر المستضعفين من عباد الله قال الله عنه : {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤) {وكذلك نجزي المحسنين} هذه العبارة تعنى أنها سُنَّة إلهية ،أنه يمنح الحكمة والعلم من توفرت فيه هذه الصفة فكان من المحسنين. [ص٦]

ـ أنشد الهداية من الله

أنت عندما تكون طالب علم هل تريد أن تهتدي وتهدي الآخرين؟. هل أنت تَنْشُد الهداية من الله؟. أم أنني أرى أن الهداية لها برنامج خاص لا يحتاج إلى أن أسلك هذه الطريقة التي سماها الله سبحانه وتعالى [إحساناً]، أنا لا احتاج إلى الله هناك طريقة معينة، الهداية كلها مرتبطة بالله، وقد كررنا هذا الكلام أكثر من مرة لأننا نحن طلاب العلم أحوج الناس إلى أن نعرف هذه القاعدة: [أن الهداية يجب أن تنشدها من الله مع قراءتك مع مطالعاتك، مع طلبك للعلم]، يجب أن تنشد الهداية من الله بأن تسلك أسبابها حتى تحصل على العلم، وتحصل على الحكمة، ومتى ما حصل الإنسان على العلم والحكمة، متى ما كان محسنا حينئذ قد يكون علمه هدى، قد يكون في علمه ما يهدي نفسه ويهدي الآخرين فيكون عنصرا خيرا، يعمل في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين من عباده.(ص٨)

ـ لا بد أن نمتلك اهتماماً كبيراً

أليس بنو إسرائيل؟. أليس اليهود وهم يعملون على إقامة دولة إسرائيل يقال عنهم أنه كان لديهم اهتمام كبير لدرجة أنه كان أي أسرة قبل أن تتقدم على الطعام بعد أن تضع المائدة تقف الأسرة كلها من حول المائدة وكلهم يقسمون أولاً قبل أن يجلسوا على الطعام يقسمون بالله أن يعملوا جادين جاهدين على إقامة وطن لليهود، وعندما تحرك اليهود وتوافدوا من مناطق متعددة نحو فلسطين كان اليهود في مختلف بقاع الدنيا من أغنى رجل إلى أفقر رجل يتعاونون في دعم إسرائيل حتى قيل: أن اليهودي الذي يشرب الدخان ،كلما يخرج حبة ليشربها ينزع حبة ليضعها في علبة أخرى لدعم إسرائيل، ثم تجمع كل تلك السجائر لتعلب من جديد وتصدر للبيع ثم عائداتها تسلم لدعم إسرائيل فتجتمع مئات الآلاف من الدولارات ومن مختلف العمولات لدعم إسرائيل. هذا الفقير الذي لا يمتلك إلا حبة دخان ،والتاجر يدعم بما يمتلك، يدعم بالملايين لهذا استطاعوا أن يكونوا على هذا النحو حملوا اهتمام موسى (عليه السلام) ونحن أولى بموسى منهم، ونحن أولى بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نمتلك اهتمام محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ولدينا القرآن الذي فيه ما يربيك على الاهتمام حتى في مجال التعاون.

ألسنا نقرأ تلك الآية التي يقول الله فيها: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التوبة:٧٩)

لشدة اهتمام القرآن الكريم بتربية الناس على التعاون والبذل في سبيل الله حتى بأقل قليل لديهم، عندما جاء بعض الناس بصدقة قليلة ،قليل من التمر أو قليل من الحب سخر منه رجل آخر ،ما أثر سخرية ذلك من هذا المسكين الذي لم يُقدم إلا هذا المقدار ولا يمتلك أن يقدم إلا هذا المقدار البسيط؟. إذا سخرت مني عندما أقدم شيئا بسيطا فأنا من سأتحاشى أن لا أقدم شيئاً ،والعشرات من أمثالي كذلك فتحول بسخريتك عن توفير مبلغ كبير من المال، أو كمية كبيرة من مواد عينية في مجال الإنفاق في سبيل الله والتعاون في سبيل الله سبحانه وتعالى ،لذلك لما كانت تلك السخرية هي أسلوب من قد تحول سخريته دون الكثير، الكثير من التعاون من تعاون الفقراء ـ والتعاون قضية مهمةـ سخر الله من أولئك وهددهم فقال {فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم} فربانا القرآن الكريم على الاهتمام ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يحمل روحا عالية، كان لديه اهتمام كبير بأمر الدين، بأمر الناس، يحمل روحا تشعر بمسئولية عالية. نبي الله موسى (عليه السلام) كذلك.

لكنا وجدنا أن الواقع في هذا العصر أن اليهود كانوا أكثر اهتماما منا، أكثر اهتماما من المسلمين، أكثر اهتماما من العرب، أكثر اهتماما منا نحن الشيعة، أكثر اهتماما من آل محمد أنفسهم في هذا البلد، وهذا من العيب أيضا ومن العار على آل محمد بالذات وشيعتهم أيضا أن يكون اليهود أكثر اهتماما بقضاياهم، أكثر تعاونا فيما بينهم، أكثر جداً ومثابرة على تحقيق ما يريدون تحقيقه، وهم طائفة مكروهة في كل المجتمعات فرضوا أنفسهم على كل المجتمعات، وهيمنوا على المجتمعات وهم طائفة مكروهة، يكرهها الجميع، هل نحن نتعاون في سبيل الله؟. بل هل لدينا اهتمام أولاً بشيء مرتبط بإعلاء دين الله حتى نتعاون فيه؟. ليس لدينا قضية معينة، ليس لدينا اهتمام بقضية أنه يجب أن نسعى حتى ينتشر دين الله أن تكون كلمة الله هي العليا، أن نقف في وجه المفسدين، أن نقف في وجه اليهود، أن نقف في وجه

النصارى، هل لدينا هذا الاهتمام ؟ قد لا يكون لدينا هذا الاهتمام وبالتالي من الذي سيحركه اهتمام مفقود حتى يدفع شيئاً؟. إذا لم تكن تهتم بشيء لن تقدم شيئاً.(ص٩)

ـ يجب أن تهتم بأمر الدين

نحن نحمل نفس الشعور ،لاحظ ما نلوم الآخرين عليه، ما نراه سيئا في زعماء العرب، هو نفسه الشعور الذي نمتلكه، عندما نسمع أن أمريكيين دخلوا اليمن وسيدخلون اليمن بأعداد كبيرة.. هل يهمنا هذا؟. أم سترى أن مواقف زعماء العرب هي مواقفنا سيكون السكوت هو الحكمة، وسيكون الاهتمام بقضايا أخرى هو الحكمة ،وأن ننصرف عن هذا الموضوع أن لا نفكر في هذا الموضوع.

طالب العلم إذا لم يفكر في قضايا كهذه فإن كان لا يفهم أن في ذلك إفساداً لعباد الله، وأن في ذلك حرباً لدين الله فهذا هو أجهل الجهل، من الذي يجهل منا أن كل أعمال أمريكا وإسرائيل هي إفساد للدين وإفساد للمسلمين، وحرب للدين وحرب للمسلمين؟. ألسنا نعلم ذلك؟. ألم يقل الله عن اليهود: { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً }(المائدة: من الآية٣٣) أنت عندما تكون طالب علم وأنت لا يهمك أولا يؤلمك أن ترى المفسدين في الأرض يتحركون ،أن ترى الإسلام يُحارب، أن ترى المسلمين يُحاربون هل يصح أن يقال لك طالب علم؟. هل يصح أن تحصل على ذرة من التقدير والاحترام؟.

إذا كنت تحمل علماً فإن هذا من بديهيات المسئوليات على طالب العلم، وعلى من يحمل علما أن يهتم بأمر الدين الذي يتعلمه والذي يحمله، إلا إذا كان العلم هو شيء لا علاقة له بما هو حرب للدين، وبما هو إفساد للمسلمين.

إذا كنت تحمل علماً فإن هذا من بديهيات المسئوليات على طالب العلم، وعلى من يحمل علما أن يهتم بأمر الدين الذي يتعلمه والذي يحمله، إلا إذا كان العلم هو شيء لا علاقة له بما هو حرب للدين، وبما هو إفساد للمسلمين.

هل طلب العلم يعني شيئا آخر؟.كيف أتصور نفسي طالب علم للدين وإذا بي أرى أن علم الدين هنا لا علاقة له بما يحصل على الدين وعلى من ينتمون إلى هذا الدين، أليس الناس يتعرضون لفساد أخلاقي، لفساد ثقافي، لفساد اجتماعي، لفساد أيضا سياسي كل الفساد بكل أنواعه كله يأتي من قِبَل اليهود والنصارى بشكل لا يستطيع الإنسان أن يلمس كل جوانبه في كل المجالات ، إفساد في الجانب الأخلاقي، في الجانب الثقافي، في الجانب الاقتصادي، في الجانب السياسي، ونحن نطلب علما، ونحن لم نصل بعد في وعينا إلى فهم ما يعمله الآخرون من إفساد للدين، ومن إفساد للمسلمين ،حينئذ لا يصح إطلاقا أن يحظى الإنسان بأي احترام.

أقول لأولئك الذين يطلبون العلم ليروا أنفسهم في يوم من الأيام علماء أننا في مرحلة لا يجوز أن نتحاشى فيها من شيء حتى أن نلوم أي عالم.....

يجب على الإنسان أن يكون ممن يخشى الله ولا يخشى سواه، وأن يكون ممن يرغب في الله ولا يرغب في سواه، فإذا كنت عالما وكنت أنت عالما أو كنا طلاب علم وكنا نخاف من غير الله، وكنا نرغب في غير الله، ونبحث عن المخارج عن المبررات التي تبعدنا عما يجب علينا ،وعن المسئولية التي فرضها الله سبحانه وتعالى علينا كحملة علم إذا كنا على هذا النحو فإنه لا يصح بحال أن نكون ممن يرجون أن يكونوا من أولياء الله.(ص١١)

مثال على {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ }

وضرب الأمثلة الكثيرة في القرآن الكريم على ذلك {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} (يوسف: من الآية٢١) ألم يذكر لنا قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم بشكل يتكرر كثيراً في القرآن؟. لكننا قد نقول: [هذه القصة لا نجد فيها أحكاماً شرعية]، نحن نبحث فقط عن أحكام شرعية، هكذا علمنا أصول الفقه هو [أن مهمة العلم وطلب العلم هو البحث عن أحكام شرعية، هذه مجرد قصة لا أجد فيها حكما شرعيا إذاً هي ليست من الآيات الخمسمائة التي تدون كآيات يجب أن يطلع عليها المجتهد ليجتهد وأنا أريد أن اجتهد يهمني هذه الآيات ،وتلك آيات أخرى حكى الله عنها فيها عبر ودروس فقط].

أنسى أن فيها عبر ودروس متعلقة بواقعي، متعلقة بتربيتي، متعلقة بتهذيب نفسي، متعلقة بتعزيز ثقتي بالله، متعلقة بوضع رؤية صحيحة إلى الحياة، بوضع رؤية صحيحة إلى قدرة الله وإرادته النافذة التي تجعل كل المجالات لا يمكن أن تُقفل أمام من يسيرون على هديه.

عندما أخبِر فرعون بأن زوال ملكه ـ كما اخبر الكهان والمنجمون- أن زوال ملكه سيكون على يد غلام من بني إسرائيل اتجه إلى اتخاذ قرار بقتل من يولد من بني إسرائيل، بقتل الأطفال، ماذا حصل؟. الله سبحانه وتعالى اتجهت إرادته إلى أن يجعل فرعون هو من يربي ذلك الغلام الذي سيكون زوال ملكه على يديه.. لاحظوا يقتل أولئك الأطفال في تلك البيوت هناك وهناك ،ويربي الطفل الذي سيكون زوال ملكه على يديه ،في قصره يغذيه بأفضل التغذية، ويحوطه بأحسن رعاية.. لماذا؟. لأن الله غالب على أمره.

نحن من نقول: [نحن مستضعفون، نحن ضعاف، لاحظوا كيف أولئك]. ننسى أن الله في القرآن الكريم عرض لنا أمثلة كثيرة على أن الله غالب على أمره، ارتبط وثق بمن هو غالب على أمره، فإذا ما ارتبطت ووثقت بمن هو غالب على أمره، بمن لا يستطيع أحد أن يهدي إلى ما يهدي إليه.

نحن قلنا في كلام بالأمس مع بعض الإخوان أنه من الأشياء العجيبة أن الله سبحانه وتعالى -وهو يحدث الناس عن أعدائهم في مجال تأهيل المؤمنين لمواجهة أعدائهم- يخبرهم بأن أولئك الأعداء على هذا النحو {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} (آل عمران:١١١)

هل أحد يستطيع من ضباط المخابرات الأمريكية، أو مخابرات أي دولة مهما كانت تمتلك أدق الأجهزة، وأكبر الخبرات في هذا المجال، هل أحد منها يستطيع أن يرفع قرارا إلى البيت الأبيض بأنه في حالة مواجهة مع إيران، أو في حالة مواجهة مع طرف ما [فإنهم لن يضروكم إلا أذى، إن أولئك المسلمين لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون]. هل أحد يستطيع؟. تقاريرهم كلها احتمالات ،نحاول أن نعمل كذا، ربما يحصل كذا، لكن الله هو من يقطع، لأنك ارتبطت بمن هو عالم الغيب والشهادة، بمن هو عليم بذات الصدور، بمن هو عالم بالإنسان بخصائص نفسه، بمن بيده ملك السموات والأرض، يهيئ ويغير، كل ما في السموات والأرض بيده، أنفس الناس بيده، هو من استطاع أن يملأ قلوب المشركين رعباً في بدر.. أليس كذلك؟. هل أحد يستطيع أن يرفع قرارا كهذا؟.

لكننا نحن متى ما جهلنا عظمة إلهنا، متى ما جهلنا ماذا يعني ملك الله ،أنه الملك، ماذا يعني أنه عالم الغيب والشهادة، متى ما جهلنا معاني أسمائه الحسنى حينئذ سنبقى ضعافاً.

ـ القرآن أهم مصدر لمعرفة الله

فنحن نقول: إن أهم مصدر لمن يريد أن يعرف الله وأشرف العلوم الذي يجب أن تهتم به في مجال معرفة الله بالذات هو القرآن الكريم، اعرف الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم، كتب علم الكلام لا تستطيع أبدا أن تصنع لك معرفة تربطك بالله بالشكل الذي يصنعه القرآن الكريم لا يمكن أبداً.

فنحن نسيء إلى أنفسنا إذا ما اعتقدنا بأننا سنهتدي بغير القرآن أكثر مما نهتدي بالقرآن الكريم. والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول في ذلك الحديث الطويل عن القرآن :((ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)) وأنت تَنْشُد الهدى، وأنت تبحث عن الهدى، وأنت لا تعطي أولوية للقرآن الكريم في مجال أن تهدي نفسك، وأن تهدي الآخرين فإنك ستضل، وتضل الآخرين.

ولا يعني الضلال هنا هو أنك تدخلهم في معصيةٍ مّا من المعاصي المعروفة، بل الضلال بمعناه العام في اللغة الذي يعني الضياع، ستضيع أنت وتضيع الآخرين معك.

[ضياع حتى فيما يتعلق بالمعرفة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى ولهذا يروى عن الإمام القاسم أنه] قال: [ما عرف أن متكلماً خشع] لأن المعرفة التي تقدمها كتب [علم الكلام] محدودة جداً.

[القرآن هو أهم مصدر لمعرفة الله سبحانه وتعالى]وهذا هو رأي [الإمام القاسم بن محمد] الذي نقله عنه مؤلف شرح الأساس الكبير الشرفي بعد أن حصل حديث وخلاف حول هل يصح الاستدلال على معرفة الله بالآيات القرآنية أم لا فاختلفوا بعضهم قال: بالآيات المثيرة وبعضهم قال بها مطلقا، قال: [القرآن هو أهم مصدر لمعرفة الله ،ومن لم يقل بذلك أو أنكر ذلك فقد رد قول الله تعالى:{هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ابراهيم:٥٢)

أليست هذه غايات أربع مهمة؟ لا تستطيع أن تحصل عليها إلا من خلال القرآن الكريم؟ وإذا ما رأيت نفسك أنك حصلت على شيء منها بالاعتماد على مصادر أخرى فإنما هي نسبة ضئيلة ربما قد يترافق معها من السلبيات أكثر من الإيجابيات؛ لهذا نقول: إن من يعرف الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون على وضعية تختلف عما نحن عليه. [ص٦]

ـ أهمية الإحسان في الحصول على العلم والحكمة

نرجع إلى موضوع موسى وفرعون، ما الذي حصل؟. نشأ موسى عليه السلام في قصر فرعون، تربى في قصر فرعون، وموسى (صلوات الله عليه) عندما نشأ كيف كان ينظر إلى نفسه وينظر إلى الآخرين؟. ـوفي هذا درس يجب أن يهتم به كل طالب علم، كل من يريد العلمـ نبي الله موسى لم يقل: الحمد لله أنني هاهنا في هذا القصر آمن والآخرون يُقتلون، كان يهتم بأمر الآخرين، كان يهتم بشأن المستضعفين، كان لا يرى كل ذلك النعيم الذي هو فيه ،وذلك الأمن الذي هو فيه ،وذلك المقام الرفيع الذي هو فيه لا يراه شيئاً أبداً مقابل ما يرى من ظلم للمستضعفين ،مقابل ما يرى من جبروت فرعون، فعندما كان على هذا النحو ،لديه اهتمام بأمر الآخرين يهمه أمر الناس ،يهمه أمر المستضعفين من عباد الله قال الله عنه :{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤) {وكذلك نجزي المحسنين} هذه العبارة تعنى أنها سُنَّة إلهية ،أنه يمنح الحكمة والعلم من توفرت فيه هذه الصفة فكان من المحسنين.

ما هو الإحسان؟. هل هو ما يقال: [أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك]. هذه العبارة [تعبد الله] عبارة واسعة ومهمة ، لكن الإحسان في القرآن الكريم قد تناوله القرآن في عدة مواضع كلها يرتبط مفهوم الإحسان بالاهتمام بأمر الآخرين ،اهتمام بأمر الدين ،والدين مرتبط بالآخرين.{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص:١٤)

حتى تعرف أنه محسن ،وتعرف أن الله منحه حكمة ومنحه علماً لاحظ كيف أنه عندما رأى رجلين يقتتلان أحدهما من الفئة المستضعفة في المجتمع والآخر من الفئة المستكبرة هاجم هو ذلك القِبْطِي الذي هو من الفئة المستكبرة من الفراعنة {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} (القصص: من الآية١٥).

ـ عندما ترى نفسك تقف موقف حق فيجب أن تعدها نعمة كبرى مهما كانت النتائج

ثم هل ندم على ما صنع؟. باعتبار أنه أضر بمصالحه ،وأنه عرض نفسه للخطر ،وأنه .. وأنه ..الخ ما الذي حصل لديه؟. قال فيما بعد ـ عندما رأى نفسه أنه اتخذ موقفا هو الذي ينبغي لمثله أن يتخذه، أنه وقف موقف حق ـ عدّها نعمة كبرى من نعم الله عليه { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} (القصص:١٧)

موقف عظيم، ليس موقف من يبحث عن المبررات، عن التبريرات الشرعية، عن حِيَل شرعية، عن وجه شرعي للقعود للجلوس، للسكوت عما يرى، لإغماض عينيه عما يناله الآخرون من الظلم والاضطهاد. لا.. ولم يندم على ما صنع بل عدّها نعمة كبرى عليه من الله أن اهتدى إلى أن يتخذ مواقف، مواقف حق {رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين}. أصبح وليا من أولياء الله ،وهو قبل النبوة ،قال هذه العبارة قبل النبوة، ـ متى جاءته النبوة؟. عندما عاد من الشام وهو في طريقه عائداً إلى مصر جاءته النبوة.

{رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين} عندما اتجه بعد أن أخبره أولئك الناصحون له أن يخرج من المدينة خرج وهو غير نادم أيضا على أنه اقترف عملا أدى به إلى أن يُفوت عليه نعمة كبرى ،وإلى أن يؤدي به الحال إلى أن يخرج من المدينة، خرج منها وكله شوق إلى الله، وكله حب لله، وكله ثقة بالله سبحانه وتعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} (القصص:٢٢) [ص٧]

ـ مثال آخر على الإهتمام بأمر الآخرين

ولأنه يحمل النفس الكبيرة ،يهتم بالآخرين، ذكر الله عنه حادثة أخرى في الطريق {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} (القصص: من الآية٢٣) أهمه أمر المرأتين يسأل لماذا؟. لماذا هن وأغنامهن بمعزل عن الآخرين؟. لم يقف هناك ويقول: أنا تاعب لا أستطيع أن أعمل شيئا، أو لا يتساءل عن حالة تلك الفتاتين، بل اهتم بالأمر وانطلق ليسألهما عن شأنهما{ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} (القصص: من الآية٢٣)؟. هذا شأن من يهتم هو أن يسأل، من يهمه أمر الآخرين.. بعكس ما نحن عليه، نحن لا نسأل بل نحن لا نكاد أن نفهم ،ولا نُصغي لمن يذكرنا بأمر الآخرين، أما موسى (صلوات الله عليه) فإنه من سأل، وهو تاعب {ما خطبكما؟}{ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}(القصص: من الآية٢٣) نحن لا نزاحم مع الآخرين، وليس هناك من يقوم بهذا العمل غيرنا. لم يقل: [إذاً امسكن طابور حتى يخرجوا ،أنا تاعب سأرتاح لا أستطيع أن أعمل لكن شيئاً، امسكن طابور حتى ينتهي الرعاة من سقي مواشيهم]. ذهب هو ليسقي لهما ؛لأنه يحمل روحاً كبيرة.(محسن ،محسن) هذه العبارة المهمة.[ص٧]

ـ الإيثار من ضمن الإحسان

والإحسان دائرة واسعة، يدخل ضمنها الإيثار على النفس حتى أنه في مجال النكتة عندما تحدثنا عن هذا الموضوع قلنا لبعض الشباب ونحن نتحدث معهم لاحظ متى ما وجدت عندما تقدم المائدة لطلاب علم تقدم لهم لحماً مثلا تجد هناك من يحاول أن يَقْضِم أكثر ،يضعه في يده ويلتهمه فإن هذا لا يصلح أن يحمل علما، بل هذا لا يحصل على علم، ليس محسناً، يهمه أمر نفسه فقط، هذا ليس محسن، المحسن يهتم بالآخرين حتى في ابسط الأشياء.[ص٧]

ـ يجب أن تعظم ثقتك بالله في أحلك الظروف

لاحظ وقف بديلا عن ذلك الإسرائيلي المستضعف ليقتل خصمه، أليست هذه قضية كبيرة؟. ووقف بديلا عن تلك الفتاتين ليسقي لهما، له نفس يتميز بها هي نفس الإنسان المحسن.

لما عاد إلى الظل ماذا قال؟. لم يتأوه أنه أين أصبحت؟ لا أمتلك شيئا وأنا من كنت في نعيم، وكنت في مقام رفيع، وكنت .. وكنت.. ماذا قال؟. يعبر عن ثقته بالله سبحانه وتعالى : {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص: من الآية٢٤) **هنا يعبر عن أنه في حالة لا يمتلك فيها شيئاً، لكنه ليس في حالة النادم ،هو في حالة المرتاح لما هو عليه باعتباره موقف صحيح وحالة من هو مرتبط بالله ،يعلم أن ما لدى مولاه هو أكثر مما فاته لدى الآخرين ، أن يرتبط بالله هو أفضل وخير له من أن يرتبط بفرعون ومقام فرعون ونعيم فرعون، وثقته العظيمة لا ترتبط بالشكليات أمام عينيه :هناك قصور وهناك نعيم، ثقته بالله وإن كان في أمس الحاجة إلى أبسط الأشياء لا يتضعضع {رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}.[ص٨]**

ـ متى وكيف تكون الرعاية الإلهية

لاحظ ،كيف انتهى ذلك المطاف الذي قد يكون عند الآخرين يعني الضياع والابتلاء والمصائب والمشاكل، فعلا أدى بموسى (عليه السلام) ذلك الموقف إلى هذه الحالة، لكنه ارتبط بمن لا يضيع أولياءه، ارتبط بالله الذي لا يضيع أولياءه، ألم يصل موسى (عليه السلام) إلى درجة الصفر؟{رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير} يبدأ المشوار التصاعدي الذي يبرهن على أن الله لا يضيع أولياءه من بعد تلك الحادثة {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ }(القصص: من الآية٢٥)**أليس هذا بداية المشوار؟. أن يحصل على الرعاية { قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}**(القصص: من الآية٢٥) **انطلق {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ}**(القصص: من الآية٢٥) **أليس هذا أول نعمة؟. وأول ما حظي به لأنه وثق بالله؟. هل فكر عندما رأى نفسه لا يمتلك شيئا أن يعود من جديد إلى فرعون ويعتذر مما صنع؟. أم أنه كان في تلك الحالة عظيم الثقة بربه فلم يضيعه الله، فبدأ مشوار الرعاية الإلهية من هنا.**

تحقق له الأمن {لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(القصص: من الآية٢٥) **ثم ماذا؟. زوجه بإحدى بناته، وبقي عنده فترة طويلة، ثم بعد ذلك يتوجه إلى مصر بأغنامه بمواشيه مع زوجته، ثم في الطريق حتى لا يعود إلى مصر إلا وهو في أعلى مقام يمنحه الله سبحانه وتعالى، خرج من المدينة خائفا يترقب أليس كذلك؟. إنساناً عادياً فليعد نبياً يهدد جبروت وملك ذلك الطاغية، فتأتيه النبوة في الطريق، لماذا لم تأته النبوة وهو في بيت شعيب؟، أو ينتظر الموضوع حتى يصل مصر؟. في الطريق ،مشوار تصاعدي نحو الكمال الإلهي والرعاية الإلهية ،مصاديق الرعاية الإلهية ،الدلائل العظيمة على أن الله لا يضيع أولياءه، تأتيه النبوة في الطريق فيدخل مصر وهو رسول لله، رسول لله واثق بالله، يرى أن غاية تلك الرسالة قد تكون في الأخير هو أن ينتهي ذلك الجبروت وذلك الظلم، خرج خائفاً فيعود إلى مصر فيدخل قصر فرعون ويطالب فرعون بتوحيد الله وعبادته، ويطالبه أيضا بتحرير بني إسرائيل {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ}** (طـه: من الآية٤٧).

القضية التي أهمته في البداية هاهو يعود لتحقيقها والمطالبة بها وهو في أرقى مستوى، أليس الله معه هنا؟. {أن أرسل معي بني إسرائيل ولا تعذبهم} تأتي مسيرة النبوة في مصر.. وماذا يحصل؟. في الأخير يحكي الله عن تلك المرحلة في تلك الآية العظيمة التي هي عبرة للناس جميعا {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (القصص:٦)

يقول هذه قبل بداية القصة{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}(القصص: من الآية٧)**ثم تكلم عن القصة.**

ما الذي حصل؟. ألم ينته جبروت فرعون وهامان على يد موسى (عليه السلام)؟. ألم يـر أولئـك المستـضعفون فرعون وقومه في أعماق البحر؟. هذه رعاية إلهية تكون لأوليائه ،ومثل يضربه الله للسائرين على هديه.

من الذي يحتاج إلى فهم دروس داخل هذه القصة؟. من يبحث عن ما يسمى بحكم شـرعي؟. ونحـن حتـى ننـسى مثلا أن هناك واجبات شرعية علينا كطلاب علم كحملة علم أمام الآخرين ،ننسى أن نُصنّفها ضمن قائمة الأحكـام الشرعية.

القصة هذه يحتاجها كل إنسان يحمل اسم إيمان، يحمل اسم تقوى، يأخذ منها الدروس العظيمة التي تعزز ثقته بالله من حيث أن الله صادق في وعده لا يضيع أولياءه، ومن حيث أن الله قادر ،قـاهر ،عـالم ،جبـار ،غالـب علـى أمره..[ص٨]

ـ يجب أن لا يكون بنوا إسرائيل أكثر اهتماماً منا

نحن لو جئنا نعمل مقارنة بين ما نقدمه للدين وبين ما نقدمه في سبيل شراء الدخان مـثلا سـنرى في الأخـير أن الإسلام لا يساوي اهتمامنا به اهتمامنا بالتدخين هذا الذي يطير في الجو ولا نستفيد منه شيئا. تصوركم يدخن الناس، وتصوركم سيجمع اليهود من حبات دخان لدعم إسرائيل، سـيطلع منهـا الكـثير، الكـثير لأنهـم يفهمـون أهمية ما يقدمون سواء ما يقدمونه من أموالهم أو ما يقدمونه بشكل مواقف، أو ما يسطرونه بـأقلامهم، يعرفـون أهمية كل شيء يخدم قضيتهم.. بينما نحن يبدو لم نعرف شيئا.

الشعار مثلاً عندما نرفع شعار:

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

قد يقول البعض أو يتصور ماذا يعمل هذا الشعار؟. اليهودي كان يرى أن حبة الدخان ستقيم دولـة، ألـيس هـذا وعياً عالياً؟.

اليهود في إسرائيل عندما تأتي انتخابات هل يبحثون عن الرجل القوي؟. أو يبحثون عن الضعيف الذي لا يـثير مشاكل؟. يبحثون عن الرجل القوي في وجه العرب، في عدة انتخابات ألم يبحثـوا عـن القـوي ثـم الأقـوى ثـم الأقوى؟. لديهم وفي تاريخهم في مواجهة العرب حتى وصلوا إلى شارون؟. بينما نحن نتهرب من الدعوة إلى شيء فيه قوة لنا وفيه عزة لنا، وهذا يريد مشاكل إحذروه.

[لاحظوا الإمام الخميني الذي كان الرجل القوي] في خطته القيادية في حركته السياسية، في ثقته القوية بالله سبحانه وتعالى،وماذا صنع العرب؟. وقفوا ضده ألم يقفوا ضده؟. ألم يقف اليمن نفسه ضد إيـران؟ ألم يرسـل كتيبة من الجيش لتحارب [الثورة الإسلامية] في عصر [الإمام الخميني]؟. ألم يحارب العرب كلهم ذلـك الرجـل الذي كان أشد شخص على إسرائيل؟.لأن العرب لا يحملون قضية لـيس لـديهم اهتمـام فلـم يكـن ذلـك الرجـل بالشكل الذي يجعلهم ينشدون إليه، وهم يعلمون أنه قوي ضد إسرائيل ومنطقه ضد إسرائيل منذ أول عمل بدأه من يتتبع أقوال [الإمام الخميني] من قبل انتصار [الثورة الإسلامية] بكـثير كـان دائمـا يـتكلم عـن إسـرائيل، ودائما يحذر من إسرائيل، ودائما ينبه على الطريقة الصحيحة للتخلص من إسرائيل، وفي سبيل مواجهتهـا. لكـن العرب بدلا من أن يقفوا موقفه وأن يقفوا تحت لوائه وقفوا ضده، بينما اليهود هناك يبحثون عن أشد شخـصية ليقفوا وراءها.

يأتي في هذا الزمن مثلا كالسيد [حسن نصر الله] كحزب الله، ونصر الله باعتباره شخص مهم ورجل قوي ولديه حنكة قيادية عالية، هل تسمع وسائل الإعلام العربي تتحدث عن حزب الله؟. أو تسمع وسائل الإعـلام العربـي تتحدث أو تعرض كلام نصر الله؟. يهربون من الرجل القوي بينما اليهود أولئك يبحثون عن الرجل القوي، كيف النتيجة الطبيعية لهذا؟. هو أن يكون هؤلاء ضعافا بضعف زعمـائهم ضـعافا بـضعف نفوسـهم، ضـعافا لأنهـم لا يحملون أي اهتمام بشيء، كيف يمكن أن تكون قويا وأنت تحمل نفسا ضعيفة لا تهتم بـشيء؟. وسيـضل اليهـود

هم الأعلون فوقهم، أليس شارون هو أشد شخص في تاريخ مواجهة إسرائيل للعرب؟. ـكما يعتبرونه ـ من أشد الشخصيات ،ومن أكثر الزعماء الإسرائيليين إجراما ضد العرب، انتخبوه بعد أن رأوا الذين قبله لم يكونوا بالشكل المطلوب.

زعماء العرب قد يكونون مقبلون على مؤتمر، مؤتمر يقدمون فيه بنفوس ضعيفة ،يدخلون إلى صالات المؤتمر بنفوس ضعيفة، الآن مؤشرات ما سيحصل في ذلك المؤتمر هو: بحث عن التسوية في الوقت الذي ليس مناسبا الحديث عنها على الإطلاق، بعد أن حصلت هجمات من جانب الفلسطينيين قوية وأصبح الرعب ينتشر في أوساط المحتلين الإسرائيليين ، الآن يسارع زعماء العرب ليبحثوا عن تسوية تخلص إسرائيل من هذه المشكلة.[ص١١]

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م

من هدي القرآن الكريم

منهجية الدعوة في القرآن الكريم

(٨)

من الدروس التي ألقاها

السيد / حسين بدر الدين الحوثي

اليمن ـ صعدة

[الصرخة في وجه المستكبرين]

ـ خطورة التحاليل الخاطئة

قلنا في الأسبوع الماضي في مثل هذا اليوم : مناسب جداً أن نجتمع كل يوم خميس في هذه القاعة ولتكن جلسة، ممكن أن نسميها حتى جلسة تخزينه ، نخزن جميعاً، بدل أن نكون بشكل مجموعات كل مجموعة تخزن في بيت في هذه القرية وفي تلك القرية، وبدل أن تتحدث كل مجموعة لوحدها عن الأحداث التي تدور في العالم في هذا الزمان، فلنتحدث جميعاً بدل أن نتحدث كمجموعات في بيوتنا في جلسات القات، فتنطلق التحاليل الخاطئة والمغلوطة ، وينطلق التأييد والرفض المغلوط في أكثره ،داخل هذه المجموعة وتلك المجموعة وتلك المجموعة من المخزنين في مجالس القات، وبدل أن نتحدث كمجاميع هكذا مفرقة في البيوت حديثاً أجوف ،تحليلاً لمجرد التحليل ، وأخبار لمجرد الفضول ، وبطابع الفضول نتناولها ،ثم نخرج وليس لدينا موقف، تخرج كل مجموعة وليس لها رؤية معينة ،ولا موقف ثابت ،تتقلب في حديثها ومواقفها تبعاً لما تسمعه من وسائل الإعلام.

فتكون النتيجة هي أن يهلك الناس أنفسهم ، تكون النتيجة هي أن يخرج هذا أو ذاك من ذلك المجلس ،أو من ذلك المجلس في هذه القرية أو تلك القرية ولا يدري بأنه قد تحول إلى كافر أو يهودي أو نصراني من حيث يشعر أو لا يشعر -وبالطبع من حيث لا يشعر- فلنجتمع هنا ولنخزن ولنتحدث ، ولكن بروحية أخرى ،نتناول أحداثاً ليست على ما تعودنا عليه ، ونحن ننظر إليها كأحداث بين أطراف هناك وكأنها لا تعنينا، صراع بين أطراف هناك ، وكأننا لسنا طرفاً في هذا الصراع أو كأننا لسنا المستهدفين نحن المسلمين في هذا الصراع. نتحدث بروحية من يفهم أنه طرف في هذا الصراع ومستهدف فيه شاء أم أبى ، بروحية من يفهم بأنه وإن تنصّل عن المسئولية هنا فلا يستطيع أن يتنصّل عنها يوم يقف بين يدي الله.

نتحدث أيضاً لنكتشف الكثير من الحقائق داخل أنفسنا ،وفي الواقع ، وعلى صعيد الواقع الذي نعيشه وتعيشه الأمة الإسلامية كلها ، نتحدث بروح عملية ،بروح مسئولة، نخرج برؤية واحدة بموقف واحد، بنظرة واحدة بوعي واحد، هذا هو ما تفقده الأمة.[ص٢]

ـ كيف ننظر إلى الأحداث

عندما تأتي أنت أيها المذيع وتعرض علينا تلك الأخبار ، وعبر الأقمار الصناعية لنشاهدها ، فنشاهد أبناء الإسلام يُقَتّلون ويُذبحون، نشاهد مساكنهم تهدم ، هل تظن أننا سننظر إلى تلك الأحداث بروحية الصحفي الإخباري الذي يهمه الخبر فقط لمجرد الخبر. وتهمه نبرات صوته وهو يتحدث واهتزازات رأسه ، إن كنت لا تريد من نبرات صوتك أن توجد نبرات من الحرية نبرات في القلوب ، في الضمائر تصرخ بوجه أولئك الذين تقدم لنا أخبارهم ، إن كنت لا تريد باهتزاز رأسك أن تَهز مشاعر المسلمين هنا وهناك ،إن كنت إنما تحرص على نبرات صوتك وعلى اهتزازات رأسك لتظهر كـ فَنيٍّ إعلامي، نحن لا ننظر إلى الأحداث بروحيتك الفنية الإعلامية الإخبارية ، نحن مؤمنون ولسنا إعلاميين ولا صحفيين ولا إخباريين نحن نسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف:٢-٣) نحن ننظر إلى ما تعرضه على شاشة التلفزيون بنظرتنا البدائية ،نحن لا نزال عرباً لم نَتَمَدّن بعد، ببساطة تفكيرنا كعرب مسلمين لا تزال في نفوسنا بقية من إبَاءٍ ،بقية من إيمان ، فنحن لسنا ممن ينظر إلى تلك الأحداث كنظرتك أنت.

لنقول لهم: إذا كنتم لا تريدون من خلال ما تعرضون أن تحدثوا في أنفسنا أن نصرخ في وجه أولئك الذين يصنعون بأبناء الإسلام ما تعرضونه أنتم علينا في وسائل إعلامكم فإنكم إنما تخدمون اليهود والنصارى وتخدمون أمريكا وإسرائيل بما تعرضون فعلاً؛ لأنكم إنما تريدون حينئذٍ بما تعرضون أن تعززوا في نفوس أبناء الإسلام

في نفوس المسلمين الهزيمة والإحباط والشعور باليأس والشعور بالضّعَة ، أو فاسكتوا فلا تعرضوا شيئاً ، ولكن لو سكتم فلم تعرضوا شيئاً ستكون إدانة أكبر وأكبر، ستكونون بسكوتكم تسكتون عن جرائم، تسكتون عن جرائم لليهود والنصارى في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ضحيتها هم أبناء الإسلام، هم إخوانكم من المسلمين.

هذه الحقيقة : التي يجب أن نعرفها وأن نقولها لأولئك، وأن نرفض الحقيقة التي يريدون أن يرسخوها في أنفسنا هم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حقيقة الهزيمة ، (الهزيمة النفسية)، لا نسمح لأنفسنا ، لا نسمح لأنفسنا أن نشاهد دائماً تلك الأحداث وتلك المؤامرات الرهيبة جداً جداً ، ثم لا نسمح لأنفسنا أن يكون لها موقف ، سنكون من يشارك في دعم اليهود والنصارى عندما نرسخ الهزيمة في أنفسنا ، عندما نَجْبُن عن أي كلمة أمامهم. [ص٤]

ـ الشعار من أهم الوسائل التي ترسيخ حالة السخط لليهود

إذاً عرفنا أن باستطاعتنا أن نعمل، وأن بأيدينا وفي متناولنا كثير من الأعمال، وهذه الصرخة [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود ـ لأنهم هم من يحركون هذا العالم من يفسدون في هذا العالم ـ / النصر للإسلام] هي ستترك أثرها ، ستترك أثراً كبيراً في نفوس الناس، إنشاء الله.

ما هو هذا الأثر؟. السخط ، السخط الذي يتفاداه اليهود بكل ما يمكن ،السخط الذي يعمل اليهود على أن يكون الآخرون من أبناء الإسلام هم البديل الذي يقوم بالعمل عنهم في مواجهة أبناء الإسلام، يتفادون أن يوجد في أنفسنا سخط عليهم، ليتركوا هذا الزعيم وهذا الرئيس وذلك الملك وذلك المسئول وتلك الأحزاب ـ كأحزاب المعارضة في الشمال في أفغانستان ـ تتلقى هي الجفاء، وتتلقى هي السخط ،وليبقى اليهود هم أولئك الذين يدفعون مبالغ كبيرة لبناء مدارس ومراكز صحية وهكذا ليمسحوا السخط. إنهم يدفعون المليارات من أجل أن يتفادوا السخط في نفوسنا، إنهم يعرفون كم سيكون هذا السخط مكلفاً ، كم سيكون هذا السخط مخيفاً لهم. كم سيكون هذا السخط عاملاً مهماً في جمع كلمة المسلمين ضدهم. كم سيكون هذا السخط عاملاً مهماً في بناء الأمة اقتصادياً وثقافياً وعلمياً، هم ليسوا أغبياء كمثلنا يقولون ماذا نعمل؟. هم يعرفون كل شيء.

من خلالهم تستطيع أن تعرف ماذا تعمل إذا كنت لا تعرف القرآن الكريم ماذا تعمل ضدهم؟.

والقرآن الكريم هو الذي أخبرنا عنهم ،وكيف نعمل ضدهم، فحاوِل أن تعرف جيداً ما يدبره اليهود والنصارى؛ لتلمس في الأخير إلى أين يصل ،ولتعرف في الأخير ماذا يمكن أن تعمل. [ص٩]

[خطر دخول أمريكا اليمن]

ـ أسلوب التذكير المتتابع

كان أسلوب أهل البيت (عليهم السلام) مع اليمنيين أسلوباً جيداً التذكير المتتابع والعمل المتتابع والإرشاد المتتابع على طول على طول .

ألم يدخل الوهابيون إلى اليمن واستطاعوا أن يؤثروا؟. استطاعوا أن يؤثروا حتى في أفراد من بيوت علم، استطاعوا أن يؤثروا فيهم . النصارى استطاعوا أن يؤثروا وأوجدوا نصارى في [جِبلَة].

إذاً: نقول لأنفسنا: يجب أن نكون يقظين ، يقظين تتنبه جيداً ، لا نخدع .

في البداية قد تنكر الدولة أن هناك وجوداً للأمريكيين ، ثم بعد فترة يضعون مبرراً لوجود الأمريكيين ، ثم يتحرك الأمريكيون والمبررات المصطنعة دائماً أمامهم لخداعنا ، كما عملوا في أفغانستان كان المبررات دائماً أمامهم، ونحن بطبيعتنا نحن اليمنيين نشتغل بالمجان إعلامياً في نشر تلك المبررات الواهية والركون إليها . فتنتقل التبرير بالمجان وتعممه على أوساط الناس ، وكل واحد ينقل الخبر إلى الآخر إلى أن يترك أثره . [ص٢]

توعية الناس بخطر دخول الأمريكيين إلى اليمن وما هو الموقف الصحيح من ذلك

المفروض أن الناس يكون لهم موقف واحد ، هو أن يغضبوا لماذا دخل الأمريكيون اليمن ، وإلى هنا انتهى الموضوع، تحليلات تبريرات كلها لا داعي لها تخوفات وقلق ، قد يدفعنا إلى الصمت ، كلها يجب أن نبتعد عنها . الموقف الصحيح والذي يحل حتى كل التساؤلات الأخرى التي تقلقك هو أنه: لماذا دخل الأمريكيون اليمن ؟. ويجب على اليمنيين أن لا يرضوا بهذا وأن يغضبوا ، وأن يخرجوهم ، تحت أي مبرر كان دخولهم. أليس في هذا ما يكفي ؟.

فليكن كلامنا مع بعضنا البعض أنه لماذا دخلوا بلادنا ؟. ومن الذي سمح لهم أن يدخلوا بلادنا ؟. هل دخلوا كتجار؟. هناك شركات تعمل أمريكية وهي التي تستولي على نسبة كبيرة من بترول اليمن ، لكن أن يدخل جنود أمريكيون ويحتلوا مواقع ، يصيح الناس جميعاً: أين هي الدولة؟. من الذي سمح لهم؟. أين هو الجيش الذي ينهك اقتصاد هذا الشعب بنفقاته الباهظة .

ثم الناس لا يسمحوا أبداً لأنفسهم أن يقولوا: هذه القضية تخص الدولة ، أو تعني الدولة. الدولة نفسها ليس لها مبرر أن تسمح ، ولا الدستور نفسه يسمح لمسئول أن يسمح بدخول الأمريكيين إلى اليمن حتى لو افترضنا أن هناك ـ كما يقولون ـ إرهابيين في اليمن ، هناك قضاء في اليمن وهناك دولة في اليمن واليمنيون يستطيعون هم إذا ما كان هناك اعتداء من شخص ـ اعتداء بمعنى الكلمة ـ ضد أمريكيين أو ضد مصالح أمريكية مشروعة فالقضاء اليمني هو صاحب الكلمة في هذا ، لا حاجة لدخول الأمريكيين إطلاقاً .

وإذا ما دخلوا.. لاحظوا كيف كان دخولهم إلى أفغانستان ، دخلوا إلى أفغانستان وأوهموا الأفغانيين أنهم يريدون أن يضعوا أو أن يصنعوا حكومة حديثة وعصرية وتستقر في ظلها أوضاع البلاد ، وبالتأكيد لن يدعوا البلاد تستقر ، بدأ الخلاف ، بدأ الحرب بين الفصائل ، وسمعنا أن تلك الحكومة لا تستطيع أن تحكم أكثر من داخل (كابول)، لا يتجاوز نفوذها إلى خارج مدينة [كابول]، وما يزال الأعداد من الجنود من أسبانيا ومن دول أخرى يتوافدون إلى أفغانستان من أجل أن يحافظوا على السلام ، وأن يحافظوا على استقرار المنطقة ـ هكذا يقولون ـ يعملون قلاقل دائماً لتبرر لهم تواجدهم بصورة مستمرة .

إذا دخلوا اليمن وكما قال الله: { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً }(النمل: من الآية٣٤).

لا تدخل الشركات الأمريكية بلداً إلا وتستنزف ثرواته ، إلا وتستذل أهله ، لا يدخل الأمريكيون بلداً إلا ويستذلون أهله . لكن بأي طريقة ؟. عن طريق الخداع لحكوماتهم ولشعوبهم ، تبريرات يصنعونها ، ونصدقها بسرعة ، ونوصلها إلى بعضنا بعض ، نوصلها بشكل من يريد أن يقبل منه الآخر ما يقول ، أي نحاول أن نقنع الآخرين بهذا المبرر ، هذا ما يحصل ، تتحرك أنت لتقنع الآخر بالتبرير ، لكن من حيث المبدأ ليس هناك أي مبرر لوجودهم ، أليس هذا هو الأصل ؟. فكل المبررات هي فرع على أصل فاسد ، إذا كان في الواقع ليس هناك أي مبرر لوجودهم فأي مبرر لأي عمل يعملونه أو يصطنعونه لوجودهم فهو فرع على أصل فاسد، نحن على يقين منه. [ص٣]

ـ لا مجال للضعف والخوف مع توجيهات الله في القرآن الكريم

ومن جانب آخر الإنسان وهو في ميدان العمل يكون مطلوب منه أن يزداد ثقة بالله والتجاء إليه ، وتوكلاً عليه ، واعتماداً عليه ، أليس هذا هو ما يوصي به الله أولياءه والمجاهدين في سبيله في القرآن الكريم؟. {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} . أنت إذا لم تكن في مواجهة عدو يشكل خطورة عليك سيكون التجاؤك إلى الله ضعيفاً أو عادياً ، لكن وأنت تُواجَه من هنا ، وتواجِه من هنا ، وأنت بإيمانك القوي بالله سبحانه وتعالى ماذا سيحصل؟. ستزداد اعتماداً على الله ، وتقوى ثقتك بالله ، وتكون أكثر شعوراً بالحاجة الماسة إلى الالتجاء إلى الله ، أوليس هذا من

زيادة الإيمان ؟. حينئذٍ ستكون ممن يؤهل نفسه لأن يكون الله معه ؛ ولهذا قال: {وقالوا حسبنا الله} أليست هذه عبارة التجاء إلى الله ؟. نحن من الله ، وفي سبيل الله ، وإلى الله ، وولينا هو الله إذاً الله سيكفينا ، {حسبنا الله} هو كافينا، {حسبنا الله ونعم الوكيل}، أليست هذه عبارة توحي بعمقٍ في الإيمان ؟ {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} (آل عمران:١٧٣ـ ١٧٤) لاحظوا ، قالوا حسبنا الله وازدادوا إيماناً . وبالتأكيد الإنسان الذي يزداد إيمانه أليس هو من يزداد ثباتاً واستقامة في مواقفه؟. لا تتصور أن زيادة إيمانك تكون نتيجتها أن يضعف موقفك ، وأن تهتز قدماك في الموقع الذي أنت فيه أبداً ، لا تضعف نفسية الإنسان ، ولا يرتجف فؤاده ، ولا تزل قدماه ، ولا يفقد الاستقامة إلا إذا ضعف إيمانه ، فأنت إذا ما ارتبكت أمام الأحداث فإنك أيضاً من يُهيئ نفسك لأن تبتعد عن الله فيبتعد الله عنك ، فأنت حينئذٍ من يساعد عدوه على نفسه؛ لأنه إذا ما ابتعد الناس عن الله فإنهم يضعفون وبالتالي فهم من يهيئون أنفسهم ليصبحوا لقمة سائغة لأعدائهم ، لكن من يزداد إيمانهم في مواجهة الأحداث هم من يؤهلون أنفسهم لأن يكون الله معهم ، ومتى كان الله معهم فإنه هو سبحانه من يجعلهم ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله .

هكذا يوجهنا القرآن الكريم ، والقرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى هو الذي وجه التوجيهات العجيبة التي لا مجال للضعف معها ، ولا مجال للخوف معها، يسد عليك منافذ الخوف ، يسد عليك منافذ الضعف.

{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} (آل عمران: من الآية١٧٣) أليست هذه الكلمة يقولها الكثير من ضعفاء النفوس ، وضعفاء الإيمان ، { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ } هو كأنه لا يعد نفسه من الناس ، وفعلاً المنافق هو غير محسوب وغير معدود من الناس ، هو ليس من الناس لا من الكافرين ولا من المؤمنين ، هو ليس بشيء ، هو أسوأ الناس ، {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} (النساء: من الآية١٤٣) ، هم من انقطعوا إلى الشيطان ، وهم من أصبحوا أولياء للشيطان أكثر من ولاء اليهود والنصارى والكافرين له .

{ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ } ضعيف الإيمان كما أسلفنا هو من يرتبك ، عندما ترتبك وأنت مؤمن ، وأنت مصدق بالقرآن ، ما الذي يدعوك إلى أن ترتبك ؟!. أو أن تقلق أو أن تخشى ؟!. هل أنك لم تجد في كتاب الله ما يشد من عزيمتك ؟ ما يرفع معنوياتك ؟ هل القرآن أهمل هذا الجانب ؟. لم يهمله وما أكثر ما تحدث عنه داخل الآيات التي تحث الناس على الجهاد، على المواجهة ، على البذل، على الاستبسال ، يؤكد أنه مع الناس مع أوليائه .

هو من بلغ الأمر فيه إلى درجة أن يفضح أمامك واقع أعدائك أكثر مما يمكن أن تصل إليه بجهازك الأمني بمخابراتك . ما هي مهمة المخابرات ؟. أليس من مهامها أن تتعرف على العدو ؟. وتتعرف نقاط الضعف فيه ؟. وتتعرف على الفرص المواتية لضربه ؟. لتعرف أنه بإمكان هذه الجهة أن تضرب تلك الجهة ؟. الله قد كشف لك الموضوع كاملاً بطريقة مؤكدة ، قد تكون تقارير المخابرات غير حقيقية ، قد يكون فيها نوع من المبالغة ، قد يكون فيها أخطاء ، وهي تعمل على أن تكشف لك ضعف جانب عدوك لتضربه ، أما الله فإنه هو الذي أكد بالشكل الذي يجعل عدوك مفضوحاً أمامك في واقعه ، مهما كان لديه من قوة مهما كان لديه من إمكانيات ، مهما كان لديه من وسائل يُرهب بها ، إذا ما كنت أنت من أعد نفسه الإعداد الجيد في إيمانك ، في ثقتك بالله ، وفي إعداد ما يمكنك أن تعده أيضاً حينها الله قال لك عن عدونا من الكافرين ، عن عدونا من اليهود والنصارى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران:١١١) .

أي جهاز مخابرات يستطيع أن يؤكد لك بأنك إذا دخلت في معركة مع هذا العدو فإنه سيوليك دبره ، أنه سيفر من أمامك ؟ هل هناك أحد في الدنيا يمتلك مخابرات تؤكد له هذا ؟. لا أمريكا نفسها ولا روسيا ولا غيرها ، كلها تقارير احتمالات كلها احتمالات ، يحتمل أننا إذا ما اتخذنا ضدهم كذا ربما تكون النتيجة كذا ، وهكذا

احتمالات ، أما الله فهو من أكد بعبارة (لن) { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ } (آل عمران:١١١) ويقول كذلك عن الكافرين { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ } (الفتح: من الآية٢٢) .
إن الله يقول للناس اهتموا جداً بإصلاح أنفسكم ،بإعداد أنفسكم ، وبتهيئة ما يمكنكم إعداده ، ولتكن ثقتكم بالله كبيرة ، وهو من سيكون معكم ، وهو من سيتولى أيضاً أن يزرع الرعب في قلوب أعدائكم ، وهو من يعمل لكم الكثير إلى درجة أن يكشف لكم واقع عدوكم ، ألم يوفر الله على أوليائه الكثير الكثير من العناء ؟. ألم يصنع الكثير الكثير مما يطمئنهم ؟. ألم يعمل الكثير الكثير مما يؤيدهم ويشد من أزرهم ؟. بلى. لكننا نحن متى ما انفردنا بأنفسنا وابتعدنا عن الله سنجد كل شيء مخيفاً ، ونجد كل شيء مقلقاً ، ونجد الآفاق مظلمة ، والأجواء قاتمة ، وتجد قلبك يمتلئ رعباً متى ما انفردت بنفسك ، لكن عد إلى الله ، وعد إلى كتابه ستجد ما يجعل كل هذه الأشياء لا وجود لها في نفسك .
فالإنسان الذي يقلق أو يرتبك أو يضعف ليعرف أنه في تلك الحالة وهو يرتبك أنه يجلس مع نفسه ، وهو كإنسان ضعيف ، لكن اجلس مع الله ستجد نفسك قوياً .
فعندما ترى نفسك ضعيفاً لا تعتقد أن تلك هي الحقيقة ، وأن ذلك الحدث هو فعلاً إلى الدرجة التي تجعلني ضعيفاً في واقعي. لا. ليست تلك حقيقة ، ذلك هو فقط نتيجة جلوسك مع نفسك وابتعادك عن الله فرأيت كل شيء مرعباً ، وكل شيء مخيفاً ، وكل شيء ترى نفسك أمامه ضعيفاً ، وقدراتك كلها تراها لا تجدي شيئاً ، وكلامك تراه كله لا ينفع بشيء فتصبح أنت من ترى عدوك ذلك العدو الذي قال عنه: { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ } (آل عمران:١١١) أنت من ستجده كتلاً من الصلب والحديد . وحينها ستجد قلبك وعلائق قلبك أوهى من بيت العنكبوت ، ويصبح صدرك خواء ، الله قال عن نوعية من هذه داخل صف المسلمين في غزوة الأحزاب ذكر حالة الهلع التي ملأت صدورهم تكاد قلوبهم أن تخرج: {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (الأحزاب: من الآية١٠).
لماذا زاغت الأبصار ؟. ولماذا بلغت قلوبهم الحناجر لو كانت حناجرهم تتسع لكادت قلوبهم أن تخرج من شدة الرعب والخوف؟ لماذا ؟. كان هناك ظنون سيئة بالله ، أولئك أناس جلسوا مع أنفسهم ، لم يكونوا من تلك النوعية التي قال عنهم: {فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} أولئك لما ابتعدوا عن الله امتلأت قلوبهم رعباً وزاغت أبصارهم ، ثم أيضاً ظنوا بالله ظنوناً سيئة ، هكذا يجني الإنسان على نفسه إذا ابتعد عن الله ، لكن عد إلى الله ، عد إلى كتابه ، تجد أولئك الذين قال الله عنهم: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} (الأحزاب:٢٢) يزداد المؤمنون إيماناً أمام أي موقف ، سواء موقف تشاهده ، تحرك لعدوك أو تسمع عنه ، أو يقوله المرجفون لك .[ص٩]

ـ استفد من المواقف ما يعزز رسوخ التربية القرآنية في نفسك

الإنسان إذا لم يربِ نفسه على ضوء ما يسمع مما هو من هدي الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يستفد أيضاً من المواقف ما يعزز رسوخ تلك التربية في نفسه فهو من سيأتي الحدث الواحد فيَنسف كل ما قد جمعه في داخله ، بل هو من سينقلب على كل ما كان قد تجمع في نفسه ، أولئك الذين ارتعدت فرائصهم في يوم الأحزاب ألم يقل الله عنهم {وتظنون بالله الظنونا} ؟ ماذا يعني؟. أليس هذا انقلاباً على كل ما سمعوه من وعود من جانب الله؟. أليس هذا انقلاباً على كل ما سمعوه من كتاب الله ومن فَم رسوله صلوات الله عليه وعلى آله من توعية وبصيرة وشد عزيمة وتربية إيمانية قوية ، ألم ينقلبوا عليها في لحظة ؟، وماذا يحل محلها ؟. الظنون السيئة بالله .
هكذا تأتي الآثار السيئة لضعف الإنسان في مواقفه ، هو من ينقلب على كل المعاني العظيمة التي قد ترسخت في نفسه ، وهو من سينقلب على كل وعي إيماني أيضاً ترسخ في نفسه فيحل محلها الوهن والشك والارتياب

والظن السيئ بالله وبرسوله وبكتابه .

وهو من سيرى في الأخير الشيطان أكبر في عينه من الله ، وهو من سيرى في الأخير أولياء الشيطان بالشكل الذي يرعبه حتى أشكالهم ، حتى حركاتهم ، حتى صوت آلياتهم ترعبه .

بعض الناس قد يكفيه أن يسمع صوت طائرة ، صوتاً مزعجاً فتنسف كل ما لديه من قيم إيمانية ، هكذا يصبح كل شيء حتى الشكليات ، حتى نبرات أصواتهم تصبح ترعبك ، حتى شكلهم ،حتى حركاتهم ، حتى حركات آلياتهم ، وهو الأمر الذي كان الله سبحانه وتعالى ـ وهو من قال في كتابه الكريم هو ـ يريده منك أنت أن تصبح أنت بالشكل الذي يرعب أعداءك كل شيء من جانبك ، ألم يقل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} (الأنفال: من الآية٦٠) حتى رباط خيلك ، وشكل خيلك العربية جياد الخيل ، يراها العدو أو يسمع بها فترهبه ، لكن أنت إذا ما أصبحت في موقع عدوك أنت ، أصبحت من أولياء الشيطان فأنت من سيرعبك كل شيء من جانبهم .

أوليسوا هم أيضاً من يحاولون على أن يكون لهم أشكال متعددة تبدوا أمام الآخرين بالشكل الذي يخلق رعباً وشعوراً بالإحباط واليأس في نفوسهم هم من يعملون على هذه .[ص١١]

ـ الذين يحملون رسالة الله هم نوعية معينة

الذين يحملون رسالة الله هم نوعية معينه من قال الله عنهم: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ} (الأحزاب: من الآية٣٩). وكم عانت الأمة قديماً وحديثاً ممن حملوا اسم الدين وحملوا العلم علم الدين ولكنهم بأنفسهم الضعيفة انعكس ضعفهم كله على الدين فأضعفوا الدين في نظر الأمة ، واضعفوا الدين في واقع الحياة ، واضعفوا الأمة أيضاً بضعف نفوسهم ، وكل ذلك بسبب ماذا ؟. بسبب أن نفوسهم ضعيفة .

بل نحن نقول أحياناً أنه لا ينبغي لك أيضاً أن تجامع زوجتك في فترة يحتمل أن تحمل منك وأنت في حالة تحس بأن نفسيتك ضعيفة وهزيلة ، ستنجب مولوداً ضعيفاً هزيلاً في نفسيته وروحيته فسينشأ نسخة منك ، الضعف يترك أثره في كل شيء ، والله أراد لأوليائه أن يكونوا أقوياء ، حينئذٍ من تكون مواقفهم قوية من يكون أولادهم أقوياء ، ينجبون أقوياء ويقفون مواقف قوية ، ويقولون قول الأقوياء ، ويتحركون بقوة في كل مواقعهم ؛ لأنهم ماذا ؟. لأنهم أولياء للقوي العزيز ، وكيف يكون الضعيف ولياً للقوي ، ويبقى على ضعفه .

أوليس أي شخص منا إذا ما رأى نفسه أنه أصبح مقرباً عند شخص قوي ، مثلاً عند محافظ أو عند وزير أو عند رئيس أنه يرى نفسه قوياً؛ لأنه يرى نفسه ماذا ؟ أنه أصبح ولياً مقرباً من رجل قوي .

الضعيف لا يصدق عليه بأنة من أولياء الله لأن هذا هو شاهد من واقع الحياة ، شاهد من واقع الحياة ، لو كنت ولياً لله فإنك لا تضعف أبداً لأنك ولي للقوي العزيز ، ولهذا قال في هذه الآية: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: من الآية٤٠) وأنتم تسمون أنفسكم أولياء للقوي العزيز ، وأنتم تستمدون قوتكم من القوي العزيز . فعندما تضعف فإنك فعلاً بعيد عن الله سبحانه وتعالى . لاحظ نفسك وجرب نفسك أنك أنت من ضعفت وأنت تدعي أنك من أولياء الله . لو جاء رئيس الجمهورية ، لو جاء رئيس الوزراء ، لو جاء حتى قائد أو محافظ محافظة يقول لك: نحن معك ، و تحرك ولا تخف شيئاً نحن سنقف معك بكل ما نملك ، ألست سترى نفسك حينئذٍ قوياً وتنطلق بقوة وتتحدى الآخرين ؛ لأنك هنا وثقت بشخص تراه قوياً ، لو كانت ثقتك بالله على هذا النحو لكنت قوياً ، وعندما تكون قوياً ستكون مواقفك قوية ، سيكون قولك قوياً ، ستكون رؤيتك قوية، سيكون تحركك كله مصبوغاً بالقوة ، بل ستنجب أولاداً أقوياء ؛ لأنك تحمل روحيةً قوية ، تحمل نفساً قوية .

أما الضعيف فإنه من يصبغ الحياة كلها بضعفه ، ويصبح كل شيء تلمس فيه آثار ضعفه: منطقة ضعيف، مواقفه ضعيفة ، اسهاماته ضعيفة ، مشاركاته ضعيفة ، وكلما يخرج منه ضعيف .

وحينما نُخدع وتُخدع الدولة ويُخدع الكبار كما خُدِع الآخرون سنرى أنفسنا في وضع محرج ، سنرى أنفسنا في

وضع محرج وحينئذٍ نرى أنفسنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً ، وإذا ما أردنا أن نعمل شيئاً نكون قد كشفنا واقعنا للآخرين ضعافاً ، ويكونون هم من رأوا أنفسهم بأنهم قد غزونا إلى عقر دورنا (وما غُزي قوم في عُقر ديارهم إلا ذلوا). ما الذي يمكن أن يصنع الناس حينئذٍ ؟. لا شيء. ثم من الذي يمكن أن يقف معك حينئذٍ ؟. لا أحد .[ص١٤]

[لتحذن حذو بني إسرائيل]

ـ قدم الدين كاملاً بنقائه وإن كنت تشعر بخطورة بالغة عليك

الذين باعوا الدين وهم حملة الدين، أو يكونوا في مواقفهم وإن كان من باب مراعاة المصلحة للدين، إنهم أسوء وأكثر أثرا وضررا على الأمة ؛لأنه إذا باع أهل الدين الدينَ فمن أين ستلقى الدين نظيفا ونقيا ؟. بنو إسرائيل عندما باعوا الدين باعوه وهم حملته فكان بيع الدين هو إضلال للأمة، لأنهم من ينظر إليهم الناس في مختلف مراحل التاريخ أنهم الجهة التي يتلقون منها إرشادهم وتعليمهم، ويتلقون منها الكتب التي أورثهم الله إياها.

نحن كذلك إذا ما انطلقنا وقلنا: لدينا مشاريع دينية، ثقافية دينية ،ولكن لا بأس ندخل مع هذا الحزب أو مع هذا، ونحاول أن نحصل على مساعدات من هنا أو من هنا، ونقول : [مسألة سهلة أن نسكت عن هذه، ونسكت عن هذا المبدأ، ونلغي هذا المبدأ، ونقف في هذا الموقف] ؛ إنه من بيع الدين، إنه من بيع الدين في العصر الذي الأمة أحوج ما تكون إليه كاملا ونقيا.

أولسنا نرى الدين الآن على رقعة واسعة من الدنيا هذه؟. أليست البلاد العربية كلها تحمل اسم بلاد إسلامية ؟. أليست هناك شعوب أخرى تمتد إلى أوساط آسيا، وإلى أوربا، وإلى بلدان أفريقيا، أليست رقعة البلاد الإسلامية واسعة؟. أليست إذاً مساحة الدين منتشرة بشكل واسع؟. لكن ما بال هذا الدين لم يعمل شيئا لهذه الأمة؟. ما باله؟. لأنه قدم ناقصاً.

حينئذ سيكون عملك وأنت مرشد، وأنت تملك مشروعا ثقافيا دينيا لن يعمل شيئا للأمة، ولست تختلف عن الكثير من أمثالك، وعن من يملكون أكثر مما تملك من مشاريع دينية على طول وعرض هذه الرقعة الإسلامية الكبيرة ، ممن لم يقدموا للأمة الحلول التي تضمنها ديننا، الحلول التي تضمنها كتابنا القرآن الكريم، الحلول التي وجهنا إليها نبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) .

ثم يقول: [حفاظاً على المذهب، حفاظاً على الدين، مراعاة للمصلحة العامة.] وكأن الدين أمامه هو أن يرى أن مدرسة كهذه أصبح في قاعتها ألف طالب.. هذا هو الدين، إن هناك ألف مليون هناك ألف مليون مسلم.. أليس كذلك؟. فأنت تقول: ألف طالب أصبح لدينا (١٥) ألف طالب، لدينا (٢٠) ألف طالب، لدينا كم معاهد، لدينا كم مراكز. عبارات من هذه، انظر إذا كنت ممن لا يعمل على أن يقدم الدين كاملا بنقائه وإن كنت تشعر بخطورة بالغة عليك فإن تلك الأرقام لا تشكل أي شيء بإضافتها إلى هذه الأمة ،التي هي أوسع مما لديك ،والكثيرون داخلها يمتلكون أكثر مما تمتلك.

إن بيع الدين ـ سواء من قِبَل من يحملون اسمه ومن يتحركون باسمه أو من قبل بقية الناس ـ مقابل مصالح مادية لا يبررها إطلاقا، لا تجد مبررا لها إطلاقا ،لا أن تقول: حفاظا على المصلحة العامة، ولا أن تقول: حفاظا على المذهب، ماذا يكون إذا سكتنا عن هذه مقابل أن يبقوا لنا [حي على خير العمل]، ويبقوا لنا أشياء من هذه الأخرى؟. فهذا هو المذهب نحافظ عليه.

هذا ليس مبررا، أنت تريد أن تحافظ على الدين، أنت تريد أن تعمل للدين؟ إن الدين للأمة، فانظر ما الأمة بحاجة إليه، انظر وضعيتها، وحلل وضعيتها، وانظر ما هو الذي ضاع من الدين في أوساطها فانطلق لتحييه إنه الدين، والحفاظ على الدين، والحفاظ على المصلحة العامة للأمة.. أنت تريد أن تحافظ على المصلحة العامة

للأمة ،أو لبلد ،أو لشعب فحافظ على الدين بأكمله أن يُقدم لتلك الأمة، أوليس الدين لمصلحة الأمة ؟. إن الدين لمصلحة الأمة فمن يهمه مصلحتها فليقدم الدين لها كاملا ،وليوجهها بتوجيه الدين كاملا .

أما إذا قدمت الدين ناقصا فأنت ممن تضرب الأمة وإن قلت من أجل مصلحة الأمة، وأنت من تضرب الدين وإن قلت حفاظا على المذهب وعلى الدين. الله لم يفرط ، هو الذي تكفل بالمصلحة العامة لعباده متى ؟. متى ما ساروا على دينه على نحو كامل وصحيح، أما إذا آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ألم تضرب المصلحة العامة في الدنيا والآخرة؟. {لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة: من الآية٣٣) **ألم يقل هكذا؟. هل الخزي في الدنيا هو حفاظ على المصلحة العامة ؟!، هل العذاب العظيم في الآخرة هو حفاظ على المصلحة العامة ؟!. ، من أين جاء الخزي في الدنيا ؟. ومن أين جاء العذاب العظيم في الآخرة ؟. إنه من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض.**

فأنت يا من تعلم، يا من ترشد، يا من لديك مشاريع معاهد علمية، أو مراكز، أن تكون حركتك على هذا النحو هي في واقعها: إيمان ببعض وكفر ببعض، فإنك من تعمل على أن توقع الأمة في الخزي في الدنيا، وأن تسير بالأمة إلى العذاب العظيم في الآخرة. [ص٥]

ـ من خلال القرآن الكريم نعرف مصالحنا

نحن نقول: إن القرآن الكريم هو الذي علمنا مصالحنا، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لنا أن من يسارع إلى اليهود والنصارى لا يمكن أن يبرر مسارعته بأنه من منطلق الحفاظ على المصلحة العامة ، وأنه فيما لو قال ذلك وكان في واقع نفسه معتقدا لذلك فإنه مخطئ، فإنه مخطئ، لأنها ليست مصلحة، أنت تريد أن تحافظ على مصلحة شعبك دع شعبك يصرخ كله، وأن يخرج في مسيرات كبيرة. إذا ما قال الأمريكيون: أن هناك إرهابيين في اليمن، وهم من سيكفون أيديهم، وسينسلون، ويكممون أفواههم عن التهم والمؤامرات، حينئذ ستحافظ على مصلحة شعبك.[ص٩]

ـ نبي الله يوسف(صلوات الله عليه) مثل للعفة والنزاهة

نجد أن نبياً من أنبياء الله العظماء وهو من بني إسرائيل جعله الله مثلاً للعفة مثلاً للنزاهة على الرغم من جماله البارع، على الرغم من شبابه المكتمل، وعلى الرغم من الأجواء المهيأة الكاملة لفساد أخلاقي، لفاحشة يرتكبها فإذا به يصبح مثلا للعفة نبي الله يوسف (عليه السلام)، سورة يوسف، قصة يوسف في القرآن الكريم هي مثل للعفة، مثل للطهارة، نبي الله يوسف (عليه السلام) هو مثل لكل شاب مهما رأى نفسه في المرآة جميلا، الكثير من الشباب متى ما تصفح وجهه في المرآة فرأى شعره جميلا، وشكله مقبولا انطلق هنا وهناك، وراء البنات ،انطلق وهو بكل غرائزه مستعد لأن يسقط في مستنقع الرذيلة.

إن نبي الله يوسف (عليه السلام) الذي قد يكون أجمل إنسان خلقه الله ،وكان في وقت مكتمل الشباب ،هو من قال عندما اجتمعت [المصريات] عليه بعد أن بهرهن جماله، وقطعن أيديهن، وهددنه بالسجن إن لم يقبل ما يردن منه قال: { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف:٣٣) **هذا هو الشاب التقي الطاهر.**

أليس من بني إسرائيل ؟. نقول لشبابنا، نقول لشاباتنا، نقول لأبنائنا وبناتنا في كل مكان: أنتم وراء من تسيرون؟ وبمن تقتدون؟. كلنا سرنا وراء بني إسرائيل .. لكن وراء من؟. إنكم تسيرون وراء أولئك الذين يبيعون بناتهم، ويبيعون أعراضهم من بني إسرائيل.. لماذا لا تسيرون بسيرة يوسف نبي الله (عليه السلام)؟.

لماذا لا تسيرون هذه السيرة لتحصلوا على ما وعد الله به نبيه يوسف (عليه السلام) عندما قال: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (يوسف:٢٢)؟. كونوا محسنين بعفتكم، كونوا محسنين بطهارتكم وستحصلون على الحكمة، وستحصلون على العلم ، العلم الذي تزكو به نفوسكم ، والعلم الذي تبنون به أمتكم ، العلم الذي تبنون به اقتصادكم وحياتكم.[ص١٧]

ـ نحن حملنا النفسية اليهودية بين أكتافنا

من هو ذاك منا الذي يغضب والعجول تعبد؟!. عجول من البشر! عجول من اليهود والنصارى تعبد من دون الله! عجول من الطاغوت يسير الناس وراءها فيعبدونها من دون الله!. من هم أولئك الذين يغضبون لهذا؟. هل أحد يغضب ؟. اللهم لا ندري من هو الذي يغضب.

ما الذي أوصلنا إلى هذه الحالة؟. هي أننا حملنا النفسية اليهودية بين أكتافنا، تلك النفسية التي لا قيمة للدين عندها، والذي لا قيمة للدين عنده لن يغضب إذا ما رأى الأمة تعبد عجلا سواء عجلا من الفضة، أو عجلا من البشر، لا يغضب.. ألسنا نرى أن الشيء الذي هو غائب عن أوساط المسلمين هو الغضب لله؟. بل يصبح الاستسلام هو الحكمة أن تهدأ، أن تسكت، أن تمسك أعصابك لا تغضب هذه هي الحكمة، ودع الأمة كلها تعبد تلك العجول، تعبد ذلك العجل الكبير في البيت الأبيض.. أليس هذا هو منطق الحكمة داخل البلاد العربية؟.

أما من ينفعل، أما من يغضب، فإنه أحمق، وإنه لا يقدر مصلحة الأمة، وإنه لا يبالي بوضعية الأمة، وهكذا تصبح النفسية اليهودية هي الحكمة، وهي الرزانة، وهي الحفاظ على المصلحة العامة، على الرغم من آلاف المسلمين يعبدون العشرات من العجول من البشر، ممن يصدون عن دين الله، ممن يسعون في الأرض فسادا.

ذلك الغضب الذي استثار في نفسية موسى (عليه السلام) حتى كادت الألواح أن تتحطم عندما ألقاها من يده وهو من يحرص عليها جداً لكنه انفعل حتى كاد أن يفقد شعوره ،وهم يعبدون عجلا من الفضة، عجلا هو في نفسه لا يتحدث فيصد عن سبيل الله، العجول من البشر هي أسوء من ذلك العجل الذي عبده بنو إسرائيل، ولكننا لا نغضب كما غضب نبي الله موسى عليه السلام.

فهل نغضب كنبي الله موسى (عليه السلام) ؟. أم أنّ الواحد منا لا يغضب إلا إذا مُسَّت مصلحة شخصية له ،أما أن يرى الأمة تعبد عجولا لا يغضب، أما أن يرى تلك العجول كلها تصد عن دين الله فلا يغضب، أما أن يرى الدين يضيع والفساد ينتشر فلا يغضب.. أو إذا غضب كان موقفا غريبا ،ونرى جميعا أنه لا داعي لغضبه ،ونتساءل ماذا يريد هذا؟. أو ما هي الأهداف من وراء هذا؟. فأي نفسية نحن نحمل؟. وأي نفس يحملها العرب وزعماؤهم؟. هل نفس موسى (عليه السلام) ؟. أم نفس شارون وقارون؟. أم نفس اليهود الذين يسعون في الأرض فساداً؟. كلنا نعرف أنهم يحملون نفسية غير نفسية موسى (عليه السلام) ، ونحن والكثيرون منا والكثيرون جداً منا نحمل نفس النفسية التي يحملونها[ص١٩]

[الثقافة القرآنية]

ـ بيِّن للناس نعمة الهداية

القرآن الكريم ـ على الرغم مما تمنن به على عباده من نعم مادية كثيرة ـ يعُدُّ نعمة الهداية ، نعمة الدين ، نعمة الإسلام يعدها أعظم النعم على البشرية ، أعظم النعم على الناس جميعاً ، لهذا نجد كيف ذكر الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية ـ ربما قد تكون ترددت في القرآن أربع مرات ـ وهو يذكر للناس أنه قد مَنّ عليهم بنعمة عظيمة {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} (آل عمران:١٦٤) وفي هذه الآية يقول {هُوَ الَّذِي بَعَثَ

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }. (الجمعة:٢) [ص٢]

- بيّن للناس خطر الضلال

شر الضلال والآثار السيئة للضلال تعتبر بالنسبة للإنسان أشد وأفتك وأسوأ من أن تنقص عليه نعم مادية أخرى ، أسوأ من الجوع ، أسوأ من الفقر ، أسوأ من المرض ، لأن تلك مصائب وأضرار وشرور قد لا يترتب عليها آثار سيئة جداً، أما الضلال ، أما مصيبة الضلال ، أن يعيش الإنسان في ضلال ، أن يعيش الناس في ضلال فإن آثاره سيئة جداً في الدنيا وفي الآخرة ، ومن أسوأ عواقب الضلال هو الخلود في جهنم - نعوذ بالله من جهنم - يمكن أن تجوع فتسُد رمقك بأي شيء ، حتى ولو من النباتات ، ولا يؤدي بك الجوع إلى جهنم ، يمكن أن تعاني في فترة من حياتك ظروفاً صعبة ،تعاني من الفقر أو المرض لكنه لا يؤدي بك هذا إلى جهنم.

أما الضلال فأنه يؤدي بالناس إلى الخزي في الدنيا ، إلى الذلة، إلى القهر ، إلى العبودية لأولياء الشيطان ، إلى الخضوع للفساد والباطل ، وبالتالي سوء الممات ،سوء البعث ، سوء الحساب والخلود في جهنم. [ص٢]

- من خلال القرآن سنعرف كيف نقيّم الآخرين

ومما يعطينا القرآن أننا سنعرف كيف نقيّم الآخرين ، فأعرف أن هذا مواقفه قرآنية ومنسجمة مع القرآن ، أن هذا - مهما كان شكله ، مهما كانت عبادته ، مهما كان يمتلك من كتب - تبدو وضعيته غير منسجمة مع القرآن الكريم ، رؤاه غير منسجمة مع القرآن الكريم ، في الوقت الذي يحث القرآن الكريم الناس على الجهاد ،يحثهم على الوحدة على الأخوة على الإنفاق في سبيل الله ، على أن يبيعوا أنفسهم من الله على أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويأمرهم بأن يقاتلوا أعداء الله ، تجد كلامه - والمسبحة في يده - " مالنا حاجة وأحسن للناس يسكتوا ، وقد يَجْنِ الناس على أنفسهم" وكلام من هذا النوع، هذا لا يمكن أن يكون منسجماً مع القرآن الكريم.

سنصبح ضحايا لكثير ممن يحملون علم إذا لم نُمنح -نحن كطلاب علم كناس مسلمين- نُمنح مقاييس قرآنية نستطيع من خلالها أن نعرف ما هي المواقف الصحيحة ، ومن الذي تعتبر مواقفه صحيحة وحركته قرآنية ، ومن الذي هو بعيد عن القرآن الكريم ، سيصبح الإنسان ضحية ، قد تسمع مثلاً " يا رجال سيدي فلان أو سيدنا فلان ذاك عالم كبير ولا يهتم بهذه الأشياء، ولا يقول كذا ، هو يقول للناس فقط سيثيرون الآخرين على نفوسهم ، أحسن للناس يسكتوا ولا يتفوهوا بكلمة ولا .. ولا .. لسنا أحسن منه ، هل فلان أحسن منه". أليس هكذا يتصرف الناس على هذا النحو؟. لا. يجب أن نرجع إلى القرآن الكريم فنستفيد منه كيف نكون حكماء في رؤيتنا ، في تقييما لأنفسنا أولاً ، في تقييمنا للآخرين من حولنا ، وفي معرفتنا لما يذكره أعداؤنا ، وفي معرفتنا لما هو الحل في مواجهة أعدائنا. [ص٨]

- إذا افتقد الناس الثقة بالله فقد يصل الناس إلى حالة من الكفر لا يشعرون بها

لماذا أراك بعيداً عن أي تفكير في أي عمل ضد أعداء الله؟. لأنك لا تعيش حالة المعرفة بالله ، ولا تعيش حالة الثقة بالله؟. ويدلك على هذا أنه لو تأتي الدولة تقول هذه مجموعة أسلحة ومعسكرات تحت تصرفكم سنرى الناس كلهم سيصبحون أقوياء ..أليسوا سيصبحون أقوياء؟. أولياء الله يثقون بالله في أصعب الظروف ، وفي أشد الظروف ابتعاداً عما يقدمونه من حلول ، عما يقدمونه من تصور عملي في مواجهة أعداء الله. الثقة بالله هي من أهم ما ركز عليه القرآن الكريم.

وتجد أنه إذا افتقد الناس الثقة بالله قد يصل الناس إلى حالة من الكفر لا يشعرون بها ، كيف ؟. مثلاً تجد آيات صريحة عندما يقول الله: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج: من الآية٤٠) { إِنْ تَنْصُرُوا

اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد: من الآية٧) {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} (التوبة:١٤) { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ} (آل عمران:١١١) وكم لهذه الآيات من نظائر. ولكن عندما ترجع إلينا ، إلى الناس فتقول: أعداء الله يعملون كذا ، يتحركون في كذا ، ما لنا لا نفعل؟ فيقال: والله ما نستطيع ،نحن مستضعفون ، ما بأيدينا شيء ، وماذا نستطيع أن نعمل؟.

وتلك الوعود التي في داخل القرآن أين نأتي بها؟ ماذا يعني هذا؟ أنه في الأخير أنني أقرأ تلك الآيات ، وأقرأ قوله تعالى { وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } وأنا في واقعي ، ونحن في واقعنا جميعاً نحكم على الله بأنه فقط أنت تستطيع أن تنصر ،وأنت قوي وأنت عزيز ، لكن إذا كان هناك أعداء مثل قريش ،مثل أولئك الذين كانوا في مواجهة محمد ، أما أمريكا أما إسرائيل ،أما ما تمتلك من أسلحة هذه القوى والله ما تستطيع ، هذا واقع ، أي نحن في نظرتنا إلى الله على هذا النحو من يقول نحن أمام أمريكا لا نستطيع أن نعمل شيئاً بعد أن قال الله له: { وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } بهذه العبارات { قَوِيٌّ عَزِيزٌ} .

معنى هذا في الأخير أنه والله صح أنت قوي ، أنت عزيز لكن أما أمام أمريكا فلا، أنت غالب على أمرك ،قاهر فوق عبادك لكن أما هؤلاء فلا، هكذا الواقع ، نظرة الناس هي هكذا في الواقع ، أليس هذا من الكفر الفظيع؟ كفر فضيع في داخلنا ونحن لا نشعر.

إن سببه ماذا ؟ ضعف الثقة بالله ، ضعف الثقة بالله تجعلك ترى أن الله لا يستطيع أن يعمل شيئاً أمام أولئك وهم من هم؟ هم أولياء الشيطان الذي قال الله عنه: { فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } (النساء: من الآية٧٦) وكلما زاد خبثهم وازداد فسادهم ، أليس يعني ذلك أنهم ازداد ولاؤهم للشيطان وكلما ازداد ولاؤهم له ازدادوا ضعفاً ؟. كلما عظمت ولايتهم للشيطان كلما ارتبطوا بضعيف مذموم مدحور طرده الله ، وطبعه بهذا الطابع مذموماً مدحوراً ملعوناً ضعيفاً ذليلاً { فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } .

قد تسأل أحداً فيقول لك: نحن من أولياء الله ، ونحن مؤمنون ، لكن لماذا نراك تنظر إلى أولياء الشيطان نظرة المنبهر بهم؟. المكترث بما هم عليه؟. يراهم كباراً ، يراهم سداً أمام الله ، وليس فقط أمام نفسه ، بل أمام الله، وأنت تسمي نفسك بأنك من أبناء القرآن ، وأنك من أبناء الإسلام ، وأنك من أولياء الله ، وأنك .. وأنك .. هذه حالة خطيرة إذا لم نتعرف على الله من خلال القرآن فإن أي وسائل أخرى للمعرفة لا تصل بنا إلى هذه الدرجة التي سيوصلنا إليها القرآن الكريم ، وبالتالي يمكن أن تسبِّح وأن تصلي لله ، وأنت تقول (الله أكبر) وأنت تراه في واقعك أنه أعجز عن أن يعمل شيئاً أمام أولئك ، هو لا يستطيع أن ينصر من ينصره وإن قال أنه قوي عزيز ، لو كنا نفهم القرآن الكريم ،وكل من يحمل القرآن الكريم يعرف الله من خلاله لما وجدنا أي شيء أبداً أمامنا كبيراً ـ مهما بدا كبيراً ـ ؛لأن الله في القرآن يقول لنا بأنه هو يدبر الأمر ،وهو ملك السماوات والأرض ، هو الذي ترجع إليه الأمور ، بأنه هو الذي يستطيع أن يهيأ هو الذي يفتح المجالات ويهيأ الفرص ، هو الذي يعمل الأشياء الكثيرة التي قد لا تتهيأ إطلاقاً ، هو الذي يقوم بالدفاع عن أوليائه حتى يستطيعوا أن يصلوا درجة معينة ، أشياء كثيرة لا نستطيع أن نستوعبها. أهم شيء في الموضوع هو أن تكون ثقة الناس بالله قوية.

إذا فعندما تنطلق وأنت طالب علم ، أو أنطلق أنا وأنا معلم أريد أن أعلم الناس ما أوجب الله عليهم حتى يعرف كل واحد ماله وما عليه ، وأنت لا تتعرض لنقاط كهذه فأنت ستنسف كل ماله وكل ما عليه ، ولن يصل إلى معرفة ماله وما عليه ، إلا جزئيات تصبح لا تنفعه في الدنيا ، ولا حتى تنفعه في الآخرة. [ص١٠]

ـ كيف يجب أن نتعامل مع القرآن

ثم عندما نتعامل مع القرآن الكريم ، نتعامل بإجلال ، باحترام ، بتعظيم ، بتقديس ، بنظرة صحيحة للقرآن أنه كتاب للحياة ، { تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ } (النحل: من الآية٨٩) كما قال الله عنه { هُدىً لِلنَّاسِ } (البقرة: من الآيـة١٨٥) ، وعندما يقول الله لك ، عندما يقول الله لنا { هُدىً لِلنَّاسِ} فهل من المعقول أن يكون فقط هدى في القضايا البسيطة في المشاكل الصغيرة ، أما المشاكل الكبيرة التي هي أخطر علينا من تلك ،وأسوأ آثاراً علينا من تلك وعلى ديننا فإنـه لا يهدي إلى حل لها ، هذا غير صحيح. فعندما يقول { هُدىً لِلنَّاسِ}هو هدى للنـاس في كـل القـضايا أمـام كـل الاحتمالات في كل الميادين ، لماذا لا ننظر إليه بأنه هدى للناس في الوقت الـذي نحـن أحـوج مـا نكـون إلى مـن يهدينا في مواجهة أعداء يمتلكون إمكانيات هائلة.

{ هُدىً لِلنَّاسِ } معناه يُعلّم الإنسان كيف يكون (طيّباً) وأشياء من هذه ، يصلى ويـصوم ولا يتـدخل في شـيء ، فنقدم القرآن وكأنه لا يمتلك أي رؤية ، ولا يعطي أي حل ،ولا يهدي لأي سبيل فيما يتعلـق بالمـشاكل الكـبيرة ، فيما يتعلق بالمخاطر العظيمة ، هو { هُدىً لِلنَّاسِ } في كل مجال ،في كل شأن ، فتكـون نظرتنـا للقـرآن الكـريم نظرة صحيحة ، هذا هو كتاب حي ، كتاب يتحرك بحركة الحياة ، بل يستطيع فعـلاً ـ لأنـه أوسـع مـن الحيـاة ـ يستطيع ـ إذا ما أُعْطِيت فهمه ، إذا ما كنت تعيش معه ، وفق نظرة صحيحة ـ أن يُقيّم لك الأحداث فتكون أدق مـن أي محلل سياسي آخر ، أدق من أي صحفي آخر ، أدق من أي مهندس لسياسة أمريكا وغيرها في تقديرك للأحداث.

ولأنه يمنح الإنسان ثوابت ، تعتبر مقاييس ثابتة ، يربيه على أن تكون لديه رؤية تمنحه المبادرة في المواقـف ، هو لا يجعلك بالشكل الذي تنتظر ماذا سيعمل بك العدو لتفكر بعد ماذا تصنع ، هو من يربيك على أن تعـرف كيف تضرب العدو ومن البداية ، وهو من قد قدم لك من البداية الشرح الطويل والإيجاز لتعرف كيف عـدوك ، وكيف واقعه ، كآية { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} أليس هذا تقريـراً إلهياً عن الأعداء؟. لا يستطيع أي شخص مهما كان أن يعطي تقريراً عن عدوه بأنه سيكون هكـذا ، لا تـستطيع أمريكا أن تعطي تقريراً عن العراق الآن بأنها إذا ما توجهت لضرب العراق فإنـه لا يـضرها إلا أذى وإن يقاتلـها سيوليها الأدبار ثم لا يُنصر . لا تستطيع أمريكا بمخابراتها بأقمارها بأجهزتها الدقيقة ، لا تـستطيع إطلاقـاً. لكن الله لأنه عالم الغيب والشهادة هو من استطاع أن يكشف لأوليائه كيف ستكون نفسية أعدائه.

[ص١٢]

أهمية أن تكون ثقافتنا ثقافة القرآن

ـ إذاً فنحن عندما نتعلم يجب أن يكون همنا هو ماذا ؟ أن نتعلم القرآن الكريم ، ثقافتنا تكون ثقافة قرآنيـة ، عنوان حركتنا ونحن نتعلم ونُعلّم ونحن نرشد ونحن في أي مجال من مجالات الثقافة أن ندور حول ثقافة القـرآن الكريم.

وعندما نقول نحن نريد لهؤلاء الطلاب أن يتعلموا القرآن الكريم ربما قد شُوّهت صورة القرآن فـيفهم الطالـب أن معناه أن يكون لـه (مَعْشَر يُسَمّعه ومعشر ثاني يوم يسمعه حتى يكمل المصحف ويرجع من جديد) أي أن يقـرأ القرآن ثم يعيده بالشكل المعروف سابقاً. القرآن علوم واسعة ، القرآن معارف عظيمة، القرآن أوسع من الحيـاة ، أوسع مما يمكن أن يستوعبه ذهنك ، مما يمكن أن تستوعبه أنت كإنسان في مداركك ، القرآن واسع جداً ،وعظيم جداً ، هو (بحر) كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((بحر لا يُدرَك قعره)).

نحن إذا ما انطلقنا من الأساس وعنوان ثقافتنا أن نتثقف بالقرآن الكـريم سـنجد القـرآن الكـريم هـو هكـذا ، عندما نتعلمه ونتبعه يزكينا يسمو بنا ، يمنحنا الله به الحكمة ، يمنحنا القوة ، يمنحنا كل القيم ، كـل القـيم التي لما ضاعت ضاعت الأمة بضياعها ، كما هو حاصل الآن في وضع المسلمين ، وفي وضـع العـرب بالـذات. وشـرف

عظيم جداً لنا ،ونتمنى أن نكون بمستوى أن نثقف الآخرين بالقرآن الكريم ، وأن نتثقف بثقافة القرآن الكريم { ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } يؤتيه من يشاء فلنحاول أن نكون ممن يشاء الله أن يؤتوا هذا الفضل العظيم.
لا تتصوروا إطلاقاً أن العلم هو في أن ننتهي من رصات من الكتب ، ربما رصات من الكتب توجد في نفسك جهلاً وضلالاً، إنها لا تنفع. استعرض الآن المكاتب في الشوارع في المدن نجد رصات من الكتب، رصّات من الكتب في الحديث في التفسير في الفقه في فنون أخرى لكن كم تجد داخلها من ضلال ،كم تجد أنها تنسف الإنسان حتى أنه لا يبقى على فطرته. [ص٤]

ـ يجب أن تعلّم الناس القرآن وكأنك تعد جنداً لله

نحن قلنا: يجب على الإنسان الذي يُعلّم القرآن أن يعلم القرآن كما لو كان في مواجهة مع العدو وفي الجبهة الأولى في مواجهة العدو ، تعطيه حيوية ، عندما يتحدث عن الجهاد ، عندما يتحدث عن وعوده للمؤمنين ، عندما يتحدث عن أعدائه ، عندما يتحدث عن الأشياء التي يجب أن تكون الأمة عليها في تأهيل نفسها لتصل إلى مستوى أن تكون من أنصار الله ، ومن أنصار دينه ،

ـ لا تدخل إلى القرآن بنفسيتك المهزومة

يجب أن تتحدث وإن كنت أنت في واقعك ترى بأن الوضع لا يصح منه شيء ، والناس لن ينفعوا بشيء ، والدنيا كلها قد انتهت ، ولا يوجد بأيدي الناس شيء ، لا تعكس هذه على آيات القرآن أبداً ،لا يجوز ؛ لأن القرآن يجب أن يكون أرقى من أن نعطفه على أنفسنا ،أو نرده هو فنجعل ما لدينا من مشاعر من ضعف هو المقياس الذي على أساسه نقدمه للآخرين ، هو الشيء الذي نصبغ القرآن به عندما نقدمه للآخرين ، هذا سيقتل القرآن ، هذا سيميت القرآن.
كيف تعمل؟. قدمه على أصله ؛ لأن القرآن لو أُخضِع لمشاعرنا ،لتقديرات الضعف التي تسيطر علينا ، على هذا وعلى ذاك ، فبالتالي سيقدم القرآن ميتاً جيلاً بعد جيل ، هذا بالنسبة للمُعلّم.

ـ لا بد أن يكون تعلمك للقرآن بالشكل الذي يجعل القرآن حياً في نفسك وفي واقع الحياة

بالنسبة لطالب العلم كذلك عندما نقرأ القرآن ، عندما نتدبر آيات القرآن ، عندما تُذّكر بآيات القرآن يجب أن تتعامل مع القرآن بجدية ، أنك تريد أن تكون فعلاً كما ذكر الله عن أوليائه في القرآن ، وأن تكون ممن يصل على أساس تعرف مالك وما عليك ، أن تصل إلى من قال عنهم { كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ } ، أن تكون من ضمن هؤلاء ، أن تكون ممن قال عنهم {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ } (آل عمران: من الآية١٠٤) **وهكذا في بقية الأشياء ، أن تكون مع الآخرين من المؤمنين تواليهم صفاً واحداً ،وحدة حقيقية عندما تسمع الله يقول عن المؤمنين {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ }** (التوبة: من الآية٧١). **إذا تعاملت مع القرآن وأنت طالب علم على هذا النحو تنظر إليه ككتاب من الله ، أنه كلام الله فستهتدي بالقرآن وسيزكي نفسك ،وستصل إلى فهم كثير من آياته.(ص١٤)**

ـ كيف يكون توجه الناس

هذا شرف عظيم جداً لنا ، أن يكون توجهنا قرآنياً ،ومهم جداً في هذه المرحلة بالذات لأن أعداء الله يتوجهون أساساً إلى ضرب القرآن في نفوس الناس ، إلى إقصاء الناس عن القرآن ، إلى تغييب القرآن مهما أمكن ، إلى خلق

ثقافات تشكك حتى في القرآن الكريم ، حرب شديدة ضد القرآن الكريم ، لكنهم لا يستطيعون أن يمسوا نص القرآن بسوء، سيمسونا نحن بالسوء ، سيفصلوننا عنه ، سيبعدوننا عنه ، سيشغلون أذهاننا بأشياء تصرفنا عنه، وبالتالي يصبح القرآن بمعزل عن حياتنا ، عن التفاتاتنا أمام أي إشكالية نعاني منها.

وفي الأخير فعلاً القرآن قد يتعرض إلى التغييب ، التغييب لاحظوا حتى في المدارس ، ألم يُشتت القرآن بشكل غير طبيعي ، شُتّتَ القرآن سنين بعد سنين حتى تنتهي من معرفة القرآن وحفظ القرآن الكريم ، بينما كنا سابقاً كان في سنة أو سنتين يستطيع الناس أن ينتهوا من تعلم القرآن الكريم ، قد يغيبون القرآن كما غيبوه في الاتحاد السوفيتي سابقاً ، قد يشغلوا الناس بأشياء كثيرة ، أفلام خليعة ، ثقافات خليعة ، رموز خليعين ، رموز فن ورياضة وغيرها ، وبالتالي يكون واقع الناس أسوأ بكثير كلما ابتعدوا عن القرآن ، هذا هو الواقع الذي نتصوره سيئ جداً ، ربما بقي هناك احتمالات لأشياء أكثر.

وكلما كان واقع الناس أسوأ في الدنيا سيكون أيضاً واقعهم أسوأ في الآخرة ، لأن معنى السوء هنا ناتج عن ماذا؟ ناتج عن تقصيرنا ، وكلما قصر الناس في مرحلة تضاعفت المسئوليات عليهم من جهة ، لأنه كلما انتشر الفساد كلما أقترن معه بحكم الخطاب القرآني للناس مسئوليات ، منكر واحد أنت لم تنهَ عنه. جاء منكر آخر، تفرع عنه منكرات ، ألم يتكرر عليك الواجب مع كل منكر؟ تتعاظم عليك المسئولية مع كل فساد ينتشر فيكون كلما انتشر الفساد كلما تعاظمت المسئولية علينا ، وكلما رأينا السوء في حياتنا ، وكلما رأينا أنفسنا لا نستطيع أن نؤدي شيئاً. في الأخير إما أن نرى المهام الصعبة صعبة جداً فلا يصل إليها إلا البعض ، قد لا يؤديها إلا البعض ، قد لا يرتقي إلى أدائها إلا البعض ، وتكون معظم الأمة هالكة ،يهلك الناس في الدنيا ويقدمون على الله هالكين يوم القيامة ، يهلكون بدخول جهنم ، نعوذ بالله من دخول جهنم. (ص١٩)

ـ كلما قصر الناس في مرحلة تضاعفت المسئوليات عليهم

وكلما كان واقع الناس أسوأ في الدنيا سيكون أيضاً واقعهم أسوأ في الآخرة ، لأن معنى السوء هنا ناتج عن ماذا؟ ناتج عن تقصيرنا ، وكلما قصر الناس في مرحلة تضاعفت المسئوليات عليهم من جهة ، لأنه كلما انتشر الفساد كلما أقترن معه بحكم الخطاب القرآني للناس مسئوليات ، منكر واحد أنت لم تنهَ عنه. جاء منكر آخر، تفرع عنه منكرات ، ألم يتكرر عليك الواجب مع كل منكر؟ تتعاظم عليك المسئولية مع كل فساد ينتشر فيكون كلما انتشر الفساد كلما تعاظمت المسئولية علينا ، وكلما رأينا السوء في حياتنا ، وكلما رأينا أنفسنا لا نستطيع أن نؤدي شيئاً. في الأخير إما أن نرى المهام الصعبة صعبة جداً فلا يصل إليها إلا البعض ، قد لا يؤديها إلا البعض ، قد لا يرتقي إلى أدائها إلا البعض ، وتكون معظم الأمة هالكة ،يهلك الناس في الدنيا ويقدمون على الله هالكين يوم القيامة ، يهلكون بدخول جهنم ، نعوذ بالله من دخول جهنم.

ـ القرآن الكريم هو في هذه المرحلة معرض لحرب شديدة

فالقرآن الكريم هو في هذه المرحلة معرض لحرب شديدة ، ونحن معرضون لثقافات متعددة ، عندما تنزل (ملزمة من وزارة الأوقاف) تثقف الناس حول طاعة ولي الأمر ، تجمع كل تلك الأحاديث التي لا يقبلها حتى ولا الأمريكيون ، لا يقبلها حتى ولا الأوربيون ، بوجوب طاعة الحاكم وإن كان ظالماً ، وإن كان غشوماً ، وإن كان لا يهتدي بهدي ولا يستن بسنة ، وإن أخذ أموال الناس ، وإن أستبد بخيرات البلاد له ولأسرته ، يجب أن تسمع وتطيع وتصبر وتسأل الله مالك وأدّ ما عليك ، أدّ زكاتك ، وأدّ ضريبتك ،وعندما تقول نريد كذا ؟. لا. إسأل الله، ولا تعترض ،ولا تنقد إلا إذا تمكنت أن تأخذ بيد الحاكم وتحادثه وتشاوره سراً ، أما أن تنقد أما أن تعترض ، أما أن تهاجمه. فلا ، هذا يعتبر تشهيراً بالسلطان ، بمن هو ظل الله في أرضه وهكذا.

ـ الحديث عن طاعة ولي الأمر في هذه المرحلة تمهيد لفرض ولاية أمر يهودية

ملزمة تنـزل وتعمم ، ويُراد منها أن يتثقف بها الخطباء والمرشدون ؛ ليخاطبوا المجتمع بها ، هذا شيء مما يُعد حرباً للقرآن نفسه ، وتمهيداً لأن يسيطر علينا عملاء أمريكا ، وتمهيداً لأن يحكمنا حتى اليهود أنفسهم.

من العجيب أن هذه الملزمة نفسها في آخرها لم يكتفِ بمسألة أن تسمع وتطيع للحاكم الظالم ، بل وحتى وإن كان هناك كفراً وهيمنة كفر ، أنت يمكن أن تعيش في ظله ، عندما ترى نفسك ،عندما يرى الناس أنفسهم أنهم لا يستطيعون أن يزيلوا هذا الكفر، إذاً فليعيشوا وبس ، فيكذبون على الناس كذبه رهيبة جداً ، وقد يُخدَع الناس بشكل كبير عندما لا يفهمون.

قالوا (رسول الله عاش في ظل الكفر ثلاثة عشر سنة في مكة). أليست هذه من تقديم حياة الرسول الجهادية ، حياة وهو يصدع بما يؤمر ، حياة وهو يباين أقاربه ،ويباين قومه ، حياة وهو يُعذّب أصحابُه ، وهو يلصق به أسوأ التهم ، تارة يقولون شاعر ،وتارة يقولون مفتري ،كذاب ،ساحر ، ويقولون عن القرآن الذي جاء به أساطير الأولين ، وهو يتصارع مع أولئك تفسر في الأخير أنها ماذا ؟ أنها عيش في ظل نظام الكفر ، فكما عاش ثلاثة عشر عاماً ـ وهو النبي ـ إذاً ممكن كلنا نعيش في ظل الكفر. ماذا يعني هذا ؟.

هذا يعني خطوة أولى تمهيداً لهيمنة اليهود علينا ، فيكون لدى الناس قابلية لهيمنة اليهود ؛لأنه الآن هناك نظرة قائمة إكبار لأمريكا وإسرائيل ، حينها أي واحد سيقول: نحن لا نستطيع أن نعمل شيئاً. أما إذا قد قُدّمت على هذا النحو إذاً فبالإمكان أن تعيش ولا مسئولية عليك في ظلهم ، أما إذا قالوا لك رسول الله هو كان هكذا ، إذاً فالجنة مفتحة لك أبوابها، وإن كان الشر هو الذي يحكمك.

هذا شيء سيئ جداً ، وسيئ جداً أن ينـزل من إدارة هي معنية بالوعظ والإرشاد في عموم الجمهورية كلها ، وأن تنـزل نزولاً ليس تلقائياً إلى المكتبات ، بل نـزولاً في دورات تأهيلية تدريبية لمرشدين وخطباء لينطلقوا ليثقفوا الناس هم بهذه الثقافة ، أليس هذا إبعاد للناس عن روح القرآن ؟ الذي يأمر الناس بمواجهة أعداء الله ، بمواجهة الكافرين، الظالمين، الفاسقين، أهل الكتاب، أن يكونوا عمليين مجاهدين {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩) يعطونها وهم معترفين بأن أيديكم فوق أيديهم ، يعترفون بصغارهم تحت هيمنتكم ، { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} .[ص١٩]

ـ هل عاش رسول الله في ظل الكفر

أن تقول فقد عاش رسول الله في ظل هيمنة الكفر ونظام الكفر ثلاثة عشر عاماً ، هذا مسخ للحقيقة ، وهذا إساءة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، القرآن يتحدث عن معاناة رسول الله وهو في مكة ، عما كان يعاني من صراع مع الكافرين ، وهو مباين للكافرين ، كيف يقال بأنه عاش في ظل نظام الكفر وهو يدعوهم بالحرف الواحد إلى أن يطيعوه؟!. هو رسول الله إذاً يجب عليهم أن يطيعوه ،يجب أن يتخلوا عما هم عليه ، لدرجة أنه لم يقبل منهم أن يكون مجرد حاكم عليهم على ما هم عليه. ألم يعرضوا عليه أن يحكمهم إذا أراد أن يكون ملكاً ؟. المسألة أرقى من أن يكون ملكاً ، فكيف يقول هذا بأنه عاش في ظل هيمنتهم ، وهم قد بلغ بهم الحال ، وأوصلهم هو إلى درجة أن يعرضوا عليه أن يكون ملكاً عليهم؟!. المسألة أرقى من هذه ، هي أن يطيعوه نبياً يأتمروا بأمره ، يهتدون بهديه ، يتخلوا عما هم عليه. أليس هذا قمّة الصراع.

مسألة أنه لم يدخل معهم في قتال ميداني لأنه لم يتوفر له جنود ، لم يتوفر له أنصار ، وإلا فكان يفكر وكان يعرض نفسه على القبائل من الذي سينصره ، ما معني (سينصره) ؟ أن يقف في وجه الكافرين فيضربهم فعلاً ، ثم يقال عنه في الأخير: كان يعيش في ظل هيمنة الكفر. وهي عبارة ستخدع الناس لأن كثيراً من الناس لا يعرفون سيرة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

عاش في مكة ثلاثة عشر سنة لأنه كان رسولاً إلى الكفار في مكة ، كل نبي يبعث في وسطٍ كافر ، هل يمكن أن نقول : إذاً فالكفر هو قضية يمكن العيش في ظلها لأن كل الأنبياء كانوا يبعثون في ظل وسط كافر ، وفي مجتمع

كافر؟. ماذا كان يعمل النبي ؟. ألم يكن النبي عبارة عن ثورة على هذا المجتمع ؟ عبارة عن خروج على واقع هذا المجتمع؟. يصرِّح ،يصدع بما يؤمر ،يجاهد ،يتحداهم { فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني فلا تنظرون} هذا منطق الأنبياء. ثم يقال في الأخير هذا يعتبر مبرر شرعي لأي إنسان مسلم يعيش في ظل الكفر!!.

هيمنة أمريكية الناس مقبلون عليها لليهود ، هذا من التمهيد لها سواء شعر الذين كتبوها ووزعوها أو لم يشعروا ، لأنه في الأخير ماذا؟، إذا كنت أنا وأنت أو أي إنسان سمع هذا الخطيب الذي قرأ هذه الملزمة وتأثر بها، أنه يمكن أن يعيش في ظل الكفر.

معلوم أن اليهود والنصارى درجة ثانية عند أهل السنة هم لا يصنّفونهم كمشركين كما نصنّفهم ، يعتبرون أنهم فوق الكافرين ، لا زالوا أحسن من الكفار ، ويعتبر اليهود والنصارى عند كثير من المسلمين لا يزالوا أحسن من الكفار ، أهل الكتاب وضعية أحسن ، فإذا كان قد جَوَّزَتْ وسوَّغَتْ لي تلك الملزمة أن أعيش في ظل الكفر الصريح فبالأولى في ظل اليهودي فسيحكمنا اليهودي ونحن لا نشعر بحرج، أقول: لماذا يحكمنا؟. قالوا: نحن لا نستطيع أن نعمل ضده شيئاً. هذا ما قلناه سابقاً أنه لا يجوز ولا يجوز بحال أن نتعامل مع القرآن من منطلق مشاعرنا وتقييمنا نحن للوضع بالشكل المغلوط ، فينعكس ضعفنا على القرآن ؛ لأنه هكذا صنعت هذه النفسية بالشخص الذي قدم لنا مثل تلك الملزمة ، ضعيف قدم للناس ما يبرر حالة الضعف ، فما يبرر حالة الضعف هو يعطي ماذا؟ يعطي تمهيداً للكفر ،للشرك ،للفساد ،لليهودية ،للنصرانية أن تهيمن ؛ ولهذا قلنا أنه يجب أن نتعامل مع القرآن بروحية عالية ، نتعامل معه وفق منطقه ، نتركه هو يعلمنا ويزكينا، لا أن نأتي إليه فنُميته ونُجمِّد آياته ونقدمه للآخرين ميتاً ، هكذا سيكون الإنسان الذي يحمل علماً ،في الأخير كل ضعفه كل تقديراته ، كل ثقافته المغلوطة ، في الأخير يخدم ماذا ؟ يخدم أعداء الله.

أليس من يثقف الناس بهذه الثقافة سيصنع لديهم ذهنيةً تجعلهم قابلين لهيمنة اليهود ، لأن كل واحد من الناس يقول: نحن والله ما نستطيع أن نعمل شيئاً ، ليس لدينا قنابل ذرية. فكل شخص يكتفي بأنه ينظر فيقارن بينه وبين أمريكا وإسرائيل ، أمريكا تمتلك قنابل نووية ، نحن لا نمتلك هذه ، إذاً فلنعيش في ظلهم ، وليس علينا أي حرج أمام الله.

ستكون القنبلة الذرية هي نفسها أقوى من القرآن الكريم ، تمنحك شرعية أن تعيش في ظل الكفر ولا تنفع القنابل القرآنية ، ولا تنفع الآيات القرآنية أن تشدك إلى العمل في مواجهة الكفر. [ص٢٠]

[آيات من سورة المائدة١]

ـ كيف نواجه حالة الترويض التي يستخدمها اليهود لإفسادنا

اليهود لديهم خبرة شيطانية، لديهم خبث شيطاني، ومكر شيطاني رهيب، وهم يتجهون نحو الوسوسة ونحو القلوب، ونحو النفوس، بأي وسيلة من وسائل الإفساد {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً}(المائدة: من الآية٦٤) بأي وسيلة من وسائل الإفساد: بامرأة تبدوا مكشوفة في التلفزيون، على المسرح، أو راقصة في السينما، من خلال شاشة التلفزيون، من خلال قنوات عربية، من خلال قنوات أخرى فضائية، من مختلف البلدان عن طريق [الدُّش] تدخل الذبذبات، عندما ترى امرأة مكشوفة في التلفزيون فلتعرف أنه لابد أن ينقص من زكاء نفسك شيء. {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ}(النور: من الآية٣٠) أطهر لنفوسهم.

ألم يعملوا على أن تتبرج النساء؟. لماذا؟. هم يعرفون أن تلك الصورة عندما تراها أنت تجد خللا في نفسك، ووسيلة مع وسيلة أخرى، وأسلوب بعد أسلوب، وطريقة بعد طريقة، ترى نفسك قابلة، وأنت لا زلت تحس في رأسك أن اسمك مؤمن، وأنك مؤمن واسمك مسلم، وتقول للآخرين يا يهودي يا نصراني، وتنطلق تصلي وتصوم وتزكي وتحج، ومسلم مؤمن، ولكن واحدةً بعد واحدة، ضربة بعد ضربة مما يفسد بها زكاء النفس وطهر النفس

. ثم تضليل ثقافي، يترافق أيضاً تضليل ثقافي عن طريق الصحيفة، المجلة، التلفزيون، الإذاعة الكُتّاب، الصحفيين، مرشدين، أشياء كثيرة جداً تهاجم الإنسان من كل جهة.

وكلها تتجه إلى أين؟. تتجه إلى قلبه، إلى نفسه ؛ولأن قلب الإنسان يحتاج إلى أن يحظى برعاية عالية من قبل الله سبحانه وتعالى، وأن يكون مملوء بهدى الله، مملوءً بالولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا. إذا لم يكن على هذا النحو فما أسهل أن يفسد، فما أسهل أن يتحول إلى يهودي، وإلى نصراني. إلى قلب يهودي وقلب نصراني، وهو من يرى أنه ما يزال مؤمناً.

القلب الفارغ من هدي الله ومما يرشد إليه الله سبحانه وتعالى هو من سيكون ضحية ؛لهذا جاءت الآية {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}(المائدة: من الآية٥٢) بعد {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}(المائدة: من الآية٥١) .

هم لا يتولونكم بل إنما يتولى بعضهم بعض، فما لكم ولموالاتهم!. ما الذي يدفعكم إلى موالاتهم؟!. ما الذي يجذبكم إلى موالاتهم؟!. هل هناك من جانبهم شعور بعاطفة؟ بميل؟ بمودة نحوكم؟. حتى تبادلوهم نفس الشعور؟. لا. قال الله في آية أخرى {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}(آل عمران: من الآية١١٩) .

فهؤلاء إنما يتولى بعضهم بعضاً، فهم لا يتولونكم، ولا يمكن أن يبادلوكم هذه المشاعر الحسنة التي تنطلق منكم نحوهم، فما لكم ولتوليهم؟!.

كم يعمل القرآن الكريم على أن يبغِّضهم إلينا، وأن يبين بأنه ليس هناك أبداً، أبداً ما يمكن أن يشدكم نحوهم ..فلماذا؟.

الله يدفعنا عنهم ونحن نريد أن نلحق وراءهم دون أن يكون هناك أي وسيلة جذب من جانبهم نحونا فننجذب لها إليهم، لا يوجد شيء، لا تعامل حسن، لا مودة، لا احترام متبادل، لا صدق، لا وفاء، لا أمانة، ولا شيء . هم فقط كتل من الحقد، كتل من العداوة، {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}(آل عمران: من الآية١١٩) .

بالمناسبة كان في [شبام] يهود -شبام مدينة خارج صنعاء- ذكر لنا واحد قصة: بأنه كان له صديق يهودي، وكانا يبيعان ويشتريان سوياً ويسافران جميعاً، وكان معروف مَثَل [أنه متى ما مشى مسلم وبعده يهودي أن اليهودي من شدة غيظه يَهُمّ بقتل المسلم لو كان يجرؤ]. هم أصدقاء ويمشيان جميعاً، وكان المسلم يمشي قبله والتفت إليه وهو يعض على يده، فسأله بالله: هل هو صدق أنه متى ما كان اليهودي يمشي خلف مسلم فأنه يعض على أنامله؟.

فقال: والله ما نمشي بعدكم إلا ويَهُمّ الواحد منا بقتل المسلم لو كان يجرؤ.

وهم أصدقاء يتاجران ويسافران سوياً ويبيعان ويشتريان سوياً، وهما جميعاً من مدينة واحدة.

ماذا يعني التولي؟. التولي يبدأ بميل، ثم ينعكس بشكل تأييد فتكون معهم موقفك موقفهم، تؤيد مواقفهم ولو موقفاً واحداً، تصبح في ذلك الموقف ولياً من أوليائهم ومتولياً لهم. هذا معنى التولي.

هل هناك خطورة بالنسبة للتولي؟.

أوضح ما يمكن أن يُعبر عن خطورة التولي بعبارة توجد تقززاً واشمئزازاً من المسألة هذه أنك ستكون مثلهم، ألست أنت تلعنهم؟، ألست تبغضهم؟، وتقول لمن غضبت عليه يهودي نصراني، اعلم أنه سيكون حكمك حكمهم، وتكون مثلهم. جمع في هذا بين بيان حكم من يتولاهم كيف سيكون في واقعه مثلهم، وبعبارة توجد أيضاً - هي نوع من الهداية - إشمئزازاً وابتعاداً وتقززاً في النفس عن توليهم.

أتولاهم يعني أصبح يهودياً نصرانياً بتوليّ لهم،، أليس هذا الشيء يوجد في النفس تقززاً؟. فيدفعك نحو الابتعاد، هذا من دقة آيات الله التي هي محكمة {أحكمت آياته} تهدي حتى داخل كل مفردة فيها.

{ومن يتولهم منكم} يتولهم منكم أنتم أيها المؤمنون، وهو ما يزال يحمل اسم الإيمان، ويرى أنه ما يزال منكم، وليس فقط من قد تتصور بأنه تيهود.

تراه مؤمناً عربياً، سيصبح حكمه حكمهم، أن يصبح حكمك حكم اليهود والنصارى، هل هي قضية عادية؟. تقول: لا بأس، هم هناك، بلادهم جيدة، وقد يكونوا أحياناً يعيشون في مناطق ينشئون فيها نشأة جميلة، وأجسام كاملة وجميلة ولطيفة. لا. ارجع إلى القرآن الكريم تجد ما قال فيهم حتى تعرف ما معنى أن تكون منهم، وحكمك حكمهم، ارجع إلى القرآن الكريم، كم فيه من كلام يبين سوء ما هم عليه وخبثهم، يبين سوءهم وخبثهم وأنهم لعنوا {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}(المائدة: من الآية٧٨) وعندما تكون مثلهم فينالك النصيب الأوفر مما وصموا به في القرآن الكريم، من اللعن، ومن الخبث، ومن المكر، ومن الكفر بنعم الله.

ستصبح في نفس الوقت ظالماً لنفسك، وظالماً للأمة، وظالماً للبشرية، لأنك أصبحت واحداً ممن يسعون في الأرض فساداً، ومن يسعى في الأرض فساداً فهو يظلم نفسه، ويظلم عباد الله، ويظلم البشر جميعاً. يظلم الناس بدل أن يكون المطلوب والمراد لله سبحانه وتعالى من عباده أن تكون نفوسهم زاكية طاهرة، وأن يعيش الإنسان مكرماً في هذه الدنيا، يعيش نفساً مدنسةً، يعيش ذليلاً، يعيش مهاناً محتقراً مظلوماً، بواسطة خبث نفسه وخبث ما حوله ؛ لأن فساد اليهود يتناول كثيراً من شئون الحياة إضافة إلى فساد النفوس.

فتكون أنت ممن يظلم نفسه، وممن يظلم البشر جميعاً، وما أوسع هذه الدائرة ؛لأن الله قال عنهم {ويسعون في الأرض فساداً} فتصبح من حيث لا تشعر شريكاً في كل عملية إفساد تنطلق من أي منطقة في هذا العالم، نحو بقية البشر من داخل أمريكا، من داخل إسرائيل، من داخل بريطانيا من داخل أي منطقة تنطلق منها مؤامرات اليهود فتصبح بتوليك لهم شريكاً في كل عمل سيئ، مفسد في هذه الأرض في أي بقعة كانت من الأرض.[ص٣]

ـ بين للناس خطورة التولي

القرآن الكريم خاطب اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهم من لم يقتلوا الأنبياء السابقين، هم أنفسهم الموجودون لم يعيشوا فترات طويلة حتى يكونوا هم ممن شارك في قتل أنبياء الله السابقين، خاطبهم القرآن على أنهم يقتلون الأنبياء بغير حق {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(البقرة: من الآية٩١) ألم يخاطبهم هكذا؟.

لماذا أصبح هؤلاء الذين عاشوا في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يخاطبون بأنهم قتلوا الأنبياء؟. وكم بين ذلك اليهودي الذي في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) زمن تنزل القرآن وبين أولئك اليهود السابقين قبل مئات السنين الذين قتلوا الأنبياء، أليس الفارق مئات السنين؟. ما الذي جعله أن يخاطَب بأنه قَتل؟ ؛لأنه تولى أولئك عدّهم السلف الصالح له، فتولاهم. فأصبح حكمه حكمهم فقيل له :أنت قاتل.

وهكذا من يهتفون الآن بأنهم يتولون السلف الصالح ممن قتل الإمام علي وفاطمة والإمام الحسن والإمام الحسين، فاطمة نفسها قُتلت كَمَداً، قُتلت قهراً وهي ترى هذا الدين يُعصف به من أول يوم بعد وفاة والدها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لم تبك على [فَدَك]، فدك قضية تؤلمها لكن لم تبك عليه، ولم تمت كمداً على فدك، إنما ماتت كمداً على هذه الأمة.

هذه خطورة الموالاة، خطورة التولي، ما يمكن فعلاً أن تكون شريكاً لليهود في عملية إفسادهم في العالم.

وهذه القضية ليست قضية عادية، قضية رهيبة جداً، فيأتي الإنسان يوم القيامة فيرى أنه عاش في منزله لم يظلم أحداً، ولا أخذ حق أحد، فتأتي يوم القيامة وأنت شريك في إفساد ذلك الإنسان في أقصى الأرض، أقصى مشرق الأرض وأقصى مغربها، وأنت شريك في إفساد كل إنسان داخل هذه المعمورة كلها، شريك في ظلم كل إنسان.

قضية التولي خطيرة جداً جداً، لا يكاد يكون هناك شيء أبلغ من خطورتها، فتأتي يوم القيامة فتجد كم ملفات من الجرائم أنت شريك فيها، فتقول: من أين هذا؟. هذا الشخص لا أعرف اسمه. ماذا عملت به؟، اسم إنجليزي، اسم فارسي، اسم عربي، من هذا؟ ؛لأنك توليت من ظلموا الناس ؛لهذا قال الله هنا {إن الله لا يهدي القوم الظالمين}، ستكون ظالماً، وظلم اليهود أليس ظلماً للبشرية كلها؟.

تأتي يوم القيامة فتجد غُرماء كثيرين جداً، العالمُ كلهُ أسماءُ أنت لا تعرفها، وجوهٌ لا تعرفها أنت ظلمتها وأنت أفسدتها..

هذا الموقف مما يدفع بالإنسان إلى أن يكون دقيق المراقبة لنفسه في هذا العصر، الذي انتشرت فيه أبواق اليهود في كل بلاد، وسائل الإعلام كلها أصبحت تخدم اليهود، مناهج دراسية تخدم اليهود، صحف تخدمهم، مجلات تخدمهم، كُتّاب يخدمونهم، من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، وإن لم تكن خدمة مباشرة أحياناً بالتدريج، بطريقة غير مباشرة والآثار تُحتسب، آثار الشيء تُحتسب وكأنها هي الشيء نفسه.

ما معنى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(المائدة: من الآية٥١) ؟.

إن الله لا يهدي القوم الظالمين : ليست مجرد تتمة للآية ليتسق الوزن كما هو شأن الشعراء، يختم قصيدته بأي كلمة تناسب القافية. القرآن {كتاب أحكمت آياته} القرآن كتاب آياته محكمة {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} إذاً فهو ظالم {إن الله لا يهدي القوم الظالمين} لا يهديهم إلى أي خير، لا يوفقهم، ولا يهتدون حتى هم إلى كيف يواجهون اليهود؟ ؛لأنهم أصبحوا يتولونهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، وفي نفس الوقت يضجون منهم، هذا من أغرب الأحداث، ومن أغرب المواقف.[ص٦]

ـ من يقعد أو يثبط عن مواجهة اليهود ففي قلبه مرض

فكما قلنا سابقاً من يتوانى، من يفرط، من يقصر، من تنطلي على نفسه عبارات الجمود، عبارات التضليل، فليحذر، وليعلم أن في قلبه مرض، فالله قد حذر في البداية بأن أولئك الذين يسارعون إنما لأن في قلوبهم مرض.

وسواء كانت المسارعة أفقياً أو عمودياً، تحت أو فوق، كلها واحدة، أنت تخدمهم. أسارع فيهم، أقدم خدمة لهم، أنفذ مؤامرة معينة، أو أسارع نحو التخلي عن مواجهتهم، ونحو التثبيط عن مواجهتهم، هي كلها واحدة، قد يختلف المرض. ولهذا جاء في عبارة عامة {في قلوبهم مرض} أليست كلمة {مرض} في الدنيا تطلق وتحتها أنواع كثيرة ؟. أنواع كثيرة جداً، وما أكثر مرض القلوب، وما أكثر مرضى القلوب.

نحن البسطاء، نحن المساكين يحصل في قلوبنا مرض فيجعلنا نسارع باتجاه تحت نَجمُد و نُجمِّد من حولنا. وهذه خدمة عالية، خدمة مهمة لليهود والنصارى، التثبيط خدمة مهمة لليهود والنصارى، ولهذا هم يحاولون بكل وسيلة أن يتفادوا انبعاث الأمة، يتفادوه بأي وسيلة.

يتركون الآخرين يضربون، ويتلقون الجفاء، يتركون هذا الذي يزحف ليتلقى الجفاء ويتلقى الخسارة ؛لأنهم يريدون أن نبقى قاعدين، وأن يثبط بعضنا بعضاً ؛ لأن هذا هو نفسه يوفر عليهم الشيء الكثير، يسهل مرور ونفاذ مؤامراتهم.

إذاً فأنت قد يكون في قلبك مرض ـونعوذ بالله من أن يكون في قلوبنا مرض من هذا النوعـ فتسارع فيهم، ولكن بأسلوب آخر هو أسلوب القعود عن مواجهتهم، التثبيط عن مواجهتهم، هو نفس الشيء، كما يقول أولئك الذي يسارعون باتجاه عمودي فوق بتنفيذ المؤامرات وأعمال {يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}(المائدة: من الآية٥٢) قد تقول أنت نفس العبارة وأنت تدس نفسك في التراب { نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ } وكما يقدمون أنفسهم للآخرين ليُبجِّلوهم على ذلك الموقف، أنت في الداخل قد ترى أنك إنسان حكيم، وأن هذا هو الرأي، وهذا هو التصرف

الواعي، لكن لا. الحكمة، الهدى، الوعي هو أن تنطلق انطلاقة القرآن، لا تسارع لا باتجاه فوق ولا باتجاه تحت.[ص١٢]

لا بد من ولاية الله ورسوله والإمام علي

لاحظ الربط المهم، الربط الشديد بين قضية ولاية الإمام علي عليه السلام في مقام، وبين التأهيل للأمة في مواجهة اليهود والنصارى، مواجهة اليهود والنصارى في إيجاد المواجهه،وتحصين القلوب أيضاً من أن يصيبها مرض فتصبح ممن تتولى اليهود والنصارى، أو ترتد بعد إيمانها، فقال هناك {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} (المائدة: من الآية٥٢).

إذاً فولاية الله ورسوله والإمام علي بن أبي طالب هي فعلاً عندما تملأ القلب ستملؤه إيماناً واعياً، ستحصن القلب من أن ينفذ إليه أي ذرة من ولاء لليهود والنصارى أو لأولياء اليهود والنصارى، ستحصن الإنسان نفسه، من يحمل هذا القلب من أن يصبح مرتداً عن دينه، ستحصنه أيضاً من أن يصبح طائعاً لأهل الكتاب، لفريق من أهل الكتاب، كما في الآية الأخرى في سورة آل عمران، فيرتد بعد إيمانه كافراً.

إذاً هي مهمة جداً، مهمة جداً في المقامين: في مقام الحفاظ على نفسي بعيداً عن هذه الخطورة العظيمة، وفي مقام تأهيل نفسي لضرب مصدر ذلك الخطر العظيم.[ص١٧]

[من آيات المائدة الدرس٢]

ـ من الطبيعي أن تسمع أمام كل شيء مهما كان عظيماً أن تسمع كلاماً يعمل على الحط من مكانته وتشويهه وإبعاد الناس عنه

جاء الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى نعمة للبشر ، هدى للعالمين ، كل أمة كان يأتي من بينها نبيها ، وقد يكون الكثير يقول للنبي الذي هو أكمل الناس عقلاً وأزكاهم نفساً: مجنون شاعر ، مفتري ، كذاب ، ساحر . هذه أيضاً عرضها القرآن الكريم ؛ لأنه لم يحدث أن أرسل رسولٌ إلى أمة إلا وجاء من بينها من يقول مجنون أو ساحر {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} (المؤمنون: من الآية ٢٤) أن يتكبر عليكم .

العبرة في هذا هو أن تفهم أنه من الطبيعي أن تسمع أمام كل شيء مهما كان عظيماً أن تسمع كلاماً يعمل على الحط من مكانته وتشويهه وإبعاد الناس عنه ، ماذا قالوا لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو سيد البشر ، سيد الأنبياء والمرسلين الكامل في نفسه، الزاكي في نفسه الحريص على هداية البشر ، الناصح العظيم لهم قالوا عنه: [مجنون ، مفتري ، ساحر ، شاعر ، كذاب ، مفتري على الله] يسخرون منه أحياناً {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً . إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا } (الفرقان: ٤١-٤٢) لقد كاد أن يغوينا لولا أننا كنا رجالاً وتمسكنا بآلهتنا [ص١]

نحن لا نملك من الحمية على ديننا كما كان عند عباد الأصنام

هذا الموضوع طرحناه سابقاً وقلنا أنه من العجيب أن نكون نحن المسلمين ولدينا كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا الدين العظيم دين الإسلام ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم لا يحصل لدينا حمية لهذا القرآن ولذلك النبي العظيم ولهذا الدين العظيم مثل ما كان يحصل عند بعض عبّاد الأصنام، الله ذكر قصة قوم نبيه إبراهيم عليه السلام عندما كان يذهب كل واحد منهم يقطع حطباً حتى جمعوا جبلاً من الحطب كان لديهم اهتمام ، {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } (الأنبياء: ٦٨) ليس الوقت وقت النوم الأصنام في خطر، وهم منذ لحظات رأوا أصنامهم محطمة ، كذلك هؤلاء في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقولون

{أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً . إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} (الفرقان: ٤١-٤٢) لو لم نقف وقفة رجال عندها لكسرها ، ويقول الله عنهم {وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} (ص: من الآية ٦) امشوا، تحركوا، اصبروا على الآلهة، جاهدوا في سبيلها ، كافحوا في سبيلها ، لا تتركوها تتعرض لأي كلام يصرف الناس عن عبادتها ، مع أنها أحجار مركزة أو أخشاب منصوبة لا قيمة لها ، فكيف بالمسلمين وإلههم رب العالمين الذي سيقف معهم إذا وقفوا ، سينصرهم إذا نصروه ، سيضربهم إذا توانوا [ص١]

ـ كيف تواجه من يثبطك

نعود إلى صلب الموضوع ، وهو أنه هكذا تسمع في كل زمان أمام كل عمل مهما كانت الأمة في أمس الحاجة إليه في مرحلة من مراحل تاريخها ، وفي أي جهة كانت مهما كانت عظيمة لا بد أن يأتي من هنا وهناك من يتكلم ، من يثبط ، من يشوه ، من يحارب ، هذا شيء ذكره القرآن الكريم وليس فقط في آية أو آيتين بل في آيات كثيرة ، لأن معرفة هذا نفسه يمثل جانباً مهماً من وعي القضية وفهمها ، أن تعرف أنك قد تسمع كلاماً على هذا النحو من جهات أخرى ، فليكن لديك ، ولتكن على مستوى تجعل ذلك الكلام لا أثر له عندك .

الكلام لا يخلو عن إما أن يكون تخويفاً أو يُقدم بأسلوب نصح من جانب الذين يواجهون أي عمل مهما كان عظيماً ، فليكن لديك قاعدة ثابتة، عندما يخوفونك فلتعلم أن الله هو الذي يجب أن تخافه، الله هو الذي يجب أن تخشاه لأنه هو القادر على أن يضر بك ولا يحول أحد دون إرادته فيك ، هو الذي يمتلك جهنم، هو الذي بيده جهنم ـ الذي يخوفك بأي شيء أخر ـ هل هناك ما يمكن أن يرقى إلى درجة البقاء يوماً واحداً في جهنم ؟ . ليس هناك أي شيء يساوي غمسة واحدة في نار جهنم ، إذاً تخوفني بماذا ؟ . يجب أن أخاف من لا أستطيع أنا ولا غيري يستطيع أن يصرف عني عذابه وسخطه ومقته .

كان جواب نبي الله إبراهيم عندما كانوا يخوفونه بأنه ستضره الأصنام وسيحصل عليه كذا قال {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ }؟ (الأنعام: من الآية ٨١). تخوفوني بماذا ؟ . أنتم الذين يجب أن تخافوا وأنتم تشركون بالله ، أنتم من تتعرضون للخطورة العظيمة لنار جهنم ولسخط الله . [ص٢]

ـ في القرآن ما يحول بينك وبين أن تتأثر بأي كلام يقال للتثبيط أو للصرف عن قضية

هناك في القرآن الكريم ـ إذا كنت تتدبر آياته وتعي وتفهم ، وتريد أن يكون لك موقف في هذه الحياة ـ ستجد من خلاله ما يحول بينك وبين أن تتأثر بأي كلام يقال للتثبيط أو للصرف عن قضية فيصورها لك بأنها تبدو غير ذات أهمية. مثلاً ولاية الإمام علي عليه السلام قد يأتي من يقول: [ما أهمية قضية ولاية الإمام علي بن أبي طالب في إعطاء عمل معين إيجابية كبرى ؟ أو في حل مشاكل المسلمين في هذا العصر الذي بينهم وبين علي ألف وأربع مائة سنة ؟ ، علي الله يرحمه قد قتل في الزمان الغابر ونحن نتولاه لكن لا يصح أن نشغل أنفسنا بأولئك أو نفرق الآخرين عنا من أجل علي أو . . أو] يأتي كلام مثل هذا بل أمام أهل البيت متى ما تحدث الإنسان عن أهل البيت يقول : [ليس وقت الحديث عن أهل البيت نحن مشغولون بالناس] أليس هكذا يحصل ؟ . يتكلم معك عن قضية هي مهمة ليصرفك عنها وقد يكون بحسن نية ، لكنه كلام ينبئ عن جهل بأهمية الأمور وعلاقة بعضها ببعض ، يقول : [ليس وقت الحديث عن هذا الموضوع ، سننفر هذا ، وهذا سيغضب منا ، وهذا سيذهب منا ، وسيجلب علينا مشاكل، المفروض الآن نمشي في عملنا وليس وقت هذا] . ما هي أعمالك؟ أعمالك لا تمشي إلا بهذا الشيء الذي تريد أن ترمي به بعيداً عنك . [ص٣]

ـ الله هو الذي يحدد لنا منهم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية ٧٥) إذاً فهو هو الذي يحدد لنا من هم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم ؛ لأن القضية دقيقة جداً ، ومحكومة جداً ، ومضغوطة جداً وهدي واحد ، تميل كذا أو كذا تقع في ضلال ، وليست القضية متروكة لك مثلما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُروِّج وهذا يُروِّج ، وهذا يتلطف لك ، وذلك نقص لك ريالين فتتجه إليه ، أو تَمَّق بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه ، المسألة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ، من قِبَل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعلام الذين يتمسكون بهديهم وسيضلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين ؛ لأنه أليس هدي الله للحياة كلها ؟ .

ذلك العَلَم الذي وضعه الله لك هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنت بحاجة إليه وإن كان بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة ، العَلَم الذي وضعه للأمة من بعده..وهي بداية نقطة الإفتراق، بداية مفترق الطرق، الموقع المهم هناك ؛ لأنه متى ما بدأت من نقطة الإفتراق ومفترق الطرق تميل كذا فستبقى فلتتك إلى آخر الحياة وآخر عمر الدنيا ، من هناك، هناك مفترق الطرق ، هناك علي ، وعلي يمثل طريقاً يمثل هدياً، الميل عنه يميناً أو شمالاً يشكل خطورة بالغة هي نفسها التي تراها ماثلة آثارها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر[ص٥]

ـ أهمية ترسيخ مبدأ الكمال

قد يقول البعض : لماذا لم يقل في الآية [علي] حتى تكون واضحة كالشمس؟ .

قلنا هذا أسلوب القرآن الكريم متى ما تناول قضية ليس لها فقط اتجاه واحد في مقام الهداية، تهدي من هنا ومن هنا ومن هنا ومن هنا، كل آية وأنت تراها وكأنها تحدثت لك عن إشكالية معينة ، كم تلمس في داخلها هداية في جوانب أخرى ، القرآن الكريم يتجه ــ بالنسبة لله سبحانه وتعالى ، بالنسبة لرسوله ، بالنسبة لأوليائه ــ يتوجه إلى ترسيخ مبدأ الكمال ، الله سبحانه وتعالى بدءاً منه ملأ كتابه الكريم بالحديث الذي يرسخ في أذهاننا كماله هو ، هل قدم لنا اسمه في القرآن الكريم بأنه [الله] فقط ؟ [الله] الذي هو الإسم للذات المقدسة له سبحانه وتعالى ، قدم لنا نفسه كاملاً ويرسخ في أذهاننا كماله ،{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الحشر: ٢٢ـ٢٤) ما مسار هذه الآيات ؟ أليست كلها إبراز كمال الله سبحانه وتعالى ، وإظهار كماله وعظمته؟ لأنها نقطة مهمة، وقضية مهمة لها أثرها العظيم في مجال الهداية، فيما تخلقه في النفوس ، ولها أثرها العظيم في مقام الهداية فيما تخلقه من وعي وفهم ومقاييس ثابتة .

إن تقديم القرآن لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يرسخ كماله هو كان وسيلة مهمة في القضاء على الشرك ، ونسفه من أوساط العرب الذين كانت الأصنام تكاد تكون في كل قرية، وفي كل بيت من بيوتهم ، ترسيخ مبدأ كمال الله ، حتى أصبح العربي ينظر إلى ذلك الصنم الذي كان يمسحه آباؤه وأجداده ويقبّلونه ويسجدون أمامه وينذرون له بالنذور ويبخرونه بأغلى البخور أصبح محط سخرية وازدراء واحتقار قد يدوسه بقدمه أو يبول عليه ، من أين جاء هذا ؟.ألم يكن العرب هم يعرفون الله من قبل ؟ الله، الله يعرفونه لكن لم يكن يخطر في بالهم ربما أن الألوهية لا تكون إلا لمن هو كامل ، أن الأكمل هو الجدير بأن يُعبد ، أنه هو المستحق لأن يكون هو الإله . ألم يتحدث القرآن بالنسبة للأصنام ليحطها أمامهم باعتبارها ناقصة {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } (الأعراف: من الآية ١٩٥) وهكذا {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ . أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: ٦٦-٦٧).

على ذلك النحو حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى، على هذا النحو الذي ورد في هذه الآيات: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} إلى آخر [سورة الحشر] ، ترسيخ مبدأ الكمال في أذهاننا في قلوبنا كان هو الكفيل بنسف الشرك .

بالنسبة للأنبياء أنفسهم ، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، وربما كانت هذه الأمة بالذات أحوج الأمم إلى ترسيخ مبدأ الكمال في ذهنيتها ونفوسها أكثر من أي أمة مضت ؛إذاً سيبدو هذا المبدأ مهم جداً جداً هو كفيل بأن يخلق لديها وعياً واستقامة وثباتاً على امتداد تاريخها وإلى يوم القيامة مهما طال الزمن .

تلاحظ ، ألم يُعرض الأنبياء بأسمائهم في القرآن الكريم؟ [موسى ، إبراهيم ، نوح ، عيسى] وهكذا إلا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) فيُقدم في القرآن الكريم باسم [رسوله ، رسول الله ، رسول ، رسولنا]، أليست كلمة: [رسول] في حد ذاتها هي صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . كم جاءت كلمة: [محمد] في القرآن ؟ . في ثلاثة موارد {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } (آل عمران: من الآية ١٤٤) { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } (الأحزاب: من الآية ٤٠) ولأن المقام يتطلب أن يذكر باسمه فيها وليس فقط على طريق أنه كان بالإمكان أن يقول [محمد] أو يقول: [رسول] بل لأن المقام نفسه يتطلب في واقع الهداية أن يذكر باسمه فيها ، ويأتي القرآن الكريم في الآيات الأخرى يقدم محمداً ليس باسمه ، لم يقدم محمداً باسمه في المقامات المهمة مثل {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} يأتي القرآن الكريم ينادي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } .

وكلمة [رسول] وكلمة [نبي] أليست تُقدم باعتبارها صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . أليست تنبئ عن كمال عظيم هو له أنه رسول لله ؟ . لأن الله قد ذكر لنا هناك ما يبين لنا أن كون فلان رسول الله هو مقام عالي وعظيم جداً، {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام: من الآية ١٢٤) حتى لا نفهم بأنه فقط يخاطبه بمجرد كونه موظف وباسم وظيفة معينة مثل [يا مدير ، يا فندم] وأشياء من هذه ، وإنما خاطبه بشيء هو كمال له ، هو من كماله ، فيقول: رسولاً، أن يكون فلان رسولاً له هو مقام عالي جداً، جداً ومرتبة عظيمة جداً {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} (الحج: من الآية ٧٥) إنه اصطفاء ، واصطفاء الله الذي يعلم بالكمال ، وبمحيط دائرة الكمال بكلها فسيكون اصطفاؤه على نحوٍ عالٍ جداً .

أن يكون رسولاً له أن يكون نبياً له أليس هذا يدل على كماله ؟ . عندما تأتي إلى القرآن الكريم كم يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} حتى وهو يخاطب محمداً نفسه يقول {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} ولم يقل [يا محمد، يا محمد] على أساس أننا قد عرفنا أن محمداً هو رسول، بل يجب في خطابنا نحن أن لا نكثر من كلمة [محمد] إلا ونرفقها بكلمة [رسول الله] إلا في مقامات تقتضي ذلك ، بل نستخدم كلمة (الرسول) وكلمة [النبي] لندور في الإطار الذي يركز القرآن عليه ويجعله مهماً جداً .

وكلمة [يا أيها الرسول ، رسولي ، رسولنا] هل هي فقط مجرد عبارة يرددها أم أنه يريد من ورائها أن يترسخ في ذهنيتنا كمال هذا الشخص باعتباره رسول ونبي ؟ . إنه يريد ذلك ، وقد رسخها وكررها حتى غاب اسمه تحت تكرير كلمة [رسول ونبي] ، استعرض في القرآن الكريم كم عُرضت هذه الكلمة [رسول] وكلمة [نبي] أما كلمة محمد ، لم تأتِ كلمة [محمد] إلا في ثلاثة أو أربعة أماكن فقط .

وقد تجد في نفس السورة التي ذكرته باسم الخطاب له بأنه نبي ورسول أكثر بكثير من التي وردت باسمه فقط التي هي في [سورة الأحزاب] ، وفي [سورة الفتح] ، وفي [سورة محمد] ، في داخل السورة نفسها يخاطبه كثيراً كثيراً باسم [نبي ورسول] ، متى ما جاءت كلمة [محمد] في مقام معين لأن المقام يستدعيها فهي واحدة في مقابل عدد كبير من إطلاق كلمة رسول ونبي .

نعم ، كلمة رسول وكلمة نبي، أليست تقدم محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) بغير اسمه ؟ . ولأن كلمة رسول وكلمة نبي يعني ترسيخاً له في ذهنيتنا بكماله، حتى نفهم أن ارتباطنا به هو باعتباره رجلاً اصطفاه الله وأكمله واختاره فجعله رسولاً له .

في الجانب العاطفي نفسه عندما تردد كلمة محمد ، محمد ، محمد هل تستطيع أن تخلق في نفسك ما يشدك نحوه أو عندما أتحدث عنه بصفات كماله رسول الله ، هو رسول من عند الله ، هو كذا ، هو كذا ألست سأغيب اسمه وأنا أتحدث عن كماله؟ هو نبي الله ، هو رسول الله، لكن عندما أقول محمد ، كان محمد ، هو محمد هل هذا سيعطيك شيئاً في ترسيخ عظمته في نفسك ، وفي ترسيخ مبدأ الكمال، هذا المبدأ المهم؟ .

حتى عندما يذكر الله سبحانه وتعالى بأنه مَنّ على المؤمنين بهذا النبي العظيم الذي نعلم أنه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يقدمه بأنه رسول {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} (التوبة: من الآية ١٢٨) {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (آل عمران: من الآية ١٦٤)، وعندما يتحدث معه هو يتحدث عن صفات أخرى ، تأتي كلمة رسول في مقدمة الصفات المهمة له التي تدفعنا إلى أن نعتبره عظيماً وننشد إليه {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} وكلمة رسول هنا في إطلاقها على هذا النحو من [الإفراد والتنكير] يفيد التعظيم {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) أين اسم [محمد] هنا ؟ . لو نقرأها من جديد فنقول (لقد جاءكم محمد من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)،لاحظ أليست ستهبط كثيراً في التعبير عن عظمة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟ . بينما (محمد) هو الاسم الذي سمته به أمه ، أو سماه جده عبد المطلب ، هو اسمه كاسم أي واحد منا يكون له اسم يختص به ، اسم عَلَم ، لكن ارجع إلى الآية {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أليس كلمة رسول تعطي شعوراً بكماله ؟ .

إذاً أريد أن أرتبط بمبدأ كمال فأنظر إلى هذا من خلال كماله ، أعظمه لكماله ، أجله لكماله أحبه فيترسخ في ذهنيتي رجلاً كاملاً ، كاملاً، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) يترسخ في ذهنيتي أنه رسول الله ، أنه نبي الله ، أنه هادي للأمة {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الفتح: ٨) وهكذا .

لاحظوا كيف عندما جاء من يتعامل مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كمحمد ، ومع كلمة:[رسول] أنه رسول من طرف القرية يأخذ مكتوباً ويسيره للآخرين ومع السلامة ثم مات ، الوهابيون عندما انطلقوا هذا المنطلق فعملوا على أن لا تُخْلَق لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عظمة في النفوس كيف تَجَنَّوْا عليه، وكيف أصبحوا هم في أنفسهم أجلافاً غلاظاً قساة ، ترى [المطوع] الذي هو عادة رجل الدين الذي يجب أن تبرز على ملامحه سيماء الدين والتقوى والخلق الحسن واللطف واللين والبشاشة لأنه يجب أن يتحلى بأخلاق يقتبسها من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي قال الله عنه { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: ٤)، لكن تجدهم هناك جفاة غلاظ قساة ، مَن منكم رأى مطوعاً ينشد إليه قلبه ويرتاح له؟ . بل عندما تراه ترى ظلمة، ترى جفوة ، ترى قسوة ، ترى غلظة ، ترى جفاء . أحيانا أرى فعلاً مطوعاً وأرى شخصاً آخر بدون ذقن ويبدو لي هذا إنساناً دَمْثاً لطيفاً عليه سيماء هدوء ورزانة ولين، ترى أنك قريباً له وأنه طبيعي بالنسبة لك، وذلك المطوع تراه مظلماً في شكله ، في كلامه ، في حركاته .

تراهم عند قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يحاولون أن لا يظهر في أوساط الزائرين له (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يكشف عن تعظيمهم له، أصبح التعظيم في نظرهم شركاً، التعظيم الذي هو الغاية

التي تراد من خلال ترسيخ مبدأ كمال هذا الرجل (صلوات الله عليه وعلى آله) أن نجِلّه أن نحترمه ، أن نعظمه، أن نقدره ، أن نذوب في ولاءنا له ، يركلون الناس بأقدامهم ، متى وقف شخص يريد أن يمسح ويقبل حجراً متصلة بتربة لها علاقة على بعد أمتار بجسد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، أليس هذا يعني أنه يحبه ومنشد إليه ؟. هؤلاء بجفوتهم بغلظتهم بوحشيتهم عند قبره يركلون الناس بأقدامهم ؛ لأنهم تربوا على ماذا؟ على مسح الشعور بأنه عظيم .

من هذا نعرف ، أهمية ترسيخ مبدأ الكمال، بدءً من الله سبحانه وتعالى كيف قدم نفسه لنا وارجعوا أنتم إلى الآيات التي تذكر صفات الله وملكه وكل الأسماء التي تدل على كماله المطلق سبحانه وتعالى ، ثم كيف بالنسبة لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ، تجد أن المسألة هي مسألة ترسيخ كمال لما لترسيخ هذا المبدأ من أثر مهم في نفس كل إنسان وفي الأمة بكلها .

نأتي إلى علي (عليه السلام) ونأتي إلى هذه الآية نفسها هل قال:ومن يتول الله ومحمد وعلي؟. قال {وَرَسُولَهُ} ألم يقدم محمداً بصفته رسولاً قدم علياً بنفس الأسلوب قدمه باسم الإيمان ويتحدث عن صفتين مهمتين فيه هي تمثل العلاقة بالله سبحانه وتعالى في أسمى درجاتها ما هي عليه وتمثل العلاقة بالناس في الجانب الآخر، وهذا ما تلمسه كثيرا عندما ترى بعض صفات المتقين تُعرض في مقام ولا تذكر في مقام آخر وفي مقام تذكر تلك الصفات ولا تذكر صفات أخرى ، وهكذا ؟ . ، لأنه يذكر بما له أهمية متعلقة بالموضوع في الأمر الذي السياق حوله، وهنا تبدو أهمية ـ وانسجاماً مع هذا المبدأ الإلهي المهم ـ ترسيخ مبدأ الكمال ، مبدأ التكامل ؛ فلم يذكر علياً باسمه كما لم يذكر محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) باسمه في نفس الآية بل يذكره بصفته التي هي صفة كمال{والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ} لاحظوا كيف كرر صفات كمال ؛ ليقدمه إلينا عظيماً ، لو أتى بكلمة (علي) مكررة لما أفادتنا أكثر من اسم [علي].[ص٦]

ـ يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية

يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية ، هذه في حد ذاتها تستدعي لها وقتاً طويلاً لنتفهم جميعاً كيف يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية في مختلف الأشياء حتى لا نخدع ؛ لأن فرعون إنما خدع قومه في مواجهة نبي الله موسى عليه السلام بمعايير مادية {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ } ، أليست هذه كلها مظاهر مادية أن يكون له حاشية وخدم ومناصب؟ . يقول فرعون: ليس موكب مثلما معي ولا ملك ولا شيء . يصور لقومه أنه لا بد أن يكون له موكب من الملائكة وأساور من ذهب وأشياء من هذه، هكذا يُخدع الناس دائماً بالمعايير المادية ، التي هي في حد ذاتها لا تُعطى إلا القليل منها على أيدي من يخدعون الناس بها أو ينمقون أنفسهم أمامنا بالحديث عنها .

متى ما صارت المعايير التي تتعامل من خلالها مع الآخرين بها معايير إلهية سيتحقق الكثير من الرخاء على يد من لديهم مبادئ إلهية مترسخة في أعماق نفوسهم ، تجعل نفوسهم محطاً لأن يهتموا بالآخرين وإن لم يكن يعرفون الآخرين ولا يعرف الآخرون أسماءهم ولا أشكالهم.[ص١٤]

حاجة الأمة إلى أعلام

الشيء الثاني مما يمكن أن نستفيده من هذه الآية {وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام ترتبط بهم ـ هؤلاء الأعلام ـ هدايتها في دينها ودنياها ، ولا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد ، هو من يبين لنا من هم الأعلام من بعد نبيه (صلوات الله عليه وعلى

آله) لنرتبط بهم، فمن خلالهم نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي، لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى الآخرون سيضعون ، بل وضعوا على الرغم من أنه قد وضع ، سيضع أهل الباطل أعلاماً لأن الباطل يحتاج إلى أعلام ، هل تعرفون هذا ؟ . عندما تقارن بين أساليب الحق والباطل في هذا تجد الأساليب ــ من حيث هي ــ تجد الأساليب تقريباً واحدة ، الباطل يحتاج إلى أعلام فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يركزوا أمامك شخصيات أو مجاميع من الشخصيات فيكبرونها وينمقونها ، وينفضون التراب عن خدودها لتبدو أمامك براقة لتنفق بضاعتهم فينفق الباطل فينفق الضلال من خلالهم .

لا بد للإنسان من أعلام ومتى ما حاولت أن تنصرف عن علي عليه السلام فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محاله ، عندما تقول : [لا أريد هذا ولا هذا] فأنت في الأخير ستنصرف إلى الشيطان لأنه آخر واحد . وإذا تهربت من الكل فتقول : [لا أريد لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي] ، ألست هنا رفضت علياً عليه السلام رفضت حقاً فماذا بعد الحق إلا الضلال ، إذا كنت لم ترضَ بالضالين الصغار فإنك سترتبط بالضالين الكبار ، وليس معنى قولك ذلك إلا أنك تريد الضالين الكبار ترتبط بهم فقط ليس إلا هذا فقط، عندما تقول : [لا أريد معاوية ولا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا غيرهم] . فكأنك تقول : أنا لا أريد أن أتعامل مع هؤلاء الضالين الصغار أنا سأتعامل مع الكبير ستقع في حضن الكبير بكله وهو الشيطان، الشيطان هو هناك في الأخير هو في المضيق ، تهرب كيفما شئت فلا يعجبك هذا ولا هذا فأنت في طريق الشيطان لأنه في المضيق سترى أنه ليس لك إلا هو ، ليس بالإمكان أن يبقى الإنسان بدون أعلام يرتبط بهم .

نجد الآيات هذه تشهد بأنه لا يمكن أن تهتدي الأمة إلا على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله ، أو أي مجموعة أخرى ولهذا جاءت العبارة بلفظ {وَمَنْ يَتَوَلَّ} من يتولّ سواء الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تتولى تولياً صادقاً على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً .

أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس من أن ترتد بعد إيمانها، من أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم ، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لنا من بعده أن نرتبط بهم حتى نهتدي في ميدان المواجهة ؛ ولهذا قال هنا { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } فمن هنا نعرف كطلاب علم ، ونعرف كمسلمين بصورة عامة أنه لا يمكن أن تتصور أن بإستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية من جهة نفسك وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى ، لا بد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم .

وهم بالطبع من يضعهم الله أعلاماً لأمته فإنما يضعهم كاملين {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } (القصص: من الآية ٦٨) هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار ، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ ــ مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل ــ فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيقدم لنا الكامل بدأً من علي عليه السلام .

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً ، ليس لي حتى صلاحية أن أحدد مقاييس الكمال فأقول : الكمال هو كذا وكذا ..إلى آخره ، سيأتي آخرون ويقولون : ليس كذلك بل الكمال هو كذا وكذا الخ ، نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه ، والله سبحانه وتعالى هو من سيضع لأمته أعلاماً يختارهم ويؤهلهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها ، ألم يكن الإمام علي عليه السلام هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فبرز هو علماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه .

ـ الارتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى مسألة اختيار الأعلام بيد الله سبحانه وتعالى

فهذه المسألة الارتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَليَ أمرنا مرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما قال الإمام الهادي عليه السلام : (أن الله هو الذي يختار، هو الذي يؤهل) .
[إذا لم نعمل على]مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدم لنا أشخاص كثيرون، ويُقدم رموز وهميُّون كثيرون لا يعتبرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى ، وليسوا جديرين باختياره . [ص١٦]

ـ حتى لا تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها

الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } (التوبة: من الآية ٣٤) هذا يبين أن المسألة حتى غير متروكة لك فتتأثر بهذا أو بهذا دون مقاييس إلهية وأنت تتولى الأعلام الذين اختارهم الله وعينهم وحددهم تتولاهم فتسلم من أن تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها ، تضر بالقضية نفسها التي أنت تتولاه من أجلها ، أما هنا فالتولي صحيح حيث تكون الولاية للأعلام الذين رسمهم الله للأمة ونصبهم للأمة فإن الولاية تعطي ثمرتها ، ألم يقل هنا {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} طالبان ماذا عملوا ؟ . ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا ؟ . ولم ندر أين ذهبوا ؟ . هل غلبُوا أم غُلبُوا ؟ . لقد غُلبُوا أو تَغَالبوا لأن القضية هي كلها خداع ووهم ، كلها تزييف وتضليل ، حتى لا يبقى للآخرين منفذ لأن يضعوا هنا أو هنا من جانبهم شخصاً آخر وهمياً علماً من أعلام الباطل؛ لأن الآخرين شغالين حتى وإن كان الله قد وضع أعلاماً فهم يحاولون أن ينصبوا ، ألم يختر علياً عليه السلام علماً للأمة فنصبوا لنا آخرين ؟ . ألم يختر الزهراء لتكون علماً بالنسبة للنساء وقدوة للنساء وجعلها سيدة نساء العالمين فنصبوا أخرى ؟ . هكذا يعمل بدو أهل الضلال دع عنك الخبثاء والمحنكين والدهاة منهم . إذاً فالمسألة مهمة .
وهذه الآيات يجب أن ننظر إليها نظرة جادة فعلاً ، قد تقدم مقاييس معينة هي في الواقع مغلوطة لكن القرآن الكريم هو نفسه إذا ما اهتديت به وسرت على ولاء صحيح لمن نصبهم لك من أعلام الهدى لتهتدي بهم فهو الكفيل بأن يفضح أمامك الآخرين ، الله هو الكفيل بأن يعرفك من خلال القرآن وبتوفيقه فيكشف ويفضح لك الآخرين الذين هم أعلام وهميين عندما تراهم ينتصبون هنا أو هناك تصيح منهم جهة هنا وهناك .[ص١٩]

ـ لا بد أن نسلّم قلوبنا ومشاعرنا لله

وهذا ما يجعلنا فعلاً نثق بأنه متى ما سلمنا قلوبنا ، متى ما سلمنا مشاعرنا لله سبحانه وتعالى وانطلقنا بثقة عالية إلى القرآن نتثقف به، فسنعرف كل شيء، فالقرآن تفصيل لكل شيء ، وستكون إنساناً لا يمكن أن تُضل ، إنساناً لا تُخدع ، إنساناً تفهم الأحداث ، تفهم أهمية الأحداث ما كان منها حقاً وما كان منها باطلاً، تفهم خطورة الأحداث التي قد تكون صغيرة عند الآخرين، يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولائنا للإمام علي عليه السلام وأن نعرف أهمية التولي للإمام عليه السلام وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربع مائة سنة[ص٢٣]

[آيات من المائدة الدرس٣]

ـ نسمع من قناة واحدة

عندما نقول: نفتح نسمع أكثر. نسمع من قناة واحدة، لا يعني بأن نسمع من هنا ونسمع من هناك، كل شيء حاصل من هنا وهناك وهو الذي عانينا منه، إذن فالزمن بكله والمرحلة بكلها هي نفسها ما سماه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) : ((فتن كقطع الليل المظلم يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً يصبح مؤمناً ويمسي كافراً)) ما المخرج؟.

هل المخرج كما يقال: [أن تتثقف أكثر] فتنظر هذا، وتسمع هذا، وتذهب إلى ذاك وتسير عند ذاك، وترجع إلى هذا، وتنظر عند هذا فيقال توسع ثقافتك على أساس أن يكون لديك معرفة ويكون لديك رؤية وأن يكون لديك خبرة، وتطور معلوماتك، وكلام من هذا القبيل.. هل هذا هو الحل؟. لا.

سيكون هذا مفيداً متى ما بدأت تمشي في طريق واحدة وتثقف نفسك أولاً من قناة واحدة فتصبح لديك ثوابت صحيحة، يصبح لديك رؤية صحيحة مقاييس صحيحة، معايير صحيحه، ثم حينها انطلق في هذه الدنيا، اقرأ أي شيء، اسمع ولو كل قنوات العالم هذا تسمعها أو محطات الإذاعات كلها فيما بعد ستفيدك فعلاً خبرة وبصيرة، سترى كم هي ضالة، سترى كم فيها ما يشهد بصحة ما أنت عليه، حينها لا تكون عرضة إطلاقاً لأن تضل.

بعد أن أخبر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأنه سيأتي بعده فتن كقطع الليل المظلم على هذا النحو هل سكت؟. هو من هو حريص على هذه الأمة أن يرشدها أن يبصرها حتى وإن كان في آخر أيامه، والمرض ينهك جسمه، والموت يدب في أعضائه، ما يزال يحمل حرصاً على هداية أمته، من خلاله (صلوات الله عليه وعلى آله) سنعرف ما هي هذه القناة، ومن خلال القرآن أيضاً.

وأولاً نعرف ما هي هذه القناة التي نعطيها أهمية كبرى أولاً، الله قال في القرآن الكريم يتحدث عنه بأنه هدي {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}(الاسراء: من الآية٩) {هدى للناس} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}(المائدة: من الآية١٦) سبل السلام، سلام من ماذا .؟ السلام من الضلال السلام من الهلاك، السلام من الذلة، السلام من الخزي، السلام من العار، السلام من جهنم.

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}(الأنعام: من الآية١٥٣) في أكثر من آية يذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن هو هدى {هدى للمتقين} { هدى للناس}، إنه الهدى الذي قال عنه {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}(طـه: من الآية١٢٣) .

أثناء الفتن وعند تراكم الفتن هذه التي كقطع الليل المظلم ما الذي يحدث؟. ليست الخطورة في أنه كم قتلى يحصل هنا، وكم دمار يحصل هناك لأنه قال فيها، يبين وجه الخطورة فيها على أمته ((يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً)) الخطورة فيها خطورة تضليل رهيب والتباس في الأمور، وضلال رهيب، وضلال دقيق، ويأتونك من بين يديك، ومن خلفك وعن يمينك، وعن شمالك{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي}(طـه: من الآية١٢٤) ألم يقل الله بأن هذا ذكر؟{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طـه:١٢٤) لماذا يحشر أعمى؟. لأنه كان ضالاً عندما أعرض، أعرض فضل.{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ}(طـه: من الآية١٢٧) هكذا يكون جزاؤه أن يحشر يوم القيامة أعمى، وأن يعيش في الدنيا عيشة ضنكا.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)يقول في حديث رويَ عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال سمعت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: ((ألا إنها ستكون فتنة. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال:كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم)). [ص٢]

ـ اربط نفسك في عملك بالقرآن

حاولوا أن تربطوا أنفسكم في عملكم هذا بالقرآن وأنت ترشد حاول أن تدور حول القرآن وتنزل القرآن للناس وتعرض آياته للناس وتذكرهم به إنك هنا لن تقع في باطل، لن تقع في باطل إذا كنت تقول به، وليس تتقوّل عليه. هناك من يرجع إلى القرآن ولكنه يتقوّل على القرآن من منطلق عقائد فاسدة لديه، أو قواعد باطلة ينظر من خلالها إلى القرآن الكريم فيصبح مُتَقَوِّلاً عليه، لكن لا.

((من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حَكَم به عدل)) يعني أن هذه ضمانات مادمت تتحرك في إطار القرآن فكل شيء يأتي من عندك سيكون صحيحاً، عندما تقول به تصدق، تعمل به تريد الأجر من الله يحصل لك أجر، تحكم به تعدل.

((ومن دعا إليه فقد هُدي إلى صراط مستقيم)) ألسنا بحاجة إلى أن نهتدي إلى الصراط المستقيم؟. إذاً فالقرآن الكريم هو فعلاً القناة التي يجب أن نتلقى منها البينات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر. في هذا العصر الذي تحدثنا عن واقعه وعن وضعيتنا فيه، نحن قلنا مما نعاني منه الملل أو تساؤلات بالمقلوب.

تحدثنا بالأمس حول ولاية الإمام علي (عليه السلام) من خلال الآيات الكريمة{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) وتناولنا الآخرين أيضاً بكلام من خلال المقارنة عمر وأبو بكر وعثمان وأضرابهم .

العادة في طرح كهذا لأنه أصبح غير مألوف، أصبح غير مألوف عند الكثير، وغير مسموع عند الكثير أن يتحدث الإنسان بشدة حول أبي بكر وعمر وعثمان وتلك المجموعة التي لا نزال نعاني من آثار مخالفتها لله ولرسوله(صلوات الله عليه وعلى آله) قد يبدو بعض الناس يتساءل [أنه لماذا ولاية علي عليه السلام بالذات ممكن أن نتولى علياً و أبا بكر وعمر وعثمان والكل ونرضّى عليهم جميعاً وكلهم ممتازين وسبرت الأمور، ألم نتولّ علياً ضمن هذه الموالاة ؟ وهل هناك ما يمنع أن نتولى الآخرين معه؟ وبذلك سنبدو سمحين ونبدو قريبين من الآخرين ونبدو ونبدو ..] الخ.

مثل هذا يحصل كثيراً حتى في أوساط علماء ومتعلمين، وقد يكون ـ ربما والله أعلم ـ من أوساط العامة أنفسهم ممن تراه لا يتسامح في شبر واحد من [مَشْرَب] للماء أو قطعة أرض، أو قطعة [مَحْجَر] مع صاحبه أو مع أخيه من أمه وأبيه ولكنه سيبدو متسامحاً مع أبي بكر وعمر وعثمان، وقضية عادية في نظره لو أخذوا علينا ثلثين الدين.

لكن بالعودة إلى القرآن الكريم سنعرف بأننا بحاجة إلى أن نتحدث بهذا الأسلوب وبهذا المنطق، وإلا فنحن لسنا ممن طباعهم حمقى أو ضيقة أو شديدي اللهجة على أي إنسان أو يتطاولون بألسنتهم على أي إنسان.. ليس هذا من طبعنا. ولكن هي الحاجة الماسة التي جعلتنا نتحدث حتى على الرغم من أننا نعلم أننا سنجرح مشاعر كثير من المسلمين بهذا الكلام.

لكننا نقول نحن أمة مجروحة يجب أن تبحث عن العلاج وعن سبب المرض، وعن السبب الذي جعل هذا الجرح ينزف دماً ولا نجد هناك من يلتئم الجرح على يديه. ليس عصر مجاملة، ليس عصر مداهنة، ليس زمن تغطية وتلبيس، زمن يجب أن تكشف فيه الحقائق على أرقى مستوى، وأن يتبين فيها بدأ من هناك من مفترق الطرق من

بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من هو السبب في كل ما نحن نعاني منه؟. حتى وإن كان علياً، حتى وإن كان عماراً، حتى وإن كانت فاطمة ناهيك عن أبي بكر وعمر واضرابهم.
ليست المسألة مسألة تحامل على الآخرين إنما هي شيء يجب أن نصل إليه من خلال ثقتنا بأن هذا القرآن هو وحده الذي يهدي، من خلال اعتماد القرآن الكريم بأنه هدى الله الذي يهدي إلى التي هي أقوم، وبروحية القرآن تتحدث عن الآخرين، وبأسلوب القرآن تتحدث عن الآخرين أيضاً، إذاً فليس هناك مجالاً لأن تبدوا أكثر تسامحاً من الله، أو أكثر رحمة بالآخرين من الله، أو أكثر حرصاً على وحدة الأمة ـ فتقول من أجل الأمة تتوحد من الله، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يراعي مشاعر أولئك الذين يقول الكثير: لا بد أن نراعي مشاعرهم، بل خاطبهم بلهجة قاسية في قضية تبدوا عادية للبسطاء تبدوا عادية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الحجرات:٢) سننسف أعمالكم.
أليس هذا منطق شديد أم لا؟. يقال: [كانوا وكانوا مع رسول الله وكانوا يجاهدوا، وكان...] ممتاز وكان ..وكان.. الله الذي يعلم الأعمال ويكون للأعمال قيمتها عنده، يقول: {لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} عندما تخاطبوه : يا محمد. بعبارات نحو هذه.

{أن تحبط أعمالكم} سنحبط أعمالكم. ماذا وراء إحباط الأعمال ماذا؟ أليس وراءها جهنم أن تحبط أعمالك الصالحة. الإنسان لا يبقى صفر لا سيئات ولا حسنات معناه سترتكب خطيئة وجريمة تحبط كل حسناتك، وتملأ كل ذلك الفراغ سيئات. الإنسان لا يعيش في لحظة لا حسنة ولا سيئه ، لا أحد يعيش صفراً من هنا ومن هنا.

{ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} قالوا هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ودعها تنزل في الصحابة كلهم.. أليس هذا منطق ولهجة شديدة؟.
ألا تدري لماذا؟. لأن في رفع صوتهم فوق صوت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ما يخل بالأدب في مجلسه ومحضره ما يكشف عن عدم إجلال واحترام وتقدير له بالشكل الذي يليق به، فإذا كان محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) رسول الله ليس له المكانة العظيمة في نفسك التي تجعلك تتأدب في مجلسه إذاً فلن يكون لكلامه وتوجيهاته أهميتها في نفسك، ولن تقع موقعها في نفسك، وبالتالي فسيكون من السهل أن تخالفها، من السهل أن تتملص عنها، من السهل أن تؤولها، من السهل تبتكر من عندك ما تعتقده بديلاً عنها وتقدمه بديلاً عنها، وهنا مَكْمَن الخطورة.
فكيف بمن رفعوا صوتهم فوق صوت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، وخالفوا النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، ورفعوا صوتهم فوق صوته وهو في حالة المرض وفي قضية مهمة.

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} ارجع إلى القرآن الكريم تجد أسلوبه يقوم على هذا النحو، يلعن الكافرين، يلعن الفاسقين، يلعن الظالمين، يلعن المؤذين لله ولرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليس هذا موجود في القرآن ؟. أم أنه فقط كتاب أخلاق وتساهل، وليست مشكلة وإن كان ظالم لا عليك من، وفاسق تتمشّى معه، وكافر اتركه لوحده، وكلٌ سيدخل قبره وحده. هل هذا منطق القرآن ؟ أم أن منطقه صرامة وشدة مواقف. والقرآن كتاب عملي، ليس فقط للترانيم كتاب عملي للحياة وللنفوس تهتدي، وتتحرك على أساسه، كل شيء فيه مهم، فهو يوجه حتى بأساليبه.
الله الذي يسمي نفسه بأنه أرحم الراحمين، رحيم بعباده يلعن هذا، وسيحبط عمل هذا، ويضرب هذا. المسألة ليست مسألة رحمه كما تتصورها نحن، أو تسامح مع كل الأطراف كما تتصورها نحن .لا . له منهج واحد{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} (الأعراف: من الآية١٥٦) أليس كذلك ؟ له هدي واحد: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طـه:١٢٤)

من أي الأوساط كان، وفي أي مرتبة كان حتى وإن كان نبياً من الأنبياء فإنه يقول له: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥) ليس هناك مداهنة إطلاقاً من قبل أرحم الراحمين.

أنت قد تتجنى يا من يبدو في منطقه أو في تفكيره أكثر تسامحاً، عندما نسمع منطقا شديد اللهجة غير مألوف ولو على مسامعنا، نحن أصبحنا كما قلت سابقاً لا تتثقف بثقافتنا، وإلا فهذا المنطق ليس جديداً هو منطق السابقين من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو منطق فاطمة الزهراء عليها السلام التي أوصت أن لا يحضر جنازتها ولا الصلاة عليها أبو بكر ولا عمر، حتى خرج الإمام علي عليه السلام مع عمار ومجموعة خاصة من أوليائه ليدفنوها في الليل ويعملون عدة قبور ليعمّوا حتى قبرها عنهم، أليس هذا شدة من فاطمة عليها السلام؟.

فاطمة عليها السلام هي كما قال الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ((هي سيدة نساء العالمين)) ((فاطمة بضعة مني يُرِيبُني ما رابها، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، من آذاها فقد آذاني، ومن أغضبها فقد أغضبني)) على اختلاف ألفاظ الحديث أو تعدد رواياته.

قد تتجنى على حكمة الله سبحانه وتعالى، فتبدوا وكأنك أكثر حكمةً من الله، الله الذي قال {أن تحبط أعمالكم}، أعمالاً صالحة. وأنت تريد أن تتغاضى عن أعمال سيئة وترفعها إلى مقام الأعمال الصالحة، كم هو الفارق؟ كبير.الله قال سيحبط أعمالاً وإن كانت أعمالاً صالحة فعلاً، وإن كان فيها جهاد وعبادة وإنفاق، سيحبطها إذا رفعتم صوتكم فوق صوت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)، فكيف إذا رفعت خطأً ومنهجاً بأكمله خلاف منهج النبي فتجعل حركة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وما بذله من جهد كبير أيام حياته تجعله لا شيء في الأخير.

وهو الذي ساد في هذه الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، أليس أبو بكر وعمر ومن ورائهم هم الذين سادوا المجتمع المسلم؟. أليسوا هم أغلبية الأمة؟.

قل: إذاً أولئك لم يرفعوا فقط أصواتهم فوق صوته بل رفعوا أشياء أخرى خلاف ما جاء به، رفعوا أمة أخرى غير الأمة التي كان يريد أن تكون هي التي ترتفع، رفعوا أمة. هذه الأمة التي كان يريدها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون هكذا على مستوى عال، على مستوى عال في واقع حياتها، في تفكيرها، في هديها، في زكاء نفوسها أصبحت أمة دُنّسَت بالعقائد الباطلة، تحت أقدام الجبارين من الخلفاء في مختلف العصور، على يد من حصل هذا؟.

يُظلم أول من يُظلم أهل بيته: علي وفاطمة والإمام الحسن والإمام الحسين أول من ظلم في هذه الأمة، على يد من حصل هذا ؟ على يد أبي بكر وعمر.

يصل معاوية إلى حكم الأمة، ويصل يزيد إلى حكم الأمة، ويصل من كانوا يسبحون في أحواض الخمر فيشرب حتى الثّمالة وهو أمير المؤمنين، على يد من حصل هذا؟. وبسبب من حصل هذا؟.

القرآن الذي جاء به محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) كان هكذا يريد أن يكون من يلي أمر أمته التي هو حريص عليها أن يكون من هذا النوع {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة: من الآية٥٥) فكان هناك من لا يصلي، من يسبح في أحواض من الخمر، من يسهر في السهرات الحمراء الراقصة -كما يقولون في زماننا هذا- على يد من حصل هذا؟. بسبب من حصل هذا؟.

رفعة أشياء رهيبة جداً، جداً خلاف ما كان يريد القرآن ورسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يرتفع في الأمة، أليس هذا أعظم من رفع الصوت فوق صوت النبي؟. أليس هذا يؤلم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أكثر من أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ؟.

بل هو كان سمحاً في أخلاقه وإن حصل في مجلسه ما لا يليق من ناحية الأدب معه (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يستحي أن يتحدث. كان يجلس في مجلسه ناس فيستحي أن يخرج من عندهم إنما يأتي الله يقول لهم: يا جماعه خففوا على النبي، خففوا على نبيكم. ألم يحصل هذا من قِبَل الله هو الذي أنقذه.

لم يكن يتكلم هو، يرفعوا أصواتهم فوق صوته فيتحمل، يجلس في حجرته الشخص منهم أو الأشخاص فترة طويلة فيستحي أن يقول لهم اخرجوا، يستحي أن يخرج من عندهم. كانت أخلاقه عالية وكريمة وصدره فسيح، لكن القضايا هذه ليست عادية فقال الله سبحانه وتعالى هو لعباده يحذرهم ويؤدبهم.

فأيهما أشد عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وعلى مشاعره، وعلى نفسه أن يرفع صوت فوق صوته في مجلسه أو أن يرفع شخص آخر غير من رفعه هو ورفع يده فوق أقتاب الإبل [يوم الغدير]؟؟. أيهما أشد عليه مخالفته في قضية كهذه أو أن يرفع أحد صوتاً فوق صوته؟. معلوم أن مخالفته في قضايا كهذه مهمة هي التي تؤلمه جداً.

قد تبدو متسامحاً أكثر من الله. الله لا يتسامح مع الذين يَتَجَنَّون على عباده، ويظلمون عباده، ويحرفون دينه.

هل تسامح مع آدم ؟ أول رجل في هذه الأمة أخرجه هو وزوجته من الجنة التي كان قد أعدها لهم في هذه الدنيا ليقيموا فيها فترة حتى يتكاثر نسلهم، عندما أكل الشجرة، ما هي هذه الشجرة ؟ هل هو شرب خمراً؟ لا. شجرة.. قال المفسرون : شجرة حنطة، أو أنها الشعير أو أنها التينة، أو أنها الكَرْمة، شجرة عادية من هذه التي نأكلها، لكنه خالف فشقي { فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا }(طه: من الآية١٢١) أُخرجا من الجنة، اهبطا منها، ونُزِع عنه وعن زوجته لباسهما فخرجا عاريين، نُزِعت ملابسهما من فوقهما {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ }(طه: من الآية١٢١).

شقي آدم بسبب مخالفته ليعطي دروساً لبني آدم من بعده أن مخالفته لا يمكن أن تكون كطاعته.

فتأتي أنت تسوي بين من خالف أمره في أمور مهمة جداً وبين من يطيعه وهو يقول {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ} (السجدة:١٨) {لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} (الحشر:٢٠) يجب أن نهتدي بهدي الله، وأن نقف موقف القرآن وأن ننطق بأساليب القرآن و أن نكون أقوياء بقوة القرآن، وإلا فسنكون نحن من يَتَجَنّى على حكمة الله وعدله ورحمته فيبدوا وكأنه أكثر حلماً من الله، أكثر رحمة من الله، أعظم حكمة من الله، أوسع علماً من الله، ستبدو هكذا فتسيء أنت إلى إلهك، وتسيء إلى نفسك إساءة بالغة، إساءة بالغة.

كيف تريد أن تتسامح مع أشخاص هم ضربوا هذه الأمة ؟. بل لا مخرج لهذه الأمة إلا عندما تصحح وقفتها معهم ونظرتها إليهم من جديد. والله هو الذي يقول لنبيه سيد المرسلين{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأنعام:١٥)هل هناك أحد أرفع في هذه الأمة من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو الذي يقول: لو عصيت لعذبني، أخاف إن عصيت أن يعذبني. لو عصى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) سنقول: طبيعي، هو نبي هو كذا. حتى هذا أليس منطقاً رفيعاً ؟ هل هو مقبول عند الله ؟. لا.

تنزل إلى شخص آخر ما كان ربما يدري من هو الذي يخاطبه، مقام الذي يخاطبه، عظمة الذي يخاطبه، جلال الذي يخاطبه فيرفع صوته فوق صوته ويعارضه في منزله في داخل بيته أثناء مرضه في قضية تهمه جداً، هل تريد أن تمنحه ما لم يمُنح لمحمد من قِبَل الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ؟. فتؤَمّنه مما لم يأمن منه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إن عصى ربه؟!!. تبدوا أنت ترتكب جريمة أخرى، تبدوا أنت من يغطي على منابع الفساد في هذه الأمة.

ثم نأتي إلى من يقول: [يمكن أن نتولى علياً وأبا بكر وعمر وعثمان والصحابة جميعاً ونرضى عليهم فنبدو أكثر تسامحاً، ويمكن أن نتوحد مع الآخرين ..]الخ.[ص٦]

ـ من هي الجهة التي لا بد أن تتولاها

ففي هذه الآية أرشد إلى تولي من نوع خاص ولطرف خاص {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (المائدة:٥٥) .

إن المراد هنا: أن تتولى جهة، تولي تنظر إليها أنها هي الجهة التي تعتبر ولي أمرك ولاية أمر منها تتلقى الهداية، منها تتلقى التوجيهات، بها تقتدي بها تهتدي، إن المقام مقام يتطلب هذا فعلاً، ولهذا قال بعدها {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:٥٦) هو يفترض أننا يجب أن نكون في مقام تأهيل أنفسنا لنكون حزب الله ولنغلب، إذاً ماذا يعني هذا؟ هو أنك تبحث عن من تتولاه به تهتدي، به تقتدي، له تطيع، له تأتمر، له تتبع، منه تقتبس، به تتأسى. قيادة، ولاية أمر، هذه تختلف عن الولاية فيما بين المؤمنين أنفسهم {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (التوبة: من الآية٧١) معنى أن يكونوا مع بعضهم أولياء بعض أن يكونوا صفاً واحداً وموقفاً واحداً متعاونين متكاتفين كالجسد الواحد فيما بينهم، يَهُمّ بعضهم أمر بعض، تسودهم حالة من الألفة، من الأخوة، من المحبة.

لكن هنا يرشد إلى جانب الجهة التي تتولاها لتتلقى منها الهداية، تتلقى منها التوجيهات؛ لأنك عندما تريد أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى تريد أن تكون من حزبه أليس هذا يعني أنك تريد أن تكون جندياً من جنوده في مواجهة طائفة خبيثة من خلقه هم أهل الكتاب اليهود والنصارى .. إذاً كيف جندي بدون قياده؟. كيف جندي لا يتلقى أوامر وتوجيهات من طرف معين؟. كيف يوجهك إلى أن تكون جندياً من جنوده فتكون واحداً من أفراد حزب يسمى [حزب الله] هو الحزب الموعود بالغلبة ثم لا يتحدث لك عن قيادته من هي ؟. وكيف يجب أن تكون قيادته ؟ هل هذا ممكن؟. لا يمكن لا يمكن؛ ولهذا قال هنا {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة: من الآية٥٦)

حزب الله ماذا يعني ؟ جنوده أليسوا جنود الله يسمون حزبه في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع، في ميدان الكفاح بمختلف الوسائل .. كيف جنود بغير قياده ؟ هل هذا ممكن ؟ هل ممكن لأي ملك من ملوك الدنيا أو زعيم من زعماء هذا العصر أن يرسل كتيبة إلى منطقة بغير قائد، هل يحصل هذا ؟. يضعون قائداً حتى للطقم الواحد، سيارة واحدة يضعون لها قائداً، أليس هذا معروفاً؟.

هذا الذي قال عنه القرآن الكريم { هدى للمتقين} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} (المائدة: من الآية١٦) {يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء: من الآية٩) هو يهدينا إلى كيف نكون جنوداً في مقام مواجهة عليا، مواجهة على مستوى راقٍ، ثم لا يتحدث عن الجهة التي تتلقى منها التوجيهات، عن الجهة التي تقودونا، عن الجهة التي بها نقتدي، عن الجهة التي لها نطيع ونأتمر، هل هذا ممكن؟. لا يمكن لا يمكن.[ص٩]

ـ لا بد من المنهج والقيادة

ولهذا تجد أنه في الآيات في [سورة آل عمران] في مقام الحديث عن أهل الكتاب كيف وجهنا إلى نقطة مهمة هي أن نكون متوحدين توحداً يقوم على الاعتصام بحبله، أليس التوحد مهم داخل من يجب أن يكونوا حزب الله؟.

ثم هنا يتحدث عن القيادة.

والقيادة هي تبدأ من عند ولي العباد هو الله سبحانه وتعالى، قلنا في جلسة سابقة بأنه يبدو لمن يتأمل هذه الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وعن ما يراد للأمة في مواجهتها، وعن خطورة هذه القضية يبدوا وكأن

الله سبحانه وتعالى هو من يقود هو من يتصدر لقيادة المهمة فعلاً، ماذا يعني؟. وكأن القضية تـولى رسم معالمها وتولى تبيينها بشكل يعني هو تولى - كما يقولون- تولى قيادة [غرفة العمليات] تولى هو القيادة لخطورة القضية. فكيف لا يوجه؟

{إنما وليكم الله} تهتدون بهديه، تسيرون على تعليماته ووفق خططه في هذه المواجهة، أنتم يا من تريدون أن تكونوا حزبه لتغلبوا، وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الإمام علي بن أبي طالب، فتولي الإمام علي بن أبي طالب هو تولى قدوة، تولى ولي أمر، تولى هادي للأمة من بعد نبيها (صلوات الله عليه وعلى آله).

[علم للأمة بعد نبيها لم يقل علي وفلان، وفلان،وفلان]لم يرض عمر هو، قال: (لا يجتمع سيفان في غِمْدٍ واحد) أو بهذا المعنى، هو نفسه لا يرضى؛ لأن معناه أن ترفع أبا بكر وعمر وعثمان في نفس المقام الواحد لتعطيهم هذه الولاية التي لا تصح إلا لعلم واحد.. هل هناك أكثر من قائد واحد لكتيبة واحدة؟. أكثر من قائد لشعب واحد؟. أكثر من قائد لأمة واحدة؟، أليس هذا يوجد خللاً؟.

عمر نفسه رفض عندما قال الأنصار: [منا أمير ومنكم أمير]. قال: لا. وأنت تريد أن تضيف عمر وهو يرفض من حيث المبدأ ما تريد أن تعمله له، تضيفه إلى علي (عليه السلام) والذين آمنوا، علي وأبو بكر وعمر وعثمان. لا.

المسألة هي مسألة ولاية هدى، ولاية اهتداء واقتداء من جهة عُليا، منها تتلقى الهداية، أنت يا من أنت جندي في ميدان المواجهة، من أنت تسمي نفسك أو تريد أن تكون من حزب الله، يجب أن تتلقى من هذه الجهة، وأنت تتولاها ولاية اهتداء واقتداء، ولاية طاعة، ولاية أمر، إذاً فلا مجال لسحبها على الآخرين.

إننا هنا نخاطَب بخطاب يختلف نوعاً ما عن قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}(التوبة: من الآية٧١) .[ص١٠]

[دروس من عاشوراء]

- أكبر خسارة على الأمة

وأعظم ما تتعرض له الأمة أو من أعظم نكبات الأمة أن تفقد عظماء كالإمام الحسين والإمام علي والإمام زيد والإمام الحسن وأمثالهم من أعلام الهدى خسارة عظيمة.[ص٨]

- كيف نتحدث عن كربلاء

فنحن - أيها الأخوة - عندما نتحدث عن كربلاء لا نتحدث عنها فقط من الجانب العاطفي ، الجانب العاطفي مثير لكن قد يجعل القضية تتجمد في عصرها ، ويجعلنا نحن لا نستطيع أن نستلهم منها الدروس والعبر ، إلا إذا حاولنا أن يكون إحياؤنا لهذه الذكرى هو فعلاً حديث عن ما حدث فيها من مآسي كشفت عن وحشية أولئك الظالمين، وخشونة طباعهم وخبث أنفسهم، ونعرف أيضاً الأسباب التي أدت لمثل تلك ، لأنها أسبابٌ الناس يعيشونها في كل عصر ، نحن نعيش - فيما أعتقد - الأمة المسلمة هي تعيش الحالة الحالة نفسها ، الأسباب نفسها التي هيأت الظروف لأن يسقط بين أيديها مثل الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام زيد والإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية وغيرهم من عظماء أهل البيت ، الحالة نفسها واحدة ، سنظل دائماً نَئِنُّ ونتوجع ولا نهتدي لحل ولا نعرف من الذي وراء ذلك إذا لم نعد إلى دراسة الأسباب الأولى للأحداث حتى نعرف ما إذا كان هناك في واقعنا شيء من هذه الأسباب متوفرة ،شيء من هذه الحالة التي أدت إلى تلك النتائج السيئة التي تعيش عليها الأمة ، فإذا ما وجدنا أنفسنا نعيش نفس الشعور ، نعيش نفس الحالة فاعرف بأنك إنما ستكون مثل أهل العراق ، مثل أهل الشام الذين ظلوا دائماً يتوجعون ، مثل هذه الأمة من أولها إلى حاضرها تتوجع من الأحداث ، تتوجع من الكوارث ، وتَئِنُّ وتصرخ ولا ترى مخرجاً ولا تعرف حلاً.

وحتى نعرف وحتى يعرف كل واحد منا أنه يعيش نفسية الشخص الذي أغمض عينيه يوم صعد أبو بكر على كرسي الخلافة ، وأنك تعيش نفسية ذلك العراقي الذي كان يسمع الإمام عليا عليه السلام يتحدث بمسجد الكوفة ،وتحمل نفسية ذلك العراقي يوم خرج الإمام الحسين عليه السلام متجهاً إلى الكوفة ، ويوم دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، حتى تعرف أنك لا تختلف عن أولئك، إذا ما وجدت نفسك أمام أي قضية أمام أي حدث، تجد هناك من يذكرك بمسئوليتك ، يذكرك بخطورة عواقب تلك الأحداث، يذكرك بعقوبة تفريطك ثم لا تهتم، فإنك من قد تجد نفسك في يوم من الأيام ليس فقط ضحية لتفريطك، بل تجد نفسك في موقف أسوء من ذلك الموقف تجد نفسك في صف الباطل تقف في وجه الحق ، تساق إلى مواقف الباطل.

وهذا لم يكن فقط ما حصل للعراقيين وحدهم في التاريخ ، لقد حصل للكثير من البشر على امتداد التاريخ تاريخ هذه الأمة، كم من الأشخاص ممن هم يُحسبون على جانب الحق، ممن سمعوا توجيهات الحق وسمعوا صوت الحق، ودعوا إلى الحق ففرطوا فرأوا أنفسهم يساقون إلى ميادين الباطل.

نحن ـ أعتقد ـ إذا لم ننطلق في مواجهة الباطل في هذا الزمن فإننا من سنرى أنفسنا نُساق جنوداً لأمريكا في ميادين الباطل في مواجهة الحق.

لا يجوز بحال إذا كنا نحن من نلوم أولئك ، أي واحد منا يلوم أهل الكوفة أليس كذلك؟ ،يلوم أهل العراق؟ يلوم ذلك المجتمع الذي لم يصغ لتوجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن ولّى الإمام علي (عليه السلام)، يلوم أهل المدينة ، يلوم أهل البصرة ، يلوم أهل الشام ، يلوم .. إذا كنا فقط إنما نلوم الآخرين ، ولا نعرف على ماذا نلومهم ، أنت تلومهم لأنهم قتلوا الإمام الحسين . أليس كذلك ؟ ـ فعلاً يلامون على أنهم قتلوا الإمام الحسين عليه السلام ـ لكنهم لماذا ، ما الذي جرّهم إلى أن يقتلوا الإمام الحسين عليه السلام؟. أنت تعيش النفسية ، تعيش الحالة التي جرتهم إلى أن يخرجوا لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام، فَلُمْ أنت نفسك و لُمهم أنت على تفريطهم يوم كانوا يسمعون الإمام عليا عليه السلام ، واحذر أنت أن تكون ممن يفرط ، وهو يتكرر عليك هدي الإمام علي عليه السلام، وهدي القرآن الذي هو فوق كل هدي.

أوليس القرآن حياً بين أظهرنا؟. أولسنا نقرؤه؟. أولسنا نحاول أن نعرض الأحداث على القرآن الكريم ؟ لنستلهم من خلال القرآن ما هو الموقف المطلوب منا، بل لنحصل من خلال القرآن على وعي وبصيرة ، نفهم من خلالها ما يدور حولنا فمن يُعرض، من يُفرط، من لا يهتم ، من لا يبالي ، إنه يعيش نفسية من يلومهم قبل ألف سنة وأكثر من ألف سنة.

ـ أمامك رصيد من الأحداث

بل أرى أن اللوم علينا أشد.. لماذا؟.

عادة الناس إذا تحدث معهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)وحذرهم من عواقب الأمور ، الكثير من الناس هو يكون من أولئك الذين يريدون أن ينظروا إلى الأشياء متجسدة أمامهم حتى يصدقوا ، وحتى يستشعروا الخطورة ، وحتى يهتموا أو يكون لهم موقف يريدون كما قال بنو إسرائيل {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}(الأعراف: من الآية١٣٨) بعد أن خرجوا من البحر ، تلك الآية العظيمة ، الآية الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى ، وهم مؤمنون بالله ، لكنهم ما زالوا يريدون أن يروا إلهاً متجسداً أمامهم ، حتى قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً }(البقرة: من الآية٥٥) ألم يقولوا هكذا ؟ هذه الروحية [لن نصدقك حتى نرى الأحداث ماثلة]، هذا هو الغباء ، هذا هو الخطأ ، هذه هي الأمية الحقيقية ، هذه هي الجهالة ، هذه الروحية هي التي تؤدي إلى ضرب الأمة في كل عصر . الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يتحدث ، القرآن الكريم الذي ((فيه نبأ ما قبلكم

وخبر ما بعدكم)) يتحدث هو أيضاً عن عواقب الأمور ، عن عواقب التفريط ، عن عواقب اللامبالاة ، عن أضرار الضلال والباطل عليكم في الدنيا قبل الآخرة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)أيضاً تحدث لكن لم تكن هناك أحداث واسعة بسعة ما يسمعونه من حديثه، وهم من نوعية من يقول في واقعه ـ من حيث لا يشعر ـ: [لن نؤمن لك حتى نرى عواقب الأمور جهرة!].

الإمام علي عليه السلام تحدث مع الناس ، وكانت أيضاً قد عرضت في الحياة أحداث كثيرة ، فكان من المفترض أن يكون من يعيشون في عصر الإمام علي عليه السلام ـ لأن منطق الإمام علي عليه السلام هو منطق القرآن ، ومنطق محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)ـ أن يكونوا أكثر وعياً ؛ لأنهم من قد شاهدوا الأحداث الكثيرة والمتغيرات من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى أن قام الإمام علي عليه السلام، ورأوه فوق منبرهم في الكوفة يتحدث معهم ويوجههم ، كذلك من جاء بعدهم ، نحن في هذا العصر من أمامنا رصيد هائل من الأحداث، أمامك كربلاء، وأمامك يوم الحرة، وأمامك يوم ضرب الكعبة، وأمامك استشهاد الإمام زيد، واستشهاد أصحاب فخ، وأمامك الأحداث تلو الأحداث الرهيبة التي تكشف لك عواقب التفريط والضلال والتقصير والجهل، أصبحت مثلاً شاهداً، من واقع الحياة تستطيع أن تضربه مثلاً أمام كل قضية تتحدث عنها ،إذا كنا نحن لا نفهم بعد ولا نعي ، وأمامنا رصيد من هذه الأحداث ، أمامنا كربلاء التي نحن في هذا اليوم نتحدث عنها ، ونستلهم العبر منها ، هذا الحدث نفسه إذا لم تكن أنت ، وأنت في هذا العصر من يفهم الأمور ـ وأمامك هذا الرصيد ـ فإنك أسوء ممن خرج يقاتل الإمام الحسين عليه السلام ، فإنك أسوء ممن خرج يقاتل الإمام الحسين عليه السلام ، وإذا كان أولئك لتفريطهم هيئوا الساحة لأن يتولى يزيد فأنت هنا لتفريطك ستهيأ الساحة لأن يحكمها [بوش] ، وتحكمها إسرائيل ، فيحكمها اليهود، أوليس اليهود أسوء من يزيد؟ إن من يهيئ الساحة لتحكمها أمريكا ، من يهيئ الساحة لتحكمها إسرائيل ، من يهيئ الساحة لتحكمها ثقافة الملعونين من اليهود والنصارى بدل ثقافة القرآن هم أسوء ممن شهروا سيوفهم في وجه الإمام الحسين عليه السلام.

لأنها كلها حالة عربية واحدة ،كلنا نحن العرب حالة مترسخة لدينا {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} ((لتحذنّ حَذْوَ بني إسرائيل)) ،هم قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}(البقرة: من الآية٥٥) **ونحن كأننا نقول: [لن نؤمن لك يا علي عندما تقول : ((والله إني لأخشى أن يُدَال هؤلاء القوم منكم ؛لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)) لن نؤمن لك حتى نرى معاوية جهرة فوق منبرنا فنعلم فعلاً أنه قد أُدِيلَ منا ،لن نؤمن لك يا حسين ، لن نؤمن لك يا علي إلا بعد أن نرى يزيد فوق منبرنا ،لن نؤمن لك إلا بعد أن نرى سيف يزيد مشهوراً على رقابنا، لن نؤمن لك حتى نرى الأمريكي يوجه بندقيته إلى صدورنا، لن نؤمن لك حتى نرى نساءنا يخرجن متبرجات كالأربيات في شوارعنا، لن نؤمن لك حتى نرى القرآن تُمَزَّق صفحاته في مساجدنا، لن نؤمن ... لن نؤمن..] هي الحالة العربية التي ضربت العرب ،وضربت القرآن ، وضربت الدين نحن نعيشها [لن نؤمن لك...]**

نحن يجب أيها الأخوة أن ننسف هذه الكلمة من مشاعرنا ومن عقولنا ومن أذهاننا [أنني لا أصدق إلا عندما أرى الأشياء ماثلة] إذا كنت من هذا النوع إذاً أمامك على طاولة التاريخ الشواهد الحية لهذه ،ألا يكفيك شواهد حية على مدى[١٤٠٠عام]؟. ألا تكفيك شواهد إذا كنت ممن يريد أن يرى الأشياء أولاً؟ ،هاهي أمامك كربلاء ،هاهي أمامك (الحَرَّة) ، هاهي أمامك ضرب الكعبة ،هاهي أمامك الأحداث تلك الأحداث ،هي مثلٌ على كل ما نحدثك عنه ،إذا كنت لا تريد أن تكتفي بهذه الشواهد ـ التي هي شواهد حية ،أحداث تجسدت في التاريخ بل تريد [موديلاً] جديداً من الأحداث ـ فأنت أيضاً أسوء ممن قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} ،أولئك الذي خرجوا ليشهروا سيوفهم في وجه الإمام الحسين عليه السلام هم ملعونون، ألسنا نلعنهم؟ ،نعتبر أنهم ارتكبوا

جريمة من أفضع جرائم البشرية على طول تاريخها ،لكن في الواقع لم يكن أمامهم رصيد من الأحداث ،والأمثلة الحية ،وهم كمثلنا نحن وهم عرب ممن يعيشون في أنفسهم وتترسخ في انفسهم [لن نؤمن لك حتى نرى ما تحدثنا عنه ماثلاً أمام أعيننا] نحن نشاهد في التاريخ الأمثال الكثيرة ،إذا كنت أنت تريد أمثالاً جديدة فإنك أنت أيضاً تعيش حالة يجب أن تسخر فيها من نفسك ،تريد [موديلا] جديداً من الأحداث ،تلك أحداث ماضية بالية وأنا أريد أحداثاً جديدة ،أريد أن أرى تلك الأحداث ماثلة أمام عيني فألمسها وأشاهدها، وأحس بوطئتها أنا، لا يجوز بحال أيها الأخوة أن نظل قاصرين في وعينا إلى هذه الدرجة وأمامنا هذا الرصيد المهم من الأحداث طوال التاريخ.

أكرر هذا لأنها حالة نلمسها عند الجميع ، ولأنها حالة قائمة ، لاحظ ،كيف أننا نقتنع بالمبررات الواهية المكذوبة التي ليست منطقية ولا معقولة ولا واقعية ، يُصدِّرها الأمريكيون ، يُصَدِّرها اليهود وعملاؤهم ويتحدثون بها فنقتنع ونسكت ونجلس ، بل نحن من وصلنا إلى أن نجعل تلك الحالة هي الحكمة، هي منطق الحكمة، هي منطق الحفاظ على الأمن، هي منطق الحفاظ على المصلحة العامة للشعب، وهي الحكمة نفسها التي قال الله عنها: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} (البقرة: من الآية٢٦٩) **أصبحنا نعتبر قصور وعينا وجهلنا هو الحكمة.**

ـ ما هي الحكمة أمام الأحداث

إن الحكمة أن تعود إلى التاريخ ، وتعود إلى القرآن، وتأخذ العبر والدروس من خلال تلك الأحداث فتأخذ المقاييس الثابتة والوعي والبصيرة من خلال القرآن الكريم هنا الحكمة؛ حتى ترى في الأخير أن التفريط أن السكوت أن الجمود أن التفكير في أنك ستسلم كلها متنافية مع الحكمة، كلها ليست واقعية، كلها هي سبب النكال، وسبب الخزي في الدنيا ، وسبب أن تكون من يتلقى الضربات تِلْو الضربات من أعدائك ، هذه ليست حكمة.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج
بإشراف
يحيى قاسم أبو عواضة
بتاريخ ١٥شوال/ ١٤٢٨هـ
الموافق٢٦/١٠/٢٠٠٧م